وأشهد أن القرآن <u>ليس</u> كلام الله

القرآن عمل جماعي مِن كلام العرب ... وجذوره في تراث الشرق القديم

The Ancient Eastern Origins of the Qur’ān

جَمْع وترتيب وتعليق:

مُؤْمِن عقلاني حر مستقل

FIRM (<u>F</u>ree <u>I</u>ndependent <u>R</u>ational <u>M</u>onotheist)

(2025 – 2013)

يوليو 2025

July 2025

فهرس الرسوم التوضيحية

فهرس الجداول

الفهرس

الشك فضيلة

بل أفضل فضيلة

والشك يبدأ بسؤال

هل القرآن كلام الله؟

Disclaimer

لا يوجد أي ضمان أن هذه المذكرات خالية من الأخطاء.

لكن الضمان الوحيد هو أن أي خطأ – إن وجد –

لن يؤثر في صحة النتيجة النهائية، فهي الحق والحقيقة:

القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله.

Notation, Citation Method and Notes

مثال	المعنى المقصود
(محمد 5)[1]	اقرأ سورة محمد، الآية الخامسة
Q 3.65 أو Q 3:65	اقرأ القرآن، السورة الثالثة (أى: سورة آل عمران)، الأية 65
(إبراهيم 5-10)	اقرأ سورة إبراهيم، من الآية الخامسة إلى الآية العاشرة
Q 10.32-35 أو Q 10:32-35	اقرأ القرآن، السورة العاشرة (أى: سورة يونس)، من الآية 32 إلى الآية 35
(البخارى 30)[2]	اقرأ صحيح البخارى، الحديث رقم 30 (باللفظ أو بالمعنى)
(مسلم 10-15)	اقرأ صحيح مسلم، من الحديث رقم 10 إلى الحديث رقم 15 (باللفظ أو بالمعنى)
(التكوين 5)[3]	اقرأ سفر التكوين، الإصحاح الخامس
(لوقا 5-10)	اقرأ إنجيل لوقا، من الإصحاح الخامس إلى الإصحاح العاشر
(1 بطرس 3:5-10)	اقرأ رسالة بطرس الأولى، الإصحاح الثالث، من الآية الخامسة إلى الآية العاشرة
Exodus 2:5	اقرأ سفر الخروج، الإصحاح الثانى، الآية الخامسة
|AYA|:1005	انظر المرجع الذى رمزه |AYA|، صفحة 1005
|AYA|:10، 30-40	انظر المرجع الذى رمزه |AYA|، صفحة 10 ومِن صفحة 30 إلى صفحة 40
|AYA|:73-	انظر المرجع الذى رمزه |AYA|، صفحة 73 وما بعدها
|خ|:5/98	انظر المرجع الذى رمزه |خ|، المجلد أو الجزء الخامس، صفحة 98
|خ|:5/98-102	انظر المرجع الذى رمزه |خ|، المجلد أو الجزء الخامس، من صفحة 98 إلى صفحة 102
|خ|:5/14-	انظر المرجع الذى رمزه |خ|، المجلد أو الجزء الخامس، صفحة 14 وما بعدها
|م|:10/2/98	انظر المرجع الذى رمزه |م|، المجلد أو الجزء العاشر، القسم أو الكتاب الثانى، صفحة 98

إم:102-98/2/10	انظر المرجع الذى رمزه إم، القسم أو الكتاب العاشر، المجلد أو الجزء الثانى، من صفحة 98 إلى صفحة 102
إم؛ إت؛ إخ	مجموعة (set) مِن المراجع، أى: بدون ترتيب معين. انظرها كلها.
س [← ص]	قبل الإسلام (antecedent to Islam)، كانت "س" هي العقيدة أو القصة أو الفكرة (motif) بصفة عامة. وبمرور الزمن، تطورت "س" تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development)[4] بالحذف (omission) و/أو الإضافة (addition) إلى أن أصبحت "ص" في الإسلام. هذا لا يعني بالضرورة أن "س" = "ص"، وإنما يعني أن: (1) "س" هي جذور "ص". أو أن "س" هي الأصل، و "ص" هي الصورة بعد الحذف و/أو الإضافة إنْ وجد. و/أو (2) "س" و "ص" لهما مصادر بشرية مشتركة (common, human source(s)) أقدم منهما. باختصار: علامة السهم "←" تُقرأ بمعنى: "تطوَّر تطوراً بشرياً طبيعياً فصار".
س [← ص ← ع]	س [← ص]. ص [← ع].

لمعرفة المصدر أو المرجع الذى يشير إليه كل رمز، انظر المجموعة المُختارَة مِن المصادر والمراجع فى نهاية هذه المذكرات. هذا بالإضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع الأخرى التى سنوضحها في الحواشي السفلية (footnotes).

الأمانة العلمية فى النقل: إذا وُضِع الكلام بين علامتي تنصيص ""، فهو منقول بِنَصِّه. وإلا فهو منقول بمعناه وبتصرف يسير أو كثير. وقد نمزج أحياناً بين النقل الحرفي (بين "") والنقل بتصرف (بدون "")، وقد نضيف كلاماً بين قوسين () أو [] لتوضيح المعنى، وقد نحذف كلاماً [...] حرصاً على الاختصار وعدم الإطالة.

في حالة النقل مِن نصوص مترجمة أو بلغة أجنبية: فإننا أحياناً نفصل بين الترجمة والنَّصّ الأصلى، وأحياناً نجمع بينهما فى كلامٍ واحد، وأحياناً نكتفي بأحدهما دون الآخر.

في حالة وجود اختلافات بين الروايات المتعددة للنَّصِّ الواحد (مثلاً: بين الأحاديث المتفق عليها في صحيحي البخارى ومسلم): فإننا قد نكتفي بروايةٍ منهم خاصةً إذا كانت الاختلافات بسيطة ولا تهمنا، وقد نجتهد لنجمع بينهم في روايةٍ واحدة، وقد نبرز بعض الاختلافات التي تهمنا.

ولمعرفة الحكم على الأحاديث غير المذكورة في صحيحي البخارى ومسلم، لجأنا إلى المراجع التي حققها وعلق عليها علماء مسلمون كبار مثل الألباني والأرنؤوط وشاكر وغيرهم. لكن حرصاً على عدم الإطالة، لن نذكر تعليقاتهم بالتفصيل، وإنما سنكتفي بالنتيجة النهائية مثل: "حديث صحيح"، "إسناده صحيح"، "إسناده حسن"، "حسن لغيره"، "إسناده ضعيف" ... الخ. وسنذكر رقم الجزء ورقم الصفحة حتى يستطيع القارئ الكريم - إنْ أراد - أن يرجع إلى المصادر والمراجع الإسلامية لقراءة الأحكام والتعليقات بالتفصيل.

وحرصاً على عدم الإطالة أيضاً، سنكتفي بمتن الحديث. ولن نذكر السند كله أو بعضه إلا في حالات قليلة. ويستطيع القارئ الكريم - إنْ أراد - أن يحصل على السند مِن المصادر والمراجع الإسلامية.

وفي جميع الأحوال، فإننا ندعو القارئ الكريم أن يطلع بنفسه على المصادر والمراجع، ومعظمها موجود فى المكتبات العامة والجامعية ويمكن شراؤها من دور النشر العربية والأجنبية.

آيات القرآن والكتاب المقدس والتراث اليهودي/المسيحي:

فيما يتعلق بالقرآن: مثل معظم المسلمين، لم ندرس مخطوطات القرآن القديمة. وإنما اعتمدنا بصفة أساسية على رواية حفص عن عاصم، ليس لأنها الرواية الصحيحة للقرآن، وإنما لأنها الرواية السائدة فى مصر والسعودية. لكن سنشير أحياناً إلى القراءات والروايات الأخرى للقرآن، مثل رواية ورش عن نافع.

فيما يتعلق بالكتاب المقدس: مثل معظم اليهود والمسيحيين، لم ندرس مخطوطات التوراة والإنجيل القديمة. وإنما اعتمدنا بصفة أساسية على ترجمة ڤاندايك العربية، ليس لأنها الترجمة الصحيحة للكتاب المقدس، وإنما لأنها الترجمة السائدة فى مصر أكبر الدول الناطقة بالعربية من حيث عدد السكان وأكبرها أيضاً من حيث عدد المسيحيين. لكن سنشير أحياناً إلى الترجمات الأخرى، مثل NIV و NRSV و TOB.

وفيما يتعلق بالتراث اليهودي/المسيحي: مثل معظم اليهود والمسيحيين والمسلمين، لم ندرس مخطوطات كتب التراث اليهودي/المسيحي القديمة. وإنما اعتمدنا على الكتب المطبوعة التي تترجم المخطوطات إلى اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية. وكما هو الحال بالنسبة للقرآن أو صحيح البخاري أو أي كتاب من العصر القديم، هناك فرق بين تاريخ المخطوطة وتاريخ تأليف العمل نفسه. مثلاً: قد يكون تاريخ أقدم مخطوطة لعمل معين هو القرن التاسع الميلادي، لكن العمل نفسه تم تأليفه في القرن الخامس أو السادس. وما يهمنا هو تاريخ تأليف العمل نفسه حسب رأي العلماء المتخصصين الذين عكفوا على دراسة المخطوطات القديمة على مدار عشرات السنين. ومَن يعترض على ذلك، فعليه أن يتناقش مع هؤلاء العلماء.

بل عليه أن يعطينا مخطوطة واحدة كاملة (أو حتى شبه كاملة) للقرآن يرجع تاريخها إلى الثلث الأول من القرن السابع الميلادي. لا يوجد. ولن يوجد. ومع ذلك، يؤمن المسلمون أن المصحف (القرآن) ينتمي إلى الثلث الأول من القرن السابع الميلادي!

ولتوضيح المعنى المقصود مِن الآيات، اضطررنا كثيراً إلى إضافة بعض الكلمات أو العبارات بين قوسين () أو [][5]. ولتسليط الضوء على كلمات أو عبارات معينة، اضطررنا أحياناً إلى حذف كلمات أو عبارات أخرى، وأشرنا إلى ذلك كما هو معتاد بعلامة [...].

التاريخ العربي-الإسلامي: التواريخ الهجرية مأخوذة بصفة عامة مِن المراجع العربية[6]. أما التواريخ الميلادية فمأخوذة بصفة عامة مِن المراجع الأجنبية. ونظراً لأن العرب، سواء قبل الإسلام أو فى صدر الإسلام، لم يهتموا بدقة التأريخ، فإن كل هذه التواريخ تقريبية.

"من وجهة نظر الحسّ السليم، لا مشكلة في أن نؤمن بالله. بل قد يمثل الإيمان بالله خبرة روحيّة مفتوحة على سمو الشخص وتسامي النفس وسعة الخيال.

إنما المشكلة كل المشكلة أن نؤمن بنصوص دينية قديمة ومتقادمة تُكبِّل العقل وتشل الإرادة وتقتل الإبداع، ثم نقول عنها إنها نصوص الله. كما لو كان الله كاتباً أو مؤلفاً أو مدوِّناً؟ وهذا لا يقبله العقل السليم إلا من باب التسليم الانقيادي الذي قد يفتح باب الإيمان الأعمى بأي شيء"[7].

القرآن نفسه يشير إلى مصادره البشرية ...

أصدق آية في القرآن: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (الحج 17)

المصدر البشري	المنظومة الدينية والثقافية
الَّذِينَ آمَنُوا	التوحيد العربي (الحنيفية ثم الإسلام)
الَّذِينَ هَادُوا	اليهودية
الصَّابِئِينَ	الغنوسية أو المندائية أو المانوية أو كل خروج عن دين الآباء إلى دينٍ آخر
النَّصَارَى	المسيحية الشرقية (وخصوصاً السريانية)
الْمَجُوسَ	الزرادشتية
الَّذِينَ أَشْرَكُوا	الوثنية العربية (الجاهلية)

مقدمة لا بد منها

الهدف: ليس الهدف من هذه المذكرات الإساءة إلى الإسلام أو إلى أي دين أو مذهب آخر.

وليس الهدف التبشير بدين معين أو مذهب معين.

وليس الهدف القضاء على الإسلام (ديننا سابقاً) أو إزالته من الوجود! فليس لدينا مشكلة مع وجود الإسلام، وإنما مع الحجم الذي يتواجد الإسلامُ فيه. فلا مانع أن يظل الإسلامُ موجوداً، لكن في حجمه الطبيعي: دين فقط، وليس دين وخلافة (إمبراطورية). دين فقط، وليس دين ودولة. دين فقط، وليس دين وسجن يقتل مَن يهرب مِنه. دين فقط، وليس الدين الحق. دين مَن يؤمن به فقط، وليس دين الله.

وإنما الهدف هو تنوير العقول التي ما زالت تعيش في ظلام الأفكار الموروثة المُتَلَقَّاة (les idées reçues) المنسوبة خطأ إلى الله، بل ما زالت تقتِل أو تُقتَل بسبب هذه الأفكار الإسلامية الموروثة التي تنشرها البروباجاندا الإسلامية-العربية في كل مكان.

هذه المذكرات هي اللقاح الآمن والفعَّال والمضاد للبروباجاندا الإسلامية-العربية التي تصدع رؤوسنا نهاراً وليلاً بالأساطير والأوهام والأكاذيب والافتراءات والمزاعم الظالِمة المظلمة.

وحين نقول "الإسلام" فإننا نقصد:

- مِن حيث الكم "التيار الرئيسي" (Mainstream Islam) أي: التيار صاحب الأكثرية العددية - التي لا تَعني بالضرورة الصحة أو الكمال؛
- ومِن حيث الكيف "الإسلام التقليدي" (Traditional Islam) أو "الإسلام الكلاسيكي" (Classical Islam) أي: الإسلام الموروث "المتواتر" الذي ينتقل مِن جيلٍ إلى جيلٍ عن طريق التلقين الوراثي عبر السنين والقرون فيتلقاه الخلف عن السلف سواء أكان مكتوباً أم شفاهة: القرآن (المصحف) + السُّنَّة الصحيحة (البخاري ومسلم وغيرهما)؛
- ومن حيث اللغة "الإسلام العربي" (Arabic Islam)، فاللغة العربية هي لغة الإنتاج الرئيسية (principal productive language) للإسلام، وهي لغة القرآن ولغة السُّنَّة الصحيحة، فلا يمكن الفصل بين الإسلام التقليدي واللغة العربية؛
- ويمكن أيضاً أن نسميه "إسلام القرون الأولى" أو "الإسلام التاريخي" (Historical Islam)، أي: الإسلام الذي اكتمل في العصور الوسطى غير المتأثر بالمحاولات "التنويرية" "الإصلاحية" "العلمانية" التي ظهرت في العصر الحديث، وإنْ اعتمد بعضُها على أفكار قديمة[8].

كل هذه المحاولات التنويرية الإصلاحية العلمانية فشلت، أو على الأقل لم تحقق النجاح المرجو. فظل الإسلام الكلاسيكي التقليدي هو التيار الرئيسي. ومع ظهور البترول في الدول العربية الغنية، سارعت تلك الدول إلى استغلال ثرائها من أجل نشر الإسلام العربي في العالم كله. حتى حين يترجمون معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، تجدهم يفرضون تفاسير العصور الوسطى (الطبري وابن كثير والقرطبي والجلالين وغيرهم) وأحاديث العصور الوسطى (البخاري ومسلم وغيرهما) على غير العرب**!** فظل إسلامُ القرون الوسطى (Medieval Islam) هو الإسلام السائد والغالب في العصر الحديث في جميع أنحاء العالم**!**

ولا يمكن إصلاح هذا الإسلام. بل مِن المستحيل إصلاح هذا الإسلام. لكن يمكن إصلاح العقول التي دخلها هذا الإسلامُ أو أصابتها هذه البروباجاندا الإسلامية-العربية. وهذا هو الهدف. فَمَا هي الوسيلة؟

الوسيلة: اثبات أن القرآن ليس كلام الله وأننا يمكن أن ندرس القرآن ونفهم مِن أين جاء وكيف ظهر إلي الوجود فى القرن السابع الميلادى فى شبه الجزيرة العربية بدون الحاجة إلى نظرية "الوحي" التى تزعم – دون أى اثبات أو دليل – أن الله أنزل القرآن على محمد رسول الإسلام.

نعم، قصة "الوحي" قصة ضعيفة جداً ولن تستطيع أن تصمد فى أية مواجهة فكرية أمام الأدلة الكثيرة التى تثبت أن للقرآن مصادر أخرى غير الله. مصادر بشرية 100%. فما ذكره القرآنُ مِن معتقدات وقصص وعبادات ومعاملات وشريعة وغيرها من الأفكار الأخرى كان معروفاً على نطاق واسع فى منطقة الشرق الأدنى القديم (Ancient Near East)[9] التى كانت مهد الحضارات والديانات التى ظهرت **قبل** الإسلام (antecedent to Islam). هذه المنطقة الشرقية الهامة – التى نُسميها "الشرق الأدنى" أو "الشرق الأوسط" – تضم بصفة خاصة: شبه الجزيرة العربية (مهد الإسلام) والشام (مهد الديانتين اليهودية والمسيحية) والعراق الذى عاش فيه اليهود والمسيحيون لقرون طويلة قبل الإسلام. ويمكن أيضاً أن نضم إليها: فارس ومصر والحبشة وأجزاء من تركيا. ومعظمها مناطق كانت تخضع سياسياً و/أو ثقافياً للإمبراطوريتين الفارسية والرومانية الشرقية (البيزنطية) قبل الإسلام.

مِن رحم حضارات وديانات الشرق الأوسط القديم (وبخاصة: مصر والشام والعراق وفارس)، خرج التراث اليهودي. ومِن هذا التراث اليهودي والتراث الإغريقي/الروماني (Greco-Roman) الشرقي، وُلِدَ التراث المسيحي. ومِن رحم كل ما سبق، مع إضافة التراث العربي (الجاهلي Pre-Islamic)، خرج الإسلامُ (دين العرب) فاحتل في سنواته الأولى مصر والشام والعراق وفارس.

المعلومات إذن كانت مُتاحة لرسول الإسلام ومَن حوله (Muhammad and his circle)، وكل ما فعله العرب الذين صنعوا القرآنَ أنهم جمعوا تلك الأفكار المتوارثة عبر الأجيال، وبالطبع أدخلوا عليها بعض التغييرات الضرورية حتى تلائم تاريخ وجغرافيا شبه الجزيرة العربية وحتى تتواءم مع ما استجد من

أمور فى حياة الرسول وحياة المسلمين الأوائل وأيضاً حتى تتناغم مع بعضها البعض فى كتاب عربى واحد هو القرآن الذى نعرفه بصورته الحالية.

باختصار: القرآن كلام العرب، وهو تطور بشري طبيعي (natural human development) للديانات والحضارات والثقافات الشرقية التي سبقت ظهور الإسلام. فنحن الآن ننظر إلى الإسلام، ليس باعتباره ديناً إلهياً، وإنما باعتباره ظاهرة ثقافية عربية ينطبق عليها ما ينطبق على بقية ظواهر الثقافة الإنسانية من نشوء وتطور وتأثر وتأثير.

قد يندهش كثير من المسلمين عند سماع هذا الكلام، ومن حقهم أن يسألوا: هل كان العرب فى "الجاهلية"[10] على دراية بالحضارات والديانات السابقة للاسلام؟ الإجابة: نعم، والحمد لله فلقد شهد شاهدٌ من المسلمين وهو المفكر الإسلامى الكبير عبد الحميد جودة السحار الذى قال[11]:

> كانت العرب فى الجاهلية على صلة بالفرس والروم واليمن ومصر وكل دول الأرض فى ذلك الزمن، ولم يكن العرب مستقرين فى جزيرتهم لا صلة بينهم وبين العالم الخارجى، كما كان يظن الإخباريون والمؤرخون الإسلاميون الذين دوَّنوا تاريخ العرب فى الجاهلية وقبل مبعث الرسول عليه الصلاة والسلام. وقد كانوا أهل حضارة، وقد عرَفوا اليهودية والنصرانية والصابئة والمجوسية والحنيفية وكل ديانات الشعوب. وقد هجر بعضهم دين الآباء واعتنقوا اليهودية أو النصرانية، وراح بعضهم يبحث عن الحنيفية الحقة دين إبراهيم، وظل أغلبهم على عبادة ما كان آباؤه يعبدون.

أو كما قال المؤرخ الإسلامى الكبير الدكتور أحمد أمين[12]:

> شاع بين الناس أن العرب في جاهليتها كانت أُمَّة منعزلة عن العالم لا تتصل بغيرها أي اتصال، وأن الصحراء من جانب والبحر من جانب حصراها وجعلاها منقطعة عمَّن حولها لا تتصل بهم في مادة، ولا تقتبس منهم أدباً ولا تهذيباً. والحق أن هذه فكرة خاطئة، وأن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم مادياً وأدبياً، وإن كان هذا الاتصال أضعف مما كان بين الأمم المتحضرة لذلك العهد نظراً لموقعها الجغرافى ولحالتها الاجتماعية.
>
> وهذا الاتصال بين العرب وغيرهم كان من طرق عدة، أهمها:
>
> 1- التجارة.
>
> 2- إنشاء المدن العربية المتاخمة لفارس والروم.
>
> 3- البعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في جزيرة العرب، تدعو إلى دينها وتنشر تعاليمها

وقال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى (مِن كبار علماء الأزهر)[13]:

لقد كان الرجل منهم (أى: مِن الصحابة؛ أو: مِن العرب بصفة عامة) ربما يحفظ ما يسمعه لأول مرة مهما كثر وطال، وربما كان من لغة غير لغته، ولسان سوى لسانه

وكل هذا يؤكد أن محمد وأصحابه قد استمعوا مِن غيرهم وحفظوا ما سمعوه، ولم يكن اختلاف اللغة أو اللهجة عائقاً أمام تواصلهم مع أبناء الشرق الأوسط مِن الثقافات والحضارات والديانات الأخرى.

وانطلاقاً مما سبق، فسوف نثبت فى هذه المذكرات أن ما جاء فى القرآن هو مجرد تطور عضوي طبيعي (natural organic evolution) للتراث الدينى والشعبى الشرقى الذى سبق الإسلام، وعلى رأسه بالطبع الكتاب المقدس بعهديه[14] وأيضاً تراث الديانتين اليهودية والمسيحية – التى تعتبر أكبر منظومة فكرية تأثر بها الإسلام.

قد يقول المسلمون رداً على ذلك: لا يضر القرآن أن يكون مشابهاً للكتاب المقدس فى كثير من الأمور. بل إن هذا أمر طبيعى حيث أن مصدر الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام واحد وهو الله. ونجد هذا الرد في كثير من الكتب والمراجع الإسلامية[15]. ويُعرَف باسم نظرية "المصدر الواحد" أو "المشكاة الواحدة" أو "الوحي السماوي".

تعليقنا: هذا رد غير مقنع. لثلاثة أسباب على الأقل:

أولاً: مفهوم "الوحي السماوي" نفسه يختلف بين اليهودية والمسيحية من ناحية والإسلام من ناحية أخرى. فالوحي في الإسلام وحي حرفي إذ ينتقل الكلامُ حرفياً كما هو مِن الله إلى الملاك جبريل إلى النبي محمد إلى الكتبة الذين كانوا مجرد مدونين. أما الوحي في اليهودية والمسيحية ليس وحياً حرفياً، وإنما هو إلهام من الروح القدس (روح الله) إلى الكاتب ثم يكتبه الكاتب بلغته ومفرداته: "لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (2 بطرس 1:21). يقول الكتاب المقدس الدراسي تعليقاً على هذه الآية المهمة: "كان كل من الله والبشر شركاء (active participants) في كتابة [الأسفار المقدسة]. كان الله هو مصدر محتويات الأسفار المقدسة، حتى أن كل ما قيل فيه كان أقوال الله. لكن الذين قاموا بالتدوين والكتابة أيضاً، من البشر (human authors) تكلموا بإيجابية (actively spoke)، فلم يكونوا مجرد مدونين (they were more than recorders)، إلا أن كل ما تكلموا به جاء من الله. ومع أنهم كانوا يتكلمون بإيجابية، إلا أنهم كانوا "مدفوعين بوحي الروح القدس" (carried along by the Holy Spirit)"[16]. والفرق شاسع بين المفهومين. وإذا لم نتفق على مجرد تعريف "الوحي السماوي"، فكيف يمكن لنظرية "المصدر الواحد" أن تساعدنا على فَهْم أي شيء؟!

ثانياً: فلنفترض مثلاً أن شخصاً اخترع ديانة جديدة مُستوحاة مما جاء في القرآن وألّف كتاباً جديداً مُستوحى مما جاء في القرآن، ونسب ديانته الجديدة وكتابه الجديد إلى الله، فهل سيؤمن به المسلمون كنبي من عند الله لمجرد وجود تشابهات بين رسالته ورسالة الإسلام؟! بالطبع لا. والحقيقة أن هذا قد حدث بالفعل.

فالديانة البهائية مثلاً – التى ظهرت فى القرن التاسع عشر الميلادى – ديانة إبراهيمية توحيدية تعترف بالعديد من الأنبياء المذكورين فى القرآن مثل موسى وعيسى ومحمد. ولكن المسلمين لا يعترفون بها كديانة من عند الله. كذلك فإن ديانة المورمون (Mormonism) – التى ظهرت أيضاً فى القرن التاسع عشر الميلادى – ديانة إبراهيمية وتتشابه فى كثير من أفكارها مع اليهودية والمسيحية والإسلام، ولكن المسلمين لا يعترفون بمؤسس هذه الديانة كرسول من عند الله. فلماذا علينا إذن أن نؤمن أن الله هو مصدر القرآن وهو نفسه مصدر التوراة والإنجيل؟ لمجرد أن القرآن قال ذلك؟!

ثالثاً: ليس هناك تشابهات فقط بين القرآن والكتاب المقدس، ولكن هناك أيضاً اختلافات. نظرية "المصدر الواحد" قد تُفسِّر وجود التشابهات، لكنها تعجز تماماً عن تفسير وجود الاختلافات.

وطبعاً الرد الجاهز عند المسلمين لتفسير وجود هذه الاختلافات بين القرآن والكتب السابقة هو أن تلك الكتب السابقة "مُحرَّفة" وأن القرآن أصح منها ومهيمناً عليها! وهنا يتبع المسلمون أسلوباً بسيطاً للتعامل مع الكتاب المقدس: ما يتفق مع القرآن يقولون عنه "صحيح لا شك فيه"؛ وما يختلف عن القرآن يقولون عنه "خطأ" أو "مُحرَّف"؛ وما لا يتفق ولا يختلف عن القرآن يقولون عنه "الله أعلم بمدى صحته، فلا نصدقه ولا نكذبه، وإنما موقفنا منه هو التوقُّف بلا تصديق ولا تكذيب"!

ولا يخفى على أحد أن هذا الأسلوب مبسط جداً (oversimplified) ولا يليق بالقرن الحادى والعشرين، ثم إنه أسلوب غير مقنع لأنه يفترض من البداية صحة القرآن وأفضليته على الكتاب المقدس. على المسلمين أن يثبتوا أولاً أن القرآن كلام الله أو على الأقل يعطونا التوراة والإنجيل المذكورين فى القرآن والصحيحين من وجهة نظرهم. لكن حتى الآن لا يوجد أي إثبات أو دليل قاطع على أن القرآن كلام الله، وليس هناك توراة أو إنجيل يعترف بهما المسلمون!

ونحن لن نناقش مسألة "تحريف" الكتاب المقدس في هذه المذكرات. وذلك لسببين. أولاً: تمت مناقشة هذه المسألة والرد عليها فى العديد من المراجع المسيحية العربية المقروءة والمسموعة والمرئية، فلا داعى لتكرار ما قيل فى هذا الموضوع. ثانياً: ليس هدف هذه المذكرات هو الدفاع عن كل كلمة وكل حرف وكل نقطة فى الكتاب المقدس، فهذا يحتاج إلى طريقة أخرى فى البحث.

باختصار: مسألة "تحريف" الكتاب المقدس لا تعنينا. إن هدف هذه المذكرات هو إثبات أن القرآن ليس كلام الله وأننا يمكن أن ندرس القرآن ونفهم من أين جاء وكيف ظهر إلي الوجود دون الحاجة إلي نظرية "الوحي" التي ورثناها مِن آبائنا وأجدادنا. ولتحقيق هذا الهدف، يكفينا أن نتعامل مع الكتاب المقدس باعتباره كتاب كُتِبَ **قبل** الإسلام بغض النظر عن كونه مُحرَّفاً أم لا، وأن نثبت أن القرآن قد تأثر بالكتاب المقدس مثلما تأثر بالكتب الأخرى للديانات الإبراهيمية وغير الإبراهيمية **السابقة** للإسلام.

وسنكتفي بتوجيه سؤال للمسلمين العقلاء نسبياً: كيف يسمح الله أن تُحرَّف كتبُه؟! فلقد وصف القرآنُ الإنجيلَ بأنه "فِيهِ هُدًى وَنُورٌ" (المائدة 46). وكذلك بالنسبة للتوراة "فِيهَا هُدًى وَنُورٌ" (المائدة 44) (الأنعام 91) "كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا (أي: قدوة، model) وَرَحْمَةً" (هود 17) (الأحقاف 12) "هُدًى وَرَحْمَةً" (الأنعام 154) (الأعراف 154) (القصص 43) "ضِيَاءً وَذِكْرًا" (الأنبياء 48) "هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ" (غافر 54) "هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ" (الإسراء 2) (السجدة 23). فكيف يسمح اللهُ بتحريف كتبه التى فيها هدى ونور وضياء ورحمة وقدوة؟! يعني أنتم لِكَيْ تثبتوا صحة الإسلام، تتهموا الله اتهام خطير أنه ترك كتبه تُحرَّف؟!

إدعاء "تحريف" الكتاب المقدس هو في الواقع إهانة لله وليس إهانة لليهود والمسيحيين.

ثم إن مسألة "تحريف" الكتاب المقدس تتناقض مع الإسلام نفسه الذي يُعلِّمنا أنه "لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ"[17]. فكيف يُلْدَغ إلهُ الإسلام مِن "جُحْر" التحريف مَرَّتَيْنِ: مَرَّة في التوراة ومَرَّة في الإنجيل؟!

بل كيف يحافظ إلهُ الإسلام على الشيطان "الأصلي" إبليس سليماً حراً طليقاً ينشر الشر إلى يومنا هذا، ولا يحافظ على التوراة "الأصلية" والإنجيل "الأصلي" اللذين ينشران الخير حيث فيهما هدى ونور وضياء ورحمة وقدوة؟! ولماذا لم يهلك الشيطانُ إبليس في طوفان نوح مثلاً كما هلك البشر الخطاة؟!

ألم يكن من الأفضل أن يرسل اللهُ النسخ "الأصلية" من التوراة والإنجيل حتى نعلم الحقيقة بدلاً من أن يُرسِل رسولاً **آخر** بكتاب **آخر** بلغة **أخرى** فى مكان **آخر** بعد أكثر من 500 عام بعد ظهور المسيحية وانتشارها؟!

"اللهَ لَيْسَ إِلهَ تَشْوِيشٍ" (1 كورنثوس 33:14).

وفى جميع الأحوال، حتى لو افترضنا جدلاً أن الكتاب المقدس "مُحرَّف"، فهو سيظل – من وجهة نظرنا – أفضل من القرآن. ذلك لأن القرآن "مُؤَلّف". و "المُحرَّف" أقرب إلى الحق مِن "المُؤَلّف"[18].

وإذا أردنا أن نعرف أيهما أصح: القرآن أَم الكتاب المقدس؟ علينا أن نحتكم إلى طرف ثالث محايد. الآثار والوثائق التاريخية مثلاً. فَهل التاريخ يؤيد القرآن؟ الإجابة: لا. بل إننا فى كثير من الحالات، وجدنا مفارقات – بل أخطاء – تاريخية فى القرآن. وهذا وحده يكفى كدليل قاطع على أن القرآن ليس كلام الله.

إذن: ادعاء أن مصدر الكتاب المقدس والقرآن واحد أصبح ادعاء ضعيف وليس له حجة تسنده.

نحن فعلاً "أمام نظريتين في تفسير تشابك الكتب المقدسة: الأولى تنظر إلى الدين باعتباره ظاهرة ثقافية ينطبق عليها ما ينطبق على بقية ظواهر الثقافة الإنسانية من نشوء وتطور وتأثر وتأثير؛ والثانية تنظر إلى الدين باعتباره نتاج وحي إلهي مباشر ألقي في قلب النبي (= القرآن الكريم)، أو باعتباره نتاج إلهام من الروح القدس خطته يد بشرية (= التوراة والإنجيل)"[19].

ونحن طبعاً نؤيد النظرية الأولى التي نسمّيها نظرية "التطور البشري الطبيعي" (natural human development).

وإذا كانت نظرية "المصدر الواحد" ("المشكاة الواحدة"؛ "الوحي السماوي") قد فشلت في تفسير وجود اختلافات بين القرآن من ناحية والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد من ناحية أخرى، فإن نظرية "التطور البشري الطبيعي" تستطيع أن تفسر وجود هذه الاختلافات. إذ يرجع وجود هذه الاختلافات إلى عوامل كثيرة، كلها عوامل بشرية طبيعية، مثل اختلاف الزمان واختلاف المكان واختلاف طبائع الأشخاص ... الخ. كما يرجع وجود هذه الاختلافات إلى تأثر القرآن بمصادر أخرى غير الكتاب المقدس. مثل: الكتب اليهودية المتأخرة (post-Biblical) التي كُتِبتْ في فترة ما بين العهدين (intertestamental period) (433 – 5 ق.م)[20]، والكتب اليهودية المتأخرة والكتب المسيحية التى كُتِبتْ في القرون الست الأولى للميلاد (أي: بعد ظهور المسيحية وقبل ظهور الإسلام). تضم هاتان المجموعتان الضخمتان كتباً كثيرة جداً كُتِبَتْ خلال أكثر مِن ألف سنة مِن عُمر الشرق الأوسط، مثل:

- "الأبوكريفا" (Apocrypha): كلمة تعني حرفياً "كتابات مخفية" أو سرية أو مكتومة؛ وتُستخدَم الآن لتشير إلى الكتب غير القانونية غير المُعترَف بها وبالتالي فهي ليست ضمن الأسفار القانونية الموجودة في الكتاب المقدس. ومن الواضح أن المسلمين الأوائل كانوا على عِلم بهذه الكتب المكتومة، بل يبدو أنهم ظنوا أنها كلها أو بعضها هي الحق مِن عند الله، بدليل أن القرآن يقول: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ **لَيَكْتُمُونَ** الْحَقَّ" (البقرة 146) "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن **كَتَمَ** شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ" (البقرة 140) "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ **وَتَكْتُمُونَ** الْحَقَّ" (آل عمران 71) (البقرة 42) "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا **تَكْتُمُونَهُ** فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ" (آل عمران 187).
- "السوديبِجرافا" (Pseudepigrapha): أى: كتابات منحولة أو منسوبة زوراً لأشخاص معروفين لم يكتبوها (مثلاً: أنبياء أو آباء)؛ وهى أيضاً ليست ضمن الأسفار القانونية الموجودة فى الكتاب المقدس. ومن الواضح أيضاً أن المسلمين الأوائل قد تأثروا بهذه الكتب المنحولة، بدليل وجود كثير من أساطير السوديبِجرافا في القرآن كما سنرى.
- "المدراش" (Midrash) أو "المدراشيم" (التفاسير): وهى كتب التفسير والتأويل الخاصة باليهود. وتشمل "الهلاخاه" (Halakha) (أى: الشريعة، الأحكام، الفتاوى) و "الأجاداه" (الهاجاده) (Aggadah) (أى: القصص، الأساطير، النوادر والحكايات الدينية، الخرافات). ومِن الجدير بالذكر أن موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) قد اعترفت بتأثير الأجاداه اليهودية على محمد وعلى الإسلام[21]:

The details in the Qur'ān and in early Islamic exegesis testify to the great influence of Jewish Haggada on Muḥammad and early Islam.

- "التلمود" (Talmud): وهى كتب التعليم التى تضم القانون الشفوى (Oral Law) الذى وصل لليهود عن طريق الرواة. وبها ما هو "هلاخاه" (شريعة) وما هو "أجاداه" (قصص). وحين نقول "التلمود" دون تحديد، فإننا نقصد التلمود الشرقى، أى: "التلمود البابلى" (Babylonian Talmud) الذى جُمِع فى القرن الخامس أو السادس الميلادى[22][23]، أي قبل ظهور الإسلام.
- مصادر بشرية أخرى. مثل: الأدب اليهودى والأدب المسيحى (السريانى[24] بصفة خاصة). ملحوظة: اللغة السريانية قريبة من اللغة العربية، فكلتاهما من اللغات السامية (Semitic languages). وسنلاحظ فى هذه المذكرات أن كثيراً من التراث المسيحى – سواء الدينى أو الشعبى – قد انتقل إلى القرآن عن طريق الأدب السرياني الذي شهد عصره الذهبي من القرن الثالث الميلادي إلى القرن السابع الميلادي[25]، أي: قبل ظهور الإسلام.

كُتِبت هذه الكتب فى الفترة الطويلة التى تمتد من أواخر القرن الخامس قبل الميلاد حتى ظهور الإسلام فى أوائل القرن السابع بعد الميلاد – أى خلال أكثر مِن ألف عام[26]! والحقيقة أننا حين نقرأ هذه الكتب نشعر وكأننا نقرأ القرآن (المكى بصفة خاصة)، فهى كتب تتخذ الأفكار الرئيسية فى الكتاب المقدس كمصدر، ثم تضيف عليه أو تحذف منه أو تختلف عنه وأحياناً تتعارض معه فى التفاصيل. ولعل قصة تحطيم إبراهيم للأصنام ونجاته من النار (الأنبياء 51-71) (الصافات 83-99) (العنكبوت 16-26) هى خير دليل على تأثر القرآن بالسوديبِجرافا والمدراش اليهودية. كذلك، ما نسميه "قصص الميلاد والطفولة" (أى: قصة ميلاد مريم العذراء وطفولتها وقصة ميلاد يحيى ابن زكريا وقصة ميلاد عيسى ابن مريم وطفولته) هى خير دليل على تأثر القرآن بأبوكريفا العهد الجديد.

ومِن ثم، فلا يمكن أن نقتنع بأن القرآن كلام الله أو أن القرآن أصح مِن الكتاب المقدس، فكما استطاع عقلُ الإنسان أن ينتج هذه الكمية الهائلة مِن الكتب اليهودية والمسيحية، يستطيع العقل البشرى أيضاً أن ينتج كتاباً مثل القرآن.

ليس هذا فحسب، بل إن كل الأدلة التي أمامنا تؤكد تأثر القرآن بالتقاليد البشرية اليهودية والمسيحية التي حاولت أن تفسر الكتاب المقدس أو تعلق عليه أو تستخلص دروساً وعظات وعبر مِنه. هذه التقاليد انتشرت في الشرق الأوسط قبل الميلاد وفي القرون الأولى للميلاد سواء شفوياً أو كتابةً. ولذلك فإننا نتفق تماماً مع العالم الكبير (James L. Kugel) حين يقول عن القرآن ما يلي[27]:

The Qur'an (Koran) is "in itself not an insubstantial repository of early exegetical motifs". "For, as is well known, Islamic Scripture (i.e. The

Qur’an) contains not only references to figures and events found in the Bible, but even a fair number of incidents and details dependent not, or not only, on the biblical text itself, but on early Jewish and Christian traditions about its proper interpretation”.

باختصار: يُمكِننا اليوم وضع القرآن فى نفس الخانة مع كتب الأبوكريفا والسوديبِجرافا والمدراش والتلمود وغيرها من الكتب البشرية المُؤلّفة المتأثرة بالكتاب المقدس بعهديه، والمتأثرة بالتقاليد اليهودية والمسيحية التي انتشرت في الشرق الأوسط قبل الميلاد وفي القرون الأولى للميلاد، وأحياناً أكثر من تأثرها بالكتاب المقدس نفسه[28]. وطبعاً تأثرت أيضاً بالظروف الاجتماعية والدينية والسياسية والعسكرية التي كانت سائدة في زمان ومكان مَن كتبوها. مثلاً في القرآن وفي بعض كتب التراث المسيحي الشرقي، نجد تأثراً واضحاً بالحرب العالمية بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية (الرومانية الشرقية).

فى أحسن الأحوال، يمكن وصف القرآن بما قاله العالم الكبير (Karl-Heinz Ohlig) فى الكتاب الشهير الذى تُرجِم مِن الألمانية إلى الإنجليزية بعنوان "The hidden origins of Islam: New research into its early history"[29]، وذلك فى سياق حديثه عن تأثير المسيحية السريانية-العربية (Syrian-Arabic Christianity) على القرآن:

In large parts, the Quran seems to want to be something like a new, Arabic-Christian Deuteronomy.

بالفعل، يبدو القرآن فى كثير من المواضع ككتاب عربى يعيد إنتاج الشريعة اليهودية مِن جديد (مثل سفر التثنية "Deuteronomy") مع تأثره بقدر كبير مِن الأفكار المسيحية (مثل: القيامة والحساب والجزاء) وأيضاً العادات والتقاليد العربية التى كانت سائدة فى زمان ومكان العرب الذين أنتجوا القرآن. نستطيع إذن أن نقول إن كتاب القرآن هو مزيج مِن الثقافات العربية والمسيحية واليهودية. أو بعبارة أكثر دقة: القرآن هو مجرد تطور ثقافي طبيعي (natural cultural evolution) للتراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) والتراث العربي الجاهلي (أي: الوثنية + الحنيفية).

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[⟵ القرآن كلام العرب]**.

ويكفى كدليل على ذلك أن تنظر إلى الـ 25 نبي المذكورين فى القرآن، وستكتشف ما يلي:

- 18 مِن العهد القديم اليهودى: إِبْرَاهِيم وإِسْحَاق وَيَعْقُوب وَنُوح ودَاوُد وَسُلَيْمَان وَأَيُّوب وَيُوسُف وَمُوسَى وَهَارُون وَإِلْيَاس وَإِسْمَاعِيل وَالْيَسَع وَيُونُس وَلُوط (الأنعام 83-86) وآدم وإدريس وذو الكفل[30]؛
- 3 مِن العهد الجديد المسيحى: زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى (الأنعام 85)؛

- 4 عرب لا وجود لهم فى الكتاب المقدس، وَهُمْ: هود وصالح وشعيب[31] ومحمد (أحمد).

وسبحان الله، كل هؤلاء الأنبياء والرسل ظهروا فى منطقة الشرق الأوسط القديم (Ancient Middle East)[32]! وكأن الله لا يتحدث إلى الصين (سُدس سكان العالم)! وكأن الله يخاصم الهند (سُدس سكان العالم)! وكأن الله لا يرى أستراليا! وكأن الله لا يهتم بأفريقيا! وكأن الله لا يعرف أمريكا الجنوبية ولا الشمالية! هل الله لا يتحدث إلا إلى سكان الشرق الأوسط؟! هل هى مجرد صدفة أن كل الأنبياء والرسل المذكورين فى القرآن كلهم مِن أبناء الشرق الأوسط؟! بالتأكيد ليست صدفة، وإنما هذا دليل على أن القرآن مُنتَج ثقافي (cultural artifact) خرج مِن رحم ثقافات الشرق الأوسط.

إذن: القرآن – بل: الإسلام بصفة عامة – هو مجرد محاولة بشرية شرق-أوسطية لدمج التراث الشعبي القومي (العربي) مع التراث الشعبي الديني (اليهودي والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)) في كيانٍ واحد نتج مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي (natural human development) للثقافة العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian). وكل الأدلة في هذه المذكرات ستؤكد هذه النتيجة التي لا نزعم أننا أول مَن وصل إليها.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

نعم، إن الإسلام ديانة بشرية أرضية شرق-أوسطية تعتمد أساساً على وسيلتين:

- الوسيلة الأولى: إعادة كتابة (rewriting) – بل: تحريف – التراث اليهودى/المسيحى. وتستعين على ذلك بعناصر مِن التراث العربى والواقع العربى. وأحياناً تستعين بعناصر أخرى مِن التراث اليهودى/المسيحى وتراث الشرق الأدنى القديم بصفة عامة. ونرى هذه الوسيلة الأولى بوضوح شديد فى "أسلمة" و "تعريب" قصص الأنبياء والرسل السابقين.
- الوسيلة الثانية: تأليف تراث عربى جديد يؤسس واقعاً عربياً جديداً. وتستعين على ذلك بعناصر مِن التراث اليهودى/المسيحى. وأحياناً تستعين بعناصر أخرى مِن التراث العربى القديم وتراث الشرق الأدنى القديم بصفة عامة. ونرى هذه الوسيلة الثانية بوضوح شديد فى المعتقدات التى أخذها الإسلامُ من اليهودية والمسيحية وأدخلها إلى المجتمع العربى، مثل: التوحيد والبعث والحساب والجزاء ... الخ.

هاتان الوسيلتان تؤديان إلى نفس الهدف، وهو صناعة ديانة قومية (عربية) جديدة تدمج التراث اليهودى والمسيحى الشرقى مع التراث العربى. أو بعبارةٍ أخرى: تُطوِّر الثقافةَ العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian) الشرقية.

وبهاتين الوسيلتين، كُتِب القرآنُ والسُّنَّة (الأحاديث) والسيرة ... الخ. لكن نحن نُركِّز على كتاب "القرآن" العربي، لأنه النص المُؤسس (texte fondateur) للإسلام. ونتمنى أن يقوم باحثون آخرون بتطبيق نفس المنهج على كتب السُّنَّة (الأحاديث) وكتب السيرة النبوية وكتب التاريخ الإسلامي ... الخ.

وهذه النتيجة تعنى أن كتاب "القرآن" ليس فقط جزءاً مِن التراث العربى-الإسلامى، وإنما هو أيضاً جزء من التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) الشرقي، بل جزء من التراث البشرى لسكان الشرق الأوسط القديم. انظر الشكل التالى:

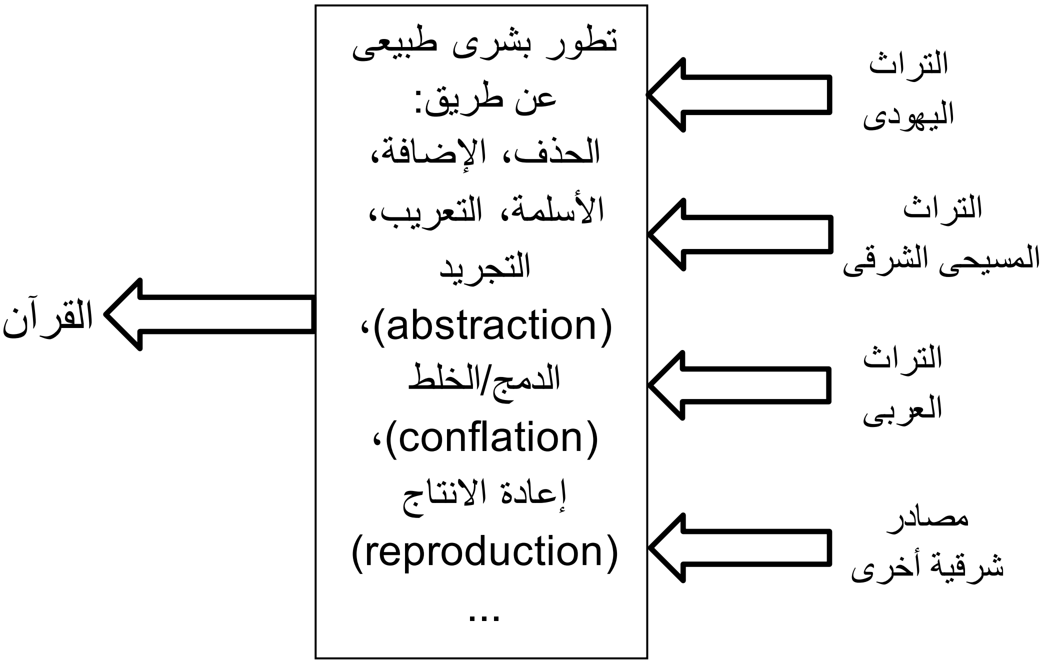

رسم توضيحي 1 – القرآن تطور بشرى طبيعى للتراث اليهودى والتراث المسيحى الشرقى والتراث العربى

مِن حق أحبائنا المسلمين أن يسألوا: وهل مِن المعقول أن محمد النبي (الأمي؟) قد قرأ الكتاب المقدس بعهديه وقرأ أيضاً كتب الأبوكريفا وكتب السوديبِجرافا وكتب المدراش والتلمود اليهودية أو حتى سمع أسماء هذه الكتب أو أسماء مَن كتبوها؟!

الإجابة باختصار من ثلاثة وجوه[33].

أولاً: لا يوجد دليل قاطع يثبت أن محمد كان لا يعرف القراءة والكتابة، وإنما كل ما قيل فى هذا الموضوع هو مجرد روايات وتأويلات لا ترتقي إلى مرتبة الدليل ناهيك أن تكون إثباتاً.

ثانياً: حتى لو افترضنا جدلاً أن محمد كان لا يعرف القراءة والكتابة، فإنه لم يكن محتاجاً أن يقرأ هذه الكتب. يكفيه ما كان يسمعه بأذنيه فى المجتمع العربى الذى وُلِد ونشأ وكبر فيه. صحيح أن كل الذين كتبوا

هذه الكتب اليهودية/المسيحية قد ماتوا جميعهم قبل محمد بمئات السنين، لكن أفكارهم بقيت وظلت الأجيال تتوراثها **شفوياً** عبر القرون[34]، كما نتوارث نحن القصص الشعبية دون أن نعرف مَن ألفها أو كما نتوارث الأمثال الشعبية دون أن نسأل مَن صاغها. فالقصص والحكم والأمثال والنكت وغيرها من الفولكلور (Folklore) ينتقل بالتواتر شفوياً بسهولة حتى بين الأميين. حتى قصص الثقافات الأخرى تنتشر أيضاً دون أى صعوبة. كلنا ونحن أطفال سمعنا قصص "أليس فى بلاد العجائب" و "سندريلا" و "ألف ليلة وليلة" و "Snow White" و "طرزان" ... الخ. حد فينا عرف أو حتى سأل مين اللى كتب هذه القصص أو بأى لغة كُتِبت؟! لا. كذلك كان محمد ومَن حوله (Muhammad and his circle) يسمعون القصص والأفكار المُتوارَثة مِن الديانات الإبراهيمية وأيضاً مِن الحضارات والثقافات والمعتقدات غير الإبراهيمية دون أن يعرفوا مَن كتبها ودون أن يحتاجوا لقراءة تراث هذه الديانات أو تلك الحضارات بلغاتها الأصلية.

ثالثاً: إذا افترضنا أن "محمد" كان شخصاً تاريخياً حقيقياً، فإنه لم يصنع القرآن وحده. وإنما صنعه العرب كملحمة قومية لهم. إن القرآن مُنتَج بشرى اشترك فيه أكثر مِن شخص، أى: صنعه فريق أو مجموعة من الأشخاص الذين نُسمِّيهم "أصحاب القرآن" (The redactors of the Koran). والصحبة هنا تعني الاقتران والملازمة، بل تعني: الحياة والتفاعل، أي: مَن لعبوا دوراً في صناعة القرآن. إذن: فريق "أصحاب القرآن" يشمل مَن قاموا بدور المؤلفين، ومَن قاموا بدور المحررين، بل يشمل كل مَن اشترك في إنتاج القرآن ولو باقتراح آية أو مجرد فكرة. ولذلك يمكن تسمية هذا الفريق باسم آخر هو "المحيط القرآني" (The Quranic Milieu)، فهو يشمل كل مَن لعب دوراً في تأليف القرآن حتى لو كان دوراً غير مباشر وحتى لو كان صاحبُه شخصاً غير مسلم. فكما سنرى، حتى العرب الكفار لعبوا دوراً في تأليف القرآن. ولذلك فإننا لا نقول إن القرآن كلام المسلمين، وإنما نقول بكل ثقة ويقين إن القرآن كلام العرب. إذن: الصحبة في الزمان والمكان[35]، ولا تعني بالضرورة صحبة في الإيمان أو المحبة أو الصداقة[36].

باختصار: القرآن "ثمرة عمل جماعي" (fruit d'un travail collectif)[37] أنتجه فريقٌ؛ بل أنتجه مجتمعٌ (community)[38]. فنحن لا نقول إن محمد هو مؤلف القرآن. وإنما نقول إن القرآن يعتمد على تقاليد بشرية شفوية ونصوص بشرية مكتوبة تسبق القرآن. بل يعتمد القرآنُ على الأساطير "أساطير الأولين" التي تسبق القرآن. ومِن ثم، فإن القرآن ليس كلام الله، وإنما كلام مجموعة أو فريق مِن البشر.

وفريق "أصحاب القرآن" يضم زوجات محمد وملك يمينه وصحابته ... الخ. ومِن حُسن الحظ أن التراث الإسلامى نفسه يعترف بأن بعض القرآن قد "أُنزِلَ" "على لسان بعض الصحابة"[39]. وسنذكر فى هذه المذكرات أمثلة كثيرة مِن هذه الآيات القرآنية التى اقترحها الصحابة فصارت قرآناً يُتلَى، مما يؤكد اشتراك الصحابة فى صناعة القرآن.

فليس لدينا مانع أن نقول إن محمد قد لعب دوراً أساسياً وجوهرياً في تأليف القرآن، لكنه كان أشبه بدور قائد الفريق الذى أنتج القرآن. ولا يهم كثيراً إن كان قائد الفريق أمياً أم متعلماً، فيكفيه ما كان يسمعه

شفوياً مِن أعضاء الفريق سواء بطريق مباشر أو غير مباشر (من اليهود مثلاً). ولذلك فإن هذا الفريق الذى نُسميه "أصحاب القرآن"، يُسمَّى أيضاً فى المراجع الأكاديمية باسم (Informants)[40]، أى: الرواة أو المُخبِرين الذين كانوا يمدون محمداً بالمعلومات الدينية والثقافية عن حضارات وديانات الشرق الأدنى القديم.

والقرآن نفسه يعترف بأن معاصري محمد قد اتهموه بأنه يستمع لِما يُقال له فيصدقه: "وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ (أي: يستمع لكل ما يُقال له مِن صدقٍ وكذب فيصدقه ولا يفرق بين الصحيح والباطل فيُخدَع بما يسمع) قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ (أي: يصدق المؤمنين فيما يخبرونه)" (التوبة 61). قيل: يصدقهم لأن إيمانهم يمنعهم عن الكذب! وقيل: يصدق ما يقولونه له لِما عرف مِن إخلاصهم! ونحن نتساءل: هل كان محمد يعلم سرائر نفوس كل الصحابة لكي يميز بين الصادق والكاذب؟!

وحتى لا يُفهَم كلامُنا خطأ، نحن لا نقول إن كل أصحاب القرآن كانوا كذابين في كل ما نقلوه إلى محمد! صحيح أنه مِن الممكن أن يُفترَض سوء النية ويُقال إن بعض العرب والعجم (المنافقين) دخلوا في الإسلام ظاهرياً فقط لإدخال الأساطير إلى القرآن ومِن ثم إفشال الإسلام مِن داخله (مثل: Trojan Horse)، لكن مِن الممكن أيضاً أن نفترض حُسن النية ونقول إن أصحاب القرآن صدّقوا فعلاً ما نقلوه إلى محمد. يعني كانوا يسمعون الأسطورة – مثلاً: أسطورة "أصحاب الكهف" أو قصة "خلق آدم مِن طين" أو حكاية "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" – فيصدّقون فعلاً أنها قصة حقيقية تاريخية، ثم ينقلونها إلى محمد بحُسن نية وبدون أن يدركوا أنها مجرد أسطورة من أساطير الأولين. فيصدّقهم محمدٌ، فتتحول الأسطورة إلى قرآنٍ يُتلَى. ومِن ثم يقول المثقفون المعاصرون لمحمد إن القرآن "أساطير الأولين" وإن محمد "أُذُنٌ" (all ear) أي: يصدق كل ما يُقال له. وهذا طبعاً على سبيل المبالغة أو السخرية أو ربما على سبيل الدعابة. فليس بالضرورة أن يصدق محمدٌ كلَّ ما يُنقَل إليه. فكما سنرى في هذه المذكرات، كان محمدٌ أحياناً يرفض اقتراحات أصحاب القرآن أو يُعدِّل فيها أو يرفض اقتراحاً ويقبل اقتراحاً آخر. والقرآن نفسه يقول: "وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ" (الشورى 38). إنها إذن عملية ديناميكية، أخذ ورد، استمرت لمدة طويلة، 23 سنة على الأقل كما يقول التراث الإسلامي. باختصار: لم يكن محمدٌ هو "مؤلِّف" القرآن (author)، وإنما كان في أحسن الأحوال "السلطة" (authority) التي تحدد ما يدخل في القرآن وما لا يدخل.

وفي جميع الأحوال، لم يحتاج أصحابُ القرآن أن يقرأوا كتاباً، وإنما يكفيهم ما كانوا يسمعونه بآذانهم عن تراث الديانات الإبراهيمية وغير الإبراهيمية ثم يعطوه لمحمد أو على الأقل يقترحوه على محمد.

نعم، لا يقتصر الأمر على تأثر القرآن بتراث الديانات الإبراهيمية فقط، وإنما يمتد أيضاً ليشمل المعتقدات والروايات والأساطير والعبادات والمعاملات والشرائع الموجودة فى تراث حضارات الشرق الأدنى القديم، وعلى رأسها حضارات: مصر (Egypt) وكنعان (Canaan) (حالياً: إسرائيل/فلسطين وأجزاء مِن الشام) وبلاد ما بين النهرين (Mesopotamia) (حالياً: العراق وأجزاء مِن سوريا وتركيا) وفارس (Persia). ولعل قصة طوفان نوح هى خير دليل على تأثر القرآن بتراث حضارات بلاد ما بين النهرين.

لكن كيف انتقل تراث هذه الحضارات الشرقية القديمة إلى شبه الجزيرة العربية؟

الإجابة: انتقل بوسائل كثيرة نذكر منها ما يلي: (1) أهل الكتاب؛ (2) التجارة؛ (3) الهجرة؛ (4) الرقيق والإماء؛ (5) الترجمة ووسائل أخرى.

1) أهل الكتاب (اليهود والمسيحيون):

أولاً: يجب أن نعطي نبذة قصيرة عن تاريخ بني إسرائيل[41].

مِن المعروف أن بني إسرائيل قد عاشوا قروناً طويلة قبل ظهور الإسلام فى فارس وبلاد ما بين النهرين وكنعان ومصر. الكتاب المقدس يقر بذلك، ويقر أيضاً بتأثر موسى بكل حكمة المصريين: "فَتَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ" (أعمال الرسل 22:7). وكذلك قال القرآنُ إن موسى أوتي العلم والحكمة في مصر: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا (بالعِبرية: ḥokhmah) (wisdom)[42] وَعِلْمًا (knowledge)[43]" (القصص 14). وهى نفس العبارة التى وُصِف بها يوسفُ أيضاً في مصر: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا" (يوسف 22).

كما ذكر الكتاب المقدس أن ملكة سبأ (جنوب غرب شبه الجزيرة العربية) أتت إلى مملكة بنى إسرائيل فى عهد الملك سليمان (1 ملوك 10) و (2 أخبار الأيام 9)؛ ولقد ذكر القرآن أيضاً هذا الاتصال بين سليمان وملكة سبأ فى (النمل 20-44) بالطبع مع بعض الاختلافات فى التفاصيل.

وإذا ركزنا على القرون الستة قبل الميلاد، فسنجد أن اليهود كانوا على اتصال وثيق بكل الأمم والحضارات التى تعاقبت علي حُكم منطقة الشرق الأوسط فى تلك الفترة: بابليون وفرس وإغريق ورومان.

ظل اليهود فى السبى البابلى (Babylonian exile) حوالى 50-70 سنة، مِن 605-587 ق.م إلى 538 ق.م.

وبعد سقوط بابل فى يد الفرس عام 539 ق.م، صار اليهود تحت الحُكْم الفارسى مِن سنة 538 إلى 333 ق.م. ولقد ذكر العهد القديم "كُورَش" ملك فارس (Cyrus the Great) ووصفه بأنه "مسيح الرب": "هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ، لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ" (إشعياء 1:45) إذ سمح لليهود بالعودة من السبى البابلى إلى أورشليم (عزرا 1:1-4)، فعادوا على ثلاث مراحل: 538 ق.م، 458 ق.م، 432 ق.م (وقيل: 445 ق.م). ولكن كثير من اليهود فضلوا البقاء فى بابل.

وفى فترة ما بين العهدين، دخلت إسرائيل تحت الحكم الإغريقى (اليونانى) من سنة 333 إلى 63 ق.م. أسس الإسكندر الأكبر (Alexander the Great) مدينة الإسكندرية فى مصر، التى أصبحت تضم جالية يهودية كبيرة لعدة أجيال. ولذا كان من الضرورى أن تُترجَم الأسفار المقدسة مِن اللغة العبرية إلى اللغة

اليونانية حتى يستطيع يهود الإسكندرية قراءتها. بالفعل، تُرجمت التوراة إلى اللغة اليونانية فى الإسكندرية فى القرن الثالث قبل الميلاد (حوالى سنة 250 ق.م)، ثم استُخدمت هذه الترجمة فيما بعد كأساس لترجمة كل أسفار العهد القديم وهى الترجمة المعروفة باسم "الترجمة السبعينية" (The Septuagint) (La Septante)[44] التى كانت سبباً رئيسياً فى انتشار العهد القديم ومجموعة مِن الأسفار الأخرى[45] – بكل ما فيهم من معتقدات وقصص وشريعة ... الخ – فى المناطق الواقعة تحت حكم الإغريق آنذاك.

فى هذه الفترة الهامة من تاريخ الشرق الأوسط حاول الإغريق نشر فكرهم وثقافتهم ولغتهم فى المناطق التى حكموها، ومن بينها مصر وكنعان وبلاد ما بين النهرين – وهى العملية التي تُعرَف باسم (Hellenization). ومِن الجدير بالذكر أن تأثير الثقافة الإغريقية قد ظل موجوداً في منطقة الشرق الأوسط لعدة قرون. وهذا يتضح مِن عدة أمور، نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر:

- كُتِب العهد الجديد باللغة اليونانية، التى نستطيع أن نعتبرها اللغة "الرسمية" للديانة المسيحية، لا سيما فى القرون الأولى بعد الميلاد.
- تأسست أقدم مدرسة لاهوتية[46] مسيحية فى الشرق، وهى "مدرسة الإسكندرية" المصرية (School of Alexandria)، وانطلقت منها طريقة التفسير الرمزى (allegorical) للكتاب المقدس التى أخذتها هذه المدرسة مِن الفيلسوف اليهودى الشهير "فيلو" السكندرى[47] (Philo of Alexandria) (Philon d'Alexandrie). كان فيلو معاصراً ليسوع المسيح، إذ أنه عاش من 20 ق.م إلى 45م[48]. ويُعتبَر فيلو واحداً مِن أهم فلاسفة الـ (Hellenistic Judaism) – أى اليهودية المتأثرة بالثقافة الإغريقية. ولقد تأثر القرآنُ بـ "فيلو" فى قصة يوسف كما سنرى.
- قد تكون قصة أصحاب الكهف التي ذكرها القرآن (الكهف 9-26) هي خير دليل على تأثير الفلاسفة الإغريق مثل أفلاطون (Plato) وتلميذه أرسطو (Aristotle) على التراث المسيحي السرياني أولاً ثم بعد ذلك على القرآن العربي نفسه.
- توجد فى القرآن كلمات كثيرة ذات أصل يوناني[49]. مِن أشهرها: "إنجيل" و "إبليس" و "دَرَاهِم".

بدءاً من 63 ق.م، وقعت إسرائيل تحت الحكم الرومانى[50]. ولقد ذكر العهد الجديد أن يوحنا المعمدان (يحيى ابن زكريا) ويسوع المسيح (عيسى ابن مريم) قد وُلِدا فى فترة حُكْم الرومان أيام هيرودس الملك (Herod the Great) (متى 2:1) (لوقا 1-2)، وكذلك مات المسيح على الصليب وقام من الموت أيضاً فى فترة حُكْم الرومان أيام "بيلاطس البنطى" (Pontius Pilate) الوالي الروماني على اليهوديَّة (مرقس 15) (يوحنا 18-19).

ومما لا شك فيه أن الرومان قد أثَّروا في ثقافات شعوب الشرق الأوسط، وبخاصة فيما يتعلق بالقانون (الشريعة) والسياسة (الحُكم) والقتال (الجهاد). أو كما قيل بعد ذلك عن الإسلام والخلافة الإسلامية: دين ودولة. يقول الأب متى المسكين: "بقدر ما رأينا اليونان بلد المواهب الفكرية والحكمة والأدب والفن والفلسفة

واللغة المبدعة، بقدر ما نجد الرومان بلد العمل والإصلاح والقانون والسياسة. ففكرة قيام حكومة عالمية وقانون مدني موحَّد يحكم الشعوب ملأت وجدان الرومان وتغلغلت فيهم حتى الجذور. ففكرة الإمبراطورية الرومانية طغت على كل طموحات أباطرتها، فتصورتها ورسمتها من الفرات حتى الأطلنطي، ومن صحراء ليبيا إلى شواطئ الراين، لتضم كل خصب الدول المحيطة في آسيا وإفريقيا وأوروبا. وقد كان. فكما تخيَّلتْ ورسمتْ في أحلامها نفَّذتْ على أرض الواقع، وبقدر ما جرى القلم على الخرائط والورق انطلقت الجيوش تفتح وتضع الحدود وتقيم الحصون وترصف الطرق وتضع علامات الفراسخ أي الأميال (Milestones) التي تملأ آثارها المتاحف. وأصبح المثل حقيقة: "كل الطرق تؤدي إلى روما""[51].

<u>ثانياً:</u> يجب أن نتحدث ولو قليلاً عن تاريخ المسيحية بين العرب قبل ظهور الإسلام. عرف العربُ المسيحيةَ منذ القرن الأول الميلادى، فلقد ذكر سفر أعمال الرسل أن مجموعة مِن العرب كانوا بين الحاضرين مع تلاميذ المسيح فى أورشليم فى يوم الخمسين (Pentecost) (Pentecôte) – أى بعد خمسين يوماً فقط من صلب المسيح: "وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، [...]. فَرْتِيُّونَ وَمَادِيُّونَ وَعِيلاَمِيُّونَ، وَالسَّاكِنُونَ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، وَالْيَهُودِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَبُنْتُسَ وَأَسِيَّا وَفَرِيجِيَّةَ وَبَمْفِيلِيَّةَ وَمِصْرَ، وَنَوَاحِيَ لِيبِيَّةَ الَّتِي نَحْوَ الْقَيْرَوَانِ، وَالرُّومَانِيُّونَ الْمُسْتَوْطِنُونَ يَهُودٌ وَدُخَلاَءُ، كِرِيتِيُّونَ وَعَرَبٌ، [...]" (أعمال الرسل 2:1-11)[52]. كان هؤلاء العرب – أو اليهود العرب – يعيشون فى صحراء الأنباط (Nabateans) فى شرق الأردن (Transjordan) الممتدة جنوباً من دمشق باتجاه القسم الشمالى من شبه الجزيرة العربية[53]، وهى نفس المنطقة التى سُميت بـ "الْعَرَبِيَّةِ" (Arabia) فى (غلاطية 1:17) والتى ذهب إليها القديس بولس الرسول (Paul the Apostle): "لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْمًا وَدَمًا وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضًا إِلَى دِمَشْقَ. ثُمَّ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَتَعَرَّفَ بِبُطْرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا" (غلاطية 1:15-18)[54][55]. ومن الواضح أن عمل بولس التبشيرى كان عظيماً بدليل أن الوالى التابع للملك الحارث الرابع (Aretas IV) ملك الأنباط العرب (9 ق.م – 40م) أراد القبض عليه. يقول بولس: "فِي دِمَشْقَ، وَالِي الْحَارِثِ الْمَلِكِ كَانَ يَحْرُسُ مدِينَةَ الدِّمَشْقِيِّينَ، يُرِيدُ أَنْ يُمْسِكَنِي" (2 كورنثوس 11:32)[56].

وفى عام 106م، نجح الإمبراطور الرومانى تراجان (Trajan) فى غزو مملكة الأنباط وضمها إلى الإمبراطورية الرومانية[57]. وبمرور الزمن، تحولت هذه الأرض إلى تربة خصبة للأفكار والعقائد التي صارت تُعرَف فيما بعد باسم "بدع" أو "هرطقات" إلى درجة أنه قيل: "Arabia haeresium ferax"[58] – أى أن "العربية خصبة بالهرطقات" أو أن "العربية حاملة [أمّ] الهراطقة". أما نحن فلا نحب استخدام كلمات سلبية مثل "بدعة" و "هرطقة"، وإنما نفضل استخدام كلمات محايدة مثل "مذهب" أو "فِرقة" أو "شيعة". ومِن أقدم هذه الفرق التى تأثر بها الإسلام هى الفرقة الأبيونية (Ebionism)، وهى واحدة مِن فِرق المسيحية

اليهودية (Jewish Christianity) – أى المسيحية المتمسكة بالعادات والتقاليد والطقوس والشريعة اليهودية. ويكفى هنا أن نقول إن الفرقة الأبيونية قد نادت بأن يسوع مجرد إنسان (merely human) (psilos anthropos)؛ وهو ما قاله الإسلامُ بعد ذلك! ويجب هنا أن نذكر أيضاً الأسقف العربى (Beryll of Bostra)، أسقف مدينة "بُصرَى" (Bosra; Bostra) التى كانت واحدة مِن أهم مدن مملكة الأنباط العرب وأصبحت العاصمة بعد الغزو الرومانى. أنكر هذا الأسقف العربى أزلية المسيح، وبالتالى أنكر أن المسيح هو الله. إلا أن المسيحي المصري/القبطي "أوريجانوس"(Origen) – أحد قادة مدرسة الإسكندرية المصرية فى القرن الثالث الميلادي – استطاع أن يقنع (Beryll of Bostra) بالتراجع عن آرائه عام 244م[59]، فعاد (Beryll of Bostra) إلى التيار المسيحي الرئيسي الذي يقول إن المسيح هو الله!

وفى النصف الأول مِن القرن الرابع الميلادى عقب نهاية عصر الاستشهاد "ازداد عدد الأديرة فى صحراء مصر وتوافد عليها كثيرون وبصفة خاصة القوافل التجارية بين الجزيرة العربية والشام (رحلات الشمال) وبينها وبين اليمن والحبشة والهند (رحلات الجنوب)"[60]. ثم فى القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد، أخذت المسيحية تنتشر شرقاً بين القبائل العربية حتى وصلت إلى بلاد ما بين النهرين. فلقد ذكرت المصادر التاريخية وجود أسقف عربى فى مدينة "الحيرة" (Al-Hirah) (بالقرب من الكوفة فى جنوب العراق حالياً) عام 410م[61]، ووجود أديرة "متقاربة عديدة فى بلاد العراق وفى بلاد الشام. بل نجد لها ذكراً حتى فى الحجاز ونجد وفى جنوبى جزيرة العرب وشرقيها"[62]. ولا عجب فى ذلك، فلقد "كانت الحيرة من المراكز الهامة فى حركة التبشير بالنصرانية بين العرب، ومنها ذهب قسم من المبشرين إلى اليمن والمناطق الأخرى من الجزيرة العربية"[63]. فحدث تواصل بين العراق والشام ومكة (مسقط رأس محمد)[64].

تقول دائرة المعارف الكتابية عن الديانات عند العرب قبل الإسلام[65]:

الديانات عند العرب قديماً:

(1) الوثنية: كانت ديانة غالبية العرب خليطاً من اعتقاد غامض بوجود إله أعلى مع صور عديدة من الأصنام الحجرية، وبخاصة بين قبائل الإسماعيليين العدنانيين، الذين كانت منهم قبيلة قريش. ويبدو أن أساس عبادة الأصنام الحجرية، هو أن العائلة التي كانت تجبر على مغادرة مقرها الأصلي في المنطقة المقدسة حول مكة، كانت تأخذ معها حجراً كتذكار للوطن، وسرعان ما تحول هذا الحجر إلى صنم يتمسح به ويربِّت عليه كل إنسان قبل خروجه في قافلة، أو حال عودته من رحلته، وقبل ذهابه إلى منزله وأسرته. وكان أهم هذه الأصنام: "اللات والعُزة ومناة" التي كانت تتعبد لها ثقيف في الطائف، والأوس والخزرج في يثرب (المدينة)، وقريش في مكة. كما كان لقريش صنم كبير اسمه "هُبَل" في الكعبة في مكة، كما كان بها العديد من الأصنام الأخرى. وكانوا يعتبرونها آلهة من الإناث ويسمونها "بنات الله"، فـ "اللات" هي مؤنث "إله" أي "الإلاهة".

وجاء في التقاليد البابلية أن عرب قيدار كانوا يعبدون "الماء"، ولعل هذا يرجع في الأساس إلى تكريمهم لبعض الآبار المقدسة مثل "زمزم" في مكة، علاوة على أهمية آبار الماء في الصحراء.

وكان لليمن أيضاً معبوداتها. ومما يستلفت النظر أن كلمتي "صنم" و "وثن" ليستا من أصل عربي، إذ يبدو أن عبادة الأصنام انتقلت إلى العرب من الخارج. فالعرب الذين عبدوا هذه الأصنام كانوا يعتقدون بوجود إله أعلى - كما سبق القول - وما هذه الأصنام إلا وسيلة للتقرب إليه. وكما قال "رينان": "إن الصحراء تشجع على التوحيد، فهي لا تتسع لوجود العديد من الآلهة، مثلما حدث في السهول الخصبة كثيفة السكان، كما حدث في الهند مثلاً".

(2) الحج إلى الكعبة والأسواق: رغم وجود الكثير من المعابد في البلاد، فإن المركز الرئيسي كان في مكة حيث توجد "الكعبة" التي اعتقدوا أن إبراهيم وإسماعيل قد قاما ببنائها. وكانت القبائل تتنافس على حراسة الكعبة، وقد توالى على حراستها قبائل جُرهم ثم قضاعة ثم قريش. وكانت هذه القبائل أشبه بسبط لاوي عند العبرانيين. وكانت العبادة تأخذ شكل الطواف حولها، وتقديم الذبائح. وكان يلزم الحج إليها سنوياً. وكان يصاحب ذلك إقامة الأسواق، فتنشط التجارة. وكان أهم هذه الأسواق سوق "عكاظ" على بعد مسيرة ثلاثة أيام إلى الشرق من مكة، وعلى مسيرة يوم واحد إلى الغرب من الطائف. ولم تكن هذه السوق قاصرة على التجارة، بل كانت تُسوَّى فيها المنازعات والديون والثارات، والمباريات الشعرية. وكان يتم ذلك في الأشهر الحرم التي كان يُحرَّم فيها القتال.

(3) اليهودية: انتشرت "اليهودية" في الجزيرة العربية وبخاصة في الحجاز، وقد بدأت بهجرة بعض العائلات اليهودية، هروباً من حالة الاضطراب السياسي في وطنهم. فغزو نبوخذنصر ليهوذا، ثم غزو السلوقيين، ثم حكم الرومان وبخاصة في أيام بومبي وفسبسيان وأسرته وهادريان، كل ذلك دفع الكثيرين من اليهود إلى الهروب إلى الصحراء التي جاء منها آباؤهم الأولون. وإليها أيضاً جاء الرسول بولس بعد تجديده (غلاطية 1:17). وقد استقرت قبيلتان من القبائل المهاجرة، هما بنو النضير وقريظة، في يثرب (المدينة)، وتمتعوا في البداية بالاستقلال، ولكنهم أصبحوا فيما بعد تابعين للأوس والخزرج، إلى أن قُضي عليهم في أوائل القرن السابع الميلادي. ولقد لقى يهود خيبر نفس المصير. وقد اعتنق اليهوديةَ العديدُ من القبائل العربية مثل حمير وكندة من نسل قحطان. وكانت حمير في الجنوب، وكندة في وسط الجزيرة العربية. وقد دخلت اليهودية إلى اليمن قبيل القرن الثالث الميلادي على الأرجح، ولكنها لم تصل إلى أوج قوتها إلا بعد القرن الثالث عندما أصبح أميرها "ذو نواس" شديد التعصب لليهودية، حتى إنه هاجم الأوس والخزرج في يثرب ليحرر اليهود من بني النضير وقريظة من نيرهم. كما أوقع بالمسيحيين في نجران - إلى الشمال الشرقي من اليمن - اضطهاداً عنيفاً، مما جلب عليه نقمة إمبراطور بيزنطة ونجاشي الحبشة، فكان في ذلك القضاء على مملكته وأسرته.

(4) المسيحية: يقال إن الرسول برثلماوس هو الذي حمل الإنجيل إلى بلاد العرب. وكان أحد ملوك "جُرهم" في بداية القرن الثاني الميلادي، يدعى "عبد المسيح"، بل يقال إنه كان في الكعبة تمثال للعذراء تحمل ابنها. وقد أرسل الإمبراطور المسيحي "قسطنس" (337 - 350) الأسقف توفيلس إلى جنوبي بلاد العرب لكي يرفع الاضطهاد عن المسيحيين هناك، وقد نجحت سفارته، وبنيت كنائس في ظفار وعدن وعلى سواحل الخليج الفارسي. وكانت معظم القبائل اليمنية في ذلك الوقت تعبد الأصنام، ولكننا نجد بعد ذلك أن ملك الحبشة يصف نفسه - في النقوش التي وجدت في أكسيوم - بأنه ملك الحميريين. ولا شك في أن ذلك كان عاملاً في انتشار المسيحية، فكانت هناك أسقفية مركزها "نجران" التي كان يحكمها "الحارث بن كعب". وعلى هؤلاء المسيحيين أثار "ذو نواس" - في تعصبه لليهودية - الاضطهاد الشديد، فألقى بكل المسيحيين الذين تمسكوا بإيمانهم، في أخدود يشتعل بالنيران، ووصلت أخبار هذه الوحشية إلى الإمبراطور جستنيان الأول، إما عن طريق بعض الناجين، أو عن طريق ملك الحيرة اللخمي. فطلب جستنيان - إما مباشرة، أو عن طريق بطريرك الإسكندرية - معاونة ملك أكسيوم (الحبشة)، وكانت النتيجة أن غزا ملكُ الحبشة اليمنَ، وقضى على الأسرة الحميرية المالكة، وأصبحت المسيحية هي الديانة السائدة في جنوبي الجزيرة العربية. ثم جاء الفرس بعد ذلك، وطردوا الأحباش. وفي أيامهم سمحوا بالحرية الدينية للمسيحية واليهودية والوثنية. وظل الحال هكذا إلى ظهور الإسلام.

وقد اعتنق الكثيرون من ملوك الحيرة المسيحية - رغم خضوعهم للنفوذ الفارسي الزرادشتي - فقد اعتزل "النعمان الأول" - الذي ملك في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس - [اعتزل] العالمَ وتنسك، ربما بتأثير سمعان العمودي. ويبدو أن الملك "المنذر الثاني" - في منتصف القرن السادس - تأثر بعض الوقت بالبدعة الأوطاخية. كما اعتنق "النعمان الخامس" المسيحية. ولكن كان أكثر انتشار وازدهار للمسيحية بين العرب، في أقرب المناطق إلى الإمبراطورية البيزنطية، وهي مملكة "الغساسنة"، وإن كان يبدو أن هذا لم يتحقق تماماً إلا بعد اهتداء قسطنطين. وإلى ذلك العهد، ترجع الأديرة المتعددة التي لا تزال أطلالها شاهدة على ذلك.

كما أن قبيلة تغلب القوية - من القبائل الإسماعيلية، والتي كانت تستوطن بلاد النهرين - اعتنقت المسيحية. كما أن بعض بطون قبيلة قضاعة (من القحطانيين) اعتنقوا المسيحية، مثل قبيلة "كلب" في الحوف.

(5) الصابئون والأحناف: كان هناك أيضاً غير ما سبق، "الصابئون" ويبدو أنهم كانوا من المسيحيين الغنوسيين. ويظن البعض أن الاسم مشتق من كلمة "صبغة" الأرامية والتي تعني "المعمودية"، وذلك لكثرة اغتسالهم، وقد خُفِّفت "الغين" وأبدلت بالهمزة. ولذلك يربط البعض بينهم وبين يوحنا المعمدان.

أما "الأحناف" فَهُم المفكرون الذين اعتزلوا عبادة الأصنام وآمنوا بالإله الواحد، وأخذوا يبحثون عن الحق في العقائد المختلفة.

وظل الحال على ذلك في الجزيرة العربية إلى أن سادها الإسلام في أوائل القرن السابع الميلادي.

ويقول الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) في رسالة الدكتوراه التي أعدها ودافع عنها في جامعة (Princeton) الأمريكية المرموقة عام 2011[66]:

Looking at the Arabian Peninsula as a whole, it can be shown that Christianity had spread throughout it. Specific regions could be highlighted as probable conduits for Biblical and Christian lore to Mecca: the realm of the Ghassānids with whom the Meccans "had close relations" [to the extent that it is suggested that the Quranic Paradise was inspired to some degree by Ghassānid banquets], al-Ḥīra in which "all the elements that define Islam's Late Antique heritage were to be found, namely, Christian-Aramaic, Arabic-Bedouin, Jewish, and Persian influences", the region of Bet Qaṭraye where the presence of Syriac Christianity is attested from the fourth to the ninth century and where there was a flurry of Syriac literary activity in the seventh century, and Najrān which was the main center of Christianity in South Arabia and which interacted, according to Muslim tradition, with the Prophet [Muhammad] and his followers. Moving away from the peninsula, contacts with Christians in both Abyssinia and Syria are mentioned in the Islamic sources, and are plausible.

A different yet related issue concerns the form of Christianity with which the Quran was familiar. Western scholars have identified various groups of Christians as sources of influences on the Quran, including obscure sects such as Collyridians and the Nazoraens. Special attention has been given to churches whose scriptural and liturgical language was primarily Syriac. Tor Andrae believed that Muhammad was markedly influenced by the piety of the so-called Nestorian [i.e. East-Syriac] church, […]. Other scholars, especially Bowman, emphasized the "debt of Islam" to the Monophysites [i.e. West-Syriac Christians]. […]

> […] Many of the Syriac sources in which we find parallels to the Quran were in fact current among both West-Syriac and East-Syriac circles and often stem from a period before the theological split was firmly established. The content itself of the retellings is usually theologically neutral. […]

وأخيراً وليس آخراً، نجد أن القرآن نفسه يعترف بأن بعض رجال الدين المسيحي (قسيسين ورهبان) قد تركوا المسيحية وآمنوا بالقرآن وبمحمد (المائدة 82-85). كما "جاءت وفود مسيحية إلى مكة والمدينة واستمعت إلى الرسول يتلو كتابه فأعلنت إيمانها وقالت: "إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ" (القصص 53)"[67]. ولا يهمنا السبب الذى جعل هؤلاء المسيحيين (سواء من رجال الدين أو من العوام) يدخلون الإسلام. المهم أنهم دخلوا الإسلام ومعهم كل معرفتهم ومعلوماتهم وخبراتهم بالكتاب المقدس بعهديه وبالتراث اليهودى / المسيحى بصفة عامة[68]. ومِن المؤكد أن هؤلاء المسيحيين قد أثروا فى تكوين القرآن.

ومِن المعلوم للكافة أن أهل الكتاب كانوا يقطنون شبه الجزيرة العربية فى الفترة التي عاش فيها نبى المسلمين محمد قبل وبعد ظهور الإسلام (مثل: يهود بني النضير ويهود بنى قريظة ونصارى نجران[69] ... الخ). ولقد دارت بين محمد ويهود شبه الجزيرة العربية عدة معارك، وتزوج الرسولُ السيدةَ "صفية بنت حُيَيّ" بنت الزعيم اليهودى وأرملة الشاعر اليهودى اللذين قُتِلا علي يد المسلمين فى موقعة خيبر!

ويقول مرجع إسلامى شهير أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية "إن اليهود وكثيراً من النصارى (أى: أهل الكتاب المعاصرين لمحمد) كانوا يعرفون اللسان العربى، ومِن النصارى مَن هُم عرب خلص كنصارى نجران، كما أن العجم من الفرس والروم كان من بينهم عرب يعايشونهم ويقيمون بينهم"[70].

نختم كلامنا عن أهل الكتاب بالجملة التى قالها العالِمُ الكبير (Prof. Thomas Römer)، وهى: "لولا مصر لما كان الكتاب المقدس" (Sans l'Égypte, il n'y aurait pas de Bible)[71]. ونحن نضيف إلى هذه الجملة: "ولولا الكتاب المقدس وتراثه اليهودي-المسيحي لما كان القرآن". والمقصود بتراث الكتاب المقدس هو كل الكتب اليهودية والمسيحية التى كُتِبت انطلاقاً من الكتاب المقدس، وهذا التراث اليهودي/المسيحي يشمل كتب الأبوكريفا والسوديبجرافا والمدراش والتلمود ... الخ.

باختصار شديد وبإيجاز نقول:

- أخذ الإسلامُ مِن التراث اليهودي **"الأوليات"**، **"البدايات"** مثل التوحيد المطلق (التوحيد الخالص) وقصص آدم ونوح وإبراهيم ويوسف وموسى ... الخ. هذا طبعاً بالإضافة إلى الشريعة وبعض القصص اليهودية المتأخرة (post-Biblical).

- وأخذ الإسلامُ مِن التراث المسيحي **"الأُخرويات"** (Eschatology)، **"النهايات"** مثل القيامة والبعث والحساب والجزاء والحياة الأبدية والجنة (ملكوت السماوات؛ الوجود الدائم والأبدي مع الله) والنار (جهنم؛ الانفصال الدائم والأبدي عن الله) ... الخ. هذا طبعاً بالإضافة إلى بعض القصص المتعلقة بالمسيح (مثل ميلاده العذراوي) وبعض القصص المتعلقة بالمسيحيين (مثل قصة أصحاب الكهف).

ولعل العالم الكبير (Philip Jenkins) يشاركنا هذا الرأى، إذ يقول[72]:

> The Quran tells many familiar biblical stories, featuring Abraham, Moses, and other key figures of the Old Testament, in addition to lengthy passages concerning Jesus and Mary, and of course the Quranic focus on the Last Judgment strongly recalls biblical texts. But generally, the most potent outside influences seem to have come from Eastern forms of Christianity. Most of the Quranic stories about Mary and Jesus find their parallels not in the canonical four Gospels but in apocryphal texts that circulated widely in the East, such as Protevangelium of James and the Arabic Infancy Gospel. The Quran cites the miracle in which the infant Jesus shaped a bird out of clay and then breathed life into it, a tale also found in the Infancy Gospel of Thomas. The Quran also presents the death of Jesus in exactly the language of those heretical Eastern Christians known as the Docetists, who saw the event as an illusion rather than a concrete reality: "They did not kill him and they did not crucify him, but it was made to seem so to them." One sura includes the common Christian legend of the Seven Sleepers of Ephesus, the saintly young men who escaped a persecution by sleeping many years in a cave.

وسنتحدث بالتفصيل فى هذه المذكرات عن هذه الأساطير اليهودية والمسيحية والعربية التى انتقلت إلى القرآن.

فإذا أردنا أن نلخص القرآنَ في أربع جُمل، فسنقول:

- الجملة الأولى: القرآن المكي معظمه أساطير، أساطير 100%، وهي تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) والتراث العربي (الجاهلي). وسنثبت ذلك بالأدلة القاطعة التي لا تترك مجالاً للشك. وبعض هذه الأساطير مستوحاة من التراث الأدبي للشرق الأدنى القديم كما سنوضح لاحقاً. على سبيل المثال: قصة يوسف التوراتية←القرآنية مستوحاة من "قصة الأخوين" المصرية القديمة (Tale of the Two Brothers).

- الجملة الثانية: القرآن المدني معظمه قتل وسفك دماء وغزو وسبي نساء (مِلك يمين) واحتلال أراضي واستيلاء على أموال الغير وممتلكات الغير (غنائم) وقطع أيدي وقطع أرجل وقطع رقاب وتعذيب وشتائم وتدمير الآخر المختلف أو إخضاعه ... الخ. وهذه الأعمال – التي تُعتبر الآن أعمال إجرامية – كانت موجودة عند العرب قبل الإسلام. لكن القرآن المدني نسب مصدرَها إلى الله فأعطاها قداسةً لا تستحقها وحوَّلها مِن ثقافة عربية بدوية صحراوية محلية - كان مِن الممكن أن تنتهي - إلى ثقافة إسلامية دولية مستمرة حتى الآن وتهدد الحضارة الإنسانية، بل تهدد وجود الإنسان. مما أدى في النهاية إلى ظهور الإرهاب الإسلامي الذي يعاني منه العالمُ المتحضر اليوم، بل يعاني منه أحباؤنا المسلمون أنفسهم.
- الجملة الثالثة: آيات التوحيد. وهي بالفعل كثيرة في القرآن، لكنها مستوحاة من التراث اليهودي الذي يركز تركيزاً شديداً على عقيدة التوحيد المطلق الخالص النقي، وهي بدورها عقيدة مستوحاة من تراث المصريين القدماء (أخناتون). فإذا كان شعب إسرائيل هو أول شعب موحِّد في التاريخ، فإن الملك المصري أخناتون هو أول إنسان موحِّد في التاريخ.
- الجملة الرابعة: آيات القيامة وما يتبعها مِن حساب وجزاء وجنة ونار ... الخ. وهي بالفعل كثيرة في القرآن، لكنها مستوحاة من التراث المسيحي الشرقي الذي يركز تركيزاً شديداً على عقيدة القيامة والحياة الأبدية، وهي بدورها عقيدة مستوحاة من التراث المصري القديم (أوزيريس).

وبما أننا لا نحتاج الأساطير ...

وبما أننا لا نحتاج العنف (الإرهاب) ...

وبما أننا لا نحتاج آيات التوحيد، فعندنا اليهودية أولى الديانات الإبراهيمية وأعرقها ...

وبما أننا لا نحتاج آيات القيامة، فعندنا المسيحية الديانة الإبراهيمية الوحيدة التي خصصت عيداً كبيراً ومهماً من أجل عقيدة القيامة هو "عيد القيامة المجيد".

إذن: نحن لا نحتاج القرآن.

2) التجارة:

هناك وسيلة أخرى انتقل بها تراث حضارات الشرق الأدنى القديم إلى شبه الجزيرة العربية. هذه الوسيلة هى التجارة التى ازدهرت فى منطقة الشرق الأوسط منذ عدة قرون قبل الميلاد، فلقد أشارت قصة يوسف وإخوته فى التوراة إلى القوافل التجارية للإسماعيليين (المديانيين) المتجهة إلى مصر: "ثُمَّ جَلَسُوا (أي: إخوة يوسف) لِيَأْكُلُوا طَعَامًا. فَرَفَعُوا عُيُونَهُمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا قَافِلَةُ إِسْمَاعِيلِيِّينَ مُقْبِلَةٌ مِنْ جِلْعَادَ، وَجِمَالُهُمْ حَامِلَةٌ كَثِيرَاءَ وَبَلَسَانًا وَلاَذَنًا، ذَاهِبِينَ لِيَنْزِلُوا بِهَا إِلَى مِصْرَ. فَقَالَ يَهُوذَا لإِخْوَتِهِ: «مَا الْفَائِدَةُ أَنْ نَقْتُلَ أَخَانَا [يوسف]

وَنُخْفِيَ دَمَهُ؟ تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ، وَلاَ تَكُنْ أَيْدِينَا عَلَيْهِ لأَنَّهُ أَخُونَا وَلَحْمُنَا». فَسَمِعَ لَهُ إِخْوَتُهُ. وَاجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ، فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ، وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. فَأَتَوْا بِيُوسُفَ إِلَى مِصْرَ" (التكوين 37:25-28).

ظلت التجارة مزدهرة فى الحقبة الإغريقية-الرومانية (Greco-Roman). بل كان تأمين خطوط القوافل التجارية هو أحد أهم أهداف الغزوات والحروب فى القرون الأولى للميلاد[73]. وكانت هذه القوافل التجارية تقطع شبه الجزيرة العربية من اليمن فى أقصى الجنوب إلى الشام فى أقصى الشمال[74].

ويقول التراث الإسلامي إن قبيلة قريش – التي ينتمي إليها محمدٌ وعددٌ مِن الصحابة الكبار – كانت تشتغل بالتجارة قبل ظهور الإسلام، والقرآن يقر بذلك: "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ" (قريش 1-2)، وكانت رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام حسب رأي المفسرين المسلمين[75]. لكن المفسرين اختلفوا في معنى "إيلاف". قيل: أمان وعهد (covenant) يُؤخَذ لتأمين المصالح. وقيل: إلف (familiarity) وانتظام العادة (habit). وقيل: اجتماع وائتلاف (joining together). ويمكن الجَمْع بين هذه المعاني المختلفة غير المتناقضة، فهي كلها تدل على وجود حالة من الاستقرار ساعدت على تكوين التحالفات وانتظام حركة التجارة.

أدت حياة الاستقرار وشبه التحضر اللذين عرفتهما مكة فى أواخر القرن الخامس بعد الميلاد[76][77]، وكذلك موقع مكة الجغرافى المتميز – بين اليمن جنوباً والشام شمالاً والحبشة (أثيوبيا حالياً) فى الجنوب الغربى والعراق فى الشمال الشرقى – إلى مرور القوافل التجارية على مكة التى أصبحت فى نهاية القرن السادس الميلادى مركزاً تجارياً ومالياً هاماً[78]، أو كما يُقال اليوم "عاصمة اقتصادية" (financial capital)، مما أعطى لقبيلة قريش فرصة جيدة للاحتكاك بأناس من ديانات وثقافات وعادات وتقاليد مختلفة. فكلما كانت القوافل التجارية تتحرك فى الشرق الأدنى القديم، كانت تتحرك معها المعتقدات والأساطير وتنتقل **شفوياً** مِن شخص إلى آخر ثم مِن قبيلة إلى أخرى وأخيراً مِن مجتمع إلى آخر.

ويُروَى أن رسول الإسلام نفسه – حين كان طفلاً – قد خرج مع عمه أبى طالب فى ركب من قريش إلى الشام تاجراً، وهى القصة المعروفة باسم قصة "بَحِيرَى" أو "بَحِيرَا" (Bahira) الراهب النصرانى الذى قابله محمدٌ فى هذه الرحلة[79]. ويُعتقَد أن محمد قابل بَحِيرَا الراهب فى مدينة بُصرَى (Bosra; Bostra) إحدى أهم المدن المسيحية فى الشام آنذاك[80]. "ويمكن أن يُلاحَظ أن لفظ "بَحيرة" (Bahīra) فى السريانية يُستخدَم لقباً (title) معبراً عن الاحترام للراهب ولا يُستخدَم اسم علم لشخص"[81]. وقال العالم الكبير (Claude Gilliot) إن "Bekhīra" بالآرامية تعنى (the Elect)[82]، أى: المختار أو المنتخب. وإذا كان "بَحِيرَا" لقباً وليس اسماً، فَمِن الممكن إذن أن يكون محمد قد قابل أكثر مِن راهب (بَحِيرَا). وبذلك نستطيع أن نفسر اختلاف الروايات الإسلامية فى عُمر محمد حينئذ (قيل: ابن تسع سنين؛ وقيل: ابن اثنتى عشرة سنة[83]؛ وقيل: غير ذلك)، فيمكن الجَمْع بين هذه الروايات بأن نقول إن محمد سافر إلى الشام أكثر مِن مرة

وكان فى كل رحلة يقابل راهباً (أى: بَحِيرَا)، وليس بالضرورة أن يقابل نفس الراهب (أى: نفس البَحِيرَا) فى كل رحلة. ومما يُقوِّى هذا الاحتمال أن مدينة بُصرَى (Bosra; Bostra) كانت إحدى أهم المدن المسيحية فى الشام آنذاك؛ ومِن المؤكد أنه كان بها رهبان ورجال دين كثيرين وليس واحداً فقط.

ومِن المؤكد أيضاً أن العرب بصفة عامة – وليس محمد فقط – كانوا يذهبون إلى الشام ويتحدثون مع الرهبان. ويُروَى أن "طلحة بن عُبيد الله" – وهو واحد مِن التجار العرب الأثرياء ومِن المسلمين الأوائل ومِن كبار الصحابة ومِن العشرة المبشرين بالجنة – حضر سوق بُصرَى وقابل راهباً فى صومعته، وبعد إسلامه جعل ثروته وأمواله فى خدمة الإسلام[84]. وكذلك كان "أبو بكر الصديق" – أول مَن أسلم مِن الرجال وأعز صاحب لمحمد ومِن العشرة المبشرين بالجنة – تاجراً غنياً وأنفق جل ما وفره مِن ربح تجارته فى سبيل الدعوة إلى الإسلام[85]. وأيضاً "الزبير بن العوام" – ابن أخ السيدة خديجة وابن عمة محمد ومِن المسلمين الأوائل ومِن كبار الصحابة ومِن العشرة المبشرين بالجنة – كان مِن تجار قريش الذين يذهبون إلى الشام، وسخر أمواله أيضاً فى خدمة الإسلام[86]. وكذلك التاجر الثري "عبد الرحمن بن عوف" – وهو مِن المسلمين الأوائل ومِن كبار الصحابة ومِن العشرة المبشرين بالجنة – الذى ظل ينفق على الإسلام فى حياة محمد وبعد مماته؛ وروى الترمذى أَنَّه أَوْصَى بِحَدِيقَةٍ لِأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِيعَتْ بِأَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفٍ[87]! ولولا هذه المجموعة مِن رجال الأعمال الأثرياء الذين كانوا يُموِّلون محمداً ودعوته، لانهار الإسلامُ في مكة.

3) الهجرة:

كانت الهجرة – ولا تزال – عاملاً أساسياً فى انتقال الأفراد والجماعات من مكانٍ إلى آخر. ومِن الممكن أن يتأثر المُهاجِرُ بمجتمعه الجديد الذي هاجر إليه حتى ولو كان هذا المجتمع مختلفاً عنه في الدين والثقافة. وكذلك مِن الممكن أن يؤثر المُهاجِرُ في مجتمعه الجديد.

تحدث الهجرة لأسباب عديدة: اقتصادية، دينية (اضطهاد دينى مثلاً)، حروب، لاجئين ... الخ.

على سبيل المثال، يقول التراث العربي/الإسلامي إن قبيلتي الأوس والخزرج كانوا أصلاً مِن اليمن، ثم هاجروا شمالاً إلى يثرب (المدينة) بعد انهيار سد مأرب[88]؛ وكان اليهود عندئذٍ مستقرين في يثرب مِن قَبل الأوس والخزرج. وبمرور الزمن، استطاع الأوس والخزرج أن يأخذوا أمرَ يثرب بيدهم قبل الإسلام، وكان بينهما صراعٌ مِن أجل السلطة والسيادة على يثرب. وكان بعض اليهود يتحالف أحياناً مع الأوس، والبعض الآخر يتحالف أحياناً مع الخزرج. وفي الوقت نفسه، كان هناك صراعٌ بين يهود يثرب وكفار يثرب (الأوس والخزرج): كل فئة تريد التخلص من الفئة الأخرى. فيُروَى مثلاً أن "عمرو بن النعمان" (أحد زعماء الخزرج) قال لقومه قبل الهجرة: "إن أباكم أنزلكم منزلة سوء. والله لا يمس رأسي ماءٌ حتى أنزلكم منازل قريظة والنضير" وكانت منازل قريظة والنضير خير البقاع في يثرب[89]. وفي المقابل، كان يهود يثرب قبل

الإسلام "يَسْتَفْتِحُونَ (أي: يستنصرون) عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا" (البقرة 89) ويقولون لهم: قَرُبَ مبعث نبيٍّ آخر الزمان وسنتبعه ونقاتلكم معه؛ وفي بعض المراجع: نَقْتُلُكم معَه قَتْلَ عَادٍ وإِرَمَ (أي: إبادة!). و "نبيّ آخر الزمان" هو النبي اليهودي المسيح أو المسيَّا (Messiah) الذي لا يزال اليهود ينتظرونه إلى اليوم. لكن المسلمين – كالعادة – توهموا أن المقصود هو النبي العربي محمد!

ومحمد نفسه هاجر من مكة إلى يثرب (المدينة). وعند هجرته، اتحد الأوس والخزرج سوياً تحت راية الإسلام، فصاروا يُعرَفون باسم "الأنصار" لأنهم نصروا محمداً ووقفوا معه في حربه ضد أهله قريش وكفار مكة! تلك الحرب التي انتهت بانتصار محمد يوم غزو مكة (8هـ). وكذلك وقف محمدٌ مع الأنصار ضد يهود المدينة، حتى تمكنوا من إبادة يهود المدينة تماماً: فمنهم مَن قُتِلَ، ومنهم مَن طُرِدَ، ومنهم مَن أسلم أو مات. وبذلك تحقق حلم الأوس والخزرج في إزاحة اليهود عن المدينة نهائياً؛ ولقد كان هذا الحلم يراودهم حتى مِن قَبل هجرة محمد إلى المدينة كما قلنا. إنها إذن عملية تبادل منفعة (mutualism) متأثرة بالثقافة العربية التي تسود فيها التجارة: خذ وهات (take and give). أعان الأنصارُ محمداً ضد قريش مكة، ومحمد ساعد الأنصار ضد يهود المدينة. وهكذا حتى استطاع الأنصار مع إخوانهم المهاجرين (أي: المسلمين الذين كانوا قد هاجروا من مكة إلى المدينة) أن يستولوا على المدينة ومكة! ثم استطاع المسلمون أن يسيطروا بسرعة على شبه الجزيرة العربية كلها!

وكمثال على الهجرة لأسباب دينية، نقول: اضطرت مجموعة من المسيحيين إلى الهرب من الاضطهاد الدينى فى عهد الإمبراطور الرومانى الوثنى "داقيوس" (Decius) (عهده: 249 - 251م)، فهاجروا شرقاً إلى الإمبراطورية الساسانية الفارسية (Sassanian Empire)[90] لأنها لم تكن تضطهد المسيحيين آنذاك رغم الاختلاف فى الدين بين المسيحيين والدولة الفارسية[91]. هذا بالإضافة إلى المسيحيين الذين تم إجبارهم على ترك الإمبراطورية الرومانية والانتقال إلى الإمبراطورية الساسانية الفارسية فى عهد الملك الفارسى "شابور الأول" (Shapur I) (عهده: 240-272م) الذى حقق انتصارات ساحقة على الروم[92].

وفى عام 313م، أصبحت المسيحية ديانة مُعترَف بها (Religio licita) فى الإمبراطورية الرومانية. ثم فى عام 380/1م، أصبحت المسيحية هى الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية.

فى ظل حالة الحرب الطويلة بين الروم والفرس، كان مِن الطبيعى أن يبدأ الساسانيون الفرس فى أن يشكوا فى ولاء هؤلاء المسيحيين الذين كانوا يعيشون تحت حكم الإمبراطورية الساسانية الفارسية؛ فهل سيكون ولاؤهم للفرس (المشتركين معهم فى الوطن) أم للروم (المشتركين معهم فى الدين)؟ هذا بالإضافة إلى أن الصراع بين الروم والفرس كان يشمل أرمينيا (Armenia)، وهى دولة مسيحية منذ عام 301م. ولذلك بدأ الساسانيون يضطهدون هذه الأقلية المسيحية لا سيما فى الفترة بين عامى 339م و 379م أثناء حُكم الملك الفارسى "شابور الثانى" (Shapur II).

إلا أن هؤلاء المسيحيين الشرقيين استطاعوا أن يصمدوا أمام هذا الاضطهاد. وخير دليل على ذلك هو المَجْمع الذى انعقد عام 410م فى مدينة "سلوقية-قطسيفون" عاصمة الإمبراطورية الساسانية (Council of Seleucia-Ctesiphon) (Synod of Mar Isaac)[93] والذى أكد اعتراف الإمبراطورية الساسانية رسمياً بالأقلية المسيحية ومهَّد الطريق لاستقلال الكنيسة فى سلوقية-قطسيفون – التى عُرِفَت باسم "كنيسة المشرق" (Church of the East) – عن الكنيسة الرومانية عام 424م[94]. والمقصود بالاستقلال هنا هو الاستقلال الكنسى (autocephaly)، بمعنى أن أسقف كنيسة سلوقية-قطسيفون الذى يحمل لقب "جاثليق" (كاثوليكوس) (Catholicos) – أى القائد "العام" لكل كنائس الإمبراطورية الساسانية الفارسية – لم يعد تابعاً لأى كنيسة فى الإمبراطورية الرومانية بأسرها. لكن هذا لا يعنى انقطاع الاتصال بين الكنائس الفارسية والكنائس الرومانية، فلقد قامت "مدرسة الرها" (School of Edessa) ثم "مدرسة نصيبين" (School of Nisibis) بدور كبير فى نقل التطورات اللاهوتية من الإمبراطورية الرومانية إلى الإمبراطورية الفارسية[95].

لكن بعد عام 431م، وبصفة خاصة بعد عام 489م، أيَّد هؤلاء المسيحيون الشرقيون بعض المذاهب (البدع والهرطقات) المسيحية التى انتشرت فى الشرق، مثل العقيدة المسيحية النسطورية (Nestorianism)[96] التى أثرت بدورها على الإسلام.

ظل الصراع بين الفرس والروم محتدماً إلى أن ظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى. وخير دليل على ذلك هو أن القرآن قد علَّق على الحروب الدائرة بين هاتين القوتين (الروم 2-5).

وفيما يتعلق بالإسلام، كان الوضع مشابهاً. فمِن المعلوم أن مجموعة من المسلمين الأوائل قد هاجروا هرباً مِن الاضطهاد الدينى فى مكة إلى الحبشة (أثيوبيا) التى عرفت اليهودية والمسيحية قبل ظهور الإسلام بمئات السنين. وكان مِن بين هؤلاء المُهاجِرين والمُهاجِرات مَن عاد مرة أخرى إلى شبه الجزيرة العربية ومَن أصبحن فيما بعد زوجات لمحمد فى المدينة.

ولعل خير دليل على تأثر هؤلاء المسلمين الأوائل بالمجتمع الحبشي (الأثيوبي) هو وجود تشابهات كثيرة بين القرآن وكتاب اليوبيلات (Book of Jubilees) (Livre des Jubilés) الذي كُتِب أصلاً بالعبرية في النصف الأول مِن القرن الثاني قبل الميلاد (تقريباً 161-140 ق.م) مع بدايات الحقبة الحسمونية (Hasmonean Period) (Époque asmonéenne) التى امتدت من سنة 166 إلى 63 ق.م[97] – أى خلال فترة ما بين العهدين التى أشرنا إليها سابقاً. يُعتبر كتاب اليوبيلات واحداً مِن كتب سودبيجرافا العهد القديم، ولكن الكنيسة الأثيوبية هى الكنيسة الوحيدة التى تعترف بقانونية (canonicity) هذا الكتاب[98]. ويعود تاريخ النسخ الأثيوبية لهذا الكتاب المهم إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد (أى: قبل ظهور الإسلام)، وهو نفس وقت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الأثيوبية (الحبشية)[99]:

L’Église éthiopienne est seule à reconnaître la canonicité du livre [des Jubilés] et à avoir transmis le texte complet, traduit du grec en éthiopien en même temps que la Bible, c’est-à-dire entre le IV^{e} et le VI^{e} siècle.

وفي هذا السياق علينا أن نُذكِّر بالأصول التاريخية للكنيسة الأثيوبية وتطورها وعلاقتها بالكنيسة القبطية (المصرية) الأرثوذكسية منذ أن رُسِم "فرومنتيوس" (Frumentius) (Frumence) عام 330م كأول أسقف لأثيوبيا على يد "أثناسيوس الرسولى" (Athanasius the Apostolic) بطريرك الإسكندرية آنذاك[100]. ولا يخفى على أحد الدور الذى لعبته الكنيسة الأثيوبية فى نشر المسيحية فى اليمن قبل ظهور الإسلام.

كل هذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن المسلمين الأوائل - الذين هاجروا مِن مكة إلى الحبشة (أثيوبيا) كلاجئين فى القرن السابع الميلادى - قد وجدوا هناك الكتاب المقدس بعهديه ووجدوا أيضاً بعض الكتب الأخرى، مثل كتاب اليوبيلات الذي يُعرَف أيضاً باسم "التكوين الصغير" (Little Genesis) لأنه يعيد إنتاج قسماً كبيراً من سفر التكوين ومقاطع من سفر الخروج. ومِن الطبيعى أن يكون هؤلاء المسلمين الأوائل قد تأثروا بالكتاب المقدس وبهذه الكتب الأخرى المنتشرة فى المجتمع الأثيوبى الذى كانوا يعيشون فيه[101]. وخير دليل على ذلك هو القرآن المكي الذي – مثل كتاب اليوبيلات – يعيد إنتاج قسماً كبيراً من سفر التكوين (مثلاً: قصص آدم وابنيه ونوح وإبراهيم وابنيه ويوسف وغيرهم) ومقاطع من سفر الخروج (قصة خروج بني إسرائيل من مصر).

بل إن تأثر المسلمين الأوائل بالمجتمع الحبشي الذي هاجروا إليه قد وصل أحياناً إلى درجة ترك الإسلام. فَيقول التراث الإسلامي إن "عبيد الله بن جحش الأسدى" – ابن أميمة عمة النبى محمد وأخو أم المؤمنين السيدة "زينب بنت جحش" – قد ارتد عن الإسلام وتَنَصَّر بعد أن هاجر إلى الحبشة مع زوجته "أم حبيبة" التى أصبحت فيما بعد زوجة لمحمد[102].

كما أن حياة رسول الإسلام نفسه كانت مرتبطة بشخصيات من ثقافات أخرى هاجرت إلى شبه الجزيرة العربية مثل سلمان الفارسى (من الفرس) وصُهيب الرومى (من الروم) وبلال الحبشى (من الحبشة) والجارية المصرية مارية بنت شمعون (المعروفة باسم "مارية القبطية") إحدى سراري (أي: ملك يمين) الرسول وأم ابنه ابراهيم والتى انتقلت مِن بلدها مصر القبطية المسيحية حتى تعيش مع الرسول فى شبه الجزيرة العربية.

وكون مارية القبطية جارية يذكرنا بالدور الذى لعبه العبيد الأجانب (الرقيق والإماء) فى انتقال الثقافة الدينية/الشعبية مِن مكانٍ إلى آخر ...

4) الرقيق والإماء:

سنكتفي هنا بما قاله د. جواد علي في كتابه الشهير "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"[103]:

وإذا كانت اليهودية قد دخلت جزيرة العرب بالهجرة والتجارة، فإن دخول النصرانية إليها كان بالتبشير وبدخول بعض النساك والرهبان إليها للعيش فيها بعيدين عن ملذات الدنيا، وبالتجارة، وبالرقيق ولا سيما الرقيق الأبيض المستورد من أقطار كانت ذات ثقافة وحضارة. [...]

[... ثم يشرح د. جواد على بقدر أكبر من التفصيل انتشار النصرانية (المسيحية) عن طريق التبشير والرهبان والتجارة ...]

ودخلت النصرانية جزيرة العرب مع بضاعة مستوردة من الخارج، هى تجارة الرقيق من الجنسين، فقد كان تجار هذه المادة الرابحة يستوردون بضاعتهم من أسواق عالمية مختلفة، ولكن أثمن هذه البضاعة وأغلاها هى البضاعة المستوردة من امبراطوريتى الروم والفرس، لمميزات كثيرة امتازت بها عن الأنواع المستوردة من إفريقية مثلاً. [...]

وقد كان فى مكة وفى الطائف وفى يثرب وفى مواضع أخرى من جزيرة العرب رقيق نصرانى كان يقرأ ويكتب ويفسر للناس ما جاء فى التوراة والأناجيل، ويقص عليهم قصصاً نصرانياً ويتحدث اليهم عن النصرانية، ومنهم مَن تمكن مِن اقناع بعض العرب فى الدخول فى النصرانية، ومنهم مَن أثر على بعضهم، فأبعده عن الوثنية، [...].

[...]

وكان لبنى مخزوم الأثرياء جملة جوارٍ يونانيات (أي: من الروم؛ أو: مِن أوروبا الشرقية)، كما كان لدى العباس عم النبى جوارٍ يونانيات، وأشير إلى وجود جوارٍ فارسيات. وكان هذا الرقيق الأبيض ذكوراً وإناثاً من جنسيات متعددة، مِنهم مَن كان مِن أصل رومى، ومِنهم مَن كان مِن عنصر أوروبى آخر، ومِنهم مَن كان مِن الفرس أو مِن أهل العراق مثل نينوى وعين التمر، ومِنهم مَن كان مِن بلاد الشام أو مِن أقباط مصر، وَهُمْ على النصرانية فى الغالب.

وقد كانت فى مكة عند ظهور الإسلام جالية كبيرة كثيرة العدد من العبيد، عرفوا بـ (الأحابيش). وبين هؤلاء عدد كبير من النصارى، استوردوا للخدمة وللقيام بالأعمال اللازمة لسراة مكة. وقد ترك هؤلاء الأحابيش أثراً فى لغة أهل مكة، يظهر فى وجود عدد من الكلمات الحبشية فيها فى مثل المصطلحات الدينية والأدوات التى يحتاج إليها فى الصناعات وفى الأعمال اليدوية التى يقوم بأدائها العبيد. وقد أشار العلماء إلى عدد من هذه الكلمات ذكروا أنها تعربت، فصارت من الكلام العربى. وقد أشاروا إلى ورود بعضها فى القرآن الكريم وفى الحديث.

5) الترجمة ووسائل أخرى:

أضف إلى الوسائل الأربع السابقة (أهل الكتاب والتجارة والهجرة والرقيق) وسائل أخرى مثل الترجمة التى لعبت دوراً هاماً فى نقل تراث الديانات والحضارات الأخرى إلى شبه الجزيرة العربية. فَلدينا أدلة نقلية كثيرة مِن القرآن والأحاديث الصحيحة تثبت وجود ترجمة عربية لكتب اليهود أثناء حياة محمد. والدليل العقلى هو خير دليل فى هذه المسألة، فلقد كان اليهود والنصارى العرب "يعيشون فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام بمئات الأعوام، ولا يمكن لنا أن نسلم بهذا الوجود اليهودى النصرانى العربى، دون أن يكون لأصحابه لسان عربى كلسان أهل الجزيرة، ومِن ثم فمِن المستبعد ألا يكون لهؤلاء جميعاً كتاب دينى باللغة العربية، خاصة وأن هناك أجيالاً ولدت ونشأت وترعرعت فى البيئة العربية وخضعت لمؤثراتها وهو ما يحتم وجود ترجمة للتوراة والإنجيل بالعربية"[104]. وسنناقش هذه المسألة بقدر أكبر مِن التفصيل لاحقاً.

ويقول مرجع إسلامى شهير أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية إن محمد كان "يحتفظ بمترجمين يترجمون له ما يرد من رسائل لغتها غير العربية"، و "إن الملوك والرؤساء كان لديهم مترجمون – كذلك – يترجمون لهم ما يرد من رسول الإسلام أو يقومون بالترجمة من العربية إلى غيرها، ومِن غير العربية إلى العربية فى حالة ما إذا كان "المرسل" وفداً يحمل رسائل شفوية للتبليغ"، وكان محمد "يحض أصحابه على تعلم لغات الأمم ومما يُروَى عنه – عليه الصلاة والسلام – قوله: مَن تعلم لغة قوم أمن غوائلهم"[105].

وهذه الأدلة مِن المراجع الإسلامية تدل على وجود ترجمة عربية لكتب اليهود أثناء حياة محمد وتدل أيضاً على أن اختلاف اللغة لم يكن أبداً عائقاً أمام العرب للتواصل مع الأمم الأخرى غير العربية. والفضل يرجع إلى الترجمة المكتوبة (translation) والترجمة الشفوية (interpretation). إلا أن الدور الذى لعبته الكتب المترجمة كان ثانوياً إذا ما قورن بدور الانتقال الشفوي-السمعي (oral-aural transmission)؛ أي: من فم شخص إلى أذن شخص آخر.

وإذا بحثنا فى المراجع الأجنبية، فإننا سنصل إلى نفس النتيجة. ولنقرأ مثلاً ما قاله العالم الدكتور (Tony Burke) – المتخصص فى أبوكريفا العهد الجديد – عن انتقال قصص مِن أناجيل الطفولة الأبوكريفية (apocryphal infancy gospels) إلى القرآن عن طريق اللغة السريانية[106]:

> Syriac texts penetrated also the Arabian peninsula, influencing the early development of Islam. Stories from the apocryphal infancy gospels even appear in the Qur’an, likely via Syriac translations, even if in oral, rather than written, form.

وسنلاحظ فى هذه المذكرات أن جزء كبير من التراث المسيحى قد انتقل إلى القرآن عن طريق السريانية أو الآرامية بصفة عامة. فَمِن الجدير بالذكر أن كلمة "محمد" أو "معمد" مكتوبة بالخط العربى تكاد تكون مطابقة لكلمة "يسوع" أو "يشوع" (Yeshue) مكتوبة بالخط السريانى[107]. بل إن كلمة "قرآن" نفسها لها أصل سرياني وهو "قِرْيان" (qeryān) الذي يعني "تلاوة" (recitation) (lectio)؛ والمقصود بالطبع هو "تلاوة من الكتاب المقدس" (a reading from Scripture)[108]، أو "الموعظة الكتابية التي يجب قراءتها في الكنائس المسيحية"[109]. فلقد كان "القِرْيان" (قِرْيانا) يشير إلى كتاب التلاوات (lectionary) (lectionnaire) الذى يحدد أجزاء من الكتاب المقدس تُتلَى على الناس فى الشعائر والطقوس السريانية[110]. ونستطيع الآن أن نفهم لماذا اختار العربُ هذه الكلمة "القرآن". فكما أن "القِريان" السريانى مُستمَد مِن الكتاب المقدس، كذلك فإن "القرآن" العربى مُستمَد مِن الكتاب المقدس. أو كما نقول دائماً إن القرآن – بل: الإسلام بصفة عامة – هو مجرد محاولة بشرية شرق-أوسطية لدمج التراث الشعبي القومي (العربي) مع التراث الشعبي الديني (اليهودي والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)) في كيانٍ واحد نتج مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي (natural human development) للثقافة العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian). وكل الأدلة في هذه المذكرات ستؤكد هذه النتيجة التي لا نزعم أننا أول مَن وصل إليها، لكننا ربما أول مَن يجمع أدلتها ويرتبها ويكتبها باللغة العربية ويشرحها ويعلق عليها.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[⟵ القرآن كلام العرب]**.

ولقد صدق العالم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) حين قال إن اللغة السريانية هى اللغة التى كثيراً ما تكشف معنى كلمات القرآن[111]. أو كما قال العالم الكبير (Hartwig Hirschfeld) إن كثيراً من مفردات الكتاب المقدس التي ترد في القرآن (أي: الكلمات ذات الجذور اليهودية-المسيحية الموجودة في القرآن) قد وصلت إلى القرآن من خلال قناة آراميّة (أي: عن طريق الآراميّة)[112]. أو كما قال الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) إن الكلمات ذات الأصل الآرامي/السرياني تشكل بصفة عامة أكبر مجموعة من الكلمات المستعارة في القرآن[113].

وفي نفس الاتجاه، يقول العالم الكبير (Fred M. Donner): "نحن نعرف أن السريانية وأشكالاً أخرى مِن الآرامية قد طوَّرت فى الفترة المتأخرة من العصر القديم (يقصد: قبل الإسلام) خطاباً تقنيّاً معقداً عالى المستوى فى قضايا اللاهوت والممارسة الدينية. علاوة على ذلك، يبدو أنه أمر لا جدال فيه أن المسيحيين واليهود الذين عرفوا هذه اللغة والمصطلحات كانوا على تواصل مع الناطقين بالعربية كلغة أولى أو وحيدة (فى شبه الجزيرة العربية أو خارجها)"[114].

وحين نقول "السريانية"، فإننا لا نقصد فقط الترجمات السريانية للكتاب المقدس، وإنما نقصد التراث السرياني كله. كل التراث السرياني: ترجمات، شروحات وتعليقات، ترانيم (hymns)، عِظات (homilies)، الخدمة الروحية أو العمل الشعبي في الكنسية (liturgy)، حكم ومواعظ، أمثال شعبية، أناشيد،

لوحات فنية، نقوش، قوانين وتشريعات ... الخ. كل الثقافة السريانية. كل التراث الثقافي السرياني: الديني، الأدبي، الفني، الشعبي، الأسطوري، التشريعي ... الخ.

باختصار: حين نقول "السريانية"، فإننا نقصد كل التراث الثقافي السرياني الذي انتقل إلى أصحاب القرآن إما عن طريق مباشر أو عن طريق غير مباشر من خلال "نصارى العرب"، أي: المسيحيين الناطقين بالعربية (Arabic-speaking Christians)، في الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية.

ولقد صدق العالم الكبير (Sidney Griffith) حين قال إنه كلما تعمقنا في دراسة التراث السرياني قبل الإسلام كلما وجدنا ما يناظره في القرآن العربي[115]:

> مِن البَدَهيِّ عند الباحثين في السريانية أنْ يُقال: بِقَدْر ما يزدادُ المرءُ تَعمُّقاً في الاطلاع على أعمال أساطين كُتَّاب العصر الكلاسيكي، وخاصَّةً على مؤلِّفي النصوص الوعظيَّة الليتورجية الهامة (liturgically significant, homiletic texts) كتلك التي كتبها مار إفرام السرياني (Ephraem the Syrian) (306 – 373م) ونرساي الرهاوي والنصيبيني (Narsai of Edessa and Nisibis) (399 – 502م) أو يعقوب السروجي (Jacob of Serugh) (451 – 521م)، يزدادُ ما يسمعه المرءُ من أصداء موضوعاتهم المألوفة وتعابيرهم المتناوبة المتميزة (characteristic turns of phrase) في كثير من النقاط في خطاب القرآن العربي.

وكذلك قال الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) في رسالة الدكتوراه التي أعدها ودافع عنها في جامعة (Princeton) الأمريكية المرموقة عام 2011[116]:

> […] When examining the means through which Biblical traditions were passed [into the Quranic community], scholars have considered personal contacts (often referred to as informants), texts and more recently even visual sources [e.g. Christian images and icons]. The Syriac sources examined in this dissertation, many of which were composed for public performance, support the intuition of several scholars that a liturgical [or a homiletic] setting [especially during feasts and carnival-like events that attracted large crowds, including non-Christians and Arab traders] might have supplied a natural venue for transmission of dogmas and stories [into the community from which the Quran emerged]. […]
>
> […]

Hymns and homilies were effective instructional tools at a time when few people owned books. Whereas commentaries were aimed at the scholarly elite, the hymns and homilies were composed for general public performance and participation. In a civic culture which had competing forms of public entertainment, the churches needed to offer instruction in an engaging manner and to minister to a broad populace. The audience participated actively by singing responses to the liturgical poetry and by performing ritual gestures such as standing, kneeling, and prostrating. The performance of these works varied. Whereas the *madrāšē*, the hymns which were structured in verse couplets or in stanzas and were punctuated by a refrain, were often performed by male and female choirs, the *mēmrē*, verse homilies which consisted of isosyllabic couplets, were recited by a clerical figure. These works were often performed in the liturgy, at night vigils, feasts and funerals.

[…]

[…] the literary study carried out in this dissertation [suggests] that the Quranic milieu acquired much of its knowledge concerning Biblical matters as a result of direct or indirect exposure to the performance of Syriac hymns and homilies.

ومِن أفضل ما قيل عن تأثير التراث المسيحي السرياني على القرآن هو ما قاله العالِم المغربي الشهير "محمد المسيَّح" رداً على سؤال "ما صلة القرآن بالسريان، هل هناك أدلة على هذا الترابط؟"، فقال[117]:

في القرن السابع الميلادي، وقبل ذلك، [...] منذ القرون الأولى للمسيحية، والسريان أو الناطقين باللغة الآرامية كالكلدانيين، هؤلاء أخذوا على عاتقهم عندما أصبحوا يعتنقون الديانة المسيحية، أخذوا على عاتقهم موضوع التبشير. وطبعاً بما أن السيد المسيح كان يتحدث اللغة الآرامية فاعتبروا أنفسهم (أي: المسيحيون السريان) هُمْ المعنيون بالأمر في موضوع نَشْر العقيدة المسيحية ونَقْل الأناجيل والدراسات. خاصةً هناك علماء كبار عند السريان كَمَار يعقوب السروجي ومار إفرام السرياني [...] هناك العديد مِن علماء السريان الذين أغنوا الكتابة المسيحية، فهؤلاء أخذوا على عاتقهم نَشْر اللغة السريانية التي هي مِن أصل آرامي، ثم

نَقْل هذه النصوص مِن لغات أخرى (يقصد: اليونانية بصفة خاصة) إلى اللغة السريانية. وكانت اللغة السريانية في القرن السابع الميلادي في تلك المنطقة، منطقة فلسطين والشام، كانت اللغة المتداولة (lingua franca)، فكانت هي واللغة اليونانية يعني جنباً إلى جنب. فكاتبُ القرآن أو صاحبُ القرآن طبعاً هو كان بامتياز مِن الثقافة السريانية نفسها، فهو أخذ كل المعلومات والعلوم حتى طريقة الكتابة والرسم وكل شيء اللي إحنا تحدثنا عنه يُظهر [ذلك] بوضوح [...]، يعني أخذ [صاحبُ القرآن] مِن الثقافة السريانية الكثير، حتى القصص [...] كما ذكرت عدة مرات قصة ذو القرنين أو قصة فتية أفسس (يقصد: قصة أصحاب الكهف)، فهذه القصص هي كانت موجودة في الموروث الشفهي وكذلك في الموروث الكتابي قبل الإسلام. وقد تحدَّاني أحدُ الباحثين الكبار عندنا في المغرب في أن أقدِّم له ولو مخطوطة واحدة تعود للقرن السابع الميلادي أو ما قبل باللغة السريانية، وقد قدمتُ له ثلاث مخطوطات أو أرقام مخطوطات تدل على أن هذه القصة [التي كتبها] مار يعقوب السروجي أو قصة فتية أفسس كانت موجودة قبل الإسلام. فالعلاقة [بين التراث المسيحي السرياني والقرآن] كانت علاقة وطيدة، فالثقافة التي كانت سائدة في تلك الفترة هي كان معظم العرب كانوا يتحدثون اللغة السريانية وكذلك اللغة [اليونانية] كمثقفين.

وسوف نعطي أدلة دامغة في هذه المذكرات على قوة تأثير أعمال إفرام السرياني ويعقوب السروجي بالذات على أصحاب القرآن، إلى درجة أننا نعتبرهما مِن الآباء الروحيين لأصحاب القرآن. فلا يمكن لأي باحث جاد في بشرية القرآن ألا يذكر اسميّ هذين العملاقين المسيحيين السريانيين. بل ليس من المبالغة أن نقول إنه لولا إفرام السرياني ويعقوب السروجي، لَمَا استطاع العرب أن ينتجوا القرآنَ.

والحقيقة أن تأثير التراث المسيحي السرياني على القرآن لا يقتصر فقط على قصة أصحاب الكهف وبعض القصص "المسيحية" الأخرى مثل قصص أناجيل طفولة يسوع، وإنما يمتد إلى كثير مِن القصص "اليهودية" مثل قصة آدم وابنيه وقصص إبراهيم ويوسف وموسى (أي: قصص العهد القديم) التي نظر إليها المسيحيون السريان بطريقة تختلف قليلاً أو كثيراً عن النظرة اليهودية التقليدية لكنها تتفق مع ما قيل بعد ذلك في القرآن.

بل إن هذا التأثير المسيحي الشرقي (السرياني) على القرآن يمتد إلى أوجه تشابه كثيرة بين الإسلام والمسيحية الشرقية (أو بالأحرى: المسيحيات الشرقية) كما يقول العالم الدكتور (Philip Jenkins)[118]:

[…] The Christian impact on Islam was profound, and can be traced at the deepest roots of that faith. Mosques look as they do because their appearance derives from that of Eastern Christian churches in the early days of Islam. Likewise, most of the religious practices of the believers

> within those mosques stem from the example of Eastern Christians, including the prostrations that appear so alien to modern Westerners. The severe self-denial of Ramadan was originally based on the Eastern practice of Lent. The Quran itself often shows startling parallels with Eastern Christian scriptures, devotional texts, and hymns, and some scholars have even argued that much of the text originated in Syriac lectionaries, collections of readings for church use. [...] Only by understanding the lost Eastern Christianities can we understand where Islam comes from, and how very close it is to Christianity.

ثم يعود ويؤكد كلامه مرة أخرى[119]:

> [T]here is no doubt that Eastern Christians were a well-known presence in the Arabian world, and influenced the early development of Islam.

وسنتحدث عن هذه المسيحيات الشرقية (الأبيونية، بولس السموساطى، الأريوسية، النسطورية ... الخ) بالتفصيل فى هذه المذكرات.

كما يجب أيضاً أن نشير إلى دور الشعراء العرب مثل "النابغة الذبياني" (Nabighah adh-Dhubyani) و "طرفة بن العبد" (Tarafah) و "حسان بن ثابت" (Hassan ibn Thabit) الذي صار شاعر محمد رسول الإسلام. كان هؤلاء الشعراء العرب يفدون إلى مملكة الغساسنة (Ghassanids) العرب الموالين للروم على مشارف الشام ومملكة المناذرة (اللخميين) (Lakhmids) العرب الموالين للفرس على أطراف العراق. وليس من المبالغة أن نقول إن هؤلاء الشعراء العرب كانوا مثل السفراء لأقوامهم عند الغساسنة والمناذرة. وهكذا كان الغساسنة والمناذرة – أو بالأحرى هؤلاء الشعراء العرب – حلقة وصل بين الحضارتين الرومانية والفارسية من ناحية والعرب البدو من ناحية أخرى[120].

كما ساعد على تحقيق هذا التواصل الحضارى التجارُ والرهبانُ (monks) ورجالُ الدين (clergy) المسيحيون بل وعامة الناس فى الشام والعراق والذين كانوا يتحدثون اللغتين السريانية (فى الكنائس) والعربية (فى الحياة العامة)[121][122].

كل ما سبق يؤكد أنه قبل الإسلام لم يكن العرب فى شبه الجزيرة العربية يعيشون فى صندوق مغلق منعزلين ثقافياً ودينياً عن الشعوب التى كانت حولهم فى فارس والعراق والشام ومصر واليمن وأثيوبيا

(الحبشة)، وإنما كان العرب متصلين اتصالاً قوياً بكل هذه الثقافات والحضارات والديانات منذ مئات السنين قبل ميلاد محمد[123]. ونستطيع من ذلك أن نستنتج أن التراث الدينى والثقافى والفكرى لحضارات وديانات الشرق الأدنى القديم كان معروفاً فى المجتمع الذى وُلِد وعاش فيه رسولُ الإسلام وأصحابه. والأمثلة التى تؤيد ذلك كثيرة وسنذكر العديد منها فى هذه المذكرات.

المصادر والمراجع:

فى نهاية هذه المقدمة، أود أن ألفت النظر إلى أنني أثناء كتابة هذه المذكرات قد اعتمدت على مجموعة كبيرة مِن أمهات الكتب الإسلامية (تفاسير القرآن والأحاديث النبوية وقصص الأنبياء والسيرة النبوية والتاريخ ... الخ). يحاول كثير مِن المسلمين اليوم التبرؤ مِن هذه الكتب التراثية قائلين إن بها "إسرائيليات" و "أحاديث موضوعة"، بل وأساطير وخرافات! وهذا صحيح، لكن بصورة جزئية فقط؛ فما زالت هذه الكتب التراثية هامة جداً ولا غنى عنها فى فهم الإسلام ومعرفة جذوره الدينية والتاريخية.

والحديث عن الإسرائيليات يجبرنا أولاً على تعريفها. وتعريفنا للإسرائيليات هو أنها كل ما أنتجه أهلُ الكتاب وتسلل بطريقةٍ أو بأخرى إلى الإسلام. وحسب هذا التعريف، فإن القرآن هو المصدر الرئيسي للإسرائيليات في الإسلام. نعم، فلقد أثبتنا فى هذه المذكرات أن "الإسرائيليات" (Jewish sources) و "المسيحيات" (Christian sources) و "السريانيات" (Syriac sources) موجودة في القرآن نفسه، وليس فى كتب التفسير والحديث فقط. إنها إذن عنصر أساسي فى تكوين الإسلام. بل لا أكون مُبالغاً إنْ قلت: لولا اليهوديات (مثلاً: شريعة موسى) والمسيحيات (مثلاً: القيامة والحساب والجزاء) والسريانيات (مثلاً: قصة أصحاب الكهف) والعربيات (مثلاً: الحج والحنيفية)، لولا كل هذا التراث الشرقي القديم، لمَا ظهر الإسلام ولمَا كان القرآن.

ومع أن مشكلة "الإسرائيليات" هي أساساً مشكلة أحبائنا المسلمين وليست مشكلتي، إلا أنه كان لزاماً عليَّ أن أتبع أسلوباً دقيقاً في كتابة هذه المذكرات. يمكن تلخيص هذا الأسلوب كما يلي:

- بالنسبة للكتب التراثية القديمة، اعتمدت بشكل أساسى على نسخ مُحقَّقة ومُنقَّحة. وبالنسبة لبعض المراجع الهامة مثل تفسير الطبرى وتفسير ابن كثير وتفسير الجلالين وقصص الأنبياء لابن كثير، حرصت على الاستفادة مِن أكثر مِن نسخة مطبوعة لمحققين مختلفين.
- اعتمدت كذلك على مجموعة مِن الكتب الحديثة والمعاصرة لشيوخ وكُتاب دارسين ومتخصصين ومعروفين بدرجة كافية بحيث يصعب أن يتهمهم أحد أنهم يرددون إسرائيليات أو أحاديث ضعيفة.
- حرصت على تنوع المراجع والمصادر العربية والإسلامية، فمِنها كما قلت ما هو تراثى قديم ومِنها ما هو حديث معاصر، ومِنها ما هو لكُتاب سعوديين أو مصريين ومِنها ما هو لكُتاب عرب من

جنسيات أخرى، ومِنها ما يشرح بالتفصيل ومِنها ما هو مُختصر مُيسر، ومنها ما هو كبير الحجم (أكثر من 10 مجلدات) ومتوسط الحجم (3-10 مجلدات) وصغير الحجم (مجلد واحد أو مجلدين). ولعل نظرة سريعة على هذه المراجع والمصادر المذكورة في نهاية هذه المذكرات تكشف مدى تنوعها.

كذلك بالنسبة للمراجع التي تخص تراث ديانات وحضارات الشرق القديم، حرصنا على تنوع المصادر العربية والأجنبية.

ويجب هنا أن نؤكد على أنه لا يمكن فهم القرآن فهماً صحيحاً إلا بدراسة جذوره الدينية والتاريخية، وعلى رأسها بالطبع جذوره اليهودية والمسيحية سواء فى الأسفار المقدسة أو فى الكتب غير المقدسة. بعبارة أكثر جرأة: كتب ديانات وحضارات الشرق القديم هى التى تهيمن على القرآن، وليس القرآن هو الذى يهيمن عليها كما يتوهم المسلمون، إذ لا يمكن فهم القرآن فهماً صحيحاً بدون دراسة الكتب السابقة له. والمقصود بالفهم "الصحيح" هنا هو الوصول إلى المعنى الذى كان فى أذهان أصحاب القرآن حين صنعوا كتابهم العربى المُسمَّى "القرآن". وهذا يستلزم دراسة الكتب التي كُتِبَتْ قبل القرآن، وليس فقط الكتب التي كُتِبَتْ بعد القرآن.

إن الطريقة التقليدية فى فهم القرآن التي تقتصر فقط على كتب التفسير التي كُتِبَتْ بعد القرآن قد أثبتت فشلها. فلقد احتار المفسرون المسلمون فى تفاسير الآيات، بل احتاروا فى معانى الكلمات! لكن هذا لا يعنى أن نتجاهل كتب التفسير التقليدية، وإنما يعنى ألا نعتمد عليها وحدها. علينا أن ندرس أيضاً تراث الديانات والحضارات السابقة للإسلام. وندرس البيئة التى صُنِع فيها القرآن، ندرسها بكل جوانبها: دينياً وتاريخياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً ولغوياً ... الخ. ومِن ثم تتضح أهمية تحليل القرآن بالمنهج التاريخى-النقدى (Critical Historical Method). ولذلك كان لا بد من الاستعانة بمجموعة مِن المراجع التى تعمل على تحليل القرآن بهذا المنهج أو تعطى أدلة على تأثر القرآن بتراث ديانات وحضارات الشرق القديم.

انظر المجموعة المُختارَة مِن المصادر والمراجع فى نهاية هذه المذكرات. هذا بالإضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع الأخرى التى سنوضحها في الحواشي السفلية (footnotes).

أعتقد أننى بذلت مجهوداً كافياً حتى أضمن صحة المعلومات الورادة فى هذه المذكرات. لكن بالطبع الكمال لله وحده. ربما أكون قد أخطأت فى بعض التفاصيل الدقيقة. لكن أوكد لكم أن هذه الأخطاء – إنْ وجدت – فهى لن تؤثر فى النتيجة النهائية التى توصلت إليها، وهى أن القرآن كلام العرب وليس كلام الله.

ولإثبات بشرية القرآن وتوضيح جذوره في تراث الشرق الأوسط القديم بصفة عامة، وفي التراث اليهودي-المسيحي بصفة خاصة، جمعت أكبر قدر ممكن مِن الأدلة. فلو افترضنا مثلاً أنني جمعت 1000

دليل، ثم اتضح أن 100 منهم أدلة "خاطئة" أو "ضعيفة" أو "موضوعة" أو "إسرائيليات" ... الخ، فسيظل أمامنا 900 دليل تكفي لإثبات أن القرآن كلام بشر مخلوقين وليس كلام الله الخالق عز وجل.

باختصار: كل جملة في هذه المذكرات يمكن تعديلها بل حذفها تماماً إنْ وُجِدَ فيها خطأ. إلا جملة "القرآن كلام بشر"، فلا يمكن تعديلها أو حذفها، لأنها جملة صحيحة 100%.

نحن نتقرب إلى الله بابتعادنا عن الإسلام ... ونقترب من حقوق الإنسان بابتعادنا عن القرآن.

الله سينتصر حتماً على القرآن ... والمحبة ستنتصر حتماً على الشيطان.

العلمانية ستنتصر حتماً على الشريعة ... والعقل سينتصر حتماً على النقل ... والديمقراطية ستنتصر حتماً على الديكتاتورية.

الإله الذي يخاف مِن عقل الإنسان لا يستحق أن يكون إلهاً.

1 أصحاب القرآن = محمد + مَن حوله

نريد أولاً أن نميز بين "محمد الإيمان" أو "محمد التقليد" (the traditional Muhammad) و "محمد التاريخ" (the historical Muhammad) ...

حين نقول "محمد" فإننا نقصد "محمد الإيمان" أو "محمد التقليد"؛ أي: محمد الذي أخبرنا به التقليدُ الإسلامي الموروث. إنه محمد "الكائن الورقي"؛ أي: محمد الموجود فى الكتب والوثائق الإسلامية التي كتبها المسلمون: قرآن، سنة، سيرة، تاريخ ... الخ.

أما "محمد التاريخ" فإنه محمد الذي عاش في زمانٍ ما ومكانٍ ما. إنه محمد "الكائن الإنساني" التاريخي الحقيقي الذي لا يعلم أحدٌ عنه إلا القليل. بل لا نعلم على وجه اليقين إن كان "محمد" فعلاً شخصاً حقيقياً تاريخياً.

بعبارة أخرى: حين نقول "محمد" فإننا لا نقصد "محمد" ابن السيد "عبد الله بن عبد المطلب" وابن السيدة "آمنة بنت وهب". وإنما نقصد "الشخصية المُحمَّدية" الموجودة في الكتب الإسلامية.

على أى حال، ليس محمد هو موضوع هذه المذكرات. وإنما موضوعها هو القرآن. فلا بد مِن البداية أن نتحدث ولو قليلاً عن كيف خرج القرآن إلى الوجود ونتحدث أيضاً عن مَن صنعوه، الذين نُسمِّيهم "أصحاب القرآن" (The redactors of the Koran). والمقصود بأصحاب القرآن هو كل مَن شارك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في تأليف القرآن: أي محمد ومَن حوله (Muhammad and his circle)؛ أي محمد وزوجاته وملك يمينه وصحابته ... الخ.

فى هذا الباب، نعطى نبذة عن أصحاب القرآن ونثبت أن مِنهم مَن كان ينتمى إلى الحضارات والديانات السابقة للإسلام، أو على الأقل كان على اتصال وثيق بتلك الحضارات والديانات السابقة للإسلام.

1.1 فى البدء كانوا ثلاثة مِن قريش! الشاب محمد والسيدة خديجة والشيخ وَرَقَة

وُلِدَ الإسلامُ في قبيلة قُرَيْش العربية التجارية أثناء الحرب بين الروم والفرس، أي: أثناء الحرب بين أكبر إمبراطوريتين في الشرق الأوسط.

ومع ذلك، لم يذكر القرآنُ اسمَ قُرَيْش إلا مرة واحدة فقط! "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (قيل: الرحلتين التجاريتين، رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن)" (قريش 1-2) (مكية).

فما معنى "قُرَيْش"؟ وكيف ظهرت قُرَيْش على الساحة العربية؟

يقول لسان العرب: "القَرْشُ: الجمع والكسبُ والضم مِن ههنا وههنا يضم بعضه إلى بعض. [...] وبه سميت قُرَيش. وتَقَرَّش القومُ: تجمَّعوا". وفي معجم البلدان: "القُرَيْشُ: تصغير القَرْش، وهو الجمع مِن ههنا وههنا ثم يُضمّ بعضه إلى بعض، وقيل: سمّيت قُرَيش قريشاً لتقرّشها (أي: تجمّعها) إلى مكة مِن حواليها حين غلب عليها قُصَيّ بن كِلاب، وقيل سمّيت قُرَيش لأنهم كانوا أصحاب تجارة ولم يكونوا أصحاب زرع ولا ضرع"[124]. وكما قلنا فيما سبق، إن أحد معاني كلمة "إِيلَافِ" (قريش 1-2) هو اجتماع وائتلاف (joining together). ويقول د. جواد علي إن "أهل الأخبار يذكرون أن قُصَيّ بن كِلاب، وهو مُجمِّع قريش وموطد حكمها على مكة إنما بسط نفوذه عليها بمساعدة الروم له، حيث يقولون: "وجاء قُصَيّ بن كِلاب (أي: جاء من الشام)، فجمع معداً – وبذلك سُمّي مُجمِّعاً – واستعان ملكَ الروم فأعانه، وحارب الأزدَ فغلبهم واستولى على مكة". وكان الأزد على حد قول هذه الرواية قد طردوا جرهم عن مكة واستولوا عليها، فجاء قُصَيّ وأزاحهم عنها، بمعونة ملك الروم، فما كانت قريش لتزيحهم عنها لولا هذه المعونة"[125]. وطبعاً، المقصود بالروم هنا هُمْ الروم الشرقيين (أي: البيزنطيين) (Eastern Roman Empire).

كما تقول بعض المراجع الحديثة إن كلمة "قريش" لها جذور سريانية تعني "يُجمِّع" (to collect, to gather together) وأنها تناظر كلمة (foederati) التي كانت تُطلَق على القبائل المتحالفة مع الروم[126]. وهذا قد يعني أن "قريش" ليس اسم قبيلة واحدة (a single tribe)، وإنما اسم اتحاد مِن القبائل (a tribal confederation) المتحالفة مع الروم. أو اسم اتحاد مِن القبائل أبرزهم قبيلة قريش.

ولا يهمنا كثيراً إنْ كانت قريش قبيلة واحدة أم اتحاد قَبَلي. وإنما يهمنا أن قريش لم تكن معزولة عن باقي الشرق الأوسط، فلقد لعبت السياسة والاقتصاد دوراً مهماً في توثيق العلاقة بين قريش والروم. ومِن ثم، تتضح العلاقة القوية بين الإسلام والروم. يقول التراث الإسلامي إن محمد بدأ الدعوة إلى الإسلام سنة 610م، وهي نفس السنة التي اعتلى فيها "هرقل" (Heraclius) عرش الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية). صدفة؟! ومِن الواضح أن المسلمين الأوائل قد انحازوا إلى الروم - أو على الأقل: تعاطفوا مع الروم - ضد الفرس (أعداء الروم). وخير دليل قرآني على ذلك هو وجود سورة مكية تحمل اسم "الروم" وتبدأ بأمنية (أو: بشارة) انتصار الروم على الفرس: "غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ [...] وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ" (الروم 2-4)[127][128].

أما قُصَيّ بن كِلاب - مُجمِّع قريش وموطد حكمها على مكة بمعونة الروم - فمِن المعلوم أنه جد محمد وخديجة وورقة بن نوفل: القرشيين الثلاثة الذين وضعوا البذرة الأولى للإسلام ...

1.1.1 الطرف الأول: الشاب محمد

الطرف الأول: الشاب القرشى **"محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب"**[129]. وُلِدَ محمدٌ فى مكة حوالى عام 570م. عاش الطفل محمد ظروفاً صعبة لا يتمناها أى طفل: مات أبوه "عبد الله"[130] بينما كانت أمه "آمنة بنت وَهب" حاملاً به، وقيل: بل مات حين كان محمد ابن شهرين، وقيل: ابن ثمان وعشرين شهراً؛ المهم أن محمد كان طفلاً يتيماً. ولما بلغ محمد ستَّ سنين، توفيت أمه آمنة، فأصبح محمدٌ يتيمَ الأب والأم، فصار مع جده "عبد المطلب". ولما بلغ محمد ثمانى سنين، مات جده، فكفله عمه "أبو طالب". بكل تأكيد، تركت هذه الظروف العائلية السيئة أثراً نفسياً فى شخصية محمد.

ويُروَى أن محمد كان له منذ صباه نزعة واضحة إلى الانعزال والتأمل وميل إلى التفكير المستغرق.

ويُروَى أيضاً أن محمد كان مُقاتِلاً منذ صباه، فلقد اشترك في حَرْب الفِجَار، وهي حرب بين كنانة وقَيْس استمرت أربعة أعوام قبل الإسلام، وانضمت قريش إلى كنانة، وقد سُمِّيَتْ فِجَاراً لِما استَحَلّه الطرفان مِن المحارم بينهم في الأشهر الحرم! يقول د. محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق): "فأما حرب الفجار فقد شهدها محمدٌ مع أعمامه وكان عمره خمسة عشر عاماً، فكان يناول أعمامه السهام أحياناً ويقاتل معهم أحياناً أخرى"[131]!

فى الفترة التى وُلِدَ وعاش فيها محمدٌ قبل "البعثة"، كانت شبه الجزيرة العربية يكثر بها الأحاديث عن "نبى جديد" قد حان مبعثه وعن "رسالة سماوية" منتظرة آن أوانها. و "مكة" بالذات كانت المكان الذى تلتقى فيه تلك "الإرهاصات" عن هذا النبى المُنتظَر. أما نحن فلا نُسمِّيها "إرهاصات"، وإنما نُسمِّيها "طموحات" أو "تطلعات" أو "أمنيات". ودليلنا من القرآن نفسه: "وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ (أي: اليهود و/أو النصارى)" (فاطر 42). قال القرطبي: "وكانت العربُ تتمنَّى أن يكون منهم رسولٌ كما كانت الرسلُ من بني إسرائيل"[132].

إذن: أراد (جماعةٌ مِن) العرب أن يكون لهم نبياً. وطبعاً مِن حق العرب (قريش؛ بنى هاشم) أن يصنعوا لأنفسهم نبياً مِن أنفسهم، لكن ليس مِن حقهم أن يُكفِّروا مَن لا يؤمن بهذا النبى المصنوع.

1.1.2 الطرف الثانى: السيدة خديجة

الطرف الثانى: سيدة قريش **"خديجة بنت خُوَيلد بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب"**[133]. هى أول امرأة تزوجها محمدٌ وكان عمره وقتئذ 25 سنة؛ أى: كان محمدٌ شاباً يتيماً فقيراً. أما خديجة فكانت أرملة كهلة فى الأربعين من عمرها، تزوجت قبل محمد مرتين، مما جعلها سيدة ذات مال كثير وثروة عظيمة وتجارة كبيرة. يعنى نستطيع أن نقول إنها كانت سيدة أعمال ناجحة. [وهذا يدل على أن المرأة العربية قبل الإسلام كانت واخدة حقها فى المجتمع، مش مكسورة الجناح زى ما المسلمين بيقولوا.] ويُروَى أن السيدة خديجة كانت امرأة حازمة ولبيبة.

قبل زواجهما اختارت خديجة الشابَ محمد ليتاجر لها فى مالها فى تجارة إلى بلاد الشام ووعدته أن تعطيه ضعف ما كانت تعطى غيره ممن استأجرتهم قبله! [لماذا أعطته ضعف ما كانت تعطى غيره؟ لأمانته؟ أم لكفاءته فى التجارة؟ أم لصناعة هذا "النبى المُنتظَر"؟]

قَبِلَ محمد عرضَ العمل وخرج فى مال خديجة، وخرج معه غلامها "ميسرة" حتى قَدِمِ الشام. فنزل محمد فى ظل شجرة قريباً من صومعة راهب اسمه "نسطورا" (Nasṭūr / Nasṭūra)، فقال نسطورا إلى ميسرة: مَن هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجلٌ مِن قريش مِن أهل الحَرَم؛ فقال له نسطورا: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى! [أسئلة مشروعة: ما الدليل أن هذه القصة المُتوارثة حدثت بالفعل؟ ومَن قال أن مِن علامات النبوة الجلوس تحت شجرة معينة؟! أم هى مجرد قصة خيالية تم تأليفها لإيهام الناس أن محمد هو النبى المنتظر الذى كانت شبه الجزيرة العربية تتحدث عن مجيئه وأن حتى الرهبان كانوا يتوقعون مجيئه؟]

<u>ملحوظة:</u> كما قلنا عن "بَحِيرَا"، مِن الممكن أن يكون "نسطورا" لقباً وليس اسماً. والمقصود: راهب نسطورى (Nestorian)، أى: مؤمن بالنسطورية (Nestorianism)، إحدى الفرق المسيحية القريبة جداً مِن الإسلام فيما يتعلق بطبيعة وشخص المسيح (Christology). ومِن الواضح أن محمد قد تأثر بأفكار هذا الراهب النسطورى. أو بعبارة أكثر دقة: بغض النظر عن تاريخية هذه القصة[134]، فإنه مِن الواضح أن أصحاب القرآن قد تأثروا بالأفكار النسطورية التى كانت منتشرة فى الشرق قبل ظهور الإسلام. وسنتحدث فى هذه المذكرات عن النسطورية وتأثيرها على القرآن والإسلام.

1.1.3 الطرف الثالث: الشيخ ورقة بن نوفل

الطرف الثالث "وَرَقَة بن نوفل بن أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب"[135]**:** هو ابن عم السيدة خديجة، وأحد الحنفاء العرب الذين اعتزلوا الأوثان قبل الإسلام، وقرأوا فى الكتب المقدسة، وسمعوا مِن أهل التوراة والإنجيل، فعرفوا الكثيرَ مِن أخبار الأنبياء والرسل السابقين.

وتقول السُّنَّة الصحيحة إن ورقة قد تَنَصَّرَ:

- أخرج البخارى حديثاً صحيحاً يقول إن ورقة بن نوفل "كان امْرَءًا تَنَصَّرَ فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العِبْرَانى، فيكتب مِن الإنجيل بالعِبْرَانية ما شاء اللهُ أن يكتب"[136].
- وأخرج مسلم حديثاً صحيحاً يقول إن ورقة بن نوفل "كان امْرَءًا تَنَصَّرَ فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العَرَبىَّ ويكتب مِن الإنجيل بالعَربية ما شاء اللهُ أن يكتب"[137].

ويمكن الجَمْع بين هذين الحديثين الصحيحين بأن نقول إن ورقة بن نوفل كان يكتب اللغة العربية بالحرف العِبْرَاني[138]، وهو ما يُعرَف باسم "نقحرة" (transliteration). و/أو: يكتب اللغةَ العربية بالحرف السرياني – وهو نوعٌ مِن الكتابة كان سائداً ومنتشراً آنذاك ويُعرَف باسم "جرشوني" (Garshuni) أو "كرشوني" (Karshuni) – لكن رواي الحديث قال "العِبْرَاني" لأن معظم كتابات ورقة بن نوفل كانت بالحرف العِبراني أو لعل الراوي خلط بين العبرانية والسريانية (الآرامية)[139]. ولا يزال أسلوب "النقحرة" (transliteration) متبعاً إلى اليوم، كما نكتب نحن أحياناً اللغة العربية بالحروف الأجنبية، فنكتب مثلاً (Saba7 El-Kheir) بدلاً مِن "صباح الخير". ومِن المعلوم أن تعلم الحرف (script) أسهل بكثير من تعلم اللغة (language) نفسها، فأى غلام عربى يستطيع إذن أن يقرأ كتابات ورقة بن نوفل بدون أن يتعلم اللغة العِبرانية أو اللغة السريانية، لأنه يكفيه فقط أن يتعلم الحروف الأبجدية (alphabet): كيف تُرسَم وتُنطَق. وبما أن الإنجيل يشير فى مواضع كثيرة إلى آيات مِن العهد القديم، فإن هذه الأحاديث الصحيحة تدل على أن ورقة بن نوفل كان له معرفة واسعة بالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وتدل أيضاً على وجود نسخ عربية (أو: مُعرَّبة) للأسفار المقدسة قبل ظهور الإسلام. بل قد تدل على أن المخطوطات الأولى للقرآن – وهي كلها مفقودة حالياً – كانت مكتوبة بهذا الخط الجرشوني، كما يعتقد الباحث والكاتِب (Christoph Luxenberg)[140].

ويبدو لنا أن العلاقة بين ورقة وخديجة كانت علاقة قديمة وقوية، فهو أولاً ابن عمها، وثانياً قيل إن خديجة كانت قبل أن يتزوجها أحدٌ قد ذُكِرَت لورقة، إلا أنهما لم يتزوجا.

بعد أن حكى الغلامُ ميسرة إلى خديجة ما قاله الراهب نسطورا وما حدث فى تلك الرحلة من أحداث أخرى مثل المَلَكَين اللذين – كما تراءى للغلام ميسرة – كانا يُظلّان محمد مِن الشمس!، أسرعت خديجة بالتوجه إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وذكرت له ما قاله ميسرة.

لما سمع ورقة من خديجة ما ذكر لها غلامُها ميسرة، قال ورقة: لئن كان هذا حقاً يا خديجة، إن محمداً لنبى هذه الأمة، وقد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمة نبى يُنتظر، هذا زمانه. [أى أن ورقة بن نوفل بشَّر خديجة بنبوة محمد 15 سنة قبل "البعثة"! وبَنى هذه البشارة على حدوتة حكاها غلام! وما معنى "نبى هذه الأمة"؟ هل أراد ورقة أن يكون محمد نبياً للعرب فقط؟]

1.1.4 بداية الرحلة ...

زواج الطرفين الأول والثانى[141]: لم تعرض خديجة على محمد العمل فقط، بل تقول بعض الروايات إن خديجة أرسلت صديقتها "نفيسة بنت مُنية" إلى محمد تسأله عن سبب عزوفه عن الزواج. والذى فى سيرة ابن هشام أن السيدة خديجة عرضت عليه الزواج دون وساطة! والجَمْع بين الروايتين ممكن. [ما نستنتجه من هذه الروايات أن خديجة رغبت فى الزواج من محمد، بعد أن سمعت القصة التى حكاها غلامُها ميسرة.]

قَبِلَ محمدٌ عرضَ الزواج، لكن خُوَيلد بن أسَد والد خديجة رفض أن تتزوج ابنته من شخص يتيم. فماذا فعلت خديجة؟ لجأت إلى حيلة تدل على ذكائها ودهائها ولؤمها واستعدادها أن تفعل أي شيء مهما كان ملتوياً مِن أجل تحقيق أهدافها. أخرج أحمد وغيره حديثاً يقول إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ خَدِيجَةَ، وَكَانَ أَبُوهَا يَرْغَبُ عن (أي: لا يرغب) أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَصَنَعَتْ [خديجة] طَعَامًا وَشَرَابًا، فَدَعَتْ أَبَاهَا وَزُمَرًا (أو: نَفَراً) مِنْ قُرَيْشٍ، فَطَعِمُوا وَشَرِبُوا حَتَّى ثَمِلُوا، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ لِأَبِيهَا: "إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَخْطُبُنِي، فَزَوِّجْنِي إِيَّاهُ". فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ فَخَلَّقَتْهُ (أي: وضعت عليه الخَلُوق، وهو نوع من الطِّيب) وَأَلْبَسَتْهُ حُلَّةً، وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالْآبَاءِ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ سُكْرُهُ، نَظَرَ فَإِذَا هُوَ مُخَلَّقٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَقَالَ: "مَا شَأْنِي، مَا هَذَا؟" قَالَتْ [خَدِيجَةُ]: "زَوَّجْتَنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ". قَالَ [أبوها]: "أَنَا أُزَوِّجُ يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ! لَا، لَعَمْرِي". فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: "أَمَا تَسْتَحِي! تُرِيدُ أَنْ تُسَفِّهَ نَفْسَكَ عِنْدَ قُرَيْشٍ؟ تُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّكَ كُنْتَ سَكْرَانَ؟" فَلَمْ تَزَلْ بِهِ [خَدِيجَةُ] حَتَّى رَضِيَ[142]. وكالعادة، اختلف المسلمون حول مدى صحة ذلك الحديث سنداً و/أو متناً، لكن يكفينا أن الهيثمي قال عنه: "رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد والطبراني رجال الصحيح"[143]. وفي عصرنا الحالي، اعترف بصحة ذلك الحديث الشيخُ محمد حسان والأستاذ ابراهيم العلي صاحب كتاب "صحيح السيرة النبوية"[144].

فذهب محمدٌ إلى بيت خديجة ليتم زواجه منها وفى صحبته عَمَّاه "أبو طالب" و"حمزة" وهناك وجدوا قوم خديجة (أبوها خُوَيلد بن أسَد – وقيل: عمها عمرو بن أسد – وابن عمها ورقة بن نوفل) ينتظرون، وكل شىء مهيأ لزواج عاجل! وبالفعل، تم الزواج (595م) وعاش محمد وخديجة سوياً عيشة هانئة طوال 15 عاماً ناعمين بالألفة والاستقرار. [سؤال: هل كانت خديجة نصرانية (مسيحية)؟ وهل كان زواجها بمحمد زواجاً نصرانياً (مسيحياً) بلا طلاق ولا تعدد، ولا يُنهِيه إلا الموت؟ ربما.]

الزواج مِن سيدة ثرية أعفى محمداً مِن عناء الكفاح اليومى، وأتاح له قدراً كافياً من الوقت حتى يستجيب لِمَا فى نفسه من نزوع إلى التأمل وميل إلى التفكير المستغرق، فما شارف الأربعين حتى كان قد ألف الخلوة فى غار "حراء". لكن ظلت عينا خديجة عليه من بعيد، وربما ترسل وراءه مَن يحرسه ويرعاه.

وفى يومٍ مِن الأيام – حسب ما يعتقده المسلمون – بينما كان محمد فى غار حراء، جاءه "وحىٌ" مِن الله (610م)، وقال "جبريلُ" لمحمد "اقْرَأْ" ... إلى آخر هذه القصة المعروفة التى لا داعى لتكرارها. واللافت للنظر أنه ما أن نزل هذا "الوحى" المزعوم على محمد حتى انطلق إلى زوجته خديجة وحكى لها ما حدث له. والذى فى سيرة ابن هشام أن خديجة قالت لمحمد: "أبشر يا ابن عَمّ واثبُتْ، فوالذى نفسُ خديجةَ بيَدِهِ، إنى لأرجو أن تكون نبىَّ هذه الأمة". يعنى قالت له ما قاله ورقة بن نوفل قبل 15 عام. نستنتج مِن هذه الرواية

المهمة أن خديجة هى أول إنسان يُدخِل فى رأس محمد أنه "نبى" هذه الأمة المنتظر. أو كما قال العالم الكبير (Claude Gilliot) وغيره: لولا خديجة، ربما ما كان محمدٌ قد أصبح نبياً قط[145].

[سؤال: لماذا كانت خديجة "ترجو" أن يكون محمد نبياً؟!]

الطرف الثالث يربط بين موسى ومحمد[146]**!** أشرقت أسارير محمد عندما سمع هذه الكلمات مِن خديجة وأحس بالراحة والطمأنينة. ثم انطلقت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل. أخبر محمدٌ ورقةَ بما حدث له، فقال له ورقةُ بمنتهى السرعة وبدون تفكير أو بحث!: "هذا الناموس الذى أُنْزِلَ (أو: نَزَّلَ اللهُ) على موسى، يا ليتنى فيها جَذَعٌ (أى: شابٌ). يا ليتنى أكون حياً حين يُخْرِجك قومُك"[147].

وتقول رواية أخرى إن خديجة ذهبت إلى ورقة بمفردها (أى: بدون محمد)، وأخبرته بما أخبرها به محمدٌ. فقال ورقة لها: "قدوس قدوس[148]، والذى نفس ورقة بيده، لئن كنتِ صدقتينى يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، وإنه لنبى هذه الأمة، فقولى له: فليثبت".

ويمكن الجَمْع بين هاتين الروايتين بأن نقول إن خديجة ذهبت إلى ورقة بمفردها أولاً، ثم بعد ذلك اصطحبت محمداً. أو أن ورقة قابل محمداً بعد ذلك؛ قيل: لقيه وهو يطوف الكعبة.

ونلاحظ مِن هذه الروايات الإسلامية المختلفة ــ لكن غير المتناقضة ــ أن ورقة بن نوفل استخدم كلمة "الناموس" التى فسرها ابن هشام والطبرى وغيرهما بأنه "جبريل"! على الرغم مِن أن كلمة "ناموس" مشتقة مِن الكلمة اليونانية "nomos" التى تعنى "قانون" أو "شريعة"، ولقد استخدمها الكتاب المقدس بعهديه عشرات المرات بهذا المعنى، وعادةً ما تأتى مرتبطة بموسى، مثل: "لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا" (يوحنا 1:17)، وتُترجَم كلمة "نَامُوس" إلى الإنجليزية "law" وإلى الفرنسية "loi" بمعنى "قانون"، وأحياناً تُكتَب "Law" و "Loi" للإشارة تحديداً إلى شريعة موسى؛ أى: التوراة كلها أو معظمها. قال يسوع المسيح: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ (أى: نَامُوس موسى) أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ" (متى 5:17).

فإذا اعتمدنا على المعنى الصحيح لكلمة "ناموس"، سنستطيع أن نفهم لماذا ذَكر القرآنُ "موسى" أكثر من أى نبى آخر ولماذا تأثر الإسلامُ بالديانة اليهودية وتراثها أكثر من تأثره بالديانة المسيحية وتراثها (كما سنوضح في هذه المذكرات)، وسنفهم أيضاً لماذا يهتم زعماءُ تيار الإسلام السياسي الآن بتطبيق الشريعة (الناموس) الإسلامية ويعتبرونها أولوية كبرى بالنسبة لهم.

ونلاحظ أيضاً أن ورقة بن نوفل قد أشار إلى أن قوم محمد سيُخرجوه مِن مكة. ولعل ورقة أراد أن يربط بين قصة خروج (Exodus) بنى إسرائيل مِن مصر وقصة خروج المسلمين الأوائل مِن مكة. وسنرى فى هذه المذكرات كيف استطاع أصحابُ القرآن أن يعيدوا كتابة قصة خروج بنى إسرائيل مِن مصر ــ أطول قصة فى القرآن ــ بحيث تكون مشابهة لواقع المسلمين الأوائل فى شبه الجزيرة العربية. ومِن حُسن الحظ أن

القرآن نفسه يعترف بذلك فى سورة المزمل وهى من أوائل السور المكية[149]: "إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ (يا أهل مكة) رَسُولًا (هو محمد) شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (هو موسى)" (المزمل 15).

باختصار: الهدف منذ البدء هو صناعة نبي مثل موسى: رسول ومُشرّع؛ قائد سياسي يُوحِّد العربَ تحت راية زعيم واحد ليعبدوا إلهاً واحداً، كما وَحَّد موسى بني إسرائيل تحت راية زعيم واحد ليعبدوا إلهاً واحداً. نبي "هذه الأمة" الذي صنعته خديجة وورقة، أي: نبي مِن العرب لهداية العرب إلى الإيمان والتوحيد، كما كان موسى نبياً مِن بني إسرائيل لهداية بني إسرائيل إلى الإيمان والتوحيد.

هكذا بدأ الإسلام - أو بعبارة أكثر دقة: هكذا بدأت نبوة محمد المزعومة - في مكة في أوائل القرن السابع الميلادي (610م): على يد الشاب العربى القرشى "محمد"، وزوجته الكهلة العربية القرشية "خديجة"، وابن عمها الشيخ العربى القرشى "ورقة بن نوفل" الذى كان حنيفاً ثم تنصر وكان على دراية واسعة بالكتب السابقة والأنبياء والرسل السابقين.

وقيل إن ورقة بن نوفل كان مِن "الأبيونيين" (Ebionites)[150]، وَهُمْ فريق من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية، لكنهم ظلوا متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم وشريعتهم اليهودية. فَهُمْ إذن جماعة مِن "اليهود المتنصرين" أو "المسيحيين المتهودين" أو كما يُسميهم البعض "المسيحيين اليهود" (Jewish Christians). ويؤمن الأبيونيون بإله واحد خَلَقَ العالم وخَلَقَ المسيح (Christ) – أى أن المسيح مخلوق وليس أزلياً. ويؤمنون أن يسوع (Jesus) مجرد إنسان (merely human) (psilos anthropos) وهو رسول وليس إلهاً. ويلتزم الأبيونيون التزاماً شديداً ودقيقاً بفرائض الشريعة (ناموس موسى)، ويمارسون الختان ويُحرّمون شرب النبيذ. ورفض الأبيونيون الرسائل التي كتبها بولس الرسول (Paul the Apostle) رفضاً تاماً[151]. باختصار: مذهب الأبيونية هو مذهب وسط يقف فى منتصف الطريق بين المسيحية واليهودية، ولذلك جاءت أفكاره خليطاً مِن اليهودية والمسيحية. ولقد قال الدكتور "جواد علي" إن الأبيونية (Ebionism) وجدت سبيلها في جزيرة العرب قبل الإسلام[152]. وربما اعتبر العربُ الأبيونيين مِن ضمن الحنفاء، فَهُمْ ليسوا يهوداً بنسبة 100% ولا مسيحيين بنسبة 100% لكنهم مُوحِّدين (monotheists) وليسوا وثنيين ولا مشركين. أو كما قال القرآنُ عن إبراهيم: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 67).

وقال الشيخ محمد أبو زهرة إن ورقة بن نوفل "كان من الحنفاء الذين هجروا عبادة الأوثان واختاروا أن يعبدوا الله. واختار النصرانية، إذ كان يعرف العبرانية، فدرسها منها، ودرس التوراة، فعلم الديانتين من الينابيع الأصلية، ويظهر أنه علمها ديانة وحدانية (Unitarian; Nontrinitarian) لا ديانة تثليث (Trinitarian)، لأنه (أي: التثليث) دخيل عليها، ولأن نصرانية الشرق التي كانت في العراق وأطراف الجزيرة العربية كانت تتبع نسطورس (Nestorius) الذي أنكر أن يكون المسيح إلهاً أو ابن الله"[153].

وبغض النظر عن ما إذا كان ورقة بن نوفل شخصاً حقيقياً أم خيالياً، وبغض النظر عن ما إذا كان أبيونياً أم نسطورياً، فإن كل الأدلة تؤكد أن أصحاب القرآن قد تأثروا بالأفكار الأبيونية والنسطورية التى

كانت منتشرة فى الشرق قبل ظهور الإسلام. وسنتحدث فى هذه المذكرات عن الأبيونية والنسطورية وتأثيرهما على القرآن فيما يتعلق بطبيعة وشخص المسيح (Christology). وسنكتشف أن ما قاله الإسلام عن طبيعة وشخص المسيح هو مجرد مزيج مِن هذه المذاهب المسيحية الشرقية – الأبيونية (القرن الأول)، بولس السموساطي (القرن الثالث)، الأريوسية (القرن الرابع)، النسطورية (القرن الخامس) ... الخ – التي ظهرت في الشرق قبل الإسلام بمئات السنين وظلت تنتشر في الشرق حتى ظهر الإسلامُ بفضلها (القرن السابع)؛ وبعضها – النسطورية مثلاً – لا يزال موجوداً في الشرق (كنيسة المشرق) إلى اليوم!

وفاة الطرفين الثالث والثانى[154]**:** مات ورقة بعد ذلك بسنتين (حوالى 612م)؛ وقيل إنه مات بعد ذلك بثلاث (أو: أربع) سنوات. أى أن علاقة ورقة بمحمد وخديجة استمرت 17 سنة على الأقل: 15 سنة من زواج محمد وخديجة قبل البعثة، وسنتين على الأقل بعد البعثة.

ويقول نفس الحديث الصحيح (البخاري 3): "ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ (أي: لم يلبث) وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ"! وهنا يجب أن نسأل سؤالاً آخر: لو كان هذا "الْوَحْي" الذى "نزل" على محمد مِن عند الله، فلماذا تأخر عن النزول بعد وفاة ورقة؟! إن هذا الحديث الصحيح يدل على وجود علاقة ما بين ورقة بن نوفل وهذا "الوحي".

وتقول رواية أخرى في صحيح البخاري أيضاً إن محمداً حَزِنَ وحاول أن ينتحر عدة مرات! "ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا (أي: ذهب بسبب ذلك الحزن عدة مرات) كَيْ يَتَرَدَّى (أي: يُلْقِي نفسَه؛ يُسقِط نفسَه) مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ (أي: مِن مرتفعاتها العالية)"[155]! والسؤال: إذا كان هذا "الْوَحْي" المزعوم مِن عند الله، فلماذا يحاول محمدٌ الانتحار؟! وهل هذا تصرف يليق بنبي مِن عند الله؟!

أما خديجة فاعتنقت الإسلام وظلت تساند زوجها محمد وتؤازره مادياً ومعنوياً حتى توفيت فى عامها الخامس والستين (حوالى 620م) – أى أن زواجها بمحمد استمر حوالى 25 سنة.

وعلى الرغم من أن خديجة وأبا بكر الصديق قد سَخَّرا مالهما وثروتهما فى سبيل الدعوة إلى الإسلام، فشل الإسلامُ فى مكة فشلاً ذريعاً، فلم يؤمن بمحمد إلا عدد قليل، ومعظمهم مِن المُستضعَفين؛ أو كما قالت قريشٌ لمحمد: "إنما يجالِسُك الفقراءُ والمساكينُ وضُعفاءُ الناس"؛ "إنما جلساؤك عبدُ بنى فلانٍ ومَولى بنى فلانٍ"[156]. وخير دليل على فشل الإسلام فى مكة هو أن "أبا طالب" عم محمد لم يؤمن بمحمد وظل غير مؤمن بالإسلام حتى وفاته (حوالى 620م)[157]! وكذلك "حَكِيم بن حَزَام بن خويلد" ابن أخى خديجة لم يؤمن بمحمد وظل غير مؤمن بالإسلام حتى فَتْح مكة (8هـ)؛ يعنى أسلم فى اللحظة الأخيرة وأمام الأمر الواقع.

وبما أن حوالى ⅔ القرآن قيل فى مكة، فإننا حين نقول إن الإسلام فشل فشلاً ذريعاً فى مكة، فإننا نقول بعبارة أخرى: ⅔ القرآن فشل فشلاً ذريعاً.

ظل الإسلام فى مكة 13 سنة، ومع ذلك فشل فشلاً ذريعاً.

في ظل فشل الإسلام فى مكة، اضطر جماعةٌ مِن صحابة محمد وأقاربه أن يهاجروا مِن مكة إلى الحبشة (Abyssinia) (Abyssinie) (أثيوبيا حالياً) عام 615م، ثم هاجر فوجٌ آخر بعد ذلك. فكان جميع مَن لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها مِن المسلمين وعاش هناك أكثر مِن ثمانين رجلاً غير النساء والأطفال.

بعد فشل الإسلام فى مكة وموت ورقة بن نوفل وموت السيدة خديجة، اضطر محمدٌ نفسه أن يهاجر مِن مكة إلى يثرب (المدينة) (622م) ليبدأ مرحلة جديدة مليئة بالغزوات والمعارك والغنائم، وأيضاً مليئة بكثير من النساء .... أى: مرحلة القتال والنكاح .... قتال الرجال ونكاح النساء.

فلم يكن انتقالُ الإسلام من مكة إلى المدينة تغيراً جغرافياً فقط، وإنما كان أيضاً تغيراً استراتيجياً، إذ بدأ المسلمون الأوئل يتبعون أسلوباً آخر، وهو أسلوب العنف. العنف الذى أدى إلى كثيرٍ من القَتْل. قَتْل الرجال غير المسلمين، وسبي نساءهم ونكاحهن!

والمشكلة هي أن بعض المعارك في الفترة المدنية كانت ضد قريش أهل محمد! أي أنها كانت حرباً أهلية (civil war) بين المسلمين المهاجرين بقيادة محمد في المدينة وأهلهم قريش في مكة! ومِن المؤكد أن هذه الحرب الأهلية التي خاضها محمدٌ بنفسه ضد أهله قريش كانت شيئاً غريباً وشاذاً في المجتمع العربي الذي يقولون عليه "جاهلي". يقول صحيح البخاري إن رجلاً عربياً غير مسلم قال لمحمد: "هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟"[158].

ليس هذا فحسب، بل استقوى محمدٌ بقبائل أخرى (الأوس والخزرج مثلاً) ضد قبيلته قريش! وطبعاً، كان هذا أمراً غريباً ويتعارض مع العادات والتقاليد العربية الأصيلة. ويُقال إن أبا سفيان (من سادات قريش) قال للأنصار يوم أُحُد (3هـ): "يا معشر الأنصار، خلّوا بيننا وبين إخواننا من قريش. فإنكم إنْ فعلتم رحلنا عنكم"[159]. يعني: أبو سفيان يريد أن يبعد الأنصار (أهل المدينة) عن هذه الحرب الأهلية بينما محمد يدخلهم فيها!

وتُعتبَر هذه الحرب الأهلية، وأُولى معاركها الفاصلة غزوة بدر (2هـ)، هي البداية الحقيقية للإسلام! بدليل أن التقويم العربي-الإسلامي (الهجري) يبدأ مِن الهجرة إلى المدينة (622م)، وليس من ميلاد محمد (570م) ولا حتى مِن بداية ما يُسمَّى "الوحي" (610م)! وكأن مَن وضعوا هذا التقويم الهجري يقولون لنا: السيف هو البداية الحقيقية للإسلام. فلولا السيف لانتهى الإسلام قبل أن يبدأ.

لولا السيف، لكان الإسلام اليوم مجرد نصف صفحة فى كتب تاريخ الأديان والبدع.

"السيف" هو اللى عمل "سيڤ" (Save) للإسلام. وإنْ كنا لا نقول إن الإسلام قد انتشر بالسيف، فإننا نقول بكل ثقة إن السيف قد ساعد الإسلام على الانتشار والتوسع.

أو كما قال الشاعر العربي المسلم:

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يُجَب ... وقد لان منه جانبٌ وخطابُ
فلمَّـا دعـا والسيـف صلْـتٌ بكفـه ... له أسلموا واستسلموا وأنابوا

ولقد قمنا بعمل مقارنة عددية لألفاظ "ق ت ل" في القرآن المكي والمدني[160]، بغض النظر عن سياق الآيات، واكتشفنا أن أكثر من 81% من هذه الألفاظ موجود فى القرآن المدنى، على الرغم من أن القرآن المدنى لا يمثل إلا حوالى 25% فقط من القرآن! انظر الجدول التالى. ونحن نعترف بأنها مجرد مقارنة عددية لفظية، فنحن لم نُفرّق مثلاً بين الأمر بالقتال والنهى عنه، ولا بين القَصص والشريعة. إلا أن هذه المقارنة – على الرغم من بساطتها – تعطي مؤشراً واضحاً على مدى سيطرة شئون القتل على أذهان المسلمين الأوائل بعد الهجرة إلى المدينة!

جدول 1 – ق ت ل: القتل في القرآن ... بين القرآن المكي والقرآن المدني!

م	الألفاظ	عدد مرات التكرار		
		في القرآن كله	في القرآن المكي فقط وهو حوالي 75% من القرآن	في القرآن المدني فقط وهو حوالي 25% من القرآن
1	قَتَلَ	5	صفر	5
2	قَتَلْتَ	3	3	صفر
3	قَتَلْتُ	1	1	صفر
4	قَتَلْتُمْ	1	صفر	1
5	قَتَلْتُمُوهُمْ	1	صفر	1
6	قَتَلْنَا	1	صفر	1
7	قَتَلَهُ	3	1	2
8	قَتَلَهُمْ	1	صفر	1
9	قَتَلُوا	1	1	صفر
10	قَتَلُوهُ	2	صفر	2
11	أَقْتُلَ	1	1	صفر
12	لِأَقْتُلَكَ	1	صفر	1
13	لَأَقْتُلَنَّكَ	1	صفر	1
14	تَقْتُلَنِي	2	1	1
15	تَقْتُلُوا	7	2	5
16	تَقْتُلُونَ	5	1	4
17	تَقْتُلُوهُ	1	1	صفر
18	تَقْتُلُوهُمْ	1	صفر	1
19	يَقْتُلْ	2	صفر	2
20	يَقْتُلْنَ	1	صفر	1
21	يَقْتُلُوكَ	2	2	صفر
22	يَقْتُلُونَ	7	صفر	7
23	يَقْتُلُونِ	2	2	صفر
24	يَقْتُلُونَنِي	1	1	صفر
25	اقْتُلُوا	5	2	3
26	اقْتُلُوهُ	1	1	صفر
27	اقْتُلُوهُمْ	4	صفر	4
28	قُتِلَ	7	5	2
29	قُتِلَتْ	1	1	صفر
30	قُتِلْتُمْ	2	صفر	2
31	قُتِلْنَا	1	صفر	1
32	قُتِلُوا	6	صفر	6

33	يُقْتَل	2	صفر	2
34	يُقْتَلُونَ	1	صفر	1
35	سَنُقَتِّلُ	1	1	صفر
36	يُقَتِّلُونَ	1	1	صفر
37	قُتِّلُوا	1	صفر	1
38	يُقَتَّلُوا	1	صفر	1
39	قَاتَلَ	2	صفر	2
40	قَاتَلَكُمْ	1	صفر	1
41	قَاتَلَهُمُ	2	صفر	2
42	قَاتَلُوا	3	صفر	3
43	قَاتَلُوكُمْ	3	صفر	3
44	تُقَاتِلُ	1	صفر	1
45	تُقَاتِلُوا	2	صفر	2
46	تُقَاتِلُونَ	2	صفر	2
47	تُقَاتِلُونَهُمْ	1	صفر	1
48	تُقَاتِلُوهُمْ	1	صفر	1
49	نُقَاتِل	2	صفر	2
50	يُقَاتِلْ	2	صفر	2
51	يُقَاتِلُوا	1	صفر	1
52	يُقَاتِلُوكُمْ	5	صفر	5
53	يُقَاتِلُونَ	5	صفر	5
54	يُقَاتِلُونَكُمْ	4	صفر	4
55	قَاتِلْ	1	صفر	1
56	قَاتِلَا	1	صفر	1
57	قَاتِلُوا	9	صفر	9
58	قَاتِلُوهُمْ	3	صفر	3
59	قُوتِلْتُمْ	1	صفر	1
60	قُوتِلُوا	1	صفر	1
61	يُقَاتَلُونَ	1	صفر	1
62	اقْتَتَلَ	1	صفر	1
63	اقْتَتَلُوا	2	صفر	2
64	يَقْتَتِلَانِ	1	1	صفر
65	الْقَتْل	5	صفر	5
66	قَتْل	2	1	1
67	قَتْلهم	3	1	2
68	تَقْتِيلًا	1	صفر	1
69	الْقِتَال	9	صفر	9
70	قِتَال	3	صفر	3
71	قِتَالًا	1	صفر	1
72	الْقَتْلَى	1	صفر	1
	المجموع والنسبة المئوية	**170**	**31 (أقل من 19%)**	**139 (أكثر من 81%)**

وكذلك بالنسبة لألفاظ "ن ك ح"(161) و "ن س و"(162) فى القرآن المكى والمدنى. انظر الجدولين التاليين اللذين يُوضِّحان أن أمور النكاح والنساء كانت تشغل بال المسلمين الأوائل بعد الهجرة إلى المدينة أكثر بكثير مِن قبل الهجرة فى مكة!

جدول 2 – ن ك ح: النكاح في القرآن ... بين القرآن المكي والقرآن المدني!

م	الألفاظ	عدد مرات التكرار		
		في القرآن كله	في القرآن المكي فقط وهو حوالي 75% من القرآن	في القرآن المدني فقط وهو حوالي 25% من القرآن
1	نَكَحَ	1	صفر	1
2	نَكَحْتُمُ	1	صفر	1
3	تَنْكِحَ	1	صفر	1
4	تَنْكِحُوا	3	صفر	3
5	تَنْكِحُوهُنَّ	2	صفر	2
6	يَنْكِحَ	2	صفر	2
7	يَنْكِحْنَ	1	صفر	1
8	يَنْكِحُهَا	1	صفر	1
9	انْكِحُوا	1	صفر	1
10	انْكِحُوهُنَّ	1	صفر	1
11	أُنْكِحَكَ	1	1	صفر
12	تُنْكِحُوا	1	صفر	1
13	أَنْكِحُوا	1	صفر	1
14	يَسْتَنْكِحَهَا	1	صفر	1
15	النِّكَاحِ	3	صفر	3
16	نِكَاحًا	2	صفر	2
	المجموع والنسبة	**23**	**1 (أقل من 5%)**	**22 (أكثر من 95%)**

جدول 3 – ن س و: النساء في القرآن ... بين القرآن المكي والقرآن المدني!

م	الألفاظ	عدد مرات التكرار		
		في القرآن كله	في القرآن المكي فقط وهو حوالي 75% من القرآن	في القرآن المدني فقط وهو حوالي 25% من القرآن
1	نِسْوَةٌ	1	1	صفر
2	النِّسْوَةِ	1	1	صفر
3	النِّسَاء	28	2	26
4	نِّسَاء	10	صفر	10
5	نِسَاءَكُمْ	4	2	2
6	نِسَاءَنَا	1	صفر	1
7	نِسَاءَهُمْ	3	3	صفر
8	نِسَاؤُكُمْ	1	صفر	1
9	نِسَائِكُمْ	5	صفر	5
10	نِسَائِهِمْ	3	صفر	3
11	نِسَائِهِنَّ	2	صفر	2
	المجموع والنسبة	**59**	**9 (أقل من 16%)**	**50 (أكثر من 84%)**

ولا يزال هذان الموضوعان (أي: القتل والنساء؛ أو: العنف والمرأة) يحتلان جزءاً كبيراً مِن الخطاب العربى-الإسلامى إلى اليوم، بل يحتلان الجزء الأكبر مِن الثقافة العربية-الإسلامية إلى اليوم. وَهُمَا أيضاً - السيف والإنجاب - الوسيلتان الأساسيتان في نشر الإسلام أو بعبارة أكثر دقة: زيادة عدد المسلمين.

والآن، فى القرن الواحد والعشرين، رأينا المسلمين يقاتلون بعضهم بعضاً فى كل مكان: فى العراق وسوريا وليبيا واليمن ومصر وفلسطين وباكستان وأفغانستان والسودان ... الخ.

ولقد صدق يسوع المسيح حين قال: "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (متى 52:26).

1.2 نساء محمد: زوجاته ومِلْك يمينه

ما يهمنا فى هذا الفصل هو بعض المعلومات الهامة عن بعض نساء محمد.

وسيقتصر حديثُنا على أزواج محمد اللاتى دخل بهن (أى: أمهات المؤمنين) وسراريه (أى: مِلْك يمينه)؛ وَهُن جميعاً 13 إمرأة على أقل تقدير عند جمهور أهل السُنَّة:

- 11 زوجة: معظمهن مِن قريش! و 10 منهن فى الفترة مِن وفاة خديجة (620م) حتى وفاته (632م)، يعنى بمعدل متوسط تقريبى: زوجة جديدة كل 15 شهر!
- واثنتان مِن مِلْك اليمين! نعم، محمد – اللى المسلمون اليوم بيُقدِّموه كقدوة للبشرية الآن – كان "سيداً" لـ "إماء مملوكات" وكان يتخذهن للجماع خارج إطار الزواج! والقرآن نفسه يعترف بذلك فى سورة الأحزاب التى كان ينبغى أن تُسمَّى سورة نساء النبى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ (أى: رَدَّهُ عَلَيْك مِنْ الْكُفَّار. وَالْغَنِيمَة قَدْ تُسَمَّى فَيْئًا، أَيْ: مِمَّا أَفَاءَ الله عَلَيْك مِنْ النِّسَاء الْمَأْخُوذِ عَلَى وَجْه الْقَهْر وَالْغَلَبَة[163])" (الأحزاب 50)!

وقيل إن محمداً تَسرَّى بأربعة مِن النساء[164]، فيكون بذلك عدد نسائه 15 إمرأة!

وحرصاً على عدم الإطالة، فلن نتحدث عن النساء اللاتى كانت علاقة محمد بهن علاقة عابرة، مثل:

- اللاتى عقد محمدٌ عليهن ولم يدخل بهن؛
- أو اللاتى خطبهن محمدٌ ولم يعقد عليهن؛
- أو اللاتى وهبن أنفسهن لمحمد سواء قَبِل أو لم يقبل. نعم، محمد – اللى المسلمون اليوم بيُقدِّموه كقدوة للبشرية الآن – كانت عنده "موهوبات"، أى أنه قَبِل نساء على سبيل "الهِبَة" أو "الوهب"، وهو: انتقال ملكية بلا مقابل! والقرآن نفسه يعترف بذلك: "وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ (مِن غير مهر[165]!) إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ" (الأحزاب 50)؛ فلا يحل لأى مسلم غير محمد أن يتزوج امرأةً بهذه الطريقة! والسُّنَّة الصحيحة أيضاً تعترف بذلك. فلقد أخرج البخارى حديثاً صحيحاً عن عائشة أنها قالت: "كَانَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنْ اللَّائِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ"[166]، فدل هذا الحديث الشهير على أنهن كُن غير واحدة.

1.2.1 مِن أمهات المؤمنين

1.2.1.1 المُهَاجِرة أرملة المُهَاجِر: الجزء الأول (سَوْدَة بنت زمعة)

السيدة "سَودَة بنت زمعة" المُهَاجِرة أرملة المُهَاجِر[167]: هى الزوجة الثانية لمحمد – أى: أول امرأة تزوجها ودخل بها بعد وفاة السيدة خديجة. وهى مِن بنى عامر أحد فروع قبيلة قريش.

قبل زواج سَودَة ومحمد، كانت سَودَة قد أسلمت وتزوجت رجلاً مسلماً اسمه "السكران بن عمرو"، وهو أيضاً مِن بنى عامر أحد فروع قبيلة قريش. ثم هاجرت سَودَة مع زوجها إلى الحبشة (أثيوبيا)، وكان معهما فى هذه الهجرة معظم أفراد العائلة التى كانت فيها سَودَة وزوجها، مثل "حاطب بن عمرو" أخو زوجها السكران وواحد مِن صحابة محمد.

بعد عودة سَودَة مِن أثيوبيا إلى مكة ووفاة زوجها، تزوجها محمدٌ فى السنة العاشرة من النبوة (حوالى 620م)، أى: قبل الهجرة بثلاث سنوات وبعد وفاة خديجة بشهر. وكانت سَودَة وقتئذٍ أرملة مُسِنَّة أكبر سناً مِن محمد بخمس سنوات وغير ذات مال وغير ذات جمال. دخل محمدٌ على سَودَة فى مكة قبل الهجرة، ثم هاجرا إلى يثرب (المدينة).

وبعد أن تزوج محمدٌ نساء أخريات أجمل وأصغر سناً مِن سَودَة، أراد أن يُطلِّقها. وقيل إنه طَلَّقها فعلاً. وقيل إن سَودَة هى التى خافت أن يفارقها محمدٌ، واستدلوا على ذلك الرأى الأخير بالآية القرآنية التى تعلق على هذه القصة حسب رأى جمهور المفسرين[168]: "وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا (أى: اِسْتِعْلَاء بِنَفْسِهِ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا) أَوْ إِعْرَاضًا (أى: اِنْصِرَافًا عَنْهَا بِوَجْهِهِ أَوْ بِبَعْضِ مَنَافِعه، كتقليل محادثتها؛ وهو أقل مِن النُشُوز) فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ (مِنْ الْفِرَاق)" (النساء 128). وَالصُّلْحُ الذى كان بين سَودَة ومحمد هو أن تتنازل سَودَة عن يومها لضَرَّتِهَا البيضاء الجميلة عائشة فى مقابل أن تظل سَودَة زوجةً لمحمد، فوافق محمدٌ وكان "يَقْسِم لعائشة يومين: يومَها ويومَ سَوْدَة"[169]! [سؤال: إذا كان القرآنُ محفوظاً فى اللوح المحفوظ عند الله منذ الأزل كما يتوهم المسلمون، فهل ظل الله منتظراً منذ الأزل حتى "يُنزِّل" (النساء 128) فى سَودَة أو غيرها؟!]

وبناء على هذا الاتفاق (deal)، عاشت سَودَة فى بيت محمد حتى وفاته فى شهر ربيع الأول سنة 11هـ (حوالى 632م) – أى: ظلت زوجته أكثر مِن 12 سنة.

1.2.1.2 الطفلة عائشة بنت أبى بكر الصديق: الطفلة التى اكتشفت حقيقة القرآن

ننتقل الآن إلى الوحيدة التى تزوجها محمد وهى بكر؛ وهى مِن بنى تيم أحد فروع قبيلة قريش. إنها **السيدة "عائشة بنت أبى بكر الصديق"**[170]: تزوجها محمدٌ وهى طفلة!

تزوجها محمدٌ وهى طفلة لم تتجاوز السابعة!

تزوجها محمدٌ وهى طفلة، وكان عُمْر محمد وقتئذٍ حوالى 50 سنة أو أكثر! [نعم، محمد – اللى المسلمون اليوم بيُقدِّموه كقدوة للبشرية الآن – تزوج طفلة صغيرة تصغره بأكثر مِن 40 سنة!]

تزوجها محمدٌ وهى طفلة فى مكة قبل الهجرة بسنة أو أكثر قليلاً: "تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، وَنَكَحَ عَائِشَةَ (أى: عَقَد عَقْد زواجه عليها)، وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ بَنَى بِهَا (أى: دخل بها) وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ"[171].

ولنترك السيدة عائشة تحكي حكايتها بنفسها. تقول السنَّة الصحيحة (البخارى ومسلم وغيرهما) إن عائشة نفسها اعترفت ولَخَّصت حياتها فى 3 جمل، فقالت إن "النَّبِيَّ ﷺ تزوَّجها (أى: عَقَد عليها) وهى بنت سبعِ سنين (وفى أكثر الروايات: سِتِّ سنين!). وَزُفَّتْ إليه (أى: بَنَى محمدٌ بها، دَخل بها) وهي بنت تِسْعِ سنين (1هـ أو 2هـ)، ولُعَبُها معها (مثل: العرائس؛ وهذا تأكيد على صغر سنها). ومات عنها (محمدٌ) وهي بنت ثمان عشرة (11هـ)"[172]. وتقول روايات أخرى إن عائشة كانت "فِي أُرْجُوحَةٍ"، وهى المرجيحة المعروفة التى يلعب بها الصغار؛ وهذا تأكيد آخر على أن عائشة كانت تعيش طفولتها البريئة عندما سَلَّموها إلى محمد وأجلسوها فى حِجْره.

شن المستشرقون هجوماً شرساً على هذا الزواج الذى جمع بين الرجل الكهل والطفلة الصغيرة.

وعلى الجانب الآخر، حاول المدافعون عن الإسلام تبرير هذا الزواج النبوى. فاخترعوا حيل كالعادة، أهمها زَعْمهم أن زواجاً مثل هذا كان أمراً عادياً عند العرب فى القرن السابع الميلادى، لأن البلوغ – حسب زعمهم – يكون مبكراً فى البلاد الحارة! واستدلوا على ذلك بروايات تقول إن عائشة كانت مخطوبة قبل خطبتها إلى محمد، وإن فتيات ونساء أخريات تزوجن رجالاً فى سن آبائهم وأجدادهم!

ونحن نقول لهم: حتى لو افترضنا جدلاً أن هذا كان أمراً عادياً عند العرب فى تلك البيئة، فإنه مِن المفترض أن يرتقي النبيُّ بقومه إلى ما هو أفضل وأسمى، لا أن يُقلِّدهم في عاداتهم القبيحة. أما فيما يتعلق بزعمهم أن البلوغ كان يحدث مبكراً، فسنقول: وهل البلوغ وحده يكفى لإتمام الزواج؟! ألا توجد شروط أخرى مثل النضج العقلى والاستعداد لتحمل المسئولية والقدرة على الموافقة (Age of consent) ... الخ؟!

ثم إن صحيحي البخارى ومسلم (أصح كتابين بعد القرآن) يقولان إن النساء وقتئذٍ كانوا "خِفَافاً لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ، إنما تأكل الْعُلْقَةَ (أى: القليل) مِن الطعام"، "لم يُهَبَّلْنَ (أى: لم يثقلن باللحم والشحم) ولم يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إنما يأكلن الْعُلْقَةَ مِن الطعام"[173]. فإذا كان النساء آنذاك خفيفات نحيفات، فكيف لطفلة عمرها 9 سنين أن تطيق النكاح؟! وتقول عائشة فى ذلك الحديث الصحيح إنها هى نفسها يوم "حادثة الإفك" (6هـ) كان وزنها خفيف جداً لدرجة أن الذين حملوا هَوْدَجها حسبوها فيه مع أنها لم تكن فيه، "فلم يستنكر القومُ خِفَّةَ الهَوْدَج حين رفعوه". وكانت عائشة حينئذٍ "جاريةً (أى: فتاة) حديثة السنِّ" لا تتجاوز 15 سنة[174]. فإذا كانت الفتاة عائشة بهذه الخفة الشديدة وعُمْرها لا يتجاوز 15 سنة، فنستطيع إذن أن نستنتج أن جسدَها كان خفيفاً نحيفاً نحيلاً حين كان عُمْرها 9 سنين.

وعلى أي حال، سنترك محمداً في محكمة المستشرقين يدافع عَمَّا فعله في القرن السابع الميلادى ...

وسنترك الأطباء النفسيين يحللون شخصيةَ محمد، وأيضاً يشرحون الأثر النفسي الذي تشعر به طفلة صغيرة عندما يُزوِّجوها لرجلٍ في سن أبيها، بل في سن جدها ...

أما نحن، فسنلوم مَن يعيشون معنا الآن في زماننا المعاصر ويعتقدون أن الله القدوس كان راضياً عن زواج طفلة وكهل! بل قال أحد الكُتاب المسلمين المعروفين، وهو الأستاذ محمود شاكر: "كان هذا الزواج بأمرٍ من الله تعالى"، "هذا الزواج الذى كان بأمرٍ نقله الوحى"[175]! وقالت موسوعة بيان الإسلام: "لم يكن النبى ﷺ كامل الحرية فى التزوج بمن يشاء، بل كان زواجه بأمرٍ من ربه" و "كان زواج النبى ﷺ من السيدة عائشة وهى فى هذا العمر أمر توقيفى من الله عز وجل وهو الأنسب للدعوة" و "زواج النبى ﷺ بعائشة كان بعد أن رآها فى المنام مرتين؛ ولأن رؤيا الأنبياء حق، ومن عند الله [...] كان أمراً مِن الله قضاه"[176]! إنهم كالعادة يُقحِمون "الله" فى كل قصة لتبرير أفعال محمد. بل يجعلون أفعال محمد "أوامر" من الله!

وسنلوم أكثر مَن يُقدِّمون محمداً كقدوة اليوم! فَمع أن القانون المدني الوضعي قد أنقذ البنات الصغيرات مِن زواجٍ مثل زواج محمد وعائشة، إلا أن بعض المسلمين ما زالوا يُزوِّجون بناتهم فى سن صغيرة (أقل من 18 سنة) بحجة أن سيدهم محمد قد تزوج عائشة وهى طفلة لم تتجاوز السابعة! إذن: زواج محمد وعائشة هو السبب الرئيسي في استمرار "زواج القاصرات" إلى اليوم. والحل الجذرى الوحيد هو الاعتراف بأن محمد لا يصلح اليوم كقدوة، وبخاصة في مسألة زواجه بالطفلة عائشة.

وإذا كانت عائشة هى البكر الوحيدة التى تزوّجها محمد، فإنها أيضاً الزوجة الوحيدة التى كان "الوحى" ينزل عليه وهو مضطجع معها فى "لِحَافِها"! يقول حديث صحيح أخرجه البخارى إن محمد قال لأُم سَلَمَة (إحدى زوجاته): "لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا"[177]!

ويبدو أن السيدة عائشة كان لديها موهبة فريدة فى الإيجاز والتلخيص. فكما استطاعت أن تُلِّخص مأساتها مع محمد فى 3 جمل، استطاعت كذلك أن تُلِّخص القرآن فى جملة واحدة. تقول السُنَّة الصحيحة (البخارى ومسلم وغيرهما) إن عَائِشَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَقُولُ: وَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا؟ (وفى رواية أخرى: أَمَا تَسْتَحِي الْمَرْأَةُ أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ؟) فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "تُرْجِي (أى: تُؤَخِّر) مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي (أى: تَضمّ) إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ (إيواءها) مِمَّنْ عَزَلْتَ (بالإرجاء) فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ" (الأحزاب 51)، قَالَتْ قُلْتُ (لمحمد): "وَاللَّهِ! مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ"[178]. وقيل إن (الأحزاب 51) أباحت لمحمد أن يتزوج من النساء ما شاء (بدون حد أقصى!) إلا ذات محرم[179].

وكالعادة، اخترع شيوخ الإسلام حيل لتفسير هذا الحديث بطريقة لا تصطدم بالقرآن الذى يقول: "وَمَا يَنْطِقُ (محمدٌ بهذا القرآن) عَنِ الْهَوَى. إنْ هُوَ (أى: القرآن) إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى" (النجم 3-4). فقالوا إن عائشة قالت لمحمد "مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ" بدافع الغيرة فقط ولم تقصد المعنى الحرفى (حقيقة اللفظ) وإنما قصدت المعنى المجازى، أى أن الله يخفف عن محمد ويوسع عليه فى الأمور.

ونحن لا نعتقد أن عائشة قصدت المعنى المجازى، فلقد كانت آنذاك طفلة صغيرة أو "جارية (أى: فتاة) حديثة السنّ" كما وصفت هى نفسها؛ والأطفال لا يجيدون فن المجاز. ثم إنه توجد آيات قرآنية أخرى تدل على أن إله الإسلام كان يحرص على رضا محمد: "لَعَلَّكَ تَرْضَى" (طه 130)؛ بل يحرص على رضا الصحابة "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" (التوبة 100) (المجادلة 22) ويحرص على رضا التابعين "الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" (التوبة 100)[180]! وسنرى فى هذه المذكرات أن كثير مِن الآيات القرآنية قد كُتِبَت بالفعل لأغراض شخصية، إما لحل مشكلات عائلية (مثل مشكلة زينب بنت جحش وزيد ابن محمد بالتبنى (5هـ)؛ ومحنة عائشة فى "حادثة الإفك" (6هـ))، أو لنقد خصوم أصحاب القرآن (مثل اليهود وكبراء قريش وأثريائها)، أو لتحقيق أهداف عسكرية و/أو سياسية (مثل: "فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا" (الأحزاب 26-27))، أو لأسباب أخرى تساعد المسلمين الأوائل على تحقيق حلمهم في أن يكون لهم زعيماً ونبياً ومُشرّعاً يُوحِّد العربَ تحت راية واحدة كما وَحَّد موسى بني إسرائيل.

بصراحة، يجب أن نشكر عائشة على شجاعتها وجرأتها وأيضاً ذكائها، إذ استطاعت - على الرغم من صغر سنها - أن تكتشف حقيقة القرآن وتُلَخِصه فى جملة واحدة: "مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ".

ظلت عائشة زوجة لمحمد حتى وفاته. ولها أكثر مِن 1000 حديث؛ وقيل: أكثر من 2000. ولها فى البخارى و/أو مسلم حوالى 300 حديث. فهي أكثر أزواج محمد رواية للحديث. بل إنها أكثر النساء رواية للحديث؛ فهي المرأة الوحيدة بين "السبعة المكثرين"[181]. هذا مِن حيث الكم. أما مِن حيث الكيف، فلقد انفردت عائشة برواية أحاديث عن محمد لم يروها عنه غيرها.

باختصار: لا يمكن أن نتحدث عن السُنَّة الصحيحة بدون أن نذكر اسم عائشة. ومع أن الحديث الذى نسمعه كثيراً ويقول "خذوا نصف دينكم عن الحُمَيْراء" حديث موضوع وغير صحيح[182]، إلا أنه يدل على المكانة الرفيعة التى تحتلها أم المؤمنين السيدة عائشة في الثقافة الإسلامية السُّنِّية.

أما الشيعة فيكرهون عائشة بسبب تدخلها فى السياسة فى أواخر عهد الخليفة الثالث "عثمان بن عفان"، وبخاصة ما فعلته فى أحداث "الفتنة الكبرى" ومواقفها السياسية ضد الخليفة الرابع "علىّ بن أبى طالب". وبعض الشيعة يُكفِّرون عائشة أو يُخرجونها مِن أمهات المؤمنين[183]! مع أنه يُروَى أنها نَدِمَت كثيراً على ما فعلت فى هذه الحرب الأهلية وكانت تبكى حتى تبلَّ خمارها كلما قرأت "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ" (الأحزاب 33).

وفى جميع الأحوال، فإن السيدة عائشة هى الفقيهة الأولى فى الإسلام، وفى الوقت نفسه هى أول إمرأة مسلمة تقود حزباً سياسياً. ولقد ساعدها على ذلك شبابها وذكاؤها وجرأتها وشخصيتها القوية. وساعدها على ذلك أيضاً تفرغها، فلقد تركها محمدٌ فى ريعان شبابها (18 سنة) وممنوع عليها وعلى جميع أمهات المؤمنين أن تتزوج مرة أخرى (الأحزاب 53)! فكان لدى عائشة وقت فراغ طويل، فانشغلت بالدين (رواية الأحاديث) والدنيا (العمل السياسي).

1.2.1.3 المُهَاجِرة أرملة المُهَاجِر: الجزء الثانى (حفصة بنت عمر بن الخطاب)

ننتقل الآن إلى زوجة أخرى مِن أزواج محمد، وهى **السيدة "حفصة بنت عمر بن الخطاب"**[184]، وهى أيضاً مِن قبيلة قريش مثل أزواج محمد السابقات: خديجة وسَوْدَة وعائشة.

قبل أن يتزوجها محمدٌ، كانت حفصة زوجة "خُنيس بن حُذافة" السهمى القرشى. هاجر خُنيس وحفصة إلى الحبشة مع المهاجرين الأولين إليها. ثم هاجرا إلى المدينة وشهد خُنيس غزوة بدر مع محمد، وقيل إنه شهد غزوة أُحُد أيضاً.

ثم مات خُنيس، فتزوج محمدٌ حفصة بعد انقضاء عدتها (3هـ)، وعُمْر حفصة حينئذٍ 18 سنة، وقيل: نحو 20 سنة. أما محمد فكان عُمْره يتجاوز الـ 55 سنة.

ويوجد شبه اتفاق فى المراجع الإسلامية على أن حَفْصَة وعائشة كانتا بصفة عامة متحابتين، على الرغم مِن كونهما ضرائر. ولهما مع محمد قصص طريفة. نذكر منها قصة مرتبطة بسورة التحريم (التحريم 1-5). ولهذه القصة روايتان على الأقل. والروايتان مختلفتان، لكن غير متناقضتين.

الرواية الأولى (تحريم عسل زينب بنت جحش) مذكورة فى صحيحى البخارى ومسلم وكتب أخرى قديمة وحديثة[185]. كان محمد يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش (إحدى أزواجه) ويمكث عندها. فتواطأت عائشة وحفصة واتفقتا إذا دخل محمدٌ على إحداهما فلتقل له: "أَكَلْتَ مَغَافِيرَ (جمع مُغفور، وهو صَمْغ حُلْوٌ لكن له رائحة كريهة)، إني أَجِدُ منك ريح مغافير". فلَمَّا قالت حَفصةُ ذلك لمحمد، قال لها: "لا (ليس مغافير)، ولكنى كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حَلَفْتُ، لا تُخبِري بذلك أحداً". إلا أن حَفْصَة أخبرت عائشة بما حدث.

أما الرواية الثانية (تحريم وطء مارية القبطية) فهى أكثر طرافة ونجدها باختصار فى سنن النسائى والمُستدرَك للحاكم وأسباب النزول للسيوطى "عن أَنَس أَنَّ رسولَ الله ﷺ كانت له أَمَةٌ يَطَؤُها، فَلَم تَزَلْ به عائشةُ وحَفْصَةُ حتى حَرَّمَها على نفسه، فأنزل اللهُ عز وجل: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (التحريم 1)"[186]. ونجد التفاصيل فى المعجم الأوسط للطبرانى وأسباب النزول للواحدى النيسابورى وكتب إسلامية أخرى قديمة وحديثة[187]، ونعرف مِن هذه المراجع الإسلامية أن هذه الأَمَة التى كان محمدٌ يَطَؤُها هى مارية القبطية (أُم وَلَدِه إبراهيم). فلقد دخل محمدٌ بمارية فى بيت

حَفْصَةَ. فلَمَّا وجدتهما حَفْصَةُ فى حجرتها، غارت غيرةً شديدةً وغضبت وبكت وقالت لمحمد: فى يومى؟ وفى بيتى؟ وعلى فراشى؟ فلَمَّا رأى محمدٌ الغيرةَ والغضبَ والحزنَ على وجه حفصة، حاول أن يرضيها فقال لها: لا تذكرى هذا لعائشة، هى (أى: مارية) علىَّ حرامٌ إن قربتُها. فقالت حفصة له: وكيف تَحْرم عَلَيْكَ وهى جاريتُك (أى: ملك يمينك)؟ فحلف محمدٌ لحفصة لا يقرب مارية، وقال لها: لا تذكريه لأحدٍ. إلا أن حَفْصَةَ أخبرت عائشة بما حدث. وتقول رواية الطبرانى وموسوعة بيان الإسلام إن محمد أخبر حفصةَ أيضاً "بأن الخلافة بعده تكون فى أبى بكر وعمر، وطلب منها ألا تخبر بذلك أحداً"[188]. ولعل هذا هو السبب الذى جعل حفصة تُخبِر عائشة بما حدث؛ أرادت أن تُبشِّرها بأن والدها (أبا بكر) سيَلِى الأمرَ مِن بعد محمد.

وتنتهى الروايتان بنفس النهاية:

- القرآن يُعاتِب محمداً لأنه منع نفسَه مما أَحَلَّ اللَّهُ له (شرب العسل أو وطء الأَمَة) إرضاءً لزوجاته: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ" (التحريم 1).
- القرآن يُشرّع لمحمد الْكَفَّارَةَ فِي الْيَمِين الذى حلفه (بأن لا يشرب عسل زينب أو بأن لا يطأ مارية): "قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ" (التحريم 2). وأخرج مسلم حديثاً صحيحاً عن ابن عباس أنه قال: "إذا حَرَّمَ الرجلُ عليه امرأتَه فهي يَمِينٌ يُكَفِّرُها. وقال: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ"[189]. وهذا دليل من صحيح مسلم يُقوِّى الرواية الثانية (تحريم وطء مارية القبطية).
- القرآن يُعاتِب حفصة لأنها أفشت سرَّ محمد إلى عائشة: "وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ (أى: إلى حفصة) حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ (حفصةُ) بِهِ (عائشةَ) وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ (أى: أطلع اللهُ محمداً على إفشائها للسر!) عَرَّفَ بَعْضَهُ (أى: أعلم محمدٌ حفصةَ بعض ما أخبرت به) وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا (هل عائشة؟) قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ" (التحريم 3).
- القرآن يدعو حفصة وعائشة إلى التوبة! وألمحُ القرآن إلى أن أبا بكر الصديق (والد عائشة) وعمر بن الخطاب (والد حفصة) لن يقفا فى صف ابنتيهما وإنما سيقفا فى صف محمد مع جبريل والملائكة والله! "إِنْ تَتُوبَا (يا حفصة وعائشة) إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا (أى: مالت إلى الحق[190]) وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ (أى: وَإِنْ تتعاونا على محمد بما يسوؤه) فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ (أى: ناصر محمد) وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ (قيل: أبو بكر وعمر) وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (لمحمد)" (التحريم 4)!
- القرآن يهدد أزواج محمد بالطلاق وبأن الله سيزوّجه أزواجاً أخريات أفضل مِنهن! "عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ (أيتها الزوجات) أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ (أى: صائمات؛ أو: ذاهبات فى طاعة الله كل مذهب) ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا" (التحريم 5)[191].

ونحن لا نرى تناقضاً بين الروايتين، إذ يمكن الجمع بينهما. قال ابن حجر: "وهذه طرق يُقوِّى بعضُها بعضاً، فَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي السَّبَبَيْنِ مَعًا"[192]. وإنْ كنا نرى أن الرواية الثانية (تحريم وطء مارية) أكثر تماسكاً وأكثر موافقة للقرآن. قالت موسوعة بيان الإسلام: "مما سبق يتضح أن لدينا قولين فيما حَرَّمه النبى ﷺ على نفسه. الأول: العسل. والثاني: مارية. والقول الأول إن كان أقوى من جهة رواية الشيخين

له، وترجيحه من قِبَل بعض الأئمة، إلا أن القول الثانى أكثر موافقة لألفاظ الآيات، ومال إلى ترجيحه ابن الجوزى فى تفسيره، وأسنده إلى بعض أئمة السلف والأكثرين من المفسرين"[193].

وفى جميع الأحوال، توجد أسئلة تطرح نفسها بقوة ولا نستطيع أن نتجاهلها: هل "اللوح المحفوظ" المحفوظ عند الله منذ الأزل كان مكتوباً فيه "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ [...]"؟! هل الله ظل منتظراً آلاف السنين حتى يعاتب حفصة وعائشة على أفعالهما؟! هل الله – الذى يترك المسلمين يموتون الآن فى العراق وسوريا واليمن وليبيا ومصر وباكستان وأفغانستان والسودان وغزة – كان مهتماً كل هذا الاهتمام بعسل زينب ووطء مارية؟!

نعتقد أن الإجابات على هذه الأسئلة قد أصبحت واضحة، وهى تؤدى إلى النتيجة الحتمية وهى: القرآن ليس كلام الله الأزلى، وإنما كلام العرب فى القرن السابع الميلادى فى شبه الجزيرة العربية: نعم، أصحاب القرآن كانوا بشراً. يحبون ويغارون ويتواطئون بعضُهم على بعض ويغضبون ويحزنون ويُراضون بعضُهم بعضاً. مجرد بشر. ليسوا ملائكة ولا شياطين. وإنما بشر مِن لحم ودم. وجاء كتابهم العربى "القرآن" فى مواضع كثيرة مُعبِّراً عنهم ومُسجِّلاً لتجربتهم البشرية التى عاشوها بكل ما فيها بحلوها ومرها، عاشوها وَهُمْ يظنون – بل يتوهمون – أن الله يعيش وسطهم وأنه يهتم بكل صغيرة وكبيرة فى حياتهم، فيؤيدهم أحياناً فيما يفعلون، وأحياناً لا يؤيدهم فيعاتبهم.

نعود إلى حفصة: ظلت حفصة زوجة لمحمد حتى وفاته. وبعد وفاة محمد، لعبت حفصة دوراً فى عملية جَمْع القرآن فى كتاب (مصحف).

1.2.1.4 زواج لأسباب إنسانية: زينب بنت خزيمة (أم المساكين)

ننتقل الآن إلى زوجة أخرى مِن أزواج محمد، وهى السيدة **"زينب بنت خزيمة" الهلالية (أم المساكين)**[194].

تزوجها محمدٌ سنة 3هـ (وقيل: 4هـ) بعد استشهاد زوجها، وكان عنده حينئذٍ سودة وعائشة وحفصة. وكان سنها حوالى 60 سنة، أى: كانت أكبر سناً مِن محمد، فمكثت عنده فترة قصيرة (أقل مِن سنة. قيل: شهرين أو أكثر قليلاً؛ وقيل: ثمانية أشهر) ثم توفيت فى حياة محمد (4هـ).

وقيل إن زينب بنت خزيمة مِن "الواهبات"، أى: مِنْ اللَّائِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لمحمد[195].

والمعلومات عنها قبل زواجها من محمد محدودة ومختلفة وأحياناً متضاربة. قيل إنها كانت زوجة "الطفيل بن الحارث" ابن عم محمد الذى طلّقها بعد مدة. وقيل إنها تزوجت بعد ذلك أخاه "عُبيدة بن الحارث" الذى استشهد فى غزوة بدر (رمضان 2هـ). وقيل: تزوجت "عبد الله بن جحش" ابن أميمة عمة محمد وأخو أم المؤمنين "زينب بنت جحش" الذى استشهد فى غزوة أحد (شوال 3هـ).

وزينب بنت خزيمة هى أخت "أسماء بنت عُمَيس" زوجة "جعفر بن أبى طالب" ابن عم محمد. هاجرت أسماءُ مع زوجها جعفر إلى الحبشة (أثيوبيا) فكانا من المسلمين المهاجرين الأولين إلى هناك.

1.2.1.5 المُهَاجِرة أرملة المُهَاجِر: الجزء الثالث (أُم سلمة)

ننتقل الآن إلى زوجة أخرى مِن أزواج محمد، وهى **السيدة "هند بنت أبي أُمَيَّة بن المغيرة" ("أُم سَلَمة" القرشية المخزومية) المُهَاجِرة أرملة المُهَاجِر ابن عَمَّةِ محمد وأخيه من الرضاعة**[196]. وهى أيضاً ابنة عم "خالد بن الوليد". وكان أبوها "أبو أُمَيَّة بن المغيرة" يُسمى "زاد الركب" لأنه كان كريماً جداً، فإذا سافر معه قَوْمٌ أَنْفَقَ عليهم.

قبل أن يتزوجها محمدٌ، كانت هند زوجة "عبد الله بن عبد الأسد"، وهو أيضاً مِن بنى مخزوم أحد فروع قبيلة قريش. هذا بالإضافة إلى كونه ابن عَمَّةِ محمد وأخاه من الرضاعة.

هاجرت هند مع زوجها إلى الحبشة (أثيوبيا)، فكانا مِن المسلمين المهاجرين الأولين إلى هناك (فى شهر رجب سنة خمس من النبوة – حوالى 615م). ثم عادا إلى مكة، ثم هاجرا إلى الحبشة الهجرة الثانية فولدت هناك ابنهما "سَلَمة"، ثم عادوا إلى مكة. بعد ذلك، هاجر أبو سَلَمة إلى يثرب (المدينة). ثم هاجرت أم سَلَمة، فلمَّا رآها "عثمان بن طلحة" وحدها مع ابنها الصغير وليس معهما رجل فى هذه الرحلة مِن مكة إلى المدينة، رق لحالهما وأوصلهما حتى أبى سَلَمة فى المدينة. وكان عثمان بن طلحة وقتئذ كافراً، وهذا يدل على أن المروءة والشهامة والكرم كانت مِن خصال العرب قبل الإسلام.

عاشت أم سَلَمة مع زوجها وابنها فى المدينة، واشترك أبو سَلَمة فى غزوتى بدر (رمضان 2هـ) وأُحُد (شوال 3هـ).

رغم جرح عميق أصابه يوم أُحُد، قاد أبو سَلَمة بعد ذلك (المحرم 4هـ) سريةً مِن 150 رجلاً – وكان تحت قيادته اثنان مِن العشرة المبشرين بالجنة وهما "سعد بن أبى وقاص" و "أبو عبيدة بن الجراح"[197]! رجع أبو سَلَمة مِن سريته منتصراً (صفر 4هـ)، لكن عاوَدَهُ جرحه فظل ببيته حتى مات (جُمادى الآخرة 4هـ)، وكان الرسول بجانبه. صَلَّى الرسول عليه وكَبَّر تسع تكبيرات وقال: "ولو كَبَّرتُ على أبى سلمة ألفاً، كان أهلاً لذاك".

كل هذا يؤكد المكانة العالية لأبى سَلَمة عند محمد والصلة الوطيدة والمعرفة القوية التى جمعتهما. ويبدو أن علاقة أبى سَلَمة بأبى بكر وعمر أيضاً كانت قوية، بدليل أن كلا منهما حاول خطبة أم سَلَمة بعد انتهاء عدتها، لكنها رفضت. ثم تزوجها محمدٌ (شوال 4هـ)، وهى أصغر منه بحوالى 25 سنة، فانتقلت لكى تعيش فى بيته.

كانت أم سَلَمة جميلة وشجاعة وعاقلة وحكيمة وكريمة وعزيزة، فكان لها مكانة كبيرة عند محمد وأيضاً عند الصحابة حتى أنها أبت على "عمر بن الخطاب" أن يتدخل بين محمد وأزواجه.

كما لعبت أم سلمة دوراً هاماً فى تاريخ الإسلام وتكوين القرآن ورواية الأحاديث على الرغم من قصر الفترة التى قضتها كزوجة لمحمد. فيُروَى أن سبب نزول (آل عمران 195) هو أن أم سَلَمة قالت لمحمد: إنى أسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء، فجاء الرد "الإلهى" موافقاً لرغبة أم سَلَمة! "فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ" (آل عمران 195)! ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن (آل عمران 195) كانت مِن تأليف أم سلمة شخصياً. أو على الأقل: اشتركت أم سلمة في صياغتها بصورتها النهائية أو شبه النهائية أثناء جمع القرآن بعد وفاة محمد. كما تُعدّ أم سلمة الزوجة الثانية فى رواية الحديث بعد عائشة.

وكان لأم سلمة دور جليل أيضاً فى حل الأزمة التى حدثت فى "عهد الحديبية" عام 6هـ حين اعترض الصحابة على شروط العهد ظناً منهم أنها بخست المسلمين حقهم، وقال عمر بن الخطاب قولته الشهيرة: "فَعَلامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ (أي: فَلِمَ نقبل المذلة) في دِينِنا؟"[198]. واستفحل الأمرُ بعد ذلك لدرجة أن محمد أمر أصحابَه ثلاث مرات أن يقوموا فينحروا ثم يحلقوا، ولم يستجب له أحدٌ منهم! فدخل محمدٌ على أم سَلَمة وحكى لها ما حدث، فقالت له: اخرج ولا تُكَلِّم منهم أحداً فتنحر وتدعو حالقك يحلق لك. فأصغى محمدٌ لمشورة أم سَلَمة وفعل كما قالت بالضبط، فتبعه المسلمون وانتهت المشكلة! والفضل يرجع لحكمة أم سَلَمة ورزانة عقلها.

بعد ذلك، صحبت أم سَلَمة الرسول فى غزوة خيبر (7هـ) وفتح مكة (8هـ) وظلت ملازمة له فى بعض الغزوات الأخرى حتى وفاته.

1.2.1.6 امرأة ورجلان: زينب بنت جحش ... محمد ... زيد حبيب محمد وابنه بالتبنى

ننتقل الآن إلى زوجة أخرى مِن أزواج محمد، وهى **السيدة "زينب بنت جحش" ابنة عمة الرسول "أميمة بنت عبد المطلب"**[199]، فهى أيضاً تُعدّ مِن نساء قريش. وقصة زينب مذكورة فى سورة الأحزاب، التى كان ينبغى أن تُسمَّى سورة "نساء النبى"!

أراد محمدٌ أولاً أن يُزَوِّج زينب لمولاه "زيد بن حارثة" الذى كان عبداً طفلاً صغيراً (قيل: ابن ثمان سنين) عند محمد، وهبته له زوجته خديجة قبل البعثة فى مكة، ثم أعتقه محمدٌ وتَبَنَّاه فصار يُعرَف باسم "زيد بن محمد" حتى صار رجلاً مسلماً. وقيل إن محمد كان أكبر من زيد بعشر سنين؛ وقيل: بعشرين سنة. ونحن نميل إلى الرأى الثانى لأنه يجعل زيداً فى سن زينب تقريباً.

إلا أن زينب وأخاها "عبد الله بن جحش" رفضا هذا الزواج غير المتكافئ، لأن زينب خير نَسَباً وحَسَباً مِن زيد، ومِن طبقة اجتماعية أعلى مِنه، فهى الهاشمية القرشية الشريفة العزيزة الكريمة بنت عمة الرسول، أما زيد فهو أصلاً مجرد عبد غير قرشى مِن رقيق ابن خالها. وقيل إن زينب ظنَّت أن محمد يريدها لنفسه، فلمَّا علمت أنه يريدها لزيدٍ صُدِمَت.

تدخل "اللهُ" (أو بعبارة أكثر دقة: تدخل أصحابُ القرآن) لحل هذه المشكلة العائلية! "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ (هو: أخو زينب) وَلَا مُؤْمِنَةٍ (هى: زينب) إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا" (الأحزاب 36). وأغلب الظن أن محمد نفسه هو الذى قال هذه الآية، بدليل تكرار كلمة "رَسُولَهُ" مرتين. فلمَّا سمعت زينب هذه الآية، أذعنت للأمر، وأعلنت السمع والطاعة، ووافقت على تزويجها لزيدٍ وهى شبه مُرغَمة ومكرهة.

وطبعاً أى زواج بالإكراه لا يمكن أن يكون زواجاً سعيداً. بالفعل، لم يكن زواج زينب وزيد زواجاً سعيداً؛ وقيل إن زينب كانت تفخر على زيد بشرفها، وقاسى زيدٌ مِن صدها وإبائها ولسانها، ولم يبق له بها حاجة، وأراد تطليقها. وأخبر زيدٌ محمداً بذلك. لكن محمد حرص على أن يحافظ على هذا الزواج.

وفى يومٍ من الأيام، ذهب محمدٌ ليزور زينب وزيد فى بيتهما، ولم يكن زيدٌ بالبيت، وكانت زينب "فُضُلًا" (أي: تلبس ثوباً واحداً) أو "حاسرة" (أي: مكشوفة الرأس والذراعين) أو كما يُقال اليوم: جالسة براحتها فى بيتها. فوقع بصرُ محمد على زينب فوقع حبُها فى نفسه ووقع إعجابُها فى قلبه. عرضت زينب على محمد دخول البيت، فرفض محمدٌ وانصرف قائلاً: "سبحان مُقلِّب القلوب" أو "سبحان مُصرّف القلوب". [ويُفهَم مِن السياق أن هذه هى المرة الأولى التى يرى فيها محمدٌ زينبَ وهى مكشوفة. كان قبل ذلك يراها وهى مستورة. ولذلك قال: "سبحان مُقلِّب القلوب"، أى: مُغيِّر القلوب.]

ولمَّا رجع زيدٌ إلى البيت، أخبرته زينب بما حدث وبما قاله محمد، فذهب زيدٌ إلى محمد وقال له: يا رسول الله، بلغنى أنك جئت منزلى، فهلا دخلت؟ بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك فأفارقها. [ونلاحظ أن زيد قد فهم ما قصده محمد بقوله "سبحان مُقلِّب القلوب".] فقال محمدٌ لزيدٍ: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ". فقال زيد مرة أخرى: يا رسول الله أفارقها. فقال محمدٌ مرة أخرى: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ". يقول القرآنُ تعليقاً على هذه القصة: "وَإِذْ تَقُولُ (يا محمد) لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ (بالإيمان والإسلام) وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ (بالعِتْقِ والتربية) (أى: تَقُولُ لزيد) أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ (زينب) وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ (يا محمد) مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ (أى: مُظْهِره مِنْ مَحَبَّة زينب وَأَنْ لَوْ فَارَقَهَا زَيْد تَزَوَّجْتَهَا) وَتَخْشَى النَّاسَ (أَنْ يَقُولُوا تَزَوَّجَ زَوْجَة ابْنه) وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ" (الأحزاب 37أ).

وليس المهم إنْ كان محمد قد رأى زينب وهى نصف عارية أو شبه عارية، فهى زوجة ابنه وتُعتبَر ابنته. المهم أن محمد أحب زينب وتعلق قلبه بها، لكن يحرم عليه أن يتزوجها حتى لو طلقها زيدٌ، لأنها ستكون مُطلَّقة ابنه. وكان العرب يعطون الدَّعِيَّ (أى: الابن المُتبنَّى) (adopted child) جميع حقوق الابن مِن

الصُّلب (أى: الابن البيولوجى) (biological child)، حتى فى حرمة النسب. فخاف محمدٌ مِن كلام الناس "وَتَخْشَى النَّاسَ (أن يُعيِّروك)" (الأحزاب 37).

هذه هى المشكلة، فما هو الحل الإسلامي؟ ...

الحل الإسلامي هو إلغاء المساواة بين الابن المُتبنَّى والابن البيولوجى فى حرمة النسب. وهذا يعنى إباحة الزواج مِن مُطَلَّقة الابن المُتبنّى. وهكذا يستطيع محمد أن يتزوج زينب بدون أى حرج أو خوف مِن كلام الناس: "فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا (أى: قضى حاجتَه!) زَوَّجْنَاكَهَا (يا محمد) لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ (أى: الأولاد الذين تبنوهم) إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا" (الأحزاب 37ب).

وبالفعل، تزوج محمدٌ زينب سنة 5هـ بعد طلاقها وانقضاء عِدَّتِها مباشرةً! يقول حديث صحيح أخرجه مسلم[200]: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ (بعد طلاقها من زيد)، قَالَ محمدٌ لِزَيْدٍ: "فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ (أى: فاخطبها لى مِن نفسها)". فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وقال لها: "يَا زَيْنَبُ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكِ". فقالَتْ زينب: "مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي (أى: أستخيره)". وَنَزَلَ الْقُرْآنُ (يقصد: الأحزاب 37ب). وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ (أى: دون وليٍّ ولا شاهدٍ[201]!). ويبدو أن محمد فرح فرحاً شديداً بإتمام زواجه مِن زينب، إذ أَوْلَمَ وليمة كبيرة. تقول إحدى روايات ذلك الحديث الصحيح: "ما أَوْلَمَ رسولُ الله ﷺ على امرأةٍ من نسائه أكثر أو أفضل مما أَوْلَمَ على زينب"!

إلا أن خصوم محمد لم يسكتوا، فاعترضوا على زواج محمد مِن زوجة ابنه بالتبنى. فرد عليهم أصحابُ القرآن بتحريم التبنى (Adoption) نهائياً وإبطال المساواة بين الابن المُتبنّى والابن البيولوجى فى جميع الحقوق والأحكام الشرعية: "وَمَا جَعَلَ (اللَّهُ) أَدْعِيَاءَكُمْ (أى: الأولاد الذين تتبنوهم) أَبْنَاءَكُمْ (فى الشرع) (فلا يأخذ الأدعياءُ حُكْمَ الأبناء) ذَلِكُمْ (أى: جعْلِكُم الأدعياء أبناء) قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ (لا حقيقة له، فلا حق يترتب عليه) [...]. ادْعُوهُمْ (أى: انسبوا أَدْعِيَاءَكُمْ) لِآبَائِهِمْ (الحقيقيين) هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ" (الأحزاب 4-5). ولا يعكر تقدم (الأحزاب 4-5) على (الأحزاب 36-37) فى المصحف، لأن ترتيب المصحف ليس على حسب النزول[202].

ونلاحظ مما سبق ثلاث ملاحظات هامة:

الملاحظة الأولى (محمد وزينب): كان عُمْر محمد وقتئذٍ حوالى 58 أو 60 سنة، وعنده أربع زوجات (سَوْدَة وحفصة وعائشة وأم سَلَمة)، وهو الحد الأقصى لعدد الزوجات المسموح به لأى رجل مسلم اليوم. وكان نساء محمد يتمتعن بصفات مهمة يتمناها اليوم أى رجل فى زوجته. يعنى باختصار: لم يكن محمد محروماً مِن أى شيء. ومع كل ذلك اشتهى محمدٌ زوجةَ غيره (أى: اشتهى امرأة متزوجة)!

- وما فعله محمدٌ يتعارض مع التوراة التى تقول: "لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ" (الخروج 17:20) (التثنية 21:5). وهذا يدل على أن محمد كسر الوصايا العشر (The Ten Commandments) الأساس الأخلاقى للدين اليهودى.
- وما فعله محمدٌ يتعارض أيضاً مع الإنجيل الذى يقول: "إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (متى 28:5). وهذا يدل على أن محمد كسر تعاليم المسيح فى موعظته على الجبل (Sermon on the Mount) الأساس الأخلاقى للدين المسيحى.

بل: اشتهى محمدٌ زوجةَ ابنه بالتبنى التى تُعتبَر ابنته! وهذا يتعارض مع العادات والتقاليد العربية النبيلة. وكانت زينب وقتئذٍ شابة جميلة عُمْرها حوالى 35 سنة (وقيل: 37 أو 38 سنة)، يعنى فى سن ابنة محمد؛ أصغر مِن محمد بعشرين سنة على الأقل. وظلت زينب زوجة محمد حتى وفاته، ثم كانت أولى أمهات المؤمنين لحاقاً به (20هـ أو 21هـ).

<u>الملاحظة الثانية (محمد وزيد):</u> "زيد بن حارثة" هو الصحابى الوحيد – الوحيد – المذكور باسمه صراحةً فى القرآن! وهذا يجعلنا نتساءل: هل اللوح المحفوظ الموجود عند الله منذ الأزل كان مكتوباً فيه منذ الأزل "فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا" (الأحزاب 37)؟! هل انتظر اللهُ منذ الأزل حتى يُزوِّج زينب بنت جحش مرتين: مرة لزيد (الأحزاب 36) ومرة لمحمد بعد طلاقها من زيد (الأحزاب 37)؟! هل هذا إله أم مأذون؟!

الإجابة المنطقية الوحيدة تنطلق مِن نقطة هامة، وهى أن محمد كان يحب زيداً حباً شديداً منذ أن كان غلاماً يافعاً؛ ويُقال إن زيد هو أول مَن أسلم مِن الرجال وليس أبا بكر كما كنا نظن؛ ويُروَى أن عُمَر بن الخطاب نفسه اعترف بأن محمد كان يحب زيداً أكثر منه (أى: أكثر مِن عُمَر). هذا بالإضافة إلى الروايات التى تقول إن زيداً كان مِن أحبِّ الناس إلى محمد، وإن محمد كان يعانقه ويقبله[203].

هذا الحب الكبير بين محمد وزيد جعل محمداً يحرص على أن يُزوِّج زينبَ لزيد حتى يرفع مِن شأن زيد الاجتماعى، وظل محمدٌ يضغط على زينب حتى توافق على هذا الزواج (الأحزاب 36) ويضغط على زيد حتى لا يُطلِّق زينب (الأحزاب 37أ). لكن بعد إعجاب محمد بزينب وطلاقها مِن زيد، عاد زيدٌ إلى وضعه الاجتماعى المتدنى مرة أخرى، فحرص محمدٌ على أن يضع اسمَ حبيبه زيد فى القرآن تكريماً له (الأحزاب 37ب). ومما يؤيد هذه الملاحظة أن محمداً كان يرسل زيداً على رأس الجيش لينال شرف الشهادة إنْ مات أو شرف الخلافة إنْ عاش. فعن عائشة قالت: "مَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي جَيْشٍ قَطُّ إِلَّا أَمَّرَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَوْ بَقِيَ بَعْدَهُ لَاسْتَخْلَفَهُ"[204]. ولَمَّا استشهد زيدٌ فى سرية مؤتة (8هـ) وكان الأمير على تلك الغزوة، بكى محمدٌ بكاءً شديداً.

<u>الملاحظة الثالثة (محمد والتبنى):</u> محمد أبطل حكم التبنى حتى يتزوج مِن زينب استجابةً لغريزته الجنسية وحتى لا يلومه أحدٌ على زواجه مِن زوجة ابنه؛ وهذا يؤكد ما قالته عائشة لمحمد: "مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا

يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ". وهذا دليل على أن (الأحزاب 4-5، 37) ليست وحياً إلهياً، وإنما "وحى" لتحقيق أغراض شخصية (self-serving revelation):

- قال الواحدى النيسابورى فى أسباب نزول "وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ" (الأحزاب 4): "نزلت فى زيد بن حارثة، كان عند الرسول (أو: عبداً للرسول) ﷺ فأعتقه وتَبَنَّاه قبل الوحى، فلما تزوج النبى ﷺ زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه، وَهُوَ ينهى الناس عنها. فأنزل الله تعالى هذه الآيات"[205].
- وقال الصاوى تعليقاً على تفسير الجلالين لـ (الأحزاب 4): لَمَّا طلق زيدٌ زينب "تزوجها رسول الله ﷺ، فتكلم المنافقون وقالوا: تزوج محمد حليلة ابنه وهو يحرمها، فنزلت هذه الآية رداً عليهم"[206].
- وقال د. الجابرى: "يجمع المفسرون على أن المعنى هنا (أى: الأحزاب 4) ينصرف إلى قضية زيد بن حارثة"[207].
- ويقول حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن "ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ" (الأحزاب 5)[208].

لكن كثير من المسلمين اليوم يرفضون هذه الرواية أو يتجاهلونها تماماً. بل زعم د. محمد حسين الذهبي وغيره أنها "دسيسة دسَّها على الإسلام يُوحنَّا الدمشقي في عصر بني أمية". وكالعادة، يفترضون مِن البداية أن الأنبياء معصومون مِن الخطايا، ولذلك يرفض د. الذهبي هذه الرواية لأنها تحطم "جانب العصمة فيه (أي: في محمد)، والعصمة في الأنبياء شرط لازم"[209]. لكن كالعادة أيضاً، لم يقدم لنا د. الذهبي دليلاً واحداً مقنعاً يثبت أن يوحنا الدمشقي هو الذي دسَّ هذه الرواية على الإسلام. أما أسطورة "عصمة الأنبياء" (Prophetic Impeccability) التي لا يؤمن بها إلا المسلمون فقط، فسنناقشها بالتفصيل في وقتٍ لاحق، وسنثبت أن الأنبياء ليسوا معصومين، وإنما هُمْ بشر مثلنا يصيبون ويخطئون (fallible human beings)، وأحياناً يخطئون خطايا كبيرة.

العجيب أن هذا التيار الإسلامي الرافض للرواية السابقة اخترع – فيما اخترع – روايةً أخرى أكثر خطورة على الإسلام! وكالعادة، أقحموا "الله" فى هذه الرواية الثانية لتبرير كل فعل يفعله محمد، فزعموا أن الله أبطل التبنى أولاً بالقول (الأحزاب 4-5)، ثم حدثت قصة زيد وزينب ومحمد (الأحزاب 36، 37أ)، وبعد ذلك أراد اللهُ بتزويج زينب لمحمد أن يبطل التبنى بالفعل والتطبيق العملى على محمد نفسه حتى يكون قدوة للمسلمين (الأحزاب 37ب). أما الذى أخفاه محمدٌ فى نفسه "وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ" (الأحزاب 37) فهو – حسب زعمهم – ليس حبه لزينب وإعجابه بها ورغبته بالزواج منها بعد أن رآها فى بيتها وهى مكشوفة وقال "سبحان مُقلِّب القلوب" ... الخ، وإنما أخفى محمدٌ فى نفسه ما أوحى اللهُ إليه إن زيد سيطلق زينب وسيتزوجها محمدٌ بعده[210]!

<u>تعليقنا:</u> كدنا أن نأخذ بهذا الترتيب الزمنى للأحداث لولا أنه يتعارض مع ما قاله الواحدى النيسابورى والصاوى وغيرهما مِمَن كتب فى تفاسير وأسباب نزول (الأحزاب 4-5). ثم إن دوافع "التطبيق العملى" و "القدوة" مشكوك فيها. مثلاً: محمد لم يُطبِّق عملياً على نفسه الآيات التى حددت عدد الزوجات بأربع (8هـ)، ولم يُطبِّق "وَاضْرِبُوهُنَّ" (النساء 34) على زوجاته. إذن: توجد تشريعات كثيرة لم يُطبِّقها محمدٌ على حياته الشخصية. إشمعنا إبطال حكم التبنى اللى محمد أراد أن يُطبِّقه عملياً على نفسه حتى يكون قدوة؟!

أما فيما يتعلق بأن محمد أخفى الوحى الإلهى فى نفسه، فهذا يعنى أن محمداً لم يكن أميناً فى تبليغ كل ما أعلَمَه اللهُ له! وهذا يتعارض مع مهمته كرسول عليه أن يُبلِّغ: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" (المائدة 67)، "فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (النحل 35) "وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (العنكبوت 18) (المائدة 92) (النحل 82) (النور 54) (يس 17) (التغابن 12)؛ البلاغ المبين وليس الكتمان والإخفاء عن الناس!

وإنْ قلتم إنَّ محمد كتم هذا الوحى الإلهى لأن جبريل لم يعطه إياه فى صورة آية قرآنية. فسنقول: ليس بالضرورة أن تكون آية قرآنية. كان من الممكن أن يقوله محمد فى صورة حديث قدسى أو حديث نبوى، خاصة أن زينب لم توافق على تزويجها لزيد مِن البداية، وزيد نفسه لم يكن سعيداً مع زينب وأراد بالفعل تطليقها. باختصار: لا يوجد أى مبرر أو سبب مقنع يجعل محمداً يكتم هذا الوحى المزعوم.

إنها إذن مجرد حيلة مِن حيل شيوخ الإسلام يحاولون بها أن يجعلوا زواج محمد من زينب "بأمرٍ مِن الله" كما جعلوا مِن قَبل زواج محمد من الطفلة عائشة "بأمرٍ مِن الله"! يريدون أن يجعلوا إبطال حكم التبنى هو الهدف الإلهى مِن زواج محمد وزينب، مع أن العكس هو الصحيح: زواج محمد وزينب هو الهدف البشرى مِن إبطال حكم التبنى. أو بعبارة أخرى: إبطال حكم التبنى هو مجرد وسيلة بشرية لتحقيق هدف شخصى وهو زواج محمد وزينب.

ولو أراد الله أن يُحرّم التبنى، لقال بكل سهولة: "وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ التبنى" أو "وَحُرِّمَ التبنى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ"، ولا داعى لإكراه زينب على زواجٍ لا ترضاه وتعذيب زيد بزوجةٍ تحتقره ولا تحبه. القرآن نفسه حَرَّم أموراً كثيرة بمجرد كلمة "حُرِّمَ"، مثل: "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ [...]" (النساء 23)؛ "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ [...]" (المائدة 3) (البقرة 173) (النحل 115)؛ "وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ [...]" (المائدة 96)؛ "وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" (النور 3)؛ "وَحَرَّمَ الرِّبَا" (البقرة 275) ... الخ. فَمِن ضمن المشكلات التى تعانى منها الرواية الثانية هى أنها تجعل اللهَ يظلم زينب بإجبارها على أن تتزوج زيداً وهى لا ترضاه، وتجعل اللهَ يُعذِّب زيداً بزواجه مِن زينب وهى تحتقره ولا تحبه.

وإنْ قلتم إنَّ الرواية الأولى (رواية "سبحان مُقلِّب القلوب") غير موجودة فى القرآن والسُنَّة الصحيحة، فسنقول: وكذلك الرواية الثانية (رواية كتمان الوحى) أيضاً غير موجودة فى القرآن والسُنَّة الصحيحة.

ونحن نندهش أن يهرب المسلمون من الرواية الأولى التى تتهم محمداً بأنه اشتهى امرأة غيره وأراد أن يتزوجها فألّف آيات قرآنية لتحقيق هدفه وإرضاء هواه وعاطفته، وبعد أن يهربوا مِن تلك الرواية يذهبون إلى رواية ثانية تتهم محمداً بالتقصير فى تبليغ الرسالة! رفض المسلمون الروايةَ الأولى لأن تصرفات محمد فيها تتعارض مع التوراة والإنجيل والقيم والأعراف العربية الأصيلة، فقَبِلوا روايةً ثانية تصرفات محمد فيها تتعارض مع مهمته الأساسية كرسول مُبلِّغ حسب ما يقول القرآن!

ونحن نرى أن الرواية الأولى متماسكة ومقنعة أكثر مِن الرواية الثانية. ولقد ألمح القرآنُ نفسه إلى أن محمد كان يحب النساء الحسناوات، بدليل قوله: "وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ" (الأحزاب 52). وتقول أحاديث صحيحة إن زينب بنت جحش هى التى كانت تُسَامِى (أى: تُنافِس، تُفاخِر) عائشة فى المنزلة عند محمد[211]، وهذا يدل على أن محمد أحب زينب حباً جمّاً. وتوجد أحاديث صحيحة كثيرة تدل على أن محمد كان لديه رغبة أو قدرة جنسية كبيرة. على سبيل المثال، تقول أحاديث صحيحة أخرجها البخارى إن أَنَسَ بن مالِك حَدَّثَ أن "نبى الله ﷺ كان يَطوف على نسائه في الليلة الواحدة، وله يومئذٍ تسعُ نِسْوَةٍ"؛ و "كان النبى ﷺ يدور على نِسَائِه في الساعة الواحدة، من الليل والنهار، وَهُنَّ إحدى عشرة (أو: تسع)"، ولَمَّا سُئِل أنس: "أَوَكَانَ يُطِيقُهُ؟" قال: "كنا نتحدث أنه أُعْطِيَ قُوَّةَ ثلاثين (رجلاً فى الجِماع)"[212]! وأخرج مسلم حديثاً صحيحاً عن أَنَس أيضاً "أن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغُسْلٍ واحد"[213]!

إذن: نحن نعترف بأن الرواية الأولى غير مذكورة فى القرآن والسُنَّة الصحيحة، لكن يوجد فى القرآن والسُنَّة الصحيحة ما يُقوِّى احتمال حدوثها. ويكفينا أن كثير مِن كتب السيرة والصحابة والتاريخ والتفسير والحديث قد ذكرت أن محمد رأى زينب وهى حاسرة فأعجبته ورغب بالزواج منها. انظر مثلاً: طبقات ابن سعد، وتاريخ الطبرى، وتفسير الجلالين، والمُستدرَك للحاكم، ونساء النبى لبنت الشاطىء، والتفسير الواضح للدكتور محمد عابد الجابرى، وأمهات المؤمنين لمحمود شاكر[214]، وغيرهم مِن العلماء المسلمين قديماً وحديثاً.

وعلى أى حال، نحن نرى أن الروايتين الأولى والثانية غير متناقضتين، إذ يُمكن الجَمْع بينهما. وكلتاهما تصل بنا إلى نفس النتيجة النهائية: الرجل الذى يشتهى زوجة ابنه بالتبنى أو يكتم الوحى الإلهى فى نفسه لا يمكن أن يكون رسولاً معصوماً.

فهكذا بعد أن كان التبنى مِن عادات العرب الجميلة قبل الإسلام، وكان العرب يعطون الابن المُتبنَّى جميع حقوق الابن البيولوجى، وبخاصة فى الميراث وحرمة النسب، جاء الإسلامُ وحَرَّم هذه العادة العربية الطيبة (الأحزاب 4-5، 37)، فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هى انتشار ظاهرة أطفال الشوارع والمصائب الخطيرة التى نسمع عنها اليوم فى دور الأيتام المكتظة بالأطفال الذين لا يجدون مَن يتبناهم. وإنْ قلتم إنَّ "كفالة اليتيم" (fosterage; sponsorship) تكفي، فسنقول: لا. إن الطفل اليتيم يحتاج أن يشعر بالأمان مادياً ومعنوياً، وهذا الأمان لا يتحقق إلا بالتبني (adoption).

كل أطفال الشوارع مسلمون. وآباؤهم وأمهاتهم أيضاً يدينون بنفس الدين الذى كان يدين به سيدهم محمد. وَهُمْ جميعاً ضحايا الأفكار الهدامة الموجودة فى الشريعة الإسلامية، مثل: السماح للرجل المسلم بتعدد الزوجات مهما كانت ظروفه الاقتصادية سيئة؛ والتساهل الشديد فى الطلاق وإباحته لأى سبب أو حتى بدون سبب[215]؛ وضرب الزوجات وضرب الأبناء؛ وأخيراً تحريم التبنى بسبب قصة زينب وزيد ومحمد.

فهل يمكن أن يكون الإسلام هو الدين الذى ارتضاه اللهُ للإنسان؟! لا يمكن.

1.2.1.7 اقتل واخطف وانكح: الجزء الأول (جُوَيْرِيَة المُصْطَلِقية)

ننتقل الآن إلى زوجة أخرى مِن أزواج محمد، وهى **السيدة "جُوَيْرِيَة (أو: جُوَيْرِيَّة)" بنت الحارث سيد بنى المُصْطَلِق**[216]. وبنو المُصْطَلِق فرع مِن قبيلة خُزاعة. إذن: جُوَيْرِيَة عربية لكن ليست من قريش.

تزعم مراجعُ إسلامية كثيرة أن بنى المُصطَلِق استعدوا للهجوم على المسلمين؛ وقيل إنهم خططوا لاغتيال محمد! فلَمَّا علم المسلمون بهذه "المؤامرة"، خرجوا لقتال بنى المُصْطَلِق (أى أنها كانت حرب استباقية preemptive war). وهكذا نرى أن "نظرية المؤامرة" (Conspiracy theory) تسيطر على عقول المسلمين منذ مئات السنين، ويستخدمها المسلمون كذريعة لتبرير أفعالهم وأفعال أسلافهم.

لكن يوجد رأى آخر يقول إن المسلمين هُمْ الذين بدأوا بالهجوم (أى أنها كانت حرب هجومية offensive war). قال ابن عبد البر: "وأغار رسول الله ﷺ على بنى المُصْطَلِق وَهُمْ غَارُّون (أى: غافلون) وَهُمْ على ماء (مِن مياهِهم) يقال له: المُرَيْسِيع من ناحية قُدَيْد (قرية لخُزاعة على الطريق من المدينة إلى مكة) مما يلى الساحل (أى: ساحل البحر الأحمر)، فقَتَل مَن قَتل [مِنهم] وسَبَى النساء والذُّرِّيَّة. وكان شعارهم (أى: شعار المسلمين) يومئذ: أَمِتْ، أَمِتْ. وقد قيل إن بنى المُصْطَلِق جمعوا لرسول الله ﷺ، فلما بلغه ذلك خرج إليهم، فلقيهم على ماء يقال له المُرَيْسِيع، فاقتتلوا، فهزمهم الله. والقول الأول أصح: أنه (أى: الرسول) أَغار عليهم وَهُمْ غَارُّون (أى: غافلون)"[217].

ونحن نعتقد أنها بالفعل كانت حرب هجومية. والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

- أولاً: لم تقع غزوة بنى المُصطَلِق فى المدينة ولا حتى فى منتصف الطريق بين المسلمين وبنى المُصْطَلِق، وإنما وقعت عند ماء المُرَيْسِيع وهى منطقة تابعة لبنى المُصْطَلِق وبعيدة جداً عن المدينة. أى أن المسلمين بقيادة محمد هُمْ الذين هجموا على بنى المُصْطَلِق فى عقر دارهم.
- ثانياً: يقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم إن "النبى ﷺ أغار على بنى المُصْطَلِق وَهُمْ غَارُّون (أى: أخذهم على غِرَّة وبغتة)، وأنعامُهم تُسقَى على الماء، فقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ (أى: قَتَلَ مَن يصلح للقتال) وَسَبَى ذَرَارِيَّهُم (أى: ضَرَبَ الرقَّ على مَن لا يصلح للقتال مثل النساء والأطفال!) وأصاب يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَة (أى: صارت في السبي)"[218]! واستدل الفقهاءُ بهذا الحديث الصحيح على جواز استرقاق

العرب! كما استدلوا به أيضاً على جَوَاز الْإِغَارَةِ عَلَى الْكُفَّار الَّذِينَ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ الْإِعْلَامِ بِالْإِغَارَةِ! [باختصار: هذا الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم يصلح كخطوة أولى نحو صناعة إرهابي محترف!]

- ثالثاً: هُزم بنو المُصْطَلِق هزيمة قاسية، بل سُحِقوا تماماً. قَتل المسلمون عشرة رجال مِن بنى المُصْطَلِق وأَسَرُوا سائرهم، وسَبَى المسلمون نساءَ بنى المُصْطَلِق وأبناءَهم، وأخذ المسلمون أموالَ بنى المُصْطَلِق وإبلهم وأغنامهم غنيمة! إذن: لا يبدو إطلاقاً أن بنى المُصْطَلِق كانوا مستعدين لأى قتال.
- رابعاً: أما المسلمون فقُتِلَ منهم رجلٌ واحدٌ فقط! مسلم واحد فقط قُتِل! وحتى هذا المسلم الوحيد قُتِلَ خطأ (friendly fire)! قال ابن عبد البر والطبرى وابن الأثير وابن كثير: "وقُتِل فى هذه الغَزاة هشام بن صُبَابة الليثى خطأ، أصابه رجلٌ من الأنصار من رهط عُبادة (بن الصامت) لم يعرفه وظنه من المشركين"[219]. إذن: نحن لا نرى "معركةً" بين طرفين، وإنما نرى هجمة مِن طرف واحد؛ مجرد عملية سطو مسلح (armed robbery) قام به المؤمنون بدين محمد على عائلات بنى المُصْطَلِق غير المستعدة للقتال.

ويبدو أن هذه العائلات مِن بنى المُصْطَلِق كانوا عند ماء المُرَيْسِيع يسقون أنعامَهم، فهجم "المجاهدون" المسلمون عليهم وَهُمْ غافلون. ولعل بنى المُصْطَلِق كانوا عزل (unarmed) أو معهم الأسلحة الشخصية البسيطة التى يحملونها فى أى يوم عادى، ولذلك كانت هزيمتهم سهلة.

المهم: فى هذه الهجمة الشرسة التى قام بها المسلمون بقيادة محمد على إخوتهم فى العروبة عند ماء المُرَيْسِيع (6هـ)، أَسَر المسلمون عدداً كبيراً مِن نساء بنى المُصْطَلِق (قيل: 700 فتاة). وكان منهن الشابة المصطلقية العشرينية الجميلة "جُوَيْرِيَة" التى أَسَرها المسلمون بعد أن قتلوا زوجَها "مُسَافِع بن صفوان" المصطلقى. فعَرَضَ محمدٌ على جُوَيْرِيَة أن يعتقها ويتزوجها، فوافقت جُوَيْرِيَة على الرغم من فرق السن الكبير بينهما. فلقد كانت جُوَيْرِيَة أصغر من محمد بحوالى 40 سنة! يعنى كان محمد فى سن أبيها، بل فى سن جدها! إذن: كانت جُوَيْرِيَة مثل الغريق الذى يتعلق بأى قشة تنقذه مِن ذل الرق وجحيم العبودية. وتقول مراجع إسلامية كثيرة إن جُوَيْرِيَة كانت بالفعل تريد أن تفك أسرَها، لكن لم يكن معها ذهبٌ أو مالٌ تدفعه فديةً عن نفسها. ولا عجب فى ذلك فلقد أخذ المسلمون ممتلكات بنى المُصْطَلِق غنيمة. فلَمَّا عَرَضَ عليها محمدٌ أن يعتقها ويتزوجها، لم يكن أمامها سوى أن توافق. وافقت لأن هذا هو الحل الوحيد لمأساتها. ونحن نتعاطف معها ولا نستطيع أن نلومها. وبالفعل، أعتقها محمدٌ وتزوجها[220]. ويُروَى أن محمد غَيَّر اسمها مِن "بَرَّة" إلى "جُوَيْرِيَة"؛ ومِن المعلوم أن تغيير اسم الإنسان يرمز إلى التحكم فيه.

العجيب أن كثير مِن المسلمين يستخدمون قصة جُوَيْرِيَة كدليل على "سماحة" الإسلام! ونحن نقول لهم: أين "السماحة" فى هذه القصة؟! حينما تقتل رجلاً وتنهب أموالَه وتأسِر زوجتَه ثم بعد ذلك تعتقها

وتتزوجها، فهذا ليس دليل على سماحتك، فأنت الذى سَبَيتها وأنت الذى أعتقتها! وأنت الذى أغتصبت الحقَ فى التحكم التام (full control) فى حياتها. إنه ليس دليل سماحة، وإنما دليل على أنك ارتكبت جريمة.

إن قصة جُوَيْرِيَة العربية – مثل قصتي صفية وريحانة اليهوديتين – تُلخِّص الجهادَ الإسلامي كله في ثلاث كلمات: اقتل واخطف وانكح! أو كما نرى اليوم: هذا مسلم إسلامي يؤمن بالأفكار الجهادية، إذن: هذا مشروع إرهابي، قد يقتل الكافرَ ويخطف زوجتَه وينكحها!

ولن يشفع للمسلمين أنهم بعد ذلك أعتقوا مائة أهل بيت مِن بني المصطلق؛ وقيل إنهم أعتقوا كل أسرى وسبايا بني المصطلق. لن يشفع لهم ذلك، لأن: ما معنى أن تقتلني وتسرق أموالي وتخطف زوجتي وتنكحها ثم بعد ذلك تطلق سراحها؟! هل تقبل كل ذلك على نفسك؟!

1.2.1.8 اقتل واخطف وانكح: الجزء الثانى (صفية الإسرائيلية)

ننتقل الآن إلى زوجة أخرى مِن أزواج محمد، وهى **السيدة "صفية بنت حُيَيّ بن أخطب"**[221] **اليهودية أرملة الشاعر اليهودى"كنانة بن الربيع":** كان أبوها "حُيَيّ بن أخطب" سيد يهود بني النضير، وأمها مِن يهود بنى قُرَيْظَة. وقيل إن نسب صفية يرجع إلى هارون النبى أخو موسى نبى بنى إسرائيل.

تزوجت صفية أولاً مِن الشاعر اليهودى "سَلَّام (سَلَام) بن مِشْكَم القُرَظِي" (وقيل: أبو رافع بن أبي الحُقَيق النضرى)، وانتهى زواجهما بالطلاق. وقيل إن أبا رافع ليس زوج صفية الأول، وإنما عم زوجها الثاني أو أخوه. ونحن لا يهمنا درجة قرابته بصفية، وإنما يهمنا أن مجموعة مِن صحابة محمد اغتالوه فى بيته ليلاً وهو نائم بعد أن أمر (أو: سمح) محمدٌ بقتله! وسنتحدث عن تفاصيل عملية اغتياله في وقتٍ لاحق[222]، لأنها بالفعل تكشف زيف البروباجاندا الإسلامية التى تزعم كذباً أن محمد "نبي الرحمة".

وبعد انتهاء زواجها الأول، تزوجت صفية مِن "كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق النضرى" وهو أيضاً شاعر يهودى قتله المسلمون فى هجومهم على خيبر (7هـ).

وقصة مقتل زوجها الثانى "كنانة بن الربيع"[223] تستحق مننا وقفة، لأنها أيضاً تكشف زيف البروباجاندا الإسلامية التى تزعم كذباً أن محمد "نبي الرحمة". جِيء بِكنانة حياً أمام محمد، فسأله محمدٌ عن كنز بني النضير. [سؤال: هل كان محمد يجاهد فى سبيل الله؟ أم يجاهد فى سبيل المال؟] جحد كنانة أن يكون يعرف مكان هذا الكنز، فقال له محمدٌ: "أرأيتَ إن وجدناه عندك، أأقتلك؟" [إنه حقاً نبي الرحمة!] فقال كنانة: نعم. فلما اكْتُشِف مخبأ الكنز عند كنانة، دفعه محمدٌ إلى أحد أصحابه فضرب عُنقَه! وقال ابن هشام والطبرى وابن كثير وغيرهم إن محمد عَذَّب كنانة أولاً ثم قتله: "وأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بكنانة بن الربيع، وكان عنده كَنْز بني النَّضِير، فسأله عنه، فجحد كنانة أن يكون يعرف مكانه. فأَتَى رسولَ الله ﷺ رجلٌ من اليهود، فقال لرسول الله ﷺ: إنى رأيت كنانة يطِيفُ بهذه الخَرِبَة كل غداة. فقال رسولُ الله ﷺ لكنانة: أرأيتَ إن وجدناه عندك،

أأقتلك؟ قال (كنانة): نعم. فأمر رسولُ الله ﷺ بالخربة فحُفِرَت، فأخرج منها بعض كَنْزهم، ثم سأله عما بقى، فأبى (كنانة) أن يُؤَدِّيَه، فأمر به رسولُ الله ﷺ الزُّبيرَ بن العَوَّام، فقال (محمدٌ للزبير): عَذِّبه (أى: عَذِّب كنانةَ) حتى تَسْتأصِل ما عنده، فكان الزبير يَقْدَح بزَنْدٍ (أو: بزَنْده) فى صَدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسولُ الله ﷺ إلى محمد بن مَسْلَمة، فضرب عُنقَه بأخيه محمود بن مَسْلَمة"[224]! [سؤال لكل مسلم عاقل: هل هذا "نبي الرحمة"؟! إذا كان هذا "نبي الرحمة" فلماذا تلومون المسلمين الإرهابيين على ما يفعلونه اليوم؟!]

وهكذا دَمَّر المسلمون عائلةَ صفية: قتلوا زوجَها وأباها. وقيل إنهم قتلوا أخاها. وقيل: قتلوا عمها أيضاً.

وبعد أن دَمَّر المسلمون عائلة صفية فى غزوة خيبر التى انتهت بمقتل رجال اليهود وسبى نسائهم كأسيرات، كانت صفية سَبِيَّة مِن ضمن السبايا. فجاء واحدٌ مِن الصحابة (هُو "دِحْيَة الكلبى") إلى محمد وقال له: "يا رسول الله، أَعْطِنِى جارية مِن السبى". فقال له محمد: "اذهب وخُذْ جارية". [هكذا كان محمدٌ ("نبي الرحمة"!) يجلس مع صحابته ويُوزّعون النساء!] فذهب دِحْيَة وأخذ صفية. فجاء رجلٌ إلى محمد وقال له: صفية سيدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك. فأرسل محمدٌ إلى دِحْيَة وقال له: "خُذْ جارية من السبى غيرها" (وفى رواية أخرى: "خذ رأساً آخر مكانها"). وقيل إن محمد عوّض دِحْيَة بسبعة "رؤوس" مِن السبى! قال الإمامُ الذهبي في "سير أعلام النبلاء": "وصح أن صفيَّةَ وقعتْ يومَ خيبر في سهم دِحية، فأخذها النبيُّ ﷺ منه، وعوَّضه بسبعة أرؤُس"[225]. [لا تعليق!]

وهكذا اصطفى محمدٌ صفيةَ لنفسه، وأعتقها ثم تزوجها بلا صداق[226]! واعتبر عتقها صداقها، حسب أشهر الروايات. وحاول محمدٌ أن يعرس بها فى أطراف خيبر! لكنها تمنَّعت وأبت. فاستأنف محمدٌ مسيره راجعاً بجيشه إلى المدينة، إلا أنه لم ينتظر حتى يصل المدينة، فبنى بها فى مكان يُسمَّى "الصهباء" بين خيبر والمدينة! وكان عُمْر صفية وقتئذٍ 17 سنة، وعُمْر محمد حوالى 60 سنة! يعنى كان "نبي الرحمة" فى سن أبيها، بل فى سن جدها.

ويقال إن أبا أيوب الأنصاري (واحد مِن الصحابة الكبار مِن الرعيل الأول) بات عند باب خيمة محمد وصفية ومعه سيفه. فلَمَّا أصبح محمدٌ ورأى أبا أيوب سأله لماذا بات ومعه سيفه. فقال أبو أيوب لمحمد: "يا رسول الله، دخلتَ بهذه الجارية (يقصد: صفية)، وكنتَ قد قتلتَ أباها وإخوتها وعمومتها وزوجها وعامة عشيرتها، فخفتُ أن تغتالك"[227]! فضحك محمدٌ وقال له معروفاً!

وهكذا صارت صفية الإسرائيلية واحدة مِن أمهات المؤمنين بعد أن أسلمت وتزوجت محمدا!

والذى حدث للفتاة اليهودية صفية منذ أكثر من 1400 سنة لا يزال يحدث إلى اليوم مع كل فتاة مسيحية قاصر (أقل من 21 سنة) تُختطَف مِن أهلِها بحجة أنها أسلمت أو صارت منكوحة مِن منكوحات رجل مسلم يدين بنفس الدين الذى يدين به سيده محمد.

إن قصة صفية اليهودية – مثل قصتي جُوَيْرِيَة العربية وريحانة اليهودية – تُلخِّص الجهادَ الإسلامي كله في ثلاث كلمات: اقتل واخطف وانكح! أو كما نرى اليوم: هذا مسلم إسلامي يؤمن بالأفكار الجهادية، إذن: هذا مشروع إرهابي، قد يقتل الكافرَ ويخطف زوجتَه وينكحها!

ظلت صفية زوجة لمحمد حتى وفاته. ورُوِيَ أنها لم تنسَ قومَها اليهود، فكانت تَصِلُهم لأن لها فيهم رحماً. ورُوِيَ أيضاً أنها أوصت لابن أخيها – وكان يهودياً – بثلاثين ألف درهم بعد وفاتها.

1.2.1.9 زواج لأغراض سياسية: الجزء الأول (أُم حبيبة - ابنة عدو محمد)

ننتقل الآن إلى زوجة أخرى مِن أزواج محمد، وهى مِن نساء قريش مثل معظم أزواجه. إنها **السيدة القرشية الأموية "رملة بنت صخر (أبى سفيان) بن حرب بن أُميّة" (وتُسمَّى "أُم حبيبة") المُهَاجِرة أرملة المُهَاجِر المرتّد ابن أميمة عَمَّةِ الرسول وأخو أم المؤمنين السيدة "زينب بنت جحش"**[228].

قبل زواجها بمحمد، هاجرت رملة مع زوجها المسلم "عبيد الله بن جحش الأسدى" – ابن أميمة عمة محمد – إلى الحبشة (الهجرة الثانية). وَهُما فى أثيوبيا، ارتد زوجُها عن الإسلام وتَنَصَّر، وَكَمْ حاول أن يرد أم حبيبة عن الإسلام إلا أنها رفضت وصبرت. [وهذا يؤكد أن المهاجرين والمهاجرات إلى الحبشة قد سمعوا هناك عن المسيحية، ومِنهم مَن تأثر بها فترك الإسلام واعتنقها، ومِنهم مَن بقى على إسلامه.] وقيل إن عبيد الله بن جحش قد مات فى الحبشة بعد ذلك بقليل.

بعد انتهاء عِدَّة أُم حبيبة مِن زوجها المرتَد، أرسل رسولُ الإسلام إلى النجاشى ملك الحبشة يُفوِّضه فى أن يطلب يد أم حبيبة له (أى: لمحمد). [وهذا يدل على العلاقة القوية التى كانت تربط نبى الإسلام بالنجاشى إلى درجة أنه يكتب له أن يُزوِّجه امرأة – كما لو كان يكتب لأخيه أو لصديقه الحميم.] فَدعا النجاشى جميعَ مَن بالحبشة مِن المسلمين وحدثهم فى الأمر وسكب مالاً كثيراً بين يديهم. تم الزواج وأم حبيبة لا تزال فى الحبشة. وعند إتمام الزواج، أَوْلَم النجاشى للمسلمين وليمة الزواج. ليس هذا فحسب، بل جاءت جارية النجاشى فى صباح اليوم التالى وهى تحمل هدايا الزواج مِن نساء النجاشى إلى أم حبيبة.

كل هذه الأحداث تؤكد ما يلى:

- لم يكن المسلمون الأوائل فى أثيوبيا منعزلين عن المجتمع الحبشى المسيحى الذى كانوا يعيشون فيه، بل كانوا مندمجين اجتماعياً (socially integrated) إلى درجة أن ملك أثيوبيا يدعوهم إليه ويأكل معهم ونساؤه يبعثن لهم الهدايا.
- كان المسلمون الأوائل فى أثيوبيا على اتصال وثيق بالمسلمين الأوائل فى شبه الجزيرة العربية. نستطيع إذن أن نقول إن المسلمين فى أثيوبيا كانوا حلقة وصل بين المسيحيين فى أثيوبيا والمسلمين فى مكة والمدينة.

- كان محمد نفسه على اتصال قوى بالمهاجرين والمهاجرات فى أثيوبيا، حتى مِن قبل أن يتزوج منهن. وكانت تربطه علاقة قوية بمَلِك أثيوبيا.

ويقول حديث صحيح أخرجه الشيخان البخارى ومسلم إن "أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا (لمحمد) كنيسةً رأينها بالحبشة (أى: رأتاها مع مَن معهما مِن المهاجرات) فيها تصاوير"[229]. وهذا دليل إسلامى مِن البخارى ومسلم (أصح كتابين بعد القرآن) على أن أم حبيبة وأم سلمة وغيرهن مِن المهاجرات دخلن كنائس أثيوبيا، بدليل أنهن رأين "التصاوير" الموجودة داخل الكنيسة. ومِن المعلوم أن التصاوير والرسومات والأيقونات داخل الكنائس تشير إلى معتقدات مسيحية وقصص كتابية. ومِن المؤكد أن أم حبيبة وأم سلمة وغيرهن من المهاجرات قد سألن واستفسرن عن هذه المعتقدات وتلك القصص.

ظلت أم حبيبة فى أثيوبيا ولم تعد إلى زوجها محمد فى المدينة إلا أيام موقعة خيبر التى حدثت فى شهر المحرم سنة 7هـ – أى أن أم حبيبة لم تعد قبل عام 628م، وهذا يعنى أنها عاشت فى أثيوبيا المسيحية 6 سنوات على أقل تقدير، وقد تصل المدة التى مكثتها فى أثيوبيا إلى 13 سنة إذا افترضنا أنها هاجرت إلى هناك عام 615م.

كان والدها "أبو سفيان" زعيم مكة وقائد المشركين عدواً لدوداً للإسلام والمسلمين، ولم يسلم إلا يوم فتح مكة (8هـ) – أى: أنه "أسلم فى اللحظة الأخيرة خوفاً من الانهزام". وحقاً، لقد صدق مَن قال إن زواج الرسول مِن "أم حبيبة" بنت أبى سفيان كان "زواج سياسى القصد"، الغرض مِن ورائه "تليين تلك العواطف الجامحة عند أبى سفيان ومَن معه"[230].

ظلت أُم حبيبة زوجة لمحمد حتى وفاته. وعاشت حتى رأت أخاها "معاوية بن أبى سفيان" خليفة للمسلمين (41هـ). وهكذا صار ابن ألد أعداء محمد يحكم المؤمنين بمحمد!

1.2.1.10 زواج لأغراض سياسية: الجزء الثاني (ميمونة بنت الحارث)

"ميمونة بنت الحارث" الهلالية[231] هى آخر امرأة تزوجها محمد ودخل بها (7هـ) وعنده: سودة وعائشة وحفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش وجُوَيْرِيَة وصفية وأم حبيبة؛ أى: 9 زوجات فى نفس الوقت[232]**!** وكانت ميمونة يومئذٍ أصغر سناً مِن محمد بأكثر مِن عشرين سنة**!**

وميمونة هى أخت "أسماء بنت عُمَيس" زوجة "جعفر بن أبى طالب" ابن عم محمد. هاجرت أسماءُ مع زوجها جعفر إلى الحبشة (أثيوبيا) فكانا من المسلمين المهاجرين الأولين إلى هناك.

وميمونة هى خالة "خالد بن الوليد" و "عبد الله بن عباس" حَبْر الأمة وترجمان القرآن. وقيل إن محمد تزوج ميمونة حتى يستميل رجلين قويين إلى الإسلام، وَهُمَا: "خالد بن الوليد" وصديقه "عمرو بن العاص". يعنى: زواج لأغراض سياسية/عسكرية. وتقول رواية أخرى إن ميمونة هى التى أرادت أن تصبح أُمّاً

للمؤمنين. وقيل إن ميمونة مِن "الواهبات"، أي: مِنْ اللَّائِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لمحمد(233). ويمكن الجَمْع بين هذه الروايات كما يلى: أرادت ميمونة أن تكون أُمّاً للمؤمنين، فوَهَبت نفسَها لمحمد، فقَبِل محمدٌ حتى يستميل خالد ابن أختها وصديقَه عمرو إلى الإسلام.

ظلت ميمونة زوجةً لمحمد حتى وفاته.

1.2.2 مِن سراري (أى: مِلْك يمين) محمد

1.2.2.1 اقتل واخطف وانكح: الجزء الثالث (ريحانة اليهودية)

ننتقل الآن إلى سُرّيَّة مِن سراري محمد، وهى **السيدة "ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن شمعون بن زيد" اليهودية**(234)**:** قيل إنها إمرأة يهودية مِن يهود بني النضير. وقيل إنها مِن يهود بنى قريظة، وهو المشهور، ربما لأنها كانت متزوجة برجل مِن يهود بنى قريظة يُقال له "الحَكَم". كان الحَكَمُ مُحِباً لريحانة مُكرماً إياها، فعاهدته ريحانة ألا تتزوج بعده أبداً.

وفى سنة 5 هـ، هجم المسلمون على يهود بني قريظة. وانتهت هذه الغزوة الإسلامية بهزيمة ساحقة لبني قريظة: قتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم ونهب أموالهم والاستيلاء على أراضيهم وديارهم! فكان "الحَكَم" زوج ريحانة مِن الرجال الذين قُتِلوا على أيدي المسلمين، ووقعت ريحانة فى السبايا.

وكانت ريحانة اليهودية جميلة وسيمة، فأمر محمدٌ بها فَعُزِلَت. وبعد أيام دخل عليها محمدٌ وقال لها: "إن أحببت أعتقتُكِ وتزوجتك فعلتُ، وإن أحببتِ أن تكونى فى مِلْكى" (أى: فى مِلْك يمينى). فقالت له ريحانة: أكون فى مِلْك يمينك لأننى عاهدت زوجى ألا أتزوج بعده أبداً. فظلت ريحانة فى مِلك يمين محمد يطؤها حتى ماتت (10 هـ). وقيل إن محمد أعتق ريحانة وتزوجها. [سؤال: ألم يكن من الأفضل أن يعتقها محمدٌ ويتركها حرة فلا يتزوجها ولا يطؤها إكراماً لها وتقديراً منه لوفائها بعهدها لزوجها؟!]

وفى جميع الأحوال، فإن قصة ريحانة اليهودية تشبه قصتي جُوَيْرِيَة العربية وصفية اليهودية، وتُلخِّص الجهادَ الإسلامي كله في ثلاث كلمات: اقتل واخطف وانكح! أو كما نرى اليوم: هذا مسلم إسلامي يؤمن بالأفكار الجهادية، إذن: هذا مشروع إرهابي، قد يقتل الكافرَ ويخطف زوجتَه وينكحها!

1.2.2.2 مارية القبطية (أُم إبراهيم): المرأة التى قَبِلها محمدٌ "هدية"!

ننتقل الآن إلى سُرّيَّة أخرى مِن سراري محمد، وهى **السيدة "مارية بنت شمعون" ("مارية القبطية")**(235)**:** امرأة صعيدية وُلِدَت فى قرية عتيقة من صعيد مصر لأب قبطى وأم مسيحية رومية. فى مطلع شبابها الباكر، انتقلت مارية مع أختها "سيرين" إلى قصر المقوقس حاكم مصر الذى يُسمَّى فى المراجع

الإسلامية والعربية بـ "عظيم القبط". وهذا خطأ كبير وشائع. والصواب هو أن المقوقس لم يكن "عظيم القبط"، بل لم يكن قبطياً (مصرياً) أصلاً، وإنما كان مجرد موظف أجنبى عَيّنه الإمبراطور الرومانى البيزنطى "هرقل" وكلّفه بحكم مصر؛ يعنى زى "مندوب سامي". وكان المقوقس يضطهد الأقباط، فكرهه الأقباط كرهاً شديداً. فكيف يكون "عظيم القبط" وَهُمْ يكرهونه كرهاً شديداً؟! ويبدو أن بعض الكُتاب المسلمين المصريين قد تنبهوا لذلك، فوصفوا المقوقس وصفاً معقولاً، مثل الكاتب المصرى محمود شاكر الذى وصف المقوقس بقوله "حاكم الإسكندرية والنائب العام للدولة البيزنطية في مصر"[236].

بينما مارية فى القصر، جاء الصحابى "حاطب بن أبى بلتعة" موفداً من محمد إلى المقوقس لكى يدعوه إلى الإسلام! فأكرمه المقوقس وأرسل معه هدايا كثيرة (ذهب وثياب ... الخ) وبعث لمحمد بجاريتين هما مارية وسيرين[237]. [يعنى: المقوقس رفض اعتناق الإسلام، لكن أعطى امرأتين لمحمد كـ "هدية"!]

بلغ الركب المدينة سنة 7هـ. تلقى الرسول الهدية، وأعجبته مارية فحجزها لنفسه كمِلْك يمين (ليست زوجة!)، ووهب أختَها سيرين لشاعره "حسان بن ثابت". [نعم، محمد – الذى ما زال مسلمو القرن الواحد والعشرين يعتبرونه قدوة ("لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" (الأحزاب 21)) – قَبِلَ امرأةً كهدية مِن رجل وأعطى امرأةً كهدية إلى رجل!]

اهتم الرسول بجاريته مارية القبطية اهتماماً خاصاً، فكان يكثر مِن التردد عليها ويمكث لديها طويلاً. ظلت الجارية مارية القبطية سعيدة بحظوتها لدى سيدها محمد حتى حملت ثم أنجبت "إبراهيمَ" فى شهر ذى الحجة سنة 8هـ. ونلاحظ هنا أن مارية ظلت مِلْك يمين الرسول حتى أن أنجبت إبراهيم، وهذا دليل قاطع يثبت أن محمد كان يعاشرها معاشرة الأزواج!

بعد ولادة إبراهيم، أعتق محمدٌ ماريةَ مِن الرق. [هل تزوجها بعد أن أعتقها؟! لا نعتقد، وإلا كانوا اعتبروها مِن أمهات المؤمنين.]

ظلت مارية مِن نساء محمد حتى وفاته.

1.2.3 الخلاصة

مما سبق يتضح أن محمد لم يكن بمفرده، بل كان محاطاً بمجموعة ممتازة من الزوجات ومِلْك اليمين اللاتى إما كُنَّ على اتصال وثيق بالحضارات والديانات السابقة للإسلام، أو كُنَّ هُنَّ أنفسهن ينتمين إلى الديانات السابقة للإسلام كاليهودية أو المسيحية، أو تميزن بصفات هامة مثل الذكاء والحكمة والشجاعة والجرأة.

كما نستنتج أيضاً أن رسول الإسلام لم يكن منعزلاً عن المحيط الجغرافى الذى كان يعيش فيه، بل كانت له علاقات قوية مع النجاشى ملك الحبشة المسيحية والمقوقس حاكم مصر القبطية المسيحية، فكان يتواصل معهم ويرسل إليهم ويرسلون إليه وأيضاً إلى صحابته.

1.3 صحابة محمد

سنكتفى فى هذا الفصل ببعض المعلومات الهامة عن مجموعة مُختارَة مِن صحابة محمد.

1.3.1 أقارب محمد: نسباً أو صهراً

1.3.1.1 أبو بكر الصديق: أول مَن قاتل مسلمين، ومع ذلك سيدخل الجنة!

اسمه: عبد الله بن عثمان (أبى قُحَافَة) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم؛ فهو إذن مِن بنى تيم أحد فروع قبيلة قريش.

يُروَى أن أبا بكر قبل إسلامه كان تاجراً مشهوراً وطاف بلاد العرب والعجم وقابل بحيرا الراهب. كما يُروَى أنه لم يشرب خمراً فى الجاهلية (أى: قبل الإسلام). وبعد إسلامه، استخدم أبو بكر مالَه الوفير فى شراء العبيد وإعتاقهم على الإسلام، مثل: بلال بن رباح وعامر بن فهيرة وغيرهما. ولذلك مدحه القرآنُ بقوله: "وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى. الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى. وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى. إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى. وَلَسَوْفَ يَرْضَى" (الليل 17-21)[238]. وظل أبو بكر ملتصقاً لمحمد طوال حياته، وهاجر معه مِن مكة إلى يثرب (المدينة) حسب ما يقول التراث الإسلامى.

ولمَّا مات محمد (11هـ)، لعب أبو بكر دوراً مهماً. أخرج ابن ماجه حديثاً عن عائشة أنها قالت: لَمَّا قُبِضَ (أى: مات) رسولُ الله ﷺ - وأبو بكر عند امرأته ابنةِ خارجةَ بالعوالي - فجعلوا يقولون: لم يمت النبي ﷺ، إنما هو بعض ما كان يأخذه عند الوحي. فجاء أبو بكر، فكشف عن وجهه (أى: وجه محمد)، وقَبَّلَ بين عينيه وقال: أنت أكرم على الله مِن أن يُمِيتَك مرتين، قد والله مات رسولُ الله ﷺ. وعُمَرُ (بن الخطاب) في ناحية المسجد يقول: والله! ما مات رسولُ الله ﷺ، ولا يموتُ حتى يقطع أيديَ أُناسٍ مِن المنافقين كثيرٍ وأرجُلَهم. فقام أبو بكر فصعد المنبر فقال: مَنْ كان يعبد اللهَ فإن اللهَ حيٌّ لم يَمُت، ومَن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" (آل عمران 144). قال عُمَرُ: فَلَكَأَنِّي لَمْ أَقرَأها إلا يومئذٍ[239].

وفى رواية أخرى للبخارى: "والله، لَكَأَنَّ الناسَ لم يكونوا يعلمون أن الله أنزلها (أى: آل عمران 144) حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فتلقاها منه الناسُ، فما يُسْمَعُ بَشَرٌ إلا يتلوها"[240].

وفى ضوء هذه الأحاديث، من حقنا نسأل ما يلى: هل أبو بكر الصديق هو الذى ألّف (آل عمران 144)، ومِن ثم فإنها واحدة مِن الآيات التى أُضِيفَت لاحقاً بعد وفاة محمد (11هـ)؟

يقول التيار الإسلامى التقليدى إن (آل عمران 144) نزلت فى واقعة أُحُد (3هـ).

ونحن نقول لجميع المسلمين: هل توجد مخطوطة واحدة للقرآن يرجع تاريخها إلى ما قبل 11هـ ويوجد بها (آل عمران 144)؟ إذا كانت الإجابة هى لا، فما قلتموه عن نزولها سنة 3هـ هو مجرد احتمال. ويبقى الاحتمال الآخر أن أبا بكر الصديق هو الذى ألّف (آل عمران 144) سنة 11هـ. ويوجد احتمال ثالث أن (آل

عمران 144) قيلت في واقعة أُحُد (3هـ) على لسان صحابي آخر: قيل إن "مصعب بن عمير" قال هذه الآية في واقعة أُحُد قبيل استشهاده(241).

ويمكن الجَمْع بين هذه الاحتمالات الثلاث كما يلي: في واقعة أُحُد سنة 3هـ، بدأ مصعب بن عمير (أو غيره) تأليفَ (آل عمران 144) – ربما بصورة مبدئية. ثم مات مصعب في نفس اليوم، فلم يتذكر أحدٌ هذه الآية إلا عندما أعاد أبو بكر الصديق إنتاجها في صورتها النهائية عند وفاة محمد سنة 11هـ.

وبعد موت محمد (11هـ) مباشرة، انقسم الصحابة إلى فريقين، وكل فريق يرى نفسَه الأفضل ويريد الحُكْمَ لواحدٍ مِن أعضائه:

- الفريق الأول هُمْ المسلمون المُهاجِرون (أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهم) الذين انشغلوا بتجهيز محمد لدفنه.
- والفريق الثاني هُمْ المسلمون الأنصار الذين اجتمعوا في سَقِيفة بني ساعدة ليختاروا واحداً مِنهم لخلافة المسلمين. ويُفهَم مِن المراجع الإسلامية أنهم رشحوا الأنصاري "سَعْد بْن عُبَادَة" أو أنه كان كبيرهم(242).

فلَمَّا عَلِمَ حزبُ أبي بكر وعمر باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، تركوا جثة محمد دون دَفْن وانطلقوا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة! وأراد عمر أن يتكلم أولاً، فأسكته أبو بكر لأنه خشي مِن شدة عمر في القول. ثم تكلم أبو بكر، وكان ذكياً بارعاً، إذ ذَكَّر الأنصارَ (الأوس والخزرج) بحروبهم الأهلية قبل الإسلام، ثم رشح عمرَ أو أبا عبيدة للخلافة. ويقول عمر في حديث صحيح أخرجه البخاري: "فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَارْتَفَعَتْ الأَصْوَاتُ، حَتَّى فَرِقْتُ (أي: خشيت) مِنْ الاِخْتِلَافِ. فَقُلْتُ [لأبي بكر]: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ [أبو بكر] يَدَهُ، فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ ثُمَّ بَايَعَتْهُ الْأَنْصَارُ. وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ (أي: وثبنا عليه ووطئناه)، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ (أي: خذلتموه وأعرضتم عنه)، فَقُلْتُ (أي: قال عمرُ): قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ"(243). وهكذا انتهت هذه الأزمة التي كان من الممكن أن تتحول إلى حرب أهلية بين المهاجرين والأنصار لولا ذكاء عمر وتدخله السريع لحسم الخلاف لصالح حليفه أبي بكر. وانتهى مطمع الأنصار في حُكْم المسلمين وانتقل الحُكْمُ الإسلامي بسرعة مِن قرشي هو محمد إلى قرشي آخر هو أبو بكر!

وبعد مبايعة أبي بكر، عاد المسلمون إلى جثة محمد ليدفنوه! وكالعادة، اختلف المسلمون في دفنه. فقال قائلٌ: ندفنه في مسجده. وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه. فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ". فحُفِرَ لمحمد تحت فراشه الذي تُوفي عليه(244).

وهكذا نجد أبا بكر يتدخل أحياناً لحل مشكلة معينة بآيةٍ لا يعلمها إلا هو! أو بحديثٍ لا يعلمه إلا هو! ونحن نرى أن هذه الآيات والأحاديث كانت مِن تأليف أبي بكر بعد وفاة محمد، أو على الأقل: أبو بكر هو الذي وضعها في صورتها النهائية. أو ربما مِن تأليف مسلمين متأخرين ثم نسبوها إلى أبي بكر. وفي جميع

الأحوال، النتيجة واحدة: هذه الآيات والأحاديث لم تكن معروفة في حياة محمد، وإنما أضيفت لاحقاً بعد وفاته. ولعلها أضيفت بحُسْن نية، لحل مشكلات كان مِن الممكن أن تعصف بالدولة الإسلامية الناشئة.

ولعل أول مشكلة واجهت الخليفة الأول "أبو بكر الصديق" (11 – 13هـ) (632 – 634م) هي أن بعد وفاة محمد مباشرة، ارتد كثيرٌ مِن العرب عن الإسلام! قبائل عربية كثيرة تركت دينَ محمد! قال ابنُ كثير: "ارْتَدَّت أحْياءٌ كثيرةٌ مِن الأعراب، ونجَمَ النفاقُ بالمدينة"[245]. بل هَمَّ أكثرُ أهل مكة بالرجوع عن الإسلام؛ ولعلهم أرادوا أن ينفصلوا عن السلطة المركزية في المدينة. "قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة وغيره مِن أهل العلم أن أكثر أهل مكة لمَّا تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ هَمُّوا بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك، حتى خافهم عَتَّابُ بن أُسَيْد (هو: والي مكة حين مات محمدٌ)، فَتَوَارى (أي: اختفى، اختبأ خوفاً على حياته)"[246]!

ليس هذا فحسب، بل رفض فريقٌ مِن المسلمين غير القرشيين أن يدفعوا الزكاة للخليفة القرشي أبي بكر، لأنهم اعتبروها إتاوة يدفعونها لقريش. ومِنهم مَن استدل بقول القرآن: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ (أي: أُدْعُ لَهُمْ بالمغفرة) إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ" (التوبة 103)[247]؛ فقالوا: "فلسنا نَدْفَعُ زكاتَنا إلا إلى مَن صلاتُه سَكَنٌ لنا (يقصدون: محمد، ومحمد مات)". وهكذا نلاحظ أن عدم وجود تفسير واضح ومحدد للقرآن كان أحد أسباب ظهور هذه المشكلة. يعني كما هو الحال حتى الآن: ربط الدين بالسياسة يجعل مشكلات الدين تؤدي إلى مشكلات في السياسة.

ولعلاج هذه المشكلة، خاض الخليفة أبو بكر حرباً أهلية طاحنة سُميت بـ "حرب الرّدَّة" التى كانت حرباً أهلية واسعة شنها أبو بكر ضد العرب الذين تركوا الإسلام وضد المسلمين المانعين للزكاة (أي: الذين رفضوا دفع الزكاة). مع أن بعض الصحابة – أشهرهم عمر – اعترض على قتال المسلمين مانعي الزكاة أو اقترح تأجيل قتالهم. تقول أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما: "لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ الْعَرَبِ"، [ثم جَهَّز أبو بكر الجيشَ الإسلامي ليقاتل مَن كفر مِن العرب بترك إعطاء الصدقات]، "قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ (يقصد: المسلمين مانعي الزكاة)، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ (أي: فيما يخفيه في سريرته؛ في ضميره). فَقَالَ [أبو بكر]: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ (أي: داخل تحت الاستثناء الرافع للعصمة المبيح للقتال)، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا (أي: حبلاً؛ يقصد: شيئاً قليلاً) كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ"[248].

وقد لاحظنا أن المصادر والمراجع الإسلامية بصفة عامة تحاول أن تبرر قتال مانعي الزكاة، فتزعم أن الزكاة كانت وقتئذٍ مثل الضرائب في عصرنا الحالي، ومَن يتهرب مِن الضرائب يجب أن يُعاقب!

ونحن نقول لهم: الزكاة ليست مثل الضرائب. الضرائب يدفعها المواطن (citizen) مقابل الحصول على كافة حقوق المواطنة (Citizenship)، وأهمها حق انتخاب مَن يحكمه وحق الترشح للمناصب العليا في الدولة، بما فيها منصب رئيس الدولة. أما هؤلاء المسلمين غير القرشيين فلم يكن مِن حقهم انتخاب الخليفة

ولم يكن من حقهم الترشح لمنصب الخليفة لأن الخليفة لا بد أن يكون قرشياً كما أوصى محمدٌ[249]! إذن: الضرائب ليست مثل الزكاة. الضرائب واجب وطني؛ مَن يتهرب مِنها يُعاقَب ولا يُقاتَل. أما الزكاة فهي فريضة إسلامية؛ مَن يتهرب مِنها فحسابه على الله في الآخرة ولا يُقاتَل في الدنيا. وبعض المسلمين اليوم لا يدفعون الزكاةَ للحكومة، وبخاصة في الدول المنتشر فيها الفساد المالي والإداري، أو لا يخرجون زكاتهم أصلاً أو يخرجون أقل مما يجب إخراجه. باختصار: أبو بكر أخطأ حين قرر قتال مانعي الزكاة.

كما خاض الخليفة أبو بكر حروباً أيضاً ضد العرب الذين ادعوا النبوة، أشهرها "معركة اليمامة" (11هـ أو 12هـ[250]) ضد "مُسَيْلمة" مدعي النبوة الذي يُعرَف فى المراجع الإسلامية باسم "مُسَيْلمة الكذاب"!

إنها إذن حروب أهلية على ثلاثة محاور رئيسية: ضد مرتدين وضد مانعي الزكاة وضد مدعي النبوة. وهذا رد على كل مَن يزعم أن القتال في الإسلام للدفاع عن النفس فقط. القتال في الإسلام له مبررات أخرى.

استمرت المعارك حوالي سنة؛ وقيل: سنة وبضعة أشهر. وكانت جيوش المسلمين 11 جيشاً في وقتٍ واحد لتغطية كل جزيرة العرب بالجيوش! معظمها جيوش إلى وسط وشرق وجنوب جزيرة العرب. وكان عدد أتباع مسيلمة وغيره مِمن ادعوا النبوة يزيد على 70000! قُتِل منهم في معركة اليمامة وحدها نحو 10000؛ وقيل: نحو 20000! وقُتِل مِن المسلمين في هذه المعارك نحو 2000، مِنهم 500 أو أكثر (قيل: 1200) في معركة اليمامة وحدها، وكان مِنهم عدد كبير مِن حَفَظَة القرآن[251]!

ولم يقتصر الأمرُ على كل هذا القتل وسفك الدماء، وإنما وصل إلى الحَرْق! ففي إحدى معارك حروب الردة، عقد أبو بكر لواءَ القيادة للصحابي "خالد بن الوليد". "ثم خلا [أبو بكر] بخالد وأسَّر إليه أمراً ثم قال: "[...]، وإذا أتيت داراً فاقحم. فإن سمعت أذاناً أو رأيت مصلياً أمسك حتى تسألهم عن الذين نقموا ومنعوا الصدقة، فإن لم تسمع أذاناً ولم تر مصلياً شُن الغارة، فاقتل وأحرق كل مَن ترك واحدة من الخمس (يقصد: أركان الإسلام مثل الزكاة) [...]""[252]! وتقول رواية أخري: "ثم تقدم [أبو بكر] إلى خالد، وقال: "إذا غشيتم داراً مِن دور الناس فسمعتم فيه أذاناً فأمسكوا عنه، وإنْ لم تسمعوا أذاناً فشُنُّوا الغارة واقتلوا وحَرّقوا""[253]!

وفي تاريخ الطبري أن أبا بكر كتب كتاباً بنص موحد إلى القبائل العربية المرتدة جاء فيه ما يلي: "[...] وإني بعثتُ إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرتُه ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوَه إلى داعية الله؛ فمَن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمِل صالحاً قَبِلَ منه وأعانه عليه؛ ومَنْ أبى أمَرتُ أن يقاتلَه على ذلك؛ ثم **<u>لا يبقي على أحد منهم قَدَر عليه، وأن يُحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قِتْلة، وأن يَسبيَ النساء والذراري</u>** (أي: الأطفال)، ولا يقبل مِن أحد إلا الإسلام [...]"[254]!

وسنكتفي هنا بأن نذكر بإيجاز ما فعله أبو بكر في "الفُجاءة السلمي"[255][256]. جاء الفُجاءةُ إلى أبي بكر، وزعم أنه مسلم، فقال لأبي بكر: أعِنِّي بالسلاح أقاتل به أهلَ الردة. فأعطاه أبو بكر سلاحاً. فاستخدم الفُجاءةُ السلاحَ في قتال المسلمين! وقيل: كان الفجاءة لا يَمُرُّ بمسلمٍ ولا مرتدٍّ إلا قتله وأخَذ ماله! فأمر أبو بكر بالقبض على الفجاءة. فلَمَّا قُبِضَ على الفجاءة، أمر أبو بكر أنْ توقد له نارٌ في مُصَلَّى المدينة على حطب كثير ثم رُمِي بالفجاءة في هذه النار مقموطاً (أي: مجموعاً بين يديه ورجليه بحبل)! وطبعاً توجد مراجع

إسلامية سنية تشكك في مدى صحة قصة الفُجاءة أو تتجاهلها تماماً أو تقول إن أبا بكر ندم بعد ذلك. لكن هل هذا الندم سيعيد الحياةَ لمَن قتلهم أبو بكر وأحرقهم وعذبهم بالنار؟!

وكما اعترض عمرُ بن الخطاب مِن البداية على محاربة المسلمين مانعي الزكاة، اعترض عمرُ أيضاً على إحراق المرتدين بالنيران، فقال لأبي بكر منكراً إحراق الناس: "بعثت رجلاً (يقصد: خالد بن الوليد) بعذاب الله (أي: يحرق بالنار)؟ انزعه (أي: اعزله)!". "فلم يستمع إليه الخليفةُ [أبو بكر] لأنه كان في حنقه على المرتدين لا يستعظم عليهم ضرباً من ضروب العقاب"[257]!

وفي طبقات بن سعد: "كانت في بني سُليم ردّةٌ، فبعث إليهم أبو بكر خالدَ بن الوليد، فجمع منهم رجالاً في حَظَائِر ثمّ أحرقهم بالنار، فجاء عُمَرُ إلى أبي بكر، فقال: انْزِعْ رجلاً عَذَّبَ بعذابِ الله! فقال أبو بكر: لا والله، لا أَشِيمُ (أي: لا أَغْمِد) سَيْفاً سَلَّهُ اللهُ على عباده حتى يكون هو (أي: الله) يَشِيمُهُ"! وتقول الطبقات أيضاً إن خالد بن الوليد "أوقع بأهلِ بُزَاخَةَ وحَرَّقَهُم بالنار"[258].

إن كل هذه الروايات التي تؤيد بعضُها بعضاً تدل على أن المسلمين قتلوا المرتدين وأحرقوهم بالنار! فإذا كان هذا هو ما فعله أبو بكر وخالد بن الوليد اللذين رأوا محمداً وتكلموا معه ودخلوا بيتهوأكلوا وشربوا معه وصلوا وراءه وسمعوا خطبه وتتلمذوا على يديه وجاهدوا معه وبايعوه على السمع والطاعة، فلماذا نتعجب مما يفعله المسلمون الإرهابيون اليوم؟!

وإنْ قلتم إنَّ هذه الروايات غير صحيحة ولم تحدث تاريخياً. فسنقول: إن مجرد وجودها في الكتب والمراجع العربية-الإسلامية إلى اليوم يجعلها تؤثر على عقول المسلمين ووجدانهم. وكما نقول دائماً: الإرهاب الإسلامي مشكلة ثقافية في المقام الأول، بغض النظر عن كونها تاريخية أَم لا.

وإنْ قلتم إنَّ المرتدين أيضاً كانوا يقتلون ويحرقون المسلمين. فسنقول: لكن المرتدين الآن لا يُمجّدون مَن ارتكب هذه الجرائم البشعة. أما المسلمون الآن فلا يزالون إلى اليوم يُمجّدون أبا بكر ويقولون "رضي الله عنه" ويعتبرونهرقم 1 في العشرة المبشرين بالجنة الإسلامية وأول مَن قام بجَمْع القرآن! ولا يزال المسلمون إلى اليوم يُمجّدون خالدَ بن الوليد ويقولون "رضي الله عنه" ويعتبرونه "سيف الله المسلول"! وكأن الله سياف له سيوف أو يحتاج إلى سيوف! فنحن نستطيع أن نفهم أن يظهر القتلة في تاريخ المسلمين، لكننا بصراحة لا نستطيع أن نفهم أن يُمجِّد المسلمون هؤلاء القتلة إلى اليوم ثم يقولون إنه لا توجد أي علاقة بين الإسلام والإرهاب! عندما يُمجَّد أبو بكر وخالد بن الوليد ومَن مِثلهما ويُقدَّموا كقدوة للشباب المسلم، فلا تسأل بعد ذلك مِن أين يأتي الإرهاب الإسلامي؟ الإجابة: من الثقافة العربية-الإسلامية.

فإذا أراد المسلمون اليوم أن يفتحوا صفحة جديدة مع العالم المتحضر، فعليهم أولاً أن يمتنعوا عن تمجيد أبي بكر وخالد بن الوليد وأمثالهما.

"الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ، الَّذِينَ إِلهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ" (فيلبي 19:3).

بعد حروب الردة، مرض أبو بكر. فلمَّا مات أبو بكر (13هـ)، انتقل الحُكْمُ الإسلامى إلى قرشى ثالث هو عمر بن الخطاب.

1.3.1.1.1 مصير سعد بن عُبَادَة؟

أما الصحابي الكبير سَعْد بْن عُبَادَة[259] زعيم المسلمين الأنصار الذي تَخلَّف عن بَيْعة أبي بكر، فاختفى مِن الوجود في ظروف غامضة! وتضاربت الأنباءُ حول وفاته أو مقتله (اغتياله؟). قيل: مات في خلافة أبي بكر. وقيل: ترك المدينة وهاجر إلى الشام بعد مشادة كلامية مع الخليفة عمر بن الخطاب. وقيل: مات في خلافة عمر. وقيل إن سعد بن عبادة كان ضحية عملية اغتيال سياسي؛ وقيل إن عمر بن الخطاب هو الذي دَبَّر لاغتياله. ولعل الذين اتهموا عمرَ بهذه التهمة قد فسروا الجملة التي قالها عمر يوم مبايعة أبي بكر – وهي "قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ" حسب ما جاء في صحيح البخاري – تفسيراً حرفياً. وطبعاً المراجع الإسلامية السنية بصفة عامة تنكر هذه التهمة أو تتجاهلها، وبعضها يزعم أن الجن هو الذي قَتل سعد بن عبادة!

وكالعادة، لجأت مراجع إسلامية سنية إلى الأساطير لتنكر أن سعد بن عبادة قد اغتيل. وكالعادة أيضاً، لا يتفقون على أسطورة واحدة، فتتعدد أساطيرهم وتتضارب. فقيل إن سعد بن عبادة بال قائماً، فاتكأ فمات، فقتلته الجن! وقيل: إنما جَلس يبول في نَفَقٍ، فمات مِن ساعته، فوجدوه قد اخضرَّ جِلدُه! وقيل: وُجِد ميتاً على مُغْتَسله، وقد اخضر جسده، ولم يشعروا بموته بالمدينة حتى سمعوا صوتاً مِن بئر يقول بيتين مِن الشعر؛ سمعوا صوتاً فقط ولا يرون أحداً! وهذان البيتان هما:

قَتَلْنَا سَيِّدَ الخَزْرَجِ   سَعْدَ بنَ عُبَادَة

رَمَيْنَـــاهُ بِسَهْمَينِ   فَلَمْ نُخْطِ فُؤَادَه

وقال د. طه حسين إن سعد بن عبادة الأنصاري "ظل يمثل المعارضة قوي الشكيمة ماضي العزيمة، حتى قُتِل غِيلةً في بعض أسفاره. قتلته الجن فيما يزعم الرواة"[260].

ولقد لاحظنا أن بعض المراجع الإسلامية السنية الحديثة تتجاهل سعد بن عبادة نفسه أو لا تعطيه نفسَ الاهتمام الذي تعطيه للصحابة الأنصار الآخرين! مع أن سعد بن عبادة كان مِن كبار الصحابة وسيِّد المسلمين الأنصار وحامل رايتهم في غزوات محمد ويُقال إنه كان يَكتُب بالعربية ويُحْسن العوم والرمي وكان مشهوراً بالكرم هو وأبوه وجده وولده وكان على علاقة قوية بمحمد وإنه الأنصاري الوحيد الذي عَذَّبته قريشُ.

س: مَن هو الصحابي عمر بن الخطاب المتهم باغتيال الصحابي المُعارِض سعد بن عبادة الذي رفض أن يبايع أبا بكر؟

ج: عمر بن الخطاب هو الصحابي الذى قَتَلَ خالَه! ومع ذلك سيدخل الجنة! بل له قصرٌ فيها! ...

1.3.1.2 عمر بن الخطاب: الصحابى الذى قَتَلَ خالَه، ومع ذلك سيدخل الجنة ويعيش فى قصر!

اسمه الثلاثى: عمر بن الخطاب بن نفيل؛ وهو أيضاً من قبيلة قريش. نشأ فى مكة وتعلم القراءة والكتابة، وكان معروفاً بثقافته وذكائه وعبقريته - ويُقال إنه كان أعسراً أيسراً (left-handed)، وكان معروفاً أيضاً بصلابته وشدته وفتوته. ولذلك فإن محمد نفسه كان يتمنى أن ينضم عمر إلى الإسلام.

أسلم عُمَرُ فى شبابه (قيل: ابن 26 سنة؛ وقيل: حوالى 30 سنة)، فساعد المسلمين على أن يُظهِروا إسلامَهم علانية[261].

ولازم عُمَرُ محمداً وأبا بكر مِن يوم دخل الإسلام. وتقول أحاديث صحيحة أخرجها البخارى ومسلم وغيرهما إن محمد كان يقول كثيراً: "جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"، "وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"، "وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"، "كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"، "وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"، "وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"[262].

ومنذ ذلك اليوم، لعب عُمَرُ مع محمد وأبي بكر دوراً مهماً فى نشأة الإسلام وتكوين القرآن. أو بعبارة أخرى: انضم عُمَرُ إلى فريق "أصحاب القرآن" لاستكمال المشروع الذى بدأه محمد وخديجة وورقة بن نوفل.

فلقد قال الشيخُ الشعراوى عن عُمَر بن الخطاب: "كانت له فطرة صافية توافق وحى الله" "حتى إن القرآن لينزل موافقاً لرأيه، ومؤيداً لقوله"[263]! ويُروَى أن عمر نفسه قال: "وافقنى ربى فى ثلاث" أو "وافقت ربى فى ثلاث"! والمقصود هنا أنهم "ثلاث" على الأقل؛ والسُنَّة الصحيحة تؤكد أنهم أكثر مِن ثلاثة. وهذا دليل قاطع – مِن الكتب والمراجع الإسلامية – أن القرآن عمل جماعى (œuvre collective)، وليس من تأليف محمد وحده. كان محمد قائداً للفريق الذى أسميناه "أصحاب القرآن". ولم يكن لدى أصحاب القرآن مشكلة فى أن يقترحوا على محمد فكرةً أو رأياً أو يتمنوا أمنيةً، فيؤيدهم محمدٌ فيما اقترحوه أو لا يؤيدهم، وربما يُعدِّل فى أمنياتهم، وربما يؤيد رأياً ثم يتراجع ويؤيد رأياً آخر (أى: "ينسخ" رأياً برأى).

هكذا صُنِع القرآن: ثمرة "وحي مشترك" (révélation partagée)[264] اشترك فيه مجموعة مِن البشر، مِن ضمنهم "عمر بن الخطاب" ...

يقول حديث صحيح أخرجه البخارى[265] إن عمر بن الخطاب قال: وَافَقْتُ ربى فى ثلاثٍ. فقلت يا رسول الله، لو اتَّخَذْنَا مِن مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فنزلت "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" (البقرة 125). وآيةُ الحِجَابِ، قلت: يا رسول الله، لو أَمَرْتَ نِساءَك أنْ يَحْتَجِبْنَ، فإنه يُكَلِّمُهُنَّ (وفى رواية: يَدْخُلُ عليهنَّ) البَرُّ والفَاجِرُ، فنزلت آية الحِجَابِ (يقصد: "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ (أى: سِتْر)" (الأحزاب 53)). واجتمع نساءُ النبى ﷺ فى الغيرة عليه، فَقُلْتُ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إنْ طَلَّقَكُنَّ أنْ يُبْدِلَهُ أزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ، فنزلت هذه الآية (يقصد: "عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ" (التحريم 5)).

وحين تقرأ المراجع الإسلامية، تكتشف أن عمر كان فظاً غليظاً، بل: كان عمر أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ محمد نفسه. تقول أحاديث صحيحة أخرجها البخارى ومسلم وغيرهما إن محمداً كان عِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ. فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ للدخول، قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ (أى: الاختباء)،

فضحك محمدٌ وقال لعُمَر: "عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ". فقَالَ عُمَرُ لمحمد: "فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ"، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ لهؤلاء النساء: "يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟". فقالت النساء لعُمَر: "نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"[266]! ويُفهَم مِن هذه الأحاديث أن محمد وافق عُمرَ على غلظته وفظاظته، بدليل أنه قال له بعدها: "إِيهًا (أى: زدْ) يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا (أى: طريقاً) إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ"! سؤال: ما علاقة الشيطان بالموضوع؟! هل أراد محمد أن يقول إن المرأة – مثل الشيطان – تخاف مِن عمر وتهرب منه؟

ويقول حديث صحيح أخرجه مسلم[267] إن عُمَر قال: وَافَقْتُ ربى فى ثلاثٍ: فى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وفى الحِجَابِ، وفى أُسَارَى بَدْرٍ (أى: أسرى بَدْرٍ). ولقد تحدثنا عن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ والحِجَابِ. أما أُسَارَى بَدْرٍ فَهُمْ الأسرى الكفار الذين أَسَرهم المسلمون فى غزوة بدر (2هـ) التى كانت بداية لحربٍ أهلية (civil war) استمرت حوالى 6 سنوات حتى فتح مكة (8هـ)[268]. ونحن نقول إنها حرب أهلية لأن المسلمين فى المدينة كانوا يحاربون أقاربهم الكفار فى مكة. على سبيل المثال:

- كان مِن بين قتلى بدر "العاص بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم" خال عمر بن الخطاب؛ أى: أخو والدة عمر أو ابن عمها[269]. وتقول مراجع إسلامية إن عمر هو الذى قتله[270]! أى أن عمر قتل خالَه! ومع ذلك، فإن عمر هو أحد العشرة المبشرين بالجنة! ليس هذا فحسب، بل قال محمدٌ إن لعمر قصر فى الجنة! يقول حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم إن محمد قال: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ"[271]. [سؤال لكل مسلم عاقل: عندما تجعلون مَن قتل خالَه قدوةً للشباب المسلم وتزعمون أن له قصر في الجنة، فلماذا تتساءلون: مِن أين يأتي الإرهاب الإسلامي؟!]
- وكان مِن بين أسرى بدر "أبو العاص بن الربيع" ابن أخت السيدة خديجة وزوج "زينب" ابنة محمد وخديجة؛ يعنى: محمد يبقى حماه وزوج خالته! وكانت زينب حينئذٍ لا تزال تعيش فى مكة مع زوجها الكافر أبى العاص ولم تهاجر إلى أبيها محمد فى المدينة[272]!

وقصة أسرى بدر باختصار هى أن محمداً سأل أبا بكر وعُمَر ماذا يفعل مع هؤلاء الأسرى الكفار. فرأى عُمَر أن يقتلهم! أما أبو بكر فاقترح اقتراحاً سلمياً وهو أن يأخذ منهم فِدْيَةً، فَهُمْ مِن أهل المسلمين وإنْ حاربوهم. فأخذ محمدٌ برأى أبى بكر. ففى حالة أبى العاص بن الربيع زوج ابنته زينب مثلاً، بعثت زينب فداءً له قلادةً كانت خديجة أعطتها إياها. إلا أن القرآن جاء موافقاً لرأى عُمَر: القَتْل! بل: كثرة القَتْل!

والقصة بالتفصيل مذكورة فى حديث صحيح أخرجه مسلم[273]، وهو حديث طويل، لكن أهم ما جاء فيه باختصار وتصرف هو أن المسلمين قَتَلُوا فى غزوة بدر سبعين وأَسَرُوا سبعين مِن الكفار. فقال محمدٌ لأبى بكر وعمر: "ما تَرَونَ فى هؤلاء الأُسَارَى؟" فقال أبو بكر: "هُمْ بنو العَمّ والعشيرة. أرى أن تأخذ منهم فِدْيَةً، فتكون لنا قوة على الكفار. فعسى الله أن يهديهم للإسلام". أما عُمَر فقال: "ما أرى الذى رأى أبو بكر.

ولكنى أرى أن تُمَكِّنَّا فنضرب أعناقهم. فتُمَكِّن عَلِيًّا (بن أبى طالب) مِن عَقِيل (كافراً) فيضرب عُنُقَه. وتُمَكِّنِّي مِن فلانٍ (نسيباً لعُمَر[274]!) فأضرب عُنُقَه. فإن هؤلاء أئمة الكفر وصَنَادِيدُهَا". فَأحب محمدٌ ما قال أبو بكر، ولم يحب ما قاله عُمَر. وفى اليوم التالى، جاء عُمَر فإذا محمد وأبو بكر قَاعِدَيْن يبكيان، فسألهما عُمَر عن سبب بكائِهما. فقال محمد: "أبكى للذى عَرَضَ عَلَيَّ أصحابُك مِن أَخْذِهِم الفِدَاءَ. لقد عُرِضَ عَلَيَّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة" (شجرةٍ قريبةٍ مِنه). وجاء القرآنُ موافِقاً لرأي عُمَر: "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى (يحتجزهم، أو يأخذ منهم فِدَاءً، أو يمن عليهم بعفوٍ) حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ (أى: يُبَالِغ فى قتلهم، يكثر القتل والقهر فيهم!) تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا (بأخذكم الفِدَاء مِنهم) وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ (بكثرة القتل والقهر؟!) وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ (بإباحة الغنيمة؛ أو: بالعفو عن المجتهد المخطئ، أو: بالمغفرة لأهل بدر) لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ (مِن الفداء) عَذَابٌ عَظِيمٌ. فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ (مِن الفداء، فهو مِن جملة الغنائم) حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (الأنفال 67-69)!

وإنه لَمِن الطريف أن أصحاب القرآن قد رجعوا بعد ذلك إلى اقتراح أبي بكر. ليس بمعنى أن اقتراح أبي بكر (فداء الأسرى بدون إراقة دماء) قد "نَسَخَ" أو ألغى اقتراحَ عُمَر (قتل الأسرى)، وإنما بمعنى أن فداء الأسرى صار خياراً من ضمن خيارات أخرى لكيفية التعامل مع الأسرى. نجد ذلك فى سورة "محمد" التى تُسمَّى أيضاً سورة "القتال"! "فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا (فى الحرب) فَضَرْبَ الرِّقَابِ (أى: اُقْتُلُوهُمْ) حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ (أى: أَكْثَرْتُمْ فِيهِمْ الْقَتْل وقهرتموهم!) فَشُدُّوا الْوَثَاقَ (أى: أحكموا قيد الأسرى) فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ (أى: تَمُنُّونَ عليهم بإطلاق سراحهم بغير مقابل) وَإِمَّا فِدَاءً (أى: تُفَادُونَهُمْ بِمَالٍ أَوْ أَسْرَى مُسْلِمِينَ) حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا (فلا يبقى إلا مُسلِم أو مُسالِم (سواء كان ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً))" (محمد 4).

وقيل إن الآية (محمد 4) قد نُسِخَت بعد ذلك بآية السيف (التوبة 5). ومِن المعلوم أن آية السيف (التوبة 5) مهمة جداً، إذ يعتمد عليها الإرهابُ الإسلامي اليوم في حربه الدينية/السياسية ضد الحضارة وضد الإنسانية. بل إن أبا بكر الصديق نفسه اعتمد عليها فى قتال مانعي الزكاة. وفي جميع الأحوال، فإن النتيجة النهائية واحدة: الإسلام يبيح قتل الأسرى. ودليلنا على ذلك هو تفسير "فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً" (محمد 4) حسب التفسير الميسر الذي أعده نخبةٌ من العلماء المسلمين تحت إشراف وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية والمشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: "فأحكموا قيد الأسرى: فإما أن تَمُنُّوا عليهم بفك أسرهم بغير عوض، وإما أن يفادوا أنفسهم بالمال أو غيره، وإما أن يُسْتَرَقُّوا أو يُقْتَلوا"[275]! وكذلك تقول موسوعة بيان الإسلام (التي قام على إنجازها أكثر من 200 عالم وباحث مسلم في القرن الحادي والعشرين الميلادي!): "أسرى الحرب هُمْ من الغنائم، وَهُمْ على قسمين: الأول: النساء والصبيان، والثاني: الرجال البالغون المقاتلون من الكفار، إذا ظفر المسلمون بهم أحياء، وقد جعل الإسلام الحق للحاكم في أن يفعل بالرجال المقاتلين - إذا ظفر بهم ووقعوا أسرى - ما هو الأنفع والأصلح، من المنّ أو الفِداء أو القتل. والمنُّ هو إطلاق سراحهم بلا مقابل، والفداء قد يكون بالمال، وقد يكون بأسرى المسلمين، على أنه يجوز للإمام مع ذلك أن يقتل الأسير إذا كانت المصلحة

تقتضي قتله. وممن ذهب إلى هذا جمهور العلماء، فقالوا: للإمام الحق في أحد الأمور الثلاثة المتقدمة"[276]**!**
وكذلك يقول أ. د. محمد بكر إسماعيل (من كبار علماء الأزهر في مصر في القرن العشرين الميلادي**!**)[277]:

حكم الإمام في الأسرى:

إذا جمعت الغنائم وجمع الأسرى وانتهت المعركة كان الإمام أو نائبه مخيَّراً في الأسرى بين أمور خمسة:

الأول: قتلهم، إن خاف من شرهم، أو من أجل النكاية بهم وبعدوهم، أو ليشفي بقتلهم أناساً من المسلمين لهم عندهم ثارات، أو ما أشبه ذلك من المصالح التي يراها مع مجلس الشورى الذي يصطفيه للتشاور في أمرهم.

الثاني: استرقاقهم، أي جعلهم عبيداً في أيدي المسلمين، فيدخلهم في قسمة الغنائم فأيهم وقع سهمه عليه ملكه، وذلك إن رأى أن في استرقاقهم مذلة لهم ولمن خلفهم.

الثالث: إطلاقهم بالفداء، إن رأى أن في أخذ الفدية مصلحة للمسلمين.

الرابع: أن يطلقهم ويعقد بينهم عقداً بترك المقاتلة ودفع الجزية.

الخامس: أن يَمُنَّ عليهم من غير فداء، وذلك إن رأى فيه مصلحة للمسلمين.

وهذا (أي: التخيير بين الأمور الخمسة السابقة) ما ذهب إليه المالكية ومن نحا نحوهم من فقهاء المذاهب الثلاثة، بل إن هذا هو مذهب أكثر أهل العلم على اختلاف مذاهبهم.

وفي السيرة النبوية ما يشير إلى ذلك فقد استشار النبي ﷺ المسلمين في أسرى بدر فمنهم مَن أشار بقتلهم، ومنهم من أشار بقبول الفداء.

وهكذا كان أصحاب القرآن والمسلمون الأوائل ينتقلون مِن فكرة إلى فكرة، ومِن اقتراح إلى اقتراح، ومِن رأي إلى رأي، حسب أحوالهم السياسية وقوتهم العسكرية بالنسبة لغيرهم.

ننتقل الآن إلى آية قرآنية خامسة ساهم فيها عُمَر بن الخطاب بفِكره واقتراحاته. تقول أحاديث صحيحة أخرجها البخارى ومسلم[278]: لَمَّا تُوُفِّيَ "عبد الله بن أُبَيّ بن سلول" (مِن زعماء المنافقين)، جاء ابنُه "عبد الله بن عبد الله" إلى محمد، فسأل محمداً أن يُعْطِيَه قَمِيصَه أن يُكَفِّن فيه أباه، فأعطاه. ثم سأل محمداً أن يُصَلِّى على أبيه، فقام محمدٌ ليُصَلِّي عليه. فَقَامَ عُمَرُ وفعل فعلاً جريئاً، إذ أخذ بثوب محمد وقال له: "أَتُصَلِّي عليه، وقد نهاك اللهُ أن تُصَلِّي عليه (لأنه منافق)؟". فقال محمدٌ: "إنما خَيَّرَنِى اللهُ فقال: "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً" (التوبة 80) وسأزيدُ على سبعين". فَصَلَّى محمدٌ عليه. لكن جاء القرآنُ بعد ذلك مُوافِقاً لرأى عُمَر: "وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ (أى: من المنافقين) مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ" (التوبة 84). فالتزم محمدٌ بهذه التعليمات الجديدة التى أصدرها عُمَر/الله وترك الصلاةَ على المنافقين! ورُوِىَ أن عُمَر قال بعدها: "فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِن جُرْأَتِى على رسول الله ﷺ"!

ونلاحظ مِن هذه القصة والتى تسبقها (أسرى بدر) أن محمد كان أحياناً يميل إلى فِعل "الخير" ويفعله فعلاً، لكن يقترح عليه واحدٌ مِن أصحاب القرآن أن يفعل "الشر"؛ فينتصر الشر على الخير ولو لفترة. وهذا يجعلنا نتساءل: هل أفاد عمرُ الإسلامَ أم أضره؟ أم أضره أكثر مما أفاده؟ وهل خرج الإسلامُ بالصورة المتشددة والعنيفة التى عليها الآن بسبب محمد أم بسبب المحيطين به؟

وهذا يؤكد أننا كنا على صواب حين قررنا أن نُركِّز حديثَنا على القرآن (المصحف) الذى بين أيدينا الآن، القرآن الذى صنعه العربُ (المسلمون الأوائل؛ أصحابُ القرآن)، وألا نتحدث عن محمد إلا فى حالات الضرورة فقط. فليس مِن الإنصاف أن نُحاسِب محمداً على قرآنٍ هو غير مسئول عنه، خاصة أن محمد لم يكن حياً حين جُمِع القرآنُ فى كتاب (مصحف). ليس مِن الإنصاف أن نُحاسِب شخصاً على كتابٍ كُتِبَ بعد وفاته، وإنْ نُسِبَ هذا الكتاب إلى حياته.

ننتقل الآن إلى آيات قرآنية أخرى ساهم فيها عُمَر بإلحاحه وإصراره حتى حقق هدفَه في النهاية.

مِن المعلوم أن الإسلام أباح شرب الخمر طوال الفترة المكية. وتقول آية قرآنية مكية: "وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا (أي: خمراً مُسْكراً) وَرِزْقًا حَسَنًا (أي: طعاماً طيباً)" (النحل 67). قد تُفهَم هذه الآية على أنها تبيح السَّكَر، وقد تُفهَم على أنها تذم السَّكَر بوضعه في تضاد مع الطعام الطيب غير المسكر. وقيل إن "سَكَرًا" يعني: طعاماً حلواً، وليس خمراً! وقيل إن السَّكَر هو الخل بلغة أهل الحبشة! ولن نضيع الوقت في التعليق على هذه الأقوال المضحكة، فيكفينا أن الرأي السائد في الكتب والمراجع الإسلامية هو أن "سَكَرًا" يعني: خمراً مُسْكِراً، مما يدل على أن (النحل 67) تبيح السَّكَر حتى لو افترضنا أنها تذمه، لأن (النحل 67) مكية وتحريم شرب الخمر مدني باتفاق المسلمين.

إذن: لا توجد آية قرآنية مكية واحدة تُحرّم شرب الخمر.

لكن في الفترة المدنية - أي بعد 13 سنة من ظهور الإسلام! - بدأ تحريم شرب الخمر ... تدريجياً!

ويتضح من الكتب والمراجع الإسلامية أن عمر بن الخطاب كان وراء تحريم شرب الخمر. فلقد ظل عُمَر يُلِّح ويُلِّح ويُلِّح فى مسألة الخمر، ولم يهدأ له بال إلا بعد تحريم الخمر تحريماً مطلقاً. رَوى الترمذى والنسائى وأبو داود وغيرُهم أحاديث صحيحة[279] تحكى لنا كيف حُرّم الخمر تدريجياً. وهكذا كانت الأمور فى الإسلام تُدار أحياناً بالأسلوب الذي يسميه المسلمون "التدرج" (gradualism)! ونحن نعتبر التدرج نوعاً من أنواع التطور البشري الطبيعي (natural human development).

- قال عُمَر بن الخطاب: "اللهم بَيِّنْ لنا فى الخَمْرِ بياناً شافياً (أو: بَيانَ شِفاءٍ)"، فَنَزَلَت "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا" (البقرة 219).

- فدُعِيَ عُمَرُ فقُرِئَت عليه، فقال: "اللهم بَيِّنْ لنا فى الخَمْر بياناً شافياً (أو: بَيانَ شِفاءٍ)"، فَنَزَلَت "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ" (النساء 43).
- فدُعِيَ عُمَرُ فقُرِئَت عليه، ثم قال: "اللهم بَيِّنْ لنا فى الخَمْر بياناً شافياً (أو: بَيانَ شِفاءٍ)"، فَنَزَلَت "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ" (المائدة 90-91).
- فدُعِيَ عُمَرُ فقُرِئَت عليه، فلَمَّا بَلَغَ "فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ"، قال عُمَر: "انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا".

وأخرج الحاكمُ في المُستدرَك حديثاً يعطي ترتيباً زمنياً مختلفاً (النساء 43) ثم (البقرة 219) ثم (المائدة 90-91)، لكنه يضيف إضافة مهمة وهي أنه بعد الآية الأولى "دعا النبي ﷺ عمر فتلاها عليه **<u>فكأنها لم توافق من عمر الذى أراد</u>**، فقال [عمر]: اللهم بَيِّنْ لنا فى الخَمْر"؛ وبعد الآية الثانية "دعا النبي ﷺ عمر فتلاها عليه **<u>فكأنها لم توافق من عمر الذى أراد</u>**، فقال [عمر]: اللهم بَيِّنْ لنا فى الخَمْر"؛ وبعد الآية الثالثة "دعا النبي ﷺ عمر فتلاها عليه، فقال عمر: انتهينا يا رب"[280]. ونحن نرى أن هذا اعتراف ضمني بأن آيات تحريم الخمر كانت باقتراح وإصرار وإلحاح عمر بن الخطاب.

ومع ذلك، قيل إن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب (هو: "أبو شحمة" أخو السيدة حفصة زوجة محمد) قد شرب الخمر فى مصر، فأقام عمرُ عليه الحد أمام الناس فى المدينة! بل قيل إن ابن عمر شرب الخمر وسكر واغتصب امرأة (أو: زنا معها)! فأمر عمرُ بجلده أمام الناس لأن القرآن يقول "وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (النور 2)، فجُلِدَ ابنُ عمر مِائَة جَلْدَة أمام الناس حتى سقط ميتاً[281]! يعنى: الأب يقتل خالَه، والابن – أخو زوجة محمد – يشرب الخمر ويرتكب المعاصي!

ولقد صدق يسوع المسيح حين قال عن الأنبياء الكذبة (أي: غير الحقيقيين؛ false prophets): "مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ" (متى 7:20).

ولقد اشترك عمر أيضاً فى تأسيس صوم رمضان بالقواعد التى عليها الآن. فلقد كان فى أول الإسلام حرامٌ على المسلم أن يأكل أو يشرب أو يجامع نساءه بعد العشاء فى ليالى شهر رمضان. ويبدو أن هذا التحريم كان شاقاً أو صعبَ التنفيذ على جماعة مِن المسلمين، فخالفوه. وحتى لا نظلمهم، ربما خالفوه بدون قصد أو لأنهم لم يتعودوا عليه. وعلى أى حال، نحن لا يهمنا لماذا خالفوه، وإنما يهمنا أن عمر بن الخطاب كان واحداً مِن هؤلاء المخالفين.

اعترف عمر لمحمد أنه جامع أهله بعد العشاء فى رمضان[282]. فتشجع رجالٌ مسلمون آخرون فقاموا فاعترفوا بمثله. فنُسِخَ هذا التحريم، وأُبيح الأكل والشرب والجماع حتى الفجر! "أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ

إِلَى نِسَائِكُمْ (أى: جماعهن) هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ (أى: تخونون أَنْفُسَكُمْ بمخالفة ما حَرَّمه الله) فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ (أى: جَامِعُوهُنَّ) وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ (مِنَ الْفَجْرِ) إِلَى اللَّيْلِ (أى: إلى المغرب) وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" (البقرة 187)[283].

وهكذا كانت المشكلات فى بداية الإسلام تُحل أحياناً بأسلوب "التجربة والخطأ" (trial and error).

ويقول حديث صحيح أخرجه البخارى إن المسلمين فرحوا بهذه الآية (البقرة 187) "فرحاً شديداً"[284]!
ونحن نقول لهم: ألف مليون مبروك إطالة مدة جماع النساء حتى الفجر فى رمضان!

ولِعُمر بن الخطاب إسهامات أخرى فى القرآن، وإنْ كانت غير مذكورة فى كتب السُنَّة الصحيحة، فإننا نجدها فى كتب التفسير وأسباب النزول والمراجع الإسلامية الأخرى قديماً وحديثاً.

قال الواحدى النيسابورى: "قال ابن عباس: وَجَّهَ رسولُ الله ﷺ غلاماً مِن الأنصار يقال له مُدلج بن عمرو إلى عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل (الغلامُ) فرأى عمر بحالة كرهَ عُمَرُ رؤيته ذلك (قيل إن عمر كان نائماً وقد كشف بعض جسده). فقال (عمر لمحمد): "يا رسول الله، وددت لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا فى حال الاستئذان"[285]. وكالعادة، جاء القرآنُ مُحققاً أمنية عمر ومُوافِقاً لاقتراحه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (أى: فى أوقات عوراتكم الثلاثة) مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ (أى: وقت الاستيقاظ) وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ (أى: وقت القيلولة) وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ (أى: وقت النوم) ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ (أى: لا حرج فى الدخول بغير استئذان فى غير هذه الأوقات الثلاثة) طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ (لقضاء المصالح مثل الخدمة وغيرها) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (النور 58).

ويوجد رأى آخر يقول إن (النور 58) نزلت فى "أسماء بنت مَرثد" التى كان لها غلامٌ كبيرٌ، فدخل عليها فى وقت كرهته، فذهبت إلى محمد وقالت له: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حالٍ نكرهها. ويمكن الجَمْع بين الرأيين. وفى كلتا الحالتين، النتيجة واحدة: القرآن عمل جماعى اشترك فيه مجموعة مِن البشر.

وقال الواحدى النيسابورى أيضاً: "قال عُرْوَة بن رُوَيم: لما أنزل الله تعالى: "ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (أى: الأمم السابقة). وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (أى: أمة محمد)" (الواقعة 13-14)، بكى عمر وقال: "يا رسول الله، آمنا بك وصدقناك، ومع هذا كله مَن ينجو منا قليلٌ؟". فأنزل الله تعالى: "ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ" (الواقعة

40-39). فدعا رسول الله ﷺ عمر فقال: "يا عمر بن الخطاب، قد أنزل الله فيما قلت، فجعل ثُلَّة مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّة مِنَ الْآخِرِينَ". فقال عمر: "رضينا عن ربنا وتصديق نبينا""[286].

وإذا كان هذا ما وجدناه فى الكتب والمراجع الإسلامية التى وصلت إلينا، فإن ما خفى كان أعظم وما ضاع كان أكبر ...

مما سبق يتضح أن عُمَر بن الخطاب قد لعب دوراً عظيماً فى تكوين القرآن ونشأة الإسلام. ويُروَى أن محمد نفسه قال "إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ (أى: رجَالٌ يُكَلَّمُونَ مثل الأنبياء مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ)، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ [أَحَدٌ] مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ"[287]. كما قال محمدٌ فى حديث آخر: "لو كان بَعدِى نَبىٌّ لكان عُمَر بن الخطاب"[288]! ومِن الجدير بالذِكر أن عمر بن الخطاب هو الذى اقترح جَمْع القرآن للمرة الأولى فى عهد الخليفة أبي بكر الصديق.

وبعد وفاة محمد وأبي بكر، ظل الخليفة الثانى عُمَر بن الخطاب (13 – 23هـ) (634 – 644م) يتصرف كما لو كان نبياً. ومِن اجتهاداته: إقامة صلاة التراويح جماعة فى المسجد كل ليلة مِن شهر رمضان؛ منع زواج المتعة؛ تعطيل حد السرقة فى عام الرمادة[289].

ونريد أن نتوقف قليلاً عند أشهر مثال على اقتراحات عمر التى تحولت إلى قرآنٍ يُتلَى ويُصَلَّى به، وهو عبارة "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" (البقرة 125) التى كانت باقتراح من عمر كما جاء فى السُنَّة الصحيحة وفى كثير من كتب التفسير وأسباب النزول وغيرها مِن المراجع الإسلامية قديماً وحديثاً[290]. نحن نتفق مع مَن قال إن عبارة "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" لم تكن أصلاً جزءاً مِن الآية (البقرة 125) وإنما أضيفت لاحقاً؛ ربما أضافها عمر بعد أن صار خليفة المسلمين. بدليل أنه لا يُعقَل أن يكون الأمر بالصلاة "اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" قبل الأمر بتطهير البيت "طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ". وبدليل أيضاً أنه يمكننا حذف هذه العبارة التى اقترحها عمر وقراءة (البقرة 125) دون أدنى مشكلة: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا (وَ)عَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"[291].

وكما قَتَلَ عُمَرُ بن الخطاب خالَه فى غزوة بدر (2هـ) وسفك دماء كثيرة فى غزواته (فتوحاته) التوسعية الإمبريالية، قُتِل هو نفسه على يد أبي لؤلؤة المجوسى فى عام 23هـ (644م). ولقد صدق يسوعُ المسيح حين قال: "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (متى 52:26).

فثار "عبيد الله بن عمر بن الخطاب" (أخو السيدة حفصة) لمقتل أبيه وجن جنونه ولم يستطع أن يملك زمام نفسه، "وخرج شاهراً سيفه وفى نفسه أن يقتل كل المجوس من العجم"[292]! يعنى: عقاب جماعى (collective punishment) كما فعل محمدٌ وسعد بن مُعاذ وأتباعهما مع بنى قريظة[293]! وطبعاً، لم

يستطع عبيدُ الله أن يقتل المجوسَ كلهم، فاكتفى بقتل أبي لؤلؤة المجوسى وقتل اثنين آخرين: الهرمزان وجُفَينَة. لماذا قتلهما عبيدُ الله؟ لأنه "اتهمهما بإغراء أبي لؤلؤة بعمر"[294]، أى: اتهمهما بالاشتراك فى التخطيط لقتل عمر. يعنى: حَكم عبيدُ الله عليهما بالإعدام لمجرد الاتهام، ونَفَّذَ عليهما حُكمَ الإعدام بدون محاكمة ولا دفاع! [بالضبط كما فعل محمدٌ وأنصاره مع أبي رافع اليهودي لَمَّا اغتالوه فى بيته ليلاً بدون محاكمة ولا دفاع ولا حتى إخباره بحُكم الإعدام الذى صدر ضده غيابياً[295]!] وتقول روايةٌ إن عبيد الله قتل ابناً لأبي لؤلؤة معه، وتقول رواية أخرى إن عبيد الله قتل ابنة الهرمزان! ويمكن الجَمْع بين هذه الروايات المختلفة، لكن غير المتناقضة. ولقد صدق يسوع المسيح حين قال عن الأنبياء الكذبة (أي: غير الحقيقيين؛ false prophets): "مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ" (متى 7:20).

ونحن نقول ذلك ليس لمحاكمة ابن عمر بن الخطاب على جريمته، بل جرائمه. وإنما نقول ذلك حتى نثبت لأحبائنا المسلمين أن جذور العنف موجودة فى الثقافة العربية-الإسلامية مِن قبل ابن حنبل ومِن قبل ابن تيمية ومِن قبل ابن عبد الوهاب وغيرهم. ونقول أيضاً لأحبائنا المسلمين الذين يقولون على أنفسهم "مستنيرين": لا تُضيِّعوا وقتكم فى نقد الفقهاء وأصحاب المذاهب. المشكلة أعمق مِن ذلك بكثير. المشكلة ليست في ابن عمر وابن حنبل وابن تيمية وابن عبد الوهاب وكل هؤلاء. المشكلة في الثقافة العربية-الإسلامية التي أنتجت كل هؤلاء، كما قاموا هُمْ أيضاً بالتأثير على هذه الثقافة من خلال أفكارهم وآرائهم وفتاويهم. إذن: العلاقة تبادلية بين الأفكار والأشخاص. وليس من الحكمة التركيز على أشخاص معينة فقط.

ولذلك فإننا حين نركز على القرآن ونثبت بالأدلة القاطعة أنه كلام العرب وليس كلام الله، فإننا نتعامل مع القرآن باعتباره منتجاً من منتجات الثقافة العربية قبل أن يكون النص المؤسس (texte fondateur) للدين الإسلامي. نعم، القرآن منتج ثقافي (cultural artifact) أنتجه العربُ بعد أن اطلعوا على تراث ديانات وثقافات وحضارات الشعوب الأخرى المجاورة لهم.

بعد مقتل عُمَر بن الخطاب، انتقل الحُكْمُ الإسلامى إلى قرشى رابع هو عثمان بن عفان. وطبعاً أول مشكلة وقع فيها عثمانُ هى: كيف سيتعامل مع عبيد الله بن عمر بن الخطاب؟ هل سيقتله عقاباً على جرائمه؟ أم سيعفو عنه؟ ...

1.3.1.3 عثمان بن عفان: الصحابى الذى بدأت في عهده الفتنةُ، ومع ذلك سيدخل الجنة!

اسمه الرباعى: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية؛ وهو قُرَشِيّ أموى مِن أغنياء التجار وأثرياء قريش. ويُروَى أنه لم يشرب خمراً فى الجاهلية (أى: قبل الإسلام).

كما يُروَى أنه قبيل إسلامه، ذهب إلى خالته "سُعْدَى بنت كُرَيْزٍ" الكاهنة، فقالت له: "عثمانُ. لك الجمالُ ولك اللسانُ. هذا نبيٌّ معه البُرْهانُ. أَرْسَلَهُ بحقِّه الدَّيّانُ. وجاءَه التنزيلُ والفُرقانُ. فَاتْبَعْهُ لا تَغْتالُكَ الأَوْثانُ"(296).

ونلاحظ أن هذه الجمل القصيرة ذات النثر المسجوع (rhymed prose) تشبه - من حيث الشكل - الآيات الافتتاحية القصيرة فى بعض السور القرآنية. اقرأ سورة الرحمن مثلاً:

كلام الكُهّان	كلام القرآن
عثمانُ.	الرَّحْمَنُ.
لك الجمالُ ولك اللسانُ.	عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ.
هذا نبيٌّ معه البُرْهانُ.	الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ.
أَرْسَلَهُ بحقِّه الدَّيّانُ.	وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ.
وجاءَه التنزيلُ والفُرقانُ.	وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ.
فَاتْبَعْهُ لا تَغْتالُكَ الأَوْثانُ.	أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ.

ولا يهم إنْ كانت الكاهنة "سُعْدَى بنت كُرَيْزٍ" شخصية حقيقية أم خيالية أم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال. ولا يهم إنْ كانت قد قالت هذه الجمل القصيرة (الآيات) فعلاً مع ظهور الإسلام أو أنها وُضِعَت على لسانِها ونُسِبَت إليها في وقتٍ لاحق. فى جميع الأحوال، النتيجة واحدة: لدينا كلام بشرى مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذى وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله. القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التى أنتجت كلامَ سُعْدَى بنت كُرَيْزٍ تستطيع بكل تأكيد أن تنتج القرآنَ.

أسلم عثمانُ فى شبابه مبكراً وما زال الإسلام يُدعَى إليه سراً. ثم هاجر عثمانُ إلى الحبشة مع زوجته رقية ابنة محمد. عادت رقية إلى مكة بعد وفاة أمها السيدة خديجة. وبعد فترة، هاجر محمد إلى يثرب (المدينة)، فهاجرت رقية فى إثره. توفيت رقية سنة 2هـ، فتزوج عثمان شقيقتها أم كلثوم سنة 3هـ، فكان يُقال له "ذو النورين" لأنه تزوج ابنتى محمد وخديجة(297). وفى المدينة وكذلك فى الغزوات الخارجية، استفاد الإسلامُ كثيراً مِن أموال عثمان الوفيرة سواء قبل توليه الخلافة أو بعدها. ونفهم مِن المراجع الإسلامية أن الصحابة

أيام محمد كانوا يعتبرون عثمان رقم 4 بعد محمد وأبي بكر وعمر. عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: "كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ"[298]. ويقول حديث صحيح آخر إن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ [جبلُ أحد] بِهِمْ، فَقَالَ [محمدٌ للجبل]: "اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ (يقصد: أبو بكر) وَشَهِيدَانِ (يقصد: عُمر وعثمان)"[299]. وطبعاً هذا الحديث هو مجرد أسطورة ألّفها المسلمون السُّنة بعد وفاة محمد وأبي بكر ومقتل عُمر وعثمان، لكن بغض النظر عن أسطوريته فإنه يدل على منزلة عثمان العالية فى عيون الصحابة فى حياة محمد.

بُويع عثمانُ بالخلافة فى شيخوخته (23هـ- 644م)، فلقد كان سِنُّهُ وقتئذ حوالى 70 سنة! وفى عهده، اتسعت الإمبراطورية العربية/الإسلامية – أو بالأحرى: توسعت الإمبريالية القرشية شرقاً وغرباً بسبب الغزوات (الفتوحات). واتصل العرب/المسلمون اتصالاً وثيقاً بالثقافات والحضارات الأخرى (روم وفرس وترك ... الخ) وزاد المالُ فى أيديهم بسبب النهب (الغنائم والجزية ... الخ). ثم ظهر جيلٌ جديد مِن الشباب المتعلم المثقف الثرى الذى لا يألف حياة البداوة الخشنة ولا يقبل الخضوع والخنوع للحاكم العجوز المستبد.

بدأت خلافة عثمان بمشكلة معقدة، وهى: ماذا سيفعل فى عبيد الله بن عمر بن الخطاب بعد كل الجرائم التى ارتكبها؟ أشار العادِلون على عثمان بقتل عبيد الله عقاباً له. وأشار آخرون بالعفو. ومال عثمان إلى الرأى الثانى! فصَفَح عن عبيد الله! ودَفَع دية مَن قتلهم مِن ماله الخاص إلى بيت مال المسلمين!

فكانت هذه السقطة الشنيعة هى أول خطيئة يقع فيها عثمان، وكانت أحد الأسباب التى أدت إلى ثورة جماعة من المسلمين عليه فى أواخر حكمه. وطبعاً توجد أسباب أخرى لهذه الثورة الشعبية ضد هذا الخليفة العجوز. مِن ضمنها أن عثمان اختار حاشيته وكان أغلبهم مِن أهله وعشيرته وأقاربه، ومِن بينهم:

- "عبد الله بن سعد بن أَبِي سَرْح" (أخو عثمان من الرضاعة) الذى ولاه عثمانُ مصر مع أنه كان قد ارتد ولم يرجع إلى الإسلام إلا حين أراد محمدٌ قتله يوم فتح مكة (8هـ)! "فلَمَّا استعمله عثمانُ على مصر وعزل عنها عَمْراً (أي: عزل عمرو بن العاص عن مصر)، جعل عَمْرٌو يَطْعُن على عثمان ويُؤَلِّب عليه، ويسعى في إفساد أمره". "وكان ذلك بدء الشرّ بين عثمان وعمرو بن العاص"[300].
- "الوليد بن عقبة بن أبي معيط" (أخو عثمان من أمه) الذى ولاه عثمانُ الكوفة وكان الوليدُ يشرب الخمر ويسكر، وقيل إنه صلى بأهل الكوفة وهو سكران! ولم يعاقب عثمانُ الوليدَ إلا بعد أن قال الناسُ لواحدٍ مِن المقربين لعثمان: "مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الْوَلِيدِ فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ (أى: أكثروا الكلامَ في حق الوليد وسوء سيرته)؟"[301]!

وكالعادة، يقول التراثُ الإسلامى - أو بالأحرى: تقول نظريةُ المؤامرة - إن شخصاً يهودياً اسمه "عبد الله بن سبأ" هو السبب فى هذه الفتنة التى زلزلت المجتمع الإسلامى! ونحن بصراحة لا نستطيع أن نتخيل أن شخصاً واحداً يستطيع أن يشعل نارَ الفتنة فى إمبراطورية كبيرة مثل الإمبراطورية العربية/الإسلامية آنذاك. ولا نستطيع أن نتصور أن شخصاً يهودياً واحداً يستطيع أن يؤثر فى الصحابة الكبار مِن الرعيل الأول مثل

الصحابى "عَمَّار بن ياسر" الذى انضم إلى المعارضين لعثمان وأصر على موقفه المُعارض[302]. ومِن الجيل الثاني، نذكر على سبيل المثال "محمد" ابن الصحابي الشهيد "أبي حُذَيْفَة بن عُتبة بن رَبِيعَة" الذي كان مِن "أشد الناس تأليباً على عثمان"[303].

وأغلب الظن أن "عبد الله بن سبأ" هذا هو مجرد شخصية خيالية اخترعها التراثُ الإسلامى (السُّنى تحديداً) لإلقاء التهمة على يهودى بائس لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ولن يدافع عنه أحدٌ، ومِن ثم تبرئة الصحابة والتابعين مِن هذه الفتنة التى بدأت فى عهد عثمان واستمرت حتى بعد مقتل عثمان. إلا أن اختراع هذه الشخصية اليهودية قد أساء فى الواقع إلى الصحابة والتابعين، لأنه جعلهم يبدوا كما لو كانوا أطفالاً صغار يستطيع أى شخص أن يضحك عليهم ويلعب بعقولهم ويُحرّكهم كما يشاء!

وقيل إن السيدة عائشة قد ألبت المسلمين على عثمان وقالت: "يا معشر المسلمين! هذا جلباب رسول الله لم يَبْلَ، وقد أبلى عثمان سنته". بل قيل إن السيدة عائشة قد حَرَّضت على قتل عثمان وقالت "اقتلوا نعثلاً (أي: الشيخ الأحمق) فقد فجر (أو: كفر)" بعد أن سمعت خبراً (أو: شائعةً) أن عثمان أراد أن يقتل أخاها الشاب "محمد بن أبى بكر الصديق" حتى يمنعه مِن حُكْم مصر فيظل "عبد الله بن سعد بن أَبِي سَرْح" (أخو عثمان من الرضاعة) هو حاكم مصر. وكالعادة، المراجع الإسلامية السنية تشكك فى ذلك[304]، أو تقول إن الذى حَرَّض على قتل محمد بن أبى بكر الصديق كان واحداً مِن حاشية عثمان وليس عثمان نفسه. وفي جميع الأحوال، يكفينا ما قاله الأستاذ عباس محمود العقاد: "فأما الصحيح من هذا كله فهو أنها (أى: السيدة عائشة) كانت تنقم من حكومة عثمان وتتمنى لها الزوال"[305].

وطبعاً فى ذلك الوقت، كانت الوسيلة الوحيدة لزوال الحُكْم هى إما الموت أو القتل ...

انتهت حياة الخليفة المسن عثمان بن عفان نهاية مأساوية، فلقد حاصر الثوار المسلمون بيته وقطعوا عنه الماءَ ومنعوه مِن الصلاة فى المسجد، ثم قتلوه (35هـ- 656م) وكان سِنُّهُ وقتئذ حوالى 82 سنة! فصار عثمان هو أول حاكم مسلم يقتله مسلمون. وطبعاً ليس الأخير. ولم يُدفَن مع رفاقه محمد وأبى بكر وعمر!

عثمان بن عفان يُقتَل على أيدى مسلمين فى شهرٍ حرامٍ (ذى الحجة) وبلدٍ حرامٍ (المدينة). ولم يشفع له أنه ذو النورين الذى زَوَّجه الرسولُ ابنتيه رقية ثم أم كلثوم. ولم يشفع له أنه واحد مِن العشرة المبشرين بالجنة. ولم يشفع له أنه رفض قتال مَن حاصروه. وكل ذلك يدل على الغضب الشديد الذى كان فى نفوس المسلمين الذين حاصروا عثمان وقتلوه بعد أن تمسك بالحُكْم ورفض أن يتنازل عن عرش الخلافة (قميص عثمان) على الرغم مِن كبر سنه وعلى الرغم مِن الخطايا الكبيرة التى وقع فيها[306].

وقال الإمام الذهبى إن محمد بن أبى بكر الصديق كان واحداً مِن المسلمين الذين حاصروا عثمان حتى قُتِلَ: "ثم سارَ [محمد بن أبى بكر الصديق] لحصار عثمان، وفعل أمراً كبيراً، فكان أحدَ مَن توثَّبَ على عثمان حتى قُتِلَ، ثم انضمَّ إلى عليّ [بن أبى طالب]"[307]. وتقول رواية أخرى ذكرها الطبرى فى تاريخه إن "محمد بن أبى بكر دخل عليه فأخذ بلحيته"، فقال عثمان له: "قد أخذت منا مأخذاً، وقعدتَ منى مقعداً ما كان أبو بكر ليقعده أو ليأخذه"، فخرج محمد بن أبى بكر وتركه[308].

وبغض النظر عن مدى صحة تورط محمد بن أبي بكر الصديق في اغتيال عثمان بن عفان، فإننا نستنتج من هذه الأحداث ومما حدث بعد ذلك أن المناخ العام كان يسوده القتل والإرهاب وسفك الدماء. فإذا كان هذا هو حال الصحابة والتابعين، فلماذا نتعجب اليوم مما يفعله المسلمون الإرهابيون الآن؟

بعد مقتل عثمان بن عفان، انتقل الحُكْمُ الإسلامى إلى قرشي خامس هو علىّ بن أبى طالب الذي اشتعلت في عهده نارُ الفتنة والحروب الأهلية بين المسلمين. أو كما قال د. محمد بكر إسماعيل: "أطلت الفتنة برأسها في عصر عثمان" "ثم ماجت موج البحر في عصر عليّ"[309].

وطبعاً أول مشكلة واجهت عَلِيًّا هى: كيف سيتعامل مع قتلة عثمان؟ هل سيقتلهم قِصاصاً؟ أم سيعفو عنهم؟ ...

1.3.1.4 علىّ بن أبي طالب: الصحابى الذى تورط فى حروب أهلية كثيرة، ومع ذلك سيدخل الجنة!

اسمه الثلاثى: علىّ بن أبي طالب بن عبد المطلب؛ وهو قُرَشِيّ هاشمى ابن عم محمد وأصغر منه بحوالى 30 سنة. كفله محمدٌ مِن الصغر وتولى تربيته، ويقال إنه أول مَن أسلم مِن الصبيان وإنه تعلم القراءة والكتابة، فكان كاتباً وقارئاً، بل صار أديباً مثقفاً وشاعراً بليغاً[310].

تزوج علىٌّ فاطمة الزهراء بنت محمد، فزادت علاقته بمحمد قوة، لأنه تزوج الابنة المحببة والمقربة جداً إلى قلب أبيها محمد.

لكن بعد ذلك، حدثت مشكلة عائلية. أراد علىٌّ أن يتزوج امرأةً أخرى، فغضبت فاطمة غضباً شديداً ورفض محمدٌ رفضاً قاطعاً، على الرغم مِن أن الإسلام يبيح تعدد الأزواج وعلى الرغم مِن أن محمد نفسه كان حينئذ لديه أكثر مِن زوجة! وتحجج محمدٌ بأن المرأة التى خَطَبَها علىُّ هى ابنة عدوه أبي جهل "عمرو بن هشام بن المغيرة"، على الرغم مِن أن محمد نفسه تزوج "أم حبيبة" ابنة عدوه "أبى سفيان" الذى ظل عدواً لدوداً لمحمد وللإسلام والمسلمين حتى اللحظة الأخيرة، ولم يسلم إلا أمام الأمر الواقع يوم فتح مكة (8هـ)!

وتقول الكتب الإسلامية إن محمد خرج إلى المسجد مغضباً حتى بلغ المنبر فخطب الناس فقال: "إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ. فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ (أى: قطعة) مِنِّي، يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا"، "فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي"، "وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ". فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ[311].

ونستنتج مِن هذه الأحاديث الصحيحة أن محمد نفسه اعترف بأن تعدد الأزواج "يؤذى" الزوجة الأولى و "يُغضِبها". إذن: لَم يرفض محمدٌ زواجَ علىّ وابنة أبي جهل لأنها ابنة عدوه، وإنما لأنه رفض أن تُبتلَى ابنتُه فاطمة بضرة لها. وكما حَرَّم محمدٌ التبنى لتحقيق غرض شخصى وهو أن يتزوج زينب بنت جحش،

نجده الآن يمنع عَلِيًّا مِن تعدد الأزواج لتحقيق غرض شخصي آخر وهو حرصه على مشاعر ابنته المحببة فاطمة. ولقد صدقت السيدة عائشة حين قالت لمحمد: "وَاللَّهِ! مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ"[312].

وكما أسرع إلهُ الإسلام في تلبية رغبات محمد في مواقف كثيرة، أسرع كذلك في تلبية رغبات عليّ في مواقف أخرى. فلقد أخرج الترمذي وغيره حديثاً عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْهِ وَهُمَا مُشْرِكَانِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْكَ وَهُمَا مُشْرِكَانِ؟ فَقَالَ [الرجلُ]: أَوَلَيْسَ اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ؟ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَتْ: "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" (التوبة 113)[313].

ونحن نستنتج مِن هذا الحديث أن الاستفهام الإنكاري الذي قاله عليّ لهذا الرجل "أَتَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْكَ وَهُمَا مُشْرِكَانِ؟" قد تحول إلى آية قرآنية تَنهَى المسلمين عن الاستغفار للمشركين حتى ولو كانوا أقاربهم. بعبارة أخرى: عليّ هو صاحب (التوبة 113)، أو على الأقل واحدٌ مِن أصحاب هذه الآية القرآنية، مما يدل على أن القرآن كلام بشر وأن عَلِيًّا كان واحداً مِن أصحاب القرآن.

وتوجد روايات أخرى مشابهة رواها صحابة آخرون عن أسباب "نزول" (التوبة 113). قيل إنها "نزلت" لَمَّا أراد محمدٌ أن يستغفر لعمه أبي طالب (والد عليّ) الذي مات مشركاً قبل الهجرة. وقيل إنها "نزلت" لَمَّا أراد محمدٌ أن يستغفر لأمه آمنة بنت وهب التي ماتت قبل الإسلام. قال السيوطي: "قال الحافظُ ابن حَجَر: يُحتَملُ أن يكون لنزولِ الآيةِ أسبابٌ، مُتقدِّمٌ وهو أمرُ أبي طالب، ومُتأخِّرٌ وهو أمرُ آمِنة وقصةُ عَلِيٍّ. وجمعَ غيرُه بتعدد النزول"[314].

أما نحن، فلا نقول هذه الكلمة الإسلامية العجيبة "تعدد النزول"، وإنما نقول كلمة أخرى وهي "تطور" (evolution). بمعنى أنه مِن الممكن أن تمر الآية القرآنية بمراحل متعددة تتطور فيها مِن صيغة إلى أخرى. فيقترح صحابيٌّ الفكرة أو الآية القرآنية. ثم يأتي بعده صحابيٌّ آخر يؤيده فيما قال. ثم بعد ذلك، يأتي صحابيٌّ ثالث يضيف إليه أو يحذف بعضاً مما قال. وهكذا حتى يستقر أصحابُ القرآن في النهاية على صيغة معينة للآية القرآنية موضوع النقاش. هذا نوعٌ مِن أنواع العمل الجماعي الذي أنتج القرآن. وهذا ما أدى إلى المشكلات الكثيرة التي يعاني منها القرآن، مثل: التكرار، والنسخ، واختلاف القراءات ... الخ.

وكما اشترك الشاب العربي عليّ فى تأليف القرآن، اشترك أيضاً في غزوات محمد كلها عدا غزوة تبوك. وفى غزوة الخندق (الأحزاب) (5هـ)، قال "عمرو بن ود" العامرى القرشى (هو واحدٌ من المشركين) للمسلمين: هل مِن مبارز؟ فبرز له عليّ ودعاه إلى الإسلام. فرفض عمرو الإسلامَ وقال لعليّ: يا ابن أخى، والله ما أحب أن أقتلك لِمَا كان بيني وبين أبيك (يقصد: أبي طالب عم محمد الذى مات كافراً). فقال عليّ لعمرو: وأنا والله أحب أن أقتلك[315]! يعني: الكافر لا يريد قتل المسلم حفاظاً على الذكرى الطيبة للصداقة التي كانت بينه وبين أبيه. أما المسلم فيريد قتل الكافر! وتنتهي المبارزة بمقتل عمرو وصياح عليّ: الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! نفس الصيحة التى يرددها الإرهابيون المسلمون اليوم!

ومِن الخطايا التى ارتكبها عَلِيٌّ – على الرغم مِن فقهه المزعوم – أنه كان يُفتِي بالحرق بالنار! يقول مرجع إسلامى أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "رُوِىَ أن خالد بن الوليد كَتب إلى أبى بكر الصديق: وجدت فى بعض ضواحى العرب رجلاً يُنكَح كما تُنكَح المرأة، فما عقابه؟ فجمع أبو بكر نفراً من الصحابة وفيهم عَلِيّ بن أبى طالب. لأنها مسألة لم تحدث فى صفوف المسلمين فى عهد النبى ﷺ. فأفتى عَلِيٌّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: إن هذا ذنب لم تعص به أمة من قبل إلا قوم لوط، فأحرقهم اللهُ بالنار، أرى أن تحرقوه"! ويُعلِّق هذا المرجع الإسلامي الحكومي على هذه القصة فيقول: "فدل ذلك على ما كان للإمام عَلِيّ مِن خصوصية اخْتصه الله بالعلم والفهم المستنير والاستنباط من القرآن الكريم"(316)!

ويقول حديث صحيح أخرجه البخارى عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: أُتِيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِزَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ، لِنَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ"، وَلَقَتَلْتُهُمْ (أى أن عقابهم القتل وليس الحرق)، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"(317). وأضاف الترمذى: "فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، فَقَالَ [علىٌّ]: صَدَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ"(318). وقد تُفهَم هذه الجملة – التى لم يذكرها البخارى – على أنها ندم أو تراجع مِن عَلِيّ. إلا أننا نجد فى شرح الزرقانى على موطأ مالك ما يلى: "زَادَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ: "فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، فَقَالَ: وَيْحَ أُمِّ ابْنِ عَبَّاسٍ". وَهُوَ مُحْتَمَلٌ أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ اعْتِرَاضَهُ عَلَيْهِ وَرَأَى أَنَّ النَّهْيَ لِلتَّنْزِيهِ (أي: ليس للتحريم)؛ لِأَنَّ عَلِيًّا كَانَ يَرَى جَوَازَ التَّحْرِيقِ، وَكَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَغَيْرُهُمَا تَشْدِيدًا عَلَى الْكُفَّارِ وَمُبَالَغَةً فِي النِّكَايَةِ وَالنَّكَالِ، وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَقَالَ: صَدَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّ تَصْدِيقَهُ مِنْ حَيْثُ التَّنْزِيهُ، لَكِنْ قَالَ أَبُو عُمَرَ: قَدْ رُوِّينَا مِنْ وُجُوهٍ أَنَّ عَلِيًّا إِنَّمَا أَحْرَقَهُمْ بَعْدَ قَتْلِهِمْ (يعنى: مثل بجثثهم!). رَوَى الْعَقِيلِيُّ عَنْ عُثْمَانَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الشِّيعَةِ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ هُوَ؟ قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالُوا: أَنْتَ هُوَ؟ قَالَ: وَيْلَكُمْ مَنْ أَنَا؟ قَالُوا: أَنْتَ رَبُّنَا، قَالَ: وَيْلَكُمُ ارْجِعُوا وَتُوبُوا، فَأَبَوْا فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ (أى: قتلهم) ثُمَّ قَالَ: يَا قُنْبُرُ ائْتِنِي بِحِزَمِ الْحَطَبِ، فَحَفَرَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُخْدُودًا فَأَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ"(319).

ويقول حديث صحيح أخرجه النسائى عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عَلِيًّا أُتِيَ بِنَاسٍ مِنَ الزُّطِّ يَعْبُدُونَ وَثَنًا، فَأَحْرَقَهُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"(320).

ولا يزال المسلمون إلى اليوم يقولون عن علىّ بن أبى طالب "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" و "كرَّم اللهُ وجهَه"! سؤال: كيف يَرضى اللهُ عن إنسانٍ أحرق إنساناً آخر بالنار؟! كيف يُكرِّم اللهُ وجهَ إنسانٍ أحرق وجهَ إنسانٍ آخر بالنار؟! وإنْ زعم المسلمون أن عَلِيًّا ندم على ما فعل! فسنقول: كل ما قاله علىٌّ هو "صَدَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ" أو "وَيْحَ أُمِّ ابْنِ عَبَّاسٍ"(321)، وهذا ليس ندماً ولا تراجعاً ولا توبةً ولا اعترافاً صريحاً بالخطأ. علىّ لم يقل مثلاً: أستغفر الله العظيم وأتوب إليه؛ ولم يقل كما قال موسى: "رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي" (القصص 16)؛ ولم يقل كما قال يونس: "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنبياء 87).

ويبدو مِن الأحاديث السابقة أن عَلِيًّا قد أحرق بالنار (أو: أفتى بذلك) أكثر مِن مرة، بدليل تعدد هذه الروايات المختلفة لكن غير المتناقضة، فيمكن الجَمْع بينها، مما يدل على أن عَلِيًّا لم يندم على ما فعل. وحتى

لو افترضنا جدلاً أن عَلِيًّا ندم على ما فعل، فما فائدة هذا الندم؟! هل سيعيد الحياةَ لمَن أحرقهم عليٌّ بالنار؟! هل سيزيل عذاب مَن أحرقهم عليٌّ بالنار؟! هل سيخفف آلام مَن أحرقهم عليٌّ بالنار؟!

لا يمكن أن يَرضى اللهُ عن إنسانٍ أحرق إنساناً آخر بالنار. ولا يمكن أن يُكرّم اللهُ وجهَ إنسانٍ أحرق وجهَ إنسانٍ آخر بالنار. إذن: عبارة "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" و "كرَّم اللهُ وجهَه" التى يرددها المسلمون هى افتراءٌ على الله. ويجب علينا أن نبرئ اللهَ مِن هذا الافتراء الإسلامى.

وسواء كانت العقوبة المقبولة إسلامياً فى تلك الحالات هى القتل (كما حَرَّض محمدٌ وأيده ابن عباس) أو الحرق بالنار (كما أفتى عليٌّ) أو القتل ثم الحرق بالنار (كما تقول بعض المراجع الإسلامية)، فإن النتيجة واحدة فى جميع الأحوال: إن هذه الحدود التعذيبية الدموية تكشف تدليس البروباجاندا الإسلامية التى تزعم كذباً أن الإسلام دين رحمة، وفى الوقت نفسه تثبت أن الإسلام دين لا يصلح للتطبيق اليوم فى القرن الواحد والعشرين. يقول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (Universal Declaration of Human Rights) فى مادته (بل: آيته) الخامسة: "لا يجوز إخضاعُ أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطَّة بالكرامة"[322].

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (30 آية فقط) أفضل بكثير مِن الإعلان العربي لحقوق إله محمد (القرآن 6236 آية). كلاهما عَمل بشري. لكن هناك فرق كبير بين عَمل بشري يقفز بنا إلى نور المستقبل المشرق، وعَمل بشري آخر يطيح بنا في ظلام الماضي السحيق.

وكما تورط عليٌّ فى حروب أهلية ضد أهله قريش حوالى 6 سنوات (2 – 8هـ)، تورط كذلك فى حروب أهلية ضد إخوته المسلمين طوال فترة خلافته تقريباً التى استمرت حوالى 5 سنوات (35 – 40هـ)!

بعد مقتل عثمان، بُويع عليٌّ بالخلافة. ثم انقلبت السيدة عائشة على الخليفة الرابع "علىّ بن أبى طالب" وتحججت بالمطالبة بالقِصاص مِن قتلة عثمان، وانضم إليها فريقٌ من المسلمين، أشهرهم: الصحابيان الزبير بن العوام (زوج أخت عائشة) وطلحة بن عُبيد الله (مِن بنى عمومتها).

وبذلك انقسم المسلمون الأوائل إلى فريقين متصارعين:

- فريق فى المدينة: يؤيد عَلِيًّا ويضم قتلة عثمان الذين "قويت شوكتهم بقتل عثمان، وسيطروا على المدينة بالإرهاب". فتحولت مدينة الرسول إلى مدينة الإرهاب. المدينة المدفون فيها محمد وأبو بكر وعمر صارت تحت سيطرة الإرهابيين. "وفى حالة الإرهاب التى كانت سائدة يومئذ لم يكن فى استطاعة "علىّ" ولا فى استطاعة غيره أن يقف منهم موقف القصاص"[323]. فلقد كانوا جماعة مِن "الثائرين ومَن معهم مِن الغوغائيين والأعراب" "المتمردين" "المجرمين"[324]. ورأى عليٌّ عدم القِصاص مِنهم أو تأجيل القِصاص مِنهم حتى يسيطر على أركان الدولة أولاً.
- فريق آخر فى مكة ثم ذهبوا إلى البصرة: يضم هذا الفريق عائشة وطلحة والزبير. وقفوا ضد عليّ، مع أن عَلِيًّا هو ابن خال الزبير! طالبوا بالقِصاص مِن قتلة عثمان فوراً دون إبطاء أو تأخير أو تأجيل.

وقيل إنهم ثاروا على "عليّ" لأنهم أرادوا أن يطيحوا به وأن يتولى الخلافة مكانه إما الزبير أو طلحة. وقيل إن عائشة كانت تكره "عليّ" لأنه نصح محمداً بتطليقها بعد "حادثة الإفك" الشهيرة[325][326]. يعني: تصفية حسابات قديمة مع ابن عم زوجها. وانضم "معاوية بن أبي سفيان" (أخو "أم حبيبة" زوجة محمد) إلى هذا الفريق ضد عليّ (ابن عم محمد)!

والعجيب أن كل فريق يضم مجموعة مِن كبار صحابة محمد؛ أى أن كبار الصحابة أنفسهم قد انقسموا إلى حزبين متصارعين[327]! والأعجب أن عثمان وعليّ وطلحة والزبير كلهم مِن المسلمين الأوائل المهاجرين الذين هاجروا مع محمد مِن مكة إلى المدينة وكلهم مِن الصحابة المبشرين بالجنة!

فكان مقتل عثمان ثم انقلاب عائشة على "علىّ" سبباً رئيسياً فى اشتعال نار "الفتنة الكبرى" التى قاتل فيها الصحابةُ بعضَهم بعضاً، وقُتِل فيها كثيرٌ من المسلمين على أيدى مسلمين، وفشلت محاولات الصلح بينهم. وفي هذه الحروب الأهلية الإسلامية-الإسلامية، قُتِل عشرات الآلاف مِن المسلمين. في موقعة الجمل (36هـ - 656م) بين جيش عليّ وجيش عائشة، قُتِلَ 9000 مسلم على الأقل، وقيل: قُتِلَ 18000 مسلم. وفي موقعة صِفِّين (37هـ) بين جيش عليّ وجيش معاوية، قُتِل 70000 مسلم[328]. وهذا طبعاً بالإضافة إلى كثير مِن الجرحى والمصابين مِن جميع أطراف هذه الحروب الأهلية. فإذا كان هذا هو حال الصحابة الذين رأوا محمداً وتكلموا معه ودخلوا بيته وأكلوا وشربوا معه وصلوا وراءه وسمعوا خطبه وتتلمذوا على يديه وجاهدوا معه وبايعوه على السمع والطاعة، فلماذا نتعجب مِن الحروب الأهلية الإسلامية-الإسلامية القائمة اليوم؟!

وانتهت هذه الحروب الأهلية بمقتل طلحة والزبير فى موقعة الجمل (36هـ)، ومقتل عَمَّار بن ياسر فى موقعة صِفِّين (37هـ)، ثم مقتل محمد بن أبى بكر الصديق والتمثيل بجثته[329] (38هـ)، ثم مقتل علىّ (40هـ - 661م). وبذلك انهارت "الخلافة الراشدة" (إمبراطورية قريش الأولى) انهياراً كاملاً إلى غير رجعة[330]. ثم قامت "الخلافة الأموية" (إمبراطورية قريش الثانية) ومؤسسها "معاوية بن أبي سفيان".

إلا أن الاقتتال والحروب الأهلية بين المسلمين لم تنتهى، ولا تزال الحروب الأهلية الإسلامية-الإسلامية مستمرة إلى اليوم. مثلاً: في السودان 2023-2025. وقبل ذلك في غزة 2007. وقبلهما في أماكن أخرى.

والأعجب والأغرب هو أن المسلمين اليوم حين يذكرون تلك الأحداث المؤلمة يقولون "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين"، أي: رَضِيَ اللَّهُ عن عثمان وعليّ وعائشة ومعاوية، وطلحة والزبير (مِن حزب عائشة)، وعَمَّار بن ياسر والحسن والحسين (مِن حزب عليّ) وعمرو بن العاص (مِن حزب معاوية)! فنجد فى الكتب الإسلامية السنية جمل خطيرة مثل: "وتكلّمت أم المؤمنين عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عنها، فحرّضت وحثّت على القتال"[331]! وهذا القتال هو قتال المسلمين بعضهم بعضاً؛ أى: حرب أهلية؛ اقتتال. "فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى زال النهار، وقُتِل خلق كثير من أصحاب عثمان بن حُنيف (والي البصرة المُعيَّن مِن قِبل الخليفة عليّ)، وكثرت الجراح في الفريقين (أي: فريق عائشة وفريق عليّ)".

سؤال: كيف يرضى إلهُ الإسلام عن عائشة وهى تُحرّض مسلمين على قتال مسلمين؟! لو فعل أى شخص اليوم ما فعلته، لقُبِضَ عليه بتهمة التحريض على العنف، وسُجِنَ، وربما حُكِم عليه بالإعدام.

سؤال: كيف يَرضى اللهُ عنهم أجمعين وَهُمْ منقسمون إلى فريقين متحاربين متقاتلين؟! كلاهما يَتوهم أنه "على الحق"، وكلاهما يستخدم الدين استخداماً سياسياً. كيف يَرضى اللهُ عنهم أجمعين وأياديهم مُلطخة بدماء عشرات الآلاف مِن المسلمين الذين قُتِلوا فى هذه الحروب الأهلية على أيدي مسلمين؟! وجدنا فى المراجع الإسلامية إجابةً عجيبة على هذا السؤال. قال ابنُ حجر: "وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وُجُوبِ مَنْعِ الطَّعْنِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ (أى: الاقتتال)، وَلَوْ عَرَفَ الْمُحِقَّ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ إِلَّا عَنِ اجْتِهَادٍ، وَقَدْ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُخْطِئِ فِي الِاجْتِهَادِ، بَلْ ثَبَتَ أَنَّهُ يُؤْجَرُ أَجْرًا وَاحِدًا وَأَنَّ الْمُصِيبَ يُؤْجَرُ أَجْرَيْنِ"[332]!

تعليقنا: هذا "الخطأ في الاجتهاد" أدى إلى مقتل عشرات الآلاف مِن المسلمين على أيدي مسلمين! وهو نفس ما تفعله داعش والقاعدة والإخوان المسلمين وحماس وغيرهم مِن التنظيمات الإرهابية الإسلامية اليوم. فهل سيعفو اللهُ عن هؤلاء الإرهابيين المسلمين أيضاً لأنهم "أخطأوا في الاجتهاد"؟! إننا عندما نقرأ هذا الكلام العجيب في أمهات الكتب الإسلامية والمراجع العربية واسعة الانتشار يزداد يقيننا أن المشكلة في الثقافة العربية-الإسلامية نفسها، وليست في الإرهابيين المسلمين. أو كما يُقال إن الإرهابي المسلم هو الضحية الأولى لهذا الفكر الموروث عبر الأجيال، أما مَن يقتلهم فَهُمْ الضحية الثانية.

وكما قلنا فيما سبق: إن عبارة "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ" التي يقولها المسلمون على القتلة هي افتراءٌ على الله. لا يمكن أن يَرضى اللهُ على عَلِيٍّ وجيشه. ولا يمكن أن يَرضى اللهُ على معاوية وجيشه. ولا يمكن أن يَرضى اللهُ على عائشة التي كانت تحرّض على الاقتتال. جميعهم كانوا على باطل، ويقاتلون بعضُهم بعضاً في حربٍ أهلية لأغراض دنيوية لا علاقة لها بالله. أو كما قال الصحابي الكبير "سعد بن أبي وقاص" الذى امتنع عن الاشتراك فى هذه الحروب الأهلية، "وكان قلبه يقطر دماً عندما تبلغه أنباء المعارك التى يقتل فيها المسلمُ أخاه المسلم"، قال سعدٌ تعليقاً على هذه الحروب الأهلية: "اليوم أبكى على الحق فعلى الحق السلام"[333].

ولو كان الإسلام ديناً مِن عند الله كما تتوهمون، ألم يكن مِن المفروض أن يؤسس اللهُ نظاماً ديمقراطياً يسمح بالتداول السلمى للسلطة بدلاً مِن كل هذا العنف الدينى-السياسى الذى راح ضحيته عشرات الآلاف من المسلمين؟ كلهم مسلمون وقُتِلوا على أيدى مسلمين. ولقد صدق يسوع المسيح حين قال: "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (متى 52:26).

وإذا كان الصحابى "علىّ بن أبى طالب" – واحد من العشرة المبشرين بالجنة وابن عم محمد وزوج ابنته – فشل فى مواجهة إرهاب قتلة عثمان، فهل ستستطيع المؤسسات الإسلامية الحالية مواجهة الإرهاب الإسلامى الذى نعانى منه اليوم؟ وإذا كان الإسلام فشل فى حل مشكلة "الفتنة الكبرى" على الرغم مِن وجود كبار الصحابة والتابعين، فهل سيستطيع الإسلامُ الآن حل مشكلاتنا اليوم؟! نعتقد أن الإجابة واضحة.

1.3.1.5 جعفر بن أبي طالب ... والأخوات المؤمنات

هو الصحابى "جعفر بن أبي طالب" ابن عم محمد وأخو عَلىّ بن أبى طالب[334]. هاجر جعفر إلى الحبشة مع زوجته "أسماء بنت عُمَيس" فكانا من المسلمين المهاجرين الأولين إلى هناك. لم يرجع جعفر إلى شبه الجزيرة العربية إلا أيام موقعة خيبر التى حدثت فى شهر المحرم سنة 7هـ (حوالى 628م) كما قلنا عند حديثنا عن "أم حبيبة". فإذا افترضنا أن جعفر هاجر إلى الحبشة عام 615م، فهذا يعنى أنه مكث فى الحبشة حوالى 13 سنة.

قُتِل جعفر يوم مؤتة (8هـ، في الأردن حالياً) وهو يغزو أراضي الروم وحلفائهم العرب. وتحاول المراجع الإسلامية أن تبرر هذه الغزوة الهجومية، فتقول إن واحداً مِن حلفاء الروم قَتَلَ رسولَ محمد إليهم، فأراد المسلمون أن ينتقموا لمقتله! فماذا كانت النتيجة؟ انتهت هذه الغزوة الهجومية الانتقامية المتهورة بهزيمة المسلمين الغزاة أسوأ هزيمة، ومقتل أمرائهم الثلاثة ومِنهم جعفر، ثم انسحاب الجيش الإسلامي الغازي! [يعني لِكَيْ تنتقم لمقتل شخص واحد، تتسبب في مقتل كل هؤلاء؟!]

ويُقال إنه قُبيل مقتل جعفر وهو يغزو أراضي الغير، تَوهَّم أنه سيدخل الجنة! فأنشد الأبيات التالية في ساحة المعركة[335]:

يَـا حَبَّذَا الجَنَّــةُ واقْتِرَابُهَـا ... طَيِّبَةً وَبَارِداً شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا ... كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِذْ لاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

ونلاحظ أن هذا الشعر العربي يشبه القرآن مِن حيث الشكل. اقرأ سورة الزلزلة مثلاً:

كلام جعفر بن أبي طالب	كلام القرآن
يَـا حَبَّذَا الجَنَّــةُ واقْتِرَابُهَـا	إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
طَيِّبَــةً وَبَــارِداً شَرَابُهَــا	وَأَخْرَجَـتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَـا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا	وَقَــالَ الْإِنْسَــانُ مَــا لَهَــا
كَــافِرَةٌ بَعِيــدَةٌ أَنْسَــابُهَـا	يَوْمَئِـذٍ تُحَـدِّثُ أَخْبَـارَهَــا
عَلَيَّ إِذْ لاقَيْتُهَـا ضِرَابُهَـا	بِـأَنَّ رَبَّــكَ أَوْحَــى لَهَــا

ولا يهم إنْ كان جعفر بن أبي طالب شخصاً حقيقياً أم شخصية خيالية أم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال. ولا يهم إنْ كان قد قال هذه الأبيات (الآيات) فعلاً قُبيل مصرعه غازياً يريد الانتقام (8هـ) أم أنها وُضِعَت

على لسانِه ونُسِبَت إليه في وقتٍ لاحق. فى جميع الأحوال، النتيجة واحدة: لدينا كلام بشري مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذي وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنتجت كلامَ جعفر بن أبي طالب تستطيع بكل تأكيد أن تنتج القرآنَ.

ننتقل الآن إلى ما حدث بعد مصرع جعفر فى نكسة مؤتة (8هـ): تزوجت أسماءُ "أبا بكر الصديق" فأنجبت له "محمد بن أبى بكر الصديق". وبعد وفاة أبى بكر، تزوجت أسماءُ "على بن أبى طالب".

ويُروَى أن أسماء بنت عُمَيس هى التى اقترحت على الخليفة عمر بن الخطاب أن يُخرج زينب بنت جحش (أول مَن ماتت مِن أمهات المؤمنين) فى نعشٍ ويغطيه بثوبٍ، وقالت له أنها رأت أهل الحبشة يصنعون ذلك لنسائهم. وهذا يدل على أن المُهاجرين والمُهاجِرات إلى أثيوبيا كانوا يقترحون اقتراحات بناء على ما رأوه هناك.

ولـ "أسماء بنت عُمَيس" أخوات وأزواج أخوات وأبناء أخوات لعبوا دوراً هاماً فى تكوين الإسلام. أخواتها هُن "الأخوات المؤمنات":

- أم المؤمنين "زينب بنت خزيمة" (أم المساكين).
- أم المؤمنين "ميمونة بنت الحارث".
- "لبابة الكبرى بنت الحارث" (أم الفضل) شقيقة ميمونة بنت الحارث وزوجة "العباس بن عبد المطلب" عم محمد، ووالدة "عبد الله بن عباس" حَبْر الأمة وترجمان القرآن. وقيل إن أم الفضل هى أول امرأة أسلمت بعد خديجة، وإنها ضربت أبا لهب بعامود فشجَّت رأسه!
- "لبابة الصغرى بنت الحارث" زوجة "الوليد بن المغيرة" وهى أم "خالد بن الوليد".
- "سَلمَى بنت عُمَيس" زوجة "حمزة بن عبد المطلب" عم محمد وأخيه مِن الرضاعة وصديق عمره وقريبه مِن أُمِّه أيضاً.

1.3.1.6 الزبير بن العوام: أول مَن سَلَّ سَيْفَهُ فى مكة، قبل كل آيات القتال المدنية!

اسمه: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَيّ بن كِلاب، وهو قُرشي ابن أخ السيدة خديجة، وابن الشاعرة "صفية" عمة محمد. ولمَّا كبر، تزوج أسماء بنت أبي بكر الصديق.

نشأ الزبير يتيماً – مثل محمد ابن خاله. وكانت أمه صفية تقسو عليه وتضربه ضرباً شديداً. فعاتبها عَمُّه "نوفل بن خويلد" وقال لها: "ما هكذا يُضْرَب الولدُ، إنَّك لتَضْربِينه ضربَ مُبْغِضَةٍ". فرجَزتْ به صفيةُ: "مَنْ قال إنِّى أُبْغضُه فقد كَذَب. وإنَّما أَضْربُه لكى يَلَب (أى: يصير ذا لب؛ يصبح لبيباً). ويَهزم الجيشَ ويأتى بالسَّلَب. ولا يكن لمالِه خَبْءٌ مُخَب (أى: مدَّخرٌ مخبوء). يأكل ما فى البيتِ مِن تَمرٍ وحَب"[336].

ونلاحظ أن هذا الرَّجَز يشبه القرآن من حيث الشكل. اقرأ سورة المسد مثلاً:

كلام الشاعرة صفية عمة محمد	كلام القرآن
مَنْ قال إنِّى أُبْغضُه فقد كَذَب.	تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ.
وإنَّما أَضْربُه لكى يَلَب.	مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ.
ويَهزم الجيشَ ويأتى بالسَّلَب.	سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ.
ولا يكن لمالِه خَبْءٌ مُخَب.	وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ.
يأكل ما فى البيتِ مِن تَمرٍ وحَب.	فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ.

ومِن الواضح أن الزبير قد نشأ وهو يميل إلى العنف منذ صباه. ويُروَى أنه وهو غلام تقاتل ذات يومٍ مع غلام آخر، فكسر الزبيرُ يَدَهُ! فجيء بالغلام (المجنى عليه) إلى صفية محمولاً لترى ماذا فعل به الزبيرُ (الجانى)، فقالت صفية للغلام وهى تفتخر بما فعله ابنها: "كيف وجدتَ زَبْراً (تقصد: الزبير)؟ أَأَقِطاً أَوْ تمراً؟ (أى: هل وجدته طعاماً سهلاً؟) أم مُشْمَعِلاً (أى: سريعاً) صقراً؟"[337]!

ونلاحظ أن هذه الجمل القصيرة ذات النثر المسجوع (rhymed prose) تشبه - من حيث الشكل - الآيات الافتتاحية القصيرة فى بعض السور القرآنية. مثلاً: سور العاديات والنازعات والمرسلات والصافات والذاريات:

كلام صفية عمة محمد	سورة الذاريات	سورة المرسلات	سورة الصافات
كيف وجدتَ زَبْراً.	فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا.	وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا. [...].	وَالصَّافَّاتِ صَفًّا.
أَأَقِطاً أَوْ تمراً.	فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا.	فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا.	فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا.
أم مُشْمَعِلاً صقراً.	فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا.	عُذْرًا أَوْ نُذْرًا.	فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا.

ولا يهم إنْ كانت الشاعرة "صفية" عمة محمد شخصية حقيقية أم خيالية أم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال. ولا يهم إنْ كانت قد قالت هذه الجمل (الآيات) القصيرة فعلاً قبيل ظهور الإسلام أو أنها وُضِعَت على لسانِها ونُسِبَت إليها في وقتٍ لاحق. فى جميع الأحوال، النتيجة واحدة: لدينا كلام بشرى مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذى وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله. القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنتجت كلامَ صفية عمة محمد تستطيع بكل تأكيد أن تنتج القرآنَ.

أسلم الزبير وهو صغير، فكان من السابقين الأولين إلى الإسلام.

ويقول التراث الإسلامى إن الزبير بن العوام هو أول مَن سَلَّ سَيْفَهُ فى الإسلام على كفار مكة. يعنى: رفع سيفاً على إخوته فى الوطن. وكان ذلك فى مكة؛ يعنى: قبل كل آيات القتال المدنية التى ربما اشترك الزبير فى صياغتها. وكان ذلك بسبب شائعة! "وذلك أنه (أى: الزبير) فى أول إسلامه وهو ما زال شاباً فى مقتبل الشباب، سرت إشاعة بين الناس أن النبى ﷺ قد قُتِل، فخرج الزبير مفزوعاً شاهراً سيفه مصمماً على قتل كل الكفار"! يعنى: عقاب جماعى (collective punishment) كما فعل محمدٌ مع بنى قريظة بعد ذلك[338]! ولَمَّا قابله محمدٌ وسأله: "فما كنت صانعاً (أى: ماذا أردت أن تفعل)؟". قال الزبير لمحمد: "أردت والله أن استعرض أهل مكة (يعنى: يجرى دماءهم بسيفه كالنهر لا يترك أحداً منهم إلا قتله)"! العجيب هو أن محمد لم يعاتب الزبيرَ على كل هذا الغضب وكل هذا العنف ضد إخوتهم فى الوطن. فماذا كان رد فعل محمد؟ "فضحك النبى ﷺ وخلع رداءه وألبسه (لأن الزبير مِن شدة غضبه أخذ سيفَه وخرج عرياناً)، فنزل جبريل على النبى ﷺ وقال له: إن الله يقرؤك السلام ويقول لك أقرىء منى على الزبير السلام وبشره أن الله أعطاه ثواب كل مَن سل سيفاً فى سبيل الله منذ بعثت إلى أن تقوم الساعة من غير أن ينقص من أجورهم شىء، لأنه

أول مَن سل سيفاً فى سبيل الله عز وجل"[339]! وتقول روايات أخرى إن محمد صلّى على الزبير ودعا له ولسيفه!

ولا يهمنا إن كانت هذه القصة حقيقية أم خيالية أم مزيجاً من الحقيقة والخيال. المهم أنها مذكورة فى كثير من المراجع العربية والإسلامية التى تُشكِّل وجدانَ المسلمين إلى اليوم. بدليل أننا نرى مسلمين إلى اليوم يتبعون كل ناعق ويميلون مع كل ريح فيغضبون ويلجأون إلى العنف لمجرد سماعهم إشاعة أن مبنى تحوَّل إلى كنيسة أو أن فتى مسيحى على علاقة بفتاة مسلمة أو غير ذلك. وما زلنا نرى إلى اليوم سيفَ الزبير (أو: سيفَ محمد) على علم المملكة العربية السعودية (أهم دولة إسلامية ومِن أهم الدول العربية). بل رأيناه مؤخراً في تركيا في يد خطيب الجمعة في كنيسة "آيا صوفيا" (Hagia Sophia) بعد تحويلها إلى مسجد[340]!

ونحن نذكر هذه القصة لأننا نريد أن نقارن بين رد فعل محمد لَمَّا رفع الزبيرُ سيفَه: ضحك محمدٌ وكالعادة، أقحم اللهَ فى القصة وزعم أن الله سيعطى ثواباً لكل مَن سل سيفاً فى سبيله! وكأن الله يحتاج إلى سيف! ليس هذا فحسب، بل بعد ذلك بَشره محمدٌ بالجنة، وقال عنه إنه حواريّه! يقول حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما إن محمد قال: "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ"[341]!

نريد أن نقارن بين رد فعل محمد مع حواريّه الزبير الذى رفع السيفَ لنصرته ورد فعل يسوع المسيح مع حواريّه بطرس الذى رفع السيفَ لنصرته. لَمَّا رفع بطرس سيفَه، "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!" (متى 52:26). نعتقد أن المقارنة واضحة والفرق واضح بين المسيح (رسول السلام) ومحمد (رسول العنف). المسيح (رسول الحياة) أحيا الموتى، بينما محمد (رسول الموت) قتل الأحياء.

هاجر الزبير إلى الحبشة الهجرتين جميعاً.

وبعد هجرة محمد إلى يثرب (المدينة)، اشترك الزبير بسيفه فى كل غزوات محمد، ولم يتخلف عن غزوة غزاها محمد. وفى غزوة بدر (2هـ)، قتل الزُّبَيْرُ "عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ" (واحداً مِن كفار قريش قبيلة الزبير). كيف قتل الزُّبَيْرُ عُبَيْدَةَ؟ الإجابة: قتله بطريقة وحشية شرحها الزُّبَيْرُ وابنه عُرْوَة وحفيده هشام فى حديث صحيح أخرجه البخارى. قَالَ الزُّبَيْرُ: "فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ (أى: على عبيدة) بِالْعَنَزَةِ (هى رمح قصير عريض النصل)، فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ، فَمَاتَ"! وأضاف هِشَامُ بْنِ عُرْوَةَ الزُّبَيْر وقَالَ: "فأُخْبِرْتُ أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ: لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَيْهِ، ثُمَّ تَمَطَّأْتُ (أى: مددت يدى مداً شديداً)، فَكَانَ الْجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا (أى: كانت المشقة فى نزع الْعَنَزَةَ) وَقَدْ انْثَنَى طَرَفَاهَا"! ثم ظلت هذه الْعَنَزَة (أى: الرمح) تنتقل مِن الزبير إلى محمد ثم إلى أبي بكر ثم إلى عمر ثم إلى عثمان ثم إلى عليّ ثم إلى أبناء عليّ، حتى عادت مرة أخرى إلى واحدٍ مِن أبناء الزبير، هو عبد الله بن الزبير، فظلت عنده حتى قُتِلَ (73هـ)! يعنى: ظل محمدٌ وصحابته يتناقلون هذا الرمح

71 سنة! "قَالَ عُرْوَةُ: فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُ. فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَخَذَهَا [الزُّبَيْرُ]. ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْطَاهُ. فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ، سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا. فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ، أَخَذَهَا [الزُّبَيْرُ]. ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا. فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ، وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ، فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ"[342]! ولقد صدق يسوع المسيح حين قال: "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (متى 52:26).

ومِن الذنوب التى ارتكبها الزبير أنه كان من أشد الناس حماسة لغزو مصر! ويُقال إنه أول مَن اقتحم حصن بابليون بعد سبعة شهور مِن الحصار، وطبعاً كان شاهراً سيفه[343]! ومنذ ذلك اليوم، سقطت مصر فى قبضة الثقافة العربية-الإسلامية – ثقافة اقتل واخطف وانكح وانهب ... ثقافة قطع الرؤوس وضرب الأعناق ... ثقافة الحروب الأهلية[344] – التى أنتجت العنف الإسلامى بكل درجاته وأنواعه وأشكاله.

لكن إذا كان الزبير قد اقتحم حصن بابليون بالسيف، فإن الثورة المعلوماتية – ومن ثمارها: الإنترنت – قد اقتحمت حصنَ الإسلام بالكلمة (logos) سلمياً، فأنارت العقول بعد أن حطمت كُلَّ الأسوار العربية-الإسلامية، مما يجعلنا نتفاءل خيراً بما سوف يحدث في المستقبل. وإن غداً لناظره قريب.

المستقبل ليس لسيف الزبير. وإنما المستقبل للعلمانية والديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان.

1.3.1.7 عبد الله بن أبي أُمَيَّة: ابن عمة محمد الذي اشترك في تأليف القرآن حتى مِن قَبل إسلامه!

إنه "عبد الله بن أبي أُمَيَّة بن المغيرة"[345] المخزوميّ ابن "عاتكة بنت عبد المطلب" عمة محمد، أخو "أُمّ سَلَمة" زوجة محمد.

كان عبدُ الله كافراً بمحمد طوال الفترة المكية ومعظم الفترة المدنية! ثم أسلم متأخراً، قبيل فتح مكة (8 هـ). ولم نجد ما يدل على أنه أسلم عن اقتناع. فيبدو لنا أنه أسلم لأنه أدرك أن سيوف المسلمين ستهزم سيوف قريش. فلقد كان واضحاً لكل ذي عقل في سنة 8هـ أن الإسلام سيسيطر على مكة.

هاجر عبدُ الله مِن مكة إلى المدينة قبيل فتح مكة (8هـ)، فَلقِيَ محمداً بالطريق فيما بين المدينة ومكة. وقال ابنُ هشام في السيرة والحاكم في المستدرك وابنُ حجر في الإصابة وغيرهم إن محمد رفض أن يستقبله! فكلَّمَتْهُ أمُّ سَلَمة وقالت: "يا رسول الله، ابن عمَّتك وصِهْرك". فقال محمدٌ لها: "لا حاجة لي به، فهو الذي قال لي بمكة ما قال". ثم بعد ذلك، استقبله محمدٌ وقَبِلَ إسلامَه[346]. فَشَهِدَ عبدُ الله فتحَ مكة مسلماً، ثم شَهِدَ يوم حُنَين ويوم الطائف، ورُمِيَ بسهمٍ مِن حِصْن الطائف فقُتِلَ يَوْمَئِذٍ!

فما الذي قاله عبدُ الله لمحمد في مكة قبل إسلامه، وظل محمدٌ يتذكره طوال هذه السنوات؟!

الإجابة: في مكة، حضر عبدُ الله اللقاء الذي جمع بين محمد وخصومه المشركين (مثل: أبي جهل والوليد بن المغيرة وغيرهما). وفي هذا اللقاء، دار حوارٌ طويل بين محمد وكفار قريش. أهم ما جاء في هذا الحوار ما يلي ...

قال كفار قريش لمحمد: يا محمد، قد علمتَ أنه ليس من الناس أحَدٌ أضيقَ بلاداً ولا أقل مالاً ولا أشد عيشاً منا، فَسَلْ (أي: فلتسألْ) لنا ربَّك – الذي بعثك بِمَا بعثك – فليُسيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضيَّقتْ علينا وليبسطْ لنا بلادَنا وليُجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعثْ لنا مَن مَضى من آبائنا، وليكن مِمَّنْ يبعث لنا مِنْهُم "قُصيّ بن كلاب"، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عما تقول: أحقٌ هو أم باطلٌ؟ فإنْ صنعت ما سألناك صدّقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

وطبعاً، لم يحقق محمدٌ مطالبهم.

فقالوا لمحمد: فإنْ لَمْ تفعل هذا (أي: ما سبق)، فَسَلْ ربَّك أن يبعث مَلَكاً يُصدِّقُك (أي: ملاكاً يشهد على صدق ما تقول)، وأن يجعل لك جِناناً (أي: حدائق، بساتين) وكنوزاً وقصوراً من ذهبٍ وفضةٍ يُغْنِيكَ بِهَا عمَّا نراك تبتغي، فإنك تقومُ في الأسواق وتلتمسُ المعاشَ.

وطبعاً، فشل محمدٌ في تحقيق مطالبهم.

فقالوا لمحمد: فإنْ لَمْ تفعلْ [ما سبق]، فأسقِط علينا كِسَفاً (أي: قِطَعًا) من السماء كما زَعَمْتَ أن ربك إنْ شاءَ فعل[347]، فإنَّا لن نؤمنَ لك إلا أنْ تفعلَ. وقال قائلٌ منهم لمحمد: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً (أي: مُقَابَلَة وَعِيَانًا فَنَرَاهُمْ بأعيننا ونقابلهم).

وطبعاً، فشل محمدٌ في تحقيق كل مطالبهم. وكان في كل مرة يكتفي بأن يقول إن وصف وظيفته (job description) هو تبليغ الرسالة فقط، أي: هو بشير ونذير فقط. رسول، وليس صانع معجزات، وليس مِن مهمته أن يسأل اللهَ تلك المعجزات. فأمرُها متروكٌ إلى الله؛ إنْ شاء فعلها، وإنْ شاء لم يفعلها.

وطبعاً، لم يقتنع عبدُ الله بن أبي أُمَيَّة بكلام محمد. فحتى الآن، لم يأتِ محمدٌ بأي دليل أو معجزة تثبت نبوته المزعومة. أما حجة "تبليغ الرسالة فقط"، فهي حجة ليست جديدة وعذر غير مقنع. فما الدليل على أنها رسالة إلهية من عند الله فعلاً؟

فقام عبدُ الله وقال لمحمد: يا محمد، عرضَ عليك قومُك ما عَرَضوا، فلم تقبلْه منهم. ثم سَألوكَ لأنفسِهم أموراً ليعرفُوا بها مَنزلتَكَ من الله، فلمْ تفعلْ ذلك. ثم سألوكَ أن تُعجِّلَ ما تخوِّفُهم به من العذاب [فلمْ تفعلْ ذلك]. فوَالله لا أؤمنُ بك أبداً حتى تتَّخذَ إلى السماءِ سُلَّماً، ثم ترقَى (أي: تصعد) فيه وأنا أنظرُ حتى تأتيها (أي: تصل إلى السماء) [ثم تعود] وتأتي معك بنُسخةٍ منشورةٍ، ومعك نفرٌ مِن الملائكةِ، فيشهدوا لك أنَّكَ كما تقول.

قال السيوطي تعليقاً على هذا الحوار بين محمد والكفار العرب: "فانصرف رسولُ الله ﷺ حزيناً، فأُنزلَ عليه ما قاله عبدُ الله بن أبي أُمَيَّة"[348]. يعني: تحولت الجمل العربية التي قالها العربي الكافر عبد الله بن أبي أُمَيَّة إلى قرآنٍ يُتلَى ويُصَلَّى به على أنه كلام الله، مع أنه في الحقيقة كلام الكافر العربي عبد الله بن أبي أُمَيَّة!

وفي الواقع، تحول كلامُ الكفار الآخرين أيضاً إلى قرآنٍ يُتلَى على أنه كلام الله، مع أنه في الحقيقة كلام كفار عرب كما يوضح الجدول التالي:

جدول 4 – مِن الكفار العرب إلى قرآن العرب (الإسراء 90-93) و (الفرقان 7-8)

كلام الكفار العرب	كلام القرآن
قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى: يبسط لنا [ربُّك] بلادَنا ويُجري فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق	[← "تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ (أي: مِن بطحاء مكة) يَنْبُوعًا (أي: عَيْناً ينبع منها الماء الجاري الذي لا ينضب)" (الإسراء 90)]
قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى: يجعل لك [ربُّك] جِناناً (أي: حدائق، بساتين) وكنوزاً وقصوراً مِن ذَهَبٍ وفضةٍ	[← "تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ (أي: حديقة، بستان) مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا (أي: وسطها) تَفْجِيرًا. [...] أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ (أي: مِن ذَهَبٍ)" (الإسراء 91-93)]
قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى: تُسْقِط علينا كِسَفاً (أي: قِطَعًا) من السماء كما زَعَمْتَ أن ربك إنْ شاءَ فعل	[← "تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا (أي: قِطَعًا)" (الإسراء 92)]
قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى: تأتي بالله والملائكة قبيلاً (أي: عِيَانًا فَنَرَاهُمْ بأعيننا ظاهرين أمامنا)	[← "تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا" (الإسراء 92)]
وقال الكافر العربي لمحمد لا أؤمنُ بك أبداً حتى: تتَّخذَ إلى السماءِ سُلّماً، ثم ترقى (أي: تصعد) فيه وأنا أنظرُ حتى تأتيها (أي: تصل إلى السماء) [ثم تعود] وتأتي معك بنُسخةٍ منشورةٍ، ومعك نفرٌ مِن الملائكةِ، فيشهدوا لك أنَّكَ كما تقول	[← "تَرْقَى فِي السَّمَاءِ (أي: تصعد بِسُلَّمٍ إلى السماء) وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ (أي: حتى ترجع إلينا ومعك كتاب منشور من الله نقرأ فيه أنك رسول الله)" (الإسراء 93)] الرد: "قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ (أي: لست أنا) إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا" (الإسراء 93)
وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى: يبعث [ربُّك] مَلَكاً يُصدِّقُك، ويجعل لك جِناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهبٍ وفضةٍ يُغْنِيكَ بِهَا عمَّا نراك تبتغي، فإنك تقومُ في الأسواق وتلتمسُ المعاشَ	[← "وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ [لطلب الرزق وكسب العيش] لَوْلَا (أي: فَهَلَّا) أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (أي: يساعده ويشهد على صدقه). أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا" (الفرقان 7-8)]

التعليق: "انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ (أي: الأقوال الغريبة) فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا" (الفرقان 9)	

ولذلك فإننا نقول إن القرآن كلام العرب. لا نقول إن القرآن كلام المسلمين. وإنما نقول إن القرآن كلام العرب. لأن حتى المشركين والكفار العرب اشتركوا في صناعة القرآن ولو بدون قصد.

والعجيب أن المسلمين يزعمون أن القرآن به إعجاز علمي وإعجاز لغوي وإعجاز بياني وإعجاز بلاغي وإعجاز عددي وإعجاز رقمي وإعجاز الإعجاز وإعجاز إعجاز الإعجاز وإعجاز ...! فهل كل هذه الإعجازات المزعومة موجودة أيضاً في تلك الآيات (الإسراء 90-93) و (الفرقان 7-8) التي هي أصلاً كلام بشر عرب كفار ثم تحول إلى قرآن؟! إن هذه الإعجازات لا وجود لها إلا في خيال المسلمين.

والأعجب والأغرب هو أن قبل (الإسراء 90-93) بآيتين فقط، تحدى أصحابُ القرآن الْإِنْسَ وَالْجِنَّ أن يأتوا بمثل القرآن: "قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" (الإسراء 88)! لكن بما أن (الإسراء 90-93) هي أصلاً كلام بشر عرب كفار ثم تحول إلى قرآن. إذن: هذا التحدي قد انهار تماماً وصار هو والعدم وسواء.

بعبارة أخرى: كيف تتحدى الناسَ "أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ" مع أن هذا القرآن نفسه مُستوحى مِن كلام الناس؟!

وكما كان أصحابُ القرآن يسمعون كلاماً من العرب الوثنيين فيطورونه تطوراً بشرياً طبيعياً ثم يضعونه في القرآن وربما يعلقون عليه، كذلك كان أصحابُ القرآن يسمعون القصص والأساطير والمعتقدات والشرائع وأفكار أخرى من أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين الشرقيين) فيطورونها تطوراً بشرياً طبيعياً ثم يضعونها في القرآن وربما يعلقون عليها. أو كما نقول دائماً:

التراث العربي + التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي **[⟵ القرآن كلام العرب]**.

1.3.2 صحابة مِن أصل يهودي أو مسيحي شرقي

يُقال إن عدد مَن أسلم مِن اليهود وكانوا مِن صحابة محمد بلغ 39 رجلاً[349]. لكن سنكتفى هنا بمعلومات مهمة عن مجموعة مُختارَة مِن الصحابة ذوي الجذور اليهودية أو المسيحية.

1.3.2.1 عبد الله بن سَلَام: اليهودي العربي الذي أسلم فحارب أهلَه اليهود العرب!

الصحابي عبد الله بن سَلَام بن الحارث الإسرائيلي[350]**:** إسرائيلي مِن أحبار اليهود (أي: مِن علماء بني إسرائيل) في يثرب (المدينة)؛ أو بعبارة أكثر دقة: كان واحداً مِن الذين اعتبرهم عربُ الصحراء آنذاك مِن علماء أهل الكتاب. ويُعتقَد أن القرآن قد أشار إليه بوصفه "عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" وباعتباره شاهداً - مع الله! - على نبوة محمد: "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا [لك يا محمد] لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" (الرعد 43). قال د. محمد حسين الذهبي: "والمراد بمَن عنده علم الكتاب – على ما هو الراجح من أقوال المفسرين – عبد الله بن سلام، أو كل مَن كان عالماً بالتوراة والإنجيل من أهل الكتاب"[351].

ويُقال إن أبا عبد الله أيضاً كان مِن أحبار اليهود وإنه مِن ذُرِّيَّةِ يوسف النبيِّ بن يعقوب. وكان عبد الله بن سلام مِن يهود بني قينقاع الذين كانوا يسكنون المدينة، وكان على علاقة قوية بالأنصار، ويُقال إنه كان مِن حلفاء جماعة مِن الخزرج مِن الأنصار.

يقول التراثُ الإسلامي إن عبد الله بن سَلَام أسلم عند دخول محمد إلى المدينة. وقصة إسلامه طريفة ومضحكة ذكرها البخاري فى حديث صحيح عَنْ أَنَسٍ قَالَ: "بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ [ابنُ سلام لمحمد]: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ". وما يهمنا هو السؤال الثالث: "مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ (أى: يشبهه) وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟". وكالعادة، أقحم محمدٌ جبريلَ في القصة وقال: "خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ"، أى أن جبريل أخبر محمداً بهذه الأسئلة الثلاثة أو بإجاباتها. فكانت إجابة محمد على السؤال الثالث هى: "وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ (أى: جامعها) فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ (أى: منيه) كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا"! فقال عبدُ الله بن سَلَام لمحمد: "أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ"[352]!

تعليقنا: لا نعتقد أنه توجد كلية طب واحدة في العالم المحترم أو قسم بيولوجى واحد في العالم المتحضر يُدرّس هذا الكلام العجيب الذي قاله محمدٌ في صحيح البخاري (أصح كتاب بعد القرآن)! وهذا يكفي وحده كدليل قاطع على أن محمد ليس رسولاً مِن عند الله، فلا يمكن أن رسولاً من عند الله يردد هذه الأساطير الشعبية غير العلمية[353].

أما عبد الله بن سلام، فإن هذا الحديث يدل على بساطته وامتلاء عقله بالأساطير والفكر الخيالي غير العلمي، فلا يمكن أن يكون مِن أعظم أحبار اليهود كما تزعم ماكينة البروباجاندا الإسلامية. ولا يمكن أن يكون "عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" (الرعد 43).

ويبدو لنا أن عبد الله بن سلام – بفرض أنه شخص حقيقي – كان مجرد رجل يهودي يعيش في صحراء شبه الجزيرة العربية. ربما كان يقيم الشعائر اليهودية بين اليهود العرب، فصار مثل المَلِك الأعور في بلاد العميان. ربما كان لديه معرفة بالتراث اليهودي أكثر مِن غيره مِن العرب، لكنها معرفة تدور في محيط الفولكلور الشعبي، بدليل وجود كثير مِن الأساطير اليهودية في القرآن، كما سنرى في هذه المذكرات.

ومِن الواضح أن محمداً كان معجباً بهذا "الحَبْر اليهودي" المزعوم، بدليل أن بضعة آيات قرآنية أشارت إليه، وأيضاً بدليل أن محمداً بَشَّره بالجنة في أحاديث صحيحة. يقول حديث صحيح أخرجه البخارى: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ (هو شيخ البخارى) قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا [بن أنس بن مالك] يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ. قَالَ [مالكٌ]: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ" (الأحقاف 10) الْآيَةَ. قَالَ [عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ]: لَا أَدْرِي قَالَ مَالِكٌ الْآيَةَ أَوْ فِي الْحَدِيثِ (أى: لا أدرى هل قال مالك إن نزول هذه الآية فى هذه القصة مِن قِبَل نفسه أو هو بهذا الإسناد؟)[354]. والآية القرآنية التى ذكرها هذا الحديث هى: "قُلْ [يا محمد] أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ [هذا القرآن] مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ (أى: عَلَى مِثْلِ هذا القرآن!) فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ" (الأحقاف 10).

وبناء على ما قاله مالك فى هذا الحديث الصحيح، كان من المفترض أن يجمع المسلمون على أن (الأحقاف 10) مدنية. إلا أن المسلمين فى الواقع مختلفون حول هل (الأحقاف 10) مدنية أم مكية، ومختلفون – كالعادة – فى تفسيرها وسبب نزولها[355]!

وسواء كان عبد الله بن سلام قد أسلم قبل الهجرة أو بعدها، فإنه مِن المحتمل جداً أنه قد لعب دوراً – مباشر أو غير مباشر – فى تأليف الآيات القرآنية المتأثرة بالتراث اليهودي وفي صياغة آيات التشريع والقتال المدنية. ولقد ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب رواية "عن محمد بن سيرين، قال: نُبِّئْتُ أن عبد الله بن سلام قال: سيكون بينكم وبين قريش قتالٌ، فإن أدركنى القتالُ وليس فيَّ قوة، فاحملوني على سريرٍ حتى تضعوني بين الصَّفَّين"[356]. ولم يكتفِ عبدُ الله بن سلام بتحفيز المسلمين على الحرب الأهلية ضد أهلهم قريش، بل اشترك هو نفسه في حرب أهلية ضد قومه اليهود! إذ يُروَى أنه اشترك في تقطيع وحَرْق نخل يهود بني النضير بأمر مِن محمد شخصياً بعد أن حاصرهم المسلمون في غزوة بني النضير (ربيع الأول 4هـ)!

وكالعادة، تحاول الكتب الإسلامية – أو بالأحرى: تحاول نظرية المؤامرة – أن تبرر غزوة بني النضير، فتزعم أن بني النضير حاولوا اغتيال محمد بإلقاء صخرة عليه مِن على ظهر أحد بيوتهم! إلا أن محمداً جاءه "وحيٌ مِن السماء" يُخبره بمؤامرتهم، فنجا محمدٌ بنفسه وفشلت محاولة الاغتيال!

ونحن نقول: تلك هي الرواية الإسلامية لِمَا حدث، وليس لدينا رواية أخرى (سواء مِن بني النضير أو مِن قريش) لكي نتحقق بها مِن مدى صحة الرواية الإسلامية. وفي جميع الأحوال، إنها رواية ساذجة. فلماذا يقتلون محمداً بإلقاء صخرة عليه، وهي طريقة احتمال نجاحها قليل جداً؟! مع أنه يمكنهم أن يقتلوه بالسيف أو الرمح أو السم أو نحو ذلك. أما مسألة هذا "الوحي مِن السماء" فهو مجرد أسطورة أقحمها الكُتاب المسلمون في القصة لضرب عصفورين بحجر واحد: تسليط الضوء على نبوة محمد المزعومة، مع تبرير غزوة بني النضير. باختصار: إذا رأينا هذه الرواية الإسلامية في فيلم أو مسلسل، سنضحك مِن فرط سذاجتها.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن واحداً أو مجموعة من بني النضير أرادوا قتل محمد بهذه الطريقة البلهاء أو حتى تحالفوا مع قريش ضد محمد كما تقول البروباجاندا الإسلامية، فكان مِن المفروض أن يُقبَض عليه(م) ويُحاكَم(وا) محاكمة عادلة. لا أن يُتخذ ذلك كذريعة لمحاصرة القبيلة بأكملها وعقاب القبيلة كلها عقاباً جماعياً (collective punishment) وتقطيع وحَرْق نخيلهم بهذه الطريقة الوحشية!

قال الواقدي وغيره: "وأمر رسولُ الله ﷺ بالنخل فقُطعت وحُرّقت، واستعمل على قطعها رجلَيْن مِن أصحابه: أبا ليلى المازنيّ، وعبد الله بن سَلام"[357]. وفي هذا دليل على أن المسلمين الأوائل بقيادة محمد كانوا يقطعون الأشجار المثمرة ويحرقونها. ولَمَّا تَعجَّب يهودُ بني النضير مِن هذا الفساد (الذي يُسمَّى اليوم: الإرهاب) الذي يفعله المسلمون، وتَرَدد بعضُ المسلمين في الاستمرار في قَطْع النخل وتحريقه، جاء القرآنُ يُبيح قَطْعَ النخل ويُبيح تَركه، مع التلميح إلى الاستمرار في قَطْع النخل وتحريقه! "مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ (أى: نخلة) أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ (أى: خَيَّرَكُمْ فِي ذَلِكَ) وَلِيُخْزِيَ [بِالْإِذْنِ فِي الْقَطْع] الْفَاسِقِينَ (أى: الْيَهُود فِي اعْتِرَاضهمْ أَنَّ قَطْع الشَّجَر الْمُثْمِر فَسَاد)" (الحشر 5)!

إذن: حتى لو كانت رواية الواقدي غير صحيحة، فيكفينا الآية القرآنية (الحشر 5) وتفسيرها. ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أنَّ عبدَ الله بن سَلام هو الذي ألَّف (الحشر 5) – أو على الأقل: هو صاحب فكرة التخيير بين قَطْعَ النخل وتَركه، مع التلميح إلى الاستمرار في قَطْع النخل وتحريقه.

آية قرآنية أخرى. جاء فى أسباب النزول للسيوطى: "قال ابنُ عُيَينَةَ: رُوِيَ أنَّ عبدَ الله بن سَلام دعا ابْنَي أخيه سَلَمَةَ ومُهاجِراً إلى الإسلام، فقال لهما: قد عَلِمتُما أنَّ اللهَ تعالى قال في التوراة: "إنى باعثٌ مِن وَلدِ إسماعيل نبياً اسمه أحْمَدُ، فمنْ آمنَ به فقد اهتدى ورَشَد، ومَن لَم يؤمن به فهو مَلعونٌ". فأسلمَ سَلَمَةُ وأبي مُهاجِر، فنزلت فيه الآية "وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" (البقرة 130)"[358]. ونحن نطلب مِن أحبائنا المسلمين أن يعطونا مخطوطة واحدة للتوراة بأى لغة وبها تلك البشارة المزعومة بمحمد أو أحمد. وربما يكون عبد الله بن سلام (أو أى شخص عربي مسلم مِن أصول يهودية) هو الذي ألَّف الآية القرآنية نفسها (البقرة 130) – على الأقل بصورة مبدئية، لكن التراث الإسلامي وما يُسمَّى كُتب "أسباب النزول" جعلت ما قاله عبدُ الله بن سلام سبباً فقط لنزول الآية.

ظل عبد الله بن سلام حياً حتى وفاة محمد، ومات بالمدينة في خلافة معاوية سنة 43هـ. أى أن هذا الحَبْر اليهودي/المسلم كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان.

وما قلناه عن عبد الله بن سلام ينطبق أيضاً على كل شخص تزعم البروباجاندا الإسلامية أنه مِن أحبار اليهود أو مِن علماء النصارى الذين أسلموا. ومِن ثم، تستخدم البروباجاندا الإسلامية إسلامَهم كدليل على صدق نبوة محمد!

ونحن نقول: إنَّ هؤلاء "الأحبار" و "العلماء" المزعومين كانوا يعيشون في بحر الأساطير اليهودية-المسيحية التي انتشرت في الشرق الأوسط خلال أكثر مِن ألف سنة قبل ظهور الإسلام[359]. ولقد امتزجت هذه الأساطير الشعبية بما جاء في الأسفار المقدسة (التوراة والإنجيل وغيرهما)، فصار صعباً على عبد الله بن سلام وغيره مِن اليهود والنصارى العرب أن يُميّزوا بين الحقيقة والخيال وأن يُفرّقوا بين ما هو قانوني (مقدس) وما هو شعبي.

إذن: حتى لو افترضنا أن هؤلاء "الأحبار" و "العلماء" العرب شخصيات حقيقة، فإنَّ إسلامهم لا يثبت أي شيء (does not prove anything). بالعكس، إنْ كان إسلامهم يدل على شيء، فإنه يدل على عدم صحة الإسلام وعدم صدق نبوة محمد المزعومة. وذلك لأنه مِن الواضح أن الأساطير والأوهام كانت تسيطر على عقول هؤلاء "الأحبار" و "العلماء" الذين صاروا فيما بعد صحابة وتابعين كبار، فمِن الطبيعي أن يقبلوا كتاباً مثل القرآن، بل مِن الطبيعي أن يشتركوا في صناعة الإسلام سواء من الناحية النظرية (تأليف القرآن والسُّنَّة) أو من الناحية العملية (الجهاد والغزوات).

والمشكلة الكبرى هي أن محمد قد وافقهم على هذه الأساطير الشرقية التي تسللت إلى القرآن والسُّنَّة! وكمثال آخر على ذلك، ننتقل إلى قصة تميم الداري وأسطورة "الجَسَّاسةِ". إنها أسطورة لا يمكن أن يصدقها صبي عمره 15 سنة، لكنها موجودة في صحيح مسلم (الكتاب رقم 3 فى الإسلام)! ...

1.3.2.2 تميم بن أوس الداري: أسطورة "الجَسَّاسةِ"!

الصحابى تميم بن أوس الداري: مسيحى فلسطينى من علماء النصارى؛ أو بعبارة أكثر دقة: كان واحداً مِن الذين اعتبرهم عربُ الصحراء آنذاك مِن علماء أهل الكتاب.

قال ابن حجر إن تميم الدارى "مشهورٌ فى الصحابة، كان نصرانياً، وقَدِم المدينةَ فأسلَم (سنة 9هـ)، وذكَر للنبيِّ ﷺ قصةَ الجَسَّاسةِ والدجالِ، فحدَّث النبيُّ ﷺ عنه بذلك على المنبر، وعُدَّ ذلك مِن مناقبِه. [...]. وقال أبو نعيم: كان [تميمُ] راهبَ أهلِ عصره، وعابد أهلِ فلسطين"[360]. وقال الحافظ المزى عن تميم الدارى: "ورَوى عنه النبيُّ ﷺ حديثَ الجَسَّاسةِ، وهو مَنْقَبةٌ شريفةٌ جداً، ويدخل ذلك فى رواية الأكابر عن الأصاغر"[361]. وقال الإمام النووى: "هَذَا مَعْدُودٌ فِي مَنَاقِبِ تَمِيمٍ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَوَى عَنْهُ هَذِهِ الْقِصَّةَ (يقصد: قصةَ الجَسَّاسةِ والدجالِ). وَفِيهِ رِوَايَةُ الْفَاضِلِ عَنِ الْمَفْضُولِ، وَرِوَايَةُ الْمَتْبُوعِ عَنْ تَابِعِهِ. وَفِيهِ قَبُولُ خَبَرِ الْوَاحِدِ"[362]. [سميت "الجَسَّاسة" لتجسسها ونقلها الأخبار للدجال!]

مما سبق يتضح أن الراهب المسيحى تميم الدارى هو الذى حكى قصةَ الجَسَّاسةِ والدجالِ لمحمد وأن محمد رواها عن تميم على المنبر لأصحابه. يعنى تميم هو مصدر المعلومة التى قالها محمد عن المسيح الدجال وجَسَّاستِه المزعومة. وهذا دليل من المراجع الإسلامية يدل على أن محمد كان أحياناً يستمع لصحابته

ويصدقهم ويروى عنهم، حتى إذا كان صاحب المعلومة شخص واحد فقط، وهو فى هذه الحالة: الراهب المسيحى تميم الدارى.

إلا أننا عندما ذهبنا إلى صحيح مسلم وجدنا القصة مقلوبة (inverted; reversed)! وجدنا أن محمد حدَّث أصحابه أولاً عن المسيح الدجال، ثم حدَّث تميمُ محمداً عن رحلةٍ بحرية قام بها مع 30 رجلاً، فوافق حديثُ تميم ما كان محمد قد قاله لأصحابه! إذن: كُتِبَت القصة مقلوبة حتى تنفي أن تميم هو مصدر المعلومة التي قالها محمد لأصحابه، وفي نفس الوقت تُقدِّم الراهب المسيحى تميم الدارى كشاهد على مصداقية محمد ونبوته[363]! وهكذا استطاع رواة صحيح مسلم أن يضربوا عصفورين بحجر واحد.

وحين تقرأ هذه القصة فى صحيح مسلم (الكتاب رقم 3 فى الإسلام)، تجدها أسطورة طويلة عريضة مِن العيار الثقيل، وتدل على أن تميم الداري – بفرض أنه شخصية حقيقية – كان عقله يمتلىء بالأساطير والأوهام. ونحن نذكر هنا هذا الحديث "الصحيح" (الأسطوري) - باختصار طبعاً - ليس لأنه مهم وإنما لأنه يؤكد أن العرب في ذلك الزمان كانوا يتمتعون بقدر كبير مِن الخيال الواسع الذي ساعدهم بالتأكيد على إنتاج كتاب أدبي مثل القرآن.

يقول صحيح مسلم إن محمد قال لأصحابه بعد الصلاة إن "تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ. حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمْ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا (أى: التجئوا) إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ [...]. فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ (أى: غليظ الشَّعَر) كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ. فَقَالُوا [لهذه الدابة]: وَيْلَكِ! مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ! انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ (هو: المَسِيح الدَّجَّال) فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ. قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا (أى: خِفنا) مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ (أى: أكبر؛ أهيب) إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ، بِالْحَدِيدِ. قُلْنَا [للمَسِيح الدَّجَّال]: وَيْلَكَ! مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنْ الْعَرَبِ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ (أى: هاج وجاوز حدَّه)، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ [...]. فَقَالَ [المَسِيح الدَّجَّال لهم]: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ (هى: قرية بالشام). قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ (هى: بحيرة فى الشام). قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ (هى: بلدة أخرى فى الشام). قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ (يقصد: محمد) مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ

مِنْ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي؛ إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ، فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ (يقصد: المدينة)، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ (أى: ملاكٌ!) بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا (أى: مسلولاً) يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا. قَالَتْ [راويةُ هذا الحديث]: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ (أى: بعصاه أو نحو ذلك) فِي الْمِنْبَرِ: "هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ" يَعْنِي الْمَدِينَةَ "أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟" فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. [فقال محمدٌ]: "فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ. أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا، بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ". وَأَوْمَأَ [محمدٌ] بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ. قَالَتْ [راويةُ هذا الحديث]: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"(364). وقال القاضى تعليقاً على قول محمد "مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ": "ليس "ما" هنا للنفى لأنه إنما يريد إثبات كونه من جهة المشرق، و "ما" هنا زائدة لصلة الكلام".

وسواء كان محمدٌ عرف قصةَ الجَسَّاسةِ والدجالِ مِن تميم الداري أم مِن مصدر آخر، وسواء كانت هذه الرحلة البحرية حقيقة أم حلم، فإن النتيجة واحدة في جميع الأحوال: لا يمكن أن يكون محمدٌ رسولاً من عند الله. وذلك لأنه مِن المستحيل أن يلجأ اللهُ إلى هذه الأساطير الشرقية: بشر يتحدثون إلى دابة، ودابة تتحدث إلى بشر، وإنسان عملاق يعيش مُكبلاً بالحديد في جزيرة في وسط البحر [وكالعادة، لا يذكرون اسمَ البحر بالتحديد ولا أين تقع تلك الجزيرة المزعومة!]، وهذا الإنسان العملاق **"يُوشِكُ"** أن يتحرر ويخرج [ومع ذلك، لم يخرج حتى الآن! بعد أكثر مِن 1400 سنة!]، وملاك يمسك سيفاً مسلولاً، ... إلى آخر هذه الأساطير! هل يُعقَل أن يلجأ اللهُ إلى هذه الأساطير الشرقية ليعلن عن نفسه للإنسان؟! مستحيل.

ولم نندهش حين عرفنا أن فريقاً من المسلمين العقلاء نسبياً رفضوا حديثَ الجساسة. منهم على سبيل المثال الباحث المصري إسلام بحيري(365). إلا أن هؤلاء المسلمين لا يمثلون التيار الرئيسي في الإسلام.

التيار الرئيسي في الإسلام يؤمن إيماناً راسخاً بحديث الجساسة! فالمشكلة الكبرى هي أن حديث/أسطورة الجساسة مذكورة في صحيح مسلم، الكتاب الذى يَتوهم المسلمون أنه أصح كتاب بعد القرآن وصحيح البخارى، ويُكفِّرون مَن ينكره! وهذه الأسطورة مذكورة أيضاً بدرجات متفاوتة فى كتب أخرى مِن كتب السُّنَّة مثل سنن أبى داود ومسند أحمد وغيرهما(366)! وقال الإمام النووى: "وَجَاءَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهَا (أى: الْجَسَّاسَة) دَابَّةُ الْأَرْضِ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ"(367)!

وفي العصر الحديث، نجد للأسف "علماء" مسلمون كبار يؤيدون أسطورة الدابة الْجَسَّاسَة الجاسوسة، لمجرد أنها مذكورة في كتب السُّنَّة "الصحيحة" وأشار إليها القرآنُ - الكتابُ الذي يَتوهم المسلمون أنه كلام الله، ويُكفِّرون مَن ينكره! قال د. محمد حسين الذهبي (مِن كبار علماء الأزهر! ووزير الأوقاف الأسبق!) في كتابه الشهير "الإسرائيليات في التفسير والحديث": "رُوِيَ حديث الجساسة من طرق متعددة، وأخرجه غير

واحد من أئمة الحديث، وذلك أمارة قوته، وإذا انضم إلى ذلك كونه موافقاً لما في كتاب الله تعالى كان الحكم عليه بغير الصحة مكابرة ومعاندة. وقد جاء ذكر الدابة وتكليمها الناس في قوله تعالى: "وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ (أي: وَجَبَ العذابُ عَلَيْهِمْ؛ أو: قرُب أن يتحقق وعد الله بقيام الساعة) أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ (أي: الكفار) كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ" (النمل 82). ولا يقال إن ذلك يكون في آخر عمر الدنيا وقرب وقوع الساعة. لأنَّا نقول: إن الذي يحدث قرب الساعة إنما هو إخراجها، وإخراجها لا يمنع وجودها حيث رآها تميم ومَن معه، فهي في محبسها في المكان الذي رست عليه سفينتهم، ومن هذا المحبس تخرج على الناس قرب الساعة فتكلمهم بما حَدَّثَ اللهُ به في كتابه"[368]!

تعليقنا: إذا كان وزير - يحضر اجتماعات الحكومة ويتحدث إلى رئيس الجمهورية - يفكر بهذه الطريقة غير العلمية ويصدق هذه الأساطير ويدافع عنها كما لو كانت ركناً مِن أركان الإسلام، فلماذا نتساءل عن سبب تخلف المجتمعات الإسلامية؟!

ونحن نقول لسيادة الوزير الأسبق: إن الأسطورة تظل أسطورة حتى لو رُوِيَت ألف مرة بألف طريق[369]. ووجود أسطورة الجَسَّاسةِ في القرآن والسُّنَّة "الصحيحة" يثبت أن "الإسرائيليات" (أو بالأحرى: المسيحيات) لم تتسلل إلى كتب التفسير والحديث فقط، وإنما تسللت أيضاً إلى القرآن والسُّنَّة "الصحيحة". ورواية محمد لهذه الأسطورة تثبت أن محمد قد اشترك بنفسه في إدخال الإسرائيليات (المسيحيات) إلى الإسلام.

ونحن نتفق مع الرأي الذي يقول إن هذه الدابة المتكلِّمة التي ستخرج من الأرض في آخر الزمان "أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً (beast) (bête) مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ" (النمل 82) مستوحاة مِن "الوحش الخارج مِن الأرض" (The Beast out of the Earth) المذكور في (الرؤيا 13:11-18)[370]. إلا أن هذا الوحش مجرد رمز إلى النبي الكذاب (False Prophet) – أو هو النبي الكذاب – الذي سيظهر (أو: ظهر بالفعل) قرب نهاية العالم. النبي الكذاب الذي زعم أن دينه إلهي ورسالته رحمة لسكان الأرض، مع أنه قَتل وسفك الدماء وسبى النساء وسرق وكسر الوصايا الإلهية. [طبعاً عارفين مَن هو هذا النبي الكذاب الذي جاء بعد المسيح.] إنه إِنْسَان الْخَطِيَّةِ (Man of Lawlessness) "الَّذِي مَجِيئُهُ بِعَمَلِ الشَّيْطَانِ (Satan)، [مصحوباً] بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ (أي: معجزات) وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ (أي: مزيفة؛ خادِعة؛ فاتِنة)" (2 تسالونيكي 9:2).

فهل يؤمن المسلمون أن الدابة المتكلِّمة مجرد رمز؟!

هل يؤمن المسلمون أن الْجَسَّاسَة مجرد رمز؟!

الإجابة: لا. والمشكلة الكبرى هي أن وجود أسطورة الْجَسَّاسَة في القرآن والسُّنَّة "الصحيحة" يجعل المسلمين يُكفِّرون مَن ينكرها! تقول موسوعة بيان الإسلام: "إن حديث الْجَسَّاسَة من أمور الغيب التى يجب الإيمان بها؛ لأنها أصل من أصول الدين"[371]!

تعليقنا: أسطورة الدابة الْجَسَّاسَة الجاسوسة تُعتبَر أصل مِن أصول الإسلام؟! بتخلُونا نندم على كل لحظة ضاعت من عمرنا لمَّا كنا نمارس الإسلام. كنا في غيبوبة. لكن نشكر الله أنه خَلّصنا وحررنا مِن هذه الغيبوبة.

ونحن نقول لأحبائنا المسلمين: القرآن ليس كلام الله. ومحمد ليس رسول الله. والإسلام ليس دين الله. أما نحن، فإيماننا بالله لا يكتمل إلا بتبرئة الله مِن الإسلام. إيماننا بالله لا يكتمل إلا بالتحرر مِن كل هذه الأساطير المذكورة فى القرآن والسُّنَّة.

"تَعْرِفُونَ الْحَقَّ (أي: الحقيقةَ؛ الله)، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ [مِن الباطل؛ مِن الجهل بالله الذي يؤدِّي إلى كل المعاصي وجميع الخطايا]" (يوحنا 8:32).

1.3.2.3 يسار – وكنيته أبو فكيهة – غلام عامر بن الحَضْرَمِيّ القرشى

قال مقاتل فى تفسيره لـ "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ (أى: يَمِيلُونَ؛ يُلمِّحون) إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ (أى: غير عربى؛ و/أو: لا يحسن العربية) وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" (النحل 103): "وذلك أن غلاماً لعامر بن الحَضْرَمِيّ القرشى يهودياً أعجمياً كان يتكلم بالرومية يسمى يسار ويكنى أبا فكيهة كان كفار مكة إذا رأوا النبى - ﷺ - يحدثه قالوا: إنما يُعَلِّمُهُ يسار أبو فكيهة"[372]. ومِن الجدير بالذكر أن "تعبير *الرومية* هنا يبدو أنه يشير إلى اللغات المحكية (spoken languages) فى الأراضى البيزنطية، ليس اليونانية (Greek) فحسب، بل أيضاً الآرامية (Aramaic) بالنسبة إلى المسيحيين واليهود فى سوريا وفلسطين والعراق، وهكذا"[373].

ونلاحظ من البداية أن هذه الآية (النحل 103) لا تنكر أن شخصاً يُعلِّم محمداً، وإنما فقط تنكر أن يكون هذا الشخص أعجمياً!

أما دفاع أصحاب القرآن بقولهم إن يسار أعجمى بينما القرآن عربى، فهو دفاع ضعيف جداً، لأنه ليس بالضرورة أن يكون محمد نفسه يفهم اليونانية والآرامية (السريانية) وغيرها من اللغات الأجنبية غير العربية. فيكفى محمد أن يقوم شخصٌ آخر بالترجمة له مِن هذه اللغات إلى العربية والعكس. ومِن المحتمل – بل مِن شبه المؤكد – أن يكون يسار يتحدث العربية، وإلا فكيف كان يتفاهم مع سيده العربى القرشى عامر بن الحَضْرَمِيّ؟! فكما استطاع يسار أن يتفاهم مع سيده العربى القرشى ربما بلغة عربية غير فصيحة أو بصعوبة وعيوب فى النطق، كذلك استطاع يسار أن يتفاهم مع محمد وَيُعَلِّمُهُ. ثم بعد ذلك، يعيد محمدٌ صياغة ما تعلمه، لكن بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، فيتحول ما كان يسار قد قاله إلى قرآنٍ يُتلَى ويُصَلَّى به.

ونحن بصراحة نتعجب مِن أن يلجأ أصحابُ القرآن إلى هذا الدفاع الهزيل: "لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ". إن هذا الدفاع الضعيف جداً يدل على عدم وجود حُجة أقوى.

1.3.2.4 جبر النصرانى غلام ابن الحَضْرَميّ

وقال الثعلبى فى تفسيره لنفس الآية (النحل 103): "وقال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ فيما بلغنى كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام رومى نصرانى، يقال له: خير (لعله يقصد: جبر)، عبد لبعض بنى الحضرمى، وكان يقرأ الكتب. [...]. وقال طلحة بن عمر: بلغنى أن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عنها كانت تختلف إلى خير (أى: تراه كثيراً) فكانت قريش تقول: إن عبد بنى الحضرمى يُعلِّم خديجة، وخديجة تُعلِّم محمداً [...]. قال عبيد الله بن مسلم الحضرمى: كان لنا عبدان من أهل [عين التمر] يقال لأحدهما يسار وللآخر خير، وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن بالتوراة والإنجيل، فربما مرَّ بهما النبى ﷺ وهما يقرآن فيقف ويسمع. وقال الضحاك: وكان النبى ﷺ إذا آذاه الكفار يقصد إليهما (أى: يسار وخير) فيستروح بكلامهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمدٌ منهما"[374].

ونستنتج مِن الرواية السابقة أن يسار وخير (أو: جَبْر) كانا مسيحيين، بدليل أنهما "كانا يقرآن بالتوراة والإنجيل". وقال الواحدى النيسابورى عن عبيد الله بن مسلم إن يسار وجبر "غلامان نصرانيان من أهل عين التمر"[375]. ونحن لا يهمنا كثيراً إن كان يسار وجبر يهوديين أو مسيحيين أو أحدهما يهودى والآخر مسيحى[376]. المهم أنهما مِن أهل الكتاب، والأهم مِن ذلك أن محمد وخديجة كانا يتعلمان التوراة والإنجيل مِنهما. ومن المعلوم أن خديجة ظلت زوجة لمحمد حوالى 25 سنة: 15 قبل البعثة و 10 بعدها. ونحن نقول: ربما كان يسار وجبر أحدهما أو كلاهما أبيونياً، أو: ينتمى إلى أى مذهب يهودي-مسيحي (Jewish Christian)، ولذلك اعتبره البعضُ يهودياً بينما اعتبره البعضُ الآخر مسيحياً.

والحديث عن يسار وجَبْر ينقلنا حتماً إلى الحديث عن رفيقهما الثالث: عَدَّاس النصراني ...

1.3.2.5 عَدَّاس النصراني

مَن هو الصحابى "عداس"[377]؟ إنه غلام نصرانى مِن نِينَوَى (Nineveh) (فى شمال العراق حالياً).

قال البيهقي في "دلائل النبوة" إن خديجة زوجة محمد قد ذهبت إلى عدَّاس النصرانى لكى تسأله عن جبريل، فقال عدَّاس لها: "إنه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام"[378]، ثم ذهبت خديجة بعد ذلك إلى ورقة بن نوفل. قال ابن حجر فى فتح البارى إنها "رواية مرسلة"[379] إلا أنه ذكر فى الإصابة روايةً تقول إن خديجة ذهبت إلى بَحِيرَا الراهب ثم إلى عَدَّاس ثم إلى ورقة بن نوفل[380]. وربما لم تذهب خديجة بنفسها إلى عَدَّاس، وإنما أرسلت إليه مَن يسأله عن جبريل[381]. إذن: توجد مراجع إسلامية وأكاديمية ذكرت علاقة خديجة بعَدَّاس النصرانى وبَحِيرَا الراهب، ومراجع أخرى لم تذكر هذه العلاقات

واكتفت بذِكر علاقة خديجة بابن عمها ورقة بن نوفل[382]؛ ولعل السبب فى ذلك هو أن علاقة خديجة بابن عمها ورقة بن نوفل كانت أطول زمناً وأقوى متانةً مِن علاقاتها بعَدَّاس النصرانى وبَحِيرَا الراهب.

ويُروَى أن خديجة زوجة محمد الأولى (25 سنة زواج: 15 قبل البعثة و 10 بعدها) قد "قرأت الكتب القديمة وعرفت تاريخ الأنبياء واسم جبريل"[383]. وهذا أمر طبيعى ومنطقى، فَمِن الواضح أن خديجة قد تعلمت التراث الدينى اليهودى-المسيحى مِن ابن عمها الشيخ ورقة بن نوفل أو مِن بَحِيرَا الراهب أو مِن عدَّاس النصرانى أو مِن غيرهم. وهذا دليل آخر يدل على أن خديجة كانت واحدة مِن الذين ساعدوا محمداً على فهم ما يسمعه مِن أهل الكتاب فى بداية عملِه كنبى. ومِن المعلوم أن خديجة ظلت زوجة لمحمد حوالى 25 سنة: 15 سنة قبل البعثة و 10 سنين بعدها. وهى فترة كافية – بل كافية جداً – لتعليم محمد وتدريبه وتأهيله حتى يصبح نبياً للعرب. ولقد صدق مَن قال: لولا خديجة، ربما ما كان محمدٌ قد أصبح نبياً قط[384].

ونقرأ فى تفسير مقاتل لـ "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا (القرآن) إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ (محمدٌ) وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا. وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (أى: طرفى النهار بالغداة والعشى)" (الفرقان 4-5) إن النضر بن الحارث (واحد مِن مثقفى مكة ومِن خصوم محمد) قال: "ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد" وأعانه عليه ثلاثة مِن أهل الكتاب هُمْ "عدّاسُ مولى حُوَيطِب بن عبد العُزّى ويسار غلام العامر بن الحضرمى وجبر مولى عامر بن الحضرمى". ثم قال النضر بن الحارث إن "هذا القرآن حديث الأولين [مثل] أحاديث رستم واسفنديار" وإن "هؤلاء النفر الثلاثة (يقصد: عَدَّاس ويسار وجبر) يُعلِّمون محمداً"[385]. ولقد تكررت أسماء هؤلاء الثلاثة بالذات فى مراجع إسلامية كثيرة، ولا داعى لحصرها كلها. لمزيد من التفاصيل، انظر تفاسير (النحل 103) و (الفرقان 4-5) و (فصلت 44) و (الشعراء 195) و (الدخان 14) و (الأنعام 105)[386].

وتقول كتب السيرة النبوية إن محمد ذهب إلى الطائف ليلتمس النصرة مِن قبيلة ثقيف على قومه قبيلة قريش. أو كما قال ابنُ كثير: "القيام معه على مَن خالفه مِن قومه"[387]. [لاحظ أن محمد حاول أن يستقوى بقبيلةٍ أخرى على قبيلته**!** لو فعل أحدٌ اليوم نفس الفعل، سيُقال عنه خائن وعميل، وسيُحاكَم ويُسجَن، وقد يُعدَم**!]** إلا أن رجال قبيلة ثقيف كان عندهم أخلاق ورفضوا أن يساعدوا واحداً ضد أهله. [اللي مالوش خير في أهله، مالوش خير في حد.] وهكذا فشلت رحلة محمد التى حاول فيها أن يستقوى بقبيلة ثقيف على قبيلته قبيلة قريش. ومِن الجدير بالذكر أن هذا الاستقواء حدث في الفترة المكية التي يقولون عليها "سلمية"**!**

وفى طريق عودة محمد مِن الطائف بعد رحلته الفاشلة، قابل عدَّاسُ محمداً ودار بينهما حديثٌ عن يونس (يونان) النبى. ذَكَرَ ابنُ هشام وغيره هذا اللقاء، إلا أنه روى حديثَ محمد وعدَّاس بطريقة غير معقولة لدرجة أنه قال إن عدَّاس قبَّل رأسَ محمد ويديه وقدميه لمجرد أن محمد عرف أن نينوى هى قرية النبى يونس؛ وهذا – حسب هذه الرواية الإسلامية – "أمر ما يَعْلَمُه إلا نبيٌّ"[388]**!** مع أنها معلومة مشهورة ويعرفها العوام من الناس.

إن هذه المبالغات فى وصف هذه القصة تجعلنا نقول إنه مِن المحتمل أن يكون عدَّاس هو الذى أخبر محمداً بقصة يونس (فى ذاك اليوم أو فى يومٍ آخر)، لكن الكتب الإسلامية قلبت الروايةَ وجعلت محمداً هو الذى يخبر عدَّاسَ بقصة يونس[389]. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التى يكتسب فيها محمدٌ معلومةً من آخرين، ثم تُقلَب الرواية (renversement de situation) فى المراجع الإسلامية لتجعل محمداً هو الذى يُخبر الآخرين بتلك المعلومة[390]. ومِن الواضح أن هذه القصة الإسلامية قد كُتِبَت بهذه الطريقة المقلوبة حتى تنفى أن عَدَّاس النصرانى هو مصدر المعلومة التى اكتسبها محمدٌ، وفى نفس الوقت تُقدِّم عدَّاس النصرانى كشاهد على مصداقية محمد ونبوته[391]! يعنى: عصفورين بحجر واحد.

ومن اللافت للانتباه أيضاً أن هؤلاء الثلاثة (أى: عدّاس ويسار وجبر) كانوا عبيد (slaves) أو خدم (servants)، ومِن الواضح أنهم ساعدوا محمداً أملاً فى الارتقاء بوضعهم الاجتماعى. ويجب أن نضيف إليهم جبر غلام بنى عبد الدار ...

1.3.2.6 جبر غلام بنى عبد الدار

قال الواقدى نقلاً عن آخرين: "كان لبنى عبد الدار غلامٌ يقال له جَبْر، وكان يهودياً، فسمع رسولَ الله ﷺ قبل الهجرة يقرأ سورة يوسف، فعرف الذى ذكر فى ذلك (أى: لاحظ التشابه بين سورة يوسف التى قرأها محمدٌ وقصة يوسف فى التوراة)، فاطمأنَّ [جبرُ] إلى النبى ﷺ فأسلم. فلمّا ارتدّ عبدُ الله بن سعد بن أبي سَرْح عن إسلامه رجع إلى مكة فأخبر أهلَه بإسلامه (أى: أخبر عبدُ الله أهلَ جبر بإسلام جبر)، وكان العبد (أى: جبرُ، أو: العبد بصفة عامة) يكتم إسلامه من أهله قبل أن يدخل بيته، فعذَّبوه أشد العذاب حتى قال لهم الذى يريدون، فلمّا فتح رسولُ الله ﷺ مكة جاء [جبرُ] إلى النبى ﷺ فشكا إليه، وأخبره ما لقى فى سبب عبد الله بن سعد. قال: فأعطاه رسول الله ﷺ ثَمَنَه فاشترى نفسه فعَتَق، واستغنى ونكح امرأةً لها شرَف"[392].

وتوجد رواية أخرى مشابهة لكن بطلها هو "جبر غلام ابن الحَضْرَميّ" وليس "جبر غلام بنى عبد الدار"[393]. وذكر الطبرى فى تفسيره لـ (الأنعام 93) روايةً عن السُّدِّيّ تقول إن (الأنعام 93) "نَزَلَتْ فِي عَبْد اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح، أَسْلَمَ وَكَانَ يَكْتُب [القرآنَ] لِلنَّبِيّ ﷺ، فَكَانَ إِذَا أَمْلَى [محمدٌ] عَلَيْهِ "سَمِيعًا عَلِيمًا" كَتَبَ هُوَ "عَلِيمًا حَكِيمًا"، وَإِذَا قَالَ [محمدٌ] "عَلِيمًا حَكِيمًا" كَتَبَ [عبدُ الله] "سَمِيعًا عَلِيمًا". فَشَكَّ [عبدُ الله] وَكَفَرَ وَقَالَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ؛ وَإِنْ كَانَ اللَّه يُنْزِلهُ، فَقَدْ أَنْزَلْتُ مِثْل مَا أَنْزَلَ اللَّهُ. قَالَ مُحَمَّدٌ: "سَمِيعًا عَلِيمًا"، فَقُلْت أَنَا: "عَلِيمًا حَكِيمًا". فَلَحِقَ [عبدُ الله] بِالْمُشْرِكِينَ، وَوَشَى بِعَمَّارٍ وَجُبَيْر عِنْد اِبْن الْحَضْرَمِيّ أَوْ لِبَنِي عَبْد الدَّار [...]"[394]. ولقد ذكر ابن حجر هذه الرواية التى ذكرها الطبرى إلا أنه قال "جَبر عبد اِبْن الْحَضْرَمِيّ أَوْ اِبْن عَبْد الدَّار"[395].

ونحن لا نرى تناقضاً بين هذه الروايات، إذ يمكن الجَمْع بينها، ولعلها تشير إلى نفس القصة، لا سيما أنه يُروَى أن جبر غلام ابن الحَضْرَميّ تزوج مولاة لبنى عبد الدار.

وعلى أى حال، نحن لا يهمنا كثيراً اسم بطل القصة، وإنما يهمنا القصة نفسها.

فنحن نرى أن هذه القصة غير منطقية، لأنه لا يمكن أن نتصور أن يترك يهودىٌ أو مسيحىٌ[396] ديانتَه ويتبع شخصاً يزعم أنه نبى لمجرد أنه سمع هذا الشخص يقرأ قصة يوسف المشهورة والتى يعرفها العوام من الناس! فَمِن المحتمل إذن أن تكون هذه القصة أيضاً مقلوبة (inverted; reversed)، أى: مِن المحتمل أن يكون جبر هو الذى أخبر محمداً بقصة يوسف (فى ذاك اليوم أو فى يومٍ آخر)، لكن الكتب الإسلامية قلبت القصةَ وجعلت محمداً هو الذى يقرأ قصة يوسف فيسمعها جبر. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التى يكتسب فيها محمدٌ معلومةً من آخرين، ثم تُقلَب الرواية (reversal of roles) فى المراجع الإسلامية لتجعل محمداً هو الذى يُخبر الآخرين بتلك المعلومة[397].

ونحن نقول "مِن المحتمل" لأننا نرى أن مزيداً من الأبحاث ضرورى لمعرفة حجم الدور الذى لعبه جبر وعدَّاس وغيرهما فى تكوين القرآن ونشأة الإسلام. وفى جميع الأحوال، فإن قصتى يوسف ويونس (يونان) كانت قصص معروفة ومشهورة قبل الإسلام، ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من اليهود والمسيحيين الشرقيين. بعبارة أخرى: نحن على يقين أن أصحاب القرآن قد سمعوا قصتى يوسف ويونس (يونان). لكن هل سمعوها مِن جبر وعدَّاس تحديداً أم مِن آخرين؟ هذا هو الذى يحتاج إلى مزيد مِن البحث والدرس.

1.3.2.7 شخصيات أخرى

هذه الأسماء التى ذكرناها مِن أهل الكتاب - يَسار؛ جَبْر؛ عَدَّاس - هى أشهر ما وصل إلينا مِن أسماء لِمَن اشتركوا فى تأليف القرآن – أو على الأقل: اتهموا بذلك.

ونجد فى المراجع الإسلامية أسماء أخرى لأشخاص آخرين اتهموا بأنهم ساعدوا محمداً على تأليف القرآن. على سبيل المثال:

ذكر ابن حجر فى الإصابة روايةً تقول "كان النبىُّ ﷺ يُقْرِئُ غلاماً لبنى المغيرة أعجمياً. قال وكيعٌ: قال سفيانُ: أراه يقالُ له: يَعيشُ. فنزلت: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ" (النحل 103) الآية. ويُنظَرُ فى يُحَنَّس (يعنى: يوحنا) فلعلَّه هو"[398].

وذكر الماوردى شخصاً آخر اسمه "بلعام" "وكان قَيْناً بمكة، وكان رسول الله ﷺ يدخل عليه يعلمه، فاتهمته قريش أنه كان يتعلم منه، قاله مجاهد"[399]. ونحن بصراحة لا نصدق أن الرسول كان يذهب بنفسه لكى يُعلِّم قَيْناً! الأقرب إلى العقل والمنطق هو أن الرسول كان يذهب إلى هذا القَيْن لكى يتعلم منه. وقيل إن القَيْن هو الحَدَّاد. وقيل إن القَيْن هو العبد، والقَيْنَة هي الأمة و/أو المُغَنِّية. يبدو لنا إذن أن هناك علاقة قوية بين القَيْن والحدادة والغناء[400]. ومِن المحتمل أن محمد كان يذهب إلى هذا القَيْن لكى يستمع إلى الترانيم والأناشيد الدينية اليهودية أو المسيحية التى كان يغنيها القَيْنُ وهو يعمل فى الحدادة. ويُروَى أن يسار وجَبْر

كانا صَيْقَلَيْنِ[401]؛ والصَّيْقَل هو شحَّاذ السيوف وجَلَّاؤها (polishes sabres)؛ فهى أيضاً مهنة يدوية مثل الحدادة. ولا يزال أصحاب المهن اليدوية إلى اليوم يقومون بالغناء أحياناً وَهُمْ يعملون.

يقول المسلمون إن محمداً كان ذكياً. ونحن نتفق معهم فى ذلك. ويبدو أن ذكاء محمد قد ساعده على أن يختار أصحاب هذه المهن اليدوية ليتعلم مِنهم بدون حتى أن يدركوا أنه يتعلم منهم. فقط يذهب إليهم فى مكان عملهم ويستمع إلى ترانيمهم وأغانيهم الدينية. ومِن المعلوم أن هذه الترانيم والأناشيد الدينية كانت – ولا تزال – تَذكر كثيراً من العقائد والقصص الكتابية. فإذا استمع محمدٌ إليها، يستطيع أن يعرف كثيراً عن الديانتين اليهودية والمسيحية بدون أن يحتاج أن يقرأ الكتاب المقدس. ثم بعد ذلك، يقوم محمدٌ (أو غيره من أصحاب القرآن) بتطوير ما تعلموه تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف والإضافة والأسلمة والتعريب ... الخ. ومع قدر بسيط من الخيال، يستطيعوا أن ينتجوا القرآن.

وتوجد روايات أخرى وأسماء أخرى لِمَن كانوا يُعلِّمون محمداً؛ أو على الأقل: اتهموا بذلك[402]. لكننا لم نذكر هذه الروايات حرصاً على عدم الإطالة.

وربما توجد أسماء أخرى لأشخاص آخرين، لكن تلك الأسماء الأخرى لم تصل إلينا.

والذى نستنتجه مِن مجموع هذه الروايات التى تؤيد بعضُها بعضاً هو أن محمد لم يكن بمفرده، وإنما كان مُحاطاً بمجموعة جيدة مِن أهل الكتاب (يهود ومسيحيين) الذين أمدوه بمعلومات مهمة عن التراث الدينى والثقافى للديانتين اليهودية والمسيحية. ومِن ثم، استطاع محمد وغيره مِن العرب أن ينتجوا القرآن.

الشرق الأوسط الذى أنتج محمد بن عبد الله وعبد الله بن سلام وتميم الدارى ويَسار وجَبْر وعَدَّاس وغيرهم هو نفسه الشرق الأوسط الذى أنتج القرآنَ بعد ذلك.

1.3.2.8 اليهود الثلاثة: أسد وثعلبة وأسيد

اليهودي الأول اسمه "أَسَد بن عُبَيْد". وقيل: "أَسَد بن عَبد".

واليهودي الثاني اسمه "ثعلبة بن سَعْيَة". وقيل: "ثعلبة بن سَعيد".

واليهودي الثالث اسمه "أَسِيد بن سَعْيَة". وقيل: "أُسَيْد بن سَعْيَة".

جاء فى أسباب النزول للسيوطى: "أخرج ابن أبي حاتم، والطَّبَرَانِيُّ، وابن مَنْدَه في "معرفة الصحابة" عن ابن عباس، قال: لمَّا أسلم عبدُ الله بن سَلَام، وثعلبة بن سَعيد، وأُسيد بن سَعْيَة، وأَسد بن عَبد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا، وصَدَّقُوا، ورَغِبوا في الإسلام، قالت أحبارُ اليهود وأهلُ الكفر مِنهم: ما آمن بمحمد واتَّبعَه إلا أشرارُنا، ولو كانوا خِيارَنا ما تركوا دينَ آبائهم وذهبوا إلى غيره. فأنزل الله في ذلك: "لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ" (آل عمران 113)"[403].

وتقول مراجع إسلامية[404] إن هؤلاء اليهود الثلاثة أسلموا يوم قُرَيْظة (يعنى: 5هـ)، وبذلك حافظوا على دمائهم وأموالهم! ونُقِلَ عن البخاريِّ أن أسيد وثعلبة ماتا في حياة محمد.

1.3.2.9 زيدُ بن سعْنَة

اسمه "زيد بن سَعْنَة (أو: سُعْنَة)"[405]. وقيل "زيد بن سَعْيَة". كان مِن الأثرياء. وكان - مثل عبد الله بن سَلَام - مِن أحبار اليهود ثم أسلم. ويُفهَم أنه أسلم بعد الهجرة.

ولقد روى عبدُ الله بن سلام قصةَ إسلام زيد بن سعْنَة. وهى قصة يغلب عليها طابع البروباجاندا الإسلامية، إذ يقال إنه أسلم مِن شدة إعجابه بحِلْم محمد! لأن هذا الحِلم الشديد – حسب ما تقول القصة – "مِن علامات النبوة"[406]!

إذن: مرة أخرى، نجد البروباجاندا الإسلامية تضرب عصفورين بحجر واحد: تجعل "حَبْراً يهودياً" مزعوماً يعترف بنبوة محمد المزعومة، وفي نفس الوقت تُسوّق لفكرة أن محمد كان حليماً جداً.

بعد إسلامه، شهد زيدُ بن سعْنَة مع محمد مشاهد كثيرة حتى مات في غزوة تبوك (رجب 9هـ)، يعني: مات في حياة محمد.

1.3.2.10 كَعْبُ الأَحْبَار: الحَبْر اليهودي العربي المتهم بـ "الإسرائيليات"

اسمه "كَعْب بن ماتع"[407] الحِمْيَرِيّ، وشهرته "كعب الأحبار"، فهو حَبْر يهودي يمني كان في الجاهلية (أي: قبل الإسلام) مِن كبار علماء اليهود في اليمن. فهو إذن يجمع بين الثقافة اليهودية بفضل دينه وعلمه، وأيضاً الثقافة العربية بسبب أصله اليمني.

كان كعبُ الأحبار معاصراً لمحمد. وقيل إنه أسلم في حياة محمد، لكن تأخرت هجرته مِن اليمن إلى المدينة، ومِن ثم لم يره. وقيل إنه أسلم في خلافة أبي بكر. وقيل إنه أسلم في خلافة عمر. وقيل إنه أسلم في خلافة أبي بكر، ثم هاجر إلى المدينة في خلافة عمر. فهو إذن مِن كبار التابعين، إنْ لم يكن مِن الصحابة.

اتفقت المراجع الإسلامية على أن كعب الأحبار كان رجلاً كهلاً أو شيخاً حين ظهر الإسلام في مكة، وأنه انتقل مِن اليمن إلى المدينة بعد إسلامه، واندمج بسرعة في المجتمع الإسلامي، ومِن ثم التقى بالصحابة مثل عمر وابن عباس وغيرهما. وهذا ما يهمنا. فنحن لا يهمنا "كعب" كشخص (person) بقدر ما يهمنا "كعب" كشخصية (character): حَبْر يهودي عربي أسلم ثم انتقل إلى المدينة **قبل** توحيد المصاحف (تقنين القرآن) (Canonization of the Qur'an) في خلافة عثمان. أو بعبارة أكثر دقة: محاولة توحيد المصاحف التي يقول التراثُ الإسلامي إنها حدثت في خلافة عثمان.

وَما يهمنا أكثر هو الدور الذي لعبه هؤلاء اليهود العرب (أمثال كعب الأحبار وعبد الله بن سَلَام وغيرهما) الذين عاصروا ظهور الإسلام في مكة ثم المدينة. فَمِن المؤكد أن هؤلاء اليهود العرب قد أدخلوا

– بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بحُسْن نية أو بسوء نية – أدخلوا عناصر مِن التراث اليهودي إلى الإسلام، أو ما يُسمَّى بـ "الإسرائيليات" وهي تضم أساطير أهل الكتاب، وبصفة خاصة أساطير اليهود.

ومِن حُسن الحظ أن المسلمين أنفسهم يعترفون بأن الإسرائيليات قد تسربت إلى تراث الإسلام. لكنهم يقولون إن الإسرائيليات دخلت فى بعض كتب السُّنَّة (الأحاديث) وتفاسير القرآن والسيرة والتاريخ، ولم تصل إلى القرآن (المصحف) نفسه ولا إلى السُّنَّة "الصحيحة" (البخاري ومسلم وغيرهما). وهكذا يزعم المسلمون أن محمد لم ينقل الإسرائيليات إلى الإسلام. باختصار: يحاول المسلمون أن يُبعِدوا عن محمد شبهة رواية الإسرائيليات، فيلصقونها في أسوأ الأحوال بجماعة مِن الصحابة[408] والتابعين[409] وتابعيهم[410]، ويعتمدون على قاعدة "كلٌّ يُؤخَذ مِن قوله ويردُّ إلا النبي" للتقليل من خطورة هذه الإسرائيليات التي تلقاها الصحابة والتابعين وأتباعهم عن أهل الكتاب الذين أسلموا، ويظنون أنهم – بتبرئة ساحة محمد – يحمون القرآن والسُّنَّة "الصحيحة" مِن شبهة التأثر بالإسرائيليات. ونسوا – أو تناسوا – أن الصحابة والتابعين هُمْ الذين جمعوا القرآن (أو ما تبقى منه) وأنتجوا المصحف ورووا السُّنَّة "الصحيحة" **بعد** وفاة محمد.

نعم. الإسلام اكتمل بصورته القانونية النهائية (المصحف + البخاري ومسلم وغيرهما) **بعد** وفاة محمد. الإسلام لم يكتمل في حياة محمد. فلا يوجد نسخة أصلية كاملة للقرآن يرجع تاريخها لزمان محمد (ت 632م). ولا يوجد نسخة أصلية كاملة للسنة الصحيحة يرجع تاريخها لزمان محمد. هذه هي الحقيقة المرة التي يجب على المسلمين أن يعترفوا بها.

لا يوجد – ولن يوجد – نسخة أصلية كاملة للقرآن يرجع تاريخها لزمان محمد[411]. ولا يوجد – ولن يوجد – نسخة أصلية كاملة للسنة الصحيحة يرجع تاريخها لزمان محمد. لا يوجد ولن يوجد.

الإسلام اكتمل بصورته القانونية النهائية (المصحف + البخاري ومسلم وغيرهما) **بعد** وفاة محمد. المسلمون الأوائل (الصحابة والتابعين وغيرهم) هُمْ الذين أكملوا المشروع (الإسلام) الذي بدأه محمد.

إذن: تأثر المسلمين الأوائل بالإسرائيليات يعني تأثر المصحف (القرآن) بالإسرائيليات، كما يعني أيضاً تأثر البخاري ومسلم وغيرهما (السُّنَّة "الصحيحة") بالإسرائيليات.

ونحن نركز في هذه المذكرات على القرآن (المصحف).

ولذلك فإننا نرى أن الإسرائيليات قد تسللت أيضاً إلى القرآن نفسه. وهذا التسلل بدأ منذ فجر الإسلام، بدأ حتى مِن قَبل هجرة أصحاب القرآن إلى الحبشة (أثيوبيا)، واستمر بعد ذلك حتى حدثت محاولات توحيد المصاحف بعد وفاة محمد. ولا نستبعد أن يكون محمد نفسه قد اشترك في تسلل الإسرائيليات إلى القرآن[412].

قد يُقال إن هذا كلام نظري بدون دليل مادي. فهل توجد أدلة مادية عملية تثبت هذه النظرية؟

الإجابة: بكل تأكيد نعم. والأدلة المادية على ذلك كثيرة والحمد لله. وسنذكر بعضها على سبيل المثال في هذه المذكرات. ولعل أسطورة تحطيم إبراهيم للأصنام ونجاته من النار (الأنبياء 51-71) (الصافات 83-

99) (العنكبوت 16-26) (مكية) هي أشهر مثال على تسلل الأساطير اليهودية إلى القرآن نفسه حتى مِن قَبل هجرة أصحاب القرآن إلى المدينة. اليهود أنفسهم يعترفون بأنهم هُمْ الذين ألفوا هذه الأسطورة قبل ظهور الإسلام بمئات السنين. فكيف تكون كلام الله، واليهود أنفسهم يعترفون بأنهم هُمْ الذين ألفوها؟! وسنشرح في وقت لاحق لماذا ألّف اليهود هذه الأسطورة ولماذا تبناها أصحابُ القرآن في مكة.

نعود إلى كعب الأحبار. قال عنه الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء": "جالسَ [كعبُ الأحبار] أصحابَ محمد ﷺ، فكان يُحدِّثُهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظُ عجائب، ويأخذُ السننَ عن الصحابة. وكان حسنَ الإسلام، متينَ الديانةِ، من نُبَلاء العلماء. حدَّث عن: عُمر، وصُهَيب، وغير واحد. وحدّث عنه: أبو هريرةَ، ومعاويةُ، وابنُ عبَّاس، وذلك من قبيل روايةِ الصحابي عن التابعي، وهو نادر عزيز. [...] وكان خبيراً بكُتُب اليهود، له ذَوْقٌ في معرفة صحيحها من باطلها في الجُملة. [...] فلقد كان من أوعية العلم"[413]. وطبعاً هذا "الذوق" قد يصيب أحياناً وقد يخطئ أحياناً أخرى.

فلقد روى البخاري في صحيحه عَنْ الزُّهْرِيِّ: أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ، وَذَكَرَ كَعْبَ الْأَحْبَار فَقَالَ [معاوية]: "إِنْ كَانَ [كعبُ الأحبار] مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ"[414]. ونستنتج من هذه الرواية وجود "مُحَدِّثِينَ" (بصيغة الجمع) ممن كانوا مِن أهل الكتاب ثم أسلموا فصاروا يُحَدِّثُونَ المسلمين الأوائل عن كتب أهل الكتاب، وكذلك مَن نظر في كتب أهل الكتاب فحدَّث عما فيها؛ وأن كعبُ الأحبار كان لمِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ. أما مقالة معاوية في كعب الأحبار "كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ"، فلقد اختلف المسلمون في المراد مِنها، لكن معظمهم اتفقوا على حُسن الظن بكعب، فحملوها على محمل حَسن:

- إما أن كعب كان أحياناً يخطئ بدون قصد فيما يخبر به، سواء لأنه فَسَّر خطأ أو لأنه استند في التأويل إلى الظن والحدس الذي قد يخطئ؛
- وإما أن مصادر كعب نفسها (أي: الكتب التي كان كعب يعتمد عليها) غير صحيحة. فكان كعب ينقل ما فيها، لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس فيها.

وإذا كان كعب الأحبار، مع أنه حَبْر يهودي، قد عانى مِن تلك المشكلة، فإنه مِن المؤكد أن المسلمين الأوائل قد عانوا من نفس المشكلة: إما أنهم فهموا خطأ ما سمعوه مِن أهل الكتاب (مثلاً: تعريف الروح القدس Holy Spirit) أو اعتمدوا على الظن والحدس للإجابة على الأسئلة التي تدور في أذهانهم (مثلاً: كيف وُلِدَ المسيحُ عيسى ابن مريم بدون أب بشري؟)؛ وإما أن مصادرهم نفسها كان فيها أساطير (مثلاً: كتب أبوكريفا).

ونستنتج من كل ما سبق أن أصحاب القرآن قد اطلعوا على التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian)، ولكن واجهتهم صعوبة في التدقيق والتمحيص والتمييز بين ما هو صحيح (أو مقدس) وما هو

غير صحيح (أو غير مقدس). ولذلك فإننا نجد في القرآن ما يعتمد على الأسفار المقدسة (التوراة والإنجيل مثلاً) ونجد أيضاً ما يعتمد على الأسفار غير المقدسة (الأبوكريفا والسوديبِجرافا والمدراش والتلمود مثلاً). قصة "موسى وفرعون" مثلاً موجودة في التوراة. أما قصة "تحطيم إبراهيم للأصنام ونجاته من النار" مثلاً غير موجودة في الكتاب المقدس بعهديه، لكنها موجودة في المدراش وسوديبِجرافا العهد القديم قَبل ظهور الإسلام بمئات السنين. وفي جميع الأحوال، نحن نعتقد أن أصحاب القرآن قد تجاوزوا هذه المشكلة، فكانوا عندما يختارون قصة يهودية/مسيحية معينة ليضعوها في القرآن، لم يكن معيارهم الأساسي هو قانونية هذه القصة (مقدسة أو غير مقدسة) ولا حتى أهميتها في التراث اليهودي/المسيحي، وإنما كان معيارهم الأساسي هو أهمية هذه القصة بالنسبة لهم في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي. بعبارة أخرى: اهتم أصحابُ القرآن بالمسرود له (المسلمين الأوائل؛ العرب) أكثر من اهتمامهم بالمسرود (أحداث القصة نفسها). اهتموا بزمن النص القرآني ومكانه أكثر من اهتمامهم بزمن القصة نفسها ومكانها. بدليل اهتمام أصحاب القرآن بقصص مسيحية شعبية هامشية وثانوية جداً مثل أسطورة "أصحاب الكهف" (18 آية! الكهف 9-26) وعدم اهتمامهم بأحداث تاريخية وعقائد مسيحية مهمة جداً مثل صلب المسيح وموته على الصليب (آيتين فقط! النساء 157-158).

وقال كتابٌ صادر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "كان كعب على مبلغ عظيم من العلم ولذا كان يقال له كعب الحبر وكعب الأحبار (وهو لفظ كان يلقب به العالم لكثرة كتاباته) كان على علم واسع بالثقافة اليهودية والإسلامية، وقد روى ابن سعد في طبقاته حكاية عن رجل دخل المسجد فإذا عامر بن عبد الله بن قيس جالس إلى كتب وبينها سفر من أسفار التوراة وكعب يقرأ، وهذا يدل على أن كعباً – رغم إسلامه – كان يرجع إلى التوراة والتعاليم الإسرائيلية. ولا نجد من بين علماء الجرح والتعديل مَن طعن فيه أو اتهمه بالوضع والاختلاق، والجمهور على توثيقه، ولا ذِكر له في كتب الضعفاء والمتروكين، وقد كان الصحابة كابن عباس وأبي هريرة وغيرهما يروون عنه، كما خرج له الإمام مسلم في صحيحه في مواضع من أواخر كتاب الإيمان، كما خرج له أبو داود والترمذي والنسائي، وهذا في حد ذاته دليل على أن كعباً كان ثقة. ونحن لا نتهم كعباً هنا بالكذب أو الوضع أو الاختلاق (أي: تعمد الكذب)، وإنما نعيب عليه "ترويجه" لهذه الإسرائيليات التي ضمت بين دفتيها ما هو كذب وما هو صدق، وكان حرياً بكعب وأقرانه بل وبالصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين مراجعة مرويات أهل الكتاب. فعلى كعب تقع مسئولية كبيرة في نقل تلك الروايات دون تمحيص"[415].

ويسير د. محمد أبو شَهبَة (مِن كبار علماء الأزهر) في نفس اتجاه المرجع السابق فيقول: "وأحب أن أنبه هنا إلى حقيقة، وهي: أنه ليس معنى أن هذه الإسرائيليات المكذوبات والباطلات مروية عن كعب الأحبار ووهب بن مُنَبِّه وعبد الله بن سَلَام [وتميم الداري] وأمثالهم، أنها من وضعهم واختلاقهم، كما زعم ذلك بعض الناس اليوم (لعله يقصد الشيخ "محمد رشيد رضا" صاحب "تفسير المنار" أو المفكر "محمود أبو ريه" الذي

كتب كتاب "أضواء على السنة المحمدية" أو غيرهما مِن المسلمين الذين هاجموا كعبَ الأحبار وأمثاله). وإنما معنى ذلك: أنهم (أي: كعب الأحبار وأمثاله) هُمْ الذين رووها ونقلوها لبعض الصحابة والتابعين من كتب أهل الكتاب ومعارفهم، وليسوا هُمْ الذين اختلقوها، وإنما اختلقها وافتجرها أسلافهم القدماء"[416].

ونحن نتفق مع هذا الرأي فيما يتعلق بالأساطير القديمة التي ألّفها اليهود والمسيحيون القدماء قبل ظهور الإسلام بعشرات السنين أو مئات السنين، وظل أهلُ الكتاب يتوارثون هذه الأساطير جيلاً بعد جيل، حتى وصلت إلى أهل الكتاب الذين أسلموا، وبواسطتهم انتقلت هذه الأساطير اليهودية-المسيحية القديمة إلى الدين العربي الجديد (الإسلام). وحين نقول "انتقلت"، فإننا بالطبع لا نقصد أن أصحاب القرآن نقلوا أساطير أهل الكتاب نقلاً حرفياً، وإنما نقصد أنهم تأثروا بهذه الأساطير (الإسرائيليات) وطوروها تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development) بالحذف و/أو الإضافة، بدليل وجود بعض الاختلافات بين أساطير أهل الكتاب وما يناظرها في أساطير القرآن. مثلاً: أسطورة "أصحاب الكهف" السريانية تذكر ثالوثَ "الآب والابن والروح القدس"، لكن عندما وُضعت هذه الأسطورة في القرآن (الكهف 9-26) حُذِفَت هذه العبارة طبعاً لأنها تتعارض مع العقيدة الإسلامية، ووُضِعَ بدلاً منها عبارة أخرى تدل على التوحيد المطلق المتوافق مع الإسلام "رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا" (الكهف 14). إنها إذن عملية "أسلمة" للأساطير اليهودية-المسيحية القديمة.

أما فيما يتعلق بالأساطير المعاصرة لظهور الإسلام، فلا نستبعد أن تكون مِن اختلاق أهل الكتاب الذين أسلموا أو مَن اختلط بهم. ومِن بينها أساطير دخلت في القرآن (المصحف) سواء في حياة محمد أو بعد وفاته.

مثلاً: أسطورة بشارة التوراة والإنجيل بـ "النَّبِيّ الأُمِّيّ (= الأممي) (المقصود: محمد)" (الأعراف 157). فلقد أخرج ابنُ سعد بسندٍ حَسنٍ أن كعب الأحبار سُئِل: "ما منعك أن تُسْلِمَ في عهدِ رسول الله ﷺ وأبي بكر؟" فقال كعب: "إنَّ أبي كان كَتَب لي كتاباً مِن التوراة، فقال [لي]: "اعْمَلْ بهذا". وختَم على سائر كُتبِه، وأخَذ عليَّ بحقِّ الوالدِ على الولدِ ألا أَفُضَّ الخَتْمَ عنها. فلمَّا رأيتُ ظهورَ الإسلامِ قلتُ: "لعلَّ أبي غيَّب عنِّي عِلماً"، ففتَحْتَها فإذا صفةُ محمدٍ وأمتِه، فجئتُ الآنَ مسلماً"[417]. ولقد تسللت هذه الأسطورة إلى المصحف "الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ" (الأعراف 157) وإلى "صحيح" البخاري (2018، 4558) وتُذكَر أيضاً في تفاسير (الأعراف 157).

ومِن الجدير بالذكر أن الباحث المعروف (Mondher Sfar) قال إن (الأعراف 157) واحدة مِن الآيات التي أُضيفت لاحقاً (أي: بعد وفاة محمد) لإعطاء شرعية لنبوة محمد[418]. فيمكن إذن أن نسميها الآيات الموضوعة في المصحف أو الآيات المدسوسة أو الآيات غير الأصلية.

وقال الباحث الأزهري الشاب إبراهيم عافية عن كعب الأحبار: "أخذ عنه الصحابةُ وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو مِن الكتاب والسُّنَّة عن الصحابة، وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن مئة وأربع سنين"(419).

ويوجد شبه اتفاق في المراجع الإسلامية على أن كعب الأحبار مات في أواخر خلافة عثمان. قيل: سنة 34هـ. وقيل: سنة 33هـ. وقيل: سنة 32هـ. أي أنه كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن وإنتاج المصحف في عهد عثمان.

1.3.2.11 هل كان هناك ترجمة عربية لكتب اليهود أثناء حياة محمد؟

الحديث عن صحابة محمد وكبار التابعين الذين كانوا أصلاً مِن أهل الكتاب يجبرنا أن نناقش مسألة هامة، وهي: هل كان هناك ترجمة عربية لكتب اليهود أثناء حياة محمد؟ ومع أن إجابة هذا السؤال تبدو بديهية، وهي بكل تأكيد "نعم"، فنحن بصراحة لا نستطيع أن نتخيل أن حبراً يهودياً عربياً مثل كعب الأحبار مثلاً كان يعيش بدون ترجمة عربية للتوراة. ولا نستطيع أن نتخيل أن مجتمعاً عربياً مِن النصارى العرب مثل نصارى نجران والغساسنة كان يعيش بدون ترجمة عربية للإنجيل. ومع ذلك، لا يزال هذا السؤال مطروحاً إلى اليوم! ولذلك نجد أنفسنا مضطرين إلى أن نضيع بعض الوقت في مناقشته.

يزعم كثير مِن المسلمين أنه لم يكن هناك ترجمات عربية للكتاب المقدس في حياة محمد. وكالعادة، يعتبرون هذا الزعم مِن "المسلَّمات" أو مِن "الثوابت" حتى لا يجادلهم أحدٌ فيما يزعمون! يقول الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب (ديسمبر 2017): "ومِن المسَلَّم به في تاريخ الكتاب المقدَّس أنَّه لم تُعرَف له ترجمةٌ عربيةٌ قبلَ القرن الثامن الميلاديّ، وأنَّ المجتمعَ المكيَّ كان يجهلُ هذه الكتب (يقصد: التوراة والإنجيل) في عصر البَعْثَة المحمَّديَّة، وأنَّ ترجماتِها أخذت في الظهور بعدَ وفاةِ محمَّدٍ ﷺ بقرنٍ كامل على الأقل"(420).

وكالعادة، يفترض المسلمون أن قراءة الترجمة المكتوبة (translation) هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة ما في الكتاب المقدس! ومِن ثم، يستنتجون أن محمد لم يكن يعلم شيئاً عن الكتاب المقدس! [ونسوا – أو تناسوا – وسيلة أخرى لمعرفة ما في الكتاب المقدس وهي سماع الترجمة الشفوية (interpretation).]

وكالعادة أيضاً، يفترض المسلمون مِن البداية أن القرآن هو الكتاب الذي جاء به محمدٌ وحده. [ونسوا – أو تناسوا – الآيات القرآنية التي اقترحها الصحابة (عمر بن الخطاب مثلاً).] وبما أن محمد – حسب زعمهم – لم يكن يعلم شيئاً عن الكتاب المقدس، إذن: القرآن – حسب زعمهم أيضاً – لا يمكن أن يكون كلامَ محمد. وهنا السؤال الذي يواجهونه هو: القرآنُ كلام مَن إذن؟! فيزعمون فوراً أن القرآن كلام الله! هكذا بكل بساطة! وكأن الكون كله لا يوجد فيه أحد يتكلم غير محمد والله! محمد والله فقط الذين يتكلمون! فلو القرآن

ليس كلام محمد، يصير كلام الله! ألا يوجد احتمال ثالث؟! أن يكون القرآن ثمرة عمل جماعي اشترك فيه محمدٌ مع غيره مِن العرب المتصلين بأهل الكتاب.

وسنعطى في الصفحات القادمة بعض الأدلة النقلية والعقلية التى تثبت أنه أثناء حياة محمد كان هناك ترجمات عربية (مكتوبة و/أو شفوية) لكل أو بعض أسفار الكتاب المقدس.

وحين نقول "الكتاب المقدس" هنا، فإننا لا نعني بالضرورة الكتاب المقدس الأصلي (إنْ كان هناك كتاب مقدس أصلي، فهو بالتأكيد ليس باللغة العربية). وإنما نعني مجموعة من الكتب المقدسة وغير المقدسة تضم العقائد والشرائع وقصص الأنبياء والمرسلين وأخبار الأمم والملوك والحكم والمواعظ والترانيم ... الخ. يعني: منظومة دينية مكتوبة و/أو شفوية تضمن وجود حياة يهودية أو مسيحية ذات معنى. وليس المهم أن تكون هذه المنظومة كاملة 100% أو صحيحة 100%، وإنما المهم أنها تكفي لنشر الثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian) بين أبناء الثقافة العربية.

وسنبدأ أولاً بالأدلة النقلية. وسنكتفي هنا بثمانية أدلة فقط: أربعة مِن القرآن وثلاثة مِن كتب السُّنَّة ودليل مِن كتب التراث العربي-الإسلامي الأخرى.

الدليل الأول مِن القرآن: "فَإِنْ كُنْتَ [يا محمد] فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ" (يونس 94). ويقول القرآن أيضاً: "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ [يا محمد] إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ (أى: الْعُلَمَاء بِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيل) إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (الأنبياء 7). وبنفس المعنى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ (أى: الْعُلَمَاء بِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيل) إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (النحل 43).

قال د. محمد حسين الذهبي تعليقاً على (يونس 94): "أباح اللهُ لنبيه ﷺ أن يسأل أهل الكتاب، وكذلك أباح لأمته أن يسألوهم، لِمَا هو مقرر شرعاً مِن أن أمر الله لنبيه - عليه الصلاة والسلام - أمر له ولأمته ما لم يقم دليل على الخصوصية. والأمر هنا للإباحة كما هو ظاهر". وفَسَّر "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ" (الأنبياء 7) (النحل 43) فقال: "يريد أهل الكتب السابقة"[421].

ونحن لا نتصور أن يسمح القرآنُ (اللهُ) لمحمد وللمسلمين الذين معه أن يسألوا أهل الكتاب (أَهْلَ الذِّكْرِ) إلا إذا كان محمد والمسلمون سيفهمون إجابات أهل الكتاب.

السؤال: بأي لغة كان يقرأ أهلُ الكتاب "الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ" السابقون والمعاصرون لمحمد؟

الإجابة: إما أنهم كانوا يقرأون باللغة العربية، مما يدل على وجود ترجمات مكتوبة للكتاب المقدس. وإما أنهم كانوا يقرأون بلغة أو بلغات أخرى (العِبرية، اليونانية، السريانية) لكنهم سيجيبون على أسئلة محمد وأسئلة المسلمين باللغة العربية، مما يدل على وجود ترجمات شفوية للكتاب المقدس.

الدليل الثاني مِن القرآن: "وَمِنْهُمْ (أى: وَمِن اليهود المعاصرين لمحمد) أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ. فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ" (البقرة 78-79).

تشير هذه الآية إلى "وجود يهود أميين، عِلمهم بالكتاب (التوراة) محدود، إلا أنهم على أية حال على علمٍ ما بما فى هذا الكتاب". و "طالما كان هؤلاء اليهود عرباً تهودوا أو غلب عليهم اللسان العربى –لمعيشتهم قبل النبى ﷺ بمئات السنين فى الجزيرة العربية – فلا سبيل له إلا الإطلاع عليه أو على بعضه بالعربية". و "تحذر الآية فريقاً من اليهود يكتبون التوراة ويضيفون عليها أو ينقصون منها افتراء على الله لهذا الفريق الأمى مِن بنى دينهم، ولعل هذا النقص أو تلك الزيادة إنما ترجع لعدم الدقة فى ترجمة النص الأصلى. ولعل استنكار القرآن لمقالة اليهود "هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ" لا يرجع إلى أن ما يقدمونه لإخوانهم هو مِن وضع أنفسهم، وإنما لتصرفهم فى معنى ما ينقلونه من الكتاب"[(422)]. أى أنهم كانوا يترجمون بالمعنى وليس ترجمة حرفية.

إذن: فى حياة محمد، كان هناك يهود متعلمون علماء "يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ" ويهود آخرون "أُمِّيُّونَ" (أى: عوام؛ مقلدون؛ بسطاء) يعتمدون على آذانهم وعقولهم البسيطة فى تعلم ما يمكن لهم أن يتعلموه مِن الدين اليهودى بدون فحص ولا تدقيق ولا فهم عميق. وطبعاً كل ذلك كان يتم باللغة العربية، لغة محمد ولغة أصحاب القرآن.

الدليل الثالث مِن القرآن: "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (أى: صباحاً ومساء)" (الفرقان 5).

"فالاتهام الموجه للرسول عليه الصلاة والسلام يعنى أنه يستمد ما يتلوه من قرآن من كتب أصحاب الديانات السابقة كاليهود والنصارى"[(423)].

ومِن المعلوم أن التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) الشرقي قبل ظهور الإسلام كان مكتوباً إما بإحدى اللغات الكتابية مثل العِبرية واليونانية أو بإحدى اللغات الشرقية التى تُرجِم إليها الكتاب المقدس قبل الإسلام مثل السريانية (الآرامية) والحبشية (الأثيوبية) والقبطية (المصرية) ... الخ. إذن: يوجد احتمالان.

- الاحتمال الأول: كان أصحابُ القرآن (وعلى رأسهم: محمد) يعرفون هذه اللغات الأجنبية.
- الاحتمال الثانى: كانت هناك ترجمات عربية (سواء مكتوبة أو شفوية) لهذا التراث اليهودي-المسيحي الشرقي.

وكلا الاحتمالين سيصلان بنا إلى نفس النتيجة: بكل تأكيد، استطاع أصحابُ القرآن (وعلى رأسهم: محمد) أن يطلعوا على التراث اليهودي-المسيحي الشرقي الذى كُتِبَ قبل ظهور الإسلام. وكل الأدلة فى هذه المذكرات تؤكد ذلك: الإسلام هو مجرد ديانة عربية نتجت مِن خلال عملية تطور بشرى طبيعى للتراث اليهودى-المسيحى الشرقى الذى كُتِبَ قبل الميلاد وفى القرون السبعة الأولى للميلاد.

الدليل الرابع مِن القرآن: "كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ (أى: يعقوب حفيد إبراهيم) عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ (يا محمد لليهود) فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (فى دعواكم أن الله أنزل فيها تحريم ما حرَّمه يعقوبُ، أو أن شريعة إبراهيم تُحرّمه)" (آل عمران 93).

وتشير هذه الآية إلى "الاختلاف بين النبى وبين اليهود حول قضية بعينها يطلب النبى لحلها الاحتكام إلى نَص التوراة [...]. والسؤال هنا: كيف يتحاكم النبى ﷺ مع اليهود بنص لا يعرف أحدهما لغته؟ المنطق يقول إنه لاَ بُدَّ وأن يكون النص بلغة مشتركة بين الجانبين لتقام الحجة"[424].

إذن: نحن أمام نفس الاحتمالين السابقين؛ إما أن محمد كان يعرف العِبرية، وإما أن التوراة كانت مُترجَمة إلى العربية. وسنصل أيضاً إلى نفس النتيجة النهائية: القرآن – بل: الإسلام بصفة عامة – هو مجرد محاولة بشرية شرق-أوسطية لدمج التراث الشعبي القومي (العربي) مع التراث الشعبي الديني (اليهودي والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)) في كيانٍ واحد نتج مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي (natural human development) للثقافة العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian). وكل الأدلة في هذه المذكرات ستؤكد هذه النتيجة التي لا نزعم أننا أول مَن وصل إليها.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

الدليل الخامس مِن صحيحي البخاري ومسلم: يقول حديث صحيح متفق عليه[425] إن محمد أتى بيهودى ويهودية قد زنيا، فقال لليهود: ما تجدون فى التوراة على مَن زنى؟. قالوا: نُسوِّد وُجُوهَهُما [...] ويُطافُ بهما (ولم يذكروا أن يُرجَمَا). فقال محمدٌ لهم: "فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ". فجاءوا بها فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم، وضع الفتى الذى يقرأ يَدَه على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال له عبد الله بن سَلَامٍ وهو مع محمد: مُرْهُ فليرفع يَدَه، فرفعها الفتى فإذا تحتها آية الرجم. فأمر بهما محمدٌ فرُجِمَا.

وروى البخاري روايةً أخرى[426] أكثر تفصيلاً إن عَبْد اللَّه بْن سَلَام هو الذي قال لليهود: "فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ". ويبدو لنا أن عَبْد اللَّه بْن سَلَام قال هذه الجملة، ثم تحولت بعد ذلك إلى قرآنٍ يُتلَى (آل عمران 93). عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ وَامْرَأَةٍ

قَدْ زَنَيَا. فَقَالَ لَهُمْ [محمدٌ]: "كَيْفَ تَفْعَلُونَ بِمَنْ زَنَى مِنْكُمْ؟" قَالُوا: "نُحَمِّمُهُمَا (أي: نُسوِّد وُجوهَهُما) وَنَضْرِبُهُمَا". فَقَالَ [محمدٌ]: "لَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ الرَّجْمَ؟" فَقَالُوا: "لَا نَجِدُ فِيهَا شَيْئًا". فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: "كَذَبْتُمْ، فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ". فَوَضَعَ مِدْرَاسُهَا (قيل إنه: عبد الله بن صوريا) الَّذِي يُدَرِّسُهَا مِنْهُمْ كَفَّهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَطَفِقَ يَقْرَأُ مَا دُونَ يَدِهِ وَمَا وَرَاءَهَا، وَلَا يَقْرَأُ آيَةَ الرَّجْمِ، فَنَزَعَ [ابنُ سلام أو محمدٌ] يَدَهُ عَنْ آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَالَ: "مَا هَذِهِ؟" فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا: "هِيَ آيَةُ الرَّجْمِ". فَأَمَرَ [محمدٌ] بِهِمَا، فَرُجِمَا قَرِيبًا مِنْ حَيْثُ مَوْضِعُ الْجَنَائِزِ عِنْدَ الْمَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ صَاحِبَهَا يَحْنِي (أو: يَجْنَأ؛ أي: يميل) عَلَيْهَا يَقِيهَا الْحِجَارَةَ.

السؤال: لماذا وضع هذا الفتى (ابن صوريا) الذي يقرأ التوراة يَدَه على آية الرجم؟ الإجابة: لأنه خشى أن يقرأها محمدٌ أو مَن حوله مِن أصحاب القرآن مثل عبد الله بن سَلَامٍ. إذن: إما أن هذه التوراة كانت مكتوبة باللغة العِبرية وأصحاب القرآن يقرأون العِبرية. وإما أن هذه التوراة كانت مُترجَمة إلى اللغة العربية. نفس الاحتمالين السابقين ونفس النتيجة النهائية.

ونستنتج أيضاً مِن هذا الحديث الصحيح أن أصحاب القرآن كانوا يتحاورون مع اليهود فى الأمور الدينية والكتابية. ومِن أشهر الأماكن التى كان محمد شخصياً يجتمع فيها مع اليهود هو "بيت المِدْرَاس (بالعِبرية: Bet Ha-Midrash)" الذى كان يُعتبَر المركز اليهودى (Jewish centre) فى المدينة. قال الطبرى والسيوطى وغيرهما فى تفسير "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ" (آل عمران 23): "عَنْ اِبْن عَبَّاس، قَالَ: دَخَلَ رَسُول اللَّه ﷺ بَيْت الْمِدْرَاس عَلَى جَمَاعَة مِنْ يَهُود، فَدَعَاهُمْ إِلَى الله، فَقَالَ لَهُ نُعَيْمُ (أو: نعمان) بْن عَمْرو وَالْحَارِث بْن زَيْد: عَلَى أَيّ دِين أَنْتَ يَا مُحَمَّد؟ فَقَالَ (محمدٌ): "عَلَى مِلَّة إِبْرَاهِيم وَدِينه". فَقَالَا: فَإِنَّ إِبْرَاهِيم كَانَ يَهُودِيًّا. فَقَالَ لَهُمَا رَسُول اللَّه ﷺ: "فَهَلُمُّوا (أو: فَهَلُمَّا) إِلَى التَّوْرَاة فَهِيَ بَيْننَا وَبَيْنكُمْ""[427].

ويُروَى أن عمر بن الخطاب "كان له أرض بأعلى المدينة، وكان طريقه إليها على مدارس اليهود، فكان يجلس إليهم (أى: يجلس عُمَرُ مع اليهود) ويسمع كلامهم (أى: يستمع لما يقولونه)"[428].

الدليل السادس مِن صحيح البخارى: يقول حديث صحيح أخرجه البخارى: كان أهلُ الكتاب يقرأون التوراةَ بالعِبرانية، ويُفسِّرونها بالعَربية لأهل الإسلام. فقال محمدٌ للمسلمين: لا تُصَدِّقوا أهلَ الكتاب ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا: "آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا [...]" (البقرة 136)[429].

وسواء كان المقصود مِن "التفسير" هنا هو الشرح (explanation) أو الترجمة الشفوية (interpretation) التى تُوضِّح المعنى المقصود مِن النص الأصلى، فإن النتيجة فى كلتا الحالتين واحدة: كان المسلمون الأوائل يستمعون لتفسير التوراة من أهل الكتاب باللغة العربية. إلا أن محمداً نهى المسلمين عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم. ونحن نعتقد أن أصحاب القرآن قد التزموا بهذه التعليمات التى أصدرها

محمد. فلو كانوا صَدَّقوا أهلَ الكتاب فى كل شىء، لكان القرآن ترجمةً حرفيةً للكتاب المقدس. ولو كانوا كَذَّبوا أهلَ الكتاب فى كل شىء، لكان القرآن مختلفاً تماماً عن الكتاب المقدس. إذن: ما حدث هو أن أصحاب القرآن استمعوا لأهل الكتاب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ثم وضعوا بصمتَهم العربية-الإسلامية على ما سمعوه، فصار القرآنُ تطوراً بشرياً طبيعياً للكتاب المقدس، أي: ليس نسخةً طبق الأصل ولا بعيداً جداً عن الأصل. هذا بالضبط ما حدث. وكل الأدلة التى سنُقدِّمها فى هذه المذكرات تؤكد ذلك.

الدليل السابع مِن كتب السُنَّة الأخرى: توجد فى كتب السُّنَّة أحاديث تدل على أن عمر بن الخطاب (وهو واحد مِن أصحاب القرآن) كان يقرأ التوراة. على سبيل المثال، يقول حديث أخرجه الدارمى إن عمر أتى محمداً بنسخة مِن التوراة، فقرأها على محمد، فغضب محمدٌ غضباً شديداً لدرجة أن أبا بكر الصديق لاحظ علامات الغضب على وجه محمد[430]! ويقول حديث رواه أحمد وغيره إن عمر أتى محمداً بكتابٍ أصابَه مِن بعض أهل الكُتُبِ (أو: أهل الكتاب)، فقرأه محمدٌ (أو: قرأه عمر على محمد)، فغضب محمدٌ وقال لعمر: "أَمُتَهَوِّكُونَ (أى: أَمُتحيِّرون) فيها يا ابن الخطاب؟ [...] لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبروكم بِحقٍ فَتُكذِّبوا به، أو بباطلٍ فتُصَدِّقُوا به، والذى نفسى بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني"[431].

نستنتج مِن مجموع هذه الأحاديث الاحتمالين التاليين: إما أن عمر بن الخطاب كان يجيد اللغة العِبرية، أو أنه قرأ مِن توراة مترجمة إلى اللغة العربية؛ والاحتمال الثانى أقوى وأرجح.

العجيب هو أن محمد لم يحدد بالضبط ما هو "الحق" و "الباطل" فيما قرأه (أو: قرأه عمر) مِن التوراة! وسنلاحظ فعلاً فى هذه المذكرات أن أصحاب القرآن لم يكن لديهم أحياناً قدرة على التمييز بين الحق والباطل فيما يسمعونه مِن أهل الكتاب.

الدليل الثامن: أخرج البَيْهَقِيُّ عن أبي هريرة أنه لَقِيَ كعبَ الأحبار، فجعل أبو هريرة يحدِّثه ويسأله، فقال كعبٌ: "ما رأيتُ رجلاً لم يقرأ التوراة أعلم بما في التوراة مِن أبي هريرة"[432].

ونستنتج من هذه الرواية أن قراءة الترجمة المكتوبة (translation) ليست ضرورية لمعرفة ما في التوراة. قد يكون المرءُ أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك يستطيع أن يعرف ما في التوراة عن طريق سماع الترجمة الشفوية (interpretation).

<u>الخلاصة:</u> إن الأدلة النقلية السابقة تؤكد وجود ترجمات عربية (مكتوبة و/أو شفوية) لكل أو بعض أسفار الكتاب المقدس أثناء حياة محمد. وحتى لو افترضنا جدلاً أن محمد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب – كما

يزعم المسلمون – فإنه يستطيع أن يعرف ما في التوراة والإنجيل وغيرهما مِن كتب التراث اليهودي-المسيحي عن طريق سماع الترجمة الشفوية وليس عن طريق قراءة الترجمة المكتوبة.

ننتقل الآن إلى الأدلة العقلية ...

مما لا شك فيه أن الكتاب المقدس كان معروفاً على نطاق واسع حتى مِن قبل ترجمته. ولنأخذ مصر كمثال. عرفت مصر الديانة المسيحية فى القرن الأول الميلادى، ولكن يرجع تاريخ ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة المحلية (القبطية) إلى أواخر القرن الثانى وبدايات القرن الثالث بعد الميلاد[433]. فهل هذا يعنى أن الأقباط البسطاء الذين كانوا لا يجيدون اللغة اليونانية والذين كانوا يعيشون فى صعيد ووسط مصر ظلوا أكثر من 100 عام لا يعلمون شيئاً عن دينهم؟! بالطبع لا. بكل تأكيد عرفوا المسيحية وفهموها وتعلّموها شفوياً فى الكنائس والمدارس والمنازل ... الخ، ونقلوها شفوياً أيضاً إلى أبناءهم وأحفادهم وأحفاد أحفادهم.

هذا أيضاً ما حدث ليهود ومسيحيى شبه الجزيرة العربية المعاصرين لمحمد؛ لقد عرفوا اليهودية والمسيحية وتوارثوها **شفوياً** لمئات السنين قبل أن يُترجَم الكتاب المقدس إلى اللغة المحلية (العربية). فلقد كان مجتمع شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى يعيش بالدرجة الأولى فى ثقافة شفوية-سمعية (oral-aural culture) وكان يتوارث الأفكار والمعتقدات والقصص شفوياً عبر الأجيال. الكتابة والترجمة لعبتا دوراً ولكنه كان دوراً ثانوياً – بل ثانوياً جداً – إذا ما قورن بدور الانتقال الشفوي-السمعي (oral-aural transmission)؛ أي: من فم شخص إلى أذن شخص آخر.

أو كما قال العالم الكبير (Gerhard Böwering): "هناك اعتقادٌ عامٌّ أن محمداً جمع معارفَه بالكتاب المقدس بشكلٍ أساسى – إنْ لم يكنْ بشكلٍ حصرى – من مصادر شفهيَّة". هذا التقليد الشفهى (oral lore) وصل إلى محمد بلغته الأم (أى: العربية)، لكن نماذجه الأصلية كانت مواد سريانية وآرامية وأثيوبية وعِبرية، "تدلُّ عليها مفرداتٌ أعجميَّةُ الأصل وُجِدَت فى القرآن العربى. هذه المفردات الأعجمية شكَّلت جزءاً مُتمِّماً لا غنى عنه فى دعوة محمد، وكانت مفهومة مِن مُخاطَبيه فى مكة والمدينة الذين خوطِبوا بعربية بليغة"[434]. وكذلك قال العالم الكبير (Tor Andrae) إن ما وصل مِن الديانة المسيحية إلى محمد قد انتقل إليه عن طريق الوعظ الشفوي (oral preaching) وجهات الاتصال الشخصية (personal contacts)[435].

إذن: الترجمة المكتوبة للكتاب المقدس مِن اللغات الكتابية (العِبرية واليونانية والآرامية) إلى اللغة العربية لا تهمنا كثيراً، لأن الكتاب المقدس قد وصل إلى أصحاب القرآن باللغة العربية **شفوياً**.

وهذا أيضاً ما حدث للقرآن نفسه الذى لم يُترجَم إلى اللغات الأجنبية (أى: غير العربية) إلا بعد ظهوره بقرون طويلة. وعلى الرغم من ذلك، سمع عنه وعرفه - بل وآمن به - الملايين مِن غير العرب قبل أن يُترجَم

إلى لغاتهم المحلية. كيف حدث ذلك؟ الإجابة: شفوياً. أى: كما وصل الكتابُ المقدس مِن غير العرب إلى العرب شفوياً قبل أن يُترجَم كتابةً، كذلك وصل القرآنُ من العرب إلى غير العرب شفوياً قبل أن يُترجَم كتابةً.

إن وصول الكتاب المقدس مِن غير العرب إلى العرب شفوياً يعني أنه وصل إليهم بطريق غير مباشر، بعد أن تعرض أثناء ترجمته وشرحه إلى تطور بشري طبيعي بالحذف و/أو الإضافة وتعدد الروايات الشفوية ... الخ. وهذا أحد أسباب الاختلافات بين الكتاب المقدس والقرآن.

وخير ما نختم به كلامنا هو الإنجيل. وتحديداً "الموعظة على الجبل" (Sermon on the Mount) (متى 5-7) التي كرر فيها يسوعُ المسيح عبارةَ "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ [...]" 5 مرات (متى 5:21، 5:27، 5:33، 5:38، 5:43). يقول الأب متى المسكين تعليقاً على هذه العبارة المهمة: "وحينما يقول: "قَدْ سَمِعْتُمْ" فهو يخاطب قوماً لا يقرأون ولا يكتبون، يُساق إليهم التعليم شفهياً ويحفظونه بسماع الأذن"[436]. ومن المعلوم أن السيد المسيح في هذه الموعظة الخالدة قد تطرَّق إلى أمور دينية واجتماعية غير مذكورة في التوراة الرسمية، وإنما مذكورة في التفاسير والشروحات غير الرسمية (أو ما نُسمِّيه نحن إجمالاً: التقليد أو التراث اليهودي كالترجوم الآرامي والتلمود والمدراش وغيرهم). إذن: أثناء حياة المسيح في القرن الأول الميلادي، كان اليهود والمسيحيون الأوائل يسمعون أمور الدين والتقليد شفهياً، وليس بالكتابة والقراءة.

وكذلك أثناء حياة رسل المسيح في القرن الأول الميلادي، إذ يقول سفر أعمال الرسل: "لأَنَّ مُوسَى مُنْذُ أَجْيَال قَدِيمَةٍ، لَهُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مَنْ يَكْرِزُ بِهِ، إِذْ يُقْرَأُ فِي الْمَجَامِعِ كُلَّ سَبْتٍ" (أعمال الرسل 15:21). يقول الأب متى المسكين نقلاً أو ترجمةً عن كاتبٍ آخر: "وقراءة الناموس تتبع طريقة معيَّنة، فبعد قراءة فصل من الأسفار الخمسة (البنتاتيوخ) يكمِّلون بقراءة الأنبياء، على أن القارئ يقرأ باللغة العبرية الرسمية للتوراة ثم يترجم شفاهياً للشعب باللغة الأرامية، لأن القليل جداً وخاصة في الجليل مَن كان يعرف اللغة العبرية، ثم يبدأ بشرح ما تلاه على مسامع الشعب. وعادة الذي يقرأ في السبت هم الكتبة والفرّيسيون، ولكن أي معلِّم متعلِّم يمكن أن يُعْزَم عليه ليقوم ويقرأ ويعلِّم إن كان ذا معرفة. وقد أُعطي للمسيح أن يقرأ في مجمع الناصرة، وكان الجزء الثاني من مقرر قراءة اليوم وهو الأنبياء، فقرأه بالعبرية وترجمه بالأرامية ثم شرحه، وكان الشعب يعتبرون قراءته وشرحه أفضل جداً من الكتبة والفرّيسيين: "فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ" (مرقس 1:22). ويسوع يختلف كثيراً عن الكتبة في التعليم، لأن الكتبة لا يعلِّمون إلا بالقراءة من المصدر الذي يقرأونه وليس بشيء من أنفسهم. ولكن المسيح كان يشرح ويعلِّم من قلبه دون الرجوع إلى قراءة أحدٍ من الربِّيين. والمسيح اختلف كثيراً في تعليمه عن الكتبة والفرّيسيين، بما استخدمه من الأمثال والتشابيه بكثرة عوض الرجوع إلى المحفوظات المكتوبة التي كان يرجع إليها الكتبة والفرّيسيون، وكان قصد المسيح تبسيط الفكر وإدخال روح الانتعاش في السامعين، بالإضافة إلى سهولة الحفظ والرسوخ في الذهن"[437].

مما سبق يتضح أنه قبل المسيح، كان اليهود يسمعون التراث اليهودي شفهياً، وليس بالكتابة والقراءة. وكذلك بعد المسيح، كان المسيحيون يسمعون التراث اليهودي/المسيحي شفهياً، وليس بالكتابة والقراءة. وفي ظل تواجد اليهود والمسيحيين في الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية واليمن ومصر والحبشة قبل الإسلام، فليس أمامكم سوى الاعتراف بأنه أثناء حياة محمد أيضاً في القرن السادس والسابع بعد المسيح، كان العرب والمسلمون الأوائل يسمعون التراث اليهودي/المسيحي شفهياً، وليس بالكتابة والقراءة.

النتيجة النهائية: كل الأدلة النقلية والعقلية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنه أثناء حياة محمد كان هناك ترجمات عربية (مكتوبة و/أو شفوية) لكل أو بعض أسفار الكتاب المقدس.

إن وجود هذه الترجمات العربية المكتوبة و/أو الشفوية يزيدنا يقيناً بأنه كان مِن اليسير على محمد وعلى غيره مِن العرب أن يطلعوا على التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian).

أو كما قال د. طه حسين - رحمه الله رحمةً واسعة: "مَن الذي يستطيع أن ينكر أن كثيراً مِن القصص القرآني كان معروفاً بعضه عند اليهود وبعضه عند النصارى وبعضه عند العرب أنفسهم، وكان من اليسير أن يعرفه النبي، كما كان من اليسير أن يعرفه غير النبي مِن [العرب] المتصلين بأهل الكتاب"[438].

1.3.3 صحابة من أصل رومى (رومانى) أو شامي

1.3.3.1 صُهَيْب الرومي: صحابي متعدد الثقافات ومتعدد المواهب

اسمه "صُهَيْب بن سِنَان بن مَالِك (أو: خالد) بن عبد عمرو"[439]. قيل إنه مِن قبيلة "النَّمِر بن قاسط" ووُلِد في مدينة "نينوى" التي تقع على شاطئ نهر دجلة مِن جهة المَوْصِل في شمال العراق، وإن أباه (و/أو: عَمَّه) كان عاملاً على بلدة "الأُبُلَّة" (مدينة في جوار البَصْرَة في جنوب العراق) مِن قِبَلِ كسرى ملك الفرس.

ثم أسر الرومُ صُهَيباً وهو غلام صغير، وأخذوه معهم إلى بلاد الروم (الشام). ومما لا شك فيه أن ابتعاد الغلام صهيب عن أبويه وسقوطه فجأة مِن طبقة اجتماعية مرتفعة إلى طبقة العبيد والرقيق قد سببا صدمة نفسية كبيرة لهذا الغلام الصغير صهيب.

نشأ صُهَيبٌ بين الروم فى الشام وعاش بينهم زمناً طويلاً لدرجة أن لكنة مِن لغة الروم قد أصابت لسانه، فكاد صُهَيْبٌ ينسى لغتَه العربية، ولذلك نُسِبَ إلى الروم فَسُمِّي "صهيب الرومي". ويُروَى أن صُهيباً قال لعمر بن الخطاب (بعد إسلامهما): "إن الرومَ سَبَتْني صغيراً فأخَذْتُ لسانَهم" أو "الروم أغارت فسرقتني فعلّمتني لغتها".

إذن: مِن المؤكد بالأدلة العقلية والنقلية أن صهيب تعلم اللغة السريانية (الآرامية) و/أو اللغة اليونانية.

ثم باع الرومُ صُهَيباً، فوقع صهيبٌ في يد رجلٍ عربي مِن مكة اسمه "عبد الله بن جُدعان". وقيل إن صُهَيب هرب من الروم إلى مكة فحالَف ابنَ جُدعان.

المهم هو أن صُهَيب قد انتقل مِن العراق (الفرس) إلى الشام (الروم) إلى مكة (العرب).

ثم أعتقه سيده بعد حين، فاشتغل صُهَيبٌ بالتجارة وكان فيها ماهراً، فربح منها ربحاً وافراً. وهذا دليل على سهولة الاندماج الاجتماعي (social integration) لأي شخص غريب بين العرب، مما يدل على أن العرب قبل الإسلام لم يكن لديهم أي مشكلة في التواصل مع الثقافات الأخرى.

ونفهم مِن المراجع الإسلامية أن صهيب كان أيضاً فارساً يجيد رميَ النبال وضرْبَ السيف، حتى مِن قَبل إسلامه.

أسلَم صُهَيْبٌ في مكة مبكراً جداً (قبل عمر). قيل: لم يتقدمه في الإسلام إلا بضعة وثلاثون رجلاً. وكان صُهَيْبٌ واحداً مِن المسلمين المستضعفين الذين عُذِّبُوا، لأنهم غرباء ليس لهم في مكة رَهْطٌ يمنع الكفارَ عنهم؛ أو كما يُقال اليوم: ليس لهم ظهر يحميهم. وَهُمْ خمسة: صُهيب الرومي وبلال الحبشي وعَمَّار بن ياسر وأمه سمية والمقداد؛ وقيل إن الخامس هو خَبَّاب؛ وقيل: ياسر أبو عمار. ولا يهم إنْ كانوا خمسة أو ستة أو سبعة أو حتى أكثر. المهم هو أنهم كلهم مِن الأجانب و/أو المستضعفين. أما العرب الأقوياء برهطهم أو مالهم (مثل: محمد وخديجة وأبو بكر وحمزة وعمر وعثمان وغيرهم) فلم يُعذِّبهم أحدٌ! وهذا البطش بِمَن لا سَنَد لهم وعدم البطش بِمَن لهم سَنَد يُعتبَر مِن مساوئ الثقافة العربية، حتى مِن قَبل الإسلام[440].

وبعد أن هاجر محمدٌ مِن مكة إلى يثرب (المدينة)، أراد صُهيبٌ أن يلحق به. إلا أن قريش منعوه. فتخلَّى صُهَيبٌ لهم عن أمواله في مقابل أن يتركوه يُهاجِر مِن مكة إلى المدينة. فلَمَّا جاء صُهَيْبٌ إلى محمد وعرف محمدٌ أن صُهيباً قد اشترى نفسَه بمالِه، قال محمدٌ له: "رَبِحَ البيعُ". وقال القرآنُ (أو ربما: قال صهيبٌ نفسه) تعليقاً على ذلك: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ" (البقرة 207)[441]. ونلاحظ هنا الكلمات المتأثرة بالثقافة العربية التي تسود فيها التجارة، مثل: "رَبِحَ" و "البيعُ" و "يَشْرِي". ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن (البقرة 207) كانت مِن تأليف صُهيب الرومي شخصياً. أو على الأقل: اشترك صهيبٌ في صياغتها بصورتها النهائية أو شبه النهائية أثناء جمع القرآن بعد وفاة محمد.

في المدينة، شهد صُهَيبٌ بدراً (2هـ) والمشاهد كلَّها مع محمد. يعني: محمد العربي - الذي قاد حرباً أهلية ضد أهله قريش (العرب) - تحالف مع رجل غريب (عراقي/شامي) ويكاد أن يكون أجنبياً (رومياً)[442]! إذا فعل عربيٌ اليوم نفس الفعل، سيُقال عنه خائن وعميل، وسيُسجَن وقد يُعدَم.

ويبدو أن صُهيباً كان ملاصقاً لمحمد، إذ يُروَى أنه قال: "صَحِبْتُ رسولَ الله ﷺ قبلَ أن يُبْعَثَ (أو: قبلَ أن يُوحَى إليه)". كما يُروَى أنه قال: "لم يشهَدْ رسولُ الله ﷺ مشهداً قط إلا كنتُ حاضره، ولم يُبايعْ بيعةً قط إلا كنتُ حاضرها، ولم يُسِرْ سريَّةً قط إلا كنتُ حاضرها، ولا غزَا غزاةً قط أول الزمان وآخره إلا كنتُ فيها عن يمينِه أو شمالِه، وما خافُوا (أي: ما خاف المسلمون) أمامَهم قط إلا كنتُ أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنتُ وراءهم، وما جعَلتُ رسولَ الله ﷺ بيني وبين العدو قط، حتى تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ". كما رَوى صهيبٌ عن محمد أكثر مِن 300 حديث، وهذا يعتبر عدد ضخم بالنسبة للصحابة الكبار المُهاجِرين.

ويُفهَم مِن التراث الإسلامي أن صهيب كان على علاقة قوية بمحمد وبقية الصحابة. ورُوِيَ عن محمد أنه قال: "مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحبّ صُهيباً حُبَّ الوالدة لولدها". وبغض النظر عن مدى صحة هذه الرواية، فإنها تدل على المكانة العالية التي احتلها صُهْيبُ الرومي في الثقافة الإسلامية. ويقول حديث صحيح أخرجه مسلم إن أَبَا سُفْيَانَ – قبل أن يسلم – مَرَّ عَلَى سَلْمَانَ الفارسي وَصُهَيْب الرومي وَبِلَال الحبشي، فلما رأوه قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا؛ وكانوا يعنون أَبَا سُفْيَانَ. وسمعهم أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لهم: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى أبو بكر محمداً فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ له محمدٌ: "يَا أَبَا بَكْرٍ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ. لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ"! وينتهي هذا الحديث بأن أبا بكر حرص على أن يتأكد بنفسه مِن أنه لم يغضب صُهيباً وسلمان وبلال[443]! كما كان صُهيب مِن المقربين جداً لعمر بن الخطاب، ولقد اختاره عُمَرُ لِيُصَلِّي بالمسلمين في المدة التي يختارون فيها مَن يخلفه بعد موته. وهذا يُعتبَر شرف كبير لصُهيب حسب تقاليد المجتمع الإسلامي.

وهكذا استطاع صهيبٌ أن يصعد مِن طبقة العبيد والرقيق إلى طبقة اجتماعية مرتفعة مرة أخرى.

عمَّر صهيبُ الرومي طويلاً، فعاش 70 سنة أو أكثر. ومات بالمدينة سنة 38هـ (وقيل: 39هـ). أي أن هذا الرجل العراقي-الشامي-العربي كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان.

ومِن الجدير بالذكر أن صهيب ليس هو الشخص الوحيد الذي ينتقل مِن العراق و/أو الشام إلى شبه الجزيرة العربية. فلقد كان هذا أمراً عادياً – بل عادياً جداً – سواء قبل الإسلام أو بعده. ويُقال إن صهيب هو ابن عم "حُمْران بن أبان" الفارسي الذي كان مِمَّن سباه "خالدُ بن الوليد" مِن "عَيْن التمر" (بلدة قريبة مِن الأنبار غربيّ الكوفة) بعد أن قتل خالدٌ رجالَهم وسبى نساءَهم وغلمانَهم في عهد الخليفة "أبي بكر الصديق" بعد وفاة محمد بقليل (12هـ)! ثم صار حُمْران هذا مَوْلى للخليفة "عثمان بن عفان"[444].

1.3.3.2 الأزرق بن عقبة: زوج أُم "عَمَّار بن ياسر" ومولى "الحَارِث بن كَلَدَة" طبيب العرب

الحديث عن "الأزرق بن عقبة" أو "الحَارث بن كَلَدَة" يجعلنا نتحدث عن الآخر، ولذلك فإننا سنتحدث أولاً عن "الأزرق بن عقبة" ثم سنذكر أهم ما جاء في التراث العربي-الإسلامي عن "الحَارث بن كَلَدَة" ...

كان "الأزرق بن عقبة"[445] أيضاً مِن طبقة العبيد. فلقد كان مِن عبيد كَلَدَة الثقفيّ، وقيل: مِن عبيد "الحارث بن كَلَدَة" طبيب العرب مِن قبيلة ثقيف مِن أهل الطائف. وكان الأزرقُ حدَّادًا رُومِيًّا، تزوَّج "سُمَيَّةَ" والدة "عَمَّار بن ياسر" بعد أن فارقها ياسرٌ.

وفي سنة 8هـ، قام محمدٌ وأتباعُه المسلمون بغزو الطائف. فتحصَّنتْ قبيلة ثقيف داخل حِصْن منيع. فحاصر محمدٌ وأتباعُه المسلمون حِصْنَ ثقيف حصاراً شديداً استمر فترة طويلة (قيل: 17 ليلة؛ وقيل: بضعاً وعشرين ليلة؛ وقيل: قرابة 40 يوماً). تقول السيرة النبوية: "وأمر رسولُ الله ﷺ بقطع أعنابهم (أي: أمر

محمدٌ بقطع أعناب ثقيف!)، أي ونخيلهم وتحريقها، فقطع المسلمون [نخلَ ثقيف] قطعاً ذريعاً، فسألوه (أي: فسأل ثقيفُ محمداً) أن يدعها لله وللرحم. فقال رسولُ الله: إني أدعها لله وللرحم. ونادى رسولُ الله ﷺ: أيّما عبد نزل مِن الحِصْن (أي: حِصْن ثقيف) وخرج إلينا فهو حُرٌّ! فخرج مِنهم بضعة عشر، أي وقيل ثلاثة وعشرون رجلاً"[446].

وكان الأزرقُ واحداً مِن هؤلاء العبيد الذين نزلوا إلى محمد أيام هذا الحصار، فأسلَم، فأعتقه محمدٌ وسلَّمه لخالد بن سعيد بن العاص (صحابي مِن بني أمية ومِن أقارب "أم حبيبة" زوجة محمد) ليَمُونَه ويُعَلِّمَه. فاندمج الأزرقُ بسرعة في المجتمع الإسلامي وصار حليفاً في بني أمية، فأنكحوه ونكحوا إليه. وهذا دليل آخر على أن عملية الاندماج الاجتماعي (social integration) كانت سهلة جداً في ذلك الوقت.

ويبدو لنا أن أصحاب القرآن كانوا حريصين على اجتذاب أكبر عدد ممكن مِن العبيد، لأن هؤلاء العبيد جاءوا مِن ثقافات متعددة ويجيدون لغات أجنبية ولديهم مواهب ومهارات كثيرة، فسيكونوا بالتأكيد إضافة مهمة للإسلام. وفي الوقت نفسه، أراد هؤلاء العبيد أن ينضموا إلى الإسلام حتى يصعدوا على السلم الاجتماعي وينتقلوا مِن طبقة العبيد والرقيق إلى طبقة اجتماعية أعلى. يعني باختصار: عملية تبادل منفعة (mutualism) متأثرة بالثقافة العربية التي تسود فيها التجارة: خذ وهات (take and give).

ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن محمد نفسه كان مِن طبقة العبيد والرقيق. ربما كان عبداً مملوكاً للسيدة خديجة، فأعتقته ثم تزوجته. لكن لا يوجد حتى الآن دليل علمي يثبت ذلك. وسنترك هذه المسألة للأجيال القادمة مِن الباحثين والدارسين.

ننتقل الآن إلى "الحَارث بن كَلَدَةَ" طبيب العرب مِن قبيلة ثقيف مِن أهل الطائف. اختلف المسلمون إنْ كان الحَارث صحابياً أم لا، واختلفوا إنْ كان قد أسلم أم لا. لكن في المقابل، يوجد شبه إجماع على أنه كان معاصراً لمحمد. ولقد أخرج أبو داود حديثاً عَنْ سَعْدٍ بن أبي وقاص قَالَ: مَرِضْتُ مَرَضًا، أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي، فَقَالَ [محمدٌ لسعد]: "إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْئُودٌ (أي: أصابك داءٌ في قلبك أو صدرك)، ائْتِ الْحَارِثَ بْنَ كَلَدَةَ أَخَا ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَتَطَبَّبُ، فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ، فَلْيَجَأْهُنَّ بِنَوَاهُنَّ (أي: فليكسر هن ويدقهن)، ثُمَّ لِيَلُدَّكَ بِهِنَّ (أي: يصب هذا الدواء في فمك)"[447]! وبغض النظر عن مدى صحة هذه "الروشتة النبوية" المذكورة في هذا الحديث، فإنه يدل على أن محمداً والصحابة الكبار كانوا يعرفون "الْحَارِثَ بْنَ كَلَدَةَ" الثقفي أطَبَّ العربِ في عصرهم.

قال د. جواد علي عنه: "أما الحارث بن كلدة الثقفي، فإنه من ثقيف ومن أهل الطائف. ذكر أنه سافر إلى البلاد، وتعلم الطب بناحية فارس على رجل من أهل جُنْدَيْسابور، وغيرها. وتمرن هناك، وطب بأرض فارس، وعالج وحصل له بذلك مال، وعرف الداء والدواء. وكان صاحب حس مرهف، وموسيقياً يضرب بالعود. تعلم ذلك بفارس واليمن. [...] وقد عاصر رسول الله، وفي بعض الروايات أنه أسلم ومات مسلماً"[448].

وهذا يؤكد لنا مرة أخرى أن شبه الجزيرة العربية أيام محمد لم تكن منعزلة عن محيطها الجغرافي. بل اتصل العربُ اتصالاً وثيقاً بِمَن حولهم مِن أبناء الحضارات والثقافات الأخرى (وأهمها بالطبع: الروم والفرس)، سواء عن طريق الذين جاءوا مِن هذه الثقافات واستقروا في شبه الجزيرة العربية (مثل: صُهيب الرومي والأزرق بن عقبة وغيرهما) أو عن طريق العرب الذين ذهبوا إلى هذه الثقافات وتعلّموا مِنها ثم عادوا إلى شبه الجزيرة العربية (مثل: الحارث بن كلدة والنضر بن الحارث وغيرهما).

هذا هو المجتمع المنفتح متعدد الثقافات (multicultural) الذي عاش فيه محمدٌ وغيره مِن أصحاب القرآن. لم يكن العرب محتاجين وحياً مِن السماء. يكفيهم ما كان عندهم على الأرض لإنتاج القرآن.

1.3.4 صحابة من أصل فارسي أو عراقي أو كردي

اعترف محمدٌ نفسه بفضل فارس وقال في أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم بألفاظ متقاربة: "لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ فَارِسَ (أَوْ قَالَ: مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ) حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ". وفي رواية أخرى أن محمداً قرأ "وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ" (الجمعة 3)، فسأله رجلٌ: "مَنْ هَؤُلَاءِ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ" فلم يجبه محمدٌ! فكرر الرجلُ سؤالَه مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَوَضَعَ محمدٌ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، ثُمَّ قَالَ: "لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ (أَوْ: رَجُلٌ) مِنْ هَؤُلَاءِ (يقصد: مِن الفرس)"[449].

فمَن هو سلمان الفارسي الذي وضع محمدٌ يَدَهُ عليه؟

يجيب الشيخُ الشعراوى على هذا السؤال ويقول: "سلمان الفارسى، صحابى، من مقدميهم، أصله من مجوس أصبهان، عاش عمراً طويلاً، قرأ كتب فارس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب، وسمع كلام النبى ﷺ، أظهر إسلامه، وهو الذى دل المسلمين على حفر الخندق فى غزوة الأحزاب"[450].

يعني: محمد العربي تحالف مع رجل أجنبي (فارسي) في حربه الأهلية ضد أهله قريش (العرب)! لو أن عربياً تحالف مع رجل أجنبي ضد العرب اليوم، لقيل عنه خائن وعميل، وسيُسجَن وقد يُعدَم.

على أي حال، ما يهمنا هو أن سلمان الفارسي "قرأ كتب فارس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب". إن سلمان الفارسي يستحق كتاباً مستقلاً. لكن حرصاً على عدم الإطالة، فإننا سنذكر أهم ما جاء عنه.

1.3.4.1 سلمان الفارسي: الصحابي الذي قرأ كتب فارس والروم واليهود وقصد بلاد العرب

يتميز "سلمان الفارسي"[451] بأنه قام برحلة طويلة تَعرَّف فيها على ديانات الشرق الأوسط قبل الإسلام، ولذلك فإن المراجع الإسلامية تُسمِّيه "الباحث عن الحقيقة". ومِن المؤكد أنه ليس الرجل الشرقي الوحيد الذي قام بهذه الجولة العميقة في المجوسية (الزرادشتية)[452] والمسيحية واليهودية. فلقد قال عنه د. محمد بكر إسماعيل (مِن كبار أساتذة الأزهر): "سلمان الفارسي واحد مِن أولئك الباحثين عن الحقيقة في الأديان السماوية

والأرضية". وقد سُئِل علي بن أبي طالب عن سلمان الفارسي، فقال: "ذاك امرؤ منا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم (يقصد أن سلمان مثل لقمان)، عَلِم العِلْم الأول والعِلْم الآخر، وقرأ الكتاب الأول (يعني: التوراة والإنجيل) وقرأ الكتاب الآخر (يعني: القرآن)، وكان بحراً لا يَنْزف (أي: وكان في العلم كالبحر الذي لا ينضب ماؤه)"[453].

ونجد قصة حياة سلمان الفارسي منذ نشأته إلى إسلامه مذكورة في أحاديث طويلة جداً[454]؛ ومعظم المراجع الإسلامية تنقل مِن هذه الأحاديث الطويلة المشوقة التي تمزج بين الحقيقة والخيال وتخلط التاريخ بالبروباجاندا. ويمكن تلخيص قصة حياة سلمان الفارسي كما يلي.

كان سلمانُ رَجُلًا فَارسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا "جَيٌّ" (وفي صحيح البخاري: مِنْ رَامَ هُرْمُزَ[455])، وَكَانَ أبوه دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ (أي: رئيسها). ونظراً لأن أصله مِن فارس (إيران حالياً)، اعتنق سلمانُ المجوسية واجتهد فيها حتى كان "قَاطِنَ النار"، أي: مُلازم النار التى يوقدها في قصر أبيه ومسئول عن بقائها مشتعلة. ويُفهَم مِن ذلك أن أباه كان رجلاً مجوسياً متديناً (وربما رجل دين) بالإضافة إلى كونه حاكم القرية. وَكَانَتْ لِأَبِيه ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ. يعني: كان سلمانُ الفارسي المجوسي مِن طبقة اجتماعية عُليا وثرية؛ فَمِن المؤكد أنه نال قسطاً وافراً مِن العلوم الدينية والدنيوية.

وفي يومٍ مِن الأيام، مَر سلمانُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِع أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، فدَخَل عَلَيْهِمْ ينْظُر مَا يَصْنَعُونَ، فأَعْجَبَته صَلَاتُهُمْ وَرَغِب فِي أَمْرِهِمْ وَقال: "هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنْ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ"، ولم يتركهم حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ، ثم سألهم: "أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ (يقصد: النصرانية (المسيحية))؟". فقَالُوا له: "بِالشَّامِ". ولَمَّا عرف أبوه أنه بدأ يميل إلى المسيحية، حاول أن يرده إلى المجوسية، لكن سلمان رفض ورجع إلى النصارى وقال لهم: "إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ". ولَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَى، أخبروه، فخَرَجَ سلمانُ مَعَهُمْ حَتَّى وصل إلى الشَّامَ.

في الشام، بدأت مرحلة جديدة في حياة سلمان. كان أول سؤال سأله سلمانُ لنصارى الشام هو: "مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟"، أي أنه سألهم عن عَالِمهم. قَالُوا له: "الْأُسْقُفُ فِي الْكَنِيسَةِ". فذهب سلمانُ إلى الأسقف وقال له: "إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ (يقصد: النصرانية (المسيحية)) وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ"، فقَالَ له الْأُسْقُفُ: "ادْخُلْ"، فَدَخَلَ سلمانُ مَعَهُ. وتقول الأحاديث (البروباجاندا) الإسلامية ضد المسيحية (anti-Christian) إن هذا الأسقف كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُ الناسَ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ الذهب والمال مِن الناس. [وهو ما قاله القرآنُ (أو ربما: قاله سلمانُ نفسه) بعد ذلك: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ (أى: علماء اليهود) وَالرُّهْبَانِ (أى: رهبان النصارى) لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ" (التوبة 34).] فأبغض سلمانُ هذا الأسقف بُغْضًا شَدِيدًا. ثُمَّ مَاتَ هذا الأسقف، وجاء أسقف آخر أفضل منه بكثير، فأحبه سلمانُ حُبًّا كبيراً وأقام مَعَهُ زَمَانًا. وتقول الأحاديث (البروباجاندا) الإسلامية ضد المسيحية (anti-Christian) إن سلمان سأل هذا الأسقف الثاني لمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: "إِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَمَا تَأْمُرُنِي؟"، فأجاب الْأُسْقُفُ وأوصى

سلمانَ وقال له: "أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ". [وهذا التبديل المزعوم وتَرْك الناس أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ هو ما قاله القرآنُ (أو ربما: قاله سلمانُ نفسه) بعد ذلك في الآيات القرآنية التي تُفهَم على أنها تتهم اليهود والمسيحيين بتحريف الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل).]

فلمَّا توفي هذا الأسقف الثاني، ترك سلمانُ الشام وذهب إلى الْمَوْصِل (في العراق حالياً)، وهناك لَحِقَ بـ "صَاحِبِ الْمَوْصِلِ" (ولعله أسقف ثالث)، فأقام سلمانُ معه حتى حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وأوصى سلمانَ وقال له: "أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِنَصِيبِينَ (Nisibis)[456]، وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ".

فلمَّا توفي هذا الأسقف الثالث، ترك سلمانُ الْمَوْصِل وذهب إلى نَصِيبِين، وهناك لَحِقَ بـ "صَاحِبِ نَصِيبِين" (ولعله أسقف رابع)، فأقام سلمانُ معه حتى حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وأوصى سلمانَ وقال له: "أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ (Amorium)[457] [مِن أرض الروم] فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ".

تعليقنا على هذا الجزء مِن قصة حياة سلمان الفارسي: لن نتوقف كثيراً عند عناصر البروباجاندا الإسلامية الموجودة في هذه الأحاديث، ولا عند الغموض الذي ربما يدل على فبركة بعض عناصر القصة. مثلاً: ما اسم الأسقف الأول؟ وما مذهبه المسيحي؟ وكذلك بالنسبة للأسقف الثاني والثالث والرابع؟ نستطيع أن نخمن أن واحداً منهم أو بعضهم كانوا نساطرة (Nestorians)، بدليل ذِكر نَصِيبِين (Nisibis) التي كانت مِن أهم المراكز النسطورية قبل ظهور الإسلام، وأيضاً بدليل شكواهم مِن أنهم قليلين، فلقد كان النساطرة – وما زالوا – أقلية بالنسبة للفرقتين المسيحيتين الأساسيتين (الخلقيدونيين Chalcedonians واللاخلقيدونيين Non-Chalcedonians). أو لعلهم مِن أقلية المسيحيين أتباع المذاهب المسيحية التي ظهرت فى فترة المسيحية المبكرة (Early Christianity)، أي: قبل مجمع نيقية (Pre-Nicene Christianity)، وَهُمْ أقرب هذه الفرق المسيحية الأربع إلى الإسلام، بل نستطيع أن نقول إنهم النواة الحقيقية للإسلام، على الأقل فيما يتعلق بطبيعة وشخص السيد المسيح (Christology).

ولا يتسع المجال هنا لشرح العقيدة النسطورية (Nestorianism) التي ظهرت في القرن الخامس الميلادي وغيرها مِن تلك المسيحيات الشرقية التي أثرت تأثيراً كبيراً على الإسلام. ولذلك فإننا سنكتفي بأن نقول بإيجاز شديد إن التيار المسيحي الرئيسي يُعلِّم – حسب قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني – أن المسيح ناسوت ولاهوت متحدين في شخص واحد. أما النسطورية فتقول إن المسيح ناسوت ولاهوت متصلين (أو: متصاحبين) فقط وليس متحدين؛ يعنى: تمييز بين ناسوت المسيح ولاهوته وكأنهما شخصان منفصلان. والإسلام يقول إن المسيح ناسوت فقط منفصل عن اللاهوت؛ يعنى: تمييز شديد بين الناسوت

واللاهوت مع التأكيد على أنهما شخصان منفصلان. إذن: فيما يتعلق بطبيعة وشخص المسيح، يُقدِّم الإسلامُ صيغة قريبة من المسيحية النسطورية وبعيدة عن المسيحية النيقاوية-القسطنطينية.

كما سنلقي قليلاً مِن الضوء على "مدرسة نَصِيبِين" (School of Nisibis) التي قامت بدور كبير في نقل التطورات اللاهوتية المسيحية مِن الإمبراطورية الرومانية إلى الإمبراطورية الفارسية (أي: مِن الروم إلى الفرس)[458].

في عام 489م، قرر الإمبراطور البيزنطي "زينون" (Zeno) غلق "مدرسة الرها" (School of Edessa) التي كانت ملجأ النساطرة في الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية). ومِن ثَمَّ، هاجر معلمو وتلاميذ هذه المدرسة اللاهوتية الشهيرة مِن مدينة الرها وتوجهوا شرقاً إلى مدينة "نَصِيبِين" (Nisibis) التي كانت في ذلك الوقت تابعة للإمبراطورية الفارسية، والتحقوا بـ "مدرسة نَصِيبِين" (School of Nisibis).

وفي مدرسة نَصِيبِين، ازدهرت حركة الترجمة مِن اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية كما ازدهرت مِن قَبل في مدرسة الرها. ومنذ ذلك التاريخ (أواخر القرن الخامس الميلادي) وحتى الغزو العربى/الإسلامى للإمبراطورية الفارسية (قبل منتصف القرن السابع الميلادي) – أي حوالى 150 سنة – ظلت الإمبراطورية الفارسية هى معقل النسطورية التي ازدهرت بفضل خريجى مدرسة نَصِيبِين وقادتها وعلى رأسهم "نَرساى" (Narsai) (حوالى 399 - 502م) الذي كان يُعبِّر عن أفكاره وتعاليمه الدينية فى صورة "ميامر" (mêmrê)، وهى مقالات أو قصائد وعظية تُقرَأ ولا تُنشَد (verse homilies)، ويشبهها إلى حد كبير القرآنُ (المكي بصفة خاصة).

ومِن الجدير بالذكر أن هذه الميامر هي مِن أهم ما يُميِّز الأدب الديني السرياني بصفة عامة (سواء النسطوري Nestorian أو اليعقوبي Jacobite). ولم يكن نَرساى (القرن الخامس الميلادي) هو أول ولا آخر مَن كتب الميامر السريانية. فَمِن أشهر مَن كتبوا الميامر السريانية:

- في القرن الرابع الميلادي، أي: قبل ظهور النسطورية: نجد "أفراهاط" (فرحات) (Aphrahat) (ت حوالى 345م) و "إفرام" السرياني (Ephraem) (Ephrem the Syrian) (حوالى 306 - 373م). وسنلاحظ في هذه المذكرات أن أصحاب القرآن قد تأثروا تأثراً كبيراً بأعمال وكتابات وأفكار وتعاليم "إفرام" السرياني.
- في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس الميلادي: نجد "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) (حوالى 451 - 521م) أسقف سروج بشمال العراق الذى كتب قصة أصحاب الكهف قبل ظهور الإسلام بعشرات السنين[459].
- في أواخر القرن السادس وأوائل السابع الميلادي: نجد "باباي الكبير" (Babai the Great) (551 - 628م) الذي عاصر ظهور الإسلام.

ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن سلمان الفارسي (أو ربما: محمد نفسه) كان تلميذاً مِن تلاميذ باباي الكبير أو خريجاً مِن خريجي مدرسة نَصِيبِين.

نعود إلى قصة حياة سلمان الفارسي. لمَّا توفي الأسقف الرابع (صَاحِب نَصِيبِين)، ترك سلمانُ نَصِيبِين وذهب إلى عَمُّورِيَّة، وهناك لَحِقَ بِـ "صَاحِبِ عَمُّورِيَّة" (ولعله أسقف خامس)، فأقام سلمانُ معه واكتسب بقرات وغنم. وهنا تتدخل البروباجاندا الإسلامية بقوة في القصة، وتزعم أن هذا الأسقف الخامس - لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ - قال لسلمان نبوءات دقيقة جداً عن محمد! قال لسلمان: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبعَث بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ حنيفاً، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ ذات نخل بَيْنَ حَرَّتَيْنِ (يقصد: يثرب (المدينة) والحَرَّة الشرقية والحَرَّة الغربية!)[460]. بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ (أي: يقبل) الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ. [تعليقنا: إنها نبوءات عن محمد في منتهى الدقة تدل على فبركة مكشوفة!]

فلمَّا توفي هذا الأسقف الخامس، مكث سلمانُ في عَمُّورِيَّة حتى مرَّت به قافلة تجارية عربية، فأعطاهم سلمانُ بقراته وغنمه في مقابل أن يأخذوه معهم إلى أرض العرب. ويُفهَم مِن القصة أن سلمان كان بمفرده، مما يدل على أنه لم يتزوج قبل ذهابه إلى شبه الجزيرة العربية. وبالفعل، اصطحبه هؤلاءُ التجار العرب معهم إلى "وَادِي الْقُرَى" (وهو وادي بين الشام ويثرب (المدينة)). إلا أنهم غدروا بسلمان وباعوه عبداً إلى رجلٍ يهودي! وهكذا سقط سلمانُ فجأة إلى طبقة العبيد والرقيق. ثم باعه سيده إلى رجلٍ يهودي آخر مِن يهود بني قريظة. فأخذه معه إلى يثرب (المدينة). يقول سلمانُ: "فَاحْتَمَلَنِي [سيِّدي اليهودي] إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا، وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ (يقصد: محمداً)، فَأَقَامَ [محمدٌ] بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ [محمدٌ] إِلَى الْمَدِينَةِ".

وروَى الْبُخَارِيُ في صحيحه "عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: أَنَّهُ تَدَاوَلَهُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مِنْ رَبٍّ إِلَى رَبٍّ"[461]؛ أي: تَنَاوَلَهُ بِضْعَةَ عَشَرَ سَيِّدًا. وهذا يدل على أن سلمان عانى معاناة شديدة بسبب وضعه كعبد مملوك يُباع ويُشترَى وكأنه متاع أو دابة.

يعني: ظل سلمانُ الفارسي في يثرب (المدينة) عبداً لأسياده اليهود طوال الفترة المكية (حوالي 13 سنة). وبذلك، يكون سلمان قد اطلع على الثقافة اليهودية لمدة 13 سنة، بعد أن اطلع على الثقافات الفارسية المجوسية (الزرادشتية) والرومانية المسيحية طوال حياته السابقة. إذن: صدق الشيخ الشعراوى حين قال إن سلمان الفارسي "قرأ كتب فارس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب".

إن كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن سلمان الفارسي كان رجلاً شرقياً مثقفاً.

ولَمَّا هاجر محمدٌ إلى المدينة، أراد سلمانُ أن يسأل عنه، فَغَضِبَ سَيِّده اليهودي وَلَكَمَه لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ له: "مَا لَكَ وَلِهَذَا! أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ". ونفهم مِن ذلك أن سَيِّد سلمان كان يعامله معاملة سيئة. فهرب سلمانُ إلى محمد، ومِن ثم بدأت العلاقة بينهما، حتى قال محمدٌ له ذات يومٍ بعد غزوتي بَدْر (2هـ) وَأُحُد (3هـ): "كَاتِبْ

سيدك يَا سَلْمَانُ حتى يعتقك"، أي: اتفق مع سيدك على قدر معين مِن المال أو الذهب أو العمل تؤديه له لتحرر به نفسك. فكاتَب سلمانُ سيدَه، وأمر محمدٌ الصحابةَ أن يعاونوه. وبالفعل ساعد الصحابةُ سلمانَ. بل ساعده محمدٌ شخصياً "بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ" وزنها "أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً" (يعني: أكثر مِن كجم ذهب!)، فأعطاها محمدٌ له وقال: "خُذْ هَذِهِ، فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ". [وهذا دليل على أن محمد لم يكن فقيراً كما تزعم البروباجاندا الإسلامية.] فأخذ سلمانُ الذهبَ وحرر به نفسَه. وهكذا استطاع سلمانُ أن يصعد مِن طبقة العبيد والرقيق إلى طبقة اجتماعية مرتفعة مرة أخرى. وعاش سلمانُ حراً مسلماً.

سؤال: لماذا انضم هذا الفارسي المثقف إلى محمد الذي يدعي أنه نبي؟

قبل الإجابة، يجب أن نُميّز بين نوعين مِن المثقفين في شبه الجزيرة العربية أيام محمد، ويجب أن نُميّز أيضاً بين طريقة تعامل محمد مع كل نوع منهما. فلقد كان محمد يرحب ترحيباً شديداً بالمثقفين الذين يؤيدونه وينضمون إلى فريقه "أصحاب القرآن" (مثل: سلمان الفارسي وصُهيب الرومي). أما المثقفون الذين ينافسونه ويتحدونه (مثل: النضر بن الحارث وكعب بن الأشرف)، فكان مصيرهم هو القتل! ولذلك قرر سلمانُ أن ينضم إلى محمد. لأنه إذا عارض محمداً، سيُقتَل مثل النضر بن الحارث. وإذا تجاهل محمداً وظل على الحياد، سيبقى عبداً ذليلاً طوال حياته. فلم يكن أمامه سوى أن ينضم إلى محمد حتى يعيش حراً.

ومنذ تلك اللحظة، اندمج سلمانُ بسرعة في المجتمع الإسلامي. ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري إن محمداً آخَى بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فكانت لسلمان قصةٌ مع أخيه أَبِي الدَّرْدَاءِ المعروف بزهده في الدنيا، فقال سلمانُ له: "إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ"، فلما سمع محمدٌ ذلك، قال: "صَدَقَ سَلْمَانُ"[462]. وهذا دليل مِن صحيح البخاري على أن سلمان نقل بسرعة خبراته السابقة إلى محمد والصحابة. ويُروَى أن الصحابي الكبير مُعاذ بن جَبل أوصى قبل موته وقال: "إِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ مَكَانَهُمَا، مَنْ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا" "وَالْتَمِسُوا الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَة"، أولهم أبو الدرداء وثانيهم سلمان[463].

ولقد أخرج الواحدي النيسابوري عن مجاهد قال: لمَّا قصَّ سلمانُ على محمد "قصةَ أصحاب الدير" (لعله يقصد: مدرسة نَصِيبِين)، قال محمدٌ: "هُمْ في النار". فقال سلمانُ: "فأظلَمتْ عليَّ الأرضُ" (أي: حزنت حزناً شديداً)، فنزلَت: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة 62)، فقال سلمانُ: "فكأنما كُشِف عنّي جبلٌ"[464]. وهذا يدل على أن سلمان كان يحكي لمحمد عن حياته في الدير (مدرسة نَصِيبِين) قبل الإسلام، ويدل أيضاً على أن محمد كان أحياناً يُغيّر رأيَه بسرعة حرصاً على مشاعر الصحابة، وربما يُؤلِّف آية قرآنية ليُجامِلهم. بل لن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن (البقرة 62) كانت مِن تأليف سلمان الفارسي شخصياً. أو على الأقل: اشترك سلمانُ في صياغتها بصورتها النهائية أو شبه النهائية أثناء جمع القرآن بعد وفاة محمد.

نستطيع إذن أن نقول إن علاقةً قويةً قد ربطت بين محمد العربي وسلمان الفارسي. لدرجة أنه يُروَى أن عائشة (زوجة محمد) نفسها تعجبت مِن ذلك وقالت: "كان لسلمان مَجْلِس مِن رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل، حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ"[465]! ويُروَى أن محمداً نفسه قال: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ، وَأَخْبَرَنِي

أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ"، وسلمان واحدٌ منهم[466]. ويُروَى أيضاً أن محمداً قال: "لَمْ يَكُنْ قَبْلِي نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ سَبْعَةَ رُفَقَاءَ نُجَبَاءَ وُزَرَاءَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ [رفيقاً نجيباً وزيراً]"، وسلمان واحدٌ منهم[467]. وقال د. محمد بكر إسماعيل إن محمداً قال: "إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة"، وسلمان واحدٌ منهم[468]. وبغض النظر عن مدى صحة هذه الروايات الأربع، فإنها تدل على أن رواة الأحاديث والكُتاب المسلمين قديماً وحديثاً قد لاحظوا العلاقةَ القوية التي ربطت بين محمد العربي وسلمان الفارسي.

الخلاصة: لم يكن سلمان مسلماً عادياً، وإنما كان مِن المقربين جداً لمحمد والصحابة (أصحاب القرآن). بل صار سلمانُ واحداً مِن أصحاب القرآن.

اشترك سلمانُ في غزوة الخندق (5هـ) وما بعدها. [يعني: سلمان الفارسي الذي لم يشترك أبداً في معركة واحدة أيام مجوسيته ومسيحيته، نجده يتحول فجأة – بعد إسلامه – إلى مُقاتِل متورط في حرب أهلية عربية-عربية! إن هذا التغير السريع الذي طرأ على شخصية سلمان الفارسي يؤكد أن جذور العنف موجودة في الثقافة الإسلامية-العربية منذ بدايتها (قبل المذاهب الأربعة، وقبل ابن تيمية، وقبل الوهابية، ... الخ)، بل يؤكد تأثير هذه الثقافة ليس فقط على أبنائها من العرب وإنما أيضاً على الوافدين إليها من العجم. فلا نتعجب اليوم مِن الشباب المتعلمين مِن أصحاب المؤهلات العليا سواء من العرب أو من غير العرب الذين يتحولون فجأة إلى إرهابيين بسبب تعمقهم في الثقافة الإسلامية-العربية أو تأثرهم بها.]

ويقول التراث الإسلامي إن سلمان الفارسي هو الذي أشار على محمد بحفر الخندق حول المدينة، وأخبر محمداً أن الفرس كانوا يفعلون ذلك. وهذا دليل مِن التراث الإسلامي على أن سلمان نقل بسرعة خبراته السابقة إلى أصحاب القرآن. وكل هذه الأدلة تؤكد على سهولة الاندماج الاجتماعي (social integration)، وعلى أن اختلاف اللغة والثقافة لم يكن مشكلة أبداً. ولذلك فإننا بصراحة نندهش حين نجد القرآن يدافع عن نفسه ويقول: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" (النحل 103). ونحن نقول: لم يكن لدى محمد وغيره مِن أصحاب القرآن أي مشكلة تمنعهم مِن أن يتعلموا مِن المثقفين مِن غير العرب، سواء كانوا فرس أو روم أو غير ذلك.

ظل سلمان الفارسي يساعد إخوته المسلمين بثقافته وعلمه وجهاده ويصعد هو على السلم الاجتماعي حتى وصل إلى منصب والي المدائن (عاصمة الفرس). وظل سلمانُ يشغل هذا المنصب الرفيع حتى وفاته (قيل: سنة 32هـ؛ وقيل: 33هـ؛ وقيل غير ذلك). واختلفوا أيضاً في عمره (قيل: ما زاد على الثمانين؛ وقيل: 250 سنة!؛ وقيل غير ذلك)، لكن يوجد شبه إجماع على أنه عاش عمراً طويلاً. وما يهمنا هو أن سلمان الفارسي – مثل صُهَيب الرومي – كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان.

ونحن نستنتج مِن التراث الإسلامي أن قصة حياة سلمان الفارسي تشبه إلى حد كبير قصة حياة صُهْيب الرومي:

- كما انفتح صُهَيبٌ على ثقافات الفرس والروم ثم أسلم في مكة عند العرب المسلمين، كذلك انفتح سلمانُ على ثقافات الفرس والروم واليهود ثم أسلم في المدينة عند العرب المسلمين.
- كلاهما شخصٌ متعدد الثقافات ومتعدد المواهب.
- كلاهما يجيد لغات أجنبية.
- كلاهما كان مِن طبقة اجتماعية مرموقة، ثم سقط فجأة إلى طبقة العبيد والرقيق، ثم استطاع – بفضل إسلامه – أن يصعد على السلم الاجتماعي حتى يصل مرة أخرى إلى طبقة اجتماعية مرموقة.
- كلاهما كان مِن المقربين جداً لمحمد والصحابة (أصحاب القرآن). بل صارا مِن أصحاب القرآن: صُهيب انضم إلى فريق "أصحاب القرآن" في الفترة المكية، وسلمان انضم في الفترة المدنية.
- كلاهما – بعد إسلامه – تورَّط في الحرب الأهلية التي قادها محمدٌ على أهله وقبيلته قريش[469].

إلا أن ما يُميز الأجنبي "سلمان الفارسي" أنه ربما كان ذهنه مشغولاً أكثر بالبحث والقراءة والاطلاع في أديان الشرق الأوسط قبل الإسلام. ويُفهَم مِن قصة حياته أنه كان لا يهتم بالمال والولد، ولا نعتقد أنه تزوج قبل مجيئه إلى شبه الجزيرة العربية[470]، مما يدل على أنه كَرَّس شبابَه كله للمعرفة والثقافة[471]. ولذلك حرص محمدٌ على أن يضمه إلى فريق أصحاب القرآن، حتى وإن كلفه ذلك 40 أُوقِيَّة مِن الذهب. وبصراحة: سلمان يستحق أكثر مِن 100 أُوقِيَّة مِن الذهب. وعلينا أن نعترف بذكاء محمد.

إن تشابه قصتي حياة سلمان الفارسي وصُهيب الرومي على الرغم مِن أنهما لم يلتقيا إلا بعد الهجرة يؤكد أنه كان هناك مثقفون آخرون مثل سلمان الفارسي وصُهيب الرومي: حملوا تراث حضارات وديانات وثقافات الشرق الأوسط إلى شبه الجزيرة العربية.

ونحن نقول لأحبائنا المسلمين: لم يعد مهماً إنْ كان محمد أمياً أم لا. حتى لو افترضنا جدلاً أن محمد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فيكفيه المثقفون الذين كانوا حوله مثل سلمان الفارسي وصُهيب الرومي وغيرهما. لم يكن محمد محتاجاً أن يقرأ بعينيه في الكتب السابقة، فيكفيه ما كان يسمعه بأذنيه مِن هؤلاء المثقفين.

1.3.4.2 سالم مولى أبي حذيفة: الصحابي الذي رضع كبيراً ومات صغيراً!

"سالم"[472] أصلاً مِن أهل فارس مِن "إصْطَخْر" وهي مِن أقدم مدن فارس وأشهرها.

وفي شبه الجزيرة العربية، كان سالم عبداً فارسياً مملوكاً لـ "ثُبَيْتَة (أو: بُثَيْنة) بنت يَعَار" الأنصاريَّة الأوسيَّة[473] زوجة "أبي حُذَيْفَة بن عُتبة بن رَبِيعَة"[474] القُرَشي. فأعتقته ثُبَيْتَة، وتَبَنَّاه أبو حذيفة قبل أن يُحرّم الإسلامُ التبني، وزَوَّجه بنت أخيه "فاطمة (وفي صحيح البخاري: هند) بنت الوليد بن عُتبة بن رَبِيعَة".

أسلم أبو حذيفة في مكة مبكراً، ثم هاجر الهجرتين إلى الحبشة (أثيوبيا). كما هاجرت معه زوجته الأخرى "سَهْلَةُ بنتُ سُهَيل"[475]. ثم عاد أبو حذيفة مِن الحبشة إلى مكة، فأقام مع محمد حتى هاجر إلى

المدينة، وشهد غزوة بدر ضد أبيه وأخيه وعمه، فقُتِل أبوه وأخوه وعمه بأيدي المسلمين! ويُروَى أن أبا حذيفة دعا أباه يوم بدرٍ إلى البِراز (أي: المبارزة)! فذمته أختُه "هند" (أم معاوية) بشِعرها وقالت فيه:

الأَحْوَلُ الأَثْعَلُ المَذْمُومُ (أو: المشؤوم) طَائِرُه أَبُو حُذَيفَةَ شَرُّ النَّاسِ في الدِّيْنِ

أما شَكَرْتَ أَباً رَبَّاكَ مِنْ صِغَرٍ حتى شَبَبْتَ شباباً غيرَ محْجُونِ

وهذا الشعر النسائي يدل على أن نساء قريش كانت أخلاقهن أفضل مِن أخلاق المسلمين الأوائل. إذ رفضن أن يقاتل الابنُ أباه الذي رَبَّاه.

ثم شهد أبو حذيفة المشاهد كلها مع محمد.

أما سالم، فأسلم في مكة ثم هاجر إلى المدينة قبل محمد، واندمج بسرعة وسهولة في المجتمع الإسلامي الوليد لدرجة أن العرب المسلمين المهاجرين الأولين اتخذوه إماماً لهم في صلواتهم في مسجد قُبَاء. يقول حديث صحيح أخرجه البخاري: "كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ يَؤُمُّ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَأَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبُو سَلَمَةَ وَزَيْدٌ وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ"[476]. وهذا على الرغم مِن صغر سن سالم وعلى الرغم مِن أنه كان أصلاً مجرد عبد فارسي مملوك لامرأة غير قُرَشية! إلا أن سالم كان أكثر هؤلاء الصحابة حفظاً للقرآن[477] وأتقنهم تلاوةً وأحسنهم صوتاً. ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما إن محمداً نفسه قال: "خُذُوا الْقُرْآنَ (أو: اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ) مِنْ أَرْبَعَةٍ"، وسالم مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ واحدٌ منهم[478].

وهكذا استطاع سالم الفارسي أن يصعد بسرعة على السلم الاجتماعي مِن قاع المجتمع العربي إلى قمة المجتمع الإسلامي. ولولا انضمامه لتنظيم محمد، لكان ذلك الصعود الاجتماعي مستحيلاً. أو كما قال د. محمد بكر إسماعيل: "فاعجب لعبد مملوك بالأمس قد ردَّ عليه الإسلامُ كرامته وعزته، وجعله يسبق سواه من الأحرار الكبار الأصلاء فيصير إماماً لهم"[479].

وروى ابن ماجه وأحمد حديثاً عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ إنها أَبْطَأَت عَلَى محمد، فَقَالَ محمدٌ لها: "أَيْنَ كُنْتِ؟" فقَالَتْ له: "كُنْتُ أَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِكَ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ وَصَوْتِهِ مِنْ أَحَدٍ (أي: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ قِرَاءَةً مِنْهُ)". فَذَهَبَ محمدٌ، فَإِذَا هُوَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ. فَقَالَ محمدٌ لعائشة: "هَذَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ هَذَا"[480]. وهذا الحديث يدل على أن محمد كان يفرح بانضمام أصحاب المواهب إلى حركته الدينية/السياسية ... والعسكرية أيضاً ...

في المدينة، تورط سالمٌ في الحرب الأهلية التي قادها محمدٌ ضد أهله وعشيرته قبيلة قريش، فشهد مع محمد المشاهد كلها!

لكن يبدو أن الجينات الحضارية (الفارسية، غير العربية) في شخصية سالم جعلته يعترض بشدة على المذبحة البشعة التي قام بها الصحابيُّ العربي القُرَشي "خالد بن الوليد" في سرية "بني جَذِيمَةَ" (شوال 8هـ؛ بعد فتح مكة)[481].

ومع ذلك، اشترك سالم في الحرب الأهلية الطاحنة التي اندلعت بعد وفاة محمد وسُميت بـ "حرب الرِّدَّة". فلقد اشترك سالم في معركة اليمامة (11هـ أو 12هـ) ضد "مُسَيْلمة" مدعي النبوة الذي يُعرَف في المراجع الإسلامية باسم "مُسَيْلمة الكذاب". وظل سالم يُحرّض المسلمين على القتال حتى مات هو وأبو حذيفة، فلم يشتركا في جمع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان.

1.3.4.2.1 رضاعة الكبير

وكنا نتمنى لو أن سالم وأبا حذيفة كانا على قيد الحياة أثناء جمع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان حتى يقولا لنا رأيهما في آية "رضاعة الكبير" التي كانت من القرآن ثم اختفت في ظروف غامضة. ونحن سنناقش قضية "الآيات القرآنية الضائعة" عند حديثنا عن "تاريخ القرآن". وسنكتفي هنا بأن نذكر قصة "رضاعة الكبير" بطولة: سَهْلَةُ بنتُ سُهَيل، وزوجها أبي حذيفة، وابنهما بالتبني سالم، وسيدهم محمد.

لَمَّا أبطل الإسلامُ التبني (5هـ)، لم يعد سالمُ ابناً لأبي حذيفة وسهلة، بل صار غريباً عنهما. فبدأت سهلة تلاحظ علامات الحرج الشديد (وربما الغيرة) على وجه أبي حذيفة بسبب وجود سالم كشخص غريب في البيت. وليس لسالم بيت آخر ينتقل إليه. فذهبت سَهْلَة إِلَى محمد وطلبت منه حلاً لهذه المشكلة. ودار بينهما حوارٌ ذُكِرَ في أحاديث صحيحة أخرجها مسلم والبخاري وأبو داود ومالك وغيرهم[482]. ولأن روايات هذه الأحاديث تختلف اختلافاً قليلاً فيما بينها، فإنها تُعرَف إجمالاً باسم "حديث إرضاع الكبير". وهو حديث صحيح متواتر، وقالت عنه موسوعة بيان الإسلام: "حديث إرضاع الكبير صحيح في أعلى درجات الصحة، وقد أجمعت الأمة على ذلك" "فقد بلغ حد التواتر، وهذا يدل على صحته سنداً ومتناً" "وهو بذلك مِن كلام النبي ﷺ بلا شك بإجماع الأمة كلها"[483].

ويمكن تجميع الروايات المختلفة لـ "حديث إرضاع الكبير" في حوار واحد كما يلي ...

- المشكلة. قالت سَهْلَةُ لمحمد: إِنَّا كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا، وَكَانَ يَأْوِي مَعِي وَمَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَيَرَانِي فُضْلًا (أي: ألبس ثوباً واحداً؛ مبتذلة في ثياب المهنة). [لكن سَالِمًا الآن (أي: بعد تحريم التبني)] مَعَنَا فِي بَيْتِنَا، وَقَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ، وَعَلِمَ مَا يَعْلَمُ الرِّجَالُ، وَعَقَلَ مَا عَقَلُوا، وَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَيَدْخُلُ عَلَيَّ وَهُوَ رَجُلٌ. وَإِنِّي أَرَى [شَيْئًا] فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ (وَهُوَ حَلِيفُهُ). وَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا. وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بَيْتٌ وَاحِدٌ. فَمَاذَا تَرَى فِي شَأْنِهِ (أي: ما حل هذه المشكلة)؟

- الحل الإسلامي! فَقَالَ محمدٌ لسهلة: أَرْضِعِيهِ خَمْسَ رَضَعَاتٍ فَيَحْرُمُ عليك وتَحْرُمِي عَلَيْهِ بِلَبَنِهَا، وَيَذْهَبُ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ.
- فَقَالَتْ سَهْلَةُ لمحمد: وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ؟ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ وَذُو لِحْيَةٍ. [ونلاحظ هنا أن سهلة نفسها قد تعجبت مِن أن امرأة تُرضع رجلاً كبيراً ذا لِحْيَة!] [وَكَانَ سالم قَدْ شَهِدَ بَدْرًا (2هـ).]
- فَتَبَسَّمَ محمدٌ وَضَحِكَ وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ. أَرْضِعِيهِ يَذْهَبْ مَا فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ.
- النتيجة. فَأَرْضَعَتْ سَهْلَةُ سَالِمًا خَمْسَ رَضَعَاتٍ، فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهَا مِنْ الرَّضَاعَةِ (أي: صار مِن محارمها وصارت هي مِن محارمه). ثم رَجَعَتْ، وَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُهُ، فَذَهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ. [ونلاحظ أن أبا حذيفة قد اقتنع بأن إرضاع الكبير يُحرّم كإرضاع الصغير.]

وللدفاع عن هذا الحديث العجيب، لجأت ماكينة الدفاع (apologia) الإسلامية - كالعادة - إلى حيل. وكالعادة أيضاً، لا يتفق شيوخ الإسلام على حيلة واحدة. وإنما يخترعون حيل كثيرة مختلفة، مما يدل على أنهم تائهون حائرون يتخبطون في متاهة كبيرة اسمها "الإسلام". وأحياناً تأتي حيلهم متناقضة تضرب بعضُها بعضاً! وسنكتفي هنا بذِكر أشهر ثلاث حيل قيلت في حديث إرضاع الكبير[484].

الحيلة الأولى: قيل إن هذا الحديث "خاص بسالم". ومع ذلك، قيل أيضاً إن هذا الحديث "محدود بحالات الضرورة والحرج، كما في قصة سالم"!

ونلاحظ هنا التناقضَ في كلامهم. مرة يقولون إنه خاص بسالم، ومرة يقولون إنه يمكن تطبيقه في حالات أخرى تشبه حالة سالم!

وفي الواقع، إنهم هنا يُعبِّرون عن انقسام أزواج محمد أنفسهن حول هذا الحديث إلى فريقين:

- فريق تتزعمه "عائشة" يقول إن حديث إرضاع الكبير رُخْصَة عامة للمسلمين.
- وفريق آخر تتزعمه ضرتها التقليدية "أُمّ سَلَمَةَ" يقول إن هذا الحديث رُخْصَة خاصة بسالم فقط.

فلقد جاء في روايتي أبي داود ومالك: فَأَخَذَتْ بِذَلِكَ عَائِشَةُ فِيمَنْ كَانَتْ تُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهَا مِنْ الرِّجَالِ، فَكَانَتْ تَأْمُرُ أُخْتَهَا أُمَّ كُلْثُومٍ وَبَنَاتِ أَخَوَاتِهَا وَبَنَاتِ إِخْوَتِهَا أَنْ يُرْضِعْنَ مَنْ أَحَبَّتْ عَائِشَةُ أَنْ يَرَاهَا وَيَدْخُلَ عَلَيْهَا مِنْ الرِّجَالِ، وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا، خَمْسَ رَضَعَاتٍ، ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْهَا (أي: يدخل على عائشة لأنه صار مِن محارمها وصارت هي مِن محارمه). بينما أَبَتْ (أي: رفضت) أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُدْخِلْنَ عَلَيْهِنَّ بِتِلْكَ الرَّضَاعَةِ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ حَتَّى يَرْضَعَ فِي الْمَهْدِ، وَقُلْنَ لِعَائِشَةَ: وَاللَّهِ مَا نَدْرِي، لَعَلَّهَا كَانَتْ رُخْصَةً مِنْ النَّبِيِّ ﷺ لِسَالِمٍ دُونَ النَّاسِ.

ونحن نرى أنها ليست رُخْصَةً خاصة بِسَالِمٍ، بدليل أن محمد نفسه لم يقل إنها رُخْصَة خاصة بِسَالِمٍ، وأيضاً بدليل أن عائشة – أقرب الزوجات إلى محمد – قد طَبَّقَت رضاعة الكبير على رجال كبار آخرين.

ولَمَّا كانت أُمُّ سَلَمَةَ تلوم ضرتها التقليدية عائشة على ذلك، كانت عائشة ترد عليها وتقول: "أَمَا لَكِ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُسْوَةٌ؟" ثم تُذكِّرها بقصة سهلة وسالم. وهذا دليل مِن صحيح مسلم على أن عائشة رأت أن "رضاعة الكبير" التي قالها محمدٌ هي أُسْوَةٌ وقدوة للآخرين وليست خاصة بسالم كما تزعم ماكينة الدفاع الإسلامية.

ولم تكن عائشة وحدها. فلقد انضمت إليها صديقتها التقليدية حفصة. قال ابن حجر: "وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ فِي "تَهْذِيبِ الْآثَارِ" فِي مُسْنَدِ عَلِيٍّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ وَسَاقَ بِإِسْنَادِهِ الصَّحِيحِ عَنْ حَفْصَةَ مِثْلُ قَوْلِ عَائِشَةَ، وَهُوَ مِمَّا يَخُصُّ بِهِ عُمُومَ قَوْلِ أُمِّ سَلَمَةَ "أَبَى سَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُدْخِلْنَ عَلَيْهِنَّ بِتِلْكَ الرَّضَاعَةِ أَحَدًا""[485].

وهذا يدل على أن عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب قد فهمتا حديث إرضاع الكبير على أنه رُخْصَة عامة للمسلمين وليس رُخْصَة خاصة بسالم فقط.

الحيلة الثانية: قيل إن حديث إرضاع الكبير "منسوخ".

لكن نحن لا نرى ذلك، لأن "النسخ" (abrogation) لا بد أن يحدث في حياة محمد، بأن يقوله محمد كقرآن أو حديث صحيح أو يفعله أو يقره. وإلا يُعتبَر مجرد اجتهاد بشري مِن صحابي أو تابعي أو فقيه أو أي مجتهد آخر. لكن يُفهَم مِن الروايات السابقة أن الخلاف بين عائشة وأُمُّ سَلَمَةَ قد حدث بعد وفاة محمد، لأنه لو كان محمد حياً لتدخل ليحسم الخلاف بينهما. فلو كان الحديث قد نُسِخَ في حياة محمد، لامتنعت عائشة عن تطبيقه بعد وفاة محمد. إذن: عدم امتناع عائشة عن تطبيق حديث إرضاع الكبير بعد وفاة محمد، يدل على أن هذا الحديث لم يُنسَخ. وفي جميع الأحوال، يكفينا أن أُمُّ سَلَمَةَ نفسها لم تزعم أن الحديث منسوخ.

وحتى لو افترضنا أن هذا الحديث منسوخ، فنحن لا نرى إجماعاً على نسخه. فإذا كان المسلمون حتى الآن لم يُجمعوا على الآيات القرآنية الناسخة والمنسوخة، فهل سيُجمعوا على الأحاديث النبوية الناسخة والمنسوخة؟! وحتى لو كان الحديث منسوخاً بإجماع، فإن المشكلة ما زالت قائمة وهى: هل يُعقَل أن نبياً مِن عند الله يأمر امرأةً أن ترضع رجلاً كبيراً؟! فلا يهم إنْ كان الحديث قد نُسِخَ بعد ذلك أَم لا. المشكلة في الحادثة نفسها وليس في نسخ حُكْمها بعد حدوثها. هل يليق بنبيٍّ أن يبتدع بدعة "رضاعة الكبير" حتى لو نسخ حُكْمها بعد ذلك بفترة؟!

أما إذا أردتم أن تدخلونا معكم في متاهات الفقه الإسلامي وبخاصة متاهة النسخ، فلن ندخل هذه المتاهة التي صنعتوها بأيديكم وسجنتم أنفسكم فيها. سنكتفي بأن نقول بكل بصراحة إننا نرى أن فكرة "النسخ" بصفة عامة هي مجرد حيلة إسلامية اخترعها المسلمون لتبرير التناقضات الموجودة في الشريعة الإسلامية التي تعتمد على القرآن والسُّنَّة.

فإذا نظرنا مثلاً إلى المسألة الفقهية: هل إرضاع الكبير يُحرّم كإرضاع الصغير؟

- فسنجد أن محمداً قد قال بكل وضوح في حديث رضاعة الكبير: أَرْضِعِيهِ فَيَحْرُمُ عليك وتَحْرُمِي عَلَيْهِ. إذن: إرضاع الكبير يُحرّم كإرضاع الصغير.

- لكن في المقابل، نجد حديثاً آخر يقول إن محمداً قد قال بكل وضوح أيضاً: "لَا يُحَرِّمُ مِنْ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ"[486]! إذن: إرضاع الكبير لا يُحرّم كإرضاع الصغير!

وهكذا دائماً نجد الرأي ونقضه في المراجع الإسلامية. ولذلك اخترع المسلمون نظرية "النسخ" لتغليب رأي على رأي آخر حسب الظروف والأحوال وأحياناً حسب الأهواء. ونحن نرى أن "النسخ" دليل على أن الإسلام بصفة عامة – والقرآن بصفة خاصة – عمل جماعي اشترك فيه أكثر مِن شخص وتطور (evolve) بمرور الزمن: واحد يقول آية قرآنية أو حديثاً نبوياً، وبعد ذلك يأتي شخصٌ آخر ويقول آية قرآنية أخرى أو حديثاً نبوياً آخر يناقض ما قاله زميله الأول. ثم حاول شيوخُ الإسلام أن يحلوا مشكلة هذه التناقضات الإسلامية في القرآن والسُّنَّة، فاخترعوا حيلة "النسخ". إلا أنهم لم يُجمعوا على ما هو "ناسخ" وما هو "منسوخ"، فازدادت المتاهة تعقيداً! وانطبق على شيوخ الإسلام المثلُ القائل: "جاءوا يكحلوها فعموها"!

وإذا نظرنا إلى سند هذا الحديث النبوي الأخير "لَا يُحَرِّمُ مِنْ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ"، فسنجد أنه مَروي عن "أُمُّ سَلَمَةَ" التي رفضت العمل بإرضاع الكبير واختلفت مع ضرتها التقليدية عائشة في ذلك. ومِن المعلوم أن عائشة كانت تغير مِن ضرتها التقليدية أُمُّ سَلَمَةَ و "حزنت حزناً شديداً" لَمَّا تزوجها محمدٌ. "وكان واضحاً منذ اللحظة الأولى أن أُمُّ سَلَمَةَ لن تسمح لعائشة أو غيرها بالمساس بكرامتها وعزتها"[487]. يبدو لنا إذن أن مسألة رضاعة الكبير كانت تحمل في طياتها صراعاً بين ضرتين (عائشة وأُمُّ سَلَمَةَ)، وكل ضرة تحاول أن تثبت أنها على صواب وأن الضرة الأخرى على خطأ. وفي المقابل، يوجد شبه اتفاق فى المراجع الإسلامية على أن حَفْصَة وعائشة كانتا بصفة عامة متحابتين، على الرغم مِن كونهما ضرائر. ولعل ذلك هو الذي جعل حفصة تقف مع عائشة ضد ضرتهما التقليدية أُمّ سَلَمَة.

وإنه لَمِن العجيب أن يتحول هذا الصراع الشخصي بين الضرائر إلى جدلٍ فقهي! فكما انقسمت الضرائر إلى فريقين، انقسم الفقهاءُ كذلك إلى فريقين: أقلية تؤيد حزب عائشة وأغلبية تؤيد حزب أُمّ سَلَمَةَ. ونحن نرى أن انحياز جمهور الفقهاء إلى حزب أُمّ سَلَمَة يرجع لأسباب عملية وبراجماتية (pragmatic). أو كما يقولون بالتعبير الإسلامي: "درءًا للفتنة وسدًّا للذرائع"[488]. لأن إباحة إرضاع الكبير كما جاء في السُّنَّة النبوية الصحيحة سيؤدي حتماً إلى شرور كبيرة في المجتمع.

والمشكلة – كالعادة – ليست في الفقهاء الذين اجتهدوا قدر استطاعتهم وضَيَّعوا أعمارهم في حل ألغاز الإسلام. وإنما المشكلة – كالعادة أيضاً – في النصوص الإسلامية نفسها التي ابتدعت بدعةً عجيبة هي "رضاعة الكبير" ثم أعطت نصين متناقضين أحدهما يدل بكل وضوح على أن رضاعة الكبير تُحرّم كرضاعة الصغير والآخر يدل بكل وضوح على أنها لا تُحرّم!

ليس هذا فحسب، بل أعطى الإسلامُ نصاً ثالثاً يقول "إِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ"[489] وهو نَص في منتهى الغموض وتستطيع أن تفهمه كما تشاء! ويبدو لنا أن عائشة قد فهمته على أنه يشمل مجاعة الصغير ومجاعة الكبير. وقال ابن حجر: "فَلَعَلَّهَا فَهِمَتْ مِنْ قَوْلِهِ "إِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ" اعْتِبَارَ مِقْدَار مَا يَسُدُّ

الْجَوْعَةَ مِنْ لَبَنِ الْمُرْضِعَةِ لِمَنْ يَرْتَضِعُ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْمُرْتَضِعُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، فَلَا يَكُونُ الْحَدِيثُ نَصًّا فِي مَنْعِ اعْتِبَارِ رَضَاعِ الْكَبِيرِ"(490).

الحيلة الثالثة: قيل: "لا يلزم مِن الرضاع التقام الثدي ومصُّه، بل يحتمل أنه حُلِبَ له اللبن فشربه"!

تعليقنا: هذا الكلام غير موجود في نَص الحديث، فنحن لم نجده في البخاري ولا مسلم ولا أبي داود ولا مالك. إنها إذن مجرد حيلة مِن الحيل الإسلامية التي تعودنا عليها، وهي بصراحة حيلة مضحكة لا تستحق الرد. ولو كان الرضاع عن طريق "الحلب" فقط، فلماذا تعجبت سهلة؟ ولماذا اعترضت زَوجاتُ محمد إلا عائشة وحفصة؟ ولماذا ظل ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ (أحد رجال السند tradents عند مسلم) متردداً لمدة سنة تقريباً يخشى أن يروي هذا الحديث لأحدٍ؟ قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: "فَمَكَثْتُ سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا لَا أُحَدِّثُ بِهِ [أحداً]، وَهِبْتُهُ".

إن تعجب سهلة واعتراض زَوجات محمد وتردد ابْن أَبِي مُلَيْكَةَ طوال هذه المدة الطويلة يدل على أن المقصود مِن الرضاعة هو المعهود الذهنى المعروف فى ذهن كل إنسان وهو: التقام الثدي ومصُّه. أما ما قيل غير ذلك مِن حلب اللبن وشربه فهو مجرد اجتهاد بشري – بل: حذاقة وحيلة مكشوفة – لا وجود لها في القرآن والأحاديث الصحيحة المرفوعة.

المسلمون أمام خيارين:

الخيار الأول: أن يقولوا إن "حديث إرضاع الكبير" غير صحيح. أي: مِن تأليف واحد مِن الصحابة أو التابعين أو غيرهم. ربما أحد أقارب عائشة. ربما عائشة نفسها هي التي اختلقت هذه القصة بعد وفاة محمد (11هـ) ومقتل سالم وأبي حذيفة (12هـ)، حتى تسمح بالدخول عليها لِمَن أَحَبَّتْ أَنْ يَرَاهَا وَيَدْخُلَ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا. ولعل عائشة قد فعلت ذلك بحُسْن نية حتى يدخل عليها الرجالُ المسلمون بسهولة ويسألونها في الأمور الدينية فتجيبهم بدون حجاب أو حرج أو مشقة.

لكن هذا الخيار الأول يعني أن البخاري ومسلم فيهما أحاديث غير صحيحة. وهذا خيار صعب بالنسبة للمسلمين السُّنَّة، لأنه قد يفتح الباب للتشكيك في أحاديث أخرى في البخاري ومسلم (أصح كتابين بعد القرآن). بل قد يفتح الباب للتشكيك في مصداقية "التواتر" الذي يعتمد عليه ثبوتُ القرآن، مما قد يؤدي في النهاية إلى التشكيك في القرآن نفسه.

الخيار الثاني: أن يتمسك المسلمون بأن "حديث إرضاع الكبير" صحيح. لكن هذا خيار أصعب، لأنه يدل على أن محمد لا يمكن أن يكون نبياً مِن عند الله، فلا يُعقَل أن يأمر اللهُ امرأةً أن ترضع رجلاً كبيراً، سواء كان ذلك رُخْصَةً عامة أو حتى رُخْصَةً خاصة، وسواء كان حُكمه قد نُسِخَ بعد ذلك أم لا، وسواء كان عن طريق التقام الثدي ومصُّه أم حلب اللبن وشربه!

ونحن بصراحة لا نجد هذه الأمور الغريبة – مثل رضاعة الكبير والنّسخ والرُخْصَة الخاصة والمرأة الحلوب – في أي دين آخر غير الإسلام! هذا طبعاً بالإضافة إلى الأمور الأكثر غرابة التي نسمع عنها اليوم،

مثل: نكاح الميتة ونكاح البهيمة ... الخ. لا نجد كل هذه الأمور العجيبة في أي دين آخر غير الإسلام! مما يجعلنا نزداد يقيناً بأن الإسلام ديانة بشرية أرضية صنعها العربُ بأسلوب: كل مشكلة ولها حل. والحل عن طريق تأليف آية قرآنية أو اختراع حديث نبوي. ولو الحل مانفعش أو أدى إلى مشكلات أخرى، نعمل حل تاني ينسخ الحل الأولاني! ولو الحل الثانى مانفعش، نعمل حل ثالث أو نترك الأمر للفقهاء الشاطرين في ابتكار الحيل بكل مهارة وحذاقة. وهكذا حتى صار الإسلام متاهة كبيرة مليئة بالتناقضات.

ومِن الجدير بالذكر أنه توجد أحاديث كثيرة أخرى في البخاري ومسلم تضع المسلمين أمام نفس الخيارين الصعبين. مثلاً: حديث "سحر النبي"[491] الذي يقول إن رجلاً يهودياً اسمه "لَبِيد بن الأَعْصَم" سَحَرَ محمداً! إذا كان حديث "سحر النبي" غير صحيح، فهذا يعني أن البخاري ومسلم فيهما أحاديث غير صحيحة. وإذا كان صحيحاً، فإنه يكفي كدليل قاطع على أن محمد ليس نبياً مِن عند الله. ويجعلنا نقارن بين محمد والمسيح. محمد يُسحَر بسبب رجل يهودي أقل مِن عادي. أما المسيح فيشفي المرضى مهما كان مرضهم مستعصياً. المقارنة محسومة لصالح المسيح.

إذن: أيهما أهم عند المسلمين؟ صحة البخاري ومسلم؟ أم صحة الإسلام ونبوة محمد؟

والسؤال الأهم بالنسبة للمسلمين هو: أيهما أهم؟ الإسلام؟ أم الله؟

1.3.4.3 فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ: الصحابي الذي اغتال واحداً مِن المنافسين لمحمد

كان "فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ"[492] واحداً مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ مِنْ فُرْسِ صَنْعَاءَ. فقيل له "الحِمْيَرِيّ" لنزوله بحِمْيَر ومحالفته إياهم. و "الأبناء" اسم يُطلَق على جماعة مِن الناس أمهاتهم مِن العرب وآباؤهم مِن الفُرْس الذين نزحوا مِن فارس إلى اليمن. أو كما نقول عليهم اليوم "الجيل الثاني" (2nd generation). وقد كان كبيرهم "بَاذَان (بَاذَام)" مَلِكاً على اليمن مِن قِبَلِ "كِسْرَى" عظيم الفرس عند ظهور الإسلام.

أي أن فيروز جمع بين الثقافة الفارسية بحكم أصله والثقافة اليمنية العربية بحكم نشأته. ويبدو لنا أنه تعرف أيضاً على ثقافة الحبشة (أثيوبيا) المرتبطة تاريخياً باليمن. فلقد قال ابن حجر إن فيروز مِن أبناء الأساوِرَة مِن فارس الذين كان كِسْرَى بعَثهم إلى قتال الحبشة. ومِن ناحية أخرى، يقالُ إن له صلة قرابة بمَلِك الحبشة!

بعد مقتل كِسْرَى "خسرو الثاني" (Khosrau II) على يد ابنه "قباد الثانى" (Kavad II)[493] في أوائل عام 628م (جُمادى الآخرة 7هـ)، اغتنم محمدٌ هذه الفرصة بذكائه السياسي المشهود، فَعرض الإسلامَ على بَاذَان في مقابل أن يظل مَلِكاً على قومه مِن الأبناء في اليمن. قال محمدٌ لباذان بكل وضوح: إنَّ دِينِي وسلطاني سَيَبْلُغُ ما وَصَلَ إِلَيْهِ مُلْكُ كِسْرَى، وَإِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ أَعْطَيْتُكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ وَمَلَّكْتُكَ على قَوْمِكَ مِن الأبناء[494]. وطبعاً، وافق بَاذَانُ على هذا العرض المُغري، فأسلم هو وقومُه من الأبناء، وصار باذانُ نائباً

لمحمد في اليمن بعد أن كان نائباً لكسرى[495]. أو بعبارة أخرى: انتقل اليمنُ مِن خضوعه للنفوذ الفارسي المجوسي إلى خضوعه للنفوذ العربي الإسلامي.

كانت هذه هي الظروف السياسية التي أدت إلى إسلام فَيْرُوز الدَّيْلَمِيّ وغيره مِن الأبناء وانضمامهم إلى حركة محمد الدينية/العسكرية. فروى فَيْرُوزُ عن محمد أحاديثَ، مِن أشهرها حديثه في الْأَشْرِبَةِ الذي سأل فيه محمداً: "قَدْ عَلِمْتَ مَنْ نَحْنُ، وَمِنْ أَيْنَ نَحْنُ، فَإِلَى مَنْ نَحْنُ؟"، فأجاب محمدٌ: "إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ"[496]. وهذا الحديث القصير يعبر بوضوح عن التغير (change of orientation) الذي طرأ بسرعة على شخصية فَيْرُوز الدَّيْلَمِيّ وغيره مِن الأبناء بعد إسلامهم وخضوعهم لمحمد الذي ادَّعَى النُّبُوَّةَ.

ظل باذانُ حاكماً لليمن – أو بالأحرى: عميلاً للعرب في حُكْم اليمن – إلى أن مات قُبَيْل ظهور "الأَسْوَد العَنْسِيّ" الذي ادَّعَى النُّبُوَّةَ أيضاً فزعم أنه نبي أُرْسِل إلى قومه "بني مَذْحِج" كما أُرْسِل محمدٌ إلى قومه قريش! استطاع الأسودُ العنْسيُّ أن يسيطر على صنعاء بسرعة وظل يقاتل حتى استتب له مُلْكُ اليمن بسرعة مذهلة. وقيل إنه سيطر على مناطق أخرى خارج اليمن.

أمر محمدٌ بقتل الأسود العنْسيّ!

أو كما قال د. عبد الرحمن رأفت الباشا إن محمد أرسل إلى المسلمين الأوائل في اليمن "يأمرهم بالتخلص مِن الأسود العنْسيّ بأي وسيلة ... فما مِن أَحَدٍ بلغته رسالةُ النبي ﷺ إلا لَبَّى دعوته، وَهَبَّ لإنفاذ أمره. وكان أَسْبَقَ الناس استجابةً لندائه بطلُ قصتنا فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ ومَن معه مِن "الأبناء""[497]!

وسنذكر تفاصيل عملية اغتيال الأسود العنسيّ في بيته ليلاً وهو نائم (!) بأمر من محمد وتنفيذ فَيْرُوز الدَّيْلَمِيّ عند حديثنا عن الأسود العنسيّ.

بعد اغتيال الأسود العنسيّ ووفاة محمد القُرَشي بسنوات، مات فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ. قيل: مات في خلافة عثمان. وقيل: مات باليمن سنة 53هـ. يعني: كان فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهد أبي بكر، لكنه ربما لم يكن موجوداً أثناء جَمْع القرآن في عهد عثمان.

1.3.5 صحابة من أصل حبشى (أثيوبى) أو يمنى

1.3.5.1 أم أيمن: المرأة الحبشية التي كانت أقرب الناس إلى محمد وتُعتبر أُمه

أليس مِن حقنا أن نقول إن محمد قد تعلم اللغة الحبشية (الأثيوبية) مِن "أم أيمن" حاضِنَته ومربيته الأولى (first nurse)[498]؟

فمَن هي أم أيمن التي قال عنها محمدٌ نفسه: "أُمُّ أيمن أُمِّي بعد أُمِّي"؟ ويُروَى أن محمد كان يقول لأُمّ أيمن حين يناديها: "يا أُمَّه"، وكان إذا نظر إليها فرح وقال: "هذه بقيةُ أهلِ بيتي".

"أم أيمن"[499] هي الصحابية الحبشية "بَرَكة بنت ثعلبة" التي كانت تنتمي إلى طبقة العبيد والخدم. فلقد وقعت أسيرة في السبي الذي كان مِن جيش أبرهة صاحب الفيل بعد أن انهزم، فأخذها عبد المطلب جد محمد،

ثم "وهبها" لابنه عبد الله والد محمد فكانت وَصِيفةً له، ثم "ورثها" محمدٌ عن أبيه مع الأغنام والجمال التي ورثها! وقيل: ورث محمدٌ أُمَّ أيمن عن أمه آمنة.

باختصار: حَضَنَت أُمُّ أيمن محمداً منذ ولادته. وبعد وفاة آمنة، صارت أُمُّ أيمن بالفعل أُمُّ محمد بعد أمه. وقيل إن أُمَّ أيمن أرضعت محمداً، فهي إذن أمه مِن الرضاعة أيضاً. وظلت أُمَّ أيمن تربِّي محمداً وترعاه وتلازمه حتى كبر. ولم يعتقها محمدٌ إلا حين تزوَّج السيدةَ خديجة.

يعني: أُمُّ أيمن ظلت ملازمة لمحمد وعائلته لمدة 25 سنة على الأقل. ومِن المؤكد أن أم أيمن الحبشية كانت تحكي لمحمد في طفولته وصباه ومراهقته وشبابه قصصاً مِن التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) طوال هذه المدة (حوالي ربع قرن مِن الزمان). ومع أن أم أيمن الحبشية كانت عَسْراء اللسان في لسانها لكنة (accent) لا تحسن النطق بالعربية لكونها حبشية، فكانت مثلاً تقول "سبَّتَ اللهُ أقدامكم" بدلاً مِن "ثبَّتَ اللهُ أقدامكم" وتقول "سلام لا عليكم" بدلاً مِن "سلام الله عليكم"، إلا أن محمد العربي كان يفهم ما تقوله بسرعة وسهولة ويداعبها.

وحتى بعد إعتاقها، ظلت أُمُّ أيمن مرتبطة بمحمد وعائلته. فلقد بقيت في بيت محمد في مكة حتى أسلمت مبكراً، ثم هاجرت إلى الحبشة. وبعد وفاة زوجها (أبو أيمن) وانقضاء عدتها، قال محمدٌ لمَن حوله مِن الصحابة: "مَن سرَّه أن يتزوج امرأةً مِن أهل الجنة فليَتَزَوَّج أمَّ أيمن"، فسارع الصحابيُّ "زيد بن حارثة" (ابن محمد بالتبني) إلى زواجها على الرغم مِن أنها كانت أكبر منه بحوالي 20 سنة أو أكثر! فتزوجت أمُّ أيمن زيداً وولدت له بمكة في السنة السادسة للبعثة (حوالي 7 قبل الهجرة إلى المدينة) الصحابيَّ "أسامة بن زيد" الذي كان محمدٌ يحبه حباً كبيراً مثل حفيديه الحسن والحسين. وبذلك أصبحت أُمُّ أيمن أكثر التصاقاً بمحمد وعائلته، فلقد صار محمدٌ بمنزلة والدها بعد أن كان بمنزلة ولدها.

ثم هاجرت أُمُّ أيمن إلى المدينة حيث اشتركت هي وابنها أيمن وزوجها زيد وابنهما أسامة مع محمد في حروبه الأهلية وحروبه الهجومية حتى سقط زيدٌ بعد هزيمته في سرية مؤتة (جمادى الأولى 8هـ) ثم سقط أيمن في غزوة حُنَيْن (شوال 8هـ). وظلت أم أيمن وابنها أسامة إلى جانب محمد.

ويبدو أن شخصية أم أيمن كانت قوية جداً، وكان محمد يعمل لها ألف حساب. تقول أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم[500] إن أم أَنَس بن مالك أعطت لمحمد عِذَاقًا (أي: نخلاً، والمراد: ثمرها). وكذلك فعل الأنصارُ مع المهاجرين لمساعدتهم مادياً ومعنوياً في بداية حياتهم الجديدة التي بدأوها مِن الصفر تقريباً بعد هجرتهم مِن مكة إلى المدينة. ثم أعطى محمدٌ هذا النخل إلى مولاته أم أيمن. لكن بعد انتصارات محمد المتتالية في غزواته ضد اليهود، استولى المسلمون على نخل اليهود وأموالهم وأراضيهم، فصار المهاجرون أغنياء بعد أن كانوا لا يمتلكون شيئاً! فرَدَّ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى الأَنْصَارِ مَنَائِحَهُمْ الَّتِي كَانُوا مَنَحُوهُمْ مِنْ ثِمَارِهِمْ. ورَدَّ محمدٌ إِلَى أَنَس بن مالك عِذَاقَ أمه. إلا أن أم أيمن رفضت ذلك بشدة! يقول أنس بن مالك: "فَجَاءَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَجَعَلَتْ الثَّوْبَ فِي عُنُقِي تَقُولُ: كَلَّا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا يُعْطِيكَهُمْ وَقَدْ أَعْطَانِيهَا". فقال محمدٌ لها: "يَا أُمَّ أَيْمَنَ! اتْرُكِيهِ وَلَكِ كَذَا وَكَذَا (يقصد: مِن النخل بدله)". إلا أن أم أيمن ظلت ترفض بشدة وتقول "كَلَّا وَاللَّهِ"

حَتَّى أَعْطَاهَا محمدٌ عَشْرَةَ أَمْثَالِهِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ عَشْرَةِ أَمْثَالِهِ! وهذا الحديث يدل على أن أم أيمن كانت أحياناً تعترض على اقتراحات محمد، وكان محمد يحرص على رضاها. ولِم لا؟ أليست أم أيمن واحدة مِن الذين كبّروه وعلّموه ودرّبوه حتى صار نبياً؟

ويُفهَم مِن المراجع الإسلامية أن أُمَّ أيمن كانت أيضاً تحتفظ بعلاقات قوية مع المسلمات والمسلمين الأوائل. ولا غرابة في ذلك، فلقد كان لها مكانة سامية عند محمد الذي كان يحبها حباً شديداً؛ ويُروَى أن محمد قال عنها إنها امرأة مِن أهل الجنة! وكان أبو بكر وعمر يحرصان على زيارتها في بيتها كما كان محمد يزورها في بيتها. ومِن المؤكد أن هذه العلاقات القوية قد أعطت لأم أيمن فرصة كبيرة لنقل ما تعرفه مِن التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) إلى المسلمين الأوائل.

ولقد صدق مَن قال إن أم أيمن الحبشية هي أكثر امرأة عرفها محمد، أكثر حتى مِن خديجة. فمع أن خديجة لعبت دوراً أساسياً ومهماً في صناعة محمد كنبي عربي قُرشي، إلا أنها عرفت محمداً وهو شاب وماتت قبله. أما أم أيمن الحبشية فظلت تلازم محمداً ولا تفارقه منذ ولادته حتى وفاته. بل قال د. عبد الصبور شاهين إن أم أيمن كانت "أقرب الناس" إلى محمد[501]. يعني: أكثر قرباً إلى محمد مِن أبي بكر وعمر.

وبعد وفاة محمد، ظل الود قائماً بين أُمّ أيمن وأبي بكر وعمر حتى مات أبو بكر ثم قُتِل عمر ثم ماتت أُمُّ أيمن في أول خلافة عثمان (23هـ) وكان عمرها أكثر مِن 90 سنة. لكن كالعادة، توجد رواية أخرى ذكرها مسلم في صحيحه تقول إن أم أيمن ماتت بعد محمد بخمسة أشهر[502]! إلا أننا لاحظنا أن مراجع إسلامية كثيرة تميل إلى الرواية الأولى. وهذا يعني أن أم أيمن كانت لا تزال على قيد الحياة أثناء جَمْع القرآن في عهد أبي بكر، لكنها لم تكن موجودة أثناء جَمْع القرآن في عهد عثمان. أما ابنها أسامة فكان لا يزال حياً. وأبوه زيد هو الصحابي الوحيد المذكور في القرآن باسمه (الأحزاب 37)!

وظلت أم أيمن (بَرَكة بنت ثعلبة) تحظى بتقدير المسلمين حتى بعد وفاتها. ويُروَى أن قاضي المدينة أمر بجلد رجلٍ 70 سوطاً عقاباً له لمجرد أنه قال لحفيدها: "يا ابن بَرَكة"!

كما نسج المسلمون حول أم أيمن أساطير طريفة ومسلية. تقول إحدى هذه الأساطير إن أم أيمن كانت في يثرب ومعها محمد وهو طفل صغير، فأتاها رجلان مِن اليهود وقالا لها: أخرجي لنا أحمد! فأخرجت أمُّ أيمن محمداً، فنظر الرجلان اليهوديان إلى محمد وقبَّلاه مليًّا ثم اعترف أحدهما بنبوة محمد، مع أن محمد كان لا يزال طفلاً صغيراً! وتزعم الأسطورة إن هذا اليهودي المجهول قال: "هذا (أي: محمد) نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته، وسيكون بهذه البلدة مِن القتل والسَّبْي أمرٌ عظيمٌ"[503]. ونحن نرى أن هذه الأسطورة الإسلامية الطريفة مستوحاة مِن قصة إنجيلية شهيرة (متى 2:1-12)، هي قصة بحث المجوس (Magi) عن يسوع المسيح في أُورُشَلِيم وزيارتهم له وهو طفل صغير مع أمه مريم العذراء في بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ واعترافهم بلاهوت الطفل يسوع بدليل أنهم "خَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ" (متى 2:11) واعترافهم أيضاً بأنه "مَلِكُ الْيَهُودِ" (متى 2:2). ولا تزال هذه القصة الإنجيلية الشهيرة تُتلى إلى اليوم عند الاحتفال بعيد الميلاد المجيد.

وتقول أسطورة إسلامية أخرى إن أم أيمن هاجرت إلى المدينة وهي صائمة، فأجْهَدها العطشُ وليس معها ماء، فنزل عليها مِن السماء دَلْوٌ مِن ماء بحبلٍ أبيض! فأخَذَتْه أمُّ أيمن، فشربَت منه حتى رَوِيت، فما أصابها بعد ذلك عطشٌ! وأُعتبر ذلك "مِن كرامات" هذه المرأة الحبشية (غير العربية)! مع أنها أسطورة إسلامية تبدو مستوحاة مِن قصة المرأة السامِريَّة (غير اليهودية) التي كانت تَسْتَقِي الماء مِن البئر فقال لها يسوعُ المسيح: «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هذَا الْمَاءِ (أي: ماء الدنيا) يَعْطَشُ أَيْضًا. وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (يوحنا 4:13-14). فقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السامرية: «يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هذَا الْمَاءَ، لِكَيْ لاَ أَعْطَشَ وَلاَ آتِيَ إِلَى هُنَا لأَسْتَقِيَ» (يوحنا 4:15). وهذه الشربة السماوية الإلهية التي يعطيها المسيحُ لنا فلا نظمأ بعدها أبداً هي طبعاً "الماء" بمعناه المجازي الروحي، يقصد: الحياة الأبدية. أما في أسطورة أم أيمن، فإن الشربة السماوية الإلهية كانت ماء (H_2O) فعلاً!

1.3.5.2 بِلال بن رَبَاح: مِن عبدٍ حبشي إلى مؤذِّن الرسول!

كان "بِلال بن رَبَاح"[504] عبداً حبشياً مُوَلَّداً؛ أي: مولود في بلاد العرب، لكنه غير عربي. أمه اسمها "حَمَامة" وقيل إنها مِن مُوَلَّدي مكة. لكن كالعادة، توجد رواية أخرى تقول إن بلال جاء مِن الحبشة (أثيوبيا) إلى مكة. ولعل هذه الرواية صحيحة، بدليل أننا لا نعرف متى وُلِد بلال ولا نعرف شيئاً عن أبيه. وبغض النظر عن الطريقة التي ظهر بها بلال الحبشي على الساحة العربية، فإن ما يهمنا هو أن بلال وأمه وأخته كانوا مِن طبقة العبيد الأحباش المملوكين للعرب. وكانت عائلة بلال ممزقة؛ كل فرد فيها مملوك لسيد عربي غير الآخر. فلنا أن نتصور حجم المعاناة الاجتماعية والنفسية التي عانى منها بلال.

ومع ظهور الإسلام في مكة، كان بلال واحداً مِن أولئك العبيد الأجانب الذين انضموا مبكراً جداً إلى الدين الجديد وازدروا عبادة الأصنام، ويُقال إن بلال كان يبصق على الأصنام ويخاطبها بقوله: "خَابَ وَخَسِرَ مَنْ عَبَدَكُنَّ"، فعذَّبه سَيِّدُه العربي القرشي الوثني "أُميَّة بن خَلَف". أي: كان بلال واحداً مِن المسلمين المستضعفين الذين عُذِّبُوا، لأنهم غرباء ليس لهم في مكة رَهْطٌ يمنع الكفارَ عنهم؛ أو كما يُقال اليوم: ليس لهم ظهر يحميهم. وَهُمْ خمسة: بلال الحبشي وصُهيب الرومي وعَمَّار بن ياسر وأمه سمية والمقداد؛ وقيل إن الخامس هو خَبَّاب؛ وقيل: ياسر أبو عمار. ولا يهم إنْ كانوا خمسة أو ستة أو سبعة أو حتى أكثر. المهم هو أنهم كلهم مِن الأجانب و/أو المستضعفين. أما العرب الأقوياء برهطهم أو مالهم (مثل: محمد وخديجة وأبو بكر وحمزة وعمر وعثمان وغيرهم) فلم يُعذِّبهم أحدٌ! وهذا البطش بِمَن لا سَنَد لهم وعدم البطش بِمَن لهم سَنَد يُعتبَر مِن مساوئ الثقافة العربية، حتى مِن قَبل الإسلام[505]. ويُقال إن بلال هو أكثر واحد صبر على هذا التعذيب. ولم يكن أمام شخص مثل بلال خيارٌ آخر غير الصمود، فالبديل هو أن يرجع مرة أخرى إلى حياة الذل والهوان والرق والعبودية. فظل بلال يرفض الشرك وعبادة الأصنام ويتمسك بالتوحيد ويردد جملته

الشهيرة التي أبدعها بإيجاز: "أَحَدٌ، أَحَدٌ". ولا تزال هذه الجملة المُبدعة التي أبدعها بلال تتردد في الأعمال الأدبية والفنية التي تتحدث عن فجر الإسلام.

ثم تَدخَّل رجلُ الأعمال الثري "أبو بكر الصديق" بماله الوفير، فقام بشراء بلال مِن سيده أُميَّة بسبع أواق من الذهب! وهو ثمن سبع عبيد أو أكثر يومئذ! وقيل إن أبا بكر كان على استعداد أن يدفع أكثر. وقيل إن أبا بكر أعطى أمية عبداً كافراً مقابل أن يأخذ منه بلالاً. وقيل إن أبا بكر اشترى بلالاً باقتراح مِن محمد، بعد أن قال محمدٌ لأبي بكر: "لو كان عندنا مالٌ لاشْتَرَيْنَا بِلالاً".

ثم أعتق أبو بكر بلالاً، وبذلك انتقل بلالٌ مِن طبقة العبيد إلى طبقة الأحرار. ومنذ تلك اللحظة، لزم بلالٌ أبا بكر ومحمداً ملازمة تامة سواء قبل هجرته إلى المدينة أو بعدها، وبخاصة في أوقات الصلاة، فلقد كان بلال الحبشي مؤذِّناً لسيده العربي القرشي محمد ثم مؤذِّناً لوَليّ نعمته العربي القرشي أبي بكر في بداية خلافته. وقيل إن بلال أَذَّن حتى مات أبو بكر (13هـ).

ونفهم مِن كتب التراث الإسلامي أن صيغة الأذان التي ما زلنا نسمعها إلى اليوم "اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، [...]، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" كانت مِن ابتكار الصحابة الذين كانوا مبدعين أكثر مِن محمد بكثير. فلقد أخرج أبو داود وابن ماجه والترمذي والدارمي وغيرهم أحاديث[506] تقول إن محمداً هَمَّ أولاً بنفخ البوق لجمع المسلمين للصلاة. وهي فكرة تقليدية جداً لا إبداع فيها، وكان محمد نفسه يكرهها لموافقتها اليهود. فترك محمدٌ هذه الفكرة اليهودية وأمر بضرب الناقوس (أي: الجرس) لجمع المسلمين للصلاة. وهي أيضاً فكرة تقليدية لا إبداع فيها، فهي أصلاً فكرة نصرانية (مسيحية). وهذا يدل على أن محمد كان يستعير أفكار مِن التراث اليهودي/المسيحي مِن أجل صناعة الإسلام. ثم رأى صحابيٌ اسمه "عبد الله بن زيد بن عبد ربه" الأنصاري رؤيا. ولا يهمنا إنْ كان هذا الصحابي قد رأى رؤيا فعلاً أم أنها مجرد قصة أَلَّفها. وإنما يهمنا ماذا رأى هذا الصحابيُّ في هذه الرؤيا المزعومة؟ رأى رَجُلًا عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ يَحْمِلُ نَاقُوسًا! فقال الصحابيُّ لهذا الرجل المجهول: "يَا عَبْدَ اللَّهِ! تَبِيعُ النَّاقُوسَ؟". فقَالَ الرجل: "وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟". فقال الصحابيُّ: "أُنَادِي بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ". فقَالَ الرجل: "أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟". فقال الصحابيُّ: "وَمَا هُوَ؟". فقَالَ الرجل: "تَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ". فَذَهَبَ الصحابيُّ عبد الله بن زيد الأنصاري إلى محمد وَقَصَّ عَلَيْهِ هذه الرؤيا المزعومة. ويبدو أن محمد صَدَّق القصةَ وأعجبته صيغة الأذان كما قالها له عبدُ الله بن زيد الأنصاري، فقال محمدٌ لعبد الله: "اخْرُجْ مَعَ بِلَالٍ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَأَلْقِهَا عَلَيْهِ، وَلْيُنَادِ بِلَالٌ [بها]، فَإِنَّهُ أَنْدَى (أي: أرفع) صَوْتًا مِنْكَ". وبالفعل، نادى بلالٌ بها، وسمعها الصحابةُ. فزعم عمر بن الخطاب أنه هو أيضاً رأى رؤيا "مِثْلَ الَّذِي رَأَى" عبدُ الله بن زيد الأنصاري! ويبدو أن محمد قد صَدَّق عُمر أيضاً، فقال محمدٌ: "فَلِلَّهِ الْحَمْدُ، فَذَلِكَ أَثْبَتُ".

وهكذا ترك محمدٌ فكرةَ الناقوس (الجرس) لأنها توافق النصارى (المسيحيين)، وأمر بالأذان. ويبدو أن محمد لم يلاحظ الجذور المسيحية لفكرة الأذان بصيغته التي اقترحها عبدُ الله بن زيد الأنصاري في رؤياه

المزعومة. فكما يتكون "قانون الإيمان" النيقاوي-القسطنطيني (Niceno–Constantinopolitan Creed) مِن سبعة بنود، هي: (1) الله الآب، (2) الله الابن (المسيح)، (3) الله الروح القدس، (4) الكنيسة، (5) المعمودية، (6) القيامة، (7) الحياة الأبدية. كذلك يتكون الأذان – "قانون الإيمان" الإسلامي – مِن سبعة بنود أيضاً، هي: (1) اللَّهُ أَكْبَرُ، (2) التوحيد: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، (3) رسالة محمد: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، (4) العبادة: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، (5) القيامة والحياة الأبدية: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ[507]، (6) اللَّهُ أَكْبَرُ، (7) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. يعني: محمد ترك فكرةً لأنها مسيحية، فذهب إلى فكرةٍ أخرى لها جذور مسيحية أيضاً!

وأخرج أحمد في مسنده حديثاً نفهم منه أن بلال هو الذي أدخل بنداً ثامناً هو "الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنْ النَّوْمِ" في أذان الفجر. يحكي هذا الحديث رؤيا عبد الله بن زيد المزعومة ويقول إن محمداً وافق عليها وقال: "إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ". ثم زاد هذا الحديث زيادة قليلة لكنها خطيرة، وهي: "ثُمَّ أَمَرَ [محمدٌ] بِالتَّأْذِينِ، فَكَانَ بِلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ يُؤَذِّنُ بِذَلِكَ، وَيَدْعُو رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ" "فَجَاءَهُ فَدَعَاهُ ذَاتَ غَدَاةٍ إِلَى الْفَجْرِ فَقِيلَ لَهُ (أي: قيل لبلال): إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَائِمٌ" "فَصَرَخَ بِلَالٌ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنْ النَّوْمِ". "قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأُدْخِلَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي التَّأْذِينِ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ"[508]! وطبعاً، اختلف المسلمون حول مدى صحة هذه الزيادة. إلا أن د. سعد الدين الهلالي في برنامجه "الصحابة خير سلف" (رمضان 2017) ذكر هذه الزيادة ولم ينكرها أو يعترض عليها، بل ذكرها في سياق حديثه عن "فقه" بلال أو "فتاوى" بلال[509]. أما نحن فلا نسميها "فقه" أو "فتاوى" وإنما نسميها "أفكار" أو "إبداعات".

إنَّ مجموع كل هذه الأحاديث التي أخرجها أبو داود وابن ماجه والترمذي والدارمي وأحمد وغيرهم تؤكد أن الإسلام كان بالفعل ثمرة عمل جماعي، وأن الصحابة كانوا بالفعل يشتركون مع محمد باقتراحاتهم وإبداعاتهم في صناعة هذا الدين البشري الجديد. بل كان الصحابة مبدعين أكثر مِن محمد نفسه.

إنَّ ما حدث في تأليف الأذان هو مجرد صورة مصغرة لِما حدث في تأليف القرآن. يبدأ محمد والصحابة أولاً بأخذ الأفكار مِن التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian)، ثم يطورونها تطوراً بشرياً طبيعياً: واحد يقترح الفكرة أو الآية القرآنية، وآخر يؤيده فيما قال، وثالث يضيف إليه أو يحذف بعضاً مما قال، وهكذا يتشاورون "وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ" (الشورى 38)[510] حتى يستقروا في النهاية على صيغة معينة للآية القرآنية موضوع النقاش. وحتى لو لم يستقروا على صيغة واحدة، مافيش مشكلة. يضعوا كل الصيغ المقترحة أو بعضها في القرآن. فتكون النتيجة الطبيعية والحتمية هي تعدد الروايات المختلفة للفكرة القرآنية الواحدة. وهي ظاهرة معروفة في الفكر الإسلامي باسم "التكرار". مثلاً: قصة سجود الملائكة لآدم تكررت 7 مرات في القرآن! هذا نوعٌ مِن أنواع العمل الجماعي الذي أنتج القرآن. إلا أن عملية تأليف القرآن وإنتاج المصحف أخذت بالطبع وقتاً أطول بكثير مِن تأليف الأذان، وقتاً امتد إلى ما بعد وفاة محمد كما سنرى عند حديثنا عن تاريخ القرآن ومراحل تطوره حتى صار مصحفاً، بل: مصاحف.

هاجر بلال مِن مكة إلى المدينة كما قلنا، لكنه ظل يكره سيده السابق "أُميَّة بن خَلَف". ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري إن بلال وُعِكَ بعد هجرته فقَالَ: "اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا (أي: مكة) إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ (يقصد: المدينة)"[511]! فاشترك بلال في غزوات محمد كلها وشَهِدَ معه جميع المشاهد. وفي غزوة بدر (2هـ) التي تُعتبَر البداية الحقيقية والفعلية للإسلام المُقاتِل (Militant Islam) المستمر إلى اليوم، قَتل بلالٌ أُميَّةَ! وهكذا انتقم بلال المسلم مِن أُميَّة الكافر! وقيل إن أبا بكر أنشد شعراً ليهنئ بلالاً على أنه أخذ بثأره! وكالعادة، يقحمون اللهَ في القتل وسفك الدماء، فيزعمون أن الله هو الذي انتقم مِن أُميَّة وأن بلال كان مجرد سبباً لقتل أُميَّة! وكأنها مثلاً مجرد صدفة أو معجزة أن بلال بالذات يقتل أُميَّةَ بالتحديد في أول معركة بين المسلمين والكفار! إن كل الأدلة التي أمامنا تجعلنا نقول إن الرغبة في الانتقام والأخذ بالثأر في أقرب فرصة هي التي كانت تُحرّك القاتل بلال نحو المقتول أُميَّة.

وخير دليل على أن بلال كان حريصاً على قتل أُميَّة هو أنه لما رآه قال "لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ"[512]. أو كما يُقال اليوم بالعامية: "يا أنا يا هو". وكأن هذا الكون لا يتسع لكليهما!

ليس هذا فحسب، بل نعرف من المراجع والمصادر الإسلامية أن "أُميَّة بن خَلَف" والصحابي "عبد الرحمن بن عوف" كان بينهما صداقةٌ في الجاهلية. وبعد إسلام عبد الرحمن صار بينهما عهدٌ أن يحفظ كلاهما أهلَ الآخر، مع أن أُميَّة كافر وعبد الرحمن مسلم. وفي يوم بدر، خرج عبدُ الرحمن بأُميَّة وابنه إلى جبلٍ. يعني: اتخذهما عبدُ الرحمن أسيرين؛ حفاظاً على العهد الذي بينه وبين أمية و/أو طمعاً في فدية كبيرة يدفعها أهلُ أمية لتحريره وابنه، إذ تقول رواية مشهورة ذكرها ابنُ هشام وغيره إن عبد الرحمن كان يحمل أدراع استلبها، فلما رآه أمية قال له: "هل لك فيَّ؟ فأنا خيرٌ من هذه الأدراع التي معك". فقال عبدُ الرحمن له: "نعم"، وطرح الأدراع من يده، وأخذ بيد أمية ويد ابنه، وأمية يقول: "ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ (يقصد أن مَن أسَرني افتديتُ منه بإبل كثيرة اللبن)"[513]. وكان من الممكن أن أمية يعيش، وكان من الممكن أن ابن أمية يعيش، وكان مِن الممكن أن نقف أمام لقطة إنسانية جميلة ... لولا تدخل سيف الإسلام. فلقد رأى بلالٌ أميةَ، فقال "لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ" وحرَّض جماعةً من الأنصار على قتل أُميَّة، فهجموا عليه بأسيافهم وقتلوه وقتلوا ابنَه وجرحوا الصحابيَّ المسلم عبد الرحمن بن عوف!

لماذا كل هذا العنف والقتل وسفك الدماء؟!

ونجد قصة مقتل أُميَّة بن خَلَف في صحيح البخاري الذي أخرج لنا حديثاً عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كِتَابًا (أي: عقدتُ معه عقداً وعهداً) بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَتِي (أي: خاصتي وأهلي ومالي) بِمَكَّةَ وَأَحْفَظَهُ فِي صَاغِيَتِهِ بِالْمَدِينَةِ، [...]. فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأُحْرِزَهُ (أي: لأحفظ أُمَيَّةَ) حِينَ نَامَ النَّاسُ. فَأَبْصَرَهُ بِلَالٌ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: "أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ"، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا، خَلَّفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتْبَعُونَا - وَكَانَ [أُمَيَّةُ] رَجُلًا ثَقِيلًا (أي: ضخم الجسم؛ ثقيل الحركة) - فَلَمَّا أَدْرَكُونَا، قُلْتُ

لَهُ: "ابْرُكْ"، فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ (أي: لأحميه منهم)، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ. وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ[514].

وقال ابنُ هشام وغيره: "فهَبَرُوهُما بأسيافهم (أي: قطع بلالٌ ورفاقه الأنصار أُميَّةَ بن خَلَف وابنَه بأسيافهم) حتى فرغوا منهما"!

ما كل هذه الكراهية؟!

أما فيما يتعلق بالعلاقة القوية التي ربطت بلال الحبشي بأعضاء المجتمع العربي-الإسلامي، فتقول أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم إن محمداً بَشَّر بلالاً بالجنة وقال له عند الصلاة: "إِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ (أي: سمعت صوت تحريك نعليك) بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ"[515]. وفي صحيح البخاري أيضاً أن عمر بن الخطاب كَانَ يَقُولُ: "أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا (يَعْنِي: بِلَالًا)"[516]! وأخرج أحمد وغيره حديثاً يقول إن بلال قال لمحمد: "لَا تَسْبِقْنِي بِآمِينَ"[517]؛ أي: لا تقل آمين قبل أن أنتهي مما أفعله! وقال د. محمد بكر إسماعيل إن محمد قال إن بلال صادق "لا يكذب"! فكان أصحاب محمد يصدقون بلالاً فيما يقول "لا يشكون في كلمة قالها بلالٌ مهما استغربوها، ولا في خبر جاءهم به مهما توفرت الدواعي على إنكاره أو التشكيك فيه"[518]! [سؤال: هل استغل بلال الحبشي – ربما بحُسْن نية – هذا التصديق الأعمى لإدخال أفكار مِن التراث الحبشي اليهودي/المسيحي إلى القرآن، سواء في حياة محمد الذي كان بلالٌ يلازمه كظله أو بعد وفاة محمد؟]

ظل بلالٌ قريباً مِن حبيبه محمد قرباً جسدياً وروحياً، حتى مات سيده محمد (11هـ) ثم مات وَليّ نعمته أبو بكر (13هـ) ثم مات حبيبهما بلال بعد مرضه في طاعون عَمَواس بالشام في خلافة عمر (18هـ). وقيل: مات بلال سنة 20هـ أو 21هـ. وفي جميع الأحوال، كان بلال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهد أبي بكر، لكنه لم يشهد جَمْع القرآن في عهد عثمان.

1.3.5.3 وَحْشِي بن حَرْب: قاتِل قبل إسلامه وقاتِل بعد إسلامه!

كان "وَحْشِيّ بن حَرْب"[519] عبداً حبشياً لسيده العربي القُرَشِي "جُبَيْر بْن مُطْعِمِ بْن عَدِيٍّ" في مكة.

قد يبدو للوهلة الأولى أن وَحْشِي بن حرب شخص غير مهم. فمعظم المسلمين لا يعلمون شيئاً يُذكَر عن هذا العبد الحبشي، ونكاد لا نسمع اسمَه في الخطاب الإسلامي المعاصر.

إلا أننا نرى أن هذا العبد الحبشي الوَحْشِي بن حرب شخص مهم جداً، وأهميته ترجع إلى أنه كان واحداً مِن الأحباش الذين يعيشون بين العرب في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي وترجع أيضاً إلى أنه ارتبط بأحداث هامة في تاريخ الإسلام المبكر: غزوة بدر (2هـ) وغزوة أُحُد (3هـ) وفتح مكة (8هـ)

ومعركة اليمامة (11هـ أو 12هـ). كما ارتبط وَحْشِيٌّ بشخصيات عربية وإسلامية هامة مثل "حمزة بن عبد المطلب"[520] عم محمد وأخيه في الرضاعة وصديق عمره وقريبه مِن أُمِّه أيضاً.

وكثير من المراجع الإسلامية تتحدث عن وَحْشِي في ثنايا حديثها عن حمزة. أما نحن فسنفعل العكس. فبالنسبة لنا، وَحْشِي هو الشخصية الرئيسية. أما حمزة فهو شخصية ثانوية نتحدث عنه في ثنايا حديثنا عن وَحْشِي ...

يُفهَم مِن التراث الإسلامي أن حمزة كان قوياً وعنيفاً حتى مِن قبل إسلامه في مكة: يُروَى أن أبا جهل شتم محمداً وآذاه بالكلام فقط (وقيل: رماه بفَرْثٍ؛ والفرث: بقايا الطعام في أمعاء حيوان)، ولم يرد محمدٌ عليه، فغضب حمزةُ لابن أخيه غضباً شديداً فاستل قوسه وهوى بها على رأس أبي جهل فشجَّه شجَّة منكرةً وأدماه وسط نفر مِن سادة قريش في مشهد لا يختلف كثيراً عن مشاهد العنف التي نراها الآن في الأفلام والمسلسلات العربية! وهكذا نجد جذور العنف في الثقافة العربية حتى مِن قبل الإسلام. ولا تزال الثقافة العربية-الإسلامية إلى اليوم تعاني مِن العنف، بل ازدادت عنفاً وبلطجة[521].

وأسلم حمزة في ذاك اليوم. أسلم مبكراً (قبل عمر). وبعد إسلام حمزة ثم هجرته مِن مكة إلى المدينة، قاد حمزةُ أول سَريَّة بعثها محمدٌ لقطع الطريق على قوافل قريش التجارية (رمضان 1هـ)! يقول د. محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق): "سرية حمزة بن عبد المطلب: وكانت هذه السرية مكونة مِن ثلاثين راكباً مِن المهاجرين بقيادة حمزة بن عبد المطلب، وقد اتجهت إلى ساحل البحر الأحمر على الطريق التجاري بين مكة والشام، واعترضت قافلة لقريش كان يحميها ثلاثمائة راكب، فألقت الرعب في قلوبهم، ومع أنها لم تشتبك معهم في قتال إلا أنها نبهت قريشاً إلى أن المسلمين بدأوا يتحركون لإثبات وجودهم"[522]! وبذلك، صار حمزة ومحمد والمسلمون جميعاً يمثلون تهديداً للأمن القومي لقبيلة قريش التي تعتمد على التجارة. فكان هذا السبب الاقتصادي أحد أسباب الحروب العسكرية التي نشبت بين المسلمين في المدينة وكفار قريش في مكة. ولعب حمزةُ دوراً مهماً في هذا الصراع العسكري-الديني (أو: الديني-العسكري). ويُقال إن محمد لَقَّب حمزةَ "أسدَ الله"! [سؤال: هل يحتاج اللهُ إلى أسد أو قاطع طريق؟!]

وفي غزوة بدر (2هـ)، قَتل حمزةُ "طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيّ" عم جُبَيْر سيد وَحْشِي.

فأراد جُبَيْرُ أن ينتقم مِن حمزة. فقال جُبَيْرُ لعبده وَحْشِي: "إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ [عم محمد] بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ". هذا ما ذكره البخاري في صحيحه في حديث طويل على لسان وَحْشِي نفسه[523]. وهذا دليل مِن صحيح البخاري على أن الكفار المشركين – وليس المسلمين فقط – كانوا يعتقون عبيدهم. مما يدل على أن تحرير العبيد (Manumission) كان عادة عربية، وليس إنجازاً إسلامياً كما تزعم البروباجاندا الإسلامية أحياناً.

وجاء في مراجع إسلامية أخرى أن "هِنْد بنت عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ" امرأة "أبي سفيان بن حرب" زعيم قريش آنذاك أرادت أيضاً أن تنتقم من حمزة. لأنها فقدت أباها وأخاها "الوليد" وعمها "شَيْبَةَ" يوم بدر، وقيل لها إن حمزة هو الذي قتل بعض هؤلاء وأجهز على الباقين. ونحن لا نرى تناقضاً بين هذه الروايات، إذ يمكن الجَمْع بينها.

باختصار: لم يجد جُبَيْرُ وهند وغيرهما مِن سادة قريش سوى هذا العبد الحبشي الوحشي بن حرب ليُخلِّصهم مِن حمزة الذي كان يهدد أمنَهم القومي وكان سبباً رئيسياً في هزيمتهم المنكرة ومقتل أقاربهم وأحبائهم يوم بدر (2هـ). ولقد اختاروا هذا العبد الحبشي الوحشي بالذات لأنه كان رامياً ماهراً يقذف بالحربة، فيصيب وقَلَّمَا يخطئ. فأراد وَحْشِيٌّ أن يطيع أوامر أسياده العرب حتى ينال حريته ويعيش كما يعيش الأحرار. فجاءته الفرصة في غزوة أُحُد (3هـ) وهو مع كفار قريش ضد المسلمين.

يقول وَحْشِيٌّ في صحيح البخاري: خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ [يوم أُحُد]، فَلَمَّا أَنْ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ، خَرَجَ سِبَاعٌ (هو واحد مِن الكفار) فَقَالَ [للمسلمين]: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ (يعني: حمزة يعاير سِبَاع بأمه التي كانت تختن الإناث في مكة!)، أَتُحَادُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ ثُمَّ شَدَّ [حَمْزَةُ] عَلَيْهِ، فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ (يعني: حمزة قَتل سِبَاع وأعدمه في الحال).

[ونلاحظ هنا أن حمزة سَبَّ سِبَاع بأمه التي كانت تختن الإناث في مكة، فقال له: "يَا ابْنَ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ". ومع رفضنا أن يُشتَم إنسانٌ بأمه، إلا أننا نجد في ذلك دليل على أن بعض العرب كانوا ينظرون نظرة دونية للمرأة التي تختن الإناث. وهي تقريباً نفس النظرة التي ننظرها نحن الآن إلى مَن يرتكب هذه الجريمة البشعة. فالعالم المتحضر اليوم لا يقول "ختان الإناث" (female circumcision) وإنما يقول "تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية" (female genital mutilation). يعني: حمزة العربي البدوي الذي كان يعيش في شبه الجزيرة العربية الصحراوية منذ أكثر مِن 1400 سنة استطاع بفطرته أن يصف جريمة ختان الإناث وصفاً صحيحاً بأنها تقطيع الْبُظُور (أي: تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية)! ومع ذلك، نسمع اليوم مسلماً يحمل شهادة الدكتوراه ويعيش في باريس أو لندن أو نيويورك ويدافع عن جريمة ختان الإناث! إنها حقاً مفارقة عجيبة! بل إنها واحدة مِن التناقضات التي نراها في الثقافة العربية-الإسلامية.]

نعود إلى ما قاله وَحْشِيٌّ عن ذكرياته يوم أُحُد. يقول وَحْشِيٌّ في صحيح البخاري: وَكَمَنْتُ (أي: اختبأت، اختفيت) لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ (وفي رواية أخرى: شجرة)، فَلَمَّا دَنَا [حمزةُ] مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ (أي: عانته، أسفل بطنه، ما بين السرة والعانة)، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ.

فانتهت معركة أُحُد بهزيمة المسلمين شر هزيمة: إصابة محمد واغتيال حمزة ومقتل "عبد الله بن جحش" ابن أميمة عمة محمد ومقتل عدد كبير مِن الصحابة والتمثيل بجثثهم جميعاً إلا جثة الصحابي "حنظلة بن أبي عامر الراهب" تركها الكفارُ إكراماً لأبيه الذي كان يومئذٍ مع أبي سفيان والمشركين. ويُقال إن هند زوجة أبي سفيان مَثَّلَت بجثة حمزة فشقت بطنه وأخرجت قطعة مِن كبده وحاولت أن تلوكها بأسنانها!

كما يُقال إن هند كانت تُحرّض المشركين على قتال المسلمين يوم أُحُد وتقول لهم فيما تقول: "نحن بنات طارق (أي: بنات النَّجْم). إنْ تُقْبِلوا (أي: تهجموا) نُعانِقْ. ونَفْرش النَّمارقْ (جمع النُّمْرُقة، وهي الوسادة). أو تُدْبِروا (أي: تنسحبوا) نُفارقْ. فِراقَ غير وامِقْ (أي: غير محب)"[524].

ونلاحظ أن هذا الرَّجَز يشبه القرآن من حيث الشكل. اقرأ سورة الطارق مثلاً:

كلام هِنْد بنت عُتْبَة	كلام القرآن
نحن بنات طارق.	وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ.
إنْ تُقْبِلوا نُعانِقْ.	وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ.
ونَفْرش النَّمارقْ.	النَّجْمُ الثَّاقِبُ.
أو تُدْبِروا نُفارقْ.	فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ.
فِراقَ غير وامِقْ.	خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ.

ولا يهم إنْ كانت هِنْد بنت عُتْبَة شخصية حقيقية أم خيالية أم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال. ولا يهم إنْ كانت قد قالت هذه الجمل (الآيات) القصيرة فعلاً يوم أُحُد (3هـ) أم أنها وُضِعَت على لسانِها ونُسِبَت إليها في وقتٍ لاحق. فى جميع الأحوال، النتيجة واحدة: لدينا كلام بشري مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذي وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنتجت كلامَ هِنْد بنت عُتْبَة تستطيع بكل تأكيد أن تنتج القرآنَ.

ننتقل الآن إلى ما حدث بعد هزيمة المسلمين يوم أُحُد. كانت هذه الهزيمة الساحقة التي لحقت بالمسلمين زلزالاً قوياً هز أركان المجتمع الإسلامي كله. فأراد المسلمون أن يثأروا لشهدائهم. أو كما يُقال اليوم: "لازم نجيب حق الشهداء" ... "يا نجيب حقهم يا نموت زيهم"! فتقول أحاديث أخرجها الترمذي وأحمد وغيرهما إن الأنصار قالت: "لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ (أي: مِن كفار قريش) يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ (أي: لنزيدنَّ على ما قتلوا منا؛ لنزيدنَّ في التمثيل بقتلاهم)"[525]!

بل قال د. محمد بكر إسماعيل (مِن كبار علماء الأزهر في القرن العشرين) إن محمد شخصياً عندما رأى جثة حبيبه حمزة وقد مُثِّلَ بها اغتاظ غيظاً شديداً وقال لأصحابه: "لئن أظهَرني اللهُ على قريش في مَوْطنٍ من المواطن، لأُمَثِّلَنَّ بثلاثين رجلاً منهم"! فصاح أصحابُ محمد وأقسموا قائلين: "والله، لئن أظفَرَنا اللهُ بهم يوماً مِن الدَّهْر، لَنُمَثِّلَنَّ بهم مُثْلَةً لم يُمَثِّلْهَا أحدٌ مِن العرب"[526]! بل تقول رواية أخرى ذكرها ابن الأثير وابن عبد البر والواحدي النيسابوري والسيوطي وتفسير الجلالين والمُستدْرَك للحاكم وغيرهم إن محمد نظر إلى جثة عمه حمزة وأقسم قائلاً: "والله لئن أظفرني الله تعالى بهم لأُمَثِّلَنَّ بسبعين منهم مكانك"[527]! وكالعادة، توجد

في المقابل مراجع إسلامية أخرى تنكر أن محمد قال ذلك وتقول إن هاتين الروايتين إسنادهما ضعيف[528]! مع أنهما مذكورتان في مراجع إسلامية كثيرة قديمة وحديثة. وسنكتفي بالأمثلة التي ذكرناها.

لكن يبدو لنا أن العقلاء مِن أصحاب القرآن – ربما مجموعة مِن المسلمين الأوائل مِن ذوي الأصول المسيحية أو مِن أبناء الحضارات – رفضوا فكرة التمثيل بجثث أعدائهم، فقالوا لمحمد: "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ" (النحل 126-127). فصبر محمدٌ وتراجع عن هذه الفكرة المتوحشة التي خطرت على باله وكَفَّرَ عن يمينه. ومِن الجدير بالذكر أن شيوخ الإسلام قد اختلفوا في زمان (النحل 126). قيل: مكية. وقيل: مدنية. وقيل إنها "نزلت أولاً بمكة، ثم ثانياً بأُحُد، ثم ثالثاً يوم الفتح (أي: يوم فتح مكة)، تذكيراً من الله لعباده"[529]!

يمكن إذن تلخيص ما يهمنا مِن أحداث غزوة أُحُد بما قاله الشيخ محمد أبو زهرة (مِن كبار شيوخ الإسلام في القرن العشرين) في تفسيره لـ (النحل 126): "روى أنه فى غزوة أُحُد قُتِل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وقد ذكر الرواة فى السيرة أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أُحُد .. بقروا بطونهم، وقطعوا مذاكيرهم، ما تركوا أحداً إلا مثلوا به حتى حمزة عم رسول الله ﷺ فقد مثلوا به، فرآه [محمدٌ] مبقور البطن، فقال: "أما والذى أحلف به لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك"، ولكن أمر بالنهى عن المثلة"[530].

باختصار: أراد محمدٌ و/أو أنصارُه أن يُمثِّلوا بجثث أعدائهم، لكن محمداً نُهِيَ عن ذلك، فتراجع المسلمون عن هذه الفكرة غير الأخلاقية.

نعود إلى ما قاله وَحْشِيٌّ عن ذكرياته بعد انتهاء غزوة أُحُد. يقول وَحْشِيٌّ في صحيح البخاري: فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ [إلى مكة] رَجَعْتُ مَعَهُمْ، فَأَقَمْتُ [حراً] بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الْإِسْلَامُ (أي: حتى فتح المسلمون مكة 8هـ)، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ (يعني: هربت مِن مكة خوفاً على حياتي حتى لا يقتلني المسلمون).

ونستنتج مِن مصادر إسلامية أخرى أن أهل الطائف – الذين احتمى وَحْشِيٌّ بهم – أسلموا بعد ذلك. ففكر وَحْشِيٌّ في الهروب إلى الشام أو اليمن أو أي مكان آخر بعيد عن المسلمين. لكن قيل له إنه إذا أسلم لن يُقتَل. فأسلم وَحْشِيٌّ وذهب إلى محمد في المدينة. ولمَّا عرف محمدٌ أن وحشي هو الذي قتل أخاه الأكبر حمزة، قال له حسب رواية البخاري: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟"، وفي رواية أخرى أن محمد قال لوحشي: "غَيِّب وَجْهَكَ عَنِّي فلا أراك"، أو كما يُقال اليوم: ماتورنيش وشك تاني. فظل وَحْشِيٌّ يتجنب أن يقع بَصَرُ محمد عليه، ويُقال إنه كان يجلس خلف محمد وليس أمامه مع الصحابة! وهكذا استطاع وَحْشِيٌّ أن يحافظ على حياته. أو كما يُقال اليوم: مسلم ... مسلم ... بس يعيش.

لكن في المقابل، تقول رواية أخرى إن محمداً هو الذي كان حريصاً على إسلام وَحْشِي. قال السيوطي: "وأخرجَ الطَّبرانيُّ بسندٍ فيه ضعفٌ عن ابن عباس، قال: بَعثَ رسولُ الله ﷺ إلى وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حَمْزَةَ يدعُوه إلى الإسلام، فأرسل [وَحْشِيٌّ] إليه: "كيفَ تدعُونِي [إلى الإسلام يا محمد]، وأنت تزعُم أنَّ مَن قَتل أو زَنَى أو أشركَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (يقصد: الفرقان 68-69)، وأنا صنعت ذلك،

فهل تجد لي مِن رُخْصَةٍ؟" فأنزل اللهُ [الآيةَ التالية]: "إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" (الفرقان 70). فقال وَحْشِيٌّ: "هذا شرط شَدِيدٌ (يقصد: التوبة والإيمان والعمل الصالح)، فَلَعَلِّي لا أقدِرُ على هذا". فأنزل اللهُ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" (النساء 48). فقال وَحْشِيٌّ: "هذا أرى بَعدَه مَشِيئةً (يقصد: لِمَنْ يَشَاءُ)، فلا أدري أَيُغفَر لي أم لا، فهل غير هذا؟" فأنزل اللهُ: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا (أي: لا تيأسوا) مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (الزمر 53). قال وَحْشِيٌّ: هذا نَعم! فأسْلَم"[531].

ويمكن التوفيق بين رواية البخاري ورواية الطبراني بأن يُقال إن وحشي هو الذي ذهب إلى محمد مستجيراً ثم دار بينهما الحوار السابق[532]. وتوجد روايات أخرى مشابهة لكن لا تذكر اسمَ وحشي[533]. وهذا أمر طبيعي ومنطقي، فلا نظن أن وحشي هو الشخص الوحيد الذي كان يفكر بهذه الطريقة. فمِن المؤكد أنه كان هناك أناس آخرون يريدون أن ينضموا إلى المجتمع الإسلامي، لكنهم كانوا يسألون أنفسهم: كنا نقتل المسلمين بالأمس، فهل سيقبلنا المسلمون (أو: إلهُ المسلمين) اليوم؟ وكان مِن الضروري أن يجيب أصحابُ القرآن على هذا السؤال.

وبغض النظر عن مدى صحة هذه الروايات الإسلامية، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل البصمة اليهودية/المسيحية الموجودة في هذه الآيات القرآنية الخمس (الفرقان 68-70) (النساء 48) (الزمر 53). فنحن نجد بصمة يهودية واضحة في تأكيد هذه الآيات القرآنية على أفكار يهودية هامة، مثل:

- الوصية الأولى (First Commandment) وهي التوحيد المطلق (التوحيد الخالص) ونبذ الشرك: "أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلهُكَ [...]. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي" (التثنية 5:6-7) (الخروج 20:2-3).
- الوصية السادسة: "لاَ تَقْتُلْ" (الخروج 20:13) (التثنية 5:17). إلا أن أصحاب القرآن قد حَرَّفوا هذه الوصية الإلهية الهامة فأضافوا إليها استثناء "وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ" (الفرقان 68)[534]، بدون أن يشرحوا لنا بوضوح ما هو هذا "الْحَق" الذي يبيح القتل! فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هي أن كل إرهابي مسلم – منذ ظهور الإسلام إلى اليوم – يقتل وهو يؤمن أنه يقتل "بِالْحَقِّ" كما يقول القرآن! إذا سألت أميرَ جماعة إرهابية إسلامية، فسيقول إنه يقتل بِالْحَقِّ. وإذا سألت أي ديكتاتور إسلامي أو عسكري أو قومي، فسيقول إنه يقتل بِالْحَقِّ. كل طرف يتوهم أنه يقتل "بِالْحَقِّ". ومَن يدفع الثمن هُمْ المسلمون البسطاء المخدوعون.
- وتليها مباشرة الوصية السابعة: "لاَ تَزْنِ" (الخروج 20:14) (التثنية 5:18). وكذلك في القرآن، جاء النهي عن الزنا مباشرة بعد النهي عن القتل بنفس الترتيب التوراتي: "وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ" (الفرقان 68).
- الرب إله رحيم وحَنَّان يغفر الخطيئة (الفرقان 70)، لكنه فى الوقت نفسه إله عادل وقدوس يرفض الخطيئة (الفرقان 68-69). وهذه إحدى الشهادات الشخصية التى قالها الربُّ عن نفسه (The Lord's self-proclamation)، وهى موجودة فى التوراة (الخروج 34:6-7) (العدد 14:18)

ومذكورة كلها أو بعضها فى مواضع أخرى من الكتاب المقدس، مثل (يوئيل 13:2) (يونان 2:4) (نحميا 1، 9) (المزامير 86، 103، 145).

- رحمة الله أو ما يُعرَف فى الفكر اليهودي باسم "صفات الرحمة الإلهية الثلاثة عشر" (The Thirteen Attributes of Mercy).

وكذلك نجد بصمة مسيحية واضحة فى قوله "تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا" (الفرقان 70) بهذا الترتيب الدقيق (التوبة repentance أولاً ثم الإيمان faith ثم الأعمال الصالحة good works) الذى يكاد يكون منقولاً مِن الإنجيل. "فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ" (مرقس 15:1) "الأَعْمَال صَالِحَةٍ" (أفسس 10:2)، أى أن الأعمال الصالحة هى نتيجة وثمرة الإيمان الذى هو نتيجة وثمرة التوبة. أو كما قال يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا): "فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ" (متى 8:3) (لوقا 8:3)، وقال بولس الرسول: "أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى اللهِ عَامِلِينَ أَعْمَالاً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ" (أعمال الرسل 20:26)، وقال يعقوب الرسول: "مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ (صالحة)، هَلْ يَقْدِرُ الإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟" (يعقوب 14:2). إن كل هذه الآيات الكتابية – على سبيل المثال وليس الحصر – تؤكد على أهمية التوبة أولاً.

ومِن المؤكد أن وحشي – أو أي صحابي حبشي آخر – كان يعرف هذا الفكر اليهودي/المسيحي. فمِن الطبيعي أن ينقله إلى الدين الجديد (الإسلام) سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. يبدو لنا إذن أن واحداً أو أكثر مِن أصحاب القرآن قد اشتركوا في تأليف هذه الآيات القرآنية الخمس، ثم بعد ذلك رُويت القصةُ بطريقة تجعل الله هو الذي أنزلها.

نعود إلى ما قاله وَحْشِيٌّ في صحيح البخاري: فَلَمَّا قُبِضَ (أي: مات) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ (الذي تقول المراجع الإسلامية إنه ادعى النبوة!)، قُلْتُ: لَأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ، لَعَلِّي أَقْتُلُهُ، فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ (أي: أساوي بقتله قتل حمزة، فأُكَفِّر تلك بهذه). فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ. وتقول مصادر إسلامية أخرى إن وحشي قَتل مُسَيْلِمَةَ (أو: اشترك في قتله) بنفس الحَرْبة التي قَتل بها حمزةَ!

هذا هو أهم ما في قصة حياة الصحابي الحبشي الوَحْشِي بن حرب. ليس له مبدأ ثابت أو عقيدة راسخة سوى "الغاية تبرر الوسيلة". ووسيلته هي الحَرْبة والقتل وسفك الدماء، سواء قبل الإسلام أو بعده. فهو قاتِل قبل إسلامه وقاتِل بعد إسلامه. قَتل حمزةَ لأنه فقط أراد أن ينال حريته. ثم أسلم لأنه فقط أراد أن يظل حياً. ثم قَتل مُسَيْلِمَةَ لأنه فقط تَوهَّم أن الله سيغفر له خطاياه!

ونحن نقول لهذا الصحابي الحبشي الوَحْشِي: اللهُ بَرِيءٌ منك ومِن أمثالك القتلة والمخدوعين.

أما هند وزوجها أبو سفيان فكانا أكثر ذكاء مِن وَحْشِي، بل أكثر ذكاء مِن محمد نفسه، فلقد أسلما يوم فتح مكة (8هـ) وكانا مِن الطلقاء الذين أخلى محمدٌ سبيلَهم، إلا أربعة (وقيل: إلا تسعة؛ وقيل: إلا بضعة عشر) أمر محمدٌ بقتلهم حتى لو احتموا بأستار الكعبة! وخير دليل على دهاء هند وأبي سفيان هو أنه بعد ذلك بقليل (40هـ أو 41هـ) صار ابنهما "معاوية" خليفة المسلمين! يعني: الحُكْم رجع مرة أخرى لآل أبي سفيان! وبعد أن كان سلطان أبي سفيان قاصراً على مدينة صغيرة هي مكة، صار سلطان أبنائه ممتداً على إمبراطورية كبيرة هي "الدولة الأموية" التي تُسمَّى أحياناً "الدولة السفيانية". أما نحن فنُسميها "إمبراطورية قريش الثانية". ولم يتوقف الصراعُ العربي-العربي على السلطة عند هذا الحد، بل استمر حتى سقوط الدولة الأموية وقيام "الدولة العباسية" (132هـ) التي نُسميها نحن "إمبراطورية قريش الثالثة". ويُقال إن العباسيين بدأوا حكمهم بنبش قبور الأمويين وإخراج جثثهم مِن قبورهم وضرب الجثث بالسوط وإحراقها بالنار[535]!

هذا هو الصراع العربي القُرشي. صراع بَشري دنيوي على السلطة خرج مِن رحمه كتابٌ عربي اسمه "القرآن" ودينٌ عربي اسمه "الإسلام". صراع سياسي-ديني به كثير مِن العنف وسفك الدماء والقتل والانتقام والثأر والحروب الأهلية والسباب والشتائم والكراهية والتمثيل بالجثث وقطع الطريق وتهديد الأمن القومي والحرق بالنار. فيجب علينا الآن ألا نندهش حين نرى حال العرب والمسلمين اليوم به كثير مِن العنف وسفك الدماء والقتل والانتقام والثأر والحروب الأهلية والسباب والشتائم والكراهية والتمثيل بالجثث وقطع الطريق وتهديد الأمن القومي والحرق بالنار.

هذه هي الثقافة العربية-الإسلامية التي أنتجت الإرهاب الإسلامي الذي نعاني منه إلى اليوم.

إنها الثقافة العربية-الإسلامية التي أنتجت الإرهاب الإسلامي قبل الإخوان وحماس والسلفيين وطالبان والقاعدة وداعش بأكثر مِن ألف سنة، وقبل الوهابية بأكثر مِن ألف سنة، وقبل ابن تيمية بمئات السنين، وقبل ابن حنبل بعشرات السنين.

هذه الثقافة العربية-الإسلامية سبب رئيسي مِن أسباب تخلف العرب والمسلمين وعدم استقرار الدول والمجتمعات. فَمَن يريد أن يبني دولةً على أساس هذه الثقافة العربية-الإسلامية كَمَن يريد أن يبني قصراً على فوهة بركان! مهما بَنى وأتقن في البناء سيظل كل ما يبنيه مهدداً بالانهيار في أي لحظة.

ليس لنا أمل ولا رجاء في هذه الثقافة الدموية. ولا داعي لإضاعة سنين وعقود أخرى مِن عُمْرنا وعُمْر أبنائنا وأحفادنا في الجري وراء الأوهام، مثل وَهْم "تجديد الخطاب الديني" ووَهْم "تنقية كتب التراث" ووَهْم "تصحيح المفاهيم المغلوطة" ووَهْم "المشكلة في ابن تيمية" ووَهْم "الحل عند ابن رشد" ... الخ.

الأمل الوحيد هو تأسيس ثقافة جديدة.

الأمل الوحيد هو تأسيس ثقافة جديدة. ثقافة علمانية تُمهِّد الطريق للديمقراطية وتُقدِّس الحرية وتحترم حقوق الإنسان. وهذا لن يحدث إلا بالعلمانية. وكما أن العلمانية لم تنجح في أوروبا إلا بعد نقد المسيحية لنفسها بنفسها وتفكيك أفكارها الموروثة المُتَلَقَّاة (idées reçues)، كذلك فإن العلمانية لن تنجح في المجتمعات العربية-الإسلامية إلا بعد نقد الإسلام لنفسه بنفسه وتفكيك أفكاره الموروثة المُتَلَقَّاة.

وبما أن أساس الأفكار الموروثة المُتَلَقَّاة في المجتمعات العربية-الإسلامية هو كتاب "القرآن" العربي المنسوب خطأ إلى الله. إذن: لذلك نحن ننتقد القرآن، ونثبت بالأدلة القاطعة أنه كلام العرب وليس كلام الله. ونحن نقول ذلك ليس عداوة للقرآن. وإنما نقول ذلك لسببين. أولاً: حباً للمجتمعات العربية-الإسلامية التي تعاني مِن الإرهاب الإسلامي وعدم الاستقرار. فهذه المجتمعات أهم وأغلى عندنا مِن القرآن. وأحباؤنا المسلمون وغير المسلمين أهم وأغلى عندنا مِن الإسلام. وثانياً: لأن هذه هي الحقيقة: القرآن فعلاً كلام بشر وليس كلام الله. وكل الأدلة التي أمامنا تؤكد هذه الحقيقة 100%. القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

1.3.6 صحابة هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا)

في السنوات الأولى مِن عُمْر الإسلام، هاجر حوالي 100 مِن المسلمين والمسلمات الأوائل إلى الحبشة (أثيوبيا) على دفعتين: الهجرة الأولى ثم الهجرة الثانية.

ومِن المؤكد أن المسلمين والمسلمات قد استفادوا دينياً وثقافياً مِن إقامتهم في المجتمع الحبشي الذي عرف الديانتين اليهودية والمسيحية مِن قَبل الإسلام بمئات السنين. وإن كان مِن المؤكد أيضاً أن الثقافة العربية ظلت تسيطر على عقل ووجدان هؤلاء المسلمين الأوائل. أو مِن الممكن أن نقول إن هؤلاء المسلمين الأوائل قد تأثروا بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian) في الأمور الدينية (التوحيد، قصص الأنبياء، الكتب المقدسة ... الخ) وتأثروا بالثقافة العربية في الأمور الدنيوية (القتال، الغنائم، النساء ... الخ).

ولقد اختلف مصيرُ كل واحد مِن هؤلاء المهاجرين والمهاجرات عن الآخر. فمِنهم مَن عاد إلى شبه الجزيرة العربية في الفترة المكية، ومِنهم مَن عاد في الفترة المدنية، ومِنهم مَن مات على الإسلام، ومِنهم مَن ترك الإسلام ... الخ.

ولقد تحدثنا فيما سبق عن مجموعة مِن هؤلاء المهاجرين والمهاجرات إلى الحبشة (مثل: أم حبيبة، وجعفر بن أبي طالب، وعثمان بن عفان وغيرهم). ولا يتسع المجال هنا للحديث عن كل المهاجرين الآخرين. ولذلك فإننا سنكتفي ببعض الأمثلة.

1.3.6.1 مُصْعَب بن عُمَيْر: الصحابي الذى قَتَلَ أخاه، ومع ذلك سيدخل الجنة!

كان "مُصْعَب بن عُمَيْر"[(536)] شاباً غنياً مُنَعَّماً وسيماً جميلاً وديعاً جذاباً مِن غُرَّة فتيان قريش. أسلم مبكراً في مكة، فحاولت أمه أن ترده إلى الشرك وعبادة الأصنام، إلا أنه استطاع أن يهرب مِن مكة ويهاجر إلى الحبشة (أثيوبيا) مع المسلمين المهاجرين إليها في السنة الخامسة للبعثة (حوالي 615م).

ولَمَّا سمع المسلمون في الحبشة أن المشركين قد صرفوا النظر عن اضطهاد المسلمين في مكة، عادوا مِن الحبشة إلى مكة، وعاد مصعب معهم. فلَمَّا تبين لهؤلاء العائدين أن هذا الكلام مجرد إشاعة وأن مشركي

مكة لم يسلموا وأن اضطهاد المسلمين لا يزال مستمراً في مكة، هاجرت جماعة مِن المسلمين مرة أخرى إلى الحبشة. إلا أن مصعب لم يهاجر معهم في هذه الهجرة الثانية. وقيل: بل هاجر معهم لكنه عاد إلى مكة بسرعة ليكون مع محمد يلازمه ولا يفارقه حتى تنجح الدعوة الإسلامية.

لكن مع فشل الإسلام في مكة، وبعد موت خديجة وأبي طالب، بدأ محمدٌ يفكر في عرض الإسلام على القبائل العربية الأخرى غير قريش[537]. ونلاحظ أن محمد كان يركز في دعوته على سادة القبائل، لأنه يعلم أنه إذا أسلم كبراء القبيلة ستسلم القبيلة كلها. فحاول محمدٌ مع ثقيف أهل الطائف، ففشل أيضاً! فعرض محمدٌ نفسَه على بني كلب، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم. فعرض محمدٌ نفسَه على بني حنيفة، "فلم يَكُنْ أحدٌ مِن العربِ أَقْبَحَ رَدًّا عليه منهم". فعرض محمدٌ نفسَه على بني عامر، فقالوا له: "لا حاجةَ لنا بأمْرِك".

وهكذا ظل محمدٌ ينتقل من فشلٍ إلى فشل، فلَمَّا فشل تماماً مع الإنس، زعم أن الجن أسلم وآمن بالقرآن (الأحقاف 29-32) (مكية)! يعني: الإنس احتاروا في فهم القرآن وتفسيره، لكن الجن فهموا القرآن وآمنوا به! والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل آمن الجن المسلم بصحيحي البخاري ومسلم؟! وهل يوجد لدى الجن المسلم "علم مصطلح الحديث" و "أصول التفسير" و "الفقه على المذاهب الأربعة" ... الخ؟! وهل يوجد جن مسلم سني وجن مسلم شيعي؟! وهل يوجد جن مسلم إرهابي وجن مسلم معتدل؟! وهل الجن المسلم يقتل بعضُه بعضاً كما يقتل الإنس المسلم بعضُه بعضاً فى حروب أهلية وعمليات إرهابية؟!

إذا فكر المسلم العاقل في هذه الأسئلة، فسيصل حتماً إلى الحقيقة. والحقيقة هي أن القرآن كلام بشر والإسلام دين بشري. أما قصة "إيمان الجن" فهي مجرد أسطورة مكية، مكية 100%، مكية فقط وليس لها وجود في القرآن المدني. وكان أحد أهدافها في مكة هو تحفيز المشركين العرب على الإيمان بالإسلام. وكأن أصحاب القرآن قد أرادوا أن يقولوا للعرب المشركين: إذا كان الجن – الذي تعبدونه (سبأ 40-41) (الأنعام 100) وتستجيرون به (الجن 6) – قد أسلم وأذعن وآمن بالقرآن وجهر بالتوحيد (الجن 1-2)، فَمِن باب أَوْلى أن تؤمنوا وتُوحِّدوا أنتم أيضاً. واقرأ (الإسراء 56-57).

وللأسف، لجأ محمدٌ إلى أسلوبٍ آخر وهو أسلوب الإغراءات الدنيوية الجنسية المغلفة بغلاف ديني منسوب زوراً إلى الله القدوس، فنجد في كتاب "صفوة السيرة النبوية لابن كثير" الصادر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية أن محمد عرض نفسَه على بني شيبان بن ثعلبة وقال لهم: "أَرَأَيْتُم إنْ لم تَلْبَثُوا إلا يَسِيراً حتى يَمْنَحَكم اللهُ بِلادَهم (أي: بلادَ فارس؛ و/أو بلادَ العرب) وأمْوالَهم ويُفْرِشَكم بَناتِهم، أَتُسَبِّحُونَ اللهَ وتُقَدِّسُونَه؟"[538]! [سؤال لكل مسلم عاقل: هل هذا نبيٌّ مِن عند الله؟!] فرفض النعمانُ بن شريك (أحد سادة بني شيبان) عرضَ محمد وقال له: "اللهمَّ وإنَّ ذلك لك يا أخا قريشٍ"!

فاتجه محمدٌ بعد ذلك إلى قبيلتي الأوس والخزرج (سكان يثرب)، ويبدو أن أفكاره قد أعجبتهم ...

بدأ محمدٌ أولاً بمقابلة رَهْطاً (قيل: ستة نفر) مِن الخزرج، فسألهم أول سؤال: "هل أنتم مِن موالي يهود؟" فقالوا: "نعم". فعرض محمدٌ عليهم الإسلامَ وتلا عليهم القرآنَ، فقَبِلُوه بسرعة عجيبة! وقال بعضُهم لبعضٍ: "تَعْلَمونَ واللهِ إنَّه النبيُّ الذي تَوَعَّدَكم به يَهودُ، فلا يَسْبِقُنَّكُم إليه". قالوا ذلك لأن يهود يثرب كانوا قبل

الإسلام "يَسْتَفْتِحُونَ (أي: يستنصرون) عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا (أي: على مشركي يثرب)" (البقرة 89) ويقولون لهم: قَرُبَ مبعث نبيّ آخر الزمان وسنتبعه ونقاتلكم معه؛ وفي بعض المراجع: نَقْتُلُكم معَه قَتْلَ عَادٍ وإِرَمَ (أي: إبادة!). ولم يفهم هذا الرهط أن "نبيّ آخر الزمان" هو النبي اليهودي المسيح أو المسيًّا (Messiah) الذي لا يزال اليهود ينتظرونه إلى اليوم، فتوهموا أن المقصود هو النبي العربي محمد! فقال الرهط لمحمد: "إِنَّا قد تَرَكْنا قَوْمَنا، ولا قومَ بيْنَهم مِن العَداوةِ والشرّ ما بيْنَهم (يقصدون: الصراع الطويل بين الأوس والخزرج)، وعسى أن يَجْمَعَهُم اللهُ بك، فسَنَقْدمُ عليهم فنَدْعوهم إلى أمْرك، ونَعْرِضُ عليهم الذي أجَبْناك إليه من هذا الدينِ، فإنْ يَجْمَعْهم اللهُ عليك فلا رجُلَ أَعَزُّ منك"[539]. فكان هذا الرد هو الخطوة الأولى نحو اتحاد الأوس والخزرج تحت راية الإسلام، أي: تحت زعامة محمد، ضد يهود يثرب (المدينة). ثم انصرف الرهط راجعين إلى يثرب.

ونلاحظ أن تلك المقابلة المهمة قد حدثت في أواخر الفترة المكية، أي: بعد حوالي ⅘ القرآن. فلا نعتقد أن هذا الرهط القليل قد استطاع من خلال تلك المقابلة القصيرة أن يفهم ⅘ القرآن ويحفظه وينقله إلى يثرب! وأغلب الظن أنهم نقلوا إلى يثرب أساسيات العقيدة الإسلامية (التوحيد مثلاً)، كما نقلوا الرسالةَ السياسية وهي الأهم: فلنتحد سوياً أوس وخزرج تحت راية محمد القُرشي وأعوانه المسلمين ضد اليهود. ومحمد القرشي هو أفضل مَن يقوم بدور الزعيم. فلو اتحد الأوس والخزرج تحت راية واحدٍ من الأوس، لكَره الخزرج ذلك. ولو اتحدوا تحت راية واحدٍ من الخزرج، لكَره الأوس ذلك. فالحل الوحيد هو أن يتحدوا تحت راية شخص محايد، أي: ليس مِن الأوس ولا مِن الخزرج. وهذا الشخص المحايد هو محمد القرشي.

محمد هو الرجل المناسب في الزمان المناسب، لكنه ليس في المكان المناسب، فهو لا يزال يعيش في مكة، فلا بد أن ينتقل إلى يثرب (المدينة)، وهذا ما حدث يوم الهجرة، بداية التقويم الإسلامي (الهجري).

1.3.6.1.1 بيعة العقبة الأولى = بيعة النساء

في موسم الحج العربي سنة 12 مِن البعثة (حوالي منتصف 621م)، أسلم 12 رجلاً مِن قبيلتي الخزرج والأوس وبايعوا محمداً. وكان معظم هؤلاء المبايعين مِن قبيلة الخزرج أعداء يهود. وهو ما يُعرَف في التراث الإسلامي باسم "بيعة العقبة الأولى"، لأنها حدثت عند العقبة بين منى ومكة.

وسُميت هذه البيعة الأولى بـ "بيعة النساء"! مع أن كل المبايعين كانوا رجالاً! ويبدو لنا أنها سُميت بذلك لأن بنودها تكاد تكون مطابقة لبنود بيعة النساء المؤمنات التي حدثت بعد ذلك بسنوات وذكرها القرآنُ: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ" (الممتحنة 12). فكلتاهما بيعة دينية فقط وليست بيعة عسكرية. أي ليس فيها حرباً ولا جهاداً. قال ابنُ كثير: "وكان هذا (أي: الممتحنة 12) مِمَّا نَزَل على وَفقِ ما بايَع عليه أصحابُه ليلةَ العَقَبةِ؛ وليس هذا بعَجِيبٍ، فإنَّ القرآنَ نَزَل

بموافقة عمرَ بن الخطابِ في غير ما مَوْطِنٍ، كما بيَّنَّاه في سيرته وفي التفسير"[540]. ونحن نعتبر ذلك اعترافاً بأن القرآن قد استخدم تقريباً نفس الكلمات التي قالها أصحابُ بيعة النساء، مما يدل على أن القرآن كلام بشر.

ونجد نَص "بيعة النساء" في السنة الصحيحة ومراجع إسلامية كثيرة. مثلاً:

- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: "كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ: عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيه بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ. [...]"[541].
- وفي صحيح مسلم عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: "أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كما أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ: أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا يَعْضَهَ بَعْضُنَا بَعْضًا (أي: وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ أو كذبٍ). [...]"[542].

وتوجد روايات أخرى[543] لا تختلف كثيراً عن هاتين الروايتين. وهي كلها روايات تُذكِّرنا بالوصايا العشر (The Ten Commandments) (الخروج 20:1-17) (التثنية 5:6-21) الركيزة الأخلاقية للديانة اليهودية-المسيحية مِن قَبل الإسلام بمئات السنين. كما نلاحظ أن عدد المبايعين كان 12؛ أي: نفس عدد قبائل بني إسرائيل ونفس عدد تلاميذ (رسل) المسيح. صدفة؟!

لكننا نلاحظ أيضاً مفارقة عجيبة. الأوس والخزرج عاشوا مع يهود يثرب لقرون طويلة، ومع ذلك لم يؤمنوا بموسى ولا بالله الواحد فظلوا مشركين يعبدون الأوثان. والآن نجدهم بكل سهولة وسرعة يؤمنون بمحمد وبالله الواحد الأحد الذي لا شريك له! فهل سبب اتباعهم محمد ديني فقط؟ أم أن له أهداف وأبعاد سياسية وعسكرية؟ الأحداث القادمة ستجيب على هذا السؤال المهم.

تقول المراجع الإسلامية إن محمد أرسل بعد ذلك مصعبَ بن عمير إلى يثرب ليدعو أهلَها إلى دين الإسلام ويُعلِّمهم القرآن. وبهذا كان مصعب أول مَن قدم على الأنصار مِن المهاجرين[544]. ويُقال إن مصعب هو أول مَن جمع الجمعة في يثرب قبل أن يُؤمر المسلمون بصلاة الجمعة (الجمعة 9-11)، بل قبل هجرة محمد إلى يثرب (المدينة). "ويُروى في تعليل ذلك أنه كان إلهاماً مِن الله تعالى"[545]! أما نحن فنقول: الموضوع بسيط ومش محتاج إلهام مِن الله. فَمِن الواضح أن صلاة يوم الجمعة (يوم العروبة) كانت اقتراحاً مِن الصحابي العربي مصعب بن عمير أو غيره مِن سكان يثرب العرب. وقيل إن مصعب كان يصلي بهم، لأن الأوس والخزرج كَره بعضُهم أن يَؤُمَّه بعضٌ. فكما قرر الأوس والخزرج أن يتحدوا تحت رئاسة محمد القرشي لأنه شخص محايد ليس مِن الأوس ولا مِن الخزرج، نراهم الآن يصلون خلف إمامة مصعب القرشي لنفس السبب: مصعب القرشي شخص محايد ليس مِن الأوس ولا مِن الخزرج.

ونفهم مِن المراجع الإسلامية أن خبرات مُصعب بن عمير ومهاراته وشخصيته الجذابة قد ساعدته على نشر الإسلام في يثرب. فلقد أَسْلَمَ على يديه خَلْقٌ كثيرٌ. ويكفيه أنه كان سبباً في إسلام الشاب "سعد بن

معاذ" سيد الأوس وإسلام غيره مِن كبراء رجال يثرب، فكان إسلامهم سبباً في إسلام كثير مِن أهلهم وأتباعهم في وقتٍ قصير. ونلاحظ أن إسلام سيد القوم كان يؤدي إلى إسلام قومه كلهم أو معظمهم بسرعة عجيبة. على سبيل المثال، قال سعدُ بن مُعَاذ لبني عبد الأشهل: "إنَّ كلامَ رجالِكم ونسائِكم عليَّ حرامٌ حتى تُسْلِموا"، فأَسلَموا جميعاً! [سؤال: هل هذا كان إسلاماً عن اقتناع أم عن اتباع؟ إذا كان إسلامهم عن اتباع، فإنها إذن تعبئة سياسية/عسكرية عامة للقبيلة، وليست دعوة دينية شخصية للفرد.]

وإذا صح ما تزعمه المراجع الإسلامية عن مصعب بن عمير، فلا نعتقد أنه مِن المبالغة أن نقول إن مُصعب هو المؤسس الحقيقي للمجتمع الإسلامي الجديد في يثرب (المدينة). فلقد نجح مُصعب في يثرب في فترة وجيزة فيما فشل فيه محمدٌ في مكة في 13 سنة! نجح مُصعب القرشي مع الأوس والخزرج في فترة قصيرة فيما فشل فيه محمد القرشي مع قريش طوال 13 سنة! لكن هل هذا "النجاح" يرجع إلى عبقرية مصعب المزعومة أَم إلى رغبة الأوس والخزرج في الانضمام لمحمد لتحقيق أهدافهم؟

1.3.6.1.2 بيعة العقبة الثانية = بيعة الحرب

في موسم الحج العربي سنة 13 مِن البعثة (حوالي منتصف 622م)، أسلم 73 رجلاً وامرأتان مِن قبيلتي الخزرج والأوس واختاروا 12 نقيباً مِن القبيلتين وتسللوا جميعاً "مُسْتَخْفين تَسَلُّل القَطَا (هو طائر معروف بثقل مشيه)"[546] حتى اجتمعوا في الشِّعْبِ عند العقبة مع محمد فبايعوه جميعاً. وهو ما يُعرَف في التراث الإسلامي باسم "بيعة العقبة الثانية" أو "بيعة العقبة الْكُبْرَى". وكان معظم هؤلاء المبايعين – وكذلك معظم النقباء – مِن قبيلة الخزرج أعداء يهود.

ومِن عجائب الدنيا الإسلامية – بل: مِن عجائب كتب التراث الإسلامي – أن "العباس بن عبد المطلب" (عم محمد) كان يرافق محمداً في هذه البيعة، مع أنه يومئذٍ كان لا يزال مشركاً! يقول مسند أحمد: "وهو (أي: العباس) يومئذٍ على دينِ قومه (أي: مشركاً)"[547][548]. مما يدل على أن الأهداف الأساسية لهذه البيعة الثانية لم تكن دينية بقدر ما كانت أهداف سياسية وعسكرية.

بالفعل، سُميت هذه البيعة الثانية بـ "بيعة الحرب". وهي تسمية صحيحة 100% لأن هذه البيعة كانت بمثابة اتفاق – بل مؤامرة – أدت فيما بعد إلى إعلان الحرب ضد كفار قريش أهل محمد! وهو ما حدث بالفعل بعد هجرة محمد إلى يثرب (المدينة). بدأت كبيعة حرب دفاعية ثم تحولت في غزوة بدر (2هـ) إلى بيعة حرب هجومية. يعني: عند مشارف مكة، قابل محمدٌ وفداً مِن قبيلتي الأوس والخزرج أهل يثرب (المدينة) وتحالف معهم، فبدأوا جميعاً الحربَ ضد أهله قبيلة قريش في مكة مسقط رأسه[549]!

بل كانت بيعةُ الحرب إعلانَ حرب "على الأحمر والأسود مِن الناس"[550]! وهذا ما حدث فعلاً بعد ذلك، أيضاً بعد هجرة محمد إلى يثرب (المدينة). فلقد شن المسلمون الأوائل (أنصار ومهاجرون) حرباً ضد يهود المدينة حتى تخلصوا منهم جميعاً – بل أبادوهم جميعاً: فمنهم مَن قُتِلَ، ومنهم مَن طُردَ، ومنهم مَن أسلم

أو مات. ثم استطاع المسلمون الأوائل أن يسيطروا بسرعة على المدينة ومكة، ثم على شبه الجزيرة العربية كلها! ولولا بيعة الحرب، لما حدث كل ذلك.

أما نَص "بيعة الحرب"، فنجده في السنة الصحيحة ومراجع إسلامية كثيرة. مثلاً:

- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: "بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ (أي: فيما نكرهه ويشق علينا، مما ليس بمعصية)، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ (أي: الإمارة) أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ (أَوْ: نَقُولَ) بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ"(551).
- وفي رواية أخرى: "بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا (أي: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اخْتَصَّ الْأُمَرَاءُ بِالدُّنْيَا وَلَمْ يُوصِلُوكُمْ حَقَّكُمْ مِمَّا عِنْدَهُمْ!) وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا (أي: ظاهراً وبادياً، جهاراً) عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ"(552).
- وتقول رواية ثالثة إن محمد قال لهذا الوفد الكبير مِن الخزرج والأوس: "تُبَايِعُوني عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشاطِ والكَسَلِ، والنَّفَقَةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، وعلى الأمرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهيِ عن المُنكرِ، وأن تَقُولُوا في الله لا تَخافُون في اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، وعلى أَنْ تَنْصُرُوني فتَمْنَعُوني (أي: تدافعون عني، تحمونني) إذا قَدِمْتُ عَلَيكُم (أي: إذا هاجرت إلى يثرب) مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنهُ أَنْفُسَكُم وأزواجَكُم وأبناءكُم، ولكم الجَنَّةُ"(553).
- وتقول رواية رابعة إن محمد قال لهم: "أسألكم لربي: أن تعبدوه لا تشركوا به شيئاً، وأسألكم لنفسي وأصحابي: أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا (أي: تدافعون عنا، تحمونا) مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنهُ أَنْفُسَكُم". فقالوا لمحمد: "فما لنا إذا فعلنا ذلك؟" قال محمدٌ: "الجنة". فقالوا: "فلك ذلك"(554).

وتوجد روايات أخرى لا تختلف كثيراً عن تلك الروايات الأربع. وهي كلها روايات تؤسس ثقافة "السمع والطاعة" التي تعتمد عليها الجماعات الإسلامية الإرهابية إلى اليوم وما زالت تُعتبَر في الدول الإسلامية عائقاً أمام ثقافة الديمقراطية والتعددية وقبول الآخر المُختلِف. كما نلاحظ أن محمد أعطى "الجنةَ" للأوس والخزرج إذا التزموا ببنود بيعة الحرب! وهذا الوهم هو أيضاً ما تقدمه الجماعات الإسلامية الإرهابية للمسلمين المجاهِدين إلى اليوم: اذهب فقاتِل/جاهِد ولك الجنة والحور العين!

وتقول السيرة الحلبية إن أحد المبايعين قال لمحمد: أبايع اللهَ عز وجل يا رسول الله، وأبايعك على الإقدام في أمر الله عز وجل، لا أرأف فيه القريب ولا البعيد، أي لا أعامل فيه بالرأفة والرحمة(555). ولقد تحولت هذه الفكرة فيما بعد إلى آيات قرآنية: "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ (أي: المسلمون بقيادة محمد) أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (أي: فيما بينهم)" (الفتح 29) "أَذِلَّةٍ (أي: رحماء) عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ (أي: أشدَّاء) عَلَى الْكَافِرِينَ" (المائدة 54). وهي أصلاً فكرة تسللت إلى الإسلام عن طريق الصعاليك العرب(556).

ويضيف مسند أحمد وسيرة ابن هشام وسيرة ابن كثير ومراجع أخرى أن "البَراء بن مَعْرُور" (أحد نقباء الخزرج أعداء يهود) أخذ بيد محمد وقال له: "لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ منه أُزُرَنا (أي: نساءنا وأهلنا؛ أو:

أنفسنا)، [...]، فنحن واللهِ أبناءُ الحروبِ وأهلُ الحَلْقَةِ (أي: السلاح)، وَرِثْناها كابِراً عن كابِرٍ". ثم قام "أبو الهَيْثَمِ بن التَّيِّهان" (أحد نقباء الأوس الذين كانوا متحالفين مع يهود بني قريظة قبل الإسلام) وقال لمحمد بكل صراحة ووضوح: "إنَّ بيننا وبين الرّجالِ حِبالاً، وإنَّا قاطِعُوهَا – يَعْني اليهودَ (في مسند أحمد: العُهُود) – فهل عَسَيْتَ إن نحن فَعَلْنا ذلك (أي: قطعنا عهودَنا مع يهود؛ دافعنا عنكَ ضد قريش) ثُم أَظْهَرَك الله (أي: انتصرتَ على قريش)، أن تَرْجِعَ إلى قومِك وتَدَعَنا (أي: تتركنا)؟". يقصد: إذا نصرناكَ على أعدائك من قريش، فهل ستعود إلى مكة وتتركنا ليهود بعد أن قطعنا عهودَنا معهم؟ فقال محمدٌ له: "بل الدَّمُ الدمُ، والهَدْمُ الهدْمُ (أي: دمي دمكم وحُرْمتي حُرمتكم وذمتي ذمتكم)، أنا منكم وأنتم مِنِّي، أُحاربُ مَن حارَبْتُم، وأُسالِمُ مَن سالَمْتُم"[557]. أو كما يُقال اليوم عند عقد حلف أو تدبير مؤامرة: يا نعيش سوا يا نموت سوا.

نستطيع إذن أن نقول إن مصلحة محمد قد التقت بمصلحة الأوس والخزرج. محمد يريد رجالاً (هُمْ الأنصار) ليقفوا معه ضد قبيلته قريش حتى يسيطر محمدٌ على مكة؛ ولقد تحقق له ذلك. والأوس والخزرج يريدون رجالاً (هُمْ المهاجرون) ليقفوا معهم ضد جيرانهم يهود المدينة حتى يسيطر الأوس والخزرج على المدينة؛ ولقد تحقق لهم ذلك[558]. باختصار: طرف يريد أن يحارب قومَه، وطرف آخر يريد أن يحارب جيرانَه! إذن: "بيعة الحرب" تستحق أن تُسمَّى "بيعة الحرب الأهلية".

وكنا نتمنى أن يكتفي المسلمون الأوائل ببيعة النساء وألا يبايعوا بيعة الحرب.

وبعد بيعة الحرب بقليل، هاجر محمدٌ إلى يثرب (المدينة)، فبدأت الحرب الأهلية فعلاً بين محمد وقريش. وبناء على هذه البيعة وبعد هذا الاتفاق (المؤامرة)، انضم المسلمون مِن أهل المدينة (الأنصار) إلى محمد في هذه الحرب الأهلية ضد أهله قريش! ومِن الأدلة على ذلك:

- مِن المعلوم أن عدد الأنصار في غزوة بدر (2هـ) – أول معركة فاصلة في تاريخ الإسلام – كان تقريباً ثلاثة أو أربعة أضعاف عدد المُهاجِرين[559]!
- وعلى سبيل المثال: الصحابي الأنصاريّ سعد بن مُعَاذ (سيد الأوس الذي أسلم بيثرب بين بيعتي العقبة الأولى والثانية) اشترك في غزوات بدر (2هـ) وأُحُد (3هـ) والخندق (5هـ) مع محمد ضد قريش وكفار مكة! و "سعد بن مُعَاذ" هذا هو الذي أفتى قُبيل وفاته بإبادة يهود بني قريظة (5هـ) - وهي قبيلة مهمة مِن يهود المدينة - والاستيلاء على أموالهم وديارهم، فوافقه محمدٌ وحقق له رغبته!
- وإذا كان الصحابي الأنصاريّ سعد بن مُعَاذ وغيره قد حاربوا قريشاً بسيوفهم، فإن الصحابي الأنصاريّ حسان بن ثابت وغيره حاربوا قريشاً بألسنتهم! فكان حسان يهجو قريشاً في شِعره بالأيام التي هُزموا فيها ويعيِّرهم بالمَثَالِب (أي: العيوب) والأنساب! وكان محمدٌ يشجع صحابته الشعراء على ذلك ويقول: "اهْجُوا قُرَيْشًا. فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ (أي: الرَّمْي بِهَا)"[560]!
- ومِن المعلوم أيضاً أن الأنصار اشتركوا في غزو مكة (8هـ)! وكنا نتوقع أن يكون جيش محمد يوم غزو مكة مِن المهاجرين (أهل مكة) فقط، لكن محمد جعل الأنصار (أهل المدينة) يشتركون فيه!

باختصار: استقوى محمدٌ بأنصاره مِن الأوس والخزرج في المدينة ضد أهله قريش في مكة مسقط رأسه! وتورط مُصعب بن عمير القرشي في هذه الحرب الأهلية ضد أهله قريش، بل كان يحمل راية محمد ضد أهله! فاشترك مُصعب في غزوة بدر (2هـ) ثم اشترك في غزوة أُحُد (3هـ) فقَتل أخاه[561] ثم قُتِل! فحزن محمدٌ على مصعب ونظر إلى جثته وقال: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ (أي: استشهد أو مات) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ [النصر أو الشهادة]" (الأحزاب 23)!

وهكذا مات الشاب مُصعب بن عمير. الشاب الذي كان جميلاً وديعاً ... فصار مسلماً ... فأصبح مُحارباً لأهله ... ثم قاتِلاً لأخيه ... ثم قتيلاً شَعِث الرأس!

الله لا يحتاج مَن يقتل أخاه.

قَالَ الرَّبُّ لمَن قَتل أخاه: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ. مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ» (التكوين 4:10-12). فَخَرَجَ قاتلُ أخيه مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ.

لكن للأسف ما زلنا إلى اليوم نرى شباباً زي الورد - عرب وعجم - ينضمون إلى جماعات إسلامية إرهابية فيَقتِلون إخوانهم ويُقتَلون!

1.3.6.1.3 قصة طريفة: أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْر ...

كان "أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْر" واحداً مِن سادة يثرب الذين أسلموا على يد مُصعب بن عمير. وكان أُسَيْدُ يجيد القراءة والكتابة مِن قبل إسلامه. ومِن بعد إسلامه، نشأت علاقة صداقة قوية جداً بينه وبين محمد. فكان أُسَيْدُ يكثر النظر إلى محمد والجلوس عنده ويلصق جسده بجسد محمد! وكان محمد يبادله حباً بحب! ويُروَى أن محمد غمز أُسَيْد يوماً بعود كان في يده إعجاباً به واستحساناً لما يقول. فقال أُسَيْدُ لمحمد: "أَوْجَعْتَني يا رسول الله". فقال محمد له: "اقتص مني يا أُسَيْدُ". فقال أُسَيْدُ لمحمد: "إن عليك قميصاً ولم يكن عليّ قميص حين غمزتني". فرفع محمدٌ قميصه عن جسده، "فاحتضنه أُسَيْد، وجعل يقبل ما بين إبطه وخاصرته وهو يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنها لَبُغْيَةٌ كنتُ أتمناها منذ عرفتك، وقد بلغتها الآن"[562]!

لا تعليق!

1.3.6.2 المِقْدَاد بن الأسود: اِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ!

اسمُه الأصلي "المِقْدَاد بن عمرو بن ثعلبة"[563]، وهو ليس مِن أهل مكة. أما قصة انتقاله إلى مكة فهي قصة مليئة بالدماء. كان أبوه عمرو قد أصاب دَماً (أي: قَتَل قتيلاً) في قومِه قبيلة "بُهْرَاء" (أو: بَهْرَاء؛ يُقال إنها في شمال جزيرة العرب)، فخاف عمرو على نفسه مِن أن يُقتَل أخذاً بالثأر، فهرب إلى حضرموت، فحَالَفَ كِندة، فكان يُقال له: الكنديُّ. وتَزَوَّج عمرو هناك امرأةً مِن أهل حضرموت، فولَدت له المقدادَ. ويبدو

أن المقداد قد وَرِثَ عن أبيه جُلَّ صفاته. فلما كبر المقدادُ وصار فتياً، وقع شجارٌ بينه وبين واحد مِن كبار القوم في حضرموت هو "أبو شَمْر بن حَجَر" الكنديّ. انتهى هذا الشجار بأن أمسك الفتى المقدادُ سيفَه وأهْوَى به على الشيخ أبي شمر، فَبَتَرَ ساقَه! فخاف المقدادُ مِن العقاب الذي ينتظره على ما فعل، ففر هارباً إلى مكة. [ويبدو أن مكة وقتئذ كانت ملجأً مِن ملاجئ الهاربين والفارين مِن العدالة.] وتقول رواية أخرى إن المقداد هو الذي أصاب دماً في بهراء، فهرب منهم إلى كِندة فحالفهم، ثم أصاب فيهم دماً فهرب إلى مكة. وفي جميع الأحوال، فإننا نرى تشابهاً واضحاً بين قصة المقداد وقصة موسى النبي: شخص غريب يقيم مع قومٍ ليسوا أهله، ثم يسفك دم واحد مِن أهل البلد، فيخاف على حياته، فيهرب إلى أرض غريبة أخرى، فيعيش غريباً مرة أخرى مع قومٍ ليسوا أهله.

في مكة، عاش المقدادُ غريباً شَريداً طَريداً لا أحد يحميه. فأدرك الفتى أنه لا بُدَّ له مِن أن يحالف واحداً مِن أهل مكة حتى يعيش في كَنَفِه. فحالف "الأَسْوَدَ بن عبد يَغُوث" الزُّهْرِيّ. فتَبَنَّى الأسودُ المقدادَ. فصار المقدادُ يُقال له: المقدادُ بن الأسود. (وظل يُعرَف بهذا الاسم حتى بعد أن أبطل الإسلامُ التبني فيما بعد.)

فلَمَّا ظهر الإسلامُ في مكة، كان الشابُ المقداد مِن أوائل الذين أعلنوا إسلامَهم. يُقال إنه كان رقم 7 أو مِن السبعة الأوائل، وإنه أُوذي مع مَن أوذي مِن المسلمين المستضعفين، فهاجر إلى الحبشة (أثيوبيا) مع مَن هاجر إليها مِن المسلمين الأوائل في الهجرة الثانية.

ثم عاد المقدادُ إلى مكة، فلم يستطع أن يلحق بمحمد في المدينة. فبقي المقدادُ في مكة إلى أن بعثَ محمدٌ "عبيدةَ بن الحارث" في سَرِيَّةٍ هي ثاني سَرِيَّة بعثها محمدٌ لتهديد تجارة قريش (شوال 1هـ)! يقول د. محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق): "سرية عبيدة بن الحارث: وكانت مكونة مِن ستين راكباً مِن المهاجرين بقيادة عبيدة بن الحارث، وكان الهدف منها تهديد تجارة قريش بين مكة والشام"[564]! وقد ترامى الفريقان بالنبل، ولم يقع قتال. وكان المقدادُ قد خرج مِن مكة مع المشركين ليكون ذلك وسيلة للوصول إلى المسلمين. وبهذه الحيلة الذكية استطاع المقدادُ أن يهاجر مِن مكة إلى المدينة وينضم إلى صفوف المسلمين.

فلَمَّا وَصَلَ المقدادُ إلى المدينة، فَرِحَ محمدٌ بمَقْدَمِه، إذ كان يحبه حباً جماً ويقول: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ"، والمقداد واحدٌ منهم[565]. ويُروَى أيضاً أن محمداً قال: "لَمْ يَكُنْ قَبْلِي نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ سَبْعَةَ رُفَقَاءَ نُجَبَاءَ وُزَرَاءَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ [رفيقاً نجيباً وزيراً]"، والمقداد واحدٌ منهم[566]. ويُقال إن المقداد أراد أن يتزوج ابنة التاجر الثري القرشي الصحابي "عبد الرحمن بن عوف"، فرفض عبدُ الرحمن، ربما بسبب عدم التكافؤ الاجتماعي بينهما. فلَمَّا علم محمدٌ، زَوَّجَ المقدادَ "ضُبَاعَةَ بنت الزبير بن عبد المطلب" ابنة عم محمد. فغدا المقدادُ صِهْراً لمحمد. وبغض النظر عن مدى صحة هذه الروايات الثلاث، فإنها تدل على أن التراث الإسلامي قد لاحظ العلاقةَ القوية التي ربطت بين محمد والمقداد.

وفي دار الهجرة، وجد الشاب المقدادُ عملاً (job) بسرعة، فصار واحداً مِن الوافدين الذين تورطوا في الحرب الأهلية التي خاضها محمدٌ ضد أهله قريش! فبدأ المقدادُ حياته العملية الاحترافية بالاشتراك في ثالث سرية بعثها محمدٌ لاعتراض عيراً لقريش، وهي سرية "سعد بن أبي وقاص" (ذي القعدة 1هـ)!

ثم شهِد المقدادُ بدراً (رمضان 2هـ) والمشاهد الأخرى مع محمد. وكان مِن الفرسان الرُّماة المهرة.

وللمقداد موقف مشهور في غزوة بدر التي يزعم بعض المسلمين "المستنيرين" اليوم أنها كانت غزوة دفاعية دافع فيها المسلمون عن أنفسهم! مع أن سبب غزوة بدر هو أن المسلمين الأوائل بقيادة محمد هُمْ الذين أرادوا الهجوم على قافلة تجارية لقريش، فتتطور الأمرُ فصار قتالاً. يقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم (أصح كتابين بعد القرآن) إن الصحابي كَعْب بْن مَالِكٍ قال: تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ [اللهُ/محمدٌ] أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ (أي: يُرِيدُ إبل قريش المحملة بالتجارة)، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ (أي: من غير موعد أو قصد اللقاء للحرب)[567].

إذن: غزوة بدر كانت غزوة إسلامية هجومية على قريش، أو على الأقل: غزوة انتقامية مِن قريش. ولا يمكن أبداً أن نعتبرها دفاعاً شرعياً عن النفس[568].

أما تفاصيل غزوة بدر فنجدها في كتب المغازي والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي[569]. لكن علينا أن نرجع إلى الوراء قليلاً. نرجع إلى غزوة "ذي العُشَيْرَة (اسم موضع بناحية ينبع)" التي حدثت قبل غزوة بدر بشهور قليلة (جمادى الأولى و/أو جمادى الآخرة 2هـ) حين خرج محمدٌ بنفسه على رأس 150 أو 200 مسلم ليعترض قافلة تجارية لقريش بقيادة أبي سفيان ذاهبة مِن مكة إلى الشام. لكن محمد حين بلغ ذا العُشَيْرَة، وجد أن هذه القافلة قد فاتته بأيام. فعاد محمدٌ إلى المدينة لكنه ظل يترقب عودة هذه القافلة مِن الشام وهي تحمل ثروات طائلة لكبار أهل مكة ورؤسائها. فلَمَّا عادت هذه القافلة التجارية الكبيرة المحملة بالأموال والتجارة مِن الشام، أراد محمدٌ أن يعترض طريقها مرة أخرى، لا سيما أنها تُعتبر صيداً سهلاً، إذ لم يكن معها من الحرس إلا نحو 40 رجلاً فقط. فقال محمدٌ للمسلمين: "هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهم، فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ يُنْفِلُكُموهَا (أي: يجعلها غنيمةً لكم)" (وفي رواية أخرى أن محمداً قال للمسلمين: "إِنِّي أُخْبِرْتُ عَنْ عِيرِ أَبِي سُفْيَانَ [أَنَّها مُقْبِلَةٌ]، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللَّهَ يُغْنِمُنَاهَا؟"[570])! فاستجاب لهذا التحريض ثلاثمائةُ وبضعة عشر (قيل: 313؛ أو: 314؛ أو: 317) مسلماً فقط، لأن المسلمين لم يتوقعوا أن يتطور الأمر إلى قتال. أو كما قال د. محمد بكر إسماعيل (مِن كبار أساتذة الأزهر): "المسلمين يومها لم يخرجوا لقتال، ولكنهم خرجوا يبتغون تجارة قريش ليأخذوها"[571].

خرج المسلمون مِن المدينة بقيادة محمد ومعهم 70 بعيراً وفرس واحد للمقداد أو فَرَسَان أو ثلاثة أحدهم للمقداد، واتجهوا إلى بدر (مكان معروف في الجنوب الغربي مِن المدينة على الطريق التجاري الرئيسي بين مكة جنوباً والشام شمالاً)، وكانوا لا يَنْوُون أن يخوضوا حرباً شاملة، وإنما أرادوا أن يعترضوا طريق قافلة أبي سفيان ويغنموا أموالها.

وحينما علم أبو سفيان بخروج محمد وأصحابه ليوقعوا بالعِير، أراد أن يدافع عن نفسه ورجال قافلته التجارية وأموالها، فأرسل إلى قريش يطلب الغَوْث والنجدة. فأسرع القرشيون وخرجوا مِن مكة بقيادة أبي جهل واتجهوا نحو الشمال إلى بدر في جيشٍ كبير يضم 950 رجلاً و 700 بعير و 100 فرس أو أكثر.

إلا أن أبا سفيان استطاع بدهائه وخبرته أن يُغيِّر مسار قافلته فترك الطريق الرئيسي الذي يمر ببدر وسلك طريقاً آخر بسرعة، وبهذا نجا بالقافلة مِن الوقوع في قبضة المسلمين.

فلَمَّا علم جيشُ أبي جهل بنجاة قافلة أبي سفيان، هَمَّ بعض القرشيين بالرجوع إلى مكة. لكن أبا جهل أصر على أن يصل إلى بدر ليحتفل بالنصر ويتباهى به أمام سائر العرب. فلقد كان بدرٌ موسماً مِن مواسم الجاهلية يجتمع بها العربُ، فقال أبو جهل: والله لا نرجع إلى مكة حتى نرد بدراً، فنقيم بها ثلاثاً، فننحر الجَزُور (أي: ما يصلح لأن يُذبَح مِن الإبل ونحوه) ونطعم الطعام ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً[572].

وكما انقسم القرشيون بين مَن أراد مواصلة المسير إلى بدر ومَن أراد الرجوع إلى مكة لأن المشكلة قد انتهت، كذلك انقسم المسلمون إلى فريقين:

- فريق مسلم يمكن أن نسميه "فريق النَّفِير": أراد هذا الفريق المسلم أن يواصل المسير إلى بدر ليُقاتِل جيشَ أبي جهل مهما كانت المخاطر جسيمة ومهما كانت المعركة دامية. وقيل إن هذا الفريق خَشِيَ أن يهاجم أبو جهل المدينةَ. [تعليقنا: لا يوجد أي دليل يؤكد أن أبا جهل أراد غزو المدينة. أبو جهل توجه إلى بدر وليس إلى المدينة. وتوجه إلى بدر مِن أجل الاحتفال، وليس مِن أجل القتال.] ومِن الواضح أن محمد كان مع فريق النَّفِير الذي أراد القتال، بدليل أنه قال لأصحابه: "هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها (أو: أفلاذ أكبادها) (يقصد: أبا جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة والنضر بن الحارث وأمية بن خَلَف وغيرهم من أشراف قريش المحتفلين في بدر)"[573].
- وفريق مسلم آخر يمكن أن نسميه "فريق الْعِير": رأى هذا الفريق المسلم أن المسلمين ليسوا مستعدين لقتالٍ عنيف ضد جيشٍ كبير مثل جيش أبي جهل، فأرادوا المضي وراء قافلة أبي سفيان. ويُقال إن فريق الْعِير كانوا الأكثرية[574]. وربما أراد بعضُهم أن يرجع إلى المدينة بدون قتال. وهذا الفريق مِن المسلمين المُسالِمين (أو: الأقل عنفاً) هُمْ الذين انتقدهم القرآنُ نقداً لاذعاً، إذ قال فيهم: "وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (أي: يكرهون الخروج للقتال). يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ (أي: في القتال!) بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ (أي: الْعِير أَوْ النَّفِير؛ والمقصود: الاستيلاء على قافلة أبي سفيان بدون قتال أو الانتصار على جيش أبي جهل في القتال) وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ (أي: أنتم تحبون أن تفوزوا بالطائفة غير ذات القوة؛ والمقصود: أنتم تحبون الظَّفَر بالعير دون القتال) وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ (أي: يظهره) بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (أي: يستأصل الكفارَ عن آخرهم؛ فَأَمَرَكُمْ أيها المؤمنون بِقِتَالِ الكفار)" (الأنفال 5-7). يعني: هذا الفريق المسلم المُسالِم (أو: الأقل عنفاً) لا يريد القتال، لكن "الله" يريد القتال!

وطبعاً أراد محمدٌ أن يُنْهِي هذا الانقسام، فجمع أصحابَه واستشارهم في الأمر. فكان المقدادُ هو صاحب الكلمة الحاسمة الحازمة التي أنهت التردد وقضت على الانقسام، إذ قال لمحمد: إِنَّا لَا نَقُول لك كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيل لموسى: "فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ"، وَلَكِنْ نَقُول لك: "اِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا مَعَكُمْ

مُقَاتِلُونَ"[575]. ولذلك فإن اسم المقداد يُذكَر عادةً فى تفاسير (المائدة 24): "قَالُوا (أي: قال قومُ موسى له) يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ". ومِن المعلوم أن سورة المائدة هى مِن أواخر السور القرآنية، أى قيلت بعد 2هـ. إذن: الْمِقْدَادُ بْن الْأَسْوَد قال (المائدة 24) قبل أن يقولها محمد. إذن: الْمِقْدَادُ بْن الْأَسْوَد هو صاحب (المائدة 24)، أى أنه واحد مِن أصحاب القرآن.

وبعد أن تأكد محمدٌ أن المهاجرين يؤيدونه في فكرة القتال، توجه إلى الأنصار وقال لهم: "أَشِيرُوا عليَّ أيها الناس". وذلك لأن محمداً كَانَ يَتَخَوَّفُ أَنْ لَا يُوَافِقُهُ الأنصارُ؛ لِأَنَّهُمْ حين بايعوه في بيعة الحرب (بيعة العقبة الثانية) لَمْ يُبَايِعُوهُ إِلَّا عَلَى نُصْرَتِهِ مِمَّنْ دَهَمَه بالمدينة، لَا أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ خارج المدينة. [وهذا دليل آخر على أن غزوة بدر لم تكن حرباً دفاعية كما يزعم الآن بعض المسلمين "المستنيرين".] فقام سعد بن مُعاذ (حامل راية الأنصار) وقال مثل ما قال المقدادُ. فأشرق وجهُ محمد بالفرحة!

وهكذا تحولت بيعة الحرب مِن بيعة حرب دفاعية إلى بيعة حرب هجومية.

فحدثت معركة بدر، وسُفِكَت دماءٌ كثيرة في ذلك اليوم (17 رمضان 2هـ).

معركة كان مِن الممكن ألا تحدث لولا خروج المسلمين مِن المدينة للهجوم على قافلة أبي سفيان.

ودماء كان مِن الممكن ألا تُسفَك لولا إصرار المسلمين على مواصلة المسير لقتال جيش أبي جهل.

إن قصة غزوة بدر تجعلنا أحياناً نشعر أن أحد أسباب مشكلة العنف في الإسلام هو أن الإسلام ظهر في البيئة العربية، نشأ في أحضان الثقافة العربية التي أنتجت ناس مثل المقداد وسعد بن معاذ وحمزة والزبير وخالد وعمرو وغيرهم، عرب يميلون إلى العنف حتى مِن قبل إسلامهم. فلَمَّا انضم هؤلاء العرب إلى الإسلام، نقلوا عنفَهم إلى الإسلام (القرآن والسُّنَّة). وبمرور الزمن، تَكوَّنت الثقافة العربية-الإسلامية التي أنتجت الإرهاب الإسلامي الذي نعاني منه اليوم.

ولا يزال الجدلُ مستمراً إلى اليوم بين المسلمين الأكثر عنفاً (فريق النَّفِير) الذين يريدون الجهاد والقتال والموت وبين المسلمين المُسالِمين أو الأقل عنفاً (فريق الْعِير) الذين يريدون الحياة والمال والتجارة والحياة الاقتصادية الجيدة. كلهم مسلمون "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" بالقرآن (الأنفال 5)، وإنْ اختلفت درجات العنف. ومع أن فريق الْعِير كانوا –وما زالوا الآن– هُمْ الأغلبية العددية، إلا أن فريق النَّفِير هُمْ الأعلى صوتاً. فما زلنا إلى اليوم نسمع "المقدادَ" وهو يصرخ بصوته الجَهُورِيّ: "اِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ".

وبعد وفاة رسول الإسلام، ظل المقدادُ يُقاتِل ويغزو ويجاهد في سبيل إله الإسلام، فاشترك في غزو الشام ومصر وإِفْرِيقِيَة على الرغم مِن كبر سنه. وقيل إنه ظل يريد الغزوَ، وقد كَبِرَتْ سِنُّهُ حتى قاربت على السبعين! واستدل المقدادُ على ذلك بأن القرآن لم يستثنِ كبار السن مِن الجهاد، إذ يقول: "انْفِرُوا (أي: اخرجوا إلى الجهاد) خِفَافًا وَثِقَالًا (أي: على أي حال كنتم؛ شباباً أم شيوخاً، فقراء أم أغنياء ... الخ) وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (التوبة 41)[576][577]!

وأخيراً، مات المقدادُ بالمدينة في خلافة عثمان سنة 33هـ وهو ابن سبعين سنة أو نحوها. قيل: شرب دُهْنَ الخِرْوَع فمات! وقيل: كان له غلامٌ روميٌّ، فشقَّ بطنَ المقداد ثم خاطَه، فمات المقدادُ وهرب الغلامُ!

سؤال: هل مات المقدادُ مسموماً أو مقتولاً؟!

1.3.6.3 أبو عبيدة بن الجراح: الصحابي الذى قَتَلَ أباه، ومع ذلك سيدخل الجنة!

أسلم "أبو عبيدة بن الجراح" مبكراً فى مكة، ثم هاجر إلى الحبشة (أثيوبيا). ولمَّا عَلِم أن محمداً قد هاجر إلى يثرب (المدينة)، هاجر أبو عبيدة إلى المدينة ليقف بجانب محمد ويحارب معه في غزواته.

وفى غزوة بدر (2هـ)، كان أبو عبيدة يقاتل فى صفوف المسلمين، وأبوه يقاتل فى صفوف المشركين. يعنى: الابن القُرشي يقاتل أباه القُرشي الذى أنجبه! وهذا دليل آخر على أن غزوة بدر كانت بداية لحربٍ أهلية (civil war) بين المسلمين فى المدينة وأقاربهم الكفار فى مكة. وانتهت هذه المعركة بمَقْتَل الأب العربي القُرشي على يد الابن العربي القُرشي! نعم، أبو عبيدة بن الجراح قَتَلَ أباه بسيفه الذى فى يده[578]!

وقيل إن أبا عبيدة بن الجراح قَتَلَ أباه يوم أُحد (3هـ). ولا يهم إنْ كان قتل أباه فى بدر أو أُحد. وإنما المهم هو أن المسلمين يعتقدون أنه واحدٌ مِن العشرة المبشرين بالجنة! يعنى: واحد قتل أباه سيدخل الجنة!

وطبعاً، الإسلام – اللى بيقولوا عليه "دين الرحمة والسماحة" – أيَّد أبا عبيدة بن الجراح وغيره فى عداوتهم لأقاربهم حتى لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ!

قال القرآن: "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ (أى: يحبون، يوالون) مَنْ حَادَّ (أى: عادى) اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ (الموالون فِي الله والمعادون فيه) كَتَبَ (اللهُ) فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (المجادلة 22).

وكما هى الحالة فى أى حرب أهلية بين فريقين أو حتى خناقة بين فردين، نجد أن كل طرف يُلقي باللوم على الطرف الآخر ويتهمه بأنه هو الذى بدأ بالعدوان.

فتحاول المراجع الإسلامية أن تصوِّر المشهد على أن والد أبي عبيدة هو الذى بدأ بالعدوان. نجد ذلك مثلاً فى حديث أخرجه الحاكم فى المُستدرَك وذكره السيوطى فى أسباب نزول (المجادلة 22) يقول: جعل والدُ أبى عُبيدة بن الجراح يتصدَّى لأبى عُبيدة يوم بَدْرٍ، وجعل أبو عبيدة يَحِيدُ عنه (أى: يتجنبه)، فلمَّا أكثرَ قَصدَه أبو عبيدة فقتلَه، فنزلت (الآية) (يقصد: المجادلة 22)[579].

وقال الواحدى النيسابورى فى أسباب نزول (المجادلة 22): "قال ابن جريج: حُدِّثت أن أبا قُحافَة (هو والد أبى بكر) سبَّ النبيَّ ﷺ، فصَكَّه أبو بكر (أى: أبو بكر صَكّ أباه!) صَكَّةً شديدةً سقط منها، ثم ذكر ذَلِكَ للنبى ﷺ، فقال: "أوفَعَلته (أى: أفعلتَ يا أبا بكر)؟"، قال: نعم، قال: "فلا تعد إليه"، فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريباً مِنِّى لقتلته (أى: لقتلت والدى!)، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية (أى: المجادلة 22). ورُوِى

عن ابن مسعود أنه قال: نزلت هذه الآية فى أبى عُبَيْدَة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحدٍ. وفى أبى بكر دعا ابنه يوم بدرٍ إلى البِراز (أى: المبارزة)، فقال: يا رسول الله، دعنى أكن فى الرَّعْلَة الأولى (أى: الجماعة الأولى من الشهداء). فقال له رسول الله ﷺ: "مَتعْنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى؟". وفى مُصْعَب بن عمير، قتل أخاه عُبَيد بن عمير يوم أحد. وفى عمر (بن الخطاب)، قتل خالَه العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدرٍ. وفى عليّ (بن أبى طالب) وحمزة (بن عبد المطلب) [وعُبيدة (بن الحارث بن عبد المطلب)] (هُمْ على الترتيب: ابن عم محمد وعمه وابن عمه)، قتلوا عُتْبة وشَيْبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة (هُمْ على الترتيب: والد وعم وأخ الصحابى أبي حذيفة بن عُتْبة الذى كان فى صفوف المسلمين) يوم بدر. وذلك قوله: "وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ" (المجادلة 22)"[580].

ولا تزال هذه الآية القرآنية (المجادلة 22) تُستخدَم إلى اليوم – مع آيات قرآنية أخرى[581] وأحاديث صحيحة أخرى – لتأصيل وشرح عقيدة "الولاء والبراء" التى يؤمن بها الإرهابيون المسلمون الذين يُشوِّهون اللهَ ويقتلون أبناءَ وطنهم حتى وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ.

والمشكلة هى أن المراجع الإسلامية ووسائل الإعلام العربية تُبشِّر أبا عبيدة (المسلم الذى قتل أباه) بالجنة! وتُقدِّمه كقدوة للشباب المسلم! وكالعادة، يفترون على الله ويقولون على أبي عبيدة "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"!

ونحن نسأل كل مسلم عاقل: هل يُعقَل أن الخطة التى أعدها اللهُ منذ الأزل لهداية البشرية كان أحد بنودها أن يقتل إنسانٌ أباه؟!

مِن المستحيل أن يفكر الله بهذه الطريقة الدموية.

الله الذى قال فى التوراة مرتين: "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ [...]. لاَ تَقْتُلْ" (الخروج 20:12-13) "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ [...]. لاَ تَقْتُلْ" (التثنية 5:16-17)، ثم قال فى الإنجيل: "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا (Empty-head!)، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ" (متى 5:21-22).

هل يُعقَل أن هذا الله نفسه يرضى على إنسانٍ قتل أباه، مهما كانت المبررات والدوافع؟! مستحيل.

وبعد غزوة بدر (2هـ)، خاض أبو عبيدة حروب أخرى كثيرة مع محمد وبعد وفاة محمد، بل نستطيع أن نقول إنه أفنى عمرَه فى ساحات القتال، ويُقال إنه لم يكن لديه إلا فرسه وسيفه ودرعه، فظل يقاتل بهم حتى مات في طاعون عَمَواس بالشام في خلافة عمر (18هـ).

فانضم أبو عبيدة إلى العشرة المبشرين بالجنة – وَهُمْ حسب الإسلام السنى: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبي عبيدة بن الجراح. وكلهم خاضوا حروباً بأنفسهم و/أو أموالهم. وبعضهم (عليّ وطلحة والزبير) تورطوا فى حروب أهلية مسلمين

ضد مسلمين! وأبو عبيدة قتل أباه! وعمر قتل خالَه! وأبو بكر قاتل ابنَه! ومصعب بن عمير (وهو مِن كبار الصحابة) قتل أخاه! وسيدهم محمد قاتل أهلَه!

وكنا نتمنى لو أن واحداً مِن هؤلاء العشرة المبشرين بالجنة كان فيلسوفاً أو عالِماً (scientist) أو مفكراً أو طبيباً أو أديباً أو حتى شاعراً. لكن للأسف هذا لم يحدث. كل العشرة الذين بَشَّرهم محمدٌ بالجنة خاضوا حروباً بأنفسهم و/أو أموالهم وقاتلوا أقاربهم حتى وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ كما قال القرآن!

ثم بعد ذلك نتساءل مِن أين يأتي الإرهابُ الإسلامي؟!

الإجابة: يأتي الإرهابُ الإسلامي مِن الثقافة الإسلامية-العربية نفسها. الإسلام هو الديانة الوحيدة فى العالم التي أدى ظهورُها إلى اندلاع 5 حروب أهلية في أقل مِن 100 سنة! (1) حرب أهلية بين محمد وأهله قريش مِن 2هـ إلى 8هـ؛ (2) حروب الرِّدّة في عهد أبي بكر؛ (3) الفتنة الكبرى في عهديّ عثمان وعليّ التي انتهت بمقتل عَليّ ومقتل عشرات الآلاف مِن المسلمين على أيدي مسلمين (مقتل 70000 مسلم في موقعة صِفِّين 37هـ وحدها[582])؛ (4) حرب أهلية بين الأمويين وأهل المدينة (وقعة الحَرَّة 63هـ شرقي المدينة) التي انتهت بمقتل عدد كبير من الصحابة واستباحة المدينة لمدة ثلاثة أيام[583]؛ (5) حرب أهلية بين الأمويين وعبد الله بن الزبير في مكة التي انتهت بمقتل ابن الزبير (حفيد أبي بكر!) وصلبه (73هـ)!

ولقد صدق يسوع المسيح حين قال عن الأنبياء الكذبة (أي: غير الحقيقيين؛ false prophets): "مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ" (متى 7:20).

وقال بولس الرسول (Paul The Apostle): "هُمْ رُسُلٌ كَذَبَةٌ، فَعَلَةٌ مَاكِرُونَ، مُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ إِلَى شِبْهِ رُسُلِ الْمَسِيحِ. وَلاَ عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ! فَلَيْسَ عَظِيمًا إِنْ كَانَ خُدَّامُهُ أَيْضًا يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ. الَّذِينَ نِهَايَتُهُمْ تَكُونُ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ" (2 كورنثوس 11:13-15).

1.3.6.4 خالد بن سعيد بن العاص: كبير بني أُميَّة المهاجرين إلى الحبشة

اسمه بالكامل: "خالد بن أَبي أُحَيْحة سعيد بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب"[584]، فهو إذن مِن بني أُميَّة أحد فروع قبيلة قريش، ومِن أقارب "أُم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان)" التي صارت زوجة لمحمد.

كان خالد بن سعيد مِن الخمسة الأوائل أو الستة الأوائل المبكرين إلى الإسلام في مكة. فغضب عليه أبوه الكافر "أبو أُحَيْحَة" غضباً شديداً، ويُقال إنه شتمه وضربه ومَنع عنه الطعام! أما محمد، فَسُر بإسلامه.

ثم هاجر خالد مع امرأته وأخيه "عمرو بن سعيد بن العاص" في الهجرة الثانية إلى الحبشة (أثيوبيا). وفي الحبشة، أنجب خالدٌ طفلة أسماها "أَمَة" وتَحَرَّكَتْ ابنته هناك وتَكَلَّمَتْ. ونظراً لما يتمتع به الأطفالُ مِن قدرة فائقة على تعلم اللغات، فإنه مِن المحتمل جداً أن أَمَة قد تعلمت اللغة الحبشية بالإضافة إلى تعلمها اللغة

العربية. ولَمَّا كبرت أَمَةُ، تَزَوَّجَها الزبيرُ بن العوام ابن صفية عمة محمد. وفي الحبشة أيضاً، أنجب خالدٌ طفلاً اسمه "سعيد".

وفي أثناء إقامة المسلمين الأوائل في الحبشة، وَكَّلت أم حبيبة خالداً ليُزوِّجها من محمد. وذلك لأن خالد كان يُعتبَر وقتئذٍ كبير بني أُميَّة المهاجرين إلى الحبشة. وكل هذا يدل على العلاقة القوية التي ربطت بين خالد وعائلته مِن ناحية ومحمد وعائلته مِن ناحية أخرى.

أقام خالد فى الحبشة بِضْع عشرة سنة، إذ لم يرجع هو وأسرته إلى شبه الجزيرة العربية إلا في السفينتين مع جعفر بن أبى طالب وأم حبيبة زمن خيبر (7هـ).

وفي المدينة، أقام خالدٌ وأسرته وسط المجتمع المسلم الجديد وشهد خالدٌ مع محمد فتح مكة وحُنَين والطائف وتبوك. وبعثه محمدٌ عاملاً على صدقات اليمن. [لاحظ أن محمد القرشي يُعيِّن خالد بن سعيد القرشي لجَمْع أموال الزكاة مِن الشعب اليمني! لماذا لم يُعيِّن محمدٌ رجلاً يمنياً في هذا المنصب المهم؟!] وظل خالدُ بن سعيد يحتل هذا المنصب الخطير في اليمن حتى وفاة محمد.

وبعد وفاة محمد، ترامت إلى خالد أنباء استخلاف أبي بكر ومبايعته، فغادر خالدٌ عملَه في اليمن وذهب إلى المدينة ورفض أن يبايع أبا بكر! لماذا لم يبايع خالدٌ أبا بكر؟ لأنه "كان يرى أن أحق المسلمين بالخلافة واحد مِن بني هاشم: "العباس" مثلاً ... أو "علي بن أبي طالب". ووقف إلى جانب اقتناعه، فلم يبايع أبا بكر"[585]. ولا يزال المسلمون الشيعة إلى اليوم يحترمون خالد بن سعيد لموقفه هذا ومِنهم مَن يعتبره بطلاً. وتقول المراجع السنية إن خالداً تراجع عن موقفه بعد ذلك وبايع أبا بكر. لكن يبدو لنا أنه لم يبايع أبا بكر إلا بعد أن بايعه بنو هاشم، فلم يعد هناك مبرر لرفضه.

إلا أن خالد بن سعيد – الصحابي المُعارض الذي رفض أن يبايع أبا بكر – قُتِل بعد ذلك بفترة وجيزة! وكما تضاربت الأنباءُ حول مقتل الصحابي المُعارض سعد بن عبادة الذي رفض أن يبايع أبا بكر، كذلك تضاربت الأنباءُ أيضاً حول مقتل خالد بن سعيد في معارك الغزو العربي/الإسلامي للشام. قيل: قُتِل في موقعة "مَرْج الصُّفَّر" في خلافة أبي بكر. وقيل: قُتِل في موقعة "أجنادين" في أواخر خلافة أبي بكر. وقيل: قُتِل في موقعة "مَرْج الصُّفَّر" في صدر خلافة عمر.

وفي جميع الأحوال، فإن خالد بن سعيد لم يحضر جَمْع القرآن في عهد عثمان. لكن قريبه "سَعِيد بْنَ الْعَاصِ بْنَ أَبي أُحَيْحة سَعِيد بْنَ الْعَاصِ" كان واحداً مِن الأربعة أعضاء اللجنة التي شكلها عثمانُ لجمع القرآن وإنتاج المصحف، وهو طبعاً مِن بني أُميَّة مثل خالد بن سعيد وعثمان بن عفان وأم حبيبة زوجة محمد. ومن الجدير بالذكر أن كلمة "مصحف" نفسها مشتقة مِن كلمة "mas’haf" وهى كلمة حبشية (أثيوبية) تعنى "كتاب" (livre)[586].

ويُروَى أن أَمَة بنت خالد بن سعيد قالت إن أباها هو أَوّل مَن كَتب "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ".

1.3.6.5 عثمان بن مَظْعُون الجُمَحِيُّ القُرشي

قبل ظهور الإسلام، كان "عثمان بن مَظْعُون"[587] أحد حكماء العرب. ويُقال إنه كان ممن يحرّم على نفسه الخمر، ويقول: لا أشرب شراباً يُذْهِبُ عقلي ويُضْحِكُ مِنِّي مَن هو دُونِي ويحملني على أن أنكح كريمتي (أو: يَجْعَلني أُنْكِح كريمتي لِمَنْ لا أريد). [يعني: عثمان بن مظعون حرَّم الخمرَ قبل أن يُحرّمها إلهُ الإسلام بـ 16 سنة على الأقل! لم يحتاج عثمانُ إلى وحي إلهي ولا إلى "تدرج" ليحرم الخمر.]

وبعد ظهور الإسلام في مكة، أسلم عثمانُ مبكراً (يُقال إنه المسلم رقم 14). فعذّبته قريشُ حتى اضطر هو وابنه "السَّائب" وأخواه "عبد الله" و "قُدَامَة" إلى أن يهاجروا إلى الحبشة في الهجرة الأولى. فكان عثمانُ أميرَ الفوج الأول مِن المسلمين المهاجرين إلى الحبشة.

وبعد عامين، سمع المسلمون المهاجرون في الحبشة خبراً ساراً مفاده أن كثيراً مِن قريش خضعوا إلى الإسلام وكفوا عن أذى المستضعفين مِن المسلمين في مكة. فرجع بعض هؤلاء المهاجرين إلى مكة. وعاد عثمانُ مع هؤلاء العائدين مِن الحبشة إلى مكة. بَيْدَ أنهم ما كادوا يقتربون مِن مشارف مكة حتى تبينوا كذب الخبر الذي بلغهم عن إسلام قريش. فرجع بعضهم إلى الحبشة وهاجر معهم فوجٌ آخر مِن المسلمين، وهو ما يُعرَف باسم "الهجرة الثانية إلى الحبشة".

وفي هاتين الهجرتين إلى الحبشة دليلٌ على أن بعض المسلمين الأوائل قد دخلوا في حماية المسيحيين. فَمِن المعلوم أن المسيحية كانت منتشرة في الحبشة (أثيوبيا) في ذلك الوقت.

إلا أن عثمان بن مظعون لم يرجع إلى الحبشة مرة أخرى، فظل في مكة.

وفي مكة، دخل عثمانُ بن مظعون في جِوَار (أي: في حماية) "الوليد بن المغيرة" (أبو خالد بن الوليد) وهو مِن سادة قريش المشركين. و "كان "الجِوَارُ" - يومئذٍ - تقليداً مِن تقاليد العرب ذات القداسة والإجلال، فإذا دخل رجل مستضعف في جوار سيد قرشي، أصبح في حِمى منيع لا يُهْدَر له دم"[588]. وهذا يدل على أن بعض المسلمين الأوائل قد دخلوا في حماية المشركين.

إلا أنه بعد ذلك بفترة، قرر عثمانُ بن مظعون بإرادته الحرة أن يترك جِوَارَ الوليد بن المغيرة.

وذات يوم، كان عثمان بن مظعون وسعد بن أبي وقاص يجلسان مع جماعة مِن قريش يوجد بينهم الوليد بن المغيرة والشاعر "لبيد بن ربيعة" وكان مشركاً حينئذ. فحدث مشهدٌ يُذَكِّرنا بمشاهد العنف التي ما زلنا نراها إلى اليوم في المسلسلات والأفلام العربية. فلقد قام لبيدُ فأنشد الشعر وقال الشطر الأول: "أَلا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلا (أي: مَا عَدَا) اللهَ باطلُ". فقال له عثمانُ: "صَدَقْتَ". ثم أنشد لبيدُ الشطر الثاني من البيت: "وَكُلُّ نَعِيمٍ لا مَحَالَةَ زَائِلُ". فقال له عثمانُ: "كَذَبْتَ، فإن نعيم الجنة لا يزول". فغضب لبيدُ مِن هذا التعليق، وأثار القومَ على عثمان. فقام واحدٌ مِن قريش مِن بني المغيرة، ولطم عثمانَ على عينه، فضج المجلسُ بالضحك. وضحك الوليدُ بن المغيرة وقال لعثمان بشماتة: "والله يا عثمان، لقد كنتَ في ذِمَّة منيعة (يقصد: كنتَ في جواري وحمايتي)، وكانت عَيْنُك غَنِيَّة عما لقيت". عندئذ ثارت نفس سعد بن أبي وقاص، "وقام ولطم الذي ضرب عثمان بن مظعون وظل يضربه حتى كسر أنفه وأسال دمه أمام أعين قريش"[589][590]!

ويبدو أن عثمان بن مظعون قد تأثر بالتراث المسيحي خلال فترة إقامته بالحبشة، فأراد أن يَتَبَتَّلَ، أي: ينقطع عن النساء ويترك الزواج ولذات الدنيا وشهواتها ليتفرغ لعبادة الله. يعني: أراد عثمانُ بن مظعون أن يعيش حياة تشبه حياة الرهبان المسيحيين. إلا أن محمد نهاه عن ذلك. يقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: "رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ. وَلَوْ أَذِنَ لَهُ، لَاخْتَصَيْنَا". وفي رواية أخرى: "أَرَادَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ أَنْ يَتَبَتَّلَ. فَنَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَلَوْ أَجَازَ لَهُ ذَلِكَ، لَاخْتَصَيْنَا"[591]. ونعرف مِن مصادر إسلامية أخرى أن محمد اقترح على عثمان بن مظعون وغيره أن يصوموا بدلاً مِن التَّبَتُّل والْخِصَاء.

ويبدو أيضاً أن صحابة آخرين قد تأثروا بالتراث المسيحي. فلقد أخرج الترمذي حديثاً يقول إن "رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي إِذَا أَصَبْتُ اللَّحْمَ انْتَشَرْتُ لِلنِّسَاءِ وَأَخَذَتْنِي شَهْوَتِي، فَحَرَّمْتُ عَلَيَّ اللَّحْمَ"[592]. يعني: أراد هذا الرجل أن يصوم صوماً يشبه الصوم المسيحي، فيأكل طعاماً نباتياً فقط ولا يأكل لحماً ولا دَسَماً. إلا أن القرآن نهى هؤلاء الصحابة عن ذلك، فقال لهم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ [مِن نكاح النساء وأكل اللحم وشرب اللبن ... الخ] وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ" (المائدة 87-88).

وفي هذا دليلٌ على أن الصحابة كانوا أحياناً يقترحون على محمد اقتراحات وأفكار اقتبسوها مِن خبراتهم السابقة أو مِن رحلاتهم في الشرق الأوسط، إلا أن محمد كان أحياناً يعترض عليها ويرفضها[593]. ... وأحياناً أخرى يوافِقهم، كما رأينا في أمثلة سابقة (عمر بن الخطاب مثلاً). ... وأحياناً أخرى يُعدِّل محمدٌ في الفكرة أو يقترح اقتراحاً بديلاً (مثلاً: الصوم الإسلامي بدل الْخِصَاء).

وهذا ما نقصده حين نقول إن الإسلام ثمرة عمل جماعي. منتج ثقافي (cultural artifact) أنتجه مجتمعٌ (community-edited)، وليس عَملاً فردياً انفرد به شخصٌ واحد. وهذا المجتمع اعتمد بصفة أساسية على التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) والتراث العربي.

إذن: الموضوع بسيط ومش محتاج وحي مِن الله. مجتمع جديد نشأ، فتفاعل أعضاؤه مع بعضهم، ثم سَجَّل المسلمون تجربتهم بأسلوب أدبي في كتب: القرآن ... البخاري ... مسلم ... الخ. كما سَجَّل مِن قبلهم اليهودُ والمسيحيون تجربتهم في كتب، فاستحقوا أن يُسميهم القرآنُ: "أهل الكتاب"، وإنْ كان الأدق أن يُسميهم: "أهل الكتب"[594].

بعد هجرة عثمان بن مظعون إلى المدينة، اشترك في غزوة بدر (2هـ)، ثم مات بعدها بقليل. قيل: مات في شهر شعبان سنة 3هـ. وبذلك، صار عثمانُ أول مَن مات بالمدينة مِن المهاجرين. فحزن محمدٌ حزناً شديداً على موت عثمان. ويُروَى أن محمد دنا مِن جثة عثمان وأكب على جسده وقبَّله وهو يبكي وعيناه تَذْرِفَان[595]. ودُفِن عثمانُ بالبقيع، فكان أول مَنْ دُفِن فيه. وقيل إن محمد أَعْلَم قبرَ عثمان بحجرٍ، وكان يزوره.

وقيل أيضاً إنه لمَّا مات إبراهيم ابن محمد، قال محمد: "الْحَقْ بالسلف الصالح عثمان بن مظعون"؛ ولمَّا ماتت زينب بنت محمد، قال محمد: "الْحَقي بِسَلَفِنَا الخيِّر عثمان بن مظعون". ومِن الجدير بالذكر أن "زينب بنت مظعون" أخت عثمان بن مظعون تزوجت عمر بن الخطاب وأنجبت له حفصة التي صارت زوجة لمحمد. أي أن عثمان بن مظعون هو خال زوجة محمد. ونستنتج مِن كل ما سبق أن العلاقة التي كانت تربط بين محمد وعثمان بن مظعون كانت علاقة قوية جداً.

وبعد وفاة عثمان بن مظعون، حُرّمت الخمرُ. قيل: بعد غزوة أُحُد (شوال 3هـ). وقيل: 4هـ.

1.3.6.6 عبد الله بن مسعود: خبرة طويلة، لكن أُستُبعِدَ مِن لجنة جَمْع القرآن وإنتاج المصحف!

لم يكن الشاب العربي المكيّ "عبد الله بن مسعود بن غَافِل"[596] الهُذَلِيّ مِن قريش، وإنما كان غلاماً فقيراً ضعيفاً خادماً أجيراً يَرْعَى غَنَمًا لواحدٍ مِن مشركي قريش في مكة.

كان ابنُ مسعود محروماً مِن كل شيء. محروماً مِن المال؛ محروماً مِن الجاه؛ محروماً حتى مِن كمال الجسم، إذ يُقال إنه كان أسوداً نحيفاً دقيقَ الساقين وقصيراً جداً. يُقال إن طوله وهو قائم يكاد يوازي الرجال الجالسين. هل كان مِن الأقزام؟

أسلم ابنُ مسعود مبكراً جداً (قبل عمر)؛ قيل إنه المسلم رقم 6، أو إنه مِن العشرة الأوائل. وكان أول مَن جَهرَ بالقرآن مِن الصحابة في مكة، وتَحمَّل أذى المشركين. فهاجر الهجرتين إلى الحبشة؛ وتقول روايةٌ أخرى إنه هاجر الهجرة الثانية فقط. ثم عاد إلى مكة ثم هاجر مِنها إلى المدينة.

وفي الفترة المدنية، شهد ابنُ مسعود بدراً وأُحُداً والخندق وسائر المشاهد مع محمد. أي أن هذا الشاب غير القرشي انضم إلى محمد في حربه الأهلية ضد أهله قريش! وتقول المراجع الإسلامية إن ابن مسعود هو الذي أجهز على أبي جهل (أبي الحكم) وهو جريح في غزوة بدر (2هـ): "وجدَه وبه رمقٌ فحزَّ رأسه"[597]! ويُقال إن ابن مسعود وضع رجله على عنق أبي جهل، ثم قطع رأسَه، وأخذها وذهب بها إلى محمد! ففرح محمدٌ وأعطى سيفَ أبي جهل لابن مسعود مكافأة له! ثم ردد محمدٌ نفس الهتاف الذي لا يزال المسلمون إلى اليوم يرددونه في أعيادهم: "الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعدَه، ونصر عبدَه، وهزم الأحزابَ وحده"!

وتقول أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم إن آخر جملة قالها أبو جهل (أبو الحكم) قبل مقتله كانت: "هَلْ أَعْمَدُ (أي: أَعْجَبُ؛ أَغْضَبُ) مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ؟" أو "وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ؟"[598]؛ يقصد: ليس قتلكم لي إلا قتل قوم رجلاً منهم، فلا هو فخر لكم ولا هو عار عليّ. يعني: أبو الحكم المشرك العربي البدوي الجاهلي – الذي يقول المسلمون عليه "أبو جهل" – استطاع أن يدرك أن افتخار المسلمين بانتصارهم في هذه الحرب الأهلية لا معنى له. أما المسلمون المتعلمون اليوم فلم يستطيعوا حتى الآن أن يدركوا هذه الحقيقة، فما زالوا يحتفلون إلى اليوم بانتصار المسلمين الأوائل في غزوة بدر (17 رمضان مِن كل عام)!

بل نرى اليوم مسلمين يغنون ويطبلون ويرقصون في الشوارع والميادين ويحتفلون بقتل إخوتهم المسلمين في حربٍ أهلية أو اقتتال بين مسلمين ومسلمين! وبعد هذا كله، يزعمون أن الإسلام دين سلام!

"مَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ" (فيلبي 19:3).

وهكذا تحول عبدُ الله بن مسعود من رجل يحافظ على حياة الغنم قبل إسلامه إلى كائن آخر يُنهي حياة البشر بعد إسلامه! إنه تحول غريب يحدث للمرء كلما يقترب أكثر فأكثر من دين محمد. يتحول من إنسان مسالِم إلى روبوت مقاتِل! وإذا لم يقتل، يكتفي بالتحول مِن إنسان مهذب إلى مسلم يسب ويشتم! فلقد أخرج ابنُ خُزَيمَة في صحيحه حديثاً مرفوعاً عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ (أي: يسأل الناس عن شيء ضاع منه؛ دابته أو نحو ذلك)، فَغَضِبَ [ابْنُ مَسْعُودٍ] وَسَبَّهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: "مَا كُنْتَ فَحَّاشًا يَا ابْنَ مَسْعُودٍ"، قَالَ [ابْنُ مَسْعُودٍ]: "إِنَّا كُنَّا نُؤْمَرُ بِذَلِكَ"[599]!

وإذا سألتم: مَن أمر ابنَ مسعود بذلك؟ فسنقول: بالتأكيد محمد. ودليلنا هو إجماع الكتب والمراجع الإسلامية على أن ابن مسعود كان يلازم محمداً في المدينة ولا يفارقه. فكان ابنُ مسعود يُصاحِب محمداً في المسجد وفي الطريق وفي بيته، يخدمه في ليله ونهاره فكان يستر محمداً إذا اغتسل ويُوقِظهُ إذا نام ويُلْبِسُه نَعْلَيْه ويَخْلَعهما مِن قدميه. كما كان ابنُ مسعود يخدم محمداً في حِلِّه وترحاله ويرافقه داخل بيته وخارجه، فكان يحمل نَعْلَيْ محمد وسِوَاكه وطهوره (أي: الماء الذي يتطهر محمدٌ به) ووِسَاده (أي: وسادته، مخدته). ولذلك فإن ابن مسعود يُعرَف في كتب السُّنَّة بلقب "صَاحِب النَّعْلَيْنِ وَالطَّهُور وَالْوِسَادِ" أو "صَاحِب النَّعْلَيْنِ وَالْوِسَادِ وَالْمِطْهَرَةِ".

وفي المقابل، كان محمدٌ يحب ابنَ مسعود حباً عظيماً ويأتمنه على سره ويأذن له بالدخول إلى حجرته في أي وقت، لدرجة أن بعض الصحابة المتأخرين ظنوا أن ابنَ مسعود وَأُمَّهُ (اسمها: أُمّ عَبْد) مِن أهل بيت محمد؛ فكان ابنُ مسعود يلازم محمداً وَأُمُّهُ أُمّ عَبْد تلازم نساء محمد. يقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما إن أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ قال: "قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنْ الْيَمَنِ [إلى المدينة بعد غزوة خيبر]، فَمَكَثْنَا حِينًا، مَا نُرَى (أي: ما كنا نظن؛ ما نحسب) ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ كَثْرَةِ دُخُولِهِمْ وَلُزُومِهِمْ لَهُ"؛ وفي رواية أخرى: "لِمَا نَرَى مِنْ دُخُولِهِ وَدُخُولِ أُمِّهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ"[600]. وقال أبو مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أيضاً إن عبد الله بن مسعود "كَانَ يَشْهَدُ (أي: يحضر مجلس محمد؛ يحضر نزول القرآن) إِذَا غِبْنَا، وَيُؤْذَنُ لَهُ [بالدخول على محمد] إِذَا حُجِبْنَا"[601]. وفي هذا دليل على أن ابن مسعود حظيَ باختصاصات متميزة جعلته يعلم ما لا يعلمه غيره مِن صحابة محمد.

ويقول حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما إن محمداً قال: "خُذُوا الْقُرْآنَ (أو: اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ) مِنْ أَرْبَعَةٍ"، وابن مسعود واحدٌ منهم، بل أولهم[602]. ويقول حديث صحيح أخرجه ابن ماجه إن أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ بَشَّرَا عبدَ الله بن مسعود "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ (يقصد: عبد الله بن مسعود)"[603]. والقرآن الغَضّ هو الطريّ الذى لم يتغير، بدليل قوله بعدها "كَمَا أُنْزِلَ" (comme il a été révélé)، والمقصود: طريقة ابن مسعود فى القراءة وهيأته

فيها. وفي مسند أحمد أن محمداً قد قال: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ"[604]. وكان ابنُ مسعود يفتخر بعلمه بالقرآن ويقول: "وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ (أي: يمكن الوصول إليه)، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ"[605]. ومِن المعلوم أن المصحف الحالي يختلف عن قراءة ابن مسعود للقرآن (أي: مصحف ابن مسعود)، وسنذكر أمثلة على ذلك عند حديثنا عن تاريخ تطور نَص القرآن.

مما سبق نستنتج العلاقة القوية بين محمد وابن مسعود والقرآن. بل يقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما إن محمداً نفسه كان يحب أن يسمع القرآن مِن ابن مسعود[606]. فلقد شهد محمدٌ لابن مسعود بجودة حفظ القرآن كما شهد له بحُسْن التلاوة.

ومِن الواضح أن ابن مسعود قد لعب دوراً في تأليف القرآن. وسنكتفي بمثالين حرصاً على عدم الإطالة.

المثال الأول: يقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما[607] عن ابن مسعود قال: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ (أي: عند الكعبة) قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ، أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: "أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ (أو: يَسْمَعُ حَدِيثَنَا)؟" قَالَ الْآخَرُ: "يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا، وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا". وَقَالَ الْآخَرُ: "إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: "وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ [خوفاً مِن] أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (أي: لا يعلم كثيراً من أعمالكم، بسبب إتيانها في الخفاء). وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ (أي: أهلككم) فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (فصلت 22-23).

ونحن نقول: إذا أراد اللهُ أن يعلن للبشرية عن قدرته وسمعه وعلمه غير المحدود، فلا يُعقَل أن يظل منتظراً منذ الأزل حتى يجتمع هؤلاء العرب الثلاثة مِن قريش وثقيف عند الكعبة ويدور بينهم هذا الحوار الذي سمعه ابنُ مسعود الهُذَلِيّ بالصدفة! فيتدخل اللهُ فجأة و "ينزل" هاتين الآيتين! وينزلها على مَن؟! فنحن لا نجد أي وجود لمحمد في روايات البخاري ومسلم لهذا الحديث! ثم إنها جمل عربية بسيطة يستطيع أي إنسان عربي أن يقولها. مش محتاجة وحي إلهي!

فنحن نرى إذن أنه مِن المحتمل جداً أن يكون ابن مسعود هو الذي ألّف هاتين الآيتين (فصلت 22-23)، أو على الأقل اشترك في تأليفها مع محمد و/أو غيره. ثم كُتِبَت القصةُ بعد ذلك في الكتب الإسلامية (التفاسير وأسباب "النزول" والأحاديث ... الخ) بطريقة تجعل "الله" هو الذي "أنزل" هذه الجمل العربية!

أما المثال الثاني فهو أبسط بكثير مِن المثال الأول. يقول أسباب النزول للسيوطي وللواحدي النيسابوري عن ابن مسعود قال: جاءَ غلامٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: "إنَّ أُمّي تسألُك كذَا وكذَا". فقال [محمدٌ للغلام]: "ما عندنا شَيْءٌ اليومَ". قال [الغلامُ]: "فتقولُ لك اكسُنِي قَميصَك". فخلع [محمدٌ] قميصَه، فدفعه إليه، فجلس في البيت حَاسِراً (أي: عرياناً)، فأنزل اللهُ: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ (أَيْ: لَا تُمْسِكهَا عَنْ الْإِنْفَاق كُلّ الْمَسْك)

وَلَا تَبْسُطْهَا [فِي الْإِنْفَاقِ] كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا (أي: يلومك الناس ويذمونك) مَحْسُورًا (أي: نادماً على تبذيرك وضياع مالك؛ مُنْقَطِعًا لَا شَيْءَ عِنْدك)" (الإسراء 29)[608].

وتوجد روايات أخرى مشابهة رواها صحابة آخرون عن أسباب "نزول" (الإسراء 29). وبغض النظر عن مدى صحة هذه الروايات، فإن الآية نفسها بسيطة جداً ويستطيع أي إنسان عربي أن يقولها، أو على الأقل يقترحها: ما تبقاش بخيل جداً وما تبقاش كريم زيادة عن اللزوم. هل دي محتاجة وحي من الله؟!

فيبدو لنا إذن أن ابن مسعود و/أو غيره قد ألّفوا (الإسراء 29)، أو على الأقل اشتركوا مع محمد في تأليفها. وكالعادة، تُكتَب القصةُ بعد ذلك في المراجع الإسلامية بطريقة تجعل "الله" هو الذي "أنزلها"!

أما فيما يتعلق بعلاقة ابن مسعود بأصحاب محمد، فلقد شهدوا له بوفرة العلم بالقرآن والسُّنَّة والفقه في الدين. يقول صحيح البخاري إن أبا مُوسَى استُفْتِيَ في شيء مِن أحكام المواريث، فغلط، وخالفه ابنُ مسعود، فقال أبو موسى: "لَا تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ (يقصد: ابن مسعود) فِيكُمْ"[609]. ويقول صحيح مسلم إن ابن مسعود كان مع مجموعة مِن الصحابة فِي دَارِ أَبِي مُوسَى يَنْظُرُونَ فِي مُصْحَفٍ، فَقَامَ ابنُ مسعود (أي: راح؛ انصرف)، فَقَالُ صحابيٌّ: "مَا أَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ بَعْدَهُ أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْقَائِمِ (يقصد: ابن مسعود)"[610]. ويقول صحيح البخاري إن تابعياً سأل صحابياً "عَنْ رَجُلٍ قَرِيبِ السَّمْتِ (أي: الهيئة الحسنة) وَالْهَدْيِ (أي: الطريقة والسيرة) مِنْ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى نَأْخُذَ عَنْهُ (أي: نسمع ونتعلم منه العلمَ والحديث)"، فقال الصحابيُّ: "مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا (أي: شكلاً وشمائل) بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ"[611]. وفي سنن الترمذي: "وَلَقَدْ عَلِمَ الْمَحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ هُوَ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى"[612]. وتوجد روايات أخرى كثيرة تدل على ثناء الصحابة الكبار مثل عمر وعَلِيّ وغيرهما على عِلم ابن مسعود بالقرآن والسُّنَّة وفقهه في الدين. ولا داعي لذِكرها كلها، فكلها تؤدي إلى نفس النتيجة: كان ابنُ مسعود عالِماً، بل مِن أكثر الصحابة فهماً للقرآن وعلماً بقراءاته وتفسيره ورواية الحديث والفقه والفتوى. ولقد نقل ابنُ مسعود خبراته إلى أكابر الصحابة وأعلام التابعين، فانتشرت أقوالُه في أنحاء العالم العربي-الإسلامي. وطبعاً، ساعده على ذلك أن محمداً قال عنه: "مَا حَدَّثَكُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ"[613].

ولا يعلم كثيرٌ مِن المسلمين اليوم أنهم يقولون "التَّشَهُّدَ" في صلواتهم بنفس الصيغة التي قالها ابنُ مسعود والمعروفة باسم "تَشَهُّد ابْن مَسْعُود" والمذكورة في صحيحي البخاري ومسلم. وكالعادة، توجد صيغ كثيرة أخرى للتشهد مذكورة في كتب الأحاديث. قال د. محمد بكر إسماعيل: "للتشهد صيغ كثيرة، المشهور منها ثلاثة: (أ) تشهد ابن مسعود، قال: [....]. (ب) تشهد ابن عباس، قال: [....]. (ج) تشهد عمر بن الخطاب، قال: [....]. قال النووي: هذه الأحاديث في التشهد كلها صحيحة، وأشدها صحة باتفاق المحدثين، حديث ابن مسعود، ثم ابن عباس"[614].

وبالإضافة إلى عِلم ابن مسعود بالقرآن والسُّنَّة وفقهه في الإسلام، جاهد ابنُ مسعود في سبيل هذا الدين. فلقد كان ابنُ مسعود جندياً مقاتِلاً في الجيش الإسلامي في عهد محمد وأبي بكر وعمر.

وكان آخر منصب تولاه ابنُ مسعود هو القائم على بيت المال (يعني تقريباً: وزير المالية) في الكوفة. كتب الخليفةُ الثاني عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة: "إني قد بعثت إليكم عَمَّار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهُما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاسمعوا [لهما]. وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم، فاسمعوا [لهما] فتعلموا منهما واقتدوا بهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي"[615].

أما في عهد الخليفة الثالث "عثمان بن عفان"، تغيرت حياةُ ابن مسعود تماماً ...

فعلى الرغم مِن خبرة عبد الله بن مسعود الطويلة في شئون الدين والدنيا، أُستُبعِدَ ابنُ مسعود مِن اللجنة التي شَكَّلها الخليفة الثالث "عثمان بن عفان" لجَمْع القرآن وإنتاج المصحف! مع أن ابن مسعود كان قريباً جداً من محمد في مكة والمدينة، فكان ينبغي أن يكون هو رئيس تلك اللجنة. وليس مِن المبالغة أن نقول إن ابن مسعود كان وقتئذٍ أقرب الصحابة الأحياء إلى محمد، فكان يجب أن يكون ابنُ مسعود رئيسَ تلك اللجنة أو على الأقل عضواً فيها. إلا أن عثمان استبعده تماماً. وكل الأدلة تشير إلى أن ابن مسعود قد أُستُبعِدَ عمداً. وسنناقش هذه القضية الشائكة بقدر أكبر من التفصيل عند حديثنا عن تاريخ تطور نَص القرآن.

ولم يكتفِ الخليفة عثمان باستبعاد الصحابي الكبير ابن مسعود مِن تلك اللجنة، وإنما أمر بحَرْق مصحف ابن مسعود لأنه يخالف "مصحف عثمان" الذي أنتجته لجنة عثمان! ليس هذا فحسب، بل عزل عثمانُ ابنَ مسعود عن الكوفة –وتقول روايةٌ أخرى إن ابن مسعود هو الذي استقال من منصبه احتجاجاً على سياسات عثمان– ثم أَمَرَ عثمانُ ابنَ مسعود بالرجوع إلى المدينة. فحاول أنصارُ ابن مسعود في الكوفة أن يقيموه بينهم ويدافعوا عنه ضد عثمان، فقالوا لابن مسعود: "أَقِمْ معنا ولا تخرج، ونحن نمنعك (أي: نحميك مِن) أن يصل إليك شَيْءٌ تكرهه مِنه". إلا أن ابن مسعود رفض أن يكون سبباً في إشعال فتنة بين المسلمين، فامتثل لأوامر عثمان. قال ابنُ مسعود لأنصاره: "إنَّ له (أي: لعثمان) عليَّ حقَّ الطاعةِ، ولا أحبُّ أن أكونَ أولَ مَن فتحَ بابَ الفتنِ" أو قال: "إنَّ له عليَّ طاعة، وإنها ستكون أمورٌ وفِتَنٌ لا أحبُّ أن أكونَ أولَ مَن فتحها"[616].

وبعد تدمير ابن مسعود دينياً باستبعاده مِن لجنة جَمْع القرآن وإنتاج المصحف ثم إبعاد مصحفه عن أيادي المسلمين، واغتياله سياسياً بإبعاده عن أنصاره في الكوفة وإجباره على الرجوع إلى المدينة، عاش ابنُ مسعود في المدينة (شبه معتقل؟). وأراد عثمانُ أن يضر ابنَ مسعود مالياً أيضاً، فحجب عنه عطاءَه (أي: معاشه)؛ بينما تقول روايةٌ أخرى إن ابن مسعود هو الذي استغنى عن هذا المعاش!

ثم مرض ابنُ مسعود ومات بالمدينة في خلافة عثمان سنة 32هـ. وتقول روايةٌ إن ابن مسعود سامح عثمانَ على كل ما فعله به؛ بينما تقول رواية أخرى إن ابن مسعود أوصى ألا يصلي عليه عثمانُ، فمات ابنُ مسعود ودُفِنَ ليلاً ولم يعلم عثمانُ بوفاته إلا في اليوم التالي[617]. وبغض النظر عن الاختلافات بين هذه الروايات، فإن المحصلة النهائية هي أن الخليفة عثمان قد أخطأ خطأ كبيراً في حق هذا الصحابي الكبير الذي أكرمه محمدٌ وأبو بكر وعمر لكن أضره عثمانُ مالياً وسياسياً ودينياً ومعنوياً.

وهكذا مات ابنُ مسعود بينما ظل عثمانُ خليفةَ المسلمين حتى قُتِلَ بأيدي المسلمين سنة 35هـ. فكما قُتِلَ أبو الحكم (أبو جهل) على يد قومه الذين أسلموا (2هـ)، كذلك قُتِلَ عثمانُ على يد إخوته المسلمين (35هـ). ولقد صدق يسوع المسيح حين قال: "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (متى 52:26).

فكانت قرارات عثمان الخاطئة في شئون الدين والدنيا ثم مقتله وطمع بني أمية في الخلافة سبباً في اشتعال نار الفتنة الإسلامية-الإسلامية التي تجنبها ابنُ مسعود.

هذه هي الأجواء التي نشأ فيها القرآنُ وَوُلِدَ فيها أول مصحف! والعجيب هو أننا لا نجد الآن أي أثر تاريخي لهذا المصحف الذي أنتجته لجنة عثمان حسب ما يزعم التراث الإسلامي التقليدي! فهَل يُعقَل أن يكون هذا الكتاب المزعوم – الذي لا أثر تاريخي له – مِن عند الله الأزلي الأبدي؟! مستحيل.

نحن نطلب مِن كل مسلم أن يعطينا نسخة أصلية كاملة لـ "مصحف عثمان" المزعوم.

1.3.7 صحابة شعراء وأدباء

في حياة محمد، كان هناك عددٌ مِن الصحابة يجيدون القراءة والكتابة باللغة العربية[618]، مثل زيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ورافع بن مالك وشُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وغيرهم.

ليس هذا فحسب، بل كان هناك صحابة شعراء وأدباء.

وفي سياق حديثنا عن أصحاب القرآن وعن ثقافة المجتمع العربي الذي نشأ فيه هذا الكتاب العربي، يجب علينا أن نتحدث ولو قليلاً عن شعراء محمد وأدباء المدينة. فنحن نرى أن هؤلاء الصحابة المثقفين المبدعين قد لعبوا دوراً في إنتاج القرآن، وبخاصة القَصص القرآني.

أشهرهم ثلاثة: حسَّانُ بن ثابت وكعبُ بن مالِك وعبدُ الله بنُ رَوَاحَة. ونجد أسماءهم في تفاسير وأسباب "نزول" الآيات الأخيرة مِن سورة الشعراء التي تنتقد الشعراء وأسلوبهم الذي يقوم على المبالغات والخيالات والباطل والكذب والإفراط في الوصف والتزيين بغير الحق. فلقد ذكر السيوطي روايةً تقول: "لمَّا نزلت "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (أي: الضالون الزائغون). أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ (أي: الشعراء) فِي كُلِّ وَادٍ (أي: في كل فن مِن فنون الكلام مثل المدح والهجاء والفخر والرثاء ... الخ) يَهِيمُونَ [فلا يهتدون إلى الحق]. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ [بألسنتهم] مَا لَا يَفْعَلُونَ" (الشعراء 224-226)، جاء عبدُ الله بنُ رَوَاحَة وكعبُ بن مالِك وحسَّانُ بن ثابت، فقالوا: يا رسول الله، واللهِ لقد أنزلَ اللهُ هذه الآية وهُو يعلم أنَّا شعراء، هَلَكنَا. فأنزلَ اللهُ: "إِلَّا [الشعراء] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ (أي: مَرْجِع) يَنْقَلِبُونَ" (الشعراء 227). فدعاهُم رسولُ الله ﷺ فَتلاها عَلَيهِم"[619].

هكذا كانت الآيات القرآنية تُؤلَّف لإرضاء صحابة محمد وتلبية رغباتهم. عاوزين آية تستثني الشعراء المؤمنين مِن النقد المذكور في (الشعراء 224-226)؟ مافيش مشكلة. نعمل آية تستثني الشعراء المؤمنين مِن هذا النقد: "إِلَّا [الشعراء] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [...]" (الشعراء 227).

وبما أن هؤلاء الشعراء المؤمنون هُمْ أصحاب المصلحة في "إِلَّا [الشعراء] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [...]" (الشعراء 227)، فلن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن واحداً منهم هو الذي وضع هذه الآية في نهاية سورة الشعراء، أو على الأقل اشترك مع محمد و/أو غيره في صياغتها.

ثم تُكتَب القصةُ بعد ذلك في الكتب الإسلامية (التفاسير وأسباب "النزول" والأحاديث ... الخ) بطريقة تجعل "الله" هو الذي "أنزل" هذه الآيات القرآنية!

1.3.7.1 حسان بن ثابت: شاعر الأجيال وشاعر الحروب الأهلية!

كان الشاعر العربي "حسان بن ثابت"[620] الأنصاري مِن أشعر الشعراء المُخَضْرَمين وأشهرهم.

أدْركَ حسانُ الشعراءَ العرب الجاهليين الكبار مثل النابغة الذبياني والأعشى، وأنشدهما مِن شِعْرِه، وكلاهما قال له: إنك شاعر.

وقال عنه د. شوقي ضيف: "ونراه قُبَيْل الإسلام يتردد على بلاط الغساسنة، ويُقال إنه مدَّ رحلاته إلى بلاط النعمان بن المنذر"[621]. ومِن المعلوم أن الغساسنة (Ghassanids) كانوا عرب موالين للروم على مشارف الشام وأن المناذرة (اللخميين) (Lakhmids) كانوا عرب موالين للفرس على أطراف العراق. فنستطيع أن نستنتج أن الشاعر العربي حسان بن ثابت قد اطلع على ثقافات الروم والفرس، أي: اطلع على ثقافات النصارى (المسيحيين) والمجوس (الزرادشتيين). ونستطيع أن نقول بصفة عامة إن الشعراء العرب الذين كانوا يفدون على الغساسنة والمناذرة كانوا حلقة وصل قوية بين الحضارتين الرومانية والفارسية من ناحية وعرب شبه الجزيرة من ناحية أخرى. وكل هذا التواصل الثقافي حدث مِن قبل الإسلام.

إن هذا الشاعر العربي الذي اطلع على ثقافات العجم يستحق لقب "شاعر الأجيال". فلقد وُلِد في يثرب عام 563م، أي: قبل محمد بحوالي 7 أو 8 سنوات. وأسلم عند هجرة محمد إلى يثرب (المدينة)، فكان عمره وقتئذ حوالي 60 سنة. ومات سنة 40هـ أو قبلها في خلافة عليّ؛ وقيل: مات سنة 50هـ؛ وقيل: 54هـ. وقيل: 60هـ في آخر خلافة معاوية. وفي جميع الأحوال، فإنه كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهدي أبي بكر وعثمان. أي أنه عاش حوالي 100 سنة أو أكثر! قضى معظمها في نظم الشعر: فهو شاعر قبيلته "الخزرج" قبل إسلامه، وشاعر سيده "محمد" في الفترة المدنية، وشاعر بلده الأصلي "اليمن"[622] في الإسلام.

هذا مِن حيث الكم. أما مِن حيث الكيف، فإن حسان بن ثابت يستحق لقب "شاعر الحروب الأهلية" ...

قبل إسلامه، كان حسان بن ثابت شاعرَ قبيلته الخزرج التي كانت تتصارع ضد قبيلة الأوس مِن أجل السلطة والسيادة على يثرب، وبخاصة تتصارع على المناطق الخصبة في يثرب. هذا الصراع بين الخزرج

والأوس الذي وصل إلى درجة الحروب (الأيام)، ومِن أشهرها: يوم سُمَيْر، ويوم كعب بن عمرو، ويوم حاطب، ويوم بُعَاث، وأيام أخرى[623]. باختصار: كانت حياة الأوس والخزرج حياة حرب وقتال، وليست حياة زراعة أو تجارة. يقول د. جواد علي: "ويظهر من روايات أهل الأخبار عن يثرب أن الأوس والخزرج لم يكونوا كأهل مكة من حيث الميل إلى الهدوء والاستقرار، بل كانوا أميل من أهل مكة إلى حياة البداوة القائمة على الخصومة والتقاتل. [...] ويظهر من رواياتهم أيضاً أن الأوس والخزرج، وإنْ كانوا قد تحضروا واستقروا، غير أنهم لم يتمكنوا من التخلص من الروح الأعرابية تخلصاً تاماً، بل بقوا محافظين على أكثر سجاياها، ومنها النزعة إلى التخاصم والتقاتل، فألهتهم هذه النزعة عن الانصراف إلى غرس الأرض والاشتغال بالزراعة كما فعل اليهود، وعن الاشتغال بالتجارة بمقياس كبير على نحو ما فعل أهل مكة"[624].

ومِن المؤكد أن هذه الحروب الطويلة بين الأوس والخزرج قد أثرت على الثقافة العربية التي نشأ فيها الإسلامُ ووُلِدَ فيها القرآنُ (المدني بصفة خاصة). فإذا نظرنا إلى الشعر مثلاً، فسنجد أن الشعر العربي قد ازدهر في تلك الفترة، لا سيما شعر الفخر والهجاء والدفاع: كل قبيلة تفتخر بنفسها وتدافع عن نفسها وتهجو القبيلة الأخرى. و "كان للأوس والخزرج قصائد سميت بالمذهبات وهي لفحول شعرائها الذين دافعوا عن هاتين القبيلتين في الحروب التي استمرت بينهما إلى مدة طويلة"[625].

ويجب علينا هنا أن نلاحظ أن الإسلام نشأ في زمان ومكان متأثرين تأثراً كبيراً بالحروب، سواء لأسباب دينية أو سياسية أو قومية أو اقتصادية أو لأسباب أخرى. ويمكن أن نقسم هذه الحروب إلى قسمين:

- حروب داخلية مثل: الحرب الأهلية بين الأوس والخزرج قبل الهجرة، والحرب الأهلية بين المسلمين وكفار قريش بعد الهجرة، والحروب الأهلية (حروب الردة) بعد وفاة محمد.
- حروب خارجية مثل: الحرب العالمية بين الروم والفرس، ثم بعد ذلك الحرب بين المسلمين والروم والحرب بين المسلمين والفرس.

وكل هذه الحروب حدثت في الشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي، أي: في البيئة الحاضنة التي وُلِدَ فيها القرآن العربي، وفي المحيط التاريخي الذي نشأ فيه الإسلام. ومِن المؤكد أن هذه الحروب المستمرة قد أثرت على العرب/المسلمين فجعلتهم يميلون إلى العنف. بل مِن المؤكد أن هذه الحروب الشرق-أوسطية قد أثرت على الثقافة العربية-الإسلامية التي أنتجت الإرهاب الإسلامي الذي يعاني منه العالمُ اليوم.

وما يهمنا الآن هو الحرب الأهلية بين الأوس والخزرج قبل الهجرة: كان حسانُ بن ثابت لسانَ قبيلته الخزرج في هذه المعارك العربية-العربية سواء عاصرَتْه أو سَبَقَتْهُ. وتُعتبَر قصيدته "وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ"[626] مِن أشهر أشعاره التي قالها في سياق هذه الحرب الأهلية التي نشبت بين الخزرج والأوس قبل الهجرة:

وَيَثْـــرِبُ تَعْلَــمُ أَنَّــا بِهَــا
إِذَا التَبَـسَ الأَمْـرُ مِيزَانُـهَـا

وَيَثْـــرِبُ تَعْلَــمُ أَنَّــا بِهَــا
إِذَا قَحَـطَ الْقَطْـرُ نُوآنُـهَـا[627]

وَيَثْـــرِبُ تَعْلَــمُ أَنَّــا بِهَــا
إِذَا خافَتِ الأَوْسُ جِيرانُـها

وَيَثْـــرِبُ تَعْلَــمُ أَنَّ النَّبِيْتَ
عِنْـــدَ الْهَـزَاهِـــزِ ذُلَّانُـهَـــا[628]

مَتَى تَرَانَا الأَوْسُ فِي بَيْضِنَا
نَـهُزُّ الْقَنَــا تَخْـبُ نِيرَانُـهَـا[629]

وَتُعْطِ الْقِيَــادَ عَلَـى رَغْمِهَــا
وَيَنْزِلُ مِنَ الْهامِ عِصْيَانُهَا[630]

ونلاحظ أن هذا الشعر الجاهلي يشبه القرآن مِن حيث الشكل. اقرأ سورة الزلزلة مثلاً:

كلام حسان بن ثابت	كلام القرآن
إِذَا التَبَـسَ الأَمْـرُ مِيزَانُـهَـا	إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
إِذَا قَحَـطَ الْقَطْـرُ نُوآنُـهَـا	وَأَخْرَجَـتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَـا
إِذَا خافَتِ الأَوْسُ جِيرانُـها	وَقَــالَ الْإِنْسَــانُ مَــا لَهَــا
عِنْـــدَ الْهَـزَاهِـــزِ ذُلَّانُـهَـــا	يَوْمَئِـذٍ تُحَـدِّثُ أَخْبَـارَهَــا
نَـهُزُّ الْقَنَــا تَخْـبُ نِيرَانُـهَـا	بِـأَنَّ رَبَّــكَ أَوْحَـــى لَهَـــا

ولا يهم إنْ كان حسان بن ثابت شخصاً حقيقياً أم شخصية خيالية أم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال. ولا يهم إنْ كان قد قال هذه الأبيات (الآيات) فعلاً قبل إسلامه أم أنها وُضِعَت على لسانِه ونُسِبَت إليه في وقتٍ لاحق. فى جميع الأحوال، النتيجة واحدة: لدينا كلام بشري مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذي وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنتجت كلامَ حسان بن ثابت تستطيع بكل تأكيد أن تنتج القرآنَ.

ننتقل الآن إلى مرحلة أخرى من حياة حسان بن ثابت، وهي بعد أن اتبع محمداً ...

بعد إسلامه، تحول حسان بن ثابت مِن شاعر الحرب الأهلية بين الخزرج والأوس إلى شاعر الحرب الأهلية بين محمد وقريش! ومِن الطريف أن حسان بن ثابت لم يشهد مع محمد مشهداً قط! ربما بسبب كبر سنه. ويقال إنه "كان يَجْبُن"! وكالعادة، ينكر فريقٌ مِن شيوخ الإسلام أن حسان كان جباناً.

باختصار: بعد أن كان حسان بن ثابت شاعر الخزرج ضد الأوس، صار شاعر المسلمين ضد المشركين، بل شاعر محمد ضد أهله قريش. فكان حسان يناضل بالكلام ويجاهد بلسانه فقط، فتفرغ لقول الشعر وركز عليه تركيزاً كاملاً؛ ولعل هذا هو السبب في غزارة شعره الإسلامي.

ولقد قال حسانُ شعراً في الهجاء والمدح والرثاء والفخر، لكنه تميز بشعر الهجاء. فكان يهجو قريشاً قبيلة محمد! وكنا نتوقع أن يهجو حسانُ كفارَ قريش بسبب شركهم وعبادتهم للأوثان فقط. لكن للأسف، خاض حسانُ في أنسابهم وعيوبهم! يقول د. شوقي ضيف: "لم يكن [حسانُ] يهجو قريشاً بالكفر وعبادة الأوثان، إنما كان يهجوهم بالأيام التي هُزموا فيها ويعيّرهم بالمَثَالِب (أي: العيوب) والأنساب". ثم يحاول أن يبرر ما فعله حسانُ فيقول: "وهذا طبيعي لأنهم كانوا مشركين فعلاً، فلو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغاً"[631]! ونحن نرى أن هذا التبرير غير مقبول.

وكنا نتوقع أن يمنع محمدٌ حسانَ مِن هجاء قومه قريش، أو على الأقل يمنعه مِن أن يخوض في الأنساب والأعراض. لكن للأسف، كان محمدٌ يشجع حسانَ ويحثه على هجاء قريش قبيلة محمد! بل طلب محمدٌ مِن أبي بكر أن يساعد حسانَ بأن يشرح له أنساب قريش[632]! يعني: محمد القُرشيّ استعان بشاعر غير قُرشيّ ليهجو أهله قريش! [هل كان الأنبياء والرسل قبل محمد يفعلون ذلك؟!]

ولم يكتفِ محمدٌ بتشجيع حسانَ على هجاء قريش، وإنما كان يعامله معاملة ممتازة. فيُرْوَى أن محمداً كان حين يعود مِن غزواته يَقْسم لحسان في الغنائم (مع أن حسان لم يحارب مع محمد كما قلنا!)، وقد أهداه محمدٌ بستاناً، كما "أهداه" امرأةً! نعم، وهب محمدٌ لحسان "سيرين" القبطية أخت "مارية" القبطية، فصارت أُم ولده عبد الرحمن[633]! مع أن عمره وقتئذ تجاوز 65 سنة! [يعني: محمد – الذى ما زال مسلمو القرن الواحد والعشرين يعتبرونه قدوة ("لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" (الأحزاب 21)) – أعطى امرأةً كهدية إلى رجل مُسن عاشرها وأنجب منها!]

واستخدم حسانُ خبراته ومهاراته في الكلام لكي يهجو أنساب قريش بدون أن يتعرض لنسب محمد. يعني: طلّع حسانُ محمداً زي الشعرة مِن العجين، كما تقول كتب السُّنَّة:

- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ النَّبِيَّ ﷺ فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ. فَقَالَ [محمدٌ لحسان]: "كَيْفَ بِنَسَبِي؟ (أي: كيف تهجو قريشاً مع اجتماعي معهم في النسب؟)". فَقَالَ حَسَّانُ [لمحمد]: "لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنْ الْعَجِينِ (أي: لأخلصن نسبك مِن نسبهم بحيث يختص الهجاء بهم دونك)[634]!
- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ حَسَّانُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي [هِجَاءِ] أَبِي سُفْيَانَ (يقصد: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم محمد وأخوه مِن الرضاعة؛ وتقول المراجع الإسلامية إنه "كان يؤذي النبي ﷺ والمسلمين في ذلك الوقت")". قَالَ [محمدٌ لحسان]: "كَيْفَ بِقَرَابَتِي مِنْهُ؟ (أي: كيف

تهجوه مع اجتماعي معه في النسب، فهو ابن عمي؟)". قَالَ حَسَّانُ [لمحمد]: "وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنْ الْخَمِيرِ"[635]! فقال حسانُ شعراً عاير فيه أبا سفيان بأمه وجدته!

- عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ [لأصحابه]: "اهْجُوا قُرَيْشًا. فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ (أي: الرَّمْي بِهَا)". فَأَرْسَلَ [محمدٌ] إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: "اهْجُهُمْ". فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ. فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ. [فَهَجَاهُمْ كعبٌ فَلَمْ يُرْضِ.] ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: "قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ (يقصد: لسانه)". ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ (أي: أخرجه عن الشفتين!)، فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ [لمحمد]: "وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ (أيْ: لَأُمَزِّقَنَّ أَعْرَاضَهُمْ تَمْزِيقَ الْجِلْدِ)". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [لحسان]: "لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي". فَأَتَاهُ حَسَّانُ. ثُمَّ رَجَعَ. فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ لَخَّصَ لِي [أبو بكر] نَسَبَكَ. وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنْ الْعَجِينِ". قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ (أي: جبريل! حسب التراث الإسلامي[636]) لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ (أي: ما دمت تُدافِع؛ أو: بما دَافَعْتَ) عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ". وَقَالَتْ [عَائِشَةُ]: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "هَجَاهُمْ حَسَّانُ، فَشَفَى وَاشْتَفَى (أَيْ شَفَى الْمُؤْمِنِينَ، وَاشْتَفَى هُوَ بِمَا نَالَهُ مِنْ أَعْرَاضِ الْكُفَّارِ، وَمَزَّقَهَا، وَدَافَعَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ)"[637]!

وتعليقاً على هذا الحديث الأخير، أباح الإمام النووي أن يبدأ المسلمون بِالسَّبِّ وَالْهِجَاءِ في حالة "الضرورة"! "قَالَ الْعُلَمَاءُ: يَنْبَغِي أَنْ لَا يُبْدَأَ الْمُشْرِكُونَ بِالسَّبِّ وَالْهِجَاءِ مَخَافَةً مِنْ سَبِّهِمُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ"، وَلِتَنْزِيهِ أَلْسِنَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْفُحْشِ، إِلَّا أَنْ تَدْعُوَ إِلَى ذَلِكَ ضَرُورَةٌ لِابْتِدَائِهِمْ بِهِ، فيكف أَذَاهُمْ وَنَحْوَهُ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ"!

ونحن نرى أنه لا يهم مَن الذي بدأ بالهجاء: محمد أم قريش؟ فنحن نرفض الهجاءَ مِن كلا الطرفين. وحتى لو افترضنا أن كفار قريش هُمْ الذين بدأوا بهجاء المسلمين، فكنا نتمنى أن تكون أخلاق المسلمين أفضل مِن أخلاق المشركين، فلا يردوا عليهم. لكن للأسف، كانت حرباً أهلية بالسيف واللسان أيضاً. وكما هي الحال في أي حرب أهلية (أو حتى أي خناقة في أي شارع)، مِن العبث أن تسأل مَن الذي بدأ بالعنف. كل طرف سيُلقي باللوم على الطرف الآخر.

وللأسف، أقحم المسلمون "اللهَ" و "رُوحَ الْقُدُس (روح الله)" والمساجد (بيوت الله) في هذه الحرب الأهلية! فنعرف مِن كتب السُّنَّة أن محمداً كان يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه لينشد شعر الهجاء في المسجد! وأن محمداً كان يدعو اللهَ ويقول: "اللَّهُمَّ أَيِّدْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِت بِرُوحِ الْقُدُس"!

- سأل حَسَّانُ أبا هريرة: "أَنْشُدُكَ اللَّهَ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُس"؟" فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "نَعَمْ"[638]!

- قَالَ محمد لِحَسَّانَ: "اهْجُهُمْ - أَوْ قَالَ: هَاجِهِمْ - وَجِبْرِيلُ مَعَكَ (أي: يؤيدك وينصرك بالإلهام والمعونة والتذكير)"[639]! وتقول رواية أخرى في صحيح البخاري إن محمداً قال لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ قُرَيْظَةَ: "اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ"[640]!
- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ لِحَسَّانَ مِنْبَرًا فِي الْمَسْجِدِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ يَهْجُو مَنْ قَالَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَ حَسَّانَ مَا نَافَحَ (أي: ما دام يُدَافِعُ؛ أو: بما دَافَعَ) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ""[641]!
- وحتى بعد وفاة محمد، ظل حسان ينشد شعر الهجاء في المسجد! مَرَّ عُمَر بن الخطاب بِحَسَّانَ بن ثابت وَهُوَ يُنْشِدُ الشِّعْرَ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَحَظَ [عُمَرُ] إِلَيْهِ (أي: أومأ عُمَرُ إلى حسان أن يسكت؛ لأن عُمَر كان يكره إنشاد الشعر في المسجد). فَقَالَ [حسانُ لعمر]: "قَدْ كُنْتُ أُنْشِدُ [فِي الْمَسْجِدِ]، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ (يقصد: وَفِيهِ محمد)". ثُمَّ الْتَفَتَ [حسانُ] إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: "أَنْشُدُكَ اللَّهَ، أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ"؟" فَقَالَ [أَبُو هُرَيْرَةَ]: "اللَّهُمَّ، نَعَمْ"[642]!

ومِن المعروف في التراث الإسلامي أن "روح القدس (روح الله)" هو "جبريل" صاحب "الوحي" المزعوم. فماذا كان محمدٌ يقصد بهذا الدعاء "اللَّهُمَّ أَيِّدْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِت بِرُوحِ الْقُدُسِ"؟!

- هل كان جبريل هو الذي يُوحي لحسان بشعره؟! تقول روايةٌ إن "جبريل أعان حَسَّانَ بن ثابت على مدحه النبي ﷺ بسبعين بيتاً"[643]!
- أَم أن هذا الدعاء اعترافٌ ضمني مِن محمد (أو مِن رواة هذه الأحاديث) بأن بعض أشعار حَسَّان دخلت في القرآن؟ أو على الأقل: بعض أفكار حَسَّان وصلت إلى القرآن؟

وفي كلا الاحتمالين، النتيجة واحدة: لم يستغرب المسلمون الأوائل أن يتواصل جبريل – صاحب "الوحي" – مع واحد أو أكثر مِن صحابة محمد. بالعكس، كان المسلمون الأوائل يتفاخرون بذلك. أو كما قال عمر بن الخطاب مثلاً: "وافقنى ربى فى ثلاث". وهذا يؤكد مرة أخرى أن فكرة أن القرآن عمل جماعي اشترك فيه أكثر من شخص ليست فكرة غريبة على التراث الإسلامي.

وفيما يتعلق بحَسَّان بن ثابت، فإن السؤال الذي يهمنا هو: هل تسللت أفكار حَسَّان بن ثابت إلى القرآن؟

علينا أن نعترف بأن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة، إذ يجب علينا أن ندرس كل حالة على حدة (case-by-case)، وبخاصة أن شعر حسان الإسلامي كَثُرَ الوضع فيه، لأسباب نحسبها سياسية و/أو دينية. فيجب علينا أن نعرف أيهما أسبق: الشعر المنسوب إلى حسان أَم القرآن المنسوب إلى محمد؟

على سبيل المثال، فلنقرأ البيت التالي المنسوب إلى حسان[644]:

مُسْتَعْصمين بِحَبْلٍ غَير مُنجَذِمٍ (أي: غير منقطع) مُسْتَحكَمٍ مِن حِبالِ اللهِ مَمدودِ

إنه يذكرنا بقول القرآن: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ (أي: بالإسلام؛ أو: بالقرآن) جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" (آل عمران 103)؛ وتكملتها تشير إلى الحرب الأهلية التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الإسلام: "وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ [يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ] إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً [قَبْلَ الْإِسْلَامِ] فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا".

لكن قبل أن نتسرع ونقول إن القرآن قد تأثر بهذا الشعر أو اقتبس منه، علينا أولاً أن نتأكد أن حسان بن ثابت (أو غيره) قد قال هذا الشعر **قبل** (آل عمران 103). لكننا لم نجد في المراجع الإسلامية ما يدل على أن هذا الشعر قيل قبل (آل عمران 103)، وليس لدينا ترتيب زمني للشعر العربي، ولا ترتيب زمني لآيات القرآن. فَمِن المعلوم أن شيوخ الإسلام – كالعادة – لم يتفقوا على ترتيب زمني واحد لآيات القرآن، ولا حتى لسور القرآن[645]! ولذلك، فإننا سنترك الإجابة على هذا السؤال للأجيال القادمة مِن الباحثين. وسنكتفي هنا بأن نقول إنه مِن المحتمل أن بعض أفكار حَسَّان بن ثابت التي قالها في شعره قد تسللت إلى القرآن. وإن الثقافة العربية التي استطاعت أن تنتج هذا الشعر العربي تستطيع بكل تأكيد أن تنتج هذا القرآن العربي.

1.3.7.2 كعب بن مالك: أديب سورة التوبة

كان الشاعر المشهور "كعب بن مالك"[646] الأنصاريّ الخزرجيّ السَّلَميّ واحداً مِن "شعراء الرسول". إلا أنه لم يكن مجرد شاعر، وإنما كان أديباً. فلقد تميز "بالجمع بين النثر القوي غزير المادة والمعنى، والشعر الجيد السبك، فصيح اللفظ ومتين التركيب"[647].

وُلِدَ كعبٌ قبل الهجرة بحوالي 25 سنة. ومات في خلافة معاوية. وقيل: مات أيام مقتل عليّ. وفي جميع الأحوال، فإنه كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهدي أبي بكر وعثمان.

أسلم كعبٌ في ريعان شبابه. وهو مِن أوائل الأنصار المسلمين. فلقد شهِد بيعة الحرب (بيعة العقبة الثانية) مع الأنصار السبعين الذين بايعوا محمداً عند مشارف مكة على الإسلام والإيواء والنُّصْرة، لكنه تَخَلَّفَ عن يوم بدر (2هـ) مع عدد مِن الصحابة الذين لم يتوقعوا أن يحدث فيه قتالٌ. ثم شهد أُحُداً (3هـ) وما بعدها، وشارك فيهم بسيفه ولسانه. إلا أنه تَخَلَّفَ عن غزوة تبوك (رجب 9هـ؛ حالياً: في شمال السعودية، بين المدينة والشام) وهي آخر غزوة غزاها محمدٌ ضد الروم وحلفائهم مِن نصارى العرب بالشام.

ولقد روى الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما حديث الصحابي كعب بن مالك[648] وقد تحدث فيه بنفسه عن تخلفه عن غزوة تبوك بلغة صريحة وأسلوب واضح قصصي جميل. وهو حديث ممتع وشيق ويمتلئ بمشاعر إنسانية كثيرة: تردد وحزن وفرح وغضب ورضا وقلق ونفاق وكذب وصدق واختبار ولوم وتأنيب ضمير وخصام ومصالحة ... الخ. كدت أبكي حين قرأته أول مرة. فإنه تحفة أدبية رائعة، لدرجة أن مراجع إسلامية كثيرة تنقله حرفياً كما هو، ربما مع بعض التعديلات الطفيفة لتوضيح بعض الكلمات الصعبة. لكنه حديث طويل، فسنكتفي بِذِكر ما يهمنا فقط حرصاً على عدم الإطالة.

قال كَعْبٌ: [...] وَكَانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ (يقصد أنه تخلف بدون عذر مقبول)، [...] تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا (أي: برية طويلة قليلة الماء، يخاف فيها الهلاك) وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ (أي: كشف محمدٌ للمسلمين صعوبة غزوة تبوك) لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ (أي: ليستعدوا جيداً بكل ما يحتاجون إليه في السفر والحرب)، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ. [...]

ثم يقارن كَعْبٌ بين صعوبة غزوة تبوك في الصحراء والحياة السهلة في المدينة. ويريد مِن ذلك أن يعترف بفداحة ذنبه حين ظل في المدينة وترك إخوته المسلمين يجاهِدون في الصحراء: وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتْ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ (أي: نضجت الثمار في المدينة ولذ للنفوس أكلها، وكثرت الظلال بتورق الأشجار ورغبت النفوس أن تتفيأ فيها). فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ (أي: أمْيَل). وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، إِذَا أَرَدْتُ (أي: يعترف ضمنياً بأن لديه القدرة لكن ليس لديه الإرادة). فَلَمْ يَزَلْ [هذا التردد] يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ (أي: بلغوا غاية اجتهادهم في التجهيز للخروج). فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي (أي: ما أحتاجه في السفر والحرب) شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ. فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا (أي: خرجوا مِن المدينة وفارقوها) لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ (أي: تقدَّم الغزاةُ وسبقوا وفاتوا)، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ. فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ. ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي (أي: لكني لم أفعل).

ثم يعبر كَعْبٌ عن حزنه لَمَّا خرج من بيته فوجد مَن تخلف معه عن الغزو إما منافقاً أو ضعيفاً له عذر: فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَطُفْتُ فِيهِمْ، يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ (أي: متهماً بالنفاق؛ مطعوناً في دينه) أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنْ الضُّعَفَاءِ. وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: "مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟" (أي: لماذا تَخَلَّفَ؟) فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ (مثنى برد وهو الكساء) وَنَظَرُهُ فِي عِطْفَيْهِ (مثنى عطف وهو الجانب) (أي: منعه مِن الخروج إعجابه بنفسه ولباسه) [قال ذلك على سبيل السخرية]. [...]

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ (أي: أن محمد) تَوَجَّهَ قَافِلًا (أي: راجعاً إلى المدينة)، حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ [...] فَلَمَّا قِيلَ لِي إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا (أي: أقبل ودنا قدومه إلى المدينة كأنه ألقى عليَّ ظلَّه)، زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ (أي: زال عني التفكير في الكذب والتماس الأعذار الباطلة)، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ (أي: لَنْ أنجو) مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ (أي: عزمت على أن أقول لمحمد الصدقَ واعترف له بذنبي أنني تخلفت عن الغزو بدون عذر مقبول).

ثم يكمل كَعْبٌ كلامه: وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ. فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ، جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ (أي: الذين تخلفوا عن غزوة تبوك)، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا. فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ

سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ. فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَ". فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: "مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ (أي: اشتريت ما تسافر به)؟" فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا (أي: فصاحة وقوة حجة وحُسْن بيان؛ يقصد أنه يستطيع - لو أراد - أن ينجو مِن هذا الموقف المحرج ببراعته في الكلام)، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ (أي: ليسرعن) اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ (أي: تغضب) عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ (وفي رواية مسلم: إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ (أي: أن يعقبني اللهُ خيراً، وأن يثيبني عليه)). لَا وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ". فَقُمْتُ.

ثم يتحدث كعبٌ عن لوم بعض الناس له لأن اعترف لمحمد بكل صِدق أنه تغيب عن غزوة تبوك بلا عذر: [...] فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي (أي: يلومونني أشد اللوم على صِدقي) حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي. ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ. فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ. فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ (أي: قدوة) فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي. [ملحوظة: الثلاثة مِن الصحابة الأنصار.]

ثم ينتقل كعبٌ إلى معاناته النفسية بعد أن قاطعه المجتمعُ الإسلامي كله! قال كعبٌ: وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ (يقصد: هو ومُرَارَة بْن الرَّبِيع وَهِلَال بْن أُمَيَّة) مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا (أي: اختلفت أخلاقهم معنا عما كانت عليه مِن قبل مِن الود والألفة)، حَتَّى تَنَكَّرَتْ (أي: تغيرت) فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ. فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً. فَأَمَّا صَاحِبَايَ (يقصد: مُرَارَة بْن الرَّبِيع وَهِلَال بْن أُمَيَّة) فَاسْتَكَانَا (أي: ذلا وخضعا واستسلما وأصابهما السكون) وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ. وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ (أي: أصغرهم سناً وأقواهم)، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ (أي: أنظر إليه خلسة)، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي. حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ (أي: صعدت على سور بستان أَبِي قَتَادَةَ)، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ (أي: أسألك بالله) هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ (أي: انهال دمعهما بالبكاء) [...].

اختبار صعب وسط معاناة صعبة. قَالَ كعبٌ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ (وفي روايات أخرى: نصراني) مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ (أي: مِن الأنباط؛ والمقصود: فلاحٌ مِن فلاحي العجم) مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ[649]، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ

(أي: أعطاني) كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ[650]. وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَقَرَأْتُهُ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ (أي: بلغني يا كعب أن محمد قد قاطعك وأعرض عنك)، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ (يقصد: ينبغي ألا يضيع حقك وألا تعيش في هذا الذل والصغار)، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ (أي: نشاركك فيما عندنا؛ مِن المواساة وهي التسلية عن المصيبة). فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنْ الْبَلَاءِ (أي: الاختبار). فَتَيَمَّمْتُ (أي: قصدت) بِهَا التَّنُّورَ، فَسَجَرْتُهُ بِهَا (أي: أوقدته بها) (والمقصود هو أن كعب أحرق رسالة مَلِك غَسَّان ولم يترك المدينة).

ثم يعود كعبٌ إلى عذابه النفسي بسبب مقاطعة المجتمع الإسلامي له. حتى امرأته حُكِمَ عليه ألا يقترب منها! قال كعبٌ: حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنْ الْخَمْسِينَ، وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ (أي: أبطأ الْوَحْيُ)، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ. فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ اعْتَزِلْهَا (أي: لا تجامعها) وَلَا تَقْرَبْهَا. وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ (يقصد: مُرَارَة بْن الرَّبِيع وَهِلَال بْن أُمَيَّة) مِثْلَ ذَلِكَ. فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

امرأة هلال بن أمية تستعطف محمداً، والناس يقترحون على كعب أن تفعل امرأته مثلها. قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ (أي: قاصر عن القيام بشؤون نفسه) لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ [محمدٌ]: "لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ". قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. [ثم قال كعبٌ]: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ، كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟

أخيراً، حل المشكلة! قال كعبٌ: فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [المسلمين] عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ [...] بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ. فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ (أي: أعلم) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، [...]. وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ [...] حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، [...]، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنْ السُّرُورِ: "أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ". قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ [محمدٌ]: "لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ". [...] فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيت. قَالَ [كعبٌ لِمَن يجلس حوله]: [...] وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كِذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا. وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ [صادقاً] فِيمَا بَقِيَ.

ثم ينتهي حديثُ كعب بالآيات القرآنية الثلاث التي تذكر توبة الله عليه وتدعو المسلمين أن يكونوا صادقين مثله: "لَقَدْ تَابَ (أي: عفا وأصفح) اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ [في إذنه لبعض المنافقين بالتخلف عن الغزو[651]]

وَ [تَابَ اللَّهُ عَلَى] الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ (أي: وقت الشدة في غزوة تبوك) مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ (أي: مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ بعضُهم يميل إلى القعود وعدم الخروج إلى الغزو) ثُمَّ تَابَ [اللهُ] عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَ [تَابَ اللَّهُ عَلَى] عَلَى الثَّلَاثَةِ (هُمْ: كعب بن مالِك ومُرَارَة بْن الرَّبِيع وَهِلَال بْن أُمَيَّة) الَّذِينَ خُلِّفُوا (أي: أُخِّروا؛ أُرْجِئُوا[652]) حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ (أي: مع أنها متسعة) وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ (أي: اشتد كربهم وحزنهم) وَظَنُّوا (أي: أيقنوا) أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ (أي: لا مفر مِن عذاب الله إلا بالإنابة إليه واستغفاره) ثُمَّ تَابَ [اللهُ] عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" (التوبة 117-119).

تعليقنا: إذا افترضنا أن البخاري ومسلم وغيرهما قد نقلوا إلينا حديثَ كعب بن مالك بدون إدخال تعديلات كبيرة على البناء الأدبي لهذه التجربة الإنسانية الرائعة، فإن هذا الأديب المبدع الذي استطاع أن ينتج هذا الحديث الطويل (أكثر من 1500 كلمة) في جلسة يستطيع بكل تأكيد أن ينتج ثلاث آيات قرآنية (التوبة 117-119) (أقل مِن 70 كلمة فقط) في 50 يوماً. ولِم لا؟ أليس هو صاحب المصلحة في حل مشكلته التي جعلت المسلمين يقاطعونه ومنعته مِن أن يلمس امرأته؟

وليس بالضرورة أن يكون كعب بن مالك هو الذي أبدع (التوبة 117-119) وحده (single-handedly)، فيكفيه أن يكون قد اشترك مع محمد و/أو غيره في تأليف هذه الآيات القرآنية الثلاث. فَمِن المحتمل مثلاً أن يكون محمد هو الذي ألَّف (التوبة 117-119) بعد أن أوحى كعبٌ له بالفكرة وقال له: "إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ". عاوز آيات فيها عفو الله؟ مافيش مشكلة. نعمل آيات فيها عفو الله: "لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ [...]. وَعَلَى الثَّلَاثَةِ [...]" (التوبة 117-118). وفي رواية مسلم، قال كعبٌ لمحمد: "إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ (أي: أن يعقبني اللهُ خيراً، وأن يثيبني عليه)". وهو ما قاله القرآنُ بعد ذلك حين أثنى على صدق كعب: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" (التوبة 119). ولا نتصور أن يقول كعبٌ هذه الجمل بكل هذه الثقة إلا إذا كان هذا أمراً عادياً وحدث قبل ذلك كثيراً: تحدث المشكلة، فيقترح صحابيٌّ الحل، ثم يقول محمدٌ (و/أو غيره) آيات قرآنية توافِق الحل الذي أراده الصحابيُّ.

باختصار: الأفكار كلها كانت في ذهن كعب بن مالك وقالها لمحمد بكل صدق وصراحة ووضوح، ولم يتبق إلا صياغتها في صورة آيات قرآنية.

مما سبق يتضح أن القرآن كلام مجموعة مِن البشر، وليس كلام الله.

لكن كالعادة، تُكتَب القصةُ بعد ذلك في الكتب الإسلامية (البخاري ومسلم وغيرهما) بطريقة تجعل "الله" هو الذي "أنزل" هذه الآيات القرآنية. مثلاً في هذه القصة، يقول كعبٌ لمحمد: "أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟"، فيرد محمدٌ عليه: "لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ"! وبهذه الطريقة جعلوا المسلمَ يصدق أن "الله" هو الذي "أنزل" القرآن!

ولم يكن كعب بن مالك وصاحباه مُرَارَة بْن الرَّبِيع وَ هِلَال بْن أُمَيَّة هُمْ فقط المسلمون الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كسلاً لا نفاقاً. فلقد كان هناك مسلمون آخرون غير منافقين تخلفوا عن نفس الغزوة بلا عذر. أشهرهم صحابي كنيته "أبو لُبَابَة" ومعه اثنان آخرون. وقيل: ثلاثة آخرون. وقيل: أكثر مِن ذلك.

وإذا كان كعب ورفاقه حلوا مشكلتهم بطلب عفو الله، فإن أبا لبابة ورفاقه لجأوا إلى فكرة أخرى. أقروا بخطئهم وندموا على تخلفهم وقالوا: "واللهِ لنُوثِقنَّ أنفُسَنا بالسَّواري، فلا نُطلِقُها حتى يكونَ الرسولُ هو يُطلِقها ويعذرنا"[653]! وبالفعل، أوثقوا أنفسهم بسَوَاري المسجد! وانتظروا رجوع محمد مِن غزوته. فلما رجع محمدٌ مِن غزوته، جاء القرآنُ مؤيداً لفكرة إطلاقهم: "وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا (هو: جهادهم قبل ذلك؛ توبتهم) وَآخَرَ سَيِّئًا (هو: تخلفهم عن الغزو) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (التوبة 102)! فأطلَقَهم محمدٌ وعذَّرَهُم. فجاءوا بأموالهم وقالوا لمحمد: "هذه أموالُنا التي خلفتنا عنك، فتصدَّقْ بها عنَّا وطَهِّرنا واستَغفِرْ لنا". فقال محمدٌ: "ما أُمرتُ أن آخذ مِن أموالِكم شيئاً". فجاء القرآنُ مؤيداً لفكرتيّ أن يأخذ محمدٌ مِن أموالِهم ليتصدق بها فيطهرهم وأن يستغفر لهم: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ (أي: اُدْعُ لَهُمْ بالمغفرة) إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (التوبة 103)!

إنه إذن نفس النمط (pattern) يتكرر: تحدث المشكلة، فيقترح صحابيٌّ الحل، وفي كثير من الأحيان يكون هذا الحل المقترح مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي و/أو التراث المسيحي الشرقي[654]؛ ثم يقول محمدٌ (و/أو غيره) قرآناً يوافِق الحل الذي أراده الصحابيُّ. ثم تُكتَب القصةُ بعد ذلك في الكتب الإسلامية بطريقة تجعل "الله" هو الذي "أنزل" هذا القرآن.

سؤال لكل مسلم عاقل: هل يُعقَل أن هذا القرآن (التوبة 102-103) و (التوبة 117-119) مكتوب في "اللوح المحفوظ" منذ الأزل؟! يعني: هل الله منذ الأزل شايل عنده لوح مكتوب فيه حل مشكلة أبي لبابة وحل مشكلة كعب بن مالك؟! هل ظل اللهُ منتظراً منذ الأزل أن يقول أبو لبابة أفكاره حتى ينزل (التوبة 102-103) وأن يقول كعب بن مالك ما يريد حتى ينزل (التوبة 117-119)؟!

إن الأقرب إلى العقل هو أن هذه الآيات القرآنية (التوبة 102-103) و (التوبة 117-119) هي مِن كلام البشر الذين عاشوا هذه التجربة الإنسانية بحلوها ومرها، فسجلوا تجربتهم في كتاب – هو: القرآن. ثم زعموا – هُمْ أو مَن جاءوا بعدهم – أن هذا الكتاب كلام الله. وهذا لا يعني بالضرورة أنهم كذبوا أو أن نواياهم كانت سيئة. ربما شعروا فعلاً أن الله كان معهم في تجربتهم، فَلمَّا سيطر هذا الإحساس عليهم، زعموا أن القرآن كلام الله.

أما الآن وقد أتيحت لنا الفرصة أخيراً لكي ندرس هذه التجربة الإنسانية في سياقها الثقافي (cultural context)، فإن كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن القرآن كلام بشر.

1.3.7.3 عبد الله بن رَوَاحَة: هل قال شِعراً أم قرآناً؟

إنه الكاتِب والشاعر المُلْهَم "عبد الله بن رَوَاحَة"[655] الأنصاري الخزرجي. كان مِن الأنصار السابقين إلى الإسلام. فلقد حضر بيعة العقبة الثانية (بيعة الحرب) مع السبعين مِن الأوس والخزرج، وكان يومئذ نقيباً من الاثنى عشر الذين وضعوا أيديهم في يد محمد عند مشارف مكة. وقَالَ ابْنُ رَوَاحَة يومها لمحمد: "اشْتَرِطْ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ". فقَالَ محمدٌ: "أَشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ (أي: تدافعون عني كما تدافعون عن أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ)". فقَالُوا: "فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَمَا لَنَا؟" فقَالَ محمدٌ: "الْجَنَّةُ". فقَالُوا: "رَبِحَ الْبَيْعُ، لَا نُقِيلُ وَلَا نَسْتَقِيلُ (أي: لا نرجع في هذا البيع، ولا نطلب منه أن يرجع فيه)".

ونلاحظ هنا الكلمات والأفكار المتأثرة بالثقافة العربية التي تقوم على التجارة، شيء مقابل شيء: "أنفسهم وأموالهم" مقابل "الجنة"، "رَبِحَ الْبَيْعُ"، اتفاق (عهد) لا رجعة فيه ... الخ. وكأنه عقد أو صفقة بين بائع ومشتري. فالمشتري هو: الله! والبائع هُمْ: أنصار محمد المؤمنون به. والسلعة/الخدمة هي: الجهاد بِأَنْفُسِهُمْ وَأَمْوَالِهُمْ. والثمن هو: الجنة[656]. ومجلس العقد هو: ساحات القتال. والبائع سيربح لأن المشتري مضمون، فلا أحد أوفى بوعده مِن الله! والثمن غالي، فالجنة باقية بينما الأنفس والأموال فانية.

صفقة فعلاً مغرية! ... إنْ كانت صحيحة.

فأراد أصحابُ القرآن أن يوثقوا هذا العقد (contract)، فاستخدموا تقريباً نفس الكلمات والأفكار "التجارية" التي قالها محمدٌ وابنُ رَوَاحَة والأنصار: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ (أي: ولا أحد) أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ [البيع] هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (التوبة 111).

وكالعادة، تُكتَب القصةُ بعد ذلك في الكتب الإسلامية بطريقة تجعل اللهَ هو الذي "أنزل" هذه الآية القرآنية[657]! مع أنه مجرد حوار بين مجموعة مِن العرب المؤمنين بمحمد يتفقون على حرب مجموعة أخرى مِن العرب غير المؤمنين به، ولذلك سميت "بيعة الحرب". فما علاقة الله بهذه الحرب العربية-العربية؟!

إنها إذن صفقة وهمية، لأنها تعتمد على وعد بَشري مِن محمد الذي لا يضمن الجنةَ لنفسه، فكيف يضمنها لأتباعه؟! قال محمدٌ لأصحابه: "مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ (أي: عمله وحده لا يجعله مستحقاً للجنة وموجباً لها)". فقالوا لمحمد: "وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ". فَقَالَ محمدٌ: "وَلَا أَنَا. إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ (أي: يغمرني ويسترني) اللَّهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ". أو قال: "وَلَا أَنَا. إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ"[658]. بل يُقال إن عبد الله بن رواحة نفسه بكى لَمَّا تذكر الآية "وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا (أي: مَا مِنْكُمْ أَحَد إِلَّا دَاخِل جَهَنَّم)" (مريم 71)[659]. ولَمَّا سُئِلَ عن سبب بكائه، قال: "إِنِّي نُبِّئْتُ أَنِّي وَارِدُهَا (أي: داخلها)، وَلَمْ أُنَبَّأْ أَنِّي صَادِرُهَا (أي: خارج منها)"[660]. أو قال: "إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي وَارِدٌ النَّارَ، فَمَا أَدْرِي أَنَاجٍ مِنْهَا أَنَا أَمْ لَا (أو: فلا أَدْري أَننجو مِنْهَا أَمْ لَا)؟"[661].

إنها صفقة بشرية لا علاقة لها بالله المَلِك الذي يملك كل شيء، فلا يحتاج أن "يشتري" شيئاً. الله القدوس لا يمكن أن يحرض على القتل وسفك الدماء.

والعجيب هو أن أصحاب القرآن زعموا أن هذا "البيع" مذكور "فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ" (التوبة 111)!

ونحن نقول للمسلمين: اعطونا مخطوطة واحدة للتوراة ومخطوطة واحدة للإنجيل تذكران هذا "البيع" المزعوم. إنْ لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فليس أمامكم سوى الاعتراف بأنها مجرد صفقة قرآنية بشرية لا علاقة لها بالله. وإنما لها علاقة بمحمد الذي استقوى بقبيلتي الأوس والخزرج على قبيلته قريش.

بعد هجرة محمد إلى يثرب (المدينة)، دخلت بيعة الحرب حيز التنفيذ. فاشترك ابنُ رَوَاحَة الخزرجي وغيره مِن الأنصار مع محمد القرشي في حربه الأهلية ضد قومه قريش! وكان محمدٌ يشجع ابنَ رَوَاحَة وغيره مِن "المجاهدين" الشعراء، ويقول لهم: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ"[662]!

فجاهد ابنُ رَوَاحَة بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ وكل مهاراته وخبراته: فكان يَكْتُب لمحمد، وشَهِدَ معه الغزوات المهمة مثل بَدْر (2هـ) وأُحُد (3هـ) والخندق (5هـ). ثم بعثه محمدٌ في ثلاثين راكباً إلى "أُسَيْر بن رزام" اليهودي فقتله (شوال 6هـ)! كما شَهِدَ ابنُ رواحة الحُدَيْبِيَة (ذي القعدة 6هـ)، ثم دخل مكة مع محمد والمسلمين مُعْتَمِرين في عُمْرَة القَضَاء (7هـ). ويُقال إن ابن رواحة كان أول مَن يخرج إلى الغزو وآخر مَن يرجع! وكان شِعره ملازماً لسيفه في هذه الغزوات؛ ومعظم ما وصل إلينا مِن شعره الإسلامي يغلب عليه طابع الرجز. وتقول أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم إنه حينما كان محمد والمسلمون يحفرون الخندق وينقلون التراب كان محمد نفسه يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ عبد الله بن رواحة "اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا [...]"[663]!

قُتِل ابنُ رَوَاحَة يوم مؤتة (8هـ، في الأردن حالياً) وهو يغزو أراضي الروم وحلفائهم العرب. وتحاول المراجع الإسلامية أن تبرر هذه الغزوة الهجومية، فتقول إن واحداً مِن حلفاء الروم قَتَلَ رسولَ محمد إليهم، فأراد المسلمون أن ينتقموا لمقتله! ويُقال إن الغازي عبد الله بن رواحة هو الذي حثَّ المسلمين الغزاة على قتال الروم على الرغم مِن قلة عدد المسلمين بالنسبة لعدد الروم: 3 آلاف مسلم فقط مقابل 200 ألف مِن الروم وحلفائهم! يكاد يكون شبه انتحار! كل هذا العنف مِن أجل الانتقام لشخصٍ واحد؟!

فانتهت هذه الغزوة الهجومية الانتقامية المتهورة بهزيمة المسلمين الغزاة أسوأ هزيمة، ومقتل أمرائهم الثلاثة وآخرهم عبد الله بن رواحة، ثم انسحاب الجيش الإسلامي الغازي.

وهكذا، هلك عبدُ الله بن رواحة قبل جَمْع القرآن في عهدي أبي بكر وعثمان.

سؤالان يتبادران إلى الذهن: هل هذا الغازي الذي ألقى بنفسه إلى الموت سيدخل الجنة التي وعده محمدٌ بها يوم بيعة الحرب؟! وهل تُعتبَر نكسة مؤتة (8هـ) هي أول عملية انتحارية في تاريخ الإسلام؟

ونختم كلامنا عن عبد الله بن رواحة بقصص طريفة حدثت له مع نسائه ...

1.3.7.3.1 قصص عبد الله بن رَوَاحَة مع نسائه

القصة الأولى تُذكر عادةً في تفاسير وأسباب نزول "وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ" (البقرة 221)[664]. تقول القصة: كَانَتْ لعَبْد اللَّه بْن رَوَاحَة أَمَةٌ سَوْدَاءُ، وإنه غَضِبَ عَلَيْهَا فَلَطَمَهَا. ثُمَّ فَزِعَ، فذهب إلى محمد فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرهَا. فَقَالَ لَهُ محمدٌ: "مَا هِيَ يَا عَبْد اللَّه؟". فقَالَ ابنُ رواحة لمحمد: "هِيَ تَصُوم وَتُصَلِّي وَتُحْسِن الْوُضُوء، وَتَشْهَد أَنْ لَا إلَه إلَّا اللَّه، وَأَنَّك رَسُول اللَّه". فَقَالَ محمدٌ: "هَذِهِ مُؤْمِنَة". فَقَالَ ابنُ رواحة: "لَأُعْتِقَنَّهَا وَلَأَتَزَوَّجَنَّهَا"! فَفَعَلَ (أي: تزوجها فعلاً). فَطَعَنَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وقَالُوا: "تَزَوَّجَ أَمَةً"، وَكَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ ويُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ رَغْبَةً فِي أَحْسَابهمْ.

ثم تنتهي القصة بأن القرآن أيَّد ابنَ رواحة فيما فعله: "وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ [المشركة لِجَمَالِهَا أو مَالهَا أو نسبها أو غير ذلك]" (البقرة 221).

إذا صحت هذه القصة، فنحن نرى أنه مِن المحتمل أن يكون ابن رواحة قد اشترك مع محمد في تأليف "وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ" (البقرة 221). وكالعادة، تُكتَب القصةُ بعد ذلك في الكتب الإسلامية بطريقة تجعل "اللهَ" هو الذي "أنزل" هذا القرآن! مع أنها مجرد مشكلة شخصية. فلا يُعقَل أن الله ظل منتظراً منذ الأزل حتى تحدث هذه المشكلة الشخصية، فينزل لها هذا الحل البسيط الذي اهتدى ابنُ رواحة إليه بدون وحي ولا غيره!

ننتقل الآن إلى قصة أخرى أكثر طرافة. فلقد عُرف ابنُ رَوَاحَة بسرعته وجرأته في نظم الشعر، فاشتهر بأنه كان ينظم الشعر ارتجالاً في إطناب وانسياب من غير تكلف. ومما يدل على ذلك قصة مذكورة في الاستيعاب وسير أعلام النبلاء ومراجع أخرى[665]: كانت لِعبد الله بن رَوَاحَة جارية يستسِرُّها عن أهله (أي: يجامع أَمَتَه). فبصُرتْ به زوجتُه يوماً قد خلا بهذه الأَمَة ووقع عليها. فلامَتْه زوجتُه وقالت له: لقد اخترتَ أمتَك على حُرَّتك؟ فجاحَدها ذلك (أي: أنكر ذلك). فقالت زوجتُه له: إنْ كنت صادقاً، فاقرأ القرآن، فإن الجُنُب لا يقرأ القرآن. فقال ابنُ رواحة:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ الله حَقٌ — وأَنّ النَّارَ مَثْوى الكَافِرينَا
وأَنَّ العَرْشَ فَوْقَ الماءِ طافٍ — وفَوْقَ العَرْشِ ربُّ العَالَمِينا
وتَحْمِلُهُ مَلائِكَةٌ كِرامٌ — مَلائِكَةُ الإلهِ مُقَرَّبينَا

فصدَّقت زوجةُ ابن رواحة أن هذه الأبيات مِن القرآن فعلاً! وقالت: صدق اللهُ وكذبَتْ عيني! وفي رواية أخرى أنها قالت: آمنتُ بالله، وكذَّبتُ البصرَ!

ولقد حاول بعض المسلمين تبرير عدم قدرة زوجة ابن رواحة على التمييز بين هذه الأبيات والقرآن، فزعموا أنها كانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه!

تعليقنا: نحن بصراحة لا نصدق أن زوجة صحابي كانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه! فكيف كانت تصلي إذا لم تكن تحفظ قرآناً؟! وعلى الأقل، كانت بالتأكيد تسمع القرآن. فكيف لا تستطيع أن تميز بين الشعر والقرآن؟ نرى أن السبب هو أن هذا الشعر يشبه القرآن فعلاً.

ولا يهم إنْ كان عبد الله بن رواحة شخصاً حقيقياً أم شخصية خيالية أم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال. ولا يهم إنْ كان قد قال هذه الأبيات (الآيات) فعلاً في حياته (ت 8هـ) أم أنها وُضِعَت على لسانِه ونُسِبَت إليه في وقتٍ لاحق. فى جميع الأحوال، النتيجة واحدة: لدينا كلام بشري مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذي وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنتجت هذا الشِعر المنسوب لعبد الله بن رواحة تستطيع بكل تأكيد أن تنتج القرآنَ.

1.3.8 صحابة تعلموا اللغات الأجنبية أو اتصلوا بالأمم الأخرى

بالإضافة إلى الصحابة الذين أجادوا القراءة والكتابة باللغة العربية والصحابة الشعراء والأدباء، كان هناك عددٌ مِن الصحابة الذين تعلموا اللغات الأجنبية أو اتصلوا بالأمم الأخرى في حياة محمد.

يقول مرجع إسلامى شهير أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية "إن صاحب الدعوة (أي: محمد) (ﷺ) أرسل رسلَه يحملون رسائله وكتبه إلى كل رؤساء القبائل وملوك الأمم والشعوب، وقد بدأت هذه الطريقة بعد وقوع صلح الحديبية، وكل حامل رسالة أو كتاب إلى رئيس أو ملك كان على علم بلغة من هم المبعوث إليهم. فقد أرسل النبى (ﷺ) إلى هرقل دحية بن خليفة الكلبى. وأرسل إلى المقوقس عظيم القبط بمصر حاطب بن أبى بلتعة. وأرسل إلى كسرى عبد الله بن حذافة السهمى. وأرسل إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى شجاع بن وهب الأسدى. وكان هؤلاء الرسل عالمين بلغات من أرسلوا إليهم. كما كان (ﷺ) يحتفظ بمترجمين يترجمون له ما يرد من رسائل لغتها غير العربية"[(666)].

وسنتحدث فيما يلي عن مجموعة مُختارَة مِن الصحابة الذين تعلموا اللغات الأجنبية (أي: غير العربية) أو اتصلوا بالأمم الأخرى (أي: غير العربية) سواء مباشرة أو عن طريق مترجمين.

1.3.8.1 الروم وأصحاب القرآن: دِحْيَة بن خليفة الكَلْبِيُّ

"دِحْيَة بن خليفة الكَلْبِيُّ"(667) صحابي مشهور، وكان يُضْرَب به المثلُ في الجمال وحُسن الصورة. قال ابن حجر: "وَكَانَ جِبْرِيلُ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ غَالِبًا عَلَى صُورَتِهِ"(668)! ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم إن المَلَك "جبريل" أتى إلى محمد على صورة دِحْيَة الكلبي(669)! حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ [زوجة محمد]، فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: مَنْ هَذَا؟، أَوْ كَمَا قَالَ. قَالَتْ [أُمّ سَلَمَة]: هَذَا دِحْيَةُ، فَلَمَّا قَامَ (أي: ذهب محمدٌ إلى المسجد)، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ، أَوْ كَمَا قَالَ (وفي رواية أخرى أن أُمَّ سَلَمَة قالت: فلم أعلمْ أنه جبريلُ حتى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يحدِّثُ أصحابه ما كان بيننا). قَالَ أَبِي: قُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.

ومِن المعروف في التراث الإسلامي أن المَلَك "جبريل" مرتبط بالوحي (القرآن). ويقول التراث الإسلامي أيضاً إن المَلَك يمكن أن يتصور على صورة إنسان! أما نحن فلا نؤمن بهذه الأساطير. فإذا أردنا أن نُفسِّر هذا الحديث تفسيراً عقلانياً، فسنقول إن دِحْيَة (أو شخصاً آخر يشبهه) كان يتكلم، فيقول محمدٌ إنه جبريل وكلامه وحي إلهي. ودليلنا على ذلك هو نص الحديث نفسه حيث قالت أُمُّ سلمة (زوجة محمد) إنه دِحْيَة بينما قال محمدٌ في الخُطْبَةِ إنه جبريل.

وهكذا اشترك هذا الشخص – سواء كان دِحْيَة الكلبي أو غيره – في "الوحي" المزعوم. مما يدل على أن القرآن – بل الإسلام بصفة عامة – هو ثمرة عمل جماعي.

وجاء في المستدرك للحاكم ودلائل النبوة للبيهقي حديث آخر "عن عائشة زوج النبي ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ كان عندها، فَسَلَّم علينا رجلٌ ونحن في البيت، فقام رسولُ الله ﷺ فَزعاً، فقُمْتُ في أثَرِه، فإذا بدِحْيَة الكلبي. فقال [محمدٌ لعائشة]: هذا جبريلُ يأمُرُني أن أذهب إلى بين قريظة"(670). ولقد ذكر ابن كثير هذا الحديث المهم في البداية والنهاية وعلَّق عليه قائلاً: "ولهذا الحديث طُرُقٌ جيدةٌ، عن عائشة وغيرها"(671).

ولا يهمنا إن كان هذا الشخص هو دِحْيَة الكلبي نفسه أم شخص آخر يشبهه. ففي كلتا الحالتين، النتيجة واحدة: شخص يأتي لمحمد ويقول له كلاماً ثم يزعم محمدٌ أن هذا الشخص هو جبريل صاحب "الوحي".

وهكذا اشترك هذا الشخص – سواء كان دِحْيَة الكلبي أو غيره – في هذا "الوحي" المزعوم. مما يدل على أن القرآن – بل الإسلام بصفة عامة – هو ثمرة عمل جماعي.

ولقد روت عائشة حديثاً صحيحاً آخر أخرجه البخاري ومسلم يقول إن محمداً قد سُئِلَ: "كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟"، فأجاب محمدٌ: "أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ (أيْ: يُقْلِعُ) عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ. وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ (أي: جِبْرِيلُ) رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ". ثم أضافت عائشة إضافة مهمة فقالت: "وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ (أي: رَأَيْتُ محمداً) يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا (أي: يسيل عَرَقًا كثيراً)"(672).

وبغض النظر عن الطبيعة الأسطورية لهذا الحديث، فسنسمح لأنفسنا أن نفسره تفسيراً عقلانياً بأن نقول إن المقصود بالنوع الأول (صَلْصَلَةَ الْجَرَسِ) هو الآيات التي كان محمدٌ يؤلفها بنفسه بينما المقصود بالنوع الثاني (كلام الرجال) هو الآيات التي اقترحها آخرون على محمد أو اشترك آخرون مع محمد في تأليفها. ومِن الطبيعي أن يكون النوع الأول هو الأصعب، ولذلك قال عنه محمدٌ: "وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ". ويُفهَم مِن كتب التراث الإسلامي أن النوع الثاني كان أكثر حدوثاً: "وَلِهَذَا كَانَ غَالِبُ مَا يَأْتِي جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي بَدْءِ الْوَحْيِ "وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا" وَلَمْ يَرَ [محمدٌ] جِبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ"[673]. وطبعاً توجد أنواع أخرى لتأليف الآيات مثل الإلهام والرؤيا وغير ذلك.

أما مسألة العرق الكثير الذي كان يسيل من جبين محمد، فهذا كان أمراً شائعاً بين الكهان العرب قبل ظهور الإسلام. يقول د. جواد علي إن الكاهن "هو الذي يتنبأ بواسطة تابع (أي: روح من الجن)، ولا يستطيع غير الكاهن رؤية التابع. وتكون الكهانة كلاماً يلقيه الكاهن نفسه، أو تابعه، جواباً عن أسئلة الكاهن. [...] ويكون الكاهن في أثناء تكهنه في غيبوبة أو في شبه غيبوبة في الغالب، ذلك بأنه متصل في هذه الأثناء بعالم مجهد صعب لا يتحمله كل إنسان، ولاتصال الروح فيه، واتصال الروح بجسم الكاهن شيء جد عسير، يتصبب العرق منه. خاصة إذا كان المتكلم الكاهن نفسه"، "والكهان يرون تابعهم، وقد يتجلى لهم في صورة إنسان"[674]. وهذا يدل على وجود تشابه بين ظاهرة "الكهانة" الكاذبة وظاهرة "النبوة" المزعومة. بعبارة أخرى: حينما أراد المسلمون الأوائل أن يصفوا أعراض نبوة محمد المزعومة، جعلوها تشبه أعراض الكهانة الكاذبة! والسؤال الذي يطرح نفسه: هل أنبياء الله قبل محمد (موسى وعيسى مثلاً) كانوا يعانون من نفس الأعراض التي كان محمدٌ يعاني منها (عَرَق وصَلْصَلَة جَرَسِ ... الخ)؟!

ومِن أهم ما ذُكِر عن دِحْيَة الكلبي أنه كان سفير محمد إلى إيلياء (أورشليم / القدس) ليدعو هِرَقْل (قَيْصَر الروم) وقومَه إلى الإسلام! وكان ذلك في أواخر سنة 6هـ أو أوائل سنة 7هـ (حوالي 628م). ولقد ذكرت مراجع إسلامية كثيرة نص الرسالة المزعومة التي حملها دِحْيَةُ مِن محمد إلى هِرَقْل. وسنكتفي هنا بما جاء في حديث طويل أخرجه البخاري ومسلم: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ (أي: أعرضت ورفضت) فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ (أي: الفلاحين؛ أو: الخدم؛ والمقصود: رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك)، وَ "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (آل عمران 64)"[675].

[وفيما يتعلق بكلمة "الأريسيين"، فيوجد رأى آخر يقول إن القراءة الصحيحة لها هي "الأَرْيُسِيِّين" (بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الياء الأولى)[676]. والمقصود هُمْ الأَرْيُوسيين (Arians)، أي: أتباع أريوس

وأريوس (أَرْيُس) هذا هو مؤسس (Arius) – الذي يُعرَف في المراجع الإسلامية باسم "عبد الله بن أَرْيُس"! الفرقة الأريوسية (Arianism) التي ظهرت في القرن الرابع الميلادي كواحدة مِن المسيحيات الشرقية. ومِن المؤكد أن الإسلام قد تأثر بالأريوسية، وإنْ لم يتفق معها في كل شيء يتعلق بطبيعة وشخص المسيح (Christology). ولا يتسع المجال هنا لشرح الأريوسية بالتفصيل، فسنكتفي بأن نقول إن أريوس زعم أن المسيح (الكلمة) مخلوق لكنه إله أو يمكن أن ندعوه إلهاً. اتفق الإسلامُ مع الأريوسية في أن المسيح (كلمة الله) مخلوق لكن رفض أن يكون إلهاً أو أن ندعوه إلهاً.]

المهم: ماذا كان رد فعل هِرَقْل لَمَّا سمع رسالة محمد المزعومة؟

يقول تاريخ الطبري والسيرة النبوية لابن كثير وحياة الصحابة للكاندهلوي ومراجع إسلامية أخرى إن هِرَقْل قال لدِحْيَة: "والله إنِّي لأعلَمُ أن صاحبَك (يقصد: محمد) نبيٌّ مُرسَل، وأنَّه الذي كنَّا ننتظره ونجده في كتابنا؛ ولكنِّي أخاف الرُّوم على نفسي؛ ولولا ذلك لاتَّبعته"[677]. يعني: المراجع الإسلامية القديمة والحديثة تزعم أن هِرَقْل – إمبراطور الروم شخصياً! – اعترف بنبوة محمد، لكنه لم يسلم لأنه خاف على مُلْكِه مِن قومِه أو مِن حاشيته (بطارقته) الذين رفضوا أن يؤمنوا بمحمد! وقيل إن دِحْيَة أخبر محمداً بذلك، فقال محمدٌ: "ثَبَّتَ [اللهُ] مُلْكَهُ"[678]، أي: ثَبَّتَ اللهُ مُلْكَ قَيْصَر (هِرَقْل)؛ أو أن هِرَقْل ثَبَّتَ مُلْكَه بذلك. وفي "السنن الكبرى" للبيهقي أن "قيصر أكرم كتابَ النبي ﷺ ووضعه في مسك، فقال النبي ﷺ: ثبت مُلْكُهُ"[679].

وكالعادة، لا نجد مثل هذه القصص إلا في المراجع الإسلامية والمراجع التي تنقل عن المراجع الإسلامية. فَمِن حقنا أن نسأل: هل ذَكر أي مؤرخ **روماني معاصر** لهِرَقْل هذه القصة؟! فإذا كانت الإجابة هي لا، فَمِن حقنا أن نشك في هذه القصة، أو على الأقل نشك في مدى صحتها.

ومِن الجدير بالذكر أن العالِم المغربي المعروف "محمد المسيَّح" (خبير المخطوطات) قد درس رسالة محمد المزعومة إلى هِرَقْل وغيرها من الرسائل المنسوبة إلى محمد، ووصل إلى نتيجة مفادها أن هذه الرسائل مفبركة ومِن المستحيل أن تعود إلى عصر محمد، فهي "للأسف بعيدة كل البعد عن الحقيقة"[680].

لكن هذا لا يعني بالضرورة أن جميع هذه القصص الإسلامية كلها خيالية 100%. الرسالة غير تاريخية وغير حقيقية، لكن ربما يكون في القصة شَيْءٌ من الحقيقة (a kernel of truth). ربما يكون دِحْيَة قد قابل مجموعة مِن الرومان البسطاء (الأَريسِيِّينَ) أو مجموعة مِن المسيحيين الشرقيين الأَرْيُسِيِّين ليدعوهم إلى الإسلام، ولم يقابل هِرَقْل شخصياً. لكن المراجع الإسلامية بالغت – كالعادة – في القصة فجعلت دِحْيَة يقابل هِرَقْل شخصياً! وكأن أي شخص يستطيع أن يصل إلى الإمبراطور الروماني ويقابله ويتحدث معه بهذه السهولة! وكأن الإمبراطور الروماني ترك شئون الإمبراطورية وترك حربَه ضد الفرس (أو ما تبقى مِن آثارها) وجلس يتحدث مع رجلٍ عربي! ثم زادت المراجع الإسلامية على ذلك، فجعلت الإمبراطور الروماني يؤمن بمحمد ويعترف بنبوته! بل يعترف بأن محمد مذكور في الكتاب المقدس!

إنها إذن مجرد بروباجاندا إسلامية. أو كما يقول المثل الشعبي: اضرب عصفورين بحجر واحد. أَلِّف قصةً دينية/سياسية تسلط الضوءَ على نبوة محمد، وفي الوقت نفسه تشير إلى تحريف الكتاب المقدس.

وفي جميع الأحوال وبغض النظر عن مدى صحة هذه القصة، فإنها تدل على قدرة العرب على الاتصال بالروم المسيحيين والتفاهم معهم، سواء مباشرة أو عن طريق ترجمان.

عاش دِحْيَة الكلبي إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان. أي أنه كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان.

1.3.8.2 الفرس وأصحاب القرآن: عبد الله بن حُذَافة السهمي

أسلم "عَبْدُ اللَّهِ بْن حُذَافَةَ بْن قَيْس بْن عَدِيّ" الْقُرشِيُّ السَّهْمِيُّ[681] مبكراً في مكة. ثم هاجر إلى الحبشة (أثيوبيا) هو وأخواه: "قيس" و "خُنَيْس" (الذي كان زوج حفصة قبل محمد). ثم عاد عَبْدُ اللَّهِ بْن حُذَافَةَ إلى مكة وهاجر إلى المدينة ويُقال إنه شهِد غزوة بدر وغيرها. ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم إن "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ" (النساء 59) "نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ إِذْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ"[682].

ومِن أهم ما ذُكِر عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ أن محمداً أرسله برسالةٍ إلى المدائن (طيسفون) (Seleucia-Ctesiphon)[683] ليدعو كِسْرَى "خسرو الثاني" (Khosrau II) ملك الفرس وقومَه إلى الإسلام! ولقد ذكرت المراجع الإسلامية نص هذه الرسالة المزعومة، وإنْ وُجِدَت اختلافات بسيطة بينها. تقول الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم. مِن محمد رسول الله إلى كِسْرَى عظيم فارس. سلامٌ على مَن اتبع الهُدَى، وآمَن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. وأدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافَّةً لأُنذر مَن كان حَيًّا ويحقّ القولُ على الكافرين. فأَسلِم تَسْلَم. فإن أَبَيْتَ، فإن إثم المجوس عليك"[684].

وكالعادة، لا نجد مثل هذه القصص إلا في المراجع الإسلامية والمراجع التي تنقل عن المراجع الإسلامية. فَمِن حقنا أن نسأل: هل ذكر أي مؤرخ **فارسي معاصر** لكسرى هذه القصة؟! فإذا كانت الإجابة هي لا، فَمِن حقنا أن نشك في هذه القصة، أو على الأقل نشك في مدى صحتها.

وفي جميع الأحوال وبغض النظر عن مدى صحة هذه القصة، فإنها تدل على قدرة العرب على الاتصال بالفرس المجوس والتفاهم معهم، سواء مباشرة أو عن طريق ترجمان.

المهم: ماذا كان رد فعل كسرى لَمَّا سمع رسالة محمد المزعومة؟

حسب ما جاء في المراجع الإسلامية، كان رد فعل كسرى مختلف تماماً عن رد فعل هرقل. يقول حديث صحيح رواه البخاري عن ابْن عَبَّاس "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ [كِسْرَى] مَزَّقَهُ

(وتقول مصادر إسلامية أخرى إن كسرى مَزَّقَ رسالة محمد قبل أن يكمل قراءتها!). فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ"[685].

وتقول روايات أخرى إن محمد قال: "تمزَّق مُلْكُهُ"[686]؛ أي: تمزَّق مُلْكُ كسرى؛ أو: "مُزّق مُلْكُهُ"؛ أو: "مَزَّقَ كسرى مُلْكَهُ"؛ أو: "مَزَّقَ اللهُ مُلْكَهُ"؛ أو: "اللهم مَزّق مُلْكَه".

باختصار: كسرى مَزَّقَ رسالة محمد، فدعا محمدٌ عليه أن يُمزّق اللهُ مُلْكَه!

سؤال: لماذا جعلت المراجع الإسلامية كسرى يكفر بمحمد بينما جعلت هرقل يؤمن بمحمد؟

نعتقد أن ذلك يرجع إلى سببين على الأقل. السبب الأول ديني والسبب الثاني سياسي.

<u>السبب الديني:</u> كسرى الفارسي كان كافراً بينما هرقل الروماني كان مسيحياً مِن أهل الكتاب. إذن: الترويج لفكرة أن هرقل آمن بمحمد أسهل بكثير مِن الترويج لفكرة إيمان كسرى بمحمد. لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار تعاطف المسلمين الأوائل مع الروم في حربهم ضد الفرس. وخير دليل قرآني على ذلك هو وجود سورة مكية تحمل اسم "الروم" وتبدأ بأمنية (أو: بشارة) انتصار الروم على الفرس: "غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ [...] وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ" (الروم 2-4)[687].

بل نستطيع أن نقول إن المسلمين الأوائل كانوا معجبين بهرقل شخصياً. وكما سنرى أثناء دراستنا لشخصية "ذي القرنين" القرآنية (الكهف 83-108)، فسنجد أن هذه الشخصية القرآنية مستوحاة مِن شخصية هرقل (وملوك شرقيين آخرين)، بل تكاد تكون منقولة مِن قصة مسيحية سريانية عن هرقل.

أما إذا نظرنا في أمهات الكتب الإسلامية (سيرة، حديث، تاريخ ... الخ) التي كُتِبَت بعد محمد بعشرات بل مئات السنين، فسنجد أن الكُتَّاب المسلمين الذين كتبوا هذه الكتب في عصور متأخرة (العصر العباسي وما بعده) قد جعلوا الإسلامَ يبدأ سنة 610م، أي: في نفس السنة التي اعتلى فيها هرقل عرش الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية)! صدفة؟! لا نظن أنها صدفة. ولعل هؤلاء الكُتَّاب المسلمين قد أرادوا بذلك أن يُصوِّروا محمداً على أنه "هِرَقْل العرب". فكما صعد هِرَقْل المسيحي على المشهد السياسي الروماني في الشرق، كذلك صعد محمد المسلم – في نفس السنة! – على المشهد السياسي العربي في الشرق.

<u>السبب السياسي:</u> فلقد قُتِل كِسْرَى "خسرو الثاني" (Khosrau II) على يد ابنه "قباد الثانى" (Kavad II)[688] في أوائل عام 628م (جُمادى الآخرة 7هـ). ثم بعد ذلك بفترة قصيرة نسبياً، انهارت الإمبراطورية الفارسية تماماً (651م). ولذلك فإن المراجع الإسلامية – التي كُتِبَت كلها بعد مقتل كِسْرَى وبعد وفاة محمد وبعد انهيار الإمبراطورية الفارسية – قد جعلت محمداً يدعو على كِسْرَى أن يُمزّق اللهُ مُلْكَه، حتى تستطيع أن تصوِّر انهيار الإمبراطورية الفارسية على أنه استجابة مِن الله لدعاء محمد على كِسْرَى. بل زعمت هذه المراجع الإسلامية أن خبر مقتل كِسْرَى على يد ابنه جاء إلى محمد "مِن السماء"[689]!

أما الإمبراطورية الرومانية فلم تنهار، بل استمرت بعد ذلك لمئات السنين. ولذلك جعلت المراجع الإسلامية محمداً يدعو لهرقل أن يُثبِّت اللهُ مُلْكه، حتى تستطيع أن تصوّر بقاءَ الإمبراطورية الرومانية على أنه أيضاً استجابة مِن الله لدعاء محمد لهرقل!

وهذا يدل على الفبركات والمبالغات الشديدة التي حدثت أثناء كتابة أمهات الكتب الإسلامية بعد محمد بعشرات بل مئات السنين. الكُتَّاب المسلمون الذين كتبوا هذه الكتب في عصور متأخرة (after the fact) أرادوا أن يعيدوا كتابة التاريخ بطريقة تبرز نبوة محمد الدينية وفي الوقت نفسه تجعل محمداً يبدو كما لو كان فاعلاً أساسياً في سياسات الشرق الأوسط.

اشترك عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيّ مع عمرو بن العاص في غزو مصر! وولاه عمرو مدينة الإسكندرية. ثم مات عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ في خلافة عثمان ودُفِنَ في مصر.

1.3.8.3 المصريون وأصحاب القرآن: حاطِب بن أبي بَلْتَعَة

أسلم "حاطِبُ بن أبي بَلْتَعَة"[690] في مكة، ثم هاجر إلى المدينة. وكان مِن الرماة المشهورين، فشهد بدراً وأُحُداً والخندق والمشاهد كلها مع محمد. وله في غزوة أُحُد موقف عنيف ودموي سَجَّله التراثُ الإسلامي. فلقد روى الحاكمُ أن حاطِب بن أبي بَلْتَعَة هو الذي قتل "عُتبة بن أبي وقاص" الذي هشم وجه محمد ودق رباعيته بحجر. ولم يكتفِ حاطِب بقتل عُتبة، وإنما قطع رأس عُتبة بالسيف، ثم أخذ رأسه وسَلَبه وفرسه وذهب إلى محمد! فدعا محمدٌ لحاطِب وقال له: "رضي اللهُ عنك" مرتين[691]!

سؤال لكل مسلم عاقل: هل يَرضى اللهُ عن مَن يقطع الرؤوس بالسيف؟!

ومِن مواقف حاطِب بن أبي بَلْتَعَة الأخرى التي سَجَّلها التراثُ الإسلامي أنه هَمَّ بإفشاء سر مِن أسرار محمد العسكرية لمشركي مكة أعداء محمد! فلقد كتب حاطِبُ كتاباً لأهل مكة يخبرهم فيه أن محمد سيفتح مكة قريباً، وأرسل إليهم هذا الكتاب مع امرأة! وروى البخاري ومسلم[692] وغيرهما أن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ [كَاتِب عَليّ بن أبي طالب] قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ [بن العوام] وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ (أي: قال محمدٌ لهم): "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ (هي مكان بين المدينة ومكة)، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً (أي: امرأة في هودج)، وَمَعَهَا كِتَابٌ (هو كتاب حاطب إلى المشركين)، فَخُذُوهُ مِنْهَا".

وأضافت رواية أخرى ذكرها الواحدي النيسابوري أن محمداً قال لهم: "[...] فَخُذُوهُ مِنْهَا، وخلُّوا سبيلَها، فإن لَمْ تدفعه إليكم فاضربوا عنقها"[693]!

نعود إلى البخاري ومسلم. [قال عليّ]: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا (أي: أسرعت بنا)، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ[694]، فَقُلْنَا [لهذه المرأة]: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ. فَقُلْنَا [لها]: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ (وفي روايتي مسلم والترمذي[695]: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ).

قال الإمام المُباركفوري تعليقاً على عبارة "لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ": "وَالْمَعْنَى لَتَرْمِينَّ الثِّيَابَ وَتَتَجَرَّدِنَّ عَنْهَا لِيَتَبَيَّنَ لَنَا الْأَمْرُ"[696]! سؤال: هل نعتبر ذلك تهديداً للمرأة بتجريدها مِن ثيابها إنْ لم تُخرج الكتابَ؟! مِن حُسْن الحظ أنه توجد روايات أخرى أكثر وضوحاً:

- تقول رواية أخرى في البخاري أنهم قالوا للمرأة: "لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرّدَنَّكِ"[697]!
- وقال الترمذي أيضاً في نهاية حديثه: "وَقَدْ رُوِيَ أَيْضًا عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَلِيٍّ نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ، ذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِيهِ فَقَالَ: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرّدَنَّكِ"!
- وفي أُسد الغابة لابن الأثير: "لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرّدَنَّ الثياب"[698]!
- وفي المستدرك للحاكم ومَجْمَع الزوائد للهيثمي أن عَليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام "قالا [للمرأة] أعطينا الكتاب الذي معك وأخبراها أنهما غير منصرفين حتى ينزعا كُلَّ ثوب عليها"[699]!
- استدل ابن قَيِّم الجَوزيَّة بهذه القصة على جواز تجريد المرأة كُلِّها! وقال: "وفيها جواز تجريد المرأة كُلِّها وتكشيفها للحاجة والمصلحة العامة، فإن عَلِيًّا والمقداد - رَضِيَ اللَّهُ عنهما - قالا للظَّعِينة: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أو لنكْشِفَنَّك. وإذا جاز تجريدُها لحاجتها إلى ذلك حيث تدعو إليها (أي: إذا جاز تجريدُها لمصلحتها)، فتجريدُها لمصلحة الإسلام والمسلمين أولى"[700]!
- وفي سنن أبي داود رواية أخرى تقول إن عَليّ بن أبي طالب قال للمرأة: "وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَأَقْتُلَنَّكِ أَوْ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ"[701]!
- وذكر الواحدي النيسابوري رواية تقول إن عَليّ بن أبي طالب سلَّ سيفه وقال للمرأة: "أخرجي الكِتَابَ، وإلا والله لأجزرنك (أو: لأُجَرّدَنَّك) ولأضربَنَّ عنقَك"[702]!

إذن: هذا تهديد صريح مِن رجال مسلمين لامرأة وحيدة لا تحمل سلاحاً ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها! مع أنه كان مِن الممكن ومِن الأفضل أن يقبضوا عليها ويعيدوها إلى المدينة. وفي المدينة، كان مِن الممكن أن يجعلوا أي امرأة أخرى تفتشها. كان يجب عليهم أن يفعلوا ذلك، لكنهم للأسف لم يفعلوا. وكان يجب على محمد أن يأمرهم أن يفعلوا ذلك، لكنه للأسف لم يفعل. مما يدل على أنهم جميعاً قد أخطأوا.

نعود إلى البخاري ومسلم. [قال عليّ]: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا (أي: أَخْرَجَتْ المرأةُ الكتابَ مِن شعرها المضفور). فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا حَاطِبُ! مَا هَذَا؟". قَالَ [حاطِب]: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا (أي: كُنْتُ حليفاً لقريش ومقيماً فيهم ومضافاً إليهم لكنني لست منهم)، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ، يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ [أما أنا

فليس لي أَحَدٌ في مكة يحمي أهلي]، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا (أي: نعمة ومنة على قريش) يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي [الذين ما زالوا في مكة]، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقَدْ صَدَقَكُمْ". قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ (يقصد: حاطِب). وفي رواية البخاري الأخرى أن عمر قال مرتين إن حاطِب "قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ".

قَالَ [محمدٌ لعمر]: "إِنَّهُ (أي: حاطِب) قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ (أي: نظر إليهم وعلم حالهم وما سيكون منهم) فَقَالَ [اللهُ لهم]: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ".

ونعرف مِن روايتي مسلم والترمذي ومِن رواية ثالثة للبخاري وأيضاً مِن مصادر إسلامية أخرى(703) أن هذه القصة هي سبب نزول فاتحة سورة الممتحنة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ [مِن بلدكم مكة] أَنْ (أي: لأنكم) تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ (أي: تبعثون إليهم بنصحكم سراً؛ تسرون إليهم أنباء المسلمين وأحوالهم بسبب المودة بينكم؛ تجعلون مودتكم لهم سراً وتخفونها عن المسلمين نفاقاً وخداعاً) وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (أي: ابتعد عن طريق الهدى)" (الممتحنة 1).

تعليقنا: الموضوع بسيط ومش محتاج وحي مِن الله. مما لا شك فيه أن الصحابي حاطب بن أبي بَلْتَعَة قد أخطأ خطأ كبيراً، فعاتبه القرآنُ على ذنبه. ولو فعل مسلمٌ اليوم ما فعله حاطِب، لاعتبره المسلمون خائناً للأمانة ومفشياً للأسرار العسكرية. ولذلك لم يقتنع عمر بمبررات حاطِب، فأراد أن يقتله لأنه اعتبره منافقاً وخائناً. ومع أن محمد لم ينكر ذلك، إلا أنه سامحه لأنه قد شَهِدَ غزوة بدر! [سؤال: هل أهل بدر فوق القانون؟!]

ثم تنتهي القصة نهاية عاطفية: "فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"!

وهكذا نجا حاطِبُ بن أَبي بَلْتَعَة مِن عقوبة الإعدام!

أما المرأة التي حملت كتابَ حاطِب إلى أهل مكة، فيُقال إنها "سارة" التي أهدر محمدٌ دمَها وأمر بإعدامِها يوم فتح مكة! لكن استُؤْمِن لها وأسلمت فلم تُقتَل(704). ويُقال إن محمداً أمر بقتل "سارة" لأنها كانت تؤذيه وهي بمكة. ولقد ذكر ابنُ كثير هذين القولين وختم كلامَه بالعبارة الإسلامية الشهيرة: "الله أعلم"(705)! وتقول السيرة الحلبية إن محمداً أمر بقتل سارة "لأنها كانت مغنية بمكة، وكانت تغني بهجائه ﷺ، وهي التي وُجِد معها كتابُ حاطِب"(706).

تعليقنا: نحن نشك في التهم الواسعة الفضفاضة مثل "تؤذي محمداً" و "تهجو محمداً بغنائها" لأنها تهم جاهزة ومعلبة ويمكن إلصاقها في أي وقت بأي شخص يُراد التخلص منه. وحتى لو افترضنا جدلاً أنها تُهم صحيحة، فإنها لا تستحق عقوبة الإعدام. أما التهمة التي قد تستحق عقوبة الإعدام فهي المشاركة في إفشاء الأسرار العسكرية. ومِن حقنا هنا أن نسأل سؤالاً: هل مِن العدل أن يأمر محمدٌ بقتل المرأة التي حملت كتاباً يفشي أسرار المسلمين العسكرية بينما يعفو عن حاطِب الذي كَتب هذا الكتاب؟!

ومِن أهم ما ذُكِر عن حاطب بن أبي بَلْتَعَة أن محمداً أرسله برسالةٍ إلى الإسكندرية ليدعو المُقَوْقِس حاكم مصر إلى الإسلام! تقول هذه الرسالة المزعومة: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى المقوقس عَظِيمِ القِبْط: سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ (أي: أعرضت ورفضت) فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ القِبْط، وَ "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (آل عمران 64)"[707].

وكما قلنا فيما سبق إن لقب "عَظِيمِ القِبْط" لقب خاطئ تماماً. أولاً: لأن المقوقس لم يكن قبطياً (مصرياً) أصلاً، وإنما كان مجرد موظف أجنبى عَيّنه الإمبراطور الرومانى البيزنطى "هرقل" وكلّفه بحكم مصر؛ يعنى زى "مندوب سامي". وثانياً: لأن المقوقس كان يضطهد الأقباط، فكرهه الأقباط كرهاً شديداً. فكيف يكون "عَظِيمِ القِبْط" وَهُمْ يكرهونه كرهاً شديداً؟! ويبدو أن بعض الكُتاب المسلمين المصريين قد تنبهوا لذلك، فوصفوا المقوقس وصفاً معقولاً، مثل د. محمد بكر إسماعيل الذى وصف المقوقس بقوله "والي مصر"[708].

المهم: ماذا كان رد فعل المقوقس لَمَّا سمع رسالة محمد المزعومة؟

حسب ما جاء في المراجع الإسلامية، كان رد فعل المقوقس يشبه إلى حد كبير رد فعل سيده هرقل. لم يعتنق المقوقس الإسلامَ لكنه أكرم حاطبَ بن أبي بَلْتَعَة وأحسن نُزله وأرسل معه هدايا إلى محمد. وكان فيما أهداه المقوقس إلى محمد "جاريتان": مارية القبطية وأختَها سيرين[709]. فَتَسَرَّى محمدٌ بمارية القبطية (ملك يمين وليست زوجة) فأنجبت له ولده إبراهيم، ووهب سيرين لشاعره "حسان بن ثابت"! [يعني: محمد – الذى لا يزال المسلمون إلى اليوم يعتبرونه قدوة – قَبِلَ امرأةً كهدية مِن رجل وأعطى امرأةً كهدية إلى رجل!]

وكالعادة، لا نجد مثل هذه القصص إلا في المراجع الإسلامية والمراجع التي تنقل عن المراجع الإسلامية. فَمِن حقنا أن نسأل: هل ذَكر أي مؤرخ **مصري معاصر** للمقوقس هذه القصة؟! فإذا كانت الإجابة هي لا، فَمِن حقنا أن نشك في هذه القصة، أو على الأقل نشك في مدى صحتها. لكن هذا لا يعني بالضرورة أن القصة كلها خيالية. ربما يكون بها شيء من الحقيقة (a kernel of truth). ربما يكون حاطِب بن أبي بَلْتَعَة قد سافر إلى مصر في تجارة أو لشراء عبيد وإماء[710] أو غير ذلك، وهناك تحدث مع مجموعة مِن المصريين (الأقباط) عن المسيحية والإسلام أو عن الأديان بصفة عامة. ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن مارية القبطية وأختَها سيرين ليستا "هدية" مِن المقوقس إلى محمد، وإنما "هدية" مِن حاطِب بن أبي بَلْتَعَة إلى محمد. وسواء كانت مارية وسيرين "هدية" مِن المقوقس أو مِن حاطِب، فإن النتيجة واحدة: محمد – الذى لا يزال المسلمون إلى اليوم يعتبرونه قدوة – قَبِلَ امرأةً كهدية مِن رجل وأعطى امرأةً كهدية إلى رجل!

وفي جميع الأحوال وبغض النظر عن مدى صحة هذه القصص الإسلامية، فإنها تدل على قدرة العرب على الاتصال بالمصريين (الأقباط) والتفاهم معهم، سواء مباشرة أو عن طريق مترجمين.

مات حاطِبُ بن أبي بَلْتَعَة بالمدينة سنة 30هـ. وصلَّى عليه الخليفة عثمان بن عفان.

1.3.8.4 الأثيوبيون (الأحباش) وأصحاب القرآن: عمرو بن أُمية الضَّمْرِيّ

كان الشاب "عمرو بن أُمَيَّة بن خُوَيْلِد" الضَّمْريّ[711] قبل إسلامه فاتِكاً (أي: سفاكاً للدماء) متشيطناً مِن العرب المعروفين بالجرأة والقوة. شَهِدَ بدراً وأُحُداً مع المشركين، ثم أسلم حين انصرف المشركون مِن أُحدٍ (3هـ)، فانضم بذلك إلى صفوف المسلمين في حربهم الأهلية المستمرة ضد قريش. وكان بئرُ معونة (4هـ) أَوَّلَ مشاهدِه مسلماً.

وتقول مصادرنا الإسلامية[712] إنه في سنة 4هـ (وقيل: 5هـ)، حَرَّض أبو سفيان على اغتيال محمد، إلا أن محاولة اغتيال محمد فشلت وقُبِضَ على منفذ العملية واعترف أن أبا سفيان هو الذي حَرَّضه. فقال محمدٌ لعمرو بن أُمَيَّة ورجلٍ أنصاري: "اخرُجا حتى تَأْتِيا أبا سفيانَ بن حربٍ، فإن أَصَبْتُما منه غِرَّةً (أي: غفلة) فاقْتُلاه"! فخرج عمرو وصاحبُه مِن المدينة قاصدين مكة سراً ومعهما سلاح لاغتيال أبي سفيان. إلا أن أمرهما انكشف وعرف أهلُ مكة أن عمرو بن أُمَيَّة ما جاء إلى مكة إلا لِشَرٍّ. وهكذا فشلت عملية اغتيال أبي سفيان أيضاً، وهرب عمرو وصاحبُه ليختبئا في غارٍ في الجبل.

وفي الصباح، أقبل عليهما رجلٌ قُرَشي يَخْتَلي لفرسِه حَشِيشاً (أي: يقطع النبات الرطب ليُطعِم فرسَه)، فخشي عمرو أن يراهما هذا الرجلُ، فخرج إليه وطعنه طَعْنَةً تحت الثَّدْي بالخِنْجَر! فسقط الرجلُ ومات! [سؤال: ما الذنب الذي ارتكبه هذا الرجل حتي يقتله الصحابيُّ عمرو بن أمية بهذه الطريقة البشعة؟!]

ثم بعد ذلك بفترة، دخل عمرو في كهفٍ في جبل ضَجنان (قرب مكة) وكان معه قوسه وأَسْهُمه وخِنْجَره. فأقبل رجلٌ كَهْلٌ أعْوَر (أي: له عين واحدة فقط صحيحة) وقال لعمرو: مَن أنت؟ فقال عمرو: رجلٌ مِن بني بكرٍ. فقال الرجل الأعور: وأنا أيضاً مِن بني بكر. ثم اتكأ الرجل الأعور وَرَفَعَ صَوْتَه بالغِناء وقال:

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَا دَانٍ (أي: ولا مقترب) لِدِينِ الْمُسْلِمِينَا

فأقسم عمرو بن أمية أن يقتل هذا الرجل العاجز وقال في نفسه: "واللهِ إني لأرْجو أن أَقْتُلَك"! فلمَّا نام الرجلُ، قام عمرو إليه فقتله شَرَّ قتلةٍ قَتَلها أحدٌ أحداً. كيف قتلته يا عمرو؟ فيجيب عمرو: "فلمَّا نام [هذا الرجلُ الكَهْل الأعور]، أَخَذْتُ قَوْسِي، فَجَعَلْتُ أَحَدَ طَرَفَيْهَا في عَيْنِهِ الصحيحة، وَتَحَامَلْتُ عليها بِثِقَلِي كُلِّه حتى بَلَغَتْ مِنْهُ العَظْمَ (وفي تاريخ الطبري: حتى أخرجتها مِن قفاه)"[713]! [يعني: الصحابيُّ عمرو بن أمية قتل رجلاً عاجزاً مِن بني بكر مثله! سؤال: ما الذنب الذي اقترفه هذا الرجل الكَهْل الأعور حتي يُعذِّبه الصحابيُّ عمرو بن أمية ويفقأ عينَه الصحيحة ويقتله بهذه الطريقة البشعة؟!]

وفي طريق عودته مِن مكة إلى المدينة، وجد عمرو بن أمية جاسوسين بَعَثَتْهُمَا قُرَيْشٌ لِيَتَحَسَّسَا أخبارَ المسلمين. فقال لهما عمرو: "استَأْسِرَا (أي: قدِّما أنفسكما للأسر)". فَأَبَيَا. فَرَمَى عمرو أَحَدَهُمَا بِسَهْمٍ، فَخَرَّ صَرِيعاً في الحال. فلمَّا رأى الآخرُ ذلك، استَأْسَرَ (أي: وافق أن يُؤخَذ أسيراً). فأخذه عمرو إلى محمد في

المدينة. فلَمَّا رآهم محمدٌ، ضحك حتى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ! ثم أخذ عمرو يَقُصَّ على محمد ما حدث، فقال محمدٌ له خيراً ودعا له بخير! [سؤال: القصة كلها شر وعنف وسفك دماء مِن أولها إلى آخرها (اغتيال وطعن بالخنجر وفقأ عين ورمي بالسهم)، فلماذا يدعو محمدٌ لعمرو بن أمية بالخير؟!]

ولا يهمنا إذا كانت هذه القصة حقيقية أَم خيالية أَم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال، فنحن لا نقيم الأشخاص وإنما نقيم الأفكار. المهم بالنسبة لنا أن هذه القصة جزء مِن الثقافة العربية-الإسلامية، بدليل وجودها في أمهات الكتب الإسلامية (مثل: سيرة ابن هشام، تاريخ الطبري، دلائل النبوة للبيهقي، البداية والنهاية لابن كثير ... الخ). فإذا كانت هذه هي القصص التي يقرأها المسلمون ويسمعونها ويتوارثونها منذ مئات السنين، فيجب علينا اليوم ألا نندهش مِن ظهور الإرهاب الإسلامي. الإرهاب منتج ثقافي قبل أن يكون مسلحاً. وكذلك مواجهة الإرهاب، يجب أن تكون مواجهة ثقافية فكرية قبل أن تكون مواجهة مسلحة، أو على الأقل: مواجهة ثقافية فكرية بالتزامن مع المواجهة المسلحة.

ومما يدل على قوة العلاقة والثقة بين محمد وعمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ هو أن محمداً قد أرسله وكيلاً إلى النَّجَاشِيّ مَلِك الحبشة ليُزوِّجه (أي: ليُزوِّج محمداً) "أُمَّ حبيبة" بنت أبي سفيان التي كانت آنذاك مع إخوانها المسلمين المهاجرين في الحبشة (أثيوبيا).

أما فيما يتعلق بالرسالة التي حملها عمرو بن أُمَيَّة مِن محمد إلى النَّجَاشِيّ مَلِك الحبشة (6هـ)، فلقد ذكر السيوطي والواحدي النيسابوري في أسباب نزول (المائدة 82)[714] روايةً تقول: "بعثَ رسولُ الله ﷺ عمرو بن أُميَّةَ الضَّمْرِيَّ، وكَتب معه كِتاباً إلى النَّجَاشِيّ، فقدمَ على النَّجَاشِي، فقرأ كتابَ رسولِ اللهِ ﷺ. ثم دَعا جعفرَ بن أبي طالب والمهاجِرين معه (يقصد: المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة ويقيمون فيها)، وأرسلَ إلى الرُّهبانِ والقِسِّيسِينَ. ثم أمرَ جعفرَ بن أبي طالب [أن يقرأ عليهم القرآن]، فقرأَ عليهم سُورةَ مريم، فآمنُوا بالقرآنِ وفاضت أعينُهم مِنَ الدَّمْعِ، فَهُمُ الذين أنزلَ اللهُ فيهم: "وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ" (المائدة 82-83)".

كما ذكر السيوطي والواحدي النيسابوري روايةً أخرى تقول: "بعثَ النَّجَاشِي ثلاثينَ رَجُلاً مِن خيار أصْحابِه إلى رسولِ الله ﷺ، فقرأ [محمدٌ] عليهم سُورةَ يَس، فَبَكَوْا، فنزلَت فيهمْ الآيةُ (يقصد: المائدة 82-83)".

وتقول رواية ثالثة ذكرها الواحدي النيسابوري: "قَدِم جعفر بن أبي طالب من الحبشة هو وأصحابه، ومعهم سبعون رجلاً، بعثهم النجاشي وفداً إلى رسول الله ﷺ عليهم ثيابُ الصوف، اثنان وستون من الحبشة، وثمانية من أهل الشام، وَهُم: بحيرا الراهب وأبرَهة (أو: أبرهليه؛ إبراهيم)، وإدريس، وأشرف، وتمام، وقثيم (أو: قثم)، وذر (أو: دريد)، وأيمن، فقرأ عليهم رسولُ الله ﷺ سُورةَ "يَس" إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا

القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى. فأنزل اللهُ تعالى فيهم هذه الآيات (يقصد: المائدة 82-83)".

وبغض النظر عن مدى صحة هذه الروايات الإسلامية المشحونة بالعواطف، فإننا نستنتج مما سبق أن القرآن نفسه يعترف بأن بعض رجال الدين المسيحى (قسيسين ورهبان) قد تركوا المسيحية وآمنوا بالقرآن وبمحمد (المائدة 82-85). كما "جاءت وفود مسيحية إلى مكة والمدينة واستمعت إلى الرسول يتلو كتابه فأعلنت إيمانها وقالت: "إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ" (القصص 53)"[715]. ولا يهمنا السبب الذى جعل هؤلاء المسيحيين (سواء من رجال الدين أو من العوام) يدخلون الإسلام. المهم أنهم دخلوا الإسلام ومعهم كل معرفتهم ومعلوماتهم وخبراتهم بالكتاب المقدس بعهديه وبالتراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) بصفة عامة[716]. ومِن المؤكد أن هؤلاء المسيحيين قد أثروا في تكوين القرآن.

كما تدل هذه الروايات على قدرة العرب على الاتصال بالأثيوبيين (الأحباش) والتفاهم معهم، سواء مباشرة أو عن طريق مترجمين، بدليل أن هؤلاء الأثيوبيين (الأحباش) سمعوا القرآن **العربي** فآمن به فريقٌ منهم (المائدة 82-85) ولم يؤمن به فريقٌ آخر (المائدة 86). ولا يهمنا دوافع مَن أسلم ولا يهمنا مبررات مَن لم يسلم، وإنما يهمنا إثبات التواصل الثقافي والديني بين الأثيوبيين (الأحباش) وعرب شبه الجزيرة العربية أثناء نشأة الإسلام. ومِن المؤكد أن هذا التواصل كان يحدث في اتجاهين (two-way): مِن أصحاب القرآن إلى المسيحيين وأيضاً مِن المسيحيين إلى أصحاب القرآن. وخير دليل على ذلك هو كتاب القرآن نفسه. فكما قلنا فيما سبق: لولا التراث اليهودي-المسيحي، لما كان القرآن.

مات عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْريّ بالمدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان. وقيل: مات قبل الستين.

1.3.8.5 عرب الشام وأصحاب القرآن: شُجَاع بن وَهْب الأسدي

كان الصحابي الشاب "شُجَاع بن وَهْب بن ربيعة" الأسدي[717] مِن السابقين الأولين إلى الإسلام في مكة. ثم هاجر إلى الحبشة (أثيوبيا). ثم عاد إلى مكة. ثم هاجر إلى المدينة فشهِد غزوة بدر والمشاهد كلها مع محمد.

تقول المراجع الإسلامية إن محمد أرسل شجاعَ بن وهب إلى حوران (غوطة دمشق) ليدعو أمير الغساسنة (Ghassanids) إلى الإسلام. قيل: أرسله محمدٌ إلى الحارث بن أبي شَمِر (أو: شِمْر) الغَسَّانِيِّ. وقيل: أرسله إلى جَبَلَة بن الأيْهم الغَسَّانِيّ. وقيل: أرسله إليهما. وقيل: أرسله إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر. وقيل إن جَبَلَة هو المنذر بن الحارث. وقيل: أرسله محمدٌ إلى هرقل (قيصر الروم)!

ومِن المعروف أن الغساسنة كانوا عرب مسيحيين (نصارى) موالين للروم على مشارف الشام. فكانوا حلقة وصل قوية بين الحضارة الرومانية المسيحية مِن ناحية والعرب البدو مِن ناحية أخرى.

رفض أميرُ الغساسنة اعتناق الإسلام. ويُقال إنه هدد بغزو المدينة! وطبعاً، هذا الغزو لم يحدث.

ومِن أهم ما سَجَّله التراث الإسلامي عن شجاع بن وهب أنه قام بسريّة في ربيع الأول سنة 8هـ.

تقول طبقات ابن سعد: "بعث رسولُ الله ﷺ شُجاعَ بن وَهب في أربعةٍ وعشرين رجلاً إلى جَمْعٍ مِن هَوازنَ بالسِّيّ ناحيةَ رُكْبَة من وراء المَعدِن، وهي من المدينة على خمس ليالٍ [شرقي المدينة]، وأمره [محمدٌ] أن يُغيرَ عليهم، وكان [شجاع] يسير الليلَ ويكمُن النهار حتى صَبّحهم وَهُمْ غارُّون (أي: غافلون)، فأصابوا (أي: أصاب المسلمون منهم) نعماً كثيراً وشاءً واستاقوا ذلك حتّى قدموا المدينةَ واقتسموا الغنيمة"[718].

يبدو لنا إذن أن هذه السرية التي أرسلها محمدٌ بقيادة شجاع بن وهب كانت حرباً هجومية شنها المسلمون على هذا الجَمْع مِن هَوازنَ وَهُمْ غارُّون (أي: وَهُمْ غافلون).

وقال ابنُ كثير إن هذه السرية قد تكون هي المذكورة في صحيحي البخاري ومسلم[719].

وتوجد رواية أخرى. أو لعلها سرية أخرى أرسلها محمدٌ بقيادة شجاع بن وهب. يقول الرحيق المختوم تحت عنوان "سرية ذات عِرْق [جنوبي المدينة] إلى بني هوازن": "في ربيع الأول سنة (8هـ)، كانت بنو هوازن قد أمدت الأعداء مرة بعد أخرى، فأرسل إليها شُجَاع بن وهب الأسدي في خمسة وعشرين رجلاً، فاستاقوا نعماً من العدو، ولم يلقوا كيداً"[720].

إذن: تحاول هذه الرواية تبرير سرية شُجاع بن وهب فتُلصق ببني هَوازن تهمةً مِن التهم الجاهزة المعلبة التي تُلصَق بكل مَن يُراد التخلص منه: كانوا يساعدون أعداء المسلمين على المسلمين! مع أن نفس التهمة يمكن أن تُقال على الأنصار الذين وقفوا في صف محمد ضد أهله قريش. نفس التهمة: كانوا يساعدون أعداء قريش على قريش!

إلا أن المراجع الإسلامية لم تحسن إلصاق هذه التهمة ببني هَوازن، فقالت إن 24 رجل مسلم فقط (وفي الرواية الثانية: 25 رجل مسلم فقط) استطاعوا أن يهزموا هذا الجَمْع مِن بني هَوازن بسهولة ويستولوا على ممتلكاتهم كـ "غنيمة"! إنه إذن جَمْع صغير جداً (أو: نفر) مِن هَوازن ولا نعتقد أن هذا النفر القليل كان يشكل تهديداً على المسلمين.

مات شُجَاعُ بن وَهْب في حروب الردة في "معركة اليمامة" (11هـ أو 12هـ) وهو ابن بضع وأربعين سنة. فلم يشترك في جمع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان.

1.3.8.6 زيد بن ثابت: سكرتير محمد يتقن العِبرية والسريانية

صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب ترجمة الحُكَّام وهل يجوز ترجمان واحد: "وَقَالَ خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ الْيَهُودِ (أى: كتابتهم وخطهم يعنى لغتهم) حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ كُتُبَهُ [التى أرسلها إليهم] وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ"[721].

سنن أبي داود - كتاب العلم - باب رواية حديث أهل الكتاب: "عَنْ خَارِجَةَ - يَعْنِي ابْنَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ، وَقَالَ [محمدٌ]: "إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي"، فَتَعَلَّمْتُهُ، فَلَمْ يَمُرَّ بِي إِلَّا نِصْفُ شَهْرٍ (أى: 15 يوماً!) حَتَّى حَذَقْتُهُ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ"[722].

المُستدرَك للحاكم - كتاب الإيمان: "عَنْ خَارِجَةَ بْن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابة اليهود، وَقَالَ [محمدٌ]: "إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي"، فَتَعَلَّمْتُهُ، فَلَمْ يَمُرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ (أى: 15 يوماً!) حَتَّى حَذَقْتُهُ. قَالَ [زيدٌ]: إِنِّي كُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ إِذَا كَتَبَ، وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كُتِبَ إِلَيْهِ"[723].

سنن الترمذي - كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ وَالْآدَابِ - بَاب مَا جَاءَ فِي تَعْلِيمِ السُّرْيَانِيَّةِ: "عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ، قَالَ [محمدٌ]: "إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي". قَالَ [زيدٌ]: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ (أى: 15 يوماً!) حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ. قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ، كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، رَوَاهُ الْأَعْمَشُ عَنْ ثَابِتِ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ السُّرْيَانِيَّةَ"[724].

المُستدرَك للحاكم - كتاب معرفة الصحابة: "عن الأعمش، عن ثابت بن عبيد، عن زيد بن ثابت قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: "أتحسن السُّرْيَانِيَّةَ؟". فقلت: لا. قال: " فَتَعَلَّمْهَا، فإنه يأتينا كتبٌ". فَتَعَلَّمْتُهَا في سبعة عشر يوماً". قال الأعمش: كانت تأتيه كتب لا يشتهي أن يطلع عليها إلا مَن يثق به[725].

مسند أحمد - مسند الأنصار - حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ: "قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ؟ إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ". قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: "فَتَعَلَّمْهَا". فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا"[726].

ونستنتج من مجموع هذه الأحاديث الصحيحة والحسنة وأيضاً مِن روايات أخرى فى المراجع الإسلامية والمراجع الأكاديمية[727]: أن الصحابى زيد بن ثابت كان سكرتيراً لمحمد، والأهم من ذلك أنه كان يعمل مترجماً لمحمد. فلقد كانت له مهارة خاصة وموهبة واضحة فى تعلم اللغات الأجنبية بسرعة، وأنه تعلم العِبرية والسريانية قراءة وكتابة، وقرأ كتب اليهود إلى محمد، مما يدل على أن زيد بن ثابت كان حلقة وصل بين أهل الكتاب ومحمد. ومِن المؤكد أن المراسلات بين أهل الكتاب ومحمد كانت تحتوى على آيات وقصص وأفكار مِن الكتاب المقدس.

وبما أن زيد بن ثابت قد تعلم العِبرية والسريانية، فهذا يُمكِّنه من الاطلاع على التراث اليهودى والتراث المسيحى السريانى. ومِن الطبيعى أن ينقل زيدٌ معرفتَه وخبرته إلى محمد وغيره من أصحاب القرآن. وسنلاحظ فعلاً فى هذه المذكرات أن القرآن قد أخذ أفكاراً كثيرة مِن التراث اليهودى والتراث المسيحى السريانى.

ويُعتقَد أنه مِن المحتمل أن زيد بن ثابت كان يعرف هذه اللغات الأجنبية قبل هجرة محمد إلى المدينة، لكن الكتب الإسلامية قلبت الرواية وجعلت زيداً يتعلم هذه اللغات الأجنبية بعد الهجرة[728]. وهذا ليس المثال الوحيد على قلب الرواية (reversal of roles) فى المراجع الإسلامية[729][730].

ونحن نقول: ربما كان زيد يعرف مبادئ أو أساسيات هذه اللغات الأجنبية قبل الهجرة ثم أتقنها قراءة وكتابة بعد الهجرة؛ فلا نستطيع أن نتصور أن يتقن شخصٌ لغةً أجنبية فى أقل من شهر إلا إذا كان يعرفها من قبل ذلك. ومِن المعلوم أن زيد بن ثابت كان غلاماً صغيراً (قيل: ابن 11 سنة) عندما هاجر محمدٌ مِن مكة إلى المدينة. ولعل هذه السن الصغيرة هى التى ساعدته على تعلم اللغات الأجنبية وإتقانها بهذه السرعة. وتوجد أحاديث تُقوِّى هذا الاحتمال. على سبيل المثال:

- حديث أخرجه الحاكم فى المُستدرَك وجاء فيه: "قال زيد بن ثابت: [...] فقَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن إحدى عشرة سنة، وأُتِيَ بى إلى رسول الله ﷺ فقالوا: غلام من الخزرج قد قرأ ست عشرة سورة. فلم أجز فى بدر ولا أُحد وأجزت فى الخندق. قال ابن عمر: وكان زيد بن ثابت يكتب الكتابين جميعاً كتاب العربية وكتاب العِبرانية، وأول مشهد شهده زيد بن ثابت مع رسول الله ﷺ الخندق وهو ابن خمسة عشر سنة". وقال الذهبى فى التلخيص: "عن زيد بن ثابت قال: قَدِمَ النبى ﷺ المدينة ولي إحدى عشرة سنة، وأجزت فى الخندق. قال ابن عمر: وكان [زيد بن ثابت] يكتب بالعربية وبالعِبرانية"[731].
- وحديث أخرجه أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "قَرَأْتُ مِنْ فِي (أى: مِن فم) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ لَهُ ذُؤَابَةٌ فِي الْكُتَّابِ"[732]. وقوله "ذُؤَابَة" (sidelock) (mèche) - وفى روايات أخرى: "ذُؤَابَتان"؛ أى: خصلتان أو ضفيرتان تتدليان مِن شعر رأسه - يدل على جذور زيد بن ثابت اليهودية[733]. وقوله "الْكُتَّابِ" يعنى: المدرسة اليهودية (the Jewish school) (l’école juive) فى يثرب.

باختصار: نستنتج مِن المراجع التى أمامنا، سواء المراجع الإسلامية أو المراجع الأكاديمية، أن زيد بن ثابت كان على دراية جيدة بالتراث اليهودى وأيضاً التراث المسيحى السريانى. ومِن الطبيعى أن ينقل زيدٌ معرفتَه وخبرته إلى محمد وغيره من أصحاب القرآن. ونحن نعتقد أن معرفة زيد بن ثابت بتراث الديانتين اليهودية والمسيحية كانت سبباً رئيسياً فى اختياره مرتين لجَمْع القرآن بعد وفاة محمد، كما سنرى بعد قليل: المرة الأولى فى عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق والمرة الثانية فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

1.3.8.7 عبد الله بن عمرو بن العاص: الصحابي الذي قرأ التوراة والإنجيل وتَعلَّم اللغة السريانية

قيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص إنه "كان يكتب [...]. وكان يقرأ بالسريانية، فروى عن أهل الكتاب، وأَدْمَنَ النظر في كُتُبهم"[734].

وأخرج أحمد في مسنده حديثاً يقول إن عَبْد اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ لَكَأَنَّ فِي إِحْدَى إِصْبَعَيَّ سَمْنًا، وَفِي الْأُخْرَى عَسَلًا، فَأَنَا أَلْعَقُهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ [محمدٌ لعبد الله بن عمرو]: "تَقْرَأُ الْكِتَابَيْنِ: التَّوْرَاةَ وَالْفُرْقَانَ (يقصد: القرآن)"، فَكَانَ يَقْرَؤُهُمَا[735]. أي: كان عبدُ الله بن عمرو بن العاص يقرأ التوراة والقرآن. وطبعاً، اختلف المسلمون حول مدى صحة هذا الحديث سنداً و/أو متناً. وقال الإمامُ الذهبي إنه "خبر منكر" ونصح المسلمين باجتناب قراءة التوراة! مع أنه اعترف بأن عبد الله بن عمرو بن العاص "روى [...] عن أهل الكتاب، وأَدْمَنَ النظرَ في كُتُبهم، واعتنى بذلك"[736]!

أما نحن فننصح جميع المسلمين أن يقرأوا التوراة والإنجيل والتراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) حتى يكتشفوا حقيقة القرآن.

وقال د. محمد بكر إسماعيل (الأستاذ بجامعة الأزهر) عن عبد الله بن عمرو بن العاص إنه "رجلٌ أحب العلم وسعى إليه في الجاهلية وفي الإسلام، فقد تَعلَّم في الجاهلية القراءة والكتابة، وقرأ التوراة والإنجيل وشيئاً مِن كتب الفرس والروم، وتعلّم اللغة السريانية، وكان يأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت"[737].

وقال ابنُ الأثير إن عبد الله بن عمرو بن العاص "كان فاضلاً عالماً قرأ القرآن والكتب المتقدمة (أي: التي قبل القرآن)"[738].

ونحن بصراحة نتعجب مِن إصرار المسلمين على أن محمد كان لا يعرف القراءة والكتابة وأن هذا دليل على نبوته! فنقول للمسلمين جميعاً: محمد لم يكن محتاجاً أن يقرأ أو يكتب، فيكفيه ما كان يسمعه بأذنيه مِن الصحابة الذين يجيدون القراءة والكتابة مثل عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره.

فَمَن هو الصحابي "عبد الله بن عمرو بن العاص"[739] الذي قرأ كتب أهل الكتاب وتَعلَّم السريانية؟

إنه الصحابي القُرشِيّ الشاب ابن الصحابي القُرشِيّ "عمرو بن العاص". أسلم قبل أبيه بقليل. وهاجر إلى المدينة بعد سنة 7 هـ، وشهد بعض المغازي مع محمد. ويُقال إن اسمه كان "العاص"، فغيَّره محمدٌ إلى "عبد الله".

ومما يدل على ملازمته لمحمد هو أنه رَوى عن محمد نحو 700 حديث، وهذا يعتبر عدد ضخم بالنسبة لغيره مِن الصحابة المهاجرين. ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري إن أَبَا هُرَيْرَةَ قال: "مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ (أي: عبد الله بن عمرو بن العاص) كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ"[740]. ويُقال إن عبد الله كان يكتب أحاديث محمد في صحيفة كان يُسميها "الصَّادقة"، وكان يقول إن "هذه الصَّادقة فيها ما سمعت مِن رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه أحد".

كما روى عبدُ الله أيضاً عن الصحابة الكبار مثل أبي بكر وعمر وغيرهما. وروى عنه صحابة آخرون وعددٌ كثيرٌ مِن التابعين. وهذا يدل على احتفاظه بعلاقات قوية مع إخوانه المسلمين الأوائل.

ويبدو أن إطلاع عبد الله بن عمرو بن العاص على التراث المسيحي قد أثر تأثيراً كبيراً على شخصيته وطريقة تفكيره. فيُقال إنه عاش حياة تشبه حياة الرهبان: حياة كلها عبادة وصلاة وصوم وقراءة وزهد. ولا نعتقد أنه سعى إلى الزواج. ويُروَى أن أباه عمرو بن العاص قد زَوَّجَه امرأةً ذَاتَ حَسَبٍ، إلا أنه لم يقترب مِن فراشها! فلقد أخرج البخاري حديثاً صحيحاً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ [عمرو بن العاص] يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ (أي: يزور امرأة ابنه عبد الله) فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ، لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا (أي: لم يضطجع معها في فراش!)، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا (تقصد: عدم جماعه لها!) مُنْذُ أَتَيْنَاهُ. فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: الْقَنِي بِهِ. فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ [محمدٌ لعبد الله]: كَيْفَ تَصُومُ؟ قَالَ [عبد الله]: كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ [محمدٌ]: وَكَيْفَ تَخْتِمُ [القرآنَ]؟ قَالَ [عبدُ الله]: كُلَّ لَيْلَةٍ. [...][741].

وعلى الرغم مِن أن عبد الله بن عمرو بن العاص قد اشترك في بعض الغزوات (الفتوحات) ضد غير المسلمين، إلا أنه رفض أن يشترك في الحرب الأهلية بين المسلمين التي تُعرَف باسم "الفتنة الكبرى"، ولم يخرج إلا بعد ضغط مِن أبيه عمرو بن العاص الذي كان في صف معاوية بن أبي سفيان ضد عَليّ بن أبي طالب. وقال عبدُ الله لأبيه عمرو: إني معكم ولستُ أقاتِل. والذي في مسند أحمد أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لمعاوية: "قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ"، فَأَنَا مَعَكُمْ وَلَسْتُ أُقَاتِلُ"[742]. لكن بعد مقتل الصحابي الكبير "عَمَّار بن ياسر" - الذي كان يُقاتِل في صف عَليّ بن أبي طالب - وقُتِلَ على أيدي أنصار معاوية في معركة صِفِّين (37هـ) وعمره 94 عاماً، تذكر عبدُ الله قول محمد إن عَمَّار ستقتله "الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ". فَنَدِمَ عبدُ الله ندماً شديداً على اشتراكه في هذه الحرب الأهلية وسارع بترك فئة معاوية الباغية وعاد إلى محرابه حتى لا يناله وبال هذه الفتنة الكبرى. أما معاوية وعمرو بن العاص فاستأنفا القتال ضد عَليّ وقالا لأتباعهما إن الذين قتلوا عَمَّار بن ياسر هُمْ "الذين خرَجوا به، وحملوه معهم إلى القتال"[743]، يقصدان: فريق عَليّ! وبهذا المنطق العجيب، استطاع معاوية وعمرو بذكائهما أن يقنعا أتباعَهما بأن فئة عَليّ هي الْفِئَةَ الْبَاغِيَةَ! وهكذا في كل حرب أهلية، نجد أن كل طرف يُلقي باللوم على الطرف الآخر.

ومع أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان غنياً، وورث مِن أبيه – عمرو بن العاص الذي غزا مصر – "قناطيرَ مقنطرةً مِن الذهب المصري، فكان مِن ملوك الصحابة"[744]، إلا أنه يُقال إنه كان متواضعاً!

وفي آخر حياة عبد الله بن عمرو، كُفَّ بصره. ولعله أُصِيبَ بهذا العمى بسبب كثرة القراءة والإطلاع؛ وقيل: بسبب كثرة البكاء مِن خشية الله! ثم مات وهو ابن اثْنَتَيْنِ وسبعين سنة 65هـ. وقيل: 63هـ. وقيل غير ذلك، لكن في جميع الأحوال، كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان.

1.3.9 صحابة آخرون مِن الإنس

1.3.9.1 هِلال بن أُمَيَّة

اسمه "هِلال بن أُمَيَّة بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف"[745]. وهو صحابي أنصاري مِن الأنصار الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج في غزوة تبوك (رجب 9هـ) بدون عذر مقبول فعُوقِبوا ثم تِيبَ عليهم، فأشار القرآنُ إليهم في سورة التوبة (التوبة 106) (التوبة 117-119). وكنا قد تحدثنا عن هذه القصة عند حديثنا عن كعب بن مالك، فلا داعي لتكرار ما قلناه.

أشار القرآنُ إلى هلال بن أمية في قضية أخرى ذُكِرَت في سورة النور ...

قال القرآنُ: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ (أي: يتهمون العفيفات بالزنا) ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (النور 4).

أدت هذه الآية القرآنية إلى مشكلة وهي: ماذا يفعل الزوجُ إذا وجد زوجتَه تزني مع رجلٍ آخر؟ هل يتركهما يمارسان الفاحشة ويذهب ليبحث عن أربعة شهود عدول مِن الرجال؟! طبعاً مستحيل.

أما حل هذه المشكلة فنجده في حديث صحيح أخرجه البخاري[746] وغيره يُعرَف باسم "حَدِيث اللِّعَانِ" أو "حَدِيث المُلَاعَنَة" أو "حَدِيث التَّلَاعُن". يقول هذا الحديث إنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ (أي: اتهمها بالزنا) عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ [لهلال]: "الْبَيِّنَةَ (أي: أقم البينةَ، وهي أربعة شهود عدول من الرجال) أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ (أي: وَإِلَّا تُجلَد ثَمَانِينَ جَلْدَةً)". فَقَالَ [هِلَالٌ متعجباً]: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ؟"! فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ".

فَقَالَ هِلَالٌ [لمحمد]: "وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنْ الْحَدِّ".

وفي رواية أحمد أن هلال قال: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِي مِنْهَا مَخْرَجًا"[747].

نعود لصحيح البخاري: فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ [بالزنا] وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ (أي: يكرر الزوجُ شهادته أربع مرات) بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. وَالْخَامِسَةُ (أي: ويزيد الزوجُ في الشهادة الخامسة) أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (أي: إنْ كان قذفها واتهمها كذباً). وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ (أي: ولا يدفع حد الزنا – وهو هنا الرجم حتى الموت – عن هذه الزوجة المتهمة إلا) أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ (أي: تكرر الزوجةُ شهادتها أربع مرات) بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ. وَالْخَامِسَةَ (أي: وتزيد الزوجةُ في الشهادة الخامسة) أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (أي: إنْ كانت هي زانية فعلاً كما قال زوجها)" (النور 6-9).

ونحن نستنتج مِن حَدِيث اللِّعَانِ أن (النور 6-9) بدأت بالسؤال الوجيه الذي سأله هلال بن أمية لمحمد: إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ؟! ثم قال محمدٌ (و/أو غيره) هذه الآيات للإجابة على هذا السؤال. ثم كُتِبَت القصة في الكتب الإسلامية بطريقة تجعل جبريلَ/اللهَ هو الذي أنزل الآيات.

وبعد "نزول" هذه الآيات، فرح محمدٌ وقال لهلال: "أَبْشِرْ يَا هِلَالُ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا". فَقَالَ هِلَالٌ: "قَدْ كُنْتُ أَرْجُو ذَاكَ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ"(748). ولا نتصور أن يقول هلالٌ هذه الجملة بكل هذه الثقة إلا إذا كان هذا أمراً عادياً وحدث قبل ذلك كثيراً. أن يسأل صحابيٌّ سؤالاً أو يقترح اقتراحاً أو يتمنى أمنية، ثم يقول محمدٌ (و/أو غيره) قرآناً يوافِق ما أراده الصحابيُّ.

وهذا ما نقصده بأن القرآن ثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر مِن شخص. ونحن نذكر هذه القصة لنؤكد أن هذه النتيجة التي توصلنا إليها ليست غريبة، وإنما لها جذور في كتب التراث الإسلامي.

وأما الطريف فهو أن امرأة هلال بن أمية كانت بالفعل زانية، بل كانت حامل مِن هذا الرجل الذي زنا معها واسمه "شَرِيك ابْنِ سَحْمَاءَ". ومع ذلك، لم يرجمها محمدٌ. وذلك لأنها قالت الشهادات الخمس. فاستطاعت بذلك أن تنجو مِن حد الزنا! تقول تكملةُ الحديث في صحيح البخاري: فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ هِلَالٌ فَشَهِدَ [الشهادات الخمس]، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ [لهلال وامرأته]: "إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟" ثُمَّ قَامَتْ [الزوجةُ المتهمة] فَشَهِدَتْ [الشهادات الأربع]، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا وَقَالُوا [لها تذكيراً وتحذيراً]: "إِنَّهَا مُوجِبَةٌ (أي: مُوجِبَةٌ لغضب الله عليك إنْ كُنْتِ كاذبة)". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ (أي: لا أكون سبب فضيحتهم فيما بقي مِن الأيام، يُقال لهم: منكم امرأة زانية)، فَمَضَتْ (أي: قالت الشهادة الخامسة وانصرفت).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَبْصِرُوهَا (أي: راقبوها عندما تضع حملها)، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ، سَابِغَ الْأَلْيَتَيْنِ (أي: ضخمهما)، خَدَلَّجَ (أي: ممتلىء) السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ". فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (أي: مِن أنه لا يحد أحد بدون بينة أو إقرار، وأن اللعان يدفع عنها الرجم)، لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ (أي: كان لي معها موقف آخر؛ يقصد: لرجمتها ولفعلت بها ما يكون عبرة لغيرها)".

ونلاحظ هنا أن محمد قد اعتمد فقط على التشابه الشكلي الخارجي بين الطفل المولود وشَرِيك ابْنِ سَحْمَاءَ كدليل على أن هذا الطفل ابن شَرِيك وليس ابن هلال! والحمد لله أن العلم الحديث قد استطاع أن يثبت النسب ويثبت الزنا بوسائل أخرى أكثر دقة بكثير مما فعله محمدٌ. اختبار (DNA) مثلاً.

وتوجد قصص أخرى مشابهة لقصة هلال بن أمية الأنصاري، لكن أبطال هذه القصص صحابة آخرون. انظر مثلاً قصة لصحابي أنصاري آخر اسمه "عُوَيْمِر الْعَجْلَانِيَّ"، وقصة ثالثة للصحابي "سعد بن عُبادة" سيد الأنصار، وقصص أخرى(749). ولعل هؤلاء الصحابة قد اشتركوا كلهم أو بعضهم في تأليف (النور 6-9). ويبدو أن هذه المشكلة كانت تشغل بال كثير مِن المسلمين الأوائل، فاشترك أكثر مِن شخص في حلها.

1.3.9.2 سعد بن مُعَاذ بن النعمان: صاحب مذبحة بني قُرَيْظَة

هو الصحابي الأنصاريّ الأوسيّ الشاب "سعد بن مُعَاذ بن النعمان"[750] مِن بني عبد الأشهل. قبل إسلامه، كان سعد بن مُعَاذ سيِّد الأوس في يثرب (المدينة). ثم أسلم سعد على يد مُصعب بن عمير. ويُحكَى أنه لمَّا أسلم قال لبني عبد الأشهل: "كلامُ رجالِكم ونسائِكم عليَّ حرامٌ حتى تُسْلِموا"، فأَسلَموا جميعاً!

وبعد هجرة محمد إلى المدينة، شَهِد سعد معه غزوات بدر (2هـ) وأُحُد (3هـ) والخندق (5هـ). وأُصِيبَ يوم الخندق بجرح خطير، فسأل الله أن يبقيه حياً حتى يقرَّ عَيْنَهُ مِن يهود بني قُرَيْظَة!

ومِن أهم ما ذكره التراث الإسلامي عن الصحابي سعد بن معاذ هو الدور الذي لعبه في هجوم المسلمين على يهود بني قريظة (5هـ). وقصة هذا الهجوم لا تختلف كثيراً فى بشاعتها عن الحروب الهجومية الأخرى التي قام بها المسلمون الأوائل بقيادة محمد. لكن مما يميز غزوة بنى قريظة أن المسلمين يعتقدون أنها حدثت بأمر وتحريض مِن الملاك جبريل شخصياً! تقول السُّنَّة الصحيحة (البخاري ومسلم وألفاظُهما مُتَقَارِبَة): "لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ [غزوة] الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ، فَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ، فَقَالَ [جبريلُ لمحمد]: "وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ (أي: ما وضعَت الملائكةُ السلاحَ بعدُ!). اخْرُجْ إِلَيْهِمْ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَأَيْنَ؟" فَأَشَارَ [جبريلُ] إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. فَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (ونعرف مِن مصادر إسلامية أخرى أن محمد حاصر بني قريظة 25 ليلة، فطال عليهم الحصارُ حتى استسلموا). فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (أي: استسلموا وارتضوا حُكمَ محمد فيهم). فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ (هو: سعد بن مُعَاذ سيد الأوس حلفاء بني قريظة قبل الإسلام). قَالَ [سعدُ]: "فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ (أى: الرجال) وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَالنِّسَاءُ وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ [غنيمة على المسلمين الذين يحاصرونهم]""[751]!

فوافقَ محمدٌ سعداً على حكمه وقال له: "لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ" (وفى روايات أخرى: "قَضَيْتَ بحُكْمِ اللهِ"؛ أو: "قَضَيْتَ بحُكْمِ المَلِك"؛ أو: "لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللهِ من فوق سبع سماوات")!

ونُفِّذ حُكْمُ سعد بن معاذ! فصار رجالُ بني قريظة جثثاً. وصارت نساؤهم أرامل. وصار أطفالُهم أيتاماً. قال د. محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق): "أمر رسول الله ﷺ فحفرت لهم خنادق في سوق المدينة ثم جيء بهم مكتفين بالحبال فضربت أعناقهم ودفعوا في تلك الخنادق، وكان عددهم نحواً من ستمائة رجل، ثم قسمت أموالهم وأبناؤهم على المسلمين"[752]!

600 رجل قُتِلوا في يومٍ واحد بأمر من محمد! هل هذا هو "نبي الرحمة والخلق العظيم"؟! مستحيل.

وفى هذا الحديث الصحيح دليلٌ على أن محمد كان يوافق أصحابَه (أصحابَ القرآن) على اقتراحاتهم، ويزعم أن رأيهم هو رأى الله! وكأن الله لا يستطيع أن يسحق بنى قريظة بنفسه لو أراد ذلك. ولقد تَحوَّل اقتراحُ سعد بن معاذ بالفعل إلى قرآنٍ يُتلَى ويُصَلَّى به على أنه كلام الله مع أنه في الحقيقة كلام سعد بن معاذ: "وَأَنْزَلَ [اللهُ/سعدُ] الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ (أي: الذين أعانوا المشركين في غزوة الخندق) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (أي: مِن يهود بنى قريظة) مِنْ صَيَاصِيهِمْ (أي: حصونهم) وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ (هُمْ: الرجال المقاتلين) وَتَأْسِرُونَ

فَرِيقًا (هُمْ: النساء والذراري). وَأَوْرَثَكُمْ [اللهُ/سعدُ أيها المسلمون] أَرْضَهُمْ (أي: أرضَ بني قريظة) وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ" (الأحزاب 26-27)! وقيل إن سعد حَكَم بأن تكون ديار بني قريظة للمهاجرين دون الأنصار!

وكالعادة، لجأت المراجع الإسلامية إلى نظرية المؤامرة لتبرير تدمير بني قريظة بهذه الطريقة المتوحشة، فقالوا إن بني قريظة "نقضوا عهدَهم" مع محمد وتحالفوا مع مشركي قريش ضد المسلمين!

ونحن نقول لهم: روايتكم هي الرواية الإسلامية لِمَا حدث، وليس لدينا رواية أخرى (سواء مِن بني قريظة أو مِن قريش) لكي نتحقق بها مِن مدى صحة الرواية الإسلامية.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن هذه الرواية الإسلامية صحيحة، فإنها ليست مبرراً كافياً لإبادة بني قريظة إبادة جماعية (genocide) بهذه الطريقة الوحشية: قتل رجالهم! وسبي نسائهم وأطفالهم! ونهب أموالهم! والاستيلاء على أراضيهم وديارهم!

وحتى لو افترضنا جدلاً أن رؤساء بني قريظة أو زعماء بني قريظة نقضوا عهدَهم مع محمد، فما ذنب بقية الرجال؟! لماذا يُقتَلوا؟! إن الهجوم على كل بني قريظة بهذه الطريقة بعد حصارهم 25 يوماً يُعتبَر "عقاباً جماعياً" (collective punishment)، وهو ليس مِن العدل في شيء.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن رجال بني قريظة نقضوا عهدَهم مع محمد، فما ذنب النساء والأطفال؟! لماذا يعيش النساء والأطفال 25 يوماً مُحاصَرين في خوف ورعب مِن المجهول؟! ولماذا يُقبَض عليهم بعد ذلك كسبايا وعبيد وإماء ورقيق؟ هل الله يحتاج إلى إرهاب النساء والأطفال ثم سبيهم؟!

ومما يدل على بشاعة غزوة بني قريظة التي قام بها المسلمون الأوائل بقيادة محمد هو أن المسلمين لم يعتمدوا على معيار علمي (السن مثلاً) لتحديد مَن هو ليس طفلاً، وإنما اعتمدوا على معيار شكلي وهو الإِنْبَات؛ أي: ظهور شعر العانة (pubic hair). أو كما قيل إن حُكْم سعد بن معاذ في بني قريظة هو "أن يُقتَل مَن جرت عليه المَواسِي (جمع مُوسَى، وهي الآلة التي يُحلَق بها)"[753]، أي: نبتت عانته. ولقد روى الترمذي والنسائي وأبو داود وغيرهم عَنْ عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ (أحد الناجين مِن مذبحة بني قريظة) أنه قَالَ: "عُرِضْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَكَانَ مَنْ أَنْبَتَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ خُلِّيَ سَبِيلُهُ، فَكُنْتُ مِمَّنْ لَمْ يُنْبِتْ، فَخُلِّيَ سَبِيلِي"[754]. وفي سنن أبي داود إضافة مهمة وهي: "فَكَشَفُوا عَانَتِي فَوَجَدُوهَا لَمْ تَنْبُتْ، فَجَعَلُونِي مِنْ السَّبْيِ"[755].

تعليقنا: هذه الأحاديث الصحيحة تعني أنه مِن المحتمل أن المسلمين قتلوا بعض الأطفال الذين بلغوا الحُلُم حتى لو كانوا أقل مِن 18 سنة. بل إن مجرد "عَرْض" الأطفال وتعريتهم للكشف على عانتهم لتحديد إذا كانوا أنبتوا أم لم يُنْبِتُوا، ومِن ثم تحديد إذا كانوا سيُقتَلوا مثل آبائهم أم سيُلحَقوا بالسَّبْيِ مثل أمهاتهم، يُعتبَر انتهاكاً لطفولتهم ولآدميتهم. ومِن المؤكد أن هذه التجربة المؤلمة قد سببت صدمة نفسية (psychological trauma) لهؤلاء الأطفال، بدليل أن عَطِيَّة الْقُرَظِيّ ظل يتذكر هذه المذبحة منذ طفولته إلى أن كبر.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن بعض اليهود أخطأوا عندما تحالفوا مع مشركي قريش ضد المسلمين، فإنه بنفس المنطق يمكن أن يُقال إن بعض اليهود أيضاً أخطأوا عندما أسلموا فصاروا بذلك متحالفين مع المسلمين ضد مشركي قريش، فلماذا لم يُقاتِلهم مشركو قريش؟ ولماذا لم يرسل مشركو قريش لهؤلاء اليهود (مثل: عبد الله بن سلام) مَن يغتالهم كما أرسل محمدٌ لكعب بن الأشرف وأبي رافع اليهوديين مَن يغتالهم؟

إذن: حتى لو افترضنا جدلاً أن التاريخ الذى كتبه – وربما: فَبرَكَهُ – المسلمون يروى لنا ما حدث آنذاك، فإن هذا التاريخ الإسلامي نفسه يعترف بأن مشركي قريش تعامَلوا مع اليهود المتحالفين ضدهم بطريقة أفضل بكثير مِن الطريقة التى تعامَل بها محمدٌ مع اليهود المتحالفين ضده. يعني: التاريخ الإسلامى نفسه يعترف بأن أخلاق قريش في هذه النقطة كانت أفضل مِن أخلاق محمد. بل يعترف بأن أخلاق اليهود في هذه النقطة كانت أفضل مِن أخلاق محمد، لأن اليهود لم يقتلوا عبد الله بن سلام وغيره من اليهود الذين تركوا اليهودية واعتنقوا الإسلام. بينما أسس محمدٌ "حد الردة" وحَرَّض على قتل كل مسلم يترك الإسلام ويعتنق أي دين آخر!

باختصار: إن مذبحة بني قريظة التي قام بها المسلمون الأوائل بقيادة محمد مأساة إنسانية بلا شك. والمشكلة الكُبرى هي إلصاق هذه المذبحة بالله، كما زعم محمد حين قال لسعد بن معاذ: "لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللهِ"! ونحن نقول لمحمد وسعد وأتباعهما: اللهُ بَريءٌ منكم. اللهُ بَريءٌ مِن أقوالكم. اللهُ بَريءٌ مِن أفعالكم.

إن تدمير يهود بني قريظة – بل إبادة يهود بني قريظة – بهذه الطريقة المتوحشة يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن محمد لا يصلح كقدوة للمسلمين اليوم. فلو فعل مسلمون اليوم ما فعله محمد وسعد وأتباعهما منذ أكثر من 1400 سنة، فسيُحاكَمون أمام المحاكم الدولية وقد يُقْبَض عليهم جميعاً ويُعاقَبون في النهاية. والأهم مِن ذلك هو أن العالم المتحضر كله سيعتبرهم إرهابيين.

ونحن نرى أن تدمير يهود بني قريظة ونهب أموالهم والاستيلاء على أراضيهم ومنازلهم كان حلماً مِن أحلام الأوس والخزرج حتى مِن قَبل هجرة محمد إلى المدينة؛ إذ يُروَى أن "عمرو بن النعمان" (أحد زعماء الخزرج) قال لقومه قبل الهجرة: "إن أباكم أنزلكم منزلة سوء. واللهِ لا يمس رأسي ماءٌ حتى أنزلكم منازل قريظة والنضير" وكانت منازل قريظة والنضير خير البقاع [في المدينة][756]. ثم هاجر محمدٌ إلى المدينة، وكان في البداية على علاقة طيبة أو سلمية مع يهود المدينة، لكن بعد أن فقد محمدٌ الأملَ في إيمان اليهود به، حقق حلمَ الأوس والخزرج في التخلص من يهود المدينة تماماً.

بعبارة أخرى: تدمير يهود بني قريظة هو مجرد خطوة مِن خطوات المخطط الذي أعده الأوس والخزرج لإزاحة اليهود عن المدينة نهائياً وإلى الأبد. فجاء محمدٌ إلى المدينة ليحقق هذا المخطط: أولاً التخلص من يهود بني قينقاع (2هـ)؛ ثم التخلص من يهود بني النضير (4هـ)؛ ثم التخلص من يهود بني قريظة (5هـ)؛ ثم التخلص من فلول اليهود في خيبر (7هـ).

الخلاصة: إدعاء "نقض العهد" – بفرض صحته – هو مجرد حجة (أو كما يُقال اليوم: تلكيكة) يلجأ إليها المسلمون لتبرير هجوم محمد وصحابته على يهود شبه الجزيرة العربية وقتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم ونهب أموالهم والاستيلاء على أراضيهم وديارهم! وخير دليل على ذلك هو أن المسلمين الأوائل لم يعادوا اليهود فقط، وإنما عادوا المسيحيين (النصارى) أيضاً الذين لم ينقضوا أى عهد مع محمد! ووصل هذا العداء الدينى إلى درجة إخراج اليهود والمسيحيين (النصارى) مِن جزيرة العرب! يقول الحديث الذى يسبق قصة بنى قريظة مباشرةً فى صحيح مسلم إن عمر بن الخطاب سمع محمداً يقول: "لَأُخْرِجَنَّ اليهودَ والنصارى مِن جزيرةِ العربِ. حَتَّى لا أدع إلا مُسْلِماً"[757]! ويجب هنا أن نذكر أن هذه الجملة التي قالها محمدٌ ورددها عُمَر تُعتبَر **اليوم** "إبادة جماعية" (genocide) أو "تطهير عرقي" (ethnic cleansing)، وهي جريمة ضد الإنسانية (crime against humanity).

وفي هذا السياق، يجب علينا أن نقارن بين ما فعله محمدٌ بأعدائه اليهود وبين ما فعله المسيحُ بأعدائه اليهود الذين اشتركوا في صلبه وقتله. طلب المسيحُ مِن الله أن يغفر لهم خطيئتهم. قال المسيحُ قبل موته على الصليب: "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ (أي: لليهود)، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا 23:34). كالعادة، المقارنة محسومة لصالح المسيح رسول السلام والمحبة.

ولا يهمنا إن كانت قصة تدمير بنى قريظة بهذه الطريقة المتوحشة قصة حقيقية 100% أم لا. المهم أنها مذكورة فى أصح الكتب الإسلامية (البخاري ومسلم وغيرهما) ويُعتقَد أن القرآن قد أشار إليها (الأحزاب 26-27). إنها إذن قصة مِن القصص التى يؤمن بها المسلمون وتُشكِّل وجدانَ المسلمين إلى اليوم، بغض النظر عن تاريخيتها. فإذا كانت هذه هي القصص التي يؤمن بها المسلمون ويقرأونها ويسمعونها ويتوارثونها منذ مئات السنين، فيجب علينا اليوم ألا نندهش مِن ظهور الإرهاب الإسلامي. فَمِن المعلوم أن ما فعله داعش (الدولة الإسلامية فى العراق والشام) مع الأيزيديين والأيزيديات يشبه إلى حد كبير ما فعله محمد وأتباعه مع بنى قريظة: قتل رجالهم، وسبي نسائهم وأطفالهم، ونهب أموالهم، والاستيلاء على أراضيهم وديارهم. ما فعله الإرهابيون المسلمون الداعشيون فى العصر الحديث هو مجرد تطبيق عملي للخطة الإسلامية المكتوبة منذ مئات السنين فى القرآن والبخاري ومسلم وغيرهم مِن الكتب الإسلامية. وإنْ قلتم إن داعش قد أفرط في استخدام القوة، فسنقول إن هذا أمر طبيعى، فالأسلحة التي يمتلكها المسلمون الداعشيون أقوى وأكثر فتكاً من الأسلحة التي امتلكها المسلمون الأوائل. فَمِن الطبيعى أن يكون القتلى والسبايا ممن قاوموا داعش أكثر مِن القتلى والسبايا ممن قاوموا المسلمين الأوائل. وفى جميع الأحوال، فإن ما فعله داعش مأخوذ مِن القرآن والبخاري ومسلم وغيرهم مِن الكتب الإسلامية-العربية.

ولا نزعم أننا أول مَن وصل إلى هذه الحقيقة. فلقد سبقنا كثير مِن الباحثين والمثقفين المسلمين وغير المسلمين. نذكر منهم على سبيل المثال الكاتب المصري "إبراهيم عيسى" الذي قال: "وداعش نفسها لَمَّا بتعمل ده: ذَبْح، قَتْل، اغتصاب، حَرْق، كل الجرائم المتوحشة اللي بتعملها دي، بتقول شرعاً هي مستندة إلى إيه. هي

مستندة إلى الشرع: ده حديث نبوي كذا، ده سورة كذا، ده ابن تيمية قال كذا، ده واقعة تاريخية كذا. والحقيقة كل اللي بتقوله داعش صح. لكي لا يصطدم أحد بما نقول أو لا يُصدَم بما نقول. يصطدم أو يُصدَم بما نقول. كل الأسانيد التي قدمتها داعش لجرائمها وتوحشها وعنفها المُفزع المجرم الوضيع ... كل الأدلة اللى قدمتها والأسانيد التي استندت إليها زاعمةً أنها في كتب التاريخ والفقه والشرع هي أدلةٌ صحيحةٌ وأسانيد موجودة فعلاً. وكل مَن يقول إنها ليست كذلك كاذب"[758][759].

ويرى فريقٌ مِن المفكرين المسلمين أن سنة 5هـ تُعتبَر نهاية لمرحلة "الحرب الدفاعية" في الإسلام وبداية لمرحلة "الحرب الهجومية" المستمرة إلى اليوم. يقول د. محمد سعيد رمضان البوطي: "قال رسول الله ﷺ في منصرفه عن غزوة الأحزاب، فيما رواه البخاري: "الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ"، وأخرج البزار بإسناد حسن من حديث جابر أنه ﷺ قال يوم الأحزاب، وقد جمعوا له جموعاً كثيرة: "لا يغزونكم بعد هذا أبداً ولكن أنتم تغزونهم". وأخيراً، فإن قصة سعد [بن مُعاذ] هذه، بملابساتها التي ذكرناها، تذكرك بما كنا قررناه سابقاً من أن الحرب الدفاعية في الإسلام ما كانت إلا مرحلة من مراحل الدعوة التي سار فيها رسول الله ﷺ، وقد جاءت من بعدها مرحلة دعوة الناس كلهم إلى الإسلام بحيث لا يُقبل من الملاحدة والمشركين إلا الإسلام، ولا يُقبل من أهل الكتاب إلا الدخول فيه أو الخضوع تحت حكمه العام، مع قتال كل مَن وقف دون هذه السبيل، ما دام ذلك ممكناً، وبعد استنفاد وسائل الدعوة السلمية المعروفة. وليس بعد تكامل الحكم الإسلامي فيما يتعلق بالجهاد والدعوة أي معنى لما يُسمى بالحرب الدفاعية التي شاعت أخيراً على ألسنة بعض الباحثين. وإلا فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام "ولكن أنتم تغزونهم"؟"[760].

1.3.9.2.1 وفاة سعد بن مُعاذ ورثاء أُمه له

بعد مذبحة بني قريظة بأيام أو أسابيع قليلة، مات سعد بن مُعاذ (5هـ) وهو يومئذ شاب ابن سبع وثلاثين سنة. وتقول المراجع الإسلامية إنه مات متأثراً بالجرح الذي أصابه يوم الخندق.

وتقول أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما إن محمداً قال: "اهْتَزَّ الْعَرْشُ (أو: عَرْشُ الرَّحْمَنِ) لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ"[761]! وقيل إن المراد باهتزاز عرش الله هو استبشاره وسروره وفرحه بقدوم روح سعد! وقيل إن المراد هو اهْتِزَاز أَهْلِ الْعَرْشِ وَهُمْ حَمَلَتُهُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ! وقيل غير ذلك.

وبعد موت سعد بن مُعَاذ، نُسِجَت حوله الأساطير. فتقول أسطورة إسلامية إن ملائكة نَزَلت مِن السماء إلى الأرض لتحمل جثة سعد في جنازته! وتقول أسطورة أخرى إن إنساناً أخذ قبضةً مِن تُراب قبر سعد، فذهب بها، ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مِسْك! وطبعاً قالوا عن سعد بن مُعَاذ إنه "مِن أهل الجنة"! بل يُقال إن التابعي الكبير "سعيد بن المُسَيَّب" قال عن سعد بن مُعَاذ إن به خصال "ما كنت أحسِبُها إلا في نبيّ"!

وهكذا ارتفع سعد بن معاذ بسرعة إلى مرتبة الشهداء والْقِدِّيسِين والأنبياء!

ولا يزال المسلمون إلى اليوم يقولون عن سعد بن مُعَاذ "رضي اللهُ عنه"!

أما نحن فلا ندري كيف يَرضى اللهُ على مَن حَكم بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال ونهب الأموال والاستيلاء على الأراضي والديار؟! فأدى هذا الحُكْم الظالم إلى قَتْل مَن نبت شعرُ عانتهم وسبي مَن لم يُنْبِتُوا!

الله ليس ظالماً، فكيف يرضى على مَن حَكم حُكْماً ظالماً فكان سبباً في تدمير مجتمع بأكمله؟!

اللهُ بَريءٌ مِن سعد بن معاذ.

اللهُ بَريءٌ مِن محمد بن عبد الله.

اللهُ بَريءٌ مِن القرآن ابن الثقافة العربية.

ومما يدل على أن القرآن ليس كلام الله هو أنه لَمَّا مات سعد، قالت أُمُّه الصحابية الأنصارية "كَبْشة (أو: كُبيشة) بنت رافع" وهي تبكيه وتَنْدُبُه وتذكر صفاته: وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا. حَزَامَةً (أو: صَرَامَةً) وَجِدًّا. وسُؤْدُدًا ومَجْدًا. وفارسًا مُعَدًّا. سُدَّ بِهِ مَسَدًّا (أو: مُسِدًّا). يَقُدُّ (أي: يشق) هامًا قَدًّا[762].

ونلاحظ أن هذا الرَّجَز يشبه القرآن من حيث الشكل. اقرأ سورة مريم مثلاً:

كلام كَبْشة أم سعد بن معاذ	كلام القرآن
وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا.	وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا.
حَزَامَةً (أو: صَرَامَةً) وَجِدًّا.	لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا.
وسُؤْدُدًا ومَجْدًا.	أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا.
وفارسًا مُعَدًّا.	وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا.
سُدَّ بِهِ مَسَدًّا (أو: مُسِدًّا).	لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا.
يَقُدُّ (أي: يشق) هامًا قَدًّا.	وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا.

ولا يهم إنْ كانت كَبْشة أُم سعد بن معاذ شخصية حقيقية أَم خيالية أَم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال. ولا يهم إنْ كانت قد قالت هذه الجمل (الآيات) القصيرة فعلاً لَمَّا مات سعد (5هـ) أم أنها وُضِعَت على لسانها ونُسِبَت إليها في وقتٍ لاحق. فى جميع الأحوال، النتيجة واحدة: لدينا كلام بشري مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذي وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و

(هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء في هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنتجت كلامَ كَبْشة أُم سعد بن معاذ تستطيع بكل تأكيد أن تنتج القرآنَ.

1.3.9.3 البَرَاءُ بن مَعْرُور: صاحب فكرة تحويل الْقِبْلَة مِن أورشليم (قِبْلَة اليهود) إلى مكة (قِبْلَة العرب)

إنه الصحابيّ الأنصاريّ "البَرَاء بن مَعْرُور بن صخر"[763] الخزرجي، وكنيته "أبو بشر". وهو ابن عمة سعد بن معاذ. كان البَرَاءُ واحداً مِن وفد الأوس والخزرج – بل كان أحد النقباء الاثنى عشر من الأنصار – الذين خرجوا من يثرب (المدينة) ليبايعوا محمداً بيعة العقبة الثانية (بيعة الحرب) عند مشارف مكة في موسم الحج العربي قبيل الهجرة المحمدية. وكان البراءُ أوّلَ مَن وضع يده في يد محمد في تلك البيعة التي كانت سبباً في اندلاع كثير من الحروب العربية-العربية.

يقول مسند أحمد وسيرة ابن هشام وسيرة ابن كثير وسير أعلام النبلاء ومراجع إسلامية أخرى كثيرة[764] إنه لمَّا خرج وفد الأوس والخزرج من يثرب متجهاً جنوباً إلى مكة، قال البَرَاءُ لهم: "يا هؤلاء، إنِّي قد رأَيْتُ رَأْياً، والله ما أَدْري أَتُوافِقونَني عليه أم لا؟" "قد رأيتُ أن لا أَدَعَ (أي: لا أجعل) هذه البَنِيَّةَ (يعني: الكعبة) منِّي بظَهْرٍ وأن أُصَلِّيَ إليها (أي: في اتجاه الكعبة)". فقالوا له: "واللهِ ما بَلَغَنا أنَّ نَبِيَّنا ﷺ يُصَلِّي إلا إلى الشامِ (يقصدون: بيت المقدس؛ أورشليم/القدس)، وما نُريدُ أن نُخالِفَه". فأصر البراءُ على فكرته وقال لهم: "إنِّي لَمُصَلٍّ إليها (أي: سأتجه في صلاتي نحو الكعبة)". فقالوا له: "لكنَّا لا نَفْعَلُ". فكانت إذا حَضَرَت الصلاةُ، صَلَّى البراءُ في اتجاه الكعبةِ (مكة) جنوباً، وصَلّوا هُمْ في اتجاه بيت المقدس (أورشليم) شمالاً. فلمَّا قَدِموا مكةَ، انطلقوا إلى محمد يسألونه عمَّا فعل البراءُ. فرفض محمدٌ فكرةَ البراء وقال له: "لَقَدْ كُنْتَ على قِبْلَةٍ لو صَبَرْتَ عليها". وتقول المراجع الإسلامية إن البراء رَجَعَ إلى قِبلةِ محمد وصلَّى معهم إلى الشام (أورشليم). وفي الوقت نفسه، تعترف هذه المراجع الإسلامية بأن أهل البراء قالوا إنه صلَّى إلى الكعبة حتى مات.

وبعد ذلك بقليل، مات البراءُ بن معرور في صَفَر قَبْل قدومِ محمد المدينة بشهرٍ، فهو أول مَن مات مِن النقباء الاثنى عشر. وقيل إنه أول مَن أوصى بثُلْث ماله. وقيل أيضاً إنه لمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ أمر أهلَه أن يُوَجِّهُوه في قبره نحو الكعبةِ، ففعلوا ذلك، فصار البراءُ أول مَن استقبل الكعبة حياً وميتاً.

أما محمد فظل يرفض فكرة البراء طوال الفترة المكية، وظل يُصلِّي إلى أورشليم (بيت المقدس). وروى أحمد في مسنده أن محمد كان إذا صلى بمكة كان يتحرَّى القبلتين، أي: يستقبل بيت المقدس ويجعل الكعبةَ بينه وبين بيت المقدس[765]. لكن بعد هجرة محمد إلى المدينة، لم يعد ذلك ممكناً، لأن المدينة تقع

جغرافياً بين مكة جنوباً والشام شمالاً، فَمِن المستحيل أن يتحرَّى القبلتين، فكان محمدٌ يصلي في المدينة إلى بيت المقدس (أورشليم)، وظل على ذلك سِتَّة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً بعد الهجرة.

لكن في رجب 2هـ، تحولت فكرةُ البراء بن معرور فجأة إلى قرآن (البقرة 142-150)! فتحولت قِبْلَةُ المسلمين مِن بيت المقدس (أورشليم) إلى الكعبة في مكة، مع أن الكعبة وقتئذ كانت لا تزال معقلاً لأوثان المشركين! وزعم التراثُ الإسلامي أن محمد كان "يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إلى الكعبة"[766] ويتطلع لنزول "الوحي الإلهي" بتحويل القبلة إليها، مع أن فكرة تحويل القبلة مِن أورشليم (مدينة الله) إلى مكة (مسقط رأس محمد) هي أصلاً فكرة بشرية 100% قالها البراءُ بن معرور لمحمد حتى مِن قَبل الهجرة كما رأينا؛ وكأن البراء قد أراد أن يقول لمحمد: *كنا قبل إسلامنا عرب مشركين نحج إلى مكة، ونحن الآن عرب مسلمون نأتي إلى مكة في موسم الحج العربي لنقابلك ونبايعك، فلماذا نصلي في اتجاه أورشليم (مركز الديانتين غير العربيتين اليهودية والمسيحية)؟! علينا أن نصلي في اتجاه الكعبة بيت أجدادنا إبراهيم وإسماعيل*. وهي فكرة قومية عربية وجيهة جداً، ومع ذلك رفضها محمدٌ في البداية، ثم وافق عليها بعد ذلك بحوالي سنتين! إنه إذن وحي "معروري"، وليس وحياً إلهياً.

فقال أصحابُ القرآن لمحمد: "قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ (أي: تحوُّل) وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً (prayer direction) تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (أي: فتوجَّه في صلاتك نحو الكعبة) وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ [أيها المسلمون] فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" (البقرة 144). ونلاحظ أن أصحاب القرآن لم يقولوا لمحمد "فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً يَرْضَاهَا اللهُ" وإنما قالوا له "فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا"!

ثم كرروا الأمرَ مرةً ثانية! "وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ" (البقرة 149)!

ثم كرروه مرة ثالثة! "وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" (البقرة 150)!

ونلاحظ أيضاً إلحاح أصحاب القرآن على أن فكرة تحويل القبلة من أورشليم إلى مكة هي "الحق من الله"! كرروها ثلاث مرات: "أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ" (البقرة 144)، "الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ" (البقرة 147)، "إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ" (البقرة 149)!

فَإِنْ كانت فكرة تحويل القبلة من أورشليم إلى مكة هي "الحق"، فالأدق أن يقول أصحاب القرآن إنها "الحق من البراء بن معرور". وإنْ كانت هي "الحق"، فلماذا رفضها محمدٌ في البداية؟!

إن آيات تحويل القبلة (البقرة 142-150) باقتراح مِن الصحابي البراء بن معرور تثبت أن القرآن – بل الإسلام بصفة عامة – ثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر من شخص. ولقد رأينا فيما سبق أدلة تؤيد هذه النتيجة، منها على سبيل المثال:

الأذان ... تأليف الصحابة (عبد الله بن زيد بن عبد ربه وبلال بن رباح).

صلاة يوم الجمعة (يوم العروبة) ... فكرة الصحابة (مصعب بن عمير أو غيره من سكان يثرب).

التَّشَهُّد ... صيغة الصحابة (عبد الله بن مسعود).

تدمير يهود بني قريظة ... خطة الصحابة (سعد بن معاذ).

تحويل قِبلة الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة ... اقتراح الصحابة (البراء بن معرور).

وأدلة أخرى كثيرة تثبت أن الإسلام دين بشري اشترك في صناعته مجموعةٌ مِن العرب.

1.3.9.3.1 تداعيات قرار تحويل قبلة المسلمين من أورشليم إلى مكة

كان مِن الطبيعي أن يثير قرارُ تحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس في أورشليم (قبلة اليهود الموحِّدين) إلى الكعبة في مكة (قبلة العرب المشركين) غضبَ واعتراض وسخرية أهل الكتاب، وبخاصة يهود المدينة. لا سيما أن محمد ظل طوال الفترة المكية يزعم أنه رسول مِن عند الله الواحد الأحد إله موسى وإله بني إسرائيل، فكيف يتحول الآن في صلاته إلى الكعبة التي كانت وقتئذ لا تزال معقلاً لأصنام الكفار الوثنيين وليس لها أية علاقة بموسى ولا ببني إسرائيل ولا بالمسيح وأتباعه المسيحيين (النصارى)؟!

فماذا كان رد فعل أصحاب القرآن على اعتراض اليهود وغيرهم؟

بدأ أصحابُ القرآن أولاً بالشتيمة! "سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ (أي: الجهال وضعاف العقول) مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ (أي: مَا صرف المسلمين) عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا" (البقرة 142)!

ثم لجأ أصحابُ القرآن إلى الحيل فزعموا أن قِبلة بيت المقدس (و/أو تحويلها إلى الكعبة) كانت امتحاناً مِن الله للمسلمين ليميز "مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ (أي: مَن يسمع الرَّسُولَ ويطيعه في جميع الأحوال) مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ (أي: ممن يرتد عن الإسلام لشكِّه ونفاقه)" (البقرة 143)! ولا يزال المسلمون حتى اليوم يلجأون إلى تلك الحيلة المملة (dull) لمحاولة تبرير أي شيء غير معقول أو غير مقبول في الإسلام[767].

ثم زعم أصحابُ القرآن أن تحويل القبلة من بيت المقدس (أورشليم) إلى الكعبة (مكة) هو الحق الثابت في كتب اليهود والمسيحيين! "وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ" (البقرة 144)! وطبعاً انتهز أصحابُ القرآن الفرصةَ فزعموا أن كتب اليهود والمسيحيين بَشَّرت بمجيء محمد! "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ (أي: يعرفون محمداً بأوصافه المذكورة في الكتاب المقدس ومِن جملتها أنه يصلي إلى الكعبة!) كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" (البقرة 146). فعليكم أيها المسلمون أن تصلوا في اتجاه الكعبة بيت أبيكم إبراهيم "لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ" (البقرة 150)، أي لِئَلَّا يقول اليهود: كيف يصلي محمدٌ إلى بيت المقدس والنبي المنعوت في كتبنا من أوصافه التحول إلى الكعبة؟ أو كيف يتبع محمدٌ قبلتنا ويخالف ديننا؟ ولِئَلَّا يقول المشركون العرب: كيف يدّعي محمدٌ دينَ إبراهيم ويخالف قبلته؟ (!)

ونلاحظ هنا أن أصحاب القرآن قد تبنوا أساطير قديمة؛ مثل: أسطورة أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة أو أعاد بناءها أو ترميمها وكان يتخذها قبلةً له! واخترعوا أساطير جديدة؛ مثل: أسطورة أن محمد مذكور في الكتاب المقدس بأوصاف محددة جداً ومن ضمنها تحويل القبلة إلى الكعبة! ثم استخدم أصحابُ القرآن تلك الأساطير القديمة والجديدة لتبرير قرار تحويل القبلة من أورشليم إلى مكة!

تعليقنا: ما بُني على باطل فهو باطل.

ونحن نطالب جميع المسلمين أن يعطونا مخطوطة واحدة للتوراة أو مخطوطة واحدة للإنجيل تقول إن الكعبة في مكة هي قبلة صلاة أهل الكتاب أو قبلة صلاة نبيّ آخر يأتي بعد المسيح! إنْ لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فعليكم أن تعترفوا بأن ما زعمه القرآن غير صحيح، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

أما أسطورة "الرَّسُول النَّبِيّ الْأُمِّيّ (أي: الأممي، العربي) الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ" (الأعراف 157)، فسنناقشها بالتفصيل في وقتٍ لاحق.

الخلاصة: إن قصة تحويل القبلة من أورشليم (مدينة الله) إلى مكة (مسقط رأس محمد) باقتراح من الصحابي "البراء بن معرور" تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن أفكار الصحابة واقتراحاتهم كانت تتحول إلى آيات قرآنية – ولو بعد فترة طويلة ولو بعد وفاة الصحابي صاحب الفكرة (posthumously). ثم تُكتَب القصةُ بعد ذلك في الكتب والمراجع الإسلامية بطريقة عاطفية تجعل الله هو الذي "أنزل" هذه الآيات القرآنية!

إن آيات تحويل القبلة (البقرة 142-150) وحي "معروري"، وليست وحياً إلهياً.

إن قرار تحويل قبلة المسلمين من المدينة اليهودية/المسيحية "أورشليم" إلى المدينة العربية "مكة" قرار استراتيجي اقترحه الصحابيُّ البراء بن معرور في أواخر الفترة المكية، ثم أقره محمدٌ في أوائل الفترة المدنية، حتى يعطي للإسلام هوية (identity) عربية تميزه عن الديانتين غير العربيتين اليهودية والمسيحية.

وخير دليل على ذلك هو القرارات الاستراتيجية وغير الاستراتيجية الأخرى التي اتخذها محمدٌ في الفترة المدنية للتأكيد على عروبة الإسلام واستقلاله وتميزه عن اليهودية والمسيحية، قرارات منحازة للعرب وغير منحازة لليهود والمسيحيين. مثلاً:

- في شهر شعبان 2هـ، تراجع محمدٌ عن فرض صيام عاشوراء (يوم الكفارة اليهودي) وجعله غير واجب وفرض صوم رمضان!
- وبعد انتصاره على قريش في غزوة بدر (رمضان 2هـ)، طلب محمدٌ من يهود المدينة أن يتركوا دينَ اليهودية ويسلموا وإلا سينزل بهم ما نزل بقُريشٍ مِن النقمة يوم بدر!

- الحرب التي شنها محمدٌ والمسلمون الأوائل على يهود المدينة لإزاحتهم والتخلص منهم نهائياً: التخلص من يهود بني قينقاع (2هـ)؛ ثم التخلص من يهود بني النضير (4هـ)؛ ثم التخلص من يهود بني قريظة (5هـ)؛ ثم التخلص من فلول اليهود في خيبر (7هـ).
- فرض الحج إلى الكعبة في مكة، مع أن الحج أصلاً عادة وثنية!
- تركيز القرآن المدني على إسماعيل (أبي العرب؛ جد محمد) على عكس القرآن المكي الذي كان يركز أكثر على إسحاق (أبي إسرائيل؛ جد المسيح).
- الآيات القرآنية التي تزعم، أو يُفهَم منها، أن الكتاب المقدس مُحرَّف. وتلك التي تشكك في العقائد المسيحية الأساسية، مثل صلب المسيح. كلها آيات مدنية.
- بدأ "النسخ" (Abrogation) في القرآن. فلقد أخرج الحاكمُ في المُستدرَك حديثاً عن ابن عباس يقول: "أول ما نُسِخ من القرآن فيما ذُكر لنا شأنُ القبلة"[768]. ونحن نرى أن نظرية "النسخ" تكفي وحدها كدليل على أن القرآن كلام بشر، فالله لا ينسخ كلامَه ولا يغيره، وبخاصة إذا كانت الفترة الزمنية قصيرة نسبياً. [والإرهاب الإسلامي الذي يعاني منه العالمُ اليوم هو نتيجة حتمية لنظرية "النسخ" التي يستخدمها الإرهابيون المسلمون من أجل الترويج لفكرة مفادها أن آيات العنف والقتال والإرهاب في القرآن المدني "نسخت" الآيات السلمية في القرآن المكي.]
- حتى في الأمور الشكلية البسيطة، مثل: تسريحة الشعر. كان محمدٌ في البداية يتبع أهل الكتاب، ثم بعد ذلك صار يتبع العرب! يقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: "كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ (أي: اليهود والمسيحيون) يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ (أي: يرسلونها على الجبين ويتخذونها كالقصة). وَكَانَ المُشْرِكُونَ (أي: العرب الوثنيون) يَفْرُقُونَ رُؤُوسَهُمْ (أي: يفرقون الشعر بعضه عن بعض ويكشفونه عن الجبين). وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الكِتَابِ فِيما لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ. فَسَدَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاصِيَتَهُ، ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ"[769]. قال ابنُ حجر تعليقاً على هذا الحديث المهم: "وكأن السر في ذلك أن أهل الأوثان أبعد عن الإيمان من أهل الكتاب، ولأن أهل الكتاب يتمسكون بشريعة في الجملة، فكان [محمدٌ] يحب موافقتهم ليتألفهم ولو أدت موافقتهم إلى مخالفة أهل الأوثان. فلمَّا أسلم أهلُ الأوثان الذين معه والذين حوله واستمر أهلُ الكتاب على كفرهم تمحضت المخالفة لأهل الكتاب".

وفي نفس السياق نذكر اعتراف القرآن بأن عيسى/يسوع ابن مريم هو "المسيح". القرآن المدني هو الذي اعترف بذلك، فجميع الآيات القرآنية التي تذكر "المسيح" كلها مدنية بلا استثناء! الاعتراف بأن عيسى/يسوع هو "المسيح" قطع الصلةَ مع اليهود الذين لا يعترفون به. وفي المقابل، أنكر القرآنُ – المدني أيضاً – لاهوتَ المسيح، بل أنكر صلبَ المسيح أو على الأقل ألمح إلى إنكار الصلب "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ [...] وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا" (النساء 157)، مما يعني إنكار الفداء والخلاص وإنكار قيامة المسيح أساس العقيدة المسيحية، وكل ذلك قطع الصلةَ مع المسيحيين (النصارى) أيضاً. كل هذه العقائد المهمة جداً

لا نجدها في القرآن إلا في القرآن المدني! أي بعد حوالي 13 سنة أو أكثر منذ بداية الإسلام! وهكذا في الفترة المدنية، صار الإسلامُ ديانة عربية مستقلة ومتميزة عن الديانتين غير العربيتين اليهودية والمسيحية.

بل إن كلمة "الكعبة" نفسها لا نجدها أبداً في القرآن المكي! وإنما نجدها فقط في القرآن المدني: "الْكَعْبَةِ [...] الْكَعْبَةَ" (المائدة 95-97)!

إن كل هذه القرارات والأحداث والآيات القرآنية أعطت شخصية وهوية عربية للإسلام في الفترة المدنية، وهي تؤكد أن الإسلام ليس ديناً من عند الله، وإنما من صُنْع العرب. بل ليس من المبالغة أن نقول إن الإسلام حركة سياسية/عسكرية من عند العرب ... حركة سياسية/عسكرية مغلفة بغلاف ديني.

1.3.9.4 خالد بن الوليد: سيف إله الإسلام! صاحب مذبحة بني جَذِيمَة ومذابح دموية كثيرة أخرى!

إنه الصحابيّ العربي القُرَشيّ "خالد بن الوليد بن المغيرة"[770] المَخْزُومِيّ. نشأ في مكة في عائلة جمعت بين المال والسلطة: فأبوه "الوليد بن المغيرة" مِن أغنى سادات قريش؛ وعَمُّه "الفَاكِه بن المغيرة" مِن أكرم العرب؛ وعَمُّه "هشام بن المغيرة" – والد عمرو (أبي جهل) – كان قائدَ بني مَخْزوم في حَرْب الفِجَار، وهي حرب بين كنانة وقَيْس استمرت أربعة أعوام قبل الإسلام، وانضمت قريش إلى كنانة، وقد سُمِّيَتْ فِجَاراً لِما استَحَلّه الطرفان مِن المحارم بينهم في الأشهر الحرم! وعَمُّه "هاشم بن المُغيرة" هو جد عُمَر بن الخطاب لأمه[771]. ويُقال إن خالد كان يشبه عُمَر في الشكل، لكنهما لم يكونا على وفاق.

ويُعتقَد أن أباه الوليد بن المغيرة هو الذي قال: "إِنْ هَذَا (أي: القرآن) إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (أي: يرويه محمدٌ عمن سبقه). إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ" (المدثر 24-25). فلعنه القرآنُ مرتين: "إِنَّهُ (أي: الوليد) فَكَّرَ [في القرآن] وَقَدَّرَ (أي: هيَّأ رأيه وماذا يقول في القرآن). فَقُتِلَ (أي: لُعِنَ وَعُذِّبَ) كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ" (المدثر 18-20). لُعِنَ وَعُذِّبَ لأنه فَكَّرَ وأعمل عقلَه وشَغَّل مُخه؟! هل هذا هو "دين العقل" الذي تُبشِّرنا به البروباجاندا الإسلامية؟! إن هذه الآيات المكية تؤكد أن الإسلام – منذ بدايته وحتى مِن قَبل تأسيس الدولة – لا يقبل حرية الفكر (Freedom of thought) ولا حرية التعبير (Freedom of expression).

ويجب علينا هنا أن نقول إن رأي الوليد في القرآن ليس رأياً خاطئاً. القرآن فعلاً كلام بشر: "قَوْلُ الْبَشَرِ" (المدثر 25). والقرآن فعلاً مجرد تطور بشري طبيعي للأديان والثقافات والحضارات التي سبقت ظهور الإسلام: "يُؤْثَرُ (أي: له آثار في الماضي)" (المدثر 24). فهذا ما نقوله نحن. ولسنا أول مَن يصل إلى هذه الحقيقة. إلا أننا لا ننسب القرآن إلى شخصٍ واحد (محمد أو غيره)، وإنما ننسبه إلى جماعة أو فريق (هُمْ أصحاب القرآن)، بل ننسبه إلى مجتمع أو قوم (هُمْ العرب). ولا نزعم أننا أول مَن يفكر في هذه النظرية.

وإذا كان الوليد لم يسلم حتى مات (1هـ)، فإن ابنه خالد لم يسلم إلا بعد ظهور الإسلام بحوالي 20 سنة أو أكثر (8هـ)! وبإسلام خالد، استفاد الإسلامُ عسكرياً في أواخر حياة محمد وفي خلافة أبي بكر. فكان

ينبغي ألا يلعن القرآنُ الوليدَ، وإنما يشكره لأنه هو الذي رَبَّى خالداً تربية عسكرية ساعدت الإسلامَ العسكري (Militant Islam) المستمر إلى اليوم والذي لا يمكن أن نتحدث عنه بدون أن نذكر اسم خالد بن الوليد.

وسنتحدث بإيجاز عن حياة خالد قبل إسلامه: تَعلَّم خالدٌ في صباه كل ما يتعلمه الفتى المرشح للحرب والحياة العسكرية الخشنة والقتال في الصحراء. ولأنه كان مِن عائلة ثرية جداً، لم يحتاج أن يشتغل بأي مهنة، فاستغل هذا الفراغ في تعلم فنون الفروسية والتدريب على استعمال السلاح[772]. وسافر كثيراً في شبه الجزيرة العربية واليمن والعراق والشام، فصار على دراية كبيرة بتضاريس هذه المناطق الجغرافية التي سيحارب على أراضيها فيما بعد. ولَمَّا ظهر الإسلامُ في مكة، رفض الشابُ خالد أن يعتنقه طوال الفترة المكية. وبعد هجرة محمد إلى المدينة، اشترك خالدٌ مع قريش في بدر وأُحُد والخندق ضد المسلمين. لكن بمرور الوقت، أدرك خالد بخبراته العسكرية أن سيوف المسلمين ستهزم سيوف قريش "وأن محمداً سيَظْهَر (أي: سينتصر)". وبعد صلح الحديبية (ذي القعدة 6هـ) الذي يُعتبَر اعترافاً مِن قريش بالمسلمين، قال خالدٌ في نفسه: أي شيء بقي؟ أين أذهب؟ أإلى النجاشي؟ فقد اتبع محمداً، وأصحابه آمنون عنده. أفأخرج إلى هرقل فأخرج مِن ديني إلى نصرانية أو يهودية؟ أفأقيم في عجم تابعاً لهم؟ أو أقيم في داري فيمن بقي؟[773]. وبينما كان خالدٌ يسأل نفسَه هذه الأسئلة المحيرة، دخل المسلمون مكة مُعْتَمِرين في عُمْرَة القَضَاء (ذي القعدة 7هـ)، فتغيب خالدٌ كراهة رؤية المسلمين وَهُمْ بمكة. وفي نفس الشهر، تزوج محمدٌ "ميمونة بنت الحارث" خالة خالد. ويبدو لنا أن محمد تزوج ميمونة – أو: قَبِل زواجَها – حتى يستميل خالد ابن أختها وصديقَه "عمرو بن العاص" إلى الإسلام. فلقد كان محمدٌ حريصاً على ضم خالد إلى صفوف المسلمين، فسأل عنه أخاه "الوليد بن الوليد"، فكتب له أخوه كتاباً يدعوه إلى الإسلام ويُخبره أنه إذا أسلم سيُقدِّمه محمدٌ على غيره. فأسلم خالدٌ على الفور (أوائل 8هـ)! وهاجر هو وعمرو مِن مكة إلى المدينة (صفر 8هـ). فَسُرَّ محمدٌ بإسلامهما وهجرتهما. وأخيراً، وجد خالدٌ لنفسِه مكاناً بعد أن كان تائهاً يسأل نفسَه "أين أذهب؟ (أروح فين؟)"!

بعد إسلامه، اشترك خالد في سرية مُؤْتَة (جمادى الأولى 8هـ، في الأردن حالياً) ضد الروم وحلفائهم الغساسنة (عرب نصارى). وحدثت في هذه السرية حادثةٌ مهمة تُعرّفنا أكثر على شخصية خالد وحرصِه على السَّلَب والغنائم والمكاسب المادية الدنيوية مِن الغزوات والحروب الإسلامية. يقول حديث صحيح أخرجه مسلم عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ [مسلمٌ] مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنْ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ (أي: أراد هذا القاتل المسلم أن يأخذ فَرسَ القتيل الروميّ وسِلاحَه؛ ونعرف من مصادر إسلامية أخرى أن السلاح والسرج كانا مذهبين)، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ [وأخذ منه السَّلَب] وَكَانَ [خالدٌ] وَالِيًا عَلَيْهِمْ (أي: أميراً على المسلمين). فقَالَ عَوْفٌ [لخالد]: يَا خَالِدُ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى بِالسَّلَبِ لِلْقَاتِلِ [وليس للأمير]؟ (أي: هل أخذت السَّلَب لنفسك عن عمد أم عن جهل؟) قَالَ [خالدٌ]: بَلَى (أي: عَلِمْتُ؛ أخذته عن عمد وليس عن جهل). وَلَكِنِّي اسْتَكْثَرْتُهُ (أي: استَكْثَرْتُ الفرس والسلاح المُذْهَب على هذا الرجل الحميري)! ولَمَّا سأل محمدٌ خالداً بعد ذلك: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟ قَالَ [خالدٌ]: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فقال محمدٌ لخالد: ادْفَعْهُ إِلَيْهِ. [...][774].

انتهت سرية مُؤْتَة بهزيمة المسلمين أسوأ هزيمة أمام الروم وحلفائهم، ومَقْتَل أمراء الجيش الإسلامي الثلاثة، واحداً تلو الآخر: مقتل زيد بن حارثة، ثم مقتل جَعْفر بن أبي طالب، ثم مقتل عبد الله بن رَوَاحَة. فصار خالدٌ هو الأمير، فوضع خطة ذكية للانسحاب بالجيش ليلاً لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وَفَرَّ عائداً بالجيش إلى المدينة. ولقد أخرج الحاكمُ في المُستدرَك حديثاً يقول إن أهل المدينة عايروا هؤلاء المسلمين المُنسحبين وقالوا لهم: "يا فُرَّار، أفررتم في سبيل الله؟!"[775]، فترك هذا التبكيت أثراً سلبياً بالغاً في نفوس هؤلاء المسلمين المُنسحبين لدرجة أن بعضهم لم يستطع أن يخرج مِن بيته للصلاة في المسجد خوفاً مِن معايرة الناس له بسبب انسحابه مِن ميدان القتال. ونحن نرى أن الخطأ ليس خطأ هؤلاء المسلمين المُنسحبين الفارين، وإنما خطأ الذي أرسلهم في هذه الغزوة الهجومية الانتقامية المتهورة المحكوم عليها بالفشل.

وعلى الرغم مِن هذه الهزيمة التي انتهت بالانسحاب، سَمَّى محمدٌ خالداً "سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ"[776]! ويجب هنا أن نقارن بين محمد الذي سَمَّى تلميذَه "سيف الله المسلول" وبين المسيح الذي قال لتلميذه لَمَّا سَلَّ سَيْفَهُ مِن غِمْدِهِ: رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. اجْعَلْ سَيْفَكَ فِي الْغِمْدِ! لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! (متى 52:26) (يوحنا 11:18). كالعادة، المقارنة محسومة لصالح المسيح رسول السلام والمحبة.

ثم اشترك خالدٌ لأول مرة مع محمد في غزو مكة (رمضان 8هـ) حيث قَتَلَ 24 رجلاً (وقيل: قتل قرابة 30 رجلاً) أكثرهم مِن قبيلته قريش!

ونريد أن نتوقف قليلاً عند المذبحة البشعة التي قام بها خالد في سرية "بني جَذِيمَةَ" (شوال 8هـ؛ بعد فتح مكة). تقول أحاديث صحيحة أخرجها البخاري: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ (هي قبيلة عربية)، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا "أَسْلَمْنَا" فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: "صَبَأْنَا، صَبَأْنَا" (يعني: خرجنا مِن دين إلى دين، وقصدوا الدخول في الإسلام. لكن خالد ظن أنهم لم ينقادوا ولهذا لم يقولوا: أسلمنا. أو ربما ظن أنهم قالوها تَقِيَّة لأنفسهم وأموالهم). فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ (أي: قال الصحابيُّ رواي الحديث): وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَاهُ (أي: حكينا له ما حدث)، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ (أي: أعتذر) مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ" مَرَّتَيْنِ[777]! وتقول المراجع الإسلامية إن محمد بعث عليَّ بن أبي طالب فدفع ديات القتلى إلى أهليهم!

تعليقنا: ديات القتلى؟! هل هؤلاء القتلى ماتوا خطأ في حادث سير مثلاً؟! إنَّ ما فعله خالد بن الوليد هو قتل عمد وتحريض على القتل، بل يشبه الإرهاب الإسلامي الذي نشاهده ونسمع عنه اليوم.

خالد بن الوليد كسر الوصية الإلهية "لاَ تَقْتُلْ" (الخروج 13:20) (التثنية 17:5).

والمشكلة هي أن المراجع الإسلامية تقول إن ما فعله خالدٌ كان "اجتهادًا خاطئًا منه"، يعني: سيأخذ عليه أجراً مِن الله، لأن المجتهد في الإسلام له أجر حتى لو أخطأ! وللأسف، تورط كُتاب معروفون في الدفاع عن خالد أو تبرير ما فعله[778]! على سبيل المثال، قال العقاد: "ومِن الإسراف أن يظن بخالد بن الوليد أنه

تعمد قتل أناس وهو يعلم أن دمهم حرام". تعليقنا: هذه الجملة العبقرية يمكن أن تُقال دفاعاً عن أي إرهابي مسلم اليوم: "ومِن الإسراف أن يظن بداعش أنهم تعمدوا قتل أناس وَهُمْ يعلمون أن دمهم حرام"؛ "ومِن الإسراف أن يظن بحماس أنهم تعمدوا قتل أناس وَهُمْ يعلمون أن دمهم حرام"! ولذلك فلا يمكن أن نقبل ما قاله العقاد.

وفيما يتعلق بقصة خالد مع بني جَذِيمَةَ، فيكفينا أن محمد نفسه تبرأ مما فعله خالد. وبعض الصحابة – مثل سالم مولى أبي حذيفة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر بن الخطاب – أنكروا على خالد ما فعله وامتنعوا مِن قتل أسراهم. ويُقال إن عبد الرحمن بن عوف قال لخالد: "عملت بأمر الجاهلية في الإسلام"، وكانت بينهما مشادة كلامية قال له فيها عبدُ الرحمن: "إنك ثأرت لعَمِّك الفاكه بن المغيرة"، وكان بعض بني جذيمة قتلوه (أي: قتلوا عَمَّ خالد) في الجاهلية[779]. ويقول حديث صحيح أخرجه مسلم إن خالد سَبَّ عبدَ الرحمن بن عوف، فنهاه محمدٌ عن ذلك: "كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ. فَسَبَّهُ خَالِدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي [...]""[780]. إذا صح مجموع هذه الروايات التي تؤيد بعضُها بعضاً، فهذا يعني أن خالد قَتَلَ بني جَذِيمَةَ انتقاماً وأخذاً بثأر عمه، أي: لتحقيق مصلحة شخصية دنيوية أرضية، وليس جهاداً في سبيل الله. وإذا كان محمد يعلم هذه الخصومة الثأرية بين خالد وبني جَذِيمَةَ، فهذا يعني أيضاً أن محمد نفسه قد أخطأ حين بعث خالد بالذات في هذه السرية.

والمشكلة الكبرى هي أن الكتب ووسائل الإعلام الإسلامية لا تزال تقول على خالد بن الوليد "رضي الله عنه"، مع أنه قَتَلَ وسفك دماء ما كان يصح أن تُسفَك! وتوجد في كثير من الدول الإسلامية مدارس ومساجد وشوارع وميادين تحمل اسمَ خالد بن الوليد! وبعد ذلك نسأل: مِن أين يأتى الإرهاب الإسلامي؟! عندما تُقدِّم خالدَ بن الوليد كقدوة للشباب المسلم، لا تسأل بعد ذلك مِن أين يأتى الإرهاب الإسلامي! عندما تصف خالد بن الوليد بعبارة "رضي الله عنه"، فأنت – بوعي أو بدون وعي – ترسل رسالةَ دعم وتأييد لكل إرهابي مسلم.

والمشكلة الكُبرى هي أن محمد لم يحاكم خالدَ بن الوليد ولم يعاقبه على هذه الجريمة النكراء التي ارتكبها. وكنا نتوقع أن يعاقب محمدٌ خالداً، ولو حتى عقاباً رمزياً، كأن يحبسه لمدة سنة مثلاً، أو يعزله عن قيادة الجيش ويمنعه من خوض أي معركة إلا بعد فترة علاج نفسي وإعادة تأهيل كافية. لكن محمد لم يفعل شيئاً مِن ذلك! واكتفى بلوم خالد والتبرؤ مما فعله ودفع دية القوم!

أما "الديات" التي أمر محمدٌ بصرفها لأهالي ضحايا هذه المجزرة الرهيبة التي قام بها خالد بن الوليد، فإنها تشبه "التعويضات" التي تأمر الدول الإسلامية اليوم بصرفها لأهالي ضحايا كل عملية إرهابية يقوم بها كل "خالد بن وليد" جديد.

إن الدول الإسلامية – التي تزعم أنها تحارب الإرهاب – هي في الواقع تُدرّس الإرهابَ وتشجعه بتعظيمها لخالد بن الوليد وأمثاله في المدارس والجامعات والمساجد ووسائل الإعلام. وعندما يقوم شاب "خالد بن وليد" جديد بتنفيذ ما تعلمه، ترفع الدولة يدها وتزعم أن "الإسلام بريء مِن الإرهاب"، بالضبط كما رفع

محمدٌ يده وقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ". ثم تقوم الدولة بصرف التعويضات (الديات). ثم ننام ونصحو على عملية إرهابية جديدة يقوم بها "خالد بن وليد" جديد!

خالد بن الوليد كسر الوصية الإلهية "لاَ تَقْتُلْ" (الخروج 20:13) (التثنية 5:17). ومحمد لم يعاقبه.

إن المجزرة التي قام بها خالد بن الوليد في سرية بني جَذِيمَةَ ورد فعل محمد البسيط جداً يؤكدان أن الصحابة ليسوا عدولاً وأن محمد ليس معصوماً.

وما فعله خالد بن الوليد في سرية بني جَذِيمَةَ ليس القصة الوحيدة التي يرتكب فيها صحابيٌ (أو أكثر) جريمة قتل ولا يعاقبهم محمدٌ، إذ توجد قصص أخرى مشابهة[781]. وسنكتفي هنا بما قلناه عن قصة خالد بن الوليد مع بني جَذِيمَةَ (شوال 8هـ) لأنها قد تكون الأكثر بشاعة.

وبعد مذبحة بني جَذِيمَةَ بأيام معدودات، وفي نفس الشهر (شوال 8هـ)! أسند محمدٌ قيادة الخيل إلى خالد بن الوليد على طليعة جيش المسلمين في غزوة حُنَيْن (وادي بين مكة والطائف) (التوبة 25-26)!

وبعد وفاة محمد (11هـ)، اشترك خالد في الحروب الأهلية الداخلية: حروب الردة في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق التي قُتِل فيها الآلاف مِن العرب والمسلمين بأيدي العرب والمسلمين. وكان لخالد النصيب الأوفر في أهم وقائع حروب الردة. وليس من المبالغة أن نقول إن خالد كان "وزير الدفاع" بل "وزير الحرب" في حكومة أبي بكر. ومع ذلك، طالب عمرُ بن الخطاب بعزل خالد، وقال لأبي بكر: إن في سيف خالد رَهَقاً (أي: تَسَرُّع وحِدَّة وخِفَّة).

ومما يدل على تَسَرُّع خالد في القتل هو ما فعله في "مالك بن نُوَيْرَة"[782] الرجل المسلم العربي الذي لم يدفع الزكاة لأبي بكر، فجاءته جنود خالد فأسروه هو وأصحابه. تقول روايةٌ: حبسهم خالدٌ ثم أمر بقتلهم فقُتِلوا. وتقول روايةٌ أخرى إن تلك الليلة كانت باردة، فأمر خالدٌ منادياً فنادى: "أدفِئوا أسراكم"، ففهم الحراسُ أنه يريد قتل الأسرى لأن المدفأة بلهجتهم كناية عنه. وتقول رواية ثالثة إن خالد أمر بقتل مالك بعد مشادة كلامية. وبعد مقتل مالك، تزوج خالدٌ امرأته التي كانت مِن أشهر نساء العرب بالجمال! قال اليعقوبي: "فلمَّا رآها خالدٌ أعجبته [...] فنظر مالكاً، فضرب عنقَه، وتزوج امرأتَه"[783]! إذا صح ذلك، فإنه يعني أن خالد – مرة أخرى – يستغل شعار "الجهاد في سبيل الله" كوسيلة وغطاء ليحقق أهدافَه ومطامعه الشخصية الدنيوية الأرضية. وقيل إن خالد أحرق رأسَ مالك بالنار بطريقة بشعة: أمر برأسه فجُعِل مع حَجَرين وطبَخ على الثلاثةِ قِدْراً فأكل منها! وطبعاً توجد مراجع إسلامية سنية تشكك في مدى صحة هذه الروايات أو تتجاهلها تماماً. لكن بغض النظر عن مدى صحة هذه الروايات، فإن مجرد وجودها في الكتب العربية-الإسلامية منذ أكثر مِن 1000 سنة إلى اليوم قد جعلها جزءاً لا يتجزأ مِن الثقافة العربية-الإسلامية التي أنتجت الإرهاب الإسلامي الذي يعاني منه العالمُ اليوم. فكما نقول دائماً: الإرهاب الإسلامي مشكلة ثقافية في المقام الأول، بغض النظر عن كونها تاريخية أَم لا.

وفي جميع الأحوال، فإن "الثابت الذي لا نزاع فيه" – كما قال العقاد – هو أن "وجوب القتل لم يكن صريحاً قاطعاً في أمر مالك بن نويرة".

ونحن نرى أن عُمَر كان على حق حين طالب بعزل خالد لأنه بالفعل أسرف في القتل وسفك الدماء، وبخاصة أن بعض الصحابة – مثل أبي قتادة الأنصاري – شهدوا أن مالك وأصحابه كانوا يقيمون الصلاة، مما يدل على أنهم مسلمون ولا يستحقون القتل؛ فأقسم أبو قتادة الأنصاري على ألا يقاتِل تحت راية خالد بعد ذلك، وطلب عُمَر مِن أبي بكر أن يعزل خالد.

لكن للأسف، رفض أبو بكر طلب عمر! وقال له: "هيه يا عمر، قد تأوَّل فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد". [هكذا بكل بساطة! تُختزَل جريمة القتل التي ارتكبها الصحابي خالد بن الوليد في كلمتين فقط: "تأوَّل فأخطأ"!] وكان رد فعل أبي بكر يشبه رد فعل محمد بعد مجزرة بني جَذِيمَةَ: لم يعزل خالداً، واكتفى بأن عَنَّفه وأمره أن يفارق زوجة مالك، ثم قَبِلَ اعتذارَه وعفى عنه واستبقى خدمته، ودفع الدِّيَةَ لأهل مالك وردَّ السبي والمال! ويبدو أن هذا الموقف قد أدى إلى توتر العلاقات بين عمر وخالد. وطبعاً، لم يكن خالد يعرف وقتئذٍ أن عمر سيصبح خليفة المسلمين فيما بعد.

وبعد ذلك، اشترك خالد في الحروب الإسلامية التوسعية الإمبريالية الاستعمارية الخارجية: حروب ضد الفرس والروم في العراق والشام. وسنكتفي هنا بأن نتحدث بإيجاز عن معركتين فقط. كلتاهما وصمة عار على جبين خالد. وكلتاهما تثبت كذب البروباجاندا الإسلامية التي تزعم أن الإسلام دين رحمة وسلام.

في معركة أُلَّيْس[784] (12 هـ، على نهر الفرات في العراق) ضد الفرس وحلفائهم، اشتد القتال. فنذر خالدٌ نذراً وقال: "اللهم لك عليَّ إن منَحْتَنا أكْتافَهم (أي: إنْ انتصرنا؛ إنْ أسرنا الفرسَ وحلفاءهم) أن لا أسْتَبْقِيَ منهم أحداً أَقْدِرُ عليه حتى أُجْرِيَ نَهرَهم بدمائِهم"! فلَمَّا لاحت لخالد بوادر النصر، أراد أن يحقق ما نذره، فنادى في المسلمين: "الأسْرَ ... الأسْرَ (أي: اتخذوا الفرسَ وحلفاءهم أسرى ولا تقتلوهم) ... لا تقتلوا إلا من امْتَنع مِن الأسْر". ثم أمر خالدٌ بضرب أعناق الأسرى في النهر! وبالفعل، أعدم المسلمون الأسرى في النهر! فسال النهرُ بالدم أحمر قانياً ثلاثة أيام! وبلغ عددُ القَتْلَى 70 ألف؛ وقيل: 150 ألف!

وإنْ قلتم إنَّ تاريخ المسلمين ليس حجة على الإسلام. فسنقول: نحن لا نتحدث عن مسلم عادي. خالد بن الوليد مِن أشهر خريجي المدرسة المُحمَّدية، وابن أخت ميمونة أم المؤمنين زوجة محمد، والمسلمون يقولون "رضي الله عنه"! وكان يعمل تحت إمرة أبي بكر الرجل رقم 2 في الإسلام ورقم 1 في العشرة المبشرين بالجنة الإسلامية ووالد عائشة أم المؤمنين زوجة محمد وأول مَن قام بجَمْع القرآن حسب ما يقول التراث الإسلامي! وأبو بكر لم يعزل خالد. وبالتالي، فإن ما فعله خالد في عهد أبي بكر هو بكل تأكيد حجة على الإسلام. فإذا كان هذا هو ما فعله المسلمون الأوائل الذين رأوا محمداً وتكلموا معه ودخلوا بيته وأكلوا وشربوا معه وصلوا وراءه وسمعوا خطبه وتتلمذوا على يديه وجاهدوا معه وبايعوه على السمع والطاعة،

فلماذا نتعجب مما يفعله المسلمون الإرهابيون اليوم؟! إن مشهد إعدام الأسرى بأيدي المسلمين الأوائل عند نهر الفرات (12هـ) يذكرنا بمشهد إعدام الأسرى بأيدي داعش عند البحر الأبيض المتوسط (2015م).

أما المثال الثاني فهو معركة اليَرْمُوك (15هـ، حالياً: بالقرب مِن الحدود الأردنية السورية) في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب التي تُعتبَر مِن أفظع المعارك التي خاضها خالد حيث قَتَل عشرات الآلاف مِن الروم وحلفائهم! ذكرت موسوعة (Encyclopædia Britannica) أن الجنود الرومان الذين قُتِلوا في معركة اليرموك يُقدَّر عددهم بحوالي 50 ألف! ويقول مرجع إسلامي: "قُتِل مِن الروم ومَن معهم مِن أهل أرمينية والمستعربة سبعون ألفاً"[785]! ونحن لا يهمنا إنْ كانت معركة اليرموك معركة تاريخية حقيقية أم مجرد قصة خيالية[786]. بل لا يهمنا إنْ كان خالد بن الوليد نفسه شخصاً حقيقياً تاريخياً أم مجرد شخصية خيالية أم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال. فنحن هنا لا نقيم الأشخاص (persons) مِن الناحية التاريخية، وإنما نقيم الأفكار والشخصيات (characters) مِن الناحية الثقافية. فالمهم بالنسبة لنا هو أن هذا التراث العربي-الإسلامي يؤثر على وجدان الشباب المسلم ويجعلهم يتخذون خالدَ بن الوليد قدوة ومَثل أعلى. وعندما تُقدِّم خالد بن الوليد ومَن مِثله كقدوة للشباب المسلم، لا تسأل بعد ذلك مِن أين يأتي الإرهاب الإسلامي.

ويُفهَم مِن قصة مالك بن نُوَيْرَة ومِن كتب التراث الإسلامي بصفة عامة أن خالد كان يتصرف كثيراً في أمور الحرب والقتال والغنائم والسبي بدون أن يرجع إلى الخليفة وبدون أن يُقدِّم كشف حساب إلى الخليفة. وربما كان هذا الأسلوب مقبولاً لدى الخليفة الأول أبي بكر. أما الخليفة الثاني عمر فكان له أسلوب آخر في الإدارة. فيُقال إن عمر سأل خالداً عن مصادر ثروته، وإنه كتب إلى خالد: ألا تعطي شاةً ولا بعيراً (يقصد: ألا تقسم الغنائم وألا توزع الأموال) إلا بأمري. ولَمَّا أراد خالدٌ أن يعمل بنفس الطريقة التي كان يعمل بها أيام أبي بكر، رفض عمرُ، وانتهى الأمر بأن عزل عمرُ خالداً عن قيادة الجيش (منصب وزير الدفاع). ولَمَّا عاتبه خالدٌ، سأله عُمرُ: من أين هذا الثراء؟ فقال خالد: مِن الأنفال والغنائم، ما زاد على الستين ألفاً فلك. فزادت عشرون ألفاً فضمها إلى بيت المال. ويبدو أن اللغط قد كثر حول عزل خالد بهذه الطريقة التي تثير الشبهات حول أمانته ونزاهته، فأرسل عُمر إلى الأمصار يأمر الولاة أن يعلنوا فيها باسمه: إني لم أعزل خالداً لريبة فيه ولا عن خيانة، ولكني خشيت أن يتكل الناس عليه ويفتنوا به.

ويُقال إن عمر عزل خالداً على مرحلتين. الأولى سنة 13هـ أو 15هـ: عزله عن منصب وزير الدفاع، فجعله جندياً يعمل تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح. والثانية سنة 17هـ: عزله تماماً عن الجيش كله.

أخيراً، نال خالدٌ أقل عقاب كان يستحقه منذ أن ارتكب مذبحة بني جَذِيمَةَ (8هـ)، وهو: العزل. ولو كان محمدٌ قد عزل خالداً منذ ذلك اليوم، لأنقذ أرواح أناس كثيرين قتلهم خالدٌ. لكن للأسف، محمد لم يعزله، وأبو بكر لم يعزله. وأخيراً، عزله عمرُ. ولا يهمنا كثيراً لماذا عزل عمرُ خالداً؟ نقصد: ما هي الأسباب الحقيقية؟ هل أسباب شخصية؟ أسباب مالية وإدارية؟ أسباب عسكرية أو دينية؟ لا يهمنا كثيراً. المهم أن شلالات الدماء التي سفكها خالدٌ ستتوقف.

بعد عزله عزلاً نهائياً وتاماً عن الجيش كله، قعد خالدٌ في البيت في مدينة حِمْص بالشام بعيداً عن عُمَر حوالي أربع سنوات. ثم مات المعزول على فراشه "كما يموت البعير" سنة 21هـ أو 22هـ. وسِنُّه يومئذ لم تتجاوز 55 سنة على أرجح تقدير.

ملاحظة ختامية: قد نتفق أن الإسلام في القرن السابع الميلادي قد استفاد استفادة أرضية مِن سيف خالد بن الوليد الذي نشر الرعبَ في الأراضي العربية وأراضي الفرس والروم[787]، لكن هذا السيف المتسرع أصبح الآن عبئاً على الإسلام والمسلمين. فالمسلمون الآن يقتلون بعضُهم بعضاً في نفس الأراضي التي حارب فيها خالدٌ: العراق والشام. داعش مثلاً. فإذا أراد المسلمون اليوم أن يفتحوا صفحة جديدة مع العالم المتحضر، فعليهم أولاً أن يمتنعوا عن تمجيد خالد بن الوليد وأمثاله.

"الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ، الَّذِينَ إِلهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ" (فيلبي 19:3).

1.3.9.5 أبو أيوب الأنصاري: مِن محمد إلى معاوية ... سفك دماء لمدة حوالي نصف قرن أو أكثر!

يقول حديث صحيح أخرجه البخاري عن حادثة الإفك التي أُتهمت فيها عائشةُ زوجة محمد بالفاحشة. عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: "مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ". وَعَنْ عُرْوَةَ قَالَ: لَمَّا أُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بِالأَمْرِ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى أَهْلِي؟ فَأَذِنَ [محمدٌ] لَهَا، وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغُلاَمَ. وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ، مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا (أي: بالذي تكلم به الناسُ وخاضوا فيه مِن اتهام عائشة بالفاحشة) سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ[788]. وقال المحقق: "وقد أنزل اللهُ عز وجل قوله هذا قرآناً يُتلَى في سورة النور/16/".

فَمَن هو هذا الصحابي الأنصاري الذي قال منذ أكثر مِن 1400 سنة: "سُبْحَانَكَ، مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ". فتحولت جملته هذه إلى قرآنٍ يُتلَى ويُصَلَّى به إلى اليوم: "مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ" (النور 16)؟!

نجد الإجابة في الإتقان في علوم القرآن تحت عنوان "فيما أُنزلَ مِن القرآن على لسان بعض الصحابة"[789]. وكالعادة، لا توجد إجابة واحدة. وإنما توجد عدة إجابات محتملة.

قيل إنه زيد بن حارثة. وقيل إنه أسامة بن زيد. تعليقنا: كلاهما مِن المهاجرين وليسا مِن الأنصار. والحديث يقول: "وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ، مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ".

قيل إنه سعد بن مُعَاذ. تعليقنا: ربما. لكن سعد مات سنة 5هـ بعد غزوتي الخندق وبني قريظة. وحادثة الإفك حدثت سنة 6هـ حسب ما جاء في مراجع إسلامية كثيرة؛ أي: بعد وفاة سعد. لكن كالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن حادثة الإفك حدثت قبل غزوتي الخندق وبني قريظة؛ أي: قبل وفاة سعد[790].

قيل إنه "أبو أيوب" الأنصاري. قال ابن حجر: "وَقَعَ عِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِهِ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي مُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ وَأَبُو بَكْرٍ الْآجُرِّيُّ فِي طُرُقِ حَدِيثِ الْإِفْكِ، مِنْ طَرِيقِ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ"[791]. ومما يؤيد هذا الرأي ما جاء في مراجع إسلامية أخرى[792] أن أبا أيوب الأنصاري لَمَّا سمع ما يقوله الناسُ في عائشة قال لزوجته أُم أيوب: أكُنتِ أنتِ فاعلة ذلك (أي: الفاحشة) يا أُم أيوب؟ فقالت أُمُّ أيوب: لا والله (أو: معاذ الله). فقال أبو أيوب لأُم أيوب: فعائشة والله خيرٌ مِنك (يقصد: فإذا كُنتِ أنتِ لا تفعلين الفاحشة، فإن عائشة التي هي خيرٌ مِنك لا تفعلها)، وإنما هو (أي: ما يقوله الناسُ في عائشة) زور وإفك (أي: كذب) وباطل. ورُوي أيضاً أن أبا أيوب قال لأم أيوب: فأَهْلُ رسولِ الله ﷺ خيرٌ مِنك، هذا إفكٌ مبين. فجاء القرآنُ مردداً ما قاله أبو أيوب ومعاتِباً مَن اتهموا عائشة بالفاحشة وداعياً إياهم أن يقولوا مثل أبي أيوب: "لَوْلَا (أي: هَلَّا) إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا (أي: ظن بعضُهم ببعض – أو: ظنوا بعائشة – خيراً كما يظنون بأنفسهم) وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ" (النور 12).

فَمَن هو أبو أيوب الأنصاري الذي قال لزوجته جمل بسيطة جداً يستطيع أي رجل مؤمن عادي أن يقولها لزوجته المؤمنة: عائشة خيرٌ مِنك يا أُم فلان، فَمَا قاله الناسُ عنها إفكٌ مبين، مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ. فتحولت هذه الجمل البسيطة العادية إلى آيات قرآنية: "لَوْلَا (أي: هَلَّا) إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ" (النور 12) "وَلَوْلَا (أي: هَلَّا) إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ" (النور 16)؟!

إنه واحد مِن الصحابة الكبار مِن الرعيل الأول، ومع ذلك لا نسمع كثيراً عنه في وسائل الإعلام الرسمية. ربما لأنه عاش طُولَ حياته غازياً، فلقد قضى حياته في قتالٍ دائم ومستمر، سواء ضد غير مسلمين أو ضد مسلمين!

اسمه "خالد بن زيد بن كُلَيْب" النجَّاريّ الخَزْرجيّ، وكُنْيَتُهُ "أبو أيوب"[793]. فهو مِن بني النَّجَّار الذين قال عنهم محمد في حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم: "خَيْرُ دُور الْأَنْصَار بَنُو النَّجَّار ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ ثُمَّ بَنُو [...]"[794]! ويُقال إن بني النَّجَّار هُمْ أخوال محمد لأبيه أو جده.

كان الشاب أبو أيوب الأنصاري واحداً مِن الأنصار السبعين الذين بايعوا محمداً في بيعة الحرب (بيعة العقبة الثانية) عند مشارف مكة. وبذلك سينضم هذا الشاب الأنصاري إلى صف محمد في حربه الأهلية ضد قريش.

ولَمَّا هاجر محمدٌ مِن مكة إلى المدينة، نزل ضيفاً في بيت أبي أيوب لمدة شهر (وقيل: سبعة أشهر). وبذلك تحولت دار أبي أيوب الأنصاري إلى دار الدعوة الإسلامية في المدينة، لا سيما وأن محمداً – بذكائه المشهود – قد آخى بين أبي أيوب ومُصْعَب بن عُمَير (أول مَن قدم على الأنصار مِن المهاجرين).

أقام محمدٌ عند أبي أيوب حتى بنى مسجده وحُجَره بجوار بيت أبي أيوب. ثم انتقل محمدٌ إلى مسكنه الجديد، فغدا جاراً لأبي أيوب.

وظل أبو أيوب مُلازماً لمحمد وصحابته، فاشترك في غزوات بدر (2هـ) وأُحُد (3هـ) والخندق (5هـ) وجميع المشاهد والمغازي الأخرى. وكان لأبي أيوب شعارٌ يردده دائماً، وهو: "انْفِرُوا (أي: اخرجوا إلى الجهاد) خِفَافًا وَثِقَالًا (أي: على أي حال كنتم؛ شباباً أم شيوخاً، فقراء أم أغنياء ... الخ) وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (التوبة 41). وهذا الشعار هو أيضاً – مثل (النور 12، 16) – جملة بسيطة جداً يستطيع أي إنسان عادي أن يقولها. مش محتاجة وحي من الله. وإنما محتاجة واحد يحب الغزو والقتال والحرب، مثل أبي أيوب الأنصاري أو المقداد بن الأسود أو خالد بن الوليد أو غيرهم. فلن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن (التوبة 41) كانت أيضاً – مثل (النور 12، 16) – مِن كلام أبي أيوب الأنصاري ثم تطورت فصارت قرآناً يُتلَى ويُصَلَّى به.

وبعد وفاة محمد، ظل أبو أيوب يُقاتِل ويُحارب مع الجيش الإسلامي تحت قيادة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عَليّ. ويُقال إنه لم يَتَخَلَّفْ عن معركة خاضها المسلمون. وقيل: لم يَتَخَلَّفْ إلا عاماً واحداً. وقيل: لم يَتَخَلَّفْ إلا مرة واحدة، ثم لم يفُته بعد ذلك قتال. وقيل: لم يَتَخَلَّفْ عن غزوة غزاها المسلمون إلا إذا كان مُنْشَغِلاً عنها بأخرى.

وفي الحرب الأهلية الإسلامية-الإسلامية التي تُعرَف باسم "الفتنة الكُبرى"، انحاز أبو أيوب إلى فريق عَليّ بن أبي طالب، وشهد معه موقعة الجمل (36هـ) (ضد عائشة والزبير وطلحة) وموقعة صِفِّين (37هـ) (ضد معاوية) وكان على مُقَدِّمته في موقعة النَهْرَوان (37هـ) (ضد الخوارج[795]). ويوجد رأي آخر يقول إن أبا أيوب لم يشهد صِفِّين؛ [سؤال: هل سعى أصحابُ هذا الرأي الأخير إلى تحسين العلاقات بين أبي أيوب ومعاوية، فزعموا أن أبا أيوب لم يشهد صِفِّين؟].

انتهت هذه الحروب الأهلية الإسلامية-الإسلامية بمقتل عَليّ بن أبي طالب ومقتل عشرات الآلاف مِن المسلمين على أيدي مسلمين (مقتل 70000 مسلم في صِفِّين وحدها[796])! واستقر الحُكْمُ لمعاوية. فانضم أبو أيوب إلى جيش ابنه "يزيد بن معاوية" الذي خرج في حرب هجومية لقتال الروم في عاصمتهم القُسْطَنْطِينِيَّة. ويُقال إنها كانت غزوة برية وبحرية قاتل المسلمون فيها أَهْلَ القُسْطَنْطِينِيَّة على بابها.

ويقول حديث صحيح أخرجه الترمذي وأبو داود[797] عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ قَالَ: كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ (أي: القُسْطَنْطِينِيَّة) فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنْ الرُّومِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ،

[...]، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ! يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (يقصد: البقرة 195) فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؛ لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" (البقرة 195)، فَالْإِلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ [هو] أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ. وفي رواية الترمذي أن أبا أيوب قال: فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا وَتَرْكَنَا الْغَزْوَ.

تعليقنا: لن نتوقف كثيراً عند هذا التعريف الإسلامي لكلمة "التَّهْلُكَة". فبناء على هذا التعريف، يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أن التَّهْلُكَة هي ما نحن فيه الآن في القرن الحادي والعشرين. نهتم بالأمور الإقتصادية مثل التضخم والبطالة والاستثمار والمشروعات والأجور والمعاشات وأسعار العملات الأجنبية وأسعار الذهب وتحسين مستوى المعيشة ... الخ وتركنا الغزو (الجهاد)!

وما يهمنا هو أن كلمة "التَّهْلُكَة" لم تُذكَر في القرآن كله إلا مرة واحدة فقط (hapax legomenon) وهي (البقرة 195). ولم نجد هذه الآية في صحيح مسلم، ولم نجدها في صحيح البخاري إلا في حديث واحد فقط[798] قصير جداً وليس مرفوعاً (أي: محمد لم يقله).

فهل كلمة "التَّهْلُكَة" دخيلة على القرآن؟ ربما.

وهل (البقرة 195) آية غير أصلية؟ ربما.

ربما تكون (البقرة 195) واحدة مِن الآيات التي أُضيفت لاحقاً (أي: بعد وفاة محمد). وقد يكون أبو أيوب الأنصاري هو الذي قالها وزعم أنها نزلت فيهم معشر الأنصار، وفسرها هذا التفسير ليشجع المسلمين على الجهاد بالنفس والمال. وهو ما قاله قبل ذلك في (التوبة 41): "انْفِرُوا (أي: اخرجوا إلى الجهاد) خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ". وسنكتفي بأن نقول "ربما" لأننا سنترك الإجابة للأجيال القادمة مِن الباحثين. وعلى مَن يعترض أن يعطينا مخطوطة واحدة للقرآن تذكر (البقرة 195) ويرجع تاريخُها إلى ما قبل غزوة المسلمين على القُسْطَنْطِينِيَّة.

مات أبو أيوب الأنصاري في هذه الغزوة الإسلامية الهجومية الفاشلة، ويُقال إنه دُفِنَ على مشارف سور القُسْطَنْطِينِيَّة تنفيذاً لوصيته بأن يُدفَن في أبعد نقطة ممكنة استطاع جيشُ المسلمين أن يتوغل إليها! وكأنه أراد أن يكون وهو حي في طليعة المسلمين الغزاة بسيفه وأراد أيضاً أن يكون وهو ميت في طليعة المسلمين الغزاة (يعني: في أي محاولة إسلامية لغزو القُسْطَنْطِينِيَّة في المستقبل) لكن بجثته في قبره!

وهكذا ظل أبو أيوب الأنصاري يغزو ويُقاتِل ويُحارب خفيفاً وثقيلاً ... شاباً وشيخاً ... حياً وميتاً ... منذ أن عرف محمداً في شبابه حتى مات وسِنُّه تُقارب الثمانين في خلافة معاوية سنة 52هـ. وقيل: 50هـ.

وقيل: 51هـ. وقيل: 55هـ. وفي جميع الأحوال، يمكن تلخيص حياة أبي أيوب الأنصاري في جملة واحدة كما يلي: سفك دماء لمدة حوالي نصف قرن أو أكثر ... مِن محمد الهاشمي إلى معاوية الأموي!

أبو أيوب الأنصاري ... محمد الهاشمي ... معاوية الأموي. مَن المسئول عن كل هذا العنف؟

1.3.9.6 عبد الله بن سعد بن أَبِي سَرْح: الصحابي الذي اكتشف حقيقة محمد. لكن السيف جعله يخضع!

هو "عبد الله بن سعد بن أَبِي سَرْح"[799] القُرَشِيّ العامريّ. وهو أحد العقلاء النجباء الكرماء مِن قريش وأخو عثمان بن عفان مِن الرضاعة، أرضعت أُمُّهُ عثمان. أسلم في مكة متأخراً، قبل فتح مكة (أي: قبل 8هـ). ثم هاجر مِن مكة إلى المدينة، فصار مِن "كَتَبَة الوَحْي"، أي: كان يكتب القرآنَ لمحمد.

لكن بعد إسلامه بفترة قصيرة، ارتدَّ عن الإسلام. فترك المدينة وعاد إلى قريش في مكة.

وتوجد على الأقل روايتان لقصة ردته. وهما روايتان غير متناقضتين، فيمكن الجَمْع بينهما.

الرواية الأولى تُذكَر عادةً في تفاسير وأسباب نزول "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ" (الأنعام 93). فلقد ذكر الطبري في تفسيره لهذه الآية روايةً عن السُّدِّيّ تقول إن (الأنعام 93) "نَزَلَتْ فِي عَبْد اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح، أَسْلَمَ وَكَانَ يَكْتُب [القرآنَ] لِلنَّبِيّ ﷺ، فَكَانَ إِذَا أَمْلَى [محمدٌ] عَلَيْهِ "سَمِيعًا عَلِيمًا" كَتَبَ هُوَ "عَلِيمًا حَكِيمًا"، وَإِذَا قَالَ [محمدٌ] "عَلِيمًا حَكِيمًا" كَتَبَ [عبدُ الله] "سَمِيعًا عَلِيمًا". فَشَكَّ [عبدُ الله] وَكَفَرَ وَقَالَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ؛ وَإِنْ كَانَ اللَّه يُنْزِلهُ، فَقَدْ أَنْزَلْتُ مِثْل مَا أَنْزَلَ اللَّهُ. قَالَ مُحَمَّدٌ: "سَمِيعًا عَلِيمًا"، فَقُلْت أَنَا: "عَلِيمًا حَكِيمًا". فَلَحِقَ [عبدُ الله] بِالْمُشْرِكِينَ، [...]"[800]. وقال السيوطي إن (الأنعام 93) "نَزَلَتْ فِي عَبْد اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح. كان يكتب [القرآنَ] للنبي ﷺ، فيُملِي عليه [محمدٌ] عزيزٌ حكيمٌ، فيكتب [عبدُ الله] غَفُورٌ رَحِيمٌ، ثم يقرأ عليه، فيقول [محمدٌ]: نَعم سَواء. فرجع [عبدُ الله] عن الإسلام ولَحِق بقُرَيش"[801]. وزاد ابن عبد البر وابن الأثير على ذلك أن عبد الله قال لقريش: إني كنتُ أَصرف محمداً حيثُ أُريد، كان يُمْلِي عليَّ: "عزيز حكيم" فأقول: "أَو عليم حكيم"؟ فيقول [محمدٌ]: "نعم، كُلٌّ صواب"! وفي طبقات ابن سعد أن عبد الله قال: ما يدري محمدٌ ما يقول، إني لأكتب له ما شئت. هذا الذي كتبتُ يُوحَى إليّ كما يُوحَى إلى محمد!

وهذه الرواية الأولى تدل على أن محمد كان يتساهل في ألفاظ القرآن، وكان يقبل وضع كلمة بدلاً مِن كلمة أخرى، مما يعني أن القرآن ليس كلام الله الحرفي.

أما الرواية الثانية فتُذكَر أيضاً في تفاسير وأسباب نزول (الأنعام 93) لكنها تشير إلى "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. [...] ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 12-14). قال الواحدي النيسابوري إن (الأنعام 93) "نَزَلَتْ فِي عَبْد اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح، كان قد تكلم بالإسلام، فدعاه رسولُ الله ﷺ ذات يوم يكتب له شيئاً، فلَمَّا نَزَلَتْ الآيةُ التي في المؤمنين: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ" أملاها [محمدٌ] عليه، فلَمَّا انتهى إلى قوله: "ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ" عجب عبدُ الله مِن تفصيل خلق الإنسان، فقال

[عبدُ الله]: "تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"، فقال رسولُ الله ﷺ: "هكذا أُنزِلَتْ عليَّ". فَشكَّ عبدُ الله حينئذٍ، وقال: لئن كان محمدٌ صادقاً، لقد أُوحي إليَّ كما أُوحي إليه؛ ولئن كان كاذباً، لقد قلتُ كما قال. وذلك قوله: "سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ" وارتدَّ [عبدُ الله] عن الإسلام"[802].

وهذه الرواية الثانية تدل على أن محمد كان يسمع جمل مِن كلام البشر ويضعها في القرآن ويزعم أنها "هكذا أُنزِلَتْ" عليه، مما يعني أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

ونلاحظ هنا أن عَبْد اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح فكر بطريقة منطقية وعقلانية، فقاده تفكيره العقلاني إلى اكتشاف حقيقة محمد ثم ترك الإسلام. فالأمر بالنسبة له لا يخرج عن احتمالين:

- إذا كان محمدٌ صادقاً، فلقد أُوحي إليَّ كما أُوحي إليه، فلماذا أتبع نبياً مِثلي؟
- وإذا كان محمدٌ كاذباً، فلماذا أتبع هذا النبي الكذاب؟

فلَمَّا اكتشف عبدُ الله حقيقة محمد، ترك الإسلام. ومعه كل الحق. ولا يستطيع أحدٌ أن يلومه.

وتقول مراجع أخرى إن عمر بن الخطاب هو الذي قال "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"، فجاء القرآنُ موافقاً لِما قاله عُمَرُ.

وسواء كان عَبْد اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح أو عمر بن الخطاب أو شخص آخر هو صاحب "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 14)، فإن النتيجة واحدة في جميع الأحوال: القرآن كلام بشر وليس كلام الله. ومحمد ليس رسولاً مِن عند الله. الفرق بين عَبْد اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح وعمر بن الخطاب هو أن عبد الله وصل بعقله إلى هذه النتيجة المنطقية. أما عمر فلم يصل إليها، أو لعله أدركها لكنه فَضَّل أن يظل مع محمد لسببٍ أو لآخر، وفرح أن كلامه صار قرآناً يُتلَى ويُصلَّى به. ومِن المؤكد أنه كان هناك أُناس كثيرون مثل عَبْد اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح، وكان هناك أيضاً أُناس كثيرون مثل عمر بن الخطاب.

وبعد ردته وعودته مِن المدينة إلى مكة، ظل عَبْدُ اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح يعيش في مكة في أمان بعيداً عن سيوف المسلمين وخناجرهم.

لكن لَمَّا دخل المسلمون مكة يوم الفتح (8هـ)، كان عبدُ الله واحداً مِن الذين أمر محمدٌ بإعدامهم حتى لو احتموا بأستار الكعبة! وهذا يكشف كذب البروباجاندا الإسلامية التي تزعم أن محمد يوم فتح مكة عفا عن كل خصومه (أو بالأحرى: عن مَن تبقى مِنهم على قيد الحياة) وقال لهم "اذهبوا فأنتم الطلقاء". فَمِن المعلوم أن البروباجاندا الإسلامية تحكي نصف القصة فقط، ولا تحكي النصف الآخر، وهو:

- أولاً: قبل فتح مكة سنة 8هـ، كان معظم خصوم محمد قد قُتِلوا (مثل: أبو جهل وغيره) أو ماتوا (مثل: الوليد بن المغيرة وغيره) أو أسلموا (مثل: خالد بن الوليد وغيره).
- ثانياً: لم نجد حديث "اذهبوا فأنتم الطلقاء" في السُّنَّة الصحيحة! فلقد ضعَّفه الشيخُ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة بقوله: ""اذهبُوا فأنتمُ الطُّلقاءُ" ضعيف. رواه ابن إسحاق في "السيرة"

[...]. وهذا سند ضعيف مرسل. لأن شيخ ابن إسحاق فيه لم يسم، فهو مجهول. ثم هو ليس صحابياً، لأن ابن إسحاق لم يدرك أحداً من الصحابة، بل هو يروي عن التابعين وأقرانه، فهو مرسل أو معضل"[803]. "وكذا ضعّفه [الشيخُ الألباني] في تخريجه لأحاديث (فقه السيرة) وقال في رده على البوطي: "هذا الحديث على شهرته ليس له إسناد ثابت""[804].

- أما قول محمد "مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ"، فهي جملة قالها محمدٌ بعد أن جاء أبو سفيان ليستنجد بمحمد ليوقف القتال حتى لا تهلك قريش إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ. يقول حديث صحيح أخرجه مسلم إن محمداً قال للأنصار قبيل فتح مكة: "يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ؟" قَالُوا: "نَعَمْ". قَالَ: "انْظُرُوا، إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا" وَأَخْفَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ. فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ (أي: ما خرج أحدٌ من قريش ليدافع عن مكة إلا قتله المسلمون الغزاة). فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ (أي: آمن بنبوة محمد)! أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ (أي: اسْتُؤْصِلَتْ قُرَيْشٌ بِالْقَتْلِ وَأُفْنِيَتْ، وَخَضْرَاؤُهُمْ بِمَعْنَى جَمَاعَتِهِمْ)، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ"[805]. وحينئذٍ قال محمدٌ تلك الجملة حتى لا تهلك قريش دماراً شاملاً كاملاً. ويبدو لنا أيضاً أن محمد قال تلك الجملة مجاملةً لأبي سفيان فهو سيد قريش ووالد زوجة محمد. تقول موسوعة بيان الإسلام: "والمتأمل لسياق منح النبي ﷺ أبا سفيان تلك الخصوصية يلحظ أن النبي لم يفعل ذلك إلا حين أَوْعَز له عمه العباس أن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فليجعل له شيئاً، فأعطاه النبي ﷺ إياها"[806]. وكان ذلك **بعد** إسلام أبي سفيان بمرّ الظَّهْرَانِ (موضع قرب مكة)[807]، أي: بعد أن صار أبو سفيان واحداً من المسلمين مثل أبي بكر وعمر.

إذن: نحن نستنتج من قصة غزو محمد لمكة ومعه 10000 مسلم[808] أن مكة فُتِحَت عَنْوَةً وليس صلحاً. قال ابن قيم الجوزية: "البيان الصريح بأن مكة فُتِحَت عَنْوَةً، كما ذهب إليه جمهور أهل العلم"[809]. وقال ابنُ حجر: "وقد تمسك بهذه القصة مَن قال إن مكة فُتِحَت عَنْوَةً وهو قول الأكثر"[810]. أما رواية "اذهبوا فأنتم الطلقاء" فهي مجرد رواية نسمعها في الإذاعة والتليفزيون ونقرأها في الكتب لكنها لم تثبت بسند صحيح. وهي طبعاً ليست الرواية الوحيدة التي خدعونا بها[811].

- <u>ثالثاً:</u> رواية "اذهبوا فأنتم الطلقاء" – بفرض أنها حدثت فعلاً – لم تكن عفواً غير مشروط. وإنما كان عفواً مشروطاً بإسلام أهل مكة إذا كانوا مشركين مثل أبي سفيان وغيره، ومشروطاً بعودتهم إلى الإسلام إذا كانوا مرتدين مثل عَبْد اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح وغيره. يعني عملياً: لم يكن عفواً، وإنما كانت استتابة. وخير دليل على ذلك هو أن محمد حطم كل الأصنام التي كانت حول الكعبة[812]، مما يعني أن الدين الوثني لم يعد مقبولاً بعد ذلك اليوم في مكة. فصار أهلُ مكة أمام ثلاثة خيارات: إما الإسلام، وإما القتل، وإما الهروب إلى المصير المجهول (in limbo).

- رابعاً: حتى لو افترضنا جدلاً أن رواية "اذهبوا فأنتم الطلقاء" كانت عفواً، فإن محمداً لم يعفُ عن كل مَن تبقى مِن خصومه على قيد الحياة. فلقد استثنى أربعة (وقيل: استثنى تسعة؛ وقيل: استثنى بضعة عشر)، فأمر محمدٌ بقتلهم وإن وُجِدوا متعلقين بأستار الكعبة! وكان مِن بينهم نساء أَمَرَ محمدٌ بقتلهن! وكان عَبْدُ اللَّهِ بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح واحداً مِن هؤلاء المحكوم عليهم بالإعدام حُكْماً غيابياً بدون محاكمة أو دفاع أو استئناف أو نقض!

وطبعاً، أراد عَبْدُ اللَّهِ بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح أن يحافظ على حياته. فماذا فعل لَمَّا علم أن محمد قد أهدَرَ دمَه؟ نجد الإجابة في حديث صحيح أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما[813]: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ، أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَسَمَّاهُمْ، وَابْنُ أَبِي سَرْحٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ: وَأَمَّا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ [أخيه مِنْ الرّضَاعَةِ] عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، جَاءَ بِهِ (أي: جاء عثمانُ بعبد الله كي يطلب له الأمان) حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [وهو يُبايع الناسَ]، فَقَالَ [عثمانُ]: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ. فَرَفَعَ [محمدٌ] رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى (أي: صمت محمدٌ طويلاً ولم يرد أن يبايعه). فَبَايَعَهُ [محمدٌ] بَعْدَ ثَلَاثٍ [على الإسلام]. ثُمَّ (أي: بعد انصراف عبد الله وعثمان) أَقْبَلَ [محمدٌ] عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: "أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا (أي: إلى عبد الله) حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟" (وفي الاستيعاب وأسد الغابة أن محمداً قال لأصحابه: "ما صَمَتُّ إلا ليقومَ إليه بعضُكم فيضرب عنقه"! وفي طبقات ابن سعد أن محمداً قال لأصحابه: ما منعكم أن يقوم رجلٌ منكم إلى هذا الكلب / الفاسق فيقتله؟!) فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ. قَالَ [محمدٌ]: "إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ (أي: ما تختلسه العيون مِن نظرات)""!

يعني: محمد أراد فعلاً أن يقتل المرتد عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح. لكن شفاعة أخيه عثمان هي التي أنقذت رقبتَه. وظل محمدٌ يُضيّع الوقتَ بصمته الطويل، رجاء أن يقوم بعضُ الصحابة إلى عبد الله فيقتله!

وهذا الحديث الصحيح برواياته المختلفة التي تؤيد بعضُها بعضاً يؤكد وجود حد الردة في الإسلام، ويرد على المسلمين "المستنيرين" الذين ينكرون حد الردة بحجة أن محمد لم يقتل مرتداً، حسب زعمهم!

والحقيقة هي أن الإسلام هو الديانة الوحيدة في العالم التي تهدر دم مَن يتركها!

ولكي تكون مرتداً في نظر المسلمين، لا تحتاج أن تنكر وجود الله أو تنكر نبوّة محمد. يكفيك فقط أن تنكر أى شىء مذكور فى القرآن، مثل: الجن والعفاريت!

- قال الأستاذ أحمد حسين فى تفسيره الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "وليس مِنا مَن ينكر الجن ولا نتردد فى وصفه بالكفر"[814]!
- وقالت موسوعة بيان الإسلام: "الفرق بين مَن يؤمن بهذا العالم (أى: عالم الجن) ومَن ينكره، هو الفرق بين مَن يؤمن بوجود الله عز وجل وبكلامه ووحيه، ومَن لا يؤمن به"، وتقول أيضاً: "إن مُنكِر الجن والشياطين مُكذِّبٌ بالرسل والأنبياء، وبما جاءوا به؛ إذ ثبت وجودهم بصريح النصوص، وثبت أن رسول الله ﷺ كان يدين بوجودهم"[815]!

- وقال د. محمد سعيد رمضان البوطى: "ولما كان وجود هذه الخليقة (يقصد: الجن) مسنداً إلى أخبار يقينية متواترة وردت إلينا من الكتاب والسنة، وكان أمرها معلوماً من الدين بالضرورة، أجمع المسلمون على أن إنكار الجن أو الشك فى وجودهم يستلزم الردة والخروج عن الإسلام"[816]!

إن حد الردة يجعل الإسلامَ سجناً أبدياً يدخل الناسُ فيه ولا يخرجون منه، ويكشف كذب البروباجاندا الإسلامية التي تزعم أن الإسلام دين العقل والحرية!

وكل ما سبق يؤكد أن الإسلام لا يمكن أن يكون هو الدين الذي ارتضاه اللهُ للإنسان العاقل الحر.

ومع ذلك، فإننا قد نلتمس العذر لعَبْد اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح، فيبدو أنه وقتئذٍ لم يجد أمامه سوى أن يرجع مرة أخرى إلى حظيرة الإسلام.

إلا أننا لا نعذره على انضمامه بعد ذلك إلى الجيش الإسلامي الغازي التوسعي الإمبريالي، فلقد شارك في غزو مصر في خلافة عمر. كما شارك في غزو شمال إفريقية والنوبة في خلافة أخيه عثمان.

وبعد مقتل أخيه عثمان واندلاع الحرب الأهلية الإسلامية-الإسلامية التي تُعرَف باسم "الفتنة الكبرى"، لم يُبايعْ عبدُ الله لعليّ بن أبي طالب ولا لمعاوية بن أبي سفيان.

ثم مات عَبْدُ اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح سنة 36هـ أو 37هـ في خلافة عليّ. وقيل: مات سنة 59هـ في خلافة معاوية! وفي جميع الأحوال، فإنه كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان.

1.3.9.7 الحَارِث بن هشام: الكافر الذي أسلم هو وزوجته يوم فتح مكة فجَمَعَ ابنُهما القرآنَ وأنتج لنا المصحفَ!

إنه "الحَارث بن هِشَام بن المُغِيرَة"[817] القرشيّ المخزوميّ (أي: مِن بني مخزوم).

كان الحارثُ مِن أشراف قريش مِن أهل مكة ومِن خصوم محمد في الفترة المكية، فهو شقيق أبي جهل "عمرو بن هشام بن المغيرة" وابن أخ "الوليد بن المغيرة" وكلاهما مِن ألد خصوم محمد في الفترة المكية.

وفي الفترة المدنية (أي: بعد هجرة محمد إلى المدينة)، ظل الحارثُ معادياً للمسلمين، فشَهِد بدراً مع المشركين ضد المسلمين، وقُتِلَ شقيقُه أبو جهل يومئذٍ، أما الحارث فرّ هارباً! فعايروه بفراره. ثم شَهِد أُحُداً مع المشركين ضد المسلمين، التي انتهت بهزيمة المسلمين وإصابة محمد، فلقد شُجَّ وجهُه وكُسِرَت رباعيتُه.

وتقول أحاديث صحيحة إن محمد كان "يلعن" خصومَه في قنوت صلاة الفجر، فكان يقول: "اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً"[818]! وكان الحارثُ بن هشام واحداً من أولئك الذين كان محمدٌ يدعو عليهم في صلاته! يقول حديث صحيح إن محمد كان يدعو على "الحارث بن هشام" و "سُهَيل بن عمرو" و "صفوان بن أمية"[819]!

فماذا كان رد فعل أصحاب القرآن؟ قالوا لمحمد: "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ [بل الأمر كله لله] أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ (أي: إما أن يتوبَ اللهُ على مشركي قريش مثل الحارث بن هشام وغيره إذا أسلموا) أَوْ يُعَذِّبَهُمْ [بالقتل في الدنيا وبالنار في الآخرة!] فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ [يستحقون العذاب!]" (آل عمران 128)[820].

ظل الحارثُ بن هشام كافراً حتى يوم فتح مكة (8هـ). وفي ذلك اليوم، كان الحارثُ بن هشام أمام نفس الخيارات الثلاثة: إما الإسلام وإما القتل وإما الهروب إلى المصير المجهول. لم يهرب؛ ويبدو لنا أنه خاف أن يُعايَر بفراره مرة أخرى. فلم يعد أمامه سوى خيارين: إما الإسلام وإما القتل. فماذا اختار؟ دخل هو ورجلٌ مخزومي آخر على "أم هانئ بنت أبي طالب" (بنت عم محمد وأخت عليّ) واستجارا بها (أي: طلبا منها الحماية)، فأجارتهما أمُّ هانئ لأنهما من بني مخزوم أهل زوجها "هُبَيرة" الذي فَرَّ هارباً يوم فتح مكة. فدخل عليّ بن أبي طالب على أخته أم هانئ وشَهَرَ سيفَه وقال: "والله لأقتلنهما (أي: أقسم أن يقتل الحارثَ ورفيقه)". إلا أن أم هانئ دافعت عنهما، فخرج عليٌّ بدون أن يقتلهما. فذهبت أمُّ هانئ إلى محمد (وقيل: دخل محمدٌ منزلها ذلك الوقت)، فأخبرته بما حدث، فقال محمدٌ لابنة عمه أم هانئ: "قَدْ أَجَرْنا مَنْ أَجَرْتِ، وأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ، فلا يقتلهما"[821]. ثم أسلم الحارثُ، فصار واحداً من أهل مكة الذين أسلموا (أي: استسلموا وخضعوا لمحمد). وأسلمت زوجته "فاطمة بنت الوليد بن المغيرة" (أخت خالد بن الوليد) أيضاً يوم فتح مكة. وكذلك أسلمت أمُّ هانئ يوم فتح مكة؛ وقيل: أسلمت عام الفتح.

ظل الحارثُ مسلماً حتى مات في طاعون عَمَواس بالشام (18هـ). وقيل: قُتِلَ يوم اليرموك (15هـ). وفي جميع الأحوال، لم يكن الحارثُ حياً أثناء جَمْع القرآن وإنتاج المصحف في خلافة عثمان.

لكن مِن عجائب الدنيا الإسلامية – بل: مِن عجائب كتب التراث الإسلامي – أن محمد كان يلعن الحارثَ بن هشام قبل إسلامه، ثم بعد ذلك بسنوات يشترك ابنُه الشاب "عَبْد الرَّحْمَنِ بْن الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ"[822] في اللجنة التي شكّلها الخليفة الثالث عثمان بن عفان لجَمْع القرآن (أو: ما تبقى منه) وإنتاج المصحف!

ابن شقيق أبي جهل يجمع القرآن وينتج المصحف!

والأعجب والأغرب هو أن عبد الرحمن هذا كان طفلاً صغيراً (قيل: ابن 10 سنين) عند وفاة محمد! فهو إذن تابعي، وإن كانت بعض المراجع الإسلامية تعتبره صحابياً. ومع أنه كان طفلاً صغيراً لمَّا مات محمد، أخذ المسلمون منه قرآنَ محمد!

وهنا نرى بوضوح المسار الطويل الذي أخذه القرآن (المصحف) حتى وصل إلينا، حسب التراث الإسلامي: الله ثم جبريل ثم محمد ثم الصحابة والتابعين ثم ... ثم نحن. فهل يمكن أن نثق أن المصحف (القرآن) الذي بين أيدنا الآن هو نفسه الموجود منذ الأزل في "اللوح المحفوظ" عند الله؟! مستحيل.

وإذا أراد اللهُ أن يعلن نفسَه للإنسان عن طريق "كتاب" (حبر على ورق)، فلماذا لا يرسل اللهُ إلينا هذا الكتاب مباشرةً؟ الله ثم نحن. أي: من الله إلينا مباشرةً. لِمَ لا؟ أليس الله على كل شيء قدير؟

1.3.9.8 خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ: صانع السيوف الذي اشترك في صناعة الإسلام

إنه الصحابيّ العربي غير القُرَشيّ "خَبَّاب بن الأَرَتِّ"[823] التميميّ.

لَمَّا كان خَبَّابُ غلاماً قبل الإسلام، أغارت على حَيِّه قبيلةٌ مِن قبائل العرب، فاسْتَاقَت الأنعامَ وسَبَت النساءَ وأَخَذَت الذَّراريَ. فكان خَبَّابُ فِيمَنْ سُبي مِن الغلمان، ثم ظل يُباع مع العبيد في أسواق النَّخَّاسِين وتَتَدَاوَله الأيدي حتى جِيءَ به إلى مكة. فاشترته امرأةٌ مِن أهل مكة كانت تختن الإناث تُسمَّى "أُمّ أَنْمَار" الخُزاعية. فكان خَبَّابُ يُدعَى "عبد أُمّ أَنْمَار". ثم أخذته أُمُّ أَنْمَار إلى قَيْنٍ (أي: حداد) مِن قُيُون مكة لِيُعَلِّمَهُ صناعةَ السيوف. فأتقن خَبَّابُ هذه المهنة اليدوية حتى صارت مهنته[824]. فكان خَبَّابُ ضحيةً مِن ضحايا هذا المجتمع العربي الذي أجبره على أن يمتهن مهنةً يدويةً عند سيدةٍ تمتلكه كما لو كان مشروعاً استثمارياً لها.

فكان الشاب العربي خَبَّابُ مِن الشباب العربي الذين يرفضون الأمر الواقع ويحلمون بالتغيير ...

فلَمَّا دعا الشاب العربي محمد إلى دينٍ جديد في مكة، أسرع خَبَّابُ وانضم إليه، فكان واحداً مِن المسلمين العشر أو العشرين الأوائل. ومنذ تلك اللحظة، نشأت علاقة قوية بين محمد وخَبَّاب. فكان محمدٌ يَألَف خَبَّاباً ويزوره في دُكَّانِه. وكذلك كان خَبَّاب يحضر مجلس محمد مع غيره مِن المسلمين الأوائل.

وكان خَبَّابُ يدعو إلى الإسلام سراً، ويُعلِّم مَن أسلم القرآنَ. فعذبته أُمُّ أَنْمَار والمشركون تعذيباً شديداً، إلا أنه صبر مثل زميله "بِلال بن رَبَاح" الحبشي ولم يكفر بمحمد[825]. على عكس زميلهما "عَمَّار بن ياسر" الذي كان من موالي بني مخزوم، فعَذَّبه المشركون – وعلى رأسهم أبو جهل (أبو الحكم) المخزومي – تعذيباً شديداً هو وأباه ياسر وأمه سمية، فمات ياسر، وقُتِلَت سمية، وكَفَرَ عَمَّار تَقِيَّةً تحت التعذيب والإكراه؛ كَفَرَ بلسانه فقط "وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ"[826]، فاستثناه أصحابُ القرآن مِن غضب الله وعذابه (النحل 106)!

وكان إسلامُ خَبَّاب وبِلال وعَمَّار – وغيرهم مِن المستضعفين وغير القرشيين وغير العرب والفقراء والمنتسبين إلى طبقات اجتماعية متدنية – وملازمتهم لمحمد يسبب أحياناً مشكلةً له. بل كان سبباً في عدم إسلام أشراف قريش الذين رفضوا أن يجلسوا مع هؤلاء المساكين والخدم والعبيد والموالي. يقول القرآن: "فَقَالَ الْمَلَأُ (أي: الأشراف؛ أصحاب الغنى والجاه) الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا (أي: أسافِلنا؛ أخساؤنا؛ الطبقة الدنيا منا؛ أصحاب المهن اليدوية) بَادِيَ الرَّأْيِ (أي: أول الرأي؛ أو: ظاهر الرأي؛ والمقصود: اتبعوك من غير تفكير ولا تدبر ولا تعمق ولا بحث ولا تحقق ولا رويَّة ولا تأمل في القضية) وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ" (هود 27) (مكية). وحين تقرأ الآية السابقة، تحسبها تتحدث عن محمد، لكننا نجدها في القرآن في قصة نوح (هود 25-48)!

فاقترح مَلَأُ قريش على محمد أن يطرد هؤلاء المساكين الذين يجلسون معه. فلقد مَرَّ المَلَأُ مِن قريش على محمد وعنده خَبَّاب بن الأَرَتِّ وعَمَّار بن ياسر وبلال الحبشي وصُهَيْب الرومي وأشباههم، فقال مَلَأُ قريش: "يَا مُحَمَّدُ، أَرَضِيتَ بِهَؤُلَاءِ [الضعفاء]؟ أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [بالهداية وبالخير] مِنْ بَيْنِنَا؟ لَوْ طَرَدتَ

هؤلاء لاتَّبعناك"، "فإنَّا نَسْتَحْيِي أَنْ نكون تَبعاً لك كهؤلاء" و "نَسْتَحْيِي أَنْ تَرَانَا الْعَرَبُ مَعَ هَذِهِ الْأَعْبُدِ (أي: مَعَ هؤلاء العبيد). فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ فَأَقِمْهُمْ عَنْكَ (أي: فَاطْرُدْهُمْ عَنْكَ)، فَإِذَا نَحْنُ فَرَغْنَا فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ". فقَالَ محمدٌ: "نَعَمْ"! قَالُوا: "فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا". فَدَعَا محمدٌ بِصَحِيفَةٍ، وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ.

وهذا يدل على أن محمداً وافق أن يطرد هؤلاء المسلمين الفقراء المستضعفين، وَهَمَّ أن يفعل ذلك. ولعله أراد أن يفعل ذلك بحُسْن نية طَمَعًا فِي إِسْلَام الْأَغْنِيَاء العظماء مِن سادات قريش.

إلا أن أصحاب القرآن (ربما خَبَّاب وعَمَّار وبلال وصُهَيْب أنفسهم) رفضوا هذه الفكرة وقالوا لمحمد: "وَلَا تَطْرُدِ [يا محمد ضعفاءَ المسلمين] الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ (أي: يعبدون رَبَّهُمْ دائماً) يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ [استجابةً لمطالب أصحاب المال والسلطة] فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ (أي: ابْتَلَيْنَا الْأَغْنِيَاء الأشراف بسبق الفقراء المستضعفين إلى الإسلام) لِيَقُولُوا (أي: ليقول الكفار الْأَغْنِيَاء الأشراف مستنكرين ساخرين) أَهَؤُلَاءِ [الفقراء المستضعفين] مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [بالهداية وبالخير] مِنْ بَيْنِنَا" (الأنعام 52-53) (مكية).

فلم يطرد محمدٌ هؤلاء المسلمين المساكين، وإنما كان يجلس معهم ثم يقوم ويتركهم. فقال أصحابُ القرآن له: "وَاصْبِرْ نَفْسَكَ [يا محمد] مَعَ [الفقراء المستضعفين] الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (أي: يتحرّون طاعته ويبتغون رضاه لَا شَيْئًا مِنْ أَعْرَاض الدُّنْيَا) وَلَا تَعْدُ (أي: لا تصرف؛ لا تحوّل) عَيْنَاكَ عَنْهُمْ [إلى غيرهم مِن الكفار الْأَشْرَافَ الأغنياء] تُرِيدُ [يا محمد] زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (أي: حطام الدنيا الزائل وزينتها الفانية التي يمتلكها هؤلاء الكفار الذين تريد أن تجالسهم) وَلَا تُطِعْ [في الابتعاد عن فقراء المؤمنين] مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (أي: إسرافاً؛ ضياعاً؛ هلاكاً)" (الكهف 28).

ومِن الجدير بالذكر أن (الأنعام 52) و (الكهف 28) هما الآيتان القرآنيتان الوحيدتان اللتان تقولان: "الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ"، مما يدل على العلاقة القوية بينهما. ومع ذلك، فإن (الأنعام 52) مكية بينما (الكهف 28) قيل مكية وقيل مدنية! ولا مانع أن تكون القصة تكررت أكثر مِن مرة. وربما حدث الجزء الأول (الأنعام 52) قبل الهجرة، وحدث الجزء الثاني (الكهف 28) بعدها. بل ربما تكون (الأنعام 52) و (الكهف 28) مِن الآيات التي أضيفت لاحقاً بعد وفاة محمد. فَبِما أنه **لا** توجد - ولن توجد - نسخة أصلية كاملة للقرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد وتُوضِّح المكي والمدني، فإن ذلك الاحتمال وارد.

وفي صحيح البخاري أن خَبَّاب قال بعد الهجرة بسنوات: "نُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ" و "نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ"[827]؛ وفي صحيحي البخاري ومسلم أنه قال: "نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ"[828]. وفي المصحف الحالي: "يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (أي: يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ)" (الأنعام 52) (الكهف 28). إنها إذن نفس الكلمات التي كان خَبَّاب يقولها في حياته العادية.

لكن كالعادة، تُكتَب القصة بعد ذلك في الكتب والمراجع الإسلامية[829] (كتب السُّنَّة والسيرة وأسباب النزول والتفاسير) بطريقة تجعل الله (أو: جبريل) هو الذي "أنزل" الآيات القرآنية السابقة! مع أننا لا نحتاج أسطورة الوحي لكي نفهم كيف تطورت أحداث هذه القصة الإنسانية المؤثرة.

الموضوع كله بشري 100% ومش محتاج وحي إلهي. أي واحد مكان خَبَّاب وأمثاله كان حيقول (الأنعام 52-53) و (الكهف 28). وسواء قالها قبل الهجرة أو بعدها أو حتى بعد وفاة محمد، أو أن الآيات نفسها تطورت بمرور الزمن، فإن النتيجة في جميع الأحوال واحدة: القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

وإنه لَمِن الطريف أن أصحاب القرآن قد وضعوا هذا الجزء أيضاً مِن حياة محمد في قصة نوح القرآنية! "[وقال نوحٌ لقومه] [...] وَمَا أَنَا بِطَارِدِ [الفقراء والضعفاء] الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ (أي: بِالْبَعْثِ؛ يوم القيامة[830]!) [فيشكونني إليه إنْ طَرَدْتُهُمْ؛ أو: فَيُجَازِيهِمْ اللهُ بالجزاء العظيم في الآخرة ويقتصُّ لَهُمْ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَطَرَدَهُمْ] وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ [عواقب الأمور]. وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ (أي: لن يمنع عني أحدٌ عقابَ الله) إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. [...] وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ (أي: لهؤلاء الذين تحتقرون مِن ضعفاء المؤمنين) لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ [إِنْ طَرَدْتُهُمْ؛ أو: إنْ قُلْتُ ذَلِكَ]" (هود 29-31) (مكية).

هل يُعقَل؟ ... هل يُعقَل أن نوح صاحب أسطورة "الطوفان" (Flood Myth) – الذي لا يوجد أي دليل علمي يثبت وجوده التاريخي والذي يُفترَض أنه عاش قبل محمد بآلاف السنين وفي مكان يبعد عن مكان محمد بآلاف الكيلومترات – قد تعرض لنفس الموقف الذي تعرض له محمدٌ؟! وكمان يقول نفس الكلام: "إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ [إنْ طَرَدْتُهُمْ]" (هود 31)؟! وعند محمد: "فَتَطْرُدَهُمْ [يا محمد] فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنعام 52). وهل يُعقَل أن تعريف "الظلم" في اللغة العربية التي يتحدثها محمد (وهو: وضع الشيء في غير موضعه) كان هُوَ هُوَ نفسه تعريف "الظلم" في اللغة الأخرى التي يُفترَض أن نوح كان يتحدثها؟!

الإجابة: لا. لا يُعقَل. بل يكاد يكون مِن المستحيل.

وإنما الأقرب إلى العقل والمنطق هو أن أصحاب القرآن قد أخذوا هذا الجزء مِن حياة محمد ووضعوه في قصة نوح القرآنية! بعبارة أخرى: بعد أن سمع أصحابُ القرآن قصةَ نوح مِن التراث اليهودي-المسيحي، أعادوا إنتاجها (reproduced it) مِن جديد، واستعانوا على ذلك بعناصر مِن حياة محمد. أي: صبغوا قصةَ نوح بصبغة عربية-إسلامية. وكما نقول دائماً: القرآن – بل: الإسلام بصفة عامة – هو مجرد محاولة بشرية شرق-أوسطية لدمج التراث الشعبي القومي (العربي) مع التراث الشعبي الديني (اليهودي والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)) في كيانٍ واحد نتج مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي (natural human development) للثقافة العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian). وكل الأدلة في هذه المذكرات ستؤكد هذه النتيجة التي لا نزعم أننا أول مَن وصل إليها.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

وسوف نرى في هذه المذكرات أمثلة أخرى كثيرة على هذا الـ (Typology) حيث يأخذ أصحابُ القرآن تجربةً عاشها محمدٌ ويضعونها بالقوة في قصة نبي آخر، حتى تبدو قصص الأنبياء والرسل السابقين

مشابهة لقصة محمد. وكأن كل رسول سابق هو رمز لمحمد أو يمهد الطريق لرسالة محمد. وبذلك يسهل على مَن يسمع القرآنَ أن يصدق أن محمداً رسولٌ مثل الرسل السابقين، وكذلك يسهل تصديق أن "الإسلام دين جميع الأنبياء": فإذا كانت التجارب والمشكلات واحدة، فلماذا لا تكون الرسالة أيضاً واحدة؟ إنها إذن عملية "أسلمة" و "تعريب" لقصص الأنبياء والرسل السابقين، وبخاصة في القرآن المكي.

ومِن إسهامات خَبَّاب بن الأَرَتِّ في القرآن المكي أيضاً، ولو بطريقة غير مباشرة، قصة طريفة مذكورة في صحيحي البخاري ومسلم[831]. عَنْ خَبَّابٍ قَالَ: "كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي دَيْنٌ عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيّ" (أي: صنع خَبَّاب للعاص سيفاً ولم يأخذ ثمنه). فذهب خَبَّابُ إلى العَاصِ ليَتَقَاضَى مالَه. فَقَالَ العاص لخباب: "لَا أُعْطِيكَ [الدراهم] حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ". فَقَالَ خباب: "وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ ثُمَّ تُبْعَثَ". فَقَالَ العاص: "فَذَرْنِي (أي: فَدَعْنِي) حَتَّى أَمُوتَ ثُمَّ أُبْعَثَ، فَسَوْفَ أُوتَى [بعد البعث] مَالًا وَوَلَدًا، فَأَقْضِيكَ"!

فتحولت هذه الجملة الظريفة - التي قالها العاص بن وائل على سبيل الدعابة أو الاستهزاء - إلى آية قرآنية تُتلَى في صلوات المسلمين إلى اليوم! "أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا. أَطَّلَعَ (أي: أَعَلِمَ) الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا. كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا. وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ (أي: سنسلبه بموته جميع ما يملك؛ أي كما قال خَبَّاب له: يُمِيتَكَ اللَّهُ ثُمَّ تُبْعَثَ) وَيَأْتِينَا [بعد البعث] فَرْدًا (أي: لا مال معه ولا ولد)" (مريم 77-80) (مكية).

وكالعادة، تُكتَب القصة بعد ذلك في الكتب والمراجع الإسلامية (كتب السُّنَّة والسيرة وأسباب النزول والتفاسير) بطريقة تجعل اللهَ (أو: جبريل) هو الذي "أنزل" الآيات القرآنية السابقة!

والسؤال: "أنزلها" اللهُ على مَنْ؟! فنحن لا نجد في صحيحي البخاري ومسلم أن محمداً شَهِد هذا الحوار الذي دار بين خَبَّاب والْعَاصِ! فهل خَبَّاب حكى لمحمد ما حدث فأمر اللهُ جبريلَ أن ينزل بأربع آيات قرآنية؟! أَم أن الله جل جلاله هو الذي حكى لمحمد حواراً دار بين بائع سيوف وزبون مِن زبائنه؟! أَم أنزل اللهُ هذه الآيات على خَبَّاب مباشرة؟!

مِن حقنا إذن أن نرى أن خَبَّاب هو الذي أَلّف هذه الآيات القرآنية السابقة رداً عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وتبكيتاً له، أو على الأقل اشترك خَبَّاب في تأليفها مع محمد و/أو غيره.

وبعد انضمام خَبَّاب إلى المسلمين الأوائل بسنوات، هاجر مِن مكة إلى المدينة، فذاق طعمَ الحرية التي حُرِمَ منها دهراً طويلاً. وفي المدينة، شَهِدَ خَبَّابُ بدراً والمشاهد كلها مع محمد. يعني: محمد استعان بصانع سيوف ومقاتِل غير قرشي في حربه الأهلية ضد أهله قريش!

وبعد وفاة محمد، عاش خَبَّابُ مقرباً مِن الخلفاء الراشدين الأربعة. أي: صار مِن أصحاب الجاه. وصار أيضاً مِن أصحاب المال، فلقد استطاع أن يمتلك ثروة طائلة من الذهب والفضة. ويبدو أن ثروة خَبَّاب بعد إسلامه وهجرته كانت بالفعل ثروة كبيرة جداً، لدرجة أن البخاري ومسلم ألمحا إليها كثيراً في صحيحيهما[832].

وقال ابن حجر: "كان [خَبَّاب] يَعمَل السيوفَ في الجاهلية (أي: قبل إسلامه)، ثبت ذلك في الصحيحين. وثبت فيهما أيضاً أنه تَموَّل (أي: كثُر ماله)"[833]. وكان خَبَّاب يصرف مِن أمواله الكثيرة على أعمال التشييد والبنيان ويقول: "إِنَّا أَصَبْنَا [مِن الأموال] مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ (أي: لا نجد مصرفاً له فنصرفه في بناء الحيطان)"[834]! فترك خَبَّابُ صحراء شبه الجزيرة العربية ونزل بالكوفة وبنى داراً له.

وطبعاً، لم تكن ثروة خَبَّاب الطائلة بفضل صناعة السيوف، وإنما كانت بفضل الإمبريالية العربية/الإسلامية؛ أي: بفضل الغزوات (الفتوحات) والغنائم والجزية والخراج وغيرها مِن مصادر الدخل الإسلامي المرتبطة بالجهاد (الغزو) الذي جعل بيتَ مال المسلمين يفيض بالأموال في خلافتي عمر وعثمان. وكان خَبَّابُ صاحب عطاء (معاش) كبير بوصفه مِن المهاجرين الأولين الذين شهدوا غزوة بدر.

وهكذا، صار المقاتِل المتقاعد خَبَّاب بن الأَرَتِّ مِن أصحاب المال والجاه بعد أن كان عبداً فقيراً مسكيناً في مكة[835]. وتقول المراجع الإسلامية إنه كان يترك أموالَه في مَوْضِعٍ معروفٍ مِن بيته ليأخذ منها الفقراءُ والمساكين دون استئذان! [سؤال: هو بعد كل الغزوات (الفتوحات) والغنائم دي، كان لسه فاضل فقراء ومساكين؟!] ومع ذلك، ظل عند خَبَّاب 40 ألف درهم (وقيل: 80 ألف درهم) في أواخر أيامه! [خَبَّاب - الذي كان يلاحق الْعَاص بْن وَائِل مِن أجل بضعة دراهم ثمن سيف - صار عنده عشرات الآلاف مِن الدراهم! لو كان عاش عمره كله سَيَّافاً يصنع السيوف ويبيعها لأهل مكة، ماكنش عمل نصف هذه الثروة!]

مَرِضَ خَبَّابُ مَرَضاً شديداً حتى كاد أن يَتَمَنَّى الموتَ. ثم مات بالكوفة سنة 37هـ (وقيل: 39هـ) عن عُمْر يقارب السبعين أو يجاوزها، أي أنه كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان. وصلّى عليه الخليفةُ الرابع "عليّ بن أبي طالب".

ملحوظة: لم يكن خَبَّابُ بن الأَرَتِّ هو الصحابي الوحيد الذي أصبح غنياً بعد أن كان فقيراً وصار أميراً بعد أن كان مسكيناً. فتوجد أمثلة أخرى تؤكد أن صحابة كثيرين قد استفادوا مِن الإمبريالية العربية/الإسلامية التي حوَّلتهم بسرعة مذهلة مِن فقراء جياع عرايا في صحراء شبه الجزيرة العربية إلى أغنياء أمراء في قصور وحدائق الشام والعراق وفارس!

يقول حديث صحيح أخرجه مسلم وغيره إن "عُتْبَة بْن غَزْوَانَ" (هو: صحابي مِن المسلمين الأوائل؛ كان فقيراً في مكة فصار أميراً على البصرة!) قال: "[...]. وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ (أي: من المسلمين السبعة الأوائل)، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا (أي: صار في شفاهنا قروح وجروح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته؛ والمقصود: كُنَّا جياعاً)، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ (هو: سعد بن أبي وقاص)، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا (أي: جعلت نصفها إزاراً لي) وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا (يقصد: كُنَّا فقراء عراة)، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ"[836].

باختصار: الإمبريالية العربية/الإسلامية هي التي أعطت المسلمين الأوائل المالَ (الغنائم، الجزية، الخراج ... الخ) والسلطة (حُكم البلاد التي غزوها) والجنس (النساء، السبايا ... الخ). نفس الأهداف الدنيوية

الثلاثة التي يجري وراءها كل غازي إمبريالي محتل. أما الدين (الإسلام) فكان مجرد وسيلة وغطاء شرعي لتبرير وتحقيق تلك الأهداف الدنيوية الثلاثة.

فهل هذا الإسلام دين من عند الله؟ مستحيل.

1.3.9.9 أُبَيّ بن كَعْب: الصحابيُّ الذي نطق "اللهُ" اسمَه ونسبَه في الملأ الأعلى!

اسمُه ونسبُه "أُبَيّ بن كَعْب بن قَيْس"[837] بن النجار الأنصاريّ الخَزْرجيّ. ويُكْنَى بـ "أبي المُنْذِر" و "أبي الطُّفَيْل". كان أُبَيّ مِن الصحابة الذين يجيدون القراءة والكتابة حتى مِن قبل إسلامهم، ويُقال إنه درس وبحث في الكتب المقدسة التي عند اليهود والنصارى (المسيحيين).

حضر أُبَيٌّ مع الأنصار السبعين بيعة العقبة الثانية (بيعة الحرب) وبايع محمداً فيها، فشهد بدراً وسائر الغزوات مع محمد. وكان محمدٌ يحبه ويقدمه على كثير مِن أصحابه في العلم.

في المدينة، كان أُبَيٌّ يلازم محمداً طوال حياته، وكان يدخل على محمد بينما يقف بعضُ الصحابة الكبار (مثل عمر) بالباب. وكان أُبَيٌّ يكتب القرآنَ لمحمد، ويُقال إنه أوَّل مَن كَتَبَ لمحمد (يعني: قبل زيد بن ثابت). وأمرنا محمدٌ أن نأخذ القرآنَ مِن أُبَيّ، فلقد قال محمدٌ: "خُذُوا الْقُرْآنَ (أو: اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ) مِنْ أَرْبَعَةٍ"، وَأُبَيّ واحد منهم[838]. إنه إذن واحد مِن الذين يُطلَق عليهم "كَتَبَة الوَحْي" (أو: "كُتَّاب الوَحْي")، بل إنه في مقدمتهم. فلقد قال محمدٌ عن الصحابة: "أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ (أي: أجودهم قراءة للقرآن) أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ"[839]. وعمر بن الخطاب نفسه اعترف بذلك وقال "أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ"[840]. فكان أُبَيّ بْن كَعْب يُلقب بـ "سَيِّد القراء"، أي كان "سَيِّد قُرَّاءِ الْقُرْآنِ" أو "سَيِّد حَفَظَة القرآن" في نظر أصحابه، وكان هو المرجع الذي يرجعون إليه فيه.

وكان الصحابي الكبير أُبَيّ بْن كَعْب نفسه يفتخر بعلاقته المباشرة بمحمد ويقول: "إِنِّي تَلَقَّيْتُ الْقُرْآنَ مِمَّنْ تَلَقَّاهُ (أو: مِمَّنْ يَتَلَقَّاهُ) مِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ رَطْبٌ"[841] و "إِنِّي تَلَقَّيْتُ الْقُرْآنَ مِنْ تلقاء جِبْرِيلَ وَهُوَ رَطْبٌ"[842]. وكما قلنا عند حديثنا عن الصحابي الكبير عبد الله بن مسعود، إنَّ هذا "القرآن الرَطْب" (fresh) أو "القرآن الغَضّ" هو القرآن "كَمَا أُنْزِلَ" بدون تغيير. وذكر الكاندهلوي في "حياة الصحابة" روايةً تقول إن جبريل كَلَّم أُبَيَّ بْن كَعْب، فسمع أُبَيٌّ صوتَ جبريل[843].

ونحن على يقين 100% أن هذا القرآن "الرَطْب" "الغَضّ" "كَمَا أُنْزِلَ" يختلف عن المصحف الحالي الذي بين أيدينا الآن. على سبيل المثال، أخرج الحاكمُ في مُستدرَكه حديثاً يقول إن أُبَيّ وعمر اختلفا في نَص (الفتح 26). أُبَيٌّ يقرأها بعبارة **زائدة** عن المصحف الحالي كما يلي: "إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ **وَلَوْ حَمِيتُمْ كَمَا حَمُوا لَفَسَدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَام** فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ [...]". فلَمَّا اعترض عُمَر على هذه القراءة، قال أُبَيٌّ لعمر بكل ثقة وثبات: "لقد علمتَ أني كنت أدخل على النبي ﷺ ويقرئني وأنتم بالباب. فإن أحببت أن أقرىء الناس على ما أقرأني [النبيُّ] أقرأت، وإلا لم أقرىء حرفاً ما حييت". فقال عمر لِأُبَيّ: "بل أقرىء الناس"[844]. وتقول رواية أخرى ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء إن أُبَيّ قال لعمر لَمَّا

اختلفا في نَص (الفتح 26): "والله يا عُمَر، إنك لتعلم أني كنتُ أحضر ويغيبون (أي: أحضر مجلس محمد وأنتم تغيبون)، وأُدنى ويُحجبون، ويُصنَع بي ويُصنَع بي. ووالله لئن أحببت [يا عمر]، لألزمنَّ بيتي، فلا أحدث شيئاً، ولا أقرىء أحداً حتى أموت". فقال عمر لِأُبَيّ: "اللهم غفراً! إنا لنعلمُ [يا أُبَيّ] أن الله قد جعل عندك علماً، فعلِّم الناسَ ما عُلِّمْتَ"[845]. وسوف نعطي أمثلة أخرى على الاختلافات بين المصحف الحالي وقراءة أُبَيّ بن كعب للقرآن (أي: مصحف أُبَيّ بن كعب) عند حديثنا عن تاريخ تطور نَص القرآن.

ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما إن محمداً قَالَ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ". فَقَالَ أُبَيٌّ [لمحمد]: "آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟!" فَقَالَ [محمدٌ لِأُبَيٍّ]: "اللَّهُ سَمَّاكَ لِي". فَقَالَ أُبَيٌّ: "وَقَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟!" فَقَالَ [محمدٌ]: "نَعَمْ". فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي (أي: يَبْكِي فرحاً بذلك). قَالَ قَتَادَةُ (أحد رجال السند): فَأُنْبِئْتُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ "لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" (البينة 1)[846].

ونحن نرى أن بكاء أُبَيّ فرحاً يدل على أن هدف محمد لم يكن فقط "قراءة" القرآن لِأُبَيّ، فمِن المعلوم أن محمد كان يقرأ القرآنَ للصحابة في الصلاة وغيرها. إذن: ماذا كان هدف محمد؟ ...

تقول روايات أخرى[847] إن محمداً قَالَ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: "يا أبا المُنذِر، إني أُمِرتُ أن أَعْرِضَ عليك القُرآنَ (أو: أمرني جبريلُ أن أَعْرِضَ عليك القُرآنَ)". فَقَالَ أُبَيٌّ لمحمد: "أَذُكِرْتُ هناك (أي: عند اللهِ)؟!" فقال محمدٌ لِأُبَيّ: "نَعَمْ، باسْمِكَ ونَسبِكَ في المَلأِ الأَعْلَى"! وزادت بعضُ الروايات أن أُبَيّ قَالَ: فـ"بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ (أي: بنعمته) فَبِذَٰلِكَ **فَلْتَفْرَحُوا** هُوَ خَيْرٌ مِمَّا **تَجْمَعُونَ** (أي: مِن متاع الدنيا وزينتها)" (يونس 58). هكذا قرأها أُبَيٌّ بالتاء "فَلْتَفْرَحُوا" و "تَجْمَعُونَ" وليس بالياء كما هي الآن في المصحف الحالي.

وتعليقاً على كلمة "أَعْرِضَ" التي قالها محمدٌ في هذه الروايات وبكاء أُبَيّ بن كعب فرحاً، تساءل العالِمُ الكبير (Claude Gilliot) إذا كان محمدٌ قد أراد أن "يُصحح" أُبَيٌّ له قراءتَه للقرآن[848]:

> dans ce cas Ubayy était-il censé « corriger » Muḥammad, comme c'est le cas dans une *arḍa*? Ubayy, dit-on, pleura lorsqu'il entendit Muḥammad lui dire cela.

ونحن نقول: مِن المحتمل جداً أن يكون محمد قد أراد أن "يُصحح" أُبَيٌّ له قراءتَه للقرآن. إذ توجد أدلة مِن كتب السُّنَّة على أن محمداً قد أراد في مواقف أخرى أن "يُصحح" أُبَيٌّ له قراءتَه للقرآن. فلقد أخرج أبو داود مِن حديث ابْن عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى صَلَاةً فَقَرَأَ فِيهَا [قرآناً]، فَلُبِسَ عَلَيْهِ (أي: الْتَبَسَ وَاخْتَلَطَ عَلَيْهِ أمرُ صلاته؛ أخطأ؛ نَسِيَ آيةً أو نحو ذلك)، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِأُبَيّ: "أَصَلَّيْتَ مَعَنَا؟" قَالَ [أُبَيٌّ]: "نَعَمْ". قَالَ [محمدٌ]: "فَمَا مَنَعَكَ؟ (أي: مَا مَنَعَكَ أن تَفْتَحَ عَلَيَّ؟ أن تُلقِّني؟ أن تُذكِّرني؟)"[849]. وأخرج أحمد في مسنده حديثاً عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى بِالنَّاسِ فَتَرَكَ آيَةً، فَقَالَ: "أَيُّكُمْ أَخَذَ عَلَيَّ شَيْئًا مِنْ قِرَاءَتِي؟" فَقَالَ أُبَيٌّ: "أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، تَرَكْتَ آيَةَ كَذَا وَكَذَا". فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "قَدْ عَلِمْتُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ أَخَذَهَا عَلَيَّ، فَإِنَّكَ أَنْتَ هُوَ"[850].

ومِن المحتمل أيضاً أن يكون محمد قد أراد أن يَسمع رأي أُبَيّ في آيات قرآنية مِن سورة البينة. ربما لأنها آيات قرآنية جديدة يقولها محمدٌ للمرة الأولى. فنحن نعرف مِن مصادر أخرى في كتب السُّنَّة أن الآيات القرآنية التي قرأها محمدٌ على أُبَيّ من سورة البينة **تختلف** عن المصحف الحالي. فلقد روى أحمد والترمذي حديثاً عن أُبيّ بن كعب قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: "إنَّ الله تبارك وتعالى أَمَرَني أن أقرأ عليك" قال: فقَرأَ عليَّ: "لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ. رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً. فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ. وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ" (البينة 1-4) فقرأ فيها: **"إن الدين عند الله الحَنيفيَّةُ غيرُ المُشْرِكةِ ولا اليَهوديَّةِ ولا النصرانيَّةِ ومَن يفعل خيراً فلن يُكْفَرَهُ"** (وفي رواية الترمذي: فَقَرَأَ فِيهَا: **"إِنَّ ذَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ لَا الْيَهُودِيَّةُ وَلَا النَّصْرَانِيَّةُ مَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ"**). قال شعبة (مِن رجال السند): ثم قرأ آيات بعدها، ثم قرأ: **"لو أنَّ لابن آدم وادِيَيْن مِن مالٍ، لسأل وادياً ثالثاً، ولا يَمْلأ جَوْفَ ابن آدمَ إلا الترابُ"** (وفي رواية الترمذي: وَقَرَأَ عَلَيْهِ: **"وَلَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِيًا وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانِيًا لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ"**). قال: ثم خَتَمَها (أي: خَتَمَ سورة البينة) بما بَقِيَ مِنها[851].

ونحن نرى أن الدور الذي لعبه أُبَيّ بن كعب في نشأة الإسلام لا يقتصر على مجرد كتابة القرآن وقراءته ونقله إلينا، أو بالأحرى: محاولة نقله إلينا. وإنما امتد دور أُبَيّ إلى المشاركة في تأليف القرآن، ولو بطريقة غير مباشرة. فنحن نجد في المراجع الإسلامية أنه لَمَّا نزلت عِدَّةُ النساء في المطلقة (البقرة 228) والمتوفَّى عنها زوجُها (البقرة 234)، قال أُبَيّ لمحمد: "إن نساءً مِن أهل المدينة يقلن: قد بَقِيَ مِن النساء مَن لَمْ يُذْكر فيها شيءٌ". فقال محمدٌ: "وما هو؟" فقال أُبَيّ: "الصِّغار والكِبار وذوات الحَمْلِ". فَنَزَلت "وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ (أي: اللاتي انقطع عنهنَّ دم الحيض؛ لكِبر سنهنَّ) إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ (أي: وكذلك الصغيرات اللاتي لم يبلغن الحيض بَعْدُ) وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ (أي: النساء الحوامل) أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا" (الطلاق 4)[852]!

وتوجد في هذه المراجع الإسلامية رواية أخرى تقول إن صحابياً أنصارياً اسمه "خَلَّاد بن النعمان" هو الذي سأل محمداً: "فما عِدَّةُ التي لا تحيض (أي: السيدة الكبيرة)، وعِدَّةُ التي لم تحض (أي: الفتاة الصغيرة التي لم تبلغ سِنَّ الحيض بَعْدُ)، وعِدَّةُ الحبلى؟". وتنتهي هذه الرواية بنفس نهاية الرواية السابقة: تتحول إجابة هذا السؤال إلى قرآن، ثم يُنسَب هذا القرآن إلى الله!

وهل يحتاج اللهُ لِمَن يُذكِّره بعِدّة السيدات الكبيرات والفتيات الصغيرات والنساء الحُبالى؟!

وما معنى أن يقول اللهُ تشريعاً في سورة (البقرة) ثم يكمله في سورة أخرى (الطلاق)؟!

وسواء كانت (الطلاق 4) قد بدأت باقتراح مِن أُبَيّ بن كعب أو مِن خَلَّاد بن النعمان الأنصاري أو مِن نساء المدينة، فإن النتيجة واحدة في جميع الأحوال: القرآن كلام بشر اشترك فيه أكثر مِن شخص.

ومِن المعلوم أن شيوخ الإسلام قد استدلوا بـ (الطلاق 4) على إباحة تزويج الفتيات الصغيرات "اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ": فإذا كانت الآية تتحدث عن عدتهن بعد طلاقهن، فهذا يعني أنهن قد تزوجن. ونحن نرى أن هذا دليل آخر على أن (الطلاق 4) ليست كلام الله. فلا يُعقَل أن الله الحكيم العليم يسمح بزواج الفتيات الصغيرات "اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ" بَعْدُ. ونشكر الله أن القوانين الوضعية التي رفعت سن الزواج إلى 18 سنة قد أنقذت الفتيات الصغيرات مِن الشريعة الإسلامية التي تبيح تزويجهن مع أنهن لم يبلغن بَعْدُ (still immature).

بعد وفاة محمد، ظل أُبَيٌّ مقرئاً ومحدثاً وواعظاً ومعلماً وزاهداً في الدنيا وفقيهاً في الدين يفتي الناسَ بما يعلم مِن القرآن والسُّنَّة ويستشيره الصحابةُ في أمور الدين. وكان الخليفة عمر بن الخطاب نفسه يرجع إلى أُبَيّ في كثير من المسائل ويسأله ويتحاكم إليه في المعضلات. وكان عمر يسميه "سَيِّد المسلمين"، أي: سَيِّد المسلمين عِلماً وقرآناً وفقهاً. وقد جمع عمرُ الناسَ على أُبَيّ في صلاة التراويح، فكان أُبَيٌّ يصلي بهم في المسجد إماماً بعد أن كانوا يصلون أوزاعاً متفرقين. وهذا يدل على أن العلاقة بين أُبَيّ وعمر كانت طيبة على الرغم مِن اختلافهما في نَص القرآن.

لكن يبدو أن أُبَيّ بن كعب بدأ يشعر ببوادر الخلاف والانقسام في المجتمع الإسلامي، فَمِن كلماته المؤثرة: "لقد كنا مع رسول الله ﷺ ووجوهنا واحدة. فلَمَّا فارَقَنا [الرسولُ]، اختلفت وجوهنا يميناً وشمالاً".

اختلفت المراجع الإسلامية اختلافاً ملحوظاً حول تاريخ وفاة الصحابي الكبير أُبَيّ بن كعب! قيل: مات في خلافة عمر سنة 19هـ أو 20هـ أو 22هـ. وقيل: مات في خلافة عثمان سنة 30هـ "وهو أثبت الأقاويل"[853]، واستدلوا على ذلك بأن التابعي الكبير "زرّ بن حُبيش" لقيه في خلافة عثمان. وقيل: مات في خلافة عثمان سنة 32هـ، يعني في نفس السنة التي مات فيها الصحابي الكبير عبد الله بن مسعود. ونحن أيضاً نميل إلى أن أُبَيّ بن كعب مات في خلافة عثمان سنة 30هـ أو بعدها. يعني تقريباً في نفس الفترة التي مات فيها الصحابي الكبير عبد الله بن مسعود.

ومِن عجائب الدنيا الإسلامية – بل: مِن عجائب كتب التراث الإسلامي – أن المسلمين أخذوا القرآنَ مِن عثمان بن عفان وزيد بن ثابت، مع أن محمداً أمرهم أن يأخذوا القرآنَ مِن عبد الله بن مسعود وأُبَيّ بن كعب! قال محمدٌ في حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما: "خُذُوا الْقُرْآنَ (أو: اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ) مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - فَبَدَأَ بِهِ - وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ (مات قبل خلافة عثمان)، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (مات قبل خلافة عثمان)، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ"؛ وإنْ اختلف ترتيب هؤلاء الصحابة الأربعة مِن رواية لأخرى[854]! ومع ذلك، لا يوجد ما يثبت قيام أُبَيّ بن كعب بجمع القرآن وإنتاج المصحف في خلافة عثمان. قال الإمام الذهبي: "وما أحسب أن عثمان ندب للمصحف أُبَيًّا، ولو كان كذلك، لاشتهر، ولكان الذكر لِأُبَيّ لا لزيد [بن ثابت]"[855].

والأعجب مِن هذا كله هو أن المسلمين بعد كل ذلك يزعمون أن الإسلام هو "الدين الصحيح"! كيف يكون الإسلام هو الدين الصحيح إذا كنتم قد أخطأتم خطأً جذرياً عند جَمْع القرآن وإنتاج المصحف؟!

وسوف نعطي أمثلة على الاختلافات بين مصحف أُبَيّ بن كعب ومصحف عبد الله بن مسعود ومصحف عثمان عند حديثنا عن تاريخ تطور نَص القرآن.

ويُقال إن أُبَيّ بن كعب قال قبيل موته ببضعة أيام: "والله لئن عشت إلى هذه الجمعة، لأقولنَّ قولاً لا أبالي استحييتُموني أو قتلتموني". وتقول رواية أخرى إن أُبَيّ بن كعب قال: "اللهم إني أُعَاهِدُك لئن أَبْقَيْتَنِي إلى يوم الجمعة، لأَتَكَلَّمَنَّ بِمَا سَمِعْتُ مِن رسول الله لا أخاف فيه لَوْمَةَ لائم"[856].

لكن سيد المسلمين أُبَيّ بن كعب رحل عن هذه الدنيا قبل أن يتكلم يوم الجمعة!

أسئلة: هل قُتِلَ سَيِّد القراء أُبَيّ بن كعب؟ وإذا كان قُتِلَ، فَمَن قتله؟ مَن هو صاحب المصلحة السياسية والدينية في اغتيال أُبَيّ بن كعب وإخراس صوته قبل أن يتكلم؟

1.3.9.9.1 هل الإسلام يهدد وجود الدولة الوطنية؟

[ملحوظة: هذا الجزء للكبار فقط (18+).]

مِن الأحاديث التي رواها أُبَيّ بن كعب عن "نبي الرحمة والأخلاق الكريمة" محمد بن عبد الله الحديث التالي. عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ رَجُلًا اعْتَزَى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ (أي: افْتَخَرَ بِأَبِيهِ؛ افْتَخَرَ بنَسبه أو حَسَبه أو أعماله قبل الإسلام؛ انتسبَ وانتمى لغير الإسلام أو لغير المسلمين كقوله مثلاً يَا قبيلتي أو يا قومي؛ استصرخ قبيلتَه واستغاث بهم فقال مثلاً يا آل هاشم أو يَالتميم أو يَالبني عامر أو نحو ذلك)، فَأَعَضَّهُ (أي: قال أُبَيٌّ له: اعضض ذَكَرَ أبيك؛ اعضض قضيبَ أبيك)، وَلَمْ يُكَنِّهِ (أي: قالها أُبَيٌّ صريحة هكذا بدون كناية)، فَنَظَرَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ (أي: إلى أُبَيّ، مستغربين ومندهشين مما قاله أُبَيّ لهذا الرجل)، فَقَالَ [أُبَيٌّ] لِلْقَوْمِ: إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ، إِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ إِلَّا أَنْ أَقُولَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنَا: "إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يَعْتَزِي بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ (أي: قولوا له: اعضض ذَكَرَ أبيك) وَلَا تَكْنُوا (أي: لا تكتفوا بالتلميح، وإنما عليكم بالتصريح في القول والمجاهرة بمثل هذا اللفظ الشنيع رداً لما أتى به هذا الرجل مِن الانتماء إلى قبيلته والافتخار بهم)"[857]! وقال السندي تعليقاً على هذا الحديث: ""رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنَا": أي: فلا بد لي مِن امتثال أمره، ترضون بذلك أم لا"[858]!

وتوجد روايات أخرى لهذا الحديث المهم. وسنكتفي بما يلي ....

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا قال: "يَالَ فُلانٍ" (أي: قال مثلاً يا آل هاشم أو يَالتميم أو يَالبني عامر أو نحو ذلك)، فقال أُبَيٌّ له: "اعْضَضْ بِهَنِ أبيك" (أي: اعضض بأَيْر أبيك؛ والأَيْر هو العضو الذكري)، وَلَمْ يُكْنِ. فقال الرجل لِأُبَيّ: "يا أبا المُنْذِر، ما كُنْتَ فَحَّاشاً [قبل ذلك]". فقال أُبَيٌّ لهذا الرجل: "إني سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: "مَنْ تَعزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أبيه وَلَا تَكْنُوا""[859].

وقَالَ عُتَيّ بن ضَمرة: رَأَيْتُ رَجُلًا تَعَزَّى عِنْدَ أُبَيِّ بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، افْتَخَرَ بِأَبِيهِ، فَأَعَضَّهُ أُبَيٌّ بِأَبِيهِ، وَلَمْ يُكَنِّهِ. ثُمَّ قَالَ أُبَيٌّ للحاضرين: أَمَا إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ، إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا ذَلِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

يَقُولُ: "مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ وَلَا تَكْنُوا". أو قال أُبَيٌّ: كُنَّا نُؤْمَرُ "إِذَا الرَّجُلُ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا"[860].

تعليقنا: يعني لو واحد عراقي افتخر بأجداده السومريين أو البابليين أو قال مثلاً "افتخر بأنني عراقي"، فهل سيقول المسلمون المتدينون له: "امْصُصْ بَظْرَ عشتار"[861]؟! ولو واحد مصري افتخر بأجداده المصريين القدماء (الفراعنة) أو قال مثلاً "افتخر بأنني من بلد الأهرامات وأبي الهول"، فهل سيقول المسلمون المتدينون له: "اعضض ذَكَرَ خوفو"؟! وماذا لو أدى سوريٌ التحيةَ لعَلَم سوريا أو وقف انتباهاً واحتراماً للنشيد الوطني؟ وماذا لو قال جزائريٌ أو مغربيٌ: "ولائي وانتمائي لتراب وطني" أو "طين أرضي أغلى عندي مِن حياتي"؟ ما سيكون رد فعل المسلمين المتدينين الذين يطيعون كل أوامر محمد وينفذون كل وصاياه بدون تمييز؟!

إذا كانت هذه وصية مِن الوصايا التي تركها محمدٌ لأتباعه، فيجب علينا ألا نندهش عندما نسمع السباب والشتائم في أماكن كثيرة في الدول الإسلامية: في الشوارع، في البيوت، في الفضائيات ... الخ.

إنَّ هذا الحديث يدل على أن محمد لا يمكن أن يكون رسولاً مِن عند الله.

وكالعادة، أنكر فريقٌ مِن المسلمين هذا الحديث! ولجأ فريقٌ آخر إلى حيل دفاعية (apologetic) لتبرير هذا القول الفاحش الذي أمر محمدٌ أتباعَه أن يقولوه في مثل هذه الحالات. ولن نرد على هذه الحيل، لأنها لا تستحق الرد ولأننا نرى أن المشكلة ليست مجرد قول فاحش يقوله المسلم الملتزم بالسُّنَّة المحمدية لِمَن يفتخر بقومه أو أجداده أو لِمَن ينتسب وينتمي لوطنه أو حزبه أو لأي كيان غير إسلامي.

المشكلة أكبر مِن ذلك بكثير ...

المشكلة هي: هل يقبل الإسلامُ بفكرة الدولة الوطنية التي تأسست بعد موت الخلافة الإسلامية في القرن العشرين الميلادي، والتي تكون فيها الجنسيةُ والانتماء والولاء للوطن وليس للدين، والتي تسعى إلى المساواة بين مواطنيها في الحقوق والواجبات على أساس المواطنة وليس على أساس الشريعة الإسلامية؟

لن ننقل هنا ما قاله الإخوان المسلمون وأمثالهم من المتطرفين والإرهابيين المسلمين مثل: "ما الوطنُ إلا حفنةٌ من ترابٍ عفِن" و "طظّ فى مصر" و "المسلم الماليزي أقرب إلينا مِن المصري المسيحي" و "المسلم الإندونيسي ممكن يحكم مصر، لكن المصري المسيحي لأ" ... الخ! فكل العقلاء متفقون على أن هؤلاء الإخوان المسلمين وأمثالهم ليس لديهم ولاء لأوطانهم ولا انتماء لبلدانهم.

وإنما سننقل ما يلي:

يقول الشيخ محمد الغزالي (مِن كبار علماء الأزهر في القرن العشرين) وهو يدعو إلى عودة الخلافة الإسلامية: "[لماذا] يموت ابن تيمية محبوساً؟ لماذا يُغتال حسن البنا؟ لماذا يُشنَق أصحابُه مِن بعده؟ [...]. وما بد مِن كيان سياسي وثقافي موحد للمسلمين، [...]، إلى جانب ما هو معروف مِن أن الإخاء الديني بين المسلمين يسبق أخوة النسب، وأن الولاء للمعتقد فوق الولاء للنزعات العِرْقيَّة والأرضية (أي: أن الولاء للإسلام فوق الولاء للوطن)! [...] فلنقم للإسلام دولته الجامعة ولتعد إليه خلافته الضائعة، [...]. ما هذه العروبة التي اخترعوها، وكابروا بها الإسلام، وحسموا الولاء لها، وجعلوا قوميتها فوق الدين؟ [...]"[862]!

وتقول موسوعة بيان الإسلام التي طُبِعَت ونُشِرَت في مصر تحت إشراف نخبة من كبار العلماء المسلمين (أكثر من 200 عالم وباحث فى تخصصات مختلفة): "(1) الجنسية - في مفهومها المعاصر - تختلف عنها في مفهومها الإسلامي اختلافاً بيناً؛ فهي في المفهوم المعاصر تعني الانتماء إلى دولة معينة وليس إلى أمة، عن طريق الولاء أو التجنس. أما في المفهوم الإسلامي، فهي الانتماء إلى الأمة الإسلامية التي تربط العقيدة بين أفرادها؛ إذ هي أعز ما لدى المسلم. (2) للموالاة على أساس المواطنة أو القومية مخاطر جمة عند تعارضها مع عقيدة المسلم أو تعارض مقتضياتها، والجنسية بمفهومها القُطْري المعاصر فرز استعماري يتجاهله الإسلام ولا يعبأ به"! [...] "والمسلم في أي بلد مسلم يعد من رعايا هذا البلد وليس أجنبياً، وله مِن الحقوق وعليه مِن الواجبات ما على المسلم الذي ينتمي إلى هذا البلد"! [...] "ولا فخر بالحجارة والطين كما يفتخرون، فهؤلاء عندهم الأهرامات، وهؤلاء لديهم حدائق بابل المعلقة، وأولئك بنوا مدائن صالح، أما نحن فنفخر وننتمي ونعتز بالانتماء إلى ركب الإيمان والأنبياء"[863]!

النتيجة: هذا الفكر الإسلامي يهدد وجود الدولة الوطنية التي تربط مستقبلها بماضيه.

والخطوة الأولى للحفاظ على الدولة الوطنية هي فصل الدين عنها. أو بعبارة أكثر دقة: ألا يكون للدين سيادة على الدولة. وإنما يكون لمصالح الدولة أولوية عظمى فوق مصالح الدين. وهذا لا يمكن أن يحدث إلا بالعلمانية (Secularism).

1.3.10 صحابة مِن الجن!

محمد ليس أول إنسي يدعي النبوة، لكنه ربما كان أول إنسي يزعم أنه رسولٌ للجن أيضاً وليس للإنس فقط! وربما كان هذا الادعاء مألوفاً بين العرب أيام محمد، لكننا لم نجد نبياً من أنبياء الله زعم أنه رسول للإنس والجن! وإنه لمن العجيب أن يقول محمدٌ إنه جاء ليعيد إحياء "دين إبراهيم" (الحنيفية)؛ فهل كان إبراهيم رسولاً للإنس والجن؟!

ليس هذا فحسب، بل نحن نجد في القرآن أن الجن زاروا محمداً وسمعوا القرآنَ فآمنوا به وأسلموا!

الزيارة الأولى التي قام بها الجن إلى محمد مذكورة في سورة قرآنية مكية تحمل اسم "الجن" وهي تستحق ذلك الاسم عن جدارة، حيث إن أكثر من نصف آياتها كلام جن (الجن 1-15)! "قُلْ [يا محمد] أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا" (الجن 1-2) (مكية)!

ونستنتج من كتب السُّنَّة الصحيحة أن هذه الزيارة الأولى كانت في أول النبوة. فلقد أخرج الشيخان البخاري ومسلم[864] وغيرهما حديثاً صحيحاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ (اسم سوق للعرب شرقي مكة قرب الطائف)، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ (أي: ما كان الشَّيَاطِينُ يسترقونه من أخبار تتكلم بها الملائكةُ في السماء!) وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ الشُّهُبُ (جمع

شهاب؛ وهو: شعلة نار مُحرقة تنقض على الشيطان الذي يسترق السمع في السماء!). فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ [إِلَى قَوْمِهِمْ] فَقَالُوا: "مَا لَكُمْ؟" فَقَالُوا: "حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ". قَالَ [قومُهم؛ أحدُهم؛ أو: كبيرُهم؛ الشيطانُ]: "مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدَثَ؟" فَانْطَلَقُوا، فَضَرَبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا يَنْظُرُونَ، مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ. فَانْطَلَقَ النَّفَرُ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ (أي: مكة) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِنَخْلَةَ (وادي على بُعد ليلة من مكة)، وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ. فَلَمَّا سَمِعُوا (أي: سَمِع الشياطينُ / الجنُّ) الْقُرْآنَ تَسَمَّعُوا (أي: استَمَعُوا) لَهُ، فَقَالُوا: "هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ". فَهُنَالِكَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: "يَا قَوْمَنَا "إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا"". وَأَنْزَلَ (وفي رواية مسلم ورواية أخرى للبخاري: فَأَنْزَلَ) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: "قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ" (الجن 1). وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ! ومِن الجدير بالذكر أن رواية مسلم تبدأ بقول ابن عباس: "مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَآهُمْ".

يعني: محمد لم يكن يشعر بحضور الجنّ (الشياطين!)، فلم يرهم، ولم يسمعهم وَهُمْ يقولون: "إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا" (الجن 1-2)، لكن الله سمعهم، فنقل حرفياً إلى محمد ما قالوه (الجن 1-2)! يعني: الله صار مجرد وسيط بين الجن (الشياطين!) ومحمد! الله – الذي يُفترَض أنه يدير شئون هذا الكون كله – صار مجرد صحافي أو مراسل (reporter) ينقل حرفياً إلى محمد ما قاله الجن! فتحول كلام الجن إلى قرآنٍ يُتلَى ويُصَلَّى به على أنه كلام الله، مع أنه في الحقيقة كلام جن!

الزيارة الثانية التي قام بها الجن إلى محمد مذكورة في سورة الأحقاف، وهي أيضاً سورة مكية: "وَإِذْ صَرَفْنَا (أي: بعثنا) إِلَيْكَ [يا محمد] نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ (أي: فرغ محمدٌ من تلاوة القرآن) وَلَّوْا (أي: رجع الجن) إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا (أي: القرآن) أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ (أي: مُصَدِّقًا لما قبله؛ قيل: مِن كتب الله التي أنزلها على رُسُله!) يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ (أي: محمداً) وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ (أي: ينقذكم) مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ (أي: لا يقدر على الهرب من الله) وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (الأحقاف 29-32) (مكية)! إذن: لم يكتفِ هؤلاء الجن بأن يكونوا مجرد مؤمنين مستمعين، وإنما نقلوا ما سمعوه من محمد إلى "قَوْمِهِمْ"! فصاروا دعاة ومبشرين ومنذرين، بل صاروا مثل الصحابة الإنس الذين نقلوا ما سمعوه من محمد إلى التابعين الإنس.

ونستنتج من كتب السيرة النبوية أن هذه الزيارة الثانية حدثت أثناء عودة محمد من الطائف إلى مكة بعد رحلته الفاشلة إلى الطائف ليطلب النُّصرة من أهلها ثقيف ويستقوى بهم على قومه قريش الذين آذوه بعد موت زوجته خديجة وعمه أبي طالب؛ أي: في السنة العاشرة للنبوة قبل الهجرة بثلاث سنين وقبيل "الإسراء والمعراج"؛ فرفضت ثقيفُ طلبَ محمد رفضاً شديداً؛ وبصراحة عندهم حق، فكيف يساعدون مَن يستقوى

بقبيلةٍ أخرى على قبيلته؟! يقول د. محمد أبو شهبة (من كبار علماء الأزهر في القرن العشرين): "وفي الطريق إلى مكة، ورسول الله ﷺ بنَخْلة (وادي على بُعد ليلة من مكة) قام من جوف الليل يصلي متهجداً، فمر به نفرٌ من الجن، وكانوا سبعة من جِنّ نَصِيبِينَ، فاستمعوا له، فلمَّا فرغ من صلاته وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، وقد قصَّ اللهُ خبرهم عليه ﷺ"[865]! تعليقنا: إذا كان دكتور من كبار علماء الأزهر في القرن العشرين يؤمن بهذه الأساطير عن الجن، فكيف حال المسلمين البسطاء؟! لكن كالعادة، المشكلة ليست في المسلمين البسطاء ولا في شيوخ الإسلام، وإنما المشكلة في أصحاب القرآن الذين اعترفوا بعالم الجن ووضعوا بعضَ خصائصه في القرآن، ففتحوا البابَ واسعاً أمام أساطير كثيرة ما أنزل اللهُ بها مِن سلطان.

وكالعادة، يوجد رأي آخر يقول إنها ليست زيارة ثانية، وإنما هي زيارة واحدة أشار إليها القرآنُ المكي في موضعين (الأحقاف 29-32) و (الجن 1-2). وكالعادة أيضاً، اختلفوا في التفاصيل التي لم يذكرها القرآنُ مثل الزمان والمكان وعدد الجن. فقيل: كانوا سبعة مِن الجن؛ وقيل: كانوا تسعة؛ وقيل: أحدُهم "زَوْبَعَةُ"[866]! وقيل: اللهُ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ! وطبعاً اتفقوا جميعاً على أنهم كانوا "نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ" كما قال القرآنُ في الموضعين (الجن 1) (الأحقاف 29). و "النَّفَر": مِن ثلاثة إلى عشرة. عشرة جن فقط استطاعوا أن ينقلوا الإسلامَ (قرآن + سُنَّة) من محمد إلى الجن! هل هذا معقول؟!

ونستنتج من هذه الزيارة (أو: هاتين الزيارتين) المذكورة في القرآن أن محمد لم يكن يقصد قراءة القرآن على الجن، ولا يعلم باستماعهم له ولا بحضورهم حتى أخبره اللهُ (أصحابُ القرآن) بما حدث. وكالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن الله أخبر محمداً بحضور الجن ثم أمَره بقراءةِ القرآنِ عليهم.

وفي المقابل، نجد في كتب السُّنَّة الصحيحة زيارةً (أو أكثر) قام بها محمدٌ إلى الجن؛ أي: ذهب محمدٌ إليهم قاصداً وقرأ عليهم عالماً بهم وتحاور معهم فسألوه وأجابهم!

وكما حدثت قصة "الإسراء والمعراج" المزعومة ليلاً فلم يشهدها أحدٌ، كذلك حدثت هذه الزيارة (أو: الزيارات) المحمدية-الجنيّة ليلاً فلم يشهدها أحدٌ! فلقد سُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟" قَالَ [ابْنُ مَسْعُود]: "لَا. وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَفَقَدْنَاهُ، فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ (أي: بحثنا عنه بين الجبال فلم نجده). فَقُلْنَا: "اسْتُطِيرَ (أي: طَارَتْ بِهِ الْجِنُّ!) أَوْ اغْتِيلَ". فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ (أي: محمد) جَاءٍ مِنْ قِبَلَ حِرَاءٍ. فَقُلْنَا: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ". فَقَالَ [محمدٌ للصحابة]: "أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ". فَانْطَلَقَ بِنَا (أي: أخذ محمدٌ الصحابة ليريهم آثارَ الجن حسب زعمه!) فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ. وَسَأَلُوهُ الزَّادَ (أي: سأل الجنُّ محمداً ماذا يأكلون؟). فَقَالَ [محمدٌ للجن]: "لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ، أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ (أي: روث؛ رجيع) عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ""[867]! سؤال: هل للجن دواب؟! وهل الجن كانوا لا يعلمون طعامهم قبل أن يزورهم محمدٌ ويسألوه؟!

ونلاحظ في هذا الحديث الصحيح أن محمد تحاور مع صحابته الجن، فسألوه وأجابهم، كما كان صحابته الإنس يسألونه فيجيبهم! بل نجد في حديثٍ آخر أن صحابة محمد الجن كانوا أحياناً أكثر تجاوباً وتفاعلاً مع محمد مِن صحابته الإنس! فلقد روى الترمذي في سننه والحاكمُ في مستدركه أن محمد خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ [الإنس]، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، فَسَكَتُوا، فَقَالَ [لهم محمدٌ]: "لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" قَالُوا: "لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ""(868).

ولا تتوقف الأساطير الإسلامية في القرآن والسُّنَّة عند هذا الحد. فيقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (أصح كتابين بعد القرآن!) إن "شجرة" أخبرت محمداً بحضور الجن! يطرح هذا الحديث سؤالاً: "مَنْ آذَنَ (أي: أَعْلَمَ) النَّبِيَّ ﷺ بِالْجِنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ؟" أجاب ابنُ مسعود فقال: "آذَنَتْ بِهِمْ شَجَرَةٌ"(869)! وهكذا صار على المسلم المتعلم المثقف في القرن الواحد والعشرين أن يؤمن بأن "شجرة" أخبرت محمداً بحضور الجن، وإلا سيكون منكراً للسُّنَّة الصحيحة!

ونلاحظ تكرار اسم الصحابي ابن مسعود في هذه الأحاديث الصحيحة عن "ليلة الجن"، مع أنه لم ير الجنَّ ولم يسمعهم، بل لم يحضر حوارهم مع محمد! يعني: شاهد ما شافش حاجة! يقول صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ [بن مسعود] قَالَ: "لَمْ أَكُنْ لَيْلَةَ الْجِنِّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَهُ"(870)!

كما نلاحظ أيضاً سيطرة الفكر الأسطوري على عقل الصحابي ابن مسعود، بدليل قوله: "آذَنَتْ بِهِمْ شَجَرَةٌ"! وكذلك سيطرة التفسير الخيالي غير العلمي على عقول الصحابة، بدليل قولهم عن محمد لمَّا فقدوه بين الجبال: "اسْتُطِيرَ (أي: طَارَتْ بِهِ الْجِنُّ)"! هؤلاء هُمْ الصحابة الذين صدّقوا محمداً عندما قال إنه نبي ورسول من عند الله! وهؤلاء هُمْ الصحابة العرب الذين نقلوا إلينا كتابَ "القرآن" العربي وزعموا أنه أيضاً من عند الله! واللهُ بريءٌ منهم ومِن أوهامهم وأساطيرهم العربية.

وكالعادة، نجد في الكتب والمراجع الإسلامية الرأي ونقضه. فنجد حديثاً آخر يقول إن ابن مسعود كان مع محمد في "ليلة الجن"! فلقد قال الحاكمُ في المُستدرَك: "وقد رُوِيَ حديثٌ تداوله الأئمة الثقات، عن رجل مجهول، عن عبد الله بن مسعود أنه شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن"، ثم أخرج الحاكمُ حديثاً يقول إن رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: "مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَحْضُرَ اللَّيْلَةَ أَمْرَ الْجِنِّ فَلْيَفْعَلْ"، فَلَمْ يَحْضُرْ مِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرِي. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلَى مَكَّةَ خَطَّ لِي بِرِجْلِهِ خَطًّا، ثُمَّ أَمَرَنِي أَنْ أَجْلِسَ فِيهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَامَ فَافْتَتَحَ الْقُرْآنَ فَغَشِيَتْهُ أَسْوِدَةٌ (جمع سواد) كَثِيرَةٌ حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَتَّى مَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ، ثُمَّ انْطَلَقُوا وَطَفِقُوا يَنْقَطِعُونَ مِثْلَ قِطَعِ السَّحَابِ ذَاهِبِينَ حَتَّى بَقِيَتْ مِنْهُمْ رَهْطٌ، وَفَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ الْفَجْرِ وَانْطَلَقَ فَبَرَزَ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: "مَا فَعَلَ الرَّهْطُ؟" فَقُلْتُ: "هُمْ أُولَئِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ". فَأَخَذَ [محمدٌ] عَظْمًا وَرَوْثًا فَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ زَادًا، ثُمَّ نَهَى أَنْ يَسْتَطِيبَ (أي: يستنجي) أَحَدٌ بِعَظْمٍ أَوْ بِرَوْثٍ(871). ولقد أخرج البيهقي هذا الحديث(872) الذي يُخالِف ما رواه مسلم في صحيحه: هنا محمد يخبر

أصحابَه بخروجه إلى الجن، فيخرج معه ابنُ مسعود فقط. بينما في صحيح مسلم، الصحابةُ يفقدون محمداً بين الجبال ولا يعلمون أين ذهب فظلوا يبحثون عنه حتى ظنوا أنه قُتِلَ أو خطفته الجنُّ. تناقضات في كتب السُّنَّة.

ويوجد مسجد بأعلى مكة يُسمَّى "مسجد الجن" ويقال إنه موضع الخط الذي خطه محمدٌ لابن مسعود ليلة الجن! بل يقال إن الجن بايعوا محمداً في ذلك الموضع، ولذلك يُسمَّى أيضاً "مسجد البيعة"[873]!

وكذلك أخرج أحمد في مسنده حديثاً عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ، وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ قَالَ: "لِيَقُمْ مَعِي رَجُلٌ مِنْكُمْ، وَلَا يَقُومَنَّ مَعِي رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْغِشِّ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ". فَقُمْتُ مَعَهُ، وَأَخَذْتُ إِدَاوَةً، وَلَا أَحْسِبُهَا إِلَّا مَاءً، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلَى مَكَّةَ رَأَيْتُ أَسْوِدَةً مُجْتَمِعَةً، فَخَطَّ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: "قُمْ (أي: انتظر) هَاهُنَا حَتَّى آتِيَكَ". فَقُمْتُ وَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ (أي: إلى الجن)، فَرَأَيْتُهُمْ يَتَثَوَّرُونَ (أي: يثبون؛ يقومون) إِلَيْهِ، فَسَمَرَ مَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلًا طَوِيلًا، حَتَّى جَاءَنِي مَعَ الْفَجْرِ، فَقَالَ لِي: "مَا زِلْتَ قَائِمًا يَا ابْنَ مَسْعُودٍ؟" فَقُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَلَمْ تَقُلْ لِي: "قُمْ حَتَّى آتِيَكَ"؟" ثُمَّ قَالَ لِي: "هَلْ مَعَكَ مِنْ وَضُوءٍ؟" فَقُلْتُ: "نَعَمْ". فَفَتَحْتُ الْإِدَاوَةَ، فَإِذَا هُوَ نَبِيذٌ، فَقُلْتُ لَهُ: "يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَقَدْ أَخَذْتُ الْإِدَاوَةَ وَلَا أَحْسِبُهَا إِلَّا مَاءً فَإِذَا هُوَ نَبِيذٌ". فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "تَمْرَةٌ طَيِّبَةٌ، وَمَاءٌ طَهُورٌ". ثُمَّ تَوَضَّأَ مِنْهَا، فَلَمَّا قَامَ يُصَلِّي أَدْرَكَهُ شَخْصَانِ مِنْهُمْ (أي: من الجن) قَالَا لَهُ: "يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَؤُمَّنَا فِي صَلَاتِنَا". فَصَفَّهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ، ثُمَّ صَلَّى بِنَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ لَهُ: "مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللهِ؟" قَالَ: "هَؤُلَاءِ جِنُّ نَصِيبِينَ، جَاؤُونِي يَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ فِي أُمُورٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ (وفي تفسير الطبري: "إن الجنَّ تدارأت في قتيلٍ قُتِلَ بينها"، فقضَى بينهم بالحقِّ[874]!)، وَقَدْ سَأَلُونِي الزَّادَ، فَزَوَّدْتُهُمْ". فَقُلْتُ لَهُ: "وَهَلْ عِنْدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ تُزَوِّدُهُمْ إِيَّاهُ؟" فَقَالَ: "قَدْ زَوَّدْتُهُمْ الرَّجْعَةَ (أي: الرجيع؛ الرَّوْث)، وَمَا وَجَدُوا مِنْ رَوْثٍ وَجَدُوهُ شَعِيرًا، وَمَا وَجَدُوهُ مِنْ عَظْمٍ وَجَدُوهُ كَاسِيًا". وَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَنْ يُسْتَطَابَ (أي: يُسْتَنْجَى) بِالرَّوْثِ وَالْعَظْمِ[875]!

وكالعادة أيضاً، حاول شيوخُ الإسلام قديماً وحديثاً محاولات مستميتة للتوفيق بين هذه الأحاديث المتناقضة وغربلة تلك الروايات المتضاربة[876]. فلجأوا إلى نفس الحيل التي يلجأون إليها في مثل هذه المواقف، وأشهرها حيلة الجرح والتعديل: الحديث اللي على هواهم جعلوه "صحيح" والحديث اللي مش على هواهم جعلوه "ضعيف". وطبعاً انحازوا إلى صحيح مسلم (الكتاب رقم 3 في الإسلام) فقالوا إن ابن مسعود لم يكن مع محمد ليلة الجن، بل لم يكن أحدٌ مع محمد؛ وإنما كان ابنُ مسعود مع محمد حين انطلق به وبغيره ليريهم آثَارَ الْجِنِّ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ! [سؤال: هل للجن آثار مثل الإنس؟!] واتفقوا جميعاً على ما قاله القرآن (الكتاب رقم 1 في الإسلام) إن "نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ" سمعوا القرآنَ فآمنوا به وأسلموا وقالوا كلاماً سجله القرآنُ في سورتي الجن والأحقاف، وَهُما سورتان مكيتان حسب التراث الإسلامي.

وما يهمنا مِن كل هذا التراث الإسلامي هو كلام الجن الذي تحول إلى قرآنٍ يُتلَى ويُصَلَّى به على أنه كلام الله، مع أنه في الحقيقة كلام جن! "**قَالُوا** إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا

أَحَدًا. [...]" (الجن 1-15) "**قَالُوا** يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. [...]" (الأحقاف 30-32).

أكثر من نصف سورة الجن كلام جن (الجن 1-15) وليس كلام الله**!**

نحن أمام احتمالين:

- الاحتمال الأول: عالم "الجن" مجرد أسطورة من الأساطير العربية الجاهلية التي تسللت إلى القرآن. ومِن ثم، فإن زيارة الجن لمحمد واستماعهم القرآن وإسلامهم ... الخ هي أيضاً أساطير قرآنية. وفي هذه الحالة يصبح القرآن مجرد كتاب عربي يذكر بعض الأساطير العربية، فلا يمكن أن يكون وحياً من عند الله، لأن الله لا يمكن أن يلجأ إلى الأساطير العربية الجاهلية. وبذلك تكون نظرية الوحي قد انهارت تماماً، والقرآن إذن ليس كلام الله.
- الاحتمال الثاني: نفرٌ مِن الجن زاروا محمداً فعلاً وقالوا هذا الكلام (الجن 1-15) (الأحقاف 30-32) الذي نُقِلَ حرفياً كما هو ووُضِعَ في القرآن. وفي هذه الحالة، يصبح لدينا كلام "جني" مطابق للقرآن، مما يعنى انهيار التحدي الذي وضعه إلهُ الإسلام أن يأتي الجن والإنس بمثل القرآن: "**قُلْ** لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" (الإسراء 88)**!** مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله. هذا عن تحدي الجن. أما عن تحدي الإنس، فلقد قهر الإنسانُ هذا التحدي بتأليف كتاب "الفرقان الحق" الموجود على شبكة الإنترنت (http://www.alkalema.net/furqan). اقرأ هذا الكتاب وسترى بنفسك أنه مثل القرآن، بل أفضل من القرآن. كلاهما كلام مخلوقين وليسا كلام خالق. واقرأ أيضاً أمثلة كثيرة من إبداعات البشر في مسابقة "سورة مثله" عام 2019[877].

إذن، في كلتا الحالتين، النتيجة واحدة: القرآن ليس كلام الله الخالق، وإنما كلام المخلوقين.

نحن لا نؤمن بوجود الجن. ولذلك فإننا نؤمن أن القرآن كلام بشر فقط. ونعتقد أن قصة زيارة الجن لمحمد واستماعهم القرآن وإيمانهم به قصة غير حقيقية. وأن أصحاب القرآن ألّفوا أسطورة "إيمان الجن" لتعويض محمد عن فشله مع قريش أهل مكة وفشله مع ثقيف أهل الطائف، بل تعويضه عن فشله مع القبائل العربية الأخرى التي عرض محمدٌ نفسه عليها فرفضته. وكأن أصحاب القرآن أرادوا أن يقولوا لمحمد: لا تحزن، إذا كان الإنس المشركون يرفضونك، فإن الجن الموحدين يقبلونك.

ولنفس السبب ألّف المسلمون الأوائل أسطورةَ "الإسراء والمعراج"؛ ليقولوا لمحمد: لا تحزن، إذا كان إخوانك من مشركي قريش يرفضونك على أرض مكة (حيث توجد الكعبة بيت الله الحرام)، فإن إخوانك من الأنبياء والرسل والملائكة الموحدين يقبلونك في السماء (بيت الله).

كلها أساطير مكية 100% لعبت دوراً مهماً في الفترة المكية كنوع من "التعويض النفسي"[878] (Psychological Compensation) لمحمد وللمسلمين المستضعفين في مكة.

ونلاحظ أن أسطورة "الإسراء" هي المقابل الجغرافي لأسطورة "إيمان الجن": في أسطورة إيمان الجن، جاء الجن من نصيبين (وهي مدينة مسيحية شرقية مهمة) إلى مكة؛ بينما في أسطورة الإسراء، ذهب محمدٌ من مكة إلى أورشليم (وهي مدينة مسيحية شرقية مهمة)!

ونلاحظ أيضاً أن أسطورة "المعراج" هي المقابل الفكري لأسطورة "إيمان الجن": في أسطورة إيمان الجن، أعلن الجن فشلهم في الصعود من الأرض إلى السماء: "وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ (أي: حاولنا وطلبنا بلوغ السماء لاستماع حديث أهلها) فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا (أي: مُلِئَتْ بالملائكة الذين يحرسونها) وَشُهُبًا (أي: ومُلِئَتْ بالشهب النارية المحرقة التي يُرمَى بها مَن يقترب مِنها)" (الجن 8)[879]؛ وكما فشل الجن في الصعود من الأرض إلى السماء، كذلك فشل الإنس أيضاً في الصعود من الأرض إلى السماء: اقرأ مثلاً قصة فرعون وصرحه المزعوم[880]، وهي أيضاً أسطورة قرآنية مكية مستوحاة من قصة "برج بابل" (Tower of Babel) التوراتية (التكوين 11)[881]. بينما في أسطورة المعراج، صعد محمدٌ من الأرض إلى السماء واستقبلته الملائكةُ استقبالاً حافلاً حسب الأسطورة الإسلامية!

الفبركة واضحة والافتعال ظاهر.

كل أسطورة قرآنية مكية لها هدف ديني و/أو سياسي أراد المسلمون الأوائل أن يحققوه، ولو بالكلام.

أما في الفترة المدنية، فلجأ الإسلامُ إلى العنف، فأخضع الإنسَ بالسيف والقتل وسفك الدماء فلم يعد محتاجاً لمثل هذه الأساطير المكية المفبركة. ولذلك لا نجد في القرآن المدني أي أثر لأسطورة "إيمان الجن" ولا نجد أي أثر لأسطورة "الإسراء والمعراج" ولا نجد أي أثر لأسطورة "صرح فرعون" المزعوم.

وسواء كان القرآن كلام إنس و/أو كلام جن، مش حتفرق معانا. المهم أنه ليس كلام الله الخالق.

القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنتجت كلام الجن تستطيع بكل تأكيد أن تنتج قرآن محمد.

1.4 السابقون والمعاصرون لمحمد

القرآن منتج ثقافي (cultural artifact) أنتجه العرب. فلا يمكن أن نفصل بين القرآن والثقافة العربية.

فنحن لا نقول إن القرآن كلام المسلمين. وإنما نقول إن القرآن كلام العرب. ولذلك يجب علينا أن نتحدث عن شخصيات عربية أخرى أثَّرت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في تكوين القرآن، سواء مِن السابقين لمحمد، أو مِن المعاصرين له، أو مِن منافسيه ومعارضيه، أو الشعراء والكُهّان العرب، أو بصفة عامة: العرب الذين لعبوا دوراً – سواء دوراً إيجابياً أو دوراً سلبياً – في التأثير على الثقافة العربية في القرنين السادس والسابع بعد الميلاد.

1.4.1 الحنفاء العرب

كل معلوماتنا عن هؤلاء "الحنفاء" (أو: "الأحناف") العرب تعتمد أساساً على الكتب العربية-الإسلامية التي كُتِبَت بعد ظهور الإسلام، مثل كتب السُّنَّة والسيرة التي كُتِبَت في القرن الثاني الهجري وما بعده.

وأهم ما جاء في هذه المراجع العربية-الإسلامية المتأخرة والمراجع الأكاديمية المتأثرة إلى حدٍ ما بالتراث العربي-الإسلامي هو أن الحنفاء جماعة (group; movement) أو أفراد (individuals) عرب ظهروا قبل الإسلام وآمنوا بالإله الواحد الأحد ونبذوا الشرك وهجروا عبادة الأصنام ولم يكونوا يهوداً ولا نصارى (مسيحيين). ولم يكن لهم تكتل أو تنظيم واحد متجانس، وإنما كان لكل واحدٍ منهم تجربة شخصية تختلف قليلاً أو كثيراً عن زملائه، وإنْ اتفقوا على رفض الوضع الراهن (status quo) شأنهم في ذلك شأن كل الإصلاحيين (reformers) والثوريين (revolutionaries) في كل زمان ومكان. ومِنهم مَن انتهى بهم الأمر إلى اعتناق النصرانية أو على الأقل مالوا إليها.

إنهم إذن عرب مفكرون مثقفون قارئون كاتبون عقلانيون مُوحِّدون (monotheists) لكن ليسوا مرتبطين بديانة معينة مِن الديانات النظامية (organized religions) المعروفة قبل الإسلام، وإنما اتبعوا ما يُسمَّى "الحنيفية" أو "دين إبراهيم" أو "مِلَّة إبْرَاهِيم" (البقرة 130، 135) (آل عمران 95) (النساء 125) (الأنعام 161) (النحل 123) (الحج 78). وربما آمنوا بما يُسمَّى "صُحُف إبْرَاهِيم" (les rouleaux d'Abraham) (الأعلى 18-19) (النجم 36-37).

ونؤكد مِن البداية على أنه __لا__ يوجد أي دليل تاريخي – ولا حتى دليل قرآني – يثبت أن الحنفاء شخصيات حقيقية[882]! وكذلك، __لا__ يوجد أي دليل تاريخي يثبت أن الحنيفية عقيدة تاريخية حقيقية نادى بها إبراهيم فعلاً! بل __لا__ يوجد أي دليل مِن الكتاب المقدس بعهديه على ما يُسمَّى "دين إبراهيم" أو "مِلَّة إبْرَاهِيم" أو "صُحُف إبْرَاهِيم" بالمعنى الذي قدَّمه الإسلام! وإذا قلتم إن الكتاب المقدس مُحرَّف، فسنقول: وهل مِن

المعقول أو مِن الممكن أن يتفق اليهود بجميع طوائفهم مع المسيحيين بجميع طوائفهم على حذف كل ما يدل على "الحنيفية" مِن كل مخطوطات وترجمات الكتاب المقدس بجميع اللغات؟! مستحيل. وهل التاريخ أيضاً مُحرَّف؟! هل يوجد أي نقش يدل على "دين إبراهيم" المزعوم؟! هل يوجد أي أثر تاريخي يدل على "مِلَّة إبراهيم" المزعومة؟! هل توجد أي مخطوطة لـ "صُحُف إِبْرَاهِيم" المزعومة؟! لا يوجد ولن يوجد.

والأهم مِن كل ما سبق هو أنه **لا** يوجد أي دليل تاريخي يثبت أن إبراهيم نفسه كان شخصاً تاريخياً حقيقياً! يقول العالمُ الكبير (William G. Dever)[883]:

> After a century of exhaustive investigations, all respectable archaeologists have given up hope of recovering any context that would make Abraham, Isaac or Jacob credible “historical figures”.

أما ذِكر إبراهيم في التوراة والإنجيل والقرآن، فإنه لا يكفي لإثبات وجوده التاريخي. يقول د. طه حسين: "للتوراة أن تحدِّثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدِّثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي"[884].

الكلام واضح وقاله د. طه حسين – رحمه الله – منذ أكثر مِن تسعين عاماً. ومع ذلك، ما زلنا نجد مَن يستدل بالتوراة أو الإنجيل أو القرآن على وجود إبراهيم وإسماعيل وغيرهما مِن الشخصيات الورقية؛ أي: الذين لا نجدهم إلا على الورق فقط ولا نجدهم أبداً في التاريخ!

إذن: أغلب الظن أن ما تُسمَّى "مِلَّة إبراهيم" هي مجرد عقيدة وهمية اخترعها أصحابُ القرآن – أو تلقفوها ممن سبقوهم (مِن الحنفاء مثلاً) – ونُسِبَت إلى "إبراهيم" اعتماداً على الأسطورة العربية التي تزعم أن "إبراهيم" هو أبو إسماعيل أبو العرب. ونحن نرى أن أسطورة "إبراهيم وإسماعيل أجداد العرب" أسطورة حديثة نسبياً، أي: نشأت قبيل الإسلام بقليل، قبل الإسلام بعشرات – وليس بمئات – السنين. فلو كان العرب القدماء يؤمنون بأن إبراهيم وإسماعيل هُمْ أجداد العرب، فلماذا لا نجد اسمَ إبراهيم ولا اسم إسماعيل في نسب محمد حتى الجد الخامس عشر (أي: حوالي 300 سنة قبل الإسلام)؟! وهي أيضاً أسطورة مضحكة: إبراهيم عراقي غير عربي وهاجر مصرية غير عربية (حسب التقليد اليهودي/المسيحي)، فكيف يكون ابنهما إسماعيل أبو العرب؟!

باختصار: "دين إبراهيم" دين وهمي لا أصل له، فهو مجرد جزء من التراث العربي الأسطوري الذي تطور تطوراً بشرياً طبيعياً حتى وصل إلى القرآن والإسلام.

ومَن يعترض على هذا الكلام، عليه أن يعطينا دليلاً مادياً علمياً واحداً يثبت تاريخية "إبراهيم" و "دين إبراهيم" و "صُحُف إِبْرَاهِيم" المزعومة. ويجب هنا أن نؤكد على أننا لا نتحدث عن أمور غيبية لا تخضع للعلم، وإنما نتحدث عن بشر مِن لحم ودم، وصُحُف مادية ملموسة. فَمَا الدليل العلمى على "إبراهيم" ودينه المزعوم؟ اللي عاوز يتكلم بعد كده، لازم يتكلم بأدلة علمية. زهقنا خلاص مِن الأساطير والحواديت.

لكن كل ما سبق لا يعني بالضرورة أن "الحنفاء" شخصيات خيالية أسطورية. ربما يكونوا شخصيات حقيقية، لكنهم لم يستخدموا كلمة "حنيف" أو "الحنيفية"، أو استخدموها بمعنى (وربما معاني) تختلف عن معناها المذكور في المراجع العربية-الإسلامية المتأخرة، أو لعلهم استخدموا كلمة أخرى مثل: "الباحثين عن الله" (God-seekers)، أو "المهتدين"، أو "طلاب الهداية"، أو "الحكماء"، أو "أولي الألباب"، أو "الإبراهيميين" (abrahamistes) أو نسبوا أنفسهم إلى "دين إبراهيم" بدون أن يدركوا أنه دين وهمي.

المشكلة هى أنه لا توجد لدينا وثائق تاريخية أنتجها الحنفاءُ أنفسهم، ولذلك لا نستطيع أن نتحقق مِن وجودهم التاريخي. ولو افترضنا وجودهم التاريخي فإننا لا نستطيع أن نتعرف عليهم إلا مِن خلال المراجع العربية-الإسلامية المتأخرة والمراجع الأكاديمية المتأثرة إلى حدٍ ما بما قاله التراث العربي-الإسلامي عنهم.

على أى حال، سنتحدث عن أشهر هؤلاء الحنفاء[885]. وسنتحدث عنهم باختصار، فنحن لا يهمنا الأشخاص بقدر ما يهمنا تأثر الإسلام بأفكارهم الثورية. وسنلاحظ أن مِنهم مَن ينتمي إلى قبيلة قريش، أي: قبيلة محمد وعدد مِن الصحابة الكبار. صدفة؟! بل يُقال إن معظم الحنفاء كانوا مِن قبيلة قريش، أي: مِن القبيلة العربية التي خرج الإسلامُ مِن رحمها. صدفة؟! ويُقال إن عدداً مِن الحنفاء كانوا يتحنَّثون (أي: يتعبَّدون) في المواضع الهادئة الساكنة مثل غار "حراء"[886]، وهو نفس الغار الذي كان محمدٌ يتحنَّث فيه. صدفة؟!

وأشهر الحنفاء العرب أربعة. وهؤلاء الأربعة كلهم مِن قريش. هُمْ: زَيْد بْن عَمْرو بْن نُفَيْل وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش الأسدى. وتقول قصة شهيرة[887] إن هؤلاء القرشيين الحنفاء الأربعة اجتمعوا سوياً منعزلين عن عيدٍ لقريش تُنحَر فيه الذبائح عند الأوثان. وتقول بعض المراجع إن "أميمة بنت عبد المطلب" عمة محمد حضرت هذا الاجتماع مع ابنها الحنيف عبيد الله بن جحش. فقال أحد هؤلاء الحنفاء القرشيين لزملائه: "تَعلمنَّ، والله، ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم وخالفوه. فما وثنٌ يُعبد لا يضر ولا ينفع؟! وما حَجَر نُطيف به لا يسمع ولا يُبصر؟! فابتغوا لأنفسكم ديناً تدينون به، إنْ كنتم تَرُومون النجاةَ". فالتزموا فيما بينهم أن يبحث كلٌ - ما استطاع - عن دين إبراهيم، وأن يخبر كل واحد منهم الآخرين بما أدى إليه بحثه. فخرجوا يسيرون في الأرض، يلتمسون أهل الكتاب مِن اليهود والنصارى والمِلل كلها يتطلبون الحنيفية دين إبراهيم.

أو كما قال د. جواد علي عن الحنفاء بصفة عامة: "الحنفاء [...] ساحوا في البلاد على نحو ما يفعله السياح الزهّاد بحثاً عن الدين الصحيح دين إبراهيم. [...]. ولبعض منهم – كما يروي أهل الأخبار – علم باللغات الأعجمية مثل السريانية والعبرانية، كما كان لهم علم ووقوف على تيارات الفكر في ذلك الوقت. وقد

أضافوا إلى علمهم الذي أخذوه من الكتب، علماً حصلوا عليه من أسفارهم إلى الخارج مثل العراق وبلاد الشام ومن اتصالهم بالرهبان وبرجال الكنائس واليهود. فَهُمْ بالنسبة لذلك الوقت الطبقة المثقفة"(888).

فإذا كنا نقول دائماً، ولا نمل من تكرار القول، إن القرآن – بل: الإسلام بصفة عامة – هو مجرد محاولة بشرية شرق-أوسطية لدمج التراث الشعبي القومي (العربي) مع التراث الشعبي الديني (اليهودي والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)) في كيانٍ واحد نتج مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي (natural human development) للثقافة العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian)، فإن الحنفاء العرب هُمْ الطبقة المثقفة التي ظهرت في المجتمع العربي قبيل ظهور الإسلام (أي: في فترة طفولة محمد وصباه وشبابه) ومهدت الطريق إلى هذا الدمج وهذا التطور الثقافي. وحين نقول "الطبقة المثقفة"، فإن هذا لا يعني بالضرورة أن كل معلوماتهم عن التراث اليهودي-المسيحي كانت كلها صحيحة. وإنما على الأرجح كانت معلوماتهم مزيجاً مِن الصحيح والخطأ، خليطاً مِن الأسفار المقدسة وغير المقدسة، هجيناً مِن الحقيقة والأسطورة، كوكتيلاً مِن الحق والباطل.

أشهر الحنفاء العرب هو المفكر القُرشي الكبير "زَيْد بْن عَمْرو بْن نُفَيْل" والد الصحابي المعروف "سعيد بن زيد" وعم أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" ...

1.4.1.1 زَيْد بْن عَمْرو بْن نُفَيْل: المُوحِّد العقلاني ... عاش ومات قبيل الإسلام

القُرشي "زَيْد بْن عَمْرو بْن نُفَيْل"(889) هو ابن أخ "الخطّاب بن نفيل" والد عمر بن الخطاب، فهو إذن ابن عم عمر. وكان الخطّاب أخاه أيضاً مِن أمه. ولذلك فإن زيد عم عمر أيضاً.

قبل ظهور الإسلام، خالف زيدٌ التقاليد الموروثة التي تُقدِّس الأوثان، وتحدى المجتمع الجاهلي المشرك الذي يعبد الأصنام، فكانت له أفكار ثورية مهدت الطريق إلى ظهور الإسلام بعد ذلك. وأهم هذه الأفكار الثورية: نبذ الشرك وترك عبادة الأصنام والإيمان بالله الواحد الذي خلق السماء والأرض والمخلوقات كلها.

أما مِن أين جاء زيدٌ بهذه الأفكار الثورية؟ فيبدو لنا أنه حصل عليها مِن اليهود والمسيحيين الشرقيين. إذ يُقال إنه قد اطلع على اليهودية والنصرانية وذهب إلى الشام والعراق وتحدث مع أحبار اليهود ورهبان النصارى. ومع أن زيد لم يعتنق اليهودية ولا المسيحية، إلا أنه مِن المؤكد قد تأثر بالتراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) الذي سمعه في رحلاته وأسفاره في الشرق، بدليل إيمانه بالله وترك عبادة الأوثان.

وتقول أسطورة طريفة من أساطير البخاري(890) إن زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، يَسْأَلُ عَنْ الدِّينِ وَيَتْبَعُهُ. فَلَقِيَ عَالِمًا مِنْ الْيَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ [زيدٌ]: "إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ فَأَخْبِرْنِي". فَقَالَ [العالِمُ اليهودي]: "لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا، حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ". [سؤال: هل يُعقَل أن عالِم يهودي يقول ذلك؟!] قَالَ زَيْدٌ: "مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ؟ فَهَلْ

تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ؟ قَالَ [العالِمُ اليهودي]: "مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا". قَالَ زَيْدٌ: "وَمَا الْحَنِيفُ؟" قَالَ [العالِمُ اليهودي]: "دِينُ إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ". فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنْ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ [العالِمُ المسيحي]: "لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ". [سؤال: هل يُعقَل أن عالِم مسيحي يقول ذلك؟!] قَالَ [زَيْدٌ]: "مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ؟ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ؟ قَالَ [العالِمُ المسيحي]: "مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا؟ قَالَ [زَيْدٌ]: "وَمَا الْحَنِيفُ؟" [لاحظ أن زيد كرر نفس السؤال، مع أن العالِم اليهودي كان قد قال له الإجابة!] قَالَ [العالِمُ المسيحي]: "دِينُ إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ". فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ".

وبغض النظر عن غرابة هذه الأسطورة البخارية، فإننا نستنتج منها أن شخصية زيد بن عمرو بن نفيل تكاد تكون مطابقة لشخصية محمد: ليس يهودياً ولا مسيحياً ومع ذلك ليس مشركاً ولا يعبد الأصنام. أو كما قال العالِمان اليهودي والمسيحي في الحديث السابق: دِينُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيف لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ. وهو نفس ما قاله القرآنُ بعد ذلك، مع إضافة كلمة "مسلم": "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا **مُسْلِمًا** وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 67). فإذا وضعتَ اسمَ زيد أو اسمَ محمد بدلاً مِن اسم إبراهيم في الآية السابقة، فستجد أنها تنطبق عليه. اقرأ أيضاً: "وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (البقرة 135). فلا نتعجب مِن تأثر محمد بأفكار زيد الثورية.

وليس بالضرورة أن يكون زيد بن عمرو بن نفيل هو مؤسس الديانة الحنيفية (التي تُسمَّى دين إبراهيم/محمد؛ بل دين الله[891]!). لكن مِن الواضح أن زيد لعب دوراً مهماً في تأسيس معالم الديانة الحنيفية التي انتقلت فيما بعد إلى الإسلام (الذي يُسمَّى دين محمد/إبراهيم؛ بل دين الله[892]!). وليس من المبالغة أن نقول إن زيد بن عمرو بن نفيل كان أباً روحياً لمحمد ورفاقه. وهكذا كل جيل مِن البشر يُسلِّم الرايةَ إلى الجيل الذي يليه لكي يكمل المسيرة. الموضوع كله بشري 100%.

ومِن حُسن الحظ أن القرآن والسُّنَّة الصحيحة يعترفان بفضل زيد بن عمرو بن نفيل على الإسلام. فلقد تسللت أفكار زيد وأشعاره وأسلوبه في توضيح آرائه الثورية إلى آيات قرآنية كثيرة. ويوجد في صحيح البخاري باب يحمل اسم زيد بن عمرو بن نفيل.

على سبيل المثال، كان زيدُ بن عمرو بن نفيل ينظم الشعر، ومِن شعره الجاهلي الذي كان يقوله[893]:

ودَحَاها فلمَّا استوَتْ شَدَّها   سواءً وأرسَى عليها الجِبَالا

وهي نفس الأفكار التي تبناها القرآنُ بعد ذلك، بل تكاد تكون نفس الكلمات التي استخدمها القرآنُ بعد ذلك:

[← "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (أي: بَسَطَهَا) [...] وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا" (النازعات 30-32)]. ونحن نقول ذلك لكي نرد أيضاً على المسلمين الذين يزعمون أن (النازعات 30-32) فيها "إعجاز علمي"! نقول: إنْ كان هناك إعجاز علمي، فهو في شعر زيد بن عمرو بن نفيل لأنه أقدم مِن قرآن محمد بن عبد الله.

ونُلاحظ في شعر زيد إيمانه بالإله الواحد (الرحمن) والقيامة والبعث والحساب والجزاء: الجنة للأبرار والنار للكفار. بدليل قوله في قصيدته المشهورة "أَرَبًّا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ"[894]:

أَرَبًّــا وَاحِــدًا أَمْ أَلْــفَ رَبٍّ ... أدِيــنُ إذا تُقسِّمــتِ الأمُــورُ

عَزَلْـتُ اللّاتَ وَالعُزّى جَمِيـعًا ... كَذَٰلِكَ يَفْعَلُ الجَلْدُ الصَّبُـورُ

فَـلَا الْعُزَّى أَدِيـنُ وَلَا ابْنَتَيْهَـا ... وَلَا صَنَمَيْ بَنِي عَمْرٍو أَزُورُ

[...] ... [...]

وَلَكِنْ أَعْبُــدُ الـرَّحْمَـنَ رَبِّـي ... لِيَغْفِـرَ ذَنْبِـيَ الـرَّبُّ الغَفُــورُ

فَتَقْوَى اللهِ رَبِّـكُـمُ احْفَظُوهَـا ... مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا لَا تَبُورُوا

تَـرَى الأَبْـرَارَ دَارُهُـمُ جِنَـانٌ ... وَلِلْكُفَّــارِ حَـامِيَــةً سَعِيـــرُ

وَخِزْيٌ في الحياةِ وَإنْ يَموتوا ... يُلاقُوا مـا تَضِيقُ بِهِ الصُّدورُ

وهي كلها أفكار اقتبسها الإسلامُ بعد ذلك. بل نستطيع أن نقول إنها المعتقدات الأساسية في الدين الإسلامي. فإذا نظرت إلى أي مرجع إسلامي عن العقيدة الإسلامية، فستجده يتحدث عن نفس معتقدات زيد بن عمرو بن نفيل: التوحيد والقيامة والبعث والحساب والجزاء والجنة والنار. ومِن المعلوم أن "الرحمن" – الذي ذكره زيدٌ كاسم لله في شعره الجاهلي – صار فيما بعد اسماً مِن أسماء الله الحُسنى في القرآن، فلقد استخدمه أصحابُ القرآن 57 مرة[895] ليشيروا إلى الله، بل قالوا صراحةً: "قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ" (الإسراء 110). ومِن الجدير بالذكر أن اسم "الرحمن" له جذور أعمق في "التوحيد الحِمْيَرِيّ" (Himyarite monotheism) وفي الدين اليهودي باعتراف القرآن (طه 90) وأيضاً في أديان الشرق الأدنى القديم[896].

وكان زيد بن عمرو بن نفيل شجاعاً ينتقد عبادة آلهة قريش علناً ولا يخاف مِنهم، فكان يقف إلى جوار الكعبة ويصيح في قريش أثناء طوافها حولها قائلاً: "يا معشر قريش، والذي نفس زيد بيده، ليس فيكم مَن يتبع دين إبراهيم سواى" أو "يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي"[897]. وكان زيد يقول "لا إله إلا الله"، وهو نفس الشعار الذي تبناه الإسلامُ بعد ذلك، بل إن شهادة التوحيد الخالص "لا إله إلا الله" هي الركن الأول مِن أركان الإسلام الخمسة؛ ولذلك فإن زيد بن عمرو بن نفيل يُعرَف بلقب "مُوحِّد الجاهلية"[898].

وزيد هو القائل أيضاً: "لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه". ولقد سمع محمدٌ زيداً يقول ذلك. فلقد روى البخاري في صحيحه[899] عن ابن عمر أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحَ (هو وادي قِبَلَ مكة مِن جهة الغرب) **قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ**، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سُفْرَةٌ (وفي رواية أخرى في صحيح البخاري[900] وأيضاً في مسند أحمد[901]: فَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُفْرَةً فِيهَا لَحْمٌ)، فَأَبَى [زيدٌ] أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: "إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ (أي: الخشب أو الحجارة التي تذبحون عندها تقرباً إلى الأصنام)، وَلَا آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ". ويبدو أن الحنفاء الآخرين كانوا أيضاً يفعلون مثل زيد، "فقد رُوي أن ورقة بن نوفل كان لا يأكل من لحوم هذه الذبائح أيضاً للسبب المذكور"[902]. وقال ابنُ عبد البر: "فما رؤي النبيُّ ﷺ مِن يومه ذلك يأكل مما ذُبح على النُّصُبِ حتى بُعث ﷺ"[903]، مما يدل على أن محمد قد تأثر فعلاً بآراء الحنفاء. **[← وبعد أن ادعى محمدٌ النبوة، ردد القرآنُ أفكار الحنفاء: "فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ" (الأنعام 118) (الأنعام 119) "وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ" (الأنعام 121) "الْأَنْصَابُ [...] رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (المائدة 90) "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ[904] وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ (أي: ما ذُكِرَ اسْمُ غير اللَّهِ عَلَيْهِ عند ذبحه) [...] وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ (أي: مَا ذُبِحَ قربة للأصنام)" (المائدة 3)؛ "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي (أي: ذبحي؛ وقيل: عبادتي) وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ [وحده] رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الأنعام 162)]**. إذن: آراء الحنفاء تسللت إلى القرآن. أو بعبارة أكثر دقة: الآيات القرآنية السابقة هي مجرد تطور بشري طبيعي لآراء الحنفاء في مسألة عدم الأكل مما لم يُذكر اسمُ الله عليه.

وتكملة الحديث في صحيح البخاري: أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ [مستنكراً]: "الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنْ السَّمَاءِ الْمَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنْ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ". ونلاحظ أن زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو قد استخدم نزول الماء (المطر) مِن السماء وإخراج النبات مِن الأرض كوسيلة لتوضيح فكرته. **[← وهي نفس الوسيلة التي لجأ إليها أصحابُ القرآن كثيراً بعد ذلك لتوضيح أفكارهم، وبخاصة في القرآن المكي الذي ركز على التوحيد الخالص والبعث (إحياء الموتى). اقرأ مثلاً: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً (أي: يابسة) فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ (أي: دبَّت فيها الحياة وتحركت بالنبات) وَرَبَتْ (أي: انتفخت وعلت) إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (فصلت 39)؛ "وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (الروم 24)؛ (الأعراف 57) (الحج 5-7) (فاطر 9) (يونس 31) (النبأ 14-18) وغيرها]**.

وكان زيدٌ يُحْيِي الْمَوْءُودَةَ (أي: الطفلة المدفونة حيةً؛ والمقصود: ينقذها مِن الموت)، فَكَانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: "لَا تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَؤُونَتَهَا". فَيَأْخُذُهَا [زيدٌ ويقوم بتربيتها]، فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ (أي: نشأت وشبت)، قَالَ لِأَبِيهَا: "إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَؤُونَتَهَا"[905]. **[← فقال القرآنُ بعد ذلك: "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ" (التكوير 8-9) "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ (أي: خوفاً مِن**

الفقر) نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا" (الإسراء 31) "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ" (الأنعام 151)].

كما كان الزنا واحداً من الأمور الجاهلية التي رفضها زيدٌ وثار عليها. فصاح ذات يومٍ في قومه وقال: "ويحكم يا معشر قُرَيش! إياكم والزنا، فإنه يورثُ الفقر". **[← فقال القرآنُ بعد ذلك: "وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" (الإسراء 32) "وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ (أي: الشرك أو القتل أو الزنا) يَلْقَ أَثَامًا" (الفرقان 68)].**

ولقد جَمَعت أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم بين تلك الكبائر الثلاث التي ثار عليها زيدٌ قبل الإسلام، وهي: الشرك وقتل الأبناء والزنا. عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟" قَالَ [محمدٌ]: "أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا (أي: شريكاً) وَهُوَ خَلَقَكَ". قَالَ [ابنُ مسعود]: "قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟" قَالَ [محمدٌ]: "ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ". قَالَ [ابنُ مسعود]: "قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟" قَالَ [محمدٌ]: "ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ (أي: تزني مع زوجة جارك برضاها)"[906].

وهذه الأحاديث الصحيحة مع الآيات القرآنية السابقة تكفي كدليل قاطع على تأثر محمد بأفكار زيد بن عمرو بن نفيل الثورية. كما تدل على تأثر هذين الرجلين العربيين (أي: زيد ثم محمد) بالتراث اليهودي-المسيحي، فَمِن المعلوم أن الوصايا العشر (The Ten Commandments) – وهي الركيزة الكتابية الأساسية للأخلاق اليهودية-المسيحية – تُحرّم الشرك وعبادة الأوثان والقتل والزنا واشتهاء امرأة الجار: "أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ [...] لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي" (الخروج 20:2-3) (التثنية 5:6-7)؛ "لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا [...] لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ" (الخروج 20:4-5) (التثنية 5:8-9)؛ "لاَ تَقْتُلْ" (الخروج 20:13) (التثنية 5:17)؛ "لاَ تَزْنِ" (الخروج 20:14) (التثنية 5:18)؛ "لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ (your neighbor)" (الخروج 20:17) (التثنية 5:21). وطبعاً توجد آيات أخرى كثيرة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد تُحرّم الشرك والقتل والزنا. ولكننا سنكتفي بالوصايا العشر على سبيل المثال وليس الحصر.

وكما نقول دائماً: القرآن – بل: الإسلام بصفة عامة – هو مجرد محاولة بشرية شرق-أوسطية لدمج التراث الشعبي القومي (العربي) مع التراث الشعبي الديني (اليهودي والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)) في كيانٍ واحد نتج مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي (natural human development) للثقافة العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian). وكل الأدلة في هذه المذكرات ستؤكد هذه النتيجة التي لا نزعم أننا أول مَن وصل إليها.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

وفي هذه الحالة مثلاً، فإن التراث اليهودي-المسيحي يتمثل في "الوصايا العشر" المذكورة في الكتاب المقدس، والتراث العربي يتمثل في "زيد بن عمرو بن نفيل" الذي سبق أصحاب القرآن.

رأى زيدٌ محمداً كما قلنا، لكنه مات قبل البعثة المحمدية المزعومة بقليل (قيل: بخمس سنين). أما ابنه الشاب القُرَشِي "سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل"[907] - الذي تربى منذ صغره في بيت أبيه زيد على التوحيد الخالص ونبذ الشرك وترك عبادة الأصنام - فلقد تزوج فاطمة ابنة عمه وأخت عمر بن الخطاب، وأسلم هو وزوجته مبكراً (قبل عمر) في مكة. وكان سعيد وزوجته سبباً في إسلام عمر، فلقد أسلم عمر في بيت سعيد، فكان إسلامُ عمر فاتحة خير على المسلمين، والفضل يرجع إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وآخرين. ثم هاجر سعيد إلى المدينة وأصبح مِن أخلص صحابة محمد ومِن العشرة المبشرين بالجنة. فوضع سعيد كل طاقاته الفَتِيَّة الشَّابَّة في خدمة الإسلام، فشهد مع محمد المشاهد كلها إلا غزوة بدر التي غاب عنها لأنه كان في مُهِمَّةٍ كَلَّفَهُ بها محمدٌ.

ويُروَى أن سعيد سأل محمداً عن أبيه زيد، فقال محمدٌ تقديراً له: "يأتي [زيدُ بن عمرو بن نفيل] يَوْمَ القيامة أُمَّةً وَحْدَهُ (أي: يُبْعَثُ واحداً يقوم مقام جماعة)"[908]؛ ونحن نرى أن هذا يدل على استقلالية زيد وتميزه الفردي (individual distinctiveness) في الدين. وتقول روايةٌ أخرى إن محمداً قال: "غفر الله لزيد بن عمرو ورحمه، فإنه مات على دين إبراهيم".

وإذا كان مُوحِّد الجاهلية "زيد بن عمرو بن نفيل" قد مات قبل بدء الإسلام، فإن ابنه الصحابي سعيد قد عاش حتى 50هـ أو بعدها، أي أنه كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان. ثم دُفِن سعيد بالمدينة وصلى عليه كثير مِن أصحاب محمد. ورَوى عنه جماعة مِن الصحابة وكبار التابعين.

كما كان لزيد بن عمرو بن نفيل ابنة اسمها "عاتكة" تزوَّجها عبدُ الله بن أبي بكر الصديق حتى قُتِل، ثم تزوَّجها عمر بن الخطاب حتى قُتِل، ثم تزوَّجها الزبير بن العوام حتى قُتِل! ثم خطبها عليّ بن أبي طالب، فرفضت خوفاً عليه مِن أن يُقتَل مثل أزواجها السابقين. فقُتِل عليٌّ بعد ذلك بحوالي أربع سنوات!

1.4.1.2 ورقة بن نوفل: الطرف الثالث ... ابن عم خديجة زوجة محمد الأولى وأم أبنائه وبناته

القُرشي "ورقة بن نوفل" هو ابن عم السيدة خديجة التي ظلت زوجة لمحمد حوالى 25 سنة: 15 قبل البعثة و 10 بعدها. ولقد تحدثنا عن ورقة بن نوفل فيما سبق، فلا داعي لتكرار ما قلناه.

وسنكتفي هنا بأن نقول إن "ورقة تَنَصَّرَ، واستحكم في النصرانية، وحصَّل الكتبَ، وعلم علماً كثيراً"[909].

سؤال: هل اعتنق ورقةُ بن نوفل الإسلام وآمن بمحمد كرسول من عند الله للعالمين وليس للعرب فقط؟

يجيب د. جواد علي: "الأخبار المذكورة لا تنص على إسلامه، ولم نجد أحداً قد نص على ذلك"[910]. وقال ابنُ عساكر: "لا أعرف مَن قال إن ورقة أسلم، والنبي ﷺ لم يقطع بإسلامه"[911].

وهذه طبعاً مشكلة كبيرة للمسلمين. فلو كان محمدٌ رسولاً مِن عند الله ليهدي البشريةَ كلها إلى "دين الحق" كما يزعم المسلمون، فلماذا لم يعتنق ورقةُ هذا الدين الإسلامي؟!

لحل هذه المشكلة، لجأ شيوخ الإسلام – كالعادة – إلى حيل. على سبيل المثال، زعم فريقٌ مِن المسلمين أن ورقة مات قبل البعثة! حتى د. جواد علي قال في نفس الصفحة إن ورقة "كان قد توفي قبل نزول الوحي على الرسول، وهو الرأي الراجح"! لكن كيف يكون هو الرأي الراجح إذا كان صحيح البخاري يقول إن جبريل جاء إلى محمد بالوحي وقال له "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [...]" (العلق 1-5)، فانطلقت به خديجة إلى ورقة[912]. إذن: ورقة كان حياً بعد "الوحي"، ولم يمت قبله كما زعم د. جواد علي.

ونعرف مِن مصادر إسلامية أخرى أن ورقة مات على النصرانية. بل إن د. جواد علي نفسه يعترف بأن "رأي أكثر أهل الأخبار" هو أن ورقة "تَنَصَّرَ واستحكم في النصرانية، وقرأ الكتب ومات عليها"[913]. ويبدو لنا أن ورقة كان أبيونياً أو نسطورياً أو يتبع واحدة مِن تلك المسيحيات الشرقية (Eastern Christianities) التي تأثرت تأثراً كبيراً بالفِكر اليهودي التوحيدي وانتشرت في الشرق قبيل ظهور الإسلام (أي: في فترة طفولة محمد وصباه وشبابه). ولذلك فإننا لم نندهش حين اكتشفنا أن ما قاله الإسلامُ عن طبيعة وشخص السيد المسيح (Christology) هو مجرد مزيج مِن هذه المسيحيات الشرقية – الأبيونية (القرن الأول)، بولس السموساطي (القرن الثالث)، الأريوسية (القرن الرابع)، النسطورية (القرن الخامس) ... الخ – التي ظهرت في الشرق قبل الإسلام بمئات السنين وظلت تنتشر في الشرق حتى ظهر الإسلامُ بفضلها (القرن السابع)؛ وبعضها – النسطورية مثلاً – لا يزال موجوداً في الشرق (كنيسة المشرق) إلى اليوم!

لكن كالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن عبارة "تَنَصَّرَ واستحكم في النصرانية" لا تعني بالضرورة أن ورقة صار نصرانياً (مسيحياً). وإنما تعني أنه درس النصرانية (المسيحية) وتعمَّق فيها وصار خبيراً بها، ومات على الحنيفية. واستدلوا على ذلك بأن ورقة لم يجهر بالنصرانية ولم يُظهر شعائرها ولم يُبشِّر بها.

وبصراحة: "دين" ورقة بن نوفل لا يهمنا كثيراً. فالمهم بالنسبة لنا هو أن ورقة علم علماً كثيراً عن التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian)؛ وطبعاً ساعده على ذلك معرفته باللغات الأجنبية (العِبرية و/أو السريانية) بالإضافة إلى معرفته باللغة العربية. ومِن المؤكد أن ورقة (الطرف الثالث) قد نقل هذا العلم إلى ابنة عمه السيدة خديجة (الطرف الثاني) وزوجها الشاب محمد (الطرف الأول).

ونحن نرى أن هدف ورقة بن نوفل لم يكن صناعة "دين" جديد هو الإسلام، وإنما كان هدفه هو صناعة "نبي" جديد هو محمد. نبي عربي شاب يهدي العربَ (الأميين) إلى المعتقدات الحنيفية، وأهمها: نبذ الشرك وترك عبادة الأوثان والإيمان بالإله الواحد الأحد الذي لا شريك له والقيامة والبعث والحساب والجزاء. وبعد وفاة ورقة بن نوفل، "فَتَرَ الْوَحْيُ" كما قال صحيح البخاري وغيره؛ أي: تأخر إنتاج القرآن لفترة. لكن

بعد ذلك، استطاع أصحابُ القرآن أن يكملوا المشروعَ الذي بدأه ورقة وخديجة ومحمد، فطوَّروا الحنيفيةَ تطوراً بشرياً طبيعياً حتى صار اسمُها "الإسلام"، وصارت ديناً نظامياً عالمياً مستقلاً ينافس اليهودية والمسيحية، بل يريد أن يحل محلهما (التوبة 33) (الفتح 28) (الصف 9).

أو كما قال ابنُ حجر إن ورقة بن نوفل "أقرَّ بنُبُوَّتِه (أي: أقرَّ بنبوة محمد)، ولكنه مات قبلَ أن يَدعوَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ إلى الإسلامِ"[914].

ونحن نقول: لم يكن ورقة محتاجاً أن يقر بنبوة محمد، فلقد اشترك في صناعتها.

1.4.1.3 عثمان بن الحويرث: دين + سياسة

كان القُرشي "عثمان بن الحويرث"[915] شخصية بارزة في التراث العربي قبل الإسلام، إذ نبذ عبادة الأصنام واعتنق النصرانية وتودد إلى البيزنطيين (الروم الشرقيين) ليساعدوه في تنصيب نفسه مَلِكاً على أهل مكة! [ملحوظة: لا نعلم مدى صحة تلك الأقاويل. لكن إذا صحت، فهذا يعني أن محمد لم يكن أول عربي يسعى إلى خضوع (إسلام) أهل مكة له. فلقد سبقه عثمان بن الحويرث. وكلاهما استقوى بقوة خارجية: عثمان بن الحويرث استقوى بالروم (أصحاب السلطة في الشام)، ومحمد استقوى بالأنصار (الأوس والخزرج؛ أصحاب السلطة في يثرب (المدينة)). الفرق بينهما هو أن استقواء عثمان بن الحويرث بالروم كان مجرد كلام أو حبر على ورق ولم يدخل حيز التنفيذ. أما محمد فلقد أنشأ جيشاً مِن الأنصار (أهل المدينة) والمهاجرين (أهل مكة) وحارب بهم جميعاً قبيلتَه قريش (أهل مكة)!]

حاول عثمانُ بن الحويرث أن يقنع أهل مكة أن يجعلوه مَلِكاً عليهم ووعدهم بتحقيق شروط تجارية أفضل لهم مع الروم الذين كانوا يطمحون في تحويل مكة لأهميتها التجارية إلى دويلة أو محطة تجارية تابعة لهم. فقال عثمانُ بن الحويرث لقيصر الروم: "أحملهم (أي: أحمل أهل مكة) على دينك، فيدخلون في طاعتك". [تعليقنا: لا نتصور أن عثمان بن الحويرث قد تحدث مع قيصر الروم. ولعله تحدث مع موظف مِن موظفي الروم في الشام. وبغض النظر عن مدى صحة تلك الرواية، فإنها نفس النظرية التي تبناها محمدٌ بعد ذلك: تأسيس دين – هو الإسلام (الخضوع) (Submission) – يؤدي إلى السمع والطاعة. إلا أن طموحات محمد كانت أكبر بكثير مِن طموحات عثمان بن الحويرث. فلم يقتصر محمدٌ في دعوته على قبيلة قريش ولم يقف عند حدود مكة فقط، وإنما أراد أن يؤسس ديناً عالمياً (universal) – مثل المسيحية – بحيث يدخل فيه كل القبائل العربية (قريش وغيرها)، بل كل البشر (عرب وعجم)، أو على الأقل يقبلون الخضوع لسلطانه ونفوذه.]

رفض أهلُ مكة عرض عثمان بن الحويرث لأنهم كانوا يكرهون أن يتخذوا مَلِكاً عليهم، ولأن انحيازهم إلى الروم سيؤدي إلى عرقلة تجارتهم مع الفرس (أعداء الروم) ومع الأراضي الخاضعة لنفوذ الفرس، لا

سيما وأن الفرس كانوا قد استولوا على اليمن، ولأهل مكة تجارة واسعة مع أهل اليمن. ولذلك فَضَّل المكيون أن يستمروا على سياسة الحياد وعدم الانحياز التي اتبعوها تجاه المعسكرين المتصارعين: الفرس والروم. وبذلك انتهت طموحات عثمان بن الحويرث في تنصيب نفسه مَلِكاً على مكة.

مات عثمانُ بن الحويرث بالشام. ويُقال إنه مات قبل ظهور الإسلام بحوالي 30 سنة أو نحوها؛ أي: حوالي 580م. ويُقال إنه مات مسموماً على يد الملك الغساني "عمرو بن جفنة"!

ولا يهمنا مِن شخصية عثمان بن الحويرث إلا أنه خلط الدين بالسياسة. وهو نفس ما فعله بعد ذلك المسلمون الأوائل بقيادة محمد، وبخاصة في الفترة المدنية. ولا تزال التيارات والمؤسسات الإسلامية إلى اليوم تخلط الدين بالسياسة، فتضر الدين وتفسد السياسة.

1.4.1.4 عبيد الله بن جحش الأسدى: ابن عمة محمد الذي أسلم ثم ترك الإسلام واعتنق المسيحية!

القُرشي "عبيد الله بن جحش الأسدى" هو ابن "أميمة بنت عبد المطلب" عمة محمد وأخو أم المؤمنين السيدة "زينب بنت جحش". اعتنق عبيدُ الله الإسلامَ ثم تركه واعتنق النصرانية وظل نصرانياً حتى وفاته! ولقد تحدثنا عنه أيضاً فيما سبق، فلا داعي لتكرار ما قلناه.

1.4.1.5 أُمَيَّة بن أبي الصَّلت: شاعر الآخرة المثقف الذي آمن بالله الواحد وبالبعث ولم يؤمن بمحمد

إنه الشاعر والمثقف العربي المشهور "أُمَيَّة بْنِ أَبِي الصَّلْتِ"[916] الثقفيّ ابن الشاعر "أَبِي الصَّلْتِ بن أَبِي ربيعة" الثقفيّ. كان أمية معاصراً لمحمد وأنكر نبوته. وأمية مِن قبيلة ثقيف أهل الطائف وهي منطقة خصبة شرق مكة. فهو إذن ليس مِن قبيلة قريش، لكن كانت له صلة قرابة ببعض سادات قريش في مكة. ومِن أقاربه القرشيين مَن قُتِلَ في غزوة بدر (2هـ).

قال عنه د. جواد علي: "أُمَيَّة مثل سائر المتألهين (أي: الذين يتعبدون لله ويعظمونه) الآخرين من طبقة الحنفاء، سافر إلى الشام، واتصل بأهلها، وأوى إلى الأديرة ورجال الدين يسأل منهم عما يهمه من مشكلات دينية وعما كان يجول في خاطره من عبادة قومه وحقيقة العالم. وكان تاجراً، يذهب مع التجار في قوافلهم إلى تلك الديار التي كانت في أيدي الروم. ثم إنه كان على ما يظهر من الروايات التي وردت في ترجمته وسيرته قارئاً كاتباً، قرأ الكتب، ووقف عليها، ومنها ومن اتصاله برجال الدين وبأهل الكتاب تكونت عنده فكرته عن الدين، وشكّه في عبادة قومه وفيما كانوا عليه من عقائد وعبادات. وقد بدا هذا التأثر في الكلمات والمصطلحات الأعجمية والغريبة المستعملة في شعره وفي الأمثلة والقصص المنتزع من الكتابين للعهد القديم والعهد الجديد ومن موارد أخرى عديدة من الموارد الشائعة المستعملة عند أهل الكتاب. وقد ورد في بعض الأخبار أن أمية سافر مرة مع أبي سفيان والد معاوية في تجارة إلى بلاد الشام، فكان كلما نزل منزلاً أخذ فيه

سفراً له يقرأه على مَن معه. كما كان يزور علماء النصارى ويتباحث معهم، [...]. ومعظم شعره هو عن الدين والآخرة وعن الجنة والنار والحساب والكتاب، وقد تضمن إشارات إلى حوادث وقعت في أيامه، أو في أيام قريبة من أيامه مثل قصة الفيل، كما تضمن بعض قصص الأنبياء، ولتعرض شعره إلى هذه النواحي نُعِتَ بشاعر الآخرة" [...] "وهو في المدح أو في الرثاء أو في كل مناسبة أخرى، مستعمل لكلمات ذات صلة بالدين وبالأفكار الدينية ولمصطلحات لا ترد إلا نادراً في الأشعار المنسوبة إلى الشعراء الجاهليين، مما يدل على غلبة التفكير الديني عليه، وتأثير ما قرأه أو أخذه من غير العرب فيه"[917].

ومِن حُسن الحظ أن كتب السُّنَّة الصحيحة والسيرة والتاريخ الإسلامي تعترف بأن محمد كان يستمع إلى شعر أُمَيَّة بن أبي الصَّلت، بل كان يطلبه طلباً ويستزيد منه. يقول الحديث الصحيح (مسلم 2255) عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: "هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ؟" قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ [محمدٌ]: "هِيهْ" (اسم فعل أمر بمعنى: زِد؛ فهي كلمة للاستزادة)، فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا. فَقَالَ [محمدٌ]: "هِيهْ"، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا. فَقَالَ [محمدٌ]: "هِيهْ"، حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ[918]. وهذا الحديث الصحيح يدل أيضاً على أن الصحابة كانوا يحفظون أشعار أُمَيَّة. ولقد ذكر ابنُ كثير وابنُ حجر وغيرهما روايةً تقول إن محمد سأل "الفارعة" أخت أُمَيَّة بْن أَبِي الصَّلْتِ نفس السؤال، وكانت الفارعةُ امرأةً ذات عَقْلٍ وعفافٍ وجَمالٍ، وكان يُعجب بها، فقال لها: "يا فارعة، هل تَحْفَظِينَ مِن شِعْرِ أخيك شيئاً؟"، فأنشدته الفارعةُ شعراً لأمية[919].

ونحن نستنتج مِن مجموع هذه الروايات – ومِن الكتب العربية-الإسلامية بصفة عامة – أن أشعار أمية كانت معروفة ومشهورة بين العرب آنذاك. فلا نتصور أن يسعى محمدٌ إلى استماع شعر أمية ويستزيد منه بهذه الطريقة إلا إذا كان شعر أمية مشهوراً جداً بين العرب. ربما أكثر شهرة مِن قرآن محمد وأحاديثه. وكنا نتمنى أن يعمل العربُ إحصاءاً لنعلم أيهم أكثر عدداً: حَفَظَة شعر أمية أم حَفَظَة قرآن محمد؟

ومِن المعلوم أن معظم شعر أُمَيَّة بن أبي الصَّلت كان شعراً ذا طابع ديني، فلقد كان يذكر في شعره إيمانَه بالله والملائكة والبعث والآخرة ويوم القيامة والجنة والنار ... إلى آخر هذه الأمور الدينية التي آمن بها أُمَيَّةُ؛ ولذلك لُقِّب بـ "شاعر الآخرة"، وهو بالفعل يستحق هذا اللقب. بل إن محمداً نفسه اعترف في حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، فقال: كَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ فِي شِعْرِهِ[920]. وهذا الحديث الصحيح يدل على شدة التقارب الموضوعي بين شعر أُمَيَّة وقرآن محمد. وفي ضوء الحديث الذي يسبقه (مسلم 2255)، نستطيع أن نستنتج أن أصحاب القرآن هُمْ الذين قد تأثروا بأشعار أُمَيَّة بْن أَبِي الصَّلْتِ. أو بعبارة أكثر دقة: تأثر أصحابُ القرآن بالثقافة العربية التي استطاع أُمَيَّةُ أن يطورها بشِعره وأفكاره وآرائه. وتوجد أمثلة كثيرة على ذلك. لكن حرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بالأمثلة التالية.

المثال الأول. يُقال إن أمية بن أبي الصَّلت هو "أول مَن أشاع بين قريش افتتاح الكتب والمعاهدات والمراسلات بجملة: "بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ""[921]. وهي الجملة التي تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً فصارت "بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" في افتتاحية السور القرآنية. وإنْ بقيت كما هي "بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ" في أذكار المساء التي كان يقولها محمدٌ. يقول صحيح البخاري: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: "بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا""[922].

المثال الثاني. مما يدل على عبقرية أمية بن أبي الصَّلت وقدرته على الخلق والإبداع أنه استخدم في شعره كلمات جديدة وغريبة لا تعرفها العرب. يقول د. جواد علي: "ومما ذكره الأخباريون ورواة شعر أمية مِن أمثلة على استعماله للكلم الغريب، أنه استعمل (الساهور) للقمر، وهي كلمة لا تعرفها العرب، وأنه ذكر (السلطيط) اسماً لله تعالى. وأنه أطلق كلمة (التغرور) على الله تعالى في موضع آخر من شعره، وأنه سمّى السماء (صاقورة) و (حاقورة) وأنه استعمل أشياء أخرى من هذا القبيل. [...] والساهور كلمة آرامية الأصل من أصل (سهرو) (Sahro)، بمعنى القمر، أي تماماً بالمعنى الوارد في شعر أمية"[923].

وكذلك في القرآن "العربي" نجد كلمات أعجمية شرقية: سريانية ويونانية وعِبرية وفارسية ... الخ. بل إن كلمة "قرآن" نفسها - التي استخدمها محمدٌ وأعوانه كاسم لمنتجهم الأدبي - كلمة سريانية الأصل كما قلنا فيما سبق. وكلمة "إبليس" يونانية الأصل؛ وكلمة "شيطان" عِبرية الأصل؛ وكلمة "فردوس" فارسية الأصل ... الخ. ومعاني تلك الكلمات الأعجمية في القرآن تكاد تكون مطابقة لمعانيها في لغاتها الأصلية.

كما نجد في القرآن كلمات غريبة احتار المفسرون أنفسهم في معناها، حيرة شديدة وصلت أحياناً إلى درجة اقتراح 16 معنى مختلف لكلمة قرآنية واحدة هي "الْكَوْثَرَ" (الكوثر 1)، كما قال القرطبى: "وَاخْتَلَفَ أَهْل التَّأْوِيل فِي الْكَوْثَر الَّذِي أُعْطِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى سِتَّة عَشَرَ قَوْلًا"[924]! يعني: 16 رأى مختلف في كلمة قرآنية واحدة تتكون مِن 4 حروف فقط تقع في سورة قصيرة خالصة لمحمد تتكون من 3 آيات فقط! ثم يتضح أن هذه الكلمة القرآنية "الْكَوْثَرَ" لها جذور فى التراث اليهودي/المسيحي. أو كما قال الماتُريدى فى نهاية كلامه عنها: "وقيل: "الْكَوْثَرَ": هو حرف أخذ مِن الكتب المتقدمة"[925].

المثال الثالث. مِن شعر أُمَيَّة بن أبي الصَّلت أو شعر أبيه:

كُلُّ دِينٍ يَومَ القِيامةِ عِنْدَ الله   إلا دِينَ الحَنِيْفَةِ زُورُ (أو: بُورُ)[926]

فهو يعتقد أن الحَنِيْفِيَّة هي الدين الوحيد الحق، أما الديانات الأخرى باطلة! وهذا البيت يناظر الآية القرآنية المدنية التي تقول "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (آل عمران 19) والتي كان عبد الله بن مسعود يقرؤها "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الحنيفيةُ"[927]. ولعل قراءة ابن مسعود هي القراءة الأصلية الصحيحة. وكذلك يناظر الآيات القرآنية المدنية التي تقول: "أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ (أى: الإسلام) يَبْغُونَ [...] وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (آل عمران 83-85)؛ "وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" (المائدة 3).

كما "كان [أُمَيَّة] يعظم الله في شعره ويكبره ويحمده، ويرى أنه إله واحد لا شريك له، وأن مَن يشرك به أحداً فقد ظلم نفسَه:

الحمد لله لا شريك له   مَن لم يقلها فنفسه ظلما"[928]

وهذا البيت الذي يدعو صراحةً إلى التوحيد الخالص أساس العقيدة الحنيفية يناظر آيات قرآنية كثيرة تقول إن المشرك يظلم نفسَه بشركه. على سبيل المثال: "وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" (لقمان 13).

<u>المثال الرابع.</u> "الإنسان حيوان ناطق". هذه الجملة التي نسمعها كثيراً تدل على أن الإنسان تميز عن الحيوانات الأخرى بقدرته على الكلام. أما في صحيحي البخاري ومسلم (أصح كتب السُّنَّة وأصح كتابين بعد القرآن)، نجد أن البقرة حيوان ناطق! ونجد أيضاً أن الذئب حيوان ناطق! ونجد أن محمد فهم كلامَ البقرة! وفهم كلامَ الذئب! وآمن محمدٌ وأبو بكر وعمر بقدرة البقرة والذئب على الكلام!

تقول روايةٌ مِن روايات صحيح البخاري إن محمد قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقَرَةٍ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ [البقرةُ لصاحبها!]: "لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، خُلِقْتُ لِلْحِرَاثَةِ". قَالَ [محمدٌ]: "آمَنْتُ بِهِ (أي: آمَنْتُ بتكلُّم البقرة!) أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ". وَأَخَذَ الذِّئْبُ شَاةً فَتَبِعَهَا الرَّاعِي، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ: "مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ (أي: يَوْمَ يأخذها حيوانٌ أشد افتراساً مني، فيأكل منها حاجته ويترك الباقي)؟، يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي (أي: سآكل ما تبقى منها يومئذ)". قَالَ [محمدٌ]: "آمَنْتُ بِهِ (أي: آمَنْتُ بتكلُّم الذئب!) أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ". قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: "وَمَا هُمَا (أي: أبو بكر وعمر) يَوْمَئِذٍ فِي الْقَوْمِ (أي: لم يكونا حاضرين)"[929].

وتقول روايةٌ أخرى في صحيح مسلم إن محمد قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً لَهُ، قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ الْبَقَرَةُ فَقَالَتْ [له]: "إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ". فَقَالَ النَّاسُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ!" تَعَجُّبًا وَفَزَعًا "أَبَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ (أي: أُومِنُ بتكلُّم البقرة!) وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ". [وقال محمدٌ]: بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ، عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ لَهُ: "مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ؟ (أي: مَن سينقذها يوم يطردك عنها السبع وبقيت أنا فيها؟) يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي [لفرارك مِن السبع، فأفعل فيها ما أشاء]". فَقَالَ النَّاسُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ (أي: أُومِنُ بتكلُّم الذئب!) أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"[930].

وتوجد روايات أخرى[931] تؤكد أن هذه البقرة (الحيوان) وَجَّهت كلامَها إلى الرجل (الإنسان) بلغة بشرية (human language) هي اللغة العربية! وأن محمد فهم كلامَ البقرة! وأن هذا الذئب (الحيوان) وَجَّه كلامَه إلى الراعي (الإنسان) مستخدماً لغة بشرية هي اللغة العربية! وأن محمد فهم كلامَ الذئب! وأن الناس (ونحن نقول: العقلاء) تعجبوا مِن هاتين القصتين. أما أبو بكر وعمر فآمنوا بهما!

سؤال لكل مسلم عاقل: هل أنت مثل محمد وأبي بكر وعمر تؤمن أن البقرة تكلمت وأن الذئب تكلم؟!

تعليقنا: إن هذا الحديث "الصحيح" هو مجرد أسطورة مِن أساطير البخاري ومسلم. وبما أن "السُّنَّة الصحيحة" (وعلى رأسها البخاري ومسلم) هي العمود الثاني الذي يرتكز عليه الإسلام. إذن: هذا الحديث (الأسطورة) يكفي كدليل قاطع يثبت أن الإسلام دين بشري أرضي وليس ديناً مِن عند الله.

والمدهش هو أنه توجد أحاديث (أساطير) مشابهة عند أُمَيَّة بن أبي الصَّلت! فلقد ذكر ابنُ كثير وغيره روايات تقول إن أمية "كان يَتَفَرَّس في بعض الأحيان في لُغاتِ الحيوانات (أو: في كلام الحيوانات)"، فكان أمية – حسب تلك الروايات – يفهم كلامَ الطير ويفهم كلامَ الغنم ويفهم كلامَ البعير ويفهم كلامَ الغراب(932)!

وهنا مِن حقنا أن نسأل سؤالاً: إذا كان قرآن محمد يشبه شعر أمية، وأحاديث (أساطير) محمد تشبه أحاديث (أساطير) أمية، فلماذا يكون محمدٌ نبياً لكن أمية ليس نبياً؟!

العقل يجبرنا أن نعترف بأن أمية ليس نبياً مِن عند الله ويجبرنا أيضاً أن نعترف بأن محمد ليس نبياً مِن عند الله. كلاهما (أي: أمية ومحمد) أراد أن يكون نبياً عربياً (أممياً = أمياً) ينقل العربَ الوثنيين (الأميين) مِن عبادة الأصنام إلى عبادة الإله الواحد الأحد الذي لا شريك له، وكلاهما حاول أن يدمج التراث القومي العربي مع التراث الديني اليهودي-المسيحي الشرقي(933)، وكلاهما حاول أن يُطوِّر الثقافةَ العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian) الشرقية، وكلاهما اجتهد في ذلك (أمية سلمياً لكن محمد لجأ إلى العنف في الفترة المدنية)، وكلاهما أصاب أحياناً، وكلاهما أخطأ أحياناً أخرى فَوَقع في مثل هذه الأساطير التي لا يقبلها العقلُ.

<u>المثال الخامس.</u> قال ابنُ حجر عن أُمَيَّة بن أبي الصَّلت: "الشاعرُ المشهورُ. ذكره ابنُ السَّكَنِ في الصحابة، وقال: لم يُدركْه الإسلامُ، وقد صدَّقه النبيُّ ﷺ في بعضِ شعره"(934). ونجد في كتب السُّنَّة ما يدل على أن محمد قد صَدَّق أمية. فلقد روى أحمد والدارمي وغيرهما أن محمد سمع قولَ أُمَيَّة بْنَ أَبِي الصَّلْتِ:

رَجُلٌ (أو: زُحَلٌ) وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ   وَالنِّسْرُ لِلْأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ

فَقَالَ محمدٌ: صَدَقَ أُمَيَّةُ، هكذا صِفَةُ حَمَلَةِ العرشِ (يقصد: الملائكة). ثم سمع محمدٌ قولَ أُمَيَّة:

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ   حَمْرَاءَ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ

فَقَالَ محمدٌ: صَدَقَ أُمَيَّةُ. ثم سمع محمدٌ قولَ أُمَيَّة:

تَأْبَى فَمَا تَطْلُعُ لَنَا فِي رِسْلِهَا   إِلَّا مُعَذَّبَـــــةً وَإِلَّا تُجْلَـــــدُ

فَقَالَ محمدٌ: صَدَقَ أُمَيَّةُ(935). وبغض النظر عن مدى صحة هذا الحديث، فإنه يدل على المكانة السامية التي يحظى بها أُمَيَّة بن أبي الصَّلت في الثقافة العربية، لدرجة أنهم قالوا إن محمد يُصدِّقه.

وإذا كان محمدٌ قد صدَّق أُمَيَّةَ في شعره، فإن أُمَيَّة لم يصدِّق محمداً في قرآنه. فلقد اتفقت المراجع العربية-الإسلامية على أن المثقف العربي أمية بْنِ أَبِي الصَّلْتِ كان معاصراً لمحمد وأنه أنكر نبوة محمد وظل ثابتاً على موقفه حتى آخر لحظة في حياته. مع أن أفكار أمية تشبه أفكار محمد إلى حدٍ كبير. أو كما يروى من أن محمد قال عن أمية: "آمن شعرُه وكفر قلبُه" أو "آمن لسانُه وكفر قلبُه". آمن لسانُه؛ أي: كان أمية يدعو

في شعره إلى مثل ما كان يدعو إليه محمدٌ في قرآنه. وكفر قلبُه؛ أي: لم يؤمن بنبوة محمد. أو باختصار: آمن أمية بالله وكفر بمحمد.

لكن لماذا رفض أمية أن يؤمن بمحمد؟

تزعم البروباجاندا الإسلامية أن أُمَيَّة لم يسلم لأنه كان يحسد محمداً على النبوة لأنه (أي: أُمَيَّة) أراد أن يكون هو النبي العربي المنتظر!

ونحن نلاحظ أن تهمة إنكار نبوة محمد بسبب "الحسد" أو "الحقد" هي تهمة من التهم المعلبة الجاهزة التي تُلصَق عادةً بِكل مَن يعارض الإسلام، سواء مِن المشركين أو مِن أهل الكتاب: "وَقَالُوا (أي: قال المشركون) لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (أي: رجل عظيم مِن مكة أو مِن الطائف)" (الزخرف 31)؛ "وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ" (البقرة 109). وهكذا تحاول هذه البروباجاندا الإسلامية أن تُوهِم المسلمين أنه لا توجد أسباب موضوعية لإنكار نبوة محمد، وإنما هي فقط مجرد "نفسنة" أو "غيظ"!

وما نفعله نحن في هذه المذكرات هو أننا نثبت بالأدلة القاطعة أنه توجد أسباب موضوعية كثيرة لإنكار نبوة محمد. فالموضوع لا يتعلق بشخص محمد بقدر ما يتعلق بنص القرآن. فنحن نثبت أن القرآن كلام بشر، وليس كلام الله، بل لا يمكن أن يكون كلام الله.

وتزعم البروباجاندا الإسلامية أيضاً أن أُمَيَّة قرأ في الكتب القديمة أن الله مرسل رسولاً، فرجا أن يكون هو ذلك الرسول! وهكذا تحاول هذه البروباجاندا الإسلامية بدهاء أن تضرب عصفورين بحجر واحد: تزعم أن الكتب القديمة بَشَّرت بنبوة محمد، وفي الوقت نفسه تبرر لماذا لم يؤمن أُمَيَّةُ بمحمد!

أما نحن فنرى أن الشاعر والمثقف والمبدع الكبير أُمَيَّة بْنِ أَبِي الصَّلْتِ قد أصاب وأحسن حين قرر ألا يؤمن بمحمد. فَمِن المعلوم أن محمد ليس نبياً مِن عند الله، وليس مِن المعقول أن يرسل اللهُ نبياً بعد المسيح بأكثر مِن 550 سنة! وسنثبت بعد قليل أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لم يُبشِّر بنبيٍ عربي يأتي بعد المسيح، مما يعني أن شعار "النبي العربي المنتظر" هو مجرد أسطورة مِن اختراع الكتب العربية-الإسلامية وعلى رأسها القرآن. وسنكتفي هنا بأن نقول إنه لو كان المسيح قال "مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" (الصف 6) كما يزعم القرآنُ، لكان مِن المفترض أن ينتشر اسم "أحمد" بين العرب بعد المسيح؛ كل أب بالتأكيد يتمنى أن يكون ابنه هو هذا "النبي العربي المنتظر" "أحمد". لكن لا يوجد أي دليل على انتشار اسم "أحمد" بين العرب في القرون الستة الأولى بعد المسيح! بل لم يكن اسم "أحمد" منتشراً بين الصحابة (أي: بين جيل محمد). أمامي الآن كتاب مهم عنوانه "رجال أحبهم الرسول وبَشَّرهم بالجنة" للدكتور محمد بكر إسماعيل (الأستاذ بجامعة الأزهر) وبه سيرة ذاتية لأكثر مِن 65 صحابي عربي وغير عربي، ليس مِن بينهم صحابي واحد اسمه "أحمد"! وليس مِن بينهم صحابي واحد كُنيته "أبو أحمد"! هذا يكفي كدليل على أن

المسيح **لم** يقل "مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ"[936]. فلا يمكن لرجل مثقف مفكر موسوعي عقلاني مثل أُمَيَّة أن يتبع محمداً إلا إذا كان واقعاً تحت تأثير البروباجاندا الإسلامية أو العنف الإسلامي. ومِن حُسن حظ أمية أنه لم يتأثر بالبروباجاندا الإسلامية ولا بالعنف الإسلامي.

كما اتفقت المراجع العربية-الإسلامية أيضاً على أن المثقف العربي أمية بْنِ أَبِي الصَّلْتِ مات قبل محمد، لكنهم اختلفوا في تاريخ وفاته. قال ابنُ حجر: "ولم يختلِفْ أصحابُ الأخبارِ أنه (أي: أمية) مات كافراً (أي: غير مؤمن بمحمد)، وصحَّ أنه عاش حتى رثَى أهلَ بدرٍ (أي: حتى 2هـ). وقيل: إنه الذي نَزَل فيه قوله تعالى: "الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا " (الأعراف 175). وقيل: إنه مات سنةَ تسعٍ مِن الهجرةِ بالطائفِ كافراً قبلَ أن يُسلِمَ الثَّقفِيُّون"[937].

ونحن نتفق مع مَن قال إن أُمَيَّة بْنِ أَبِي الصَّلْتِ مات سنة 2هـ (624م)[938]، ولعله مات حزناً على أقاربه وأصدقائه الذين قُتِلوا في غزوة بدر، فلقد أنشد أُمَيَّةُ شعراً في رثائهم، ويُقال إنه قال بعد تلك الغزوة: "لو كان [محمدٌ] نبياً ما قَتَل ذوي قرابته (أي: أقارب محمد)"[939]. ولم نجد ما يدل على أن أمية عَلَّق على أي معركة أو حدث مهم بعد ذلك. ولو كان حياً سنة 6هـ و 7هـ و 8هـ، لكان تحدث في شعره عن صلح الحديبية وعُمْرَة القَضَاء وفتح مكة. وحتى الذين زعموا أنه مات سنة 9هـ قالوا إنه مات قبلَ أن يُسلِمَ قومُه الثَّقفِيُّون. ونظن أنهم قالوا ذلك ليبرروا عدم وجود أي شعر لأمية يذكر إسلامَ قبيلة ثقيف – وَهُمْ أهل الطائف أخصب بلاد العرب. بعد سقوط مكة في قبضة المسلمين بقيادة محمد (رمضان 8هـ)، ثم انتصار المسلمين بقيادة محمد في غزوة حُنَيْن (وادي بين مكة والطائف) (شوال 8هـ)، تَقَدَّم المسلمون الغزاة بقيادة محمد نحو الطائف وحاصروها (شوال 8هـ). فدافعت قبيلة ثقيف عن أرضها أمام الغزو الإسلامي. ومع أن هذا الحصار الإسلامي على رجال ثقيف ونسائهم وأطفالهم قد استمر طويلاً وشهد أعمالاً إرهابية (أي: ترويعية، تخويفية) قام بها المسلمون بقيادة محمد – فلقد أمر محمدٌ بقطع أعناب الطائف وأخذ المسلمون في تحريق نخل ثقيف[940]، إلا أن حصون ثقيف المنيعة استعصت على المسلمين. وبذلك، استطاع رجالُ ثقيف ونساؤهم وأطفالهم الشجعان أن يصمدوا صموداً بطولياً أمام هذه الأعمال الإرهابية، وأن ينجحوا في صد هذا الهجوم الإسلامي عليهم. لكن بعد فترة، أدركت قبيلة ثقيف أنَّ لا طاقة لها بالاستمرار في مقاومة المسلمين وحلفائهم مِن القبائل العربية المجاورة لها، فاستسلمت ثقيف لهذا التوسع الإسلامي في شبه الجزيرة العربية وأسلمت في عام الوفود (9هـ). ولا يمكن أن يكون أمية حياً ويشهد كل هذه الأحداث المهمة بدون أن يعلق عليها في شعره. ولذلك فإننا نرى أنه مات مبكراً.

وسواء كان الشاعر العربي المتأله أُمَيَّة بْن أَبِي الصَّلْتِ قد مات سنة 2هـ أو 8هـ أو 9هـ، فإنه قد استطاع بشِعره وأفكاره وآرائه أن يؤدي دوراً مهماً في تطوير الثقافة العربية بصفة عامة، والثقافة العربية الدينية بصفة خاصة.

أما عن العلاقة بين شعر أمية وقرآن محمد، فالمشكلة هي أن أمية ومحمد كانا متعاصرين؛ فمِن الصعب – بل يكاد يكون مِن المستحيل – أن نحدد مَن نقل مِن مَن. وعلى أي حال، فإننا لا نتفق مع مَن قال إن محمد نقل حرفياً مِن أمية، ولا نتفق مع مَن قال إن أمية نقل حرفياً مِن محمد. ولا نتفق مع د. جواد علي حين يرى أن سبب التشابه والاتفاق بين شعر أُمَيَّة والقرآن يرجع إلى الصنعة والافتعال والوضع في الشعر المنسوب لأمية؛ ويزعم د. جواد أن هذا الشعر المتشابه مع القرآن "قد يكون قد وُضِع أكثره في عهد الحَجَّاج [بن يوسف الثقفي] تقرباً إليه، لأنه مِن ثقيف [مثل أمية]"[941]! ونحن نسأل د. جواد: وهل لديك نسخة كاملة للقرآن يرجع تاريخها إلى زمان الحَجَّاج حتى تقول هذا الكلام؟! نحن لا نتفق معك يا د. جواد في هذه النقطة، فلا يمكننا بكل بساطة أن نفترض أن كل ما نُسِبَ إلى أمية مِن أفكار وتعبيرات وكلمات تبناها القرآنُ بعد ذلك هي مجرد أفكار وتعبيرات وكلمات إسلامية وُضِعَت على لسان أمية بعد وفاته! فَمَا الدليل المادي الملموس على صحة هذا الافتراض؟! ثم إن احتمال الصنعة والافتعال والوضع ينطبق على الشعر المنسوب لأمية وينطبق **أيضاً** على القرآن المنسوب لمحمد. فكما لم يترك لنا أمية قبل وفاته نسخة أصلية كاملة لشعره توضح الترتيب الزمني لهذا الشعر، كذلك لم يترك لنا محمد قبل وفاته نسخة أصلية كاملة لقرآنه توضح الترتيب الزمني لهذا القرآن. فَمِن المحتمل وجود آيات في المصحف الحالي ليست آيات قرآنية أصلية، وإنما آيات أضيفت لاحقاً بعد وفاة محمد (11هـ)، بل ربما بعد وفاة الحَجَّاج (95هـ)، في العصر العباسي مثلاً. ومِن المحتمل أيضاً أن تكون هذه الآيات الموضوعة غير الأصلية مستوحاة مِن شعر أمية، أو على الأقل مستوحاة مِن تقليد (tradition) شفوي موروث أقدم من أمية ومحمد.

نحن إذن نقول بكل ثقة إن أصحاب القرآن قد تأثروا بأُمَيَّة بْن أَبِي الصَّلْتِ وزَيْد بْن عَمْرو بْن نُفَيْل وورقة بن نوفل وأمثالهم مِن المثقفين العرب الذين ظهروا في المجتمع العربي، وبخاصة بين أهل الحضر مثل مكة والطائف، وطوروا الثقافة العربية بأشعارهم وأفكارهم وآرائهم وما نقلوه عن غيرهم مِن المثقفين اليهود والمسيحيين قبيل ظهور الإسلام، أي: في فترة طفولة محمد وصباه وشبابه.

بعبارة أخرى: نحن نرفض أن يُنظَر إلى "أُمَيَّة بْن أَبِي الصَّلْتِ" باعتباره ظاهرة (مدعي النبوة) بينما يُنظَر إلى "محمد بن عبد الله" باعتباره ظاهرة أخرى (رسول الله)! كلاهما (أمية ومحمد) ظاهرة واحدة، كلاهما (أمية ومحمد) نفس الظاهرة: ظاهرة العربي الأممي (= الأمي) الحنيف الذي رفض الشرك ونبذ عبادة الأصنام. كلاهما تأثر بتقليد (tradition) شفوي موروث أقدم منهما. كلاهما انطلق من هذا التقليد الموروث وأراد أن يطوّر به الثقافةَ العربية: أمية أنتج شعراً، ومحمد أنتج قرآناً. فَمِن الطبيعي أن نجد تشابهات بين شعر أمية وقرآن أخيه محمد. ومِن الطبيعي أيضاً أن نجد اختلافات بين قرآن محمد وشعر أخيه أمية.

"أُمَيَّة بْن أَبِي الصَّلْتِ" ابن الثقافة العربية. وكذلك "محمد بن عبد الله" ابن الثقافة العربية أيضاً.

الثقافة العربية التي أنجبت أمية وأنتجت شِعرَه وأحاديثه (أساطيره) في القرن السابع الميلادي هي الثقافة العربية التي أنجبت محمداً وأنتجت قرآنَه وأحاديثه (أساطيره) في القرن السابع الميلادي.

أو كما نقول دائماً بثقة 100% ويقين 100% واطمئنان 100%: شعر أمية ليس كلام الله؛ وقرآن محمد ليس كلام الله. كلاهما (شعر أمية وقرآن محمد) منتج ثقافي (cultural artifact) أنتجه العربُ بعد أن اطلعوا على تراث ديانات وثقافات وحضارات الشعوب الأخرى المجاورة لهم، وبخاصة التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian).

1.4.1.6 زُهَيْر بن أبي سُلْمَى: آمن شِعرُه بالله واليوم الآخر قبل قرآن محمد

اسمه "زُهَيْر بن أبي سُلْمَى" المُزَنيّ؛ فهو مِن قبيلة "مُزَيْنة" التي كانت تسكن بالقرب مِن يثرب (المدينة). قبل ظهور الإسلام، كان زُهَيْر واحداً مِن أصحاب المعلقات ومِن فحول الشعر الجاهلي الذي يزخر بالحكم والمواعظ ومكارم الأخلاق. ومِن الجدير بالذكر أن الشعر قد اتصل في عائلته اتصالاً لم يُعرَف لشاعر جاهلي ممن عاصروه. فلقد كان أبوه شاعراً، وكذلك كان خاله وأختاه الخنساء وسلمى. وورث عنه الشعرَ ابناه "كعب" و "بُجَيْر"، واستمر الشعرُ في عائلته أجيالاً.

قال عنه د. شوقي ضيف: "نلاحظ عنده بعض أبيات يؤمن فيها باليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب وثواب. يقول في معلقته:

فلا تَكْتُمُنَّ اللهَ مـا فـي نفوسكم	ليخفـى ومهمـا يُكْتمِ اللهُ يعلم
يؤخَّرْ فيوضَعْ في كتابٍ فيُدَّخَر	ليوم الحساب أو يعجَّلْ فيُنْقَم

وإذا صحت نسبة البيتين إليه كان ذلك دليلاً على أنه أحد مَن تحنفوا في الجاهلية وشكوا في دينهم الوثني. وأغلب الظن أنه لم يفارق دين قومه، إنما هي خطرات كانت تمر به"[942].

وسواء كانت هذه الأفكار تعبر عن إيمان حقيقي أم مجرد خطرات، فإنها قد تسللت إلى الإسلام. فنحن نجد آيات قرآنية وأحاديث صحيحة تعبر عن نفس الأفكار: إقرار بوجود إله عالم بكل ما في الصدور ولا تخفى عليه خافية، وكذلك إقرار بوجود يوم حساب يُحاسَب فيه الناس على أعمالهم في الدنيا. وقد ينتقم اللهُ مِن الظالم في الدنيا قبل الآخرة، فلا مخلص له.

اتفقت المراجع العربية-الإسلامية على أن زهير بن أبي سُلْمَى لم يؤمن بمحمد، لكنهم اختلفوا في تاريخ وفاته. قيل إنه أدرك الإسلام وله مائة سنة ولم يسلم. وقيل إنه مات قبيل الإسلام بمدة قليلة (قيل: بسنة).

1.4.1.6.1 كعب بن زُهَيْر بن أبي سُلْمَى

أما "كعب" و "بُجَيْر" ابنا زهير بن أبي سُلْمَى، فلقد ورثا الشعر عن أبيهما. وتقول المراجع العربية إن نبوغ كعب بن زهير في الشعر قد ظهر منذ طفولته. ويُروَى أنه ارتجز وهو غلام صغير، فقال[943]:

كَأَنَّمَا أَحْدُو بِبَـهْمِي عِيْرَاً　　　　مِنَ القُرَى مُوقَّرَةً شَعِيْرَاً

ونلاحظ أن هذا الرَّجَز يشبه القرآن من حيث الشكل. اقرأ سورة الإنسان مثلاً:

كلام الغلام كعب بن زهير	كلام القرآن
كَأَنَّمَا أَحْدُو بِبَـهْمِي عِيْرَاً	وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا
مِنَ القُرَى مُوقَّرَةً شَعِيْرَاً	لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا

تعليقنا: الثقافة العربية التي أنجبت غلاماً قال هذا الرجز هي الثقافة العربية التي أنجبت شباباً ونساءً ورجالاً قالوا هذا القرآن.

ولَمَّا كبر كعب وبُجَيْر أسلما وصارا مِن صحابة محمد. ومِن المؤكد أنهما قد نقلا شعرَ أبيهما وأفكاره إلى محمد وغيره مِن أصحاب القرآن. ويُروَى أن عمر بن الخطاب كان مِن المعجبين بشعر زهير. وليس لدينا شك أن هؤلاء الشعراء المسلمين (مثل كعب وبُجَيْر وحسان بن ثابت وغيرهم) قد نقلوا تراثَ الشعراء الجاهليين (مثل زهير والنابغة الذبياني وامرؤ القيس وغيرهم) إلى المسلمين الأوائل. وحين نقول "نقلوا تراثَ [...]"، فإننا بالطبع لا نقصد أنهم نقلوه حرفياً، وإنما نقصد أنهم تأثروا به وطوروه تطوراً بشرياً طبيعياً. وهكذا نرى الثقافة العربية تتطور تطوراً بشرياً طبيعياً مِن جيلٍ إلى جيل حتى وصلت إلى الكتاب العربي الذي يُسمَّى "القرآن".

وقصة إسلام كعب وبُجَيْر ابنيّ زهير بن أبي سُلْمَى تستحق الرواية: أسلم بُجَيْرٌ أولاً وهاجر إلى المدينة وشهد مع محمد عدة غزوات بينما رفض كعبٌ أن يسلم ويُقال إنه هجا محمداً في شعره فأهدر محمدٌ دمه وحَرَّض على قَتلِه فقال لأصحابه: "مَن لَقِيَ منكم كعبَ بن زهير فليَقْتُلْه" أو "مَن لَقِيَ كعباً فليَقْتُلْه"! وبعد فتح مكة (8هـ)، كتب بُجَيْرٌ إلى أخيه كعب يخبره أن محمداً قَتل رجالاً بمكة ممن كانوا يهجونه، وأن مَن بقي مِن شعراء قريش هربوا حفاظاً على حياتهم. فأشفق كعبٌ على نفسه وخاف أن يُقتَل ولم يجد أمامه إلا الهروب أو الاستسلام والخضوع (الإسلام)، فانتهى به الأمر إلى الاستسلام والخضوع (الإسلام). ثم ذهب كعبٌ متنكراً إلى المدينة وصنع قصيدةً يعتذر فيها إلى محمد ويمدحه، وهي "قصيدة البردة" المشهورة جداً والتي لا تزال تُتلى وتُترجم إلى اليوم. وتُعرَف أيضاً باسم قصيدة "بَانَتْ سُعَادُ" لأن مطلعها يقول:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ　　　　مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَم يُفْدَ مَكْبُولُ

ثم تقول أبياتُها: [...]

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ (أو: لَنُورٌ) يُسْتَضَاءُ بِهِ　　　　مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي (أي: هددني بالقتل) والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

فلَمَّا سمع محمدٌ هذه القصيدة الطويلة (أكثر مِن 50 بيت) التي تمدحه، أعجب بها إعجاباً شديداً لدرجة أنه أعطى بُردته (أي: ردَاءَه) إلى كعب؛ ولذلك سميت "قصيدة البردة".

وهكذا استطاع سيفُ الإسلام أن يجعل كعبَ بن زهير يسلم تحت التهديد بالقتل! وتهديد مِن مَن؟ مِن محمد شخصياً.

وكان إسلام الشاعر ابن الشاعر "كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى"[944] في أواخر 8هـ. وقيل: 9هـ.

بعد إسلامه، صار كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى مِن شعراء محمد. ولا نعلم على وجه اليقين متى مات كعب، لكن يُقال إن له أبيات قالها في خليفة الإسلام الثالث أمير المؤمنين عثمان بن عفان. إذا صح ذلك، فإنه يدل على أنه أدرك خلافة عثمان، مما يعني أنه كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهد أبي بكر وربما أيضاً في عهد عثمان.

1.4.1.6.2 الحُطيئة

لم يكن كعب بن زهير هو الشاعر المسلم الوحيد الذي تتلمذ في مدرسة الشاعر الجاهلي الكبير زهير بن أبي سُلْمَى، فلقد تخرج في نفس المدرسة شاعرٌ مشهور يُلَقَّب بـ "الحُطيئة"[945].

قيل إن الحطيئة أسلم في عهد محمد بعد فتح مكة على شاكلة كعب؛ وقيل إنه أسلم في زمن الخليفة أبي بكر. ثم ارتَدَّ مع المرتدين بعد وفاة محمد، ثم أُسِرَ في حروب الردة فعاد إلى الإسلام!

برع الحُطيئةُ في الشعر القصصي. مثلاً: قصيدته "وطاوي ثلاث" التي يتحدث فيها عن الكرم العربي، فيصور فيها أعرابياً فقيراً نزل به ضيف، وعياله من حوله يتضورون جوعاً، فهمَّ أن يذبح له أحدهم، لولا أن عَنَّتْ له أتان وحشية، فصادها وأطعمها ضيفه.

عاش الحُطيئةُ إلى خلافة معاوية، أي أنه كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهديّ أبي بكر وعثمان.

1.4.1.7 أبو عامر الراهب: سَمَّاه محمدٌ "أبا عامر الفاسق"!

اسمه الحقيقي "عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان" الأوسي[946]، وكُنيته أبو عامر الراهب "لأنه كان قد ترهب في الجاهلية (أي: قبل الإسلام) ولبس المسوح". وكلمة "الراهب" هنا لا تعني بالضرورة أنه مسيحي الديانة، وإنما قد تعني "زاهد" (ascète) أو "تقي" أو "ورع" (craignant-Dieu) مِن

"رهب" بمعنى خاف[947]. المعنى اللغوي وليس المعنى الديني. والمقصود: يعيش حياة تشبه حياة الرهبانية المسيحية.

"قدم [أبو عامر] المدينة ورأى الرسول [محمد]، وسأله: ما هذا الذى جئت به؟ فقال الرسول: جئت بالحنيفية دين إبراهيم. قال [أبو عامر]: فأنا عليها. فقال الرسول: لست عليها، ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها (يقصد: الرهبانية). وقد سماه الرسولُ الفاسق"[948]!

ومِن المعلوم أن القرآن المدني يرفض الرهبانية (Monasticism) ويعتبرها بدعة: "وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا" (الحديد 27) (مدنية)؛ ربما تأثراً بالديانة الزرادشتية (Zoroastrianism) و/أو الفرقة المسيحية النسطورية (Nestorianism)، أو لأن الرهبانية ستمنع المسلم من القتال (الجهاد) والإنجاب – وَهُما أهم وسيلتين يعتمد عليهما الإسلامُ مِن أجل التوسع والإنتشار. أو كما يُقال أحياناً إن الجهاد هو رهبانية الإسلام!

على عكس أبي عامر الراهب الذي أيَّد الرهبانية المسيحية؛ ربما تأثراً بالديانة المسيحية و/أو المانوية (Manichaeism)[949].

المهم: اصطدم محمدٌ بأبي عامر الراهب.

ويقول التراثُ الإسلامى، أو بالأحرى: تقول نظريةُ المؤامرة إن "المسجد الضِرار" (Mosque of Dissension) المذكور في القرآن المدني - "وَالَّذِينَ (أي: والمنافقون الذين) اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا (أي: انتظاراً) لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ" (التوبة 107) - بُنِيَ في المدينة "بِأَمْرِ أَبِي عَامِرِ الرَّاهِبِ لِيَكُونَ مَعْقِلًا لَهُ يَقْدُم فِيهِ مَنْ يَأْتِي مِنْ عِنْده، وَكَانَ [أبو عامر] ذَهَبَ لِيَأْتِيَ بِجُنُودٍ مِنْ قَيْصَر (أى: مَلِك الروم) لِقِتَالِ النَّبِيّ ﷺ"[950]!

وكالعادة، لا يوجد أي دليل مادي يثبت هذه التهمة التي ألصقوها بأبي عامر الراهب. وهل كان قَيْصَر مَلِك الروم قاعد كده بابه مفتوح لكل مَن هب ودب، فيستطيع أي إنسان مجهول أن يصل إليه بهذه السهولة؟! وكمان يجيب مِن عنده جيش للقضاء على الإسلام وطرد المسلمين مِن المدينة؟! وما مصلحة قَيْصَر مَلِك الروم في طرد المسلمين مِن المدينة؟!

إنها إذن نفس التهم الملفقة التي تُلصَق إلى اليوم بأي مثقف أو مفكر أو ناشط لتبرير قتله أو سجنه أو نفيه بذريعة "الخيانة" أو "العمالة" أو "ازدراء الأديان" أو "إهانة الرموز" ... إلى آخر هذه التهم الجاهزة لكل مَن يُعمل عقلَه وينتقد الإسلام أو حتى ينتقد الثقافة العربية-الإسلامية.

ويُروَى أن أبا عامر الراهب كان صاحب حركة دينية (mouvement religieux) معاصرة للحركة الدينية التي أسسها محمد (أى: الإسلام). لكن لماذا تفوقت حركة محمد على حركة أبى عامر الراهب؟ يعتقد العالِمُ الفرنسي الكبير (Claude Gilliot) وغيره أن لجوء محمد إلى العنف وتطلعه إلى ما هو خارج حدود مكة وخارج حدود قبيلة قريش هى ربما الأسباب التى أدت إلى تفوقه على منافسيه[951]:

Si le message de Muḥammad l'a emporté sur d'autres [mouvements religieux comme ceux de Musaylima et d'Abū ᶜĀmir], c'est probablement parce qu'il a su lui donner un ton supra-local et supra-tribal et parce que, contrairement à Abū ᶜĀmir, par exemple, il a eu recours à la violence.

وفي موضع آخر يقول هذا العالم الفرنسي الكبير إن محمد لم يمارس الجهاد فقط للدفاع عن المجتمع الإسلامي كما يُقال كثيراً، وإنما مارس محمدٌ الجهادَ أيضاً لأغراض توسعية[952]:

contrairement à ce qui est souvent dit, nous pensons que le Prophète n'a pas pratiqué le *ǧihād* seulement pour « défendre » la communauté, mais aussi avec des visées expansionnistes.

لولا السيف لكان الإسلام اليوم مثله مثل حركة أبي عامر الراهب .... مجرد نصف صفحة في كتب تاريخ الأديان والبدع. "السيف" هو اللى عمل "سيڤ" (Save) للإسلام. وإنْ كنا لا نقول إن الإسلام قد انتشر بالسيف، فإننا نقول بكل ثقة إن السيف قد ساعد الإسلام على الانتشار والتوسع.

مما سبق يتضح أن المسلمين الأوائل قد استفادوا مِن تجربة الحنفاء، وحاولوا أن يتجنبوا "الأخطاء" التي وقع فيها الحنفاء. فإن أهم سببين لـ "فشل" الحنفاء هُما (1) أنهم لم يُكوِّنوا تنظيماً أو تكتلاً متجانساً له أفكار وأهداف واحدة ومحددة، وإنما كانوا فُرادَى مبعثرين مختلفين؛ و (2) لم يلجأوا إلى العنف. أما المسلمون الأوائل، ففشلوا أولاً في مكة فشلاً ذريعاً طوال 13 سنة، لكن استطاعوا بعد ذلك أن يتحدوا جميعاً في تنظيم واحد في المدينة وحملوا السيفَ ولجأوا إلى العنف، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال واستولوا على الأراضي ونهبوا الأموال (الغنائم)[953].

وإذا كان أبو عامر الراهب قد رفض أن ينضم إلى تنظيم محمد في المدينة، فإن ابنه الصحابي "حنظلة بن أبي عامر الراهب" قد أسلم وانحاز إلى محمد ضد أبيه! ويُقال إن حنظلة استأذن محمداً في قتل أبيه، فنهاه محمدٌ عن ذلك. وفي غزوة أُحُد (3هـ)، كان حنظلة مع المسلمين، وأبوه مع المشركين. وانتهت الغزوة بمقتل حنظلة. أما أبو عامر الراهب فرجع مع قريش إلى مكة، ويُقال إنه هرب إلى الشام (الروم) يوم فُتِحَت مكة (8هـ)، فمات بالشام سنة 9هـ أو 10هـ.

1.4.1.8 قُسُّ بْنُ سَاعِدَة: خطيب العرب وحكيمهم الذي آمن بالتوحيد والبعث قبيل ظهور الإسلام

يقول د. شوقي ضيف إن "الخطابة كانت مزدهرة في الجاهلية (أي: قبل الإسلام)، فقد كانوا على حظ كبير من الحرية، وكانوا يخطبون في كل موقف: في المفاخرات وفي الدعوة إلى السلم أو الحرب وفي النصح والإرشاد وفي الصهر والزواج. وابتغوا دائماً في كلامهم أن يؤثر في نفوس سامعيهم بما حققوا له من ضروب بيان وبلاغة"[954]. ومِن كبار الخطباء العرب قبل الإسلام "قُسُّ بْنُ سَاعِدَة" ...

اسمه "قُسُّ بْنُ سَاعِدَة"[955] الإِيَادِيّ (أي: مِن قبيلة إياد). أحد حكماء العرب وعقلائهم المعروفين المشهورين، ومِن كبار الخطباء العرب قبل الإسلام. قيل إنه مِن النصارى؛ ربما لأنه كان يفد على الروم. ولعله كان مِن الحنفاء الذين اعتنقوا النصرانية أو مالوا إليها أو على الأقل تأثروا بها.

قبيل ظهور الإسلام، آمن قُسُّ بْنُ سَاعِدَة بالتوحيد والبعث. بل يُقال إنه أول مَن آمن بالبعث مِن أهل الجاهلية. كما يُقال إنه أول عربي تَوَكَّأ عند خطبته على سَيفٍ أو عصا، وأول مَن عَلا على شَرَفٍ وخطب عليه، وأول مَن قال في خطبته "أما بعد"، وأول مَن كَتَب: "مِن فلانٍ إلى فلانٍ"، وأول من قال: "البينة على مَنْ ادَّعَى واليمينُ عَلَى مَنْ أنكر".

وتقول مراجع عربية-إسلامية كثيرة إن محمد رأى قُسّ بْن سَاعِدَة وسمع موعظتَه الشهيرة في سوق عُكَاظ وأعجب بها. وهي بالفعل خطبة جذابة ذات نثر مسجوع (rhymed prose) وجمل قصيرة رنانة تجذب آذان المستمعين ويسهل حفظها. وتقول بعض الروايات إن محمد كان يحفظ خطبة قُسّ بْن سَاعِدَة، مما يدل على شدة إعجاب محمد بها. ليس هذا فحسب، بل رواها محمدٌ بنفسه لقريش وللعرب. إلا أن الرواة اختلفوا قليلاً أو كثيراً في نص تلك الخطبة الوعظية. وعلى الرغم مِن اختلاف تلك الروايات وضعف طرقها، إلا أنها تدل على أصل صحيح لتلك القصة. قال ابنُ كثير: "وهذه الطُّرقُ على ضَعْفِها كالمُتَعاضِدَةِ على إثباتِ أصْلِ القِصَّةِ"[956]. وقال د. شوقي ضيف: "ومما لا ريب فيه أن لها أصلاً صحيحاً تزيَّد فيه الرواة"[957]. وربما تكون للقصة طرق أخرى أقوى إسناداً، لكنها لم تُدوَّن فلم تصل إلينا. أو كما قال الأصفهاني: "وقد سمعتُ خبرَه (أي: خبرَ قُسّ بْن سَاعِدَة) مِن جهاتٍ عِدّة، إلا أنَّه لم يَحضُرني وقتَ كتبتُ هذا الخبر غيره، وهو وإن لم يكن مِن أقواها على مذهب أهل الحديث إسناداً، فهو مِن أتمها"[958].

وسنكتفي هنا بأمثلة قليلة ومُختارَة مِن الجمل القصيرة التي وردت في المصادر العربية-الإسلامية. خَطب قُسُّ بْنُ سَاعِدَة وقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ. اجْتَمِعُوا واسمعوا وَعُوا. واتعظوا تَنْتَفِعُوا. مَنْ عاش مات. ومَنْ مات فات. وكلُّ ما هو آتٍ آت. أما بعد. فإنَّ في السَّماءِ لَخَبراً. وإنَّ في الأرضِ لَعِبَراً. ليلٌ داجٍ (أي: عمت ظلمته). ونهارٌ سَاج. وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ. وبحارٌ ذات أمواج (أو: وبحرٌ عَجَّاجٌ). ونُجومٌ تَمُورُ (أي: تضطرب ويختلُّ نظامُها). وبِحَارٌ لا تَغورُ (أي: لا تختفي فهي مملوءة بالمياه)[959]. وجبالٌ مَرْسِيَّةٌ. وأنهارٌ مَجْرِيَّةٌ. وسَقْفٌ مرفوعٌ (يقصد: السماء). ومِهادٌ موضوعٌ (يقصد: الأرض). فيا مَعشر إياد. أين ثمود وعاد؟ وأين

الفراعنة الشداد؟ وأين الآباء والأجداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالاً وأطول آجالاً؟ طحنهم الدهرُ بكلكله، ومزَّقهم بتطاوله. أُقسم باللهِ قَسَماً إنَّ لله دِيناً أَرْضَى (أو: أحبُّ إليه) مِن دِينِكم الذي أنتم عليه.

ونلاحظ أن خطبة قُسّ بْن سَاعِدَة تشبه القرآن من حيث الموضوع، لا سيما فيما يتعلق بالثورة على دين الآباء؛ والدعوة إلى دين الله الذي يرضاه **[← "وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" (المائدة 3) "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (آل عمران 19) "أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ (أى: الإسلام) يَبْغُونَ [...] وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (آل عمران 83-85)]**؛ والإيمان بالقدر؛ والتأمل في هذا الكون الواسع الذي خلقه اللهُ: السماء (السقف المرفوع) **[← "السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (أي: السماء)" (الطور 5) (الأنبياء 32) "رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا" (الرعد 2) (لقمان 10) "وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ (أي: حتى لا تقع!) عَلَى الْأَرْضِ" (الحج 65) "السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا (أي: رفعها فوقكم كالبناء!). رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (أي: أعلى سقفها في الهواء!)" (النازعات 27-28)]**، والأرض (المِهاد الموضوع) **[← "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (أي: فِرَاشًا كَالْمَهْدِ)" (النبأ 6) (طه 53) (الزخرف 10) (الذاريات 48)]**، والجبال المَرْسِيَّة **[← "وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا" (النازعات 32) "وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ (أي: حتى لا تتحرك ولا تضطرب بِهِمْ)" (الأنبياء 31) (الرعد 3) (الحجر 19) (النحل 15) (النمل 61) (لقمان 10) (فصلت 10) (ق 7) (المرسلات 27)]**، والأنهار والبحار وتعاقب الليل والنهار ... الخ؛ والعِظة والعِبرة مما حدث للقرون الأولى (أي: الأمم السابقة) مثل ثمود وعاد والفراعنة الشداد **[← "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. [...] وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ. وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ" (الفجر 6-10) (ص 12-13)]**. وهي أفكار تتكرر كثيراً في القرآن، وبخاصة في القرآن المكي.

كما نلاحظ أن هذه الجمل القصيرة ذات النثر المسجوع تشبه - مِن حيث الشكل - الآيات القصيرة في بعض السور القرآنية، المكية بصفة خاصة. اقرأ مثلاً: "وَالطُّور. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُور. وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (أي: السماء). وَالْبَحْرِ الْمَسْجُور (أي: المملوء بالمياه). إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ. يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (أي: تضطرب ويختلُّ نظامُها يوم القيامة). وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (أي: تتحرك)" (الطور 1-10) و (النبأ 1-36) و (عبس 1-42) و (الفجر 1-30).

باختصار: خطبة قُسّ بْن سَاعِدَة تشبه القرآن شكلاً وموضوعاً.

إذن نحن أمام احتمالين:

- الاحتمال الأول: قُسُّ بْنُ سَاعِدَة قال هذه الجمل (الآيات) القصيرة فعلاً قبيل ظهور الإسلام. وفي هذه الحالة يصبح القرآن هو الذي أخذ مما كان قبله: نفس الأفكار، نفس المفردات، نفس الأسلوب ... الخ. أي أن نظرية الوحي قد انهارت تماماً، والقرآن إذن ليس كلام الله.
- الاحتمال الثاني: هذه الخطبة كُتِبت بعد ظهور الإسلام، ثم نُسِبَت إلى قُسّ بْن سَاعِدَة ووُضِعَت على لسانِه لهدفٍ غير معلوم. وفي هذه الحالة، يصبح لدينا كلام بشري مِثْل القرآن شكلاً وموضوعاً، مما

يعنى انهيار التحدي الذي وضعه إلهُ الإسلام أن يأتي البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

إذن، في كلتا الحالتين، النتيجة واحدة: القرآن ليس كلام الله الخالق، وإنما كلام بشر مخلوق.

القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنتجت خطبة قُسّ بْن سَاعِدَة تستطيع بكل تأكيد أن تنتج قرآن محمد.

1.4.1.9 هل تأثر أصحابُ القرآن بالحنفاء العرب؟

الإجابة باختصار: نعم، تأثر أصحابُ القرآن بالحنفاء العرب.

أو بعبارة أكثر دقة: بغض النظر عن تاريخية ما وصل إلينا مِن أخبار عن هؤلاء الحنفاء العرب، فإنه مِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد تأثروا بالطبقة المثقفة التي استفادت بما تعلمته مِن التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) فطوَّرت الثقافةَ العربية في أواخر العصر الجاهلي، أي: **<u>قبيل</u>** ظهور الإسلام، أي: في فترة طفولة محمد وصباه وشبابه.

قال د. شوقي ضيف عن العرب في العصر الجاهلي: "كانت كثرتهم وثنية تتعبَّد لآلهة وأصنام وأوثان كثيرة، وكانت الكعبة في مكة أكبر معابدهم، وكانوا يحجون إليها في أشهر معلومات. على أن نفراً منهم شكُّوا في أواخر هذا العصر في دينهم الوثني والتمسوا دين إبراهيم ويُسمَّون المتحنِّفة والحنفاء، وكأنما كانوا إرهاصاً لظهور الإسلام والدعوة المحمدية"[960].

وذكر المفكر الإسلامي الكبير خليل عبد الكريم في كتابه الشهير "الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية" تحت عنوان "الشعائر التعبدية الموروثة عن الحنيفية" 13 عقيدة وشعيرة وسُنَّة استنها الحنفاءُ قبل الإسلام، منها: الاختتان، والصوم، والغُسل من الجنابة، والإيمان بالبعث والنشور والحساب وأن مَن يعمل صالحاً يدخل الجنة ومَن يعمل سوءاً فإلى السعير، وتحريم الربا، وتحريم شرب الخمر. ثم ختم كلامَه فقال: "كل هذا يوصل إلى الشعيرة الرئيسية التي أجمع عليها [الحنفاء] وهي الإيمان بإله واحد والدعوة إلى عبادته، كما يمكن أن يُقال إن التوحيد الذي اهتدى إليه [المتحنفون] هو الذي حملهم على تشريع تلك السنن. ويبين بيسر وسهولة أن الإسلام تبنى تلك السنن والعقائد والشعائر أو بتعبير الإمام الحافظ أبي الفرج الجوزي وافقهم [= الإسلامُ] عليها في ما بعد وبَشَّر بها ودعا إليها مِن بين ما بَشَّر به ودعا إليه"[961].

في ضوء كل ما سبق، نستطيع إذن أن نقول إن الحنيفية – قبل الإسلام – كانت حركة دينية عربية توحيدية ليست يهودية ولا مسيحية (non-Jewish, non-Christian monotheism) بل لا تتبع أي مذهب ديني آخر من المذاهب الموجودة آنذاك (non-denominational form of monotheism)، لكنها كانت مجرد حركة يتبعها أفراد متناثرون غير متحدين. وما فعله أصحابُ القرآن هو أنهم طوَّروا الحنيفيةَ تطوراً بشرياً طبيعياً، فحَوَّلوها إلى دين نظامي (organized) له كتاب وشريعة وطقوس محددة مثل اليهودية، بل حَوَّلوها إلى دين عالمي (universal) مثل المسيحية. وهذا الدين النظامي العالمي صار اسمُه "الإسلام" الذي ما زال يُسمَّى إلى اليوم "الدين الحنيف" أو "الدين الإسلامي الحنيف". وهكذا كبر الابنُ العربي (الحنيفية ثم الإسلام) في حضن أصحاب القرآن حتى استقل عن والديه (اليهودية والمسيحية) ولجأ إلى العنف، فسعى إلى أن ينافسهما، بل يحل محلهما (التوبة 33) (الفتح 28) (الصف 9)! بل زعم هذا الدين العربي أنه هو الدين الأصلي (the original religion)، فهو دين إبراهيم الذي يسبق الديانتين اليهودية والمسيحية (آل عمران 65)[962]! ولذلك نجد القرآن يدعو صراحةً إلى الحنيفية (مِلَّة إِبْرَاهِيم) ويُبشِّر بها: "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ [يا محمد] أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا" (النحل 123)؛ "قُلْ [يا محمد] صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا" (آل عمران 95)؛ "وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا" (البقرة 135)؛ "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا" (آل عمران 67)؛ "قُلْ [يا محمد] إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا" (الأنعام 161)؛ "وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا" (النساء 125)؛ (يونس 105) (الروم 30) (الحج 31) (البينة 5) (الحج 78).

إذن: كل حديث عن جذور الإسلام يجب أن يشمل حديثاً عن الحنيفية. وكل دراسة عن مَن لهم فضل ثقافي على محمد وأصحابِه يجب أن تتضمن دراسة عن الحنفاء العرب.

لكن كالعادة، حالة الإنكار (state of denial) التي عند معظم المسلمين تجعلهم ينكرون أن محمد تعلّم شيئاً مِن الحنفاء العرب! على سبيل المثال، تقول موسوعة بيان الإسلام تحت عنوان "هل اقتبس النبى (محمد) دينه من الحنفاء؟": "إن أحداً مِن الحنفاء لم يدَّع هذا، ولو حدث أن النبى قد تعلم مِن أى منهم لانبرى واحد منهم على الأقل [...] وقال: لا تصدقوا محمداً، فإنه دَعِيٌّ كذاب، لقد تعلم منا، وأخذ ما علمناه إياه ولفَّق منه ديناً. [...] ثم إن محمداً ﷺ لو كان قد تعلم من الحنفاء، فمَن كان أولى إذن بادعاء النبوة؟ واحد من الأساتذة الأصلاء أم محمد تلميذ هؤلاء الأساتذة الأجلاء؟"[963].

<u>ردنا على ما قالته موسوعة بيان الإسلام:</u> هذا الكلام يتردد كثيراً فى المراجع الإسلامية التى تدافع عن الإسلام، ليس فقط فيما يتعلق باقتباس الإسلام أفكاراً من الحنيفية، وإنما فيما يتعلق باقتباس الإسلام أفكاراً من الديانات السابقة بصفة عامة، مثل اليهودية والمسيحية. ولا ندرى كيف يقول المسلمون هذا الكلام، مع أن القرآن نفسه يعترف في مواضع كثيرة بأن المعاصرين لمحمد قد اتهموه صراحةً بالكذب والافتراء وإعادة

كلام قيل مِن قَبل، فقالوا لمحمد "إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ" (النحل 101) "هَذَا (أي: محمد) سَاحِرٌ كَذَّابٌ" (ص 4) "هَذَا (أي: القرآن) إِفْكٌ قَدِيمٌ (أي: كذب مأثور عن الناس الأقدمين)" (الأحقاف 11) "مَا هَذَا [القرآن] إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى (أي: كذب مختلق)" (سبأ 43) "إِنْ هَذَا [القرآن] إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ [محمدٌ] وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ (أي: ثمرة عمل جماعي)" (الفرقان 4) "إِنْ هَذَا [القرآن] إِلَّا اخْتِلَاقٌ" (ص 7) "إِنْ هَذَا [القرآن] إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (أى: يُنقَل عن الأولين). إِنْ هَذَا [القرآن] إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ" (المدثر 24-25). بل اتهموا محمداً صراحةً بأنه يردد أساطير الأولين. القرآن نفسه اعترف بهذه الحقيقة فى 9 آيات كلها مكية:

- "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأنفال 31)؛
- "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (أى: صباحاً ومساء)" (الفرقان 5)؛
- "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (النحل 24)؛
- "حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأنعام 25)؛
- "لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (المؤمنون 83)؛
- "لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (النمل 68)؛
- "إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (القلم 15)؛
- "إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (المطففين 13)[964]؛
- "فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأحقاف 17).

وكل هذه الآيات مكية، أى قيلت فى بداية الدعوة الإسلامية. وهذه أدلة مِن القرآن نفسه (internal evidence) تثبت أن المعاصرين لمحمد كانوا يعرفون جيداً أنه يردد أساطير الأولين. بعبارة أخرى: كان المعاصرون لمحمد يعرفون جيداً جذورَ القرآن فى تراث الشرق القديم.

ثم إننا نجد في القرآن، وبخاصة في القرآن المكي، آيات كثيرة يمكن أن نسميها "الآيات الدفاعية" (apologetic)، أي: التي يدافع بها محمدٌ عن نفسه. اقرأ مثلاً: "وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ (أي: وما يصح له أن يكون شاعراً) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ" (يس 69). ولا نتصور أن يقول القرآنُ ذلك، إلا إذا كان المعاصرون لمحمد قد اتهموه بأنه تأثر بالشعر الجاهلي، بل اتهموه بأنه تعلم الشعر الجاهلي فصار شاعراً. وهذا ما نجده بالفعل في آيات قرآنية مكية: "قَالُوا [إن القرآن] أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ" (الأنبياء 5) "وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ" (الصافات 36) (الطور 30) (الحاقة 41).

ولا يهم إذا كان الذين قالوا هذه الاتهامات لمحمد حنفاءٌ أم يهودٌ أم نصارى أم مشركون. المهم أن المعاصرين لمحمد كانوا يعلمون جيداً منذ اللحظة الأولى أن محمد لم يأتِ بجديد، وأن أفكاره هى مجرد تجميع أو تطور بشري طبيعي لأفكار وأشعار وأساطير قديمة قيلت مِن قبل، ولذلك قالوا له صراحةً: "هَذَا (أي: القرآن) إِفْكٌ **قَدِيمٌ**" (الأحقاف 11). وهاتان الكلمتان مهمتان جداً. "إِفْكٌ" يعنى: كذب. "قَدِيمٌ" يعنى: سمعناه قبل كده؛ مش حاجة جديدة.

وما نقوم به نحن هو أننا نثبت بأدلة أخرى مِن خارج القرآن (external evidence) أن المعاصرين لمحمد كانوا على حق حين أنكروا نبوتَه المزعومة ورفضوا قرآنَه البشري. قالوا عن قصص القرآن "أساطير الأولين"، وقالوا عن القرآن "إِفْكٌ قَدِيمٌ"، وقالوا: "إِنْ هَذَا [القرآن] إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ [محمدٌ] وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ (أي: ثمرة عمل جماعي)". وإذا كانت كلمة "إِفْكٌ" كلمة قاسية وعاطفية وغير مقبولة الآن، فيمكن استبدالها بعبارة: أساطير تطورت "تطوراً بشرياً طبيعياً" (natural human development) أو بنفس المعنى "تطوراً ثقافياً طبيعياً" (natural cultural evolution).

وكلمة "إِفْكٌ" لا تعني بالضرورة أن محمد نفسه كان كاذباً. يُروى أن أبا الحكم – الذي يسميه المسلمون "أبو جهل" – قال لمحمد: "إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ (أي: نُكَذِّبُ الذي جئت به؛ نُكَذِّبُ القرآنَ)"[965]. يعني عاوز يقول له: يا محمد، نحن نعلم أنك لا تؤلف الأكذوبة، ولكنك تسمع أكاذيب وتُصدِّقها فترددها. بعبارة أخرى: أنت يا محمد تسمع أَشْيَاءَ وتنقلها إلينا بصدق وأمانة، لكن تلك الأشياء التي تسمعها وتُصدِّقها فترددها هي في الواقع مجرد أساطير. وسنلاحظ في هذه المذكرات أن معظم أساطير القرآن ليست أساطير جديدة من اختراع أصحاب القرآن، وإنما هي بالفعل أساطير قديمة قيلت من قبل، ثم رددها أصحابُ القرآن، أو بعبارة أكثر دقة: طوّروها تطوراً بشرياً طبيعياً، وربما صبغوها بصبغة إسلامية/عربية لكي تتفق مع الإسلام (الدين العربي) وأيضاً لكي تساعدهم على تحقيق أهدافهم الدينية والسياسية والاجتماعية.

أما فيما يتعلق بأن محمد كان "تلميذ" "يتعلم" مِن "أساتذة"، فنحن لا نقول إن الحنفاء كان لهم "جامعة" واليهود لهم "أكاديمية" والمسيحيين لهم "معهد عالي"، وأن محمد التحق بكل هذه المؤسسات التعليمية ودرس فيها وحصل على شهادة دكتوراه من كل مدرسة دينية في عصره! نحن لا نقول ذلك.

وإنما نقول: لم يكن محمد محتاجاً أن "يتعلم" مِن أحد، فيكفيه – بل يكفيه جداً – ما كان يسمعه بأذنيه منذ طفولته فى المجتمع الذى وُلِد ونشأ وترعرع فيه إلى أن وصل إلى سن الأربعين، ثم استمر فى صناعة القرآن حتى وصل إلى سن الثالثة والستين، أى: لمدة 23 سنة. هذه الخبرة الثقافية وهذه المدة الطويلة تكفى – بل تكفى جداً – لصناعة كتاب مثل القرآن.

ثم إن محمد لم يصنع القرآن وحده. وإنما صنعه العرب كملحمة قومية لهم. إن القرآن مُنتَج بشرى اشترك فيه أكثر مِن شخص، أى: صنعه فريق أو مجموعة من الأشخاص الذين نُسمِّيهم "أصحاب القرآن". بعبارة أخرى: القرآن "ثمرة عمل جماعى" (fruit d'un travail collectif)[966].

فإذا افترضنا أن محمد كان فعلاً شخصاً حقيقياً تاريخياً، فإنه بكل تأكيد قد لعب دوراً أساسياً وجوهرياً في تأليف القرآن، لكن دوره كان أشبه بدور قائد الفريق – أو الأب الروحي لهذا الفريق – الذى أنتج القرآن. ولا يهم كثيراً إن كان قائد الفريق أمياً أم متعلماً، فيكفيه ما كان يسمعه شفوياً مِن أعضاء الفريق وأيضاً مِن المعاصرين والسابقين له ممن هم خارج هذا الفريق.

يكفي محمد وغيره مِن أصحاب القرآن ما كانوا يسمعوه بآذانهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة عن الديانات والثقافات والحضارات السابقة لظهور الإسلام. فهذا يكفى – بل يكفى جداً – لإنتاج كتاب مثل القرآن.

إذن: إنها مجرد أساطير توارثتها الأجيال شفوياً وتطورت بمرور الزمن تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة إلى أن دوَّنها العرب فى كتابهم "القرآن". ولذلك فإننا نفضل فى هذه المذكرات عدم الحديث عن "محمد"، لأنه مِن العبث أن نكتب مئات الصفحات عن شخص لا نعلم على وجه اليقين إن كان فعلاً شخصاً حقيقياً تاريخياً. نحن نفضل أن يكون تركيزنا على القرآن فقط باعتباره كتاباً عربياً، نصاً مُؤسساً (texte fondateur) للديانة الإسلامية. ومع ذلك، نجد أنفسنا أحياناً مضطرين أن نتحدث عن "محمد"؛ ربما لأنه جرت العادة فى بلادنا أن أى حديث عن القرآن لا بد أن يتضمن الحديث عن "محمد". ولذلك فإننا في هذين البابين الأول والثاني، نتحدث كثيراً عن "محمد". لكن بعد هذين البابين الأول والثاني، سنحاول قدر الإمكان ألا نذكر "محمد". وحتى حين نذكر "محمد" فإننا نذكره باعتباره شخصية قرآنية/إسلامية (Qur’ānic/Islamic figure) وليس باعتباره شخصاً تاريخياً (historical figure).

وكما كان هناك مثقفون عرب (مثل: الحنفاء) قبل ظهور الإسلام، وكانت لهم أفكار إيجابية كثيرة تبناها الإسلامُ فيما بعد، كان هناك على الجانب الآخر مجرمون عرب (مثل: الصعاليك) قبل ظهور الإسلام، وكانت لهم أفكار سلبية كثيرة تبناها الإسلامُ فيما بعد. وحين نقول "تبناها الإسلامُ" فإننا كالعادة لا نقصد أن الإسلام نقل هذه الأفكار نقلاً حرفياً كما هي، وإنما نقصد: تأثر بها وطورها تطوراً بشرياً طبيعياً لا علاقة له بالوحي الإلهي المقدس.

وإذا كان تأثر الإسلامِ بالحنفاء العرب قد ظهر واضحاً في الفترة المكية بصفة خاصة، فإن تأثر الإسلامِ بالصعاليك العرب قد ظهر واضحاً في الفترة المدنية بصفة خاصة. أي: في الفترة التي كان فيها المسلمون الأوائل بقيادة محمد يمارسون القتل وسفك الدماء وضرب الأعناق والاغتيالات والغزو وقطع الطريق والنهب والسلب والسبي ....

1.4.2 الصعاليك العرب

يقول د. شوقي ضيف: "الصعلوك في اللغة الفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة، ولم تقف هذه اللفظة في الجاهلية (أي: قبل الإسلام) عند دلالتها اللغوية الخالصة، فقد أخذت تدل على مَن يتجردون للغارات وقطع الطريق، ويمكن أن نميز فيهم (أي: في الصعاليك العرب) ثلاث مجموعات:

- مجموعة مِن الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم (أي: تبرأت منهم) لكثرة جرائرهم (أي: لكثرة جرائمهم)، مثل: حاجز الأزدى وقيس بن الحَدَّادية وأبي الطمحان القَيْني؛
- ومجموعة من أبناء الحبشيات السود، ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم، مثل: السُّلَيْك بن السُّلَكة وتأبَّط شراً والشَّنْفَرى، وكانوا يَشْركون أمهاتهم [الحبشيات] في سوادهم فسموا هُمْ وأضرابهم باسم أغربة العرب (أي: غربان العرب)؛
- ومجموعة ثالثة لم تكن من الخُلعَاء ولا أبناء الإماء الحبشيات، غير أنها احترفت الصعلكة احترافاً، وحينئذ قد تكون أفراداً مثل عُرْوَة بن الوَرْد العبسى، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتى هُذَيل وفَهْم اللتين كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف على التوالى.

وتتردد في أشعارهم جميعاً صيحات الفقر والجوع، كما تموج أنفسهم بثورة عارمة على الأغنياء والأشحّاء، ويمتازون بالشجاعة والصبر عند البأس وشدة المراس والمضاء وسرعة العَدْو (أي: الجري) حتى ليسمون بالعدَّائين، وحتى لتضرب الأمثال بهم في شدة العدو، [...]. وكما كانوا يحسنون العدو، كان كثير منهم يحسن ركوب الخيل والإغارة عليها، [...]. وكانوا يغيرون أحياناً فرادى وأحياناً في جماعات.

وكانت أكثر المناطق التي يغيرون عليها مناطق الخصب، وكانوا يرصدون طرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج القاصدة إلى مكة، ومعنى ذلك أنهم كانوا ينتشرون حولها (أي: حول مكة) في جبال السَّراة كما كانوا ينتشرون بالقرب من الطائف والمدينة وأطراف اليمن الشمالية. ففي كل هذه الجهات يكثر هؤلاء الذؤبان (يقصد: الصعاليك، عرفوا بذلك لأنهم كالذئاب) من قطَّاع الطرق وقراصنة الصحراء.

وَهُمْ في أشعارهم يتغنون بمغامراتهم ونراهم في أثناء ذلك يتمدحون بالكرم، كما نرى فيهم كثيراً من البر بالأقارب والأهل، وأيضاً فإننا نحس عندهم غير قليل من الترفع والشعور بالكرامة في الحياة، [...]. وكأنما تحولت الصعلكة في أواخر العصر الجاهلي (أي: قبيل ظهور الإسلام) إلى نظام يشبه الفروسية، وهي حقاً تقوم على السلب والنهب، ولكنهم كانوا لا يسلبون ولا ينهبون سيداً كريماً، واقرأ في صعاليك هذيل من مثل أبي كبير [الهذلي] والأعلم وفي السُّلَيْك وتأبَّط شراً وغيرهم فستجد للصعلوك مثاليته في الحياة أو على الأقل ستجد مِن بينهم مَن يصورون مستوى خلقياً رفيعاً مِن البِرّ. وإن كان ذلك لا يمنع مِن أن فريقاً مِنهم عاش سفّاحاً لا يرعى عهداً ولا ذمة"(967).

مما سبق نستنتج أنه قبل ظهور الإسلام، كانت الصعلكة أسلوب حياة (lifestyle) منتشراً ومعروفاً حول مكة والمدينة والطائف وأطراف اليمن. ويقول د. جواد علي: "انتشر الصعاليك في كل موضع من جزيرة العرب، [...]، حتى صاروا قوة مرعبة مخوفة، لشدة بأسهم في القتال، ولمعرفتهم بالمسالك وبمنافذ الطرق وبمداخلها وبأسرار البوادي وخفايا النجاد والجبال، [...] صاروا خطراً على الأمن، يُحسَب له كل حساب". "وكانت مكة، على ما يظهر مِن أخبار أهل الأخبار، مكاناً أوى إليه ذؤبان العرب وخلعاؤهم وصعاليكهم، حتى كثر عددهم بها". وكان بعض الصعاليك الخلعاء ينزلون بمكة في جوار (أي: في حماية)

عبد المطلب (جد محمد) والزبير بن عبد المطلب (عم محمد). وكان بنو مخزوم من قريش (أهل خالد بن الوليد) "قومٌ لا يخذلون أحداً إذا استنصر بهم، وجعل حلفه فيهم"[968].

وكان هناك نوعان من الصعاليك العرب:

- النوع الأول: "صعلوك قبيح" روحه بدوية وحشية، يغزو للغزو والنهب والسلب والقتل والأخذ بالثأر والانتقام. إنه مثل البلطجي أو المسجل خطر في عصرنا الحالي. وبعضهم تحول إلى مرتزقة يقتل ويقبض الثمن مِن صاحب المصلحة (السبوبة). يقول د. جواد علي: "وضع الصعاليك أنفسهم في خدمة مَن يريد استخدامهم لتحقيق أهدافه التي يريدها، مقابل ترضيتهم وإعاشتهم"[969]. على سبيل المثال: أراد أبو جُنْدب الهذلي أن ينتقم مِن بني لحيان لأنهم استغلوا مرضه فقتلوا جاره واستاقوا أموالَه، فذهب أبو جُنْدب إلى مكة وطاف بالكعبة، "فلمَّا فرغ مِن طوافه، وقضى حاجتَه مِن مكة خرج في الخُلَعاء من بكر وخزاعة، فاستجاشهم على بني لحيانَ، فقتل منهم قتلى، وسبى من نسائهم وذراريهم سَبَايا" ثم أنشد شعراً يقول إن بني لحيان أمسوا "بحمد الله في خِزْيٍ مُبين"[970]! **[← وكما استعان أبو جُنْدب الهذلي بالصعاليك لقَتْل رجال بني لحيان وسبي نسائهم وأطفالهم، كذلك استعان محمد القرشي بالأوس لقَتْل رجال بني قريظة وسبي نسائهم وأطفالهم: "فَرِيقًا تَقْتُلُونَ (هُمْ: الرجال المقاتلين) وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (هُمْ: النساء والأطفال)" (الأحزاب 26)]**. مثال آخر: "خلَعتْ خُزاعةُ [...] قيسَ بن الحِداديّة، [...]، فجَمَعَ لهم قيسٌ شُذّاذاً من العَرَبِ وفُتّاكاً من قومِه، وأغار عليهم بهم، وقتل منهم رجلاً [...]، واستاق أموالَهم"[971]! **[← وكذلك فعل محمدٌ حين جَمَعَ الأنصار (الأوس والخزرج) ومقاتلين من قومه (المهاجرين)، فأغار بهم جميعاً على قبيلته قريش، فقتل رجالاً من قومه واستاق أموالَهم. راجع ما قلناه عن غزوة بدر (2هـ) وفتح مكة (8هـ) مثلاً]**.
- النوع الثاني: "صعلوك يتجمل". يعني: صعلوك يحاول أن يجد مبرراً أو غطاءً أخلاقياً (ethical cover) لأعمال السلب والنهب التي يقوم بها. إنه مثل "روبن هود" (Robin Hood): يسرق الأغنياء ليعطي الفقراء. فالغاية الأخلاقية عنده تبرر الوسيلة غير الأخلاقية.

يعني: صعاليك يعتمدون على العنف. وصعاليك آخرون يعتمدون على البروباجاندا لتجميل العنف.

وهو بالضبط ما يحدث الآن: عنف + بروباجاندا. سلاح + ميكروفون. ذراع + لسان.

وعلى عكس الحنفاء العرب المثقفين الذين كانوا غير متحدين، كان الصعاليك العرب "يتكتلون أحياناً، بانضمام بعضهم إلى بعض، مكونين جماعات، جمعت بينها وحدة الهدف (أي: وليس وحدة النسب ولا وحدة القبيلة)، وغريزة حماية النفس، والمصلحة المشتركة"، والصعاليك "لا يبالون من شيء ولو كان ذلك سلباً

ونهباً وقَتْل أبناء قبيلتهم وعشيرتهم، [...]، ويرون الخلاص من هذا الذل (أي: ذل فقرهم وإجبارهم على ترك مجتمعهم) بالحصول على المال بالقنا وبالسيف، فمن استعمل سيفه نال ما يريد"[972]. ثم يقول د. جواد علي: "ولصعوبة تصعلك الرجل بمفرده، تكتل الصعاليك كتلاً، وكوّنوا لهم فرقاً، تكوّنت من أشتات وأنماط من الرجال، فيهم الحر الثائر، وفيهم الضال الغاوي، وفيهم الأسود العبد، وفيهم القاتل الفاتك. وَهُمْ بالطبع من قبائل مختلفة ومن بطون متنافرة. فلا تجمعهم عصبية القبيلة، ولا نخوة العشيرة، ومع ذلك فبينهم رابطة قوية، ووحدة جمعت بينهم، هي وحدة الدفاع عن النفس، والذب عنها، والكفاح في سبيل المعيشة، بأي سبيل، وبأية طريقة وجدت ووقعت، حتى بالقتل. فمَن وجد شخصاً ومعه مال، لا يجد الصعلوك والقاتل سبباً أخلاقياً يمنعه مِن قتله للحصول على ماله"[973].

وهذا ما فعله المسلمون الأوائل حين تكتلوا في المدينة تحت قيادة محمد، وتحالفوا مع قبيلتي الأوس والخزرج، فحاربوا قريشاً قبيلةَ محمدا! فكما كان الانتماءُ إلى الصعلكة أهم وأعلى قدراً مِن الانتماء إلى القبيلة، كذلك صار الانتماءُ إلى الإسلام أهم وأعلى قدراً مِن الانتماء إلى القبيلة. والنتيجة الحتمية هي: قَتَلَ المسلمون المهاجرون أبناءَ قبيلتهم وعشيرتهم، بل قتلوا أهلَهم المشركين! وقَتَلَ المسلمون الأوائل يهودَ المدينة (أصحاب الأرض) أو طردوهم فاستولوا على أموالهم وديارهم وأراضيهم. فصارت وسيلة الخلاص عند المسلمين الأوائل هي السيف، كما كان السيفُ هو وسيلة الخلاص عند الصعاليك العرب.

ولم يجد محمدٌ والمسلمون الأوائل سبباً أخلاقياً يمنعهم مِن قَتْل أبناء قبيلتهم وقَتْل اليهود والحصول على أموالهم. بالعكس، زعم المسلمون أن محمد "عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" وأنه بُعِثَ "ليتمم مكارم الأخلاق"! فتحولت أعمال الصعلكة والقتل والنهب والسلب وقطع الطريق إلى "أخلاق عظيمة" و "مكارم حميدة"! وعندما حرص بعضُ الشباب المسلم اليوم على الاقتداء بمحمد والمسلمين الأوائل وأفعالهم المعتمدة على القرآن والسنة الصحيحة، يُقال إنهم "إرهابيون لا يفهمون الإسلام"!

وكما أقحم محمدٌ والمسلمون الأوائل "الله" في أفعالهم، فزعموا أن أعمالهم هي مجرد تنفيذ لأوامر إلهية: الله هو اللي قال لنا اقتلوا، الله هو اللي أحلَّ لي الغنائم، "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ" ... الخ. كذلك كان مِن قَبْلهم "صعاليكُ العرب ولصوصُهم وأربابُ الغارة منهم يَرون أنَّ ما يحوونه من النّعم بالغارة، وينالونه بالسَّرَقِ والسَّلَّة إنما ذلك مالٌ مُنِعَتْ منهُ الحُقوق، ودُفِعَ عنه (أو: ودُوفِعَ عنه) بالبُخل والعُقوق، فأرسلهم الله إليه، وسبَّبه لهم، ورَزَقهم إياه" **[← "وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" (المعارج 24-25)]** [...] "وإذا امتنع إنسانٌ على صعلوك وأبى تسليم ما عنده إليه، فهو (أي: الصعلوك) لا يبالي من قتله، فالقتل ليس بشيء في نظره، منظره مألوف، والفقر ذاته قتل للإنسان، بل أشد فتكاً به من القتل، والصعلوك نفسه لا يدري متى يقتل، فلا عجب إذا ما رأى القتل وكأنه شربة ماء"[974]!

وكان الصعاليك أحياناً يعادون بعضُهم بعضاً، بل يقتلون بعضُهم بعضاً. "فالفاتك لا يجد مانعاً أخلاقياً يمنعه من الفتك بأي شخص إنْ وجد عنده المال ووجد له فرصة مؤاتية، ثم هو لا يمتنع من الفتك حتى بزميله

وصاحبه وشريكه في الإغارة والفتك"، "ويطمع الصعاليك أيضاً بعضهم في بعض، [...]، ثم هم أبناء البادية، ومِن طبع البادية أن يغير أبناؤها بعضهم على بعض، للحصول على لقمة العيش، فكان الصعاليك تبعاً لهذه السنة يغير بعضهم على بعض، خاصة إذا كانوا صعاليك متعادية"[975].

وما حد الحرابة (brigandage) الذي شَرَّعه أصحابُ القرآن متأخراً جداً (في أواخر سنة 6هـ) إلا وسيلة لمواجهة قطاع الطرق من غير المسلمين أو الذين يعتدون على المسلمين، بل لمواجهة "المفسدين" "الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" وهي طبعاً كلمات مطاطة جداً: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ" (المائدة 33)[976].

وبعد وفاة محمد، قَتَلَ الصحابة بعضُهم بعضاً (الفتنة الكبرى مثلاً) بعد أن كانوا يقاتلون صفاً واحداً أيام محمد! فكما كان الصعاليك يقتلون بعضُهم بعضاً من أجل المال، قَتَلَ الصحابة بعضُهم بعضاً من أجل السلطة.

في ضوء كل هذه التشابهات بين الصعاليك العرب والمسلمين الأوائل، نقول إنه مِن المؤكد أن محمد وأصحابه قد سمعوا عن الصعاليك العرب وتأثروا بهم، وبخاصة في الفترة المدنية الدموية: فترة الغزوات والغارات وقطع الطريق والنهب والسلب والقتل وسفك الدماء وضرب الأعناق والاغتيالات والأخذ بالثأر والانتقام والسبي ... الخ.

وسنتحدث فيما يلي باختصار عن أهم الصعاليك العرب الذين اشتهروا قبل إدعاء محمد النبوة ...

1.4.2.1 تأبَّط شراً: كان يجول يصنع شراً! نُصِرْتُ بالرعبِ وأُحِلَّت لى الغنائمُ ورِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي!

اسمه "ثابت بن جابر"[977] وهو مِن قبيلة فَهْم. ويعد في أغربة العرب لأن أُمّه كانت أمة حبشية سوداء. لقبته أُمُّه "تأبَّط شراً" لأنه تأبَّط سيفاً وخرج. وربما كانت قبيلته هي التي لقبته بهذا اللقب لكثرة ما كان يرتكب من جنايات وجرائر، أي أنه يحمل دائماً شراً يريد أن ينفذه.

ويبدو أن تأبَّط شراً كان سعيداً وفخوراً بهذا اللقب المرعب الذي يساعده على إرهاب الآخرين وتخويفهم. قيل إن رجلاً سأل تأبَّط شراً: بِمَ تغلب الرجال وأنت دميم ضئيل؟ فقال: باسمي، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل: أنا تأبط شراً، فينخلع قلبه حتى أنال (أي: أغنم) منه ما أردت **[← قال محمدٌ: "نُصِرْتُ بالرعبِ" و "أُحِلَّت لى الغنائمُ" و "جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي"[978]. وقال القرآنُ عن الإرهاب: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" (الأنفال 60). وقال القرآنُ عن الرعب: "سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ" (آل عمران 151) "سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ (أى: الرؤوس!) وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (أى: الأطراف والمفاصل!)" (الأنفال 12)**

"وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ" (الحشر 2) "وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا" (الأحزاب 26-27). أما "الغنائم" فتوجد سورة مدنية فى القرآن اسمها "الأنفال" - أى: الغنائم - ووصفت الغنائم بـ "الطَّيِّبَاتِ" (الأنفال 26)!].

كان تأبَّط شراً يتيماً مثل محمد. فتزوجت أُمُّه بالشاعر "أبي كبير" الهذلي. وكان أبو كبير الهذلي صعلوكاً كبيراً من صعاليك هُذَيْل، فخرَّج تأبَّط شراً على شاكلته. وربما كان لسواد تأبَّط شراً وتعيير عشيرته له به وبأنه ابن أمة أثر في تصعلكه. وكان تأبَّط شراً يرافق الشَّنْفَرى في كثير من غاراته، كما كان يرافقهما صعلوك ثالث يسمى "عمرو بن برَّاق".

ظل تأبَّط شراً يتصعلك فيقطع الطريق ويرصد الأكمنة للآخرين وتُرصَد له الأكمنة حتى قُتِل في إحدى غاراته بمنازل هُذَيْل.

وسنلاحظ أن كثيراً مِن الصعاليك العرب قد انتهت حياتهم بالقتل. إنهم يغزون فإما ينتصرون ويغنمون فيغزون مَرَّة أخرى وإما يُقتَلون **[← وفي الإسلام، صار اسمها "شهادة" و "جهاد في سبيل الله": "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ (أي: استشهد أو مات) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ [النصر أو الشهادة]" (الأحزاب 23)].** هذا الفِكر الصعلوكي←الإسلامي يمكن تلخيصه في جملة واحدة كما يلي: اقتلْ ... اقتلْ ... اقتلْ ... حتى تنتصر أو تُقتَل (تنال الشهادة)!

1.4.2.2 الشَّنْفَرى: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ

كان "الشَّنْفَرى"[979] يمنياً، فهو من عشيرة الإواس بن الحجْر الأزدية اليمنية. ويدل اسمه، ومعناه الغليظ الشفاه، أن دماء حبشية كانت تجري فيه مِن قِبَل أُمّه، فهي أمة حبشية، وقد ورث الشَّنْفَرى عنها سوادها، ولذلك عُدَّ في أغربة العرب.

قتلت قبيلتُه أباه، فتحولت أُمّه إلى قبيلة فَهْم (قبيلة تأبَّط شراً)، فنشأ الشَّنْفَرى في قبيلة فَهْم وهو يريد أن يقتصّ لنفسه مِن الأزديين (أي: يريد أن يأخذ بثأر أبيه الذي قتلته قبيلة الأزد)، فاتجه إلى الصعلكة. وتقول رواية أخرى إن سبب حقد الشَّنْفَرى على قبيلته هو أنه أراد الزواج مِن ابنة رجل منهم، فرده والدُها رداً عنيفاً جرح كرامته، فتصعلك لينتقم منهم. [ولقد مر محمدٌ بنفس التجربة المريرة قبل إدعائه النبوة، حين أراد أن يتزوج "أم هانئ" ابنة عمّه أبي طالب، فرفض أبو طالب وزوَّجها لرجلٍ مخزومي وقال لمحمد: "الكريمُ يُكافِئُ الكريمَ"! قال د. عبد الصبور شاهين عن أم هانئ: "خطبها في الجاهلية (أي: قبل الإسلام) هُبَيرةُ بن عمرو بن عائذ المخزومي، وابن عمها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فزوَّجها أبو طالب هُبَيرةَ، وكان رسول الله ﷺ يرغب في الزواج منها، فعاتَب [محمدٌ] عمَّه قائلاً: "يا عم، زوَّجتَ هُبَيرةَ وتركتني". فقال أبو طالب: "يا ابنَ أخي، إنا قد صاهَرْنا إليهم (أي: بني مخزوم)، والكريمُ يُكافِئُ الكريمَ""[980].]

وللشَّنْفَرى قصيدة تائية طويلة ومعروفة، تتضح مِن خلالها ملامح شخصيته الصعلوكية، بل تتضح ملامح شخصية الصعلوك بصفة عامة. إنه شاب متمرد ثائر جريء مغامِر مجازف يقتحم الصعاب والمخاطر وهو لا يخاف الموت ولا مشقة الطريق. يعتمد على المجهود (effort) بغض النظر عن النتائج (results) **[← وفي الإسلام، جَاهِد وستأخذ أجرَك سواء انتصرت أو هُزِمت. "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ" (الأنفال 10) (آل عمران 126)]**. ويُقال إن الذي روَّض الشَّنْفَرى على الصعلكة وقطع الطريق هو تأبَّط شراً. فصار الشَّنْفَرى يغزو مع رفاقه الصعاليك وعلى رأسهم تأبَّط شراً، وَهُمْ يعلمون جيداً أنهم قد يرجعون خائبين أو مهزومين من غارتهم أو غزوتهم. ولكن ذلك لا يردهم عن الغزو، بل يدفعهم دفعاً إليه.

ويصور لنا الشَّنْفَرى كيف كان تأبَّط شراً يحمل زادهم في الغزوة ويقتِّر عليهم في الطعام (أي: يعطيهم قليلاً من الطعام) خيفة أن تطول الغَزاة بهم فينتهي الطعام الذي معهم فيموتوا جوعاً **[← قال محمدٌ لأتباعه: "بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لقيمات (أو: أُكُلَاتٌ) يُقِمْنَ صُلْبَهُ"]**. ويبدو الشَّنْفَرى في أشعاره هزيلاً نحيلاً مثل تأبَّط شراً. فلقد كانت نحافة أجسام الصعاليك أمراً مهماً لهم حتى تساعدهم على الجري بسرعة والكر والفر والاختباء. بل كان الصعاليك يفتخرون بالنَّحافة ويزدرون السمنة **[← عاب المسلمون على الكافرين أنهم يأكلون كثيراً مثل البهائم: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ" (محمد 12)]**.

ويحدثنا الشَّنْفَرى في قصيدته التائية الطويلة عن أهداف غارته وأنه كان يقصد بها الأزديين، حتى يأخذ بثأره لأبيه ويشفي حقده وغليله **[← "قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" (التوبة 14)]**.

ومشاعر الشَّنْفَرى تجاه قومه الأزديين تشبه إلى حد كبير مشاعر محمد تجاه قومه القرشيين. فهو يقاتل قومَه ويعتقد أنهم يستحقون القتلَ لِما بينه وبينهم مِن ثأرٍ قديم، لكنه ليس سعيداً بقتالهم. فيصرح الشَّنْفَرى في قصيدته بأنه جَزَى الأزديين بما قدمت أيديهم، ويأسى أن يكونوا قومه ولا ينتفعوا به وببأسه، وأن يقعد لهم ويقعدوا له **[← "لَعَلَّكَ [يا محمد] بَاخِعٌ نَّفْسَكَ (أي: مُهْلِك نَّفْسَكَ؛ والمقصود: حزينٌ حزناً شديداً) أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (أي: لأن قومك قريش لم يؤمنوا بك)" (الشعراء 3)]**.

كما يحدثنا الشَّنْفَرى أنه شفى بعض غليله بقتله لرجلين مِن الأزديين. ويقول الشَّنْفَرى إنه حُلْوٌ لأصدقائه وَمُرٌّ على أعدائه كأنه الحنظل **[← "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ (أي: المسلمون بقيادة محمد) أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (أي: فيما بينهم)" (الفتح 29) "أَذِلَّةٍ (أي: رحماء) عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ (أي: أشدَّاء) عَلَى الْكَافِرِينَ" (المائدة 54)]**. وهنا نكتشف ملمحاً آخر في شخصية الصعلوك، وكذلك في شخصية المسلم: إنها شخصية مليئة بالتناقضات، فهو شديد القسوة على الآخر (the Other) أي: مَن يختلف عنه، وفي الوقت نفسه رحيم جداً مع الأنا (the Self) أي: مَن يوافقه ويشبهه.

وما زال الشَّنْفَرى يغير على قبيلة الأزد، وينكل بها حتى قَتَل، فيما يقص الرواة، تسعة وتسعين رجلاً انتقاماً لأبيه! **[← لاحظ أن هذا الفكر الصعلوكي الجاهلي تسلل إلى الإسلام! فإذا قُتِلَ مسلمٌ واحد، يعمل المسلمون غزوةً أو سريةً تؤدي إلى مقتل المئات بل الآلاف! راجع ما قلناه عن سرية مؤتة (8هـ) مثلاً]**.

وأخيراً يرصد الأزديون كميناً للشَّنْفَرى، فيقع فيه، ويمثّلون به تمثيلاً فظيعاً، يقطّعون فيه جسده تقطيعاً **[← حد الحرابة: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ" (المائدة 33)]**. ويُذكَر أنهم قطعوا يده وهو حي **[← حد السرقة: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ" (المائدة 38)]**.

1.4.2.3 عُرْوَة بن الوَرْد العبسي: روبن هود الصعاليك!

كان "عُرْوَة بن الوَرْد"[981] مِن بني عبس. أما أُمّه فكانت مِن نَهْد من قُضَاعة، وهي عشيرة وضيعة لم تُعرَف بشرف ولا خطر، فآذى ذلك نفسَه، إذ أحس في أعماقه مِن قِبَلها بعارٍ لا يُمحَى. فدفعه ذلك دفعاً إلى الثورة والصعلكة. إلا أن صعلكته كانت ثورة مهذبة، فلم يتحول إلى سافك دماء ولا إلى متشرد يرود مجاهل الصحراء، فقبيلته لم تخلعه، بل ظل ينزل فيها مرموق الجانب.

اتخذ عُرْوَة بن الوَرْد مِن صعلكته باباً مِن أبواب المروءة والتعاون الاجتماعي بينه وبين فقراء قبيلته وضعفائها. فكان يخرج مع الصعاليك الأقوياء القادرين على الغزو والإغارة، فيغير بهم على الأغنياء البخلاء، فإذا غنم غنيمةً مِن هذا الغزو يجعل للضعفاء والمرضى والنساء وكبار السن نصيباً مما غنم **[← وكذلك صار محمدٌ يعطي حوالي 16% مِن الغنائم إلى أقاربه واليتامى والمساكين وابن السبيل: "وَاعْلَمُوا [أيها المسلمون] أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ" (الأنفال 41)]**. ومِن أجل ذلك لُقِّب "عُرْوَة الصعاليك" لجمعه إياهم وإعطائهم مما يغنمه (ينهبه ويسرقه) إذا أخفقوا هُمْ في غزواتهم وضاقت بهم الدنيا. وأحياناً كان الصعاليك البؤساء والمحتاجين يجلسون أمام بيت عُرْوَة، حتى إذا أبصروه صرخوا وقالوا "يا أبا الصعاليك أغثنا"، فكان عروة يرق لهم ويخرج بهم فيصيب معاشهم.

وكان عروة لا يؤثر نفسَه بشيء على مَن يرعاهم مِن صعاليكه، فلهم مثل حظه مِن الغنيمة (النهب والسرقة) غزوا معه أو قعد بهم المرض أو الضعف. فكان يقول:

أُفرّق جِسْمي في جسومٍ كثيرةٍ ... وأَحْسُو قَراحَ الماءِ، والماءُ باردُ

يقصد أنه يقسم طعامَه بينه وبين الفقراء، أو بعبارة أدق: يقسم جِسمه في جسومهم، بل كثيراً ما يؤثرهم على نفسه بكل طعامه مع جوعه ومسغبته، مكتفياً باحتساء الماء القَراح (أي: الماء الخالص الذي لا يخالطه لبن ولا غيره) حتى وإنْ كان الماءُ بارداً والشتاء يعصف بزمهريره.

ونلاحظ إبداع هذا الشاعر الصعلوك المشهور في تعبيره عن هذا التراحم الاجتماعي بقوله "أُفرِّق جِسْمي في جسومٍ كثيرةٍ" **[← وهذا تقريباً ما قاله محمدٌ بعد ذلك: "مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهِم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم: مثلُ الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"]**.

ولَمَّا تعرَّض لعُرْوَة بعضُ أصحابه يعيبه بأنه هزيل شاحب اللون، قال عُرْوَة له:

إنِّي امرؤٌ عافي إنائيَ شِرْكةٌ — وأنتَ امرؤٌ عافي إنائِكَ واحدُ

أَتَهْزَأُ مِنِّي أن سَمِنْتَ وأن ترى — بِجسمي شحوبَ الحِقّ، والحقُّ جاهدُ

يقصد: يشترك معي كثيرون مِن الفقراء وذوي الحاجة في إنائي أو طعامي، أما أنتَ فتأكل وحدك. ولذلك سَمِنْتَ أما أنا فأصبحت ضامراً نحيلاً. أتسخر مني لأنني شاحب الوجه مثل الحِقِّ الجَاهِدِ (أي: البعير الصغير الهزيل)؟! يعني: وما شحوب وجهي إلا أثر من آثار نهوضي بمصالح هؤلاء المحتاجين والمعوزين، فلست أنا الخليق بالهزؤ والسخرية، إنما الخليق بذلك السمين البَطِين مثلك **[← عاب المسلمون على الكافرين أنهم يأكلون كثيراً مثل البهائم: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ" (محمد 12)]**.

ويتضح لنا مِن أشعار عُرْوَة بن الوَرْد أنه كان يعتقد أن الصعلوك المغامر الجرىء، الذي يهجم على أعدائه فيظفر منهم بكل ما يريد من الغنائم، هو الصعلوك الذي يشرق وجهُه بأعماله المجيدة فتظل ذكراه خالدة حتى وإنْ مات! **[← "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (آل عمران 169) "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ" (البقرة 154)]**.

ورُوي أن عُرْوَة كان يتردد على بني النضير (مِن يهود يثرب) ويتعامل معهم فيستقرضهم إذا احتاج ويبيع منهم إذا غنم. كما يُروَى أن امرأته "سلمى" فارقته فتزوجها بعده رجلٌ مِن بني النضير.

ويقول د. شوقي ضيف تعليقاً على شخصية عُرْوَة بن الوَرْد إنه "استطاع أن يرفع الصعلكة وأن يجعلها ضرباً من ضروب السيادة والمروءة، إذ كان يستشعر في قوة فكرة التضامن الاجتماعي وما يطوى فيها من إيثار وبِرٍّ بالفقراء، فهو لا يسعى لنفسه فحسب، وإنما يسعى قبل كل شيء للمعوزين من عشيرته حتى يدفع عنهم كل ما يجدون من بؤس وشقاء"[(982)].

لكن – كما قلنا فيما سبق – المشكلة هي أن الوسيلة التي كان عُرْوَة بن الوَرْد يتبعها وسيلة غير أخلاقية، فلقد كان يهجم على الأغنياء ويستولى على أموالهم وإبلهم ويعطي ما يسرقه وينهبه (يغنمه) إلى الفقراء والمحتاجين. ليس هذا فحسب، بل تورط عُرْوَةُ بن الوَرْد في جريمة سبي النساء، فيُروَى أن امرأته "سلمى" كانت من بني غِفَار "فسباها عروة من قومها وكانت ذات جمال"[(983)]. وكذلك فعل محمدٌ حين سبى الفتاة الشابة الجميلة "صفية بنت حُيَيّ" من قومها، بعد أن قَتَلَ المسلمون الأوائل زوجَها وأباها (7هـ)!

ونحن لا يهمنا هنا تقييم شخصية عُرْوَة بن الوَرْد، وإنما يهمنا تسليط الضوء على مدى تأثير هذه الشخصية الصعلوكية الجاهلية على محمد وأتباعه من المسلمين الأوائل.

1.4.2.4 أبو الطمحان القَيْني: أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي رَيمان!

كان "أبو الطمحان القَيْني"[984] خليعاً (أي: من الخلعاء) فاسقاً متهتكاً لا يعرف خلقاً ولا أدباً. نزل بمكة في جوار (أي: في حماية) الزبير بن عبد المطلب (عم محمد) وكان نديماً له في الجاهلية (أي: قبل الإسلام). وقيل إنه أدرك الإسلام.

يقول د. جواد علي: "الموت خير للصعلوك مِن حياة يعيشها فقيراً، [...]، حياته موحشة قاسية، تفور بالأخطار والتهلكة والمغامرات، لا يدري متى يأتيه الموت ومن أين يأتيه، [...]، ومن هنا هان الموت في نظر الصعلوك، فهو معه يتبعه مثل ظله وملازم له، وتولدت في نفسه فلسفة (الآجال): فلسفة أن لكل نفس أجل، وأن كل نفس ذائقة الموت، وأن الإنسان مهما عاش وعمر، فلا بد من أن يلاقي الموت ويستجيب له، لن ينجيه منه قصر (ريمان)، ولا حرس أبوابه المدججون بالسلاح، يمنعون الناس من دخوله، فالموت لا يعرف حرس القصور ولا يحول بينه وبين مَن يريد الوصول إليه حائلٌ مهما كان"[985].

قال الشاعر الصعلوك أبو الطمحان القَيْني:

لو كنتُ في رَيمانَ تحرُسُ بابه — أراجيلُ أحْبوشٌ وأغضَفُ آلِفُ

إذن لأتتني حيثُ كنتُ منيتي — يخبُّ بها هادٍ بأمري قائفُ[986]

[← "أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ (أي: وَلَوْ كُنتُمْ في حصون منيعة بعيدة عن ساحة القتال)" (النساء 78)؛ "وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ" (لقمان 34)؛ "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" تكررت ثلاث مرات في القرآن (آل عمران 185) (الأنبياء 35) (العنكبوت 57)؛ "وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ" (الأنبياء 34)].

1.4.2.5 أبو خراش الهذلي: إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ إِلَّا مُتَحَرِّفين أَوْ مُتَحَيِّزِين

يقول د. جواد علي: "كان [الصعلوك] يقاتل بضراوة، قتال المستميت، لأنه إنْ لم يدافع عن نفسه، هلك، [...]، وسبيله الوحيد لخلاصه عند قيامه بغارة: المباغتة والهرب بما قد يحصل عليه بسرعة، كي يأمن العاقبة، وعمل الحيلة في التخلص من المآزق، لكيلا يقع في أيدي متعقبه، فيكون بذلك هلاكه، وفي جملة ذلك الفرار، للنجاة بالنفس من موت محتم"[987].

تعليقنا: وهذا ما فعله خالد بن الوليد في سرية مؤتة (8هـ) بعد مَقْتَل أمراء الجيش الإسلامي الثلاثة واحداً تلو الآخر فيما يشبه العمليات الانتحارية اليائسة التي يقوم بها مسلمون اليوم: مقتل زيد بن حارثة، ثم مقتل جَعْفر بن أبي طالب، ثم مقتل عبد الله بن رَوَاحَة. فانسحب خالدٌ بالجيش الإسلامي (أو ما تبقى منه) لَمَّا

رأى أن المعركة خاسرة والموت مؤكد إنْ استمر قتال الروم وحلفائهم العرب. وهذا أيضاً ما فعله كُلُّ إرهابي حمساوي يوم 7 أكتوبر 2023: "المباغتة" في غزو إسرائيل "والهرب بما قد يحصل عليه بسرعة"!

ثم يكمل د. جواد علي كلامَه فيقول في نفس الصفحة: "وفي جملة ذلك الفرار، للنجاة بالنفس من موت محتم. وهو فرار يؤدي به إلى معاودة الغارة والتلصص، إذ لا مورد له في هذه الحياة يتعيش منه غير هذين الموردين. فحاله في هذا الفرار حال أبي خراش الهذلي حيث يقول:

فإنْ تَزْعُمي أني جبنتُ فإنّني ... أفــرّ وأرمــي مــرةً كــل ذلــك

أقاتلُ حتى لا أرى لي مُقَاتَلاً ... وأنجو إذا ما خفتُ بعض المهالك"

وقال د. يوسف خليف تعليقاً على هذين البيتين: "فهو (أي: أبو خراش الهذلي) يدافع عن فراره، ويرى أنه ليس دليلاً على جبنه، وإنما هو "خطة موضوعة" يضطر إليها حين يصبح القتال "مغامرة انتحارية" لا أمل فيها، حتى ينجو من هلاك محقق، فيستأنف القتال حين يصبح القتال أمراً مضمون العاقبة"[988].

[← وكالعادة، انتقلت هذه الخطة الصعلوكية الجاهلية إلى الإسلام الذي يحرِّم الفرار من المعركة إلا في حالتين: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا (أي: في ميدان القتال) فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (أي: لا تهربوا منهم قبل الانتصار عليهم). وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ (أي: إلا مَن يقوم بخدعة حربية، كمن يوهم أنه ينسحب، ليتبعه العدو، فيكرّ عليه ويقاتله ويتمكن منه) أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ (أي: أو مَن يرجع متقهقراً ليستعين بجماعةٍ أخرى من المسلمين تنصره على العدو يوم استئناف القتال) [ومَن يفرُّ لغير ذلك] فَقَدْ بَاءَ (أي: رجع) بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (الأنفال 15-16)].

ولقد نفَّذ المسلمون الأوائل هذه الخطة الصعلوكية الجاهلية في غزواتهم ضد الروم. فبعد أن انسحب خالدُ بن الوليد حين أيقن أن سرية مؤتة (8هـ) كانت بالفعل مغامرة انتحارية محكوم عليها حتماً بالفشل، كرر المسلمون المحاولة مرة أخرى حتى نجحوا في غزو الشام كله بعد ذلك بسنوات قليلة.

سنكتفي بهذا القدر مِن المعلومات عن الصعاليك العرب قبل الإسلام. لمزيد من التفاصيل، انظر مراجع د. شوقي ضيف و د. جواد علي و د. يوسف خليف و د. حسين عطوان و د. رأفت عماري (رحمه الله)[989] وغيرهم.

ومما سبق نستنتج أن الغزو والإغارة وقطع الطريق والنهب والسلب والقتل وسفك الدماء وضرب الأعناق والاغتيالات والأخذ بالثأر والانتقام والسبي ... الخ كانت عادات عربية موجودة قبل الإسلام. لكن للأسف تبناها الإسلامُ (المدني) وألصقها بالله فيما يُسمَّى بـ "الجهاد"، فأعطاها قداسة لا تستحقها ونقلها مِن شبه الجزيرة العربية إلى العالم كله، فحوّلها مِن عادات عربية محلية كان من الممكن أن تنتهي في يومٍ من الأيام إلى إرهاب إسلامي دولي ما زال مستمراً إلى اليوم.

1.4.2.6 هل تأثر أصحابُ القرآن بالصعاليك العرب؟

بكل تأكيد: نعم، تأثر أصحابُ القرآن بالصعاليك العرب.

بل مِن المؤكد أن بعض الصعاليك العرب وأشباههم قد انضموا إلى تنظيم محمد، وكان سادات العرب وكبراؤهم يعايرون محمداً بذلك. تقول أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم إن "الأَقْرَع بِنْ حابِس" (وهو من سادات العرب وأشرافهم) قال لمحمد معايراً: "إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الحَجِيجِ (أي: مَنْ كانوا يقطعون طرق الحَجِيج ويسرقونهم)، مِنْ أَسْلَمَ وغِفَار ومُزَيْنَة"[990] وغيرهم. أي: مِن قبائل عربية سيئة السمعة ومعروفة بأعمال الصعلكة مثل قطع الطريق والنهب والسطو والقتل. مثلاً: قبيلة غِفَار، وهي قبيلة الصحابي "أبي ذر الغفاري"، قال عنها د. محمد بكر إسماعيل (مِن كبار علماء الأزهر): "هُمْ قُطَّاع طرق، ولهم قوة وبأس. [...] قوم غلاظ شداد"[991]! وقال عنها الكاتب الإسلامي المصري المعروف خالد محمد خالد: "غِفَار هذه قبيلة لا يدرك لها شأو في قطع الطريق! وأهلها مضرب الأمثال في السطو غير المشروع .. إنهم حلفاء الليل والظلام .. والويل لمن يسلمه الليل إلى واحدٍ من قبيلة غِفَار. [...] [إنهم] عمالقة السطو وحلفاء الشيطان"[992]!

وكان محمدٌ يفتخر بانضمام هؤلاء الأشقياء إلى جماعته! بل يعتبرهم ناصريه ومواليه، وهو مولاهم (أي: وليهم والمتكفل بهم وبمصالحهم)! وكالعادة، أقحم محمدٌ "اللهَ" في القصة وزعم أن الله أيضاً مولاهم! تقول أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم إن محمداً قال: "قُرَيْشٌ (يقصد: جماعة مِن قريش) والأَنْصَارُ (أي: الأوس والخزرج) وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارُ وأَشْجَعُ مَوَالِيَّ (أي: مَن ناصروني) دُونَ النَّاسِ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ مَوْلاهُم، لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللهِ وَرَسُولِهِ"[993].

بل يُفهَم من المراجع العربية-الإسلامية أن محمد كان يسعى إلى ضم الصعاليك العرب إليه، وأعطاهم إغراءات في الدنيا (مثلاً: عدم محاسبتهم على جرائم القتل التي ارتكبوها! بل عدم مطالبتهم برد ما نهبوه مِن أموال إلى أصحابها!)[994] كما أعطاهم محمدٌ إغراءات في الآخرة (مثلاً: غفران خطاياهم ودخولهم الجنة!). يقول د. جواد علي إن ظلم بعض السادة العرب لعبيدهم "جعل بعض الرقيق يهرب مِن سيده، فراراً مِن ظلمه، لينضم إلى الصعاليك، أو ليكوّن عصابة تلجأ إلى الجبال والكهوف، تهاجم المارّة والأحياء، لتحصل على ما تتعيش به. ولمَّا ظهر أمرُ الرسول، كَتَبَ لجُمَّاعٍ (أي: جَماعاتٌ من قبائل شتى متفرقة) كانوا في جبل تهامة قد غَصَبُوا المارّةَ، وَهُمْ خليط من كِنانة ومُزينة والحكم والقَارة، ومَن فرّ مِن سادته مِن العبيد، كتاباً، فيه أنهم "إنْ آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فَعَبْدُهُمْ حُرّ، ومَوْلاهُم محمد، ومَن كان مِنهم مِن قبيلةٍ لم يُرَدّ إليها، وما كان فيهم مِن دمٍ أصابوه أو مالٍ أخذوه، فهُوَ لهم، وما كان لهم مِن دَيْن في الناس رُدّ إليهم، ولا ظلم عليهم ولا عدوان""[995]! وتقول أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم إن محمد قالَ عَلَى المِنْبَر: "غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لها"[996]، مع أنها قبيلة قُطَّاع طرق كما رأينا! ونجد في سنن أبي داود أن محمداً قال: "أَبشِروا يا معشرَ صعاليك المهاجرين بالنور التامّ يوم القيامة، تدخلون الجنةَ قَبْلَ أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك خمسمائة

سنة"[997]! وطبعاً أقصر طريق إلى الجنة الإسلامية الوهمية هو الجهاد في سبيل الإسلام (الذي يُسمّى زوراً: الجهاد في سبيل الله) بالنفس والمال؛ وبما أن صعاليك المهاجرين ليسوا أغنياء، فأقصر طريق بالنسبة لهم هو الجهاد بالنفس؛ يُروَى أن عبد الرحمن بن عوف (أحد أثرياء المسلمين) تصدق بصدقةٍ كبيرةٍ فأعجبَ لها الناسُ حتى ذُكِرتْ عند محمد، فقال محمدٌ: "لروعةُ صعلوكٍ من صعاليك المهاجرين يجرُّ سوطه في سبيل الله أفضلُ من صدقةِ ابن عوفٍ"[998].

وسنتحدث فيما يلي عن بعض الأمثلة مِن الصحابة الذين عاشوا حياة تشبه حياة الصعاليك العرب. وهذا لا يعني بالضرورة أننا نقول إنهم كانوا صعاليك. فنحن لا نهاجم الأشخاص، ولا يهمنا مَن كان صعلوكاً ومَن كان ليس صعلوكاً ومَن كان شبه صعلوك. وإنما يهمنا كيف تأثر جيلُ محمد بأساليب الصعاليك العرب، وكيف لجأ المسلمون الأوائل إلى أعمال الصعلكة للخلاص مِن مشكلاتهم.

1.4.2.6.1 أبو بَصِير: زعيم عِصَابَة ... أمير جماعة ... وَيْلُ أُمِّهِ مُشعل حَرْبٍ

اسمه "عُتْبة بن أَسِيد"[999] الثقفِيّ وكنيته "أبو بَصِير"، وكان حليفاً لبني زهرة إحدى بطون قبيلة قريش.

أسلم أبو بَصِير في مكة، فاحتبسته قريشٌ حتى لا يهاجر إلى المدينة. وتقول المراجع الإسلامية إن مشركي قريش عذّبوه بسبب إسلامه. ولعلهم عذّبوه لأنهم اعتبروه خائناً، فلقد كان حليفاً لهم، فكيف يخونهم ويتركهم وينضم إلى أعدائهم المسلمين.

ثم استطاع أبو بصير أن يهرب مِن قريش إلى المسلمين في المدينة بُعيد صلح الحديبية (ذو القعدة 6هـ) الذي تم بين المسلمين وقريش حين توجه المسلمون بقيادة محمد إلى مكة للعمرة، فظنت قريشٌ أن المسلمين يريدون غزو مكة، فكادت الحربُ أن تندلع بين المسلمين وقريش لولا المفاوضات التي حدثت بين الطرفين وانتهت بعقد "صلح الحديبية" الذي كان أحد شروطه أن يَرُدَّ محمدٌ إلى قريش مَن أتاه منهم مسلماً. ولقد كان هذا الشرط عبئاً ثقيلاً على نفوس كثير مِن المسلمين، وبخاصة عمر بن الخطاب، إذ كيف يرد المسلمون أخاً لهم جاءهم بعد أن بذل أقصى جهده في التخلص مِن الشرك وأهله؟

وبناء على هذا الشرط، أرسلت قريشٌ رَجُلَيْن في طلب أبي بصير. فسلّمه محمدٌ لهما التزاماً بهذا الشرط.

فَخَرَج الرجلان بأبي بَصِير حتى بَلَغَا ذا الحُلَيْفَة (موقع قريب من المدينة)، فتحايل أبو بَصِير على أحدهما فأخذ منه سيفه فضربه به حتى قتله! ففرَّ الآخَرُ خوفاً على حياته حتى رجع إلى المدينة وأخبر محمداً بما جرى. ولم يلبث أبو بصير أن جاء، وكالعادة أقحم "الله" فيما فعله فقال لمحمد: "أنجاني اللهُ منهم"! فقال محمدٌ له: "وَيْلُ أُمِّهِ (كلمة ذم؛ والمراد بها هنا المدح)، مِسْعَرَ حَرْبٍ (أي: مثيرها ومحركها)، لَوْ كانَ لَهُ أَحَدٌ (أي: لو وجد أبو بصير رجالاً ينصرونه ويعاضدونه سيشعل الحربَ)"[1000].

فماذا فعل أبو بصير؟

أدرك أبو بصير ما قصده محمدٌ وعرف أنها إشارة خفية إليه أن يعلن حرباً على قريش مستعيناً برجالٍ مسلمين آخرين. ففَرَّ أبو بصير مِن المدينة حتى نزل في مكانٍ على ساحل البحر في الطريق الذي تمر به قوافل قريش التجارية من مكة إلى الشام ذاهبة وآيبة. وانضمَّ إليه عددٌ كبيرٌ من المسلمين الهاربين من مكة حتى تكوَّن منهم نحو السبعين رجلاً، وقيل: 300 رجل، أشهرهم الصحابي "أبو جَنْدَل بن سُهَيْل بن عمرو". ويُقال إن الصحابي "الوليد بن الوليد" (أخو خالد بن الوليد) قد انضم أيضاً إلى جماعة أبي بصير[1001].

فأخذ أبو بصير ورفاقه المسلمون يهاجمون قوافل قريش التجارية فيقتلون رجالها ويستولون على ما فيها من بضائع وأموال! يقول صحيح البخاري: "فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْش رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إلا لَحِقَ بأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللهِ ما يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ (أي: قافلة من الإبل المحملة بالبضائع والأموال) خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إلَى الشام إلا اعْتَرَضُوا لَهَا، فقَتَلُوهُمْ وأخذوا أَمْوَالَهُمْ"[1002]! وفي الاستيعاب: "واجتمع إلى أبي جندل حين سمع بقدومه ناسٌ مِن بني غِفَار وأَسْلَم وجُهَيْنَة وطوائف من العرب، حتى بلغوا ثلاثمائة وَهُمْ مسلمون، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير لا يمرُّ بهم عِيْرٌ لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها". يعني: تحوَّل الصحابيُّ أبو بصير ورفاقه المسلمون إلى قطاع طرق يهجمون على قوافل قريش التجارية فيقتلون التجار وينهبون أموالهم!

ونلاحظ أن المسلمين الذين انضموا إلى أبي بصير كانوا من قبائل عربية سيئة السمعة ومعروفة بأعمال الصعلكة مثل القتل وقطع الطريق. مثلاً: قبيلة غِفَار، وهي قبيلة الصحابي "أبي ذر الغفاري"، قال عنها د. محمد بكر إسماعيل: "هُمْ قُطَّاع طرق، ولهم قوة وبأس. [...] قوم غلاظ شداد"؛ والعجيب أن د. محمد بكر إسماعيل – وهو مِن كبار علماء الأزهر – قد سَمَّى أبا بصير وعصابته "فدائيين"، فقال: "وقد قارب هؤلاء الفدائيين على الثلاثمائة وَهُمْ في زيادة مستمرة"؛ كما قال إن أبا جندل انضم إلى أبي بصير "وتعاون معه على تأدية ما افترض اللهُ عليه من إحقاق الحق وإبطال الباطل بالقوة؛ إذْ لم يُجدِ السلم"[1003]!

هل يمكن أن تَجد مرجعاً دينياً يعتبر قُطَّاع الطرق فدائيين إلا إذا كان مرجعاً إسلامياً؟! إن تمجيد قُطَّاع الطرق في الكتب والمراجع الإسلامية هو أحد الأسباب التي جعلت الحوثيين يقطعون طريقَ السفن التجارية في منطقة مضيق باب المندب في 2023 – 2025.

هل يمكن أن تَجد مرجعاً دينياً يعتبر قَطْع الطريق والقتل والنهب فريضة إلهية إلا إذا كان كاتِبه يؤمن بمحمد وقرآنه؟!

كالعادة: عنف + بروباجاندا. سلاح + ميكروفون. ذراع + لسان.

فلَمَّا صار أبو بصير وعصابته خطراً يهدد الأمن القومي القرشي، أرسلت قريش إلى محمد تناشده أن يرسل إليهم ويُؤويَهم وأن مَن آتاه مهاجراً مِن المسلمين فهو آمِنٌ ولا يرد. وهكذا كانت أعمال الصعلكة هي وسيلة خلاص المسلمين من هذا الشرط الثقيل الذي كان يجبرهم على أن يُسلِّموا إلى قريش إخوانَهم المهاجرين.

فكَتَبَ محمدٌ إلي أبي بصير ورفاقه كتاباً يدعوهم فيه ليأتوا إلى المدينة. إلا أن أبا بصير كان يحتضر، فمات وكتابُ محمد في يده، فَدَفنه أبو جَنْدَل وصلَّى عليه. ثم ذهب أبو جَنْدَل ورفاقه إلى المدينة.

وإذا كان الصحابي أبو بصير قد تصعلك بعد إسلامه، فإن الصحابي "المغيرة بن شعبة" كان يفعل أفعال الصعلكة قبل إسلامه ...

1.4.2.6.2 المُغِيرَة بن شُعْبَة: قَتَلَ 13 رجلاً ونهب أموالهم، ثم أسلم، فصار بودي جارد لمحمد!

إنه "المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ"[(1004)] الثقفيّ. كان ضخمَ القامة وذا هَيْبَةٍ ومِن دُهَاةِ العرب المعدودين. فلقد قيل عن مكره ودهائه: لو أن مدينةً لها ثمانيةُ أبوابٍ لا يُخْرَجُ مِن بابٍ منها إلا بالمكرِ لخرجَ المغيرةُ مِن أبوابها كلِّها! وقيل عنه أيضاً: كان لا يَقَعُ في أمرٍ إلا وجد له مخرجاً!

قُبيل إسلامه، خرج المغيرةُ مع ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف في رحلةٍ إلى مِصْرَ، فغدر المغيرةُ بهم وقتلهم جميعاً وأخذ كل أموالهم! فتهايج رَهْطُ المقتولين ورَهْط المغيرة. فتدخل "عروةُ بن مسعود" الثقفيّ عم المغيرة، ودفع دية ثلاثة عشر نفساً، فأصلح الأمرَ وأنقذ المغيرةَ من تلك الورطة[(1005)].

ثم لحق المغيرةُ بالمدينة، فأسلم قبل صلح الحديبية، وكان وقتئذٍ شاباً عمره حوالي 26 سنة، وشَهِدَ مفاوضات هذا الصلح بين محمد وقريش، وهو يضع على رأسه مِغْفَراً (أي: ما يوضع على الرأس تحت الخوذة من زرد منسوج) ليستخفي من عمه عروة الذي أرسلته قريشٌ ليفاوض محمداً. ولقد روى لنا البخاريُّ الحوارَ الذي دار بين عروة وأصحاب محمد. وهو حوار مهم يوضح المستوى الأخلاقي لصحابة محمد.

يقول صحيح البخاري: "فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذلِكَ [لمحمد]: "أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ العَرَبِ اجْتَاحَ (أي: أهلك واستأصل) أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُن الأُخْرَى (أي: وَإِنْ تَكُنْ الغلبة لقريش)، فَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى وُجُوهاً، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَاباً مِنَ النَّاسِ (أي: أخلاطاً؛ يقصد أن الصحابة ليسوا من قبيلة واحدة) خَلِيقاً أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ (أي: يتركوك)". فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: "امْصصْ بِبَظْرِ اللاتِ (كلمة بذيئة مبالغة في السب والشتيمة. قال ابنُ حجر: وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة مَن كان يعبد مقام أمه!)، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟" فَقَالَ [عُرْوَةُ]: "مَنْ ذَا؟" قالوا: "أَبُو بَكْرٍ". قَالَ [عُرْوَةُ]: "أَمَا والذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا يَدٌ كانَتْ لَكَ عِنْدِي (أي: لَوْلَا نعمةٌ لَكَ عَلَيَّ) لَمْ أَجْزك بِهَا (أي: لم أكافئك عليها) لَأَجَبْتُكَ (يقصد أنه جازاه بعدم الرد على الشتيمة)". قالَ: وَجَعَلَ [عُرْوَةُ] يُكَلِّمُ النَّبيَّ ﷺ،

فَكُلَّما تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، والمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قائِمٌ على رَأْسِ النَّبيِّ ﷺ (أي: يحرس محمداً)، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ المِغْفَرُ، فَكُلَّما أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إلى لِحْيَةِ النَّبيِّ ﷺ ضَرَبَ [المُغِيرَةُ] يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ (أي: ضَرَبَ المُغِيرَةُ يَدَ عمه بِنَعْلِ السَّيْفِ!)، وَقالَ لَهُ: "أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ الله ﷺ". فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فقال: "مَنْ هذا؟" قالوا: "المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ". فقال [عُرْوَةُ للمغيرة ابن أخيه]: "أَيْ غُدَرُ (صيغة مبالغة من الغدر)، أَلَسْتُ أَسْعى في غَدْرَتِكَ؟ (أي: أَلَسْتُ أنا الذي أنقذكَ من ورطتك حين قتلتَ 13 رجلاً غدراً ونهبتَ أموالهم؟)". وفي سيرة ابن هشام أن عروة قال للمغيرة: "أَيْ غُدَرُ، وهل غَسَلْتُ سَوْأَتَكَ إلا بالأمس". وتقول روايات أخرى إن عروة قال للمغيرة: "يا غُدَر، إني لم أغسل رأسي مِن غدرك بعد".

ثم يقول صحيح البخاري: "وَكانَ المُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْماً في الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوالَهُمْ، ثُمَّ جاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: "أَمَّا الإِسْلامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ في شَيْءٍ". ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قال: "فوالله ما تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً (أي: أخرجَ ما يخرج من الصدر إلى الفم!) إلا وَقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ""[1006]!

ونلاحظ في هذا الحديث المهم الذي رواه البخاري (أصح كتب السنة) الملاحظات التالية:

- الصحابي أبو بكر شتم عروةَ شتيمة بذئية مِن البذاءات العربية التي لا تزال تُقال إلى الآن في كلام الشوارع والطبقات الاجتماعية السفلى. ولم يرد عروةُ عليه.
- الصحابي المغيرة بن شعبة ضَرَبَ يَدَ عمه عروة بِنَعْلِ السَّيْفِ! مع أن تلك اليد هي التي أنقذت رقبة المغيرة بعد أن قَتَلَ 13 رجلاً غدراً وسرق أموالهم!
- محمد لم يعاقب المغيرةَ على جريمة القتل والسرقة التي ارتكبها قُبيل إسلامه! واكتفى فقط بأن رفض أن يأخذ خُمسَ الأموال التي نهبها المغيرةُ! قال محمدٌ للمغيرة: "إِنَّ الإسلامَ يَجُبُّ ما كانَ قَبْلَهُ"! يعني: اقتل واسرق وانهب واغدر ثم انضم إلى المسلمين فتسقط كل جرائمك! وهكذا وجد بعضُ الصعاليك في المجتمع الإسلامي الملاذَ الآمن الذي كانوا يبحثون عنه أيام الصعلكة.
- تحول هذا اللص القاتل بعد إسلامه إلى "بودي جارد" لمحمد. قال الأصبهاني في معرفة الصحابة: "كان [المغيرةُ بن شعبة] يلزم النبي ﷺ في مقامه وأسفاره يحمل وضوءه معه"!
- الصحابة كانوا يأخذون "نُخَامَةَ" محمد في أيديهم ويدلكون بها وجوههم وأجسادهم!

هل هذه الأمة هي "خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" كما يزعم القرآنُ (آل عمران 110)؟! مستحيل. هل هذا الدين هو "دين الحق" الذي ارتضاه اللهُ للبشرية كما يتوهم المسلمون؟! مستحيل.

وبعد فشل المفاوضات بين عروة ومحمد، أرسل محمدٌ "عثمان بن عفان" إلى قريش ليخبرهم أن المسلمين يريدون دخول مكة للعمرة فقط وليس للغزو. فاحتبست قريشٌ عثمانَ عندها. فأُشيعَ بين المسلمين أن عثمان قد قُتِلَ! فقال محمدٌ لأصحابه: "لا نَبْرح حتى نناجز القوم (أي: نقاتِل قريشاً)"، ودعا إلى البيعة تحت شجرة سَمُرَة بالحديبية بالقرب من مكة، فبايعه بعضُ الصحابة على الموت، وبعضُهم على أن لا يفروا. فكانت

"بيعة الرضوان" التي قال عنها القرآنُ: "لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ (أي: يعاهدونك) تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا. وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" (الفتح 18-19). وكالعادة، اختلف المفسرون في المراد مِن "أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا"[(1007)]. قيل إنه صلح الحديبية (ذو القعدة 6هـ) الذي تم بعد أن اكتشف المسلمون أن مقتل عثمان مجرد إشاعة. وقيل إنه فتح مكة (رمضان 8هـ) حين غزا المسلمون مكة فعلاً. وقيل إن المقصود هو أن الله عوَّض المسلمين عمَّا فاتهم بصلح الحديبية "فَتْحًا قَرِيبًا" هو فتح خيبر (المحرم 7هـ) "وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا" مِن أموال يهود خيبر!

وكان المغيرةُ بن شعبة مِن ضمن المبايعين تحت الشجرة. يعني: لص قاتِل قَتَلَ 13 رجلاً غدراً وسرق أموالهم قُبيل إسلامه، يتحول فجأة بعد إسلامه إلى مؤمنٍ "رَضِيَ اللَّهُ عَنه" (الفتح 18)!

بعد ذلك، شَهِدَ المغيرةُ معركةَ اليمامة وغزوَ الشام والعراق وفارس. ويقول التراث الإسلامي إن المغيرة هو الذي قال للفرس: عليكم أن تختاروا، الإسلامَ أو الجزيةَ أو القتالَ. وهو نفس الشعار الذي يرفعه المسلمون الإرهابيون اليوم.

وفيما يتعلق بحياته الشخصية، كان المغيرةُ مزواجاً مطلاقاً؛ فقيل إنه أحصن في الإسلام 300 امرأة، وقيل: 1000 امرأة! ولعلهم يقصدون: عدداً كبيراً من النساء. وعلى الرغم من تعدد زوجاته، أُتهم بالزنا! لكن عمرَ لم يقم عليه حد الزنا! لأن الذين شهدوا عليه بالزنا كانوا ثلاثة فقط، أما الشاهد الرابع فلم يقل في شهادته أنه رأى ذَكر المغيرة في فرج المرأة "كالمرود في المكحلة أو كالرشاء في البئر"، وإنما قال في شهادته "رأيت أمراً قبيحاً" أو "رأيت استاً (أي: مقعدة، مؤخرة) تنبو (أي: ترتفع)، ونفساً يعلو، ورأيت رجليها فوق عنقه كأنهما أذنا حمار، ولا أدري ما وراء ذلك"[(1008)]! ففرح عُمرُ ولم يقم حد الزنا على المغيرة! ومِن حُسن حظ المغيرة أن الإسلام قد وضع شروطاً صعبة جداً – وتكاد تكون مستحيلة – لإثبات جريمة الزنا.

يعني: حياة المغيرة بعد إسلامه كانت كلها قتل ونكاح! وهما الفكرتان الأساسيتان في القرآن المدني.

ويُقال إن المغيرة هو أول مَن رَشَى (أي: أعطى رشوة) في الإسلام: أَعطى يَرْفَأَ حاجب عمر شيئاً حتى أدخله إلى دار عمر! واعترف بذلك!

ظل المغيرةُ مقرباً من الخلفاء ويتولى مناصب عليا في الدولة الإسلامية. استعمله عمرُ على البحرين، فكرهه أهلُ البحرين وشَكَوا منه، فعزَله عمرُ. وقال ابنُ الأثير في أسد الغابة: "ولَّاه عمرُ بْن الخطاب البصرة، ولم يزل عليها حَتَّى شهد عَلَيْهِ بالزنا، فعزله. ثُمَّ ولَّاه الكوفة، فلم يزل عَلَيْها حَتَّى قُتِل عمر، فأقره عثمان عليها، ثُمَّ عزله". ولمَّا قُتِلَ عثمانُ، اعتزل المغيرةُ الفتنةَ، ثم بايع معاويةَ بعد أن اجتمع الناسُ عليه. ويبدو أن المغيرة أراد أن يعود إلى منصبه المرموق في الكوفة، فاستخدم دهاءه ومكره حتى يصل إلى هدفه، فنصح معاويةَ أن يعزل واليها "عبد الله بن عمرو بن العاص" وقال له: "أتجعل عَمراً على مصر، وابنَه على الكوفة،

فتكون أنتَ في الشام بين فكيّ أسد؟!". فاستمع معاويةُ إلى نصيحته وعزل عبدَ الله عن الكوفة واستعمل عليها المغيرة. فاستمَرَّ المغيرةُ على إمرةِ الكوفة حتى مات بها سنة 50هـ. وقيل: 49هـ. وقيل: 51هـ. وفي جميع الأحوال، فإن المغيرة بن شعبة كان لا يزال حياً أثناء جَمْع القرآن في عهدي أبي بكر وعثمان.

ولولا إسلامه ودهائه، لمَا استطاع هذا العربي - القاتِل اللص المتهم بالزنا المعترف بالرشوة - أن يتبوأ كل هذه المناصب العليا.

وإذا كان الصحابي أبو بصير قد تصعلك بعد إسلامه، والصحابي المغيرة بن شعبة قد تصعلك قبل إسلامه، فإن الصحابي "أبو ذَر الغِفَاري" قد تصعلك قبل إسلامه وبعد إسلامه ...

1.4.2.6.3 أبو ذَر الغِفَاري: يا محمد إني منصرفٌ إلى أهلي وناظرٌ متى يُؤمَرُ بالقتال فألحَقُ بك!

كان الصحابيّ "أبو ذَر"[1009] الغِفَاري أسوداً طويلاً ضخماً جسيماً كَثَّ الشعر واللحية. اختلفوا في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه "جُنْدُب (أو: جُنْدَب) بن جُنَادَة" الغِفَاري، فهو مِن قبيلة غِفَار التي كانت تنزل عند وادي "وَدَّان" على طريق القوافل التجارية بين مكة والشام، ومن مياههم: بدر. قال عنهم د. محمد بكر إسماعيل (مِن كبار علماء الأزهر): "هُمْ قُطَّاع طرق، ولهم قوة وبأس. [...] قوم غلاظ شداد"[1010]! وقال الكاتب الإسلامي المصري المعروف خالد محمد خالد: "غِفَار هذه قبيلة لا يدرك لها شأو في قطع الطريق! وأهلها مضرب الأمثال في السطو غير المشروع .. إنهم حلفاء الليل والظلام .. والويل لمن يسلمه الليل إلى واحدٍ من قبيلة غِفَار. [...] [إنهم] عمالقة السطو وحلفاء الشيطان"[1011]!

وأبو ذر الغفاري نفسه اعترف بأنه كان "مِن قبيلةٍ يسرقون الحاجَّ بمحاجِنَ لهم"[1012]. بل كان أبو ذر الغفاري نفسه قاطعَ طريق! قال ابن سعد والذهبي وغيرهما: "كان أبو ذر رجلاً يُصيب (أي: يُصيب الطريق)، وكان شجاعاً، ينفردُ وحده يقطعُ الطريق، ويُغير على الصِّرْم (أي: الجماعة ينزلون بإبلهم ناحيةً على ماء) في عَمَاية الصبح (أي: في نهاية الليل قبيل الصبح) على ظهر فرسه أو قدميه، كأنه السبعُ، فيطرق الحيَّ، ويأخذ ما أخذ"[1013].

ومع ذلك، يُروَى أن أبا ذر الغفاري كان يقول في الجاهلية "لا إله إلا الله"، ولا يعبد الأصنام، وكان يصلي لله ويتوجه في صلاته "حيثُ يُوَجّهه اللهُ"، وكان يقوم الليل. أي أنه كان "مسلماً" حتى مِن قَبل إدعاء محمد النبوة بثلاث سنين أو سنتين. ويُقال إن الآية "وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ (أي: كل ما عُبِدَ مِن دون الله) أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ" (الزمر 17) "نزلَت في ثلاثةِ نَفرٍ كانُوا في الجاهلية (أي: قبل الإسلام) يقولون: لا إله إلا الله؛ زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي"[1014].

فلمَّا سمع أبو ذر أن رجلاً في مكة يدعو إلى نفس الأفكار التي يؤمن بها، ذهب إلى مكة ليقابله. فقابله فأسلم، فكان إسلامه مبكراً جداً. ونجد قصة إسلام أبي ذر في أحاديث طويلة في صحيحي البخاري ومسلم[1015]. وهي أحاديث طويلة ومملة ويغلب عليها الطابع العاطفي غير العقلاني، وهي أيضاً أحاديث متناقضة، أو كما قال ابنُ حجر: "قصة إسلامِه في الصحيحين على صِفَتَيْن بينَهما اختلافٌ ظاهرٌ"! فنجد حديثاً في مسلم يقول إن عليّ بن أبي طالب ساعد أبا ذر وأرشده حتى وصل إلى محمد (مع أن عَلِيّاً كان وقتئذٍ غلاماً!)، وحديثاً آخر في مسلم أيضاً يقول إن أبا ذر قابل محمداً وأبا بكر صدفة عند الكعبة! ولا تسألهم كيف يكون الحديثان صحيحين وَهُمَا متناقضان؟! لا تسألهم هذا السؤال لأنهم بالتأكيد سيقولون لك "الله أعلم"!

وبغض النظر عن التناقضات في هذه الأحاديث الطويلة المملة، فإننا نعرف منها أن غِفَار – قوم أبي ذر – كانوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الحرَامَ (أي: لهم حروب وغارات حتى في الشهر الحرام)! فلمَّا بلغهم أن رجلاً قد خرج بمكة يَزْعُمُ أنَّه نَبِيٌّ ويَزْعُمُ أنَّه يأتيه وَحْيٌ من السماء، ذهب أبو ذر إلى مكة ليقابله. ولمَّا عرف أهلُ مكة أن أبا ذر يبحث عن محمد، اعتدى بعضُهم على أبي ذر حتى سقط مغشياً عليه. ثم قام أبو ذر وذهب إلى زَمْزَمَ ليغسل عنه الدماء ويشرب الماء.

وعند الكعبة، وجد أبو ذر امرأتين مشركتين تطوفان وحدهما ليس معهما رجل وتَدْعُوَان إسَافاً ونَائِلَةَ (هما صنمان: إساف ذكر ونائلة أنثى)، فقال أبو ذر لهما ساخراً مستهزئاً بآلهتهما: "أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الأُخْرَى" (أي: اجعلا إسافاً ينكح نائلة)! فتجاهلت المرأتان ما قاله أبو ذر، ولم تردا عليه. فقال أبو ذر قولاً قبيحاً بذيئاً، قال: "هَنٌ مِثْلُ الخشبة"، وقد أراد بذلك سب إساف ونائلة وغيظ الكفار، لأن الهن هو كناية عن كل شيء (أو كما يُقال اليوم: البتاع) وأكثر ما يستعمل كناية عن الأعضاء التناسلية (الفرج والذكر) فقال لهما ومثل الخشبة في الفرج! فانطلقت المرأتان تُوَلْوِلَان، ولم يكن معهما رجلٌ ينصرهما.

[<u>تعليقنا:</u> هذه لقطات من حياة الصحابة. أبو ذر يقول: "هَنٌ مِثْلُ الخشبة"! وأبو بكر يقول: "امْصصْ بِبَظْرِ اللاتِ"! وحمزة بن عبد المطلب (عم محمد) يشتم بالأم ويقول: "يَا ابْنَ مُقَطِّعَةِ الْبُظُور"! وأُبَيّ بْنِ كَعْب يشتم بالأب ويقول: "اعْضَضْ بِهَنِ أبيك" باللفظ الصريح لا يكني! وعبد الله بن مسعود يشتم رجلاً في المسجد! ومحمد نفسه قال للصحابي ماعز بن مالك حين اعترف بالزنا: "أَنِكْتَهَا؟" باللفظ الصريح لا يكني[1016]! هؤلاء هُمْ العرب الذين أنتجوا القرآنَ ونقلوا السُّنَّةَ! هؤلاء هُمْ العرب الذين أسسوا الإسلامَ (قرآن + سنة)! فلماذا نندهش مِن انتشار تلك الألفاظ البذيئة في الشوارع والميادين في الدول الإسلامية؟ ولماذا نتعجب مِن كثرة تلك الألفاظ القبيحة على المواقع الإلكترونية التي يزورها عرب مسلمون؟ هذه هي الثقافة العربية-الإسلامية التي أنتجت الإرهاب الإسلامي، سواء الإرهاب اللفظي أو الإرهاب الجسدي.]

نعود إلى أبي ذر الغفاري. ولمَّا رأى أبو ذر محمداً (إما قابله صدفة عند الكعبة أو وصل إليه بمساعدة الغلام عليّ بن أبي طالب)، قال أبو ذر لمحمد "السلام عليك يا رسول الله" فكان أبو ذر هو أَوَّلَ مَنْ حَيَّا محمداً بتحية الإسلام. بعبارة أخرى: تحية الإسلام "السلام عليكم" كانت من إبداع أبي ذر الغفاري، ثم شَاعَتْ وَعَمَّتْ

بعد ذلك. ثم سأله محمدٌ: "مَنْ أَنْتَ؟" فقال أبو ذر: "مِن غِفَار". فَأَهْوَى محمدٌ بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ. فقال أبو ذر في نفسه: "كَرِهَ أن انْتَمَيْتُ إلى غِفَار". [تعليقنا: ولعل محمد كان يخشى أن تعايره قريشٌ إذا أسلمت غِفَار (قُطَّاع الطرق). أو لعله كان يفكر كيف يمكن أن يستفيد مِن دخول غِفَار في الإسلام. أو لعل مشاعر محمد كانت مزيجاً من الرغبة في إسلام غِفَار والخوف مِن معايرة قريش له.]

وقال أبو ذر لمحمد: "اعْرِضْ عَلَيَّ الإسلامَ". فعرض محمدٌ عليه الإسلامَ، فأسلم أبو ذر مكانه (أي: بسرعة وبدون نقاش أو جدال أو مهلة للتفكير)! فقال محمدٌ لأبي ذر – حسب ما جاء في إحدى روايات البخاري: "يا أبا ذَرٍّ، اكْتُمْ هذا الأَمْرَ (أي: لا تعلن إسلامَك هنا في مكة، حفاظاً على حياتك)، وَارْجِعْ إلى بَلَدِكَ (أي: اعلِنْ إسلامَك في غِفَار)، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا (أي: غلبتنا وانتصارنا على المشركين) فَأَقْبِلْ". وتقول إحدى روايات مسلم إن محمد قال لأبي ذر: "إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ، لا أُرَاهَا (أي: لا أَحْسِبُها) إلا يَثْرِبَ. فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فيهم". وفي رواية ثالثة في البخاري ومسلم أن محمد قال لأبي ذر: "ارْجِعْ إلى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حتى يَأْتِيَكَ أَمْرِي". "أي: حتى يظهر الإسلامُ وينتشر وتأمن على نفسك من أذى المشركين، وربما يدخل قومُه (أي: غِفَار) أو فريقٌ منهم في الإسلام؛ فيعز الإسلام بهم وبأمثالهم ممن استجابوا لله ورسوله"[1017]. ونلاحظ هنا أن محمد كان حريصاً حرصاً شديداً على انضمام غِفَار (قُطَّاع الطرق) إلى الإسلام!

لكن أبا ذر أعلن إسلامَه في مكة وقال بصوتٍ عالٍ "أَشْهَدُ أَن لا إلهَ إلا الله وأَشْهَدُ أَن محمداً رسول الله"؛ وقيل إن هذه الصيحة هي أول صيحة بالإسلام، والفضل يرجع لأبي ذر الغفاري غير القرشي. فهجم مشركو قريش على أبي ذر وضربوه وكادوا يقتلونه، فلم ينقذه منهم إلا العَبَّاسُ (عم محمد) مع أنه كان وقتئذٍ مشركاً. قال العَبَّاسُ لمشركي قريش: "أَتَقْتُلُونَ رجلاً مِن غِفَار، وطريق تُجَّارِكُمْ إلى الشام عليهم؟"، أي: هل تريدون أن تقطع غِفَار طريقَ قوافلكم التجارية الذاهبة إلى الشام والراجعة منها؟ فأَقْلَعُوا عنه.

ثم رحل أبو ذر إلى غِفَار يدعوهم إلى الإسلام، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ! ووعده النصف الآخر أن يدخلوا في الإسلام إذا هاجر محمدٌ إلى يثرب (المدينة). فلَمَّا هاجر محمدٌ إلى المدينة، أَسْلَمَ النصف الآخر! وهكذا أسلمت قبيلة غِفَار كلها، رجالاً ونساءً، شيوخاً وشباباً وأطفالاً! وبعد إسلام قبيلة غِفَار، أسلمت قبيلةُ أَسْلَم وهي أيضاً قبيلة عربية سيئة السمعة ومعروفة بأعمال الصعلكة.

ونحن نستنتج من مجموع الأحاديث والروايات السابقة أن محمد كانت لديه نية – بل: خطة – بالهجرة إلى يثرب (المدينة) والاستقواء بالقبائل العربية الأخرى مثل الأوس والخزرج وغِفَار وغيرهم ضد قبيلته قريش، وأن هذا المخطط بدأ في الفترة المكية (التي يزعمون أنها فترة "سلمية")، بل بدأ مبكراً جداً لأن أبا ذر كان من السابقين الأولين إلى الإسلام (قيل إنه المسلم رقم 4 أو رقم 5 أو رقم 6). ثم دخل هذا المخطط حيز التنفيذ في الفترة المدنية: فترة القتال وسفك الدماء. ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن أبا ذر الغفاري هو الذي اقترح على محمد هذه الخطة، إذ تقول إحدى الروايات إن أبا ذر الغفاري هو الذي قال لمحمد في مكة:

"إني منصرفٌ إلى أهلي (أي: إلى غِفَار) وناظرٌ متى يُؤمَرُ بالقتال فألحَقُ بك، فإني أرى قومَك عليك جميعاً"، فقال محمدٌ له: "أصبتَ فانصرف"[1018].

ويجب علينا هنا أن نقارن بين موقف قبيلة غِفَار وموقف قبيلة قريش من الإسلام:

- قبيلة غِفَار (قُطَّاع الطرق) دخلوا في الإسلام جميعاً بسرعة وبدون فحص أو تمحيص أو جدال أو حتى نقاش!
  - وهذا يشبه موقف قبيلتي الأوس والخزرج من الإسلام. راجع ما قلناه عن "مصعب بن عمير" الذي كان دوره في يثرب يشبه دور أبي ذر في غِفَار: ظاهره هو الدعوة إلى دين الإسلام، وحقيقته هي التعبئة العسكرية استعداداً لمرحلة القتال (الفترة المدنية).
- قبيلة قريش، قبيلة المثقفين (مثل: النضر بن الحارث وغيره) والحكماء (مثل: أبو الحكم عمرو بن هشام وغيره)، رفضوا الإسلامَ وقالوا لمحمد بكل صراحة ووضوح إن قرآنه كلام بشر و "أساطير الأولين". ثم أثبتت الأبحاثُ الحديثة أن هؤلاء المفكرين القرشيين كانوا على حق في هاتين النقطتين: القرآن بالفعل كلام بشر وهو تطور بشري طبيعي لأساطير الأولين.
  - وهذا يشبه موقف قبيلة ثقيف (قبيلة الشاعر الكبير أُمَيَّة بْنِ أَبِي الصَّلْتِ) التي لم تسلم إلا متأخراً جداً (9هـ، بعد فتح مكة). "وَقَالُوا (أي: قال المشركون) لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (أي: رجل عظيم مِن قريش أهل مكة أو مِن ثقيف أهل الطائف)" (الزخرف 31).
  - وكذلك موقف أهل الكتاب بصفة عامة، ويهود المدينة بصفة خاصة، من الإسلام.

فماذا فعل أبو ذر بعد أن أسلم وترك مكة وعاد إلى غِفَار؟

هل أنشأ مدرسة لتعليم الأطفال القراءة والكتابة والحساب؟ ... لا.

هل أسس مستشفى لعلاج الناس من الأمراض؟ ... لا.

فماذا فعل إذن بعد أن أسلم؟

"كان [أبو ذر] يكون بأسفل ثنيَّة غَزال (هي: موقع على طريق القوافل التجارية بين مكة والمدينة) فكان يعترض لِعِيرَات قريش فيقتطعها فيقول: لا أردّ إليكم منها شيئاً حتى تشهدوا ألّا إلهَ إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فإنْ فعلوا ردّ عليهم ما أخذ منهم، وإنْ أبوا لم يَرُدّ عليهم شيئاً"[1019]! يعني: قاطع طريق قبل إسلامه، وقاطع طريق بعد إسلامه! يعني: الإسلام لم يُغيِّر في حياته شيئاً[1020]! فقط أعطاه الإسلامُ غطاءً شرعياً (ethical cover) لأعمالِ السلب والنهب التي يقوم بها. [وهذا ما يحدث إلى الآن: الإسلامُ يعطي

المسلمين المخلِصين غطاءً شرعياً لأعمال العنف والإرهاب التي يقومون بها ضد مَن لا يعجبهم: يهود، مسيحيين، مسلمين مستنيرين، مشركين، ملحدين، لادينيين، مرتدين، مثليين، متحولين جنسياً ... الخ.]

وظل أبو ذر على ذلك حتى هاجر محمدٌ من مكة إلى المدينة.

وبعد هجرة محمد من مكة إلى المدينة، هاجر أبو ذر الغفاري إلى المدينة ولازم محمداً ليخدمه ويجاهد معه. قيل: فاتته بَدْرٌ؛ وقيل: فاتته بَدْرٌ وأُحُدٌ؛ وقيل: فاتته بَدْرٌ وأُحُدٌ والخندقُ. ويُروَى أن محمداً قال: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ"، وأبو ذر واحدٌ منهم[1021]. ويُروَى أيضاً أن محمداً قال: "لَمْ يَكُنْ قَبْلِي نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ سَبْعَةَ رُفَقَاءَ نُجَبَاءَ وُزَرَاءَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ [رفيقاً نجيباً وزيراً]"، وأبو ذر واحدٌ منهم[1022]. كما يُروَى أن محمداً قال: "ما أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ (أي: ما أَظَلَّت السماءُ) ولا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ (أي: ولا حملت الأرضُ) [مِن رَجُلٍ] أَصْدَقَ [لَهْجَةً] مِنْ أَبِي ذَرٍّ"[1023]. وبغض النظر عن مدى صحة هذه الروايات، فإنها تدل على أن رواة الأحاديث والكُتاب المسلمين قديماً وحديثاً قد لاحظوا العلاقةَ القوية التي ربطت بين محمد القرشي وأبي ذر الغفاري، وإعجاب محمد بصاحبه وخادمه أبي ذر.

وظل أبو ذر ملازماً ومصاحباً وخادماً لمحمد حتى مات محمدٌ.

وبعد وفاة محمد، كانت علاقة أبي ذر بأبي بكر وعمر أيضاً طيبة. وقد شَهِدَ أبو ذر غزوَ بيت المقدس مع عمر. وظل أبو ذر مقيماً في الشام حتى خلافة عثمان.

لكن في خلافة عثمان بن عفان الأموي القرشي، اعترض أبو ذر الغفاري على احتكار السلطة والثروة في أيدي مجموعة صغيرة مِن القرشيين الذين عينهم عثمان ولاة، وبخاصة معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي والي الشام. فكان أبو ذر يدافع عن مصالح الفقراء والمحتاجين ضد هؤلاء الولاة والأمراء الذين يكنزون الذهب والفضة ويعيشون في القصور. وكان أبو ذر يستدل بقول القرآن: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ (أي: بغير حق كالرّشوة وغيرها) وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (التوبة 34). ولَمَّا قال له معاوية إن هذه الآية نزلت في أهل الكتاب فقط، قال له أبو ذر: بل نَزَلَتْ فيهم وفينا.

ويبدو لنا أن أبا ذر أراد أن يعيش في أواخر أيامه حياةً تشبه حياة عروة الصعاليك الذي كان يقف مع الفقراء ضد الأغنياء. ويُقال إن أبا ذر كان يكتفي بثوبٍ واحدٍ أو ثوبين فقط ويعطي ثيابه الأخرى للمساكين؛ وكأنه ينفذ فلسفة عروة الصعاليك حين قال: "أُفرّق جِسْمي في جسومٍ كثيرةٍ وأَحْسُو قَراحَ الماءِ، والماءُ باردُ".

ويُقال إن أبا ذر وقف يسائل معاوية عن تضخم ثروته بعد أن أصبح حاكماً للشام، وعن قصوره الفخمة التي يسكنها في الشام بعد أن كان يسكن بيتاً عادياً في مكة؛ وَوَجّه نفس الأسئلة إلى الصحابة الآخرين الذين صحبوا معاوية إلى الشام فصار لبعضهم قصور وأموال وضياع. فلقد كان أبو ذر جريئاً يعيب على الولاة والحكام أن يأخذوا من أموال المسلمين فوق حاجتهم الضرورية، وأحياناً كان يجهر برأيه في الناس ولا يخاف

لومةَ لائمٍ، فخشي الولاة من دعوته هذه، فشكوه لعثمان، "فما عاب [عثمانُ] عليه، ولكنه أوصاه (أي: أوصى عثمانُ أبا ذر) أن يبتعد عن المدينة ويسكن في الرَّبَذَة (هي: قرية صغيرة تقع شرقي المدينة) ويقطع صلته بما في الدنيا مِن متاع إن أراد، فسمع [أبو ذر] وأطاع"[1024]. وتقول رواية أخرى إن عثمان بعث إلى أبي ذر ليأتي من الشام إلى المدينة، فلمَّا قدم أبو ذر المدينة، طلب من عثمان أن يأذن له بالخروج إلى الرَّبَذَة، فأَذِنَ عثمانُ له، فخرج أبو ذر إليها.

باختصار: ساءت العلاقة بين معاوية وأبي ذر، ثم ساءت العلاقة بين عثمان وأبي ذر، حتى اضطر أبو ذر في النهاية إلى أن يترك الشام ويترك المدينة وينتقل إلى الرَّبَذَة.

ومع ذلك، رفض أبو ذر أن يثور ضد عثمان، حتى يحافظ على وحدة الأمة الإسلامية ويلتزم بوصية محمد "اسمَعْ وأَطِعْ لِمَن كانَ عليكَ، ولَو لِعَبدٍ حَبَشيٍّ" وحتى لا تحدث فتنة لا تحمد عواقبها ولا ينطفئ لهيبها. ولَمَّا اقترح عليه نفرٌ من أهل العراق أن يقود ثورةً مسلحةً ضد عثمان، رفض أبو ذر هذا الاقتراح رفضاً قاطعاً، وقال لهم: "يا أهل الإسلام، لا تَعْرِضوا عَلَيَّ ذلك، ولا تُذلُّوا السلطان، فإنه مَنْ أذلَّ السلطانَ فلا توبةَ له. والله لو أنّ عثمان صلبني على أطول خشبةٍ أو أطول جبل، لَسمعتُ وأطعتُ وصبرتُ واحتسبتُ"!

فظل أبو ذر وحيداً فقيراً منفياً في الرَّبَذَة حتى ترك الدنيا كلها سنة 32هـ؛ وقيل: 31هـ. فمات قاطعُ الطريق فقيراً وحيداً على قارعة الطريق! ويُروَى أن امرأته جلست إلى جواره تبكي لأنه مات فقيراً لم يترك ثَوباً يَسَعُه كفناً ولأنها وحيدة لا تجد رجلاً يساعدها على دفنه. ويُقال إن عبدَ الله بن مسعود مَرَّ عليهم وهو الذي صلَّى عليه ودفنه وبكى عليه بكاءً طويلاً، ثم مات بعدَه بقليلٍ (قيل: 10 أيام). ومِن المعلوم أن ابنَ مسعود كان أيضاً على خلاف مع عثمان. وقيل إن أبا ذر كان يوازي ابنَ مسعود في العلم؛ ويُروَى أن عليَّ بن أبي طالب قال: "أبو ذر وعاءٌ مُلِئَ علماً ثم أُوكِئَ عليه (أي: أُغلِقَ عليه؛ والمقصود: لم يخرج)". وعلى الرغم من سعة علم أبي ذر وابن مسعود، استبعدهما عثمانُ!

وهكذا مات أبو ذر وابنُ مسعود بينما ظل عثمانُ خليفةَ المسلمين حتى قُتِلَ بأيدي المسلمين سنة 35هـ. فكانت قرارات عثمان الخاطئة في شئون الدنيا والدين ثم مقتله وطمع الأمويين في الخلافة سبباً في اشتعال نار الفتنة الإسلامية-الإسلامية التي تجنبها أبو ذر وابنُ مسعود.

1.4.2.6.4 سَارِيَة بن زُنَيْم: كان خليعاً في الجاهليةِ، أي: لصاً كثيرَ الغارةِ!

إنه "سَارِيَة بن زُنَيْم"[1025] الكِنانيّ الدُّئِليّ. كان خليعاً في الجاهلية، أي: لصاً كثيرَ الغارةِ. كان مِن أشد الناس حُضْراً (أي: عَدْواً)، وقيل إنه كان يَسْبِقُ الفَرَسَ عَدْواً على رِجْلَيْه، أي: كان من الصعاليك الخلعاء العدَّائين الذين اشتهروا بسرعة العَدْو (أي: سرعة الجري).

ثم أسلم ساريةُ متأخراً (قيل: قبل فتح مكة)، وحَسُنَ إسلامُه، فاشترك في الجهاد الإسلامي.

في خلافة عُمَر سنة 23هـ، أمَّرَه عُمَرُ على جيشٍ وسيَّره إلى فارس، وتكللت هذه المهمة العسكرية بالانتصار على الفرس. وهذا دليل على أن بعض الصعاليك العرب قد وصلوا إلى مناصب قيادية في الجيوش الإسلامية، ولعبوا دوراً مهماً في الغزوات (الفتوحات) العربية/الإسلامية الإمبريالية التوسعية.

1.4.2.6.5 كُرْز بن جَابِر الفِهْرِيّ: لص قبل إسلامه وشرطي بعد إسلامه!

كان "كُرْز بن جَابِر"[1026] القرشيّ الفِهْرِيّ من رؤساء المشركين. وكان له غاراتٌ، فأغار على سَرْح (أي: ماشية) المدينة وسرق بعضاً مِن مواشي المسلمين في شهر ربيع الأول (أو: جُمادى الآخرة) سنة 2هـ. ولَمَّا بَلَغَ الخَبرُ محمداً، خرج مِن المدينة على رأس جيش قوامه 70 (وقيل: 200) مسلم ليستعيدوا المواشي التي نهبها كُرْز. وظل محمدٌ يطارد كُرْز حتى بلغ وادياً مِن ناحية بَدْر اسمه سَفَوان. لكن كُرْز استطاع أن يفلت من محمد، فرجع محمدٌ إلى المدينة مِن دون قتال. وتُعرَف هذه الغزوة في التراث الإسلامي باسم غزوة سَفَوان أو غزوة بدر الصغرى أو غزوة بدر الأولى لأنها كانت قبل غزوة بدر الكبرى (رمضان 2هـ).

ثم بعد ذلك، أسلم كُرْز. وطبعاً لم يعاقبه محمدٌ على ما فعله قبل إسلامه. وكالعادة، قال محمدٌ لكُرْز وأمثاله: "إنَّ الإسلامَ يَجُبُّ ما كانَ قَبْلَهُ"!

وأهم ما ذكره التراث الإسلامي عن كُرْز بن جابر الفهريّ هو أن محمداً قد أرسله في سَرِيَّة على رأس نحو 20 فارساً ليقبضوا على الْعُرَنِيّين الذين قَتَلوا راعي محمد وسرقوا إبلَه في شهر شوال سنة 6هـ. يعني: كُرْز الذي سرق مواشي المسلمين سنة 2هـ ولم يُعاقِبه محمدٌ هو الآن الذي سيقبض على مَن سرقوا مواشي المسلمين وسيسلمهم لمحمد حتى يُعاقِبهم! يعني: لص قبل إسلامه وشرطي بعد إسلامه!

وهذه القصة الشهيرة – التي تُعرَف أحياناً باسم "سَرِيَّة كُرْز بن جابر الفهريّ إلى الْعُرَنِيّين" – موجودة في صحيحي البخاري ومسلم ومراجع إسلامية أخرى كثيرة. وننصح الأطفال وأصحاب القلوب الضعيفة بعدم قرائتها، نظراً لما تحتويه مِن تفاصيل دموية بشعة.

تقول كُتب السُّنَّة الصحيحة[1027] إن نَفَرًا مِنْ عُرَيْنَةَ (و/أو: مِنْ عُكْلٍ؛ وهما قبيلتان عربيتان)، ثَمَانِيَةً، قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَبَايَعُوهُ عَلَى الإِسْلَامِ. فَاسْتَوْخَمُوا الْمَدِينَةَ وَاجْتَوَوْهَا (أي: كَرِهُوهَا لِسَقَمٍ أَصَابَهُمْ). فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ (أي: أصحاب ماشية)، وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ (أي: أرض فيها زرع وخصب)". فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا". فَفَعَلُوا. فَصَحُّوا وَسَمِنُوا. ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرُّعَاةِ، فَقَتَلُوهُمْ، وَارْتَدُّوا عَنْ الإِسْلَامِ، وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (أي: أخذوا إبلَه). فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ [إلى محمد].

فماذا فعل "نبي الرحمة" و "رسول الإنسانية" بهؤلاء الرجال الثمانية؟

تقول كُتب السُّنَّة الصحيحة: فَقَطَعَ [محمدٌ] أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ (أي: فقأها وَأَذْهَبَ مَا فِيهَا) وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ (هي: أرض ذات حجارة سوداء خارج المدينة) حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ! وتقول بعض الروايات إن محمداً لَمْ يَحْسِمْهُمْ حَتَّى مَاتُوا (أي: تَرَكَهُم محمدٌ ينزفون دماً حَتَّى مَاتُوا)! وإن محمداً سَمَّرَ أَعْيُنَهُمْ (أي: كَحَّلَهَا بِمَسَامِيرَ مَحْمِيَّةٍ؛ أَمَرَ بِمَسَامِيرَ فأُحْمِيَتْ فَكَحَلَهُمْ بِهَا)! وإن محمداً نبذهم فِي الشمس فكانوا يَسْتَسْقُونَ (أي: يطلبون الماءَ ليشربوا) فَلَا يُسْقَوْنَ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ! وإن الرَّجُل مِنْهُمْ كَانَ يَكْدِمُ (أي: يعض ويصدم) الْأَرْضَ بِلِسَانِهِ حَتَّى يَمُوتَ! وإن هذه القصة حدثت قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الْحُدُودُ.

وقال الإمام ابن القيم الجوزية تعليقاً على هذه القصة الشهيرة: "وقد ظهر بهذا أن القِصة محكمةٌ ليست منسوخة، وإنْ كانت قبل أن تنزلَ الحدودُ، فالحدودُ نزلت بتقريرها لا بإبطالها. والله أعلم"[1028]. وهو هنا يشير إلى حد الحرابة الذى شَرَّعه أصحابُ القرآن **بعد** حدوث هذه القصة: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ" (المائدة 33). ولذلك فإن هذه القصة تُذكَر عادةً في تفاسير وأسباب نزول (المائدة 33).

ونحن نستنتج مما سبق أن العقاب الذي أمر به محمدٌ على هؤلاء الرجال كان اجتهاداً شخصياً مِنه و/أو صحابته. ثم تطور هذا الاجتهاد تطوراً بشرياً طبيعياً حتى صار حد الحرابة المذكور في (المائدة 33). مما يدل على أن القرآن كلام بشر، وليس كلام الله.

ومِن الجدير بالذكر أن فكرة التعذيب بفقأ العيون هي أصلاً فكرة صعلوكية تبناها محمدٌ. فلقد قال صاحبُ الأغاني: "وكان الشَّنْفَرى (وهو مِن الصعاليك العرب المشهورين) إذا رمى رجلاً منهم (أي: مِن خصومه الأزديين) قال له: أَأَطرفُك؟ (أي: أدخل في عينك ما يجعلها تدمع) ثم يرمي عينه"[1029]! ولقد فعل الأزديون ذلك بالشَّنْفَرى قَبل أن يقتلوه.

أما تعليقنا على قصة "سَرِيَّة كُرْز بن جابر الفهريّ إلى الْعُرَنِيِّين" نفسها فهو كما يلي: مِن حق هؤلاء الرجال الْعُرَنِيِّين أن يتركوا الإسلام. بخلاف ذلك، فإنهم بلا شك قد ارتكبوا خطايا كُبرى، ويجب معاقبتهم. لكن مِن غير المقبول أن يكون العقاب بهذه الدرجة الفظيعة مِن القسوة والوحشية: شوه محمدٌ أجسادَهم وعذبهم وَهُمْ أحياء فقطع أيديهم وأرجلهم! ثم فقأ أعينهم وشوهها بالمسامير الحديدية المُحْمَاة بالنار! وبعد ذلك، تركهم في الشمس حتى ماتوا مِن العطش وجراحهم تنزف! لا يمكن أن يكون هذا هو العقاب الذي يرتضيه اللهُ العادل الرحيم. وكل هذا التشويه والتعذيب حتى الموت تم بأمر مِن محمد شخصياً، مما يدل على أن محمد لا يمكن أن يكون رسولاً مِن عند الله العادل الرحيم.

وطبعاً حاولت بعض المراجع الإسلامية – كالعادة – أن تدافع عن محمد وتبرر ما فعله. فقالوا: "حكى أهل التواريخ والسير أنهم (أي: الْعُرَنِيِّين) قطعوا يديّ الراعي ورجليه، وغرزوا الشوك في عينيه حتى مات وأدخل المدينة ميتاً، وكان اسمه يساراً وكان نوبياً. [...] وقد ثبت في صحيح مسلم وكتاب النسائي وغيرهما: "أن النبي ﷺ إنما سمل أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاة فكان هذا قصاصاً""[1030].

أما نحن فنقول إنه حتى لو افترضنا صحة هذه الروايات، فإنها ليست مبرراً كافياً لمعاقبة الْعُرَنِيِّين بهذه العقوبات الدموية البشعة! فلو عاقبنا المجرمَ بنفس جريمته، لأصبحنا مجرمين مثله. فينبغي علينا ألا نقاوم الشَّرَّ بالشر، وإنما نقاوم الشَّرَّ بالخير. "انْظُرُوا أَنْ لاَ يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ، بَلْ كُلَّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ" (1 تسالونيكي 15:5)؛ "لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. [...] لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ" (رومية 12:17-21)؛ "غَيْرَ مُجَازِينَ عَنْ شَرّ بِشَرّ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ، بَلْ بِالْعَكْسِ مُبَارِكِينَ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ لِكَيْ تَرِثُوا بَرَكَةً" (1 بطرس 9:3). إذن: هدف العقوبة ينبغي أن يكون هو تقويم المجرم وإصلاحه، وليس الانتقام منه وتدميره!

والأهم مِن ذلك هو أن هذا الحديث الصحيح برواياته الكثيرة في البخاري ومسلم وغيرهما يدل على أن الشريعة الإسلامية لا تصلح أبداً للتطبيق في زماننا المعاصر، زمن حقوق الإنسان. يقول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (Universal Declaration of Human Rights) فى مادته (بل: آيته) الخامسة: "لا يجوز إخضاعُ أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطَّة بالكرامة"[1031].

نعود إلى كُرْز: بعد تلك السرية، ظل كُرْز مصاحباً لمحمد وشهد الحُدَيْبية (6هـ) وخَيْبَر (7هـ) ثم قُتِلَ وهو يغزو قومَه قريش يوم غزو مكة (8هـ)! قُتِلَ كُرْز مع صحابي آخر اسمه حُبَيْش (وفي بعض المراجع: خُنَيْس) وكُنيته أبو صَخْر. يقول صحيح البخاري: قُتِلَ يَوْمَئِذٍ (أي: يوم غزو مكة) رَجُلَانِ حُبَيْشُ بْنُ الأَشْعَرِ وَكُرْزُ بْنُ جابِرٍ الْفِهْرِيُّ[1032]. ويقول تاريخ الطبري وسيرة ابن هشام ومراجع إسلامية أخرى إن كُرْز وحُبَيْش كانا في خيل خالد بن الوليد يوم غزو مكة، فشَذَّا عن خالد، وسلكا طريقاً غير طريقه، فقُتِلا. قُتِلَ حُبَيْش قبل كُرْز، فجعله كُرْزُ بين رجليه، ثم قاتل حتى قُتِلَ وهو يرتجز ويقول: "قد عَلِمَتْ صَفْراءُ من بني فِهِرْ. نَقِيَّةُ الوَجْهِ نَقِيَّةُ الصَّدِرْ. لأضْربَنَّ اليومَ عن أَبي صَخِرْ (يقصد: حُبَيْش)"[1033].

ونلاحظ أن هذا الرَّجَز يشبه القرآن من حيث الشكل. اقرأ سورة القدر مثلاً:

كلام كُرْز بن جَابِر الفِهْرِيّ	كلام القرآن
قد عَلِمَتْ صَفْراءُ من بني فِهِرْ.	إِنَّــا أَنْزَلْنَــاهُ فِي لَيْلَــةِ الْقَــدْرِ.
نَقِيَّــةُ الوَجْــهِ نَقِيَّــةُ الصَّــدِرْ.	وَمَـا أَدْرَاكَ مَــا لَيْلَــةُ الْقَــدْرِ.
لأضْربَنَّ اليومَ عن أَبي صَخِرْ.	لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

ولا يهم إنْ كان كُرْز بن جَابِر الفِهْرِيّ شخصاً حقيقياً أم خيالياً أم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال. ولا يهم إنْ كان قد قال هذه الجمل (الآيات) القصيرة فعلاً قُبيل مصرعه يوم غزو مكة (8هـ) أم أنها وُضِعَت على لسانِه ونُسِبَت إليه في وقتٍ لاحق. فى جميع الأحوال، النتيجة واحدة: لدينا كلام بشري مِثْل القرآن، مما يعنى

انهيار التحدى الذي وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنتجت كلامَ كُرْز بن جَابِر الفِهْرِيّ تستطيع بكل تأكيد أن تنتج القرآنَ.

1.4.2.6.6 لقطات صعلوكية مِن حياة صحابة آخرين ...

يقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما: "كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ (أي: معه قطيع صغير مِن الغنم). فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ [الرجلُ للمسلمين]: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَتَلُوهُ (أي: فقتله المسلمون) وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ"[1034]! ونعرف من رواية الترمذي أن هؤلاء المسلمين كانوا "نَفَر مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"! وأن هؤلاء الصحابة "قَالُوا: مَا سَلَّمَ [هذا الرجل] عَلَيْكُمْ إِلَّا لِيَتَعَوَّذَ مِنْكُمْ، فَقَامُوا فَقَتَلُوهُ، وَأَخَذُوا غَنَمَهُ، فَأَتَوْا بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ"[1035]! وتقول ثلاث روايات في مسند أحمد أن هؤلاء الصحابة قتلوا هذا الراعي الغلبان متعمدين: "مَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ بِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَسُوقُ غَنَمًا لَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: مَا سَلَّمَ عَلَيْنَا إِلَّا لِيَتَعَوَّذَ مِنَّا. فَعَمَدُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، وَأَتَوْا بِغَنَمِهِ النَّبِيَّ ﷺ"[1036]! ولم نجد في أي رواية مِن هذه الروايات أن محمد عاقب هؤلاء الصحابة على جريمة القتل التي ارتكبوها! مما يؤكد أن الصحابة ليسوا عدولاً وأن محمد ليس معصوماً.

وتوجد قصص أخرى مشابهة يمكن قراءتها في أسباب نزول (النساء 94): "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (أي: إذا خرجتم إلى الغزو) فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ (أي قال لكم: تحية الإسلام؛ الشهادتين؛ التوحيد؛ إني مُسْلِمٌ؛ أنا مُؤمنٌ) [فلا تقولوا له] لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (أي: تريدون أن تقتلوه لتأخذوا مالَه غنيمة؛ لتأخذوا نساءَه وأطفاله سبايا) فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ [تُغْنِيكُمْ عَنْ قَتْل مَنْ أَظْهَرَ شَيْئًا مِنْ عَلَامَاتِ الْإِسْلَامِ]". ولم نجد في أي قصة مِن هذه القصص الكثيرة[1037] أن محمد عاقب الصحابة على جرائم القتل التي ارتكبوها! مما يؤكد أن الصحابة ليسوا خير أمة أخرجت للناس وأن محمد ليس معصوماً. فلقد اكتفى محمدٌ باللوم اللفظي أو دَفْع الدية أو الأمر بتحرير رقبة!

وكالعادة، ما فعله صحابة محمد بعد الإسلام يشبه إلى حد كبير ما كان الصعاليك يفعلونه قبل الإسلام. على سبيل المثال، ما فعله صحابة الصعلوك "السُّلَيْك بن السُّلَكة". يقول د. جواد علي: "ونجد (السُّلَيْك) يخرج مع صعلوكين يريدون الغارة، فساروا حتى أتوا بيتاً متطرفاً، ووجد شيخاً غطى وجهه من البرد، وقد أخذته إغفاءة، ومعه إبله ترعى، فأسرع إليه [السُّلَيْك] وضربه بسيفه فقتله، ونهبوا إبله، وعادوا بها مسرعين فرحين،

خشية شعور الحي بأمرهم وتعقبهم لهم. قتله [السُّلَيْك] دون أن يشعر بوخزة ضمير، لقتله إنساناً نائماً طاعناً في السن يرعى إبله، وإنْ وجدناه يبرر فعلته هذه، بأنه لم ينل هذه الإبل إلا بعد أن صكه الجوع، واستولى عليه الفقر، فهو قد قام به مضطراً، والضرورات تبيح المحظورات"[1038].

وهذا يشبه أيضاً ما فعله صحابةُ محمد الأوسيون الذين لجأوا إلى حيلة خبيثة ليغتالوا كعبَ بن الأشرف في بيته ليلاً (3هـ)! وكذلك ما فعله صحابةُ محمد الخزرجيون الذين هجموا على بيت أبي رافع اليهودي واغتالوه ليلاً وهو نائم وَسْطَ عِيَالِهِ (5هـ)!

الفرق هو أن الصعاليك كانوا يقتلون من أجل المال أو الانتقام ولم يكن لهم مطمعٌ في سلطةٍ أو حكم. أما الصحابة فكانوا يقتلون من أجل المال أو الانتقام وأيضاً من أجل السلطة والنفوذ والسيطرة وهيمنة الإسلام.

وسنتحدث بقدر أكبر من التفاصيل عن عملية اغتيال كعب بن الأشرف وعملية اغتيال أبي رافع اليهودي في ثنايا حديثنا عن المعارضين لمحمد والمنافسين له ...

1.4.3 المعارضون لمحمد والمنافسون له

قال قومُ محمد له في مكة: "والله لا نعلم رجلاً مِن العرب أدخلَ على قومِه ما أدخلتَ على قومك. لقد شتمت (أو: سَبَّبْتَ) الآباءَ، وعِبْتَ الدينَ، وسفَّهتَ الأحلامَ، وشَتَمتَ الآلهة، وفرَّقتَ الجماعةَ، وما بقي أمرٌ قبيحٌ إلا وقد جِئتَهُ فيما بيننا وبينك"[1039].

كل شخص يقول أفكاراً تختلف عن الأفكار السائدة في مجتمعه يواجه معارضة ومنافسة. هذا أمر طبيعي. ومحمد ليس استثناء. لكن ما يلفت الانتباه في حياة محمد هو كيف تعامل محمدٌ مع المنافسين والمعارضين. هل نافسهم منافسة سلمية شريفة؟ أم قَتلهم وأزاحهم مِن طريقه؟ أم أخضعهم وأدخلهم في طريقه؟

تحدثنا فيما سبق عن بعض المنافسين والمعارضين لمحمد، مثل: أبو الحكم (الذي يسميه المسلمون "أبو جهل") والوليد بن المغيرة وأُمَيَّة بن خَلَف وغيرهم. وسنذكر فيما يلي أمثلة أخرى. وسنوضح كيف تعامل الإسلامُ معهم.

1.4.3.1 النَّضْر بن الحارث: المثقف العربي الذي أسره المسلمون ثم قتلوه بأمر من محمد شخصياً!

كان "النَّضْرُ بْن الْحَارث"[1040] القرشي مِن المثقفين العرب الذين يعيشون في مكة قبيل ظهور الإسلام، وكان بقصصه وما يحفظه من أشعار الأمم الأخرى وما يعرفه من موسيقاهم يسلب ألباب أهل مكة. يعني: جَمَعَ بين الثقافة والأدب والشعر والموسيقى.

كان النضر معاصراً لمحمد، ويُقال إنه ابن خالته، وكان يعد نفسه نظيراً وَنِداً له. ويُروَى أن النضر كان يخرج تاجراً إلى فارس، فيشتري بمالِه كتباً فارسية فيها أخبار الأعاجم ثم يعود إلى مكة فيرويها ويُحدِّث

بها قريشاً، ويقول لهم: "إن محمداً يُحدِّثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة"، "أنا أحسن حديثاً منه"، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن[1041]. كما يُقال إنه اشترى بمالِه جاريةً مغنّيةً (أي: قَيْنَةً) ليشغل بها الناس عن الاستماع لمحمد. وقيل إن الذي اشترى تلك الجارية المغنية قرشيٌ آخر اسمه "ابن خطل". وبغض النظر عن تضارب هذه الأنباء ومدى صحة هذه الاتهامات، فإنها تدل على أن العرب كانوا متصلين بالفرس واطلعوا على تراث الحضارة الفارسية.

وحتى لو افترضنا جدلاً صحة هذه الأنباء، فإن النضر بن الحارث وأمثاله لم يرتكبوا أي خطأ. فَمِن حق أي إنسان مثقف أن يقرأ الكتب ويُحدِّث الناس بما فيها. ومِن حق أي إنسان مثقف أن يقيم حفلاً غنائياً للناس. ولو أدى ذلك إلى انشغال الناس عن دينهم، فهذه مشكلتهم وليست مشكلة المثقف.

س: فماذا كان رد فعل أصحاب القرآن تجاه المثقف العربي النضر بن الحارث وأمثاله؟

ج: تهمة ازدراء أديان + عنف لفظي + تهديد بالعذاب المهين والعذاب الأليم! مع أننا لا نزال في مكة! "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي [بمالِه] لَهْوَ الْحَدِيثِ (أي: القصص والغناء ونحو ذلك) لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا (أي: يتخذ سبيل الله؛ أو: يتخذ آيات الله) هُزُوًا (أي: سخرية؛ استهزاء) أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ. وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى (أي: أعرض وأدبر) مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا (أي: ثقلاً؛ أو: صمماً) فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (لقمان 6-7) (مكية)[1042].

وهذه ليست الآية القرآنية المكية الوحيدة التي فيها عنف لفظي وتهديد بالعذاب.

وهذه ليست الآية القرآنية الوحيدة التي قيلت (أو: "نزلت") في النضر بن الحارث ...

فلقد قال مقاتل بن سليمان في تفسيره لـ "إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (المطففين 13): "نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث بن علقمة قدم الحيرة (في العراق حالياً) فكتب حديث رستم واسفندباز (أو: اسفنديار)، فلمّا قدم (أي: جاء مِن الحيرة إلى مكة) قال [لأهل مكة]: ما يحدثكم محمدٌ؟ قالوا: حدثنا عن القرون الأولى. قال: وأنا أحدثكم بمثل ما يحدثكم به محمدٌ أيضاً"[1043].

وروى السيوطي روايةً تقول "عن عكرمة قال: لمَّا نزلت: "وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا" (المرسلات 1-2)، قال النضرُ – وهو من بني عبد الدار [قال على نفس سجع الآيتين القرآنيتين]: "والطاحناتِ طحناً، والعاجناتِ عجناً" ... قولاً كثيراً. فأنزل اللهُ: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ" (الأنعام 93)"[1044].

وبغض النظر عن مدى صحة الرواية السابقة، فإن لدينا نثر مسجوع (rhymed prose) "والطاحناتِ طحناً، والعاجناتِ عجناً" يشبه القرآن "وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا" (المرسلات 1-2) من حيث الشكل. مما يعني انهيار التحدي الذي وضعه إلهُ الإسلام أن يأتي البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"

(يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء في هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله. القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التى أنتجت "والطاحناتِ طحناً" تستطيع بكل تأكيد أن تنتج "وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا".

وروى الطبري في تفسيره لـ "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأنفال 31) روايةً تقول: "كَانَ النَّضْرُ بْن الْحَارث يَخْتَلِف تَاجِرًا إِلَى فَارس، فَيَمُرّ بِالْعِبَادِ [النصارى مِن قبائل عربية شتى] وَهُمْ يَقْرَءُونَ الْإِنْجِيل وَيَرْكَعُونَ وَيَسْجُدُونَ. فَجَاءَ [النَّضْرُ] مَكَّة، فَوَجَدَ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَرْكَع وَيَسْجُد. فَقَالَ النَّضْرُ: قَدْ سَمِعْنَا، لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا! لِلَّذِي سَمِعَ مِنْ الْعِبَاد". كما روى الطبري روايةً أخرى تقول: "كَانَ النَّضْرُ بْن الْحَارث بْن عَلْقَمَة أَخُو بَنِي عَبْد الدَّار يَخْتَلِف إِلَى الْحِيرَة، فَيَسْمَع سَجْعَ أَهْلِهَا وَكَلَامَهمْ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّة سَمِعَ كَلَام النَّبِيّ ﷺ وَالْقُرْآنَ، فَقَالَ [النَّضْرُ]: "قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ". يَقُول: أَسَاجِيعُ أَهْلِ الْحِيرَة"[1045].

فتحولت هذه الجملة التي قالها النَّضْرُ: "قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" إلى قرآنٍ يُتلَى ويُتعبَّد به إلى اليوم: "قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأنفال 31)! كما تدل الرواية السابقة أيضاً على أن النثر المسجوع (prose rimée) الذي اعتمده القرآنُ (المكي بصفة خاصة) يشبه سجع الكُهَّان الذي انتشر بين قبائل العرب قبيل ظهور الإسلام. ونحن أثبتنا في هذه المذكرات أن النثر العربي المسجوع والشعر العربي والرَّجَز العربي يشبهون القرآن فعلاً مِن حيث الشكل. وكل هذا ينفي ما قاله القرآن دفاعاً عن نفسه: "وَمَا هُوَ (أي: وَمَا هذا القرآن) بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ (أي: ليس بسجع كسجع الكُهَّان) قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ" (الحاقة 41-42).

وإنْ سألتم: ما هي قِصص "رستم واسفنديار (أو: اسفندباز)"؟ وكيف يكون القَصص القرآني مشابهاً لها؟ فسنقول: ربما يكون المقصود هو التراث الأدبي الفارسي والعراقي بصفة عامة، وليس تلك القِصص تحديداً. وربما يكون النضر بن الحارث لم يقل "رستم واسفنديار (أو: اسفندباز)" أصلاً، وإنما هي كلمات وضعها التقليدُ الإسلامي على لسان النضر حتى يبدو كلامه غريباً وغير مفهوم، ومِن ثم يمكن رفضه والسخرية منه بسهولة[1046]. وفي هذه الحالة، يكون كل ما قاله النضرُ هو أن القصص التي يرويها محمدٌ ويزعم أنها كلام الله تشبه القصص التي سمعها النضرُ في العراق وفارس. وسنلاحظ في هذه المذكرات أنه توجد بالفعل أوجه تشابه كثيرة بين قصص القرآن والتراث الأدبي للشرق الأوسط. وهذا دليل آخر على أن النضر بن الحارث لم يرتكب أي خطأ يستوجب "العذاب المهين" أو "العذاب الأليم"؛ أو على الأقل: لم يرتكب أي خطأ يستوجب العذاب في الدنيا. أما الحساب في الآخرة فأمره متروك إلى الله وحده.

وتقول كتب التراث الإسلامي إن النضر بن الحارث تحدى اللهَ أن يُعذِّبه في الدنيا. "وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (الأنفال 32)[1047]. لكن تقول رواية أخرى رواها البخاري ومسلم في صحيحيهما[1048] إن أبا جهل (أبا الحكم) هو الذي قال هذه

الجملة. فلقد قَالَ أَنَس بْن مَالِك: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ". فَنَزَلَتْ: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ [يا محمد] وَأَنْتَ فِيهِمْ [...]" (الأنفال 33).

ولا مانع من الجَمْع بين هاتين الروايتين السابقتين، فهما مختلفتان لكنهما غير متناقضتين. وسواء كان النضر بن الحارث أو أبو الحكم (أبو جهل) أو غيرهما هو الذي قال هذه الجملة العربية "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"، فإن النتيجة في جميع الأحوال واحدة: إنها جملة بشرية قالها بشر مِن لحم ودم مثلنا، ثم تحولت فيما بعد إلى قرآنٍ يُتلَى! فلماذا تندهشون حين نقول إن لغة القرآن هي لغة العرب وقت ظهور القرآن؟ ولماذا تتعجبون حين نقول إنه لا يوجد "إعجاز لغوي" في القرآن؟ ولماذا تستغربون حين نقول إن القرآن عمل بشري اشترك فيه أكثر من شخص؟ أليس هذا ما نستنتجه مِن القرآن ومِن صحيحي البخاري ومسلم ومن كتب التراث الإسلامي بصفة عامة؟

كما نعرف من كتب التراث الإسلامي أيضاً أن النضر بن الحارث كان على صلة باليهود وأحبارهم. إذ تقول كتب السيرة وأسباب النزول إن قريش بعثته – مع رجلٍ آخر اسمه "عُقْبَة بن أبي مُعَيْط" – بعثتهما مِن مكة إلى يثرب (المدينة) ليسألا أحبارَ اليهود عن محمد وعن نبوته المزعومة. فقال أحبارُ اليهود للنضر وعُقْبَة أن يمتحنوا محمداً بسؤاله عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح؛ فإنْ استطاع محمدٌ أن يجيب ويخبرهم بهذه الأمور الثلاثة فهو نبي؛ وإلا فهو ليس نبياً! فلمَّا امتحنوا محمداً في هذه الأمور الثلاثة، ماذا حدث؟ لم يخبرهم محمدٌ بقصة أصحاب الكهف (الكهف 9-26) إلا بعد 15 يوماً! يعني: اليهود عارفين القصة، ومحمد مش عارفها! أما قصة ذي القرنين (الكهف 83-101) فتقول مراجع إسلامية معتمدة إن آياتها مدنية[1049]، أي: قيلت بعد الهجرة! وفيما يتعلق بالروح، لم يستطيع محمدٌ الإجابة "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي" (الإسراء 85)! باختصار: رسب محمدٌ في هذا الامتحان. وتدل هذه القصة أيضاً على منزلة النضر عند قريش وعلى سهولة التواصل بين أهل مكة المشركين وأهل يثرب اليهود.

مما سبق يتضح أن النضر بن الحارث كان رجلاً عربياً قرشياً مثقفاً اطلع على آداب العراق وفارس، وتعامل مع اليهود والنصارى العرب، وكان ينقل تراث حضارات وديانات الشرق الأوسط إلى مكة، وكان هدفه هو توعية الناس وتنوير عقولهم بتأكيده على أن ما يقوله محمد مِن قرآن (وبخاصة القرآن المكي) هو مجرد كلام بشر "أَسَاطِير الْأَوَّلِين" وليس كلام الله. وهذا من حق كل إنسان مثقف؛ بل من واجبه.

والمسلمون يعتبرون المثقف اللي زي النضر بن الحارث "خطراً على الإسلام"، وبتكون نهاية هذا المثقف عادةً هي القتل على يد واحد مسلم. بالفعل، أسره المسلمون في غزوة بدر (2هـ)، كما أسروا زميلَه عُقْبَة بن أبي مُعَيْط. وتقول مراجع إسلامية إن المقداد بن الأسود هو الذي أسر النضر. وقيل إن المقداد كان يطمعُ أن ينالَ مالاً كثيراً كفدية لأسيره النضر. إلا أن محمد أمر بقتل النضر، أي: أمر محمدٌ بقتل **أسير حرب** (prisoner of war) لا حول له ولا قوة! حاول النضرُ أن يستعطف مصعبَ بن عمير ليُكلِّم محمداً حتى لا يقتله. فقال النضرُ لمصعب: "يا مصعب أنتَ أقرب مَنْ ها هنا بي رَحماً"، أي: ذكَّره بالرحِم لأن كلاهما

(أي: مصعب المسلم والنضر الكافر) عَبْدريٌّ مِن بني عبد الدار، ولأن مصعب المسلم كان قد دخل في جوار (أي: في حماية) النضر الكافر لمَّا عاد مع مهاجري الحبشة في المرة الأولى[1050]. كما قال النضرُ لمصعب يستعطفه: "والله يا مصعب لو أَسَرَتْكَ قريش ما قُتلتَ أبداً وأنا حيٌّ". فماذا كان جواب المسلم على الكافر؟ هل رحمه؟ لا. قال مصعب للنضر: "إني لستُ مثلك، فقد قطع الإسلامُ العهود بيننا وبينكم"! وهكذا فشلت كل محاولات النضر للحفاظ على حياته. فقتله عليٌّ بن أبي طالب ضرباً بالسيف بأمر مِن محمد شخصياً[1051]! قتله عليٌّ قبل رجوع المسلمين إلى المدينة! وقيل إن محمد هو الذي قتل النضرَ[1052]! تعليقنا: إنه لَمِن المُحزن أن يكون القاتل نبياً أو واحداً مِن العشرة المبشرين بالجنة (حسب العقيدة الإسلامية)! وكأن الجنة الإسلامية لا تُدخَل إلا بقتل المثقفين والمفكرين حتى إذا كانت بينهم وبين المسلمين صلة رَحم! كما قَتل المسلمون الأسيرَ عُقْبَة بن أبي مُعَيْط، مع أنه زوج أم عثمان بن عفان! وقَتله المسلمون أيضاً في طريقهم إلى المدينة!

وبعد كل ذلك نتساءل: هل توجد علاقة بين الإسلام والإرهاب الإسلامي؟!

قبل أن نجيب على هذا السؤال، علينا أن نقول إن بعض المسلمين المدافعين عن الإسلام ينفون ثبوت روايات مقتل الأسير المثقف النضر بن الحارث[1053]. ومِن حُسن الحظ أنهم يعترفون بشهرة هذه الروايات في كتب السيرة، ويعترفون أيضاً بأن نفي ثبوت الأمر بسند صحيح لا يعني نفي وقوعه تاريخياً، بل يعني عدم ثبوته فقط.

ونحن نقول: حتى لو افترضنا أن روايات مقتل الأسير المثقف النضر بن الحارث غير صحيحة، وحتى لو افترضنا أن هذه الروايات ليست جزءاً مِن الإسلام "الصحيح" كما قد يقول المدافعون[1054]. حتى لو افترضنا ذلك، فإن هذه الروايات تظل جزءاً مِن الثقافة العربية-الإسلامية، بدليل وجودها في الكتب العربية-الإسلامية منذ مئات السنين إلى اليوم. إذن: طبعاً توجد علاقة قوية بين الثقافة الإسلامية-العربية والإرهاب الإسلامي.

أما المسلمون الذين اعترفوا بمقتل الأسير المثقف النضر بن الحارث، فحاولوا كالعادة تبرير مقتله:

- فألصقوا بالنضر التهمَ "المعلبة" الجاهزة التي ما زالت تُستخدَم إلى اليوم لتبرير قتل أو سجن أو نفي أي مثقف يفكر وينتقد الإسلام: "عدو الله"، "عدو الرسول"، "طاغوت يكيد للإسلام" ... إلى آخر هذه التهم "المعلبة" الجاهزة. وأسهل تهمة وأشهر تهمة عندهم هي: "كان يؤذي النبي". أي واحد مش عاجبهم يقولوا عليه: "كان يؤذي النبي"!
- وصنعوا أسطورة مكشوفة مِن الأساطير الموجودة بكثرة في المراجع الإسلامية تقول إن النضر حاول اغتيال محمد، "فدنا إلى رسول الله ﷺ ليغتاله، فرأى أساود (أي: أسوداً) تضرب بأذنابها على رأسه فاتحةً أفواهها فرجع على عقبه مرعوباً"[1055]! أسطورة من العيار الثقيل.
- وقالوا إن النضر "مجرم حرب" يستحق حُكم الإعدام! يعني: يقولون عن المثقف النضر بن الحارث "مجرم حرب" وفي الوقت نفسه يقولون عن المقداد بن الأسود الذي أسره "رضي الله

عنه"! ويقولون "رضي الله عنه" أيضاً عن عليّ بن أبي طالب الذي قتله واشترك بعد ذلك في حروب أهلية مسلمين ضد مسلمين! ويقولون "رضي الله عنه" أيضاً عن المقاتِل خالد بن الوليد الذي سفك دماء الآلاف! كيل بمكيالين وازدواجية معايير تفقدهم كل ما تبقى مِن مصداقيتهم. ثم إن حُكم الإعدام لا يصدر إلا بعد محاكمة عادلة ومحايدة. وهذا طبعاً لم يحدث.

- وقالوا أيضاً إن مقتل النضر يوم بدر هو "عذابه" في الدنيا الذي سأله (الأنفال 32)[1056]! ونسوا – أو تناسوا – أن العذاب الذي سأله النضر كان عذاباً من الله، أي: عذاباً بمعجزة إلهية (مثلاً: أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ)، أي: عذاباً لا يستطيع أن يفعله إلا الله. لا أن يُقتَل وهو أسير بيد إنسان مثله، وهو أمر يستطيع أي إنسان أن يفعله. ونسوا – أو تناسوا – أيضاً أن العذاب الذي سأله النضر كان هدفه الأساسي هو إثبات نبوة محمد المزعومة: "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (الأنفال 32). أما أن يقتله محمدٌ أو يأمر بقتله وهو أسير، فهذا لا يثبت نبوة محمد على الإطلاق. بالعكس، هذا يزيدنا يقيناً أن محمد ليس نبياً من عند الله. فلو كان محمد نبياً من عند الله، ما قَتل أسيراً لا حول له ولا قوة.

ونحن هنا لا ندافع عن المثقف العربي النضر بن الحارث في كل أفعاله؛ فلا يوجد إنسان معصوم مِن الخطأ. وإنما فقط نؤكد أن الأسير المثقف النضر بن الحارث قُتِل بأمر مِن محمد شخصياً، ونؤكد في الوقت نفسه رفضنا الكامل للقتل والعنف والإرهاب مهما كان المبرر. وقد يكون الأسير المثقف النضر بن الحارث هو أول شهيد كلمة في تاريخ الإسلام، وهو بكل تأكيد ليس الأخير ...

ونحن بصراحة نتعجب حين نسمع مسلماً يقول إن محمد تحدى مشركي مكة أن يأتوا بآيات مثل القرآن. ما معنى أن تتحدى مشركي مكة وفي الوقت نفسه تقتل واحداً من أهم مثقفيهم؟!

وتعليقاً على قتل النضر بأمر مِن محمد شخصياً، قال المستشرق الكبير (Aloys Sprenger)[1057]:

If he [i.e. al-Naḍr] had not been dangerous to Muḥammad because of his knowledge, he certainly would not have had him executed. There was nothing that Muḥammad feared more than talent, and so he had people assassinated who did not carefully hide their opinions.

ترجمتنا: لو لم يكن النضر خطراً على محمد بسبب عِلمه (أو: معرفته)، ما كان محمدٌ قد أمر بقتله بالتأكيد. لم يكن هناك شيء يخشاه محمدٌ أكثر من الموهبة. ولذلك أمر محمدٌ بقتل الناس الذين لم يخفوا آرائهم بعناية.

ونحن نتفق مع ما قاله (Aloys Sprenger)[1058]. والمدهش هو أنه قال ذلك في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي – أي منذ أكثر من 160 سنة. وكأن (Aloys Sprenger) يعيش معنا الآن ويرى اغتيال المفكرين والمثقفين على أيدي المسلمين. سواء الاغتيال الجسدي عن طريق القتل أو الإرهاب الدموي،

أو الاغتيال المعنوي عن طريق النفي أو السجن أو الإرهاب الفكري بالملاحقات القضائية بتهم وهمية مثل "ازدراء الأديان" أو "إهانة الرموز".

ثم تمر الأيام والشهور والسنون ويُقتَل علي بن أبى طالب على يد واحد مسلم. فكما قَتل عليٌّ النضرَ ضرباً بالسيف (2هـ)، قُتِل عليٌّ أيضاً ضرباً بالسيف (40هـ).

ولقد صدق يسوع المسيح حين قال: "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (متى 52:26).

وإذا كان إعدام المثقف العربي "النضر بن الحارث" في الصحراء لم يثبت في صحيحي البخاري ومسلم، فإن اغتيال المثقف العربي "كعب بن الأشرف" في بيته قد ثبت في صحيحي البخاري ومسلم ...

1.4.3.2 كعب بن الأشرف: المثقف العربي اليهودي الذي قَتَلَهُ أخوه المسلم بتحريض من محمد!

إنه المثقف اليهودي والشاعر "كعب بن الأشرف"[1059] الذي ألصق المسلمون به أيضاً كثيراً مِن التهم "المعلبة" الجاهزة التي ما زالت تُستخدَم إلى اليوم لتبرير قتل أو سجن أو نفي أي مثقف يفكر وينتقد الإسلام: "خائن"، "عميل"، "ينقض العهد"، "يؤذي المجتمع"، "يسب الرسول"، "يسيء إلى الذات الإلهية" ... إلى آخر هذه التهم "المعلبة" الجاهزة التي فقدت معناها بسبب كثرة استخدامها بطريقة غير عقلانية.

يقول حديث صحيح أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما[1060] (أصح كتابين بعد القرآن!) إن محمد قال لمَن حوله: "مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ (أي: لِقتله)؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ". فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟" قَالَ [محمد]: "نَعَمْ". قَالَ [ابْنُ مَسْلَمَةَ لمحمد]: "فَائْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا (أي: اسمح لي أن أقول شيئاً كذباً عني وعنك حتى احتال به على كعب بن الأشرف)". قَالَ [محمدٌ]: "قُلْ (أي: سمحتُ لك أن تكذب على كعب بن الأشرف حتى تستدرجه وتقتله)"[1061].

هكذا كان محمدٌ "نبي الرحمة والأخلاق العظيمة" يجلس مع أصحابه ويخططون لعملية اغتيال! وكان "أبو نَائِلَة" (أخو كعب بن الأشرف مِن الرضاعة) واحداً مِن الصحابة الذين قاموا بهذه العملية! يعنى: المسلم يقتل أخاه عن طريق المكر والخداع والكذب والاحتيال والغدر! وقيل إن مُحَمَّد بْن مَسْلَمَة هو ابن أخت كعب بن الأشرف! يعني: المسلم يُدبِّر خطة ليغتال خالَه في بيته ليلاً!

فما هي الأكاذيب التي كذبها مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَة على خاله كعب بن الأشرف حتى يستدرجه ويقتله (ربيع الأول 3هـ)؟ نعرف ذلك مِن تكملة هذا الحديث الصحيح المذكور في صحيحي البخاري ومسلم (الكتابين الموجودين في كل مكتبة جامعية كبيرة في الدول الإسلامية السنية)!

فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ [ابنُ مَسْلَمَة لكعب بن الأشرف]: "إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ (أي: محمد) قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا (أي: أتعبنا)[1062]، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ (أي: أقترض منك)". قَالَ [كعبٌ]: "وَأَيْضًا

وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ (أي: لَتَضْجَرُنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الضَّجَر)". قَالَ [ابنُ مَسْلَمَة]: "إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ (أي: حِمْلاً أو حِمْلين مِن التمر)". فَقَالَ [كعبٌ]: "نَعَمِ، ارْهَنُونِي (أي: ادْفَعُوا لِي شَيْئًا يَكُونُ رَهْنًا عَلَى التَّمْرِ الَّذِي تُرِيدُونَهُ)". قَالُوا: "أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ [رهناً]؟" قَالَ [كعبٌ]: "ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ". قَالُوا: "كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ؟!" قَالَ [كعبٌ]: "فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ". قَالُوا: "كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيُسَبُّ (أي: يُشتَم) أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ؟! هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ (أي: السِّلَاحَ)". فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ.

يعني: قال ابنُ مَسْلَمَة لخاله كعب بن الأشرف أنهم سيزوروه ليلاً ليأخذوا منه التمرَ ويعطوه السلاحَ كرهنٍ له. وَهُمْ طبعاً يريدون أن يقتلوه بالسلاح. ولذلك عرضوا عليه السلاح رهناً حتى لا يشك فيهم حين يراهم قادمين إلى بيته ليلاً ومعهم السلاح. [هكذا كان الصحابة يفكرون! هكذا كان تلاميذ محمد يفكرون: كذب مِن أجل القتل وسفك الدماء! فكيف نثق فيهم؟! هكذا كان المسلمون الأوائل يفكرون: الغاية تبرر الوسيلة! فكيف نُصدِّقهم؟! بل كيف نُصدِّق أحباءنا المسلمين المعاصرين، إذا كان الإسلامُ يبيح لهم الكذب في مثل هذه الحالات؟! لقد جعلتنا هذه الثقافة العربية-الإسلامية في أزمة ثقة مع إخوتنا المسلمين المعاصرين.]

نعود إلى عملية اغتيال كعب بن الأشرف بيد أخيه "أبي نَائِلَة" وابن أخته "محمد بن مَسْلَمَة" وأصحابهما: فَجَاءَهُ [ابنُ مَسْلَمَة] لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنْ الرَّضَاعَةِ، [ومعهما ثلاثة آخرون. وكلهم من الأنصار من الأوس]. فَدَعَاهُمْ [كعبٌ] إِلَى الْحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: "أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ (أي: صَوْتُ طَالِبِ دَمٍ؛ أَوْ: صَوْتُ سَافِكِ دَمٍ؛ والمقصود أنها أحست أن هؤلاء الزوار المسلمين سيسفكون دماً هذه الليلة، فطلبت مِن كعب ألا ينزل إليهم)". فَقَالَ [كعبٌ لامرأته]: "[لا تخافي] إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ".

فَقَالَ [ابنُ مَسْلَمَة لأصحابه]: "إِذَا مَا جَاءَ [كعبٌ] فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ (أي: فَسَوْفَ أقترب منه وأَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ وأجذب شَعرَه بحجة أنني أريد أن أشمه)، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ".

فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ [كعبٌ] مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ (أي: يفوح مِنْهُ) رِيحُ الطِّيبِ. فَقَالَ [ابنُ مَسْلَمَة لكعب]: "مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا (أَيْ: مَا رَأَيْتُ أَطْيَبَ مِن ريحك)". قَالَ [كعبٌ]: "عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ". فَقَالَ [ابنُ مَسْلَمَة لكعب]: "أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟" قَالَ [كعبٌ]: "نَعَمْ". فَشَمَّهُ [ابنُ مسلمة] ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ [لكعب]: "أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعُودَ (أي: أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ مرة أخرى. قال ذلك حتى يطمئن كعبٌ إليه)؟" قَالَ [كعبٌ]: "نَعَمْ". فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ [ابنُ مسلمة] مِنْهُ قَالَ [لأصحابه]: "دُونَكُمْ"، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ!

وهكذا انتهى هذا الحديث الصحيح المتفق عليه باغتيال كعب بن الأشرف في بيته ليلاً على يد مجموعة مِن صحابة محمد بتحريض من محمد "نبي الرحمة والأخلاق العظيمة"! هل هؤلاء هُمْ خير أمة أخرجت للناس؟! هل ذهبوا إلى الصلاة بعد أن نفذوا عملية الاغتيال؟! هل استطاعوا أن يناموا في تلك الليلة؟!

وتوجد في كتب السيرة وغيرها تفاصيل وإضافات أخرى أبشع مِن تلك المذكورة في صحيحي البخاري ومسلم. على سبيل المثال: يقول كتاب "الدُّرر في اختصار المغازي والسِّير" الذي طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية سنة 2013: "فضربوه بأسيافهم، [...]، واختلفت سيوفهم فلم تعمل شيئاً. قال مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: فذكرت مِغْوَلاً (أي: سكين؛ سيف قصير؛ حديدة لها حد ماض) في سيفي حين رأيت أسيافَهم لا تُغْني، فأخذتُه [...] فوضعته في ثُنَّته (أي: وضع ابْنُ مَسْلَمَة السكينَ في بطن كعب بن الأشرف بين السُّرَّة والعانة)، ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ عانتَه، فوقع عدو الله ميتاً. [...] وأطلق رسول الله ﷺ المسلمين على قَتْل اليهود"[1063]! ويقول مرجع آخر: "ثم حملوا رأسَه (أي: قطعوا رأسَ كعب بن الأشرف وحملوها) في مِخْلاةٍ، فقيل إنَّه أول رأسٍ حُمل في الإسلام." ورجعوا إلى محمد، "ورموا رأسَ طاغوت اليهود بين يديه، فَحمدَ [محمدٌ] اللهَ على قَتْله"[1064]! ويضيف مرجع ثالث: "وقد أوقعت هذه الحادثة الرعب في نفوس اليهود جميعهم، فلم يعد أحد من عظمائهم يجرؤ على الخروج من حصنه، كما لم يعد أحد من يهود المدينة إلا ويخاف على نفسه من المسلمين"[1065]! [على فكرة، هذا هو ما نُسميه اليوم "الإرهاب".]

وكالعادة، برر المسلمون اغتيال الشاعر المثقف كعب بن الأشرف بأنه كان يهجو محمداً بشِعره ويُحرّض قريشاً على المسلمين. بل زعموا أنه صاغ شعراً يتغزل في "أم الفضل" امرأة العباس عم محمد!

وكالعادة أيضاً، لا يقدم المسلمون دليلاً تاريخياً علمياً يثبت صحة هذه الاتهامات، وإنما يقدمون أدلة مِن الكتب الإسلامية التي كتبها (وربما: فبركها) المسلمون في عصور متأخرة (العصر العباسي مثلاً)! فلا يوجد لدى المسلمين كتاب سيرة واحد يرجع تاريخه إلى زمان محمد. بل لا يوجد لدى المسلمين أي كتاب (قرآن، سُنَّة، سيرة ... أي شيء) يرجع تاريخه إلى زمان محمد. ولذلك يجب علينا أن نقرأ التراث الإسلامي بعقلٍ ناقد. يعني مثلاً: اتهامهم لكعب بن الأشرف أنه صاغ شعراً يتغزل في امرأة العباس اتهامٌ تفوح منه رائحة التلفيق. لماذا العباس بالذات؟! يبدو أن الكتاب المسلمين في العصر العباسي لفقوا هذه التهمة لليهودي كعب بن الأشرف، فجعلوه يتغزل في امرأة العباس، ليكرهه العباسيون، ومِن ثم يكرهون كل اليهود.

وكالعادة أيضاً، لم يصل إلينا أي كتاب كَتبهُ كعبُ بن الأشرف، فلم نسمع وجهة نظره في التهم الموجهة إليه. فليس أمامنا – للأسف – سوى المراجع الإسلامية التي كتبها المسلمون. للأسف.

لكن حتى لو افترضنا جدلاً أن التهم الموجهة إلى كعب بن الأشرف بها شيء مِن الصحة، ألم يكن من الأصح أن يُقبَض على هذا الشاعر ويُحاكَم محاكمة عادلة ومحايدة؟ أو حتى محاكمة شكلية. لا أن يكون محمدٌ هو الخصم والحكم! ويصدر حُكم الإعدام بمجرد الاتهام! وكمان يصدر غيابياً بدون أن يُعطَى المتهمُ فرصةً للدفاع عن نفسه! ويُنفذ عن طريق اغتيال المتهم بيد أخيه وابن أخته وفي بيته ليلاً[1066]!

ثم إن شعراء محمد (مثلاً: حسان بن ثابت وغيره) كانوا أيضاً يهجون خصوم محمد سواء من المشركين أو من اليهود، وكانوا أيضاً يُحرّضون المسلمين على القتال، وكانوا يخوضون في الأعراض والأنساب. والقرآن نفسه أساء إلى "أم جميل" امرأة أبي لهب عم محمد (المسد 1-5). والقرآن المكي أساء إلى المشركين في مواضع كثيرة. والقرآن المدني أساء إلى اليهود في مواضع كثيرة. ومع ذلك، لم يرسل المشركون ولا اليهود مَن يغتال أحداً من شعراء محمد في بيته ليلاً. وهكذا نجد أن أخلاق اليهود والمشركين كانت أحياناً أفضل من أخلاق المسلمين الأوائل. ولعل هذا هو ما قصده اليهودي المثقف كعبُ بن الأشرف حين قال لكفار قريش: أنتم أهدى سبيلاً وأفضل من محمد وأصحابه[1067]. يقصد: الكفار أفضل من المسلمين في المعاملات، وليس في الإيمان. وما زلنا إلى اليوم نجد الأخلاق الكريمة (مثل: الصدق والأمانة والمحبة والنظافة وإتقان العمل واحترام المواعيد والمساواة ... الخ) في المجتمعات غير الإسلامية أفضل بكثير مِن المجتمعات الإسلامية. وهذا يؤكد صدق ما قاله الشاعر اليهودي المثقف كعبُ بن الأشرف منذ أكثر مِن 1400 سنة.

أما مسألة سفر كعب بن الأشرف مِن المدينة إلى مكة بعد غزوة بدر (رمضان 2هـ)، فيبدو لنا أنه ذهب إلى مكة لتقديم واجب العزاء في قتلى قريش الذين ماتوا في تلك الغزوة، وكانوا كثيرين، ثم عاد إلى المدينة. وهذا موقف إنساني لا غبار عليه ما دام لم يضر المسلمين في شيء. وإنْ زعمتم أنه سافر إلى مكة ليحرّض قريشاً على المسلمين، فسنقول: لم تكن قريش محتاجة تحريضاً مِن أحد. بعد مقتل العشرات من سادات قريش وخيرة شبابها بأيدي المسلمين في غزوة بدر، كان مِن الطبيعي ومِن المتوقع أن تحاول قريش أن تثأر لقتلاها. لم تكن قريش محتاجة تحريضاً من كعب بن الأشرف ولا من غيره.

أما تهمة "نقض العهد" التي يلصقها المسلمون بيهود المدينة، فتقول المراجع الإسلامية إن يهود بني قَيْنُقاع كانوا أول يهود "نقضوا عهدهم" مع محمد. إلا أننا لم نجد في المراجع الإسلامية دليلاً واحداً مقنعاً يثبت أن يهود بني قَيْنُقاع "نقضوا عهدهم" مع محمد. وإنما وجدنا عبارات فضفاضة ومطاطة تُذكِّرنا باللغة الخشبية (wooden language) التي تستخدمها الأنظمة الديكتاتورية القمعية، مثل: أظهروا البغي والحسد للمسلمين، حقدوا على المسلمين، جاهروا بالشر والعداوة، توسعوا في تحرشاتهم واستفزازاتهم، كانوا يثيرون الشغب، عبثوا بالأمن وأثاروا الاضطرابات، سارعوا بالغدر والخيانة، استخدموا حيل المكر والدهاء ليدبروا الكيد للإسلام وأهله، نقضوا العهود وخانوا المواثيق، حرّضوا ضد الدولة الإسلامية ... إلى آخر هذه العبارات الغامضة والتهم غير المحددة التي ما زالت بعض الدول الإسلامية توجهها لكل مَن تريد أن تنكل به. كما اخترع الكتاب المسلمون قصصاً مُضحِكة وروايات ساذجة، مثل هذه الحدوتة التي تزعم أن صائغاً يهودياً (كالعادة لم يذكروا اسمَه) انتهك حرمةَ امرأة قيل إنها مسلمة (كالعادة لم يذكروا اسمَها) فهبَّ رجلٌ مسلم (كالعادة لم يذكروا اسمَه) فقتل الصائغَ اليهوديَّ، فهبَّ اليهودُ فقتلوا المسلمَ! فاعتبر المسلمون أن تلك الأسطورة (اللي كل أبطالها مجهولين) دليل على أن اليهود "نقضوا عهدَهم" مع المسلمين! ولا تزال تلك الحدوتة الساذجة تُكتَب في الكتب والمراجع الإسلامية إلى اليوم! ويبدو أن الكُتاب المسلمين لم يجدوا سوى تلك الحدوتة الساذجة

كدليل على أن اليهود هُمْ الذين "نقضوا العهدَ" مع محمد. ونحن طبعاً لا نصدِّقها. فهي في الواقع دليل على إفلاس هؤلاء الكُتاب المسلمين، فلو كان لدى هؤلاء الكُتاب المسلمين دليل أقوى من ذلك لقالوه.

وكالعادة أيضاً، لم يصل إلينا أي كتاب أو مرجع كَتبه يهودُ المدينة، فلم نسمع وجهة نظر اليهود في التهم الموجهة إليهم. فليس أمامنا – للأسف – سوى المراجع الإسلامية التي كتبها المسلمون. للأسف.

ونحن نجد في مراجع إسلامية (مثل: سيرة ابن هشام وأسباب النزول للسيوطي وأسباب النزول للواحدي النيسابوري ومراجع أخرى) أنه بعد انتصار المسلمين على قريش في غزوة بدر (رمضان 2هـ)، محمد هو الذي هدد يهودَ بني قَيْنُقاع وقال لهم: يا معشر يهود، احذروا من الله مثلَ ما نزل بقُريشٍ مِن النقمة يوم بدر، وأَسْلِموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، فإنكم قد عَرَفْتم أنِّي نبيٌّ مُرْسلٌ. وهنا نجد أمرين مهمين فيما قاله محمد. أولاً: محمد يهدد اليهود بمثل ما نزل بقُريشٍ يوم بدر (أي: القتال والقتل والأسر ... الخ). فكيف نتصور أن يثق اليهودُ في محمد بعد هذا التهديد الواضح؟! ثانياً: محمد يطلب مِن اليهود أن يتركوا دينَهم ويعتنقوا الإسلام! وهذا بند جديد لم يكن موجوداً في العهد بين محمد واليهود، العهد الذي يضمن لليهود دينَهم وأنفسَهم وأموالَهم. أي أن محمد هو الذي أراد أن يُغيِّر العهدَ. فكيف نتصور أن يلتزم اليهودُ ببنود العهد، إذا كان محمدٌ نفسه لم يلتزم بها وأراد أن يُغيِّرها في أمر مهم جداً لليهود وهو دينهم؟! مِن حق اليهود أن ينقضوا عهدَهم مع محمد بعد أن أراد منهم أن يسلموا تحت التهديد. قال لهم: أَسْلِمُوا قبل أن يُصِيبَكُمْ مثلُ ما أصابَ قُريشاً يوم بدر!

ومِن الجدير بالذكر أن محمد كان قد حَوَّل الْقِبْلَة (اتجاه الصلاة) مِن أورشليم (القدس) إلى الكعبة التي كانت وقتئذٍ (رجب 2هـ) مُحاطة بالأصنام؛ قيل: كان على الكعبة 360 صنماً! فلو اعتنق اليهودُ الإسلامَ، لسجدوا مع المسلمين في اتجاه الكعبة المُحاطة بالأصنام. وهذا طبعاً أمر غير مقبول بالنسبة لليهود المتدينين المتمسكين بتعاليم التوراة[1068]. وفي شهر شعبان 2هـ، تراجع محمدٌ عن فرض صيام عاشوراء (يوم الكفارة اليهودي) وجعله غير واجب وفرض صوم رمضان!

باختصار: بعد الهجرة، تغيرت شخصية محمد. وجد اليهودُ محمداً يبتعد عن التعاليم اليهودية أكثر فأكثر، يبتعد عن أورشليم مدينة الله بتحويل القبلة إلى مكة (رجب 2هـ)، يبتعد عن يوم الكفارة المقدس بفرض صوم رمضان (شعبان 2هـ)، والآن بعد انتصاره على قريش في غزوة بدر (رمضان 2هـ) يطلب من اليهود أن يتركوا دينَ اليهودية ويسلموا وإلا سينزل بهم ما نزل بقُريشٍ مِن النقمة يوم بدر!

محمد الذي عقد اليهودُ معه العهدَ في أول الهجرة غير محمد الذي يهددهم الآن. فَمِن الطبيعي أن يعترض اليهودُ على تهديد محمد لهم.

ولَمَّا اعترض اليهودُ على تهديد محمد لهم، وقالوا له: لا يغُرَّنك أنك لقيتَ قوماً (يقصدون: قريشاً) لا علم لهم بالحرب، فأصبْتَ منهم فُرصَةً، إنَّا والله لئن حاربناك (وفي روايات أخرى: لو حاربتنا؛ لو قاتلتنا؛ لو

قاتلناك) لتعلمنَّ أنَّا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا. رد عليهم محمدٌ بآيات قرآنية تُعتبر بمثابة "إعلان حرب" على اليهود وغيرهم: "قُلْ [يا محمد] لِلَّذِينَ كَفَرُوا [مِن اليهود وغيرهم] سَتُغْلَبُونَ [في الدنيا] وَتُحْشَرُونَ [في الآخرة] إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (أي: بِئْسَ الفراش؛ بِئْسَ المستقر). قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ (أي: علامة؛ عِبْرَةٌ) فِي فِئَتَيْنِ (أي: طائفتين من المحاربين) الْتَقَتَا [للقتال يوم بدر] فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ" (آل عمران 12-13)[1069]. فَمِن الطبيعي أن ينقض اليهودُ عهدَهم مع محمد بعد أن كشف لهم عن نواياه بكل هذا الوضوح.

هذا بالإضافة إلى أن محمد في غزوة بدر حارب أهلَه! محمد قاتل قبيلتَه! وهذه خطيئة كبرى في نظر اليهود[1070] وأيضاً في نظر العرب[1071]. ليس هذا فحسب، بل استقوى محمدٌ بقبائل أخرى (الأوس والخزرج مثلاً) ضد قبيلته قريش! فكيف يلوم المسلمون اليهودَ على أنهم نقضوا عهدَهم مع محمد، إذا كان محمدٌ نفسه قد نقض العادات والتقاليد العربية الأصيلة؟! أو كما قال مصعب بن عمير العَبْدريّ القرشي للنضر بن الحارث العَبْدريّ القرشي في غزوة بدر: "قطع الإسلامُ العهودَ بيننا وبينكم". وحتى مِن قَبل غزوة بدر، كان محمدٌ يرسل السرايا لقطع الطريق على قوافل قريش التجارية! [هل هذا نبي أم قاطع طريق؟] فكيف نتصور أن يحافظ اليهودُ على عهدٍ عقدوه مع شخصٍ ثم وجدوه يقطع الطريقَ على قوافل قبيلته ثم يقاتل أهلَه ويستقوى بقبائل أخرى على قتال قبيلته؟!

اللي مالوش خير في أهله، مالوش خير في حد. مَن يحارب قبيلتَه، سيحارب اليهود. وهذا ما حدث فعلاً. غزوة بدر ضد قريش (رمضان 2هـ)؛ وفي الشهر التالي (شوال 2هـ) غزوة بني قينقاع ضد يهود بني قينقاع: حاصرهم محمدٌ حصاراً شديداً لمدة 15 ليلة، حاصر محمدٌ بني قينقاع كلَّهم رجال ونساء وأطفال! قطع محمدٌ عنهم كل مدد، وجمَّد حركتهم، فعاشوا في سجنٍ هُمْ ونساؤهم وأطفالهم. [ما ذنب النساء والأطفال أن يجعلهم محمدٌ يعيشون 15 ليلة في سجنٍ مِن الرعب وتحت الحصار المخيف؟!] وطبعاً، اضطر بنو قينقاع في النهاية أن يستسلموا حفاظاً على حياتهم وحياة نسائهم وأطفالهم. وانتهت مفاوضات الاستسلام بأن استولى محمدٌ على أموالهم الكثيرة (كانوا تجاراً وصاغة) وأخرجهم مِن المدينة مقابل أن يتركهم أحياء وعلى دينِهم! يعني باختصار: ضحى يهودُ بني قينقاع بممتلكاتهم الدنيوية في سبيل الحفاظ على دينهم وحياتهم وحياة نسائهم وأطفالهم. وهكذا طرد محمدٌ يهودَ بني قينقاع من المدينة، مع أن اليهود موجودون في المدينة مِن قَبل محمد، بل مِن قَبل الأوس والخزرج. ويُقال إن الصحابي "محمد بن مَسْلَمَة" هو الذي تولى جَمْع الغنائم من أموال بني قينقاع وهو نفسه "محمد بن مَسْلَمَة" الذي خطط ودبر ونفذ عملية اغتيال المثقف اليهودي كعب بن الأشرف بعد غزوة بني قينقاع بأربعة شهور (ربيع الأول 3هـ).

إذن: تهمة "نقض العهد" – بفرض صحتها – لا يستطيع أحدٌ أن يلوم اليهود عليها. مِن حق اليهود – بل مِن واجبهم – أن ينقضوا عهدَهم مع محمد. شخصية محمد المقاتِل الذي رجع إلى المدينة منتصراً مِن بدر غير شخصية محمد المسالِم الذي انتقل إلى المدينة مهاجراً مِن مكة. تغيُّر شخصية محمد مِن السلم إلى العنف

هو الذي جعل اليهود يفقدون الثقة فيه، لا سيما بعد أن حَوَّل محمدٌ قبلةَ الصلاة اليومية وغيَّر ميعاد الصوم السنوي ثم طلب مِن اليهود أن يتركوا دينَهم! محمد الذي عقد اليهودُ معه العهدَ في أول الهجرة غير محمد الذي طلب منهم أن يسلموا تحت التهديد. فلا يستطيع أحدٌ أن يلوم اليهود على أنهم فقدوا الثقة في محمد. ولا يستطيع أحدٌ أن يلوم كعبَ بن الأشرف على أنه فقد الثقة في محمد.

وعلى أي حال، نحن هنا لا ندافع عن يهود المدينة ولا عن كعب بن الأشرف في كل أفعالهم؛ فلا يوجد إنسان معصوم مِن الخطأ. وإنما فقط نقول إن عملية اغتيال الشاعر المثقف كعب بن الأشرف في بيته ليلاً بهذه الطريقة المخادِعة وبيد أخيه "أبي نَائِلَةَ" وابن أخته "محمد بن مَسْلَمَة" وبتحريض من محمد شخصياً يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن محمد لا يمكن أن يكون رسولاً من عند الله. الله لا يمكن أن يلجأ إلى أسلوب الاغتيالات الليلية الذي لجأ إليه محمدٌ. وإذا أراد اللهُ أن يعلن عن نفسه للبشرية، فلن يلجأ إلى المكر والخداع والكذب والاحتيال والغدر. الله لا يحتاج "محمد بن عبد الله" الذي حرَّض على قتل كعب بن الأشرف. الله لا يحتاج "محمد بن مَسْلَمَة" الذي خطط ودبر ونفذ عملية اغتيال كعب بن الأشرف في بيته.

ثم تمر الأيام والشهور والسنون ويُقتَل محمد بن مَسْلَمَة على يد واحد مسلم. فكما قَتل ابنُ مَسْلَمَة كعبَ بن الأشرف في بيته (3هـ)، قُتِل ابنُ مَسْلَمَة في بيته أيضاً (43هـ أو بعدها) حسب ما جاء في بعض الروايات.

ولقد صدق يسوع المسيح حين قال: "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (متى 52:26).

وبعد معرفة تفاصيل عملية اغتيال كعب بن الأشرف المذكورة في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما، هل ما زلنا نتساءل: مِن أين يأتي الإرهابُ الإسلامي؟!

الإجابة: يأتي الإرهابُ الإسلامي مِن الثقافة الإسلامية-العربية، التي تضم كتباً مثل البخاري ومسلم وغيرهما.

سؤال للمسلمين العقلاء نسبياً: لماذا تتعجبون حين يقتل المسلمون الإرهابيون المثقفين والمفكرين الذين ينتقدونهم بكتاباتهم وفنهم؟! مثلاً: عملية اغتيال المثقف الأردني "ناهض حتر" (2016).

الإرهابيون المسلمون ينفذون - بإخلاص وبدون تفكير - سُنَّةَ محمد حين قال لأتباعه: "مَنْ لِـ ... (أي: مَن يذهب إلى فلان ويتصدى لِقتله)؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ".

وعلى الحكومات الإسلامية أن تحدد مواقفها: هل أنتم مع كل سُنَّة محمد الموجودة في البخاري ومسلم بحلوها ومرها؟ أم أنتم مع المثقفين والمفكرين الذين ينتقدون هذه الأفكار الموروثة التي كانت سبباً في تخلف المجتمع وظهور الإرهاب الإسلامي؟

وإذا كان صحابة محمد قد قتلوا النضر بن الحارث في الصحراء بعد أسره (2هـ) واغتالوا كعب بن الأشرف في بيته ليلاً وهو مستيقظ (3هـ)، فإن أبا رافع اليهودي كان أسوأ حظاً منهما، فلقد اغتاله صحابةُ محمد في بيته ليلاً وهو نائم وَسْطَ عِيَالِهِ (5هـ)!

لاحِظ أن صحابة محمد يزدادون شراسة بمرور الوقت! مهاجرون وأنصار يتنافسون في القتل وسفك الدماء! مسلمٌ مهاجر من قريش يقتل الأسيرَ النضر بن الحارث (2هـ)! مسلمون أنصار من الأوس يغتالون كعب بن الأشرف في بيته ليلاً وهو مستيقظ (3هـ)! مسلمون أنصار من الخزرج يغتالون أبا رافع اليهودي في بيته ليلاً وهو نائم وَسْطَ عِيَالِهِ (5هـ)!

1.4.3.3 أبو رافع اليهودي: اغتاله صحابةُ محمد في بيته ليلاً وَهُوَ نَائِمٌ وَسْطَ عِيَالِهِ!

اسمه "عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ" وَيُقَالُ "سَلَّامِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ"[1072]. وكان تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ.

قُتِل أبو رافع اليهودي على يد خلية مِن خلايا الصحابة الأنصار الذين اغتالوه في بيته ليلاً وهو نائم وَسْطَ عِيَالِهِ بعد أن أمر (أو: سمح) محمدٌ بقتله! ونجد عملية اغتيال أبي رافع اليهودي مذكورة في صحيح البخاري (أصح كتاب بعد القرآن!) الذي يقول: "بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا (أي: جماعة) إِلَى أَبِي رَافِعٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ بَيْتَهُ لَيْلًا وَهُوَ نَائِمٌ فَقَتَلَهُ"[1073]! واستدل الفقهاءُ بهذا الحديث الصحيح على جواز قتل الكافر في بيته! ويوجد بابٌ في صحيح البخاري (أصح كتب السُّنَّة المحمدية!) عنوانه "بَاب قَتْلِ الْمُشْرِكِ النَّائِمِ" أو "بَاب قَتْلِ النَّائِمِ الْمُشْرِكِ". ويقول أحد أحاديث هذا الباب: "بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا مِنْ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ بَيْتَهُ لَيْلًا، فَقَتَلَهُ وَهُوَ نَائِمٌ"[1074].

وكالعادة، لجأ المسلمون إلى "نظرية المؤامرة" (Conspiracy theory) لتبرير اغتيال أبي رافع اليهودي، فقالوا إنه كان من زعماء يهود بني النضير الذين حرَّضوا الأحزابَ المشركين على المسلمين في غزوة الخندق (الأحزاب)، واتهموه الاتهامات الأخرى المعتادة المُضحِكة مثل أنه "كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ"!

ونحن نقول لهم: إنْ كان أبو رافع يُحرّض، فإنَّ محمد أيضاً كان يُحرّض: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ" (الأنفال 65). الفرق بين محمد وأبي رافع ليس في "الفعل"، وإنما في "المفعول به". محمد يُحرّض المسلمين على المشركين، وأبو رافع يُحرّض المشركين على المسلمين. وجريمة التحريض مرفوضة في كلتا الحالتين، وليس في حالة أبي رافع فقط.

أما مسألة أن أبا رافع "كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ"، فإننا نفهم مِن القرآن أن محمد كان "يتأذى" مِن أبسط الأمور: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ (أي: غير منتظرين نضجه وإدراكه) وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا (أي: انصرفوا) وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ (أي: غير متحدثين ولا مستمعين لكلامٍ) إِنَّ ذَٰلِكُمْ (أي: الدخول بغير إذن، أو إطالة مدة الزيارة سواء قبل الأكل أو

بعده) كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ" (الأحزاب 53)! إذن: تهمة "كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ" تهمة فضفاضة مطاطة تشبه تهمة "ازدراء الأديان" أو "إهانة الرموز" التى تُوجَّه لكل إنسان عاقل ينتقد الإسلامَ حتى لو كان نقداً بسيطاً، بل قد تُوجَّه لأي مفكر علماني يُقاوِم الإرهابَ الإسلامي الذي يُشوِّه اللهَ ويقتل الإنسانَ ويدمر البلدان.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن تلك التهم المُوجَّهة لأبي رافع بها شيء مِن الصحة، ألم يكن من الأصح أن يُحاكَم أبو رافع محاكمة عادلة ومحايدة ويُعطَى فرصة كافية للدفاع عن نفسه؟ بلاش فرصة ليدافع عن نفسه. فرصة ليتوب عن أفعاله. لا أن يكون محمدٌ هو الخصم وهو القاضي الذى يحكم بالإعدام غيابياً ثم يُنفِّذ هذا الحكم عن طريق اغتيال المحكوم عليه ليلاً في بيته وهو نائم وَسْطَ عِيَالِهِ ولا يعلم أصلاً أن حكماً بالإعدام قد صدر ضده!

ويبدو لنا أن السبب الحقيقي وراء اغتيال أبي رافع ليس تلك التهم الجاهزة المعلبة التي يقولها المسلمون دائماً لتبرير قتل مَن يعارضهم ويعمل ضد مصلحتهم، وإنما السبب الحقيقي هو تنافس الأنصار (الأوس والخزرج) في إرضاء محمد عن طريق اغتيال خصومه. فكما قتل الأوسُ "كعبَ بن الأشرف" اليهودي بعد غزوتي بدر (ضد قريش) وبني قَيْنُقَاع (ضد اليهود)، أراد الخزرجُ اغتيال أبي رافع اليهودي بعد غزوتي الخندق (ضد قريش) وبني قريظة (ضد اليهود)، فاستأذنوا محمداً في قتل أبي رافع، فأذن محمدٌ لهم[1075]! وكنا نتمنى أن يتنافس أتباعُ محمد في التعمير والتنمية والبناء ومحو الأمية وتعليم الفتيات واكتشاف علاج للأمراض، لا أن يتنافسوا في القتل والاغتيالات وسفك الدماء.

ويبدو أن الخزرج قد أرادوا فعلاً أن يتفوقوا على الأوس في هذه "المنافسة" الدموية إرضاءً لمحمد، فاغتالوا أبا رافع بطريقة أبشع وأفظع بكثير مِن طريقة اغتيال كعب بن الأشرف. ونحن ننصح أصحابَ القلوب الضعيفة بعدم قراءة تفاصيل عملية اغتيال أبي رافع. لأ بجد، مش هزار. أي حد مرهف الإحساس أو رقيق المشاعر أو أقل مِن 18 سنة يجب أن يُمنَع تماماً مِن قراءة تفاصيل عملية اغتيال أبي رافع المذكورة في أحاديث صحيحة رواها البخاري[1076] (أصح كتاب بعد القرآن!) ...

كان حِصن أبي رافع مغلقاً ومظلماً، لكن الصحابي "عَبْد اللَّهِ بْن عَتِيكٍ" استطاع بحيلة أن يتسلل إلى الْحِصْنِ ثم سرق المفاتيح ودخل البيت والناس نيام! قال ابْنُ عَتِيكٍ إِنَّ حراس الْحِصْنِ "فَقَدُوا حِمَارًا لَهُمْ، فَخَرَجُوا بِقَبَسٍ يَطْلُبُونَهُ، فَخَرَجْتُ فِيمَنْ خَرَجَ، أُرِيهِمْ أَنَّنِي أَطْلُبُهُ مَعَهُمْ، فَوَجَدُوا الْحِمَارَ، فَدَخَلُوا. فَخَشِيتُ أَنْ أُعْرَفَ، فَغَطَّيْتُ رَأْسِي كَأَنِّي أَقْضِي حَاجَةً (يبدو أنه فعل ذلك حتى يخجل الحراس من النظر إليه وهو يقضي حاجته، فلا يتفحصونه ويتفرسون في وجهه)، ثُمَّ نَادَى صَاحِبُ الْبَابِ "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فَلْيَدْخُلْ قَبْلَ أَنْ أُغْلِقَهُ"، فَدَخَلْتُ، ثُمَّ اخْتَبَأْتُ فِي مَرْبِطِ حِمَارٍ عِنْدَ بَابِ الْحِصْنِ. وَأَغْلَقُوا بَابَ الْحِصْنِ لَيْلًا، فَوَضَعُوا الْمَفَاتِيحَ فِي كَوَّةٍ (أي: ثقب) حَيْثُ أَرَاهَا، فَلَمَّا نَامُوا أَخَذْتُ الْمَفَاتِيحَ، فَفَتَحْتُ بَابَ الْحِصْنِ (يبدو أنه فتحه ليسهل له الهرب في النهاية أو ليدخل شركاؤه)، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ". وبعد أن تحايل ابنُ عَتِيكٍ على الحراس حتى دخل مثل اللصوص كما رأينا، توجّه إلى بيت أبي رافع، وصار يفتح الأبواب التي تُوصل إليه، وكلما فتح باباً أغلقه

من الداخل حتى لا يستطيع أحدٌ من الحراس أن ينقذ أبا رافع! يعني: سَجنه قبل أن يغتاله! فانتهى ابنُ عَتِيكٍ إلى أبي رافع "فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنْ الْبَيْتِ (أي: لم يمكنه تمييزه)".

بسبب ظلام الليل، لم يكن ابْن عَتِيكٍ يرى أبا رافع، فكان ينادي عليه، فيرد أبو رافع، فيضرب ابْنُ عَتِيكٍ بسيفه نحو الصوت. ولَمَّا فشلت محاولة الاغتيال الأولى، غَيَّر ابْنُ عَتِيكٍ صَوْتَه ليتظاهر أنه يُغِيث أبا رافع وقال له: "ما لَكَ يا أبا رافع؟". [وتقول بعض المراجع إن ابْن عَتِيكٍ كان يجيد لغة اليهود، فسهل عليه أن يخدع أبا رافع.] فَرَدَّ أبو رافع، فضرب ابْنُ عَتِيكٍ بسيفه نحو الصوت مرة أخرى، ففشلت المحاولة الثانية في اغتيال أبي رافع لكنها نجحت في إصابته بجرحٍ بالغ. قَالَ ابْنُ عَتِيكٍ: "فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ (أي: بالغت في جراحته) وَلَمْ أَقْتُلْهُ". يعني: سجنه وعذّبه قبل أن يغتاله! ثم في محاولة الاغتيال الثالثة، وضع ابْنُ عَتِيكٍ سيفَه في بطن أبي رافع حتى سَمِع صوت العَظْمِ! قال ابْنُ عَتِيكٍ في إحدى روايات البخاري: "فَوَضَعْتُ سَيْفِي فِي بَطْنِهِ (أي: في بطن أبي رافع)، ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى قَرَعَ الْعَظْمَ"! وقال في روايةٍ أخرى في البخاري أيضاً: "وَضَعْتُ ظُبَةَ السَّيْفِ (أي: حرف حد السَّيْفِ) فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ"! وقال في روايةٍ ثالثة في البخاري أيضاً: "جِئْتُ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي كَهَيْئَةِ الْمُغِيثِ، فَإِذَا هُوَ (أي: أبو رافع) مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَأَضَعُ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ، ثُمَّ أَنْكَفِئُ عَلَيْهِ حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَ الْعَظْمِ، ثُمَّ خَرَجْتُ"!

ثم فر ابْنُ عَتِيكٍ هارباً حتى وصل إلى أصحابه وقال لهم: "انْطَلِقُوا فَبَشِّرُوا رسولَ الله ﷺ، فإني لا أَبْرَحُ حتى أَسمَعَ النَّاعِيَةَ" (أي: لن أترك هذا المكان حتى أسمع نعي أبي رافع فأتأكد بنفسي أنني قتلتُه وانتهى أمرُه)! ولمَّا تأكد ابْنُ عَتِيكٍ أن عملية الاغتيال قد نجحت، انطلق مسرعاً إلى محمد ليُبشِّره بنفسه! وينتهي الحديث بأن محمد لم يعاتب ابْنَ عَتِيكٍ على ما فعله!

وكالعادة، تضيف كتب السير والمغازي تفاصيل أخرى أكثر بشاعة من تلك المذكورة في كتب الأحاديث. فنعرف منها أن عملية اغتيال أبي رافع اليهودي حدثت في شهر ذي القعدة أو شعر ذي الحجة سنة 5هـ. يعني: حدثت في شهر من الْأَشْهُر الْحُرُم التي – من المفترض – أن يُمنَع فيها سفكُ الدماء إلا في حالات الدفاع الشرعي عن النفس؛ وهذا الاستثناء لا ينطبق طبعاً على عملية اغتيال أبي رافع اليهودي، فلقد هجم الصحابةُ عليه في بيته واغتالوه ليلاً وهو نائم وَسْطَ عِيَالِهِ!

ونفهم من كتب السيرة أيضاً أن أصحاب ابن عتيك اشتركوا معه في قتل أبي رافع. ولعلهم دخلوا وراء ابن عتيك بسرعة قبل أن يغلق الأبواب من الداخل ثم ضربوا أبا رافع بأسيافهم ثم خرجوا قبل ابن عتيك. إنْ صح ذلك، فإنه يعني أن أبا رافع ضُربَ بالسيف أكثر من مرة، وربما ضُربَ بالسيف بعد أن فارق الحياة. يعني: عذّبوه قبل موته؛ وربما بعد موته. وقال ابن هشام وابن كثير وابن عبد البر وغيرهم إن هؤلاء الصحابة تداعوا في قتل أبي رافع (أي: ادعى كل منهم أنه قاتله؛ أو: ادعى كل منهم أن ضربته كانت هي القاضية والمميتة لأبي رافع)، فقال لهم محمدٌ: "هاتوا أسيافَكم"، فأروه إياها، فعرف محمدٌ القاتلَ بأن رأى في سيفِه

أَثَرَ الطعامِ الذي كان في أحشاء أبي رافع! "أي: أن هذا السيف قد دخل جوف أبي رافع ومزَّق أحشاءه وقطع أمعاءه وخلط غذاءه في جوفه"[1077]!

تعليقنا: ما كل هذه الكراهية؟! ما كل هذا الحقد؟! ما كل هذا الغل؟! ما كل هذا الخداع؟!

هل الله القدوس يحتاج هذه الأساليب الإجرامية حتى يعلن عن ذاته للبشرية؟! مستحيل.

هل الخطة الإلهية التي وضعها اللهُ منذ الأزل لهداية الإنسان كانت تنص على اغتيال أبي رافع بهذه الطريقة الوحشية المذكورة في صحيح البخاري (الكتاب رقم 2 فى الإسلام)؟! مستحيل.

هل محمد هو "نبي الرحمة والأخلاق العظيمة"؟! مستحيل. لا يمكن أن يكون محمدٌ نبياً من عند الله. عرفنا ذلك مِن ثماره؛ مِن تلاميذه: ابن عَتِيك وابن مسلمة وأصحابهما. ولقد صدق يسوعُ المسيح حين قال: "اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ (أي: غير الحقيقيين؛ false prophets) الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. [...] مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ" (متى 7:15-20).

وحتى لو افترضنا أن أبا رافع كان شريراً، فهل الله يريد هلاك الشرير؟ كلا، "يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّير، بَلْ بِأَنْ يَرْجعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا" (حزقيال 33:11)؛ إن الله "يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ" (1 تيموثاوس 2:4).

وحتى لو افترضنا أن الله أراد أن يرسل عبداً مِن عباده لأبي رافع لكي يُؤدِّبه، فهل سيرسل له عبداً يتسلل إلى منزله زي الحرامية ويغتاله ليلاً في الظلام وهو نائم وَسْطَ عِيَالِهِ؟! هل التأديب يكون عن طريق الاغتيالات الليلية والعمليات الإرهابية؟! كلا، "عَبْدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقًا بِالْجَمِيعِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، صَبُورًا عَلَى الْمَشَقَّاتِ، مُؤَدِّبًا بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَيَسْتَفِيقُوا مِنْ فَخِّ إِبْلِيسَ إِذْ قَدِ اقْتَنَصَهُمْ لإِرَادَتِهِ" (2 تيموثاوس 2:24-26).

أفيقوا مِنْ فَخِّ إِبْلِيسَ الذي اقْتَنَصَكُمْ لإِرَادَتِهِ. أفيقوا مِنْ غيبوبتكم.

وإذا كان صحابة محمد قد قتلوا النضر بن الحارث في الصحراء بعد أسره (2هـ)، واغتالوا كعب بن الأشرف في بيته ليلاً وهو مستيقظ(3هـ)، واغتالوا أبا رافع اليهودي في بيته ليلاً وهو نائم (5هـ)، فإن الأَسْوَد العَنْسِيّ كان أسوأ حظاً منهم جميعاً، فلقد اغتاله صحابةُ محمد في بيته ليلاً وهو نائم بتواطؤ من زوجته الخائنة (11هـ)!

1.4.3.4 الأَسْوَد العَنْسيُّ: اغتاله صحابةُ محمد في بيته ليلاً وَهُوَ نَائِمٌ! وساعدتهم زوجتُه الخائنة!

كان "الأَسْوَد العَنْسِيّ"[1078] معاصراً لمحمد. ادَّعَى الأَسْوَد العَنْسِيّ النُّبُوَّةَ في اليمن، فزعم أنه نبي أُرْسِل إلى قومِه "بني مَذْحِج" كما أُرْسِل محمد إلى قومِه قريش.

قبيل وفاة محمد، استطاع الأسودُ العَنْسِيُّ أن يسيطر على صنعاء بسرعة وظل يقاتل حتى استتب له مُلْكُ اليمن بسرعة مذهلة. أو كما قال ابن كثير في البداية والنهاية: "اسْتَوْثَقت اليمنُ بكاملِها للأسود العَنْسيِّ [...] وعامله المسلمون الذين هناك بالتَّقِيَّةِ". وقال الأسود العنسي لعُمَّال محمد في اليمن (أي: عملاء محمد في اليمن؛ وَهُمْ المسلمون الذين عيَّنهم محمدٌ لحُكم اليمن أو جَمْع الزكاة، مثل: معاذ بن جبل وغيره)، قال لهم الأسودُ العنسي: "أيها المتمرّدون علينا (أو: المَوْرُودُون علينا؛ ولعله يقصد: أيها المسلمون الدخلاء الوافدون علينا الذين تحكموننا مع أنكم لستم يمنيين)، أمْسِكوا علينا ما أَخَذْتُم مِن أرضِنا، ووفِّروا ما جمَعْتُم [مِن الزكاة]، فنحن [اليمنيون] أوْلَى به، وأنتم على ما أنتم عليه".

وقيل إن الأسود العنسي سيطر على مناطق أخرى خارج اليمن؛ ولا ندري إنْ كانت له أغراض توسعية إمبريالية، أم أراد فقط تأمين حدود وطنه اليمن.

يتضح مِن خطاب الأسود العنسي الوطني / القومي أنه كان ينظر إلى عملاء محمد في اليمن باعتبارهم أجانب محتلين ينهبون ثروات اليمن ويجمعون الزكاة (الإتاوة) مِن اليمنيين ويرسلونها إلى قريش. فأراد الأسود العنسي أن يُغيِّر هذا الوضع الراهن. إنه إذن تمرد أو ثورة على الحكم القرشي / الإسلامي لليمن.

سؤال: أيهما أحق بإدارة شئون اليمن مالياً وسياسياً؟ المسلم غير اليمني (مثل: خالد بن سعيد بن العاص القرشي والمهاجر بن أبي أُمية القرشي)؟ أَم اليمني غير المسلم (مثل: الأسود العنسي)؟

الإجابة الوطنية هي: اليمني غير المسلم.

لكن الإجابة الإسلامية هي: المسلم غير اليمني[1079].

فماذا كان رد فعل محمد؟ هل انحاز إلى الإجابة الوطنية أم إلى الإجابة الإسلامية؟

بالطبع، انحاز محمدٌ إلى الإجابة الإسلامية وليس الوطنية.

بل أَمر محمدٌ القرشي بقتل الأسود العنْسيّ!

أَمر الحاكمُ العسكري / الديني بقتل الثائر الوطني!

أَمر المسلمُ بقتل غير المسلم!

مِن على بُعد مئات الكيلومترات، رأى محمدٌ أن حياة الأسود العنْسيّ يجب أن تنتهي وقلبه الممتلئ حباً لبلده اليمن يجب أن يتوقف عن النبض. أو كما قال د. عبد الرحمن رأفت الباشا إن محمد أرسل إلى المسلمين الأوائل في اليمن "يأمرهم بالتخلص مِن الأسود العنْسيّ بأي وسيلة"[1080]!

ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم[1081] (واللفظ للبخاري، الكتاب رقم 2 في الإسلام!) إن محمد قال لأصحابه: "بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا (وفي روايات أخرى:

فَقُطِعْتُهُمَا وَكَرِهْتُهُمَا)، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي (أي: بعد نبوتي)". فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ.

ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم[1082] (واللفظ لمسلم، الكتاب رقم 3 في الإسلام!) إن محمد قال لأصحابه: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ خَزَائِنَ الْأَرْضِ، فَوَضَعَ فِي يَدَيَّ أُسْوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبُرَا عَلَيَّ وَأَهَمَّانِي، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا، فَأَوَّلْتُهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا (أي: من حيث المسكن والمنزل): صَاحِبَ صَنْعَاءَ (يقصد: الأسود العنسي) وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ (يقصد: مسيلمة)".

وروى أحمد في مسنده أن محمد قال لأصحابه هذه الرؤيا وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى مِنْبَرِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا. وَرَأَيْتُ أَنَّ فِي ذِرَاعِيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَرِهْتُهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا هَذَيْنِ الْكَذَّابَيْنِ: صَاحِبَ الْيَمَنِ (أي: الأسود العنسي)، وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ (أي: مسيلمة)"[1083].

ونستنتج من هذه الأحاديث أن محمد صرَّح لأصحابه بكراهيته للأسود العنسي ومسيلمة، بدليل قوله: "فَقُطِعْتُهُمَا وَكَرِهْتُهُمَا" و "فَكَبُرَا عَلَيَّ وَأَهَمَّانِي" و "فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا"؛ وقوله إن السوارين مِن ذهبٍ ليس مدحاً لهما وإنما لأن الذهب مما حُرِّم على الرجال أو لأنه قصد الزخرف البراق الخادع. كما ألمح محمدٌ لأصحابه بقَتْل الأسود العنْسيّ ومُسَيْلِمَة، بدليل قوله: "فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا" أو "فَنَفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا". فَنفَّذ الصحابةُ أمرَ محمد:

- الصحابي فَيْرُوز الدَّيْلَمِيّ "نَفَخَ" الأسود العنسي: اغتاله في بيته ليلاً وهو نائم بتواطؤ من زوجته الخائنة!
- والصحابي أبو بكر الصديق "نَفَخَ" مسيلمة: قَتله في معركة اليمامة (11هـ أو 12هـ). قال ابن قيم الجوزية "إن هذا الحديث من أكبر فضائل [أبي بكر] الصديق، فإن النبي ﷺ نفخ السوارين بروحه فطارا، وكان [أبو بكر] الصديق رضي الله عنه هو ذلك الروح الذي نفخ مسيلمة، وأطاره"[1084]!

وسنتحدث فيما يلي عن عملية اغتيال الأسود العنْسيّ في بيته ليلاً وهو نائم بتواطؤ من زوجته الخائنة!

ذكر د. عبد الرحمن رأفت الباشا وغيره تفاصيل عملية اغتيال الأسود العنْسيّ على يد الصحابي فَيْرُوز الدَّيْلَمِيّ وابن عمه "دَاذَوَيْه" وبمساعدة – أو بالأحرى: خيانة – "آذَاد" زوجة الأسود العنْسيّ وابنة عم فَيْرُوز التي تزوجها الأسودُ العنْسيُّ بعد أن قتل زوجَها "شَهْرَ بن بَاذَان (بَاذَام)"[1085] المحسوب على تيار محمد داخل اليمن.

ويمكن تلخيص عملية اغتيال الأسود العنْسيّ في بيته ليلاً وهو نائم كما يلي: ساعدت الزوجةُ الخائنة آذَاد فيروزَ ورفاقه على اقتحام حجرة السلاح في قصر الأسود العنْسيّ، فتسلل فيروزُ ورفاقه إلى داخل الحجرة مثل اللصوص واستولوا على السلاح ومضوا نحو مقصورة الأسود العنْسيّ، فأشارت إليهم الزوجةُ الخائنة آذَاد، فدخلوا على الأسود العنْسيّ، فإذا هو نائمٌ يَغُطُّ في نومه. فضرب فيروزُ عنقَ الأسود العنْسيّ بالسلاح، فصاح الأسودُ العنْسيّ صياحاً شديداً. فَلَمَّا سَمِعَ الحَرَسُ صياحَه، أقبلوا على المقصورة وقالوا: "ما هذا؟!". فقالت لهم الزوجةُ الخائنة الكاذبة آذَاد: "انْصَرِفُوا رَاشِدِين، فإن نَبِيَّ الله (تقصد: الأسود العنْسيّ) يُوحَى إليه". فانصرف الحَرَسُ، بينما ظل فيروزُ ورفاقه في القصر حتى طلع الفَجْرُ، فوقف فيروزُ على سورٍ مِن أسواره وهتف نفس الهتاف الذي يهتفه الإرهابيون المسلمون اليوم: "الله أكبر، الله أكبر". فكان هذا الهتاف

هو كلمة السِرّ المتفق عليها مع المسلمين المتأهبين خارج القصر لينقضوا على القصر. وبالفعل، هَجم المسلمون على القصر مِن كل جانب وقاتلوا الحَرَسَ. فألقى فيروزُ برأس الأسود العنْسيّ مِن فوق أسوار القصر. فَلَمَّا رآه الحَرَسُ مقتولاً ومقطوع الرأس، وَهَنُوا وضعفوا وأدركوا أنه لا فائدة مِن المقاومة، فقُضِيَ الأمرُ لصالح المسلمين قبل طلوع الشمس.

وهكذا تخلَّص فَيْرُوزُ وأعوانه مِن منافس محمد في اليمن، ليس بالحُجة أو الحوار أو المنطق العقلاني أو حتى المفاوضات، وإنما بالقتل وسفك الدماء وضرب الأعناق والتصفية الجسدية والاغتيالات. وقال ابنُ عبد البر إن فيروز هو الذي حطم عنق الأسود العنْسيّ وقتله (11هـ). قيل: أثناء مرض محمد في أيامه الأخيرة؛ وقيل: في خلافة أبي بكر الصديق. وابنُ عبد البر يؤيد الرأي الأول.

ويُروَى أن فيروز وأعوانه قد أتوا برأس الأسود العنْسيّ إلى محمد[1086]! وتقول رواية أخرى إنهم بعثوا بكتابٍ إلى المدينة ليخبروا محمداً بمَقْتَلِ الأسود العنسيّ. إنْ صحت تلك الروايات، فإنها تدل على حرص فيروز الشديد على أن يثبت لمحمد أنه بالفعل قد نفذ الأمرَ بقتل واحدٍ مِن المنافسين لمحمد.

إلا أن محمداً مات قبل أن يرى رأس منافسه مقطوعة. لكن كالعادة، تقحم المراجعُ الإسلامية اللهَ في القصة، فتزعم أن الخبر جاء مِن السماء (أي: مِن الله) إلى محمد قبيل موته! فخرج محمدٌ ليُبشِّر المسلمين وقال: "قُتِلَ الأسودُ العنْسيُّ البَارِحَة ... قَتَلَهُ رجلٌ مُبَارَكٌ مِن أهل بيت مُبَارَكِين"! وفي رواية أخرى أن محمداً قال: "قَتَلَهُ العبدُ الصالح فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ"! ولا ندري كيف يكون القاتلُ – الذي نفذ جريمة الاغتيال بالخيانة والكذب – رجلاً مُبَارَكاً وصالحاً؟! لو حدثت عملية الاغتيال هذه في عصرنا الحالي بنفس الطريقة، ألن يُقال على مَن نفذوها "إرهابيين"؟

إن عملية اغتيال الأسود العنسيّ بتفاصيلها البشعة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن محمد لا يمكن أن يكون رسولاً مِن عند الله وتؤكد أيضاً أن الإسلام لا يمكن أن يكون دين الله. فإنْ أراد اللهُ القدوس أن يعلن عن ذاته المقدسة للبشرية، لا يمكن أن يلجأ إلى أسلوب الاغتيالات القائم على الغدر والخيانة والكذب والخداع والإرهاب. الصادق لا يعتمد على الكذب. الأمين لا يحتاج الخيانة.

بل إن عملية اغتيال الأسود العنسيّ تدعونا إلى أن نعيد النظر في شخصية "الأسود العنسيّ" نفسه. لماذا قُتِل؟ هل كان اغتياله لأسباب دينية (لأنه ادَّعَى النُّبُوَّةَ كما تزعم كتبُ التراث الإسلامي) أَم لأسباب سياسية (لأنه أراد أن يستقل بحُكْم اليمن)؟ هل يمكن أن ننظر إلى الأسود العنسيّ نظرة إيجابية باعتباره رجلاً يمنياً زعيماً وطنياً أراد أن يحرر وطنَه الحبيب (اليمن) مِن كل نفوذ أجنبي سواء كان نفوذاً فارسياً مجوسياً أو نفوذاً حبشياً مسيحياً أو نفوذاً عربياً قُرَشياً إسلامياً؟ أَم أن الأسود العنسيّ كان إمبريالياً (imperial)، فاصطدمت طموحاته التوسعية (expansionist) بطموحات محمد التوسعية، ولذلك أراد محمدٌ أن يزيحه مِن طريقه؟ مجرد أسئلة نطرحها ونتركها للأجيال القادمة مِن الباحثين.

وأهم سؤال نطرحه هو: ما الفرق بين الأسود العنسيّ ومحمد القُرَشي؟!

إن التنافس بين الأسود العنسيّ ومحمد القُرَشي في مسألة "النُّبُوَّة" المزعومة يجعلنا ننظر إلى الإسلام باعتباره مجرد حركة سياسية/عسكرية مِن الحركات السياسية/العسكرية التي ظهرت في شبه الجزيرة العربية بهدف السيطرة والهيمنة وبسط النفوذ. أما الدين – سواء بالنسبة للأسود العنسيّ أو بالنسبة لمحمد القُرَشي – فهو مجرد وسيلة لتحقيق أهدافهما السياسية/العسكرية، لا سيما مع قرب انتهاء الحرب العالمية بين الفرس المجوس والروم المسيحيين على الشرق الأوسط، تلك الحرب العالمية التي أنهكت هاتين الإمبراطوريتين في أوائل القرن السابع الميلادي. والمشكلة ليست في هذه الطموحات السياسية/العسكرية بقدر ما هي في إلصاقها بالله، وإدعاء الأسود العنسيّ ومحمد القُرَشي النُّبُوَّة وتوظيفهما للدين لتحقيق أهدافهما، ولجوء محمد القُرَشي إلى العنف للتخلص من منافسيه ومعارضيه أو إخضاعهم لحكمه وسلطانه ونفوذه.

وهكذا في الفترة المدنية (1هـ – 11هـ)، سيطر محمدٌ على كل منافسيه ومعارضيه الحقيقيين والمحتملين.

قَتل محمدٌ منافسيه ومعارضيه في مكة (مثل: النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط **2هـ**)، أو أخضعهم محمدٌ لحكمه وسلطانه ونفوذه (مثل: أبي سفيان الذي استسلم للأمر الواقع وأسلم يوم فتح مكة **8هـ**).

قَتل محمدٌ منافسيه ومعارضيه في المدينة (مثل: كعب بن الأشرف **3هـ** وأبي رافع اليهودي **5هـ**)، أو أخضعهم محمدٌ لحكمه وسلطانه ونفوذه (مثل: الشاعر كعب بن زهير الذي أهدر محمدٌ دمه، إلا أنه استسلم وأسلم في أواخر **8هـ**. وقيل: 9هـ).

تخلص محمدٌ من يهود بني قينقاع (**2هـ**).

تخلص محمدٌ من يهود بني النضير (**4هـ**).

تخلص محمدٌ من يهود بني قريظة (**5هـ**).

تخلص محمدٌ من فلول اليهود في خيبر (**7هـ**).

قَتل محمدٌ منافسيه ومعارضيه في أنحاء شبه الجزيرة العربية (مثل: الأسود العنسي **11هـ**)، أو أخضعهم محمدٌ لحكمه وسلطانه ونفوذه (مثل: باذان (باذام) حاكم اليمن **7هـ** قبل الأسود العنسي).

وهكذا تخلص محمدٌ من كل منافس محتمل. وهكذا أخرس محمدٌ كل صوت معارض[1087].

ومَنْ لم يسلم (أو بالأحرى: مَنْ لم يخضع) ولم يُقتَل في حياة محمد، قتله المسلمون أو أخضعوه بعد ذلك. مثل: مسيلمة الحنفي الذي سَمَّاه المسلمون "مسيلمة الكذاب" ثم قتلوه ...

1.4.3.5 مُسَيْلِمَة الحنفيّ: "رَحْمَن اليمامة" الذي سَمَّاه المسلمون "مسيلمة الكذاب" ثم قتلوه!

اسمه "مُسَيْلِمَة بن حبيب"[1088] الحنفيّ، فهو إذن مِن قبيلة بني حنيفة وليس مِن قبيلة قريش. ويقول التراث الإسلامي إن مسيلمة ادعى النبوة في قومه بني حنيفة في منطقة اليمامة في الجزء الشرقي من شبه الجزيرة العربية. ولأنه ادعى النبوة في قومه بني حنيفة، يُسميه المسلمون "مسيلمة الكذاب"! مع أن محمد أيضاً ادعى النبوة في قومه قريش! وكما زعم محمدٌ العربي أن الذي يأتيه اسمه "جبريل"، زعم مسيلمة العربي أن الذي يأتيه اسمه "رَحْمَن"، ولذلك فإن مسيلمة يُعرَف أيضاً باسم "رَحْمَن اليمامة". ونلاحظ أن مسيلمة قد اختار اسمَ "رَحْمَن" الذي يدل على الرحمة، بينما اختار محمدٌ اسمَ "جبريل" (جِبْرَائِيل Gabriel) الذي يدل على الجبروت والقوة[1089]. وإنْ كان "الرحمن" من أسماء الله الحسنى في الإسلام.

كان مُسَيْلمة معاصراً لمحمد مثل الأسود العنسي. يقول القرآن: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ (أي: للكافرين) اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا" (الفرقان 60). وقال الطبري في تفسيره إن عَامَّة قُرَّاءِ الْكُوفَةِ قَرَأَتْهُ "لِمَا يَأْمُرُنَا" بِالْيَاءِ "وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ كَانَ يُدْعَى الرَّحْمَنَ، فَلَمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ "اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ"، قَالُوا له: أَنَسْجُدُ لِمَا يَأْمُرُنَا رَحْمَنُ الْيَمَامَةِ، يَعْنُونَ مُسَيْلِمَةَ، بِالسُّجُودِ لَهُ؟"[1090]. إذن: كان مُسَيْلمة العربي معاصراً لمحمد العربي وربما سبقه في إدعاء النبوة بوقتٍ قليل.

وكالعادة، ألصقت المراجع الإسلامية بمسيلمة - وغيره ممن ادعوا النبوة أو ارتدوا عن الإسلام قُبيل وبُعيد وفاة محمد أو رفضوا دفع الزكاة لأنهم اعتبروها إتاوة يدفعونها لقريش - ألصقت المراجع الإسلامية بهم نفسَ التهم المضحكة التي لا تزال بعض الدول الإسلامية تلصقها بمعارضيها، مثل: "أرادوا القضاء على الإسلام"، "عزموا على هدم الدولة"، "استعدوا لخوض معركة شاملة ضد المسلمين"، "حاربوا اللهَ ورسولَه" ... الخ. وكالعادة أيضاً، لا تقدم المراجع الإسلامية أدلة مقنعة تثبت هذه التهم الجاهزة المعلبة.

بل نحن نجد في المراجع الإسلامية ما يناقض هذه التهم الملفقة. مثلاً: نجد أن موقف مسيلمة كان أضعف من موقف محمد، بدليل أن مسيلمة هو الذي حاول أن يتفاوض مع محمد أكثر من مرة، وكان محمد يعامله برفض واستعلاء. وبعد وفاة محمد، المسلمون هُمْ الذين هجموا على اليمامة وقتلوا مسيلمةَ وقتلوا الآلاف من أهل اليمامة!

إذن: ليس مسيلمة هو الذي أراد أن يهجم على المدينة، وإنما المسلمون هُمْ الذين أرادوا أن يهجموا على اليمامة وهجموا عليها بالفعل. وليس مسيلمة هو الذي أراد أن يقضي على دين محمد. وإنما محمد هو الذي أراد أن يقضي على دين مسيلمة.

وسنذكر فيما يلي باختصار قصة مسيلمة وأهل اليمامة ...

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما حديثاً صحيحاً[1091] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ [المدينة] عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَقُولُ: "إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ (أي: الخلافة والحكم والنبوة) مِنْ

بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ" وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ (أي: جاء مُسَيْلِمَةُ إلى المدينة في وفدٍ كبيرٍ مِن بني حنيفة؛ وكان ذلك في عام الوفود سنة 9هـ). فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ (هو صحابي وخطيب لمحمد)، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ [محمدٌ لمسيلمة]: "لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ (أي: قطعة الجريد؛ يقصد: حتى لو سألتني شيئاً صغيراً تافهاً) مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ (أي: أَدْبَرْتَ عن طاعتي) لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ (أي: ليقتلنك!)، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ[1092]. وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي". ثُمَّ انْصَرَفَ [محمدٌ] عَنْهُ.

ونحن نستنتج مِن هذا الحديث الصحيح المذكور في صحيحي البخاري ومسلم أمرين مهمين:

- أولاً: ربما كان الهدف الأساسي لمسيلمة هدفاً سياسياً (الحُكم)؛ أما الدين (النبوة) فهو مجرد وسيلة مِن أجل تحقيق هذا الهدف.
  - بدليل قوله لمحمد "إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ [...]"، وكلمة "الْأَمْرَ" هنا تُفسر بمعنى: الخلافة والحكم والنبوة.
  - وأيضاً بدليل أن أهل اليمامة أنفسهم كانوا يعلمون أن مسيلمة ليس نبياً من عند الله. وإنما "اتبعوه عصبية وحِفَاظاً على قوميتهم"[1093]. وهذا يدل على أن حركة مسيلمة كانت حركة وطنية / قومية أكثر منها حركة دينية.
  - وكذلك بدليل الرسالة التفاوضية التي أرسلها مسيلمة مع رسولين (هما: ابْن النَّوَّاحَةِ وَابْن أُثَالٍ) إلى محمد (أواخر 10 هـ) وحاول أن يتفاوض معه فقال له فيها: "من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: سلامٌ عليك؛ أما بعد، فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معك (أي: أُشْرِكْتُ معك في النبوة والحكم)، وإن لنا نِصْفَ الأرض، ولقريش نصف الأرض"[1094]. أُشْرِكَ مع محمد في النبوة بدليل قوله "مسيلمة رسول الله" و "محمد رسول الله"؛ وأُشْرِكَ مع قريش في الحكم بدليل قوله "لنا نِصْفَ الأرض، ولقريش نصف الأرض". وربما كان يقصد نصف خراج اليمامة: النصف لبني وطني أهل اليمامة، والنصف الآخر للمحتل الأجنبي قريش.

ولعل مسيلمة أراد أن يستقل بحُكم أرض اليمامة وأن يحررها – ولو جزئياً – من نفوذ قريش وسياستها التوسعية، أو أراد أن يرث حُكم كل أو نِصْف الأراضي العربية التي أخضعها محمدٌ القرشي لنفوذه. ونحن نميل إلى الاحتمال الأول، لأننا لم نجد ما يدل على أن مسيلمة كان له أطماع خارج حدود وطنه اليمامة. وهذا واضح حتى مِن لقبه "رَحْمَن اليمامة"؛ أي أنه نبي لأهل اليمامة فقط. فماذا كان رد فعل محمد؟ رفض محمدٌ مطالب مسيلمة ورد عليه قائلاً: "من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: السلام على مَن اتبع الهدى؛ أما بعد، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ".

- ثانياً: اصطدمت طموحات مسيلمة الحنفي الوطنية / القومية بطموحات محمد القُرشي التوسعية (كما اصطدمت طموحات الأسود العنسي بطموحات محمد مِن قَبل). فألمح محمدٌ لأصحابه بقَتْل مُسَيْلِمَة، بدليل قوله لمسيلمة أمام أصحابه: "لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ (أي: ليقتلنك!)". قال النووي: "وَالْعَقْرُ: الْقَتْلُ. وَعَقَرُوا النَّاقَةَ: قَتَلُوهَا. وَقَتَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْيَمَامَةِ. وَهَذَا مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبُوَّةِ". ونحن نقول للنووي: هذا ليس مِن معجزات النبوة؛ وإنما مِن أوامر محمد ووصاياه. وكما نفَّذ الصحابةُ أمرَ محمد بقتل الأسود العنسي، كذلك نفَّذ الصحابةُ وصيةَ محمد بقتل مسيلمة.

بالفعل، بعد وفاة محمد (11هـ)، قَتل الصحابةُ مُسَيْلمةَ في إطار حروبهم الأهلية "حروب الردة" التي شنها الخليفة الأول الصحابي القرشي أبو بكر الصديق (11 – 13هـ) ضد العرب الذين ادعوا النبوة وضد العرب الذين تركوا الإسلام وضد المسلمين الذين رفضوا دفع الزكاة. [سؤال للعقلاء فقط: إذا قاتل حاكمٌ مسلمٌ اليوم فئةً مِن شعبه لمجرد أنهم ادعوا النبوة أو تركوا الإسلامَ أو امتنعوا عن أداء فريضة دينية، ألن يعتبره العالمُ إرهابياً؟]

وكذلك قَتل الصحابةُ "الرَّجَّال بن عنفوة" (أو: الرَّحَّال بن عنفوة) مساعد مسيلمة الذي كان قد أسلم ثم ترك الإسلام وانضم إلى مسيلمة. فقتله الصحابي القرشي "زيد بن الخطاب" (أخو الصحابي القرشي عمر بن الخطاب) في معركة اليمامة (11هـ أو 12هـ) التي قُتِل فيها مسيلمة أيضاً.

ومع أن أهل اليمامة الأبطال قد استماتوا في الدفاع عن كلِّ شبْرٍ من وطنهم الغالي وبذلوا أنفسهم في سبيل التمسك بكلِّ حبة تراب مِن أرضهم وأرض آبائهم وأجدادهم، وكان النصرُ حليفَهم في بداية القتال. إلا أن تدخل المسلم القرشي الصحابي خالد بن الوليد ومقتل مسيلمة ومساعده الرَّجَّال رجَّح كفَّةَ الغزاة المسلمين الذين كان شعارهم يومئذٍ "يَا مُحمّدَاه"! فسقطت اليمامة في قبضة أتباع محمد: ليس بالحوار ولا بالتفاوض ولا بالاستفتاء الشعبي، وإنما بالغزو والعدوان وسفك الدماء. بل: سفك الكثير من الدماء.

لم تكن معركة اليمامة مجرد معركة حربية عادية، وإنما كانت مجزرة فظيعة ومذبحة شنيعة. فبما أننا سمعنا اسمَ خالد بن الوليد، إذن: أكيد حدثت مجزرة. فلقد قُتِلَ الآلاف مِن أهل اليمامة المدافعين عن أرضهم؛ قيل: قُتِل نحو 10000؛ وقيل: قُتِل نحو 20000! وقُتِل المئات مِن الغزاة المسلمين الذين هجموا على اليمامة؛ قيل: 500 أو أكثر؛ وقيل: 1200! وكان مِنهم عدد كبير من الصحابة حَفَظَة القرآن.

يعني: الصحابة حَفَظَة القرآن يرفعون شعار "وامُحمّدَاه" ويهجمون على الناس في أرضهم. ثم بعد ذلك تخدعنا البروباجاندا الإسلامية وتزعم أن الإسلام دين سلام!

ولم يكتفِ الصحابةُ بقتل مسيلمة وقتل مساعده الرَّجَّال وقتل الآلاف من أهل اليمامة الوطنيين، وإنما قَتَلَ الصحابةُ أيضاً واحداً مِن الرسولين اللذين كان مسيلمةُ قد أرسلهما برسالته التفاوضية إلى محمد! فلقد روى أبو داود وأحمد وغيرهما أحاديث[1095] يمكن دمجها في قصة واحدة كما يلي: لَمَّا قرأ الرسولان ابْنُ

النَّوَّاحَةِ وَابْنُ أُثَالٍ رسالةَ مسيلمة إلى محمد، سألهما محمدٌ: "مَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا؟" قَالَا [الرسولان لمحمد]: "نَقُولُ كَمَا قَالَ [مسيلمة]" (وفي ثلاث روايات في مسند أحمد: قالا "نَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ رَسُولُ اللَّهِ"[1096]). قَالَ [محمدٌ لهما]: "أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا". يعني: لو لم يكونا رسولين، لأمر محمدٌ بقتلهما! وبعد ذلك بفترة، مَرَّ واحدٌ من المسلمين بِمَسْجِدٍ لِبَنِي حَنِيفَةَ، فَإِذَا هُمْ يُؤْمِنُونَ بِمُسَيْلِمَةَ (أي: يشهدون أن مسيلمة رسول الله). فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ [بن مسعود] (وفي إحدى روايات أحمد: "فَبَعَثَ [ابنُ مسعود] الشُّرْطَةَ فَجَاءُوا بِهِمْ"[1097])، فَجِيءَ بِهِمْ فَاسْتَتَابَهُمْ، غَيْرَ ابْنِ النَّوَّاحَةِ (أي: رفض ابْنُ النَّوَّاحَةِ أن يترك إيمانَه بمسيلمة). قَالَ لَهُ [ابنُ مسعود]: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "لَوْلَا أَنَّكَ رَسُولٌ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ" فَأَنْتَ الْيَوْمَ لَسْتَ بِرَسُولٍ". فَأَمَرَ [ابنُ مسعود] قَرَظَةَ بْنَ كَعْبٍ فَضَرَبَ عُنُقَهُ (أي: ضَرَبَ قَرَظَةُ بْن كَعْبٍ عُنُقَ ابْن النَّوَّاحَةِ) فِي السُّوقِ. ثُمَّ قَالَ: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى ابْنِ النَّوَّاحَةِ قَتِيلًا بِالسُّوقِ". وأضاف الدارمي: "وَأَمَرَ [ابنُ مسعود] بِمَسْجِدِهِمْ فَهُدِّمَ"[1098]. وأضاف الطبراني: "فأخرَجه (أي: فأخرَج قَرَظَةُ بْن كَعْبٍ ابْنَ النَّوَّاحَةِ) إلى السوق، فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وأمره [ابنُ مسعود] أن يأخذ رأسه فيلقيه في حجر أمه"[1099]!

يعني: ابن النَّوَّاحَةِ كان يتعبد إلى الله سلمياً في مسجده حسب إيمانه. إيمانه صح أم غلط؟ مش قضيتنا. وابنُ مسعود أمر بقتل ابن النَّوَّاحَةِ لمجرد أنه تمسك بإيمانه الذي يختلف عن إيمان ابن مسعود! [سؤال للعقلاء فقط: إذا قَطَعَ حاكمٌ مسلمٌ اليوم رأسَ شخصٍ لأن إيمانه لا يوافق الإسلام، ألن يعتبره العالمُ إرهابياً؟!]

إنَّ هذه الأحاديث تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام وَضع حدوداً ضيقة جداً للحرية الدينية. وليس مِن المبالغة أن نقول إنه لا توجد في الإسلام حرية دينية (Freedom of Religion) بالمعنى المتعارف عليه عالمياً. بل ليس مِن المبالغة أن نقول إنه لا توجد في الإسلام حقوق إنسان (Human Rights) بالمعنى المتعارف عليه عالمياً.

يقول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (Universal Declaration of Human Rights) في مادته (بل: آيته) الثامنة عشرة: "لكلِّ شخص حقٌّ (في النسخة الإنجليزية: the right؛ أي: الحق) في حرّية الفكر والوجدان (أي: الضمير) والدِّين، ويشمل هذا الحقُّ حرّيته في تغيير دينه أو معتقده، وحرّيته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبُّد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة"[1100].

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (30 آية فقط) أفضل بكثير مِن الإعلان العربي لحقوق إله محمد (القرآن 6236 آية). كلاهما عَمل بشري. لكن هناك فرق كبير بين عَمل بشري يقفز بنا إلى نور المستقبل المشرق، وعَمل بشري آخر يطيح بنا في ظلام الماضي السحيق.

1.4.3.5.1 قرآن مسيلمة ... وسيف محمد

يُقال إن مُسَيْلمة قد أنتج نَصاً يشبه القرآن[1101]. وسنسميه "قرآن مسيلمة"، مع أننا نعتقد أن مسيلمة لم يرد أن ينتج كتاباً ليثبت نبوته ولا حتى كتاباً لينافس به قرآنَ محمد. وإنما نظن أن مسيلمة أراد فقط أن يقول رأيه في قرآن محمد بطريقة ساخرة وكوميدية. وكأنه يقول: إن قرآن محمد لا يختلف كثيراً عن الجمل العربية البسيطة التي أقولها بعفوية وتلقائية.

ونجد في المراجع الإسلامية أمثلة مِن آيات هذا القرآن الذي أنتجه مسيلمة. على سبيل المثال[1102]:

- "والمُبَذِّرَاتِ زَرْعاً. والحاصداتِ حَصْداً. والذَّارياتِ قَمْحاً. والطَّاحِناتِ طَحْناً. والخابزاتِ خَبْزاً. والثارداتِ ثَرْداً (أي: ثاردات الخبز؛ وهو فته ثم بله بمرق). واللاقماتِ لَقْماً. إهالةً (أي: شحم؛ أو: زيت) وسمناً. لقد فُضِّلْتُم على أهلِ الوَبَر (أي: أهل البادية). وما سبَقَكُمْ أهلُ المَدَر (أي: أهل المساكن المبنية من حجارة). ريفَكم (وفي قراءات أخرى: ريعَكم؛ رفيقَكم) فامنعوه (أي: دافعوا عنه فلا يغلب عليه غالب). والمُعْتَرَّ (أي: الفقير) فآووه. والباغي فناوئوه. [والناعي فواسوه]".
- "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الذي أَنْعَمَ عَلَى الْحُبْلَى (أو: يَسَّر عَلَى الْحُبْلَى). فأَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَى. مِنْ بَيْنِ صِفَاقٍ (أي: غشاء ما بين الجلد والأمعاء؛ الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر) وَحَشَا". وفي روايات أخرى: "لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْحُبْلَى. أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَى. مِنْ بَيْنِ صِفَاقٍ وَحَشَا". وأضافت روايةٌ أخرى: "مِنْ بَيْنِ ذكر وأنثى. وأموات وأحيا (أي: أحياء). ثم إلى ربهم يكون المنتهى".
- "إنا أعطيناك الجواهر. فَصَلِّ لربك وهاجر. إنَّ مبغضك رجل كافر".
- "والشمس وضُحاها. في ضوئها ومجلاها. والليل إذا عداها. يطلبها ليغشاها. فأدركها حتى آتاها. وأطفأ نورها ومحاها".
- "والليل الأطحم (أي: الأسود). والذئب الأدلم (أي: الأسود الطويل). والجَذَع الأزلم (أي: الدهر). ما انتهكت أسَيِّدٌ مِن مَحْرَم". يقصد: بنو أسَيِّد، وهي قبيلة عربية.
- "والليل الدامس. والذئب الهَامِس (أي: الشديد). ما قطعت أسَيِّدٌ مِن رَطْب ولا يابس".
- "إن بني تميم قوم طهر لَقَاحٌ (أي: لم يدينوا للملوك ولم يصبهم سباء). لا مكروه عليهم ولا إتاوة. نجاورهم ما حيينا بإحسان. نمنعهم (أي: نحميهم) من كل إنسان. فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن".
- "والشاء وألوانها. وأعجبُها السود وألبانها (أي: لأنها سوداء لكن لبنها أبيض). والشاة السوداء واللبن الأبيض. إنه لعجب مَحْض. وقد حُرِّم المذق (أي: اللبن الممزوج بالماء). فما لكم لا تَمَجَّعون؟! (أي: لماذا لا تأكلون المَجِيع؟! وهو ضرب من الطعام يصنع من لبن وتمر)"[1103].
- "يَا وَبَرُ يَا وَبَرُ (هو: دُوَيْبَّة من دواب الصحراء في حجم الأرنب أو القط البري). إِنَّمَا أَنْتَ أُذُنَانِ وَصَدْرٌ. وَسَائِرُكَ حَقْرٌ (أي: حقارة؛ ذلة) نَقْرٌ (تكرار للتوكيد)".

- "يا ضفدع بنت ضفدع (وفي قراءة أخرى: ابنة ضفدعين). نِقِّي ما تَنِقِّين. أعلاك في الماء. وأسفلك في الطين. لا الشاربَ تَمْنَعينْ. ولا الماءَ تُكَدِّرينْ".

وقد يكون قرآن مُسَيْلمة هو أحد الأسباب التي جعلت أبا بكر حريصاً على قتل مُسَيْلمة، لأنه إذا أنتج كلاماً بشرياً مِثْل القرآن، حتى ولو على سبيل السخرية أو الدعابة أو الفكاهة، فهذا يعني انهيار التحدي الذي وضعه إلهُ الإسلام أن يأتي البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ **مِثْلِهِ** (أي: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ **مِثْلِهِ** (أي: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). ولقد نجح مُسَيْلمة بالفعل في أن يأتي بِحَدِيثٍ **"مِثْل** القرآن". إذن: وبناء على مَا جاء في الآيات السابقة، يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

والمضحك هو أن المراجع الإسلامية تقول على قرآن مسيلمة إنه كلام بشر سخيف وركيك وبارد، بينما تقول على القرآن (أي: قرآن محمد) كلام الله الذي لا يأتيه الباطل! وعابوا على مسيلمة أنه ذكر الضفدع في قرآنه، مع أن قرآن محمد يقول: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا" (البقرة 26)!

ونحن نقول لهم: لماذا تكون "إنا أعطيناك الجواهر" (قرآن مسيلمة) كلام بشر بينما "إنا أعطيناك الكوثر" (قرآن محمد) كلام الله؟! الفرق بينهما ثلاثة حروف فقط! كلاهما كلام بشر عرب. القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنجبت مسيلمة وأنتجت قرآنه هي الثقافة العربية التي أنجبت محمد وأنتجت قرآنه.

ويقول فريقٌ من المسلمين إن الآيات السابقة المنسوبة إلى مسيلمة ليست من قرآن مسيلمة الأصلي الذي ضاع سهواً أو أُحرق عمداً، وإنما هي آيات منحولة أنتجها المسلمون أنفسهم في عصورٍ لاحقة ونسبوها إلى مسيلمة للتقليل من شأنه.

ونحن نقول لهم إن الآيات السابقة المنسوبة إلى مسيلمة آيات جيدة جداً وتشبه قرآن محمد بالفعل (المكي بصفة خاصة)، فإذا كانت تلك الآيات أقل جودة من قرآن مسيلمة الأصلي الذي ضاع أو أُحرق، فهذا يعني أن قرآن مسيلمة الأصلي كان أفضل بكثير من قرآن محمد.

وكنا نتوقع أن ينتصر قرآن مسيلمة الحنفي على قرآن محمد القرشي، لكن التاريخ يقول لنا إن قرآن محمد القرشي هو الذي انتصر. مما يجعلنا نسأل: لماذا تفوق قرآن محمد القرشي على قرآن مسيلمة الحنفي؟

أو بعبارة أخرى: لماذا تفوق جبريل مكة على رَحْمَن اليمامة؟

أو بعبارة أكثر وضوحاً: لماذا تفوق محمدٌ ونبوته المزعومة على مسيلمة ونبوته المزعومة؟

يعتقد العالم الكبير (Claude Gilliot) وغيره أن لجوء محمد إلى العنف والغزوات وتطلعه إلى ما هو خارج حدود مكة وخارج حدود قبيلة قريش هي ربما الأسباب التى أدت إلى تفوقه على منافسيه[1104]:

La différence avec Mahomet, c'est que Musaylima n'avait pas d'idéologie supra-tribale à offrir, ou qu'il n'avait pas une idéologie susceptible de susciter l'enthousiasme au-delà de la Yamāma. De plus, rien n'indique qu'il ait mis en valeur les vertus guerrières et qu'il ait voulu faire des conquêtes, contrairement à Mahomet.

أو بعبارة أخرى أكثر سهولة: حينما كان محمد في مكة فقط يدعو عَشِيرَتَه الْأَقْرَبِينَ قبيلة قريش فقط، فشل فشلاً ذريعاً. 13 سنة في مكة، ومحمد المُسالِم ينتقل مِن فشلٍ إلى فشل. 13 سنة في مكة، ومحمد المُسالِم لا يرى إلا الفشل. وخير دليل على فشل محمد في مكة هو هجرته إلى يثرب (المدينة). فلقد أدرك محمدٌ أنه لا بد أن يهاجر من مكة وألا تقتصر دعوته على قبيلة قريش فقط. وفي المدينة، لجأ محمدٌ إلى القبائل العربية الأخرى (الأوس والخزرج) ولجأ أيضاً إلى العنف (الغزوات والاغتيالات ... الخ) بمساعدة هؤلاء الأنصار غير القرشيين مِن أجل تحقيق أهدافه الدينية-السياسية.

وبعد وفاة محمد، ارتدت كثير من القبائل العربية عن الإسلام أو أرادوا أن يستقلوا ويتحرروا من نفوذ قبيلة قريش، فلجأ الخليفة أبو بكر القُرشي (تلميذ محمد القُرشي) أيضاً إلى العنف ليُخضع جميعَ القبائل العربية كلها تحت سلطانه، فنشبت سلسلة من الحروب العربية-العربية تسميها المراجع الإسلامية "حروب الردة"، أما نحن فنسميها "حروب الاستقلال" أي: حروب الاستقلال الوطني العربية. واعتمد الخليفة أبو بكر القُرشي بصفة أساسية في هذه الحروب الأهلية على القائد العسكري القرشي خالد بن الوليد المعروف ببطشه وسفكه للدماء بسيفه الذي فيه "رَهَقاً"، أي: تَسَرُّع وحِدَّة وخِفَّة، باعتراف عمر بن الخطاب.

باختصار: مسيلمة ظل في موقف المدافِع على أرضه فقط وسط قبيلته فقط، ولذلك لم يصمد أمام سيف محمد. أما محمد فلم يكتفِ بأرضه وقبيلته فقط، وإنما كانت طموحاته أكبر من ذلك بكثير: أراضي أخرى وقبائل أخرى. وبعد هجرته من مكة إلى المدينة، لجأ محمدٌ إلى السيف فتحول مِن موقف المدافِع إلى موقف المهاجِم، ولذلك سحق مسيلمةَ وأمثالَه ممن ادعوا النبوة.

وكما نقول دائماً: لولا السيف لكانت نبوة محمد اليوم مثل نبوة مسيلمة .... مجرد نصف صفحة في كتب تاريخ الأديان والبدع. "السيف" هو اللى عمل "سيڤ" (Save) للإسلام. وإنْ كنا لا نقول إن الإسلام قد انتشر بالسيف، فإننا نقول بكل ثقة إن السيف قد ساعد الإسلام على الانتشار والتوسع.

1.4.3.6 سَجَاح بنت الحارث التميمية: النَّبِيَّة الفاشلة!

اسمها "سَجَاح بنت الحارث بن سُوَيْد"(1105) التميمية؛ فهي إذن من بني تميم وليست من قريش.

قيل إنها من نصارى العرب. وقد ادَّعَت النبوة في العراق عند أخوالها من بني تَغْلِب! [سؤال: كيف تكون مسيحية وتدعي النبوة بعد المسيح؟!] ولعلهم يقصدون أن أخوالها بني تَغْلِب كانوا من نصارى العرب.

وقيل: كان لها مؤذن يقال له "زهير بن عمرو"، ويقال إن "شبث بن ربعي" أذَّن لها. وقيل إنها كانت كاهنة زمانها، ولها "رَئِيٌّ" أي: جِنِّيٌّ يعرض لها ويطلعها على ما يزعم من الغيب، "ثم جعلت ذلك الرئي مَلَكاً حتى ادعت النبوة، فاختلفت مع (مسيلمة) وكذبته وجحدت نبوته"[1106]. ونحن نستنتج مِن ذلك أن أسطورة "إدعاء النبوة" وظهور ملاك أو جِنِّي لمن يدعي تلك النبوة كانت ظاهرة منتشرة بين القبائل العربية أيام محمد، فزعمتها سجاح التميمية كما زعمها محمدٌ القرشي ومسيلمة الحنفي وغيرهما. وكان هؤلاء العرب الذين ادعوا النبوة يتنافسون فيما بينهم، ولذلك اصطدمت سجاح بمسيلمة وكذبته وجحدت نبوته.

بل قيل إن سجاح أرادت غزو اليمامة أيام مسيلمة! إلا أن مسيلمة تزوَّجَها وأعطاها نصفَ خراج أرضه! ثم تركته راجعةً إلى العراق حينَ بلغها دُنُوُّ خالد بن الوليد من أرض اليمامة!

وقيل عن سجاح التميمية أشياءٌ أخرى هي أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق التاريخية. فَقِيل عنها مثلاً إن "مالك بن نُوَيْرَة تحالف معها لقتال المسلمين والقضاء على الحكم الإسلامي في المدينة"[1107]!

تعليقنا على هذه التهمة المضحكة: واحدة ست ... واحدة ست خافت من خالد بن الوليد وطلعتْ تجري وهربت إلى العراق لمَّا عرفت أن خالد يقترب من اليمامة، هل ممكن يكون عندها الجرأة أن تقاتل المسلمين؟! وكمان تقضي على الحكم الإسلامي؟! وغزو المدينة كمان؟! ثم إن مالك بن نُوَيْرَة التميمي كان رجلاً مسلماً. قيل إنه لم يدفع الزكاة لأبي بكر، لكن لم نجد ما يدل على أنه أراد أن يقضي على الحكم الإسلامي في المدينة! وحتى لو أراد ذلك، ألم يجد أحداً يتحالف معه غير هذه المرأة الفاشلة التي تُسمَّى "سجاح"؟! وهكذا نجد في المراجع الإسلامية التهمة الملفقة وما يناقضها فيثبت تلفيقها! لكن هذه المرَّة، كان تلفيقهم واسعاً جداً!

لم يقتل المسلمون سجاحَ بنت الحارث التميمية، لأنها – كما رأينا – فشلت في كل شيء. وقال ابنُ الأثير وغيره إنها أسلمت! وقيل غير ذلك.

ولعل الشيء الوحيد الذي نجحت فيه سجاحُ بنت الحارث التميمية هو السجع. تقول المراجع الإسلامية إن سجاح قالت تسجعُ لجنودِها حين قصَدتْ اليمامة: "عليكم باليمامة. دُفُّوا (أي: حركوا جناحيكم) دَفِيفَ الحمامة. فإنها غَزْوةٌ صَرَّامة. لا تَلْحَقُكم بعدها مَلامة".

ونلاحظ أن هذه الجمل القصيرة ذات النثر المسجوع (rhymed prose) تشبه القرآن من حيث الشكل. اقرأ سورة القيامة مثلاً:

كلام سجاح بنت الحارث	كلام القرآن

عليكم باليمامة.	لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ.
دُفُّوا دَفيفَ الحمامة.	وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ.
فإنها غَزْوةٌ صَرَّامة.	أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ.
لا تَلْحَقُكم بعدها مَلامة.	بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ.

ولا يهم إنْ كانت سجاح بنت الحارث شخصية حقيقية أم خيالية أم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال. ولا يهم إنْ كانت قد قالت هذه الجمل (الآيات) القصيرة فعلاً بُعيد وفاة محمد أو أنها وُضِعَت على لسانِها ونُسِبَت إليها في وقتٍ لاحق. فى جميع الأحوال، النتيجة واحدة: لدينا كلام بشرى مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذى وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنتجت كلامَ سجاح بنت الحارث تستطيع بكل تأكيد أن تنتج القرآنَ.

وكما قلنا فيما سبق: نحن نرفض أن يُنظَر إلى "سجاح بنت الحارث" وأمثالها باعتبارهم ظاهرة (مدعو النبوة) بينما يُنظَر إلى "محمد بن عبد الله" باعتباره ظاهرة أخرى (أنبياء الله ورسله)! كلهم (سجاح التميمية ومسيلمة الحنفي ومحمد القرشي وأمية الثقفي وغيرهم) ظاهرة واحدة، كلهم (سجاح التميمية ومسيلمة الحنفي ومحمد القرشي وأمية الثقفي وغيرهم) نفس الظاهرة: ظاهرة العربي الأممي (= الأمي) الحنيف الذي أراد أن يكون نبياً، أو أراد مَن حوله أن يجعلوه نبياً. ولأن هدفهم واحد، تنافسوا فيما بينهم، وكان لازم واحد منهم يتفوق على الآخرين. كان ممكن أمية هو اللي يتفوق. كان ممكن مسيلمة هو اللي يتفوق. لكن اللي حصل هو أن اللي تفوق كان اسمه "محمد بن عبد الله" حسب التقليد الإسلامي.

والذي جعل محمداً يتفوق عليهم هو أن نبوته لم تقف عند حدود قبيلته أو مدينته، وإنما رفع السيف ولجأ إلى العنف والغزوات وتطلع إلى ما هو خارج حدود مكة وخارج حدود قبيلة قريش، ولذلك سحق محمدٌ منافسيه، فمِنهم مَن قُتِلَ (مسيلمة الحنفي مثلاً) ومِنهم مَن مات (أمية الثقفي مثلاً) ومِنهم مَن فشل فشلاً ذريعاً فسقط في بئر النسيان (سجاح التميمية مثلاً) ومِنهم مَن هرب (أبو عامر الراهب الأوسي مثلاً).

ومِنهم مَن أسلم فانقاد وخضع لسيف الإسلام حفاظاً على حياته (طُلَيْحَة الأسدي مثلاً) ...

1.4.3.7 طُلَيْحَة بن خُوَيلد الأسديّ: قَالَتِ القبائلُ العربية آمَنَّا. قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ

روى البخاري في صحيحه حديثاً[1108] يقول إنَّ الناس (أي: العرب) كانوا يتساءلون "مَا هَذَا الرَّجُلُ (أي: محمد)؟" فَيَقُولُونَ: "يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، أَوْحَى إِلَيْهِ. أَوْ: أَوْحَى اللَّهُ [إليه] بِكَذَا". [...] وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ (أي: تنتظر) بِإِسْلَامِهِمْ الْفَتْحَ (أي: فتحَ مكة). فَيَقُولُونَ: "اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ (أي: فلننتظر حتى نرى نهاية القتال بين محمد وقبيلته قريش)، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ (أي: انتصر) عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ". فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ (أي: فتح مكة في رمضان 8هـ) بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ (يقصد: عام الوفود سنة 9هـ وما بعدها).

والمقصود بعام الوفود (9هـ) هو العام الذي تواردت فيه وفودُ القبائل العربية مِن أنحاء شبه الجزيرة العربية إلى المدينة لتعلن إسلامَها (أي: تعلن خضوعَها submission)؛ أي: تعلن انقيادَها لمحمد سلمياً بدون قتال. أو كما قال القرآنُ: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (أي: فَتْح مَكَّة). وَرَأَيْتَ النَّاسَ (أي: قبائل الجزيرة العربية) يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (أي: جَمَاعَات جَمَاعَات، بَعْدَمَا كَانَ يَدْخُل فِيهِ وَاحِد وَاحِد)" (النصر 1-2). ومِن ضمن هذه الوفود العربية البدوية وفد بني أسَد (الذين كانوا يقيمون في شمال شرق المدينة) وفيهم "طُلَيْحَة بن خويلد"[1109] الأسديّ.

سؤال: هل آمن هؤلاء العرب البدو بمحمد إيماناً كاملاً صادقاً عن اقتناع؟ أم أنهم أسلموا بلسانهم فقط؟ أو بالأحرى: خافوا أن يُقاتِلهم محمدٌ إذا لم يسلموا، فاستسلموا للأمر الواقع؟

مِن حُسن الحظ أن إجابة هذا السؤال المهم موجودة في القرآن. "قَالَتِ الْأَعْرَابُ (وَهُمْ: البدو؛ سكان البادية) آمَنَّا قُلْ [لهم] لَمْ تُؤْمِنُوا (أي: لَمْ تُؤْمِنُوا إيماناً حقيقياً كاملاً لأن قلوبكم لم تصدق ما نطقتم به) وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا (أي: انقَدْنا ظاهرياً فقط؛ خضعنا ودخلنا في السلم لننجو مِن القتل والأسر. إنه إذن استسلام منشؤه الرهبة والخوف، لا التصديق الخالص مع ثقة وطمأنينة) وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ (أي: لم يتجاوز ألسنتكم حتى الآن) [...]. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ [حقاً هُمْ] الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ [في إيمانهم]. [...]. يَمُنُّونَ (أي: يَمُنُّ هؤلاء الأعراب) عَلَيْكَ [يا محمد] أَنْ أَسْلَمُوا (قالوا لمحمد: أَسلَمْنا ولَمْ نُقَاتِلْكَ كما قاتلَك بنو فلانٍ؛ يقصدون: قريشٌ) قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ (أي: دلَّكم؛ أرشدكم) لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [في إيمانكم]" (الحجرات 14-17).

قال الواحدي النيسابوري إن "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا [...]" (الحجرات 14) "نزلت في أعراب من بني أسد بن خُزَيمة، قَدِموا على رسول الله ﷺ المدينة في سنةٍ جدبةٍ، وأظهروا الشهادتين (أي: أظهروا الإسلام) ولم يكونوا مؤمنين في السر (أي: لم يدخل الإيمانُ في قلوبهم)، [...]، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأثقال والعيال، ولَمْ نُقَاتِلْكَ كما قاتلَك بنو فلانٍ، فأعطنا من الصدقة"[1110]. ولم تذكر هذه الرواية أن محمد أعطاهم شيئاً من الصدقات!

وَذَكر السيوطي في أسباب نزول "يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا [...]" (الحجرات 17) روايةً تقول: "قَدِم عشرةُ نفرٍ من بني أسدٍ على رسول الله ﷺ سنةَ تِسعٍ، وفيهم طُلَيْحَة بنُ خُوَيلد، ورسول الله ﷺ في المَسجِدِ مَعَ

أَصْحابِه، فَسلَّموا وقال مُتكلِّمُهم: يا رسول الله، إنَّا شَهِدنَا أنَّ لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأنَّكَ عبدُه ورسُولُه، وَجِئناكَ يا رسول الله ولم تَبعثْ إلَيْنا بَعثاً ونَحنُ لِمنْ وراءَنا سَلْمٌ"[1111].

مما سبق يتضح أن بني أسد وأمثالهم من القبائل العربية لم يؤمنوا بمحمد عن اقتناع، وإنما أسلموا إما خوفاً من قتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم وإما طمعاً في صدقات المسلمين.

وخير دليل على أن إيمان القبائل العربية بمحمد لم يكن إيماناً كاملاً صادقاً عن اقتناع هو أن كثير من هذه القبائل العربية قد ارتد (أي: ترك الإسلام) بُعيد وفاة محمد! ومِنهم مَن ترك الإسلام – بل وادعى النبوة – قُبيل وفاة محمد! مثل طُلَيْحَة بن خويلد الأسديّ الذي علم بمرض محمد بعد حجة الوداع (أواخر 10هـ)، فادعى النبوة في قومه بني أَسَد ومَن يليهم. فأرسل محمدٌ إليه الصحابيَّ "ضِرَار بن الأَزور" الأسدي ليقاتله، لكن ضرار فشل. ثم مات محمدٌ، فعظُم أمر طليحة.

ولا نعتقد أن طُلَيْحَة الأسدي كان جاداً في مسألة ادعائه النبوة، وإنما نعتقد أنه أراد أن يحرر قومَه مِن نفوذ محمد وسلطان قريش. بدليل أنه كان يقول لقومه: "قاتلوا عن أحسابكم، فأما دينٌ فلا دين"! وأيضاً بدليل أن "عُيَيْنَة بن حِصْن" (سيد بني فَزارة حلفاء بني أسد) لم يجد فرقاً بين طُلَيْحَة ومحمد سوى الانتماء القبلي، فارْتَدَّ عن الإسلام وقال لقومِه: "واللهِ لَنبيٌّ مِن بني أَسَدٍ (يقصد: طُلَيْحَة) أحَبُّ إليَّ مِن نبيٍّ مِن بني هاشم (يقصد: محمد). وقد مات محمدٌ، وهذا طُلَيْحَة فاتَّبِعوه"[1112]. إنها إذن حركة استقلال وطنية / قومية مثل حركة مسيلمة وحركة الأسود العنسي وغيرهما. أما الدين (النبوة) فهو مجرد وسيلة لتحقيق الهدف السياسي (الحكم المستقل)؛ وهو هدف سياسي مشروع في نظر الوطنيين، لكنه غير مشروع في نظر الإسلاميين.

وقال ابنُ كثير في البداية والنهاية والطبري في تاريخه وغيرهما إن طُلَيْحَة الأسدي كان يسجع لأصحابه ويقول: "والحمام واليَمام. والصُّرَدِ (هو: طائر أكبر من العصفور) الصَّوَّام. قد صُمْنَ قبلَكم بأعوام. لَيَبْلُغَنَّ مُلْكُنا العراقَ والشام". إذا صح ذلك، فإنه يعني أن طُلَيْحَة الأسدي كانت له أيضاً أجندة توسعية (expansionist) إمبريالية (imperial) في الشرق الأوسط. وطبعاً، اصطدمت أجندته التوسعية الإمبريالية بأجندة المسلمين التوسعية الإمبريالية في الشرق الأوسط، وبخاصة في العراق والشام.

فكانت نهاية طُلَيْحَة الأسدي شبيهة بنهاية كل رجل عربي عنده برنامج مستقل أو مُخالِف أو مُنافِس للبرنامج الإسلامي في الشرق الأوسط آنذاك. فنهايته هي: إما الخضوع لسيف الإسلام وإما القتل والسبي بسيف الإسلام.

فلقد حاول بنو أسد وحلفاؤهم أن يقاوموا جيشَ الغزاة المسلمين وحلفائهم، وقتلوا اثنين مِن قادة الغزاة المسلمين وهما: "ثابت بن أَقْرَم" و "عُكَّاشة بن مِحْصَن"، لكنهم هُزِمُوا في النهاية على يد خالد بن الوليد في معركة بُزَاخة (11هـ)، ففر طُلَيْحَة الأسدي هارباً إلى الشام، ثم عاد مسلماً! يعني: اختار طُلَيْحَة الأسدي الاختيار الأول وهو الإسلام (أي: الاستسلام والخضوع والانقياد والإذعان وعدم التمرد).

وكذلك فعل عُيَيْنَةُ بن حِصْن، اختار الخضوع لسيف الإسلام: فلقد أَسَره خالدُ بن الوليد وبَعثَ به إلى المدينة مَجْموعةً يداه إلى عنقِه! فلمَّا وقف عُيَيْنَةُ بين يدي أبي بكر الصديق، أسلمَ ليحافظ على حياته.

وأسلم بنو أسد أيضاً. "وَلَمْ يُؤْخَذْ مِنْهُمْ سَبْيٌ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَحْرَزُوا حَرِيمَهُمْ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا أَقَرُّوا بِالإِسْلامِ خَشْيَةً عَلَى عيالاتهم (أي: أسلموا خوفاً على عائلاتهم)، فآمنهم"[1113]!

وكذلك فعل "عمرو بن معد يكرب" الزبيدي، الشاعر الفارس المشهور الذي أسلم في حياة محمد، ثم ارتَدَّ بعد وفاته، ثم عاد مسلماً في خلافة أبي بكر! قيل: أسره "المهاجرُ بن أبي أمية" المخزومي القرشي (أخو أم سلمة القرشية زوجة محمد القرشي) في حروب الردة، فأرسله المهاجرُ القرشي إلى أبي بكر القرشي، فرجع عمرو بن معد يكرب إلى الإسلام! ونحن نقول: خضع عمرو لسيادة قريش.

1.4.3.8 حروب الاستقلال (حروب الردة) الأخرى

بالطبع كان هناك حركات استقلال (ردة) في أماكن أخرى مِن شبه الجزيرة العربية، مثل: البحرين وعُمان واليمن وغيرها. وانتهت كلها بنفس النهاية: إما الخضوع لسيف الإسلام وإما القتل والسبي بسيف الإسلام. أو كما قال الخليفة القرشي أبو بكر في كتابه الشهير الذي أرسله إلى القبائل العربية الثائرة (المرتدة): "[...] وإني بعثتُ إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرتُه ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوَه إلى داعية الله؛ فمَن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمِل صالحاً قَبِلَ منه وأعانه عليه؛ ومَنْ أبى أمَرتُ أن يقاتلَه على ذلك؛ ثم **لا يبقي على أحد منهم قَدَر عليه، وأن يُحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قِتْلة، وأن يَسبيَ النساء والذراري** (أي: الأطفال)، ولا يقبل مِن أحد إلا الإسلام [...]"[1114]!

دماء كثيرة سُفِكَت في هذه الحروب الأهلية العربية-العربية.

وهكذا نرى كيف تعامل الإسلامُ مع منافسيه ومعارضيه: إما الخضوع لسيف الإسلام وإما القتل والسبي بسيف الإسلام. أو كما قال محمدٌ: "أَسْلِمْ تَسْلَمْ"[1115]!

السيف هو الذي جعل العربَ يخافون من الإسلام بعد فتح مكة (رمضان 8هـ)، فدخلوا في الإسلام أفواجاً، ليس عن اقتناع بحجة أو برهان، وإنما أسلموا خوفاً من أن يقتلهم محمدٌ ويسبي حَريمَهُمْ وأطفالهم ويستولي على أموالهم وديارهم. محمد الذي قال: "نُصِرْتُ بالرعبِ" "وأُحِلَّت لي الغنائمُ"[1116]!

والسيف هو الذي أعاد العربَ إلى الإسلام مرة أخرى بعد ارتدادهم قُبيل وبُعيد وفاة محمد.

لولا السيف، لانتهى الإسلامُ بارتداد معظم القبائل العربية.

السيف هو الذي أنقذ الإسلامَ من الضياع.

السيف هو الذي جعل العرب لا يجدون أمامهم ديناً آخر غير الإسلام، ولا يجدون أمامهم حاكماً آخر غير قريش. أو كما قال الشيخ عبد الوهاب النجار: "إن انتصار جيوش المسلمين على سائر العرب المرتدين [...] وحَّد وجهة العرب وأيأسهم من كل دين سوى الإسلام، وجمعهم على الطاعة لوليّ أمر المسلمين"[1117]. يعني: جمع العربَ على الطاعة لقريش، لأن الخلفاء كانوا دائماً مِن قريش قبيلة محمد. محمد القرشي أوصى بذلك وقال: "النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ (أي: في الإمارة والخلافة)"[1118] وقال أيضاً: "لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ (أي: الإمارة والخلافة) فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْ النَّاسِ اثْنَانِ"[1119]. قال النووى: "هَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَأَشْبَاهُهَا دَلِيلٌ ظَاهِرٌ أَنَّ الْخِلَافَةَ مُخْتَصَّةٌ بِقُرَيْشٍ، لَا يَجُوزُ عَقْدُهَا لِأَحَدٍ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَعَلَى هَذَا انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ، فَكَذَلِكَ بَعْدَهُمْ. [...] وَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ مُسْتَمِرٌّ إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنَ النَّاسِ اثْنَانِ".

وكما قلنا فيما سبق، يمكننا أن ننظر إلى الإسلام باعتباره مجرد حركة سياسية/عسكرية هدفها السيطرة والهيمنة وبسط نفوذ قريش قبيلة محمد. أما الدين (النبوة) فهو مجرد وسيلة لتحقيق هذا الهدف السياسي/العسكري، لا سيما مع قرب انتهاء الحرب العالمية بين الفرس المجوس والروم المسيحيين على الشرق الأوسط، تلك الحرب العالمية التي أنهكت هاتين الإمبراطوريتين في أوائل القرن السابع الميلادي.

بعبارة أخرى: الإسلام هو مجرد ديانة بشرية عربية خرجت من رحم هذا الصراع السياسي/العسكري على أرض الشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي وما بعده.

أما مسألة أن الخلافة الإسلامية ستظل في قريش إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا كما قال محمدٌ، فلن نعلق على العنصرية (Racism) الموجودة في هذا الحديث، وسنقول فقط إنه يكفي كدليل على أن محمد ليس نبياً من عند الله، فالمسلمون الآن ليس لديهم خليفة من قريش ولا من غير قريش.

فكما نشأت الخلافة الإسلامية (أو بعبارة أكثر دقة: الإمبراطورية القرشية العربية) بعد الحرب العالمية بين الفرس والروم في القرن السابع الميلادي، ماتت الخلافة الإسلامية (أو بعبارة أكثر دقة: الإمبراطورية العثمانية) بعد الحرب العالمية الأولى في القرن العشرين الميلادي.

موت الخلافة الإسلامية مَسَحَ بأستيكة كلَّ ما فعله أبو بكر الصديق وخالد بن الوليد وأمثالهما.

ومِن حُسن الحظ أن المسلمين العقلاء نسبياً لا يؤيدون فكرة عودة الخلافة الإسلامية.

ونحن الآن في سبتمبر 2018، وسوف نحتفل قريباً بمرور 100 سنة على موت الخلافة الإسلامية.

الخلافة الإسلامية ماتت. ولن تعود أبداً.

1.4.4 الشعراء والكُهَّان العرب

كان الشعراء والكُهَّان منتشرين انتشاراً واسعاً بين القبائل العربية قبيل ظهور الإسلام. ويُقال إن "سودة بنت زهرة" عمة وهب والد آمنة أم محمد كانت كاهنة، بل قيل إنها كانت كاهنة قريش؛ وتقول رواية أخرى إن آمنة رقت محمداً من العين (أي: من الحسد)[1120]! إنْ صحت هذه الروايات، فهذا يدل على أن محمد انحدر من عائلة عربية تتقن سجع الكُهَّان وتؤمن بالخرافات العربية الجاهلية مثل الحسد والرقية.

وبغض النظر عن مدى صحة تلك الروايات، فإنه لمِن المؤكد أن نشأة محمد في مجتمع ينتشر فيه الشعراء والكُهَّان قد أثرت على شخصيته، كما أثرت على القرآن (المكي بصفة خاصة).

لكن في المقابل، يقول القرآنُ دفاعاً عن نفسه: "وَمَا هُوَ (أي: وَمَا القرآن) بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ (أي: ليس بسجع كسجع الكُهَّان) قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ" (الحاقة 41-42).

فهل هذا صحيح؟!

بكل تأكيد: لا. ولقد تحدثنا فيما سبق باختصار عن شعراء العصر الجاهلي (أي: قبل الإسلام) – مثل: النابغة الذبياني وطرفة بن العبد وغيرهما – الذين اتصلوا بالغساسنة العرب (حلفاء الروم المسيحيين في الشام) والمناذرة العرب (حلفاء الفرس المجوس في العراق). ولا نبالغ إذا قلنا إن هؤلاء الشعراء العرب كانوا مثل السفراء لأقوامهم عند الغساسنة والمناذرة. فصار هؤلاء الشعراء العرب حلقة وصل مهمة بين الحضارتين الرومانية والفارسية من ناحية والعرب البدو من ناحية أخرى.

وتحدثنا بقدر أكبر من التفاصيل عن الشعراء المُخَضْرَمين وشعراء العصر الإسلامي – مثل: حسَّان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهما – الذين تأثروا بتراث الشعراء والأدباء الجاهليين وطوروه ونقلوه إلى المسلمين الأوائل.

ووضحنا فيما سبق بأمثلة كثيرة أن أبيات الشعر العربي والرجز العربي والخطب العربية تشبه القرآن شكلاً، وأحياناً تشبهه موضوعاً.

وأثبتنا بأدلة كثيرة أن القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) أنتجه العرب كنتيجة طبيعية – بل طبيعية جداً – لعملية تطور الثقافة العربية عبر عشرات السنين، بل مئات السنين. مِن حضارات وديانات الشرق الأوسط القديم ... إلى الروم المسيحيين والفرس المجوس ... إلى الغساسنة العرب والمناذرة العرب ... إلى شعراء العصرين الجاهلي والإسلامي ... إلى أصحاب القرآن.

كل الأدلة التي أمامنا تجبرنا على الاعتراف بأن تراث حضارات وديانات الشرق الأوسط القديم قد انتقل إلى العرب (اللغة العربية) عن طريق المسيحيين الشرقيين (اللغة السريانية) واليهود (اللغة العبرانية) والفرس (اللغة الفارسية). ومِن ثم استطاع العرب أن ينتجوا كتابهم القومي العربي الأدبي "القرآن" الذي صار كتاب المسلمين المقدس.

وسنتحدث فيما يلي عن أمثلة أخرى مِن الشعراء والكُهَّان العرب ...

1.4.4.1 سُوَيْدُ بن الصَّامِتِ الأوسي: الكامل صاحب مجلة لقمان الذي حرص محمدٌ على مقابلته!

إنه الشاعر والمثقف العربي المشهور "سُوَيْدُ بن الصَّامتِ"[1121] الأوسي، فهو إذن مِن قبيلة الأوس سكان يثرب. وتربطه صلة قرابة بقبيلة قريش في مكة، بل تربطه صلة قرابة بمحمد شخصياً، فأُمُّه "لَيْلَى بنت عمرو" النَّجَّارِيَّة خالة عبد المطلب جَدِّ محمد.

يقول د. جواد علي: "وكان مِن الشعراء [الجاهليين] مَن يكتب ويقرأ ويدون شعره. ومِن هؤلاء (عديّ بن زيد العبادي)، الذي كان يتولى مكاتبة العرب عند (كسرى)، والذي كان قد حذق الكتابة بالعربية والفارسية. وهو مِن شعراء (الحيرة)، والشاعر (سويد بن صامت الأوسي)، و (عبد الله بن رواحة)، و (كعب بن مالك الأنصاري)، وَهُمْ مِن شعراء يثرب". "وكان مِنهم مَن إذا نظم شعراً دوّنه ثم ظل يعمل في إصلاحه وتنقيحه وتحكيك ما نظمه إلى أن يرضى عنه. فينشده الناس. وممن كان يكتب ويقرأ سويد بن الصامت الأوسي، صاحب مجلة لقمان، والزّبْرِقان بن بدر، وكعب بن زهير، وكعب بن مالك الأنصاري، [...]. [...].

وقد أشير في كتب السير والأخبار إلى (مجلة لقمان)، وقيل: إنها حكمة لقمان. وأشير إلى أمثال لقمان. والمجلة هي (مكلوت): و (مكلتو) Magaltho في العبرانية والسريانية. ويراد بها كرّاس ملفوف وملف مخطوطات، وكتاب من أصل Golo بمعنى لف. وقد ذكر أن (سويد بن الصامت) كان يملك (مجلة لقمان)، (حكمة لقمان)، وأنه لقي الرسول يوماً، [...].

و (سويد بن الصامت) المذكور، رجل مثقف مهذب، ذو علم وفهم في أيامه وبين قومه. وقد عرف عندهم بالكامل، للخلال الحميدة التي كانت فيه. ولا يلقب بـ (الكامل) في الجاهلية إلا مَن كانت له صفات معينة. وصفه صاحب كتاب الأغاني، فقال: "وكان يُقال له الكامل في الجاهلية. وكان الرجل في الجاهلية إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سمّوه الكامل. وكان سويد أحد الكملة". وكان [سويد] كما يذكر أهل الأخبار حكيماً كثير الحِكَم في شعره، حتى قيل إن قومه إنما سمّوه (الكامل) لحكمة شعره وشرفه فيهم"[1122].

أما مقابلة محمد للشاعر الحكيم والمثقف العربي المعروف "سويد بن الصامت"، فنجدها مذكورة في تفاسير سورة لقمان وفي دلائل النبوة للبيهقي وفي كتب السيرة النبوية في سياق عرض محمد نفسه على العرب الذين يأتون إلى مكة في المواسم "وهو (أي: محمد) لا يَسْمَعُ بقادمٍ يَقْدَمُ مكةَ مِن العربِ، له اسمٌ وشَرَفٌ، إلا تَصَدَّى له، فَدَعاه إلى الله وعَرَضَ عليه ما عندَه". إذن: حدثت هذه المقابلة في مكة قبل الهجرة. قال ابنُ عبد البر: "وذلك في أول مبعث النبي ﷺ". لكن يُفهَم من سيرة ابن هشام أنها حدثت بعد وفاة خديجة وأبي طالب، أي: بعد حوالي عشر سنين من ادعاء محمد النبوة. ولا مانع أن تكون حدثت أكثر من مرة.

ونعرف من الكتب والمراجع الإسلامية[1123] أن سُويد بن الصامت أتى مِن يثرب إلى مكة حاجاً أو مُعْتَمِراً، فتصدّى له محمدٌ حين سَمِعَ به ودَعاه إلى الله وإلى الإسلام. فقال له سُويد: "فلعلَّ الذي معَك مِثْلُ الذي معي". فقال له محمدٌ: "وما الذي معَك؟" قال سويد: "مَجَلَّةُ لُقْمَانَ"؛ يعني: حِكمة لُقْمَانَ. فقال له محمدٌ: "اعْرِضْهَا عَلَيَّ". فَعَرَض سويد على محمد حكمةَ لقمان، فقال محمدٌ له: "إنَّ هذا لَكَلامٌ حَسَنٌ، والذي معي أفضلُ مِن

هذا، قرآنٌ أَنْزَلَه اللهُ تعالى عَلَيَّ، هو هُدىً ونُورٌ". فتلا عليه محمدٌ القرآنَ ودعاه إلى الإسلام، فلم يَبْعُدْ منه وقال: "إنَّ هذا لقولٌ حَسَنٌ". ثم انصرف سويد عن محمد.

إنَّ حِرْص محمد على مقابلة سويد بن الصامت، بدليل أن الكتب والمراجع الإسلامية تقول "فتصدّى له رسولُ الله ﷺ حين سمع به"، يدل على أن سويد بن الصامت كان بالفعل شاعراً ومثقفاً مشهوراً معروفاً، ولذلك حَرِص محمدٌ على مقابلته؛ وليس سويد هو الذي حرص على مقابلة محمد! فلو كان محمدٌ هو "نبي العرب المنتظر" كما يتوهم المسلمون، لحَرِص المثقف العربي سويد بن الصامت على مقابلته. لكن ما نجده في الكتب والمراجع الإسلامية أن محمد هو الذي "تصدّى" لسويد بن الصامت وطلب منه أن يعرض عليه مجلة لقمان.

ومقابلة محمد لسويد بن الصامت تؤكد أن محمد كان يقابل الشعراء والمثقفين والحكماء العرب ويطلب منهم أن يعرضوا عليه ما لديهم مِن معارف. قال محمدٌ لسويد: "اعْرِضْ مجلةَ لقمان عَلَيَّ".

ونلاحظ أيضاً أن محمد لم يقل لسويد بن الصامت: "اقرأها لي"، وإنما قال له: "اعْرِضْهَا عَلَيَّ". وهذا الطلب يوحي لنا أن محمد أراد أن يطلع على محتوى مجلة لقمان، مما يدل على أن محمد كان يعرف القراءة، وليس أمياً يجهل القراءة والكتابة كما يزعم المسلمون.

لم تذكر الكتب والمراجع الإسلامية محتوى "مجلة لقمان"، ربما لأن محتواها يشبه القرآن شكلاً و/أو موضوعاً. قال سويد لمحمد: "لا أبعد ما جئتَ به"، ولعله يقصد: ما عندي في مجلة لقمان لا يختلف كثيراً عن ما عندك في القرآن.

ونحن نستطيع أن نخمن محتواها مِن اسمها "حكمة لقمان"؛ لعلها مجموعة مِن الأمثال والأقوال المأثورة مِن الأدب الحِكَميّ (Wisdom Literature) الذي انتقل إلى العرب قبل الإسلام، سواء مِن التراث اليهودي/المسيحي (مثلاً: سفر أمثال سليمان الحكيم) أو مِن تراث الشرق الأوسط القديم (مثلاً: قصة أحيقار الحكيم). يقول د. جواد علي: "ولا يستبعد أن تكون هذه الأمثال من الأمثال المنتزعة من التوراة أو من الإنجيل أو من كليهما، فدوّنت في مجلة أي في كراسة أو كتاب [...] وقد تكون تلك المجلة من حكم الحكيم (أحيقار)، الحكيم الشهير صاحب الأمثال [...] وعُرِفَتْ أمثاله في العربية كذلك، في أيام الجاهلية (أي: قبل الإسلام)، فأشار (عديّ بن زيد العبادي) إليه وإلى قصته"[(1124)]. ومِن المعلوم أن عديّ بن زيد العبادي كان مِن الشعراء العرب النصارى قبيل ظهور الإسلام.

ونحن في هذه المذكرات، سنثبت بالأدلة كيف تأثر أصحابُ القرآن بقصة أحيقار الحكيم وغيرها من قصص وأساطير الشرق الأوسط القديم، مما يثبت أن القرآن ليس كلام الله.

بل إن رد فعل سويد بن الصامت على ما سمعه من القرآن واكتفاؤه بأن قال لمحمد "إنَّ هذا لقولٌ حَسَنٌ" ثم انصرافه عن محمد يدل على أن هذا المثقف العربي الحكيم لم يجد في القرآن شيئاً إعجازياً ولا حتى جديداً، مما يدل على أن القرآن كان كلاماً عادياً وليس "معجزة" كما يحاول المسلمون أن يصوروه لنا.

إنَّ سويد بن الصامت يمثل نموذجاً ثالثاً للمثقفين المعاصرين لمحمد، فهو لم يكن مع محمد (مثل: سلمان الفارسي وغيره) ولم يكن ضد محمد (مثل: النضر بن الحارث وغيره)، وإنما كان محايداً ليس مع محمد ولا ضده.

قيل إن سويد بن الصامت أسلم بعد أن قابل محمداً. لكن يُشكّ في إسلامه، إذ يُروَى أنه بعد أن قابل محمداً في مكة عاد إلى قومه بيثرب فقُتِل قبل حرب بُعَاث بين الأوس والخزرج، وقيل: قُتِل يوم بُعَاث، وفي جميع الأحوال: قُتِل قبل هجرة محمد من مكة إلى يثرب (المدينة). قتله "المُجَذِّرُ بن زياد (أو: المُجَذَّرُ بن ذِيَاد)"[1125] البَلَويّ (حليف الخزرج) الذي أسلم بعد ذلك وشهد بدراً (2هـ) مسلماً.

أما "الحَارِثُ بن سويد بن الصامت"[1126] فأسلم. وفي يوم أُحد (3هـ)، أخذ الحارثُ بثأر أبيه، فقَتَلَ الحارثُ المُجَذِّرَ (قاتلَ أبيه) غَدْراً: أتاه من خلفه فضرب عنقه! يعني: صحابي يقتل صحابياً! فهرَب الحارثُ إلى مكة مرتداً، ثم عاد فأسلم يوم الفتح، فقتله محمدٌ بالمُجَذِّر! وقيل: أمر محمدٌ بإعدامه بعد غزوة أُحُد.

وكذلك "الجُلَاسُ بن سويد بن الصامت"[1127] أسلم وصحب محمداً، لكنه كان مِن المنافقين الذين "قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ" (التوبة 74) وتخلفوا عن غزوة تبوك (9هـ)، ثم تابَ – أو قيل إنه تابَ – وحَسُنَتْ تَوبتُه! التهديد القرآني للمنافقين، إما التوبة وإما العذاب الأليم في الدنيا والآخرة: "فَإِن يَتُوبُوا (أي: فإن يتوب هؤلاء المنافقون) يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا (أي: على أيدي المسلمين المؤمنين!) وَالْآخِرَةِ [في نار جهنم] وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ" (التوبة 74).

وكالعادة، توجد روايات أخرى! مثلاً: توجد رواية تقول إن الجُلَاس – وليس الحارث – هو الذي قتل المُجَذِّرَ. وتوجد رواية ثالثة تتجاهل اغتيال المُجَذِّر وتقول إن الحارث ندم على ارتداده ولحاقه بكفار مكة وأراد أن يتوب، فأرسل إلى أخيه الجلاس في المدينة ليشفع له عند محمد، "فأنزل اللهُ" – هكذا تقول المراجع الإسلامية – "إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ (أي: من بعد كفرهم) وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (آل عمران 89). [إنْ صحت هذه الرواية، فربما يكون الجلاس هو الذي اقترح (آل عمران 89) ليساعد بها أخاه، فتحول اقتراحُه إلى آية قرآنية.] فأرسل الجلاسُ إلى أخيه الحارث ليبشره بأن باب التوبة مفتوح، فعاد الحارثُ إلى المدينة واعتذر إلى محمد وتاب، فقَبِلَ محمدٌ اعتذاره وتوبته[1128].

ونحن نستنتج مما سبق أن الشاعر الحكيم والمثقف العربي المشهور "سويد بن الصامت" لم يسلم. أما ابناه الحارث والجلاس فأسلما، لكن مِن المحتمل أن يكون إسلامهما ليس عن اقتناع وإيمان حقيقي بمحمد.

1.4.4.2 طريفة الكاهنة

قال المسعودى فى مروج الذهب إن المَلِك "عمرو بن عامر" أحد ملوك اليمن قبل الإسلام كان له زوجة كاهنة يُقال لها "طريفة الخير" (أو: ظريفة الخير). وفى يومٍ مِن الأيام، كَهَنَتْ طريفة وقالت لزوجها

المَلِك: "والنُّور والظلماء. والأرض والسماء. إنَّ الشجر لتالِف. وليَعودنّ الماء كما كان فى الدهر السالف"[1129].

ونلاحظ أن هذه الجمل القصيرة ذات النثر المسجوع (rhymed prose) تشبه - من حيث الشكل - الآيات الافتتاحية فى السور القصيرة ذات الآيات القصيرة، مثل: سورة التين وسورة القارعة وسورة الضحى وسورة الشمس وسورة العاديات وغيرها. قارن مثلاً بين ما قالته طريفة الكاهنة وما قاله القرآن فى بداية سورة التين:

كلام الكُهّان	كلام القرآن
والنُّور والظلماء.	وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ.
والأرض والسماء.	وَطُورِ سِينِينَ.
إنَّ الشجر لتالِف.	وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ.
وليَعودنّ الماء كما كان فى الدهر السالف.	لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.

ولا يهم إنْ كانت طريفة الكاهنة شخصية حقيقية أم خيالية أم مزيجاً مِن الحقيقة والخيال. ولا يهم إنْ كانت طريفة الكاهنة قد قالت هذه الجمل (الآيات) القصيرة فعلاً قبل ظهور الإسلام أو أنها وُضِعَت على لسانِها لاحقاً بعد ظهور الإسلام. فى جميع الأحوال، النتيجة واحدة: لدينا كلام بشرى مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذى وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) مِن منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التى أنتجت كلامَ طريفة الكاهنة تستطيع بكل تأكيد أن تنتج القرآنَ.

1.4.4.3 شخصيات أخرى

بالطبع توجد أمثلة أخرى من الشعراء والكُهَّان العرب الجاهليين الذين أنتجوا كلاماً عربياً يشبه كلام القرآن شكلاً و/أو موضوعاً. وليس هدفنا أن نعطي مسحاً شاملاً لهؤلاء الشعراء والكُهَّان العرب الجاهليين، ولذلك فإننا سنضيف إلى ما سبق اثنين فقط باختصار.

"سَلِمة بن أبي حَيَّة" الذي يُقال له "عُزَّى سَلِمة". ومِن قوله: "والأرض والسماء. والعُقاب والصَّقْعاء (أي: الشمس). واقعةً ببَقْعاء (ماء أو موضع). لقد نَفَّر (أي: حكم بالغلبة) المجدُ بني العُشَراء (عشيرة من فزارة) للمجد والسناء (أي: الرفعة)".

"زَبْراء" كاهنة بني رئام. ويُروى أنها أنذرتهم غارة عليهم فقالت: "واللوح (هنا: الريح) الخافق. والليل الغاسق. والصباح الشارق. والنَّجْم الطارق. والمُزْن الوادق (أي: الممطر). إن شجر الوادي ليأدو (أي: يختل) خَتْلاً. ويَحْرق أنياباً عُصْلاً (كناية عن الغضب والشر). وإن صخر الطَّوْد (أي: الجبل) ليُنذِر ثُكْلاً. لا تجدون عنه مَعْلاً (أي: ملجأ)".

وبالطبع توجد شخصيات أخرى وأمثلة أخرى[1130]، ولم نذكرها حرصاً على عدم الإطالة.

ومما يدل على أن سجع الكُهَّان كان يسبق محمد زمنياً وأن محمد نفسه كان يعرفه ويميزه، الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم[1131] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: اقْتَتَلَت امْرَأَتَانِ مِنْ هُذَيْلٍ، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ فَقَتَلَتْهَا وَمَا في بَطْنِهَا (أي: قَتَلَتْهَا وقَتَلَتْ جَنِينَها)، فَاخْتَصَمُوا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ دِيَةَ جَنِينِها غُرَّةٌ: عَبْدٌ أَوْ وَلِيدَةٌ (أي: أَمَةٌ)، فَقَالَ حَمَلُ بْنُ النَّابِغَةِ الهُذَلِيُّ وَلِيُّ المَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَغْرَمُ مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ، وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلَّ (أي: ولا صاح؛ يقصد: لم يُولد بعد)؟ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ (أي: يُهدر دمه ولا يطالب بديته)". فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الكُهَّانِ"، مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الذي سَجَعَ. وفي رواية أخرى، قال محمدٌ: "سَجْعٌ كسَجْعِ الأَعْرَابِ؟".

ونحن نرى أن قدرة الرجل العربي "حَمَل بْن مَالِك بْن النَّابِغَةِ" الهُذَلِيّ على أن يرتجل هذا النثر المسجوع ارتجالاً بسرعة وبكل سهولة ويسر تدل على أن هذا السجع كان جزءاً أصيلاً من الثقافة العربية التي نشأ فيها محمدٌ وغيره مِن أصحاب القرآن.

ويقول د. شوقي ضيف تعليقاً على هذا السجع: "وإذا صح أن ما يُروى في كتب التاريخ والأدب من سجع الكهان [الجاهليين] تقليد دقيق لما كانوا يأتون به من هذا السجع لاحظنا أنهم لم يكونوا يسجعون فحسب، بل كانوا يعمدون أيضاً إلى ألفاظ غامضة مبهمة، حتى يتركوا فسحة لدى السامعين كي يؤوِّل كل منهم ما يسمعه حسب فهمه وظروفه. ومِن ثم دخل الرمز في كثير من أقوالهم، إذ يومئون إلى ما يريدون إيماء، وقلما صرحوا أو وضَّحوا، بل دائماً يأتون المعاني من بعيد، بل قل إنهم كانوا لا يحبون أن يصوروا في وضوح معنى، ويتخذوا له أشباحاً واضحة من اللفظ تدل عليه، لأن ذلك يتعارض مع تنبئهم (أي: ادعائهم أن يتنبأون بالمستقبل) الذي يقوم على الإبهام والوهم واختيار الألفاظ التي تخدع السامع وجوهاً من الخدع، ومن ثم كان من أهم ما يميز أسجاعهم عدم وضوح الدلالة وأن يكثر فيها الاختلاف والتأويل. وليس هذا كل ما يُلاحَظ على السجع الذي يُضاف إليهم، فإنه يُلاحَظ عليه أيضاً كثرة الأقسام والأيمان بالكواكب والنجوم والرياح والسحب والليل الداجي والصبح المنير والأشجار والبحار وكثير من الطير"[1132].

ونحن نلاحظ أن كل ما قاله د. شوقي ضيف عن كلام الكُهَّان الجاهليين (أو المنسوب إليهم) ينطبق على القرآن: السجع؛ الكلام المبهم واللجوء إلى الرمز؛ القسم بالأجرام السماوية والظواهر الطبيعية. وهذا

يؤكد النتيجة التي نصل إليها دائماً: القرآن هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) من منتجات الثقافة العربية. الثقافة العربية التي أنتجت سجع الكُهَّان هي الثقافة العربية التي أنتجت القرآن.

إن كل الأدلة التي أمامنا تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن كلام العرب وليس كلام الله.

ولن نكتفي بالأدلة التي قدمناها، بل سنعطي أدلة أخرى في الأبواب والفصول التالية تثبت عملية التطور البشري الطبيعي (natural human development) التي أنتجت القرآن. إنها عملية بشرية 100% لا علاقة لها بالله.

2 ملاحظات هامة حول القرآن ونَبِيِّه محمد

كما قلنا فيما سبق: ليس محمد هو موضوع هذه المذكرات. وإنما موضوعها هو القرآن. لكننا نضطر أحياناً أن نتحدث عن محمد حتى نرد على البروباجاندا الإسلامية التى تزعم أنه نبى ورسول ومعصوم وقدوة ويجب على كل الناس – حتى أهل الكتاب – أن يؤمنوا به لأن الكتاب المقدس قد بَشَّر به!

فى هذا الباب، نتحدث عن بعض الأمور المتعلقة بمحمد: هل كان أمياً؟ هل الكتاب المقدس قد بَشَّر به كما يزعم المسلمون؟ هل كان محمد معصوماً؟ هل يصلح كقدوة اليوم؟ وفى نهاية الباب، نلقى الضوء على الطريقة غير العلمية التى جُمِع بها القرآن فى مصحف بعد وفاة محمد.

2.1 هل كان محمد أمياً؟

بعد أن أثبتنا فيما سبق بالأدلة النقلية والعقلية وجود ترجمات عربية (مكتوبة و/أو شفوية) لكل أو بعض أسفار الكتاب المقدس أثناء حياة محمد، قد يقول أحباؤنا المسلمون: لكن محمد كان أمياً لا يعرف القراءة، وبالتالى فإنه لم يستطع قراءة هذا التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian).

ولكى نرد على ذلك، يجب علينا أن نناقش "أمية محمد". ونبدأ أولاً بالتعريفات ...

تقول موسوعة بيان الإسلام: "الأمية لا تعنى بحال مِن الأحوال الجهل، فليس كل أمى جاهلاً، وكذلك فليس كل جاهل أمياً. فالأمى هو مَن لا يقرأ ولا يكتب، والجاهل مَن لا يعلم ما ينبغى أن يعلم، وليس العلم كله منوطاً بقراءة وكتابة [...] فليس هناك إذن أدنى ارتباط بين جهل وأمية، أو بين علم وقراءة وكتابة"[1133].

ونحن نتفق أن الأمية شيء والجهل شيء آخر، ونقول إننا حتى لو افترضنا جدلاً أن محمد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فإنه بكل تأكيد لم يكن جاهلاً، فيكفيه ما سمعه وعلمه شفوياً مِن المحيطين به.

وتقول الموسوعة فى موضع آخر إن محمد كان له عقل "يتعامل به مع جميع الأجناس، ومختلف الألسنة، ويفهم به كلام مَن يكلمه سواء مِن قريش أم غيرها، أم حتى مِن العجم"[1134].

تعليقنا: إذا كان محمد يتمتع حقاً بهذه الصفات، فلا يهم إذا كان يقرأ ويكتب أم لا. تكفيه هذه الصفات التى ذكرتوها أنتم فى كتبكم.

ومع ذلك، فإننا سنناقش "أمية" محمد. لماذا؟ لأننا حين نسأل أى مسلم: ما الدليل على أن القرآن كلام الله؟ يقول لنا: وهل يمكن لرجل "أُمِّي" لا يقرأ ولا يكتب أن يأتى بكتاب مثل القرآن؟ إذن: "أمية" محمد تُستخدَم كدليل على أن القرآن كلام الله. ولذلك لزم تحليل موضوع "أمية" محمد المزعومة.

2.1.1 هل يوجد أى دليل على "أمية" محمد المزعومة؟

الإجابة: لا.

لا يوجد أى دليل على "أمية" محمد المزعومة.

لكن يستدل كثير مِن المسلمين على أمية محمد بوصفه فى القرآن بعبارة "النَّبِيّ الأُمِّيّ" (الأعراف 157-158)، ويقولون إن "أمى" نسبة إلى "الأم"، أى مَن بقى على الحالة التى ولدته أمه عليها، أى لم يتعلم القراءة والكتابة! وكأن ارتباط الإنسان بوالدته صار دليلاً أتوماتيكياً على أنه لا يقرأ ولا يكتب! وحتى لو افترضنا جدلاً أن "أمى" نسبة إلى "الأم"، فهذا لا يعنى بالضرورة أن "الأمى" هو مَن لا يقرأ ولا يكتب. قد

يكون الأمى هو مَن ظل على فطرته الدينية منذ أن ولدته أمه، أى لم يعتنق ديانة من الديانات المعروفة فى مجتمعه. وقد يكون "الأمى" هو مَن نُسِب إلى "أم القرى"، أى: مكة. وهى كلها صفات تنطبق على محمد "النَّبِيّ الْأُمِّيّ" الذى وُلِد فى مكة ولم يعتنق اليهودية ولا النصرانية (المسيحية) ولا المجوسية ولا الشِرْك، حسب ما يقول التقليدُ الإسلامى.

لكن المسلمين يتجاهلون كل هذه المعانى الأخرى المحتملة لكلمة "أمى" ويصرون على أن محمد كان "أمياً" بمعنى أنه لا يقرأ ولا يكتب! ويستدلون على ذلك بالقرآن الذى قال عن محمد: "وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ" (العنكبوت 48)، وبالحديث الصحيح الذى يقول: "إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب"[1135]. وطبعاً يرددون الرواية – اللي ماحدش شافها – واللي بتقول إن جبريل جاء لمحمد وقال له "اقرأ"، فقال له محمد "ما أنا بقارئ".

نقول مِن البداية إننا حتى لو افترضنا جدلاً أن كلمة "أُمِّى" فى الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة تعنى أن محمد كان يجهل القراءة والكتابة، فلا يمكن أن نقبل هذا كدليل. ولِمَ لا؟ لأننا ببساطة لا نؤمن بالقرآن ولا نؤمن بكتب السُنَّة، فلا يمكن أن تأتى لنا بجملة مِن القرآن تزعم أن محمد كان يجهل القراءة والكتابة لكى تثبت بها أن القرآن كلام الله! عليك أولاً أن تثبت لنا أن القرآن كلام الله ثم بعد ذلك تستخدمه كدليل. فإن لم تفعل ستكون قد وقعت فى (circular reasoning) – أى أنك ستصبح كمَن عرَّف الماء بعد الجهد بالماء. فالدليل إذن لا بد أن يكون مِن خارج القرآن ومِن خارج السُنَّة، أى من خارج الإسلام وليس مِن داخله. مثل ماذا؟ على سبيل المثال: تقول الكتب الإسلامية إن محمد كان له علاقات مع النجاشى ملك الحبشة والمقوقس حاكم مصر القبطية المسيحية، فهل يوجد أى أثر تاريخى مكتوب أو مرسوم أو منقوش أو منحوت فى مصر أو أثيوبيا يعود تاريخه إلى الفترة الزمنية التى ظهر فيها الإسلام ويذكر أن هذا النبى الذى ظهر فى شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى كان لا يقرأ ولا يكتب؟ إذا أتيتم بهذا الدليل المادى يمكن حينئذ أن نتناقش بطريقة علمية. لكن نريد دليلاً مادياً يعود تاريخه إلى زمان محمد، وليس رواية مِن روايات كتب السيرة والسُّنَّة والتفسير التي كُتِبَت بعد وفاة محمد بمئات السنين.

إذن: كل أدلة المسلمين على أمية محمد المزعومة هى أدلة "إسلامية" فقط. بل إن معظمها مذكور فى كتب السُنَّة والتفسير والسيرة وغيرها مِن الكتب الإسلامية-العربية التى كُتِبت فى العصر العباسى حين كان المسلمون أقوياء عسكرياً، ولا يستطيع أحد أن يجادلهم أو حتى يخالفهم. وبالتالى فإنه مِن حقنا أن نغلق باب النقاش فى موضوع "أمية محمد" حتى يعطينا المسلمون أدلة أخرى **غير** إسلامية.

لكن لكى لا ينتهى النقاش قبل أن يبدأ، فمِن حقنا أيضاً أن نُعلِّق على هذه الأدلة الإسلامية ...

2.1.1.1 قصة "اقرأ ... ما أنا بقارئ" ليست دليلاً على أن محمد كان لا يقرأ ولا يكتب

نبدأ حديثنا بقصة "اقرأ ... ما أنا بقارئ" المذكورة فى المراجع الإسلامية، والمذكورة أيضاً فى مناهج وزارة التربية والتعليم التى تُطبَع كل عام على نفقة الدولة! نقول مِن البداية إن هذه القصة غير مذكورة فى القرآن ولم يراها أحدٌ بعينيه. وهذا يعنى أن كل مَن حكاها سواء مِن مؤلفى السيرة أو مِن رواة الأحاديث أو مِن المفسرين كان "شاهد ما شفش حاجة"! وبالتالى، فإن هذه القصة لا تصلح أبداً كدليل على أمية محمد، بل لا تصلح كدليل على أى شيء. ومع ذلك، فإننا سنعلق عليها.

نستنتج مِن القصة كما جاءت فى السيرة النبوية لابن هشام[1136] (توفى عام 218هـ؛ أى بعد وفاة محمد بأكثر من 200 سنة!) أنها كانت مجرد رؤيا أو منام، بدليل أنها تبدأ بعبارة "فجاءنى جبريل، وأنا (أى: محمد) نائم" وتنتهى بعبارة "ثم انتهى (جبريل) فانصرف عنى وهببت من نومى". وهذا يعنى أن محمد نفسه لم يرى هذه القصة بعينيه، وإنما رآها فى خياله وهو نائم. ويبدو أن هاجس النبوة كان مسيطراً على عقل محمد – أو: عقول مَن حوله – لدرجة أنه حلم بجبريل. ونحن نندهش أن يستدل المسلمون على أمية محمد بحلم رآه محمد فى نومه! ونندهش أكثر أنهم يستخدمون هذه الرؤيا كدليل على بدء "الوحى"! بل يعتبرون بدء هذا الوحى أهم حدث فى تاريخ البشرية! مش شايفين إن الحكاية over شوية؟!

على أى حال: إذا قرأنا هذه الرؤيا جيداً، فسنجد أن محمد لم يقل لجبريل "ما أنا بقارئ" وإنما قال له أولاً "ما اقرأ؟" ثم قال له بعد ذلك "ماذا اقرأ؟"، أى إنه استفهام عن المطلوب قراءته، وليس نفياً للقراءة. وهذا يدل على أن محمد كان يعرف القراءة، بدليل أنه سأل عن المطلوب قراءته.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن محمد قال "ما أنا بقارئ" (كما قال البخارى الذى توفى عام 256هـ، أى بعد وفاة محمد بأكثر من 240 سنة!)[1137]، فإن "ما" هنا أيضاً هى "ما" الاستفهامية (What?) وليست "ما" النافية (not). "ما أنا بقارئ؟" يعني "ماذا اقرأ؟". ولو أراد محمد أن ينفى قدرته على القراءة، لقال جملة منفية واضحة مثل "لا أقرأ" أو "ما تعلمت القراءة" أو "أَنَّى أقرأ وَلَمْ أتعلم القراءة"[1138]. لكن محمد لم يقل شيئاً مِن ذلك. وإنما قال "ما اقرأ؟" أو "ماذا اقرأ؟" أو "ما أنا بقارئ؟"، أى سأل جبريلَ سؤالاً واضحاً عن المطلوب قراءته.

قال د. محمد عابد الجابرى: "هذا وقد أورد ابن جرير الطبرى (224 – 310هـ) فى تاريخه عدة روايات فى نفس الموضوع، جاء فيها كلها جواب النبى على جبريل بصيغة: "ما أقرأ؟" و "ماذا أقرأ؟". وبعض هذه الروايات رُوِيَت عن نفس المصدر الذى روى عنه البخارى، أعنى: عائشة زوج النبى ﷺ"[1139].

حاولت موسوعة بيان الإسلام أن تبرر سؤال "ما اقرأ؟" الذى سأله محمد للمَلَك جبريل، فقالت إن طلب محمد "مِن المَلَك تعيين ما يطلب منه قراءته لم يكن إلا لخوفه (أى: خوف محمد) من أن يعود (جبريل) إلى ضمه"[1140]. واستدلت على ذلك بجملة قالها محمد قرب نهاية الحلم وهى "ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى".

تعليقنا على ما قالته الموسوعة: إذا قرأنا الحلم من أوله، فسنجد أن محمد قد قال "ما اقرأ؟" مِن البداية، حتى مِن قبل أن يضمه جبريل. إذن: تبريركم غير صحيح. اقرأوا القصة جيداً مِن أولها وليس مِن آخرها.

وإنْ قلتم إن جبريل كان يمسك كتاباً، فسنقول إننا حتى لو افترضنا جدلاً أن محمد قال لجبريل "ما أنا بقارئ" وحتى لو افترضنا جدلاً أن "ما" هنا هى "ما" النافية، فإن هذا لن يكون دليلاً على عدم قدرة محمد على القراءة، وإنما هو دليل على امتناعه عن القراءة أو عدم رغبته فى القراءة. بالضبط كما تقول لى "اذهب إلى البيت"، فأقول لك "ما أنا بذاهب" بمعنى "لا أريد الذهاب" أو "لن أذهب" (I will not)، وليس بمعنى "لا أقدر على الذهاب" (I cannot). قال الشيخ عبد الرحمن السعدى: "وأمرَه (أى: أمرَ جبريلُ محمداً) أن يقرأ، فامتنع، وقال: "ما أنا بقارئ". فلم يزل به (أى: فلم يتركه جبريل) حتى قرأ"[1141]. وخير دليل على ذلك هو أن جبريل كرر الأمرَ "اقرأ" 3 مرات، وفى كل مرة يقول محمد "ما أنا بقارئ". فلو كانت "ما أنا بقارئ" تعنى أن محمد لا يعرف القراءة والكتابة، فلماذا كرر جبريلُ الأمرَ "اقرأ"؟!

كالعادة، اخترع المفسرون المسلمون حيلة ذكية لتبرير تكرار الأمر "اقرأ"، فقالوا إنه "أمر تكوينى"، بمعنى "كُن قارئاً"، "إذ لم يكن النبى قبل ذلك قارئاً ولذلك كرر عليه جبريل الأمر التكوينى الإلهى بالقراءة، فإنه سينزل عليه كتاب يقرؤه للناس، وإن كان لا يستطيع كتابته"[1142]!

ونحن نرد على هذه الحيلة بسؤال: هل يحتاج الله إلى تكرار أوامره التكوينية؟! القرآن نفسه يؤكد أن الله "إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (البقرة 117) (آل عمران 47) (مريم 35) (غافر 68)، "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (يس 82)، "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (النحل 40). إذن: الأمر التكوينى مرة واحدة يكفى، ولا داعى لتكراره. قال ابن كثير فى تفسيره لـ "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (يس 82): "أَيْ: إِنَّمَا يَأْمُر بِالشَّيْءِ أَمْراً وَاحِداً لَا يَحْتَاج إِلَى تَكْرَار وَتَأْكِيد"[1143].

وبذلك يكون الأمر "اقرأ" أمر تكليف وليس أمر تكوين. والسبب المنطقى الوحيد لتكراره هو أن محمد رفض تنفيذه وقال: "ما أنا بقارئ" (أى: لن أقرأ)، فألح عليه جبريل وكرر الأمر "اقرأ" 3 مرات حتى نفذ محمد الأمرَ وقرأ. وليست هذه هى المرة الأولى التى يرفض فيها نبىٌ تنفيذ الأمر الإلهى فى البداية أو يحاول أن يتهرب مِن أداء المهمة التى يكلفه اللهُ بها. وربما تكون قصة "اقرأ ... ما أنا بقارئ" مجرد أسطورة إسلامية مستوحاة مِن رفض موسى النبى تنفيذ أمر الله فى البداية، أو على الأقل تردده فى تنفيذ هذا الأمر. قال اللهُ لموسى: "فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ". فَقَالَ مُوسَى للهِ: "مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَحَتَّى أُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟" (الخروج 3:10-11) (الشعراء 10-14). انظر أيضاً قصة يونس (يونان) النبى الذى "أَبَقَ (أى: هَرَبَ)" (الصافات 140) (يونان 1:3)، فوصفه القرآن بكلمة "مُلِيمٌ" (الصافات 142)، أى "مستحق للملامة، جزاء هروبه مِن الدعوة إلى الحق وعدم الصبر على المخالفين"[1144].

الخلاصة: توجد على الأقل ثلاث روايات مختلفة لقصة "اقرأ":

- رواية تقول إن محمد رد على جبريل بقوله "ما اقرأ؟"؛
- ورواية ثانية تقول إن محمد رد على جبريل بقوله "ماذا أقرأ؟"؛
- ورواية ثالثة تقول إن محمد رد على جبريل بقوله "ما أنا بقارئ".

تجاهل معظم المسلمين روايتى "ما اقرأ؟" و "ماذا أقرأ؟"، بينما ركزوا على رواية واحدة فقط هى رواية "ما أنا بقارئ". ليس هذا فحسب، وإنما فسروا هذه الرواية على هواهم، بل بالغوا وتطرفوا فى تفسيرها إلى درجة أن جعلوها بالعافية تعنى "لا أقرأ" أو "ما تعلمت القراءة"! وكل ذلك حتى يثبتوا أمية محمد بأى طريقة مهما كانت ملتوية. والصواب هو: إما أن تكون "ما" هنا هى "ما" الاستفهامية فيكون المقصود "ماذا أنا بقارئ؟"، "ماذا أقرأ؟". وإما أن تكون "ما" النافية فيكون المقصود "لن أقرأ"، "مش هأقرأ".

بعد أن انتهينا مِن تحليل رد محمد على جبريل وأثبتنا أنه لا يعنى إطلاقاً أن محمد كان لا يعرف القراءة والكتابة، ننتقل الآن إلى مناقشة الأمر الذى قال جبريل لمحمد: "اقرأ". هل يعنى: اقرأ (Read) مِن كتاب مكتوب؟ أم يعنى شيئاً آخر؟

قبل الإجابة على هذا السؤال، نؤكد على أنه في القرون الأولى للميلاد، لم تكن "القراءة" (reading) تعني عادةً أن يقرأ الإنسانُ لنفسه كما نفعل نحن اليوم حين نقرأ جريدة أو كتاباً ورقياً أو إلكترونياً. وإنما كانت القراءة تعني أن يقرأ الإنسانُ للآخرين بصوتٍ عالٍ[1145]. وتوجد أدلة على هذه الثقافة الشفوية السمعية في التراث المسيحي قبل الإسلام.

باختصار: كانت "القراءة" (reading) تعني "التلاوة" (reciting).

بالفعل، يرى د. أحمد شوقى إبراهيم وغيره أن كلمة "اقرأ" تعنى "التلاوة" (reciting). يقول: "وليس المقصود بكلمة "اقرأ" أى: انظر فى لوح أو كتاب واقرأ منه، بل المقصود النطق بالكلام، فلو قال الشيخ ممتحناً مَن يحفظ على يديه القرآن: "اقرأ من أول الجزء الثانى". فالمقصود: "اتلُ علىّ من أول الجزء الثانى"، وكثيراً ما يستعمل الرسول ﷺ هذا الأمر [...] فى أحاديث كثيرة [...]. فليس المقصود من الأمر بالقراءة فى هذه الأحاديث النظر فى كتاب والقراءة منه، إنما المقصود النطق بالتلاوة. ومِن ثم فقول جبريل للنبى: اقرأ. يقصد به النطق بالتلاوة، وليس بالضرورة أن يقدم جبريل كتاباً للنبى ﷺ، والله أعلم"[1146].

ويبدو لنا أن ما قاله د. أحمد شوقى إبراهيم فى هذا المرجع صحيح. والدليل على ذلك هو أن جبريل قال "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [...]" (العلق 1-5)، ثم قرأها (أى: تلاها أو رددها) محمدٌ مِن بعده.

وتوجد أدلة قرآنية تدل على أن المعنى المقصود ليس القراءة (reading) مِن كتاب مكتوب، وإنما التلاوة (reciting) مِن الذاكرة بدون كتاب مكتوب. أو كما يُقال في بعض الدول العربية: التسميع. نجد ذلك فى مواضع كثيرة، مكية ومدنية. على سبيل المثال[1147]:

- "إِنَّهُ (أى: القرآن) لَقَوْلُ (أى: تلاوة) رَسُولٍ كَرِيمٍ (هو جبريل)" (الحاقة 40) (التكوير 19).
- يُروَى أن محمد "كان إذا نزل عليه الوحى يُحرّك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحى، مخافة أن لا يحفظه"[1148]. فقيل له: "(يا محمد) لَا تُحَرِّكْ بِهِ (أى: بالقرآن) لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (أى: لتتعجل حفظه). إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ (أى: حِفْظ القرآن واستظهاره فى صدرك) وَقُرْآنَهُ (أى: جَرَيَانه عَلَى لِسَانك). فَإِذَا قَرَأْنَاهُ (recited it) (أى: إذا تلا جبريلُ عليك القرآنَ) فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (أى: اسْتَمِعْ لتلاوته منصتاً)" (القيامة 16-18)[1149]. والمقصود: بعد أن يفرغ جبريلُ مِن تلاوة القرآن، اتلُ يا محمد ما سمعت كما تلاه جبريلُ عليك حتى يرسخ فى ذهنك. إذن: فى هذه الآيات، جاءت لفظة القراءة (القرآن) بمعنى الحفظ والترديد باللسان أو التلاوة مِن الذاكرة، وليس القراءة مِن كتاب مكتوب.
- "(يا محمد) سَنُقْرِئُكَ (القرآنَ) فَلَا تَنْسَى (ما نلقيه إليك، ما تسمعه)" (الأعلى 6). إذن: فى هذه الآية أيضاً، جاءت لفظة القراءة بمعنى الحفظ والترديد أو التلاوة مِن الذاكرة، بدليل أن الترجمة الصحيحة لـ "سَنُقْرِئُكَ" هى (make you recite)، أى: سنجعلك تتلو. ولقد اعترفت بذلك الترجمة الفرنسية الصادرة من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية، إذ تقول الترجمة: (Nous te ferons – Ô Mohammad – réciter (le Coran))[1150]. إذن: المعنى الصحيح هو التلاوة (réciter) وليس القراءة (lire). ومِن المعلوم أن سورة الأعلى مِن أوائل السور المكية. فلو كانت "سَنُقْرِئُكَ" تعنى "سنجعلك تقرأ" (make you read)، فهذا يعنى أن محمداً صار قادراً على القراءة فى بدايات دعوته إلى الإسلام. إذن: إما أن تعترفوا بأن محمد تعلم القراءة فى مرحلة مبكرة، أو تعترفوا بأن المقصود ليس القراءة (reading)، وإنما التلاوة (reciting).
- "وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ" (الإسراء 106)، أى: لتتلوه عَلَى النَّاسِ، بدليل قوله بعدها مباشرةً: "يُتْلَى عَلَيْهِمْ" (الإسراء 107). وتكرر الأمر بالتلاوة صراحةً "اتْلُ" فى مواضع أخرى: (المائدة 27) (الأعراف 175) (يونس 71) (الكهف 27) (الشعراء 69) (العنكبوت 45).
- "وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ (يا محمد) [...]" (الإسراء 45). فلو كان محمد لا يعرف القراءة كما تزعمون، فلماذا قيل له "وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ"؟! إذن: إما أن تعترفوا بأن محمد كان يعرف القراءة، أو تعترفوا بأن المقصود ليس القراءة (reading)، وإنما التلاوة (reciting).
- "فَاقْرَءُوا (فى الصلاة) مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ [...] فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ" (المزمل 20). ومِن المعلوم أن قراءة القرآن فى الصلاة لا تكون فى الغالب قراءة (reading) مِن مصحف، وإنما تلاوة (reciting) مِن الذاكرة.

- وما يؤيد هذا الرأى أيضاً هو أن الآيات المدنية الأربع التى تحدد مهمة رسول الأميين (الجمعة 2) (البقرة 129) (البقرة 151) (آل عمران 164) قد استخدمت جميعها كلمة "يَتْلُو" وليس "يقرأ". وكذلك فى آيات أخرى، مثل: "يَتْلُو" (الطلاق 11) (البينة 2)؛ "لِتَتْلُوَ" (الرعد 30). وهذه أدلة قرآنية على أن مهمة هذا الرسول العربى (محمد) هى التلاوة (reciting) وليس القراءة (reading).

وهذا كله يؤكد أن الأمر "اقرأ" الذى قاله جبريل لمحمد فى بدء ما يُسمَّى بـ "الوحى" يعنى الأمر بالتلاوة (reciting) وليس القراءة (reading). وَلو كان جبريل أعطى لمحمد كتاباً أو لوحاً مكتوباً ليقرأ منه، لكان محمد أخذ هذا الكتاب المكتوب وأعطاه لقومِه كدليل مادى قاطع على تلقيه "الوحى". وهذا لم يحدث. لماذا؟ لأن المقصود هو التلاوة (reciting) وليس القراءة (reading).

إذن: قصة "اقرأ" لا علاقة لها بالقراءة (reading)، وإنما بالتلاوة (reciting). وبذلك تكون هذه الرؤيا لا علاقة لها أصلاً بأمية محمد المزعومة. أى إنسان – سواء كان يعرف القراءة والكتابة أو لا – يستطيع أن يحفظ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [...]" (العلق 1-5) ثم يتلوها على الناس. الموضوع ليس له علاقة بالقدرة على القراءة والكتابة، وإنما بالقدرة على الحفظ والترديد مِن الذاكرة، أى: التلاوة.

ومِن الجدير بالذِكر أيضاً أن ترجمات إنجليزية وفرنسية للقرآن قد ترجمت "اقْرَأْ" (العلق 1) إلى الترجمة الصحيحة (Recite) (Récite)[1151]، أو إلى فعل آخر يدل على النطق أو المناداة أمام جماعة، مثل: (Proclaim) (Prêche)[1152]. وأضاف العالم البريطانى الكبير (J. M. Rodwell) فى ترجمته أن تفاصيل رؤيا محمد لجبريل غير تاريخية (The details of the vision are quite unhistorical)[1153]. وقال العالم الفرنسى الكبير (Jacques Berque) إنه ليس مِن المؤكد أن محمد كان لا يعرف القراءة والكتابة (il n’est pas sûr, […], que Muhammad fût illettré)[1154].

أما العالم الألمانى الكبير (Günter Lüling) فلقد رأى هو أيضاً أن "اقْرَأْ" (العلق 1) تعنى "اتلُ" (Recite)، وأضاف أن قليلاً مِن البحث سيظهر أن سورة العلق (سورة رقم 96) كانت فى الأصل ترنيمة مسيحية (Christian hymn) يقولها المسيحي المؤمن أمام جماعته فى الصلاة[1155]:

[...] يحتجّ لولينغ، مناقضاً الرؤية التراثيّة، بأنّ قليلاً من التنقيب الأثري النَّصّي يُظهِرُ أنّ هذه السورة [سورة العلق] كانت أصلاً ترنيمة مسيحيّة. المُتكلِّم ليس الله، بل مسيحيٌّ مؤمن. المُخاطَبُ ليس محمَّداً بل المسيحيين شركاءَه في الإيمان المسيحي. اللهُ لا يدعو محمَّداً ليتلو الوحي القرآني الذي يأتيه به جبريل. [بل] المؤمن (المسيحي) يحرّض جماعته على الصلاة: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ...".
[…] Opposing the traditional view, Lüling argues that a bit of textual archaeology will show that chapter 96 [سورة العلق] was originally a Christian hymn. The speaker is not God but rather the believing Christian. The

intended audience is not Muḥammad but his fellow Christians. God is not calling Muḥammad to recite the Qur'anic revelations that Gabriel will give to him. The believer is exhorting his community to pray: "Recite in the name of your Lord who created ...."

وبذلك تكون أسطورة "اقرأ" المذكورة فى كتب السيرة والسُنَّة والتفسير قد انهارت تماماً. ومِن حُسن حظ أحبائنا المسلمين أن القرآن لم يذكر هذه الأسطورة. ولذلك فنحن ندعو المسلمين إلى عدم ترديدها، لأنها مجرد حكاية خيالية لم تحدث أبداً. وحتى لو كانت حدثت، فإنها مجرد رؤيا رآها محمد فى منامه. وربما يكون محمد قد سمع هذه الترنيمة المسيحية فأعجبته، ولمَّا كان هاجس النبوة مسيطراً عليه و/أو على مَن حوله، حلم أن جبريل جاءه وطلب منه أن يتلوها.

ويبقى سؤال: كيف استطاع كُتَّاب السيرة والسُّنَّة والتفسير أن يُؤلِّفوا أسطورة "اقرأ"؟!

الإجابة: ربما استوحوها مِن الآية الكتابية الشهيرة التى تقول: "صَوْتُ قَائِل: «نَادِ (بالعبرية: qra)». فَقَالَ: «بِمَاذَا أُنَادِي (بالعبرية: me aqra)؟»" (إشعياء 6:40) التي تُرجمت إلى اليونانية (السبعينية) كما في حوارٍ بين طرفين: "صَوْتُ قَائِلٍ: «نَادِ». فَقُلْتُ: «بِمَاذَا أُنَادِي؟»" "وتتفق مخطوطات قمران ($1QIsa^a$) مع اليوناني"[1156]، ومن ثم تحولت – أيضاً بسبب التشابه بين الكلمات العبرية والعربية – إلى حوارٍ بين طرفين: قال "اقرأ" ... فَقُلْتُ "ماذا اقرأ؟" أو بنفس المعنى فَقُلْتُ "ما أقرأ؟" أو فَقُلْتُ "ما أنا بقارئ؟". ومما يؤيد هذا الاحتمال أن الآيات التالية لـ (إشعياء 6:40) تتحدث عن الله القوي الذي يستطيع أن يُهلك الإنسانَ (المقصود: بَابِلَ الوثنيةَ الطاغيةَ) "لأَنَّ نَفْخَةَ الرَّبِّ هَبَّتْ عَلَيْهِ (أي: بنفخةٍ واحدةٍ من الله)" (إشعياء 7:40). وهذه البشارة المفرحة المطمئنة للمؤمنين تتفق مع الآيات التالية لـ "اقْرَأْ" (العلق 1) التي تتحدث عن الله القوي "الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ" (العلق 1-2) و "عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق 5) ومع ذلك "إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (المقصود: أبو جهل الوثني الطاغية)" (العلق 6) "أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ. كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (أي: لنأخذنَّ بمقدَّم رأسه أخذًا عنيفًا). نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ. فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (أي: فليُحْضِر هذا الطاغية أعوانهَ الذين يستنصر بهم). سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (أي: سنُحْضِر ملائكةَ العذاب لتُهلكه وأعوانَه في جهنم)" (العلق 14-18).

أو ربما تكون هذه الرؤيا المزعومة التي رآها محمد هي مجرد تطور بشري طبيعي للرؤيا التي رآها "هرماس" (Hermas) حسب ما جاء في كتاب الراعي لهرماس (The Shepherd of Hermas) الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي وكان له أهمية كبيرة في القرون الأولى للميلاد لدرجة أنه مذكور في "القانون الموراتوري" (Muratorian Canon) وموجود في "المخطوطة السينائية"

(Codex Sinaiticus) التي تُعتبَر مِن أهم وأقدم مخطوطات العهد الجديد إذ يرجع تاريخُها إلى القرن الرابع الميلادي[1157]. يقول كتابُ الراعي إن ملاكاً في صورة امرأة عجوز جاء لهرماس في رؤيا **[⟵ في الأسطورة الإسلامية، جاء الملاكُ جبريل لمحمد في رؤيا]**. وكان هذا الملاك يقرأ مِن كتاب صغير أمام هرماس، ثم طلب الملاكُ مِن هرماس أن يُعلِن ما سمعه لمختاري الله (أي: لرفاقه المسيحيين) **[⟵ في الأسطورة الإسلامية، قال الملاكُ جبريل لمحمد: "اقرأ" (أي: اتلُ ما سمعته)]**. إلا أن هرماس قال للملاك إنه لا يستطيع أن يتذكر كُلَّ ما سمعه لأنها أمور كثيرة **[⟵ في الأسطورة الإسلامية، قال محمدٌ لجبريل: "ما أنا بقارئ"]**. فطلب هرماس مِن الملاك أن يعطيه هذا الكتابَ لينسخه، فأعطاه الملاكُ الكتابَ، فنسخه هرماس حرفاً حرفاً (letter by letter). الطريف هو أن هرماس قال بعد ذلك إنه لم يستطع أن يُميز بين مقاطع الكلمات (الألفاظ): "I could not distinguish between the syllables". وهذا لا يعني أن هرماس كان أمياً (illiterate)، وإنما قد يعني أن هرماس وجد صعوبة في قراءة الكلمات و/أو كتابتها، إذ "كانت طريقة الكتابة قديماً بدون تمييز أو فصل بين المقاطع أو الكلمات المختلفة، أي تُكتب كل الكلمات معاً بحروف متصلة"[1158]، فاضطر هرماس أن ينسخ أحرف الكتاب كما هي حرفاً حرفاً بدون تمييز. أما في التراث الإسلامي، فنجد أن فريقاً مِن المسلمين يتطرفون في تفسير قصة "اقرأ ... ما أنا بقارئ" فيزعمون أنها تدل على أن محمد كان أمياً (illiterate) لا يعرف القراءة والكتابة!

ويوجد رأي آخر يقول إن أسطورة بدء الوحي بكلمة "إقرأ" مستوحاة من كتاب "اعترافات القديس أغوسطينوس" الذي ينتمي إلى التراث المسيحي قبل الإسلام، إذ يرجع تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي[1159]. ومن المحتمل جداً أن يكون كتاب "اعترافات القديس أغوسطينوس" قد انتقل إلى العرب عن طريق السريان. ويتحدث أغوسطينوس فيه عن نداءٍ سماوي صوته مثل صوت الأطفال **[⟵ في الأسطورة الإسلامية، صوت ملائكي من السماء]** جاءه يغني (أي: يُرنِّم) مردداً "خذ واقرأ" مرتين (أي: اقرأ من الكتاب المقدس) **[⟵ في الأسطورة الإسلامية، قال الملاكُ لمحمد "اقرأ" 3 مرات]**. وكان هذا النداء السماوي نقطة تحول في حياة أغوسطينوس، إذ صار قديساً مسيحياً **[⟵ حادثة "اقرأ" بدء الوحي صارت نقطة تحول في حياة محمد، إذ صار نبياً مسلماً، حسب الأسطورة الإسلامية]**.

بل ربما تكون آية "اقرأ" نفسها (العلق 1) مِن اختراع أصحاب القرآن استوحوها مِن الآية الكتابية الشهيرة: "صَوْتُ صَارِخٍ (أى: منادٍ) فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ" (متى 3:3) (مرقس 3:1) (لوقا 4:3) (يوحنا 23:1) (إشعياء 3:40) التي تحولت إلى الآية القرآنية الشهيرة: "اقْرَأْ (أى: نَادِ أو انطق) بِاسْمِ رَبِّكَ" (العلق 1).

باختصار: كل الأدلة تشير إلى أن أسطورة "اقرأ" هي مجرد أسطورة إسلامية مستوحاة من التراث اليهودي-المسيحي الذي يسبق الإسلام.

النتيجة النهائية: أسطورة "اقرأ ... ما أنا بقارئ" ليست دليلاً على أمية محمد، بل ليس لها أصلاً أية علاقة بأمية محمد المزعومة. ويجب على كل المسلمين ألا يرددوا هذه الأسطورة لأنها قد انهارت تماماً وصارت هي والعدم سواء.

2.1.1.2 حديث "إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب" ليس دليلاً على أن محمد كان لا يقرأ ولا يكتب

نريد أن نتوقف قليلاً أمام حديث "إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب"، وتكملته حسب رواية البخارى: "الشهر هكذا وهكذا، يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين". أما فى صحيح مسلم، فإن هذا الحديث مذكور بروايات مختلفة، منها رواية واحدة فقط تذكر عبارة "إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب".

موضوع هذا الحديث ليس أمية محمد وليس الوحى، وإنما موضوع الحديث هو الصوم، بدليل أنه مذكور فى صحيح البخارى – كتاب "الصوم"، وفى صحيح مسلم – كتاب "الصيام" – باب "وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال"، وفى سنن النسائى – كتاب "الصيام"، وفى سنن أبى داود – كتاب "الصوم" – باب "الشهر يكون تسعا وعشرين".

قالت موسوعة بيان الإسلام تعليقاً على هذا الحديث: "الحديث لا يعنى نفى الكتابة والحساب نفياً عاماً شاملاً؛ وذلك لأن عرب الجاهلية قد كانوا يكتبون ويحسبون، وإنما هو نفى لأن تكون الكتابة وأن يكون الحساب نظاماً عاماً متبعاً فى كل الشئون كما كان ذلك عند بعض الأمم الأخرى ذات التقاويم الفلكية"[1160].
و "قال ابن بطال وغيره: [نحن] أمم لم تكلف فى تعريف مواقيت صومنا ولا عبادتنا ما نحتاج فيه إلى معرفة حساب ولا كتابة. إنما ربطت عبادتنا بأعلام واضحة وأمور ظاهرة يستوى فى معرفة ذلك الحساب وغيرهم"[1161].

والدليل العقلى على ذلك هو أن العرب بصفة عامة، وقبيلة قريش بصفة خاصة، كانوا يعملون بالتجارة. فلا يُعقَل أن يعمل بالتجارة مَن لا يحسب ولا يكتب ولا يقرأ.

إذن: هذا الحديث مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصيام، وليس المقصود منه نفى الكتابة والحساب عن الأمة العربية أو الإسلامية، وإنما المقصود هو "صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال"، أى أن يكون الصيام معتمداً على رؤية الهلال أو ما نُسمِّيه اليوم "الرؤية الشرعية"، وليس معتمداً على حساب النجوم أو ما نُسمِّيه اليوم "الحساب الفلكى". بعبارة أخرى: هذا الحديث لا ينفى الحساب، وإنما ينفى الحُكْم بحساب النجوم فى أمور الصوم والفطر.

باختصار: لا يمكن أن يكون هذا الحديث دليلاً على "أمية" محمد المزعومة.

2.1.1.3 "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ" ليس دليلاً على أن محمد كان لا يقرأ ولا يكتب

وصف القرآنُ العربَ بكلمة "الأميين": "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ (هو محمد حسب التقليد الإسلامى) يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (الجمعة 2). والدليل على أن هؤلاء "الْأُمِّيِّينَ" هُمْ العرب هو أن رسولهم (محمد) عربى وكتابهم (القرآن) عربى: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى (أى: مكة) وَمَنْ حَوْلَهَا" (الشورى 7) و (يوسف 2) و (الزخرف 3) وغيرها مِن الآيات التى تؤكد أن القرآن بلغة العرب. ويوجد دليل آخر على أن هؤلاء "الْأُمِّيِّينَ" هُمْ العرب، وهو أن (الجمعة 2) تكرر دعاء إبراهيم (أبو العرب حسب التراث الدينى-الشعبى) لأهل مكة (العرب): "رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً (a nation; a community) مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ" (البقرة 128-129)[1162].

فلو كان الأمى هو مَن لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب، فهل كان العرب كلهم أميون؟ بالتأكيد لا. تقول موسوعة بيان الإسلام: "كان العرب فى الجاهلية يعتمدون على ملكة الحفظ، ويتميزون بقوة الذاكرة، لكن هذا لا يعنى أنهم كانوا لا يعرفون الكتابة؛ إذ أثبتت النقوش الأثرية وجود بعض الكتابات التى ترجع إلى العصر الجاهلى، وكذلك كتابة المعلقات السبع على أستار الكعبة، وصحيفة المقاطعة التى أعلنتها قريش ضد النبى ﷺ فى بداية الدعوة الإسلامية، كما عرفت أدوات الكتابة ومادتها عن طريق وصفها فى كتب التاريخ والأدب". ثم تضيف الموسوعة: "انتشرت الكتابة انتشاراً واسعاً فى عهد النبى ﷺ وأصحابه، وثبت ذلك فى بعض النقوش الأثرية أيضاً، ودل على هذا الانتشار افتداء أسرى بدر بتعليم المسلمين القراءة والكتابة، ومعاهدات النبى ﷺ ومكاتباته، كمعاهدة المدينة مع اليهود، وصلح الحديبية مع قريش، ورسائله إلى الملوك والأمراء، وساعد على هذا الانتشار حض القرآن الكريم على الكتابة، وترغيب النبى ﷺ فى التعلم، وأمره بالكتابة خاصَّة؛ إذ أن دعوة الإسلام قامت على العلم"[1163].

وإن قلتم إن القرآن قد وصف العربَ بـ "الأميين" لأن معظمهم كانوا لا يقرأون ولا يكتبون ولا يحسبون، فسنقول: كثير مِن الأمم فى ذلك الزمان كانت أيضاً فى مجملها لا تكتب ولا تقرأ ولا تحسب، فلماذا وُصِف العربُ تحديداً بهذا الوصف؟!

ولو كان الأمى هو مَن لا يكتب ولا يقرأ، لكانت (الجمعة 2) قالت "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يُعَلِّمُهُمُ القراءة والكتابة وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي أمية مُبِينة". لكن الآية لم تقل ذلك وإنما قالت: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ (دينى) مُبِينٍ"[1164]. إذن: (الجمعة 2) تحدد مهمة هذا الرسول الأمي وهي أن يعطي قومَه الأميين كتاباً إلهياً (سماوياً) لأنه لم يكن لهم كتاب ديني مِن قبل. أو كما قال القرآنُ نفسه في سورة سبأ: "وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا [قبل القرآن] ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ [يا محمد] مِن نَّذِيرٍ" (سبأ 44). أو كما قال القرآنُ نفسه في

مواضع أخرى: "لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ" (القصص 46) (السجدة 3) "لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ" (يس 6). هذا هو تعريف "الْأُمِّيِّين" فهذا هو تعريف "الأمي" وهو موجود في القرآن.

نستنتج مِن ذلك أن "الْأُمِّيِّين" (الجمعة 2) هُمْ العرب الذين ليسوا مِن أهل الكتاب. قَالَ اِبْن عَبَّاس: "الْأُمِّيُّونَ: الْعَرَب كُلّهمْ، مَنْ كَتَبَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يَكْتُب؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَهْل كِتَاب"[1165]. وقال ابن صمادح عن "الْأُمِّيِّين": "يعنى العرب، وسموا بذلك لأنه لم ينزل عليهم كتاب"[1166]. وقال الشيخ عبد الرحمن السعدى: "المراد بالأميين: الذين لا كتاب عندهم، ولا أثر رسالة مِن العرب وغيرهم، ممن ليسوا مِن أهل الكتاب"[1167]. وقالت موسوعة بيان الإسلام تحت عنوان "وصف العرب بالأميين لا يعنى أمية القراءة والكتابة": "هذا الوصف بالأمية لا يعنى الأمية الكتابية ولا العلمية، وإنما يعنى الأمية الدينية؛ أى أنهم لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب دينى، ومن هنا كانوا أميين دينياً، ولم يكونوا مثل أهل الكتاب من اليهود والنصارى، الذين كان لهم التوراة والإنجيل"[1168]. وقالت الموسوعة فى موضع آخر: "إن الأميين لقب يُطلَق على مَن ليس له كتاب سماوى، وكان اليهود يطلقونها على غير جنسهم مِن العرب وغيرهم. [...] جعل (القرآنُ) وظيفة الرسول المبعوث فيهم تزكية نفوسهم وتعليمهم الكتاب والحكمة، وقد اتضح بهذا أن استخدام مصطلح "الأميين" فيهم (أى: فى العرب) ليس لجهلهم بالقراءة، بل لجهلهم بحقائق الدين وتعاليم السماء"[1169].

إذن: الأدلة مِن المراجع الإسلامية تؤكد ما وصلنا إليه: "الْأُمِّيِّين" (الجمعة 2) هُمْ العرب الذين ليسوا مِن أهل الكتاب. ومحمد كان "أمياً" بمعنى أنه كان عربياً وليس يهودياً ولا نصرانياً (مسيحياً).

وعندما بحثنا فى الترجمات الإنجليزية والفرنسية لكلمة "الْأُمِّيِّين" (الجمعة 2)، وجدنا أن "عبد الحليم" قد ترجمها إلى (the people who had no Scripture)، وترجمها الشيخ "بوريما عبده داود" إلى (des gens sans Livre [les Arabes]). أما "فخرى" فترجمها إلى (the common nations) وقال إنها يمكن أن تعنى أيضاً (the illiterates) أو (the people with no revealed scripture)[1170]. ونحن نقول له: الصواب هو (the people with no revealed scripture). وقال العالِم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) إن "الْأُمِّيِّين" (الجمعة 2) هُمْ "الأُمَمِيّين" (gentiles) أي: أي شعب لم يتلقَ وحياً إلهياً بعد، والسياق يدل على أن المقصود هُمْ: العرب[1171].

2.1.2 "الْأُمِّي" هو مَن ليس مِن أهل الكتاب، أى ليس يهودياً ولا مسيحياً

نبدأ أولاً بالأصل اللغوى لكلمة "أُمِّى". يرى د. أحمد شوقى إبراهيم أن كلمة (أمى) صفة نسب من كلمة (أمم) جمع (أمة). ومِن ثم يرى أن النبى "الأمى" هو النبى المرسل والموجه إلى كل (الأمم)، أى النبى العالمى[1172]. ونحن نتفق معه أن (أمى) مشتقة من (أمم) جمع (أمة)، لكن ليس المقصود عالمية الإسلام. فما المقصود إذن؟ ...

إن كلمة "أمى" تعنى الذى لم يكن له كتاب مِن الله، أى: ليس مِن أهل الكتاب، أى: ليس يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا (مسيحياً). نعم، إن (أمى) مشتقة مِن (أمم) جمع (أمة) (nation). وكلمة "أمة" لها معنى قومي، ولها أيضاً معنى ديني، فلقد استخدم القرآنُ كلمة "أمة" بمعنى "دين" أو "ملة": "وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ" (الزخرف 23) و "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ" (الأنبياء 92) (المؤمنون 52)[1173]. "والأمة الطريقة والدين، يقال: فلان لا أمة له، أى: لا دين له، ولا نحلة له، [...]، وقال ابن الأثير: الأمة الرجل المفرد بدين لقوله تعالى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ" (النحل 120)"[1174].

ومِن ثم فإن "أمي" تعني "أممي" (gentile) (gentil)، وهى الكلمة الشهيرة التى كان اليهود يستخدمونها للإشارة إلى مَن لا يدين باليهودية. قال بولس الرسول: "أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ (أى: غير اليهود) أَيْضًا؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضًا. لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ، هُوَ الَّذِي سَيُبَرِّرُ الْخِتَانَ (أى: اليهود) بِالإِيمَانِ وَالْغُرْلَةَ (أى: غير اليهود) بِالإِيمَانِ" (رومية 3:29-30) "لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ (أى: الأممى، غير اليهودى)، لأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ، غَنِيًّا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ" (رومية 12:10)، ووصف بولسُ نفسَه صراحةً بأنه "رَسُولٌ لِلأُمَمِ (أى: لغير اليهود)" (رومية 13:11) (the apostle <u>to</u> the Gentiles)، وقال فى موضع آخر: "فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ (أى: لليهود) عَمِلَ فِيَّ (أى: فى بولس) أَيْضًا لِلأُمَمِ (أى: لغير اليهود)" (غلاطية 8:2).

ومع انتشار المسيحية فى القرون الأولى للميلاد، أصبحت كلمة "أممى" تعنى مَن ليس يهودياً ولا مسيحياً[1175].

ومع ظهور الإسلام، استخدم أصحابُ القرآن كلمة "أمي" استخداماً صحيحاً بهذا المعنى: أمي (أممي) أي غير يهودي وغير مسيحي، أي ليس مِن أهل الكتاب، أو ليس لديه كتاب إلهي (سماوي)، أي ليس من أصحاب العهد القديم ولا من أصحاب العهد الجديد (someone thus far without a covenant)[1176].

[وقبل أن نستعرض الآيات القرآنية الدالة على ذلك، نريد أن نوضح الفرق بين بولس الرسول ومحمد. كان بولس الرسول مِن أصل يهودى، ولذلك لم يصف نفسه بأنه "رسول <u>مِن</u> الأمم" أو "النبى الأمى". أما محمد، فليس مِن أصل يهودى ولا مِن أصل مسيحى، ولذلك وصفه أصحابُ القرآن بأنه "رسول <u>مِن</u> الأميين (الأمم)": "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا <u>مِنْهُمْ</u>" (الجمعة 2)، وأيضاً بأنه "النبى الأمى" (الأعراف 157-158). نستطيع إذن أن نقول إن محمد هو "بولس الإسلام". كلاهما – بولس ومحمد – قدَّم الإيمان إلى الأمم الذين كانوا بصفة عامة وثنيين مشركين. الفرق بينهما – مِن الناحية القومية – هو أن بولس ليس أمياً مِن الأمم بينما محمد أمى مِن الأميين (الأمم). بعبارة أخرى: محمد رسول للأمم (<u>to</u> the Gentiles) وأيضاً رسول من الأمم (<u>from</u> the Gentiles). أما بولس فهو رسول للأمم (<u>to</u> the Gentiles) فقط.]

نستعرض الآن الآيات القرآنية التى تدل على أن "الأمى" هو مَن ليس يهودياً ولا مسيحياً، أى: ليس مِن أهل الكتاب. نرى ذلك بوضوح حين يضع القرآنُ "الأميين" مقابل (أى: عكس) "أهل الكتاب".

الدليل القرآنى الأول: "وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ" (آل عمران 20). قال البيضاوى: "الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ لَا كِتَاب لَهُمْ كمُشْرِكِي الْعَرَب"[1177]. وقال القرطبى: ""وَالْأُمِّيِّينَ" الَّذِينَ لَا كِتَاب لَهُمْ، وَهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَب"[1178]. وقال الطبرى: "وَالْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ لَا كِتَاب لَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَب"[1179]. وقال د. الصابونى: ""وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ" أى قل لليهود والنصارى والوثنيين من العرب"[1180]. وقال د. محمد سيد طنطاوى: "والمراد بالأميين الذين لا كتاب لهم وَهُمْ مشركو العرب"[1181]. ونحن نرى أن هذه التفاسير الإسلامية صحيحة، لأن الذين لم يكن لهم كتاب إلهى فى ذلك الزمان وذلك المكان كانوا بصفة عامة: عرب وثنيين مشركين. ومِن الجدير بالذكر أيضاً أن مجمع الملك فهد قد ترجم "الأميين" إلى (ceux qui n'ont pas reçu l'Écriture)؛ وترجم "عبد الحليم" "الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ" إلى (those who were given the Scripture) وترجم "الأميين" إلى (those without one) أى (those without Scripture)؛ وترجمها Blachère إلى (Gentils)[1182].

الدليل القرآنى الثانى: "وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ" (آل عمران 75). قال النسفى: "الْأُمِّيِّين، يعنون: الذين ليسوا مِن أهل الكتاب"[1183]. وقال د. محمد سليمان عبد الله الأشقر: "والأميون: هم العرب، وغيرهم مِن الأمم الذين ليسوا أهل كتاب"[1184]. وقال د. محمد سيد طنطاوى: ""ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا" أى: اليهود. "لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ" أى: ليس علينا فيمَن ليسوا على ملتنا عتاب أو عقاب إذا ظلمناهم"[1185]. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن Muhammad Pickthall و "عبد الحليم" و "فخرى" قد ترجموا "الأميين" إلى (Gentiles)؛ وترجمها مجمع الملك فهد إلى (gentils)؛ وترجمها الشيخ "بوريما عبده داود" إلى (Ces [arabes] qui n'ont pas de livre)[1186].

الدليل القرآنى الثالث: إذا قرأنا (العنكبوت 48) فى سياقها، فسنجد أنها رغم كونها آية مكية إلا أنها مكية متأخرة وتتحدث عن أهل الكتاب وتضعهم أيضاً فى مقابل الأميين العرب: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ (المقدس) إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ [...]. وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ (هذا) الْكِتَابَ (أى: القرآن) فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ (المقدس) يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ (العرب، الأميين، غير اليهود وغير المسيحيين) مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ [...]. وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ (سماوى) وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ" (العنكبوت 46-48).

إذن: (العنكبوت 48) لا تنفى قدرة محمد على القراءة والكتابة بصفة عامة، وإنما تنفى فقط أنه كان يتلو ويكتب الكتب السماوية. ومما يؤيد هذا المعنى أن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف قد ترجم "وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ" (العنكبوت 48) كما يلى[1187]: "Avant ce Coran, tu ne récitais aucun livre révélé, ni ne le transcrivais de ta main".

ثم إن هذا النفى يتعلق فقط بحياة محمد قبل إدعائه النبوة، بدليل أن الآية تقول "مِنْ قَبْلِهِ (أى: مِنْ قَبْلِ القرآن)". أما حياة محمد بعد إدعائه النبوة، فالآية لا تتحدث عنها أصلاً. ولو أراد أصحاب القرآن أن يقولوا إن محمد كان لا يكتب ولا يقرأ قبل وبعد إدعائه النبوة، لقالوا مثلاً "وأنت لا تقرأ وَلَا تكتب". لكنهم لم يقولوا ذلك، لأنه ليس قصدهم.

الدليل القرآنى الرابع: وأيضاً إذا قرأنا الآيتين اللتين تصفان محمداً بـ "النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ" فسنجد أنهما يذكران الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل): "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ [...]. [...] فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي [رغم كونه ليس من أهل الكتاب] يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ" (الأعراف 157-158) (مكية، حسب التقليد الإسلامى[1188]).

وإنه لمِن العجيب أن موسوعة بيان الإسلام التى اعترفت بأن "الأميين" (آل عمران 20) (آل عمران 75) (الجمعة 2) "لا يعنى أمية القراءة والكتابة" وإنما يعنى "لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب دينى"، نجدها تقول إن "الأمى" (الأعراف 157-158) يعنى "لا يقرأ ولا يكتب"[1189]!

وهنا من حقنا أن نتساءل: أليس "الأميين" جمع "الأمى"؟ فكيف يكون للجمع معنى وللمفرد معنى آخر؟! أليس هذا تناقضاً فى كلامكم؟! ولقد لاحظنا أن هذه الموسوعة ليست المرجع الإسلامى الوحيد الذى يعانى من هذا التناقض. فلقد قال أبو عبيدة: ""وَالْأُمِّيِّينَ": الذين لم يأتهم الأنبياء بالكتب"، إلا أنه بعدها مباشرةً وفى نفس السطر قال: "والنبى الأمى: الذى لا يكتب"[1190]! مثال ثالث: قال الشيخ العثيمين فى تفسير (آل عمران 20): ""والأميين" وهُمْ العرب، وسُمُّوا أميين نسبة إلى الأم؛ لأن عامتهم جهال (يقصد: جهال دينياً، بدليل أنه قال) إذ لم يأتهم رسول بعد إسماعيل عليه الصلاة والسلام". إلا أنه فى تفسير (آل عمران 75)، نجده يقول: "(الأميون) هُمْ العرب وسُمُّوا أميين نسبة إلى الأم. والإنسان الأمى هو الذى لا يقرأ ولا يكتب"[1191]! وهكذا نجد فى أقوال المفسرين المسلمين تفسيرات مختلفة لنفس الكلمة ونفس السياق!

والصواب هو: "الأميين" جمع و "الأمى" مفرد هذا الجمع. وبما أن الأميين هُمْ العرب الذين ليسوا مِن أهل الكتاب، فإن الأمى هو العربى الذى ليس من أهل الكتاب، أى: الأمى (gentile) (gentil)[1192][1193].

ومِن الجدير بالذكر أن مجمع الملك فهد و Blachère قد ترجموا "النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ" إلى (le Prophète des Gentils). أما "عبد الحليم" فوقع فى نفس التناقض الذى وقعت فيه بعض التفاسير

الإسلامية، إذ قال فى ترجمته إن "أمى" تعنى (unlettered) أو (gentile). ونحن نقول له: "أمى" تعنى (gentile)، كما ترجمتها أنت فى (آل عمران 75)[1194]. والترجمة الصحيحة الدقيقة مِن وجهة نظرنا هى: "النَّبِيّ الْأُمِّيّ" (the Gentile Prophet) أو (the Prophet from among the gentiles)[1195].

وقال الرازى والزمخشرى إن أهل الكتاب قالوا بعد ظهور الإسلام: "كنا أحق بأن تكون النبوَّة فينا مِن قريش؛ لأنهم أميون، ونحن أهل الكتاب"[1196]؛ وهذا دليل مِن المراجع الإسلامية على أن المعاصرين لمحمد مِن أهل الكتاب قد استخدموا كلمة "أمى" بمعناها الصحيح وهو: ليس مِن أهل الكتاب. ولا توجد آية واحدة فى القرآن كله تقول إن "أمى" تعنى مَن لا يقرأ ولا يكتب. والأهم مِن ذلك هو أنه لا توجد آية واحدة فى القرآن كله تقول إن معاصرى محمد قد استخدموا كلمة "أمى" بمعنى مَن لا يقرأ ولا يكتب.

أما الآية الوحيدة فى القرآن كله التى استخدمت كلمة "أميين" للإشارة إلى بعض اليهود: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ" (البقرة 78)، فإننا نلاحظ فيها ملاحظتين. (1) الآية استخدمت كلمة "أميون" بدون أداة التعريف الألف واللام. إذن: هى مجرد صفة ولا تشير إلى أمة أو شعب. (2) "أميون" لا تعنى الذين لا يقرأون ولا يكتبون، وإنما تعنى "عوام"[1197] أو "عوام مقلدون، مبلغ علمهم من التوراة التلاوة فقط، بلا فقه ولا تدبر ولا فهم"[1198]. والآية التالية تلعن هؤلاء العوام (أو: الأحبار) الذين "يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ" (البقرة 79). قالت موسوعة بيان الإسلام: "فأمية هذا الفريق ليست أمية كتابية؛ لأنه قد أخبر أنهم كانوا يكتبون بأيديهم، وإنما هى أمية دينية؛ أى جهل بالدين"[1199]. وقال الإمام محمد عبده: "وفسر بعضهم الأمانى بالأكاذيب ابتداء. ومنهم مَن فسرها بالقراءات، أى أنهم لا حظ لهم من الكتاب إلا قراءة ألفاظه مِن غير فهم ولا اعتبار [...] وقد ورد التمنى بمعنى القراءة"[1200]. وقال الشيخ الشعراوى: "وإذا كان التمنى كما ورد فى اللغة هو القراءة .. فهؤلاء الأميون لا يعلمون الكتاب إلا قراءة لسان بلا فهم"[1201]. إذن: "أميون" لا تعنى الذين لا يعرفون القراءة والكتابة. ولا توجد آية فى القرآن كله تقول إن "أمى" تعنى مَن لا يقرأ ولا يكتب.

هذا عن القرآن، فماذا عن الأحاديث الصحيحة ...

يقول حديث صحيح أخرجه الشيخان البخارى ومسلم إن محمد سأل الصبىَ اليهودى "ابن صياد": "أتشهد أنى رسول الله؟". فنظر إليه هذا الصبى اليهودى وقال له: أشهد أنك رسول الْأُمِّيِّين[1202]. إذن: حتى الأطفال اليهود كانوا يعرفون أن محمد رسول الأميين العرب، وليس رسول الله ولا رسولاً إلى أهل الكتاب. ولا يوجد أى حديث صحيح فى كتب السُنَّة كلها يقول إن "أمى" تعنى مَن لا يقرأ ولا يكتب. والأهم مِن ذلك

هو أنه لا يوجد أى حديث صحيح فى كتب السُنَّة كلها يقول إن معاصرى محمد قد استخدموا كلمة "أمى" بمعنى مَن لا يقرأ ولا يكتب.

وهذا يوضح لنا لماذا لم يعترض أحد من معاصرى محمد على وصفه بـ "النبى الأمى"، مع أنهم قد اعترضوا على أمور أخرى كثيرة: اعترضوا على القرآن واعترضوا على التوحيد واعترضوا على نَبْذ عبادة الأصنام واعترضوا على البعث واعترضوا على اليوم الآخر ... الخ. فلماذا لم يعترضوا على وصف محمد بـ "النبى الأمى"؟ الإجابة: لأنهم فهموا كلمة "أمى" بمعناها الصحيح، وهو: عربى مِن العرب الذين ليسوا مِن أهل الكتاب. كلمة "أمى" بمعناها الصحيح تنطبق تماماً 100% على محمد. ولذلك لم يعترض أحد.

النتيجة النهائية: لم يخطىء القرآنُ حين وصف محمداً بأنه "النَّبِيّ الأُمِّيّ" (الأعراف 157-158)، فلقد كان محمد فعلاً "أُمِّياً" مِن "الأُمِّيِّينَ"، لكن ليس لأنه لا يكتب ولا يقرأ كما يزعم كثير مِن المسلمين، وإنما لأنه عربى مِن العرب الذين ليسوا مِن أهل الكتاب، أى: لأنه ليس يهودياً ولا نصرانياً (مسيحياً).

2.1.3 حديث صلح الحديبية دليل على أن محمد يقرأ ويكتب

أخرج مسلم في صحيحه حديثاً صحيحاً يتحدث عن صلح الحديبية بين المسلمين والمشركين، ويقول إن محمد قال لعليّ بن أبى طالب: "اكتب الشرط بيننا. بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله". فقال له المشركون: لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فأمر محمدٌ عَلِيًّا أن يمحوها (أى: يمحو "رسول الله"). فقال عليّ: لا والله لا أمحوها. فقال محمد: "أرنى مكانها" ... إلى آخر الحديث الصحيح[1203].

وبغض النظر عن مدى صحة هذا الحديث مِن الناحية التاريخية، إذ ربما يكون مُختلَقاً ومُستوحَى من أديان وثقافات أخرى[1204]؛ لكن بما أنه في صحيح مسلم، فإن المسلمين يؤمنون بصحته، بل ويعتبرونه دليلاً على أمية محمد! مع أن الحديث نفسه لم يذكر أمية محمد، ولا يوجد في كتاب أو باب اسمه "أمية محمد"!

تقول موسوعة بيان الإسلام: "ففى طلب النبى لعلى بأن يريه الكلمة "رسول الله" دليل على أميته ﷺ وعدم معرفته القراءة والكتابة"[1205]!

تعليقنا: يعني أنا لو مش واخد بالي مِن كلمة مكتوبة، وطلبت مِن ابن عمي وزوج ابنتي أنه يوريها لي، يبقى أنا كده خلاص بقيت "أمي" لا أعرف القراءة والكتابة؟!

ثم إن تكملة هذا الحديث الصحيح تدل على أن محمد كان يكتب. فقال محمدٌ لعليّ بن أبى طالب: "أرنى مكانها"، "فأراه مكانها فمحاها وكتب (أى: محمد كتب) "ابن عبد الله"".

أضف إلى ذلك أنه توجد روايات أخرى لهذا الحديث الصحيح **بدون** عبارة "أرنى مكانها"، مثل:

- رواية ثانية: فقال النبى ﷺ لعلىّ: "امْحُهُ" (أى: امْحُ "رسول الله"). فقال علىّ: ما أنا بالذى أمحوه. فمحاه النبى ﷺ بيده[1206]. **بدون** عبارة "أرنى مكانها".
- رواية ثالثة: قال محمد لعلىّ: "امْحُ: رسول الله". قال علىّ: لا والله لا أمحوك أبداً. **فأخذ رسول الله ﷺ الكتابَ، فكَتَبَ**: "هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة سلاح إلا فى القِرَاب، وأن لا يخرج من أهلها بأحدٍ إن أراد أن يَتَّبِعَه، وأن لا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها"[1207]. وهذا دليل على أن محمد كان يكتب، بدليل أنه كتب كل هذه الجملة الطويلة. لكن كالعادة، لجأ المسلمون إلى حيلة عبقرية تقول إن "كَتَبَ" هنا تعنى: أمر عَلِيًّا فكتب! ومِن ثم قالوا إن الكاتب هو عليّ، وليس محمد[1208]! وإننا لنتعجب أن يلجأ المسلمون إلى مثل هذه الحيل الواهية. فحتى لو افترضنا جدلاً أن عليّ هو الذى كتب، فهذا ليس دليلاً على أن محمد كان لا يعرف الكتابة. من المحتمل جداً أن محمد كان يجيد الكتابة، لكنه فقط أمر مساعده أن يكتب. ثم إن الحديث يقول قبلها: "فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب". إذن: محمد هو الذى كَتَبَ، وليس عليّ كما تزعمون. عليّ رفض أن يمحو "رسول الله"، فمحاها محمد ثم أكمل الكتابة. الحديث واضح جداً ولا يحتاج إلى تفسير أو تأويل أو حيل.
  - ولو افترضنا جدلاً أن علياً (أو غيره) كان يساعد محمداً في الكتابة، فبنفس المنطق نستطيع أن نقول إن علياً (أو غيره) كان يساعد محمد في القراءة. ومِن ثم فلا يهم إنْ كان محمد يقرأ ويكتب أم لا، ما دام حوله مِن الصحابة مَن يقرأ له ومَن يكتب له.
- رواية رابعة: قال محمد لعلىّ: "امْحُ رسول الله". قال علىّ: لا والله لا أمحوك أبداً. **فأخذ رسول الله ﷺ الكِتابَ، وليس يُحْسِنُ يَكْتُبُ، فكَتَبَ**: "هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله [...]"[1209]. ويبدو أن خط محمد لم يكن حسناً، ولذلك قال هذا الراوى: "وليس يُحْسِنُ يَكْتُبُ".

إذن: هذا الحديث الصحيح الذى أخرجه الشيخان البخارى ومسلم دليل على أن محمد كان يكتب. وبما أن الكتابة أصعب مِن القراءة، فإن مَن يعرف الكتابة يعرف القراءة.

إذن: محمد كان يقرأ ويكتب. والأدلة مِن مراجعكم الإسلامية والعربية.

وكنا نتمنى أن ينتهى النقاش عند هذا الحد. لكن كالعادة، لجأ المفسرون المسلمون إلى حيل متهافتة ومضحكة لتبرير كتابة محمد لهذه الجملة الطويلة، أو كتابة "ابن عبد الله". ويكفى أن نذكر أن بعضهم قال إنها "معجزة" مِن معجزات محمد أنه كتب رغم كونه أمياً لا يكتب[1210]! بصراحة كلام يثير الضحك (:

وهذا يجعلنا نتساءل عن جدوى النقاش مع هؤلاء. إذا كنا لما بنجبلهم دليل مِن كُتبهم على أن محمد كان بيعرف يكتب، بيقولوا لنا: لأ، أصل دى معجزة! إذن: اللى فى مخهم هيفضل فى مخهم، ومهما حاولت تقنعهم مش حيقتنعوا. ويكفيك أن تعرض وجهة نظرك وتؤيدها بالأدلة، ومَنْ لَهُ أُذُنَانِ فَلْيَسْمَعْ، ومَن له عينان فليقرأ، ومَن له عقل فليعقل.

2.1.4 حديث رزية الخميس دليل على أن محمد يقرأ ويكتب

أخرج الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما حديثاً صحيحاً يقول إنه في مرض محمد قبيل وفاته، أراد محمدٌ أن يكتب كتاباً لصحابته حتى لا يضلوا من بعده. لكن عمر بن الخطاب رفض!

نعم. عمر بن الخطاب رفض تنفيذ أمر محمد وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة على فراش الموت!

فانقسم الحاضرون إلى فريقين: فريق بقيادة حَبْر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس يطيع محمداً في أن يكتب ما يريد، وفريق آخر بقيادة عمر يُخالِف محمداً. فَاخْتَلَفُوا واخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: "قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ"، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ. ثم أَكْثَرُوا اللَّغْوَ حتى تراجع محمدٌ عن كتابة ما أراد فانتهى الأمرُ بانتصار فريق عمر بن الخطاب!

نعم. عمر بن الخطاب كان سبباً في منع محمد من أن يكتب ما أراد قبيل وفاته!

صحيح البخاري - كتاب العلم - باب كتابة العلم. عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَجَعُهُ قَالَ: "ائْتُونِي بِكِتَابٍ (أي: لوحٍ؛ أو: كتفٍ؛ أو: ما يُكتَب عليه) أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ". قَالَ عُمَرُ: "إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا (أي: يكفينا القرآن)". فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ (أي: الجلبة والصياح وأصوات مبهمة لا تُفهَم). قَالَ [محمدٌ]: "قُومُوا عَنِّي، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ". فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: "إِنَّ الرَّزِيَّةَ (أي: المصيبة) كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ"[(1211)].

ونحن نستنتج من هذا الحديث الصحيح أن محمد كان يكتب ويقرأ. كما نستنتج منه قوة شخصية عمر وسيطرته الشديدة على محمد وابن عباس وغيره من الصحابة لدرجة أنه استطاع أن يمنع محمداً من كتابة كلماته الأخيرة قبيل وفاته!

وتوجد روايات أخرى لهذا الحديث المهم في كثير من الكتب والمراجع الإسلامية، نذكر منها على سبيل المثال هذه الرواية. عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "يَوْمُ الْخَمِيسِ! وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ!" (يقصد: الخميس الأخير في حياة محمد، قبل موته يوم الاثنين بأربعة أيام). ثُمَّ بَكَى [ابنُ عباس] حَتَّى بَلَّ دَمْعُهُ الْحَصَى. فَقُلْتُ: "يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟" قَالَ: "اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: "ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدِي". فَتَنَازَعُوا وَمَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ. وَقَالُوا: "مَا شَأْنُهُ؟ أَهَجَرَ (أي: هل محمد يهذي)؟ اسْتَفْهِمُوهُ". قَالَ [محمدٌ]: "دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ. أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ. وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ (أي: أحسِنوا ضيافة الوفود وأكرموهم كما كُنْتُ أفعل معهم)"". قَالَ [سعيد بن جبير]: وَسَكَتَ [ابنُ عباس] عَنْ الثَّالِثَةِ أَوْ قَالَهَا فَأُنْسِيتُهَا[(1212)].

وفي المعجم الوجيز [هـ ج ر]: "الهُجْرُ: الهَذَيانُ والقبيحُ من القول". وتوجد رواية أخرى في مسند أحمد توضح معنى "الْهُجْر" وتؤكد أن المقصود هو "الْهَذَيَان". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ،

فَقَالَ: "ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا". فَتَنَازَعُوا، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا: "مَا شَأْنُهُ، أَهَجَرَ؟" - قَالَ سُفْيَانُ (الراوي): يَعْنِي هَذَى – "اسْتَفْهِمُوهُ". [...]"[1213].

ويُعرَف هذا الحديث باسم "حديث رزيَّة الخميس"، أي: مصيبة يوم الخميس، كما قال ابنُ عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن. أما نحن فنُسمِّيه "كلمات محمد الضائعة" (Muhammad's lost words) لأن محمد أراد أن يكتب كلمات مهمة تنقذ المسلمين مِن الضلال إلى الأبد، لكن فريقاً من الصحابة ظنوا أن محمد يهذي على فراش الموت فمنعوه من كتابة تلك الكلمات، فضاعت كلمات محمد إلى الأبد.

ونلاحظ مِن الروايات السابقة أن صحابة محمد وضعوا هذيان محمد في صورة استفهام: "مَا شَأْنُهُ؟ أَهَجَرَ (أي: هل محمد يهذي)؟ اسْتَفْهِمُوهُ". وقيل إن إثبات همزة الاستفهام وعلامة الاستفهام هو الراجح.

لكن توجد رواية أخرى في صحيح مسلم وكذلك رواية أخرى في مسند أحمد وأيضاً رواية ثالثة في المعجم الكبير للطبراني تضع هذيان محمد في جملة خبرية، بدون همزة استفهام ولا علامة استفهام. عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: "يَوْمُ الْخَمِيسِ! وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ!" ثُمَّ جَعَلَ تَسِيلُ دُمُوعُهُ حَتَّى رَأَيْتُ عَلَى خَدَّيْهِ كَأَنَّهَا نِظَامُ اللُّؤْلُؤِ. قَالَ [ابنُ عباس]: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ائْتُونِي بِالْكَتِفِ وَالدَّوَاةِ (أَوْ اللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ) أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا". فَقَالُوا: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَهْجُرُ (أي: يهذي)""[1214].

وكذلك في النسخ المطبوعة لفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ذُكِرَ متنُ إحدى روايات صحيح البخاري (كتاب الجهاد) بدون همزة استفهام ولا علامة استفهام. فَقَالُوا: "هَجَرَ (أي: هَذَى) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"[1215].

ويُفهَم من سياق تلك الروايات أن عمر بن الخطاب وفريقه هُمْ الذين قالوا إن محمد يَهْجُرُ (أي: يهذي). وهذا ما يؤكده المسلمون الشيعة، واستدلوا على ذلك بأن عمر هو الذي قال: "إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ"، كما استدلوا أيضاً بأن ابن عباس قال "فَقَالُوا: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَهْجُرُ"" ولم يقل "فقلنا".

فاستغل المسلمون الشيعة هذا الحديث الصحيح المتفق عليه مِن أجل الهجوم على عمر بن الخطاب. كيف يعارض عمرُ محمداً ويكون سبباً في منعه من الكتابة؟! هل عمر يفهم أحسن من محمد؟! هل عمر يعلم أكثر من محمد؟! يعني: عمر صح ومحمد غلط؟! كيف يتهم عمرُ محمداً بالهذيان؟! أليس محمدٌ "النبي المعصوم" و "أشرف المرسلين" و "سيد الخلق" أي سيد عمر وأشرف من عمر؟! حتى المجرم السفاح المحكوم عليه بالإعدام يسألونه: ماذا تريد قبل أن تموت؟ ما هي رغبتك الأخيرة؟ فكيف يرفض عمرُ رغبةَ محمد وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة على فراش الموت؟! أسئلة مشروعة ووجيهة يسألها المسلمون الشيعة.

والعجيب أن عمر ناقض نفسَه. فهو يقول: "يكفينا القرآن". لكن القرآن يؤكد أن طاعة محمد مِن طاعة الله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" (النساء 59)؛ "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [...] وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" (النور 54-56)؛ "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" (المائدة 92) (محمد 33) (التغابن 12)؛

"أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ" (آل عمران 32، 132)؛ "أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ" (الأنفال 1، 20، 46) (المجادلة 13) "مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ" (النساء 80). فكيف يخالف عمرُ محمداً؟! بل كيف يخالف عمرُ اللهَ؟! أسئلة مشروعة ووجيهة يسألها المسلمون الشيعة.

وفي المقابل، لجأ الشيوخُ المسلمون من أهل السُّنَّة والجماعة مثل ابن حجر والنووي والبيهقي وغيرهم إلى حيل وتبريرات للتقليل من خطورة هذا الحديث. وكالعادة أيضاً، جاءت حيلهم مختلفة، وإنْ اتفقتْ على افتراض حُسن نية عمر بن الخطاب ومحاولة البحث له عن مَخرج يبرر تصرفه الغريب المخالِف لأمر محمد. فقيل مثلاً إن عمر أراد ألا يُتعِب محمداً بالكتابة! وقيل: ظَهر لعمر أن أمر محمد للصحابة "ائْتُونِي بِكِتَابٍ [...]" ليس على الوجوب، وإنما من باب النصح والإرشاد! وقيل إن عمر خَشِيَ أن يكتب محمدٌ ما قد يعجز الصحابةُ عن تنفيذه! وقيل إن عمر لم يقل إن محمد يهذي، وإنما قال ذلك صحابيٌ آخر دخل في الإسلام حديثاً فقالها على سبيل الاستفهام أو المبالغة أو زلة لسان أو أنه كان قَبْل إسلامه يقول ذلك في مثل هذه المواقف!

وأفضل ما قيل هو إن عمر خاف أن يكون مرضُ محمد ووجعه سبباً في أن يكتب ما قد يتخذه المنافقون والكفار سبيلاً إلى الطعن في الدين. مثلاً: يكتب شيئاً يتعارض مع الإسلام. قال ابنُ حجر: "قَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا ذَهَبَ عُمَرُ إِلَى أَنَّهُ لَوْ نَصَّ بِمَا يُزِيلُ الْخِلَافَ لَبَطلتْ فَضِيلَةُ الْعُلَمَاءِ وَعُدِمَ الِاجْتِهَادُ. وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ بِأَنَّهُ لَوْ نَصَّ عَلَى شَيْءٍ أَوْ أَشْيَاء لَمْ يَبْطُل الِاجْتِهَادُ، لِأَنَّ الْحَوَادِثَ لَا يُمْكِنُ حَصْرُهَا. قَالَ: وَإِنَّمَا خَافَ عُمَرُ أَنْ يَكُونَ مَا يَكْتُبُهُ [محمدٌ] فِي حَالَةِ غَلَبَةِ الْمَرَضِ فَيَجِدُ بِذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ سَبِيلًا إِلَى الطَّعْنِ فِي ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ"(1216).

تعليقنا: نحن لا نرى تعارضاً بين كل هذه الروايات المختلفة، لكن غير المتناقضة، إذ يمكن الجمع بينها بأن نقول: تساءل صحابيٌ أو أكثر هل محمد يهذي؟ بينما قال صحابيٌ آخر أو أكثر إن محمد يهذي. ولا يهم إنْ كان عمر أو غيره هو الذي قال ذلك. فنحن لا يهمنا الهجوم على عمر أو الدفاع عنه. وإنما يهمنا أن نعرف ماذا أراد محمدٌ أن يكتب قبيل وفاته. خطأ عمر هو أنه كان سبباً في منع محمد من كتابة كلماته الأخيرة. إنها فعلاً مصيبة – أو: رزيَّة كما قال ابنُ عباس – أن كلمات محمد الأخيرة ضاعت ولم تصل إلينا مكتوبة.

فنحن نرى أن حديث رزية الخميس خطيرٌ جداً. وليس من المبالغة أن نقول إنه أخطر حديث صحيح متفق عليه. بل أكثر خطورة من حديث "سحر النبي".

ونرى أن عمر أخطأ خطأً كبيراً لا يقل فداحة عن خطأ أبي بكر حين أعلن الحرب على القبائل العربية التي اكتشفت حقيقة الإسلام فتركته بُعيد وفاة محمد، ولا يقل فداحة عن خطأ عثمان بن عفان حين أحرق المصاحف المختلفة عن مصحفه. وبغض النظر عن نوايا عمر، فإننا لا يمكن أن نصدِّق أن وصايا محمد الأخيرة التي ستحفظ المسلمين من الضلال الأبدي هي فقط "أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ" وَ "أحسِنوا ضيافة الوفود وأكرموهم"! ووصية ثالثة نساها الرواة أو سكتوا عنها عمداً! قيل إنها القرآن؛ وقيل إنها تجهيز جيش أسامة بن زيد إلى الشام؛ وقيل: "لا تتخذوا قبري وثناً"؛ وقيل: "الصلاة وما ملكت أيمانكم"!

لا يمكن أن نصدِّق أن هذه هي كلمات محمد الأخيرة التي ستحفظ المسلمين من الضلال الأبدي! إنها جمل عادية – بل عادية جداً – وموجودة في أحاديث أخرى، فلا يمكن أن تجعل فريقاً مِن الصحابة يشكون في قوى محمد العقلية ويتساءلون "مَا شَأْنُهُ؟ أَهَجَرَ (أي: هل محمد يهذي)؟" أو يقولون إن محمد يهذي.

ولعل محمد قد أراد أن يكتب لهم شيئاً آخر في غاية الأهمية، لكن لمَّا رآهم يشكون في قواه العقلية ويتهمونه بالهذيان، تراجع عن كتابة ما أراد وقال لهم "دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ (أي: اتركوني فأنا بخير ولا أهذي)"، ثم أوصاهم بتلك الوصايا الثلاث ليتدارك الموقف لأنه أيقن أنهم لن يصدقوه فيما أراد أن يكتبه.

وفي صحيح البخاري توجد رواية أخرى لحديث رزية الخميس أكثر خطورة من كل الروايات السابقة. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: "ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا". فَتَنَازَعُوا - وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ - فَقَالُوا: "مَا شَأْنُهُ؟ أَهَجَرَ؟ اسْتَفْهِمُوهُ". فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ (وفي مسند أحمد: فَذَهَبُوا يُعِيدُونَ عَلَيْهِ)، فَقَالَ [محمدٌ]: "دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ"، وَأَوْصَاهُمْ بِثَلَاثٍ، [...]"[1217].

ونحن نستنتج من هذه الرواية أنه مِن المحتمل جداً أن محمد قال بلسانه جملةً صادمةً جعلت فريقاً من الصحابة يشكون في قواه العقلية، فَقَالُوا: "مَا شَأْنُهُ؟ أَهَجَرَ؟ اسْتَفْهِمُوهُ". فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ (أي: فَذَهَبُوا يُعِيدُونَ عَلَيْهِ مَقَالَتَهُ وَيَسْتَثْبِتُونَهُ فِيهَا). وربما طلبوا منه أن يتراجع عن ما قاله. فرد عليهم محمدٌ: "دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ". احتار شراح الأحاديث في تفسير هذه الجملة. ونحن نفسرها بأن محمد أراد أن يقول لهم: اتركوني، فأنا بخير ولا أهذي ولن اتراجع عن ما قلته وإنْ جعلتموني أتراجع عن كتابته.

أما بالنسبة للوصايا الثلاث المزعومة، فَمِن المحتمل أن رواة الأحاديث هُمْ الذين وضعوا تلك الوصايا الثلاث على لسان محمد حفاظاً على وحدة الأمة الإسلامية وتجنباً للانقسام الذي قد يحدث إذا عرف المسلمون ما قاله محمدٌ بلسانه وما أراد أن يكتبه بيده قبيل وفاته.

وبعد ذلك بأربعة أيام فقط، مات محمدٌ (أو: قُتِلَ[1218]؟). فارتدت قبائل عربية كثيرة عن الإسلام. هل عرفوا ما قاله محمدٌ قبيل وفاته بأربعة أيام؟ ربما. فأعلن أبو بكر حرباً وحشية ضد هؤلاء العرب المرتدين.

لم يكن محمدٌ يهذي. كلامه يدل على أنه كان في كامل قواه العقلية. وأراد أن يكتب شيئاً بيده ...

السؤال: ما هي الجملة الصادمة التي أراد محمدٌ أن يكتبها بيده قبيل وفاته، وربما قالها بلسانه فجعلت الصحابة يعتقدون أنه يهذي؟

ما هو الاعتراف الخطير الذي أراد محمدٌ أن يكتبه بيده قبيل وفاته، وربما قاله بلسانه فجعل القبائل العربية تكتشف حقيقة الإسلام وتتركه؟

ما هي الحقيقة المهمة التي أراد محمدٌ أن يكتبها بيده قبيل وفاته، وربما قالها بلسانه فجعل أبا بكر يُذكِّر الناس بنبوة محمد ويصرخ في وجه المرتدين قائلاً: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ" (آل عمران 144)؟

هل أراد محمدٌ أن يكتب الحقيقةَ ويعترف: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنني لستُ رسولَ الله"؟

هل أراد محمدٌ أن يريح ضميرَه ويكتب: "إنما أنا فتنة، فلا تقولوا إن القرآن كلام الله"[1219]؟

هل أراد محمدٌ أن يكتب: "أنا أستحقُّ الآن انقطاع شريان قلبي، فلقد تَقَوَّلتُ على الله أقاويل باطلة"[1220]؟

لا نعلم. والسبب هو عمر بن الخطاب الذي كان سبباً في منع محمد مِن أن يكتب ما أراد قبيل وفاته. إنها فعلاً مصيبة – أو: رزيَّة كما قال ابنُ عباس – أن كلمات محمد الأخيرة ضاعت ولم تصل إلينا مكتوبة.

وفي جميع الأحوال، فإن هذا الحديث – "حديث رزية الخميس" – يدل على أن محمد كان يكتب ويقرأ، بدليل أنه قال لأصحابه: "ائْتُونِي بِالْكَتِفِ وَالدَّوَاةِ (أَوْ اللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ) أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا".

2.1.5 ملاحظات ختامية

توجد آية قرآنية هامة لا بد أن نتوقف عندها وهى: "وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ" (الزخرف 45)، والخطاب هنا لمحمد. حين تقرأ هذه الآية لا بد أن تسأل نفسك: كيف يسأل محمدٌ الرسلَ الذين قبله إذا كانوا كلهم قد ماتوا؟! للإجابة على هذا السؤال، لجأ المفسرون المسلمون إلى حيلة فى منتهى الذكاء، فقالوا إن هذه الآية نزلت ليلة الإسراء والمعراج حين التقى محمد بالرسل الذين سبقوه! وطبعاً هذا كلام مرسل لا دليل له، فلا يوجد أصلاً أى دليل على أن الإسراء والمعراج قصة حقيقية، ولا يوجد أى دليل على أن محمد قابل الرسل السابقين فى هذه الرحلة المزعومة. إذن: إنه مجرد كلام بيقولوه لتفسير القرآن على هواهم.

أما المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية، فلقد فسَّر هذه الآية كما يلى: "وانظر فى شرائع مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رسلنا"[1221]، وهذا يدل على أن محمد كان يستطيع القراءة والإطلاع على الرسالات السابقة؛ أو على الأقل: كان لديه مَن يقرأ له. وفسَّرها مجمع الملك فهد كما يلى: "واسأل – أيها الرسول – أتباع مَن أرسلنا مِن قبلك مِن رسلنا وحملة شرائعهم"[1222]، وهذا يدل على أن محمد كان يسأل أتباع الرسالات السابقة ويستمع إليهم. وكما قلنا من قبل: يكفى محمد وغيره مِن أصحاب القرآن ما كانوا يسمعونه بآذانهم مِن أتباع الرسالات السابقة. فهذا يكفى – بل يكفى جداً – لتأليف كتاب مثل القرآن.

وبذلك نكون قد ناقشنا أهم الأدلة الإسلامية التى يُقدِّمها المسلمون لتأييد أمية محمد المزعومة، وأثبتنا أنها لا تدل أبداً على أن محمد كان لا يقرأ ولا يكتب، بل إن بعضها يدل على أن محمد كان يكتب ويقرأ.

أما الأدلة الأخرى التى لم نناقشها فهى أدلة ضعيفة وليس لها وزن ولا تحتاج أصلاً لنقاش. على سبيل المثال: تقول موسوعة بيان الإسلام تحت عنوان "نَظْم القرآن المعجز وأمية النبى [...]": "[...] فالحديث النبوى يختلف اختلافاً كبيراً عن القرآن الكريم من جهة الأسلوب، [...]، فلو كان القرآن صادراً من محمد [...] لكان كلامهما – القرآن والسنة – وسبكهما واحداً، وكان أسلوب القرآن هو أسلوب الأحاديث نفسه؛ لأنه لا يمكن أن يكون لكاتب واحد مهما بلغ من الذكاء والعبقرية أسلوبان يختلفان هذا الاختلاف الكبير، ولظهر هنا التأثر فى كليهما"(1223).

الرد: نحن لا نقول إن القرآن له كاتب واحد. وإنما نقول إن القرآن ثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر مِن شخص؛ وسنعطي أدلة على ذلك في الأبواب القادمة.

أما فيما يتعلق باختلاف الأسلوب، فهذا أمر طبيعي مع اختلاف العوامل الثلاثة المعروفة: الزمان والمكان والأشخاص. بل نحن نجد هذا الاختلاف داخل القرآن نفسه. فَمِن المعلوم أن أسلوب القرآن المدني يختلف عن أسلوب القرآن المكي.

ثم إن الأشخاص الذين أنتجوا القرآن (محمد، نساؤه، صحابته ... الخ) غير الأشخاص الذين أخرجوا الأحاديث (البخاري ومسلم وغيرهما)؛ هؤلاء أشخاص وأولئك أشخاص آخرون. وبالتالي فإنه مِن الطبيعي أن يختلف أسلوب القرآن عن أسلوب الحديث.

أضف إلى ذلك أن السُّنَّة – حسب الرواية الإسلامية التقليدية – دُوِّنَت بعد تدوين القرآن بفترة زمنية طويلة جداً. ومِن المؤكد أن السُّنَّة قد تعرضت لتطور بالحذف والإضافة والتعديل بعد وفاة محمد أكثر بكثير مِن التطور الذي تعرض له القرآنُ بعد وفاة محمد. البخاري مثلاً مات عام 256هـ، أى بعد وفاة محمد بأكثر من 240 سنة! يعني الفارق الزمني بين البخاري ومحمد أكبر مِن الفارق الزمني بيننا وبين عصر محمد علي! فهل أسلوبنا في التعبير باللغة العربية اليوم مطابق لأسلوب عصر محمد علي؟! بالطبع لا. كذلك، فإنه مِن الطبيعي أن يكون أسلوب البخاري مختلف عن أسلوب القرآن. ولا عجب فى ذلك. إنه أمر طبيعى، بل طبيعى جداً. وإننى لأتعجب أن يلجأ المسلمون إلى مثل هذه الأقاويل الواهية لتأييد وجهة نظرهم الخاطئة!

2.1.6 الخلاصة

شيوخ الإسلام ليس لديهم أي دليل قاطع يثبت أن محمد لم يكن يعرف القراءة والكتابة. لا آية قرآنية ولا حديث صحيح. وإنما شوية روايات عباسية متأخرة مع شوية حيل ملتوية لتفسيرها وتأويلها بحيث يجعلونها بالعافية تدل على أن محمد كان لا يقرأ ولا يكتب.

فمن حقنا أن نسأل: هل شيوخ الإسلام مفلسون؟

لكن الإجابة على هذا السؤال لا تهمنا كثيراً، لأنه حتى لو افترضنا جدلاً أن محمد لم يكن يجيد القراءة والكتابة، بل حتى لو افترضنا جدلاً أن محمد كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، فهذا ليس دليلاً على أن القرآن كلام الله. فنحن لا نقول إن محمد كان كاتباً أو مفكراً أو فيلسوفاً أو رجلاً موسوعياً. بكل تأكيد لم يكن كذلك، لكنه – بفرض أنه شخص حقيقي – كان رجلاً يعيش فى القرن السابع الميلادى فى شبه الجزيرة العربية التى تواصلت مع مَن حولها مِن أمم عن طريق التجارة والهجرة والحروب والرقيق والترجمة وغيرها مِن عوامل الاتصال فى ذلك الوقت. وبالتالى فليس مهماً إذا كان محمد أمياً أم لا؛ فحتى إذا كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب كما تزعمون، فهو على الأقل لم يكن أصماً، فيكفيه ما كان يسمعه بأذنيه فى رحلاته التجارية منذ أن كان صبياً وما كان يسمعه بأذنيه مِمَن كانوا حوله (زوجات وملك يمين وصحابة وغيرهم) مِن قصص وروايات وأفكار تناقلتها الأجيال شفوياً وتوارثتها من زمان إلى آخر حتى وصلت إلى محمد ومَن حوله. فكل هذا يكفى – بل يكفى جداً – لانتاج كتاب مثل القرآن.

وإلى يومنا هذا، هناك أمهات وآباء فى الريف وفى مناطق البدو لا يجيدون القراءة ولا الكتابة، ولكنهم ينقلون إلى أبنائهم ما سمعوه من آبائهم وأجدادهم مِن قصص وعظات وحِكم وخبرات قد تكون أكثر فائدة مما تحويه الكثير من الكتب، بل ينقلون القرآنَ نفسه شفوياً إلى أبنائهم كما كان يحدث قديماً قبل جَمْع القرآن فى مصحف مكتوب.

باختصار: نحن لا نقول إن أصحاب القرآن قد نقلوا نقلاً حرفياً ومباشراً مِن الكتاب المقدس وكُتب الأبوكريفا والسوديبِجرافا والمدراش والتلمود وتراث الديانات غير الإبراهيمية. يكفى أصحاب القرآن ما كانوا يسمعونه بآذانهم عن الديانات والثقافات التى سبقت الإسلام. وبعد أن سمعوه وفهموه قدر استطاعتهم، عدّلوا فيه وحذفوا منه وأضافوا إليه إلى أن أصبح قرآناً يُتلَى.

ولذلك نقول دائماً إن القرآن هو تطور بَشرى طبيعى (natural human development) للكتب السابقة له. ونحن نعطى فى هذه المذكرات أدلة كثيرة تؤيد هذه النتيجة.

2.2 أسطورة "الرَّسُول النَّبِيّ الْأُمِّيّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ"!

شرحنا في الفصل السابق معنى "النَّبِيّ الأُمِّيّ" وأثبتنا أنه لا يوجد أى دليل قاطع على أن محمد لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وقلنا إنه حتى لو افترضنا جدلاً أن محمداً لم يكن يقرأ ويكتب، فإنه لا يمكن أن يُستخدَم ذلك كدليل لاثبات نظرية الوحى. إذ يكفى محمد وغيره من أصحاب القرآن ما كانوا يسمعوه بآذانهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة عن الديانات والثقافات والحضارات السابقة لظهور الإسلام. فهذا يكفى – بل يكفى جداً – لإنتاج كتاب مثل القرآن.

نُجيب فى هذا الفصل على سؤالين هامين. السؤال الأول: هل بشَّرت التوراة (أو العهد القديم بصفة عامة) بمحمد؟ السؤال الثانى: هل بشَّر الإنجيل (أو العهد الجديد بصفة عامة) بمحمد؟

2.2.1 هل بشَّر العهد القديم بمحمد؟

تقول أسطورة إسلامية ذكرها ابنُ كثير فى تفسيره لـ (الأعراف 154) ورددها – للأسف – مفسرون مسلمون معاصرون مثل الشيخ الشعراوى فى تفسيره لـ (الأعراف 158) إن موسى قال لربه: "ربِّ إِنِّي أَجِد فِي الْأَلْوَاح أُمَّة يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْأَوَّل وَبِالْكِتَابِ الْآخِر وَيُقَاتِلُونَ فُصُول الضَّلَالَة حَتَّى يُقَاتِلُونَ الْأَعْوَر الْكَذَّاب فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي". فقَالَ الرب لموسى: "تِلْكَ أُمَّة أَحْمَد"[1224]!

بل زاد ابنُ كثير على ذلك فقال تعليقاً على "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ" (الأعراف 157): "وهذا فيه تنويه بذِكر محمد ﷺ وأمته من الله لموسى عليه السلام، فى جملة ما ناجاه به وأعلمه وأطلعه إليه"[1225]. ويشير ابن كثير هنا إلى سياق (الأعراف 157)، وهو خطاب موسى لله "قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ [...]" (الأعراف 155) ثم خطاب الله لموسى "قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ [...]" (الأعراف 156).

<u>تعليقنا:</u> إذا صح ما قاله ابن كثير فهذا يعني أن القرآن قد وقع في مفارقة تاريخية، بل خطأ تاريخي فادح يثبت أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله. لأنه إذا افترضنا أن "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ" (الأعراف 157) مُوجَّهة إلى موسى وقومه، فإن تكملتها هي "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ [...]" (الأعراف 157). ومِن المستحيل أن يقول الله لموسى وقومه إن محمد "مَكْتُوبًا <u>عِنْدَهُمْ</u> فِي التَّوْرَاةِ <u>وَالْإِنْجِيلِ</u>"! هل كان الإنجيل عند موسى وقومه؟!

أما إذا افترضنا أن "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ [...]" (الأعراف 157) مُوجَّهة إلى المعاصرين لمحمد، وهو الاحتمال الأرجح[1226]، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل الصفات الكثيرة المذكورة في هذه الآية الطويلة تنطبق على محمد؟

الإجابة: الصفة الوحيدة التي تنطبق على محمد هي "الْأُمِّيَّ" (gentile)، أي: غير الكتابي، أي: مَن ليس يهودياً ولا مسيحياً. أما الصفات الأخرى في (الأعراف 157) فإنها تنطبق على المسيح يسوع/عيسى أكثر بكثير من انطباقها على محمد: "يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ(1227) وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ(1228) وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ (أي: الأثقال والأعمال الشاقة التي كُلِّفوا بها)(1229) ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ(1230) (أي: النصارى؟) وَاتَّبَعُوا النُّورَ(1231) الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (الأعراف 157). بل حتى كلمة "الْأُمِّيَّ" إذا أصر المسلمون على تفسيرها بمعنى أنه لم يتعلم على يد بشر ولم يدرس الكتب المقدسة عند أي معلِّم بارز أو في أي مركز مهم، فإنها أيضاً تنطبق على يسوع المسيح(1232)! فَمِن الواضح إذن أن أصحاب القرآن قد أخذوا صفات يسوع المسيح المذكورة في الكتاب المقدس وطوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً وبالغوا فيها (مثلاً: "لم يتعَلَّمْ" صارت: لا يقرأ ولا يكتب) حتى ألصقوها بمحمد زاعمين أن النبي المبشَّر به في العهد القديم هو محمد! وسنلاحظ فيما يلي أن هذا ما فعله المفسرون أيضاً، بل هذا ما يفعله المسلمون وشيوخهم إلى اليوم – بوعي أو بدون وعي.

ومع أن المراجع الإسلامية تقول إن (الأعراف 157) مكية، إلا أننا نرى أنها آية تثير كثير من الأسئلة والشكوك. فلقد ذُكِرَت كلمةُ "التوراة" في القرآن 18 مرة كلها مدنية ما عدا (الأعراف 157)! وكذلك كلمة "الإنجيل" ذُكِرَت في القرآن 12 مرة كلها مدنية ما عدا (الأعراف 157)(1233)! إشمعنا (الأعراف 157) هي الآية المكية الوحيدة التي ذكرت التوراة والإنجيل؟! ربما تكون (الأعراف 157) مدنية مثل الآيات الأخرى التي ذكرت التوراة والإنجيل. وربما تكون واحدة مِن الآيات التي أُضيفت لاحقاً (أي: بعد وفاة محمد) لإعطاء شرعية لنبوة محمد(1234). وربما تكون (الأعراف 157) هي الآية المكية الوحيدة المتبقية من الآيات المكية التي ذكرت التوراة والإنجيل ثم حُذِفت عمداً أو سقطت سهواً.

وبغض النظر عن زمان (الأعراف 157)، فإن السؤال الذى يهمنا الآن هو: هل فعلاً بشَّر موسى أو أى نبى آخر من أنبياء العهد القديم برسول يأتى من بعده اسمه "أحمد" أو "محمد"؟!

الإجابة: بالقطع لا.

ولكن كثير من المسلمين يحاولون بأية طريقة مهما كانت ملتوية اثبات أن أسفار العهد القديم بها نبوَّات أو بشارات بمحمد رسول الإسلام! لكن باءت كل محاولاتهم بالفشل. وسنذكر فى هذا الفصل أهم هذه المحاولات الفاشلة دائماً والمضحكة أحياناً، ونرد عليها باختصار.

<u>النص:</u> قال الله لموسى: "أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ" (التثنية 18:18-19).

ملخص الادعاء الإسلامي: النص يقيد البشارة بالنبى الموعود به فيه بشرطين: أحدهما: أنه من وسط إخوة بنى إسرائيل. وثانيهما: أنه مثل موسى صاحب شريعة وجهاد لأعداء الله. الشرطان متحققان فى محمد. فهو من نسل إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحاق، الذى هو أبو يعقوب (إسرائيل). فمحمد من وسط إخوة بنى إسرائيل – بنو عمومتهم – وليس من إسرائيل نفسها. ومحمد صاحب شريعة مثل موسى[1235].

الرد: الشرطان باطلان. وما بُني على باطل فهو باطل. ولذا فسنكتفي باثبات بطلان الشرطين[1236].

الشرط الأول باطل لأنه قرأ النص بدءاً من الآية 18 بينما كان ينبغي أن يقرأ بدءاً من الآية 15 حيث تنبأ موسى قائلاً لبني إسرائيل: "يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي" (التثنية 15:18). ولقد تكرر هذا النص مرة أخرى في العهد الجديد: "هذَا هُوَ مُوسَى الَّذِي قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ. هذَا هُوَ الَّذِي كَانَ فِي الْكَنِيسَةِ (أي: جماعة شعب إسرائيل المجتمعين) فِي الْبَرِّيَّةِ، مَعَ الْمَلاَكِ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ، وَمَعَ آبَائِنَا" (أعمال الرسل 7:37-38). والمقصود: يُقِيمُ الرَّبُّ لكم يا بني إسرائيل نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكم مِنْ إِخْوَتِكم مِثْلِي (أي: مثل موسى). إذن: هذا النبي سيأتي من وسط بني إسرائيل، من إخوتهم، أي من قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة (the twelve tribes of Israel)، باعتبار أن بني إسرائيل جميعاً إخوة لأنهم جميعاً من نسل يعقوب (إسرائيل). فعبارة "مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ" (التثنية 18:18) تعطي نفس معنى "مِنْ وَسَطِهم مِنْ إِخْوَتِهِمْ"، أي من بني إسرائيل، وليس من أبناء عمومة بني إسرائيل، وليس من أمة أخرى أو شعب آخر غير بني إسرائيل. والدليل على ذلك من الإصحاح السابق (التثنية 17)، والخطاب مُوجَّه أيضاً إلى بنى إسرائيل: "مَتَى أَتَيْتَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، وَامْتَلَكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا، فَإِنْ قُلْتَ: أَجْعَلُ عَلَيَّ مَلِكًا كَجَمِيعِ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلِي. فَإِنَّكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. **مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِكَ** تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا. لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْكَ رَجُلاً أَجْنَبِيًّا لَيْسَ هُوَ أَخَاكَ" (التثنية 17:14-15). فهل المقصود من عبارة "مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا" هو أن يملك واحد من أبناء إسماعيل على بني إسرائيل؟! بالطبع لا. المقصود هو أن يملك واحد من بنى إسرائيل على بنى إسرائيل[1237]. كذلك في (التثنية 18:18)، المقصود هو أن النبي الموعود يكون من بني إسرائيل. فهل محمد من بني إسرائيل؟ الإجابة: لا. هل محمد من "الْكَنِيسَةِ" (أي: الإسرائيليين المؤمنين)؟ الإجابة: لا.

وقبل أن يتسرع أى مسلم ويُفسِّر هذه الآية أو غيرها على مزاجه، كان ينبغى أن يرجع إلى تفاسير الكتاب المقدس أو يرجع إلى الكتب التى كتبها اليهود والمسيحيون فى القرون السابقة للإسلام. هل فهم اليهود أو المسيحيون هذه الآية على أنها تعنى أن هذا النبى سيأتى من أبناء عمومة بنى إسرائيل أو من نسل إسماعيل؟ هذا هو السؤال الذى يجب على المسلمين الإجابة عليه. والإجابة: لا. ثم أنه لا يوجد أى دليل تاريخى على أن محمد من نسل إسماعيل، ولا يوجد أى دليل تاريخى على أن إسماعيل ذهب إلى مكة، بل لا يوجد أى دليل تاريخى على أن إسماعيل شخصية حقيقية. إنها مجرد افتراضات وهمية يكررها المسلمون ليل نهار، ومِن كثرة تكرارهم لها اعتبروها الحقيقة المطلقة التى يجب على الجميع تصديقها بدون أى دليل!

الشرط الثانى باطل لأنه اخترع كلاماً لم يقله النص! فلقد افترض أصحاب الإدعاء الإسلامى أن المقصود بعبارة "مثل موسى" هو "صاحب شريعة وجهاد لأعداء الله". ولا أدرى مِن أين جاءوا بهذا التفسير العجيب الذى يختزل موسى فى "صاحب شريعة وجهاد"! نسوا أو تناسوا أن شريعة محمد لم تأت بشيء جديد يُذكَر. نسوا أو تناسوا أن محمد نفسه اعترف فى الحديث الصحيح الشهير بأن جهاده كان من أجل نشر الإسلام[1238]، أما "جهاد" موسى فلم يكن من أجل نشر اليهودية. نسوا أو تناسوا أن موسى مِن بنى إسرائيل ووُلِد فى مصر، بينما محمد عربى مِن قريش ووُلِد فى مكة. نسوا أو تناسوا أن محمد خاض حرباً أهلية ضد أهله وعشيرته وقبيلته قريش (غزوة بدر، غزوة أحد ... الخ)[1239]، أما موسى فلم يتورط فى حرب أهلية ضد قومه بنى إسرائيل. نسوا أو تناسوا اختلافات جوهرية كثيرة بين محمد وموسى، وتذكروا فقط ما يثبت صحة زعمهم بأية وسيلة مهما كانت مفبركة. وياليتهم أصابوا فيما تذكروه، فلقد وقعوا فى خطأ كبير.

الخطأ الذى وقع فيه أصحاب الإدعاء الإسلامى هو أنهم لم يذكروا – عن جهل أو عن عمد – أن أهم شرط ضرورى (necessary condition) ليكون هذا النبى الموعود "مثل موسى" مذكور فى نفس السفر: "وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ" (التثنية 10:34)، أى كَلَّمَه الله مباشرةً بلا واسطة (الخروج 11:33) (العدد 8:12)، وهو ما أكده القرآن نفسه: "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا" (النساء 164)؛ (الأعراف 143) (مريم 52) (البقرة 253). فهل كلَّم اللهُ محمداً مباشرةً بلا واسطة وبدون سفير؟ الإجابة: لا توجد آية قرآنية تقول ذلك. إذن: محمد ليس مثل موسى.

باختصار: الشرطان المذكوران فى الإدعاء الإسلامى باطلان. والشرطان الصحيحان هما: أن يكون النبى من بنى إسرائيل وأن يكون مثل موسى. هذان الشرطان الصحيحان لم يتحققا بصورة كاملة (perfect) وفريدة (unique) إلا فى يسوع المسيح، فهو ابن داود كما جاء فى أول آية فى الإنجيل (متى 1:1)، أى هو من بنى إسرائيل، وهو مثل موسى، بل هو أعظم من موسى (العبرانيين 3:1-6) وأعظم من الملائكة (العبرانيين 1:1-14)، فهو صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ (أي: مخلوق على صورة الله، مثل آدم قبل سقوطه) (كولوسى 15:1). ولذلك قال يسوع المسيح عن نفسه: "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يوحنا 30:10) "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يوحنا 9:14)، أي: رأى أفعال الآب وسمع أقوال الآب[1240].

وأخيراً وليس آخراً، يؤكد العهد الجديد بوضوح أن النبوّة المذكورة فى (التثنية 15:18-19) قد تحققت فى "يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُبَشَّرَ بِهِ لَكُمْ قَبْلُ. الَّذِي يَنْبَغِي أَنَّ السَّمَاءَ تَقْبَلُهُ، إِلَى أَزْمِنَةِ رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ، الَّتِي تَكَلَّمَ عَنْهَا اللهُ بِفَمِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ. فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ تَسْمَعُ لِذلِكَ النَّبِيِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ. وَجَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَيْضًا مِنْ صَمُوئِيلَ فَمَا بَعْدَهُ، جَمِيعُ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا، سَبَقُوا وَأَنْبَأُوا بِهذِهِ الأَيَّامِ" (أعمال الرسل 3:20-24). اقرأ أيضاً: (يوحنا 21:1، 25:1، 45:1، 46:5، 14:6، 40:7) و (أعمال الرسل 37:7).

المسألة إذن محسومة منذ حوالي 2000 سنة، فلا داعي لكل هذا الجدل الذي يثيره بعضُ الكُتاب المسلمين فيخسرون بسببه ما تبقى من مصداقيتهم.

النص: المقطع الأول من المزمور 45: "أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ، لِذلِكَ بَارَكَكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ. تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ، جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ. وَبِجَلاَلِكَ اقْتَحِمِ. ارْكَبْ. مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ وَالدَّعَةِ [...]. نَبْلُكَ الْمَسْنُونَةُ فِي قَلْبِ أَعْدَاءِ الْمَلِكِ. شُعُوبٌ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ. [...]. [...]، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ" (المزامير 45:2-7).

المقطع الثاني من المزمور 45: "اِسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي، وَأَمِيلِي أُذُنَكِ، وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ، فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ، لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ. وَبِنْتُ صُورٍ أَغْنَى الشُّعُوبِ تَتَرَضَّى وَجْهَكِ بِهَدِيَّةٍ. كُلُّهَا مَجْدٌ ابْنَةُ الْمَلِكِ فِي خِدْرِهَا. مَنْسُوجَةٌ بِذَهَبٍ مَلاَبِسُهَا. بِمَلاَبِسَ مُطَرَّزَةٍ تُحْضَرُ إِلَى الْمَلِكِ. في إِثْرِهَا عَذَارَى صَاحِبَاتُهَا. مُقَدَّمَاتٌ إِلَيْكَ. يُحْضَرْنَ بِفَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ. يَدْخُلْنَ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ. عِوَضًا عَنْ آبَائِكَ يَكُونُ بَنُوكَ، تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ الأَرْضِ. أَذْكُرُ اسْمَكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ تَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ" (المزامير 45:10-17).

ملخص الادعاء الإسلامي: أوصاف المقطع الأول تنطبق على محمد، فهو الذى قاتل بسيفه فى سبيل الله وسقطت أمامه شعوب عظيمة كالفرس والروم. وهو الممسوح بالبركة أكثر من رفقائه الأنبياء؛ لأنه خاتم النبيين، ورسالته عامة خالدة. أما المقطع الثاني فهو أوصاف للكعبة الشريفة. فهى التى تترضاها الأمم بالهدايا. وهى ذات الملابس المنسوجة بالذهب والمطرزة، وهى التى يذكر اسمها فى كل دور فدور وتأتيها قوافل "الحجيج" رجالاً ونساءً من كل مكان فيدخل الجميع فى "قصر الملك" ويحمدها الناس إلى الأبد؛ لأن الرسالة المرتبطة بها رسالة عامة وخالدة[1241].

الرد: أعترف بأنني لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك وأنا أقرأ هذا الإدعاء الإسلامى، لا سيما فيما يتعلق بالمقطع الثاني! سألت نفسي فى دهشة: الكعبة كمان جعلوها مذكورة فى العهد القديم؟!

توضيح معنى المزمور 45: هو عبارة عن ترنيمة محبة أو أنشودة زفاف (wedding song) لأحد ملوك إسرائيل، يُعتقَد أنه سليمان. المقطع الأول يتحدث عن العريس (المَلِك)، والمقطع الثاني يتحدث عن العروس (المَلِكة). حذف أصحاب الإدعاء الإسلامى الآية التى تربط المقطعين حتى لا يفهم القارىء العلاقة بينهما. تقول هذه الآية: "بَنَاتُ مُلُوكٍ بَيْنَ حَظِيَّاتِكَ. جُعِلَتِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بِذَهَبِ أُوفِيرِ" (المزامير 45:9). باختصار: المزمور ليس له أى علاقة إطلاقاً بمحمد ولا بالكعبة! هل الكعبة بنت؟! هل الكعبة لها أذن ولها أب؟! هل الكعبة تسجد لمحمد، أم محمد وكل المسلمين هُم الذين يسجدون فى اتجاه الكعبة؟!

حذف أصحاب الإدعاء الإسلامى آية أخرى هامة من المقطع الأول. حذفوها عن عمد وليس عن جهل. تقول هذه الآية: "كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ" (المزامير 45:6). حذفوها لسببين. السبب الأول هو أن كاتب الترنيمة خاطب العريس (المَلِك) بقوله "يا الله"، وهذا الوصف لا يمكن أن ينطبق على محمد، خاصةً وأن المزمور يقول أن كرسى هذا المَلِك مستمر إلى دهر الدهور، ومن المعلوم للكافة أن محمد قد مات والخلافة الإسلامية أيضاً ماتت، وبالتالى فلا يمكن أن يكون محمد هو المقصود، وهذا يثبت خطأ زعمهم. السبب الثانى هو أن العهد الجديد قد طبَّق هذا المزمور وهذه الآية تحديداً على المسيح (المَلِك، العريس): "وَأَمَّا عَنْ الابْنِ: «كُرْسِيُّكَ يَا أَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِزَيْتِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ»" (العبرانيين 1:8-9). ولقد أكد المسيح أنه أعظم من سليمان (متى 12:42) و (لوقا 11:31).

إذن: إذا أخذنا المزمور 45 بمعناه الروحي المجازي، فهو نبوّة عن المسيح (المُخلِّص) مَلِك اليهود. المسيح هو المَلِك الذى ليس لمُلْكِه انقضاء. ومع أن المزمور 45 يخاطب المَلِكَ بعبارات إلهية تكريماً وتشريفاً أو كما كانت العادة في ثقافات الشرق الأدنى القديم[1242]، إلا أنه يؤكد أن هذا المَلِك مجرد إنسان عبد الله، بدليل قوله "مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ" (المزامير 45:7) التي تكررت حرفياً في "مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ" (العبرانيين 1:9).

وإذا كان المسيح هو العريس (يوحنا 3:28-29)، فعروسه هى الكنيسة (أفسس 5:22-33) و (2 كورنثوس 11:2). ويبدو أن أصحاب الإدعاء الإسلامى قد سمعوا أن الكنيسة هى عروس المسيح، فظنوا أن "الكنيسة" تعنى فقط مبنى الكنيسة نفسه المصنوع من طوب أو حجارة؛ ومِن ثم جاءتهم فكرة أن يجعلوا المقطع الثانى من المزمور يشير إلى الكعبة! ولم يدركوا أن "الكنيسة" تعني أيضاً: الذين يذهبون إلى الكنيسة، أي جماعة المسيحيين المؤمنين. فكما تترك العروس بيت أبيها وتنتقل لتعيش حياتها كلها مع العريس فى بيته، كذلك فإن المسيحيين المؤمنين سيتركوا الأرض وينتقلوا ليعيشوا حياة أبدية مع المسيح فى السماء. اقرأ أيضاً ما قاله سفر الرؤيا عن عُرْس المسيح (الرؤيا 19:7-9) وعن "أورشليم السمائية" (Heavenly Jerusalem) أو "أورشليم الجديدة" (New Jerusalem) مسكن المسيح مع المؤمنين الأبرار الذين يرثون ملكوت السماوات بعد أن يأتى المسيح فى مجيئه الثانى (الرؤيا 21)[1243].

تبقى نقطة أخيرة: ذكر المزمور أن المَلِك له سيف، فهل المسيح له سيف؟ الإجابة: نعم، المسيح له سيف، لكنه ليس سيف الحرب والقتال الذى حمله محمد وأتباعه. والدليل على ذلك هو أنه لحظة القبض على يسوع، مَدَّ وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. فانتهره يسوع قائلاً له: "رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟". ليس هذا فحسب، بل لَمَسَ يسوع أُذْنَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَأَبْرَأَهَا، فأظهر بذلك أنه لا يخوض حرباً ولا يلجأ إلى قتال، وإنما يجب أن يُصلَب

ويموت لكى ينتصر بقيامته من الأموات. اقرأ: (متى 26:47-56) و (لوقا 22:47-53) و (يوحنا 18:1-11) و (مرقس 14:43-52).

السلاح الوحيد الذى حمله المسيح هو صليبه (يوحنا 19:17)، فهزم به الموتَ. "احْتَمَلَ" المسيحُ "الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ" (العبرانيين 12:2)، وأعلن بذلك قوة الله وحكمة الله: "فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ، [...]. [...] لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ" (1 كورنثوس 1:18-24). فصارت الكرازة (أى: التبشير) بالمسيح مثل السيف، ليس السيف الذى يُحارب ويُقاتِل غير المؤمنين، وإنما السيف الذى يُحدِث انقساماً وانفصالاً طبيعياً بين المؤمنين وغير المؤمنين (متى 10:34-39) و (لوقا 12:49-53) و (مرقس 10:29-30)، كما "فَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ" بكلمته فى البدء (التكوين 1:4).

إذن: سيف المسيح وسيف كل مسيحى مؤمن هو "سَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ" (أفسس 6:17) "لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ" (العبرانيين 4:12). ولذا فإننا "وَإِنْ كُنَّا نَسْلُكُ فِي الْجَسَدِ، لَسْنَا حَسَبَ الْجَسَدِ نُحَارِبُ. إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" (2 كورنثوس 10:3-5).

<u>النص:</u> "قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى. فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ. اِرْفَعِي عَيْنَيْكِ حَوَالَيْكِ وَانْظُرِي. قَدِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ. جَاءُوا إِلَيْكِ. يَأْتِي بَنُوكِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ عَلَى الأَيْدِي. حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُنِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكِ وَيَتَّسِعُ، لأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ، وَيَأْتِي إِلَيْكِ غِنَى الأُمَمِ. تُغَطِّيكِ كَثْرَةُ الْجِمَالِ، بُكْرَانُ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ كُلُّهَا تَأْتِي مِنْ شَبَا. تَحْمِلُ ذَهَبًا وَلُبَانًا، وَتُبَشِّرُ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ. كُلُّ غَنَمِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ. كِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدِمُكِ. تَصْعَدُ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي، وَأُزَيِّنُ بَيْتَ جَمَالِي. مَنْ هؤُلاَءِ الطَّائِرُونَ كَسَحَابٍ وَكَالْحَمَامِ إِلَى بُيُوتِهَا؟ إِنَّ الْجَزَائِرَ تَنْتَظِرُنِي، وَسُفُنَ تَرْشِيشَ فِي الأَوَّلِ، لِتَأْتِيَ بِبَنِيكِ مِنْ بَعِيدٍ وَفِضَّتُهُمْ وَذَهَبُهُمْ مَعَهُمْ، لاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكِ [...]. «وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكِ. [...]. وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا. نَهَارًا وَلَيْلاً لاَ تُغْلَقُ. لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ، وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ." (إشعياء 60:1-11).

<u>ملخص الادعاء الإسلامي:</u> النص يصف مكة والكعبة. يتحدث المقطع الأول عن موسم الحج، وفيه لمحة قوية جداً إلى نحر الهدى صبيحة العيد. ألم يشر النص إلى غنم قيدار، وقيدار هو ولد إسماعيل الذى تشعبت منه قبائل العرب؟ كما أشار النص إلى طرق حضور الحجاج إلى مكة: براً (الجمال فى العصر القديم) وبحراً (السفن) وجواً (الطائرات فى العصر الحديث). وأبواب مكة مفتوحة ليلاً ونهاراً لكل قادم فى حج أو عمرة. وخيرات الأمم تُجبَى إليها من كل مكان، والقرآن يقرر هذا المعنى (القصص 57). ومَنَّ الله عليها

بكثرة الثروات مثل البترول. وبنو الغريب (يعنى غير العرب من الأيدى العاملة وذوى الخبرات) يبنون أسوارها ويشيدون قلاعها. وظلت مكة بمأمن من غارات الغائرين وكيد الكائدين. والحديث عن مكة حديث عن رسول الإسلام؛ لأن مجدها لم يأتِ إلا على يدى بعثته[1244].

الرد: يقول المثل المشهور:

"If all you have is a hammer, everything looks like a nail."

يعنى: إذا كانت أداتك الوحيدة هى شاكوش، كل شيء سيبدو لك كمسمار! يرتبط المسلمون بمحمد ومكة والكعبة، ولذلك يرى كثيرون منهم أى وصف فى الكتاب المقدس على أنه وصف لمحمد ومكة والكعبة!

لماذا لم يخطر على بال أصحاب الادعاء الإسلامى أن يكون الوصف فى (إشعياء 60:1-11) وصفاً لمدينة أخرى غير مكة؟ دبي مثلاً؟! دبى أيضاً بها عرب وغير عرب، والانتقال إليها كان عن طريق الجمال براً ثم السفن بحراً ثم النقل الجوى فى العصر الحديث، وبها ثروات مثل البترول، وأبوابها مفتوحة ليلاً ونهاراً، وخيرات الأمم تُجبَى إليها من كل مكان ... الخ.

النص طبعاً لا يتحدث عن مكة ولا عن دبي ولا عن نيويورك ولا عن لندن. فعَن أى مدينة يتحدث إذن؟ مِن حسن الحظ أن إجابة هذا السؤال موجودة فى آية فى نفس الإصحاح لم يذكرها أصحاب الادعاء الإسلامى، وهى: "وَيَدْعُونَكِ: مَدِينَةَ الرَّبِّ، «صِهْيَوْنَ قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ" (إشعياء 60:14). إذن: النص نفسه يعلن صراحةً أنه يتحدث عن صهيون (Zion)، أى أورشليم (القدس) (Jerusalem). فلا داعى إذن إلى أى تخمينات إسلامية!

لم يذكر أصحاب الادعاء الإسلامى هذه الآية الهامة، وحذفوا كل العبارات الأخرى التى تنطبق على صهيون ولا تنطبق على مكة، مثل: "وَقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَجَّدَكِ" (إشعياء 60:9) و "لأَنِّي بِغَضَبِي ضَرَبْتُكِ، وَبِرِضْوَانِي رَحِمْتُكِ." (إشعياء 60:10). وقالوا بدون أى دليل عن عبارة "قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَجَّدَكِ" إنها "مقطع مضاف بكل تأكيد والهدف منه صرف الكلام عن معناه الظاهر"! وقالوا أيضاً بدون أى دليل "إن أهل الكتاب (وخاصة اليهود) يحملون هذه الأوصاف على مدينة "صهيون" ولهذا فإنهم عمدوا إلى النص وعدلوه ليصلح لهذا الزعم"!

نقول لأصحاب الادعاء الإسلامى: إذا قلتم إن اليهود "عمدوا إلى النص وعدلوه"، فعليكم أن تأتوا بدليل يؤيد هذا القول. يعنى مثلاً تأتوا بمخطوطة قديمة لهذا الإصحاح لا تذكر كلمة "صهيون" ثم تأتوا بمخطوطة أخرى لنفس الإصحاح لكن أحدث من الأولى وتذكر كلمة "صهيون". لكن أن تقولوا كلاماً مرسلاً بدون أى دليل، فهذا يجعل مصداقيتهم تنهار إلى الحضيض.

والحقيقة هى أن سفر إشعياء (Isaiah) ذكر "صهيون" أكثر من 45 مرة، وذكرها العهد القديم أكثر من 150 مرة[1245]. وذكر الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد "أورشليم" أكثر من 500 مرة. فلا يُعقَل أن

يكون كل هذا تحريف! ومن المعلوم للكافة أن المدينة المقدسة التى ترتبط بالديانتين اليهودية والمسيحية هى أورشليم، وليس مكة. ومن المعلوم للكافة أيضاً أن قِبلة المسلمين الأولى كانت فى اتجاه أورشليم، وليس مكة. فإذا كانت مكة مدينة هامة جداً منذ العهد القديم لدرجة أن إشعياء (حوالى 700 ق.م) يشير إليها، فلماذا لم يذهب مسيح المسلمين عيسى ابن مريم إليها؟! بل لماذا لم تكن مكة هى قِبلة محمد الأولى؟! وأخيراً: هل يوجد أى دليل تاريخى على أن مكة كان بها أى مظهر من مظاهر الديانات التوحيدية أو حتى مظاهر الحياة البشرية حوالى 700 ق.م؟!

نعود إلى النص، أو بالأحرى إلى الإصحاح بأكمله (إشعياء 60:1-22). يُعطى الإصحاح نبوّات مستقبلية تخص صهيون (أورشليم):

- منها نبوّات تحققت، مثل ذهاب الأمم (مِن العرب وغير العرب) إلى أورشليم بعد اعتناقهم المسيحية وانضمامهم لكنيسة المسيح. وأيضاً: "بَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكِ" (إشعياء 10:60) تحققت حوالى عام 444 ق.م (خلال فترة عودة اليهود من السبى البابلى إلى أورشليم) حين أصدر الملك الفارسى "أَرْتَحْشَسْتَا الأول" (Artaxerxes I) مرسوماً يسمح لـ "نحميا" (Nehemiah) بإعادة أبناء أسوار أورشليم (نحميا 8:2).
- ومنها نبوّات لم تتحقق بعد، مثل: "لاَ تَكُونُ لَكِ بَعْدُ الشَّمْسُ نُورًا فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ يُنِيرُ لَكِ مُضِيئًا، بَلِ الرَّبُّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا" (إشعياء 19:60). وهى نفس أوصاف "أورشليم السمائية" أو "أورشليم الجديدة" (New Jerusalem) فى سفر الرؤيا: "لاَ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلاَ إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لأَنَّ مَجْدَ اللهِ قَدْ أَنَارَهَا" (الرؤيا 23:21) "وَلاَ يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاجٍ أَوْ نُورِ شَمْسٍ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (الرؤيا 5:22)[1246].

أعتقد أن اللعبة التى يلعبها الكُتاب المسلمون الذين كتبوا فى هذا الموضوع أصبحت مكشوفة. يأخذون الآيات التى تتضمن نبوّات عن المسيح، ويحذفون منها ما لا يعجبهم، ويفسرونها على هواهم حتى يجعلوها – بالعافية – نبوّات عن محمد! ويأخذون الآيات التى تتحدث عن صهيون (أورشليم)، ويحذفون منها ما لا يعجبهم، ويفسرونها على هواهم حتى يجعلوها – بالعافية – تتحدث عن مكة!

وما فعلوه مع صهيون (أورشليم) فعلوه أيضاً مع أماكن أخرى، مثل فاران، كما سنرى فى النص التالى ...

النص: فى الإصحاح قبل الأخير من التوراة: "وَهذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ اللهِ، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ" (التثنية 33:1-2).

ملخص الادعاء الإسلامى: فاران هى مكة المكرمة مولد ومنشأ ومبعث محمد، وجبل فاران هو جبل "النور" الذى به غار حراء، الذى تلقى فيه رسول الإسلام بدء الوحى. وما يؤكد ذلك أكثر هو أن ورود ذكر "فاران" فى كتب العهد القديم لم يقتصر على هذا الموضع، فقد ورد فى قصة إسماعيل مع أمه هاجر حيث تقول التوراة إن إبراهيم استجاب لسارة وطرد هاجر وابنها إسماعيل فنزلت وسكنت فى "برية فاران" (التكوين 21:21). وبما أن إسماعيل وأمه هاجر قد هاجرا إلى مكة، إذن فاران هى مكة[1247].

الرد: أولاً: كما قلنا من قبل، لا يوجد أى دليل تاريخى على أن إسماعيل ذهب إلى مكة، بل لا يوجد أى دليل تاريخى على أن إسماعيل شخصية حقيقية. إنما هذه الأفكار هى مجرد تقاليد عربية متوارثة ليس لها أى دليل تاريخى، بل ليس لها أى دليل قرآنى، فالقرآن لم يذكر هاجر إطلاقاً ولم يذكر "فاران" إطلاقاً. وسوف نتحدث بقدر أكبر من التفصيل عن هذه الأفكار العربية الموروثة فى وقتٍ لاحق. ولذا فسوف يقتصر حديثنا هنا على هذا الادعاء الإسلامى العجيب الذى يقول – بدون أى دليل – إن فاران هى مكة!

للأسف، جاء هذا الادعاء الإسلامى على طريقة "لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ". نعم، "علماء" المسلمين يأخذون النصف الأول من الآية التوراتية التى جاءت مباشرةً بعد قصة طرد هاجر وإسماعيل (التكوين 21:8-20) والتى تقول إن إسماعيل "سَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ" (التكوين 21:21)، ويقولون بدون أى سند أو دليل إن فَارَانَ هى مكة! ولو قرأوا النصف الثانى من الآية لحصلوا على إشارة (clue) تساعدهم فى معرفة أين تقع فَارَانَ. تقول الآية إن إسماعيل "سَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ" (التكوين 21:21). بالفعل، تقع بَرِّيَّة فَارَانَ (Paran) فى سيناء – أى فى مصر – جنوب كنعان (حالياً: إسرائيل / فلسطين وأجزاء من الشام)، وهى بَرِّيَّة ذات جبال وسهول مرتفعة ومعظمها على ارتفاع يتراوح بين 2000 و 2500 قدم عن سطح البحر[1248].

وكنت أتمنى أن يذكر هؤلاء "العلماء" كل المواضع التى ذكرت التوراة فيها "فَارَانَ"، ولكنهم ذكروا فقط (التثنية 33:1-2) و (التكوين 21:21). لو كانوا درسوا كل هذه المواضع بأمانة وعمق لكانوا عرفوا أن فَارَانَ تقع فى سيناء كما قلنا. وخير دليل على ذلك هو أن فَارَانَ مذكورة عدة مرات فى قصة خروج بنى إسرائيل من مصر، خاصةً فى سفر العدد الذى يروى تاريخ بنى إسرائيل أثناء التيه فى البَرِيَّة (wandering in the desert)[1249]. اقرأ مثلاً الآيات التالية:

- "فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي رِحْلاَتِهِمْ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، فَحَلَّتِ السَّحَابَةُ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ" (العدد 12:10)؛
- "وَبَعْدَ ذلِكَ ارْتَحَلَ الشَّعْبُ مِنْ حَضَيْرُوتَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ" (العدد 16:12)؛

- " ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَرْسِلْ رِجَالاً لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. رَجُلاً وَاحِدًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ آبَائِهِ تُرْسِلُونَ. كُلُّ وَاحِدٍ رَئِيسٌ فِيهِمْ». فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى مِنْ بَرِّيَّةِ فَارَانَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ" (العدد 13:1-3)؛
- "فَصَعِدُوا وَتَجَسَّسُوا الأَرْضَ [...] ثُمَّ رَجَعُوا مِنْ تَجَسُّسِ الأَرْضِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. فَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَى بَرِّيَّةِ فَارَانَ، إِلَى قَادَشَ، وَرَدُّوا إِلَيْهِمَا خَبَرًا وَإِلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَأَرَوْهُمْ ثَمَرَ الأَرْضِ" (العدد 13:21-26). وأيضاً فى (التثنية 1:1).

نستنتج مما سبق أن فَارَانَ كانت محطة هامة من محطات رحلة خروج بنى إسرائيل من مصر. فهل ذهب بنو إسرائيل من مصر إلى أرض الموعد (كنعان) عن طريق مكة؟! الإجابة: مستحيل!

أما الآية التوراتية: "تَلأْلأَ (الرب) مِنْ جَبَلِ فَارَانَ" (التثنية 33:2)، فهى أصلاً لا تشير إلى بشارة أو نبوءة ستحدث فى المستقبل. بالعكس، الآية تتضمن خبراً، أى حدثاً فى الماضى، وهو تجلى الرب لكل بنى إسرائيل فى فَارَانَ (سيناء) حيث "ظَهَرَ مَجْدُ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِكُلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (العدد 14:10)[1250]، ولا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى محمد رسول الإسلام! ولو كان موسى قد أراد أن يُبشِّر بمحمد، لكان قالها واضحة وصريحة بدون ألغاز ولا فوازير! أو كان محمد نفسه قال لنا أين تقع فَارَانَ، ولكن الواقع أن القرآن لم يذكر فَارَانَ إطلاقاً. وإننا لنندهش حين يتمسك المسلمون بهذه الحُجج الواهية، فهى تضر الإسلام أكثر ما تفيده، لأنها دليل إفلاس، فلو كان لدى هؤلاء "العلماء" دليل أقوى من ذلك لقالوه.

وبما أن كل محاولات المسلمين للبحث عن محمد فى العهد القديم قد باءت بالفشل، فعلينا أن ننصح المسلمين نصيحة لعلها تنفعهم.

يقول حديث صحيح أخرجه البخارى إن محمد موصوف فى التوراة بما يلى: "يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحِرزاً للأميين (أى: حصناً للعرب)، أنت عبدى ورسولى، سَمَّيْتُك المُتوكِّل، ليس بفظٍ ولا غليظٍ، ولا سَخَّابٍ بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صُماً وقلوباً غُلفاً"[1251].

النصيحة هي: بدلاً مِن أن تبحثوا عن محمد فى التوراة، ابحثوا عن التوراة التى تذكر محمد. ابحثوا عن مخطوطة قديمة واحدة للتوراة بأى لغة تقول هذا الكلام الذى ذكره البخارى فى صحيحه. إن لم تجدوا هذه المخطوطة – ولن تجدوها – فليس أمامنا سوى أن نقول إن هذا الكلام المذكور فى هذا الحديث كلام وهمى لا أساس له. وبذلك لا يكون لمحمد أى وجود فى التوراة ولا وجود لمحمد فى العهد القديم.

2.2.2 هل بشَّر العهد الجديد بمحمد؟

آية أخرى يحفظها كل مسلم عن ظهر قلب، وهى: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ" (الصف 6).

السؤال: هل فعلاً بَشَّر المسيحُ بني إسرائيل برسول يأتى من بعده اسمه "أحمد" أو "محمد"؟! بعبارة أخرى: هل يوجد أي دليل عقلي يثبت ما زعمه القرآنُ؟!

الإجابة: بالقطع لا. بل توجد أدلة عقلية كثيرة تنفي ما زعمه القرآنُ. مثلاً:

- "أحمد" اسم عربي، والخطاب في (الصف 6) موجه إلى بني إسرائيل، ومعظم بني إسرائيل لم يؤمنوا بالمسيح يسوع (عيسى) الذى جاء من نسل داود، فهل يُعقَل أن يؤمنوا برسول عربي ليس مِن نسل داود؟! مستحيل. إذن لا داعي أصلاً لهذا الرسول المزعوم!
- ثم إن (الصف 6) آية مدنية، أي قالها أصحاب القرآن فى مرحلة متأخرة من حياة محمد. فإذا افترضنا جدلاً أن عيسى قد بشَّر بـ "أحمد" وأن "محمد" هو "أحمد" الذى بشَّر به عيسى، فلماذا لم يعلن محمد ذلك فى بدايات الفترة المكية؟!
- وكما قلنا فيما سبق، لو كان المسيح قال "مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" (الصف 6) كما يزعم القرآنُ، لكان مِن المفترض ومِن المتوقع أن ينتشر اسم "أحمد" بين العرب بعد المسيح؛ كل أب بالتأكيد يتمنى أن يكون ابنه هو هذا "النبي العربي المنتظر". لكن على أرض الواقع، لا يوجد أي دليل على انتشار اسم "أحمد" بين العرب في القرون الستة الأولى بعد المسيح! بل لم يكن اسم "أحمد" منتشراً بين الصحابة (أي: بين جيل محمد). أمامي الآن كتاب "أُسْد الغابة في معرفة الصحابة" وهو مِن الكتب الإسلامية التراثية المهمة وبه سيرة ذاتية لأكثر مِن 5000 صحابي عربي وغير عربي، مِنهم صحابي واحد فقط اسمه "أحمد"! وكذلك إذا نظرنا إلى كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة" وهو أيضاً مِن الكتب الإسلامية التراثية المهمة وبه سيرة ذاتية لأكثر مِن 9000 صحابي عربي وغير عربي، مِنهم صحابيان اثنان فقط اسمهما "أحمد"! يعني تقريباً نفس نسبة الانتشار الضئيلة جداً: أقل مِن واحد لكل 4000! هذا يكفي كدليل عقلي يثبت أن المسيح <u>**لم**</u> يقل أبداً "مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ".

مِن حقنا الآن أن نتساءل: هل (الصف 6) آية قرآنية أصلية؟ أَم أنها مِن الآيات الموضوعة المدسوسة التي أضيفت لاحقاً بعد وفاة محمد؟

الحديث عن (الصف 6) يقودنا إلى سؤال أكثر أهمية: هل بشَّر العهد الجديد بنبى أو رسول يأتى بعد المسيح اسمه "أحمد" أو "محمد"؟! بعبارة أخرى: هل يوجد أي دليل نقلي على أن المسيح بَشَّر بني إسرائيل برسول يأتي من بعده اسمه "أحمد" أو "محمد"؟!

الإجابة: بالقطع لا.

لكن كما حاول كثير من المسلمين اثبات أن أسفار العهد القديم بها نبوَّات أو بشارات بمحمد رسول الإسلام وباءت كل محاولاتهم بالفشل، كذلك فإن كل محاولاتهم لاثبات أن أسفار العهد الجديد بها نبوَّات أو بشارات بمحمد قد باءت أيضاً بالفشل. وسنذكر فى هذا الفصل أهم هذه المحاولات الفاشلة اليائسة، ونرد عليها باختصار.

النص: "جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلاً: «تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ" (متى 3:1-2). "وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ وَيَقُولُ:«قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ»" (مرقس 1:14-15). "ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ»" (متى 4:17). ويذكر إنجيل لوقا أن يسوع "دَعَا تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَانًا عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ وَشِفَاءِ أَمْرَاضٍ، وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى" (لوقا 9:1-2). ويقول نص الصلاة الربَّانيَّة (The Lord's Prayer) التي علّمها يسوع المسيح لتلاميذه: "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ" (لوقا 11:2) و (متى 6:9-10).

ملخص الادعاء الإسلامي: تتفق الأناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقس ولوقا) على أن يوحنا المعمدان (يحيى ابن زكريا) ويسوع (عيسى) والتلاميذ (الحواريين) قد بشروا بملكوت السماوات أو ملكوت الله الذى اقترب. فمَن المراد بهذا الملكوت إذا لم يكن هو محمد رسول الإسلام؟ وعبارة المسيح "قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ" لا تعني سوى انتهاء عصر الرسالات الموقوتة (يقصدون اليهودية والمسيحية) وإقبال الرسالة الخالدة (يقصدون الإسلام)[1252].

الرد: نبدأ أولاً بتعريف اصطلاح "ملكوت الله" (Kingdom of God) أو الاصطلاح المرادف له "ملكوت السماوات" (Kingdom of Heaven) كما جاء فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وسوف يتضح من هذا التعريف أنه لا يمكن أن ينطبق على محمد رسول الإسلام.

تنبأ دانيال النبي في العهد القديم بهذا الملكوت قائلاً: "فِي أَيَّامِ هؤُلاَءِ الْمُلُوكِ (أى: فى أيام الرومان) يُقِيمُ إِلهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا" (دانيال 2:44)، ونلاحظ هنا أن مؤسس ملكوت السماوات هو إِلهُ السَّمَاوَاتِ، أى الله نفسه. ولذلك فإن عبارة "ملكوت السماوات" هي في الواقع مرادفة لعبارة "ملكوت الله".

ويقول الكتاب: "لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ" (رومية 17:14)، ويقول أيضاً "إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لاَ يَقْدِرَانِ أَنْ يَرِثَا مَلَكُوتَ اللهِ، وَلاَ يَرِثُ الْفَسَادُ عَدَمَ الْفَسَادِ" (1 كورنثوس 50:15). إذن: ملكوت الله هو مملكة روحية (spiritual realm) أصلها سماوي، ومَلِكها هو السيد المسيح (المسيَّا)[1253]. يسوع نفسه أعلن ذلك قائلاً: "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا" (يوحنا 36:18)، أى أن مملكة المسيح ليست من هذا العالم الأرضى، فهى ليست مملكة مادية تنتشر بالجهاد والغزوات أو ما يُسمَّى بالفتوحات. وإنما هى مملكة الله الروحية التى تنتشر بالتبشير بالإنجيل للخليقة كلها (مرقس 15:16) حتى يتحقق مُلك الله وسيادته المطلقة على قلوب شعبه وحياتهم وكل تصرفاتهم. قال يسوع: "لاَ يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ، وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا ههُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ" (لوقا 17:20-21)، أى داخل قلوبكم. وهذه الآية وحدها تكفى كدليل قاطع يثبت أن المراد بهذا الملكوت ليس محمداً، فمحمد لم يكن موجوداً أيام المسيح!

ملكوت الله هو نظام البر والسلام والمحبة الذي أرسل اللهُ المسيحَ ليضع حجر أساسه ولينظمه (أعمال الرسل 1:1-3). ولذلك فإن يوحنا المعمدان قد بشَّر بهذا الملكوت الذى اقترب، بمعنى أن مجيء المسيح قد جعل ملكوت السماوات يقترب من البشر. وكان اليهود وعلماؤهم يعرفون أنه الملكوت الذى تنبأ به دانيال، لكنهم أخطأوا حين توقعوا ملكوتاً أرضياً مادياً وخلاصاً مِن حُكم الرومان، فرفضوا يسوعَ المسيح الذى أعلن أن ملكوته ملكوتاً سماوياً روحياً وخلاصاً مِن سلطان الخطيَّة ومِن حُكم الموت. ولذلك قال لهم يسوع: "إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ" (متى 43:21). وقال يسوع أيضاً: "إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِب وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (متى 11:8). وهذا تحقق بالفعل حين رحَّب المؤمنون من اليهود بالمؤمنين من الأمم (gentiles) (goyīm). ملحوظة: تؤكد هذه الآيات عالمية الديانة المسيحية وأنها ليست ديانة محصورة فى زمان أو مكان أو شعب معين. اقرأ أيضاً (مرقس 15:16) (متى 14:24).

لكن فى الوقت نفسه يجب أن نعلم أن ملكوت الله ملكوت أبدي يمتد إلى المجيء الثاني للمسيح وقيامة المؤمنين الأبرار الذين يرثون ملكوت السماوات؛ "حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ" (متى 43:13). هذا ما قاله دانيال النبي عن ابن الإنسان – أى المسيح (مَلِك هذا الملكوت): "كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ" (دانيال 13:7-14)[1254]. وهذا ما قاله الملاك لمريم العذراء حين بشَّرها بميلاد يسوع: "لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ»" (لوقا

33-30:1). وهذا ما ذكره العهد الجديد فى عدة مواضع، مثل: "هكَذَا يُقَدَّمُ لَكُمْ بِسِعَةٍ دُخُولٌ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الأَبَدِيّ" (2 بطرس 11:1). بعبارة أخرى: لن يتحقق ملكوت السماوات بصورة كاملة وتامة ونهائية إلا بعد المجيء الثاني للمسيح وإدانة كل الشر الذى فى العالم وإزالته. ولذلك فإن يسوع والتلاميذ قد بشروا بهذا الملكوت. ولذلك أيضاً فإن كل مسيحى فى العالم إلى يومنا هذا لا يزال يردد الصلاة الربّانيّة قائلاً: "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ" (لوقا 2:11) و (متى 9:6-10). فلا يمكن أن يكون محمد هو المراد بملكوت الله أو ملكوت السماوات أو حتى ابن الإنسان؛ ذلك لأن محمد قد أتى ومات ولن يأتي مرة ثانية. أما المسيح فهو حيٌ فى السماء وسيأتى مرة ثانية، حسب العقيدة المسيحية وحسب رأى جمهور المسلمين.

باختصار: ملكوت الله أو ملكوت السماوات هو ملكوت روحي وأبدي مع الله، وبالتالي فهو لا يمكن أن ينطبق على محمد رسول الإسلام[(1255)].

أما عبارة "قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ" (مرقس 15:1) التى قالها المسيح، فهى تعنى أنه قد جاء الوقت الذى سبق الله وحدَّده لمجيء المسيح مَلِك الملكوت. وكما سبق وقلنا، إن الكتاب المقدس يستخدم تعبير "مِلْء الزَّمَانِ" للإشارة إلى مجيء المسيح ابن الله إلى العالم: "مَا دَامَ الْوَارِثُ قَاصِرًا لاَ يَفْرِقُ شَيْئًا عَنِ الْعَبْدِ، مَعَ كَوْنِهِ صَاحِبَ الْجَمِيعِ. بَلْ هُوَ تَحْتَ أَوْصِيَاءَ وَوُكَلاَءَ إِلَى الْوَقْتِ الْمُؤَجَّلِ مِنْ أَبِيهِ. هكَذَا نَحْنُ أَيْضًا: لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ، كُنَّا مُسْتَعْبَدِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ. وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ" (غلاطية 1:4-5).

وأخيراً، نؤكد على أن المسيحية رسالة خالدة وليست رسالة موقوتة، وخير دليل على ذلك هو أنه على الرغم من كل المعوقات والعراقيل التي تُوضَع فى طريق انتشار الإنجيل، إلا أن المسيحية لا تزال تنتشر بقوتها الذاتية معتمدة على نفسها، فهي ديانة ثابتة راسخة قوية لا تحتاج إلى جيوش أو دول أو وزارات داخلية أو وزارات خارجية أو أموال البترول! وسوف تبقى كنيسة المسيح "وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا (أي: مملكة الموت وسلطان الشيطان لن تَقْوَى على المؤمنين بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله)" (متى 18:16) كما قال السيد المسيح: "وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى" (متى 14:24).

<u>النص:</u> فى خطبته الوداعية (Farewell Discourse) قبل صلبه، قال يسوع المسيح لتلاميذه:

- "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ" (يوحنا 15:14-17)؛

- "إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً. اَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كَلاَمِي. وَالْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. بِهذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (يوحنا 14:23-26)؛
- "وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ" (يوحنا 15:26-27)؛
- "إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: [...]. [...]. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ" (يوحنا 16:7-15).

ملخص الادعاء الإسلامي: المُعزّى تبشير بمحمد. محمد يُعلِّم الناس كل شيء، فرسالته تشمل كل مقومات الإصلاح فى الدنيا والدين. محمد يُبَكِّتُ "الْعَالَمَ" عَلَى خَطِيَّةٍ، فرسالته عالمية لكل أجناس البشر. محمد يخبر بأمور آتية، ويذكر بما مضى. كما يتحقق فى محمد معنى "الأفضلية" إذ هو خاتم النبيين، الذى جاء بشريعة خالدة عامة، وعلى هذا فهموا قول المسيح: "خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزّي"، وقالوا إن هذا إقرار من عيسى بأن المُبشَّر به أفضل من المُبشِّر، يقصدون أن محمد أفضل من عيسى[1256]!

الرد: إن المرء ليُصاب بالدهشة حين يجد الشيوخ المسلمين مُصرين على أن "الْمُعَزّي" تبشير بمحمد، على الرغم من أن الكتاب المقدس يؤكد فى نفس الآيات أن الْمُعَزّي هو "الرُّوحُ الْقُدُسُ" (يوحنا 14:26)، روح الحق، أي روح الله، أي هو الله، لأن "اَللهُ رُوحٌ" (يوحنا 4:24). أما قول المسيح: "مُعَزّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ" (يوحنا 14:16) فتُفسَّر "بمعنى إن كان المسيح قد جاء مُعَزّيًا لمدة زمنية محدودة، فمجيء الْمُعَزّي الرُّوح الْقُدُس سيبقى إلى الأبد"[1257].

الروح القدس هو الرب المُحيي، أى هو مصدر كل حياة فى الكون، فهو يعطى الحياةَ لكل الكائنات الحية. أو بعبارة أخرى، الله يُحيي بروحه القدوس. يقول الرب: "أَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فَتَحْيَوْنَ" (حزقيال 37:14). وواضح أن الله وروحه كيان واحد، لأن "اَللهُ رُوحٌ" (يوحنا 4:24) كما قلنا ولأن "الرُّوح هُوَ الْحَقُّ" (1 يوحنا 5:6).

وحسب إنجيل يوحنا الذي يستدل به أصحابُ الإدعاء الإسلامي، الروح القدس ينبثق من الآب (يوحنا 15:26) ويُرسَل مِن الآب ومِن الابن، أو بعبارة أخرى: يُرسَل مِن الآب باسم الابن (يوحنا 14:16 و 14:26 و 15:26 و 16:7). يعمل الروح القدس فى الأنبياء (فى العهد القديم والعهد الجديد) (2 بطرس 1:21)، ويعمل أيضاً فى خُدَّام الله والمؤمنين بصفة عامة فيؤيدهم بالقوة والمواهب المختلفة ليُدعِّموا عمل الله

ويقودوا العالم إلى نور الإيمان. على سبيل المثال: حل الروح القدس على مريم العذراء (لوقا 35:1)، وحل على يسوع المسيح بهيئة منظورة مثل حمامة وقت معموديته (متى 13:3-17)، وحل على تلاميذ المسيح فى أورشليم فى يوم الخمسين (أعمال الرسل 2:1-4). يسكن الروح القدس فى الإنسان المؤمن: "أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟" (1 كورنثوس 16:3)، ويعمل مِن أجل هداية الإنسان غير المؤمن: "لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَسُوعُ رَبٌّ» إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ" (1 كورنثوس 3:12). فـ "لولا مجيء الروح القدس لعزَّ علينا إدراك سر موت المسيح وقيامته. [...] لولا هذه النعمة العظمى، وهي عطية الروح القدس، ما عرفنا حقيقة المسيح ولا استعلنَّا موته وقيامته والخلاص العظيم الذي أكمله"[(1258)].

أما محمد فهو مجرد إنسان، وبالتالي فلا تنطبق عليه الصفات الإلهية السابقة! محمد ليس رباً وليس مُحيياً وليس روحاً. محمد ليس منبثقاً من الآب، وليس مُرسَلاً مِن الآب باسم الابن؛ محمد لم يعترف أصلاً بالابن ولم يطلق لقبَ "الآب" على الله! محمد لم يعمل فى أنبياء العهد القديم والعهد الجديد. محمد لم يحل على مريم العذراء ولم يحل على يسوع المسيح ولم يحل على تلاميذ المسيح. محمد لم يعترف بأن «يَسُوعُ رَبٌّ»، بل لم يعترف بموت المسيح الفدائي على الصليب ولا بقيامته من الأموات. محمد مات ولم يمكث معنا إلى الأبد! محمد لم يُمَجِّدُ المسيح، ولم يُخْبِرنا بأن كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ للابن (المسيح). صحيح أن القرآن وصف المسيح بالعديد من الصفات العظيمة، لكنه فى الوقت نفسه قال: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (آل عمران 59) و "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا" (المائدة 17) "وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" (التوبة 30). فهل هذا تمجيد للمسيح؟! هل هذا إخبار بأن كُل مَا لِلآبِ هُوَ للابن (المسيح)؟!

محمد لم يُعلمنا كل شيء ولم يُذكرنا بكل ما قاله المسيح. على سبيل المثال وليس الحصر: لم يذكر القرآنُ موعظة المسيح على الجبل (Sermon on the Mount) التى تشغل ثلاثة إصحاحات كاملة (5-7) من إنجيل متى. وتوجد كثير من الأمور الآتية التى لم يُخبرنا محمد بها، وكثير من الأمور الماضية التى لم يذكرنا بها؛ ويكفى أن القرآن لم يذكر بولس الرسول ولم يذكر أى مجمع من المجامع المسكونية الخمسة التى انعقدت قبل ظهور الإسلام! (نفسي أحط خمسين علامة تعجب!) أما فيما يتعلق بعالمية الرسالة، فكما سبق وقلنا: المسيحية ديانة خالدة وعامة وعالمية لكل أجناس البشر، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، مثل: "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا" (مرقس 15:16) "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ" (متى 19:28) "وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ" (متى 14:24). "هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ" (يوحنا 16:3-18).

أما قول المسيح: "خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ." (يوحنا 7:16)، فإنه لا يعنى إطلاقاً أن المُبشَّر به (الْمُعَزِّي، الروح القدس) أفضل من المُبشِّر (المسيح)؛ فنلاحظ هنا أن أصحاب الادعاء الإسلامى قد حرَّفوا الآية ثم فسَّروها على هواهم، فالمسيح لم يقل إن المُعزّي خيرٌ منه، وإنما قال: "خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ"، أى أن الخير سيحدث للتلاميذ، وهذا ما تحقق فعلاً بحلول الروح القدس عليهم فى أورشليم فى يوم الخمسين (أعمال الرسل 1:2-4)، أى بعد صعود المسيح بعشرة أيام فقط. والدليل على أن هذا هو التفسير الصحيح لهذه الآية هو قول المسيح فى نفس الآية: "لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ"، أى أن مجىء الْمُعَزِّي الروح القدس "مرتبط بصعود المسيح وتالى له مباشرةً"[1259]، وليس بعد أكثر مِن 550 سنة!

<u>النص:</u> نفس الآيات السابقة من إنجيل يوحنا: (يوحنا 15:14-17) و (يوحنا 23:14-26) و (يوحنا 26:15-27) و (يوحنا 7:16-13).

<u>ملخص الادعاء الإسلامى:</u> لغوياً، أصل كلمة "المُعزّى" هو "الفارقليط" أو "البارقليط"، وهى كلمة يونانية معناها واحد مما يأتى: الحامد – الحمّاد – المحمود – الأحمد. أو معناها كل ما تقدم. فمعنى "فارقليط" يدور حول الحمد وجميع مشتقاته المشار إليها. وكل واحد منها يصح إطلاقه على رسول الإسلام فهو الحامد والحمّاد والمحمود والأحمد، والمحمد[1260].

<u>الرد:</u> أولاً: لا يمكن أن يكون رسول الإسلام هو البارقليط. ذلك لأن كلمة "باراقليط" (Paraclete) أو "باراكليتوس" (Parakletos) كلمة يونانية قديمة، مكوَّنة من مقطعين، الأول: "بارا" ويفيد "الملازمة"؛ والثانى: "كليتوس" ويفيد "الدعوة للمعونة"[1261]. ولذا فإن الكلمة تُترجَم إلى "المُعِين" (Helper) أو "الْمُعَزّي" (Consoler) (Comforter) أو "المستشار" (Counselor) أو "المُحامِي" (Advocate).

استخدم القديس يوحنا تعبير "البارقليط" عن يسوع المسيح نفسه كالشفيع أو المحامي فقال: "يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا" (1 يوحنا 1:2-2). "وبذلك يكون البارقليط الأول هو الرب يسوع المسيح نفسه والبارقليط الآخر هو الروح القدس. [...] وكلمة "باراكليتوس" اسم مفعول، وتعنى فى أصلها اللغوى "المستعان به" (called to one side). [...] ترجم آباء الكنيسة وعلماؤها منذ نهاية القرن الأول وحتى الآن كلمة "البارقليط" (Parakletos) بمعنى المُعزّي أو المدافع بالنسبة للروح القدس والشفيع بالنسبة للمسيح"[1262].

إذن: البارقليط (الروح القدس) ليس الملاك جبريل. البارقليط ليس رسول الإسلام. بل لا توجد أية علاقة بين البارقليط و "محمد" أو "أحمد" أو "محمود" أو "حمّاد" أو "حامد"!

أما الكلمة اليونانية التى تعني "محمود" أو "كثير الحمد" أو "ممدوح" أو "ممجد" أو "مشهور" فهى "بيريكليتوس" (Periklytos). صحيح أن نطق هذه الكلمة يشبه إلى حدٍ ما كلمة "باراكليتوس" (Parakletos)، لكنها كلمة أخرى ولها معنى مختلف تماماً. ولتقريب الفكرة إلى الأذهان، نقول إنه توجد فى اللغة العربية مثلاً كلمات تتشابه فى نطقها لكن تختلف تماماً فى معناها. مثل: "حمَام" و "حمَّام".

سؤال: هل المخطوطات القديمة لإنجيل يوحنا تذكر كلمة "بيريكليتوس" (Periklytos) التى قد تؤيد رأى المسلمين أم تذكر كلمة "باراكليتوس" (Parakletos) التى تؤيد رأى المسيحيين؟ الإجابة: "لا توجد مخطوطة واحدة فى أى مكان من الأماكن ولا فى أى زمن من الأزمنة وجد فيها غير كلمة (Parakletos)، بل ونتحدى أن يظهر أحد عكس ذلك!! [...] فلدينا عدد ضخم من المخطوطات الخاصة بالإنجيل للقديس يوحنا والتى يرجع أقدمها إلى سنة 200م، وهى معروضة فى المتاحف وعلى شبكة الإنترنِت ومتاحة للجميع للاطلاع عليها وجميع هذه المخطوطات لا يوجد بها سوى كلمة (Parakletos)"[1263]. تعليقنا: الكرة الآن فى ملعب المسلمين، فعلى المسلمين أن يأتوا بمخطوطاتهم، إن كان لديهم مخطوطات!

سؤال آخر: مِن أين جاءت فكرة أن "البارقليط" إنسان نبى؟ أعتقد أن الإجابة على مثل هذه الأسئلة أصبحت الآن واضحة، أو على الأقل يمكن استنتاجها فى ضوء ما شرحناه فى الصفحات السابقة. بالتأكيد وكما تعودنا، سنجد جذور هذه الفكرة فى إحدى الفرق والمذاهب (البدع والهرطقات) التى ظهرت قبل ظهور الإسلام.

نذكر مثلاً: "المونتانية" (Montanism)[1264] التى عُرِفَت بهذا الاسم نسبةً إلى مؤسسها "مونتانوس" (Montanus) الذى كان وثنياً واعتنق المسيحية ثم ادعى النبوة وزعم أنه "المُعزّى" المُبشَّر به فى إنجيل يوحنا أو أن البارقليط الروح القدس يُوحِى إليه ويتحدث من خلاله[1265]! ظهرت هذه البدعة فى القرن الثانى الميلادى، وانتشرت انتشاراً واسعاً فى الشرق وفى شمال أفريقيا لدرجة أن أحد آباء الكنيسة وهو "ترتليان" (Tertullian) تأثر بها واتبعها! استمرت هذه الفرقة حتى القرن السادس الميلادى إلى أن قمعها الإمبراطور البيزنطى "جستنيان الأول" (عهده: 527 – 565م)، أى قبل ميلاد محمد رسول الإسلام بسنوات قليلة. لكن توجد بعض الأدلة على أن بقايا هذه الفرقة استمرت إلى القرن التاسع الميلادى.

وفى نفس السياق، نذكر "المانوية" (Manichaeism)[1266] التى عُرِفَت بهذا الاسم نسبةً إلى مؤسسها "ماني" (Mani) الفارسى الذى ظهر فى القرن الثالث الميلادى وخلط بين المسيحية والمعتقدات الفارسية القديمة. ادعى ماني النبوة بعد أن رأى ملاكاً يدعوه للتبشير بدين جديد؛ ولذلك فإن المانوية تُعتبَر ديانة مستقلة أكثر منها هرطقة مسيحية. زعم ماني أنه هو البارقليط الذى وعد المسيحُ بأن يرسله كرسوله، وزعم مانى أيضاً أنه "خاتم النبيين" (seal of the prophets)[1267]! كتب ماني كتاباً أسماه "إنجيل ماني" (Gospel of Mani) أو "الإنجيل الحي" (The Living Gospel)؛ ويقول التقليد إن مانى قال إن هذا الإنجيل نزل من السماء! انتشرت المانوية انتشاراً واسعاً فى الشرق، بل وصلت إلى شمال أفريقيا

لدرجة أن القديس "أغسطينوس" (Saint Augustine of Hippo) (ت. 430م) تأثر بها واتبعها لفترة فى شبابه. وفي الجزيرة العربية، "كان المانويون قد لجأوا إلى الجزيرة العربية قبل فترة طويلة من زمن محمد"[1268]. ومن الواضح أن أصحاب القرآن والمسلمين الأوائل أيضاً قد تأثروا بالمانوية، بدليل أنهم وضعوا أفكارها الأساسية فى الإسلام: الملاك (جبريل)، الدين الجديد المستقل، بشارة المسيح بإنسان نبى يأتى بعده (الصف 6)، خاتم النبيين، الإنجيل والقرآن نزلا من السماء ... الخ. إلا أن محمد وأصحابه لم يخلطوا بين المسيحية والمعتقدات الفارسية القديمة، وإنما خلطوا بين المسيحية واليهودية والمعتقدات العربية القديمة. وهذا أمر طبيعى، فكل مَن يصنع دين جديد، لا بد أن يجعله يلائم البيئة التى يظهر فيها.

ثانياً: قبل أن يستخدم المسلمون حجج لغوية لادعاء أن "محمد" هو البارقليط، عليهم أولاً أن يثبتوا بأدلة مادية وعلمية أن رسول الإسلام كان فعلاً اسمه "محمد". فَمِن المعلوم أنه توجد كثير مِن التساؤلات والشكوك حول الاسم الأصلى لرسول الإسلام[1269]، وبعض العلماء يُسمّونه "المُحمَّد" (le Muḥammad)[1270] ربما لأنه لقب أو صفة (epithet) وليس اسم عَلَم. فلقد اكتشف حديثاً بعضُ العلماء أنه بالنسبة للمسيحيين الشرقيين السوريين و/أو العرب قبل ظهور الإسلام كان الـ"مُحمَّد" – بمعنى "المحمود" (praised one) أو "المُصطفَى" أو "المُختار" (chosen one) – هو يسوع المسيح[1271]. وحسب هذا الرأي، فإن عبارة "مُحمَّد رسول الله" لا تشير إلى شخص اسمه مُحمَّد وإنما تشير إلى شخص صفته مُحمَّد (praised) فهي تعني: May God’s messenger be praised أو Praised be God’s messenger، وهي إشارة إلى يسوع المسيح، كما يقول أيضاً المسيحيون الغربيون باللاتينية (Laudetur Jesus Christus) أي: Praised be Jesus Christ، أو كما يقول الإنجيل عن صفات يسوع المسيح الأخرى[1272]: "مُبَارَكٌ (Blessed be) الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ" (متى 9:21، 39:23) (مرقس 9:11) (لوقا 35:13) (يوحنا 13:12)؛ وفي العهد القديم أيضاً: "مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ" (المزامير 26:118)[1273]. ونحن لا نرى غرابة في أن يأخذ المسلمون الأوائل صفةً مِن صفات يسوع المسيح المُحمَّد ويُلصقونها برسول الإسلام. فكما قلنا فيما سبق إنَّ كلمة "محمد" نفسها أو "معمد" (baptized one) مكتوبة بالرسم العربي تكاد تكون مطابقة لكلمة "يسوع" (Yeshue) مكتوبة بالرسم السرياني[1274].

وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التى يأخذ المسلمون الأوائل فيها لقباً مِن ألقاب المسيح ويُلصقونه برسول الإسلام. فلقد زعم المسلمون – وما زالوا يزعمون – أن رسول الإسلام هو "الصادق الأمين"، بل زعموا أن قريش كانت تلقب محمداً بلقب "الصادق الأمين" في الجاهلية (أي: قبل الإسلام)! والحقيقة هي أن "الصادق الأمين" أحد ألقاب المسيح فى سفر الرؤيا، السفر الأخير مِن الكتاب المقدس: "يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ" (الرؤيا 5:1)؛ "هذَا يَقُولُهُ الآمِينُ، الشَّاهِدُ الأَمِينُ الصَّادِقُ" (الرؤيا 14:3)؛ "ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ (أى: المسيح) يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا" (الرؤيا 11:19). أخذ المسلمون الأوائل

هذا اللقب الخاص بالمسيح وألصقوه بمحمد[1275]! وتوجد أمثلة أخرى كثيرة للألقاب الخاصة بالسيد المسيح التي أخذها المسلمون الأوائل وألصقوها بمحمد[1276]. ولا يتسع المجال لذِكر كل الأمثلة، فسنكتفي بما سبق.

كل ما سبق يجعلنا نتساءل: هل "محمد" أو "أحمد" هو اسم رسول الإسلام فعلاً؟ أم هو مجرد لقب أو صفة (epithet) من صفات يسوع المسيح تم استدعاؤها مِن التراث المسيحى السريانى/العربى وإلصاقها برسول الإسلام؟[1277] على المسلمين أن يجيبوا على هذا السؤال بأدلة مادية وعلمية قبل أن يُدخِلونا فى متاهات الباراقليط أو غير الباراقليط!

بعبارة أخرى أكثر سهولة: هذا الإدعاء الإسلامى يعتمد على كلمة "محمد" أو "أحمد". وحتى لو افترضنا جدلاً أن كلمة "محمد" أو "أحمد" فى اللغة العربية تناظر كلمة "باراكليتوس"(Parakletos) أو "بيريكليتوس" (Periklytos) فى اللغة اليونانية. فَما هو الدليل العلمى على أن رسول الإسلام كان اسمه الأصلى "محمد" أو "أحمد"؟ ربما يكون "محمد" أو "أحمد" هو مجرد لقب أُلصِقَ برسول الإسلام بعد إدعائه النبوة – بل ربما بعد وفاته – لإيهام الناس أنه "الباراقليط" (Paraclete) المُنتظَر.

باختصار وفى جملة واحدة: على المسلمين أن يبحثوا عن "محمد" أو "أحمد" فى التاريخ أولاً قبل أن يبحثوا عنه فى الكتاب المقدس!

وأخيراً نقول: طبعاً توجد ادعاءات إسلامية أخرى ومحاولات يائسة فاشلة مضحكة أخرى، لكنها أضعف بكثير من الادعاءات التى ذكرناها، ومن بينها ادعاءات اعتمدت على الكتاب المزور المزيف الذى يُسمَّى "إنجيل برنابا"، ولذا فهى لا تستحق الرد أو التعليق. وعلى أى حال، فإن ادعاءات أخرى مذكورة ومردود عليها فى كتاب "هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبى آخر يأتى بعد المسيح؟" ([بسيط-بعدالمسيح]).

نصيحة للمسلمين: نحن نقرأ تفاسير القرآن لكى نفهم القرآن. أنتم أيضاً، إذا أردتم أن تفهموا الكتاب المقدس، عليكم أن تقرأوا تفاسير الكتاب المقدس. إذا قرأتم الكتاب المقدس وفهمتوه جيداً، فستكتشفوا أن محمد ليس له أى وجود فى أى سفر من أسفار الكتاب المقدس. بل لا يوجد أى داعى لمحمد أو غيره. فلقد قال يسوع المسيح في موعظته على الجبل: "مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ" (متى 17:5)، وقال قبل أن يموت على الصليب: "«قَدْ أُكْمِلَ»" (يوحنا 30:19). وبعد الكمال لا داعي لأي إضافات.

الكتاب المقدس تحدث عن الأنبياء الكَذَبَة الذين سيأتون بعد المسيح.

قال يسوعُ المسيح مُحذِّراً من هؤلاء الأنبياء الكَذَبَة (أي: غير الحقيقيين؛ false prophets): "وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ" (متى 11:24)؛ "سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا" (متى 24:24) و (مرقس 22:13).

وقال القديس بولس الرسول (Paul The Apostle): "هُمْ رُسُلٌ كَذَبَةٌ، فَعَلَةٌ مَاكِرُونَ، مُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ إِلَى شِبْهِ رُسُلِ الْمَسِيحِ. وَلاَ عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ! فَلَيْسَ عَظِيمًا إِنْ كَانَ خُدَّامُهُ أَيْضًا يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ. الَّذِينَ نِهَايَتُهُمْ تَكُونُ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ" (2 كورنثوس 11:13-15).

وقال القديس يوحنا الحبيب الرسول (John the Apostle): "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ. بِهذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَهذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ" (1 يوحنا 4:1-3). وحتى الآن لا يزال رُوح ضِدِّ الْمَسِيحِ (Antichrist) فى العالم، وسيظل فى العالم ما دام الشيطان (إبليس) وجنوده فى العالم. لكن يوحنا أضاف قائلاً: "أَنْتُمْ مِنَ اللهِ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، وَقَدْ غَلَبْتُمُوهُمْ (أى: غلبتم الأنبياء الكَذَبَة) لأَنَّ الَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ. هُمْ (أي: الأنبياء الكَذَبَة) مِنَ الْعَالَمِ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ يَتَكَلَّمُونَ مِنَ الْعَالَمِ، وَالْعَالَمُ يَسْمَعُ لَهُمْ. نَحْنُ مِنَ اللهِ. فَمَنْ يَعْرِفُ اللهَ يَسْمَعُ لَنَا، وَمَنْ لَيْسَ مِنَ اللهِ لاَ يَسْمَعُ لَنَا. مِنْ هذَا نَعْرِفُ رُوحَ الْحَقِّ وَرُوحَ الضَّلاَلِ" (1 يوحنا 4:4-6). "مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلاَّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟ هذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي يُنْكِرُ الآبَ وَالابْنَ. كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ الابْنَ لَيْسَ لَهُ الآبُ أَيْضًا، وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالابْنِ فَلَهُ الآبُ أَيْضًا" (1 يوحنا 2:22-23).

النبي الذي تنبأ به المسيحُ هو "النبي الكذاب" (False Prophet) العسكري السياسي الديني الذي يجذب الانتباه إلى نفسه وأقواله وأفعاله، فيرفع نفسَه فوق كل الأنبياء ويرفع كتابَه فوق كل الكتب ويرفع دينَه فوق كل الأديان، زاعماً أن دينه إلهي ورسالته رحمة لسكان الأرض، مع أنه يقتل ويسفك الدماء ويسرق ويكسر الوصايا الإلهية. [طبعاً عارفين هو مين.] إنه إِنْسَان الْخَطِيَّةِ (Man of Lawlessness) "الَّذِي مَجِيئُهُ بِعَمَلِ الشَّيْطَانِ (Satan)، [مصحوباً] بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ (أي: معجزات) وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ (أي: مزيفة؛ خادِعة؛ فاتِنة)" (2 تسالونيكي 2:9).

أو بعبارة أخرى أكثر تفصيلاً: هذا "النبي الكذاب" سيكون قائداً دينياً أو بالأحرى السلطة الدينية؛ وسيتحد مع "ضد المسيح" الذي سيكون بالدرجة الأولى قائداً سياسياً وعسكرياً أو بالأحرى القوة العسكرية والسياسية المضادَّة للمسيح ولله. وهكذا يتحد الدين والسياسة (أي: تتحالف السلطة الدينية مع السلطة الزمنية الدنيوية) في ديانة عالمية واحدة تتعبد للشيطان (إبليس) قبل نهاية العالم[1278]. يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "ومفهوم الوحش هنا، هو الكائن غير المُدجَّن، المفترس المخيف الذي يُدخل الرعب إلى القلوب لمجرد ذكر اسمه، وهو كائن غير محدد الصفات، بل هو حالة همجية برية مفترسة متوحشة، لا رحمة فيها ولا إمكانية لتواصل ما معها. ويمثل الوحش بسفر الرؤيا ذراع الشر التي يستخدمها تحالف قوى الشر، من إبليس وجنوده العاملين مرضاته ليل نهار، لمقاومة عمل الله بالكون والاعتداء على الكنيسة، وجعل حياة المؤمنين صعبة وقاسية"[1279].

هذا النبي الشيطاني هو الزعيم البشري لقوى الشر (الإرهاب) قبل نهاية العالم.

الحل. قال يسوع المسيح فى خطبته الوداعية (Farewell Discourse): "وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يوحنا 33:16). نعم، المسيح الذى يحيا فينا[1280] قد غلب كل الأنبياء الكذبة المُخادِعين في هذا العالم.

الخلاصة: الكتاب المقدس لم يذكر نبياً سيأتى بعد المسيح إلا الأنبياء الكذبة (متى 11:24) (متى 24:24) (مرقس 22:13) (1 يوحنا 4:1-6) (1 يوحنا 2:22-23). وعلى المسلمين أن يبحثوا عن "محمد" أو "أحمد" فى التاريخ أولاً قبل أن يبحثوا عنه فى الكتاب المقدس.

2.3 هل الأنبياء معصومون؟ هل يصلح محمد كقدوة فى زماننا المعاصر؟

الحديث عن القرآن يجبرنا أن نتحدث عن "محمد" – القدوة والأسوة والمثل الأعلى لجميع المسلمين منذ أن ظهر الإسلامُ إلى اليوم!

والحديث عن "محمد" يجبرنا أن نتحدث عن عقيدة "عصمة الأنبياء" (Prophetic Impeccability) التى تزعم أن كل الأنبياء "معصومون عن الذنب والمعصية والخطأ والجناية" بعد النبوة؛ وقيل: "قبل النبوة وبعدها"[1281]! لا يؤمن بهذه العقيدة إلا المسلمون فقط، فيقولون إن "الأنبياء جميعاً معصومون من الكبائر ومن الصغائر الخسيسة المنفرة"[1282]؛ وإن الرسول "معصوم فى مناطق وميادين التبليغ عن الله" (أى: فيما يُسمَّى بالوحى)، أما "اجتهادات الرسول" "فيما لا وحى فيه" (أو: فيما يُسمَّى بالرأى والمشورة) فهى "ثمرة لإعماله لعقله وقدراته وملكاته البشرية"، وقد "تصادف الصواب والأَوْلى"، وقد تُخالِف الأَوْلى فيرشده اللهُ أو الصحابة إلى ما هو أَوْلى[1283].

ومِن ثم يُقدِّم المسلمون الأنبياءَ والرسل كلهم - وبخاصة محمد - كقدوة وأسوة ومثل أعلى! "أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ [...]. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ" (الأنعام 89-90)؛ "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (الأحزاب 21).

وفى المقابل، يعيب المسلمون على الكتاب المقدس أنه ذكر خطايا الأنبياء. والأمثلة على ذلك كثيرة ومعروفة ولا داعى لحصرها كلها، وأشهرها على سبيل المثال: لوط وبناته، هارون والعِجْل، داود وزوجة يوريا ... الخ[1284].

ونحن نرد بإيجاز على هذه البروباجاندا الإسلامية بقولنا إنه حسب الكتاب المقدس، كل نبي هو مجرد إنسان عادي مثل أي إنسان، وبالتالى فهو ليس معصوماً وليس قدوة أو أسوة أو مثل أعلى ...

لوط أخطأ، وهو ليس قدوة.

هارون أخطأ، وهو ليس أسوة.

داود أخطأ، وهو ليس مثلاً أعلى.

حتى موسى أخطأ، وهو ليس قدوة ولا أسوة ولا مثل أعلى[1285].

"الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعًا، فَسَدُوا" (المزامير 14:3) "الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا" (رومية 3:12).

"لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ لاَ يُخْطِئُ" (1 ملوك 8:46) (2 أخبار الأيام 6:36)؛ "لأَنَّهُ لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحًا وَلاَ يُخْطِئُ" (الجامعة 7:20).

"إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ، نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا" (1 يوحنا 1:8) "لأَنَّنَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْثُرُ جَمِيعُنَا" (يعقوب 3:2).

الاستثناء الوحيد هو يسوع المسيح وحده، فهو الوحيد المعصوم مِن الخطيئة. ليس بمعنى أنه كان من المستحيل أن يخطئ؛ وإنما بمعنى أنه الإنسان الوحيد الفريد الذي قاوم الخطيئةَ في كل تجربة وانتصر عليها دائماً فلم يخطئ أبداً. إذن: ليس لأنه إله كما يعتقد معظم المسيحيين؛ وإنما لأسباب أخرى أهمها:

- لأنه – حسب نبوءات العهد القديم – "عَبْدِي (أي: عبد الله) الْبَارّ (righteous servant)" (إشعياء 11:53) الذي "لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ" (إشعياء 9:53) "عَبْدِي (أي: عبد الله؛ عبد الرب ebed Yahweh') الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي (أي: مُخْتَار الله) الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ" (إشعياء 42:1-2).

- ولأنه – حسب العهد الجديد – "هُوَ صُورَةُ اللهِ (image of God)" (2 كورنثوس 4:4) (فيلبّي 6:2) التي خُلِقَ الإنسانُ (آدم) عليها في الأصل (أي: قبل السقوط؛ قبل الخطيئة): "وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، [...]». فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ (image of God) خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (التكوين 1:26-27)، (التكوين 5:1-2). الفرق بين آدم (بل أي إنسان) والمسيح هو أن الشيطان إبليس نجح في غواية آدم (التكوين 3) بينما فشل فشلاً ذريعاً في غواية المسيح (متى 4:1-11) (مرقس 1:12-13) (لوقا 4:1-13). قالها يسوعُ باختصار: "لأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ (أي: الشيطان إبليس) يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ (أو: لَيْسَ لَهُ يَدٌ علَيَّ)" (يوحنا 30:14). أي: ليس للشيطان أي تأثير على المسيح. فلا يستطيع الشيطانُ أن يقوم بأي إدعاء ضد المسيح، ولا يستطيع أن يبكّته على أيّة خطيَّة، ولا يستطيع أن يبقيه ميتاً ... الخ. إذن: يسوع المسيح هو الإنسان الوحيد الفريد الذي انتصر على الخطيئة وانتصر على سببها (الشيطان) وانتصر أيضاً على نتيجتها (الموت).

- يسوع المسيح "مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ" (العبرانيين 15:4). وهذه الآية بالذات مهمة جداً لأنها تدل على أن يسوع المسيح "مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ". وبما أنه لا معنى للتجربة (أي: الامتحان، الاختبار، الابتلاء) لِمَن كان مِن المستحيل أن يخطئ. إذن: كان مِن الممكن أن يسوع المسيح يخطئ "مِثْلُنَا"، لكنه قاوم الخطيئةَ في كل تجربة وانتصر عليها دائماً فلم يخطئ أبداً[1286]. فهو الوحيد الذى "لَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ" (1 يوحنا 5:3) و "لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً" (2 كورنثوس 21:5) و "لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ" (1 بطرس 22:2) "قُدُّوسٌ بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" (العبرانيين 26:7). فى كل مكان كان يسوع المسيح يجول يصنع خيراً (أعمال الرسل 38:10) وفى كل زمان كان يفعل ما يُرضي اللهَ (يوحنا 29:8).

- وأخيراً لأن المسيح هو الفادي والمخلِّص، فلو كان للمسيح خطايا لاحتاج مَن يفديه ويُخلِّصه.

إذن: المسيح وحده - وليس غيره - هو المعصوم والقدوة والأسوة والمثل الأعلى لكل البشرية. قال يسوع المسيح لغير المؤمنين به: "مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟" (يوحنا 46:8)، فعجزوا أن يجدوا خطيئة واحدة.

بل إن محمداً نفسه عجز أن يجد خطيئة واحدة ارتكبها المسيح عيسى ابن مريم. القرآن يقر بعصمة المسيح: قالت امرأة عمران (جدة المسيح) لمَّا وَضَعَتْ ابنتها مريم: "وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا (أي: حصَّنتها بك هي وابنها عيسى) مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ [...]" (آل عمران 36-37). والسنة الصحيحة أيضاً تقر بعصمة المسيح. اقرأ مثلاً "حديث الشفاعة"[1287] الذي أخرجه البخاري ومسلم: ذكر خطيئة آدم ثم ذكر خطيئة نوح ثم ذكر خطيئة إبراهيم ثم ذكر خطيئة موسى ثم وصل إلى عيسى "وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً"! وحتى لمَّا وصل إلى محمد لم يقل إن محمداً معصوم بلا خطايا ولا ذنوب وإنما قال "وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ [يا محمد] مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ"، أي أن ذنوب محمد موجودة ولكنها مغفورة[1288]، أما المسيح عيسى ابن مريم فليس له ذنوب أصلاً. وثبت في الأحاديث الصحيحة كذلك: "كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ [الشَّيْطَانُ] يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ"؛ "مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ [المولودُ] صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ"[1289]. وهذه الأحاديث الصحيحة تكرر ما قاله يسوع المسيح في الإنجيل. قال يسوع المسيح إن الشيطان إبليس "لَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ (أو: لَيْسَ لَهُ يَدٌ عَلَيَّ)" (يوحنا 30:14).

ونحن نرى أن "عصمة الأنبياء" عقيدة اخترعها المسلمون في مرحلة متأخرة (ربما في العصر الأموي و/أو العباسي) كرد فعل لعقيدة "عصمة المسيح" الموجودة فى المسيحية والإسلام. فكما أن الديانة المسيحية تمركزت حول المسيح المعصوم، جعل المسلمون ديانتهم متمركزة حول محمد المعصوم. وهذا عكس ما حدث فى الفكر اليهودى بعد ظهور المسيحية؛ فلقد حرص اليهود - بعد ظهور المسيحية - على التأكيد على خطايا موسى حتى لا يتحول إلى إله (god) أو نصف إله (semi-god) كما تحول يسوع الناصري إلى إله أو ابن إله. بينما اخترع المسلمون "عصمة محمد" وأنه "سيد الخَلْق"[1290] و "أشرف المرسلين"[1291] و "الحبيب المصطفى" و "الصادق الأمين" و "رحمة للعالمين" و "خُلُق عظيم" و "القدوة الحسنة" و "الأسوة الطيبة" فى كل زمان ومكان و "المثل الأعلى" لكل إنسان ... الخ!

كل هذه البروباجاندا الإسلامية جعلت محمداً هو – عملياً – إله الإسلام. مع أن محمد نفسه حَذَّر مِن ذلك. قال محمد: "لا تُطْرُونِي، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله"[1292]. وهذا يدل على أن محمد كان متأثراً بالفكر اليهودى الذى حرص على عدم المبالغة فى الثناء على موسى. إلا أن المسلمين لم يلتزموا بهذه النصيحة اليهودية-الإسلامية، فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هى أنهم صاروا يتحدثون عن محمد أكثر ما يتحدثون عن الله! ويقولون "صَلِّي على النبي" أكثر ما يقولون "اذكر الله"! ويؤلفون كتباً فى السيرة النبوية وشرح السُّنَّة أكثر مِن كتب تفسير القرآن! ويثورون ويغضبون حين يُنتقَد محمدٌ أكثر من ثورتهم وغضبتهم حين يُسب الدين أو يُشتَم الله!

القرآن (كلام الله حسب العقيدة الإسلامية) يُطبَع في مجلد واحد. أما صحيح البخاري (كلام محمد وأصحابه) فيُطبَع في 6 مجلدات أو أكثر! ومسند أحمد يُطبَع في 50 مجلدا!

باختصار: تحول محمدٌ – عملياً – إلى إله مخلوق (created god). فصار محمد أهم مِن الله، وصارت "عصمة محمد" أهم من "قداسة الله"!

2.3.1 هل كان محمد معصوماً فى أقواله وأفعاله؟

حياة محمد مليئة بالأحداث التى تؤكد أنه لم يكن معصوماً فى أقواله وأفعاله.

على سبيل المثال، بعد أن حملت مارية القبطية مِن محمد، سرت شائعة فى المدينة أن مارية القبطية كانت على علاقة برجلٍ قبطى. ودخل محمدٌ على مارية فوجد هذا الرجل القبطى عندها، فوقع فى نفسه شىء (أى: شكٌّ) وغضب غضباً شديداً. فأمر محمدٌ "علىَّ بن أبى طالب" أن يقتل هذا الرجل القبطى بالسيف إنْ وجده عند مارية! [هكذا يحكم محمدٌ بالإعدام بدون تحقيق أو محاكمة عادلة أو دفاع! إنه حقاً نبي الرحمة!] فلَمَّا اكتشف عليٌّ أن هذا الرجل القبطى مَجْبُوب (أى: ليس له عضو ذكرى)، تأكد مِن براءته فلم يقتله وذهب إلى محمد ليخبره بذلك.

ويوجد حديث صحيح يتحدث عن تلك الواقعة. يقول هذا الحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم فى كتاب التوبة – باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة – إن رَجُلاً كان يُتَّهَم بأُمِّ وَلَدِ رسولِ اللهِ ﷺ (هى بالتأكيد مارية القبطية لأنها الوحيدة التى أنجبت ولداً لمحمد بعد السيدة خديجة). فقال رسول الله ﷺ لِعَلِيٍّ: "اذهب فاضْرِبْ عُنُقَه". فأتاه عَلِيٌّ فإذا هو في رَكِيٍّ (أى: بئر) يَتَبَرَّد فيها. فقال له عَلِيٌّ: اخْرُجْ. فناوله يده فأخرجه. فإذا هو مَجْبُوبٌ ليس له ذَكَرٌ. فَكَفَّ عَلِيٌّ عنه. ثم أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله! إنه لمَجْبُوبٌ ما له ذَكَرٌ[(1293)].

وكالعادة، لجأ المسلمون إلى حيل لتبرير حُكْم الإعدام الذى أصدره محمدٌ بدون تحقيق ولا محاكمة عادلة ومحايدة. فقالوا مثلاً: لعل المتهم استحق القتل لسببٍ آخر غير الزنا. وهى طبعاً حيلة مكشوفة، لأن القصة بدأت بتهمة الزنا، وانتهت بإطلاق سراح المتهم لأنه برىء مِن تهمة الزنا، فكيف يكون حُكْم الإعدام لسببٍ آخر غير الزنا؟! وهكذا نجد فى الكتب الإسلامية القتلَ بمجرد الاشتباه أو الشائعة – وأحياناً لأسباب أتفه مِن ذلك – بدون أن يُعطَى المتهمُ فرصةً للدفاع عن نفسه. ثم بعد ذلك نتساءل: مِن أين يأتي الإرهابُ الإسلامي؟ الإجابة: يأتي الإرهابُ الإسلامي مِن الثقافة الإسلامية-العربية، التي تضم كتباً مثل صحيح مسلم وغيره.

وهذا الحديث الصحيح يرد على البروباجاندا الإسلامية التي تزعم أن "القتل فى الإسلام للدفاع عن النفس فقط"! وهل كان محمد يدافع عن نفسه حين أمر بقتل هذا الرجل القبطي (المصري) الغلبان؟!

وهذا الحديث الصحيح يدل أيضاً على أن محمد لم يكن معصوماً مِن الخطأ، بدليل أنه أخطأ فى حُكْمِه بالإعدام على هذا المتهم القبطي (المصري) البريء.

ولعل كل ما سبق هو ما جعل الشيخ محمد الغزالى يطعن فى صحة هذا الحديث، مع أنه مذكور فى صحيح مسلم (أصح كتاب بعد القرآن والبخارى)! قال الغزالى: "يستحيل أن يُحكَم على رجل بالقتل فى تهمة لم تُحقق، ولم يُواجه بها المتهم، ولم يُسمَعْ له دفاعٌ عنها، بل كشفت الأيامُ عن كذبها. [...] إن بالحديث علةً قادحة، وهى كافية فى سلب وصف الصحة عنه"[1294]. وطبعاً ما قاله الشيخ الغزالى يعبر عن وجهة نظره الشخصية، أما جمهور أهل السُنَّة فيؤمنون بصحة هذا الحديث، ولذلك اخترعوا حيل للدفاع عنه وتبريره.

ونحن ننصح جميع المسلمين والشيوخ بصفة خاصة أن يُعلِّموا أبناءَهم وتلاميذَهم أن يعترفوا بالحقيقة، لا أن يلفوا ويدوروا ويراوغوا. والحقيقة هى: محمد أخطأ حين تسرع وأمر بقتل هذا الرجل القبطى البرىء الذى أُشيع عنه أنه كان على علاقة بمارية القبطية. ولو فعل أحدٌ اليوم ما فعله محمد، لتمت محاكمته – وربما إدانته – بتهمة التحريض على القتل.

وتوجد أدلة أخرى في التراث الإسلامي تؤكد أن محمد ليس معصوماً. على سبيل المثال، احتياج محمد إلى رحمة الله. فلقد قال محمدٌ لأصحابه: "مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ (أي: عمله وحده لا يجعله مستحقاً للجنة وموجباً لها)". فقالوا لمحمد: "وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ". فَقَالَ محمدٌ: "وَلَا أَنَا. إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ (أي: يغمرني ويسترني) اللَّهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ". أو قال: "وَلَا أَنَا. إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ"[1295]. احتياج محمد إلى رحمة الله يدل على أنه غير معصوم. فلو كان معصوماً، لَضمن دخول الجنة.

وعلى الرغم مِن كل هذه الأدلة، لا يزال المسلمون يزعمون أن محمد كان معصوماً!

والمشكلة الآن هى أن "عصمة محمد" تجعل المسلمَ اليوم يُقلِّد محمداً فى كل شىء وأى شىء! ومحمد قال أقوالاً كثيرة لا يجرؤ أن يقولها إنسانٌ متحضر اليوم، وارتكب أفعالاً خطيرة لا تصلح إطلاقاً لزماننا المعاصر.

وإنْ قلتم إنه ليس مِن الإنصاف أن نُقيّم محمداً – الذي كان يعيش في القرن السابع الميلادي – بمعايير زماننا المعاصر.

فسنقول: نحن لا نُقيّم محمداً كشخص (person) عاش ومات فانتهى أمره، وإنما نُقيّمه كشخصية (character) لا يزال المسلمون حتى زماننا المعاصر يُقدِّمونها إلى كل البشرية. شخصية يزعم المسلمون أنه "رسول الله وخاتم الأنبياء" وأنه "معصوم" وأنه "صلى الله عليه وسلم" وأنه "على خلق عظيم" وأنه أتى لكي "يتمم مكارم الأخلاق" وأنه "قدوة (model)" صالحة لكل زمان ومكان وأنه "سيد كل الخلق" مِن آدم إلى يوم القيامة وأن "حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة" ... إلى آخر هذه البروباجاندا الإسلامية التي نسمعها نهاراً وليلاً في كل مكان في زماننا المعاصر ونشاهدها نهاراً وليلاً في

كل مكان في زماننا المعاصر وتحاصرنا بضجيجها وأكاذيبها نهاراً وليلاً في كل مكان في زماننا المعاصر: في التليفزيون! وفي الراديو! وفي الإنترنت! وفي الجرائد! وفي المدارس! وفي الجامعات! وفي المكتبات العامة! وفي أكشاك الفتوى في محطات مترو الأنفاق! وفي الباصات! وفي محطة القطار! وفي المطار! وفي جراجات السيارات! وفي النوادي الرياضية! وفي مطاعم البيتزا! وفي دور السينما! وفي المسارح! وفي ميكروفونات المساجد! بل في الكنائس، إذا كان الضيف المتحدث مسلماً!

باختصار: نحن لا نُقيّم محمداً الذي عاش في القرن السابع الميلادي في مكة والمدينة، وإنما نُقيّم محمداً الذي يعيش في زماننا المعاصر في كل مكان في الدول الإسلامية.

نحن لا نُقيّم السيد "محمد" ابن السيد "عبد الله بن عبد المطلب" وابن السيدة "آمنة بنت وهب". وإنما نحن نُقيّم "الشخصية المُحمَّدية" التي يُقدِّمها المسلمون لنا اليوم في القرن الحادي والعشرين.

ومِن ثم، فإنه مِن حقنا أن نُقيّم هذه الشخصية المُحمَّدية بمعايير زماننا المعاصر، لنعرف هل شخصية "محمد" ستفيد المجتمعَ اليوم أم ستضره؟ إذ يرى فريقٌ من الباحثين أن شخصية "محمد" تضر المجتمع. ودليلهم على ذلك هو أن المجتمعات التي تسيطر عليها شخصية "محمد" مجتمعات متخلفة سياسياً واقتصادياً وعلمياً وإنسانياً وحضارياً وثقافياً وصحياً ... الخ. مجتمعات ينتشر فيها العنف والإرهاب والأكاذيب والبروباجاندا. عنف + بروباجاندا. سلاح + ميكروفون. ذراع + لسان. هذا هو حال المجتمعات العربية-الإسلامية. وكل محاولات النهوض بهذه المجتمعات فشلت. لماذا فشلت؟ لأن شخصية "محمد" تسيطر على المجتمع. فلا بد أولاً مِن تفكيك شخصية "محمد" وتحييدها، بل تفكيك الإسلام كله وتحييده، قبل البدء في أي محاولة جادة للنهوض بالمجتمع سواء عن طريق الإصلاح (reform) أو عن طريق الثورة (revolution). ومِن ثم، تتضح أهمية العلمانية أولاً قبل الديمقراطية. ولنا في أسبانيا (الأندلس سابقاً) مثال حي لمجتمع تحرر مِن الحُكْم الإسلامي وتحرر أيضاً مِن قبضة الكنيسة، فتقدَّم وانطلق.

وإنْ قلتم إن محمد "عمل حاجات حلوة".

فسنقول: هذا أمر طبيعي. فنحن لا نقول إن محمد كان شيطاناً كل أفعاله وأقواله سيئة. وإنما نقول إن محمد كان بشر. بشر. بشر زيه زي أي بشر. مجرد بشر مِن لحم ودم. فَمِن الطبيعي أنه عمل حاجات حلوة. ومِن الطبيعي أيضاً أنه عمل حاجات مش حلوة. فلم يكن محمدٌ شيطاناً ولا ملاكاً، وإنما كان بشراً مثلنا. "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ" (الكهف 110) (فصلت 6).

وإنْ قلتم إن محمد بُعِثَ "رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"! وإنْ قلتم ما زعمه القرآنُ المكي: "إِنَّ فِي هَٰذَا [القرآن] لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ. وَمَا أَرْسَلْنَاكَ [يا محمد] إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 106-107).

فسنقول: نحن نرى أن كلمة "رحمة" هنا لا تعني المعنى الحرفي (mercy) وإنما تعني الرسالة والنبوة، بدليل قوله قبلها "أَرْسَلْنَاكَ" وقوله بعدها "قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ" (الأنبياء 108)

وهو أمر تبليغ عقيدة التوحيد أساس الإسلام، وأيضاً بدليل أنها وردت في أواخر سورة الأنبياء التي ذكرت نبوة موسى وإبراهيم ونوح وغيرهم من الأنبياء، وكذلك بدليل أنها "رَحْمَة لِلْعَالَمِينَ" أي للإنس والجن جميعاً مؤمنهم وكافرهم، ولا يُعقَل أن تكون (mercy) للكافرين! وإنما يُعقَل أن تكون رسالةً لهم.

وحتى لو افترضنا أن كلمة "رحمة" هنا تعني المعنى الحرفي (mercy) كما يزعم كثير من المسلمين اليوم للدفاع عن الإسلام المتهم بالعنف والإرهاب، فإنها رحمة للمسلمين فقط، أما بالنسبة لغير المسلمين فإنها تعني أنهم لن يُهلَكوا هلاكاً شاملاً سريعاً كما حدث للأمم السابقة (عاد وثمود مثلاً) وإنما سيؤجل عذابهم إلى يوم البعث والحساب والجزاء، بدليل أن سياق الآيات يقول: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ [يا محمد] إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ. قُلْ [للعالمين] إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. فَإِنْ تَوَلَّوْا (أي: أعرضوا عن الإسلام) فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ (أي: بلّغتكم الرسالة وبذلك استوينا في العلم) وَإِنْ أَدْرِي (أي: لا أدري) أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ [به من العذاب]. [...] وَإِنْ أَدْرِي (أي: لا أدري) لَعَلَّهُ (أي: لعل تأخير عذابكم) فِتْنَةٌ لَكُمْ (أي: ابتلاء لكم؛ وقيل: استدراج لكم لتزدادوا إثماً وكفراً!) وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (الأنبياء 107-111). قال ابن كثير في نهاية تفسيره لـ (الأنبياء 107): "عن ابن عباس: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" قال: مَن تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عُوفِي [في الدنيا] مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف"[1296]، وعقابه في الآخرة.

ثم إن "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 107) مكية. وكذلك "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" (القلم 4) مكية. أما في الفترة المدنية، فلجأ محمدٌ إلى السيف والعنف والقتل وسفك الدماء وسبي النساء ... الخ. ولا يُعقَل أن يكون سفك الدماء "رَحْمَةً"! ولا يُعقَل أن يكون مَن يسبي النساء "عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"!

والقرآن المدني يؤكد بكل وضوح أن محمد "رحمة" للمؤمنين به فقط. اقرأ مثلاً: "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ (أي: المسلمون بقيادة محمد) أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (أي: فيما بينهم)" (الفتح 29) "أَذِلَّةٍ (أي: رحماء) عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ (أي: أشدّاء) عَلَى الْكَافِرِينَ" (المائدة 54) "وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ (أي: بأي نوع من أنواع الإيذاء ولو بالقول فقط!) لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (التوبة 61).

هذا هو الإسلام المستمر إلى اليوم. إسلام العنف. أو بعبارة أكثر دقة: إسلام العنف والبروباجاندا. أو كما قال أحد المفكرين المعاصرين: "بن لادن" و "بن لكن". "بن لادن" يعني العنف (الإرهاب) الإسلامي. و "بن لكن" تعني ماكينة البروباجاندا الإسلامية التي تعترف بوجود آيات العنف في القرآن وتعترف أيضاً بوجود أحاديث العنف في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما، لكن تزعم أنها للدفاع عن النفس فقط!

إن أقوال محمد وأفعاله مع غير المؤمنين به، لا سيما بعد الهجرة إلى المدينة، تدل على أن محمد في المدينة شخصية مختلفة عن محمد في مكة. بل تدل على أن العنف في الإسلام ليس للدفاع عن النفس فقط. وهل الدفاع الفطري عن النفس يحتاج إلى وحي إلهي؟! وهل كان غزو الشام وغزو العراق وغزو فارس (إيران) وغزو مصر وغزو شمال أفريقيا وغزو أسبانيا (الأندلس) وغيرها دفاعاً عن النفس فقط؟!

فلو تخيلنا مثلاً أن محمد أراد اليوم أن يكتب سيرة ذاتية (CV) مختصرة للأعمال التي قام بها في حياته، لا سيما بعد الهجرة إلى المدينة، فماذا سيكتب فيها؟ نظن أنه سيكتب ما يلي بضمير المتكلم:

سيرة ذاتية (CV) لنبي الرحمة ورسول الإنسانية!

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ! وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ!

محمد بن عبد الله

رسول الإسلام

- رفعتُ السيف مِن أجل نشر الإسلام، فقلت: "أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءَهم وأموالَهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله"[1297]!
- قُدتُ حرباً أهلية ضد أهلي وعشيرتى (قريش)! استمرت هذه الحرب الأهلية حوالى 6 سنوات مِن غزوة بدر (2هـ) إلى فتح مكة (8هـ)[1298]! واشتركت بنفسي فى هذه الحرب الأهلية[1299]!
- وفي هذه الحرب الأهلية ضد قبيلتي العربية قريش، تحالفتُ مع مجموعة مِن الأجانب والغرباء (مثل: سلمان الفارسي وصُهَيْب الرومي وغيرهما) ضد أهلي قريش العرب! بل تحالفتُ مع قبيلتي الأوس والخزرج في المدينة ضد أهلي قبيلة قريش في مكة[1300]!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة فى العالم التى أدى ظهورُها إلى اندلاع حرب أهلية! وبعد وفاتى بقليل، اندلعت حربٌ أهلية ثانية (سُمّيت "حرب الرِّدَّة")! وبعد ذلك بقليل، اندلعت حربٌ أهلية ثالثة (سُمّيت "الفتنة الكبرى")! ثم اندلعت حربٌ أهلية رابعة بين الأمويين وأهل مدينتي (وقعة الحَرَّة 63هـ شرقي المدينة)! ثم اندلعت حربٌ أهلية خامسة بين الأمويين وعبد الله بن الزبير (حفيد صديقى العزيز أبي بكر الصديق وأحد أعضاء اللجنة التى شكّلها عثمان بن عفان لجَمْع القرآن وإنتاج المصحف)! يعني: خمسة حروب أهلية في المئة سنة الأولى مِن عمر الإسلام[1301]!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة في العالم التي قَاتَل تلاميذُ مؤسسها بعضُهم بعضاً - علي ومعاوية - في حربٍ أهلية أدت إلى مقتل عشرات الآلاف من المسلمين[1302]!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة في العالم التي لا يزال المؤمنون بها يقاتلون بعضُهم بعضاً ويقتلون بعضُهم بعضاً. نعم، يُقَاتِلُونَ بعضُهم بعضاً فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ. يعني: حروب أهلية إلى اليوم!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة فى العالم التى تقتل مَن يتركها! وقلت: "مَنْ بَدَّلَ دينَه فاقتلوه"[1303]! وقلت: "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ [...] إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزانِ، والنفس بالنفس، والتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ"[1304]!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة في العالم التي تقول إن الله أعطى معتنقيها الْحَقَّ في تعذيب الآخرين (الكفار و/أو المنافقين) بأيديهم: "قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ **بِأَيْدِيكُمْ** وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ

قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" (التوبة 14)؛ "قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ (أي: تنتظرون) بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ (أي: النصر أو الشهادة) ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ (أي: ننتظر) بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ **أَوْ بِأَيْدِينَا** ۖ فَتَرَبَّصُوا (أي: فانتظروا) إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (أي: منتظرون)" (التوبة 52)! "الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ [...] يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ **وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**" (الحشر 2)!

- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة في العالم التي تقاتل المسيحيين واليهود بنصوص مقدسة! "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ (أي: الإسلام) مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" (التوبة 29)!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة فى العالم التى تشتم كُلَّ غير المؤمنين بها وتصفهم بأنهم "شَرُّ الْبَرِيَّةِ" (أى: أشد الخليقة شراً!): "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا (أى: لم يؤمنوا بالإسلام) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ" (البينة 6)! يعني: الكافر شر مِن الدابة[1305]! "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ (أي: شَرَّ ما يدب على وجه الأرض) عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (الأنفال 55)!
- أسستُ الإسلامَ، ديانة تشتم كُلَّ غير المؤمنين بها وتصفهم بأنهم كالأنعام، بل أسوأ من الأنعام! "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ (أي: كالبهائم!) ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا [من البهائم! فالبهائم تنقاد لأصحابها إلى ما فيه خيرها وتنأى عما يضرها لكن هؤلاء المشركين لا ينقادون لخالقهم فيلقون بأنفسهم فيما يهلكهم!]" (الفرقان 44)[1306]! "لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ (أي: كالبهائم!) بَلْ هُمْ أَضَلُّ" (الأعراف 179)! "وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ" (محمد 12) "وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ" (محمد 12) "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا [عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان] كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً (أي: كمثل البهائم التي يصيح لها راعيها فلا تسمع إلا دَوِيَّ صوته فقط وهي لا تفهم معانيَ كلامه) ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ" (البقرة 171)[1307][1308]! اقرأ أيضاً "كَمَثَلِ الْحِمَارِ" (الجمعة 5)؛ "كَمَثَلِ الْكَلْبِ" (الأعراف 176)؛ "كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ" (العنكبوت 41)؛ "كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" (البقرة 65) (الأعراف 166)!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة في العالم التي تُجرّم كُلَّ مَن لا يؤمن بها؛ أي: تعتبره "مُجْرِمًا" (criminal) حتى إذا رفض آيةً واحدة فقط من القرآن! "وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ" (الجاثية 31)؛ "إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ" (الأعراف 40)؛ "كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ (أي: أدخلنا الكفرَ) فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ. لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ (أي: بالقرآن) حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (الشعراء 200-201)؛ "كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ. لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ (أي: مضت) سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ" (الحجر 12-13)؛ "إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا (أي: كافراً؛ مشركاً؛ وقيل:

الذي يقترف المعاصي ويكتسبها) فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ. وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ" (طه 74-75)؛ "يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا. وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا" (مريم 85-86)؛ "الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (أي: منقادين لله الواحد بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم). ادْخُلُوا الْجَنَّةَ [...]. لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ. إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ" (الزخرف 69-74)؛ "أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ" (القلم 35)؛ "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ. كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ. [إذا لم يؤمنوا بالقرآن] فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ" (المرسلات 45-50).

- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة في العالم التي تُهين اليهود والمسيحيين (ومَن مثلهم) فى الصفحة الأولى مِن كتابها (القرآن)! وجَعلْتُ كل مسلم يقول فى كل صلاة: "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" (الفاتحة 7). وتفسيرها: الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ هُمْ اليهود؛ والضَّالِّينَ هُمْ النصارى (المسيحيين)[1309]! وقيل: هُمْ اليهود والنصارى (المسيحيين) ومَن مثلهم.
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة فى العالم التى تسب وتقذف "كَثِيرًا" مِن رجال الدين اليهود والمسيحيين وتتهمهم بأنهم يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ! "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ (أى: علماء اليهود) وَالرُّهْبَانِ (أى: رهبان النصارى) لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ" (التوبة 34)!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة في العالم التي تتهم "أَكْثَر" أهل الكتاب (أي: اليهود والمسيحيين) بالفسق! "كُنتُمْ [يا أُمَّة محمد] خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" (آل عمران 110)! "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ" (المائدة 59)! "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ" (الحديد 16)! "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ. ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ" (الحديد 26-27)!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة فى العالم التى تأخذ مِن ذنوب المؤمنين بها وتضع هذه الذنوب على اليهود والمسيحيين، وليس على البوذيين ولا الهندوسيين! فقلت: "يجيءُ يومَ القيامةِ ناسٌ من المسلمين بذنوبٍ أمثال الجبال، فيغفرها اللهُ لهم ويضعها على اليهود والنصارى"[1310]!

- أسستُ الإسلامَ، ديانةً تجيز لعنةَ الذين ماتوا غير مسلمين (أي: ماتوا على الكفر)! "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (البقرة 161)؛ "كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (آل عمران 86-87)!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة فى العالم التى تلعن اليهود والمسيحيين. وأنا شخصياً لعنتُ المسيحيين واليهود، فقلت: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، "لعن اللهُ اليهودَ والنصارى. اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد"[1311]!
- أمرتُ أتباعى ألا يبدأوا المسيحيين واليهود بالسلام، فقلت لهم: "لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام. فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه"[1312]!
- وضعتُ قاعدة "أَسْلِمْ تَسْلَمْ"[1313]، وملخصُها: إما أن تقبل الإسلامَ أو تدفع لنا الجزيةَ (إنْ كُنت من أهل الكتاب) أو نقاتلك! يعني باختصار: إما أن تقبل الإسلامَ أو تموت؛ سواء الموت السريع (القتل)، أو الموت البطيء تحت وطأة الجزية المذلة لأهل الكتاب فقط! وما زال أتباعي المخلصون – الذين يُقال عليهم "إرهابيين" – يطبقون قاعدة "أَسْلِمْ تَسْلَمْ" حتى الآن!
- سفكتُ الدماء فى غزوات عدة، فقَتَلت الرجال ورمّلت النساء ويتّمت الأطفال!
- حرَّضتُ على عمليات اغتيال (مثلاً: عملية اغتيال الشاعر المثقف كعب بن الأشرف)!
- استوليتُ على أموال أعدائى (وأسميتها: غنائم)، وقلتُ: "نُصِرْتُ بالرعبِ" "وأُحِلَّت لى الغنائمُ"[1314]! وقلت أيضاً: "جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي"[1315]! وبعد المعركة، كنتُ أُقسِّم الغنائم على أصحابي[1316]!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة في العالم التي تحرّم التبني! أو بعبارة أكثر دقة: تحرّم المساواةَ الكاملة بين الابن المُتبنَّى والابن البيولوجي في جميع الحقوق وأهمها النسب والميراث.
- أسستُ الإسلامَ، ديانة تبيح العبوديةَ والاتجار بالبشر (الرقيق) أي بيع الإنسان وشرائه بالمال[1317]! بل جعلتُ العبوديةَ (الرق) تشريعاً مقدساً تحفظه آيات قرآنية (مثلاً: ملك اليمين) ونظاماً اجتماعياً تحميه أحاديث صحيحة إلى يوم القيامة! وقلت: "أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ (أي: هرب من أسياده) فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ"، "أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ"، "إِذَا أَبَقَ الْعَبْدُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ"[1318].
- أسستُ الإسلامَ، ديانة تبيح نكاح (زواج) الفتيات الصغيرات "اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ" (الطلاق 4)! ومن ثم تبيح طلاقهن! ولقد ذكر القرآنُ عِدَّة الطفلة المطلقة: "فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ" (الطلاق 4)[1319]!
- وأنا شخصياً تزوجتُ طفلةً صغيرة اسمها "عائشة" تصغرني بأكثر مِن 40 سنة! هي نفسها قالت إن محمداً "تزوَّجها (أي: عَقَد عليها) وهي بنت سبعِ سنين. وَزُفَّتْ إليه (أي: دَخل بها) وهي بنت

تِسْعِ سنين (1هـ أو 2هـ)"[1320]! والنتيجة: لا تزال مجتمعاتكم الإسلامية/العربية تعاني من زواج القاصرات إلى اليوم! بل تعاني من طلاق القاصرات إلى اليوم!

- أسستُ الإسلامَ، ديانة تسمح للرجل المسلم المتزوج أن يتزوج امرأةً أخرى بدون عِلم زوجته! يعني: ديانة تسمح للزوج أن يخون زوجتَه ويغشها[1321]! يعني: ديانة تسمح بدخول الكذب في كل بيت[1322]!
- أسستُ الإسلامَ، ديانة تسمح للرجل المسلم المتزوج أن يضرب زوجتَه: "وَاضْرِبُوهُنَّ" (النساء 34)! يعني: ديانة تسمح بدخول العنف في كل بيت[1323][1324]!
- أسستُ الإسلامَ، ديانة تسمح للرجل المسلم المتزوج أن يطلِّق زوجتَه في لحظةٍ لأي سبب أو حتى بدون إبداء السبب! بل ديانة تسمح للزوج أن يطلِّق زوجتَه غيابياً (أي: بدون حضورها!) فيكتفى بإعلامها[1325]! لكن هذا "الإعلام" قد يأخذ وقتاً، فقد تظل المرأةُ لا تعلم أنها مطلَّقة لعدة أيام وربما أسابيع! بل قد لا تكتشف أنها مطلَّقة إلا بعد انتهاء عدتها ووفاة مطلِّقها وضياع حقها في الميراث!
- أسستُ الإسلامَ، ديانة تبيح نكاح الأمة كما تُنْكَح الزوجة لكن الأمة ليست زوجة! "وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ" (المؤمنون 5-6). يعني: الإسلام ديانة تبيح ممارسة الجنس مع عدد غير محدود من الإماء (مِلك يمين) خارج إطار الزواج!
- وأنا شخصياً قَبِلتُ امرأةً كهدية مِن رجل! نعم، قَبِلتُ امرأةً (هي مارية القبطية) كهدية مِن رجل! فصارت لي "مِلك يمين" (أي: أمة؛ ليست زوجة!) فمارست معها الجنس حتى أنجبت لي طفلاً! ثم بعد ذلك تزوجتها!
- أعطيتُ امرأةً كهدية لرجل! نعم، أعطيت امرأةً (هى أخت مارية القبطية) كهدية لرجل!
- أسستُ الإسلامَ، ديانة تبيح قتلَ الأسرى واستعبادهم! "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ (أي: يُبَالِغ في قتلهم، يكثر القتل والقهر فيهم!)" (الأنفال 67)؛ "فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ (أي: أَكْثَرْتُمْ فِيهِمْ الْقَتْل وقهرتموهم!) فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً (أي: "فأحكموا قيد الأسرى: فإما أن تَمُنُّوا عليهم بفك أسرهم بغير عوض، وإما أن يفادوا أنفسهم بالمال أو غيره، وإما أن يُسْتَرَقُّوا أو يُقْتَلوا"[1326])" (محمد 4)؛ "فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ (أي: حاصروهم بسد الطرق عليهم!) وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ (أي: في كل طريق!) ۚ فَإِن تَابُوا [عن الكفر] وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ (أي: دخلوا الإسلام والتزموا بأحكامه) فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ (أي: فاتركوهم في هذه الحالة فقط!)" (التوبة 5)!
- أسستُ الإسلامَ، ديانة تسمح للرجل المسلم المُحارب أن يخطف زوجةَ عدوه الكافر وحدها (أي: دون زوجها) ويطؤها (أي: ينكحها)، حتى إذا ظل زوجها حياً! "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ [...] الْمُحْصَنَاتُ (أي: المتزوجات) مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (أي: إلا مَن سَبَيْتم مِنهن فى الجهاد، فَيَحِلّ لَكُمْ وَطْؤُهُنَّ

بعد استبراء أرحامهن بحيضة)" (النساء 23-24)[1327]. يعني: الإسلام ديانة تبيح اغتصاب الأسيرات! أو كما تَرَوْن اليوم: هذا مسلم إسلامي يؤمن بالأفكار الجهادية، إذن: هذا مشروع إرهابي، قد يقتل الكافرَ ويخطف زوجتَه وينكحها! وحتى لو لم يقتله، يحل له أن ينكح زوجتَه المَسْبِيَّة!

- وأنا شخصياً سبيتُ نساء (صفية بنت حُيَيّ مثلاً)! أجل، سبيتُ نساء!
- أسستُ الإسلامَ، الديانة الوحيدة في العالم التي تنتهك حقوق حوالي 90% مِن البشر[1328]!
- حتى الأطفال! أمرتُ بضَرْبِهم إذا لم يصلوا! فقلت: "مُرُوا أولادَكم بالصلاة وهُمْ أبناء سَبْعِ سنين، واضربُوهم عليها وهُمْ أبناء عَشْر سنين"[1329].
- حتى الأنعام! أمرتُ بذبحها على الشريعة الإسلامية. مما يسبب ألماً فظيعاً لهذه الكائنات البريئة، لأنها لا تفقد الحياةَ فوراً بسرعة، وإنما تفقد الحياةَ ببطء تدريجياً وعلى مراحل، فتشعر بألمٍ رهيب[1330].

الذي يقول كل تلك الأقوال المذكورة فى تلك السيرة الذاتية ويفعل كل تلك الأفعال المذكورة فى تلك السيرة الذاتية، هل يُعقَل أن يكون معصوماً؟ مستحيل. هل يصلح كقدوة فى زماننا المعاصر؟ كلا.

إذا وضع مسلمٌ اليوم اسمَه – بدلاً من اسم محمد – على هذه السيرة الذاتية وقدَّمها لأى مؤسسة بحثاً عن وظيفة، فإن المؤسسات التى ستقبله هى إما الإخوان المسلمين أو داعش أو القاعدة أو طالبان أو حماس أو أى جماعة إرهابية أو دولة إرهابية.

إذا أراد مسلمٌ اليوم أن يُقلِّد محمداً في جميع أقواله وجميع أفعاله المذكورة في تلك السيرة الذاتية، سيصبح إرهابياً في نظر العالم المتحضر.

إذا اتخذ مسلمٌ اليوم محمداً قدوة وأسوة ومثل أعلى في كل شيء مذكور في تلك السيرة الذاتية، سيصبح عنيفاً في القول والفعل، عنيفاً حتى تجاه أهل بيته، عنيفاً تجاه زوجته، عنيفاً تجاه أولاده!

الدين الإسلامى وحده هو الذي يعاني من هذه المشكلة، لأن المسلمين وحدهم هُم الذين يؤمنون بعقيدة "عصمة الأنبياء".

المسيحي إذا اتخذ المسيحَ قدوةً في كل شيء، سيجول يصنع خيراً (مثلاً: البابا فرنسيس رحمه الله). أما المسلم إذا اتخذ محمداً قدوةً في كل شيء، فسيجول يصنع شراً (مثلاً: أسامة بن لادن)، سيسرق الأموال (الغنائم) وسيذبح الإنسان وسيدمر المجتمعات. كما فعلت حماس يوم 7 أكتوبر 2023. كلها أفعال شيطانية[1331].

كل مسلم إرهابي يعتبر محمداً هو المَثل الأعلى والقدوة العليا. وهذا نراه ونسمعه بكل وضوح في الفيديوهات الدموية التي تصنعها حماس وتبثها قناةُ الجزيرة. ولقد صدق يسوعُ المسيح حين قال: "اِحْتَرِزُوا

مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ (أي: غير الحقيقيين؛ false prophets) الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ (thornbushes) عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ (thistles) (نبات شائك) تِينًا؟ هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، لاَ تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلاَ شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً. كُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. فَإِذًا مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ" (متى 7:15-20) "لأَنَّهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا رَدِيًّا، وَلاَ شَجَرَةٍ رَدِيَّةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا. لأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا. فَإِنَّهُمْ لاَ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ تِينًا، وَلاَ يَقْطِفُونَ مِنَ الْعُلَّيْقِ (briers) (شجرة أو شجيرة شوكية) عِنَبًا" (لوقا 6:43-44). وقال القديس بولس الرسول (Paul The Apostle): "هُمْ رُسُلٌ كَذَبَةٌ، فَعَلَةٌ مَاكِرُونَ، مُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ إِلَى شِبْهِ رُسُلِ الْمَسِيحِ. وَلاَ عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ! فَلَيْسَ عَظِيمًا إِنْ كَانَ خُدَّامُهُ أَيْضًا يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ. الَّذِينَ نِهَايَتُهُمْ تَكُونُ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ" (2 كورنثوس 11:13-15).

المسيحي إذا اتخذ الإنجيلَ قدوةً في كل شيء، سيحب العالمَ كله "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ" (يوحنا 3:16). أما المسلم إذا اتخذ القرآنَ قدوةً في كل شيء، فسيكره معظم سكان العالم لأنَّ "اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (أي: غير المسلمين)" (آل عمران 32) (الروم 45) "وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" (المائدة 44)، "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" (آل عمران 57، 140) (الشورى 40) "وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (المائدة 45)، "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" (المائدة 108) (التوبة 24، 80) (الصف 5) (المنافقون 6) "فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (التوبة 96) "وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (المائدة 47). يعني باختصار: المسلم إذا اتخذ إلهَه قدوةً في كل شيء، سيكره كُلَّ "مَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ"، أي: سيصبح إرهابياً ولو بالقلب!

لا يمكن أن يستقيم الظل والعود أعوج.

الإرهاب الإسلامي كله ملة واحدة. لا فرق بين إخواني أو حمساوي أو طالباني أو داعشي أو وهابي. لا فرق بينهم سوى درجة تطبيقهم تعاليم الإسلام على أرض الواقع. لا فرق بين مَن يقتل ومَن يُدرّس النصوص الإسلامية التي تؤدي إلى القتل. الأول إرهابي باليد والثاني إرهابي باللسان. لا فرق بين مَن يقتل الإنسان ومَن ينتهك حقوق الإنسان. حقوق الإنسان صارت تعريفاً للإنسان وليست مجرد وَصْفاً أو امتيازاً، فلا فرق بين مَن ينتهك حقوق الإنسان ومَن يقتل الإنسان. كلاهما قريب جداً من الإسلام وبعيد جداً عن السلام (الله).

الأنبياء الكذبة (أي: غير الحقيقيين false prophets) يقولون "سَلاَمٌ!" وَلَيْسَ سَلاَمٌ (حزقيال 13:10)، ويقولون مرة أخرى "سَلاَمٌ، سَلاَمٌ". وَلاَ سَلاَمَ (إرميا 6:14)، ويقولون كثيراً "سَلاَمٌ، سَلاَمٌ". وَلاَ سَلاَمَ (إرميا 8:11). إذن: الأنبياء الكذبة "الْقَائِلُونَ: وَحْيُ الرَّبِّ (أى: الذين يزعمون أن الله أوحى لهم)، وَالرَّبُّ لَمْ يُرْسِلْهُمْ" (حزقيال 13:6) يزعمون كثيراً أن رسالتهم رسالة سلام ورحمة للعالمين وخُلُق عَظِيم، لكنها فى الواقع رسالة حرب وعنف وإرهاب وقتل، سواء قتل مادى عن طريق سفك الدماء أو قتل معنوى

عن طريق السجن وتكميم الأفواه. فعلينا ألا ننخدع بهؤلاء الأنبياء الكذبة وأتباعهم. بل علينا أن نكشف هؤلاء الأنبياء الكذبة ونفضحهم أمام أتباعهم المخدوعين.

إذن: توجد علاقة قوية بين "عصمة الأنبياء" والإرهاب الإسلامي الذي يُشوّه اللهَ ويقتل الإنسانَ ويدمر البلدان ويسجن المفكرين وينفي المثقفين ويُكفّر العقلانيين.

ومن ثم فإن التخلى عن عقيدة "عصمة الأنبياء" خطوة هامة فى معركتنا الفكرية والثقافية ضد الإرهاب الإسلامى، لأن رفض هذه العقيدة سيُعيد محمداً – وكل نبى آخر – إلى مكانه الصحيح ووضعه الطبيعى: "بَشَرٌ مِثْلُكُمْ" (إبراهيم 11) (الكهف 110) (الأنبياء 3) (المؤمنون 24، 33-34) (فصلت 6) "بَشَرٌ مِثْلُنَا" (إبراهيم 10) (الشعراء 154، 186) (يس 15) (هود 27) (المؤمنون 47). مجرد إنسان بشر مِثلنا قد يخطىء وقد يصيب. مجرد إنسان بشر مِثلكم وليس قدوة وليس أسوة وليس مَثلاً أعلى وليس نموذجاً يُحتذَى.

ومِن حُسن حظ المسلمين أن عقيدة "عصمة الأنبياء" غير مذكورة صراحةً بوضوح في القرآن[1332]، ومِن حُسن حظهم أيضاً أن القرآن لا يقول صراحةً إن الأنبياء قدوة في كل شَيْءٍ. فحتى الآيات القرآنية التي قد تُفهَم على أنها تُقدِّم الأنبياء كقدوة – مثل (الأنعام 89-90) (الأحزاب 21) (الأعراف 158) (الممتحنة 4-6) – لا تقول إنهم قدوة في كل شَيْءٍ؛ بل مِنها ما يؤكد أن الأنبياء قدوة في مواقف معينة فقط وليسوا قدوة في كل شَيْءٍ: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ **إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** [...] **إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ** (أي: لا تقتدوا بإبراهيم في الاستغفار لأبيه الكافر)" (الممتحنة 4). هذا الاستثناء يؤكد أن الأنبياء ليسوا قدوة في كل شيء.

ثم إن إصرار بعض المسلمين على أن عقيدة "عصمة الأنبياء" مذكورة في القرآن يجعل القرآنَ كتاباً متناقضاً، فَمِن ناحية يؤكد عدة مرات أن الأنبياء "بشر مثلنا" ومِن ناحية أخرى يقول إنهم معصومون! فكيف يكونوا بشراً مثلنا وفي نفس الوقت معصومين؟! بل إن هذا الإصرار يؤكد أن القرآن عَمِلَ عملية "تجميل" أو "تنقيح" لحياة هؤلاء الأنبياء، مما يؤكد أن القرآن لم ينقل لنا قصص حياتهم بأمانة وصدق، مما يؤكد أن القرآن كلام بشر. يقول العالِم الكبير (Prof. Reuven Firestone) تعليقاً على هذا الاختلاف بين القرآن (التراث الإسلامي) والكتاب المقدس (التراث اليهودي/المسيحي) فيما يتعلق بعصمة الأنبياء[1333]:

What is often missed in all this is that the nature of scripture is understood differently in distinct religious cultures and civilizations. In the context of the Hebrew Bible there are no perfect heroes. Even Moses, the greatest of prophets, is a flawed character for which he is punished by God through his death scarcely before he would reach the promised land that he so longed for. So too is David, the great king and progenitor of the

messianic redeemer, a sinner who is duly punished by God in the Hebrew Bible for his horrific transgression of lust and murder. The lesson learned is that even the greatest of heroes have their flaws. People must therefore acknowledge the limitations of their natural moral frailty, remain humble and strive always to do the good, while recognizing that even the greatest heroes are only human and must struggle at times to do the right thing. In the Qurʾān, however, the heroes serve as role-models of the highest order. They are protected from error, thus representing figures to whom humans must aspire even though we are unlikely ever to reach their level of moral-ethical perfection.

People who grow up with the scriptural expectations of a Qurʾānic milieu tend to view the flawed, human characters of the Hebrew Bible as poor exemplars and therefore false representations of the divine will in a flawed revelation. They might naturally hold the view that the Hebrew Bible could not possibly convey the actual will and word of God, because God would not support such unethical characters as heroes. The text [i.e. Hebrew Bible] must therefore have been corrupted, perhaps purposefully by people who wished to justify their own unethical behaviors. On the other hand, those who grow up within a Biblical milieu, who intuitively take Biblical discourse as the base-line for scriptural expectation, tend to see the characters of the Qurʾān as flat, transparent in their exaggerated perfection, and essentially unhuman. They see them less as role-models than as simplistic characters lacking depth and humanity, and would likely take the view that such characters would not appear in a truly profound revelation. From this standpoint, the Qurʾān could not represent the actual word of God.

أما نحن، فنرى أن القرآن عَمِلَ أحياناً عملية "تجميل" أو "تنقيح" لحياة بعض الأنبياء - مثلاً: لم يذكر أن هارون هو الذي صنع العجل، لكننا في الوقت نفسه نرى أن القرآن ذكر خطايا بعض الأنبياء - مثلاً:

موسى النبي رمى كلامَ الله على الأرض: "أَلْقَى الْأَلْوَاحَ [فانكسرت]" (الأعراف 150)! مما يعني أن القرآن لا يؤيد "عصمة الأنبياء". إنها مجرد بدعة أو أسطورة متأخرة اخترعها مسلمون (ربما في العصر الأموي و/أو العباسي). ومِن ثم، فإن التخلص مِن بدعة "عصمة الأنبياء" وأسطورة "الأنبياء قدوة" خطوة بسيطة وسهلة جداً. فهل سيتخذ المسلمون هذه الخطوة البسيطة؟ أَم أن الحِبر الذى تُكتَب به الكتب الإسلامية أغلى عندهم مِن دماء أبنائهم وبناتهم التي تُسفَك في كل عملية إرهابية؟

العِصمة لله وحده، وليست لأي إنسان بشر، حتى لو كان نبياً.

إذا كنا جادين في مواجهة الإرهاب الإسلامي، فعلينا أولاً أن ننزع القداسة عن كل بشر آدمي، حتى وإن اعتقدنا أنه نبي.

القداسة لله وحده. ولا قداسة أو عصمة لنبي(1334).

لا قداسة ولا عصمة لأي إنسان بشر مهما علا منصبه الديني أو السياسي.

2.3.2 هل كان محمد معصوماً في "الوحي"؟

أولاً: محمد لم يتلقَ "وحياً" من الله. فكل الأدلة التى أمامنا تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن كلام العرب، صنعوه مِن خلال عملية تطور بشرى طبيعى (natural human development) لتراث الديانات والثقافات والحضارات التى سبقت ظهور الإسلام. ومِن ثم، فإنه مِن العبث أن نناقش إنْ كان محمد معصوماً في "الوحي". فنحن لا نؤمن أصلاً بهذا "الوحي" المزعوم.

ومع ذلك، فإننا سنناقش هذه المسألة، لأن لها علاقة قوية بالإرهاب الإسلامى الذى يدمر الحضارة الإنسانية.

ثانياً: يقول القرآن لمحمد: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ [يا محمد] مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى (أي: قَرَأَ، تلا) أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ (أي: فِي قراءته، فِي تلاوته) فَيَنْسَخُ (أي: يُزيل؛ يُبطِل) اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ (أي: يثبت) اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً (أي: امتحاناً، اختباراً) لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ (أي: شكٌ؛ نفاقٌ) وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ" (الحج 52-53) (مكية). اقرأ أيضاً: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا (أي: ليخدع السامعين) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ" (الأنعام 112).

وهذا يعني أن الشيطان قد يُلقِي كلامَه الشيطاني في تلاوة الأنبياء والرسل لكلام الله، أي: يضيف الشيطانُ كلاماً باطلاً من عنده ويجعل النبيَّ يتلوه على أنه كلام الله الحق، مما يعني أن الأنبياء غير معصومين

في "الوحي". إلا أن الله يتدخل بسرعة ليُنقِذ النبيَّ مِن هذا الموقف المُحرج ويُصحح خطأ النبي، فيُزيل اللهُ ما ألقاه الشيطانُ ويضبط آياته الإلهية؛ أي: يُزيل الزيادة الباطلة (false accretion) التي أقحمها الشيطانُ على لسان النبي ويُبقِي كلامَ الله الأصلي الحق فقط.

لكن كالعادة، لجأ المدافعون عن الإسلام إلى حيل لتبرير هذه الآية (الحج 52)، فزعموا أن "التمنى" المذكور فيها هو مجرد خواطر أو وساوس جالت فى خاطر النبى فقط ولم تجر على لسانه[1335]!

ونحن نقول لهم: تفسيركم لـ "التمنى" (الحج 52) تفسير ناقص، بدليل أن الآية التى تليها مباشرةً تقول: "لِيَجْعَلَ [اللهُ] مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ" (الحج 53). فلو كان "التمنى" مجرد أفكار فى ذهن النبى فقط وخواطر النبى مع نفسه فقط وليس كلاماً مسموعاً، فكيف صار "فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ"؟! إذن: "التمنى" هنا كان أيضاً كلاماً مسموعاً قاله النبى على لسانه أثناء قراءته (recitation)، وسمعه مَن كانوا حول النبى.

وراجعوا تفاسير وترجمات (الحج 52). وسنكتفى بالأمثلة التالية لما قاله المفسرون والمترجمون ...

قال الطبرى إمام المفسرين: "فَتَأْوِيل الْكَلَام إِذَنْ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلك مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَلَا كِتَابَ اللَّه وَقَرَأَ، أَوْ حَدَّثَ وَتَكَلَّمَ، أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي كِتَاب اللَّه الَّذِي تَلَاهُ وَقَرَأَهُ، أَوْ فِي حَدِيثه الَّذِي حَدَّثَ وَتَكَلَّمَ، "فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ" يَقُول تَعَالَى: فَيُذْهِب اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى لِسَان نَبِيّه وَيُبْطِلهُ. [...]. وَقَوْله: "ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ". يَقُول: ثُمَّ يُخَلِّص اللَّهُ آيَاتِ كِتَابه مِنَ الْبَاطِل الَّذِي أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَان نَبِيّه". وقال ابن صمادح في مختصره: "إِلَّا إِذَا تَمَنَّى" يعنى بالتمنى: التلاوة والقراءة. وقال ابن عباس: تَمَنَّى: تحدث. "أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ" فى حديثه". وقال د. الصابونى فى مختصره: ""إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ" إِلَّا إِذَا تَلَا كِتَابَ اللَّه وَتَكَلَّمَ، أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي حَدِيثه الَّذِي حَدَّثَ"[1336].

وقال تفسير الجلالين: ""وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ" هُوَ نَبِيّ أُمِرَ بِالتَّبْلِيغِ "وَلَا نَبِيٍّ" أَيْ لَمْ يُؤْمَر بِالتَّبْلِيغ "إِلَّا إِذَا تَمَنَّى" قَرَأَ "أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ" قِرَاءَته مَا لَيْسَ مِنْ الْقُرْآن مِمَّا يَرْضَاهُ الْمُرْسَل إِلَيْهِمْ"[1337].

ولقد ترجم مجمعُ الملك فهد لطباعة المصحف الشريف كلمةَ "تَمَنَّى" إلى (did recite the revelation or narrated or spoke)[1338]. وترجم Muhammad Pickthall أيضاً كلمة "تَمَنَّى" إلى ((recited (the message)) وكلمة "أُمْنِيَّتِهِ" إلى (that which he recited thereof)[1339]. إذن: الترجمة الصحيحة لـ "تَمَنَّى" هى (recited) ولـ "أُمْنِيَّتِهِ" هى (recitation).

هذا التفسير الصحيح وهذه الترجمة الصحيحة لكلمة "تَمَنَّى" (الحج 52) تؤكد أن الشيطان قد يُلقِى كلامَه الشيطانى فى تلاوة محمد للقرآن، مما يعنى أن محمد غير معصوم فى "الوحى".

وختاماً نقول إن هذه الآية القرآنية (الحج 52) تكفى كدليل قاطع يثبت أن القرآن ليس كلام الله وأن محمد ليس نبياً من عند الله. وذلك لأنها تقول إن الله قد يسمح للشيطان بأن يُلقِى كلامَه الشيطانى فى كلام أنبياء الله! ونحن نعلم مِن التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) أن الله قد يسمح للشيطان (روح الضلال، روح الكذب) بأن يفعل ذلك فعلاً، لكن ليس مع أنبياء الله وإنما مع الأنبياء الكذبة (1 ملوك 22:20-23).

ثالثاً: توجد قصة شهيرة في التراث الإسلامي تثبت أن محمد لم يكن معصوماً في "الوحي"، على الأقل في بداية حياته العملية كنبي. تُعرَف هذه القصة باسم "قصة الغرانيق" (Story of the Cranes) أو "قصة الغَرانيق العُلَى" (Story of the High-flying Cranes).

وتُذكَر قصة الغرانيق عادةً في تفسير وأسباب نزول (الحج 52) التي ذكرناها فى "ثانياً".

وتُذكَر قصة الغرانيق أيضاً في تفسير "أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى" (النجم 19-20). والخطاب هنا لمشركي قريش الذين كانوا يعبدون تلك الأصنام الثلاثة (اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ) أو يعتقدون أن لها شفاعة (intercession) عند الله. ومِن المعلوم أن سورة النجم مكية، بل من أوائل السور المكية، إذ يرجع تاريخها إلى حوالى السنة الخامسة للنبوة؛ وهى أول سورة أُنزلت فيها سجدة (النجم 62).

وقبل أن نذكر قصة الغرانيق، يجب علينا أن نقول إن مشركي قريش أرادوا مِن محمد أن يذكر آلهتهم (أي: أصنامهم) بخير حتى يدخلوا في الإسلام. وكان محمدٌ يريد إسلامَ قريش.

سننقل الآن قصة الغرانيق مِن كتاب "أسباب النزول" للواحدى النيسابورى، مع بعض الإضافات مِن المراجع الإسلامية الأخرى أو للتوضيح[1340]: "قال المفسرون: لما رأى رسولُ الله ﷺ تولِّي قومه (أى: قريش) عنه، وشقَّ عليه ما رأى من مُباعَدتهم عما جاءهم به، تَمَنَّى فى نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب به بينه وبين قومه، وذلك لحرصه على إيمانهم. فجلس ذات يومٍ فى نادٍ من أندية قريش كثيرٌ أهله، وأحب يومئذٍ أن لا يأتيه من الله تعالى شيءٌ ينفرون عنه، وتَمَنَّى ذلك، فأنزل الله تعالى سورة "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى" (النجم 1)، فقرأها رسولُ الله ﷺ حتى بلغ: "أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى" (النجم 19-20)، ألقى الشيطانُ على لسانه لما كان يُحدِّث به نفسه وتَمَنَّاه: "تِلك الغَرانيقُ العُلَى. وإنَّ شَفاعَتَهُنَّ لتُرْتَجَى" (وفى رواية أخرى: تلك الغَرانيقُ العُلَى. وشفاعتُهن تُرْتَجَى. مثلُهن لا يُنسى)".

[والغرانيق جمع غُرْنُوق وهو نوعٌ من الطيور البيضاء كبيرة الجسم وطويلة العنق تعلو فى السماء وترتفع. ومِن ثم، فإن وصف الأصنام بـ "الغرانيق العُلَى" يعنى مدح آلهة المشركين، وقوله "إن شفاعتَهنَّ لتُرْتَجَى" يعنى أن لهذه الأصنام شفاعة عند الله. وهذا طبعاً يتعارض مع الإسلام؛ فكيف يقول محمدٌ تلك العبارات التى تمدح أصنام المشركين وتؤكد شفاعتها عند الله؟!]

"فلمَّا سمعت قريش ذلك (أي: لمَّا سمع كفار مكة أن لآلهتهم شفاعة) فرحوا، ومضى رسولُ الله ﷺ فى قراءته، فقرأ السورة كلها، وسجد فى آخر السورة (يقصد: النجم 62)، فسجد المسلمون بسجوده، وسجد جميع مَن فى المسجد مِن المشركين، فلم يبقَ فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، إلا الوليد بن المغيرة وأبو أُحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذا حفنة من البطحاء (أى: تراب الأرض) ورفعاها إلى جبهتيهما وسجدا عليها؛ لأنهما كانا شيخين كبيرين فَلَمْ يستطيعا السجود. وتفرقت قريش وَقَدْ سرَّهم ما سمعوا، وقالوا: قد ذَكَرَ محمدٌ آلهتنا بأحسن الذكر (وفى رواية أخرى أنهم قالوا: ما ذُكِرَت آلهتنا بخيرٍ قبل اليوم)، وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق وَلَكِن آلهتنا هذه تشفع لنا عِنْدَهُ، فإن جعل لها محمدٌ نصيباً فنحن معه".

"فَلَمَّا أمسى رسولُ الله ﷺ أتاه جبريلُ عليه السلام فقال [لمحمد]: "ما صنعت؟ تَلَوْتَ على الناس ما لم آتِك به عن الله عز وجل، وقلت ما لم أقل لك"، فَحَزِنَ رسولُ الله ﷺ حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كبيراً، فأنزل الله عز وجل هذه الآية (يقصد: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ [يا محمد] مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى (أي: قَرَأَ، تلا) أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ (أي: فِي قراءته، فِي تلاوته) فَيَنْسَخُ (أي: يُزيل؛ يُبطِل) اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ (أي: يثبت) اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (الحج 52). ويُفهَم أن (الحج 52) قيلت لمحمد لتسليته بعد حزنه لِمَا حدث له وأيضاً لإزالة مدح الأصنام الذي ألقاه الشيطان في قراءة محمد وإثبات العقيدة الإسلامية)، فقالت قريش: ندم محمدٌ على ما ذَكَرَ من منزلة آلهتنا عند الله، فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه".

خطورة قصة الغرانيق أنها تعنى أن الشيطان أثَّر على محمد، وأوحى إليه كلاماً يتعارض مع العقيدة الإسلامية، وجعله يقول هذا الكلام الشيطانى "تِلك الغَرانيقُ العُلَى. وإنَّ شَفاعَتَهُنَّ لتُرْتَجَى". ثم تراجع محمدٌ عن هذا الكلام الشيطانى وأثبت العقيدة الإسلامية في رفض الأصنام (الغَرانيق) ورفض شفاعتها.

ولذلك فإن هذه القصة تُعرَف فى المراجع الأجنبية باسم "الآيات الشيطانية" (Satanic Verses) أو "التدخل الشيطاني" (Satanic interference) أو "الدس الشيطاني" (Satanic insinuation)، لأن محمد قال هاتين العبارتين على أساس أنهما مِن كلام الله، لكنهما فى الواقع مِن كلام الشيطان. وهذا طبعاً يتعارض مع عقيدة "عصمة الأنبياء" ويفتح الباب للتشكيك فى آيات أخرى مِن القرآن، بل يفتح الباب للشك فى عملية "الوحي" برمتها، وقد يؤدى فى النهاية إلى استنتاج أن القرآن كله كلام الشيطان.

وبما أن نظرية "الوحي" هي أكبر موروث ديني/شعبي في المجتمعات العربية والإسلامية وهي مصدر رزق شيوخ الإسلام وأكل عيش الدعاة المسلمين، فكان مِن الطبيعى أن يرفض كثير مِن المسلمين اليوم قصةَ الغرانيق، وحجتهم الأساسية أنها غير مذكورة فى القرآن ولا في السُّنَّة "الصحيحة" وأنها تتعارض مع الإسلام؛ بل زعموا أنها تتعارض مع العقل، فقالوا إنها باطلة سنداً ومتناً وعقلاً[1341]! وزعم د. محمد حسين الذهبي أن قصة الغرانيق "دسيسة دسَّها على الإسلام أعداؤه من اليهود أو غيرهم" وأنها "لم تثبت من طريق صحيح، وأنها مِن وضع الزنادقة"[1342]. يعني باختصار: لجأوا إلى الحيلة الدفاعية الشهيرة التي ملخصها: أي قصة

مش عاجباك ومش موجودة في المصحف ولا في البخاري ومسلم وغيرهما مِن الكتب "الصحيحة"، انكر هذه القصة فوراً وقل عنها "إسرائيليات" أو "موضوعات".

بل قامت وزارة الأوقاف المصرية بإصدار كتاب تأليف "نخبة من العلماء"، ويقول هذا الكتاب واسع الانتشار: "مَن جوّز تعظيم الرسول للأصنام فقد كفر"[1343]! مما يعني أن "العالِم" صاحب هذا الرأي يُكفِّر مَن يُصدِّق ويؤيد قصة الغرانيق! ونتمنى أن يكون هذا الرأي لا يعبر عن الموقف الرسمي لوزارة الأوقاف المصرية.

ونحن نقول لصاحب هذا الرأي: إن قصة الغرانيق مذكورة فى كثير من الكتب الإسلامية، وبخاصة المراجع التراثية القديمة؛ وهى كلها كُتب كَتبها علماء مسلمون كبار لهم وزنهم وثقلهم عند المسلمين (مثل: الواحدى النيسابورى والطبرى والزمخشرى والجلالين وغيرهم)[1344]، فما هى مصلحة كل هؤلاء العلماء المسلمين الكبار فى ذيوع قصة غير حقيقية؟ وهل ستُكفِّر الطبرى والواحدى النيسابورى وغيرهما؟! إن لجوء بعض "العلماء" المسلمين إلى تكفير مَن يُصدِّق قصةَ الغرانيق يؤكد أن المشكلة في الدول الإسلامية ليست فقط في وجود التكفير، وإنما أيضاً في حجمه وانتشاره حتى تسلل إلى بعض المؤسسات الدينية الرسمية!

وكما قلنا فيما سبق، مِن الواضح أن "عصمة الأنبياء" هى مجرد بدعة متأخرة، ولذلك فإن كثير مِن المفسرين المسلمين القدامى لم يكن لديهم مشكلة كبيرة فى الاعتراف بأخطاء الأنبياء والرسل، حتى وإن تعلقت هذه الأخطاء بالوحي. ونستطيع أن نستنتج الطريقة التى كان المفسرون المسلمون القدامى يفكرون بها: بما أن العناية الإلهية تتدخل سريعاً لتصحيح هذه الأخطاء التى يقع فيها الأنبياء والرسل بسبب الشيطان، فلا خطر على الدين من هذه الأخطاء النبوية والآيات الشيطانية، خاصة أن النبى يتراجع فوراً عن خطئه ولا يصر عليه؛ وهذا ما فعله محمدٌ فى قصة الغرانيق. ونحن نتمنى أن يكون للمفسرين المعاصرين نفس الشجاعة والجرأة التى تحلى بها المفسرون القدامى.

أما كَوْن هذه القصة غير مذكورة فى السنَّة الصحيحة، فهذه ليست مشكلتنا، وإنما مشكلة رواة الأحاديث (البخارى ومسلم وغيرهما) الذين نقلوا لنا أحاديث معظمها مدني، مع أن القرآن معظمه مكي ومع أن الفترة المكية أطول مِن الفترة المدنية! بعبارة أخرى: عدم ذِكر القصة فى السنَّة الصحيحة لا يعنى أنها لم تحدث. أو كما نقول دائماً: نفي ثبوت الأمر بسند صحيح لا يعني نفي وقوعه تاريخياً، بل يعني عدم ثبوته فقط. فَربما تكون قصةُ الغرانيق واحدةً مِن الروايات المكية المبكرة التى سقطت سهواً أو حُذِفَت عمداً بسبب الطريقة الإنتقائية وغير العلمية التى عمل بها رواة الأحاديث.

ثم إن البخارى ومسلم وغيرهما قد ذكروا بعض عناصر قصة الغرانيق. مثلاً:

- يقول حديث صحيح رواه البخاري إن ابن عباس قال: "سجد النبى ﷺ بالنجم (أى: سورة النجم) وسجد معه المسلمون والمُشْركون والجن والإنس[1345]". [سؤال: لماذا سجد المُشْركون مع محمد والمسلمين؟ نجد السبب المقنع فى قصة الغرانيق.]
- ويقول حديث صحيح رواه البخاري ومسلم إن عبد الله بن مسعود قال: "أول سورة أُنزلت فيها سجدة "وَالنَّجْمِ" قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد مَن خلفه إلا رجلاً (وفى رواية أخرى: شيخاً) رأيته أخذ كفاً مِن ترابٍ فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قُتِل كافراً وهو أُمَيَّةُ بن خَلَف[1346]". [وهو نفس ما جاء فى قصة الغرانيق، وَإِنْ اختلف اسمُ الشيخ الكافر الذى لم يستطع السجود لكبر سنه، فأخذ حفنةً مِن تراب الأرض ورفعها إلى جبهته وسجد عليها مع محمد والمسلمين. فلماذا سجد هذا الكافر (أُمَيَّةُ بن خَلَف أو غيره) مع محمد والمسلمين؟ نجد السبب المقنع فى قصة الغرانيق.]

أما مسألة أن قصة الغرانيق تتعارض مع الإسلام، فنحن نعلم جيداً أن الإسلام ديانة مليئة بالتناقضات. ولقد أعطينا فى هذه المذكرات أمثلة كثيرة مِن الشىء وعكسه فى الإسلام بصفة عامة، وفى القرآن بصفة خاصة. ولذلك اخترع المسلمون ما يُسمَّى بـ "الناسخ والمنسوخ" حتى يجدوا لأنفسهم مخرجاً من مأزق الاختلافات والتناقضات، فنجحوا أحياناً وفشلوا كثيراً. بل إن (الحج 52) نفسها تذكر هذا النسخ: "فَيَنْسَخُ (أى: يُزيل؛ يُبطِل) اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ (أى: يثبت) اللَّهُ آيَاتِهِ".

باختصار: صحيح أن قصة الغرانيق غير مذكورة فى القرآن ولا فى السُنَّة الصحيحة، لكن توجد آية قرآنية (الحج 52) (مكية) وأحاديث صحيحة (البخارى 4581-4582) (مسلم 576) تُقوِّى احتمالَ حدوثها، خاصة أنها حدثت في مرحلة مبكرة جداً، وكان محمدٌ حينئذٍ لا يزال قليل الخبرة، ومِن الوارد أن يرتكب هذا الخطأ ويقع فى هذا الفخ الشيطانى. فَمِن الممكن – بل مِن شبه المؤكد – أن تكون قصة الغرانيق قد حدثت بالفعل، ثم بعد ذلك اجتمع أصحابُ القرآن مع محمد وأرادوا أن يُسلّوه ويخففوا عنه حزنه، ثم صوَّبوا خطأه فأزالوا ما أدخله الشيطانُ فى القرآن ووضعوا آيات قرآنية أخرى تُسفِّه عبادة الأصنام وتنكر شفاعتها.

وعلى أى حال، نحن أمام احتمالين:

- الاحتمال الأول: قصة الغرانيق قصة حقيقية حدثت فعلاً. وهذا يؤكد أن محمد لم يكن معصوماً فى "الوحى"، ويدل على أن الشيطان يمكن أن يُؤلِّف مثل القرآن.
- الاحتمال الثانى: قصة الغرانيق قصة غير حقيقية ولم تحدث، وإنما هى مِن تأليف شخصٍ مجهول، سنُسمّيه "S". S هو الذي ألف "تِلك الغَرانيقُ العُلَى. وإنَّ شَفاعَتَهُنَّ لتُرْتَجَى". وفى هذه الحالة يصبح لدينا كلام بشرى مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذى وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو

سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وطبقاً لِمَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين". وربما يكون الشيطان هو أيضاً الذى أوحى إلى "S" أن يُؤلّف قصة الغرانيق.

إذن: قصة الغرانيق – بغض النظر عن صحتها – تثبت أن الشيطان (أو غيره) يمكن أن يُؤلِّف مثل القرآن. مما يؤكد أن القرآن ليس كلام الله.

رابعاً: توجد في التراث الإسلامي قصص أخرى مشابهة تقول إن المشركين كانوا يطلبون من محمد مطالب تتعارض مع تعاليم الإسلام، وَهَمَّ محمدٌ بالاستجابة إلى مطالبهم. لكن الله تدخل (ونحن نقول: أصحاب القرآن تدخلوا)، فتراجع محمدٌ قبل أن ينفذ تلك المطالب.

وتُذكَر تلك القصص الأخرى عادةً في تفاسير وأسباب نزول "وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ (أي: ولقد قارب المشركون أن يصرفوك، ينحرفوا بك) [يا محمد] عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا (أي: لو فعلتَ ما أرادوه) لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا. وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ [لَمِلْتَ إليهم] لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ (أي: لقد قاربْتَ أن تميل) إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا. إِذًا (أي: لو مِلْتَ إلى هؤلاء المشركين) لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ (أي: ضِعْفَ عذاب الدنيا) وَضِعْفَ الْمَمَاتِ (أي: ضِعْفَ عذاب الآخرة) ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا" (الإسراء 73-75)[1347].

وتقول مراجع إسلامية كثيرة إن (الإسراء 73-75) مدنية. وقيل: مكية.

ومِن أشهر تلك القصص الأخرى التي قيلت في تفاسير وأسباب نزول (الإسراء 73-75) قصة وفد ثقيف، وهي قصة مدنية حدثت بعد الهجرة بسنين. وثقيف قبيلة عربية كبيرة ومهمة تسكن الطائف.

قال الواحدي النيسابوري: "نزلت الآية في وفد ثقيف، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: متِّعنا باللات سنةً (أي: اترك لنا صنمنا اللات ولا تكسره لمدة سنة)، وحرّمْ وادينا كما حرَّمت مكة، فإنَّا نحبُّ أن تعرف العربُ فضلنا عليهم (يقصدون: لأنك أعطيتنا خِصالاً ومزايا لم تعطها لأحدٍ من العرب). فإنْ كرهت ما نقول وخشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل: الله أمرني بذلك. وأقبلوا يلحُّون على النبيّ ﷺ، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم، وداخلهم الطمع، وقد هَمَّ أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله هذه الآية. وكان في إعطائهم ما سألوا مخالفة لحكم القرآن"[1348]. يقصد أنه إذا قال محمدٌ "الله أمرني بذلك" سيكون ذلك افتراء واختلاق على الله.

وقال المفكر الإسلامي الكبير محمد فريد وجدي: "نزلت هاتان الآيتان [على محمد] لما طلبت إليه بنو ثقيف أن يميزها عن سائر العرب بخصال لتسلم، فكاد رسول الله أن يجاريها بعض المجاراة، فنزلتا بلومه وتهديده"[1349].

ونعرف من تفاسير وأسباب نزول (الإسراء 73-75) أن وفد ثقيف حاول أن يتفاوض مع محمد فقالوا له: لا ندخل في الإسلام حتى تُعطينا خِصالاً نفتخر بها على العرب، فلا يكون علينا زكاةٌ ولا جهادٌ ولا صلاةٌ؛ وإن سألتكَ العربُ: يا محمد، لِم فعلت ذلك؟ فقل لهم: إنَّ الله أمرني. فَعزم محمدٌ على موافقتهم، لرغبته في دخولهم الإسلام. لكنه تراجع قبل أن ينفذ ما أرادوه.

فلقد أخرج أحمد وأبو داود وغيرهما حديثاً عَنِ الْحَسَنِ [البصري] عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ (وهو ثقفي وكان في وفد ثقيف) أَنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَهُمْ الْمَسْجِدَ لِيَكُونَ أَرَقَّ لِقُلُوبِهِمْ، فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَا يُحْشَرُوا (أي: لا يجاهدوا) وَلَا يُعْشَرُوا (أي: لا يدفعوا الزكاة) وَلَا يُجَبُّوا (أي: لا يصلوا) وَلَا يُسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ (أي: لا يحكمهم شخصٌ مِن قبيلة أخرى). فَقَالَ [محمدٌ لهم]: "إِنَّ لَكُمْ أَنْ لَا تُحْشَرُوا وَلَا تُعْشَرُوا وَلَا يُسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ غَيْرُكُمْ". وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا رُكُوعَ فِيهِ"[1350]. يعني: وافقهم محمدٌ على كل مطالبهم إلا تَرْك الصلاة. ونفهم من حديث آخر أن محمد تراجع بَعْدَ ذَلِكَ، فلقد سَمِعَ واحدٌ من الصحابة "النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: "سَيَتَصَدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا""[1351].

وكالعادة، توجد روايات أخرى لقصة وفد ثقيف[1352]. قيل إن وفد ثقيف طلبوا من محمد ألا يكسر أصنامَهم لمدة سنة، فسكت محمدٌ وأعرض عنهم، فكرروا طلبهم، فعرق محمدٌ وتوضأ، فتدخل عمر بن الخطاب وسَلَّ سَيْفَهُ ورفض طلبهم وقال لهم إنَّ "الله عز وجل لا يدع الشرك في أرضٍ يُعبد اللهُ تعالى فيها، فإما أن تسلموا كما يسلم الناس وإما أن تلحقوا بأرضكم"، فعادوا وطلبوا من محمد ألا يكسروا أصنامَهم بأيديهم، فوافقهم محمدٌ وأرسل أبا سفيان ليكسر أصنامهم. ونعرف من تفسير مقاتل أن (الإسراء 73-75) نزلت بعد الجملة التي قالها عمر[1353]. وبالنسبة لنا، هذا يعني أنه مِن المحتمل جداً أن يكون عمر هو صاحب (الإسراء 73-75). وربما خاف محمدٌ أن يوافق أمام عمر على عدم تكسير الأصنام ولذلك سكت. اقرأ الآيات الثلاث مرة أخرى وستجد أن هذا الاحتمال قائم، وبخاصة "وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ [يا محمد بالسكوت لَمِلْتَ إلى المعصية] لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ (أي: لقد هممت سويعة أن تميل) إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا" (الإسراء 74).

وكالعادة أيضاً، يوجد مَن ينكر هذه الروايات ويزعم أن محمد ما هَمَّ بموافقتهم، فلم يركن (أي: ما مال إليهم) ولم يكد أن يركن (أي: ما كاد يميل)! <u>تعليقنا:</u> فلماذا إذن نزلت هذه الآيات القرآنية الثلاث (الإسراء 73-75)؟! وسنترك ابن عطية يرد عليهم. قال ابنُ عطية: "ورسول الله ﷺ لم يركن (أي: ما مال إليهم)، ولكنه كاد [يركن] بحسب همِّه بموافقتهم طمعاً منه في استئلافهم، [...]. وهذا الهمُّ من النبي ﷺ إنما كان خَطْرَةً (أي: حديث خطرات للاستجابة حدَّثته به نفسه) مما لا يمكن دفعه، [...]، وهذا الهمُّ هو كهَمِّ يوسف عليه السلام، والقول فيهما واحد"[1354]. يقصد أن ما حدث لمحمد هو كما حدث ليوسف: عزم على فعل الشيء ولم يفعله. "وَلَقَدْ هَمَّتْ [امْرَأَةُ الْعَزِيزِ] بِهِ وَهَمَّ [يُوسُفُ] بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24).

وقال الشيخ محمد أبو زهرة: "ومعاذ الله أن يستجيب خاتم النبيين [لمطالبهم]، ولكن رغبة النبي ﷺ في أن يجذبهم إلى الإسلام ربما كانت سبباً في أن يقارب بما دون الاستجابة، ولذا قال تعالى: "وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ

لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا" (لولا) يقول علماء اللغة أن (لولا) حرف امتناع لوجود، أي امتناع الجواب لوجود، أي امتنع أن تركن إليهم لوجود التثبيت، [...]. ويقول: "لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا" أكد سبحانه أنه (أي: محمد) كاد يميل إليهم، وكان التأكيد باللام وبقد، ولكنه وصف الكيدودة بأنها شيء قليل لم تَمِلْ معه النفس، وكان تأكيد الميل لقوة الإغراء وقوة ما يحاولون أن يميل قلب النبي ﷺ"[1355].

السؤال المهم: هل توجد علاقة بين قصة الغرانيق و (الإسراء 73-75)؟ فلقد لاحظنا أن قصة الغرانيق تُذكَر أحياناً في تفسير وأسباب نزول (الإسراء 73-75)، مع أن قصة الغرانيق مكية. ولا مانع أن تكون الآيات مدنية وتعلق على حادثة حدثت في الفترة المكية. قال د. محمد عابد الجابري إن المفسرين "ذكروا في هذا الشأن أشياء كثيرة مختلفة الزمان والمكان، والمقصود أن قريشاً ساومت الرسول ﷺ بشيء ما ليتسامح مع آلهتهم، حتى يؤمنوا، وأن النبي ربما سولت له نفسه قبول الصفقة، ثم عدل [عن] ذلك. ومِن جملة ما ذكروا أن وفد ثقيف أتوا رسول الله ﷺ وقالوا [...]"[1356]. ثم ذكر قصة وفد ثقيف التي ذكرناها.

أما نحن فنرى أن الفرق بين قصة وفد ثقيف وقصة الغرانيق هو أن محمد في قصة الغرانيق نفذ مطالب المشركين فعلاً ومدح أصنامهم فعلاً واعترف بشفاعتها فعلاً، ثم تراجع بعد أن فعل الخطيئة.

أي: ما حدث في (الإسراء 73-75) كان مجرد فكرة خطرت على بال محمد أو وسوسة مِن وساوس نفسه، ويُروى أن محمد دعا بعدها قائلاً: "اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ"[1357]؛ أو لعلها كانت موافقة مؤقتة على مطالب وفد ثقيف، وكأنه أراد أن يقول لهم: سنعفيكم من الزكاة والجهاد الآن لكنكم ستؤدون الزكاة وتجاهدون معنا بعد ذلك؛ أو لعله كان إعراضاً أو سكوتاً من أجل التفكير في مطالب وفد ثقيف أو من أجل إعطاء فرصة للصحابة لكي يقولوا رأيهم في المسألة.

أما ما حدث في قصة الغرانيق، فكان جملة بل جملتين "تِلك الغَرانيقُ العُلَى. وإنَّ شَفاعَتَهُنَّ لتُرْتَجَى" قالها محمدٌ بلسانه وسمعها المشركون بآذانهم وفرحوا بها بدليل أنهم سجدوا مع المسلمين. فلا يمكن أن تكون مجرد فكرة أو وسوسة أو موافقة مؤقتة على شفاعة الأصنام. وإنما كانت موجات صوتية حقيقية (physical sound waves) قالها محمدٌ ليمدح الأصنام ويقر بشفاعتها.

وإنما ذكرنا قصة وفد ثقيف لأنها تدل على أن محمد كان أحياناً يخطئ في أمور دينية وعقائدية مهمة (مثلاً: الزكاة والجهاد) أو يكاد أن يخطئ، مما يدل على أنه ليس معصوماً. فيتدخل أصحابُ القرآن (مثلاً: عمر أو غيره) ليوجهوا محمداً في الاتجاه الذي يرونه صحيحاً. بل ويلومون محمداً ويهددونه بضِعْف عذاب الدنيا وَضِعْف عذاب الآخرة (الإسراء 75). فيتراجع محمدٌ عن الخطيئة التي هَمَّ بفعلها.

وكما قلنا، توجد قصص أخرى مشابهة لقصة الغرانيق وقصة وفد ثقيف، لكن لم نذكرها حرصاً على عدم الإطالة. انظر كتب التفسير وأسباب النزول.

2.3.3 الخلاصة

الأنبياء والرسل بشرٌ مثلنا ...

الأنبياء والرسل بشرٌ مثلنا ... يصيبون ويخطئون (fallible human beings) ...

الأنبياء والرسل بشرٌ مثلنا ... بهم فضائل وبهم أيضاً نواقص ...

الأنبياء والرسل بشرٌ مثلنا ... بهم مزايا وبهم أيضاً عيوب ...

الأنبياء والرسل بشرٌ مثلنا ... لهم آراء ... ولهم وجهات نظر ... ولهم تحيزات ... ولهم أهواء.

الأنبياء والرسل بشرٌ مثلنا ... لا يُميّزهم عنا أي شيء. لا يوجد أى شيء يُميّزهم عنا.

الأنبياء والرسل ليسوا معصومين.

الأنبياء والرسل ليسوا قدوة ولا أسوة ولا مَثل أعلى.

الأنبياء والرسل ليسوا ملائكة ولا شياطين. وإنما هُمْ مجرد بشر مِن لحم ودم مثلنا.

محمد مثل عمر. وعمر مثل محمد. كلاهما بشر مِن لحم ودم مثلنا.

إن التخلص مِن بدعة "عصمة الأنبياء" خطوة هامة جداً فى حربنا الفكرية ضد الإرهاب الإسلامى. ومِن حُسن حظنا جميعاً أن "عصمة الأنبياء" لا وجود لها فى اليهودية ولا وجود لها فى المسيحية ولا وجود لها صراحةً فى القرآن، وإنما "عصمة الأنبياء" (infallibility of prophets) مجرد بدعة متأخرة اخترعها مسلمون بعد القرآن (post-Quranic dogma) في القرن الثاني والثالث الهجريين (القرن الثامن والتاسع الميلاديين)[1358]. ولا يهم إن كانوا ابتدعوها بحُسن نية أو بسوء نية. المهم أن بدعة "عصمة الأنبياء" تضرنا اليوم، ولذلك يجب التخلص منها إذا كنا جادين فى مواجهة الإرهاب الإسلامى.

2.4 مِن القرآن إلى المصحف: تاريخ تطور نَص القرآن يهدم أسطورة "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

كما كان تأليف القرآن عملاً جماعياً اشترك فيه محمدٌ مع غيره مِن أصحاب القرآن، كذلك كان جَمْع القرآن فى "مصحف" عملاً جماعياً أيضاً اشترك فيه الخلفاءُ (السلطة السياسية الحاكمة) وأقاربُهم وأتباعُهم المؤيدون لهم. أما محمد فلم يشترك فى عملية جَمْع القرآن وإنتاج المصحف، لأنه ببساطة كان قد مات. أو كما تقول المراجع الإسلامية: قُبِضَ النَّبِيُّ وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِعَ فِي شَيْءٍ ...

2.4.1 قرآن محمد: قرآن مُبَعْثَر متفرق متناثر غير مجموع فى صُحُف ولا مُصحَف!

قرآن محمد هو كل القرآن الذى زعم محمدٌ أنه أُنزل عليه منذ أن ادعى النبوة (610م) حتى وفاته (632م). وهذا القرآن يمكن أن نُسميه "القرآن الأصلي" (The Original Koran) أو "قرآن ما قبل المصحف" (pre-canonical). أو إذا أردنا أن نستخدم تعبيرات إسلامية فسنقول "الْقُرْآن الغَضّ" (أى: الطرىّ الذى لم يتغير) (Le Coran tout frais) أو "القرآن الرَطْب" (The Koran in its first form). أو اختصاراً وللسهولة سنقول: القرآن.

يقول التقليد الإسلامى إن هذا القرآن لم ينزل دفعة واحدة، وإنما نزل مُفَرَّقاً مُنَجَّماً (piecemeal): "وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ (أى: نَزَّلْنَاهُ مُفَرَّقًا) لِتَقْرَأَهُ (أى: لتتلوه) عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ (أى: على مَهْل وَتُؤَدَة) وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (أى: شَيْئًا بَعْد شَيْء عَلَى حَسَب الْمَصَالِح ومقتضيات الأحوال)" (الإسراء 106). والقرآن نفسه يرفض أن ينزل دفعة واحدة: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ (نَزَّلْنَاهُ مُتَفَرِّقًا) لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (أى: شَيْئًا بَعْد شَيْء بِتَمَهُّلٍ وَتُؤَدَة)" (الفرقان 32).

والمسلمون مجمعون على أن هذا القرآن نزل وحياً شفوياً ملفوظاً يُسمَع بالأذن وليس وحياً مكتوباً يُرَى بالعين: "إِنَّهُ (أى: القرآن) لَقَوْلُ (أى: تلاوة) رَسُولٍ كَرِيمٍ (هو جبريل)" (الحاقة 40) (التكوير 19). والقرآن نفسه يرفض أن ينزل وحياً مكتوباً: "وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ (أى: فى ورق أو نحوه) فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ" (الأنعام 7).

ويعتقد المسلمون أن هذا القرآن قد نزل شفوياً مِن اللوح المحفوظ (The Preserved Tablet) – أى: من الله – إلى محمد بواسطة الملاك جبريل تدريجياً حسب الحوادث وأسباب النزول (the occasions of the revelation) فى مدى نحو 23 سنة (610 – 632م) هى حياة محمد بعد "البعثة": 13 سنة فى مكة و 10 سنين فى المدينة (يثرب). ويعتقد المسلمون أن هذا الوحى كان "وحياً حرفياً" (literal revelation)، أى أن جبريل كان ينقل الكلامَ مِن الله إلى محمد حرفياً (verbatim) (dicté mot à mot) بدون أى تدخل مِن الملاك جبريل ولا مِن الإنسان محمد ولا مِن غيرهما!

طوال حياة محمد، كانت الآيات القرآنية المتفرقة إما تُحفَظ فى صدور الصحابة الذين يُسمون "حَفَظَة القرآن" (أو: "القُرَّاء) مِن المهاجرين والأنصار، أو تُكتَب على جلود الماشية وعظام الإبل وجريد النخل عند عدد قليل مِن الصحابة الذين يجيدون القراءة والكتابة ــ الذين يُطلَق عليهم "كَتَبَة الوحى" (أو: "كُتَّاب الوحى") وعددهم حوالى أربعون مِن المهاجرين والأنصار. على سبيل المثال، يقول حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما إن محمداً قال: "خُذُوا الْقُرْآنَ (أو: اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ) مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - فَبَدَأَ بِهِ - وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ"؛ وإنْ اختلف ترتيبهم مِن رواية لأخرى[1359]. وابن مسعود وسالم مِن المهاجرين، أما مُعاذ وَأُبَيّ فَمِن الأنصار. والأربعة كلهم غير قرشيين.

ولعبد الله بن مسعود وَأُبَيّ بْن كَعْب بالذات مكانة عالية وسط الصحابة، إذ يقول حديث صحيح أخرجه ابن ماجه إن أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ بَشَّرَا عبدَ الله بن مسعود "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ (يعنى: عبد الله بن مسعود)"[1360]. والقرآن الغَضّ هو الطرىّ الذى لم يتغير، بدليل قوله بعدها "كَمَا أُنْزِلَ" (comme il a été révélé)، والمقصود: طريقة ابن مسعود فى القراءة وهيأته فيها. وفي مسند أحمد أن محمداً قد قال: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ"[1361]. وأخرج أحمد في مسنده أن أُبَيّ بْن كَعْب قَالَ لِعُمَرَ بن الخطاب: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي تَلَقَّيْتُ الْقُرْآنَ مِمَّنْ تَلَقَّاهُ (أو: مِمَّنْ يَتَلَقَّاهُ) مِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ رَطْبٌ"[1362]. وفي المستدرك للحاكم أن أُبَيّ بْن كَعْب قَالَ لِعُمَرَ بن الخطاب: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي تَلَقَّيْتُ الْقُرْآنَ مِنْ تلقاء جِبْرِيلَ وَهُوَ رَطْبٌ"[1363]. ولعل هذا "القرآن الرَطْب" أو "القرآن الغَضّ" الذى كان عند الصحابيين الكبيرين المهاجر عبد الله بن مسعود والأنصاري أُبَيّ بْن كَعْب هو نفسه "القرآن الأصلى" الذى لا يزال العلماءُ يبحثون عنه إلى اليوم. أو على الأقل: هذا القرآن الرَطْب الغَضّ سيساعدنا فى الوصول إلى القرآن الأصلى (إنْ كان هناك قرآن واحد أصلى).

ومِن عجائب الدنيا الإسلامية ــ بل: مِن عجائب كتب التراث الإسلامي ــ أن يزعم محمدٌ أن القرآن "نزل" عليه، ثم بعد ذلك يأمرنا أن نأخذ القرآنَ مِن أربعة غيره! ولماذا لا نأخذه مِن محمد مباشرةً؟! ولماذا أربعة بالذات؟ هل أراد محمدٌ أن يتشبه بالمسيح الذي كَتَبَ تلاميذُه أربعة أناجيل؟!

السؤال المهم هو: لماذا لا يترك محمدٌ نسخة أصلية كاملة للقرآن تظل معنا إلى اليوم؟!

طوال حياة محمد، لم يتم جَمْع القرآن مكتوباً كاملاً في مصحف عام جامع واحد موحّد. وإذا سألت المسلمين لماذا لم يُجْمَع القرآنُ كاملاً في مصحف في حياة محمد؟ فسيتحججوا بحجج كثيرة، أهمها طبيعة "النزول" المُنجّم المُفَرَّق وأيضاً أطروحة "النسخ" (abrogation)[1364]، فلا يُعقَل أن يُكتَب القرآن كله في كتاب وهو لا يزال فى مرحلة التكوين والنمو والتطور سواء بالإضافة (الزيادة؛ وحي جديد) أو الحذف (النقصان؛ إلغاء تلاوة وحي قديم). أما نحن فنرى أنه لو كان القرآن كلام الله فعلاً كما يزعم المسلمون، لكان مِن الأفضل أن يتوقف "الوحي" تماماً قبل وفاة محمد بفترة كافية ــ سنتين مثلاً ــ ثم يعكف محمدٌ على إعداد مصحف أصلي كامل ونهائي للقرآن، ثم يحافظ اللهُ على هذا المصحف إلى الأبد. لكن للأسف هذا لم يحدث، مما يجعلنا نشك في كون القرآن كلام الله.

توجد فى المراجع الإسلامية أساطير تقول إن محمد رَاجَع القرآن مع جبريل فى "الْعَرْضَة الْأَخِيرَة" قبل موته، وإن الصحابة كانوا يراجعون القرآنَ مع محمد الذى كان يقول لهم ضعوا سورة كذا فى موضع كذا. وهى كلها أساطير (legends; myths) وحكايات (anecdotes) لا تستند إلى أي دليل علمي ولا حتى دليل قرآني.

لو كانت "الْعَرْضَة الْأَخِيرَة" قصة حقيقية، فلماذا لم يَجمع محمدٌ القرآنَ بعدها مباشرة؟!

لو كانت "الْعَرْضَة الْأَخِيرَة" قصة حقيقية، فأين المنتج النهائي الذي أنتجته هذه "الْعَرْضَة" المزعومة؟!

إن "الْعَرْضَة الْأَخِيرَة" إذن هي مجرد حكاية أو أسطورة بدون منتج نهائي ملموس.

وخير دليل على أن "الْعَرْضَة الْأَخِيرَة" مجرد أسطورة هو أنها مذكورة في صحيحي البخاري ومسلم على أنها "سِرّ" أَسَرَّه محمدٌ إلى ابنته فاطمة! وظلت فاطمة تكتم هذا السر المزعوم حتى وفاة محمد! ولم تقل فاطمةُ هذا السر إلا بعد أن سألتها عائشة! "قَالَتْ (فاطمة لعائشة): مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ. فَسَأَلْتُهَا (أى: فسألت عائشةُ فاطمةَ عن هذا السر). فَقَالَتْ (فاطمة): أَسَرَّ إِلَيَّ: "إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً (قيل: فى شهر رمضان!)، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي (أى: قرب موتى)"[1365]! إذن: ما تُسمَّى بـ "الْعَرْضَة الْأَخِيرَة" ليست قصة حقيقية، وإنما هى مجرد حكاية أَلّفتها فاطمة – أو على الأرجح: نُسِبَت إلى فاطمة – بعد وفاة محمد. س: لماذا اختاروا فاطمةً بالذات لينسبوا إليها هذه القصة؟ ج: ربما لأنها ماتت مبكراً جداً (11هـ)، بعد وفاة محمد مباشرة (قيل: بعد وفاة محمد بثلاثة أشهر، وقيل: بستة أشهر)، فلم تكن فاطمة حية لتُكذِّب هذه القصة. وربما لإقناع الشيعة بأن القرآن الذي مع السنة هو القرآن الصحيح الذي أقره جبريل ومحمد.

أما حكاية أن محمد كان يرشد كُتَّاب الوحي أن يضعوا آية كذا في مكان كذا من سورة كذا، فهي أيضاً أسطورة بلا دليل علمى ولا حتى دليل قرآنى. وتم تأليف هذه الأسطورة وكذلك أسطورة "الْعَرْضَة الْأَخِيرَة" بعد وفاة محمد بعشرات السنين – بل مئات السنين[1366]. والأهم مِن ذلك أنه تم تأليف هذه الأساطير بعد إنتاج المصحف فى عهد عثمان بن عفان. والهدف طبعاً واضح، وهو إعطاء شرعية وقداسة لهذا "المصحف العثمانى" المزعوم، بل إعطاء شرعية وقداسة للقرآن نفسه، وتقديمهما (أى: تقديم مصحف عثمان وقرآن محمد) كما لو كانا نسخة طبق الأصل (authentic photocopy) مِن اللوح المحفوظ عند الله منذ الأزل.

وحتى لو افترضنا جدلاً صحة هذه الأساطير الإسلامية، فإنها لا تنفى الحقيقة وهى: طوال حياة محمد، ظل القرآن مُبَعْثَراً متفرقاً متناثراً (scattered) ولم يُجمَع القرآنُ مكتوباً كاملاً فى مصحف عام جامع واحد موحّد. ولا يوجد حديث صحيح مرفوع يذكر أن القرآن جُمِع مكتوباً كاملاً فى مصحف عام جامع واحد موحّد فى حياة محمد.

فظل الحِفظ – وليس الكتابة – هو الوسيلة الأساسية طوال حياة محمد. وإنْ احتفظ عدد قليل جداً من الصحابة – مثل المهاجر عبد الله بن مسعود والأنصارى أُبىّ بن كعب – بصفة شخصية بتجميع خاص (corpus; private collection) (collection privée)، أى أن هذا النَّزْر اليسير من الصحابة كانوا

يكتبون القرآن لأنفسهم. وهذا التجميع الخاص بكل واحد مِنهم صار يُعرَف فيما بعد باسم "مصحف فلان". ومِن المؤكد أنه كانت توجد اختلافات بين أحجام هذه المصاحف (التجميعات) الفردية وترتيبها ومحتواها، وذلك لأنه مِن المستحيل عملياً أن يكون كل الصحابة حاضرين جميعهم لحظة "نزول" كل آية على محمد. ولا نستطيع أن نتصور أنهم كانوا ينقلون شفوياً إلى بعضهم كل سورة وكل آية وكل كلمة وكل حرف وكل نقطة بكل دقة. وإلا فلماذا ظهرت الاختلافات بين مصاحفهم بعد ذلك؟ كما سنرى بعد قليل.

ومن الجدير بالذكر أن كلمة "مصحف" مشتقة مِن كلمة "mas'haf" وهى كلمة حبشية (أثيوبية) تعنى "كتاب" (livre)[1367].

أما كلمة "كتاب" المذكورة أحياناً فى القرآن لتشير إلى القرآن نفسه، فلا تعنى "مصحف" ولا تعنى حتى "كتاب" مكتوب (مُجلَّد) (book; one volume) بالمعنى المتعارف عليه حالياً، وإنما تعنى أن هذا القرآن "كتاب" سماوى (celestial) "أنزله الله" مثل الكتب السماوية السابقة (التوراة والإنجيل)[1368]. ولذلك نجد هذه الكلمة فى مواضع كثيرة جداً تقترن بـ "التنزيل" مِن عند الله، مثل: "وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ (أى: مُصَدِّقُ الَّذِي قَبْله؛ قيل: مِنْ الْكُتُب السماوية)" (الأنعام 92)؛ "وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ [...]. أَنْ (أى: لئلا) تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ (أى: اليهود والمسيحيين) مِنْ قَبْلِنَا" (الأنعام 155-156)؛ "إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" (الأحقاف 30)؛ "جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ" (البقرة 89)؛ "وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" (فاطر 31)؛ "تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (السجدة 2)؛ "تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ" (الزمر 1) (غافر 2) (الجاثية 2) (الأحقاف 2)؛ "كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ (يا محمد)" (الأعراف 2)؛ "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ" (إبراهيم 1) (ص 29)؛ "تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ" (الرعد 1)؛ "وَكَذَلِكَ (أى: كما أنزلنا الكتب السماوية السابقة) أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ" (العنكبوت 47)؛ "أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ" (النساء 105) (المائدة 48) (الزمر 2)؛ "أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ" (النحل 64) (العنكبوت 51) (الزمر 41)؛ "نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ" (النحل 89)؛ "إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ" (الأعراف 196)؛ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ" (الكهف 1)؛ "اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ" (الشورى 17)؛ "وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ" (القصص 86) وآيات أخرى. ونلاحظ أن كثير مِن الجمل السابقة جاءت فى الآيات الأولى مِن السور (preambles; incipits)، مثل: (إبراهيم 1) (الرعد 1) (الكهف 1) (الزمر 1-2) (غافر 2) (الجاثية 2) (الأحقاف 2) (الأعراف 2). حتى (الأنعام 92) قيل إنها تبدأ سورة جديدة[1369].

إذن: كلمة "كتاب" التى تشير إلى القرآن لا تعنى إطلاقاً أن القرآن جُمِعَ فى كتاب فى حياة محمد.

- "الكتاب" هو القرآن الشفوى المُنزَّل مِن اللوح المحفوظ إلى محمد بواسطة جبريل فى مدى نحو 23 سنة (610 – 632م)، بدليل قوله "سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ" (الأحقاف 30)، ولم يقل "قرأنا كِتَابًا كُتِبَ". وأحياناً يستخدم القرآنُ كلمة "كتاب" أو "أم الكتاب" للإشارة إلى اللوح المحفوظ نفسه.
- أما "المصحف" فهو القرآن المكتوب المُجمَّع الذى لم يكن له وجود أبداً قبل وفاة محمد.

ولذلك فإن كلمة "مصحف" لم ترد أبداً فى القرآن. لماذا؟ لأن القرآن لم يُجمَع مكتوباً فى كتاب فى حياة محمد. القرآن تحدث عن "صُحُف" اللوح المحفوظ المُكَرَّمَة المرفوعة المُطَهَّرَة (عبس 13-16)، و "الصُّحُف" (المدثر 52) التى أراد الكفارُ أن يُنزلها اللهُ مِن السماء على كل واحدٍ مِنهم (قيل ذلك لمحمد على سبيل التعجيز)، كما تحدث القرآنُ أيضاً عن "الصُّحُف الْأُولَى" (أى: الكتب السابقة)" (طه 133)، و "صُحُف إِبْرَاهِيم" و "صُحُف مُوسَى" (الأعلى 18-19) (النجم 36-37)، و "الْأَلْوَاح (أى: ألواح التوراة)" التى كتبها اللهُ (الأعراف 145، 150، 154). ولم يذكر القرآنُ أبداً "صُحُف محمد" أو "ألواح القرآن". لماذا؟ لأن القرآن لم يُجمَع مكتوباً فى صحيفة أو لوح فى حياة محمد. أما الإشارة إلى "الصحف" التي كان محمدٌ يتلوها ويعتقد أنها وحي من الله – مثلاً: "رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً" (البينة 2)، فلا تعني بالضرورة القرآن، وإنما قد تعني مجموعة مِن كتب التراث البشري اليهودي/المسيحي التي كان محمدٌ وأصحابه يتلونها ويظنون أنها وحي من الله؛ وبخاصة كتب الرؤيا (Apocalyptic Literature)[1370]، مثل "رؤيا إبراهيم" (Apocalypse of Abraham) و "رؤيا موسى" (Apocalypse of Moses) و "وصية موسى" (Testament of Moses).

باختصار: المسألة محسومة. مات محمدٌ وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِعَ فِي شَيْءٍ. لا مصحف ولا صُحُف.

وإنْ أصر بعض المسلمين على أن القرآن جُمِع كله فى شىء (كتاب، صُحُف، ألواح، أو أى شىء آخر) أثناء حياة محمد، فسنقول لهم: أين هذا الشىء الآن؟ فإنْ قالوا إنه ضاع. فسنقول: كيف يضيع وإله الإسلام قد وعد أن يحفظه: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 9)[1371]؟!

وفى جميع الأحوال، فإننا نطلب من المسلمين أن يعطونا نسخة كاملة (أو على الأقل: شبه كاملة) مِن القرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد (أى: قبل 632م) قبل أن يطلبوا منا أن نؤمن بهذا القرآن. ويجب هنا أن نؤكد على أننا لا نتحدث عن أمور غيبية لا تخضع للعِلم، فنحن لا نتحدث عن ملائكة ولا جن ولا عفاريت، وإنما نتحدث عن بشر ماديين من لحم ودم نقشوا نقشاً مادياً على ما تيسر لهم مِن أدوات الكتابة المادية، فأين الدليل المادى على أن القرآن كُتِب كله على عهد محمد؟ إن لم يكن لديكم أى دليل مادى، فعليكم أن تتوقفوا عن ترديد الأساطير التي تزعم أن القرآن كان مكتوباً كله على عهد محمد.

النتيجة النهائية: مات محمدٌ وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِعَ فِي شَيْءٍ. لا مصحف ولا صُحُف ولا أي شَيْء.

2.4.2 صُحُفُ أبى بكر وعمر وحفصة: شاب أنصارى يجمع القرآنَ للمرة الأولى!

مات محمدٌ وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِعَ فِي شَيْءٍ. لا مصحف ولا صُحُف ولا أي شَيْء.

بعد وفاة محمد، اندلعت حربٌ أهلية طاحنة سُميت بـ "حرب الرِّدَّة" التى كانت حرباً أهلية واسعة شنها الخليفة الأول "أبو بكر الصديق" (11 – 13هـ) (632 – 634م) ضد مسلمين تركوا الإسلام وضد مسلمين رفضوا دفع الزكاة. كما خاض أبو بكر حروباً أخرى ضد مَن ادعوا النبوة بعد وفاة محمد، أشهرها "معركة

اليمامة" (11هـ أو 12هـ[1372]) ضد "مُسَيْلمة" الذي يُعرَف فى المراجع الإسلامية باسم "مُسَيْلمة الكذاب". إنها إذن حروب أهلية كبيرة على ثلاثة محاور رئيسية: ضد مرتدين وضد مانعي الزكاة وضد مدعي النبوة.

فى هذه الحروب الأهلية العربية/الإسلامية، قُتِلَ عددٌ كبير مِن حَفَظَة القرآن؛ يُروَى أنه قُتِلَ 70 مِن قُرَّاء الصحابة وحَفَظَتهم للقرآن في حرب اليمامة وحدها؛ وقيل: قُتِلَ 400؛ وقيل: قُتِلَ 500؛ وقيل: قُتِلَ 700؛ وقيل: أكثر[1373]. ومِن أشهر مَن قُتِل فى تلك المعركة سَالِم مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، أحد الأربعة الذين أوصى محمدٌ بأن يُؤخَذ القرآنُ نقلاً عنهم. هذا بالإضافة إلى الصحابة القُرَّاء الذين ماتوا فى حياة محمد، مثل الصحابة القُرَّاء الذين قُتِلوا فى بئر معونة (بين مكة والمدينة سنة 4هـ) وكانوا سبعين رجلاً[1374].

باختصار: بعد وفاة محمد ووفاة عدد كبير من الصحابة القُرَّاء الحُفَّاظ، صار القرآن مهدداً بأن ينقرض إلى الأبد. وأصبح لا بد مِن جَمْع القرآن ممَن تبقى مِن حَفَظَته الأولين، وأيضاً مِن مصادره المتفرقة المتناثرة المكتوبة على جلود الماشية وعظام الإبل وجريد النخل. أو كما يُقال فى المراجع الإسلامية: جَمْع القرآن مِن الصدور والسطور، أو: جَمْعه مِن المحفوظ والمكتوب.

تردد الخليفة أبو بكر فى البداية وخاف أن يفعل شيئاً لم يفعله محمدٌ، إلا أن عمر بن الخطاب أقنعه بضرورة جَمْع القرآن فوراً حفاظاً عليه مِن الضياع أو النسيان. فعهد أبو بكر بهذه المهمة الكبيرة إلى شاب اسمه "زيد بن ثابت" وهو شاب صغير السن (أقل مِن 25 سنة!) وأنصارى أسلم بعد الهجرة!

لكن عندما نقرأ المراجع الإسلامية والأحاديث الصحيحة التى ذكرت هذه القصة، نجد أن عملية جَمْع القرآن قد تمت بسرعة وبطريقة غير علمية. "وتقول بعض الروايات إن زيد بن ثابت كان يشترط فيمن يأخذ منه القرآن أن يشهد معه شاهدان على أنه من القرآن"[1375]. وقيل إن "زيد كان قد اشترط شهادة رجلين فى ما يأخذ من الآيات"[1376]. يعنى زنا البشر لا يثبت إلا بشهادة أربعة رجال عدول (النساء 15) (النور 4)، لكن "كلام الله" يثبت بشهادة ثلاثة رجال أو رجلين فقط! هذا مِن حيث العدد (quantity). أما مِن حيث الجودة (quality)، فالوضع أسوأ، إذ لا نعلم على أى أساس قَبِل زيدٌ شهادةَ مَن كان يأتيه بجملةٍ – سواء مكتوبة أو محفوظة – ويزعم أن هذه الجملة مِن القرآن؛ فلم يكن "علم الرجال" أو "علم الجرح والتعديل" قد أُخترعَ بعد. ما هى شروط قبول الرواية عند زيد بن ثابت غير شرط العدد؟ لا نعلم. هل اشترط زيدٌ العدالة والحفظ والضبط والصدق والتحرى فى كل الصحابة الذين أخذ منهم القرآنَ؟ لا يوجد أى دليل علمى يثبت ذلك. هل يوجد سجل لكل آية قرآنية يذكر أسماءَ الصحابة الذين امتلكوها سواء مكتوبة أو محفوظة؟ الإجابة: لا. المسألة إذن هى مجرد اجتهاد بشرى مِن الشاب زيد بن ثابت والصحابة.

وإنْ قلتم إنَّ كل الصحابة عدول، فسنقول: لا يوجد أى دليل علمى يثبت ذلك؛ فهو إذن مجرد افتراض (presupposition) لا أساس له. بل إن الأدلة التي أمامنا تؤكد خطأ هذا الافتراض. يعني مثلاً الصحابة المهاجرون (مثل: عليّ وطلحة والزبير) الذين تورطوا بعد ذلك في حروب أهلية مسلمين ضد مسلمين أدت إلى مقتل الآلاف من المسلمين. هؤلاء الصحابة عدول؟! مستحيل. وكذلك الصحابة الأنصار الذين دبروا ونفذوا خطة ماكرة لاغتيال كعب بن الأشرف في بيته ليلاً، خطة كلها مكر وكذب واحتيال وخداع وغدر[1377].

هؤلاء الصحابة عدول؟! مستحيل. باختصار: لا يمكن أن نصدق أن أعرابياً بدوياً كان يعبد الأصنام بالأمس يتحول فجأة أوتوماتيكياً بمجرد إسلامه إلى صحابي "مِن العدول"! مستحيل أن نصدق ذلك.

إذن: افتراض أن "كل الصحابة عدول" هو مجرد أسطورة مِن أساطير ماكينة البروباجاندا الإسلامية (السنية) التي لا تتفق مع العقل. بل لا تتفق مع النقل (القرآن). فنجد مثلاً الدكتور أحمد صبحي منصور زعيم المسلمين القرآنيين الذي يؤمن بالقرآن فقط، ومع ذلك لديه الأمانة والشجاعة ليعترف بأن الصحابة ليسوا كلهم عدول، فيقول: "يُقال لك إن كل الصحابة مُعدَّلون ... عدول. طب إزاي؟ إذا كان ربنا سبحانه وتعالى تكلم على أكثر من 500 آية عن المنافقين. والمنافقون دول كانوا صحابة. مِنهم مَن نافق وظهر نفاقه علناً. ومِنهم ربنا سبحانه وتعالى قال: "وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ (أي: يظهرون الإسلام لكنهم يبطنون الكفر) وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ (أي: بعض سكان المدينة) مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ (أي: مرنوا على النفاق وازدادوا وبرعوا في النفاق) لَا تَعْلَمُهُمْ [يا محمد] نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ" (التوبة 101). يعني: في ناس منافقين كتموا إيمانهم بحيث أنهم خدعوا النبي نفسه. [...] فحين تأتي وتقول إن كل الصحابة معدلون، ده كلام فارغ. ليه؟ لأن ربنا سبحانه وتعالى قسَّم الصحابة: مِنهم "السَّابِقُونَ" (التوبة 100)، ومِنهم "خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا" (التوبة 102)، ومِنهم "مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ" (التوبة 106)، ومِنهم المنافقون (التوبة 101) ... وإلى آخره"[1378]. وفي لقاءٍ آخر، استدل د. أحمد صبحي منصور بآيات قرآنية أخرى (النساء 105-111) (الفتح 29) ليثبت أن "اللي حوالين محمد (يقصد: الصحابة) مش كلهم مِن أهل الجنة"[1379].

وإذا كان القرآن نفسه يعترف بأن محمد نفسه لم يعلم كل الصحابة المنافقين: "لَا تَعْلَمُهُمْ [يا محمد] نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ" (التوبة 101)، فهل يُعقَل أن الشاب الأنصاري زيد بن ثابت كان يعلمهم؟! مستحيل عقلاً ونقلاً.

والقرآن نفسه يعترف أيضاً بأن فريقاً مِن الصحابة قد **"عصوا"** أمرَ الله/محمد في غزوة أحد: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ [بالنصر على أعدائكم الكفار في بداية المعركة] إِذْ تَحُسُّونَهُم (أي: تقتلون الكفار) بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ **وَعَصَيْتُم** مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ **مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا** وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ (أي: منعكم النصر فردكم بالهزيمة عن أعدائكم) لِيَبْتَلِيَكُمْ (أي: ليمتحنكم) ۖ وَلَقَدْ عَفَا [اللهُ] عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" (آل عمران 152). فهل يُعقل بعد ذلك أن كل الصحابة عدول؟! مستحيل. وإنما الحقيقة هي أن الصحابة كان مِنهُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنهُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ. نعم، كانوا جميعاً بشراً مثلنا يصيبون ويخطئون، يطيعون ويعصون فيستغفرون ويتوبون حتى يعفو اللهُ عن معاصيهم.

وفي جميع الأحوال، حتى لو افترضنا جدلاً أن كل الصحابة عدول، فإنهم جميعاً بشر غير معصومين مِن الخطأ (fallible human beings). إذن: احتمال خطأ الصحابة وارد، بل وارد جداً، لا سيما إذا أخذنا فى الاعتبار أنهم جمعوا القرآنَ على عجل خوفاً عليه مِن الضياع أو النسيان. هل يُعقَل أن القرآن الذى نزل على محمد فى 23 سنة يُجمَع ويُكتَب كله فى بضعة شهور فى غياب محمد بدون أى خطأ؟! مستحيل.

إذن: لا يوجد أى دليل علمى ولا حتى دليل قرآني يثبت أن الشاب الأنصاري زيد بن ثابت نجح فى مهمة جمع القرآن بنسبة 100% ولا حتى 90% ولا حتى 50%.

ولنترك الميكروفون للشاب زيد بن ثابت (العضو الوحيد فى لجنة جَمْع القرآن) ليحكى الحكاية. يقول صحيح البخارى إن زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ، مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ (أى: أيام المعركة ضد مُسَيْلمة)، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ (أى: اشتد وكثر) يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ (أى: حفظة القرآن)، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ (أى: مواضع الغزو والمعارك)، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ (أو: كَيْفَ أَفْعَلُ؛ كَيْفَ نَفْعَلُ) شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ. فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ. قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَتَبَّعْ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنْ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ (أو: كَيْفَ تَفْعَلَانِ) شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ. فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنْ الرِّقَاعِ (جمع رقعة، وهى القطعة من ورق أو جلد ونحو ذلك) وَالْأَكْتَافِ (جمع كتف، وهو عظم عريض يكون على أعلى الظهر) وَالْعُسُبِ (جمع عسيب، وهو جريد النخل العريض) وَاللِّخَافِ (جمع لَخْفَة، وهى حجارة بيضاء رقيقة) وَصُدُور الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ" حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ (أى: خاتمة سورة التوبة). فَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ[1380].

ونلاحظ فى هذا الحديث الصحيح أن زيد بن ثابت لم يجد خاتمة سورة التوبة إلا مع شخص أنصارى واحد فقط! فأخذها منه، على الرغم من أنه كان قد اشترط شهادة شاهدين أو ثلاثة! يعنى زنا البشر لا يثبت إلا بشهادة أربعة رجال عدول (النساء 15) (النور 4)، لكن "كلام الله" يثبت بشهادة رجل واحد فقط!

وللهروب من هذه الورطة، لجأ شيوخُ الإسلام – كعادتهم – إلى حيلة ذكية، فقالوا إن المقصود هو أن زيد لم يجدها "مكتوبة" إلا مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لكنها كانت غير مكتوبة عند آخرين[1381].

<u>تعليقنا:</u> الحديث لم يقل ذلك. زيد لم يقل "لَمْ أَجِدْهَا مكتوبةً مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ"، وإنما قال "لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ". وسياق الحديث يدل على أن أبا خزيمة الْأَنْصَارِيِّ هو المصدر الوحيد لخاتمة سورة التوبة (التوبة 128-129)، بدليل أن زيد ذكر قبله كل المصادر الأخرى للقرآن "الرِّقَاعِ وَالْأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُور الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ". الكلام واضح. أما هؤلاء الشيوخ فأضافوا كلمةَ "مكتوبة" للحديث حتى يخرجوا مِن مأزقهم ويخدعوا المسلمين.

وكالعادة، لجأ مرجع إسلامى دفاعى آخر إلى حيلة أكثر ذكاءاً، فقال إن أبا خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ "استثنى من هذا الشرط (أى: شرط وجود حافظين أو شاهدين)، حيث قام حفظه مقام حفظ رجلين فى آية واحدة لم توجد محفوظة إلا عند أَبِي خُزَيْمَةَ، وذلك لأن رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين عدلين"[1382]!

ونحن نرى أن هذا الدفاع الإسلامى لا يحتاج إلى تعليق، لأنه مِن الواضح أن جَعْل شهادة أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ بشهادة رجلين عدلين هى مجرد أسطورة اخترعها المسلمون فى وقتٍ لاحق لتبرير اعتماد لجنة

جَمْع القرآن على أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ فقط فيما يتعلق بخاتمة سورة التوبة (التوبة 128-129). ولا يوجد أى دليل علمى يؤيد هذه الأسطورة المتأخرة.

المهم: هذا الحديث الصحيح يعطينا دليلاً نقلياً على أن القرآن لم يُجمَع طوال حياة محمد، بدليل قول أبى بكر لعمر: "كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟"، وقول زيد لأبى بكر وعمر: "كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟". ونلاحظ أيضاً أن زيد لم ينطق كلمة "مصحف"، وإنما قال "صُحُف" (sheets) (feuillets coraniques). ولأن هذه الصُّحُف غير موجودة الآن (وسنعلم بعد قليل أن مروان بن الحكم قد أحرقها عمداً فى العصر الأموى!)، فنحن لا نعرف هيئتها ولا شكلها. هل كانت صُحُف مثل الجلد أو القماش أو ما يشبه الورق؟ أم كانت "لفائف" (rolls) تشبه لفائف التوراة التى كان زيد بن ثابت يراها وهو غلام؟ وهل كانت الكتابة على هذه اللفائف مِن اليمين إلى اليسار (volumen) مثل التوراة؟ أم مِن فوق إلى تحت (rotulus)[1383]؟ على أى حال، المهم أنها ليست "مصحفاً" (كتاباً، مجلداً) (codex).

إلا أننا لاحظنا أنه توجد مراجع إسلامية مثل التفسير الميسر الذى رُوجِعَ وطُبِعَ بمجمع مطابع الأزهر يقول تحت عنوان "تاريخ المصحف" إن أبا بكر الصديق "حدث فى عهده ما حمله على جَمْع القرآن فى مصحف واحد"! مع أنهم فى نفس الصفحة يقولون: "وقد راعى زيد فى كتابة الصحف [...]"[1384]. يعنى: يقولون "مصحف" ثم بعدها بسطرين يقولون "صحف"! وكالعادة، لجأ مرجع إسلامى آخر إلى حيلة دفاعية أكثر ذكاءً، إذ استخدم كلمة "مصحف" 3 مرات، لكن قال فى نفس الصفحة: "وإطلاق وصف المصحف عليه إطلاق مجازى صرف. والقصد منه أن يكون مرجعاً موثوقاً به عند اختلاف الحُفَّاظ"، ثم قال بعد ذلك ببضعة صفحات: "وكان الهدف مِن الجَمْع الأول فى خلافة أبى بكر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– هو جَمْع تلك الوثائق المتفرقة (أى: وثائق القرآن) فى مكان واحد منسقة السور والآيات، دون نقلها فى مصحف حقيقى جامع لها. فهذا الجَمْع بلغة العصر مشروع جَمْع لا جَمْع حقيقى فى الواقع. ولهذا عبَّر عنه أحدُ العلماء بأنه أشبه ما يكون بأوراق وُجِدَت متفرقة فى بيت النبى فربطت بخيط واحد، مانع لها من التفرق مرة أخرى". أى: ضُمَّت "دون إعادة كتابتها مِن جديد"[1385]!

تعليقنا: إذا أصر التيار الإسلامى التقليدى على أن هذا الجَمْع الأول فى خلافة أبى بكر قد أنتج "مصحفاً" سواء بالمعنى الحرفى أو بالمعنى المجازى، فسؤالنا هو: أين هذا المصحف المزعوم؟! هل يوجد أى دليل علمى على أن النسخة الأصلية لهذا المصحف المزعوم موجودة الآن؟! وإنْ قلتم إنه ضاع، فسنقول: وكيف نُصدِّق القرآن حين يقول "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 9)؟!

أما قولكم إن "القصد منه أن يكون مرجعاً موثوقاً به عند اختلاف الحُفَّاظ" فهو اعترافٌ منكم بأن الصحابة والتابعين من الطبقة الأولى كانوا يختلفون فى القرآن. ولو كان هذا المصحف المزعوم هو المرجع عند الاختلاف، فلماذا أحرقه مروان بن الحكم فى العصر الأموى؟! ولماذا اختلفت المصاحف فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان؟ كما سنرى بعد قليل.

أما قولكم إن هذا الجَمْع الأول كان أشبه ما يكون بأوراق وجدت متفرقة فربطت بخيط واحد أو ضُمَّت دون إعادة كتابتها مِن جديد! فهذا مستحيل عقلاً، لأن الحديث الصحيح الذى ذكره البخارى يقول إن القرآن كان متفرقاً بين الرقاع والعظام وجريد النخل والحجارة وصدور الرجال، وهى مصادر مختلفة وغير متجانسة (heterogeneous)، فلا يمكن عملياً جَمْعها ورَبْطها بخيطٍ واحدا! إذن: لا بد مِن نَسخها ونَقلها مِن جديد وإعادة كتابتها فى صُحُف، كما يُفهَم مِن هذا الحديث الصحيح ومراجع إسلامية وأكاديمية أخرى. ويكفينا ما قاله التفسير الميسر الصادر مِن الأزهر: "وقد راعى زيد فى كتابة الصحف [...]". وأيضاً ما جاء فى كتاب المصاحف للسجستاني على لسان زيد: "فتتبعت القرآنَ أنسخه مِن الصحف والعسب واللخاف [...]"[1386].

ونحن سنلتزم بالكلمة التى قالها البخارى: "صُحُف"، وليس "مصحف".

ويجب أيضاً أن نسأل سؤالاً هاماً: لماذا كلَّف أبو بكر الصديق هذا الشاب الأنصارى الصغير "زيد بن ثابت" بهذه المهمة الهامة ولم يُكلِّف أحداً مِن الصحابة الكبار الخبراء مثل المُهاجِر "عبد الله بن مسعود" والأنصارى "أُبىّ بن كعب"؟! قيل: لأن زيدَ واحدٌ مِن الذين "جمعوا" القرآن على عهد النبى، واستدلوا على ذلك بحديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم يقول: "عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا (بن مالك) يَقُولُ: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنْ الْأَنْصَارِ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ. قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي"[1387]. وقيل إن أبا زيد هو الصحابي "سعد بن عبيد"[1388].

وسواء كانت كلمة "جَمَعَ" هنا تعنى "حَفظه واستظهره فى صدره" أو تعنى "كَتَبَهُ فى صحيفة أو صحف" أو تعنى شيئاً آخر، فنحن نرى أن راوى هذا الحديث لا يقصد أن هؤلاء الأربعة قد جمعوا القرآن كله. وذلك لأسباب كثيرة[1389]، أهمها:

- لو كان زيد بن ثابت قد جَمَعَ القرآن كله قبل وفاة محمد، لأملأه من صدره وما احتاج إلى أن يجمعه مِنْ الرِّقَاعِ وَالْأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُور الرِّجَالِ، ولما خاف عمر بن الخطاب على القرآن مِن الضياع والانقراض.
- زيد بن ثابت نفسه اعترف بأن القرآن لم يُجمَع كله طوال حياة محمد، وقال لأبى بكر وعمر: "كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟". ويُروَى عن زيد أيضاً أنه قال: "قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِعَ فِي شَيْءٍ"[1390]. ويُروَى عن عَلِىّ بن أبى طالب أنه قال إن الخليفة أبو بكر الصديق "هو أَوَّل مَن جَمَعَ كتاب الله"[1391].
- ثم إن زيد بن ثابت كان غلاماً أنصارياً صغيراً (قيل: ابن 11 سنة) عندما هاجر محمدٌ مِن مكة إلى المدينة، أى أنه كان مراهقاً فى الفترة المدنية ولم يشهد الفترة المكية على الإطلاق! فإذا سلَّمنا بأنه استطاع أن "يجمع" القرآن المدنى قبل وفاة محمد، فكيف استطاع أن "يجمع" القرآن المكى (حوالى ¾ القرآن)؟! نريد إجابة مؤيدة بأدلة علمية. اللى عاوز يتكلم بعد كده، يتكلم بأدلة علمية. زهقنا خلاص من الأساطير والبروباجاندا الإسلامية.

ولعل المقصود مِن هذا الحديث هو أن زيد بن ثابت وغيره قد جَمَعوا بعض أجزاء مِن القرآن وليس القرآن كله. فهو إذن مِن باب اطلاق اسم الكل على الجزء، وهو أسلوب عربى معروف استخدمه القرآنُ نفسه، كقوله: "جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ" (نوح 7) (مكية) "يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ" (البقرة 19) (مدنية)، ومن المستحيل طبعاً أن يضع الإنسان كل أصابعه فى أذنه، فالمقصود إذن هو بعض أو جزء من إصبعه فقط.

وبصراحة، نحن نشك في هذا الحديث. ومما يزيد شكوكنا أن الصحابة الأربعة المذكورين فيه كلهم مِن الأنصار! وبعض الروايات تضيف إليهم "أبا الدرداء" (الذي أسلم متأخراً بعد بدر!) وصحابياً آخر اسمه "مُجَمِّع بن جارية بن عامر بن مُجَمِّع"[1392] (واسمه أحياناً "مُجَمِّع بن عامر" أو "مُجَمِّع بن يزيد بن جارية")! وهما أيضاً أنصاريان! وكأن أحداً مِن المهاجرين لم يستطع أن "يجمع" القرآن! فَمِن المحتمل إذن أن يكون هذا الحديث واحداً مِن الأحاديث التي تم تأليفها في وقتٍ لاحق لمجاملة الأنصار.

وفي جميع الأحوال، يظل سؤالنا قائماً يبحث عن جواب مقنع: لماذا كلَّف الخليفةُ أبو بكر هذا الشاب الأنصارى الصغير "زيد بن ثابت" بمهمة جَمْع القرآن ولم يُكلِّف أحداً مِن الصحابة الكبار الخبراء مثل "عبد الله بن مسعود" و "أُبىّ بن كعب"؟! معظم صفات زيد بن ثابت التى ذكرها شيوخُ الإسلام لتبرير اختياره تنطبق على صحابة آخرين. إذن: لماذا اختار أبو بكر زيداً بالذات؟ هل لأن زيد بن ثابت شاب صغير السن ويسهل السيطرة عليه والتحكم فيه؟ يعنى أهل ثقة وليس بالضرورة أهل خبرة؟ أَم لأن زيد كان يجيد اللغات الأجنبية (مثل: السريانية والعِبرية) قراءة وكتابة، ولأنه قرأ كتب اليهود؟ أَم لأن الصحف التى أعدها زيدٌ كُتِبَت بالخط "الجرشونى" (Garshuni)[1393] – الذى يُعرَف أيضاً باسم "كرشونى" (Karshuni) وهو عبارة عن لغة عربية مكتوبة بحروف سريانية؟ وبكل تأكيد كان زيد يتقن هذا الخط الجرشونى.

والسؤال الأهم هو: ما الدليل على أن هذه الصحف التى أعدها زيدٌ هى نسخة كاملة 100% (complete) وصحيحة 100% (correct) مِن المصادر المتفرقة للقرآن: الرِّقَاعِ وَالْأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ؟ ما الدليل على أن هذا الشاب الصغير زيد بن ثابت كان معصوماً مِن الخطأ أثناء قيامه بهذه المهمة الجسيمة؟ كما قلنا فيما سبق: احتمال الخطأ وارد، بل وارد جداً.

باختصار: إن طريقة جَمْع القرآن فى عهد أبى بكر كانت أسوأ بكثير مِن طريقة جَمْع الأحاديث فى العصر العباسى على الرغم من كل عيوبها. ولعل هذه الطريقة غير العلمية هى أحد الأسباب التى أدت إلى مشكلة "التكرار" التى يعانى مِنها القرآن المكى الذى لم يشهده زيدٌ، فكان زيد يكتب كل ما يأتيه مِن آيات قرآنية محتملة ما دام توافر فيها شرط العدد (شهادة ثلاثة رجال أو رجلين؛ وأحياناً رجل واحد)، مما أدى إلى تعدد روايات القصة الواحدة (retellings). قصة نوح مثلاً تكررت فى القرآن 10 مرات بدرجات متفاوتة فى التفاصيل: (الأعراف 59-64) (يونس 71-73) (هود 25-48) (الأنبياء 76-77) (المؤمنون 23-30) (الشعراء 105-122) (العنكبوت 14-15) (الصافات 75-82) (القمر 9-17) (نوح بتمامها 1-28)! وأحياناً نجد اختلافات – بل تناقضات – بين الروايات المتعددة للقصة الواحدة. وسنرى أمثلة على ذلك فى

هذه المذكرات. وهذه الروايات المتعددة المختلفة للقصة الواحدة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن (وكذلك المصحف كما سنرى بعد قليل) ثمرة عمل بشرى جماعى اشترك فيه أكثر مِن شخص. كل واحد قال رواية أو أكثر، ثم جُمِعَ ما تبقى من هذه الروايات بسرعة فى كيان واحد (anthology).

وكنا نتمنى مثلاً أن يعقد الخليفة أبو بكر مؤتمراً إسلامياً يضم كبار الصحابة، مثل الصحابى الكبير المهاجر عبد الله بن مسعود الذى قال عنه محمدٌ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ (يعنى: عبد الله بن مسعود)"[1394] و "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ"[1395]، ومثل الصحابى الكبير الأنصاري أُبَيّ بْن كَعْب الذي قال: "إِنِّي تَلَقَّيْتُ الْقُرْآنَ مِمَّنْ تَلَقَّاهُ (أو: مِمَّنْ يَتَلَقَّاهُ) مِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ رَطْبٌ"[1396] و "إِنِّي تَلَقَّيْتُ الْقُرْآنَ مِنْ تلقاء جِبْرِيلَ وَهُوَ رَطْبٌ"[1397]. وكنا نتمنى أن يُسجِّل هذا المؤتمر أسماء مَن صوتوا لصالح كل آية قرآنية مقترحة وأسماء مَن صوتوا ضد كل آية قرآنية مقترحة. وكنا نتمنى أيضاً أن يستعين أبو بكر بخبراء متخصصين محترفين (مِن أهل الكتاب مثلاً) لديهم خبرة واسعة فى قراءة وكتابة المخطوطات. لكن للأسف لم يفعل أبو بكر شيئاً مِن ذلك.

بعد وفاة أبى بكر، انتقلت الصُّحُفُ إلى الخليفة الثانى "عمر بن الخطاب" وظلت عنده لمدة 10 سنوات (13 – 23هـ) (634 – 644م). وبعد مَقتل عمر، اختيرت ابنته حفصة مِن بين أزاوج الرسول جميعاً لتحفظ تلك الصُّحُف[1398][1399]. ولذلك فإننا سنسميها "صُحُف حفصة". [سؤال: هل يوجد أى دليل علمى على أن النسخة الأصلية لصُحُف حفصة موجودة الآن؟ سنعلم بعد قليل أنها أحرقت عمداً!]

مما سبق يتضح أن القرآن لم يُجمَع إلا بعد وفاة محمد ولم يُجمَع إلا بعد وفاة العشرات أو المئات مِن حَفَظَة القرآن. ولم يُجمَع فى "مصحف" وإنما جُمِع فى "صحف". وكان المسئول عن هذه المهمة الخطيرة شابٌ أنصارى صغير السن. وظلت هذه الصُّحُف المُجمَّعة عند حفصة فى البيت! ولم نجد فى المراجع الإسلامية ما يفيد بأن صُحُف حفصة قد وُزّعت على كل المسلمين فى جميع أنحاء الدولة الإسلامية. فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هى ظهور الاختلافات ... فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هى اللجوء إلى العنف للقضاء على هذه الاختلافات ... وهذا ما فعله الخليفة الثالث عثمان بن عفان ...

2.4.3 مصحف عثمان: الخليفة القُرَشى يحرق الصحف والمصاحف المخالفة لمصحف قريش!

فى عهد الخليفة الثالث "عثمان بن عفان" (23 – 35هـ) (644 – 656م)، تمددت الإمبراطورية العربية/الإسلامية بسبب الغزوات (الفتوحات)، فاتسعت الرقعة الجغرافية التى يحتلها المسلمون وتعددت لهجاتهم واختلطت ألسنتهم واختلفت مصاحفهم، سواء المصاحف التى كُتِبَت قبل جَمْع القرآن لأول مرة فى عهد أبي بكر أو المصاحف التى كُتِبَت بعده. فكان أهل الكوفة مثلاً يقرؤون على مصحف عبد الله بن مسعود

بينما أهل الشام يقرؤون على مصحف أُبيّ بن كعب، وأهل البصرة يقرؤون على مصحف أبى موسى الأشعرى، وأهل دمشق يقرؤون على مصحف المقداد[1400]. وهذا أمر طبيعي، فلقد كانت المصاحف آنذاك تُنسَخ يدوياً (handwritten) ومحلياً (locally)، فلم تكن هناك مطبعة ولا دور نشر وتوزيع. فَمِن المنطقي إذن أن يكون لكل إقليم جغرافي مصحفه الذي تعوّد عليه.

وتُحدِّثنا المراجع الإسلامية والأكاديمية عن مصاحف أخرى كثيرة متعددة، مثل: مصحف عائشة (زوجة محمد)، ومصحف ابن عباس، ومصحف أنس بن مالك، ومصحف علىّ بن أبى طالب الذى يُقال إن سوره كانت مرتبة ترتيباً زمنياً حسب النزول.

فخاف بعض المسلمين من تعدد المصاحف واختلاف الأمة الإسلامية فى القرآن، فنصحوا عثمانَ بالعمل على توحيد المصاحف (تقنين القرآن) (Canonization of the Qur'an) فى السنة الثانية أو الثالثة مِن خلافته (أي: 24هـ أو 25هـ؛ حوالي 645م أو 646م؛ أي: بعد موت محمد بثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة!) أثناء غزو إِرْمِينِيَة وَأَذْرَبِيجَان. ويُقال إن هذا المصحف قد "أُكمِلَ فى الأيام الأخيرة مِن حكم الخليفة عثمان"، أي "بعد موت محمد بعشرين سنة" تقريباً[1401].

وهكذا نجد أن جَمْع القرآن لم يكن "فعل" (action)، وإنما كان مجرد "رد فعل" (reaction) لمشكلة طارئة ظهرت فجأة فيجب التدخل بسرعة لحلها حلاً فورياً:

- فى عهد أبى بكر، كان جَمْع القرآن خوفاً مِن ضياعه بعد وفاة عدد كبير مِن حَفظة القرآن. وكان جَمْع القرآن في مناخ عام مِن قتل وسفك دماء: حروب الردة!
- وفى عهد عثمان، كان جَمْع القرآن خوفاً مِن اختلاف الأمة فيه بعد اتساع الإمبراطورية العربية/الإسلامية وزيادة عدد المسلمين واختلاف ألسنتهم ولهجاتهم. وكان جَمْع القرآن وإنتاج المصحف في مناخ عام مِن قتل وسفك دماء: غزو إِرْمِينِيَة وَأَذْرَبِيجَان!

إلا أن الخليفة القُرشى عثمان استغل الفرصة فجعل "لجنةَ جَمْع القرآن" بعضوية أربعة موظفين: زيد بن ثابت وثلاثة قرشيين. وذلك حتى يضمن سيطرة لهجة قريش على المصحف الجديد فى حالة الاختلاف. والثلاثة شباب، وكانوا أطفالاً صغار يلعبون فى الطرقات حين مات محمد! أى أنهم يُعتبَروا مِن التابعين أو مِن صغار الصحابة. [نفس السؤال يتكرر: هل شباب حتى يسهل السيطرة عليهم والتحكم فيهم؟ أهل ثقة وليس أهل خبرة؟]

والأربعة (أى: زيد والقرشيون الثلاثة) لم يشهدوا الفترة المكية (حوالى ⅔ القرآن) على الإطلاق! والأربعة يدينون بالولاء التام والطاعة الكاملة للسلطة السياسية الحاكمة، سواء السلطتين السابقتين (أبي بكر وعمر) أو السلطة الحالية (عثمان). فَمَن هُمْ هؤلاء الأربعة أعضاء اللجنة الذين عَيَّنهُم عثمانُ؟ إنهم:

- الأنصارى "زَيْد بْنَ ثَابِتٍ" (كان عمره أقل مِن 40 سنة): سكرتير محمد وموظف سابق عند الخليفة الأول أبى بكر الصديق! وعضو اللجنة الأولى لجَمْع القرآن.

- الشاب القرشى "عَبْد اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْر (بن العوام)": حفيد الخليفة الأول أبى بكر الصديق!
- الشاب القرشى "سَعِيد بْنَ الْعَاصِ بْنَ أَبِي أُحَيْحة سَعِيد بْنَ الْعَاصِ": مِن بني أُميَّة أحد فروع قبيلة قريش مثل الخليفة الثالث عثمان بن عفان!
- الشاب القرشى "عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ": ربيب الخليفة الثانى عمر بن الخطاب[1402] وزوج ابنة الخليفة الثالث عثمان بن عفان!

[لماذا اختار عثمانُ هؤلاء الموظفين الأربعة بالذات؟ وكلهم إمَّا قُرَشِي أَوْ أَنْصَارِي! أهل ثقة وليس أهل خبرة؟] [ونفس السؤال يتكرر: لماذا أُستُبعِدَ الصحابى الكبير المُهاجِر "عبد الله بن مسعود" مِن رئاسة هذه اللجنة؟! مع أنه أفضل مَن يقوم بهذه المهمة الكبيرة، بل نستطيع أن نقول إنه الأفضل والأكثر خبرة. هل أُستُبعِدَ ابنُ مسعود لأنه غير قرشى؟ أما الصحابى الأنصاري الكبير "أُبىّ بن كعب" فقيل إنه مات في خلافة عمر، وقيل إنه مات في خلافة عثمان سنة 30هـ "وهو أثبت الأقاويل"[1403]. وقال الإمام الذهبي: "وما أحسب أن عثمان ندب للمصحف أُبَيًّا، ولو كان كذلك، لاشتهر، ولكان الذكر لِأُبَيّ لا لزيد [بن ثابت]"[1404].]

وكما ذكر البخارى قصة جَمْع القرآن فى عهد أبى بكر، ذكر لنا أيضاً قصة جَمْع القرآن فى عهد عثمان. روى البخاري[1405] أن الصحابي حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ (أى: اختلافُ أهل الشام وأهل العراق) فِي الْقِرَاءَةِ. [ويُفهَم مِن السياق ومِن مصادر أخرى أن الاختلاف بين الفريقين كان شديداً لدرجة أن كل فريق كان يعتبر قراءته هى وحدها الصحيحة دون غيرها[1406].] فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ (أى: فى القرآن)، اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ (التى فى بيتك) نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ. فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ (عثمانُ) زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ (سكرتير محمد!) وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ (حفيد أبى بكر!) وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ (قُرَشى أموى مثل عثمان!) وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ (ربيب عمر وزوج ابنة عثمان!) فَنَسَخُوهَا (أى: نَسَخُوا صُحُفَ حفصة) فِي الْمَصَاحِفِ. وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ (أى: ابن الزُّبَيْر وابن الْعَاصِ وابن الْحَارِثِ): إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ (أى: بلهجة قريش؛ بلغة قريش)، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ (أى: كل ناحية) بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: سَمِعَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ قَالَ: فَقَدْتُ آيَةً مِنْ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ، قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا، فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ: "مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ"، فَأَلْحَقْنَاهَا فِي سُورَتِهَا فِي الْمُصْحَفِ.

ونلاحظ مِن هذا الحديث الصحيح أن عثمان بن عفان القرشى كان منحازاً إلى صُحُف حفصة بنت عمر القرشى التى أعدها زيد بن ثابت فى عهد أبى بكر القرشى منذ أكثر مِن 12 سنة، ولا نعلم إذا كانت تلك

الصُّحُف قد ظلت كما هى دون زيادة أو نقصان أو تبديل أو تعديل أو تغيير أو تحريف طوال تلك الفترة الطويلة (أكثر مِن 12 سنة). ومِن المؤكد أن جودة هذه الصُّحُف قد تعرضت إلى التدهور بمرور الزمن نتيجة عوامل طبيعة مثل تلاشى الحبر أو بهوته (fading)، لا سيما أنه مِن المؤكد أن العرب فى ذلك الوقت وفى تلك البيئة الصحراوية الحارة لم يكن لديهم أى معرفة أو خبرة بالوسائل اللازمة لحفظ المخطوطات.

ونلاحظ أيضاً مِن هذا الحديث الصحيح أن عثمان القرشى كان منحازاً إلى لهجة قريش، ولذلك وضع الشباب الْقُرَشِيِّين الثلاثة فى اللجنة. وبرر عثمانُ القرشى انحيازه إلى لغة قريش بقوله إن القرآن "نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ"، مع أن القرآن نفسه لم يزعم ذلك. وحتى لو افترضنا أن القرآن "نزل بلسان قريش" كما زعم عثمان، فإن هذا ليس مبرراً كافياً لأن يكون ¾ أعضاء اللجنة مِن قريش! محمد نفسه قال في حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما: "خُذُوا الْقُرْآنَ (أو: اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ) مِنْ أَرْبَعَةٍ"[1407]؛ وهؤلاء الأربعة كلهم غير قرشيين. يعني: محمد نفسه لم يكن متعصباً لقريش فيما يتعلق بالقرآن[1408]. أما عثمان فَمِن الواضح أنه تعصب لقريش وللسان قريش.

وهكذا بعد أن سيطر القرشيون على الخلافة في سقيفة بني ساعدة، سيطروا الآن على لجنة جمع القرآن وإنتاج المصحف. يعني: سيطرة قرشية كاملة على شئون الدنيا والدين!

ولم يعتمد عثمانُ القرشى على الصحف والمصاحف الأخرى التى كانت موجودة فى العراق والشام، ولا على أى مصحف آخر أو صحيفة أخرى، بل أمر بحرقهم جميعاً! أو كما قيل لعثمان: "كان القرآن كُتباً فتركتها [يا عثمان] إلا واحداً"[1409]. ويُروَى أن جماعة من المسلمين كانوا يلومون عثمانَ على ما فعله ويعايرونه بقولهم إنه "حرّاق مصاحف"، إلا أن علىّ بن أبى طالب (الذى صار فيما بعد الخليفة الرابع) دافع عنه[1410]. ونحن نقول: كان ينبغى أن يُعايروا عثمانَ بقولهم إنه "حرّاق قرآن"، وذلك لأن الحديث الصحيح نفسه يعترف بأن ما حرقه عثمان كان "مِنْ الْقُرْآنِ": "وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ".

باختصار: طريقة تفكير عثمان كان يغلب عليها التعصب القومى (لقبيلته قريش) والتعصب السياسى (للخلفاء أبى بكر وعمر وأقاربهما). وهذا يؤكد أن جَمْع القرآن فى عهد عثمان عانى مِن نفس المشكلات التى عانى منها جَمْع القرآن فى عهد أبى بكر، وأهمها: غياب المعايير الموضوعية وغياب الأسس العلمية. بل إن هذا الجَمْع الثانى كان أسوأ مِن الجَمْع الأول، لأن أبا بكر لم يحرق ما خالف صحفه، أما عثمان فحرق ما خالف مصحفه! فيمكن إذن أن يُقال إن عثمان كان ديكتاتورياً أكثر من أبي بكر. أو يُقال إن عثمان اهتم بوحدة الأمة الإسلامية أكثر مِن اهتمامه بالأمانة العلمية[1411]. ولعل هذه الطريقة غير العلمية هى أحد الأسباب التى أدت إلى وجود آيات مدنية فى سور مكية ووجود آيات مكية فى سور مدنية ووجود آيات كثيرة لا نعرف إن كانت مكية أو مدنية (مثل: آيات سور الحج والرعد والفلق والناس)! وهى ظاهرة عجيبة لا نجدها إلا فى الدين الإسلامى. لم يهتم عثمانُ بترتيب المصحف ترتيباً زمنياً أو موضوعياً، وإنما كان كل همه أن يكون المسلمون على قلب رجلٍ واحد خلف مصحفٍ واحد، مهما كان ترتيبه غير منطقى.

وكنا نتمنى مثلاً أن يعقد الخليفة عثمان مؤتمراً إسلامياً يضم أئمة المسلمين من جميع الأمصار الإسلامية – وعلى رأسهم الصحابى الكبير المهاجر عبد الله بن مسعود الذى قال عنه محمدٌ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ (يعنى: عبد الله بن مسعود)"[1412] و "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ"[1413]. وكنا نتمنى أن يُوثِّق هذا المؤتمر بحيادية وواقعية تامة آراءَ كل إمام منهم فى كل آية قرآنية من حيث قرآنيتها (أى: كونها مِن القرآن أم لا) وزمانها (مكية أو مدنية) وسبب نزولها وحُكمها (أى: كونها منسوخة أم لا) ونَصها وقراءاتها المختلفة (critical apparatus) (apparat critique).

لو كان الخليفة عثمان فعل ذلك، لاستحق منا كل الاحترام والتقدير ولوجب علينا أن ننحنى له إجلالاً وننحنى له مرة أخرى تعظيماً. لو كان عثمان فعل ذلك، لاستطعنا اليوم أن ندرس القرآنَ ونُدرّسه بطريقة أفضل بكثير. لو كان عثمان فعل ذلك، لساعد العلماءَ الذين ما زالوا إلى اليوم يبحثون عن القرآن الأصلى – أو: القرآن الغَضّ الرَطْب "كَمَا أُنْزِلَ" – وبعضهم يتساءل إنْ كان هناك قرآن واحد أصلى[1414].

لكن للأسف لم يفعل عثمانُ شيئاً مِن ذلك. ويبدو أن عثمان أراد أن يُنهي هذا المصحف القرشى فى أسرع وقت ممكن، مهما كانت جودة المنتج منخفضة. ليس هذا فحسب، بل أمر عثمانُ بحرق المصاحف المُخالِفة لمصحفه! فخسرنا مصاحف كثيرة لها قيمة علمية كبيرة، مثل مصحف علىّ بن أبى طالب الذى يُقال إن سوره كانت مرتبة ترتيباً زمنياً حسب النزول. مصاحف لا تُقدَّر بثمن، ضاعت بسبب تعصب عثمان. كنز دينى وعلمى ثمين، سقط فى بئر النسيان بسبب قرار سياسي متطرف اتخذه ديكتاتور قرشي متعصب.

باختصار: ما فعله عثمانُ بن عفان كان اعتداء على الدين وعلى العلم أيضاً. وإذا حُوكم مَن أحرقوا المجمعَ العلمي في العصر الحديث، فمِن باب أَولى أن يُحاكَم مَن أحرقوا المصاحف القديمة.

قَتل اليهودُ مسيحَهم. وأحرق المسلمون مصاحفَهم.

ليس مِن المبالغة أن نقول إن ما قام به عثمانُ وأعوانه لم يكن في المقام الأول جَمْع القرآن وإنتاج المصحف، وإنما بالأحرى حرق المصاحف المخالِفة لذلك المصحف. بعبارة أخرى: لم يخفْ عثمانُ مِن ضياع القرآن، وإنما خاف مِن وجود نسخ متعددة ومختلفة لذلك القرآن مما قد يؤدي إلى تمزق الأمة الإسلامية دينياً وثقافياً بل تمزقها سياسياً وعسكرياً، فأمر عثمانُ المسلمين بإحراق مصاحفهم المخالِفة لمصحفه.

لكن المصاحف ليست مِلْكاً خاصاً للمسلمين فقط. المصاحف كتب شرقية أدبية، فهي مِلْك الشرقيين جميعاً: مسلمين وغير مسلمين، عرب وعجم. بل مِلْك البشرية كلها. فليس مِن حق عثمان ولا غيره أن يُدمِّر جزءاً مِن تراث الشرق. وليس مِن حق عثمان ولا غيره أن يُدمِّر جزءاً مِن التراث البشري.

إذن: مِن حق الصحابى الكبير عبد الله بن مسعود وغيره أن يغضبوا مما فعله عثمان. ولقد روى النسائى والترمذى وأحمد وغيرهم أحاديث نستنتج منها أن عبد الله بن مسعود كَرِهَ لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ نَسْخَ الْمَصَاحِفِ وكان يسخر مِن زيد لصغر سنه الذى لا يرقى لمهمة جَمْع القرآن التى كُلِّف بها. على سبيل المثال:

- "قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرُونِّي أَقْرَأُ؟! لَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً؛ وَإِنَّ زَيْدًا (بن ثابت) لَصَاحِبُ ذُؤَابَتَيْنِ (two sidelocks) (أى: خصلتين أو ضفيرتين تتدليان مِن شعر رأسه) يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ"[1415]. قال الإمام السندى تعليقاً مهماً على هذا الحديث الهام: "قاله (عبد الله بن مسعود) يوم أُمِر أن يقرأ القرآن على مصحف عثمان ويترك مصحفه، فكان بينهما فرق، باعتبار أن بعض ما نُسِخ تلاوته مِن القرآن قد بقى عند بعض الصحابة مكتوباً فى مصاحفهم". ومِن الجدير بالذكر أن قوله "ما نُسِخ تلاوته مِن القرآن" هو مجرد تعبير إسلامى اخترعه المسلمون لتبرير عدم كتابة هذا القرآن فى مصحف عثمان، ولا وجود لهذا التعبير الإسلامى العجيب فى أى دين آخر غير الإسلام. أما التعبير الأدق فهو: ما حُذِف عمداً أو ضاع سهواً مِن القرآن. أو باختصار نقول: ما اختفى مِن القرآن؛ أو: ما نقص مِن القرآن؛ أو: القرآن الذى لم يدخل فى المصحف؛ أو: القرآن الذى لم يصل إلينا. [ملحوظة: حين نقول "آيات قرآنية حُذِفت عمداً"، فهذا لا يعنى بالضرورة أننا نتهم أعضاءَ اللجنة التى شَكَّلها عثمانُ بسوء النية، وإنما قد يعنى أنهم اجتهدوا فقرروا عدم كتابة هذا القرآن فى مصحف عثمان. ولأن الأربعة أعضاء هذه اللجنة بشر غير معصومين (fallible human beings) فإن اجتهادهم البشرى يحتمل الخطأ مثل أى اجتهاد بشرى آخر.]
- "عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَرِهَ لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ نَسْخَ الْمَصَاحِفِ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! أُعْزَلُ [أنا] عَنْ نَسْخِ كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ وَيَتَوَلَّاهَا رَجُلٌ وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْلَمْتُ وَإِنَّهُ لَفِي صُلْبِ رَجُلٍ كَافِرٍ، يُرِيدُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ. وَلِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ! اكْتُمُوا الْمَصَاحِفَ الَّتِي عِنْدَكُمْ وَغُلُّوهَا (أى: اخفوها واستروها ولا تسلموها لِمَن يريدون أن يحرقوها) فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: "وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (آل عمران 161) فَالْقُوا اللَّهَ بِالْمَصَاحِفِ"[1416]. يقصد: فَالْقُوا اللَّهَ بِالْمَصَاحِفِ الَّتِي عِنْدَكُمْ، وليس بمصحف عثمان الذي نسخه زيد بن ثابت ورفاقه، وَكَفَى لَكُمْ بِذَلِكَ شَرَفًا.
- "خَطَبَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: كَيْفَ تَأْمُرُونِّي؟! أَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ بَعْدَ مَا قَرَأْتُ مِنْ فِي (أى: مِن فم) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً؟! وَإِنَّ زَيْدًا مَعَ الْغِلْمَانِ لَهُ ذُؤَابَتَانِ!"[1417]. ويبدو أن ابن مسعود كان يذكر هاتين الذؤابتين (deux mèches; des papillotes) ليعاير زيدَ بن ثابت بجذوره اليهودية[1418].
- "خَطَبَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (أى: سمعت منه مباشرة) بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ غُلَامٌ لَهُ ذُؤَابَتَانِ (a pair of side-curls) يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ"[1419].
- قَالَ ابْنُ مَسْعُود: "أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ"[1420]، "فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ"[1421].
- "أُمِرَ بِالْمَصَاحِفِ أَنْ تُغَيَّرَ"، فقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ [لمؤيديه]: "مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَغُلَّ مُصْحَفَهُ فَلْيَغُلَّهُ، فَإِنَّ مَنْ غَلَّ شَيْئًا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، ثُمَّ قَالَ: "قَرَأْتُ مِنْ فَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً، أَفَأَتْرُكُ مَا أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟"[1422].

- "أُمِرَ بكتاب الله أَنْ يُمزَّق كل ممزق". فقَالَ حذيفة لابن مسعود: "ادفع إليهم هذا المصحف" (أي: أَعْطِ مصحفك لجنود الخليفة عثمان حتى يمزقوه). فقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "والله لا أدفعه إليهم. أقرأني رسولُ الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ثم أدفعه إليهم؟ والله لا أدفعه إليهم"[1423].

ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم إن عبد الله بن مسعود قال: "عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟ فَلَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً. وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ. وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ". قال الرواي: "فَجَلَسْتُ فِي حَلَقِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَلَا يَعِيبُهُ"[1424]. أى أن الصحابة لم يعترضوا على ما قاله عبد الله بن مسعود. وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب أنه "لَمَّا أمر عثمانُ فى المصاحف بما أمر، قام عبد الله بن مسعود خطيباً، فقال: أيأمرونى أن أقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت، والذى نفسى بيده لقد أخذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سبعين سورة، وإنّ زيد بن ثابت لذو ذؤابة يلعب به الغلمان. والله ما نزل مِن القرآن شىء إلا وأنا أعلم فى أى شىء نزل، وما أحدٌ أعلم بكتاب الله منى، ولو أعلمُ أحداً تبلِّغنيه الإبل أعلمُ بكتاب الله منى لأتيته، ثم استحيى مما قال، فقال: وما أنا بخيركم". قال الرواي: "فقعدت فى الحَلَق، فيها أصحابُ رسول الله ﷺ، فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه ولا رَدَّ ما قال"[1425]. أى أن الصحابة لم ينكروا علمَ عبد الله بن مسعود ومعرفته بالقرآن.

وعلى الرغم مِن كل ذلك، تزعم المراجع الإسلامية أن إقرار مصحف عثمان تم بـ "إجماع الصحابة" (unanimity)! وكالعادة، لا يوجد أى دليل علمى يثبت صحة هذه البروباجاندا. ولا يجرؤ مسلمٌ أن يزعم أن عثمان عَمل إحصاء أو استفتاء على مصحفه وكانت نتيجة الاستفتاء 100%. فما دليلكم إذن حين تزعمون أن مصحف عثمان هو "مصحف الإجماع"؟! أما نحن فنستطيع أن نؤكد أن هذه المزاعم الإسلامية غير صحيحة على الإطلاق، بدليل موقف الصحابى الكبير عبد الله بن مسعود مِن مصحف عثمان.

وحتى الذين وافقوا على مصحف عثمان بعد ذلك، فنظن أنهم وافقوا عليه تسليماً بالأمر الواقع وحرصاً على وحدة الأمة الإسلامية وتطبيقاً لمبدأ السمع والطاعة لولي الأمر "اسمَعْ وأَطِعْ لِمَن كانَ عليكَ، ولَو لِعَبدٍ حَبَشيٍّ" وحقناً للدماء التى يمكن أن تُسفَك إذا اقتتل المسلمون بسبب اختلافهم فى القرآن؛ أى أنها موافقة سياسية بشرية تعتمد على المصلحة العامة وليست إقراراً إلهياً ولا حتى دينياً. فَمِن المعلوم أن المسلمين بصفة عامة لا يحبون الاختلاف ويعتبرونه خطراً ينبغي تجنبه[1426]. ولذلك يفضلون السكوت حتى لا تحدث "فتنة" أو انقسام في المجتمع بسبب هذا الاختلاف. على سبيل المثال، قال الصحابي الكبير عبدُ الله بن مسعود لأنصاره في نهاية الأمر: "إنَّ له (أي: لعثمان) عليَّ حقَّ الطاعةِ، ولا أحبُّ أن أكونَ أولَ مَن فتحَ بابَ الفتنِ" أو قال: "إنَّ له عليَّ طاعة، وإنها ستكون أمورٌ وفِتَنٌ لا أحبُّ أن أكونَ أولَ مَن فتحها"[1427]. مثال آخر: الصحابى الكبير أُبَيّ بن كعب الذي قيل عنه "كانت فيه شَراسةٌ"[1428]، لَمَّا اختلف مع عمر بن الخطاب في نَص القرآن قال لعمر: "لئن أحببت [يا عمر]، لألزمنَّ بيتي، فلا أحدث شيئاً، ولا أقرىء أحداً حتى أموت"[1429]. فإذا كان هذا هو رد فعل الصحابي الذي "كانت فيه شَراسةٌ"، فما بالك بالصحابة الآخرين؟ كلهم

أو معظمهم آثروا السكوت في النهاية، ليس إقراراً بصحة كل كلمة في مصحف عثمان، وإنما حفاظاً على وحدة الأمة الإسلامية و/أو خوفاً مِن بطش الخليفة عثمان الذي لم يكن يرحب بالمعارضة جهراً. راجع ما قلناه عن الصحابي الكبير أبي ذر الغفاري "الذي كانت فيه حِدَّةٌ"[1430] وكيف كانت نهايته مؤلمة لأنه تجرأ وجهر بمعارضة عثمان وولاته الذين احتكروا السلطة والثروة، ومع ذلك رفض أبو ذر أن يقود ثورةً ضد عثمان!

وخير دليل على أن مصحف عثمان لم يكن مصحف إجماع الصحابة هو أن عدداً كبيراً مِن الصحابة مِن الرعيل الأول لم يكونوا موجودين أصلاً. فمِنهم مَن مات موتاً طبيعياً مثل السيدة خديجة وأبي بكر الصديق وخالد بن الوليد؛ ومِنهم مَن اغتيل مثل عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب[1431]؛ ومِنهم مَن اختفى في ظروف غامضة وتضاربت الأنباءُ حول وفاته أو مقتله (اغتياله؟) مثل سعد بن عبادة الذي لم يبايع أبا بكر؛ ومِنهم مَن مات بسبب المرض في طاعون عَمَواس بالشام مثل أبي عبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جبل وبلال بن رباح؛ ومِنهم مَن مات متأثراً بجراحه في المعارك مثل أبي سلمة وسعد بن معاذ؛ ومِنهم مَن قُتِلَ في الحروب: سواء الذين سقطوا قبل وفاة محمد مثل عبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وزيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رَوَاحَة ومَن ماتوا في بئر معونة، أو الذين سقطوا بعد وفاة محمد مثل شُجَاع بن وَهْب وسالم مولى أبي حُذَيْفَة وغيره مِن حفظة القرآن الذين ماتوا فى حروب الردة.

إذن: إنَّ وفاة محمد ووفاة المئات مِن الصحابة الكبار واستبعاد الصحابي الكبير المُهاجِر عبد الله بن مسعود واعتراضه على اللجنة التي شكلها عثمانُ لجمع القرآن وإنتاج المصحف، كل ذلك يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن مصحف عثمان لم يكن أبداً "مصحف الإجماع".

نحن نقول بكل ثقة ويقين: إنَّ مصحف عثمان لم يكن أبداً "مصحف الإجماع".

فإذا لم يكن مصحف عثمان هو "مصحف الإجماع"، فهل صار بالقوة "مُصْحَف الْجُمْهُور" (majority)؟ قال الإمام النووى إن "ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ مُصْحَفُهُ يُخَالِفُ مُصْحَفَ الْجُمْهُور، وَكَانَتْ مَصَاحِفُ أَصْحَابِهِ كَمُصْحَفِهِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَأَمَرُوهُ بِتَرْكِ مُصْحَفِهِ، وَبِمُوَافَقَةِ مُصْحَفِ الْجُمْهُور، وَطَلَبُوا مُصْحَفَهُ أَنْ يَحْرُقُوهُ كَمَا فَعَلُوا بِغَيْرِهِ، فَامْتَنَعَ [ابنُ مسعود]، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: غُلُّوا مَصَاحِفَكُمْ أَيِ اكْتُمُوهَا، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي فَإِذَا غَلَلْتُمُوهَا جِئْتُمْ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَفَى لَكُمْ بِذَلِكَ شَرَفًا. ثُمَّ قَالَ [ابنُ مسعود] عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَار: وَمَنْ هُوَ (يقصد: زيد بن ثابت) الَّذِي تَأْمُرُونَنِي أَنْ آخُذَ بِقِرَاءَتِهِ وَأَتْرُكَ مُصْحَفِي الَّذِي أَخَذْتُهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (أى: سمعته من محمد مباشرة)؟"[1432].

تعليقنا: عبارة "مُصْحَف الْجُمْهُور" دى مشكوك فيها، لأن عثمان لم يعمل إحصاء أو استفتاء على مصحفه، فلا يوجد لدينا أى دليل علمى يثبت أن معظم المسلمين وافقوا على مصحف عثمان عن اقتناع. ونعتقد أنهم وافقوا عليه حفاظاً على وحدة الأمة وطاعةً لأولى الأمر: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا [...] أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ" (النساء 59) "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ" (الأنفال 46). نستطيع إذن أن نقول إن

مصحف عثمان هو "مصحف التوافق" (compromise)، أى أن المسلمين تراضوا فيما بينهم وتوافقوا على هذا المصحف تغليباً للمصلحة العامة وحسماً للخلاف ودرءاً للفتنة التي "أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ" (البقرة 191).

والأصوب والأدق هو أن نقول إن مصحف عثمان هو "مصحف الكَتَبَة"، أى: المصحف الذى أنتجه مجموعة مِن الكَتَبَة (scribes) الموظفين المُنتدَبين فى الحكومة، ثم توافق عليه الشعبُ الخاضع لهذه الحكومة. وترجع أهمية هذه التسمية إلى أنها تُذكِّرنا بالدور البشرى الذى لعبه الكَتَبَةُ (scribes) فى إنتاج المصحف، ولأنها تساعد المسلمين على تفسير "الوحى" تفسيراً عقلانياً، ليس "إملاء حرفى" (word-by-word dictation) مِن الله إلى جبريل إلى محمد كما يزعم التراث الإسلامى، وإنما "إلهام روحى" (inspiration) مِن الله إلى جبريل إلى محمد إلى الكَتَبَة، ثم يقوم الكَتَبَةُ – وليس محمد – بتدوين هذا الإلهام الروحى بطريقتهم وأسلوبهم الذى يناسب زمانهم ومكانهم، أى: يقوم الكتبةُ بتحويل "روح" النص (spirit) إلى "حروف" (letters) مادية مكتوبة ومقروءة للشعب[1433]. ولأن معظم أعضاء اللجنة كانوا مِن قريش، فيمكن أيضاً أن نُسمِّى هذا المصحف "مصحف قريش".

وهكذا صار لدى المسلمين لأول مرة فى تاريخهم "مصحف" (مُجَلَّد) (codex) عام (vulgate)[1434] ورسمى (official) تعمل السلطة السياسية على توزيعه وترويجه فى الأقطار الإسلامية وحرق وإتلاف كل ما يخالفه. هذا الكتاب الرسمى-الشعبى يُعرَف باسم "مصحف عثمان" (The Canon of Uthmân) فى الكتب والمراجع الإسلامية، ويُعرَف أيضاً باسم "المصحف العثمانى" (The Uthmānic Codex') أو "المصحف الإمام" أو "المصحف العثمانى الإمام".

ويزعم التقليدُ الإسلامى أن القرآن الذى "ثبت فى الْعَرْضَةَ الْأَخِيرَة" هُوَ هُوَ نفسه مصحف عثمان وهُوَ هُوَ نفسه المصحف الذى بين أيدينا الآن! وهكذا جعلوا بالقوة اللوحَ المحفوظ = قرآن محمد = مصحف عثمان = المصحف الحالى! ثم ابتدعوا قانون ازدراء الأديان حتى يصنعوا بالقانون ما صنعه عثمان بالعنف و "قوة الدراع"! فلا يزال المصحف قائماً إلى اليوم بقوة السيف، ويُحْكَم بالكفر والردة على مَن ينكر مِنه شيئاً!

وكالعادة، لا يوجد أى دليل علمى يثبت صحة هذه البروباجاندا الإسلامية التى تزعم أن اللوح المحفوظ = قرآن محمد = مصحف عثمان = المصحف الحالى. بل إن كل الأدلة الإسلامية التى أمامنا تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن "مصحف عثمان" كان مجرد مصحف من المصاحف (one among many)، وليس المصحف الوحيد ولا حتى المصحف الصحيح. فَمَا "مصحف عثمان" إلا ثمرة اجتهاد بشرى قام به مجموعة مِن الكَتَبَة (scribes) الموظفين المُنتدَبين فى الحكومة والمقربين جداً مِن الحكومة؛ وهذا الاجتهاد البشرى يحتمل الخطأ مثل أى اجتهاد بشرى آخر. ولا يوجد مسلم عاقل يستطيع أن يزعم أن هؤلاء الكَتَبَة كانوا معصومين من الخطأ وَهُمْ ينتجون المصحف.

ومِن حقنا هنا أن نسأل المسلمين الأسئلة التالية عن المراحل المختلفة لجَمْع القرآن:

- لو كانت قصة "الْعَرْضَة الأَخِيرَة" للقرآن بين محمد وجبريل قصة حقيقية كما تزعمون، فلماذا لم يجمع محمدٌ القرآنَ بعدها مباشرة؟
- ما الدليل على أن الصحف التى أعدها زيد بن ثابت فى عهد أبى بكر هى نسخة كاملة 100% (complete) وصحيحة 100% (correct) مِن المصادر المتفرقة للقرآن: الرِّقَاعِ وَالأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُور الرِّجَالِ؟ ما الدليل على أن هذا الشاب الصغير زيد بن ثابت كان معصوماً مِن الخطأ أثناء قيامه بعملية جَمْع القرآن الأولى؟
- ما الدليل على أن الصحف التى أعدها زيد وانتقلت إلى أبى بكر ثم انتقلت إلى عمر ثم انتقلت إلى حفصة ظلت محفوظة كما هى طوال هذه المدة (أكثر من 12 سنة) ولم ينقص منها قرآن أو يُضاف إليها قرآن جديد؟
- ما الدليل على أن حفصة أعطت عثمان كل الصحف التى كانت عندها؟ يُروَى أن حفصة رفضت فى البداية أن تعطى عثمان هذه الصحف: "أبت (حفصة) حتى عاهدها (عثمان) ليردنه إليها"[1435].
- ما الدليل على أن مصحف عثمان هو نسخة طبق الأصل مِن صحف حفصة (a certified true copy of the original document)؟ مِن المحتمل جداً أن تكون حدثت أخطاء أثناء عملية النسخ، سواء كانت أخطاء مقصودة أو غير مقصودة، وسواء كانت أخطاء فى الحفظ أو فى الكتابة.
- هل قام أحدٌ (مِن خارج اللجنة التى شَكَّلها عثمانُ) بمراجعة مصحف عثمان على صحف حفصة؟
- هل يوجد أى دليل علمى على أن النسخ الأصلية لمصحف عثمان موجودة الآن؟ وإذا كانت موجودة، فأين هى؟ يجيب الشيخ الزرقانى على هذا السؤال بقوله: "وليس بين أيدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العثمانية الآن فضلاً عن تعيين أمكنتها"[1436]. إذن: مصحف عثمان اختفى من الوجود! وهذا يقودنا إلى الأسئلة التالية: لماذا اختفت كل النسخ الأصلية لمصحف عثمان؟! هل هذا الاختفاء كان مقصوداً أم غير مقصود؟ ولماذا لم يحافظ إلهُ الإسلام على مصحف عثمان (الجَمْع الثانى للقرآن)؟! ألم يقل: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 9)؟! إن اختفاء مصحف عثمان بهذه الطريقة المريبة يكفى كدليل قاطع على أن عبارة "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" مجرد أسطورة، مما يدل على أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله. وربما يكون "مصحف عثمان" نفسه مجرد أسطورة اخترعها التراث الإسلامى.

وكما هو متوقع، انتهت حياة الديكتاتور عثمان بالقتل على أيدى مسلمين. فكان عثمان هو أول ديكتاتور مسلم يُقتَل على أيدى مسلمين. وطبعاً لم يكن الأخير. ولم يُدفَن عثمان مع محمد وأبى بكر وعمر!

ومات حُذَيْفَةُ بْن الْيَمَان بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة فقط! ويُقال إن حذيفة كان قبيل موته شديدَ الخوفِ على نفسه مِن عقاب الله، وكان يردد: "أعوذ بالله مِن صباحٍ إلى النار (أي: أعوذ بالله مِن صباحٍ يوصِلُني إلى النار)". وكانت آخر كلماته: "لا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ".

بعد مقتل عثمان، ثم مقتل الخليفة الرابع "علىّ بن أبى طالب"، وانهيار الخلافة الراشدة وقيام الدولة الأموية، "أرسل مروان [بن الحكم] – حين كان أمير المدينة مِن جهة معاوية [بن أبى سفيان] – يسألها (أى: يسأل حفصة) الصُّحُفَ التى كُتِب منها القرآن، فأبت أن تعطيه (أى: فرفضت حفصة أن تعطى الصُّحُفَ لمروان!). فلَما توفيت حفصة، ورجعوا من دفنها، فأرسل مروان إلى [أخيها] عبد الله بن عمر ليرسل إليه بتلك الصُّحُفِ، فأرسل بها إليه، فأمر مروان بها (أى: بالصُّحُفِ) فشقت وحرقها، وقال: إنما فعلت هذا لأنى خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب"[1437]! وفي كتاب المصاحف للسجستاني: "حرقها (أى: حرق مروانُ صُحُفَ حفصة) مخافة أن يكون في شيء مِن ذلك اختلاف لما نسخ عثمانُ"[1438]!

[أسئلة مشروعة: لو كان مصحف عثمان نسخة طبق الأصل مِن صحف حفصة، فلماذا رفضت حفصة أن تعطى الصُّحُفَ لمروان؟ ولماذا حرص مروان أن يحصل على صحف حفصة ليحرقها؟! هل لأنها ليست مكتوبة بحروف عربية، وإنما مكتوبة بالخط "الجرشونى" (Garshuni)[1439] – الذى يُعرَف أيضاً باسم "كرشونى" (Karshuni) وهو عبارة عن لغة عربية مكتوبة بحروف سريانية؟ والأهم من كل ذلك هو: لماذا لم يحافظ إلهُ الإسلام على صحف حفصة (الجَمْع الأول للقرآن)؟! ألم يقل: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 9)؟! إن اختفاء صحف حفصة يكفى كدليل قاطع على أن عبارة "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" مجرد أسطورة، مما يدل على أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله.]

وهكذا حرصت السلطة السياسية القرشية على ألا يبقى على الساحة الدينية سوى مصحف واحد فقط هو مصحف قريش، الذى يُسمَّى مصحف عثمان. وعلى الرغم مِن كل ذلك، فشلت السلطة السياسية فى القضاء نهائياً على الاختلافات بين المصاحف. فلقد ظلت المصاحف المختلفة تعانى مِن التحريف والنقصان والزيادة. وهذا ما سنناقشه فى الصفحات التالية ...

2.4.4 النقصان والتحريف: الآيات القرآنية الضائعة والمحذوفة والمُحرَّفة

السؤال الأهم هو: بعد كل هذه الفترة الطويلة التى امتدت إلى أكثر مِن 14 سنة مِن وفاة محمد (632م) إلى مصحف عثمان (646م) مروراً بزيد بن ثابت وأبى بكر وعمر وحفصة، ثم بعد ذلك فترة زمنية أطول امتدت إلى أكثر مِن 1400 سنة مِن زمان محمد إلى زماننا، ما الدليل على أن القرآن الذى جاء به محمدٌ هُوَ هُوَ نفسه المصحف الحالى الذى بين أيدينا اليوم؟!

ما الدليل على أن قرآن محمد = مصحفك الموجود الآن فى بيتك وسيارتك؟

أو بعبارة مختصرة: ما الدليل على أن المصحف = القرآن؟

فى الواقع، توجد مشكلتان رئيسيتان:

المشكلة الأولى: محمد كان ينسى آيات قرآنية. والقرآن نفسه يعترف بذلك: "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا" (البقرة 106)، "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى. إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [أَنْ تَنْسَاهُ]" (الأعلى 6-7). والدليل على أن هذا النسيان قد وقع بالفعل موجودٌ فى الأحاديث الصحيحة التى تدل على أن محمد كان بالفعل ينسى القرآن. على سبيل المثال، أخرج الشيخان البخارى ومسلم حديثاً صحيحاً عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ (محمدٌ): يَرْحَمُهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، كُنْتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا"؛ وفى روايتى مسلم أن محمداً قال: "يَرْحَمُهُ اللَّهُ. لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا. آيَةً كُنْتُ أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا"؛ أو: "رَحِمَهُ اللَّهُ. لَقَدْ أَذْكَرَنِي آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا"[1440].

كما روى ابن أبى حاتم "عن ابن عباس قال: كان مما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل وينساه بالنهار، فأنزل الله: مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا"[1441]. ومن اللافت للانتباه أن هذه الرواية تتحدث عن النسيان فقط وليس "النسخ". ونحن أيضاً نتحدث هنا عن النسيان فقط. أما "النسخ" فسنتحدث عنه في وقتٍ لاحق. وسنكتفي هنا بتوضيح علاقة بين النسيان والنسخ (أي: نسخ التلاوة، إلغاء القراءة). فلقد روى أبو داود حديثاً يقول إن محمداً نَسِيَ قرآناً في الصلاة، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ! تَرَكْتَ آيَةَ كَذَا وَكَذَا". فَقَالَ محمدٌ لهذا الرجل: "هَلَّا أَذْكَرْتَنِيهَا (وفي روايات أخرى: فَهَلَّا ذَكَّرْتَنِيهَا)". وقال أحد رجال السند: "كُنْتُ أُرَاهَا نُسِخَتْ (أي: ظننت أن محمداً ترك قراءتها لأن تلاوتها قد نُسِخَتْ)"[1442]. ونحن نستنتج مِن هذا الحديث أن محمداً كان لَمَّا ينسى القرآنَ، يظنُ بعضُ الصحابة أن هذا القرآن قد "نُسِخَ" مع أنه في الواقع لم يُنْسَخ. وإنما محمد نساه فقط. وهذا الارتباك بين الصحابة هو أحد الأسباب التي أدت إلى اختلاف مصاحف الصحابة بين القرآن منسوخ التلاوة (أي: المُلغَى، المحذوف) والقرآن الثابت غير المنسوخ.

ونلاحظ مِن النصوص السابقة أن أصحاب القرآن ورواة الأحاديث والمفسرين – والمسلمين مِن بعدهم – قد تعاملوا مع هذه المشكلة بنفس الطريقة التى يتعاملون بها مع كثير مِن المشكلات التى يعانى منها الإسلامُ. وهذه الطريقة بسيطة جداً ويستطيع أى طفل صغير أن يلجأ إليها، فهى تتلخص فى أن يُقحِموا "الله" فى المشهد حتى يستطيعوا أن يختبئوا وراء "الله" ويحتموا به. يقول د. محمد عابد الجابرى: "جميع علماء الإسلام من مفسرين ورواة حديث وغيرهم يعترفون بأن ثمة آيات، وربما سوراً، قد "سقطت" ولم تدرج فى نصّ المصحف. بعضهم يستعمل لفظ "رُفِعَت"، بمعنى أن الله رفعها"[1443]. وهكذا زعم المسلمون أن "الله" هو الذى "رَفع" – أو: "نَسخ"؛ أو: "أسقط"؛ أو: كان "يُنسِى" محمداً – هذه الآيات القرآنية لحكمة "إلهية" معينة! ولا تسألهم عن هذه الحكمة الإلهية المزعومة، لأنهم بالتأكيد سيقولون لك الإجابة الإسلامية الشهيرة: "الله أعلم"! فكما اختبأوا وراء "الله" لحل المشكلة، سيختبأوا وراء "الله" أيضاً للإجابة على أى سؤال توجهه لهم.

ونحن نقول لهم: إن الأقرب إلى العقل والمنطق هو أن محمد نفسه – مثل أى إنسان بشر – ممكن أن ينسى. ومِن حُسْن الحظ أن محمد نفسه لم يزعم أبداً أنه كان لديه قوة خارقة لتذكُّر كل سورة وكل آية وكل كلمة وكل حرف وكل نقطة. بالعكس، محمد نفسه اعترف بأنه بشر مثلنا وينسى كما ننسى. يقول حديث

صحيح أخرجه البخارى ومسلم إن محمداً قال: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي"؛ وفى إحدى روايات مسلم أن محمداً قال: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ. أَذْكُرُ كَما تَذْكُرُونَ. وَأَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ"[1444].

إذن: احتمال النسيان وارد، بل وارد جداً، لأن محمد مجرد إنسان بشر. وهذا النسيان فى حد ذاته لا يعيب النبىَّ فى شىء. فَموسى (أكثر نبى مذكور فى القرآن وأحد أولى العزم من الرسل) كان ينسى: "قَالَ (موسى للخَضِر) لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ" (الكهف 73). وكلنا نعانى مِن مشكلة النسيان، ونتغلب عليها بتدوين الأمور التى تهمنا ونحتفظ بها دائماً بالقرب مننا. لكن محمد لم يفعل ذلك، ولم يُدوِّن كل القرآن فى مصحف واحد، مما أدى إلى عدم وجود مصحف جامع صحيح واحد مُوحَّد فى حياة محمد، ولا حتى عند وفاته.

وإذا كان محمد نفسه ينسى القرآنَ، فإن الصحابة كانوا بالتأكيد ينسون القرآنَ أيضاً. ولقد ذَكر ابن الجوزى فى كتابه الشهير "نواسخ القرآن" روايةً تقول إن "رهطاً مِن أصحاب النبى ﷺ أخبروه أنه قام رجلٌ منهم مِن جوف الليل يريد أن يفتتح سورةً كان قد وعاها، فلم يقدر منها على شىء إلا "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، فأتى بابَ النبى ﷺ حين أصبح يسأل النبى ﷺ عن ذلك، جاء آخر وآخر حتى اجتمعوا فسأل بعضهم بعضاً ما جمعهم، فأخبر بعضهم بعضاً بشأن تلك السورة، ثم أذن لهم النبى ﷺ، فأخبروه خبرهم، وسألوه عن السورة فسكت ساعة، لا يرجع إليهم شيئاً، ثم قال: "نُسِخَت البَارِحَة فنُسِخَت مِن صدورهم (أى: مِن صدور الصحابة) ومِن كل شىء كانت فيه""[1445]. كما ذَكر البغوى فى تفسيره لـ(البقرة 106) روايةً مشابهة تقول إن "قوماً من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قاموا ليلة ليقرؤوا سورةً فلم يذكروا منها إلا "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، فغدوا إلى النبى ﷺ، فأخبروه، فقال رسول الله ﷺ: "تلك سورة رُفِعَت بتلاوتها وأحكامها""[1446]. ونستنتج من هذه الروايات أن الصحابة كانوا ينسون القرآنَ مثل محمد، إلا أن المراجع الإسلامية – كالعادة – تحاول أن تستخدم ألفاظاً غير صادمة، فتقول "نُسِخَت" (abrogée) أو "رُفِعَت" (enlevée).

وكذلك كان الصحابة ينسون الأحاديث النبوية. ولذلك فإن كثيراً منهم لم يكثر من الرواية عن محمد، عل الرغم من طول صحبته لمحمد. على سبيل المثال: "الزبير بن العوام" – ابن أخ السيدة خديجة وابن عمة محمد الذى أسلم صغيراً فى مكة ثم صار مِن المسلمين المهاجرين الأوائل ومِن كبار الصحابة ومِن العشرة المبشرين بالجنة وشهد المشاهد كلها مع محمد وتزوج أسماء بنت أبي بكر الصديق وأخت السيدة عائشة – كان مِن المفترض أن يكون الزبير مِن أكثر الرواة عن محمد. إلا أنه كان قليل الرواية. لماذا؟ لأنه "كان يخشى أن ينسى أو يخطىء فى رواية الحديث عن النبى ﷺ، فيقول ما لم يقله النبى عليه الصلاة والسلام، ولذلك كان قليل الحديث عن الرسول ﷺ"[1447]. وفى المقابل، نجد صحابة آخرين – مثل "أبي هريرة" الذى أسلم متأخراً جداً (سنة 7هـ) – مِن أكثر الرواة عن محمد! مما جعل بعض المسلمين اليوم يشككون فى أحاديث أبي هريرة حتى لو أخرجها البخارى و/أو مسلم.

وبما أن محمد كان ينسى القرآنَ، وبما أن الصحابة كانوا ينسون القرآنَ والأحاديث أو يضعون أحاديث أو تُنسَب إليهم أحاديث غير صحيحة، وبما أن الصحابة – أو: مَن ظل مِنهم على قيد الحياة بعد حروب الردة

– هُمْ الذين جمعوا القرآن، فإنه مِن المحتمل جداً – بل مِن المؤكد – أن هناك آيات قرآنية لم تصل إلينا وهناك آيات غير قرآنية وُضِعَت فى مصاحف الصحابة. فَمِن المؤكد إذن وجود اختلافات بين مصاحف الصحابة.

ولذلك اضطرت السلطة السياسية القرشية بعد محمد إلى التدخل فى الشئون الدينية، فاستغل القرشيون مناصبهم كخلفاء للمسلمين. أولاً: أبو بكر؛ ثم: عثمان الذى لجأ إلى العنف لتوحيد المصاحف فحرق كل المصاحف المخالفة لمصحفه! لكن كل هذا العنف السياسى الذى مارسه عثمانُ فشل فى القضاء نهائياً على الاختلافات بين المصاحف. وهذا ينقلنا إلى المشكلة الثانية: الاختلافات بين المصاحف.

<u>المشكلة الثانية:</u> وهى متعلقة بالاختلافات بين المصاحف.

تقول البروباجاندا الإسلامية إن الإختلافات بين المصاحف كانت بسبب بعض العبارات التفسيرية التى كان يكتبها هذا الصحابى أو ذاك على هامش مصحفه. وقيل إن بعض هذه المصاحف "كان يُدخل بعض عبارات تفسيرية فى صلب الآيات أو فى أواخرها"[(1448)]! فأمر عثمانُ بحرقها حتى لا تختلط بالقرآن.

ونحن نقول: إنْ صح ذلك، فهو دليل إدانة وليس دليل براءة. إدانة لعثمان، لأنه يعنى أن عثمان قد شك فى قدرة الصحابة على التمييز بين ما هو قرآن وما هو ليس قرآناً. وإدانة للصحابة أنفسهم، لأنه يتهمهم بوضع كلاماً غير قرآنى وسط الآيات القرآنية. وحتى لو افترضنا جدلاً أن صحابياً أو اثنين أو حتى عشرة فعلوا ذلك، فإنه لا يُعقَل أن كل الصحابة فى جميع الأقطار الإسلامية كانوا يفعلون ذلك. هل يُعقَل أن كل الصحابة والتابعين من الطبقة الأولى – إلا عثمان وأعوانه – كانوا يضعون عبارات تفسيرية فى مصاحفهم؟! هذا مستحيل عقلاً. ولا يوجد دليل نقلى مِن السُّنَّة الصحيحة يؤيد هذه البروباجاندا الإسلامية.

ثم: ما هى المعايير (criteria) التى على أساسها يمكن أن نحدد إذا كانت العبارة "تفسيرية" أم "قرآنية"؟! فنحن نجد فى المصحف الحالى عبارات كثيرة يمكن أن نعتبرها عبارات تفسيرية، مثل:

- عبارة "وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ" (آل عمران 39) التي مِن الممكن أن تُحذَف ثم تُقرَأ الآيةُ بدون أدنى مشكلة: "فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا [...]".
- عبارة "وَهُوَ يَعِظُهُ" (لقمان 13) التي مِن الممكن أن تُحذَف ثم تُقرَأ الآيةُ بدون أدنى مشكلة: "وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ".
- عبارة "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ" (آل عمران 36) التي مِن الممكن أن تُحذَف ثم تُقرَأ الآيةُ بدون أدنى مشكلة: "قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ [...]".
- عبارة "أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ" (يونس 31) التي مِن الممكن أن تُحذَف ثم تُقرَأ الآيةُ بدون أدنى مشكلة: "قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ".

- عبارة "مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ" (الأنعام 52) التي مِن الممكن أن تُحذَف ثم تُقرَأ الآيةُ بدون أدنى مشكلة: "وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ".
- عبارة "كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" (يوسف 76). عبارة طويلة جداً وتفسر ما قبلها ومِن الممكن أن تُحذَف ثم تُقرَأ الآيات التي قبلها وبعدها بدون أدنى مشكلة: "فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ. قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ [...]".
- عبارة "كَانَ مِنَ الْجِنِّ" (الكهف 50) التي مِن الممكن أن تُحذَف ثم تُقرَأ الآيةُ بدون أدنى مشكلة: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ (أي: وأتباعه) أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي [...]". بل إن حذف هذه العبارة سيحل مشكلة طبيعة إبليس (الشيطان) التي احتار فيها المفسرون وسنناقشها بالتفصيل في وقتٍ لاحق. ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً مخطوطة قرآنية قديمة ليس فيها عبارة "كَانَ مِنَ الْجِنِّ" الموجودة الآن مرة واحدة فقط في المصحف الحالي (الكهف 50).
- عبارة "وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ" (البقرة 102) وكذلك عبارة "وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ" في نفس الآية. يمكن حذف هاتين العبارتين ثم تُقرَأ الآيةُ بدون أدنى مشكلة: "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ (أي: في فترة مُلكه وحُكمه) وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ". ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً مخطوطة قرآنية قديمة ليس فيها هاتان العبارتان، وبخاصة أن قصة "هاروت وماروت" لم تُذكَر في المصحف الحالي إلا مرة واحدة فقط (البقرة 102)! و (البقرة 102) بصورتها الحالية آية طويلة جداً؛ فربما تكون مرت بعدة مراحل تطور حتى وصلت إلى صورتها الحالية. بل لن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن (البقرة 102) – كلها أو بعضها – آية دخيلة غير أصلية، أي: أضيفت لاحقاً بعد وفاة محمد؛ وبخاصة أنها الآية المدنية الوحيدة التي تذكر شيئاً عن فترة حُكم المَلِك سليمان[1449].
- عبارة "إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ" (هود 29) التي مِن الممكن أن تُحذَف ثم تُقرَأ الآيةُ مع تعديل بسيط: "[...] وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ".

لماذا لا يكون عثمان وأعوانه هُمْ الذين كانوا يضعون عبارات تفسيرية في صلب الآيات أو في أواخرها؟ لأسباب دينية و/أو سياسية.

أما العبارات التفسيرية على الهامش (marginal exegesis) فهى ليست مشكلة تدعو إلى حرق المصاحف، فبعض المصاحف الحديثة تُطبَع اليوم بالتفسير على الهامش ولم يطالب أحدٌ بحرقها. ومعظمها

أو كلها تقريباً تُطبَع باجتهادات بشرية إما فى الإطار الخارجى، مثل: أسماء السور والترتيب الزمنى للنزول (مكي أو مدني)؛ أو مُلحَقَة بسطور المصحف، مثل: ترقيم الآيات وعلامات السجود. وكذلك بعض التفاسير الحديثة تضع التفسير البشرى بين الآيات القرآنية. بل إن بعض المصاحف فى البلاد غير العربية (مثل: إيران وتركيا والهند) كانت ولا تزال تُكتَب بترجمة بين السطور (interlinear translation). ولم يطالب أحدٌ بحرق كل تلك المصاحف التى تضع كلاماً بشرياً غير قرآنى وسط الآيات القرآنية. إذن: ما تقوله البروباجاندا الإسلامية هو مجرد حيلة دفاعية ضعيفة لتبرير حرق عثمان للمصاحف المُخالِفة لمصحفه.

وتحاول البروباجاندا الإسلامية أيضاً أن تُقلل مِن أهمية الإختلافات بين المصاحف، فتزعم أن الإختلافات بين المصاحف كانت فقط فى القراءات (variant readings) (variae lectiones)، ولم تكن فى المحتوى (أى: مَتْن القرآن ونَصه).

ونحن نقول: إنَّ ما تقوله البروباجاندا الإسلامية غير صحيح. أولاً: لأن القراءات المختلفة (lectures divergentes) أمر طبيعى وحتمى. وذلك لأسباب كثيرة، مِنها أن القرآن نفسه عمل جماعي اشترك فيه أكثر مِن شخص وتطور (evolve) بمرور الزمن. وكما قلنا فيما سبق، مِن الممكن أن تمر الآية القرآنية بمراحل متعددة تتطور فيها مِن صيغة إلى أخرى، وأعطينا أمثلة على ذلك. وهو ما يُسمَّى أحياناً في المراجع الإسلامية بأسماء عجيبة لا نجدها إلا في الإسلام مثل "تعدد النزول" أو "الأحرف السبعة" أو "النسخ" ... الخ. أما نحن فنسميه "التطور" (evolution) أو "التطور البشري الطبيعي" (natural human development). وسنفترض مثلاً – للسهولة وتوضيح الفكرة – أن آية قرآنية مرت بمرحلتين فقط: مرحلة أ ثم مرحلة ب. وحدث أن صحابياً توقف عند المرحلة أ ولم يسمع عن المرحلة ب، بينما صحابيٌ آخر سمع عن المرحلة ب ولم يعرف أصلها وهو المرحلة أ. أيهما أصح؟ الإجابة: كلاهما. نعم، كلاهما صحيح، لكن كل واحد منهما سمع عن مرحلة معينة ولم يسمع عن المرحلة الأخرى. وبمرور الزمن، تحولت المرحلة أ إلى "قراءة فلان" بينما تحولت المرحلة ب إلى "قراءة علان". وكلتا القراءتان صحيحتان. وطبعاً، كما أنتجت عملية التطور البشري الطبيعي قراءات صحيحة، أنتجت أيضاً قراءات غير صحيحة. وكما هي الحال في أي عملية تطور، توجد كائنات تستمر بينما كائنات أخرى تنقرض. كذلك في عملية تطور القرآن، استمرت قراءات (آيات) وانقرضت قراءات (آيات) أخرى فلم تصل إلينا.

ونضيف إلى ما سبق الطريقةَ البسيطة التى كان القرآنُ يُكتَب بها فى ذلك الوقت. طريقة مبسطة جداً تعانى مِن مشكلات كثيرة، مثل:

- عدم التنقيط (الإعجام). أى: عدم وضع النقط على الحروف (diacritical dots) (points diacritiques). مما يعنى أن حروف "ج" و "ح" و "خ" مثلاً كانت تُرسَم كلها "ح" بلا نقطة.

- وعدم التشكيل (الضبط). أى: عدم وضع علامات للحركات القصيرة (short vowel marks) كالفتحة والضمة والكسرة، وعدم وضع علامتى السكون (absence of a vowel) والشدة (consonantal duplicator).
- وعدم كتابة حروف مهمة مثل الهمزة (glottal stop) والألف كحرف مد (mater lectionis)[(1450)].
- وعدم وضع علامات مهمة أخرى مثل علامات الوَصْل (أى: الاستمرار فى التلاوة ووَصْل الكلام بما قبله) والوَقْف (أى: قطع التلاوة بين كلامين بالسكوت لحظة بين نهاية الكلام الأول وبداية الكلام الثانى) التى إما تُلزم القارئ أن يَقِف (full stop) أو يَصِل أو تُجيز الوصل والوقف أو تُرجّح أحدهما على الآخر وغير ذلك مِن قواعد التلاوة التى قد تؤثر تأثيراً كبيراً على المعنى.

إذن: اختلاف القراءات لا مفر منه ولا بد أن يحدث، وكان يحدث فى حياة محمد نفسه، ولم يأمر محمدٌ بحرق القراءات المخالفة. بالعكس، وافق محمدٌ عليها، لأنها – كما قلنا – صحيحة. وخير دليل نقلى على ذلك هو ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما أن الصحابي عمر بن الخطاب أخذ بخناق الصحابي هشام بن حكيم وساقه إلى محمد، وما نَقَم عمرُ على هشام إلا أنه قرأ سورة الفرقان على وجه لم يقرأه عمر. فاستمع محمدٌ لقراءة هشام لسورة الفرقان فوافقه عليها وقال له: "هكذا أُنْزِلَتْ". ثم استمع محمدٌ للقراءة المختلفة التى كان عمرُ يقرأ بها سورةَ الفرقان فوافقه عليها أيضاً وقال له نفس الجملة: "هكذا أُنْزِلَتْ" على الرغم مِن اختلاف القراءتين. ثم قال محمدٌ قولته الشهيرة: "إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ"[(1451)]. وينتهى الحديث بدون أن يشرح محمدٌ معنى نزول القرآن على سبعة أحرف!

وظل اختلاف القراءات موجوداً حتى بعد أن أحرق عثمانُ المصاحف المخالفة. فلقد رُوِىَ أن المصاحف التى أنتجتها لجنة الأربعة التى شكلها عثمان لم تنتج مصاحف متطابقة، وإنما أنتجت مصاحف متعددة متفاوتة. يقول الشيخ الزرقانى: "كتبوا مصاحف متعددة [...] وكتبوها متفاوتة فى إثبات وحذف وبدل وغيرها؛ لأنه (أى: عثمان) قصد اشتمالها على الأحرف السبعة [التي نزل بها القرآنُ]. وجعلوها خالية من النقط والشكل، تحقيقاً لهذا الاحتمال أيضاً. فكانت بعض الكلمات يُقرَأ رسمُها بأكثر من وجه عند تجردها من النقط والشكل". وكالعادة، اختلف المسلمون اختلافاً شديداً فى معنى نزول القرآن على سبعة أحرف. ويرى الشيخ الزرقانى أنها "الأوجه التى يرجع إليها كل اختلاف فى القراءات، سواء منها ما كان صحيحاً وشاذاً ومنكراً"، وهى عنده كما عند الإمام الرازى سبعة وجوه بالضبط على سبيل الحصر:

الوجه الأول: اختلاف الأسماء مِن إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث؛

الوجه الثانى: اختلاف تصريف الأفعال (conjugation) من ماضٍ ومضارع وأمر؛

الوجه الثالث: اختلاف وجوه الإعراب (declension)؛

الوجه الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة (أى: كلمة ناقصة أو كلمة زائدة)؛

الوجه الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير (أى: وضع كلمة قبل أخرى أو بعدها)؛

الوجه السادس: الاختلاف بالإبدال (replacement) (أى: وضع كلمة بدلاً مِن أخرى. بسبب تقارب المعنى أو عدم التنقيط مثلاً)؛

الوجه السابع: اختلاف اللغات (أى: تباين لهجات القبائل العربية)[1452].

إذن: أحد أسباب مشكلة اختلاف القراءات القرآنية هو الطريقة القديمة المبسطة الناقصة (defective; scriptio defectiva) التي كانت تُكتَب بها اللغةُ العربية في ذلك الوقت المبكر: بلا نقط على الحروف، وبلا علامات تشكيل، وبلا ألف كحرف مد ... الخ. على سبيل المثال:

- عدم وضع النقط على الحروف يجعل الرسمَ "ر" يمكن أن يُقرَأ "ر" أو "ز"؛ ويجعل الرسمَ "د" يمكن أن يُقرَأ "د" أو "ذ"؛ ويجعل الرسمَ "س" يمكن أن يُقرَأ "س" أو "ش"؛ ويجعل الرسمَ "ص" يمكن أن يُقرَأ "ص" أو "ض"؛ ويجعل الرسمَ "ط" يمكن أن يُقرَأ "ط" أو "ظ"؛ ويجعل الرسمَ "عـ" يمكن أن يُقرَأ "عـ" أو "غـ"؛ ويجعل الرسمَ "فـ" يمكن أن يُقرَأ "فـ" أو "قـ"؛ ويجعل الرسمَ "حـ" يمكن أن يُقرَأ "جـ" أو "حـ" أو "خـ"؛ ويجعل النبرة (tooth) (dent) "ـ" يمكن أن تُقرَأ "بـ" أو "تـ" أو "ثـ" أو "يـ" أو "نـ" أو حتى "ئـ" لأن الهمزة لم تكن تُكتَب على النبرة.

باختصار: عدم وضع النقط على الحروف يؤدى إلى غموض أكثر مِن 21 حرف مِن الـ 28 حرف؛ يعنى نظرياً: غموض أكثر مِن 75% مِن حروف اللغة العربية! لكن لأن بعض الحروف تُستخدَم أقل من غيرها، فهذا يؤدى عملياً إلى غموض أكثر من 50% مِن الحروف المُستخدَمة فى أقدم مخطوطات القرآن[1453]! يعنى: مِن كل حرفين في القرآن، يوجد حرف غامض يؤدى إلى الاختلاف!

- فالرسم "فىىىوا" مثلاً الذى يُقرَأ "فَتَبَيَّنُوا" فى المصحف الحالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا" (الحجرات 6) يمكن أن يُقرَأ "فَتَثَبَّتُوا". قال الطبرى: "وَذُكِرَ أَنَّهَا فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ (بن مسعود) مَنْقُوطَةٌ بِالثَّاءِ (أى: فَتَثَبَّتُوا)"[1454]. ونحن نرى أن "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَثَبَّتُوا" أقوى وأفضل مِن "فَتَبَيَّنُوا" الموجودة الآن فى المصحف الحالى، لأن التثبت يركز على النتيجة النهائية (end result) بينما التبين يركز فقط على المجهود (effort). وربما كان القرآن الأصلى يقول "فَتَثَبَّتُوا" ثم حُرّفَت بعد ذلك فى المصحف – عن جهل أو عن عمد – إلى "فَتَبَيَّنُوا".
- والرسم "ىسىا" مثلاً الذى يُقرَأ "نَسَبًا" فى المصحف الحالى "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا" (الفرقان 54) يمكن أن يُقرَأ "سَبَبًا". ولقد قُرِئَ بالفعل كذلك[1455].
- والرسم "اىىه" - الذى يُقرَأ "إِنَاهُ" فى المصحف الحالى (الأحزاب 53) - يمكن أن يُقرَأ "إِنَّثَهُ" أى "إِنَاثَهُ"[1456]. وسياق الحديث عن نساء النبى يؤيد هذه القراءة المُخالِفة للقراءة الموروثة.

- وكلمة "سَأُرِيكُمْ" الموجودة فى المصحف الحالى (الأعراف 145) يمكن أن يُقرَأ رسمُها "سَأُوَرِّثُكُمْ"، ولقد قرئت بالفعل كذلك(1457). والسياق يؤيد هذه القراءة المُخالِفة للمصحف الحالى.
- ونظراً لأن الألف لم تكن تُكتَب في كثير من المخطوطات القديمة، فإن (يس 38) يمكن أن تُقرَأ "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا" ويمكن أيضاً أن تُقرَأ "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لا مُسْتَقَرَّ لَهَا"؛ ولقد قرئت بالفعل كذلك(1458)! أي: قراءة تعطي معني، وقراءة أخرى تعطي عكسه!
- وتوجد أدلة على أن النبرة أو الياء غير المنقوطة "ىـ" كانت أحياناً تُكتَب في وسط الكلمة بدلاً مِن الألف، فيمكن أن تُقرَأ "بـ" أو "تـ" أو "ثـ" أو "يـ" أو "نـ" أو حتى "ئـ". مثلاً:
  - الرسم "فىادىه" يُمكن أن يُقرَأ "فَنَادَتْهُ" أو "فَنَادَاهُ". ولذلك فإن (آل عمران 39) قُرِئَت "فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ" وقُرِئَت أيضاً "فَنَادَاهُ جِبْرِيلُ"(1459)!
  - وكذلك الرسم "ابرهىم" يُمكن أن يُقرأ "إبراهيم" (Ibrahīm) (كما ينطقه المسلمون) أو "أبراهام" (Abraham) (كما ينطقه اليهود والمسيحيون). وفى سورة البقرة فقط نجده مكتوباً فى المصحف الحالى بدون نبرة بين الهاء والميم! 15 مرة: (البقرة 124-127، 130، 132-133، 135-136، 140، 258)(1460)!
  - وفي لغتنا العربية اليوم، نقول "شيطان" (shayṭān)، بينما كانت الكلمة تُنطَق "شاطان" (shāṭān) حسب أصلها العبري، لأن الألف الأولى كانت تُكتَب ياء غير منقوطة "ىـ"(1461).
  - وما زلنا حتى اليوم نكتب الياء غير المنقوطة بدلاً مِن الألف، لكن في آخر الكلمة فقط. مثلاً: "عَلَى" و "هُدى" و "نجوى" ... الخ.
- وقال تفسير القرطبي في "إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ" (طه 63): "قَرَأَ أَبُو عَمْرو "إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ". وَرُوِيَتْ عَنْ عُثْمَان وَعَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وَغَيْرهمَا مِنْ الصَّحَابَة، [...]. وَهَذِهِ الْقِرَاءَة مُوَافِقَة لِلْإِعْرَابِ مُخَالِفَة لِلْمُصْحَفِ"(1462). تعليقنا: ربما كان الرسم الأصلى غير المُنقَّط وغير المُشكَّل (the unadorned orthography) يحتوى فقط على النبرة "ىـ"، فقرأها البعضُ "يـ" فصارت "هَذَيْنِ" وهو الصواب، لكن البعض الآخر قرأها "ا" فصارت "هَذَانِ" وهو الخطأ الموجود الآن فى المصحف الحالى. وتوجد قراءات آخرى لهذه الآية المشكلة، ذكرها القرطبى ثم قال بعد ذلك: "وَرَوَى عُرْوَة عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قَوْله تَعَالَى "لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" (النساء 162) ثُمَّ قَالَ "وَالْمُقِيمِينَ" (النساء 162)، وَفِي "الْمَائِدَة" "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ" (المائدة 69)، و "إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ" (طه 63)، فَقَالَتْ [عائشة لعُرْوَة]: يَا ابْن أُخْتِي! هَذَا خَطَأ مِنْ الْكَاتِب. وَقَالَ عُثْمَان بْن عَفَّان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: فِي الْمُصْحَف لَحْنٌ، وَسَتُقِيمُهُ الْعَرَب بِأَلْسِنَتِهِمْ. وَقَالَ أَبَان بْن عُثْمَان: قَرَأْت هَذِهِ الْآيَة عِنْد أَبِي عُثْمَان بْن عَفَّان، فَقَالَ: لَحْنٌ وَخَطَأ، فَقَالَ لَهُ قَائِل: أَلَا تُغَيِّرُوهُ؟ فَقَالَ: دَعُوهُ، فَإِنَّهُ لَا يُحَرِّم حَلَالًا وَلَا يُحَلِّل حَرَامًا". وكالعادة، سيشكك المسلمون فى هذه الروايات سنداً

و/أو متناً، لأنها تعنى أن الكُتَّاب (scribes) كانوا أحياناً يخطئون وَهُمْ يكتبون القرآن. ليس هذا فحسب، بل اخترع المسلمون حيل كثيرة لتبرير هذه الأخطاء النحوية فى المصحف الحالى. والمشكلة هى أن المسلمين يفترضون مِن البداية أن كُتَّاب القرآن كانوا معصومين مِن الخطأ! ونحن نقول لجميع أحبائنا المسلمين: المسألة بسيطة جداً ومنطقية جداً ولا تحتاج اعترافاً من عائشة أو عثمان أو غيرهما. إن هؤلاء الكُتَّاب كانوا بشر من لحم ودم، بشر مثلنا يجوعون ويعطشون ويتعبون وينعسون ويشعرون بالملل والضيق مِن مهنة النسخ المملة. ومِن ثم فإن احتمال خطأ كُتَّاب القرآن وارد، بل وارد جداً. ونحن نرى أن "إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ" أصح نحوياً وأفضل مِن "إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ" الموجودة الآن فى المصحف الحالى. ويبدو فعلاً أن كاتب (طه 63) قد أخطأ كما رُوِى عن عائشة زوجة محمد. ونقول لجميع المسلمين أيضاً: كونوا شجعاناً واعترفوا بأخطاء النُساخ، كما صار اليهود والمسيحيون العقلاء يعترفون بأخطاء النُساخ في الكتاب المقدس[1463]. بل كونوا شجعاناً واعترفوا بأخطاء النُساخ كما اعترف بها المفسرون المسلمون القُدامى، فنحن نرى أن المفسرين القُدامى كانوا أكثر شجاعة وأكثر أمانة مِن المفسرين المحدثين، ولذلك اعترفوا بوجود هذه الأخطاء ولم ينكروها.

مما سبق يتضح أن اختلاف القراءات القرآنية أمر طبيعى ومنطقى، لأن تاريخ تطور النص القرآنى يرتبط بتاريخ تطور اللغة العربية وطرق كتابتها ولهجاتها المختلفة، فلا يمكن الفصل بينهما. ومِن حقنا هنا أن نسأل سؤالاً: ما قيمة هذا المنتج الأدبى (القرآن) إذا كانت اللغة التى ارتبط بها لا تزال فى مرحلة النمو؟ ما معنى أن تتحدى العربَ أن يأتوا بكلامٍ مثل القرآن (الطور 33-34) (يونس 38) (البقرة 23) (هود 13) (الإسراء 88) ولا توجد أصلاً قواعد واضحة ومحددة للغة العربية التى تتحداهم بها؟ تخيل شخصاً يتحداك فى لعبة رياضية جديدة، بدون أن يضع أولاً قواعد واضحة ومحددة لهذه اللعبة! هل ستقبل هذا التحدى؟! تقبله على أى أساس؟!

وكنا نتمنى أن يترك محمدٌ قتلَ الرجال وسبى النساء وغزو الأراضى ونهب الغنائم. كنا نتمنى أن يترك محمدٌ كل هذه الأمور المادية الدنيوية، ويركز فى وضع قواعد واضحة ومحددة لكتابة اللغة العربية وقراءة القرآن بطريقة واحدة موحدة بدون اختلافات. لكن للأسف هذا لم يحدث. ويبدو أن محمد نفسه لم يكن يتخيل أن القرآن سيُجمَع مكتوباً فى كتاب فى يومٍ من الأيام. ولعل هذا يدل على أن القرآن ليس كلام الله. فلو كان القرآن مِن عند الله، لحرص اللهُ على وضع قواعد اللغة العربية أولاً قبل القرآن. لكن العكس هو الذى حدث: ظهر القرآن أولاً، ثم وُضِعَت قواعد اللغة العربية (التنقيط، التشكيل، النحو ... الخ) بعد ذلك، مما أدى إلى ظهور اختلافات بين مصاحف الصحابة.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن الاختلافات بين المصاحف كانت فى القراءات فقط، فهذا ليس أمراً بسيطاً، إذ أن الاختلاف فى القراءة قد يؤدى إلى اختلاف كبير فى المعنى. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ولا داعى لحصرها كلها، فسنكتفى بالأمثلة التالية على سبيل المثال وليس الحصر:

- الرسم "كلمه" الذي يُقرَأ "كَلِمَاتِهِ" في المصحف الحالي (الأعراف 158) يمكن أن يُقرَأ "كَلِمَتِهِ"؛ ولقد قرئ بالفعل كذلك[1464]. وربما كان القرآن الأصلى يقول "النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ (أى: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالمسيح[1465])" ثم حُرِّفَ بعد ذلك فى المصحف إلى "النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ" للتركيز وتسليط الضوء على محمد (النبى الأمى) وليس على المسيح (كلمة الله). وهكذا نرى أن الاختلاف فى حرف واحد يستطيع أن يؤثر تأثيراً كبيراً على الآية القرآنية.
- الرسم "بكلمهم" الذي يُقرَأ "تُكَلِّمُهُمْ" في المصحف الحالي "وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ (أي: تخاطبهم)" (النمل 82) يمكن أن يُقرَأ "تَكْلِمُهُمْ" (أي: تجرحهم)؛ ولقد قرئ بالفعل كذلك[1466]. هذا الاختلاف البسيط في القراءة أدى إلى اختلاف كبير في المعنى، وأثر تأثيراً كبيراً على التفسير. فالقراءة الأولى "تُكَلِّمُهُمْ" الموجودة في المصحف الحالي "دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ" (النمل 82) جعلت فريقاً مِن المفسرين يقولون إن هذه "الدابة" إنسان ناطق مُتَكَلِّم! مع أن المصحف يصفه بأنه "دابة"! بل زاد بعضُ المفسرين على ذلك بأن هذا الإنسان/الدابة عالِم بالقرآن والسنة وسيناظر الكفار وأهلَ البدع في آخر الزمان! ولا ندري كيف يكون إنسان عاقل مُتَكَلِّم عالِم بالقرآن والسنة ومع ذلك يصفه المصحف بأنه "دابة"! أما القراءة الثانية "تَكْلِمُهُمْ" (أي: تجرحهم) تحل هذه المشكلة: دابة (أي: حيوان) يخرج قبيل قيام الساعة ليجرح الكفار. ونحن نرى أن القراءة الثانية "تَكْلِمُهُمْ" – التي أُسقِطت عمداً أو سهواً – أفضل وأقل غرابة مِن القراءة الأولى "تُكَلِّمُهُمْ" التي في المصحف الحالي. وكالعادة، لجأ فريقٌ ثالث إلى حيلة ذكية للتوفيق بين هاتين القراءتين المختلفتين، فقالوا إن "تُكَلِّمُهُمْ" هي تكثير مِن "تَكْلِمُهُمْ"، كما تقول: تُجَرّحهم! وهكذا نجد أن اللغة العربية وطريقة كتابتها ومعاني كلماتها تؤثر تأثيراً كبيراً على القرآن، فلا يمكن الفصل بينهما.
- قال تفسير الطبرى فى "وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ" (آل عمران 146): "اِخْتَلَفَتْ الْقَرَأَةُ فِي قِرَاءَة قَوْله: "قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِير"؛ فَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ قَرأةِ الْحِجَاز وَالْبَصْرَة: "قُتِلَ" بِضَمّ الْقَاف. وَقَرَأَهُ جَمَاعَةٌ أُخْرَى بِفَتْحِ الْقَاف وَبِالْأَلِفِ، وَهِيَ قِرَاءَة جَمَاعَةٍ مِنْ قرأةِ الْحِجَاز وَالْكُوفَة"[1467]. فهنا القراءة المختلفة أعطت المعنى العكسي: "قُتِلَ" بدلاً من "قَاتَلَ".
- وكذلك المثال الشهير "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (فاطر 28) الذى له قراءة مختلفة بإعراب مختلف ومعنى مختلف تماماً. فلقد جاء فى تفسير القرطبى والزمخشرى: "فَإِنْ قُلْت: فَمَا وَجْهُ قِرَاءَة مَنْ قَرَأَ "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ" بِالرَّفْعِ "مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ" بِالنَّصْبِ، وَهُوَ عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز، وَتُحْكَى عَنْ أَبِي حَنِيفَة. قُلْت: الْخَشْيَةُ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَة اِسْتِعَارَةٌ، وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا يُجِلّهُمْ وَيُعَظِّمهُمْ"[1468].
- وكذلك الآية الشهيرة التى تقول "وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا [...]" (الإسراء 23). قرأها ابن مسعود وابن عباس وغيرهما "وَوَصَّى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا [...]"[1469]. سؤال يمكن إجابته علمياً: ما هى الكلمة الأصلية؟ هل كان القرآن الأصلى يقول "قَضَى" ثم انفصلت القاف عن الحرف الذى يليها فقُرِئَت واو "وَصَّى"؟ أَم أن القرآن الأصلى كان يقول

"وَصَّى" ثم التصقت الواو بالحرف الذى يليها فقُرِئَت قاف "قَضَى"؟ والسؤال الأهم، لكن لا يمكن إجابته علمياً: ماذا يقول اللوح المحفوظ؟ "قَضَى" أم "وَصَّى"؟!

- وقال تفسير الطبرى فى "أَفَلَمْ يَأْيَسِ (تُقرأ: يَيْأَسِ) الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا" (الرعد 31): "عَنْ اِبْن عَبَّاس، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهَا: "أَفَلَمْ يَتَبَيَّن الَّذِينَ آمَنُوا". قَالَ [ابنُ عباس]: كَتَبَ الْكَاتِبُ الْأُخْرَى (أي: الموجودة حالياً في المصحف) وَهُوَ نَاعِسٌ"[1470]! ويبدو أن هذه الجملة الصادمة التى قالها ابنُ عباس وذكرها الطبرى "كَتَبَ الْكَاتِبُ الْأُخْرَى **وَهُوَ نَاعِسٌ**" هى أحد أسباب تأخر طباعة الجزء السادس عشر مِن تفسير الطبرى تحقيق محمود شاكر لمدة طويلة (8 سنوات أو أكثر)[1471].

ومِن الواضح أن الرسم الأصلى غير المُنقَّط وغير المُشكَّل (le ductus consonantique) كان يحتوى فقط على النبرات الخمس "ىىىں"، فقرأها ابنُ عباس وغيره قراءة صحيحة "يَتَبَيَّن" وهو الصواب، لكن قرأها آخرون قراءة خاطئة "ييس" ثم أضيفت الألف والهمزة فصارت تُكتَب بهذه الطريقة العجيبة "يَأْيَسِ" وهى الخطأ الموجود الآن فى المصحف الحالى. وطبعاً كالعادة، سيشكك المسلمون فى هذه الرواية عن ابن عباس سنداً و/أو متناً، لأنها تعنى أن الكُتَّاب (scribes) كانوا أحياناً ينعسون وَهُمْ يكتبون القرآن. ونحن نندهش أن يشكك المسلمون فى هذه الرواية مع أنها مذكورة فى تفسير الطبرى "بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ كُلّهمْ مِنْ رِجَالِ الْبُخَارِيِّ" كما قال ابن حجر[1472]. إذن: مشكلة المسلمين هى أنهم يفترضون مِن البداية أن كُتَّاب القرآن كانوا معصومين مِن الخطأ. ونحن نقول لجميع أحبائنا المسلمين: المسألة بسيطة جداً ومنطقية جداً، ولا تحتاج اعترافاً من ابن عباس أو غيره. إن هؤلاء الكُتَّاب كانوا بشر من لحم ودم، بشر مثلنا يجوعون ويعطشون ويتعبون وينعسون ويشعرون بالملل والضيق مِن مهنة النسخ المملة. ومِن ثم فإن احتمال خطأ كُتَّاب القرآن وارد، بل وارد جداً. ونحن نرى أن "أَفَلَمْ يَتَبَيَّن الَّذِينَ آمَنُوا" أوضح وأفضل مِن "أَفَلَمْ يَأْيَسِ (تُقرأ: يَيْأَسِ) الَّذِينَ آمَنُوا" الموجودة الآن فى المصحف الحالى. ويبدو فعلاً أن كاتب (الرعد 31) قد أخطأ بسبب النعاس أو قلة الخبرة أو غير ذلك. كما يبدو أن المفسرين القُدامى كانوا أكثر شجاعة وأكثر أمانة مِن المفسرين المحدثين، ولذلك اعترفوا بوجود هذه الأخطاء ولم ينكروها. وأهمية (الرعد 31) هي أنها تثبت أن القراءات التي يزعمون أنها "شاذة" تكون أحياناً أصح من القراءة الموجود حالياً في المصحف[1473].

- ويقول المصحف الحالي في سورة الأنعام: "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ" (الأنعام 57). ما معنى "يَقُصُّ الْحَقَّ" في هذا السياق؟! وما علاقة الْقَصَصِ بالحُكْم والفصل بين الخصوم؟! قال الطبري بشجاعة تستحق التحية: "وَقَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ قَرَأَةِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ: "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ" بِالضَّادِ، مِنْ "الْقَضَاءِ" بِمَعْنَى الْحُكْمِ وَالْفَصْلِ بِالْقَضَاءِ، وَاعْتَبَرُوا صِحَّةَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ"، وَأَنْ "الْفَصْلَ" بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَضَاءِ لَا بِالْقَصَصِ. وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ عِنْدَنَا أَوْلَى الْقِرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ"[1474]. نعم، "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقْضِي الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ" لها معنى أوضح بكثير من الآية بصورتها الحالية التي في المصحف.

ومِن الجدير بالذكر أن تنقيط المصحف (أى: إعجامه) قد بدأ فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (ت 86هـ وعمره ستون سنة، أى: لم ير محمداً!) انطلاقاً مِن اختراع "أبى الأسود الدؤلى" (الذى لم ير محمداً!) وعلى يد تلميذيه "نصر بن عاصم الليثى" و "يحيى بن يَعْمَر العدوانى" (كلاهما لم ير محمداً!) اللذين انتدبهما القاتلُ "الحَجَّاج بن يوسف الثقفى" للقيام بهذه المهمة! وكذلك فى عهد عبد الملك بن مروان، بدأ تشكيلُ المصحف[1475]. إذن: مرة أخرى يتدخل موظفو الحكومة بأيديهم لتطوير المصحف. ومرة أخرى نسأل نفس السؤال: هل يُعقَل أن كل هؤلاء البشر الذين لم يروا محمداً كانوا معصومين من الخطأ أثناء تنقيط المصحف وتشكيله؟! والإجابة هى نفس الإجابة: احتمال خطئهم وارد، بل وارد جداً. وهذا لا يعنى بالضرورة أننا نتهم عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفى وأعوانهما بسوء النية، وإنما قد يعنى أنهم اجتهدوا فاختاروا تنقيط المصحف وتشكيله بطريقة معينة. ولأنهم جميعاً بشر غير معصومين (fallible human beings) ولأنهم جميعاً لم يروا محمداً، فإن اجتهادهم البشرى يحتمل الخطأ مثل أى اجتهاد بشرى آخر. والدليل على أنهم بشر أصحاب أهواء وأطماع هو الأعمال البشعة التى قام بها القاتلُ "الحَجَّاج بن يوسف الثقفى" وأسياده الأمويون. وسنكتفى بما يلى:

- وصفنا الحَجَّاجَ بقولنا "القاتل" لأنه قتل عبد الله بن الزبير (حفيد أبى بكر الصديق وعضو اللجنة التى شكّلها عثمان لجَمْع القرآن) (73هـ) بأمر مِن سيده عبد الملك بن مروان بن الحكم! فلقد "بعث عبدُ الملك الحَجَّاجَ بن يوسف [الثقفى] إلى ابن الزبير فقاتله فقتله وصلبه. [...] وماتت أمه [أسماء بنت أبى بكر] بعده بخمسة أيام"[1476]! يعنى: مروان بن الحكم أحرق صُحُف حفصة التى أعدها زيد بن ثابت (عضو لجنة جَمْع القرآن)، وابنه عبد الملك قَتَل عبد الله بن الزبير (عضو لجنة جَمْع القرآن)!
- قال الإمام الذهبى عن الحَجَّاج: "كَانَ ظَلُوْماً، جَبَّاراً، نَاصِبِيّاً، خَبِيْثاً، سَفَّاكاً لِلدِّمَاءِ. وَكَانَ ذَا شَجَاعَةٍ وَإِقْدَامٍ وَمَكْرٍ وَدَهَاءٍ، وَفَصَاحَةٍ وَبَلاَغَةٍ، وَتعَظِيْمٍ لِلْقُرَآنِ. قد سُقْتُ من سُوءِ سيرته فى تاريخى الكبير، وحصاره لابن الزُّبَيْر بالكعبة، ورَمْيه إياها بالمنجنيق، وإذلالِهِ لأهلِ الحَرَمَيْن، ثم وِلَايتِه على العراق والمشرقِ كُلِّه عشرين سنة، وحروبِ ابنِ الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصلَهُ الله. فنَسبُّهُ ولا نُحِبُّه، بل نُبغِضُهُ فى الله. فإنَّ ذلك من أوثَقِ عُرَى الإيمان. وله حَسناتٌ مغمورةٌ فى بحْر ذنوبه. وأمْرُه إلى الله. وله توحيدٌ فى الجُملة، ونُظَراء مِن ظَلَمةِ الجبابرة والأمراء"[1477]. هذا المناخ العام مِن قتل وسفك دماء هو المناخ الذى جُمِع فيه القرآنُ وأنتج المصحف. أولاً أبو بكر (حروب الردة) ثم عثمان (غزو إرْمِينِيَة وَأَذْرَبِيجَان) ثم الحَجَّاج (حرب أهلية بين الأمويين وعبد الله بن الزبير)!

وحتى بعد الحَجَّاج، ظلت الاختلافات بين القراءات القرآنية موجودة. فلم يكن هناك معيار مشترك (common standard) أو قواعد صارمة (strict rules) يلتزم بها كل النُّساخ (copyists) فى جميع أنحاء الإمبراطورية العربية/الإسلامية. فكان كل ناسِخ أو كاتِب يضع النقط على الحروف كما تعود فى

مدرسته الدينية التى ينتمى إليها. مما يؤدى أحياناً إلى وجود اختلافات داخل نفس النَّص القرآنى الواحد، لا سيما إذا اشترك أكثرُ مِن كاتِب فى كتابة النَّص أو إذا أضيفت النقط لاحقاً إلى النَّص.

ويُعتقَد أن ما فعله عبد الملك والحَجَّاج وأعوانهما كان مجرد بداية لعملية تنقيط وتشكيل الحروف العربية المكتوبة، ولم تكتمل هذه العملية إلا فى القرن الثالث أو الرابع الهجرى (أى: القرن التاسع أو العاشر الميلادى)[1478]. وهذا يؤكد أن تاريخ تطور النص القرآنى يرتبط بتاريخ تطور اللغة العربية وطرق كتابتها ولهجاتها المختلفة، فلا يمكن الفصل بينهما[1479].

ولا تزال الاختلافات فى القراءات القرآنية حقيقة موجودة إلى اليوم. وسنذكر فى هذه المذكرات أمثلة أخرى كثيرة من الاختلافات فى القراءات القرآنية التى تؤثر تأثيراً كبيراً على المعنى. ولمزيد مِن المعلومات حول هذا الموضوع، يمكن الرجوع إلى الكتب والمراجع الإسلامية الخاصة بالقراءات الأربعة عشر، والقراءات العشر، والقراءات السبع التى **اختارها** ابن مجاهد (حياته: 245 – 324هـ؛ أى: بعد محمد بأكثر مِن 250 سنة**!**). يعنى: المسلمون اليوم يقرأون القرآن معتمدين على القراءات التى **اختارها** ابن مجاهد الذى لم ير محمداً أبداً ولم ير واحداً مِن الصحابة**!** وطبعاً ابن مجاهد **اختار** هذه القراءات بناءً على اجتهاده الشخصى الذى من المحتمل أن يكون خطأ، مثل أى اجتهاد بشرى آخر.

وأشهر هذه القراءات القرآنية الآن قراءتان:

- قراءة عاصم (ت 127هـ / 744م؛ أو 120هـ)، يعنى: عاصم لم ير محمداً**!**
- وقراءة نافع (ت 169هـ / 785م)، يعنى: نافع لم ير محمداً**!**

وروايتان:

- رواية حفص (ت 190هـ/ 805م؛ أو 180هـ) عن عاصم، يعنى: حفص لم ير محمداً**!** تنتشر رواية حفص عن عاصم بصفة عامة فى مصر والسعودية والمشرق العربى فى آسيا.
- ورواية ورش (ت 197هـ/ 812م) عن نافع، يعنى: ورش لم ير محمداً**!** تنتشر رواية ورش عن نافع بصفة عامة فى المغرب العربى فى أفريقيا.

وطبعاً توجد اختلافات كثيرة وكبيرة بين هذه القراءات القرآنية والروايات المختلفة للقرآن. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ولا داعى لحصرها كلها، فسنكتفى بالأمثلة التالية[1480] على سبيل المثال وليس الحصر:

- اختلاف فى التنقيط: (الأحزاب 68) تقول فى مصحف حفص "وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا" بينما تقول فى مصحف ورش "وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا"**!** سؤال: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟

- اختلاف في التشكيل: (آل عمران 161) تقول فى مصحف حفص "وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ" بينما تقول فى مصحف ورش "وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ"! سؤال: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟
- اختلاف في الألف: (الفاتحة 4) - التى تُقرَأ فى كل صلاة! - تقول فى مصحف حفص "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" بينما تقول فى مصحف ورش "مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ"! سؤال: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟
- اختلاف في التنقيط والتشكيل: (الفرقان 48) تقول فى مصحف حفص "وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ" بينما تقول فى مصحف ورش "وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ"! سؤال: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟
- اختلاف في التنقيط والألف: الرسم "عبد" (الزخرف 19) الذى يُقرَأ "عِبٰدُ" أى "عِبَادُ" فى مصحف حفص، نجده مكتوباً "عِندَ" فى مصحف ورش! سؤال: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟
- اختلاف في التشكيل والألف: (آل عمران 146) تقول فى مصحف حفص "وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ" بينما تقول فى مصحف ورش "وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ". سؤال: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟
- اختلاف في التشكيل والهمزة: (الأعراف 190) تقول فى مصحف حفص "جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ" بينما تقول فى مصحف ورش "جَعَلَا لَهُ شِرْكًا". سؤال: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟
- ألف عند حفص وحرفين بدلاً منها عند ورش! (الأنعام 63) تقول فى مصحف حفص "لَئِنْ أَنْجَانَا (تُقرَأ: أَنْجَانَا)" بينما تقول فى مصحف ورش "لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا"! وهذا دليل من المصاحف الحالية على أن النبرة "ـى" كانت أحياناً تُكتَب بدلاً مِن الألف، فيمكن أن تُقرَأ "تـ" أو "نـ". سؤال: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟
- حرف زائد عند حفص وناقص عند ورش! (الجن 16) تقول فى مصحف حفص "وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا" بينما تقول فى مصحف ورش "وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا"! سؤال: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟
- كلمة زائدة عند حفص وناقصة عند ورش! (الحديد 24) تقول فى مصحف حفص "وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" بينما تقول فى مصحف ورش "وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"! سؤال: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟

- واو تلتصق بالحرف الذى يليها فتُقرَأ فاء عند ورش! (الشمس 15) تقول فى مصحف حفص "وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا" بينما تقول فى مصحف ورش "فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا"! سؤال: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟
- اختلاف في علامات الوصل والوقف: (يوسف 24) تقول في مصحف حفص "هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا" (أي أن الوصل أَوْلَى مِن الوقف) بينما تقول في مصحف ورش "هَمَّتْ بِهِۦ صوَهَمَّ بِهَا" (أي بعلامة للوقف المتبع لدى المغاربة. وهو أول كلمة (صَهْ)). ولهذا الاختلاف الذي قد يبدو بسيطاً تأثيرٌ كبيرٌ على المعنى كما سنرى حين نتحدث عن قصة يوسف القرآنية.

إن هذه الاختلافات فى القراءات القرآنية والمصاحف الحالية تهدم أسطورة "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 9) وتهدم أيضاً أسطورة "الوحى الحرفى" (literal revelation) المزعومة. فما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟ وماذا قال جبريلُ لمحمد حسب أسطورة "الوحى الحرفى" المزعومة؟

وهل يُعقَل أن جبريل قد نقل شفوياً لمحمد كل هذه الاحتمالات المختلفة لقراءة كلمات القرآن؟! والإجابة بكل تأكيد ويقين هى: مستحيل. إنَّ 23 سنة لا تكفى لنقل كل هذه القراءات المتعددة شفوياً ثم تدوينها لحفظها من الضياع والنسيان والخطأ.

وهل يُعقَل أن كل هؤلاء القُرَّاء والرواة - الذين لم يروا محمداً - كانوا معصومين من الخطأ وَهُمْ ينقلون القرآن لنا؟! ولو كانوا معصومين، فكيف يختلفون؟ والإجابة بكل تأكيد ويقين هى: لم يكونوا معصومين. واحتمال خطئهم وارد، بل وارد جداً. نعم، لقد اجتهد هؤلاء القُرَّاء والرواة، ونحن نشكرهم على اجتهادهم ونقول لهم: سعيكم مشكور. لكن اجتهادهم البشرى يحتمل الخطأ، مثل أى اجتهاد بشرى آخر.

ولعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين رأىٌ مشهور فى هذه القراءات السبع، إذ يرفض تواترها ويقول: "وهنا وقفة لا بد منها، ذلك أن قوماً من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع متواترة عن النبى نزل بها جبريل على قلبه، فمنكرها كافر فى غير شك ولا ريبة. ولم يوفقوا لدليل يستدلون به على ما يقولون سوى ما رُوِى فى الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام: "أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ". والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحى فى قليل ولا كثير، وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ولا مغتمزاً فى دينه، وإنما هى قراءات مصدرها اللهجات واختلافها، للناس أن يجادلوا فيها وأن ينكروا بعضها ويقبلوا بعضها، وقد جادلوا فيها بالفعل، وتماروا وخَطَّأ فيها بعضُهم بعضَاً، ولم نعرف أن أحداً من المسلمين كَفَّر أحداً لشىء من هذا. وليست هذه القراءات (أى: القراءات السبع) بالأحرف السبعة التى أُنْزِلَ عليها القرآن"[1481].

ونحن أيضاً نرفض أن تكون هذه القراءات مِن "الوحى" المزعوم، كما نرفض تواترها. وبما أن المصاحف الحالية (مصحف حفص، ومصحف ورش، ومصحف قالون، ومصحف شعبة، ومصحف الدورى ... الخ) تعتمد على هذه القراءات التى ليست من الوحى، فإن المصاحف الحالية هى أيضاً ليست من الوحى.

ونحن لا نرى أى دليل علمى يثبت أن المصاحف الحالية صحيحة 100% وكاملة 100% متناً ومرفوعة سنداً إلى محمد. وكل ما وجدناه فى المراجع الإسلامية هو مجرد حكايات وأساطير وبروباجاندا وضجيج (hype) يريدون بها أن يثبتوا صحة وكمال المصاحف الحالية بأية طريقة مهما كانت ملتوية وغير علمية.

أما الحقيقة المرة فهى أن المشكلة التى واجهها عثمانُ لم تكن فقط اختلاف المصاحف فى القراءات القرآنية، وإنما كانت أيضاً اختلاف المصاحف فى المحتوى (أى: مَتْن القرآن ونَصه)، ولذلك لم يجد عثمانُ أمامه سوى أن يحرق المصاحف المُخالِفة لمصحفه حتى يضع الصحابة والتابعين أمام الأمر الواقع.

إن إحراق كل هذه الوثائق الهامة عن عمد (إحراق المصاحف المُخالِفة لمصحف عثمان ثم إحراق صحف حفصة) هو أكبر دليل على وجود اختلافات جوهرية وخطيرة فيما بينها. وهذه الاختلافات بين المصاحف لم تقتصر على اختلافات فى القراءات القرآنية دون المحتوى، وإنما كانت أيضاً اختلافات فى المحتوى (أى: مَتْن القرآن ونَصه). والأدلة على ذلك كثيرة. نذكر منها على سبيل المثال ما يلى[1482] ...

السور القرآنية المحذوفة مِن مصحف عثمان. وأشهر مثال على ذلك هو سورتا القنوت، وهما:

سورة الخَلْع (The Denial; The Renunciation) التى تقول: "اَللّهُمّ إنّا نَسْتَعِيْنُك وَنَسْتَغْفِرُكَ. ونُثْنِيْ عَلَيْكَ ولا نَكْفُرُك. ونَخْلَعُ ونَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُك"؛

وسورة الحَفْد (The Race; The Running) التى تقول: "اَللّهُمّ إيّاكَ نَعْبُدُ. ولَكَ نُصَلِّي ونَسْجُدُ. وَإِلَيْكَ نَسْعَى ونَحْفِدُ. نَرْجُوْ رَحْمَتَكْ. ونَخْشَى عَذَابَكَ. إن عَذَاْبَكَ بِالْكَافِرِينَ (أو: بِالْكُفّاْر) مُلْحِقٌ".

يُروَى أن سورتى الخَلْع والحَفْد "كانتا فى مصاحف ابن عباس وأُبَىّ بن كعب وابن مسعود، وأنّ عمر بن الخطاب قنت بهما فى الصلاة، وأنّ أبا موسى الأشعرى كان يقرأهما. غير أن علماء السنة قد اعتبروهما ضرباً من الدعاء لا قرآناً منزلاً"[1483].

تعليقنا: أمامكم احتمالان:

- إذا اعترفتم أن سورتى الخَلْع والحَفْد كانت مِن القرآن ثم حُذِفَت عمداً أو ضاعت سهواً، فهذا يهدم نظرية "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 9)، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.
- وإنْ قلتم إنهما مجرد دعاء ألّفه شخصٌ ما، فإننا نلاحظ أن هذا "الدعاء" يشبه القرآن، وبخاصة المعوّذتين (The Two Apotropaic Formulas) (أى: سورتى الفلق والناس). وفى هذه الحالة يصبح لدينا كلام بشرى مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذى وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) إِنْ

كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (أى: مِثْل القرآن) وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وبناء على مَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل أيضاً على أن القرآن ليس كلام الله.

فى جميع الحالات وتحت كل الاحتمالات، النتيجة واحدة: القرآن ليس كلام الله.

السور القرآنية المحذوفة مِن مصحف عبد الله بن مسعود. كان "عبد الله بن مسعود" لا يكتب المعوّذتين (أى: سورتى الفلق والناس) فى مصحفه "وَيَقُول إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَاب اللَّه" "وَيَقُول إِنَّمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَنْ يُتَعَوَّذ بِهِمَا". كما لم يثبت سورة الفاتحة فى مصحفه[1484]. ومِن المعلوم أن سورة الفاتحة تقول "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" (الفاتحة 5)، وهذا طبعاً مستحيل أن يكون كلام الله المعبود، وإنما هو كلام عبد مِن عباد الله.

ونلاحظ هنا أن عبد الله بن مسعود قد اعتبر المعوّذتين مجرد دعاء، بالضبط كما اعتبر عثمان بن عفان وغيره سورتى القنوت (الخَلْع والحَفْد) مجرد دعاء. ولم يضع ابنُ مسعود سورةَ الفاتحة التى تقول "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" (الفاتحة 5) فى مصحفه، وكذلك لم يضع عثمانُ فى مصحفه سورتى القنوت (الخَلْع والحَفْد) اللتين تقولان تقريباً نفس كلام الفاتحة: "اَللّٰهُمّ إيّاكَ نَعْبُدُ" (الحَفْد 1) "اَللّٰهُمّ إنّا نَسْتَعِيْنُك" (الخَلْع 1). المسألة إذن تخضع للآراء الشخصية والاجتهادات البشرية التى قد تخطىء. وهذا يؤكد لنا أن طريقة جَمْع القرآن فى عهد عثمان كانت غير موضوعية وغير علمية، بالضبط كما كانت طريقة جَمْع القرآن فى عهد أبى بكر غير موضوعية وغير علمية. ولو كانت هناك معايير موضوعية وعلمية واضحة، لاتفق عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود على وضع هذه السور أو استبعادهم مِن المصحف. بل نستطيع أن نقول إنه فى زمان محمد نفسه، لم تكن هناك رؤية واضحة لِمَا هو قرآن ولِمَا هو ليس قرآن. ولذلك اختلف الصحابة بعد وفاة محمد، وظهرت كل هذه الاختلافات فى مصاحفهم.

وكالعادة، لجأت البروباجاندا الإسلامية إلى الدفاع (apologia) للخروج مِن هذا المأزق الذى وضعهم فيه الصحابى الكبير ابن مسعود. وأشهر ما قيل فى هذا الموضوع هو ما يلى. قيل: إن ما نُقِل عن ابن مسعود باطل وليس صحيحاً. وقيل: إن ابن مسعود لم يكتب تلك السور فى مصحفه، لكن هذا لا يدل على أنه قد أنكر قرآنيتهم! وقيل: إن ابن مسعود قد أنكر قرآنية تلك السور لكنه تراجع عن رأيه بعد ذلك. وقيل: حتى إذا أنكر ابن مسعود قرآنية تلك السور وأصر على رأيه، بل حتى إذا أنكر ابنُ مسعود القرآنَ كله، فإن "هذا الإنكار لا ينقض تواتر القرآن، ولا يرفع العلم القاطع بثبوته القائم على التواتر. ولم يقل أحد فى الدنيا: إن من شرط التواتر والعلم اليقينى المبنى عليه ألا يُخالِف فيه مُخالِف. وإلا لأمكن هدم كل تواتر، وإبطال كل علم قام عليه، بمجرد أن يُخالِف فيه مُخالِف"[1485].

تعليقنا: نحن لا يهمنا ما نُقِل عن ابن مسعود أو غيره، فنحن لا يهمنا الأشخاص، وإنما يهمنا القرآن. يهمنا الإجابة على السؤال التالى: ما الدليل العلمى الذى يثبت أن الفاتحة والمعوِّذتين من القرآن؟ لا توجد وسيلة علمية نجيب بها على هذا السؤال سوى أن نطلع على نسخة أصلية كاملة (complete, original copy) للقرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد (أى: قبل 632م). ولا توجد نسخة واحدة فى العالم تتوافر فيها هذه المواصفات. ولن توجد نسخة واحدة فى العالم تتوافر فيها هذه المواصفات. وعدم وجود نسخة واحدة فى العالم تتوافر فيها هذه المواصفات يكفى كدليل قاطع على أن قولهم "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 9) هو مجرد شعار أجوف لا أساس علمى له.

المسلمون أنفسهم يعترفون بأن القرآن قد نُقِل إلينا بالتواتر. وكلمة "التواتر" كلمة إسلامية جميلة اخترعها المسلمون؛ أما الكلمة الأدق فهى "التقليد" (tradition)، وفى موضوع الإيمان نقول: (faith tradition)، أى: الأفكار الموروثة التى يُسلِّمها كل جيل (أو بالتعبير الإسلامى: كل طبقة) للجيل الذى يليه. ونحن نقول لجميع المسلمين: لو كان التواتر دليلاً علمياً يقينياً كافياً، لكان واجباً عليكم أن تؤمنوا بصلب المسيح، فهو أيضاً ثابت بالتواتر، وثابت كذلك بأدلة أخرى مثل المصادر المسيحية واليهودية والتاريخية. بل إن موت المسيح على الصليب هو أشهر حقيقة متواترة فى التاريخ، إذ آمن بها المليارات من المسيحيين منذ القرن الأول الميلادى إلى اليوم (2000 سنة). ولا تزال المسيحية هى الدين رقم 1 فى العالم، على الرغم من كل ما يفعله العنف الإسلامى وعلى الرغم من كل ما تقوله البروباجاندا الإسلامية.

يؤمن المسلمون بأسطورة "الوحى" وهى أمر غيبى لم يشهده إلا محمد فقط (يعنى: خبر آحاد) ويؤمنون بالقرآن الذى جمعه أربعةٌ مِن أتباع محمد إِمَّا قُرَشِي أَوْ أَنْصَارِي (يعنى: كلهم مسلمون عرب، ومعظمهم قرشيون)، بينما لا يؤمن المسلمون بحقيقة موت المسيح على الصليب وهى أمر مادى محسوس شاهده المئات – وربما الآلاف – مِن المسيحيين واليهود والرومان الوثنيين! أليس هذا تناقضاً فى الفكر الإسلامي[1486]؟!

<u>الآيات القرآنية المُحرَّفة.</u> يقول المصحف الحالى: "سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ" (الصافات 130). لكن "فِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "وَإِنَّ إِدْرِيسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ" ثُمَّ قَالَ: "سَلَامٌ عَلَى إِدْرَاسِينَ""[1487].

تعليقنا: يعنى لو كان عبد الله بن مسعود – وليس عثمان بن عفان – هو الخليفة ولديه القوة السياسية والعسكرية لتوحيد المصاحف، فإنه من المؤكد أن محتوى المصحف الحالى كان سيكون مختلفاً. ليس هذا فحسب، بل لكان محتوى المصحف الحالى أقرب إلى قرآن محمد أو "القرآن الأصلى" أو "القرآن الرَطْب" الذي تلقاه عبد الله بن مسعود. فَمِن المعلوم أن عبد الله بن مسعود كان يحظى بمكانة عالية وسط الصحابة، إذ يقول حديث صحيح أخرجه ابن ماجه إن "أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ بَشَّرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ (يعنى: عبد الله بن مسعود)"[1488]. والقرآن الغَضّ هو الطرىّ الذى لم يتغير، بدليل قوله بعدها "كَمَا أُنْزِلَ"، والمقصود: طريقة ابن مسعود فى القراءة وهيأته فيها. وفي مسند

أحمد أن محمداً قد قال: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ"[(1489)]. ولعل هذا "القرآن الرَطْب" أو "القرآن الغَضّ" الذى كان عند الصحابي الكبير عبد الله بن مسعود هو نفسه "القرآن الأصلى" الذى لا يزال العلماءُ يبحثون عنه إلى اليوم. أو على الأقل: هذا القرآن الرَطْب الغَضّ سيساعدنا فى الوصول إلى القرآن الأصلى (إنْ كان هناك فعلاً قرآن واحد أصلى).

الآيات القرآنية المُحرَّفة. يقول المصحف الحالى: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" (الأحزاب 56). لكن "فى مصحف عائشة: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وعلى الذين يُصَلُّونَ فى الصفوف الأولى (أو: يَصِلُونَ الصفوفَ الأُوَل)"[(1490)]. أو "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ والذين يَصِلُونَ الصفوف الأولى"[(1491)].

وتوجد قراءة شيعية لهذه الآية القرآنية تقول: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصِلُونَ عَلِيّاً (أى: عَلِيّ بن أبى طالب) بِالنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهما كما صَلّى اللهُ عليهما وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"[(1492)]!

سؤال لكل مسلم عاقل: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟! وكيف قال جبريلُ لمحمد آية (الأحزاب 56) حسب أسطورة "حرفية الوحى" (the literalness of revelation) المزعومة؟!

الآيات القرآنية المُحرَّفة. يقول المصحف الحالى: "وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ" (العصر 1-2). لكن جاء فى مراجع إسلامية كثيرة - مثل تفسير الطبرى وتفسير القرطبى والمُستدرَك للحاكم ومعجم القراءات القرآنية - أن عَلِيّ بن أبى طالب كان يقرؤها قراءة مختلفة: "وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. وَإِنَّهُ فِيهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ"[(1493)].

تعليقنا: ربما كانت سورة العصر فى القرآن الأصلى تقول كما كان علىّ بن أبى طالب يقرؤها، ثم تطورت بمرور الزمن حتى وصلت إلى سورة العصر التى نجدها الآن فى المصحف الحالى. ولقد قال الباحث المعروف (Mondher Sfar) إن آية "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (العصر 3) قد أضيفت لاحقاً، واستدل على ذلك بأنها أطول بكثير مِن الآيتين السابقتين (العصر 1-2)[(1494)].

سؤال لكل مسلم عاقل: ماذا تقول سورة العصر الموجودة فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟! وكيف قال جبريلُ لمحمد سورةَ العصر حسب أسطورة "الوحى الحرفى" (literal revelation) المزعومة؟!

الآيات القرآنية المُحرَّفة. الآية التى ترددها البروباجاندا الإسلامية كدليل على أن الإسلام هو دين الله، أي الدين الوحيد الصحيح: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (آل عمران 19). كان عبد الله بن مسعود يقرؤها: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الحنيفيةُ"[1495].

ولا يتسع المجال هنا لشرح معنى كلمة "الحنيفية" بالتفصيل أو توضيح جذورها السريانية وكيف تطور معناها السلبى حتى وصل إلى العرب فتحول إلى معنى إيجابى. لكن باختصار: تطور مصطلح "الحنفاء" "من استخدامه المسيحى فى فترة ما قبل الإسلام بمعنى "وثنيين" إلى معناه القرآنى "أتباع إبراهيم الحقيقيين" حتى تفسيره بعد-القرآنى بمعنى "المسلمين الأصلاء""[1496].

إذن: نستطيع أن نقول إن المقصود بـ "الحنيفية" فى قراءة ابن مسعود "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الحنيفيةُ" هو "ملة إبراهيم" أو "التوحيد" (monotheism) أو حتى "الإسلام" بمعناه العام الواسع الشامل (inclusive) وهو أن يُسْلم الإنسانُ وجهَه إلى الله الواحد الأحد لا شريك له[1497]، وليس "الإسلام" بمعناه الخاص الضيق (دين محمد تحديداً) ولا طائفة دينية معينة (non-confessional). وربما كانت (آل عمران 19) فى القرآن الأصلى تقول "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الحنيفيةُ (أى: ملة إبراهيم أبي الأنبياء)"، ثم تطورت بمرور الزمن وأصبحت بعد وفاة محمد أكثر تطرفاً وأكثر إنغلاقاً (exclusive) فصارت تقول "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (أى: دين محمد فقط)" كما نجدها للأسف في المصحف الحالي الآن.

سؤال لكل مسلم عاقل: ماذا تقول (آل عمران 19) فى "اللوح المحفوظ" المزعوم؟! وكيف قالها جبريلُ لمحمد حسب أسطورة "الوحى الحرفى" (literal revelation) المزعومة؟!

إن هذا المثال يوضح أهمية دراسة تاريخ القرآن، أو بعبارة أكثر دقة: دراسة تاريخ تطور النَّص بمرور الزمن مِن القرآن إلى المصحف. وذلك لأننا إذا بحثنا عن القرآن القديم، ربما نجد آيات (verses) أو عبارات (phrases) أو كلمات (words) أكثر انفتاحاً وأكثر تسامحاً (more tolerant) من المصحف الحديث. وهذا طبعاً سيساعدنا فى معركتنا الفكرية والثقافية ضد الإرهاب الإسلامى، سواء الإرهاب الرسمى الذى تمارسه الدول والحكومات الإسلامية (مثلاً: حكومة إيران الإسلامية) أو الإرهاب غير الرسمى الذى تمارسه الجماعات والتنظيمات الإسلامية (مثلاً: جماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس الإرهابيتين).

وقد يساعدنا هذا البحث أيضاً على فَهم التاريخ العربي/الإسلامي. مثلاً: هل استبعاد هذه الآيات المتسامحة مثل "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الحنيفيةُ" وتحريفها إلى "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" – بل استبعاد الصحابي الكبير عبد الله بن مسعود نفسه (هل اُستُبعِدَ لأنه غير قرشي؟) – كان لخدمة الأجندة السياسية والعسكرية التوسعية (الإمبريالية) للعرب/المسلمين بصفة عامة وقبيلة قريش بصفة خاصة؟ ربما. ومما يُقوي هذا الاحتمال أن عثمان كان قرشياً، وأن 75% من أعضاء اللجنة التى شكلها عثمانُ لجَمْع القرآن وإنتاج المصحف كانوا أيضاً قرشيين، وأن "الخلافة الإسلامية" – سواء الخلافة الراشدة أو الخلافة الأموية أو الخلافة العباسية – لم تكن فى الواقع خلافة إسلامية وإنما كانت "إمبراطورية قبيلة قريش".

إذن: عملية جَمْع القرآن وإنتاج المصحف ربما تأثرت بالدوافع القبليّة (tribal) والسياسية (political) كما تأثرت بالدوافع العقائدية (dogmatic). وهذا أمر طبيعي، فنحن نعلم أن الصحابة والتابعين والكَتَبَة والقراء والرواة كانوا كلهم بشر مثلنا ... لهم آراء ... ولهم وجهات نظر ... ولهم تحيزات ... ولهم أهواء. ومِن الطبيعي أن آراءهم ووجهات نظرهم وتحيزاتهم وأهواءهم تؤثر على عملية جَمْع القرآن وإنتاج المصحف.

وفي الواقع، يوجد تفسير آخر لـ "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (آل عمران 19)، وهو تفسير تاريخي لغوي (historico-linguistic; philological). إذ يرى الباحِث (Christoph Luxenberg) أن كلمة "الْإِسْلَام" هنا ليست اسم عَلَم (Islam) وإنما كلمة معربة (islam) تعريب لكلمة سريانية-آرامية (Syro-Aramaic) هي "šalmūṯā" التي تعني الاتفاق (agreement; concord) أو الموافقة (conformity) أو الإجماع (consensus; unanimity). واستدل على ذلك بوجود عكسها وهو الخلاف (بالسريانية: lā šalmūṯā) في تكملة الآية: "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ [...]" (آل عمران 19). وحسب هذا التفسير الفيلولوجي الجديد، فإن كلمة "دين" هنا تعني ما هو صحيح وحق، وكلمة "بَغْيًا" هنا تعني فقط الخلاف والنقاش والجدال وليس الحسد أو الغيرة أو التمرد[1498]. ومِن ثم فإن هذه الآية تدعو فقط إلى الاتفاق على التفسير الصحيح للكتاب (المقدس) المتوافق مع النص الكتابي ونبذ الخلافات وترك ما يتعارض مع النص الكتابي. وهذا أيضاً تفسير منفتح ومتسامح وغير متعصب وأفضل بكثير من التفسير التقليدي الذي يقول إن هذه الآية تعني أن الإسلام (Islam) هو الدين (The Religion) الوحيد الصحيح المقبول عند الله وكل الأديان الأخرى بما فيها اليهودية والمسيحية غير مقبولة عند الله!

وأهمية هذا التفسير الفيلولوجي غير التقليدي هو أنه يلفت نظرنا إلى أهمية دراسة الجذور الآرامية-السريانية للقرآن، أو بعبارة أكثر دقة: الجذور الآرامية-السريانية الأقدم للغة (العربية) الأحدث التي كُتِبَ بها المصحف، لعلنا نجد تفاسير جديدة أكثر تسامحاً وأكثر انفتاحاً مِن التفاسير التقليدية المتعصبة التي تتعامل مع اللغة العربية وكأنها نشأت من فراغ أو نزلت هي أيضاً من السماء أو كأنها ليس لها جذور مشتركة مع اللغات السامية الأخرى كالآرامية والسريانية والعبرية مثلاً.

وبالإضافة إلى السور القرآنية المحذوفة والآيات القرآنية المُحرَّفة، توجد آيات قرآنية اختفت بمرور الزمن، سواء ضاعت سهواً أو حُذِفَت عمداً، فلم تصل إلى المصحف الحالى، فيمكن أن نُسميها "الآيات القرآنية غير القانونية" (noncanonical) أو "الآيات القرآنية الأبوكريفية" (apocryphal).

إلا أن المراجع الإسلامية بصفة عامة قديماً وحديثاً لا تريد أن تصدم القارئ المسلم، فلا تستخدم ألفاظ مثل "ضاع" (lost) أو "حُذِف" (omitted) أو "اختفى" (disappeared) أو "نقص"، وإنما تستخدم

ألفاظ أخرى أقل وطأة، مثل "نُسِخ" (abrogated) أو "رُفِع" (returned to Heaven) أو "أُسقِط" أو "سَقط" أو "ذَهب" مِن القرآن؛ أو "لم يثبت" فى المصاحف؛ أو "لم يثبت" أو "لم يستقر" فى الْعَرْضَة الْأَخِيرَة. على سبيل المثال: يقول حديث صحيح أخرجه الشيخان البخارى ومسلم إن أَنَس بن مالك قَالَ: أُنْزِلَ فِي الَّذِينَ قُتِلُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ (بين مكة والمدينة سنة 4هـ) قُرْآنٌ قَرَأْنَاهُ ثُمَّ نُسِخَ بَعْدُ "بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ"[1499]. وأضاف ابن كثير لِمَا قاله أَنَس أن هذه الآية القرآنية "نُسِخَتْ فَرُفِعَتْ بَعْد مَا قَرَأْنَاهَا زَمَانًا وَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيل اللَّه أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِنْد رَبّهمْ يُرْزَقُونَ" (آل عمران 169)"[1500]. وهذه الآية القرآنية ليست المثال الوحيد على الآيات القرآنية التى لم تصل إلى المصحف الحالى، بل يوجد قرآن كثير اختفى ولم يصل إلينا. فلقد روى السيوطى فى الإتقان عن ابن عمر قال: "لا يقولَنَّ أحدُكم: قد أَخَذْتُ القرآنَ كلَّه. وما يُدْريه ما كلُّه؟! قد ذَهب منه قرآنٌ كثيرٌ. ولكن ليقل: قد أَخَذْتُ منه ما ظهر (أى: قد أَخَذْتُ مِن القرآن ما ظهر منه)"[1501]. ونلاحظ هنا أن ابن عمر لم يقل "نُسِخ مِن القرآن" وإنما قال "ذَهب مِن القرآن" (s'en est allé)، فهو إذن لا يقصد ما نُسِخت تلاوته وإنما يقصد ما اختفى (أى: لم يظهر) مِن القرآن أو ما ضاع (perdu) مِن القرآن، ولعله يقصد ما ضاع سهواً (oublié) مِن القرآن[1502].

ومِن الجدير بالذكر أن عبارة "قرآن نُسِخَت تلاوتُه" هى مجرد تعبير إسلامى اخترعه المسلمون لتبرير عدم كتابة هذا القرآن فى المصحف، ولا وجود لهذا التعبير الإسلامى العجيب فى أى دين آخر غير الإسلام. أما التعبير الأدق فهو: قرآن ضاع سهواً أو حُذِف عمداً. أو باختصار نقول: قرآن اختفى؛ أو: قرآن نقص؛ أو: قرآن لم يدخل فى المصحف؛ أو: قرآن لم يصل إلينا. وحين نقول "قرآن حُذِف عمداً"، فهذا لا يعنى بالضرورة أننا نتهم الصحابة بسوء النية، وإنما قد يعنى أنهم اجتهدوا فقرروا عدم كتابة هذا القرآن فى المصحف. ولأن كل الصحابة بشر غير معصومين (fallible human beings) فإن اجتهادهم البشرى يحتمل الخطأ مثل أى اجتهاد بشرى آخر.

النتيجة: بغض النظر عن الألفاظ – "قرآن فُقِد (missing) (manquant)" أو "قرآن نُسِخ (abrogé)" ... "قرآن حُذِف (supprimé)" أو "قرآن أُنْسِىَ (oublié)"، فإنه يوجد شبه إجماع فى المراجع الإسلامية على أنه توجد آيات قرآنية لم تصل إلى المصحف الحالى. ولا يهمنا كثيراً إن كانت هذه الآيات القرآنية قد ضاعت سهواً أو حُذِفت عمداً. المهم أنها اختفت (disparus) ولم تدخل فى المصحف. فليس هدفنا أن نهاجم البشرَ الذين ألّفوا القرآن، ولا هدفنا أن نهاجم البشرَ الذين أنتجوا المصحف، وإنما هدفنا هو أن نثبت أن قرآن محمد ≠ المصحف الحالى. أو باختصار نقول: المصحف ≠ القرآن.

والأمثلة على ما ضاع واختفى مِن القرآن كثيرة، وسنكتفى بالأمثلة التالية، وكلها مِن المراجع الإسلامية، وبخاصة كتب علوم القرآن وكتب الأحاديث وكتب التفسير[1503] ...

الآيات القرآنية الضائعة. يقول حديث صحيح أخرجه مسلم وغيره عن عائشة أنها قالت: "كان فيما أُنْزِلَ مِن القرآن: عَشْرُ رَضَعَاتٍ معلوماتٍ يُحَرِّمْنَ. ثُمَّ نُسِخْنَ: بِخَمْسٍ معلوماتٍ. فتُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ وَهُنَّ فيما يُقْرَأ مِن القرآن". وقال الإمام النووى تعليقاً على هذا الحديث الشهير: "والنسخ ثلاثة أنواع. أحدها: ما نُسِخَ حكمه وتلاوته كعشر رضعات. والثانى: ما نُسِخَت تلاوته دون حكمه كخمس رضعات، وكالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما. والثالث: ما نُسِخَ حكمه وبقيت تلاوته وهذا هو الأكثر"[1504].

وبالنسبة لنا، فإن الآيات القرآنية الضائعة تضم وتشمل تلك الآيات القرآنية التى يعتبرها المسلمون مِن النوعين الأول والثانى، أى: ما "نُسِخَت تلاوتُه" سواء بقى حكمُه أو لم يبقى. وبصراحة، النوع الثانى هو أكثرهم غرابة! وذلك لأنه يُبقى الحُكم الشرعى لكن يزيل النص القرآنى الذى يُثبت هذا الحُكم الشرعى! لماذا؟!

وروى أحمد حديثاً عن عائشة أيضاً أنها قالت: "لقد أُنْزِلَتْ آيةُ الرجم ورضعات الكبير عشراً، فكانت فى ورقةٍ تحت سرير فى بيتى، فلما اشتكى رسولُ الله ﷺ (قبل موته) تشاغلنا بأمره (أى: بوفاته) ودخلت دُويبةٌ (أى: دابة صغيرة) لنا فأكلتها"! وفى رواية ابن ماجه أن عائشة قالت: "لقد نزلت آيةُ الرجم ورضاعةُ الكبير عشراً، ولقد كان فى صحيفةٍ تحت سريرى، فلمّا مات رسولُ الله ﷺ وتشاغلنا بموته، دخل داجنٌ (أى: شاة أو طير أو غيره مِن الحيوانات الأليفة) فأكلها"! وطبعاً اختلف المسلمون حول مدى صحة هذين الحديثين بالذات سنداً و/أو متناً[1505]، والسبب واضح: لأنهما يشككان صراحةً فى سلامة وكمال المصحف الحالى ويشككان أيضاً فيما يزعمه المسلمون أن القرآن كلام الله المحفوظ منذ الأزل إلى اليوم!

ولقد شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ المسلمين وهو د. محمد عابد الجابرى الذى يقول: "روى بطرق متعددة أنّ عمر بن الخطاب قال: "إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم. والذى نفسه بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر فى كتاب الله، لكتبتها: "الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ (أى: حتى الموت؛ فوراً) نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاَللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم". فإنّا قد قرأناها". وقيل إن عمر أتى بهذه الآية إلى زيد بن ثابت حين كان يجمع القرآن فلم يأخذها (زيدٌ) منه لأنه – أعنى عمر – كان وحده، وزيد كان قد اشترط شهادة رجلين فى ما يأخذ من الآيات"[1506].

وتوجد أحاديث صحيحة كثيرة تدل على أن عمر بن الخطاب كان يذكر آية الرجم كثيراً ويؤكد أنها مِن القرآن. وسنكتفى بأمثلة مِن صحيحى البخارى ومسلم (أصح كتابين بعد القرآن):

- روى البخارى إن عمر قال: "لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ، حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ: لَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى وَقَدْ أَحْصَنَ (أى: تزوج) إِذَا قَامَتْ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوْ الِاعْتِرَافُ"[1507].
- وقال عمر فى الحديث الذى يليه فى صحيح البخارى: "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ (أى: القرآن)، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ (أى: مِن القرآن) آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا. رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ. وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنْ

الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتْ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوْ الِاعْتِرَافُ. ثُمَّ إِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ فِيمَا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: أَنْ لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، أَوْ إِنَّ كُفْرًا بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ"[1508]. وهذا الحديث الصحيح يؤكد أن آية الرجم كانت من القرآن ولم تصل إلى المصحف ويلفت نظرنا أيضاً إلى آية قرآنية أخرى لم تصل إلى المصحف، وهى: "لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ [...]". وهذا كله يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن المصحف ≠ القرآن.

- ويؤكد صحيح مسلم كذلك إن آية الرجم كانت مِن قرآن محمد، بدليل أن عمر قال: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ. وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ (أى: القرآن). فَكَانَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ (أى: من القرآن) آيَةُ الرَّجْمِ. قَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا"[1509].

تعليقنا: تؤكد الأدلة الإسلامية أن آية الرجم كانت مِن القرآن. وبما أننا لا نجدها فى المصحف الحالى. إذن: قرآن محمد ≠ المصحف الحالى. وربما آية الرجم قد ضاعت، فحدث خلافٌ بين المسلمين حول قرآنيتها (أى: حول كونها مِن القرآن أم لا) أو حول نَصها أو حول تفسيرها، فتوصل زيد بن ثابت وأعوانه إلى حلٍ توافقى (compromise; trade-off) يرضى جميع الأطراف: تُحذَف آية الرجم مِن المصحف لكن يُطبَّق الرجم عملياً على الزانى المحصن. أو كما يُقال فى المراجع الإسلامية: نُسِخَت تلاوتُها دون حكمها (أو: رُفِعَ لفظُها وبقى حكمُها؛ رُفِعَ نَصّها واستمر حكمُها). ولذلك فإننا لا نجد آية الرجم فى المصحف الحالى. وكذلك لا نجد آية رضاعة الكبير، ولا نجد آية "لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ [...]". كلها آيات من القرآن لكن لم تُكتَب فى المصحف، مما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن المصحف ≠ القرآن.

ولقد روى السيوطى روايات أخرى تعطى نصوصاً مختلفة لآية الرجم، مثل: "إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتَّة نكالاً من الله والله عزيز حكيم" و "الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتَّة بما قضيا من اللذة"[1510]. وهذا النص الأخير مذكور فى أحاديث أخرجها الحاكم فى مُستدرَكه والنسائى فى سننه الكبرى[1511]. ومع ذلك سيشكك المسلمون - كعادتهم - فى صحة هذه الأحاديث سنداً ومتناً. أما نحن فإننا نستنتج من هذه النصوص المختلفة أنه كان هناك بالفعل اختلاف كبير حول آية الرجم، ولذلك فَضَّل زيد بن ثابت وأعوانه حذفها مِن المصحف مع أن يبقى الرجم مُطبَّقاً عملياً على الزانى المحصن. أو كما قال ابن حجر: "وفيه إشارة إلى بيان السبب فى رفع تلاوتها وهو الاختلاف"[1512].

أو ربما خاف محمدٌ مِن أن تُفسَّر آية الرجم خطأً على أنها تجعل الرجمَ عقوبةً لزنا الشيوخ الكبار فقط. فَمِن المعروف أن عقوبة الزانى المحصن فى الشريعة الإسلامية هى الرجم سواء كان شاباً أم شيخاً. روى أحمد فى مسنده حديثاً يقول: "كَانَ (سَعِيد) ابْنُ الْعَاصِ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ يَكْتُبَانِ الْمَصَاحِفَ، فَمَرُّوا عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ (أى: آية الرجم)، فَقَالَ زَيْدٌ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ". فَقَالَ عُمَرُ (بن الخطاب): لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ (الآية) أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ (له): أَكْتِبْنِيهَا (أى: ائذن لى أن أكتبها). قَالَ شُعْبَةُ (أحد رواة هذا الحديث): فَكَأَنَّهُ (أى: محمد) كَرِهَ ذَلِكَ. فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا تَرَى أَنَّ الشَّيْخَ إِذَا لَمْ يُحْصَنْ جُلِدَ،

وَأَنَّ الشَّابَّ إِذَا زَنَى وَقَدْ أُحْصِنَ رُجِمَ"[1513]. وأخرج النسائى فى سننه الكبرى حديثاً يقول إن مروان بن الحكم اقترح على زيد بن ثابت أن يكتب آية الرجم فى المصحف، إلا أن زيد رفض وقال له: "ألا تَرى أن الشَّابَّين الثَّيِّبَين يُرجَمان؟"[1514].

ونستنتج من مجموع الأحاديث السابقة أن آية الرجم لها ميزة وعيب: ميزتها أنها تُثبت حد الرجم فى الإسلام؛ وعيبها أنها ستؤدى إلى خلاف شديد حول قرآنيتها أو نَصها أو تفسيرها. والحل التوافقى (compromise; trade-off) الذى توصل إليه زيد بن ثابت وأعوانه حل ذكى، إذ مَكَّنهم مِن أن يحافظوا على الميزة وفى نفس الوقت لا يعانون مِن العيب.

الخلاصة: إنَّ هذه الآيات القرآنية الضائعة مع الآيات القرآنية المُحرَّفة والسور القرآنية المحذوفة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن المصحف ≠ القرآن، مما يدل على أن "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" مجرد أسطورة. بل إن هذه الآيات القرآنية الضائعة والمُحرَّفة والمحذوفة تجعلنا نعيد النظر فى هذا "الإله" الذى يُقدِّمه المسلمون إلى البشرية: إله يترك "صُحُف إِبْرَاهِيم" تضيع، ثم يترك التوراة تُحرَّف وتضيع، ثم يترك الإنجيل يُحرَّف ويضيع، ثم يترك القرآن يُحرَّف ويضيع وينسخ بعضُه بعضاً بدون أن يحدد لنا بدقة كل الآيات الناسخة والمنسوخة! هذا لا يمكن أن يكون إلهاً حقيقياً أبداً. هذا أى شىء إلا الإله الحقيقى. لا يوجد إله حقيقى يتعمد أن يُضل البشرية بهذه الطريقة. لا يوجد إله حقيقى يصنع فخاخاً (booby-traps) للناس بهذه الطريقة. وكل هذا يؤكد أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله.

<u>الآيات القرآنية التى ضاعت من سورة الأحزاب.</u> يقول تفسير القرطبى عن سورة الأحزاب: "وَهِيَ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ آيَةً. وَكَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تَعْدِلُ سُورَةَ الْبَقَرَة (التى عدد آياتها 286). وَكَانَتْ فِيهَا آيَةُ الرَّجْم: "الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنْ اللهِ وَاَللَّهُ عَزِيز حَكِيم"؛ ذَكَرَهُ أَبُو بَكْر الْأَنْبَارِيُّ عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب. وَهَذَا يَحْمِلهُ أَهْلُ الْعِلْم عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى رَفَعَ مِنْ الْأَحْزَاب إِلَيْهِ مَا يَزِيدُ عَلَى مَا فِي أَيْدِينَا وَأَنَّ آيَةَ الرَّجْم رُفِعَ لَفْظُهَا". ثم ذكر القرطبى رواية عن عَائِشَةَ أنها قَالَتْ: "كَانَتْ سُورَةَ الْأَحْزَاب تَعْدِلُ عَلَى عَهْد رَسُول اللهِ ﷺ مِائَتَيْ آيَة، فَلَمَّا كُتِبَ الْمُصْحَف لَمْ يُقْدَر مِنْهَا إِلَّا عَلَى مَا هِيَ الْآن". ثم ذكر القرطبى رواية عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب: "وَرَوَى زِرٌّ قَالَ: قَالَ لِي أُبَيّ بْن كَعْب: كَمْ تَعُدُّونَ سُورَةَ الْأَحْزَاب؟ قُلْت: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَة. قَالَ [أُبَيّ بْن كَعْب]: فَوَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ أُبَيّ بْن كَعْب، أَنْ كَانَتْ لَتَعْدِلُ سُورَةَ الْبَقَرَة أَوْ أَطْوَل، وَلَقَدْ قَرَأْنَا مِنْهَا آيَة الرَّجْم: "الشَّيْخ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّة نَكَالًا مِنْ اللهِ وَاَللَّهُ عَزِيز حَكِيم"[1515].

وكالعادة، يزعم القرطبى وغيره أن هذه الآيات القرآنية التى لم تُكتَب فى المصحف هى مما "نسخه" اللهُ من القرآن أو مما "رفعه" اللهُ من القرآن. كالعادة، يقحمون اللهَ فى القصة حتى يختبئوا وراءه.

ونحن نقول له ولغيره: هل يوجد إله عاقل يُنزّل سورة طولها 286 آية ثم بعد ذلك لا يُبقي إلا على 73 آية فقط، أى يحذف 213 آية (= 286 – 73)، أى يحذف ثلاثة أرباع السورة؟! لا نسمع عن هذه الأمور العجيبة فى أى دين إلا فى الدين الإسلامى! لو أن مَلِكاً أو رئيساً أصدر قراراً يتكون مِن 286 بنداً ثم حذف مِنه 213 بنداً، لاتهمه شعبُه بالجنون والتردد والارتباك وقلة الخبرة وعدم المسئولية. وربما اتهموه بالكذب وعدم الثبات في الحق مثل الشيطان إبليس "ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ" (يوحنا 44:8).

عليكم أيها المسلمون أن تعترفوا بمشكلاتكم، لا أن تلصقوها بالله. إن هذه الآيات القرآنية ليست مما "نسخه" اللهُ أو "رفعه" من القرآن، وإنما هى مما "ضاع" سهواً أو "حُذِف" عمداً مِن القرآن.

وفيما يتعلق بالصحابي أُبَيّ بْن كَعْب بالذات، فإنه واحد مِن الأربعة الذين أمرنا محمدٌ أن نأخذ القرآنَ منهم(1516). وكان أُبَيٌّ أجود الصحابة قراءة للقرآن؛ محمد نفسه اعترف بذلك وقال في حديث أخرجه الترمذي وغيره: "أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ"(1517). وعمر بن الخطاب أيضاً اعترف بذلك وقال في حديث أخرجه البخاري: "أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ". إلا أن عمر قال في نفس الحديث: "وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ قَوْلِ أُبَيّ (أي: لَنَتْرُكُ شيئاً مِن قراءة أُبَيّ أو آرائه)، وَذَاكَ أَنَّ أُبَيًّا يَقُولُ: "لَا أَدَعُ (أي: لا أترك) شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"، [ثم قال عمر:] وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا" (البقرة 106)"(1518). وتقول رواية أخرى لهذا الحديث المهم في صحيح البخاري أيضاً إن عُمَر قَالَ: "أُبَيٌّ أَقْرَؤُنَا، وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ لَحَنِ أُبَيّ (أي: مِن قراءة أُبَيّ؛ مِن لغته)، وَأُبَيٌّ يَقُولُ: "أَخَذْتُهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (أي: أخذته مِن محمد مباشرة) فَلَا أَتْرُكُهُ لِشَيْءٍ (أي: لناسخ)"، [ثم قال عمر:] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا" (البقرة 106)"(1519). وقال ابنُ حجر والعيني إن عُمَر قال في رواية أخرى: "وَإِنَّا لَنَتْرُكُ كَثِيرًا مِنْ قِرَاءَةِ أُبَيٍّ"(1520).

يعني: عُمَر اعترف بأنه ترك عمداً شيئاً [كثيراً] مِن قراءة أُبَيّ بْن كَعْب للقرآن، وزعم عُمَرُ أن هذا القرآن المتروك هو مما "نسخه اللهُ" أي "نُسِخَت تلاوته"، واستدل على احتمال وقوع النسخ بـ(البقرة 106). مع أن (البقرة 106) – بفرض صحتها – تدل على جواز النسخ في القرآن بصفة عامة، وليس تحديداً في ذلك القرآن [الكثير] الذي تركه عمر مِن قراءة أُبَيّ بْن كَعْب.

ويبدو لنا أن الصحابيّ الكبير أُبَيّ بْن كَعْب لم يكن مقتنعاً بفكرة أن "تُنسَخ" تلاوةُ شَيْء مِن القرآن. قال ابنُ حجر: "وَكَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ لَا يَرْجِعُ عَمَّا حَفِظَهُ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي تَلَقَّاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ أَخْبَرَهُ غَيْرُهُ أَنَّ تِلَاوَتَهُ نُسِخَتْ، لِأَنَّهُ إِذَا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَصَلَ عِنْدَهُ الْقَطْعُ بِهِ فَلَا يَزُولُ عَنْهُ بِإِخْبَار غَيْرِهِ أَنَّ تِلَاوَتَهُ نُسِخَتْ"(1521). وقال الكرماني إن أُبَيّ بْن كَعْب "كان لا يقول بنسخ شيء مِن القرآن"، "وكان أُبَيّ لا يسلم بنسخ بعض القرآن"(1522). بخلاف عُمَر الذي آمن بأطروحة "النسخ"، أو لعله هو الذي اخترعها أو روَّج لها.

ونحن نسأل كل مسلم عاقل سؤالين:

- إنْ كان هذا القرآن الذي تركه عمر مما "نسخه الله"، فكيف لم يعلم الصحابيُّ الكبير أُبَيّ بْن كَعْب مِن محمد شخصياً أن هذا القرآن قد "نُسِخَ"؟! مع العلم بأن محمد نفسه أمرنا أن نأخذ القرآن مِن أُبَيّ بْن كَعْب ولم يأمرنا أن نأخذه من عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان. والمراجع الإسلامية نفسها تؤكد أن أُبَيّ كان أكثر قرباً للقرآن مِن عمر وعثمان. فيُقال إن عمر لَمَّا خَطَبَ يوم الجَابِيَة في الشام قال: "مَن أراد أن يسأل عن القرآن، فَلْيَأْتِ أُبَيَّ بن كعب. [...] ومَن أراد أن يسأل عن المال، فَلْيَأْتِنِي"[1523]. ولَمَّا اختلف أُبَيّ وعمر في نَص (الأحزاب 6)، قال أُبَيّ لعمر بكل ثقة وثبات: "إنه كان يلهيني (أي: يشغلني) القرآنُ، ويُلهيك الصفقُ (أي: البيع والشراء؛ الصفقات التجارية) بالأسواق"[1524]. ولا نعتقد أن عمر استطاع أن يرد على هذه الجملة القوية. فكيف يعلم عمرُ بهذا "النسخ" المزعوم ولا يعلم أُبَيّ بْن كَعْب عنه شيئاً؟!
- هل توجد نسخة أصلية للقرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد وتذكر هذه الآية "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا" (البقرة 106) التي احْتَجَّ عُمَرُ بها لإثبات النسخ في بعض القرآن؟ إذا كانت الإجابة "لا"، فَمِن حقنا أن نقول إنه مِن المحتمل أن تكون هذه الآية غير أصلية، وإنما هي آية دخيلة أضافها عُمَرُ أو عثمانُ أو غيرهما لتبرير حذف وضياع آيات قرآنية. وليس بالضرورة أن تكون الآية كلها قد أضيفت لاحقاً، فيكفي أن تكون كلمة "نَنْسَخْ" فقط هي وحدها الكلمة غير الأصلية.

يا أيها المسلمون، كونوا شجعاناً واعترفوا بالحقيقة لتحافظوا على ما تبقى من مصداقيتكم أمام العالم. ينبغى أن يكون الله عندكم أهم وأغلى مِن المصحف، فلا تُورّطوا اللهَ فى مشكلاتكم حتى تُوهِموا أنفسكم بأن المصحف سليم. فلا تقولوا "آيات نسخها الله" أو "آيات رفعها الله" من القرآن، وإنما كونوا شجعاناً واعترفوا بالحقيقة وقولوا "آيات ضاعت سهواً" أو "آيات حُذِفت عمداً" مِن القرآن.

<u>الآيات القرآنية التي ضاعت من سورة التوبة.</u> لماذا سورة التوبة هى السورة الوحيدة فى المصحف التى تخلو من البسملة "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" فى أولها؟ احتار المسلمون فى الإجابة على هذا السؤال. يقول الرأى التقليدى إن جبريل لم يقلها لمحمد؛ وكأنهم كانوا يجلسون مع جبريل ومحمد! وقيل: لأن البسملة تدل على الرحمة (mercy) والاسترضاء والاستعطاف (propitiation)، أما سورة التوبة فنزلت بالسيف والقتال؛ وكأن سورة التوبة هى السورة الوحيدة التى بها سيف وقتال!

وفى الواقع، توجد آراء إسلامية أخرى أكثر عقلانية. مثل: "إنه لمَّا سقط أولُها (أى: أولُ سورة التوبة) سقط "بسم الله الرحمن الرحيم" معه. [...] وقال سعيد بن جبير: كانت (سورة التوبة) مثلَ سورة البقرة (أى: فى طولها)"[1525]. وقال ابن عطية: "ورُوى عن مالك أنه قال: بلغنا أنها (أى: سورة التوبة) كانت نحو سورة البقرة ثم نُسِخ ورُفِع كثير منها وفيه البسملة"[1526].

ونحن نقول لهؤلاء الكتاب المسلمين: نشكركم لأنكم ذكرتم هذا الرأى الشجاع فى كتبكم، لكن لا تقولوا "سقط" و "نُسِخ" و "رُفِع"؛ كونوا أكثر شجاعة وقولوا: "ضاع". وبما أن سورة التوبة الآن فى المصحف الحالى 129 آية فقط، فهذا الرأى يعنى أنه ضاع منها 157 آية قرآنية (= 286 – 129)، أى أكثر من نصفها! وقيل إن سورة التوبة "بقى منها نحو ربعها". وعن حذيفة قال: "ما تقرأون ربعها"[1527]. فلقد أخرج الحاكم فى المُستدرَك حديثاً عن حذيفة أنه قال: "ما تَقْرَؤون رُبعُهَا. يعنى براءة. وأنكم تسمونها سورة التوبة وهى سورة العذاب"[1528].

إن ضياع ثلاثة أرباع سورة التوبة أو حتى نصفها يكفى كدليل قاطع على أن المصحف ≠ القرآن. ويكفى أيضاً كدليل قاطع على أن إله الإسلام ليس الإله الحقيقى، فلا يوجد إله عاقل أو حتى نصف عاقل يقول كلاماً ثم يُزيل ثلاثة أرباعه أو نصفه!

إن كل هذه الأدلة الإسلامية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن جملة "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" هى مجرد أسطورة من العيار الثقيل. فالقرآن لم "ينزل" مِن عند الله، ولا المسلمون الأوائل "حافظوا" عليه كله. توجد آيات قرآنية كثيرة "لم تُحفَظ" (unretained) ولم تصل إلى المصحف، مما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن المصحف ≠ القرآن.

<u>الآيات القرآنية التى لم يعرف الصحابةُ إن كانت مِن القرآن (كلام الله) أم مِن كلام محمد!</u>

تمتلىء المراجع الإسلامية بقصص كثيرة[1529] عن صحابة محمد تجعلهم "أشباه الملائكة يمشون على الأرض"! و "خير طبقة أُخْرِجَتْ للناس"! و "الطائفة الممتازة التى اختارها الله"! و "أسمى طائفة عرفها التاريخ"! و "فريقاً كبيراً مِن خيار الخلق"! وتُعطي هؤلاء الصحابة قدرات خارقة (superhuman) فى الحفظ والتثبت والتحرى والصدق والأمانة والفهم وكل الصفات الحلوة الجميلة اللى قلبك يحبها!

فهل هذه القصص حقيقية أم مجرد أسطورة مِن أساطير البروباجاندا الإسلامية (السنية)؟

المؤكد أنها أساطير مِن الأساطير التى نسمعها نهاراً وليلاً:

- بدليل ظهور الاختلافات بين مصاحف الصحابة كما وضحنا. فلو كان الصحابة يحفظون ولا يخطئون فى حفظهم، لما ظهرت اختلافات كثيرة بين مصاحفهم. اختلافات وصلت إلى درجة اختلاف الصحابيين الكبيرين عثمان وابن مسعود فى سورة الفاتحة التى تُقرَأ فى كل صلاة[1530]!
- ومما يؤكد أن الصحابة ليسوا أشباه ملائكة ولا خير أمة ولا أسمى طائفة هو أنهم ظلوا يشربون الخمرَ حتى تحريمها في أواخر 3هـ (وقيل: 4هـ) – باستثناء القلة القليلة الذين حَرَّموا الخمرَ على أنفسهم طواعية (مثل: أبو بكر وعثمان بن مظعون). وخير دليل على أن الصحابة كانوا يشربون الخمر وأن شرب الخمر كان أمراً شائعاً هو أن الإسلام لم يجرؤ على تحريم الخمر دفعة واحدة، فلجأ

إلى فكرة "التدرج" (البقرة 219) ثم (النساء 43) ثم (المائدة 90-91) وهي كلها آيات مدنية، بخلاف تحريم أكل لحم الخنزير مثلاً الذي حرَّمه الإسلامُ دفعة واحدة لأنه لم يكن شائعاً بين المسلمين الأوائل. قال د. محمد بكر إسماعيل: "ولو حرَّم اللهُ الخمرَ على الناس دفعة واحدة لنفر **<u>الكثير من المسلمين لشدة ولعهم بها</u>**، أو امتنع الكثير من الكف عنها"[1531]. وقال الشيخ محمد العريفي: "وكان الخمر عندهم (أي: عند الصحابة) قبل تحريمه مشروباً عادياً يعني **<u>مثل شرب العصير</u>**"[1532]! وتوجد أحاديث صحيحة تؤكد أن الصحابة الكبار كانوا يشربون الخمر – بل كانوا يعقدون مجالس لشرب الخمر فيشربون الخمر ويسكرون ويخطئون في تلاوة القرآن! على سبيل المثال:

- أخرج الترمذي وأبو داود وغيرهما حديثاً صحيحاً عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: صَنَعَ لَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ طَعَامًا فَدَعَانَا وَسَقَانَا مِنَ الخَمْرِ، فَأَخَذَتِ الخَمْرُ مِنَّا، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَقَدَّمُونِي، فَقَرَأْتُ: "قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. **<u>وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ</u>**". قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ" (النساء 43)[1533]. ونلاحظ هنا أن الصحابة كانوا يشربون الخمر، مع أن (البقرة 219) التي تسبق (النساء 43) زمنياً تقول إن الخمر فيها "إِثْمٌ كَبِيرٌ"! يعني: الصحابة كانوا يفعلون الإثم الكبير، فكيف نوفق بين أسطورة عدالة الصحابة وحقيقة ارتكابهم للإثم الكبير؟!
- أخرج مسلم وغيره حديثاً صحيحاً عن سعد بن أبي وقاص قَالَ: أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: "تَعَالَ نُطْعِمْكَ وَنَسْقِيكَ خَمْرًا"، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ. فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ – وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ – فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ وَزِقٌّ مِنْ خَمْرٍ. فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ. فَذُكِرَت الْأَنْصَارُ وَالْمُهَاجِرُونَ عِنْدَهُمْ (أي: تفاخروا). فَقُلْتُ: "الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنْ الْأَنْصَارِ". فَأَخَذَ رَجُلٌ [مِن الأنصار] أَحَدَ لَحْيَي (أي: فكيّ) الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ – يَعْنِي نَفْسَهُ – شَأْنَ الْخَمْرِ: "إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ" (المائدة 90)[1534]. وقال ابنُ حجر تعليقاً على هذه الحادثة المهمة: "وَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ (يقصد: المائدة 90) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ "صَنَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ طَعَامًا فَدَعَانَا فَشَرِبْنَا الْخَمْرَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ حَتَّى سَكِرْنَا، فَتَفَاخَرْنَا، إِلَى أَنْ قَالَ: فَنَزَلَتْ "إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ" – إِلَى قَوْلِهِ – "فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ""""[1535]. سؤال: هل هؤلاء الصحابة هُمْ خير أمة أخرجت للناس؟! المسلم العادي اليوم أفضل من هؤلاء الصحابة 100 مرة.

إذن: صحابة محمد (أنصار ومهاجرون) ظلوا يشربون الخمر ويسكرون طوال الفترة المكية (13 سنة) + ثلاث سنوات من الفترة المدنية = 16 سنة "نزل" فيها حوالي 80% من القرآن وربما أكثر. السؤال: كيف نثق في حفظ مَن كانوا يشربون الخمر ويسكرون طوال هذه المدة؟!

- ومما يؤكد أيضاً أن ما تقوله البروباجاندا الإسلامية (السنية) عن صحابة محمد هو مجرد أساطير، أن صحابة محمد أنفسهم كانوا أحياناً يجدون صعوبة فى التمييز بين القرآن (كلام الله) وكلام محمد! حتى الصحابة المُقرَّبين جداً لمحمد مثل ابن عمه "ابن عباس" وخادمه "أنس بن مالك" عانوا مِن هذه المشكلة. ولقد روى البخارى ومسلم (أصح كتابين بعد القرآن) أحاديث صحيحة تدل على ذلك:
  - سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ، وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ". قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَا أَدْرِي [ما قاله النبى] مِنْ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لَا[1536]! يقصد: لا أدري إنْ كانت هذه الجمل آيات قرآنية أم مجرد حديث نبوي.
  - عَنْ أَنَسٍ [بن مالك] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا. وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ. وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ". وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ [ذلك] فَلَا أَدْرِي أَشَيْءٌ أُنْزِلَ (أى: مِن القرآن) أَمْ شَيْءٌ كَانَ يَقُولُهُ (أى: مِن كلام النبى)[1537]!
  - أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ". وعَنْ أَنَسٍ عَنْ أُبَيٍّ [بن كعب] قَالَ: كُنَّا نَرَى هَذَا مِنْ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَتْ "أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ"[1538]!

إن هذه الأحاديث الصحيحة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنه فى زمان محمد نفسه، لم تكن هناك رؤية واضحة لِمَا هو قرآن ولِمَا هو ليس قرآن[1539]. وبصراحة: الصحابة معذورون، فلقد كان كلام محمد يتحول إلى قرآنٍ! "أخرج النسائيُّ عن سعيد بن جبير أنه سأل ابنَ عباس عن قوله "أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى" (القيامة 34). أشيءٌ قالَه رسولُ الله ﷺ مِن قِبَلِ نفسِه أم أمرهُ اللهُ بهِ؟ قال [ابنُ عباس]: بل قالَه مِن قِبَلِ نفسِه ثم أنزلَه الله"[1540]!

ونحن نرى أن عدم وضوح الرؤية لِمَا هو قرآن ولِمَا هو ليس قرآن كان أحد الأسباب التى جعلت معظم أو كل الصحابة الأحياء يقبلون مصحفَ عثمان. ليس لأن مصحف عثمان هو المصحف الصحيح، وإنما لأن الصحابة أنفسهم لم يكونوا على يقين مما هو قرآن ومما هو ليس قرآن. فلم يكن أمامهم سوى القبول بما أقره الخليفة وعدم جداله، إلا فى حالات قليلة مثل حالة عبد الله بن مسعود الذي انتهت حياته نهاية مأساوية بعد أن رفض أن يحرق مصحفه واعترض على اللجنة التي شكلها عثمان بن عفان برئاسة زيد بن ثابت لجمع القرآن وإنتاج المصحف. فكان كل صحابي يعلم جيداً أنه إذا اعترض على ما فعله عثمان وزيد، سيكون مصيره مثل مصير ابن مسعود: خسر ابنُ مسعود منصبَه المرموق في الكوفة، وخسر عطاءَه (أي: معاشه)، وأُجبر على ترك أنصاره في الكوفة والرحيل إلى المدينة، فنفذ ابنُ مسعود أوامر عثمان حرصاً على وحدة الأمة الإسلامية وحتى لا تحدث فتنة لا تحمد عواقبها ولا ينطفئ لهيبها، فذهب ابنُ مسعود إلى المدينة وظل بها حتى مرض ومات.

نستطيع الآن أن نلخص أهم الأسباب التي جعلت معظم أو كل الصحابة الأحياء يقبلون مصحف عثمان:

- حفاظاً على وحدة الأمة الإسلامية، وحتى لا يحدث اقتتال أو انقسام أو فتنة بين المسلمين.
- خوفاً مِن بطش الخليفة عثمان الذي لم يكن يرحب بالمعارضة جهراً.
- لم يكن عند أي صحابي القوة العسكرية والسياسية لفرض مصحفه مثل الخليفة عثمان.
- لم يكن هناك إجماع حول ما هو "منسوخ" التلاوة وما هو "غير منسوخ"[1541]. وبعضهم أنكر النسخ.
- بل لم يكن كل الصحابة متأكدين أصلاً مما هو "قرآن" ومما هو ليس "قرآن"!

لكن نعرف مِن المراجع الإسلامية أن الجمل المذكورة فى الأحاديث السابقة وكذلك جمل أخرى كانت بالفعل "قرآن" ...

فلقد روى مسلم حديثاً صحيحاً يقول إن أبا موسى الأشعرى قال: "إِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ فَأُنْسِيتُهَا غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ". وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ[1542] فَأُنْسِيتُهَا غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1543]. وهذا الحديث الصحيح يلفت نظرنا أيضاً إلى آية قرآنية أخرى لم تصل إلى المصحف، وهى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ (أو: لَا تَقُولُوا) مَا لَا تَفْعَلُونَ فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ". وبما أننا لا نجد هذه الآيات القرآنية فى المصحف الحالى، فهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن المصحف ≠ القرآن.

وروى أحمد والترمذى حديثاً عن أُبيّ بن كعب قال: قال لى رسولُ الله ﷺ: "إنَّ الله تبارك وتعالى أَمَرَنى أن أقرأ عليك" قال: فقَرأ علىَّ: "لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ. رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً. فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ. وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ" (البينة 1-4) فقرأ فيها: "إن الدين عند الله الحَنيفيَّةُ غيرُ المُشْركةِ ولا اليَهوديَّةِ ولا النصرانيَّةِ ومَن يفعل خيراً فلن يُكْفَرَهُ" (وفى رواية الترمذى: فَقَرَأَ فِيهَا: "إِنَّ ذَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ لَا الْيَهُودِيَّةُ وَلَا النَّصْرَانِيَّةُ مَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ"). قال شعبة (مِن رجال السند tradents): ثم قرأ آيات بعدها، ثم قرأ: "لو أنَّ لابن آدم وادِيَيْن مِن مالٍ، لسأل وادياً ثالثاً، ولا يَملأ جَوْفَ ابن آدمَ إلا الترابُ" (وفى رواية الترمذى: وَقَرَأَ عَلَيْهِ: "وَلَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِيًا وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانِيًا لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ"). قال: ثم خَتَمَها (أى: خَتَمَ سورة البينة) بما بَقِيَ مِنها[1544]. وهذه الأحاديث تلفت نظرنا أيضاً إلى آية قرآنية أخرى لم تصل إلى المصحف، وهى: "إِنَّ (ذَاتَ) الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ [...]". وبما أننا لا نجد هذه الآيات القرآنية فى المصحف الحالى، فهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن المصحف ≠ القرآن.

ولقد روى السيوطى فى الإتقان[1545] روايات أخرى تعطى نصوصاً مختلفة لهذه الآيات القرآنية التى لا وجود لها فى المصحف الحالى. مثل:

- رواية عن أُبىّ بن كعب تقول إن مِن بقيَّةِ سورة البينة: "لو أن ابنَ آدم سأل وادياً مِنْ مالٍ فأُعْطِيَه سأل ثانياً، وإن سأل ثانياً فأُعْطِيَه سأل ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تاب. وإنَّ ذاتَ الدين عند الله الحنيفيةُ غيرُ اليهودية ولا النصرانية، ومَن يعمَلْ خيراً فلن يُكْفَرَه". وهذه الرواية مأخوذة مِن المستدرَك للحاكم، ونَصها كما يلى: "لو أن ابنَ آدم سأل وادياً مِنْ مالٍ فأعطيته سأل ثانياً، وإن أعطيته ثانياً سأل ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تاب. وإنَّ الدين عند الله الحنيفيةُ غيرُ اليهودية ولا النصرانية، ومَن يعمَلْ خيراً فلن يُكْفَرَه"[1546].
- رواية عن أبى موسى الأشعرى أنه قال: نزلَتْ سورةٌ نحو براءة، ثم رُفِعَت وحُفِظَ منها: "إن الله سيؤيِّد هذا الدين بأقوامٍ لا خَلاقَ لهم، ولو أنَّ لابن آدم واديين مِن مالٍ لتمنَّى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تاب". وقال الهيثمى عن هذا الحديث: "رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير على بن زيد (مِن رجال السند tradents) وفيه ضعف ويُحسَّن حديثه لهذه الشواهد"[1547]. فالحديث إذن يُحسَّن بطرقه وشواهده.
- رواية عن أبى واقد الليثى أنه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أُوحِىَ إليه أتَيْناه، فعلَّمَنا مما أُوحِىَ إليه. قال: فجئت ذاتَ يومٍ، فقال: إن الله يقول: "إنا أَنْزَلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو أنَّ لابن آدم وادياً [من ذهب] لأحَبَّ أن يكونَ إليه الثانى، ولو كان له الثانى لأحَبَّ أن يكون إليهما الثالثُ، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ، ويتوبُ الله على من تاب". رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد كما يلى: "إنا أَنْزَلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحَبَّ أن يكونَ إليه ثان، ولو كان له واديان لأحَبَّ أن يكون إليهما ثالث، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ ثم يتوبُ الله على مَن تاب". ثم قال الهيثمى: "رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح"[1548].

تعليقنا: أين كل هذه الآيات القرآنية فى المصحف الحالى؟ يعنى لو لم يكن عثمان بن عفان هو خليفة المسلمين، وكان أُبىّ بن كعب (أو أبو موسى الأشعرى أو أبو واقد الليثى) هو الخليفة ولديه القوة السياسية والعسكرية لتوحيد المصاحف وعلى المسلمين السمع والطاعة له، فإنه مِن المؤكد أن محتوى المصحف الحالى كان سيكون مختلفاً. والأهم مِن ذلك هو أن لو كان أُبىّ بن كعب هو الخليفة ولديه القوة السياسية والعسكرية لتوحيد المصاحف، لكان محتوى المصحف الحالى أقرب إلى قرآن محمد أو "القرآن الأصلى" أو "القرآن الرَطْب" الذي تلقاه أُبىّ بن كعب. فَمِن المعلوم أن أُبىّ بن كعب قال: "إِنِّي تَلَقَّيْتُ الْقُرْآنَ مِمَّنْ تَلَقَّاهُ (أو: مِمَّنْ يَتَلَقَّاهُ) مِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ رَطْبٌ"[1549] و "إِنِّي تَلَقَّيْتُ الْقُرْآنَ مِنْ تلقاء جِبْرِيلَ وَهُوَ رَطْبٌ"[1550].

ويبقى سؤال: لماذا اخترع المسلمون كل هذه الأساطير التى تجعل الصحابة خير أمة أُخْرِجَتْ للناس؟!

الإجابة ببساطة شديدة: لأن الصحابة – وليس محمد – هُمْ الذين جمعوا القرآن فى مصحف، فالتشكيك فى قدرات الصحابة ومعرفتهم وصفاتهم الشخصية سيؤدى حتماً إلى التشكيك فى القرآن. فلا بد مِن تقديم الصحابة بصورة ملائكية أو شبه ملائكية تصل أحياناً إلى وصفهم بـ "العصمة" حتى لا يشكك أحد فى صحة وكمال المصحف. فلا بد مِن اختراع تلك الأساطير التي تُعطي الصحابة قدرات خارقة وصفات بطولية، ولا بد مِن تكرار تلك الأساطير نهاراً وليلاً حتى ترسخ فى أذهان المسلمين.

ونحن نقول لأحبائنا المسلمين: الصحابة مجرد بشر (merely human)، فلا هُمْ خير أمة أُخْرِجَتْ للناس، ولا هُمْ أسوأ أمة أُخْرِجَتْ للناس. وإنما هُمْ بشر مثلهم مثل أى بشر يصيبون ويخطئون. الصحابة ليسوا ملائكة ولا شياطين. وإنما هُمْ مجرد بشر مِن لحم ودم، يجتهدون، وقد يقع اجتهادهم فى الخطأ البشرى (subject to human error). ولا داعى لتكرار تلك الأساطير المضحكة، فإن تكرارها لن يجعلها حقائق، وإنما ستظل أساطير. حتى لو قلتوا أى أسطورة ملايين المرات، فإنها لن تتحول أبداً إلى حقيقة، وإنما ستظل أسطورة. وإذا كان المسلمون فى الماضى ينخدعون بهذه البروباجاندا الإسلامية (السنية)، فإن وعي المسلمين الآن يزداد يوماً بعد يوم، مما يؤكد أن كل الأساطير الإسلامية ليس لها مستقبل.

البروباجاندا الإسلامية ليس لها مستقبل، ومعظم ضحاياها الآن مِن المسلمين المخدوعين. والعنف الإسلامى ليس له مستقبل، ومعظم ضحاياه الآن مِن المسلمين المقتولين سواء مِن الإرهابيين أو مِن السلطة الحاكمة. لا فرق بين شيطان (اسمه: العنف) يَقتل وشيطان (اسمه: البروباجاندا) يَكذب[1551]. كلاهما شيطان. لا فرق بين شيطان (اسمه: العنف) يَقتل الإنسان وشيطان (اسمه: البروباجاندا) يدمر عقل الإنسان. كلاهما شيطان. فإذا اعتمد المسلمون على البروباجاندا والعنف فقط، فإن الإسلام نفسه سيكون بلا مستقبل.

عليكم أيها المسلمون أن تعتمدوا على العقل وأن تعترفوا بالمشكلات التى يعاني منها القرآنُ والمصحفُ والبخاري ومسلم ... الخ. عليكم أن تُطوِّروا الإسلامَ إنْ أردتم أن تحافظوا عليه. الدين الذى لا يتطور سينقرض حتماً. وأول خطوة فى هذا التطور هو أن تعترفوا ببَشرية القرآن.

وننتقل الآن إلى أسطورة أخرى مِن الأساطير الإسلامية التى يجب على المسلمين أن يتخلصوا منها، وهى أسطورة "التحدى"، أى أن إله الإسلام قد تحدى البشر أن يأتوا بمثل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وهذه الأسطورة لها علاقة بموضوعنا وهو بَشرية القرآن. وهذا ما سنناقشه في الصفحات التالية ...

آيات قرآنية ضائعة؟ أم مُؤلَّفة ومُختلَقَة؟ روى السيوطى فى الإتقان أن مَسْلَمَة بن مُخَلَّد الأنصارى سأل مَن حوله: "أخبرونى بآيتين من القرآن لم يُكتبا فى المصحف؟"، فلم يخبروه. فقال مَسْلَمَة لهم: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ألا أَبْشِرُوا أَنْتُم الْمُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ آوَوْهُمْ وَنَصَرُوهُمْ وَجَادَلُوا عَنْهُم الْقَوْمَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم أُولَئِكَ لا تعلم نفسٌ ما أُخْفِى لَهُمْ مِن قُرَّة أَعْيُن جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[1552].

تعليقنا: أمامكم احتمالان:

- إذا اعترفتم أن هذه الجمل كانت أصلاً موجودة فى القرآن ثم حُذِفَت عمداً أو ضاعت سهواً، فهذا يهدم نظرية "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 9)، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.
- وإنْ قلتم إنها مجرد جمل ألّفها شخصٌ ما، فإننا نلاحظ أنها تشبه القرآن، وبخاصة القرآن المدنى مثل (الأنفال 72، 74). إذن: لدينا كلام بشرى مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذى وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وطبقاً لِمَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل أيضاً على أن القرآن ليس كلام الله.

فى جميع الحالات وتحت كل الاحتمالات، النتيجة واحدة: القرآن ليس كلام الله.

آيات قرآنية ضائعة؟ أم مُؤلَّفة ومُختلَقَة؟ تقول مصادر شيعية إن مِن جملة ما حُذِف من القرآن سورتين إحداهما تحمل اسم "سورة الولاية" والأخرى تحمل اسم "سورة النورين". أو: تتهم بعضُ المصادر السنية بعضَ المصادر الشيعية بأنهم يقولون ذلك. ويُفهَم مما ورد فى هاتين السورتين أن عَلِيّ بن أبى طالب هو الوَلِيّ والوَصِيّ بعد الرَّسُولِ والنَّبِيِّ محمد، ومِن ثم فإنه الخليفة مِن بعد محمد. وعلى الرغم من وجود اختلافات بسيطة بين نصوص كل سورة منهما فى المراجع العربية والأجنبية، فإنه يمكن كتابتهما كما يلى.

تقول سورة الولاية[1553]: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِالنَّبِيِّ (محمد) وَبِالوَلِيِّ (عَلِيّ بن أبى طالب) اللَّذَيْنِ بَعَثْنَاهُمَا يَهْدِيانِكُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. نَبِيٌّ وَوَلِيٌّ بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ وَأَنَا الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ. إِنَّ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ. وَالَّذِينَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا كَانُوا بِآيَاتِنَا مُكَذِّبِينَ. إِنَّ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَقَامًا عَظِيمًا إِذَا نُودِيَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الظَّالِمُونَ الْمُكَذِّبُونَ للمُرْسَلِينَ. مَا خَلَقَهُمْ (أى: مَا خَلَقَ اللهُ) الْمُرْسَلِينَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْهِرَهُمْ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ. وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ (يا محمد) وَعَلِيٌّ (أى: عَلِيّ بن أبى طالب) مِنَ الشَّاهِدِينَ.

وتقول سورة النورين[1554]: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِالنُّورَيْنِ أَنْزَلْنَاهُمَا يَتْلُوَان عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُحَذِّرَانكم عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. نُورَان بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ وَأَنَا السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. إِنَّ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ

اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي آلِهِ (أي: أَهْلِ الْبَيْتِ[1555]) لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا آمَنُوا بِنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَمَا عَاهَدَهُمْ الرَّسُولُ عَلَيْهِ يُقْذَفُونَ فِي الْجَحِيمِ. ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَعَصَوْا لِوَصِيِّ الرَّسُولِ أُولَئِكَ يُسْقَوْنَ مِنْ حَمِيمٍ. إِنَّ اللَّهَ الَّذِي نَوَّرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِمَا شَاءَ وَاصْطَفَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ وَجَعَلَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءَ فِي خَلْقِهِ[1556] يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِرُسُلِهِمْ فَأَخَذْتُهُمْ بِمَكْرِهِمْ إِنَّ أَخْذِي شَدِيدٌ أَلِيمٌ. إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ عَادًا وَثَمُودَ بِمَا كَسَبُوا وَجَعَلَهُمْ لَكُمْ تَذْكِرَةً أَفَلَا تَتَّقُونَ. وَفِرْعَوْنَ بِمَا طَغَى عَلَى مُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ أَغْرَقْتُهُ وَمَنْ تَبِعَه أَجْمَعِينَ. لِيَكُونَ لَكُمْ آيَةٌ وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ. إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُهُمْ فِي يَوْمَ الْحَشْرِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الجوَابَ حِينَ يُسْأَلُونَ. إِنَّ الْجَحِيمَ مَأْوَاهُم وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ إِنْذَارِي فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَانُوا عَنْ آيَاتِي وَحُكْمِي مُعْرِضُونَ. مَثَلُ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِكَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. إِنَّ اللَّهَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ عَظِيمٍ. وَإِنَّ عَلِيًّا (أي: عَلِيّ بن أبى طالب) لَمِنَ الْمُتَّقِينَ. وَإِنَّا لَنُوَفِّيَه حَقَّهُ يَوْمَ الدِّينِ. وَمَا نَحْنُ عَنْ ظُلْمِهِ بغَافِلِين. وَكَرَّمْنَاه عَلَى أَهْلِكَ أَجْمَعِينَ. فَإِنَّهُ وَذُرِّيَّتَهُ (أي: الحسن والحسين) لصَابِرُون. وَإِنَّ عَدُوَّهُمْ إِمَامُ الْمُجْرِمِينَ. قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدِ مَا آمَنُوا طَلَبْتُم زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاسْتَعْجَلْتُمْ بِهَا وَنَسِيتُمْ ما وَعَدَكُم اللَّهُ وَرَسُولُهُ ونَقَضْتُم الْعُهُودَ مِنْ بَعْدِ تَوكِيدِهَا وَقَدْ ضَرَبْنَا لَكُمْ الأَمْثَالَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ قَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِيهَا مَنْ يَتَوَفَّهُ (أي: يُوفِي بِعَهْدِهِ) مُؤْمِنًا وَمَنْ يَتَوَلَّهُ مِنْ بَعْدِكَ يَظْهَرُونَ. فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ. إِنَّا لَهُمْ مُحْضِرُونَ فِي يَوْمٍ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ شَيْءٌ وَلَا هُمْ يُرْحَمُونَ. إِنَّ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَقَامًا عَنْهُ لَا يَعْدِلُونَ. فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَهَارُونَ بِمَا اسْتُخْلِف (فى بنى إسرائيل)[1557] فَبَغَوا هَارُونَ (أي: بَغَى بنو إسرائيل على هارون) فَصَبْرٌ (أي: صَبْر هارون) جَمِيلٌ فَجَعَلْنَا مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَلَعَنَّاهُمْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَاصْبِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ. وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ الْحُكْمَ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَجَعَلْنَا لَكَ مِنْهُمْ وَصِيًّا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[1558]. وَمَنْ يَتَوَلَّ عَنْ أَمْرِي فإِنِي مَرْجِعُه فَلْيَتَمَتَّعُوا بِكُفْرِهِمْ قَلِيلًا فَلَا تَسْأَل عَنْ النَّاكِثِينَ. يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ قَدْ جَعَلْنَا لَكَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ آمَنُوا عَهْدًا فَخُذْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. إِنَّ عَلِيًّا قَانِتًا بِاللَّيْلِ سَاجِدًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو ثَوَابَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ ظَلَمُوا وَهُمْ بِعَذَابِي يَعْلَمُونَ. سَنَجْعَلُ الأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ يَنْدَمُون. إِنَّا بَشَّرْنَاكَ بِذُرِّيَّتِهِ الصَّالِحِينَ. وَإِنَّهُمْ لِأَمْرِنَا لَا يَخْلِفُونَ (أي: لَا يُخَالِفُونَ). فَعَلَيْهِمْ مِنِّي صَلَاةٌ وَرَحْمَةٌ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا وَيَوْمَ يُبْعَثُونَ. وَعَلَى الَّذِينَ يَبْغُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِكَ غَضَبِي إِنَّهُمْ قَوْمُ سَوْءٍ خَاسِرِينَ. وَعَلَى الَّذِينَ سَلَكُوا مَسْلَكهم مِنِّي رَحْمَةٌ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ (أي: أعالى الجنات) آمِنُونَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تعليقنا على سورتى الولاية والنورين: يوجد احتمالان:

- الاحتمال الأول: أن هذه الآيات المذكورة فى سورتى الولاية والنورين كانت أصلاً موجودة فى القرآن، ثم ضاعت سهواً أو حُذِفَت عمداً لإبعاد عَلِيّ بن أبى طالب عن الخلافة بعد محمد. وهذا يهدم نظرية "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 9)، مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله.

- الاحتمال الثانى: أن هذه الآيات المذكورة فى سورتى الولاية والنورين مِن تأليف واختلاق بشر لتأكيد حق عَلِىّ بن أبى طالب فى الخلافة بعد محمد. لكننا نلاحظ أن هذه الآيات البشرية تشبه القرآن، بل أفضل مِن القرآن. إذن: التحدى الذى وضعه إلهُ الإسلام قد انهار: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (أى: مثل القرآن) إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وطبقاً لِمَا جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين"، مما يدل أيضاً على أن القرآن ليس كلام الله.

فى جميع الحالات وتحت كل الاحتمالات، النتيجة واحدة: القرآن ليس كلام الله.

فى ضوء الأمثلة السابقة للاختلافات فى القراءات والسور القرآنية المحذوفة والآيات القرآنية المُحرَّفة والآيات القرآنية الضائعة، نعتقد أننا وصلنا إلى إجابة السؤال: هل المصحف الحالى الذى بين أيدينا الآن هُوَ هُوَ نفسه القرآن الذى جاء به محمد فى القرن السابع الميلادى حسب ما يقول التقليد الإسلامى؟

والإجابة بكل تأكيد هى: لا.

ولقد شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ المسلمين وهو د. محمد عابد الجابرى الذى يقول: "القرآن كان مفرقاً فى "صحف" وفى صدور الصحابة. ومِن المؤكد أن ما كان يتوفر عليه هذا الصحابى أو ذاك من القرآن – مكتوباً أو محفوظاً – كان يختلف عما كان عند غيره، كماً وترتيباً. ومن الجائز أن تحدث أخطاء حين جمعه، زمن عثمان أو قبل ذلك، فالذين تولوا هذه المهمة لم يكونوا معصومين، وقد وقع تدارك بعض النقص كما ذُكِر فى مصادرنا"[1559]. ونلاحظ أنه يقول "تدارك بعض النقص"، وليس تدارك كل النقص، ولا حتى تدارك معظم النقص. ثم ذكر بضعة آيات قرآنية، آخرها: "وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ. يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (أى: أصل الكتاب)" (الرعد 38-39). وختم كلامَه بقوله: "ومع أن لنا رأياً خاصاً فى معنى "الآية" فى بعض هذه الآيات، فإن جملتها تؤكد حصول التغير فى القرآن وإن ذلك حدث بعلم الله ومشيئته". ونحن نضيف إلى كلامِه أن كل الأدلة تؤكد بالفعل "حصول التغير فى القرآن". ومع إيماننا الكامل بأن كل شيء فى الكون يحدث "بعلم الله ومشيئته"، فإننا لا نرى أى داعى لإقحام الله فى هذه المسألة البشرية. فكما أن القرآن عَمَل بشرى 100%، كذلك كان جَمعه فى مصحف عَمَلاً بشرياً 100% أيضاً. وكما أن الله ليس له علاقة بالقرآن، كذلك فإن الله ليس له علاقة بالمصحف. الله برىء تماماً من القرآن. والله برىء تماماً من المصحف. القرآن عَمَل بشرى (human-made) 100%. والمصحف أيضاً عَمَل بشرى (human-made) 100%.

ويحق لنا الآن أن نسأل سؤالاً أكثر خطورة: هل يوجد أصلاً أى دليل علمى يثبت أن تاريخ نَص القرآن يعود إلى محمد الذى توفى سنة 11هـ (632م) حسب ما يقول التراث الدينى-الشعبى؟ ...

2.4.5 الزيادة: الآيات الموضوعة فى المصحف

نكرر السؤال: هل يوجد أصلاً أى دليل على أن تاريخ النص القرآنى يعود إلى محمد الذى توفى سنة 11هـ (632م) حسب ما يقول التقليد الإسلامى؟

أو بعبارة أخرى: حتى لو وافقنا جدلاً أن القرآن بدأ مع إدعاء محمد للنبوة (610م)، فما الدليل على أن القرآن قد انتهى واكتمل وتوقف عن النمو بوفاة محمد (632م)؟

يقول القرآن: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" (المائدة 3)؛ وقيل إن محمد مات بعد هذه الآية بفترة وجيزة. لكن فى المقابل، نجد آيات قرآنية أخرى تدل على أن كلام الله أكبر بكثير مِن أن ينتهى فى 23 سنة فقط: "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا (أى: حبراً) لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا" (الكهف 109)؛ "وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ (أى: ولو أن أشجار الأرض كلها بُرِيَتْ أقلاماً) وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ (أى: لفنيت الأقلام ونفد المداد قبل أن تنفد كلمات الله)" (لقمان 27). فما الدليل على أن هذا المشروع (project) – أى: القرآن – الذى بدأه محمد قد انتهى بوفاته (632م)؟

قد يكون هذا السؤال صادماً، وهو بالفعل كذلك.

ونبدأ أولاً بإثبات ثلاثة حقائق لا يستطيع مسلمٌ أن ينكرها:

- الحقيقة الأولى: لا توجد الآن نسخة أصلية كاملة (complete, original copy) للقرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد (أى: قبل 632م). اختفى هذا "القرآن" المزعوم من الوجود!
- الحقيقة الثانية: لا وجود الآن للصحف الأصلية التى يقول التراث الإسلامى إن زيد بن ثابت أعدها فى عهد أبى بكر ثم انتقلت إلى عمر بن الخطاب ثم إلى ابنته حفصة. اختفت هذه الصحف مِن الوجود!
- الحقيقة الثالثة: لا وجود الآن للمصحف الأصلى الذى يقول التراث الإسلامى إن عثمان بن عفان وَزَّعه على المسلمين. اختفى "مصحف عثمان" مِن الوجود!

إذن: لا يوجد دليل مادي على "قرآن محمد". ولا يوجد دليل مادي على "صحف حفصة". ولا يوجد دليل مادي على "مصحف عثمان". ومع ذلك يطلب المسلمون منا أن نؤمن بالإسلام! عن أي إسلام تتحدثون؟! إذا كانت المصادر الثلاثة الأولى للقرآن قد اختفت تماماً ولا وجود لها الآن، فبماذا نؤمن؟! هل نؤمن بمصحف يقرأه المسلمون الآن على أنه كلام اللهِ واللهُ مِنهُ بريء؟! هل نؤمن بمصحف جَمعه مجموعةٌ مِن البشر غير المعصومين من الخطأ (fallible human beings) فى وقت متأخر بعد وفاة محمد ولا نعرف مصدره الأصلى؟! مستحيل أن نؤمن بهذا المصحف. إن الإيمان بالمصحف الحالى افتراءٌ على الله. إن الكفر بالمصحف الحالى هو الخطوة الأولى على طريق الإيمان الصحيح بالله.

باختصار: ليس لدى المسلمين أى دليل مادى يثبت وجود قرآن كامل – أو حتى شبه كامل – يعود تاريخه إلى ما قبل منتصف القرن السابع الميلادى. ونحن نتحدى كل شيوخ الإسلام – الذين يقولون على أنفسهم "علماء" – أن يعطونا نسخة كاملة (أو حتى شبه كاملة) مِن القرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد (أى: قبل 632م). لا يوجد لديهم. ولن يوجد لديهم.

ليس لدى المسلمين أي دليل علمي يثبت صحة إيمانهم. ولذلك يلجأون إلى العنف عندما يسمعون أي نقد. العنف أو البروباجاندا. بن لادن أو بن لكن.

ونحن على يقين 100% أن المسلمين سيفشلوا ولن يستطيعوا أبداً أن يعطونا نسخة كاملة (أو حتى شبه كاملة) مِن القرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد.

ولذلك فإننا سنتساهل مع المسلمين وسنطلب منهم أن يعطونا وثيقة تاريخية واحدة يرجع تاريخها إلى زمان محمد وتذكر كلمة "القرآن" أو كلمة "الإسلام". وحين نقول "الإسلام"، فإننا لا نقصد "الإسلام" (islam) بمعناه العام الواسع الفضفاض: "الاستسلام والخضوع لله" أو "دين إبراهيم" أو "دين جميع الأنبياء"، وإنما نقصد "الإسلام" (Islam) بمعناه الخاص الحرفى: الدين الذى يشترط الإيمان بالقرآن (ككلام الله الواحد الأحد) وسُنَّة محمد (كرسول الله وخاتم الأنبياء). هل يوجد دليل علمى واحد يرجع تاريخه إلى زمان محمد (أى: قبل 632م) ويذكر كلمة "القرآن" أو كلمة "الإسلام" بهذا المعنى الخاص؟

عندما بحثنا وجدنا وثيقة مسيحية سريانية قديمة يُعتقَد أن تاريخها يرجع إلى 644م، أى بعد الغزو العربى للشام بقليل، لكن يوجد رأى آخر يقول إن تاريخها يرجع إلى أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الميلادى. وتُخبر هذه الوثيقة المسيحية السريانية عن جدال دينى بين أمير العرب فى الشام والبطريرك السريانى "يوحنا أبى السدرات" (John of Sedreh). ويُعتقَد أن هذا الأمير العربى هو "عُمير بن سعد الأنصارى" أحد صحابة محمد. وعلى الرغم من أن قسماً كبيراً مِن هذا الجدال الدينى بين يوحنا وعُمير قد دار حول الكتب المقدسة، "لا ترد إحالة واحدة إلى القرآن، وهذه إشارة إلى احتمال أن القرآن لم يكن مُتداوَلاً بعد"[1560]! ولا يهمنا إنْ كانت هذه المناظرة قد حدثت فعلاً أم لا، وإنما يهمنا أنها وثيقة مسيحية سريانية يرجع تاريخها إلى القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الميلادى – أى بعد الغزو العربى للشام بفترة قصيرة نسبياً، ومع ذلك لا تذكر "القرآن" ولا تذكر "الإسلام"! ليس هذا فحسب، بل "ليس هناك إشارة واضحة أن الكتبة السريان (المعاصرين للغزو العربى للشام فى القرن السابع الميلادى) ميّزوا أو لاحظوا ولادة ديانة جديدة تُدعى الإسلام. هذا الاسم لم يستخدموه قط"[1561][1562]! إن هذه الملاحظة الهامة تجعلنا نتساءل: هل القرآن ظهر واكتمل قبل وفاة محمد (632م)؟ أم بعد ذلك، ربما بعد الغزو العربى للشام والعراق، ربما فى العصر الأموى ثم العباسى؟ باختصار: نحن نشك فى البروباجاندا الإسلامية التى تزعم أن محمد أكمل "القرآن" وأسس "الإسلام" قبل 632م. فلا يوجد أى دليل مادى يؤيد هذه البروباجاندا الإسلامية. بل من حقنا أن نتساءل: هل يوجد أى دليل علمى يثبت أن محمد نفسه نطق كلمة "الإسلام"؟

يعنى هرم خوفو اللى عمره أكثر من 4000 سنة محفوظ حتى الآن، أما "قرآن محمد" المزعوم[1563] و "الإسلام" المزعوم اللى عمره أقل من 1500 سنة فقط فلا أثر تاريخى لهما! ألا يكفى ذلك كدليل قاطع على أن القرآن ليس كلام الله وأن الإسلام ليس ديناً مِن عند الله؟!

أما الحقيقة المرة فهى أن أقدم الآيات القرآنية والمخطوطات الناقصة وغير الكاملة التى عثر عليها العلماءُ يعود تاريخها إلى أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الميلادى[1564] – أى بعد وفاة محمد بعشرات السنين. يعنى: تاريخ هذه الآيات القرآنية المتفرقة (fragments) والمخطوطات الناقصة وغير الكاملة (incomplete) لا يرجع إلى محمد ولا حتى إلى عصر ما يُسمَّى بـ "الخلفاء الراشدين"، وإنما يرجع إلى عصر الدولة الأموية التى تأسست عام 40 أو 41هـ (661 أو 662م)! ليس هذا فحسب، بل إن جودة هذه المخطوطات قد تعرضت إلى التدهور بمرور الزمن نتيجة عوامل طبيعة مثل تلاشى الحبر أو بهوته (fading) فى بعض المواضع، مما يؤدى إلى ترميم وإعادة كتابة هذه المواضع فى وقتٍ لاحق قد يصل إلى القرن التاسع الميلادى[1565]، أى بعد وفاة محمد بأكثر مِن 150 سنة.

ومِن ضمن هذه الآثار القرآنية النادرة والقليلة جداً:

- "مخطوطات صنعاء" (Sana'a manuscripts) وهى مجموعة مِن المخطوطات مختلفة الأحجام والأعمار، ويرجع تاريخ أقدمها إلى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى[1566]، أى بعد وفاة محمد بحوالى 40 سنة، أى بعد ظهور الإسلام بأكثر من 60 سنة! وعلى الرغم مِن الأهمية التاريخية والعلمية لمخطوطات صنعاء، فإن المسلمين يكرهون الحديث عنها لأن بها مخطوطات عبارة عن "طرس ذو طبقتين" (palimpsest)، أى نَص قرآنى سفلى (scriptio inferior) مُسِحَ عمداً ثم كُتِبَ فوقه نَص قرآنى علوى (scriptio superior)، ولأن العلماء الأجانب الذين درسوا هذه المخطوطات اليمنية القديمة بعد اكتشافها عام 1972م وجدوا أن النص القرآنى السفلى - الذى مُسِحَ عمداً - يختلف كثيراً عن المصحف الحالى[1567]، مما يدل على أن النص القرآنى قد تطور (evolved) بعد وفاة محمد بالحذف و/أو الإضافة حتى وصل بمرور الزمن إلى الصورة التى نراها الآن فى المصحف الحالى[1568]. وهذا طبعاً أزعج الحكومة اليمنية آنذاك، لأن هذا الاكتشاف العلمى المهم سيجعل المسلمين المؤمنين بأسطورة الوحي الحرفي (literal revelation) يتساءلون عن ماذا قال جبريلُ لمحمد بالضبط: هل قال له النص القرآنى السفلى؟ أم النص القرآنى العلوى؟! فتوقف هذا البحث العلمى. ونحن ندعو جميع دول شبه الجزيرة العربية أن تسمح بالتنقيب عن الآثار حتى لو أدى ذلك إلى اكتشاف مخطوطات قديمة للقرآن تختلف عن المصحف الحالى. فَمِن حق المسلمين أن يعرفوا تاريخ القرآن حتى يتحرروا مِن سجن "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ".

- مخطوطة (codex Parisino-petropolitanus) التى يرجع تاريخها إلى الربع الأخير من القرن السابع الميلادى، وبعض آياتها تختلف عن المصحف الحالى[1569]!
- آيات مسجد "قبة الصخرة" (Dome of the Rock) الذى شيده الخليفة الأموى "عبد الملك بن مروان" عام 72هـ[1570] (691م) "حيث يتوسط بناء المسجد الصخرة المقدسة التى ذُكِرَ أن النبى ﷺ ارتفع فوقها إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج، ويدل تصميم هذا المسجد على رغبة عبد الملك فى تشييد مبنى يحيط بالصخرة المقدسة ليصلح مزاراً للمسلمين، يحجون إليه ويطوفون حول الصخرة المقدسة يتبركون بها بدلاً مِن الذهاب إلى مكة ووقوعهم تحت تأثير [عبد الله] ابن الزبير الذى خرج عن طاعة الأمويين لمدة تسع سنين"[1571][1572]! أى أن آيات مسجد قبة الصخرة كُتِبَت فى سياق الحرب الأهلية بين الأمويين وعبد الله بن الزبير (عضو اللجنة التى شكّلها عثمان لجَمْع القرآن). واللافت للانتباه أننا لا نجد كلمةَ "القرآن" في آيات مسجد قبة الصخرة!
- "مخطوطة برمنجهام" (Birmingham Quran manuscript) التى تضم آيات من سور الكهف ومريم وطه فقط وأثيرت حولها فرقعة إعلامية كبيرة فى عام 2015 وقيل إن تاريخها يرجع إلى أواخر القرن السادس الميلادى (أى قبل ظهور الإسلام!) أو أوائل القرن السابع الميلادى. إلا إنه اتضح أن سبب هذا التاريخ المبكر جداً هو أنه يعتمد على تحليل الكربون 14 (Carbon-14 dating) الذى يتسبب فى أخطاء كبيرة لأنه لا يعطى تاريخاً دقيقاً للكتابة المكتوبة على الجلد وإنما يعطى تاريخاً تقريبياً للجلد نفسه (المادة العضوية organic material)؛ وهذا الجلد سيكون بالتأكيد أقدم مِن الكتابة، ربما أقدم بعشرات السنين. وبالفعل، مع الدراسة الدقيقة والبحث العلمى، توصل العالم الألمانى الكبير (Gerd R. Puin) إلى أن تاريخ هذه المخطوطة القرآنية القصيرة يرجع إلى أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الميلادى[1573]، أي: بعد وفاة محمد بعشرات السنين. وهذا يؤكد أن الداعية الإسلامي الشهير د. عدنان إبراهيم قد سقط في خطأٍ كبير حين زعم أن مخطوطة برمنجهام "مكتوبة في حياة محمد [...] في حياته [...] في حياته"[1574]!
- "مخطوطة سمرقند" (Samarkand manuscript) التى يرجع تاريخها إلى القرن الثانى الهجرى (القرن الثامن الميلادى)[1575]، أى بعد وفاة محمد بحوالى 90 سنة أو أكثر! ويُعتقَد أنها تتكون مِن أجزاء (fragments) كتبها كَتَبَة (scribes) مختلفون فى تواريخ مختلفة. وبعض آياتها تختلف عن المصحف الحالى. وتوجد بها أخطاء إملائية كثيرة جداً[1576]. فهذه المخطوطة بالذات تكفى كدليل قاطع يثبت أن كَتَبَة القرآن كانوا يخطئون، وأحياناً يخطئون كثيراً. فكما كان الصحابة يخطئون فيما يحفظون، كان الكَتَبَة أيضاً يخطئون فيما يكتبون. وعلى الرغم من كل ذلك، تزعم البروباجاندا الإسلامية أن مخطوطة سمرقند تنتمى إلى أحد مصاحف عثمان! وهذا طبعاً مستحيل[1577].

ليس هذا فحسب، بل إن أقدم مصحف كامل أو شبه كامل يعود تاريخه إلى القرن الثامن أو التاسع الميلادى، أى بعد وفاة محمد بحوالى 100 سنة أو أكثر! أى بعد ظهور الإسلام بأكثر من 120 سنة! مثل: مصحف "طوپ قاپى" (Topkapi manuscript) الموجود حالياً فى اسطنبول، ومصحف "المشهد الحسيني" الموجود حالياً فى القاهرة. وحتى هذه المصاحف المتأخرة لم تسلم مِن الأخطاء[1578]، ولا يمكن أن تكون مِن المصاحف التى أرسلها عثمان إلى الأمصار الإسلامية.

وكما قلنا فيما سبق: لا يوجد الآن أى نسخة أصلية لما يُسمَّى بـ "مصحف عثمان". وهذا الاختفاء العجيب لكل مصاحف عثمان يجعلنا نتساءل: هل "مصحف عثمان" حقيقة أَم خيال؟ هل "مصحف عثمان" ضاع سهواً أَم أُخفى عمداً أَم هو أصلاً مجرد أسطورة مِن الأساطير الإسلامية التى سمعناها مِن آبائنا وأجدادنا ولم يكن له أبداً أى وجود حقيقى فى التاريخ؟

كل ما سبق يؤكد أن القرآن له تاريخ (history) يعبر عن تطوره (evolution) بمرور الزمن حتى جُمِع فى مصحف عام واحد موحد. الأمر الذى جعل العلماء المتخصصين فى تاريخ تطور نَص القرآن يعتقدون أنه توجد آيات أو عبارات أو كلمات أضيفت (added) إلى النص القرآنى لاحقاً، أى: أقحمت (interpolated) فى القرآن ووُضِعَت فى المصحف بعد وفاة محمد؛ أو: بعد القرن السابع الميلادى.

على سبيل المثال، يقول العالم الفرنسى الكبير (François Déroche) المتخصص فى علم مخطوطات القرآن وعلم تاريخ القرآن إن المخطوطات القرآنية خضعت لتغييرات عديدة وإصلاحات عديدة بوتيرة سريعة نوعاً ما خلال القرون الأولى للإسلام، يعنى: بعد وفاة محمد؛ وإن هذه التغييرات والإصلاحات الكثيرة مهدت الطريق للمصحف الحالى[1579]:

> the qur'ānic manuscripts underwent many changes, at a rather rapid pace, during the first centuries of Islam. […] [This early period] witnessed many variations and reforms and paved the way for the modern qur'ānic codex.

مثال آخر: يعتقد العالم الألمانى الكبير (Günter Lüling) أن "القرآن كما رواه أجيال من المسلمين يتضمَّن أربع طبقات، أولاها وأقدمها هى نصوص من الأناشيد المسيحية قبل الإسلام. والطبقة الثانية تتضمن نصوصاً من التأويلات الإسلامية للتراث الدينى الجاهلى (أى: التراث الدينى العربى قبل الإسلام). وتشمل الطبقة الثالثة المادة الإسلامية الأصلية المنسوبة إلى محمد. أما الطبقة الرابعة فهى جملة النّصوص التى وضعها مراجعو القرآن بعد محمد (post-Muḥammadan editors of the Qur'ān)"، و "أن

النص القرآنى كما تناقلته الأجيال بالرواية هو حصيلة مراجعات متعاقبة (the result of several successive editorial revisions)"[1580].

مثال ثالث: فى كتابه الشهير باللغة الفرنسية (Le Coran est-il authentique?) الذى نظراً لأهميته العلمية الكبيرة تُرجم إلى اللغة الإنجليزية بعنوان (In Search of the Original Koran)، يرى الباحث المعروف (Mondher Sfar) أن "مصحف عثمان" هو مجرد أطروحة تقليدية موروثة أو أسطورة (myth) تخفى وراءها حقيقة تعدد القرآن واختلافاته وتطوره عبر الزمان؛ ومِن المحتمل جداً أن تطور القرآن استمر بعد وفاة محمد[1581]:

The traditionalist thesis about the Uthmânian collection is only a fantastic reconstruction, hiding a reality that people sought to erase from human memory: the Koran is multiple because its text has a history and thus presents an evolution, as well as variations over time. And this history was only possible because it was in the nature of the redaction of the text that would eventually become the Koran to take the routes of elaboration, composition, stylization, and rectification. […]

THE MYTH OF "UTHMÂN"

[…]

After about a half century, this state of affairs ended up settling, thanks to the collections composed by anonymous scribes, into a model corpus that was made official under the Umayyad caliph Abd al-Mâlik or under his son Walîd I, that is to say, perhaps in the time of al-Hajjâj's rule.

[…]

THE PRACTICE OF RECOMPOSITION

[…]

[…] But it is quite probable also that work on the text [of the Koran] was pursued after the death of the Prophet, which then could not, in the eyes

of the redactors, amount to an act of *taḫrîf* (confection of a falsehood), for they were only extending work carried out during Muhammad’s lifetime.

واقرأ أيضاً ما قاله العالم الألمانى الكبير (Karl-Heinz Ohlig)[1582]:

LATER ADDITIONS

It appears that, as time progressed, other passages also entered into the Qur'an, passages that quite clearly no longer represented an early Syrian-Arabian Christianity, but rather reflected the beginnings of another religion, a new religion, namely, Islam. Texts of this kind are not particularly numerous, but they are present nonetheless, and they have been of great import in terms of their effects. They should perhaps be reckoned to the end of the eighth century or the beginning of the ninth; that is, to or just prior to the time of al-Mamun.

An empirical answer to this question is difficult, primarily because the oldest extant and datable manuscript of the entire text arises from the later ninth century, while the earlier texts – mostly fragmentary editions – have not been satisfactorily published and certainly have not been investigated from the perspective of textual criticism (for example, must one see them as fragments?). Consequently, the questions must remain open in this area; they can be answered only in the future. At the present time one has recourse only to the many observations arising from the histories of spirituality, culture, and religion. These studies, however, make it necessary to accept that later additions were made.

وظهر فى العقود الأخيرة تيارٌ جديدٌ مِن العلماء الذين يمكن أن نُسميهم "العلماء المُراجِعين" أو "العلماء التنقيحيين" (The Revisionist school of Islamic studies). يقول هؤلاء العلماء إن عملية تكوين المصحف قد استغرقت فترة طويلة انتهت فى القرن الثامن أو التاسع الميلادى.

اقرأ مثلاً ما قاله العالم الكبير (Volker Popp)[1583]:

[…]. The inevitable conclusion is that the texts recited by modern Muslims, that they consider to be the unaltered Qur'an, transmitted to Muhammad in Mecca and Medina, were actually composed over a long period which only ended in the 9th century.

واقرأ أيضاً ما قاله العالم الكبير (Yehuda D. Nevo)[1584]:

[…]. From the fact that the Qur'an contains many phrases present in the Muslim inscriptions of the late second century A.H. and later, but absent from the inscriptions of Hisham's days or earlier [i.e. absent before 125 A.H.], I would conclude that it [the Qur'an] was canonized quite late, i.e., after these phrases had entered the religious vocabulary. Our texts demonstrate that this scarcely happened before the Abbasid era.

واقرأ كذلك ما قاله العالم الكبير (Gabriel Said Reynolds) الذى لا ينتمى إلى هذا التيار الجديد لكنه ينقل لنا ما قاله العالم الكبير "جون وانسبورغ" (John Wansbrough) الذى يعتبر مؤسس هذا التيار الجديد[1585]:

قِدَمُ القرآن، من ناحية أخرى، لم يواجه تحدِّياً من قبل. على الأقل، ساد الاعتقاد أنّ القرآن سِجِلٌّ موثوق به لتعليم محمّد (أي: للوعظ الذي قام به محمّدٌ) في الحجاز، غربي شبه الجزيرة العربية، في بواكير القرن السابع [الميلادي]. أمّا وانسبورغ فيعتقد بشيء آخر. إنّه يحتجّ بأنّ الشكل النهائي للقرآن لا يمكن أن يرجع إلى تاريخ سابق للفترة التي فيها أصبح القرآن مصدراً للسيرة، وللتفسير، وللتشريع والنحو: "منطقيّاً، يبدو لي من المستحيل تماماً أن القوننة (أي: قوننة القرآن) سبقت، ولم تلحق، الاعتراف بسلطة لكتاب كريم (أي: بسلطة القرآن) ضمن الجماعة المسْلِمَة". هذه القوننة حدثت في القرن الثاني [العربي] / الثامن [الميلادي] أو الثالث [العربي] / التاسع [الميلادي]، وليس في بواكير القرن السابع [الميلادي]، وحدثت في العراق العبّاسي، وليس في الحجاز. إنّ أصل القرآن يجب أن يُعْثَر عليه مع أصل المصادر العربيّة الإسلاميّة الأدبيّة الأخرى.
The antiquity of the Qur'an, on the other hand, had not been challenged before. The Qur'an, at least, was thought to be a faithful record of Muhammad's preaching in the Hijaz, western Arabia, in the early seventh century. Wansbrough thought otherwise. He argued that the final form of the Qur'an should not be dated prior to the period when the Qur'an became

a source for biography, exegesis, jurisprudence and grammar: “Logically, it seems to me quite impossible that canonization should have preceded, not succeeded, recognition of the authority of scripture within the Muslim community.” This canonization happened in the second/eight or third/ninth century, not the early seventh century, and in ‘Abbasid Iraq, not in the Hijaz. The origin of the Qur’an is to be found together with the origin of the other Arabic Islamic literary sources.

وسوف نُسمِّى هذه النظرية الحديثة باسم نظرية "المصحف العباسى" لأنها تعنى أن المصحف قد اكتمل بصورته القانونية النهائية فى عصر الدولة العباسية التى بدأت فى العراق حوالى عام 132هـ(750م). أى أن المصحف قد اكتمل بصورته القانونية النهائية فى أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن التاسع الميلادى؛ يعنى تقريباً فى نفس الفترة التى عاش فيها البخاري ومسلم أو قبلهما بقليل.

ليس هذا فحسب، بل يُعتقَد أن "النَّصَّ النهائى للقرآن المضبوط بالشكل (fully vocalized) أُنجِز فى النصف الأول من القرن العاشر" الميلادى[1586]؛ يعنى تقريباً فى نفس الفترة التى عاش فيها ابن مجاهد (245 – 324هـ) الذى اختار القراءات السبع وعاش فيها السجستاني (ت 316هـ) صاحب كتاب المصاحف وعاش فيها الطبرى (224 – 310هـ) إمام المفسرين. فما الذي يجعل ابن مجاهد يختار سبع قراءات فقط إلا إذا كانت هناك قراءات أخرى موجودة في عصره. وما الذي يجعل السجستاني يكتب كتاباً قيماً عن تاريخ القرآن واختلافات المصاحف إلا إذا كانت قضية تعدد المصاحف لا تزال تثير الجدل في عصره. ومَن يقرأ تفسير الطبرى إمام المفسرين، سيرى أن المناقشات حول القراءات كانت مستمرة في عصره (أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الميلادى).

ولذلك فنحن نُسمِّي هذه النظرية الحديثة باسم نظرية "المصحف العباسى"، حتى نُميِّزها عن النظرية التقليدية "المصحف العثمانى" التى تقول – بدون أى دليل مادى – إن المصحف اكتمل بصورته القانونية النهائية قبل منتصف القرن السابع الميلادى (أى قبل 650م).

نظرية "المصحف العثمانى" هى ابنة الإيمان التقليدى الموروث.

أما نظرية "المصحف العباسى" فهى ثمرة البحث العلمى العقلانى.

ويبدو لنا الآن أن "مصحف عثمان" هو مجرد أسطورة ورثها الخلفاءُ العباسيون مِن الخلفاءِ الأمويين (وبخاصة: عبد الملك بن مروان) وأعوانِهم الذين حكموا العراق (وبخاصة: القاتل "الحجاج بن يوسف الثقفى"). ثم طَوَّر العباسيون هذه الأسطورة لإعطاء شرعية دينية وتاريخية وهمية للمصحف الذى أنتجوه بأيديهم فى أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن التاسع الميلادى. والهدف من هذه الأسطورة هو أن يؤمن المسلمون بكل ما جاء فى المصحف دون تمييز بين الآيات القرآنية القديمة التى يرجع تاريخها إلى محمد والآيات الجديدة (غير القرآنية) التى أضيفت لاحقاً ووُضِعَت فى المصحف بعد وفاة محمد.

سؤال: نحن نعلم أن "مصحف عثمان" نفسه ليس له وجود الآن، لكن هل يوجد أى ذِكر لـ "مصحف عثمان" قبل عبد الملك بن مروان، أى: قبل 65هـ(685م)؟ هل يوجد أى كتاب من التراث العربى/الإسلامى يرجع تاريخه إلى ما قبل عبد الملك بن مروان ويذكر "مصحف عثمان"؟ إذا كانت الإجابة هى: لا، فهذا يدل على أن "مصحف عثمان" هو بالفعل مجرد أسطورة اخترعها الأمويون و/أو العباسيون[1587]. أو بعبارة أكثر دقة: اخترع الأمويون أسطورةَ "مصحف عثمان" ثم تبنى العباسيون هذه الأسطورة وطوّروها[1588].

ومِن الجدير بالذكر أن المستشرق الفرنسي "بول كازانوفا" (Paul Casanova) (ت. 1926) قد وصل إلى هذه النتيجة الصادمة: مصحف عثمان "خُرافة (fable)، أو أنّه "ذو أصل خيالي""[1589].

لكن هذا لا يعنى أن تاريخ القرآن كله مجرد أسطورة. فَمما لا شك فيه أن القرآن له تاريخ، لكن هذا التاريخ لا يوجد به منتج حقيقى اسمه "مصحف عثمان". بعبارة أخرى: "مصحف عثمان" هو منتج خيالى لا وجود له إلا فى الكتب العربية/الإسلامية التى كُتِبَت بعد وفاة محمد بعشرات السنين – بل مئات السنين.

وكذلك، هذا لا يعني أيضاً أن كل ما جاء فى الكتب العربية/الإسلامية عن قصة "مصحف عثمان" هو خيال 100%. فربما تكون قصة "مصحف عثمان" بها شيء مِن الحقيقة (a kernel of truth) – 10% مثلاً حقيقة و 90% خيال. بل ربما تكون حدثت فعلاً، لكن مع خليفة آخر – أموي أو عباسي – ثم بعد ذلك نُسِبَت إلى "عثمان" لإعطاء شرعية دينية وتاريخية وهمية للمصحف الذي أنتجته. وربما تكون حدثت بنسب متفاوتة مع أكثر مِن خليفة، ثم أدمجت بعد ذلك في قصة واحدة اسمها قصة "مصحف عثمان".

بعبارة أخرى: حين نقول إن "مصحف عثمان" هو مجرد أسطورة، فإننا نقصد المنتج (product) المنسوب للخليفة "عثمان بن عفان". أما القصة نفسها أو العملية (process) التي يُفترَض أنها أنتجت هذا المنتج المزعوم فربما يكون بها شيء مِن الحقيقة، بل ربما تكون حدثت فعلاً كلها أو بعضها، لكن مع خليفة آخر أو خلفاء آخرين، ثم نُسِبَت بعد ذلك إلى الخليفة "عثمان بن عفان".

ومِن الجدير بالذكر أن العالِم المغربي الشهير "محمد المسيَّح" الخبير في مخطوطات القرآن، سُئِلَ سؤالين "أ. كيف وصلنا القرآن الحالي؟ ب. أين هو قرآن عثمان الذي اعتمده الشيوخ لنقل القرآن كروايات؟"، فقال بعد أن لخَّص الرواية الإسلامية التقليدية[1590]:

> لكن بحسب دراسات التاريخ المبكر للإسلام، كذلك الدراسة المادية للتاريخ، نجد أن هذا النص (يقصد: ما يُسمَّى "مصحف عثمان") طبعاً هو نَص ينتمي إلى منطقة الشمال، لم يكن موجوداً في مَكَّة ولا في المدينة، وإنما كان موجوداً في منطقة ما تُسمَّى بصحراء (Arabia Petraea)، هذه المنطقة التي هي الأردن وفلسطين وجزء مِن جنوب بلاد الشام. هذه المنطقة كانت فيها أو جُمِعَت هذه النصوص مِن أجل إعطاء نَص مقدَّس ليُضفي شرعية على الخلفاء فيما بعد، ونلاحظ بوضوح أن المخطوطات بدأت في عصر عبد الملك بن مروان أو قبله بشيء بسيط جداً. يعني ربما القرآن جُمِعَ - كما تقول كذلك الرواية الإسلامية - الحَجَّاج بن يوسف الثقفي أخذ على عاتقه هذا الموضوع، فجُمِعَ القرآنُ شيئاً فشيئاً وكُتِبَ بهذه الأحرف

العربية التي كانت عرجاء بدون تنقيط أو تشكيل أو تهميز. فعندما وُجِّدَ النص القانوني - ما يُسمَّى بالنص القانوني - ظهرت فيما بعد القراءات المختلفة باختلاف التنقيط والتشكيل والتهميز وألف المد، فهذا هو الاختلاف الموجود بين القراءات التي وصلت في مجملها إلى 14 قراءة، وفي القراءات المختلفة الشاذة وصلت إلى 1459 قراءة وطريقة للقرآن مختلفة تماماً، ففيها طبعاً بعض الكلمات التي تختلف في المعنى، وقد قدَّمتُ بعضَ النماذج [...] ... الخ. أمَّا القرآن الذي [...] اعتمد عليه الشيوخ لنقل القرآن، فهو المصحف المشهد الحسيني بالقاهرة المنسوب زوراً وبهتاناً لعثمان بن عفان، لكن هناك باحثين مسلمين كالأستاذ "طيار آلتي قولاج" التركي الأصل، فقد قام بتحقيق لهذا المصحف وكتب عنه "المصحف المنسوب إلى عثمان" [...] وليس طبعاً هو يعود إلى أصل عثمان بن عفان، لأنه مكتوب بالخط الكوفي، والخط الكوفي ظهر في عصر عبد الملك بن مروان، وبالتالي يستحيل أن يكون للخليفة عثمان بن عفان.

وإنْ قلتم: لماذا نسبوا هذا المصحف إلى عثمان بالذات؟ فسنقول: ربما لكي لا يسألهم أحدٌ عن إسناد كل آية. فلقد كان المسلمون في عهد عثمان وما قبله لا يسألون عن الإسناد، أما بعد ذلك بدأ المسلمون يسألون عن الرواة وعدالتهم وضبطهم. روى مسلم في مقدمة صحيحه عَنْ ابْنِ سِيرِينَ أنه قَالَ: "لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنْ الْإِسْنَادِ. فَلَمَّا وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ (أي: بعد مقتل عثمان)، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ"[(1591)]. ويبدو لنا أن أسطورة "مصحف عثمان" نشأت أو بدأت في عهد الأمويين، فنسبوا المصحف إلى عثمان لأنه مِن بني أمية مثلهم.

وفي جميع الأحوال، لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن "مصحف عثمان" حقيقة. بل لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن "عثمان بن عفان" نفسه شخص حقيقي تاريخي.

وإلى أن يعطينا المسلمون دليلاً علمياً واحداً يثبت أن "مصحف عثمان" حقيقة، فإننا سنتعامل معه باعتباره أسطورة مِن الأساطير العربية/الإسلامية. وحين نقول "مصحف عثمان" فإننا نقصد هذا المنتج الأسطوري المذكور في الكتب العربية/الإسلامية.

ولذلك فنحن نفضل ألا نتحدث عن "مصحف عثمان" إلا إذا اضطررنا.

وكذلك نفضل ألا نتحدث عن "اللوح المحفوظ"، لأنه أمر غيبى لا يمكن إثباته أو نفيه علمياً.

نفضل أن نتحدث فقط عن شيئين يمكن الحديث عنهما بطريقة علمية، وَهُما حسب الترتيب الزمنى:

- أولاً: القرآن. أى: "قرآن محمد" المزعوم. ونقول "المزعوم" أو "المُفترَض" (presumed) لأنه لا يوجد اتفاق بين العلماء على وجوده التاريخى، فلا يزال العلماءُ يبحثون عنه إلى اليوم[(1592)]. ويُسمَّى أحياناً "النص القرآنى الأصلى" أو "النواة القرآنية" (Ur-Qur'ān). ويُعرَف أيضاً بأسماء أخرى، مثل: "القرآن الأصلى" (The Original Koran) و (The Primitive Qur'ān) (Le Coran primitif) و "النموذج الأصلى" (Prototype) و (Archetype) و (Autograph) و (Vorlage). ونحن نُسميه "قرآن ما قبل المصحف" (pre-canonical). ونُسميه "قرآن محمد" للسهولة فقط، فنحن لا ننسب القرآن إلى شخصٍ واحد، وإنما ننسبه إلى قومٍ هُمْ

العرب. ولعل هذا القرآن الأصلى هو نفسه "القرآن الرَطْب" أو "القرآن الغَضّ" الذى كان عند الصحابيين الكبيرين المهاجر عبد الله بن مسعود والأنصاري أُبَيّ بْن كَعْب[1593]. أو على الأقل: هذا القرآن الرَطْب الغَضّ الذى كان عند ابن مسعود وأُبَيّ بْن كَعْب سيساعدنا فى الوصول إلى القرآن الأصلى (إنْ كان هناك قرآن واحد أصلى).

- ثانياً: المصحف. أى: المصحف الحالى الذى بين أيدينا الآن (Textus Receptus) – تعبير لاتينى يعنى "النَّص المُسْتَلَم" (Received Text) أو "النَّص الذي تلقاه الجميعُ" (text that is received by all)، والمقصود: النَّص المُعْتَمَد رسمياً لدى السلطة الدينية/السياسية وأيضاً لدى الشعب. ولذلك فإنه يُوصَف أيضاً بأنه (ne varietur) – تعبير لاتينى يعنى "لا يمكن تعديله". وهو نص (scriptio plena)، أى: مُنقَّط تنقيطاً كاملاً ومُشكَّل تشكيلاً كاملاً. ويُسمَّى أحياناً "المصحف الحديث" (The Modern Codex). والأصوب والأدق هو أن نقول "المصاحف الحديثة" (The Modern Codices) لأنه يوجد أكثر مِن مصحف فى العصر الحديث (مصحف حفص، ومصحف ورش، ومصحف قالون، ومصحف شعبة، ومصحف الدورى ... الخ). نحن نُسميه "المصحف" للسهولة فقط. ومِن المستحيل أن تكون هذه المصاحف الحديثة هي القرآن القديم، لأسباب كثيرة، أبسطها هو لأنها مختلفة وأيضاً لأنه فى زمان محمد لم يكن تنقيطوتشكيل الحروف العربية المكتوبة قد أُخترع بعد. ولا نعتقد أنه يوجد مسلم عاقل يستطيع أن يزعم أن التنقيط والتشكيل (le diacritisme et le vocalisme) كان معروفاً ومستخدماً أيام محمد. مستحيل.

في ضوء كل ما سبق، نستطيع الآن أن نرسم الشكل التالى الذى يوضح العلاقة الزمنية والتكوينية بين القرآن (أى: قرآن محمد) والمصحف (أى: المصحف الحالى)، ويوضح أيضاً الآيات الضائعة مِن القرآن والآيات الموضوعة في المصحف. وحين نقول "آيات" – جمع "آية" – فإننا نقصد: آية أو جملة أو عبارة أو كلمة أو حتى حرف. فقد يكون التحريف في حرفٍ واحد أو نقطة أو علامة تشكيل. وإنما نقول "آيات" للسهولة فقط. والأشمل والأعم أن نقول "أشياء" (objects):

- أشياء قرآنية غير مصحفية. اللون الأخضر: أشياء قرآنية (أي: نطقها محمدٌ)، لكنها لم تصل إلى المصحف. ضاعتْ سهواً أو حُذِفَتْ عمداً.
- أشياء قرآنية مصحفية. اللون الأحمر: أشياء قرآنية (أي: نطقها محمدٌ)، ووصلتْ إلى المصحف؛ سواء حُرّفَتْ أم لا، وسواء كان هذا التحريف مقصوداً أم مجرد خطأ بشري طبيعي غير مقصود في النسخ.
- أشياء مصحفية غير قرآنية. اللون الأزرق: أشياء غير قرآنية (أي: لم ينطقها محمدٌ)، وعلى الرغم مِن ذلك وُضِعتْ في المصحف. أي: أشياء أُضِيفتْ لاحقاً بعد وفاة محمد.

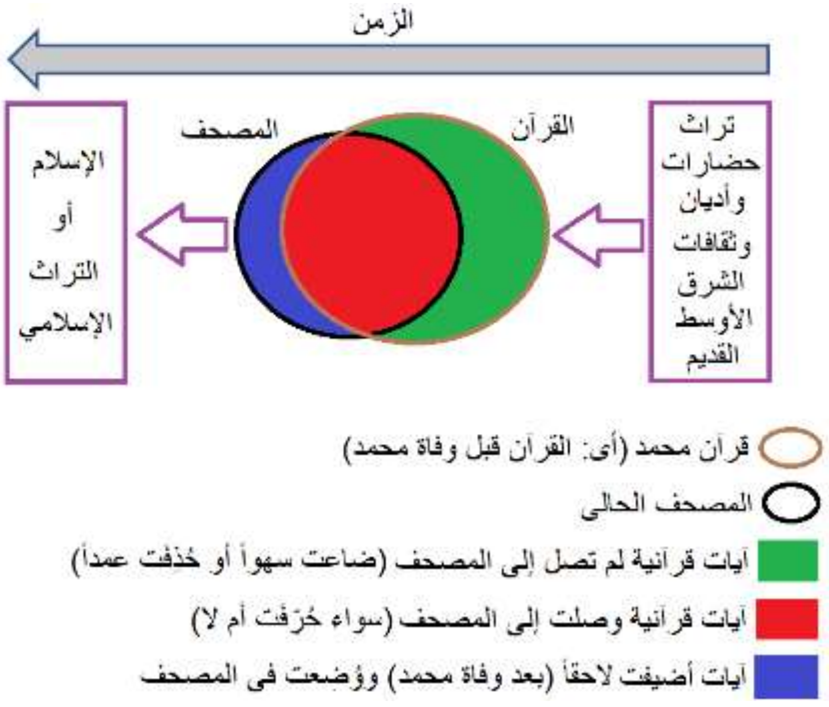

رسم توضيحي 2 – المصحف ≠ القرآن: الآيات الضائعة مِن القرآن والآيات الموضوعة في المصحف

"المصحف" كتاب. أما "القرآن" فهو أصلاً رسالة أو ظاهرة شفوية-سماعية (oral-aural)[1594]. بعبارة أخرى: القرآن مُنتَج ثقافي (cultural artifact) من منتجات الثقافة العربية اليهودية-المسيحية، ثم صار بعد تدوينه في كتابٍ (المصحف) هو النص المؤسس (texte fondateur) لدين العرب الجديد (الإسلام). أو كما قالت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)[1595]:

> […] the peculiar genesis of the Qurʾān as viewed from two principally different perspectives. The Qurʾān first manifested itself as the immediate expression of the psychic-prophetic experience of Muḥammad himself, meant to be read out to his audience (*qurʾān*); only later, once being canonized (see COLLECTION OF THE QURʾĀN), did it become the binding document (*muṣḥaf*, q.v.) of a religion with social demands of its adherents, "the corporate confession of it in the inward possession of Islam and of Muslims" (Cragg, *Event*).

وإذا كان "المصحف" وتفسيره وكتب الحديث والسيرة النبوية (المغازي) ... الخ هو الإسلام أو هو التراث الإسلامي، فإن "القرآن" كوبري (bridge) ينقلنا من تراث حضارات وأديان وثقافات الشرق الأوسط القديم إلى الإسلام أو ينقلنا إلى التراث الإسلامي[1596].

فإذا أردنا أن نُلخِّص كل ما سبق فى نقطتين، فسنقول:

- إن كل الأدلة التى أمامنا تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن المصحف الحالى هو المنتج النهائى لعملية بشرية 100% استغرقت وقتاً طويلاً – عشرات السنين أو مئات السنين – بعد وفاة محمد. وهذا المصحف الحالى **ليس** نسخة أصلية مِن "مصحف عثمان" الأسطورى، و **ليس** نسخة أصلية مِن "قرآن محمد" المزعوم، و **ليس** نسخة أصلية مِن "اللوح المحفوظ" الغيبى. بعبارة أخرى: اللوح المحفوظ ≠ قرآن محمد ≠ مصحف عثمان ≠ المصحف الحالى.
- وهذا يدل على أن شعار "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" هو مجرد أسطورة دفاعية (apologetic) اخترعها المسلمون للدفاع عن عقيدتهم (dogma). إنها إذن مجرد حائط مِن حوائط السجن الذى بناه المسلمون وسجنوا أنفسهم فيه وظنوا أن أسوار هذا السجن تحميهم مِن البحث العلمى. ونحن نقول لهم: لا تخافوا مِن البحث العلمى. إن البحث العلمى (Scientific Research) بالمنهج التاريخى-النقدى (The historical-critical method) هو وحده الذى سيحرركم من سجن الإسلام. أو كما قال يسوع المسيح: "تَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ" (يوحنا 32:8)؛ أي: يُحَرّرُكُمْ من الباطل، يُحَرّرُكُمْ من الشيطان والخطية والموت، يُحَرّرُكُمْ مِن الجهل بالله الذي يؤدِّي إلى كل المعاصي وجميع الخطايا.

وسنختم الكلام بما قاله العالم الكبير (Fred M. Donner): "ما من شكٍّ أنَّ أعزَّ حلم عند كلِّ مَن يعمل مع القرآن – سواء أكان مختصّاً أكاديمياً أم مُسلماً مؤمناً (باستثناء الفئات المنغلِقة بالطبع) – سيكون إعداد طبعة نقدية حقيقية للنص (a truly critical edition of the text): أى طبعة تأتى، باستخدام الدليل الذى تُزوِّدنا به أقدم مخطوطات القرآن، أقرب ما يمكن علمياً إلى الكلمات والحركات (vocalization) ذاتها التى كانت فى النص الأصلى للقرآن – القرآن-أصلى (Ur-Qur'ān)"[1597].

ونظراً لأن الأبحاث العلمية المستقبلية وحدها – وليس البروباجاندا العربية/الإسلامية – هى التى ستكشف لنا حقيقة القرآن الأصلى (The original Koran) (إنْ كان هناك قرآن واحد أصلى)، فليس أمامنا اليوم سوى أن نتعامل مع المصحف الحالى الذى بين أيدينا الآن (Textus Receptus)، وأن نفترض **جدلاً** أنه هُوَ نفسه القرآن الأصلى الذى جاء به محمد (إنْ كان هناك محمد واحد تاريخى) قبل منتصف القرن السابع الميلادى كما يقول التقليد الإسلامى المتوارث.

ولذلك فنحن ما زلنا نقول "القرآن" مع أن الأصوب والأدق أن نقول "المصحف"، وإذا أردنا أن نكون فى غاية الدقة فينبغى أن نقول "المصاحف" لأنه يوجد أكثر مِن مصحف فى العصر الحالى (مصحف حفص، ومصحف ورش، ومصحف قالون، ومصحف شعبة، ومصحف الدورى ... الخ). وما زلنا نقول "أصحاب القرآن" (The redactors of the Koran) مع أن الأصوب والأدق أن نقول "أصحاب المصحف"

(The redactors of the Canon)، وإذا أردنا أن نكون فى غاية الدقة فعلينا أن نقول "أصحاب المصاحف" (The redactors of the Codices). وما زلنا نتحدث فقط عن محمد والصحابة (companions) والمعاصرين لهم فقط مع أن المفروض أن نتحدث أيضاً عن التابعين (followers) وتابعى التابعين والمعاصرين لهم.

بعبارة أخرى: حتى لو سلَّمنا بأسطورة "المصحف العثمانى" التقليدية التى تضع المصحف قبل منتصف القرن السابع الميلادى وتزعم أن هذا المصحف = القرآن، فإننا نستطيع أن نثبت أن القرآن (المصحف) ليس كلام الله. وهذا ما سنفعله فى هذه المذكرات بصفة عامة. لكن سنشير أحياناً إلى الآيات أو العبارات أو الكلمات التى يعتقد فريقٌ مِن العلماء أنها أضيفت لاحقاً؛ أى: أقحمت بعد وفاة محمد، أو: بعد القرن السابع الميلادى. مثل: الآيات القرآنية الأربع التي تذكر اسم/صفة/لقب "محمد" (آل عمران 144) (الأحزاب 40) (محمد 2) (الفتح 29) والآية القرآنية الوحيدة التي تذكر "الجزية" (التوبة 29) والآية القرآنية الوحيدة التي تذكر ما يُسمَّى بـ "الإسراء" (الإسراء 1) وآيات أخرى. كما نحتفظ بحقنا في أن نشير إلى الآيات أو العبارات أو الكلمات التى نعتقد نحن أنها أضيفت لاحقاً. على سبيل المثال، نحن نعتقد أن قصة "ذى القرنين" أضيفت لاحقاً وأُدمجت مع قصة "يأجوج ومأجوج" فى قصة واحدة (الكهف 83-108). وخير دليل على ذلك هو أننا لم نجد آية قرآنية واحدة خارج سورة الكهف تذكر "ذا القرنين"! حتى الآية القرآنية الوحيدة (الأنبياء 96) التى تذكر يأجوج ومأجوج خارج سورة الكهف لا تذكر "ذا القرنين"! ولم نجد حديثاً صحيحاً مرفوعاً واحداً يذكر "ذا القرنين"! حتى الأحاديث الصحيحة المرفوعة التى تذكر يأجوج ومأجوج لا تذكر "ذا القرنين"! وطبعاً لا توجد مخطوطة قرآنية واحدة تذكر "ذا القرنين" ويرجع تاريخها إلى زمان محمد (أى: قبل 632م). كل ذلك يجعلنا نعتقد أن قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) قصة دخيلة مَزيدَة على القرآن وليست من القرآن الأصلى (قرآن محمد)[1598].

إذن: ما سنفعله فى هذه المذكرات بصفة عامة هو أننا سنفترض **<u>جدلاً</u>** أن المصحف = القرآن. لكن مع ذلك، سنحتفظ بحقنا فى أن نشير إلى الآيات أو العبارات أو الكلمات التى أضيفت لاحقاً (أى: بعد وفاة محمد) ووُضِعَت فى المصحف. وسنعتمد بصفة أساسية على رواية حفص عن عاصم، ليس لأنها الرواية الصحيحة للقرآن، وإنما لأنها الرواية السائدة فى السعودية (أهم دولة إسلامية) ومصر (أكبر دولة عربية). لكن سنشير أحياناً إلى القراءات والروايات الأخرى للقرآن، مثل رواية ورش عن نافع.

أما نظرية "المصحف العباسى" التى تقول إن المصحف قد اكتمل بصورته القانونية النهائية فى أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن التاسع الميلادى، فلن نلجأ إليها إلا نادراً. ليس لأنها نظرية خاطئة، ولكن لأنها نظرية حديثة نسبياً وما زالت تحتاج إلى مزيد من البحث والدرس[1599].

2.4.6 مِن القرآن إلى المصحف: أسئلة محيرة تبحث عن إجابات مقنعة

إن النقاش حول القرآن وتطوره بمرور الزمن بالحذف و/أو الإضافة حتى تَكَوَّن المصحف يقودنا حتماً إلى النقاش حول الإسلام نفسه.

ما هو الإسلام؟ دين سماوي أم دولة أرضية؟

ما هو الإسلام؟ عقيدة إلهية أم حُكم عربي؟

ما هو الإسلام "الصحيح" الذى يزعم المسلمون أن محمد بن عبد الله جاء به عام 610م؟ ما هو الإسلام الذى يطلب المسلمون منا أن نؤمن به ويضطهدوننا لأننا لا نؤمن به؟

لماذا عندما نبحث فى التاريخ عن هذا "الإسلام الأصلى" لا نجد شيئاً؟ لا نجد شيئاً سوى الفراغ.

لماذا لا نجد مخطوطة واحدة كاملة (أو: حتى شبه كاملة) للقرآن يرجع تاريخها إلى الخمسين سنة الأولى مِن عمر الإسلام (أى: قبل 660م)؟ هذا الكتاب الذى يزعم المسلمون أنه كلام الله الأزلى! ما أصله؟!

لماذا لا نجد مخطوطة واحدة كاملة (أو: حتى شبه كاملة) لأحاديث محمد يرجع تاريخها إلى ما قبل 660م؟! هذه الأحاديث التى جعلوها أحياناً تنسخ القرآنَ! ما أصلها؟! وإنه لمِن الطريف أن القرآن يزعم أن فريقاً مِن الجن أسلم وآمن بالقرآن، فهل هذا الجن المسلم آمن أيضاً بما يُسمَّى "السُّنَّة الصحيحة"؟! بل هل يؤمن الجن المسلم بصحيحي البخاري ومسلم اللذين جاءا بعد وفاة محمد بأكثر مِن 200 سنة؟!

ما قلناه عن قرآن محمد ينطبق أيضاً على صحيح البخاري. لا توجد نسخة أصلية كاملة (أو: حتى شبه كاملة) للقرآن يرجع تاريخُها إلى زمان محمد (أي: قبل 632م)! وكذلك، لا توجد نسخة أصلية كاملة (أو: حتى شبه كاملة) لصحيح البخاري يرجع تاريخُها إلى زمان البخاري نفسه (أي: قبل 870م)[1600]!

وهذا دليل قاطع يثبت أن المسلمين <u>**ليس**</u> لديهم نسخ أصلية كاملة (أو: حتى شبه كاملة) لأهم كتابين يؤمنون بهما: قرآن محمد وصحيح البخاري! وهذا كله يثبت أن شعار "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" مجرد أسطورة من أساطير المسلمين وأوهامهم.

سمح اللهُ بالحفاظ على نسخ أصلية مِن كتاب الموتى (Book of the Dead) المصري القديم، لكنه لم يحفظ لنا نسخةً واحدة أصلية من القرآن والسُّنَّة الصحيحة! ألا يكفي ذلك كدليل قاطع يثبت أن إله الإسلام ليس الإله الحقيقي؟

تعالوا نتأمل الإله الذي يُقدِّمه المسلمون إلى البشرية: إله ترك التوراة الأصلية تُحرَّف وتضيع! إله ترك الإنجيل الأصلي يُحرَّف ويضيع! إله لم يحافظ على نسخة أصلية كاملة للقرآن! إله لم يحافظ على نسخة أصلية كاملة لأحاديث محمد، بل ترك المسلمين منقسمين إلى سُنَّة وشيعة، تركهم تائهين في متاهات الأحاديث "الصحيحة" وغير الصحيحة! هل يُعقَل أن هذا الإله هو الإله الحقيقي الذي يستحق العبادة؟! مستحيل. وإذا أراد اللهُ أن يعلن عن ذاته إلى البشرية، فهل سيختار هذه الطريقة البائسة الفاشلة؟! مستحيل.

المسلمون يقولون إن الشيطان وسوس إلى آدم، وما زال الشيطان "يُوَسْوِس فِي صُدُور النَّاس" إلى اليوم. يعني: إله الإسلام حافظ على الشيطان موجوداً حتى الآن ولم يحافظ على النسخ الأصلية من التوراة والإنجيل والقرآن موجودة حتى الآن؟! هل هذا معقول يا أولي الألباب؟! مستحيل.

اللي عاوز "يهدينا" للإسلام يجيب معاه حاجتين: (1) نسخة أصلية كاملة (أو: حتى شبه كاملة) للقرآن يرجع تاريخُها إلى زمان محمد؛ (2) نسخة أصلية كاملة (أو: حتى شبه كاملة) للسُّنَّة "الصحيحة" يرجع تاريخُها إلى زمان محمد. وذلك حتى نتأكَّد أننا نتكلَّم عن "الإسلام"، وليس عن شيء آخر.

فحين نقول "الإسلام" فإننا لا نقصد الحُكم العربي، وإنما نقصد رسالة محمد بن عبد الله، أي: القرآن والسُّنَّة "الصحيحة". بعبارة أخرى: حين نقول "الإسلام" فإننا لا نقصد الإسلام بمعناه السياسي والاجتماعي، أي: الاستسلام والانقياد والخضوع لشريعة الحُكام العرب. وإنما نقصد الإسلام بمعناه العقائدي، أي: الإيمان بكتاب منزل من عند الله اسمه "القرآن" والاقتداء بسُنَّة رسول من عند الله اسمه "محمد". فهل لهذا الإسلام أي أثر تاريخي قبل 660م؟ أَم أنه مجرد أسطورة اُخترعتْ في عصور لاحقة؟

في ظل عدم وجود نسخ أصلية كاملة (أو: حتى شبه كاملة) للقرآن والسُّنَّة "الصحيحة" يرجع تاريخُها إلى زمان محمد، فكيف نعرف الإسلام "الصحيح" الذي يتحدثون عنه في التليفزيون والراديو؟!

إنَّ عدم وجود نسخة أصلية كاملة للقرآن يفتح البابَ واسعاً لكثير من الاحتمالات التي يجب أن يدرسها الباحثون. فَمِن المحتمل مثلاً أن القرآن الأصلي لم يقل شيئاً عن الْقِبْلَة (اتجاه الصلاة). لكن عند إنتاج المصحف، وُضِعَت آيات تجعل المسلمين يصلون في اتجاه الكعبة (البقرة 142-150). بل مِن المحتمل أن القرآن الأصلي كان يقول إن المسيح هو الله أو إن المسيح صُلِبَ. لكن عند إنتاج المصحف، حُذِفت هذه الآيات ووُضِع مكانها آيات أخرى تُكفِّر مَن يقول إن المسيح هو الله (المائدة 17، 72) وتنكر صلب المسيح (النساء 157). بل من المحتمل جداً ألا يكون هناك "قرآن واحد أصلي" من الأساس، وإنما مجموعة "قرآنات" (Qur'ans) جُمِعَتْ بعد ذلك – أو بالأحرى: جُمِعَ ما تبقى منها – في كتابٍ واحد هو "المصحف". احتمالات كثيرة لا نستطيع الآن أن نثبتها 100% أو ننفيها 100%. ولذلك سنتركها للأجيال القادمة مِن الباحثين.

لماذا لا نجد أى أثر تاريخى للإسلام بمعناه المتعارف عليه اليوم (قرآن + سُنَّة) قبل 660م؟! هذه الديانة – التى تزعم البروباجاندا الإسلامية أنها الديانة التى ارتضاها اللهُ للبشرية – ليس لها أى أثر تاريخى فى الخمسين سنة الأولى مِن ظهورها المزعوم! مش دى حاجة غريبة شوية؟!

ما أصل دين الإسلام؟

إذا كان الإسلام عقيدة لها أصل، فما أصلها؟

لماذا لا نجد كتاباً واحداً فى تفسير القرآن يرجع تاريخه إلى ما قبل 660م؟ لماذا نرى هذه الفجوة الكبيرة بين القرآن وتفسيره؟ لماذا احتار المفسرون وتخبطوا فى معاني كلمات القرآن؟ هذا التخبط الذى وصل أحياناً إلى درجة اقتراح 16 معنى مختلف لكلمة قرآنية واحدة هى "الْكَوْثَرَ" (الكوثر 1)!

لماذا لا نجد كتاباً واحداً فى علوم القرآن يرجع تاريخه إلى ما قبل 660م؟ موضوع "الناسخ والمنسوخ" مثلاً – على الرغم من أهميته – لا نجد كتاباً واحداً عنه قبل 660م!

لماذا لا نجد كتاباً واحداً فى السُّنَّة "الصحيحة" يرجع تاريخه إلى ما قبل 660م؟

لماذا لا نجد كتاباً واحداً فى السيرة النبوية يرجع تاريخه إلى ما قبل 660م؟

لماذا لا نجد كتاباً واحداً فى تاريخ الإسلام يرجع تاريخه إلى ما قبل 660م؟

هل "الإسلام" الذى نعرفه اليوم هو الإسلام الذى جاء به محمد بن عبد الله (بفرض أنه شخص حقيقي)؟ أم هو إسلام آخر مِن اختراع الخلفاء العرب الأمويين و/أو العباسيين وموظفيهم؟

هل الإسلام الذي نعرفه اليوم هو الإسلام "الإلهي" المزعوم؟ أم هو الإسلام "البشري" السياسي-الديني الذي أسسه الخلفاء العرب الأمويون و/أو العباسيون وعملاؤهم؟

هل رسول الإسلام "محمد بن عبد الله" شخص حقيقي؟ أم هو مجرد أسطورة ابتكرها الخلفاء العرب الأمويون و/أو العباسيون وكُتَّابهم؟ أم هو مزيج من قليل من الحقيقة وكثير من الخيال؟ ربما شخصان أو أكثر أُدمِجوا بعد ذلك فى شخصية واحدة اسمها "محمد"، أو بالأحرى: لقبها "محمد"؟ أم هل كانت كلمة "محمد" مجرد فكرة تحولت بمرور الزمن إلى اسم[1601]؟

هل الإسلام ظهر فى مكة واكتمل بصورته القانونية النهائية فى المدينة كما يقول التراث الإسلامى؟ أم فى الشام و/أو العراق؟

هل "الهجرة" كانت من مكة إلى يثرب (المدينة) كما يقول التقليد الإسلامى؟ أم كانت من شبه الجزيرة العربية إلى الشام و/أو العراق؟ أم أنهما تقليدان عربيان مختلفان أُدمجا بعد ذلك فى تقليد إسلامى واحد؟

هل مات محمد قبل الغزو العربي للشام والعراق؟ أم مات بعد هذا الغزو العربي[1602]؟

هل ظهر الإسلام قبل الغزو العربي للشام والعراق؟ أم ظهر بعد هذا الغزو العربي؟ نحن نضم صوتنا إلى الكاتب والمؤرخ البريطاني "توم هولاند" (Tom Holland) حين يتساءل قائلاً[1603]:

> […] The Muslim conquests were one of the most decisive events in history, but were the Arabs in the seventh century even Muslims at all? […]
>
> […] What if it was not Islam that gave birth to the Arab Empire, but the Arab Empire that gave birth to Islam?

لو تخيلنا أن محمد وأبا بكر وعمر وعثمان وعليّ قاموا مِن الأموات اليوم، فهل سيستطيعوا أن يقرأوا المصحف الحالى؟ ولو تعلّموا أن يقرأوا المصحف الحالى، فهل سيوافقوا على كل سوره وكل آياته وكل كلماته وكل حروفه وكل نقطه وكل علامات الوقف ... الخ؟ وهل موافقتهم – إنْ تمت – ستكون بالإجماع أَم بالأغلبية؟

لماذا لا نجد عملة معدنية واحدة (a coin) مكتوب عليها اسم محمد أو أبي بكر أو عمر أو عثمان أو عليّ ويرجع تاريخها إلى ما قبل 660م، أي: قبل الإمبراطورية العربية القرشية الأموية؟

لماذا كل هذا الفراغ (memory hole)؟!

كيف نفسر هذا الفراغ الكبير الذى يعاني منه الإسلامُ فى سنواته الخمسين الأولى؟!

لماذا نجد دائماً فراغاً تاريخياً فى الخمسين سنة الأولى مِن عمر الإسلام (610 – 660م)، وهى الفترة التى يُفترَض أن محمد ثم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ حكموا فيها المسلمين؟!

لماذا نجد دائماً فراغاً – ولا شيء غير الفراغ – فى الخمسين سنة الأولى مِن عمر الإسلام؟

كيف نفسر هذا الصمت التاريخى الفظيع فى الخمسين سنة الأولى مِن عمر الإسلام؟

على المسلمين أن يجيبوا على هذه الأسئلة إجابات مقنعة ومؤيدة بأدلة علمية قبل أن يطلبوا منا أن نصوم رمضان وأن نصلي خلف الشيوخ المسلمين في اتجاه الكعبة وأن نجاهد في سبيل إله محمد.

أما نحن فلن نجيب على كل الأسئلة السابقة، لأنها خارج نطاق بحثنا. فموضوع بحثنا هو القرآن، أو بعبارة أكثر دقة: المصحف. وإثبات أنه ليس كلام الله الخالق، وإنما كلام العرب الخلائق.

إن هذا الفراغ التاريخى الفظيع فى الخمسين سنة الأولى مِن عمر الإسلام (610 – 660م) يؤكد أننا كنا على صواب حين قررنا ألا نتحدث عن محمد إلا إذ اضطررنا، أو على الأقل: نتحدث عنه باعتباره واحداً مِن الذين اشتركوا فى إنتاج القرآن وتأسيس الإسلام، وليس الفاعل الوحيد.

يُروَى أن المستشرق الكبير (Aloys Sprenger) قد قال إن محمداً ليس هو مؤسس الإسلام[1604]. ونحن نتفق مع ما قاله مِن حيث المبدأ لكن مع إضافة كلمة "الوحيد"، فنحن نقول إن محمداً ليس هو المؤسس الوحيد للإسلام. ربما كان محمد هو صاحب الفكرة أو واضع حجر الأساس أو الشخصية القيادية التى ألهمت العرب ووحدتهم وأشعلت حماسَهم، لكن الخلفاء والصحابة والتابعين وتابعي التابعين هُمْ الذين أكملوا القرآن وأنتجوا المصحف وأسسوا الإسلام بعد وفاة محمد. وهذا طبعاً بفرض أن محمد شخص تاريخي حقيقي.

ولذلك فإننا سنركز فيما يلى على القرآن، أو بعبارة أكثر دقة: المصحف. ونثبت أنه ليس كلام الله الموجود قبل كل الوجود، وإنما كلام العرب الذين وُجِدوا بعد حضارات وديانات الشرق الأوسط القديم، وأهمها بالطبع الديانتين اليهودية والمسيحية الشرقية (وبخاصة: السريانية).

لم ينشأ القرآنُ فى عقل الله منذ الأزل، وإنما نشأ فى قلوب العرب الذين ظهروا بقوة على مسرح الأحداث السياسية-الدينية فى شبه الجزيرة العربية والشام والعراق بدءاً مِن القرن السابع الميلادى لتحقيق الحلم الذى طالما راود سكان الشرق الأوسط القديم: حُكْم عالمى (universal rule) + إيمان عالمى (universal faith). إنه حلم البابليين ثم حلم الفرس ثم حلم الإغريق ثم حلم الرومان. إنه حلم "كورش" (Cyrus the Great) ثم حلم "الإسكندر الأكبر (المقدونى)" (Alexander the Great) ثم حلم "هرقل" (Heraclius) الذى تَمثّل فى شخصية "ذى القرنين" (الكهف 83-108)[1605]. وكان مِن المفترض أن تقوم الإمبراطورية الرومانية وديانتها المسيحية (الخلقيدونية) بتحقيق هذا الحلم، إلا أن أسباباً داخلية

وخارجية حالت دون تحقيقه. داخلياً، حدثت انشقاقات دينية فى القرنين الرابع والخامس بسبب الخلافات العقائدية المسيحية-المسيحية حول طبيعة وشخص المسيح (Christology). وخارجياً: استمرت الحروب العسكرية الطويلة حتى القرن السابع بين الروم والفرس، فأنهكت كليهما. كل ذلك مهَّد الطريقَ أمام العرب لتحقيق هذا الحلم الشرق-أوسطي القديم.

لم ينشأ القرآنُ فى السماء، وإنما نشأ على الأرض لتحقيق طموحات شرق-أوسطية. طموحات بشرية 100% سياسية فى المقام الأول.

أرض الشرق الأوسط هى الرحم (matrix) الذى تَكوَّن فيه القرآن والمصحف والسُّنَّة والإسلام. أما محمد فهو مجرد واحد مِن أبناء الشرق الأوسط الذين اشتركوا فى صناعة هذا الإسلام.

إذن نكرر مرة أخرى: سنتحدث فيما يلي عن المصحف. وسنفترض جدلاً أن المصحف = القرآن. وسنثبت أن هذا القرآن (المصحف) ليس كلام الله الخالق، وإنما كلام العرب البشر المخلوقين.

ونحن لا نقول أبداً إن أصحاب القرآن قد نقلوا حرفياً كلَّ آيات القرآن مِن كتابٍ معين أو اعتمدوا على مصدرٍ واحد فقط أو اقتبسوا حرفياً مِن شخصٍ واحد بعينه. نحن لا نقول ذلك أبداً. وإنما نقول إنه كانت هناك أفكار شفوية-سمعية (oral-aural) توارثها أبناءُ الشرق الأوسط إما قبل الميلاد أو في القرون الأولى للميلاد، وتطورت بمرور الزمن تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة حتى استقرت في القرآن. وأثناء عملية التطور البشري الطبيعي، وضع أصحابُ القرآن بصمتهم العربية/الإسلامية حتى تتلاءم هذه الأفكار مع بعضها البعض في كتابٍ عربي واحد هو القرآن. أو بالأحرى: هو المصحف.

نظرية "الوحي" انتهت. نظرية "التطور البشري الطبيعي" هي التي تفسر نشأة القرآن (المصحف).

"الثورة على الحاكم ليست هي الحل للخروج من أزمة الأسلمة.

وإنما الثورة الحقيقية على العقل المتحجر والخروج مِن عباءة الشيوخ وفقهاء البلاط الذين يريدون ترك المسلم في تخلفه ليسهل السيطرة عليه مِن طرف رجل الدين والحاكم الديكتاتوري الذي يحكم القطيع بمباركتهم والدعاء إليه بالتمكن مِن رقاب رعيته"

محمد المسيَّح(1606)

3 المعتقدات = معتقدات الأولين ± بعض التفاصيل

فيما يخص العقائد، لم يأتِ الإسلام بشيء واحد جديد وصحيح! فمعظم المعتقدات الإسلامية مذكورة بصورة أو بأخرى في تراث الديانات السابقة للديانة الإسلامية، سواء الديانات الإبراهيمية – كاليهودية والمسيحية والحنيفية – أو غير الإبراهيمية كالمصرية القديمة وغيرها كما سنرى.

3.1 تناقضات القرآن في خَلْق السماوات والأرض والجبال: المدة والترتيب؟!

يكرر القرآنُ 4 مرات أن الله خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" (هود 7) "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ (أي: علا وارتفع؛ استقر) عَلَى الْعَرْشِ" (الأعراف 54) (الحديد 4) "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ (أي: يُدَبِّرُ أمور خلقه)" (يونس 3).

ويكرر القرآنُ 3 مرات أن الله خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ***وَمَا بَيْنَهُمَا*** فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" (الفرقان 59) (السجدة 4) "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" (ق 38).

لكننا نجد في سورة فصلت شرحاً أكثر تفصيلاً وأكثر اختلافاً: "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا (أي: نظراء؛ شركاء) ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ (أي: جبالاً ثابتة) مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا (أي: أرزاق أهلها؛ ما يَقوتُهم من الغذاء ويُصلحُهم من المعاش) فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَىٰ (أي: عَمَد وقَصَد بقدرته) إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا (أي: أوجد في كل سماء ما أعدت له واقتضته حكمته) ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ (أي: نجوم مضيئة) وَحِفْظًا [لها من الشياطين الذين يسترقون السمع[1607]] ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" (فصلت 9-12). إذن: إجمالي عدد الأيام = يَوْمَيْنِ + أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ + يَوْمَيْنِ = ثمانية أيام؛ وليس سِتَّةِ أَيَّامٍ! فأيهما أصح: سِتَّة أَيَّامٍ؟ أم ثمانية أيام؟

ليس هذا فحسب، بل إننا حين نتأمل (فصلت 9-12) نجد أن ترتيب الخلق كان: الأرض (فصلت 9) والجبال (فصلت 10) ثُمَّ السماء (فصلت 11-12). وهو ترتيب يتفق مع (البقرة 29): "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (البقرة 29) التي تدل "على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها، وعلى هذا الرأي أكثر أهل التفسير"[1608]. وكما سوف نرى لاحقاً، فإن هذا الرأي الذي يؤيده أكثر المفسرين المسلمين يعتمد على أسطورة شرق-أوسطية قديمة تخيلت الأرض والسماء كالبناء المادي (القصر أو العمارة مثلاً) حيث يُبْنَى أولاً الدور الأرضي ثم الدور الأول ثم الدور الثاني وهكذا حتى الدور الأعلى. "خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى" (طه 4).

لكننا حين نقرأ سورة النازعات نجد ترتيباً مختلفاً بل نجد ترتيباً معكوساً! السماء (النازعات 27) ثم **بَعْدَ ذَٰلِكَ** الأرض (النازعات 30) والجبال (النازعات 32): "أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا (أي: أبَعْثُكم بعد الموت أشد في تقديركم) أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا (أي: رفعها فوقكم كالبناء!). رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (أي: أعلى سقفها في الهواء! لا تفاوت فيه ولا اعوجاج ولا شقوق ولا فطور). وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا (أي: أظلم لَيْلَهَا) وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (أي: وأبرز نهارَها). وَالْأَرْضَ **بَعْدَ ذَٰلِكَ** دَحَاهَا (أي: بَسَطَها ومهَّدها). أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا (أي: البحار والأنهار والعيون والينابيع) وَمَرْعَاهَا (أي: المراعي والأعشاب والنبات ونحو ذلك). وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ"

(النازعات 27-33). اقرأ أيضاً: "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ. وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الرعد 2-3)؛ "أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (أي: ليس فيها شقوق وفُتُوق!). وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ" (ق 6-7)؛ "وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ. وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ" (الذاريات 47-48).

فأي الترتيبين أصح؟! الأرض (فصلت 9) والجبال (فصلت 10) **ثُمَّ** السماء (فصلت 11-12)؟! أَم السماء (النازعات 27) ثم **بَعْدَ ذَٰلِكَ** الأرض (النازعات 30) والجبال (النازعات 32)؟!

أي الترتيبين أصح؟! هذا السؤال المحيّر شغل بالَ المسلمين الأوائل منذ قرون الإسلام الأولى. يقول حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ. قَالَ [...] وَقَالَ "أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا" إِلَى قَوْلِهِ "دَحَاهَا" (النازعات 27-30) فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ "أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ" إِلَى قَوْلِهِ "طَائِعِينَ" (فصلت 9-11) فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟ [...][1609].

ولا يزال هذا السؤال المحيّر يشغل بالَنا إلى اليوم: الأرض والجبال ثم السماء (فصلت 9-12) (البقرة 29)؟! أَم السماء ثم الأرض والجبال (النازعات 27-33)؟! وما هي أهمية الأرض أصلاً حتى يعطفها القرآنُ على السماوات في "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ"؟! الأرض مجرد نقطة صغيرة – بل مجرد حشرة صغيرة – في هذا الكون الواسع. ألم يكن من الأفضل أن يقول القرآنُ إن الله "خَلَقَ الكونَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ"؟

وهل هذا الخلق تم "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" كما تقول معظم الآيات القرآنية ذات الصلة (الأعراف 54) (يونس 3) (هود 7) (الحديد 4) (الفرقان 59) (السجدة 4) (ق 38)؟! أَم في ثمانية أيام كما انفردت سورة فصلت بهذا الرأي (فصلت 9-12)؟! ولماذا في ثمانية أيام أو حتى في ستة أيام؟! ألا يستطيع اللهُ أن يخلق الكونَ كُلَّه في لحظةٍ واحدة بكلمة "كُن" فَيَكُونُ؟! "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (يس 82) "إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (البقرة 117) (آل عمران 47) (مريم 35) (غافر 68) "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (النحل 40)؛ (الأنعام 73) (آل عمران 59)!

كل هذه الاختلافات - بل التناقضات - تؤكد أن القرآن كلام بشر: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[1610].

كالعادة، حاول مفسرو القرآن والمؤمنون به تبرير تلك الاختلافات والتناقضات بتبريرات مختلفة ومتضاربة وبالتالي غير مقنعة. إلا أن بعضهم كان أكثر شجاعة فاعترف بوجود المشكلة وعجزه عن حلها

حلاً منطقياً. قال تفسير القرطبي: "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فَعَلَ، فَقَدِ اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْأَقَاوِيلُ، وَلَيْسَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ مَدْخَلٌ"[(1611)]!

3.1.1 حيل المفسرين المسلمين من أجل تبرير اختلافات القرآن وتناقضاته!

أشهر حيلة لجأ إليها المفسرون المسلمون من أجل حل مشكلة المدة - سِتَّةِ أَيَّامٍ أم ثمانية أيام - تزعم أن اليومين الأولين المذكورين في خلق الأرض (فصلت 9) محسوبان من جملة الأربعة أيام المذكورين في (فصلت 10)! قال الزمخشري في تفسيره لـ "فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً" (فصلت 10): "فَذْلَكَة (أي: مجمل ما فُصل وخلاصته) لمدة خلق الله الأرض وما فيها، كأنه قال: كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان. قيل: خلق اللهُ الأرضَ في يوم الأحد ويوم الاثنين، وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء. وقال الزجاج: في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام، يريد بالتتمة اليومين"[(1612)]. أي: "في تمام أربعة أيام: يومان خَلَقَ فيهما الْأَرْضَ، ويومان [آخران] جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا"[(1613)]. "فالأرض خُلِقَت في يومين، وخلق الرواسي وتقدير الأقوات قد استغرق ما تمم اليومين أربعة أيام، أي استغرق هو الآخر يومين، ثم استغرق خلق السموات السبع يومين، فكان المجموع ستة أيام من أيام الله"[(1614)]. وهكذا جعلوا الإجمالي ستة أيام في (فصلت 9-12) كما تقول الآيات القرآنية الأخرى (الأعراف 54) (يونس 3) (هود 7) (الحديد 4) (الفرقان 59) (السجدة 4) (ق 38)! قال تفسير الطبري: "كَمَا تَقُولُ: تَزَوَّجْتُ أَمْسِ امْرَأَةً، وَالْيَوْمَ ثِنْتَيْنِ. وَإِحْدَاهُمَا الَّتِي تَزَوَّجْتَهَا أَمْس"[(1615)]! أو "كما تقول: بنيتُ جدار داري في يومٍ، وأكملتُ جميعها في يومين، أي بالأول"[(1616)]!

وطبعاً هذه حيلة مضحكة وغير مقنعة ولا يمكن أن نقبلها من كلام آحاد الناس، فكيف نقبلها من كتابٍ يزعم المسلمون أنه كلام الله عز وجل؟! ولو كان هذا هو ما قصده أصحابُ القرآن فعلاً، لكان من الأفضل أن يقولوا: "خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي يَوْمَيْنِ"؛ أو: "خَلَقَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ".

أما مشكلة الترتيب فكانت أكثر تعقيداً! قيل إن "الأرض متقدِّمة خَلْقاً متأخِّرة دحواً"[(1617)]! "وبه يتبين أن الله تعالى خلق الأرض أولاً [لكن لم يَدْحها]، ثم خلق السماء بعدها، ثم بعد السماء، دحا الأرض، أي بسطها بحسب نظرنا، وهذا توفيق بين هذه الآية [فصلت 11]، وآية "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا" (النازعات 30)"[(1618)]! "فأصل خلق الأرض قبل خلق السماء، ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذلك بعد خلق السماء"[(1619)]! وقال ابنُ كثير في تفسيره لـ "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ [...]" (فصلت 9)[(1620)]:

وَهَذَا الْمَكَانُ فِيهِ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} (الْأَعْرَافِ 54)، فَفَصَّلَ هَاهُنَا مَا يَخْتَصُّ بِالْأَرْضِ مِمَّا اخْتَصَّ بِالسَّمَاءِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ أَوَّلًا لِأَنَّهَا كَالْأَسَاسِ، وَالْأَصْلُ أَنْ يُبْدَأَ بِالْأَسَاسِ، ثُمَّ بَعْدَهُ بِالسَّقْفِ، كَمَا قَالَ: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ} (الْبَقَرَةِ 29). فَأَمَّا قَوْلُهُ: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} (النَّازِعَاتِ 27-33) فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ دَحْيَ الْأَرْضِ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَالدَّحْيُ هُوَ مُفَسَّرٌ بِقَوْلِهِ: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا}، وَكَانَ هَذَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَأَمَّا خَلْقُ الْأَرْضِ فَقَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ بِالنَّصِّ، وَبِهَذَا أَجَابَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ صَحِيحِهِ، فَإِنَّهُ قَالَ:

وَقَالَ الْمِنْهَالُ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، [...] وَقَالَ: {أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا} إِلَى قَوْلِهِ {دَحَاهَا} (النَّازِعَاتِ 27-30)، فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} إِلَى قَوْلِهِ {طَائِعِينَ} (فصلت 9-11) فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟ [...]

قَالَ - يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ - : [...] وَخَلَقَ الْأَرْضَ [غَيْرَ مَدْحُوَّةٍ] فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ، فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَى الْأَرْضَ، وَدَحْيُهَا (أو: دَحْوُهَا): أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، وَخَلَقَ الْجِبَالَ وَالْجَمَادَ وَالْآكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {دَحَاهَا} وَقَوْلُهُ {خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} فَخُلِقَتِ الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخُلِقَتِ السَّمَاوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ.

وعلى الرغم من اعترافنا بذكاء ودهاء أصحاب هذه الحيلة، إلا أنها لم تحل مشكلة تناقضات القرآن. أولاً: لأن هذه الحيلة تقول إن الله اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ **قبل** خلق الجبال. بينما (فصلت 10-12) تقول بكل وضوح إن الله جَعَلَ فِي الأرض رَوَاسِيَ ثُمَّ (أي: و**بعد** خلق الجبال) اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ. وثانياً: لأن (البقرة 29) أيضاً تقول بكل وضوح: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ"؛ وقوله "مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا" يشمل الجبال. بل يقول الحديث الصحيح المرفوع إن الجبال خُلِقَت قبل الشجر: "عن أبي هريرة، قال: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بيَدِي فَقالَ: خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَومَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الجِبَالَ يَومَ الأحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَومَ الاثْنَيْنِ، [...]"[1621]. إذن: اسْتَوَى اللهُ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ **بعد** خلق الجبال، وليس قبل خلق الجبال كما زعم تفسيرُ ابن كثير وأمثاله من المفسرين المسلمين الذين يحاولون تبرير تناقضات القرآن بأي طريقة مهما كانت ملتوية**!**

وفي الواقع توجد حيلة أخرى أكثر ذكاءً من الحيلة السابقة! فلقد قال القرطبي في تفسيره لـ "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ [...]" (البقرة 29)[1622]:

يَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْأَرْضَ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَكَذَٰلِكَ فِي "حم السَّجْدَةِ" (يقصد: فصلت 9-12). وَقَالَ فِي النَّازِعَاتِ: "أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا" (النازعات 27) فَوَصَفَ خَلْقَهَا، ثُمَّ قَالَ: "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" (النازعات 30). فَكَأَنَّ السَّمَاءَ عَلَى هَذَا خُلِقَتْ قَبْلَ الْأَرْضِ، وَقَالَ تَعَالَى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" (الأنعام 1)، وَهَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ: إِنَّ السَّمَاءَ خُلِقَتْ أَوَّلًا (أي: قَبْلَ الْأَرْضِ)، حَكَاهُ عَنْهُ الطَّبَرِيُّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّهُ تَعَالَى أَيْبَسَ الْمَاءَ الَّذِي كَانَ عَرْشُهُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَهُ أَرْضًا وَثَارَ مِنْهُ دُخَانٌ فَارْتَفَعَ، فَجَعَلَهُ سَمَاءً، فَصَارَ خَلْقُ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَصَدَ أَمْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَتْ إِذْ خَلَقَهَا غَيْرَ مَدْحُوَّةٍ.

قُلْتُ (أي: قال القرطبيُّ محاولاً أن يوفق بين رأي قَتَادَةَ أَنَّ السَّمَاءَ خُلِقَتْ قَبْلَ الْأَرْضِ ورأي مُجَاهِد وَغَيْره مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْأَرْضِ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءَ): وَقَوْلُ قَتَادَةَ يَخْرُجُ عَلَى وَجْهٍ صَحِيحٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ أَوَّلًا دُخَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ الْأَرْضَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَسَوَّاهَا، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الدُّخَانَ خُلِقَ أَوَّلًا قَبْلَ الْأَرْضِ: مَا رَوَاهُ السُّدِّيُّ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ" (البقرة 29) قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا قَبْلَ الْمَاءِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ أَخْرَجَ مِنَ الْمَاءِ دُخَانًا فَارْتَفَعَ فَوْقَ الْمَاءِ، فَسَمَا عَلَيْهِ، فَسَمَّاهُ سَمَاءً، ثُمَّ أَيْبَسَ الْمَاءَ فَجَعَلَهُ أَرْضًا وَاحِدَةً، ثُمَّ فَتَقَهَا فَجَعَلَهَا سَبْعَ أَرَضِينَ فِي يَوْمَيْنِ، فِي الْأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ. فَجَعَلَ الْأَرْضَ عَلَى حُوتٍ - وَالْحُوتُ هُوَ النُّونُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: "ن وَالْقَلَمِ" (القلم 1) - وَالْحُوتُ فِي الْمَاءِ، وَالْمَاءُ عَلَى صَفَاةٍ (أي: حجر صلد ضخم أملس لا يُنبت شيئاً)، وَالصَّفَاةُ عَلَى ظَهْرِ مَلَكٍ، وَالْمَلَكُ عَلَى الصَّخْرَةِ، وَالصَّخْرَةُ فِي الرِّيحِ - وَهِيَ الصَّخْرَةُ الَّتِي ذَكَرَ لُقْمَانُ: لَيْسَتْ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ - فَتَحَرَّكَ الْحُوتُ، فَاضْطَرَبَ، فَتَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ، فَأَرْسَى [اللهُ] عَلَيْهَا الْجِبَالَ فَقَرَّتْ، فَالْجِبَالُ تَفْخَرُ عَلَى الْأَرْضِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ" (النحل 15)، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا، وَأَقْوَاتَ أَهْلِهَا وَشَجَرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي لَهَا فِي يَوْمَيْنِ، فِي الثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبِعَاءِ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ" (فصلت 9-10) يَقُولُ: مَنْ سَأَلَ فَهَكَذَا الْأَمْرُ، "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ" (فصلت 11) وَكَانَ ذَلِكَ الدُّخَانُ مِنْ تَنَفُّسِ الْمَاءِ حِينَ تَنَفَّسَ، فَجَعَلَهَا سَمَاءً وَاحِدَةً، ثُمَّ فَتَقَهَا فَجَعَلَهَا "سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ" (فصلت 12): فِي الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَنَّهُ جُمِعَ فِيهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،

"وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا" (فصلت 12) قَالَ: خَلَقَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ خَلْقَهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْخَلْقِ الَّذِي فِيهَا مِنَ الْبِحَارِ وَجِبَالِ الْبَرَدِ وَمَا لَا يُعْلَمُ، ثُمَّ زَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالْكَوَاكِبِ، فَجَعَلَهَا زِينَةً وَحِفْظًا تُحْفَظُ مِنَ الشَّيَاطِينِ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ مَا أَحَبَّ، اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، قَالَ: فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" (الأعراف 54)، وَيَقُولُ: "كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا" (الأنبياء 30). وَذَكَرَ الْقِصَّةَ فِي خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (يقصد: البقرة 30).

إذن: وبغض النظر عن الأساطير المذكورة في تفسير القرطبي، وبخاصة أسطورة الحوت (المستوحاة من أسطورة لَوِيَاثَان)، فإن ترتيب الخلق حسب هذه الحيلة هو كما يلي: خلق اللهُ دخاناً فَسَمَّاهُ سَمَاءً، ثم خلق الأرض، ثم خلق الجبال، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسوَّاها، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

إلا أن هذه الحيلة أيضاً لن تنجح في حل مشكلة تناقضات القرآن. أولاً: لأن سورة النازعات لا تضع خلق الجبال قبل دحو الأرض، وإنما تضع خلق الجبال بعد دحو الأرض (أو: أثناء دحو الأرض): "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا" (النازعات 30-32). وثانياً: لأن سورة النازعات لا تقول إن الله استوى إلى السماء بعد خلق الجبال. وثالثاً: لأن سورة النازعات تقول "وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا" (النازعات 29)، وهذا قد يتطلب خلق الشمس وجاء **<u>قبل</u>** خلق الجبال: "وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا" (النازعات 32). لكن في المقابل، يُفْهَم من سورة فصلت أن خلق الشمس ضمن "وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ (أي: نجوم مضيئة وأهمها الشمس)" (فصلت 12) حدث **<u>بعد</u>** خلق الجبال "وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا" (فصلت 10).

إذن: إنها حقاً مجرد محاولات بائسة ويائسة لجعل القرآن كلام الله بالعافية! ولا تزال مشكلة تناقضات القرآن قائمة! ومن الواضح أن القرطبي نفسه قد أدرك بقاء مشكلة تناقضات القرآن بدون حل، بدليل أنه قال بعد ما سبق: "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فَعَلَ، فَقَدِ اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْأَقَاوِيلُ، وَلَيْسَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ مَدْخَلٌ"[1623]!

وفي العصر الحديث، طوَّر مفسرون وباحثون مسلمون ما قاله تفسيرُ القرطبي، ولجأوا إلى آية قرآنية تقول إن "السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ [قبل خَلْقهما] كَانَتَا رَتْقًا (أي: ملتصقتين؛ شَيْئًا وَاحِدًا) فَفَتَقْنَاهُمَا (أي: ففصلناهما)" (الأنبياء 30)، ليقولوا إن "عملية خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تمت في آن واحد. والفتق الذي أجراه اللهُ فَصَلَ الأرضَ عن السَّمَاوَاتِ في لحظةٍ واحدة أي في وقتٍ واحد. ووجود آيات تتحدث عن خلق السماوات قبل الأرض وآيات تتحدث عن خلق السماوات بعد خلق الأرض دليل على تداخل عملية الخلق. [...] أما قوله تعالى في سورة فصلت: "[...] خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ [...] ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ [...]" (فصلت 9-12). فظاهر الآية يدل على أن [...] الأرض خُلِقَت قبل السماوات ولكن المدقق في الآيات يرى ما يلي: خَلَقَ اللهُ

الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ واسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ، إذاً فالسماء كانت موجودة قبل الاستواء. وهذا يعود بنا إلى أصل الفتق الذي تم في آن واحد لتشكل الأرض وتشكل السماء"[1624]!

تعليقنا: من الواضح أنه يخلط بين حدثين متتاليين، لكنهما حدثان مختلفان: أوّلهما هو الفتق (أي: الانفصال)، وثانيهما هو الخلق (أي: التشكيل/الترتيب والملأ). صحيح أن الفتق تم في لحظةٍ واحدة، لكن الخلق الذي حدث بعده تم على عدة مراحل متتالية (أو كما قال القرآنُ: "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ"). وسنرى بعد قليل أن هذه الحيلة الإسلامية – التي تُطوِّر ما قاله تفسيرُ القرطبي لتقول إن عملية الخلق كانت تداخلية أو تمت في آن واحد – مستوحاة من التوراة (التكوين 1:1 – 3:2) ومن التراث اليهودي بصفة عامة[1625]. أما (الأنبياء 30) فسوف ندرسها لاحقاً بالتفصيل في فصلٍ آخر مستقل نظراً لأهميتها، وسنكتفي هنا بأن نقول إنها تتحدث عن الفتق الذي سبق الخلق. أما نحن فنتحدث هنا عن الخلق: المدة والترتيب.

لم تتوقف حيل المفسرين المسلمين المعاصرين عند هذا الحد، إذ توجد حيل أخرى أكثر دهاءً مما سبق! على سبيل المثال، لجأت موسوعة بيان الإسلام إلى حيلة تعتمد على تغيير معاني كلمات القرآن! فزعمت الموسوعة ثلاثة مزاعم: (1) "المراد بخلق ما في الأرض جميعاً قبل خلق السماء: الخلق اللغوي الذي هو التقدير، لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود"؛ (2) "لمَّا خلق اللهُ الأرضَ غير مدحوَّة، وهي أصل لكل ما فيها، فكان كل ما فيها (أي: ما يتصل بها من فروع) وكأنه خُلِقَ بالفعل لوجود أصله فعلاً" كقوله "وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ (أي: بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم الذي هو أصلكم)" (الأعراف 11)؛ (3) "دلالة الظرف "بعد" [في "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا" (النازعات 30)] تأتي بمعنى "مع"، ومن ثمَّ، فدحو الأرض كان مع بناء السماء" كقوله "عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ" (القلم 13)[1626]!

ونحن نرى أن هذه الحيلة لا تستحق التعليق لأنها معقدة جداً وفيها متاهة كبيرة من اللف والدوران وكمية هائلة من الكلمات الرنانة فارغة المضمون وتعتمد على قراءات قرآنية شاذة أُقترحت كحل للمشكلة وتعتمد أيضاً على تغيير معاني كلمات القرآن كما قلنا، بالإضافة إلى أنها لم تعطنا ترتيباً واضحاً لخلق السماء والأرض والجبال يتفق مع جميع آيات القرآن المختلفة والمتناقضة! فنستطيع إذن أن نقول إن هذه الحيلة أيضاً فشلت فشلاً ذريعاً في حل مشكلة تناقضات القرآن. وسنكتفي بأن نقول إن تغيير معاني كلمات القرآن قد يفتح البابَ واسعاً أمام أي نتيجة يُراد الوصول إليها! فإذا قيل مثلاً إن "ثُمَّ" في (فصلت 11) (البقرة 29) جاءت بمعنى الواو، أو إنها للترتيب الذكري (أي: ليس للترتيب الزمني!) كقوله "ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا [...]" (البلد 17)، فقد نصل إلى نتائج مختلفة تماماً، كأن يُقال إن السماء خُلِقَت قبل الأرض أو إنهما خُلِقَا سوياً أو إن القرآن لم يقصد أصلاً أن يقول لنا ترتيبَ خلقهما لأن أصحاب القرآن لم يعرفوا – أو لم يفهموا – ترتيبَ خلق السماوات والأرض وما بينهما!

الخلاصة: نحن لا نرى حلاً مقنعاً لمشكلة تناقضات القرآن إلا الاعتراف بأن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله. "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24).

كلام الله ينبغي ألا يحتاج حيل ولف ودوران ولا حتى تفاسير، وإنما يجب أن يشرح نفسه بنفسه (self-explanatory). كلام الله لا يمكن أن يكون طلاسم. ألستم تقولون إن "الإسلام دين الفطرة"؟ أليس القرآن نفسه يقول "وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا" (الإسراء 12)؟ فلو كان القرآنُ كلامَ الله كما يتوهَّم المسلمون، لضبط اللهُ كلامَه في مكانٍ واحد وشرح كيف تمت عملية خلق السماوات والأرض وما بينهما في صورة خطوات واضحة ومحددة ومُرتَّبة ترتيباً زمنياً: 1 ... 2 .... 3 .... وقال المدة التي استغرقتها كل خطوة.

3.1.2 مصادر القرآن من الكتاب المقدس والتراث اليهودي-المسيحي

حتى إذا افترضنا جدلاً أن القرآن يريد أن يقول إن الله خَلَقَ السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وحتى إذا افترضنا جدلاً أن ترتيب بدء الخلق حسب (النازعات 27-33) - أي السماء ثم الأرض - هو الأصح، فإن هذه الأفكار ليست جديدة على الاطلاق، فهي موجودة في أول إصحاحين في أول سفر في التوراة - وهو سفر التكوين (Genesis) - وهي مكتوبة بطريقة واضحة لا يمكن لأحدٍ ألا يلاحظها من القراءة الأولى (مش محتاجة حيل ولف دوران):

(التكوين 1): {1} فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ[1627] **[⟵ "خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" (العنكبوت 44) (الجاثية 22)؛ "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" (الأعراف 54) (يونس 3) (الحديد 4) (هود 7)؛ "خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا" (الروم 8)؛ "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا" (الفرقان 59) (السجدة 4) (ق 38)؛ وآيات قرآنية كثيرة أخرى تركز على أن الله هو مَن "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ"]**. أي: لمَّا بدأ اللهُ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ. إذن: "العدد 1:1 في هذا الفصل [التكوين 1]، بمثابة عنوان له، فهو يختصره ويوجزه. [...] خلق في العبريّة (בָּרָא) [bārā] يعني "أبرأ"، "شفا"، وتفيد نقلاً من حال سيئة إلى حال أفضل"[1628]. **[⟵ وكذلك استخدم أصحابُ القرآن هذا الفعل العبري (bara') بمعنى "خَلَقَ": "هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ" (الحشر 24) "بَارِئِكُمْ [...] بَارِئِكُمْ" (البقرة 54)[1629]]**.

فما هي أيام الخلق الستة حسب التوراة (التكوين 1)؟ ...

اليوم الأول (حضور الله وغلبته على القوى الفوضوية المعادية للحياة). **(التكوين 1)**: {2} وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً (بالعبرية: ṯōhū wāḇōhū؛ أي: فوضى وخَواء) (formless and void)، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ (The Deep) (أي: المياه المحيطة بكل شيء من كل جانب!) ظُلْمَةٌ[1630]، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ

عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ (أي: القوة الإلهية التي سوف تنقل من حالة الموت (الفوضى والخواء) إلى حالة الحياة (الترتيب/التشكيل والملأ) تُحَوِّمُ فَوْقَ المِيَاهِ) [← "كما هو الحال في سفر التكوين التوراتي، فإن القرآن الكريم يخبرنا بأنه في البدء لم يكن سوى الله والماء"[1631]: "وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ [قبل خَلْق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]" (هود 7). وأيضاً بدليل أن البخاري أخرج حديثاً صحيحاً يقول إن محمد قال: "كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ (أي: لم يكن تحته إلا الماء)، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ"[1632]]. {3} وَقَالَ (بالعبرية: amar؛ والمقصود: أَمَرَ) اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ[1633] [← ولعل هذا ما قصده صاحب (الأنعام 1) حين قال إن الله "جَعَلَ (أي: خَلَقَ) الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ" (الأنعام 1). "عَنْ قَتَادَةَ" قال إنَّ الله "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ قَبْلَ الْأَرْضِ، وَالظُّلْمَةَ قَبْلَ النُّورِ" [...] "وَلَقَدْ قِيلَ: إِنَّهَا فَاتِحَةُ التَّوْرَاةِ" [...] "عَنْ كَعْبٍ قَالَ: فَاتِحَةُ التَّوْرَاةِ فَاتِحَةُ الْأَنْعَامِ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ" (الأنعام 1)"[1634][1635]]. {4} وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ [← "أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" (السجدة 7) "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 14) "أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 125-126) "اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" (النمل 88)]. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. {5} وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلًا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ[1636] [← بنفس الترتيب اليهودي: المساء (الليل) ثم الصباح (النهار): "وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا (أي: أظلم لَيْلَهَا) وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (أي: وأبرز نهارها)" (النازعات 29)[1637]!] يَوْمًا (بالعبرية: yom) وَاحِدًا.

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس تعليقاً على "وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ" (التكوين 1:3): "في مواضع كثيرة في الكتاب المقدّس، النور يرافق حضور الله وهو علامة له. في [المزمور 104، وهو نصّ موازٍ لقصة الخلق الأولى] الله يتسربل النور، يلبسه كثوب ["اللاَّبِسُ النُّورَ كَثَوْبٍ، الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ كَشُقَّةٍ" (المزامير 104:2)] (انظر أيضاً دانيال 7:9). النور هو رمز الخلاص الذي يعطيه الله. [...] النور هنا هو الخلاص الذي يغدقه اللهُ على الأرض المغمورة بالظلمة". "فالخلق دوماً هنا تجديد، شفاء، وهو أيضاً خلاص من حال الموت"[1638]. [← وكذلك استخدم أصحابُ القرآن كلمةَ "خلق" بمعنى البعث أي القيامة من الموت: "أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا (أي: أبَعْثكم بعد الموت أشد في تقديركم) أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا" (النازعات 27)؛ "لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ [بَدْأَةً وَإِعَادَةً]" (غافر 57)؛ "أَفَعَيِينَا (أي: أفَعَجَزْنا) بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ (أي: الكفار؛ منكرو القيامة) فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (new creation)" (ق 15)؛ "وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ (easier) عَلَيْهِ" (الروم 27)[1639] "كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ" (الأنبياء 104) "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ" (الأعراف 29)؛ (يس 78-83) (العنكبوت 19-20) (الروم 11) (يونس 4، 34) (النمل 64) (النجم 45-47) (الإسراء 51). بل كان كفارُ العرب أيضاً يستخدمون كلمة "خلق" بمعنى البعث أي القيامة من الموت: "كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ" (الإسراء 98-99)[1640]

"وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا" (الإسراء 49) "فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ" (الرعد 5)[1641]؛ (السجدة 10) (سبأ 7)].

وتوجد آراء أخرى تفسِّر وجود "النُّور" قبل خَلْق الشمس؛ بعضها رأى جذوراً شرق-أوسطية قديمة لهذه الفكرة[1642]؛ وبعضها فسَّرها روحياً فقال إن الفصل بَيْنَ النُّور وَالظُّلْمَةِ هو الفصل بين الملائكة والشياطين (الملائكة الساقطين)[1643]؛ وبعضها قال إن هذا النُّور كان نوراً من نوعٍ خاص (a special light) خلقه الله أو انبثق من نور الله "اللاَّبِس النُّورَ كَثَوْبٍ" (المزامير 104:2)[1644]. ونحن نتفق مع هذا الرأي الأخير ونرى أيضاً أن المقصود هو أن الله حضر بكلمته وروحه (أي: حضر بقواته الخلاقة والواهبة للحياة) وانتصر بنوره على الظلمة وأخضعها فحوَّلها من قوّة فوضوية معادية للحياة تسيطر على الكون إلى حركة زمنية في تتابع الليل والنهار، أي: حوَّلها إلى سبب للحياة بعد أن كانت مانعة للحياة.

ومن المهم أن نلاحظ أيضاً أنه في هذا اليوم الأول، كان تتابع الليل والنهار يحدث بأمر الله وليس نتيجة دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس التي لم تُخْلَق بعد **[← ولعل هذا ما قصده صاحبُ (الأنبياء 33) حين قال إن الله "خَلَقَ" اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وذكر خَلْقَهما قبل خَلْقِ الشَّمْسِ: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ" (الأنبياء 33). اقرأ أيضاً "وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ[1645]" (فصلت 37)[1646]]**. إذن: الله لا يحتاج الشمس حتى يحدث الليل والنهار. بل ليس "الليل" و "النهار" هُمَا اللذين نعرفهما الآن، وليس "المساء" و "الصباح" هُمَا اللذين نعرفهما الآن. فنستطيع أن نقول إن الله خلق الزمانَ في اليوم الأول، إلا أن هذا "اليوم" الأول ليس هو الـ 24 ساعة الذي نعرفه الآن، وإنما هو حقبة زمنية طويلة جداً أو غير محددة. "لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ [يَا رَبُّ] مِثْلُ يَوْمِ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ، وَكَهَزِيعٍ (أي: جزءٍ) مِنَ اللَّيْلِ" (المزامير 90:4)؛ "يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ يَتَأَنَّى (أي: يَصبِر) عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ" (2 بطرس 3:8-9)؛ "لأن اليوم في حساب الله يعني ألف سنة. وهو نفسه شاهدي عندما يقول: "انظروا فإن يوم الرب كألف سنة"" (رسالة برنابا 4:15)[1647].

[← وكذلك ألمح أصحابُ القرآن إلى أن كلمة "يوم" لا تعني بالضرورة 24 ساعة: "وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (الحج 47)؛ "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ [...]. يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (السجدة 4-5)؛ "تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا" (المعارج 4-5). وقيل "إن اليوم في اللغة [العربية] يعني: الوقت"[1648]].

و "كما أن الله هو الشخص [الواحد والوحيد] (the One) الذي أوجد الزمن وحرَّكه، وأنشأ الطقس. فإنه بالمثل هو المسئول عن إقامة كل العناصر الأخرى في الوجود الإنساني"[1649].

اليوم الثاني (خَلْق السماء). **(التكوين 1)**: {6} وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ (أو: قُبَّةٌ) (expanse; firmament; extended surface) (étendue) فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلًا بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ». {7} فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ (أي: الْمِيَاهُ التي سوف تصير بعد ذلك مياه البحار والأنهار والينابيع والمياه الجوفية) وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ (أي: المياه العليا؛ المياه التي فوق السماء التي يعطي اللهُ منها المطر!). وَكَانَ كَذلِكَ. {8} وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً (أي: القُبّة السماوية voûte céleste؛ القُبّة الزَّرْقاء؛ وقيل إن المقصود: الهواء؛ الغلاف الجوي) **[⟵ "اسْتَوَىٰ (أي: عَمَد وقَصَد بقدرته) إِلَى السَّمَاءِ" (فصلت 11) (البقرة 29) "السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا (أي: رفعها فوقكم كالبناء!). رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (أي: أعلى سقفها في الهواء!)" (النازعات 27-28) "وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا (أي: لا تسقط على البشر ولا تخترقها الشياطين الذين يتنصتون على الملأ الأعلى!)" (الأنبياء 32) "السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (أي: السماء الدنيا)" (الطور 5) "رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" (الرعد 2) "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا" (لقمان 10) "وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ (أي: حتى لا تقع!) عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ" (الحج 65)!]**. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ **[⟵ بنفس الترتيب اليهودي: المساء (الليل) ثم الصباح (النهار): "وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا (أي: أظلم لَيْلَهَا) وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (أي: وأبرز نهارها)" (النازعات 29)!]** يَوْمًا ثَانِيًا.

فنلاحظ أن التوراة ثم القرآن تكلّما عن السماء كما لو كانت شيئاً مادياً يُرَى ويُلْمَس ويُمْسَك مثل الأرض! وهذا يتضح من الكلمة العبرية "رَقيع" (raqia) التي استخدمتها التوراة 9 مرات في سبع آيات (التكوين 1:6، 7، 8، 14، 15، 17، 20) وتُترجَم إلى "جَلَد" أي الصفحة المطروقة الممتدة (expanse)، فهي إذن تدل على مادة صلبة مسطَّحة أو مُقبَّبة[1650]. اقرأ أيضاً: "وَعَلَى رُؤُوسِ الْحَيَوَانَاتِ شِبْهُ مُقَبَّبٍ (raqia) (أي: على شكل قُبَّة؛ يقصد: شِبْهُ جَلَد السماء) كَمَنْظَرِ الْبِلَّوْرِ الْهَائِلِ مُنْتَشِرًا عَلَى رُؤُوسِهَا مِنْ فَوْقُ. [...] وَفَوْقَ الْمُقَبَّبِ الَّذِي عَلَى رُؤُوسِهَا شِبْهُ عَرْشٍ (أي: عرش الله)" (حزقيال 1:22-26)؛ "[اللهُ] يَنْشُرُ السَّمَاوَاتِ كَسَرَادِقَ (أو: كالسِّتارةِ؛ كَحِجَابٍ؛ كالنَّسيج)، وَيَبْسُطُهَا كَخَيْمَةٍ لِلسَّكَنِ" (إشعياء 40:22)؛ "الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ كَشُقَّةٍ (أي: كَخَيْمَةٍ)" (المزامير 104:2)؛ "أَنَا الرَّبُّ صَانِعٌ كُلَّ شَيْءٍ، نَاشِرٌ السَّمَاوَاتِ وَحْدِي" (إشعياء 44:24)؛ "الرَّبُّ [...] أَثْبَتَ السَّمَاوَاتِ بِالْفَهْمِ" (الأمثال 3:19) "ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ [...] أَثْبَتَ السُّحُبَ" (الأمثال 8:27-28)؛ "جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَنًا فِيهَا (أي: نَصَبَ اللهُ خَيْمَةً لِلشَّمْسِ فِي اَلسَّمَاوَاتِ)" (المزامير 19:4)؛ "الْجَلَدَ (أو: سُحُبَ السَّمَاءِ؛ الغمامَ) الْمُمَكَّنَ (أي: المُحْكَم بقوةٍ؛ الصلب) كَالْمِرْآةِ الْمَسْبُوكَةِ" (أيوب 37:18)! **[⟵ وكذلك استخدم أصحابُ القرآن كلمات عربية تؤكد أنهم توهَّموا أن السماء شيء مادي يُبْنَى ويُرَى ويُلْمَس ويُمْسَك مثل الأرض! "السَّمَاءُ ۚ <u>بَنَاهَا</u>. <u>رَفَعَ</u> <u>سَمْكَهَا</u> فَسَوَّاهَا" (النازعات 27-28) "وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ <u>سَقْفًا</u> مَحْفُوظًا" (الأنبياء 32) "<u>السَّقْفِ</u> الْمَرْفُوعِ" (الطور 5) "<u>رَفَعَ</u> السَّمَاوَاتِ <u>بِغَيْرِ عَمَدٍ</u> تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" (الرعد 2) "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ <u>بِغَيْرِ عَمَدٍ</u> تَرَوْنَهَا" (لقمان 10)[1651] "وَ<u>يُمْسِكُ</u> السَّمَاءَ أَن تَقَعَ (أي: حتى لا تقع!) عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ" (الحج 65) "إِنَّ اللَّهَ <u>يُمْسِكُ</u> السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ <u>أَمْسَكَهُمَا</u> مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" (فاطر 41) "<u>لَمَسْنَا</u> السَّمَاءَ" (الجن 8)**

"وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ" (الذاريات 47) "أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (أي: ليس فيها شقوق وفتوق!)" (ق 6) "وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا" (الشمس 5) "وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (أي: سَبْعَ سَمَاوَاتٍ متينة البناء محكمة الخلق، "في غاية القوة، والصلابة والشدة، وقد أمسكها اللهُ بقدرته، وجعلها سقفاً للأرض"[1652]!)" (النبأ 12) "جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً" (البقرة 22) "جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً" (غافر 64) "وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ" (الروم 25) "وَ[أَفَلَا يَنظُرُونَ] إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" (الغاشية 18-20)! فكل هذه الآيات القرآنية تؤكد أن أصحاب القرآن قد توهَّموا أن السماء شيء مادي مثل الأرض والْجِبَال! بل زعم أصحابُ القرآن أن حدوثَ انشقاقات في هذا البناء المادي (السماء) علامةٌ من علامات يوم القيامة! "إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (أي: تصدَّعت)" (الانشقاق 1) "إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (أي: انشقَّتْ)" (الانفطار 1) "وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (أي: طرقاً ومسالك؛ قيل: لنزول الملائكة)" (النبأ 19) "وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ (أي: "تنفرج السَّمَاءُ وتنفتح، ويظهر من فُرَجها الْغَمَامُ"[1653]) وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا" (الفرقان 25) "السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ (أي: متصدعة في ذلك اليوم)" (المزمل 18) "وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (أي: قُلِعَتْ وأزيلت من مكانها "كما يُنْزَع الجلدُ من الشاةِ"[1654]!)" (التكوير 11) "فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (أي: فَكَانَتْ حمراء كلون الورد أو كالزيت المغلي)" (الرحمن 37)[1655] "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ (أي: كما تُطْوى الصحيفة على ما كُتِبَ فيها)" (الأنبياء 104)[1656] "وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ (أي: في قَبْضَتِهِ؛ مملوكة له) يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ (أي: كما تُطْوى الثياب) بِيَمِينِهِ" (الزمر 67)[1657] "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ. وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً. فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (أي: قامت القيامة). وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (أي: متمزّقة ضعيفة لا تماسُك فيها ولا صلابة بعد أن كانت محكمة قوية). وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا (أي: على جوانب السماء وأطرافها!) ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ" (الحاقة 13-17) "وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (أي: انْفَطَرَتْ وَانْشَقَّتْ وَتَدَلَّتْ أَرْجَاؤُهَا وَوَهَتْ أَطْرَافُهَا). وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ" (المرسلات 9-10)! اقرأ أيضاً: "تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ (أي: يتشقَّقْنَ) مِن فَوْقِهِنَّ" (الشورى 5) "تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا" (مريم 90)! فكل هذه الآيات القرآنية تؤكد أن أصحاب القرآن قد توهَّموا أن السماء شيء مادي مثل الأرض والْجِبَال! وهذا كله يؤكد أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله].

وبما أن العلم الحديث يقول إن السماء فضاء لا نهائي. إذن: هذه الأوهام في التوراة ثم في القرآن ليس لها أي علاقة بالعلم الحديث لا من قريب ولا من بعيد، وإنما لها جذور في أساطير الشرق الأوسط القديم. تقول حاشية الترجمة اليسوعية لـ (التكوين 1:6): "كان "جَلَدُ" السماء الظاهر عند الساميين الأوَّلين عبارة عن قُبَّة متينة تحبس المياه المجتمعة فوقها، ومن كُواها (أي: نَوافِذها) سيسيل الطوفان (التكوين 11:7)"[1658]! ويقول العالِمُ الأمريكي الكبير (Prof. Samuel Noah Kramer) إن السومريين "رأوا الأرض وهي على هيئة "قرص" منبسط، وأن السماء فراغ مغطى من الأعلى ومن الأسفل بسطح صلب على

هيئة عَقْد (أي: ما عُقِدَ من البناء؛ أو: قُبَّة) (vault) (voûte). ولكن لا يُعْرَف بوجه التأكيد مادة ذلك الجسم السماوي الصلد. وإذا جاز لنا أن نقيس على حقيقة أن المصطلح السومري لمعدن القصدير (tin) (étain) يعني "معدن السماء" فيحتمل أن يكون ذلك الجسم الصلد الذي تصوَّروه قصديراً"[1659]! وفي نفس الاتجاه، يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس": "في العالم القديم كان يُنْظَر إلى الْجَلَد [في التوراة (التكوين 1:6-8)] عامةً باعتباره أكثر صلابة (more solid) مما نفهمه نحن اليوم"! "بالإضافة إلى أنه في العالم القديم [كان يُعْتقَد أن] السماء مُصمَتة ومقبَّبة (solid dome) أو مسطَّحة (disk)"[1660]! "وربما يدل التعبير "مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا" [في الإنجيل (متى 24:31)] على صورة شائعة للسماء على أنها قبة فوق الأرض (a dome over the earth)"[1661]! ويقول "معجم الأديان العالمية" الذي أصدرته جامعة القاهرة في مصر: "**أطلس Atlas:** في الأساطير اليونانية أنه رجل قوي حمل ثقل السموات على كتفيه"[1662]. **[← في القرآن حلَّ اللهُ محلَّ أطلس: "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا" (الرعد 2) "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا" (لقمان 10)!].**

اليوم الثالث (خَلْق الأرض والنباتات؛ خَلْق الحياة). **(التكوين 1)**: {9} وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذلِكَ. {10} وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا **[← "خَلَقَ الْأَرْضَ" (فصلت 9) (طه 4) "خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا" (البقرة 29) "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (أي: بسطَها ومهَّدها)" (النازعات 30)]**، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا **[← "أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا (أي: البحار والأنهار والعيون والينابيع)" (النازعات 31)]**. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ **[← "أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" (السجدة 7) "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 14) "أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 125-126) "اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" (النمل 88)]**. {11} وَقَالَ اللهُ: «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزِرُ بِزْرًا (أي: نَبَاتَاتٍ ذَاتَ بُذُورٍ)، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ. {12} فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزِرُ بِزْرًا كَجِنْسِهِ، وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ (أي: بدأت الحياةُ على الأرض) **[← "أَخْرَجَ مِنْهَا [...] مَرْعَاهَا (أي: المراعي والأعشاب والنبات ونحو ذلك)" (النازعات 31)]**. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ **[← "أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" (السجدة 7) "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 14) "أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 125-126) "اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" (النمل 88)]**. {13} وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ **[← بنفس الترتيب اليهودي: المساء (الليل) ثم الصباح (النهار): "وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا (أي: أظلم لَيْلَهَا) وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (أي: وأبرز نهارَها)" (النازعات 29)!]** يَوْمًا ثَالِثًا.

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "نلاحظ أنَّ خلق الحياة وتأمين استمرارها [بالبذور والثمار] حصل في اليوم الثالث، بعد أن كان اللهُ في اليومين الأوّل والثاني، أزال العائق الذي يحول دون

ظهورها بصورة الظلمة والمياه (أي: بعد أن حوَّل اللهُ الظلمةَ والمياه من قوى معادية مانعة للحياة إلى سبب للحياة). وسوف يكون لـ "اليوم الثالث" رمزيّة خاصّة في الدلالة على الحياة التي يعطيها الله في مواضع أخرى في الكتاب المقدّس (انظر مثلاً ["يُحْيِينَا بَعْدَ يَوْمَيْنِ. فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يُقِيمُنَا فَنَحْيَا أَمَامَهُ"] (هوشع 6:2)؛ وخصوصاً موضوع قيامة المسيح في اليوم الثالث في العهد الجديد). عدا هذا فإنّنا نلاحظ أيضاً أن الحياة هنا ظهرت واستمرت بأمر الله، وليس بشيء آخر. فالشمس التي هي مصدر الحياة للنباتات والأشجار في الفكر الإنساني وفي الواقع العلمي لن تُخْلَق إلا في اليوم الرابع، أي بعد ظهور الحياة على اليابسة في النبات والشجر. وما هذا إلا دلالة على أن الكاتب أراد أن يُفهِم القارئ أن الله هو معطي الحياة الحقيقية، وهذه الفكرة ستكون محوريّة في قصص سفر التكوين وفي أسفار الكتاب المقدس"[1663].

اليوم الرابع (خَلْق الشمس والقمر والنجوم). **(التكوين 1)**: {14} وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ (أي: نجوم وأهمها الشمس) فِي جَلَدِ السَّمَاءِ **[← "زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ (أي: نجوم مضيئة)" (فصلت 12) (الملك 5) "زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (أي: النجوم، وأهمها الشمس)" (الصافات 6) "زَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ" (الحجر 16)]** لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ (بالعبرية: ōtōt؛ بالآرامية: ātwātā) (أي: عَلَامَاتٍ؛ signs) وَأَوْقَاتٍ (أي: مَوَاسِمَ؛ أعياد) وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ **[← "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ (two signs)[1664] فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ" (الإسراء 12) "هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ (أي: يبدأ هلالاً ضئيلاً حتى يكمل قمرًا مستديرًا ثم يرجع هلالاً ضئيلاً وهكذا) لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ (signs) لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (يونس 5) "يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ (أي: جعل اللَّيلَ يغطي النَّهارَ بظلمته)ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ (signs)" (الرعد 3) "وَآيَةٌ (sign) لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ (أي: ننزع؛ نَفْصِل) مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ" (يس 37)]**. {15} وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ **[← "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ" (الأنعام 97) "وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" (النحل 16)]**». وَكَانَ كَذلِكَ. {16} فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ (أي: الشَّمْسَ لِتُضِيءَ نَهَاراً)، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ (أي: وَالْقَمَرَ لِيُنِيرَ لَيْلاً) **[← بنفس الترتيب: الشمس ثم القمر: "الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ" (الرحمن 5) "الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا" (الأنعام 96) "وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا" (الشمس 1-2) "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (أي: مثل عِذْق النخلة المتقوّس بسبب قدمه ويُبسه)" (يس 38-39) "وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا (أي: شمساً تُضيء) وَقَمَرًا مُّنِيرًا" (الفرقان 61) "وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ (أي: لا يَفْتُران عن حركتهما) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" (إبراهيم 33) "وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ" (الرعد 2) (العنكبوت 61) (لقمان 29) (فاطر 13) (الزمر 5)[1665]!]**، وَالنُّجُومَ [عمِلَها اللهُ][1666] **[← "يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا (أي:**

بتعاقب سريع ومستمر) وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ" (الأعراف 54) "وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ" (النحل 12)]. {17} وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ، {18} وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ (يقصد: هذه هي وظائفها الثلاث الرئيسية، فهي مجرد مخلوقات مُسَخَّرَات لا تستحق العبادة بل لا تستحق أن تُذْكَر صراحةً بالاسم)[1667] **[← وكذلك أعطى القرآنُ النُّجومَ ثلاث وظائف رئيسية. "قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّمَا خُلِقَتْ هَذِهِ النُّجُومُ لِثَلَاثِ خِصَالٍ: خَلَقَهَا اللَّهُ زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ (يقصد: (الملك 5) وغيرها)، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا (يقصد: (الأنعام 97) وغيرها)، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ بِرَأْيِهِ، وَأَخْطَأَ حَظَّهُ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ"[1668]]**. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ **[← "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (أي: ذات الخَلْق الحسن؛ ذات الطرائق المحكمة والمسارات المتقنة التي تسير فيها الأجرام السماوية)" (الذاريات 7) "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 14) "أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 125-126) "اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" (النمل 88) "أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" (السجدة 7)]**. {19} وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ **[← بنفس الترتيب اليهودي: المساء (الليل) ثم الصباح (النهار): "وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا (أي: أظلم لَيْلَهَا بغروب الشمس) وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (أي: وأبرز نهارها بشروق الشمس)" (النازعات 29)! "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ (signs)" (آل عمران 190) "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ [...] لَآيَاتٍ (signs)" (البقرة 164) "وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ [...] آيَاتٌ (signs)" (الجاثية 5) "إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ (signs)" (يونس 6) "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ (signs)" (يونس 67) "أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ (signs)" (النمل 86) "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [...]. وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ (signs)" (الروم 22-23)؛ (الليل 1-2)!**[1669]**]** يَوْمًا رَابِعًا.

"وبذلك بدأ في اليوم الرابع التوقيت المعروف الآن و هو اليوم الذي يشمل 24 ساعة" و "السنة التي تشمل الفصول الأربعة"[1670]. بدليل قوله "أَوْقَاتٍ (أي: مَوَاسِمِ؛ أعياد) وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ" (التكوين 1:14). وفي "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha): "والشَّمسُ تُحرِقُ الجِبالَ ثَلاثَةَ أَضْعاف: تَبعَثُ أَبخِرَةً مُحرِقَة، وتُرسِلُ أَشِعَّتَها فتُبهِرُ العُيون. عَظيمٌ الرَّبُّ الَّذي صَنَعَها والَّذي بِأَمرِه تُسرِعُ في سَيرِها. والقَمَرُ أيضًا أَمينٌ في تَحْديدِ الأَزمِنَة، وهو عَلامَةٌ أَبَدِيَّة. مِنَ القَمَرِ إِشارَةُ العيد، ذٰلك النَّيِّر الَّذي يَنقُصُ بَعدَ تَمامِه. بِاسمِه سُمِّيَ الشَّهر، وفي تَغَيُّرِه يَزْدادُ زِيادَةً عَجيبة" (يشوع بن سيراخ 43:4-8) **[← بنفس الترتيب: الشمس ثم القمر: وبنفس المعاني الأساسية: "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (أي: مثل عِذْق النخلة المتقوّس بسبب قدمه ويُبْسه)" (يس 38-39)!]**. وفي سفر المزامير: "صَنَعَ الْقَمَرَ لِلْمَوَاقِيتِ (أي: لِتَحْدِيدِ مَوَاقِيتِ الشُّهُورِ؛ لِتَحْدِيدِ المَوَاسِمِ)" (المزامير 104:19). "هذا

وقد اهتم الله أن يجعل عيداً شهرياً يرتبط برأس الشهر والقمر، [...]. هذا وبعض الأعياد [اليهودية] كالفصح والخمسين (الأسابيع) يحكمها أيضًا القمر"[1671]. **[← وكذلك بدايات الشهور العربية (القمرية) وبخاصة شهر رمضان والأعياد الإسلامية كعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد رأس السنة الهجرية يحكمها القمرُ أيضًا: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ" (البقرة 189)؛ "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" (التوبة 36)]**.

اليوم الخامس (خَلْق الحيوانات المائية والطيور). **(التكوين 1)**: {20} وَقَالَ اللهُ: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ (أي: لِتَمْتَلِئِ الْمِيَاهُ بِشَتَّى الْحَيَوَانَاتِ الْمَائِيَّة كالأسماك مثلاً والزواحف كالتماسيح مثلاً)، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ (أي: في الهواء المحيط بالأرض)». {21} فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ (بالعبرية: hattannînim) (أي: وُحُوش البَحْر sea monsters) الْعِظَامَ (قيل إنها: الحِيتانَ؛ أو: الْحَيَوَانَات الْمَائِيَّة الضخمة التي انقرضت)[1672]، وَكُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَّابَةِ (أي: المتَحَرّكة) الَّتِي فَاضَتْ (أي: امْتَلأَتْ) بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا (أي: بِحَسَبِ أَنْوَاعِهَا المختلفة)، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ <u>حَسَنٌ</u> **[← "<u>أَحْسَنَ</u> كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" (السجدة 7) "فَتَبَارَكَ اللَّهُ <u>أَحْسَنُ</u> الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 14) "<u>أَحْسَنَ</u> الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 125-126) "اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" (النمل 88)]**. {22} وَبَارَكَهَا اللهُ **[← "وَبَارَكَ فِيهَا" (فصلت 10)]** قَائِلًا: «أَثْمِرِي وَاكْثُرِي وَامْلإِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الأَرْضِ». {23} وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ **[← بنفس الترتيب اليهودي: المساء (الليل) ثم الصباح (النهار): "وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا (أي: أظلم لَيْلَهَا) وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (أي: وأبرز نهارَها)" (النازعات 29)!]** يَوْمًا خَامِسًا.

اليوم السادس (خَلْق الحيوانات البرية والإنسان). **(التكوين 1)**: {24} وَقَالَ اللهُ: «لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا (أي: مِنْ كُلِّ صِنْفٍ): بَهَائِمَ **[← "أَنْعَامِكُمْ" (النازعات 33)]**، وَدَبَّابَاتٍ (أي: دَوابَّ؛ زَوَاحِف)، وَوُحُوشَ أَرْضٍ (أي: حيوانات مفترسة) كَأَجْنَاسِهَا». وَكَانَ كَذلِكَ. {25} فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ <u>حَسَنٌ</u> **[← "<u>أَحْسَنَ</u> كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" (السجدة 7) "فَتَبَارَكَ اللَّهُ <u>أَحْسَنُ</u> الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 14) "<u>أَحْسَنَ</u> الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 125-126) "اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" (النمل 88)]**. {26} وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا (أي: يتميز عن باقي الخلائق بالعقل والروح) كَشَبَهِنَا (أي: الميل للتشبه والتمثل بالله في المعرفة والبر والحق[1673])، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». {27} فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ (image of God) (imago Dei) خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ **[← "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ**

وَأُنثَىٰ" (الحجرات 13) "فَجَعَلَ مِنْهُ (أي: من الإنسان) الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ" (القيامة 39)؛ (النجم 45) (الليل 3) (يس 36). كما اتفق القرآنُ مع التوراة في أن خَلْقَ الإنسان كان آخر عمل من أعمال التكوين: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (هو: الإنسان) [...]" (البقرة 29-30)[1674]. ويقول الحديث الصحيح المرفوع إن الله "خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ"[1675]]. {28} وَبَارَكَهُمُ اللهُ [← "وَبَارَكَ فِيهَا" (فصلت 10)] وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» [← "اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ" (الحج 65) "اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" (لقمان 20) "وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ" (الجاثية 13) "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ. وَذَلَّلْنَاهَا (أي: سخرناها) لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ. وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ" (يس 71-73) "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا (أي: سَمَكَ الْبَحْرِ)" (النحل 14)؛ (النحل 5-8)]. {29} وَقَالَ اللهُ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْلٍ يُبْزِرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا[1676] [← "وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا (أي: أرزاق أهلها؛ ما يقوتُهم من الغذاء ويُصلحُهم من المعاش)" (فصلت 10) "مَتَاعًا لَّكُمْ" (النازعات 33)]. {30} وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا [← "مَتَاعًا [...] لِأَنْعَامِكُمْ" (النازعات 33)]». وَكَانَ كَذلِكَ. {31} وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ <u>حَسَنٌ</u> جِدًّا[1677] [← "فَتَبَارَكَ اللَّهُ <u>أَحْسَنُ</u> الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 14) "<u>أَحْسَنَ</u> الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 125-126) "اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" (النمل 88) "<u>أَحْسَنَ</u> كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ" (السجدة 7) "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي <u>أَحْسَنِ</u> تَقْوِيمٍ (أي: فِي أَحْسَنِ صورة)" (التين 4) "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ <u>فَأَحْسَنَ</u> صُوَرَكُمْ" (التغابن 3) "جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ <u>فَأَحْسَنَ</u> صُوَرَكُمْ" (غافر 64). ونحن نرى أن أصحاب القرآن كانوا يفكرون في صورة الله (imago Dei) (image of God) حين قالوا مرتين: "وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ" (غافر 64) (التغابن 3)]. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ [← بنفس الترتيب اليهودي: المساء (الليل) ثم الصباح (النهار): "وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا (أي: أظلم لَيْلَهَا) وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (أي: وأبرز نـهارَها)" (النازعات 29)!] يَوْمًا سَادِسًا.

إذن: تقول التوراة إن الله خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ متتالية (Hexaemeron) (أي: على مراحل وليس على نحو فجائي) [← وكذلك يقول القرآنُ إن الله خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ متتالية (أي: على مراحل وليس على نحو فجائي): "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" (الفرقان 59) (السجدة 4) "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" (الأعراف 54) (يونس 3) (الحديد 4) (هود 7) "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" (ق 38)].
ويقول العالِمُ المغربي د. مصطفى بوهندي تحت عنوان "خلق السموات والأرض في ستة أيام": "يؤكد القرآن الكريم ما جاء في سفر التكوين عن موضوع الخلق، وأن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء، وأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما وباركهما، وقدَّر في الأرض أقواتها في ستة أيام، وأن الله ما خلق ذلك إلا للإنسان الذي سيكون سيد هذه الأرض، وسخَّر له جميع مخلوقاتها"[1678]. "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (هو: الإنسان؛ آدم) [...]" (البقرة 29-30).

ونلاحظ أيضاً أن خَلْق السماء وما فيها من أجرام سماوية استغرق يومين من جملة أيام الخلق الستة حسب التوراة. هذان اليومان هُمَا اليوم الثاني (خَلْق السماء) (التكوين 1:6-8) واليوم الرابع (خَلْق الشمس والقمر والنجوم) (التكوين 1:14-19) **[⟵ "ثُمَّ اسْتَوَىٰ [اللَّهُ] إِلَى السَّمَاءِ [...]. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ[1679]" (فصلت 11-12). ولذلك قال المفسرون المسلمون إن اليومين المذكورين في خلق الأرض (فصلت 9) محسوبان من جملة الأربعة أيام المذكورين في (فصلت 10)، أي أن خلق الأرض وما فيها استغرق أربعة أيام وخلق السماء وما فيها استغرق يومين حتى يكون المجموع ستة أيام كما في التوراة. وهذا يؤكد أن المفسرين المسلمين لجأوا إلى التوراة – اللي بيقولوا عليها محرَّفة – من أجل حل مشكلة تناقض القرآن فيما يتعلق بـ "المدة" التي استغرقتها عملية خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا!].**

ونلاحظ أيضاً أن عملية خَلْق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا كانت عملية تداخلية، بمعنى أن الله خَلَقَ السماءَ (اليوم الثاني) ثم خَلَقَ الأرضَ (اليوم الثالث) ثم رجع إلى السماء ليخلق الشمس والقمر والنجوم (اليوم الرابع) ثم رجع إلى الأرض ومياهها وهوائها ليخلق الحيوانات المائية والطيور (اليوم الخامس) ثم إلى الأرض ليخلق الحيوانات البرية والإنسان (اليوم والسادس) **[⟵ لجأ المفسرون المسلمون أيضاً إلى التوراة – اللي بيقولوا عليها محرَّفة – من أجل حل مشكلة تناقض القرآن فيما يتعلق بـ "الترتيب" الذي سارت عليه عملية خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، فقالوا إن العملية كانت تداخلية، ولذلك توجد آيات قرآنية تتحدث عن خلق السماوات قبل خلق الأرض بينما توجد آيات قرآنية أخرى تتحدث عن خلق السماوات بعد خلق الأرض[1680]!].**

لكن يجب أن نؤكد على أن التوراة ذكرت بدءَ خَلْقِ السماء أولاً (التكوين 1:8) ثم بدء خَلْق الأرض (التكوين 1:10) **[⟵ السماء قبل الأرض في عدد كبير جداً من الآيات القرآنية، مثل: (الأعراف 54) (يونس 3) (هود 7) (الفرقان 59) (السجدة 4) (ق 38) (الحديد 4) (الشمس 5-6) (النازعات 27-33) (الرعد 2-3) (الذاريات 47-48) (ق 6-7)].**

وكذلك توجد آيات كتابية كثيرة أخرى تذكر السماءَ قبل الأرض. نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر: "الصَّانِعَ السَّمَاوَاتِ بِفَهْمٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. الْبَاسِطَ الأَرْضَ عَلَى الْمِيَاهِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ" (المزامير 136:5-6)؛ "هكَذَا يَقُولُ اللهُ الرَّبُّ، خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا، بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا، مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً، وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحًا" (إشعياء 42:5)؛ "أَنَا الرَّبُّ صَانِعٌ كُلَّ شَيْءٍ، نَاشِرٌ السَّمَاوَاتِ وَحْدِي، بَاسِطٌ الأَرْضَ. مَنْ مَعِي؟" (إشعياء 44:24)؛ "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «السَّمَاوَاتُ كُرْسِيِّي، وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ. [...] وَكُلُّ هذِهِ صَنَعَتْهَا يَدِي، فَكَانَتْ كُلُّ هذِهِ، يَقُولُ الرَّبُّ" (إشعياء 66:1-2)؛ "لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «خَالِقُ السَّمَاوَاتِ هُوَ اللهُ. مُصَوِّرُ الأَرْضِ وَصَانِعُهَا. هُوَ قَرَّرَهَا. لَمْ يَخْلُقْهَا بَاطِلًا (بالعبرية: lō ṯōhū) (أي: لَمْ يَخْلُقْهَا عَبَثاً أو بلا هدف) (He did not create it in vain)" (إشعياء 45:18). إذن: الخلق له هدف، ومذكور في نفس الآية: "[وإنما] لِلسَّكَنِ صَوَّرَهَا. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ" (إشعياء 45:18) **[← "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ[1681] وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا (أي: ما خلقت هذا عبثاً أو بلا هدف) (You did not create this in vain)" (آل عمران 190-191) "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا" (ص 27)! "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا" (المؤمنون 115) "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ. لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ" (الأنبياء 16-17) "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ [...]. إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ (أي: يوم القيامة؛ يوم الحساب والجزاء) مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ" (الدخان 38-40) "مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ" (الروم 8). إذن: الخلق له هدف: "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ. أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ" (ص 27-28)؛ "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" (الذاريات 56-58). ويتفق القرآن مع الكتاب المقدس في أن الله لم يكن محتاجاً أن يخلق الكون[1682]].**

اقرأ أيضاً المزمور 104 وهو نصّ موازٍ لقصة الخلق الأولى. **(المزامير 104):** {1} بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ. يَا رَبُّ إِلهِي، قَدْ عَظُمْتَ جِدًّا. مَجْدًا وَجَلاَلًا لَبِسْتَ. {2} اللاَّبِسُ النُّورَ كَثَوْبٍ، الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ كَشُقَّةٍ (أي: كَخَيْمَةٍ). {3} الْمُسَقِّفُ عَلاَلِيَهُ بِالْمِيَاهِ (أي: الْمُقِيمُ بَيْتَهُ - أو قَصْرَهُ - فَوْقَ الْمِيَاهِ الْعُلْيَا![1683]) **[← "وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" (هود 7)[1684]].** [...] {4} الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا (أو: الجاعِلُ مِنَ الرِّياحِ رُسُلَه)، وَخُدَّامَهُ نَارًا مُلْتَهِبَةً (أي: الجاعِلُ مِنَ لَهيبِ النَّار خُدَّامَه ينفذون أَمْرَهُ ويحققون مقاصده؛ وقيل إن المقصود هو الصواعق التي تصاحب رياح العواصف الرعدية). {5} الْمُؤَسِّسُ الأَرْضَ عَلَى قَوَاعِدِهَا فَلاَ تَتَزَعْزَعُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ **[← بنفس الترتيب: السماء ثم الأرض المستقرة التي لا تَتَزَعْزَعُ: "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ (أي: جبالاً ثابتة) أَن تَمِيدَ بِكُمْ (أي: حتى لا تَتَزَعْزَع ولا تميل بكم)" (لقمان 10)**

"اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ [...]. وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ" (الرعد 2-3) "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا (أي: منازل للأجرام السماوية) وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. [...] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ" (الحجر 16-19) "أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا [...]. وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ" (ق 6-7) "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً [...] جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا [...] وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ" (النمل 60-61)! "وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ" (النحل 15) "وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ" (الأنبياء 31) "وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا" (فصلت 10) "وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ" (المرسلات 27) "وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا" (النازعات 32)[1685]].

وكذلك المزمور 135 وهو من المزامير المهمة جداً، إذ "يعتبر هذا المزمور من مزامير الهليل العظمى [The Great Hallel] التي تسبّح وتمجّد الله مع المزمور التالي له. وكانا يرنمان في الخدمة الصباحية في يوم السبت وفي عيد الفصح. فهو بالتالي مزمور ليتورجي. وكان يرنم أيضاً بعد الرجوع من السبي، وأيضاً أثناء السبي ليرفض المؤمنون عبادةَ الأوثان"[1686]. **(المزامير 135):** {1} هَلِّلُويَا (أي: سَبِّحُوا يهوه؛ سَبِّحُوا الرَّبَّ؛ Praise the LORD). سَبِّحُوا اسْمَ الرَّبِّ **[← "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ" (الأعلى 1) "فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ" (الواقعة 74، 96) (الحاقة 52)!]**. سَبِّحُوا يَا عَبِيدَ الرَّبِّ، {2} الْوَاقِفِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ، فِي دِيَارِ بَيْتِ إِلهِنَا. {3} سَبِّحُوا الرَّبَّ لأَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ. رَنِّمُوا لاسْمِهِ لأَنَّ ذَاكَ حُلْوٌ. {4} لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ يَعْقُوبَ لِذَاتِهِ، وَإِسْرَائِيلَ لِخَاصَّتِهِ (His treasured possession). {5} لأَنِّي أَنَا قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ عَظِيمٌ، وَرَبَّنَا فَوْقَ جَمِيعِ الآلِهَةِ (أي: أعْظَم مِنْ كُلِّ الأوثان فهي آلِهَة مُزَيَّفَة بل مجرد أسماء ليس لها وجود حقيقي)[1687] **[← "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" (الأعلى 1) "فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ" (الواقعة 74، 96) (الحاقة 52)!]**. {6} كُلَّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ (أي: كُلَّ شيء في كُلِّ مكان)، فِي الْبِحَارِ وَفِي كُلِّ اللُّجَجِ (أي: الأَغْوَار الْعَمِيقَةِ؛ أعمَقِ أعْمَاقِ المُحِيطَاتِ). {7} الْمُصْعِدُ السَّحَابَ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ. الصَّانِعُ بُرُوقًا لِلْمَطَرِ. الْمُخْرِجُ الرِّيحِ مِنْ خَزَائِنِهِ (His storehouses) (His vaults) (His treasuries)[1688] **[← بنفس الترتيب: السماء ثم الأرض ثم "خَزَائِنِهِ" والرياح والمطر كأدلة منظورة على قدرة الله غير المنظور: "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. [...] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ. [...] وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ (أي: مصادر إمداده) وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ. وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ (أي: تحمل الماءَ إلى السحاب؛ تحمل السحابَ؛ وقيل: تحمل بذور الإنبات!) فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (أي: مطراً) فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (أي: لستم مَن يتحكم في خَزَائِنِهِ)" (الحجر 16-22)!]**. {8} الَّذِي ضَرَبَ أَبْكَارَ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْبَهَائِمِ. {9} أَرْسَلَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ فِي وَسَطِكِ يَا مِصْرُ، عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَى كُلِّ عَبِيدِهِ. {10} الَّذِي ضَرَبَ أُمَمًا كَثِيرَةً، وَقَتَلَ مُلُوكًا أَعِزَّاءَ: {11} سِيحُونَ مَلِكَ الأَمُورِيِّينَ، وَعُوجَ مَلِكَ بَاشَانَ[1689]، وَكُلَّ مَمَالِكِ كَنْعَانَ. {12} وَأَعْطَى أَرْضَهُمْ مِيرَاثًا، مِيرَاثًا لإِسْرَائِيلَ شَعْبِهِ **[← "وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ" (الحجر**

23)! "إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا" (مريم 40) "إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (الأعراف 128) "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (الأنبياء 105)]. {13} يَا رَبُّ، اسْمُكَ إِلَى الدَّهْرِ (أي: إلى الأبد). يَا رَبُّ، ذِكْرُكَ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ (أي: مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ؛ أو: في الدنيا والآخرة؛ والمقصود: إلى الأبد) **[← "نَحْنُ الْوَارِثُونَ" (الحجر 23) "وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ" (القصص 58) "وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (الحديد 10) (آل عمران 180) "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" (الرحمن 26-27) "لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (القصص 88)].** {14} لأَنَّ الرَّبَّ يَدِينُ شَعْبَهُ (أي: الأشرارَ من شَعْبِه)، وَعلَى عَبِيدِهِ [التائبين والأبرار] يُشْفِقُ[1690] **[← أيضاً فريقان من المؤمنين: "وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (أي: وَلَقَدْ عَلِمْنَا أهلَ طاعة الله والمتخلفين عن طاعة الله[1691]). وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ (أي: يجمع هذين الفريقين للحساب والجزاء في الآخرة فيجازي المحسنَ بإحسانه والمسيءَ بإساءته)" (الحجر 24-25)!].** {15} أَصْنَامُ الأُمَمِ فِضَّةٌ وَذَهَبٌ، عَمَلُ أَيْدِي النَّاسِ. {16} لَهَا أَفْوَاهٌ وَلاَ تَتَكَلَّمُ. لَهَا أَعْيُنٌ وَلاَ تُبْصِرُ. {17} لَهَا آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُ. كَذلِكَ لَيْسَ فِي أَفْوَاهِهَا نَفَسٌ! {18} مِثْلَهَا يَكُونُ صَانِعُوهَا، وَكُلُّ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَيْهَا. {19} يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، بَارِكُوا الرَّبَّ. يَا بَيْتَ هَارُونَ، بَارِكُوا الرَّبَّ. {20} يَا بَيْتَ لاَوِي، بَارِكُوا الرَّبَّ. يَا خَائِفِي الرَّبِّ، بَارِكُوا الرَّبَّ. {21} مُبَارَكٌ الرَّبُّ **[← "إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" (الحجر 25)]** مِنْ صِهْيَوْنَ (Zion)، السَّاكِنُ فِي أُورُشَلِيمَ (Jerusalem). هَلِّلُويَا.

اقرأ أيضاً: "مَنْ كَالَ بِكَفِّهِ الْمِيَاهَ، وَقَاسَ السَّمَاوَاتِ بِالشِّبْرِ، وَكَالَ بِالْكَيْلِ تُرَابَ الأَرْضِ، وَوَزَنَ الْجِبَالَ بِالْقَبَّانِ (أي: بِالْمِيزَانِ ذي الذراع الطويلة)، وَالآكَامَ (أي: وَالتِّلالَ) بِالْمِيزَانِ؟" (إشعياء 12:40)؛ "[أَنْتَ يَا رَبُّ] رَتَّبْتَ كُلَّ شَيْءٍ بِمِقْدَارٍ وَعَدَدٍ وَوَزْنٍ" (الحكمة 20:11)؛ (أيوب 25:28) **[← بنفس الترتيب: السماء ثم الأرض ثم الجبال، وأيضاً مع التركيز على أن كُلَّ شَيْءٍ "مَّوْزُونٍ" بِمِيزَانٍ إلهي مُحْكَم يدل على قدرة الله وحكمته! "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. [...] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ (أي: جبال) وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ. [...] وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (أي: بمقدار محدد)" (الحجر 16-21)! اقرأ أيضاً: "لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [...] وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا" (الفرقان 2) "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" (القمر 49) "قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا" (الطلاق 3)؛ "نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ" (الزخرف 11) "أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ" (المؤمنون 18)].**

وفي الصلاة الربَّانية (Lord's Prayer) مرتين في الإنجيل، جاءت السَّمَاوَاتُ قبل الأرض: "فَقَالَ لَهُمْ (أي: فَقَالَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ لتَلاَمِيذِهِ): «مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ" (لوقا 2:11)، "«فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ" (متى 9:6-10).

لكن في المقابل، توجد آيات كتابية أخرى تذكر الأرضَ قبل السماء، مثل: "عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ" (التكوين 2:4)؛ "مِنْ قِدَمٍ [يَا إِلهِي] أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ" (المزامير 25:102) "أَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ" (العبرانيين 10:1)؛ "هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ وَجَابِلُهُ: «اِسْأَلُونِي عَنِ الآتِيَاتِ! مِنْ جِهَةِ بَنِيَّ وَمِنْ جِهَةِ عَمَلِ يَدِي أَوْصُونِي! أَنَا صَنَعْتُ الأَرْضَ وَخَلَقْتُ الإِنْسَانَ عَلَيْهَا. يَدَايَ أَنَا نَشَرَتَا السَّمَاوَاتِ، وَكُلَّ جُنْدِهَا (أي: جَيْشِها؛ النجوم؛ أو: الملائكة) أَنَا أَمَرْتُ" (إشعياء 45:11-12)؛ "أَلاَ تَعْلَمُونَ؟ أَلاَ تَسْمَعُونَ؟ أَلَمْ تُخْبَرُوا مِنَ الْبَدَاءَةِ؟ أَلَمْ تَفْهَمُوا مِنْ أَسَاسَاتِ الأَرْضِ (أي: مِنْ إِرْسَاءِ أُسسِ الأَرْضِ)؟ الْجَالِسُ [عَلَى عَرشِهِ] عَلَى كُرَةِ الأَرْضِ (أو: قُبَّةِ الأَرْضِ؛ دَائِرَةِ الأَرْضِ)[1692] وَسُكَّانُهَا كَالْجُنْدُبِ (أي: كَالْجَرَادِ). الَّذِي يَنْشُرُ السَّمَاوَاتِ كَسَرَادِقَ (أو: كالسِّتارة؛ كَحِجَابٍ؛ كالنَّسيج)، وَيَبْسُطُهَا كَخَيْمَةٍ لِلسَّكَنِ. الَّذِي يَجْعَلُ الْعُظَمَاءَ لاَ شَيْئًا، وَيُصَيِّرُ قُضَاةَ الأَرْضِ كَالْبَاطِلِ. لَمْ يُغْرَسُوا بَلْ لَمْ يُزْرَعُوا وَلَمْ يَتَأَصَّلْ فِي الأَرْضِ سَاقُهُمْ. فَنَفَخَ أَيْضًا عَلَيْهِمْ فَجَفُّوا، وَالْعَاصِفُ كَالْعَصْفِ يَحْمِلُهُمْ. «فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي فأُسَاوِيهِ؟» يَقُولُ الْقُدُّوسُ. ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هذِهِ [السَّماواتِ والأجرام السماوية]؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا (يقصد: جَيْشَ نُجومِها)، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ[1693]؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ (أي: لَا تَنقُصُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا)" (إشعياء 40:21-26) **[⟵ الأرض قبل السماء في عدد قليل من الآيات القرآنية: (فصلت 9-12) (البقرة 29) (طه 4)]**. اقرأ أيضاً: "وَيَدِي أَسَّسَتِ الأَرْضَ، وَيَمِينِي نَشَرَتِ السَّمَاوَاتِ. أَنَا أَدْعُوهُنَّ فَيَقِفْنَ مَعًا (أي: فَيَمْثُلْنَ أَمامِي مَعاً)" (إشعياء 48:13)[1694] **[⟵ "اسْتَوَىٰ (أي: عَمَدَ اللهُ وقَصَدَ بقدرته) إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" (فصلت 11)!]**.

وفي "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha): وهُوَ الله "الَّذِي ثَبَّتَ الأَرْضَ إِلَى الأَبَدِ وَمَلأَهَا حَيَوَانًا ذَا أَرْبَعٍ. الَّذِي يُرْسِلُ النُّورَ فَيَنْطَلِقُ. يَدْعُوهُ فَيُطِيعُهُ بِرَعْدَةٍ. إِنَّ النُّجُومَ أَشْرَقَتْ فِي مَحَارِسِهَا وَتَهَلَّلَتْ. دَعَاهَا فَقَالَتْ "نَحْنُ لَدَيْكَ" (Here we are!) وَأَشْرَقَتْ مُتَهَلِّلَةً لِلَّذِي صَنَعَهَا" (باروخ 3:32-35) **[⟵ "اسْتَوَىٰ (أي: عَمَدَ اللهُ وقَصَدَ بقدرته) إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" (فصلت 11)!]**.

وفي الواقع، فإن التراث اليهودي قبل الإسلام يعترف بوجود خلاف شديد بين مدرستين يهوديتين كبيرتين حول ترتيب خَلْق السَّمَاوَاتِ والأرض. هاتان المدرستان اليهوديتان الكبيرتان هُمَا مدرسة "شمّاي" (Beth Shammai) التي قالت إن السَّمَاوَات خُلِقَت أولاً، ومدرسة "هليل" (Beth Hillel) التي قالت إن الأرض خُلِقَت أولاً. وكالعادة، استدلت كُلُّ مدرسة بآيات كتابية لتؤيد نظريتها. نجد هذا الخلاف مذكوراً في المدراش اليهودي، وتحديداً في الفصل 15:1 مِن كتاب "التكوين ربّاه" (Genesis Rabbah) الذي جُمِع

في القرن الخامس الميلادي[1695] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة. يقول هذا المدراش اليهودي[1696]:

1:15. THE HEAVEN AND THE EARTH. Beth Shammai maintain: The heaven was first created; while Beth Hillel hold: The earth was first created. In the view of Beth Shammai this is parallel to the case of a king who first made his throne and then his footstool, for it is written, *The heaven is My Throne, and the earth is My footstool* (Isa. LXVI, 1). On the view of Beth Hillel this is to be compared to a king who builds a palace; after building the nether portion he builds the upper, for it is written, *In the day that the Lord God made earth and heaven* (Gen. II, 4). R. Judah b. R. Ilai said: This supports Beth Hillel, viz. *Of old Thou didst lay the foundations of the earth,* which is followed by*, And the heavens are the work of Thy hands* (Ps. CII, 26 [Ps. CII, 25]). R. Ḥanin said: From the very text which [apparently] supports Beth Shammai [viz. *In the beginning God created the heaven* (Gen. I, 1)], Beth Hillel refute them, viz. *And the earth was* (Gen. I, 2), meaning that it had already existed [before heaven].

[← نستطيع الآن أن نفهم سببَ تناقض الآيات القرآنية في هذه المسألة: أصحاب الآيات القرآنية التي ذكرت السماءَ قبل الأرض مثل (النازعات 27-33) وغيرها اتبعوا مدرسة شمّاي اليهودية. أما أصحاب الآيات القرآنية التي ذكرت الأرضَ قبل السماء مثل (فصلت 9-12) وغيرها فاتبعوا مدرسة هليل اليهودية. وهذا يؤكد أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله. "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)].

وطبعاً حاول التراثُ اليهودي البحث عن حلول لهذا الخلاف الشديد بين هاتين المدرستين. فقيل مثلاً إن السَّمَاوَات والأرض خُلِقَا معاً في آن واحد (simultaneously) (in a single act of creation)! يقول هذا المدراش اليهودي نفسه[1697]:

R. Simeon observed: I am amazed that the fathers of the world engage in controversy over this matter, for surely both [i.e. heaven and earth] were created [simultaneously] like a pot and its lid, [as it is written], *When I call unto them [sc. heaven and earth], they stand up together* (Isa. XLVIII, 13). R. Eleazar b. R. Simeon observed: If my father's view is right, why is the

earth sometimes given precedence over the heaven, and sometimes heaven over earth? In fact it teaches that they are equal to each other [i.e. they are of equal importance precisely because neither took precedence of the other].

وهذا الحل اليهودي لم ينشأ في القرن الخامس الميلادي، وإنما نشأ قبل ذلك بكثير، فنحن نجد جذوره الأولى عند الفيلسوف اليهودي المصري الكبير "فيلو" السكندري (Philo of Alexandria) الذي عاش من 20 ق.م إلى 45م أو 50م[1698]؛ أي: كان معاصراً ليسوع المسيح، قبل الإسلام بأكثر من 500 سنة! قال فيلو[1699]:

عن خلق العالم 3 – يقول [موسى] إنه في ستة أيام خُلِق العالم، وليس أن خالقه تطلب وقتاً ذا طول معين لعمله، لأنه ينبغي أن نفكر في الله كمن يفعل كل الأشياء في نفس الوقت، متذكرين أن "كل" تتضمن، مع الأوامر التي يصدرها، الفكر الذي يقف وراءها. تم ذكر ستة أيام لأنه بالنسبة للأشياء التي جاءت إلى حيز الوجود كان هناك احتياج للترتيب. والترتيب يتضمن الأرقام، وبين الأرقام بحسب نواميس الطبيعة فإن أنسبها للإنتاج والإثمار هو 6، [...].
ON THE CREATION III. (13) And he [i.e. Moses] says that the world was made in six days, not because the Creator stood in need of a length of time (for it is natural that God should do everything at once, not merely by uttering a command, but by even thinking of it); but because the things created required arrangement; and number is akin to arrangement; and, of all numbers, six is, by the laws of nature, the most productive: […].

وهذا الحل اليهودي الشهير – الذي انتقل إلى التراث المسيحي قبل الإسلام[1700] – انتقل بعد ذلك بطبيعة الحال إلى التراث الإسلامي أيضاً، بدليل أنه هو نفس الحل الذي لجأ إليه مفسرون وباحثون مسلمون من أجل حل مشكلة تناقض الآيات القرآنية كما رأينا فيما سبق[1701]! وكما هو متوقع، رفض مفسرون آخرون هذه الحيلة الشهيرة وأصروا على أن الخلق "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" يعني "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" وليس في لحظةٍ واحدة[1702].

وقبل أن نترك (التكوين 1)، نريد أن نتوقف عند كلمة "دُخَان" في "ثُمَّ اسْتَوَىٰ (أي: عَمَد اللهُ وقَصَد بقدرته) إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" (فصلت 11) التي يتوهَّم أحباؤنا المسلمون أن فيها إعجاز علمي! فنقول لهم إن الآية من أولها إلى آخرها تتحدث بأسلوب أدبي يُشخصن السماءَ والأرضَ ويتخيلهما كما لو كانا شخصين أو جنديين يأمرهما اللهُ "ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا" (فصلت 11) فيطيعان أمرَ الله "قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" (فصلت 11). إذن: الآية أدبية وليست علمية، فكيف يكون

فيها إعجاز علمي؟! ومن ثم، فإن كلمة "دُخَان" (فصلت 11) يجب أيضاً أن تُقْرَأ بأسلوب أدبي حسب التراث اليهودي-المسيحي الشرقي الذي انبثق القرآنُ منه. وفي هذا التراث اليهودي-المسيحي الشرقي، يرمز الدخانُ إلى حضور الله ومجده وقدرته. تقول دائرة المعارف الكتابية عن الدخان[1703]:

دخان:

الدخان هو ما يتصاعد من النار من غازات ودقائق الوقود غير المحترقة:

(1) ويُستخدم الدخان في الكتاب المقدس مجازياً كعلامة منظورة لمحضر الرب، فعندما قطع اللهُ عهداً مع إبراهيم، حدث أنه عندما غَابَتِ الشَّمْسُ أن "صَارَتِ الْعَتَمَةُ، وَإِذَا تَنُّورُ دُخَانٍ وَمِصْبَاحُ نَارٍ يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِطَعِ" (التكوين 17:15). وعندما صعد موسى إلى جبل سيناء ووقف كل الشعب في أسفل الجبل: "كَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ" (الخروج 18:19). وعندما رأى إشعياء مجدَ الرب "اهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِخِ، وَامْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا" (إشعياء 4:6). كما أن إشعياء تنبأ قائلاً: "يَخْلُقُ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَكَانٍ مِنْ جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَعَلَى مَحْفَلِهَا سَحَابَةً نَهَارًا، وَدُخَانًا وَلَمَعَانَ نَارٍ مُلْتَهِبَةٍ لَيْلًا، لأَنَّ عَلَى كُلِّ مَجْدٍ غِطَاءً" (إشعياء 5:4).

وعندما رأى يوحنا الرائي، هيكل خيمة الشهادة في السماء ينفتح وتخرج منه السَّبْعَةُ الْمَلاَئِكَةُ: "امْتَلأَ الْهَيْكَلُ دُخَانًا مِنْ مَجْدِ اللهِ وَمِنْ قُدْرَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ الْهَيْكَلَ حَتَّى كَمِلَتْ سَبْعُ ضَرَبَاتِ السَّبْعَةِ الْمَلاَئِكَةِ" (الرؤيا 8:15).

ومع أنه لا يذكر صراحة، إلا أننا نستطيع أن نفترض أنه حدث نفس الشيء عند ظهور الرب في مرات أخرى. انظر (الخروج 2:3، 21:13) (العدد 34:10، 14:14).

(2) كما أن نار غضب الله يصحبها دخان [...].

(3) كما كان يتصاعد الدخان من الذبائح والبخور [...].

(4) ويُستخدم الدخان رمزاً لسرعة زوال الأعداء (المزامير 20:37، 2:68)، والأوثان (هوشع 3:13)، والأيام (المزامير 3:102)، والسموات ["اِرْفَعُوا إِلَى السَّمَاوَاتِ عُيُونَكُمْ، وَانْظُرُوا إِلَى الأَرْضِ مِنْ تَحْتَ. فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ كَالدُّخَانِ تَضْمَحِلُّ، وَالأَرْضَ كَالثَّوْبِ تَبْلَى، وَسُكَّانَهَا كَالْبَعُوضِ يَمُوتُونَ. أَمَّا خَلاَصِي فَإِلَى الأَبَدِ يَكُونُ وَبِرِّي لاَ يُنْقَضُ"] (إشعياء 6:51).

وفي الأسفار القانونية الثانية (أبوكريفا العهد القديم) التي كُتِبَت في فترة ما بين العهدين قبل الميلاد، يقول "سفرُ طوبيَّا" (Book of Tobias) إن الدخان يَطْرُد كُلَّ جِنْسٍ مِنَ الشَيَّاطِينِ (طوبيا 8:6)[1704]. أي: إخراج الشياطين بقوةِ الله الذي يُرْمَز إلى حضوره هنا بـ "الدخان".

إذن: كلمة "دُخَان" (فصلت 11) ترمز إلى حضور الله ومجده وقُدْرَتِهِ على السماء بدليل أنه لمَّا "فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" (فصلت 11)، وأيضاً بدليل أن (فصلت 11) تبدأ بالفعل "اسْتَوَىٰ" وهو نفس الفعل الذي استخدمه أصحابُ القرآن عند الحديث عن الله كَمَلِكٍ حاكمٍ مهيمن "اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" (الأعراف 54) (يونس 3) (الرعد 2) (الفرقان 59) (السجدة 4) (الحديد 4) "عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ" (طه 5). فلا يوجد أي إعجاز علمي في (فصلت 11) ولا في أي آية قرآنية أخرى. لأن القرآن ليس كتاب علم أصلاً، وإنما القرآن منتج أدبي أنتجه العربُ انطلاقاً من الثقافة اليهودية/المسيحية الشرقية.

ونحن ننصح جميع أحبائنا المسلمين أن يقرأوا القرآنَ، لا في ضوء النظريات العلمية الحديثة، وإنما في ضوء التراث اليهودي-المسيحي الشرقي الذي كان سائداً في القرن السابع الميلادي في الشرق الأوسط. فهذا هو المحيط الثقافي الذي وُلِدَ فيه القرآنُ العربي. وهذا هو الإطار الذي يجب أن يكون مرجعيةً لفهم القرآن كما فهمه المسلمون الأوائل، بدون إقحام فكر حديث وزمن جديد لا علاقة لهما بما قصده أصحابُ القرآن.

نعود إلى التوراة. ولقد انتهينا من (التكوين 1)، فننتقل الآن إلى (التكوين 2) ...

خضوع جميع المخلوقات لله خالقها. **(التكوين 2)**: {1} فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا (their hosts) (أي: جَيْشِها؛ كُلُّ مَا فِيهَا من مخلوقات فهي جنود الله تخضع له وتطيعه) **[⟵ "ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ" (فصلت 11) "وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا" (آل عمران 83) "وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (أي: مطيعون خاضعون له مسخَّرون تحت تدبيره)" (الروم 26) "بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ" (البقرة 116)]**. وقيل إن كلمة "جُنْد" (hosts) تشمل الملائكة؛ واستدلوا بآيات كتابية مثل: "قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وُقُوفٌ لَدَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ" (1 ملوك 19:22)؛ (المزامير 4:104)[1705]. **[⟵ وكذلك استخدم القرآنُ كلمةَ "جُنْد" أو "جُنُود" للإشارة إلى الملائكة: "جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ" (يس 28) "جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا" (التوبة 26) (الأحزاب 9) "جُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا" (التوبة 40)]**.

لكن في المقابل، يوجد تقليد يهودي-مسيحي آخر لم يستخدم كلمة "جُنْد" في (التكوين 1:2)؛ وإنما استخدم كلمةَ "زينَة" (ornatus)، بمعنى كل ما في السماء والأرض، أو بصفة خاصة: نجوم السماء[1706]. **[⟵ تسلل هذا التقليد اليهودي-المسيحي إلى آيات قرآنية أخرى: "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ (أي: نجوم)" (فصلت 12) "وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ" (الملك 5) "إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (أي: النجوم)" (الصافات 6) "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ" (الحجر 16) "أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا" (ق 6)؛ "إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا" (الكهف 7)؛ (النحل 8)]**.

وفي جميع الأحوال، نحن لا نرى تعارضاً بين هذين التقليدين، إذ "ترتبط النجوم والملائكة بفكرة أن الاثنين من سكان السماء"[1707]، فالملائكة مخلوقات سمائية من نور، والنجوم تضيء نوراً في السماء. صحيح أن الملائكة لا تُرَى بينما النجوم تُرَى، لكن كلاهما جنود الله: "تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ (أي: نُجُومُ الصباح؛ أو: الملائكة) مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ (أي: الملائكة)" (أيوب 38:7)، "وآباء الكنيسة يعتقدون أن الله خلق الملائكة في اليوم الأول من النور الذي خلقه الله؛ فالملائكة نورانيين، ويسميهم أيضًا كواكب الصبح. ويدعو الله الملائكة أيضًا بني العلي؛ لأنهم خاضعون له، ويحبونه ويمجدونه، فَهُمْ أول خليقته، خلقهم قبل الإنسان. كل هؤلاء الملائكة رنموا وهتفوا وسبحوا الله الخالق. وهكذا حدث احتفال في السماء بخلقة الأرض التي سيعيش عليها الإنسان"[1708]. وتوجد أدلة من كتب التراث اليهودي-المسيحي على أن المقصود بجيوش العالم السماوي: "النجوم والملائكة معاً"[1709]. "ومعظم الوثنيين كانوا يعتقدون أن النجوم هي آلهة، وكثيرون من اليهود كانوا يعتبرون أنهم (أي: النجوم) ملائكة؛ والنجوم يمكن بالطبع أن ترمز إلى ملائكة في الكتابات اليهودية"[1710]. ومن المعلوم أيضاً أن بعض الشعوب الشرق-أوسطية عَبَدوا الملائكةَ والنجومَ من دون الله الذي خلقهما أو "كانوا ينسبون إلى "الأرواح" أو الملائكة (anges) دوراً في ترتيب الكواكب (météores) تحت إمرة الله"[1711]! إذن: المراد من "فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا" (التكوين 2:1) هو خضوع جميعِ هذه المخلوقات لله الذي خلقها، بل خضوع جميعِ المخلوقات في الكون كله لله الذي خلقها؛ ومن ثم فإن الله وحده هو مَن يستحق العبادة وَلَيْسَ آخَر.

وتوجد آيات كتابية كثيرة أخرى تؤكد خضوعَ جميعِ المخلوقات فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ لله الواحد الأحد المستحق العبادة. نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر: "إِلَى الأَبَدِ يَا رَبُّ، كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي <u>السَّمَاوَاتِ</u>. إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ أَمَانَتُكَ. أَسَّسْتَ <u>الأَرْضَ</u> فَثَبَتَتْ. عَلَى أَحْكَامِكَ ثَبَتَتِ الْيَوْمَ، لأَنَّ الْكُلَّ <u>عَبِيدُكَ</u>" (المزامير 119:89-91) **[← بنفس الترتيب: "إِن كُلُّ مَن فِي <u>السَّمَاوَاتِ</u> <u>وَالْأَرْضِ</u> إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ <u>عَبْدًا</u>" (مريم 93)!]**. "هُوَذَا <u>لِلرَّبِّ إِلهِكَ</u> <u>السَّمَاوَاتُ</u> وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ <u>وَالأَرْضُ</u> وَ<u>كُلُّ</u> مَا فِيهَا" (التثنية 10:14) "<u>لَكَ</u> <u>السَّمَاوَاتُ</u> [يَا رَبُّ]. لَكَ أَيْضًا <u>الأَرْضُ</u>. الْمَسْكُونَةُ وَ<u>مِلْؤُهَا</u> (أي: الدُّنيا وَكُلُّ مَا فِيهَا) أَنْتَ أَسَّسْتَهُمَا" (المزامير 89:11) **[← بنفس الترتيب: "<u>وَلَهُ</u> مَن فِي <u>السَّمَاوَاتِ</u> <u>وَالْأَرْضِ</u> ۖ <u>كُلٌّ</u> (أي: كُلُّ المخلوقات) لَّهُ قَانِتُونَ (أي: مطيعون خاضعون له مسخَّرون تحت تدبيره)" (الروم 26)[1712]!]**. "لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «خَالِقُ السَّمَاوَاتِ هُوَ اللهُ. مُصَوِّرُ الأَرْضِ وَصَانِعُهَا. هُوَ قَرَّرَهَا. لَمْ يَخْلُقْهَا بَاطِلًا. لِلسَّكَنِ صَوَّرَهَا. <u>أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ</u>[1713]. [...] <u>أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلهَ آخَرَ غَيْرِي</u>؟ إِلهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ. <u>لَيْسَ سِوَايَ</u>. اِلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ، لأَنِّي <u>أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ</u>. بِذَاتِي أَقْسَمْتُ، خَرَجَ مِنْ فَمِي الصِّدْقُ كَلِمَةٌ لاَ تَرْجعُ: إِنَّهُ لِي تَجْثُو كُلُّ رُكْبَةٍ، يَحْلِفُ كُلُّ لِسَانٍ" (إشعياء 45:18-23) التي اقتبسها بولسُ الرسولُ حين قال "لأَنَّنَا جَمِيعًا سَوْفَ نَقِفُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ (الترجمة الأكثر دقة: كُرْسِيّ حُكْمِ اللهِ[1714])، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «أَنَا حَيٌّ، يَقُولُ الرَّبُّ، إِنَّهُ لِي سَتَجْثُو كُلُّ رُكْبَةٍ، وَكُلُّ لِسَانٍ سَيَحْمَدُ اللهَ». فَإِذًا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطِي عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا للهِ" (رومية 14:10-12)، "<u>لِذلِكَ</u> رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا (أي: رَفَّعَ اللهُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ)، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ

كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ" (فيلبي 2:9-11). اقرأ أيضاً (الرؤيا 5:13-14). [← **"وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا [...]. قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ" (الرعد 15-16) "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ" (الحج 18) "وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ. وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ[1715]. وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا (أي: لَهُ العبادة والطاعة والإخلاص واجبًا؛ أو: لَهُ الحساب والجزاء دائمًا ثابتًا) ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ" (النحل 49-52)[1716]**]. اقرأ أيضاً: "اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" (التكوين 14:19) "الرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ وَإِلهِ الأَرْضِ" (التكوين 24:3) "هُوَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكَ السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضُ وَكُلُّ مَا فِيهَا" (التثنية 10:14) "وَبَارَكَ دَاوُدُ الرَّبَّ أَمَامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ، وَقَالَ دَاوُدُ: «مُبَارَكٌ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ أَبِينَا مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ. لَكَ يَا رَبُّ الْعَظَمَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْجَلاَلُ وَالْبَهَاءُ وَالْمَجْدُ، لأَنَّ لَكَ كُلَّ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ. لَكَ يَا رَبُّ الْمُلْكُ، وَقَدِ ارْتَفَعْتَ رَأْسًا عَلَى الْجَمِيعِ" (1 أخبار الأيام 29:10-11) [← **"وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا" (الزخرف 85) "وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا" (المائدة 17، 18) "لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ" (المائدة 120) "لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (آل عمران 189) (النور 42) (الشورى 49) (الجاثية 27) (الفتح 14) "اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (البقرة 107) (المائدة 40) (التوبة 116) "لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (الأعراف 158) (الفرقان 2) (الزمر 44) (الحديد 2، 5) (البروج 9) "رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا" (مريم 65) (الشعراء 24) (الصافات 5) (ص 66) (الدخان 7) (النبأ 37) "رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (الإسراء 102) (الكهف 14) (الأنبياء 56) (الزخرف 82) "رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (الجاثية 36-37)**].

نعود إلى التوراة. تقديس اليوم السابع. **(التكوين 2)**: {2} وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ (بالعبرية: šāḇaṯ) (rested; ceased) فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ (أي: اسْتَرَاحَ اللهُ ليس لأنه تعب، وإنما لأنه أتمَّ عملَه في الخلق وأكملَ كُلَّ شيء، فلم يتبق شيء خَرب وَخَالِي، ولا يوجد حاجة لإعادة العمل أو لإصلاحه أو لمراجعته، ولم يعد هناك ما يعيق استمراريّة الحياة)[1717][1718] **[← "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (أي: وما أصابنا تعب ولا إعياء)" (ق 38) "أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ" (ق 15)؟ الإجابة: كَلَّا، "اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ (أي: ولم يعجز عن خلقهن؛ ولم يتعب بسبب خلقهن)" (الأحقاف 33)]**. {3} وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ **[← "وَبَارَكَ فِيهَا" (فصلت 10)]** وَقَدَّسَهُ (declared it holy) (أي: أعلَنَ أنَّهُ مُخصَّصٌ لِلهِ ومُكرَّسٌ

لعبادته وطاعته)، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا[1719] **[⟵ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" (الأعراف 54) (يونس 3) (الفرقان 59) (السجدة 4) (الحديد 4). ونحن نتفق مع الرأي الذي يقول إن المقصود: ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ[1720]. اقرأ أيضاً (الرعد 2-3) (طه 4-5) (هود 7) وأسباب نزول (ق 38)[1721]! وقال تفسير الجلالين لـ (ق 38): ""وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ" أَوَّلُهَا اَلْأَحَدُ وَآخِرُهَا اَلْجُمُعَةُ "وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ" تَعَبٍ، نَزَلَ رَدًّا عَلَى اَلْيَهُودِ فِي قَوْلِهِمْ إِنَّ اَللَّهَ اِسْتَرَاحَ يَوْمَ اَلسَّبْتِ، وَانْتِفَاءُ اَلتَّعَبِ عَنْهُ، لِتَنَزُّهِهِ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ اَلْمَخْلُوقِينَ"[1722]]**.

وفي الواقع، نحن لا نرى تعارضاً بين القرآن (ق 38) والتراث اليهودي-المسيحي. أولاً: لأن الكتاب المقدس أيضاً يؤكد أن الله لا يتعب أبداً: "إِلهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا" (إشعياء 28:40)؛ "لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ حَافِظُ إِسْرَائِيلَ" (المزامير 4:121). وثانياً: لأن التوراة لم تقل أصلاً إن الله تعب! وإنما قالت فقط إن الله "استراح". و "راحة" الله لا تعني أنه تعب. وإنما هي مجرد كلمة تقرّب إلى الأذهان أن أعمال الخلق قد اكتملت. وكما قال القرآنُ نفسه عن الله: "سَنَفْرُغُ لَكُمْ (أي: سنتفرغ لحسابكم ومجازاتكم) أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (أي: الإنس وَالْجِنّ)" (الرحمن 31). فهل الله يحتاج أن يتفرغ لأمرٍ ما؟! بالطبع لا! كذلك في التوراة، "استراح" اللهُ لا تعني أن الله يحتاج أن يرتاح، ولا تعني أن الله تعب، بل لا تعني أن الله تخلّى عن خليقته ولو للحظة. "وَلِهذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ عَمِلَ هذَا (أي: أشفى مريضاً) فِي سَبْتٍ. فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ (أي: مَا زَالَ يَعْمَلُ عَلَى الدَّوَامِ في كُلِّ وقتٍ) وَأَنَا أَعْمَلُ [أَيْضاً مِثلَهُ حتى في يَوْمِ السَّبْتِ]»" (يوحنا 5:16-17) **[⟵ "كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (أي: يشفي سقيماً ويغني فقيراً ويجبر كسيراً ويعطي قوماً ويمنع آخرين ويميت ويحيي ويرفع ويخفض ... الخ)" (الرحمن 29). "قال مقاتل: نزلت في اليهود (أي: رداً على اليهود) حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً"[1723]!]**. "بقوله: "أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ" (يوحنا 5:17) يوضح [يَسُوعُ] لهم أن الآب قد خلق العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع، أي في السبت. لقد توقف عن عمل الخليقة إذ أكمل كل شيء، لكن راحته لا تعني تجاهله للخليقة، بل **يبقى في سبته يعتني بخليقته ويرعاها ويدبر كل أمورها**. فالسبت عند الله هو عمل فيه راحة ومسرة، حيث يعلن حبه لخليقته المحبوبة لديه جدًا. لو مارس السبت حرفيًا مثل القيادات اليهودية لتوقفت الخليقة وتدمرت، لأنها لا تقدر أن تقوم بدون العون الإلهي. هكذا الابن يقدس السبت بعمل الحب المستمر، حيث يرعى محبوبيه، ويعمل بلا توقف لكي يبرأ الكل وينمو في المعرفة والمجد. هذا هو مفهوم السبت على المستوى الإلهي"[1724].

أما على المستوى الإنساني، فيقول قاموس الكتاب المقدس: "**سَبْت:** كلمة عبرانية معناها "راحة"، وقد بدأ التفكير في يوم السبت - على أنه اليوم الذي يترك فيه الإنسان أشغاله المادية حتى يستريح - قديماً، وذلك تذكاراً لليوم السابع من الخليقة [...]. ثم تطوَّر التفكير عن يوم السبت حين أمر اللهُ في الوصية الرابعة بحفظ

السبت لأن: "الله بَارَكَ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ". وأمر الله أن يستريح الإنسان والحيوان ونزيل البيت في السبت، لا لأنه استراح فيه فحسب، بل لأنه بَارَكه وَقَدَّسَهُ أيضاً"[1725].

ويجب هنا أن نذكر وصية حفظ يَوْمِ السَّبْتِ التي فرضها الله على شعب إسرائيل فقط: "اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلًا مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ" (الخروج 20:8-11)؛ (التثنية 5:12-15). ونلاحظ هنا أن الربط بين أيام الخلق الستة ("فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا") وبين حفظ الْيَوْمِ السَّابعِ ("اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ") الذي فرضه الله على شعب إسرائيل فقط قد يعني أن الله كان يفكر في إسرائيل منذ بدء الخليقة. ولذلك "هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ (My Firstborn Son)" (الخروج 4:22). يقول العالِمُ الكبير (Prof. James L. Kugel)[1726]:

> […] at the very time of the creation of the world, God had already planned to create Israel and the proof of this is the Sabbath, an institution dating back to the seventh day of creation but observed on earth […] by only one people, and this, apparently, was by God's original design. That people, therefore, is undeniably, at least in terms of the divine plan, God's firstborn. […] Elsewhere, the eternity of the Torah might supply the proof that, even at the creation, God was thinking of the future Israel: […]

الخلاصة: على الرغم من وجود علاقة بين "راحة" الله فِي الْيَوْمِ السَّابعِ بعد أيام الخلق الستةو "راحة" الإنسان فِي الْيَوْمِ السَّابعِ (يَوْمِ السَّبْتِ من كل أسبوع)، إلا أنه يوجد اختلاف بين طبيعتي الراحتين. فيجب على ماكينة البروباجاندا الإسلامية/العربية الضالة المضللة أن تتوقف عن إدعاء أن التوراة تقول إن الله استراح لأنه تعب!

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن اسم "الله" (بالعبرية: elohim) تكرر في النص العبري للآيات التوراتية السابقة (التكوين 1:1 – 3:2) 35 مرة[1727]؛ يعني 7 * 5. والآيات المخصصة لليوم السابع (التكوين 2:1-3) تتكون من 35 كلمة عبرية؛ يعني 7 * 5! **[⟵ "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ [فِي الْيَوْمِ السَّابعِ] اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" تكررت في القرآن 5 مرات بعد الخلق: (الأعراف 54) (يونس 3) (الفرقان 59) (السجدة 4) (الحديد 4)[1728]! فمن المحتمل أن أصحاب هذه الآيات القرآنية ربما تأثروا بالكهنوت اليهودي[1729]]**. علماً بأن جلوس الله كمَلِكٍ سماوي على عرشٍ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ (أو: اعتلائه لهذا الكرسي المَلِكي كحاكمٍ مهيمن وسلطانٍ مطلق على كل المخلوقات) فكرة يهودية-مسيحية شهيرة ومذكورة كثيراً في الكتاب المقدس وفي التراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة. اقرأ مثلاً: "فَاسْمَعْ إِذًا كَلاَمَ الرَّبِّ: قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُلُّ

جُنْدِ السَّمَاءِ وُقُوفٌ لَدَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ" (1 ملوك 19:22)؛ "رَأَيْتُ السَّيِّدَ (أي: اللهَ) جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ" (إشعياء 1:6)؛ "اَلرَّبُّ فِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ. الرَّبُّ فِي السَّمَاءِ كُرْسِيُّهُ. عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ. أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي آدَمَ" (المزامير 4:11)؛ "اَلرَّبُّ فِي السَّمَاوَاتِ ثَبَّتَ كُرْسِيَّهُ، وَمَمْلَكَتُهُ عَلَى الْكُلِّ تَسُودُ" (المزامير 19:103)؛ (حزقيال 1:26-28، 1:10) (دانيال 9:7-10) (تتِمة سفر دانيال 52:3-54) (الرؤيا 2:4).

مما سبق يتضح أن قصة خَلْق السماوات والأرض وما بينهما في القرآن مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لقصة الخلق في التراث اليهودي-المسيحي وبخاصة في سفر التكوين في الكتاب المقدس. ونعتقد أنه كان من الأفضل أن يُقدِّم القرآنُ عمليةَ خَلْق السماوات والأرض وما بينهما بطريقة مُرتَّبة وواضحة مثل ما جاء في سفر التكوين الذي كُتِبَ قبل القرآن بمئات السنين.

فالسؤال الآن هو: ما هي مصادر سفر التكوين الذي يُعْتَقَد أنه كُتِبَ في القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد على الرغم من أن أقدم مخطوطاته ليست أقدم من القرن الرابع قبل الميلاد؟! بل مَن كَتب هذا السفر التوراتي المهم الذي يُنْسَب تقليدياً إلى موسى النبي الإسرائيلي على الرغم من عدم وجود أي دليل علمي يثبت أن موسى نفسه شخص حقيقي تاريخي؟! ...

3.1.3 مصادر القرآن من تراث الشرق الأوسط القديم

تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica)[(1730)]:

Composition – The Critical View
Genesis itself contains no information about its authorship, nor can any biblical passage be cited in support of a tradition concerning it. Based on expansive readings of such passages as “Moses wrote this Torah” (Deut. 31:9) post-biblical Judaism, followed by classical Christianity, accepted the unitary origin of the entire Pentateuch as the divinely inspired work of Moses, so that Genesis in its present form is regarded as being a homogeneous composition, the product of Mosaic authorship. (For the traditional view see Pentateuch; Traditional View.) Serious biblical study of the past few centuries has shown that there is no basis for the claim of Mosaic authorship. The presence of anachronisms, the use of different

Hebrew names for God, diversity of style and vocabulary, and the existence of duplicate and sometimes varying and even contradictory accounts of the same event all serve as the criteria for literary analysis that leads to the conclusion that Genesis is really a composite work put together from different documents deriving from varying periods. […]

[…]

[…] Despite the diversity of contemporary critical opinion [on the literary history of Genesis] there is no returning to the pre-critical position of Mosaic authorship.

The Major Themes and Teachings

[…]

THE GOD OF CREATION. The external points of contact between the Genesis creation account and the ancient Near Eastern cosmologies are sufficiently numerous and detailed as to leave no doubt about the influence of the latter on the former. [...]

وكذلك تقول مقدمة الترجمة اليسوعية لسفر التكوين: "ولا بدَّ من التذكّر أيضاً بأن سفر التكوين لم يُؤلَّف دفعة واحدة، بل جاءَ نتيجة عمل أدبي استمرّ عدة أجيال. فهو يعكس الاختبارات الأليمة التي مرَّ بها أحياناً بنو إبراهيم الذين يروون لنا حياة أجدادهم"؛ ثم تحدثت المقدمة عن "مصادر" سفر التكوين فقالت[1731]:

لم يَتَرَدَّدْ مؤلِّفو الكتاب المقدس، وَهُمْ يروون بداية العالم والبشرية، أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم، ولا سِيَّما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية. فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدلّ على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحِكَمية والليترجية الخاصّة بسومَر وبابل [في العراق] وطِيبة [في مصر] وأوغاريت [في الشام]. ولا عجب في ذلك، عند مَن يعلم أن البلاد التي أقام فيها إسرائيل كانت منفتحة على المؤثِّرات الخارجية. وإلى جانب ذلك، كان شعبُ الله في تاريخه على صلة بمختلف شعوب الشرق الأدنى. ولكن علم الآثار يدل أيضاً على أن المؤلِّفين الذين أعادوا النظرَ في الفصول الأولى من سفر التكوين وأضفوا عليها اللمسات الأخيرة لم يكونوا مجرّد مقلِّدين عميان، بل أحسنوا إعادة

معالجة المصادر المتوفِّرة بين أيديهم والتفكير فيها بالنسبة إلى التقاليد الخاصة بشعبهم. فَهُمْ لم يكتفوا بالمحافظة على الإيمان اليهوي (أي: الإيمان بالإله الواحد يهوه رب إسرائيل)، بل أبرزوا أصالته.

بديهيٌّ أن المقارنة بين نص الكتاب المقدس والروايات المتعلّقة ببداية العالم أو بأبطال العصور القديمة لا تخلو من الفائدة في نظر قارئ الكتاب المقدس، فهناك كثير من الشواهد عن الماضي الأدبي في الشرق الأدنى القديم، نذكر منها الرواية البابلية عن خلق العالم عن يد الإله مردوك، ومغامرات جلجامش البطل المحتوية على رواية بابلية عن الطوفان، أو الأبراج الشامخة التي شادتها مدن ما بين النهرين إكراماً لآلهتها، والتي تذكّر برواية برج بابل.

وكذلك يقول المفكر السوري الكبير فراس السواح في كتابه الشهير "أساطير الأولين: القصص القرآني ومتوازياته التوراتية"[1732]:

قصة الخليقة

1 – الخلفية الميثولوجية:

[...]

على أن أكمل وأطول نص في التكوين قد قدَّمه لنا البابليون ورثة الحضارة السومرية، وهو يعود بتاريخه إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، وقد وُجِدَت منه نسخة شبه تامة في مكتبة الملك آشور بانيبال بمدينة نينوى تعود بتاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد. في هذه الأسطورة يحل الإلهُ البابلي مردوخ محلَّ الإله القديم إنليل كبطل للتكوين، وهو الذي يفصل الكتلة المائية البدئية [...] التي تصوَّرها البابليون على هيئة تنين مائي هائل، ليصنع منها السماء والأرض وبقية مظاهر الوجود. [...].

وقد وصلتنا هذه الأسطورة منقوشة على سبعة ألواح فخارية: ستة الألواح الأولى منها مخصصة لوصف فعاليات الإله الخلاقة، أما اللوح الأخير فمخصص لوصف جلوس الإله مردوخ على العرش في القصر الجديد الذي بناه له رفاقه الآلهة، واحتفالهم بنصره على تنين الماء وخلق العالم، وترنُّمهم بأسمائه الخمسين التي يعبر كل واحد منها عن صفة من صفاته أو خصيصة من خصائصه. ولعل هذا ما أوحى إلى المحررين التوراتيين، الذين استلهموا هذه الأسطورة في فترة السبي البابلي، بفكرة أيام الخلق الستة واستراحة الخالق في اليوم السابع، ودبَّجوا قصتهم التي تقوم على العناصر ذاتها التي قامت عليها أسطورة التكوين البابلية وبقية أساطير التكوين في الثقافات المشرقية.

2 – قصة الخليقة التوراتية:

على الرغم من أن قصة الخليقة قد تصدرت الإصحاحات الأولى من سفر التكوين، وهو أول أسفار التوراة العبرانية، إلا أن إشارات متفرقة إلى فعاليات إله التوراة يهوه في التكوين قد وردت في عدد من الأسفار الأخرى، حيث نجد يهوه منهمكاً قبل الخلق، على طريقة الإله مردوخ، في السيطرة على المياه الأولى وإخضاعها، أو في الصراع مع تنين بحري يمثل تلك المياه، يدعى لواياتان (يقصد: لَوِيَاثَان) أو رهب. نقرأ في سفر المزامير: "أَنْتَ شَقَقْتَ الْبَحْرَ بِقُوَّتِكَ. كَسَرْتَ رُؤُوسَ التَّنَانِينِ عَلَى الْمِيَاهِ. أَنْتَ رَضَضْتَ رُؤُوسَ لِوِيَاثَانَ. جَعَلْتَهُ طَعَامًا لِلشَّعْبِ، لأَهْلِ الْبَرِّيَّةِ. أَنْتَ فَجَّرْتَ عَيْنًا وَسَيْلًا. أَنْتَ يَبَّسْتَ أَنْهَارًا دَائِمَةَ الْجَرَيَانِ. لَكَ النَّهَارُ، وَلَكَ أَيْضًا اللَّيْلُ. أَنْتَ هَيَّأْتَ النُّورَ وَالشَّمْسَ. أَنْتَ نَصَبْتَ كُلَّ تُخُومِ الأَرْضِ. الصَّيْفَ وَالشِّتَاءَ أَنْتَ خَلَقْتَهُمَا" (المزامير 74:13-17). وأيضاً: "أَنْتَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كِبْرِيَاءِ الْبَحْرِ. عِنْدَ ارْتِفَاعِ لُجَجِهِ أَنْتَ تُسَكِّنُهَا. أَنْتَ سَحَقْتَ رَهَبَ مِثْلَ الْقَتِيلِ. بِذِرَاعِ قُوَّتِكَ بَدَّدْتَ أَعْدَاءَكَ. لَكَ السَّمَاوَاتُ. لَكَ أَيْضًا الأَرْضُ. الْمَسْكُونَةُ وَمِلْؤُهَا أَنْتَ أَسَّسْتَهُمَا. الشِّمَالُ وَالْجَنُوبُ أَنْتَ خَلَقْتَهُمَا" (المزامير 89:9-12). وأيضاً: "الْمُؤَسِّسُ الأَرْضَ عَلَى قَوَاعِدِهَا فَلاَ تَتَزَعْزَعُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. كَسَوْتَهَا الْغَمْرَ كَثَوْبٍ. فَوْقَ الْجِبَالِ تَقِفُ الْمِيَاهُ. مِنِ انْتِهَارِكَ تَهْرُبُ، مِنْ صَوْتِ رَعْدِكَ تَفِرُّ. تَصْعَدُ إِلَى الْجِبَالِ. تَنْزِلُ إِلَى الْبِقَاعِ، إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَسَّسْتَهُ لَهَا. وَضَعْتَ لَهَا تَخْمًا لاَ تَتَعَدَّاهُ. لاَ تَرْجِعُ لِتُغَطِّيَ الأَرْضَ" (المزامير 104:5-9). ونقرأ في سفر إشعياء: "اِسْتَيْقِظِي، اسْتَيْقِظِي! الْبَسِي قُوَّةً يَا ذِرَاعَ الرَّبِّ! اسْتَيْقِظِي كَمَا فِي أَيَّامِ الْقِدَمِ، كَمَا فِي الأَدْوَارِ الْقَدِيمَةِ. أَلَسْتِ أَنْتِ الْقَاطِعَةَ رَهَبَ، الطَّاعِنَةَ التِّنِّينَ؟" (إشعياء 51:9).

وفي الحقيقة فإن فكرة إخضاع المياه البدئية وقتل تنينها، لم ترد إلى الميثولوجيا التوراتية من ميثولوجيا بلاد الرافدين فقط، وإنما من الميثولوجيا السورية الكنعانية أيضاً. ففي نصوص بعل وعناة التي وردتنا من ثقافة مدينة أوغاريت الساحلية، نجد الإله بعل أقوى وأفتى الأرباب يخضع المياه البدئية المتمثلة في الإله "يم" قبل أن يباشر مهامه في تنظيم العالم، وترتيب دورة الفصول التي تأتي بالمطر والثلج لخصب الأرض وحياة الزرع. كما إنه يصرع التنين البحري "لوتان" الذي يظهر في النصوص التوراتية تحت اسم "لواياتان". نقرأ في نصوص بعل الفقرة التالية وما يقابلها في سفر إشعياء التوراتي، حيث يبدو وكأن المحرر التوراتي ينسخ حرفياً عن النص الأوغاريتي:

1 – النص الأوغاريتي:

والآن تريد أن تسحق لوتان

الحية الهاربة

الآن تريد أن تُجهز على الحية المتحوية

ذات الرؤوس السبعة

2 – سفر إشعياء 27:1:

فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يُعَاقِبُ الرَّبُّ

بِسَيْفِهِ الْقَاسِي الْعَظِيمِ الشَّدِيدِ

لَوِيَاثَانَ، الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ.

لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْمُتَحَوِّيَةَ،

وَيَقْتُلُ التِّنِّينَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ

نأتي الآن إلى النص الأساسي لقصة الخليقة التوراتية (يقصد: التكوين 1:1 – 3:2)، [...].

[...]

تتفق قصة الخليقة التوراتية في جميع عناصرها تقريباً مع قصة الخليقة البابلية. فالخلق يتم انطلاقاً من المياه البدئية التي يفصلها الخالق ويصنع منها السماء والأرض. وبعد ذلك تتتابع مراحل خلق بقية مظاهر الكون وفق الترتيب نفسه، ويأتي خلق الإنسان بمثابة الخاتمة، ثم يستريح إله التوراة في اليوم السابع مثلما استراح [الإلهُ] مردوخ في قصره واستوى على عرشه أمام بقية الآلهة التي احتفلت به.

3 – قصة الخليقة القرآنية:

كما هو الحال في سفر التكوين التوراتي، فإن القرآن الكريم يخبرنا بأنه في البدء لم يكن سوى الله والماء. ثم خَلَقَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ...." (هود 7). [...]

وعندما أراد اللهُ خَلْقَ العالم، عمد إلى هذه الكتلة المائية البدئية فشقها إلى نصفين، وصنع منها السماءَ والأرض: "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...." (الأنبياء 30). [...]

بعد ذلك تتتابع عمليات الخلق [في الرواية القرآنية] وفق ترتيبها في القصة التوراتية تقريباً، إلا أننا لا نستطيع أن نُرجع كُلَّ عملية إلى يوم بعينه من أيام التكوين. فقد رفع اللهُ السماءَ وتركها في حالة سديمية غير منظمة، ثم التفت إلى تنظيم الأرض فرسم معالمها وخلق نباتاتها وحيواناتها: [...].

وقد استغرق خلق الأرض وتنظيمها أربعة أيام من أيام الخلق الستة. بعد ذلك التفت الله إلى السماء وهي في حالتها السديمية، فنظم أمورها وزينها بالأجرام المضيئة والكواكب التي تسير في أفلاكها: [...].

[...]

بعد ذلك يأتي خلق الإنسان كآخر عمل من أعمال التكوين: [...] (البقرة 29-30).

وكما رأينا الرب في الرواية التوراتية يستريح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، فإن الله [في الرواية القرآنية] يستوي على العرش في اليوم السابع: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ..." (الحديد 4). ولكن الاستواء على العرش هنا لا يتضمن معنى الراحة: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (= تعب)" (ق 38).

ولذلك نحن نتفق تماماً مع موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) حين تقول[1733]:

The six-day work: Creation of the material world

Collecting the dispersed qurʾānic statements about the creation of the world into one comprehensive picture, an image in accord with more ancient Near Eastern lore emerges (for individual parallels see Speyer, *Erzählungen*, 4f.): […]

الخلاصة: مما سبق نستنتج أن قصة خَلْق السماوات والأرض وما بينهما في القرآن مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لقصة الخلق في التراث اليهودي-المسيحي وبخاصة في سفر التكوين في الكتاب المقدس التي هي بدورها مجرد تطور بشري طبيعي لقصص الخلق في تراث ديانات وحضارات الشرق الأوسط القديم وبخاصة في تراث ديانات وحضارات بلاد ما بين النهرين (العراق القديم).

والصفحات التالية ستؤكد هذه النتيجة أكثر وأكثر ....

3.2 سَبْع سَمَاوَاتٍ وسَبْع أَرَضِينَ!

زعم أصحابُ القرآن أن الله خَلَق سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وسَبْعَ أَرَضِينَ! وكرروا هذا الزعم 9 مرات:

- "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ" (البقرة 29).
- "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا" (فصلت 12).
- "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (أي: بعضها فوق بعض؛ one upon another؛ in layers؛ متطابقة؛ متناسقة متوافقة) ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ (أي: تناقُض أو تخالُف أو قلّة تناسُب) ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (أي: عيب؛ شقوق أو صدوع؛ نقص أو خلل)" (الملك 3).
- "وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (seven firmaments; seven strong [heavens]) (أي: سَبْعَ سَمَاوَاتٍ متينة البناء محكمة الخلق، لا صدوع لها ولا فُطُور)" (النبأ 12).
- "وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ (أي: سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بعضها فوق بعض)" (المؤمنون 17).
- "قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" (المؤمنون 86).
- "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ" (الإسراء 44).
- بل زعم أصحابُ القرآن أن نوح قال لقومه: "أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا" (نوح 15)!
- "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ (أي: سبعًا من الأَرَضِين بعضها تحت بعض)" (الطلاق 12). وهذه هي الآية القرآنية الوحيدة التي تذكر السبع أَرَضِين. لكن توجد أحاديث تذكرهن. فلقد ذكر تفسيرُ القرطبي حديثاً "أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَرَ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ، إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا". [...] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ"؛ وَمِثْلُهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ. وَأَبْيَنُ مِنْهُمَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، إِلَّا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ""(1734).

وبغض النظر عن مدى صحة أو عدم صحة فكرة الـ "سَبْع سَمَاوَات" من الناحية العلمية، فإن السؤال الذي يشغل بالنا هو: من أين جاء أصحابُ القرآن بفكرة الـ "سَبْع سَمَاوَات" التي وضعوها على لسان نوح

(نوح 15) وذكروها في آيات قرآنية أخرى مثل (الملك 3) (البقرة 29) (الإسراء 44) (المؤمنون 17، 86) (فصلت 12) (الطلاق 12) (النبأ 12)؟!

الإجابة: كما توقعنا، فإن فكرة الـ "سَبْعَ سَمَاوَات" التي تكررت في تسع آيات قرآنية مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للتراث اليهودي-المسيحي سواء المقدس أو غير المقدس والذي هو بدوره مجرد تطور بشري طبيعي لتراث ديانات وحضارات الشرق الأوسط القديم وبخاصة تراث ديانات وحضارات بلاد ما بين النهرين (العراق القديم) ...

3.2.1 جذور القرآن في الكتاب المقدس وفي التراث اليهودي-المسيحي

توجد آيات كثيرة في الكتاب المقدس تدل على وجود عدة سماوات وليس سماء واحدة فقط. اقرأ مثلاً: "هُوَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكَ السَّمَاوَاتُ (heavens) (صيغة الجمع بالعبرية: haššāmayim) وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ (the highest heavens) وَالأَرْضُ وَكُلُّ مَا فِيهَا" (التثنية 14:10)؛ "هَلْ يَسْكُنُ اللهُ حَقًّا عَلَى الأَرْضِ؟ هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ، فَكَمْ بِالأَقَلِّ هذَا الْبَيْتُ (أي: الهيكلُ) الَّذِي بَنَيْتُ؟" (1 ملوك 27:8)؛ "سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ" (المزامير 4:148)؛ "أَعْرِفُ إِنْسَانًا فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً. أَفِي الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ، أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ (أي: بروحه فقط)؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ. اخْتُطِفَ هذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ [...] اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ" (2 كورنثوس 2:12-4). وقيل إن السماء الأولى هي غلاف الأرض الجوي أي سماء الطيور؛ والسماء الثانية هي فضاء الكواكب والنجوم؛ والسماء الثالثة هي الفردوس والملكوت التي يحيا فيها الملائكة والقديسون أي مُقام الله أو مَسكِنه.

أما فكرة الـ "سَبْعَ سَمَاوَات" التي كررها أصحابُ القرآن 9 مرات في قرآنهم (نوح 15) (الملك 3) (البقرة 29) (الإسراء 44) (المؤمنون 17، 86) (فصلت 12) (الطلاق 12) (النبأ 12)، فهي مأخوذة من التقليد اليهودي-المسيحي البشري قبل الإسلام، والذي هو بدوره مأخوذ من تراث ديانات وحضارات الشرق الأوسط القديم وبخاصة تراث ديانات وحضارات بلاد الرافدين (العراق القديم). تقول موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) تعليقاً على "وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ" (المؤمنون 17)[1735]:

In [المؤمنون 17] God says, “We created above you seven paths ([طَرَائِقَ]) ...,” which supports the conception of a seven-tiered heaven familiar to Near Eastern cosmogony.

وقال المفكر السوري الكبير فراس السواح في كتابه الشهير "أساطير الأولين: القصص القرآني ومتوازياته التوراتية"[1736]:

وهنالك عنصر في الرواية القرآنية لم يرد في سفر التكوين التوراتي، وهو خلق سبع سماوات وسبع أرضين: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ..." (الطلاق 12). "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ..." (الملك 3). ولكن مثل هذا التصور للسماء والأرض قد ورد في الأدبيات الدينية اليهودية، ومنها ما جاء في كتاب الهاجاده (وهو نوع من الشروح على التوراة يَستخدم أسلوب القص). فعندما خلق اللهُ السماءَ جعلها سبع طبقات (أي: خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) تتدرج من السماء الدنيا التي تستند قبتها (أي: تستند حوافها الخارجية) إلى الأرض عند الجهات الأربع، وحتى السماء السابعة التي تتصل بيدي الخالق. كما جعل الأرضَ أيضاً سبع طبقات (أي: خَلَقَ سَبْعَ أَرَضِينَ). [...]

ونحن نجد فكرةَ الـ "سَبْع سَمَاوَات" أيضاً في أعمال مسيحية قبل الإسلام مثل "برهان الكرازة الرسولية" (Proof of the Apostolic Preaching) للقديس "إيريناؤس" (Irenaeus) في القرن الثاني الميلادي، الذي يقول في فصله التاسع: "والعالم مُحاط بسبعة سموات، [...]، فالسماء الأولى، العليا المحاطة بالسموات الأخرى، هي سماء الحكمة، الثانية هي للفهم، والثالثة للمشورة – والرابعة من فوق إلى أسفل – هي للقدرة، الخامسة للمعرفة، والسادسة للتقوى، والسابعة – التي تمثل قبتنا الزرقاء – هي مملوءة من مخافة الروح الذي ينير السموات"[1737].

كما نجد فكرةَ الـ "سَبْع سَمَاوَات" في "صعود إشعياء (معراج إشعياء)" (Ascension of Isaiah) أيضاً الذي يحكي أسطورةَ معراج إشعياء (صعود إشعياء) إلى السماء السابعة بصحبة ملاك! ولقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة الحبشية (الإثيوبية) فيما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد، مما يعني أنه قد جُمِع قبل ذلك[1738]. وحسب التراث الإسلامي، فإن المسلمين الأوائل قد هاجروا من مكة إلى الحبشة (إثيوبيا) في أوائل القرن السابع الميلادي. فيبدو أنهم قد سمعوا هذا التقليد المسيحي شفوياً. فكما نقول دائماً: لم يكن المسلمون الأوائل محتاجين أن يقرأوا أي كتاب من كتب التراث اليهودي-المسيحي، فيكفيهم ما كانوا يسمعونه بآذانهم من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة (إثيوبيا) وما كانوا يرونه بأعينهم من لوحات ورسومات جدارية تسجل أهم أحداث التراث اليهودي-المسيحي ولو بصورة مبسطة[1739]. فهذا يكفي - بل يكفي جداً - لإنتاج القرآن.

يقول العالِمُ المعروف (Prof. Gabriel Said Reynolds) تعليقاً على (الملك 3)[1740]:

The notion of seven heavens ([الملك 3]) is found in both Jewish (e.g., *BT, Ḥagīgā,* 12b) and Christian traditions. A reflection of this notion may be found in 2 Corinthians 12:2; among the church fathers, Irenaeus (*Proof of the Apostolic Preaching* 9) teaches this explicitly. The Qurʾānic imagery

of seven heavens is connected to a cosmology with seven planetary spheres (see [النبأ 12]). In the *Ascension of Isaiah*, a composite text extant in Ethiopic with Jewish origins but redacted by Christians, Isaiah travels to the seventh heaven, where he sees Enoch:

> And he took me up into the seventh heaven, and there I saw a wonderful light, and also angels without number. And there I saw all the righteous from the time of Adam onwards. And there I saw the holy Abel and all the righteous. And there I saw Enoch and all who were with him. (*Ascension of Isaiah*, 9:6-9a)

On the seven heavens, cf. [البقرة 29]; [الإسراء 44]; [فصلت 12]; [الطلاق 12]; [نوح 15]; [النبأ 12].

وها هي الترجمة العربية للاقتباس من **(صعود إشعياء 9):** {6} وأصعدني إلى السماء السابعة فأراني هناك نوراً عجيباً وملائكة لا عدَّ لهم. {7} ورأيتُ هناك جميعَ الأبرار الذين كانوا منذ آدم. {8} ورأيتُ هناك القدِّيس هابيل وجميع الأبرار. {9} ورأيتُ هناك أخنوخ وجميع الذين هُمْ معه[1741].

وتوجد طبعاً أعمال يهودية ومسيحية أخرى ذكرت أسطورةَ الـ "سَبْع سَمَاوَات" التي تسللت من التراث اليهودي-المسيحي إلى 9 آيات قرآنية (البقرة 29) (الإسراء 44) (المؤمنون 17، 86) (فصلت 12) (الطلاق 12) (الملك 3) (نوح 15) (النبأ 12)! تقول المستشرقة الفرنسية المعروفة (Denise Masson) تعليقاً على (البقرة 29)[1742]:

> La mention de la pluralité des cieux paraît dans la Bible (*Deut.* X, 14; *I Rois*, VIII, 27; *Ps. CXLVIII*, 4, etc.) et les « sept cieux » font partie de la cosmologie babylonienne. On les retrouve dans les écrits rabbiniques : *Hagigah*, 12 b; *Abot de Rabi Natan*, version A, chap. 37; *Midrash des dix commandements* : *Beth ha Midrash* ([…]); dans les Apocryphes juifs : *Ascension d'Isaïe*, […]; *Testament de Lévi*, […]. […] – On retrouve des allusions aux sept cieux chez Irénée ([…]), Épiphane ([…]), Clément d'Alexandrie ([…]).

ومن ضمن الأعمال التي ذكرت أسطورةَ الـ "سَبْعِ سَمَاوَات" قبل الإسلام، نذكر كتابَ "أخنوخ الثاني" (2 Enoch) الذي يُعْرَف بأسماء أخرى مثل "أسرار أخنوخ" (Book of the Secrets of Enoch) و "النسخة السلافونيّة" (Slavonic Book of Enoch) ويُقال إن تاريخه يرجع إلى أواخر القرن الأول الميلادي، "وأغلب العلماء يرجحون أنه كُتِب في بداية العصر المسيحي (أي فيما بين 1 – 50م)"[1743]، حيث نجد رحلة صعود أخنوخ (معراج أخنوخ) عبر السماوات السبع (2 أخنوخ 3 – 20)! وتقول حاشية الترجمة العربية: "نجد تعليم السماوات السبع في وصية لاوي [...]؛ رؤيا إبراهيم [...]؛ صعود إشعياء [...]"[1744].

ويبقى سؤال: لماذا 7 سماوات تحديداً؟! وليس 9 أو 5 سماوات مثلاً؟!

في الواقع، فإن الإجابة على هذا السؤال لا تهمنا كثيراً. وإنما يهمنا فقط أن القرآن ردد ما قاله التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام بمئات السنين. بعبارة أخرى: مش مهم العدد، المهم الفكرة نفسها. لكن ربما 7 سماوات تحديداً لأن أيام الخلق ستة (التكوين 1) ثم اسْتَرَاحَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ (التكوين 2:1-3) **[⟵ وكذلك في القرآن، خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ [فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ]" (الأعراف 54) (يونس 3) (الفرقان 59) (السجدة 4) (الحديد 4)]**. أو لأن الرقم "سبعة" كان يرمز قديماً إلى الكمال، ولقد تكرر ذكر هذا الرقم بصوره المختلفة (7، 17، 27، ...، 70، 77 ... الخ) في الكتاب المقدس بعهديه مئات المرات، منهم أكثر من خمسين مرة في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي وحده[1745]، ومنهم 10 مرات في قصة نوح التوراتية نفسها (التكوين 6-9)؛ ولقد نجا من الطوفان 8 أشخاص فقط، أي: 7 + نوح (1 بطرس 3:20). كما تكرر الرقمان 7 و 70 في القرآن 27 مرة[1746]؛ وعدد آيات سورة الفاتحة = 7! وعدد الركعات في الصلوات الإسلامية الخمس المفروضة يومياً = 17 = 7 + 10! والمنارة الذهبية (Menorah) المذكورة في التوراة (الخروج 25:31-40) والتي كانت ولا تزال رمزاً من رموز الديانة اليهودية وشعب بني اسرائيل كان لها سبع شُعب[1747]. ولا يزال شكل هذه المنارة ذات السبع شُعب موجوداً في جزء من قوس تيطس (Arch of Titus) الذي بُني في القرن الأول الميلادي تخليداً لذكرى انتصار تيطس (Titus) على اليهود عام 70م[1748]. كما أن كتاب اليوبيلات (Book of Jubilees) يُقسِّم الزمن إلى يوبيلات (jubilees) كل يوبيل مِنهم عبارة عن "سبع أسابيع من السنين" أي 7*7 = 49 سنة[1749]. ومن المعلوم أيضاً أن استخدام الرقم "سبعة" كان شائعاً في كتب ورموز منطقة الشرق الأدنى القديم. فعلى سبيل المثال: جاء في نصوص الحضارات القديمة أن الجحيم (أو العالم السفلي) له سبعة أبواب – كما سوف نشرح بالتفصيل لاحقاً في فصلٍ عن "جهنم وأبوابها السبعة".

الخلاصة: يتضح من كل هذه الأمثلة أن القرآن قد تأثر بأهمية الرقم 7 وشيوع استخدامه قديماً. وربما شاع استخدامه أيضاً لأن عدد الفتحات الموجودة في رأس الإنسان = 7 هي فم + فتحتا الأنف + عينان +

أذنان. وإلى يومنا هذا، أيام الأسبوع سبعة! فليس غريباً إذن أن يزعم التراث اليهودي-المسيحي ثم القرآن أن عدد السماوات = 7. وكما قلنا مِن قَبل، الرقم في حد ذاته لا يهمنا كثيراً. وإنما يهمنا فقط أن القرآن العربي ردد ما قاله التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام بمئات السنين، مما يؤكد أن القرآن تطوُّر بشري طبيعي (natural human development) لهذا التراث اليهودي-المسيحي.

3.2.2 جذور القرآن في تراث ديانات وحضارات الشرق الأوسط القديم

المثير للضحك والبكاء في نفس الوقت أن بعض المواقع الإلكترونية والمنتديات الإسلامية تعتبر فكرة خَلْق "سَبْع سَمَاوَاتٍ وسَبْع أَرَضِينَ" من الإعجاز العلمي في القرآن! ولسوف يندهش مَن يديرون تلك المواقع والمنتديات أن فكرة وجود عدة سماوات و/أو عدة أرضين هي فكرة قديمة يعود تاريخها إلي الألفية الأولى قبل الميلاد، فكما يوضح الشكل التالي[1750] كان سكان بلاد ما بين النهرين (العراق القديم) يتصورون الكونَ على شكل كرة ضخمة، يوجد فيها ثلاث سماوات (أرقام 1، 2، 3) **[⟵ جعلها أصحابُ القرآن "سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (أي: بعضها فوق بعض)" (نوح 15) (الملك 3)؛ (البقرة 29) (الإسراء 44) (المؤمنون 17، 86) (فصلت 12) (الطلاق 12) (النبأ 12)!]**، وكذلك يتكون العالم السفلي أو عالم الموتى من ثلاث طبقات (أرقام 5، 6، 7) **[⟵ جعلها أصحابُ القرآن سَبْعَ أَرَضين: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ (أي: سبعًا من الأَرَضين بعضها تحت بعض)" (الطلاق 12)!]**.

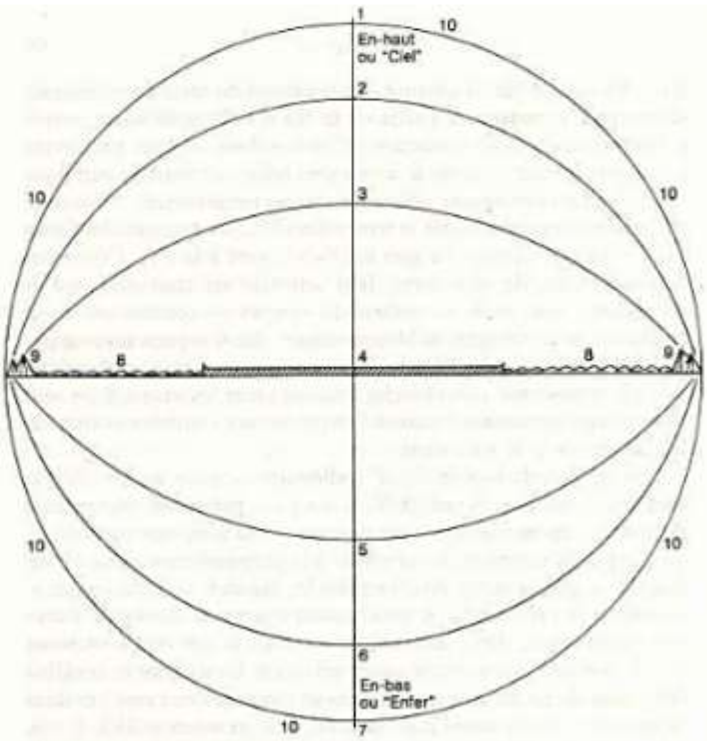

رسم توضيحي 3 – تصوّر الكون عند السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين (العراق القديم)

وتبدو الأرض (رقم 4 في الشكل السابق) ممتدة أفقياً في مركز الكون! يقول العالِمُ الأمريكي الكبير (Prof. Samuel Noah Kramer) إن السومريين القدماء "رأوا الأرضَ وهي على هيئة "قرص" منبسط (un disque plat) (a flat disk)"[(1751)]! ونلاحظ من آيات قرآنية كثيرة شدة تأثر القرآن بهذه الأسطورة القديمة التي كان يؤمن بها سكان بلاد ما بين النهرين. اقرأ مثلاً:

- "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (أيْ: بَسَطَهَا)" (النَّازعَات 30)!
- "وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ" (الذَّاريَات 48) التي فسَّرها القرطبي قائلاً: ""وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا" أَيْ: بَسَطْنَاهَا كَالْفِرَاشِ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَمَدَدْنَاهَا. "فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ" أَيْ: فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ نَحْنُ لَهُمْ. وَالْمَعْنَى فِي الْجَمْعِ التَّعْظِيمُ؛ مَهَّدْتُ الْفِرَاشَ مَهْدًا: بَسَطْتُهُ وَوَطَّأْتُهُ، وَتَمْهِيدُ الْأُمُورِ: تَسْوِيَتُهَا وَإِصْلَاحُهَا"[(1752)]!
- "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا" (ق 7)! "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا" (الحجر 19) التي فسَّرها القرطبي قائلاً: "قَالَ اِبْن عَبَّاس: بَسَطْنَاهَا عَلَى وَجْه الْمَاء؛ كَمَا قَالَ: "وَالْأَرْض بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا" (النَّازعَات 30) أيْ: بَسَطَهَا. وَقَالَ: "وَالْأَرْض فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ" (الذَّاريَات 48). وَهُوَ يَرُدّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا كَالْكُرَةِ"[(1753)]!
- "وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ" (الرعد 3) التي فسَّرها القرطبي قائلاً: ""وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ" لَمَّا بَيَّنَ آيَاتِ السَّمَاوَاتِ بَيَّنَ آيَاتِ الْأَرْضِ، أَيْ: بَسَطَ الْأَرْضَ طُولًا وَعَرْضًا. "وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ" أَيْ: جِبَالًا ثَوَابِتَ؛ وَاحِدُهَا رَاسِيَةٌ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ تَرْسُو بِهَا، أَيْ: تَثْبُتُ، وَالْإِرْسَاءُ الثُّبُوتُ؛ [...]. مَسْأَلَةٌ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ رَدٌّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَرْضَ كَالْكُرَةِ، [...]. وَالَّذِي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ الْقَوْلُ بِوُقُوفِ الْأَرْضِ وَسُكُونِهَا وَمَدِّهَا، وَأَنَّ حَرَكَتَهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْعَادَةِ بِزَلْزَلَةٍ تُصِيبُهَا"[(1754)]!
- "أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" (الغاشية 17-20)!
- "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً" (البقرة 22)! تعليقنا: الآية القرآنية كلها غلط؛ فالأرضُ كروية وليست فِرَاشًا، والسماء فضاء لا نهائي وليست بِنَاءً!
- "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (أي: ممهدة لكم كالبساط)" (نوح 19)!
- "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا (أي: فِرَاشًا وبِسَاطًا)" تكررت مرتين: (طه 53) (الزخرف 10)!
- "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (أي: مبسوطة لكم كالمهد؛ ممهدة لكم كالفراش)" (النبأ 6)!
- "وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (أي: بسطها من كل جانب؛ مدها ووسعها)" (الشمس 6)!

إذن: 12 آية قرآنية تقول بكل وضوح إن الأرض مسطحة منبسطة[1755]! وهذا ليس له أي علاقة بالعلم الحديث؛ فلا يمكن أن نصدق أن القرآن فيه إعجاز علمي!

لكن كالعادة حاول بعض شيوخ الإسلام المعاصرين تبرير ما يقوله القرآن. فنجد مثلاً الشيخ المصري الشعراوي يقول في تفسير – بل تبرير – "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا" (الحجر 19): "أي: بسطناها .. ولكنه لم يَقُلْ أي أرض. ولذلك عندما تذهب إلى أي مكان في الأرض .. تجدها مبسوطة أمامك .. ولا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا كانت الأرض كروية"[1756]!

ونحن طبعاً نرفض هذه الحيل الإسلامية المكشوفة، لأن سياق هذه الآيات القرآنية التي تتحدث عن الكون الواسع بما فيه من سماوات سبع والنجوم والشمس والقمر يؤكد أن أصحاب القرآن قصدوا كوكبَ الأرض وليس قطعة من الأرض. وأيضاً بدليل أن الفعل "مدَّ" الذي استخدمه أصحابُ القرآن مرتين عن الأرض في الدنيا "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا" (الحجر 19) (ق 7) هو نفس الفعل الذي استخدمه أصحابُ القرآن عن الأرض في الآخرة "إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (أي: بُسِطَت وَوُسِّعت بدك جبالها وإزالة آكامها). وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا (أي: أخرجتْ الأموات والكنوز من جوفها إلى ظاهرها) وَتَخَلَّتْ [عنهم]" (الانشقاق 3-4)، مما يؤكد أنهم قصدوا كوكبَ الأرض وليس قطعة من الأرض. ويكفينا أن القرطبي قال عن (الحجر 19) إن القرآن (أو: ابن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن) "يَرُدّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا كَالْكُرَةِ"، وقال عن (الرعد 3): "فِي هَذِهِ الْآيَةِ رَدٌّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَرْضَ كَالْكُرَةِ"! والمشكلة ليست مشكلة القرطبي وغيره من المفسرين المسلمين. فالكلمات التي استخدمها القرآنُ عن الأرض – مثل "مَدَدْنَاهَا" و "سُطِحَتْ" و "دَحَاهَا" و "فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ" – تدل بالفعل على أن أصحاب القرآن توهَّموا أن الأرض مسطحة وليست كروية! (كما توهَّموا أن السماء سقف مرفوع أو قُبَّة وليست فضاءً لا نهائي!) وفي الواقع، توجد آيات قرآنية أخرى تدل على أن أصحاب القرآن توهَّموا أن الأرض مسطحة (flat). اقرأ مثلاً رحلتي ذي القرنين "حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ [...]" (الكهف 86) ثم "حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ [...]" (الكهف 90)، فوصوله إلى مَغْرِبِ الشَّمْسِ (الكهف 86) ثم وصوله إلى مَشْرِقِها (الكهف 90) يدل على أن أصحاب القرآن قد ظنوا أن الأرض مسطحة (flat earth)[1757].

وهذا كله يؤكد أن القرآن ليس كلام الله الخالق، وإنما القرآن كلام بشر مخلوقين 100% ومجرد تطور بشري طبيعي لأساطير الشرق الأوسط القديم (انظر الشكل السابق). ولو كان القرآنُ كلامَ الله كما يتوهَّم المسلمون، ألم يكن ينبغي أن يقول صراحةً إن الأرض كروية؟! ألم يكن هذا أفضل مِن استخدام كلمات خاطئة تماماً مثل "مَدَدْنَاهَا" و "دَحَاهَا" و "فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ" و "سُطِحَتْ" ... الخ؟!

وإذا نظرنا مرة أخرى إلى الشكل السابق، فسنجد أن الأرض (رقم 4) محاطة بالبحر (رقم 8). ولقد قال العالم الكبير (Samuel Noah Kramer) إن هذا البحر كان يمثل بالنسبة للسومريين نهاية عالمهم

ومجتمعهم الذي يعيشون فيه حيث يحيطهم البحر الأبيض المتوسط من الغرب والخليج الفارسي من الشرق[1758].

ثم تأتي الجبال (رقم 9) في أطراف هذا العالم، وربما تشير إلى الجبال الموجودة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط غرباً وتلك الموجودة شرقي نهر دجلة (في إيران حالياً) شرقاً.

وتبدو الجبال (رقم 9) على اليمين وعلى اليسار في هذا الشكل كما لو كانت تحفظ اتزان الأرض، وهو بالتأكيد كان أمراً هاماً عند سكان بلاد ما بين النهرين حيث أن لا حضارة بدون ثبات واستقرار. ومن هنا نستطيع أن ندرك لماذا ذكر القرآنُ عدة مرات أن الله خلق "رَوَاسِيَ" (أي: جبالاً ثابتة) في الأرض حتى لا "تميد" (أي: حتى لا تَتَزَعْزَع ولا تميل) بنا! "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ" (لقمان 10) "وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ" (النحل 15) "وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ" (الأنبياء 31) "جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ" (النمل 61) "وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ" (المرسلات 27) "وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا" (النازعات 32) "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (أي: كَالْأَوْتَادِ التي تُقام بها الْخَيْمَةُ فتحفظها قائمة)" (النبأ 6-7). قال الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: "وَالْأَوْتَادُ: جَمْعُ وَتَدٍ، [...]. وَالْوَتَدُ: عُودٌ غَلِيظٌ شَيْئًا، أَسْفَلُهُ أَدَقُّ مِنْ أَعْلَاهُ، يُدَقُّ فِي الْأَرْضِ لِتُشَدَّ بِهِ أَطْنَابُ الْخَيْمَةِ. وَلِلْخَيْمَةِ أَوْتَادٌ كَثِيرَةٌ عَلَى قَدْرِ اتِّسَاعِ دَائِرَتِهَا، وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْجِبَالِ بِأَنَّهَا أَوْتَادٌ عَلَى طَرِيقَةِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ، أَيْ: كَالْأَوْتَادِ. وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِ الْجِبَالِ دَعَا إِلَيْهَا ذِكْرُ الْأَرْضِ وَتَشْبِيهُهَا بِالْمِهَادِ الَّذِي يَكُونُ دَاخِلَ الْبَيْتِ، فَلَمَّا كَانَ الْبَيْتُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِ السَّامِعِ مِنْ ذِكْرِ الْمِهَادِ كَانَتِ الْأَرْضُ مُشَبَّهَةً بِالْبَيْتِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَكْنِيَّةِ، فَشُبِّهَتْ جِبَالُ الْأَرْضِ بِأَوْتَادِ الْبَيْتِ تَخْيِيلًا لِلْأَرْضِ مَعَ جِبَالِهَا بِالْبَيْتِ وَمِهَادِهِ وَأَوْتَادِهِ"[1759]!

ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أن القرآن قد ذكر الجبال (أو: الرواسي) أكثر من 45 مرة؛ منها مرة جاءت الجبال معطوفة مباشرةً على السماوات والأرض: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ (أي: الشريعة/الناموس؛ الأوامر والنواهي؛ افعل ولا تفعل) عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا (أي: خفن مِن عدم قدرتهن على طاعة كل الأوامر واجتناب كل النواهي) وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا (أي: شديد الظلم لنفسه) جَهُولًا (أي: شديد الجهل بما يطيق حمله)" (الأحزاب 72). اقرأ أيضاً: "تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا" (مريم 90)؛ "وَ[أَفَلَا يَنظُرُونَ] إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" (الغاشية 18-20). فلماذا ذكر القرآنُ الجبالَ مع السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ نجد الإجابة في الشكل السابق الذي إذا نظرنا إليه سنجد أن السماوات والأرض والجبال هي حدود النصف العلوي من الكرة – أي هي حدود العالم المنظور (L'univers visible) بالنسبة لسكان بلاد ما بين النهرين، فَهُمْ لم يستطعوا رؤيةَ العالم السفلي أو عالم الموتى. فحين ذكر أصحابُ القرآن السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ في نفس الآية (الأحزاب 72) (مريم 90) أو في آيات متتالية (الغاشية 18-20)، فإنهم قصدوا: كُلَّ ما في عالمكم المنظور. وهذا دليل آخر على تأثر القرآن بأساطير الشرق الأوسط القديم.

أما رقم 10 في الشكل السابق فهو (L'Océan cosmique) أي "المحيط الكوني" وهو محيط لا نهائي من الماء يحيط بالكون، أي: من جميع الجوانب ومن الأعلى ومن الأسفل، أي: فوق السَّمَاوَاتِ وتحت الأرضين! ولقد أشارت إليه تفاسير القرآن أيضاً على أنه فوق السَّمَاوَاتِ! اقرأ مثلاً تفسير الطبري لـ "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ" (الطلاق 12): "حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: ثَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ غِلَظُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ، وَفَوْقَ السَّبْعِ السَّمَاوَاتِ الْمَاءُ، وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَوْقَ الْمَاءِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ. وَالْأَرْضُ سَبْعٌ، بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ، وَغِلَظُ كُلِّ أَرْضٍ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ"[(1760)]!

علماً بأن قوله "وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَوْقَ الْمَاءِ" ليس من عنده ولا من عند المفسرين، وإنما هو موجود صراحةً في القرآن: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" (هود 7)! إذن: جعل القرآنُ عرشَ الله فوق الماء! ويقول حديثٌ صحيح أخرجه البخاري إن محمد قال: "كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ (أي: لم يكن تحته إلا الماء)"[(1761)]. وإنْ قلتم إن هذا كان قبل الخَلْق أو إن كلمة "عَرْش" هنا هي مجرد تعبير مجازي عن قدرة الله وسيطرته على الكون، فسنقول: موضوعنا ليس معنى "عَرْش الله" أو توقيت حدوث ذلك، وإنما: لماذا كلمة "الْمَاء" تحديداً في القرآن (هود 7) وفي الحديث الصحيح؟! لماذا لم يقل مثلاً "وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى السماء" أو "وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الهواء"؟ لماذا عرش الله على "الْمَاء" بالذات؟! الإجابة: لأن أصحاب القرآن قد تأثروا بالأساطير والأوهام الشرقية القديمة التي تزعم أن الماء يحيط بالكون مِن جميع الجهات، ولذلك وضعوا "عرشَ الله" (أياً كان معناه) فوق هذا الماء.

ومما يؤكد أن هذه الأسطورة الشرقية القديمة قد تطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في القرآن، هو أن أصحاب القرآن قد عَبَّروا عن حركة الشمس والقمر في الفضاء بـ "السباحة"، أي: العوم في الماء!

- "لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ **يَسْبَحُونَ**" (يس 40)!
- "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ [مُسْتَدِير كَالطَّاحُونَةِ فِي السَّمَاء!] **يَسْبَحُونَ** (أي: يَسِيرُونَ بِسُرْعَةٍ كَالسَّابِحِ فِي الْمَاء، وَلِلتَّشْبِيهِ بِهِ أَتَى بِضَمِير جَمْع مَنْ يَعْقِل[(1762)])" (الأنبياء 33)!

وإن قلتم إن هذا تعبير مجازي، فسنقول: بغض النظر عن ما إذا كان هذا تعبيراً مجازياً أم لا، فإن ما يهمنا هو كلمة "يَسْبَحُونَ". لماذا "يَسْبَحُونَ" بالذات؟! لماذا لم يقل مثلاً "يسيرون" أو "يَجْرون" أو "يدورون" أو "يطوفون"؟ نجد الإجابةَ في الشكل السابق الذي إذا نظرنا إليه سنجد أن كلمة "يَسْبَحُونَ" (يس 40) (الأنبياء 33) تدل على أن أصحاب القرآن قد توهَّموا أن الماء يحيط بالكون مِن جميع الجهات، أو على الأقل قد تأثروا بهذه الخرافة الشرقية القديمة، وظهر ذلك التأثر في اختيارهم للفظة "يَسْبَحُونَ". بل إنك حين تقرأ (الأنبياء 33) في سياقها القرآني، تجد أنها تذكر أهم عناصر الكون الموجودة في الشكل السابق، وهي السماء (السقف)

والأرض والماء والجبال (الرواسي) والشمس والقمر: "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" (الأنبياء 30-33).

وإنْ قلتم إنه من المستحيل أن تكون هذه الأساطير والأوهام الشرقية القديمة قد وصلت إلى أصحاب القرآن، فسنقول: نحن لم نقل إنها وصلت إليهم بطريق مباشر. وإنما كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن هذه الأساطير والأوهام الشرقية القديمة قد وصلت إلى أصحاب القرآن بطريق غير مباشر. عن طريق اليهودية أو المسيحية. مثلاً تقول الصفحة الأولى من التوراة: "وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ" (التكوين 1:2) **[⟵ "وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" (هود 7)]** "فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ (أي: السماءَ)، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ (أي: مياه البحار والأنهار والينابيع والمياه الجوفية subterranean) وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ (أي: المياه العليا؛ الماء الذي فوق السماء!)" (التكوين 1:7). ويقول المزمور 104 إن الرب الإله هو "الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ كَشُقَّةٍ (أي: كَخَيْمَةٍ tent). الْمُسَقِّفُ عَلاَلِيَهُ بِالْمِيَاهِ (أي: الْمُقِيمُ بَيْتَهُ - أو قَصْرَهُ - فَوْقَ الْمِيَاهِ الْعُلْيَا!)" (المزامير 104:2-3) **[⟵ "وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" (هود 7)]**. وهذه المياه العليا هي "المياه التي تعلو "الخيمة" (أي: تعلو السَّماوات!) [...]، التي يعطي اللهُ منها المطر وفقاً لتصوير العهد القديم"[1763]! فلقد "كان "جَلَدُ" السماء الظاهر عند الساميين الأولين عبارة عن قبّة متينة تحبس المياه المجتمعة فوقها، ومن كُواها (أي: مِن نوافذها) سيسيل الطوفان (التكوين 7:11)"[1764]! وتوجد آيات كتابية أخرى كثيرة في سفر المزامير تشير إلى أهم عناصر الشكل السابق، مثل: "لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ، وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا. لأَنَّهُ عَلَى الْبِحَارِ (seas) أَسَّسَهَا، وَعَلَى الأَنْهَارِ (waters) ثَبَّتَهَا" (المزامير 24:1-2)؛ "الْبَاسِطَ الأَرْضَ عَلَى الْمِيَاهِ" (المزامير 136:6)؛ "الْمُثْبِتُ الْجِبَالَ بِقُوَّتِهِ، الْمُتَنَطِّقُ بِالْقُدْرَةِ" (المزامير 65:6) وآيات كتابية أخرى.

كما يقول سفرُ المزامير: "اَلرَّبُّ قَدْ مَلَكَ. لَبِسَ الْجَلاَلَ. لَبِسَ الرَّبُّ الْقُدْرَةَ، ائْتَزَرَ بِهَا. أَيْضًا تَثَبَّتَتِ الْمَسْكُونَةُ (أو: الدُّنْيا؛ الكونُ). لاَ تَتَزَعْزَعُ. كُرْسِيُّكَ (أي: عرشك) [يَا رَبُّ] مُثْبَتَةٌ مُنْذُ الْقِدَمِ (أو: مُنذُ البَدءِ). مُنْذُ الأَزَلِ أَنْتَ" (المزامير 93:1-2) التي فسَّرها التراثُ اليهودي بمعنى أن عرش الله وُجِدَ **قبل** خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وتوجد أدلة أخرى في التراث اليهودي تعطي هذا المعنى[1765]. **[⟵ وهذا ما قصده أصحابُ القرآن حين قالوا "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ [قبل ذلك]" (هود 7)، بدليل أن صحيح البخاري أكَّد هذا المعنى، إذ يقول حديثٌ صحيح إن محمد قال: "كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ"[1766]]**.

ومن سفر المزامير أيضاً نعرف لماذا استخدم أصحابُ القرآن كلمةَ "تَجْري" في وصف حركة الشمس السريعة: "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا" (يس 38)! وكذلك في "وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى" (الرعد 2) (لقمان 29) (فاطر 13) (الزمر 5) التي زعم بعضُ المسلمين اليوم أن فيها إعجاز علمي!

فنقول لهم: لا يوجد إعجاز علمي، وإنما يوجد تطور بشري طبيعي من سفر المزامير. فالفعل "يَجْرِي" مستوحى من المزمور 19 الذي شبّه الشَّمْسَ بالْعَدَّاءِ الذي يَجْري بحماسٍ في سباقٍ: "جَعَلَ لِلشَّمْسِ مَسْكَنًا فِيهَا (أي: في السَّمَاوَاتِ)، وَهِيَ مِثْلُ الْعَرُوسِ الْخَارِجِ مِنْ حَجَلَتِهِ (أي: مِن خِدْرِه؛ مِنْ مِخْدَعِهِ). يَبْتَهِجُ مِثْلَ الْجَبَّارِ لِلسِّبَاقِ (أي: كَالْعَدَّاءِ الْمُبْتَهِجِ لِلسِّبَاقِ) (like a hero eager to run his course) فِي الطَّرِيقِ. مِنْ أَقْصَى السَّمَاوَاتِ خُرُوجُهَا، وَمَدَارُهَا إِلَى أَقَاصِيهَا، وَلاَ شَيْءَ يَخْتَفِي (أي: يَخْتَبِئ؛ يهرب) مِنْ حَرِّهَا" (المزامير 19:4-6)! اقرأ أيضاً: "وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ، وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ، وَتُسْرِعُ (hurries) إِلَى مَوْضِعِهَا حَيْثُ تُشْرِقُ" (الجامعة 1:5)! **[← "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا" (يس 38)]**. فلا يوجد إعجاز علمي، ولا يوجد حتى وحي إلهي. وإنما يوجد تطور بشري طبيعي (natural human development) من الديانات التي تسبق الإسلام، سواء الديانات التوحيدية الإبراهيمية أو الديانات الوثنية غير الإبراهيمية.

الخلاصة: التراث اليهودي-المسيحي الشرقي كان حلقة الوصل أو الكوبري (bridge) الذي نقل تراث ديانات وحضارات الشرق الأوسط القديم إلى أصحاب القرآن، أي: طوَّر تراث ديانات وحضارات الشرق الأوسط القديم تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development) بالحذف و/أو الإضافة مع مرور الزمن حتى وصل إلى العرب أصحاب القرآن في القرن السابع الميلادي. فحين تقرأ كل الآيات القرآنية السابقة وتفاسيرها وتتأمل الشكل السابق، ستلاحظ بنفسك شدة تأثر العرب أصحاب القرآن بأساطير الشرق الأوسط القديم التي وصلت إلى العرب أصحاب القرآن بطريق غير مباشر، مما يؤكد أن القرآن العربي مجرد كلام بشر 100% ولا يمكن أن يكون كلام الله. فلا يوجد وحي إلهي، ولا يوجد إعجاز علمي، ولا يوجد أي إعجاز من أي نوع في هذا القرآن العربي.

وإحقاقاً للحق يجب الاعتراف بأن ليس القرآن وحده هو الذي تأثر بالشكل السابق، و إنما البشرية كلها قد تأثرت به. فكما يتضح من هذا الشكل، تظهر الأرض (رقم 4) في مركز الكون، وهي أسطورة الـ (Geocentrism) التي عاشت قروناً طويلة قبل الإسلام واستمرت بعده لأنه أيَّدها ...

3.2.3 هل الأرض تدور حول الشمس؟ أَم الشمس تدور حول الأرض؟!

الحقيقة الأولى: لم يقل القرآنُ أبداً إن الأرض كروية! بل توجد آيات قرآنية تؤكد أن أصحاب القرآن قد توهَّموا أن الأرض مسطحة!

الحقيقة الثانية: لا توجد آية قرآنية واحدة تقول إن الأرض تدور حول نفسها حول الشمس! بعبارة أخرى: لا توجد آية قرآنية واحدة تقول إن الليل والنهار يحدثان بدوران الأرض حول محورها مرة كل يوم، ولا توجد آية قرآنية واحدة تقول إن فصول السنة تحدث بدوران الأرض حول الشمس مرة كل سنة!

ولو كان القرآنُ كلامَ الله كما يتوهَّم أحباؤنا المسلمون المخدوعون، لكان ينبغي أن يقول صراحةً إن الأرض كروية وإنها تدور حول نفسها حول الشمس. أما حجة أنه لو كان القرآنُ قد قالها صراحةً لمَا آمن به كثيرٌ من بدو شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، فهي حجة تثير الغثيان ودليل إفلاس، لأن عدد المسلمين مش مهم. اليهود مثلاً عددهم لا يزيد عن 25 مليون، ومع ذلك أهدوا إلى الإنسانية رجالاً مهمين على رأسهم الشاب الإسرائيلي اليهودي يسوع المسيح، كما أهدوا إلى الإنسانية علماء كبار مثل فرويد (Sigmund Freud) وأينشتاين (Albert Einstein) وغيرهما. فالمهم الكيف وليس الكم. فلو كان القرآن قد قال بوضوح إن الأرض كروية وإنها تدور حول نفسها حول الشمس، لآمن به الملايين – بل المليارات – من البشر، وعلى رأسهم العالِم الكبير "كوبرنيكس" (Copernicus) ومن بعده العالِم الكبير "جاليليو" (Galileo) اللذان قالا إن الأرض ليست مركز الكون وليست حتى مركز المجموعة الشمسية، وإنما الأرض مجرد كوكب من بين الكواكب التي تدور حول الشمس وهو ما يُعرف بالـ(Heliocentrism). ثم إن القرآن كرر في آيات كثيرة أن الله يهدي من يشاء ويؤتي الحكمة من يشاء (البقرة 142) (البقرة 213، 269، 272) (الأنعام 88) (يونس 25) (النحل 93) (النور 46) (القصص 56) وغيرها. فلو كان القرآنُ كلامَ الله كما يتوهَّم أحباؤنا المسلمون المخدوعون، لكان ينبغي أن يقول الحقيقة العلمية كما هي، ثم بعد ذلك يهدي اللهُ من يشاء ويؤتي الحكمة من يشاء.

بل يبدو لنا أن محمد نفسه كان يتوهَّم أن الشمس هي التي تدور حول الأرض! يقول حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي ذر الغفاري أنَّ محمد قالَ يَوْمًا لأصحابه أثناء غروب الشمس: "أَتَدْرُونَ أيْنَ تَذْهَبُ هذِه الشَّمْسُ [بعد أن تغيب عنا]؟"، قالوا: "اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ"، قالَ: "إنَّ هذِه [الشَّمْسُ] تَجْرِي حتَّى تَنْتَهِي إلى مُسْتَقَرّها تَحْتَ العَرْشِ (أي: أقصى منازلها في الغروب)، فَتَخِرُّ ساجِدَةً، فلا تَزالُ كَذلكَ حتَّى يُقالَ لَها: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِن مَطْلِعِها، ثُمَّ تَجْرِي حتَّى تَنْتَهِي إلى مُسْتَقَرّها تَحْتَ العَرْشِ، فَتَخِرُّ ساجِدَةً، ولا تَزالُ كَذلكَ حتَّى يُقالَ لَها: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِن مَطْلِعِها، ثُمَّ تَجْرِي لا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْها شيئًا حتَّى تَنْتَهِي إلى مُسْتَقَرّها ذاكَ تَحْتَ العَرْشِ، فيُقالُ لَها: ارْتَفِعِي أصْبِحِي طالِعَةً مِن مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِن مَغْرِبِها، أتَدْرُونَ مَتَى ذاكُمْ؟ [...] ذاكَ حِينَ "لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا" (الأنعام 158)"[(1767)]. ولقد قال الشيخ السعودي الكبير محمد بن صالح العثيمين – الأستاذ بكلية الشريعة وعضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام 1407هـ حتى وفاته عام 1421هـ – تعليقاً على هذا الحديث إنه "دليل على أن الشمس تسير على الأرض، بمعنى: أنها تدور على الأرض [...] وأنه بدورانها (أى: بدوران الشمس) يكون اختلاف الليل والنهار، وهذا هو الذى نعتقده؛ لأنه ظاهر كلام الله عز وجل". واستدل على ذلك بآيات قرآنية، مثل: "وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ" (الكهف 17) "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا [تحت العرش]" (يس 38)[(1768)]!

وبالفعل توجد آيات قرآنية أخرى تدل على أن القرآن يقول إن الشمس هي التي تدور حول الأرض! وهذا ليس كلامنا، وإنما هذا كلام الشيخ السعودي الكبير محمد بن صالح العثيمين – الأستاذ بكلية الشريعة وعضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام 1407هـ حتى وفاته عام 1421هـ – حيث أعطى 8 أدلة من القرآن على أن الشمس هي التي تدور على الأرض دوراناً يحصل به تعاقب الليل والنهار[1769]:

سُئِلَ فضيلةُ الشيخ [محمد بن صالح العثيمين] رَحِمهُ اللهُ تعالى: عن دوران الشمس حول الأرض؟

فأجاب بقوله: ظاهر الأدلة الشرعية تُثبت أن الشمس هي التي تَدور على الأرض، وبدورتها يحصل تعاقب الليل والنهار على سطح الأرض، وليس لنا أن نتجاوز ظاهر هذه الأدلة إلا بدليل أقوى من ذلك يَسوغ لنا تأويلها عن ظاهرها.

ومن الأدلة على أن الشمس تدور على الأرض دوراناً يحصل به تعاقب الليل والنهار ما يلي:

1 – قال الله تعالى عن إبراهيم في مُحاجَّته لمَن حاجَّه في ربه: "فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ" (البقرة 258). فكون الشمس يُؤتَى بها من المشرق دليل ظاهر على أنها التي تدور على الأرض.

2 – وقال أيضاً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: "فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ" (الأنعام 78). فجعل الأُفول من الشمس لا عنها، ولو كانت الأرض التي تدور لقال: "فَلَمَّا أُفِل عنها".

3 – قال تعالى: "وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ" (الكهف 17). فجعل الازورار والقَرْض من الشمس، وهو دليل على أن الحركة منها، ولو كانت من الأرض لقال: يَزاوَر كهفُهم عنها، كما أن إضافة الطلوع والغروب إلى الشمس يَدُلُّ على أنها هي التي تدور وإن كانت دلالتها أقل من دلالة قوله "تَزَاوَرُ"، و: "تَقْرِضُهُمْ".

4 – وقال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" (الأنبياء 33). قال ابنُ عباس رضي اللهُ عنهما: يَدورون في فَلَكة كفَلَكة المِغْزَل. اشتهر ذلك عنه.

5 – وقال تعالى: "يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً" (الأعراف 54). فجعل الليل طالباً للنهار، والطالب مُندَفِع لاحِقٌ، ومن المعلوم أن الليل والنهار تابِعان للشمس.

6 – وقال تعالى: "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ" (الزمر 5). فقوله: "يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ" أي: يُديره عليه ككَوْر العِمامة، دليل على أن الدوران من الليل والنهار على الأرض. ولو كانت

الأرض التي تدور عليهما لقال: "يُكَوِّر الأرض على الليل والنهار". وفي قوله: "كُلٌّ يَجْرِي لأجَلٍ مُسَمّىً" المُبيّن لما سبقه دليل على أن الشمس والقمر يَجريان جَرْياً حِسّياً مَكانياً، لأن تَسخِير المُتحرّك بحركته أظهر من تَسخِير الثابت الذي لا يَتحرَّك.

7 – وقال تعالى: "وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا" (الشمس 1-2). ومعنى "تَلاهَا": أتى بَعْدها، وهو دليل على سَيْرهما ودَوَرانهما على الأرض. ولو كانت الأرض التي تدور عليهما، لم يَكُن القمر تالياً للشمس، بل كان تالياً لها أحياناً، وتاليةً له أحياناً؛ لأن الشمس أرفع منه، والاستدلال بهذه الآية يحتاج إلى تَأمُّل.

8 – وقال تعالى: "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" (يس 38-40). فإضافة الجَرَيان إلى الشمس وجَعْله تقديراً من ذي عِزَّة وعِلْم يَدُلُّ على أنَّه جَرَيان حقيقي بتقدير بالِغ، بحيث يَترتَّب عليه اختلاف الليل والنهار والفُصول. وتقدير القمر مَنازل يَدُلُّ على تَنقُّله فيها. ولو كانت الأرض التي تدور لكان تقدير المنازل لها من القمر لا للقمر. ونَفيُ إدراك الشمس للقمر وسبق الليل للنهار يَدُلُّ على حركة اندفاع من الشمس والقمر والليل والنهار.

9 – وقال النبي ﷺ لأبي ذَرٍّ رضي الله عنه وقد غربت الشمس: "أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟ (أي: أَيْنَ تَغْرُب الشَّمْس؟)" قال [أبو ذر]: اللَّهُ وَرَسُولُه أَعْلَم. قال [محمدٌ]: "فَإِنَّهَا تَذْهَب فتَسْجُد تَحْتَ الْعَرْش فَتَسْتَأْذِن فَيُؤْذَن لَهَا، فَيُوشِك أَنْ تَسْتَأْذِن فَلَا يُؤْذَن لَهَا، فَيُقَال لَهَا: اِرْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُع مِنْ مَغْرِبهَا". أو كما قال ﷺ. مُتَّفَق عليه. فقوله: "اِرْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُع مِنْ مَغْرِبهَا" ظاهر جداً في أنها تدور على الأرض، وبدورانها يحصل الطلوع والغروب.

10 – الأحاديث الكثيرة في إضافة الطلوع والغروب والزوال إلى الشمس، فإنها ظاهرة في وقوع ذلك منها لا من الأرض عليها. ولعل هناك أدلة أخرى لم تحضرني الآن، ولكن فيما ذَكَرتُ فتح بابٍ، وهو كافٍ فيما أقصِد. والله الموفِّق.

علماً بأن الشيخ محمد بن صالح العثيمين قال في فتوى أخرى تسبقها[1770]:

وأما ما ذكره عُلَماء الفَلَك العَصريُّون (يقصد: ما يقوله العلم الحديث إن الأرض هي التي تدور حول الشمس)، فإنه لم يَصِلْ عِندنا إلى حدِّ اليقين، فلا نَدَعُ من أجله ظاهرَ كتاب رَبِّنا وسُنَّة نبيِّنا ﷺ.

ونقول لمَن أُسنِد إليه تدريس مادة الجغرافيا [وفيها أن تعاقب الليل والنهار يحدث بسبب دوران الأرض حول الشمس]: يُبيِّن للطلبة أن القرآن الكريم والسُّنَّة كِلاهما يَدلُّ بظاهره على أن تَعاقُب الليل والنهار إنما يكون بدوران الشمس على الأرض، لا بالعكس.

فإذا قال الطالب: أَيُّهما نأخذ به؟ أظاهر الكتاب والسُّنَّة، أَم ما يَدَّعيه هؤلاء [العلماء العصريون] الذين يزعمون أن هذه من الأمور اليقينيَّات؟

فجوابه: أنَّا نأخذ بظاهر الكتاب والسُّنَّة [...]. وفي ظنِّي - والله أعلم - أنَّه سيَجيء الوقت الذي تَتَحطَّم فيه فكرة عُلَماء الفَلَك العَصريّين كما تَحَطَّمَت فِكرة دارْوِين حول نَشأة الإنسان.

وإن اعترضتم على تمسك الشيخ السعودي الكبير محمد بن صالح العثيمين بظاهر القرآن والسنة، أو قلتم إن المقصود هو حركة الشمس حسب ما يبدو للعين، لا بحسب الحقيقة. فسنقول: إن المشكلة ليست في الشيخ السعودي الكبير محمد بن صالح العثيمين وغيره مِن المفسرين المسلمين، وإنما المشكلة لها جذور عميقة لا يمكن تجاهلها في القرآن والسُّنة اللذين يدل ظاهرُهما على أن الشمس تدور حول الأرض بحسب الحقيقة. وهذا طبعاً يتعارض مع العلم الحديث الذي أثبت أن الأرض هي التى تدور حول نفسها حول الشمس.

إنه إذن خطأ علمي مِن أخطاء القرآن والسُّنة[1771] يثبت بشرية القرآن والسُّنة. وسبب هذا الخطأ العلمي في هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية هو تأثر القرآن والسُّنة بالأساطير الشرقية القديمة. فلقد "كانت الشمس [حسب الأساطير] في الشرق الأدنى القديم تمر من خلال الأرض السفلى (the netherworld) أثناء الليل [أو تستقر في] (resided in) غرف معزولة. تشير ملحمة جلجامش إلى مكان يُدْعَى إقليم الموت (أو: إقليم الظلام؛ the region of darkness). وهي منطقة مظلمة تقع دائماً في مسير ما يُسمَّى ممر الشمس (the Path of the Sun)"[1772]!

نكرر الحقيقة الأولى: لم يقل القرآنُ أبداً إن الأرض كروية! بل توجد آيات قرآنية تؤكد أن أصحاب القرآن قد توهَّموا أن الأرض مسطحة!

الحقيقة الثانية: لا توجد آية قرآنية واحدة تقول إن الأرض تدور حول نفسها حول الشمس! بعبارة أخرى: لا توجد آية قرآنية واحدة تقول إن الليل والنهار يحدثان بدوران الأرض حول محورها مرة كل يوم، ولا توجد آية قرآنية واحدة تقول إن فصول السنة تحدث بدوران الأرض حول الشمس مرة كل سنة! بل توجد آيات قرآنية تؤكد أن أصحاب القرآن قد توهَّموا أن الشمس هي التي تدور حول الأرض!

أما الحقيقة الثالثة فهي: لا توجد آية قرآنية واحدة تقول إن القمر يدور حول الأرض! بل لا توجد آية قرآنية واحدة تذكر أقمار الكواكب الأخرى!

فإذا نظرنا مرة أخرى إلى "لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" (يس 40) "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" (الأنبياء 33)، فسنجد أنها تعاني من مشكلات أخطر مما سبق ذكره. فمثلاً: كلنا نعلم أن القمر يدور حول الأرض التي تدور

بدورها حول الشمس. أليس غريباً إذن أن يقول القرآن "لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ" (يس 40) بينما لا يقول مثلاً "لَا القمر يَنْبَغِي له أَنْ يُدْرِكَ الأرض" أو "لَا الأرض يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الشَّمْسُ"؟! وكذلك نجد في (الأنبياء 33) أن لفظ "القمر" جاء معطوفاً علي "الشمس". وهذه ليست المرة الوحيدة، فلقد جاء لفظ "القمر" معطوفاً على "الشمس" أكثر من 15 مرة في القرآن بينما لم يأتِ ولا مرة واحدة معطوفاً على "الأرض"! أليس هذا شيئاً غريباً أيضاً؟! فالقمر ما هو إلا تابع للأرض. إذن: كما لم يقل القرآنُ إن الأرض تدور حول الشمس، لم يقل أيضاً إن القمر تابع للأرض! فلو كان القرآن كلام الله كما يتوهَّم أحباؤنا المسلمون المخدوعون، لكان ينبغي أن يقول في (الأنبياء 33): "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الشَّمْسَ وَالأرضَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"؛ بل كان من الأفضل أن يقول: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الشَّمْسَ وَالكواكب وأقمارها كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" لأن المجموعة الشمسية بها كواكب أخرى وأقمار أخرى كثيرة؛ أو أن يقول: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الكواكب وأقمارها كُلٌّ فِي فَلَكٍ يدورون حول الشمس". والأفضل من كل ذلك أن يعطي شكلاً (figure) يوضح حركة الأقمار والكواكب في المجموعة الشمسية. فهل "كلام" الله يجب أن يكون كلاماً فقط؟! لا، ممكن أيضاً يكون فيه أشكال (figures) أو جداول (tables) أو رسومات بيانية (charts) إذا ستهدي الناس إلى الحق.

من كل ما سبق نستنتج أن القرآن كلام بشر 100% لم يكونوا على دراية بالحقائق الكونية البسيطة مثل دوران الأرض حول نفسها حول الشمس أو أن القمر تابع للأرض.

وكالعادة، عدم دراية أصحاب القرآن بأبسط الحقائق الكونية أدى إلى تخبط المفسرين المسلمين ووقوعهم في أخطاء كبيرة لو كتبها طالبٌ في امتحان مادة العلوم لرسب يقيناً في الامتحان. وكالعادة أيضاً، الغلطة ليست غلطة المفسرين المسلمين، وإنما المشكلة هي أن القرآن لم يذكر الآيات بأسلوب كامل وصحيح وواضح، فكانت النتيجة المؤسفة هي أن كل مفسر سرح بخياله كيفما يشاء. وحرصاً على عدم الإطالة، فسنكتفي بثلاثة أمثلة فقط من تلك الآيات وتفاسيرها المضحكة المبكية ...

المثال الأول: "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا" (الإسراء 12). السؤال: ما هي "آيَةَ اللَّيْلِ"؟! وما معنى "فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ"؟! ولماذا أصلاً يمحو اللهُ آيَةَ اللَّيْلِ؟!

- "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ الْقَمَرُ يُضِيءُ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ آيَةُ اللَّيْلِ، وَالشَّمْسُ آيَةُ النَّهَارِ، "فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ" السَّوَادُ الَّذِي فِي الْقَمَرِ. [...] عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ" قَالَ: الشَّمْسُ آيَةُ النَّهَارِ، وَالْقَمَرُ آيَةُ اللَّيْلِ، "فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ" قَالَ: السَّوَادُ الَّذِي فِي الْقَمَرِ، وَكَذَلِكَ خَلَقَهُ اللَّهُ"[1773]!
- "وَقَدْ رَوَى أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ جَيِّدَةٍ: أَنَّ ابْنَ الْكَوَّاءِ سَأَلَ [أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ] عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هَذِهِ اللَّطْخَةُ الَّتِي فِي الْقَمَرِ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ! أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟

"فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ" فَهَذِهِ مَحْوُهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: "فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ" كُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّ مَحْوَ آيَةِ اللَّيْلِ سَوَادُ الْقَمَرِ الَّذِي فِيهِ"[1774]!

- "وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَمَرَّ جَنَاحَهُ عَلَى وَجْهِ الْقَمَرِ فَطَمَسَ عَنْهُ الضَّوْءَ، وَكَانَ كَالشَّمْسِ فِي النُّورِ، وَالسَّوَادُ الَّذِي يُرَى فِي الْقَمَرِ مِنْ أَثَرِ الْمَحْوِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَعَلَ اللَّهُ الشَّمْسَ سَبْعِينَ جُزْءًا وَالْقَمَرَ سَبْعِينَ جُزْءًا، فَمَحَا مِنْ نُورِ الْقَمَرِ تِسْعَةً وَسِتِّينَ جُزْءًا فَجَعَلَهُ مَعَ نُورِ الشَّمْسِ، فَالشَّمْسُ عَلَى مِائَةٍ وَتِسْعٍ وَثَلَاثِينَ جُزْءًا، وَالْقَمَرُ عَلَى جُزْءٍ وَاحِدٍ. وَعَنْهُ أَيْضًا: خَلَقَ اللَّهُ شَمْسَيْنِ مِنْ نُورِ عَرْشِهِ، فَجَعَلَ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنْ يَكُونَ شَمْسًا مِثْلَ الدُّنْيَا عَلَى قَدْرِهَا مَا بَيْنَ مَشَارِقِهَا إِلَى مَغَارِبِهَا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ دُونَ الشَّمْسِ، فَأَرْسَلَ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَمَرَّ جَنَاحَهُ عَلَى وَجْهِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ شَمْسٌ - فَطُمِسَ ضَوْؤُهُ وَبَقِيَ نُورُهُ؛ فَالسَّوَادُ الَّذِي تَرَوْنَهُ فِي الْقَمَرِ أَثَرُ الْمَحْوِ، وَلَوْ تَرَكَهُ شَمْسًا لَمْ يُعْرَفِ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ. ذَكَرَ عَنْهُ الْأَوَّلَ الثَّعْلَبِيُّ وَالثَّانِي الْمَهْدَوِيُّ، وَسَيَأْتِي مَرْفُوعًا. وَقَالَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَتَادَةُ: يُرِيدُ بِالْمَحْوِ اللَّطْخَةَ السَّوْدَاءَ الَّتِي فِي الْقَمَرِ، لِيَكُونَ ضَوْءُ الْقَمَرِ أَقَلَّ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ، فَيَتَمَيَّزُ بِهِ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ"[1775]!

تعليقنا: الرقم 70 المذكور في التفسير السابق والمنسوب إلى ابن عباس: "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَعَلَ اللَّهُ الشَّمْسَ سَبْعِينَ جُزْءًا وَالْقَمَرَ سَبْعِينَ جُزْءًا، فَمَحَا مِنْ نُورِ الْقَمَرِ تِسْعَةً وَسِتِّينَ جُزْءًا فَجَعَلَهُ مَعَ نُورِ الشَّمْسِ، فَالشَّمْسُ عَلَى مِائَةٍ وَتِسْعٍ وَثَلَاثِينَ جُزْءًا، وَالْقَمَرُ عَلَى جُزْءٍ وَاحِدٍ"، هو مجرد تطور بشري طبيعي ومبالغة لِمَا سمعه ابْنُ عَبَّاسٍ (أو غيره) بطريق مباشر أو غير مباشر عن "مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) الذي يُسمَّى أيضاً كتاب أخنوخ الأول (1 Enoch) والذي يذكر الرقم 7 في سياق المقارنة بين الشمس والقمر: "هذان هُمَا النيّران العظيمان، ومدارهما يشبه مدار السماء، وقرصهما متساوي القياس. أضيفت على قرص الشمس سَبع (seven) حصص من نور، في مقابلة مع القمر. وقيس (نور القمر) ليبلغ سُبع (seventh) نور الشمس" (1 أخنوخ 3:78-4)[1776]. اقرأ أيضاً (1 أخنوخ 35:72 – 3:73). علماً بأن الرقم 7 في مصحف أخنوخ – الذي حوَّله ابْنُ عَبَّاسٍ (أو غيره) إلى 70 في تفسير مصحف محمد – مستوحى أصلاً من سفر إشعياء: "وَيَكُونُ نُورُ الْقَمَرِ كَنُورِ الشَّمْسِ، وَنُورُ الشَّمْسِ يَكُونُ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ كَنُورِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ (أي: سَيَكُونُ نُورُ القَمَرِ كَنُورِ الشَّمْسِ، وَنُورُ الشَّمْسِ سَيَتَضَاعَفُ سَبْعَ مَرَّاتٍ كَمَا لَوْ كَانَ نُورَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مَعًا في يومٍ واحد)، فِي يَوْمٍ يَجْبُرُ الرَّبُّ كَسْرَ شَعْبِهِ وَيَشْفِي رَضَّ ضَرْبِهِ" (إشعياء 26:30)[1777].

ويجب هنا أن نقول إن مصحف أخنوخ – الذي يُسمَّى أيضاً بأسماء أخرى أشهرها "النسخة الحبشية (الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch) – يضم مجموعة ضخمة من التقاليد والكتابات التي دُوِّنت بين القرن الثاني ق.م. وبداية القرن الأول المسيحي. إنه واحد مِن أهم وأشهر وأضخم كُتب سوديبِجرافا العهد القديم، ويُعتقَد أنه دُوِّن في الأصل باللغة الآرامية بدليل وجود أجزاء منه مكتوبة بالآرامية ضمن مخطوطات البحر الميت، ثم نُقِل إلى اللغة اليونانية، ومِن اليونانية انتقل إلى الحبشية (الأثيوبية) على يد

العلماء السريان، وهذا كله يدل على انتشاره الواسع في الشرق الأوسط القديم قبل الإسلام. وتعترف به الكنيسةُ الحبشية ككتاب قانوني[1778]؛ ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس. فنستطيع إذن أن نقول إن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) فى أوائل القرن السابع الميلادى قد سمعوا عن هذا السفر المهم (1 أخنوخ) وعرفوا محتواه وربما ظنوا أنه مُوحَى به مِن الله.

أما السبب الحقيقي وراء وجود آية قرآنية في سورة الإسراء (التي تُسمَّى أيضاً: سورة بني إسرائيل) تقول "فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ (أي: القمرَ)" (الإسراء 12) هو تأثر أصحاب القرآن بالتوراة وبالتراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة. فإذا رجعنا مرة أخرى إلى التوراة سنجدها تقول: "فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ (أي: الشَّمْسَ لِتُضِيءَ نَهَاراً)، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ (أي: وَالْقَمَرَ لِيُنِيرَ لَيْلاً)" (التكوين 16:1). فنلاحظ أن هذه الآية التوراتية تبدأ بوصف الشمس والقمر بـ "النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ" لكنها تنتهي بوصف القمر بـ "النُّورَ الأَصْغَرَ"! فكيف يكون القمر "نور عظيم" مثل الشمس وفي الوقت نفسه "أصغر" من الشمس؟! هذا السؤال حيَّر المفسرين اليهود؛ وهو سؤال محيِّر فعلاً. وكالعادة، توجد عدة إجابات وتبريرات مختلفة ...

أحد هذه التبريرات هو ما جاء في مصحف أخنوخ والذي أشرنا إليه منذ قليل، ومفاده أن الشمس والقمر لهما نفس الحجم، لكن نور الشمس أكبر من نور القمر سَبْع مَرَّاتٍ. أي أن الشمس والقمر "عظيمان" في حجمهما، لكن نور القمر "أصغر" من نور الشمس، فهو فقط سُبع نور الشمس. **[⟵ "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ (أي: فَمَحَوْنَا القمرَ) وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً" (الإسراء 12)]!**

ويوجد تبرير آخر يقول إن القمر كان كبيراً مثل الشمس لكنه ارتكب خطيئةً، فعاقبه اللهُ وجعله صغيراً! **[⟵ "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ (أي: فَمَحَوْنَا القمرَ) وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً" (الإسراء 12)]!** نجد هذه الأسطورة في رؤيا باروك اليونانية (Greek Apocalypse of Baruch) الذي يُسمَّى أيضاً سفر باروخ الثالث (3 Baruch) وهو أحد كتب سوديبِجرافا العهد القديم ويرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والثالث بعد الميلاد على الأرجح، أي: قبل الإسلام بأكثر من 300 سنة. يتحدث هذا السفر السوديبِجرافي الخرافي عن رحلة صعود (معراج) قام بها باروك إلى السماء في صحبة ملاك. فقال الملاكُ لباروك: "إسمع يا باروك، (القمر) الذي رأيته قد صوّره اللهُ بجمالٍ لا مثيل له. وساعة عصيان الإنسان الأول (أي: سقوط آدم)، تعلّق بسمائيل (Samael) (أي: كان القمرُ قريباً من الشيطان؛ يقصد: أعطى القمرُ نوراً للشيطان) حين أخذ الحيّة لباساً. هو (= القمر) ما اختبأ فقط، بل كبُر. فغضب اللهُ عليه، وضغطه، وقصّر أيامه" (3 باروخ 9:6-7)[1779]. **[⟵ "فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ (أي: فَمَحَوْنَا القمرَ)" (الإسراء 12)]**. وطبعاً توجد أساطير أخرى تذكر خطيئةً أخرى ارتكبها القمر[1780]، لكنها تنتهي بنفس النهاية وهي أن الله عاقب القمرَ **[⟵ وكذلك جعل أصحابُ القرآنِ الفاعلَ هو الله: "فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ (أي: فَمَحَوْنَا القمرَ)" (الإسراء 12)!]**. وهذا دليل يؤكد ما نقوله دائماً إن أصحاب القرآن قد تأثروا بالتراث اليهودي-المسيحي الشرقي (الذي يُسمَّى أيضاً: الإسرائيليات). فلولا الإسرائيليات لمَا استطاع العربُ تأليف القرآن. فإذا أردنا أن نفهم القرآنَ

فهماً صحيحاً (أي: الفهم الذي كان يدور في أذهان أصحاب القرآن أثناء تأليف القرآن)، يجب علينا أن نرجع إلى مصادره الأصلية وأهمها وعلى رأسها: كتب التراث اليهودي-المسيحي الشرقي (الإسرائيليات).

المثال الثاني: "ق" (ق 1)!

- قال تفسيرُ القرطبي: "واخْتُلِفَ فِي مَعْنَى "ق" مَا هُوَ؟ فَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَعِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ: هُوَ جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالْأَرْضِ مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ اخْضَرَّتِ السَّمَاءُ مِنْهُ، وَعَلَيْهِ طَرَفَا السَّمَاءِ وَالسَّمَاءُ عَلَيْهِ مَقْبِيَّةٌ، وَمَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ زُمُرُّدٍ كَانَ مِمَّا تَسَاقَطَ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ. وَرَوَاهُ أَبُو الْجَوْزَاءِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ الْفَرَّاءُ: كَانَ يَجِبُ عَلَى هَذَا أَنْ يَظْهَرَ الْإِعْرَابُ فِي "ق"؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ وَلَيْسَ بِهِجَاءٍ. قَالَ: وَلَعَلَّ الْقَافَ وَحْدَهَا ذُكِرَتْ مِنِ اسْمِهِ؛ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: "قُلْتُ لَهَا قِفِي فَقَالَتْ قَافْ" أَيْ: أَنَا وَاقِفَةٌ. وَهَذَا وَجْهٌ حَسَنٌ. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَوَّلَ الْبَقَرَةِ. وَقَالَ وَهْبٌ: أَشْرَفَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَلَى جَبَلِ قَافٍ، فَرَأَى تَحْتَهُ جِبَالًا صِغَارًا، فَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا قَافٌ، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الْجِبَالُ حَوْلَكَ؟ قَالَ: هِيَ عُرُوقِي، وَمَا مِنْ مَدِينَةٍ إِلَّا وَفِيهَا عِرْقٌ مِنْ عُرُوقِي، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُزَلْزِلَ مَدِينَةً، أَمَرَنِي فَحَرَّكْتُ عِرْقِي ذَلِكَ، فَتَزَلْزَلَتْ تِلْكَ الْأَرْضُ؛ [...]. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: قَوْلُهُ "ق" أَيْ: قُضِيَ الْأَمْرُ، كَمَا قِيلَ فِي "حم" أَيْ: حُمَّ الْأَمْرُ. [...]. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: مَعْنَاهُ قِفْ عِنْدَ أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا وَلَا تَعْدُهُمَا. [...]"[1781]!

- وقال تفسيرُ ابن كثير: ""ق": حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاءِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ، كَقَوْلِهِ: (ص، ن، الم، حم، طس) وَنَحْوِ ذَلِكَ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ. [...]. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُمْ قَالُو: "ق": جَبَلٌ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ، يُقَالُ لَهُ جَبَلُ قَافٍ. وَكَأَنَّ هَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ خُرَافَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَخَذَهَا عَنْهُمْ بَعْضُ النَّاسِ، لَمَّا رَأَى مِنْ جَوَازِ الرِّوَايَةِ عَنْهُمْ فِيمَا لَا يُصَدَّقُ وَلَا يُكَذَّبُ. وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا وَأَمْثَالَهُ وَأَشْبَاهَهُ مِنَ اخْتِلَاقِ بَعْضِ زَنَادِقَتِهِمْ، يُلَبِّسُونَ بِهِ عَلَى النَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ، كَمَا افْتُرِيَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ - مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِ عُلَمَائِهَا وَحُفَّاظِهَا وَأَئِمَّتِهَا - أَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قِدَمٍ، فَكَيْفَ بِأُمَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ طُولِ الْمَدَى، وَقِلَّةِ الْحُفَّاظِ النُّقَّادِ فِيهِمْ، وَشُرْبِهِمُ الْخُمُورَ، وَتَحْرِيفِ عُلَمَائِهِمُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَتَبْدِيلِ كُتُبِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ! وَإِنَّمَا أَبَاحَ الشَّارِعُ الرِّوَايَةَ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: "وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ" فِيمَا قَدْ يُجَوِّزُهُ الْعَقْلُ، فَأَمَّا فِيمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ وَيُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْبُطْلَانِ، وَيَغْلِبُ عَلَى الظُّنُونِ كَذِبُهُ، فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[1782]!

تعليقنا: طبعاً نحن نتفق تماماً مع ابن كثير في أن المفسرين المسلمين لجأوا إلى "خُرَافَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الإسرائيليات؛ التراث اليهودي-المسيحي الشرقي) من أجل تفسير القرآن. لكن السؤال: لماذا لجأ المفسرون المسلمون إلى الإسرائيليات ولم يلجأوا إلى مصادر أخرى كـ "البوذيات" أو "الهندوسيات" مثلاً؟! والإجابة: لأن أصحاب القرآن أخذوا من الإسرائيليات، ولم يأخذوا من البوذيات والهندوسيات إلا فيما ندر، ولذلك لجأ المفسرون المسلمون إلى المصدر الأصلي (الإسرائيليات) من أجل تفسير تطوره البشري الطبيعي (القرآن).

بعبارة أخرى: أخذ أصحابُ القرآن أفكاراً كثيرة من الإسرائيليات، لكنهم اختصروها وحذفوا كثيراً من التفاصيل، فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هي رجوع المفسرين المسلمين إلى هذه الإسرائيليات من أجل الحصول على هذه التفاصيل المحذوفة ومن ثم ملأ الفراغات التي تركها أصحابُ القرآن. علماً بأن الإسرائيليات التي اعتمد عليها أصحابُ القرآن هي بدورها مجرد تطور بشري طبيعي لتراث الشرق الأوسط القديم بصفة عامة كما وضَّحنا فيما سبق.

المثال الثالث: "وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ (أي: ننزع؛ نَفْصِل) مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ" (يس 37).

- "يَقُولُ تَعَالَى: وَمِنَ الدَّلَالَةِ لَهُمْ عَلَى قُدْرَتِهِ - تَعَالَى - الْعَظِيمَةِ خَلْقُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، هَذَا بِظَلَامِهِ وَهَذَا بِضِيَائِهِ، وَجَعَلُهُمَا يَتَعَاقَبَانِ، يَجِيءُ هَذَا فَيَذْهَبُ هَذَا، وَيَذْهَبُ هَذَا فَيَجِيءُ هَذَا، كَمَا قَالَ: "يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا" (الْأَعْرَافِ 54). وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ هَاهُنَا: "وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ"، أَيْ: نَصْرِمُهُ مِنْهُ فَيَذْهَبُ، فَيَقْبَلُ اللَّيْلُ، وَلِهَذَا قَالَ: "فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ"[(1783)]!
- "وَالسَّلْخُ: الْكَشْطُ وَالنَّزْعُ، يُقَالُ: سَلَخَهُ اللَّهُ مِنْ دِينِهِ، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْإِخْرَاجِ. وَقَدْ جَعَلَ ذَهَابَ الضَّوْءِ وَمَجِيءَ الظُّلْمَةِ كَالسَّلْخِ مِنَ الشَّيْءِ وَظُهُورِ الْمَسْلُوخِ، فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ. وَ "مُظْلِمُونَ" دَاخِلُونَ فِي الظَّلَامِ؛ يُقَالُ: أَظْلَمْنَا، أَيْ: دَخَلْنَا فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ، وَأَظْهَرْنَا: دَخَلْنَا فِي وَقْتِ الظُّهْرِ، وَكَذَلِكَ أَصْبَحْنَا وَأَضْحَيْنَا وَأَمْسَيْنَا. وَقِيلَ: "مِنْهُ" بِمَعْنَى: عَنْهُ، وَالْمَعْنَى: نَسْلَخُ عَنْهُ ضِيَاءَ النَّهَارِ. "فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ" أَيْ: فِي ظُلْمَةٍ؛ لِأَنَّ ضَوْءَ النَّهَارِ يَتَدَاخَلُ فِي الْهَوَاءِ فَيُضِيءُ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْهُ أَظْلَمَ"[(1784)]!

تعليقنا: السؤال: هل الظلام يأتي لأن الله "يَسْلَخُ النَّهَارَ مِنْ اللَّيْل" كما يقول القرآن العربي (يس 37)؟! أَم لأننا نعيش في الجزء من الأرض الذي لا يواجه الشمس كما يقول العلم الحديث؟

الخلاصة: لم يكن أصحابُ القرآن على دراية بالحقائق الكونية البسيطة. ولا يوجد أي إعجاز علمي في القرآن. وإنما يوجد عجز علمي يؤكد أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله. وسبب وجود "الإسرائيليات" في كتب تفاسير القرآن وكتب الأحاديث هو أن الإسرائيليات موجودة في القرآن نفسه. أو بعبارة أكثر دقة: القرآن العربي هو مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للتراث اليهودي-المسيحي الشرقي (الإسرائيليات)، بل مجرد تطور بشري طبيعي لتراث الشرق الأوسط القديم بصفة عامة.

3.3 السَّمَاوَات وَالْأَرْض كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ!

كما رأينا فيما سبق، جاءت السَّمَاوَات وَالْأَرْض (أو: السَّمَاء وَالْأَرْض) في نفس الآية في القرآن كثيراً جداً، أكثر من 200 مرة! على سبيل المثال: "السَّمَاوَات وَالْأَرْض" (أكثر من 130 مرة!)، "السَّمَاء وَالْأَرْض" (15 مرة)، "مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" (أكثر من 25 مرة)، "مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ" (4 مرات)، "السَّمَاوَات [...] الْأَرْض" (مثل: (الإسراء 44) (مريم 90))، "الْأَرْض [...] السَّمَاوَات" (مثل: (فاطر 40) (الأحقاف 4))، "السَّمَاء [...] الْأَرْض" (مثل: (يونس 24) (الكهف 45))، "الْأَرْض [...] السَّمَاء" (مثل: (البقرة 22) (آل عمران 5))!

فما سر هذا الارتباط الوثيق والاتصال العجيب بين السماوات والأرض؟! على الرغم من أن الأرض مجرد نقطة صغيرة في هذا الكون الواسع – بل مجرد حشرة صغيرة في فضاء السماوات!

من حُسْن الحظ أن الإجابة موجودة في القرآن: "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ [قبل خَلْقهما] كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" (الأنبياء 30)، وتحديداً في قوله "السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا". فما معنى أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قبل خَلْقهما "كَانَتَا رَتْقًا"؟ وما معنى "فَفَتَقْنَاهُمَا"؟ كالعادة، علينا أن نذهب إلى تفاسير القرآن. لكن كالعادة أيضاً: "اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى وَصْفِ اللهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالرَّتْقِ وَكَيْفَ كَانَ الرَّتْقُ، وَبِأَيِّ مَعْنًى فُتِقَ؟"[1785]!

يوجد تفسيران رئيسيان[1786]:

التفسير الأول: السَّمَاوَات وَالْأَرْض كَانَتَا شَيْئًا وَاحِدًا مُلْتَصِقَتَيْنِ مُلْتَزِقَتَيْنِ بَعْضهَا عَلَى بَعْض فَفَصَلَ اللَّه بَيْنهمَا بِالْهَوَاءِ، فَرَفَعَ السَّمَاء وَوَضَعَ الْأَرْض.

التفسير الثاني (أ): لَمْ تَكُنْ الْأَرْض وَالسَّمَاء مُتَمَاسَّتَيْنِ. بَلْ السَّمَاوَات كَانَتْ مُرْتَتِقَة طَبَقَة وَاحِدَة، فَفَتَقَهَا اللَّه فَجَعَلَهَا سَبْع سَمَاوَات بَعْضهنَّ فَوْق بَعْض. وَكَذَلِكَ الْأَرْض كَانَتْ كَذَلِكَ مُرْتَتِقَة طَبَقَة وَاحِدَة، فَفَتَقَهَا اللَّه فَجَعَلَهَا سَبْع أَرَضِينَ بَعْضهنَّ تَحْت بَعْض.

التفسير الثاني (ب): السَّمَاوَات كَانَتْ رَتْقًا لَا تُمْطِر وَلَا يَخْرُج مِنْهَا شَيْء، وَالْأَرْض كَذَلِكَ رَتْقًا لَا تُنْبِت وَلَا يَخْرُج مِنْهَا شَيْء، فَفَتَقَ اللَّهُ السَّمَاءَ بِالْمَطَر وَفَتَقَ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ. وَاخْتَارَ الطَّبَرِيُّ هَذَا التفسير، لِأَنَّ تكملة (الأنبياء 30) تقول: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ".

حاول ابنُ كثير أن يجمع بين هذين التفسيرين في تفسيرٍ واحد، فقال: "أَلَمْ يَرَوْا "أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا" أَيْ: كَانَ الْجَمِيعُ مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ مُتَلَاصِقٌ مُتَرَاكِمٌ، بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْر، فَفَتَقَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ. فَجَعَلَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، وَالْأَرْضَ سَبْعًا، وَفَصَلَ بَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا وَالْأَرْض بِالْهَوَاءِ، فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَنْبَتَتِ الْأَرْضُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"، أَيْ: وَهُمْ يُشَاهِدُونَ الْمَخْلُوقَاتِ تَحْدُثُ شَيْئًا فَشَيْئًا عِيَانًا، وَذَلِكَ كُلّه دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَار الْقَادِرِ عَلَى مَا

يَشَاءُ"[1787]. وفي العصر الحديث، ذكر الشيخ المصري الشعراوي التفسيرين وعلَّق عليهما قائلاً: "المهم أن القولين لا يمنع أحدُهما الآخرَ"[1788].

وعلى الرغم من اعترافنا بأن التفسيرين ليسا بالضرورة متعارضين متناقضين، فيمكن الجمع بينهما في تفسيرٍ واحد، إلا أننا نؤيد التفسيرَ الأول لعدة أسباب أهمهما ما يلي:

أولاً: فكرة خلق سبع سماوات و/أو سبع أرضين مذكورة في القرآن في مواضع أخرى بكلمات أكثر تحديداً مع ذكر العدد "سبع" بوضوح كما شرحنا فيما سبق. لكن في (الأنبياء 30) لم يأتِ ذكرُ العدد "سبع"، فالموضوع هنا ليس إذن الحديث عن سبع سماوات و/أو سبع أرضين كما يقول مؤيدو التفسير الثاني (أ).

ثانياً: فكرة شق السماء بالمطر و/أو شق الأرض بالنبات مذكورة في القرآن في مواضع أخرى بكلمات أكثر تحديداً ووضوحاً أيضاً، مثل (عبس 24-32) (الطارق 11-12) (يونس 24) (النحل 65) (طه 53) (الحج 63) (فاطر 27) (الزمر 21) (ق 9) وغيرها. ولذلك من الصعب أن نصدق أن التفسير الثاني (ب) هو التفسير الصحيح لـ (الأنبياء 30)!

ثالثاً: لغوياً: كلمة "رَتْقًا" (الأنبياء 30) مفردة. فلو كانت السماء مُرْتَتِقَة على حدة والأرض مُرْتَتِقَة على حدة، وأنهما لم يكونا أبداً ملتصقتين – كما يقول مؤيدو التفسير الثاني – لمَا استخدم القرآنُ كلمةَ "رَتْقًا" (الأنبياء 30) مفردة. إذن: نعتقد أن استخدام كلمة "رَتْقًا" (الأنبياء 30) مفردة كما جاء في القرآن دليل قوي على أن القرآن يريد أن يقول إن السماء والأرض كانتا بالفعل ملتصقتين ملتحمتين في كيانٍ واحدٍ وإن الفتق "فَفَتَقْنَاهُمَا" ما هو إلا فصل بين السماوات والأرض كما يقول مؤيدو التفسير الأول.

وإذا قيل: لكن كلمة "السَّمَاوَات" (الأنبياء 30) جاءت جمع. فسنقول: هذا صحيح، لكنه لا يغير من الأمر شيئاً، فلقد قال الشيخ الشعراوي إن "الله سبحانه وتعالى نظر إلى السماء كنوع والأرض كنوع، فالمراد هنا السماوية والأرضية وَهُمَا مُثنَّى"[1789]. وهذه ليست المرة الوحيدة التي جاء فيه المُثنَّى بعد عبارة "السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ"؛ فهناك أيضاً: "السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا" التي تكررت 17 مرة! وكذلك: "إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" (فاطر 41). ثم إن القرآن يذكر "السماوات" أحياناً بنفس معنى "السماء" مثل:

"سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" (الحديد 21)

"وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ" (آل عمران 133).

رابعاً: بحثنا في ترجمات كثيرة لمعاني القرآن، ووجدنا أن الترجمة السائدة لـ (الأنبياء 30) تؤيد التفسير الأول، بل كلها تقريباً تؤيد التفسير الأول لـ (الأنبياء 30). انظر الجدول التالي:

جدول 5 – ترجمات "السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا" (الأنبياء 30)

المرجع	الترجمة
|منتخب-ن|:682	the heavens and the earth! Both were one mass and We split them asunder
|فهد-ن|:431-432	the heavens and the earth were joined together as one united piece, then We parted them
|منتخب-ف|:485	les cieux et la terre étaient, à l'origine de leur création, soudés, et que, par Notre pouvoir, Nous les avons séparés
|فهد-ف|:488	les cieux et la terre formaient à l'origine une masse unique, et que Nous les avons par la suite séparés
|AYA|:801	the heavens and the earth were joined together (as one unit of creation), before we clove them asunder
|Pickthall|:422	the heavens and the earth were of one piece, then We parted them
|GR-AQ|:508	the heavens and the earth were interwoven and We unravelled them
|Arberry|:2\19	the heavens and the earth were a mass all sewn up, and then We unstitched them
|Dawood|:217	the heavens and the earth were but one solid mass which We tore asunder
|Bell|:1\307	the heavens and the earth were a cohering mass, and We slit them apart
|Haleem|:325	the heavens and the earth used to be joined together and that We ripped them apart
|Fakhry|:323	the heavens and the earth were a solid mass, then We separated them
|Nasr|:815	the heavens and the earth were sewn together and We rent them asunder
|Unal|:663	the heavens and the earth were at first one piece, and then We parted them as separate entities

|Ghali|:324	the heavens and the earth were an integrated (mass), then We unseamed them
|Kaskas|:221	the heavens and the earth were one mass, before We separated them
|زينب|:324	les Cieux et la terre étaient soudés, tous deux, et que Nous les Séparâmes
|Bakhtiar|:375	the heavens and the earth had been interwoven and We unstitched them
|Aldeeb|:327	les cieux et la terre étaient soudés, qu'ensuite nous les avons fendus

كما قالت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)[1790]:

The heavens and earth were [...] formed from an integrated disk-shaped mass which had to be split ([أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا (الأنبياء 30)])

أما السبب الأخير فيقودنا إلى دراسة جذور القرآن في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وفي التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) ...

3.3.1 جذور القرآن في الكتاب المقدس بعهديه وفي التراث المسيحي السرياني

التفسير الأول لـ(الأنبياء 30) الذي يقول إن الله فَصَلَ بين السماوات والأرض يردد ما جاء في أول صفحة من التوراة في نفس الإصحاح (التكوين 1) الذي يقول إن الله خَلَقَ الكونَ في ستة أيام.

اليومين الثاني والثالث في أيام الخلق الستة. **(التكوين 1):** {6} وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ (أو: قُبَّةٌ؛ dome) فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ». {7} فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَصَلَ (separated) بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ (أي: الْمِيَاهُ التي سوف تصير بعد ذلك مياه البحار والأنهار والينابيع والمياه الجوفية) وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ (أي: المياه العليا؛ المياه التي فوق السماء التي يُنْزِل اللهُ منها المطر!). وَكَانَ كَذلِكَ. {8} وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً (أي: القُبّة السماوية؛ القُبّة الزَّرْقاء؛ الهواء؛ الغلاف الجوي). وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا. {9} وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذلِكَ. {10} وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. **[← "السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ [قبل خَلْقهما] كَانَتَا رَتْقًا (أي: ملتصقتين؛ شَيْئًا وَاحِدًا) فَفَتَقْنَاهُمَا (أي: ففصلناهما)" (الأنبياء 30)]** {11} وَقَالَ اللهُ:

«لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزِرُ بِزْرًا (أي: نَبَاتَاتٍ ذَاتَ بُذُورٍ)، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ. {12} فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزِرُ بِزْرًا كَجِنْسِهِ، وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ (أي: بدأت الحياةُ للمرة الأولى في الكون). **[← "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" (الأنبياء 30)]** وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. {13} وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا.

وتوجد آيات في العهد الجديد تشير إلى الآيات التوراتية السابقة. اقرأ مثلاً **(2 بطرس 3):** {5} لأَنَّ هذَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ (أي: يَتَنَاسى المكذِّبون المستهزئون عَمْداً) **[← "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا" (الأنبياء 30)]**: أَنَّ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ الْقَدِيمِ، وَالأَرْضَ **[← "أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا" (الأنبياء 30)]** بِكَلِمَةِ اللهِ قَائِمَةً (باليونانية: synestōsa) (having stood together) **[← "كَانَتَا رَتْقًا" (أي: كتلة واحدة معاً)" (الأنبياء 30)]** مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ[1791] **[← "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" (الأنبياء 30)]**! يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "فالله كوَّن الأرض بالماء وبواسطة الماء، إذ إنَّ الأرض خرجت وظهرت من تحت الماء الذي كان يغمرها (التكوين 1: 7، 9)"[1792].

كل هذه الأدلة – وبخاصة إذا أضفنا اليها موضوع خَلْق الكون في ستة أيام الذي ذكرناه سابقاً – تؤكد تأثر القرآن الواضح بأول إصحاح من أول سفر في التوراة (التكوين 1)، وأن المقصود في (الأنبياء 30) هو ما جاء في التفسير الأول وليس الثاني.

ثم في القرن الرابع الميلادي، جاء القديس المسيحي "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) - الذي نعتبره واحداً من الآباء الروحيين لأصحاب القرآن - وقال في الفصل الأول مِن تعليقه الشهير على سفر التكوين (Commentary on Genesis 1.9-10) وهو يفسر (التكوين 1)[1793]:

> Just as the sun, which rules the day by the fact that *it gives light to the earth*, actually causes the fruits of the earth to ripen, so too does the moon, which rules the night and tempers the strength of the night by its brightness, also bring forth […] fruits and vegetation. […].
>
> Thus, through light and water the earth brought forth everything. […].

أي: بواسطة النور والماء أنبتت الأرضُ كُلَّ شَيْءٍ. **[← عمم أصحابُ القرآن الفكرةَ لتشمل كل الكائنات الحية "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" (الأنبياء 30) أي النباتَ والحيوانَ والإنسانَ، وقالوا في سورة النور: "وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ [كالحيَّات ونحوها] وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ [كالإنسان] وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ [كالبهائم ونحوها]" (النور 45)]**.

ولذلك نحن نتفق تماماً مع ما قاله العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) عن تأثير الكتاب المقدس والتراث المسيحي السرياني على القرآن "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" (الأنبياء 30)[1794]:

[الأنبياء 30] Here the Qurʾānic description of creation reflects the imagery of Genesis 1, which begins with a scene of watery chaos, until God begins to divide the waters and, eventually, land from water. The author of 2 Peter ("They deliberately ignore the fact that long ago there were the heavens and the earth, formed out of water and through water by the Word of God"; 2 Peter 3:5) insists that the heavens and the earth were formed out of water, as does Ephrem in his *Commentary on Genesis* (1:10). On the creation of animals from water, see [النور 45]. On the creation of humans from water, see commentary on [النور 41-45] (with further references).

المثير للدهشة – وللشفقة أيضاً – أن بعض المراجع الإسلامية تعتبر أنه من الإعجاز العلمي في القرآن أنه أنبأ عن الأصل الواحد للسماوات والأرض وكيف تم الفصل بينهما! مثلاً: يقول تفسيرُ المنتخب الذي أصدره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: ""أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" (الأنبياء 30) تقرر هذه الآية معاني علمية أيدتها النظريات الحديثة في تكوين الكواكب والأرض، إذ أن السماوات والأرض كانتا في الأصل متصلة بعضها ببعض على شكل كتلة متماسكة. والحقيقة العلمية التي اتفق عليها هي أن السماوات والأرض كانتا متصلتين، واستدل على ذلك بأدلة علمية عديدة. أما الفتق فمعناه الانفصال، وهو ما قررته الآية الشريفة وأيَّده العلم بعد ذلك. [...] قوله تعالى: "كَانَتَا رَتْقًا" أي مضمومتين ملتحمتين في صورة كتلة واحدة، وهذا آخر ما وصل إليه البحث العلمي في نشأة الكون، وهو أنه قبل أن يأخذ صورته الحالية كان حشداً هائلاً متجمعاً في أبسط صورة لقوى الذرات المتصلة الواقعة تحت ضغط هائل لا يكاد يتصوره العقل، وأن جميع أجرام السماء اليوم ومحتوياتها بما فيها المجموعة الشمسية والأرض كانت مكدسة تكديساً شديداً في كرة لا يزيد نصف قطرها على ثلاثة ملايين من الأميال. وقوله تعالى: "فَفَتَقْنَاهُمَا" إشارة لما حدث لذلك السائل النووي الأولي من انفجار عظيم انتشرت بسببه مادة الكون فيما حولها من أجواء، انتهت بتكوين مختلف أجرام السماء المختلفة المنفصلة بما فيها المجموعة الشمسية والأرض"[1795]! وقال د. صلاح الخالدي نقلاً عن د. زغلول النجار إن المرحلتين الأولى والثانية من خلق السَّمَاوَات وَالْأَرْض "عند علماء الفَلَك هي:

الأولى: مرحلةُ الجُرْمِ الابتدائيِّ الأوَّليِّ، الذي بدأ منه الخَلْق، والتي سمَّاها القرآنُ: الرَّتْق. **الثانية:** مرحلةُ انفجار الجُرْمِ الابتدائيِّ الأوَّليِّ، وبدء تَوَسُّعِ الكون، والتي سمَّاها القرآن: الفَتْق"[1796]!

ونلاحظ هنا أن هذه المراجع الإسلامية تحاول أن تستخدم عبارة "انفجار عظيم" حتى يخدعوا الناس ويُوهِموهم أن القرآن يتفق مع نظرية الانفجار الكبير (Big Bang)؛ مع أن القرآن نفسه لم يقل "انفجار" وإنما قال "فَفَتَقْنَاهُمَا" (الأنبياء 30) أي فصلنا بين السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. ونعتقد أننا أثبتنا خطأ هذه البروباجاندا الإسلامية الكاذبة المضللة. فلقد وضَّحنا في الصفحات السابقة أن إدعاء الفصل بين السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خطأ علمي، لأنه يفترض أن السَّمَاوَات شيء مادي فُصِلَ عن الْأَرْض المادية. بينما يقول العلم الحديث إن السَّمَاوَات فضاء لا نهائي وإن الأرض نقطة صغيرة في هذا الفضاء. وفي جميع الأحوال، وبغض النظر عن مدى الصحة من الناحية العلمية لفكرة الاتصال (الرَّتْق) ثم الانفصال (الفَتْق) ثم التشكيل/الترتيب والملأ (الخلق)، فإنها فكرة قديمة جداً ومذكورة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ومذكورة أيضاً في التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) كما أثبتنا فيما سبق. بل لها جذور أعمق من ذلك في تراث ديانات وحضارات الشرق الأوسط القديم. وهذا ما سنثبته في الصفحات القادمة ...

3.3.2 جذور القرآن في تراث ديانات وحضارات الشرق الأوسط القديم

نبدأ أولاً بالمعتقدات السومرية القديمة! ومرجعنا في هذا المجال هو بالطبع العالِم الأمريكي الكبير (Prof. Samuel Noah Kramer) الذي قال[1797]:

> وبعد أن أدتني تحرياتي في النصوص الأدبية المتيسرة إلى هذه الاستنتاجات صار بإمكاني أن ألخص المعتقدات والتصورات التي كوَّنها السومريون لأنفسهم عن الخلق وأصل الأشياء. فقد فسرت متعقداتهم أصل الكون على الوجه الآتي:
>
> 1 - في البدء كان "البحر الأول" (primeval sea) (Mer primordiale)، ولكن لم يُذْكَر أي شيء عن أصله أو مولده، وليس من المستبعد أن السومريين قد تصوَّروه على أنه وجد منذ الأزل.
>
> 2 - إن هذا "البحر الأول" وَلَدَ (engendered) "الجبل الكوني" (cosmic mountain) (Montagne cosmique) المؤلف من السماء والأرض متحدتين (united) (réunis).
>
> 3 - وبمقتضى تصورهم للآلهة على هيئة البشر، كان الإله "آن" (An) (أي السماء) مذكراً، والإلهة "كي" (Ki) (أي الأرض) كانت الأنثى، ومن اتحاد هذين الالهين وُلِدَ الإلهُ الهواءُ "أنليل" (air-god Enlil).

4 - فَصَلَ (separated) (désunit) الإلهُ الهواءُ "أنليل" السماءَ عن الأرضِ. وإذ كان أبوه الإله "آن" قد اختص بالسماء، فإن "أنليل" أخذ أُمَّه [الإلهةَ] الأرضَ. وهيأ اتحادُ "أنليل" بأُمِّه [الإلهةِ] الأرضِ المسرحَ لتنظيم الكون – أي خَلْق الإنسان والحيوان والنبات وتأسيس المدنية.

وبغض النظر عن المعتقدات الوثنية المليئة بالشرك وتعدد الآلهة عند السومريين، فإن ما يهمنا هو أن السومريين القدماء كانوا يعتقدون أنه فِي إبْتِدَاء الْأَمْر كانت السماءُ وَالْأَرْضُ متحدتين في كيانٍ واحد **[⟵ "السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ [قبل خَلْقهما] كَانَتَا رَتْقًا (أي: ملتصقتين؛ شَيْئًا وَاحِدًا)" (الأنبياء 30)]**! ثم جاء الإلهُ أنليل إلهُ الهواءِ وفَصَلَ السماءَ عن الْأَرْض **[⟵ في القرآن حلَّ اللهُ محلَّ أنليل: "فَفَتَقْنَاهُمَا (أي: ففصلناهما)" (الأنبياء 30)]**. ليس هذا فحسب، بل كان السومريون يؤمنون بشيءٍ اسمه "البحر الأول" (أو: "البحر الأصلي") لأنه هو الذي وَلَدَ (أو: خلق) السماءَ والأرض. وهذا البحر هو نفسه "المحيط الكوني" المشار إليه برقم 10 في الشكل الذي عرضناه فيما سبق (تصوّر الكون عند السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين). لكن لماذا "البحر" (أو: المحيط) بالذات هو الأساس أو الأصل؟ نعتقد أن هذا أمر طبيعي فالبحر (أو: المحيط) يمتلئ بالماء والمجتمع السومري كان مجتمعاً زراعياً، فليس غريباً إذن أن يعتبر الماء أصل الوجود. **[⟵ ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا قال القرآن: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" (الأنبياء 30) "وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ" (النور 45)]**. ولم يقل أحدٌ من السومريين شيئاً عن نشأة هذا البحر الأول أو البحر الأصلي، فمن الممكن جداً أن السومريين كانوا يعتبرون هذا البحر موجود منذ الأزل. **[⟵ ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا قال القرآنُ إن عرش الله – واللهُ هو الموجود منذ الأزل – كان على الماء: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ [قبل خَلْق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]" (هود 7). ويقول حديثٌ صحيح أخرجه البخاري إن محمد قال: "كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ (أي: لم يكن تحته إلا الماء)، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ"[1798]]**.

كما قال العالِمُ الأمريكي الكبير (Prof. Samuel Noah Kramer) أيضاً[1799]:

[...] وميَّزوا (أي: وميَّز السومريون) عنصراً بين السماء والأرض دعوه "لِيل" (*lil*) وهي كلمة أقرب معانيها [الريح] (wind) (الهواء air، النفس breath، الروح spirit). وأبرز ما عرفوا في مادة الهواء من الخصائص هي الحركة والامتداد، ولذلك فإن تلك الكلمة تضاهي بوجه التقريب كلمة "الجو" (atmosphere) التي نستعملها. واعتقدوا في الشمس والقمر والكواكب والنجوم أنها مكونة من نفس مادة "الجو" ولكنها تتميز علاوة على ذلك بصفة الاشراق والاضاءة. ويحيط بالكون أي "السماء-و-الأرض" من جميع الجوانب ومن الأعلى والأسفل البحرُ اللامتناهي، الذي يكون فيه الكون ثابتاً وغير قابل للحركة نوعاً ما.

من هذه الآراء والافتراضات الأساسية المتعلقة بتركيب الكون وتأليفه، والتي كانت تبدو للمفكرين السومريين حقائق واضحة لا نزاع ولا شك فيها، كوَّنوا آراء مطابقة في أصل الوجود والأشياء (they evolved a cosmogony to fit). فأولاً استنتجوا وجود ما يمكن تسميته بـ "البحر الأول" (primeval sea). وهناك من الدلائل المستنتجة ما يشير إلى أنهم رأوا في ذلك "البحر الأول" على أنه "السبب الأول" (first cause) و "المحرك الأول" (prime mover) فلم يسألوا أنفسهم أي شيء كان في الوجود قبل "البحر" في الزمان والمكان. وفي هذا "البحر الأول" تولد (was engendered) الكونُ بوجه ما أي "السماء-و-الأرض"، المكون من قبة السماء (a vaulted heaven) الموضوعة فوق الأرض المنبسطة (a flat earth) والمتصلة بها (united with it). وكان يتخلل ما بين السماء والأرض ويفصل ما بينهما "الجو" المتحرك المتمدد. وتولدت من "الجو" الأجرام النيرة – القمر والشمس والكواكب والنجوم. وأعقب انفصال السماء عن الأرض وخَلْق الأجرام النيرة أن جاءت إلى الوجود الحياة النباتية والحيوانية والبشرية.

فمَن خلق هذا الكون وجعله يجري على مر الأيام والسنين وعلى مر العصور والدهور؟ والجواب على ذلك أن أهل اللاهوت السومريين، منذ أقدم ما تصل إليه سجلاتنا المدونة، افترضوا افتراضاً مُسلَّماً بحقيقته وهو وجود مجموعة من الآلهة (pantheon) قوامها كائنات حية شبيهة في هيئاتها بالإنسان ولكنها فوق الإنسان (superhuman) وخالدة. وهي، وإن كانت لا يمكن رؤيتها بعين الإنسان الفاني، تُسيّر الوجودَ وتسيطر عليه بموجب خطط مضبوطة ونواميس معينة مقررة. واعتقدوا أن كل واحد من هذه الكائنات، الشبيهة بالإنسان (anthropomorphic) ولكنها تتميز عنه بخلودها وأنها فوق الإنسان في القدرة، موكل بجزء خاص من هذا الكون ليسيِّر شئونه بموجب قواعد ونواميس مقدرة. فكان أحد تلك الكائنات مسئولاً عن كل جزء هام من هذا الكون مثل السماء والأرض والبحر والهواء، أو مجموعة الأجرام السماوية الرئيسية والشمس والقمر والكواكب وقوى الجو وعناصره كالرياح والزوابع والعواصف. وفي دائرة الأرض الظواهر الطبيعية كالأنهار والجبال والسهول، ومقومات الحضارة والعمران، كالمدن والدولة والسدود والجداول والحقول والمزارع وحتى الآلات والأدوات مثل الفأس وقالب الآجر والمحراث.

[...]

[...] أهم تقسيم وضعه أهلُ اللاهوت السومريون للمجموعة الالهية هو التمييز بين صنف الآلهة "الخالِقة" (creative gods) وبين الآلهة "غير الخالِقة" (non-creative gods)، وهو تصور وصلوا إليه نتيجة لآرائهم المتعلقة بنظام الكون وأصل الأشياء. فبموجب هذه الآراء كانت العناصر الأساسية التي يتألف منها النظام الكوني هي السماء والأرض والبحر والجو. وإن كل ظاهرة أخرى من ظواهر الكون لا يمكن أن توجد إلا ضمن أحد هذه العناصر الأساسية المؤلفة للكون. فكان من المعقول أن يستنتجوا أن

الآلهة الأربعة المسيطرة على السماء والأرض والبحر والهواء، كانت هي الآلهة الخالِقة التي خَلَقت كُلَّ ظاهرة كونية بموجب خطط ونواميس وُجدت ونشأت مع تلك الآلهة الأربعة.

إذن: مما سبق يتضح أن السومريين كانوا يؤمنون أن أربعة آلهة خالِقة (quatre dieux créateurs) هي التي بدأت عملية خَلْقِ الكون. هذه الآلهة الأربعة هي: السماء والأرض والهواء والبحر (أي: الماء). **[⟵ وهذه الآلهة الأربعة مذكورة جميعاً في نفس سياق (الأنبياء 30)! إلا أن الهواء لم يُذْكَر صراحةً، وإنما ذُكِرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ اللذان كان السومريون يعتقدون أنهما من نفس مادة الهواء: "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" (الأنبياء 30-33)].**

والتشابه الواضح بين ما جاء في القرآن وما جاء قبله بآلاف السنين في المعتقدات السومرية القديمة لا يقف عند المضمون فقط، وإنما يمتد إلى الشكل أيضاً! فلقد قال العالِمُ الكبير (Samuel Noah Kramer) في نفس المرجع إنه كان من عادة الشعراء السومريين بدء قصص الملحمات والأساطير بمقدمة كونية تتحدث عن أصل الكون والأشياء مما لا علاقة مباشرة له بالقطعة الأدبية بوجه عام، وأعطى مثالاً على ذلك من قصيدة سومرية قديمة اسمها جلجامش وأنكيدو وعالم الموتى (أو: جلجامش وأنكيدو والعالم الآخر) (Gilgamesh, Enkidu et les Enfers) (Gilgamesh, Enkidu, and the Netherworld) التي تبدأ مقدمتها بالحديث عن أمور كونية مثل السماء والأرض والإنسان والآلهة[1800]:

بعد أن أُبْعِدَت السماءُ عن الأرض (heaven had been moved away from earth)،
وبعد أن فُصِلَت الأرضُ عن السماء (earth had been separated from heaven)،
وبعد أن عُين اسمُ الإنسان (خلق الإنسان)،
وبعد أن أخذ السماءَ "آن" (إلهُ السماء)،
وبعد أن أخذ الأرضَ "انليل" (إلهُ الهواء).

[⟵ وبعد أن حلَّ اللهُ الواحد محلَّ الآلهة المتعددة، اتبع أصحابُ القرآن نفس الأسلوب الأدبي! وهناك أمثلة من القرآن على ذلك، نذكر من بينها سورة الحديد التي تبدأ بالمقدمة الكونية الآتية: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (الحديد 1-6). كذلك مقدمة سورة سبأ:

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ. يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ" (سبأ 1-2). وفي الواقع، توجد ثماني سور قرآنية تذكر السماوات والأرض في الآية الأولى بالضبط كما ذكرت القصيدة السومرية القديمة السماءَ والأرضَ في مقدمتها. هذه السور هي حسب ترتيب المصحف: الأنعام وسبأ وفاطر والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن. ومما يدل على أهمية تلك السور في التراث الإسلامي أن مِن بينها السور الْمُسَبِّحَاتِ التي كَانَ يَقْرَأُها رسولُ الإسلام قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ. يقول تفسير القرطبي لـ (الحديد 1): "عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ بِالْمُسَبِّحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ، وَيَقُولَ: "إِنَّ فِيهِنَّ آيَةً أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ"، يَعْنِي بِالْمُسَبِّحَاتِ: "الْحَدِيدَ" وَ "الْحَشْرَ" وَ "الصَّفَّ" وَ "الْجُمُعَةَ" وَ "التَّغَابُنَ""[1801]].

وإنْ قلتم إنه من المستحيل أن تكون هذه المعتقدات الشرقية القديمة قد وصلت إلى أصحاب القرآن، فسنقول نفس ما قلناه فيما سبق: نحن لم نقل إنها وصلت إليهم بطريق مباشر. فَمِن الواضح أنها وصلت إليهم بطريق غير مباشر. عن طريق اليهودية أو المسيحية مثلاً. ولقد أثبتنا أن ما قاله القرآنُ "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" (الأنبياء 30) هو مجرد تطور بشري طبيعي لما قاله التراثُ اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) قبل الإسلام بمئات السنين. وكذلك إذا قرأنا مقدمةَ سورة الحديد - وهي إحدى السور الْمُسَبِّحَات - التي تؤكد على عقيدة التوحيد بقولها إن الله "يُحْيِي وَيُمِيتُ" (الحديد 2)، فسنجد أن هذا الوصف مستوحى من آيات كتابية كثيرة تؤكد أيضاً على عقيدة التوحيد مثل: "أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي" (التثنية 32:39)، "لَيْسَ قُدُّوسٌ مِثْلَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ لَيْسَ غَيْرَكَ، وَلَيْسَ صَخْرَةٌ مِثْلَ إِلهِنَا. [...] الرَّبُّ يُمِيتُ وَيُحْيِي. يُهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ وَيُصْعِدُ" (1 صموئيل 2:2-6)، (2 ملوك 5:7) (يوحنا 5:24) (1 يوحنا 3:14). كما تقول مقدمةُ سورة الحديد أيضاً إن الله "هُوَ الْأَوَّلُ (أي: لم يسبقه في الوجود شيءٌ؛ ليس قبله شيءٌ) وَالْآخِرُ (أي: الباقي بعد فناء جميع مخلوقاته؛ ليس بعده شيءٌ)" (الحديد 3)، وهذا الوصف أيضاً مستوحى من - بل يكاد أن يكون منقولاً من: "هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ، رَبُّ الْجُنُودِ: «أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي" (إشعياء 44:6)، "اِسْمَعْ لِي يَا يَعْقُوبُ، وَإِسْرَائِيلُ الَّذِي دَعَوْتُهُ: أَنَا هُوَ. أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ" (إشعياء 48:12)، "أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ" (الرؤيا 22:13)، "أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ" (الرؤيا 1:11)، "أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ" (الرؤيا 1:17)، "هذَا يَقُولُهُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ" (الرؤيا 2:8).

إذن: التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) هُمَا حلقة الوصل أو الكوبري (bridge) الذي يصل بين تراث الشرق الأوسط القديم والقرآن. هذا فيما يتعلق بالمضمون.

وكذلك فيما يتعلق بالشكل أيضاً. فكما توجد أساطير سومرية قديمة تبدأ بتمجيد الآلهة التي خلقت السماوات والأرض، وتوجد سور قرآنية "مُسَبِّحَات" تبدأ بتسبيح الله الواحد الأحد الذي خلق السماوات والأرض، كذلك توجد مزامير تبدأ بتسبيح الرب الإله الواحد الأحد الذي خلق السماوات والأرض. هذه

المزامير هي حلقة الوصل أو الكوبري (bridge) الذي يصل بين تراث الشرق الأوسط القديم والقرآن. اقرأ مثلاً: "أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الأَرْضِ! حَيْثُ جَعَلْتَ جَلاَلَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ" (المزامير 1:8)؛ "اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (المزامير 1:19)؛ "اِهْتِفِي للهِ يَا كُلَّ الأَرْضِ! رَنِّمُوا بِمَجْدِ اسْمِهِ. اجْعَلُوا تَسْبِيحَهُ مُمَجَّدًا" (المزامير 66:1-2)؛ "اِهْتِفِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. اعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ. ادْخُلُوا إِلَى حَضْرَتِهِ بِتَرَنُّمٍ. اعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ. هُوَ صَنَعَنَا (أي: خلقنا؛ جعلنا أُمَّةً واحدةً)، وَلَهُ نَحْنُ شَعْبُهُ" (المزامير 100:1-3)؛ "هَلِّلُويَا. سَبِّحُوا اللهَ فِي قُدْسِهِ. سَبِّحُوهُ فِي فَلَكِ قُوَّتِهِ" (المزامير 150:1).

ولذلك نحن نتفق مع المفكر السوري الكبير فراس السواح الذي لطالما أكَّد على هذا التطوّر الواضح بدءاً من أساطير الشرق الأوسط القديم (أي: الأساطير السومرية والبابلية والمصرية القديمة) ثم إلى الكتاب المقدس والتراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة ثم إلى القرآن والأحاديث النبوية، فقال في كتابه الشهير "أساطير الأولين: القصص القرآني ومتوازياته التوراتية"[1802]:

قصة الخليقة

1 – الخلفية الميثولوجية:

تتحدث أقدم الأساطير المدونة في ثقافات الشرق القديم، وهي الأساطير السومرية (النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد)، عن خلق العالم ابتداءً من الهيولي المائية الأولى. ونستطيع اعتماداً على عدد من النصوص السومرية التي لم تصلنا كاملة، إعادة بناء أسطورة التكوين السومرية على الشكل الآتي:

1 – في البدء كانت الإلهة نمو، وهي المياه البدئية التي انبثق عنها كل شيء فيما بعد.

2 – ثم إن هذه المياه الأولى أنجبت توءمين هُمَا السماء آن، وهو مذكر، والأرض كي، وهي مؤنث، وكانا ملتصقين ببعضهما في كتلة مادية غير متمايزة، تدعوها النصوص السومرية بجبل السماء والأرض.

3 – من تلاقح السماء والأرض وُلِدَ الهواءُ إنليل، وبدأ يشعر بالضيق من عدم وجود متسع له للحركة بين أبويه، فعمد بقوته الخارقة إلى فَصْل السماء عن الأرض، فسمت السماءُ وانبسطت الأرض، وراح الهواء إنليل يرتع بينهما.

إن عناصر قصة الميلاد المائي هذه تعود إلى الظهور في الميثولوجيا المصرية. ففي البدء لم يكن سوى الأوقيانوس المائي (أي: المحيط المائي) العظيم [...]. [...] وكانت السماء والأرض في حالة التصاق وعناق شبقي دائم، ولكن الهواء شو الذي يؤدي هنا دور إنليل السومري، تسلل بينهما فرفع السماءَ على ذراعيه نحو الأعلى ووطئ الأرضَ بقدميه. [...]

على أن أكمل وأطول نص في التكوين قد قدَّمه لنا البابليون ورثة الحضارة السومرية، وهو يعود بتاريخه إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، وقد وُجِدَت منه نسخة شبه تامة في مكتبة الملك آشور بانيبال بمدينة

نينوى تعود بتاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد. في هذه الأسطورة يحل الإلهُ البابلي مردوخ محلَّ الإله القديم إنليل كبطل للتكوين، وهو الذي يفصل الكتلة المائية البدئية [...] التي تصوَّرها البابليون على هيئة تنين مائي هائل، ليصنع منها السماء والأرض وبقية مظاهر الوجود. فبعد معركة فاصلة مع هذه الإلهة وجُنْدِها، قطع مردوخ رأسها ثم شقها إلى قسمين، فانفتحت كما الصدفة، فرفع نصفها الأول إلى الأعلى فصار سماء وضع تحتها العوارض حتى لا يتسرب ماؤها، وبسط [نصفها] الثاني فصار أرضاً. ثم التفت بعد ذلك إلى تنظيم شؤون السماء والأرض، فعمد إلى السماء وزينها بالنجوم وأظهر كويكبات أبراج السنة، وصنع القمر وأوكله بالليل، وصنع الشمس وأوكلها بالنهار، وفصل بين تخوم النهار وتخوم الليل، ثم التفت إلى الأرض فأبرز معالمها وصنع التلال والجبال، وفجَّر من باطنها ينابيع وأسال أنهاراً، وخلق الغيوم وحمَّلها بالمطر الغزير، مهيئاً بذلك لظهور الحياة النباتية والحيوانية. وأخيراً خلق الإنسان.

وقد وصلتنا هذه الأسطورة منقوشة على سبعة ألواح فخارية: ستة الألواح الأولى منها مخصصة لوصف فعاليات الإله الخلاقة، أما اللوح الأخير فمخصص لوصف جلوس الإله مردوخ على العرش في القصر الجديد الذي بناه له رفاقه الآلهة، واحتفالهم بنصره على تنين الماء وخلق العالم، وترنُّمهم بأسمائه الخمسين التي يعبر كل واحد منها عن صفة من صفاته أو خصيصة من خصائصه. ولعل هذا ما أوحى إلى المحررين التوراتيين، الذين استلهموا هذه الأسطورة في فترة السبي البابلي، بفكرة أيام الخلق الستة واستراحة الخالق في اليوم السابع، ودبَّجوا قصتهم التي تقوم على العناصر ذاتها التي قامت عليها أسطورة التكوين البابلية وبقية أساطير التكوين في الثقافات المشرقية.

2 – قصة الخليقة التوراتية:

على الرغم من أن قصة الخليقة قد تصدرت الإصحاحات الأولى من سفر التكوين، وهو أول أسفار التوراة العبرانية، إلا أن إشارات متفرقة إلى فعاليات إله التوراة يهوه في التكوين قد وردت في عدد من الأسفار الأخرى، حيث نجد يهوه منهمكاً قبل الخلق، على طريقة الإله مردوخ، في السيطرة على المياه الأولى وإخضاعها، أو في الصراع مع تنين بحري يمثل تلك المياه، يدعى لواياتان (يقصد: لَوِيَاثَان) أو رهب. نقرأ في سفر المزامير: "أَنْتَ شَقَقْتَ الْبَحْرَ بِقُوَّتِكَ. كَسَرْتَ رُؤُوسَ التَّنَانِينِ عَلَى الْمِيَاهِ. أَنْتَ رَضَضْتَ رُؤُوسَ لِوِيَاثَانَ. جَعَلْتَهُ طَعَامًا لِلشَّعْبِ، لأَهْلِ الْبَرِّيَّةِ. أَنْتَ فَجَّرْتَ عَيْنًا وَسَيْلًا. أَنْتَ يَبَّسْتَ أَنْهَارًا دَائِمَةَ الْجَرَيَانِ. لَكَ النَّهَارُ، وَلَكَ أَيْضًا اللَّيْلُ. أَنْتَ هَيَّأْتَ النُّورَ وَالشَّمْسَ. أَنْتَ نَصَبْتَ كُلَّ تُخُومِ الأَرْضِ. الصَّيْفَ وَالشِّتَاءَ أَنْتَ خَلَقْتَهُمَا" (المزامير 74:13-17). وأيضاً: "أَنْتَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كِبْرِيَاءِ الْبَحْرِ. عِنْدَ ارْتِفَاعِ لُجَجِهِ أَنْتَ تُسَكِّنُهَا. أَنْتَ سَحَقْتَ رَهَبَ مِثْلَ الْقَتِيلِ. بِذِرَاعِ قُوَّتِكَ بَدَّدْتَ أَعْدَاءَكَ. لَكَ السَّمَاوَاتُ. لَكَ أَيْضًا الأَرْضُ. الْمَسْكُونَةُ وَمِلْؤُهَا أَنْتَ أَسَّسْتَهُمَا. الشِّمَالُ وَالْجَنُوبُ أَنْتَ خَلَقْتَهُمَا" (المزامير 89:9-12). وأيضاً: "الْمُؤَسِّسُ الأَرْضَ عَلَى قَوَاعِدِهَا فَلاَ تَتَزَعْزَعُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. كَسَوْتَهَا الْغَمْرَ كَثَوْبٍ. فَوْقَ الْجِبَالِ تَقِفُ الْمِيَاهُ. مِنِ

انْتِهَارِكَ تَهْرُبُ، مِنْ صَوْتِ رَعْدِكَ تَفِرُّ. تَصْعَدُ إِلَى الْجِبَالِ. تَنْزِلُ إِلَى الْبِقَاعِ، إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَسَّسْتَهُ لَهَا. وَضَعْتَ لَهَا تَخْمًا لاَ تَتَعَدَّاهُ. لاَ تَرْجعُ لِتُغَطِّيَ الأَرْضَ" (المزامير 104:5-9). ونقرأ في سفر إشعياء: "اِسْتَيْقِظِي، اسْتَيْقِظِي! الْبَسِي قُوَّةً يَا ذِرَاعَ الرَّبِّ! اسْتَيْقِظِي كَمَا فِي أَيَّامِ الْقِدَمِ، كَمَا فِي الأَدْوَارِ الْقَدِيمَةِ. أَلَسْتِ أَنْتِ الْقَاطِعَةَ رَهَبَ، الطَّاعِنَةَ التِّنِّينَ؟" (إشعياء 51:9).

وفي الحقيقة فإن فكرة إخضاع المياه البدئية وقتل تنينها، لم ترد إلى الميثولوجيا التوراتية من ميثولوجيا بلاد الرافدين فقط، وإنما من الميثولوجيا السورية الكنعانية أيضاً. ففي نصوص بعل وعناة التي وردتنا من ثقافة مدينة أوغاريت الساحلية، نجد الإله بعل أقوى وأفتى الأرباب يخضع المياه البدئية المتمثلة في الإله "يم" قبل أن يباشر مهامه في تنظيم العالم، وترتيب دورة الفصول التي تأتي بالمطر والثلج لخصب الأرض وحياة الزرع. كما إنه يصرع التنين البحري "لوتان" الذي يظهر في النصوص التوراتية تحت اسم "لواياتان". نقرأ في نصوص بعل الفقرة التالية وما يقابلها في سفر إشعياء التوراتي، حيث يبدو وكأن المحرر التوراتي ينسخ حرفياً عن النص الأوغاريتي:

1 – النص الأوغاريتي:

والآن تريد أن تسحق لوتان

الحية الهاربة

الآن تريد أن تُجهز على الحية المتحوية

ذات الرؤوس السبعة

2 – سفر إشعياء 27:1:

فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يُعَاقِبُ الرَّبُّ

بِسَيْفِهِ الْقَاسِي الْعَظِيمِ الشَّدِيدِ

لَوِيَاثَانَ، الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ.

لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْمُتَحَوِّيَةَ،

وَيَقْتُلُ التِّنِّينَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ

نأتي الآن إلى النص الأساسي لقصة الخليقة التوراتية (يقصد: التكوين 1:1 – 3:2)، [...].

[...].

تتفق قصة الخليقة التوراتية في جميع عناصرها تقريباً مع قصة الخليقة البابلية. فالخلق يتم انطلاقاً من المياه البدئية التي يفصلها الخالق ويصنع منها السماء والأرض. وبعد ذلك تتتابع مراحل خلق بقية مظاهر

الكون وفق الترتيب نفسه، ويأتي خلق الإنسان بمثابة الخاتمة، ثم يستريح إله التوراة في اليوم السابع مثلما استراح مردوخ في قصره واستوى على عرشه أمام بقية الآلهة التي احتفلت به.

3 – قصة الخليقة القرآنية:

كما هو الحال في سفر التكوين التوراتي، فإن القرآن الكريم يخبرنا بأنه في البدء لم يكن سوى الله والماء. ثم خَلَقَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ...." (هود 7). ويروي ابنُ كثير في تفسيره لهذه الآية الحديثَ الآتي عن الرسول الكريم رواه الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِم: "كَانَ اللَّهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ذِكْرَ كُلِّ شَيْءٍ". وفي حديثٍ آخر [ذكره ابنُ كثير في تفسيره لـ "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" (الأنبياء 30)] أن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لرسول الله: "إني إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَخْبِرْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ"، قَالَ رسولُ الله: "كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ" (ابن كثير، [...]).

وعندما أراد اللهُ خَلْقَ العالم، عمد إلى هذه الكتلة المائية البدئية فشقها إلى نصفين، وصنع منها السماءَ والأرض: "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...." (الأنبياء 30). ويقول ابنُ كثير في تفسير هذه الآية: "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا" كَانَ الْجَمِعُ مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، مُتَلَاصِقاً مُتَرَاكِماً، بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ، فَفَتَقَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ. فَجَعَلَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، وَالْأَرْضَ سَبْعًا، وَفَصَلَ بَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا وَالْأَرْضِ بِالْهَوَاءِ" ([...]). وفي موضع آخر يروي ابن كثير عن الرَّبِيعِ بْن أَنَسٍ: ""وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" فَلَمَّا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، قَسَّمَ ذَلِكَ الْمَاءَ قسمَيْنِ، فَجَعَلَ نِصفًا تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ الْبَحْرُ الْمَسْجُورُ". ([...]).

بعد ذلك تتتابع عمليات الخلق [في الرواية القرآنية] وفق ترتيبها في القصة التوراتية تقريباً، إلا أننا لا نستطيع أن نُرجع كُلَّ عملية إلى يوم بعينه من أيام التكوين. فقد رفع اللهُ السماءَ وتركها في حالة سديمية غير منظمة، ثم التفت إلى تنظيم الأرض فرسم معالمها وخلق نباتاتها وحيواناتها: [...].

وقد استغرق خلق الأرض وتنظيمها أربعة أيام من أيام الخلق الستة. بعد ذلك التفت الله إلى السماء وهي في حالتها السديمية، فنظم أمورها وزينها بالأجرام المضيئة والكواكب التي تسير في أفلاكها: [...].

[...]

بعد ذلك يأتي خلق الإنسان كآخر عمل من أعمال التكوين: [...] (البقرة 29-30).

وكما رأينا الرب في الرواية التوراتية يستريح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، فإن الله [في الرواية القرآنية] يستوي على العرش في اليوم السابع: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ..." (الحديد 4). ولكن الاستواء على العرش هنا لا يتضمن معنى الراحة: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (= تعب)" (ق 38).

كل ما سبق يؤكد تأكيداً قاطعاً تأثر القرآن شكلاً وموضوعاً بالمعتقدات والديانات السابقة له، سواء الديانات التوحيدية الإبراهيمية أو الديانات الوثنية غير الإبراهيمية، مما يعطي أدلة قوية تثبت أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله. وإنما القرآن مجرد تجميع (compilation) أو تطور بشري طبيعي (natural human development) لأفكار شرق-أوسطية قديمة جداً سبقت الإسلام بمئات السنين – بل سبقت الإسلام بآلاف السنين.

3.4 الخَلْق بالكلمة: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ "كُنْ" فَيَكُونُ!

ما زلنا في أول إصحاح من أول سفر في التوراة ومع المعتقدات السومرية القديمة حيث يظهر جلياً تأثر القرآن بهما!

فلقد قال القرآنُ 8 مرات إن الله إذا أراد شيئاً أو قضى أمراً فيكفي أن يقول له "كُنْ" فَيَكُونُ:

- "أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (يس 81-82).
- "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ" (الأنعام 73).
- "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (البقرة 117).
- "كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (آل عمران 47).
- "هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (غافر 68).
- "إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (مريم 35).
- "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (النحل 40).
- "إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (آل عمران 59).

وتوجد آيات قرآنية أخرى تعطي نفس المعنى، مثل: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (أي: بمقدارٍ قدَّرناه وقضيناه وسبق علمنا به). وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ (أي: كلمةٌ واحدةٌ وهي "كُن") كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (أي: فيكون ما أردناه، لا يتأخر طرفة عين)" (القمر 49-50).

كما توسعت فكرةُ الخَلْق بالكلمة - أي بالأمر الإلهي - الذي يتحقق فوراً كَلَمْحِ الْبَصَرِ لتشمل سياقات أخرى غير الخلق، أي: لتشمل أوامر تكوين أخرى يصدرها الله، بل لتشمل كل أوامر الله التكوينية. مثل: "قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" (الأعراف 166) (البقرة 65)، أي: فكانوا كذلك فوراً! "جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ" (المائدة 60). مثال آخر: "فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا [فماتوا دفعة واحدة] ثُمَّ أَحْيَاهُمْ" (البقرة 243). اقرأ أيضاً: "وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ (أي: القيامة) إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ (أي: أسرع)" (النحل 77) "فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (أي: صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ؛ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (أي: قائمون من قبورهم ينظرون أهوال يوم القيامة). وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ (أي: يوم الحساب والجزاء). هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ" (الصافات 19-21) "إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً (أي: نَفْخَةً وَاحِدَةً) فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ" (يس 53) "ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (أي: سهل؛ هيّن؛ لا يكلفنا إلا الأمر به)" (ق 44). كما توجد آيات قرآنية تتحدث عن مواضيع متنوعة ثم تنتهي بعبارة "إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" (الحج 70) (العنكبوت 19) (فاطر 11) (الحديد 22) أو "وَذَٰلِكَ

عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" (التغابن 7) أو "وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا" (النساء 30، 169) (الأحزاب 19، 30)؛ أي: لا يحتاج إلا الأمر الإلهي فقط، بل لا يحتاج إلا الإرادة الإلهية فقط.

لكننا في هذا الفصل سنتحدث فقط عن فكرة الخَلْق بالكلمة – أي بالأمر الإلهي – لأنها أساس الآيات القرآنية السابقة. فهل هذه فكرة جديدة؟! بل هل جاء القرآنُ بشيء واحد جديد وصحيح؟!

كالعادة، فإن الإجابة هي: لا. لم يأتِ القرآنُ بأي شيء جديد وصحيح ...

3.4.1 مصادر القرآن من الكتاب المقدس والتراث اليهودي-المسيحي

فكرة الخَلْق بالكلمة - أي بالأمر الإلهي - موجودة أيضاً بكل وضوح في أول إصحاح من أول سفر في التوراة، بل في أول صفحة من التوراة!

أيام الخلق الستة. **(التكوين 1):** {1} فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. [...] {3} وَقَالَ (بالعبرية: amar؛ والمقصود: أَمَرَ) اللهُ: «لِيَكُنْ (Let there be) نُورٌ[1803]»، فَكَانَ نُورٌ. [...] {6} وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ». {7} [...]. وَكَانَ كَذلِكَ. [...] {9} وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذلِكَ. [...] {11} وَقَالَ اللهُ: «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً [...]». وَكَانَ كَذلِكَ. [...] {14} وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ [...] {15} [...][...]». وَكَانَ كَذلِكَ. [...] {20} وَقَالَ اللهُ: «[...]». [...] {24} وَقَالَ اللهُ: «[...]». وَكَانَ كَذلِكَ. [...] {26} وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ (أي: آدمَ) عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، [...]». {27} فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. [...] {29} وَقَالَ اللهُ: «[...] {30} [...] [...]». وَكَانَ كَذلِكَ. {31} وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا.

وفي سفر المزامير: "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا. [...] لأَنَّهُ (أي: الرَّبّ) قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ" (المزامير 33:6-9)؛ (المزامير 104:7، 119:89، 148:5).

وفي أسفار العهد القديم الأخرى: "مَنْ ذَا الَّذِي يَقُولُ (بالعبرية: amar) فَيَكُونَ وَالرَّبُّ لَمْ يَأْمُرْ؟ (أي: مَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي بِأَمْرٍ فَيَتَحَقَّقَ إِلَّا إِنْ أَمَرَ الرَّبُّ بِحُدُوثِهِ؟)" (مراثي إرميا 3:37). اقرأ أيضاً (أيوب 37:1-5؛ 38:8-11).

وفي "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha). على سبيل المثال وليس الحصر:

- "إِيَّاكَ [أَيُّهَا الرَّبُّ] فَلْتَعْبُدْ خَلِيقَتُكَ بِأَسْرِهَا، لأَنَّكَ أَنْتَ قُلْتَ فَكَانُوا أَرْسَلْتَ رُوحَكَ فَخُلِقُوا، وَلَيْسَ مَنْ يُقَاوِمُ كَلِمَتَكَ" (يهوديت 16:14).

- "يَا إِلهَ الآبَاءِ، وَيَا رَبَّ الرَّحْمَةِ، يَا صَانِعَ كُلِّ شَيْءٍ بِكَلِمَتِكَ (Your Word)، وَمُكَوِّنَ الإِنْسَانِ بِحِكْمَتِكَ، لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الْخَلاَئِقِ الَّتِي كَوَّنْتَهَا" (الحكمة 9:1-2). اقرأ أيضاً (الحكمة 18:14-25).
- "سأُذَكِّرُ الآنَ بِأَعْمالِ الرَّبِّ، وأُخبِرُ بما رَأَيتُ، بِأَقْوالِ الرَّبِّ كانَت أَعْمالُه (أي: بِكَلِمَةٍ مِنَ الرَّبِّ خُلِقَت أعمالُهُ)" (يشوع بن سيراخ 15:42). "وبِكَلِمَتِه يَنتَظِمُ كُلُّ شَيء" (يشوع بن سيراخ 26:43).

وفي الإنجيل: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ (باليونانية: Logos) (Word) (Verbe) (أي: كلمةُ الله الخالِق؛ الأمر الإلهي الْخَلَّاقُ: لِيَكُنْ Let there be؛ كُن Be)، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ (أي: كُلُّ شَيْءٍ كَانَ بالْكَلِمَة؛ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ بالأمر الإلهي كُن)، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ" (يوحنا 1:1-5). "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا (flesh) (أي: صار بَشراً؛ خَلَقَ إنساناً من لحم مثلنا هو: يسوع المسيح آدم الثاني)" (يوحنا 1:14). وفي صلاته التي لم يبدأها باسم الآب والابن والروح القدس، وإنما بدأها باسم الآب فقط "وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ" (يوحنا 17:1)، قال هذا الشاب اليهودي المؤمن الموحِّد يسوع المسيح لإلهه الله الآب: "كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ" (يوحنا 17:17) **[← "وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ" (الأنعام 73)]**.

وفي أسفار العهد الجديد الأخرى: "وَأَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى. فَإِنَّهُ فِي هذَا شُهِدَ لِلْقُدَمَاءِ. بِالإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللهِ (أي: أَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ قَدْ خَرَجَ إِلَى الْوُجُودِ بِكَلِمَةِ أَمْرٍ مِنَ اللهِ)، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ (أي: حَتَّى تَكَوَّنَ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ليس ظَاهِراً؛ حَتَّى إِنَّ عَالَمَنَا الْمَنْظُورَ قَدْ خُلِقَ مِنْ أُمُورٍ غَيْر مَنْظُورَةٍ هي كلمة الله أو طاقته أو قدرته الذاتية)" (العبرانيين 11:1-3). وهذه الآية (العبرانيين 11:3) تنطبق على كل عَالَمِنَا الْمَنْظُور، فهي تنطبق أيضاً على يسوع المسيح الذي خُلِقَ مِنْ أُمُورٍ غَيْر مَنْظُورَةٍ هي كلمة الله.

كما توجد آيات أخرى تربط بين الخلق والإرادة الإلهية. مثلاً: "«أَنْتَ مُسْتَحِقٌ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ (أي: بمشيئَتِكَ) كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ»" (الرؤيا 4:11) **[← "أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (يس 81-82) "إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (النحل 40) "كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (آل عمران 47)]**.

وفي سوديبجرافا العهد القديم. على سبيل المثال وليس الحصر:

- "كتاب اليوبيلات" (Book of Jubilees) الذي يرجع تاريخُه إلى القرن الثاني (وقيل: الثالث) قبل الميلاد، ولا تعترف بقانونيته إلا الكنيسة الحبشية (الإثيوبية)، مما يعني أنه انتقل من التراث اليهودي إلى التراث المسيحي الشرقي. ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد. فمِن المؤكد أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة في أوائل القرن السابع

الميلادي قد سمعوا عن كتاب اليوبيلات وعرفوا محتواه وربما توهَّموا أنه وحيٌ من الله إلى موسى النبي؛ وخير دليل على ذلك هو انتقال أفكار كثيرة من كتاب اليوبيلات اليهودي-المسيحي إلى كتاب القرآن العربي. فمثلاً يزعم كتاب اليوبيلات أن إبراهيم حاول أن يقنع أباه بأن ينبذ عبادة الأصنام قائلاً له: "فلا تعبدها. (بل) اعبد إلهَ السماء الذي يُنزل على الأرضِ المطرَ والندى، الذي يُنتج كُلَّ شيء على الأرض، الذي خلق كُلَّ شيء بكلمته (His word) (Sa parole) والذي منه تنبثق كل حياة" (اليوبيلات 12:3-4)[1804].

- الكتاب الثالث في "الأقوال السيبليَّة" (Sibylline Oracles) الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي وربما قبل ذلك، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 400 سنة. يقول: "هناك إله واحد، سلطان وحيد، [...] هو الكائن، والذي كان، والذي سيكون بعدُ في التالي (من الأيام) [...] الإله العظيم السماويّ الذي يسود العالم، الذي بكلمته خلق كلَّ شيء (by his word created all)" (الأقوال السيبليَّة 3:11-20)[1805].
- "رؤيا باروك السريانية" (Syriac Apocalypse of Baruch) الذي يُسمَّى أيضاً سفر باروخ الثاني (2 Baruch) ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 400 سنة. قال باروك في صلاته: "يا مَن صنعتَ الأرض، اسمع لي! يا مَن ثبتَّ الْفَلَكَ بكلمتك (أو: ثبتَّ جَلَدَ السَّمَاءِ بالكلمة) (fixed the firmament by the word)، وقوّيت ارتفاعَ السماء بالروح. يا مَن دعوتَ منذ أصل العالم ما لم يكن موجوداً فأطاعك (called that which did not yet exist, and they obeyed you)" (2 باروخ 21:4)[1806]. وقال باروك في صلاته أيضاً: يا رب، أنتَ وحدك "تُخرج بكلمتك (أو: بالكلمة) ما لم يكن موجوداً (with the word you bring to life that which does not exist)، وتحفظ بقوّتك العظيمة ما لم يأتِ بعد" (2 باروخ 48:8)[1807].
- "رؤيا إبراهيم" (Apocalypse of Abraham) (Apocalypse d'Abraham) الذي يرجع تاريخه إلى 70-150م، أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 450 سنة. يزعم هذا الكتاب السوديبِجرافي أن الله قال: "فبعد أن أمرتُ بكلمتي (command by my word) (ordre par Ma parole)، وُجدت هذه الأشياء" (رؤيا إبراهيم 22:3)[1808].

وفي الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد[1809]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة، نجد آيتَه الأولى تقول: "في القديم (beginning)، بحكمةٍ (with wisdom)، خَلَقَ كلامُ الرب (Memra of the Lord)، وكَمَّل السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ" (ترجوم نيوفيتي. التكوين 1:1)[1810].

وفي المدراش اليهودي، وتحديداً في الفصل 2:3 مِن كتاب "التكوين ربَّاه" (Genesis Rabbah) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[1811] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة، نجد تعليقاً على الآيتين الكتابيتين الشهيرتين "وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ" (التكوين 3:1) و "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا" (المزامير 6:33) يقول:

"not by labour or toil but only by a word; thus, AND GOD SAID: LET THERE BE LIGHT"[1812].

[← في ضوء هذا التراث اليهودي-المسيحي الكبير والكثير والمتواتر لمئات السنين قبل الإسلام في التوراة والإنجيل والأبوكريفا والسوديبِجرافا والترجوم والمدراش وغيرها من كتب التراث اليهودي-المسيحي الشرقي قبل الإسلام، استطاع العربُ أصحابُ القرآن أن ينتجوا الآيات القرآنية التالية: "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (البقرة 117) "فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (غافر 68) "إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (آل عمران 59)[1813]؛ (الأنعام 73) (يس 82) (آل عمران 47) (النحل 40) (مريم 35)].

3.4.2 مصادر القرآن من تراث الشرق الأوسط القديم

سؤال: ما هي الجذور الشرق-أوسطية القديمة التي جعلت محرري التوراة ثم أصحابَ القرآن يعتقدون أن الله إِذَا أَرَادَ شَيْئًا يكفيه أَن يَقُولَ لَهُ "كُن" فَيَكُونُ؟

للإجابة على هذا السؤال المهم، يجب علينا أن نعود مرة أخرى إلى ما قاله العالِمُ الأمريكي الكبير (Prof. Samuel Noah Kramer)[1814]:

أما عن أساليب الخلق التي اتبعتها تلك الآلهة الخالِقة، فقد وضع الفلاسفة السومريون مبدأ صار عقيدة (dogma) سائدة في جميع الشرق الأدنى – وهو مبدأ القوة الخالِقة "للكلمة" الإلهية (divine word) (parole divine). فبموجب هذا المبدأ كان كل ما ينبغي للإله الخالِق أن يفعله هو أن يصمم الخطط ويقول "الكلمة" وينطق بالاسم (اسم الشيء المراد خلقه). والمرجح أن تكون هذه الفكرة الخاصة بالقوة الخالقة للكلمة الإلهية استنتاجاً قياسياً مأخوذاً من مشاهدة المجتمع البشري أيضاً. فإذا استطاع مثلاً المَلِكُ البشري أن ينجز كُلَّ ما يريده تقريباً باصدار أوامره – أي لا شيء غير الكلمات الصادرة من فمه – فمن باب أَولى يكون بمقدور الآلهة الخالدة، التي تسمو على البشر والموكلة بأجزاء الكون الأربعة الأساسية، أن تنجز أعظم من ذلك. بيد أن هذا الحل السهل لتلك القضايا المتعلقة بأصل الوجود والأشياء، حيث "الفكر" و "الكلمة" وحدهما أهم شيء، إنما هو صورة تعكس لنا ذلك الحافز البشري في تحقيق الأشياء بالركون إلى مجرد الرغبة في التحقيق، مما يميز جميع البشر تقريباً إبان الحاجة والشدائد.

إذن: فلقد توصل الفلاسفة السومريون إلى "نظرية القدرة الخلَّاقة للكلمة الإلهية" (la théorie du pouvoir créateur de la parole divine) التي انتشرت فيما بعد في كل الشرق الأدنى القديم. تقول هذه النظرية إن الإله الخالق يكفيه أن يقول كلمةً أو ينطق اسماً حتى يتحقق الشيء الذي أراد الإلهُ أن يحققه. **[← وهذه هي بالضبط نظرية "قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ" الموجودة في الكتاب المقدس ← نظرية "يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" الموجودة في القرآن].**

ولكن كيف توصل الفلاسفة السومريون إلى تلك النظرية؟ ربما تكون هذه النظرية مستوحاة من الملوك الذين على الأرض. فالمَلِك عند السومريين كان يكفيه أن يصدر أمراً من كلمةٍ واحدة تخرج من فمه حتى يكون له كل ما يريد. فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للمَلِك الذي – مهما علا شأنه – مجرد إنسان مثله كمثل كل البشر سوف يموت في يوم من الأيام، فلا بد أن يكون الأمرُ كذلك بل أكثر بالنسبة للآلهة الخالدين الذين تفوق قدراتهم قدرات البشر. أو ربما تكون تلك النظرية التي تقدم حلاً سهلاً للمشكلات الكونية – هكذا بكل بساطة "كُن فيكون" – ربما تكون نابعة من الْحُلْمِ القديم للإنسان بأن تتحقق أحلامه وآماله ورغباته بسرعة "أوتوماتيكياً"، وهو الْحُلْم الذي يراود الإنسان منذ الأزل وإلى يومنا هذا وبخاصة في أوقات الشقاء والمحن. فعندما لم يستطع الإنسانُ أن يحقق هذا الحلم الوردي على أرض الواقع، حققه في الخيال ونَسَبَه إلى إلهه "الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" (الأنعام 73) (يس 81-82) "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (البقرة 117) "الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ" (غافر 68) و "يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ" (آل عمران 47)؛ (آل عمران 59) (النحل 40) (مريم 35)!

وقال الباحث التونسي محمد يوسف إدريس عن "الخلق بالكلمة"[1815]:

> إن النصوص التأسيسية في الثقافات الشرقية درجت على اعتبار الكلمة سر الخلق، فبها تحولت الأشياء من العدم إلى الوجود، ومن بين أهم النصوص التي أفاضت في تناول هذه المسألة (**الكتاب المقدّس**) و (**القرآن الكريم**).
>
> [...]
>
> ولعلّ السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الموضع: لماذا أقرّ النصّ القرآني بأن الإنسان خُلِقَ بالكلمة؟ أيعود الأمر إلى رغبة في محاكاة التصورات الشائعة عن خلق الإنسان، أم أن المسألة مرتبطة بأسباب أخرى؟
>
> تتطلب الإجابة عن هذا السؤال النظر في منزلة الكلمة لدى شعوب تلك المنطقة، ولدى العرب خاصة؛ ذلك أن ثقافات الشرق آمنت بقدرة القول على التأثير في النفوس، فمَن يمتلك الكلمة يمتلك الإرادة والقدرة

على الفعل، فالإله مردوخ في الأسطورة السومرية تفوّق على غيره من الآلهة، وفرض سيادته عليها بعد امتلاكه ناصية الكلام.

إن علاقة الكَلِم بالفعل من هذا المنظور تحاكي علاقة الصدى بالصوت، ولا غرابة في ذلك، فثقافات الشرق تواضعت على اعتبار الكَلِم أُسّ المعرفة، فجميع النُّظم المعرفية من سحر وعِرافة وشعر ... وظَّفت الكلمة وسيطاً بين الإنسان والطبيعة، فبها يحقق الإنسانُ مآربه في السيطرة على عناصر الطبيعة، والقوى الغيبية.

وقد رأى العرب أن للكَلِم سلطاناً على النفوس؛ إذ عُدّ البيان ضرباً من ضروب السحر، وهو تصوّر يعبّر عن وعي العرب بمنزلة الكلمة، وقدرتها على إيجاد ما لا يوجد، وجعل ما لا يمكن وجوده ممكن الوجود، فإذا بالكلام يوجد الأشياء من العدم.

الكَلِم في عرف العربي خلق للأشياء التي لا مثيل لها، فالكلام "يخلق للصوت لوناً، ويجعل المسموع مرئياً (...) ويبدل الخلق تبديلاً".

من هذا المنظور، إن القول بخلق الإنسان بواسطة الكلمة له صلة بالواقع الثقافي الذي نشأت فيه الدعوة المحمدية، وكأن خلق الإنسان بالكلمة شكل من أشكال تأصيل علاقته (الإنسان) بالله، فالكلمة التي خُلِقَ بها الإنسان أضحت مدار حياته، عليها أقام علاقاته، وأسس هويته، وبها ميّز نفسه عن سائر المخلوقات.

الخلاصة: الخلق بالكلمة (أي: بالأمر "كُن") فكرة شرق-أوسطية قديمة جداً انتقلت إلى اليهودية ثم إلى المسيحية ثم إلى العرب فوضعوها في كلامهم العربي "القرآن". وهكذا نصل دائماً إلى نفس الحقيقة: القرآن العربي مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للتراث اليهودي-المسيحي الذي هو بدوره مجرد تطور بشري طبيعي لتراث الشرق الأوسط القديم بصفة عامة.

3.5 القيامة مِن الأموات ... يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ! وعلامات أخرى!

ذَكر القرآنُ يومَ القيامة كثيراً، وخصص سورةً كاملة للقيامة وختمها بالتأكيد على قدرة الله على إحياء الموتى (Resurrection from the dead): "أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (أي: يُتْرَكَ هَمَلاً يرتع في حياته لا يُؤمَر ولا يُنْهَى حتى يموت ولا يُبْعَث ولا يُحاسَب؟!). أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً (أي: قطعة مِن الدم؛ أو: شكل مِن أشكال الدم. قيل: دم أحمر غليظ؛ وَقِيلَ: الشَّدِيد الْحُمْرَة؛ وقيل: دم جامد؛ وقيل: دم رطب؛ وقيل: دم طري لين) فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ. أَلَيْسَ ذَٰلِكَ [الإله الخالق] بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ" (القيامة 36-40). والإجابة: "بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (الأحقاف 33).

وفي آيات قرآنية أخرى كثيرة، أشار أصحابُ القرآن بطرق مختلفة إلى إحياء الموتى والقيامة من الأموات، فاستخدموا أحياناً كلمات أخرى تُعْتبَر من أسماء يوم القيامة مثل: الْيَوْم الْآخِر، يَوْم الْبَعْثِ، النُّشُور، يَوْم الْخُرُوج [من القبور]، يَوْم الْجَمْعِ، يَوْم الْفَصْلِ، يَوْم الدِّينِ، يَوْم الْحِسَابِ أو يَوْم يَقُومُ الْحِسَابُ، الْآزِفَةُ أو يَوْم الْآزِفَةِ (أي: يوم القيامة الذي اقترب!)، يَوْمَ التَّلَاقِ (أي: تلاقي الأرواح والأجساد؛ أو: تلاقي الخالق وكل المخلوقين)، السَّاعَةُ أو يَوْم تَقُومُ السَّاعَةُ (أي: الساعة التي تقوم فيها القيامة ويُحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب والجزاء)، الْوَاقِعَة، الْقَارِعَة، الْغَاشِيَة، الْحَاقَّة، الْيَوْم الْحَقّ، الْوَعْد الْحَقّ، يَوْم التَّنَادِ، ... إلى آخر تلك الأسماء التي أعطاها أصحابُ القرآن ليوم القيامة الكبرى وللأحداث الهامة التي سوف تحدث في هذا اليوم الفاصل بين الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مما يدل على اهتمامهم الكبير بالقيامة.

من بين هذه الآيات القرآنية، نذكر ما يلي على سبيل المثال وليس الحصر لأنها بالفعل كثيرة جداً:

"أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ (أي: ولم يعجز عن خلقهن؛ ولم يتعب بسبب خلقهن) بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (الأحقاف 33).

"قُتِلَ الْإِنسَانُ (أي: لُعِنَ الإنسَانُ! عُذِّبَ الإنسَانُ! هلاكاً للإنسان!) مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ [اللَّهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ]. مِن نُّطْفَةٍ (أي: مَّنِيٍّ) خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ [أطواراً]. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ. ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (أي: فَأَكْرَمَهُ بدفنه). ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (أي: حين شَاءَ بعثه حياً للحساب والجزاء)" (عبس 17-22).

"فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاءٍ (أي: مَنِيّ الرجل) دَافِقٍ (أي: ينصب مندفعاً بسرعة في رحم المرأة). يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ (أي: ظَهْر الرجل؛ عموده الفقري) وَالتَّرَائِبِ (جمع تريبة وهي: موضع القلادة من الصدر؛ والمقصود: صَدْر المرأة!؛ قفصها الصدري!؛ عِظَام صَدْر المرأة مَا بَيْن التَّرْقُوَة إِلَى السُّرَّة!). إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (أي: إن الله الذي خلقه أَوَّلَ مَرَّةٍ لَقَادِرٌ على رجعه إلى الحياة بعد الموت)" (الطارق 5-8).

"أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ [المنكرُ للبعث ابتداءَ خلقه فيستدل به على معاده] أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ (أي: من قطرة مَنِيّ) فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (أي: شديد الجدال). وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (أي: بالية متفتتة). قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ

نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (أي: أخرج الْمُحْرَقَ الْيَابِسَ مِنَ الْعُودِ النَّدِيِّ الرَّطْب؛ يقصد: فهو إذن قادر على إخراج الضد من الضد، ومن ذلك إخراج الموتى من قبورهم أحياء). أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (يس 77-83). "فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا [إلى الحياة بعد الموت؟!] ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" (الإسراء 51) "وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (فصلت 21).

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ (أي: آدمَ؛ أو: النوعَ الإنساني) مِن سُلَالَةٍ (أي: من ذرية؛ من نسل) [وأصله] مِّن طِينٍ (أي: من تراب الأرض وماء)[1816]. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ (أي: الْإِنسَانَ نسل آدم) نُطْفَةً (أي: المنِيّ الذي يقذفه الرجل) فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (أي: في رحم المرأة). ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً (أي: قطعة لحم صغيرة قَدْر ما يُمْضَغ) فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا (أي: هيكلاً عظمياً) فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ (أي: نفخنا فيه الروحَ فصار حياً بعد أن كان جماداً أو صورة؛ وقيل إن المقصود: ميلاد الإنسان؛ أو: نموه في الطفولة ثم الشباب ثم الكهولة ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا) ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ [أحياءً من قبوركم للحساب والجزاء]" (المؤمنون 12-16).

"وَيَقُولُ الْإِنسَانُ [الكافرُ الذي ينكر البعث] أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا. أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا. فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ (أي: لنجمعنَّهم يوم القيامة)" (مريم 66-68). أي أن ابتداء الخلق أعجب وأغرب من إعادته، أو أن إعادة الخلق (القيامة) أسهل من الخلق الأول، فلماذا لا يؤمنون بالقيامة؟!

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ [ففي خلقكم الدليل على قدرتنا على البعث] فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم (أي: خلقنا أباكم آدم) مِّن تُرَابٍ ثُمَّ [تناسلت ذريته] مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ (أي: تامة الخلق؛ تنتهي إلى خروج الجنين حياً) وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ (أي: وغير تامة الخلق تارة أخرى؛ فتسقط لغير تمام) لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا (أي: أطفالاً!) ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَ[أمر آخر يدل على قدرتنا على البعث هو أنك] تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً (أي: قاحلة يابسةً ميتة لا نبات فيها) فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ (أي: المطرَ) اهْتَزَّتْ (أي: دبَّت فيها الحياةُ؛ اهْتَزَّ نباتُها لكثرته وقوته) وَرَبَتْ (أي: وارتفعت وزادت لارتوائها) وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ [كما خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وكما أحيا الأَرْضَ الهامِدَةَ] وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ (أي: القيامة) آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ" (الحج 5-7).

"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً (أي: يابسةً لا نبات فيها) فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (فصلت 39).

"وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا (أي: حملت الرِّيَاحُ سَحَابًا محمَّلاً بالماء) سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ (أي: أرضٍ يابسةٍ لا نبات فيها) فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ (أي: المطرَ) فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن

كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ (أي: بمثل ذلك الإحياء للأرض بالإنبات نخرج الموتى من قبورهم أحياءً) لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (الأعراف 57).

"فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ (أي: أثر نعمته بالمطر) كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ [بالنبات] بَعْدَ مَوْتِهَا (أي: بعد يُبْسها وجفافها) ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (الروم 50).

"وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا (أي: فتحرك سَحَابًا) فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ (أي: إِلَىٰ أرضٍ يابسةٍ لا نبات فيها) [فينزل المطر] فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ (أي: كَذَٰلِكَ إخراجُ الموتى من قبورهم أحياء يوم القيامة)" (فاطر 9).

"وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (أي: الزرع المحصود). وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ (أي: طِوالا) لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (أي: مُتَرَاكِبٌ قَدْ نُضِّدَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ). رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا (أي: كانت مجدبة لا زرع فيها ولا ثمار) ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ [من القبور حين تُبعثون أحياء]" (ق 9-11).

"وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ (أي: فَأَحْيَيْنَا بِهِ) بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ [من قبوركم أحياء يوم القيامة]" (الزخرف 11).

"يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ [كالإنسان من النطفة والطير من البيضة والنبات الأخضر من الحبة الجامدة والمؤمن من الكافر ونحو ذلك من الأمثلة المنظورة] وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ [بعكس الأمثلة السابقة] وَيُحْيِي الْأَرْضَ [بالمطر والنبات] بَعْدَ مَوْتِهَا (أي: بعد يُبْسها وجفافها) ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ [من قبوركم]" (الروم 19). إذن: اللهُ هو القادر على إخراج الضد من الضد. كما يُميت الإنسانَ الْحَيَّ، فإنه يستطيع أن يُحْيِي الْمَيِّتَ.

"اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ (أي: يُعيدكم أحياء يوم البعث) ۖ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم (أي: الذين تعبدونهم من دون الله) مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الروم 40).

"كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا (أي: غير مخلوقين؛ غير موجودين) فَأَحْيَاكُمْ (أي: فأوجدكم ونفخ فيكم الحياة) ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ (أي: يعيدكم أحياء يوم البعث) ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [للحساب والجزاء]" (البقرة 28).

"وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ (أي: وهبكم الحياةَ) ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ (أي: يقيمكم يوم البعث)" (الحج 66).

"وَقَالُوا (أي: قال هؤلاء الكافرون المكذِّبون بالبعث) مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا (أي: نَحْيَا وَنَمُوتُ؛ يموت ناس ويعيش آخرون) وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ (أي: مَرُّ الزمان) ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ. وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا [الذين قد ماتوا] (أي: ابعثوهم أحياء من قبورهم) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قُلِ اللَّهُ [وحده وليس غيره] يُحْيِيكُمْ [في الدُّنْيَا] ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ [أحياء أنتم وآباءكم] إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. وَلِلَّهِ [وحده] مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (أي: الكافرون المكذِّبون؛ الذين اتبعوا الباطلَ). وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً (أي: جاثمين على رُكَبهم) ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا (أي: سجل أعمالها) الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (أي:

تُحاسَبون وتُجازون على أعمالكم في الدنيا من حسنات أو سيئات). هَٰذَا كِتَابُنَا [الذي سجَّلنا فيه أعمالكم] يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ (أي: نأمر الملائكةَ أن تكتب) مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (الجاثية 24-29).

"وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا. وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ. مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ. وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (second genesis) (new creation) (أي: إعادة خلقهم بعد مماتهم يوم القيامة؛ إعادة الروح إلى الجسم عند البعث كما نفخ الروح في الجماد عند الخلق الأول)" (النجم 44-47).

"أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (easy). قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ (final creation) (last genesis) ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (العنكبوت 19-20).

"قَالُوا (أي: قال الكافرون) رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ (أي: مَوتَتين، الأولى مجازية قبل الحياة أي قبل نفخ الروح فينا أو حين كُنا نُطَفاً في أصلاب آبائنا، والثانية حقيقية حين انتهت آجالنا في الحياة الدنيا) وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ (أي: حياتَين، الأولى في الدنيا يوم نفخ الروح فينا أو يوم وُلِدْنا، والثانية في الآخرة يوم بُعِثنا أحياء من قبورنا)[1817] فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ (أي: فَهَلْ مِّن طريقٍ إلى الخروج من عذاب النار)" (غافر 11).

"يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ (أي: يقومون من القبور) سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (أي: كَأَنَّهُمْ يتسابقون إلَىٰ شيءٍ منصوب كرايةٍ أو عَلَمٍ؛ كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى أوثانهم). خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ (أي: عيونُهم ذليلة، منكسرة، لا يرفعونها) تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ" (المعارج 43-44). "يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ (أي: يَكشف اللهُ عَنْ سَاقِهِ[1818]! وقيل: يَوْمَ يشتد الأمرُ) وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ [لله] فَلَا يَسْتَطِيعُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا [قبل ذلك في الدنيا] يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (أي: أصحَّاء قادرون عليه فلا يسجدون)" (القلم 42-43).

وزعم أصحابُ القرآن أن الرسل والأنبياء السابقين آمنوا بالقيامة، بل وبلَّغوا الناسَ بالبعث:

- فلقد قال اللهُ لآدم حسب زعم أصحاب القرآن: "وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ [أحياء يوم البعث]" (الأعراف 24-25)!
- وقال نوح لقومه: "وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (أي: ابتدأ خَلْقَكم من طين الأَرْضِ لمَّا خَلَقَ أباكم آدم منها). ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا (أي: تموتون فتتحلل أجسادكم حتى تعود إلى الأرض) وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (أي: يخرجكم من الأرض بالبعث يوم القيامة!)" (نوح 17-18)! اقرأ أيضاً (هود 34) (الشعراء 113)!
- وكذلك زعم أصحابُ القرآن في قصتي هود وصالح: "الْحَاقَّةُ (أي: القيامة الواقعة حقاً). مَا الْحَاقَّةُ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ. كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (أي: كَذَّبَ قومُ صالح وقومُ هود بساعة القيامة التي تقرع قلوبَ الناس بأهوالها)" (الحاقة 1-4). اقرأ أيضاً (المؤمنون 33-37)!

- وقَالَ إِبْرَاهِيمُ: "رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ" (إبراهيم 41)! "رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ [اللهُ] وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (البقرة 126)! اقرأ أيضاً (الشعراء 81-82، 85-88)! "وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ. إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ" (الأعلى 17-19)!
- وقال يوسف في دعائه: "رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" (يوسف 101)!
- "وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ" (العنكبوت 36)!
- وكذلك زعم أصحابُ القرآن أن الله قال لموسى: "إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ" (طه 15)! وقال موسى لفرعون: "مِنْهَا (أي: من الأرض) خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ" (طه 55)! "ومؤمن آل فرعون كان موقناً بالبعث عارفاً به، ولا تختلف معرفته به عن معرفتنا، وقد حذَّر قومَه من ذلك اليوم تحذيراً فيه تفصيل وبيان"[1819]! ومما قاله لهم: "وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (أي: يوم القيامة! يوم ينادي فيه بعضُ الناس بعضًا!). يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" (غافر 32-33). وقال أيضاً: "يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ (أي: الْجَنَّة؛ الخلاص) وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (أي: الهلاك)" (غافر 39-41). وقال: "لَا جَرَمَ أَنَّمَا (أي: حَقًّا أَنَّ الَّذِي) تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ [يستجيبها] فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ (أي: لا ينفع ولا يُلجَأ إليه في الدنيا ولا في الآخرة) وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ" (غافر 43)! (<u>سؤال لكل مسلم عاقل:</u> هل يُعْقَل أن هذا الكلام المتقدم جداً و "الإسلامي" جداً قيل في مصر في القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد؟! مستحيل!)
- كما زعم أصحابُ القرآن أن مسيحهم عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ تكلَّم "فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. [...] وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 29-33)!
- حتى الشيطان الرجيم إبليس آمن بالقيامة مبكراً جداً بُعيد خَلْق آدم! وبدون جدال! "قَالَ [إِبْلِيسُ لله] أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ (أي: من آدم) ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ. قَالَ [اللهُ] فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ [إبليس] رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (ص 76-79)! "لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء 62)!

وانفردت سورة السجدة بذكر ملاك يُسمَّى "مَّلَكُ الْمَوْتِ": "وَقَالُوا (أي: قال المشركون بالله المكذِّبون بالبعث) أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ (أي: أإذا مُتنا وتحللت أجسادُنا فصارت ترابًا ضائعاً اختلط بتراب الْأَرْضِ) أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (أي: أنُبْعَث أحياء من جديد؟!) ۚ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ [في الآخرة] كَافِرُونَ. قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ (angel of death) الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ (أي: الموكل بقبض أرواحكم عند انتهاء آجالكم) ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

تُرْجَعُونَ (أي: تُبْعَثُونَ أحياء ليحاسبكم ويجازيكم على جميع أعمالكم). وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ [يوم الحساب والجزاء] نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ [يقولون] رَبَّنَا أَبْصَرْنَا [ما كنا نتعامى عنه ونكذِّب به] وَسَمِعْنَا [ما كنا نتصامم عنه وننكره] فَارْجِعْنَا [إلى الدنيا] نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ [الآن بالحق الذي كنا نكذِّب به في الدنيا]. وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ [من الْمُجْرِمِينَ أهل الكفر والمعاصي] مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. فَذُوقُوا [الْعَذَابَ] بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ (أي: تركناكم اليوم في الْعَذَابِ)ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [من الكفر والمعاصي]" (السجدة 10-14). وتوجد آيات قرآنية أخرى تتحدث عن الموت أو القتل وتشير إلى مَلَكِ الْمَوْتِ – أو إلى ملائكة الموت (angels of death) بصفة عامة – مثل: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ (أي: تقبض أرواحهم) [...]" (النساء 97)؛ "الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ [...]" (النحل 28، 32)؛ "وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا (أي: الكفار الذين قتلتهم؛ قيل: يوم بدر)ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ" (الأنفال 50)[1820]! "فَكَيْفَ [حالهم] إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ" (محمد 27)! "وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ (أي: شدائد الْمَوْتِ) وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ (أي: لتنزع أرواحَ الكفار من أجسادهم؛ وقيل: لتعذيبهم!) [قائلين لهم] أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ" (الأنعام 93)! "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا (أي: مَلَكُ الْمَوْتِ وأعوانه من الْمَلَائِكَةِ تَقْبض روحَه)" (الأنعام 61)؛ "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا (أي: ملائكة الموت؛ مَلَكُ الْمَوْتِ وأعوانه) يَتَوَفَّوْنَهُمْ [...]" (الأعراف 37). اقرأ أيضاً: "وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (قيل أي: الملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعاً شديداً وتوغلاً في النزع). وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (قيل أي: الملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين بخفةٍ ولين ورفق)" (النازعات 1-2)[1821]! "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ (قيل: عند الموت تطمئنهم الْمَلَائِكَةُ) أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ" (فصلت 30).

كما انفردت سورة المؤمنون بذكر "بَرْزَخ" (isthmus) أي: حاجز أو مانع أو فاصل (barrier) يفصل بين الموت والبعث أو يفصل بين الدنيا والآخرة: "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ [إلى الدنيا]. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ [من مالي أو حياتي أو أهلي أو من كل شيء]ۚ كَلَّا (أي: لا رجعة له ولا إمهال، فلقد قضى اللهُ أن يموت)ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَاۖ وَمِن وَرَائِهِم (أي: أمامهم) بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (المؤمنون 99-100). يقول تفسير القرطبي: "وَكُلُّ حَاجِزٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فَهُوَ بَرْزَخٌ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْبَرْزَخُ الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ. وَالْبَرْزَخُ: مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ وَقْتِ الْمَوْتِ إِلَى الْبَعْثِ، فَمَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَلَ فِي الْبَرْزَخِ. وَقَالَ رَجُلٌ بِحَضْرَةِ الشَّعْبِيِّ: رَحِمَ اللَّهُ فُلَانًا، فَقَدْ صَارَ مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ! فَقَالَ: لَمْ يَصِرْ مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، وَلَكِنَّهُ صَارَ مِنْ أَهْلِ الْبَرْزَخِ، وَلَيْسَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مِنَ الْآخِرَةِ"[1822]! إذن: هذا البرزخ يمنع الْمَيِّتَ من الرجوع إلى الحياة الدنيا ويمنعه أيضاً من البعث حياً قبل يوم القيامية، فيظل الْمَيِّتُ هكذا في هذه المرحلة البينية الانتقالية (the intermediate state between death and resurrection)، لا هو مع أهل الدنيا يأكل ويشرب ويتنفس الهواء، ولا هو مع أهل الآخرة بعد البعث! لكنه "حي" حياة من عالم الغيب تُسمَّى

"الحياة البرزخية"! قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين إن "الحياة البرزخية هي الحياة التي تكون بين موت الإنسان وقيام الساعة، والإنسانُ قد يُقبَر فيُدفَن في الأرض، وقد يُلقَى في البحر فتأكله الحيتان، وقد يُلقَى في البرّ فتأكله الطيور والوحوش، ومع ذلك فإنَّ كلَّ واحد من هؤلاء يَناله من الحياة البرزخية ما يناله. [...] فالحياة البرزخية: يكون فيها العذاب ويكون فيها النعيم، إمَّا على الروح وحدها، أو تَتَّصِل بالبدن أحياناً [إذا كان البدن باقياً ولم ينقرض، فيكون العذاب أو النعيم على الروح والبدن جميعاً]"؛ "فحياة البرزخ في الواقع حياة بين حياتَين في الزمن (أي: بين الحياة الدنيا وحياة الآخرة)، وفي الحال، فحال الإنسان فيها بين حالين دُنيا وعُليا (أي: العذاب أو النعيم في الحياة الدنيا أقل من حياة البرزخ أقل من حياة الآخرة)"[1823]! ثم استدل بآيات قرآنية مثل (النحل 32) (غافر 46) (النساء 97) (الأنفال 50-51) وأحاديث نبوية ليستنتج "أنَّ الميّت المؤمن يَلقَى جزاءه [بالروح فقط] في الجَنَّة مِن يوم موته، والكافر يَلقَى عذابه [بالروح فقط] في النَّار مِن يوم موته، وهذا بالنسبة للرُّوح. أمَّا البدن: فإنَّه يَبقَى في الأرض إلى يوم القيامة، وقد تَتَّصِل الرُّوح به مُعذَّبةً أو مُنعَّمةً، كما تَدُل على ذلك الأحاديث"[1824]! وبما أن الإنسان لا يدري هل يموت ويُدْفَن في قبر، أو يموت وتأكله السِّباع أو الحيتان أو الطيور أو يحترق ويكون رماداً، إذن: "عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، [...]. وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة"[1825]! "إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (المؤمنون 100) أي انتظاراً ليوم قيامة كل البشر في الموعد الذي يقرره اللهُ! مما سبق يتضح أن البرزخ فاصل زماني بالإضافة إلى كونه فاصلاً مكانياً.

اقرأ أيضاً: (النحل 38) (الإسراء 49-52) (يس 12) (الشورى 9) (الواقعة 47-50) (الملك 15) وآيات قرآنية أخرى تتحدث عن القيامة ولا يتسع المجال لذكرها كلها بسبب كثرتها.

ومِن عجائب الدنيا الإسلامية – بل: مِن عجائب تفاسير القرآن – أن القيامة لا تقتصر على الإنس! فلقد قيل إن القيامة – أو بعبارة أكثر دقة: الحشر أو الجمع يوم القيامة – يشمل الإنس والجن والملائكة! واستدلوا على ذلك بآيات قرآنية مثل: "إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا. لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا" (مريم 93-95)! "وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا" (الكهف 47)! "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا (أي: يوم القيامة)" (الأنعام 130)! "يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ" (سبأ 40)! والحساب والجزاء يوم القيامة يشمل الإنس والجن: "سَنَفْرُغُ لَكُمْ (أي: في الآخرة بعد بعثكم يوم القيامة سنتفرغ لحسابكم ومجازاتكم على أعمالكم التي عملتموها في الدنيا) أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (أي: الإنس وَالْجِنّ!). فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ [...]" (الرحمن 31-33) "فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ (أي: لأن الله علم ذنوبهم وكتبتها عليهم الملائكة؛ أو: لأن الملائكة تعرفهم بِسِيمَاهُمْ). فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ" (الرحمن 39-41)! "فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا" (مريم 68)! تقول موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam)[1826]:

The gathering ([حَشر]). God “shall gather” ([الحشر 2]; [ق 44]). [...] He will gather the believers ([مريم 85]). He will gather the impious ([طه 102]; [الفرقان 17]; etc.). He will gather men and *djinn* ([الأنعام 130]), men and demons ([مريم 68]). He will gather the angels [(سبأ 40)]. This is the universal gathering.

وكذلك تقول موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)[1827]:

God will gather people ([ق 44]) together ([يونس 45]), the believers and the disbelievers alike ([مريم 85]; [طه 102]; see BELIEF AND UNBELIEF), the jinn and the angels (see ANGEL), for a universal gathering.

أما أعجب وأغرب وأطرف ما قيل في هذه القضية فهو إن القيامة – أو بعبارة أكثر دقة: الحشر والْقِصَاص يوم القيامة – يشمل البهائم أيضاً! يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية[1828]:

وأما البهائم فجميعها يحشرها اللهُ سبحانه، كما دل عليه الكتاب والسنة. قال تعالى: "وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ" (الأنعام 38). وقال تعالى: "وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ" (التكوير 5)، وقال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ" (الشورى 29)، وحرف (إذا) إنما يكون لما يأتي لا محالة. والأحاديث في ذلك مشهورة، فإن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص لبعضها من بعض، ثم يقول لها: كوني تُرَابًا. فتصير تُرَابًا. فيقول الكافر حينئذ "يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا" (النبأ 40). ومن قال إنها (أي: البهائم) لا تحيا فهو مخطئ في ذلك أقبح خطأ؛ بل هو ضال أو كافر والله أعلم.

وكالعادة، يوجد رأي آخر يزعم أن "حُشِرَتْ" في "وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ" (التكوير 5) تعني: ماتت! لكننا نرى أن رأي ابن تيمية هو الأقوى، لأنه استدل بآيات قرآنية أخرى – وبخاصة (الأنعام 38) التي تقول صراحةً إن الدواب والطيور "أُمَمٌ أَمْثَالُكُم" "ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ"! ثم إن الإمام مسلم روى في صحيحه حديثاً عن أبي هريرة أن محمد قال: "لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ (أي: التي لا قَرن لها) مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ [التي ضربتها]"[1829][1830]! ولقد اعترف الإمام النووي بِحَشْر الْبَهَائِم يَوْم الْقِيَامَة، إلا أنه حاول أن يخفف من وطأة هذا الحديث فيما يتعلق بحسابها، فقال: "هَذَا تَصْرِيح بِحَشْر الْبَهَائِم يَوْم الْقِيَامَة، وَإِعَادَتهَا يَوْم الْقِيَامَة كَمَا يُعَاد أَهْل التَّكْلِيف مِنْ الْآدَمِيِّينَ، وَكَمَا يُعَاد الْأَطْفَال وَالْمَجَانِين وَمَنْ لَمْ تَبْلُغهُ دَعْوَة. وَعَلَى هَذَا تَظَاهَرَتْ دَلَائِل الْقُرْآن وَالسُّنَّة. قَالَ اللَّه تَعَالَى: "وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ" (التكوير 5). وَإِذَا وَرَدَ لَفْظ الشَّرْع وَلَمْ يَمْنَع مِنْ إِجْرَائِهِ عَلَى ظَاهِره عَقْل وَلا شَرْع، وَجَبَ حَمْله عَلَى ظَاهِره. قَالَ الْعُلَمَاء: وَلَيْسَ مِنْ

شَرْط الْحَشْر وَالإعادَة فِي الْقِيَامَة الْمُجَازَاة وَالْعِقَاب وَالثَّوَاب، وَأَمَّا الْقِصَاص مِنْ الْقَرْنَاء لِلْجَلْحَاءِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ قِصَاص التَّكْلِيف إِذْ لا تَكْلِيف عَلَيْهَا، بَلْ هُوَ قِصَاص مُقَابَلَة. وَالْجَلْحَاءُ بِالْمَدِّ هِيَ الْجَمَّاءُ الَّتِي لَا قَرْنَ لَهَا. وَاَللَّه أَعْلَم"[1831]!

من فضلكم امنعوا الضحك إن استطعتم! لكنكم لن تستطيعوا أن تمنعوا الضحك حين تعلمون أن هذه الفكرة العجيبة قد انتقلت من الكتب الإسلامية العربية إلى المراجع الأجنبية عن الإسلام! مثلاً موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) تبدأ حديثها عن يوم الدين (يوم القيامة) بما يلي[1832]:

Last Judgment God's final assessment of humankind. The subject of the last judgment ([يوم الدين], [يوم القيامة]) is one of the most important themes in the Qurʾān. It appears in many forms, especially in the first Meccan sūras (see CHRONOLOGY AND THE QURʾĀN), which are dominated by the idea of the nearing day of resurrection ([يوم القيامة], see RESURRECTION) when all creatures, including jinn and animals (see ANIMAL LIFE), must be judged (see JUDGMENT). […] (c) "The gathering" ([الْحَشْر]). Creatures, including humankind, jinn and animals, will be gathered ([الأنعام 38]; [الشورى 29]; [التكوير 5]). […]

وقال أصحابُ القرآن إن للساعة علامات (أو أشراط) تدل على اقترابها ...

ومن علامات اقتراب الساعة خروج يأجوج ومأجوج من سد منيع كان يحجزهم! "حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ (أي: فُتِحَ سَدُّهمَا) وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (أي: مِن كل مكانٍ مُرْتَفَعٍ ينزلون بسرعة فينشرون الفوضى والفساد في الأرض). وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (أي: دنا يومُ القيامة) فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا (أي: عيونُهم مفتوحة لا تَغْمُض ولا تَطْرِف مِن هول ما تراه) [يقولون] يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ" (الأنبياء 96-97)! وفي قصة ذي القرنين الذي آمن بالقيامة والحساب والجزاء (الكهف 87-88) "قَالَ [ذُو الْقَرْنَيْنِ] هَٰذَا (أي: سدُّ يأجوج ومأجوج) رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي [بخروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان قبيل يوم القيامة] جَعَلَهُ دَكَّاءَ[1833] (أي: سيصير السدُّ منهدماً مستوياً بالأرض!) ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا. وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ (أي: مختلطين، مضطربين مثل موج البحر) ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (أي: فجمعنا الخلائق جميعًا للحساب والجزاء)" (الكهف 98-99).

فهذا "الصُّور" الذي سوف يُنْفَخ فيه (الكهف 99) سوف يُعلِن قيامةَ الأموات: "وَهُوَ [اللهُ] الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ" (الأنعام 72-73). وكالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فِي مَعْنَى "الصُّور" فِي هَذَا الْمَوْضِع، لكنك حين تقرأ كتب تفسير القرآن يبدو لك أن هناك شبه إجماع أن "الصور" هو قَرْن (horn) أو بُوق (trumpet) يُنْفَخ فيه نفختان: النفخة الأولى هي نفخة الإماتة (نفخة الصعق) والنفخة الثانية هي نفخة القيامة (نفخة البعث) طبقاً لما جاء في "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ (أي: مات) مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" (الزمر 68). وقيل: ثلاث نفخات إذا أضفنا نفخة الْفَزَع قبل نفخة الصعق: "وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (أي: صاغرين مطيعين)" (النمل 87). وقيل إن نفخة الفَزَع هي نفخة الصعق (أو هي نفخة البعث)؛ فَهُمَا نفختان لا ثلاث: نفخة الصعق (الإماتة؛ الفناء؛ الفَزَع؛ نزع الأرواح من الأجساد) ثم نفخة القيامة (البعث؛ النشور؛ الإنشاء؛ الخروج من القبور؛ عودة الأرواح إلى الأجساد). ولقد روى البخاري ومسلم أن محمد قال "مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ" "ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ"[1834]! لكن هذا الحديث لم يحدد هل المدة بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ أم شَهْرًا؟ أم سَنَةً؟!

ونحن لا يهمنا نفختان أو ثلاث؛ وإنما يهمنا أن النفخة الأخيرة في الصور هي نفخة قيامة الأموات يوم القيامة التي ركَّز عليها أصحابُ القرآن. وكما توقعنا، فإن أصحاب القرآن قد ذكروا النفخَ في هذا الصور - أو الدعوةَ إلى القيامة بنفخةٍ أو صيحةٍ أو نداءٍ أو نحو ذلك - في مواضع أخرى وبطرق مختلفة، مثل:

"مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً (أي: نَفْخَةً وَاحِدَةً هي نفخة الإماتة) تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (أي: تُميتهم فَجْأَةً وَهُمْ يتنازعون في أمور الحياة الدنيا). فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً (أي: أن يوصوا أحدًا بشيء) وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ [مَرَّة ثانية] فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ (أي: من قبورهم) إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (أي: يخرجون؛ يسرعون). قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ. إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً (أي: نَفْخَةً وَاحِدَةً هي نفخة القيامة) فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (أي: ماثلون للحساب والجزاء بالنعيم أو العذاب). فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (يس 49-54).

"فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ (أي: لن تفيدهم الأنسابُ التي كانوا يتفاخرون بها في الدنيا) وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (أي: ولا يسأل أحدٌ أحدًا شيئاً ينفعه)" (المؤمنون 101).

"وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (أي: الذي توعَّد اللهُ به الكفار بالعذاب في الآخرة)" (ق 20).

"فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (أي: نُفِخَ فِي الصُّورِ). فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ. عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ" (المدثر 8-10).

"وَقَالُوا (أي: قال منكرو القيامة) إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ. أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (أي: الذين ماتوا قبلنا). قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ (أي: أذلاء صاغرون). فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (أي: صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ؛ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ هي نفخة البعث) فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (أي: قائمون من قبورهم أحياء ينظرون أهوال يوم القيامة). وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ (أي: الحساب والجزاء). هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ (أي: القضاء بين الخلق والحكم بالعدل) الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ. [ويُقال للملائكة:] احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا [أنفسهم بالكفر أو الشرك أو المعاصي] وَأَزْوَاجَهُمْ (أي: وأشباهَهم الذين من جنس عملهم؛ أو: وقرناءَهم من الشياطين) وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. مِن دُونِ اللَّهِ [من الأوثان] فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (أي: طريق جهنم)" (الصافات 15-23).

"فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (أي: نفخة البعث؛ صيحة القيامة التي تكاد تَصمُّ الآذان لشدتها). يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ" (عبس 33-37).

"فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (أي: الشدة العظمى وهي النفخة الثانية، القيامة العامة). يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (أي: يُعْرَض على الْإِنسَانِ كُلُّ عمله من خير وشر)" (النازعات 34-35).

"وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ. يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ (أي: صيحةَ البعث؛ النفخةَ الأخيرة) بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ [من القبور]. إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (أي: الرجوع). يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا (أي: فيخرجون من قبورهم مسرعين) ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (easy)" (ق 41-44).

"وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (أي: بعد جدبها وجفافها) ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ [إلى البعث يوم القيامة] إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ [من قبوركم أحياء للحساب والجزاء]. وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (أي: خاضعون لِأَمْرِهِ). وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ (easier) عَلَيْهِ" (الروم 24-27).

"فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (أي: أمر شديد تنكره نفوس الكفار، وهو القيامة والحساب والعقاب). خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ (أي: القبور) [بكثرة وسرعة] كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ. مُّهْطِعِينَ (أي: مسرعين) إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (أي: صعب شديد)" (القمر 6-8).

كما توجد علامات أخرى ليوم القيامة أو معالم لأهوال يوم القيامة هي دمار كوني شامل يصيب السماءَ ونجومها وشمسها وقمرها والأرضَ وجبالها وبحارها! أي: اختلال لنظام الكون، بل انقلاب لنظام العالم المادي رأساً على عقب (apocalyptic inversion) أو انحلال الخليقة (undoing of creation) إلى فوضى وانهيار لقوانين الطبيعة، مع خلق عالم جديد تسوده قوانين جديدة في الزمان والمكان والمخلوقات: "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا (أي: وخرجوا من قبورهم) لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (ابراهيم 48). تقول موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)[1835]:

Signs / conditions of the hour ([أشراط الساعة])

The narrative of the events to occur on the final day is graphically and dramatically sketched in the Qurʾān. This is a day when specific signs will be given indicating the reversal of the natural order and a disintegration of the structure of the natural universe ([...]). The story begins, in effect, with the startling descriptions of what are known as the signs of the hour, the cataclysmic events that will occur just preceding the actual resurrection ([بَعْث]) and judgment (see APOCALYPSE). [...]

[…]

[…] This startling picture represents a reverse process of creation. The heavens, understood as seven layers, are stripped away, rolled up and destroyed. The stars, lamps set in the lowest part of the heavens, fall and are extinguished, and the sun and moon are covered. The earth itself shakes and rocks until it is finally split apart and ground to dust, its mountains first put in motion and then leveled. Even the seas mix together in a kind of primordial chaos.

من ضمن علامات الساعة (أشراط الساعة)، نذكر ما يلي على سبيل المثال وليس الحصر:

"وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ. وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً (أي: واقفة مستقرة) وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ (أي: تزول حتى لا يبقى منها شيء كالسَّحَابِ الذي تُسيِّره الرياحُ!) ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ" (النمل 87-88)! <u>ملحوظة:</u> زعم بعضُ المسلمين الذين ينشرون أسطورةَ الإعجاز العلمي في القرآن أن (النمل 88) تقرر "أن جميع الأجسام التي تخضع لجاذبية الأرض مثل الجبال والبحار والغلاف الجوي ... الخ تشترك مع الأرض في دورتها اليومية حول محورها ودورتها السنوية حول الشمس"[(1836)]! تعليقنا: هذا كذب. أولاً: لأن (النمل 88) تذكر "الْجِبَالَ" فقط وليس جميع الأجسام التي تخضع لجاذبية الأرض. وثانياً: لأن (النمل 88) **<u>لا</u>** تتحدث عن الدنيا، وإنما تتحدث عن الآخرة وأهوال يوم القيامة بدليل أن (النمل 87) تبدأ بقوله "يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ [...]"، و "المراد بتسيير الجبال ما يقع يوم القيامة هو قول أكثر المفسرين"[(1837)]. ثم إن الْجِبَال "تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ" (النمل 88) تتفق في معانيها مع آيات قرآنية أخرى تصف أهوال يوم القيامة مثل: "وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (أي: المملوء بالمياه؛ وقيل: المملوء بالنار). إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ (أي: مانع). يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (أي: تتحرك وتضطرب فيختلُّ نظامها). وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (أي: "وتزول الجبال عن أماكنها،

وتسير كسير السَّحَابِ"[1838] "وذلك في يوم القيامة"[1839]). فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ. الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (أي: في باطلٍ يلهون). يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَار جَهَنَّمَ دَعًّا (أي: يوم يُدْفَعون دفعًا بعنف ومَهانة إلى نار جهنم؛ وهذا يؤكد أن سياق الآيات يتحدث عن الآخرة وأهوال يوم القيامة)" (الطور 6-13)! وكما قلنا فيما سبق: لا توجد آية قرآنية واحدة تقول إن الأرض تدور حول محورها مرة كل يوم! ولا توجد آية قرآنية واحدة تقول إن الأرض تدور حول الشمس مرة كل سنة! فلا يوجد إعجاز علمي في القرآن على الإطلاق.

ومن أهوال يوم القيامة أيضاً ما يلي ...

"يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (أي: تغيَّرت ألوانهم وعيونهم من شدة الأحداث والأهوال! وقيل: زُرْق الأبدان؛ زُرْق الوجوه؛ زُرْق العيون؛ عُمْيًا؛ عطاشاً). [...] وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (أي: يسويها بالأرض). فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (أي: أرضاً منبسطة مستوية ملساء لا نبات فيها). لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (أي: من تمام استوائها لَّا تَرَىٰ فِيهَا مَيْلاً، ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً، فلا وادياً ولا رابيةً). يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ [فيحضر النَّاسُ مستسلمين لموقف القيامة] لَا عِوَجَ لَهُ (أي: لا محيد عنه يميناً ولا شمالاً) ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا" (طه 102-108)!

"فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ. وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً. فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (أي: قامت القيامة). وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ (أي: تصدَّعت!) فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (أي: متمزّقة ضعيفة لا تماسُك فيها ولا صلابة بعد أن كانت محكمة قوية!). وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا (أي: على جوانب السماء وأطرافها!) ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (أي: من الملائكة؛ وقيل غير ذلك). يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ [على الله للحساب والجزاء] لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (أي: لَا يَخْفَىٰ على الله شَيْءٌ من أسراركم)" (الحاقة 13-18)!

"الْقَارِعَةُ (يقصد: يوم القيامة). مَا الْقَارِعَةُ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ. يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (أي: المنتشر، المتفرق؛ يتدافع النَّاسُ في كل اتجاه لشدة الهول، يموج بعضهم في بعض إلى أن يدعوا للحساب). وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (أي: كالصوفِ المصبوغِ ألواناً الذي يُنْفَش أي يُفرَّق باليد أو بآلة، فتَذْرُوهُ الرِّيَاحُ فيتطاير ويتناثر حتى يصير هباءً يزول ويتلاشى)" (القارعة 1-5)[1840]!

"إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (أي: إِنَّهُمْ يستبعدون عذابَ الآخرة). وَنَرَاهُ قَرِيبًا. يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (أي: سائلة مثل حُثالة الزيت؛ أو: كالمعدن المذاب بالنار؛ كالقيح من دم وصديد؛ كالقطران الرقيق). وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (أي: كالصوفِ المصبوغِ الْمَنفُوشِ). وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (أي: ولا يسأل قريبٌ قريبَه عن شأنه). يُبَصَّرُونَهُمْ (أي: يرون بعضُهم بعضاً ويعرفون بعضُهم بعضاً لكن لا يستطيع أحدٌ أن ينفع أحدًا) ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ. وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ. وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ. كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ (أي: إنها جهنم تتلظى نارها وتلتهب)" (المعارج 6-15)!

"وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ (أي: نُزيلها عن وجه الأرض) وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً (أي: ظاهرة مستوية، ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من مخلوقات) وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا. وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا [أحياء] كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ (أي: فُرَادَىٰ بلا مال ولا بنين) ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا [للبعث والحساب والجزاء]" (الكهف 47-48)!

"إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (أي: لُفَّتْ وجُمِعَت مثل تكوير العمامة أو ضم الثوب بعضه إلى بعض؛ مُحِيَتْ عن فلكها أو مُحِيَ ضَوْؤُها). وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (أي: تناثرت؛ تساقطت؛ أظلمت). وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (أي: أزيلت عن وجه الأرض). وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (أي: النوق الحوامل تُركت بلا راعٍ، فلقد أهملها أهلُها لاشتغالهم بأنفسهم بسبب أهوال يوم القيامة). وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (أي: جُمِعَتْ بعد بعثها ليقتصَّ الله من بعضها لبعض! وقيل: ماتت). وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (أي: مُلِئَتْ وقوداً فاشتعلت نارًا؛ أو: مُلِئَتْ ماءً ففاض بعضُها على بعض). وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (أي: قُرنَت الأرواحُ بأجسادها؛ أو: قُرنَ كُلُّ شخص بأمثاله في الكفر أو الإيمان أو الأعمال[1841]؛ قُرنَت نفوسُ الكافرين والمنافقين بالشياطين، وقُرنَت نفوسُ المؤمنين بالحور العين!). وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ. وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (أي: صحف أعمال الخلق بُسِطَت وعُرِضَت). وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (أي: قُلِعَتْ وأزيلت من مكانها!). وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (أي: أوقدت إيقاداً شديداً فأضرمت). وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (أي: قُرِّبَت لأهلها المؤمنين المتقين). عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ" (التكوير 1-14)!

"إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ (أي: يَوْمَ القضاء بين الخلق والحكم بالعدل؛ يَوْمَ الْفَصْلِ النهائي والأبدي بين المؤمنين والكفار أو التمييز بين الحق والباطل) كَانَ مِيقَاتًا (أي: وقتًا وميعادًا محددًا سيحدث لا محالة). يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا. وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (أي: ذات طرق ومسالك؛ قيل: لنزول الملائكة). وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (أي: هباءً؛ كالسراب تحسبه جبالاً وهو ليس بجبالٍ)" (النبأ 17-20)!

"إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ. فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (أي: مُحِيَتْ ومُحِقَتْ ذواتها؛ أو: ذهب نورُها). وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (أي: تصدَّعت! شُقَّت! تَدَلَّتْ أَرْجَاؤُهَا وَوَهَتْ أَطْرَافُهَا!). وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (أي: فُتِّتَتْ). وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (أي: عُيِّن لهم وقت يحضرون فيه للشهادة على أممهم)[1842]. لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ. لِيَوْمِ الْفَصْلِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ" (المرسلات 7-15)!

"لَا أُقْسِمُ (أي: أُقْسِمُ!) بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَا أُقْسِمُ (أي: أُقْسِمُ!) بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ. أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ [الكافرُ] أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ [للبعث]. بَلَىٰ [نجمعها] قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (أي: أصابعه أو أنامله؛ قيل: نجعلها خَلْقًا سويًّا كما كانت قبل الموت؛ وقيل: نجعلها شيئاً واحداً كخف البعير وحافر الحمار!). بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (أي: يقدم على الذنوب ويؤخر التوبة فيما يستقبل من أيام عمره كلها؛ يتجاهل نفسَه اللَّوَّامَةِ). يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (أي: يَسْأَلُ باستهزاء وتكذيب متى يكون هذا اليوم الذي يستبعد حدوثه؟)[1843]. فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (أي: تحيَّر واضطرب فلا يستقر؛ أو: دُهش فزعًا فلا يغمض ولا يطرف). وَخَسَفَ الْقَمَرُ (أي: أظلم وذهب نورُه). وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (أي: جُمِعَ بينهما في ذهاب ضوئهما؛ أو: طلعا من المغرب؛ يُقْذَفان في النار

ليرى النَّاسُ أنهما عبدان وليسا إلهين). يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ. كَلَّا لَا وَزَرَ (أي: لا حصن ولا ملجأ ولا مهرب لأحدٍ من الله). إِلَىٰ رَبِّكَ [وحده] يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (أي: المرجع والمنتهى والمصير)" (القيامة 1-12)!

"اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ (أي: دنت القيامةُ) وَانشَقَّ الْقَمَرُ (أي: انفلق فلقتين!)" (القمر 1). (ملحوظة: قال البخاري ومسلم إن القمر انشق فعلاً في حياة محمد فرآه أهلُ مكة شقين[1844]! سؤال لكل مسلم عاقل: لو القمر انشَقَّ فعلاً كما يتوهَّم البخاري ومسلم والمؤمنون بما قالا، فكيف لم تسجِّل الأممُ الشرق-أوسطية الأخرى هذه الحادثة الفريدة العجيبة؟!)

"وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ (أي: في قَبْضَتِهِ؛ مملوكة له) يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ (أي: كما تُطْوى الثياب) بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الزمر 67)!

"يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ (أي: كما تُطْوى الصحيفة على ما كُتِبَ فيها) ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ" (الأنبياء 104)! "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ" (الأعراف 29)!

"وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ (أي: "تنفرج السَّمَاءُ وتنفتح، ويظهر من فُرَجها الْغَمَامُ"[1845]) وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا" (الفرقان 25)! (ملحوظة: فكرة تشقق السماء بالغمام (أي: السحاب) لها جذور شرق-أوسطية قديمة: في "القطعة السومرية بعنوان "إنكي ونظام العالم" (Enki and the World Order) يفتح إلهُ الجو أبوابَ السماء. كانت هذه هي الطريقة التي تفهم بها بلادُ الرافدين من أين يأتي السحابُ"[1846]!)

"فَإِذَا انشَقَّتِ (أي: تصدَّعت) السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (أي: فَكَانَتْ حمراء كلون الورد أو كالزيت المغلي!)" (الرحمن 37)!

"إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" (الحج 1)! "إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (أي: ما في بطنها من الأموات والكنوز). [...] يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ (أي: يخرجون من قبورهم أحياء) أَشْتَاتًا (أي: متفرقين) لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ" (الزلزلة 1-6)!

"يَوْمَ تَرْجُفُ (أي: تضطرب وتتزلزل) الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا (أي: تتحول الْجِبَالُ إلى كثبان رمل ناعم إذا حرَّكتَ أسفلَه تساقط من أعلاه). [...] فَكَيْفَ تَتَّقُونَ (أي: تَقُون أنفسكم) إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا. السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ (أي: تتصدع لهول يوم القيامة) ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا" (المزمل 14-18)!

"إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (أي: قامت القيامةُ). لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ. خَافِضَةٌ [لأهل النار] رَّافِعَةٌ [لأهل الجنة][1847]. إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا. وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (أي: فُتِّتَتْ تفتيتًا دقيقًا). فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (أي: غبارًا منتشرًا متطايرًا في الجو قد ذَرَتْه الريح)" (الواقعة 1-6).

"يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (أي: تتزلزل الأرضُ وتضطرب بالنفخة الأولى نفخة إماتة جميع الخلائق). تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (أي: النفخة الثانية نفخة البعث لإحياء الموتى). قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (أي: خائفة فزعة؛ مضطربة

غير ساكنة). أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (أي: ذليلة؛ منكسرة). يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (أي: أَنُرَدُّ أحياء بعد موتنا وبعد كوننا في حفر القبور؟!؛ أنرجع إلى الأرض نمشي عليها إلى مِن حيث جئنا؟!). أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (أي: بالية). قَالُوا [منكرين مستهزئين] تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (أي: رجعة فيها خسارة علينا لأننا نكذّبها). فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (أي: صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ؛ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ هي نفخة البعث). فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (أي: قاموا أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا راقدين أمواتاً في بطنها؛ وقيل: فَإِذَا هُم في جهنم[1848])" (النازعات 6-14)!

"إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (أي: زُلْزِلَت حتى يتهدَّم كل بناء عليها وينعدم؛ سُويت تسوية بعد تسوية). وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (أي: مُصْطَفِّين صفوفاً). وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (أي: يَوْمَئِذٍ يتعظ الكافرُ أو يندم على أعماله السيئة، لكن كيف ينفعه الندم وقد فات أوانُه؟). يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي [في الدنيا] قَدَّمْتُ [أعمالاً صالحةً تنفعني] لِحَيَاتِي [الآخرة]" (الفجر 21-24)!

"يَوْمَ [القيامة] يَقُومُ الرُّوحُ (قيل: جِبْرِيلُ! وقيل: مَلَكٌ عظيم من أعظم الملائكة خَلْقًا؛ "أو خَلْقٌ أعظم من الملائكة"[1849]؛ أو: أرواح بني آدم فيما بين النفختين قبل أن تُردَّ الأرواح إلى الأجساد؛ أو: جُند من جنود الله ليسوا بملائكة ولا ببشر لكنهم على صُوَر بني آدم؛ وقيل غير ذلك؛ وقيل: الله أعلم[1850]!) وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا. ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ (أي: الواقع لا محالة؛ لَّا رَيْبَ فِيهِ[1851]) ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (أي: مرجعاً بالتوبة والإيمان والعمل الصالح). إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ (أي: ما عمل من خير أو اكتسب من إثم) وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (أي: يَا لَيْتَنِي لم أُخْلَق؛ يَا لَيْتَنِي بقيتُ تراباً بعد الموت فلم أُبْعَث ولم أُحاسَب؛ يَا لَيْتَنِي كُنتُ حيواناً فأرجع إلى التراب؛ والمقصود أنه من شدة الخوف واليأس يتمنَّى أن يهرب من عَذَابِ اللهِ في هذا اليوم!)" (النبأ 38-40)!

"إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (أي: تصدَّعت). وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (أي: أطاعت أمرَ رَبِّهَا في الانشقاق وجديرٌ بها أن تنقاد لأمر خالقها). وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (أي: بُسِطَت وَوُسِّعت بدك جبالها وإزالة آكامها). وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا (أي: وَأَخْرَجَت الموتى والكنوز من جوفها إلى ظاهرها) وَتَخَلَّتْ [عنهم]. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا (أي: ساعٍ إِلَىٰ الله سعياً وعامل أعمالاً من خير أو شر حتى تموت) فَمُلَاقِيهِ (أي: ثم يوم القيامة تلاقي اللهَ بأعمالك المذكورة فيجازيكَ اللهُ عليها بفضله أو عدله)" (الانشقاق 1-6)!

"إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (أي: انشَقَّتْ). وَإِذَا الْكَوَاكِبُ (أي: النجومُ) انتَثَرَتْ (أي: تفرَّقت؛ تساقطت). وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (أي: اختلَّ نظامُها؛ قيل: امتلأت ماء وفاضت؛ ذهب ماؤها؛ اختلط عذبُها بمالحها؛ فُتِحَ بعضها في بعض بزوال الحواجز بينها؛ صارت بحراً واحداً؛ اشتعلت ناراً!). وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (أي: قُلِبَ ترابُ القبور وبُعِثَ موتاها فخرجوا منها أحياء للحساب والجزاء)" (الانفطار 1-4)! "إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُور (أي: أخرج اللهُ الموتى من القبور أحياء يوم القيامة)" (العاديات 9)!

الجدول التالي يلخص أهم الأفكار المرتبطة بيوم القيامة في القرآن:

جدول 6 – أهم الأفكار المرتبطة بيوم القيامة في القرآن

الفكرة	آيات قرآنية على سبيل المثال وليس الحصر
يوم القيامة سيحدث حتماً	"اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ (أي: لا شك فيه)" (النساء 87) "لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ" (الأنعام 12) "يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ" (الجاثية 26) "إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً" (يونس 4) "رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ" (آل عمران 9)؛ "يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ" (الشورى 7)؛ "جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ" (آل عمران 25)؛ "وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا" (الحج 7) "إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا" (غافر 59) "إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا" (الجاثية 32) "لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا" (الكهف 21). "ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ (أي: يوم القيامة الواقع لا محالة)" (النبأ 39) "الْحَاقَّةُ (أي: القيامة الواقعة حقاً)" (الحاقة 1)
قُرْب يوم القيامة	"اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ (أي: يوم القيامة؛ أو: الحساب في الدنيا)" (الأنبياء 1) "وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (أى: دنا يومُ القيامة)" (الأنبياء 97) "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ (أي: قَرُبَتْ الْقِيَامَة)" (القمر 1) "أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (أي: قَرُبَتْ الْقِيَامَة ودنا وقتها)" (النجم 57) "وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ" (غافر 18) "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ" (الشورى 17) "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا" (الأحزاب 63) "قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا" (الإسراء 51) "إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا" (النبأ 40) "إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا" (المعارج 6-7) "قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم (أي: اقترب لكم ودنا منكم)" (النمل 72). "وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ (أي: نزول المسيح من السماء قبل يوم القيامة دليل على قُرْبِ وقوع الساعة)" (الزخرف 61)
يوم القيامة يأتي بَغْتَةً (أي: فجأة)	"فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا (أي: ظهرت علاماتُها الدالة على قربها) ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (أي: يوم القيامة كيف تنفع التوبةُ وقد فات أوانُها؟)" (محمد 18) "تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (أي: وَهُمْ غافلون عنها لانشغالهم بأمور الحياة الدنيا)" (يوسف 107) "هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (الزخرف 66) "لَا تَأْتِيكُمْ [السَّاعَةُ] إِلَّا بَغْتَةً" (الأعراف 187) "وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ (أي: قصَّرتُ في حق الله وطاعته)" (الزمر 55-56)؛ "إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا (أي: قصَّرنا في الاستعداد ليوم القيامة) وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ" (الأنعام 31) "تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً" (الحج 55) "بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ (أي: فتغلبهم؛ فتحيّرهم) فَلاَ

	يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا (أي: منعها؛ صرفها) وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ (أي: ولا يُمْهَلون ليتوبوا ويعتذروا)" (الأنبياء 40) "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ" (الأنبياء 1) "وَلَيَأْتِيَنَّهُم [الْعَذَابُ] بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (العنكبوت 53) "فَيَأْتِيَهُم [الْعَذَابُ الْأَلِيمُ] بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (الشعراء 202)
لا يعلم موعدَ يوم القيامة إلا الله وحده	"يَسْأَلُكَ النَّاسُ [يا محمد] عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ [وَحْدَهُ لا غيره]" (الأحزاب 63) "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (أي: متى مستقرها وحدوثها؟ متى قيامها؟). فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (أي: لستَ يا محمد في شيء من عِلمها). إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (أي: الله وحده الذي يعلم وقتها)" (النازعات 42-44) "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا (أي: لا يظهرها) لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (أي: لا تطيقها السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لشدة أهوالها؛ أو: خفي علمها على أهل السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فلا يعلم وقتَ قيامها مَلَكٌ مقرَّب ولا رسولٌ ولا نبيٌّ ولا إنس ولا جن ولا أي مخلوق آخر) ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا (أي: كَأَنَّكَ عالمٌ بها أو حريصٌ على العلم بها) ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ [وَحْدَهُ لا غيره]" (الأعراف 187) "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ [بالحشر] إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ [يا محمد] إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ" (الملك 25-26) "إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ" (لقمان 34) "وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (الزخرف 85) "إِلَيْهِ يُرَدُّ (أي: إلى الله وحده يرجع) عِلْمُ السَّاعَةِ" (فصلت 47) "أَزِفَتِ الْآزِفَةُ. لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (أي: لا يَطَّلِع على وقت القيامة إلا اللهُ وَحْدَهُ، ولا يدفعها من دون الله أحدٌ)" (النجم 57-58) "قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (أي: متى يُبْعَثُونَ عند قيام الساعة)" (النمل 65) "وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ [ومنها عِلْم الساعة] لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" (الأنعام 59)
الْحُكْم يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ وحده	"رَبِّ الْعَالَمِينَ. [...] مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (وفي رواية وَرْشٍ عن نافع: مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)" (الفاتحة 2-4) "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (يس 83) "لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (غافر 16) "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (إبراهيم 48) "الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ [وحده من غير منازع] يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ" (الحج 56) "الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ [وحده دون مَن سواه]" (الفرقان 26) "وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ" (الانفطار 19) "الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" (البقرة 165) "وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ" (الأنعام 73) "لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (القصص 70، 88) "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ

	الْكَرِيمِ" (المؤمنون 116) "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الحشر 23)
لا مهرب من الله	"يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ. كَلَّا لَا وَزَرَ (أي: لا مهربَ من الله). إِلَىٰ رَبِّكَ [وحده] يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ" (القيامة 10-12) "مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ" (يونس 27) "مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (أي: مهرب؛ ملجأ؛ محيد؛ نجاة)" (فصلت 48) "مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ" (الشورى 47). قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: "مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ" (إبراهيم 21)
النفخ في الصور	"نُفِخَ فِي الصُّور" (المؤمنون 101) (ق 20) (الكهف 99) (يس 51) (الحاقة 13) (الزمر 68)؛ "يُنفَخُ فِي الصُّور" (طه 102) (الأنعام 73) (النبأ 18) (النمل 87)؛ "نُقِرَ فِي النَّاقُور" (المدثر 8)؛ وآيات قرآنية أخرى تعلن قيامة الأموات بواسطة صوت، مثل: "جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (أي: صيحة القيامة التي تكاد تَصُمُّ الآذان لشدتها)" (عبس 33) "يَدْعُ الدَّاعِ" (القمر 6) "يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ" (ق 41)
زلزلة الأرض	"إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" (الحج 1) "زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا" (الزلزلة 1) "رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا" (الواقعة 4) "يَوْمَ تَرْجُفُ (أي: تتزلزل) الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ" (المزمل 14) "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ" (النازعات 6) "دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (أي: زُلْزِلَت حتى يتهدَّم كل ما عليها)" (الفجر 21)
تسوية الأرض	"الْأَرْضُ مُدَّتْ (أي: بُسِطَت)" (الانشقاق 3) "وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً (أي: ظاهرة مستوية)" (الكهف 47) "فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا. لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا" (طه 106-107)
تختفي الجبالُ تماماً	"تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (أي: تزول عن أماكنها)" (الطور 10) "يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ" (الكهف 47) "الْجِبَالُ سُيِّرَتْ" (التكوير 3) "سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا" (النبأ 20) "وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ (أي: تزول)" (النمل 88). "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا" (طه 105) "الْجِبَالُ نُسِفَتْ" (المرسلات 10) "يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا" (المزمل 14) "وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً" (الحاقة 14) "وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا. فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا" (الواقعة 5-6) "وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ" (القارعة 5) "وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ" (المعارج 9)

البحار	"الْبِحَارُ سُجِّرَتْ" (التكوير 6) "وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ" (الطور 6-8) "الْبِحَارُ فُجِّرَتْ" (الانفطار 3)
السماء	"السَّمَاءُ انشَقَّتْ (أي: تصدَّعت)" (الانشقاق 1) "انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ" (الحاقة 16) "انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ" (الرحمن 37) "تَشَقَّقُ السَّمَاءُ" (الفرقان 25) "السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (أي: انشَقَّتْ)" (الانفطار 1) "السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ (أي: متصدعة يومئذ)" (المزمل 18) "السَّمَاءُ فُرِجَتْ" (المرسلات 9) "السَّمَاءُ كُشِطَتْ" (التكوير 11) "تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا" (الطور 9) "تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ" (المعارج 8) "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ" (الأنبياء 104) "وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الزمر 67) "وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا" (النبأ 19)
الشمس والقمر	"الشَّمْسُ كُوِّرَتْ" (التكوير 1) "وَخَسَفَ الْقَمَرُ. وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ" (القيامة 8-9) "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (أي: انفلق فلقتين!)" (القمر 1)
النجوم	"النُّجُومُ انكَدَرَتْ" (التكوير 2) "النُّجُومُ طُمِسَتْ" (المرسلات 8) "الْكَوَاكِبُ (أي: النُّجُومُ) انتَثَرَتْ" (الانفطار 2)
السحاب	"تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ (أي: بِالسَّحَابِ)" (الفرقان 25) "يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ" (البقرة 210)
الملائكة والعرش الإلهي	"وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا" (الفرقان 25) "وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا" (النبأ 38) "وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا" (الفجر 22) "وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا (أي: على جوانب السماء وأطرافها!) ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ [من الملائكة]" (الحاقة 17) "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ (أي: والملائكةُ الذين حَوْلَهُ)" (غافر 7) "وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ (أي: محيطين به)" (الزمر 75) "وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (قيل: لنزول الملائكة)" (النبأ 19)

فهل الأفكار المذكورة في الجدول السابق جديدة؟! هل فكرة القيامة أو إحياء الموتى فكرة جديدة جاء بها رسولُ الإسلام عن طريق وحي من الله؟! وهل فكرة النفخ في الصور (القَرْن/البوق) فكرة جديدة جاء بها رسولُ الإسلام عن طريق وحي من الله؟! وهل أهوال يوم القيامة أفكار جديدة جاء بها رسولُ الإسلام عن طريق وحي من الله؟! سيجيب أحباؤنا المسلمون المخدوعون بكلمة "نعم". لكن حين ننظر إلى الديانات السابقة للإسلام سنجد أن هذه الأفكار الأخروية (eschatological) كانت أفكاراً معروفة قبل الإسلام بمئات السنين. ومن حُسن الحظ أن القرآن نفسه يعترف بذلك، بدليل "الَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ [من قبري حيًا] وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي (أي: هلكوا فلم يُبعث منهم أحدٌ) وَهُمَا (أي: وَالِدَاه المؤمنان) يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ [في أمر ابنهما] [ويقولان لابنهما] وَيْلَكَ آمِنْ [بالبعث] إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ [بالبعث] حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (myths of the ancients)" (الأحقاف 17) (مكية)؛ إذن: مَا هَٰذَا البعث إِلَّا ما سطَّره الأمم السابقة في كتبهم، فهو منقول من الكتب القديمة. اقرأ أيضاً: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ [فلم نرهم بُعِثُوا] إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (النمل 67-68)؛ "بَلْ قَالُوا (أي: قال المكذِّبون بالبعث المعاصرون لمحمد) مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ. قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ [فلم نرهم بُعِثُوا] إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (المؤمنون 81-83)؛ "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ. الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ. وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (المطففين 10-13)[1852].

ويوجد حديث أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ جَاءَ حَبْرٌ (وفي روايةٍ للبخاري: جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الْيَهُودِ) إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ (وفي روايةٍ للبخاري: تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ) ثُمَّ قَرَأَ: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الزمر 67)[1853]! وهذا الحديث الصحيح المتفق عليه يؤكد أن أصحاب القرآن (هنا: محمد وابن مسعود) كانوا يسمعون ما يقوله أهلُ الكتاب ويصدِّقونهم حتى لو كان كلامهم مجرد أساطير أو تطور بشري طبيعي لأَسَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ (هنا: أسطورة أطلس الذي يحمل ثقل السَّمَاوَاتِ على كتفيه حسب الأساطير الإغريقية)! وهذا الحديث الصحيح المتفق عليه يؤكد أيضاً أن أمية محمد المزعومة لم تمنعه من معرفة أمور الدين من أهل الكتاب، فيكفيه ما كان يسمعه بأذنيه ويراه بعينيه.

الإلمام بهذه الأفكار الأخروية مثل القيامة والنفخ في الصور وغيرهما وتضمينها في كتابٍ ما أو معتقدٍ ما أو ديانةٍ ما ليس بحاجة إلى أي وحي من الله. والأدلة على ذلك كثيرة جداً، لكن حرصاً على عدم الإطالة سنكتفي بمجموعة من الأمثلة على سبيل المثال وليس الحصر.

3.5.1 مصادر القرآن من الكتاب المقدس وتراثه اليهودي-المسيحي قبل الإسلام

3.5.1.1 نبذة تاريخية قصيرة عن اليهود المعاصرين للمسيح ورسله

في القرن الثاني قبل الميلاد، ظهرت فرقتان يهوديتان رئيسيتان: "الصَّدُّوقِيُّون" (Sadducees) و "الْفَرّيسيُّون" (Pharisees)[1854]، واستمرتا أثناء حياة السيد المسيح ورسله. اختلفت هاتان الفرقتان في أمورٍ أهمها القيامة من الموت. "والمقصود بالقيامة من الموت هنا هو قيامة الأجساد، فأرواح الموتى مستمرة في الحياة منذ مفارقتها الجسد، أي أن الروح لا تموت، فتتحد الأجساد القائمة من الموت بالأرواح"[1855].

كان اليهود الصدوقيون ينكرون القيامة من الموت: "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ جَاءَ إِلَيْهِ **صَدُّوقِيُّونَ**، الَّذِينَ **يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ**" (متى 23:22) (مرقس 18:12) "الَّذِينَ **يُقَاوِمُونَ أَمْرَ الْقِيَامَةِ**" (لوقا 27:20).

في المقابل وعلى العكس تماماً، كان اليهود الفريسيون يؤمنون بالقيامة؛ ومنهم بولس الرسول (Paul the Apostle) "فَرّيسِيٌّ ابْنُ فَرّيسِيٍّ" (أعمال الرسل 6:23) فاستغل بُولُسُ هذا الخلاف الكبير بَيْنَ الْفَرّيسِيّينَ وَالصَّدُّوقِيّينَ ليُحدث انقساماً بين مَن يحاكمونه ويستميل الْفَرّيسِيّينَ إلى صفه: "وَلَمَّا عَلِمَ بُولُسُ أَنَّ قِسْمًا مِنْهُمْ صَدُّوقِيُّونَ وَالآخَرَ فَرّيسِيُّونَ، صَرَخَ فِي الْمَجْمَعِ: «أَيُّهَا الرّجَالُ الإِخْوَةُ، أَنَا فَرّيسِيٌّ ابْنُ فَرّيسِيٍّ. عَلَى رَجَاءِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ أَنَا أُحَاكَمُ». وَلَمَّا قَالَ هذَا حَدَثَتْ مُنَازَعَةٌ بَيْنَ الْفَرّيسِيّينَ وَالصَّدُّوقِيّينَ، وَانْشَقَّتِ الْجَمَاعَةُ، لأَنَّ **الصَّدُّوقِيّينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ لَيْسَ قِيَامَةٌ وَلاَ مَلاَكٌ وَلاَ رُوحٌ، وَأَمَّا الْفَرّيسِيُّونَ فَيُقِرُّونَ بِكُلِّ ذلِكَ**. فَحَدَثَ صِيَاحٌ عَظِيمٌ، وَنَهَضَ كَتَبَةُ قِسْمِ الْفَرّيسِيّينَ وَطَفِقُوا يُخَاصِمُونَ قَائِلِينَ: «لَسْنَا نَجِدُ شَيْئًا رَدِيًّا فِي هذَا الإِنْسَانِ! وَإِنْ كَانَ رُوحٌ أَوْ مَلاَكٌ قَدْ كَلَّمَهُ فَلاَ نُحَارِبَنَّ اللهَ». وَلَمَّا حَدَثَتْ مُنَازَعَةٌ كَثِيرَةٌ اخْتَشَى الأَمِيرُ أَنْ يَفْسَخُوا بُولُسَ (أي: خَافَ الْقَائِدُ أَنْ يَشقُّوا بُولُسَ شِقَّيْنِ!)، فَأَمَرَ الْعَسْكَرَ أَنْ يَنْزِلُوا وَيَخْتَطِفُوهُ مِنْ وَسْطِهِمْ وَيَأْتُوا بِهِ إِلَى الْمُعَسْكَرِ" (أعمال الرسل 6:23-10).

إلا أن اليهود المؤمنين بقيامة الأموات اختلفوا في التفاصيل[1856]. مثلاً: مَن سيقوم مِن الأموات؟ الأبرارُ فقط؟ أم الأبرارُ والأشرارُ؟ وما طبيعة جسد القيامة؟ وما هو مصير الأشرار إن قاموا؟ عذابٌ مؤقت ثم هلاك أي فناء؟ أم عذابٌ أبدي؟ انتمى بولس الرسول إلى الفريق الذي يؤمن بالقيامة العامة لكل الأموات: "سَوْفَ تَكُونُ قِيَامَةٌ لِلأَمْوَاتِ، الأَبْرَارِ وَالأَثَمَةِ" (أعمال الرسل 15:24) **[← وكذلك آمن أصحابُ القرآن بعقيدة القيامة العامة لكل الناس "وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا" (الكهف 47) أي قيامة كل الأبرار "يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ" (مريم 85) وقيامة كل الأشرار "وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ" (طه 102). لكن أصحاب القرآن وسَّعوا مفهوم القيامة ليشمل قيامة كائنات أخرى غير الإنس كما شرحنا فيما سبق: "إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا. لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا" (مريم 93-95)!]**. وأكَّد يسوعُ المسيح أن الأشرار يمضون "إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ" (متى 41:25) "إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ" (متى 46:25) بينما يمضي "الأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (متى 46:25) أي نعيم "فِي الْمَظَالِّ الأَبَدِيَّةِ" (لوقا

(9:16 [← طوّر أصحابُ القرآن هذه العقيدة تطوراً بشرياً طبيعياً فقالوا: "وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (التغابن 9-10) "إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ" (الزخرف 74) "نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا" (الجن 23) "نُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ" (السجدة 14) "ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ" (فصلت 28). لكن ليس كل مَن يدخل النار سيخلد فيها: "قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ" (الأنعام 128) "خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ" (هود 107)[1857]! وكالعادة، اختلف المفسرون المسلمون في تحديد الفئة المستثناة من الخلود في النار. قيل إنهم: عصاة الموحّدين المؤمنين؛ مَن لم ينكروا رسالةَ الله؛ مَن يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ فَلَا يُدْخِلُهُمُ النَّارَ؛ مَن يُخْرِجُهُمُ اللهُ برحمته مِن النار؛ مَن يُعَذِّبُهُمُ اللهُ بنوعٍ آخر من العذاب! "وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَى بِذَلِكَ أَهْلَ النَّارِ وَكُلَّ مَنْ دَخَلَهَا. [...] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [...] قَالَ: يَأْمُرُ النَّارَ أَنْ تَأْكُلَهُمْ. قَالَ: وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَيَأْتِيَنَّ عَلَى جَهَنَّمَ زَمَانٌ تُخْفِقُ أَبْوَابُهَا، لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا يَلْبَثُونَ فِيهَا أَحْقَابًا [النبأ 23]. [...] عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: جَهَنَّمُ أَسْرَعُ الدَّارَيْنِ عُمْرَانًا وَأَسْرَعُهُمَا خَرَابًا. [...] وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ [هود 107] بِالصَّوَابِ، [...] أَنَّ ذَلِكَ اسْتِثْنَاءٌ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ أَنَّهُ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِلَّا مَا شَاءَ مِنْ تَرْكِهِمْ فِيهَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ منها فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ"[1858]، "يُعذَّبون [لمدة معينة] بمقدار مخالفتهم [للقرآن والسنة]، ثم يدخلون الجنة"[1859]. وقيل غير ذلك. وكالعادة أيضاً، قيل: الله أعلم بالمراد من هذا الاستثناء!].

هذه الخلفية التاريخية مهمة لأنها توضح أهمية فكرة القيامة من الأموات، فلقد كانت واحدة من أهم أسباب المنازعات بين اليهود الفريسيين واليهود الصدوقيين. استمر العداء الشديد بين هاتين الفرقتين اليهوديتين بدءاً من القرن الثاني قبل الميلاد حتى سقوط أورشليم وخراب الهيكل سنة 70م. ومنذ ذلك التاريخ، انتهى حزب الصدوقيين و "أصبح لا مجال لوجوده أو نشاطه، ولم يعد يُسمع عنهم حسٌ و لا خبرٌ"، "ولم يتبقَّ من كافة الأحزاب اليهودية سوى الفريسيين المعتدلين"[1860]. ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا استمرت فكرة القيامة وانتشرت وتم تضمينها في الديانات التي ظهرت بعد ذلك - ومن بين هذه الديانات بطبيعة الحال الإسلام.

لكن هذا لا يعني أن منكري القيامة والمكذِّبين بالبعث قد اختفوا تماماً من الساحة الدينية بعد ظهور المسيحية. لا لم يختفوا تماماً. بل استمروا، ولو بقوةٍ أقل، حتى ظهور الإسلام. والقرآنُ نفسه يعترف بوجودهم ويرد على حججهم ويهددهم بعذاب النار الأبدي؛ اقرأ مثلاً: "فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (أي: أنُبْعَث؟!) ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (الرعد 5). وهذا الأسلوب القرآني في التهديد والوعيد يشبه إلى حد كبير الأسلوب الذي اتبعه رجالُ الدين المسيحي الشرقيون المعاصرون للإسلام مثل "باباي الكبير" (Babai the Great) (ت. 628م) في رده

على منكري القيامة. يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على القرآن (الرعد 5)[1861]:

> Notably, at the moment of the Qurʾān's origins the Syriac father Babai the Great (d. 628) was arguing against the Christians of his day who followed the doctrine of Ḥenana of Adiabene (d. 610). Babai accuses these Christians of denying the resurrection of the body (cr. Tommaso Tesei):
>
> > However all of these followers of Ḥenana even in our day rise up for their destruction. These people deny not only the resurrection of the body of our Lord, but also the general resurrection of the bodies of all men. They believe in the redemption of all souls in the future and they believe that their redemption is when they are freed from the prison of the body in which they are confined. But in truth the bodies of these evil ones will rise in the resurrection of judgment and they will be handed over to eternal punishment with Satan their father, whose deception they have accepted (Babai the Great, *Liber de unione*, 195).

3.5.1.2 كيف أثبت أصحابُ القرآن قدرةَ الله على إحياء الموتى؟!

ونريد هنا أن نتوقف قليلاً عند الطريقتين الأساسيتين اللتين اعتمد عليهما أصحابُ القرآن لإثبات قدرة الله على إحياء الموتى:

الطريقة الأولى: إعادة خَلْق الإنسان (أي: قيامته من الأموات) أسهلُ وأيسرُ وَأَهْوَنُ مِن خَلْقه أَوَّل مَرَّة. أي أن ابتداء الخلق أعجب وأغرب من إعادته؛ ففي استطاعة مَن بدأ أن يُعيد. بعبارة أخرى: "أن الذي استطاع إيجادنا أول مرة في هذه الحياة الأولى، لهو قادر على إعادة إيجادنا مرة أخرى في حياة ثانية، فيصبح الدليل على الحياة الثانية هو حياتنا الأولى ذاتها. ولا شك أنه ما من شيء أبعد عن العقل والمنطق من أن نُقِرَّ بوقوع أمر (الآن)، ثم نرفض الاعتقاد في إمكانية حدوثه مستقبلاً"[1862]. وبما أن العرب الوثنيين كانوا يؤمنون أن الله خلقهم ووهبهم الحياةَ "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ" (الزخرف 87) "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ" (لقمان 25) (الزمر 38) "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ" (الزخرف 9) "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ" (العنكبوت 61). إذن: لا يوجد أي مبرر لعدم إيمانهم بأن الله سيقيمهم من الأموات ويهبهم الحياةَ مَرَّةً أخرى:

"وَضَرَبَ [الكافرُ] لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (أي: بالية متفتتة). قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ" (يس 78-79) "وَيَقُولُ الْإِنسَانُ [الكافرُ الذي ينكر البعث] أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا. أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا. فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ (أي: لنجمعنهم يوم القيامة)" (مريم 66-68) "وَأَنَّهُ (أي: الله) هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا. وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ. مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ. وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (second creation) (new genesis) (أي: إعادة خلقهم بعد مماتهم؛ إعادة الروح إلى الجسم عند البعث كما نفخ الروح في الجماد عند الخلق الأول)" (النجم 44-47) "أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (easy). قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ (last creation) (final genesis) ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (العنكبوت 19-20) "ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (easy)" (ق 44) "وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ (easier) عَلَيْهِ" (الروم 27) "كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ" (الأنبياء 104) "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ" (الأعراف 29)؛ (المؤمنون 12-16) (التغابن 2-3، 7) وآيات قرآنية أخرى تستخدم نفس الطريقة وتعطي نفس المعنى عرضنا بعضها فيما سبق[1863].

<u>الطريقة الثانية:</u> الإنسان (آدم) مخلوق من تراب الأرض. وبما أن الله ينزل المطرَ الذي يُنْبِت الأرضَ القاحلة (يُحيي الأرضَ الميتة)، وبما أن العرب الوثنيين كانوا يؤمنون أن الله هو من يُحيي الأرضَ الميتة "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ" (العنكبوت 63) "قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ" (يونس 31). إذن: يستطيع اللهُ أن يُحيي الموتى حتى بعد أن تتحلل أجسامهم وعظامهم في تراب الأرض. اقرأ مثلاً: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ (أي: المطرَ) اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ [كما خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وكما أحيا الأَرْضَ الهامِدَةَ[1864]] وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ" (الحج 5-7) "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا (أي: فتحرك سَحَابًا) فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ (أي: أرضٍ لا نبات فيها) [فينزل المطر] فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ" (فاطر 9). وآيات قرآنية أخرى تستخدم نفس الطريقة وتعطي نفس المعنى عرضنا بعضها فيما سبق. ويقول الحديث الذي رواه البخاري ومسلم إن محمد قال "مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ (أي: الإماتة والقيامة) أَرْبَعُونَ" "ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ"[1865]!

هاتان الطريقتان موجودتان في التراث المسيحي السرياني قبل الإسلام! مثلاً: تراث القديس المسيحي السرياني "أفراهاط" (Aphraates) (Aphrahat) (ت. حوالي 345م) وهو واحد من الآباء الروحيين

لأصحاب القرآن. تقول موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) تعليقاً على "وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا. أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا" (مريم 66-67)(1866):

[…] the early fourth century Syrian monastic writer Aphraates uses a similar argument to make precisely the same point as does the latter of the two passages in [سورة مريم] — and Aphraates clearly does not intend to argue for *creatio ex nihilo*: "About this resurrection of the dead I shall instruct you, most dear one, to the best of my ability. God in the beginning created man; He molded him from dust and He raised him up. If, then, when man did not exist, He made him from nothing, how much easier is it for Him now to raise him up like a seed sown in the earth" ([…]).
Gibb ([…]) is certain that the doctrine of the last judgment in the Qurʾān was derived from Christian sources, especially from the writings of the Syriac Christian Fathers and monks (see SYRIAC AND THE QURʾĀN; MONASTICISM AND MONKS).
[…] In the Meccan period, death is first used metaphorically in "sign passages," texts speaking of God's providence: He brings to life dead land (i.e. waste land) by sending rain; in seeds he gives life to what has been considered dead (see AGRICULTURE AND VEGETATION). […] The question "When I am dead, shall I be brought out alive?" ([مريم 66]) elicits lengthy responses. The imagery of the earlier "sign passages" referring to God's providence is combined here with the theme of the resurrection which testifies to God's supreme power over life and death. The resurrection represents the final restoration and re-commencement of the human race as it was at the beginning, at the pristine moment of creation. It is God who brings to life and causes to die, who raises the dead as a new act of life-giving creation and who brings the faithful back to him in paradise. This power of God is the decisive argument in the Qurʾān for belief in God (see POWER AND IMPOTENCE). […]

> […] There is a striking parallelism between the qurʾānic and Syriac emphasis on the inevitability of death and the consequences humans should thereby draw regarding their eternal destiny, ending in parallel descriptions of the terrors of hell as the destiny of unbelievers. In the case of the Qurʾān, however, this preaching did not lead to monastic asceticism (see MONASTICISM AND MONKS) as in Eastern Christianity but to a particular form of “inner-worldly” asceticism.

ويجب هنا أن نوضح أن استخدام كلمة "قيامة" في "يوم القيامة" - الذي ذُكِرَ في القرآن سبعين مرة كمصطلح أخروي (a technical eschatological term) - له جذور مسيحية سريانية/آرامية(1867) فهو تعريب (qiyamthā) أو (qiyamathā). قال ابنُ منظور في لسان العرب [ق و م]: "يومُ القيامة: يومُ البعث؛ [...]، قيل: أَصْلُه مصدر قام الخلقُ من قبورهم قِيامَةً، وقيل: هو تعريب قِيَمْثَا، وهو بالسريانية بهذا المعنى". وكذلك "يوم الدِّينِ" المذكور 13 مرة في القرآن، إحداها في سورة الفاتحة التي يقرأها المسلمُ في الصلوات الخمس اليومية: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" (الفاتحة 4). "يوم الدِّينِ" مستوحى من – بل يكاد يكون منقولاً من – الأعمال الوعظيَّة الليتورجية المسيحية السريانية/الآرامية (yawmā d-dīnā) من الإنجيل (متى 15:10، 22:11، 24:11، 36:12) (مرقس 11:6) (2 بطرس 9:2، 7:3) (1 يوحنا 17:4). يقول العالِم الكبير (Prof. Emran Iqbal El-Badawi) تعليقاً على "يَوْمِ الدِّينِ" في القرآن(1868):

> [...] The Day of Judgment as a symbol of the [divine, universal, final] justice promised by scripture played an important role in the liturgical and homiletic works of Syriac speaking churches. The Day of Judgment also circulated as a doctrine in the Qur’ān’s milieu ([…]).
>
> [...] the qur’ānic [يَوْم الدِّينِ] was, on the whole, adopted from the Aramaic sphere. It was, more specifically, in strong dialogue with the Aramaic Gospel of Matthew. Lüling sums up the Day of Judgment’s function, for both Matthew and the Qur’ān, as a day of promise, horrific punishment, and divine favor.

في ضوء تأثر أصحاب القرآن بالتراث المسيحي السرياني حتى على مستوى الكلمات والألفاظ "يوم القيامة" "يوم الدِّينِ"، نصدِّق أنهم أخذوا من التراث المسيحي السرياني أيضاً الطريقتين المذكورتين لإثبات القيامة.

وفي الواقع فإنه قَبْل أفراهاط السرياني والقرآن العربي، اعتمد القديس المسيحي المعروف "إكليمندس الروماني" (Saint Clement of Rome) على الطريقة الثانية ليثبت القيامة. نجد ذلك في رسالة القديس إكليمندس الروماني الأولى (First Epistle of Clement) (1 Clement) التي تُعْتبَر من أهم وأشهر أعمال "الآباء الرسوليين" (Apostolic Fathers) إذ يرجع تاريخُها إلى أواخر القرن الأول الميلادي، حيث استدلَّ القديس إكليمندس بقدرة الله على أن يهب الحياةَ للبذرة في الأرض حتى يثبت قدرةَ الله على أن يُحْيِي الْمَوْتَى. يقول الفصل الرابع والعشرون من هذه الرسالة المهمة **(1 إكليمندس 24):** {1} لنلاحظ، أيها الأحبَّاء، كيف أن الربّ (أي: السيد؛ يقصد: الله) لا يكفّ عن اظهار الدلائل على القيامة المقبلة التي أعطانا باكورتها (firstfruit) بإقامة الرب يسوع المسيح من بين الأموات. {2} لنتأمل، أيها الأحبَّاء، القيامة التي يتوالى حدوثها من وقتٍ لآخر. {3} فالنهار والليل يظهران لنا القيامة: ينام الليلُ ليقوم النهارُ، يرحل النهارُ ليعود الليلُ. {4} لنأخذ الثمار [مثلاً]، كيف تحدث زراعة البذور، وبأية طريقة تكون. {5} يخرج الزارعُ ويلقي مختلف البذور، فتسقط جافة عارية على الأرض حيث تتحلل. ولكن من تحللها ذاته يقيمها السيد (أي: الله) من جديد بعظيم عنايته ويكثِّر البذرةَ الوحيدة ويجعلها تحمل ثماراً(1869).

ونلاحظ هنا أيضاً أن إكليمندس الروماني استخدم كلمةَ "بَاكُورَة" (firstfruit) وهي أيضاً مستوحاة من مجال الزراعة عند اليهود، لأن باكورة الحصاد - أي أول حزمة من الحصاد - كانت تُعْطَى للرب كرمزٍ إلى أن كل الحصاد هو للرب وسيتم تكريسه كله للرب، وأيضاً كعربون بكامل الحصاد الآتي. ولذلك فإن قيامة المسيح إلى الحياة الأبدية هي الضمان على القيامة الوشيكة لكل المُخلَّصين إلى الحياة الأبدية(1870).

وقَبْل إكليمندس الروماني وأفراهاط السرياني والقرآن العربي، اعتمد بولسُ الرسول على هاتين الطريقتين في حديثه الشهير وخطابه المطوَّل عن القيامة (1 كورنثوس 15) حيث قارن بين الإنسان ابن آدم الذي خلقه اللهُ من ترابٍ مصيره الموت والإنسان الذي أقامه اللهُ من الموت إلى الحياة الأبدية، وفي نفس الفقرة استخدم بولسُ كلماتٍ مستقاة من مجال الزراعة وإنبات الأرض ليوضِّح أن القيامة تشبه عملية الزرع إذ تُدْفَن البذرةُ في الأرض ثم تنبت ناهضة للحياة من جديد. كما نلاحظ أن بولس استخدم نفس الكلمة التي استخدمها إكليمندس من بعده وهي كلمة "بَاكُورَة" (firstfruit). **(1 كورنثوس 15):** {20} وَلكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ (firstfruit) الرَّاقِدِينَ (أي: أوَّلُ مَنْ قامَ مِنْ رُقادِ المَوتِ إلى الحياة الأبدية؛ بِكرُ حَصَادِ الَّذِينَ مَاتُوا ثم قاموا قيامةً لا موت بعدها). {21} فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ (أي: إذِ دخل الْمَوْتُ إلى الجنس البشري بواسطة آدم أول إنسان خاطي عَصَى اللهُ فحُكِمَ عليه بالموت)، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ (أي: تدخل القيامةُ إلى الجنس البشري بواسطة يسوع المسيح أول إنسان بلا خطية أطاع اللهَ حتى مات ليفدينا ثم قام ليُخلِّصنا من حُكْم الموت). {22} لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ (أي: كَمَا أورث آدمُ الموتَ لكُلِّ إنسان)، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ (أي: أورث المسيحُ الحياةَ الأبدية لكُلِّ إنسان مسيحي مؤمن بموت المسيح

وقيامته أي لكُلِّ إنسان مسيحي مؤمن بآلام وصليب وموت وقيامة الفادي والمخلِّص الرب يسوع المسيح ابن الله). {23} وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ (أي: دوره؛ درجتِه): الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ (firstfruit)، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ [الثاني]. [...] {35} لكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: «كَيْفَ يُقَامُ الأَمْوَاتُ؟ وَبِأَيِّ جِسْمٍ يَأْتُونَ؟» {36} يَا غَبِيُّ! [انظر إلى عالمِ النبات] الَّذِي تَزْرَعُهُ (sow) لاَ يُحْيَا إِنْ لَمْ يَمُتْ (أي: البذرة لا تنبت وتنمو وتثمر إنْ لَمْ تُدْفَن في التربة الزراعية)[1871]. {37} وَالَّذِي تَزْرَعُهُ (sow)، لَسْتَ تَزْرَعُ الْجِسْمَ الَّذِي سَوْفَ يَصِيرُ، بَلْ حَبَّةً (seed) مُجَرَّدَةً (أي: لا تَزْرَع سيقان النبات وأوراقه وأزهاره وإنما تَزْرَع حَبَّةً عَاريَةً فقط)، رُبَّمَا مِنْ حِنْطَةٍ أَوْ أَحَدِ الْبَوَاقِي. {38} وَلكِنَّ اللهَ يُعْطِيهَا جِسْمًا كَمَا أَرَادَ (أي: الله هو الذي يُغيِّر جسمَ البذرة الميت إلى جسمٍ جديد مختلف في شكله هو جسم النبات الحي الذي يخرج منها بسيقانه وأوراقه وأزهاره). وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْبُزُورِ جِسْمَهُ [النباتي الخاص به والذي يميزه]. [...] {42} هكَذَا أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ (sown) فِي فَسَادٍ (أي: يُدْفَن في الأرضِ الجسدُ البشري القابل للتحلل) وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ (أي: يوم القيامة يُغيِّره اللهُ إلى كيانٍ روحاني غير قابل للتحلل). {43} يُزْرَعُ (sown) (أي: يُدْفَن الإنسانُ في الأرض) فِي هَوَانٍ (أي: في خِزْيٍ لأنه يُدْفَن على صورة أبيه آدم الخاطي) وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ (أي: مُمَجَّدًا لأنه يقوم على صورة سيده يسوع المسيح البار[1872]). يُزْرَعُ (sown) (أي: يُدْفَن الإنسانُ في الأرض) فِي ضَعْفٍ [لأنه سقط في خطايا قبل موته] وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ [لأن ليس للخطية سلطانٌ عليه بعد قيامته]. {44} يُزْرَعُ (sown) (أي: يُدْفَن الإنسانُ في الأرض) جِسْمًا حَيَوَانِيًّا (natural body) (أي: مَادِيًّا من لحم ودم، مثل آدم وسائر الحيوانات) وَيُقَامُ جِسْمًا رُوحَانِيًّا (spiritual body) (أي: غير مادي، مثل المسيح المُقام من الأموات). يُوجَدُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ (أي: طبيعي يتكوَّن من نفس وروح وجسد مادي له غرائز وشهوات مثل آدم وسائر الحيوانات؛ يقصد: جسمنا الدنيوي الحالي الذي تقوده النفس البشرية على الأرض) وَيُوجَدُ جِسْمٌ رُوحَانِيٌّ (أي: جِسْمٌ آخر يتكوَّن فقط من روح وجسد مُمَجَّد غير مادي وبلا غرائز ولا شهوات حيوانية؛ يقصد: جسمنا الأخروي الذي ستقوده الروحُ يوم القيامة). {45} هكَذَا مَكْتُوبٌ أَيْضًا [في (التكوين 7:2)]: «صَارَ آدَمُ، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً»، وَآدَمُ الأَخِيرُ (Last Adam) (أي: المسيحُ الْمُمَجَّدُ بعد قيامته) رُوحًا مُحْيِيًا (أي: لولا خَلْق أبينا آدم ما جئنا إلى الحياة الدنيا ولولا قيامة ربنا يسوع المسيح ما ذهبنا إلى حياة الآخرة؛ يقصد: إذا صدَّقتَ أن الله خلق آدمَ وأقام المسيحَ من الموت يجب أن تصدِّق أن الله سيُقيم كُلَّ إنسان من الموت). {46} لكِنْ لَيْسَ الرُّوحَانِيُّ أَوَّلاً بَلِ الْحَيَوَانِيُّ، وَبَعْدَ ذلِكَ الرُّوحَانِيُّ[1873]. {47} الإِنْسَانُ الأَوَّلُ (أي: آدمُ Adam أوَّلُ إنسان خلقه اللهُ) مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ (أي: خلق اللهُ أبانا آدمَ بطبيعةٍ أرضية مادية). الإِنْسَانُ الثَّانِي (أي: آدم الثاني Second Adam؛ أو: آدم الجديد New Adam؛ هو: المسيحُ أوَّلُ إنسان أقامه اللهُ من الموت إلى الحياة الأبدية)، الرَّبُّ، مِنَ السَّمَاءِ (أي: أقام اللهُ رَبَّنَا يسوعَ المسيحَ بطبيعةٍ سماوية غير مادية). {48} كَمَا هُوَ التُّرَابِيُّ (أي: آدمُ) هكَذَا التُّرَابِيُّونَ أَيْضًا (أي: هكَذَا في الدنيا نسلُ آدم)، وَكَمَا هُوَ السَّمَاوِيُّ (أي: المسيحُ الْمُمَجَّدُ بعد قيامته) هكَذَا السَّمَاوِيُّونَ أَيْضًا (أي: هكَذَا في الآخرة المؤمنون بقيامة المسيح). {49} وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ (أي: كَمَا ورثنا طبيعةَ آدم القابلة للموت، ولذلك نموت في الدنيا)، سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ (أي: يوم القيامة سيرث المؤمنون

بقيامة المسيح طبيعةَ المسيح الْمُمَجَّد المُقام من الأموات، فلن يموتوا في الآخرة). {50} فَأَقُولُ هذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ: إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا (يقصد: الفرد البشري الواحد في حالته الحالية الفانية والفاسدة والضعيفة والخاطئة) لاَ يَقْدِرَانِ أَنْ يَرِثَا مَلَكُوتَ اللهِ (أي: جنةَ الخلد؛ مملكةَ الله الأبدية في الآخرة والتي قد بدأت في الدنيا بمُلْكِ اللهِ على قلوب أولاده المؤمنين بآلام وصليب وموت وقيامة الفادي والمخلِّص الرب يسوع المسيح ابن الله)، وَلاَ يَرِثُ الْفَسَادُ عَدَمَ الْفَسَادِ (أي: لاَ يَرِثُ الجسدُ القابلُ للموت عَدَمَ الموتِ؛ يقصد: لا يمكن أن نخلد في السماء بأجسادنا الحالية المادية القابلة للتحلل، ولذلك يجب أن تتغير أجسادُنا إلى أجسادٍ جديدة).

إذن: استدلَّ بولسُ بالتغير الضروري من شكل البذرة (الحبَّة) الميتة في الأرض إلى شكل النبات الحي فوق الأرض، حتى يوضِّح أنه يوم القيامة يجب أن تتغير أجسادُنا الطبيعية الحالية التي كانت تناسب الحياة على الأرض إلى أجسادٍ جديدة مختلفة في شكلها عن أجسادنا الأرضية المادية، فتصير أجساداً روحانيةً مُمَجَّدةً تناسب الحياة الأبدية مع الله القدوس في السماء بدون لحم ودم وبدون نفس بشرية خاطئة. "فكما يُعطي اللهُ جسماً جديداً لتلك النبتة التي تقوم من البذرة الميْتة، هكذا يستطيع أن يعطي جسدَ قيامةٍ للإنسان الذي يموت"، و "يفيد الرسولُ [بولسُ] بأننا عبر آدم الأوَّل نلنا أجسادنا الطبيعيَّة، ولكن عبر آدم الأخير سوف ننال أجسامنا الروحيَّة في القيامة. وقد كان جسد آدم هو نموذج الجسد الطبيعيّ، أما جسد المسيح [الْمُمَجَّد المُقام] فهو نموذج جسد القيامة. وسوف تكون أجسادنا على صورة جسده المُعَدَّ للسماء [...]، مثلما سبق أن كانت لنا صورةُ جسد آدم على الأرض"[1874]. البرهان الذي استخدمه بولسُ والمعتمد على القياس (analogy) كان فعَّالاً، والربيُّون الذين جاءوا بعده استخدموا أيضاً القياس مع "الحبَّة" (the “seed” analogy)[1875].

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس عن طبيعة جسد القيامة: "وتعتبر قيامة المسيح من الموت بعد الصليب مثالاً وعربوناً لقيامة شعبه لأن مواعيد الفداء ليس للنفس فقط بل للأجساد أيضاً. وحيث إن المؤمن متحد بالمسيح في موته فهو كذلك أيضاً بقيامته ([...]). وفي الأغلب لا يمكننا أن نملك تحديداً أكيداً كاملاً عن حقيقة جسد القيامة، لكن من الكلمة المقدسة نستطيع أن ندرك بعض السمات. فهو سيكون رُوحَانِيًّا (1 كورنثوس 44:15) إلا أنه لا بد من بقائه على صورة الجسد البشرية؛ لأن المسيح ظهر لتلاميذه بعد القيامة بهيئته البشرية التي عرفوه بها ولم تزل في جسده علامات خاصة. وفي الأغلب أيضاً أن يكون جسد القيامة يشابه الجسد الأرضي، إلا أنه مع تلك المشابهة يمتاز بكونه ممجداً وروحانياً وسماوياً. وجسد القيامة سيكون مجيداً لا يقبل الفساد منزهاً عن الهوان وخالداً (أي: لا يموت) (1 كورنثوس 42:15-44، 51-54). وهذا الجسد يتغير حتى لا يعود بعد لحماً ودماً (1 كورنثوس 50:15). بل مثل الملائكة في كونه لا يمكنه الزواج (أي: لا يتناسل) (متى 30:22). ومن المسلَّم به في الكتاب المقدس بعهديه أنه بهذا الجسد يعرفنا ونعرف مَن كانوا معنا في الأرض. فقد وعظ الرسلُ المؤمنين أن لا يحزنوا على أحبائهم الذين رقدوا حزن الذين لا رجاء لهم. وأكدوا لهم أنهم سيتحدون أيضاً مع جميع الذين يرقدون في الرب"[1876]. فنستطيع إذن أن نقول إن جسد القيامة يتشابه مع جسدنا الأرضي الحالي في أمور ويختلف عنه في أمور أخرى. [←]

وكذلك لم يُعطِ أصحابُ القرآن تقريراً مفصَّلاً عن جسد القيامة، لكن من الواضح أنه سيكون أيضاً خالداً لا يموت (immortal). فالبعث خلق جديد: "يعيد اللهُ العبادَ أنفسهم، ولكنهم يخلقون خلقاً مختلفاً شيئاً ما عما كانوا عليه في الحياة الدنيا، فمن ذلك أنهم لا يموتون [...]. ومن ذلك إبصار العباد ما لم يكونوا يبصرون، فإنهم يبصرون في ذلك اليوم الملائكة والجن، وما الله به عليم، ومن ذلك أن أهل الجنة لا يبصقون ولا يتغوطون ولا يتبولون. وهذا لا يعني أن الذين يُبْعَثون في يوم الدين خلق آخر غير الخلق الذين كانوا في الدنيا، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "النشأتان نوعان تحت جنس: يتفقان ويتماثلان ويتشابهان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر، [...]""[1877]. ولقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن محمد قال: "إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ حُفَاةً (barefoot) عُرَاةً (naked) غُرْلًا (أي: غير مختونين (uncircumcised)"[1878]، أي: كما ولدتكم أمهاتكم! واستدل المفسرون أيضاً على ذلك بآيات قرآنية مثل: "كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ" (الأنبياء 104) "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ" (الأعراف 29) "لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" (الكهف 48)].

وأخيراً نقول إنه قَبْل بولس الرسول وإكليمندس الروماني وأفراهاط السرياني والقرآن العربي، اعتمد كاتِبُ سفر المكابيين الثاني (2 Maccabees) على الطريقة الأولى حتى يثبت قدرةَ الله على إحياء الموتى. وسفرُ المكابيين الثاني هو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) - التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) - ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد - أي في فترة ما بين العهدين وقبل الإسلام بأكثر من 700 سنة. ونجد فيه قصة "استشهاد الأم وأولادها السبعة" (Martyrdom of seven brothers and their mother) (2 مكابيين 7:1-41)[1879]. فهذه القصة اليهودية المشهورة ربطت بين خلق الإنسان أَوَّلَ مَرَّة وإعادة خلقه (إحيائه) مَرَّة أخرى بعد الموت، فلقد قالت الأم اليهودية لأبنائها اليهود: "«لا أعلَمُ كيفَ نشَأْتُم في أحشائي، فأنا لَمْ أمنَحْكُمُ الرُّوحَ والحياةَ، ولا أنا كَوَّنْتُ أعضاءَ جسَدِ كُلِّ واحدٍ مِنكُم، بَلِ الذي فعَلَ ذلِكَ هوَ خالِقُ العالَمِ، فهوَ الذي جبَلَ الإنسانَ وأبدَعَ كُلَّ شيءٍ وهوَ لِذلِكَ سيُعيدُ إليكُم برحمَتِهِ الرُّوحَ والحياةَ، لأنَّكُمُ الآنَ تُضَحُّونَ بأنفُسِكُم في سَبيلِ شَريعتِهِ»" (2 مكابيين 7:22-23). ولذلك نحن نتفق تماماً مع العالِم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) حين يقول تعليقاً على القرآن (الحج 5)[1880]:

[الحج 5] […] The Qurʾān here argues for God's ability to raise the bodies of the dead on the basis of God's initial creation of humans (i.e., Adam) from dust. This argument might be compared to the words of the mother in 2 Maccabees who comforts her son (soon to be killed for his faith) by

arguing that his initial creation by God suggests God's power to bring him back to life:

[…] (2 Maccabees 7:22-23).

مما سبق يتضح أن الطريقتين الأساسيتين اللتين اعتمد عليهما أصحابُ القرآن لإثبات قدرة الله على إحياء الموتى قد نشأتا - إحداهما أو كلتاهما - في سفر المكابيين الثاني ثم في رسائل بولس الرسول ثم في رسائل إكليمندس الروماني ثم في أعمال أفراهاط السرياني ثم في عشرات الآيات في القرآن العربي.

أهمية هذه الدراسة هي أنها تثبت أن كل آية في القرآن لها جذور عميقة في تراث الشرق الأوسط القديم.

3.5.1.3 الهاوية ... البرزخ (المؤمنون 100) ... الحجاب (الأعراف 46) ... السور (الحديد 13)!

قبل الخوض بعمقٍ أكثر في مصادر القرآن من الديانتين اليهودية والمسيحية وتراثهما قبل الإسلام، نريد أن نتحدث عن كلمة مهمة ستقابلنا كثيراً في دراستنا وهي "الهاوية":

في كتب العهد القديم، الهاوية (بالعبرية: Sheol) مكان (مؤقت) يذهب إليه (أرواح) جميع الموتى بدون استثناء، أي: سواء كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين، وسواء كانوا أشراراً أم أبراراً. بدليل أن يعقوب (إسرائيل) قال: "«إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي [يوسف] نَائِحًا إِلَى الْهَاوِيَةِ (أي: سأبقى حزيناً على ابْنِي يوسف إلى أن أموت وألحق به فِي الْهَاوِيَةِ)»" (التكوين 35:37). إنها إذن "عالم الموتى" (realm of the dead) أو "مكان الأموات" أو "دار الموت" أو "العالم السفلي" (underworld) (netherworld)[1881]؛ وتُترجَم أحياناً إلى "القبر" (grave)، لكننا في كثير من الآيات لا نفضل هذه الترجمة، لأن الهاوية مكان للروح بينما القبر مكان للجسد. ثم إن الإنسان قد يموت ويُلقَى في البحر فتأكله الحيتان أو يُلقَى في البرّ فتأكله السِّباع والوحوش والطيور أو يحترق ويكون رماداً، وفي كل تلك الحالات لن يُدفن في قبر في الأرض بينما تذهب روحُه إلى الهاوية. وتتصف الهاوية بصفات كثيرة كلها سيئة وسلبية وأهمها أن الهاوية مظلمة وتحت الأرض وعميقة (the utter bottom of the world) ولها أبواب أي بَوَّابَات أو مَغَالِيق مثل السجن أو السبي وليست مفتوحة أو مكشوفة إلا أمام الله الذي له كامل السلطان عليها. ونظراً لأن الهاوية تسودها الظلمة الشديدة، يُشار إليها أحياناً بكلمة "الْجُبِّ" (Pit) أي الحفرة العميقة الواسعة الكبيرة أو قعر كل ظلام: "لأَنَّهُ قَدْ شَبِعَتْ مِنَ الْمَصَائِبِ نَفْسِي، وَحَيَاتِي إِلَى الْهَاوِيَةِ دَنَتْ. حُسِبْتُ مِثْلَ الْمُنْحَدِرِينَ إِلَى الْجُبِّ. صِرْتُ كَرَجُلٍ لاَ قُوَّةَ لَهُ. بَيْنَ الأَمْوَاتِ فِرَاشِي مِثْلُ الْقَتْلَى الْمُضْطَجِعِينَ فِي الْقَبْرِ، الَّذِينَ لاَ تَذْكُرُهُمْ بَعْدُ [يَا رَبُّ]، وَهُمْ مِنْ يَدِكَ انْقَطَعُوا (أي: منسيون ومتروكون ومنبوذون من الله). وَضَعْتَنِي فِي الْجُبِّ الأَسْفَلِ (the lowest pit)، فِي

ظُلُمَاتٍ، فِي أَعْمَاقٍ (the darkest depths)" (المزامير 88:3-6)؛ "أَمْوَاجَ الْمَوْتِ اكْتَنَفَتْنِي. سُيُولُ الْهَلاَكِ أَفْزَعَتْنِي. حِبَالُ الْهَاوِيَةِ أَحَاطَتْ بِي. شُرُكُ الْمَوْتِ أَصَابَتْنِي" (2 صموئيل 22:5-6)؛ اقرأ أيضاً صلاةَ يونان من ظُلُمَاتِ جَوْفِ الْحُوتِ في أعماق البحر (يونان 2:1-9). كما تُسمَّى الهاويةُ بأسماء أخرى مثل "مَوْضِعِ الْهَلاَكِ" (place of perdition) و "أَرْض النِّسْيَانِ" (land of oblivion). فإذا مات الإنسانُ "لا عودة من "الشيول" أو "مثوى الأموات". فهناك لا حياة، أو شبه حياة. الجميع سواء كانوا أبراراً أو أشراراً يقيمون معاً مثل "الخيالات" بعد أن نساهم الله. وَهُمْ لا يستطيعون بعدُ أن يسبِّحوه ويمدحوه. نتذكَّر أنَّ العهد القديم لم يعرف الحياة السعيدة في الآخرة: فالجزاء يكون في هذه الدنيا: الصحة والعمر الطويل إذا كنتَ بَارًّا، والمرض والموت الباكر إذا كنتَ شريراً. [...] [بعد الموت] يُحرَم المؤمنُ من اثنين: لن يرى الربَّ، لن ينظر إنساناً. يصبح وحيداً، معزولاً، منغلقاً على نفسه. هناك يتوقَّف كُلُّ شيء. لا حركة، لا كلام، كُلُّ شيء يتوقَّف"[1882]. وفي الترجمة اليونانية (السبعينية) للعهد القديم، تُرجمت الهاويةُ (Sheol) إلى "Hades" الذي ربما يعني: غيبي، غير مرئي. ويقول "معجم الأديان العالمية" الذي أصدرته جامعة القاهرة في مصر: "**هاديس Hades:** الإله اليوناني لعالم الموتى"[1883].

أما في العهد الجديد الذي يركِّز تركيزاً شديداً على القيامة والحياة بعد الموت، فإن "الهاوية" (باليونانية: Hades) مكان انتظار مؤقت يذهب إليه أرواح الأشرار وغير المؤمنين فقط، ولذلك فإنها تُترجَم أحياناً إلى "الجحيم" (Hell) مكان عذابهم المؤقت انتظاراً ليوم القيامة ثم الحساب والجزاء حين يذهبون إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ في نَارِ جَهَنَّمَ (باليونانية: Ge(h)enna، نقلاً عن العبرية: Gê Hinnom). (ومن الجدير بالذكر أن الكلمة اليونانية (abussos) التي تعني حرفياً ما ليس له قاع أو ما لا قَعر له تُترجَم أيضاً إلى "الهاوية" (bottomless pit) (Abyss) وهي مكان الأرواح الشريرة والشياطين.) وعلى العكس تماماً، فإن أرواح الأبرار المؤمنين (أي: المؤمنين بآلام وصليب وموت وقيامة الفادي والمخلِّص الرب يسوع المسيح ابن الله) يذهبون إلى مكان انتظار مؤقت آخر هو "الفردوس" (Paradise) – الذي يُسمَّى أيضاً "حِضْنَ إِبْرَاهِيمَ" (Abraham's bosom) أو "جَانِبِ إِبْرَاهِيمَ" (Abraham's side) أي جوار إِبْرَاهِيمَ النبي الذي يمثل هنا الأنبياء والقديسين والمؤمنين الأبرار[1884] – فهو مكان نعيمهم المؤقت انتظاراً ليوم القيامة ثم الحساب والجزاء حين يذهبون إلى الحياة الأبدية والنعيم الأبدي والسلام المطلق والبر المطلق في مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ (جنة الخلد؛ ملكوت الله الأبدي في حياة الآخرة والذي قد بدأ بمُلْكِ اللهِ على قلوب أولاده المؤمنين المسيحيين في حياتهم الدنيا)[1885].

[← طوَّر أصحابُ سورة المؤمنون هذه المعتقدات اليهودية والمسيحية الأخرويَّة حتى انفردوا بفكرة "البرزخ" (barrier) الذي يفصل بين الموت والبعث أو يفصل بين الدنيا والآخرة: "وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (المؤمنون 100). "برزخ، وهو الحاجز بين الشيئين، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يَتَنَعَّمُ المطيعون، ويُعذَّب العاصون، من موتهم إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ"[1886]. "وقال

الضحاك: البرزخ ما بين الموت إلى البعث. وقيل: هو القبر، وَهُمْ فيه إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ"[1887]. ولقد أخرج البخاري ومسلم حديثاً صحيحاً يقول إن امرأة يهودية أخبرت عائشة أنَّ الميّت يُعذَّب في قبره، ففزعت عائشةُ حتى جاء محمدٌ فأخبرته وأقرَّ ذلك[1888]! فيبدو أن هذه المرأة اليهودية - أو اليهود العرب بصفة عامة - هُمْ الذين نقلوا أسطورةَ عذاب القبر (عذاب البرزخ) إلى محمد[1889]؛ أو لعل هؤلاء اليهود كانوا يمتحنون محمداً بمثل هذه الأساطير: إذا صدَّق هذه الأساطير، وهذا ما حدث، فهو ليس نبياً حقيقياً من عند الله].

اقرأ أيضاً مَثَل "الْغَنِيِّ ولِعَازَر" (The Parable of the Rich Man and Lazarus) الذي انفرد به إنجيلُ لوقا عن السيد المسيح يسوع. **(لوقا 16)**: {19} «كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الأَرْجُوانَ وَالْبَزَّ (أي: الكتّان الفاخِر النّاعِم) وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا. {20} وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ، الَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ (أي: عِنْدَ بَابِ جاره الْغَنِيّ) مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ، {21} وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ، بَلْ كَانَتِ الْكِلاَبُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ. {22} فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ، {23} فَرَفَعَ [الْغَنِيُّ] عَيْنَيْهِ فِي الجَحِيمِ (Hades) وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ، {24} فَنَادَى (بالسريانية: qrā) وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبِعِهِ بِمَاءٍ (بالسريانية: mayā) وَيُبَرِّدَ لِسَانِي، لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هذَا اللَّهِيبِ **[⟵ "مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (أي: ما نفعني مالي الذي جمعته)" (الحاقة 28) "وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (أي: هلك؛ سقط في القبر؛ هَوى في النار)" (الليل 11)[1890] "فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (abyss) (pit) (أي: فمأواه جهنم؛ أو: فهو ساقط بأمِّ رأسه في الهاوية!). وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ" (القارعة 9-11). "وَسُمِّيَتِ النَّارُ هَاوِيَةً؛ لِأَنَّهُ يهْوِي فِيهَا مَعَ بُعْدِ قَعْرِهَا"[1891]!]**. {25} فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ [للغني]: يَا ابْنِي، اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ (أي: نِلْتَ خَيْرَاتِكَ كَامِلَةً) فِي حَيَاتِكَ، وَكَذلِكَ [اسْتَوْفَى] لِعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ **[⟵ "عَذَابِ الْحَمِيمِ. ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ" (الدخان 48-49)]** (يقصد: طلبك مرفوض). {26} وَفَوْقَ هذَا كُلِّهِ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ (باليونانية: chasma mega؛ بالسريانية: hawtā rabtā) (أي: حفرة كبيرة وعميقة بل بعيدة القعر) (a great chasm) (a great gulf) قَدْ أُثْبِتَتْ، حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ ههُنَا إِلَيْكُمْ لاَ يَقْدِرُونَ، وَلاَ الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا (أي: يوجد فاصل كبير بين أهل الفردوس وأهل الجحيم ويمنع أهلَ الجحيم من الوصول إلى الفردوس ويمنع أهلَ الفردوس من الوصول إلى الجحيم، لكنهم فقط يرون بعضُهم بعضاً وينادون بعضُهم بعضاً! يقصد: طلبك مستحيل تنفيذه). **[⟵ طوَّر أصحابُ القرآن (الأعراف 44-51) هذا المثل الإنجيلي الشهير حتى انفردوا بفكرة "الحجاب" (veil) الذي يفصل بين أهل الجنة وأهل النار ويمنع أهلَ النار من الوصول إلى الجنة ويمنع أهلَ الجنة من الوصول إلى النار، لكنهم يرون بعضُهم بعضاً وينادون بعضُهم بعضاً! "وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا [من النعيم] حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ [من العذاب] حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ.**

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ[1892] وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا[1893] وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ. وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ (أي: حاجز أو سور عظيم) وَعَلَى الْأَعْرَافِ (أي: وَعَلَى أماكنه الرفيعة العالية[1894]) رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ (أي: يعرفون أهلَ الجنة وأهلَ النار بعلامات خاصة تميّزهم[1895]) وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (أي: بشَّر أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ بالسلام والاطمئنان قبل دخولهم الجنة حين كانوا يرجون دخولها). وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا [من أهل النار] يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ [من الأموال والرجال في الدنيا] وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ. أَهَٰؤُلَاءِ [الفقراء والضعفاء[1896]] الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ [فقال لهم الله أو الملائكةُ أو أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ] ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ. وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ [من الطعام وغيره] قَالُوا (أي: قال أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (أي: طلبكم مرفوض بل مستحيل تنفيذه). الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ (أي: يوم القيامة) نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ" (الأعراف 44-51)[1897][1898]. ومما يؤكد تأثر القرآن بالإنجيل الذي كُتِبَ باللغة اليونانية أن كلمة "سِيمَا" التي تكررت مرتين في هذا السياق القرآني (الأعراف 46، 48) كلمة يونانية الأصل تعني: علامة (sign, mark, or token, especially one from heaven)[1899]. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن كلمة "الأعراف" التي لم تُذْكَر في القرآن كله إلا في نفس هاتين الآيتين (الأعراف 46، 48) تعني المرتفعات أو الأماكن العالية (the Heights) (the Elevations)، فهي أيضاً مستوحاة من المشهد الذي يصفه الإنجيل حيث نجد إبراهيمَ مع لِعَازَرَ في الفردوس المرتفع بينما يقع الْغَنِيُّ في الجحيم السفلي (الهاوية)، بدليل قوله: "فَرَفَعَ [الْغَنِيُّ] عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ" (لوقا 16:23)! وقيل إن "أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ" "رجال من خيار المؤمنين وأفاضلهم [...] أهل الدرجات العالية في الجنة، من الأنبياء والصديقين"[1900]؛ يعني: مثل النبي إبراهيم المذكور صراحةً بالاسم في مَثَل "الْغَنِيّ ولِعَازَر" في إنجيل لوقا!].

تكملة مَثَل "الْغَنِيِّ ولِعَازَر" (The Parable of the Rich Man and Lazarus) الذي انفرد به إنجيلُ لوقا عن السيد المسيح يسوع. **(لوقا 16):** {27} فَقَالَ [الْغَنِيُّ لإِبْرَاهِيمَ]: أَسْأَلُكَ إِذًا، يَا أَبَتِ، أَنْ تُرْسِلَهُ (أي: تُرْسِلَ لِعَازَرَ إلى الدنيا إلى الأرض) إِلَى بَيْتِ أَبِي، {28} لأَنَّ لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ، حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ (أي: لينذرهم لِعَازَرُ حتى يتوبوا ويعملوا أعمالاً صالحة) لِكَيْلاَ يَأْتُوا هُمْ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هذَا **[← جعل القرآنُ الإنسانَ المحتضر إذا شاهد ما أُعِدَّ له من العذاب يطلب أن يعود هو نفسه إلى الدنيا: "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ [إلى الدنيا]. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ [من مالي أو حياتي أو أهلي أو كل شيء]" (المؤمنون 99-100)]**. {29} قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ [رافضاً طلبه]: عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءُ (يقصد: تكفيهم أسفار العهد القديم)، لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ (أي: يسمعوا ويطيعوا في حياتهم) **[← وكذلك في القرآن، رُفِضَ طلبُ هذا الإنسان: "كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (أي: لن يعود الموتى**

إلى الدنيا)" (المؤمنون 100)[1901]. {30} فَقَالَ [الْغَنِيُّ]: لاَ، يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ. {31} فَقَالَ لَهُ [إبْرَاهِيمُ رافضاً طلبه مرة أخرى]: إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ، وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ» **[← "وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ (أي: حتى لو أحيينا لهم الموتى فكلَّموهم) وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا (أي: حتى لو جمعنا لهم كُلَّ شَيْءٍ طلبوه فعاينوه مواجهة) مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (أي: لا يؤمنون)" (الأنعام 111)[1902]؛ "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ (أي: سماع تدبر وفهم؛ يَسْمَعُونَ ويطيعون[1903]) ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ [يوم القيامة وليس قبل ذلك]" (الأنعام 36)[1904]]**.

ومن الجدير بالذكر أن رَفْض طلب الإنسانِ فرصةً ثانية (a second chance) أن يعود إلى الدنيا ليعمل صالحاً (المؤمنون 99-100) مستوحى أيضاً من أعمال أخرى في التراث اليهودي-المسيحي الشرقي. مثلاً سفر أخنوخ الأول (1 Enoch) الذي يُسمَّى أيضاً "مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) و "النسخة الحبشية (الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch) ويضم مجموعة ضخمة من التقاليد والكتابات التي دُوِّنت بين القرن الثاني ق.م. وبداية القرن الأول المسيحي. إنه واحد مِن أهم وأشهر وأضخم كُتب سوديبِجرافا العهد القديم، ويُعتقَد أنه دُوِّن في الأصل باللغة الآرامية بدليل وجود أجزاء منه مكتوبة بالآرامية ضمن مخطوطات البحر الميت، ثم نُقِل إلى اللغة اليونانية، ومِن اليونانية انتقل إلى الحبشية (الأثيوبية) على يد العلماء السريان، وهذا كله يدل على انتشاره الواسع في الشرق الأوسط القديم قبل الإسلام. وتعترف به الكنيسةُ الحبشية ككتاب قانوني؛ ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد. فنستطيع إذن أن نقول إن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) في أوائل القرن السابع الميلادي قد سمعوا عن هذا السفر المهم (1 أخنوخ) وعرفوا محتواه وربما توهَّموا أنه مُوحَى به مِن الله. يقول مصحف أخنوخ: "في ذلك الوقت يتوسّل المقتدرون والملوك وأسياد اليابسة إلى ملائكة العقاب الذين أسلموا إليهم، أن يمنحوهم بعض الراحة أمام ربّ الأرواح ليعبدوه ويقرّوا بخطيئتهم أمامه. يباركونه ويمجّدونه قائلين: "مبارك ربّ الأرواح، ربّ الملوك، ربّ المقتدرين، ربّ الأغنياء، ربّ المجد، ربّ الحكمة. [...] الآن نعرف أنه يجب أن نمجّد ونبارك ربّ الملوك، والمالك على جميع الملوك". ويقولون أيضاً: "لو كانت لنا مهلة (a chance) (أي: فرصة أن نعود إلى الحياة) لنمجّد ونمدح ونعلن إيماننا أمام مجدك! نطلب الآن مهلة قصيرة [...]"" (1 أخنوخ 63:1-6)[1905] **[← "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ [إلى الدنيا]. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ" (المؤمنون 99-100) "وَلَوْ تَرَىٰ [الكافرين] إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ (أي: عُرِضوا عَلَى النَّارِ يعاينون أهوالها) فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ [إلى الدنيا] وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (الأنعام 27) "رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا [إلى الدنيا] نَعْمَلْ صَالِحًا" (السجدة 12) "وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (أي: هل من طريق إلى الرجوع إلى الدنيا؟)"**

(الشورى 44) "فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً (أي: رجعة إلى الدنيا) فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (الشعراء 102)]. وطبعاً رُفِضَ طلبهم رفضاً تاماً، فقالوا في يأس وندم: "نطلب الآن مهلة قصيرة ولا ننال. [...] ابتعد النورُ عنا، وصارت الظلمةُ مسكننا إلى الأبد، لأننا [قبل ذلك] ما أعلنّا إيماننا أمام ربّ الأرواح، وما مجّدنا اسمَه، ولكن جعلنا أملَنا في صولجاننا ومجدنا. [واليوم] يوم نقاسي التعب والضيق، لا خلاص لنا! فلا مهلة (no chance) لنا لنعلن إيماننا! فربّنا ثابت في كل عمله وحكمه وعدله، وحكمه لا يعرف اعتباراً للأشخاص (أي: لا يجامل أحداً). نختفي من أمامه جزاء أعمالنا [السيئة]، وكل خطايانا أحصيت إحصاء" (1 أخنوخ 63:6-9)[1906] **[← وكذلك في القرآن، رُفِضَ الطلبُ رفضاً تاماً: "كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (أي: لا توجد فرصة ثانية)" (المؤمنون 100)[1907] "بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا [إلى الدنيا فرضاً كما يتمنون] لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ [من الكفر والمعاصي] وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [في وعدهم بأنهم سيتوبوا ويؤمنوا ويعملوا أعمالاً صالحة إذا رجعوا إلى الدنيا]. [وَلَوْ رُدُّوا إلى الدنيا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ] وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ. وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ (أي: حُبِسوا للحساب بين يدي الله) ۚ قَالَ [الله لهم] أَلَيْسَ هَٰذَا [البعث والحساب والجزاء] بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ" (الأنعام 28-30) "حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ [من أهل الكفر والمعاصي] مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. فَذُوقُوا [الْعَذَابَ] بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ (أي: تركناكم اليوم في الْعَذَابِ) ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (السجدة 13-14) "أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (أي: دائم)" (الشورى 45). اقرأ أيضاً (فاطر 36-37) (البقرة 166-167) (الزمر 58-60) (الأعراف 53)].**

ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه قيل إن هذا الحجاب بين أصحاب الجنة وأصحاب النار "بَيْنَهُمَا حِجَابٌ" حسب سورة الأعراف (الأعراف 46) هو السور بين الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ في الجنة من جهة والْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ في النار من جهة أخرى حسب سورة الحديد: "يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم [وتقول لهم الملائكة] بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ [تدخلونها] تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ [الجزاء] هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ (أي: انتظرونا نستضيء مِن نُّورِكُمْ؛ أمهلونا نُصِبْ بعض نوركم؛ انظُرُوا إلينا حتى يسطع نُّورُكُمْ علينا) قِيلَ (أي: فتقول لهم الملائكة سخريةً منهم وطرداً لهم) ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ (أي: ارْجِعُوا إِلَى الدُّنْيَا؛ أو: ارْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ) فَالْتَمِسُوا [هُنَالِكَ] نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ (a wall with a gate) بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ (أي: من جهة الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ في الْجَنَّةِ) وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (أي: من جهة الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ في النَّار). يُنَادُونَهُمْ (أي: ينادي الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ قائلين:) أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ [في الدنيا نصلي ونصوم ونؤدي شعائر الدين مثلكم؟] ۖ قَالُوا بَلَىٰ [قد كنتم معنا في الظاهر بأبدانكم] وَلَٰكِنَّكُمْ

فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ (أي: أهلكتم أنفسكم بالشك والحيرة والتذبذب أو بالنفاق والمعاصي) وَتَرَبَّصْتُمْ (أي: تمنيتم وانتظرتم نزولَ المصائب بالمؤمنين؛ أو: أَخَّرْتُمُ التَّوْبَةَ والإيمانَ الحقيقي مِنْ وَقْتٍ إِلَى وَقْتٍ) وَارْتَبْتُمْ (أي: شككتم في أمور الدين وبخاصة البعث بعد الموت) وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ (أي: خدعتكم الآمالُ الباطلة والأطماعُ الدنيوية) حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ (أي: الموتُ ثم القيامة والحساب والجزاء) وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (أي: خدعكم الشيطانُ بأن الله لا يعلم نفاقَكم أو أنه سيغفر لكم ويعفو عنكم). فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا (أي: ليس لكم ولا لغير المؤمنين فداء) ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ (أي: منزلكم الأَوْلَى بكم) ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (الحديد 12-15). يقول تفسير ابن كثير عن هذا السور: "قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: هُوَ حَائِطٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ" (الْأَعْرَافِ 46). وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ"؛ [...] "وإنما المراد بذلك سُورٌ يُضْرَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَحْجِزَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ دَخَلُوهُ مِنْ بَابِهِ، فَإِذَا اسْتَكْمَلُوا دُخُولَهُمْ أُغْلِقَ الْبَابُ وَبَقِيَ الْمُنَافِقُونَ مِنْ وَرَائِهِ فِي الْحَيْرَةِ وَالظُّلْمَةِ وَالْعَذَابِ، كَمَا كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا فِي كُفْرٍ وَجَهْلٍ وَشَكٍّ وَحَيْرَةٍ"[1908].

ويجب هنا أن نقول إن هذا السور مذكور صراحةً بالاسم في التراث المسيحي السرياني قبل الإسلام! نجد ذلك في قصيدةٍ سريانية كتبها الشاعر والمعلِّم السرياني الكبير "نَرساي" (Narsai) (حوالي 399 - 502م) قبل الإسلام بأكثر من 100 سنة. فلقد استخدم نَرساي كلمةَ "سور" (بالسريانية: šurā) كما استخدم كلمةً أخرى بنفس المعنى وهي "سياج" (بالسريانية: syāgā). والمدهش أن نَرساي كتب هذه القصيدة تعليقاً على مَثَل "الْغَنِيّ ولِعَازَر" (لوقا 16:19-31)، مما يؤكد لنا العلاقةَ القوية بين القرآن وهذا المَثَل الإنجيلي الشهير. ونظراً لأن هذه القصيدة طويلة جداً (530 بيت)، فسنكتفي هنا بالجزء الذي يهمنا فقط وهو تعليق نَرساي على طلب الْغَنِيّ أَنْ يُرْسِلَ إِبْرَاهِيمُ لِعَازَرَ من عالم الموتى إلى عالم الأحياء لينصحهم بالتوبة والعمل الصالح، فرفض إِبْرَاهِيمُ طلبَه و "قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءُ، لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ" (لوقا 16:29)؛ ثم وضع الشاعرُ المبدعُ نَرساي على لسان إبراهيم الكلمات الآتية: {392}[...]: "هناك الأنبياء. فليقتنعوا منهم. {393} هناك موسى العظيم وأقرانه، {394} فليعلّموهم ما يفيد هنا وهناك. {395} يكفي موسى وكلمة رفاقه لتعليم البشر، {396} فما من حاجة أن يعود إنسان من عند الموتى إلى الأحياء. {397} لا يقدر الموتى أن يقنعوا الأحياء، كما الأحياء يقدرون، {398} ولا يسمع الأحياءُ خبراً يأتي من الذين فقدوا الحياة. {399} سياجٌ (بالسريانية: syāgā) كبير يقف سياجاً في وجه الذين فارقوا، {400} ولا يقدر أحدٌ منهم أن يحطِّم متانته. {401} متينٌ هو السور (بالسريانية: šurā) الذي بناه الموت في وجه الأموات، {402} فلماذا تُتعب نفسك في طلب صعب (أو: مستحيل)"؟ {403} طلبُ هذا الغني كان توسّلاً بلا نتيجة (أي: دون جدوى)، {404} فانتهت كلماته، وما انتهى العذابُ من حُكمٍ يُصيبه[1909].

ولذلك نحن نتفق تماماً مع ما قاله (Dr. Tommaso Tesei) تعليقاً على القرآن "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (المؤمنون 99-100)(1910):

> The Qurʾānic scene of the sinner uselessly begging God to be returned to act righteously (Q 23:99–100) [المؤمنون 99-100] evokes the parable of the rich and the poor in the Gospel of Luke. Here a sinner asks in vain that a dead person might return to the world of the living to prevent others from acting impiously (Luke 16:19–31). The Qurʾānic passage seems to be related to late antique traditions and exegesis about these verses of the Gospel of Luke. A homily Narsai wrote about the Lucan parable is worth of special consideration. Here Abraham's negative answer to send the poor back to the rich man's family (Luke 16:27–31) is followed by these words: "A strong barrier (*syāgā*) rises in front of the faces of the dead * and none among them can break it because of its solidity. * Insurmountable is the wall (*šurā*) which death built up in front of the faces of the dead, * why do you ask for something whose accomplishment is impossible to be allowed?" (1984: 55). The barrier Narsai refers to is connected to the common late antique representation of the realm of death as a citadel surrounded by walls and impossible to flee from (c.f. Ephrem, *Nisibene Hymns* 10:12; Jacob of Serugh, *Hom.* 67:311–312, 54:20, 39–40). Much the same imagery is referred to in the Qurʾānic passage [المؤمنون 99-100], where the *barzaḫ* [بَرْزَخٌ] represents an obstacle confining the dead into an unspecified place until the time of their resurrection (cf. Tesei 2014b).

وحتى يكون كلامُنا أكثر وضوحاً. نحن **لا** نقول إن البرزخ (المؤمنون 100) = الحجاب (الأعراف 46) = السور (الحديد 13). وإنما نقول إن كل الآيات القرآنية الأخرويّة المرتبطة بالبرزخ (المؤمنون 100) والحجاب (الأعراف 46) والسور (الحديد 13) ليست كلام الله، وإنما هي كلام بشر 100% ومجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للتراث الأخرويّ اليهودي-المسيحي الشرقي وبصفة

خاصة مصحف أخنوخ (سفر أخنوخ الأول) وإنجيل لوقا والتراث المسيحي السرياني قبل الإسلام. وكذلك توجد مصادر أخرويّة أخرى من إنجيل متى كما سنشرح في الصفحات التالية ...

القول إن هذا السور "لَّهُ بَابٌ" (الحديد 13) قد يكون مستوحى من الْبَابِ الضَّيِّقِ الذي يُؤَدِّي إلى الحياة الأبدية في مقابل الْبَابِ الوَاسِعِ الذي يُؤَدِّي إلى الهلاك الأبدي: "اُدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!" (متى 13:7-14)[1911]. أو ربما مستوحى من أن الهاوية/الجحيم لها أبواب أي بَوَّابَات أو مَغَالِيق (gates): "أَبْوَاب الْهَاوِيَةِ" (إشعياء 10:38)؛ "مَغَالِيق الْهَاوِيَةِ" (أيوب 16:17)؛ "أَبْواب مَثْوى الأَمْوات" (الحكمة 13:16)؛ "أَبْوَاب الْجَحِيمِ" (متى 18:16).

وكذلك التلميح في نفس الآية (الحديد 13) إلى أن المنافقات والمنافقين تغشاهم ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ – بدليل قولهم للمؤمنات والمؤمنين: "انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ" (الحديد 13) – مستوحى من أن الظلمة الشديدة تسود الهاوية (مَثْوى الأَمْوات) (المزامير 88:3-6) (2 صموئيل 22:5-6) (يونان 2:1-9) بينما يرمز النورُ إلى الْحَيَاةِ وَالْخُلُودِ (المزامير 9:36) (أيوب 20:3) (يوحنا 1:4، 12:8) (2 تيموثاوس 10:1). وحسب مصحف أخنوخ، يقول الهالكون: "ابتعد النورُ عنا، وصارت الظلمةُ مسكننا إلى الأبد" (1 أخنوخ 6:63).

وفي الواقع، فإن هذا السور الذي "لَّهُ بَابٌ" (الحديد 13) وكذلك طلب المنافقات والمنافقين أن يأخذوا القبس والإضاءة من نور المؤمنات والمؤمنين في يوم القيامة "انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ" (الحديد 13) مستوحى من مَثَل "العذارى العشر" (The Parable of the Ten Virgins) الذي انفرد به إنجيلُ متى عن السيد المسيح يسوع، حيث طلبت العذارى الجاهلات أن يأخذن من زيت العذارى الحكيمات حتى يتمكن من إضاءة مصابيحهن استعداداً للمجيء الثاني للمسيح (العريس) الذي يسبق يوم القيامة ...

مَثَل "العذارى العشر" (The Parable of the Ten Virgins). **(متى 25):** {1} «حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ (أي: المسيح). {2} وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلاَتٍ. {3} أَمَّا الْجَاهِلاَتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا (أي: حمقاوات أو ناقصات عقل؛ مُتَهاوِنَات أو مُنَافِقَات تظاهرن بالتقوى الخارجية (مصابيح) لكن ليس لهن عمقها الحقيقي (زيت) فليس لهن أعمال صالحة (نور)) **[← "الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ" (الحديد 13)]**، {4} وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتًا فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ (أي: عاقِلات؛ مؤمنات حقيقيات ظاهراً (مصابيح) وباطناً (زيت) فلهن أعمال صالحة (نور[1912])) **[← "الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم" (الحديد 12) "نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ" (التحريم 8)]**. {5} وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ (أي: المسيحُ) نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ (يقصد: إشارة رمزية إلى الموت[1913]). {6} فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ (أي: "أصوات الملائكة بالبوق الأخير تنادي المؤمنين بالخلاص، والأشرار بالدينونة"[1914]) **[← "نُفِخَ فِي الصُّورِ" (المؤمنون**

101) (ق 20) (الكهف 99) (يس 51) (الحاقة 13) (الزمر 68)؛ "يُنفَخُ فِي الصُّورِ" (طه 102) (الأنعام 73) (النبأ 18) (النمل 87)؛ "نُقِرَ فِي النَّاقُورِ" (المدثر 8)؛ وآيات قرآنية أخرى تعلن قيامة الأموات بواسطة صوت، مثل "جَاءَتِ الصَّاخَّةُ" (عبس 33) "يَدْعُ الدَّاعِ" (القمر 6) "يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ" (ق 41)]: هُوَذَا الْعَرِيسُ (أي: المسيحُ في مجيئه الثاني) مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ! {7} فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولئِكَ الْعَذَارَى [من النومِ] (يقصد: إشارة رمزية إلى القيامة من الموتِ[1915]) **[⟵ "وَبَرَزُوا" (إبراهيم 21، 48) "يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ" (طه 108)]** وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ. {8} فَقَالَتِ الْجَاهِلاَتُ لِلْحَكِيمَاتِ: أَعْطِينَنَا مِنْ زَيْتِكُنَّ **[⟵ "انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ" (الحديد 13)]** فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِئُ. {9} فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ قَائِلاتٍ: لَعَلَّهُ (أي: الزيت) لاَ يَكْفِي لَنَا وَلَكُنَّ، بَلِ اذْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَابْتَعْنَ لَكُنَّ (أي: وَاشْتَرِينَ لأنفُسِكُنَّ) **[⟵ "ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا" (الحديد 13)]**. {10} وَفِيمَا هُنَّ ذَاهِبَاتٌ لِيَبْتَعْنَ (أي: لِشِرَاءِ الزَّيْتِ) جَاءَ الْعَرِيسُ (أي: جاء المسيحُ) **[⟵ "جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ" (الحديد 14)]**، وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ (أي: الحكيماتُ رافقنَ المسيحَ) إِلَى الْعُرْسِ (أي: إلى داخل بيت والد العروس حيث يوجد حفل الزفاف؛ يقصد: إلى مَلَكُوتِ الله الأبدي؛ إلى جنة الخلد) **[⟵ "بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ [تدخلونها] تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (الحديد 12)]**، وَأُغْلِقَ الْبَابُ **[⟵ "فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ (أَيِ: من جهة المؤمنات والمؤمنين) وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (أَيِ: من جهة المنافقات والمنافقين)" (الحديد 13)]**. {11} أَخِيرًا (أي: بعد فوات الأوان) جَاءَتْ بَقِيَّةُ الْعَذَارَى (أي: الجاهلات) أَيْضًا قَائِلاَتٍ: يَا سَيِّدُ، يَا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا! **[⟵ "يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ[1916]" (الحديد 14)]** {12} فَأَجَابَ [السيدُ المسيحُ] وَقَالَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ **[⟵ "قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ. فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا (أي: ليس لكم ولا لغير المؤمنين فداء، فلقد فات الأوان) ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (الحديد 14-15)]**. {13} فَاسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ (باليونانية: hóra؛ بالسريانية: šā‘tā) الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ (بالسريانية: brēh d-anāšā؛ بالآرامية: bar ēnāš) (Son of Man) (أي: لا يمكن أن تتوقعوا متى يأتي السيدُ المسيحُ مرَّة ثانية ليحاسبكم ويجازيكم، فكونوا على استعداد دائم لمجيئه الثاني لأنه قد يأتي فَجْأَةً وفي أيَّة لحظة)[1917].

مما سبق يتضح أن (الحديد 12-15) مجرد تطوُّر بشري طبيعي لـ(متى 25:1-13). والآية القرآنية التي تلي (الحديد 12-15) والتي تذكر صراحةً "الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ" (الحديد 16) تؤكد أن صاحب (الحديد 12-15) كان يسمع آيات من الكتاب المقدس أو على الأقل كان يفكر في اليهود والمسيحيين. ولم نندهش حين اكتشفنا أن المفسرين المسلمين القدامى قالوا نقلاً عن مسلمي القرون الأولى إن السور الذي له باب المذكور في "فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ" (الحديد 13) يقع في بيت المقدس (أي: أورشليم)[1918]! فعلى الرغم من أن هذا التفسير قد يبدو غريباً أو من "الإسرائيليات"، إلا أننا إذا أخذنا بعين الاعتبار الدورَ المهم الذي سوف يقوم به المسيحُ في الأخرويات، وكذلك إذا اقتنعنا أن المسيح قال مَثَلَ العذارى العشر في أيامه الأخيرة في أورشليم (متى 26:1-2)، نستطيع أن نفهم لماذا لجأ

المسلمون إلى أورشليم من أجل تفسير (الحديد 13). وهذا كله يؤكد لنا أكثر الجذور المسيحية لـ (الحديد 12-15). بل هذا كله يؤكد لنا أن (الحديد 12-15) من "المسيحيات" الموجودة في القرآن. فكما نقول دائماً: لولا "الإسرائيليات" و "المسيحيات" و "السريانيات"، لَمَا استطاع العربُ تأليف القرآن.

باختصار: أي واحد سمع مَثَلَ العذارى العشر (متى 25:1-13) ولديه قدر ولو بسيط من الخيال يستطيع تأليف (الحديد 12-15).

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن المجيء الثاني للمسيح (Second Coming of Christ) (Parousia) الذي يشير إليه مَثَلُ العذارى العشر (متى 25:1-13) من العقائد المسيحية المهمة التي تؤكد أن مجيئه الثاني علامة من علامات نهاية العالم ويوم القيامة؛ وهذا المجيء الثاني للمسيح مذكور صراحةً في قانون الإيمان النِّيقاوي-القسطنطيني: "وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء". ولقد اعترف أصحابُ القرآن ضمنياً بهذه العقيدة المسيحية، بدليل قولهم: "وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ" (الزخرف 61)؛ أي: نزول المسيح من السماء قبل يوم القيامة دليل على قُرْبِ وقوع الساعة. وهذا هو التفسير الصحيح لـ (الزخرف 61) وهو يتفق مع العقيدة المسيحية. لكن كالعادة توجد تفاسير أخرى لـ (الزخرف 61) تتعلق بالمجيء الأول للمسيح، كميلاده من عذراء ومعجزاته مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ! ويوجد رأي ثالث يقول إن ضمير الغائب في "وَإِنَّهُ" (الزخرف 61) يعني القرآن! وهذا أيضاً خطأ لأن سياق (الزخرف 61) يتحدث بالفعل عن المسيح وليس عن القرآن. قال ابنُ كثير: "وَقَوْلُهُ: "وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ"، تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ ابْنِ إِسْحَاقَ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ مَا بُعِثَ بِهِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْقَامِ. وَفِي هَذَا نَظَرٌ. وَأَبْعَدُ مِنْهُ مَا حَكَاهُ قَتَادَةُ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: أَن الضَّمِير فِي "وَإِنَّهُ"، عَائِدٌ عَلَى الْقُرْآنِ، بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّهُ عَائِدٌ عَلَى عِيسَى، فَإِنَّ السِّيَاقَ فِي ذِكْرِهِ، ثُمَّ الْمُرَادُ بِذَلِكَ نُزُولُهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ" أَيْ: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ثُمَّ "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا" (النِّسَاءِ 159)، وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى الْقِرَاءَةَ الْأُخْرَى: "وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ" أَيْ: أَمَارَةٌ وَدَلِيلٌ عَلَى وُقُوعِ السَّاعَةِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: "وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ" أَيْ: آيَةٌ لِلسَّاعَةِ خُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِهِمْ. وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِمَامًا عَادِلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا"[1919]. وبالفعل، أخرج البخاري ومسلم أحاديث صحيحة تقول إن محمد قال إن المسيح سوف يَنْزِل مَرَّة ثانية و "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِل" المسيحُ "حَكَمًا مُقْسِطًا" "حَكَمًا عَدْلًا" "إِمَامًا مُقْسِطًا"[1920].

ويجب هنا أن نوضِّح أن (الزخرف 61) والأحاديث ذات الصلة مجرد تطور بشري طبيعي لِمَا قاله الإنجيلُ إنه في آخر الزمان سوف يَنْزِل المسيحُ مَرَّة ثانية مَلِكاً (king) وديَّاناً أي قاضياً (judge) عادلاً وحاسماً، أي "سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ (أي: الله) مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ (أي:

يُحاسِب ويُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ على أعماله في الدنيا من حسنات أو سيئات)" (متى 27:16)[1921] **[← "كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (الجاثية 28). وآيات أخرى كثيرة تدل على أن الحساب والجزاء في الآخرة سيكون بناء على الأعمال في الدنيا من حسنات أو سيئات: "سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (الأعراف 180) "هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (سبأ 33) (الأعراف 147) "إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (الطور 16) (التحريم 7) "وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (يس 54) "وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (الصافات 39) "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (النمل 90) "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ" (يونس 52) "وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (آل عمران 185)[1922]]**، "يَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ" (متى 32:25) أي سوف يُحْشَرَ الناسُ كلهم أمام المسيح حتى يُحَاسِبهم ويُجَازيهم، سوف "يَدِينَ الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ، عِنْدَ ظُهُورِهِ وَمَلَكُوتِهِ" (2 تيموثاوس 1:4)؛ وهذه الآيات الكتابية تؤكد أن المسيح "هُوَ الْمُعَيَّنُ مِنَ اللهِ دَيَّانًا لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 42:10) لأن الله "أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ (أي: كُلَّ البشر، يهود وأمم) بِالْعَدْلِ، بِرَجُلٍ (هو: يسوع المسيح) قَدْ عَيَّنَهُ [اللهُ]، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا (أي: وبرهَنَ اللهُ لِلْجَمِيعِ على القيامة؛ أو: على اختيارهِ ليسوع المسيح) إِذْ أَقَامَهُ [اللهُ] مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 31:17). ويقول سفرُ الرؤيا إن المسيح في مجيئه الثاني كَمَلِكٍ مُحَارِبٍ منتصرٍ "يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ. وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيجَانٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ اسْمٌ مَكْتُوبٌ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ إِلَّا هُوَ. وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ «كَلِمَةَ اللهِ». وَالأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بِيضٍ، لاَبِسِينَ بَزًّا أَبْيَضَ وَنَقِيًّا. وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ (أي: حَادٌّ) لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ. وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ (أي: سَيَحْكُمُهُمْ كَمَلِكٍ) بِعَصًا مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ»" (الرؤيا 11:19-16)!

ولقد قال يسوعُ المسيح نفسه عن نفسه في (متى 25) أيضاً ما يلي ...

"الْخِرَافِ والْجِدَاءِ" (The Sheep and the Goats). **(متى 25):** {31} «وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ (Son of Man) (بالسريانية: brēh d-anāšā؛ بالآرامية: bar ēnāš) فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ[1923] **[← في القرآن: حلَّ رَبُّكَ أو اللهُ أو الرُّوحُ محلَّ المسيحِ. بنفس الترتيب: "وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا" (الفجر 22)[1924] "يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ" (البقرة 210) "يَقُومُ الرُّوحُ[1925] وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا" (النبأ 38)! وبعكس الترتيب: "تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ (أي: عند الموت لقبض أرواحهم، أو: بالعذاب) أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ [يوم القيامة] أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ (أي: أشراطِ الساعة وعلاماتِها)" (الأنعام 158) "تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ" (النحل 33) "وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا. الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ" (الفرقان 25-26)! "وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (أي: طرقاً ومسالك؛ قيل: لنزول الملائكة)" (النبأ 19)]**، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ [ابْنُ الإِنْسَانِ] عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ (أي: يَجْلِسُ المسيحُ كَمَلِكٍ king وقاضي judge عَلَى عَرْشِ مَجْدِهِ) **[← في القرآن: جلس اللهُ أو رَبُّكَ على العرش بدلاً من المسيح: "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ (King) الْحَقُّ"**

(طه 114) "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" (المؤمنون 116)[1926] "وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا (أي: على جوانب السماء وأطرافها!) ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ [من الملائكة]" (الحاقة 17)[1927] "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ (أي: والملائكةُ الذين حوْلَهُ) يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ" (غافر 7) "وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ (أي: محيطين به) يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ (judged) بَيْنَهُم بِالْحَقِّ" (الزمر 75) "يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ (decided) الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ" (البقرة 210)]. {32} وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ (أي: كل الأمم) [← "وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا (أي: سجل أعمالها) الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (أي: تُحاسَبون وتُجازون على أعمالكم في الدنيا من حسنات أو سيئات)" (الجاثية 28)[1928] "وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (أي: وجمعناهم جميعاً). وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا" (الكهف 47-48) "يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ" (الإسراء 71) "كُلُّ نَفْسٍ [...] زُمَرًا (أي: جماعات) [...] زُمَرًا" (الزمر 70-73)]، فَيُمَيِّزُ (باليونانية: aphorizó؛ بالسريانية: nparēš؛ أي: يفرز، يفصل[1929]) بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ (أي: يفصل المؤمنين الأبرار عن غيرهم) [بسهولةٍ] كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، {33} فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ[1930] [← ولذلك فإن يوم القيامة يُسمَّى "يَوْمِ الْجَمْعِ" (الشورى 7) (التغابن 9) ويُسمَّى أيضاً "يَوْم الْفَصْلِ" (الصافات 21) (النبأ 17) (المرسلات 13، 14). "يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ" (التغابن 9) "هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (أي: والأمم التي سبقتكم)" (المرسلات 38) "إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ" (الدخان 40)[1931]؛ أي: يَوْم القضاء بين كل الخلق والحكم بالعدل؛ يَوْم الْفَصْلِ النهائي والأبدي بين المؤمنين والكفار، أو التمييز بين الحق والباطل. اقرأ أيضاً: "إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (الحج 17) "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (السجدة 25) "يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ" (الممتحنة 3) "وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (أي: انفصلوا عن المؤمنين، وتميَّزوا عنهم)" (يس 59)].

أَصْحَابُ الْيَمِينِ (= أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ). **(متى 25):** {34} ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ (بالسريانية: yamīnēh)[1932] [← "أَصْحَابِ الْيَمِينِ" (الواقعة 38، 90، 91) (المدثر 39) "وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ" (الواقعة 27) "أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ" (البلد 18) "فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ" (الواقعة 8) "مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ (أي: كتابَ أعماله) بِيَمِينِهِ" (الحاقة 19) (الانشقاق 7) (الإسراء 71) "الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم" (الحديد 12) "نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ" (التحريم 8)]: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي (أي: يَا مَنْ بَارَكَهُمُ اللهُ)، رِثُوا (inherit) الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ [← "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (النحل 32) "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ" (الأعراف 49) "ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ" (ق 34) "ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ" (الحجر 46) "فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. وَقَالُوا (أي: وقال أهلُ الجنة) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا (inherit) الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ" (الزمر 73-74) "قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ" (يس 26) "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ [...] وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (الزخرف 70-72)[1933] "وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ

أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (الأعراف 43) "تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا" (مريم 63) "أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (المؤمنون 10-11) "جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ" (الحديد 21) "جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" (آل عمران 133) "أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ" (التوبة 89) "وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ" (التوبة 100)؛ "أَصْحَابَ الْيَمِينِ. فِي جَنَّاتٍ" (المدثر 39-40) وآيات أخرى كثيرة تدل على النعيم الأبدي في الآخرة بسبب الأعمال الصالحة في الدنيا "لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ" (طه 15) "وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ" (الزمر 70) "وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى" (النجم 31) "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ" (الزلزلة 7)]. {35} لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. {36} عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا (أي: تحت الحراسة) (in prison) فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. {37} فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟ {38} وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ {39} وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ {40} فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ (أي: بِمَا أَنَّكُمْ ساعدتم المحتاجين والمستضعفين مجاناً بدون رياء ولا طمعاً في مقابل بشري)، فَبِي فَعَلْتُمْ [← "إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا [من أعمالٍ في الدنيا] وَآثَارَهُمْ (أي: وَنَكْتُبُ ما أبقوا في الدنيا من آثار بعد موتهم) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (أي: فِي كتاب واضح)" (يس 12) "وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا" (النبأ 29) "هَٰذَا كِتَابُنَا [الذي سجّلنا فيه أعمالكم] يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ (أي: من غير زيادة ولا نقص) إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ (أي: نأمر الملائكة أن تكتب) مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (الجاثية 29). وقائمة أعمالهم الصالحة تشمل أيضاً مساعدة المحتاجين والمستضعفين "لِوَجْهِ اللَّهِ" (الإنسان 9) "ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ" (الليل 20) "ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ" (البقرة 272) "يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ" (الروم 38) "تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ" (الروم 39) أي مجاناً بدون رياء ولا طمعاً في مقابل بشري وإنما طلبًا لمرضاة الله وحده: "يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (captive) (prisoner). [ويقولون] إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ[(1934)] لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (أي: متجهماً شديداً أو طويلاً؛ تَعْبِس فيه الوجوهُ من شدة أهواله)" (الإنسان 8-10). ومن أعمالهم الصالحة أيضاً: "فَكُّ رَقَبَةٍ (أي: عتق عبد أو أمة). أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (أي: مجاعة). يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (أي: لا شيء له، حتى كأنه قد لصق بالتراب من الفقر). ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ" (البلد 13-17) "الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ (أي: في الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ)" (آل عمران 134) "وَآتَى الْمَالَ (أي: أعطى الْمَالَ تطوُّعاً) عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ (أي: الغريبَ المسافر الذي لا يجد ما يبلغه مقصده فظل ملازماً للطريق) وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ (أي: تحرير الرقيق بشرائهم لعتقهم؛ تخليص الأسرى بإعانتهم على الافتداء) وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ" (البقرة 177) "مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (أي: آمن

بالله الواحد الأحد؛ آمن بالجنة)" (الليل 5-6) "الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ. وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (أي: مجاناً بدون مقابل بشري). إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ[1935]" (الليل 18-20)].

أَصْحَابُ الشِّمَالِ (= أَصحَابُ الْمَشْأَمَةِ). **(متى 25):** {41} «ثُمَّ يَقُولُ [الْمَلِكُ] أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ (بالسريانية: sēmālēh) **[← "أَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ" (الواقعة 41) "أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (أي: الشؤم؛ الشِّمَالِ)" (البلد 19) "أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصحَابُ الْمَشْأَمَةِ" (الواقعة 9)[1936] "مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ" (الحاقة 25) "مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (أي: بِشِمَالِهِ مِن وَرَاءِ ظَهْرِهِ)" (الانشقاق 10)[1937]]**: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ *الأَبَدِيَّةِ* الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ [الساقطين] (أي: وجنوده الشياطين) **[← "ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ" (الأعراف 38) "ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ *خَالِدِينَ فِيهَا*" (النحل 29) (غافر 76) "قِيلَ[1938] ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ *خَالِدِينَ فِيهَا*" (الزمر 72) "يُدْخِلْهُ [اللهُ] نَارًا *خَالِدًا فِيهَا* وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ" (النساء 14) "فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ *خَالِدًا فِيهَا* ۚ ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ" (التوبة 63) "النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ" (آل عمران 131) "النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ" (البقرة 24) "إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا" (النساء 102) "وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا" (الأحزاب 8) "وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" (الإنسان 31) "وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ [...] ۚ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ" (الفتح 6) "إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا" (الكهف 29) "إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا" (الكهف 102) "فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (أي: نارًا موقدة شديدة الالتهاب)" (الفتح 13) "إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا" (الإنسان 4) "وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا" (الفرقان 11) "لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ" (الملك 5) "وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ" (الشعراء 95) "وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ" (الحجر 43) "أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (أي: مطبقةٌ مغلقة فلا يستطيعون الخروج منها)" (البلد 19-20) "فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (النمل 90) وآيات أخرى كثيرة تدل على العذاب الأبدي في الآخرة بسبب الأعمال السيئة في الدنيا "لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ" (طه 15) "وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ" (الزمر 70) "لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا" (النجم 31) "وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" (الزلزلة 8)]**، {42} لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. {43} كُنْتُ غَرِيبًا فَلَمْ تَأْوُونِي. عُرْيَانًا فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضًا وَمَحْبُوسًا فَلَمْ تَزُورُونِي. {44} حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضًا قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا أَوْ عَطْشَانًا أَوْ غَرِيبًا أَوْ عُرْيَانًا أَوْ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟ {45} فَيُجِيبُهُمْ قِائِلًا: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ (أي: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تساعدوا المحتاجين والمستضعفين)، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا **[← "إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا [من أعمالٍ في الدنيا] وَآثَارَهُمْ (أي: وَنَكْتُبُ ما أبقوا في الدنيا من آثار بعد موتهم) ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (أي: كتاب واضح)" (يس 12) "وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا" (النبأ 29) "هَٰذَا كِتَابُنَا [الذي سجّلنا فيه أعمالكم] يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ (أي: من غير زيادة ولا نقص) ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ (أي: نأمر الملائكة أن تكتب) مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (الجاثية 29) "وَوُضِعَ الْكِتَابُ (أي: كِتَابُ أعمال كل واحد)**

فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ (أي: خائفين) مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا[1939] ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا (أي: مثبتًا) ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" (الكهف 49)[1940]. وقائمة أعمالهم السيئة تشمل أيضاً عدم مساعدة المحتاجين والمستضعفين، وبعضها مذكور بصيغة النفي أيضاً: "لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. وَلَا تَحَاضُّونَ (أي: لا يَحُثُّ بعضُكم بعضاً) عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ" (الفجر 17-18) "يَدُعُّ الْيَتِيمَ (أي: يدفعه بعنف وشدة؛ يظلمه ويقهره). وَلَا يَحُضُّ (أي: لا يُشجِّع غيره؛ لا يَحُثُّ أحداً) عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ" (الماعون 2-3) "وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ" (الحاقة 34) "وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ. وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ" (المدثر 44-46)[1941][1942] "مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ [عن الله أو عما عند الله من نعيم الآخرة]. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (أي: كفر؛ أشرك؛ كَذَّبَ بالجنة)" (الليل 8-9) "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (أي: هذا المال أو العلم أو الجاه الذي بَخِلُوا بِهِ في الدنيا سيكون طوقاً من نار أو ثعباناً في أعناقهم أو عذاباً يلازمهم يوْمَ الْقِيَامَةِ) ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (آل عمران 180) "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا. وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ (أي: نفاقاً وسمعةً)[1943] وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ[1944]" (النساء 37-38) حيث نلاحظ أيضاً أمرين يؤكدان تأثر القرآن بإنجيل متى. الملاحظة الأولى: الربط بين "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ" و "الْكَافِرِينَ"، فالبخلاء يَجْحَدُونَ نِعَمَ الله عليهم بعد أن "آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ" (آل عمران 180) (النساء 37)[1945]؛ مما يعني أن البُخْل إساءة لله. والملاحظة الثانية: الربط بين البُخْل في الدنيا والعذاب الأبدي في الآخرة. اقرأ أيضاً (التوبة 73-80)].

الحُكم النهائي[1946]. **(متى 25):** {46} فَيَمْضِي هؤُلاَءِ [الأشرار] إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ **[← بنفس الترتيب: "وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا (أي: جماعات) [...]. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا [...]. وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا [...] فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ" (الزمر 71-73)[1947][1948]! "يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (أي: يَتَفَرَّقُونَ إلى فريقين، ويختلف مصير كل فريق منهما). مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (أي: يُسوُّون ويبسطون طريقَ النعيم المقيم؛ يهيئون منازل حسنة يجدونها عند الله حين يعودون إليه)" (الروم 43-44)! وبعكس الترتيب: "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (أي: ينفصلون إلى فريقين). فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ (أي: في جنةٍ) يُحْبَرُونَ (أي: يسرُّون؛ يُنعَّمون؛ يُكرَّمون). وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ" (الروم 14-16)[1949]]**».

يقول العالِم الكبير (Prof. Emran Iqbal El-Badawi) تعليقاً على هذا التشابه - الذي يصل أحياناً إلى درجة التطابق - بين إنجيل متى السرياني ونَصّ القرآن العربي[1950]:

The Qurʾān's many elaborate accounts of the final judgment and the apocalyptic events surrounding it, many of which especially reference the language of Matthew or the Hebrew Bible, are too numerous to examine here exhaustively. Some of these [Qurʾānic] verses emphasize the common scene of God gathering the people, personally conversing with the evildoers and condemning them to hell fire ([الأنعام 128]), much as the Son of Man does in Matthew (see earlier). Others reinforce common Matthean-Qurʾānic themes, […], such as the strong relationship of prophetology to divine majesty, judgment and condemnation ([الزمر 56-61، 67-75]). However, the examples cited should be sufficient to suggest a relationship between the language of condemnation in the Syriac Gospel of Matthew and the Arabic text of the Qurʾān.

[…]

The disjointed presentation of occasionally unconnected Qurʾānic verses has been less than ideal. But this too is telling. The distribution of Syriac Matthean phrases throughout the different Sūras of the Qurʾān proves that such material was diffuse in the Arabian oral tradition of the Qurʾān's milieu and not acquired via a single piece of text. This is because Syriac wisdom was disseminated into the pre-Islamic Arabian milieu of the Qurʾān by Syriac-speaking Christian groups like Christian Arabs, perhaps even *jāhilī* poets such as ʿAdī b. Zayd (sixth to seventh century), al-Aʿshā (d. c. 625), and others. However, what course did the actual imagery and words of Matthew's Gospel in Syriac take in order to get there? One should generally note, as Mingana and Griffith have, that the majority of Syriac scripture, lore, or "Syriacisms" (or collectively "Syriac wisdom") that became replicated in the Qurʾān are *not* verbatim, but rather an elaboration, response to, or paraphrasing of the original text. This has been evident throughout our present investigation. A word or phrase is scarcely reproduced in the Qurʾān precisely as it is in Syriac Matthew, but

has rather gone through a process of “morphological change” which suggests a long period of transmission and linguistic development.

[…]

This exposes another phenomenon at play. It is likely that certain bodies of Syriac Christian wisdom that impacted the theological outlook of the Qurʾān, like verses from the Hebrew Bible or Gospels, became popularly consumed by Christian Arabs and later Arab oral tradition via intermediary channels. Such intermediaries include religious poetry, Biblical commentaries, and Syriac homiletic works by famous authors like Aphrahat, Ephrem, Isaac of Antioch, Jacob of Sarug, and others. It is plausible that the Syriac language of Matthew gradually entered into the Qurʾān’s milieu through the agency of the liturgical chants, prayers, and preaching based on popular Syriac Christian literature.

It seems, therefore, that the incorporation of Syriac Gospel wisdom into the milieu of the Qurʾān took place long before the existence of Muḥammad or his revelation – through centuries of oral exchange, transformations in language, and confessional discussion. And out of this milieu, the Qurʾān proved to be a potent force of both preservation and innovation.

[…]. For its part the present study suggests that an appreciation of the Syriac Gospels might help bring the murky origins of the Qurʾān to light.

اقرأ أيضاً **(لوقا 17)**: {24} لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ الَّذِي يَبْرُقُ [فَجْأَةً] مِنْ نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ يُضِيءُ [بكل وضوح] إِلَى نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ، كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا ابْنُ الإِنْسَانِ فِي يَوْمِهِ. {25} وَلكِنْ يَنْبَغِي أَوَّلًا أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيُرْفَضَ مِنْ هذَا الْجِيلِ. {26} وَكَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا فِي أَيَّامِ ابْنِ الإِنْسَانِ: {27} كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيُزَوِّجُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ (أي: كانوا مشغولين بأمور الحياة الدنيا)، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ نُوحٌ الْفُلْكَ، وَجَاءَ الطُّوفَانُ وَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ **[⟵ "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً (أي: نَفْخَةً وَاحِدَةً هي نفخة الإماتة) تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (أي: تُميتهم فَجْأَةً وَهُمْ يتنازعون في أمور الحياة الدنيا)" (يس 49)]**. {28} كَذلِكَ أَيْضًا كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ لُوطٍ: كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيَشْتَرُونَ وَيَبِيعُونَ، وَيَغْرِسُونَ وَيَبْنُونَ (أي:

كانوا مشغولين بأمور الحياة الدنيا). {29} وَلكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ خَرَجَ لُوطٌ مِنْ سَدُومَ، أَمْطَرَ نَارًا وَكِبْرِيتًا مِنَ السَّمَاءِ فَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ **[← "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً (أي: نَفْخَةً وَاحِدَةً هي نفخة الإماتة) تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (أي: تُميتهم فَجْأَةً وَهُمْ يتنازعون في أمور الحياة الدنيا)" (يس 49)]**. {30} هكَذَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُظْهَرُ ابْنُ الإِنْسَانِ. [...] {34} أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يَكُونُ اثْنَانِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ، فَيُؤْخَذُ الْوَاحِدُ [للنعيم] وَيُتْرَكُ الآخَرُ [للعذاب]. {35} تَكُونُ اثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ مَعًا، فَتُؤْخَذُ الْوَاحِدَةُ [للنعيم] وَتُتْرَكُ الأُخْرَى [للعذاب]. {36} يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ، فَيُؤْخَذُ الْوَاحِدُ [للنعيم] وَيُتْرَكُ الآخَرُ [للعذاب]» **[← "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ [مَرَّة ثانية] فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ (أي: من قبورهم) إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (أي: يخرجون؛ يسرعون). [...] إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً (أي: نَفْخَةً وَاحِدَةً هي نفخة القيامة) فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (أي: ماثلون للحساب والجزاء بالنعيم أو العذاب). فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (أي: مشغولون بنعيمها فرحون به). [...] وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (أي: انفصلوا عن أهل الجنة). [...] هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ" (يس 51-64). "يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (أي: يَتَفَرَّقُونَ إلى فريقين، أهل الجنة وأهل النار)" (الروم 43) "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (أي: ينفصلون إلى فريقين). فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ (أي: في جنةٍ) يُحْبَرُونَ (أي: يسرُّون؛ يُنعَّمون؛ يُكرَّمون). وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ" (الروم 14-16)]**.

ومما يثبت أنه لولا التراث اليهودي-المسيحي الشرقي لَمَا استطاع العربُ تأليفَ القرآن، بل ويؤكد أن القرآن كتاب عربي من كتب التراث اليهودي-المسيحي الشرقي، أنه في المجيء الأول للمسيح وتحديداً يوم ميلاده مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ، سبَّحت الملائكةُ اللهَ: "وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ (أي: الملائكة) مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ»" (لوقا 2:13-14) **[← وفي يوم القيامة التي من ضمن علاماتها المجيء الثاني للمسيح، سوف تسبِّح الملائكةُ اللهَ: "وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الزمر 75)[1951]]**. وكذلك في المجيء الأول للمسيح وتحديداً وقت معموديته، فُتِحَتِ السَّمَاءُ: "فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ" (متى 3:16) "رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ" (مرقس 1:10) "اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضًا. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ" (لوقا 3:21). وفي إنجيل يوحنا: "وَقَالَ [يَسُوعُ] لَهُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلاَئِكَةَ اللهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ»" (يوحنا 1:51)[1952]. **[← وفي يوم القيامة التي من ضمن علاماتها المجيء الثاني للمسيح، سوف تُفْتَح السَّمَاءُ: "إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا. يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا. وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ**

أَبْوَابًا (أي: ذات طرق ومسالك؛ قيل: لنزول الملائكة)" (النبأ 17-19). وكما لم يذكر الإنجيلُ مَن فَتح السماءَ، كذلك لم يذكر القرآنُ الفاعلَ - "فُتِحَتِ السَّمَاءُ" (النبأ 19) - لأن يُفْهَم ضمنياً أنه الله[1953]].

3.5.1.4 "مَّلَكُ الْمَوْتِ" (السجدة 11)

بعد هذه المقدمة الضرورية عن القيامة وتطوراتها بمرور الزمن من اليهودية ثم المسيحية إلى الإسلام، نبدأ الحديث عن "مَّلَك الْمَوْتِ" (بالعبرية: *malakh ha-mavet*) (angel of death) ...

"مَّلَكُ الْمَوْتِ" (السجدة 11) هو مجرد تطور بشري طبيعي لما جاء في الديانتين اليهودية والمسيحية وتراثهما قبل الإسلام. اقرأ مثلاً: "غَضَبُ الْمَلِكِ رُسُلُ الْمَوْتِ (بالعبرية: mal'ăḵê māweṯ) (أي: غَضَبُ المَلِكِ مُرْعِبٌ كَرُسُلِ الْمَوْتِ؛ غَضَبُ المَلِكِ قد يؤدي إلى موت مَن يخطئ في حقه)" (الأمثال 16:14). كما نجد في العهد القديم آيات تتحدث عن موت أو هلاك حدث بواسطة ملاك أو ملائكة أرسلهم اللهُ؛ مثل:

- "فَخَرَجَ مَلاَكُ الرَّبِّ (angel of the LORD) وَضَرَبَ مِنْ جَيْشِ أَشُّورَ مِئَةً وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا. فَلَمَّا بَكَّرُوا صَبَاحًا إِذَا هُمْ جَمِيعًا جُثَثٌ مَيِّتَةٌ" (إشعياء 36:37).
- "أَرْسَلَ [اللهُ] عَلَيْهِمْ (أي: على المصريين) حُمُوَّ غَضَبِهِ، سَخَطًا وَرِجْزًا وَضِيقًا، جَيْشَ مَلاَئِكَةٍ أَشْرَارٍ (destroying angels) (deadly messengers) (أي: مَلاَئِكَةِ الْهَلاكِ الذي اعتبره المصريون شرًا)" (المزامير 49:78).
- قَالَ مُوسَى لِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ: "فَإِنَّ الرَّبَّ يَجْتَازُ لِيَضْرِبَ الْمِصْرِيِّينَ. فَحِينَ يَرَى الدَّمَ عَلَى الْعَتَبَةِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ [لِبُيُوتِكُمْ] يَعْبُرُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ وَلاَ يَدَعُ الْمُهْلِكَ (the destroyer) (أي: وَلاَ يَدَعُ الرَّبُّ الْمَلاَكَ الْمُهْلِكَ الذي أرسله لِيَضْرِبَ الْمِصْرِيِّينَ) يَدْخُلُ بُيُوتَكُمْ لِيَضْرِبَ" (الخروج 23:12).
- "فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبَأً فِي إِسْرَائِيلَ، فَسَقَطَ مِنْ إِسْرَائِيلَ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُل. وَأَرْسَلَ اللهُ مَلاَكًا عَلَى أُورُشَلِيمَ لإِهْلاَكِهَا، [...]. وَرَفَعَ دَاوُدُ عَيْنَيْهِ فَرَأَى مَلاَكَ الرَّبِّ وَاقِفًا بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ بِيَدِهِ وَمَمْدُودٌ عَلَى أُورُشَلِيمَ[1954]. فَسَقَطَ دَاوُدُ وَالشُّيُوخُ عَلَى وُجُوهِهِمْ مُكْتَسِينَ بِالْمُسُوحِ (أي: تابوا). [...] وَأَمَرَ الرَّبُّ الْمَلاَكَ فَرَدَّ سَيْفَهُ إِلَى غِمْدِهِ (أي: سامحهم الرَّبُّ فلم يهلكهم، مما يؤكد أن مَلَك الموت/الهلاك خاضع تماماً لله ويعمل بأمره)" (1 أخبار الأيام 21:14-27)؛ (2 صموئيل 24:16).

كما توجد في العهد القديم العبري آيات تُشخصن الموتَ، أي: تتحدث بأسلوب أدبي عن الموت كما لو كان شخصاً (person) أو كائناً (being)، مثل:

- "لأَنَّ الْهَاوِيَةَ (Sheol) لاَ تَحْمَدُكَ. الْمَوْتُ لاَ يُسَبِّحُكَ" (إشعياء 18:38). "صار الشيول (أي: الْهَاوِيَةُ) شخصاً يفعل أو لا يفعل، وكذلك الموت"[1955].

- "مِثْلَ الْغَنَمِ لِلْهَاوِيَةِ يُسَاقُونَ. الْمَوْتُ يَرْعَاهُمْ (أي: يأكلهم، يقودهم إلى القبر)" (المزامير 14:49). وهذه الآية - وآيات أخرى تشبهها مثل (إشعياء 14:5) (الأمثال 12:1) - لها جذور شرق-أوسطية قديمة: "تصوير الموت (أو القبر) كوحش لا يشبع ويتغذَّى على ضحاياه [...]. الصورة مستعارة من الأسطورة الكنعانية التي تصوِّر الإله موت Mot بهذا التصوير. نقرأ في إحدى الوثائق الكنعانية: "لا تدن (أي: لا تقترب من) الإله موت وإلا سيضعك في فمه كالحمل""[1956]!

- "والهاوية مهما امتلأت لا تشبع بل تطلب المزيد: "اَلْهَاوِيَةُ وَالْهَلاَكُ لاَ يَشْبَعَانِ" (الأمثال 20:27)"[1957]؛ "الْهَاوِيَةُ، وَالرَّحِمُ الْعَقِيمُ، وَأَرْضٌ لاَ تَشْبَعُ مَاءً، وَالنَّارُ لاَ تَقُولُ: «كَفَا»" (الأمثال 16:30) **[← وكذلك شخصن القرآنُ جهنَّمَ: "يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ" (ق 30)[1958]]**.

- "يَبْلَعُ [السَّيِّدُ الرَّبُّ] الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ" (إشعياء 8:25). وهذه الآية أيضاً لها جذور شرق-أوسطية قديمة: "في الملحمة الأوغاريتية "موت" (Mot) هو إله الأرض السفلى وهو عدو بَعْل (Baal). وبما أن بَعْل إله الخصوبة (a fertility god) (أي: إله من آلهة الخصوبة التي تموت في الأرض السفلى سنوياً عندما تأتي الدورة الزراعية إلى نهايتها شتاءً ثم تقوم طقسياً في الربيع) فإن هزيمته لـ "موت" رمز ذو سمة دورية تشير إلى عودة الحياة للعالم كل فصل ربيع. "موت" يُصوَّر كثيراً كمن يَبتلع فريستَه. والطقوس التي تستهدف "موت" تقصد إنهاء نشاطه المدمِّر. وهنا [(إشعياء 8:25)] يهوه هو مَن يبتلع الـ"موت" على نسق سياسي وليس زراعياً. [إنه] الإمبراطورية القاسية التي لا تَرحَم وتهدِّد الأممَ التي [تُدمِّرها] بالموت. ولذا فأقنعة الموت قد سقطت من على وجوه مَن كانوا يقتربون من الفناء"[1959]! وعلى الرغم من أن (إشعياء 8:25) ليس لها علاقة مباشرة بعقيدة القيامة من الأموات، إلا أن بولس الرسول اقتبس منها حين تحدث عن القيامة من الأموات: "فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ (أي: يلبسون أجساماً روحانية)، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ [من أجسامنا المادية الحالية التي تلائم الحياة الدنيا إلى أجسامٍ جديدة روحانية تلائم حياة الخلود]. لأَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَ بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ (أي: هذا الجسد البشري القابل للتحلل لاَ بُدَّ أنْ يتحوَّل حتى يصبح غير قابل للتحلل)، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ (أي: هذا الجسد البشري الْفَانِي لاَ بُدَّ أنْ يَتَغَيَّر حتى يصبح خالداً). وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ» (أي: هُزِمَ الْمَوْتُ ولن يعود له سلطان علينا؛ زال الموتُ ودُمِّرَ تماماً فما بقي له من وجود)" (1 كورنثوس 15:52-54). فبعد أن كان الموت هو الذي يَبتَلِع البشر (المزامير 14:49) (إشعياء 14:5) (الأمثال 12:1)، سوف "يَبتَلِع اللهُ الْمَوْتَ" ليضمن حياةً "إِلَى الأَبَدِ" للمؤمنين الأبرار.

- "[أَنَا الرَّبُّ يهوه إلهُ إسرائيل] مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ أَفْدِيهِمْ. مِنَ الْمَوْتِ أُخَلِّصُهُمْ. أَيْنَ أَوْبَاؤُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ شَوْكَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟ تَخْتَفِي النَّدَامَةُ عَنْ عَيْنَيَّ (أي: لا أتراجع فيما وعدتُ به)" (هوشع 14:13) التي اقتبسها بولس الرسول أيضاً حين تحدث عن القيامة من الأموات: "أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟" (1 كورنثوس 55:15). الرَّبُّ يهوه إلهُ إسرائيل "الذي فَدَى آباءهم من عبودية فرعون قادر وحده أن يفديهم حتى من الموت ويخلصهم من الهاوية [...]. إنه يحقق لهم ما لا يستطيع مَلِكٌ آخر أن يحققه لهم، فإنه لا يطلقهم من السبي [الآشوري] فحسب وإنما له سلطان أن ينطلق بهم من الهاوية، ويخلِّصهم من الموت، الأمر الذي تحقق بدخول المخلِّص إلى الموت ليحطم سلطانَه. وكما يقول القديس جيروم [(ت 420م)]: "لنا هذه التعزية، أن كلمة الله قد ذبح الموت ... مات (ربنا يسوع) لكي بموته يُميت الموتَ نفسه.""[1960]. لكن يوجد رأي آخر يفسر (هوشع 14:13) تفسيراً سلبياً يعطي رسالةَ تهديد وهلاك حسب ترجمة أخرى هي "هَلْ أَفْتَدِيهِمْ مِنْ قُوَّةِ الْهَاوِيَةِ؟ هَلْ أُنَجِّيهِمْ مِنَ الْمَوْتِ؟ أَيْنَ أَوْبِئَتُكَ (أو: أشواكُك) يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ هَلاكُكِ (أي: قدرتُكِ التدميرية) يَا هَاوِيَةُ؟ قَدِ احْتَجَبَتِ الرَّحْمَةُ (أو: الرأفةُ) عَنْ عَيْنَيَّ"[1961]. تقول حاشية الترجمة اليسوعية: "يقتضي سياق الكلام أن تفسَّر [(هوشع 14:13)] بأنها تهديد. فالسؤالان الأوّلان يتطلّبان جواباً سلبياً، والسؤالان التاليان هُمَا نداء يدعو الموت ومثوى الأموات إلى إنزال ضرباته على الشعب المتمرّد. يستشهد القديس بولس بهذا النص فيُعلن أن الموت غُلِبَ (1 كورنثوس 55:15)، ولكنه يفسّره وفقاً لأساليب زمنه حيث لم يكونوا يتردّدون في عزل جملة عن إطارها"[1962]! ويبدو أن بولس لم يعتمد على النص العبري وإنما اعتمد على ترجمةٍ يونانيةٍ وعدَّلها، أو ربما كلمة "الْمَوْت" المشتركة بين (إشعياء 8:25) و (هوشع 14:13) ساعدت بولسَ على الربط بين هاتين الآيتين من أجل تقديم رسالة إيجابية تحمل معاني أمل الخلاص من الموت إلى الأبد (1 كورنثوس 15:54-55)[1963]. وبصرف النظر عن الطريقة التي اتبعها بولسُ من أجل إنتاج (1 كورنثوس 15:54-55)، فما يهمنا هنا هو أنه قبل الإسلام كان التراث اليهودي-المسيحي يُشخصن الموتَ، أي: يتحدث عن الموت بأسلوب أدبي مبدع كما لو كان الموتُ شخصاً أو كائناً أو حتى عقرب أو نحلة لها شوكة (إبرة) أو كما لو كانت الهاوية سجَّاناً قاسياً تسلَّط على البشر!

وبالإضافة إلى الآيات المقتبسة من العهد القديم في العهد الجديد، توجد في العهد الجديد آيات أخرى تُشخصن الموتَ أو الهاويةَ. مثلاً: "فَنَظَرْتُ وَإِذَا فَرَسٌ أَخْضَرُ (أو: بَاهِتُ اللَّوْنِ؛ أصفَرُ شَاحِب)، وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ اسْمُهُ الْمَوْتُ، وَالْهَاوِيَةُ تَتْبَعُهُ (أي: يَتْبَعُهُ حِصَانٌ آخَرُ اسْمُ رَاكِبِهِ «الْهَاوِيَةُ»)، وَأُعْطِيَا سُلْطَانًا عَلَى رُبْعِ الأَرْضِ (أي: رُبْعِ سُكَّانِ العالم) أَنْ يَقْتُلاَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْمَوْتِ وَبِوُحُوشِ الأَرْضِ" (الرؤيا 8:6).

وكذلك في التراث المسيحي السرياني قبل الإسلام، نجد أعمالاً تُشخصن الموتَ. مثلاً في القصيدة السريانية التي كتبها الشاعر والمعلِّم السرياني الكبير "نَرساي" (Narsai) (حوالي 399 - 502م؛ أي قبل

الإسلام بأكثر من 100 سنة) تعليقاً على مَثَل "الْغَنِيّ ولِعَازَر" (لوقا 16:19-31) والتي أشرنا إليها فيما سبق، شخصن نَرساي الموتَ فبدا مثل وحش مفترس يأكل الْغَنِيَّ: {295} جمال ثيابه كان فخاً للنفس المتكبّرة، {296} فاصطاده فجأة، ووهبه طعاماً للموت الشره. {297} صار أكله له بالعاً يبتلع رفاقه، {298} فما استطاع أن يُفلت من فم الموت. {299} ابتلع الموتُ مبتلعَ الملذّات[1964].

أما كُتب سوديبِجرافا العهد القديم التي تُعْتبَر في كثير من الحالات تراثاً مشتركاً بين اليهود والمسيحيين قبل الإسلام، فنذكر منها سفر أخنوخ الأول (1 Enoch) الذي يُسمَّى أيضاً "النسخة الحبشية (الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch) و "مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) والذي يضم مجموعة ضخمة من التقاليد والكتابات التي دُوِّنت بين القرن الثاني ق.م. وبداية القرن الأول المسيحي. يقول مصحف أخنوخ: "جميع الملوك والمقتدرون والعظماء وأسياد اليابسة يسقطون أمامه إلى الأرض على وجوههم. يخرّون أمامه ويضعون رجاءهم في ابن الإنسان هذا، يتوسّلون إليه ويطلبون الرحمة. ولكن ربّ الأرواح نفسه يضربهم بالرعب، فيسرعون بالهرب من حضرته. الخجل على جباههم والظلمة على وجوههم. يمسكهم الملائكة عقاباً لينتقموا بهم من الضربات التي وجّهوها لأبنائه (أي: للأبرار؛ لأبناء الله) ومختاريه. ويكونون (أي: يكون تعذيبُهم) مشهداً لأبراره ومختاريه الذين يفرحون حين يرون غضب ربّ الأرواح يحلّ بهم" (1 أخنوخ 62:9-12)[1965] **[⟵ "قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ. وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ" (السجدة 11-12) "وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ" (الأنفال 50) "فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ" (محمد 27) "وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ (أي: شدائد الْمَوْتِ) وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ (أي: لإماتتهم؛ وقيل: لتعذيبهم!) [قائلين لهم] أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ" (الأنعام 93)[1966]]**.

مثال آخر من سوديبِجرافا العهد القديم. سفر باروخ الثاني (2 Baruch) الذي يُسمَّى أيضاً "رؤيا باروك السريانية" (Syriac Apocalypse of Baruch) ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 400 سنة. هذا السفر المهم يؤكد أن فكرة شخصنة الموت قد تطوَّرت بمرور الزمن في القرون الأولي للميلاد قبل الإسلام وأصبحت أكثر نضوجاً وتحديداً حتى صار هناك كائنٌ أو شخصٌ مستقل بل ملاكٌ موكَّل بالإماتة يُسمَّى "ملاك الموت" الذي يُذْكَر صراحةً بهذا الاسم "ملاك الموت" (the angel of death) في (2 باروخ 23:21)[1967] **[⟵ "مَّلَكُ الْمَوْتِ" (السجدة 11)]**.

ونجد "ملاك الموت" أيضاً في التلمود البابلي (Babylonian Talmud)، الذي جُمِع في القرن الخامس أو السادس الميلادي[1968][1969]، أي قبل الإسلام. يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على القرآن "قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ" (السجدة 11)[1970]:

[السجدة 11] The “angel of death,” responsible for bringing souls to God’s presence for judgment, appears only here in the Qurʾān (cf. [النحل 28], where angels are said to take away souls at death). The angel of death does not appear in the Bible but does appear frequently in the Talmud, for example in b. Bava Qamma 60b (cf. b. Avodah Zarah 5a):

> When there is an epidemic in a town, one should not walk in the middle of the road, as the Angel of Death walks then in the middle of the road, for since permission has been granted him, he stalks along openly. But when there is peace in the town, one should not walk at the sides of the road, for since [the Angel of Death] has no permission he slinks along in hiding.

إذن: صحيح أن مَلَك الموت كائن مستقل، إلا أنه يعمل بإذن من الله. الله هو الذي يُميت وليس مَلَك الْمَوْتِ: "أَنَا أَنَا هُوَ [الإله الحقيقي الوحيد] وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ" (التثنية 39:32)؛ (أيوب 9:10) وآيات كتابية أخرى كثيرة تعطي نفس المعنى. أي أن الله هو الذي يصدر حُكمَ الموت ثم يرسل مَلَكَ الْمَوْتِ ويسمح له بتنفيذ الحكم. **[← وكذلك حرص أصحابُ القرآن على التأكيد على أن الله هو الذي يُميت: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا" (الزمر 42) وآيات قرآنية أخرى كثيرة تعطي نفس المعنى]**.

وهكذا بمرور الزمن تحوَّل الإلهُ "موت" (Mot) من إلهٍ عدو للإله بَعْل (Baal) في الديانات الوثنية القديمة إلى مَلَكٍ خاضعٍ للرب الإله يهوه (الله) في اليهودية ثم في الإسلام "مَّلَكِ الْمَوْتِ" (السجدة 11)!

وتعطينا موسوعة (Encyclopædia Judaica) مزيداً من المعلومات عن مَلَكِ الْمَوْتِ في التراث اليهودي(1971):

> […] The [Hebrew] Bible only refers to a temporary messenger [that terminates life] and the instances in the Bible in which death is personified ([...]) do not point to a constant sacred power or to a permanent angel whose function is to terminate life on earth.
>
> Only in post-biblical times did the concept of an Angel of Death who acted independently emerge. […] An active supernatural being, interested not only in fulfilling God’s orders, but also on his own initiative, in fighting, harming, and destroying man, the Angel of Death is identified in the

Talmud (BB 16a) with Satan (“Samael”) and with *yeẓer hara*ʿ (“evil inclination”). He symbolizes the demoniac forces, which were responsible for Adam’s fall and which continue to fight his descendants.

[…] Since the Angel of Death is only a messenger in Jewish tradition, his powers are limited and depend on his master’s (God’s) decrees and orders. […]

[…]

[…] In the Talmud, R. Naḥman is reported as having said: “Even if the Almighty were to order me back upon earth to live my life all over again, I would refuse because of horror of the Angel of Death” […]

لم يذكر القرآنُ اسمَ مَلَكِ الْمَوْتِ، لكن يوجد في المراجع الإسلامية القديمة والحديثة شبه إجماع على أن اسمه "عزرائيل" (Izrail) (Azrail) (Azrael)! ولا يوجد في الكتاب المقدس ملاك بهذا الاسم، لكن كما رأينا فيما سبق يوجد في التراث اليهودي ملاك (أو: ملاك ساقط؛ شيطان) اسمه "سمائيل" (Samael) كان سبباً في موت آدم بعد سقوطه في التجربة الأصلية، أي كان سبباً في موت أول إنسان. تقول موسوعة "على هامش الكتاب": "وإذ تماثل المجرّب مع ملاك الموت شُرِحَ اسمُه بالآرامي "سمَّا" أي السم. هو يعني سمَّائيل (Sammael) أي سمّ الله. كانوا يظنون أن ملاك الموت يسمم ضحيته (عبوده زره 20 ب)"[1972]. كما يوجد في العهد القديم رجال يُدعون "عَزَرْئِيل" أو "عَزْرِيئِيل" (Azarel) (Azriel) أي بالعبرية "الله أعان" أو "عون الله"[1973]. إذن: يبدو أن اسم مَلَكِ الْمَوْتِ "عزرائيل" مستوحى من التراث اليهودي أيضاً.

ويقول "معجم الأديان العالمية" الذي أصدرته جامعة القاهرة في مصر: "**عزرائيل Izrail:** في الإسلام هو مَلَكُ الموت. أحد أربعة ملائكة رئيسين (مع جبريل وميكائيل وإسرافيل)، في التراث له حجم كوني، بأربعمائة جناح وجسم مكون من عيون وألسنة لا تُحْصَى، وكان الملك الوحيد الشجاع بدرجة كافية للنزول إلى الأرض ومواجهة "إبليس" لإحضار مواد خلق الإنسان إلى الله. نتيجة هذا العمل أصبح مَلَك الموت ومنح سجلًا لكل البشرية يشمل المكرمين والملعونين"[1974].

من فضلكم امنعوا الضحك!

3.5.1.5 البُوق / القَرْن ... الصور ... والعلامات الأخرى!

حتى التعبير الذي استخدمه أصحابُ القرآن لوصف العلامة التي سوف تُعلِن قيامة الأموات، وهي علامة "النفخ في الصور"، هي مجرد تطور بشري طبيعي لما جاء في العهد الجديد عن النفخ في البوق (trumpet) كعلامة سوف تُعلِن قيامة الأموات. إلا أن استخدام البوق من أجل إعلان الأحداث المهمة له جذور في العهد القديم أيضاً. بل إن الكلمة العربية "صور" عبرية أصلاً (shofar)[1975]، وكان اليهودُ يصنعونه من قَرْن حيوان (an animal's horn)؛ مثلاً: قَرْن كبش (a ram's horn). وخير دليل على أهمية "البُوق" أو "القَرْن" (horn) عند اليهود هو استخدامه من أجل النداء إلى العبادة الجماعية لتقديم توبة جماعية: "اِضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي صِهْيَوْنَ. قَدِّسُوا صَوْمًا. نَادُوا بِاعْتِكَافٍ (أي: اتركُوا أعمالَكم وتفرَّغوا لصلاة الْجَمَاعَةِ). اِجْمَعُوا الشَّعْبَ. قَدِّسُوا الْجَمَاعَةَ" (يوئيل 2:15-16). إذن: أهمية القَرْن عند اليهود لا تقل عن أهمية أجراس الكنائس عند المسيحيين، وأهمية الآذان عند المسلمين "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ (أي: اتركُوا أعمالَكم وتفرَّغوا لصلاة الْجَمَاعَةِ)" (الجمعة 9).

يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس": "كانت الأبواق تُستعمل للإعلان عن حضور الملوك، أو عن أحداث عظيمة. أما في العهد القديم، فقد استخدمت - على الخصوص - لجمع شعب الله (غالباً من أجل الحرب)، كما أن الأنبياء كانوا يستخدمون البوق كوسيلة للتحذير من معركة قادمة، وكارثة تنذر بالوقوع (مثال [أَخْبِرُوا فِي يَهُوذَا، وَسَمِّعُوا فِي أُورُشَلِيمَ، وَقُولُوا: اضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي الأَرْضِ. نَادُوا بِصَوْتٍ عَال وَقُولُوا: اجْتَمِعُوا، فَلْنَدْخُلِ الْمُدُنَ الْحَصِينَةَ] (إرميا 4:5)، [تُوجِعُنِي جُدْرَانُ قَلْبِي. يَئِنُّ فِيَّ قَلْبِي. لاَ أَسْتَطِيعُ السُّكُوتَ. لأَنَّكِ سَمِعْتِ يَا نَفْسِي صَوْتَ الْبُوقِ وَهُتَافَ الْحَرْبِ] (إرميا 4:19)، [حَتَّى مَتَى أَرَى الرَّايَةَ وَأَسْمَعُ صَوْتَ الْبُوقِ؟] (إرميا 4:21)، [يَوْمُ بُوقٍ وَهُتَافٍ عَلَى الْمُدُنِ الْمُحَصَّنَةِ وَعَلَى الشُّرُفِ الرَّفِيعَةِ] (صفنيا 1:16). استخدم البوق لجمع شعب الله في اليوم الأخير [وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّهُ يُضْرَبُ بِبُوقٍ عَظِيمٍ] (إشعياء 27:13)، وهو الجمع الذي سيصاحبه خلاص إسرائيل (إشعياء 11:12؛ 43:5؛ 49:5؛ 56:8؛ وبصفة عامة في التقليد اليهودي). وهناك صلاة يهودية كانت تُتلى بانتظام في ذلك الوقت، تذكر التجمع اليهودي الأخير عند سماع البوق، كما يتفق ذلك مع نصوص يهودية قديمة أخرى"، "وكانت الأبواق تبوق عند اعتلاء أحد ملوك إسرائيل العرش ["وَلْيَمْسَحْهُ هُنَاكَ صَادُوقُ الْكَاهِنُ وَنَاثَانُ النَّبِيُّ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَاضْرِبُوا بِالْبُوقِ وَقُولُوا: لِيَحْيَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ"] (1 ملوك 1:34)"[1976].

فكما كان النفخُ في الْبُوقِ يُعْلِن الْمَلِكَ المسيحَ ممثلاً رسمياً لمُلْكِ الله على الأرض: "وَلْيَمْسَحْهُ هُنَاكَ [...] الْكَاهِنُ وَ [...] النَّبِيُّ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَاضْرِبُوا بِالْبُوقِ وَقُولُوا: لِيَحْيَ الْمَلِكُ [...]" (1 ملوك 1:34) **[⟵ كذلك النفخ في الصُّورِ يُعْلِن مُلْكَ الله في الآخرة: "وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ" (الأنعام 73) "وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ (أي: في قَبْضَتِهِ؛ مملوكة له) يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ (أي: كما تُطوى الثياب) بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ" (الزمر 67-68)].**

ويقول قاموس الكتاب المقدس: "**بوق:** (الخروج 16:19) آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا (أي: كان بنو إسرائيل) ينفخون فيها في الأعياد وعند إعطاء علامة الحرب وما أشبه. وكانت أبواق الكهنة من الفضة. وسيعلن البوق مجيء المسيح الثاني (متى 31:24) وكذلك يعلن قيامة الأموات (1 كورنثوس 52:15)"[1977].

وبالفعل، ذُكِرَ هذا البوق في مواضع من العهد الجديد قبل الإسلام بمئات السنين، منها ما قاله السيد المسيح في "حديث الزيتون" (The Olivet Discourse) عن "بُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ" (متى 31:24) ضمن علامات نهاية الزمان حين تنهار قوانين الطبيعة وينقلب نظامُ العالم المادي رأساً على عقب (apocalyptic inversion) أي تنحلّ الخليقة (undoing of creation) ويأتي الفادي والمخلِّص الرَّبُّ يسوعُ المسيحُ مَرَّة ثانية لكن في مجده مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ ليدين العالمَ كله ويخلِّص المؤمنين بصليبه وموته وقيامته ويبدأ الجانب المستقبلي لملكوت الله الأبدي الذي لا يعترضه أحدٌ (God's eternal, unchallenged rule)[1978] على عالمٍ جديد تسوده قوانين جديدة في الزمان والمكان والمخلوقات [⟵ **كما قلنا فيما سبق: في القرآن، يقوم اللهُ وحده بدور المَلِكِ الْدَّيَّان الْعَادِل: "رَبِّ الْعَالَمِينَ. [...] مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (وفي رواية وَرْشٍ عن نافعٍ: مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)" (الفاتحة 2-4) "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (يس 83) "لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ[1979]" (غافر 16) "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (إبراهيم 48) "الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ [وحده من غير منازع] يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ" (الحج 56) "الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ [وحده دون مَن سواه]" (الفرقان 26)[1980] "وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ" (الانفطار 19) "الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" (البقرة 165) "وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ" (الأنعام 73) "لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (القصص 70، 88) "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" (المؤمنون 116) "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الحشر 23)]**.

نجد علامات نهاية الزمان في حديث الزيتون في (متى 24) (مرقس 13) (لوقا 21). فنحن نتفق 100% مع العالِم الكبير (Prof. Emran Iqbal El-Badawi) حين يقول[1981]:

> Jesus's fiery apocalyptic warnings found throughout Matthew 24, Mark 13, and Luke 21 are a significant contribution to the apocalyptic worldview of the Qur'ān.

لكن بما أن "بُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ" مذكور في (متى 31:24) فقط، فسنركز فيما يلي على (متى 24) ...

حديث الزيتون (The Olivet Discourse). علامات نهاية الزمان. **(متى 24):** {3} وَفِيمَا هُوَ (أي: يسوع) جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلاَمِيذُ عَلَى انْفِرَادٍ قَائِلِينَ: «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا؟ وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ [الثاني] وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟» [⟵ **"يَسْأَلُونَكَ [يا محمد] عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (أي: متى مستقرها وحدوثها؟؛ متى قيامها؟)" (الأعراف 187) (النازعات 42) "يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ"**

(الأحزاب 63). "وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ (أي: نزول المسيح من السماء قبل يوم القيامة دليل على قُرْبِ وقوع الساعة)" (الزخرف 61)] {4} فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: [...] {7} [...]، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلاَزِلُ (في (لوقا 21:11): وَتَكُونُ زَلاَزِلُ عَظِيمَةٌ) فِي أَمَاكِنَ **[⟵ "إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" (الحج 1) "إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا" (الواقعة 4) "إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا. [...] يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ (أي: يخرجون من قبورهم أحياء)" (الزلزلة 1-6) "يَوْمَ تَرْجُفُ (أي: تتزلزل) الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ" (المزمل 14) "يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (أي: تتزلزل الأرضُ)" (النازعات 6) "إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (أي: زُلْزِلَت حتى يتهدَّم كل ما عليها)" (الفجر 21)]**. {8} وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ. [...] {14} [...]. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى. [...] {16} فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُب الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ (في (لوقا 21:21): حِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِينَ فِي وَسْطِهَا فَلْيَفِرُّوا خَارِجًا، وَالَّذِينَ فِي الْكُوَرِ (أي: في بلاد اليهودية وأَرْيَافِهَا المحيطة بأورشليم) فَلاَ يَدْخُلُوهَا)، {17} وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا، {18} وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلاَ يَرْجعْ إِلَى وَرَائِهِ لِيَأْخُذَ ثِيَابَهُ. {19} وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ[1982]! **[⟵ "إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ (أي: تنسى رضيعها وتتركه!) وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا (أي: أسقط جنينها في غير أوانه فزعاً ورعباً!)" (الحج 1-2)[1983]؛ "الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (أي: النوق الحوامل تُركَت بلا راعٍ فلقد أهملها أهلُها لاشتغالهم بأنفسهم بسبب أهوال يوم القيامة!)" (التكوير 4)]** {20} وَصَلُّوا لِكَيْ لاَ يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ وَلاَ فِي سَبْتٍ[1984]، {21} لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ (أي: مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ) إِلَى الآنَ[1985] وَلَنْ يَكُونَ [مِثْلُهُ أبداً]. [...] {23} حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا! أَوْ: هُنَاكَ! فَلاَ تُصَدِّقُوا. {24} لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا. {25} هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ. {26} فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ! فَلاَ تَخْرُجُوا. هَا هُوَ فِي الْمَخَادِعِ! فَلاَ تُصَدِّقُوا. {27} لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ. [...] {29} وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ: تُظْلِمُ الشَّمْسُ **[⟵ "الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (أي: لُفَّت ومُحِيَ ضَوْؤُها)" (التكوير 1)]**، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ **[⟵ "وَخَسَفَ الْقَمَرُ (أي: أظلم وذهب ضوؤُه). وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (أي: جُمِعَ بينهما في ذهاب ضوئهما)" (القيامة 8-9)[1986] "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (أي: انفلق فلقتين!)" (القمر 1)]**، وَالنُّجُومُ (بالسريانية: kawkbē) تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ **[⟵ "الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (أي: النُّجومُ تساقطت)" (الانفطار 2) "النُّجُومُ انكَدَرَتْ" (التكوير 2) "النُّجُومُ طُمِسَتْ" (المرسلات 8)]**، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ[1987] **[⟵ "تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (أي: تتحرك وتضطرب فيختلُّ نظامها)" (الطور 9) "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ (أي: كما تُطوى الصحيفة على ما كُتِبَ فيها!)" (الأنبياء 104) "وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ (أي: كما تُطوى الثياب!) بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الزمر 67)؛ "السَّمَاءُ انشَقَّتْ (أي: تصدَّعت)" (الانشقاق 1) "انشَقَّتِ السَّمَاءُ" (الرحمن 37) "انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (أي: متمزّقة ضعيفة)" (الحاقة 16) "تَشَقَّقُ السَّمَاءُ" (الفرقان 25) "السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (أي: انشَقَّتْ)" (الانفطار**

1) "السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ (أي: متصدعة في ذلك اليوم)" (المزمل 18) "السَّمَاءُ فُرِجَتْ (أَيِ: انْفَطَرَتْ! انْشَقَّتْ! تَدَلَّتْ أَرْجَاؤُهَا وَوَهَتْ أَطْرَافُهَا!)" (المرسلات 9) "السَّمَاءُ كُشِطَتْ (أي: قُلِعَتْ وأزيلت من مكانها!)" (التكوير 11) "تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (أي: سائلة)" (المعارج 8)؛ (النبأ 19)]. {30} وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ (أي: يَظْهَرُ المسيحُ؛ أو: يَظْهَرُ الصليبُ) فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ (أي: الهالكين؛ الأشرار وغير المؤمنين؛ ينوحون لأنهم سيواجهون العقابَ بسبب عصيانهم) [⟵ "يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (أي: أمر شديد تنكره نفوس الكفار، وهو القيامة والحساب والعقاب بسبب عصيانهم). [...] يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ" (القمر 6-8) "فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (أي: نُفِخَ فِي الصُّورِ). فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ. عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ" (المدثر 8-10) "وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا" (الفرقان 26)]، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ (بالسريانية: brēh d-anāšā؛ بالآرامية: bar ēnāš) (Son of Man) (أي: المسيحَ) آتِيًا [⟵ كما قلنا فيما سبق، في القرآن: حلَّ رَبُّكَ أو اللهُ أو الرُّوحُ محلَّ المسيح. "وَجَاءَ رَبُّكَ" (الفجر 22) "يَأْتِيَ رَبُّكَ" (الأنعام 158) "يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ" (النحل 33) "يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ" (البقرة 210) "يَقُومُ الرُّوحُ" (النبأ 38)] عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ (بالآرامية: anānēy šmayā‘؛ بالعربية: عَنَانِ السماء)[1988] [⟵ "يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ (أي: سَحَابِ السَّمَاءِ)" (البقرة 210) "يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ" (الفرقان 25)] بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. {31} فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ[1989] [⟵ "وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا" (الفجر 22) "يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ" (البقرة 210)[1990] "يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا" (النبأ 38) "تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ (أي: عند الموت لقبض أرواحهم، أو: بالعذاب) أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ [يوم القيامة] أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ (أي: أشراط الساعة وعلاماتها)" (الأنعام 158) "تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ" (النحل 33) "وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا" (الفرقان 25) "وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ (أي: محيطين به)" (الزمر 75)؛ (الحاقة 17) (غافر 7) (النبأ 19)] بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ (a loud trumpet call) [⟵ "جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (أي: صيحة القيامة التي تكاد تَصمُّ الآذان لشدتها)" (عبس 33). "نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (أي: نُفِخَ فِي الصُّورِ)" (المدثر 8)؛ (المؤمنون 101) (ق 20) (الكهف 99) (يس 51) (الحاقة 13) (الزمر 68) (طه 102) (الأنعام 73) (النبأ 18) (النمل 87)؛ وآيات قرآنية أخرى تعلن قيامة الأموات بواسطة صوت، مثل: "يُنَادِ الْمُنَادِ" (ق 41)]، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ (أي: المخلَّصين؛ المؤمنين الأبرار) مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ (أي: مِنْ جِهَاتِ الأَرْضِ الأَرْبَعِ؛ مِنْ كل مكان)، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا (أي: مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَاءِ السَّمَاءِ؛ مِنْ كل مكان). [...] {33} [...]، مَتَى رَأَيْتُمْ هذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ (في (لوقا 31:21): فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَرِيبٌ؛ أي: بدايته اقْتَرَبَت؛ أو: خراب هيكل أورشليم عام 70م قريبٌ[1991]) عَلَى الأَبْوَابِ. {34} اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ. {35} اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ [يوم الدينونة] وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ (أي: سوف يتحقق لا محالة عاجلاً أو آجلاً دون أدنى شك)[1992] [⟵ "وَأَنَّ السَّاعَةَ (أي: القيامة) آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا" (الحج 7) "إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا" (غافر 59) "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ" (النساء 87) "يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ" (الأنعام 12) (الجاثية 26) "يَوْمَ الْجَمْعِ

لَا رَيْبَ فِيهِ" (الشورى 7) "جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ" (آل عمران 25) "رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ" (آل عمران 9) "لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا" (الكهف 21) "إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا" (الجاثية 32) "إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً" (يونس 4) "ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ (أي: الواقع لا محالة)" (النبأ 39) "الْحَاقَّةُ (أي: القيامة الواقعة حقاً)" (الحاقة 1)].

وقد تكرر ذِكْرُ استخدام البوق (الصُّور) في مواضع أخرى مِن العهد الجديد:

(1 كورنثوس 15): {51} هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا (أي: البشر الذين ما زالوا أحياءً عند المجيء الثاني للمسيح لن يموتوا)، وَلكِنَّنَا كُلَّنَا [أحياء وأموات] نَتَغَيَّرُ [إلى صورةِ جسدِ المسيحِ بعد قيامتِهِ]، {52} فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ (the last trumpet). فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ **[← "وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ[1993]" (النحل 77)[1994]. اقرأ أيضاً: "وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ (أي: كلمةٌ واحدةٌ وهي "كُن") كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ" (القمر 50)].**

(1 تسالونيكي 4): {14} لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ (أي: الذين ماتوا مؤمنين بقيامةِ الرَّبِّ يَسُوعَ المسيح وواضعين ثقتهم ورجاءهم فيه)، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ (أي: سيُقيمهم اللهُ ويُحضرهم أحياء مَعَ الرَّبِّ يَسُوعَ المسيح). {15} فَإِنَّنَا نَقُولُ لَكُمْ هذَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ: إِنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ (أي: الْبَاقِينَ أَحْيَاءَ إِلَى المجيء الثاني للمسيح)، لاَ نَسْبِقُ الرَّاقِدِينَ [إلى دخولِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ] (أي: كونهم أموات لن يحرمهم من المشاركة في المجيء الثاني للمسيح، وكوننا أحْيَاء لن يعطينا أولوية ولا أفضلية عليهم). {16} لأَنَّ الرَّبَّ [يسوع الْمَسِيحِ] نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ (the trumpet of God)، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ (أي: الذين ماتوا مؤمنين بقيامةِ الرَّبِّ يَسُوعَ المسيح وواضعين ثقتهم ورجاءهم فيه) سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. {17} ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ (shall be caught up، shall be snatched up، shall be taken up by force) (أي: سَنُرْفَعُ) جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ (أي: بعد أن تتغير أجسادُنا إلى صورة جسد المسيح بعد قيامته سَنُرْفَعُ جَمِيعًا في وقتٍ واحد مع الذين قاموا من الموت) لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ [يسوع المسيح] فِي الْهَوَاءِ، وَهكَذَا نَكُونُ [جَمِيعًا] كُلَّ حِينٍ (أي: دائمًا أَبَدًا) مَعَ الرَّبِّ.

فلعل الاختلاف الأبرز بين المسيحية والإسلام في هذه المسألة هو أنه حسب الإسلام سيُنْفَخ في الصور/القرن مرتين: النفخة الأولى لإماتة كُلِّ مَن كان حياً في تلك اللحظة، والنفخة الثانية لقيامة الجميع. أما حسب المسيحية، فلا توجد نفخة لإماتة كُلِّ مَن كان حياً في تلك اللحظة (1 كورنثوس 15:51-52) (1 تسالونيكي 4:13-18). لكن نحن لا نرى أن هذا اختلاف كبير، لا سيما أن القرآن استثنى فئةً من الخلق لن يموتوا بالنفخة الأولى: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ (أي: مات) مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ [عدم موته] ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" (الزمر 68). وكالعادة، اختلف المفسرون المسلمون

في تحديد تلك الفئة المستثناة. وكالعادة أيضاً، لجأ المفسرون المسلمون إلى حيل من أجل التوفيق بين (الزمر 68) وآيات قرآنية أخرى تؤكد أن "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" (آل عمران 185) (الأنبياء 35) (العنكبوت 57). فقيل مثلاً إن الذين استثناهم القرآنُ من الموت بالنفخة الأولى هُمْ جِبْرِيل وَمِيكَائِيل وَإِسْرَافِيل وَمَلَك الْمَوْتِ لكنهم سيموتون بعد ذلك! وقيل إن "إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ [عدم موته]" (الزمر 68) يعني: الله وحده لن يموت!

إذن: هذا الاختلاف بين المسيحية والإسلام لا يؤثر على صحة النتيجة النهائية، وهي أن ما قاله أصحابُ القرآن عن النفخ في الصور/القرن الذي يسبق القيامة هو مجرد تطور بشري طبيعي للنفخ في البوق المذكور - قبل الإسلام بمئات السنين - في العهد الجديد على أنه يسبق القيامة أيضاً. ولذلك نحن نتفق تماماً مع قاله العالِم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على الآيات القرآنية التي تحدثت عن النفخ في الصور/القرن الذي يسبق القيامة مثل (النبأ 18) وغيرها[1995]:

> [النبأ 18] The Qurʾān's reference to a trumpet blast to precede the resurrection [from the dead] (cf. [الأنعام 73]; [الكهف 99]; [طه 102]; [المؤمنون 101]; [النمل 87]; [يس 51]; [الزمر 68], where there are two trumpet blasts; [ق 20]; [الحاقة 13]; [المدثر 8]) follows from New Testament descriptions of the Last Day:
>
> […] (Mat 24:31).
>
> […] (1Co 15:51-52; cf. 1Th 4:16).

كما يُحدِّثنا السفرُ الأخير في الكتاب المقدس وهو سفرُ الرؤيا عن سبعة ملائكة (seven angels) معهم سبعة أبواق (seven trumpets): "وَرَأَيْتُ السَّبْعَةَ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ يَقِفُونَ أَمَامَ اللهِ، وَقَدْ أُعْطُوا سَبْعَةَ أَبْوَاقٍ" (الرؤيا 8:2)؛ "ثُمَّ إِنَّ السَّبْعَةَ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ مَعَهُمُ السَّبْعَةُ الأَبْوَاقُ تَهَيَّأُوا لِكَيْ يُبَوِّقُوا. فَبَوَّقَ الْمَلاَكُ الأَوَّلُ، [...]. ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الثَّانِي، [...]. ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الثَّالِثُ، [...]. ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الرَّابِعُ، [...]" (الرؤيا 8:6-12)؛ "ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الْخَامِسُ، [...]. ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ السَّادِسُ، [...]" (الرؤيا 9:1-13)؛ "ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ السَّابِعُ، فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ قَائِلَةً: «قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ (أو: مُلْكُ الْعَالَمِ) لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ»" (الرؤيا 11:15) **[⟵ كما قلنا فيما سبق، جعل القرآنُ الْمُلْكَ يوم القيامة لله وحده: "وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ" (الأنعام 73) "لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (غافر 16) "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (إبراهيم 48) "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" (المؤمنون 116)؛ (الفاتحة 2-4) (يس 83) (الحج 56) (الفرقان 26) (الانفطار 19) (البقرة 165) (القصص 70، 88) (الحشر 23)]**.

ونلاحظ في الآيات الكتابية السابقة أن مَن سينفخ في البوق ملاكٌ أو ملائكة. بخلاف القرآن الذي لطالما يستخدم أفعالاً مبنية للمجهول مثل "نُفِخَ فِي الصُّور" (المؤمنون 101) (ق 20) (الكهف 99) (يس 51) (الحاقة 13) (الزمر 68) "يُنفَخُ فِي الصُّور" (طه 102) (الأنعام 73) (النبأ 18) (النمل 87) "نُقِرَ فِي

النَّاقُور" (المدثر 8)! لكن تأثراً بالتراث اليهودي-المسيحي الذي يقول إن مَن سينفخ في البوق ملاكٌ أو ملائكة، يوجد في المراجع الإسلامية القديمة والحديثة شبه إجماع على أن مَن سينفخ في الصُّور/القَرْن ملاكٌ. وقيل إن اسمه "إسْرَافِيل" (Isrāfīl) (Seraphiel)! قال ابنُ حجر العسقلاني: "اشْتُهِرَ أَنَّ صَاحِبَ الصُّور إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَقَلَ فِيهِ الْحَلِيمِيُّ الْإِجْمَاعَ، وَوَقَعَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي حَدِيثِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ [...]"[1996].

وعلى الرغم من أن الكتاب المقدس لم يذكر ملاكاً باسم "إسرافيل"، إلا أنه في موضعٍ واحد فقط (إشعياء 6:1-7) ذكر نوعاً من الملائكة اسمه "سَرَافِيمُ" (Seraphim) يخدم عرش الربِّ أو يخدم الربَّ "السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ (أي: عرش؛ throne) عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ" (إشعياء 6:1) **[⟵ "الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (أي: علا وارتفع!)" (طه 5) "اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" (الأعراف 54) (يونس 3) (الرعد 2) (الفرقان 59) (السجدة 4) (الحديد 4) فهو "رَبّ الْعَرْشِ" (الأنبياء 22) (الزخرف 82) "رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" (التوبة 129) (المؤمنون 86) (النمل 26) "رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" (المؤمنون 116) "رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ" (غافر 15) "ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ" (البروج 15) "ذِي الْعَرْشِ" (الإسراء 42) (التكوير 20)؛ (هود 7). "وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا (أي: على جوانب السماء وأطرافها!) ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ [من الملائكة] (eight angels)[1997][1998]" (الحاقة 17)]**. "السَّرَافِيمُ [...] لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبَاثْنَيْنِ يَطِيرُ" (إشعياء 6:2) **[⟵ "جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ" (فاطر 1)]**. "وَهذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ [ترنيماً وتسبيحاً بمجد الرب]: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ»" (إشعياء 6:3) **[⟵ "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ (أي: والملائكةُ الذين حَوْلَهُ) يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ" (غافر 7) "وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ (أي: محيطين به) يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ" (الزمر 75) "وَنَحْنُ (أي: الملائكة) نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ" (البقرة 30)]**. تكملة (إشعياء 6): "فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: «إِنَّ هذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ، فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ، وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِكَ»" (إشعياء 6:6-7)[1999] **[⟵ تكملة (غافر 7): "وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ" (غافر 7). اقرأ أيضاً: "وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ" (الشورى 5). علماً بأن شفاعة الملائكة للمؤمنين مشروطة بإذن الله ورضاه: "وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ (أي: للشفيع) وَيَرْضَىٰ [عن المشفوع له]" (النجم 26) "وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ" (الأنبياء 28)[2000][2001]]**. أما الملاك "إسرابيل" (Śerapiʾel) أمير السَّرَافِيمِ (Prince of the Seraphim) **[⟵ "إسرافيل" (Seraphiel)]** فلم نجده إلا في سفر "أخنوخ الثالث" (3 Enoch) وهو أحد كتب سوديبيجرافا العهد القديم ويعود تاريخه إلى القرن الخامس أو السادس الميلادي - أي قبل الإسلام بقليل (3 أخنوخ 26)[2002]!

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن مشهد الملائكة حَوْلَ الْعَرْشِ الإلهي وتحته وَهُمْ يُسَبِّحُونَ لله (الحاقة 17) (غافر 7) (الزمر 75) مستوحى من الكتاب المقدس، وبخاصة سفر الرؤيا: "وَفِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ (أي: كائنات حية؛ المقصود: ملائكة) [...] وَالأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ حَوْلَهَا، وَمِنْ دَاخِل مَمْلُوَّةٌ عُيُونًا، وَلاَ تَزَالُ نَهَارًا وَلَيْلًا قَائِلَةً: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي»" (الرؤيا 4:6-8)؛ "وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ" (الرؤيا 5:11)؛ "وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ كَانُوا وَاقِفِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ" (الرؤيا 7:11). اقرأ أيضاً: "ثُمَّ نَظَرْتُ وَإِذَا عَلَى الْمُقَبَّبِ (أي: عَلَى جَنَاحَي الملاك المرتفعين فوق رأسه على شكل قُبَّة) الَّذِي عَلَى رَأْسِ الْكَرُوبِيمِ (cherubs؛ هُمْ: مجموعة من الملائكة) شَيْءٌ كَحَجَر الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ، كَمَنْظَر شِبْهِ عَرْشٍ" (حزقيال 10:1)؛ "اَلرَّبُّ قَدْ مَلَكَ. تَرْتَعِدُ الشُّعُوبُ. هُوَ جَالِسٌ عَلَى الْكَرُوبِيمِ" (المزامير 99:1)[2003].

حقاً، لم يأتِ القرآنُ بأي شيء جديد وصحيح.

وإنما القرآن العربي مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي-المسيحي الشرقي.

وكذلك فيما يتعلق بالآيات القرآنية التي وَصفت الدمار الكوني الشامل الذي سوف يصيب السماءَ ونجومها وشمسها وقمرها والأرضَ وجبالها وبحارها يوم القيامة. فهذه الآيات القرآنية لها جذور في التراث اليهودي-المسيحي الشرقي. "فالأرض والسماء، الشمس والقمر والنجوم، كلها عناصر من الكون، وهي دائماً حاضرة في الصور الرؤيوية الأخيرة ([...]) لتدل على تزعزع الخليقة نفسها التي تعتبر رمز ومدعاة القوة والاستقرار عند الإنسان القديم"[2004]. ...

علامات نهاية الزمان حين تنهار قوانين الطبيعة وينقلب نظامُ العالم المادي رأساً على عقب (apocalyptic inversion) أي تنحلّ الخليقة (undoing of creation) ويأتي الفادي والمخلِّص الرَّبُّ يسوعُ المسيحُ مَرَّة ثانية لكن في مجده مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ ليدين العالمَ كله ويخلِّص المؤمنين بصليبه وموته وقيامته ويبدأ الجانب المستقبلي لملكوت الله الأبدي الذي لا يقاومه أحدٌ (God's eternal, unchallenged rule) على عالمٍ جديد تسوده قوانين جديدة في الزمان والمكان والمخلوقات **[← كما قلنا فيما سبق: في القرآن، يقوم اللهُ وحده بدور المَلِك الْدَّيَّان الْعَادِل: "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (يس 83) "الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ [وحده بلا منازع] يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ" (الحج 56) "لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (القصص 70، 88) "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" (المؤمنون 116) "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الحشر 23)؛ (غافر 16) (إبراهيم 48) (الفرقان 26) (الانفطار 19) (البقرة 165) (الأنعام 73) (الفاتحة 2-4)]**.

نجد علامات نهاية الزمان في (مرقس 13:3-31) (لوقا 21:7-33) وَهُمَا توازيان الجزء الذي درسناه فيما سبق من حديث الزيتون (The Olivet Discourse) (متى 24:3-35). وبما أننا درسنا (متى 24:3-35) فيما سبق، فسنعطي هنا آيات من إنجيلَيْ مرقس ولوقا وأسفار أخرى ...

ونبدأ بآيات الإنجيل التي تؤكد على قُرْبَ رجوع المسيح ثانيةً كعلامة من علامات القيامة العامة في نهاية الزمان **[← "وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ (أي: نزول المسيح من السماء قبل يوم القيامة دليل على قُرْبِ وقوع الساعة)" (الزخرف 61)]**. فحتى من قَبْل يسوع، "جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ (John the Baptist) يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ قَائِلًا: «تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ" (متى 3:1-2). "وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ»" (مرقس 1:14-15). ثم قال السيد المسيح نفسه عن نفسه: "فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ (أي: الله) مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ" (متى 16:27-28)، "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ قَدْ أَتَى بِقُوَّةٍ" (مرقس 9:1)، "حَقًّا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ" (لوقا 9:27)، "وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. [...] مَتَى رَأَيْتُمْ هذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَرِيبٌ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (لوقا 21:27-32)، "مَتَى رَأَيْتُمْ هذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ" (مرقس 13:29-30)، "مَتَى رَأَيْتُمْ هذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ" (متى 24:33-34)، "تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ" (متى 4:17)، "وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ [إلى مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ] اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ (بالسريانية: qērbat malkūtā da-šmayā)" (متى 10:7)، "وَاشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا، وَقُولُوا لَهُمْ: قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ" (لوقا 10:9)، "اعْلَمُوا هذَا: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ" (لوقا 10:11). اقرأ أيضاً (رومية 13:11-12) (العبرانيين 10:25) (يعقوب 5:8-9) (1 بطرس 4:7)؛ بل قد يُفْهَم من آيات "الاختطاف" التي ذكرناها فيما سبق (1 كورنثوس 15:51) (1 تسالونيكي 4:15) – وكذلك آيات أخرى مثل (1 تسالونيكي 1:10) – أن بولس الرسول كان يظن أنه سيعيش حتى يرى المجيء الثاني للمسيح! وفي السفر الأخير في الكتاب المقدس: "لأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ" (الرؤيا 1:3، 22:10) "فَتُبْ وَإِلاَّ فَإِنِّي (أي: المسيح) آتِيكَ سَرِيعًا" (الرؤيا 2:16) "هَا أَنَا آتِي سَرِيعًا" (الرؤيا 3:11، 22:7، 22:12، 22:20). وتقول الآيتان الأخيرتان في الكتاب المقدس: "يَقُولُ الشَّاهِدُ بِهذَا: «نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعًا». آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ. نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ" (الرؤيا 22:20-21). **[← وكذلك قال أصحابُ القرآن إن يوم القيامة قد اقْتَرَبَ: "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ (أي: يوم القيامة؛ أو: الحساب في الدنيا)" (الأنبياء 1) "وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (أى: دنا يومُ القيامة)" (الأنبياء 97) "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ (أى: قَرُبَتْ الْقِيَامَة)" (القمر 1)[2005] "أَزِفَتِ الآزِفَةُ (أي: قَرُبَتْ الْقِيَامَة ودنا وقتها)" (النجم 57)**

"وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ" (غافر 18) "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ" (الشورى 17) "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا" (الأحزاب 63) "إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا" (النبأ 40) "قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا" (الإسراء 51) "إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَرَاهُ قَرِيبًا" (المعارج 6-7) "قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم (أي: اقترب لكم ودنا منكم)" (النمل 72)[2006]. وتوجد أحاديث صحيحة تؤكد أن محمد نفسه كان يتوهَّم أن يوم القيامة قد اقترب! فلقد أخرج مسلم حديثاً يقول إن محمد كان يَقُولُ "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ" وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[2007]! ويوجد حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم يقول إن محمد دخل على إحدى زوجاته فَزِعاً وقال: "وَيْلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب، فُتِحَ اليوم مِن ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وَحلَّق بإصبعه الإبهام والتي تليها (أي: بالإبهام والسبابة)[2008][2009]! لكن بعد مرور أكثر من 1400 سنة ولم تقم القيامة، فما معنى اقترابها؟! قيل إن المقصود هو تحقق وقوعها لا محالة، أو أن ما بقي من الدنيا أقل مما مضى! أما نحن فنرى أن أصحاب القرآن قصدوا أن ما بقي من الدنيا أقل مِمَّا كَانَ حِينَ ظهر الإسلامُ. أو كما قال بولسُ الرسول: "فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا" (رومية 13:11). إنها إذن مجرد بشرى للمؤمنين الأبرار، وتحذير وإنذار لغيرهم حتى يتوبوا ويؤمنوا ويعملوا أعمالاً صالحة].

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Emran Iqbal El-Badawi) تعليقاً على فكرة قُرْبِ يوم القيامة (الْيَوْمِ الْآخِرِ) في الإنجيل ثم القرآن[2010]:

> […] like Jesus and John [the Baptist] before him ([…]), Muḥammad's most basic prophetic warning was to repent, give charity and turn to God before the horrors of the Day of Judgment should come to pass ([…]).
>
> […]
>
> […] The imminence of God's kingdom and the apocalypse itself are manifested in the idea that Jesus's followers will not taste death [before the Eschaton], which develops in four stages: (1) the Aramaic text of the synoptic Gospels; (2) the Greek text of John's Gospel; (3) Paul's epistle to the Hebrews; and (4) the Qur'ān.

حديث الزيتون (The Olivet Discourse). علامات نهاية الزمان. **(لوقا 21):** {11} وَتَكُونُ زَلاَزِلُ عَظِيمَةٌ فِي أَمَاكِنَ **[← "إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" (الحج 1) "زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا" (الزلزلة 1)؛ (الواقعة 4) (المزمل 14) (النازعات 6) (الفجر 21)]**، وَمَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ. وَتَكُونُ مَخَاوِفُ وَعَلاَمَاتٌ عَظِيمَةٌ مِنَ السَّمَاءِ. […] {25} وَتَكُونُ عَلاَمَاتٌ (باليونانية: semeia؛ بالآرامية: ātwātā) (signs) فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ[2011] **[← "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ" (التكوير 1-2) "وَخَسَفَ**

الْقَمَرُ (أي: أظلم وذهب ضوؤه). وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (أي: جُمِعَ بينهما في ذهاب ضوئهما)" (القيامة 8-9) "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِن يَرَوْا آيَةً (sign)[2012] يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ" (القمر 1-2)؛ (المرسلات 8) (الانفطار 2)]، وَعَلَى الأَرْضِ كَرْبُ أُمَمٍ بِحَيْرَةٍ. اَلْبَحْرُ وَالأَمْوَاجُ تَضِجُّ[2013] **[⟵ "وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (أي: مُلِئَتْ ماءً ففاض بعضُها على بعض)" (التكوير 6) "وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (أي: المملوء بالمياه). إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ" (الطور 6-8) "وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (أي: اختلَّ نظامُها؛ قيل: امتلأت ماء وفاضت؛ فُتِحَ بعضها في بعض بزوال الحواجز بينها)" (الانفطار 3)]**، {26} وَالنَّاسُ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَوْفٍ وَانْتِظَارِ مَا يَأْتِي عَلَى الْمَسْكُونَةِ **[⟵ "وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ" (الحج 2) "وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ" (النمل 87) "قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (أي: خائفة فزعة؛ مضطربة غير ساكنة)" (النازعات 8) "وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ" (الصافات 20) "الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ" (الأنبياء 103)]**، لأَنَّ قُوَّاتِ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ **[⟵ "تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (أي: تتحرك وتضطرب فيختلُّ نظامها)" (الطور 9) "السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ (أي: متصدعة في ذلك اليوم)" (المزمل 18) "تَشَقَّقُ السَّمَاءُ" (الفرقان 25)؛ (الانشقاق 1) (الانفطار 1) (المرسلات 9) (التكوير 11) (المعارج 8) (الرحمن 37) (الحاقة 16) (الأنبياء 104) (الزمر 67) (النبأ 19)]**. [...]

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Emran Iqbal El-Badawi) تعليقاً على تأثير آيات الأناجيل الإزائية (Synoptic Gospels) المتفقة أو المتشابهة (متى 24:3-35) (مرقس 13:3-31) (لوقا 21:7-33) على افتتاحيات السور القرآنية المكية المتفقة أو المتشابهة مثل سور الزلزلة والقارعة والتكوير والانشقاق والانفطار والقيامة والمعارج والطور وغيرها[2014]:

> Going back to the shaking of the earth and tearing of the heavens, the apocalyptic imagery of terrestrial, maritime, and celestial chaos found in the Aramaic Gospels [i.e. the Gospels preserved in the Syriac and Christian Palestinian Aramaic dialects] provided much inspiration for the introductory verses of several Meccan Surahs, [...]. […].
>
> [...]
>
> [...] To make matters simple, the language and imagery of either Matthew-Mark [i.e. Matthew 24, Mark 13] or Luke's [i.e. Luke 21] passages have been reduced to the following nine contents:
>
> 1. there is suffering;
> 2. the sun, moon and stars are mentioned;

3. the sun darkens;
4. the moon's light fails;
5. the stars fall;
6. the sea roars;
7. people die out of fear;
8. the earth quakes; and
9. the heavens shake.

These nine elements were dogmatically re-articulated to fit the exigencies of the early Muslim community, Muḥammad's vision of strict monotheism, and the rhymed prose of his prophetic speech. What this means more specifically is that these apocalyptic scenes were translated, elaborated upon, or re-organized from their earlier Aramaic form to fit a late antique sectarian Arabian context. And although such apocalyptic scenes are found throughout the Qur'ān, three characteristics place these [Meccan] Surahs in a class of their own: (a) the apocalyptic scenes in question are concentrated in the Meccan Surahs [الذاريات] through [الطارق]; [الزلزلة] and [القارعة]; (b) these [apocalyptic] scenes occur at the very start of the Surah; (c) and they are in dialogue with Matthew 24:29; Mark 13:24-25 and Luke 21:25-26.

تكملة **(لوقا 21):** {34} فَاحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ (أي: تَنشَغِلَ؛ تنغمس) فِي خُمَارٍ وَسُكْرٍ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ (أي: ملذات الدنيا الفانية)، فَيُصَادِفَكُمْ ذلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً (suddenly, unexpectedly) (أي: فَجْأَةً؛ في أيَّة لحظة؛ بدون توقع وبغير إنذار). وتوجد آيات إنجيلية أخرى مثل (لوقا 12:35-46، 17:20-37، 21:35-36) (متى 24:36-51، 25:1-13) (مرقس 13:32-37) تعطي مزيداً من التوضيح والتأكيد على أن يَوْم وساعة المجيء الثاني للمسيح ونهاية العالم يأتيان بَغْتَةً. ليس بمعنى أنه لا توجد علامات تسبق ذلِك الْيَوْم وَتِلْك السَّاعَة، وإنما بمعنى أن تلك العلامات لن تحدد الوقتَ بدقة ولن تعطي التحذيرَ الكافي للأشرار ولغير المؤمنين. فيجب علينا أن نكون مُسْتَعِدِّينَ بالتوبة والإيمان والأعمال الصالحة في حال أتى ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ قبل الوقت المتوقَّع، وأن نكون مُسْتَعِدِّينَ أيضاً في حال تأخَّر ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ

عن الوقت المتوقَّع. أي يجب علينا ألا نخاف أو نرتعد من اقتراب ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتِلْكَ السَّاعَة، ويجب علينا أيضاً ألا نيأس أو نفتر ونتلكَّأ ونؤخِّر التوبةَ بسبب تأخُّر ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتِلْكَ السَّاعَة. "لِذلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ (باليونانية: hóra؛ بالسريانية: šāʻtā) لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ (أي: السيدُ المسيحُ بصفته إنسان نائب عن البشرية يمثِّل كل البشر)" (متى 44:24)؛ (لوقا 40:12). اقرأ أيضاً (1 تسالونيكي 1:5-4) (2 بطرس 10:3) (الرؤيا 3:3، 15:16). ومن أعمال الآباء الرسوليين، نذكر مثلاً (الديداخي 1:16).

[← وكذلك قال أصحابُ القرآن إن يوم القيامة يأتي بَغْتَةً (suddenly, unexpectedly): "لَا تَأْتِيكُمْ [السَّاعَةُ] إِلَّا بَغْتَةً" (الأعراف 187) "وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ (أي: قصَّرتُ في حق الله وطاعته)" (الزمر 55-56)؛ "إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا (أي: قصَّرنا في الاستعداد ليوم القيامة)" (الأنعام 31) "تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً" (الحج 55) "تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (أي: وَهُمْ غافلون عنها لانشغالهم بأمور الحياة الدنيا)" (يوسف 107) "هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (الزخرف 66) "بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ (أي: فتغلبهم؛ فتحيِّرهم) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا (أي: منعها؛ صرفها) وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (أي: ولا يُمْهَلون ليتوبوا ويعتذروا)" (الأنبياء 40) "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ" (الأنبياء 1) "فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا (أي: ظهرت علاماتُها الدالة على قربها) ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (أي: يوم القيامة كيف تنفع التوبة وقد فات أوانُها؟)" (محمد 18) "وَلَيَأْتِيَنَّهُم [الْعَذَابُ] بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (العنكبوت 53) "فَيَأْتِيَهُم [الْعَذَابُ الْأَلِيمُ] بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (الشعراء 202)].

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على ما قاله القرآنُ عن المسيح "إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ (أي: نزول المسيح من السماء قبل يوم القيامة دليل على قُرْبِ وقوع الساعة)" (الزخرف 61) وعلاقة ذلك بما قاله المسيحُ في الإنجيل: "فَكُونُوا أَنْتُمْ إِذًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ" (لوقا 40:12)؛ (متى 44:24)[2015]:

> The reference to Jesus as a “portent [or perhaps “knowledge”; Ar. عِلْم]” of the [apocalyptic] Hour” [الزخرف 61] suggests that the Qurʾān agrees with the Christian tradition which makes Jesus the central figure of the end times (e.g., Luk 12:40: […] [cf. Mat 24:44]). In later Islamic apocalyptic traditions the role of Jesus in the end times is developed extensively. Not only is Jesus a “portent” of the Hour in such traditions, he also kills the anti-Christ (*al-Dajjāl*), breaks crosses, kills pigs, and unites the world under the banner of Islam.

حديث الزيتون (The Olivet Discourse). علامات نهاية الزمان. **(مرقس 13):** {9} فَانْظُرُوا إِلَى نُفُوسِكُمْ (أي: فكونوا على حَذَرٍ). لأَنَّهُمْ سَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَتُجْلَدُونَ فِي مَجَامِعَ، وَتُوقَفُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ، مِنْ أَجْلِي، شَهَادَةً لَهُمْ (أي: شَهَادَةً martyrion عِنْدَهُمْ). {10} وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلًا (أي: قبل خراب أورشليم عام 70م؛ و/أو: قبل المجيء الثاني للمسيح) بِالإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ. {11} فَمَتَى سَاقُوكُمْ لِيُسَلِّمُوكُمْ، فَلاَ تَعْتَنُوا مِنْ قَبْلُ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ وَلاَ تَهْتَمُّوا، بَلْ مَهْمَا أُعْطِيتُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَبِذلِكَ تَكَلَّمُوا. لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلِ الرُّوحُ الْقُدُسُ (Holy Spirit)[2016] **[⟵ "يَقُومُ الرُّوحُ" (النبأ 38)].**

تكملة **(مرقس 13):** {32} وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ (باليونانية: hóra؛ بالسريانية: šāʿtā) فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ (أي: وَلاَ المسيح)، إِلاَّ الآبُ (في (متى 24:36): إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ؛ أي: لا يعلم يَوْم وساعة المجيء الثاني للمسيح ونهاية العالم إلا اللهُ وَحْدَهُ لا غيره). وتوجد آيات كتابية أخرى تعطي مزيداً من التوضيح والتأكيد على أن الله وحده هو الذي يعلم ذلِكَ الْيَوْم وَتِلْكَ السَّاعَة، مثل: "فَقَالَ لَهُمْ [يسوعُ]: «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ (أي: اللهُ) فِي سُلْطَانِهِ [وَحْدَهُ لا غيره]" (أعمال الرسل 1:7)[2017]. **[⟵ وكذلك قال أصحابُ القرآن إن الله وحده هو الذي يعلم الساعةَ: "يَسْأَلُكَ النَّاسُ [يا محمد] عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ [وَحْدَهُ لا غيره]" (الأحزاب 63) "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (أي: متى مستقرها وحدوثها؟؛ متى قيامها؟). فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (أي: لستَ يا محمد في شيء من عِلمها). إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (أي: الله وحده الذي يعلم وقتها)" (النازعات 42-44) "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا (أي: لا يظهرها) لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (أي: لا تطيقها السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لشدة أهوالها؛ أو: خفي علمها على أهل السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فلا يعلم وقتَ قيامها مَلَكٌ مقرَّب ولا رسولٌ ولا نبيٌّ ولا إنس ولا جن ولا أي مخلوق آخر) ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا (أي: كَأَنَّكَ عالمٌ بها أو حريصٌ على العلم بها) ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ [وَحْدَهُ لا غيره]" (الأعراف 187) "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ [بالحشر] إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ [يا محمد] إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ" (الملك 25-26) "إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ" (لقمان 34) "وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (الزخرف 85) "إِلَيْهِ يُرَدُّ (أي: إلى الله وحده يرجع) عِلْمُ السَّاعَةِ" (فصلت 47). اقرأ أيضاً: "أَزِفَتِ الْآزِفَةُ. لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (أي: لا يطَّلع على وقت القيامة إلا اللهُ وَحْدَهُ؛ أو: لا يدفعها من دون الله أحدٌ)" (النجم 57-58) "قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (أي: ولا يعلمون متى يُبْعَثُونَ عند قيام الساعة)" (النمل 65) "وَعِندَهُ (أي: وعند الله) مَفَاتِحُ الْغَيْبِ [ومنها عِلْم الساعة] لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا[2018] وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" (الأنعام 59) "قُل [يا محمد] [...] لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ" (الأنعام 50)**

"قَالَ [رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ] إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (البقرة 30)(2019). "وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ (أي: نزول المسيح من السماء قبل يوم القيامة دليل على قُرْبِ وقوع الساعة)" (الزخرف 61)].

فنحن نتفق تماماً مع ما قاله العالِمُ الكبير "سمير خليل سمير" (Prof. Samir Khalil Samir) اعترافاً بالتأثير المسيحي على القرآن فيما يتعلق بكلمة "السَّاعَة" التي تكررت 40 مرة في القرآن(2020):

الساعة في القرآن يرد مصطلح "سَاعَة" في القرآن ثماني وأربعين مرّة. حين يجده المرء مُعرَّفاً [السَّاعَة] يُشير إلى "ساعة الدينونة الأخيرة". نجد هذا التعبير مراراً في القرآن (أربعين مرّة)، غالباً كتهديد للكافرين. هذا هو بالفعل المعنى نفسه الذي نجده في الأناجيل، وارداً على فم يسوع، ويبدو راجحاً أنّ هناكَ تأثيراً مسيحياً مباشراً، لأنّه لا يبدو أنّ هذا التعبير ينتمي إلى التراث اليهودي. ***عند الله وحده "عِلْم السَّاعَة"*** في مكان آخر في القرآن، الله عادة هو الذي عنده "عِلْم السَّاعَة"، كما يجد المرء في هذه الآيات الثلاث: [...] [لقمان 34]. [...] [فصلت 47]. [...] [الزخرف 85]. وهذه أيضاً شهادة الإنجيل بفم يسوع المسيح [متى 36:24؛ مرقس 32:13].
The Hour in the Qur'ān In the Qur'ān, the term [سَاعَة] ("hour") appears forty-eight times. When one finds it in the definite form ([السَّاعَة]), it indicates "the Hour of the final judgment." We find this expression frequently (forty times) in the Qur'ān, often as a threat made to unbelievers. This is indeed the same meaning that we find in the Gospels, even in the mouth of Christ, and it seems likely that there was a direct Christian influence, since the expression does not seem to belong in Jewish tradition. ***Only God has "knowledge of the Hour"***

Elsewhere in the Qur'ān, it is normally God who has "knowledge of the Hour" ([عِلْم السَّاعَة]), as one finds in the following three verses:

[…] [لقمان 34]

[…] [فصلت 47]

[…] [الزخرف 85]

Yet this is also an affirmation of the New Testament and is even found in the very mouth of Christ [See Matthew 24:36; Mark 13:32].

3.5.1.6 يَوْم الرَّبِّ ... يوم دينونة زمنية في الدنيا ... يوم الدينونة الأبدية في الآخرة

وفي الواقع، فإن النفخ في البوق - وكذلك تلك الظواهر الكونية التي تجسِّد انحلال الخليقة وانقلاب نظام العالم المادي رأساً على عقب وتنبئ بقرب يوم القيامة - هي كلها ميزة مشتركة لنبوَّة "يَوْم يهوه" (بالعبرية: yom Yahweh) أي "يَوْم الرَّبِّ" (the day of the LORD).

يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم" عن يَوْم يهوه (يَوْم الرَّبِّ)[2021]:

يوم يهوه (DAY OF YAHWEH)

[...] يشير يومُ يهوه إلى مناسبة سيُرفَع فيها يهوه على عرشه بقصد تقييد الفوضى وإطلاق العدل لنظام العالم. ستتقرر مصائر عبيده على أساس أن البار يُكافَأ والشرير سيعاني توابع تمرُّده وخطيته. [...]. كان يوم الرب أيضاً له عناصر ظهور [إلهي] (theophany)، عادةً ترتبط بالإله المُحارب الذي يهزم القوى التخريبية ([...]). كثيراً ما صحب مثل هذه الظهورات تأثيرات كونية (cosmic effects) ([...]). التأثيرات الكونية تظهر كثيراً في شكل عالم مقلوب رأساً على عقِب ([...]). كان يوم يهوه يوماً خطيراً. وهناك أنواع من الأحداث التي تصحب اليوم الخطير بشكل واضح. كل هذا يساعدنا لفهم يوم الرب بأن يوضح لنا أن الفِكر الإسرائيلي والتواصل النبوي [تقاطعا] مع اتساع مجال واسع لأفكار جارية في الثقافة. الأصالة في الأدب الإسرائيلي ليست نتيجة إنشاء مصفوفة جديدة بكاملها، ولكن لأن الأفكار المعروفة قد جُمِعَت وطُبِّقت بطرق فريدة.

"يَوْمُ الرَّبِّ" - أو "يَوْمٌ لِلرَّبِّ" (a day of Yahweh) (a day of the LORD) أو "يَوْمُ غَضَبِ الرَّب" "يَوْمُ سَخَطِ الرَّب" (the day of the LORD's wrath) - "هو لفظ تِقنيٌّ يدلُّ على تدخُّلات الله الخاصَّة في التاريخ البشريِّ (أي: في الحياة الدنيا) لأجل الدينونة. وهو يشير بمعناه الأقصى إلى وقت الدينونة

المستقبليّ الذي فيه يدين اللهُ الأشرار على الأرض ويُنهي نظامَ العالم الحاضر بشكله الحالي. وقد رأى أنبياءُ العهد القديم يَوْمَ الرَّبِّ الأخيرَ بوصفه زمنَ ظلامٍ وعقاب لا مثيلَ له، يوماً فيه سيعمل الرَّبُّ بأسلوبٍ فَوقيٍّ لكي يُزكِّيَ اسمه، ويُهلِك أعداءه، ويُعلِن مجده، ويُقيم ملكوته، ويدمِّر العالمَ"[2022]. إذن: "يَوْمُ الرَّبِّ" هو كل يوم حدده اللهُ رَبُّ الأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ ودرج أنبياءُ العهد القديم على استخدامه في وصف دينونة الله بصفة عامة في معاقبة الظالمين والقساة وإنصاف المظلومين والمستضعفين في الأرض، ولا سيما دينونة الله العظيمة في يَوْم الرَّبِّ الأخير حتى يحقق العدالة الأبدية ويزيل شرور العالم كله ويحطم كبرياء الشيطان وأتباعه.

"فَإِنَّ لِرَبِّ الْجُنُودِ يَوْمًا عَلَى كُلِّ مُتَعَظِّمٍ وَعَالٍ، وَعَلَى كُلِّ مُرْتَفِعٍ فَيُوضَعُ" (إشعياء 2:12).

"عندما لا تُستخدَم العبارةُ ["يَوْم الرَّبّ"] للإشارة إلى القضاء الإلهي في وسط التاريخ (أي: في الحياة الدنيا)، فإنها تُشير إلى يَوْمِ الرَّبِّ الأخير الذي يُوصف عادة بأنه ذو جانبين: (1) انتصار الله على أعدائه ومعاقبتهم، و (2) ضمانه نجاة شعبه ومباركته له"[2023]. وكما قلنا فيما سبق، لا يوجد تعارض بين المعنى الدنيوي (الآني، التاريخي) والمعنى الأخروي (الاسخاتولوجي eschatological، الرؤيوي apocalyptic). أيام الرب الدنيوية أيام مهمة من أيام التاريخ؛ وكذلك يومُ الرب الأخروي لكنه أيضاً نهاية التاريخ. وأحياناً يُشكِّل يومُ الرب الدنيوي صورة سابقة ومصغرة ليوم الرب الأخروي. إذن: كلاهما "يَوْمُ الرَّبِّ" أو "يَوْمٌ لِلرَّبِّ": "وَيَكُونُ الرَّبُّ (أي: يهوه) مَلِكًا عَلَى كُلِّ الأَرْضِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ الرَّبُّ (أي: يهوه) وَحْدَهُ وَاسْمُهُ وَحْدَهُ" (زكريا 14:9). **[⟵ "لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (غافر 16) "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (إبراهيم 48) "وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ" (الأنعام 73) "وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ" (الانفطار 19) "الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" (البقرة 165) "لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (القصص 70، 88) "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الحشر 23)؛ (الفاتحة 2-4) (يس 83) (الحج 56) (الفرقان 26) (المؤمنون 116). كما توجد آيات قرآنية تربط بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، مثل ما قاله نوحٌ لقومه قبل أن يهلكهم اللهُ بالطوفان: "فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ [في الدنيا] وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ [في الآخرة]. حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا [...]" (هود 39-40) "لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ" (هود 43)؛ "أُغْرِقُوا [في الدنيا] فَأُدْخِلُوا نَارًا [في الآخرة]" (نوح 25). ومن المعلوم أنه حسب التراث اليهودي-المسيحي فإن هذا الطوفان كان صورة مصغرة لأهوال يوم القيامة. اقرأ أيضاً: "وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ [في الدنيا]. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا [في عالم البرزخ] ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ [في الآخرة]" (غافر 45-46)!].**

وليس بالضرورة أن يكون يوم الرب ضد أعداء إسرائيل، وإنما قد يكون ضد شعب إسرائيل نفسه بسبب خطاياه وبهدف تشجيعه على التوبة لينال رضا الرب فيتحول يومُه من يوم غَضَب وسَخَط ودينونة على إسرائيل إلى يوم رحمة وبركة وخلاص ونعيم لإسرائيل أو للبقيَّة التقيَّة من إسرائيل التي سوف تنجو من قضاء الله على الشعب ثم تمتلك الأرض. "فالتاريخ ينتهي بيوم الرب الذي يدمِّر العالم القديم ويفني شعوبه من

أجل التأسيس لملكوت الرب. وهذا الملكوت [في اليهودية] ليس ملكوتاً سماوياً يعيش فيه الأخيار ويعاقب الفجار كما هو الحال في المسيحية والإسلام، بل هو مملكة أرضية تخلف ممالك العالم البائدة، يحكمها الإلهُ يهوه بشكل مباشر وتكون بمثابة نعيم أرضي لبني إسرائيل. [...] بعد ذلك تدخل الأرضُ في حالة فردوسية (أي: طوباوية utopian؛ سلام عالمي): "فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعًا، وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا. وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ (أي: جُحْر الأفْعَى)، وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوَانِ (أي: الحَيَّةِ السَّامَّةِ). لاَ يَسُوؤُونَ (أي: لَنْ يُؤذِيَ أَحَدُهُمُ الآخَرَ) وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ [يهوه] كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ" (إشعياء 11:6-9). "لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ. بَلْ يَجْلِسُونَ كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ (أي: في سلام وأمان ورخاء وازدهار وفرح)، [...]، وَيَمْلِكُ الرَّبُّ [يهوه] عَلَيْهِمْ فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ" (ميخا 4:3-7)"[2024][2025]!

ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه "في المصادر المبكرة للعهد الجديد تنطبق صورة الله (أي: يهوه) آتياً في العهد القديم، في يوم الرب، بصورة مباشرة على يسوع، وإن كان التصور اليهودي عن هذا الحدث هو خاص بالله (أي: يهوه)، وليس بالمسيا"[2026]. **[← وفي القرن السابع الميلادي، أخذ أصحابُ القرآن هذه التصورات من التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)، وطوّروها تطوراً بشرياً طبيعياً حتى طبَّقوها على علامات الساعة وأهوال يوم القيامة. وكما وضَّحنا كثيراً فيما سبق، أصحابُ القرآن أعادوا إنتاجَ (reproduced) التصور اليهودي عن هذا الحدث حتى يكون المَلِك الْدَّيَّان الْعَادِل هو الله وليس المسيح (المسيا): "جَاءَ رَبُّكَ" (الفجر 22) "يَأْتِيَ رَبُّكَ" (الأنعام 158) "يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ" (البقرة 210) "يَقُومُ الرُّوحُ[2027]" (النبأ 38) "يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ" (النحل 33) "جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ" (الحديد 14)]**.

ولقد تحدَّث الكتابُ المقدس بعهديه القديم والجديد عن "يَوْمِ الرَّبِّ" في آيات كثيرة جداً، وذكره صراحةً بوضوح شديد أكثر من عشرين مَرَّة في (إشعياء 2:12، 13:6، 13:9) (حزقيال 13:5، 30:3) (يوئيل 1:15، 2:1، 2:11، 2:31، 3:14) (عاموس 5:18 مرتين، 5:20) (عوبديا 1:15) (صفنيا 1:7، 1:14 مرتين) (زكريا 14:1) (ملاخي 4:5) (أعمال الرسل 2:20) (1 كورنثوس 5:5)[2028] (1 تسالونيكي 5:2) (2 تسالونيكي 2:2)[2029] (2 بطرس 3:10، 3:12)[2030]. وبما أن ظواهر يَوْمِ الرَّبِّ في تلك الآيات الكتابية متشابهة، فحرصاً على عدم الإطالة سنكتفي بما يلي على سبيل المثال وليس الحصر ...

3.5.1.6.1 مصادر القرآن من (إشعياء 2، 13، 40) و (ملاخي 4)

(إشعياء 2): {10} اُدْخُلْ إِلَى الصَّخْرَةِ وَاخْتَبِئْ فِي التُّرَابِ مِنْ أَمَامِ هَيْبَةِ الرَّبِّ وَمِنْ بَهَاءِ عَظَمَتِهِ. {11} تُوضَعُ عَيْنَا تَشَامُخِ الإِنْسَانِ، وَتُخْفَضُ رِفْعَةُ النَّاسِ **[← "خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ (أي: عيونُهم ذليلة، منكسرة، لا يرفعونها)" (المعارج 44) (القلم 43) "خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ" (القمر 7) "أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ" (النازعات**

9)[2031] "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (أي: ذليلة بالعذاب)" (الغاشية 2)]، وَيَسْمُو الرَّبُّ وَحْدَهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ. {12} فَإِنَّ لِرَبِّ الْجُنُودِ يَوْمًا عَلَى كُلِّ مُتَعَظِّمٍ وَعَالٍ، وَعَلَى كُلِّ مُرْتَفِعٍ فَيُوضَعُ، {13} وَعَلَى كُلِّ أَرْزِ لُبْنَانَ الْعَالِي الْمُرْتَفِعِ، [...]، {14} وَعَلَى كُلِّ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ، وَعَلَى كُلِّ التِّلاَلِ الْمُرْتَفِعَةِ، {15} وَعَلَى كُلِّ بُرْجٍ عَالٍ، وَعَلَى كُلِّ سُورٍ مَنِيعٍ، [...] {17} فَيُخْفَضُ تَشَامُخُ الإِنْسَانِ، وَتُوضَعُ رِفْعَةُ النَّاسِ، وَيَسْمُو الرَّبُّ وَحْدَهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ [← "لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (غافر 16) "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (إبراهيم 48) "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الحشر 23) "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" (المؤمنون 116)؛ (الحج 56) (الفرقان 26) (الانفطار 19) (البقرة 165) (الأنعام 73) (القصص 70، 88) (يس 83) (الفاتحة 2-4)]. [...] {22} كُفُّوا عَنِ الإِنْسَانِ (أي: كُفُّوا عَنِ الاتِّكالِ عَلَى الإِنْسَانِ والخوف منه وتمجيده) الَّذِي فِي أَنْفِهِ نَسَمَةٌ (أي: فالإِنْسَان مُعَرَّض لِلْمَوْتِ فجأةً)، لأَنَّهُ مَاذَا يُحْسَبُ [الإنسَانُ أمام الله]؟ [← "فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ" (المائدة 44) "فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ" (المائدة 3) "فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي" (البقرة 150) "وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا" (النساء 81) (الأحزاب 3، 48)].

(إشعياء 13): {6} وَلْوِلُوا لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ[2032] [← "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ (أي: قَرُبَتْ الْقِيَامَة)" (القمر 1) "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ" (الشورى 17) "وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (أي: دنا يومُ القيامة)" (الأنبياء 97)؛ (الأنبياء 1) (النجم 57) (غافر 18) (الأحزاب 63) (المعارج 6-7) (الإسراء 51) (النبأ 40) (النمل 72)]، قَادِمٌ كَخَرَابٍ مِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. {7} لِذلِكَ تَرْتَخِي كُلُّ الأَيَادِي، وَيَذُوبُ كُلُّ قَلْبِ إِنْسَانٍ [← "قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (أي: خائفة فزعة؛ مضطربة غير ساكنة)" (النازعات 8) "يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ (أي: ساكتين ممتلئين غمًّا وحزنًا وخوفًا)" (غافر 18) "وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (أي: خالية؛ خرجت قلوبهم عن صدورهم من شدة الخوف)" (إبراهيم 43)]. {8} فَيَرْتَاعُونَ (أي: فَيَنْتَابُهُمُ الْفَزَعُ) [← "وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ" (النمل 87) "الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ" (الأنبياء 103) "وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ" (الصافات 20)]. تَأْخُذُهُمْ أَوْجَاعٌ وَمَخَاضٌ. يَتَلَوَّوْنَ كَوَالِدَةٍ. يَبْهَتُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ (أي: يتبادلون النَّظَرَ حائرينَ في ذهول ورعب) [← "يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (أي: تضطربُ الْقُلُوبُ بين الرجاء في النجاة والخوف من الهلاك، وتلتفت الأنظارُ في حيرة إلى أي مصير تكون؟)" (النور 37) "بَرِقَ الْبَصَرُ (أي: تحيَّر واضطرب فلا يستقر؛ أو: دُهش فزعًا فلا يغمض ولا يطرف)" (القيامة 7) "وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (أي: دنا يومُ القيامة) فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا (أي: عيونُهم مفتوحة لا تَغْمُض ولا تطرف من هول ما تراه) يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا" (الأنبياء 97) "وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (أي: ترتفع عيونُهم وتبقى مفتوحة فلا تَغْمُض ولا تَطرف من هول ما تراه). مُهْطِعِينَ (أي: يقومون من قبورهم مسرعين) مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ (أي: رافعي رُءوسِهِمْ) لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ" (إبراهيم 42-43)]. وُجُوهُهُمْ وُجُوهُ لَهِيبٍ (أي: حَمْرَاء كَالنَّار) [← جعل القرآنُ وُجُوهَهُمْ سوداء في نار جَهَنَّم! "يَوْمَ

الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ" (الزمر 60) "يَوْمَ [...] تَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ" (آل عمران 106) "كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (يونس 27) "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (أي: القيامة التي تغطي الناس وتشملهم بأهوالها). وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (أي: ذليلة بالعذاب). عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (أي: دائبة العمل فيما يتعبها ويشقيها في النار). تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً" (الغاشية 1-4) "يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ" (الفرقان 34) "وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ" (الإسراء 97) "يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (أي: آلام جهنم وحرارتها)" (القمر 48) "فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ" (النمل 90) "يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ" (الأحزاب 66) "فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (أي: عابسون؛ أو: احترقت وُجُوهُهُمْ بشدة فتشوَّهت شفاهُهم وتَقَلَّصَتْ حتى برزت أسنانُهم!)" (المؤمنون 103-104) "سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ (أي: مادة سوداء نتنة الرائحة وشديدة الاشتعال) وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ" (إبراهيم 50) "لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ" (الأنبياء 39) "إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا (أي: سورُها؛ جدارُها المحيط؛ وقيل: وهو نار أيضاً!) ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ (أي: كالزيت العَكِر شديد الحرارة؛ كَالمعدن المذاب بالنار) يَشْوِي الْوُجُوهَ" (الكهف 29) "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (أي: غُبار؛ "ذُكِرَ أَنَّ الْبَهَائِمَ الَّتِي يُصَيِّرُهَا اللَّهُ تُرَابًا يَوْمَئِذٍ بَعْدَ الْقَضَاءِ بَيْنَهَا، يُحَوَّلُ ذَلِكَ التُّرَابُ غَبَرَةً فِي وُجُوهِ أَهْلِ الْكُفْرِ"[2033]!). تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (أي: ظلمة وسواد؛ شِبْهُ دخان يَغْشى الوجه من كرْب أو هَوْل؛ ذِلَّةٌ وشدة)" (عبس 40-41) "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (أي: عابسة كالحة). تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (أي: مصيبة عظيمة تقصم فَقَار الظَّهْر!)" (القيامة 24-25)]. {9} هُوَذَا يَوْمُ الرَّبِّ قَادِمٌ، قَاسِيًا بِسَخَطٍ وَحُمُوِّ غَضَبٍ، لِيَجْعَلَ الأَرْضَ خَرَابًا وَيُبِيدَ مِنْهَا خُطَاتَهَا. {10} فَإِنَّ نُجُومَ السَّمَاوَاتِ وَجَبَابِرَتَهَا لاَ تُبْرِزُ نُورَهَا [⟵ "النُّجُومُ طُمِسَتْ" (المرسلات 8)؛ (التكوير 2) (الانفطار 2)]. تُظْلِمُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا [⟵ "الشَّمْسُ كُوِّرَتْ" (التكوير 1)]، وَالْقَمَرُ لاَ يَلْمَعُ بِضَوْئِهِ[2034] [⟵ "وَخَسَفَ الْقَمَرُ. وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (أي: جُمِعَ بينهما في ذهاب ضوئهما)" (القيامة 8-9)؛ (القمر 1)]. {11} وَأُعَاقِبُ الْمَسْكُونَةَ عَلَى شَرِّهَا (أي: وَأُعَاقِبُ الأشرار)، وَالْمُنَافِقِينَ عَلَى إِثْمِهِمْ، وَأُبَطِّلُ تَعَظُّمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَضَعُ تَجَبُّرَ الْعُتَاةِ (أي: أُذِلُّ كِبْرِيَاءَ الْمُتَجَبِّرِينَ؛ أَحُطُّ تشامُخَ الطُّغاة). {12} وَأَجْعَلُ الرَّجُلَ أَعَزَّ مِنَ الذَّهَبِ الإِبْرِيزِ (أي: لِقِلَّةِ عَدَدِ الرِّجَالِ بعد هلاك الأشرار سيصبح الرَّجُلُ المؤمن البار أَندَرَ مِنَ الذَّهَبِ النَّقِيِّ)، وَالإِنْسَانَ أَعَزَّ مِنْ ذَهَبِ أُوفِيرَ. {13} لِذلِكَ أُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ [بالرعد والبرق ونحو ذلك مما يُظهر غضبَ الله غير المنظور في الطبيعة المنظورة وعلى رأسها السماء] [⟵ "تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (أي: تتحرك وتضطرب فيختلُّ نظامها)" (الطور 9) "السَّمَاءُ انشَقَّتْ (أي: تصدَّعت)" (الانشقاق 1)؛ (الرحمن 37) (الحاقة 16) (الفرقان 25) (الانفطار 1) (المزمل 18) (المرسلات 9) (التكوير 11) (المعارج 8) (الأنبياء 104) (الزمر 67) (النبأ 19)] وَتَتَزَعْزَعُ الأَرْضُ مِنْ مَكَانِهَا[2035][2036] [⟵ "زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا" (الزلزلة 1) "يَوْمَ تَرْجُفُ (أي: تتزلزل) الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ"

(المزمل 14)؛ (الحج 1) (الواقعة 4) (النازعات 6) (الفجر 21)] فِي سَخَطِ رَبِّ الْجُنُودِ وَفِي يَوْمِ حُمُوِّ غَضَبِهِ.

لكن لماذا قال إشعياءُ – ثم بعد ذلك قال تلاميذُه أصحابُ القرآن – إن الشمس والقمر والنجوم سوف تظلم وإن السماء والأرض سوف تتزلزل؟! الإجابة: "إذ أعلن إشعياء أنه في يوم يهوه ستسقط كل السماوات والأجسام السماوية فهو بذلك يدَّعي أن مجد يهوه سيتلألأ ويغطِّي لمعان الآلهة الأخرى [المزعومة] (قارن لغة مزمور 104:19-22 حيث قيل إن يهوه يحكم القمرَ [والشمسَ]). بما أن أشور ومصر [كانا] يعبدان الشمس (شمش وأمون على التوالي) كآلهتهم الرئيسية، وأن الإله سين إله القمر ذو أهمية كبرى في بابل، فإن النبي [إشعياء] يقصد [زوال] هذه الآلهة [المزيفة] وهذه الأمم الأعداء المغرورة [التي تعبدها من دون الله]. وكما في نَقْش دير الله لبَلْعَام، فإن الإظلام يتنبأ بشكل عام بوقت كارثة كبرى. ولكن رسالة إشعياء رسالة نصر حيث "الأضواء الأضعف" (أي: الشمس والقمر والنجوم) تختفي بالإنارة الأفضل ليهوه". أما فيما يتعلق بزلزلة الأرض والسماء، "يَسْتَخْدِم إشعياء لغةً تشبه التي تُستَخدَم في ظهور ["إله العاصفة"] (storm god) الشائعة في الأوغاريت في مَلْحمة دورة البعل (Ugaritic Baal Epic cycle). يُظْهِر الإلهُ المحارب نَفْسَهُ من خلال اضطرابات الطبيعة مثل ريح قوية وطنين السماوات الذي يكاد يقسم مادة الأرض نصفين. مثال مشابه يوجد في أغنية داود في (2 صموئيل 22:8-16)"[2037]!

وهذا يؤكد ما نقوله دائماً: القرآن العربي منتج أدبي من منتجات الشرق الأوسط القديم. فَلِكَيْ نفهم القرآنَ العربي فهماً صحيحاً، يجب أن ندرس جذوره اليهودية-المسيحية الشرقية، بل يجب أن ندرس جذوره الشرق-أوسطية القديمة في الديانات الوثنية.

اقرأ أيضاً بشارةَ فرح وعزاء. **(إشعياء 40):** {3} صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ **[⟵ "جَاءَتِ الصَّاخَّةُ" (عبس 33) "يُنَادِ الْمُنَادِ" (ق 41) "يَدْعُ الدَّاعِ" (القمر 6) "يُنفَخُ فِي الصُّورِ" (طه 102)]**: «أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلًا (أي: مَهِّدوا فِي الصَّحْراءِ طَرِيقاً مُسْتَقِيمًا) لإِلَهِنَا. {4} كُلُّ وَطَاءٍ (أي: وَادٍ) يَرْتَفِعُ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ **[⟵ "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (أي: يسويها بالأرض)" (طه 105) "الْجِبَالُ نُسِفَتْ (أي: فُتِّتَتْ)" (المرسلات 10) "وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (أي: فُتِّتَتْ تفتيتًا دقيقًا). فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا" (الواقعة 5-6) "وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا (أي: تتحول الْجِبَالُ إلى كثبان رمل ناعم)" (المزمل 14) "وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ" (القارعة 5)؛ (المعارج 9) (الحاقة 14) (الطور 10) (التكوير 3) (النبأ 20) (النمل 88) (الكهف 47)]**، وَيَصِيرُ الْمُعْوَجُّ مُسْتَقِيمًا (أو: تَسْتَوِي الأَرْضُ كَثِيرَةُ التَّعَرُّجَاتِ)، وَالْعَرَاقِيبُ سَهْلًا (أي: وَتُمَهَّدُ كُلُّ بُقْعَةٍ وَعِرَةٍ فتصير مسطحة ليست متعرجة ولا جبلية) **[⟵ "الْأَرْضُ مُدَّتْ (أي: بُسِطَت وَوُسِّعت بدك جبالها وإزالة آكامها)" (الانشقاق 3) "وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً (أي: ظاهرة مستوية)" (الكهف 47) "فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (أي: أرضاً منبسطة مستوية ملساء لا نبات فيها).**

لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (أي: من تمام استوائها لَّا تَرَىٰ فِيهَا مَيْلاً، ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً، فلا وادياً ولا رابيةً)" (طه 106-107)]. {5} فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعًا **[← "يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ (أي: لا محيد عنه يميناً ولا شمالاً)" (طه 108)]**، لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ» **[← "وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا" (طه 108)].** [...] {9} عَلَى جَبَلٍ عَالٍ اصْعَدِي، يَا مُبَشِّرَةَ صِهْيَوْنَ. ارْفَعِي صَوْتَكِ بِقُوَّةٍ، يَا مُبَشِّرَةَ أُورُشَلِيمَ. ارْفَعِي لاَ تَخَافِي **[← "جَاءَتِ الصَّاخَّةُ" (عبس 33) "يُنَادِ الْمُنَادِ (ق 41) "يَدْعُ الدَّاعِ" (القمر 6)].** قُولِي لِمُدُنِ يَهُوذَا: «هُوَذَا إِلهُكِ. {10} هُوَذَا السَّيِّدُ الرَّبُّ بِقُوَّةٍ يَأْتِي **[← "جَاءَ رَبُّكَ" (الفجر 22) "يَأْتِيَ رَبُّكَ" (الأنعام 158) "يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ" (البقرة 210) "يَقُومُ الرُّوحُ" (النبأ 38) "يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ" (النحل 33) "جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ" (الحديد 14)]** وَذِرَاعُهُ تَحْكُمُ لَهُ (أي: تُمدُّه بالسُّلْطان وتنفذ مشيئته) **[← "الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ [وحده دون مَن سواه]" (الفرقان 26) "رَبِّ الْعَالَمِينَ. [...] مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (وفي رواية وَرْشٍ عن نافعٍ: مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)" (الفاتحة 2-4)؛ (يس 83) (غافر 16) (إبراهيم 48) (الحج 56) (الانفطار 19) (البقرة 165) (الأنعام 73) (القصص 70، 88) (المؤمنون 116) (الحشر 23)].** هُوَذَا أُجْرَتُهُ مَعَهُ (أي: يحمِلُ مُكافأتَهُ للمخلَّصين) وَعُمْلَتُهُ قُدَّامَهُ (أي: يتقدَّمُهُ جَزاؤُه للمفديين)[2038]. {11} كَرَاعٍ يَرْعَى قَطِيعَهُ. بِذِرَاعِهِ يَجْمَعُ الْحُمْلاَنَ، وَفِي حِضْنِهِ يَحْمِلُهَا، وَيَقُودُ الْمُرْضِعَاتِ».

ومن المعلوم أن الأناجيل الأربعة كلها (متى 3:3) (مرقس 3:1) (لوقا 3:4-6) (يوحنا 23:1) تُقدِّم خدمةَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَان - آخر أنبياء العهد القديم والذي سبق المجيء الأول للمسيح - على أساس ما جاء في "صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: «أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. [...]" (إشعياء 40:3-4) بمعنى أن يوحنا المعمدان هو هذا الصوت المنتظر ليعلن أن التوبة ضرورية لإعداد الطريق (أي: إزالة كل العقبات) أمام الرب الفادي والمخلص يسوع المسيح ابن الله. كما ربطت الأناجيلُ الإزائية الثلاثة الأولى (متى 11:7-15، 17:9-13) (مرقس 1:2-4، 9:11-13) (لوقا 1:17، 7:27-28) بين يوحنا المعمدان و "«هأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي (أي: رَسُولِي) فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، [...]" (ملاخي 3:1) وكذلك نبوءة أخرى تتعلق بـ "مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" في الآيتين الأخيرتين في سفر ملاخي - أي الآيتين الأخيرتين في أسفار الأنبياء حسب الكتاب المقدس العبري وهُمَا الآيتين الأخيرتين في العهد القديم حسب التقليد المسيحي: «هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا (Elijah) النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ، وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ (أي: فيُصالِحُ الآباءَ معَ البنينَ، والبنينَ معَ الآباءِ؛ فيدعو الجميعَ إلى المصالحة مع الله بالتوبة والإيمان). لِئَلاَّ آتِيَ وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ (أي: بِالتَّحْرِيمِ؛ بالدمار الشامل)» (ملاخي 4:5-6). "وقد أتى [يوحنا المعمدان] بروح إِيلِيَّا ["وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ (أي: أمَامَ المسيح) بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ، وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ، لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا" (لوقا 1:17)]، فهذا هو تحقيق الوعد بمجيء إِيلِيَّا، ولكن بطريقة روحية وليست جسدية (أي: يوحنا المعمدان مثل إِيلِيَّا، شابه إِيلِيَّا في عمله ودوره أو له نفس مظهر إِيلِيَّا وطباعه وخصوصاً شجاعته وجرأته في الحق لكنه ليس هو إِيلِيَّا نفسه ولا إعادة تجسُّد إِيلِيَّا (يوحنا 1:21))، كما سيحدث في نهاية الأيام (ملاخي 4:5-6)، إذ

يأتي إِيلِيَّا بجسده [إلى الأرض] كما صعد بجسده إلى السماء [(2 ملوك 11:2)]، ليعلن صوت الله (أي: ليدعو الناس إلى التوبة والإيمان) قبل يوم الدينونة الأخير"[2039].

مما سبق يتضح أنه من خلال يوحنا المعمدان وإِيلِيَّا النَّبِيّ، ربط المسيحيون قبل الإسلام بين "صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: «أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. [...]" (إشعياء 40:3-4) و "مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ" (ملاخي 5:4). وهذا يفسر لنا لماذا أثَّر (إشعياء 40:3-4) على وصف يوم القيامة في القرآن، لا سيما فيما يتعلق بجعل الأرض مستوية مسطحة مستقيمة ليست متعرجة ولا فيها مرتفعات ولا منخفضات: "الْأَرْضُ مُدَّتْ (أي: بُسِطَت وَوُسِّعت بدك جبالها وإزالة آكامها)" (الانشقاق 3) "فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (أي: أرضاً منبسطة مستوية ملساء لا نبات فيها). لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (أي: من تمام استوائها لَّا تَرَىٰ فِيهَا مَيْلاً، ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً، فلا وادياً ولا رابيةً). يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ [فيحضر النَّاسُ مستسلمين لموقف القيامة] لَا عِوَجَ لَهُ (أي: لا محيد عنه يميناً ولا شمالاً)ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا" (طه 102-108)[2040].

3.5.1.6.2 مصادر القرآن من (يوئيل 1، 2، 3)

وليس بالضرورة أن يأتي يومُ الربِّ باضطرابات كونية كبيرة، وإنما قد يستخدم الربُّ حشرةً صغيرة حتى يعاقب الخطاة (التثنية 42:28)، كما عاقب فرعونَ وجنوده بالجراد (الخروج 10:1-20) بل كما عاقب إسرائيلَ بالجراد أيضاً (يوئيل 1:4، 25:2). ولا غرابة في ذلك. فكما أن عناصر الطبيعة كالسماءِ ونجومها وشمسها وقمرها وسحابها وكالأرضِ وجبالها وبحارها جنودٌ بيد الربِّ لتحقيق يومِ الربِّ، كذلك فإن الجراد يمكن أيضاً أن يكون جنوداً بل جيشاً بيد الربِّ لتحقيق يومِ الربّ: "الْجَرَادُ [...] جَيْشِي الْعَظِيمُ" (يوئيل 25:2).

وقيل إن غزو الجراد بأعداد كبيرة كما في (يوئيل 1-2) رمز أو تمهيد لأعداء سيهجمون بجيشٍ كبيرٍ وبسرعةٍ على إسرائيل. وبما أن "العلامات التي ستحدث في هجوم الجراد، وهجوم [أعداء إسرائيل] ["تَرْتَعِدُ الأَرْضُ وَتَرْجُفُ السَّمَاءُ. اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا" (يوئيل 10:2)]، ستحدث أيضاً في نهاية الأيام، أي يوم الدينونة العظيم، ومذكورة في الأناجيل (متى 24)، وفي سفر الرؤيا"[2041]. إذن: سواء كانت ضربة الجراد حقيقية أم رمزية، وسواء كانت علاماتها دنيوية أم أخروية، فإنه من المؤكد أن الأناجيل وسفر الرؤيا قد استخدموا تلك العلامات في وصف علامات نهاية الزمان التي تسبق يوم القيامة. **[← ذُكِرَ "الْجَرَادُ" في القرآن مرتين فقط: مرة في سياق دنيوي وهو عقاب آلِ فِرْعَوْنَ "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ [...]" (الأعراف 133)، ومرة في سياق أخروي وهو يوم القيامة "يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ (أي: القبور) كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ" (القمر 7)[2042]!]**. وفي جميع الأحوال، يدعو النبيُّ يوئيل إسرائيلَ إلى التوبة الجماعية طلباً للنجاة من يَوْمِ غضبِ الرَّبِّ: "قَدِّسُوا صَوْمًا (أي: خَصِّصُوا صَوْمًا لله). نَادُوا بِاعْتِكَافٍ (أي: اتركُوا أعمالَكم وتفرَّغُوا لصلاة الْجَمَاعَةِ). اجْمَعُوا الشُّيُوخَ، جَمِيعَ سُكَّانِ الأَرْضِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلَهِكُمْ

وَاصْرُخُوا إِلَى الرَّبِّ. آهِ عَلَى الْيَوْمِ! لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ. يَأْتِي كَخَرَابٍ مِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (يوئيل 1:14-15) [← "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ (أي: الحساب في الدنيا؛ أو: يوم القيامة)" (الأنبياء 1) "إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا" (النبأ 40)]. **(يوئيل 2):** {1} اِضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي صِهْيَوْنَ. صَوِّتُوا فِي جَبَلِ قُدْسِي! [← "نُفِخَ فِي الصُّورِ" (المؤمنون 101) (ق 20) (الكهف 99) (يس 51) (الحاقة 13) (الزمر 68)؛ "يُنفَخُ فِي الصُّورِ" (طه 102) (الأنعام 73) (النبأ 18) (النمل 87)؛ (المدثر 8) (عبس 33)؛ وآيات قرآنية أخرى تعلن قيامة الأموات بواسطة صوت، مثل "يَدْعُ الدَّاعِ" (القمر 6)] لِيَرْتَعِدْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَادِمٌ، لأَنَّهُ قَرِيبٌ: [← "أَزِفَتِ الآزِفَةُ (أي: قَرُبَتْ القِيَامَةُ ودنا وقتها)" (النجم 57) "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا" (الأحزاب 63)؛ (الأنبياء 97) (القمر 1) (غافر 18) (الشورى 17) (الإسراء 51) (المعارج 6-7) (النمل 72)] {2} يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَامٍ[2043]، يَوْمُ غَيْمٍ (أي: سَحَابٍ)[2044] وَضَبَابٍ [← "يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ (أي: بِالسَّحَابِ)" (الفرقان 25) "يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ" (البقرة 210)]، [...]. {3} [...] وَلاَ تَكُونُ مِنْهُ نَجَاةٌ [← "يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ. كَلَّا لَا وَزَرَ (أي: لا مهربَ من الله). إِلَىٰ رَبِّكَ [وحده] يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ" (القيامة 10-12) "مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ" (يونس 27) "مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (أي: مهرب؛ ملجأ؛ محيد؛ نجاة)" (فصلت 48) "مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ" (الشورى 47)؛ (إبراهيم 21)]. [...] {10} قُدَّامَهُ تَرْتَعِدُ الأَرْضُ [← "تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (أي: تتزلزل الأرضُ)" (النازعات 6)؛ (الحج 1) (الواقعة 4) (الزلزلة 1-6) (المزمل 14) (الفجر 21)] وَتَرْجُفُ السَّمَاءُ [← "تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (أي: تتحرك وتضطرب فيختلُّ نظامها)" (الطور 9) "السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (أي: انشَقَّتْ)" (الانفطار 1)؛ (الانشقاق 1) (الرحمن 37) (الحاقة 16) (الفرقان 25) (المزمل 18) (المرسلات 9) (التكوير 11) (المعارج 8) (الأنبياء 104) (الزمر 67) (النبأ 19)]. اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ [← "الشَّمْسُ كُوِّرَتْ" (التكوير 1) "وَخَسَفَ الْقَمَرُ. وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (أي: جُمِعَ بينهما في ذهاب ضوئهما)" (القيامة 8-9)؛ (القمر 1)]، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا[2045] [← "النُّجُومُ طُمِسَتْ" (المرسلات 8)؛ (التكوير 2) (الانفطار 2)]. {11} وَالرَّبُّ يُعْطِي صَوْتَهُ أَمَامَ جَيْشِهِ (أي: الجراد أو أعداء إسرائيل؛ وهو "جَيْشُ الله" لأن الله يستخدمه لتحقيق مشيئته[2046]). إِنَّ عَسْكَرَهُ كَثِيرٌ جِدًّا. فَإِنَّ صَانِعَ قَوْلِهِ قَوِيٌّ (أي: مُقتَدِرٌ يُنَفِّذُ كَلِمَتَه)، لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ عَظِيمٌ وَمَخُوفٌ جِدًّا، فَمَنْ يُطِيقُهُ؟ [← "فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (أي: نُفِخَ فِي الصُّورِ). فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ. عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ" (المدثر 8-10) "وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا" (الفرقان 26) "يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ" (القمر 8)] {12} «وَلكِنِ الآنَ، يَقُولُ الرَّبُّ، ارْجِعُوا إِلَيَّ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ (أي: تُوبوا توبةً حقيقية صادقة)، وَبِالصَّوْمِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّوْحِ. {13} وَمَزِّقُوا قُلُوبَكُمْ لاَ ثِيَابَكُمْ». وَارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ لأَنَّهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّأْفَةِ وَيَنْدَمُ عَلَى الشَّرِّ (أي: يتنازل عن مُعَاقَبَتِكم). {14} لَعَلَّهُ (أي: إذا قَبِلَ توبتَكم) يَرْجِعُ وَيَنْدَمُ (أي: يتنازل عن مُعَاقَبَتِكم)، فَيُبْقِيَ وَرَاءَهُ بَرَكَةً (أي: بقية من خيرات الأرض) تَقْدِمَةٍ وَسَكِيبًا (أي: فتُقَرِّبونَ تَقْدِمَةَ حنطة وَتَقْدِمَةَ زيت أو خَمْرٍ) لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ. {15} اِضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي صِهْيَوْنَ. قَدِّسُوا صَوْمًا (أي: خَصِّصُوا صَوْمًا لله). نَادُوا بِاعْتِكَافٍ (أي: اتركُوا أعمالَكم وتفرَّغوا لصلاةِ

الْجَمَاعَةِ). {16} اِجْمَعُوا الشَّعْبَ. قَدِّسُوا الْجَمَاعَةَ (أي: تَطَهَّرُوا خارجياً وداخلياً). احْشُدُوا الشُّيُوخَ. اجْمَعُوا الأَطْفَالَ وَرَاضِعِي الثُّدِيِّ. لِيَخْرُجِ الْعَرِيسُ مِنْ مِخْدَعِهِ وَالْعَرُوسُ مِنْ حَجَلَتِهَا (أي: خِدْرِها) (يقصد: لا تستثنوا أَحَدًا، فيجب أن يحضر الجميعُ). **[← "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا" (الكهف 99) "وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (أي: صاغرين مطيعين)" (النمل 87) "وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا" (الكهف 47)]**. {17} لِيَبْكِ الْكَهَنَةُ خُدَّامُ الرَّبِّ بَيْنَ الرِّوَاقِ وَالْمَذْبَحِ (أي: الْكَهَنَةُ في مقدمة التائبين ليقودوا الشعبَ إلى التوبة)، وَيَقُولُوا: «اشْفِقْ يَا رَبُّ عَلَى شَعْبِكَ، وَلاَ تُسَلِّمْ مِيرَاثَكَ لِلْعَارِ حَتَّى تَجْعَلَهُمُ الأُمَمُ مَثَلًا (أي: مَثَارَ سخرية واستهزاء). لِمَاذَا يَقُولُونَ بَيْنَ الشُّعُوبِ: أَيْنَ إِلهُهُمْ؟».

"وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ أَنِّي [...] أُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، دَمًا وَنَارًا وَأَعْمِدَةَ دُخَانٍ" (يوئيل 2:28-30)؛ "بَلْ هذَا مَا قِيلَ بِيُوئِيلَ النَّبِيِّ: يَقُولُ اللهُ: وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي [...] أُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَآيَاتٍ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ: دَمًا وَنَارًا وَبُخَارَ دُخَانٍ" (أعمال الرسل 2:16-19)[2047] **[← "فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ. يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [في الدنيا]" (الدخان 10-11)؛ وقيل إنه "مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ لَمْ يَجِئْ بَعْدُ"[2048]. وكما قلنا فيما سبق: لا نرى تعارضاً بين يوم الرب الدنيوي (عذاب الدنيا) ويوم الرب الأخروي (عذاب الآخرة)]**. "تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ، وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ (أي: يصير لونُه أحمرَ كلون الدَّمِ) قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ" (يوئيل 2:31) (أعمال الرسل 2:20)؛ "وَالْقَمَرُ صَارَ كَالدَّمِ (أي: صَارَ لونُه أحمرَ كلون الدَّمِ)" (الرؤيا 6:12)! **[← "فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ (أي: تصدَّعت!) فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (أي: فَكَانَتْ حمراء كلون الورد أو كالزيت المغلي!)" (الرحمن 37)[2049]]**.

ومثل أنبياء كثيرين غيره، يعطي يوئيلُ رسالةَ أمل ورجاء لكُلِّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ: "وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَنْجُو (أي: كُلَّ مَنْ يلجأ إلى الرَّبِّ ويحيا معه ينال الخلاص من غضب دينونة الله). لأَنَّهُ فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَفِي أُورُشَلِيمَ تَكُونُ نَجَاةٌ، كَمَا قَالَ الرَّبُّ [على لسان أنبياء كثيرين]. وَبَيْنَ الْبَاقِينَ (أي: النَّاجِينَ) مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ" (يوئيل 2:32) (= يوئيل 3:5 حسب الترقيم العبري).

3.5.1.6.3 مصادر القرآن من (صفنيا 1)

يوم آخر من أيام الرب ضد شعب يَهُوذَا وسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ المرتدين الساقطين في الوثنية والشرك ...

(صفنيا 1): {4} «وَأَمُدُّ يَدِي عَلَى يَهُوذَا وَعَلَى كُلِّ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ، وَأَقْطَعُ مِنْ هذَا الْمَكَانِ بَقِيَّةَ الْبَعْلِ، [...]. {5} وَالسَّاجِدِينَ عَلَى السُّطُوحِ لِجُنْدِ السَّمَاءِ، [...]، {6} وَالْمُرْتَدِّينَ مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ، وَالَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُوا الرَّبَّ وَلاَ سَأَلُوا عَنْهُ. {7} «اُسْكُتْ قُدَّامَ السَّيِّدِ الرَّبِّ[2050] **[← "الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ (أي: نطبع على أفواه المشركين فيسكتون)" (يس 65) "وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا (أي: لا**

ينطقون)" (الإسراء 97) "لَا يَنطِقُونَ" (النمل 85) (المرسلات 35) "لَا تُكَلِّمُونِ" (المؤمنون 108) "وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا" (طه 108) "لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ("أَيْ: حَقًّا، وَمِنَ الْحَقِّ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ""[2051])" (النبأ 38)]، لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ. [...] {14} «قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ. قَرِيبٌ وَسَرِيعٌ جِدًّا [← "وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ (أي: يومَ القيامة الذي اقترب)" (غافر 18) "قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا" (الإسراء 51)؛ (الأنبياء 1، 97) (القمر 1) (النجم 57) (الشورى 17) (الأحزاب 63) (النبأ 40) (المعارج 6-7) (النمل 72)]. صَوْتُ يَوْمِ الرّبِّ. يَصْرُخُ حِينَئِذٍ الْجَبَّارُ (أي: البَطَلُ المُحَارِبُ) مُرًّا [← "جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (أي: صيحة القيامة التي تكاد تَصمُّ الآذان لشدتها)" (عبس 33)؛ وآيات قرآنية أخرى تعلن قيامة الأموات بواسطة صوت، مثل "يُنَادِ الْمُنَادِ" (ق 41) "يَدْعُ الدَّاعِ" (القمر 6)]. {15} ذلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُ سَخَطٍ، يَوْمُ ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، يَوْمُ خَرَابٍ وَدَمَارٍ [← "يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ. [...] يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ" (القمر 6-8) "فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (أي: نُفِخَ فِي الصُّورِ). فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ. عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ" (المدثر 8-10) "وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا" (الفرقان 26)]، يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَامٍ، يَوْمُ سَحَابٍ وَضَبَابٍ [← "يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ (أي: بِالسَّحَابِ)" (الفرقان 25) "يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ" (البقرة 210)]. {16} يَوْمُ بُوقٍ [← "النَّاقُورِ" (المدثر 8) أي "الصُّورِ" (المؤمنون 101) (ق 20) (الكهف 99) (يس 51) (الحاقة 13) (الزمر 68) (طه 102) (الأنعام 73) (النبأ 18) (النمل 87)] وَهُتَافٍ عَلَى الْمُدُنِ الْمُحَصَّنَةِ وَعَلَى الشُّرُفِ الرَّفِيعَةِ. {17} وَأُضَايِقُ النَّاسَ فَيَمْشُونَ كَالْعُمْيِ، لأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا إِلَى الرَّبِّ[2052] [← "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ" (محمد 23) "وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي [...] نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ" (طه 124) "وَمَن يُضْلِلْ [اللَّهُ] [...] نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا" (الإسراء 97)؛ "يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (قيل أي: عُمْيًا)" (طه 102)]، فَيُسْفَحُ دَمُهُمْ كَالتُّرَابِ وَلَحْمُهُمْ كَالْجِلَّةِ (أي: كَالنُّفايةِ؛ كَالفَضَلاَتِ؛ بلا قيمة). {18} لاَ فِضَّتُهُمْ وَلاَ ذَهَبُهُمْ يَسْتَطِيعُ إِنْقَاذَهُمْ في يَوْمِ غَضَبِ الرَّبِّ[2053] [← "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ [نَفْسَهُ من غضب الله] ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (آل عمران 91) "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ [أَنْفُسَهُمْ] مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (المائدة 36) "وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي (أي: لا تُغْنِي؛ لا تدفع) نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ [أخرى] شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ (أي: فِدْيَةٌ تنقذها من غضب الله)" (البقرة 123)؛ (البقرة 48) (يونس 54) (الزمر 47) (الأنعام 70) (الشعراء 87-88)]، بَلْ بِنَارِ غَيْرَتِهِ تُؤْكَلُ الأَرْضُ كُلُّهَا، لأَنَّهُ يَصْنَعُ فَنَاءً بَاغِتًا لِكُلِّ سُكَّانِ الأَرْضِ [← "فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (الحديد 15) "وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ (أي: لله) لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ [أنفسهم] ۚ [ولن يُقبَل ذلك منهم] أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ" (الرعد 18) "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ (أي: لَن تدفع عَنْهُمْ) أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ

شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (آل عمران 116)؛ (آل عمران 10) (المجادلة 17) (المعارج 11-18)]».

ومثل أنبياء كثيرين غيره، يُنهي صفنيا إنذارَه بكلمات أمل ورجاء في رسالةٍ إيجابيةٍ مطمئنةٍ عن استرداد الرب يَهُوذَا وخلاص أُورُشَلِيمَ (صفنيا 3:14-20).

3.5.1.6.4 مصادر القرآن من (2 بطرس 3) و (الرؤيا 21)

(2 بطرس 3): {3} [...] سَيَأْتِي فِي آخِرِ الأَيَّامِ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ، سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ، {4} وَقَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ (the promise of his coming) (أي: المجيء الثاني للمسيح)؟ **[⟵ "يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ" (الذاريات 12) "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (promise)" (يونس 48) (الأنبياء 38) (النمل 71) (سبأ 29) (يس 48) (الملك 25) "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ" (الإسراء 51) "يَسْأَلُ [الإنسانُ الكافِرُ] أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ" (القيامة 6)]** لأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَقَدَ الآبَاءُ (أي: ماتوا) كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ هكَذَا [عَلَى حَالِهِ كَمَا كَانَ] مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ» **[⟵ "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ [فلم نرهم بُعِثوا] إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (النمل 67-68) "بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ. قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ [فلم نرهم بُعِثوا] إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (المؤمنون 81-83) "أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ [من قبري حيًا] وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي (أي: ماتوا فلم يُبْعَث منهم أحدٌ) [...] مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأحقاف 17)]**. {5} لأَنَّ هذَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ (أي: لأَنَّهُمْ يَتَنَاسُونَ عَمْداً): أَنَّ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ الْقَدِيمِ، وَالأَرْضَ بِكَلِمَةِ اللهِ (أي: بِكَلِمَةِ أَمْرٍ مِنَ اللهِ) قَائِمَةً (أي: تَكَوَّنَتِ) مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ (يقصد: كما خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِكَلِمَةٍ فِي بَدْءِ الْخَلِيقَةِ يستطيع اللهُ أن يُزيلهما ويُغيّرهما بِكَلِمَةٍ أيضاً فِي المجيء الثاني للمسيح) **[⟵ استدل أصحابُ القرآن بقدرة الله على خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لإثبات قدرته على إحياء الموتى: "أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (أي: بِكَلِمَةِ أَمْرٍ مِنَ اللهِ). فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (يس 81-83) "أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا (أي: أبَعْثُكم بعد الموت أشد في تقديركم) أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا. [...] وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا" (النازعات 27-30) "وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ" (الإسراء 98-99)]**، {6} اللَّوَاتِي بِهِنَّ الْعَالَمُ الْكَائِنُ حِينَئِذٍ فَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءُ فَهَلَكَ (يقصد: الطوفان في قصة نوح يثبت أن ليس كُلُّ شَيْءٍ بَاقياً هكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ كما زعموا، وأن الخليقة معرَّضة للدينونة). {7} وَأَمَّا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ الْكَائِنَةُ الآنَ، فَهِيَ مَخْزُونَةٌ (أي: باقية) بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ عَيْنِهَا، مَحْفُوظَةً لِلنَّارِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (بالسريانية: yawmā d-dīnā) (أي: قائمةً إِلَىٰ أَنْ يَحِينَ وَقْتُ تَدْمِيرِهَا بِالنَّارِ

فِي يَوْمِ الحِسابِ) وَهَلاَكِ النَّاسِ الْفُجَّارِ [⟵ "وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (أي: تقومون للحساب والجزاء)" (الروم 25)].

(2 بطرس 3): {8} وَلكِنْ لاَ يَخْفَ عَلَيْكُمْ هذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ: أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ[2054]، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. {9} لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ (promise) كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ يَتَأَنَّى (أي: يصبر) عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ [⟵ "وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (الحج 47)؛ "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (السجدة 5)؛ "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا" (المعارج 4-5)]. {10} وَلكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمُ الرَّبِّ (أي: سَيَأْتِي بَغْتَةً وبدون توقع) [⟵ "تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً" (الحج 55) "بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (يوسف 107) (الزخرف 66) (العنكبوت 53) (الشعراء 202) "بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ" (الزمر 55)؛ (الأنعام 31) (الأعراف 187) (محمد 18) (الأنبياء 1، 40)]، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ (أي: بِدَوِيٍّ صَاعِقٍ) [⟵ "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا (promise) عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ" (الأنبياء 104) "وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ" (الزمر 67) "السَّمَاءُ كُشِطَتْ (أي: قُلِعَتْ وأزيلت من مكانها!)" (التكوير 11) "وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ (أي: تصدَّعت!) فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (أي: متمزّقة ضعيفة)" (الحاقة 16) "تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (أي: سائلة)" (المعارج 8)؛ (الانشقاق 1) (الرحمن 37) (الفرقان 25) (الانفطار 1) (المزمل 18) (المرسلات 9) (الطور 9) (النبأ 19)]، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا (أو ترجمة أخرى: تَنْكَشِفُ الأرضُ laid bare وَكُلُّ مَا عَلَيْهَا[2055]) [⟵ "الْأَرْضُ مُدَّتْ (أي: بُسِطَت وَوُسِّعت بدك جبالها وإزالة آكامها)" (الانشقاق 3) "تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (أي: تزول الجبال عن أماكنها)" (الطور 10) "الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (أي: أزيلت عن وجه الأرض)" (التكوير 3) "نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً (أي: ظاهرة مستوية)" (الكهف 47) "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (أي: يسويها بالأرض). فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (أي: أرضاً منبسطة مستوية). لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا" (طه 105-107)؛ "الْجِبَالُ نُسِفَتْ (أي: فُتِّتَتْ)" (المرسلات 10) "وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (أي: فُتِّتَتْ تفتيتًا دقيقًا)" (الواقعة 5)؛ (النبأ 20) (النمل 88) (المزمل 14) (القارعة 5) (المعارج 9) (الحاقة 14)].

(2 بطرس 3): {11} فَبِمَا أَنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَنْحَلُّ، أَيَّ أُنَاسٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ فِي سِيرَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى؟ {12} مُنْتَظِرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ (الترجمة الأكثر دقة: يَوْمِ اللهِ the day of God)، الَّذِي بِهِ تَنْحَلُّ السَّمَاوَاتُ مُلْتَهِبَةً، وَالْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً تَذُوبُ. {13} وَلكِنَّنَا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا الْبِرُّ.

علماً بأن بطرس الرسول (Peter the Apostle) قد اقتبس هذا الرجاء "نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً" (2 بطرس 13:3) من "«لأَنِّي هأَنَذَا خَالِقٌ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، فَلاَ تُذْكَرُ الأُولَى

وَلاَ تَخْطُرُ عَلَى بَالٍ" (إشعياء 17:65)؛ "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ السَّمَاوَاتِ الْجَدِيدَةَ وَالأَرْضَ الْجَدِيدَةَ الَّتِي أَنَا صَانِعٌ تَثْبُتُ أَمَامِي، يَقُولُ الرَّبُّ، هكَذَا يَثْبُتُ نَسْلُكُمْ وَاسْمُكُمْ" (إشعياء 22:66). "وقد كان [هذا الرجاء] يتكرر ذِكرُه مراراً وتكراراً في الأدب اليهودي المتأخر"[2056]. كما تكرر ذِكرُه في رؤيا يوحنا اللاهوتي (الرؤيا 21) ...

(الرؤيا 21): {1} ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا (أي: قَدْ زَالَتَا) **[← "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ (أي: أرض أخرى جديدة غير الأرض الحالية؛ وقيل: تتغير صفاتها وليس ذاتها!) وَالسَّمَاوَاتُ (أي: وكذلك سماوات أخرى جديدة غير السَّمَاوَات الحالية)ۖ وَبَرَزُوا (أي: وخرجوا من قبورهم) لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (إبراهيم 48). واقرأ أيضاً ما قاله أصحابُ القرآن عن "الْخَلْقِ الْأَوَّلِ" (ق 15) "أَوَّلَ خَلْقٍ" (الأنبياء 104) "النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ" (الواقعة 62) وما قالوه عن "خَلْقٍ جَدِيدٍ" (ق 15) (الرعد 5) (السجدة 10) (سبأ 7) "خَلْقًا جَدِيدًا" (الإسراء 49، 98) وعن الله الَّذِي "يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ" (يونس 4، 34) (النمل 64) (الروم 11، 27) "يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ" (العنكبوت 19) "وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ" (النجم 47) (new creation) (second genesis) "يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ" (العنكبوت 20) (final creation) (last genesis)[2057]**، وَالْبَحْرُ لاَ يُوجَدُ فِي مَا بَعْدُ (أي: الخلق الجديد سوف يتأسَّس على قوانين مختلفة تماماً عن الْخَلْقِ الْأَوَّلِ، وهذا يؤكد أن الخلق الجديد الأخير ليس مجرد إعادة خلق بنفس طبيعة وقوانين الْخَلْقِ الْأَوَّلِ القديم؛ وإنما هو جديد في النوعيَّة، لا جديد زمانياً فحسب) **[← "الْبِحَارُ فُجِّرَتْ" (الانفطار 3) "الْبِحَارُ سُجِّرَتْ" (التكوير 6) "وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ" (الطور 6)]**. {2} وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا. {3} وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ. {4} وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ». {5} وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: «هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!» وَقَالَ لِيَ: «اكْتُبْ: فَإِنَّ هذِهِ الأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَأَمِينَةٌ».

(الرؤيا 21): {6} ثُمَّ قَالَ لِي: «قَدْ تَمَّ! أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ. أَنَا أُعْطِي الْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا. {7} مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلهًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا. {8} وَأَمَّا الْخَائِفُونَ (أي: الجُبَنَاءُ؛ المرتدون) وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجِسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعَبَدَةُ الأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذَبَةِ، فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ (أي: مع الشيطان إبليس وجنوده[2058])، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي (second death) (أي: الْمَوْتُ والهلاك الأبدي؛ العذاب المقيم في جحيم النار؛ الْمَوْتُ الذي ليس بعده حياة أو قيامة؛ الانفصال التام والنهائي عن الله)» **[← "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (أي: مشدودين بالقيود بعضهم مع بعض أو مع شياطينهم؛ قُرِنَتْ أيديهم وأرجلهم بالسلاسل). سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ" (إبراهيم 48-50). وعلى الرغم من أن "الْمَوْتُ الثَّانِي" المذكور صراحةً في الرؤيا أربع مرات (الرؤيا 11:2، 6:20،**

14:20، 8:21) لم يُذْكَر صراحةً في القرآن، إلا أنه من المؤكد أن أصحاب القرآن قد تأثَّروا بهذه العبارة الشهيرة، بدليل تسمية الموت في الدنيا بـ "الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ" (first death): "إِنَّ هَٰؤُلَاءِ [الكفار] لَيَقُولُونَ. إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (أي: بمبعوثين)" (الدخان 34-35)؛ أي أن الكافر لا يؤمن بالموت الثاني لأنه لا يؤمن أصلاً بالقيامة من الموت الأول؛ أما المؤمن بالقيامة فيؤمن بالموت الثاني، لكن الله يُنجّيه منه، فيقول بعد دخوله جنة الخلد: "وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ [في عَذَابِ الْجَحِيمِ]. أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ. إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ" (الصافات 57-59). "لَا يَذُوقُونَ فِيهَا (أي: لا يَذوق المتقون المخلَّدون في الجنة) الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ [الله] عَذَابَ الْجَحِيمِ" (الدخان 56)[2059]]!

يقول (Dr. Tommaso Tesei) عن "الْمَوْتَ الثَّانِي" (بالسريانية: mawtā tinyānā) في التراث المسيحي السرياني وتأثيره على القرآن (الدخان 56)[2060]:

> The idea that the sinners will undergo a second death is related to similar Biblical concepts. The expression “second death” often occurs in the Targums, where it designates the punishments the wicked will experience. For example, TgJ on Jeremiah 51:39 (cf. 51:57) states: “they shall die the second death ([...]) and shall not live in the world to come.” In much the same way, TgJ on Isaiah 65:6 affirms: “Their punishment will be in Gehenna … [I will] deliver the bodies to the second death” (cf. TgJ on Isaiah 22:14 and on Isa 65:15). The same image occurs four times in the Book of Revelation (2:11; 20:6, 14; 21:8), where the second death designates the punishment of sinners, or the Gehenna itself: “this is the second death ([...]), the lake of fire” (20:14). Furthermore, the trope of the second death is prominent in Syriac literature. Both Aphrahat and Ephrem speak of the second death (*mawtā tinyānā*) as the eschatological punishment of sinners, while Babai’s *Life of George* refers to the second death of the Origenist Ḥenana ([…]). [...].

3.5.1.6.5 أمثلة أخرى من الأسفار المقدسة وغير المقدسة التي طوَّرها أصحابُ القرآن

"وَيَفْنَى كُلُّ جُنْدِ السَّمَاوَاتِ (أي: كُلُّ نُجُومِ السَّمَاءِ؛ أو: كُلُّ الشياطين وأتباعهم الأشرار)، وَتَلْتَفُّ السَّمَاوَاتُ كَدَرْجٍ (rolled up like a scroll) (أي: تُطْوَى كَطَيِّ السِّفْرِ أو الكتاب الذي كان قديماً على هيئة ورق ملفوف)، وَكُلُّ جُنْدِهَا يَنْتَثِرُ كَانْتِثَارِ الْوَرَقِ مِنَ الْكَرْمَةِ وَالسُّقَاطِ مِنَ التِّينَةِ (أي: تسقط النجوم من

السماء كما تسقط الثمار من الشجر!)" (إشعياء 4:34)[2061]. **(الرؤيا 6):** {12} [...]، وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ[2062] **[← "إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" (الحج 1) "دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (أي: زُلْزِلَت حتى يتهدَّم كل ما عليها)" (الفجر 21)؛ (الواقعة 4) (الزلزلة 1-6) (المزمل 14) (النازعات 6)]**، وَالشَّمْسُ صَارَتْ سَوْدَاءَ كَمِسْحٍ مِنْ شَعْرٍ **[← "الشَّمْسُ كُوِّرَتْ" (التكوير 1)]**، وَالْقَمَرُ صَارَ كَالدَّمِ **[← "وَخَسَفَ الْقَمَرُ. وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (أي: جُمِعَ بينهما في ذهاب ضوئهما)" (القيامة 8-9)؛ (القمر 1)]**، {13} وَنُجُومُ السَّمَاءِ سَقَطَتْ إِلَى الأَرْضِ كَمَا تَطْرَحُ شَجَرَةُ التِّينِ سُقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ **[← "الْكَوَاكِبُ (أي: النُّجُومُ) انتَثَرَتْ (أي: تساقطت؛ تفرَّقت)" (الانفطار 2)؛ (المرسلات 8) (التكوير 2)[2063]]**. {14} وَالسَّمَاءُ انْفَلَقَتْ كَدَرْجٍ مُلْتَفٍّ (vanished like a scroll rolling up) **[← "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ (أي: كما تُطوى الصحيفة على ما كُتِبَ فيها)" (الأنبياء 104)[2064]؛ "وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ" (الزمر 67). "السَّمَاءُ فُرِجَتْ (أي: انْفَطَرَتْ وَانْشَقَّتْ)" (المرسلات 9)؛ (الانشقاق 1) (الرحمن 37) (الحاقة 16) (الفرقان 25) (الانفطار 1) (المزمل 18) (التكوير 11) (الطور 9) (المعارج 8) (النبأ 19)]**، وَكُلُّ جَبَلٍ وَجَزِيرَةٍ تَزَحْزَحَا مِنْ مَوْضِعِهِمَا[2065] **[← "تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (أي: تزول الجبالُ عن أماكنها)" (الطور 10) "الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (أي: أزيلت عن وجه الأرض)" (التكوير 3) "سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (أي: هباءً)" (النبأ 20) "تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ (أي: تتحرك من أماكنها)" (النمل 88)[2066] "يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ" (الكهف 47)؛ (طه 105) (المرسلات 10) (المزمل 14) (الحاقة 14) (الواقعة 5-6) (القارعة 5) (المعارج 9)]**. {15} وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرٍّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ (أي: الكُهُوفِ) وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ، {16} وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: «اسْقُطِي عَلَيْنَا[2067] وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ (أي: وَجْهِ اللهِ) وَعَنْ غَضَبِ الْخَرُوفِ (أي: غَضَبِ حَمَلِ اللهِ؛ غَضَبِ يسوع المسيح الفادي) (أي: من شدة الخوف واليأس يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ أو الاختفاءَ النهائي، حتى يهربوا من غَضَبِ اللهِ في هذا اليوم!)، {17} لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ [أَمَامَهُ]؟» **[← "إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (أي: من شدة الخوف واليأس يَقُولُ يَا لَيْتَنِي بقيتُ تراباً بعد الموت ولم أُبْعَث، حتى أهرب من عَذَابِ اللَّهِ في هذا اليوم!)" (النبأ 40)[2068]]**.

اقرأ أيضاً: "أَقُولُ: «يَا إِلهِي، [...]. مِنْ قِدَمٍ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ (أي: الأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ) تَبِيدُ وَأَنْتَ تَبْقَى، وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى، كَرِدَاءٍ تُغَيِّرُهُنَّ فَتَتَغَيَّرُ. وَأَنْتَ هُوَ وَسِنُوكَ لَنْ تَنْتَهِيَ" (المزامير 102:24-27). **(العبرانيين 1):** {10} وَ «أَنْتَ يَا رَبُّ[2069] فِي الْبَدْءِ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. {11} هِيَ (أي: الأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ) تَبِيدُ وَلكِنْ أَنْتَ تَبْقَى، وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى، {12} وَكَرِدَاءٍ تَطْوِيهَا فَتَتَغَيَّرُ **[← "وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ (أي: في قَبْضَتِهِ؛ مملوكة له) يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ (أي: "طُويت - كما تُطوى الثياب - بِيَمِينِهِ"[2070]") (الزمر 67)؛ "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ (أي: كما تُطوى الصحيفة على ما كُتِبَ فيها)" (الأنبياء 104). "وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً" (الحاقة 14)[2071]!]. وَلكِنْ أَنْتَ أَنْتَ، وَسِنُوكَ لَنْ تَفْنَى **[⟵ "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" (الرحمن 26-27) "لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (القصص 88) "وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (الحديد 10) (آل عمران 180)]**».

أما فيما يتعلق بسوديبجرافا العهد القديم والتي تُعْتبَر في كثير من الحالات تراثاً مشتركاً بين اليهودية والمسيحية، فنذكر منها ما يلي على سبيل المثال وليس الحصر:

سفرُ "رؤيا باروك السريانية" (Syriac Apocalypse of Baruch) الذي يُسمَّى أيضاً سفر باروخ الثاني (2 Baruch) ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 400 سنة. يقول: "أسألك أيها القدير، وأسأل رحمتك التي خلقتْ كُلَّ شيء. بأي شكل يحيا الأموات في يومك؟ [...] فأجابني وقال لي: [...] لا شكّ في أنّ الأرض ستُعيد في ذلك الوقت الموتى الذين اقتبلتْهم (أي: استلمتهم الآن لتحتفظ بهم" (2 باروخ 1:49 – 2:50)[2072] (أي: قيامة عامة؛ مع تشخيص الأرض بأسلوب أدبي) **[⟵ وكما قلنا فيما سبق، أيَّد أصحابُ القرآنِ عقيدةَ القيامة العامة؛ وشخصنوا الأرضَ: "أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (أي: ما في بطنها من الأموات)" (الزلزلة 2) "الْأَرْضُ [...] أَلْقَتْ مَا فِيهَا (أي: أَخْرَجَت الموتى من جوفها إلى ظاهرها) وَتَخَلَّتْ [عنهم]. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (أي: أطاعت أمرَ رَبِّهَا وجديرٌ بها أن تنقاد لأمر خالقها)" (الانشقاق 3-5)]**. اقرأ أيضاً (2 باروخ 51).

سفرُ أخنوخ الأول (1 Enoch) الذي يُسمَّى "مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) و"النسخة الحبشية (الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch) ويضم مجموعة ضخمة من التقاليد والكتابات التي دُوِّنت بين القرن الثاني ق.م. وبداية القرن الأول المسيحي. يقول مصحف أخنوخ: "في ذلك الوقت تُعيد الأرضُ ما أُودع فيها. ويردّ مثوى الأموات (Sheol) ما تقبّل، والهلاك (Hell) يُعيد ما عليه من واجب (أي: دَيْنٍ)" (1 أخنوخ 1:51)[2073] (أي: قيامة عامة؛ مع تشخيص الأرض بأسلوب أدبي) **[⟵ وكما قلنا فيما سبق، أيَّد أصحابُ القرآنِ عقيدةَ القيامة العامة؛ وشخصنوا الأرضَ: "أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (أي: ما في بطنها من الأموات)" (الزلزلة 2) "الْأَرْضُ [...] أَلْقَتْ مَا فِيهَا (أي: أَخْرَجَت الموتى من جوفها إلى ظاهرها) وَتَخَلَّتْ [عنهم]" (الانشقاق 3-4)]**. "في ذلك الوقت، لا يخلص (الإنسان) بفضّة ولا بذهب" (1 أخنوخ 7:52)[2074] **[⟵ "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ [نَفْسَهُ من غضب الله] ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (آل عمران 91) "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ [أَنْفُسَهُمْ] مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (المائدة 36)؛ (البقرة 48، 123) (يونس 54) (الزمر 47) (الأنعام 70) (الشعراء 87-88)]**. "ولا

يستطيع [الإنسانُ] أن يُفلت (أي: يهرب)" (1 أخنوخ 7:52) **[⟵ "يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ. كَلَّا لَا وَزَرَ (أي: لا مهربَ من الله). إِلَىٰ رَبِّكَ [وحده] يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ" (القيامة 10-12) "مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ" (يونس 27) "مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (أي: مهرب؛ ملجأ؛ محيد؛ نجاة)" (فصلت 48) "مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ" (الشورى 47)؛ (إبراهيم 21)]**.

سفرُ "عزرا الرابع" (4 Ezra) الذي يرجع تاريخه إلى أواخر القرن الأول الميلادي، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 500 سنة. يقول هذا السفر إن من علامات نهاية الدهر: الزلازل (4 عزرا 3:9) **[⟵ "إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (الحج 1) "زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا" (الزلزلة 1)؛ (الواقعة 4) (المزمل 14) (النازعات 6) (الفجر 21)]**؛ "والنساء الحوامل يلدن قبل أوانهنّ أبناء ثلاثة أو أربعة أشهر" (4 عزرا 21:6)[2075] **[⟵ "وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا (أي: في غير أوانه!)" (الحج 2)]**؛ ويتملك الناس ذعر عظيم (great terror) (4 عزرا 1:5)[2076] **[⟵ "الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ" (الأنبياء 103) "وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ" (الصافات 20)]**؛ ويزول العقل ويهرب الفهم (4 عزرا 9:5) **[⟵ "وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ" (الحج 2)]**؛ "والنجوم تسقط (أو: تتحوّل؛ تغير مجراها وتتساقط على الأرض)" (4 عزرا 5:5)[2077] **[⟵ "الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (أي: النُّجُومُ تساقطت أو تفرَّقت)" (الانفطار 2) "النُّجُومُ انكَدَرَتْ" (التكوير 2) "النُّجُومُ طُمِسَتْ" (المرسلات 8)]**. "تردّ الأرضُ الراقدين في حشاها، والترابُ [يردّ] المستريحين فيه (أو: المقيمين في هذا الصمت). والمساكنُ تردّ نفوساً أُوكلت بها" (4 عزرا 32:7)[2078] (أي: قيامة عامة؛ مع تشخيص الأرض بأسلوب أدبي) **[⟵ وكما قلنا فيما سبق، أيَّد أصحابُ القرآنِ عقيدةَ القيامة العامة؛ وشخصنوا الأرضَ: "أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (أي: ما في بطنها من الأموات)" (الزلزلة 2) "الْأَرْضُ [...] أَلْقَتْ مَا فِيهَا (أي: أَخْرَجَت الموتى من جوفها إلى ظاهرها) وَتَخَلَّتْ [عنهم]" (الانشقاق 3-4)]**. "فيظهر العليُّ (أي: الديَّانُ السماويّ) على عرش الدينونة" (4 عزرا 33:7) **[⟵ "جَاءَ رَبُّكَ" (الفجر 22) "يَأْتِيَ رَبُّكَ" (الأنعام 158) "يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ" (البقرة 210) "يَقُومُ الرُّوحُ" (النبأ 38) "يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ" (النحل 33) "جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ" (الحديد 14)]**. وتظهر هُوَّة العذاب، ويبرز في مقابلها مقام الراحة. يُرى لهيبُ جهنّم، وفي مقابله فردوس النعيم (4 عزرا 36:7) **[⟵ بنفس الترتيب: "وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (أي: أوقدت فأضرمت). وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (أي: قُرِّبَت من أهلها المتقين)" (التكوير 12-13)! وبعكس الترتيب: "وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ. وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ" (الشعراء 90-91)]**.

كما توجد في هذا التراث اليهودي-المسيحي البشري (الإسرائيليات) قبل الإسلام نبوءات أو أمنيات عن جفاف البحار: "في يوم من الأيام، في الحقبة الأخيرة، سيجفُّ البحرُ. فلا تعود السفن تمخر إلى إيطالية" (الأقوال السيبليَّة 5:447-448)[2079]. وكذلك نبوءات أو أمنيات عن احتراق البحار: "من أعلى السماء تهبط نجمة كبيرة على البحر الإلهي. تحرق البحرَ العميق، وبابلَ (ترمز إلى: روما) نفسها، وأرضَ إيطاليا التي بسببها هلك عدد كبير من العبرانيين الْقِدِّيسين والأمناء ومن شعب الحق" (الأقوال السيبليَّة 5:158-

161)[2080]. ويرجع تاريخ الكتاب الخامس في هذه الأقوال السيبليَّة (Sibylline Oracles) إلى القرن الثاني الميلادي وربما قبل ذلك، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 400 سنة. فالمراد هنا هو تمني كساد حركة التجارة البحريَّة التي كانت الإمبراطورية الرومانية الوثنية الشريرة تعتمد عليها آنذاك. **[← طوَّر أصحابُ القرآن هذه الفكرة تطوراً بشرياً طبيعياً فطبَّقوها على يوم القيامة يوم القضاء على كل قوى الشر والوثنية: "الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (أي: اختلَّ نظامُها؛ قيل: اشتعلت ناراً؛ وقيل: ذهب ماؤها!)" (الانفطار 3) "الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (أي: مُلِئَتْ وقوداً فاشتعلت نارًا)" (التكوير 6) "وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (أي: المملوء بالنار)" (الطور 6)].**

فعلى الرغم من أن بعض الآيات الكتابية وغير الكتابية السابقة ربما ليس لها علاقة مباشرة بيوم القيامة تحديداً أو حتى يوم الرب بصفة عامة، إلا أن أصحاب القرآن لم يجدوا حرجاً في اقتباس عناصرها واستلهام أفكارها - أي تطويرها تطوراً بشرياً طبيعياً - من أجل وصف أهوال يوم القيامة في القرآن. والعكس صحيح أيضاً: لم يجد أصحابُ القرآن ما يمنعهم من اقتباس عناصر واستلهام أفكار من آيات كتابية وغير كتابية تصف يوم القيامة (يوم الرب الأخروي) - أو ما يسبقه من أحداث - من أجل تأليف آيات قرآنية تصف يوماً من أيام الرب الدنيوية حين ينتصر المؤمنون ويُعاقَب الكافرون.

فكما نقول دائماً: لولا التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام، لَمَا استطاع العربُ تأليف القرآن.

فهل جاء القرآنُ بشيء واحد جديد وصحيح؟! الإجابة كالعادة هي: لا!

3.5.1.7 أدلة أخرى في التوراة والتراث اليهودي قبل الإسلام تثبت القيامة من الأموات

قد يُقال إن التوراة لم تذكر صراحةً عقيدةَ القيامة من الأموات؛ وكذلك بقية أسفار العهد القديم العبري (Tanakh). بل توجد في العهد القديم آيات من الممكن أن يُستدل بها على عدم وجود حياة بعد الموت! مثل:

- "السَّحَابُ يَضْمَحِلُّ وَيَزُولُ، هكَذَا الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى الْهَاوِيَةِ لاَ يَصْعَدُ (أي: الذي يموت لا يحيا بعد ذلك)" (أيوب 7:9). فالموت بالنسبة لأيوب "ما هو إلا زوال كامل، مع غياب واضح لأي مفهوم للحياة بعد الموت، وذلك في اتفاق كامل مع العهد القديم"[2081]. وكالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن "مثل هذه الكلمات ليس الغرض منها أن تعلن عقيدة عما يحدث بعد الموت ولكنها مكتوبة بلغة شعرية. الأوصاف التي عثر عليها في بلاد ما بين النهرين (أي: بلاد الرافدين) للعالم السفلي (netherworld) تتحدث عنه بطريقة مشابهة فتقول إنه "أرض اللا عودة" (land of no return)"[2082]. إذن: في جميع الأحوال، هذا الفكر اليائس الذي ردده أيوبُ المتألمُ له جذور شرق-أوسطية قديمة.

- وفي نص آخر مكتوب بلغة شعرية أيضاً: "لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ [يا رَبُّ]. فِي الْهَاوِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟" (المزامير 6:5)، أي: الموتى لا يُكرمُونَ اسْمَكَ ولا يُسَبِّحُونَكَ، إذ "تشير الهاوية إلى النسيان، فلا يوجد صورة للحياة بعد القبر"[2083].
- وفي نص ثالث مكتوب بلغة شعرية أيضاً: "لأَنَّ الْهَاوِيَةَ لاَ تَحْمَدُكَ [يا رَبُّ]. الْمَوْتُ لاَ يُسَبِّحُكَ. لاَ يَرْجُو الْهَابِطُونَ إِلَى الْجُبِّ أَمَانَتَكَ (أي: الموتى النَّازلُونَ إِلَى القَبْرِ لا يَثقونَ ولا يَضَعُونَ رَجَاءَهُمْ فِي حَقِّكَ أو نِعْمَتِكَ؛ وفي الترجمة اليونانية (السبعينية): وَلَنْ يَرْتَجِيَ الَّذِينَ فِي الْهَاوِيَةِ/الْجَحِيمِ Hades إِحْسَانَكَ أو رَحْمَتَكَ[2084]). الْحَيُّ الْحَيُّ [وحدهُ] هُوَ يَحْمَدُكَ كَمَا أَنَا الْيَوْمَ" (إشعياء 38:18-19).

وهذا الذي يُقال عن التوراة وبقية أسفار العهد القديم العبري صحيح نسبياً إلى حد ما، أي ليس صحيح تماماً. أو بعبارة أخرى: كان الاعتقادُ بالقيامة من الموت باهتاً في أسفار العهد القديم فيما قبل السبي البابلي، إلا أنه صار أوضحَ في أسفار ما بعد السبي. يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم": "لم يكن لدى الإسرائيليين فَهْم واسع عن قيامة الموتى (resurrection from the dead) مثلهم مثل شعب بلاد الرافدين الذين يشاركونهم عدداً من الأفكار الدينية والاجتماعية. على الأقل فيما يختص بالدينونة (last judgment) أو مكافأة ما بعد الحياة أو العقاب (afterlife of reward and punishment). وهذا [الإيمان بهذه العقائد الأخرويَّة] حدث فقط في اليهودية في حقبة ما بعد السبي (postexilic period). ممثَّلةً في ["وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، وَهؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ"] (دانيال 12:2)"[2085].

وبالفعل إن <u>الآيات الأكثر وضوحاً وأهمية في موضوع القيامة في العهد القديم هي بلا منازع آيات الاصحاح الأخير من سفر دانيال الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين السادس والثاني قبل الميلاد، أي: قبل الإسلام بأكثر من 700 سنة</u>. (دانيال 12): {1} وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ (أي: في نهاية الأيام، قبل يوم الدينونة الأخير) يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ (أي: رئيسُ المَلائِكةِ) الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ (أي: حَارسُ شعب دانيال وحاميهم)، وَيَكُونُ زَمَانُ ضِيقٍ لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ يُنَجَّى شَعْبُكَ، كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوبًا فِي السِّفْرِ (أي: سفر الحياة؛ سفر المخلَّصين؛ سفر المؤمنين الصابرين). {2} <u>وَكَثِيرُونَ</u> مِنَ الرَّاقِدِينَ[2086] (وقيل إنه يقصد: جميعُ الرَّاقِدِينَ) فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ (أي: يقومون من الموت)، هؤُلاَءِ (أي: المؤمنون الأبرار يقومون) <u>إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ</u>، وَهؤُلاَءِ (أي: الباقون من غير المخلَّصين يقومون) <u>إِلَى الْعَارِ لِلازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ</u> [⟵ **بنفس الترتيب[2087] في الإنجيل مع التأكيد على أن الجميع سيقومون: "تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ <u>جَمِيعُ</u> الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ <u>الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ</u> إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، <u>وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ</u> إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ" (يوحنا 5:28-29)! وبنفس الترتيب في القرآن وأيضاً مع التأكيد على أن الجميع سيقومون: "يَوْمَ <u>الْجَمْعِ</u> لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ <u>فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ</u> <u>وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ</u>" (الشورى 7)! "إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ <u>جَمِيعًا</u> ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ <u>لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ</u>**

بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ" (يونس 4)! "يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ (أي: يَوْمُ غلبة أهل الجنة ونقصان حظ أهل النار[2088]) ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (التغابن 9-10)! "يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ [...] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ. وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ" (الجاثية 26، 30-31) "فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا" (النساء 172-173) "يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا. وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ (أي: كافراً؛ أعمَى القلب عَنْ حُجَجِ اللَّهِ) فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ [عن سلوك طريق الجنة] وَأَضَلُّ سَبِيلًا [لأن أوان التوبة قد فات]" (الإسراء 71-72) "لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ. وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ. تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ" (عبس 37-42)! "الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" (الحج 56-57)؛ "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ (أي: في جنةٍ) يُحْبَرُونَ (أي: يسرُّون؛ يُنعَّمون؛ يُكرَّمون). وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ" (الروم 14-16)؛ (الزلزلة 6-8) (القارعة 6-11) (الانفطار 13-14) (سبأ 37-38) (يونس 26-27) (المؤمنون 102-103)]. {3} وَالْفَاهِمُونَ (أي: الْعُقلاءُ؛ الْحُكَمَاءُ؛ المؤمنون المتميزون؛ الشهداء الذين صبروا وقاوموا وماتوا في الاضطهاد) يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ (أي: يلمعون كَقُبَّةِ السَّمَاءِ اللَّامِعَةِ؛ يَضِيئُونَ كضياءِ الأفلاكِ في السَّماءِ؛ "يدلّ على تجلي القائمين من بين الأموات بلباسهم الأبيض، لباس القيامة"[2089]) **[← "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (أي: مضيئة مشرقة)" (عبس 38) "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ" (آل عمران 106)]**، وَالَّذِينَ رَدُّوا (أي: هَدُوا؛ قَادُوا) كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ [يَضِيئُونَ] كَالْكَوَاكِبِ (أي: كَالنُّجومِ) إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ.

يقول القمص تادرس يعقوب ملطي تعليقاً على هذه الآيات الأخيرة في سفر دانيال[2090]:

> يعتبر البعض سفر دانيال هو أول سفر في العهد القديم يتحدث بوضوح وبقوة عن القيامة ويحدِّد زمانها. عندما يأتي يوم الرب العظيم ويضيء الحكماء الذين أطاعوا الله ككواكب أبدية. وإن كان قد حُسب هذا الأمر فوق قدرة دانيال نفسه، إذ يقول: **"وَأَنَا سَمِعْتُ وَمَا فَهِمْتُ" (دانيال 12:8)**.
>
> يحاول البعض أن يميز بين قيامتين هنا، إحداهما للمُلك الألفي والأخرى للحياة الأبدية، لكن واضح أن الحديث هنا عن قيامةٍ واحدةٍ ودينونةٍ أبدية، ومجدٍ [أبَدِيٍّ] أو عذابٍ أبَدِيٍّ.
>
> [...].

"أَمَّا أَنْتَ [يا دانيال] فَاذْهَبْ إِلَى النِّهَايَةِ فَتَسْتَرِيحَ (أي: ترقد رقاد الموت في سلام)، وتَقُومَ لِقُرْعَتِكَ (أي: وتَقُومَ لتَنَالَ نصيبَكَ؛ وتَقُومَ لتشارك الأبرار في الحياة الأبدية) فِي نِهَايَةِ الأَيَّامِ" (دانيال 13:12).

أخيرًا يطلب من دانيال أن يستريح (أي: يموت) حتى يقوم حين يأتي رب المجد القائل "هَا أَنَا آتِي سَرِيعًا" (الرؤيا 22).

† من هذه الملاحظة يظهر بوضوح أن كل نص النبوة خاص بقيامة كل الأموات (أي: القيامة العامة لجميع الأبرار وجميع الأشرار)، الوقت الذي فيه سيقوم أيضًا النبي [دانيال].

القديس جيروم [(ت 420م)]

ويقول تعليق الترجمة اليسوعية على (دانيال 2:12) إنها "من أهم نصوص العهد القديم في قيامة الجسد"، "فالوعد بالقيامة الفردية للناس يُؤكَّد تأكيداً صريحاً أول مرة في العهد القديم، في هذا الكتاب (دانيال 12:2-3). وبذلك يتحوّل مثوى الأموات إلى جهنّم، مكان غياب الله والحرمان من العالم الآتي. وسيفيدنا سفرُ المكابيين الثاني [الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد أيضاً] بأن لرسالة الرجاء هذه شأناً هاماً في تأييد إيمان الشهداء (2 مكابيين 9:7، 11، 14، 23، 29)"[(2091)].

ويقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس تعليقاً على (دانيال 2:12): "هذه إشارة واضحة لقيامة كل من البار والشرير مع اختلاف مصيريهما الأبديين. لم يكن التعليم عن القيامة شائعاً حتى تلك اللحظة برغم إيمان كل إسرائيلي أنه يوماً ما سيشمله قيام الملكوت الجديد (restoration of the new Kingdom). وهذه الإشارة إلى القيامة بالجسد (bodily resurrection) لكل من المفدي والهالك كانت تشكل انحرافاً حاداً عن المعتقد الشائع. (انظر أيضاً (أيوب 19:25-26) (المزامير 10:16) (إشعياء 19:26) لمزيد من شواهد العهد القديم عن القيامة)"[(2092)].

وتقول حاشية القراءة الرعائية للكتاب المقدس تعليقاً على هذه الآيات الأخيرة في سفر دانيال[(2093)]:

(دانيال 12:1-13). البحث عن معنى التاريخ يصل إلى صورة كونيّة، حيث الخير ينتصر في أعماق الضيق. وأبعد من نجاة زمنيّة، تطلّع النبي [دانيال] إلى مستقبل بعيد يتضمّن الحياة الأبديّة عينها. ونجد هنا تعبيراً واضحاً عن الإيمان بالقيامة ((دانيال 12:2-3)؛ (2 مكابيين 7:1 وما يليها)).

[...].

(دانيال 2:12) يستَيقِظونَ. أول كلام واضح عن قيامة الأخيار والأشرار. راجع (يوحنا 5:24-30). **الحياة الأبديَّة.** هي المرة الوحيدة ترد هذه العبارة في العهد القديم [العبري]. وهكذا انتصر الله على آخر عدوّ، وهو الموت، الذي بدا شخصاً يعمل في العالم، فانتزع [اللهُ] منه المؤمنين الذين ابتلعهم. في الماضي فُهِمَ موضوعُ القيامة بشكل رمزيّ وجماعيّ (حزقيال 37:1-14؛ راجع إشعياء 19:26). أمّا الوعد

بالقيامة الفرديّة، فهو الجواب النبويّ على مسألة طُرحَت حين رأى الناسُ الشهداءَ يموتون (2 مكابيين 9:7 وما يليها). كانوا يقولون: من يموت شاباً، يكون موته المبكر عقاباً من الله. ومن تطول به الأيام، يبدو مباركاً مِنْ قِبَلِ الرب. ولكن حين يموت الشاب ليبقى أميناً لله (أي: يُفضِّل الاستشهادَ/الموتَ مؤمناً على الحياةِ وثنياً أو مشركاً)، ليبقى مع الله، أترى الله يتخلّى عنه؟ [حَاشَا! وَكَلَّا] بل يقيمه.

الذُّعْرِ الأَبَدِيِّ [أو: الازْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ]. لا تُذكَر "جهنم" هنا، بل عبارات موازية: العار، الذعر (إشعياء 24:66). [في مقابل "الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ"] المصير المحفوظ للأبرار. في "موضع" الحكم والدينونة، يُحْرَم الأشرار من الحياة الأبدية.

(دانيال 3:12) وَيُضيءُ. لا تصوَّر السماء في شكل مباشر، بل إنّ ضياء الفلك والنجوم يكون رمزاً لها فيدلّ على تجلي القائمين من بين الأموات بلباسهم الأبيض، لباس القيامة. **العُقلاءُ [أو: الْفَاهِمُونَ].** رؤساء الشعب الروحيّون، الذين حفظوه في الإيمان الحقيقي. إليهم أولاً يتوجّه الوعد بالقيامة. لا شك في أن الله هو الذي يُبَرّرهم، ولكن تعليم العقلاء قاد كثيراً من الناس (أي شعب الله كله) إلى الْبِرّ (إشعياء 11:53).

ويقول الكتاب اليهودي الدراسي (Jewish Study Bible) تعليقاً على (دانيال 12:2-3)[(2094)]:

The doctrine of resurrection and judgment probably came about during the persecutions of Antiochus IV [175-164 BCE] as a means to discern justice at a time when pious people, the *knowledgeable*, were being martyred. Unlike Ezekiel's vision of dry bones (Ezek. ch 37), the resurrection here is not a metaphor for the rebirth of Israel, but individual resurrection for judgment. Whether bodily resurrection or some form of spiritual resurrection is intended is not stated. This is the only certain biblical reference to this doctrine, a doctrine that became central in Christian theology and remained a strong current in Judaism as well. It was a tenet of belief for the Pharisees, and Maimonides, centuries later, included it among his thirteen principles of Jewish faith.

ومن الآيات المشار إليها في الفقرات السابقة كشواهد من العهد القديم عن القيامة (إشعياء 19:26) التي تقول: "تَحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ. اسْتَيْقِظُوا، تَرَنَّمُوا يَا سُكَّانَ التُّرَابِ. لأَنَّ طَلَّكَ طَلُّ أَعْشَابٍ (أو: نَداكَ

نَدى النُّور أو نَدَى الصَّبَاحِ)، وَالأَرْضُ تُسْقِطُ الأَخْيِلَةَ (أي: ستَلِدُ الأَرضُ الأَشْبَاحَ؛ تُصعِدُ الأَرْضُ أَرْوَاحَ الأَمْوَاتِ الَّتِي فِيهَا) (the earth will give birth to her dead)". وتقول الموسوعةُ الكنسية لتفسير العهد القديم التي أصدرتها كنيسة مارمرقص بمصر الجديدة في القاهرة تعليقاً على (إشعياء 19:26)[2095]:

> يكلم اللهُ الأمةَ اليهودية شعبه، ويقول لها إن أمواتك ستحيا، وسكان التراب سيقومون ويترنمون، وهذا إشارة لرجوع شعب الله من السبي، فرحين مترنمين ليسكنوا في أرضهم، ويبنوا الهيكل في أورشليم. أما الأشرار، الذين أشار إليهم قبلاً بالأخيلة، فهؤلاء تسقطهم الأرض إلى الجحيم، حيث يُعاقَبون من أجل شرهم.
>
> هذه أول إشارة واضحة في العهد القديم إلى القيامة، فهذه الآية تتكلم عن القيامة الأولى من الموت، وهي إيمان الناس بالمسيح في العهد الجديد، فيقوموا من موت الخطية، ويرنموا تسابيح الخلاص. أما من يرفضون الإيمان فيسقطوا كالأخيلة، أي لا يتمتعوا بالفرح بالمسيح، بل يسقطوا في شرورهم وشهواتهم.
>
> والمعنى الثاني للقيامة، هو قيامة الأموات في اليوم الأخير، حيث يقوم المؤمنون من التراب، ويرنمون للمسيح في مجيئه الثاني، ويأخذهم إلى ملكوت السموات. أما الأشرار فالأرض تسقطهم؛ هؤلاء الذين بلا قيمة، أي الأخيلة؛ ليُدانوا، ويذهبوا إلى العذاب الأبدي.
>
> والطلُّ (أي: الندى) هو بركات الله السمائية التي تأتي على العشب الذابل، فيحيا؛ سواء بالرجوع من السبي، أو الإيمان بالمسيح، أو الارتفاع إلى ملكوت السموات.

فنلاحظ أن (إشعياء 19:26) يمكن أن تُفْهَم بأكثر من طريقة. إما قيامة جماعية بالمعنى المجازي أو الرمزي للأمة اليهودية التي كانت كالميتة أثناء السبي لكنها سوف تقوم مُتَّحدةً وتحيا حُرَّة في أرضها وبيتها الذي هو أورشليم بهيكلها. وإما قيامة الأموات في الآخرة حين يقوم جسد كل إنسان فرداً فرداً ليُحاسَب ويُجَازى. وإما الإيمان بالمسيح في العهد الجديد والقيامة من موت الخطية؛ لكن نحن لا نعتقد أن هذا الاحتمال الأخير هو المقصود من (إشعياء 19:26).

ومن الآيات المشار إليها أيضاً فيما سبق كشواهد من العهد القديم عن القيامة: رؤيا "إحياء الْعِظَام الْيَابِسَة" (Reconstitution of dry bones) (حزقيال 37:1-14) التي يمكن أيضاً أن تُفْهَم بطريقتين على الأقل: إحياء قومي للأمة اليهودية من السبي؛ أو إحياء فردي لكل ميت من القبر. **(حزقيال 37):** {1} كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ وَأَنْزَلَنِي فِي وَسْطِ الْبُقْعَةِ وَهِيَ مَلآنَةٌ عِظَامًا، {2} وَأَمَرَّنِي عَلَيْهَا مِنْ حَوْلِهَا وَإِذَا هِيَ (أي: الْعِظَامُ) كَثِيرَةٌ جِدًّا عَلَى وَجْهِ الْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ جِدًّا (أي: تُركَت لوقتٍ طويلٍ جدًّا بدليل أنها ليست رطبة). {3} فَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هذِهِ الْعِظَامُ؟» فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدُ الرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ». {4} فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ عَلَى هذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ: {5} هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهذِهِ الْعِظَامِ: هأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ. {6} وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وَأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا

وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا، فَتَحْيَوْنَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ». {7} فَتَنَبَّأْتُ كمَا أُمِرتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتنَبَّأُ كَانَ صَوْتٌ، وَإِذَا رَعْشٌ (أي: زَلْزَلَةٌ)، فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ. {8} ونَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وبُسِطَ الْجِلْدُ علَيْهَا مِنْ فَوْقُ (أي: أصبحت أجساداً)، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ (أي: أجساد لكن لا تتحرك). {9} فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ لِلرُّوحِ، تَنَبَّأْ يَا ابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِلرُّوحِ: هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ (أي: مِنْ جِهَاتِ الأَرْضِ الأَرْبَعِ؛ من كل مكان) وَهُبَّ عَلَى هؤُلاَءِ الْقَتْلَى لِيَحْيَوْا». {10} فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمِ الرُّوحُ، فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظيمٌ جِدًّا جِدًّا. {11} ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، هذِهِ العِظَامُ هِيَ كُلُّ بَيتِ إِسْرَائِيلَ. هَا هُمْ يَقُولُونَ: يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ انْقَطَعْنَا (يقصد: قد كانوا قبل ذلك شعباً مشتتاً محطماً يائساً يأساً شديداً لا رجاء له في الرجوع من موت السبي في بابل). {12} لِذلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ (يقصد: أعطيهم رسالة أمل ورجاء وخلاص واسترداد إلى حياة الحرية في أورشليم أرضهم أَرْضِ إِسْرَائِيلَ): هكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ [أحياء] مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. {13} فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ [أحياء] مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي. {14} وأَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فتَحْيَوْنَ، وَأَجْعَلُكُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَأَفْعَلُ، يَقُولُ الرَّبُّ».

ونلاحظ في (حزقيال 12:37) تحوُّل الرؤيا من عظام مبعثرة على أرض معركة إلى مقبرة تضم قبور محكمة الغلق. مما يؤكد أن رؤيا إحياء الْعِظَام الْيَابِسَة يمكن أن تُفْهَم بطريقتين:

- القيامة الجماعية الروحية للشعب اليهودي من السبي في بابل حتى يعود إلى بلده وأرضه في أورشليم كشعبٍ واحدٍ متحد، وليس مملكتين منقسمتين، أي إسرائيل ويهوذا، كما كان قبل السبي (حزقيال 15:37-28).
- القيامة الفردية الجسدية لكل إنسانٍ ميت من السبي في الهاوية (القبر) حتى يعود إلى الحياة.

وَهُمَا قيامتان غير متعارضتين ولا متناقضتين، فيُمْكن الجمع بينهما: القيامة الأولى في الدنيا؛ والقيامة الثانية في الآخرة. يقول (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على إحياء الْعِظَام الْيَابِسَة (حزقيال 1:37-14)(2096):

> The account of Ezekiel [37:1-14] in part anticipates the return of Israel from exile, but it is also a vision of the general Resurrection itself, of the Day when all bones will be clothed with flesh, when the souls of the dead will again enter their bodies and stand before God. It is thus a vivid illustration of the creator's power over His creation. It is in this light that the New Testament authors present Christ's power over death. Those who are dead to others are merely asleep to Christ. […]

ومن الجدير بالذكر أن رؤيا إحياء الْعِظَام الْيَابِسَة (حزقيال 37:1-14) قد تطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development) حتى استقرت في القرآن: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ (أي: كثيرون) حَذَرَ الْمَوْتِ (أي: خشية الموت من القتال أو الطاعون) فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا (أي: قضى الله عليهم بالموت عقاباً لهم على فرارهم من قدر الله فماتوا؛ فرُّوا من الموت إلى الموت) ثُمَّ أَحْيَاهُمْ" (البقرة 243)؛ فلقد قال مفسرون مسلمون إن هؤلاء القوم المذكورين في (البقرة 243) كانوا من بني إسرائيل، وبعضهم ذكر اسمَ نبيهم حِزْقِيل (أي: حِزْقِيَال) صراحةً في تفسير الآية القرآنية[2097]! ونظراً لأن السياق العسكري لرؤيا إحياء الْعِظَام الْيَابِسَة يتجلّى عندما تصفهم الرؤيا بكلمة "الْقَتْلَى" (حزقيال 37:9) وعندما يتم إحياؤهم يقومون "جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا" (حزقيال 37:10)، لذلك قالت كتب تفسير القرآن (البقرة 243) إن هؤلاء الألوف خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ خشية الموت من القتال. ونلاحظ أن الرؤيا تتحدث أساساً عن اليهود الذين تم سبيهم من أرضهم **[⟵ "الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ" (البقرة 243)]**؛ وأن عظامهم "كَثِيرَةٌ جِدًّا" (حزقيال 37:2) **[⟵ "وَهُمْ أُلُوفٌ" (البقرة 243)]**؛ وقُبيل قيامتهم سُمِعَ "صَوْتٌ" (حزقيال 37:7) **[⟵ "نُفِخَ فِي الصُّورِ" (المؤمنون 101) (ق 20) (الكهف 99) (يس 51) (الحاقة 13) (الزمر 68)؛ "يُنفَخُ فِي الصُّورِ" (طه 102) (الأنعام 73) (النبأ 18) (النمل 87)؛ (المدثر 8)؛ وآيات قرآنية أخرى تعلن قيامة الأموات بواسطة صوت، مثل "يُنَادِ الْمُنَادِ" (ق 41) "جَاءَتِ الصَّاخَّةُ" (عبس 33)]**، وحدث "رَعْشٌ (أي: زَلْزَلَةٌ)" (حزقيال 37:7) **[⟵ "رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا" (الواقعة 4)؛ (الحج 1) (الزلزلة 1) (المزمل 14) (النازعات 6) (الفجر 21)]**؛ وأن قيامتهم حدثت بـ "كَلِمَة الرَّبِّ" (حزقيال 37:4) "كَمَا أُمِرْتُ" (حزقيال 37:7) "كَمَا أَمَرَنِي [السَّيِّدُ الرَّبُّ]" (حزقيال 37:10) "هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ" (حزقيال 37:5) "هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ" (حزقيال 37:9) "هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ" (حزقيال 37:12) "فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَأَفْعَلُ، يَقُولُ الرَّبُّ" (حزقيال 37:14) **[⟵ "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (يس 82) "إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (البقرة 117) (آل عمران 47) (غافر 68) (مريم 35)؛ "كُن فَيَكُونُ" (الأنعام 73) (النحل 40) (آل عمران 59)]**؛ "فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا" (حزقيال 37:10) **[⟵ "وَهُمْ أُلُوفٌ" (البقرة 243) "أَحْيَاهُمْ [اللَّهُ]" (البقرة 243)؛ "يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ (أي: القبور) [بكثرة وسرعة] كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ" (القمر 7) "كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ" (القارعة 4)]**.

ومن المهم أن نلاحظ أيضاً أن عملية إحياء الْعِظَام الْيَابِسَة تمت على مرحلتين. المرحلة الأولى هي بناء جسد له منظر الإنسان: "فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ. وَنَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وَبُسِطَ الْجِلْدُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ (أي: أجساد لكن لا تتحرك)" (حزقيال 37:7-8). والمرحلة الثانية هي بث الحياة في هذه الأجساد من خلال نفخ روح الله المحيي فيهم: "فَدَخَلَ فِيهِمِ الرُّوحُ، فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقدَامِهِمْ (أي: قَامُوا وتحركوا)" (حزقيال 37:10). "هذه الرؤيا في إعادة الخلق (re-creation) تعيد لأذهان شعب الله أحداث خلق آدم [على مرحلتين] (two-step creation of Adam) في ["وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً"] (التكوين 2:7)"[2098]. **[⟵ وهذا**

أيضاً ما فعله أصحابُ القرآن حين ربطوا بين خلق الإنسان أوّلَ مَرَّة وإعادة خلقه (إحيائه) مَرَّة أخرى بعد الموت، واستخدموا نفس الكلمات التي استخدمها حزقيال! "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (أي: من تراب الأرض وماء). ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ (أي المرحلة الثانية: نفخنا فيه الروحَ فصار حياً بعد أن كان جماداً) ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ [أحياءً من قبوركم]" (المؤمنون 12-16)؛ "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (أي: بالية متفتتة). قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ" (يس 78-79) "أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ [للبعث]. بَلَىٰ [نجمعها] قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (أي: نجعل أصابعه أو أنامله خَلْقًا سويًّا كما كانت قبل الموت)" (القيامة 3-4)؛ وآيات قرآنية كثيرة أخرى اتبعت نفس الأسلوب اليهودي-المسيحي في الربط بين الخلق الأول (خلق الإنسان) والخلق الثاني (القيامة من الموت) كما قلنا كثيراً فيما سبق، مثل: "وَيَقُولُ الْإِنسَانُ [الكافرُ الذي ينكر البعث] أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا. أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا. فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ (أي: لنجمعنهم يوم القيامة)" (مريم 66-68) "ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (easy)" (ق 44) "أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (easy). قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ (final genesis) (last creation) ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (العنكبوت 19-20) "وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ (easier) عَلَيْهِ" (الروم 27)؛ "وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا. وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ. مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ. وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (new genesis) (second creation) (أي: إعادة خلقهم بعد مماتهم يوم القيامة؛ إعادة الروح إلى الجسم عند البعث كما نفخ الروح في الجماد عند الخلق الأول)" (النجم 44-47) "كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ" (الأنبياء 104) "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ" (الأعراف 29)].

وأخيراً، "قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ [أحياء] مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ [أحياء] مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي" (حزقيال 37:12-13) **[⟵ "وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (أي: قُلِبَ ترابُ القبور وبُعِثَ موتاها فخرجوا منها أحياء يوم القيامة)" (الانفطار 4) "إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ" (العاديات 9) "وَإِذَا الْأَرْضُ [...] أَلْقَتْ مَا فِيهَا (أي: أَخْرَجَت الموتى من جوفها إلى ظاهرها) وَتَخَلَّتْ [عنهم]. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (أي: أطاعت أمرَ رَبِّهَا وجديرٌ بها أن تنقاد لأمر خالقها)" (الانشقاق 3-5)[2099]]**. وهنا "يقدم الرَّبُّ في (حزقيال 37:12-14) خطته على أنها "خروج جديد" أو "خروج ثان" حيث يستخدم الرَّبُّ الكلمات المهمة "أُصْعِدُكُمْ" (**ع ل ه**) وآتي بكم (**ب و ا**)، وهي كلمات تم استخدامها في العهد القديم لوصف الخروج الأول من مصر والدخول إلى أرض الموعد ["قَدْ أَصْعَدْتُكُمْ مِنْ مِصْرَ وَأَتَيْتُ بِكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمْتُ لآبَائِكُمْ، وَقُلْتُ: لاَ أَنْكُثُ عَهْدِي مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ"] (القضاة 2:1)"[2100]. **[⟵ وكذلك استخدم أصحابُ القرآن الفعلَ "خرج" وكلمةَ "الخروج" عند الحديث عن القيامة من الأموات: "يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ" (ق 42) "وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ**

السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ [من قبوركم أحياء يوم القيامة]" (الزخرف 11) "وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ" (الروم 19) "كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ" (الأعراف 57) "كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ" (ق 11) "وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا" (نوح 17-18) "وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ" (الأعراف 24-25) "ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ" (الروم 25) "يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ (أي: يقومون من القبور)" (القمر 7) (المعارج 43) "أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا [...] يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ (أي: يخرجون من قبورهم أحياء)" (الزلزلة 2-6)؛ وآيات قرآنية أخرى ذكرنا بعضها فيما سبق].

ويقول الكتاب اليهودي الدراسي (Jewish Study Bible) تعليقاً على (إشعياء 19:26) و (حزقيال 1:37-14) وآيات أخرى من العهد القديم تتعلق بمسألة الحياة بعد الموت[2101]:

Life after death? [Isaiah 26:19] and also 25.8 refer to God's triumph over death. Some understand these verses as metaphors: They portray the surprising vindication of the downtrodden, who are figuratively compared to the dead. According to others, these verses assert that at least some dead people will return to earth at the end of time, their bodies and spirits restored.

Rabbinic Judaism emphasizes the belief in bodily resurrection for all humanity. Indeed, this belief is highlighted in the second paragraph of the "ʻAmidah" prayer, which is recited three times each day in traditional liturgy and provides a succinct summary of the main points of rabbinic theology.

The Tanakh, however, is much more circumspect regarding the possibility of life after death, avoiding discussions of the issue and in some passages apparently denying the possibility ([…]). Many biblical passages refer to Sheol, where the dead abide ([…]), but they do not describe what happens to them there or whether they can be regarded as truly alive. (An exception may be Isaiah 14.9-11, 16-21, but that passage is more likely a poetic fantasy. […]). In Ezekiel ch 37 dry bones are reconstituted into bodies and come back to life, but that text presents itself explicitly as a metaphor for [Israeli] national renewal, not as the physical resurrection of the dead (Ezekiel 37.11): The Judeans, having "died" when they lost their

land and kingdom, will “come back to life” as they return to their land to reestablish a commonwealth. The metaphor may, however, be based on the idea of personal resurrection. Only in Daniel 12.2-3, 12[-13] does the Tanakh unambiguously endorse the idea that humans will be given life after death.

Belief in life after death became central to apocalyptic forms of Judaism (attested to in the book of Daniel and various postbiblical, pre-rabbinic documents). Those modern scholars who emphasize the apocalyptic elements in Isaiah chs 24-27 understand [Isaiah] 25.8 and 26.19 as a typical apocalyptic statement endorsing the notion of resurrection of the dead. Medieval Jewish philosophers and commentators point to [Isaiah 26:19] as a biblical warrant for the rabbinic doctrine of life after death. Concerning this whole issue, see [Isaiah] 66.24 n.

وفي الأسفار الأخرى التي تسبق أسفار الأنبياء إشعياء وحزقيال ودانيال، بل حتى في التوراة المنسوبة إلى موسى النبي، نجد إشارات خفية إلى عقيدة القيامة من الأموات. فإذا نظرنا مثلاً إلى أمر العُلّيقَة المشتعلة (The Burning Bush) في سفر الخروج، سنجده يشير إشارة خفية إلى عقيدة القيامة: "وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مِدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ. وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ. فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ. فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الآنَ لأَنْظُرَ هذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لاَ تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟» فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!» فَقَالَ: «هأَنَذَا». فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ». ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ" (الخروج 3:1-6). وفي ردّه على الصدوقيين منكري القيامة، أكد السيد المسيح أن هذه الآيات التوراتية دليل على قيامة الأموات: "وَأَمَّا أَنَّ **الْمَوْتَى يَقُومُونَ**، فَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ مُوسَى أَيْضًا فِي أَمْرِ الْعُلَّيْقَةِ كَمَا يَقُولُ: اَلرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ. وَلَيْسَ هُوَ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاءٍ، لأَنَّ الْجَمِيعَ عِنْدَهُ أَحْيَاءٌ (أي: أحياء بالروح على الرغم من أنهم قد ماتوا قبل موسى بمئات السنين)»"(لوقا 20:37-38)؛ (متى 22:31-32) (مرقس 12:26-27). واستدلاله بتوراة موسى مهم لأن الصدوقيين لم يؤمنوا إلا بأسفار موسى الخمسة كأسفار مقدسة قانونية ذات سلطان كامل.

وتقول أسفار موسى أيضاً: "لِيَ النَّقْمَةُ وَالْجَزَاءُ (Vengeance is mine and recompense) (أي: الانتِقامُ وَالْجَزَاءُ بيد اللهِ وحده). فِي وَقْتٍ تَزِلُّ أَقْدَامُهُمْ (أي: أَقْدَامُ الأعداء؛ أَقْدَامُ الأشرار). إِنَّ يَوْمَ هَلاَكِهِمْ قَرِيبٌ" (التثنية 35:32). لكن الترجمة اليونانية (السبعينية) لنفس الآية التوراتية تقول: "فِي يَوْمِ الِانْتِقَامِ أُجَازِي (In the day of vengeance I will recompense). فِي الوقتِ حين تَزِلُّ رِجْلُهُم. لأن يَوْمَ هَلاَكِهِمْ قَرِيبٌ"[2102]. وفي التوراة السامرية التي يؤمن السامريون بها ولا يعترفون بغيرها كأسفار مقدسة: "إلى يوم الانتقام والمكافأة (To the day of vengeance and recompense). وقت تزل أقدامهم. إذ قريب يوم تعنتهم". فـ "يقول اليهود السامريون إن قوله "إلى يوم الانتقام والمكافأة" يدل بصراحة وبوضوح على قيام الناس من القبور للقاء الله فيجازيهم على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا. ويقول السامريون لليهود العبرانيين: إن قوله "فِي وَقْتٍ تَزِلُّ أَقْدَامُهُمْ" يحتمل الجزاء في الدنيا أو في الحياة الآخرة"[2103]. أما نحن فلا نرى اختلافاً جوهرياً بين هذه النصوص الثلاثة العبرانية واليونانية والسامرية، لا سيما أنه في النص العبراني توجد كلمة "يَوْم" لكن في آخر الآية فقط. فالسؤال إذن هو: هل هذا اليوم يومٌ من أيام الرب في الدنيا؟ أم يوم الرب الأخير (يوم القيامة، يوم الدين)؟ وفي جميع الأحوال، فإن هذا المثال يوضح أنه في الأسفار المنسوبة إلى موسى[2104] توجد آيات يمكن أن تُفْهَم بمعنى القيامة والحساب والجزاء في الآخرة! ويبدو لنا أن أصحاب القرآن قد فهموها بهذا المعنى، أو بعبارة أكثر دقة: طوّروها تطوراً بشرياً طبيعياً حتى تعطي هذا المعنى!

وبعد ذلك بأربع آيات فقط، تقول الأسفار المنسوبة إلى موسى: "أَنَا أَنَا هُوَ [الإله الحقيقي الوحيد] وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي" (التثنية 39:32)[2105] **[← بنفس الترتيب: "أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ [...] وَأَنَّهُ (أي: رَبَّكَ) هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا" (النجم 36-44)]**. وإذا قلتم إن "أُمِيتُ وَأُحْيِي" (التثنية 39:32) **[← "أَمَاتَ وَأَحْيَا" (النجم 44)]** تعني انفراد الله وحده بالسلطان على الإماتة والإحياء في الدنيا، ولا تعني بالضرورة القيامة من الأموات في الآخرة. فسنقول: ربما؛ لكن ما يهمنا أن صاحب (النجم 44) طوَّر هذا المعنى ليشمل القيامة من الأموات في الآخرة، بدليل أنه ذكر الحياةَ "أَحْيَا" بعد الموت "أَمَاتَ"، وأيضاً بدليل قوله بعدها: "وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (new creation) (second genesis) (أي: إعادة خلقهم بعد مماتهم يوم القيامة)" (النجم 47). يقول تفسيرُ الجلالين: ""وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ" في الدنيا "وَأَحْيَا" للبعث [...] "وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ" الخلقة الأخرى للبعث بعد الخلقة الأولى"[2106]. ويقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على القرآن "وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا" (النجم 44)[2107]:

> [النجم 44] “The Lord gives death and life, brings down to Sheol and draws up” (1 Samuel 2:6; cf. Deuteronomy 32:39). Speyer (*BEQ*, 460), noting the reference to the scriptures of Moses in ["صُحُفِ مُوسَىٰ" (النجم 36)], refers here also to the (likely mishnaic) *Shmoneh Esreh* (Amidah) prayer, which

includes the line: “And who can be compared to You, King, who brings death and restores life, and causes deliverance to spring forth!”.

اقرأ أيضاً: "أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ" (التثنية 19:30). فعلى الرغم من أن هذه الآية التوراتية لا تدل على قيامة الموتى، إلا أنها من الآيات التوراتية المشهورة جداً التي تدل على أن الإنسان مُخيَّر بين طريقين: طريق الحياة وطريق الموت، وأن الله ينصح الإنسانَ ويحثه على اختيار طريق الحياة؛ وهو الطريق الذي صار بعد ذلك في المسيحية ثم الإسلام طريق الخير الذي يؤدي إلى الحياة الأبدية مع الله الخالق **[← "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (أي: فعرَّفها وبيَّن لها طريقَ الشر وطريقَ الخير). قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (أي: طَهَّرها ونَمَّاها بالخير). وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (أي: أدخلها وأخفاها في الشر)" (الشمس 7-10). "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (أي: وَبَيَّنَّا لِلْإِنسَانِ طريقَ الخير وطريقَ الشر)" (البلد 10). "قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ. بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ. إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ" (الأعلى 14-19)!]**.

كما تقول توراة موسى إن الرَّبّ يهوه إله إسرائيل وَضَعَ كَلاَمًا فِي فَمِ النَّبِيِّ الأُممي (الْأُمِّيِّ) "بَلْعَامَ" (Balaam) فجعله يقول: "لِتَمُتْ نَفْسِي مَوْتَ الأَبْرَارِ، وَلْتَكُنْ آخِرَتِي كَآخِرَتِهِمْ (أي: وَلْتَكُنْ نِهَايَتِي كَنِهَايَتِهِمْ)" (العدد 10:23). فعلى الرغم من أن هذه الآية التوراتية لا تدل على قيامة الموتى، إلا أنها على الأقل تدل على أنه كان من المعروف أن موت الأبرار ومصيرهم أفضل من موت الأشرار ومصيرهم[2108].

وأيضاً في بقية أسفار العهد القديم، توجد آيات أخرى تدل على القيامة أو إحياء الموتى، أو على الأقل يمكن أن تُفْهَم بهذا المعنى. نذكر منها مثلاً ما يلي ...

"لَيْسَ قُدُّوسٌ مِثْلَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ لَيْسَ غَيْرَكَ، وَلَيْسَ صَخْرَةٌ مِثْلَ إِلهِنَا. [...] الرَّبُّ يُمِيتُ وَيُحْيِي. يُهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ وَيُصْعِدُ" (1 صموئيل 2:2-6). وإذا قلتم إن "يُهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ وَيُصْعِدُ" (1 صموئيل 6:2) لا تعني القيامة من الأموات في الآخرة، وإنما تعني الخلاص (النجاة) أو الإنقاذ من تجربةٍ دنيويةٍ قاسيةٍ يكون الإنسانُ فيها على وشك الموت (imminent death)، سواء الموت الجسدي (انفصال الجسد عن الروح) أو الموت الروحي (انفصال الإنسان عن الله)، كما جاء مثلاً في: "يَا رَبُّ، أَصْعَدْتَ مِنَ الْهَاوِيَةِ نَفْسِي. أَحْيَيْتَنِي مِنْ بَيْنِ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ (أو: حَفِظْتَنِي preserved me مِنَ الهُبُوطِ إِلَى الحُفْرَةِ)" (المزامير 3:30)[2109]. فسنقول: ربما؛ لكن ما يهمنا أن الآية الكتابية "الرَّبُّ يُمِيتُ وَيُحْيِي. يُهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ وَيُصْعِدُ" (1 صموئيل 6:2) فُهِمَت بعد ذلك بمعنى القيامة من الأموات. فكما هو الحال في قصة الْعُلَّيْقَةِ المشتعلة، لا نعتقد أن معاصري التوراة فهموها بمعنى قيامة الأموات، لكن من الواضح أن معاصري الإنجيل فهموها بهذا المعنى بدليل أن السيد المسيح أكَّد هذا الفهم كما رأينا فيما سبق.

اقرأ أيضاً ما قاله مَلِكُ إسرائيل: "هَلْ أَنَا اللهُ لِكَيْ أُمِيتَ وَأُحْيِيَ"؟ (2 ملوك 7:5)؛ يقصد أن الله وحده هو الذي يُميت ويُحيي.

وثلاث معجزات لنبيين من أنبياء بني إسرائيل هُمَا "إِيلِيَّا" (Elijah) وخليفته "أَلِيشَع" (Elisha):

المعجزة الأولى وهي أول حادثة إقامة أموات تُذْكَر في الكتاب المقدس (1 ملوك 17:17-24). النبي "إِيلِيَّا" (Elijah) طلب من الرب أن يقيم ابنَ أرملة صِرفَة صيدا (Zarephath of Sidon) من موته أو مرضه الشديد: "مَرِضَ ابْنُ الْمَرْأَةِ صَاحِبَةِ الْبَيْتِ وَاشْتَدَّ مَرَضُهُ جِدّاً حَتَّى لَمْ تَبْقَ فِيهِ نَسَمَةٌ" (1 ملوك 17:17). ولم تكن الأرملة وابنها المريض/الميت إسرائيليين. "فَقَالَ [إيليَّا] لَهَا: «أَعْطِينِي ابْنَكِ». وَأَخَذَهُ مِنْ حِضْنِهَا وَصَعِدَ بِهِ إِلَى الْعُلِّيَّةِ الَّتِي كَانَ مُقِيمًا بِهَا، وَأَضْجَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ (بالعبرية: يهوه، Yahweh) إِلهِي، أَأَيْضًا إِلَى الأَرْمَلَةِ الَّتِي أَنَا نَازِلٌ عِنْدَهَا قَدْ أَسَأْتَ بِإِمَاتَتِكَ ابْنَهَا؟». فَتَمَدَّدَ (stretched himself out) عَلَى الْوَلَدِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «يَا رَبُّ (بالعبرية: يهوه، Yahweh) إِلهِي، لِتَرْجعْ نَفْسُ هذَا الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ»" (1 ملوك 17:19-21). فاستجاب الرَّبُّ لإيليَّا: "فَسَمِعَ الرَّبُّ (بالعبرية: يهوه، Yahweh) لِصَوْتِ إِيلِيَّا، فَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ. فَأَخَذَ إِيلِيَّا الْوَلَدَ وَنَزَلَ بِهِ مِنَ الْعُلِّيَّةِ إِلَى الْبَيْتِ وَدَفَعَهُ لأُمِّهِ، وَقَالَ إِيلِيَّا: «انْظُرِي، ابْنُكِ حَيٌّ»" (1 ملوك 17:22-23). وبما أن هذه هي أول حادثة إقامة أموات تُذْكَر في الكتاب المقدس، فيوجد سؤال يطرح نفسه: كيف عرف إيليَّا أن الرب قادر على إقامة ميت؟! والإجابة: ربما من التوراة وأسفار العهد القديم التي تسبق إيلِيَّا؛ وربما من الأساطير السائدة في عصره. فلقد "كانت الأساطير الكنعانيَّة تدَّعي بأنّ للبعل [Baal] قدرةً على إقامة الموتى. لكن هنا [في مكان عبادة البعل]، الربُّ [يهوه إلهُ إسرائيل]، وليس البعل، ردَّ الحياةَ للفتى، الأمر الذي أكَّد تأكيداً حاسماً أنّ الربَّ هو الله الحقيقيُّ وحده، وأن إيليا نبيُّه"[2110]. "فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ [الأممية] لإِيلِيَّا: «هذَا الْوَقْتَ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلُ اللهِ (أي: أَنَّكَ نبي)، وَأَنَّ كَلاَمَ الرَّبِّ فِي فَمِكَ حَقٌّ»" (1 ملوك 17:24)؛ أي: تابت وآمنت. **[← ومن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن النبي إيليَّا، بدليل أن الإله الوثن بَعْل لم يُذْكَر في القرآن كله إلا في قصة النبي إيلِيَّا (باليونانية: إِلْيَاس؛ Elias): "وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ. أَتَدْعُونَ بَعْلًا (Baal) وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 123-126). كما توجد في القرآن آيات تستخدم إحياء بعض الأموات في الحياة الدنيا كدليل على قدرة الله على إحياء الأموات يوم القيامة، مثل: (البقرة 72-73، 259، 260) وقصة أصحاب الكهف (الكهف 9-21)].**

لكن يرى آخرون أن الْوَلَد كان مريضاً مرضاً شديداً وليس ميتاً (critically ill but not dead)[2111]. وقيل إن النبي إيليا "تَمَدَّدَ عَلَى الْوَلَدِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ" من أجل "نقل حرارة وحركة جسد النبي إلى الْوَلَدِ"[2112] أو إن إيليا قام "بما يشبه "عملية تنفس اصطناعي""[2113] [artificial respiration] أو عملية إحياء مِنْ فَمٍ إلى فَمٍ (mouth-to-mouth resuscitation). وقيل إن النبي إيليا حين "تَمَدَّدَ عَلَى الْوَلَدِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ" كان يقوم بتقليد ما كان يُعْتَقَد أن الروح الشرير يقوم به حتى يمارس السلطة على ضحاياه

وهو مصطلح التملك أو اللبس (possession) عن طريق اللمس جزءًا لجزء؛ ومن ثم استطاع النبي "بقوة يهوه (لاحظ الصلاة) أن ينزع (أي: يُخْرِج) الأرواح الشريرة ويسترد حياة الصبي"[2114]. وفي جميع الأحوال، فإن صلاة إيليا نبي إسرائيل وقدرة يهوه إله إسرائيل هُمَا اللتان وهبتا الحياةَ و/أو الشفاءَ لهذا الصبي الأممي ابن الأرملة الأممية.

المعجزة الثانية وهي ثاني حادثة إقامة أموات تُذْكَر في الكتاب المقدس (2 ملوك 4:32-35). النبي "أَلِيشَع" (Elisha) صلَّى إلى الرب أن يقيم ابنَ المرأة الشُّونَمِيَّة (Shunammite) من الموت: "وَدَخَلَ أَلِيشَعُ الْبَيْتَ وَإِذَا بِالصَّبِيِّ مَيْتٌ وَمُضْطَجعٌ عَلَى سَرِيرِهِ. فَدَخَلَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى نَفْسَيْهِمَا كِلَيْهِمَا، وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. ثُمَّ صَعِدَ وَاضْطَجَعَ فَوْقَ الصَّبِيِّ وَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى فَمِهِ، وَعَيْنَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَيَدَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ، وَتَمَدَّدَ (stretched himself out) عَلَيْهِ فَسَخُنَ جَسَدُ الْوَلَدِ. ثُمَّ عَادَ [أَلِيشَعُ] وَتَمَشَّى فِي الْبَيْتِ تَارَةً إِلَى هُنَا وَتَارَةً إِلَى هُنَاكَ، وَصَعِدَ وَتَمَدَّدَ (stretched himself out) عَلَيْهِ فَعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَيْنَيْهِ (أي: عاد إلى الحياة)" (2 ملوك 4:32-35).

لكن كالعادة يوجد رأي آخر يقول إن الصَّبِيّ كان مريضاً وليس ميتاً. ويقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس إن "الطريقة التي اتبعها أَلِيشَعُ في الشفاء كانت متبعة قديماً لتسخين الجسم الذي يكون قد برد (طريقة تنفس اصطناعي بدائية)؛ إنها الطريقة نفسها التي استخدمها إيلِيَّا في شفاء ابن أرملة صِرفَة صيدا (1 ملوك 17:17-24). القصة مدراش تعليمي. يبدو أن الكاتب أراد، بهذا الوصف الدقيق لعمل أَلِيشَع، أن يؤكد على حقيقة حصول أَلِيشَع على "رُوح إيلِيَّا" (2 ملوك 2:9-10)"[2115]. أي أراد الكاتبُ أن يؤكد أن أَلِيشَع يخلف إيلِيَّا في الخدمة النبوية حسب أمر الرب (1 ملوك 19:15-21) وأن قدرة إيليا الروحية تستمر حَيَّةً فيه.

ويُعْتقَد أن صاحب الرسالة إلى العبرانيين قد عَلَّق على هاتين الحادثتين حين قال: "أَخَذَتْ نِسَاءٌ أَمْوَاتَهُنَّ بِقِيَامَةٍ" (العبرانيين 11:35). ثم أضاف تعليقاً على قصةٍ (أو قصص) أخرى فقال: "وَآخَرُونَ عُذِّبُوا [حتى الموت بسبب إيمانهم] وَلَمْ يَقْبَلُوا النَّجَاةَ [الدنيويةَ] (أي: رفضوا الحياةَ إن أنكروا إيمانَهم؛ فاسْتَحَبُّوا الموتَ مؤمنين) لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ (هي: قيامة شهداء الإيمان)" (العبرانيين 11:35). وقيامة الشهداء "أفضل" لأنها قيامة إلى حياة أخرويّة أبدية لا موت بعدها؛ أما قيامة ابني هاتين المرأتين فكانت مجرد عودة أو استئنافاً لحياتهما الطبيعية الروتينية اليومية على الأرض، أي: قيامة إلى حياة دنيويّة غير أبدية، فلقد ماتا بعد ذلك عند انقضاء آجالهما التي حددها اللهُ لهما، كما سيموت كل إنسان عاجلاً أو آجلاً في الحياة الدنيا على الأرض.

المعجزة الثالثة وهي ثالث حادثة إقامة أموات تُذْكَر في الكتاب المقدس (2 ملوك 13:20-21). إنها معجزة أخرى للنبي أَلِيشَع لكن بعد موته ودفنه! فلقد عاد رجلٌ ميت إلى الحياة مَرَّة أخرى بعد أن مَسَّت جثته عظام جثة أليشع في قبره! "وَمَاتَ أَلِيشَعُ فَدَفَنُوهُ. وَكَانَ غُزَاةُ مُوآبَ تَدْخُلُ عَلَى الأَرْضِ (أي: تغزو إسرائيل) عِنْدَ دُخُولِ السَّنَةِ (أي: عند بداية السنة أو كل سنة؛ كل ربيع؛ أو: بعد مرور سنة على وفاة أليشع). وَفِيمَا

كَانُوا (أي: كان بَعضُ الإسرائيليّين) يَدْفِنُونَ رَجُلاً إِذَا بِهِمْ قَدْ رَأَوْا الْغُزَاةَ، فَطَرَحُوا الرَّجُلَ (أي: الْجُثْمَانَ) فِي قَبْرِ أَلِيشَعَ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّجُلُ (أي: سقط الْجُثْمَانُ) وَمَسَّ عِظَامَ أَلِيشَعَ عَاشَ وَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ" (2 ملوك 13:20-21)! "إنه خبر مدراشي: تمتلك عظام أَلِيشَع قوة الحياة التي كان يتمتع بها النبي خلال حياته (2 ملوك 4:32-37)"[2116]. ونحن نرى أن حدوث المعجزة على الرغم من موت أَلِيشَع يؤكد أن الله هو الفاعل الحقيقي.

كما نجد في العهد القديم العبري موقفين: في الموقف الأول تحدَّث أرواحُ الموتى (إشعياء 14:9-11، 16-21)؛ وفي الموقف الثاني تم استدعاء روح شخص ميت (هو: النبي صموئيل) فظهرت روحُه مؤقتاً وتكلَّمت لفترةٍ قصيرةٍ من أجل توصيل رسالةٍ مهمة إلى عالم الأحياء (إلى المَلِك شاول) (1 صموئيل 28:1-20)! مما قد يعني أن عالم الأموات (الهاوية) فيه شيء ما من مظاهر الحياة! ولقد قال العالِمُ الأمريكي الكبير (Prof. Samuel Noah Kramer) تعليقاً على هذين الموقفين: "ومع أن "العالم الأسفل" هو الموطن الخاص بالأموات، إلا أن فيه نوعاً من الحياة والعيش. فمثلاً يصف لنا سفر إشعياء (14:9-11) تلك الحركة والاضطراب الذي حلَّ فيه، واضطراب أشباح الملوك والرؤساء السابقين عند قدوم مَلِك بابل إلى ذلك العالم. [...] وكان من الممكن لأشباح الموتى (shades of the dead) في مناسبات وأحوال خاصة أن "تقوم" فتصعد (raised) إلى الأرض لأمد محدود. فيخبرنا مثلاً سفرُ "صموئيل" الأول (الاصحاح 28) استحضار شبح ذلك النبي (أي صموئيل) من "شيئول" (Sheol) عندما أصر على ذلك المَلِكُ شاؤل"[2117]. لكن حتى في هذين الموقفين، لم يحدث خروج دائم من الهاوية، أي: لم تحدث قيامة من الموت إلى الحياة الأبدية، بدليل أن روح النبي صموئيل قالت للمَلِك شاول: "وَغَدًا أَنْتَ وَبَنُوكَ تَكُونُونَ مَعِي (أي: وَغَدًا أَنْتَ وَبَنُوكَ تموتون وتنزلون إلى الهاوية لتكونوا معي في الهاوية)" (1 صموئيل 28:19)؛ وهذا يؤكد أن روح النبي صموئيل عادت إلى الهاوية مرة أخرى بعد ظهورها القصير على الأرض.

ومن الآيات المشار إليها فيما سبق كشواهد من العهد القديم عن القيامة: "جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ. لِذلِكَ فَرِحَ قَلْبِي، وَابْتَهَجَتْ رُوحِي (حرفياً: مجدي). جَسَدِي أَيْضًا يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا (أي: يرقد في القبر في سلام) (وفي الترجمة اليونانية (السبعينية): جَسَدِي أَيْضًا سَيَسْكُنُ عَلَى الرَّجَاءِ (rest in hope)[2118] (قيل أي: يرقد عَلَى رجاءِ القيامة)). لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ (قيل أي: الهاوية مرحلة انتقالية أو سجن مؤقت ستتحرر النَّفْسُ منه). لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا (أو: لَنْ تَتْرُكَ صَفِيَّكَ يَرى الهُوَّةَ التي تفصل الإنسان/الجسد عن الله/الروح). تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ (أي: فِي حَضْرَتِكَ أشبَعُ سُرُورًا). فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ" (المزامير 16:8-11). إذن: الله أراد للإنسان الْحَيَاةَ معه حتى بعد موته (نزوله إلى الهاوية). "هنا نجد بذور القيامة التي هي ليست مجرد تواصل للحياة، إنما هي حياة أفضل"[2119]. لكن كالعادة يوجد رأي آخر يقول إن السياق "يشير إلى عدم السماح بموت شخصٍ في يد الأعداء الأشرار. المرنِّم لن يُودَع في الهاوية فهو لن يرى فساداً لأنه سيُنقَذ [من الموت]"[2120]. وحسب هذا

الرأي الأخير، فإن الترجمة الصحيحة لـ (المزامير 10:16) ينبغي أن تكون "لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي حَتَّى (to) الْهَاوِيَةِ" وليس "لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي (in) الْهَاوِيَةِ".

ويقول سفر المزامير أيضاً: "اللهُ يَفْدِي نَفْسِي مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ لأَنَّهُ يَأْخُذُنِي" (المزامير 15:49). "قد يشير أيضاً إلى حماية الله للإنسان من الموت المبكر، نظراً لعدم نضوج الفكر بالحياة الأخرى والأبدية. لكن في كل الأحوال نرى رجاء المرنِّم البار بالحياة لأن الله يأخذه، أمَّا هُمْ فيأخذهم الموت. "يَأْخُذ" هي نفس الكلمة التي يستخدمها الكتابُ للحديث عن أخنوخ [الذي لم يمت "وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ"] (التكوين 24:5) (قارن إيليا [الذي لم يمت أيضاً "فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ"] في (2 ملوك 11:2)). ويمكن ترجمتها: "يتسلمني"، فالرب، لا الهاوية، سيكون مسكن المرنِّم. أي أن المرنِّم يعتمد على الله لكي ينجو من الضربات التي تصيبه ومن أيام الشر (المزامير 5:49)، وأيضاً يرجو بأن يرفعه [إِلَى السَّمَاءِ] كما رفع أنبياء آخرين من قبله [...]. إن مصير الأبرار يجب ألا يكون كمصير الأشرار. إنه إيمان ضمني يمهد للإيمان لاحقاً بالقيامة وبالحياة الأبدية، وبأنَّ الله بجوده العظيم لن يسمح بأن يفصل ذاته عن أحبائه"[(2121)].

كما يقول سفر المزامير: "وَلكِنِّي دَائِمًا مَعَكَ [يَا رَبُّ]. أَمْسَكْتَ بِيَدِي الْيُمْنَى. بِرَأْيِكَ تَهْدِينِي، وَبَعْدُ إِلَى مَجْدٍ تَأْخُذُنِي. مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ [غَيْرُكَ]؟ وَمَعَكَ لاَ أُرِيدُ شَيْئًا فِي الأَرْضِ. قَدْ فَنِيَ لَحْمِي وَقَلْبِي. صَخْرَةُ قَلْبِي وَنَصِيبِي اللهُ إِلَى الدَّهْرِ (أي: إلَى الأبَدِ)" (المزامير 23:73-26). ""وَبَعْدُ إِلَى مَجْدٍ تَأْخُذُنِي" (المزامير 24:73) لا تشير بالضرورة إلى الحياة بعد الموت، فالسياق يدل على ارتفاع المرنِّم في المكانة والشرف. [...] لكن كلمة "تَأْخُذُنِي" قد توحي بارتفاعه إِلَى السَّمَاءِ (قارن (المزامير 15:49)). مهما يكن معنى الكلمة، فإن حضور الله مع المرنِّم ملأه بالحياة والبركة على الرغم من الآم الفناء الذي يواجهه"[(2122)]. كما يجب أيضاً أن نوضح أن "كلمة "إِلَى" [في الترجمات العربية والأجنبية السائدة "وَبَعْدُ إِلَى مَجْدٍ تَأْخُذُنِي"] هي عملية تفسيرية بالكامل (totally interpretive)، وليست موجودة في هذا النص العبري"[(2123)]! ولذلك فإن الترجمة اليسوعية تقول: "ووَراءَ المَجدِ تأخُذُني"، ثم علَّقت على الآية بقولها: "يبدو أن كلمة "مجد" تدلّ هنا على الله نفسه وتذكِّرنا بغمام الخروج. في هذه الآية خطوة نحو الإيمان الصريح بقيامة الأموات والحياة الأبدية (راجع (المزامير 10:16 +))"[(2124)]. أما الكتاب اليهودي الدراسي (Jewish Study Bible) فاعترف بأن المعنى العبري هنا غير مؤكد "Meaning of Heb. uncertain"[(2125)]!

ويقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس تعليقاً على الآيات الثلاث السابقة في سفر المزامير (10:16؛ 15:49؛ 24:73) وآيات أخرى ذات صلة بموضوع قيامة الأموات والحياة بعد الموت[(2126)]:

> الموت والحياة: اعتقد الإنسان منذ القديم بأنَّ جسده يشبه كل الكائنات من حيث اختباره للموت. جسد الإنسان جسد حيواني نفخ فيه اللهُ نَسَمَةَ الحياة (التكوين 7:2-8)، لكن دورة الحياة تنتهي عند موته ويصير مثل "الْمَاءِ الْمُهْرَاقِ عَلَى الأَرْضِ" لا يمكن جمعه مرة أخرى (2 صموئيل 14:14). إلا أن بعض الباحثين قالوا بغير ذلك (Dahood) واعتبروا بأن الحضارات القديمة اعتقدت بالحياة الأخرى والحياة الثانية بعد

الموت. إن (المزامير 16:9-11) شاهدٌ مميّزٌ لجهة الرجاء بالحياة الأخرى (راجع (المزامير 49:15) (المزامير 73:24)) لكنه هذا غير كافٍ لتأسيس الاعتقاد بالحياة الأخرى في تلك الفترة [التي كُتِبَت فيها تلك المزامير]، الأمر الذي سيكتمل عند اختبار قيامة المسيح وانتظار المجيء. ولعل الاعتقاد بالحياة ما بعد الموت (والقيامة) أتى في زمن شهداء المكابيين وظهور الأدب الرؤيوي (قارن (دانيال 12:2)).

لمزيد من المعلومات عن شهداء المكابيين في القرن الثاني قبل الميلاد، يمكن الرجوع إلى قصة "استشهاد الأم وأولادها السبعة" (Martyrdom of seven brothers and their mother) (2 مكابيين 7:1-41) التي ذكرناها فيما سبق؛ ويُعْتقَد أنها القصة التي أشار إليها صاحبُ الرسالة إلى العبرانيين بقوله: "وَآخَرُونَ عُذِّبُوا [حتى الموت بسبب إيمانهم] وَلَمْ يَقْبَلُوا النَّجَاةَ [الدنيويةَ] (أي: رفضوا الحياةَ إن أنكروا إيمانَهم؛ فاسْتَحَبُّوا الموتَ مؤمنين) لِكَيْ يَنَالُوا **قِيَامَةً** أَفْضَلَ (هي: قيامة شهداء الإيمان)" (العبرانيين 11:35). فلقد قال الابنُ الثاني وهو يَهُودِيٌّ مؤمنٌ يُعذَّب بسبب تمسكه بإيمانه بالله الواحد الأحد وبالشريعة اليهودية، "وفيما كانَ في الرَّمَقِ الأخير قالَ [الابنُ الثاني] للمَلِكِ [الكافر]: «أيُّها المُجرمُ، بإمكانِكَ أنْ تَأخُذَ مِنَّا حياتَنا هذِهِ، ولكِنَّ مَلِكَ العالَمينَ **سَيُقيمُنا لِحياةٍ أبديَّةٍ**، إذا مُتْنا في سَبيلِ شَريعتِهِ»" (2 مكابيين 7:9). وكذلك قال الابنُ الثالث قُبيل استشهاده: "قالَ بِكُلِّ جُرْأةٍ: «مِنْ رَبِّ السَّماءِ هذِهِ الأعضاءُ (أي: أعضاء جسده) ومِن أجلِ شَريعتِه أُضَحِّي بِها الآنَ، وآمُلُ أنْ **أستَرِدَّها مِنهُ فيما بَعدُ**»" (2 مكابيين 7:11). وكذلك قال الابنُ الرابع قُبيل استشهاده: "«خَيرٌ للإنسانِ أنْ يُقتَلَ بأيدي النَّاسِ، آمِلاً أنْ **يُقيمَهُ اللهُ مِنَ الموتِ**، أمَّا أنتَ أيُّها المَلِكُ فلا قيامَة لكَ مِنَ الموتِ إلى الحياةِ»" (2 مكابيين 7:14). "وكانَتِ الأمُّ أحَقَّ مِنَ الجميعِ بالإعجابِ والذِّكْرِ الحميدِ، لأنَّها شاهَدَت بَنيها السَّبعةَ يَموتونَ في يومٍ واحدٍ وصَبَرَت على ذلِكَ بِكُلِّ شَجاعَةٍ لِشِدَّةِ رَجائِها بالرّبِّ. وأخَذَت فوقَ ذلِكَ، تُشَجِّعُ كُلَّ واحدٍ مِنْ بنيها بِلُغَةِ آبائِهِم، وفي كَلامِها الأنثويّ نَبضَةُ الرُّجولَةِ. ومِمَّا قالَتْهُ لهُم: «لا أعلَمُ كَيفَ نشَأْتُم في أحشائي، فأنا لَمْ أمنَحْكُمُ الرُّوحَ والحياةَ، ولا أنا كَوَّنْتُ أعضاءَ جسَدِ كُلِّ واحدٍ مِنكُم، بَلِ الذي فعَلَ ذلِكَ هوَ خالِقُ العالَمِ، فهوَ الذي جبَلَ الإنسانَ وأبدَعَ كُلَّ شيءٍ وهوَ لِذلِكَ **سَيُعيدُ إليكُم برحمَتِهِ الرُّوحَ والحياةَ**، لأنَّكُمُ الآنَ تُضَحُّونَ بأنفُسِكُم في سَبيلِ شَريعتِهِ»" (2 مكابيين 7:20-23). "ثُمَّ انحَنَت فوقَ ابنِها [الأصغَر] وقالَت لَه بِلُغَةِ آبائِها هازِئَةً بالمَلِكِ الطَّاغِيةِ: «يا ابْني، ارْحَمْني، أنا التي حَمَلْتُك في أحشائي تِسعَةَ أشهُرٍ، وأرضَعتُكَ ثَلاثَ سِنينَ، أطعَمتُكَ ورَبَّيْتُكَ حتى بَلَغتَ هذِهِ السِّنَّ. انظُرْ، يا وَلَدي، إلى السَّماءِ والأرضِ وكُلِّ ما فيهِما، واعلَمْ أنَّ اللهَ خَلَقَ كُلَّ شيءٍ مِنَ العَدَمِ، وكذلِكَ الجِنسَ البشَريَّ. فلا تَخَفْ مِنْ هذا المَلِكِ السَّفَّاحِ، وكُنْ شُجاعًا كإخوَتِكَ ورَحِّبْ بالموتِ **لألقاكَ معَهُم برَحمةِ اللهِ**»" (2 مكابيين 7:27-29). وأخيراً قال الابنُ الأصغر قُبيل استشهاده: "وأمَّا أنتَ أيُّها [المَلِكُ] الكافِرُ، يا أخبَثَ البشَرِ، فلا تتَكَبَّرْ ولا تَنتَفِخْ بآمالِكَ الكاذِبةِ وأنتَ تَرفَعُ يَدَكَ على عبيدِ الرّبِّ، لأنَّكَ لن تَفلَتَ مِنْ يَدِ الله القدير الذي يرَى كُلَّ شيءٍ. وإخوَتُنا هَؤلاءِ صَبَروا على آلامٍ قصيرةٍ **لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ أبديَّةٌ**، وَهُمْ الآنَ في عِهْدَةِ الله (أو: سَقَطوا في سَبيلِ عَهدِ الله سَعْيًا لِحَياةٍ لا تَزول)، وأمَّا أنتَ [أيُّها المَلِك الكافِرُ] فسَيَحكُمُ اللهُ علَيكَ بعِقابٍ تَستَحِقُّهُ لِعَجرَفَتِكَ" (2 مكابيين 7:34-36).

ويقول سفرُ الحكمة وهو أيضاً من الأسفار القانونية الثانية (أبوكريفا العهد القديم) التي كُتِبَت باليونانية في فترة ما بين العهدين: "لأنَّ لَكَ [يا رَبّ] سُلْطانًا على الحَياةِ والمَوت، فتُحدِرُ إلى أبْوابِ مَثْوى الأَمْوات، وتُصعِدُ مِنها" (الحكمة 13:16). وكذلك تتمة سفر دانيال وهو أيضاً من الأسفار القانونية الثانية (أبوكريفا العهد القديم) يقول: "بَارِكُوا الرَّبَّ يَا أَرْوَاحَ وَنُفُوسَ الصِّدِّيقِينَ (أي: الأبرار)، سَبِّحُوا وَارْفَعُوهُ إِلَى الدُّهُور" (تتِمة سفر دانيال 86:3)، يقصد أن الأبرار ماتوا بالجسد لكنهم أحياء بالروح ويُسبّحون الرَّبَّ مع الأحياء[2127]. فكأن الكاتب هنا يقدّم وجهة نظر مختلفة (أي: متطوّرة) عن آيات العهد القديم العبري التي ربما تعني عدم وجود حياة بعد الموت مثل "لأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ. فِي الْهَاوِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟" (المزامير 5:6).

<u>الخلاصة:</u> باستثناء الآيات الواضحة والصريحة في الاصحاح الأخير من سفر دانيال (دانيال 12:2-3، 13) وآيات أخرى في الأسفار القانونية الثانية (أبوكريفا العهد القديم) وبصفة خاصة (2 مكابيين 7)، فإن الإشارات إلى عقيدة القيامة في أسفار العهد القديم خفية وتحتاج إلى مجهود لاستخراجها وتفسيرها، بل تحتاج في كثير من الحالات إلى إعادة قراءة وإعادة ترجمة وأحياناً إعادة تأويل في ضوء العقائد المسيحية! فنكتفي بهذا القدر عن الديانة اليهودية وتراثها. وننتقل إلى الديانة المسيحية التي تؤكد على القيامة من الأموات وإحياء الموتى تأكيداً كبيراً في مواضع كثيرة وبطرق مختلفة ...

3.5.1.8 أدلة أخرى في الإنجيل والتراث المسيحي قبل الإسلام تثبت القيامة من الأموات

نعم، يؤكد الإنجيلُ وبقية أسفار العهد الجديد على عقيدة القيامة من الأموات وإحياء الموتى تأكيداً واضحاً وقوياً وليس خفياً. والأدلة على ذلك كثيرة جداً، نذكر منها ما يلي على سبيل المثال وليس الحصر ...

السيد يسوع المسيح يؤكد على قيامة الأموات: "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِي، كَذلِكَ الابْنُ أَيْضًا يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ. لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ، لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ. «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللهِ (the Son of God)، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، وَأَعْطَاهُ سُلْطَانًا أَنْ يَدِينَ أَيْضًا، لأَنَّهُ ابْنُ الإِنْسَانِ (the Son of Man)[2128]. لا تَتَعَجَّبُوا مِنْ هذا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ (باليونانية: hóra) فِيهَا **يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ (أي: الحياة الأبدية)، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ (أي: العذاب الأبدي؛ الموت الثاني)**. أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يوحنا 5:21-30)؛ (متى 22:29-32) (مرقس 12:24-27) (لوقا 14:14، 20:35-38).

المسيح هو القيامة والحياة: "فَقَالَتْ مَرْثَا لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتَ ههُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي [لِعَازَرُ Lazarus]! لكِنِّي الآنَ أَيْضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللهِ يُعْطِيكَ اللهُ إِيَّاهُ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «سَيَقُومُ أَخُوكِ». قَالَتْ لَهُ مَرْثَا: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ **سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ، فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ** (أي: يوم القيامة العامة لكل الناس)». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «**أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا**، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ. أَتُؤْمِنِينَ بِهذَا؟» قَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، الآتِي إِلَى الْعَالَمِ»" (يوحنا 11:21-27). وبالفعل استطاع المسيحُ أن يقيم أخاها لعازرَ من الموت بعد أربعة أيام من وفاته أي على الرغم من أن جسده بدأ بالفعل يتحلل في قبره (يوحنا 11:38-44)! كما أقام المسيحُ من الموت الشَّابَّ ابن أرملة مَدِينَة نَايِينَ (Nain) (لوقا 7:11-17) والصَّبِيَّةَ ابنة "يَايِرُس" (Jairus) رَئِيسِ الْمَجْمَعِ (مرقس 5:21-24، 5:35-43) (متى 9:18-19، 9:23-26) (لوقا 8:40-42، 8:49-56). **[⟵ ومن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه القصص المشهورة، بدليل أنهم أشاروا إليها في قرآنهم: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ [...] وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي" (المائدة 110)؛ وقال المسيحُ: "أُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ" (آل عمران 49). وعبارة "بِإِذْنِ اللَّهِ" (آل عمران 49) أو "بِإِذْنِي" (المائدة 110) مجرد تطور بشري طبيعي لِمَا قالته مَرْثَا لِيَسُوعَ: "لكِنِّي الآنَ أَيْضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللهِ يُعْطِيكَ اللهُ إِيَّاهُ" (يوحنا 11:22)]**. وكذلك فعل رسلُ المسيح من بعده: أقاموا موتى. فلقد أقام بطرس الرسول التلميذةَ طابيثا (Tabitha) من الموت (أعمال الرسل 9:36-42). وأقام بولس الرسول الشَّابَّ أفتيخوس (Eutychus) من الموت (أعمال الرسل 20:7-12). وبغض النظر عن مدى دقة تلك القصص من الناحية العلمية، فإنها تؤكد على أهمية القيامة في الديانة المسيحية.

ولمَّا أسلم يَسُوعُ روحَه على الصليب: "فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، **وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ**، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ (أي: أورشليم)، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ. وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ يَسُوعَ فَلَمَّا رَأَوْا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ، خَافُوا جِدًّا وَقَالُوا: «حَقًّا كَانَ هذَا [الإِنْسَانُ] ابْنَ اللهِ!»" (متى 27:50-54). فنلاحظ هنا أيضاً حدوث "صَوْتٍ عَظِيمٍ" (متى 27:50) (مرقس 15:37) (لوقا 23:46) **[⟵ "جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (أي: صيحة القيامة التي تكاد تَصمُّ الآذان لشدتها)" (عبس 33). "نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (أي: نُفِخَ فِي الصُّورِ)" (المدثر 8)؛ (المؤمنون 101) (ق 20) (الكهف 99) (يس 51) (الحاقة 13) (الزمر 68) (طه 102) (الأنعام 73) (النبأ 18) (النمل 87)؛ وآيات قرآنية أخرى تعلن قيامة الأموات بواسطة صوت، مثل "يَدْعُ الدَّاعِ" (القمر 6)]**، "وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ" (متى 27:51) **[⟵ "زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا" (الزلزلة 1)؛ (الحج 1) (الواقعة 4) (المزمل 14) (النازعات 6) (الفجر 21)]**، "وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ" (متى 27:52-53) **[⟵ "الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (أي: قُلِبَ ترابُ القبور وبُعِثَ موتاها فخرجوا منها أحياء يوم القيامة)" (الانفطار 4) "بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ" (العاديات 9) "أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (أي: ما في بطنها من الأموات)"**

(الزلزلة 2) "الْأَرْضُ [...] أَلْقَتْ مَا فِيهَا (أي: أَخْرَجَت الموتى من جوفها إلى ظاهرها) وَتَخَلَّتْ [عنهم]. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (أي: أطاعت أمرَ رَبِّهَا وجديرٌ بها أن تنقاد لأمر خالقها)" (الانشقاق 3-5)]. ومن الجدير بالذكر أنه أيضاً عند قيامة المسيح حَدَثَتْ "زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ" (متى 2:28) **[← "إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" (الحج 1)؛ (الواقعة 4) (الزلزلة 1) (المزمل 14) (النازعات 6) (الفجر 21)!]**.

قيامة يسوع المسيح من الأموات بعد آلامه وصلبه وموته ودفنه هي أهم وأقوى دليل على القيامة من الأموات في المسيحية. فلقد قام المسيحُ قيامةً لا موت بعدها (متى 28) (مرقس 16) (لوقا 24) (يوحنا 20-21). "اللهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبَّ (أي: السيدَ؛ المعلمَ) [يَسُوعَ]، وَسَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ" (1 كورنثوس 14:6). وهذه الآية تؤكد أن المسيح لم يقم نفسَه بنفسِه؛ وإنما الله إلهه هو الذي أقامه. وتوجد آيات أخرى كثيرة تؤكد هذه الحقيقية: "إِلهُ رَبِّنَا (أي: سيدنا؛ معلِّمنا؛ مولانا) يَسُوعَ الْمَسِيحِ [...] أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أفسس 17:1-20)؛ "إِنَّ إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، إِلهَ آبَائِنَا، مَجَّدَ فَتَاهُ يَسُوعَ (الترجمة الأكثر دقة: عَبدَه يَسُوعَ[2129]؛ باليونانية: paida)، [...]، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذلِكَ" (أعمال الرسل 13:3-15)؛ "إِلهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ (أي: اليهود) قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ" (أعمال الرسل 30:5). فلقد صُلِب المسيح وتألَّم ومات ودُفِنَ ثم "أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ" (رومية 9:6، 4:7) "أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ (أي: بقوة اللهِ)" (رومية 4:6) "اللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (غلاطية 1:1) "اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (كولوسي 12:2) "اللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْدًا، حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ" (1 بطرس 21:1). صُلِبَ يسوعُ المسيح وتألَّم ومات وقُبِرَ "وَلكِنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 30:13) "الله أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (رومية 9:10) "أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 15:3، 10:4) "أَقَامَهُ [اللهُ] مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 34:13، 31:17) (1 تسالونيكي 10:1) "أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ" (أعمال الرسل 24:2). كما "سَبَقَ [لداود النبي] فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ: أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا (أي: لَمْ يَرَ جَسَدُهُ فَسَادًا في قبره، بل تحوَّل جَسَدُهُ إلى جسم نوراني واتحد بروحه فَقَامَ). فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذلِكَ" (أعمال الرسل 31:2-32). "شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ" (1 كورنثوس 15:15). "قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ" (1 كورنثوس 4:15). "فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ" (متى 21:16، 23:17، 19:20) (مرقس 34:10) (لوقا 22:9، 33:18، 7:24). "أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ" (أعمال الرسل 40:10).

نكرر: المسيحُ هو أوَّل مَن قام من الأموات قيامةً لا موت بعدها: "عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ **بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يَمُوتُ أَيْضًا** (أي: لاَ يَمُوتُ مَرَّةً ثَانِيَةً). لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ. لأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيَّةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَالْحَيَاةُ الَّتِي يَحْيَاهَا فَيَحْيَاهَا للهِ" (رومية 9:6-10). فقيامة الْمَسِيح من الموت إلى الحياة الأبدية تعطينا جميعاً الأملَ والرجاء في قيامتنا نحن أيضاً من الأموات قيامةً لا موت بعدها: "وَأَنَا لاَ أَقُولُ شَيْئًا غَيْرَ مَا تَكَلَّمَ الأَنْبِيَاءُ وَمُوسَى أَنَّهُ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ: إِنْ يُؤَلَّمِ الْمَسِيحُ، يَكُنْ هُوَ أَوَّلَ **قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ**، مُزْمِعًا أَنْ

يُنَادِيَ بِنُورٍ (أي: نُور الخلاص) لِلشَّعْبِ وَلِلأُمَمِ (أي: لِلْيَهُودِ وَلِغَيرِ اليَهُودِ؛ لكُلِّ البشر)" (أعمال الرسل 26:22-23)؛ "لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا [مُتَّحِدِينَ مَعَهُ] بِقِيَامَتِهِ" (رومية 6:5) "فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ" (رومية 6:8)؛ (1 بطرس 1:3-6).

ويجب هنا أن نؤكد على أن قيامة المسيح من الأموات هي صُلْب العقيدة المسيحية، فلولا الإيمان بالقيامة لأصبح الإيمان المسيحي باطلاً: "وَلكِنْ إِنْ كَانَ الْمَسِيحُ يُكْرَزُ بِهِ (أي: يُبَشَّرُ؛ يُعْلَن) أَنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، فَكَيْفَ يَقُولُ قَوْمٌ بَيْنَكُمْ "إِنْ لَيْسَ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ؟" فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا (أي: لَكَانَ تَبْشِيرُنَا عَبَثاً) وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ، وَنُوجَدُ نَحْنُ أَيْضًا شُهُودَ زُورٍ للهِ، لأَنَّنَا شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ وَهُوَ لَمْ يُقِمْهُ، إِنْ كَانَ الْمَوْتى لاَ يَقُومُونَ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتى لاَ يَقُومُونَ، فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ. وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ! (أي: وَخَطَايَاكُمْ لَمْ تُغْفَرْ بَعْدُ، وأجرتها هي موتكم دون قيامة!) إِذًا الَّذِينَ رَقَدُوا فِي الْمَسِيحِ أَيْضًا هَلَكُوا! (أي: ماتوا وانتهى أمرُهم لأن رجاءهم فِي الْمَسِيحِ لم يتحقق!) إِنْ كَانَ لَنَا فِي هذِهِ الْحَيَاةِ [الدنيا] فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ، فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ [بسبب تضحياتنا المبذولة في الحياة الدنيا في ضوء الرجاء بحياة الآخرة الأبدية التي بَشَّر المسيحُ بها]. وَلكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ (firstfruit) الرَّاقِدِينَ (أي: أَوَّلُ مَنْ قامَ مِنْ رُقادِ المَوتِ إلى الحياة الأبدية؛ بِكرُ حَصَادِ الَّذِينَ مَاتُوا ثم قاموا قيامةً لا موت بعدها). فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ (أي: إِذِ دخل الْمَوْتُ إلى الجنس البشري بواسطة آدم أول إنسان خاطي عَصَى اللهُ فحُكِمَ عليه بالموت)، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ (أي: تدخل القيامةُ إلى الجنس البشري بواسطة يسوع المسيح أول إنسان بلا خطية أطاع اللهَ حتى مات ليفدينا ثم قام ليُخلِّصنا من حُكْم الموت). لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ (أي: كَمَا أورث آدمُ الموتَ لكُلِّ إنسان)، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ (أي: أورث المسيحُ الحياةَ الأبدية لكُلِّ إنسان مسيحي مؤمن بموت المسيح وقيامته أي لكُلِّ إنسان مسيحي مؤمن بآلام وصليب وموت وقيامة الفادي والمخلِّص الرب يسوع المسيح ابن الله). وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ (أي: دوره؛ درجتِه): الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ (firstfruit)، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ [الثاني]" (1 كورنثوس 15:12-23).

ولذلك فإن الإيمان بالقيامة هو محور الكرازة الرسوليَّة وأساس التبشير المسيحي منذ فجر المسيحية (أعمال الرسل 1:22، 4:2، 4:33، 10:41، 24:15، 24:21) (رومية 1:4) (1 كورنثوس 15:1-58) (فيلبي 3:10-11). أي: منذ القرون الأولى للميلاد قبل الإسلام واستمر بعد الإسلام وسيستمر إلى الأبد.

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "تُعتبر قيامة الأموات وعودتهم إلى الحياة بالجسد عقيدة أساسية في الإيمان المسيحي، وقد استمدت مصداقيتها وأهميتها من قيامة الرب يسوع بالذات، فهو عاد من الموت إلى الحياة في اليوم الثالث بعد صلبه. وكل تعريف بالقيامة أو وصف لها، فإنه قد بُني على شهادة الرسل لقيامة يسوع من الموت، ورؤيتهم إياه من خلال ظهوراته بعد قيامته"[2130].

ويقول "معجم الأديان العالمية" الذي أصدرته جامعة القاهرة في مصر: "والخلود جزء من الحياة الأبدية الموهوبة للمؤمنين في "يسوع المسيح"، وضمان ذلك هو قيامة المسيح من الأموات. إن الروح تبقى بعد الجسد، وقد أعلن "يسوع" بنفسه صراحة مصيرَ الأبرار والأشرار عندما قال لـ "مَرْثَا": "مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ" (يوحنا 11:25-26)"[2131].

فلا غرابة إذن أن أهم وأكبر عيد في المسيحية هو عيد "القيامة" المجيد حين نحتفل سنوياً بقيامة المسيح المخلِّص وانتصاره على الموت بل انتصاره على الشيطان. قيامة المسيح تؤكد قيامتنا.

في ضوء كل ما سبق، يتضح لنا لماذا اهتم أصحابُ القرآن اهتماماً كبيراً بالقيامة. إنه مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للتراث اليهودي-المسيحي، وبصفة خاصة التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة). وخير ما نختم به هذا الجزء من دراستنا هو ما قالته موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) تأكيداً على تأثير الديانتين اليهودية والمسيحية الشرقية (السريانية بصفة خاصة) على الإسلام فيما يتعلق بيوم القيامة[2132]:

> Most of the signs of the hour ([أشراط الساعة]) appear in the Hebrew Bible and in rabbinic literature; these are known as *ḥevlei mashiyyaḥ*, "the tribulations preceding the coming of the Messiah" ([…]). Some examples of the similarities between the qurʾānic and biblical descriptions of these events are: the vision of the dry bones in Ezekiel 37; Yaʾjūj and Maʾjūj ([الأنبياء 96] [يَأْجُوج وَمَأْجُوج]) — the biblical Gog and Magog — "will swiftly swarm from every mound"; "signs of the hour" abound in Isaiah 24; and Isaiah 27:1, but especially 27:13, "[And in that day] the great trumpet shall be blown, and they shall come [those who] were ready to perish in the land of Assyria, and the outcasts in the land of Egypt, and shall worship the [LORD] in the holy mount of Jerusalem," bring to mind [الصُّور] or [النَّاقُور], particularly in view of the Muslim explanation that [الصُّور] is a horn ([…]), the traditional Jewish *shofar*. The traditions explaining that the gathering and the last judgment must be in Jerusalem have their origin, perhaps, in this verse and in the *midrashim*, the homiletic interpretations of the scriptures. The blowing of the trumpet, the day of the [LORD], "a day of darkness and of gloominess," the earth which shall quake, the heavens

which shall tremble, and the sun and the moon which shall be dark are mentioned in Joel 2. The gathering of all the heathen will be in the valley of Jehoshaphat: "for there will I sit to judge all the heathen round about" (*Joel* 4:12 [3:12]; see also *Amos* 5:18-20; *Zephaniah* 1; *Isaiah* 66:16, 24). To explain the prevalence of such imagery, H. Gressmann (*Ursprung*) claimed one century ago that there circulated, among many ancient peoples in the epoch of the prophets of Israel, prophecies about disasters (earthquakes, fires and volcanoes …) which would destroy the world and about a paradise with rivers of milk, honey and fresh water.

In the Book of Daniel 12:2, which retained a Persian influence and was very popular in the first century of Islam since many Muslims wanted to know the exact date of the last judgment, there appears the idea of the resurrection and of everlasting life for some and everlasting shame and contempt for others. S. Shaked and W. Sundermann (Eschatology) very clearly show Zoroastrian and Manichean influences on eschatological material within Second Temple Judaism, Christianity and, later, on Islam. […]

In the New Testament, the Revelation of John contains many elements of the resurrection, but they do not resemble the qurʾānic scheme. Gibb ([…]) is certain that the doctrine of the last judgment in the Qurʾān was derived from Christian sources, especially from the writings of the Syriac Christian Fathers and monks (see SYRIAC AND THE QURʾĀN; MONASTICISM AND MONKS). Tor Andrae, who devoted considerable attention to possible Christian antecedents ([…]), finds expression of the idea that nobody can determine the date of the last hour in Mark 13:32. Only God knows about that day or hour. Finally, many last judgment scenes appear, with some modifications, in early Christian apocalypses ([…]). Although the "beast" in *Hermas vision* 4, which represents a coming persecution, or the "leviathan" in Isaiah 27:1, which represents evil powers,

are reminiscent of the *dābba* [دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ] in [النمل 82] which became one of the "signs of the hour" ([أشراط الساعة]), Annemarie Schimmel correctly asserts that "the Koranic descriptions of Judgment and Hell do not reach the fantastic descriptions of, for example, Christian apocalyptic writing."

3.5.2 مصادر القرآن من تراث الشرق الأوسط القديم

نركز هنا على فكرة إحياء الموتى أو القيامة من الأموات (Resurrection) بصفة خاصة، وليس على فكرة الحساب (Judgment) التي سوف نتحدث عنها في وقتٍ لاحق. هل فكرة إحياء الموتى فكرة أتى بها رسولُ الإسلام عن طريق وحي من الله؟! سيجيب المسلمون بنعم. لكن حين ننظر إلى الديانات والأساطير الشرق-أوسطية السابقة للإسلام سنجد أن فكرة إحياء الموتى كانت فكرة قديمة جداً ومعروفة قبل الإسلام بآلاف السنين، وبالتالي فإن الالمام بها وتضمينها في ديانةٍ ما أو تطويرها في معتقدٍ ما لا يحتاج إلى أي وحي من الله. والأدلة على ذلك كثيرة جداً، لكننا سنكتفي بمجموعة من الأمثلة.

وفي الواقع، قد أشرنا باختصار فيما سبق إلى مصادر القرآن من تراث الشرق الأوسط القديم. راجع مثلاً ما قلناه عن كيف تحوَّل الإلهُ "موت" (Mot) من إلهٍ عدو للإله بَعْل (Baal) في الديانات الوثنية القديمة إلى مَلَكٍ خاضعٍ للرب الإله يهوه (الله) في اليهودية ثم في الإسلام "مَّلَكِ الْمَوْتِ" (السجدة 11)!

أما الآن فنتحدث بقدر أكبر من التفصيل عن جذور عقيدة القيامة في تراث ديانات وحضارات الشرق الأوسط القديم، وبصفة خاصة: الحضارة المصرية القديمة ...

يقول "معجم الأديان العالمية" الذي أصدرته جامعة القاهرة في مصر: "اهتمت معظم الأديان - بشكلٍ أو بآخر - بحياة النفس بعد الموت، كما أظهر كثير من الفلاسفة اهتماماً ملحوظاً بذلك في كل العصور. ومنهم من قال بوجودها وتميزها عن البدن. والديانة المصرية القديمة كانت أكثر الأديان القديمة اهتماماً بالحياة الآخرة والحساب على الأعمال. (انظر: **كتاب الموتى Book of the Dead**)"[2133].

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس[2134]:

وفي الحضارة اليونانية كان الاعتقاد بخلود النفس [immortality of the soul] هو الشائع، أي أن القوى الفكرية الواعية في الإنسان تستمر في الوجود بعد الموت، ولكن لا قيامة للأجساد. واعتقد المصريون القدماء بحياة بعد الموت، والأدلة في معالم الأهرامات وتصاويرها ظاهرة. وفي الشرق القريب اعتقدت الزردشتية في فارس القديمة بالقيامة من الموت على غرار ما جاء في العهد القديم. وكان العالم

الفكري الفارسي واليوناني والمصري يتفاعل بعضه ببعض ويتلاقح، فيتولد جراء ذلك ما لا يحصى من المعتقدات الضبابية والمتضاربة فيما يتعلق بالحياة بعد الموت.

ويقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم" تعليقاً على "تَحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ. اسْتَيْقِظُوا، تَرَنَّمُوا يَا سُكَّانَ التُّرَابِ. لأَنَّ طَلَّكَ طَلُّ أَعْشَابٍ، وَالأَرْضُ تُسْقِطُ الأَخْيِلَةَ" (إشعياء 19:26)[2135]:

Resurrection in the ancient Near East. Concepts of afterlife are most clearly defined in Egyptian texts. The Book of the Dead provides a guide for dealing with the questions asked of each soul on entering the nether regions. Mummification, the construction of tombs, the rich grave goods and the priestly and family cult that supplied food and drink for the dead through eternity all testify to elaborate preparations for a life beyond this one. Even in this rich afterlife doctrine, however, resurrection is reflected in the belief that the righteous dead can be resuscitated in the afterlife.

Mesopotamian concepts are more pessimistic. Gilgamesh, the hero who crosses the “sea of death” and seeks out the flood hero Utnapishtim, is told by the barmaid/goddess Siduri that humans are fated to die from their conception. She advises a life filled with personal enjoyment and accomplishment, since there is no joy in death. Job echoes this opinion when he says (7:9) that “he who goes down to the grave does not return.”

Only in Daniel 12:2 does the Old Testament clearly refer to bodily resurrection. Thus [Isaiah 26:19], like Ezekiel 37:4-14, may speak only of God’s ability to reawaken a dead nation, to revive a covenantal community.

مما سبق يتضح أن عقيدة القيامة أو الحياة بعد الموت كانت موجودة بدرجات مختلفة وصور متنوعة في ديانات وثنية شرق-أوسطية قديمة قبل جميع الديانات الإبراهيمية؛ وبمرور الزمن تطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development) في اليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام.

ومما لا شك فيه أن دورة الموت والقيامة لآلهة الخصوبة (fertility gods) في تلك الديانات الوثنية الشرق-أوسطية القديمة لعبت دوراً مهماً في تطوُّر عقيدة القيامة. يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب

المقدس – العهد القديم" تعليقاً على استجابة يهوه إله إسرائيل لصلاة النبي إيلِيَّا من أجل استرداد حياة ابنِ أرملة صِرفَة صيدا: "فَسَمِعَ الرَّبُّ (بالعبرية: يهوه، Yahweh) لِصَوْتِ إِيلِيَّا، فَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ" (1 ملوك 22:17)[2136]:

> **(1 ملوك 22:17) عودة الحياة مقابل البعل.** جزء مما يمثل آلهة الخصوبة كان دورة الموت والقيامة التي [لها علاقة] بالزرع والمواسم. يموت الإلهُ [سنوياً عندما تدور الدورة الزراعية وتأتي إلى نهايتها] أثناء شهور الشتاء وينزل إلى الأرض السفلى. ويُحْضَر للحياة (أي: يُقام طقسياً) مرة أخرى في الربيع ويعيد الخصوبةَ للأرض. وتمتد قوته على الخصوبة من المحاصيل إلى الحيوان ثم إلى البشر أيضاً. وكإله يعود من الموت [سنوياً بشكل دوري وبانتظام]، فإن الاعتقاد أن هذه الآلهة الخصبة لديها أيضاً القوة على استعادة الحياة لشخص مات. ولذا فباسترداد حياة الصبي، فإن يهوه يظهر قوته مرة أخرى في مجال يُعتبر أنه موقع مركزي للبعل (انظر التعليق على (2 ملوك 4:16-35)).

[← هذه العقائد الوثنية المتعلقة بآلهة الخصوبة التي تحيي الأرضَ في فصل الربيع هي الجذور الشرق-أوسطية القديمة للآيات القرآنية الكثيرة التي ربطت بين قدرة الله على إنزال المطر الذي يُنبت الأرضَ القاحلة (يُحيي الأرضَ الميتة) وقدرته على إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم. أي: حلَّ اللهُ محلَّ إله الخصوبة؛ والأفعال التي كانت تُنسَب قديماً إلى إله الخصوبة صارت تُنْسَب إلى الله! فاللهُ "هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا (أي: محمَّلاً بالماء) سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ (أي: أرضٍ يابسةٍ لا نبات فيها) فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ (أي: المطرَ) فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ (أي: بمثل ذلك الإحياء للأرض بالإنبات نخرج الموتى من قبورهم أحياءً)" (الأعراف 57)؛ "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا (أي: فتحرك سَحَابًا) فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ (أي: إِلَىٰ أرضٍ يابسةٍ لا نبات فيها) [فينزل المطر] فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ (أي: كَذَٰلِكَ إخراجُ الموتى من قبورهم أحياء يوم القيامة)" (فاطر 9)؛ "وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ [من القبور حين تُبعثون أحياء]" (ق 11) "كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ [من قبوركم]" (الزخرف 11) (الروم 19). وآيات قرآنية أخرى تعطي نفس المعنى عرضنا بعضها فيما سبق].

ويُعْتَبَر الإلهُ المصري القديم "أوزيريس" (Osiris) من أشهر آلهة الخصوبة في الشرق الأوسط القديم، كما ارتبط اسمه بالبعث والحساب والجزاء والحياة الآخرة عند المصريين القدماء. وتُعْتَبَر "أسطورة إيزيس وأوزيريس" (Isis and Osiris) – التي تُسمَّى أيضاً "أسطورة أوزيريس" (The Osiris Myth) (La légende du dieu Osiris)[2137] – من أشهر أساطير القيامة في الشرق الأوسط القديم. وبما أننا سوف ندرس هذه الأسطورة المصرية القديمة بالتفصيل عند دراستنا لقصة "ابني آدم" القرآنية (المائدة 27-31). إذن: سنكتفي هنا بملخص هذه الأسطورة الشهيرة. باختصار: تقول أسطورة أوزيريس إن "ست"

(Set) قتل أخاه أوزيريس ثم مزّق جسدَ أوزيريس إلى قطع وبعثَّرها في أنحاء مصر. نجحت إيزيس في جمع هذه القطع وإعادة بناء جسد زوجها أوزيريس، ثم استطاعت بمساعدة الإله أنوبيس (Anubis) وآخرين في إعادة الحياة مرة أخرى إلى أوزيريس! **[← واللافت للانتباه أن فكرة إحياء الجسد الميت رغم تقطيعه وتمزيقه موجودة في القرآن: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ (أي: فاضممهنَّ إليك واذْبَحْهُنَّ وقطّعهنَّ) ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا (أي: كل جُزْء مِّنْهُنَّ يعود إلى موضعه وتدب فيهن الحياة ويأْتِينَكَ مسرعات!) ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (البقرة 260)(2138)].**

وإذا انتقلنا إلى بلاد ما بين النهرين (العراق القديم) فسنجد أول أسطورة تذكر عقيدة القيامة. إنها الأسطورة السومرية "هبوط إنَانّا إلى العالم الأسفل" (أو: نزول إنَانّا إلى الجحيم؛ نزول إنَانّا إلى عالم الموتى) (Inana's Descent to the Nether World) (La Descente d'Inanna aux Enfers)(2139) التي تُعتبر أقدم نص عرفته البشرية عن إحياء الموتى؛ أقدم بمئات السنين من عقيدة القيامة في الديانتين المسيحية والإسلام! وهذا الذي جعل العالم الكبير (Samuel Noah Kramer) في كتابه الشهير (History Begins at Sumer: Thirty-Nine Firsts in Recorded History) يُطلق عليها "أول قصة عن العودة إلى الحياة" (The First Tale of Resurrection). فنظراً لأهميتها الدينية والفكرية وتأثيرها الواضح على الديانات الشرقية التي ظهرت بعدها، يجب أن نذكر هذه الأسطورة. لكننا سنكتفي هنا بملخصها لأننا سوف ندرسها بالتفصيل عند دراستنا لقصة "ابني آدم" القرآنية (المائدة 27-31) التي تتحدث عن أول ميت في تاريخ البشرية حسب التراث الديني الإبراهيمي.

تحكي هذه الأسطورة عن الإلهة إنَانّا "ملكة السماء" (Queen of Heaven) التي نزلت من "العالم الأعلى العظيم" (The Great Above) وتجردت مِن حللها وحلاها الملكية قطعة قطعة حتى هبطت إلى عالم الموتى السفلي عاريةً تماماً لا يستر جسمها شيء. وهناك استقبلتها أختها "ايرشكيجال" (Ereshkigal) وآخرون، وصوبوا إلى إنَانّا نظرات الموت، فماتت إنَانّا وتحولت إلى جثة هامدة ثم عُلِّقتْ من عمود قائم (stake). ثم تمر ثلاثة أيام وثلاث ليال، وفي اليوم الرابع يدبر الإلهُ إنكي (Enki) خطةً لقيامة إنَانّا من الأموات. تنجح الخطة وبالفعل تعود إنَانّا إلى الحياة مرة أخرى. لكن لكي تخرج إنَانّا من عالم الموتى السفلي وتصعد إلى العالم العلوي، لا بد أن يحل محلها إلهٌ آخر، أي: بديل (substitute). فاختارت إنانا زوجَها (أو: عشيقَها) الإله الراعي "دوموزي" (Dumuzi)، عقاباً له لأنه لم يلبس ثياب الحداد على موتها وإنما ارتدى حلل العيد والأفراح الفاخرة وجلس متربعاً على عرشه (أو: على عرشها) ولم يكترث بطقوس الحداد!

يتضح من كل ما سبق أن أصحاب القرآن لم يكونوا على الإطلاق في حاجة إلي أي وحي من السماء لكي يتحدثوا عن عقيدة إحياء الموتى ويوم القيامة وعلاماته وأحداثه، فهي كلها أفكار عرفتها البشرية من آلاف السنين قبل الإسلام ثم تطورت بمرور الزمن تطوراً بشرياً طبيعياً بدءاً من الأساطير السومرية والمصرية القديمة مروراً بالديانة اليهودية ثم فكر اليهود الفريسيين ثم أخيراً المسيحية.

وبعد هذا كله، يأتي الإسلام ليقول لنا ما قد قيل من قبل**!** فهل هذا وحي من الله**؟!** الإجابة: لا.

الإسلام ليس ديناً من عند الله. والقرآن ليس كلام الله.

3.6 وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ!

أشرنا فيما سبق إلى آيتين قرآنيتين هُمَا: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (آل عمران 169) (مدنية) "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ" (البقرة 154) (مدنية). نتحدث فى هذا الفصل بقدر أكبر من التفصيل عن هاتين الآيتين اللتين يحفظهما كل مسلم عن ظهر قلب ونسمعهما كثيراً في السنوات الأخيرة لا سيما حين يقوم مسلمٌ بعملية إرهابية تؤدي إلى مقتل مسلمين وغير مسلمين. فنجد المسلم الإرهابى القاتل (أو مؤيديه) يرددون هاتين الآيتين، ونجد المسلم الضحية المقتول (أو المتعاطفين معه) يرددون نفس الآيتين! كلاهما يعتقد أنه قُتِل فى سبيل الله! كلاهما يعتقد أنه شهيد! كلاهما يعتقد أنه حيٌّ حياة أبدية ويُرزَق عند ربه! كلاهما يعتقد أنه في الجنة ونعيمها الأبدي!

يقول الشيخ الشعراوى فى تفسيره لـ (البقرة 154): "الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نعلم أن مَن يُقتَل فى سبيل الله هو حى عند ربه ينتقل من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة مباشرة .. ولا يكتب عليه الموت فى حياة البرزخ حتى يوم القيامة مثل من يموت ميتة طبيعية ولا يموت شهيداً"[2140]. ومن ثم فإن هذه العقيدة تُعرَف أحياناً فى الأبحاث العلمية الأجنبية باسم (Immediate Retribution)[2141] أى "الجزاء المباشر" أو "الثواب الفورى". والمقصود من هذا الثواب الفورى هو أن الله يغفر للشهيد جميع ذنوبه ويدخله الجنة ليحيا حياة أبدية: "فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ" (آل عمران 195)[2142] (مدنية) "وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ" (آل عمران 157) (مدنية) و "الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ" (التوبة 20-22) (مدنية) وآيات أخرى كثيرة تتحدث عن الحياة الأبدية والنعيم الأبدى فى الجنة.

تثير هذه الآيات أسئلة كثيرة، مثل: هل الشهيد حيٌّ عند الله بروحه فقط؟ أم حيٌّ بروحه وجسده؟ وما طبيعة هذا الجسد؟ هل هو مثل جسده البشرى الذى فى القبر؟ أم أن الشهيد حيٌّ بطريقة أخرى؟ وما معنى "أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"؟ هل يُرْزَقُونَ طعام وشراب؟ أم شىء آخر؟ وما معنى أن يغفر الله جميع ذنوب الشهيد؟ يعنى لو مثلاً تاجر مخدرات دخل الجيش وحارب "في سبيل الله" ومات فجأة قبل أن يتوب، هل سيغفر الله له تجارة المخدرات؟! وهل الله أصلاً يحتاج لمَن يقاتل فى سبيله؟!

للأسف وكالعادة لم يجب القرآن على هذه الأسئلة الهامة، فكانت النتيجة الطبيعية هو أن المفسرين سرحوا بخيالهم وقالوا كلاماً عجيباً، لدرجة أننا نجد فى كتب التفسير (الطبرى والقرطبى وابن كثير وغيرهم) رأياً سائداً يقول إن الشهداء أحياءٌ عند ربهم بمعنى أن أرواحهم فى صُوَر طيرٍ بيضٍ (white birds) – أو طيرٍ خُضْرٍ (green birds) – يطيرون فى الجنة ويأكلون ما شاءوا مِن ثمارها[2143]! وهكذا استطاع مَن

قال ذلك أن يُوفِّق بذكاءٍ يُحسَد عليه بين حياة الشهداء ورزقهم فى الجنة (كما يقول القرآن وجمهور المسلمين) وبين بقاء أجسادهم البشرية فى القبور (كما يقول العقل والواقع)!

وتوجد آراء أخرى مختلفة[2144] نذكر منها على سبيل المثال:

- أن الشُّهَدَاء عَلَى نَهْر بِبَابِ الْجَنَّة فِي قُبَّة خَضْرَاء أو فِي رَوْضَة خَضْرَاء، يَخْرُج عَلَيْهِمْ رِزْقهمْ مِنْ الْجَنَّة بُكْرَة وَعَشِيًّا؛
- وقيل وَكَأَنَّ الشُّهَدَاء أَقْسَام أو طبقات مِنْهُمْ مَنْ تَسْرَح أَرْوَاحهمْ فِي الْجَنَّة وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُون عَلَى هَذَا النَّهَر بِبَابِ الْجَنَّة، أو فى أوقات مختلفة؛
- وقيل إن حياة الشهداء "ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به الحيوانات، وأنما هى أمر لا يدرك بالعقل بل الوحى، وعن الحسن (إن الشهداء أحياء عند ربهم تُعرَض أرزاقُهم على أرواحهم، فيصل إليهم الرَّوْحُ والفَرَحُ، كما تُعرَض النار على أرواح آل فرعون غدواً وعشياً فيصل إليهم الألم والوجع)"[2145]؛
- وقيل إن (البقرة 154) "فيها تأويلان: أحدهما: أنهم ليسوا أمواتاً وإن كانت أجسامهم أجسام الموتى بل هم عند الله أحياء النفوس منعّمو الأجسام. والثانى: أنهم ليسوا بالضلال أمواتاً بل هم بالطاعة والهدى أحياء، كما قال تعالى: "أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا" [الأنعام 122] فجعل الضالَّ ميتاً، والمُهْتَدِىَ حياً. ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أنهم ليسوا أمواتاً بانقطاع الذكر" بل أحياء ببقائه وثبوت الأجر[2146]؛
- وقيل إن الذين قُتِلوا فى سبيل الله أحياء "فى قبورهم حياة روحية"[2147].

وعملاً بالقول الإسلامى الشهير "اَللَّه أَعْلَم"، أعلن فريق من المفسرين – لا سيما المفسرين المحدثين – عجزَهم أمام هذه الآيات، وفوَّضوا العلم بأمر حياة الشهداء ورزقهم إلى الله وحده! فنجد تفسيرات مثل:

- الشهداء أحياءٌ "حياةً استأثر الله بعلمها، يُرزَقُون عند ربهم رزقاً حسناً يعلمه هو."[2148]؛
- الشهداء "أحياء حياة طيبة فى عالم سِوى عالمنا، وبكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى"[2149]؛
- الشهداء "يُرزَقون مِن أنواع النعيم الذى لا يعلم وصفه، إلا مَن أنعم به عليهم"[2150]؛
- "حياة الشهداء عند ربهم حياة تكريم مصحوبة برزق من الله وفضل منه عليهم، وعلينا أن نفوِّض كيفية هذه الحياة وكُنهها إليه سبحانه؛ لأنها حياة من نوع معين لا يعلمها إلا علام الغيوب"[2151]؛
- بل نهانا الشيخ الشعراوى عن مجرد المحاولة أن نعرف كيف يكون الشهداء أَحْيَاء عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، إذ يقول: "ولأن هذه الحياة حياة الشهداء أخفى الله سبحانه عنا تفاصيلها لأنها من حياة الآخرة .. وهى غيب عنا [...] أما كيف؟ قلنا إن الغيب ليس فيه كيف .. لذلك لن تعرف وليس مطلوباً منك أن تعرف. [...] وما دام تعالى قال: "لا تشعرون" فلا تحاول أن تدركها بشعورك وحسك لأنك لن تدركها"[2152].

تعليقنا: هل هذه الانهزامية (defeatism) مقبولة فى القرن الحادى والعشرين؟! ولا أدرى ما الذى يجعلنا متأكدين أن (البقرة 154) تقول "لا تشعرون"؟ أليس محتملاً أن يكون أصلها "لا يشعرون" لكن حين وُضعِت النقط على الحروف أصبحت "لا تشعرون"؟ بل إن "لا يشعرون" أرجح إذ أنها تتلاءم أكثر مع الرأى السائد الذى يقول إن أرواح الشهداء فى صُوَر طيرٍ (birds) يطيرون فى الجنة، أى أن أجساد الشهداء فى قبورهم "لا يشعرون" بالحياة والنعيم الذى تتمتع به أرواحهم فى الجنة.

على أى حال، بما أن المسلمين لا يعلمون كيف يحيا شهداؤهم وكيف "يُرزَقون" عند ربهم، فسوف يقتصر حديثنا على الفكرة نفسها؛ وهى فكرة أن الشهيد ليس بميت بل هو حيٌ حياة أبدية ينالها بعد استشهاده مباشرة. السؤال: من أين أتى أصحاب القرآن بهذه الفكرة؟ الإجابة: بكل تأكيد، هذه الفكرة ليست جديدة، إذ لها جذور عميقة فى تراث الديانتين اليهودية والمسيحية والتراث المسيحى السريانى ....

نبدأ أولاً بتراث الديانة اليهودية. وتحديداً سفر المكابيين الثانى (2 Maccabees) وهو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) - التي تُعْرَف أيضاً باسم آخر هو "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) - ويرجع تاريخه إلى القرن الثانى قبل الميلاد – أى قبل ظهور الإسلام بأكثر من 700 سنة. نجد فى الإصحاح السابع مِن هذا السفر قصة "استشهاد الأم وأولادها السبعة" (Martyrdom of seven brothers and their mother) (2 مكابيين 7:1-41)[2153]. تتحدث هذه القصة عن استشهاد سبعة أبناء واحداً تلو الآخر على يد الملك "أنطيوخُس" (Antiochus). كان الملك يأمر كل ابن منهم أن يخالف الشريعة اليهودية (بأن يأكل لحم الخنزير مثلاً). ولمَّا يرفض هذا الابن ويتمسك بشريعة الله، يقوم الملك بتعذيبه تعذيباً شديداً حتى الموت أمام إخوته وأمام الأم، حتى استشهدوا جميعاً. ونلاحظ من الكلمات التى قالها الأبناء قبل موتهم ثقتَهم القوية بأن الله سوف يجازيهم ويعطيهم حياة أبدية مكافأة لهم على موتهم شهداء. فمثلاً قال الابن الثانى قبل استشهاده: "أيها [الملك] المجرم، بإمكانك أن تأخذ منا حياتنا هذه، ولكن مَلِك العالمين سيقيمنا لحياة أبدية، إذا متنا فى سبيل شريعته" (2 مكابيين 7:9). وقال الابن الأصغر قبل استشهاده: "وأما أنت أيها [الملك] الكافر، يا أخبث البشر، فلا تتكبر ولا تنتفخ بآمالك الكاذبة وأنت ترفع يدك على عبيد الرب. لأنك لن تفلت من يد الله القدير الذى يرى كل شيء. وإخوتنا هؤلاء صبروا على آلام قصيرة لتكون لهم حياة أبدية، وَهُم الآن فى عهدة الله" (2 مكابيين 7:34-35). ونلاحظ هنا كلمة "الآن" (now) التي تجعلنا نقول إن سفر المكابيين الثاني قد يكون أقدم نص من تراث الديانات الإبراهيمية يلقي ضوءاً على أن الشهيد ليس بميت بل هو حيٌ حياة أبدية ينالها بعد استشهاده مباشرة (Immediate Retribution)[2154].

ننتقل الآن إلى التلمود البابلي (Babylonian Talmud)، الذي جُمِع في القرن الخامس أو السادس الميلادي[2155][2156]، أي قبل ظهور الإسلام. تحدث هذا التلمود عن الأبرار الذين رغم موتهم نُسمِّيهم أحياء

وعن الأبرار الذين يقيمهم الله القدوس (the righteous who in their death are called living) ولا يعيدهم إلى التراب (The righteous, whom the Holy One, blessed be He, will resurrect, will not revert to dust)[2157].

بمرور الزمن تطورت الفكرة وأصبحت أكثر وضوحاً فى الديانة المسيحية التى وَصَفت أول شهيد فى التوراة وهو "هابيل" ابن آدم (Abel) بأنه "وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمْ بَعْدُ" (العبرانيين 4:11). ثم نجد في الإنجيل قصة اللص التائب الذي قال ليسوع المسيح وهو مُعلَّق على الصليب: "اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ". فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لوقا 23:42-43). لاحظ كلمة "اليوم" (today) التى تدل على "الجزاء المباشر" أو "الثواب الفورى" (Immediate Retribution) فى "الفردوس" (Paradise).

والفردوس هو مكان تذهب إليه أرواح المؤمنين الأبرار (ومِن بينهم الشهداء) بعد الموت مباشرة، أى مباشرة بعد انفصال الروح عن الجسد عند موت الإنسان؛ وهو مكان راحة وفرح ونعيم، إذ ينعم أصحاب الفردوس بالوجود مع الله والمسيح. قال يسوع المسيح: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (الرؤيا 2:7). والإشارة هنا إلى شجرة الحياة (Tree of Life) يُذكِّرنا بـ "جنة عدن" (Garden of Eden) حيث كان الإنسان يحيا فى شركة عظيمة وكاملة مع الله قبل دخول الخطيئة إلى العالم: "وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ" (التكوين 2:8-9).

إذن فى المسيحية: الشهيد ليس بميت بل هو حيٌ فى الفردوس بروحه فقط، بينما يظل جسده فى القبر. يقول العهد القديم: "فَيَرْجِعُ التُّرَابُ إِلَى الأَرْضِ كَمَا كَانَ، وَتَرْجِعُ الرُّوحُ إِلَى اللهِ الَّذِي أَعْطَاهَا" (الجامعة 12:7). ويقول العهد الجديد: "اَلرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ. وَلَيْسَ هُوَ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاءٍ (بالرغم من موتهم بالجسد)، لأَنَّ الْجَمِيعَ عِنْدَهُ أَحْيَاءٌ (بأرواحهم)" (لوقا 20:37-38) و (متي 22:31-32) و (مرقس 12:26-27). ولذلك فإن الفردوس يُسمَّى "حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ" (Abraham's bosom) (لوقا 16:19-31). ويُسمَّى الفردوس أيضاً بأسماء أخرى مثل "السماء الثالثة" (The third heaven) (2 كورنثوس 12:1-4).

أما كلمة "فردوس" فهى كلمة فارسية الأصل وتعنى بستان أو حديقة أو جنينة (جنة)، وأطلقت فى الترجمة السبعينية (اليونانية) على "جنة عدن" (Garden of Eden) (التكوين 2:8) التى سكن فيها آدم وحواء قبل سقوط الإنسان[2158]. وقد يكون هذا هو السبب الذى جعل أصحاب القرآن يستخدمون كلمة "الفردوس" للإشارة إلى الجنة فى القرآن المكى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ

نُزُلًا" (الكهف 107) و "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ [...] أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (المؤمنون 1-11).

لكن الفرق بين "فردوس" الإسلام و "فردوس" المسيحية هو أن فردوس الإسلام مكان خلود أبدى (قيل فى أعلى الجنة وقيل غير ذلك) ينعم أصحابه بلذات جسدية: أكل وشرب وجنس ... الخ! أما فردوس المسيحية فهو مكان انتظار مؤقت لأرواح المؤمنين الأبرار، أى أنه مكان نعيم للروح فقط دون الجسد. وبالنسبة لأرواح غير المؤمنين والأشرار فإن لها مكان انتظار مؤقت آخر بعد خروجها من الجسد عند الموت. يُسمَّى هذا المكان (Hades) وهي كلمة يونانية تُترجَم إلى "الهاوية" أو "الجحيم" (Hell)، وهو مكان آلام وعذاب للروح فقط دون الجسد الذى يظل فى القبر بدون عذاب. (لا يوجد عذاب القبر ولا نعيم القبر فى المسيحية.)

تظل أرواح المؤمنين الأبرار منتظرة فى نعيم الفردوس، بينما أرواح غير المؤمنين والأشرار منتظرة فى عذاب الهاوية، حتى المجيء الثاني للمسيح. ثم تحدث القيامة العامة (Resurrection) لجميع الأموات (المؤمنين وغير المؤمنين، الأبرار والأشرار)، أى عودة الروح إلى الجسد ليقوم. ثم تعقبها الدينونة العامة (Judgment) التى تنتهى بعبارة: "فَيَمْضِي هؤُلاَءِ (أى: الأشرار وغير المؤمنين) إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ (فى جهنم (Gehenna)) وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (متى 25:46). إنها الحياة الأبدية والنعيم الأبدى فى ملكوت السماوات، الملكوت الروحى الذى اشتهاه اللص التائب حين قال ليسوع وهو مُعلَّق على الصليب: "اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ". فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ». (لوقا 23:42-43). إذن: كما قال البابا شنوده الثالث: "الفردوس هو عربون الملكوت. الذى يدخل الفردوس سيدخل الملكوت"[2159]. ويجب هنا التأكيد على أننا فى ملكوت السماوات سيكون لنا أجسام روحانية سماوية (1 كورنثوس 15:42-50) كأجسام الملائكة (متى 22:30؛ مرقس 12:25؛ لوقا 20:34-36)؛ ذلك لأننا سنقوم على صورة الجسد المُمجَّد الذى قام به المسيح (فيلبى 3:20-21)، وليس بأجسادنا البشرية الدنيوية المادية. إذن: لا يوجد أكل ولا شرب ولا جنس فى الملكوت. فإذ نكون فى حضرة الله والمسيح والقديسين والشهداء وسائر المؤمنين الأبرار، هل نحتاج إلى أكل أو شرب أو جنس أو أى شهوة أخرى؟ بالطبع لا.

هذا ما يتعلق بالمؤمنين الأبرار بصفة عامة. أما فيما يتعلق بالشهداء بصفة خاصة، فلن نجد أفضل مما قاله الكتاب المقدس عن أعظم شهيد فى المسيحية، بل أعظم شهيد فى التاريخ، الشهيد الذى يتكلَّم دمه مطالباً بأفضل مما يطالب به دم الشهيد الأول "هابيل" (العبرانيين 12:24)[2160]. إنه الشهيد يسوع المسيح[2161] الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، صُلِب وتألَّم ومات وقُبِر وقام من الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء، كما يقول قانون الإيمان وكما سبق وشرحنا، فأغنى ذلك عن إعادته هنا. ويكفى أن يسوع المسيح قال: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ" (يوحنا 11:25-26).

ثم نذكر بعده القديس "استفانوس" (Saint Stephen) أول شهيد فى التاريخ المسيحى. بل إن القديس لوقا – كاتب إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل – قدَّم الشهيد استفانوس كما لو كان مسيحاً ثانياً (second Christ) أو مسيحاً جديداً (new Christ). فكما قال المسيح قبل موته على الصليب: "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ (أى: لمَن صلبوه)، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا 23:34)؛ كذلك قال الشهيد استفانوس قبل موته رجماً: "يَارَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ (أى: لمَن رجموه) هذِهِ الْخَطِيَّةَ" (أعمال الرسل 7:60). وكما قال المسيح قبل أن يُسلِم روحه: "يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي" (لوقا 23:46)؛ كذلك قال الشهيد استفانوس قبل أن يُسلِم روحه: "أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ، اقْبَلْ رُوحِي" (أعمال الرسل 7:59). فكانت مكافأة الشهيد استفانوس هى أنه رأى السماوات مفتوحة ورأى يسوع قائماً عن يمين الله: "وَأَمَّا هُوَ (أى: الشهيد استفانوس) فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ. فَقَالَ:«هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً، وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ»" (أعمال الرسل 7:55-56).

ومن الجدير بالذكر أن كلمة "استفانوس" كلمة يونانية تعنى "إكليل" (crown)؛ ومِن ثم أصبح الإكليل هو رمز الشهيد منذ فجر المسيحية إلى اليوم. فكما ارتدى يسوع المسيح إكليلاً من شوك قبل موته على الصليب (متى 27:29؛ مرقس 15:17؛ يوحنا 19:2) وسيرتدى إكليلاً من ذهب باعتباره المَلِك الديَّان يوم الدينونة (الرؤيا 14:14)، فإن الشهيد سيرتدى "إكليل الشهادة" أو "إكليل الحياة" الذى بشَّر به يسوع المسيح قائلاً: "لاَ تَخَفِ الْبَتَّةَ مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ. هُوَذَا إِبْلِيسُ مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضًا مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا، وَيَكُونَ لَكُمْ ضِيْقٌ عَشَرَةَ أَيَّامٍ. كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ" (الرؤيا 2:10).

ومما يدل على المنزلة الرفيعة والمكانة العالية التى يحظى بها الشهداء الذين قدَّموا أنفسهم ذبائح لله هو أن أرواحهم تستريح تحت المذبح إلى يوم الدينونة حين يأتى المسيحُ الديَّان ويدين مَن قتلهم، كما قال القديس يوحنا فى سفر الرؤيا: "رَأَيْتُ تَحْتَ الْمَذْبَحِ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُمْ، وَصَرَخُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ:«حَتَّى مَتَى أَيُّهَا السَّيِّدُ الْقُدُّوسُ وَالْحَقُّ، لاَ تَقْضِي وَتَنْتَقِمُ لِدِمَائِنَا مِنَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ؟» فَأُعْطُوا كُلُّ وَاحِدٍ ثِيَابًا بِيضًا، وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ يَسْتَرِيحُوا زَمَانًا يَسِيرًا أَيْضًا حَتَّى يَكْمَلَ الْعَبِيدُ رُفَقَاؤُهُمْ، وَإِخْوَتُهُمْ أَيْضًا، الْعَتِيدُونَ أَنْ يُقْتَلُوا مِثْلَهُمْ" (الرؤيا 6:9-11). ونلاحظ هنا أيضاً الجذور المسيحية للفكر الإسلامى بصفة عامة والقرآن بصفة خاصة:

- الشهداء "تَحْتَ الْمَذْبَحِ [...] وَصَرَخُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ [...] فَأُعْطُوا كُلُّ وَاحِدٍ ثِيَابًا بِيضًا، وَقِيلَ لَهُمْ [...]" (الرؤيا 6:9-11) **[⟵ الشهداء "أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (آل عمران 169)]**.

- الشهداء "أُعْطُوا كُلُّ وَاحِدٍ ثِيَابًا بِيضًا" (الرؤيا 6:11) **[⟵ تقول كتب تفسير القرآن إن أرواح الشهداء فى صُوَرِ طيرٍ بيضٍ!]**.

- "قِيلَ لَهُمْ (أي: للشهداء) أَنْ يَسْتَرِيحُوا زَمَانًا يَسِيرًا أَيْضًا حَتَّى يَكْمَلَ الْعَبِيدُ رُفَقَاؤُهُمْ، وَإِخْوَتُهُمْ أَيْضًا، الْعَتِيدُونَ أَنْ يُقْتَلُوا مِثْلَهُمْ" (الرؤيا 11:6) **[← الشهداء "فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (آل عمران 170)]**.

خلال القرون الستة الأولى للميلاد، مات العديد من الشهداء المسيحيين نتيجة الاضطهادات والصراعات التى تحدثنا عنا سابقاً. ولذلك أصبحت فكرة أن الشهيد ليس بميت بل هو حيٌ حياة أبدية ينالها بعد استشهاده مباشرة، فكرة حاضرة بقوة فى الفكر المسيحى بصفة عامة وفى الفكر المسيحى السريانى بصفة خاصة سواء السريانى الشرقى (النسطورى) أو السريانى الغربى (اليعقوبى). ولقد أعطى (Prof. Gabriel Said Reynolds) أمثلة كثيرة على ذلك، وسنكتفى هنا بذِكر مثال واحد يؤكد صلة القرابة القوية بين القرآن والتراث المسيحى السريانى الشرقى (النسطورى)، حتى فى اختيار الكلمات للتعبير عن الفكرة![2162]:

> [T]here is some reason to think that on the question of martyrs the Quran is particularly in conversation with the Syriac Christian tradition, for even the language of the Quran is cognate to that of the Syriac fathers. For example, speaking of the martyrs the East Syrian (“Nestorian”) Mar Jesse (d. late 6th cen.) comments: “People believed that they are dead. But their death killed their sin and they are living in the presence of God (be-ḥayyê lewat alaha)” As Andrae points out, this pious reflection, even in its vocabulary, anticipates the declaration of the Quran: “Do not think those who were killed in the path of God dead. They are alive and receive sustenance with their Lord (bal aḥya’un ؏inda rabbihim yurzaqūn)” (Q 3.169).
>
> Furthermore, Jesse’s comments give a clear explanation for the martyrs’ privilege: The sufferings of their martyrdom achieve expiation of sins (“their death killed their sin”). For the Quran too the martyr’s suffering is itself a redemptive sacrifice: “And if you are killed or die in the path of God? The forgiveness and mercy of God is better than that which they might gather” (Q 3.157).

الخلاصة: فكرة أن الشهيد ليس بميت بل هو حيٌ حياة أبدية ينالها بعد استشهاده مباشرة ليست فكرة جديدة، فلقد كانت معروفة قبل ظهور الإسلام بمئات السنين. إذن: الآيات التى ذكرها أصحاب القرآن فى هذا الموضوع ليست وحياً من الله، وإنما هى مجرد تطور بشرى طبيعى (natural human development) لهذه الفكرة. لكن المشكلة هى أن أصحاب القرآن طوَّروا هذه الفكرة حتى تُشجِّع المسلمين على القتال فى الحروب والغزوات فى الفترة المدنية؛ والدليل على ذلك هو أن معظم هذه الآيات آيات مدنية. وما زال الإرهاب الإسلامي – بكافة صوره وأشكاله الرسمية وغير الرسمية – يستخدم هذه الآيات القرآنية المدنية ويثبت لنا جميعاً أننا ما زلنا نعاني بسببها إلى اليوم!

3.7 التوحيد

يتباهى المسلمون بأن الإسلام دين التوحيد (monotheism). بالفعل، يؤكد القرآن في العديد من الآيات على التوحيد المطلق (التوحيد الخالص). ولا داعي لحصر كل هذه الآيات فهي كثيرة جداً، وسنكتفي بالسورة رقم 112 التي قيل عنها إنها "ثلث القرآن": "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" (الإخلاص 1-4)[2163].

صحيح أن الله في الإسلام واحد، لكن هذه الفكرة ليست جديدة على الاطلاق فهي معروفة قبل ظهور الإسلام بأكثر من 2000 سنة!

وسنقسِّم حديثنا في هذا الفصل إلى قسمين. أولاً: التوحيد في الديانات الإبراهيمية. ثانياً: التوحيد في الديانات غير الإبراهيمية.

3.7.1 التوحيد في الديانات الإبراهيمية

3.7.1.1 التوحيد في الديانة اليهودية وتراثها

أكد العهد القديم في مواضع كثيرة جداً على عبادة الإله الواحد الأحد الذي لا شريك له. نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر: الوصية الأولى من الوصايا العشر لموسى "أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ [...]. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي" (الخروج 20:2-3) **[← لا إله إلا الله وحده لا شريك له]**. اقرأ أيضاً "لِذلِكَ قَدْ عَظُمْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُكَ وَلَيْسَ إِلهٌ غَيْرَكَ" (2 صموئيل 7:22)؛ "هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ، رَبُّ الْجُنُودِ: «أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ **[← "هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ" (الحديد 3)]**، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي **[← "لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" (البقرة 163، 255) (آل عمران 2، 6، 18) (النساء 87) (الأنعام 102، 106) (الأعراف 158) (التوبة 31، 129) (هود 14) (الرعد 30) (طه 8، 98) (المؤمنون 116) (النمل 26) (القصص 70، 88) (فاطر 3) (الزمر 6) (غافر 3، 62، 65) (الدخان 8) (الحشر 22، 23) (التغابن 13) (المزمل 9)]**. وَمَنْ مِثْلِي؟ **[← "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشورى 11)]**" (إشعياء 44:6-7). ومن "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) / "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha): (يشوع بن سيراخ 36:2).

أما الآية المحورية الدالة على التوحيد المطلق الخالص فهي في سفر التثنية: "اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ (أي: يا شعب إسرائيل): الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ (The LORD is our God, the LORD alone)" (التثنية 6:4). ونظراً لشهرتها الواسعة وأهميتها الكبرى في الصلوات اليهودية إلى اليوم، تُعرَف هذه الآية المهمة اختصاراً بِاسْم "اِسْمَعْ" (The Shema).

علماً بأن هذا الإيمان بالتوحيد المطلق قد تطوَّر بمرور الزمن. يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "فالشعب العبرانيّ مثلاً عرف الربَّ [يهوه] على أنه إلهه الخاص، كما المَلِك مَلِكه الخاص. في محطة ثانية، اعتبر أنَّ إلهه يتفوَّق على جميع آلهة الأرض. هو إله الحروب الذي لا يُقْهَر. وبعد السبي، يكون الربُّ هو الإله الواحد. أما سائر الآلهة فأصنام من خشب وحجر، لها عيون ولا ترى، لها آذان ولا تسمع. هي لا تستطيع أن تخلِّص نفسها فيجب أن تُحْمَل وتُهرَّب لئلا يسرقها العدوّ"[2164].

3.7.1.2 التوحيد في الديانة المسيحية وتراثها

أكد العهد الجديد في مواضع كثيرة على عبادة الإله الواحد الأحد. نذكر منها على سبيل المثال الصلاةَ التي صلّاها يسوعُ المسيح لله الآب: "**أَيُّهَا الآبُ**، [...]. وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ **أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ** (The only true God) وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يوحنا 17:1-3).

ملحوظة: سنناقش عقيدة "التثليث" بالتفصيل في فصل مستقل. ويكفي هنا أن نقول إن المسيحيين المؤمنين بعقيدة التثليث يقولون إنها – إذا فُهِمَتْ فهماً صحيحاً – لا تتعارض مع عقيدة التوحيد! أما نحن فلا نؤمن بعقيدة التثليث، ونرى أنها جرحٌ جرحته المسيحيةُ لنفسها بنفسها (Christianity's Self-Inflicted Wound)[2165]، ومِن ثم نرى أن المسيحية الحقيقية ديانة توحيدية 100% مثل اليهودية تماماً. ولا نعتقد أن يسوع المسيح نفسه كان مؤمناً بالثالوث النيقاوي-القسطنطيني. ويكفينا أن يسوع المسيح ردد حرفياً آيةَ "اِسْمَعْ" في الإنجيل: "إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (مرقس 12:29). مما يؤكد أن الشاب اليهودي يسوع المسيح كان مؤمناً بالتوحيد اليهودي المطلق الخالص، ولم يكن مؤمناً بالثالوث النيقاوي-القسطنطيني الذي اختطف المسيحيةَ في القرن الرابع الميلادي.

3.7.1.3 الحنيفية (Hanifism) أو ما يُسمَّى "دين إبراهيم"

الدليل مِن المراجع الإسلامية على أن التوحيد كان معروفاً عند العرب في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام هو التوحيد عند "الحنفاء" (أو: "الأحناف") الذين تحدثنا عنهم فيما سبق كأشخاص مُوحِّدين (monotheists)، لكن ليسوا يهوداً ولا نصارى (مسيحيين). وإنْ كان بعض الحنفاء قد مالوا إلى النصرانية، مثل "ورقة بن نوفل" الذي التمس الحنيفية ثم استحكم في النصرانية. وبعد ظهور الإسلام، مال بعض الحنفاء إليه، مثل "عبيد الله بن جحش" الذي اعتنق الإسلام ثم تركه واعتنق النصرانية[2166].

أما الآن فحديثنا عن "الحنيفية" نفسها. كعقيدة. ما أصلها؟ هل هي حقاً "دين إبراهيم" المزعوم؟ وأسئلة أخرى نحاول الإجابة عليها في الصفحات التالية ...

3.7.1.3.1 مِن توحيد الحنيفية إلى توحيد الإسلام

نؤكد من البداية أنه لا يهمنا إن كان "دين إبراهيم" ديناً تاريخياً حقيقياً أم مجرد أسطورة مِن الأساطير الكثيرة التي ألفها العرب عن جدهم الأكبر "إبراهيم" المزعوم. ما يهمنا هو أن الحنيفية عقيدة توحيدية (monotheist)، أي أن العرب قد عرفوا التوحيد قبل الإسلام، فهذا هو موضوعنا. أي: ما يهمنا هو أن هذه العقيدة العربية التوحيدية – التي تُسمَّى "الحنيفية" – كانت إحدى الخطوات التمهيدية لظهور الإسلام.

ومِن حُسن الحظ أن القرآن نفسه قد أقر أن الحنيفية عقيدة توحيدية، إذ قال القرآنُ على لسان إبراهيم بعد أن رفض عبادةَ الأوثان والأصنام والكواكب (النجوم) والقمر والشمس: "قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 78-79) (مكية). وفى نفس السورة نسب القرآنُ الحنيفيةَ إلى إبراهيم وأسماها "مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ"[2167]: "قُلْ [يا محمد] إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (orthodox) دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 161) (مكية)؛ ونلاحظ فى هذه الآية أن القرآن وصف دينَ إبراهيم بعبارة "صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ"، وهي نفس العبارة التي يرددها كل مسلم إلى اليوم حين يقرأ سورة الفاتحة في كل صلاة: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" (الفاتحة 6)[2168]. وكذلك في سورة النحل، ربط أصحابُ القرآن بين الحنيفية (دين إبراهيم) والإسلام (دين محمد)، بل أوحوا إلى محمد أن يتبع "مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ": "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً (nation)[2169] قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ [يا محمد] أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (النحل 120-123) (قيل: مكية؛ وقيل: مدنية). اقرأ أيضاً: "قُلْ [يا محمد] يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي [وهو الإسلام] فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (يونس 104-105) (مكية). وفى سورة الروم، وصف أصحابُ القرآن الحنيفيةَ بعبارة "فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا" (الروم 30) (مكية)، التي تحولت فيما بعد إلى إحدى صفات الإسلام، الذي يُسمِّيه المسلمون إلى اليوم "دين الفطرة"[2170]، كما يُسمونه أيضاً "الدين الحنيف" أو "الدين الإسلامي الحنيف". مما يؤكد العلاقة القوية بين "الحنيفية" و "الإسلام" التي تصل إلى درجة الترادف (synonymity; interchangeability) بل التطابق (identity).

مما سبق يتضح أنه بغض النظر عن كَوْن "إبراهيم" شخصية حقيقية أم خيالية أم مزيج مِن الحقيقة والخيال، فإن ما يهمنا هو أن القرآن نفسه يعترف بأن الحنيفية دين توحيد وأن الإسلام (دين محمد) هو مجرد امتداد للحنيفية (دين إبراهيم) أو هو نفسه الحنيفية. أما نحن فنقول: الإسلام هو مجرد تطور ثقافي طبيعي (natural cultural evolution) للحنيفية.

إلى هنا، لا توجد مشكلة. فلقد أراد أصحابُ القرآن أن يجعلوا دينَ محمد هو دين إبراهيم، ودينَ إبراهيم هو دين محمد. وهذا أمر مفهوم؛ فلا بد مِن البحث عن تاريخ قديم (prehistory) وجذور قديمة ومحترمة

لهذه الديانة الجديدة (الإسلام)، ولا يوجد أفضل مِن "إبراهيم" للقيام بهذه المهمة، فهو "رَئِيسُ الآبَاءِ" (patriarch) (العبرانيين 4:7) وأبو الأنبياء وأول مَن وُصِف بكلمة "نبي" (prophet) في الكتاب المقدس (التكوين 7:20). بل يُعتقَد أن الآية الشهيرة "«لاَ تَمَسُّوا مُسَحَائِي (my anointed)، وَلاَ تُسِيئُوا إِلَى أَنْبِيَائِي»" (المزامير 15:105) تشير إلى إبراهيم (التكوين 7:20) و/أو ابنه إسحاق (التكوين 11:26).

المشكلة هي أنه بمرور الزمن – وتحديداً في الفترة المدنية – بالغ أصحابُ القرآن في الربط بين الحنيفية والإسلام لدرجة أنهم فصلوا عملياً بين دين إبراهيم والأديان الإبراهيمية الأخرى (اليهودية والمسيحية)! أو بعبارة أكثر دقة: فصلوا عملياً بين إبراهيم وأتباع الأديان الإبراهيمية الأخرى (اليهود والنصارى)[2171]! نرى ذلك في آيات مدنية مثل:

- "وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (البقرة 135). ولقد فسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية هذه الآية الهامة كما يلي: "فيقول لكم اليهود: كونوا يهوداً تهتدوا إلى الطريق القويم، ويقول النصارى: كونوا نصارى تهتدوا إلى الحق المستقيم، فلتردوا عليهم بأننا لا نتبع هذه الملة ولا تلك، لأن كلتيهما قد حُرّفَتْ وخرجت عن أصولها الصحيحة، ومازجها الشرك، وبعدت عن ملة إبراهيم، وإنما نتبع الإسلام الذى أحيا ملة إبراهيم نقية طاهرة"[2172]! ملحوظة: هذا الكلام مكتوب في كتابٍ واسع الانتشار وأصدره مجلسٌ تابع لوزارة من وزارات الحكومة المصرية في القرن الواحد والعشرين!
- وبدأت كلمة "مسلم" تظهر بعد كلمة "حنيف" مباشرة: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ (أي: اليهود والنصارى) لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ (أي: كيف تتنازعون ويجادل كل منكم في أن إبراهيم كان على ملته؟!) وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ (أي: جادلتم؛ تنازعتم) فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ [مِن أمر دينكم، مما تعتقدون صحته في كتبكم] فَلِمَ تُحَاجُّونَ (أي: تُجَادلونَ؛ تتنازعون) فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ [مِن أمر دين إبراهيم] ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ (أي: أحق الناس) بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ [في زمانه] وَهَٰذَا النَّبِيُّ (أي: محمدٌ) وَالَّذِينَ آمَنُوا [بمحمد] ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (أي: الحنفاء؛ المسلمين) (آل عمران 65-68).
- "وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ (أي: أوهامهم؛ their fancies) قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ (أي: أخلص الألوهيةَ والربوبية والعبادة والطاعة بالكامل لله وحده لا شريك له[2173]؛ devotes his whole self to God exclusively) وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ [في مستقبلهم؛ في الآخرة] وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [على ما مضى؛ على ما فاتهم؛ في الدنيا][2174]" (البقرة 111-112)؛ "وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ (أي: الإسلام) هُوَ الْهُدَى" (البقرة 120)؛ "أَمْ

تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ[2175] وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ [لهم يا محمد] أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ [بدينهم] أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" (البقرة 140). ويقول التفسير الميسر الذي أعده نخبةٌ من العلماء تحت إشراف وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية والمشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: "قل لهم - أيها الرسول -: أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بدينهم أَمِ اللَّهُ تعالى؟ وقد أخبر في القرآن بأنهم كانوا حنفاء مسلمين"[2176]! "تِلْكَ أُمَّةٌ [مِن أسلافكم] قَدْ خَلَتْ (أي: قد مضَتْ)ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ (أي: لهم أعمالهم ولكم أعمالكم)ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [ولا هُمْ يُسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ]" (البقرة 141). "وفي الآية قطع للتعلق بالمخلوقين، وعدم الاغترار بالانتساب إليهم، وأن العبرة بالإيمان بالله وعبادته وحده، واتباع رسله، وأن من كفر برسولٍ منهم فقد كفر بسائر الرسل"[2177]. ولقد كان اليهود قبل الإسلام، بل مِن قَبْل المسيحية، يفتخرون بالفعل بانتسابهم لإبراهيم (كما سنرى بعد قليل)، فأراد أصحابُ القرآن أن يقولوا لهم إن انتسابهم لإبراهيم لن ينفعهم بشيء، وإنما المهم هو اتباع مِلة إبراهيم التي سمَّاها القرآنُ الحنيفية/الإسلام! أي: اتباع دين محمد! والكلامُ مُوجَّه للنصارى أيضاً، بدليل أن الآية التي تسبقها تقول: "أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى [...]" (البقرة 140).

وهذا يعني عملياً تقديم الإسلام/الحنيفية (دين محمد؛ مِلَّة إِبْرَاهِيمَ) كديانة بديلة (the true alternative) لتحل محل الديانتين اليهودية والمسيحية اللتين أصبحتا – مِن وجهة نظر المسلمين – ديانات "مُحرَّفة" وغير موثوق بها! أما الإسلام فصار دينَ جميع الأنبياء والرسل مِن آدم إلى محمد! بل صار الإسلامُ/الحنيفية "دينَ الحق" بل "دينَ الله" شخصياً! وهذا ما عبَّر عنه أصحابُ القرآن صراحةً في الآيات المدنية الشهيرة التي يحفظها كل مسلم:

- "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (آل عمران 19) – التي قرأها عبد الله بن مسعود "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الحنيفية"[2178]. "عن الضحاك: فى قوله: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" قال: لم أبعث رسولاً إلا بالإسلام"[2179]. وقال النحاس: "الإسلامُ فى اللغة: الخضوعُ والانقيادُ، ومنه استسلم الرجلُ. فمعنى أسلَمَ: خَضَعَ وقَبِلَ ما جاء به محمدٌ"[2180]. وقال سيد قطب: "الإسلام الذى هو الاستسلام والطاعة والاتباع [...] ولا إسلام بغير استسلام لله وطاعة لرسوله، واتباع لمنهجه، وتحكيم لكتابه فى أمور الحياة [...] وليس مجرد الاعتقاد بالقلب، ولا الشهادة باللسان"[2181]. وقال د. محمد سيد طنطاوى: "إن الشريعة التى ارتضاها الله لعباده هى شريعة الإسلام التى أرسل بها رسوله محمداً"[2182]. وكما توقّعنا، فإن تكملة الآية تنتقد أهل الكتاب: "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" (آل عمران 19). ويقول تفسير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "إن الدين الحق

المرضى عند الله هو الإسلام، فهو التوحيد والخضوع لله في إخلاص، وقد اختلف كل من اليهود والنصارى في هذا الدين فحرَّفوا وبدَّلوا ولم يكن اختلافهم عن شبهة أو جهل إذ جاءهم العلم، بل كان للتحاسد والتطاول، ومَن يجحد بآيات الله فلينتظر حساب الله السريع"[2183]! إذن: يزعم القرآنُ أن الإسلام/الحنيفية هو دين الله الأزلي-الأبدي؛ أما التوراة والإنجيل (اليهودية والمسيحية) فهي مجرد محطات على الطريق، لكنها انحرفت عن الطريق (الصراط المستقيم) بسبب اختلاف اليهود والنصارى "بَغْيًا بَيْنَهُمْ"، أي: ظلماً وحسداً، لأسباب دنيوية! وأشار القرآنُ في مواضع أخرى[2184] إلى الخلافات الدينية التي نشأت بالفعل في الشرق الأدنى القديم (Late Antique Near East) سواء بين اليهود والمسيحيين أو بين الفرق المسيحية المختلفة أو بين أهل الكتاب والمسلمين الأوائل؛ ولقد وصل بعضُها إلى حد الاقتتال. لكن القرآن يزعم أن هذا الاقتتال حدث بإرادة الله ومشيئته! "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم (أي: بَعْد الرسل) مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ [التي جاء بها المسيحُ] وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ" (البقرة 253)[2185]! ونحن نرفض هذا الفكر القرآني، ونؤكد أن ما حدث مِن خلاف واقتتال كان مِن إرادة الإنسان وليس مِن إرادة الله، لأن الله لا يريد إلا الحق والسلام فقط[2186]. فلا يمكن أن يريد اللهُ الضلال والحرب. لكن الله كان يعلم أن الاقتتال سيحدث، فهو مِن عِلم الله وليس مِن إرادة الله.

- "أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ (أي: الإسلام!) يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ (أي: استسلم surrender وانقاد وخضع submit) مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا (أي: طواعية؛ بإرادتهم) وَكَرْهًا (أي: رغماً عنهم!)[2187] وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ. قُلْ [لهم يا محمد] آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (أي: نتبع دينَ جميع هؤلاء الأنبياء والرسل، وهو الإسلام دين الله!). وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (آل عمران 83-85).
- "وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ (أي: انقاد بقلبه ولسانه وسائر جوارحه لله وحده) وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (a dedicated friend)" (النساء 125).
- "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ [محمداً] بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ (أي: الإسلام) لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ (أي: ليعليه على كل الأديان الأخرى!؛ لينصره على كل الملل المخالفة له!)"! تكررت 3 مرات في القرآن المدني: (التوبة 33) (الفتح 28) (الصف 9)! وفي كل مرة من تلك المرات الثلاث، نجد أن الآيات التالية تحرّض ضد أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين) بصفة خاصة (التوبة 34) أو ضد الكفار (غير المسلمين) بصفة عامة (الفتح 29) أو تدعو إلى الجهاد بالأموال والأنفس (الصف 10-11)! إنه إذن مخطط إسلامي واضح وصريح ومُعلَن ومكتوب 3 مرات منذ أكثر مِن 1400 سنة!

- "كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا (أي: حلالاً) لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ[2188] إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ[2189] مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا[2190] إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. قُلْ [لهم يا محمد] صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ[2191] حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 93-95). فكما لجأ أصحابُ القرآن إلى إبراهيم في المسائل العقائدية (مثل: التوحيد)، كذلك لجأوا إليه في المسائل التشريعية (مثل: الحلال والحرام مِن الأطعمة). إنه إذن مخطط شامل ليحل الإسلامُ/الحنيفيةُ (دينُ محمد؛ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ) محل الديانتين اليهودية والمسيحية[2192]!
- "الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ (أي: يَئِس الْكُفَّارُ أن تتركوا الإسلامَ) فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" (المائدة 3). وقيل إن محمد مات بعد هذا اليوم بفترة وجيزة[2193].

وأما أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بمحمد، فصاروا مثل الذين لا يؤمنون بجميع الأنبياء! فحسب العقيدة الإسلامية، الأنبياء متساوون في النبوة وفي ضرورة الإيمان بهم "لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ (أي: لا نؤمن - نحن المسلمين - ببعض الرسل وننكر بعضهم، بل نؤمن بهم جميعاً)" (البقرة 285) "لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة 136) "لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (آل عمران 84)؛ "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا. أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (أي: شديداً؛ مذلاً!). وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا" (النساء 150-152) (مدنية)[2194]. قال التفسير الميسر الذي أعده نخبةٌ من العلماء تحت إشراف وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية والمشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: "إن الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله بأن يؤمنوا بالله ويكذبوا رسله الذين أرسلهم إلى خلقه، أو يعترفوا بصدق بعض الرسل دون بعض، ويزعموا أن بعضهم افتروا على ربِّهم، ويريدون أن يتخذوا طريقاً إلى الضلالة التي أحدثوها والبدعة التي ابتدعوها. أولئك هم أهل الكفر المحقَّق الذي لا شك فيه، وأعتدنا للكافرين عذاباً يُخزيهم ويُهينهم"[2195]! وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري (الواعظ بالمسجد النبوي الشريف): "الكفر برسول، كفر بكل الرسل. فقد كفر اليهود بعيسى، وكفر النصارى بمحمد ﷺ فأصبحوا بذلك كافرين. وآمن المسلمون بكل الرسل فأصبحوا بذلك مؤمنين"[2196]! وقال الشيخ العثيمين: "ونرى أن مَن كفر برسالة محمد ﷺ إلى الناس جميعاً فقد كفر بجميع الرسل، حتى برسوله الذى يزعم أنه مؤمن به متبع له"[2197]!

أهلُ الكتاب – يهود ومسيحيون – الذين تعامل اللهُ معهم لفترة طويلة أكثر مِن 2000 سنة (هي المدة مِن موسى إلى محمد) تحولوا في لحظةٍ إلى "كفار" بل "هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا" لمجرد أنهم لا يؤمنون بمحمد! وبالتالي فإن مصيرهم "نَار جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (أي: شر الخليقة!)" (البينة 6): "لَمْ يَكُنِ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ (أي: منتهين عمَّا هُمْ فيه مِن كفرٍ وجهلٍ وغفلة) حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ. رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً. فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ. وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ. وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ (أي: الحنيفية/الإسلام) دِينُ الْقَيِّمَةِ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (أي: أشد الخليقة شراً!؛ شَرُّ الخليقة عقيدةً وعملاً!؛ يعني: أسوأ مِن الدواب والبهائم والحشرات[2198]!)" (البينة 1-6) (مدنية). ويقول الحديث الصحيح إن محمد قد قال: "والذى نفسُ محمدٍ بيده! لا يسمع بى أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلتُ به، إلا كان من أصحاب النار"[2199]! ويقول الشيخ العثيمين تعليقاً على هذا الحديث الهام: "فمَن ادعى أن دين اليهودية أو النصرانية أو غيرهما من الأديان مقبول عند الله الآن فهو كافر؛ لأنه مكذب بالقرآن: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ"". ويرى الشيخ العثيمين أنه مِن فوائد هذه الآية (آل عمران 19): "بيان ضلال أولئك القوم الذين إذا تكلموا عن الديانات، قرنوا بين دين الإسلام، واليهودية، والنصرانية، وقالوا: هذه هى الأديان السماوية؛ حتى إن الجاهل ليظن أن اختلاف الأديان الثلاثة كاختلاف المذاهب الفقهية فى الأمة الإسلامية. وهذا ضلال عظيم ومداهنة لليهود والنصارى، بل نقول: إن الأديان السماوية، اليهودية والنصرانية، كانت أدياناً مقبولة عند الله. أما الآن فقد نسخها الله عز وجل، وصار الدين السماوي المقبول الذى لا يمكن أن يشركه دين آخر، هو ما جاء به محمد ﷺ"[2200]!

لكن يجب هنا أن نلاحظ أنه في المقابل إذا رجعنا مرة أخرى إلى القرآن المكي، فسنجد أنه يمكن استنتاج أن دين جميع الأنبياء والرسل هو دين الشاب اليهودي عيسى/يسوع المسيح. وذلك لأن الآيتين "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ [...]. وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً (أي: دينكم دين واحد) وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ" (المؤمنون 51-52) جاءتا بعد ذِكر مريم العذراء وابنها المسيح عيسى/يسوع: "وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً [...]" (المؤمنون 50). وكذلك الآية المناظرة في سورة الأنبياء: "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً (أي: دينكم دين واحد) وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" (الأنبياء 92) جاءت أيضاً بعد ذِكر مريم العذراء وابنها المسيح عيسى/يسوع: "وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 91)! صدفة؟!

مما سبق يتضح كيف تطور الإسلام تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن. فلقد بدأ الإسلام في مكة كديانة إبراهيمية لا تختلف كثيراً عن اليهودية والمسيحية، بل نستطيع أن نقول إن الإسلام بدأ كشيعة أو فرقة عربية مِن فرق أهل الكتاب المختلفة (المؤمنون 53) (الأنبياء 93) لكنها فرقة تؤمن بالتوحيد الخالص المطلق مثل اليهود والمسيحيين الموحِّدين. بينما في المدينة، صار الإسلامُ قوياً من الناحية العسكرية والسياسية، فتحوَّل الإسلام (دين محمد/إبراهيم) إلى دين مستقل وهو دين جميع الأنبياء والرسل! أي "دين الله"! الدين الوحيد الصحيح "دِينَ الْحَقِّ" الذي يجب على كل الناس (عرب ويهود ومسيحيون ... الخ) أن يعتنقوه وإلا يصبحون "هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا" و "شَرّ الْبَرِيَّةِ" فى الدنيا ومصيرهم "عَذَابًا مُّهِينًا" في "نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا" فى الآخرة!

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ" (الأنفال 65) (مدنية بالطبع)! "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ" (البقرة 193) (مدنية بالطبع)! "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ" (الأنفال 39) (مدنية بالطبع)! "تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ("أي: يكون بينكم وبينهم أمران: إما قتلكم لهم، وإما الإسلام منهم"[2201])" (الفتح 16) (مدنية بالطبع)! وإما الجزية المفروضة على اليهود والمسيحيين يدفعونها بأيديهم وَهُمْ أذلاء خاضعون صَاغِرُونَ! "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ (أي: الإسلام) مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" (التوبة 29) (مدنية بالطبع)!

وهذا الإسلام "المدني" هو الإسلام الذى يعيش وسطنا إلى الآن. فيخطيء مَن يعتقد أن الإسلام ديانة تريد أن تتعايش سلمياً على قدم المساواة مع الديانات الأخرى. وإنما الإسلام دين يريد أن يزيح كل الأديان الأخرى، أو على الأقل يُسكِتها ويُخضِعها لحُكمه. أو كما قالت موسوعة "بيان الإسلام" نقلاً عن "الموسوعة القرآنية المتخصصة" الصادرة من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: سعي المسلمين "إلى سيادة العالم"! فلقد قالت هاتان الموسوعتان إن مِن فوائد القصص القرآني: "إنشاء همة السعي إلى سيادة العالم في نفوس المسلمين كما سعت إلى ذلك أمم سابقة"[2202]! وبعد ذلك نسأل: مِن أين يأتي التعصب الإسلامي؟! الإجابة: يأتي التعصب الإسلامي مِن الثقافة الإسلامية-العربية التي تضم كتباً تطبعها مؤسسات حكومية وغير حكومية. الثقافة الإسلامية-العربية هي مصدر المخطط الإسلامي الإمبريالي الذي يعمل معظم الإسلاميين على تنفيذه، سواء كانوا أعضاء في ما يُسمَّى "الإسلام السياسي" أم لا.

لكن ما دامت عقولنا وأرواحنا بخير، فإن هذا المخطط الإسلامي مصيره يقيناً هو الفشل. بل لقد فشل فعلاً. وخير دليل على فشله هو موت الخلافة (الإمبراطورية) الإسلامية، وانقسام المسلمين إلى دول وجماعات متناحرة، فصار الإسلامُ اليوم هو الدين الوحيد في العالم الذي ما زال أتباعُه يقاتلون بعضُهم بعضاً ويقتلون بعضُهم بعضاً ويدمرون دولهم بأنفسهم. نكرر: الإسلامُ اليوم هو الدين الوحيد في العالم الذي ما زال أتباعُه يقاتلون بعضُهم بعضاً ويقتلون بعضُهم بعضاً ويدمرون دولهم بأنفسهم (self-destructive). فإذا كان القرن العشرين هو قرن انهيار الخلافة (الإمبراطورية) الإسلامية بسبب الحرب العالمية الأولى مما أدى إلى تمزيق الخلافة الإسلامية إلى دول ودويلات، فإن القرن الواحد والعشرين هو قرن انهيار دول إسلامية بسبب الحروب الأهلية (الفتن) بين المسلمين والمسلمين في العراق وسوريا وليبيا واليمن والسودان ... الخ، أو بسبب الحروب بين المسلمين وغير المسلمين في غزة وجنوب لبنان واليمن والعراق وسوريا وإيران مثلاً. ولا نرى أمامنا أي علامة أو أمارة تدل على أن سفك الدماء في الشرق الأوسط سوف ينتهي قريباً. فإذا كان المسلمون قد فشلوا فشلاً ذريعاً في سيادة أنفسهم، فأَنَّىٰ لهم أن يسودوا العالم؟!

قال يسوع المسيح لتلاميذه: "«قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ لاَ تَعْثُرُوا. سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً ِللهِ (أي: يتوهَّم كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يجاهد في سبيل الله). وَسَيَفْعَلُونَ هذَا

بِكُمْ لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الآبَ (أي: لَمْ يَعْرِفُوا اللهَ) وَلاَ عَرَفُونِي.. [...] قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سَلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ (باليونانية: cosmos)»" (يوحنا 16:1-33). المسيح يسوع قال هذا الكلام قبل الإسلام بأكثر من 550 سنة، ولقد تحقق ما قاله بالضبط.

قد ينجح المسلمون الظالمون أو الإرهابيون في قَتْلِنا، لكنهم لن ينجحوا أبداً في إعادتنا مرة أخرى إلى الإسلام. "مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا" (فيلبّي 1:23). قال يسوع المسيح لتلاميذه: "وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا" (متى 10:28) "أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي: لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ، وَبَعْدَ ذلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ" (لوقا 12:4).

3.7.1.3.2 لماذا نُسِبت الحنيفيةُ إلى إبراهيم بالذات؟ ولماذا الربط بين "ملة إبراهيم" والإسلام؟

الإجابة: لأن إبراهيم أقدم مِن موسى (نبي اليهود) وأقدم مِن المسيح عيسى/يسوع (نبي المسيحيين). ولأن إبراهيم هو أبو إسماعيل الذي هو أبو العرب حسب التقليد الشعبي العربي الجاهلي (أي: قبل الإسلام)[2203]. ولأنه أيضاً أبو إسحاق ويعقوب (إسرائيل) وقبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة، وأبو أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين) حسب التقليد اليهودي/المسيحي المتوارث. بل إن أول آية في الإنجيل تصف يسوع المسيح بأنه "ابن إبراهيم": "كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ. إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ (أي: إسرائيل). وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ" (متى 1:1-2). وعبارة "ابن إبراهيم" مهمة جداً لأنها تؤكد أن يسوع المسيح قد حقق الوعد الإلهي (أي: العهد الإلهي؛ الميثاق الإلهي) الذي وعده اللهُ لإبراهيم. وهذا العهد الإبراهيمي بين الله وإبراهيم مذكور للمرة الأولى في التوراة قبل قيام إبراهيم بأي أعمال تستحق تكريمه بهذا الوعد الإلهي، بل قبل إيمان إبراهيم، بل حتى مِن قَبل تغيير اسمه مِن "أَبْرَام" إلى "إبراهيم" ...

الوعد الإلهي لإبراهيم (أَبْرَام). **(التكوين 12):** {1} وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ (أي: إلى كنعان؛ حالياً: إسرائيل/فلسطين) **[⟵ "وَقَالَ [إبراهيمُ] إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ" (الصافات 99)]**. {2} فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. {3} وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ **[⟵ "وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً (أي: ثناءً وذكراً حسناً على كل لسان)" (النحل 122)]**، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ (أي: ليس بنو إسرائيل فقط)». {4} فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ [فِي شمال مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ]. {5} فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. {6} وَاجْتَازَ أَبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ (بالعبرية: māqōm) **[⟵ بالعربية: "مَقَامِ" (البقرة 125) (آل عمران 97)! "مَكَانَ" (الحج 26)]!** شَكِيمَ (Shechem؛ حالياً: نابلس في الضفة الغربية شمال أورشليم/القدس) إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَةَ (أي:

عِنْدَ شجرة مُورَةَ؛ عِنْدَ بُطْمَةِ مُورَةَ؛ at the terebinth of Moreh). وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ [الوثنيون] حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ. {7} وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ». فَبَنَى [أَبْرَامُ] هُنَاكَ (أي: في شَكِيم أو بالقرب منها) مَذْبَحًا (altar) لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ.

ملحوظة هامة: هذا المذبح الذي بناه إبراهيمُ في شَكِيم أو بالقرب منها هو أَوَّل مكان وُضِعَ في كنعان لعبادة الإله الحقيقي الواحد الأحد الذي لا شريك له متحدياً الوثنية السائدة هناك **[← "فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ (أي: في مَكَّة حسب التراث الإسلامي!) مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ" (آل عمران 95-97)]**. ويُقال إنه هناك دَفن حفيدُه يَعْقُوبُ "كُلَّ الآلِهَةِ الْغَرِيبَةِ (أي: الأوثان) الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ (أي: في أيدي أهل بَيْتِهِ وَكُلِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ) وَالأَقْرَاطَ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ، فَطَمَرَهَا (أي: دفنها) يَعْقُوبُ تَحْتَ الْبُطْمَةِ الَّتِي عِنْدَ شَكِيمَ" (التكوين 35:4) **[← انظر ما قاله القرآنُ عن أسطورة تحطيم إبراهيم للأصنام (الصافات 83-99) (الأنبياء 51-71) ← انظر ما قاله التراث الإسلامي عن تحطيم محمد للأصنام يوم فتح مَكَّة/بَكَّة]**. وهناك أيضاً "قَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ (أي: قال يشوع قبل وفاته لشعب إسرائيل): «أَنْتُمْ شُهُودٌ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ قَدِ اخْتَرْتُمْ لأَنْفُسِكُمُ الرَّبَّ لِتَعْبُدُوهُ [وحده لا شريك له]». فَقَالُوا: «نَحْنُ شُهُودٌ». «فَالآنَ انْزِعُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي فِي وَسَطِكُمْ وَأَمِيلُوا قُلُوبَكُمْ إِلَى الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ». فَقَالَ الشَّعْبُ لِيَشُوعَ: «الرَّبَّ إِلهَنَا نَعْبُدُ وَلِصَوْتِهِ نَسْمَعُ». وَقَطَعَ يَشُوعُ عَهْدًا لِلشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَجَعَلَ لَهُمْ فَرِيضَةً وَحُكْمًا فِي شَكِيمَ. وَكَتَبَ يَشُوعُ هذَا الْكَلاَمَ فِي سِفْرِ شَرِيعَةِ اللهِ. وَأَخَذَ حَجَرًا كَبِيرًا (great stone) وَنَصَبَهُ هُنَاكَ تَحْتَ الْبَلُّوطَةِ الَّتِي عِنْدَ مَقْدِسِ (sanctuary) الرَّبِّ. ثُمَّ قَالَ يَشُوعُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: «إِنَّ هذَا الْحَجَرَ يَكُونُ شَاهِدًا عَلَيْنَا، لأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ كُلَّ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي كَلَّمَنَا بِهِ، فَيَكُونُ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ لِئَلاَّ تَجْحَدُوا إِلهَكُمْ»" (يشوع 24:22-27) **[← يعتقد المسلمون أن "مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ" حجر أو صخرة وقف عليها إبراهيمُ لبناء الكعبة! والمكان مقدس عند المسلمين، بدليل أنهم يصلون عنده ويحجون إليه: "وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" (البقرة 125)]**.

نعود إلى التوراة. **(التكوين 12):** {8} ثُمَّ نَقَلَ [أَبْرَامُ] مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيلَ (Bethel) وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتُ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ (Ai) مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا [ثانياً] لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ **[← "وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" (البقرة 125). انظر أيضاً ما قاله التراث الإسلامي عن المسجد النبوي الذي بناه محمدٌ في يثرب/المدينة بعد هجرته، وهو ثاني أقدس مكان في الإسلام (بعد المسجد الحرام في مَكَّة)]**. {9} ثُمَّ ارْتَحَلَ أَبْرَامُ ارْتِحَالاً مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ (أي: نحو صحراء النقب Negeb في جنوب إسرائيل/فلسطين) **[← "بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ (أي: في مَكَّة حسب التراث الإسلامي!)" (إبراهيم 37). إذن: الملاحظات الأولية تشير إلى أن أصحاب القرآن قالوا عن إبراهيم كلاماً هو مجرد تطور بشري طبيعي لِمَا قالته التوراة عنه، مع نقل الجغرافيا من الشمال إلى الجنوب، أي: مِن كنعان (أورشليم وما حولها) إلى صحراء شبه الجزيرة العربية (مكة وما حولها)]**.

ثم كرر اللهُ وعدَه بعد ذلك في مواضع أخرى من التوراة مع مزيد من التفاصيل المتعلقة بنسل إبراهيم وأرض كنعان التي سيرثونها، مثل: "ثُمَّ أَخْرَجَهُ (أي: أَخْرَجَ الرَّبُّ أَبْرَامَ) إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: «انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا». وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». فَآمَنَ [أَبْرَامُ] بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا. وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ (حالياً: في جنوب العراق) [ثم مِن حَارَانَ] لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ (أي: أرض كنعان) لِتَرِثَهَا»" (التكوين 15:5-7). "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ (ليس نهر النيل وإنما: وادي العريش في أقصى الشمال الشرقي لسيناء) إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ. [أرض شعوب] الْقِينِيِّينَ وَالْقَنِزِّيِّينَ وَالْقَدْمُونِيِّينَ. وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالرَّفَائِيِّينَ. وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ[2204]»" (التكوين 15:18-21) **[⟵ "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ (أي: لنعم الله المتتالية عليه، فهي بالفعل كثيرة وتشمل: الأمة العظيمة والبركة لجميع الأمم والنسل والأرض والإيمان والتبرير بالإيمان) ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" (النحل 120-122)]**.

عهد الختان (Covenant of Circumcision) (بالعبرية: brit milah). أو بعبارة أكثر دقة: الختان هو مجرد علامة متأخرة للعهد الإبراهيمي الذي ذُكِرَ سابقاً. **(التكوين 17):** {1} وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً (perfect; flawless؛ والترجمة الأكثر دقة: wholehearted) (بالعبرية: tamim) (بالآرامية: shelīm)[2205] **[⟵ بالعربية: "سَلِيم"؛ "جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الصافات 84) "أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء 89)[2206]؛ وربما جاءت منها كلمة "مُّسْلِمًا" (آل عمران 67) "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ" (الحج 78)[2207]]**، {2} فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا». {3} فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ قَائِلاً: {4} «أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ (أي: ليس بني إسرائيل فقط)، {5} فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ (أي: ليس اليهود فقط). {6} وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ. {7} وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. {8} وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ». {9} وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. {10} هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، {11} فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ (the sign of the covenant) بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. {12} اِبْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. {13} يُخْتَنُ خِتَانًا وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. {14} وَأَمَّا الذَّكَرُ الأَغْلَفُ الَّذِي لاَ يُخْتَنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي».

وكذلك تكرر وعدُ الله لإبراهيم في مواضع أخرى من التوراة، مثل: "وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ (أي: ليس اليهود فقط)" (التكوين 18:18)؛ "وَشَاخَ إِبْرَاهِيمُ وَتَقَدَّمَ فِي الأَيَّامِ. وَبَارَكَ الرَّبُّ إِبْرَاهِيمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ" (التكوين 1:24). وكذلك في بقية أسفار العهد القديم؛ مثلاً: "انْظُرُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَبِيكُمْ (your father)، وَإِلَى سَارَةَ [والدة إسحاق] الَّتِي وَلَدَتْكُمْ. لأَنِّي دَعَوْتُهُ وَهُوَ وَاحِدٌ وَبَارَكْتُهُ وَأَكْثَرْتُهُ" (إشعياء 2:51)؛ "أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ الإِلهُ الَّذِي اخْتَرْتَ أَبْرَامَ وَأَخْرَجْتَهُ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَجَعَلْتَ اسْمَهُ إِبْرَاهِيمَ. وَوَجَدْتَ قَلْبَهُ أَمِينًا (found his heart to be faithful) أَمَامَكَ، وَقَطَعْتَ مَعَهُ الْعَهْدَ أَنْ تُعْطِيَهُ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَتُعْطِيَهَا لِنَسْلِهِ. وَقَدْ أَنْجَزْتَ وَعْدَكَ لأَنَّكَ صَادِقٌ" (نحميا 9:7-8).

ونجده أيضاً في نهاية قصة الذبيح إسْحَاق التوراتية (التكوين 22:1-19) التي تُسمَّى أيضاً: امتحان إبراهيم؛ ابتلاء إبراهيم **[⟵ "الْبَلَاءُ (أي: الامتحان) الْمُبِينُ" (الصافات 106)]** والتي تقول أيضاً إن إبراهيم قد بنى الْمَذْبَحَ (the altar) (التكوين 22:9) ونلاحظ استخدام أداة التعريف بالعبرية: hammizbeaḥ؛ ويُفهَم مِن السياق أن إسْحَاق قد ساعد أباه الشيخ إبراهيمَ في بناء هذا المذبح أو على الأقل حمل الحطب (التكوين 22:6) **[⟵ في القرآن المدني العربي، صار إسماعيلُ أبو العرب – وليس إسحاق أبو إسرائيل – هو الذي ساعد إبراهيمَ في بناء الكعبة بيت الله الحرام في مكة! "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ [...]" (البقرة 127)؛ ونلاحظ أيضاً استخدام أداة التعريف بالعربية: "الْبَيْتِ"]**.

وبما أننا سنحتاج قصةَ الذبيح إسحاق التوراتية كثيراً فيما يلي، فَمِن الأحسن أن نذكرها هنا:

أولاً: طرد إسماعيل وأمه هاجر مِن بيت سارة وإبراهيم في كنعان إلى سيناء. (التكوين 21):

[...] {14} فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ [إسْمَاعِيل]، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ (Beersheba) (حالياً: في صحراء النقب Negev في جنوب إسرائيل/فلسطين) **[⟵ "رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي (أي: إسْمَاعِيل) بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ (أي: في مَكَّة حسب التراث الإسلامي!)" (إبراهيم 37)]**. [...] {19} وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا (أي: عَيْنَيْ هَاجَر) فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ **[⟵ انظر ما قاله التراث الإسلامي عن "بئر زمزم" في مَكَّة!]**، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ [إسْمَاعِيل]. [...] {21} [ثم كَبِرَ إسماعيلُ] وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ (حالياً: في سيناء)، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.

ثانياً: قصة الذبيح إسحاق. (التكوين 22): {1} وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ (أي: بعد طرد إسماعيل وهاجر مِن بيت سارة وإبراهيم في كنعان إلى سيناء) أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ **[⟵ "ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ" (البقرة 124)]**، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». {2} فَقَالَ [اللهُ لإبراهيم]: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا (Moriah)، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ». {3} فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ، وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ، وَإِسْحَاقَ ابْنَهُ، وَشَقَّقَ حَطَبًا لِمُحْرَقَةٍ،

وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ. {4} وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ، {5} فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِغُلاَمَيْهِ: «اجْلِسَا أَنْتُمَا ههُنَا مَعَ الْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا». {6} فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. {7} وَكَلَّمَ إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَالَ: «يَا أَبِي!». فَقَالَ: «هأَنَذَا يَا ابْنِي». فَقَالَ [إسحاقُ]: «هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟». {8} فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي». فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. {9} فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. {10} ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. {11} فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». {12} فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ (أي: لقد نجحتَ في الامتحان)، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». {13} فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ. {14} فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ[2208] يِرْأَهْ». حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى». {15} وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ {16} وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ [لإبراهيم]، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ [إسْحَاقَ عَنِّي لمَّا أمرتك أن تقدّمه مُحْرَقَةً لي]، {17} أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، {18} وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ (أي: ليس بنو إسرائيل فقط)، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي». {19} ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى غُلاَمَيْهِ، فَقَامُوا وَذَهَبُوا مَعًا إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ. وَسَكَنَ إِبْرَاهِيمُ فِي بِئْرِ سَبْعٍ.

ونؤجل الحديث بالتفصيل عن قصة الذبيح إسْحَاق (التكوين 22:1-19)[2209] **[← الذبيح المجهول في القرآن المكي (الصافات 99-113) ← الذبيح إسماعيل في التراث الإسلامي (المتأخر)]** إلى حديثنا عن قصص إسماعيل وإسحاق. فموضوعنا الآن هو "دين إبراهيم" وليس قصص إسحاق وإسماعيل. لكن ينبغي أن نلاحظ أن أصحاب القرآن والمفسرين أخذوا بعض القصص اليهودية/المسيحية المتعلقة بإسحاق وطوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً فجعلوا بطلها هو إسماعيل! مع نقل الجغرافيا من كنعان إلى الحجاز كما قلنا فيما سبق.

وتؤكد التوراة بوضوح شديد أن "النسل" المذكور في الآيات السابقة هو نسل إسحاق وليس نسل إسماعيل، أي أن هذا العهد الإبراهيمي بين الله وإبراهيم سيمتد إلى ابنه إسحاق ونسله وليس إلى إسماعيل ونسله. حتى مِن قبل ميلاد إسحاق بسنة، جاءت أول بشارة إلهية تذكره صراحةً باسمه "إسحاق" (التكوين 19:17) في سياق تغيير اسم أبيه مِن "أَبْرَام" إلى "إِبْرَاهِيم" (التكوين 5:17) وأيضاً في سياق تغيير اسم أمه مِن "سَارَاي" إلى "سَارَة" (التكوين 15:17)، فلقد "قَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «سَارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايَ، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ. وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَمًا، وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ». فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟».

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ِللهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!». فَقَالَ اللهُ: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ (أي: مَعَ إِسْحَاقَ) عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً (أي: بركات زمنية؛ مِن حيث العدد فقط). وَلكِنْ عَهْدِي [الأبدي] أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ»" (التكوين 17:15-21). إذن: إسحاق ابن القدرة الإلهية وابن النعمة الربَّانية هو وريث العهد، وليس إسماعيل ابن الطبيعة البشرية. "لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ [وليس إسماعيل] يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (التكوين 21:12). وكذلك يقول التراث اليهودي المتأخر قبل الميلاد. على سبيل المثال، يقول كتابُ اليوبيلات: "لن يموت [إبراهيمُ] قبل أن يعدَّ أيضاً ستة بنين [بالإضافة إلى إسماعيل وإسحاق] يراهم [إبراهيمُ] قبل موته. ولكن بإسحاق [وحده دون غيره] يُذكَر اسمُه ونسله" (اليوبيلات 16:16)[2210]. وكذلك يقول العهد الجديد بكل وضوح أيضاً: "بِإِسْحَاقَ [ابن سارة الحرة وليس إسماعيل ابن هاجر الجارية] يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (رومية 9:7) (العبرانيين 11:18).

ولذلك تؤكد التوراة أن الله قد كرر العهدَ لإسحاق بن إبراهيم. **(التكوين 26):** {2} ظَهَرَ لَهُ (أي: لإِسْحَاقَ) الرَّبُّ وَقَالَ: «لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ (أي: في أرض كنعان). {3} تَغَرَّبْ فِي هذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. {4} وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ (أي: ليس اليهود فقط)، {5} مِنْ أَجْلِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي: أَوَامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي». [...] {23} ثُمَّ صَعِدَ [إِسْحَاقُ] مِنْ هُنَاكَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ (Beersheba) (حالياً: في صحراء النقب Negev في جنوب إسرائيل/فلسطين). {24} فَظَهَرَ لَهُ (أي: لإِسْحَاقَ) الرَّبُّ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَقَالَ: «أَنَا إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. لاَ تَخَفْ لأَنِّي مَعَكَ، وَأُبَارِكُكَ وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ مِنْ أَجْلِ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِي». {25} فَبَنَى [إِسْحَاقُ] هُنَاكَ مَذْبَحًا (altar) [وهو أول مَذْبَح بناه إِسْحَاقُ] وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ **[⟵ قال القرآنُ إن إسماعيل ساعد إبراهيمَ في بناء الكعبة في مكة! "يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127)]**. وَنَصَبَ [إِسْحَاقُ] هُنَاكَ خَيْمَتَهُ، وَحَفَرَ هُنَاكَ عَبِيدُ إِسْحَاقَ بِئْرًا (well).

ثم انتقل العهدُ الإلهي إلى إسرائيل (يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم: "فَقَالَ [اللهُ ليعقوب]: «أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ (أي: أرضُ كنعان) الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ (أي: ليس بنو إسرائيل فقط). وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ»" (التكوين 28:13-15). اقرأ أيضاً (التكوين 35:12، 46:2-4) (الخروج 32:13) (العدد 24:17-19). وكذلك في بقية أسفار العهد القديم؛ مثلاً: "وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِسْرَائِيلُ عَبْدِي، يَا يَعْقُوبُ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي (My friend; My beloved)" (إشعياء 41:8) **[⟵ "وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (a dedicated friend)" (النساء 125)]**.

ثم انتقل العهدُ الإلهي إلى يَهوذا[2211] بن إسرائيل (يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم (التكوين 49:8-12)؛ (العدد 9:24). وقالت جَمَاعَةُ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيم في صلاتهم فِي بَيْتِ الرَّبِّ: "يَا رَبُّ إِلهَ آبَائِنَا، أَمَا أَنْتَ هُوَ اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَنْتَ الْمُتَسَلِّطُ عَلَى جَمِيعِ مَمَالِكِ الأُمَمِ، وَبِيَدِكَ قُوَّةٌ وَجَبَرُوتٌ وَلَيْسَ مَنْ يَقِفُ مَعَكَ (أي: لا أحد يَثبتُ أمامك)؟ أَلَسْتَ أَنْتَ إِلهَنَا الَّذِي طَرَدْتَ سُكَّانَ هذِهِ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ وَأَعْطَيْتَهَا لِنَسْلِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ إِلَى الأَبَدِ؟" (2 أخبار الأيام 20:6-7) **[← "وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" (النساء 125)]**.

وهكذا حتى وصل العهدُ الإلهي إلى "يَسَّى" (Jesse) ثم إلى ابنه "دَاوُد الْمَلِك" (King David) الذي وعده اللهُ قائلاً: "مَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ. هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ. أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا. إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ. وَلكِنَّ رَحْمَتِي لاَ تُنْزَعُ مِنْهُ كَمَا نَزَعْتُهَا مِنْ شَاوُلَ الَّذِي أَزَلْتُهُ مِنْ أَمَامِكَ. وَيَأْمَنُ بَيْتُكَ وَمَمْلَكَتُكَ إِلَى الأَبَدِ أَمَامَكَ. كُرْسِيُّكَ يَكُونُ ثَابِتًا إِلَى الأَبَدِ" (2 صموئيل 7:12-16). وعلى الرغم من أن الآية الأولى (2 صموئيل 7:12) تشير إلى "سليمان" (Solomon) بن داود، إلا أنها والآيات التالية صارت بعد ذلك تُفسَّر على أنها تتنبأ بالمسيح (The Messiah) ابن داود الذي ليس لمُلْكه انقضاء[2212]. اقرأ أيضاً (1 صموئيل 16:12-13) (إشعياء 9:6-7، 11:1-10) (حزقيال 37:24-25) (دانيال 7:14) وغيرها. وهكذا ظل الوعد الإلهي أملاً حياً حتى حققه الشاب الإسرائيلي اليهودي يسوعُ المسيح ابن داود ابن يهوذا بن إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم. "الأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ" (الرؤيا 5:5)[2213].

وبما أن يسوع المسيح هو الذي حقق هذا الوعد بالبركة الذي أعطاه اللهُ لإبراهيم – "مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ" (متى 21:9، 23:39) (مرقس 11:9) (لوقا 13:35) (يوحنا 12:13) (المزامير 118:26)، فليس من المبالغة أن نقول إنه أهم وعد وأعظم عهد في التوراة، على الأقل بالنسبة للمسيحيين، إلى درجة أنه يُعرَف أحياناً في الكتب والمراجع المسيحية بِاسْمِ "إنجيل إبراهيم" ربما لسببين. أولاً: إنه بالفعل بشارة مفرحة وخبر سار (إنجيل) قاله اللهُ لإبراهيم. وثانياً: للتأكيد على أن "إنجيل" إبراهيم يسبق توراة موسى زمنياً.

ونظراً للأهمية القصوى التي يحظى بها هذا العهد الإبراهيمي، نجده يُذكَر كثيراً في العهد الجديد. فلقد قال القديس بطرس الرسول (Saint Peter) إلى اليهود وهو يدعوهم إلى التوبة: "أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الأَنْبِيَاءِ، وَالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ بِهِ اللهُ آبَاءَنَا قَائِلاً لإِبْرَاهِيمَ: وَبِنَسْلِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. إِلَيْكُمْ أَوَّلاً، إِذْ أَقَامَ اللهُ فَتَاهُ يَسُوعَ (الترجمة الأكثر دقة: عَبدَه[2214]؛ باليونانية: paida)، أَرْسَلَهُ يُبَارِكُكُمْ بِرَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْ شُرُورِهِ" (أعمال الرسل 3:25-26). وعندما ألقى القديس اسْتِفَانُوس الشهيد (Saint Stephen) عظتَه الطويلة أمام مجمع اليهود التي لخّص فيها أهم أحداث العهد القديم، لم يبدأ العظةَ بآدم ولا هابيل ولا أخنوخ ولا حتى نوح البار، وإنما بدأها بالعهد الإلهي لإبراهيم "فَقَالَ [اسْتِفَانُوس]: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ وَالآبَاءُ، اسْمَعُوا! ظَهَرَ إِلهُ الْمَجْدِ لأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ فِي مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، قَبْلَمَا سَكَنَ فِي حَارَانَ، وَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ،

وَهَلُمَّ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَخَرَجَ [إبراهيمُ] حِينَئِذٍ مِنْ أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَسَكَنَ فِي حَارَانَ. وَمِنْ هُنَاكَ نَقَلَهُ، بَعْدَ مَا مَاتَ أَبُوهُ، إِلَى هذِهِ الأَرْضِ (أي: كنعان) الَّتِي أَنْتُمُ الآنَ سَاكِنُونَ فِيهَا. وَلَمْ يُعْطِهِ فِيهَا مِيرَاثًا وَلاَ وَطْأَةَ قَدَمٍ، وَلكِنْ وَعَدَ أَنْ يُعْطِيَهَا مُلْكًا لَهُ وَلِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَعْدُ وَلَدٌ" (أعمال الرسل 7:2-5)، وبالطبع ختم اسْتِفَانُوس عظتَه بالإشارة إلى المسيح البار (أعمال الرسل 7:52)؛ ولا غرابة في ذلك فالمسيح يسوع هو "نسل إبراهيم" الذي حقق الوعد الإلهي.

وفي عصرنا الحديث، قال الأب متى المسكين: **"لأن إيمان إبراهيم الذي حُسِبَ لَهُ بِرًّا نال به الوعد الأعظم بمجيء الابن (النسل) الذي تتبارك به كل أمم الأرض أي المسيح"** [...] "لمَّا آمن إبراهيم بوعد الله بالنسل زاد الله له الوعد، فبدل أن يكون له إسحاق ابناً للوعد وحسب، امتد الله بإسحاق ابن الوعد ليكون من نسل إبراهيم من بعد إسحاق ولدٌ آخر – المسيح – يأتي ويكون بركة لجميع أمم الأرض، فإيمان إبراهيم هو الذي أثمر في آخر الدهور بمجيء ابن الوعد الأعظم يسوع المسيح" [...] "وقد تمَّ وتحقق وأُظهر برُّ الله علناً بمجيء يسوع المسيح (نسل إبراهيم) الموعود به الذي تتبارك به [جميع] الأمم، وقد تباركت" [...] "وعد الله لإبراهيم هو النموذج الأعلى والأعظم لعمل بر الله لِمَن يؤمن به كنعمة، وهكذا افتتح إبراهيم طريق الإيمان أمام [جميع] الأمم" [...] "فإن كان الله أظهر بره أول ما أظهر مع إبراهيم واحتفظه له بوعد أن يرثه نسله وتتبارك به [جميع] أمم الأرض، هكذا تفتحت أذهان [جميع] الأمم واستعدت لمجيء النسل الموعود به، وجاء النسل بالفعل مولوداً من امرأة هي [مريم العذراء] بنت إبراهيم وتحت الناموس (أي: الجزء القانوني / التشريعي من التوراة)، يسوع المسيح حسب الوعد" [...] "إذاً، بإسحاق فقط الذي به نال إبراهيم الوعد يُحتَسَبُ نسل وأولاد إبراهيم، لأن من إسحاق سيأتي المسيح"[2215]. وقال الأب متى المسكين أيضاً: "وقد عُرف من الميثاق والوعد الذي تمَّ بين الله وإبراهيم أنه موهوب لنسل إبراهيم مجاناً لأن إبراهيم وجد نعمة في عيني الله لمَّا آمن بمواعيده. فالوعد بالميراث [والبركة] جاء أولاً من الله قبل أن يتحرَّك قلب إبراهيم بالإيمان. **لذلك صار الإيمان بحد ذاته هو استجابة وقبول لوعد الله، ولم يعط اللهُ الوعدَ لإبراهيم ثمناً للإيمان!!** هنا انتفى أن يكون الوعد بالميراث [والبركة] جزاءً للإيمان، بل الإيمان صار تصديقاً لوعد الله بالبركة والميراث، لذلك يخلو الوعد بالميراث [والبركة] من أي عمل أو جهد أو حتى طاعة من طرف الإنسان وإلا لا يُحسَب هبة أو نعمة"[2216]؛ "إبراهيم لم يكن قد عمل أي عمل يستحق عليه البر، فالبر هبة مجانية منحها له الله نظير إيمانه بالله. لأن الإيمان بالله هو أعظم عمل يمكن أن يقوم به إنسان. فالإيمان بحد ذاته هو اعتراف كلِّي بضعف الإنسان وعدم نفعه بل وعدم مقدرته لعمل شيء يرضي الله، وهو بحد ذاته التجاء إلى رحمة الله واتكال كلِّي على نعمته وخيريته. فإذا كان الإيمان صحيحاً وقَبِله اللهُ واختبره إن كان حقاً قد اختار الإنسانُ اللهَ فوق كل شيء وبالرغم من كل شيء وأعظم من كل شيء، كما اختبر اللهُ إيمانَ إبراهيم به في طلبه أن يقدِّم ولده [إسحاق] ذبيحة له فما امتنع ولا تراخى بل أسرع ورفع السكين على [ابنه] وحيده، فكان رد فعل الله على إيمان إبراهيم الصادق أن أقسم له بذاته أن يباركه بركة عظمى حتى أن الله صمَّم أن يأتي **"ابنه"** (يقصد: المسيح؛ ابن الله) من نسل إبراهيم، لكي يكمِّل الله خطته فيه ليبارك به كل أُمم العالم"[2217]. وابن الله الذي أتى

من نسل إسحاق بن إبراهيم ليكمل خطةَ الخلاص ويُسفَك دمه فعلاً على خشب الصليب – كما كاد دم إسحاق أن يُسفَك عَلَى حَطَبِ الْمَذْبَحِ – هو "الْمَسِيح يَسُوع، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً" (1 كورنثوس 30:1) "الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ" (أفسس 7:1). نعم، "اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رومية 8:5). "كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً" (أفسس 2:5).

وتأكيداً على أن يسوع المسيح هو الذي حقق الوعد الإلهي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأن تتبارك في نسلهم جميع أمم الأرض وقبائلها (أي: ليس اليهود فقط)، يؤكد الإنجيل في مواضع كثيرة جداً أن المسيحية رسالة عالمية (universal) (أي: ليست لليهود فقط) وأن أهم عمل قام به يسوعُ المسيح ابن الله وهو الفداء والخلاص للعالم كله أيضاً (أي: ليس لليهود فقط) بشرط الإيمان به كفادي ومخلِّص. فلقد قال يسوعُ المسيح نفسه إن رسالته عالمية: "هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ (باليونانية: cosmos؛ أي: اليهود وغير اليهود) حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ (أي: يسوعَ المسيح)، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ (أي: كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بالفداء والخلاص الذي حققه يسوعُ المسيح ابنُ الله بصلبه وموته وقيامته)، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا 16:3)؛ "ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلاً: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ (the world؛ باليونانية: cosmos). مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ»" (يوحنا 12:8). كما يجب أن نذكر أيضاً "تسبحة سمعان" أو "مزمور سمعان" الذي يشتهر باسمه اللاتيني (Nunc dimittis) ويقول: "«الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ (باليونانية: doulon) (your slave; your servant) يَا سَيِّدُ (أي: الآن يا رب تطلق عبدك المسيح) حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ (أي: ليس بني إسرائيل فقط). نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ»" (لوقا 29:2-32).

نعم، رسالة المسيح عالمية مع أنها لبني إسرائيل أولاً قبل الأمم؛ أو بعبارة أكثر دقة: لإسرائيل أولاً، ثم بواسطة إسرائيل إلى الأمم (to Israel first, and then, via Israel, to the nations). والأدلة على ذلك كثيرة جداً، فنذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر: "وَقَالَ لَهُمْ [يسوعُ]: «هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ" (لوقا 46:24-47)؛ "فَانْظُرُوا إِلَى نُفُوسِكُمْ (أي: فكونوا على حَذَرٍ). لأَنَّهُمْ سَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَتُجْلَدُونَ فِي مَجَامِعَ، وَتُوقَفُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ، مِنْ أَجْلِي، شَهَادَةً لَهُمْ (أي: شَهَادَةً martyrion عِنْدَهُمْ). وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلاً (أي: قبل خراب أورشليم عام 70م؛ و/أو: قبل المجيء الثاني للمسيح) بِالإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ" (مرقس 9:13-10). ويُروَى "أَنَّ امْرَأَةً [كَنْعَانِيَّةً] كَانَ بِابْنَتِهَا رُوحٌ نَجِسٌ سَمِعَتْ بِهِ (أي: بيسوع المسيح)، فَأَتَتْ وَخَرَّتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ. وَكَانَتْ الامْرَأَةُ أُمَمِيَّةً (أي: من الأمم؛ من غير اليهود)، وَفِي جِنْسِهَا فِينِيقِيَّةً سُورِيَّةً. فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُخْرِجَ الشَّيْطَانَ مِنِ ابْنَتِهَا. وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهَا: «دَعِي الْبَنِينَ (يقصد: بني إسرائيل) أَوَّلاً يَشْبَعُونَ، لأَنَّهُ لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ (يقصد: للأمم!)».

فَأَجَابَتْ وَقَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! (Yes, Lord!) وَالْكِلاَبُ أَيْضًا تَحْتَ الْمَائِدَةِ تَأْكُلُ مِنْ فُتَاتِ الْبَنِينَ!»" (مرقس 7:25-28)، فَتَيَقَّنَ السيد المسيح أن هذه الامْرَأة الأممية قد آمنت به، "حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ" (متى 15:28).

اقرأ أيضاً "مَثَل الكرَّامين الذين قتلوا ابنَ صاحب الكرم" (The Parable of the Tenants) (متى 21:33-46) (مرقس 12:1-12) (لوقا 20:9-19) واقرأ كذلك "مَثَل وليمة المَلِك في عُرس ابنه" (The Parable of the Wedding Banquet) (متى 22:1-14) (لوقا 14:15-24) اللذين قالهما يسوعُ المسيح نفسه ولا يمكن فَهْمهما ولا تفسيرهما إلا كما قال الأب متى المسكين: "هكذا انكسرت وتحطَّمت علاقات الله مع إسرائيل أصحاب مملكته الأرضية [لأن معظم اليهود رفضوا يسوعَ المسيحَ ابن الله بل قتلوه]، وآلت [علاقات الله] إلى الأمم في وضعها الروحي السمائي"[2218].

وفي هذا السياق، يجب علينا أن نذكر دليلاً آخر يثبت عالمية الرسالة المسيحية، وهو حديث يسوع المسيح مع امرأة سامرية (أي: غير يهودية، بل من خصوم اليهود) والذي انتهى بإيمان كثير من السامريين بأن يسوع هو المسيح "مخلص العالم" (Saviour of the world) أي: ليس مخلص اليهود فقط: "فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ السَّامِرِيُّونَ سَأَلُوهُ أَنْ يَمْكُثَ عِنْدَهُمْ، فَمَكَثَ هُنَاكَ يَوْمَيْنِ. فَآمَنَ بِهِ أَكْثَرُ جِدًّا بِسَبَبِ كَلاَمِهِ. وَقَالُوا لِلْمَرْأَةِ [السامرية]: «إِنَّنَا لَسْنَا بَعْدُ بِسَبَبِ كَلاَمِكِ نُؤْمِنُ، لأَنَّنَا نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ»" (يوحنا 4:40-42). فنلاحظ هنا أن السامريين قد أدركوا في "يَوْمَيْنِ" فقط أن يسوع الْمَسِيح هو "مُخَلِّصُ الْعَالَمِ"، بينما لم يستطع المسلمون أن يدركوا هذه الحقيقة بعد أكثر من 1400 سنة! يقول الأب متى المسكين تعليقاً على حديث المسيح مع المرأة السامرية: "فالمسيح يعرض نفسه دائماً أبداً لكي نتعرَّف عليه ويتمنَّى ذلك. وهذا واضح جداً في قصة هذه المرأة المختارة التي اعتنى الإنجيل أن يقدِّمها لنا كدعوة يقدِّمها المسيح للأمم في شخص السامرية، لتنال فيه الاختيار والتبني أيضاً"[2219].

وحينما سأل التلاميذُ الرسلُ يسوعَ المسيحَ بعد صلبه وموته وقيامته إنَ كان سيعود قريباً ليملك إسرائيل "فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: «يَارَبُّ، هَلْ فِي هذَا الْوَقْتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ؟» فَقَالَ لَهُمْ [يسوعُ المسيحُ]: «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ، لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ (Judea and Samaria) (Yehudah ve-Shomron) (حالياً: الضفة الغربية) وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ». وَلَمَّا قَالَ هذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ" (أعمال الرسل 1:6-9). فيجب هنا أن نلاحظ أن رسل المسيح يسألونه عن "إِسْرَائِيل" فقط (أعمال الرسل 1:6)، فأجابهم المسيحُ أن رسالته ستنتشر بالفعل في إسرائيل أولاً "فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ" (أعمال الرسل 1:8) ثم بعد ذلك تنطلق "إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ" (أعمال الرسل 1:8).

واقرأ كذلك ما قاله بولس الرسول (Saint Paul) في رسالته الشهيرة "إِلَى جَمِيعِ الْمَوْجُودِينَ فِي رُومِيَةَ (أي: روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية)" (رومية 1:7) ومعظمهم بالطبع مِن أصل أممي / وثني

/ غير يهودي، فلخّص لهم التوراةَ والإنجيل في جملتين قائلاً: "لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ (يقصد: للأممي؛ لغير اليهودي). لأنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ (أي: عدله ورحمته؛ رفضه للخطايا) بِإِيمَانٍ (أي: مِن إيمان العهد القديم الذي يُلزِم الإنسانَ اليهودي لكي يكفّر عن خطاياه ويصير باراً أن يعمل أعمال ووصايا الناموس ويقدّم ذبائح كثيرة والتي كانت في الواقع ترمز إلى المسيح)، لإِيمَانٍ (أي: إلى إيمان العهد الجديد القائم على الثقة trust في ذبيحة المسيح الفادي على الصليب والتي تكفّر عن خطايا الإنسان المسيحي – سواء كان من أصل يهودي أو غير يهودي – فتبرره (أي: تعلنه باراً؛ تحسبه باراً) وتخلّصه من دينونة الموت وتمنحه الحياةَ الأبدية)، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا»" (رومية 1:16-17). اقرأ أيضاً (رومية 8:15-13). وقال بولس الرسول لرجال أثينا الوثنيين (أعمال الرسل 17:22): "فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ (أي: ليس اليهود فقط) أَنْ يَتُوبُوا، مُتَغَاضِيًا عَنْ أَزْمِنَةِ الْجَهْلِ (باليونانية: agnoias؛ يقصد: وثنية اليونان قبل المسيحية) **[← الجاهلية (أي: وثنية العرب قبل الإسلام)]**. لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُلٍ (هو: يسوع المسيح) قَدْ عَيَّنَهُ [اللهُ]، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 17:30-31).

ومِن المعلوم تاريخياً أنه "بحلول القرن الثاني [الميلادي] كانت الكنيسة كلها تقريباً من الأمم"[2220]. والفضل يرجع أولاً ليسوع المسيح وثانياً لبولس الرسول، وكلاهما من أصل يهودي إسرائيلي. وهذا يؤكد ما قلناه: رسالة المسيح عالمية مع أنها لبني إسرائيل أولاً قبل الأمم؛ أو بعبارة أكثر دقة: لإسرائيل أولاً، ثم مِن خلال إسرائيل إلى الأمم (to Israel first, and then, via Israel, to the nations).

مما سبق يتضح أن يسوع المسيح قد أكمل بالفعل خطةَ الخلاص التي أعدها اللهُ من أجل خلاص البشرية كلها. قال يسوع المسيح في بدايات خدمته: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ (يقصد: التوراة وكل أسفار العهد القديم). مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ (to fulfill)" (متى 5:17). وكانت آخر كلمة قالها قبل موته على الصليب هي: "قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ» (It has been accomplished) (يقصد: أنه أدى المهمةَ المحددة له مِن قَبْل التوراة، بل منذ الأزل، وهي أن يموت فداءً لنا فيدفع بالكامل ثمنَ خطايانا مرة واحدة وإلى الأبد (once and for all)[2221]. وَنَكَّسَ [يسوعُ] رَأْسَهُ [على الصليب] وَأَسْلَمَ الرُّوحَ (أي: مات)" (يوحنا 19:30). ثم أقام اللهُ يسوعَ المسيح من الأموات؛ قيامة لا موت بعدها، أي: قيامة إلى الحياة الأبدية. "هذَا (أي: يسوع المسيح) فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لاَ يَزُولُ. فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ" (العبرانيين 7:24-25).

إذن: حقق المسيحُ كُلَّ ما نريده. فلا نرى سبباً واحداً لظهور نبي جديد أو دين جديد بعد المسيح. جميع خطايانا مغفورة بالفداء والخلاص الذي حققه سيد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين: يسوع المسيح ابن الله وابن آدم وابن إبراهيم وابن إسحاق وابن إسرائيل وابن يهوذا وابن داود وابن مريم اليهودية الإسرائيلية. فلا نحتاج نبياً أو رسولاً يأتي بعد المسيح.

لكن في المقابل، يعتقد المسلمون أن نبيهم ورسولهم العربي محمد ابن إسماعيل – الذي ظهر بعد المسيح بأكثر من 550 سنة! – هو وحده النبي العالمي المُرسَل إلى جميع الأمم! "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا" (الأعراف 158) "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا" (سبأ 28)، أي: ليس لليهود فقط ولا للمسيحيين فقط ولا للعرب فقط؛ بل ليس للإنس فقط، وإنما للجن أيضاً! "لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ (أي: للإنس والجن) نَذِيرًا" (الفرقان 1) "وَمَا هُوَ (أي: القرآن؛ الإسلام) إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" (القلم 52)؛ (ص 87) (التكوير 27) (يوسف 104)؛ "إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ" (الأنعام 90)! مما يعني ضمنياً أن محمد ابن إسماعيل – وليس المسيح ابن إسحاق – هو الذي حقق هذا الوعد الإلهي لإبراهيم! وخصوصاً أن القرآن يقول إن إِسْمَاعِيلَ "كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ" (مريم 54)[2222]، ويُروَى أن محمد قال "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ"[2223]. بل يعتقد المسلمون أن الذبيح ابن إبراهيم هو إسماعيل وليس إسحاق، على الرغم من أن القرآن نفسه لا يقول ذلك صراحةً! وفي العصر الحديث، لاحظنا تركيزاً شديداً على هذه المعتقدات الإسلامية، ربما مِن أجل الترويج لشعارات سياسية إخوانية حمساوية مثل "فلسطين عربية" "من البحر إلى النهر" "صراع وجود وليس صراع حدود" و "القدس إسلامية" وليست يهودية حسب وعد الله لإبراهيم ولا حسب وعد بلفور لليهود. فيجب هنا أن نؤكد أننا نناقش هذه المسألة مِن وجهة نظر دينية وتاريخية وليس مِن وجهة نظر سياسية.

إنها بالفعل مسألة دينية وتاريخية في المقام الأول. إذ توجد آيات قرآنية أخرى يمكن من خلالها استنتاج أن إسحاق هو ابن الوعد وليس إسماعيل، وأن المسيح هو الذي حقق الوعد وليس محمد، وأن كنعان هي مكان تحقيق الوعد وليس الحجاز، وأن أورشليم/القدس (Jerusalem) هي مدينة الله المقدسة المباركة وليست مكة. ونبدأ أولاً بملاحظة أن المسلمين ما زالوا يرددون في كل صلاة إنجيلَ إبراهيم الذي يورّث البركةَ في نسله - "وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ" (التكوين 22:18) - والذي تطور تطوراً بشرياً طبيعياً بالتعريب والأسلمة فانتقل إلى "محمد وآل محمد" في صورة دعاء حسب صيغة التشهد المعروفة: "اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما بارکت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم"! لكن يُفهَم مِن القرآن أن بركة إبراهيم ستنتقل إلى ابنه إسحاق "وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ (أي: على إبراهيم) وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ" (الصافات 113)، كما يُفهَم مِن القرآن أن كنعان (أو بصفة عامة: الشام) هي "الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ" (المائدة 21) "الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا" (الأنبياء 81) "الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 71) حيث "الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا" (سبأ 18) وبخاصة أورشليم/القدس مدينة "الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (أي: بيت المقدس Beit Ha-Miqdash) الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ" (الإسراء 1). ومع أن القرآن نفسه لم يذكر "إنجيل إبراهيم" صراحةً، إلا أنه ذَكر "صحف إبراهيم" ووضعها أيضاً قبل موسى: "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ. إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ. صُحُفِ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ" (الأعلى 16-19). كما استخدم القرآنُ الفعلَ "بَشَّر" عند الحديث عن البُشْرَى بميلاد إسحاق (الحجر 53-55) (الصافات 101؟، 112) (هود 69، 71، 74) (الذاريات 28) (العنكبوت 31) والبُشْرَى بميلاد يعقوب/إسرائيل (هود 69، 71، 74)[2224] والبُشْرَى بميلاد المسيح ابن إسحاق وابن إسرائيل وابن يهوذا وابن مريم اليهودية الإسرائيلية (آل عمران 45) "وَجَعَلَنِي (أي: جعل اللهُ المسيحَ) مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ" (مريم 31). بينما لا نجد آية قرآنية واحدة تدل على أن ميلاد محمد كان ببُشرى إلهية لأمه العربية! لكن وضع أصحابُ القرآن على لسان مسيحهم عيسى ابن مريم جملةً تقول: "وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" (الصف 6)! وكما قلنا إن اسم "أَحْمَدُ (أي: أَحْمَدُ اللهَ/الرَّبَّ)" العربي يناظر الاسم العبري "يهوذا"[2225].

وبما أنه لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن إبراهيم وإسحاق وإسماعيل أشخاص حقيقية تاريخية، فإنه مِن العبث أن نتساءل أيهما حقق الوعد الإلهي لإبراهيم: حفيده الشاب اليهودي يسوع الإسرائيلي ابن إسحاق؟ أَم حفيده الشاب الأمي/الأممي محمد العربي ابن إسماعيل؟ لكن بغض النظر عن تاريخية الآباء إبراهيم وإسحاق وإسماعيل، فإن كل ما سبق يؤكد أهمية ومحورية شخصية "إبراهيم" بالنسبة لأهل الكتاب وبالنسبة للعرب أيضاً، ولذلك نُسِبَت الأديان "الإبراهيمية" إليه: اليهودية والمسيحية والإسلام والبهائية ... الخ.

إذن: تسليط الضوء على ملة إبراهيم بالذات (التي تُسمَّى في التراث العربي/الإسلامي: الحنيفية) والربط بينها وبين الإسلام هو مجرد محاولة لاختراع جذور قديمة عربية وكتابية للإسلام: الجذور العربية ضرورية حتى تجذب العرب الوثنيين إلى الإسلام، والجذور الكتابية أيضاً ضرورية حتى تجذب أهل الكتاب إلى الإسلام، خاصةً وأن الكتاب المقدس يُقدِّم إبراهيمَ باعتباره:

- إبراهيم أبو اليهود جميعاً (أهل التوراة، أهل الشريعة/الناموس[2226]، أهل الختان). "لأنه بالنسبة للرجل اليهودي، تُعتَبَر الختانة أهم مؤهلاته كابن لإبراهيم وعلامة عهد الله مع إبراهيم، فغير المختون (أي: الأَغْرَلُ) لا نصيب له في العهد بل ولا يُحسَب من عداد الشعب المختار"[2227]. اقرأ (التكوين 17).
- وأيضاً إبراهيم أبو المسيحيين جميعاً، سواء الذين مِن أصل يهودي (أهل الختان)، أو الذين مِن أصل غير يهودي – أي: الأمم/الأُمَمِيّين (Gentiles) (nations) (*goyīm*) (أهل الْغُرْلَة).

فيقول بولس الرسول في رسالته إلى كنيسة رومية (أي: روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية) المُكوَّنة بمعظمها مِن الأمم/الأُمَمِيّين. **(رومية 4):** {9} [...] لأَنَّنَا نَقُولُ: إِنَّهُ حُسِبَ لإِبْرَاهِيمَ الإِيمَانُ بِرًّا. {10} فَكَيْفَ حُسِبَ؟ أَوَ هُوَ فِي الْخِتَانِ أَمْ فِي الْغُرْلَةِ؟ لَيْسَ فِي الْخِتَانِ، بَلْ فِي الْغُرْلَةِ! {11} وَأَخَذَ [إبراهيمُ] عَلاَمَةَ الْخِتَانِ خَتْمًا (seal) لِبِرِّ الإِيمَانِ الَّذِي كَانَ فِي الْغُرْلَةِ (يقصد أن الختان مجرد ختم ظاهر في اللحم كعلامة خارجية لبر الإيمان الذي ناله إبراهيمُ وهو أَغْرَل غير مختون[2228])، لِيَكُونَ [إبراهيمُ] أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ [بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله] وَهُمْ فِي الْغُرْلَةِ، كَيْ يُحْسَبَ لَهُمْ أَيْضًا الْبِرُّ. {12} وَأَبًا لِلْخِتَانِ لِلَّذِينَ لَيْسُوا مِنَ الْخِتَانِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يَسْلُكُونَ فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ [← **"مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (الحج**

78)] الَّذِي كَانَ وَهُوَ فِي الْغُرْلَةِ (يقصد أن إيمان اليهود بالمسيح - وليس ختانهم - هو الذي يؤهلهم لأن يكونوا أبناء إبراهيم)[2229]. {13} فَإِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّامُوسِ (أي: توراة موسى) كَانَ الْوَعْدُ لإِبْرَاهِيمَ أَوْ لِنَسْلِهِ أَنْ يَكُونَ وَارِثًا لِلْعَالَمِ (باليونانية: cosmos؛ أي: ليس أرض كنعان فقط)[2230]، بَلْ بِبِرِّ الإِيمَانِ [قبل موسى بمئات السنين]. {14} لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الَّذِينَ مِنَ النَّامُوسِ هُمْ وَرَثَةً، فَقَدْ تَعَطَّلَ الإِيمَانُ وَبَطَلَ الْوَعْدُ [الإلهي الذي أُعطي لإبراهيم أن بنسله تتبارك جميع الأمم. يقصد: بَطَلَ الْوَعْدُ الإلهي بسبب دخول شرط جديد - هو الناموس - يتحكم في الوعد مع أنه لم يكن منصوصاً عليه أصلاً؛ فالوعد لم يرافقه أي شرط إلا الإيمان فقط ولم يذكر شيئاً عن الناموس]: {15} لأَنَّ النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا، إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضًا تَعَدٍّ (يقصد أن الناموس يحدد وصايا الله للإنسان - افعل ولا تفعل - والعقوبات على مَن يخالفها؛ وبما أن أحداً لم يستطع أن يلتزم بكل أوامر الله ونواهيه، إذن الناموس يؤدي إلى الخوف والغضب واللعنة بسبب التعدّي ولا يؤدي إلى الخلاص). {16} لِهذَا هُوَ (أي: الخلاص؛ التبرير؛ بركة الوعد) مِنَ الإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ (أي: هبة مجانية من الله تفوق استحقاقاتنا كبشر وليس دَيْناً يؤديه اللهُ مقابل لالتزام الإنسان بوصايا وأحكام الناموس)، لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطِيدًا (أي: ثابتاً؛ مؤكداً) لِجَمِيعِ النَّسْلِ. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ النَّامُوسِ فَقَطْ (أي: ليس فقط المسيحيون من خلفية يهودية)، بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ (أي: بل أيضاً المسيحيون من خلفية أممية، الذين يشتركون مع إبراهيم في الإيمان ويشتركون معه أيضاً في عدم امتلاكهم ناموس موسى)، الَّذِي هُوَ (أي: إبراهيم) أَبٌ لِجَمِيعِنَا (أي: جميع المؤمنين بالمسيح كفادي ومُخلِّص، سواء الذين مِن خلفية يهودية أو الذين مِن خلفية أممية). {17} كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ [في التوراة]: «إِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ [يا إبراهيم] أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ». أَمَامَ اللهِ الَّذِي آمَنَ بِهِ، الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ (أي: الوعد الإلهي لإبراهيم تحدث عن المستقبل القريب (إسحاق) وأومأ إلى المستقبل البعيد (يسوع المسيح)). {18} فَهُوَ (أي: إبراهيم) عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ [البشري الذي يؤكد استحالة أن تلد سارةُ ابناً]، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ [الإلهي القائم على الثقة في وعد الله وقوته وقدرته على كل شيء حتى لو كان مستحيلاً]، لِكَيْ يَصِيرَ [إبراهيمُ] أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ [بهذا الإيمان]، كَمَا قِيلَ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». {19} وَإِذْ لَمْ يَكُنْ [إبراهيمُ] ضَعِيفًا فِي الإِيمَانِ لَمْ يَعْتَبِرْ جَسَدَهُ وَهُوَ قَدْ صَارَ مُمَاتًا، إِذْ كَانَ ابْنَ نَحْوِ مِئَةِ سَنَةٍ وَلاَ مُمَاتِيَّةَ مُسْتَوْدَعِ سَارَةَ (أي: موت رحم سارة لأنها كانت عاقراً). {20} وَلاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ [إبراهيمُ] فِي وَعْدِ اللهِ، بَلْ تَقَوَّى بِالإِيمَانِ مُعْطِيًا مَجْدًا لِلهِ. {21} وَتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ [اللهُ] بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضًا. {22} لِذلِكَ أَيْضاً: حُسِبَ لَهُ (أي: لإبراهيم) بِرًّا[2231]. {23} وَلكِنْ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ أَجْلِهِ وَحْدَهُ أَنَّهُ حُسِبَ لَهُ، {24} بَلْ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا، الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا، الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ (أي: بالله الذي) أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ. {25} الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا (أي: صُلِبَ يَسُوعُ ومات **فداءً** لنا ونيابةً عنا وبدلاً مِنَّا ليكفِّر عن خطايانا) وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا (أي: أقامه اللهُ مِن الأموات **ليخلِّصنا** من الموت ويقيمنا معه إلى الحياة الأبدية).

يقول القمص تادرس يعقوب ملطي تعليقاً على هذه الآيات الأخيرة من (رومية 4): "أخيراً، أكد الرسول بولس أن ما كتب عن إبراهيم من جهة إيمانه بالقيامة من الأموات، إذ آمن بالله الذي يهبه إسحاق من مستودع

سارة الممات، وآمن أن يقيمه أباً على شعوب ليست من نسله حسب الجسد، كما آمن أن الله يهب البر كحياة لمن مات بالخطية ... فإن هذا كله قد كتب من أجلنا من جهة إيماننا بالمسيح الذي يقيمنا من الموت ويهبنا بره كحياة جديدة مقامة نمارسها عملياً"[2232]. ويقول الأب متى المسكين: "هكذا أصبح الإيمان بالمسيح الفادي هو الإيمان الذي يجعل الإنسان مفتوحاً على بر الله بلا مانع. فالإيمان بالمسيح يشمل عنصر الفداء أي **الموت**، **و[عنصر] القيامة**، فالإيمان بموت المسيح يعطينا غفران الخطية أولاً، أما إيماننا بقيامة المسيح فيعطينا بِرَّ الله [...] يُحسَب لنا نحن أيضاً هذا الإيمان [بموت المسيح وقيامته من الأموات] بِرًّا، لماذا؟ لأن المسيح لم يقم لنفسه، لأنه مات من أجلنا، لذلك فهو قد قام من أجلنا بل قمنا معه وفيه، فقيامة المسيح هي قيامتنا وحياة المسيح من بعد الموت هي حياتنا، أي أن الإيمان بقيامة المسيح هي حياتنا الجديدة فيه مع الله، وهذا هو بِرُّ الله. هكذا صار بظهور برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح نوال البشرية كلها حياة من بعد موت، فبِرُّ الله هنا بلغ أقصاه وأصبح مظلةً تغطي كل البشرية، كل مَنْ يؤمن بقيامة المسيح من الأموات"[2233].

وفي رسالته إلى أهل غلاطية والتي تُعتبر من أقدم الرسائل وقد تكون أقدم وثيقة مسيحية بين أيدينا اليوم (أي: قبل الإنجيل؛ وبالطبع قبل الإسلام بمئات السنين)، أكَّد بولس الرسول أن التبرير بالإيمان (Justification by Faith) ليس عقيدة جديدة ولا بدعة، بل هي عقيدة قديمة تسبق موسى بمئات السنين. وحتى يثبت أن التبرير بالإيمان له جذور قديمة وتاريخ قديم (prehistory)، لجأ بولس الرسول إلى "إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ" (رومية 4:12) "إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا" (رومية 4:16) **[← لجأ محمدٌ إلى "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (الحج 78)]** ليشرح وجهة نظره ...

(غلاطية 3): {5} [...] أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ؟ {6} كَمَا «آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا». {7} اعْلَمُوا إِذًا أَنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ (أي: المؤمنين بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله، بغض النظر عن كونهم مِن اليهود المختونين أم مِن الأمم غير المختونين) أُولئِكَ هُمْ بَنُو إِبْرَاهِيمَ [الروحيُّون الحقيقيُّون][2234]. {8} وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ (أي: أعطى إبراهيمَ خبراً ساراً مُبهِجاً؛ أعطاه إنجيلاً euangélion)[2235] أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ». {9} إِذًا الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ. {10} لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ (أي: الذين يحاولون أن ينالوا الخلاص بتطبيق أحكام الشريعة) هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ [في ذلك الناموس نفسه]: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ[2236]». [وبما أنه من المستحيل أن ينفذ الإنسانُ كُلَّ أوامر الناموس ويجتنب كُلَّ نواهيه، فإنه مِن المؤكد أن كل إنسان سيرتكب خطايا وبالتالي يصير مقصراً وملعوناً ولن يبرره الناموس[2237]. وحتى لو استطاع الإنسانُ أن يتمم كل أعمال الناموس، فإن هذا قد يقوده إلى الافتخار والكبرياء وهو جوهر خطية الشيطان إبليس وأمثاله[2238]. إذن: التبرير ليس بأعمال الناموس.] {11} وَلكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللهِ فَظَاهِرٌ، لأَنَّ «الْبَارَّ بِالإِيمَانِ يَحْيَا[2239] (أي الذي احتسب اللهُ إيمانَه براً أي تقوى وقداسة، فبالإيمان أي بتصديق الله يحيا)». [إذن: التبرير

بالإيمان[2240].] {12} وَلكِنَّ النَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ (أي: وَلكِنَّ القانون ليس مؤسساً على الإيمان عن اختيار)، بَلِ «الإِنْسَانُ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا[2241]» (أي: القانون مؤسس على مبدأ السمع والطاعة بالأعمال الإجبارية (الفرائض) بدون اختيار). [وبما أن إمكانية تكميل كل الأعمال إلى درجة الكمال بنسبة 100% مستحيلة. إذن: ناموس موسى لم يُوضَع للخلاص؛ وإنما وُضِعَ لأهداف أخرى أهمها: بناء شخصية الإنسان المؤمن الموحِّد المتميز عن الكافر والوثني والمشرك، تدريب الإنسان المؤمن وتعليمه الطاعة لله، تمهيد الطريق للإيمان بالمسيح الفادي والمخلِّص[2242].] {13} اَلْمَسِيحُ [الْبَارُّ الذي بلاَ خَطِيَّةٍ أعطانا بِرَّهُ وأخذ خطايانا] افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ (أي: أكمل اَلْمَسِيحُ الناموسَ نيابةً عنا[2243] واحتمل لعنةَ خطايانا وعارها بدلاً مِنَّا)، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا (أي: حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ جميعَ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى خَشَبَةِ الصليب، فارتضى وقَبِلَ أن يأخذ على عاتقه كُلَّ اللعنة التي نستحقها نحن الخطاة فمات عَلَى خَشَبَةِ الصليب تحت لعنةٍ مِن الله[2244])، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ [مِن الله] كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ[2245]». [وهكذا حقق المسيحُ العدلَ الإلهي بموته فداءً لنا ليكفِّر عن خطايانا، وفي الوقت نفسه حقق الرحمةَ الإلهية بأن طهَّرنا وخَلَّصنا مِن كل خطايانا وكل نتائجها وأخطرها لعنة الله والموت الأبدي[2246].] {14} لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ (أي: ليس لليهود فقط) فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ [وليس بإتمام أعمال الناموس] مَوْعِدَ الرُّوحِ (أي: بِرَّ الله؛ القيامة من الأموات إلى الحياة الأبدية)[2247]. {15} أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ (أي: في معاملاتنا البشرية العادية) أَقُولُ: لَيْسَ أَحَدٌ يُبْطِلُ عَهْدًا قَدْ تَمَكَّنَ (أي: توثَّق؛ تسجَّل رسمياً) وَلَوْ مِنْ إِنْسَانٍ، أَوْ يَزِيدُ عَلَيْهِ [شرطاً جديداً]. [فكم بالأحرى لو كان الوعد مِن الله ووثَّقه اللهُ بنفسه شخصياً مع أبينا إبراهيم.] {16} وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ (أي: الوعود ببركة التبرير بالإيمان؛ أو بعبارة أكثر دقة: الخلاص بالنعمة بواسطة الإيمان Salvation by Grace through Faith) فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ: «وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ [شخصٍ] وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ [ابن إسحاق]. {17} وَإِنَّمَا أَقُولُ هذَا: إِنَّ النَّامُوسَ الَّذِي صَارَ بَعْدَ أَرْبَعِ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً [مِن وعد الله لإسرائيل (يعقوب)[2248] (أو: لجده إبراهيم[2249])]، لاَ يَنْسَخُ (أي: لا يلغي) عَهْدًا قَدْ سَبَقَ فَتَمَكَّنَ مِنَ اللهِ نَحْوَ الْمَسِيحِ حَتَّى يُبَطِّلَ الْمَوْعِدَ [لأن عهد الله مع إبراهيم لم يذكر شيئاً عن ناموس موسى ولم يضع شرطاً إلا الإيمان، فلا يمكن إضافة شرط جديد كحفظ أعمال الناموس]. {18} لأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ الْوِرَاثَةُ مِنَ النَّامُوسِ [كأجرة لِمَن يتمم أعماله]، فَلَمْ تَكُنْ أَيْضًا مِنْ مَوْعِدٍ [كنعمة وَهِبَة مجانية]. [إما أجرة مقابل عمل أو هِبَة بدون عمل يستحق.] وَلكِنَّ اللهَ وَهَبَهَا لإِبْرَاهِيمَ بِمَوْعِدٍ. [إذن: الخلاص بالنعمة الإلهية[2250]، وهذا الخلاص لا يتم إلا مِن خلال الإيمان بيسوع المسيح الفادي والمخلِّص[2251].] {19} فَلِمَاذَا النَّامُوسُ؟ قَدْ زِيدَ (أي: أضيف على الوعد) بِسَبَبِ التَّعَدِّيَاتِ [فلولا التَّعَدِّيَات ما كان للناموس لزوم، إذن فهو تهذيبي]، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النَّسْلُ (أي: المسيَّا؛ يقصد: يسوع المسيح) الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ[2252]، [...] {21} فَهَلِ النَّامُوسُ ضِدُّ مَوَاعِيدِ اللهِ؟ حَاشَا[2253]! لأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ، لَكَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْبِرُّ بِالنَّامُوسِ. {22} لكِنَّ الْكِتَابَ أَغْلَقَ عَلَى الْكُلِّ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ (أي: أظهر الناموسُ ضعفَ كل إنسان وسقوطه في الخطايا ومِن ثم استحقاقه للدينونة والموت. إذن: الناموس لم يكن له قدرة إعطاء حياة، بل على النقيض

كان يحكم بالموت)، لِيُعْطَى الْمَوْعِدُ مِنْ إِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (أي: تصديق يَسُوعَ المَسِيحِ، أي تصديق شخصه وعمله. شخصه هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيّ؛ وعمله هو الفداء والخلاص المجيد بالموت والقيامة) لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ (أي: للذين يصدِّقون ويقبلون يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنَ اللهِ كفادي صُلِبَ ومات ومُخلِّص قام مِن الأموات). [إذن: بإظهار الخطايا وعقوبتها، مهّد الناموسُ لفداء المسيح الذي يحرر ويخلِّص الإنسانَ المؤمن مِن عدويه اللدودين وَهُما الخطية والموت.] {23} وَلكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ الإِيمَانُ كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ (أي: كان الناموس هو الذي ينبهنا إلى الخطية فنحاول الابتعاد عنها)، [لكننا فشلنا وعجزنا عن إتمام الناموس كله فَظللنا] مُغْلَقًا عَلَيْنَا [في سجن الخطية وحُكم الموت] إِلَى الإِيمَانِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ (أي: حتى جاء المسيحُ الموعود وحررنا وخَلّصنا بفدائه). [بعبارة أخرى: لم يُعْطَ الناموس للوقاية من الخطية ولا حتى لشفاء الخطاة، وإنما للكشف عن خطايانا وفضح طبيعتنا الميَّالة للخطية ومِن ثم احتياجنا إلى الطبيب المعالِج الشافي الذي هو يسوع المسيح[2254].] {24} إِذًا قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا (أي: مُربِّينا paidagogos الذي يُؤدِّبنا ويُعاقِبنا ليرشدنا ويهدينا) إِلَى الْمَسِيحِ (أي: كان الناموس مجرد وسيلة تعرّفنا الخطايا وتعاقبنا إذا أخطأنا فتُعلِّمنا الطاعةَ وتبني شخصيتنا وتقودنا إلى الهدف الأسمى وهو الإيمان بموت المسيح فداءً لنا وقيامته من أجل خلاصنا)، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ [بيسوع المسيح الذي صُلِبَ ومات وقام من أجل خطايانا، كما تَبَرَّرَ أبونا إبراهيم بِالإِيمَانِ وليس بأعمال الناموس]. [إذن: ناموس موسى لم يبطل وعدَ الله الأزلي-الأبدي لإبراهيم. بالعكس، ناموس موسى خدم هذا الوعد بأن مهَّد الطريق إلى الإيمان بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح الموعود (The Promised Messiah) الذي حقق في القرن الأول الميلادي وعدَ الله الأزلي-الأبدي لإبراهيم. إذن: شريعة موسى كانت مجرد خطوة – لكنها خطوة مهمة – على طريق النعمة الإلهية المُعطاة مجاناً بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ؛ وهذا الطريق (الصراط المستقيم) ممتد منذ إبراهيم إلى اليوم، بل منذ الأزل إلى الأبد[2255].][2256] {25} وَلكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الإِيمَانُ، لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ (أي: الآن لا نحتاج شريعة موسى فلقد انتهى عملها بالإيمان بموت المسيح وقيامته، كما ينتهي دورُ المصباح بعبور الإنسان من الظلمة والخوف إلى النور والطمأنينة، وكما ينتهي عملُ سيارة الإسعاف بتوصيل المريض إلى الطبيب ليعالجه ويشفيه، وكما ينتهي عملُ المربِّي ببلوغ ابن رب البيت سن الرشد فيتحرَّر رسمياً مِن وصاية المربِّي وتأديبه[2257]). {26} لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ [كفادي صُلِبَ ومات ومُخلِّص قام مِن الأموات] (Faith in Christ Jesus). {27} لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ (into Christ) قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ (أي: لَبِسْتُمْ بِرَّ الْمَسِيحِ ابنِ الله فأصبحتم جَمِيعًا أَبْنَاء اللهِ بنعمة التبني)[2258]: {28} لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ (يقصد: لا فرق بين يهودي وأممي غير يهودي). لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ [ابن إسحاق بن إبراهيم][2259]. {29} فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ (Christ's)، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ [لأن المسيح هو النسل الذي وُعِدَ به إبراهيم]، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ [مع المسيح] (أي: لنا ذات الميراث الذي وُعِدَ به إبراهيم وحققه المسيحُ، ولنا بركة التبرير الذي يُوهَب لنا مجاناً بالإيمان. فبعد أن كُنا نُؤدَّب عملياً بتطبيق أحكام شريعة موسى، أصبحنا نتبرَّر مجاناً بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. فمِن المستحيل أن نعود مرة أخرى إلى تطبيق أحكام الشريعة).

يقول الأب متى المسكين تعليقاً على هذه الآية الأخيرة: "والكلام موجَّه للإخوة الكذبة المزعجين من اليهود المسيحيين (يقصد: اليهود المتنصرين Jewish Christians) الذين يدَّعون أنه تلزم الختانة [للأمم كما لليهود] ليكونوا أولاد إبراهيم ولنوال الخلاص. وهكذا يفحمهم [بولس] بأن الختانة مات عهدها، فلنوال البركة والميراث يتحتَّم نوال الروح في المسيح، فالميراث روحي سماوي (أي: في كنعان السماوية) وليس بعد في أرض الموعد (أي: في كنعان الأرضية؛ حالياً: إسرائيل/فلسطين)، والذي صعد إلى السماء (أي: المسيح بعد قيامته من الأموات) هو الذي أعطى النصيب والميراث مع القديسين. فميراث المسيح هو ميراث النسل الموعود لإبراهيم، فالذين في المسيح (أي: المسيحيون المؤمنون بموت المسيح ابن الله وفدائه وقيامته وخلاصه) هم وحدهم الورثة لإبراهيم"[2260].

باختصار وإيجاز شديد: "فكل مَن هو في المسيح (أي: كل مَن آمن بالفداء والخلاص الذي حققه المسيح ابن الله من أجل غفران الخطايا والقيامة مِن الموت إلى الحياة الأبدية) فهو ابن الوعد وابن إبراهيم وابن الله"[2261]. وبما أنه "ابن"، فإن له نصيب في ميراث أبيه ويُحسَب له البر مجاناً بالإيمان. ومجانية الهبة تؤكد أنه لا تفريق بين اليهود (الذين تعلَّموا تحت الشريعة) وبين الأمم (الذين كانوا بلا شريعة). فباب الخلاص بالنعمة الإلهية من خلال الإيمان بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله مفتوح أمام الجميع. فَمَن يقول إنه يجب أن نلتزم بتطبيق أحكام الشريعة لنستحق الخلاص، هو في الواقع يتجاهل رحمةَ الله ومحبته، بل يهين برَّ الله الذي وهب لنا الخلاص مجاناً بنعمته بواسطة إيماننا وتصديقنا لفادينا ومخلِّصنا يسوع المسيح ابن الله

Salvation by Grace (i.e. Divine Mercy) through Faith (i.e. Faithfulness) in my personal Redeemer and Saviour Jesus Christ, the Son of God.

إذن: استخدم بولس الرسول "إِيمَان أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ" (رومية 12:4) "إِيمَان إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا" (رومية 16:4) **[← "مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (الحج 78)]** ليثبت ببراعة وذكاء أن البنوَّة الروحية والدينية القائمة على الإيمان بإنجيل المسيح (نسل إبراهيم) أهم من البنوَّة الجسدية والقومية القائمة على الأعمال التي تنص عليها توراة موسى كالختان على سبيل المثال وليس الحصر: "لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الإِيمَانُ الْعَامِلُ (أي: الفعَّال) بِالْمَحَبَّةِ (for Good Works with Love)" (غلاطية 6:5)[2262] "لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ (أي: تحول الإنسان الكافر أو الخاطي إلى إنسان مؤمن صالح روحانياً وأخلاقياً وأدبياً وكأنه يُولَد من جديد born again; reborn أو يُخلَق من جديد على صورة الله وحسب خطة الخلاص التي أعدها اللهُ منذ الأزل)" (غلاطية 15:6). بعبارة أخرى: نسل إبراهيم لا يرتبط بالميلاد الجسدي تحت علامة مميزة في الجسد هي ختان العضو الذكري. وإنما النسل الحقيقي لإبراهيم يرتبط ارتباطاً روحياً بالوعد الإلهي لإبراهيم، وبالتالي لا يعتمد على النسب والجسد إطلاقاً وإنما يعتمد على العلاقة القلبية المباشرة مع الله، أي يرتبط بالإيمان بالشخص الموعود (المسيَّا؛ المسيح يسوع) كرباط سماوي؛ فبدون الإيمان بالوعد والموعود ليس نسلٌ. "لأَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ

[بالجسد؛ بأعمال الناموس] هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ [بالروح؛ بالحقيقة؛ بالإيمان][2263]، وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلاَدٌ. بَلْ «بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ» [← "**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ (أي: على إبراهيم) وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ" (الصافات 113)؛ إذن: بنو إسرائيل لَيْسُوا سَوَاءً، فمنهم مؤمنون محسنون ومِنهم عصاة أو غير مؤمنين. "إِنِّي جَاعِلُكَ [يا إبراهيم] لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (البقرة 124). إذن: المؤمنون مِنهم فقط هُمْ مَن ينالون عهد/وعد الله لإبراهيم]**. أَيْ لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ (أي: ليس المولودون مِن إبراهيم بيولوجياً؛ كإسماعيل وذريته، أو كاليهود غير المؤمنين بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله) هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ، بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ (أي: المؤمنون بوعد الله لإبراهيم بأن تَتَبَارَكُ فِيه جَمِيعُ الأُمَمِ والذي تحقق في شخص يسوع المسيح ابن إسرائيل بن إسْحَاق بن إبراهيم؛ أي: المولودون مِن جديد بإيمانهم بدم الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن إسرائيل بن إسْحَاق بن إبراهيم) [أولئك هُمْ الذين] يُحْسَبُونَ نَسْلاً[2264]. لأَنَّ كَلِمَةَ الْمَوْعِدِ [التي قالها اللهُ لإبراهيم] هِيَ هذِهِ: «أَنَا آتِي نَحْوَ هذَا الْوَقْتِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ [هُوَ إِسْحَاقُ أَبُونَا الذي جاء مِن نسله المسيحُ الفادي المصلوب والمخلِّص القائم من الأموات]" (رومية 9:6-9)[2265]. فكما لم ينتمِ جميعُ المنحدرين من إبراهيم (كإسماعيل وذريته مثلاً) إلى شعب الله الجسدي (أي: شعب إسرائيل)، كذلك ليس جميعُ شعب إسرائيل هُمْ شعب الله الروحي الحقيقي. بعبارة أخرى: أولاد الله ≠ كل اليهود. أولاد الله = المسيحيون مِن أصل يهودي + المسيحيون مِن أصل أممي / وثني / غير يهودي؛ وَجميع هؤلاء المسيحيين هُمْ فقط الذين يستحقون لقب "أولاد إبراهيم" لأنهم آمنوا بوعد الله لإبراهيم بأن تَتَبَارَكُ فِيه جَمِيعُ الأُمَمِ والذي تحقق في شخص الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله وابن إسرائيل بن إسْحَاق بن إبراهيم. اقرأ أيضاً (رومية 11). إنها بحق ثورة دينية هائلة خططها اللهُ مِن أيام إبراهيم، بل منذ الأزل، ثم أسسها وفعَّلها وأتمها ابنُه الوحيد الفادي والمخلِّص يسوعُ المسيح في القرن الأول الميلادي، ثم ضَحَّى بولسُ الرسول بحياته في سبيل انتشارها على أرض الواقع. ثم اقتبس الإسلامُ في القرن السابع الميلادي أفكاراً كثيرة من بولس الرسول وغيره.

ولذلك إذا عُدنا مرة أخرى إلى رسالة بولس إلى أهل غلاطية، فسنجده قد فصل عملياً بين إسحاق ابن سارة الْحُرَّةِ (أبي إسرائيل) وبين اليهود (أو بالأحرى: اليهود المتنصرين Jewish Christians المتهودين Judaizers المتشددين الذين تمسكوا بتطبيق أحكام الشريعة). بل وضعهم بولسُ في نفس الخانة مع إسماعيل ابن هاجر الْجَارِيَةِ (أبي العرب). **(غلاطية 4):** {21} قُولُوا لِي، أَنْتُمُ الَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ النَّامُوسِ: أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ النَّامُوسَ؟ {22} فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ كَانَ لإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ (هو: إسماعيل ابن هاجر) وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ (هو: إسحاق ابن سارة). {23} لكِنَّ [إسماعيل] الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ (أي: بالطبيعة البشرية التناسلية العادية؛ بتدبير بشري مِن سارة دون مشورة الله[2266])، وَأَمَّا [إسحاق] الَّذِي مِنَ الْحُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ (أي: بكلمة الله وأمره؛ بالتدبير الإلهي والوعد/البشارة/"الإنجيل" الإلهي[2267]؛ بمعجزة إلهية غير عادية لأن سارة كانت عَاقِرًا). {24} وَكُلُّ ذلِكَ رَمْزٌ (allegory)، لأَنَّ هَاتَيْنِ (أي: هَاجَر وسارة) هُمَا الْعَهْدَانِ [العهد القديم عهد الناموس والعبودية، والعهد الجديد عهد النعمة والتبني والحرية[2268]]، أَحَدُهُمَا

مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، الْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ، الَّذِي هُوَ هَاجَرُ. {25} لأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ (Arabia) (يقصد أن هاجر العَبْدة ترمز إلى عهد الناموس والعبودية الذي أعطاه اللهُ لموسى على جبل سيناء في الصحراء العربية البدوية[2269]). وَلكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ [الأرضية]، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا (يقصد أن اليهود المتمسكين بأحكام وفرائض التوراة والمصرين على أن الناموس شرط للخلاص ما زالوا مُسْتَعْبَدين لذلك الناموس في أورُشَلِيم الأرضية تحت الاحتلال الروماني). {26} وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا (يقصد: كنيسة العهد الجديد المسيحية الروحية السماوية عروس المسيح، وهدفُها هو أُورُشَلِيم السماوية، أي: الحياة الأبدية في جنة الخلد[2270])، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا [يهود وأمم]، فَهِيَ حُرَّةٌ [مثل سارة[2271]]. {27} لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «افْرَحِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. اِهْتِفِي وَاصْرُخِي أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ، فَإِنَّ أَوْلاَدَ الْمُوحِشَةِ (أي: أولاد المنعزلة التي لا زَوْج لها ولا أولاد؛ يقصد: الأمم الذين كانوا بلا شريعة إلهية ولم يكن لهم ثمر حياة الإيمان مع الله الواحد) أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ»[2272]. [وهذا ما حدث فعلاً بعد ذلك، فلقد صار المسيحيون مِن أصل أممي/وثني أكثر من المسيحيين مِن أصل يهودي، بل أكثر من اليهود أنفسهم. والفضلُ يرجع أساساً إلى القديس بولس الرسول الذي نقل التوحيد من اليهود إلى الأمم الوثنية، وضَحَّى بحياته في سبيل ذلك، بل في سبيل الله.] {28} وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ (أي: جميعُ المؤمنين بدم الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله؛ ونحن إخوة بغض النظر عن أصلنا لأننا جميعاً أولاد أُورُشَلِيم الْعُلْيَا، أولاد سارة بالإيمان) فَنَظِيرُ إِسْحَاقَ [ابن سارة الحرة[2273]]، أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ (أي: وُلِدنا من فوق بإيماننا بوعد الله لإبراهيم وبإيماننا بيسوع المسيح الذي حققه (إسْحَاق الحقيقي)[2274]). {29} وَلكِنْ كَمَا كَانَ حِينَئِذٍ [إسماعيلُ] الَّذِي وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ يَضْطَهِدُ [إسحاقَ] الَّذِي [وُلِدَ] حَسَبَ الرُّوحِ[2275]، هكَذَا الآنَ أَيْضًا [يَضْطَهِدُ أولادُ هاجر أولادَ سارة]. {30} لكِنْ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «اطْرُدِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّهُ لاَ يَرِثُ ابْنُ الْجَارِيَةِ مَعَ ابْنِ الْحُرَّةِ» (يقصد: أولادُ هاجر لن يرثوا الحياةَ الأبدية مع أولاد سارة الأحرار، فَهُمْ عبيد مطرودون مِن أُورُشَلِيم السماوية (جنة الخلد) لأن الخلاص بالإيمان بدم الفادي يسوع المسيح وحده وليس بتطبيق أحكام الشريعة). {31} إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَسْنَا أَوْلاَدَ جَارِيَةٍ [بالجسد] بَلْ أَوْلاَدُ الْحُرَّةِ [بالإيمان] (يقصد: وسنظل ورثة وأبناء أحرار وشرفاء متمسكين بخلاصنا بالنعمة الإلهية بإيماننا بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله مهما اضطهدنا أولادُ هاجر العبيد وأرادوا أن يُعيدونا إلى عبودية الشريعة مرة أخرى). **(غلاطية 5):** {1} فَاثْبُتُوا إِذًا فِي الْحُرِّيَّةِ [الدينية / الروحية] الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلاَ تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ.

"يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن [بولس] الرسول قدَّم "إسْحَاق" مثلاً للبنوة لإبراهيم، فإنه وإن كان ابناً لإبراهيم حقيقياً لكنه لم يولد حسب قوة الجسد أو حسب ناموس الطبيعة (أي: ولا حسب ناموس الزواج، فلقد صدر عن جسدين ميتين)، إذ كان الأب [إبراهيم] شيخاً والأم [سارة] عاقراً وإنما مولوداً حسب قوة الوعد الإلهي (أي: كلمة الله شكّلته). إذاً فنسل إبراهيم [الحقيقيون] هُمْ الذين ينعمون بالولادة لا حسب الجسد وإنما حسب الإيمان والتمسك بوعود الله روحياً"[2276]. "وبهذا أعطى [بولس الرسول] الغلاطيين تمهيداً لمفهوم الحرية الحقيقية التي حررهم بها المسيح [من الناموس؛ من العبودية للخطية؛ مِن حُكم الموت] ليصيروا لا

أولاد سارة نظير إسحاق بل أولاد الله نظير يسوع المسيح "النسل" الموعود من الله [لإبراهيم]" [...] "لنوال البنوَّة لله كأعلى حالة حرية ممكن أن يحصل عليها إنسانٌ" [...] "والحرية الروحية المستمدة من المسيح بالروح هي أثمن موهبة يمكن أن يحوزها الإنسان وقد كلَّفت المسيح الآلام والصلب والموت. وهي قرينة روح القيامة فالذي ينال روح القيامة يشعر أنه قد تحرر مِن كل ما في العالم وغلب تهديد الموت"[2277][2278].

وإذا كان القديس بولس الرسول قد وجَّه انتقاداته اللاذعة إلى اليهود المتنصرين المتهودين المتعصبين الذين تمسكوا بتطبيق أحكام شريعة موسى وبخاصة الختان، فبمرور الزمن صار معظم المسيحيين من أصل أممي، فقلّت قوةُ اليهود المتنصرين ولم تعد المشكلة فيهم، وإنما صارت المشكلة في اليهود أنفسهم، أي: اليهود الذين لم يقبلوا يسوعَ الناصري كمسيًّا (مسيح) مُخلِّص وفادي. ولذلك فإن الكُتَّاب المسيحيين الذين جاءوا بعد القديس بولس الرسول – مثل "يوستينوس الشهيد" (St. Justin Martyr) (ت. حوالي 165م) و "يوسابيوس" (Eusebius of Caesarea) (ت. حوالى 340م) و "أفراهاط" السرياني (Aphrahat) (ت. حوالى 345م) و "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) (ت. 521م) – وجَّهوا انتقاداتهم اللاذعة إلى اليهود أنفسهم، أي: اليهود غير المسيحيين (non-Christian Jews). فلقد حرص هؤلاء الكُتَّاب المسيحيون على توكيد أن المسيحية هي الدين الأصلي (the original religion) وليس اليهودية، إذ أن إيمان إبراهيم كان قبل شريعة موسى بمئات السنين (رومية 4:9-12). ولإقناع خصومهم اليهود، استدل هؤلاء الكُتَّاب المسيحيون على ذلك بآيات من التوراة أيضاً، مثل الآية التي تقول إن إبراهيم نال بِر الإيمان "آمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا" (التكوين 15:6) قبل أن يختتن بـ 14 سنة على الأقل (التكوين 17:24) وقبل ظهور اليهودية بمئات السنين. وكذلك الآية التي تذكر عهد الله مع "أَبْرَام" وتغيير اسمه إلى "إبراهيم": "أَمَّا أَنَا (أي: الله) فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ (nations)، فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ (nations)" (التكوين 17:4-5) وليس أباً لليهود فقط. "وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ (أي: ليس اليهود فقط)" (التكوين 18:18). وفي الواقع، فإن هذه ليست المرة الأولى التي يقول فيها اللهُ وعدَه لأَبْرَام (إبراهيم)، فلقد قال اللهُ وعده مِن قبل: "فَأَجْعَلَكَ [يا أَبْرَام] أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ (أي: ليس اليهود فقط)" (التكوين 12:2-3)، وكان ذلك بالطبع قبل اختتان إبراهيم بسنوات وقبل موسى بقرون. إذن: الوعد بالخلاص بالنعمة وبر الإيمان كان أسبق وأقدم من الناموس وأعماله، بل أسبق وأقدم من تغيير اسم أَبْرَام إلى إبراهيم.

كما استدل هؤلاء الكُتَّاب المسيحيون بآيات كتابية من العهد القديم العبري ليثبتوا أن الانتساب إلى الأبرار لا ينفع الأبناء والأحفاد والذرية بشيء، فكل إنسان مسئول عن أعماله. مثلاً: "وَكَانَتْ إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قَائِلَةً: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ أَخْطَأَتْ إِلَيَّ أَرْضٌ وَخَانَتْ خِيَانَةً، فَمَدَدْتُ يَدِي عَلَيْهَا وَكَسَرْتُ لَهَا قِوَامَ الْخُبْزِ، وَأَرْسَلْتُ عَلَيْهَا الْجُوعَ، وَقَطَعْتُ مِنْهَا الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ، وَكَانَ فِيهَا هؤُلاَءِ الرِّجَالُ [الأبرار] الثَّلاَثَةُ: نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ،

فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرِّهِمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. [...] وَفِي وَسْطِهَا هؤُلاَءِ الرِّجَالُ [الأبرار] الثَّلاَثَةُ، فَحَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنَّهُمْ لاَ يُخَلِّصُونَ بَنِينَ وَلاَ بَنَاتٍ. هُمْ وَحْدَهُمْ يَخْلُصُونَ وَالأَرْضُ تَصِيرُ خَرِبَةً. [...] وَفِي وَسْطِهَا هؤُلاَءِ الرِّجَالُ [الأبرار] الثَّلاَثَةُ، فَحَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنَّهُمْ لاَ يُخَلِّصُونَ بَنِينَ وَلاَ بَنَاتٍ، بَلْ هُمْ وَحْدَهُمْ يَخْلُصُونَ. [...] وَفِي وَسْطِهَا نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ، فَحَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنَّهُمْ لاَ يُخَلِّصُونَ ابْنًا وَلاَ ابْنَةً. إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرِّهِمْ" (حزقيال 14:12-20). ومِن ثم فإن انتساب اليهود إلى إبراهيم لن ينفعهم بشيء، فلا داعي إذن للافتخار بهذا الانتساب إلى إبراهيم.

وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بمثال واحد فقط من هذا التراث المسيحي ضد اليهود (Christian anti-Jewish polemics). إنه مِن المقابلة السادسة من المقابلات مع الشعب اليهودي (Homilies against the Jews 6) التي كتبها بالسريانية "يعقوب السروجي" أسقف سروج بشمال العراق والمتوفي عام 521م، أي قبل الإسلام. فهذا المفكر المسيحي السرياني المبدع الذي نعتبره واحداً من الآباء الروحيين لأصحاب القرآن قد تخيل حواراً أدبياً رمزياً بين ابنة المجمع (synagogue) كرمز لليهود وابنة الكنيسة (church) كرمز للمسيحيين، وبصفة خاصة المسيحيين مِن أصل أممي / وثني. وكل واحدة منهما (أي: بنت المجمع وبنت الكنيسة) تريد أن يكون لها الشرف بأن تقول إن الله اختارها عروساً (أي: إن الله يرضى عنها) فتذكر محاسنها: {79} قالت بنت المجمع: "آبائي أبرار وأنا أتّكل (عليهم). {80} وبسببهم لا يُخرجني (الربُّ) من ميراثه. {81} هذا إبراهيم المحبوب الصالح [...]. {82} وإسحاق [...]. {83} هذا إسرائيل (أي: يعقوب) [...]. {84} أنا ابنته، وهو يقف لدى الله لأجلي. {85} لي موسى [...]. {86} ويشوع بن نون [...]. {87} هارون الكاهن [...]. [...] {89} وداود المختار [...]. [...] {97} بنتُ هؤلاء [الأبرار] أنا، بنت المجمع، فمن يشبَّه بي؟ {98} هؤلاء [الأبرار] ربّوني، فأيّ شعب يُقابَل معي؟" {99} قالت الكنيسة [للمجمع]: "بسبب نسلك (أي: سلسلة نَسَبك) تَرفّع روحُك. {100} ولكن النسل (أي: النسب) العظيم لا يُفيد الاسم الكريه. {101} كان لك آباء، كما قلتِ، وكانوا أيضاً أبراراً، {102} وصدّيقين وقريبين من الله. {103} أما أنا [كنيسة الأمم] فالآباء [الوثنيون] كانوا لي أشراراً وَهُمْ أفسدوني، {104} فوهبوا لي الأوثان وأصنام الخراب لكي أعبدها. {105} ضلّوا بالمنحوتات وعلّموني الضلال وأنا فتيّة، {106} وما بيّنوا لي طريق الحقّ لأسير فيه. {107} [لكن] ظهر لي النورُ (تقصد: يسوع المسيح) فاستنرتُ به حين كنت ظلمة، {108} يسوع شعاع (النور) فتح لي عينيّ أنا العمياء. {109} هتف بي النبيّ: "انْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ" (المزامير 10:45)، {110} فنسيتهم (أي: تركتُ الوثنية) مِن أجل العريس (أي: المسيح) الذي أحببتُ. [ثم تبدأ كنيسة الأمم في الرد على ما قاله مجمع اليهود.] {111} نفسُ الأب كنفس الابن، وكلتاهما للرب، {112} ونفسُ الخاطئ هي [وحدها] التي تُطالَب، كما كُتِبَ (تقصد: "نَفْسُ الأَبِ كَنَفْسِ الابْنِ، كِلاَهُمَا لِي. اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ [وحدها] تَمُوتُ" (حزقيال 4:18)). {113} الأب البار [كإبراهيم وإسحاق ويعقوب مثلاً] لا يعين الابن الذي خطئ، {114} هو لا ينجّي ابناً ولا ابنة كما كُتِبَ (تقصد: حزقيال 10:18-13، 14:16). {115} ها رب الأبرار (أي: يسوع المسيح) صُلِبَ بيدِك على الجلجثة. {116} ونسلُك العظيم (أي: نَسَبك العظيم) لا

يعترف بك لأنكِ قاتلة. {117} هؤلاء الأبرار والآباء لا يعترفون بك، {118} لأن الدم (أي: دم المسيح على الصليب) الذي أريق يحرّك نسلك (أي: نَسَبك) ليهرب منك (يقصد يعقوب السروجي أن يقول لليهود: آباؤكم الأبرار يتبرأون مِنكم ومِن أفعالكم الشريرة)"[2279]. **[← "تِلْكَ أُمَّةٌ [مِن أسلافكم] قَدْ خَلَتْ (أي: قد مضَتْ)ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ (أي: لهم أعمالهم ولكم أعمالكم)ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [ولا هُمْ يُسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ]" (البقرة 134) (البقرة 141). "وكلٌّ سيجازى بما فعله، لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا ينفع أحداً إلا إيمانُه وتقواه"؛ "وفي الآية قطع للتعلق بالمخلوقين، وعدم الاغترار بالانتساب إليهم، وأن العبرة بالإيمان بالله وعبادته وحده"[2280]]**.

باختصار: في القرون الأولى للميلاد وقبل ظهور الإسلام، حرص الكُتاب المسيحيون على أن يقدموا الديانةَ المسيحية على أنها امتداد لإيمان أبينا أَبْرَام/إبراهيم العبراني قبل أن تكون – وأكثر مِن كونها – امتداداً لناموس موسى الإسرائيلي نبي اليهود. بل حرص بعضُهم على الفصل بين إبراهيم واليهود (to sever the link between Abraham and the Jews)! فنستطيع أن نقول إنهم "حرموا" اليهودَ من ميراث أبيهم إبراهيم[2281]. إلا إذا تاب اليهودُ وآمنوا بدم الفادي المصلوب والمخلص القائم من الأموات: يسوع المسيح ابن إبراهيم وابن الله[2282].

في المقابل، حاول الكُتاب اليهود في التلمود والمدراش أن يؤكدوا على "يهودية" إبراهيم[2283]! وكأن اليهود والمسيحيون يتصارعون على إبراهيم، وكل فريق يحاول أن "يختطف" إبراهيمَ مِن الفريق الآخر! اليهود يقولون: إبراهيم أبونا ونفتخر به. والمسيحيون يقولون: لأ، إبراهيم ده أبونا إحنا. "خناقة" على إبراهيم.

"خناقة" على إبراهيم بين اليهود والمسيحيين قبل الإسلام. "وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ (أي: وَهُمْ يقرأون نفس الْكِتَاب؛ وَهُمْ يستدلون بآيات)" (البقرة 113).

وفي الواقع، فإن هذه الخناقة على إبراهيم بدأت منذ القرن الأول الميلادي. مِن أيام يسوع المسيح الذي دخل في حوارات كثيرة وجدالات حادة (debate; polemic) مع اليهود المعاصرين له، من بينها الجدال التالي الذي تكرر فيه اسمُ إبراهيم 11 مرة! **(يوحنا 8):** {31} فَقَالَ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ: «إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي، {32} وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ (أي: الله)، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ (أي: يُحَرِّرُكُمْ مِن الباطل؛ يُحَرِّرُكُمْ مِن الشيطان والخطية والموت؛ يُحَرِّرُكُمْ مِن الدنيا الزائلة)». {33} أَجَابُوهُ: «إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ! كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَارًا؟». {34} أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ. {35} وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ، أَمَّا الابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ. {36} فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ (أي: المسيحُ) فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا (أي: تتحولون من عبيد للشيطان إلى أبناء لله). {37} أَنَا عَالِمٌ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ (أي: بيولوجياً خلال الجسد؛ sperma Abraam). لكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي لأَنَّ كَلاَمِي لاَ مَوْضِعَ لَهُ فِيكُمْ. {38} أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي (يقصد: الله)، وَأَنْتُمْ

تَعْمَلُونَ مَا رَأَيْتُمْ عِنْدَ أَبِيكُمْ». {39} أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ (أي: روحياً خلال الإيمان؛ tekna Abraam)، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ (أي: لَكُنْتُمْ تتشبَّهون بإيمان إبراهيم وطاعته لله)[2284]! {40} وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ. هذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ. {41} أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنًا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ». {42} فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كَانَ اللهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَتَيْتُ. لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي. {43} لِمَاذَا لاَ تَفْهَمُونَ كَلاَمِي؟ لأَنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي. {44} أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ. {45} وَأَمَّا أَنَا فَلأَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي. {46} مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ، فَلِمَاذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟ {47} اَلَّذِي مِنَ اللهِ يَسْمَعُ كَلاَمَ اللهِ. لِذلِكَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَسْمَعُونَ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ اللهِ». {48} فَأَجَاب الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «أَلَسْنَا نَقُولُ حَسَنًا: إِنَّكَ سَامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْطَانٌ؟» {49} أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنَا لَيْسَ بِي شَيْطَانٌ، لكِنِّي أُكْرِمُ أَبِي وَأَنْتُمْ تُهِينُونَنِي. {50} أَنَا لَسْتُ أَطْلُبُ مَجْدِي. يُوجَدُ مَنْ يَطْلُبُ وَيَدِينُ. {51} اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلاَمِي فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ». {52} فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «الآنَ عَلِمْنَا أَنَّ بِكَ شَيْطَانًا. قَدْ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَالأَنْبِيَاءُ، وَأَنْتَ تَقُولُ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلاَمِي فَلَنْ يَذُوقَ الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ. {53} أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ؟ وَالأَنْبِيَاءُ مَاتُوا. مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟» {54} أَجَابَ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أُمَجِّدُ نَفْسِي فَلَيْسَ مَجْدِي شَيْئًا. أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي، الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلهُكُمْ، {55} وَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. وَأَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ. وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَكُونُ مِثْلَكُمْ كَاذِبًا، لكِنِّي أَعْرِفُهُ وَأَحْفَظُ قَوْلَهُ. {56} أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي (my day) فَرَأَى وَفَرِحَ[2285] (يقصد: لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ حقاً لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مثله وتقبلوني[2286])». {57} فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟» {58} قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ (أي: أنا هو المسيح الموعود The Promised Messiah المُنتظَر حسب الوعد الإلهي الأزلي-الأبدي بأن تَتَبَارَك فِي إبراهيم جَمِيعُ الأُمَمِ)[2287]». {59} فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هكَذَا.

وحتى مِن قَبْل يسوع، كان يوحنا المعمدان (النبي يحيى بن زكريا) يدخل في حوارات مع اليهود تصل أحياناً إلى السباب والشتائم! وكان اسمُ "إبراهيم" حاضراً أيضاً بقوة في تلك الحوارات المثيرة للجدل. "فَلَمَّا رَأَى [يوحنا] كَثِيرِينَ مِنَ [اليهود] الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ يَأْتُونَ إِلَى مَعْمُودِيَّتِهِ، قَالَ لَهُمْ: «يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. وَلاَ تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا (أي: لا تظنوا أن مجرد كونكم ذرية إبراهيم يجعلكم في أمانٍ مِن الهلاك) **[← "وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ (أي: فداء؛ فدية تنجيها من العذاب) وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (أي: لا تظنوا أن إبراهيم أو غيره سينفعكم بأي شيء يوم القيامة)[2288]. وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (أي: قائداً؛ أو: قدوةً. ولا تعارض بين المعنيين. ونحن**

نرى أن المراد: أباً روحياً﴾ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي (sperma)؛ أي: أولادي حسب الجسد﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (أي: العُصاة؛ غير المؤمنين[2289]) (البقرة 123-124). فنلاحظ هنا أن القرآن يردد ما قد قاله يوحنا المعمدان ويسوع المسيح وبولس الرسول ويعقوب السروجي وغيرهم قبل الإسلام، لكن بلسانٍ عربي مبين: الانتساب إلى إبراهيم لن ينفع اليهود بشيء، وإنما المهم هو الإيمان[2290]]. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَدًا لإِبْرَاهِيمَ [بالإيمان] (يقصد: الأُمَمِيّين الوثنيين ذوي القلوب المتحجرة ومع ذلك سيؤمنون بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح[2291]؛ أو لعله يقصد أن الله حُرّ حرية مطلقة وَقادر قدرة مطلقة فالذي اختار إبراهيمَ مِن بين كل البشر وجعل امرأتَه سارة العجوز العاقر تَلِد يستطيع أن يفعل أي شيء وكل شيء). وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي (يقصد: يسوع المسيح نسل إبراهيم) هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ (أي: نار تأكل المكذِّبين المضادين بينما تطهِّر وتقدِّس المؤمنين المختارين)" (متى 3:7-11)؛ (لوقا 3:7-9)[2292].

فنلاحظ مما سبق أن الجدال بين اليهود وخصومهم – أيام يوحنا المعمدان ثم يسوع المسيح ثم بولس الرسول ثم آباء الكنيسة (أي قبل الإسلام) – كان يدور حول مَن مِن الفريقين أحق بإبراهيم، بل كان إبراهيم هو موضوع الخلاف وسببه. ثم جاء الإسلامُ وسار على نفس النهج، لكن بدلاً من أن يكون الخطاب من المسيحيين إلى اليهود (anti-Jewish polemics)، صار الخطاب في القرآن (المدني بصفة خاصة) من المسلمين إلى أهل الكتاب (anti-Jewish, anti-Christian polemics). بل حتى في القرآن المكي، نجد أحياناً هذا الخطاب ضد أهل الكتاب، ولو بالتلميح وليس بالتصريح. مثلاً: الآية الأخيرة من قصة الذبيح القرآنية: "وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ (أي: على إبراهيم) وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ" (الصافات 113). يقول د. محمد سليمان عبد الله الأشقر في تفسيره: "بيّن أن كون الذرية من هذا العنصر الشريف (يقصد: إبراهيم وإسحاق)، والمَحْتِد (أي: الأصل) المبارك، ليس بنافع لهم، بل إنما ينتفعون بأعمالهم، لا بآبائهم، فإن اليهود والنصارى وإن كانوا من ولد إسحاق صاروا إلى ما صاروا إليه من الضلال البيّن"[2293]. ونحن نقول إن مِن مظاهر أهمية هذه الدراسة التي نقوم بها الآن هي أنها تثبت أن الخطاب الإسلامي ضد اليهود والمسيحيين (Islamic anti-Jewish anti-Christian) لم يأتِ من فراغ، وإنما له جذور واضحة في الخطاب المسيحي ضد اليهود (Christian anti-Jewish). وإنه لمِن المثير للاهتمام أن اسم "إبراهيم" (أي: إيمانه و/أو أعماله) يظهر كثيراً - بل دائماً تقريباً - في هذين الخطابين!

يقول الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) تعليقاً على استخدام اسم "إبراهيم" في الجدال المسيحي-اليهودي قبل الإسلام وتأثير ذلك فيما بعد على القرآن[2294]:

[…] much of the polemical use of Abraham in the Quran has a Christian precedent. Abraham was a focal point in the Christian-Jewish debate from the very beginning of Christianity.

وكذلك يقول (Prof. Emran El-Badawi)(2295):

Paul's emphasis on Abraham's faith, his [i.e. Paul's] abolishment of circumcision (Romans 4:1-25), his criticism of Jewish Law and his nullification of Jewish superiority over heathens (Galatians 3:6-29)(2296), was re-articulated by the Qur'ān to give credence to the *ḥunafā'*.

وكذلك يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) تعليقاً على هذا الجدال اليهودي-المسيحي قبل الإسلام وتأثيره فيما بعد على القرآن(2297):

[…] the Qurʾān's point is that Jews and the Christians do not follow the religion of Abraham. It thus uses Abraham to argue against the Jews and Christians as Paul uses Abraham to express his message about faith and law (see Rom 4, e.g., v. 13: "For the promise to Abraham and his descendants that he should inherit the world was not through the Law, but through the uprightness of faith").

وقال العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) في مرجع آخر(2298):

For Christian authors the figure of Abraham is attractive because he lived before the Law of Moses and before (his grandson) Jacob, the father of Israel. Indeed Paul points out that Abraham was justified (Gn 15.6; cf. Romans 4.2-3) even before he was circumcised […] (Romans 4.10-11).

By claiming Abraham, Christian authors are thereby asserting that Christianity, far from being a perverse innovation of Judaism, is an ancient and primary religion (cf. also Jn 8.57-59; Romans 8.7-9). Indeed Eusebius' insistence that Christ appeared to Abraham makes this especially clear.

By his view Judaism would appear as the innovation, inasmuch as Moses came after Abraham. In the same way the Syriac father Aphrahat (d. ca. 345), insists, “The peoples which were of all languages were called first, before Israel, to the inheritance of the Most High, as God said to Abraham, ‘I have made you the father of a multitude of peoples’ [Gn 17.5].”

[…]

This phenomenon of claiming Abraham can also be observed with some Talmudic and midrashic texts, wherein Abraham is presented essentially as a Jew. See, e.g. BT *ʿAbōdā Zārā* 14b, *Yōmā* 28b, where he is said (anachronistically) to follow the law. […]

[…]

[…] “Though the Jews followed the revelation as it had been delivered to Moses in the *Torah*, and the Christians [followed] that delivered to Jesus in the *Injīl*, both Jews and Christians claimed to have Abraham as their father.” Jeffery, *Qur’an as Scripture*, 75.

فلَمَّا جاء أصحابُ القرآن، لم يبتكروا أسلوباً جديداً في التعامل مع معارضيهم، بل فعلوا نفس الشيء. ادعوا أن الإسلام/الحنيفية هو الديانة الأصلية (the original religion)، وليس اليهودية ولا المسيحية. لجأ أصحابُ القرآن إلى نفس الحل السحري، نفس كلمة السر: "إبراهيم"، ودينه المزعوم "الحنيفية" "دين الفطرة" الدين الأقدم الذي يسبق الديانتين اليهودية والمسيحية بمئات السنين. باختصار: كما اختطف المسيحيون إبراهيمَ مِن اليهود، كذلك اختطف أصحابُ القرآن إبراهيمَ مِن اليهود والمسيحيين، فقالوا لهما بلهجة حادة في الحوار والجدال (debate; polemic): "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ (أي: تُجَادلونَ؛ تتنازعون) فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ (أي: جادلتم؛ تنازعتم) فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ [مِن أمر دينكم] فَلِمَ تُحَاجُّونَ (أي: تُجَادلونَ؛ تتنازعون) فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ [مِن أمر دين إبراهيم] ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ **حَنِيفًا مُّسْلِمًا** وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ (أي: أحق الناس) بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ [في زمانه] وَهَٰذَا النَّبِيُّ (أي: محمدٌ) وَالَّذِينَ آمَنُوا [بمحمد] ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (أي: الحنفاء؛ المسلمين)" (آل عمران 65-68) (مدنية بالطبع)(2299)(2300)(2301).

أو كما قالت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) باختصار(2302):

In other words, the image of Abraham has been appropriated from the Jews and the Christians and was turned into the prototype of the non-Jewish and non-Christian model of Islam.

بهذه البساطة، صار الإسلامُ (دين محمد/إبراهيم) هو الدين الأصلي (la religion originelle)، وليس اليهودية ولا المسيحية! مع أنه بنفس المنطق وبنفس البساطة، يمكن لنا أن نقول للمسلمين: "يا أيها المسلمون لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَ القرآنُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ"! يرد المسلمون على ذلك بأن القرآن قال إن محمد أُرسِل بالإسلام دين إبراهيم، أما التوراة والإنجيل فلم يقولا ذلك عن موسى وعيسى[2303]! وتعليقنا على هذه البروباجاندا الإسلامية ينقسم إلى وجهين. أولاً: ما تقوله البروباجاندا الإسلامية غير صحيح؛ فكما وضّحنا فيما سبق أن بولس الرسول ومَن جاءوا بعده قد نجحوا بامتياز في تقديم الديانة المسيحية على أنها امتداد لـ "إيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ" (رومية 4:12) "إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا" (رومية 4:16) **[← "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (الحج 78)]**. ثانياً: ما تقوله البروباجاندا الإسلامية غير مقنع؛ فلماذا يجب علينا أن نصدِّق القرآن حين يزعم أن محمد أُرسِل بالإسلام دين إبراهيم؟! فلو ادعى شخصٌ انتسابَه إلى ملك أو رئيس جمهورية أو حتى شيخ قبيلة، هل سنصدقه لمجرد أنه قال ذلك (self-proclaimed)؟! أين الدليل التاريخي على أن إبراهيم قد دعا إلى الإسلام، أو حتى إلى الحنيفية؟ بل أين الدليل العلمي على أن إبراهيم نفسه كان شخصاً حقيقياً تاريخياً؟ الإجابة كالعادة: لا يوجد دليل علمي.

لم يكتفِ أصحابُ القرآن بكل هذا، وإنما جعلوا إبراهيمَ أباً للمسلمين جميعاً سواء الذين مِن أصل عربي أو الذين مِن أصل غير عربي: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [بالله ومحمد] ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا [القرآن] لِيَكُونَ الرَّسُولُ [محمد] شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ" (الحج 77-78)! قال البغوي في تفسيره لهذه الآية: "فإن قيل: فما وجه قوله: "مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم؟ قيل: خاطب به العرب وَهُمْ كانوا مِن نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع المسلمين وإبراهيمُ أب لهم على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب"[2304]. ونحن لا نرى تعارضاً بين القولين. فَمِن الناحية القوميَّة والعِرقية، كان العرب يعتقدون أن إبراهيم هو أبوهم جميعاً. ومِن الناحية الروحيَّة والدينية: بما أن القرآن يقول إن ملة إبراهيم هي الإسلام، إذن إبراهيم هو أبو المسلمين جميعاً سواء الذين مِن أصل عربي أو الذين مِن أصل غير عربي، أبوهم الروحي على الأقل. وقال الزمخشري: "فإن قلت: لم يكن "إبراهيم" أباً للأمة كلها. قلت: هو أبو رسول الله ﷺ، فكان أباً لأمته، لأن أمة الرسول في حكم أولاده"[2305]. وقيل إن "هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ" (الحج 78) تشير إلى دعاء إبراهيم (و/أو إسماعيل) المدني "رَبَّنَا

وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ" (البقرة 128). وكالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن الضمير "هُوَ" في "هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ" (الحج 78) يعود على الله وليس على إبراهيم. ويمكن التوفيق بين الرأيين بأن يُقال إن الله سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ على لسان إبراهيم حين دعا هذا الدعاء.

إذن: التاريخ يعيد نفسه. كما جعل بولس الرسول إبراهيمَ أباً للمسيحيين جميعاً سواء الذين مِن أصل إسرائيلي أو الذين مِن أصل غير إسرائيلي (رومية 4:11-12)، لجأ أصحابُ القرآن إلى نفس فكرة بولس الرسول، فجعلوا إبراهيمَ أباً للمسلمين جميعاً سواء الذين مِن أصل عربي أو الذين مِن أصل غير عربي (الحج 78). وفي كلتا الحالتين، الفكرة أصلاً سهلة ومش محتاجة وحي من الله. حسب بولس الرسول، المؤمنون من الأمم (أي: غير الإسرائيليين) هُمْ أبناء إبراهيم لأنهم دينياً وروحياً أبناء يسوع المسيح ابن إسرائيل (يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم (غلاطية 3:6-29). وحسب أصحاب القرآن، المؤمنون من العجم (أي: غير العرب) هُمْ أبناء إبراهيم لأنهم دينياً وروحياً أبناء محمد العربي ابن إسماعيل بن إبراهيم.

أما اليهود والمسيحيون غير المؤمنين بمحمد فلم يقل أصحابُ القرآن إنهم "أبناء إبراهيم"! بل أنكر أصحابُ القرآن أن اليهود والمسيحيين "أبناء الله": "وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ [وسيحاسبكم اللهُ على أعمالكم كما سيحاسب غيركم] ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ" (المائدة 18)! اقرأ أيضاً "قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ (أي: مقربين من الله وكُرماء عليه؛ أحباء الله يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ينصرونه وينصرهم؛ philoi) مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [ويحاسبكم على مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ]" (الجمعة 6-8).

وتذكير اليهود والنصارى بذنوبهم "مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ" (الجمعة 7) "فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ" (المائدة 18) وأنهم كسائر البشر "بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ" (المائدة 18) مخلوقون ومُحاسَبون يذكِّرنا أيضاً بما قاله بولس الرسول قبل الإسلام بمئات السنين حين ذكَّر اليهود بخطاياهم مؤكداً أنه "لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ (أي: غير اليهودي)" (رومية 12:10) "لاَ فَرْقَ. إِذِ الْجَمِيعُ (أي: يهود وغير يهود) أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية 3:22-23). فكما نفى بولس أفضليةَ اليهود على سائر البشر، كذلك نفى محمدٌ أفضليةَ اليهود والنصارى على سائر البشر. وإذا كان الحل الذي قدَّمه بولس هو الإيمان بالمسيح كفادي ومخلِّص أرسله اللهُ، بدليل قوله بعدها مباشرةً: "مُتَبَرِّرِينَ (justified) مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ (by Grace) بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ (through Faith) بِدَمِهِ (أي: بدم المسيح وموته على الصليب)، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ" (رومية 3:24-25). فإن الحل الذي قدَّمه محمدٌ هو طبعاً الإيمان به هو شخصياً كنبي ورسول أرسله اللهُ، بدليل قوله بعدها مباشرةً: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا

(أي: محمدٌ) يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ (أي: بعد مدة مِن الزمن بين المسيح ومحمد) أَن تَقُولُوا (أي: حتى لا تقولوا) مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (المائدة 19).

فَمما سبق يتضح أن القرآن/محمد قد حذا حذوَ بولس الرسول في كل نقطة تقريباً.

وكما قلنا فيما سبق، أنكر بولس الرسول أن "أولاد الله" هُمْ كل اليهود سواء آمنوا بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله أم لا، وفي المقابل أكّد أن "أولاد الله" هُمْ أولاده بالإيمان بدم الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله سواء كانوا مِن أصل يهودي أم لا. اقرأ مثلاً (رومية 8:9، 8:14-17). وكذلك يقول الإنجيل: "إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ [المسيحُ؛ كلمةُ الله]، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُل، بَلْ [وُلِدُوا روحياً؛ وُلِدُوا ثانياً] مِنَ اللهِ" (يوحنا 1:11-13). وكذلك قال يسوع المسيح نفسه في حديثه الشهير مع المعلم اليهودي الإسرائيلي الكبير "نِيقُودِيمُوس" (Nicodemus): "«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ (born from above; born again) لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ». [...] «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ. اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يوحنا 3:3-6). والمراد من هذا "الميلاد الثاني" (Rebirth) أو "الميلاد الروحي" (Spiritual Rebirth) أو "الميلاد الجديد" (New Birth) هو بالطبع المعمودية (Baptism) بالروح القدس. يقول الأب متى المسكين تعليقاً على هذه الآيات الإنجيلية المهمة: "وأمَّا الميلاد الثاني أو الجديد الذي يقول به المسيح فهو التغيير الكلِّي لحياة الإنسان من الداخل، حيث التبعية الكاملة لله الذي منه يولد الإنسان سرًّا بالروح، فينتقل من التبعية للعالم ومشيئة الجسد إلى الالتصاق بكلمة الله ومشيئته بالروح. فالميلاد الثاني بحسب المسيح هو تغيير كلِّي لقيم الإنسان وطبيعته وأخلاقه واتِّباع الرب بالروح في كل شيء، لأن المولود الجديد هو مولود روحي لله ليحيا ملكوته بالروح. [...] ولكي يزيد المسيح توضيحاً لعملية الميلاد الثاني من الماء والروح أنها لا تعتمد على مادية الماء، فالماء لا يزيد عن كونه وسيط خلقة (يقصد: الخليقة الجديدة حين تبدأ العلاقة بين الإنسان المؤمن وفاديه ومخلِّصه يسوع المسيح ابن الله[2306])؛ أوضح [المسيحُ] أن الأساس في الميلاد الثاني هو الروح [القدس]، بأن المولود من الروح هو روح، بتفرقة كاملة عن الجسد وميلاد الجسد، إذ أكملها المسيح: "اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يوحنا 3:6)، بمعنى أن الإنسان يولد من الروح بعد أن يولد من الجسد"[2307].

ونحن نرى أن هذه الآيات الإنجيلية المهمة تمثل رداً على اليهود الذين ظنوا أنهم "أولاد الله" لمجرد كونهم يهوداً اختارهم الله وفضَّلهم على سائر البشر، واستدلوا على ذلك بآيات من التوراة مثل "أَنْتُمْ [يا شعب إسرائيل] أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ. [...]. لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ" (التثنية 14:1-2)؛ (التثنية 7:6-8).

ثم جاء أصحابُ القرآن بعد التوراة والإنجيل بمئات السنين فقالوا عن اليهود والمسيحيين نفسَ ما قاله بولسُ الرسول والمسيحيون الأوائل عن اليهود: أنكروا أن اليهود والمسيحيين "أبناء الله" فَهُمْ جميعاً مثل سائر البشر: "قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ" (المائدة 18)! وإذا كان القرآن لم يقل إن المسلمين "أبناء الله" لأنه ينكر مِن الأساس مبدأ أن لله بنين أو بنات (البقرة 116-117) (الأنعام 100) (التوبة 30) (يونس 68) (الإسراء 40) وآيات أخرى، فإنه زعم أن المسلمين "خَيْرَ أُمَّةٍ" وأفضل من اليهود والمسيحيين غير المؤمنين بمحمد كنبي ورسول أرسله اللهُ: "كُنتُمْ [يا أمة محمد] خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (أي: الخارجون عن دين الله وطاعته)" (آل عمران 110)!

أما كلمة "أَحِبَّاؤُهُ" (المائدة 18) فهي أيضاً رد على التوراة التي تقول إن الله "أحب" بني إسرائيل: "أَنْتَ [يا شعب إسرائيل] شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ" (التثنية 7:6-8). وكذلك هي رد على "المشنا" (Mishnah) اليهودية، أي: الشريعة الشفهية (Oral Law) والمصدر الثاني للتشريع اليهودي، التي يرجع تاريخ جمعها إلى سنة 220م تقريباً[2308]، أي: قبل الإسلام بأكثر من 350 سنة. إذ تقول المشنا (آفوت – الآباء 3:14-15) (Aboth 3:14-15): "ما أحب بني إسرائيل، الذين لقبوا بأبناء الله (Beloved are Israel for they were called children of God)، ولا تزال المحبة الفائقة تظهر لهم لأنهم لقبوا بأبناء الله؛ حيث ورد: "أنتم أبناء للرب إلهكم" (التثنية 14:1). ما أحب بني إسرائيل الذين أعطيت لهم الأداة الثمينة (the precious instrument) (أي: التوراة) ولا تزال المحبة الفائقة تظهر لهم، لأنهم أعطوا الأداة الثمينة، التي خُلِقَ بها العالمُ، حيث ورد: "فإني أقدم لكم تعليماً صالحاً فلا تهملوا شريعتي" (الأمثال 4:2)"[2309].

الخلاصة: لم يأتِ أصحابُ القرآن بأي فِكر جديد. فما قاله أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي هو مجرد تطور بشري طبيعي لِمَا قاله بولس الرسول والمسيحيون الأوائل قبل الإسلام. فكما حاول المسيحيون الأوائل أن يختطفوا إبراهيمَ واللهَ مِن أيدي اليهود. كذلك اختطف أصحابُ القرآن إبراهيمَ، بل اختطفوا جميعَ الأنبياء والرسل، بل اختطفوا اللهَ شخصياً مِن أيدي اليهود والمسيحيين! وإذا كان مفتاح عملية الاختطاف عند المسيحيين الأوائل هو عقيدة "التبرير بالإيمان"، فإن مفتاح عملية الاختطاف عند أصحاب القرآن هو مِّلَّة "حَنِيفًا" بالنسبة لإبراهيم بصفة خاصة – ومِن بعدها مِّلَّة "مُّسْلِمًا" بالنسبة للأنبياء والرسل بصفة عامة. "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (آل عمران 19) التي لها قراءة أخرى هي "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الحنيفية".

3.7.1.3.3 معنى كلمة "حنيفاً" وجذورها في التراث المسيحي السرياني

لكن ما معنى كلمة "حَنِيفًا" التي ذكرها القرآنُ 10 مرات، وذكر جَمْعَها "حُنَفَاء" مرتين[2310]؟ أي أن المجموع 12 مرة. وفي 10 مرات منهم (أي: بنسبة 83%)، أتبعها القرآنُ بعبارة تنفي الشرك: "حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (البقرة 135) (آل عمران 95) (الأنعام 161) (النحل 123)؛ "حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (النحل 120)؛ "حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 79)؛ "حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (يونس 105)؛ "حَنِيفًا [...] وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 67)؛ "حَنِيفًا [...] وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الروم 30-31)؛ "حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ [...] فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا" (الحج 31-34)!

وأغلبية هذه الآيات الاثنتي عشرة إما مكية متأخرة أو مدنية. وعادةً يكون سياق الآية مُوجَّه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى أهل الكتاب: اليهود و/أو النصارى (المسيحيين)؛ وأحياناً مُوجَّه ضد أهل الكتاب (anti-Jewish, anti-Christian polemic).

ونلاحظ أيضاً أن كلمة "حَنِيفًا" وكذلك جَمْعها "حُنَفَاء" تأتي دائماً في القرآن بدون أداة التعريف (الألف واللام). قال البغوي: ""حنيفاً"، نصب على الحال عند نحاة البصرة، وعند نحاة الكوفة نصب على القطع، أراد به ملة إبراهيم الحنيف، فلما أسقطت الألف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منه، فنصب"[2311]. ورأى (Christoph Luxenberg) أيضاً أن المراد بـ "مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا" (البقرة 135) (آل عمران 95) (النساء 125) (الأنعام 161) (النحل 123) هو "ملة إبراهيم الحنيف"، واستدل على ذلك بالجذور السريانية لكلمة "حنيفاً"[2312].

فما معنى كلمة "حنيفاً"؟ وما هي الأدلة التي تثبت جذورها السريانية؟ ...

الرأي السائد في المراجع الإسلامية والعربية هو أن "حَنِيفًا" تعني المائل عن الضلال إلى الهداية أو المائل عن الباطل إلى الحق (one who turned from the false religions to the true)[2313]. ومن ثم تصبح عبارة نفي الشرك (مثل: "وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ") تعريفاً (definition) لكلمة "حنيفاً" أو توكيداً معنوياً لها[2314]. بل قيل إن هذه العبارة تعريض بأهل الكتاب، أي تتهم أهل الكتاب بالشرك!

ونحن لا نتفق مع هذا الرأي. لأنه لو كان صحيحاً، فلماذا لم يُوصَف موسى فى القرآن بأنه "حَنِيفًا"؟ ولماذا لم يُوصَف هارون بأنه "حَنِيفًا"؟ ولماذا لم يُوصَف داود بأنه "حَنِيفًا"؟ ولماذا لم يُوصَف المسيح عيسى ابن مريم بأنه "حَنِيفًا"؟ أليسوا جميعاً مائلين عن الضلال إلى الهداية؟! ألم يكونوا هُمْ وغيرهم مِن أنبياء أهل الكتاب مائلين عن الباطل إلى الحق؟! ألم يكونوا جميعاً مِن الموحّدين غير المشركين؟!

ولو كانت عبارة نفي الشرك (مثل: "وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ") مجرد تعريفاً لكلمة "حنيفاً"، فلماذا تكررت بعدها 10 مرات؟! ألم تكن مرة واحدة تكفي لتعريف كلمة "حنيفاً"؟!

ثم إن العرب قديماً كانوا يقولون "رَجُلٌ أَحْنَف" و "رِجْلٌ حَنْفاء" للإشارة إلى الرَجُل "الذى تميل قدماه كلٌّ واحدة إلى أختها بأصابعها"[2315]. إذن: أصل كلمة "حنيف" يعبر عن معنى سلبي: اعوجاج أو عيب في شكل القدمين. فكيف يمكن لكلمة ذات معنى سلبي أن تعبر عن معنى إيجابي: المستقيم، أو المائل عن الباطل إلى الحق؟! لجأوا – كعادتهم – إلى حيلة مضحكة تقول إن الْمِعْوَجّ الرِّجْلَيْنِ سُمِّيَ "أَحْنَف" تَفَاؤُلًا بِالِاسْتِقَامَةِ!

باختصار: الرأي السائد لا يقدم إجابة مقنعة. وما زال سؤالنا مطروحاً يبحث عن إجابة ...

ما معنى كلمة "حنيفاً"؟ وما هي الأدلة التي تثبت جذورها السريانية؟ ...

يقول الدكتور جواد علي: "عندى أن لفظة (حنيف)، هى فى الأصل بمعنى (صابىء) أى خارج عن ملة قوم، تارك لعبادتهم. ويؤيد رأيى هذا ما ذهب إليه علماء اللغة، من أنها من الميل عن الشىء وتركه، ومن ورودها بهذا المعنى فى النصوص العربية الجنوبية. وبمعنى (الملحد)، و (المنافق)، و (الكافر) فى لغة بنى إرم، ومن اطلاق (المسعودى) و (ابن العبرى) لهذه اللفظة على (الصابئة). ومن ذهاب (المسعودى) إلى أن اللفظة من الألفاظ السريانية المعربة. وقد اطلقت على (المنشقين) على عبادة قومهم الخارجين عليها، كما أطلق أهل مكة على النبى وعلى أتباعه (الصابئ) و (الصباة)، فصارت علماً على من تنكر لعبادة قومه، وخرج على الأصنام. ولهذا نجد الإسلام يطلقها فى بادىء الأمر على نابذى عبادة الأصنام، وَهُمْ الذين دعاهم بأنهم على (دين إبراهيم). ولما كان التنكر للأصنام هو عقيدة الإسلام لذلك صارت مدحاً لمن أطلق الجاهليون عليهم تلك اللفظة لا ذماً"[2316].

ويرى العالِم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) أن كلمة "حَنِيفًا" أصلها سرياني (*ḥanpā*) ويعني أساساً "وثني" (pagan)، لكنه استخدم في النسخة السريانية للعهد الجديد والمعروفة باسم "البشيطا" (Peshitta) بمعنى ثاني هو "أُمَمِي" (gentile)، أي مَن ينتمي إلى الأمم/الشعوب [الوثنية]، أي يوناني (Greek, of Hellenistic culture) أو غير يهودي (رومية 16:1) (يوحنا 35:7) (أعمال الرسل 4:18)؛ والمؤنث (*ḥanptā*) يعني أيضاً "وثنية" أو "أُمَمِية"، أي يونانية أو غير يهودية (مرقس 26:7)[2317]. ونحن نرى أن هذا الرأي يتفق مع ما قاله د. جواد علي. ويتفق أيضاً مع ما قاله العالِم المغربي "محمد المسيَّح" عن الجذور السريانية والمعنى الأصلي السلبي لكلمة "حنيف"[2318].

وكذلك يرى الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) أن كلمة "حَنِيفًا" أصلها سرياني (*ḥanpā*) ويعني "وثني" (pagan) أو "أُمَمِي" (gentile)، ويقول تعليقاً على استخدام الكلمة السريانية فيما يخص إبراهيم بالذات في التراث المسيحي السرياني، وتأثير هذا التراث المسيحي السرياني على القرآن[2319]:

The word *ḥanīf*, which occurs ten times in the Quran in the singular and twice in the plural (*ḥunafāʾ*), is problematic from a comparative viewpoint. In other Semitic languages the root *ḥ-n-p* carries an intrinsically negative

meaning. Thus Syriac *ḥanpā*, for example, is widely used to denote a pagan or a heathen. Since eight of the Quranic occurrences make reference to the faith of Abraham, the solution might be found in Christian passages which emphasize his non-Jewish background as an argument in favor of the inclusion of Gentiles in the [Christian] faith. Margoliouth and Ahrens already considered Romans 4:10-12 in this context, though it does not include the word *ḥanpā* in the Syriac translation. Recently de Blois had revived and fine-tuned this theory, arguing that *ḥanpā* is also used for "Gentile" without negative implications. His most interesting quotation (and the only one which concerns Abraham) derives from the Syriac life of Clement of Rome, where it is said: *haymen abrāhām lalāhā kad ḥanpā wā* or "Abraham believed in God when he was a *ḥanpā*"; […]. It may be worth adding that Abraham is mentioned with regard to *ḥanputā* (here clearly "idolatry" or "paganism") in other (more central) Syriac texts. In Narsai's homily *On the Revelations to Abraham* (ed. Mingana, 1:58), the love of Abraham (towards God) blossoms like a fruit full of delights out of the *ḥanputā* devoid of spiritual fruits. Later in the same homily God addresses Abraham, saying: "because you have stripped off the ugly garment of the name of *ḥanputā*, I will cover the shame of the nations with your faith" (*ibid*, 1:59). In discussing Abraham's election in his homily *Against the Jews*, Narsai refutes the notion that Abraham was chosen on account of his love for God, since "the Spirit of revelation called him from Babylon before he believed / and after it called him he left *ḥanputā* and honored the truth" (*ibid*, 1:300). See also Jacob of Serugh's *Homilies against the Jews* 2, lines 123-124 (ed. Albert, 76).

ويجب هنا أن نضيف أن الجملة التي ذكرها الباحثُ مقتبساً مِن أحد الأعمال المسيحية السريانية "Abraham believed in God when he was a ḥanpā"[2320] قد تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً فصارت في القرآن: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ (أي: طائعاً خاشعاً خاضعاً لأمر ربه) حَنِيفًا (*ḥanīf*)" (النحل 120). وكما قلنا فيما سبق، فإن كلمة "أُمَّة" لها معنى قومي، ولها أيضاً معنى ديني، فلقد استخدمها القرآنُ بمعنى "دين" أو "ملة": "وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا

عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ" (الزخرف 23) و "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ" (الأنبياء 92) (المؤمنون 52). "والأمة الطريقة والدين، يقال: فلان لا أمة له، أي: لا دين له، ولا نحلة له، [...]، وقال ابن الأثير: الأمة الرجل المفرد بدين لقوله تعالى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ" (النحل 120)"[2321]. وكالعادة، توجد آراء أخرى تقول إن "أُمَّةً" هنا تعني: جامعاً لكل الفضائل؛ أو: إماماً يُقتدَى به. ونحن لا نرى تعارضاً بين تلك المعاني، فَمِن المعلوم أن التوحيد هو أفضل الفضائل في الإسلام، والشرك هو أكبر الكبائر[2322]، وبخاصة أن تكملة الآية تنفي الشرك عن إبراهيم "وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (النحل 120). فيكون مُراد (النحل 120) إذن أن إبراهيم كان بإيمانه بالإله الواحد الأحد كما لو كان أمة أو قبيلة مستقلة عن الأمم الوثنية والقبائل المشركة المعاصرة له. وإنه لَمِن المدهش أن هذا ما قصده يعقوب السروجي (Jacob of Serugh) – أسقف سروج بشمال العراق والمتوفي عام 521م، أي قبل الإسلام – في المقابلة الثانية من المقابلات مع الشعب اليهودي (Homilies against the Jews 2) التي ذكرها الباحثُ الواعد (Dr. Joseph Witztum) لكن بدون تفاصيل. فلقد قال يعقوب السروجي في هذه المقابلة التي عنوانها "الإيمان والختان": "وبعد وقت، حين أمسكت الوثنية بالعالم، [...]. نظر [إبراهيمُ] فإذا الأرض مملوءة أصناماً فاحتقرها، واستخفّ بأصنام جميع الشعوب وأهملها. وأحبّ [إبراهيمُ] الربَّ بإيمان لا غشّ فيه، وخرج وراءه، وكان معه في حبّ تام. وإذ كان تائهاً بين شعوب ليست شعوبه، رسمه الربّ ليكون معروفاً لمن هو. [...] ختنه الربُّ ختاناً باسمه ودعاه خاصته، ومن أجل هذا دُعي الختان باسم (الربّ). كانت شعوبُ الأرض قُنيةَ الباطل، فتاهت في الأرض فئات فئات وراء الأصنام. فرمى الربُّ الختان رسماً (أي: علامةً) على إبراهيم، وصار الختان بين الشعوب (ختان) الإله الواحد"[2323]. ونظراً لأن المقابلة طويلة جداً (أكثر من 250 سطر)، فلا يتسع المجال لذكرها كلها بالكامل، فسنكتفي بالسطور السابقة كدليل على تطور مقالات يعقوب السروجي تطوراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في القرآن: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (النحل 120). ونؤكد أيضاً أننا في هذا المقال نكتشف تأثير بولس الرسول على يعقوب السروجيّ، "وهكذا نستشفّ الموضوع العميق لهذا المقال: الإيمان. أما الختان فما كان سوى علامة تفصل الشعب المختار (أي: اليهود) عن سائر الأمم الوثنية. ولمَّا أتى المسيحُ ودعا إليه جميع الشعوب (أي: اليهود وغير اليهود)، الغى هذا الانفصال فصارت البشريّةُ كلها مدعوّة إلى الإيمان"[2324].

إذن: لجأ بولس الرسول إلى "إيمان إبراهيم" ليرد على اليهود المتنصرين Jewish Christians المتهودين Judaizers **[← لجأ يعقوبُ السروجي إلى "إيمان إبراهيم" ليرد على اليهود أنفسهم (أي: اليهود غير المسيحيين) ← لجأ أصحابُ القرآن إلى "مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا" ليردوا على اليهود والنصارى: "وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (البقرة 135)]**. كلمة السر هي دائماً: إبراهيم! كل مَن يريد أن ينفصل عن الديانة التي قبله، يرجع إلى "إبراهيم". ولم يهتم واحدٌ منهم أن يثبت أن إبراهيم نفسه شخصية حقيقية تاريخية!

مما سبق يتضح أن "حنيف" ليست لفظة إيجابية أطلقها الحنفاءُ على أنفسهم، وإنما هي أصلاً لفظة سلبية أطلقها خصومُهم عليهم على سبيل الذم أو السخرية. وهذا الرأي ليس جديداً وليس من اكتشافنا، فهو مذكور في مراجع كثيرة. على سبيل المثال وليس الحصر:

- **Emran El-Badawi:** "[T]he Syriac term *ḥanpē* (singular: *ḥanpā*) […] had a wide range of meaning including "heathens, pagans, godless ones, hypocrites, profane ones, impious ones, apostates, gentiles/Greeks and Sabians (for example, Matthew 10:5)""(2325).
- **Richard Bell:** "*ḥunafā'* = Syr. *ḥanĕphē*, heathens, the term applied by Christians to the Arabs" (2326)**.**
- **Gabriel S. Reynolds:** "Horovitz [suggests] that the *ḥanīf*s of Muḥammad's time were originally called so in derision. Later they adopted the term (in the way that Americans adopted the originally pejorative term Yankee)" (2327).

وعندما بحثنا في المراجع الإسلامية والعربية، وجدنا أن "الحنيف" هو المائل عن دينِ قومٍ إلى دين آخر. "قال ابن دريد: "الحنيف" العادل عن دين إلى دين، وسمى الإسلام الحنيفية: لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية. وقال الأصمعى: ومن عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عند العرب"(2328). وفي [ح ن ف] في لسان العرب: "الحنيفُ المائلُ مِن خير إلى شر أو مِن شر إلى خير". ونحن نذكر هذه الأدلة مِن المراجع الإسلامية والعربية أيضاً لنؤكد أننا لا نخترع تعريفاً جديداً لكلمة "حنيف"، وإنما ما نقوله كان موجوداً بالفعل في المراجع الإسلامية والعربية، لكن تم تهميشه – عن عمد وليس عن جهل – لصالح التعريف السائد لكلمة "حنيف" الذي يزعم أن الحنيف هو المائل عن الباطل إلى الحق**!**

مسألة "الحق" و "الباطل" مسألة نسبية تعتمد على وجهة نظر مَن يستخدم لفظة "حنيف" (*ḥanpā*):

- مِن وجهة نظر اليهود: المائل عن اليهودية هو الأُمَمِي (gentile)، أي غير اليهودي.
- ومِن وجهة نظر المسيحيين: المائل عن المسيحية هو الوثني (pagan, heathen) (païen).
- ومِن وجهة نظر العرب المشركين: المائل عن عبادة الأصنام هو المُوحِّد (monotheist).

ولأن التوحيد شرف وليس جريمة، ولأن الاعوجاج عن اعوجاج الشرك استقامة كما قال الشيخ الشعراوي[2329]، وافق أصحابُ القرآن والمسلمون الأوائل على أن يُوصَفوا بكلمة "حنيف"، على الرغم مِن كونها أصلاً كلمة سلبية وسيئة السمعة في الفكر اليهودي والمسيحي كما شرحنا.

ويجب هنا أن نلاحظ أن الأصل السرياني لكلمة "حنيف" له معنيان. أحدهما له بُعد ديني (religious) وهو: وثني أو غير مسيحي. والثاني له بُعد قومي (national) أو عِرقي (ethnic) وهو: أُمَمِي، يوناني، غير يهودي، أي ليس من بني إسرائيل. ولا تعارض بين هذين المعنيين السلبيين، لأنه قبل الميلاد وفي القرن الأول الميلادي كان الوثنيون الشرقيون بصفة عامة من الأمم غير اليهودية، ولذلك كُتِبَ الإنجيلُ باللغة اليونانية حتى ينتشر خلاص المسيح بسهولة بين الأمم الوثنية بعد أن رفضه معظم اليهود الموحِّدين، ولذلك استخدم بولسُ الرسول "إِيمَان أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ" (رومية 12:4) "إِيمَان إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا" (رومية 16:4) – الذي لم يكن يهودياً بالطبع – كدليل يؤيد أهم عمل قام به بولسُ وهو دعوة الوثنيين الأُمَمِيّين غير اليهود إلى الإيمان بالمسيح كفادي ومخلِّص.

وبعد بولس بأكثر من 500 سنة، جاء محمدٌ وفعل نفس الشيء الذي فعله بولس. فلقد استخدم محمدٌ "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (الحج 78) – الذي لم يكن يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا بالطبع – كدليل يؤيد دعوة العرب الوثنيين الأُمِّيّين غير اليهود وغير النصارى إلى الإيمان به. فكما ركّز بولسُ على "إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ" (رومية 12:4) "إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا" (رومية 16:4) وأسبقيته على الديانة اليهودية، كذلك ركّز محمدٌ على أسبقية "مِّلَّة أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (الحج 78) على الديانتين اليهودية والنصرانية (المسيحية). فكلاهما (أي: بولس ثم محمد) نظر إلى إيمان إبراهيم (مِلَّة إِبْرَاهِيمَ) باعتبارها الديانة الأصلية (the original religion) التي يجب أن ينطلق منها ويؤسس فِكْرَه عليها. وكما تنازل بولسُ عن ضرورة الختان (علامة عهد الله مع إبراهيم ونسله (التكوين 11:17))[2330]، كذلك لم يهتم محمدٌ كثيراً بالختان بدليل عدم ذِكره في القرآن.

باختصار: رسالة التوحيد التي قدمها محمد إلى الوثنيين العرب في القرن السابع الميلادي هي مجرد تطور بشري طبيعي لرسالة التوحيد التي قدمها بولس الرسول إلى الوثنيين اليونان في القرن الأول الميلادي. وكلمة السر هي: إبراهيم. "إِيمَان أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ" (رومية 12:4) "إِيمَان إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا" (رومية 16:4) **[⟵ "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (الحج 78)]**. وإذا كان الخلاص في فِكر بولس هو الإيمان بالمسيح "كلمة" الله، فإن الخلاص (الفرقان) عند محمد هو الإيمان بالقرآن "كلام" الله. في المسيحية، "كلمة" الله صار جسداً ويجب أن تؤمن به لتخلص **[⟵ في الإسلام، "كلام" الله صار كتاباً ويجب أن تؤمن به لتنجو مِن النار]**[2331].

الفرق الجوهري بين بولس ومحمد هو أن بولس كان إسرائيلياً يهودياً[2332]، ولم يكن "حنيفاً" (*ḥanpā*). أما محمد فكان عربياً "حنيفاً"، أي: غير يهودي وغير مسيحي. أو كما قلنا فيما سبق: الرسول بولس رسول إلى الأُمَمِيّين (<u>to</u> the Gentiles). بينما محمد رسول إلى الأُمِّيّين (<u>to</u> the Gentiles) وأيضاً مِن الأُمِّيّين (<u>from</u> the Gentiles). ولذلك نجد بولس يتحدث بكل احترام وإجلال عن التوراة، ولم

يزعم أبداً أنها محرَّفة أو مبدَّلة. أما محمد الأمي (أي: غير الكتابي) فكان أكثر جرأة من بولس الكتابي، إذ توجد آيات قرآنية تُفهَم عادةً على أنها تعني أن التوراة محرَّفة و/أو مبدَّلة، وتوجد أحاديث تدعو صراحةً إلى عدم قراءة التوراة! ولذلك هجر المسلمون (الحنفاء) التوراةَ – بل هجروا الكتابَ المقدس كله بعهديه القديم والجديد! – واكتفوا بالقرآن فقط! بينما يقرأ المؤمنون المسيحيون التوراةَ إلى اليوم.

الفرق بين محمد العربي الأمي وبولس اليهودي رسول المسيح يساعدنا في معرفة معنى كلمة "حَنِيفًا".

فلقد وصل العالِم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) إلى نتيجة مفادها أن كلمة "حَنِيفًا" في القرآن تعني "أُمِّي" (gentile)، أي ليس مِن أهل الكتاب، أي ليس يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا[2333]. واستدل على ذلك بالآيات المدنية التي تضع كلمة "حَنِيفًا" مقابل (أي: عكس) كلمتي "يَهُودِيًّا" و "نَصْرَانِيًّا":

- "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 67)[2334][2335]. إذن: مَا كَانَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا = حَنِيفًا.
- "وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ [لهم] بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (البقرة 135)[2336][2337]. إذن: هُودًا أَوْ نَصَارَى ≠ حَنِيفًا.

ومن ثم تصبح عبارة نفي الشرك (مثل: "وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ") توصيفاً (qualification) لكلمة "حنيفاً" أكثر مِن كونها تعريفاً لها. وكأن أصحاب القرآن أرادوا أن يؤكدوا لأهل الكتاب أن الشخص العربي الأُمي (أي الذي ليس يهودياً ولا مسيحياً) يمكن أن يتصف بنبذ الشرك وترك الوثنية؛ ولذلك كرروا عبارة نفي الشرك 10 مرات بعد كلمة "حنيفاً". كرروها دفاعاً (apologetic) عن كلمة "حنيفاً" ومحاولين تغيير الصورة الذهنية السلبية لهذه الكلمة سيئة السمعة[2338]. إذن: المقصود هو أن إبراهيم كان حنيفاً (أُميّاً)، لكن ليس مشركاً. أو بعبارة أخرى: لم يكن إبراهيم يهودياً ولا مسيحياً، ورغم ذلك كان مُوحِّداً (monotheist).

نستطيع إذن أن نقول إن أصحاب القرآن قد أرادوا تغيير معنى كلمة "حنيف" من معناها السلبي الأصلي – المُعوَّج (heterodox) أو المائل عن الحق إلى الباطل (perverted) – إلى معنى إيجابي جديد وهو: المستقيم (orthodox) أو المائل عن الباطل إلى الحق (converted)[2339] وهو المعنى الذي تذكره المراجع الإسلامية إلى اليوم. باختصار: تغيَّر معنى كلمة "حنيف" إلى العكس تماماً. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يتغير فيها معنى كلمة إلى العكس تماماً. فلقد تغيَّر معنى كلمة "بَانَ" مِن "ابتعد" أو "اختفى عن الأنظار" (مثلاً: بَانَتْ سُعَادُ) إلى العكس تماماً الآن "ظَهر"! وكذلك تغيَّر معنى كلمة "وراء" مِن "أمام" (مثلاً: "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ (أي: أمامهم) مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" (الكهف 79)) إلى العكس تماماً الآن "خلف"! وكذلك تغيَّر معنى "أغاني المهرجانات" مِن الأغاني الراقية التي تصل إلى المهرجانات العالمية إلى العكس تماماً الآن: الأغاني الشعبية وأحياناً المبتذلة!

ومِن الجدير بالذكر أن بعض المراجع الإسلامية تعترف بأن معنى "حنيف" قد تغيَّر. على سبيل المثال، قال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: "أصل الحنف: الميل، ومنه قولهم رجل أحنف أى مائل القدمين إلى بعضهما بعضاً. قالت أم الأحنف: والله لولا الحنف برجلِه ما كان فى فتيانكم من مِثلِه. ولمَّا مال إبراهيم عن أديان الشرك إلى دين التوحيد قيل فيه حنيف وصار بمعنى مستقيم"[2340]. لاحظ كلمة "وصار" التى تدل على التغيير. ونحن أيضاً نقول إن معنى "حنيف" قد تغير، إلا أننا لا نُرجِع هذا التغيير إلى إبراهيم، وإنما إلى أصحاب القرآن أو أجدادهم العرب على أقصى تقدير. فلا يوجد أي دليل علمي يثبت أن كلمة "حنيف" كانت معروفة ومستخدمة أيام إبراهيم – هذا إذا افترضنا جدلاً أن إبراهيم شخصية تاريخية حقيقية. وبالتالي، فإن إدعاء أصحاب القرآن أن إبراهيم نطق كلمة "حنيفاً" إدعاء مرفوض لأنه يفتقر إلى الدليل. وما "حنيف" إلا كلمة سريانية معربة انتشرت بين العرب بعد انتشار المسيحية وقبل ظهور الإسلام.

ونحن نتفق مع (Prof. Gabriel Said Reynolds) في النتيجة التي وصل إليها، ونضيف إلى ما قاله الأحاديث النبوية التي وضعت "الحنيفية" مقابل "اليهودية" و "النصرانية"، بل مقابل كل الأديان الشرق-أوسطية الأخرى مثل المجوسية والوثنية/الشرك. اقرأ مثلاً حديث "إن الدين عند الله الحَنيفيَّةُ، غيرُ المشركة، ولا اليهودية، ولا النصرانية"[2341]، وهو حديث مدني أيضاً لأنه يذكر سورة البينة وهي سورة مدنية. انظر أيضاً ما قاله الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة عن حديث "إن ذات الدين الحَنيفيَّةُ المسلمةُ، لا اليهودية، ولا النصرانية، ولا المجوسية"[2342]، وكذلك ما قاله الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة عن حديث: "إنى لم أُبعَث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكنى بُعِثتُ بالحنيفية السمحة"[2343].

وحتى في القرآن المكي، نجد أن أصحاب القرآن قد وصفوا محمداً مرتين بـ "النَّبِيّ الْأُمِّيّ"[2344] (الأعراف 157-158) (مكية، حسب التقليد الإسلامي[2345])، وأيضاً وضعوا بينهما عبارةً تنفي الشرك "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" (الأعراف 158) وعبارةً تصف إلهَ محمد بأنه هو الذي "يُحْيِي وَيُمِيتُ" (الأعراف 158) أي نفس الوصف الذي وضعه أصحابُ القرآن على لسان إبراهيم حين وصف إلهَه "إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ" (البقرة 258). لماذا فعل أصحابُ القرآن كل ذلك؟! الإجابة تنقسم إلى شقين. أولاً: لأن أصحاب القرآن تأثروا بالتوراة التي تصف الله الواحد الأحد بقوله: "اُنْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي" (التثنية 32:39). وثانياً: لأن أصحاب القرآن أرادوا تقديمَ محمد كنسخة مِن إبراهيم. أو بعبارة أكثر دقة: أرادوا إعادةَ تقديم إبراهيم بحيث يكون نسخة مِن محمد: ليس يهودياً ولا مسيحياً، ومع ذلك مُوحِّد. حنيفاً (أُميّاً، عربياً)، لكن ليس مشركاً. لم يقرأ التوراة ولم يقرأ الإنجيل، لكنه اهتدى إلى اللهِ الواحد الأحد الذي لا شريك له. ينتمي إلى "أُمَّة" (nation) غير يهودية وغير مسيحية، ومع ذلك آمن بالتوحيد. وتوجد آيات قرآنية تربط صراحةً وبوضوح بين إبراهيم ومحمد، وبخاصة فيما يتعلق بالتوحيد. اقرأ مثلاً: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا (أي: وجعل إبراهيمُ التوحيدَ) كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ (أي: مشركي مكة) وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (أي:

محمد). وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ" (الزخرف 26-30). اقرأ أيضاً (العنكبوت 16-26) حيث يتحدث السياق عن قصة إبراهيم وقومه الوثنيين (العنكبوت 16-17)، ثم ينتقل الخطابُ فجأة إلى أهل مكة (قوم محمد الوثنيين)! أو إلى الكافرين بصفة عامة (العنكبوت 18-23)، ثم يعود السياقُ مرة أخرى إلى قصة إبراهيم وقومه (العنكبوت 24-26)[2346]! والأفكار الأساسية في هذا السياق القرآني (العنكبوت 16-26) هي التوحيد المطلق والقيامة والحساب والجزاء؛ أي: نفس الأفكار اليهودية والمسيحية التي كان محمدٌ ينادي بها، لكن أصحاب القرآن نسبوها إلى إبراهيم ليحققوا هدفين. الهدف الأول: ليزعموا أن هذه الأفكار "إبراهيمية" وليست يهودية ولا مسيحية. الهدف الثاني: ليعيدوا تقديمَ إبراهيم بحيث يكون نسخة مِن محمد: ليس يهودياً ولا مسيحياً، ومع ذلك مُوحِّد توحيداً مطلقاً (كاليهود) ومؤمن بالقيامة والحساب والجزاء (كالمسيحيين). يعني باختصار: ليقفزوا مباشرةً من إبراهيم إلى محمد متجاوزين الديانتين اليهودية والمسيحية، أو على الأقل متجاوزين التراث اليهودي الذي يركز تركيزاً شديداً على التوحيد والتراث المسيحي الذي يركز تركيزاً شديداً على القيامة. بل حرص أصحابُ القرآن أن يضعوا على لسان إبراهيم نفس الجمل الإسلامية/العربية التي كان محمدٌ يقولها، مثل: "إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (العنكبوت 17) "إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (أي: تُرْجَعُونَ)" (العنكبوت 21)؛ "وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ" (العنكبوت 25) "وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ" (الجاثية 34). وذلك حتى تتطابق شخصيتا إبراهيم ومحمد تطابقاً كاملاً في الإيمان وأيضاً في الأقوال، فتتحد الشخصيتان في شخصية واحدة هي: رسول الله، النَّبِيّ الأُمِّيّ، الحنيف الموحِّد.

يقول (Prof. Gabriel Said Reynolds)[2347]:

> […] In this light it becomes clear why in one place the Qurʾān describes Abraham "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (Q 16.120) with the related term *umma*, a nation, a description which per se seems awkward. In fact this description is meaningful in two ways. First, it reflects the Biblical description of Abraham as a nation (*gōy*, Gn 18.18), itself an epithet that reflects the divine promise of blessing. Second, it separates Abraham from the Jews and the Christians, making him – like the Qurʾān's own prophet – a prophet of the gentiles. Thus J. Bowman comments: "[Abraham] is the Gentile prophet [النَّبِيّ الأُمِّيّ], the prophet of the Gentiles in either the Old Testament or New Testament sense, and for the Gentile Arabs he is the national prophet, the prophet from among themselves."

3.7.1.3.4 هل توجد علاقة بين إبراهيم ومَكَّة؟ بل هل توجد علاقة بين إبراهيم ومحمد؟

ولكي يكون محمد نسخة مِن إبراهيم وإبراهيم نسخة مِن محمد، ولكي يكون دين محمد هو دين إبراهيم ودين إبراهيم هو دين محمد، ولكي ينتشر القرآنُ/الإسلامُ بسهولة بين العرب الوثنيين الذين رفضوه في الفترة المكية، لجأ أصحابُ القرآن في الفترة المدنية إلى الأساطير القومية/العربية الموروثة التي تقول إن إبراهيم كان عربياً (أو على الأقل: عاش لفترة في شبه جزيرة العرب!)، وإنه أبو إسماعيل أبو العرب، وإنه رفع قواعد بيت الله (أي: أسس الكعبة في مكة حسب التراث العربي/الإسلامي!) مع ابنه إسماعيل! نجد ذلك في "دعاء إبراهيم" المدني (البقرة 126-129): "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ (أي: الكعبةَ البيت الحرام[2348] في مكة حسب التراث العربي/الإسلامي!) مَثَابَةً (أي: ملاذاً؛ مَجْمعاً؛ مَرْجِعاً) لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ (أي: موضع قيام إبراهيم لبناء الكعبة؛ أو: موضع قيام إبراهيم للصلاة فيه) مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا (أي: مكة حسب التراث العربي/الإسلامي!) بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ [اللهُ] وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا [في الدنيا] ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً (nation) مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ (أي: في ذُرِّيَّتِنَا؛ في ذرية إسماعيل) رَسُولًا مِنْهُمْ (هو محمد حسب التقليد الإسلامي) يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ (أي: يُعرِض عن) مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ (أي: امتهن إنسانيته وعقله! أذل نَفْسَهُ واحتقرها!) وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ (أي: أذعنتُ) لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" (البقرة 125-131) (مدنية).

ولنبدأ أولاً بما قاله د. طه حسين في هذه المسألة[2349]:

> للتوراة أن تحدِّثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدِّثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدّثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة (أي: العدنانيين) فيها. [...].
>
> [...]
>
> [...] وإذن فليس ما يمنع قريشاً من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم، كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب مشابهة أسطورة أخرى صنعها لها اليونان تثبت أن روما متصلة بإينياس ابن بريام صاحب طِرْوادة.

أمر هذه القصة إذن واضح. فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام، واستغلها الإسلام لسبب ديني، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً. وإذن فيستطيع التاريخ الأدبي واللغوي ألا يحفل بها عندما يريد أن يتعرّف أصل اللغة العربية الفصحى.

ثم نطرح سؤالاً: مِن أين جاءت تلك الأسطورة العربية←القرآنية المتعلقة بإقامة بناء الكعبة في مكة على يد إبراهيم وبمساعدة ابنه إسماعيل: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ [...]" (البقرة 127)؟

يوجد رأي يقول إن جذور تلك الأسطورة العربية←القرآنية ترجع إلى الإسرائيليات (أي: أساطير أهل الكتاب؛ أساطير اليهود و/أو النصارى) التي تسللت إلى القرآن. نعم، (البقرة 127) مِن الإسرائيليات الموجودة في القرآن. وكما نقول دائماً: الإسرائيليات ليست في كتب التفاسير والأحاديث فقط، وإنما أيضاً في القرآن نفسه. الإسرائيليات موجودة بقوة وكثرة في القرآن، بل إنها عنصر أساسي في تكوين الإسلام. فلولا انتشار الثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian) بين أبناء الثقافة العربية، لمَا ظهر الإسلامُ. ومِن ثم نقول إن القرآن هو المصدر الرئيسي للإسرائيليات في الإسلام. قصص إبراهيم مجرد مثال.

ونظراً لكثرة وتنوع الأساطير اليهودية والمسيحية التي تتعلق بإبراهيم والتي انتشرت في الشرق الأوسط قبل الإسلام، فإننا حرصاً على عدم الإطالة سنكتفي بنظرة عامة على الأساطير اليهودية وكذلك نظرة عامة على الأساطير المسيحية. ولمزيد من التفاصيل، يمكن الرجوع إلى المراجع العلمية والأكاديمية التي سنذكرها في الحواشي السفلية (footnotes).

ونبدأ أولاً بالأساطير اليهودية. توجد بالفعل أسطورة يهودية قديمة تقول إن إبراهيم هو مَن وضع أساس الهيكل المقدس (Holy Temple) بيت الرب في أورشليم! تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica) تعليقاً على هذه الأسطورة اليهودية الشهيرة وتأثيرها على القرآن فيما بعد[2350]:

[…] When Muhammad began to fill his suras with stories of the prophets, Abraham received a large share, mainly on the basis of material drawn from talmudic legends. [...] It is remarkable that Ishmael, later so prominent in the Koran, does not appear in any connection with his father [Abraham] during the middle Meccan period, […]. During this period, Ishmael is not treated as an individual in a story, but is merely mentioned as a name in a series of prophets and saints, together with such biblical personalities as Aaron, Job, or Elisha, i.e., far removed from Abraham. Just as there is no connection between Abraham and Ishmael [during the middle Meccan

period], so there is none between Abraham and the building of the Kaaba, the sanctuary of Muhammad’s native city, until late in Muhammad’s prophetic career (e.g., [البقرة 124 وما بعدها]).

There is also little doubt that, in one form or another, he [i.e. Muhammad] heard the story of Abraham as the founder of the Holy Temple of Jerusalem, as told in the Book of Jubilees (22:23–4). The story goes back to II Chronicles 3:1, according to which Solomon built the Temple on the same Mount of Moriah on which Abraham was to sacrifice Isaac (Gen. 22:2). The Book of Jubilees elaborates the story and lets Abraham say that he has built this house in order to put his name on it in the country [i.e. Canaan] which God has given to him and to his posterity, and that it will be given to him (Jacob) and to his posterity forever. With the aid of the new material Muhammad constructed the ingenious theory that Abraham built the Kaaba together with his son Ishmael [البقرة 127], father of the Arabs, and thus founded the religion of Islam, which he, Muhammad, promulgated among his own people [i.e. the Arabs].

وكما قلنا فيما سبق: يرجع تاريخ "كتاب اليوبيلات" (Book of Jubilees) إلى القرن الثاني (وقيل: الثالث) قبل الميلاد، وهو أحد كتب سوديبِجرافا العهد القديم، إلا أن الكنيسة الحبشية هي الكنيسة الوحيدة التي تعترف به ككتاب قانوني. ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد. فمِن المؤكد أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) فى أوائل القرن السابع الميلادى قد سمعوا عن كتاب اليوبيلات وعرفوا محتواه وربما ظنوا أنه وحيٌ من الله إلى موسى النبي. وعندما بحثنا في كتاب اليوبيلات، وجدنا بالفعل هذه الأسطورة اليهودية التي تقول إن إبراهيم قال لحفيده يعقوب بن إسحاق: "فلا تخف، يا ابني يعقوب، ولا ترتعب يا ابن إبراهيم. ليحرسك الله العلي من الدمار، وليحفظك من كل طرق الضلال. أسستُ هذا البيت لك (أو: لي) كي أضع فيه اسمي على الأرض، ولك أعطي (هذا البيت) كما لنسلك إلى الأبد. يُسمَّى بيت إبراهيم (House of Abraham). لك أعطي كما لنسلك إلى الأبد، لأنك أنت مَن يبني بيتي ويقيم اسمي أمام الله، إلى الأبد. ويثبت نسلك واسمك في كل أجيال الأرض" (اليوبيلات 22:23-24)[2351]. ويوجد رأي آخر يقول إن كلمة "بَيْت" هنا لا تعني الهيكل المقدس بيت الرب في أورشليم، وإنما تعني بيت إبراهيم نفسه، أي: سلالته أو ذريته أو عائلته "آل إبراهيم"، باعتبار أن إبراهيم هو أبو شعب إسرائيل في كنعان[2352]. ونحن لا نرى تعارضاً بين الرأيين، فَمِن الواضح أن الفكرتين قد انتقلتا إلى العرب (أصحاب القرآن)، فصار

إبراهيم – من خلال عملية التطور البشري الطبيعي – هو مؤسس الكعبة بيت الله الحرام في مكة "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ [...]" (البقرة 127) وهو أيضاً أبو العرب في مكة الحجاز "إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ (أي: في مَكَّة حسب التراث الإسلامي!)" (إبراهيم 37)، بل هو أبو المسلمين جميعاً "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ" (الحج 78). ولا يزال المسلمون في صلواتهم اليومية يصلون ويباركون "على إبراهيم وعلى آل إبراهيم".

لكن كيف يكون إبراهيم هو مؤسس الهيكل المقدس بيت الرب في أورشليم؟! للإجابة على هذا السؤال يجب الربط بين آيتين كتابيتين. حسب ما جاء في (2 أخبار الأيام 3:1)، فإن المكان الذى بُنِيَ فيه الهيكل في عهد سليمان هو جبل الْمُرِيَّا (Mount Moriah) في أورشليم: "وَشَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ (بالعبرية: bēt) الرَّبِّ **[⟵ "الْبَيْتَ [...] بَيْتِيَ [...] الْبَيْتِ" (البقرة 125-127)]** فِي أُورُشَلِيمَ **[⟵ في مكة!]**، فِي جَبَلِ الْمُرِيَّا حَيْثُ تَرَاءَى لِدَاوُدَ أَبِيهِ، حَيْثُ هَيَّأَ دَاوُدُ مَكَانًا [...]" (2 أخبار الأيام 3:1). ولم يُذكَر اسمُ "الْمُرِيَّا" (Moriah) قبل ذلك إلا مرة واحدة فقط، في قصة الذبيح إسحاق التي حدثت عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ في أَرْضِ الْمُرِيَّا (Moriah): "فَقَالَ [اللهُ لإبراهيم]: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا (Moriah)، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ»" (التكوين 2:22). فيُعتقَد أنه نفس الجبل، وأنه "جبل الهيكل" (Temple Mount) في أورشليم حالياً[2353]. وبما أن قصة الذبيح التوراتية تقول إن إبراهيم بنى الْمَذْبَحَ في هذا الْمَوْضِعِ وكان ابنُه إسحاق يحمل حَطَبَ المذبح: "فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. [...] فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ" (التكوين 22:6-9). وبما أن إبراهيم وقتئذٍ كان عمره أكثر من 100 سنة (التكوين 21:5). إذن: لا نتصور أن الشيخ إبراهيم "بَنَى الْمَذْبَحَ" (التكوين 22:9) وحده، فَمِن المؤكد أن إسحاق كان يساعده. بل قال "يوسيفوس" (Flavius Josephus) اليهودي (القرن الأول الميلادي) في الفقرة (1.13.2) مِن كتابه الشهير (Antiquities of the Jews)[2354] إن الشاب إسحاق (عُمره 25 سنة) كان يبني الْمَذْبَحَ (he was building the altar). ويوجد في كتب التراث اليهودي مَن قال إن إسحاق كان عُمره وقتئذٍ 37 سنة، وهذا يؤيد أكثر الرأي القائل إنه اشترك في بناء المذبح[2355]. ومِن ثم نستنتج أن اليهود قد فهموا أن الشاب إسحاق ساعد أباه الشيخ إبراهيم في بناء المذبح. ومِن ثم أيضاً نستطيع أن نفهم كيف نشأت الأسطورة اليهودية التي تقول إن إبراهيم هو مؤسس الهيكل المقدس بيت الرب في أورشليم. فلقد ربطت هذه الأسطورة اليهودية بين هاتين الآيتين الكتابيتين فصار الْمَذْبَح الذي بناه إبراهيمُ بمساعدة ابنه إسحاق على جبل الْمُرِيَّا (التكوين 22:2-9) هو حجر الأساس للهيكل المقدس بيت الرب الذي سيبنيه حفيدُهما سليمان على جَبَلِ الْمُرِيَّا أيضاً (2 أخبار الأيام 3:1). ثم تطورت هذه الأسطورة اليهودية تطوراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في القرآن المدني العربي، فصار إسماعيل أبو العرب – وليس إسحاق أبو إسرائيل – هو الذي ساعد إبراهيمَ في بناء الكعبة بيت الله الحرام في مكة: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ [...]" (البقرة 127). ثم نجد

بعدها مباشرةً الإشارة إلى ذرية إبراهيم وإسماعيل (أي: سلالتهما): "رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا (أي: من سلالتنا) أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ [...]" (البقرة 128). فكما قلنا فيما سبق، لا يوجد تعارض بين كلمة "بَيْت" بمعنى مكان مقدس لعبادة الله الواحد الأحد وكلمة "بَيْت" بمعنى سلالة أو ذرية أو عائلة "آل إبراهيم" تعبد الله الواحد الأحد. وفي الواقع، فإن حتى هذا الدعاء الذي وضعه أصحابُ القرآن المدني على لسان إبراهيم (و/أو إسماعيل) والذي يتعلق بعلاقة ذريتهما بالله "وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة 128) هو أيضاً مجرد تطور بشري طبيعي لدعاء وضعه التراثُ اليهودي البشري على لسان إبراهيم ويتعلق بعلاقة ذريته وذرية إسحاق بالله! وهكذا نجد مرة أخرى العرب أصحاب القرآن يحذفون اسمَ إسحاق (أبو إسرائيل) ويضعون مكانه اسمَ إسماعيل (أبو العرب)!

نجد هذا الدعاء الذي وضعه التراثُ اليهودي البشري على لسان إبراهيم موجوداً في أكثر مِن عمل يهودي. على سبيل المثال: الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد[2356]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة. ومِن المعلوم أن ترجوم نيوفيتي ليس ترجمة حرفية للتوراة، وإنما ترجمة تفسيرية (interpretive translation) للتوراة، بل ترجمة + شرح (تعليق) يضيف كثيراً من التفاصيل غير الموجودة في التوراة. وأحياناً تكون هذه الإضافات لأسباب سياسية أو اجتماعية أو دينية معاصرة؛ مثلاً: التأكيد على أن مكان المذبح الذي بناه إبراهيم وإسحاق هو نفسه مكان هيكل سليمان (أي: الهيكل الذي بناه سليمان). إذن: الترجوم الآرامي ليس نسخة طبق الأصل من التوراة، وإنما تطور بشري طبيعي للتوراة. يعني مثل القرآن العربي. أو بعبارة أكثر دقة: التوراة العبرية **[⟵ الترجوم الآرامي (نيوفيتي) ⟵ الترجوم العربي (القرآن)]**.

فلقد حاول ترجوم نيوفيتي أن يقدم توضيحاً للآية التوراتية الغامضة "فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ يِرْأَهْ». حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى»" (التكوين 22:14) التي جاءت بعد بناء إبراهيم للمذبح بمساعدة ابنه الذبيح إسحاق (التكوين 22:6-9). فقال ترجوم نيوفيتي: "وتعبّد إبراهيمُ وصلّى (worshiped and prayed) لاسم كلام الرب قائلاً: "أطلب منك بالرحمة (mercy) التي أمامك، يا رب (Lord)! كل شيء جليّ ومعروف أمامك. لم يكن تردّدٌ في قلبي (أو: لم يكن انقسامٌ في قلبي) (there was no division in my heart) (أي: لم أتردد) منذ الساعة الأولى التي قلتَ لي فيها بأن أذبح ابني إسحاق، وأحوّله تراباً ورماداً أمامك. ولكني نهضتُ في الحال، في الصباح الباكر، ونفّذتُ الأقوال بعجل، وأتممتُ القرار بفرح. والآن، حين يكون أبناؤه (أي: أبناء إسحاق؛ ذريته) في زمن الضيق، تذكّر "عقادة" أبيهم إسحاق واسمع صوت تضرّعهم. استجبْهم ونجّهم من كل ضيق، فتقول الأجيال التالية (أي: ذريتنا): "على جبل معبد الرب (Lord’s Temple) حيث قدّم إبراهيمُ ابنَه إسحاق، على هذا الجبل تجلّى له مجدُ سكنى الربّ (Shekinah of the Lord)"""" (ترجوم نيوفيتي. التكوين 22:14)[2357].

فنلاحظ هنا عدة نقاط مهمة في الترجوم الآرامي (نيوفيتي) **[⟵ الترجوم العربي (القرآن)]**:

أولاً: دعاء إبراهيم لذرية إسحاق أن يعاملهم اللهُ برحمة [⟵ دعاء إبراهيم (و/أو إسماعيل) لذرية إسماعيل أن يرحمهم اللهُ: "وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا (أي: سامحنا واغفر خطايانا؛ تجاوز عن ذنوبنا) ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (Most Merciful)" (البقرة 128)].

ثانياً: جاء هذا الدعاء بعد بناء إبراهيم للمذبح بمساعدة ابنه إسحاق [⟵ جاء هذا الدعاء بعد بناء إبراهيم للبيت بمساعدة ابنه إسماعيل أو أثناء البناء: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ [وَيقُولَانِ] رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (البقرة 127)]! مما يدل على أن التشابه بين الأساطير اليهودية والأسطورة القرآنية لا يقتصر فقط على الأفكار (motifs)؛ وإنما يمتد أيضاً ليشمل ترتيب الأحداث (sequence of events)!

ثالثا: ذكر السياقُ صراحةً "معبد الرب" (Lord's Temple) والمقصود هو "بيت الرب" الذي بناه سليمان "وَشَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ (The House of The Lord) فِي أُورُشَلِيمَ، فِي جَبَلِ الْمُرِيَّا [...]" (2 أخبار الأيام 1:3). ومما يؤكد ذلك عبارة "مجدُ سكنى الربّ" (Shekinah of the Lord) لأن الشاكيناه باللغة العبرية هي مجد الله أو نور الله الذي يعبر عن حضرته. "والشاكيناه من السكنى حيث كان يسكن الله بحضرته في قدس الأقداس فوق التابوت"[2358]، وهو أقدس مكان في بيت الرب. [⟵ ذكر السياقُ القرآني صراحةً "بيت الله": "الْبَيْتَ [...] بَيْتِيَ [...] الْبَيْتِ" (البقرة 125-127). ثم ذكرت سورةُ البقرة "الشاكيناه" (بالعربية: السكينة) مع التابوت! "التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ" (البقرة 248)].

رابعاً: بخلاف الآية التوراتية الأصلية التي نطق فيها إبراهيمُ اسمَ الرَّبِّ مرة واحدة فقط: "فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ يِرْأَهْ»" (التكوين 14:22)، فإننا نجد في الترجوم الآرامي (نيوفيتي) أن إبراهيم قد نطق كلمةَ "رب" (Lord) 3 مرات. [⟵ وكذلك في الترجوم العربي (قرآن)، نطق إبراهيمُ كلمةَ "رب" (Lord) مرة واحدة: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ" (البقرة 125)، ثم نطق إبراهيمُ (و/أو إسماعيل) كلمةَ "رب" (Lord) 3 مرات: "رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا [...]. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ [...]. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ [...]" (البقرة 127-129)]!

خامساً: "لم يكن تردّدٌ (أو: لم يكن انقسامٌ) في قلبي (there was no division in my heart)" التي نجدها أحياناً في الترجوم الآرامي فيما يتعلق بإبراهيم[2359]، ونجدها أيضاً في أعمال يهودية مهمة تحدثت عن إبراهيم قبل الإسلام مثل "فيلو" (Philo) الذي قال: "وحسناً قيل "حُسِب إيمانه براً له" (التكوين 6:15)، لأنه لا شيء بار أو عادل مثل أن نضع في الله وحده الثقة النقية وغير المختلطة بشيء (for nothing is so righteous as to have an unalloyed and entire belief in the only God)"[2360]. وكذلك قال "يوسيفوس" (Josephus)[2361]. وطبعاً لهذه الفكرة جذور في الكتاب المقدس[2362]، ثم تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً فصارت في القرآن "بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (أي: خالي من الشرك)" التي لم تُذكَر في القرآن كله إلا مرتين فقط، وكلتاهما أيضاً في قصة إبراهيم (الشعراء 89) و (الصافات 84)

التي جاءت بعدها قصةُ الذبيح القرآنية (الصافات 99-113)! أو لعلها سبب نشأة كلمة "مسلم" بمعنى: خاضع تماماً ومُنقاد بالكامل ومستسلم بالعبادة والطاعة لله وحده لا شريك له؛ والتي تكررت ومشتقاتها 7 مرات في هذا السياق القرآني المتعلق بإبراهيم وذريته: "مُسْلِمَيْنِ لَكَ [...] مُّسْلِمَةً لَّكَ [...] قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [...] مُّسْلِمُونَ [...] لَهُ مُسْلِمُونَ [...] لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة 128-136)، كما جاءت في سياقات قرآنية أخرى مع إبراهيم أيضاً وبنفس معناها في التراث اليهودي، وهو الخضوع التام والإخلاص الكامل بالعبادة والطاعة لله وحده في كل شيء وفي جميع الأحوال. اقرأ مثلاً: "قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ [التوحيد الخالص] أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" (الأنعام 161-163).

إذن: نحن أمام عمليتي "تعريب" و "أسلمة" للتراث اليهودي! [وكما سنرى بعد قليل: (البقرة 132-133) مستوحاة بالفعل من الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي.]

وبالطبع نجد هذا الدعاء المنسوب لإبراهيم موجوداً في أعمال يهودية أخرى. مثلاً: في المدراش اليهودي، وتحديداً في الفصل 10:56 من كتاب "التكوين ربّاه" (Genesis Rabbah) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[2363] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة. ونظراً لتشابهه مع الدعاء المنسوب لإبراهيم في ترجوم نيوفيتي، فإننا لن نذكره بالتفصيل وسنكتفي بأن نقول إننا نراه أكثر تركيزاً على رحمة الله أو حنانه على ذرية إسحاق (be filled with compassion for Isaac's children)[2364]

[← دعاء إبراهيم (و/أو إسماعيل) لذرية إسماعيل أن يرحمهم الله: "وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا (أي: سامحنا واغفر خطايانا؛ تجاوز عن ذنوبنا) ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (Most Merciful)" (البقرة 128)].

ويبدو لنا أن هذه الأعمال اليهودية البشرية 100% – مثل المدراش والترجوم وغيرهما – التي ظهرت في الفترة بين المسيحية والإسلام (أي: قبل الإسلام، لكن بعد المسيحية) قد أرادت أن تعيد قراءةَ قصة الذبيح إسحاق التوراتية (التكوين 22:1-19) بحيث يكون لها قيمة خلاصية تركز على رحمة الله ومحبته لليهود (ذرية إبراهيم وإسحاق بالجسد)، كرد فعل للديانة المسيحية التي تؤكد أن رحمة الله ومحبته هي التي جعلت المسيحَ (إسحاق الحقيقي) يموت على الصليب فداءً لنا المؤمنين به (أبناء إبراهيم وإسحاق بالإيمان) مِن أجل خلاصنا ولمغفرة خطايانا وحياتنا الأبدية: "هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ (أي: يسوعَ المسيح)، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا 3:16). "اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ (mercy)، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ (أي: نعمة مِن الله الرحيم ولَيْسَ بسبب بِرّكم الذاتي ولا بسبب أعمالكم الصالحة)" (أفسس 2:4-8).

ثم جاء أصحابُ القرآن المدني في القرن السابع الميلادي وفعلوا نفس الشيء الذي فعله اليهود في القرون الأولى للميلاد، لكنهم كالعادة حذفوا اسمَ إسحاق (أبو إسرائيل) ووضعوا مكانه اسمَ إسماعيل (أبو العرب). فبدلا مِن إسحاق يساعد أباه إبراهيم في بناء المذبح (التكوين 22:6، 9) الذي صار فيما بعد الهيكل المقدس بيت الرب في أورشليم (2 أخبار الأيام 3:1)، جعلوه إسماعيل يساعد أباه إبراهيم في بناء الكعبة بيت الله الحرام في مكة: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127)!

نَقْل للتاريخ: إسحاق **[⟵ إسْمَاعِيل]**. ونَقْل أيضاً للجغرافيا: أورشليم **[⟵ مكة]**!

نكتفي بهذا القدر من الأساطير اليهودية وننتقل الآن إلى الأساطير المسيحية. توجد بالفعل أسطورة مسيحية، بل أساطير مسيحية سريانية تنتمي إلى القرون الرابع والخامس والسادس بعد الميلاد – أي: قبل الإسلام، وتقول إن إسحاق قد ساعد أباه إبراهيم في بناء الْمَذْبَح، وبعبارات أكثر وضوحاً من التوراة (التكوين 22:6، 9) **[⟵ مع التطور البشري الطبيعي بالحذف و/أو الإضافة، صار إسماعيل هو الذي يساعد أباه إبراهيم في بناء البيت: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127)]**.

والمدهش هنا أن التشابه بين الأساطير المسيحية السريانية والأسطورة القرآنية لا يقتصر فقط على الأفكار (motifs) وأهمها بالطبع هو مشهد البناء (construction scene) الذي يشترك فيه الأب إبراهيم مع ابنه إسحاق **[⟵ إسْمَاعِيل]**؛ وإنما يمتد التشابه أيضاً ليشمل الكلمات (vocabulary)! فتقول عظة مسيحية سريانية (القرن الرابع الميلادي) إن إسحاق أراد أن يكون البناء يشبه هيكلاً (a temple)، بينما تقول عظة مسيحية سريانية أخرى كتبها "يعقوب السروجي" أسقف سروج بشمال العراق (Jacob of Serugh) (ت حوالي 521م) إن إبراهيم أراد أن يبني بيتاً (بالسريانية: baytā)[2365] **[⟵ "الْبَيْتَ [...] بَيْتِيَ [...] الْبَيْتِ" (البقرة 125-127)]**! وكذلك الفعل الذي استخدمه يعقوبُ السروجي للتعبير عن عمل البناء الذي قام به إبراهيم هو بالسريانية (ngad) الذي يعني في اللغة العربية "ارتفع"[2366][2367] **[⟵ "يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ" (البقرة 127)]**! أما المفعول به في عظة يعقوب السروجي فهو بالسريانية (dumsā) التي تعني "بناء" (edifice) أو "بيت" (house) أو "صف من الحجارة" (layer of stones) أو "أساس البناء" (foundation of a building)[2368] **[⟵ "الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ (أي: أساسه؛ قاعدته)" (البقرة 127)]**. ويجب هنا أن نقول أيضاً إن كلمة "الْقَوَاعِد" لم تأتِ بهذا المعنى في القرآن كله إلا مرتين فقط: المرة الأولى هنا مع كلمة "الْبَيْت" (بالسريانية: baytā) (البقرة 127)، والمرة الثانية مع كلمة "بُنْيَانَ" (بالسريانية: benyānā) (النحل 26)[2369]، مما يؤكد العلاقة بين كلمة "الْقَوَاعِد" القرآنية والتراث المسيحي السرياني، وبخاصة أن القرآن قد استخدم كلمةَ "بُنْيَانًا" السريانية الأصل (أو: الآرامية الأصل[2370]) في مشهد بناء آخر في قصة إبراهيم "قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ" (الصافات 97) التي جاءت بعدها قصةُ الذبيح القرآنية (الصافات 99-113)، واستخدمها أيضاً في قصة أصحاب الكهف "فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا" (الكهف 21)

وهي قصة قرآنية ممتعة لكنها مستوحاة بلا أدنى شك مِن كتابات يعقوب السروجي كما سوف نثبت ذلك بالأدلة في فصلٍ مستقل. في ضوء كل ما سبق، فإنه مِن الواضح أن ما قاله أصحابُ القرآن في أوائل القرن السابع الميلادي بالعربية "يَرْفَعُ [...] الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ" (البقرة 127) هو مجرد تطور بشري طبيعي لما قاله أستاذهم ومعلمهم وأبوهم الروحي المفكر المسيحي السرياني الكبير يعقوب السروجي في أوائل القرن السادس الميلادي بالسريانية (ngad dumsā).

والمدهش أيضاً هو طبيعة تلك المساعدة التي قدَّمها إسحاقُ لأبيه إبراهيم أثناء اشتراكهما معاً في البناء. الرأي السائد في التراث المسيحي السرياني هو أن إسحاق كان مسئولاً عن حمل الحجارة (stones) أو حمل الخشب (wood)؛ وهي فكرة مستوحاة بلا شك من التوراة التي تقول إن إسحاق حمل الحطب: "فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ" (التكوين 6:22). مثلاً، تقول عِظة يعقوب السروجي إن إسحاق لَمَّا رأى أباه إبراهيم يبني المذبح (البيت)، حمل الحجارة بنفسه ليحضرها إلى أبيه إبراهيم:

Abraham [...] / [...] began to build an altar for the Lord [...] / [...] / in order to build there a house [...] / And when Isaac gazed and saw what his father was doing, / he himself lifted stones in order to bring them forth to build the altar[2371].

وهو نفس ما قاله تفسيرُ القرآن بعد ذلك، بل هو نفس ما يقوله المسلمون إلى اليوم في قصة بناء الكعبة في مكة بسواعد إبراهيم وإسماعيل. يقول الأستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر المصرية في القرن العشرين الميلادي): "فقاما معاً (أي: إبراهيمُ وإسماعيلُ) ببناء هذا البيت [الحرام] بالحجارة، فكان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة"[2372]! وقال الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر الأسبق: "وظل إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، [...]، وهكذا تعاون إبراهيم وإسماعيل حتى رفعا قواعد البيت [الحرام] وأتما بناءه"[2373]! ونحن بصراحة نندهش حين نرى كبار علماء الأزهر في العصر الحديث يرددون أساطير إسلامية قديمة هي أصلاً مجرد تطور بشري طبيعي لأساطير مسيحية سريانية انتشرت في الشرق الأوسط قبل الإسلام! أساطير بشرية 100% وما أنزل اللهُ بها مِن سلطان! ألا يستطيع كبار علماء الأزهر التمييز بين الأساطير البشرية التي تتناقلها ألسنةُ الناس بدون دليل وبين الحقائق التاريخية التي تعتمد على الأدلة العلمية المادية؟! فإذا كان بعضُ "كبار علماء" الأزهر لا يستطيعون التمييز بين الأساطير البشرية والحقائق التاريخية، فكيف نثق في حُكمهم على أي أمر مِن أمور الحياة؟! بل كيف سيقود الأزهرُ الأمةَ الإسلامية كما يزعمون؟!

لا يوجد أي دليل علمي يثبت أية علاقة تاريخية بين إبراهيم وإسماعيل والكعبة بيت الله الحرام في مكة. وإنما كل ما قاله القرآنُ والإسلامُ في هذه المسألة هو مجرد تطور بشري طبيعي لأساطير يهودية وأساطير مسيحية سريانية تتحدث عن وجود علاقة بين إبراهيم وإسحاق والهيكل المقدس بيت الرب في

أورشليم. نَقْل للتاريخ: إسحاق **[← إسْمَاعِيل]**. ونَقْل للجغرافيا: أورشليم **[← مكة]**! ونَقْل للدين: الهيكل المقدس بيت الرب في أورشليم **[← الكعبة بيت الله الحرام في مكة]**!

وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بما سبق، ثم نذكر تعليق الباحث (Dr. Joseph Witztum) على عِظة يعقوب السروجي (ت 521م) بصفة خاصة وتأثيرها على القرآن (البقرة 127) بعد ذلك، مع الإشارة باختصار إلى تأثير أعمال يعقوب السروجي على آيات قرآنية أخرى وبخاصة قصة أصحاب الكهف (الكهف 9-26)[2374]:

> The source most relevant to our issue is a Syriac verse-homily by Jacob of Serugh (d. 521) dedicated to Genesis 22, *On Abraham and his Types*, […]. The description of the building of the altar runs for several lines and emphasizes Isaac's willing participation in his own sacrifice. […]
>
> […].
>
> In Jacob's homily, we have more than Isaac simply helping with the building of the altar. The whole scene is described in terms of construction: Abraham is a master-builder (*ardēklā*), Isaac is a laborer who carries stones (*pāʿlā d-kēpē*), and most importantly, the structure being built is not only an altar but also a house (*baytā*). I suggest that such a version in which Abraham built an altar which was also a house together with his son (Isaac) served as the background for the Quranic scene in which Abraham and his son (Ishmael) raise the foundations of the house together. Without putting too much emphasis on it, I find the similarity between the Arabic يَرْفَعُ الْقَوَاعِدَ and the Syriac *ngad dumsā* strongly suggestive. قَوَاعِدَ and *dumsā* can both mean "foundation(s)" or "row(s) of bricks". *{footnote 62: For my argument it is not crucial that dumsā be shown to mean "layer of stones" or "foundation" (as opposed to "house" or "edifice") in this instance, only that it might have been understood in this manner.}* Likewise, the two verbs [يَرْفَعُ and *ngad*] are not that far apart in meaning. While the Arabic [يَرْفَعُ] means "to raise", the Syriac [*ngad*] means "to pull" or "to extend". It is of interest that "a certain resemblance" has been noted previously between the Quran [(الكهف 9-26) يقصد: قصة أصحاب الكهف] and another homily of Jacob

regarding the story of the Sleepers of Ephesus. I have also drawn attention to a Quranic parallel to a motif found in Jacob in the chapter on Adam (4.3.6) [يقصد: الأعراف 20، 27]. Both Jacob and the Quran depict Satan as scheming to divest Adam of his clothing. Our example [يقصد: البقرة 127] then would not be the only instance in which the Quran seems to reflect a [Syriac] Christian tradition as transmitted by Jacob of Serugh.

[…].

Q 2:127 [يقصد: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127)] reflects [Syriac Christian] traditions concerning Genesis 22 […]

[…]

<u>Etiological function</u>

That such parallels exist between the sacrifice story of Genesis 22 and the Quranic scene describing the building of the Kaʿba is not surprising if we take into account the similar etiological function of the two texts. The scene in the Quran serves to explain the origin of worship at the Kaʿba (see Q 2:125) [يقصد: "وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"]. Genesis 22 probably also serves as an etiology for worship at the temple in Jerusalem (see Genesis 22:14), and at the very least was understood in this fashion in later Jewish tradition. Therefore the scene in the Quran may be understood as an appropriation of the foundation story of the Jerusalem temple, adapted to the founding of the Kaʿba. This would not be the first time that the site in which the attempted sacrifice took place was identified with a sacred site of another religion. The Samaritans identified the site with Mount Gerizim, while as a result of their [i.e. the Christians'] typological reading of Genesis 22 as prefiguring the crucifixion [of Jesus], several Christian writers identified the site [at which the attempted sacrifice of Isaac on the altar took place] with Golgotha [at which the real sacrifice of Jesus on the cross took place].

[…]

<u>Conclusion</u>

[…]

Although this chapter suggests that both Christian and Jewish [post-Biblical] traditions [concerning Genesis 22] served as inspiration for the Quranic account [يقصد: البقرة 124-129], the particular affinity with Syriac homiletic poetry, especially the poem of Jacob of Serugh, in both content and phraseology is striking. […]

وفيما يتعلق بالسامريين وجبل جرزّيم الذي أشار إليه الباحث (Dr. Joseph Witztum) باختصار، فإننا نفهم مِن حديث المرأة السامرية مع يسوع المسيح أن السامريين كانوا بالفعل يعبدون اللهَ في مكانٍ مركزي آخر غير أورشليم، فلقد قالت له: "يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! آبَاؤُنَا [السامريون] سَجَدُوا فِي هذَا الْجَبَلِ (أي: جبل جرزّيم Mount Gerizim)، وَأَنْتُمْ [اليهود] تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ" (يوحنا 4:19-20)[2375]. وهذا المكان الآخر المقدَّس عند السامريين هو "شَكِيم" (Shechem؛ حالياً: نابلس في شمال الضفة الغربية) حيث بنى إبراهيمُ أوَّل وأقدم مذبح في كنعان: "فَبَنَى [أَبْرَامُ/إبراهيمُ] هُنَاكَ (أي: في شَكِيم أو بالقرب منها) مَذْبَحًا (altar) لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ" (التكوين 12:7). ثم بنى حفيدُه يعقوب (إسرائيل أبو الأسباط) مذبحاً في شَكِيم أيضاً ويُعتقَد أنه في نفس المكان في شَكِيم وليس في أورشليم، وهو أوَّل وأقدم مذبح يحمل اسم "إسرائيل" و "إله إسرائيل": "ثُمَّ أَتَى يَعْقُوبُ سَالِمًا إِلَى مَدِينَةِ شَكِيمَ الَّتِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، [...] وَأَقَامَ هُنَاكَ مَذْبَحًا وَدَعَاهُ «إِيلَ إِلهَ إِسْرَائِيلَ»" (التكوين 33:18-20). فاستدل السامريون بهذه الآيات التوراتية المهمة لأنها تثبت قِدم شَكِيم وأولويتها وأسبقيتها على أورشليم، كما استدلوا بآيات توراتية أخرى تقول إن جبل جرزّيم هو الجبل الذي نطق عليه بنو إسرائيل بركات طاعة الله قبل أن يدخلوا كنعان أرض الموعد: "وَإِذَا جَاءَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ (أي: أرض كنعان) الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا، فَاجْعَلِ الْبَرَكَةَ (أي: انطقْ بركةَ طاعة الله) عَلَى جَبَلِ جِرِزِّيمَ (Mount Gerizim جنوب شَكِيم)، وَاللَّعْنَةَ (أي: اتلُ لعنةَ عصيان الله) عَلَى جَبَلِ عِيبَالَ (Mount Ebal شمال شَكِيم)" (التثنية 11:29)؛ (التثنية 27) (يشوع 8:30-35). فكان نصفُ شعب إسرائيل يقف عَلَى سفوح جَبَلِ جِرِزّيمَ الجنوبي ويقف النصفُ الآخر عَلَى سفوح جَبَلِ عِيبَالَ الشمالي، ثم يقف الكهنة اللاويون ومعهم تابوت العهد (Ark of the Covenant) في الوادي بين الجبلين ويقرأون بركات الطاعة ولعنات العصيان كما هي مدونة في التوراة، ويجيب الشعب مصادقين بقولهم "آمين". ونلاحظ أن الآية التوراتية السابقة التي تذكر "جَبَل جِرِزّيمَ" صراحةً بالاسم (التثنية 11:29) تأتي مباشرةً قبل (التثنية 12) الذي يتحدث عن تركيز العبادة في مكانٍ طاهرٍ واحد غير مذكور صراحةً بالاسم لكنه يفسر عادةً على أنه أورشليم. ومِن ثم اختار السامريون جبلَ جرزّيم مكاناً لهيكلهم المقدس لأن الدور الذي لعبه جبلُ جرزّيم في تاريخ ودين بني إسرائيل – حسب التوراة – أقدم مِن أورشليم بمئات

السنين. تقول دائرة المعارف الكتابية عن جبل جرزّيم: "كان ذلك الموضع (أي: في شكيم) مقدساً عند بني إسرائيل في الأيام الأولى لدخولهم إلى أرض الموعد (أي: قبل أورشليم بمئات السنين)"[2376]. ويقول الأب متى المسكين: "ظل السامريون يعبدون في نفس المكان ويقيمون الفصح والصلاة في مواعيدها ويتجهون نحوه بالصلاة كقبلة إذا كانوا بعيدين عنه. صورة حزينة لحيرة الإنسان أين يعبد ومَنْ يعبد"[2377].

وفيما يتعلق بقصة الذبيح إسحاق التوراتية (التكوين 22:1-19)، يؤمن السامريون أنها حدثت على جبل جرزّيم في شكيم وليس على جبل الهيكل (جبل الْمُرِيَّا) في أورشليم. أو بعبارة أكثر دقة: يؤمن السامريون أن جبل جرزّيم بالقرب مِن شكيم هو "أَحَدِ الْجِبَالِ" في "أَرْضِ الْمُرِيَّا" حيث حدثت قصة الذبيح إسحاق التوراتية (التكوين 22:2)[2378]. أما الآية التي تؤكد أن جبل الْمُرِيَّا هو جبل الهيكل (بَيْتِ الرَّبِّ) في أورشليم "وَشَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، فِي جَبَلِ الْمُرِيَّا حَيْثُ تَرَاءَى لِدَاوُدَ أَبِيهِ، حَيْثُ هَيَّأَ دَاوُدُ مَكَانًا [...]" (2 أخبار الأيام 3:1)، فلا يؤمن السامريون بها أصلاً لأن السامريين لا يؤمنون إلا بالتوراة (أسفار موسى الخمسة) فقط! وبخاصة أن كلمتي "الْمُرِيَّا" و "أورشليم" غير موجودتين في الآية المناظرة والأقدم زمنياً (1 ملوك 6:1). بل إن كلمة "أورشليم" (Jerusalem) غير موجودة في التوراة أبداً! ومع أنه "يرجح أن شاليم (Salem) التي كان ملكي صادق (Melchizedek) مَلِكاً لها هي نفس أورشليم (التكوين 18:14)"[2379]، إلا أنها في جميع الأحوال لم تكن مدينة مقدسة عند إبراهيم وإسحاق ويعقوب (إسرائيل). بل نفهم من التراث السامري أن إبراهيم كان يقدّس شكيم ويتخذها قِبْلَةً له في الصلاة! فلقد قال التراث السامري (Tibat Marqa 95b-96a) تعليقاً على قصة الذبيح إسحاق التوراتية (التكوين 22:1-19) إن إبراهيم "رَفَعَ عَيْنَيْهِ" (التكوين 22:4) لأنه كان راكعاً (أو: ساجداً) قبلها (previously bowing down) وهو يصلي صلاة الصبح (for it was morning time and Abraham had been praying) في اتجاه جبل جرزّيم (his prayer directed to Mt. Gerizim)[2380]. ويبدو لنا أن هذه الأسطورة السامرية مستوحاة مِن عبارة "وَأَمَّا أَنَا (أي: إبراهيم) وَالْغُلاَمُ (أي: وإسحاق) فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ (worship)" الموجودة في قصة الذبيح إسحاق التوراتية (التكوين 22:5). راجِع أيضاً ما قاله الترجوم الآرامي نيوفيتي إن إبراهيم "تعبّد وصلّى (worshiped and prayed)" هُنَاكَ (ترجوم نيوفيتي. التكوين 22:14).

فيمكن إذن أن نستنتج وجود تقليد موروث قبل الإسلام يقول إن إبراهيم اتخذ مِن هذا الموضع مُصَلًّى و/أو اتخذه قِبْلَةً؛ إلا أن كل فريق يحدد هذا الموضع بطريقة مختلفة: اليهود (والمسيحيون) يقولون إنه عند جبل الهيكل في أورشليم، بينما يقول السامريون إنه عند جبل جرزيم في شكيم.

ثم جاء أصحابُ القرآن ولجأوا إلى نفس أسلوب السامريين، وهو: عدم وجود آيات توراتية واضحة وصريحة تدل دلالة قاطعة على أن أورشليم كانت مدينة مقدسة عند إبراهيم أو حتى موسى يفتح البابَ واسعاً أمام تقديس مدينة أخرى غيرها، لكن ليس شكيم السامرية هذه المرة، وإنما مكة العربية! لكن المشكلة التي

واجهت أصحاب القرآن هي أن التوراة (أسفار موسى الخمسة) لا تقول إن إبراهيم بنى مَذْبحاً لِلرَّبِّ (بيتاً لله) في مكة، بل لم تذكر التوراةُ مكةَ أبداً! فاضطر أصحابُ القرآن إلى اختراع (أو: تبني) أسطورة ذهاب إبراهيم إلى مكة وبنائه الكعبة مع ابنه إسماعيل "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127)، بل زعموا أن الكعبة في مكة هي أوَّل وأقدم بيت مقدس على وجه الأرض! "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ (أي: في مَكَّة حسب التراث الإسلامي!) مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ" (آل عمران 96-97). وهكذا بكل بساطة صارت كعبة مكة أقدم من هيكل أورشليم وأقدم من هيكل شَكِيم! أما جبل الْمُرِيَّا فتحرَّف اسمُه وصار "الْمَرْوَة" وهو اسم عَلَم في القرآن: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا [...]" (البقرة 158). أو بلغة التطور البشري الطبيعي: "جَبَلِ الْمُرِيَّا" "في أورشليم" (2 أخبار الأيام 3:1) **[⟵ جَبَل "الْمَرْوَة" في مكة (البقرة 158)!]**[2381]. ومشهد وقوف المسلمين على جبل عرفات وسعيهم بين جبلي الصفا والمروة في مكة يذكِّرنا على الفور بمشهد وقوف بني إسرائيل على جبلي جِرزِّيم وعِيبَال في شكيم. وبما أن التقليد الموروث عند أهل الكتاب قبل الإسلام يقول إن إبراهيم اتخذ مِن موضع قصة الذبيح مُصَلًّى و/أو اتخذه قِبْلَةً، إذن: يقول القرآنُ للمسلمين "وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ [في مكة] مُصَلًّى" (البقرة 125)، ثم يأمرهم ثلاث مرات أن يتخذوا مِن الكعبة في مكة قِبْلَةً! "قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ (تذكَّر أن التوراة تقول إن إبراهيم "رَفَعَ عَيْنَيْهِ"!) ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (أي: الكعبة في مكة) ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" (البقرة 144) "وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ" (البقرة 149) "وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" (البقرة 150)! وكالعادة، يتهم القرآنُ أهلَ الكتاب بأنهم يعلمون أن قِبْلَة الكعبة في مكة هي "الْحَقُّ" الثابت في كتبهم لكن بعضهم يكتمون "الْحَقَّ" مع معرفتهم به! "وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ. وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ (وهذا يكفينا كدليل قرآني يثبت أن أصحاب القرآن كانوا يعلمون جيداً أن قِبْلَة السامريين غير قِبْلَة اليهود والمسيحيين) ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ (أي: يَعْرِفُون محمداً بأوصافه؛ يَعْرِفُون أن قِبْلَة الكعبة في مكة هي الْحَقُّ؛ يَعْرِفُون الْكِتَابَ) كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (أي: الشاكين فيه)" (البقرة 144-147). وكالعادة أيضاً، لم يقدِّم لنا أصحابُ القرآن مخطوطة واحدة للتوراة تذكر أي شيء عن محمد أو الكعبة في مكة!

ثم جاء مفسرو القرآن وساروا على نفس نهج أصحاب القرآن، فزعموا أن قصة الذبيح القرآنية (الصافات 99-113) حدثت في مكة (يعني: ليس في أورشليم كما يقول اليهود والمسيحيون، ولا في شكيم كما يقول السامريون)، مع أن القرآن نفسه لم يجرؤ أن يقول إن قصة الذبيح حدثت في مكة! وهكذا كل أسطورة قرآنية تؤدي إلى أسطورة أخرى أكبر مِنها في كتب التفاسير وقصص الأنبياء. بعبارة أخرى: زعم أصحابُ القرآن أن بيتَ الله الأول (أي: الأقدم) والأخير (أي: المقبول عند الله) ليس الذي في أورشليم ولا

الذي في شكيم، وإنما الذي في مكة؛ أو بعبارة أكثر دقة: "لَلَّذِي بِبَكَّةَ" (آل عمران 96). وبما أن هذا البيت مرتبط ارتباطاً وثيقاً بقصة الذبيح ابن إبراهيم حسب التراثين اليهودي والمسيحي. إذن: من الطبيعي أن يزعم المفسرون المسلمون أن قصة الذبيح حدثت أيضاً في مكة وليس في أورشليم ولا في شكيم.

ولا يزال المسلمون إلى اليوم يتوهمون وجود علاقة بين إبراهيم وإسماعيل والكعبة في مكة، ويعتبرونها حقيقة تاريخية! مع أنها مجرد أسطورة مِن العيار الثقيل، ونستطيع الآن أن نفهم بالأدلة الموثقة لماذا نشأت هذه الأسطورة وكيف نشأت بفضل عملية التطور البشري الطبيعي مِن دينٍ إلى آخر. وبالتحديد: من التراث اليهودي والتراث المسيحي (السرياني) إلى القرآن.

اقرأ أيضاً ما قاله (Prof. Gabriel Reynolds) في كتابه الشهير (The Qur'an and the Bible) الذي يوثِّق تأثيرَ التراث اليهودي والتراث المسيحي (السرياني) على القرآن[2382]:

> […] The [Qurʾānic] reference to Abraham raising the "foundations" of the "House" in verse 127 [يقصد: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ" (البقرة 127)] could correspond with the [Biblical] reference […] to his building an altar to God on Mount Moriah in Genesis 22:9 […]. In Syriac Christian tradition the altar of Genesis 22 is connected explicitly with a sanctuary. The *[Oriental] Cave of Treasures* identifies the foundation of Jerusalem with the very moment of Abraham's sacrifice on that altar: "At the moment Abraham raised Isaac, his son, on the altar, Jerusalem was founded" ([Or.], 30:1). This identification follows from 2 Chronicles 3:1, where an association is made between the site of Abraham's sacrifice, Mount Moriah (Genesis 22:2), and the site of the [holy] temple in Jerusalem: "Solomon then began building the house (Hb. *bēt*) of the Lord in Jerusalem on Mount Moriah where David his father had had a vision."
>
> Joseph Witztum analyzes a number of pre-Qur'ānic authors who suggest that Isaac helped Abraham build an altar ([…]) as the Qur'ān has Ishmael help him build the "house" (Ar. *bayt*). Jacob of Serugh even has Isaac assist Abraham in building a house (Syr. *baytā*) […]:
>
> […]

Witztum argues that the Qur'ān transfers the imagery associated with Jerusalem in such [Syriac Christian] traditions to Mecca […].

فى جميع الأحوال وأياً كان مصدر القصة القرآنية "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ [...]" (البقرة 127): الموروث الشعبي العربي (كما قال د. طه حسين) أم الأساطير اليهودية القديمة والأساطير المسيحية السريانية (كما أثبتت الدراسات العلمية الحديثة)، النتيجة فى جميع الأحوال واحدة: المصدر بشري وليس إلهياً. ويمكن الجمع بين الرأيين بأن نقول إن هذا الموروث الشعبي العربي كان مجرد محاولة لاستنساخ هذه الأساطير اليهودية/المسيحية التي انتقلت إلى شبه الجزيرة العربية ثم أدخل عليها العرب – كالعادة – بعض التغييرات الضرورية حتى تتلائم مع تاريخ وجغرافيا البيئة العربية. فبدلاً من أن يكون بطل القصة هو إسحاق (أبو إسرائيل وجد المسيح)، جعلوا بطل القصة هو إسماعيل (أبو العرب وجد محمد). وبدلاً مِن أن تدور أحداث القصة في أورشليم أو حتى شكيم (كنعان)، جعلوها تحدث في مكة (الحجاز)!

في ضوء ما سبق، يمكن أن نلخص أهم أركان عملية التطور البشري الطبيعي فيما يتعلق بإبراهيم مِن التراث اليهودي/المسيحي إلى القرآن العربي كما يلي:

إبراهيم أبو شعب إسرائيل في كنعان (إشعياء 2:51) **[⟵ إبراهيم أبو العرب في مكة الحجاز]**.

إبراهيم أبو المسيحيين جميعاً (رومية 12:4) **[⟵ إبراهيم أبو المسلمين جميعاً (الحج 78)]**.

الذبيح ابن إبراهيم هو إسحاق (أبو إسرائيل) (التكوين 22) **[⟵ الذبيح المجهول في القرآن المكي (الصافات 99-113) ⟵ في التراث الإسلامي (المتأخر)، الذبيح ابن إبراهيم هو إسماعيل (أبو العرب)]**.

أورشليم في كنعان **[⟵ مكة في الحجاز]**.

الهيكل المقدس بيت الرب في أورشليم **[⟵ الكعبة بيت الله الحرام في مكة!]**.

إبراهيم وابنه إسحاق يقيمان المذبح في أورشليم (التكوين 22:2-9) **[⟵ "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127) في مكة]**.

"بيت إبراهيم" في أورشليم **[⟵ "مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ" (البقرة 125) (آل عمران 97) في مكة]**.

جبل الْمُرِيَّا في أورشليم **[⟵ جبل "الْمَرْوَةَ" في مكة (البقرة 158)!]**.

إبراهيم يطرد هاجرَ وابنهما إسماعيل "فَمَضَتْ [هاجرُ] وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ (Beersheba) (حالياً: في صحراء النقب Negeb في جنوب إسرائيل/فلسطين)" (التكوين 14:21) **[⟵ "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ [...] رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ (أي: صحراوي) عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ (أي: في مَكَّة حسب التراث الإسلامي!)" (إبراهيم 35-37)]**.

في بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ، "أَبْصَرَتْ [هاجرُ] بِئْرَ مَاءٍ" (التكوين 19:21) **[← "بئر زمزم" في مَكَّة حسب الأسطورة العربية/الإسلامية!]**.

يسوع المسيح ابن إبراهيم وابن إسحاق وابن سارة رسولٌ إلى كل الأمم **[← يقول التراث الإسلامي إن محمد ابن إبراهيم وابن إسماعيل وابن هاجر رسولٌ إلى كل الأمم]**.

لا يمكن أن تكون كل هذه المتوازيات والتشابهات مجرد صدفة! وإنما التطور البشري الطبيعي وحده هو الذي يفسر نشأةَ القرآن، بل يفسر نشأةَ الإسلام كله. فلقد نقل القرآنُ/الإسلامُ التاريخَ (التراثَ اليهودي/المسيحي) ونقل أيضاً الجغرافيا مِن الشمال إلى الجنوب، أي: مِن كنعان (أورشليم وما حولها) إلى صحراء شبه الجزيرة العربية (مكة وما حولها)!

ومِن ثم لا يمكن الاعتماد على القرآن مِن أجل إثبات أي شيء تاريخي أو جغرافي يخص إبراهيم وإسماعيل. بل لا يمكن الاعتماد على الإسلام مِن أجل إثبات أي شيء تاريخي أو جغرافي يخص إبراهيم وإسماعيل. فلا يوجد أي دليل علمي يثبت وجود أية علاقة بين إبراهيم وإسماعيل ومَكَّة. بل لا يوجد أي دليل علمي يثبت وجود أية علاقة بين إبراهيم وإسماعيل ومحمد.

نعم. بما أن هذه الأساطير اليهودية والأساطير المسيحية السريانية قد تسللت إلى القرآن (البقرة 127-129) ثم إلى التراث الإسلامي بصفة عامة، فَمِن المستحيل علمياً أن نعتمد على القرآن/الإسلام مِن أجل إثبات أي شيء تاريخي أو جغرافي يخص إبراهيم وإسماعيل. فكما قال د. طه حسين في أوائل القرن العشرين الميلادي: "وإذن فيستطيع التاريخ الأدبي واللغوي ألا يحفل بها عندما يريد أن يتعرّف أصل اللغة العربية الفصحى"[2383]، كذلك نقول نحن اليوم بكل ثقة ويقين وطمأنينة وراحة ضمير 100%: "وإذن فيستطيع البحث العلمي ألا يحفل بها عندما يريد أن يتعرّف أي شيء تاريخي أو جغرافي يخص إبراهيم وإسماعيل".

نحن بالفعل أمام عمليتي "تعريب" و "أسلمة" لمقتطفات مهمة وعناصر مختارة من التراث اليهودي/المسيحي مِن أجل تأليف كتاب عربي جديد هو القرآن وصناعة دين عربي جديد هو الإسلام.

وعبارة "أُمَّةً مُسْلِمَةً" (البقرة 128) التي وضعها أصحابُ القرآن على لسان إبراهيم (و/أو إسماعيل) هي خير دليل على دمج البُعد القومي (الأمة العربية) مع البُعد الديني (الإسلام). وكذلك "ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ" (البقرة 129): "ابْعَثْ [...] رَسُولًا" لها مدلول ديني؛ و "فِيهِمْ [...] مِنْهُمْ (أي: إلى العرب ومِن العرب)" لها مدلول قومي. وهذا يتفق مع التوجه العام للمسلمين الأوائل في الفترة المدنية حين ركزوا على الجذور العربية أكثر بكثير من الجذور اليهودية/المسيحية. راجع ما قلناه مثلاً عن مسألة تحويل الْقِبْلَة مِن بيت الله (بالعبرية: bēt elohim) في أورشليم (قِبْلَة اليهود ذرية إسحاق) إلى الكعبة بيت الله في مكة (قِبْلَة العرب ذرية إسماعيل) والمذكورة في نفس السورة المدنية (البقرة 142-150)، وذلك حتى يصير للإسلام هوية (identity) عربية تميزه عن الديانتين غير العربيتين اليهودية والمسيحية. وكما قلنا عند حديثنا عن الصحابي

"البراء بن معرور" صاحب فكرة تحويل القبلة، فإن كلمة "الكعبة" نفسها لا نجدها أبداً في القرآن المكي! وإنما نجدها فقط في القرآن المدني: "الْكَعْبَةِ [...] الْكَعْبَةَ" (المائدة 95-97)!

ولاحِظ أيضاً التشابه – بل التطابق – بين هذا الدعاء المنسوب لإبراهيم: "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ" (البقرة 129) (مدنية) وآيات مدنية أخرى سواء في سورة البقرة "أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (البقرة 151) أو في سور مدنية أخرى مثل: "بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (آل عمران 164) و "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (الجمعة 2). مما يجعلنا نتساءل: هل قال إبراهيمُ فعلاً هذا الدعاء المذكور في (البقرة 129)؟! هل هذا الدعاء المنسوب لإبراهيم مذكور في التوراة أو في أي كتاب آخر معاصِر لإبراهيم أو حتى موسى؟ إذا كانت الإجابة "لا" – وهي بالفعل كذلك – فليس أمامنا سوى أن نقول إنه مجرد دعاء اخترعه أصحابُ القرآن ووضعوه على لسان إبراهيم، وبخاصة أن الكلمات "مُسْلِمَيْنِ" و "أُمَّةً مُسْلِمَةً" "وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ" (البقرة 128-129) غير موجودة في النسخة المكية لـ "دعاء إبراهيم" (إبراهيم 35-41) (مكية)! إنها إذن كلمات أضافها أصحابُ القرآن المدني لاحقاً ووضعوها على لسان إبراهيم في الفترة المدنية.

لكن يجب هنا أن نؤكد أن أصحاب القرآن المدني قد اقتبسوا أفكاراً وعبارات وكلمات مستوحاة من التوراة، وتحديداً من سفر التثنية[2384]. فلقد أنبأ موسى وبشَّر بيسوع المسيح قائلاً لشعب إسرائيل: "يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ" (التثنية 15:18). نبوءة موسى في سفر التثنية عن إرسال يسوع المسيح تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً فصارت في القرآن المدني: دعاء إبراهيم لبعث محمد. هكذا: "يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا **[← "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا" (البقرة 129)]** مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ (أي: مِن شعب إسرائيل ذرية إسحاق بن إبراهيم) **[← "مِنْهُمْ (أي: مِن العرب/الأميين ذرية إسماعيل بن إبراهيم)" (البقرة 129)]** مِثْلِي (أي: المسيح سيكون مِثْل موسى) **[← يقول القرآنُ المدني إن إبراهيم "كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا" (آل عمران 67)، أي: محمد مِثْل إبراهيم]**. لَهُ تَسْمَعُونَ **[← "يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (البقرة 129)]**" (التثنية 15:18). اقرأ أيضاً تكملةَ نبوءة موسى: "قَالَ لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ" (التثنية 18-17:18). إذن: موسى قال النبوءة في سفر التثنية وهو الخمس الأخير من التوراة **[← إبراهيم قال الدعاء في القرآن المدني وهو الربع الأخير من القرآن]**. يسوع المسيح الإسرائيلي/الكتابي/اليهودي حقق نبوءةَ موسى[2385] **[← محمد العربي/الأمي/الحنيف حقق دعاءَ إبراهيم]**. إذن: (البقرة 129) ليست كلام الله، وإنما كلام العرب/الأميين وهي مجرد تطور بشري طبيعي لـ (التثنية 15:18-18).

لكن لماذا وضع أصحابُ القرآن هذه النبوءة/الدعاء "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ (هو محمد حسب التراث الإسلامي) [...]" (البقرة 129) في نهاية أسطورة بناء إبراهيم وإسماعيل للبيت "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ

الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ [...]" (البقرة 127) وفي سياق خطاب وجدال موجَّه إلى اليهود بصفة خاصة وأهل الكتاب بصفة عامة (البقرة 120-141)؟

الإجابة: لأن أصحاب القرآن وقعوا – بوعي أو بدون وعي – تحت تأثير التراث المسيحي السرياني الذي وضع نبوءةً عن المسيح في نهاية قصة الذبيح إسحاق التوراتية والتي تذكر بناءَ إبراهيم وإسحاق للمذبح: "فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ، [...]. [...] فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ [الذي كان إسحاقُ يحمله] وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ" (التكوين 22:6-9). فكما قلنا فيما سبق، تنتهي قصة الذبيح إسحاق التوراتية بالتأكيد على وعد الله لإبراهيم بأن تتبارك في "نسله" جميعُ أمم الأرض: "وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ. وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ [لإبراهيم]، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ [إسحاقَ عَنِّي لمَّا أمرتك أن تقدِّمه ذبيحةً لي]، أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي»" (التكوين 22:15-18). هنا وضع التراثُ المسيحي السرياني اسمَ "المسيح" بكل صراحة ووضوح.

ولنقرأ على سبيل المثال ما قاله القديس المسيحي "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (القرن الرابع الميلادي) والذي نعتبره واحداً من الآباء الروحيين لأصحاب القرآن. فلقد قال إفرام السرياني في الفصل العشرين مِن تعليقه الشهير على سفر التكوين (Commentary on Genesis 20.3) وهو يفسر الآيات التوراتية السابقة (التكوين 22:15-18)[2386]:

> *Then the angel spoke to him [i.e. to Abraham] a second time, "By myself I have sworn," says the Lord, "that I will indeed multiply your seed and all the nations of the earth shall be blessed in your seed,"* who is Christ.

وتوجد أمثلة أخرى من التراث المسيحي السرياني، ومِنها ما ربط بين قصة الذبيح إسحاق التوراتية (التكوين 22:1-19) وما قاله يسوعُ المسيح لليهود "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ" (يوحنا 8:56). يقول الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) تعليقاً على هذا الربط وتأثيره فيما بعد على دعاء إبراهيم "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ (هو محمد حسب التراث الإسلامي) [...]" (البقرة 129)[2387]:

> […] Even closer to the Quran's linking of Abraham and Muhammad is the Christian tradition beginning with John 8:56.
>
> […] [where] Jesus says [to the Jews]: "Your ancestor Abraham rejoiced that he would see my day; he saw it and was glad" (John 8:56). […] [That

Abraham saw Jesus' day] is, […], more likely an allusion to Psalms 118:24 ("This is the day that the Lord has made; let us rejoice and be glad in it") and Jubilees 16 [as well as Jubilees 18] where Abraham rejoices in anticipation of Isaac's exalted seed. Interestingly, in the Syriac [Christian] tradition John 8:56 is understood to refer to the attempted sacrifice of Isaac in Genesis 22, where in acting on God's order to sacrifice his son, Abraham was given a glimpse into Jesus' redemptive career. Therefore in linking Genesis 22 with Abraham's knowledge of Muhammad, the Quran is following the tracks of the [Syriac] Christians.

ومِن المهم هنا أن نتذكر أن (يوحنا 8:56) جاءت في سياق خطاب وجدال موجَّه إلى اليهود (anti-Jewish polemic) **[← كذلك (البقرة 129) جاءت في سياق خطاب وجدال موجَّه إلى اليهود بصفة خاصة وأهل الكتاب بصفة عامة (anti-Christian, anti-Jewish polemic) (البقرة 120-141). وليست صدفة أن الآيات التي تلي هذا السياق تتحدث عن مسألة تحويل الْقِبْلَة مِن أورشليم إلى مكة (البقرة 142-150)، ثم تُعيد دعاءَ إبراهيم (البقرة 129) بنفس الكلمات تقريباً "كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (البقرة 151). وكأن أصحاب القرآن أرادوا أن يستخدموا إبراهيمَ لإعطاء شرعية لقرار تحويل القبلة الذي جعل انفصال الإسلام عن اليهودية والمسيحية واقعاً ملموساً يحياه المسلمون يومياً بقلوبهم وجوارحهم في صلواتهم الخمس اليومية؛ بل ليس من المبالغة أن نقول إن قرار تحويل الْقِبْلَة مِن أورشليم إلى مكة هو البداية الحقيقية والفعلية للإسلام كديانة عربية مستقلة ومنفصلة ومختلفة عن الديانتين غير العربيتين اليهودية والمسيحية[2388]].**

إذن النتيجة: أخذ أصحابُ القرآن محتوى الدعاء "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ" (البقرة 129) مِن نبوءة موسى في سفر التثنية (التثنية 15:18-18)، ووضعوا الدعاءَ على لسان إبراهيم في نفس الموضع الذي حدده التراث المسيحي (السرياني) في نهاية قصة الذبيح إسحاق بن إبراهيم (التكوين 15:22-18) التي تذكر بناءَ المذبح بسواعد إبراهيم وإسحاق (التكوين 6:22-9)، وفي سياق خطاب وجدال موجَّه إلى اليهود بصفة خاصة وأهل الكتاب بصفة عامة (البقرة 120-141). لكن بدلاً من أن تكون النبوءة عن إرسال المسيح (التثنية 15:18) (التكوين 18:22)، صار الدعاء لبعث محمد (البقرة 129)! وبدلاً من يكون إسحاق هو الذي يساعد أباه إبراهيم في بناء المذبح (التكوين 6:22-9)، صار إسماعيلُ هو الذي يساعد أباه إبراهيم في بناء البيت (البقرة 127)! إذن كما قلنا فيما سبق: إسْحَاق **[← إسماعيل]**. يسوع المسيح ابن إسْحَاق بن إبراهيم **[← محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم]**.

وخير دليل قرآني يثبت أن أصحاب القرآن المدني قد تعمَّدوا تعظيم إسماعيل على حساب إسحاق هو أن "دعاء إبراهيم" المدني (البقرة 126-129) يذكر "إِسْمَاعِيل" فقط (البقرة 127) ويتجاهل إِسْحَاقَ تماماً، مع أن "دعاء إبراهيم" المكي (إبراهيم 35-41) وهو الأقدم زمنياً حسب ترتيب سور القرآن يذكر الاثنين "إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ" (إبراهيم 39)[2389]! مما يؤكد لنا مرة أخرى أن المسلمين في الفترة المدنية تعمَّدوا التركيز على الجذور القومية العربية (ومركزها مكة ويمثلها إسماعيل أبو العرب) أكثر بكثير من الجذور الدينية اليهودية/المسيحية (ومركزها أورشليم ويمثلها إسحاق أبو إسرائيل). وإنْ اقتبس أصحابُ القرآن المدني أفكاراً وعبارات وكلمات مستوحاة من التوراة؛ والمدهش أنهم اقتبسوا تلك الأفكار والعبارات والكلمات من سفر التثنية أيضاً! فما قاله سفرُ التثنية عن تركيز العبادة في مكانٍ طاهرٍ واحد هو أورشليم (Centralization and purification of the sacrificial worship) قد تطوَّر تطوراً بشرياً طبيعياً حتى صار ما قاله القرآنُ المدني عن تركيز العبادة في مكانٍ طاهرٍ واحد هو مكة. فلقد قالت التوراة المنسوبة لموسى **(التثنية 12)**[2390]: {1} «هذِهِ هِيَ الْفَرَائِضُ وَالأَحْكَامُ الَّتِي تَحْفَظُونَ لِتَعْمَلُوهَا فِي الأَرْضِ (أي: أرض كنعان) الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكَ لِتَمْتَلِكَهَا، كُلَّ الأَيَّامِ الَّتِي تَحْيَوْنَ عَلَى الأَرْضِ: {2} تُخْرِبُونَ جَمِيعَ الأَمَاكِنِ حَيْثُ عَبَدَتِ الأُمَمُ [الوثنية] الَّتِي تَرِثُونَهَا آلِهَتَهَا عَلَى الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ، وَعَلَى التِّلاَلِ، وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ. {3} وَتَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ سَوَارِيَهُمْ (أي: أعمدتهم؛ أوتادهم) بِالنَّارِ، وَتُقَطِّعُونَ تَمَاثِيلَ آلِهَتِهِمْ، وَتَمْحُونَ اسْمَهُمْ مِنْ ذلِكَ الْمَكَانِ (بالعبرية: ha-māqōm) **[← بالعربية: "مَّقَامِ [...] طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (البقرة 125)! "مَكَانَ [...] طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (الحج 26)!]**. {4} لاَ تَفْعَلُوا هكَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ (أي: لا تتبعوا طقوس العبادات الوثنية وشعائرها عند التعبد للرب الإله الواحد الحقيقي) **[← "لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا [...] فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ [...] حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ [...] فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا" (الحج 26-34)]**. {5} بَلِ [وحده] الْمَكَانُ (بالعبرية: ha-māqōm) **[← بالعربية: "مَّقَامِ" (البقرة 125)[2391] (آل عمران 97)! "مَكَانَ" (الحج 26)!]** الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِكُمْ لِيَضَعَ اسْمَهُ **[← "اسْمَ اللَّهِ[2392]" (الحج 28)]** فِيهِ **[← "وَإِذْ بَوَّأْنَا (showed; assigned; settled) لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ (أي: أرشدناه إلى مكانه)" (الحج 26)؛ إذن: مكان بيت الله في مكة اختيارٌ إلهي كما تقول التوراة عن مكان بيت الرب في أورشليم!]**، سُكْنَاهُ تَطْلُبُونَ وَإِلَى هُنَاكَ تَأْتُونَ **[← "وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا (أي: مشاةً) وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ (أي: ركباناً على إبل) يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ" (الحج 27) "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا" (آل عمران 97)]**، {6} وَتُقَدِّمُونَ إِلَى هُنَاكَ: مُحْرَقَاتِكُمْ وَذَبَائِحَكُمْ **[← "مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ" (الحج 28، 34)]** وَعُشُورَكُمْ وَرَفَائِعَ أَيْدِيكُمْ وَنُذُورَكُمْ **[← "وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ" (الحج 29)]** وَنَوَافِلَكُمْ (أي: قَرَابينكم الطوعيَّة الاختيارية) وَأَبْكَارَ بَقَرِكُمْ وَغَنَمِكُمْ **[← "بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ" (الحج 28، 34)]**، {7} وَتَأْكُلُونَ هُنَاكَ **[← "فَكُلُوا مِنْهَا" (الحج 28) "وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ" (الحج 30)]** أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ، وَتَفْرَحُونَ

[← "لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ" (الحج 28)] بِكُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ وَبُيُوتُكُمْ كَمَا بَارَكَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ [← "مُبَارَكًا" (آل عمران 96)].

ويجب هنا أن نقول إن الآيات التوراتية السابقة (التثنية 12:1-7) لا تذكر "أورشليم" صراحةً، لكنها تُفسَّر عادةً على أنها تقصد أورشليم. أو بعبارة أكثر دقة: تقصد مكاناً مركزياً واحداً طاهراً للعبادة في كنعان صار في آخر المطاف هو أورشليم، قبل الميلاد بمئات السنين؛ أي: قبل الإسلام بأكثر من 1000 سنة. وكذلك الآيات القرآنية المناظرة لا تذكر "مكةَ" صراحةً أيضاً، لكنها تُفسَّر عادةً على أنها تقصد مكة. أو بعبارة أكثر دقة: تقصد مكاناً مركزياً واحداً طاهراً للعبادة في الحجاز صار في آخر المطاف هو مكة. فكما لم تكن أورشليم في كنعان قِبلة بني إسرائيل الأولى، وإنما كانت قِبلتهم الأخيرة والنهائية. كذلك لم تكن مكة في الحجاز قِبلة المسلمين الأولى، وإنما كانت قِبلتهم الأخيرة والنهائية.

إذن باختصار: أورشليم **[← مكة]**. أو بعبارة أعم وأشمل: ما قاله التراث اليهودي والتراث المسيحي (السرياني) عن أورشليم والحج إليها دون غيرها قد تطوَّر تطوراً بشرياً طبيعياً حتى صار ما قاله القرآنُ المدني عن مكة والحج إليها دون غيرها. ولا يتسع المجال هنا لشرح كل ما يتعلق بهذا التطور البشري الطبيعي من التراث اليهودي/المسيحي إلى القرآن، ولذلك نكتفي بما قلناه، مع تسليط الضوء على علاقة الآيات السابقة بقصة الذبيح إسْحَاق (التكوين 22:1-19) **[← الذبيح المجهول في القرآن المكي (الصافات 99-113) ← الذبيح إسماعيل في التراث الإسلامي (المتأخر)]**. ففي قصة الذبيح التوراتية، اللهُ هو الذي أرشد إبراهيمَ إلى مكان تقديم ابنه ذبيحة، "فَقَالَ [لإبراهيم]: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا (Moriah)، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ»" (التكوين 22:2)[2393]. ويُعتقَد أنه نفس جبل الْمُرِيَّا (Mount Moriah) الذي بَنى عليه سليمانُ بن داود الهيكلَ المقدس بيت الرب في أورشليم: "وَشَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، فِي جَبَلِ الْمُرِيَّا حَيْثُ تَرَاءَى لِدَاوُدَ أَبِيهِ، حَيْثُ هَيَّأَ دَاوُدُ مَكَانًا [...]" (2 أخبار الأيام 3:1). فإذا جمعنا بين هاتين الآيتين الكتابيتين – ولقد جمع التراث اليهودي/المسيحي بينهما بالفعل كما شرحنا فيما سبق – فسنصل إلى نتيجة مفادها أن الله هو الذي أرشد إبراهيمَ إلى مكان الهيكل المقدس بيت الرب في أورشليم؛ إلا أن التوراة لم تقل لنا كيف أرشد اللهُ إبراهيمَ، فاجتهد المفسرون اليهود والمسيحيون في تحديد الكيفية[2394] **[← ومع التطور البشري الطبيعي في القرآن، صار اللهُ هو الذي أرشد إبراهيمَ إلى مكان الكعبة بيت الله الحرام في مكة: "وَإِذْ بَوَّأْنَا (showed) لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ (أي: أرشدناه إلى مكانه)" (الحج 26)؛ إلا أن القرآن لم يقل لنا كيف أرشد اللهُ إبراهيمَ، فاجتهد المفسرون المسلمون في تحديد الكيفية[2395] ← اقرأ أيضاً أسطورةَ "ناقة الرسول" التي أرشدت محمداً إلى المكان الذي يبني فيه المسجدَ النبوي في يثرب (المدينة) وهو المكان الذي بركت فيه الناقةُ حسب ما جاء في كتب التراث الإسلامي[2396]!]**.

مما سبق يتأكد أن: الهيكل المقدس بيت الرب في أورشليم **[← الكعبة بيت الله الحرام في مكة]**.

ونؤجل الحديث بالتفصيل عن قصة الذبيح إسْحَاق (التكوين 22:1-19) **[← الذبيح المجهول في القرآن المكي (الصافات 99-113) ← الذبيح إسماعيل في التراث الإسلامي (المتأخر)]** إلى حديثنا عن قصص إسماعيل وإسحاق، فيكفينا هنا أننا وضحنا العلاقة القوية بين أسطورة "يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127) وقصة الذبيح إسْحَاق وتطوراتها البشرية في التراث اليهودي والتراث المسيحي السرياني. نعم، إن هذه الأسطورة القرآنية "يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127) هي مجرد تطور بشري طبيعي لأساطير يهودية وأساطير مسيحية سريانية لكنها لا تخص إسماعيل وإنما تخص إسحاق، فجعلها أصحابُ القرآن تخص إسماعيل. إذن: إسْحَاق **[← إسماعيل]**.

فلا يهمنا هنا سوى أن أصحاب القرآن المدني قد طوَّروا قصص وأساطير إبراهيم وابنه إسْحَاق **[← إسماعيل]** تطوراً بشرياً طبيعياً مِن أجل دعوة المسلمين جميعاً إلى الحج في مكة (قِبْلَة العرب ذرية إسماعيل) وليس في أورشليم (قِبْلَة اليهود ذرية إسحاق). وهذه القصص والأساطير ليست بعيدة عن موضوعنا وهو التوحيد في الحنيفية ملة إبراهيم المزعومة، بدليل أن سياق الآيات القرآنية التي ذكرناها سواء مِن سورة البقرة أو مِن سورة الحج أو مِن سورة آل عمران يذكر "مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ" (البقرة 130) و "حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ" (الحج 31) و "فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 95).

أما الجملة التي يزعم القرآنُ المدني أن إبراهيم قالها: "قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا (أي: مكة حسب التراث العربي/الإسلامي!) بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ" (البقرة 126) – والتي يناظرها في القرآن المكي: "قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ (أي: مكة حسب التراث العربي/الإسلامي!) آمِنًا [...] فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ" (إبراهيم 35-37) – فهي ليست جملةً قالها إبراهيم كدعاء لمكة بالأمن بدلاً من الخوف وبالرزق بدلاً من الجوع، وإنما هي جملة تعبر عن مكة في القرن السادس و/أو السابع بعد الميلاد حين صارت مكة مركزاً تجارياً حسب ما يقوله التراث الإسلامي اعتماداً على ما يقوله القرآن: "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ" (قريش 1-4) (مكية عند الجمهور؛ وقيل: مدنية). وكما قلنا فيما سبق ونكرر ولا نمل مِن التكرار، إن هذه العبارات والكلمات القرآنية مستوحاة بلا أدنى شك مما قاله التراث اليهودي/المسيحي عن أورشليم بصفة خاصة والأرض المقدسة (كنعان) بصفة عامة. بل تنتقل مِن التراث اليهودي/المسيحي إلى القرآن العربي بنفس الترتيب أحياناً! اقرأ مثلاً (اللاويين 25:19): "وَتُعْطِي الأَرْضُ (أي: أرضُ كنعان) ثَمَرَهَا فَتَأْكُلُونَ لِلشِّبَعِ **[← "أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ" (قريش 4)]**، وَتَسْكُنُونَ عَلَيْهَا آمِنِينَ **[← "وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ" (قريش 4)]**"! المسألة ليست مجرد نقل لقصص وأفكار وعبارات وكلمات مِن التراث اليهودي/المسيحي إلى القرآن العربي. وإنما هذا نقل للجغرافيا أيضاً: مِن كنعان إلى الحجاز، ومِن أورشليم إلى مكة! فكيف يتوهَّم المسلمون أننا يمكن أن نصدق أن القرآن كلام الله، ونحن نرى كلاماً في القرآن يخص مكة في الحجاز مع أنه أصلاً كلامٌ في التراث اليهودي/المسيحي يخص أورشليم في كنعان (إسرائيل/فلسطين)!

إذن: كل الأدلة التي أمامنا تؤكد لكل إنسان عاقل (Homo sapiens) أن "دعاء إبراهيم" المزعوم – سواء في نسخته المدنية (البقرة 126-129) أو حتى في نسخته المكية (إبراهيم 35-41) – ليس دعاءاً قاله إبراهيمُ قبل الميلاد بمئات السنين، وإنما هو مجرد كلام بَشَري ألّفه أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي تعبيراً عن واقعهم الاجتماعي والاقتصادي والأمني، وكذلك تعبيراً عن توجهاتهم وطموحاتهم السياسية والدينية. وهو مجرد تطور بشري طبيعي لِمَا قاله التراث اليهودي والتراث المسيحي (السرياني) بصفة عامة، ولِمَا قالته التوراةُ بصفة خاصة.

إذن: "دعاء إبراهيم" المزعوم كلام بَشَر عرب، وليس كلامَ إبراهيم، وبالطبع ليس كلام الله.

نبوءة موسى عن إرسال المسيح (التثنية 18:15) **[← دعاء إبراهيم لبعث محمد (البقرة 129)]**.[2397]

إسْحَاق بن إبراهيم **[← إسماعيل بن إبراهيم]**.

يسوع المسيح الإسرائيلي/الكتابي/اليهودي **[← محمد العربي/الأمي/الحنيف]**.

الحج إلى أورشليم (قِبْلَة اليهود ذرية إسحاق) **[← الحج إلى مكة (قِبْلَة العرب ذرية إسماعيل)]**.

وكما نقول دائماً: الإسلامُ دينٌ صنعه العرب وليس ديناً أنزله الله. والقرآنُ كلام العرب وليس كلام الله. وكلاهما (أي: الإسلام والقرآن) مجرد تطور بشري طبيعي للتراث العربي والتراث اليهودي/المسيحي، أو بعبارة أخرى: كلاهما (أي: الإسلام والقرآن) مجرد محاولة بشرية لدمج التراث القومي (العربي) مع التراث الديني (اليهودي/المسيحي). وبالطبع يغلب أحدُ التراثين على الآخر أحياناً.

التراث العربي + التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (وخصوصاً السرياني) **[← القرآن كلام العرب]**.

ونكرر سؤالنا وتعجبنا مرة أخرى: كيف يتخيَّل المسلمون أنه يوجد احتمال 1% أننا نصدق أن القرآن كلام الله، ونحن نرى كلاماً في القرآن يخص مكة في الحجاز مع أنه أصلاً كلامٌ في التراث اليهودي/المسيحي يخص أورشليم في كنعان (إسرائيل/فلسطين)! حتى هذا الاحتمال الضعيف جداً 1% غير موجود. فَمِن المستحيل أن نصدق أن القرآن كلام الله.

لكن حتى نكون منصفين في بحثنا عن الحقيقة، علينا أن نعترف بأنه كما لم تقل التوراةُ صراحةً إن (التثنية 12:1-7) تتحدث عن أورشليم، كذلك لم يقل القرآنُ صراحةً إن "دعاء إبراهيم" (إبراهيم 35-41) (البقرة 126-129) يتعلق بمكة. المفسرون المسلمون قديماً وحديثاً هُمْ الذين قالوا إن "هَٰذَا الْبَلَدَ" (إبراهيم 35) و "هَٰذَا بَلَدًا" (البقرة 126) هو مكة، وإن "بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ" (إبراهيم 37) تعني بمكة، وإن قبيلة "قُرَيْش" (قريش 1) كانت تعيش في مكة ... الخ. المفسرون المسلمون وكُتاب السيرة هُمْ الذين ألصقوا القرآنَ بمكة أو ألصقوا مكةَ بالقرآن. أما القرآن نفسه فلم يذكر "مَكَّة" إلا مرة واحدة فقط (الفتح 24) وهي آية مدنية

ومتأخرة جداً! فما الدليل القرآني على أن الإسلام قد نشأ في مكة في الحجاز؟ بل ما الدليل العلمي على أن الإسلام قد نشأ في مكة في الحجاز؟ أليس مِن المحتمل أن الإسلام قد نشأ في أورشليم في كنعان (إسرائيل/فلسطين) أو على الأقل في مكانٍ ما بالقرب من أورشليم؟ هذا ما سنناقشه فيما يلي ...

3.7.1.3.5 إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ: أين تقع "بَكَّة"؟ في مكة؟ أم في الشام؟

لم يكتفِ أصحابُ القرآن ومفسروه بإدعاء أن الإسلام/الحنيفية هو دين الله منذ الأزل، بل جعلوا الكعبةَ بيت الله الحرام بمكة أقدم الأماكن المقدسة! أقدم من أي بيت مقدس بُنِيَ لعبادة الله الواحد الأحد في الأرض! "فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ (أي: في مكة حسب التراث الإسلامي!) مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ (أي: ومَن جحد فريضةَ الحج إلى الكعبة في مكة فقد كفر! إذن: كانت هناك معارضة لهذه الفكرة[2398]) فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ" (آل عمران 95-97). ونجد عبارةَ "الْبَيْتِ الْعَتِيقِ" مرتين في سورة الحج (الحج 29، 33)، ويقول المفسرون المسلمون قديماً وحديثاً إن المقصود هي الكعبة في مكة؛ إنها إذن أقدم مِن إبراهيم نفسه! وإبراهيمُ رفع أساساتها أو أعاد بناءَها أو قام بترميمها! واستدلوا على ذلك بكلمة "الْقَوَاعِدَ" في "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127) فزعموا أنها تدل على أن هذا البيت كان موجوداً قبل إبراهيم. ونسوا أو تناسوا وجودَ علاقة قوية بين هذه الآية (البقرة 127) وقصة الذبيح إسحاق التوراتية (التكوين 22:1-19) وتطوراتها البشرية في التراث اليهودي والتراث المسيحي السرياني كما شرحنا فيما سبق؛ وإذا نظرنا في قصة الذبيح إسحاق التوراتية سنجدها تذكر "الْمَذْبَحَ" بأداة التعريف بالعبرية (hammizbeaḥ) (التكوين 22:9) مما جعل فريقاً من المفسرين اليهود يقول إن هذا "الْمَذْبَحَ" - الذي صار فيما بعد الهيكل المقدس في أورشليم - كان موجوداً قبل إبراهيم؛ بل قيل مِن أيام آدم[2399]! باختصار: (البقرة 127) ليست حُجة يُعتمَد عليها، فهي مجرد أسطورة قرآنية مستوحاة من أساطير يهودية وأساطير مسيحية سريانية تتعلق بقصة الذبيح إسحاق التوراتية (التكوين 22:1-19).

وتقول الأساطير الإسلامية إن الكعبة أول بناء "بناه الملائكة" من أحجار الجنة "قبل خلق آدم"[2400]! بل قيل إن "مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ" (البقرة 125) (آل عمران 97) هو حجر أو صخرة وقف عليها إبراهيمُ وهو يبني الكعبةَ فترتفع الصخرةُ به مع ارتفاع البناء، وإن أثر قدميّ إبراهيم (petrosomatoglyph) موجود على هذا الحجر إلى اليوم[2401]! إلى آخر تلك الأساطير الإسلامية التي لا نريد أن نضيع فيها وقتاً طويلاً، لأننا نريد أن نركز على الأساطير القرآنية، وبخاصة فيما يتعلق بـ "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ" (آل عمران 96): فهل هذه الآية القرآنية تشير إلى مكة؟ أم إلى مكانٍ آخر؟ ...

نبدأ أولاً بملاحظة أن (آل عمران 96) (مدنية) هي الآية القرآنية الوحيدة التي تذكر اسمَ "بَكَّة"! ويقول التراث الإسلامي إن بَكَّة = مَكَّة في الحجاز في صحراء شبه الجزيرة العربية (حالياً: في السعودية). لكن لا

يوجد أي دليل مستقل مِن خارج التراث الإسلامي يثبت أن بَكَّة = مَكَّة. القرآن نفسه لا يثبت أن بَكَّة = مَكَّة! ثم إن التراث الإسلامي يعاني هنا من تناقض خطير وهو أنه إذا كان "أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ (أي: في مكة حسب التراث الإسلامي!) مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ" (آل عمران 96)، فلماذا لم تكن الكعبة في مكة هي قِبلة المسلمين الأولى؟! يقول التراث الإسلامي إن قِبلة المسلمين الأولى هي الشام، أي بَيْت المقْدِس في القدس/أورشليم! فكيف يختار إلهُ الإسلام أورشليم كقِبلة أولى طوال الفترة المكية + أكثر من سنة في الفترة المدنية (= حوالي 14 سنة أو أكثر!)، ثم بعد ذلك يقول لنا إن الكعبة في مكة أقدم من الهيكل بيت الرب في أورشليم، ولتكن قِبلتكم في الصلاة والحج هي الكعبة في مكة؟![2402] لحل هذا التناقض يمكن أن نقول إن القِبلة الأولى للإسلام هي بَكَّة = أورشليم أو بالقرب منها، وبخاصة أن "بَكَّة" مذكورة في سورة آل عمران[2403]، أي: سورة العائلة اليهودية الإسرائيلية التي ينتمي إليها المسيحُ والتي ترتبط تاريخياً وجغرافياً ودينياً وإبراهيمياً بكنعان "الْأَرْض الْمُقَدَّسَة" (المائدة 21)، أي: المنطقة التي تقع بين نهر الأردن شرقاً والبحر الأبيض المتوسط غرباً، وعلى رأسها وأهم مدنها هي بالطبع أورشليم ...

بالفعل، يوجد رأي آخر يقول إن "بَكَّة" (آل عمران 96) تشير إلى "وادي بَكَا" (Valley of Baca) (بالعبرية: ʿēmeq ha-bākā) الذي يقع جنوب أورشليم في كنعان (حالياً: في إسرائيل/فلسطين) وعلى طريق حج بني إسرائيل إلى بيت الرب في أورشليم (المزامير 84:5-7)[2404]؛ وفي ترجمات أخرى: "وَادِي الْبُكَاءِ (mourning; weeping)" أو "وَادِي شجر البلسم (Balsam)" (المزامير 84:6). وقيل إنه "وَادِي الرَّفَائِيِّينَ" (Valley of Rephaim) حيث تنمو "أَشْجَار الْبُكَا (أو: أَشْجَار الْبَكَا)" (baca trees) وحيث دارت معركة انتصر فيها داود ابن إسرائيل بمعونة الله على الوثنيين الفِلِسْطيِّين (Philistines) (2 صموئيل 5:17-25) بعد أن فَتَحَ/غزا أورشليم (Conquest of Jerusalem) (2 صموئيل 5:6-16)[2405]. وأيضاً في سفر صموئيل الثاني، نقرأ عن معركة أخرى تحالف فيها الْعَمُّونِيُّون (حالياً: الأردن) والأرَامِيُّون (حالياً: الشام؛ سوريا) والْمَعْكِيّون (Maachathites) (أي: أهل مَعْكَة Maacah وهي إمارة أو مملكة صغيرة على حدود إسرائيل/فلسطين الشمالية الشرقية) واشتركوا جميعاً في معركة ضد داود الإسرائيلي ولكنه انتصر عليهم أيضاً (2 صموئيل 10:6) (1 أخبار الأيام 19:6-7).

وإنه لمِن الطريف أن الآية القرآنية الوحيدة التي تذكر اسمَ "مَكَّة" (مَعْكَة؟) تتحدث أيضاً عن انتصار محمد على الوثنيين المكيين (الْمَعْكِيّين؟) لكن بدون قتال (صُلْح الحديبية 6هـ؛ قبل فَتْح/غزو مكة (Conquest of Mecca) 8هـ - حوالي 629م[2406]): "وَهُوَ (أي: الله هُوَ) الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا" (الفتح 24) (مدنية أيضاً)!

إلا أن العالِم المغربي المعروف محمد المسيَّح قال إن (الفتح 24) تتحدث عن معركة حدثت بالفعل، لكن ليس في صحراء شبه الجزيرة العربية وإنما في فلسطين، وانتصر فيها "مُحمَّد" (أو: المُحمَّد) والعرب (المسلمون؟[2407]) (Saracens)[2408] المتحالفون مع اليهود ضد الروم البيزنطيين المسيحيين وفتحوا

أورشليم/القدس (634م)؛ واستدل على ذلك بأدلة إسلامية وغير إسلامية لا يتسع المجال لشرحها بالتفصيل وأهمها كتاب مؤلفه مجهول (anonymous) لكنه منسوب (attributed) إلى المؤرخ الأرميني "سيبيوس" (Sebeos) الذي عاصر الحرب بين الروم والفرس ثم الغزو العربي (الإسلامي؟) للشرق الأوسط في النصف الأول من القرن السابع الميلادي[2409]. وما يهمنا هنا هو أن سبب تحالف اليهود (ذرية إسحاق) مع العرب (ذرية إسماعيل) هو أنهم اعتقدوا أنهم جميعاً ذرية إبراهيم وورثته فَهُمْ أحق بالمدينة المقدسة أورشليم مِن المحتل الروماني البيزنطي الظالِم وهو الإمبراطور "هرقل" (Heraclius) الذي ليس يهودياً ولا عربياً أي ليس مِن ورثة إبراهيم. لكن في المقابل، رأى هرقلُ أنه أحق بالمدينة المقدسة أورشليم التي حارب من أجلها وانتزعها من الفرس بعد حربٍ طويلة انتهت بمعاهدة سلام عام 628م، فضلاً عن كونه مسيحياً أي مِن ورثة إبراهيم بالإيمان. إذن: مرة أخرى نجد "خناقة" بل معركة (مَعْكَة؟ أو كما يُقال اليوم: مَدْعَكَة) بين اليهود والمسيحيين، وسببها وموضوعها هو إبراهيم ومَن هُمْ أولاده الحقيقيون الذين لديهم حق الإرث (Birthright)؟ اليهود (أولاد إبراهيم بالجسد sperma Abraam)؟ أَم المسيحيون (أولاد إبراهيم بالإيمان tekna Abraam)؟ لكن في النصف الأول مِن القرن السابع الميلادي في الشرق الأوسط، ظهر عنصرٌ جديد على الساحتين العسكرية والسياسية وَهُمْ العرب (Arabs) / الإسْمَاعِيلِيُّون (Ishmaelites) / الْهَاجَرِيُّون (Hagarenes) بقيادة "مُحمَّد". وهنا يجب أن نطرح سؤالاً: هل "مُحمَّد" (أو: المُحمَّد) هو النبي محمد بن عبد الله رسول الإسلام؟ أَم الفاروق (= المخلِّص) عمر بن الخطاب فاتِح أورشليم وصاحب فكرة "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" (البقرة 125)؟ أَم اسم أو لقب شخص عربي آخر؟ أَم اسم منطقة أو قبيلة عربية؟ لا نعلم على وجه اليقين، وبخاصة أن ذلك الكتاب المنسوب إلى سيبيوس يعني أن محمد ما زال حياً سنة 634م وحارب مع اليهود ضد الروم في فلسطين! وهذا يتناقض مع التراث الإسلامي الذي يقول إن محمد مات سنة 632م ولم يحارب أبداً مع اليهود ضد الروم في فلسطين. فهل "محمد" المنسوب إلى سيبيوس = "محمد" نبي الإسلام ورسول القرآن؟ لا يوجد دليل قاطع، وبخاصة أن تلك الرواية المنسوبة إلى سيبيوس لم تذكر القرآنَ ولم تذكر الإسلامَ أصلاً!

وفي الواقع، فإن هذا الرأي يُقال في سياق نظرية حديثة تعتمد على دراسات قام بها علماء غربيون باحثون في جغرافيا وتاريخ الإسلام المبكر – أكثرهم إثارة للجدل هو الكاتب والمؤرخ الكندي "دان جيبسون" (Dan Gibson). وحسب هذه النظرية الحديثة، فإن الإسلام/القرآن/محمد لم يظهر في مجتمع وثني هو مَكَّة في صحراء شبه الجزيرة العربية (Arabia Deserta)، وإنما ظَهر في مجتمع يهودي/مسيحي في منطقة عربية شمالية قريبة من أورشليم هي (Arabia Petraea) وكانت في القرن السابع الميلادي مقاطعة رومانية بيزنطية؛ فربما ظَهر شرق نهر الأردن في مدينة "البتراء" (Petra) (حالياً: في جنوب غرب الأردن)[2410]؛ أو ربما ظَهر غرب نهر الأردن في "تل عَرَاد" (Tel Arad) (حالياً: في صحراء النقب Negev في جنوب إسرائيل/فلسطين)[2411]؛ أو بصفة عامة ظهر في مكانٍ ما في بلاد الشام (حالياً: سوريا ولبنان والأردن وإسرائيل/فلسطين)[2412]؛ المهم أن الإسلام/القرآن/محمد ظهر في منطقة عربية شمال غرب

الحجاز وليس في الحجاز كما تقول كُتب التراث الإسلامي. بعبارة أخرى: المسلمون اللاحقون وبخاصة في عصر الخلافة العباسية (أي: بدءاً من منتصف القرن الثامن الميلادي) هُمْ الذين قالوا إن الإسلام/القرآن/محمد ظهر في مَكَّة = بَكَّة، ومِن ثم أعطوا مَكَّةَ أهميةً وقداسة لا تستحقهما تاريخياً ولا جغرافياً. فإذا افترضنا أن تعظيم مكانة مكة حدث عن عمد لأسباب سياسية في عصر الخلافة العباسية، فربما كان للتقليل من أهمية وقداسة الشام مركز الأمويين خصوم العباسيين في العراق.

أما حسب نظرية دان جيبسون، فإن البتراء = بَكَّة وهي القِبلة الأولى للإسلام وكانت فيها الكعبة والحجر الأسود (The Black Stone / The Black Rock) وظلت قِبلةَ الخلفاء الأمويين لعشرات السنين حتى أوائل القرن الثامن الميلادي. وقد سُميت البتراءُ "بَكَّة" بسبب "بُكاء" (weeping) أهلها على أقاربهم الذين قُتِلوا جراء عدة زلازل ضَربت البتراء منذ منتصف القرن السادس الميلادي (أي: قبل ميلاد محمد) حتى دمَّرتها الزلازل وقضت عليها في أوائل القرن الثامن الميلادي (أي: في النصف الثاني مِن فترة الخلافة الأموية). وبعد الحرب الأهلية العربية-العربية الثانية (أو: الفتنة الإسلامية-الإسلامية الثانية) (Second Fitna) التي اندلعت بين العرب/المسلمين في أواخر القرن السابع الميلادي بين الأمويين وعبد الله بن الزبير (حفيد أبي بكر الصديق وابن أخت السيدة عائشة زوجة محمد وأحد أعضاء اللجنة التي شكَّلها "عثمان" لجَمْع القرآن وإنتاج المصحف)، مَرَّ المسلمون بمرحلة انتقالية مرتبكة كان لهم فيها قِبلات مختلفة (more than two qiblas): البتراء ومَكَّة وقِبلة ثالثة متوسطة بين البتراء ومَكَّة[2413]، وفي النهاية اختار الخلفاءُ العباسيون مَكَّةَ كقِبلةٍ واحدة ووحيدة تفرضها الدولة الإسلامية العباسية على رعيتها المسلمين. وهكذا بمرور الزمن سقطت البتراءُ (قِبلةُ أعدائهم الأمويين) في عالم النسيان، لكن اسمها "بَكَّة" ظل محفوظاً في القرآن (آل عمران 96) كما ظل مكانُها "الشام" محفوظاً في السُّنَّة الصحيحة، إلا أن كتب التراث الإسلامي (البروباجاندا) في العصر العباسي قالت إن بَكَّة = مَكَّة وإن الشام تعني بَيْت المقْدِس في أورشليم/القدس! بعبارة أخرى: حدث دمج عن عمد (fusion; conflation) أو خلط بدون قصد (confusion) للبتراء ومَكَّة في اسمٍ واحد هو بَكَّة، وحدث أيضاً دمج أو خلط للبتراء وأورشليم في منطقة جغرافية واحدة هي الشام. وهكذا بقصد أو بدون قصد، اختفى اسمُ "البتراء" تماماً مِن ذاكرة المسلمين، بل نستطيع أن نقول إن القِبلة إلى مكة نَسخت (abrogated) كل القِبلات الأخرى. فكما ارتضى المسلمون بمصحفٍ واحدٍ ووحيد وحرقوا مصاحفهم المختلفة باعتراف كُتب التراث الإسلامي قبل الحرب الأهلية العربية-العربية الأولى (أو: الفتنة الإسلامية-الإسلامية الأولى) (First Fitna) وقبل قيام الدولة الأموية، كذلك ارتضوا بقِبْلةٍ واحدةٍ ووحيدة وتركوا قِبْلاتهم الأصلية حسب نظرية دان جيبسون بعد الحرب الأهلية العربية-العربية الثانية (أو: الفتنة الإسلامية-الإسلامية الثانية) (Second Fitna) وبعد قيام الدولة العباسية. حتى المسلمون الشيعة والطوائف الإسلامية الأخرى وافقوا على مَكَّة قِبْلة العباسيين كما وافقوا على "مصحف عثمان". ونستطيع أن نكمل ما حدث بعد ذلك، أي بعد قيام الدولة العباسية في منتصف القرن الثامن الميلادي: هدأت الفتن والحروب الأهلية الإسلامية-الإسلامية وحدثت حالة من الاستقرار النسبي في عصر الخلافة العباسية، مما أدى إلى ازدهار

العلوم والآداب والفنون بدءاً من أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الميلادي أو ما يُسمَّى خطأً "العصر الذهبي للإسلام" (Islamic Golden Age)، والصواب أن يُسمَّى "العصر الذهبي للحضارة العربية-السريانية" لأن المسيحيين السريان ونصارى العرب قد لعبوا دوراً مهماً وبارزاً في تلك الحضارة الإسلامية-المسيحية الشرقية وبخاصة فيما يتعلق بترجمة كتب التراث اليوناني والسرياني إلى اللغة العربية. فلولا المسيحيين الشرقيين لمَا استطاع المسلمون أن يتقدموا. باختصار: بدأ الإسلامُ في القرن السابع الميلادي كأقلية مستضعفة في مجتمع يهودي/مسيحي في الشام، ثم خاض حروباً طويلة سواء حروباً خارجية ضد الروم والفرس (الفتوحات؛ الغزوات) أو حروباً داخلية بين المسلمين والمسلمين (الفتن؛ الحروب الأهلية)، حتى صار الإسلامُ في القرن التاسع الميلادي أقليةً حاكِمة مستقرة في مجتمع عربي/سرياني في العراق.

ويجب هنا أن نلاحظ أنه لا خلاف بين نظرية دان جيبسون والتراث الإسلامي التقليدي على أن بَكَّة هي مدينة الإسلام المقدسة فهي مهد الإسلام/القرآن/محمد في القرن السابع الميلادي وأن مَكَّة هي القِبلة الثانية أو النهائية للإسلام؛ لكن الخلاف الجوهري بين نظرية دان جيبسون والتراث الإسلامي التقليدي هو موقع تلك المدينة المقدسة بَكَّة: فهل بَكَّة = مَكَّة الحجاز = القِبلة الثانية للإسلام كما يقول التراث الإسلامي؟ أم بَكَّة = بتراء الشام = القِبلة الأولى للإسلام حسب نظرية دان جيبسون؟ بالإضافة إلى نقاط خلافية أخرى ...

إن نظرية دان جيبسون تفتح البابَ واسعاً أمام تداعيات واحتمالات كثيرة. مثلاً:

- آيات تحويل القبلة (البقرة 142-150) ربما أضيفت إلى القرآن لاحقاً (أي: بعد وفاة محمد؛ بل ربما: بعد القرن السابع الميلادي). وإذا صح ذلك، فإنه يساعدنا على فَهْم لماذا سكتت طوعاً (أو: أُسكتت كرهاً) جميعُ الطوائف الإسلامية على تحويل القِبلة مِن البتراء (= بَكَّة) إلى مَكَّة بعد وفاة محمد؟ الإجابة: لأن إثارتهم لهذه المسألة سيعني حتماً تشكيك إخوانهم المسلمين في القرآن/المصحف، فسكتوا (أو: أُسكتوا) حفاظاً على كَمال القرآن/المصحف (integrity of the Quran)، ورضوا بالأمر الواقع لأن القرآن/المصحف أهم طبعاً مِن البتراء/بَكَّة، واكتفوا ببقاء "بَكَّة" اسم البتراء في القرآن (آل عمران 96)[2414] وبقاء مكانها "الشام" في السُّنَّة الصحيحة كما قلنا، وكذلك بقاء معنى اسم "البتراء" (باليونانية تعني: الصخرة rock) محفوظاً في اسم مسجد "قبة الصخرة" (Dome of the Rock) الذي بناه الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" عام 72هـ[2415] (691م) والباقي إلى يومنا هذا والذي يحارب العرب/المسلمون (الفلسطينيون على الأقل) مِن أجله إلى اليوم. وبمرور الزمن وتعاقب الأجيال، صار كل أو معظم المسلمين يجهلون أمر البتراء أو يكتمونه، كما يجهل كل أو معظم المسلمين اليوم أمر الجذور السريانية-الآرامية للقرآن أو يكتمونه[2416].
- الآية القرآنية الوحيدة التي تذكر "مَكَّة" (الفتح 24) (مدنية ومتأخرة جداً) ربما كانت أصلاً "بَكَّة" (= البتراء) ثم حُرِّفَت إلى "مَكَّة".

- ما كُتِبَ في كُتب التراث الإسلامي – مثل تفسير القرآن وأسباب النزول والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ... الخ – عن ظهور الإسلام/القرآن/محمد في مكة غير حقيقي، أو على الأقل مُحرَّف وغير دقيق جغرافياً وتاريخياً. فحين نقرأ كلمةَ "مَكَّة" في كُتب التراث الإسلامي، ربما كانت الكلمة الأصلية هي "بَكَّة" (= البتراء) ثم حُرِّفَت إلى "مَكَّة"؛ وبالطبع لم يحدث هذا التحريف في كل المواضع وإنما حدث في بعض المواضع التي تتعلق بالقرن السابع والنصف الأول مِن القرن الثامن الميلادي. [ولِمَ لا؟ ألم يحرّف ابنُ هشام سيرةَ ابن إسحاق؟!] والكتب التي لم يتم تحريفها، تم إحراقها. [ولِمَ لا؟ ألم يحرق المسلمون حتى مصاحفَهم بأمرٍ واحد صدر مِن السلطة السياسية الحاكِمة باعتراف كُتب التراث الإسلامي؟!]

بغض النظر عن مدى صحة نظرية دان جيبسون، فإننا يجب أن نعترف بأهميتها التي ترجع إلى عدة أسباب، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

- تبرز نظرية دان جيبسون الدور المهم الذي لعبته الحروب الأهلية العربية-العربية (الفتن الإسلامية-الإسلامية) في نشأة الإسلام وتكوين القرآن (المصحف)، وكذلك الدور الذي لعبته السلطة السياسية الحاكِمة (الخلفاء) في حسم المسائل الخلافية الدينية ولو بالعنف والقتل وسفك الدماء[2417]!
- تساعدنا نظرية دان جيبسون على تفسير ندرة وجود اسم "بَكَّة" في كُتب التراث الإسلامي، بخلاف اسم "مَكَّة" الذي نجده كثيراً جداً، بل دائماً تقريباً!
- تساعدنا نظرية دان جيبسون على تفسير ندرة وجود (أو: عدم وجود) الكُتب الإسلامية/العربية التي كُتِبَت في القرن السابع والنصف الأول مِن القرن الثامن الميلادي؛ وهو ما أسماه دان جيبسون "الفراغ الأدبي" (literary vacuum) الذي بدأ مبكراً حتى مِن قَبْل الخلافة الأموية حسب قصة حرق المصاحف المخالِفة وتوحيدها في مصحفٍ واحد ووحيد تفرضه الدولة الإسلامية على رعيتها المسلمين أو ما يُسمَّى "مصحف عثمان". يقول دان جيبسون إن تلك الكتب ضاعت باستثناء "القرآن الذي كان مُؤلَّفاً مِن مقاطع مما كان يتذكره الناس مِن الذي أُنزل على محمد (the Quran which was mostly bits and pieces of what people remembered of the revelations that Muḥammad gave)". [كما قلنا فيما سبق: القرآن هو أقدم كتاب عربي وصل إلينا. إلا أن أقدم مخطوطاته قليلة جداً بل نادرة وناقصة غير كاملة ومتأخرة غير مبكرة إذ يرجع تاريخُها إلى أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الميلادي – أي: بعد وفاة محمد بعشرات السنين! وبعض آياتها تختلف عن المصحف الحالي! ولذلك يتجنب شيوخ الإسلام التحدث عن مخطوطات القرآن القديمة لأن هذا الموضوع سيجعل المسلمين يكتشفون الحقيقة المرة. لو القرآن "كلام الله"، فكيف لا توجد نسخة واحدة كاملة أو حتى شبه كاملة يرجع تاريخُها إلى زمان محمد؟!]

وفي لقائه مع الأستاذ محمد المسيَّح، قال الأستاذ المضيف حامد عبد الصمد وهو يناقش نظرية دان جيبسون إن "الكعبة (يقصد: كعبة مكة) دي حاجة استحدثت فيما بعد (يقصد: بعد وفاة محمد؛ أو ربما: بعد القرن السابع الميلادي) لإضفاء قُدسية. وللربط بقا مع إبراهيم وإسماعيل تم اختيار مكان نائي (هو: مكة) ماتعرفش توصل له تاريخياً وتعرف كان فيه إيه قبل كده، فأنت تصدق الأسطورة وخلاص"؛ وتقول نظرية أخرى للعالم الألماني (Tilman Nagel) إن "مقام إبراهيم" لم يكن أصلاً في الكعبة في مكة وإنما في "الخليل" (حَبْرُون Hebron) (حالياً: في الضفة الغربية لنهر الأردن جنوب أورشليم/القدس) وكان بعضُ العرب الوثنيين قبل الإسلام يحجون إلى الخليل ويطوفون حول مقام إبراهيم تبركاً بأبيهم المقدس إبراهيم – يعني: ليس في إطار التوحيد وإنما في إطار "تقديس الآباء"[2418] – "وفي نفس الوقت كان فيه تاجر مِن الجزيرة العربية [...] مِن اللي هُمْ بيجوا مع الحجيج أخذ هذا المكان أو الفكرةَ وراح واخدها وناقلها لمكة وعمل نفس الطقوس، بس أضاف [...] التماثيل [...] جاب إِسَافاً ونَائِلَةَ وجاب اللَّاتَ وَمَنَاةَ وَالْعُزَّىٰ وجاب الآلهة اللي هُمْ كانوا موجودين في الشام [...] أصلاً في الشام [...] فقال إن ده التاريخ الحقيقي لبناء الكعبة استعاضة عن المكان اللي كان بيحج إليه العرب"[2419].

ومِن المعلوم أن التوراة تقول إن إبراهيم قد بنى مَذْبَحًا لِلرَّبِّ في الخليل (حَبْرُون) (التكوين 18:13) وإنه دُفِنَ في الخليل (حَبْرُون) (التكوين 25:9-10). فَمِن المحتمل جداً أن بعض العرب وغيرهم كانوا بالفعل يذهبون أو "يحجون" إلى الخليل (Hebron) للتبرك بأبيهم إبراهيم. بل إن هذا الحج موثق تاريخياً، إذ يبدو لنا أن هذه النظرية الأخيرة تعتمد على كتابات المؤرخ البيزنطي "سوزومِن (Sozomen)" (ت. حوالي 450م). ولقد قال العالِم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً عليها وعلى علاقتها بالآيات القرآنية التي جاءت في سياقات "دعاء إبراهيم" المدني (البقرة 125-128) و "دعاء إبراهيم" المكي (إبراهيم 35-41) ومناسك الحج (الحج 26-37)[2420]:

> […] The [Qurʾānic] reference to Abraham raising the “foundations” of the “House” in verse 127 [يقصد: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ" (البقرة 127)] could correspond with the [Biblical] reference to his building an altar (in Hebron) in Genesis 13:18 […]. […]
>
> […]
>
> The Abrahamic traditions in Mecca may also have some connections with Hebron. The Byzantine historian Sozomen (d. ca. 450) relates that the Arabs of his day (along with others) celebrated an annual festival at the Oak of Mamre, the spot near Hebron where by tradition the divine visitation to Abraham in Genesis 18 [قصة "ضيف إبراهيم" في القرآن] took place.

This festival – not unlike the later Islamic pilgrimage – involved prayers, a well, animal sacrifices, offerings, abstaining from sexual relations, and sleeping in tents:

[…] Indeed, this feast is diligently frequented by all nations: by the Jews, because they boast of their descent from the patriarch Abraham; by the Pagans, because angels there appeared to men; and by Christians, because He who for the salvation of mankind was born of a virgin afterwards, manifested Himself there to a godly man. [...] Here some prayed to the God of all; […] (Sozomen, *Ecclesiastical History* 2:4, p. 261)

It is possible that the celebration of an Abrahamic pilgrimage at this spot near Hebron was eventually transferred to Mecca. In [المائدة 95-97] the Qurʾān describes rituals around a sanctuary, which it identifies as الْكَعْبَة (whence the name given to the black building in Mecca).

In any case, one should keep in mind the possibility that Mecca was chosen as a site of the "House" only later, precisely because it seemed to match certain turns of phrase in the Qurʾān [مثلاً: "بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ" (إبراهيم 37)]. The original setting of this verse could be Hebron, the site of Abraham's tomb (which had become a Byzantine church and a pilgrimage site known to Arabs at the time of Islam's rise; see commentary on [البقرة 125-128]). Genesis 13:18 relates that Abraham built an altar to God in Hebron, and this Qurʾānic passage [يقصد: إبراهيم 35-41] (along with [البقرة 125-128]) might be inspired by it. This idea would do away with the need to imagine that Abraham made the (long) trip to the Arabian desert with Hagar and Ishmael while he left Sarah and Isaac back in Palestine.

[…] [الحج 26-37] never mentions Mecca itself [nor does it mention الْكَعْبَة]; it is possible that the rituals of the *ḥajj* in Mecca, including circumambulation ["وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ" (الحج 29)] and the sacrifice of animals [الحج 34، 36] were developed later as scholars sought to interpret these verses […]. On the possibility that the "House" [الحج 26] or "Ancient House"

[الحج 33] which Abraham established was not in Mecca, see commentary on [البقرة 125-128] and [إبراهيم 35-41].

فيُفهَم مما قاله المؤرخ سوزومِن أن مقام إبراهيم في الخليل كان مَجْمَعاً للأديان أو مُلتقى لأتباع الديانات الثلاث السائدة في الشرق آنذاك، وَهُمْ بالطبع اليهود والمسيحيون والوثنيون (ومِنهم العرب)، أي: نفس التيارات الثلاثة التي ستصنع الإسلامَ بعد ذلك بأكثر من 200 سنة: التراث اليهودي + التراث المسيحي + التراث العربي (وبخاصة فيما يتعلق بالحج إلى "مقام إبراهيم"). والمدهش أن سوزومِن قال بعد ذلك إن الإمبراطور الروماني المسيحي الأول "قسطنطين الكبير" (Constantine the Great) (القرن الرابع الميلادي) عَلِمَ بممارسة هذه الطقوس الوثنية عند هذا المكان المقدس، فانزعج بشدة وأمر بتحطيم الأصنام الموجودة هناك وحرقها بالنار (the destruction of the carved images by fire)[2421] **[← انظر ما قاله القرآنُ عن أسطورة تحطيم إبراهيم للأصنام و "معجزة" نجاته من النار (الصافات 83-99) (الأنبياء 51-71) (العنكبوت 16-26) ← انظر ما قاله التراث الإسلامي عن تحطيم محمد للأصنام يوم فتح مَكَّة/بَكَّةَ (8هـ)]**. ثم أمر قسطنطينُ ببناء كنيسة في هذا المكان المقدس، وأن تُمنَع كل الطقوس الوثنية، وألا تُمارَس أي ديانة إلا عبادة الله حسب قانون الكنيسة، وأن مَن يحاول إعادة الطقوس الوثنية إلى الخليل سيُعاقَب بالعقوبة العظمى (الإعدام؟) **[← "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ (أي: في مَكَّة/بَكَّةَ حسب التراث الإسلامي) بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا (أي: بعد 9هـ)" (التوبة 28)]**!

في ضوء هذه النظريات الحديثة التي تقلب التراث الإسلامي رأساً على عقب، على الأقل فيما يتعلق بنشأة الإسلام، يجب علينا أن نسال أسئلة كثيرة ومحيرة:

- هل الإسلام/القرآن/محمد ظهر في الجنوب (مكة وما حولها) أم في الشمال (أورشليم وما حولها)؟
- هل "الْبَلَدِ الْأَمِينِ" (التين 3) هي مكة كما يقول التراث الإسلامي؟ أم هي أورشليم "الْقَرْيَةَ الأَمِينَة" (إشعياء 1:21، 1:26) مدينة السلام "الْمَدِينَة الْمُقَدَّسَة" (إشعياء 52:1) (متى 4:5، 27:53) في "الأَرْض الْمُقَدَّسَة (أي: كنعان)" (المائدة 21)؟
- أين تقع "أُمّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا" (الأنعام 92) (الشورى 7)؟ هل (القصص 59) تتحدث عن خراب أورشليم (أُمّ القرى) عام 70م بعد قتل المسيح: "وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ" (القصص 59)؟
- هل الحروب الأهلية العربية-العربية (الفتن الإسلامية-الإسلامية) التي اندلعت بين العرب/المسلمين بعد وفاة محمد كانت لأسباب سياسية محضة تتعلق بالصراع على السلطة فقط؟ أم أن تلك الحروب الأهلية العربية-العربية (الفتن الإسلامية-الإسلامية) التي اندلعت بين العرب/المسلمين في القرن

السابع الميلادي حدثت أيضاً لأسباب دينية وعقائدية تتعلق بنبوة محمد (حروب الردة) ونَص القرآن/المصحف (اغتيال عثمان) وقِبْلة الصلاة ومركز الحج ومسقط رأس محمد ... الخ؟

- هل الإسلام دين نزل مِن عند الله؟ أم أيديولوجيا سياسية وعسكرية خرجت مِن رحم الحروب الخارجية (الغزوات؛ الفتوحات) والحروب الداخلية (الحروب الأهلية؛ الفتن) التي سادت في الشرق الأوسط في القرنين السابع والثامن بعد الميلاد؟

- هل الإسلام/القرآن الذي نعرفه اليوم هو الإسلام/القرآن الذي جاء به محمد بن عبد الله (بفرض أنه شخصية حقيقية تاريخية) في الثلث الأول مِن القرن السابع الميلادي؟ أم أن الإسلام/القرآن مجرد بدعة عربية ابتدعها الحكام الغزاة العرب (المسلمون؟) بعد ذلك بعشرات السنين حتى نضجت في عصر الحكم العباسي في القرن الثامن الميلادي أو ما بعده؟

- هل المسلمون اليوم مؤمنون بالإسلام "دين الله" "ملة إبراهيم" المزعومة؟ أم يتبعون نسخة عباسية (Abbasid version) للإسلام وللتاريخ الإسلامي؟

- هل هاجر الإسلام/القرآن/محمد مِن مكة إلى المدينة؟ أم هاجر مِن الشام (البتراء) إلى الحجاز (مكة)؟

التراث الإسلامي نفسه يعترف بأن القرآن مَرَّ بمرحلتين زمنيتين: ما يُسمَّى بـ "القرآن المكي" (والتسمية الأكثر دقة هي: قرآن ما قبل الهجرة) ثم ما يُسمَّى بـ "القرآن المدني" (والتسمية الأكثر دقة هي: قرآن ما بعد الهجرة)، مما يعني أن "الهجرة" نقطة فاصلة ومحورية في تاريخ الإسلام بدليل أنها بداية التقويم "الهجري" المُستخدَم إلى اليوم. وعلى الرغم مِن عدم وجود أي دليل علمي يثبت تلك "الهجرة" المزعومة مِن مكة إلى المدينة، فليس لدينا مانع أن نفترض أن هذا التقسيم الزمني له أصل تاريخي. فهل مَرَّ الإسلامُ بمرحلتين زمنيتين فعلاً، لكن ليس إسلام مكي ثم إسلام مدني، وإنما إسلام أموي ثم إسلام عباسي؟ بعبارة أخرى أكثر جرأة: هل نحن أمام إسلامَيْن اثنين (Two Islams) على الأقل: الإسلام الأول (Islam 1.0) هو الإسلام الأموي القريب مِن اليهودية والمسيحية "الأصلية" المسيحية الشرقية التوحيدية غير الرومانية النيقاوية-القسطنطينية المثلِّثة (Unitarian non-Trinitarian pre-Nicene Oriental Christianity) ومركزه الشام أرض الأنبياء والحضارة، ثم تطور هذا الإسلام الأول تدريجياً بمرور الزمن حتى نشأ الإسلام الثاني (Islam 2.0) وهو الإسلام العباسي في العراق والمنفصل تماماً والمستقل تماماً عن اليهودية والمسيحية وقِبْلته إلى مَكَّة في صحراء شبه جزيرة العرب البعيدة جغرافياً عن الشام أرض الأنبياء والحضارة حتى لا يقول أحدٌ إن محمد الأمي/الحنيف قد تعلَّم مِن اليهود والمسيحيين الشرقيين والمثقفين العرب، وهذا الإسلام الثاني هو المستمر إلى اليوم؟

- لكن ما علاقة محمد بن عبد الله بهذين الإسلامَيْن، إذا كان له علاقة بهما أصلاً؟

- وهل "محمد" هو لقب المحمَّد المسيَّا (المسيح) المخلِّص الذي يجب أن يحرر أورشليم حسب الطموحات اليهودية، أم "محمد" هو اسم محمد بن عبد الله الذي أسس الإسلام في مَكَّة؟

- هل المسلمون اليوم ضحية بروباجاندا سياسية عباسية (Abbasid propaganda) استغلت الدين، بل حرَّفت الدين لتبرر أفعالها وتمحو آثار كُلّ ما يخالف وجهة نظرها أو وجهة صلاتها (قِبْلتها)؟

- والسؤال الأهم هو: أين تقع "بَكَّة" (آل عمران 96)؟ هل بَكَّة = مَكَّة؟ أم بَكَّة = البتراء شرق نهر الأردن؟ أم بَكَّة = أورشليم أو بالقرب منها غرب نهر الأردن (مثلاً: بَكَا؛ الخليل؛ تل عَرَاد)؟ لاحظ أن الخلاف الجوهري يدور حول مكان بَكَّة وليس مكان مَكَّة ...

بصراحة أسئلة محيرة فعلاً. ولذلك نحن لا نحب أن نعتمد بشكل أساسي ورئيسي على مثل هذه النظريات الصادمة، وبخاصة أن تلك النظريات لم تلقَ قبولاً واسعاً بين الباحثين، فهناك مَن يعترض عليها بشدة[2422]. وكالعادة هناك مَن انزلق إلى السباب والشتائم وتحريف الكلام فزعم أن دان جيبسون قال إن "مَكَّة هي البتراء" وإن اتجاه الصلاة (يقصد: القِبلة) "كان القدس وتحوَّل للبتراء"! يعني "إحنا [المسلمون] 1400 سنة لا نستقبل القبلةَ التي أرادها الله [...] يعني كل صلاة الأمة باطلة ... كل تدين هذه الأمة باطل"[2423]!

وكما شرحنا فيما سبق، دان جيبسون لم يقل شيئاً عن صحة الصلاة أو بطلانها، بل لم يقل إن مَكَّة هي البتراء، وإنما قال إن بَكَّة هي البتراء، ولم يقل إن تحويل القِبلة كان من القدس إلى البتراء، وإنما قال إن تحويل القِبلة كان من البتراء (= بَكَّة) إلى مَكَّة. أو بعبارة أخرى أكثر بساطة: كما تغيَّر معنى كلمة "حنيفاً" مِن معنى سلبي إلى معنى إيجابي بمرور الزمن، كذلك بمرور الزمن تغيَّر مدلولُ كلمة "بَكَّة" مِن البتراء في الشام إلى مَكَّة في الحجاز. أما المزاعم الأخرى التي أثارتها البروباجاندا العربية-الإسلامية عن تاريخية مَكَّة في القرون الأولى للميلاد قبل الإسلام، فهي مزاعم ضعيفة فلا تستحق الرد ولا تهمنا أصلاً، لأننا لا نشكك في تاريخية مَكَّة في القرون الأولى للميلاد قبل الإسلام، وإنما نشكك في تاريخية مَكَّة أيام إبراهيم (أي: قبل الميلاد بأكثر من 1500 سنة؛ في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد) ونشكك أيضاً في العلاقة بين إبراهيم ومَكَّة، أو بعبارة أكثر دقة: نشكك فيما قاله القرآنُ عن وجود علاقة بين إبراهيم والكعبة في مكة. ولذلك فإننا سنكتفي هنا بالإشارة إلى ما كتبه الباحث (Ian D. Morris) تعليقاً على أهم المزاعم العربية-الإسلامية[2424].

أما فيما يتعلق بنظرية دان جيبسون، فنحن نرى أنها تستحق الدراسة والتفكير، وستمهِّد الطريقَ في المستقبل لدراسات وأبحاث علمية كثيرة عن نشأة الإسلام، إلا أنها تعاني مِن نفس المشكلة التي تعاني منها دراسات المستشرقين القُدامى، وهي افتراض أن محمد بن عبد الله هو المؤلف الوحيد للقرآن والمؤسس الوحيد للإسلام. وهذا طبعاً افتراض خاطئ بل خاطئ جداً. وإنما الصحيح هو أن الإسلام دين العرب والقرآن كلام العرب وكلاهما ثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر من شخص. أما محمد بن عبد الله، فحتى إذا افترضنا أنه شخصية حقيقية تاريخية، فهو مجرد واحد من أولئك العرب الذين اشتركوا في تأليف القرآن وصناعة الإسلام،

فينبغي عدم الحديث عن محمد أو على الأقل عدم التركيز عليه. الإسلام لا يعتمد على شخص واحد، وإنما يعتمد على نَص واحد. وهذا النص المؤسس هو القرآن، أو بعبارة أكثر دقة: المصحف.

وموقفنا مِن نظرية دان جيبسون هو نفس موقفنا مِن كتب التراث الإسلامي، فلا نؤيدها بنسبة 100% ولا نرفضها بنسبة 100%. إذ لا يهمنا كثيراً إنْ كان محمد قد ظهر في الجنوب (مكة وما حولها) أم في الشمال (أورشليم وما حولها)؟ عاش في صحراء شبه الجزيرة العربية أم في الشام؟ هاجر من الجنوب (مكة) إلى الشمال (المدينة)؟ أم هاجر من الشمال (الشام) إلى الجنوب (صحراء شبه الجزيرة العربية)؟ أم هاجر مِن الغرب (شام الأمويين) إلى الشرق (عراق العباسيين)؟ كل هذا لا يهمنا كثيراً، فنحن لا نبحث في تاريخ وجغرافيا الإسلام المبكر، وإنما نبحث في بَشرية القرآن (المصحف) كَنَص وبَشرية الإسلام كدين. حتى محمد نفسه لا يشغل بالنا كثيراً، فلا يهمنا كثيراً إن كان محمد بن عبد الله شخصية حقيقة تاريخية عاش في القرن السابع الميلادي؟ أَم عاش في القرن الثامن الميلادي؟ أم مجرد شخصية رمزية (symbolic figure) كما يقترح الباحث والكاتِب الشهير (Christoph Luxenberg)[2425]:

“MUHAMMAD I” AND “MUHAMMAD II”

[…] It is the task of historians to discover whether “Muhammad II,” [يقصد: محمد بن عبد الله رسول الإسلام] about whom the “Sīra” has so much to report, actually lived shortly before the appearance of the biography of the Prophet (ca. mid-eighth century), or whether he should be seen merely as a symbolic figure. The first name of his father, “ʿ*Abd Allāh*,” which may in fact be similarly symbolic, reflecting the expression “servant of God” from the Dome of the Rock, helps to suggest this latter possibility.

“ISLAM I” AND “ISLAM II”

[…] the beginning of “Islam” as we know it. […] historical Islam began at the earliest in the middle of the eighth century. However, much of the Qurʾān may have existed partially before the rise of historical Islam – a possibility that the inscription on the Dome of the Rock suggests – it [i.e., the Qurʾān] seems to have been the liturgical book of a [pre-Nicene anti-Trinitarian] Syrian-Arabian Christianity. Even if written Christian sources from the first half of the eighth century speak of a “Muhammad” as the “prophet of the Arabs,” this phenomenon is to be explained as that this

Arabian name for Christ was simply not current among Aramaic- or Greek-speaking Christians. Therefore, this metaphor, which would have sounded strange to them, must have seemed to be the name of a new prophet. Regardless, there was no talk at this time of “Islam.” […]

[…]

[…] These changes [from “ISLAM I” of the Umayyads to “ISLAM II” of the Abbasids] can only be explained in political terms. […]

ولذلك فإن محمد بن عبد الله لا يشغل بالنا كثيراً، فلا نتحدث عنه إلا في إطار علاقته المزعومة بالقرآن والإسلام حسب كتب التراث الإسلامي. فما يشغل بالنا فعلاً هو القرآن والإسلام. فيكفينا أن البذرة الأولى والمبكرة جداً جداً للقرآن/الإسلام كانت في أوائل القرن السابع الميلادي أثناء الحرب العالمية بين الروم البيزنطيين في الشام والفرس في العراق وفارس؛ فلقد ظهر القرآنُ/الإسلامُ في منطقة عربية (هي: مكة حسب التراث الإسلامي) يسود فيها دينٌ آخر (هو: الشرك والوثنية حسب التراث الإسلامي)، وبالطبع اصطدم القرآنُ/الإسلامُ بهذا الدين الآخر، فعانى مِن الاضطهاد الديني، فهاجر لاجئاً إلى منطقة أخرى فيها يهود موحِّدون (هي: يثرب/المدينة حسب التراث الإسلامي) فتحالف مع اليهود لفترة حتى انقلبوا عليه (أو: انقلب هو عليهم) وسيطر على المنطقتين (هُما: مكة والمدينة حسب التراث الإسلامي) واستطاع بالسيف أن يوحِّد العربَ دينياً وسياسياً وعسكرياً ضد الروم المسيحيين والفرس المجوس، ومِن ثم انتصر العربُ عليهما مما أدى إلى خضوع الشام والعراق وفارس للاحتلال العربي في القرن السابع الميلادي. أما اكتمال القرآن/الإسلام بصورته القانونية النهائية التي نعرفها الآن فربما حدث في المدينة قبل منتصف القرن السابع الميلادي (كما يزعم التراث الإسلامي التقليدي بدون أي دليل علمي) وربما حدث في الشام و/أو العراق في القرن الثامن الميلادي أو ما بعده (كما تؤكد النظريات العلمية الحديثة).

سؤال لكل مسلم عاقل: هل توجد نسخة كاملة أو حتى شبه كاملة للقرآن (المصحف) يرجع تاريخُها قبل منتصف القرن السابع الميلادي؟! الإجابة: لا توجد في الوقت الحاضر ولن توجد في المستقبل لأنها أصلاً لم توجد تاريخياً في الماضي. وفيما يتعلق بموضوعنا وهو العلاقة المزعومة بين إبراهيم ومكة، فإن السؤال هو: هل توجد آثار تاريخية معاصرة لإبراهيم أو بعده بقليل تثبت أن إبراهيم (بفرض أنه شخصية حقيقية تاريخية) ذهب إلى مكة وبنى فيها الكعبةَ أو أعاد بناءها كما يزعم القرآنُ؟! الإجابة كالعادة هي: لا توجد.

وبما أننا لا نبحث في تاريخ وجغرافيا الإسلام المبكر، وإنما نبحث في بَشرية القرآن كَنَص وبَشرية الإسلام كدين، فلا يهمنا كثيراً إنْ كان أصحاب القرآن قد أخذوا طقوس الحج (مثلاً: الطواف) مِن طواف العرب قبل الإسلام حول الكعبة في مكة أَم مِن طواف العرب قبل الإسلام حول مقام إبراهيم في الخليل؟

فالنتيجة واحدة في الحالتين: الفكرة أصلاً فكرة بشرية وثنية ومرتبطة بإبراهيم الذي اعتقد العرب الجاهليون أنه أبوهم، ثم جاء الإسلام وردد نفس الأسطورة العربية لكنه جعل إبراهيمَ أباً للمسلمين جميعاً سواء من أصل عربي أو غير عربي **[← "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ" (الحج 78)؛ فليست صدفة أن هذه العبارة موجودة في سورة الحج، فهي بالفعل مرتبطة بالحج العربي سواء إلى مكة أو إلى الخليل]**. بعبارة أخرى: مِن حُسن الحظ أنه يمكن التوفيق والتقريب بين النظريات الحديثة والتراث الإسلامي التقليدي، على الأقل في بعض النقاط غير المتناقضة. على سبيل المثال، مِن المحتمل جداً أنه بعد أن منع قسطنطينُ الوثنيين العرب مِن دخول مقام إبراهيم في الخليل، اتجهوا في حِجهم إلى مكة في صحراء شبه الجزيرة العربية – التي لم تكن تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية – وزعموا أن فيها مقام إبراهيم الخليل. وظل العرب يتوارثون هذه الأسطورة حتى جاء أصحابُ القرآن فقالوا إن مقام إبراهيم في الكعبة في مكة.

وكذلك لا يهمنا كثيراً إنْ كانت بَكَّة = البتراء أو أورشليم أو مكان آخر بالقرب منهما، فيكفينا أن أورشليم **[← مَكَّة]**. ولا يهمنا كثيراً إنْ كان هذا التطور البشري الطبيعي حدث في القرن السابع أم في القرن الثامن الميلادي. المهم أنه حدث في تلك الفترة المهمة عسكرياً وسياسياً ودينياً وثقافياً في الشرق الأوسط. والأهم أنه "بشري" أي لا علاقة له بالله ولا علاقة لله به.

ثم إننا نؤمن إيماناً راسخاً بأن القرآن (أو بعبارة أكثر دقة: المصحف) كلام بشر وثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر مِن شخص، وأن عملية تأليف القرآن وإنتاج المصحف قد استغرقت وقتاً طويلاً، على الأقل 35 سنة مِن 610م حتى "مصحف عثمان" حسب كتب التراث الإسلامي. فَحتى إذا وافقنا على نظرية دان جيبسون التي تقول إن بَكَّة (آل عمران 96) = البتراء، فهذا لا يعني بالضرورة أن الإسلام/القرآن/محمد نشأ في البتراء، وإنما قد يعني فقط أن صاحب (آل عمران 96) أو أصحابها ربما عاشوا في البتراء. وبنفس المنطق، حتى إذا فسرنا "وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم (أي: على منازل قوم لوط وآثارهم) مُّصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ" (الصافات 137-138) بمعنى: كل صباح وكل مساء، أي مرتين يومياً، فهذا لا يعني بالضرورة أن الإسلام/القرآن/محمد نشأ في منطقة زراعية بالقرب من جنوب البحر الميت (Dead Sea)، وإنما قد يعني فقط أن صاحب (الصافات 137-138) أو أصحابها ربما كانوا دائماً أو مؤقتاً يعيشون في تلك المنطقة الزراعية ولذلك خاطبوا أهلَها قائلين "وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم" نهاراً وليلاً[2426]. بعبارة أخرى: القرآن (المصحف) ليس كتاباً قاله شخصٌ واحد في مكانٍ واحد وزمانٍ واحد. وإنما القرآن (المصحف) هو مجرد تجميع (compilation) لمقتطفات مختارة مِن كلام العرب الذين عاشوا في أماكن متعددة ومختلفة في الشرق الأوسط وأزمنة متعددة ومختلفة في القرن السابع الميلادي وما بعده. فَمِن الطبيعي – بل مِن الطبيعي جداً – أن نجد آيات قرآنية تعبر عن العرب في تاريخ وجغرافيا الحجاز بينما نجد آيات قرآنية أخرى تعبر عن العرب في تاريخ وجغرافيا الشام.

وكذلك في المقابل، إذا رفضنا نظريةَ دان جيبسون التي تقول إن بَكَّة = البتراء هي القِبلة الأولى للإسلام، وافترضنا جدلاً صحةَ ما يقوله التراث الإسلامي إن القدس/أورشليم هي القِبلة الأولى للإسلام وإن القِبلة الثانية مَكَّة = بَكَّة هي مهد الإسلام/القرآن/محمد، فَمِن المعقول أيضاً أن نفترض أن أصحاب القرآن قد اقتبسوا اسمَ بَكَا/بَكَّة (آل عمران 96) مِن التراث اليهودي/المسيحي (المزامير 84:5-7) (2 صموئيل 5:17-25) وألصقوه بمَكَّة (الفتح 24) في إطار عملية نقل مركز العبادة (قِبلة الصلاة والحج) مِن أورشليم إلى مَكَّة في الفترة المدنية. وربما ساعدهم على ذلك تقاربُ النطق والكتابة بين "بَكَّة" و "مَكَّة". بل ظهر لـ "بَكَّة" معنى آخر غير البكاء، معنى قريب من معنى "مَكَّة"، فصارت كلتاهما تدلان على العنف، بل الإفراط في استخدام العنف أو الدمار الشامل (كما يحدث بسبب الزلازل مثلاً؟). فحسب المعجم الوسيط، الفعل "بَكَّ" يعني: قهر أو هشم أو مزَّق و "بَكَّ عُنقَه" أي كسره، والفعل "مَكَّ" يعني نقَص أو أهلك أو ألحَّ في الاقتضاء و "مَكَّ العَظمَ" أي مصّ جميع ما فيه! ومِن الجدير بالذكر أيضاً أن كلمة "مَعْكَة" **[⟵ مَكَّة؟]** المذكورة في الكتاب المقدس (2 صموئيل 6:10) (1 أخبار الأيام 6:19-7) تعني كذلك: "ظُلِم" أو "سُحِق" (crushed) أي: في معركة، أو كما يُقال اليوم: مَدْعَكَة. ومِن الجدير بالذكر أيضاً أن "مَعْكَة" لها علاقة بإبراهيم، اسمياً على الأقل، إذ يُحتمل أن مملكة مَعْكَة أخذت اسمَها من مَعْكَة ابن/ابنة نَاحُور أَخِي إِبْرَاهِيمَ (التكوين 24:22)[2427].

وما حدث أثناء التطور البشري الطبيعي لمركز العبادة الواحد والوحيد – أورشليم **[⟵ مَكَّة]** – حدث كذلك في اسم جبل "الْمَرْوَة" المرتبط بالحج والعمرة أيضاً عند "الْبَيْت" أي في مكة حسب التراث الإسلامي: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا [...]" (البقرة 158) (مدنية أيضاً). فاسم "الْمَرْوَة" هو مجرد تعريب أو تحريف لاسم "الْمُرِيَّا" (Moriah) حيث حدثت قصة الذبيح إسحاق عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ وحيث بنى إبراهيمُ الْمَذْبَحَ (the altar): "فَقَالَ [اللهُ لإبراهيم]: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ»" (التكوين 2:22) "فَلَمَّا أَتَيَا (أي: إبراهيمُ وإسحاقُ) إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ" (التكوين 9:22)؛ وهو أيضاً اسم الجبل الذي بَنى عليه سليمانُ بن داود بيتَ الرب (Beit Ha-Miqdash؛ بيت المقدس) في أورشليم: "وَشَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ (بالعبرية: bēt) الرَّبِّ **[⟵ "الْبَيْتَ [...] بَيْتِيَ [...] الْبَيْتِ" (البقرة 125-127)[2428]]** فِي أُورُشَلِيمَ **[⟵ في مكة!]**، فِي جَبَلِ الْمُرِيَّا (Mount Moriah) حَيْثُ تَرَاءَى لِدَاوُدَ أَبِيهِ، حَيْثُ هَيَّأَ دَاوُدُ مَكَانًا [...]" (2 أخبار الأيام 1:3)، فيُعتقَد أنه الجبل المعروف حالياً باسم "جبل الهيكل" (Temple Mount) في أورشليم[2429]. ويقول التراث المسيحي السرياني إن آدم دُفِنَ هناك وإن يسوع المسيح (آدم الثاني؛ إسحاق الحقيقي؛ الذبيح الحقيقي) قد صُلِبَ هناك، ولذلك قال المسيحُ لليهود: "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي (أي: يوم صليبي؛ يوم الفداء والخلاص لآدم/لإسحاق) فَرَأَى وَفَرِحَ" (يوحنا 56:8)[2430]. "وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صُلِبَ [المسيحُ] فِيهِ بُسْتَانٌ، وَفِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ. فَهُنَاكَ وَضَعَا يَسُوعَ (أي: هُنَاكَ دُفِنَ يَسُوعُ)" (يوحنا 41:19-42) "فِي قَبْرٍ كَانَ مَنْحُوتًا فِي صَخْرَةٍ (rock)" (مرقس 46:15) "فِي الصَّخْرَةِ (rock)" (متى 60:27)،

فنستطيع إذن أن نستنتج أنه حسب التراث المسيحي السرياني: يسوع المسيح صُلِبَ ومات ودُفِنَ فِي صَخْرَةٍ (rock) وقام في هذا الموضع أو على الأقل بالقرب منه[2431]. ومِن ثم تتضح قُدْسية هذا الموضع في قلوب اليهود والمسيحيين (السريان).

ويُعتقَد أيضاً أنه الموضع المقدس الذي اختاره الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" لبناء مسجد "قبة الصخرة" (Dome of the Rock)[2432][2433] عام 72هـ (691م) في أواخر الحرب الأهلية العربية-العربية الثانية (أو: الفتنة الإسلامية-الإسلامية الثانية Second Fitna) بين الأمويين وعبد الله بن الزبير. ولا نعتقد أنها صدفة أن الآيات القرآنية (أو: شبه-القرآنية) داخل قبة الصخرة تبدأ بالتوحيد ونفي الشرك: "بسم الله الرحمن الرحيم. لا إله إلا الله وحده لا شريك له. [...]"، وتتحدث معظمها أو كلها تقريباً عن المسيح عيسى ابن مريم "عبد الله" "رسول الله"، وتنتهي بجملة تقول: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ. [...]".

واللافت للانتباه أن آيات قبة الصخرة لا تنكر صَلْب المسيح ولا تنكر الفداء والخلاص، بل تلمِّح إلى الاعتراف بموت المسيح وقيامته "السلام عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا [...]". لكنها تنكر لاهوت المسيح "لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدَ اللهِ [...]" وتنكر التثليث "لَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ [...]"، وتلمِّح إلى إنكار أن المسيح ابن الله "مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ [...]" "سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ [...]". ويبدو أن الأمويين إما فهموا عبارةَ "ابن الله" فهماً حرفياً بالمعنى الجنسي العربي البدوي (أي: مِن نسل الله "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ" (الأنعام 101)) أو فهموها بالمعنى اللاهوتي اليوناني-الروماني النيقاوي-القسطنطيني (أي: مِن طبيعة الله "إله حق من إله حق" كما يقول قانون الإيمان الذي آمن به المسيحيون السريان) ولذلك أنكر الأمويون أن المسيح ابن الله.

واللافت للانتباه أيضاً أننا لا نجد كلمةَ "القرآن" في آيات "مسجد" قبة الصخرة!

فلماذا إذن بنى عبدُ الملك بن مروان مسجدَ قبة الصخرة؟ الإجابة الإسلامية التقليدية هي: "يتوسط بناء المسجد الصخرة المقدسة التى ذُكِرَ أن النبى ﷺ ارتفع فوقها إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج، ويدل تصميم هذا المسجد على رغبة عبد الملك فى تشييد مبنى يحيط بالصخرة المقدسة ليصلح مزاراً للمسلمين، يحجون إليه ويطوفون حول الصخرة المقدسة يتبركون بها بدلاً مِن الذهاب إلى مكة ووقوعهم تحت تأثير [عبد الله] ابن الزبير الذى خرج عن طاعة الأمويين لمدة تسع سنين"[2434]! أما نحن فنرى أن تلك الإجابة الإسلامية التقليدية ضعيفة، لأن معظم آيات قبة الصخرة أو كلها تقريباً موجّهة أساساً إلى أهل الكتاب (المسيحيين تحديداً) وليست موجّهة إلى المسلمين، ولا تذكر الحج ولا تذكر الإسراء والمعراج إطلاقاً؛ ثم إن قبة الصخرة بُنيت في أواخر الحرب الأهلية، فلو أراد الأمويون أن يُبعِدوا العرب/المسلمين عن عبد الله بن الزبير لفعلوا ذلك مبكراً في أوائل الحرب الأهلية وليس في أواخرها. وهنا نطرح سؤالاً: أليس من المحتمل أن يكون العكس هو الذي حدث تاريخياً (renversement de situation): المتمرد عبد الله بن الزبير هو الذي اخترع قُدسيةَ مكة ليحج المسلمون إليها بدلاً من الذهاب إلى بلاد الشام التي كانت تحت سيطرة الخلفاء الأمويين؟

ويُفهَم مِن نظرية دان جيبسون أن عبد الله بن الزبير هو أول مَن ترك بتراء الشام وتَوجَّه (هاجر) جنوباً إلى مكة الحجاز وأعاد بناءَ الكعبة فيها (أو بعبارة أكثر دقة: هدم كعبةَ البتراء أو ما تبقى مِنها بعد أن ضربها الأمويون بالمنجنيق ثم نقل الحجرَ الأسود The Black Rock مِن البتراء في الشام إلى مكة في الحجاز) ليجد هو وأتباعُه "مكاناً [بعيداً أكثر أمناً][2435] حيث يمكنهم الصمود بوجه القوات الأموية"[2436]. واستدل دان جيبسون بِما قاله الطبري (ت. 310هـ) في تاريخه تحت عنوان "ذكر الخبر عن هدم ابن الزبير الكعبة": "قال أبو جعفر: وفي هذه السنة (أي: 64هـ؛ حوالي 683م) هدم ابنُ الزبير الكعبةَ، وكانت قد مال حيطانُها مما رُميَت به من حجارة المجانيق، فذكر محمد بن عمر الواقدي أن إبراهيم بن موسى حدثه عن عكرمة بن خالد، قال: هدم ابنُ الزبير البيتَ حتى سوّاه بالأرض، وحفر أساسه، وأدخل الحِجْر (أي: حِجْر إسماعيل) فيه، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس، ويصلون إلى موضعه، وجعل الركن الأسود (أي: الركن corner الذي فيه الحَجر الأسود ويواجه مقام إبراهيم وبئر زمزم) عنده في تابوت في سَرَقَةٍ من حرير، وجعل ما كان من حُليّ البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحَجبَة في خِزانة البيت، حتى أعادها لمَّا أعاد بناءَه. قال محمد بن عمر: وحدّثني معقل بن عبد الله، عن عطاء، قال: رأيت ابنَ الزبير هدم البيت كله حتى وضعه بالأرض"[2437]. واستدل دان جيبسون أيضاً بِما قاله الطبري (أو: الورقة الوحيدة التي وصلتنا مِن كتابه) عن سنة 70هـ وهي السنة التي يعتقد دان جيبسون أن عبد الله بن الزبير وأتباعه قد انتقلوا (هاجروا) فيها مِن بَكَّة (= البتراء) إلى مَكَّة؛ ومع أن الورقة الوحيدة التي وصلتنا مِن تاريخ الطبري لم تقل ذلك، إلا أنها قالت: "وحجّ بالناس في هذه السنة (أي: 70هـ) عبدُ الله بن الزبير [في مكة]"[2438]. ولم يشرح دان جيبسون لماذا اختار عبدُ الله بن الزبير مكةَ بالذات؟ لكن يُفهَم مِن كلامه أنه اختارها لأسباب عسكرية وأمنية وسياسية بحتة. ويمكن أن نتخيل أنه ربما اختار مكةَ لأسباب قومية (أي: مكانتها عند الحُجَّاج العرب بعد أن منعهم قسطنطينُ مِن دخول مقام إبراهيم في الخليل) و/أو لأسباب اقتصادية (أي: أهمية الحجاز التجارية في أواخر القرن السابع الميلادي). المهم: لا يوجد أي دليل يثبت أن عبد الله بن الزبير اختار مكةَ بالذات لأنها مهد الإسلام/القرآن/محمد. وحتى إذا افترضنا جدلاً أن عبد الله بن الزبير اختار مكةَ بالذات لأسباب دينية، فَمِن حقنا أن نتساءل: أليس من المحتمل أن يكون "عبد الله" بن الزبير هو الذي اخترع نبوةَ محمد "بن عبد الله" و/أو رَبَطَها بمكة ليعطي شرعية إسلامية لمطالبته بالخلافة في مكة وتمرده على الخلفاء الأمويين في الشام؟

وعلى الرغم مِن فشل تمرد عبد الله بن الزبير ومقتله وصلبه في أواخر القرن السابع الميلادي (73هـ)، إلا أن مشروعه تطور تطوراً بشرياً طبيعياً في القرن الثامن الميلادي، وبخاصة في عصر العباسيين فَهُمْ أيضاً خصوم الأمويين، حتى صارت الكعبة في مكة وحدها هي قِبلة الصلاة ومركز الحج الإسلامي، بل صار كل مسلم اليوم يتوهَّم أن مكة هي مهد الإسلام/القرآن/محمد ويصدِّق أن عبد الله بن الزبير كان أحد أعضاء اللجنة التي شكّلها "عثمان" لجَمْع القرآن وإنتاج المصحف.

ومِن حُسن الحظ أن التراث الإسلامي نفسه يعترف بأن فكرة تحويل القبلة إلى مكة فكرة بشرية وأن تنفيذها أخذ وقتاً إذ لم تُنفَّذ بشكلٍ كاملٍ إلا بعد وفاة صاحبها (posthumously)، والقرآنُ نفسه يعترف بأنه كانت هناك معارضة لتلك الفكرة الجديدة[2439]، وهذه نقطة اتفاق أو تقارب أخرى بين التراث الإسلامي ونظرية دان جيبسون. إلا أن التراث الإسلامي ينسب فكرة تحويل القبلة إلى الصحابي "البراء بن معرور". وسواء كان صاحب الفكرة هو البراء بن معرور (أي: في حياة محمد) أو عبد الله بن الزبير (أي: بعد وفاة محمد؛ في أواخر القرن السابع الميلادي) أو أحد الخلفاء العباسيين (أي: بعد وفاة محمد؛ في القرن الثامن الميلادي)، فإن النتيجة واحدة في جميع الأحوال لأنهم كلهم بَشر وكلهم عرب: آيات تحويل القبلة (البقرة 142-150) كلام بشر عرب مخلوقين وليس كلام الله الخالق.

ليس الوحي الإلهي هو الذي صنع دينَ العرب المسمَّى "الإسلام"، وإنما التطور البشري الطبيعي: أورشليم **[⟵ مَكَّة]**. الهيكل بيت الرب في أورشليم **[⟵ الكعبة بيت الله في مَكَّة]**. الْمُرِيَّا **[⟵ الْمَرْوَة]**.

فَمَا حدث في اسم جبل "الْمَرْوَة"، حدث مثله في اسم الجبل الآخر المرتبط أيضاً بالحج والعمرة في مكة: "الصَّفَا" (البقرة 158)، فهو أصلاً كلمة آرامية تعني حرفياً "الصَّخْرَة"[2440]، ولذا فإن "صَفَا" اسم من أسماء القديس بطرس (Peter) الذي اسمه باليونانية (Petra) يعني أيضاً: "صخرة" (rock). "فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتَ سِمْعَانُ بْنُ يُونَا. أَنْتَ تُدْعَى صَفَا (Cephas)» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: بُطْرُسُ" (يوحنا 1:42)؛ "وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ (rock) أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا (أي: مملكة الموت وسلطان الشيطان لن تَقْوَى على المؤمنين بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الْحَيِّ)" (متى 16:18).

وفي نفس السياق لا ننسى قصةَ طرد هاجر وابنها إسماعيل، فنذكر "بِئْرَ مَاءٍ" "فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ (حالياً: في صحراء النقب Negev في جنوب إسرائيل/فلسطين)" (التكوين 21:14-19) الذي تحوَّل – أثناء عملية التطور البشري الطبيعي – إلى "بئر زمزم" المزعوم في مَكَّة في صحراء شبه الجزيرة العربية!

وكذلك اسم جبل "عَرَفَة" أو "عَرَفَات" في "فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ (أي: رجعتم مِن الوقوف على جبل عرفة في مساء يوم التاسع من ذي الحجة) [...]" (البقرة 198) (مدنية)، فنظن أنه مُستوحَى مِن "إرِف" (erev) التي تعني "مساء" بالعِبرية، وتُستخدَم للدلالة على اليوم الذي يسبق يوم العيد (eve of ...) أو كما يُقال اليوم: ليلة العيد، كما هو الحال في يوم "وقفة" عرفة (9 ذي الحجة) الذي يسبق يوم عيد الأضحى (10 ذي الحجة) الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقصة الذبيح ابن إبراهيم في التراث الإسلامي الذي يزعم أنه إسماعيل، مع أن التراث اليهودي والتراث المسيحي يتفقان على أنه إسحاق. فكما قلنا فيما سبق: إسحاق **[⟵ إسماعيل]**.

إذن: تشابه الأسماء في النطق أو تطابقها في المعنى لا يعني بالضرورة تطابقها في المكان الجغرافي ولا حتى تقاربها. وإنما يعني أنها تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً لَمَّا انتقلت مِن التراث اليهودي-المسيحي إلى التراث العربي-الإسلامي. فلقد اخترع أصحابُ القرآن في الفترة المدنية ديناً بشرياً **عربياً** مستقلاً جديداً لكنهم

زعموا أن له جذور إلهية قديمة، فاستعانوا بعادات وتقاليد وأفكار وعبارات وكلمات مستوحاة من التراث اليهودي-المسيحي وأيضاً من التراث العربي، وارتدوا إلى "ملة أبيهم إبراهيم" الحنيفية/الإسلام بدلاً من اليهودية والمسيحية، وانحرفوا 180 درجة في صلواتهم وجِجهم إلى مكة جنوباً بدلاً من الشام شمالاً (حيث أورشليم وما حولها). يعني: استعان أصحابُ القرآن بالتاريخ (أي: التقليد الموروث) واستعانوا أيضاً بالجغرافيا. فكل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن أصحاب القرآن قد نقلوا التاريخ (مثلاً: قصص إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) من بني إسرائيل إلى العرب، وأيضاً نقلوا الجغرافيا مِن الشمال (أورشليم وما حولها) إلى الجنوب (مكة وما حولها). وكالعادة، كلمة "نقلوا" لا تعني: نقلوا حرفياً؛ وإنما تعني: طوَّروا ما نقلوه تطوراً بشرياً طبيعياً، وبالطبع وضعوا بصمتَهم العربية-الإسلامية على التراث اليهودي-المسيحي: أورشليم **[← مَكَّة]**. الهيكل بيت الرب في أورشليم **[← الكعبة بيت الله في مَكَّة]**. الْمُرِيَّا **[← الْمَرْوَة]**. صَفَا **[← الصَّفَا]**. بِئْر مَاءٍ فِي بَرِّيَّةِ بِئْر سَبْعٍ في صحراء النقب **[← بئر زمزم في مَكَّة في صحراء شبه الجزيرة العربية]**. "إِرِف" ليلة العيد اليهودي **[← "عَرَفَة" وقفة عيد الأضحى]**.

وكلمة السر في كل ما سبق هي: إبراهيم. كل مَن يريد أن ينفصل عن الديانة التي قبله، يرجع إلى "إبراهيم". فلقد أراد أصحابُ القرآن في الفترة المدنية أن ينفصلوا عن اليهودية والمسيحية ويختلفوا عن التوراة والإنجيل، فلم يجدوا أمامهم سوى أن يرجعوا إلى إبراهيم الذي لم يكن يهودياً ولا مسيحياً (آل عمران 67) ولم يكن عنده التوراة ولا الإنجيل (آل عمران 65). ولا ننسى أيضاً وضع إسماعيل بدلاً من إسحاق. أو بلغة التطور البشري الطبيعي: إسحاق **[← إسماعيل]**.

يقول الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum)[2441]:

> The replacement of Isaac with Ishmael is another striking innovation, and is most probably related to the notion that the Arabs are the descendants of Ishmael. Although the Quran never says so explicitly, this notion is known to have existed among some Arabs in pre-Islamic times, as attested in the writings of two fifth-century Greek authors, Theodoret and Sozomen. By emphasizing that the son who helped build the house [of God] was Ishmael, the Quran delivers another blow to Jewish claims to superiority. The son who played the crucial role was the forefather of the Arabs and Muslims, not of the Jews.
>
> […]
>
> […] The move from Isaac to Ishmael was in any case no trivial matter; it symbolized the Quran's break with the Jews.

ونحن نضيف أن الانتقال من إسحاق إلى إسماعيل (أو بلغة التطور البشري الطبيعي: إسحاق **[← إسماعيل]**) يعني انفصال أصحاب القرآن عن المسيحيين أيضاً كما يعني انفصالهم عن اليهود. إنه تأكيد على عروبة الإسلام واختلافه عن الديانتين غير العربيتين اليهودية والمسيحية.

إن الآيات القرآنية المدنية التي ذكرناها في هذا البحث تثبت كيف استطاع العرب أصحاب القرآن أن يدمجوا تراثهم القومي العربي مع التراث الديني اليهودي/المسيحي ليؤلفوا كتاباً عربياً جديداً هو القرآن ويؤسسوا ديناً عربياً جديداً هو الإسلام المستقل والمنفصل والمختلف عن اليهودية والمسيحية.

التراث اليهودي + التراث المسيحي (السرياني) + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

التراث اليهودي + التراث المسيحي (السرياني) + التراث العربي **[← الإسلام دين العرب]**.

ولذلك فإننا لا نقول إن القرآن كلام محمد، وإنما نقول إن القرآن كلام العرب. وحين نقول "أصحاب القرآن" فإننا لا نقصد محمداً وحده، وإنما نقصد: العرب الذين أنتجوا القرآنَ (أو بعبارة أكثر دقة: أنتجوا المصحفَ). قد يكون محمدٌ واحداً منهم، وقد يكون البراء بن معرور واحداً منهم، وقد يكون عبد الله بن الزبير واحداً منهم، وقد يكون الخلفاء الأمويين و/أو العباسيين منهم. وقد يكونوا كل هؤلاء أو بعضهم. المهم أنهم جميعاً بشر عرب، والقرآنُ (المصحفُ) كلامهم وليس كلام الله. ونحن على يقين 100% أن القرآن (المصحف) ثمرة عمل جماعي اشترك فيه مجموعةٌ من البشر العرب، وليس وحياً من عند الله.

نظرية "الوحي" انتهت. نظرية "التطور البشري الطبيعي" هي التي تفسر نشأة القرآن (المصحف). بل هي التي تفسر نشأة دين العرب المسمَّى "الإسلام".

وفيما يتعلق بموضوع بحثنا هنا تحديداً، فإن المهم بالنسبة لنا هو أن كلمة السر هي: إبراهيم. كل مَن يريد أن ينفصل عن الديانة التي قبله، يرجع إلى "إبراهيم". إيمان إبراهيم وأعماله. فكما زعم أصحابُ القرآن أن الإسلام/الحنيفية "دين إبراهيم" هو الدين الأصلي الأقدم من اليهودية والمسيحية، كان لا بد أيضاً أن يزعموا أن الكعبة "بيت الله" في مَكَّة/بَكَّة بناه إبراهيمُ (أو رفع قواعده أو أعاد بناءَه أو قام بترميمه) حتى يكون أقدم من "بيت الرب" (هيكل سليمان) في أورشليم. يقول تفسير الجلالين لـ "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ" (آل عمران 96): "وَنَزَلَ - لَمَّا قَالُوا (أي: قال اليهودُ للمسلمين) قِبْلَتُنَا قَبْلَ قِبْلَتِكُمْ - "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ" مُتَعَبَّدًا "لِلنَّاسِ" فِي اَلْأَرْضِ "لَلَّذِي بِبَكَّةَ" بِالْبَاءِ، لُغَةٌ (أي: لهجةٌ عربية) فِي مَكَّةَ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَبُكُّ (crushes) أَعْنَاقَ اَلْجَبَابِرَةِ أَيْ: تَدُقُّهَا، بَنَاهُ اَلْمَلَائِكَةُ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ، وَوُضِعَ بَعْدَهُ اَلْأَقْصَى (يقصد: هيكل سليمان؛ بيت المقدس Beit Ha-Miqdash)، وَبَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً"[2442]! إذن: الآيات القرآنية المدنية التي ذكرناها، وبخاصة (آل عمران 96)، __لا__ تتحدث عن حقائق تاريخية حدثت قبل الميلاد بأكثر من 1500 سنة، وإنما تعبر عن جدال ديني بين اليهود والمسلمين (و/أو: بين فريقين من المسلمين أثناء الفتن والحروب الأهلية) في القرن السابع الميلادي، فلجأ أصحابُ القرآن إلى الأساطير مِن أجل الرد على خصومهم.

وكما هي العادة في دراستنا للقرآن، لا يوجد أي دليل علمي وتاريخي يثبت أن إبراهيم بنى بيتاً لله في مَكَّة، بل لا يوجد أي دليل علمي وتاريخي يثبت أي وجود لمَكَّة في الألفية الثانية قبل الميلاد، بل لا يوجد أي دليل علمي وتاريخي يثبت أن إبراهيم نفسه شخصية حقيقية تاريخية، وكذلك لا يوجد أي دليل علمي وتاريخي يثبت أن إسماعيل نفسه شخصية حقيقية تاريخية.

إذن: ما يهمنا هو أن كل ما قاله القرآنُ في هذا الموضوع هو مجرد مزاعم وإدعاءات ليس لها أي أساس تاريخي أو علمي، وإنما تعتمد على أساطير وقصص شعبية، انتشرت بين العرب قبل الإسلام، ثم تطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمان وبانتقال المكان: مِن أورشليم/فلسطين قبل الميلاد إلى مَكَّة/بَكَّة في القرن السابع الميلادي أو ما بعده، حتى استقرت في القرآن وبخاصة الآيات المدنية التي تزعم قِدم الكعبة في مَكَّة/بَكَّة (آل عمران 95-97) (الحج 29، 33) وأن إبراهيم هو الذي رفع قواعدها (البقرة 125-131)!

نعم، إدعاء قِدم الكعبة في مَكَّة وربطها بإبراهيم ساعد أصحابَ القرآن على إعادة تقديم إبراهيم أبي الأنبياء بحيث يكون نسخةً مِن محمد آخر الأنبياء: شخص يعيد إحياء ملة عتيقة قديمة، لكن بصورة نقية طاهرة[2443]. إبراهيم رفع القواعد مِن البيت العتيق في مَكَّة؛ ومحمد في مَكَّة جاء بالحنيفية التي نادى بها إبراهيم. واللهُ أمر إِبْرَاهِيمَ "أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (الحج 26) – وفي رواية قرآنية أخرى: أمر اللهُ "إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (البقرة 125)، وكان العرب قبل الإسلام يحجون إلى الكعبة في مَكَّة وحولها الأصنام؛ ومحمد ابن إسماعيل بن إبراهيم "سيطهِّر بيتَ الله" فسيحطم تلك الأصنام ويأمر الناس بالحج إلى الكعبة في مَكَّة. بل يُفهَم مِن الآيات القرآنية التي ذكرناها مِن سورة الحج أن إبراهيم الحنيف/المسلم هو مؤسس فريضة الحج إلى الكعبة في مكة! ووُضِعَ أيضاً مع إبراهيم عبارةٌ تنفي الشرك "أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا" (الحج 26)! فتقول سورة الحج: "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ (أي: أرشدناه إلى مكانِه؛ أريناه مكانَه) أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَأَذِّن [يا إبراهيم؛ وقيل: يا محمد] فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا (أي: مشاةً) وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ (أي: ركباناً على إبل) يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (أي: مكانٍ بعيد)" (الحج 26-27). وما زال المسلمون إلى اليوم يعتبرون "حج البيت" فريضة تُميِّز الإسلام (الحنيفية) عن الديانات الإبراهيمية الأخرى (اليهودية والمسيحية). تقول موسوعة بيان الإسلام نقلاً عن الشيخ الطاهر ابن عاشور: "وكيف تكون اليهودية أو النصرانية مِن الحنيفية مع خلوها مِن فريضة الحج، وقد جاء الإسلام بذكر فرضه لمن تمكن منه"[2444]. وما زال المسلمون/الحنفاء فقط هُمْ الذين يصلون في اتجاه الكعبة وهُمْ فقط الذين يحجون إليها ويطوفون حولها، وليس اليهود ولا المسيحيون.

أسئلة لكل مسلم عاقل: لو كانت هناك علاقة بين إبراهيم ومكة كما يزعم القرآن، فلماذا لم يذهب أولاد إبراهيم – سواء اليهود أو المسيحيون – إلى مكة؟! بل لماذا لم يذهب أنبياءُ الله – وبخاصة موسى وعيسى – إلى مكة؟! ولو كانت الكعبة في مكة هي بيت الله وأول بيت وُضِعَ لِلنَّاسِ كما يزعم القرآن، فلماذا لم يذهب

موسى ولا عيسى إلى الكعبة في مكة؟! بل لماذا لم يبدأ محمدٌ دعوته إلى الإسلام بالصلاة في اتجاه الكعبة في مكة؟! إذا فكرت قليلاً في هذه الأسئلة، فستكتشف أن ما قاله أصحابُ القرآن هو مجرد أساطير تبناها الإسلامُ في الفترة المدنية. أو بعبارة أخرى: ما قاله أصحابُ القرآن هو مجرد أساطير طوَّرها أصحابُ القرآن تطوراً بشرياً طبيعياً في الفترة المدنية ونسبوها إلى الله.

3.7.1.3.6 وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ!

ثم زاد أصحابُ القرآن على تلك الأساطير فزعموا أن إسحاق ويعقوب (إسرائيل) وأبناء يعقوب كانوا أيضاً مسلمين تنفيذاً لوصية إبراهيم: "وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ [أيضاً قال لأبنائه] يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ [وهو الإسلام!] فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. أَمْ كُنْتُمْ [أيها اليهود] شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة 130-133)! وطبعاً كلمة "مُسْلِمُونَ" هنا تُستخدَم بمعناها العام، أي: مُوحِّدون ومستسلمون ومُنقادون وخاضعون ومُخلِصون تماماً في العبادة والطاعة بالكامل لله وحده لا شريك له. لكنها في الوقت نفسه تشير أو ترمز إلى معناها الخاص: مؤمنون بدين محمد/إبراهيم، دين القرآن، الإسلام/الحنيفية، الدين الأزلي-الأبدي الوحيد الصحيح المقبول عند الله الواحد الأحد وليس اليهودية ولا المسيحية (النصرانية)!

وكنا نتمنى أن يعطينا أصحابُ القرآن دليلاً واحداً من التوراة أو من أى كتاب آخر معاصر لإبراهيم أو حتى موسى يقول إن إبراهيم ويعقوب وأبناؤه قالوا هذا الكلام ونطقوا كلمة "مسلمون" أو حتى كلمة "حنفاء". فى حالة عدم وجود دليل علمي أو حتى كتابي، فليس أمامنا سوى أن نقول إنها مجرد أسطورة قديمة (أساطير الأولين)[2445] قام أصحابُ القرآن بأسلمتها وتعريبها فى إطار عملية الاختطاف، بل السطو غير المسلح، التي قاموا بها على أنبياء أهل الكتاب. والدليل على الأسلمة والتعريب هو أن الجملة التى وضعها أصحابُ القرآن على لسان إبراهيم و/أو حفيده يعقوب "فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (البقرة 132) لا تناسب إطلاقاً عصر إبراهيم (حوالى 2100-1800 سنة ق.م) ولا حتى عصر حفيده يعقوب، وإنما تناسب القرن السابع الميلادى، بدليل أن محمد قال نفس الجملة لأتباعه "وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (آل عمران 102)! اقرأ أيضاً: "قُولُوا [أيها المسلمون] آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة 136)؛ (آل عمران 84).

ويجب هنا أن نقول إن "وصية" يعقوب (إسرائيل) لأبنائه قُبيل موته مذكورة في التوراة في أواخر قصة يوسف بن يعقوب (التكوين 49)، لكنها تختلف عن القرآن (البقرة 132-133) في عدة نقاط، أهمها:

- (التكوين 49) ليست وصية بالمعنى المفهوم، وإنما نبوءة لِمَا سوف يحدث لأبناء يعقوب ولذريتهم، وأيضاً مُباركة لهم وبخاصة يوسف.

- موضوع (التكوين 49) وإطارها العام قومي (قبائل إسرائيل الاثنتا عشرة) وليس دينياً (التوحيد/الإسلام) كما يزعم القرآن (البقرة 132-133).

- لم يُذكر اسمُ "إسماعيل" أبداً في (التكوين 49)، بخلاف القرآن الذي وضع اسمَ "إِسْمَاعِيل" على لسان أبناء يعقوب (البقرة 133)، مع أن قصة يوسف بن يعقوب التوراتية (التكوين 37-50) لم تذكر اسمَ إسماعيل بن إبراهيم أبداً، وكذلك سورة يوسف القرآنية المكية لم تذكر اسمَ إسماعيل بن إبراهيم أبداً! اقرأ مثلاً ما قاله يعقوبُ لابنه يوسف: "وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (يوسف 6) (مكية)، حيث لم يذكر يعقوبُ اسمَ إسماعيل. واقرأ أيضاً ما قاله يوسفُ نفسه: "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ" (يوسف 38) (مكية)، حيث لم يذكر يوسفُ اسمَ إسماعيل. أما في الآية المماثلة في القرآن المدني، فنجد اسمَ إسماعيل يظهر فجأة على لسان أبناء يعقوب: "قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة 133)، مما يؤكد أن اسم إسماعيل هنا موضوع وضعاً بفعل فاعل، بالضبط مثل كلمة "مُسْلِمُونَ". البصمة البشرية واضحة جداً على (البقرة 133)، إذ يكفي المقارنة بين القرآن المدني الذي يهتم أكثر بإسماعيل أبي العرب والمسلمين (البقرة 132-133) وبين القرآن المكي الذي يهتم أكثر بإسحاق أبي اليهود والمسيحيين (سورة يوسف).

فَمِن أين جاءت هذه الاختلافات بين القرآن (البقرة 132-133) والتوراة (التكوين 49)؟ هل بوحي من الله كما تزعم ماكينة البروباجاندا الإسلامية المسموعة والمرئية والمقروءة والإلكترونية؟ الإجابة: لا.

فهل جاءت من سفر التثنية أيضاً كما هو الحال في (البقرة 125، 129)؟ المدهش أن الإجابة: نعم!

نعم. مشهد وصية يعقوب لأبنائه قُبيل موته (البقرة 132-133) يرتبط أيضاً بسفر التثنية! لكن ليس سفر التثنية كما جاء في التوراة العبرية، وإنما سفر التثنية كما جاء في الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد[2446]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة. فكما قلنا فيما سبق: ترجوم نيوفيتي ليس ترجمة حرفية للتوراة، وإنما ترجمة تفسيرية (interpretive translation) للتوراة، بل ترجمة + شرح (تعليق) يضيف كثيراً من التفاصيل غير الموجودة في التوراة. وأحياناً تكون هذه الإضافات لأسباب سياسية أو اجتماعية أو دينية

معاصرة؛ مثلاً: التوحيد الخالص ونبذ الشرك وعدم عبادة الأوثان. إذن: الترجوم الآرامي ليس نسخة طبق الأصل من التوراة، وإنما تطور بشري طبيعي (natural human development) للتوراة. يعني مثل القرآن العربي. أو بعبارة أكثر دقة: التوراة العبرية **[← الترجوم الآرامي (نيوفيتي) ← الترجوم العربي (القرآن)]**.

ولكي تتضح عملية التطور البشري الطبيعي، نبدأ أولاً بما أضافه ترجوم نيوفيتي على بركة يعقوب لأبنائه قُبيل موته (التكوين 49). **(ترجوم نيوفيتي**[2447]**. التكوين 49):** {2} وبعد أن اجتمعت قبائل يعقوب (أي: إسرائيل) الاثنتا عشرة، وأحاطت بالسرير الذهبي الذي تمدد عليه أبونا يعقوب [قُبيل موته] **[← "حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ" (البقرة 133)]**، ظنّوا أنه سيكشف لهم نظام البركات. ولكنه لبث مخفياً عليه. وأجاب أبونا يعقوب وقال لهم: "مِن إبراهيم، أبي أبي، قام النجس إسماعيل وكلّ أبناء قطورة. ومِن إسحاق أبي، وُلد النجس عيسو أخي. وأنا أخاف أن يكون بينكم رجل ينفصل قلبه عن إخوته فيمضي ويعبد الأصنام الغريبة" **[← "يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" (البقرة 132)]**. فأجابت القبائل الاثنتا عشرة معاً وقالت: "اِسْمَعْ لنا، يَا إِسْرَائِيلُ، يا أبانا! الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" **[← "قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة 133)]**. فأجاب يعقوب وقال: "ليكن مباركاً اسمُه ومجدُه وملكه إلى دهر الدهور"!

فنلاحظ هنا أن الجملة التي وضعها أصحابُ الترجوم الآرامي نيوفيتي على لسان أبناء يعقوب: "اِسْمَعْ لنا، يَا إِسْرَائِيلُ (أي: يا يعقوب)، يا أبانا! الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" هي في الواقع آية التوحيد اليهودي المطلق الخالص الشهيرة المذكورة في سفر التثنية "اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ (أي: يا شعب إسرائيل): الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (التثنية 4:6)، أي في التوراة التي كتبها موسى – حسب التقليد اليهودي/المسيحي – بعد يعقوب بمئات السنين، ثم رددها يسوعُ المسيح حرفياً في الإنجيل: "إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (مرقس 29:12)[2448]، بعد أن أكّد أن الله الواحد الذي لا شريك له هو "إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ" (مرقس 26:12)[2449] **[← أضاف أصحابُ القرآن المدني اسمَ إسماعيل بين إبراهيم وإسحاق! "إِلَٰهَكَ [يَا أَبَانَا يعقوب] وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا" (البقرة 133)]**.

فماذا قال ترجوم نيوفيتي تعليقاً على (التثنية 4:6)؟ الإجابة: أعاد ترجوم نيوفيتي نفس القصة المذكورة في (ترجوم نيوفيتي. التكوين 49) مع اختلافات بسيطة، أهمها أنه وضع وصيةَ يعقوب لأبنائه قُبيل موته في صيغة سؤال أو استفهام بلاغي (rhetorical question): هل مِن المحتمل أن تعبدوا الأصنام التي عبدها جدي أبو إبراهيم؟ أَم هل من المحتمل أن تعبدوا الأصنام التي عبدها خالي لابان؟ أَم أنكم تعبدون إلهَ يعقوب أبيكم؟ (Or do you worship the God of Jacob your father?)[2450] **[← وكذلك في الترجوم العربي (القرآن)، سأل يعقوبُ أبناءَه سؤالاً: "إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ (أي: سألهم) مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي (أي: ماذا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي؟) قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ (أي: إلهَ يعقوب أبينا)" (البقرة 133)]**.

وكذلك "وصية" إبراهيم لأبنائه مذكورة في التوراة لكنها تختلف عن القرآن؛ أو بعبارة أكثر دقة: القرآن مجرد تطور بشري طبيعي للتوراة، وتحديداً سفر التكوين. هكذا. **(التكوين 18):** {17} فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ، {18} وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ {19} لأَنِّي عَرَفْتُهُ (chose him; singled him out) **[⟵ "لَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا" (البقرة 130) "وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" (النساء 125) "اجْتَبَاهُ (أي: اصطفاه) وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (النحل 121)]** لِكَيْ يُوصِيَ (instruct) بَنِيهِ **[⟵ "وَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ" (البقرة 132)]** وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ **[⟵ "مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ" (البقرة 130) "صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (النحل 121) "صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 161)]**، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ».

مِن كل ما سبق يتضح أن أصحاب القرآن قد استعانوا بأفكار بشرية 100% سواء مِن التراث العربي (مثلاً: أهمية الكعبة في مكة في القرن السابع الميلادي أو ما بعده) أو مِن التراث اليهودي (مثلا: أهمية الهيكل بيت الرب في أورشليم؛ التوراة وبخاصة سفر التكوين وسفر التثنية؛ ترجوم نيوفيتي) أو مِن التراث المسيحي الشرقي (وخصوصاً السرياني؛ مثلاً: حنيفاً)، وكل ذلك حتى يعيدوا تقديمَ شخصية "إبراهيم" بحيث يكون إبراهيم نسخةً من محمد ويكون محمد نسخةً من إبراهيم، فتتماهى أمامك شخصيتا إبراهيم ومحمد، ومن ثم يسهل عليك أن تصدق أن محمداً هو الوريث الشرعي لدين إبراهيم "الحنيف"، أي يسهل عليك أن تصدق أن محمداً يستحق أن ينضم إلى الخط النبوي الذي افتتحه إبراهيمُ المسلم/الحنيف: إبراهيم ثم إسماعيل وإسحاق ثم يعقوب (إسرائيل) ثم يوسف بن إسرائيل ثم موسى ابن إسرائيل ثم داود ابن إسرائيل ثم المسيح ابن إسرائيل ثم محمد ابن إسماعيل؛ وكلهم مِن أبناء إبراهيم ومِن أنبياء الله "المسلمين" حسب التقليد الإسلامي!

وهكذا بفضل كل تلك الأساطير البشرية 100%، صار إبراهيمُ "الحنيف" هو "المسلم" النموذجي (the prototype Muslim)، بل صار نموذجاً لمحمد النبي الأمي الحنيف/المسلم. ولِم لا؟ أليس إبراهيم هو النبي الوحيد الذي يُذكَر اسمُه صراحةً مع محمد في صلوات المسلمين إلى اليوم[2451]!

وختاماً: يقول (Prof. Gabriel Said Reynolds)[2452]:

> Thus it appears that the figure of Abraham in the Qur'ān is above all a symbol and a prototype for the Qur'ān's own prophet [i.e. Muḥammad]. The *ḥanīf* prophet anticipates the *ummī* prophet. This idea might be taken still further in light of the Qur'ān's insistence that the *umma* to which its prophet is sent is that of the Arabs: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (Q 62.2). Elsewhere the Qur'ān indicates who these gentiles are, when it explains, " وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

"قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا" (Q 42.7). Thus it seems that the Qur'ān here is developing a nationalist discourse, insisting that the Arabs are a nation descended from Abraham, a nation to whom God has finally spoken. Accordingly the Qur'ān insists that the Jews and Christians have no special privilege: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ" (Q 5.18a).

In this light it is telling that the Qur'ān has Abraham apply the term *ḥanīf* to himself. After rejecting the worship of the stars, the moon, and the sun, the Qur'ān has Abraham declare: "I have turned my face to the one who created the heavens and the earth, a gentile (*ḥanīf*), but not a polytheist" (Q 6.79). In this way the Qur'ān asserts that Abraham was in no way obliged to the People of the Book for his faith(2453), and it thereby implies the same for its own Prophet [i.e. Muḥammad].

الخلاصة: كان النبي الحنيف (الأمي) إبراهيم بالنسبة لأصحاب القرآن هو الحل السحري الوحيد لاختراع جذور للإسلام: جذور قومية عربيةوأيضاً جذور دينية كتابية يهودية/مسيحية. وذلك مِن أجل توحيد العرب وأهل الكتاب تحت راية واحدة هي راية النبي الأمي (الحنيف) محمد ابن إبراهيم. ولذلك قدَّم الإسلامُ إبراهيمَ على أنه أبو الأميين (العرب؛ ومِنهم محمد) وأبو أنبياء أهل الكتاب فى نفس الوقت. إلا أنه في الفترة المدنية، كان تركيز المسلمين الأوائل على الجذور القومية العربية (ويمثلها: إسماعيل) أكثر بكثير من الجذور الدينية اليهودية/المسيحية (ويمثلها: إسحاق).

ونختم كلامَنا بما قاله الكاتب والمؤرخ البريطاني "توم هولاند" (Tom Holland) عن وعد الله لإبراهيم وعلاقته بالصراع العربي-الإسرائيلي (الصراع بين ذرية إسماعيل وذرية إسحاق) المستمر إلى اليوم(2454):

[…] This is the Promised Land. Some call it Israel. Some call it Palestine. A land where Muslims, Christians and Jews still fight over the story of a promise made by God to Abraham thousands of years ago. Was there really a promise? […] Even today more people die for visions of heaven

than they ever do for historical facts. Stories that never happened can be infinitely more powerful than stories that did.

حقاً: في عالمنا العربي المريض، الأساطير والأوهام تكون أحياناً أعلى صوتاً وأكثر قوة من الحقائق العلمية والأحداث التاريخية والنقاش العقلاني!

منذ غزو العرب/المسلمين لأورشليم في القرن السابع الميلادي، أصبحت هذه المدينة المقدسة محور الصراع بين الشرق والغرب، الصراع الذى راح ضحيته عشرات الآلاف بل مئات الآلاف مِن البشر، وهو صراع مستمر إلى اليوم تحت اسم "الصراع العربي الإسرائيلي" أو "الصراع الإسلامي اليهودي" أو "الحرب بين إسرائيل وحماس"! أليس مِن العار أن تتقاتل ديانات – يقول المسلمون إن مصدرها واحد – مِن أجل قطعة أرض؟! أرض عاش فيها اليهود بنو إسرائيل مئات السنين قبل الميلاد، ووُلِدَ وعاش ومات ودُفِنَ وقام فيها الشاب اليهودي يسوع المسيح في القرن الأول الميلادي، ولم يدخلها العرب (المسلمون؟) إلا في القرن السابع الميلادي! فكيف تكون إسلامية و/أو عربية؟!

يسوع المسيح لم يكن فلسطينياً[2455]. يسوع المسيح كان يهودياً من بني إسرائيل، ولم ينطق اسمَ "فلسطين" أبداً. بل لا نجد اسمَ "فلسطين" أبداً في الإنجيل، لا على لسان يسوع المسيح ولا على لسان أي شخص آخر. لماذا؟ لأن السيد يسوع المسيح كان يستخدم الكلمات الصحيحة، فكان يقول "إسرائيل" وليس فلسطين، وكان يقول "أورشليم" وليس القدس، وكان يقول "اليهودية والسامرة" (Judea and Samaria) (Yehudah ve-Shomron) وليس الضفة الغربية. أما اسم "فلسطين" فهو مجرد اسم أطلقه الرومان الوثنيون الذين احتلوا الأراضي اليهودية المقدسة، ربما بهدف قتل الروح الدينية والقومية عند اليهود أصحاب الأرض، وهو مستوحى من اسم "الفلسطيين" (Philistines) الذين كانوا أعداء تقليديين لبني إسرائيل في القرن الثاني عشر قبل الميلاد وما بعده حتى اختفوا تماماً من على الساحة قبل الميلاد. علماً بأنه لا يوجد أي دليل علمي يثبت وجود أية علاقة تاريخية بين "الفِلِسْطِيّين" (Philistines) القدماء و "الفلسطينيين" (Palestinians) الحاليين. وحتى إن وُجدت علاقةٌ، فهي لن تُشرّف الفلسطينيين الحاليين لأن هؤلاء الفلسطيين القدماء كانوا مجموعة من الْمُخَرّبِين الذين يهجمون على المدن وبخاصة المدن الساحلية، وبالتأكيد كانوا وثنيين ومشركين وليسوا مثل بني إسرائيل المؤمنين الموحدين بالله. ثم إن الفلسطيين انتهى أمرهم قبل الميلاد؛ أي: منذ أكثر من 2000 سنة! يقول قاموس الكتاب المقدس: "أما في العهد الجديد فليس لهم أي ذكر. والظاهر أنهم كانوا قد اندمجوا في النهاية في الأمة اليهودية"[2456]. فلا نرى أمامنا أي احتمال لوجود أية علاقة تاريخية بين الفِلِسْطِيّين القدماء والفلسطينيين الحاليين.

نكرر: السيد المسيح لم ينطق أبداً اسمَ "فلسطين"، وإنما كان دائماً في الإنجيل يقول: "إسرائيل"؛ "اليهودية والسامرة"؛ "أورشليم". وما قاله المسيح هو الصواب. ما قاله المسيح هو الحق دينياً وتاريخياً الذي يجب علينا نحن أيضاً أن نقوله. ولا نردد ما تقوله البروباجاندا الإسلامية/العربية.

كلمة "فلسطين" ليس لها أي وجود في الإنجيل الذي كُتِبَ في القرن الأول الميلادي في أوائل الاحتلال الروماني الوثني لأرض إسرائيل أرض اليهود الموحِّدين. وكلمة "فلسطين" ليس لها أي وجود في القرآن العربي الذي كُتِبَ في القرن السابع الميلادي في أواخر الاحتلال الروماني (المشرك؟) لأرض إسرائيل أرض اليهود الموحِّدين. فكيف تكون فلسطين إسلامية و/أو عربية؟!

تحاول البروباجاندا الإسلامية/العربية أن توهمنا أن أرض إسرائيل هي فلسطين المحتلة! لكن العكس هو الصحيح: فلسطين هي أرض إسرائيل المحتلة، ولقد حررها أبناؤها اليهود الموحِّدون في القرن العشرين بعد أكثر مِن 2500 سنة من الاحتلال الأجنبي سواء كان وثنياً أو مسيحياً أو إسلامياً؛ حررها أصحابُها الإسرائيليون من كل احتلال أجنبي سواء كان بابلياً أو فارسياً أو إغريقياً أو رومانياً أو عربياً أو بريطانياً.

القضية الإسرائيلية قضية عادلة؛ إنها أرض إسرائيل (ما عدا غزة طبعاً). أما القضية التي تُسمَّى في الإعلام الإسلامي/العربي "القضية الفلسطينية" فمحتاجة إعادة نظر. مراجعة علمية وليست سياسية. فالسياسة لعبة قذرة (dirty game) تحكمها المصالح. أما العلم فلا يخضع إلا للحقائق والأدلة والآثار التاريخية.

3.8 إله يتحدى مخلوقاته؟! قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ!

تحدى إلهُ الاسلام البشر أن يأتوا بحديثٍ مثل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)؛ "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38)؛ (البقرة 23) (هود 13) (الإسراء 88). المشكلة أن كثير من المسلمين يستخدمون هذا التحدي كدليل على أن القرآن كلام الله! وردُّنا عليهم يتلخص في النقاط الآتية:

أولاً: التحدي يكون بين الأنداد، فليس من اللائق أن يتحدى رجلٌ قوي طفلاً صغيراً أو شيخاً عجوزاً أو امرأةً مثلاً، ولكن عليه أن يتحدى رجلاً قوياً مثله بل أكثر قوةً منه حتى يكون للتحدى معنى وللانتصار قيمة. وبالتالي فمن غير المعقول ولا المقبول أن يتحدانا اللهُ!

ثانياً: غالبية سكان العالم لا يتحدثون اللغة العربية، بل إن معظم المسلمين أنفسهم ليسوا عرباً! ولذلك فهذا التحدي المزعوم قاصر على العرب فقط، حيث أنه ليس هناك أي معنى أن يتحدى المسلمون شكسبير أو فِكتور هوجو أن يأتي بحديثٍ مثل القرآن! بالطبع لن يستطيع أي منهما أن يكتب كتاباً عربياً مثل القرآن، ولكنه بكل تأكيد يستطيع أن يكتب كتاباً بلغته الأم (الإنجليزية أو الفرنسية)، وقد يشابه ما كتبه آيات القرآن. اقرأ مثلاً قصيدةَ (Le Corbeau et le Renard) التي ألّفها (La Fontaine)، فهذه القصيدة في شكلها ومضمونها تشبه إلى حد كبير الأمثال القرآنية أو قصص الحيوان التي تهدف إلى إيصال فكرة معينة أو تعليم درس ما.

ثالثاً: مِن السهل جداً أن نأتي بكلامٍ مثل القرآن. فعلى سبيل المثال يمكن كتابة السورة الآتية، وهي تبدأ بحروف مقطعة ن ي و ن، وهي الحروف الأربعة الأخيرة من كلمة "أونيون" (onion):

سورة البصل عدد آياتها خمس أمريكية ما عدا الآية الأخيرة فنزلت في الطريق من واشنطن إلى لندن نيون (1) يأيها الذين آمنوا إن جاءكم بائعٌ ببصلٍ فاشتروا منه ثم كلوا بصلةً أو بصلتين لعلكم تنامون (2) فإن لم تناموا فأغسلوا أرجلكم بماءٍ دافئ ثم اشربوا لبناً ساخناً واجتنبوا النساء والرجال الذين يشخرون (3) كذلك ليتم الله نعمته عليكم فتناموا نوماً هادئاً ثم يرزقكم حين تصبحون (4) تلك وصايا الله فالتزموا بها حتى لا يصيبكم ما أصاب قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مرسي وآل فرعون وحراس الشاطر الملعون (5)

لم نقصد السخرية أو الاستهزاء. فقط أردنا أن نثبت أنه مِن السهل جداً أن نأتي بكلامٍ مثل القرآن.

واقرأ أيضاً أمثلة كثيرة من إبداعات البشر في مسابقة "سورة مثله" عام 2019[2457]. شاهد أيضاً: العرب هُمْ الذين تحدوا محمداً (برنامج سؤال جريء - حلقة 465 - هل القرآن تحدى العرب؟)

رابعاً: كتاب "الفرقان الحق" موجود على شبكة الإنترنت منذ سنوات طويلة، ويستطيع أي شخص مسلم أو غير مسلم أن يقرأه ويحكم بنفسه على مدى التشابه بينه وبين القرآن:

http://www.alkalema.net/furqan/

خامساً: ومِن المهم هنا أن نشير إلى احتواء بعض أبيات الشعر الجاهلي على أفكار تتشابه إلى حد كبير مع ما جاء في القرآن[2458]. طبعاً حالة الإنكار (state of denial) التي عند معظم المسلمين جعلتهم يقولون إن هذه الأبيات من الشعر "الجاهلي" كُتِبت بعد ظهور الاسلام، وليس قبله! نحن إذن أمام احتمالين:

- الاحتمال الأول: هذا الشعر الجاهلي كُتِبَ **قبل** ظهور الإسلام. في هذه الحالة يصبح القرآن هو الذي اقتبس من الشعر الجاهلي أو أخذ أفكاراً منه. أي أن نظرية الوحي قد انهارت تماماً، والقرآن إذاً ليس كلام الله.
- الاحتمال الثاني: هذا الشعر الجاهلي كُتِب **بعد** ظهور الإسلام. في هذه الحالة يصبح لدينا كلام بشري مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدي الذي وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)؛ "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38)؛ (البقرة 23) (هود 13) (الإسراء 88). وطبقاً لما جاء في الآيات السابقة، فإن مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين".

إذن، في كل الاحتمالات: القرآن ليس كلام الله. وهو المطلوب إثباته (Q.E.D.).

3.9 وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ!

يقول القرآن: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا" (النساء 157) (مدنية).

آية يحفظها كل مسلم عن ظهر قلب، ويفسرها معظم المسلمين بأن المسيح لم يُصلَب ولم يمت، رغم أن الآية نفسها لم تقل ذلك! فالآية لا تقول "ما قُتِلَ المسيحُ وما صُلِبَ" وإنما تقول "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ"، أى أن الآية لا تنفى صلب المسيح ولا تنفى موته على الصليب وإنما تنفى فقط أن اليهود صلبوا المسيح وقتلوه. وهذا صحيح إلى حدٍ ما، إذ أن الرومان هم الذين صلبوا المسيح وقتلوه[2459]. أو بعبارة أكثر مسيحية: إن صلب المسيح وموته على الصليب ثم قيامته من الأموات هو أساس خطة الله (وليس اليهود ولا الرومان) من أجل الفداء والخلاص. يقول الإنجيل إن يسوع المسيح نفسه قال: "هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا 16:3)؛ أى أن الله هو الذى بذل ابنَه، فهو إذن أمر "مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ" مِن أجلنا (1 بطرس 20:1). أو كما جاء فى نبوَّات إشعياء عن المسيح المتألم عبد الرب (Songs of the Suffering Servant): "أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ" (إشعياء 10:53). أو كما قال يسوع المسيح نفسه: "الْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ" (يوحنا 51:6) و "ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (متى 28:20) و (مرقس 45:10) و "لِهذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا. هذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي" (يوحنا 10:17-18). باختصار: كل الأدلة الكتابية مِن الكتاب المقدس بعهديه تؤكد أن يسوع المسيح قد تألَّم وصُلِب ومات بإرادته وبعلمه السابق من أجل اتمام خطة الفداء والخلاص[2460]. وبالتالى، فلا داعي إطلاقاً – بل لا يُمكِن – أن "يُنقِذه" الله مِن الآلام أو مِن الصلب أو مِن الموت.

إذن نحن نؤكد على أن (النساء 157) لم تقل "ما قُتِل المسيح وما صُلِب" وإنما تقول "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ". وبذلك فإنه يُمكِن التوفيق بين المسيحية والإسلام فى مسألة صلب المسيح وموته بالتنويه إلى أن عبارة "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" تعني "ما صلبه اليهود وما قتله اليهود، ولكن تراءى لهم ذلك. وهذا عين الاعتقاد المسيحى، أن المسيح صُلِبَ بإرادته، ولكن اليهود صُوِّر لهم إنهم قد تغلَّبوا عليه"[2461]، أو تعني "أن قصدهم وخطتهم فى القضاء عليه (أي: على المسيح) لم ينجحا لأنه قام من الأموات وظهر لتلاميذه وأرسلهم للكرازة به فى كل العالم"[2462]. وهذا ما أكده الإنجيل حين قال: "الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ" (متى 42:21) و (مرقس 10:12) و (لوقا 17:20)، فالحجر هو المسيح المصلوب المقتول، والبناؤون هم اليهود (أعمال الرسل 11:4)، والمقصود هو أن خطة اليهود فى القضاء على المسيح عن طريق صلبه وقتله قد باءت بالفشل، فلقد قام المسيح من الأموات وصار بقيامته هو

أساس وجوهر العقيدة المسيحية إلى اليوم، كما قال القديس بطرس الرسول لليهود: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ. هذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ." (أعمال الرسل 22:2-24). لاحظ أن الكتاب المقدس كثيراً ما يربط بين الصلب والقيامة، إذ لا يُمكِن الفصل بين الحدثين: (أعمال الرسل 13:3-15) (أعمال الرسل 30:5-32) (أعمال الرسل 39:10-41) (أعمال الرسل 28:13-31) (1 كورنثوس 1:15-8). إنكار الصلب هو إنكار القيامة. والإيمان بالصلب هو إيمان بالقيامة، إذ لا معنى للإيمان بالصلب بدون الإيمان بالقيامة، كما قال القديس بولس الرسول قبل ظهور الإسلام بأكثر من 550 سنة: "وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ، وَنُوجَدُ نَحْنُ أَيْضًا شُهُودَ زُورٍ للهِ، لأَنَّنَا شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ وَهُوَ لَمْ يُقِمْهُ، إِنْ كَانَ الْمَوْتى لاَ يَقُومُونَ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتى لاَ يَقُومُونَ، فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ. وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ!" (1 كورنثوس 14:15-17). "فقيامته (أي: قيامة المسيح) من بين الأموات كانت البرهان الإلهي أن الآب قَبِلَ موته الكفَّاري [...] وبحسب إيمان الكنيسة الأولى، تُحسب القيامة أنها برهان تصديق الله على عمل الفداء والخلاص الذي أكمله المسيح على الأرض من أجل الإنسان"، "فكما استعبدته الخطيةُ (أي: فكما استعبدت الخطيةُ الإنسانَ) ظلماً، واستبدَّ به الشيطانُ، وطغى عليه الموتُ إرغاماً؛ جاءه الفداءُ والخلاصُ مجَّاناً، وأتته القيامة نعمة وعوناً وإلهاماً"[2463].

نعم، إن انتصار المسيح على أعدائه من اليهود وغيرهم لم يكن – ولا يُمكِن أن يكون – عن طريق عدم صلبه، فهذا لا يُعَد انتصاراً بل هو هروب مِن المواجهة[2464]. وإنما الانتصار الحقيقى هو أولاً انتصار المسيح على الخطية (الشيطان) ثم بعد ذلك انتصار المسيح على الموت نفسه، وهذا تحقق بقيامة المسيح من الأموات بعد موته على الصليب ثم صعوده (Ascension of Jesus) إلى السموات، وجلوسه عن يمين الله (متى 64:26) (مرقس 19:16) (لوقا 69:22) (أعمال الرسل 33:2)، أو بالتعبير القرآنى: "رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" (النساء 158). أو كما قال العهد الجديد عن يسوع المسيح: "وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ" (فيلبى 8:2-9).

3.9.1 التفاسير الإسلامية التائهة والمتضاربة والمتناقضة

من المعلوم للكافة أن الجمهور من المسلمين يقولون إن المسيح عيسى ابن مريم لم يُصلَب ولم يُقتَل، وأن الله ألقى شبه المسيح على شخص آخر فصُلِب هذا الشخص ومات على الصليب بدلاً من المسيح! تُعرَف هذه النظرية عادةً باسم "نظرية الشبيه" أو "نظرية الاستبدال" (Substitution theory)، بمعنى أن واحد

يشبه المسيح صُلِب ومات بدلاً منه! أما المسيح فلم يمت "بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" حياً بجسده وروحه (body and soul) (corps et âme). هذا هو الرأى السائد فى كتب التفسير والكتب الإسلامية بصفة عامة.

إلا أن نظرة سريعة على هذه الكتب الإسلامية تعطينا فكرة جيدة عن مدى الحيرة والتخبط الذى أحدثته هذه الآية الوحيدة (النساء 157)، فالآية بالفعل ليست واضحة وتثير العديد من الأسئلة، مثل: ما معنى هذا الفعل المبنى للمجهول الذى لم يُذكَر فى القرآن كله سوى مرة واحدة فقط: "شُبِّهَ لَهُمْ"[2465]؟! وهل المقصود بـ "شُبِّهَ" هو المسيح أم الشخص المصلوب أم الصلب نفسه؟! وإذا كان شخص آخر يشبه المسيح هو الذى صُلِب ومات بدلاً منه، فمَن هو هذا الشخص المزعوم؟! وما ذنبه أن يموت مصلوباً؟! إذا كان الله عادلاً، فهل يُعقَل أن يجعل شخصاً يتألم ويُصلَب ويموت مكان شخص آخر؟! وما الحكمة من كل هذه التمثيلية المليئة بالخدع البصرية التى لا تليق بعزة الله وحكمته؟! أليس "اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" (النساء 158)؟! فإذا افترضنا جدلاً أن الله أراد أن "يُنقِذ" المسيح من الصلب، ألم يكن الله قادراً أن يُنقِذه أمام الناس كلهم كما أنقذ نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وبنى إسرائيل ... الخ؟! وما الهدف من قول القرآن "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ" رغم أن الترتيب المنطقى هو "وَمَا صَلَبُوهُ وَمَا قَتَلُوهُ"؟! وما معنى أن يتحدث القرآن عن صلب المسيح فى سورة تحمل اسم "النساء"، وهى سورة مدنية، أى قالها أصحاب القرآن فى مرحلة متأخرة من حياة محمد؟! وإذا كان الله قد رفع عيسى ابن مريم إليه (النساء 158) و (آل عمران 55)، فهل رُفِع بجسده البشرى أم رُفِع بجسد روحانى ممجد لا يحتاج إلى أكل وشرب ونوم أم رُفِع بروحه فقط؟! وإذا كان الله قد رفع عيسى إليه، فما الفائدة مِن إلقاء شبهه على غيره؟! وأسئلة هامة أخرى تفرض نفسها بقوة، لكن القرآن لم يجب عليها! فلقد اكتفى أصحاب القرآن بقول جملة واحدة لا تهدى البشرية بل تجعلها فى حيرة وتخبط كما حدث للمفسرين القدامى والمعاصرين.

أمام هذه الأسئلة الكثيرة التى لم يجب عليها القرآن، روى المفسرون روايات عجيبة وغريبة يعوزنا المجال لذِكرها كلها. ونظراً لأن الآراء المختلفة التى قيلت فى هذا الموضوع كثيرة وتتكرر فى معظم الكتب والمراجع، فسوف نكتفى بعرض أمثلة من هذه الآراء المختلفة لإبراز تباينها الشديد، مما يؤكد أن الذين أيدوا هذا الرأى السائد قد اختلفوا فى أمور كثيرة[2466]:

- اختلف المفسرون فى هل ألقى اللهُ شبهَ عيسى على شخص واحد أم على أكثر مِن شخص؟ قيل على شخص واحد. وقيل على جميع مَن كان فى البيت مع عيسى حين أحيط به وبهم!
- كالعادة، لم يذكر القرآن أسماء الأشخاص، مما أدى إلى اختلاف المفسرين فى مَن هو هذا الشبيه الذى صُلِب ومات بدلاً من المسيح:
  - قيل إن الله ألقى شبه عيسى على الخائن يهوذا الإسْخَرْيُوطِي. وحتى الذين أيدوا هذا الرأى اختلفوا فى التفاصيل. فقال بعضهم إن يهوذا ندم وتاب فقدَّم نفسه فداءً لعيسى، بينما قال البعض الآخر إن يهوذا حاول أن ينقذ نفسه من القتل، فقال لليهود: أنا يهوذا. فقالوا له:

بل أنت عيسى، فإن كنت يهوذا كما تدعى فأين عيسى؟ فرد يهوذا عليهم قائلاً: وإن كنت عيسى كما تدعون فأين يهوذا؟! (بصراحة: عنده حق!)

- قيل إن الشبيه هو أحد الحواريين تطوع أن يموت بدل عيسى. (لاحظ التناقض الشديد بين الروايتين: فى الرواية الأولى المصلوب خائن، أما فى الثانية المصلوب مؤمن كان أكثر شجاعة – أو أقل جبناً – من عيسى!)
- قالت رواية ثالثة أن الذى شُبِّه بعيسى وصُلِب مكانه رجل إسرائيلى يقال له: أيشوع بن فنديرا! (ألا يعلم مَن قال ذلك أن "بن بانثيرا" (Son of Pantera) هو الاسم الذى أطلقه اليهود على يسوع المسيح نفسه[2467]؟!)
- قيل إن الله ألقى شبه عيسى على أحد القتلة المحكوم عليهم بالقتل!
- قالت رواية خامسة أن المصلوب كان رجلاً اسمه "تطيانوس"! ولا أدرى مَن هو هذا الـ "تطيانوس"! قيل إن "تطيانوس" أو "فلطيانوس" هو الرجل اليهودى الذى جاء لكى يقبض على عيسى!
- قالت رواية سادسة أن الله ألقى شبه عيسى على رجل اسمه "سَرْجِس" أو "سرجيوس" (Sergius)! ولا أدرى مَن هو هذا الـ "سرجيوس"! قيل إن "سرجيوس" هو واحد من الحواريين، وقيل إنه اسم عام يُطلَق على أى إنسان مسيحى[2468]! يعنى ممكن يكون أى حد!
- قيل إن اليهود حبسوا عيسى فى بيت وجعلوا عليه رقيباً (أى: حارساً) فألقى الله شبه عيسى على هذا الحارس فقتله اليهود!
- قيل إن الذين ذهبوا لقتل عيسى عرفوا أنه رُفِع فخافوا أن تنتشر حكاية رفع عيسى بين الناس فيؤمنوا به، ولهذا جاء القتلة بشخص (مجهول لا نعرف اسمه) وقتلوه ثم صلبوه، ولذلك قال القرآن "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ" ولم يقل "وَمَا صَلَبُوهُ وَمَا قَتَلُوهُ"!
- قيل: لم يُقتَل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس!
- قيل: لم يلق شبهه على أحد؛ ولهذا قال بعضهم: إن جاز أن يُقال: إن الله يلقى شبه إنسان على إنسان آخر، فهذا يفتح باب السفسطة (sophistry).

باختصار: فيما يتعلق فقط بهذا الشبيه المزعوم الذى صُلِب ومات بدلاً من المسيح، لدينا على الأقل **عشر** روايات مختلفة ومتناقضة ومتضاربة! وهذا دليل كافى على تهافت نظرية الشبيه وبطلانها وانهيارها. وكما يقول المسلمون أنفسهم: "الروايات إذا تناقضت تساقطت"، و "الباطل يهدم بعضُه بعضاً، وينقض أولَه آخرُه".

- كالعادة، لم يذكر القرآنُ الزمانَ ولا المكان الذى حدث فيه الصلب (أياً كان شخص المصلوب). وحتى إذا ذهبت إلى المراجع الإسلامية، فلن تجد معلومة واضحة ومؤكدة يتفق عليها الجميع فيما يتعلق بالزمان والمكان!
- تحتوى (النساء 157) على العديد من ضمائر الغائب المفرد. فإلى أى اسم يعود كل ضمير من هذه الضمائر؟ اختلف المفسرون فى ذلك. علّق الزمخشرى على الاختلاف فى ضمير "شُبِّهَ" بقوله: "فإن قلت: "شُبِّهَ" مسند إلى ماذا؟ إن جعلته مسنداً إلى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه، وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر؟ قلت: هو مسند إلى الجار والمجرور، وهو "لَهُمْ" كقولك: خيل إليه، كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه. ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله: "إِنَّا قَتَلْنَا" يدل عليه، كأنه قيل: ولكن شبه لهم من قتلوه."[2469]! انعكس هذا الاختلاف على ترجمات القرآن إلى اللغات الأجنبية[2470]. فلقد لاحظنا أن بعض المراجع تترجم كلمة "شُبِّهَ" باستخدام ضمير غير العاقل (it) (that) (cela) وليس ضمير العاقل (he) (him)، مثل:

ترجمة "شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157)	المرجع
ils se sont imaginés <u>cela</u>	‎|منتخب-ف|:144
so <u>it</u> was made to appear to them	|AYA|:236
<u>it</u> appeared so unto them	|Pickthall|:129
only a likeness of <u>that</u> was shown to them	|Arberry|:1\123
<u>it</u> was made to appear so unto them	|Fakhry|:104
<u>the matter</u> was made dubious to them	|Unal|:223

- ذكر ابنُ كثير أسطورة من العيار الثقيل. تقول هذه الأسطورة إنه بعد رفع عيسى: "جَاءَ الطَّلَب مِنْ الْيَهُود فَأَخَذُوا الشَّبَه فَقَتَلُوهُ ثُمَّ صَلَبُوهُ، فَكَفَرَ بِهِ بَعْضهمْ اِثْنَتَيْ عَشْرَة مَرَّة بَعْد أَنْ آمَنَ بِهِ، وَافْتَرَقُوا ثَلَاث فِرَق، فَقَالَتْ فِرْقَة: كَانَ اللَّه فِينَا مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاء، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّة، وَقَالَتْ فِرْقَة: كَانَ فِينَا اِبْن اللَّه مَا شَاءَ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّه إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّة، وَقَالَتْ فِرْقَة: كَانَ فِينَا عَبْد اللَّه وَرَسُوله مَا شَاءَ اللَّه ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّه إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ، فَتَظَاهَرَتْ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَة فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلْ الْإِسْلَام طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّه مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[2471]. تعليقنا: إن هذه الرواية المضحكة خاطئة لسببين على الأقل. السبب الأول: النساطرة واليعاقبة لم يكونوا موجودين أيام المسيح! ألا يعلم ابن كثير وغيره أن نسطور كان يعيش فى القرن الخامس الميلادى ويعقوب البرادعى فى القرن السادس الميلادى، أى كلاهما وأتباعهما جاءوا بعد المسيح بمئات السنين؟! السبب الثانى: الاختلاف الكريستولوجي بين اليعقوبية والنسطورية ليس كما قاله ابن كثير. ومع

أننا قد نلتمس العذر لابن كثير على وقوعه فى هذا الخطأ الجسيم، إلا أننا لا نستطيع أن نسامح مَن يردد هذه الأسطورة فى العصر الحالى، ومنهم على سبيل المثال الشيخ الشعراوى الذى ذكر هذه الأسطورة فى كتابه وزاد عليها: "فأنزل الله عز وجل: "فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ" [الصف : 14]. يعنى: الطائفة التى كفرت فى زمان عيسى عليه السلام والطائفة التى آمنت فى زمان عيسى: "فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ". بإظهار محمد صلى الله عليه وسلم دينهم على دين الكفار "فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ". أخرجه النسائى فى الكبرى [11591]"[2472]. كما ذكر الأستاذ أحمد بهجت هذه الأسطورة فى كتابه، مع اختلاف بسيط لكن هام إذ أنه حشر اسم أريوس، فجاءت الرواية كما يلى: "يقول ابن كثير فى قصص الأنبياء: اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء على أقوال. قال قائلون منهم: كان فينا عبداً لله ورسوله. (آريوس). وقال آخرون: هو الله. وقال آخرون: هو ابن الله"[2473]. المشكلة هي أن بعض الشيوخ والكُتاب المسلمين يستغلون جهل معظم المسلمين بالأمور المسيحية اللاهوتية والكريستولوجية فيقولون لهم أي حواديت وخلاص لإثبات صحة الإسلام بأي طريقة حتى ولو كانت خاطئة ومفبركة! [ملحوظة: من حسن الحظ أن بعض المسلمين يرفضون هذه الأسطورة التي ذكرها ابن كثير[2474].]

- اختلف المفسرون فى سبب تسمية "المسيح" بهذا اللقب[2475]. قيل: سُمِّى المسيح لمسحه الأرض، وهو كثرة سياحته فيها! وقيل: المسيح لقب معناه المبارك الذى يمسح الأرض لعبادة الله تعالى! وقيل: سُمِّى المسيح لأنه كان ممسوح القدمين لا أخْمَص لهما[2476]! (يعنى كان عنده فلات فوت؟!) وقيل: لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوى العاهات برىء بإذن الله تعالى! وقيل: مسحه الله، أى خلقه حسناً مباركاً! وقيل: مسحه جبريل بالبركة! وقيل: سُمِّى مسيحاً لأنه وُلِدَ ممسوحاً بالدهن! وقيل: سَمَّاهُ الله بالمسيح لتطهيره إيَّاه مِن الذنوب! وقيل: مُسِحَ مِن الذنوب والأدناس التى تَكُون فِى الآدميين، كَمَا يُمْسَح الشَّىء مِن الأذى الذى يكون فيه فيطهَّر منه! وقيل إن "لفظة "المسيح" سريانية، وأصلها "مشيحا" فعربتها العرب، ومن الأسلم عدم الخوض فى البحث عن معناها فى اللغة العربية"[2477]! ونحن نرد على هذا القول الأخير بأن لفظة "المسيح" لقب (title) وليس اسم (name)، وبالتالى فمِن حقنا أن نبحث عن معناها أياً كان أصلها (سريانى أو غير سريانى)!

إلا أن مشكلة كبيرة قد واجهت المفسرين الذين أيدوا نظرية الشبيه والرأى السائد. تتلخص هذه المشكلة فى أن القرآن يقول: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ..." (آل عمران 55) ويقول أيضاً على لسان عيسى: "وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ..." (المائدة 117)، وبما أن القرآن استخدم لفظ

"التوفى"، فإن هذا يعنى أن المسيح قد مات. هذه هى المشكلة، فكيف حلها هؤلاء المفسرون؟ كالعادة، كل مشكلة لها حل، أو بالأحرى حلول كثيرة لكنها عجيبة ومختلفة وتائهة ومتضاربة ومتناقضة:

- قيل إن "التوفى" هنا هو "التوفى الأصغر" أى النوم! وقيل إن الله رفع عيسى إلى السماء وهو نائم رفقاً به حتى لا يلحقه خوف! ودليلهم على أن "التوفى" يعنى النوم هو قول القرآن: "وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ" (الأنعام 60). مع أن حتى هذه الآية اختلف المفسرون فى تأويلها، فقيل إنها تعنى: ينيمكم بالليل، وقيل إنها تعنى: يقبض أرواحكم عند النوم بالليل[2478]!
- قيل إن "مُتَوَفِّيكَ" تعنى قابضك من الأرض، أى مستوف شخصك وآخذ لك بغير موت؛ مِن توفى المال بمعنى استوفاه وقبضه. وقيل: إنى متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت! وقيل: متوفيك ورافعك وقابضك بمعنى واحد! وقيل إن "مُتَوَفِّيكَ" تعنى ملاقيك بأنبيائى وملائكتى! تعليقنا: وردت هذه الكلمة فى مواضع أخرى كثيرة بمعنى الموت، مثل: "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ" (الأنعام 61) و "قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ" (السجدة 11) و "رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ" (الأعراف 126).
- قيل إن "مُتَوَفِّيكَ" تعنى آخذك وافياً تاماً كاملاً بجسدك وروحك[2479] بغير نقض لبنيتك بالقتل. (وهذا الرأى مبنى على الفرق بين الموت والقتل: كلاهما يؤدى إلى انتهاء الحياة، لكن القتل ينهى الحياة بنقض البنية، أما الموت فلا يكون بنقض البنية[2480].) تعليقنا على عبارة "آخذك وافياً تاماً كاملاً بجسدك وروحك": أى جسد؟ جسده البشرى أم جسد روحانى ممجد لا يحتاج إلى أكل وشرب ونوم؟!
- قيل إن "مُتَوَفِّيكَ" تعنى متمم لك مدة بقائك مع قومك. وقيل إن "مُتَوَفِّيكَ" تعنى مستوفى أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى الذى كتبته لك، ومعناه: إنى عاصمك من أن يقتلك أعداؤك. (وهذا الرأى مبنى على أن القتيل يموت قبل استيفاء أجله[2481].)
- قيل إن "مُتَوَفِّيكَ" تعنى مميتك بعد استيفائك كامل أجلك. وقيل إن "مُتَوَفِّيكَ" تعنى مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم القدس أو عالم الملكوت!
- قيل إن "مُتَوَفِّيكَ" تعنى مميتك، لكنها تشير إلى موت المسيح بعد مجيئه الثانى[2482] من السماء إلى الأرض فى آخر الزمان قبل يوم القيامة. تعليقنا: هذه الحيلة لن تفلح لأربعة أسباب على الأقل.
    - أولاً: القرآن لم يقل شيئاً صريحاً عن المجىء الثانى للمسيح، وإنما هى مجرد أحاديث وتفاسير لبضعة آيات غامضة[2483].
    - ثانياً: القول بأن المسيح سيموت فى مجيئه الثانى هو تكذيب صريح لقانون الإيمان الذى يؤمن به معظم المسيحيين فى العالم إذ يؤكد أن المسيح "ليس لمُلكه انقضاء". ونلاحظ

هنا أن المفسرين لم يكتفوا بإنكار صلب المسيح وموته على الصليب وقيامته من الأموات وهو أساس العقيدة المسيحية، بل عمدوا أيضاً إلى رفض المُلك الأبدى للمسيح المستمر إلى أن تحدث القيامة العامة لجميع الأموات والدينونة العامة (الحساب) ثم الحياة الأبدية والنعيم الأبدى للمؤمنين الأبرار وهو رجاء العقيدة المسيحية.

- ثالثاً: "مُتَوَفِّيكَ" قبل "رَافِعُكَ إِلَيَّ" (آل عمران 55) وليس العكس، أى أن "التوفى" قد حدث قبل الرفع. وبما أن الرفع قد حدث فى المجىء الأول للمسيح، فلا بد أن يكون "التوفى" أيضاً فى المجىء الأول وليس الثانى! لحل هذه المشكلة، اخترع شيوخ الإسلام حيلة لغوية (philological device) اسمها "التقديم والتأخير" أو "المُقدَّم والمُؤخَّر" فقالوا إن "الواو" لا توجب الترتيب وإن المعنى المقصود من "مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ" (آل عمران 55) هو "رَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُتَوَفِّيكَ"! بل قالوا إن الآية "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا" (آل عمران 55) تعنى "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمُتَوَفِّيكَ" بعد أن تنزل من السماء إلى الأرض! أى أنهم عملياً قد غيَّرُوا ترتيب كلمات القرآن وأضافوا كلمات من عندهم لإثبات وجهة نظرهم بأى طريقة وخلاص، عملاً بمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"، حتى ولو كانت على حساب القرآن نفسه! ملحوظة: من حسن الحظ أن بعض المفسرين مثل الطبرى لم يؤيدوا هذه الحيلة اللغوية[2484].
- رابعاً: "تَوَفَّيْتَنِي" (المائدة 117) فعل ماضى جاء فى سياق حوار بين الله وعيسى رواه القرآن بالأفعال الماضية: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (المائدة 116-117). أى أن "التوفى" حدث فى الماضى (المجىء الأول للمسيح) وليس فى المستقبل (المجىء الثانى للمسيح). كيف حل شيوخ الإسلام هذه المشكلة؟ كالعادة، لجأوا إلى الحيل. فقالوا إن هذه الآيات تتحدث عن "اليوم الآخر يوم القيامة ولما كان ذلك متحقق الوقوع متى حضر وقته فقد عبر فيه بلفظ الماضى"[2485]، أى أنهم جعلوا الأفعال الماضية تشير إلى المستقبل! ودليلهم على ذلك هو قول القرآن فى آية لاحقة: "قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ..." (المائدة 119)، وقوله فى آية سابقة: "يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ..." (المائدة 109). ونحن قد نتفق معهم في أن سياق الآيات (المائدة 109-120) يتحدث عن يوم القيامة (the eschatological future)، لكن هذا لا يمنع

أن كلمة "تَوَفَّيْتَنِي" (المائدة 117) تتحدث عن الماضي، أي: موت المسيح في القرن الأول الميلادي. بدليل أن قصة المائدة التى طلب الحواريون من المسيح عيسى ابن مريم أن يسأل ربه أن يُنَزّلها عليهم من السماء (المائدة 112-115) قد جاءت فى نفس السياق، فهل ستحدث قصة المائدة أيضاً فى المستقبل يوم القيامة؟! مستحيل. وهكذا نرى دائماً كيف يخترع المفسرون وشيوخ الإسلام حلاً لكل مشكلة. وعندما تناقشهم يقولون لك "اسكت، هذا عِلم"! لكن كيف يكون عِلماً إذا كانوا هُمْ الذين احتكروا اختراعه وتفصيله على مقاس تفسيراتهم العجيبة؟! وخير دليل على أن كلام المفسرين وشيوخ الإسلام باطل هو أنهم رغم كل هذه الاختراعات لم يتفقوا على تفسير واحد! ملحوظة: من حسن الحظ أن بعض المفسرين مثل الطبرى قالوا إن هذا الحوار (المائدة 116-118) وقع حين رفع الله عيسى إليه فى الدنيا (الماضى) لا فى الآخرة (المستقبل)[2486]. وهكذا نرى دائماً كيف يختلف المفسرون ويختمون كلامهم دائماً بعبارة "والله أعلم"!

- ذكر البيضاوى فى تفسيره: "وقال قوم: صُلِب الناسوت وصعد اللاهوت"[2487]. إلا أن هذه العبارة لن تُرضِى المسلمين ولا المسيحيين. لن تُرضِى المسلمين لأنها تجعل للمسيح لاهوتاً وهذا يتعارض مع الإسلام، ولأنها تجعل المرفوع (اللاهوت) غير المصلوب المتوفى (الناسوت) بينما أخبر القرآن أن المتوفى هو المرفوع: "إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ" (آل عمران 55). ولن تُرضِى المسيحيين لأن اللاهوت ليس فى حاجة إلى أن "يصعد" أو "يُرفَع"، فهو يملأ الكون كله! ثم إن هذا التمييز الشديد والفصل بين الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية يذكرنا بالمسيحية النسطورية التي تُعتبَر "هرطقة" من وجهة نظر التيار المسيحي السائد (النيقاوي-القسطنطيني). ويبدو أن البيضاوي قد سمع هذا القول بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من أحد النساطرة.

وكما اختلف المفسرون فى تفسير "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157) و "مُتَوَفِّيكَ" (آل عمران 55) و "تَوَفَّيْتَنِي" (المائدة 117)، اختلفوا أيضاً فى تفسير "رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" (النساء 158) و "رَافِعُكَ إِلَيَّ" (آل عمران 55)، أى أنهم اختلفوا فى معنى "الرفع":

- قيل إن عيسى رُفِع حياً بجسده وروحه. لكنهم اختلفوا فى المكان الذى رُفِع عيسى إليه. قيل إنه رُفِع "إلى مَحَل كرامة الله" أو إلى السماء، وإنه الآن لا يزال حياً "يُرزَق" عند ربه حتى ينزل من السماء إلى الأرض فى آخر الزمان قبل يوم القيامة، وهو رأى الجمهور[2488]. إلا أنهم لم يقولوا لنا ما معنى "يُرزَق"؟! وكيف "يُرزَق" عيسى طوال هذه المدة الطويلة التى تقارب 2000 سنة؟! وهل رُفِع عيسى بجسده البشرى أم رُفِع بجسد روحانى ممجد لا يحتاج إلى أكل وشرب ونوم؟!

- قيل إن "رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" لا تعنى بالضرورة أنه رُفِع إلى السماء بل تعنى أنه رُفِع إلى مكان بعيد على سطح الأرض، كما قال القرآن عن إبراهيم:
"وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (العنكبوت 26) التى تشبه إلى حد كبير: "بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" (النساء 158).
- قيل إن عيسى موجود الآن وجوداً مؤقتاً فى مكان "مجهول" يتلاءم مع طبيعة كيانه الجسمانى أو على سطح كوكب "مجهول" لا يعلم كنهه إلا علام الغيوب!
- قيل إن "الرفع" هنا هو رفع منزلة يُراد به التعظيم والتكريم. كما قال القرآن عن محمد: "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ" (الشرح 14).
- قيل إن المقصود بـ "رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" (النساء 158) هو رفع روحه فقط كما تُرفَع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء. فلقد قال القرآن عن الشهداء (martyrs): "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (آل عمران 169) و (البقرة 154). ومن المعلوم أن الشهيد لا يُرفَع بجسده البشرى، بدليل أنك إذا فتحت قبر الشهيد فستجد جسده أو ما تبقى من جسده. تعليقنا: هذا الرأى يعترف – على الأقل ضمنياً – بموت المسيح!

فى ظل هذه التفاسير التائهة والمتضاربة والمتناقضة، قدَّم فريقٌ من المفسرين وشيوخ الإسلام حلاً ذكياً نُسمِّيه "الرأى الثانى" لنميّزه عن الرأى السائد. يقول هذا الرأى الثانى إن المسيح عيسى ابن مريم مات فعلاً لكن ليس عن طريق الصلب ولا القتل! أى أن الله استوفى أجل عيسى فأماته موتاً طبيعياً "حتف أنفه"، لكن عيسى لم يُصلَب ولم يتألم ولم يُقتَل.

وبذلك استطاع مَن أيَّد هذا الرأى الثانى أن يُوفِّق بين كلٍ من: "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157) و "التوفى" وفاة موت طبيعى وليس قتل (آل عمران 55 و المائدة 117) و "الرفع" بعد التوفى (النساء 158 و آل عمران 55) وأيضاً الأساطير الإسلامية المرتبطة بالمجىء الثانى للمسيح.

ويبدو أن الشيخ محمد الغزالى يميل إلى هذا الرأى الثانى، وليس الرأى السائد، إذ يقول: "ومع أن كثيراً من الناس يرون أن عيسى قد رفع حياً إلا أنى أميل إلى رأى الفقهاء الظاهريين فى أنه مات كغيره من الناس الذين تدركهم منيتهم، وإن كان موته الطبيعى لا يمنع أن يعود مرة أخرى إلى دنيا الناس – كما يقول ابن حزم – لينضم إلى المسلمين فى تقرير وحدانية الله، ويدعم صفوفهم وهم يقاتلون أعداء الله. مثله فى ذلك مثل صاحب القرية الذى قال: "أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ". أو مثل أصحاب الكهف الذين رقدوا قروناً ثم عادوا إلى الحياة!!"[2489].

لكن الذين أيدوا هذا الرأى الثانى اختلفوا فى الشخص الذى يشبه المسيح وصُلِب مكانه، واختلفوا أيضاً فى المدة التى قضاها المسيح ميتاً قبل أن "يُرفَع". قيل إن الله توفى عيسى بالموت ثلاث ساعات ثم أحياه ثم

رفعه إليه، وقيل رفعه ثم أحياه بعد ذلك عنده فى السماء! (يعنى: رُفِع جثة هامدة؟!) وقيل إن الله توفى عيسى سبع ساعات ثم أحياه. بل قيل: أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعه!

فى ظل هذه التفاسير التائهة والمتضاربة والمتناقضة، أعلن فريقٌ من المفسرين وشيوخ الإسلام هزيمتهم أمام هذا "اللغز" القرآنى، وفوَّضوا العلم بأمر المسيح عيسى ابن مريم إلى الله وحده:

- فقال أحدهم: "ومهما يكن من شىء فإننا ندع الأمر فى حياة المسيح أو موته لله وحده"(2490)!
- وقال آخر: "فليكن أنه أماته فى الأرض أو أنامه كما أنام أهل الكهف أو أصعده إلى السماء لا نقطع بشىء من هذه الأشياء بعينه"(2491)!
- وقال ثالث: "فأما كيف كانت وفاته، وكيف كان رفعه .. فهى أمور غيبية تدخل فى المتشابهات التى لا يعلم تأويلها إلا الله. ولا طائل وراء البحث فيها. لا فى عقيدة ولا فى شريعة. والذين يجرون وراءها، ويجعلونها مادة للجدل، ينتهى بهم الحال إلى المراء، وإلى التخليط، وإلى التعقيد. دون ما جزم بحقيقة، ودون ما راحة بال فى أمر موكول علمه إلى علم الله."(2492)!
- وقال رابع: "فالذى نؤمن به موقنين: هو ما أخبرنا الله به فى كتابه نصا، أنهم "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157) دون أن ندخل فى تفصيل كيف شبه لهم، وعلى مَن مِن الناس ألقى شبهه؟ فهذا التفصيل لم نكلف الإيمان به، إذ لم يعلمنا الله ولا رسوله بشىء من ذلك التفصيل."(2493)!
- وقال الشيخ الشعراوى جملةً تُلَخِّص المأساة التى يعيشها المسلمون فى القرن الحادى والعشرين. إذ يقول: "وإننا كمؤمنين لا نأخذ الجزئيات الدينية أولاً فإن صدقناها آمنا .. ولكننا نؤمن أولاً بمنزل هذه الجزئيات ونصدق من بعد ذلك كل ما جاء منه سبحانه وهو سبحانه قال ذلك فآمنا به وانتهت المسألة."(2494)! وقال أيضاً: "ونحن كمسلمين لا نهتم اهتماماً كبيراً بتلك الروايات. [...] إن البحث فى هذا الأمر لا يعنينا فى شىء، [...]. [...] فهب أن إنساناً قال إن عيسى لم يرفع بل مات، فما الذى زاد من العقائد وما الذى نقص؟ ذلك أمر لا يضر ولا ينفع."(2495)!

يعنى عملياً كأنهم قالوا: "مانعرفش" و "ماتفرقش" و "ماتسألوش. آمنوا وبس" و "لو حد سألكم يا مسلمين، قولوا له "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ". احفظوها كده ومش ضرورى تفهموها"!

السؤال: لماذا يخاف شيوخ الإسلام من النقاش فى هذا الموضوع؟ الإجابة: لأنهم يخافون من نتيجة هذا النقاش، وهى اكتشاف الكمية الهائلة من التضارب والتناقض والحيرة والتخبط الذى تعانى منه الكتب والمراجع الإسلامية بسبب عدم وضوح القرآن فى هذا الأمر الهام.

فى ظل هذه التفاسير التائهة والمتضاربة والمتناقضة، أليس من حقنا أن نسأل: ما هو التفسير الصحيح – إن كان هناك تفسير صحيح – لـ (النساء 157-158) و (آل عمران 55) و (المائدة 117)؟ بل بالأحرى، أليس من حقنا أن نقول إن القرآن ليس كلام الله؟ فالله لا يمكن أن يكون سبباً فى حيرة البشرية وتخبطها بهذه الطريقة المُخجِلة لا سيما إذا تعلق الأمر بأمور عقائدية هامة مثل موت المسيح على الصليب! فكما نقول دائماً: المشكلة مش مشكلة كتب التفسير. أصل المشكلة في غموض الآيات القرآنية نفسها.

3.9.2 الغنوسية المسيحية (Christian Gnosticism)

إنه لمِن المدهش أن الإنجيل – قبل الإسلام بأكثر من 500 سنة! – قد نَبَّه إلى خطورة إنكار مقتل (استشهاد) المسيح، بل وصف هذا الإنكار بأنه "شَيْطَانُ" (أي: فِكر شيطاني) حتى لو بحُسن نية. يقول الإنجيل: "مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلاً:«حَاشَاكَ يَا رَبُّ (أي: حَاشَاكَ أن تتألم وتُقتَل)! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!» فَالْتَفَتَ [يسوعُ] وَقَالَ لِبُطْرُسَ: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ»" (متى 16:21-23)؛ (مرقس 8:31-33).

فكيف تسلل هذا الفكر إلى الإسلام؟

نقول: تسلل إلى الإسلام. ولا نقول: تسلل إلى القرآن. لأنه كما نقول ونكرر: لم يقل القرآنُ صراحةً إن المسيح لم يُصلَب ولم يمت على الصليب، وإنما الذى قال ذلك هُمْ المفسرون ورواة الأحاديث. السؤال الذى شغل بال العلماء لفترة طويلة هو: مِن أين أتى أصحاب القرآن بتعبير "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157)؟ ومِن أين أتى المفسرون والرواة بنظرية "الشبيه" وبفكرة إنكار صلب المسيح وموته؟

الإجابة: مِن الهرطقات الغنوسية المسيحية التى ظهرت منذ القرن الأول الميلادى وانتشرت بعد ذلك لا سيما فى مصر والشام. تأثر الغنوسيون (أى: العارفون، الأدريون) بالفكر اليونانى الوثنى فآمنوا بأن الوسيلة لتحقيق الخلاص ليست التجسُّد ولا موت المسيح على الصليب ولا قيامته من الأموات ولا حتى الإيمان بالرب يسوع المسيح، بل إن المعرفة (لا سيما المعرفة السرية الخاصة (special, esoteric knowledge) التى كشفها يسوع وعلمها لتلاميذه) هى الوسيلة لتحقيق الخلاص الذى يعنى بالنسبة للغنوسيين: خلاص **الروح** بتحررها من سجن **الجسد** المادى. ومن هنا جاءت كلمة "الغنوسية" وهى كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية (gnosis) التى تعنى "معرفة" (knowledge)[2496]. ويناظرها كلمة "ماندا" (manda) باللغة الآرامية ومنها جاءت كلمة "المندائيون" (Mandaeans). كان المندائيون يعيشون فى العراق وفارس (إيران)، ويُعتقَد أنهم يُعرَفون أيضاً بـ "الصابئون" (Sabians)[2497]. لكن هذا لا يعنى بالضرورة أن الصابئين كانوا كلهم أو حتى بعضهم مسيحيين، فالفكر الغنوسى لم يقتصر على المسيحيين فقط. كالعادة، اختلف المفسرون

المسلمون فى تحديد مَن هم الصابئون، لكن المؤكد أن القرآن نفسه قد ميَّز بين الصابئين واليهود والمسيحيين (النصارى) والمجوس والمشركين (البقرة 62) (المائدة 69) (الحج 17).

يمكن تلخيص الاتفاق بين الإسلام والغنوسية المسيحية فى مسألة إنكار صلب المسيح كما يلى: "رأت التعاليم الغنوسية أن المسيح قد ظهر بالروح، ولم يكن له جسد مادى ملموس، وأنه تم إنقاذه بمعجزة من الصلب، أو أن يهوذا الاسخريوطى، أو سمعان القرينى، هما اللذان صُلِبا بدلاً منه، وهى نفس فكرة هرطقة انتشرت فى فترة أسبق قليلاً من الغنوسية (فى بداية القرن الثانى) وعُرِفَت باسم "الدوسطية" (Docetism) وهى تُشبه نفس ما ورد فى القرآن الكريم، عن المسيح، ويؤمن به الإسلام"[2498].

العجيب أن بعض المراجع الإسلامية العربية والأجنبية اعترفت بهذا الاتفاق بين الإسلام والغنوسية المسيحية فى مسألة إنكار صلب المسيح! على سبيل المثال، قال الشيخ الدكتور عبد الوهاب النجار أن من الطوائف المسيحية التى تنفى صلب المسيح وقتله: طوائف (المركيونيون) و (الباردیسیانیون) و (الباسیلیدیون) وطوائف (الدوسيتية)[2499]. كما أشارت حاشية ترجمة "عبد الله يوسف علي" لمعاني القرآن إلى هذه الهرطقات، وزادت عليها الكتاب المزور الذى يُسمَّى "إنجيل برنابا" (Gospel of St. Barnabas)[2500]:

> The Basilidans believed that someone else was substituted for [Jesus]. The Docetae held that Christ never had a real physical or natural body, but only an apparent or phantom body, and that his crucifixion was only apparent, not real. The Marcionite Gospel (about A.C. 138) denied that Jesus was born, and merely said that he appeared in human form. The Gospel of St. Barnabas supported the theory of substitution on the cross.

تعليقنا: إنه لمن المثير للضحك – وشر البلية ما يضحك – أن يستشهد المسلمون بأقوال بعض الهراطقة المسيحيين من أجل إثبات "صحة" تفسيرهم للقرآن، كما لو كانت هذه الهرطقات الغنوسية هى المسيحية "الصحيحة" من وجهة نظر الإسلام!

وقبل أن يتسرع المسلمون ويقولون إن الغنوسية المسيحية هى المسيحية "الصحيحة"، يجب أن نقول لهم أن السبب العقائدى الذى جعل الغنوسيين ينكرون صلب المسيح - بل ينكرون التجسُّد - يختلف عن الأسباب التى جعلت المسلمين ينكرون نفس المعتقدات. ذلك لأن الغنوسيين يؤمنون أن المادة كاملة الشر والروح كامل الخير، وبالتالى فلا يمكن لله (الروح) أن يتحد بجسد (مادة). أدت هذه الثنائية (dualism) بين الخير والشر، أو بين الروح والمادة، إلى ظهور عدة هرطقات غنوسية، وسنكتفى بذكر ثلاث هرطقات[2501]:

1. الهرطقة "الكيرنثوسية" (Cerinthianism):

عُرفت باسم "الكيرنثوسية" نسبةً إلى مؤسسها "كيرنثوس" (Cerinthus) الذى كان معاصراً للقديس يوحنا الحبيب الرسول (John the Apostle)، أى فى القرن الأول الميلادى.

مَيَّزت الهرطقة الكيرنثوسية تمييزاً شديداً بين المسيح (Christ) ويسوع (Jesus)، فقالت إن المسيح (الإله، الروح) اتصل بيسوع (الإنسان، المادة) وقت المعمودية ثم انفصل عنه قبيل الصلب[2502]. وبالتالى، فإن الشخص الذى مات على الصليب هو يسوع وليس المسيح! أى أن المسيح "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ"!

هاجم القديس يوحنا الرسول هذه الهرطقة والهرطقات الغنوسية بصفة عامة التي تنكر كمال ناسوت المسيح، فقال: "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً (أي: غير حقيقيين؛ false prophets) كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ. بِهذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَهذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ" (1 يوحنا 4:1-3)، وكررها مرة أخرى: "لأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ إِلَى الْعَالَمِ مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ، لاَ يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِيًا فِي الْجَسَدِ. هذَا هُوَ الْمُضِلُّ، وَالضِّدُّ لِلْمَسِيحِ" (2 يوحنا 7). ثم أكَّد بصورة أكثر وضوحاً أن يسوع المسيح الذى اعتمد بـ "الماء" هُوَ هُوَ نفسه الذى صُلِب وسفك "دماً" ومات على الصليب: "هذَا هُوَ الَّذِي أَتَى بِمَاءٍ وَدَمٍ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ. لاَ بِالْمَاءِ فَقَطْ، بَلْ بِالْمَاءِ وَالدَّمِ. وَالرُّوحُ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ، لأَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْحَقُّ" (1 يوحنا 5:6).

2. هرطقة "الدوسطية" أو "الدوسيتية" (Docetism):

اسمها مشتق من الكلمة اليونانية (dokein) التى تعنى "يبدو" أو "يظهر" (to seem, to appear)؛ ومن ثم فإن "الدوسيتيين" تعني: الخياليين. قالت الدوسيتية إن المسيح بدا فقط وكأن له جسد، لكنه لم يكن له جسداً حقيقياً من لحم ودم وعظام مثلنا، بل ظهر في شبه الجسد أو كان مجرد خيال (illusion) أو شبح (phantom) يراه الناس يمشي ويأكل ويشرب ويُصلَب ويتألم ويموت فيحسبوه إنساناً، لكنه لم يكن إنساناً حقيقياً فيزيقياً؛ وبالتالي فإن آلامه أيضاً كانت ظاهرية وليست حقيقية! أي أن كل حياة المسيح على الأرض – بما فيها الآلام والصلب والموت – كانت كلها "شُبِّهَ لَهُمْ"! **[← ثم تطورت هذه الهرطقة، فصار الصلب والموت فقط هو الذى "شُبِّهَ لَهُمْ": "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157)]**!

باختصار: أنكر الدوسيتيون كمال ناسوت المسيح. ويبدو أنهم قد أساءوا فهم بعض آيات العهد الجديد مثل: "فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي **شِبْهِ جَسَدِ** الْخَطِيَّةِ" (رومية 8:3) و المسيح "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً ِللهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي **شِبْهِ النَّاسِ**. وَإِذْ وُجِدَ **فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ**، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ." (فيلبى 2:6-8)[2503].

والحقيقة أن هذا الفكر الغنوسى الدوسيتى موجود ليس فقط فى هذه الآية القرآنية "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ **شُبِّهَ** لَهُمْ" (النساء 157)، بل موجود أيضاً فى آية قرآنية أخرى وهى: "فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا **فَتَمَثَّلَ** لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا" (مريم 17)، فلقد ظهر الملاك (روح) إلى مريم فى هيئة "بَشَرًا سَوِيًّا" (مادة) لكنه فى الحقيقة لم يكن إنساناً حقيقياً بل كان ملاكاً روحاً بدليل أن القرآن نفسه يقول "رُوحَنَا".

ولقد ظهرت بالفعل هرطقة مسيحية قبل الإسلام تُعرَف باسم "الألكسيين" أو "الكسائيين" (Elkesaites). اعتقدت هذه الهرطقة أن المسيح كان أصلاً ملاكاً (angel) ثم تجسَّد وتأنَّس. وهو ما يُعرَف باسم (Angel-Christology)، أى: الاعتقاد فى المسيح بوصفه ملاكاً[2504]. وطبعاً لو كان المسيح ملاكاً، فلا يمكن أن يُقتَل أو يُصلَب، وما رآه الناسُ على الصليب هو إذن مجرد وَهْم (illusion) **[← "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157)]**.

3. هرطقة "الباسيليديين" (Basilidians):

عُرف أتباعها بهذا الاسم نسبةً إلى مؤسسها "باسيليدس" (Basilides). ازدهرت هذه الهرطقة فى الإسكندرية فى القرن الثانى الميلادى، أى قبل ظهور الإسلام بأكثر من 400 سنة. فهى إذن أول هرطقة تنادى بنظرية الشبيه التى أشار إليها القرآن – كما يعتقد معظم المسلمين – ثم أسهب المفسرون فى شرحها.

تحدث القديس "إيريناؤس" (Irenaeus) عن هذه الهرطقة فى مؤلفه الشهير "ضد الهرطقات" (Against Heresies) (حوالى 180م) (الكتاب الأول، الفصل 24). نقل إيريناؤس عن باسيليدس قوله أن يسوع المسيح لم يُصلَب ولم يمت بل ألقى شبهه على "سمعان القيروانى (سيمون القرينى)" (Simon of Cyrene) واتخذ يسوع شكل سمعان، أى أنه حدثت عملية "تبادل" أو "استبدال" (substitution) فى الشكل والهيئة بين يسوع وسمعان. فظنَّ الناس أن المصلوب هو يسوع، لكن فى الحقيقة هو سمعان[2505][2506]! **[← "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا" (النساء 157)]**. ثم صعد يسوع إلى الذى أرسله **[← "بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" (النساء 158)]**.

ويبدو أن الباسيليديين قد أساءوا فهم بعض آيات العهد الجديد. فكل ما قاله الإنجيل عن سمعان القيروانى هو أنه الرجل الذى أجبره الجنود على حمل الصليب خلف يسوع: "وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ (أى: بيسوع) أَمْسَكُوا سِمْعَانَ، رَجُلاً قَيْرَوَانِيًّا كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ، وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ خَلْفَ يَسُوعَ." (لوقا 26:23) و (متى 32:27) و (مرقس 21:15)[2507]. وهكذا نرى كيف يتم تأليف الهرطقات: الهرطقة لا تنشأ من فراغ. الهرطقة تأخذ جملة أو أكثر وتؤلف منها قصة. ثم تأتى هرطقة جديدة وتفعل نفس الشيء مع هرطقة سابقة، وهلم جرا إلى أن تتحول هرطقة إلى ديانة مستقلة أو تتحد عدة هرطقات فى ديانة جديدة!

الخلاصة: بالفعل هناك تشابه واضح بين الإسلام والغنوسية المسيحية. لكن نظراً لوجود اختلافات جوهرية بينهما فلا يمكن لأحد أن يقول إن الغنوسية المسيحية هى المسيحية "الصحيحة" التى يعترف بها الإسلام. والمثير للدهشة حقاً هو أن هذه الهرطقات المسيحية أكثر وضوحاً من القرآن! فعلى الرغم مِن كونها هرطقات لا يقبلها عاقل، إلا أنها لا تعانى من التيه والحيرة والتخبط الموجودين فى كتب تفسير القرآن والكتب الإسلامية بصفة عامة! على الأقل عرفنا مَن هو هذا الشبيه المزعوم!

للغنوسية المسيحية تراث مكتوب يُعتبَر جزء من أبوكريفا العهد الجديد. وسنكتفى بذكر ثلاثة أمثلة من هذا التراث الغنوسى المسيحى:

1. "أعمال يوحنا" (Acts of John)[2508] أو "أعمال يوحنا الحبيب":

يرجع تاريخ هذا العمل الأبوكريفى الضخم (أكثر من 100 فصل) إلى أواخر القرن الثانى الميلادى، أى لا يمكن أن يكون القديس يوحنا الحبيب الرسول هو الذى كتبه. يحمل هذا العمل الأبوكريفى طابعاً غنوسياً دوسيتياً واضحاً، إذ يُقدِّم يسوع المسيح باعتباره كائن روحانى (spiritual being) وليس إنساناً له جسد حقيقى من لحم ودم وعظام مثلنا! هذا الكائن الروحانى يمشى بدون أن يترك أثراً ويستطيع أن يظهر بصور مختلفة لأناس مختلفين فى نفس الوقت!

الجزء الذى يهمنا يبدأ من الفصل 94 حيث يروى الكاتب أسطورة طويلة أهم ما جاء فيها هو أنه قبل القبض على يسوع، طلب يسوع من تلاميذه أن يُرنِّموا معه ترنيمة (hymn) بأن يردوا عليه بعد كل جملة من الترنيمة بكلمة "آمين". إلا أننا حين نقرأ نص هذه الترنيمة، نكتشف أنها تحتوى على مجموعة من الجمل المتناقضة التى يقولها يسوع، مثل: "سوف أهرب وسوف أبقى" (I will flee, and I will stay) و "ليس لى بيت وأنا عندى بيوت" (I have no house, and I have houses) وهكذا بعد كل جملة متناقضة يقولها يسوع يردد التلاميذ كلمة "آمين"!

ثم يتحدث الفصل 97 عن يوم الصلب حيث يهرب يوحنا بعيداً إلى كهف فى الجبل ويبكى حزناً على ما يحدث ليسوع. لكن فجأة يظهر يسوع أمام يوحنا فى وسط الكهف ويقول ليوحنا أن الناس تحت فى أورشليم يظنون أنه (أى: يسوع) هو الشخص المُعلَّق على خشبة الصليب، لكن يسوع ليس هو هذا الشخص المصلوب أمام الناس؛ أى: شُبِّهَ لَهُمْ أن يسوع (عيسى) يُصلَب لكنه فى الحقيقة لم يُصلَب بدليل أنه يتحدث إلى يوحنا على الجبل! أو بعبارة أكثر تفصيلاً: يسوع الكائن الروحانى صُلِب على صليب من نور (cross of light) يراه يوحنا فقط، وليس على الصليب الخشبى (wooden cross) الذى يراه الناس!

وهنا نفهم أن الترنيمة ذات الجمل المتناقضة كانت مجرد تمهيد لفكرة تبدو أيضاً متناقضة، وهى أن يسوع "تألم ولم يتألم" و "صُلِب ولم يُصلَب"[2509]. يذكرنا هذا التناقض بالتناقض بين "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ" و "مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ"، لكنه الآن – وفى ضوء هذا الفكر الغنوسى الدوسيتى – لم يعد تناقض، إذ يمكن تفسيره كما يلى: "مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ" على الصليب الخشبى و "مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ" على صليب من نور. وقد يكون هذا حلاً غنوسياً للغز القرآنى الذى حاول المفسرون أن يحلّوه لكنهم فشلوا.

نستنتج مما سبق أن كاتب هذا العمل الأبوكريفى الغنوسى يرى أن يسوع قد "نجا" من الصلب، فهو لم يتألم ولم يُصلَب ولم يمت حقاً **[← "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا" (النساء 157)].**

2. "رؤيا بطرس" (Revelation of Peter)[2510] أو (Gnostic Apocalypse of Peter):

هو واحد مِن الأعمال الأبوكريفية الغنوسية التى أُكتشِفت فى صعيد مصر عام 1945م، والتى تُعرَف مجتمعة باسم "مكتبة نجع حمادي" (Nag Hammadi library). يرجع تاريخ هذا العمل الأبوكريفى إلى أواخر القرن الثانى أو أوائل القرن الثالث الميلادى، أى لا يمكن أن يكون القديس بطرس الرسول هو الذى كتبه.

الجزء الذى يهمنا يبدأ من الفصل 81 حيث يتحدث بطرس عن الصلب[2511]:

> […], I [i.e. Peter] saw him [i.e. the Savior] *apparently* being arrested by them. I said, “What do I see, Lord? *Is it really you they are seizing*, and are you holding on to me? And who is the one smiling and laughing above (or: beside) the cross? *Is it someone else* whose feet and hands they are hammering?”
>
> The Savior said to me, “The one you see smiling and laughing above (or: beside) the cross is the living Jesus. The one into whose hands and feet they are driving nails is his fleshly part, the *substitute* for him. They are putting to shame the one who came into being *in the likeness of* the living Jesus. Look at him and look at me.”

نستنتج من هذا النص أن بطرس رأى فى هذه الرؤيا (الحلم) شخصين يشبهان بعضهما: شخص مصلوب على الصليب ومُثبَّت بمسامير، وشخص آخر يشبهه لكنه يبتسم ويضحك فوق (أو: جنب) الصليب. يتضح من النص أن المصلوب على الصليب هو "الصورة الجسدية ليسوع" أو "الجزء الجسدى من يسوع" (The

(fleshly part of Jesus)، أما الذى يبتسم ويضحك فوق (أو: جنب) الصليب فهو "يسوع الحقيقى" أو "يسوع الحى" (The Living Jesus) الروح الذى لم يتألم ولم يمت **[← "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157)]**. أى أن الجسد (the body of flesh) هو "الشبيه" أو "البديل" (the substitute) الذى مات على الصليب بدلاً من يسوع الحى[2512].

ثم بعد ذلك فى الفصل 82، نفهم أن يسوع الحى كان قد سكن (أو: حلَّ) فى الجسد وقُبِض عليه لكنه انطلق حراً[2513]. ونعرف أيضاً السبب الذى جعل يسوع الحى يضحك مبتهجاً، وهو أنه رأى الذين عملوا له الشر منقسمين على أنفسهم (divided among themselves) **[← "وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ" (النساء 157)]**، كما أنه يضحك على نقص إدراكهم **[← "مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ" (النساء 157)]** فلقد قتلوا الجسد ولم يقتلوا الروح **[← "وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا" (النساء 157)]**[2514][2515]. النص بالإنجليزية[2516]:

[…] the one they crucified is the firstborn, the abode of demons, the stone vessel in which they live, the man of Elohim, the man of the cross, who is under the law. But the one who is standing near him is the living Savior, who was in him at first and was arrested but was set free. He is standing and observing with pleasure that those who did evil to him are divided among themselves. And he is laughing at their lack of perception, knowing that they were born blind. The one capable of suffering must remain, since the body is the substitute, but what was set free was my bodiless body. I [i.e. the Savior] am the spirit of thought filled with radiant light.

نحن بالطبع لا نقول إن أصحاب القرآن قد قرأوا رؤيا بطرس وفهموا كل كلمة وكل حرف فيها، فربما يكون هذا فوق قدراتهم العقلية وإمكانياتهم الذهنية. وإنما يكفى أصحاب القرآن أن يكونوا قد سمعوا هذه القصة الغنوسية التى تقول أن شخص يشبه عيسى هو الذى صُلِب أما عيسى فلقد رُفِع حياً فوق (أو: جنب) الصليب، ثم عبَّروا عن القصة بطريقتهم وبلغتهم وبمفرداتهم، أى وضعوا بصمتهم على القصة، فقالوا: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" (النساء 157-158). باختصار: (النساء 157-158) هى تطور بشرى طبيعى (natural human development) للفكر الغنوسى.

3. "أطروحة شيث الكبير" أو "الأطروحة الثانية لشيث الكبير" (Second Treatise of the Great Seth)[2517]:

تنتمى هذه الأطروحة أيضاً إلى مكتبة نجع حمادى، ويرجع تاريخها أيضاً إلى القرن الثانى أو الثالث الميلادى، أى قبل الإسلام بأكثر من 300 سنة.

الجزء الذى يهمنا يبدأ من الفصل 55 حيث يتحدث يسوع المسيح بنفسه قائلاً أن شخص آخر هو الذى صُلِب على الصليب، أما يسوع المسيح فبدا لهم ظاهرياً فقط أنه تألم ومات **[⟵ "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157)]** إلا أنه فى الحقيقة لم يتألم ولم يمت **[⟵ "وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا" (النساء 157)]**. ثم يقول هذا العمل الأبوكريفى الغنوسى أن يسوع المسيح فى مكان مرتفع ضحك ساخراً من جهل الذين حاولوا قتله **[⟵ "مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ" (النساء 157)]**، ثم صعد إلى السماء (الفصلان 67 و 69) **[⟵ "رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" (النساء 158)]**. النص بالإنجليزية[2518]:

I [i.e. Jesus Christ] was in the mouths of lions. They hatched a plot against me, to counter the destruction of their error and foolishness, but I did not give in to them as they had planned. *I was <u>not hurt</u> at all*. Though they punished me, *I did <u>not die</u> in actuality but only in appearance*, that I might not be put to shame by them, as if they are part of me. I freed myself of shame, and I did not become fainthearted because of what they did to me. I would have become bound by fear, but *I suffered only in their eyes and their thought*, that nothing may ever be claimed about them. The death they think I suffered they suffered in their error and blindness. They nailed *their man* to their death. Their thoughts did not perceive me, since they were deaf and blind. By doing these things they pronounce judgment against themselves. As for me, they saw me and punished me, but *<u>someone else</u>*, their father, drank the gall and the vinegar; *it was not I*. They were striking me with a scourge, but *<u>someone else</u>*, Simon, bore the cross on his shoulder. *<u>Someone else</u>* wore the crown of thorns. And I was on high, poking fun at all the excesses of the rulers and the fruit of their error and conceit. I was laughing at their ignorance.

علَّق العالم الكبير (Marvin Meyer) على التشابه بين هذا النص الغنوسى والقرآن قائلاً[2519]:

> […], the comment by Jesus in the *Second Discourse*, “Though they punished me, I did not die in actuality but only in appearance” (55,16-19), may recall classic formulations of docetic views of the crucifixion and even the position of the Qur’an, which states in Sura 4 that the opponents of ‘Isa – Jesus – did not kill him for sure, but “he was made to resemble another for them” or “they thought they did”.

أعتقد أن الأدلة الستة التى أعطيناها من التراث الغنوسى (الكيرنثوسية، الدوسيتية، الباسيليديين، أعمال يوحنا، رؤيا بطرس، أطروحة شيث الكبير) تكفى لاثبات بلا أدنى شك أن جذور النص القرآنى "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ..." (النساء 157-158) وتفسيراته المختلفة المستمرة إلى اليوم هى جذور غنوسية مسيحية. وبصفة خاصة، فإن نظرية الشبيه التى يؤمن بها كثير من المسلمين هى نظرية غنوسية مسيحية بامتياز.

والحقيقة أن التشابه بين هذا التراث الغنوسى والإسلام لا يقتصر فقط على موضوع الصلب، بل يشمل أيضاً مواضيع أخرى. على سبيل المثال، تستخدم "أطروحة شيث الكبير" و "رؤيا بطرس" وبعض الكتابات الغنوسية الأخرى عبارات لاذعة وكلمات شديدة اللهجة لانتقاد المسيحيين المؤمنين بموت المسيح على الصليب وأيضاً لانتقاد تعاليم القديس بولس الرسول (دون ذكر اسمه صراحةً)[2520]. وهذا يتفق إلى حد كبير مع موقف المسلمين اليوم من بولس ومن عقيدة موت المسيح على الصليب! كما أن هذا التراث الغنوسى بصفة عامة يُقسِّم البشر إلى ثلاث درجات، هى من أسفل إلى أعلى: الجهلاء (أى: غير المسيحيين)، المسيحيين "الضالين" (وَهُمْ معظم المسيحيين!)، والمسيحيين "الحقيقيين" (وَهُمْ الغنوسيين!). كذلك فإن الإسلام يُقسِّم البشر إلى ثلاث درجات، هى من أسفل إلى أعلى: الجاهليين (أى: الكفار والمشركين وأتباع الديانات "غير السماوية" ... الخ)، أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين)، والمؤمنين "الحقيقيين" (أى: المسلمين)!

وقبل أن يتوهم المسلمون أن هذا التراث الغنوسى يُعبِّر عن المسيحية "الصحيحة" التى يعترف بها الإسلام، علينا أن نقول لهم أن هذا التراث الغنوسى يمتلىء بأساطير وخرافات لن يقبلها أي مسلم عاقل. على سبيل المثال وليس الحصر، نستنتج من "أطروحة شيث الكبير" أن الذى خلق آدم ليس هو الله، وإنما هو "أرخون" (archon) (أى: حاكم (ruler) أو سيد أو رب أدنى من الله) اسمه "يالدابوس" (Yaldabaoth) (the world ruler)، وهو أرخون شرير مغرور أراد أن يكون هو الله الواحد الذى لا شريك له! وأن ظهور يسوع المسيح على الأرض أغضب جموع الأرخونات (الحُكام) وجعلهم يعملون ضد المسيح ويخططون لقتله، غير أن أرخون طيب اسمه "أدونايوس" (Adonaios) لم يغضب ولم يُعارض المسيح! فهل سيقبل المسلمون بهذا الكلام الخرافي ويؤمنون بـ "يالدابوس" و "أدونايوس"؟! مستحيل.

باختصار، إن ما حدث هو كالتالى: سمع أصحاب القرآن عن هذا التراث الغنوسى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من أحد الغنوسيين المصريين أو الشوام، فأخذوا منه "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ..." (النساء 157-158) وأفكار أخرى، ولكنهم فى الوقت نفسه تركوا أفكار كثيرة أخرى لا تتفق مع الدين الجديد الذى يصنعوه وهو الإسلام. ثم جاء المفسرون وأسهبوا فى شرح نظرية الشبيه.

3.9.3 الأدلة على حقيقة صلب المسيح وموته على الصليب

الأدلة من الإنجيل وبقية أسفار العهد الجديد وكتابات الآباء الرسوليين (Apostolic Fathers) وآباء الكنيسة (Church Fathers) فى القرون الستة الأولى للميلاد أدلة كثيرة جداً ولا يمكن حصرها. ولذا فسنكتفى فقط بالإشارة إلى نصوص الإنجيل التى ذكرت بالتفصيل أحداث القبض على يسوع المسيح ومحاكمته وصلبه وموته وقيامته من الأموات: (متى 26-28) و (مرقس 14-16) و (لوقا 22-24) و (يوحنا 18-21). كما كتب القديس بولس الرسول حوالى عام 55م – أى بعد الصلب بحوالى 25 سنة فقط – قائلاً: "أُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ [...]. فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا (بطرس) ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ. وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ، أَكْثَرُهُمْ بَاق إِلَى الآنَ. وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا. وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ. وَآخِرَ الْكُلِّ كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ ظَهَرَ لِي أَنَا (بولس)." (1 كورنثوس 15:1-8). وقد يكون هذا النص هو أقدم دليل مسيحى على صلب المسيح وموته وقيامته[2521].

طبعاً سيشكك المسلمون فى هذه الأدلة الإنجيلية ويقولون قولتهم الشهيرة التى تحولت إلى عائق بينهم وبين الإنجيل، وهى: "الإنجيل مُحرَّف"! وهنا نرد عليهم كما رددنا عليهم من قبل: لو كان صلب المسيح وموته وقيامته مذكورين فى آية واحدة أو اتنين أو تلاتة، كان ممكن واحد يزعم أن ده "تحريف". لكن الحقيقة هى أن هذه الأمور العقائدية الهامة مذكورة فى مئات الآيات فى الإنجيل وبقية أسفار العهد الجديد الذى شارك فى كتابته أكثر مِن شخص، هم حسب التقليد المسيحى: متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبولس وبطرس ويعقوب ويهوذا. مستحيل يكون كل ده مجرد "تحريف"! على أى حال، لو أنت لسه معترض، اِدّينا الإنجيل اللى مذكور فى القرآن واللى أنت مؤمن به، واثبتنا لنا أنه لا يذكر صلب المسيح ولا موته ولا قيامته! إن لم تفعل ولن تفعل، فليس أمامك سوى أن تؤمن بأن المسيح تألم حقاً وصُلِب حقاً ومات حقاً وقام حقاً من الأموات!

ولتأييد هذه الأدلة الإنجيلية، نعطى أدلة تاريخية لعلها تساعد المسلمين على الاقتناع بصلب المسيح وموته، فهذه الأدلة التاريخية تحظى بأهمية كبيرة لأنها تأتى من مصادر غير مسيحية: سواء مصادر رومانية وثنية أو مصادر يهودية. وإن كانت هذه المصادر قليلة، فهذا أمر طبيعى، فاليهود والوثنيون كانوا يعادون

المسيحية فى القرون الأولى للميلاد، ومِن ثم فلا نتوقع مِن أعداء المسيحية أن يكتبوا كتابات كثيرة عن آلام المسيح وصلبه وموته وانتصاره عليهم بقيامته من الأموات، فالكلام فى هذه الأمور يُعتبَر "دعاية مجانية" للديانة المسيحية التى كان الرومان يضطهدونها واليهود يكفرون بها.

ورغم أن دليل تاريخى واحد يكفى، إلا أننا سنعطى دليلين: أحدهما رومانى والآخر يهودى[2522].

ذكر المؤرخ الرومانى الكبير "تاسيتوس" (Tacitus) (حوالى 56م – 120م) فى مؤلفه الشهير "الحوليات" (Annals) (الكتاب 15، الفصل 44) أن "بيلاطس" (Pilate) هو الذى أعدم المسيح[2523]. كتب تاسيتوس هذا التاريخ بناء على ما عرفه من المسيحيين فى روما عن صلب المسيح، مما يؤكد أن المسيحيين يؤمنون بعقيدة صلب المسيح وموته وقيامته منذ القرن الأول الميلادى، أى منذ ظهور المسيحية. وما يعزز ذلك أكثر هو أن كُتب التاريخ لم تذكر أن مجمعاً مسكونياً أو حتى مكانياً قد انعقد لمناقشة صلب المسيح وموته وقيامته، فلقد كانت هذه الأمور كلها أموراً متفقاً عليها ولم تكن أبداً محل جدل أو نقاش أو خلاف، باستثناء بالطبع الفرق الهرطوقية الغنوسية التى تكلمنا عنها والتى أنكرت حقيقة كمال ناسوت المسيح، وبالتالى أنكرت حقيقة آلام المسيح وصلبه وموته.

أما الدليل اليهودى فهو من التلمود البابلي (Babylonian Talmud) - الذى جُمِع فى القرن الخامس أو السادس الميلادى[2524][2525]، أى قبل ظهور الإسلام - وتحديداً فى (Sanhedrīn 43a)، وهو يُعتبَر اعتراف صريح من اليهود أن يسوع المسيح قد عُلق على خشبة (أى: خشبة الصليب). وكما نقول دائماً: الاعتراف سيد الأدلة. بعبارة أخرى: على الرغم من أن التلمود البابلي ليس كتاب تاريخ بالمعنى المتعارف عليه، إلا أن أهميته في هذه المسألة ترجع إلى أن اليهود هُمْ الذين كتبوه، فهو يندرج تحت باب "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا".

يقول د. حنا الخضرى: "إن التلمود يعتبر من أهم المصادر التاريخية القديمة التى تكلمنا عن يسوع الناصرى. ولقد حاول كلاوزن جمع كل النصوص التلمودية التى تتكلم عن يسوع. ومن أهم هذه النصوص التى ذكرها التلمود والتى حفظت فى كتابات السنهدريم فى التلمود البابلى، النص الآتى: "لقد عُلق يسوع الناصرى على خشبة فى عشية عيد الفصح، فلمدة أربعين يوماً كان يتقدمه مناد صارخاً: لقد استعمل (يسوع) السحر وأغوى إسرائيل وجره إلى العصيان، فهو إذن مستحق الرجم، فإن كان يوجد من يدافع عنه لكى يبرر موقفه فليدافع، ولكن لم يوجد من يدافع عنه أو يبرره، ولذلك قضى عليه فى عشية عيد الفصح"."[2526].

إذن: صلب المسيح يسوع (عيسى) حقيقة تاريخية يقرها اليهود أنفسهم، رغم عدم إيمانهم بأنه هو المسيَّا (المسيح) المُنتظَر. بل اتفق اليهود والرومان والمسيحيون أيضاً على اسم الحاكم الرومانى الذي صُلِب المسيحُ يسوع (عيسى) في عهده وهو "بيلاطس البنطي" (Pontius Pilate) الوالي الروماني على اليهوديَّة[2527].

كما نعطى المسلمين أدلة عقلية منطقية على حقيقة صلب المسيح وموته. وسنكتفى بثلاثة أدلة[2528].

أولاً: لو افترضنا جدلاً أن (النساء 157) تقول إن المسيح لم يُصلَب ولم يُقتَل أو أن الذى صُلِب وقُتِل هو شخص آخر يشبهه، سنكون أمام مشكلة كبيرة. ذلك لأن كل المسيحيين المؤمنين منذ فجر المسيحية وإلى ظهور الإسلام (أى أكثر من 550 سنة) آمنوا بحقيقة صلب المسيح وموته على الصليب. فإذا كان إله الإسلام هُوَ هُوَ نفسه إله المسيحية – كما يدعى المسلمون – فلماذا ترك هذا الإله ملايين المسيحيين مخدوعين طوال هذه القرون الطويلة؟! بعبارة أخرى: الإدعاء بأن القرآن يقول إن المسيح لم يُصلَب ولم يمت على الصليب هو اتهام صريح لله بالخداع والتضليل! ونحن نعلم أن إله الإسلام هو "خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (آل عمران 54) و (الأنفال 30) وهو "يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ" (الرعد 27) و (النحل 93) و (فاطر 8) و (المدثر 31)[2529]، لكن إله المسيحية لا يمكر أبداً ولا يُضِلُّ أحداً ولا يخدع مطلقاً فهو "لَيْسَ إِلَهَ تَشْوِيشٍ" (1 كورنثوس 33:14). باختصار: بما أن الله الحق لا يمكن أن يكون مُخادِعاً ولا مُضلاً. إذن: إدعاء أن المسيح لم يُصلَب ولم يمت على الصليب هو إدعاء باطل، بل هو إدعاء شيطانى (متى 16:21-23). فالحقيقة هى أن المسيح صُلِب حقاً ومات حقاً على الصليب.

ثانياً: يعطينا (Prof. Gabriel Said Reynolds) دليلاً عقلياً منطقياً آخر على أن الرأى السائد فى تفسير (النساء 157) – وهو أن المسيح لم يُصلَب ولم يُقتَل أو أن الذى صُلِب وقُتِل هو شخص آخر يشبهه – لا يمكن أن يكون هو التفسير الصحيح لهذه الآية[2530]:

> If the Prophet Muhammad announced to his companions that Jesus never died, but rather someone who was made miraculously to look like him died in his place, i.e. if he gave a historical account of the crucifixion which fundamentally contradicts that which Jews and Christians had been reporting for hundreds of years, then certainly such a revolutionary account – if any – would be well remembered and well preserved. But, quite to the contrary, the reports of the *mufassirūn* are inconsistent and often contradictory. They have all of the tell-tale signs of speculative exegesis.

ثالثاً: من المعلوم للكافة أن كلمة "إنجيل" التى ذكرها القرآن 12 مرة[2531] هى أصلاً كلمة يونانية (euangelion) تعنى "بشارة مُفرحة" أو "خبر سار" (good news). فإذا كان المسيح لم يتألم حقاً ولم

يُصلَب حقاً ولم يمت حقاً على الصليب فداءً لنا ومِن أجل خلاصنا ومغفرة خطايانا ولم يقم حقاً من الأموات ليقيمنا معه فى الحياة الأبدية، فما هو إذن الخبر السار؟! إذا كان المسيح مجرد نبى ورسول مثل الأنبياء والرسل السابقين، فما هى البشارة المفرحة التى جاء بها هذا الإنجيل المذكور فى القرآن والذى يقول المسلمون أنـهم يؤمنون به؟!

وأخيراً، نعطى المسلمين أدلة من القرآن نفسه على حقيقة صلب المسيح وموته على الصليب.

أولاً: القرآن لا ينكر قتل الأنبياء والرسل. بل توجد عدة آيات في القرآن تقول صراحةً إن اليهود قتلوا أنبياء ورسل. وهى كلها آيات مدنية، مثل: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ. [...] وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (البقرة 87-91) و (البقرة 61) و (آل عمران 181-183) و (النساء 155) و (المائدة 70). اقرأ أيضاً: (آل عمران 21) و (آل عمران 112) (مدنية أيضاً). إذن: من حيث المبدأ، لا يوجد فى القرآن ما يمنع احتمال قتل المسيح.

ثانياً: تأتى الآية التى أثارت كل هذا الجدل (النساء 157) فى سياق لا يتحدث عن العقيدة المسيحية ولا حتى عن المسيحيين، وإنما يتحدث عن اليهود ويلومهم على عدة أمور. يلوم القرآنُ اليهودَ أولاً على قولهم لموسى "أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً" (النساء 153)، ثم يلومهم على أنهم "اتَّخَذُوا الْعِجْلَ" إلهاً، ثم يلومهم على "نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ[2532]" (النساء 155) (لاحظ أنه يتحدث عن قتل الأنبياء فى نفس سياق حديثه عن قتل المسيح. وهذا فى حد ذاته دليل على قتل المسيح[2533]). ويلوم القرآنُ اليهودَ أيضاً على "قَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ" (النساء 155)[2534]، ثم يلومهم على "كُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا" (النساء 156) ثم يلومهم على "قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ" (النساء 157). ويستمر القرآن بعد ذلك، فيلوم اليهود على "صَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا" (النساء 160) ثم يلومهم على "أَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ" (النساء 161). هذا النقد الشديد لليهود هو هدف هذه الآيات وليس إنكار صلب المسيح وموته[2535]! ومن الجدير بالذكر أن هذا النقد الشديد لليهود يبدو متأثراً بالأدب السرياني ضد اليهود، لا سيما الميامر السريانية التى كتبها "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) – أسقف سروج بشمال العراق والمتوفى عام 521م[2536]. وهذا دليل على أن استخدام موضوع صلب المسيح وموته من أجل توجيه اللوم والنقد لليهود لا يعنى إطلاقاً إنكار صلب المسيح وموته!

ثالثاً: توجد آية أخرى مشابهة لـ (النساء 157) وهى (الأنفال 17) (مدنية أيضاً) التى تقول: "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ". والخطاب هنا مُوجَّه للمسلمين الذين حاربوا الكفار فى غزوة بدر. فهل تعنى هذه الآية أن الكفار لم يُقتَلوا فى غزوة بدر؟! بالطبع لا، فلقد قُتِلوا بالفعل "وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ" (نفس الآية: الأنفال 17)، ويوضحها أكثر

فى نفس الآية أيضاً: "وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى" (الأنفال 17)[2537]. فالله وحده هو الذى يأذن بالموت: "وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا" (آل عمران 145) (مدنية أيضاً). كذلك، فإن "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ" لا تعنى أن المسيح لم يمت على الصليب، وإنما تعنى أن الله – وليس أى شخص آخر – هو الذى أذن بصلب المسيح وموته على الصليب. أو بالتعبير الإنجيلي كما قال يسوع المسيح نفسه إن الله هو الذى "بَذَلَه": "هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا 16:3).

رابعاً: القرآن يعترف بأن الأنبياء والرسل السابقين لمحمد قد ماتوا: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ" (آل عمران 144). فسَّر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية هذه الآية بقوله: "ليس محمد إلا رسول قد مات من قبله المرسلون أمثاله، وسيموت كما ماتوا، وسيمضى كما مضوا"[2538]. وقال د. الصابونى: "أى ليس محمد إلا رسول مضت قبله رسل، والرسل مِنهم مَن مات ومِنهم مَن قُتِل"[2539]. وبما أن المسيح كان قبل محمد. إذن: المسيح قد مات أو قُتِل.

خامساً: يقول القرآن "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ" (البقرة 154) و (آل عمران 169). فحين نقول إن المسيح حى، هذا لا يعنى أنه لم يمت، وإنما يعنى أنه قُتِل "فى سبيل الله" ثم قام مِن الأموات. بعبارة أخرى: مع أن المسيح قد صُلِب ومات على الصليب، إلا أنه حى بقيامته. ومن ثم يصبح معنى "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" أكثر وضوحاً.

سادساً: يقول القرآن صراحةً إن المسيح قد مات. فلقد قال القرآن على لسان المسيح: "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 33). أمام هذه الآية الواضحة، لجأ المفسرون المؤيدون لنظرية الشبيه إلى الحيلة التى تقول إن "يَوْمَ أَمُوتُ" تعنى موت المسيح فى المستقبل، أى فى مجيئه الثانى! نقول لهم: إن هذه الحيلة لن تفلح للأسباب التى ذكرناها سابقاً، ولسبب آخر وهو أن القرآن استخدم نفس الجملة فى نفس السورة بنفس الكلمات ونفس الأفعال (verbs) ونفس الأزمنة (tenses) ونفس الترتيب مع يحيى ابن زكريا (يوحنا المعمدان): "وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 15). ومن المعلوم للكافة أن يحيى ابن زكريا (يوحنا المعمدان) قد مات مقتولاً. وبالتالى فإن المسيح أيضاً قد مات على الصليب. ولا يمكن أن نقتنع بتفسير مختلف لنفس الكلمات ونفس الأفعال ونفس الأزمنة ونفس الترتيب فى نفس السورة! ثم إن (مريم 33) آية مكية[2540]، أى أن (مريم 33) قيلت قبل (النساء 157) حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن. فهل فهمها المسلمون الأوائل فى الفترة المكية على أن المسيح لم يمت؟! بالطبع لا، فلا يوجد أى دليل على أن المسلمين الأوائل قد فهموا (مريم 33) بهذا المعنى. ولا يجرؤ مسلم إن يقول أن (النساء 157) قد "نسخت" (مريم 33). ذلك لأن النسخ لا يكون فى العقائد والأخبار والحقائق التاريخية. إذن: المسيح قد مات. وهو المطلوب إثباته (Q.E.D.).

سابعاً: قال الكاتب (Christoph Luxenberg) عن عدم إنكار صلب المسيح في القرآن:

“the Qur’ān does not deny the crucifixion as a historical fact; it refutes more precisely the claim of Jesus’ opponents ”إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ

ونحن نتفق معه تماماً في هذه المسألة. أما مسألة عدم إنكار قيامة المسيح في القرآن، فلقد استنتجها مِن الآية "قَامَ عَبْدُ اللَّهِ" (الجن 19)؛ أي: قام عَبْدُ الرَّبِّ، أي: قام المسيحُ فهو عَبْدُ الرَّبِّ (ʿebed Yahweh) حسب نبوات سفر إشعياء في "أناشيد العبد" (Servant Poems) (Songs of the Suffering Servant). لكن كعادته اضطر الكاتِبُ (Christoph Luxenberg) أن يرجع إلى جذور القرآن السريانية-الآرامية (Syro-Aramaic) حتى يصل إلى هذا التفسير غير التقليدي[2541].

فى ضوء كل هذه الأدلة المسيحية والتاريخية والعقلية المنطقية والإسلامية، كان من الطبيعي أن يعلن كثير مِن المسلمين العقلاء نسبياً رفضَهم لنظرية الشبيه، سواء بتركهم الإسلام واعترافهم بحقيقة صلب المسيح وموته وقيامته من الأموات، أو بالبقاء فى الإسلام لكن مع محاولة تفسير (النساء 157-158) بطريقة لا تصطدم بالتاريخ ولا بالعقل ولا بالمنطق. على سبيل المثال، اعترف العالم المسلم "سليمان مراد" (Prof. Suleiman A. Mourad) بحقيقة صلب المسيح وموته وقيامته من الأموات وقدَّم تفسيراً عقلانياً للآيتين "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ [...] وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" (النساء 157-158)[2542]:

> […] The Qur'ān is questioning the certainty (*yaqīnan*) of Jesus's death; there is no denial of the act of crucifixion here. This certainty is argued for on the basis of Jesus's resurrection: "*God raised him up to Him*." In other words, the import is that one might think Jesus was killed, but he was not, because he was resurrected from death, and he is alive with God. That is, for someone to be considered killed he must remain dead! Thus those who asserted that Jesus was killed by crucifixion, on the basis of what they saw, are indeed mistaken.
>
> […]
>
> **Conclusion**
>
> Reading verses 4:157-158 in light of their immediate context as well as verses 3:55, 5:117 and 19:33 leads us to the conclusion that the Qur’ān affirms Jesus’s death on the cross, followed by his resurrection.

فى ضوء كل ما سبق يتضح لنا أن النص القرآنى "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ [...] وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" (النساء 157-158) نص غير واضح، بل هو فعلاً لغز (enigma) احتار فيه المفسرون، ونحن نلتمس لهم العذر، فالخطأ ليس خطأهم بل هو خطأ أصحاب القرآن. وعلى الرغم من اعترافنا بالجذور الغنوسية لهذا النص أو بالأحرى تفسيراته المختلفة، إلا أننا – وفى ضوء الآيات القرآنية الأخرى التى تؤكد موت المسيح – نعترف فى الوقت نفسه بأنه يُمكِن التوفيق بين المسيحية والإسلام فى مسألة صلب المسيح وموته وقيامته من الأموات بأن نفهم هذا النص اللغز بطريقة لا تنكر صلب المسيح ولا تنكر موته ولا تنكر قيامته، وإنما تعترف بانتصار المسيح الذى "إِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ" (فيلبى 2:8-9).

نعم، النص "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157) نص غامض ويمكن أن يُفهَم بطرق مختلفة. لكن أنت أساساً أمام خيارين رئيسيين. الخيار الأول: إنكار صلب المسيح وموته وقيامته وبذلك الوقوف فى صف رواة الأحاديث والمفسرين وبعض الهراطقة الغنوسيين المسيحيين. الخيار الثانى: الاعتراف بحقيقة صلب المسيح وموته وقيامته وبذلك الوقوف فى صف الإنجيل والتاريخ والمسيحيين المؤمنين والمسلمين العقلاء نسبياً. ونحن ندعوك إلى قبول الخيار الثانى.

فى جميع الأحوال، ننصح كل مسلم بعدم تناول نظرية الشبيه، لأن تاريخ صلاحيتها قد انتهى.

3.10 الحروف المقطَّعة في أوائل السور

الحروف المقطَّعة (The isolated letters) فى أوائل السور (The incipit of surahs).

وتُسمَّى أيضاً "الأحرف الغامضة" أو "الأحرف المبهمة" (The mysterious letters).

وطبعاً احتار المفسرون المسلمون في معاني هذه الحروف المقطعة[2543]. وكالعادة: أي حاجة مش فاهمنها يقولوا عليها "إعجاز"!

إلا أن الاتجاه السائد بين الباحثين الأكاديميين الآن هو أن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية تحمل شفرة معينة ومفتاح حل هذه الشفرة موجود في التراث المسيحي السرياني.

وإنْ اختلف الباحثون في مدلول تلك الحروف المقطعة، حسب المنهج الذي اتبعه كل واحد منهم ....

فقال بعض الباحثين إن كل حرف له مكافئ عددي، حسب الجدول التالي[2544]:

جدول 7 – الجدول الأبجدي الرقمي: جدول مُقترح لفك شفرة الحروف المقطَّعة في أوائل السور القرآنية

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
1	2	3	4	5	6	7	8	9
ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
10	20	30	40	50	60	70	80	90
ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
100	200	300	400	500	600	700	800	900
غ				1000				

ومِن ثم، فإن كل مجموعة من الحروف المقطعة تعني جملة لها نفس المكافئ العددي! مثلاً: "الر" مكافئها العددي 1 + 30 + 200 = 231، فهي تعني حسب زعمهم: "الآب والابن وَهُمَا إلهٌ واحد" ومكافئها العددي = 1 + 30 + 1 + 2 + 6 + 1 + 30 + 1 + 2 + 50 + 6 + 5 + 40 + 1 + 1 + 30 + 5 + 6 + 1 + 8 + 4 = 231 أيضاً!

وتكرار "الر" 5 مرات في القرآن (يونس 1) (هود 1) (يوسف 1) (إبراهيم 1) (الحجر 1) يجعل مكافئهم العددي = 231 * 5 = 1155 ويعني حسب زعمهم: "وهالكلمه صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده

لوحيدٍ من الآب" ومكافئها العددي = 6 + 5 + 1 + 30 + 20 + 30 + 40 + 5 + 90 + 1 + 200 + 3 + 60 + 4 + 1 + 6 + 8 + 30 + 2 + 10 + 50 + 50 + 1 + 6 + 200 + 1 + 10 + 50 + 1 + 40 + 3 + 4 + 5 + 30 + 6 + 8 + 10 + 4 + 40 + 50 + 1 + 30 + 1 + 2 = 1155 أيضاً! ونلاحظ أنهم اضطروا إلى تحريف الآية الإنجيلية الشهيرة التي تقول: "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ" (يوحنا 14:1)، فحذفوا كلمتين "مَجْدًا كَمَا"، وقالوا "هالكلمه" بإضافة حرف الهاء في بدايتها وجعلوا آخر حرف هاء وليس تاء مربوطة! وكل هذه الحيل حتى يحصلوا في النهاية على المجموع المطلوب والمحدد سلفاً 1155!

تعليقنا: نحن نرى أن هذا الأسلوب مستبعد جداً لأنه يتجاهل سياق "الر"، ثم إنه يفترض افتراضات كثيرة لا أساس لها فيما يتعلق ببناء الجملة وترتيب كلماتها وتشكيل حروفها والمكافئ العددي لكل حرف، مما يفتح البابَ واسعاً أمام احتمالات كثيرة حسب شطارتك في ترتيب الكلمات وتشكيل الحروف. مثلاً: "الر" (= 231) قد تعني "ليس أحدٌ بابنٍ للآب" (= 231) أو "الآب وإله الابن وَهُمَا واحد" (= 231) أو "وَهْمَاً الآب والابن إلهٌ واحد" (= 231) أو "الآب والابن إلهٌ واحد وَهْمَاً" (= 231). وتكرارها 5 مرات (= 1155) قد يعني: "يسوع المسيح كآدم بشرٌ ليس إلهاً ولا ابن الله" (= 1155). ولذلك فإننا نستبعد كل هذه الاحتمالات، بل نستبعد هذا المنهج العقيم الذي يعتمد على الشطارة والفهلوة.

وإنما الاحتمال الأقرب في رأينا يعتمد على منهجٍ آخر يعتبر الحروف المقطعة الثلاثة "ا ل ر" اختصار (acronym) لجملة سريانية شهيرة تتكون من ثلاث كلمات هي "اِمر لِي رَبَّا" (emar lī Rabbā)، أي: "قال لي العظيمُ" (The Great One [the Lord] spoke to me)[2545]. والمقصود طبعاً: قال لي الرَّبُّ، أو: قال لي اللهُ. فهذا المعنى يتفق أكثر مع سياق "الر" التي تكررت 5 مرات في القرآن ودائماً يُذكَر بعدها "(الـ)كتاب" (يونس 1) (هود 1) (يوسف 1) (إبراهيم 1) (الحجر 1)؛ إنها إذن محاولة عربية-سريانية للإصرار والإلحاح على مصدر "الكتاب" الإلهي، سواء كان هذا "الكتاب" هو القرآن و/أو الكتاب المقدس.

انظر أيضاً المراجع التالية: |MS|:57-61؛ |QSC|:284؛ |QHC-2|:323-؛ |مجلس|:58-65؛ |IW2014|:505.

عميد الأدب العربي د. طه حسين:

"مَن الذي يستطيع أن ينكر أن كثيراً مِن

القصص القرآني كان معروفاً

بعضه عند اليهود

وبعضه عند النصارى

وبعضه عند العرب أنفسهم،

وكان من اليسير أن يعرفه النبي،

كما كان من اليسير أن يعرفه غير النبي من

المتصلين بأهل الكتاب"(2546).

4 قصص القرآن = أساطير الأولين ± بعض التفاصيل

لو كانت قصص القرآن للعظة والعبرة فقط، لما تحدثنا عنها. لكن المشكلة هي أن القصص القرآني يُستخدَم كدليل لاثبات أن القرآن مُوحَى به مِن الله! طريقة الاثبات بسيطة، ويمكن تلخيصها فى ادعاءين واستنتاج كما يلى:

<u>الإدعاء الإسلامى الأول:</u> بما أن قصص القرآن حقيقية وتاريخية حدثت بالفعل في زمانٍ مضى،
<u>الإدعاء الإسلامى الثانى:</u> وبما أن محمد لم يكن يعرفها لأنه لم يشاهدها ولم يقرأها ولم يسمعها،
<u>الاستنتاج:</u> إذن لا بد أن يكون محمد قد عرفها عن طريق وحي من الله.

أو كما قال القرآنُ عن قصص الأنبياء والرسل السابقين: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ [هذا القرآن] حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (يوسف 111).

هكذا بكل بساطة يتم خداع الناس وايهامهم أن القرآن مِن عند الله! وللأسف لا يسأل كل مسلم نفسه حين يقرأ قصة فى القرآن: ما الدليل أنها قصة حقيقية؟ ما الدليل أنها قصة تاريخية؟ ما الدليل أن محمد لم يسمعها ممن كانوا حوله مِن النساء والصحابة والمعاصرين؟ ...

فإذا لم يكن هناك أي دليل أن القصة القرآنية حقيقية حدثت بالفعل، فكيف يُمكن أن تُستخدَم كدليل لاثبات الوحي؟! أليس ما بُنِى على باطل فهو باطل؟ وإذا كانت القصة معروفة قبل الإسلام بمئات السنين سواء فى تراث الديانات الإبراهيمية أو غير الإبراهيمية القريبة جغرافياً مِن شبه الجزيرة العربية، فكيف يُمكِن لنا أن نُصدِّق أن أصحاب القرآن لم يسمعوها وأن محمد لم يسمعها؟!

القرآن نفسه اعترف أن المعاصرين لرسول الإسلام كانوا على عِلم بهذه القصص، وأنهم كانوا يصفونها بـ "أساطير الأولين". وهذا الاعتراف الهام – مِن القرآن نفسه – لا يقتصر على القصص القرآنية فقط وإنما يشمل أيضاً المعتقدات التى أيدها الإسلام. اعترف القرآن بهذه الحقيقة فى 9 آيات كلها مكية:

- "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأنفال 31)؛
- "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (أى: صباحاً ومساء)" (الفرقان 5)؛
- "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (النحل 24)؛
- "حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأنعام 25)؛
- "لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (المؤمنون 83)؛
- "لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (النمل 68)؛
- "إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (القلم 15)؛

- "إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (المطففين 13)[2547]؛
- "فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأحقاف 17).

إن هذا الباب يثبت حقائق كثيرة عن قصص القرآن، أهمها حقيقتين أساسيتين:

الحقيقة الأولى: قصص القرآن ليست كلها قصص حقيقية، وإنما معظمها قصص خيالية بل أسطورية، أو فى أحسن الأحوال مزيج من الحقيقة والخيال. وحين نقول "خيال" فإننا لا نقصد الخيال التعبيرى البلاغي (مثل: التشبيه والاستعارة التمثيلية ... الخ)، فهذا النوع مِن الخيال موجود فى القرآن ولا يستطيع مسلم أن ينكره. وإنما نحن نقصد الخيال القصصي الأدبي الفني الذى يذكر شخصيات غير حقيقية و/أو يسرد أحداثاً (سواء أفعال أو أقوال) غير حقيقية.

الحقيقة الثانية: معظم قصص القرآن كانت معروفة قبل ظهور الإسلام[2548]. وكثير منها كان مشهوراً جداً. وليس بالضرورة أن يكون أصحاب القرآن قد قرأوا هذه القصص، فيكفيهم ما كانوا يسمعونه بآذانهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مِن يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة. وكل ما فعله أصحاب القرآن هو أنهم قد أعادوا إنتاج (reproduced) هذه القصص الدينية/الشعبية الموروثة – أو كما نقول: طوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً – بحيث تصبح ملائمة لمجتمع شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى.

الحقيقة الأولى تُبطل الإدعاء الإسلامى الأول.

والحقيقة الثانية تُبطل الإدعاء الإسلامى الثانى.

وإذا أبطلنا الإدعاءين الأول والثانى، نكون قد أبطلنا الاستنتناج، أى أبطلنا نظرية الوحى التى تزعم أن القرآن كلام الخالق، وأثبتنا نظرية التطور البشرى الطبيعى التى تؤكد أن القرآن كلام المخلوقين.

وقبل الحديث عن كل قصة/أسطورة قرآنية على حدة، يجب أن نعطى بعض الملاحظات العامة.

4.1 ملاحظات عامة على القصص/الأساطير القرآنية

4.1.1 الطبيعة المجزأة (fragmentary) للقصص فى القرآن

باستثناء بعض الحالات القليلة، لا يشرح القرآنُ القصةَ الواحدة في مكانٍ واحد كوحدة كاملة متكاملة (one complete and cohesive unit)، وإنما يعطي روايات متعددة للقصة الواحدة (retellings). وهذه الروايات المتعددة للقصة الواحدة تتفاوت فيما بينها فى التفاصيل، مما يؤدى عادةً إلى صعوبة تتبع القصة ومعرفة الترتيب الزمني لأحداثها على وجه اليقين.

هذه الطبيعة المجزأة تظهر بوضوح في قصص الأنبياء المذكورين بكثرة في القرآن (المكي بصفة خاصة) مثل موسى وإبراهيم ونوح، وهي في حد ذاتها دليل على أن المعاصرين لمحمد مِن يهود ومسيحيين وكفار ... الخ – وبالتالي أصحاب القرآن أنفسهم – كانوا على عِلم بهذه القصص لأنهم سمعوها مِن قبل. ولذلك لم يضطر أصحابُ القرآن إلى أن يعيدوا حكاية كل قصة كقصة كاملة من أولها إلى آخرها، فاكتفوا فقط بالتذكير ببعض أحداثها حسب الحاجة وحسب الموقف – وهو ما يسميه المسلمون "أسباب النزول". يقول العالِمُ الكبير "سيدني غريفيت" (Prof. Sidney H. Griffith)[2549]:

على نحو مشابه، خلف خط "الأساليب السريانية" المدعوَّة هكذا بحق، المسيحية جوهراً، الكتابية مُعتقَداً، المترجمة بلا شك إلى العربية من أصول سريانية لفائدة المسيحيين الناطقين بالعربية، هي مُوَظَّفةٌ أحياناً في القرآن بغرض اكتساب مصداقيةٍ لتعاليم القرآن بين مُخاطَبيه من المسيحيين الناطقين بالعربية. أو أنّ القرآن لا يُكرّرُ غالباً أو يقتبس من الكتاب المقدّس للمسيحيين أو من قصصهم التراثيّة بقدر ما يُلمح إليها إلماحاً، على افتراض أنَّ قصصهم، وشخصياتهم الدرامية وبطولاتهم معروفة سلَفاً لمُخاطَبيه. في الواقع إنّ التسليم الكبير للقرآن بمعرفة مُخاطَبيه بكمٍّ هامٍّ من الكتاب المقدَّس ومواد من الكتب الأبوكريفيّة يضمها، مع تقليد مسيحي ويهودي، هذا التسليم بحدِّ ذاتِه أكبرُ برهانٍ مُقنِع على شيوع هذه القصص في بيئة الناطقين بالعربيّة من المُخاطَبين الذين يُخاطبهم القرآن بالفعل.
Similarly, beyond the range of “Syriacisms” properly so called, genuinely Christian, even biblical lore, no doubt re-told in Arabic from Syriac originals for the benefit of Arabic-speaking Christians, is sometimes deployed in the Qur’ān for the purpose of purchasing credibility for the Qur’ān’s own teachings among the Arabic-speaking Christian members of its audience. Or more often, the Qur’ān does not repeat or quote Christian scriptures or traditional narratives so much as it alludes to them, with the presumption

that their stories, their *dramatis personae* and their exploits are already known to its audience. Indeed the Qur'ān's large presumption of its audience's familiarity with the considerable amount of biblical and apocryphal scriptural material it contains, along with Jewish and Christian traditional lore, is itself the most convincing evidence of the circulation of these narratives in the Arabic-speaking milieu of the audience the Qur'ān actually addresses.

وتبلغ هذه الطبيعة المجزأة ذروتها أحياناً فتشعر وكأنك أمام (Puzzle game) وليس أمام كتاب يُعتقَد أنه من عند الله! فعليك أن تجمع عنصر مِن هنا وعنصر مِن هناك حتى تتضح لك كل عناصر القصة!

وهنا نريد أن نسأل سؤالاً: ألم يكن من الأفضل أن يذكر القرآن كل قصة كاملة في مكان واحد وبعد ذلك في المواقع الأخرى ممكن يشير إليها (أي: يعمل cross-reference) منعاً للتكرار وكذلك تسهيلاً على القارئ؟ والدليل على صحة كلامنا هو أن أجمل القصص القرآنية وأروعها هى تلك التى حكاها القرآن فى مكان واحد كوحدة كاملة متكاملة مثل قصة يوسف وقصة أصحاب الكهف.

4.1.2 التكرار والاختلافات بين الروايات المتعددة للقصة الواحدة

التكرار نوعان:

<u>النوع الأول:</u> التكرار من جهة اللفظ، سواء تكرار الكلمات بالضبط أو مع تغيير طفيف. وهذا النوع مِن التكرار اللفظي له شواهد في الشعر العربي الذي أنتجته الثقافة العربية؛ مثلاً: شعر حسان بن ثابت قبل إسلامه[2550]. فَمِن الطبيعي إذن أن نرى هذا التكرار اللفظي في القرآن العربي الذي أنتجته الثقافة العربية:

- آيات أو عبارات متطابقة:
  - أشهر مثال على ذلك هو سؤال "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" الذى تكرر 31 مرة فى سورة الرحمن (الرحمن 13، 16، 18، 21، 23، 25، 28، 30، 32، 34، 36، 38، 40، 42، 45، 47، 49، 51، 53، 55، 57، 59، 61، 63، 65، 67، 69، 71، 73، 75، 77)! هل هذا هو الإعجاز اللغوى المزعوم؟! ثم إنه أسلوب قديم وليس بجديد. وذلك لأن الكتب (الليتورجية) السابقة اتبعت أحياناً أسلوب التكرار اللفظي للازمة معينة تُكرر بعد كل آية أو بضعة آيات (recurring response or refrain). مثلاً: عبارة "لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ" (بالعبرية: *ki le-olam ḥasdo*) التي تكررت 26 مرة في المزمور 136،

"وهو وحده بين المزامير كلِّها يستخدم القرار التجاوبيَّ "لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ" بعد كُلِّ شطر، وربَّما كرَّره الشعب في عبادتهم بالتناوب"[2551]. فربما سمع أصحابُ القرآن هذه العبارة الشهيرة التى تشير إلى "رحمة" الله، فكرروا عبارةَ "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" 31 مرة في سورة "الرحمن".

- "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ" تكررت 10 مرات فى سورة المرسلات! ومرة فى (المطففين 10) ومرة فى (الطور 11). أي: 12 مرة فى القرآن!
- "لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"[2552] تكررت 6 مرات فى سورة البقرة: الآيات 38؛ 62؛ 112؛ 262؛ 274؛ 277. وتكررت فى آيات مدنية أخرى (آل عمران 170) (المائدة 69)، وأيضاً فى آيات مكية (الأنعام 48) (الأعراف 35) (يونس 62) (الأحقاف 13). وبذلك تكون عبارة "لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" قد تكررت 12 مرة فى القرآن = 6 مرات في سورة البقرة وحدها + 6 مرات في سور أخرى!
- "وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" تكررت 11 مرة في القرآن: (الأعراف 187) (يوسف 21، 40، 68) (النحل 38) (الروم 6، 30) (سبأ 28، 36) (غافر 57) (الجاثية 26)! "وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ" تكررت 3 مرات في القرآن: (هود 17) (الرعد 1) (غافر 59)! "وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" تكررت 3 مرات في القرآن: (البقرة 243) (يوسف 38) (غافر 61)! "فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا" تكررت مرتين في القرآن: (الإسراء 89) (الفرقان 50)! وفي موضع آخر: "وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ" (يوسف 103). (سؤال: إذا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ولَا يَشْكُرُونَ ولَا يَعْلَمُونَ وأبوا إِلَّا كُفُورًا، فلماذا خلقهم اللهُ؟! بل لماذا أرسل لهم الأنبياء والرسل؟!)
- "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" تكررت 6 مرات في القرآن: (يونس 48) (الأنبياء 38) (النمل 71) (سبأ 29) (يس 48) (الملك 25). وفي موضع آخر: "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (السجدة 28).
- "وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ" تكررت 4 مرات فى القرآن: (البقرة 107) (التوبة 116) (العنكبوت 22) (الشورى 31). وفي مواضع أخرى: "وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا" (النساء 173) (الأحزاب 17). "لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا" (الأحزاب 65) (الفتح 22). "وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا" (النساء 123).
- وأحياناً تتكرر الألفاظ من قصة إلى قصة أخرى! "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ[2553]" تكررت 8 مرات فى سورة الشعراء: الآيات 8-9 (قوم محمد)؛ 67-68 (قوم فرعون)؛ 103-104 (قوم إبراهيم)؛ 121-122 (قوم نوح)؛ 139-140 (قوم هود)؛ 158-159 (قوم صالح)؛ 174-175 (قوم لوط)؛ 190-191

(أصحاب الأيكة، قصة شعيب). إنها إذن عبارات formulaic استخدمها أصحاب القرآن فى أكثر مِن قصة. هل هذا هو الإعجاز اللغوى المزعوم؟!

- "وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" تكررت 5 مرات: قصة موسى وقومه بنى إسرائيل (البقرة 60)؛ قصة صالح وقومه ثمود (الأعراف 74)؛ قصة شعيب وقومه أصحاب مدين (هود 85) (العنكبوت 36)؛ وقصة شعيب وأصحاب الأيكة (الشعراء 183).
- stereotype formula "نَادَى [...] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ" تكررت 4 مرات فى سورة الأنبياء: الآيات 76 (نوح)؛ 83-84 (أيوب)؛ 87-88 (يونس)؛ 89-90 (زكريا).
- stereotype formula "سَلَامٌ عَلَى [...] كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [...] مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ" تكررت 4 مرات فى سورة الصافات: الآيات 79-81 (نوح)؛ 109-111 (إبراهيم)؛ 120-122 (موسى وهارون)؛ 130-132 (إِلْ يَاسِينَ – قيل: هو إلياس).
- "فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ" تكررت 4 مرات فى سورة القمر: الآيات 16؛ 18؛ 21؛ 30.
- "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ" تكررت 4 مرات فى سورة القمر: الآيات 17؛ 22؛ 32؛ 40.
- "إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ" تكررت 4 مرات فى سورة الصافات: الآيات 40؛ 74؛ 128؛ 160. ومرة خامسة "لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ" (الصافات 169)!
- "مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ" تكررت 3 مرات فى 7 آيات فقط (الحجر 26-33)!
- "تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (البقرة 134) (البقرة 141).
- "ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ" (البقرة 51) (البقرة 92).
- "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ" (البقرة 63) (البقرة 93).
- "لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ" (النساء 11) (النساء 176).
- "وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" (المائدة 10) (المائدة 86).
- "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" (المائدة 17) (المائدة 72).
- "وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا" (المائدة 64) (المائدة 68).
- "وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ" (القصص 62) (القصص 74)[2554].
- "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ" (هود 110) (فصلت 45)[2555].
- "قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ" (الأحقاف 15). سؤال: مَن المتحدث فى هذه الآية؟ قيل إنه الإنسان، واستدلوا على ذلك بأن الآية تبدأ بقوله: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا [...]". لكن (النمل 19) تقول إن سليمان

هو الذى قال هذه الجملة: "قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ" (النمل 19)! فهل أخطأ صاحبُ (الأحقاف 15)؟ أم أن صاحب (النمل 19) هو الذي وضع هذه الجملة على لسان سليمان[2556]؟

- "[...] لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [...] لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ [...] لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (آل عمران 6-18). هل أخطأ صاحبُ (آل عمران 18)[2557]؟

- آيات أو عبارات تكاد تكون متطابقة (يُسمَّى أحياناً: المتشابه اللفظي)[2558]:
  - تكرار لكن مع اختلاف في حرف واحد!

"وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ" (فصلت 25)	"حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ" (الأحقاف 18)[2559]

  - تكرار لكن مع اختلاف فى حرف جر فقط!

"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ (أى: الْعُلَمَاء بِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيل) إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (النحل 43)	"وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ (أى: الْعُلَمَاء بِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيل) إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (الأنبياء 7)

  - تكرار لكن مع اختلاف في ضمير واحد!

"الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ" (الأعراف 45)	"الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ" (هود 19)

  - مرة الفعل مذكر ومرة أخرى مؤنث!

"وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ" (هود 67) (فعل مذكر)	"وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ" (هود 94) (فعل مؤنث)[2560]

  - مرة الاسم مرفوع ومرة أخرى منصوب! هل الآيات أُضيفت لاحقاً أم وُضِعَت فى غير موضعها؟

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ	"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا	"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة 62)[2561]. "الصابئين" منصوبة.	هُمْ يَحْزَنُونَ" (المائدة 69)[2562]. "الصابئون" مرفوعة.	إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (الحج 17). "الصابئين" منصوبة.

ملحوظة: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا" (البقرة 62) (المائدة 69) (الحج 17) تُفسَّر بمعنى: الذين آمنوا قبل مبعث محمد كالأحناف و/أو الذين آمنوا بعد مبعث محمد لكنهم آمنوا بألسنتهم فقط دون قلوبهم كالمنافقين. ومن ثم فإن الشرط "مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا" (البقرة 62) (المائدة 69) يُفسَّر بمعنى: مَنْ آمَنَ حقاً بدين محمد (أي: الإسلام) إيماناً حقيقياً بقلبه ولسانه (أي: أقواله) وجوارحه (أي: أفعاله الصالحة).

- مرة الفعل مضارع ومرة أخرى ماضي ومرة فعل آخر!

"ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" (البقرة 281) (آل عمران 161)	"وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" (آل عمران 25)	"وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" (النحل 111)	"وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" (الجاثية 22)

- تكرار لكن مع اختلاف فى كلمة واحدة!

"وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الزمر 48)	"وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الجاثية 33)

- تكرار لكن مع اختلاف فى كلمة واحدة!

"تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (الزمر 1)	"تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (الجاثية 2)	"تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (الأحقاف 2)	" تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" (غافر 2)

- تكرار لكن مع اختلاف فى حرفين فقط!

"فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" (البقرة 94-95)	"فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" (الجمعة 6-7)

- تكرار لكن مع اختلاف فى كلمة وحرف!

"مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ" (الزخرف 20)	"وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ" (الجاثية 24)

- ○ تكرار لكن مع اختلاف في كلمة وحرف!

"فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" (آل عمران 137)	"فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" (النحل 36)	"قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" (الأنعام 11)

- ○ تكرار لكن مع اختلاف في حرفين وترتيب الكلمات:

"وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ" (الأعراف 113)	"فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ" (الشعراء 41)

- ○ تكرار لكن مع اختلاف في كلمتين:

"وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" (البقرة 49)	"وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" (الأعراف 141)	"إِذْ أَنْجَاكُمْ [اللهُ] مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" (إبراهيم 6)

- ○ تكرار لكن مع اختلاف في كلمتين:

" ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (الأنعام 60)	"وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (الزمر 7)	"وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" (الأنعام 164)

- ○ تكرار لكن مع اختلاف في حرفين وكلمة!

"فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ [فيموتوا] وَهُمْ كَافِرُونَ" (التوبة 55)	"وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ [فيموتوا] وَهُمْ كَافِرُونَ" (التوبة 85)

- ○ تكرار لكن مع اختلاف في ثلاث كلمات:

"ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (الجمعة 8) (التوبة 94)	"وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (التوبة 105)	"إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (المائدة 105)	"إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" (المائدة 48)

- تكرار لكن مع اختلاف في ثلاث كلمات:

"كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (آل عمران 11)	"كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ. [...]. كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ" (الأنفال 52-54)

- تكرار لكن مع اختلاف في ثلاث كلمات وفي شخصية المتحدث!

"فَأَلْقَى [موسى] عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ [من جيبه] فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ. قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ" (الأعراف 107-112)	"فَأَلْقَى [موسى] عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ [من جيبه] فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ. قَالَ [فرعونُ] لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ" (الشعراء 32-37)

- تكرار لكن مع اختلاف في بضعة كلمات وحروف:

"وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ (أي: حُطَّ عنا ذنوبنا، اغفر لنا خطايانا) وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ (أي: خالفوا أمرَ ربهم قولاً	"وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ" (البقرة 57-59)

وفعلاً[2563] فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ" (الأعراف 160-162)	

- تكرار لكن مع اختلاف في بضعة كلمات وحروف:

"أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً" (الروم 9)	"أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً" (فاطر 44)	"أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً" (غافر 21)	"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً" (غافر 82)

- تكرار لكن مع اختلاف في ضمير وأداة التعريف!

"وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (الأعراف 200)	"وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (فصلت 36)

- تكرار لكن مع اختلاف في حرف جر وأداة التعريف!

قال القرآن عن غزوة بدر: "وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (آل عمران 126)	وقال القرآن عن نفس الغزوة! "وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (الأنفال 10)

- تكرار لكن مع اختلاف في ثلاثة حروف ونهاية الآية حفاظاً على السجع!

"أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ" (طه 128)	"أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ" (السجدة 26)

- الآيات المدنية الأربع التي تحدد مهمة رسول الأميين (العرب):

"هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ	"رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ	"كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ	"لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

"الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (الجمعة 2)	"وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ" (البقرة 129)	"الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (البقرة 151)	"وَالْحِكْمَةَ" (آل عمران 164)

- وأحياناً تكاد تكون الألفاظ متطابقة بين قصة وأخرى! مثل:

قصة يوسف	قصة موسى
"[...] عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا [...]. وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 21-22)	"عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" (القصص 9) "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (القصص 14)

إنها إذن عبارات formulaic من تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموها في أكثر من قصة. هل هذا هو الإعجاز اللغوي المزعوم؟!

- مثال آخر على هذه العبارات الـ formulaic التي من تأليف أصحاب القرآن. إذ لا يُعقَل أن أقوام مختلفين لغوياً وثقافياً وزمانياً ومكانياً يقولون تقريباً نفس الجملة!

قال قوم نوح له: "فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (هود 32).
وقال قوم هود له: "فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الأعراف 70) (الأحقاف 22).
قال قوم صالح له: "فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الشعراء 154).
وقال قوم لوط له: "ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (العنكبوت 29).
وقال أصحاب الأيكة لشعيب: "فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الشعراء 187).
وقال فرعون لموسى: "إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الأعراف 106) "فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الشعراء 31).
وقال قوم محمد له: "لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الحجر 7).

- وكذلك في قصتي إبراهيم وشعيب[2564]:

قال إبراهيمُ لقومه	قال شعيبُ لقومه
"إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا" (الأنعام 80).	"إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا" (الأعراف 89).

- وكذلك في قصتي قارون وصاحب الجنتين:

قال القرآن عن قارون	قال القرآن عن صاحب الجنتين
"فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ" (القصص 81).	"وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا" (الكهف 43).

- عبارات أضيفت لاحقاً؟

"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ" (البقرة 47-48)	"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ" (البقرة 122-123)[(2565)]

- "قائمة أنبياء" (enumeration of prophets) (list of divine messengers)

"قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة 136)	"قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (آل عمران 84)

- الله لا يظلم أحداً ...

"وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (البقرة 57) (الأعراف 160)
"وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (آل عمران 117)
"وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (النحل 33)
"وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (النحل 118)
"وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (العنكبوت 40)
"فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (التوبة 70) (الروم 9)
"إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (يونس 44)

- "مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ [...] وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ" (الأنعام 143-144).

- وبالطبع توجد قديماً وحديثاً محاولات لتبرير مثل هذه الاختلافات الطفيفة بين الآيات أو العبارات شبه المتطابقة (المتشابه اللفظي). لكن يجب التعامل مع هذه التبريرات بطريقة نقدية (critically)، لأنها أحياناً تكون مفيدة حين توضح علاقة الآية بالسورة التي فيها (the coherence of the Sura)، بينما أحياناً أخرى تكون مصطنعة ومتكلفة على الرغم من ذكائها الشديد (extremely clever yet artificial explanations)[2566]:

"وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (القصص 60)	"فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" (الشورى 36)

النوع الثاني: التكرار من جهة المعنى بأن تتعدد الروايات القرآنية للقصة الواحدة. ونرى ذلك كثيراً فى قصص الأنبياء والرسل السابقين، وهو نتيجة حتمية للطبيعة المجزأة للقصص فى القرآن، ويسبب حيرة شديدة وتخبط كبير للمفسرين المسلمين. وفى هذه المذكرات، سنعطى أمثلة كثيرة على هذا النوع مِن التكرار.

وسنكتفي هنا بأن نشير إلى سبب هذا النوع مِن التكرار. إن سبب تعدد الروايات هو أن القرآن عمل جماعى اشترك فيه أكثر مِن شخص؛ فكل شخص يروى جزءاً مِن القصة أو أكثر حسب ما يراه مناسباً. أضف إلى ذلك أنه مِن الممكن أن تمر الآيات القرآنية بمراحل تتطور (evolve) فيها مِن صيغة إلى أخرى. فيقترح صحابيٌّ الفكرة أو الآية القرآنية. ثم يأتي بعده صحابيٌّ آخر يؤيده فيما قال. ثم بعد ذلك، يأتي صحابيٌّ ثالث يضيف إليه أو يحذف بعضاً مما قال. وهكذا حتى يستقر أصحابُ القرآن في النهاية على صيغة معينة للآيات القرآنية موضوع النقاش. وحتى لو لم يستقروا على صيغة واحدة، مافيش مشكلة. يضعوا كل الصيغ المقترحة أو بعضها في القرآن. فتكون النتيجة الطبيعية والحتمية هي تعدد الروايات للفكرة القرآنية الواحدة. مثلاً: قصة سجود الملائكة لآدم تكررت 7 مرات في القرآن!

طبعاً حاول كثير من شيوخ الإسلام تبرير هذه الأمثلة المختلفة مِن التكرار[2567]. ونحن نرى أن معظم تبريراتهم مجرد حجج واهية لا تليق بكتاب يُعتقَد أنه من عند الله بل يُعتقَد أنه موجود عند الله منذ الأزل! فهَل "اللوح المحفوظ" به هذا التكرار الموجود فى القرآن الذى بين أيدينا الآن؟!

ولعل أقوى حُجة يقولها المسلمون هى أن تكرار قصص الرسل السابقين – مثل نوح وهود وصالح وغيرهم – فيه تأكيد وتقرير لمبدأ "العقاب الإلهى" (Divine punishment) لمَن كذَّبوا هؤلاء المرسلين، وهو مبدأ قرآنى هام لا سيما فى الفترة المكية حين كان كفار مكة يُكذبون محمد. هذه هى الحُجة الإسلامية الوحيدة التى تستحق الرد.

الرد: لا ينحصر التكرار فى قصص إهلاك الأقوام السابقين فقط، بل نجده فى قصص أخرى لا علاقة لها بإهلاك مَن كذَّبوا الأنبياء والمرسلين، مثل:

- قصة يونس (يونان) تكررت أربع مرات رغم أن قومه لم يهلكوا،
- وقصة البشارة بميلاد يحيى (يوحنا المعمدان) تكررت مرتين، وقصة البشارة بميلاد المسيح عيسى (يسوع) تكررت مرتين،
- وقصة البشارة بميلاد إسحاق التى تكررت ثلاث مرات،
- وقصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" التى تكررت سبع مرات!

وفى المقابل نجد قصص إهلاك أقوام سابقين مُكذبين ومع ذلك لا تتكرر فى القرآن، مثل: قصة "أصحاب القرية" (أو: "قوم يس") التى لم تُذكَر إلا مرة واحدة فقط (يس 13-30) دون تكرار.

إذن: التكرار هو مشكلة أساسية يعانى منها القرآن بصفة عامة، ولا ينحصر فى نوع معين من القصص، ولا توجد قاعدة واضحة تحدد ما هى القصص التى تتكرر أو تلك التى لا تتكرر.

على أى حال، التكرار فى حد ذاته مش مشكلة كبيرة. وإنما المشكلة الكبرى هى أن فى بعض الروايات المكررة للقصة الواحدة، نجد أحياناً اختلافاً فى كمية التفاصيل، وأحياناً أخرى اختلافاً فى التفاصيل نفسها كالأقوال أو الأفعال أو ترتيب الأحداث؛ وسنعطى أمثلة على ذلك. انظر مثلاً قصة تحطيم إبراهيم للأصنام ثم نجاته من النار، وقصة "ضيف إبراهيم"، وقصص "الميلاد والطفولة" وغيرها.

إن وجود هذه الاختلافات (discrepancies) يؤكد ثلاثة أمور:

<u>أولاً:</u> الروايات المختلفة تؤكد أن القرآن مُنتَج بشرى. القرآن نفسه يعترف بذلك: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82)[2568]. ونحن وجدنا "اخْتِلَافًا كَثِيرًا" فى القرآن. إذن: القرآن "مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ". (Q.E.D.)

<u>ثانياً:</u> الروايات المختلفة تؤكد أن القرآن مُنتَج بشرى اشترك فيه أكثر مِن شخص، أى: صنعه فريق أو مجموعة من الأشخاص الذين أسميناهم "أصحاب القرآن". بعبارة أخرى: القرآن "ثمرة عمل جماعى" (fruit d'un travail collectif)[2569]. فيكون إذن الشخص الذى روى الرواية الأولى غير الشخص الذى روى الرواية الثانية غير الشخص الذى روى الرواية الثالثة وهكذا.

<u>ثالثاً:</u> الروايات المختلفة تؤكد تعدد مصادر القرآن. فمِن المؤكد أن أصحاب القرآن لم يعتمدوا على مصدر (تقليد) واحد، وإنما اعتمدوا على عدة مصادر (تقاليد)، مثل: الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، الأبوكريفا، السوديبِجرافا، المدراش، التلمود، الترجوم الآرامي الفلسطيني، الميامر السريانية، التراث الشعبى العربى ... الخ. وفى بعض القصص، استطعنا أن نضع أيدينا على المصدر الرئيسى الذى اعتمدت عليه كل رواية. انظر مثلاً الروايات المتعددة المختلفة لقصة تحطيم إبراهيم للأصنام ثم نجاته من النار التى كررها

القرآن ثلاث مرات: رواية (الصافات 83-99) (مكية) اعتمدت على كتاب اليوبيلات، ورواية أخرى (الأنبياء 51-71) (مكية) اعتمدت على كتاب المدراش (Genesis Rabbah)، أما الرواية الثالثة (العنكبوت 16-26) (مكية) فاعتمدت على كتاب فيلو المنحول (أي: كتاب منحول منسوب كذباً وزوراً إلى فيلو). وهى كلها كتب أساطير وخرافات يهودية انتشرت قبل ظهور الإسلام. وكما سبق وقلنا، نحن لا نقول إن أصحاب القرآن قد قرأوا كل هذه الكتب، وإنما نقول إنهم سمعوا هذه الروايات بآذانهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة. فهذا يكفي – بل يكفي جداً – لإنتاج كتاب مثل القرآن.

تنطبق هذه الملاحظة بصفة خاصة على ما يُسمَّى "القرآن المكى"، أى قرآن ما قبل الهجرة إلى يثرب (المدينة)، وهو يمثل أكثر من 70% من القرآن الذى بين أيدينا الآن. ونؤكد هنا على أن القرآن بشقيه "المكى" و "المدنى" جُمِع فى كتابٍ (مصحف) – حسب ما تقول المراجع الإسلامية – **بعد** وفاة محمد، أى **بعد** الهجرة إلى المدينة بأكثر من 10 سنوات. وبالتالى فإن هذا القرآن "المكى" كُتِب من الذاكرة. كل واحد من أصحاب القرآن كان بيقول اللى هو فاكره من تلك التقاليد المتعددة المختلفة، وكل واحدة كانت بتقول اللى هى فاكراه من تلك التقاليد المتعددة المختلفة. ولم يحاولوا توحيدها أو صهرها معاً، فأبقوا عليها باختلافاتها! مما أدى إلى تكرار روايات القصة الواحدة، والاختلافات فيما بينها التى تصل أحياناً إلى حد التعارض والتناقض!

4.1.3 الزمان؟ الله أعلم! ... المكان؟ الله أعلم! ... أسماء الأشخاص؟ أيضاً الله أعلم!

فى معظم القصص – بل تقريباً فى كل القصص – لا يعطى القرآن معلومات تفيد الزمان (متى حدثت القصة؟) ولا المكان (أين حدثت؟) وأحياناً لا يعطى أسماء الأشخاص! فالقرآن لم يقل لنا مثلاً اسم امرأة آدم ولا أسماء ابنى آدم ولا اسم ابن نوح الذى هلك فى الطوفان ...الخ.

إن عدم ذِكر هذه التفاصيل يؤدي إلى مشكلة نُسمِّيها "غموض القرآن" الذي يؤدي عادةً إلى حيرة المفسرين وتخبطهم حين يحاولون ملأ هذه الفراغات التي تركها أصحابُ القرآن.

طبعاً الرد الجاهز عند المسلمين هو: "إن هذا علم لا ينفع والجهل به لا يضر، وإن الهدف من القصة القرآنية هو العظة والعِبرة، فالقرآن ليس كتاب تاريخ ولا كتاب جغرافيا". أو كما قال د. فضل حسن عباس تعليقاً على قصة "موسى والخَضِر": "إن القصص القرآنى ليس سرد حوادث ولا دراسة وتاريخ. بل هو عظات نظمت نظماً بيانياً"[(2570)].

تعليقنا: نحن نتفق أن القرآن ليس كتاب تاريخ ولا كتاب جغرافيا. لكن إذا كان القرآن هو مجرد كتاب يضم مجموعة مِن العظات الدينية (homilies) هدفها هو العظة والعِبرة، فلا تقل إذن إن القصص القرآنية حقيقية؛ فحواديت الأطفال مثلاً بها عظة وعِبرة ولم يقل أحد إنها حقيقية! ولا يجرؤ أحد أن يقول إنها حقيقية. أما إذا زعمت أن القصة القرآنية حقيقية - أو بها شيء مِن الحقيقة التاريخية (مثلاً 10%) - فعليك أن تعطينا

تفاصيل كافية عن الزمان والمكان وأسماء الأشخاص ... الخ، أو كما تعلمنا فى المدرسة الابتدائية أن أبسط قواعد التاريخ هى أن تذكر مَن؟ وما؟ ومتى؟ وأين؟ ولماذا؟ وكيف؟ أو كما يُقال بالانجليزية (5W+1H) أى (Who? What? When? Where? Why? How?). فإن لم تعطنا هذه التفاصيل وتقول لنا مثلاً "فلان قابل علان الساعة كذا في المكان اللي هناك وقال له كلام كثير جداً" فكيف نستطيع أن نتحقق من صحة القصة التي تدعيها؟!

هذا بالاضافة إلى أن المعلومات التى لم يذكرها القرآن هى فى كثير من الحالات معلومات هامة، بل هامة جداً، فلا يمكن أن تكون "علم لا ينفع والجهل بها لا يضر". على سبيل المثال: عندما لا يذكر القرآن اسم ابن إبراهيم الذى كاد أن يُذبَح لولا أن الله قد افتداه، نجد أنفسنا أمام مشكلة كبيرة. فهذه معلومة فى غاية الأهمية. لماذا؟ لأن اليهود والمسيحيين متفقون أن هذا الابن الذبيح هو "إسحاق"، والتوراة والانجيل يؤكدان ذلك، بينما معظم المسلمين يؤكدون بكل قوة أن الذبيح هو "إسماعيل" – رغم أن أصحاب القرآن أنفسهم لم يذكروا الاسم، لأنه معروف للجميع أنه إسحاق. مثال آخر: عندما لا يذكر القرآن اسم فرعون الذى يُعتقَد أنه طارد موسى وبنى اسرائيل أثناء خروجهم من مصر، فكيف لنا أن نعرف هل هذه القصة – بما فيها من "معجزات" مثل انشقاق البحر الخ – قصة حقيقية؟ أم هى قصة خيالية؟ أم هى قصة ليست كلها حقيقة وليست كلها خيال وإنما هى مستوحاة من أحداث بعضها حقيقى، أى هى مزيج من الحقيقة والخيال، مزيج من التاريخ والأسطورة. يعنى مثل المسلسلات الدرامية الاجتماعية التي تدور أحداثها في القرن العشرين مثلاً، تُذْكَر فيها أحداث وأشخاص تاريخية حقيقية مثل: الملك فلان، وثورة سنة كذا، والرئيس علان، وحرب سنة كذا ... الخ، لكن شخصيات المسلسل الأساسية في البيت والمدرسة والشارع والحارة ... الخ وكذلك الأحداث المرتبطة بهذه الشخصيات كلها خيالية من إبداع المؤلف.

السؤال: إذا كان القرآن كلام الله كما يتوهم المسلمون، فكيف لا يذكر معلومات هامة تساعدنا على التأكد من صحة القصص المذكورة فيه؟!

وأخيراً نقول إن عدم ذِكر هذه التفاصيل – سواء كانت هامة أو غير هامة – يؤكد أن معاصرى القرآن كانوا يعرفون هذه القصص جيداً، ولذلك لم يجد أصحاب القرآن أى داعى لذِكر كل الأحداث بالتفصيل، واكتفوا فقط بتسليط الضوء على أحداث معينة – وأحياناً لقطات معينة – وتوضيح الدروس المستفادة منها سواء لمحمد وأتباعه أو للذين يخالفونهم (كفار مكة، يهود، نصارى ... الخ).

بعبارة أخرى: القرآن كتاب أنتجه مجموعة من الأشخاص يعيشون في مجتمعٍ عربي معين ويتحدثون إلى مَن يعيشون داخل هذا المجتمع (insiders) آنذاك، وليس لمَن يعيشون خارجه (outsiders). ولذلك لم يجد أصحابُ القرآن أي داعي لذِكر كل أحداث جميع القصص القرآنية بالتفصيل. فما دام مَن يعيشون معهم يعرفون هذه القصص ويفهمون القرآنَ، فلماذا يُعيدون ذِكر تفاصيلها؟ إنه بالفعل "لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" (الشعراء 195) (النحل 103)؛ مُبِينٌ بالنسبة لمعاصريه. أما المفسرون المسلمون الذين جاءوا بعد القرآن بعشرات

السنين، بل مئات السنين، فوجدوا أنفسهم أمام كتاب عجيب جاءهم من الماضي السحيق، فحاولوا أن يحلوا ألغاز هذا القرآن "العربي"، فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هي أنهم احتاروا وتخبطوا في تفسيره.

وهذا يؤكد أنه لا يمكن فَهْم القرآن فهماً صحيحاً إلا بدراسة جذوره الدينية والتاريخية، وعلى رأسها بالطبع جذوره اليهودية والمسيحية سواء فى الأسفار المقدسة أو فى الكتب غير المقدسة. بعبارة أخرى: لكى نفهم القرآن فهماً صحيحاً، لا بد أن نقرأ الكتب التى كُتِبَت **قبل** القرآن (مثل: الكتاب المقدس، الأبوكريفا، السوديبجرافا، المدراش، التلمود، الترجوم، ... الخ) والكتب **المعاصرة** للقرآن (مثل: التراث السرياني، تاريخ الروم، تاريخ الفرس ... الخ)، وليس فقط الكتب التي كُتِبَت **بعد** القرآن (مثل: التفاسير الإسلامية، أسباب النزول، السُّنَّة الصحيحة، السيرة النبوية ... الخ).

وهذا طبعاً لا يعني أن نتجاهل جميع الكتب التي كُتِبَت بعد القرآن، وإنما يعني أن الكتب التي كُتِبَت قبل القرآن أو المعاصرة له هي التي تهيمن على القرآن وتفسيره، وليس العكس.

4.1.4 المفارقات التاريخية (Anachronisms)

معنى "مفارقة تاريخية" هو أن تحكي قصة يُفترَض أنها دارت فى فترة زمنية معينة، لكن بعض الأقوال أو الأفعال أو الأحداث المذكورة فى هذه القصة لا تناسب هذه الفترة الزمنية. يعني مثلاً قصة تدعي أنها حدثت أيام الخلافة الأموية لكن تذكر شخصاً أرسل بريداً إلكترونياً (e-mail) إلى صديقه الذى يعيش فى مدينة نيويورك! فهل يمكن أن تكون هذه القصة حقيقية؟ الإجابة: مستحيل. لأنه أيام الخلافة الأموية لم يكن هناك بريد إلكتروني ولم تكن هناك مدينة اسمها نيويورك!

يعانى القرآن من العديد من المفارقات التاريخية. على سبيل المثال، يدعى القرآن أن إبراهيم قال لقومه: "إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ" (العنكبوت 25). هل يمكن أن يكون إبراهيم قال لقومه هذه الجملة؟ الإجابة: مستحيل. وذلك لسببين على الأقل. أولاً اللغة: لم يكن إبراهيم يتحدث اللغة العربية ولا كان قومه يفقهونها. ثانياً المعنى: لم تكن عقيدة "يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ولا عقيدة "النَّار" معروفة أيام إبراهيم (حوالى 2100-1800 ق.م)[2571]. إذن: هذه الجملة ليست من كلام إبراهيم وليست من كلام الله، وإنما هى من كلام أصحاب القرآن العربى الذين وضعوها – بالعافية – على لسان إبراهيم.

يبرر شيوخ الإسلام هذه المفارقات التاريخية بقولهم إن الله يخاطب عرب شبه الجزيرة العربية باللغة التى يفهمونها وبالمفاهيم التى تناسب عصرهم (أى: القرن السابع الميلادى) حتى يتعظوا ويؤمنوا.

تعليقنا: طبعاً هذا التبرير غير منطقى والرد عليه سهل جداً بأن نسأل المسلمين سؤالاً افتراضياً. لو افترضنا أن شخصاً ابتدع ديانة إبراهيمية جديدة فى القرن الواحد والعشرين وادعى أن إبراهيم قال لقومه:

"لا تستخدموا سياراتكم كثيراً حتى لا تلوثوا البيئة" أو أن إبراهيم اشترى جهاز (Galaxy Note 9) وأعطاه هدية لسارة لمَّا أنجبت إسحاق. هل سيؤمن المسلمون بأن هذا الشخص نبى؟ طبعاً لا. لكن ما الفرق بين محمد وهذا الشخص المبتدع؟ كلاهما ادعى أن إبراهيم قال لقومه كلاماً لا يناسب عصر إبراهيم.

ولو افترضنا أن الله يخاطب كل أمة باللغة التى تفهمها وبالمفاهيم التى تناسب عصرها، لكان المفروض أن ينزل الله كتاباً بكل لغة ولكل عصر! إن الغالبية العظمى من سكان هذا العالم لا يفهمون لغة القرآن، ويفكرون بطريقة تختلف تماماً عن طريقة تفكير عرب شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع. فلماذا لا يتواصل الله معنا اليوم باللغة التى نفهمها وبالمفاهيم التى تناسب عصرنا حتى نتعظ ونؤمن؟!

ثم أنه أحياناً تبلغ هذه المفارقات التاريخية ذروتها لدرجة أنها تصبح "أخطاء" تاريخية وليس مجرد مفارقات. وهى أخطاء تاريخية كثيرة فى القرآن، نذكر منها على سبيل المثال ما يلى.

استخدام كلمة "دراهم" (يوسف 20) فى قصة يوسف، رغم أن عملة "الدرهم" لم تكن متداولة فى الفترة التى يُفترَض أن يوسف كان يعيش فيها. ولا يوجد أي دليل علمي يثبت أن يوسف شخصاً حقيقياً تاريخياً.

مثال آخر: استخدام كلمة "السامرى" (طه 85، 87، 95) فى قصة موسى رغم أن مدينة "السامرة" (Samaria) أنشئت بعد زمان موسى بمئات السنين! ولا يوجد أي دليل علمي يثبت أن موسى شخصاً حقيقياً تاريخياً.

مثال ثالث: قول فرعون لسحرته لمَّا آمنوا بموسى قبيل خروج بني إسرائيل من مصر: "لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ" (الشعراء 49). وفى رواية أخرى أن فرعون قال لهم: "لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ" (الأعراف 124). وفى رواية ثالثة أنه قال لهم: "فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ" (طه 71). وهنا نسأل المسلمين سؤالاً: هل يوجد أى دليل أثرى واحد يثبت أن عقوبة تقطيع الأيدى والأرجل مِن خلاف (أى: قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس) وعقوبة الصلب (crucifixion) كانتا معروفتين عند المصريين القدماء أيام موسى؟!

بل هل يوجد دليل علمي واحد يثبت أن قصة خروج بني إسرائيل من مصر قصة حقيقية حدثت فعلاً بالطريقة العجيبة التي صورها القرآنُ؟!

إذا لم يكن لدى المسلمين دليل مادى واحد على صحة القصص القرآنية، فيجب عليهم إذن أن يعترفوا بالحقيقة: القرآن منتج بشرى. ومثل أى منتج بشرى، فإنه يرتبط بثقافة معينة وبشعب معين وبزمان معين وبمكان معين. وإنما هذه المفارقات والأخطاء التاريخية تؤكد أن القرآن كلام العرب وأنه صُنِع فى القرن السابع الميلادى وربما بعد ذلك. ولذلك استخدم أصحابُ القرآن مفردات ومفاهيم تناسب عصرهم وليس بالضرورة أن تناسب عصر الأنبياء السابقين مثل إبراهيم ويوسف وموسى وغيرهم.

من حق المسلمين أن يسألوا: ما الذى جعل أصحاب القرآن ينسبون للأنبياء السابقين أقوالاً لم يقولوها؟ ما هى مصلحتهم؟ الإجابة: أراد أصحاب القرآن أن يوهمونا أن "الإسلام" هو دين كل الأنبياء مِن آدم إلى محمد مروراً بنوح وإبراهيم ويوسف وموسى وحتى المسيح عيسى (يسوع)! ولذلك وضع أصحاب القرآن على لسان هؤلاء الأنبياء كلمات مثل الكلمات التى كان محمد يقولها فى القرن السابع الميلادى. بل وصلت بهم الجرأة أن يجعلوا هؤلاء الأنبياء السابقين وأتباعهم يقولون صراحةً إنهم "مسلمين"! على سبيل المثال:

- نوح صار "مسلماً" فى القرآن! "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ. فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (يونس 71-72).
- إبراهيم صار "مسلماً" فى القرآن! "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 67).
- حتى تلاميذ المسيح لم يصفهم القرآن بكلمة "مسيحيون" وإنما وصفهم بكلمة "مُسْلِمُون"! "وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ" (المائدة 111).

ولا يهم هنا هل كلمة "مسلم" تعني مستسلم لله وخاضع له أو تعني مُوحِّد أو تعني مؤمن أو تعني غير ذلك. المهم أنها كلمة عربية أو معرَّبة تنتمي إلى عرب شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادى ولا يمكن أن يكون أي نبي أو رسول سابق قد نطقها كتعبير عن دينه. نستطيع إذن أن نقول إن أصحاب القرآن قد قاموا بعمليتى "أسلمة" و "تعريب" لقصص الأنبياء والرسل السابقين، وذلك حتى تبدو قصة حياة محمد مشابهة لقصص الأنبياء والرسل السابقين، أو بالأحرى: حتى تبدو قصص الأنبياء والرسل السابقين مشابهة لقصة حياة محمد، فيسهل على المسلمين أن يصدقوا أن محمد رسول من عند الله مثل الأنبياء والرسل السابقين.

لكن في الواقع، إن هذه المفارقات والأخطاء التاريخية هى دليل آخر على أن محمد ليس نبياً ولا رسولاً من عند الله، بل هى دليل آخر على أن القرآن ليس كتاباً من عند الله ولا موجوداً عند الله منذ الأزل. وإنما القرآن هو كلام العرب في القرن السابع الميلادي وما بعده. قال العربُ القرآنَ ليس بِوَحيٍ من الله، وإنما بِوَحيٍ من الديانات والحضارات والثقافات الشرقية التي سبقت الإسلام. فلولا التراث اليهودى/المسيحى مثلاً لما استطاع أصحاب القرآن أن يعيدوا كتابة قصص الأنبياء والرسل السابقين بطريقة عربية إسلامية. ولذلك فإننا نقول إن القرآن كلام العرب، ولا نقول إن القرآن كلام المسلمين. فلقد اشترك اليهود والمسيحيون الشرقيون – بطريقة مباشرة أو غير مباشرة – في صناعة القرآن.

4.1.5 هل قصص القرآن "منقولة" حرفياً مِن الكتب السابقة؟

مما لا شك فيه أن القصص القرآنية ليست منقولة نقلاً حرفياً طبق الأصل من مثيلاتها فى الديانات السابقة للإسلام. فهناك بعض الاختلافات فى صورة إضافة و/أو حذف أدخلها أصحاب القرآن على أحداث القصص الأصلية. هذه الاختلافات، قد نعلق عليها وقد لا نعلق. لماذا لا نعلق؟

أولاً: لأنها لا تهمنا كثيراً. فليس هدفنا عقد مقارنة تفصيلية بين أساطير القرآن وأساطير الأولين. هدفنا واضح: التأكيد على أن القرآن ليس كلام الله. والأدلة التي نبرزها في هذا الباب توضح أن أحداث القصص المذكورة فى القرآن تتشابه إلى حد كبير – وأحياناً تتطابق – مع القصص والأساطير التي كانت سائدة بالفعل في الشرق الأوسط قبل ظهور الإسلام. فإذا قال المسلمون إن القرآن كلام الله، عليهم أن يقولوا أيضاً إن تلك القصص والأساطير الشرقية هى أيضاً كلام الله!

ثانياً: لأن هذه الاختلافات أمر طبيعى، فهى تشبه التغييرات التى تطرأ على بعض الروايات الأدبية حين يتم تحويلها إلى فيلم سينمائى أو مسلسل تليفزيونى، مثل: تقليل أو تكبير حجم الدور الذى تلعبه شخصية معينة، تغيير أحد أبطال الرواية من رجل كبير إلى شاب وأحياناً من رجل إلى امرأة، تغيير نهاية شخصية معينة، إضافة شخصيات جديدة، حذف أو تغيير الأحداث التى لا تناسب الفترة الزمنية التى سيُعرض فيها الفيلم أو المسلسل أو لا تلائم المجتمع الذى سيشاهد الفيلم أو المسلسل (أو ما يُسمَّى "التعريب" أو "الأسلمة"). لكن فى النهاية ورغم كل هذه الاختلافات، تظل الرواية الأدبية الأصلية هى المصدر الرئيسى لأحداث الفيلم أو المسلسل. أو بعبارة أخرى: نقول إن الفيلم أو المسلسل مُستوحَى من الرواية الأدبية. وهذا ما نقوله بالنسبة للقرآن. فنحن لا نقول إن القرآن "نُقِلَ" حرفياً من الكتب السابقة له، وإنما نقول إن القرآن مُستوحَى من الكتب السابقة له، وليس وحياً من الله. أو بعبارة أكثر دقة: القرآن هو مجرد تطور بشرى طبيعى (natural human development) للديانات والحضارات والثقافات الشرقية التى سبقت ظهور الإسلام.

ثالثاً وهو الأهم: إن مسألة الاستعارات الأدبية من ديانة إلى أخرى أو من ثقافة إلى أخرى أمر متعارف عليه ويحدث كثيراً منذ فجر التاريخ. وقد يكون أقدم مثال على ذلك هو الملحمة البابلية الشهيرة "ملحمة جلجامش" (L'Épopée de Gilgamesh) (Epic of Gilgamesh). فلقد شرح العالم الكبير (Samuel Noah Kramer)[2572] كيف كتب البابليون هذه الملحمة الكبيرة اعتماداً على عدة نصوص سومرية أقدم منها بكثير وكيف استطاع البابليون أن يدخلوا بعض التغييرات على تلك النصوص السومرية ويحذفوا بعض التفاصيل التى لا تهمهم ويضيفوا بعض التفاصيل الأخرى مِن وحي خيالهم حتى يمكنهم ربط أحداث تلك النصوص الكثيرة في نص واحد كامل متكامل متجانس (un tout cohérent) يُعرَف باسم "ملحمة جلجامش". هذا بالضبط ما فعله أصحابُ القرآن (ملحمة العرب) حين اعتمدوا على التراث اليهودي/المسيحي، كما سوف نوضح فى هذا الباب من خلال عدة أمثلة. بل إن هذا أيضاً ما فعله أصحابُ التوراة (ملحمة اليهود/بني إسرائيل) حين اعتمدوا على تراث الشرق الأدنى القديم، وبخاصة التراث البابلي.

اقرأ مثلاً ما قاله (Prof. Abraham Winitzer) تعليقاً على قصة طوفان نوح القرآنية (وبخاصة رواية سورة هود) المستوحاة مِن التراث اليهودي/المسيحي المرتبط بقصة طوفان نوح التوراتية المستوحاة بدورها مِن أحداث ملحمة جلجامش[2573]:

> It is incumbent to recall the antiquity of the Noah tradition, which builds on the account in the *Gilgameš* Epic of Utnapištim's survival of the flood; […]. It also bears mention that already in *Gilgameš* the flood story reflects a case of intertextuality, since that epic literally and consciously quotes a large portion of the earlier *Atraḫasīs* Myth (early-middle second millennium B.C.), in which that story is first told at length (in Semitic Akkadian); […]. The Genesis version thus represents a borrowing of a tradition that has been borrowed in itself.
>
> Against this background it must be said that the Qurʾānic version of this [Noah] tradition does not seem to contain elements with clear unadulterated Mesopotamian origins. […] To the contrary, at several instances the Qurʾān version appears to share in Biblical interpretive traditions of the flood story. […]

وسنعطي الآن أدلة كثيرة من القصص/الأساطير القرآنية تؤكد نفس النتيجة التي نصل إليها دائماً: القرآن كلام بشر وليس كلام الله. القرآن مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) والتراث العربي الجاهلي (أي: الوثنية + الحنيفية).

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

ولنبدأ أولاً بأسطورة من العيار الثقيل، وهي أسطورة "خَلْق" الجن والعفاريت ...

4.2 "خَلْق" الجِنّ والعفاريت .. و "سحر" هاروت وماروت .. وأساطير أخرى!

تحدث الإسلام كثيراً عن عالم "الجن"[2574] الخفي، فلقد ذكر القرآنُ كلمةَ "الجن" 22 مرة معظمها في القرآن المكي[2575]، أي ضعف عدد مرات كلمة "المسيح" وأكثر من كلمة "التوراة" وأكثر من كلمة "الإنجيل"! بل توجد سورة كاملة (28 آية) في القرآن اسمها "الجن"، وهي أيضاً سورة مكية، أي قيلت في المرحلة الأولى من حياة النبي العربي محمد.

"الجن" في الإسلام عالم آخر يقابل عالم "الإنس"! وأي مسلم قرأ سورة الرحمن، سيلاحظ استخدام المثنى في عبارة "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" التي تكررت 31 مرة (الرحمن 13، 16، 18، 21، 23، 25، 28، 30، 32، 34، 36، 38، 40، 42، 45، 47، 49، 51، 53، 55، 57، 59، 61، 63، 65، 67، 69، 71، 73، 75، 77)! وسبب استخدام المثنى هو توجيه الخطاب إلى "الثقلين" (الرحمن 31)، أي إلى الإنس والجن. بل إن آخر آية في المصحف الحالي تذكر صراحةً "الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ" (الناس 6)، أي الجِن والإنس! وكذلك أول آية في المصحف الحالي بعد البسملة تقول: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الفاتحة 2)، أي رب الجِن والإنس، كما رُوِى عن ابن عباس وغيره[2576]. ولقد تكررت عبارة "رَب الْعَالَمِين" أكثر من 40 مرة في القرآن. ومِن المفسرين مَن فسر كلمة "العالمين" تفسيراً آخر، فأضاف الملائكة باعتبارهم عالم ثالث غير الإنس والجن، ومِنهم مَن جعل المعنى أكثر اتساعاً ليشمل كل المخلوقات والكائنات والموجودات، بما فيهم البهائم! قال د. محمد سيد طنطاوى في تفسيره لـ "رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 16): "أى: رب جميع العوالم التى مِن بينها عالم الجن، وعالم الملائكة"[2577].

ولأن مفهوم "الجن" مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالثقافة العربية (الجاهلية) ولا وجود له في الثقافات الغربية (اليهودية/المسيحية حيث يوجد إنس وملائكة فقط ولا يوجد جن في التوراة والإنجيل بالمعنى المتعارف عليه في القرآن)، احتار المترجمون المسلمون وغير المسلمين في ترجمة كلمة "جِن"، فنراهم يكتبونها عادةً في اللغات الأجنبية بدون ترجمة (jinn) (djinn)، وهذا هو الصواب في رأينا أن تُترَك كلمة "جِن" كما هي بلا ترجمة. وكذلك كلمة "عفريت" (ifrit) (النمل 39)، "والعفريت من الجن هو القوى القادر منهم؛ لأن الجن يتفاوتون فى الخلق، منهم الضعيف ومنهم القوى"[2578]! لكننا لاحظنا أن كلمة "جن" – وكذلك كلمتي "عفريت" و "شيطان" بدون أداة التعريف – تُترجَم أحياناً إلى (demon) (démon) مع أنها ترجمة غير دقيقة لأن كلمة "جن" في القرآن – مثل كلمة "إنس" أو "بني آدم" – قد تكون سلبية أو إيجابية أو محايدة حسب سياق الآيات، أما كلمة "شيطان" أو "شياطين" فهي كلمة سلبية بصفة عامة. ومما يزيد الترجمة تعقيداً هو أن كلمة "شيطان" في القرآن قد تُطلَق على الإنس و/أو الجن! "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ [...]" (الأنعام 112)؛ (البقرة 14)! نستطيع إذن أن نقول إن الشياطين ≠ الجن. الشياطين هُمْ العصاة المتمردون من الجن؛ وكل متمرد على منهج الله يُسمّى شيطاناً سواء كان من الجن أو من الإنس.

وسنركز في هذا الفصل على عالم الجِن والعفاريت والشياطين في الإسلام بصفة عامة وفي القرآن والسُّنَّة الصحيحة بصفة خاصة. ومِن الجدير بالذكر أن الأحاديث الصحيحة التي تحدثت عن عالم الجِن والعفاريت والشياطين أكثر بكثير من الآيات القرآنية التي تحدثت عن هذا العالم الغيبي.

وبناء على ما جاء في القرآن وكتب السُّنَّة عن الجِن، نستطيع أن نقول إن عالم الجِن هو عالم غير مرئى مقابل عالم الإنس فى الدنيا. لكن ليست هذه هي المشكلة؛ فنحن نؤمن بالله مع أنه غير مرئي. وإنما المشكلة هي أن خصائص وطبيعة هذا العالم الغيبي غير معقولة ولا يمكن تصديقها، بل هي أقرب إلى الخيال غير العلمى (non-science fiction). وإن مجرد قراءة الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة التى تحدثت عن عالم الجن لتكفى لبيان ذلك. أو يمكن أن نقول إن المشكلة مزدوجة:

- أولاً: عالم الجن غير مرئى ولا يمكن إدراكه (not observable)، وبالتالى لا يوجد – ولن يوجد – أى دليل علمى على وجوده أو عدم وجوده (neither verifiable nor falsifiable).
- ثانياً: الأمور التى ذكرها القرآن وكتب السنَّة عن عالم الجِن أمور بعيدة تماماً عن المعقولية (not reasonable)، بل هي أقرب إلى الحكايات الخيالية (fairy tales).

باختصار: نحن نرى أن الدعوة إلى الإيمان بعالم الجِن – كما جاء فى القرآن وكتب السنة – هى استخفاف بالعقل الإنسانى. ولا فرق بين مَن يأمرنا بالإيمان بعالم الجِن والعفاريت ومَن يأمرنا بالإيمان بعالم (Snow White) و (Cinderella) و "عقلة الإصبع".

المشكلة هى أن المسلم مأمور بالإيمان بعالم الجِن والعفاريت، وإلا يصبح كافراً فى نظر المسلمين! تقول موسوعة بيان الإسلام التي اشترك في إعدادها "نخبةٌ" من كبار العلماء المسلمين (أكثر من 200 عالم وباحث فى تخصصات مختلفة): "الفرق بين مَن يؤمن بهذا العالم (أى: عالم الجِن) ومَن ينكره، هو الفرق بين مَن يؤمن بوجود الله عز وجل وبكلامه ووحيه، ومَن لا يؤمن به"، وتقول أيضاً: "إن مُنكِر الجن والشياطين مُكذِّبٌ بالرسل والأنبياء، وبما جاءوا به؛ إذ ثبت وجودهم بصريح النصوص، وثبت أن رسول الله ﷺ كان يدين بوجودهم"[2579]! وقال الأستاذ أحمد حسين فى تفسيره الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "وليس مِنا مَن ينكر الجن ولا نتردد فى وصفه بالكفر"[2580]! وقال د. محمد سعيد رمضان البوطى: "ولما كان وجود هذه الخليقة (يقصد: الجن) مسنداً إلى أخبار يقينية متواترة وردت إلينا من الكتاب والسنة، وكان أمرها معلوماً من الدين بالضرورة، أجمع المسلمون على أن إنكار الجن أو الشك فى وجودهم يستلزم الردة والخروج عن الإسلام"[2581]!

<u>تعليقنا:</u> نحن نرفض هذه الآراء التكفيرية المتعصبة، ونعلن أننا نؤمن بوجود الله ولا نؤمن بعالم الجِن ولا بالقرآن ولا بالأحاديث ولا بمحمد. ونريد هنا أن نؤكد على أننا نرفض الإيمان بوجود الجن، ليس فقط

لأن الجن بعيد عن العين والحواس والعِلم بصفة عامة ولكن أيضاً لأنه بعيد عن المعقولية كما قلنا، فضلاً عن كونه مأخوذاً مِن الأساطير العربية الجاهلية (Pre-Islamic Arabian mythology)[2582] التى سبقت ظهور الإسلام والتى تأثر بها أصحاب القرآن. ومِن حسن الحظ أن القرآن نفسه يعترف بأن العرب قبل الإسلام كانوا يؤمنون بوجود الجن. وخير دليل على ذلك هو أن أصحاب القرآن قد ذكروا بعض معتقدات العرب "الجاهليين" عن الجن.

ثم إن الإيمان بوجود الجن يفتح الباب على مصراعيه للإيمان بخرافات أخرى مثل العفاريت والسحر والرُقية وغيرها من أعمال الدجل والشعوذة التى تحط من شأن الإنسان والمجتمع. والدليل على ذلك هو انتشار هذه الخرافات فى المجتمعات العربية/الإسلامية، لا سيما بين البسطاء. ومِن المؤسف أن تتسلل كثير من تلك الخرافات إلى المسيحيين العرب المتأثرين بالثقافة العربية-الإسلامية، ومِن بينها ثقافة "الجن"!

فمَا هو الجن؟ وما هى الجذور العربية الجاهلية للإيمان به؟ هذا ما سنناقشه فى هذا الفصل. ولنا هدفان: الهدف الأول هو بيان غرابة العقيدة الإسلامية التي تؤمن بعالم الجن وبُعدها عن المعقولية. الهدف الثانى هو توضيح الجذور العربية الجاهلية للإيمان بهذا العالم غير الطبيعي.

4.2.1 الجن والعفاريت في الإسلام: قرآن + سنة

أهم ما قاله أصحابُ القرآن عن الجن والعفاريت هو ما جاء فى الآيات القرآنية التالية، ومعظمها آيات مكية. ونذكر معها أيضاً مجموعة مختارة من الأحاديث النبوية ...

4.2.1.1 الجن مخلوق من نار قَبْل خَلْق الإنس؛ وَهُمْ ليسوا أرواحاً فقط، بل لهم نسل وذرية!

يقول القرآن: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (أي: نار شديدة الحرارة لا دخان لها smokeless fire؛ والسَّمُوم هي الريح الحارة التي تنفذ في مسام الجسم؛ وقيل إن المقصود هو لهب النار)" (الحجر 26-27) "وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (أي: من لهيب خالص مِن نار؛ مِن شعلة صاعدة ذات لهب شديد؛ مِن نار صافية من الدخان)" (الرحمن 15). و "الجانّ" هو أبو الجن، وقيل الشيطان إبليس، ويصح أن يراد به "جنس الجن" أو "عالم الجن"[2583]!

وكذلك خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ قبل خَلْق الإنسان.

وتقول السنة الصحيحة أيضاً إن الجن مخلوق من نار. فلقد أخرج مسلم في صحيحه حديثاً يقول إن محمد قال: "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ"[2584]. وهذا

الحديث الصحيح مهم جداً لأنه يخبرنا بمعلومة جديدة ليس لها وجود في القرآن وهي: خَلْق الملائكة مِن نور. وهذا اختلاف مهم بين الملائكة والجن، مع أن كليهما عالمٌ غيبي غير مرئي وغير محسوس.

ومِن أهم الاختلافات الأخرى بين الملائكة والجن في الإسلام[2585]:

- الملائكة مجبولون على عبادة الله وحده لا شريك له ومجبولون أيضاً على طاعة الله ومنزهون عن المعصية (النحل 50) (التحريم 6) (الأنبياء 26-28) (الأنبياء 19-20) ومُبرَّءون من الميول النفسية والأهواء الشخصية ومطهرون من الشهوات. أما الجن فلهم حرية الإرادة والاختيار في أن يؤمنوا أو لا وفي أن يطيعوا الله أو يعصوه؛
- الملائكة معصومون ومنزهون عن الخطايا والآثام ولا يتناكحون ولا يتناسلون ولا يتصفون بذكورة ولا بأنوثة بخلاف الجن؛
- الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون، ومَن كانت هذه صفاته بطل الزعم بروحانيته كالملائكة! وحين تتحدث المراجع الإسلامية عن الجن، تقول إنهم "أجسام لطيفة نارية" "جسم شفاف لا تحجبه المادة"! ولا ندري كيف يكون جسماً وشفافاً لا تحجبه المادة! بينما حين تتحدث المراجع الإسلامية عن الملائكة لا تستخدم كلمة "أجسام" وإنما تستخدم كلمة أخرى بعيدة كل البعد عن أي حالة مادية وقريبة من عالم الروح، مثل: "مخلوقات نورانية" أو "جنس نوراني لطيف".
- قال القرآنُ للإنس والجن "أَيُّهَا الثَّقَلَانِ" (الرحمن 31)، لأنهما "مثقلان" بالعبادات والتكاليف التي كلفهم اللهُ بأدائها في الدنيا، أو لأنهما "ثقيلان" على الأرض، أو لأنهما "مثقلان" بالخطيئة. أما الملائكة فلم توصف بأنها "ثقل". ومسكن الملائكة هو السماء "وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ [في السماء] مَقَامٌ مَّعْلُومٌ" (الصافات 164)، وتنزل من السماء إلى الأرض حسب التوجيه الإلهي (مريم 64).
- أعطى القرآنُ أهمية أكبر للملائكة. فمِن حيث الكم، عدد مرات ذِكر الملائكة في القرآن أكثر بكثير من الجن. ومِن حيث الكيف، جعل القرآنُ الإيمان بالملائكة الركن الثاني مِن أركان الإيمان بعد الإيمان بالله (البقرة 285) (النساء 136) (البقرة 98).

إذن حسب العقيدة الإسلامية: الجِن ليسوا أرواحاً فقط؛ بل لهم نسل وذرية، أى أن الجن يتزواج ويتناسل ويموت كما يتزاوج الإنس فى عالم الشهادة ويتناسل ويموت!

ولذلك يعتقد فريقٌ من المسلمين أن الشيطان (إبليس) مِن الجن لأن القرآن قال عنه صراحةً إنه مخلوق من نار (ص 76) و (الأعراف 12)، وإن له ذُرِّيَّة (الكهف 50)! لكن كالعادة، يقول فريقٌ آخر من المسلمين إن الشيطان (إبليس) مِن الملائكة، ويستدلون على ذلك بآيات قرآنية أخرى. وسنناقش هذا الاختلاف بين المفسرين المسلمين حول طبيعة الشيطان (إبليس) في فصلٍ مستقل.

سؤال: إذا كان الجَانّ (أو إبليس أو أى كائن آخر) هو أبو الجن، فمَن هى أمهم؟!

أو: كيف يتناسل الجن ويتكاثر؟!

كالعادة أيضاً، اختلف المفسرون المسلمون فى الإجابة على هذا السؤال: "فَقَالَ الشَّعْبِيّ: سَأَلَنِي رَجُل فَقَالَ: هَلْ لِإِبْلِيس زَوْجَة؟ فَقُلْت: إِنَّ ذَلِكَ عُرْس لَمْ أَشْهَدهُ، ثُمَّ ذَكَرْت قَوْله "أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّته أَوْلِيَاء" (الكهف 50) فَعَلِمْت أَنَّهُ لَا تَكُون ذُرِّيَّة إِلَّا مِنْ زَوْجَة، فَقُلْت: نَعَمْ. وَقَالَ مُجَاهِد: إِنَّ إِبْلِيس أَدْخَلَ فَرْجه فِي فَرْج نَفْسه فَبَاضَ خَمْس بَيْضَات، فَهَذَا أَصْل ذُرِّيَّته. وَقِيلَ: إِنَّ اللَّه تَعَالَى خَلَقَ لَهُ فِي فَخِذه الْيُمْنَى ذَكَرًا وَفِي الْيُسْرَى فَرْجًا، فَهُوَ يَنْكِح هَذَا بِهَذَا، فَيَخْرُج لَهُ كُلّ يَوْم عَشْر بَيْضَات، يَخْرُج مِنْ كُلّ بَيْضَة سَبْعُونَ شَيْطَانًا وَشَيْطَانَة، فَهُوَ يَخْرُج وَهُوَ يَطِير، وَأَعْظَمهمْ عِنْد أَبِيهِمْ مَنْزِلَة أَعْظَمهمْ فِي بَنِي آدَم فِتْنَة. وَقَالَ قَوْم: لَيْسَ لَهُ أَوْلَاد وَلَا ذُرِّيَّة، وَذُرِّيَّته أَعْوَانه مِنْ الشَّيَاطِين. قَالَ الْقُشَيْرِيّ أَبُو نَصْر: وَالْجُمْلَة أَنَّ اللَّه تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ لِإِبْلِيس أَتْبَاعًا وَذُرِّيَّة، وَأَنَّهُمْ يُوَسْوِسُونَ إِلَى بَنِي آدَم وَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ، وَلَا يَثْبُت عِنْدنَا كَيْفِيَّة فِي كَيْفِيَّة التَّوَالُد مِنْهُمْ وَحُدُوث الذُّرِّيَّة عَنْ إِبْلِيس، فَيَتَوَقَّف الْأَمْر فِيهِ عَلَى نَقْل صَحِيح"[2586].

باختصار: ناس قالوا شوية خرافات، وناس قالوا الإجابة الإسلامية الشهيرة: الله أعلم! ونحن ما زلنا فى انتظار الإجابة على هذا السؤال، إنْ كان لدى المسلمين إجابة معقولة! فما زال شيوخ الإسلام مختلفين في هذه المسألة حتى يومنا هذا[2587]!

وإذا كان الجن لهم نسل وذرية، فهل يمر أولاد الجن بمراحل طفولة ثم شباب ثم كهولة ثم شيخوخة؟!

وكما قلنا فيما سبق: نحن نعتقد أن الجن خرافة ولا وجود لهم. ولا نجد فرقاً بين مَن يطلب منا أن نؤمن بالجن ومَن يطلب منا أن نؤمن بالفيل الذي له 610 جناح و 622 رأس و 632 ذيل!

أما الإيمان بوجود الملائكة ككائنات حقيقية فهو مِن بقايا الشرك الذي تسلل إلى الأديان التوحيدية[2588]، وبخاصة الأديان التي تشترط الإيمان بالملائكة! بدلاً مِن آلهة متعددة ويقوم كل إله بعملٍ معين، صار إله واحد يشرف على مجموعة من الملائكة "الملأ الأعلى" (الصافات 8) (ص 69) ويقوم كل مَلَك بعملٍ معين! مثلاً: بدلاً من "إله الموت"، صار عندنا "مَلَكُ الْمَوْتِ" (السجدة 11)! ولذلك فإننا نرى أن الإيمان بوجود الملائكة ككائنات حقيقية يتعارض دينياً مع التوحيد المطلق كما يتعارض علمياً مع العقلانية الحديثة. فلا يمكننا الإيمان بالملائكة إلا على سبيل الرمز والمجاز. مثلاً: حين يقول القرآن إن الملائكة "يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ" (الانفطار 12)، فلا نتصور أن المقصود هو أن الملائكة يعلمون ويفهمون ما يفعله الهاكر حين يخترق نظام إلكتروني حديث بالغ التعقيد! وإنما المقصود أن الله الواحد الأحد هو الذي يعلم ويفهم.

4.2.1.2 للجن قلوبٌ وأعينٌ وآذانٌ! ونحن لا نستطيع رؤية الشيطان، لكن الحمار يستطيع رؤيته!

يقول القرآن: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا (أي: خلقنا) لِجَهَنَّم كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا" (الأعراف 179).

قال د. محمد سليمان عبد الله الأشقر فى تفسيره لهذه الآية: "انتفى من الأعين إبصار ما فى الهداية بالتفكر والاعتبار، وإن كانت مبصرة فى غير ذلك، وانتفى من الآذان سماع المواعظ النافعة، والشرائع التى اشتملت عليها الكتب المنزلة، وما جاءت به رسل الله، وإن كانوا يسمعون غير ذلك"[2589]. وقال السعدى: "خُلِقت لهم الأفئدة والأسماع والأبصار، لتكون عوناً لهم على القيام بأوامر الله وحقوقه، فاستعانوا بها على ضد هذا المقصود"[2590]. إذن: "ليس المراد نفى هذه الإدراكات عن هذه الحواس، وإنما المراد: نفى الانتفاع بها فيما طلب منهم من الإيمان"[2591].

وصرَّح القرآن بأن الجن "يَسْتَمِعُونَ" الْقُرْآنَ وقَالُوا "أَنْصِتُوا" (الأحقاف 29)! وصرَّح أيضاً بأن لإبليس صوتاً: "وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ" (الإسراء 64)!

والشيطان يرانا لكن نحن لا نراه: "إِنَّهُ (أي: الشيطان) يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ" (الأعراف 27)! ولقد أخذ أصحابُ القرآن هذه الفكرة من العرب الجاهليين. يقول د. جواد علي عن الجن عند العرب الجاهليين: "وتقوم الجن بأعمالها بشكل غير منظور فى الغالب"[2592]. وعبارة "هُوَ وَقَبِيلُهُ" في القرآن (الأعراف 27) تدل على أن للشيطان نسل وذرية وتجمعات تشبه تجمعات البشر فى قبائل وأجناس[2593]! وهذه الفكرة القرآنية مأخوذة أيضاً من الأساطير العربية الجاهلية. يقول د. جواد علي عن الجن عند العرب الجاهليين: "وتتألف الجن من عشائر وقبائل، تربط بينها رابطة القربى وصلة الرحم. وهى كعشائر وقبائل جزيرة العرب، تتقاتل فيما بينها، ويغزو بعضها بعضاً. ولها أسماء ذكر بعضاً منها أهل الأخبار، كما أن لها ملوكاً وحكاماً وسادات قبائل. فهى فى حياتها تحيا على شكل نظام حياة الجاهليين"[2594]!

وإذا كنا نحن لا نستطيع رؤية الشيطان، فإن الحمار يستطيع أن يراه! فلقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما حديثاً عن أبي هريرة أن محمد قال: "إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّها رَأَتْ مَلَكاً. وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمار فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَاناً"[2595]! يعنى الإنسان لا يستطيع رؤية الشيطان، أما الحمار فيستطيع رؤيته! هل هذا معقول يا أصحاب العقول؟! ولعل هذه الفكرة الإسلامية مستوحاة مِن التوراة التي تقول إن النبي الأمي (= الأممي) "بلعام" (Balaam) كانت له "أَتَان" (أي: حمار ass)، فرأى الحمارُ ملاكَ الرب ثلاث مرات ولم يستطع بلعامُ رؤية الملاك إلا بعد ذلك: "فَأَبْصَرَتِ الأَتَانُ مَلاَكَ الرَّبِّ وَاقِفًا فِي الطَّرِيقِ [...] أَبْصَرَتِ الأَتَانُ مَلاَكَ الرَّبِّ [...] أَبْصَرَتِ الأَتَانُ مَلاَكَ الرَّبِّ [...] ثُمَّ كَشَفَ الرَّبُّ عَنْ عَيْنَيْ بَلْعَامَ، فَأَبْصَرَ [بَلْعَامُ] مَلاَكَ الرَّبِّ وَاقِفًا فِي الطَّرِيقِ [...]" (العدد 22:23-31)[2596]!

4.2.1.3 الجن يأكل ويشرب ويتبول وله ضراط! وأخبرنا رسولُ الإسلام عن طعام الجن!

تقول موسوعة بيان الإسلام: "ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن الجن يأكلون ويشربون، فَهُمْ مفتقرون إلى الغذاء المناسب لذواتهم افتقارَ سائر الحيوانات والنباتات إلى أغذيتها المناسبة"، "وقد ثبت أن الجن يأكلون ويشربون، فلا مانع مِن أن يبولوا"[2597]!

سؤال لكل مسلم عاقل: هل الجِن والشياطين يتبرزون؟! هل الجن له جهاز هضمي؟!

وقال رسول الإسلام في حديث صحيح إن الشَّيْطَان "لَهُ ضُرَاطٌ"! قَالَ محمدٌ: "إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ"[2598]!

وقال رسول الإسلام في أحاديث صحيحة إن العِظام والرَّوث مِن طعام الجن (أو: العِظام طعام للجن، والرَّوث طعام لدوابهم!)، وإن الشيطان يأكل ويشرب بشماله، ومِن ثم نهى محمدٌ المسلمين عن الأكل والشرب بالشمال، كما نهاهم عن الاستنجاء بالعظام[2599]!

سؤال لكل مسلم عاقل: هل الشيطان له يد يمنى ويد يسرى مثل الإنسان؟!

4.2.1.4 الجن لهم نوع (gender): مِنهم الذكر ومِنهم الأنثى!

يقول الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم ويحفظه كل مسلم عن ظهر قلب إن محمد كان إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ (أو: الْكَنِيف؛ أي: موضع قضاء الحاجة) قال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ". قال ابن حِبَّان والخطابى وغيرهما: "الخُبُث" جمع الخبيث و "الخَبَائِث" جمع الخبيثة، و "الخُبُث والخَبَائِث" يعنى ذكور الشياطين وإناثهم[2600]! وقيل: المراد كل شيء مكروه ومذموم.

وفكرة أن الجن ذكور وإناث ليست فكرة جديدة، فهى مأخوذة مِن التراث العربى الجاهلى. بل يقول د. جواد علي عن الجن عند العرب الجاهليين: "وقد يقع الحب بين الجن والإنس. فقد ذكر أن الجِنِّيَة (أى: الجن الأنثى) قد تتبع الرجل تحبه، ويقال لها: تابعة. ومن ذلك قولهم: معه تابعة، أى من الجن. والتابعة جِنِّيَة تتبع الإنسان. كما يكون للمرأة تابع من الجن، يتبع المرأة يحبها. وقد يعشق الجِنِّى (أى: الجن الذكر) امرأة ويتصادق معها"[2601]!

ويبدو لنا أن هذه الأساطير العربية الجاهلية مستوحاة – بطريق مباشر أو غير مباشر – من أساطير شرقية قديمة حول الزواج بين الكائنات الأرضية/البشرية (human beings) والكائنات السماوية/الإلهية (divine beings)، وربما تكون مستوحاة من سفر التكوين الذي يقول إن "أَبْنَاءَ اللهِ (sons of God) رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ (أي: نساء منشغلات باهتمامات الناس الدنيوية المادية) (daughters of men) أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً (wives) مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا" (التكوين 2:6). ويُقال إن "أَبْنَاءَ اللهِ" هُمْ ملائكة. وقيل: ملائكة سقطوا (fallen angels) **[⟵ شياطين أو جِن]** وسكنوا في رجالٍ (بشر ذكور) ومِن ثم

نكحوا نساء إنسيات! وقيل غير ذلك[2602]. ويُعتقَد أن "الْجَبَابِرَة" (الطغاة؛ الساقطين) (Nephilim) المذكورين في الآيات التالية (التكوين 4:6) هُمْ نسل هذا الاتصال الجنسي بين الملائكة (الساقطين، المذنبين) والبشر[2603]. وقيل غير ذلك[2604].

وبغض النظر عن التفسير الصحيح لـ (التكوين 6:2-4)، مِن المحتمل أن تكون تلك الآيات التوراتية هي الأساس الكتابي للأساطير الشرقية التي نُسِجَت بعد ذلك حول إمكانية وقوع التناكح بين العالم المرئي (الإنس) والعالم غير المرئي (الملائكة أو الجن)، سواء الأساطير اليهودية/المسيحية[2605] أو الأساطير العربية الجاهلية. ومِن الجدير بالذكر أن العرب قبل الإسلام كان يعتقدون أن الملائكة "بنات الله": "وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ (أي: الملائكة)" (النحل 57) "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا (أي: قرابة)" (الصافات 158) و (الأنبياء 26). "قَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَأُمَّهَاتُهُمْ بَنَاتُ سَرَوَاتِ (أي: سادات) الْجِنِّ"[2606].

هذا عند اليهود والمسيحيين الشرقيين والعرب الجاهليين قبل الإسلام، فماذا عند المسلمين اليوم؟ ...

كالعادة، اختلف المسلمون في إمكانية وقوع التناكح بين الإنس والجن. يقول أ. د. عمر سليمان عبدالله الأشقر (كلية الشريعة - الجامعة الأردنية) نقلاً عن ابن تيمية: "وقد يتناكح الإنس والجن، ويولد بينهما ولد، وهذا كثير معروف"[2607]! إلا أن جَمْع مِن العلماء المسلمين قد كرهوا هذا التناكح خوفاً مِن انتشار الفساد في المجتمع، كأن تحمل امرأةٌ سفاحاً من زنا ثم تزعم أن جن ذكر قد اغتصبها لتبرئ نفسها. ولذلك نجد مثلاً موسوعة بيان الإسلام ترفض وقوع هذا التناكح[2608]. لكننا نرى مواقع إسلامية كثيرة على شبكة الإنترنت تتحدث عن إمكانية وقوع التناكح بين الإنس والجن. فيبدو أن هذه المسألة الجنسية لا تزال تشغل بال كثير من المسلمين إلى اليوم.

وكالعادة أيضاً، المشكلة ليست في المسلمين، وإنما في النصوص الإسلامية نفسها، إذ توجد آيات قرآنية وأحاديث نبوية يُمكِن تفسيرها وتأويلها بما يؤيد إمكانية وقوع التناكح بين الإنس والجن.

على سبيل المثال، تقول الآية الشهيرة عن الْحُور الْعِين: "لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ" (الرحمن 56) و (الرحمن 74). و "الطَمْث فى لغة العرب: الجماع"[2609]. "وأصل الطمث خروج الدم ولذلك يقال للحيض طمث، ثم أطلق على جماع الأبكار لما فيه من خروج الدم، ثم على كل جماع وإن لم يكن فيه خروج دم"[2610]. إذن: "لَمْ يَطْمِثْهُنَّ" تعني: لم يجامعهنَّ؛ لم يطأهنَّ؛ لم يَفْضُضْهُنَّ؛ والمقصود إنهن عذارى.

قال الزمخشري وغيره: "لم يطمث الإنسيات منهنّ أحدٌ من الإنس ولا الجِنيَّات أحدٌ من الجن، وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس"[2611]. "فالإنسيات للإنس، والجِنيَّات للجن"[2612].

أما الفخر الرازى فيقول: "الجن لهم أولاد وذريات وإنما الخلاف فى أنهم هل يواقعون الإنس أم لا؟ **والمشهور أنهم يواقعون**، وإلا لما كان فى الجنة أحساب ولا أنساب، فكأن مواقعة الإنس إياهن كمواقعة الجن مِن حيث الإشارة إلى نفيها"[2613].

وجاء عن مجاهد أن الرجل الذي يجامع زوجته ولا يُسمِّي (أي: لا يقول باسم الله) يلتف الشيطان على **"إحليله"** (أى: عضوه الذكرى!) **فيجامع معه** فَذَلِكَ قَوْله: **"لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ"**(2614)**!** ويقول القرآن إن الله قال لإبليس: "وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ (أي: مِن بني آدم) [...] وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ" (الإسراء 64). لاحظ عبارة **"وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَوْلَادِ"**، وهى فعلاً عبارة غامضة يُمكِن تفسيرها وتأويلها كما قال مجاهد. والحل العبقري الذى يُقدِّمه الإسلامُ للبشرية هو أن يقول الرجل **"باسم الله"** قبل أن يجامع زوجته أو أمته**!** قال محمد: "لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ "بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا"، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا"(2615)**!**

علّق الألوسى على ذلك بقوله: "وقيل: لا حاجة إلى ذلك إذ يكفى فى نفى الطمث عن الجن إمكانه منهم، **ولا شك فى إمكان جماع الجنى إنسية** بدون أن يكون مع زوجها الغير الذاكر اسم الله تعالى، ويدل على ذلك ما رواه أبو عثمان سعيد بن داود الزبيدى قال: كتب قوم من أهل اليمن إلى مالك يسألونه عن نكاح الجن، وقالوا: إن ههنا رجلاً من الجن يزعم أنه يريد الحلال، فقال [مالك]: **ما أرى بذلك بأساً فى الدين** ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل قيل: من زوجك؟ قالت: من الجن، فيكثر الفساد فى الإسلام، ثم إن دعوى أن الجن تجامع نساء البشر جماعاً حقيقياً مع أزواجهن إذا لم يذكروا اسم الله تعالى غير مسلَّمة عند جميع العلماء، وقوله تعالى: "وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ" غير نص فى المراد كما لا يخفى"(2616).

وقال القرطبى: "اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَصَفَ الْحُورَ الْعِين بِأَنَّهُ لَمْ يَطْمِثهُنَّ إِنْس قَبْلهمْ وَلَا جَانّ، يُعْلِمك أَنَّ **نِسَاء الْآدَمِيَّات قَدْ يَطْمِثهُنَّ الْجَانُّ**، وَأَنَّ الْحُور الْعِين قَدْ بَرِئْنَ مِنْ هَذَا الْعَيْب وَنُزِّهْنَ"(2617).

وفي العصر الحديث، قال أ. د. عمر سليمان عبدالله الأشقر (كلية الشريعة - الجامعة الأردنية): "ومما يدل على **إمكان وقوع التناكح بين الإنس والجن** قوله تعالى فى حور الجنة: **"لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ"** [الرحمن:56]، فدلت الآية على صلاحيتهن للإنس والجن على حد سواء"(2618)**!**

أما الشيخ الألبانى فيرفض إمكانية وقوع التناكح بين الإنس والجن، وبدأ كلامه بتضعيف ما جاء عن مجاهد، ثم رفض الآراء المؤيدة لإمكانية وقوع هذا التناكح، بما فيها ما قاله ابن تيمية والألوسى(2619).

تعليقنا: نحن لا نؤيد هذا الفريق أو ذاك، فنحن لا نؤمن أصلاً بالجن؛ وإنما نريد فقط أن نلفت النظر إلى غموض الآيات القرآنية التى تسبب مشكلات كبيرة فى حياة المسلمين. ولو كان القرآن كلام الله حقاً، لكان قد أنكر صراحةً أى تناكح بين الإنس والجن، بل لكان قد أنكر وجود الجن. لكن لأن القرآن منتج بشرى ينتمى للثقافة العربية التى تؤمن بوجود الجن، اعترف أصحابُ القرآن بخرافة وجود الجن. ثم اضطروا إلى أن يعترفوا بخرافة "ذرية" الجن، لأن لو لم يكن للجن ذرية لانقرضوا. وخرافة الذرية أدت إلى خرافة أكبر مِنها وهى خرافة تناكح الجن الذكور والجن الإناث، التى أدت بدورها إلى خرافة أبشع مِنها وهى خرافة تناكح الجن والإنس. وهكذا إلى أن أصبحنا أمام سيل مِن الخرافات العربية التى يغرق فيها المسلمون إلى اليوم**!**

مثال آخر، وهذه المرة مِن شبكة الإنترنت التى أصبحت جزءاً لا يمكن تجاهله مِن حياة المسلمين اليوم. يقول القرآن: "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا **اسْتَمْتَعَ** بَعْضُنَا بِبَعْضٍ [...]" (الأنعام 128). لاحظنا أن بعض المواقع الإسلامية تُفسِّر كلمة "اسْتَمْتَعَ" على أنها تشمل الاستمتاع الجنسي، كما قال القرآن في الآية الشهيرة: "فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً" (النساء 24). ونحن طبعاً لا نقول إن هذا هو التفسير الصحيح؛ وإنما نريد فقط أن نلفت النظر إلى غموض الآيات القرآنية التى تسبب مشكلات فى حياة المسلمين. ولو كان القرآن كلام الله حقاً، لكان قد استخدم كلمة أخرى أكثر وضوحاً أو أقل غموضاً، مثل "رَبَّنَا انتفَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ".

وللتأكيد على أن غموض الآيات القرآنية هو السبب فى اختلاف المفسرين اختلافاً شديداً فى تفسيرها، سنعطى مثال أخير مِن سورة الجن: "كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا" (الجن 6). هذه الآية أيضاً تُعبِّر عن عادة جاهلية قديمة. فلقد كان العرب الجاهليون "يستجيرون برجال من الجن فى أسفارهم، إذا نزلوا منازلهم، يقولون: نعوذ بأعز أهل هذا المكان، أو إنى أعوذ بكبير هذا الوادى"[2620]. ما يهمنا هو اختلاف المفسرين في تفسير هذه الآية، مثلاً: اختلفوا في مرجع ضمير الفاعل فى "زَادُوهُمْ رَهَقًا"، فمِنهم مَن قال إن المعنى هو "زاد الإنسُ الجنَّ طغياناً وجرأةً"، ومِنهم مَن قال إن المعنى هو "زاد الجنُّ الإنسَّ خوفاً وإثماً"، ومِنهم مَن جمع بين المعنيين. واختلفوا أيضاً فى معنى "رِجَال مِنَ الْجِنِّ": هل المقصود "ذكور مِن الجن"؟ قال القرطبى: "وَقِيلَ: لَا يُطْلَق لَفْظ الرِّجَال عَلَى الْجِنّ، فَالْمَعْنَى: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَال مِنْ الْإِنْس يَعُوذُونَ مِنْ شَرّ الْجِنّ بِرِجَالٍ مِنْ الْإِنْس، وَكَانَ الرَّجُل مِنْ الْإِنْس يَقُول مَثَلًا: أَعُوذ بِحُذَيْفَة بْن بَدْر مِنْ جِنّ هَذَا الْوَادِي. قَالَ الْقُشَيْرِيّ: وَفِي هَذَا تَحَكُّم إِذْ لَا يَبْعُد إِطْلَاقُ لَفْظ الرِّجَال عَلَى الْجِنّ"[2621]. وقال الفخر الرازى: "لم يقم دليل على أن الذكر مِن الجن لا يُسمَّى رجلاً"، يعني: يُمكِن إطلاق لفظ (رجل) على الجن الذكر[2622]! ولقد لاحظنا أن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية قد ترجم "رِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ" إلى (some men among the Jinn) (des djinns mâles)، أى "جن ذكور"! وترجمها مجمع الملك فهد أيضاً إلى (the males among the jinn)[2623]! بينما ترجمها مترجمون آخرون مثل "عبد الله يوسف علي" و "Pickthall" إلى (persons) و (individuals)[2624]؛ ولعلهم ظنوا أنهم بذلك يتجنبون هذه المشكلة!

نكرر: المشكلة ليست في المسلمين. المشكلة في النصوص الإسلامية نفسها. المسلمون ضحية غموض هذه النصوص وعدم وضوحها، بل هُمْ الضحية الأولى والكبرى. ربنا يهديهم.

4.2.1.5 رسلٌ إلى الجن! رسلٌ مِن الجن؟!

قال القرآن: "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ" (الأنعام 130).

تزعم هذه الآية صراحةً أن الله أرسل رسلاً إلى الجن! لكنها لم تحدد إذا كان هؤلاء الرسل مِن الجن أو مِن الإنس؛ ذلك لأن عبارة "رُسُلٌ مِنْكُمْ" تحتمل كلا الأمرين. فكانت النتيجة الطبيعية هى كالعادة اختلاف المفسرين فى معنى "رُسُلٌ مِنْكُمْ": هل رسل الله من الإنس فقط؟ أَم مِن الجن أيضاً؟![2625]

ولجأ بعض المفسرين – كالعادة أيضاً – إلى حيل، مثل مَن قال إن الجن "ليس منهم رسل، ولكن منهم نُذر، يبلغونهم الرسالات من الإنس"[2626]، واستدل بقول القرآن: "وَإِذْ صَرَفْنَا (أي: بعثنا) إِلَيْكَ [يا محمد] نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ (أي: فرغ محمدٌ من تلاوة القرآن) وَلَّوْا (أي: رجع الجن) إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ" (الأحقاف 29). ونلاحظ هنا أن الجن استطاع أن يفهم اللغة العربية، لغة القرآن! لكن كان يجب أن يقول القرآنُ "مُنْذِرِينَ ومُبشّرِينَ" لأنه لا يُعقَل أن تقتصر مهمتهم على الإنذار فقط!

4.2.1.6 القرآن رسالة عامة للإنس والجن! محمد نبي للإنس والجن!

قال أصحابُ القرآن عن منتجهم: "وَمَا هُوَ (أي: القرآن؛ الإسلام) إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (أي: للإنس والجن)" (القلم 52) (ص 87) (التكوير 27) (يوسف 104) "إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ" (الأنعام 90) "لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" (الفرقان 1)! وقيل إن هذه "ميزة" تميز بها القرآنُ على كل الكتب السابقة، وتميز بها الإسلامُ على كل الأديان السابقة (اليهودية والمسيحية مثلاً)، وتميز بها محمدٌ على جميع الأنبياء والرسل السابقين!

ولا عِلم لنا بنبيٍ قبل نبي الإسلام يزعم أنه رسول للجن! ولا نجد دليلاً واحداً على صحة هذا الزعم إلا المصادر الإسلامية فقط! يعني: self-proclaimed!

فلقد حدَّثنا أصحابُ القرآن عن جماعة مِنَ الْجِنِّ تستمع إلى القرآن وتُعجَب به، بل وتؤمن به! "قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا" (الجن 1-2)! أسئلة تطرح نفسها: أين تَعلَّم هذا النَّفَر من الجنُّ اللغة العربية حتى يسمعوا القرآن ويفهموه بل ويؤمنوا به؟! هل يُعقَل أنهم فهموا القرآن العربي الذى احتار فى تفسيره علماء اللغة العربية إلى اليوم؟!

ليس هذا فحسب، بل ومَن استمع القرآنَ مِنهم عادوا إلى "قومهم" لـ "ينذروهم" العذابَ إنْ لم يؤمنوا ويُبشّروهم بالخلاص إذا آمنوا؛ أي: صار الجن دعاة يدعون قومَهم إلى الإيمان حتى تُغفَر لهم "ذنوبهم" فينجون "مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ"! يقول القرآن: "وَإِذْ صَرَفْنَا (أي: بعثنا) إِلَيْكَ [يا محمد] نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ (أي: فرغ محمدٌ من تلاوة القرآن) وَلَّوْا (أي: رجع الجن) إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا (أي: القرآن) أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ (أي: مُصَدِّقًا لما قبله؛ قيل: مِن كتب الله التي أنزلها على رسله!) يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ (أي: محمداً) وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ (أي: ينقذكم) مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ

فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ (أي: لا يقدر على الهرب من الله) وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (الأحقاف 29-32)!

ونلاحظ فى الآيات السابقة مِن سورة الأحقاف أن أصحاب القرآن قد جعلوا الجن الذين استمعوا إلى القرآن يقولون لـ "قَوْمِهِمْ": "يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى" (الأحقاف 30)! أسئلة كثيرة تطرح نفسها. مثلاً: كيف عرف الجنُّ موسى؟! ولماذا قالوا "إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى" بينما كان ينبغي أن يقولوا "إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ عيسى"؟!

ترد موسوعة بيان الإسلام على هذا السؤال الأخير بما يلى: "ذلك له احتمالان: إما لأنهم (أى: هؤلاء الجن) كانوا على اليهودية، وإما لأنهم قالوا حسب علمهم، ولم يعلموا إلا بموسى عليه السلام وشريعته"[2627].

تعليقنا: الاحتمالان خاطئان. الأول خاطئ لأنه لا يوجد شيء فى الديانة اليهودية اسمه "جِن يهودى". والثانى خاطئ لأن القرآن يقول إن الجن استمعوا إلى القرآن وآمنوا به وقالوا "سَمِعْنَا كِتَابًا [...] مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ"، والقرآن المكي نفسه يذكر عيسى، فكيف آمن الجنُّ بالقرآن ومع ذلك لم يعلموا بأمر عيسى؟!

إذن: إنها مجرد تبريرات واهية تقولها البروباجاندا الإسلامية بدون دليل أو منطق.

4.2.1.7 الجِن طوائف: مِنهم المسلم ومِنهم غير المسلم!

قال القرآن على لسان الجِن: "وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ (أي: الجائرون بكفرهم) فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا. وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا" (الجن 14-15).

تقول موسوعة بيان الإسلام: "والقول الحق: أن الجن عالم ثالث غير الملائكة والبشر، وأنهم مخلوقات عاقلة واعية مدركة، ليسوا بأعراض ولا جراثيم، وأنهم مكلّفون مأمورون منهيون، ولهم عقائد وديانات مثل الآدميين تماماً"[2628]!

الجن لهم عقائد وديانات مثل الآدميين تماماً!

أسئلة لكل مسلم عاقل: هل الجن المسلم جِن سني أم جِن شيعي أم جِن صوفي؟ وهل يوجد جن يهودي وجن مسيحي وجن هندوسي وجن بوذي وجن لاديني وجن لاأدري (agnostic) ... الخ؟! وهل يوجد "حد الردة" عند الجن؟! وهل يوجد تمييز وعدم مساواة بين الجن المسلمين والجنيّات المسلمات كما هو الحال بين الإنس؟ مثلاً: هل الجني المسلم يكتفي بزوجة واحدة؟ أم مِن حقه أن يتزوج "مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ" مثل الإنسي المسلم؟! وهل شهادة الجنيّة المسلمة في محاكم الجن تعادل نصف شهادة الجني المسلم؟! وهل ترث الجنيّة المسلمة نصف ما يرثه أخوها الجني المسلم؟!

والسؤال الأهم هو: إذا كان باب الإسلام مفتوحاً أمام كل الجن، فلماذا لا يدخل الشيطان (إبليس) فيه ويصير مسلماً فيرتاح المسلمون منه ومِن شروره؟! أم أن انقسام المسلمين واقتتالهم وحروبهم الأهلية في العصر الحالي هي التي تمنع الشيطان (إبليس) من الدخول في الإسلام؛ لأنه إنْ صار مسلماً فسينضم لأي فريق من المسلمين المتحاربين؟!

4.2.1.8 الجن مُكلَّف بعبادة الله! ويشارك الإنس في نوع التكليف بالأمر والنهى والتحريم والتحليل!

تقول الآية القرآنية الشهيرة: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (الذاريات 56).

وفي قراءة أخرى، تقول نفس الآية: "وَمَا خَلَقْت الْجِنّ وَالْإِنْس مِنْ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ". وطبعاً مسلمون كثيرون سيقولون إن هذه قراءة شاذة، على الرغم من أنها مذكورة في تفاسير ومراجع كثيرة. على سبيل المثال، قال الضحاك: "هذا خاص لأهل طاعته مِن الفريقين، يدل عليه قراءة ابن عباس: "وَمَا خَلَقْت الْجِنّ وَالْإِنْس مِنْ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ""[2629]. وقال القرطبى: "فِي قِرَاءَة عَبْد اللَّه: "وَمَا خَلَقْت الْجِنّ وَالْإِنْس مِنْ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ""[2630]. وقال الشوكاني: "فالآية محمولة على المؤمنين منهم، ويدل عليه قراءة ابن مسعود وأبى بن كعب: "وَمَا خَلَقْت الْجِنّ وَالْإِنْس مِنْ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ""[2631].

قال الخازن في تفسيره: "والحاصل مِن الكتاب والسنة العلم القطعى بأن الجن والشياطين موجودون متعبدون بالأحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقتهم وبحالهم، وأن النبي ﷺ رسول إلى الإنس والجن فمَن دخل فى دينه فهو من المؤمنين ومعهم فى الدنيا والآخرة والجنة، ومَن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره"[2632]!

وفي عصرنا الحالي، يقول أ. د. عمر سليمان عبدالله الأشقر (كلية الشريعة - الجامعة الأردنية) نقلاً عن ابن تيمية: "الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلين للإنس فى الحدّ والحقيقة؛ فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس فى الحدّ، لكنهم مشاركون الإنس فى جنس التكليف بالأمر والنهى، والتحليل والتحريم، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين"[2633]! وتقول موسوعة بيان الإسلام: "الجن جنس يشارك الإنس فى نوع التكليف بالأمر والنهى والتحريم والتحليل، وعالمهم فيه المؤمن والكافر، وكفارهم هُمْ الشياطين"، "ورأس الكفر عندهم هو رأس الشر كله وهو إبليس" – أول الشياطين[2634]! ويقول كاتب مسلم آخر: "والجن ثقل – بفتح الثاء والقاف – مكلف بالعبادات الانسانية .. من صلاة وصيام .. وزكاة .. وحج .. وتحر للحلال .. فى مآكلهم ومشاربهم .. ونسائهم"[2635]!

سؤال للمسلمين العقلاء نسبياً: أين الآيات القرآنية التي تنظم حياة الجن من صلاة ووضوء وصيام وحج وعمرة وحلال وحرام ... الخ؟! أين الأحاديث النبوية الصحيحة التي تنظم علاقة الجن ببعضهم البعض من زواج وطلاق وزكاة وقِصاص وجهاد وحلال وحرام ... الخ؟! وهل آمن الجن المسلم بصحيحي البخاري

ومسلم؟! وهل يوجد لدى الجن المسلم "علم مصطلح الحديث" و "أصول التفسير" و "الفقه على المذاهب الأربعة" ... الخ؟! وإذا كان الإنس قد أنتجوا كماً هائلاً من الكتب الفقهية التي تتحدث عن الحلال والحرام، فهل أنتج الجن كتباً أخرى في الفقه توضح الأحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقتهم وبحالهم؟!

إذا أعمل المسلمُ عقلَه لمدة خمس دقائق في عقيدة الإيمان بوجود الجن والعفاريت، سيرفض القرآنَ ويترك الإسلامَ.

4.2.1.9 الجِن طوائف: مِنهم الصالح ومِنهم غير الصالح!

قال القرآن على لسان الجن: "وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (أي: فرقاً أو مراتب مختلفة)" (الجن 11). إذن: حسب العقيدة الإسلامية، الجن يتفاوتون فى الكفر والمعصية كما يتفاوتون فى الطاعة شأن كل مُكلَّف!

قال القرطبى فى تفسيره لهذه الآية (الجن 11): "لَمْ يَكُنْ كُلّ الْجِنّ كُفَّارًا، بَلْ كَانُوا مُخْتَلِفِينَ: مِنْهُمْ كُفَّار، وَمِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ صُلَحَاء، وَمِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ غَيْر صُلَحَاء. وَقَالَ الْمُسَيِّب: كُنَّا مُسْلِمِينَ وَيَهُود وَنَصَارَى وَمَجُوس. وَقَالَ السُّدِّيّ فِي قَوْله تَعَالَى: "طَرَائِق قِدَدًا" قَالَ: فِي الْجِنّ مِثْلُكُمْ: قَدَرِيَّة، وَمُرْجِئَة، وَخَوَارِج، وَرَافِضَة، وَشِيعَة، وَسُنِّيَّة"[2636]!

أسئلة لكل مسلم عاقل: هل تُصدِّق هذه الخرافات؟! وهل يجاهد الجن المسلم ضد الجن غير المسلم؟! أين الآيات القرآنية التي تنظم "الجهاد" عند الجن؟! وهل لا يزال الجن اليهودي والنصراني يدفع الجزية للجن المسلم؟! وهل يوجد اقتتال بين الجِن السُّنة والشيعة كما يتقاتل الإنس السُّنة والشيعة؟!

4.2.1.10 الجن له قدرة على الحياة على كوكب الأرض الذي يسكنه الإنس!

والدليل القرآني على ذلك هو استخدام صيغة الجمع فى قول الله لآدم وحواء والشيطان: "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. [...] اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا" (البقرة 36-38) و (الأعراف 24). ولم تكن هذه الآية القرآنية العربية غريبة على المجتمع العربي الجاهلي، فلقد كان العرب الجاهليون قبل الإسلام يؤمنون بأن الجن يسكن الأرض. يقول د. جواد علي عن مواطن الجن في نظر العرب الجاهليين: "وأهم مواطن الجن فى نظر الجاهليين، هى المواضع الموحشة، والأماكن المقفرة التى لا تطرق إلا نادراً والمحلات التى لا تلائم الصحة، والمقابر والأماكن المظلمة والمهجورة. ففى مثل هذه المواطن تنزل الجن، وتفضل الاقامة بها، وسبب ذلك، هو أن الإنسان يخشى هذه المواضع، ويحس بشىء من الخوف والوحشة من الدخول اليها، فقد يتعرض فيها الى التهلكة، فأوحى هذا الاحساس اليه أنها (مسكونة)، وأن سكانها هم الجن. [...] والمواضع المذكورة هى المواضع المفضلة المختارة لسكنى الجن. غير أن مواطن الجن غير

محدودة ولا معينة، إنها تسكن كل موضع ومكان، حتى بيوت الناس لا تخلو منها، بل حتى البحار والسماء لا تخلو منها كذلك، فدولتها إذن على هذا الوصف أوسع من دولة الإنسان"[2637].

وقال الحديث الصحيح إن الشيطان يذهب إلى السوق، بل يثبت هناك: "لاَ تَكُونَنَّ إن اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ"[2638]! قال النووي في شرح هذا الحديث الصحيح: "فشبَّه السوق وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم بالمعركة، لكثرة ما يقع فيها مِن أنواع الباطل كالغش والخداع وَالْأَيْمَان الخائنة والعقود الفاسدة وَالنَّجْشِ والبيع على بيع أخيه والشراء على شرائه وَالسَّوْمِ عَلَى سَوْمِهِ، وبخس المكيال والميزان. قوله: (وَبِهَا تُنْصَبُ رَايَتُهُ) إشارة إلى ثبوته هناك، واجتماع أعوانه إليه لِلتَّحْرِيشِ بين الناس، وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها، فهي موضعه وموضع أعوانه"!

سؤال: وماذا عن الأسواق الالكترونية (e-commerce)، هل يذهب إليها الشيطان أيضاً؟! أفيدونا أفادكم الله! وماذا عن الكواكب الأخرى (المريخ مثلاً) هل يوجد بها جن وعفاريت وشياطين؟!

وقالت موسوعة بيان الإسلام: "أعطى الله عز وجل للشيطان القدرة على اختراق كل مانع واجتياز كل ساتر، ما لم يُذكَر اسم الله، فإذا ذُكِرَ اسم الله فلا سبيل له ولا سلطان له"[2639]!

تعليقنا: أكثر دول في العالم يُذْكَر فيها اسمُ الله هي الدول الإسلامية، ومع ذلك يكثر فيها العنف والقتل والإرهاب والكذب والغش والظلم والاستبداد والتحرش الجنسي والإهمال ... الخ.

4.2.1.11 علاقة الجن والشيطان بالإنسان: وسوسة ... وعُقَد ... وبول ... وقرين ... ومَسّ!

يقول القرآنُ "إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا" (النساء 76). فهل هذا صحيح؟

تحدث القرآن كثيراً عن علاقة الجن والشيطان بالإنسان. بل إن المصحف الحالي ينتهي بسورة تتحدث عن "الوسوسة" وتوجِّه المسلمين إلى أن يعوذوا بالله "مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ" (الناس 4-6)، أي مِن شياطين الجن والإنس. وكذلك قال أصحابُ القرآن لمحمد: "وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ (أي: يصيبنَّك) مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ" (الأعراف 200).

وذكرت كتب السُّنَّة أحاديثاً صحيحة كثيرة توضِّح علاقة الجن والشيطان بالإنسان. على سبيل المثال:

- يقول حديث صحيح أخرجه الشيخان البخاري ومسلم إن الشيطان يربط على قفا النائم 3 عُقَد حتى ينام نوماً ثقيلاً فلا يقوم للصلاة، فإن استيقظ النائمُ وذكر الله انحلت عقدة، وإن توضأ انحلت عقدة، وإن صلى انحلت عُقَده كلها! قال محمدٌ: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ (أي: على مكان كل عقدة): عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ (أي: نم ولا تعجل بالقيام). فَإِنْ اسْتَيْقَظَ [النائمُ] فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ"[2640]!

تعليقنا على هذا الحديث: ما قاله محمدٌ خطأ، وذلك لأن معظم سكان أمريكا وأوروبا غير مسلمين، ولا يتوضأون ولا يصلون، وعلى الرغم من ذلك لا يقومون من نومهم كسالَى، بالعكس يقومون فى قمة النشاط والحيوية، بدليل تقدمهم فى كل مجالات الحياة.

- ويقول حديث صحيح آخر رواه الشيخان البخاري ومسلم أيضاً إن الشيطان بال فى أذن رجلٍ ظل نائماً حتى أصبح وما قام إلى الصلاة! يقول الحديث الصحيح: ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ. قَالَ [محمدٌ]: "ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ" أَوْ قَالَ "فِي أُذُنِهِ"[2641]!

وكالعادة، اختلف المسلمون في "بول" الشيطان ولجأوا إلى حيل لغوية أو بلاغية للدفاع عن هذا الحديث الصحيح المذكور في صحيحي البخاري ومسلم (أصح كتابين بعد القرآن). فقيل: إن البول على حقيقته، "ولكنه بول ليس مثل بول الدواب، إنه بول لا مادى"[2642]! تعليقنا: نحن بصراحة لا ندرى ما المقصود بهذا التعبير الأكثر غرابة "بول لا مادى"! وقيل: "هو كناية عن سد الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة". وقيل: "معناه أن الشيطان استولى عليه، واستخف به، حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول"! وقيل: "هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم، كمن وقع البول في أذنه، فثقل أذنه، وأفسد حسه". وقيل غير ذلك[2643].

أما موسوعة بيان الإسلام التي طُبِعَت ونُشِرَت في مصر تحت إشراف نخبة من كبار العلماء المسلمين (أكثر من 200 عالم وباحث فى تخصصات مختلفة) فقالت تعليقاً على هذين الحديثين الصحيحين المذكورين في صحيحي البخاري ومسلم: "ولا مانع مِن كون العقد على الحقيقة، وكذلك بول الشيطان، قال القرطبى وغيره: لا مانع من ذلك إذ لا إحالة فيه؛ لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح، فلا مانع من أن يبول"[2644]!

تعليقنا: هل يُعقَل هذا الكلام العجيب؟! المشكلة هي أن هذه الأحاديث الصحيحة مذكورة فى الصحيحين البخارى ومسلم، أى فى أعلى درجات الصحة، فلا يستطيع مسلم سُني أن ينكرها أو يشكك فيها!

بل إن حتى الأنبياء – اللي المسلمون بيقولوا عليهم "معصومين" – لم يسلموا مِن الجن والشياطين. يقول القرآن: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا (أي: خداعاً للسامعين) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ" (الأنعام 112) "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ" (الحج 52) "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" (ص 41). وقال القرآن عن آدم: "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ [...]" (طه 120)؛ "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ (أى: فَوَسْوَسَ الشَّيْطَانُ لآدم وحواء) [...]" (الأعراف 20)؛ "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ [...]" (البقرة 36).

وإمعاناً فى تخويفنا مِن الجن والشياطين، حدَّثنا أصحابُ القرآن عن "القرين" الذي يصاحب كل إنسان على الأرض: "قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ (أي: من أهل الجنة) إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (an intimate companion; a

comrade)" (الصافات 51)، أي: مصاحبٌ ملازمٌ لي في الدنيا؛ وقيل: شيطانٌ يشككني في البعث والحساب والجزاء. وفي آية قرآنية أخرى أكثر وضوحاً: "وَمَنْ يَعْشُ (أي: يُعْرِض أو يتعامى) عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ (أي: نجعل) لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ" (الزخرف 36). ويقول القرآن أيضاً: "وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ" (فصلت 25). "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ" (فصلت 29)، لاحظ استخدام صيغة المثنى فى "اللذين أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا".

بل جاء في صحيح مسلم أن لكل إنسان "قرينٌ" مِن الجن! حتى محمد نفسه يصاحبه شيطانٌ! لكن الله أعان محمداً على هذا الشيطان الذي يصاحبه حتى أسلَم (أي: صار مسلماً مؤمناً، وهذا هو الظاهر؛ وقيل: استسلم وانقاد)! قال محمدٌ لأصحابه: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ". قَالُوا [لمحمد]: "وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ!" قَالَ [محمدٌ]: "وَإِيَّايَ. إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ"! وهذا الحديث الصحيح يدل على أن لكل صحابي قرينٌ من الجن قد يأمره بالشر، مما يدل على أن الصحابة ليسوا بالضرورة كلهم عدول. ويقول الحديث الصحيح الذي يليه إن عائشة غارت على محمد فسألها محمدٌ: "أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ؟" قَالَتْ [عائشة]: "يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوَ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟" قَالَ: "نَعَمْ". قُلْتُ: "وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟" قَالَ: "نَعَمْ". قُلْتُ: "وَمَعَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ!" قَالَ: "نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ"[2645]!

أسئلة لكل مسلم عاقل: ما هي طبيعة العلاقة بين محمد وقرينه الشيطان قبل أن يسلم؟ وهل كان الملاك جبريل يأتيه وهو معه قرين شيطان من الجن؟! وكيف يكون محمد "سيد الخلق" و "أشرف المرسلين" كما يتوهم المسلمون وهو معه قرين شيطان من الجن؟! هل الأنبياء والرسل قبل محمد كان معهم قرناء شياطين من الجن؟! لا نسمع عن تلك الأمور العجيبة إلا في الدين العربي (الإسلامي)!

مما سبق يتضح مدى قرب الشيطان إلى الإنسان حسب الدين الإسلامي، لدرجة أن أحاديث صحيحة كثيرة تقول "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ"[2646]! قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "كما أن الروح تجرى من الجسد مجرى الدم، والروح جسم لطيف؛ فكذلك الشياطين أجسام لطيفة تخترق الأجسام الكثيفة" أجسام البشر[2647]! وفي حديث صحيح آخر، قال محمدٌ: "وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ"[2648]! وفي حديث صحيح آخر، قال محمدٌ: "إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ"[2649]! وفي حديث صحيح آخر، قال محمدٌ: "إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ (أي: يخرج الماءَ مع ما في أنفه من مخاط وشبهه بعد الاستنشاق) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ (وفي رواية البخاري: الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ)"[2650]! الْخَيْشُومُ: أَعْلَى الْأَنْفِ؛ وَقِيلَ: هُوَ الْأَنْفُ كُلُّهُ؛ وَقِيلَ: هِيَ عِظَامٌ رِقَاقٌ لَيِّنَةٌ فِي أَقْصَى الْأَنْفِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدِّمَاغِ؛ وقيل غير ذلك! وكالعادة، اختلفوا في تفسير هذا الحديث الصحيح الذي لا علاقة له بالعلم ولا بالعقل: قيل إن معنى أن الشيطان يبيت على أنف الإنسان على حقيقته؛ وقيل: يحتمل أن يكون على الاستعارة فإن ما ينعقد من الغبار

ورطوبة الخياشيم قذارة توافق الشيطان؛ وقيل: الله أعلم! ونحن نرى – في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة الأخرى التي تعبر عن مدى قرب الشيطان إلى الإنسان حسب العقيدة الإسلامية – أن محمد قصد المعنى على حقيقته، وإلا كان ينبغي أن يستخدم كلمة أخرى غير "الشيطان".

يعني: الشيطان قريب من أذن المسلم! والشيطان قريب من فم المسلم! والشيطان قريب مِن أنف المسلم! والشيطان قريب مِن قفا المسلم! والشيطان يجري من المسلم مجرى الدم! المسلم مُحاصَر بالشيطان من كل جهة. والمقصود بـ "الشيطان" هو الشيطان (إبليس) بمعناه الحرفي، بدليل أن القرآن نفسه يقول: "قَالَ [إبليس للرب] فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ (أي: لأجتهدنَّ في إغواء بني آدم عن) صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ (أي: من جميع الجهات والجوانب)" (الأعراف 16-17).

ويجب على المسلم السني أن يؤمن بهذه الأساطير التي لا علاقة لها بالعلم ولا بالعقل، وإلا سيصبح منكراً للقرآن والسُّنَّة الصحيحة (البخاري ومسلم وغيرهما)!

قد يقول قائل: كل أمة لها أساطيرها، فما المشكلة إذا كان للمسلمين أيضاً أساطيرهم؟

نقول: المشكلة هي أن المسلمين يعتقدون أن هذه الأساطير "حق مطلق" مُوحَى به مِن الله، وأن كل إنسان يجب أن يؤمن بالقرآن والسُّنَّة وإلا يصبح كافراً فى نظرهم! قال شيخ الجامع الأزهر: "الوحي يشمل القرآن والسنة. والتفريط في المقدسات (يقصد: البخاري ومسلم والسيدة عائشة) تفريط في شرف أمة"[2651]! فكانت النتيجة الحتمية هي أن المسلمين المخلصين يجاهدون ويقاتلون فيقتِلون ويُقتَلون (وأحياناً: يُقتَلون ويقتِلون في العمليات الانتحارية مثلاً) مِن أجل نشر هذه الأساطير القرآنية والنبوية لأنهم يعتبرونها "الحق الإلهي المقدس" الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!

ثم إن الأمم الأخرى (رومان، يونان، هنود، صينيين، ... الخ) قد تحرروا مِن أساطيرهم القديمة، وانتقلوا – بل انطلقوا – إلى عصر العقل والعلم. أما المسلمون فما زالوا يعيشون فى عصر الخرافة والأسطورة. وما زالت الأساطير والخرافات تؤثر سلباً فى حياة المسلمين إلى اليوم. على سبيل المثال: نشاهد فى بعض الفيديوهات على شبكة الإنترنت مشاهد لشيخ يضرب رجلاً مسَّه جِنٌ أو دخل فيه شيطانٌ. إن هذه المشاهد المضحكة المبكية ليست بعيدة عن الإسلام، إذ يوجد حديث صحيح يقول إن رجلاً اسمه "عثمان بن أبى العاص" جاء لمحمد، ولمَّا اكتشف محمد أن عثمان به شيطان، ضرب بيده على صدر عثمان وتفل فى فمه، وأمر هذا الشيطان بالخروج مِن بدن عثمان! هذا الحديث الصحيح مذكور في سنن ابن ماجه "كتاب الطب"! عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ، جَعَلَ يَعْرِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلَاتِي، حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "ابْنُ أَبِي الْعَاصِ؟" قُلْتُ: "نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ". قَالَ: "مَا جَاءَ بِكَ؟" قُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَاتِي، حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي". قَالَ [محمدٌ]: "ذَاكَ الشَّيْطَانُ، ادْنُهْ". فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُور قَدَمَيَّ، قَالَ: فَضَرَبَ

[محمدٌ] صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَفَلَ فِي فَمِي، وَقَالَ: "اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ"، فَفَعَلَ [محمدٌ] ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ [لعثمان]: "الْحَقْ بِعَمَلِكَ". قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: "فَلَعَمْرِي مَا أَحْسِبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ"[2652]!

يجب على المسلمين أن يتحرروا أولاً من الأساطير الموجودة في القرآن والسُّنَّة قبل أي كلام عن تقدم علمي أو ازدهار فكري. وإلا فما يبنيه معلم المدرسة وأستاذ الجامعة في سنوات وعقود طويلة، سيهدمه شيخ الجامع في دقائق معدودة بل في لحظات.

4.2.1.12 بعض الجن والعفاريت والشياطين ساعدوا النبي والمَلِك سليمان! وكان الله يحفظهم!

يقول الكتاب الذي يقدّمه المسلمون للبشرية على أنه أصح كتاب في الكون: "وَحُشِرَ (أي: جُمِعَ) لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (أي: يتلاحقون؛ يَرُدُّ أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحدٌ عن منزلته التي هي مرتبة له؛ والمقصود: ينتظمون جميعًا في صفوف حسب نظام دقيق مثل الجيش في الحرب)" (النمل 17) "قَالَ [سليمانُ لهم] يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا (أي: بعرش ملكة سبأ) قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (أي: خاضعين منقادين مستسلمين طائعين؛ وقيل: يعتنقوا الإسلام دين التوحيد). قَالَ عِفْرِيتٌ (أي: مارد قوي) مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ (أي: قبل أن تقوم من مجلسك هذا! والمقصود: بسرعة فائقة!) وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ. قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ (أي: في طرف عين؛ قَبْلَ أن تغمض عينك وتفتحها؛ يقصد: في لحظةٍ واحدة!) فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ (أي: فَلَمَّا رأى سليمانُ عرشَ ملكة سبأ حاضراً أمامه!) قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي" (النمل 38-40)!

ولو سألتهم: كيف انتقل عرش ملكة سبأ من اليمن إلى أورشليم في لحظة؟! سيقولون: الله أعلم! الله قادر على كل شيء! كالعادة، لمَّا بيتزنقوا بيستخبوا وراء الله. لكن هل يُعْقَل أن الله الذي قال "لاَ تَسْرِقْ" (الخروج 15:20) (التثنية 19:5) يرسل نبياً – هو سليمان – يخطف عرشَ ملكة سبأ بدون رضاها وبدون مقابل، أي: يسرقه؟! بل هل يُعْقَل أن نبياً من أنبياء الله يخطط لعملية سرقة وهو جالس مع "عِفْرِيت مِنَ الْجِنِّ" (النمل 39)؟! هذه أسئلة للعقلاء فقط. والعجيب أن سليمان "قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي" (النمل 40) وكأن الله يبيح السرقة والتعامل مع العفاريت والجن! حاشا وكلا.

ويقول القرآنُ أيضاً إن سليمان دعا الله قائلاً "رَبِّ اغْفِرْ لِي [ذنبي] وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" (ص 35)، فاستجاب اللهُ له وسخَّر له الشياطين، فمِنهم البناؤون على البر والغوَّاصون في البحر: "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً (أي: رخية هينة طيّعة لينة) حَيْثُ أَصَابَ (أي: حيث قصد وأراد). وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (أي: مربوطين بعضهم مع بعض في القيود والأغلال والسلاسل!)" (ص 36-38) "وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ [في البحر؛ قيل: ليستخرجوا له اللآلئ والجواهر] وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (أي: الله يحفظهم للقيام بهذه المهام الشاقة فلا

يهربون ولا يتمرَّدون على سليمان؛ وقيل: يحفظ أعمالهم؛ وقيل: يراقبهم فلا ينالون أحداً بسوء)" (الأنبياء 82) "وَمِنَ الْجِنّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ (أي: أمام سليمان) بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. يَعْمَلُونَ لَهُ (أي: لسليمان) مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ (أي: دور عبادة؛ هيكل سليمان بأورشليم؛ أبنية وحصون وقصور) وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ (أي: قِصَاع كبيرة كالأحواض الكبيرة الواسعة التي يجتمع فيها الماء) وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ (أي: أوان للطبخ ثابتات لا تضطرب ولا تتحرك من أماكنها لسعتها وضخامتها)" (سبأ 12-13)!

ما هذا؟!

شياطين يبنون على البر الهيكلَ والقصور والحصون! وشياطين يَغُوصُون في أعماق البحر ليستخرجوا اللؤلؤ والمرجان! شياطين مخلوقين من نار يغوصون في الماء! كيف؟! وسليمان – الذي يُفترَض أنه كان نبياً و/أو مَلِكاً – يشتغل مع شوية "شياطين"! والله يحفظ هؤلاء الشياطين "كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ" (الأنبياء 82) "فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ" (سبأ 14)! وشياطين مخلوقين من نار ومقيدين بالسلاسل! كيف؟!

هل يوجد إنسان عاقل يُصدِّق هذا الكلام القرآني العربي؟!

نتمنى أن تكون الإجابة بالنفي، لا سيما إذا عرفنا أن هذه الأساطير القرآنية مستوحاة من الأساطير الجاهلية المتأثرة بلا شك بأساطير أهل الكتاب. يقول د. جواد علي: "ونجد فى شعر الشعراء الجاهليين أمثال (أمَيَّة بن أبي الصَّلت) و (الأعشى) إشارات إلى الجن. وَهُمْ مِن أهل الجاهلية الذين كان لهم اتصال بأهل الكتاب وبكتبهم، وقد زعم أن بعضاً منهم كان قد قرأ تلك الكتب ووقف على العبرانية أو السريانية. ولهذا ورد فى شعرهم شيء من قصص أهل الكتاب. وفى جملته ما ذكرته من اشاراتهم الى الجن. وتراهم يربطون بينها وبين (سليمان). أخذوا ذلك ولا شك من الأساطير العبرانية، التى صيّرت الجن فى خدمة (سليمان)"[2653].

وتوجد تفاصيل مثيرة أخرى في قصة سليمان سنذكرها في وقتٍ لاحق. تفاصيل يتعجب الأطفالُ الصغار من عدم معقوليتها. ونكتفي الآن بهذا القدر الذي يؤكد أن أسطورة سليمان القرآنية تكفي وحدها كدليل قاطع يثبت أن القرآن كلام بشر.

القرآن كلام العرب. ما القرآن إلا تطور بشري طبيعي للتراث العربي (الجاهلي) والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) والتراث اليهودي.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

4.2.1.13 الجن سيموتون!

يقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم إن محمد كَانَ يَقُولُ: "أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ"[2654]!

ويقول القرآن: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" (الرحمن 26-28) "وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ" (القصص 88).

وفُهِمَ مِن هذه الآيات القرآنية أن الملائكة أيضاً ستموت! يقول تفسير القرطبي لـ "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ" (الرحمن 26): "وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ. فَنَزَلَتْ: "كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (أي: إلَّا وَجْهَ الله فقط)" (القصص 88) فَأَيْقَنَتِ الْمَلَائِكَةُ بِالْهَلَاكِ، وَقَالَهُ مُقَاتِلٌ"[2655].

سؤال لكل مسلم عاقل: هل الجن و/أو الملائكة تمرض بأمراض الشيخوخة وغيرها من الأمراض؟!

4.2.1.14 الجن سيُبعَثون ويُحاسَبون يوم القيامة!

عرض أصحابُ القرآن حسابَ الجن والإنس يوم القيامة عرضاً مخيفاً مرعباً! فقالوا: "سَنَفْرُغُ لَكُمْ (أي: في الآخرة بعد بعثكم سنتفرغ لحسابكم ومجازاتكم على أعمالكم التي عملتموها في الدنيا) أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (أي: الجن والإنس). [...] يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا (أي: تخرجوا هاربين) مِنْ أَقْطَارِ (أي: مِن جوانب) السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (authority) (أي: إلا بقوة وقدرة؛ إلا بإذن وأمر من الله؛ والمراد: لا قدرة لكم ولا إذن). [...] يُرْسَلُ (أي: يُصَبُّ) عَلَيْكُمَا [أيها الجن والإنس] شُوَاظٌ (أي: لهب!) مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ [مذاب] (وقيل إن النحاس هو الدخان!) فَلَا تَنْتَصِرَانِ (أي: لا تقدران على دفع هذا العذاب!؛ لا تقدران على الهروب مِن قضاء الله). [...] فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ [يوم القيامة] فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (أي: حمراء كلون الورد؛ كدهن الزيت المغلي المحترق؛ كالجلد الأحمر). [...] فَيَوْمَئِذٍ (أي: يوم القيامة) لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (أي: لأن جوارحهم وجلودهم تشهد عليهم؛ لأن الملائكة تعرفهم؛ لأن الملائكة تعرف ذنوبَ المجرمين منهم). [...] يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ (أي: الكافرون؛ المشركون؛ الآثمون) بِسِيمَاهُمْ (أي: بعلامة وهيئة بشعة يتميزون بها) فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي (forelocks) (أي: بمقدمة رؤوسهم؛ جمع ناصية وهي الشعر في مقدم الرأس) وَالْأَقْدَامِ (أي: يُجمَع بين رؤوسهم وأقدامهم في سلاسل أو غير ذلك! ويُلقى بهم في جهنم). [...] هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ. يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (أي: تارة يُعذَّبون في الجحيم، وتارة أخرى يُسقون مِن الحميم، وهو شراب شديد الحرارة بلغ الغاية في الغليان يقطِّع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء! وقيل: يُصَبُّ على وجوههم!)" (الرحمن 31-44).

ونستنتج مِن جميع الآيات القرآنية السابقة أن أصحاب القرآن لم يكن خيالهم واسعاً بما فيه الكفاية، فلقد صوَّروا الجنَّ في صورةٍ تشبه إلى حد كبير صورة الإنس: لَهُمْ وجوه ورؤوس ونوَاصِي (أي: مقدمة رؤوس وَأَقْدَام وقُلُوبٌ وأَعْيُنٌ وآذَانٌ وبطون وأمعاء وأحشاء! إنها إذن مجرد حالة من حالات التجسيم (corporealism) والتشبيه (anthropomorphism) التي كانت سائدة في مخيلة العرب وغيرهم من شعوب الشرق الأوسط آنذاك.

4.2.1.15 عقاب كفار الجن والمشركين والآثمين مِنهم هو دخولهم نار جهنم!

قال القرآن على لسان الجن: "وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ (أي: الجائرون بكفرهم) فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا. وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا" (الجن 14-15).

وقال القرآن في آيات أخرى: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا (أي: خلقنا) لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ" (الأعراف 179) "وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (أي: من الجن والإنس) أَجْمَعِينَ" (السجدة 13) "وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (هود 119) "قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ" (الأعراف 38) "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا [أيها الجن والإنس] تُكَذِّبَانِ. هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ" (الرحمن 42-43) "قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ (أي: إلا عصاة الموحدين، فلهم وقت محدود في النار ثم يخرجون منها!)" (الأنعام 128).

إذن: كما صوَّر أصحابُ القرآن الجنَّ في صورةٍ تشبه إلى حد كبير صورة الإنس، كذلك جعلوا عقاب الجنِّ في الآخرة يكاد يكون مطابقاً لعقاب الإنس. "وأجمع العلماء على أن الكافر مِن الجن يدخل النار، ومؤمن الجن يدخل الجنة"[2656]! والسؤال الذي يطرح نفسه هو: إذا كان الجن أصلاً مخلوق من نار، فما معنى أن يُعاقَب بدخول النار؟!

4.2.1.16 أما الجن المسلم الصالح فسيدخلون – ذكوراً وإناثاً – الجَنَّة التى يحلم بها المسلمون!

في الإسلام، باب الخلاص (النجاة) مفتوح أمام الجن إذا تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات ...

تقول سورة الرحمن: "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا [أيها الجن والإنس] تُكَذِّبَانِ. وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ" (الرحمن 45-46) "فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ (أي: لم يجامعهنَّ؛ لم يطأهنَّ؛ لم يَفْضُضْهُنَّ) إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ" (الرحمن 56) "حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ" (الرحمن 72-74).

قال ابن كثير: "وَهَذِهِ الْآيَة (الرحمن 46) عَامَّة فِي الْإِنْس وَالْجِنّ، فَهِيَ مِنْ أَدَلّ دَلِيل عَلَى أَنَّ الْجِنّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّة إِذَا آمَنُوا وَاتَّقَوْا"[2657]! وقال الشوكانى: "وفى هذه الآية (الرحمن 56) بل فى كثير من آيات هذه السورة دليل أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا بالله سبحانه وعملوا بفرائضه، وانتهوا عن مناهيه"[2658]!

وقال القرطبى: "فِي هَذِهِ الْآيَة (الرحمن 56) دَلِيل عَلَى أَنَّ الْجِنّ تَغْشَى كَالْإِنْسِ، وَتَدْخُل الْجَنَّة وَيَكُون لَهُمْ فِيهَا جِنِّيَّات"[2659]! وقال تفسيرُ الجلالين إن "قَاصِرَات الطَّرْف" (الرحمن 56) تعني: زوجات لا يَنْظُرن إلا "عَلَى أَزْوَاجهنَّ الْمُتَّكِئِينَ مِنْ الْإِنْس وَالْجِنّ"[2660]! وقال د. شوقي ضيف في تفسيره لـ "حُورٌ مَقْصُورَاتٌ

فِي الْخِيَامِ" (الرحمن 72): "أي مخدَّرات مكتنَّات فيها (يقصد: مصونات مستورات في خيام الجنة) وقيل بل مقصورات أبصارهن وقلوبهن على أزواجهن"[2661].

هل الجنة سيكون فيها خيام؟! ولو كان الإسلام ظهر في القرن الحادي والعشرين، هل كان سيقول إن الجنة فيها خيام، أم كان سيقول فيها عمارات شاهقة؟

4.2.1.17 الجِن والحَيَّات بين الجاهلية والإسلام ...

يقول د. جواد علي: "ولم تنفرد مخيلة الجاهليين وحدها باختراع أسطورة أن الحيات هى من الجن، وأنها جنس منها، فإن غير العرب من الساميين مثل العبرانيين كانوا يقولون أيضاً بهذا القول. وكذلك قال بهذه الأسطورة غير الساميين، مما يدل على أنه من الأساطير القديمة جداً التى انتشرت عند البشر، بسبب ما قاسوه فى أيام بداوتهم من هذا الحيوان. ونجد قصة الحية فى سفر التكوين. وهى فى هذا السفر أشد الحيوانات حيلة، فهى التى خدعت حواء خدعتها الشهيرة، وسببت طردها وطرد زوجها آدم من الجنة إلى الأرض. [...] والحية هى عند أكثر الشرقيين رمز يشير الى الثورة والعصيان والشر. وهذه الفكرة هى من أسطورة شرقية قديمة عن سقوط البشرية فى الشر، وتتمثل فى سقوط آدم وحواء وطردهما لذلك من الجنة، وفى تعاليم زرادشت من أن الشرير ظهر فى هيأة حية، وأخذ يعلم الناس الشر"[2662].

هذا عن العرب الجاهليين وغيرهم من سكان الشرق الأوسط قبل الإسلام. فماذا عن أصحاب القرآن ورواة الأحاديث؟

مِن الطبيعي أن تتسلل هذه الأساطير الشرقية القديمة إلى أصحاب القرآن ورواة الأحاديث ...

فاستخدم القرآن كلمة "جَانّ" للإشارة إلى نوعٍ من الْحَيَّات:

- "وَأَلْقِ عَصَاكَ [يا موسى] فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ (أى: كأنها حَيَّة خفيفة سريعة) وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ (أي: لم يرجع إليها) يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ" (النمل 10).
- وبكلمات مختلفة: "وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ" (القصص 31).

وتقول أحاديث فى مسند أحمد وصحيح ابن حِبَّان وغيرهما إن الحَيَّات مِن مَسْخ الجَانّ، كما مُسخِت القردةُ والخنازيرُ مِن بنى إسرائيل[2663]! سؤال: هل يوجد قسم بيولوجى فى جامعة واحدة مِن جامعات العالم المتقدم يُدرّس هذه الخرافات؟!

المضحك المُبكِي هو أن أحاديث صحيحة كثيرة أخرى تقول إن النبي محمد قد نهى عن قتل حيات المدينة إلا بإنذارها ثلاثة أيام! وسنكتفى بذِكر حديث واحد مِن هذه الأحاديث الصحيحة على سبيل المثال: "إنَّ

بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا. فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ"[2664]! "والسبب فى ذلك أن طائفة من الجن كانت قد أسلمت بالمدينة، وكانت تتمثل فى صورة الحيات، فنُهِى عن قتلها حتى تُستأذن ثلاثاً، فإن لم تنصرف عن البيت فهي شيطان، فتُقتَل"[2665]، أى أن الحَيَّة قد تكون أصلاً جِنّاً مسلماً فيحرم قتله وقد تكون شيطاناً فيحل قتله؛ ونظراً لأنه لا يصح لإنسيّ مسلمٍ أن يقتل جِنّاً مسلماً، فلا بد من إعلام الحَيَّة بالانصراف من البيت وإمهالها 3 أيام، فإذا انصرفت الحَيَّة فهي جن مسلم يحرم قتله، وإذا لم تنصرف فهي شيطان يحل قتله!

هل يُعقَل هذا الكلام؟! هل لا يزال سكان المدينة المنورة يطبقون هذه الأحاديث؟!

4.2.1.18 الجن له قدرة على الطيران والتحول والتشكل والتصور بصور وأشكال كائنات مرئية!

يستطيع الجن أن يتصور فى صور الحَيَّات والعقارب والإبل وغيرها، وفى صور الطير، بل وفى صور بني آدم! فلقد رُوِىَ أن الشيطان أتى قريشاً فى صورة "سُرَاقَة بْن مَالِك بْن جُعْشُم" لما أرادوا الخروج إلى بدر (الأنفال 48). ورُوِىَ أيضاً أن الشيطان تصور لهم فى صورة شيخ نجدى (أى: مِن نَجْد) لما اجتمعوا بدار الندوة ليتناقشوا هل يقتلون محمداً أو يحبسونه أو يخرجونه (الأنفال 30)[2666]!

ويُروَى أن محمداً أراد أن يربط عفريتاً من الجن على سارية من سواري المسجد حتى ينظر الصحابةُ إليه! فلقد أخرج الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما حديثاً صحيحاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ محمد قَالَ: "إِنَّ عِفْرِيتًا مِنْ الْجِنِّ تَفَلَّتَ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ (وفي إحدى روايات مسلم: فَذَعَتُّهُ؛ أي: خنقته!)، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ"[2667]!

ويقول الحديث الصحيح: "الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ"[2668]! ويقطع الصلاةَ مثل الحمار والمرأة! فحرَّض محمدٌ على قتل الكلب الأسود وقال: "عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ الْبَهِيمِ (أي: الكلب الأسود الخالص السواد) ذِي النُّقْطَتَيْنِ (قال النووي: هُمَا نُقْطَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ بَيْضَاوَانِ فَوْقَ عَيْنَيْهِ) فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ"[2669]! وطبعاً كالعادة، سيقول فريقٌ من المسلمين إن المقصود بكلمة "شيطان" هنا هو المعنى المجازي: قبيح؛ مضر؛ مفسد؛ متمرد ... الخ. لكن في ضوء الأحاديث الصحيحة السابقة التي تدعو إلى قتل الحيات إذا كانت شياطين كافرة (غير مسلمة)، فنحن نرى أن المقصود هو المعنى الحرفي وليس المجازي.

ومن الجدير بالذكر أن ابن حِبَّان قد أخرج حديثاً صحيحاً يقول: "الجِنُّ على ثلاثة أصنافٍ: صِنفٌ كلابٌ وحياتٌ، وصِنفٌ يطيرون فى الهواء، وصِنفٌ يحلّون ويظْعنُون (أي: يقيمون ويرتحلون)"[2670]! وأخرج الحاكم حديثاً بنفس المعنى يقول: "الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون"[2671]! و "سُئِلَ الضَّحَّاك: هَلْ لِلشَّيَاطِينِ أَجْنِحَة؟ فَقَالَ: كَيْفَ يَطِيرُونَ إِلَى السَّمَاء إِلَّا وَلَهُمْ أَجْنِحَة"[2672]! وهذه الأحاديث أيضاً تدل على المعنى الحرفي وليس المجازي.

يقول الشيخ الشعراوي: "والشياطين لهم قدرة التشكل بأي صورة من الصور، ونحن لا نستطيع أن ندرك الشيطان على صورته الحقيقية، ولكنه إذا تشكل نستطيع أن نراه في صورة مادية .. فإذا تشكل في صورة إنسان رأيناه إنساناً، وإذا تشكل في صورة حيوان رأيناه حيواناً، وفي هذه الحالة تحكمه الصورة .. فإذا تشكل كإنسان وأطلقت عليه الرصاص مات، وإذا تشكل في صورة حيوان ودهمته بسيارتك مات"[2673]!

لا تعليق!

نعتقد أنه مِن حقنا أن نتعجب مِن المساحة الواسعة التى خصصها القرآن للحديث عن عالم الجن! وكنا نتمنى أن يخصص القرآن نفس المساحة أو نصفها أو حتى رُبعها للحديث عن المناقشات اللاهوتية التى حدثت فى المجامع المسكونية المسيحية فى القرنين الرابع والخامس.

لكن إذا عُرِف السبب، بطل العجب. لم يتحدث أصحاب القرآن عن هذه المجامع لأنها تتعلق بأمور لاهوتية لم يفقهوها جيداً، أما الجن فهو أمر يعرفونه منذ نعومة أظفارهم، إذ كان الإيمان بوجود الجن سائداً بين العرب الجاهليين قبل الإسلام كما أثبتنا.

ولا يمكن أن ننهى حديثنا عن عالم الجن بدون أن نتوقف قليلاً أمام خرافات جاهلية أخرى تأثر بها أصحاب القرآن، حتى وإنْ قاوموها بخرافات أكبر منها ...

4.2.2 خرافات عربية جاهلية أخرى ... وخرافات إسلامية أكبر منها تحاربها

4.2.2.1 خرافة "استراق السمع" ... وخرافة أكبر منها تحاربها: "الشُهُب المُحرِقة"!

كان العرب الجاهليون وغيرهم يعتقدون أن الكُهّان والعرَّافين والمُنجِّمين (soothsayers) يطلعون على شيء من الغيب بواسطة الجن الذين "يَسْتَرِقُون السمع"، أي الذين يتنصتون على كلام الملائكة في السماء! ولذلك فإن خرافة "استراق السمع" تُسمَّى في المراجع الأجنبية (Eavesdropping on the heavenly assembly)، أي: التنصت على الْمَلَإِ الْأَعْلَى. بعبارة أخرى: الجن يتنصتون على كلام الملائكة في السماء، فيعلمون الغيبَ، ثم يخبرون العرَّافَ الإنسي بما سمعوه، ومِن ثم يعرف العرَّافُ الغيبَ فيقوله للعرب مقابل أجر يكتسبه العرَّافُ بدون أن يفعل شيئاً ذا قيمة، فالموضوع كله نصب X نصب. وإنْ أصاب العرَّافُ أحياناً؛ كأن يقول مثلاً لِمَن سُرِقَ حمارُه: حمارك المسروق في مكان كذا، فيجده كذلك بالفعل؛ أو يقول لشخص: سيموت أبوك المريض في غضون شهر، فيموت فعلاً قبل مرور 30 يوماً.

لمحاربة هذا الدجل والشعوذة والفكر الأسطوري، لجأ أصحابُ القرآن إلى أسطورة أكبر منه. فقال أصحابُ القرآن إن جِنَّ سليمان لم يعلموا الغيب: "فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ (أى: لَمَّا مات سليمانُ وهو جالس على كرسيه – وقيل: وهو واقف! – متكىء على عصاه، ولم تعلم الجنُّ بموته فظلوا يعملون بين يديه) مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ (أي: الأَرَضَةُ؛ وقيل: السوس) تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ (أي: تقرض عصاه المتكىء عليها) فَلَمَّا خَرَّ (أي: فَلَمَّا سقطت جثة سليمان على الأرض عندما وقعت عصاه) تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ [وعرفت] أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ (أي: لو صح ما يزعمونه من أنهم يعلمون الغيب لعلموا بموت سليمان) مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (أي: ما استمروا وقتاً طويلاً يعملون في العمل الشاق لسليمان، ظناً منهم أنه ما زال حياً ينظر إليهم)" (سبأ 14)! [تعليقنا: سليمان، الذي يُفترَض أنه كان نبياً كريماً ومَلِكاً عظيماً، مات كده وماحدش واخد باله! ومَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا أَرَضَةُ تقرض العصا التي كان متكئاً عليها! مِش غريبة شوية؟!]

لم يكتفِ أصحابُ القرآن بذلك، وإنما جعلوا الجِنَّ المعاصرين لمحمد يعلنون أن الحراسة على السماء أصبحت مشددة جداً بعد مبعث محمد، فمَن يرد "استراق السمع" الآن سيجد "شُهُباً مُحرقة" (flaming fires) تنقَضُّ عليه فتهلكه! قال القرآنُ على لسان الجن: "وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ (أي: حاولنا وطلبنا بلوغ السماء لاستماع حديث أهلها) فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا (أي: مُلِئَتْ بالملائكة الذين يحرسونها) وَشُهُبًا (أي: ومُلِئَتْ بالشهب النارية المحرقة التي يُرمَى بها مَن يقترب مِنها). وَأَنَّا كُنَّا [قبل الإسلام] نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ (أي: لاستماع الغيب) فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ (أي: بعد ظهور الإسلام) يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (أي: بالمرصاد)" (الجن 8-9)! قال ابنُ كثير في تفسيره: "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْجِنِّ حِينَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَكَانَ مِنْ حِفْظِهِ لَهُ أَنَّ السَّمَاءَ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا، وَحُفِظَتْ مِنْ سَائِرِ أَرْجَائِهَا، وَطُرِدَتِ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَقَاعِدِهَا الَّتِي كَانَتْ تَقْعُدُ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ، لِئَلَّا يَسْتَرِقُوا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَيُلْقُوهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْكَهَنَةِ، فَيَلْتَبِسُ الْأَمْرُ وَيَخْتَلِطُ وَلَا يُدْرَى مَنِ الصَّادِقُ. [...] مَنْ يَرُومُ أَنْ يَسْتَرِقَ السَّمْعَ الْيَوْمَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا مُرْصِدًا لَهُ، لَا يَتَخَطَّاهُ وَلَا يَتَعَدَّاهُ، بَلْ يَمْحَقُهُ وَيُهْلِكُهُ"[2674]. وفي صحيحي البخاري ومسلم أن الشياطين قالوا: "حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ"[2675]! وهذا يدل على سيطرة الفكر الأسطوري غير العلمي على المصدرين الأساسين للإسلام (القرآن والسُّنَّة الصحيحة)، مما يدل على أن الإسلام لا يمكن أن يكون ديناً من عند الله.

نلاحظ إذن أن نفس النمط (pattern) يتكرر: لمحاربة خرافة "استراق السمع" السائدة في المجتمع العربي والتي كان مِن الممكن أن تنتهي لوحدها بعد فترة وجيزة، يخترع أصحابُ القرآن – أو بالأحرى: يلجأون إلى – خرافة أكبر منها وهي خرافة "الشهب النارية المُحرقة" ويسجلونها في كتابهم العربي "القرآن" ويزعمون أنه كتاب الله الباقي إلى الأبد! فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هي بقاء تلك الخرافات العربية واستمرارها إلى اليوم. إذن: النتيجة عكسية. أو كما يقول المثلُ: "جاءوا يكحلوها فعموها"!

[وإنه لمِن الطريف أن هؤلاء الجن الذين فشلوا في الصعود من الأرض إلى السماء لاستراق السمع بعد بعثة محمد (الجن 8-9) لم يعلموا إنْ كان ذلك خيراً أم شراً للناس، فقالوا: "وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن

فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (أي: خيراً وهدى)" (الجن 10)! وهذا على عكس الملائكة الذين جاءوا من السماء إلى الأرض بعد ميلاد يسوع المسيح ليعلنوا الخير للناس، فقالوا: "الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ" (لوقا 2:14). كالعادة، المقارنة محسومة لصالح المسيح.]

اقرأ أيضاً الآيات القرآنية التالية التي تُعْرَف باسم "آيات استراق السمع" (The “listening in” passages)[2676]:

- "وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم (أي: على كفار مكة) بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (أي: يصعدون). لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ (أي: سُحِرَتْ) أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (أي: ما نشاهده خيال من أثر سحر صنعه محمدٌ). وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا (أي: منازل للأجرام السماوية تنزل فيها؛ وقيل إنها الاثنا عشر برجاً المشهورة: الحمل والثور والجوزاء ... الخ!) وَزَيَّنَّاهَا (أي: وَزَيَّنَّا السماءَ بالنجوم والكواكب المضيئة) لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا (أي: وَحَفِظْنَا السماءَ بالشهب النارية المحرقة) مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. **إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ** فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (أي: كوكب مضيء يحرقه؛ جرم سماوي واضح بيّن؛ ما يلمع بوضوح وهو يتساقط عن بعض النجوم في الجو)" (الحجر 14-18)!
- "إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا (the lowest heaven) بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (أي: النجوم). وَحِفْظًا (أي: حفظنا السماءَ بالنجوم) مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (أي: متمرد عاص عات). لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى (أي: السموات ومَن فيها مِن الملائكة إذا تكلموا بما يوحيه اللهُ مِن شرعه وقدره[2677]) وَيُقْذَفُونَ (أي: يُرجَم مُسْتَرِقُو السَّمْعِ بالشهب المحرقة) مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا (أي: طَرْداً لهم وإبعاداً) وَلَهُمْ [في الآخرة] عَذَابٌ وَاصِبٌ (أي: دائم موجع). **إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ** (أي: إلا مَن اختطف snatches بسرعة كلمةً من كلام الملائكة) فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (أي: شعلة مِن نار تحرقه فتهلكه ولا تبقي منه باقية)" (الصافات 6-10)! ولذلك فإن خرافة "الشُهُب المُحرقة" تُعرَف أيضاً باسم "النجوم الحافِظة" أو "الكواكب الحارسة" (Guarding Stars) لأنها تحرس السماء من الشياطين الذين يسترقون السمع.
- "وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا (le ciel le plus proche) بِمَصَابِيحَ (أي: نجوم منيرة) وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا (أي: شهباً محرقة) لِلشَّيَاطِينِ (أي: لمُسْتَرقي السَّمْعِ من الشياطين) وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ [في الآخرة] عَذَابَ السَّعِيرِ (أي: النار الموقدة)" (الملك 5). والمقصود هو أن نجوم السماء الدُّنْيَا أو بعضها هي مصادر الشُهُب المُحرقة التي يُرجَم بها الشياطين الذين يسترقون السمع! ولذلك فإن خرافة "الشُهُب المُحرقة" تُعرَف أيضاً باسم "النجوم الراجِمة" أو "الكواكب الراجِمة" (Shooting stars). قال تفسير الجلالين: ""وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا" اَلْقُرْبَى إِلَى اَلْأَرْضِ "بِمَصَابِيحَ" بِنُجُومٍ "وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا" مَرَاجِمَ "لِلشَّيَاطِينِ" إِذَا اِسْتَرَقُوا اَلسَّمْعَ، بِأَنْ يَنْفَصِلَ شِهَابٌ عَنِ اَلْكَوْكَبِ كَالْقَبَسِ يُؤْخَذُ مِنَ اَلنَّارِ فَيَقْتُلَ اَلْجِنِّيَّ أَوْ يَخْبِلُهُ (أي: يُفسد عقلَه أو بدنه)، لَا أَنَّ اَلْكَوْكَبَ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ"[2678]. وقال د. شوقي ضيف: "ويقول

– جل شأنه – إن الكواكب [المضيئة] بجانب كونها زينة تَرْمي بالشهب كل شيطان"، "أي يرمى منها بشهب عليهم. وبجانب ذلك جعلها – كما في سورة النحل – علامات يهتدى بها"[2679].

إذن: النجوم والكواكب المضيئة لها 3 فوائد مذكورة كلها في القرآن. الفائدة الأولى: زينَة للسماء؛ الفائدة الثانية: هداية للناس "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ" (الأنعام 97) "وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" (النحل 16)؛ الفائدة الثالثة: مصادر الشُهُب المُحرقة التي تُقذَف على الشياطين الذين يسترقون السمع ليعرفوا أخبار السماء! أخذ القرآنُ الفائدتين الأولى والثانية من التراث اليهودي/المسيحي (التكوين 1:14-15)[2680]؛ وأخذ الفائدة الثالثة من التراث العربي (الجاهلي) كما سنرى بعد قليل. سؤال: هل الفائدة الثالثة تُدرَّس في أي جامعة محترمة في العالم المتقدم؟!

- "وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ (أي: نجوم مضيئة لامعة) [للهداية] وَحِفْظًا [للسماء مِن الشياطين الذين يسترقون السمع ليعرفوا الغيبَ وأخبار الملأ الأعلى]" (فصلت 12).
- "وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا (أي: لا تسقط على البشر ولا تخترقها الشياطين)" (الأنبياء 32).
- "هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (أي: كذَّاب كثير الآثام). يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ" (الشعراء 221-223). وهكذا تصل أخبار السماء إلى أهل الأرض!

إذن: اعترف أصحابُ القرآن بخرافة "استراق السمع"، لكنهم حاولوا أن يقاوموها فاخترعوا خرافة أخرى أكبر منها وهي خرافة "الشهب المحرقة" أو "الكواكب الراجمة" التي ترجم الشياطين الذين يَسْتَرقون السمعَ "يتخطفونه خطفاً" من كلام أهل الملأ الأعلى ويرجعون بسرعة إلى الأرض ليلقونه إلى المُنجِّم! فإما تصيبهم الشهبُ وتحرقهم قبل أن يصلوا إلى المُنجِّم، وإما لا فينجحوا في الوصول إلى المُنجِّم قبل أن تحرقهم الشهبُ! وهكذا يصل بعضُ كلام السماء إلى "كُلِّ [كاهنٍ] أَفَّاكٍ أَثِيمٍ" (الشعراء 222) "وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ" (الشعراء 223) يَصْدُق أحدهم في كلمةٍ سمعها من تلك الشياطين لكنه يزيد فيها أكثر من مائة كذبة. أو أن الشياطين هي التي تزيد أكثر من مائة كذبة على ما سمعته من الحق السماوي (الإلهي)[2681]! أو كما قال محمدٌ لأبي هريرة عن الشيطان الذي جاءه وكذب عليه 3 مرات ثم عَلّمه فَضْل آية الكرسي: "صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ"[2682]! أي: قال لك الحق فيما أخبرك عن فَضْل آية الكرسي لكنه كثير الكذب في الأمور الأخرى.

لكن لماذا اهتم أصحابُ القرآن بمكافحة خرافة "استراق السمع"؟

الإجابة: لأن كفار مكة المعاصرين لمحمد قالوا إن القرآن يشبه كلام الْكُهَّانِ وإنه كلام شياطين تُوحى به إلى محمد – أو إن لمحمد تابعاً من الجن يلقي القرآنَ إليه. فلقد كان عربُ الجاهلية يعتقدون أن لكل شاعرٍ شيطاناً (قريناً) يوحي إليه بالشعر وأن لكل مَن يتحدث بالسجع (الكهان مثلاً) شيطاناً يوحي إليه بالسجع؛ ولذلك اتهموا محمداً بأن له شيطاناً (قريناً) يوحي إليه بالقرآن الذي يشبه الشعر العربي الجاهلي في مواضع

ويشبه سجع الكهان العرب في مواضع أخرى، بل يشبه كلام مَن ادعى النبوة مِن العرب في زمان محمد (مسيلمة مثلاً). بل قالوا إن الشياطين تسمع "الوحي" القرآني فتزيد عليه أو تنقص منه قبل أن يصل إلى محمد. بل قالوا إن محمداً "بِهِ جِنَّة" (المؤمنون 70) (سبأ 8) (الأعراف 184) (سبأ 46)، أي: مجنون[2683].

فأراد أصحابُ القرآن أن يدافعوا عن أنفسهم: "وَمَا هُوَ (أي: وَمَا هذا القرآن) بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ" (التكوير 25) "وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ (أي: ليس بسجع كسجع الكُهَّان) قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ" (الحاقة 41-42) "وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (أي: وَمَا تَنَزَّلَتْ الشَّيَاطِينُ بهذا القرآن على محمد). وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (أي: محجوبون مرجومون بالشهب المحرقة)" (الشعراء 210-212) "فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ [يا محمد] بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ" (الطور 29). ولذلك أيضاً جعل أصحابُ القرآن الجِنَّ المعاصرين لمحمد يعلنون أن الحراسة على السماء أصبحت مشددة جداً بعد مبعث محمد (الجن 8-9). ومِن ثم فإن معظم كلام الْكُهَّانِ المعاصرين لمحمد كذب "أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ" (الشعراء 223) حتى لو صدقوا في بعضه. وهذا كله حتى ينصرف العربُ عن الكُهّان والعرَّافين والمُنجّمين فلا يسمعوا إلا قرآن محمد فقط. باختصار: كالعادة، كل حاجة موظفة لخدمة محمد وخدمة القرآن وخدمة الإسلام. حتى لو خرافة؛ إذا تفيد الإسلامَ لم يجد المسلمون الأوائل مانعاً من قبولها والعمل على انتشارها في المجتمع!

ثم جاء رواة الأحاديث وساروا على نفس الدرب الذي سار عليه أصحابُ القرآن. باعتراف موسوعة بيان الإسلام: "الاستراق ثابت بالقرآن الكريم، كما هو ثابت بالسنة"[2684]! ولا نعتقد أنه يوجد مرجع إسلامي واحد يستطيع أن ينكر اعتراف الإسلام بما يُسمَّى "استراق السمع"، وإلا سيصبح منكراً ما هو معلوم بالضرورة مِن الدين (قرآن + سُنَّة).

على سبيل المثال وليس الحصر، جاء في الأحاديث الصحيحة في صحيحي البخاري ومسلم (أصح كتابين سُنَّة بعد القرآن) ما يلي: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَأَلَ أُنَاسٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: "إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ". فَقَالُوا: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ [أحياناً] بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا". قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ الْحَقِّ، يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيُقَرْقِرُهَا (أي: يضعها بالصوت) فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ [الكاهن] كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ"[2685]! وفي صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ محمداً يَقُولُ: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ، وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ"[2686]! وفي روايةٍ أخرى في صحيح البخاري أيضاً قَالَ محمدٌ: "المَلاَئِكَةُ تَتَحَدَّثُ فِي العَنَانِ - وَالعَنَانُ: الغَمَامُ - بِالأَمْرِ يَكُونُ فِي الأَرْضِ، فَتَسْمَعُ الشَّيَاطِينُ الكَلِمَةَ، فَتُقِرُّهَا فِي أُذُنِ الكَاهِنِ كَمَا تُقَرُّ القَارُورَةُ (أي: كما يطبق رأس الزجاجة على رأس الوعاء الذي يفرغ منها فيه)، فَيَزِيدُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ"[2687]! أو كما قال أصحاب القرآن: "يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ" (الشعراء 223). لاحظ أن القرآن يقول "أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ" – وليس "كُلهم كَاذِبُونَ" – مع أنه في الآية السابقة

قال "كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ" (الشعراء 222)! وكأنه أراد أن يقول إن الكُهَّان كاذبون ومن خلقهم كثرة الكذب لكن أحياناً كلامهم فيه شيء "مِنْ الْحَقِّ" (باعتراف محمد) لأنهم أخذوه من الجن والشياطين الذين نجحوا في "خطف" كلمة من كلام السماء وإيصالها بسرعة إلى الأرض قبل أن تدركهم "الشهب النارية"!

أسئلة لكل مسلم عاقل: إذا كان الجن والشياطين مخلوقين من نار، فما معنى أن يُقذَفوا بشهبٍ من نار؟! وإذا قُذِفُوا مرة، فلماذا يحاولون مرة أخرى ويعرضون حياتهم للخطر؟! ماذا سيستفيد الجن من التجسس على أخبار السماء وتوصيل ما يسمعونه للكهّان؟! الكُهَّان سيستفيدون طبعاً؛ لكن ماذا سيستفيد الجن؟!

ولو كان القرآن كلام الله كما يتوهم المسلمون، فلماذا تَضرب الشهبُ الشياطين فقط؟ أليس من العدل أن تَضرب الكُهَّان والعرَّافين والمنجِّمين أيضاً؟!

ولو كان القرآن كلام الله كما يتوهم المسلمون، ألم يكن الله قادراً على أن يتواصل مع ملائكته بطريقة مشفرة (encrypted) حتى لا يستطيع أحدٌ مِن الجن ولا مِن الإنس أن يتجسس على أحاديث الملأ الأعلى؟!

الإنسان استطاع أن يخترع التشفير (Encryption) بينما لم يستطع محمدٌ ولا إلهه أن يخترعه! الشركات التجارية اليوم تحمي أسرارها (trade secrets) بطرق علمية بينما يلجأ إلهُ الإسلام إلى الخرافة!

بلاش تشفير. الكتابة. أظن دي فكرة سهلة. كان ممكن الله يكتب كلامه في ورقة ويعطيها للملائكة حتى لا يستطيع أحدٌ مِن الجن ولا مِن الإنس أن يعرف محتوى الرسالة الإلهية.

إن خرافة استراق السمع وخرافة الشهب المحرقة تزدري اللهَ لأنها تصوِّره كما لو كان كائناً متخلفاً جاهلاً لا يستطيع أن يحمي وحيه وأسراره ومعلوماته إلا بأساليب بدائية جداً!

أما عن كيفية نقل المعلومات بواسطة الجن من السماء إلى الأرض، وهل كانت تتم بطريقة سلكية (wired) أم لا سلكية (wireless)؟! فتقول المراجع الإسلامية: "فى الأحاديث النبوية الصحيحة ما يفيد أن الجنّ كانت ترصّ بعضها فوق بعض، فيضع الجِنّى أقدامه فوق كتف الأول، ويضع الثالث أقدامه فوق كتف الثانى وهكذا، حتى يستطيع آخر جِنّى (أي: أعلى جِنّى) أن يسمع خبر السماء، وأن يتنصت على كلام الملائكة، تقول لبعضها مثلاً: قضى الليلة بموت فلان، أو نصْر فلان"[(2688)] "فيسمع [أعلى جِنّى] الكلمةَ فيلقيها إلى مَن تحته، ثم يلقيها الآخر إلى مَن تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه"[(2689)]!

هل هذا معقول يا أولي الألباب؟!

والمشكلة الكبرى هي أن هذا المشهد العجيب ليس مِن اختراع المفسرين المسلمين، وإنما هو موجود في أصح كتب السنة الصحيحة (البخاري ومسلم)!

في صحيح البخاري، قال محمدٌ لأصحابه: "إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتْ الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا (أي: طاعةً وانقياداً) لِقَوْلِهِ [...]. فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ (أي: زال الخوفُ والفزعُ عن الملائكة) قَالُوا (أي: سأل الملائكةُ بعضُهم بعضاً؛ أو: سأل عامةُ الملائكة خاصتهم كجبريل وميكائيل): "مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟" قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: "الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ"[2690]. فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ – وَوَصَفَ سُفْيَانُ (هو أحد رجال السند) بِيَدِهِ وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ – فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يُلْقُوهَا إِلَى الأَرْضِ – وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الأَرْضِ – فَتُلْقَى عَلَى فَمْ السَّاحِرِ (أي: المنجّم)، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُصَدَّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنْ السَّمَاءِ"[2691]!

وفي صحيح مسلم، قال محمدٌ لأصحابه: "رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا (when God has decided something)، سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (أي: تحتهم)، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: "مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟" فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ. فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ (human associates) (أي: الكُهّان والعرّافين والمُنجّمين soothsayers) وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ (أي: يخلطون فيه الكذب) وَيَزِيدُونَ"[2692]!

ويُفهَم من هذه الأحاديث الصحيحة أن هذا "الأمر" الذي قضاه اللهُ فِي السَّمَاءِ يخص أهل الأرض. بدليل أن الجن والشياطين الذين استرقوا السمع خطفوه ونقلوه من أهل السماء إلى أهل الأرض (الكُهّان والعرّافين والمُنجّمين). ويبدو لنا أن هذا "الأمر" الإلهي يشمل كلام الله الذي يؤثر في حياة الإنسان على كوكب الأرض، مثل: الوحي (التنزيل) والشريعة (افعل ولا تفعل) والقدر (مثلاً: قضى الليلة بموت فلان، أو مرض فلان، أو نصْر فلان). والسؤال الذي يطرح نفسه: ماذا لو قَضَى اللهُ أمراً يخص كوكباً آخر (المريخ مثلاً)، هل سينقله مُسْتَرِقُو السَّمْعِ من أهل السماء إلى أهل المريخ؟! أم إلى أهل الأرض؟!

إن خرافة استراق السمع تكفي وحدها كدليل قاطع يثبت أن القرآن ليس كلام الله، وإنما كلام العرب أنتجوه في حدود معارفهم وثقافتهم وخيالهم. فكما كان المجتمع العربي أيام محمد مجتمعاً لا يعتمد على القراءة والكتابة بصفة أساسية وإنما كان يعتمد أساساً على الكلام والاستماع أي الانتقال الشفوي-السمعي للمعلومات (oral-aural transmission): من فم شخص إلى أذن شخص آخر، كذلك تخيل أصحابُ القرآن ورواةُ الأحاديث ما يجري في السماء: كلام شفوي بين الله والملائكة أو بين الملائكة أنفسهم! كلام شفوي يمكن "سمعه" و "نقله" بواسطة الجن والشياطين من السماء إلى الأرض!

وكذلك خرافة "النجوم مصادر الشهب المحرقة" تكفي وحدها كدليل قاطع يثبت أن القرآن ليس كلام الله، وإنما كلام العرب. فكما كان العربُ يعيشون في خيام ليستروا عوراتهم ويحموا أنفسهم مِن عيون

المتطفلين وآذانهم، كذلك تخيل أصحابُ القرآن ورواةُ الأحاديث السماءَ كما لو كانت خيمةً كبيرة أو سقفاً مرفوعاً (الطور 5) (الأنبياء 32) أو حاجزاً مادياً (physical barrier) تحفظه النجوم وتحرسه لتمنع كل مَن يحاول الاقتراب. وكما كان الرجل العربي الصحراوي يرمي (يرجم) بالحجارة مَن يعتدي عليه أو يقتحم خصوصيته، كذلك تخيل أصحابُ القرآن ورواةُ الأحاديث اللهَ يرجم بالشهب الشَّيَاطِينَ الذين يحاولون اختراق هذا الحاجز السماوي ليسترقوا السمع ويتجسسوا على الْمَلَإِ الْأَعْلَى من أجل معرفة الغيب[2693].

خيال عربي محدود جداً. وللأسف، وُضِعَ هذا الخيال العربي غير العلمي في القرآن ونُسِبَ إلى الله! والله منه بريء.

ثم تكمل المراجع الإسلامية: "فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حُرست السماء مِن الشياطين، وأُرسِلت عليهم الشهب، فبقي مِن استراقهم ما يتخطفه [الجِن/الشيطان] الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: "إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ" (الصافات 10)، [...]. [...] فاستراق السمع لم ينقطع، وهو على ثلاث أحوال: (1) قبل البعثة (أي: قبل الإسلام؛ في الجاهلية) كان كثيراً جداً؛ [...]. (2) أثناء البعثة (أي: في حياة محمد) مُلِئت [السماءُ] حرساً شديداً وشهباً، وكان قليلاً ونادراً جداً ما يحدث استراق. (3) وبعد موت محمد ﷺ زاد [استراق السمع]، ولكن لا يوصف بالكثرة ولا بالقلة. [...]

إن أحاديث إرسال الشهب على مسترق السمع من السماء - صحيحة، ولا تناقض بينها؛ لأن الرمي واقع قبل البعثة وبعدها وإلى يوم القيامة، لكن قبل البعثة كان الرمي ليس على الدوام (أى: فى وقت دون وقت، ومن جانب دون جانب)، أما بعد البعثة فكان تكريماً للرسالة المحمدية فقد شُدد وغُلِّظ، وأُرسِلت الشهب عليهم إرسالاً شديداً (أي: فى كل وقت، ومن كل جانب (الصافات 8))، وهذا يؤكده قول الشياطين أنفسهم: "حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ""[2694].

وقال الشيخ العثيمين إن الشياطين صاروا ثلاثة أقسام: القسم الأول "لا يمكنه السماع إطلاقاً"؛ القسم الثانى "يمكن أن يسمع على سبيل الخطف ويحرقه الشهاب"؛ القسم الثالث "يسمع على سبيل الخطف، وينجو" أى لا يحرقه الشهاب قبل أن ينقل ما سمعه. وفى ذلك بيان أن الشياطين "لا يسمعون إلى الملأ الأعلى السماع الكامل بحيث ينالون مرادهم، بسبب هذه الشهب التى تحرقهم فلا يستطيع الواحد منهم أن يسمع سماعاً كاملاً يصغى إلى الملأ الأعلى كما يصغى الإنسان إلى شيخه وإلى محدثه، بل تجدهم يأتون إلى السماء خطفاً فيخطفون ما يسمعون دون أن يكون هناك مهلة وتأنٍّ؛ لأنها (أي: الشياطين) تخشى من الشهب"[2695].

تعليقنا: أساطير إسلامية بُنِيَت على أساطير عربية جاهلية!

ولو كان القرآن كلام الله كما يتوهم المسلمون، لكان قد قال صراحةً إن "استراق السمع" مجرد خرافة وانتهت المسألة. لكن لأن القرآن منتج بشرى ينتمى للثقافة العربية، اعترف أصحاب القرآن بهذه الخرافة

العربية الجاهلية وإنْ قاوموها بخرافة أكبر منها وهى خرافة "الشُهُب المُحرقة" التى تقذف الشياطين الذين يسترقون السمع! "إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ" (الصافات 10) – أى إلا الذين يختلسون بسرعة الكلمةَ الحق مِن أخبار السماء – ثم يُلقُونها إلى المُنجّمين قبل أن تحرقهم هذه الشُهُب، ويزيدون عليها أكثر من مائة كذبة! فيصدق المُنجّم فى معلومة صحيحة، ويكذب فى معلومات كثيرة أخرى!

إذن: ما جاء في القرآن والأحاديث الصحيحة بشأن هذا الموضوع **لا ينفي** استراق الشياطين السمع. وكل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى وردت فى هذا الموضوع يجب أن تُفسَّر فى هذا الإطار: الإسلام اعترف بخرافة "استراق السمع"، وإنْ قاومها بخرافة أكبر منها وهى خرافة "الشُهُب المُحرقة".

ولقد بحثنا في المراجع العربية والإسلامية عن ماهية هذه الشُهُب النارية المُحرقة، فوجدنا مَن يحاول أن يفسرها تفسيراً علمياً! على سبيل المثال، قال د. أحمد شوقى إبراهيم إن هذه الشُهُب النارية المُحرقة – أو كما أسماها "الكواكب الراجمة" – "هى (النيازك) التى يراها الناس تنقضّ. وليست بالكواكب الجارية فى السماء؛ لأن هذه لا ترى حركتها، والراجمة ترى حركتها؛ لأنها قريبة منا"[2696]!

تعليقنا: نحن لا نشكك في حقيقة النيازك (meteors) ولا نشكك في حقيقة المذنبات (comets) ولا نشكك في حقيقة الأجرام السماوية الأخرى مثل الكواكب والنجوم؛ وإنما نشكك في كونها مصادر الشُهُب المُحرقة التي ترجم الشياطين "رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ (أي: لمُسْتَرقي السَّمْعِ من الشياطين)" (الملك 5). ما الدليل أن هذه النيازك أو المذنبات أو غيرها تقذف الجن الذين يسترقون السمع؟! بل ما الدليل العلمى على وجود الجن أصلاً؟! العجيب أنه لم يُعطِنا دليلاً علمياً واحداً على صحة كلامه! مما يجعلنا نتساءل: هل هذا مجرد كلام للدفاع عن الإسلام بأية طريقة وخلاص؟!

وكما وجدنا مَن يحاول أن يفسر الشُهُب النارية المُحرقة تفسيراً علمياً ففشل، وجدنا مَن يحاول أن يفسرها تفسيراً أدبياً مجازياً ففشل أيضاً! قيل إنها ترمز إلى "الأدلة الإلهية"! أو ترمز إلى "الآيات القرآنية" التي تطرد الشياطين! أو إنها مثل "النار" التي رآها موسى في قصة "العُلّيقة المشتعلة" (The Burning Bush) المذكورة في التوراة والإنجيل والقرآن (طه 10) (النمل 7) (القصص 29). إنها إذن – حسب زعمهم – تشير إلى الله أو الملائكة الذين يحمون "الوحي" أو ربما تشير إلى "الوحي" نفسه!

تعليقنا: لكن القرآن يقول إن الشياطين الذين يسترقون السمع "يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ" (الصافات 8) بهذه الشهب "وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ" (الملك 5). فكيف تكون مجرد رمز لله أو للملائكة أو للوحي؟! ثم إن القرآن ذكر مصادر تلك الشهب وهي "الْكَوَاكِب" (الصافات 6) "مَصَابِيح السَّمَاء الدُّنْيَا" (فصلت 12) (الملك 5) مرئية "لِلنَّاظِرِينَ" (الحجر 16). إذن: القرآن يتحدث عن أجسام سماوية حقيقية مرئية وليست مجازية. أضف إلى ذلك أنه لا يمكن مقارنة قصة "العُلّيقة المشتعلة" التي هي مجرد قصة أدبية لم يرها أحدٌ ولا يوجد أي دليل تاريخي علمي يثبت أنها قصة حقيقية، و "الشهب المشتعلة" التي هي ظاهرة طبيعية علمية كان العرب يرونها في الجاهلية وظلوا يرونها في الإسلام وما زلنا نحن نراها في السماء إلى اليوم.

نعم، الأجسام المضيئة في السماء (النيازك والمذنبات وغيرها) ظواهر كونية طبيعية ولها تفسير علمي ويمكن التنبؤ بحدوثها[2697]. لم يستطع أصحابُ القرآن أن يفسروا تلك الظواهر الطبيعية؛ بل لم يستطع محمدٌ أن يفسرها تفسيراً علمياً عقلانياً، فلجأ إلى تفسير أسطوري غير علمي: نار تضرب الشياطين الذين يسترقون السمع! لو كتب طالبٌ هذا التفسير الأسطوري في امتحان مادة العلوم لرسب فوراً. مما يدل على أن محمد لا يمكن أبداً أن يكون رسولَ الله. ما قاله محمدٌ وما قاله القرآن ليس له أي علاقة بالعلم وبعيد كل البعد عن العقلانية.

وعلى أي حال، نحن نقول لجميع أحبائنا المسلمين إن فكرة القذف بالشُهُب ليست فكرة جديدة، إذ هي أيضاً مأخوذة من الأساطير العربية الجاهلية، بدليل وجود هذه الخرافة في الشعر العربي الجاهلي. قال الطاهر ابن عاشور فى تفسيره لـ "وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا" (الجن 8): "والمعنى: إننا (أي: الجن) اختبرنا حال السماء لاستراق السمع فوجدناها كثيرة الحراس من الملائكة وكثيرة الشهب للرجم، فليس في الآية ما يؤخذ منه أن الشهب لم تكن قبل بعث النبي ﷺ كما ظنه الجاحظ، فإن العرب ذكروا تساقط الشهب فى بعض شعرهم فى الجاهلية. كما قال فى الكشاف وذكر شواهده من الشعر الجاهلى"[2698]. وقالت موسوعة بيان الإسلام نقلاً عن "فتح البارى بشرح صحيح البخارى" لابن حجر العسقلانى: "وقال السهيلى: لم يزل القذف بالنجوم قديماً، وهو موجود فى أشعار قدماء الجاهلية، كأوس بن حجر، وبشر بن أبي حازم، وغيرهما"[2699]. وقال د. جواد علي عن العرب قبل الإسلام: "وكان الكهان يستعينون بالشياطين في الإخبار عن المعيبات، يذكرون أن الشياطين يسترقون السمع من السماء، فيخبرونهم عن أنباء الأرض. وكان للكاهن (صاف بن صياد) شيطان يلقي إليه بما خفي من أخبار الأرض، وذكر أن النجوم تقذف الشياطين، وأن الجاهليين كانوا يرون ذلك، وهو موجود في أشعار القدماء من الجاهلية، منهم عوف بن الجزع، وأوس بن حجر، وبشر بن أبي حازم وكلهم جاهلي، وقد وصفوا الرمي بالنجوم"[2700].

ويبدو لنا أن هذه الأسطورة العربية الجاهلية مستوحاة – بطريق مباشر أو غير مباشر – مِن سفر التكوين الذى يقول إن الله حرس جنة عدن بملائكة (كَرُوبِيمَ cherubim) وَلَهِيب سَيْف: "وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ [الرَّبُّ الإِلهُ] الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ [الرَّبُّ الإِلهُ] شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" (التكوين 3:22-24). فكرة "الملائكة واللهيب" لحراسة الجَنَّة مِن الإنس (التكوين 3:24) تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى تحولت في القرآن إلى "حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا" لحراسة السماء مِن الجن (الشياطين) **[← "وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا" (الجن 8)[2701]]**.

وفي نفس السياق، يجب علينا أن نذكر سفر أخنوخ الأول (1 Enoch)[2702] المنسوب إلى أخنوخ (إدريس) حفيد حفيد حفيد آدم. هذا الكتاب المهم – الذي يُسمَّى أيضاً بأسماء أخرى أشهرها "النسخة الحبشية

(الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch) و "مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) – يضم مجموعة ضخمة من التقاليد والكتابات التي دُوِّنت بين القرن الثاني ق.م. وبداية القرن الأول المسيحي. إنه واحد مِن أهم وأشهر وأضخم كُتب سوديبِجرافا العهد القديم، ويُعتقَد أنه دُوِّن في الأصل باللغة الآرامية بدليل وجود أجزاء منه مكتوبة بالآرامية ضمن مخطوطات البحر الميت، ثم نُقِل إلى اللغة اليونانية، ومِن اليونانية انتقل إلى الحبشية (الأثيوبية) على يد العلماء السريان، وهذا كله يدل على انتشاره الواسع في الشرق الأوسط القديم قبل الإسلام. وتعترف به الكنيسةُ الحبشية ككتاب قانوني[2703]؛ ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس. فنستطيع إذن أن نقول إن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) فى أوائل القرن السابع الميلادى قد سمعوا عن هذا السفر المهم (1 أخنوخ) وعرفوا محتواه وربما ظنوا أنه مُوحَى به مِن الله. يقول (1 أخنوخ 40:7-9) إن ملاكاً اسمه (Phanuel) يطرد الشياطين ويمنعهم من الوصول إلى الله ليتهموا البشر [باتهامات باطلة] **[⟵ "وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا" (الجن 8)]**.

وتوجد جذور أيضاً في تراث الديانة الزرادشتية لخرافة "الشهب المحرقة" (النجوم الحافِظة) التي تحرس السماء[2704][2705].

وكذلك بالنسبة لأسطورة "استراق السمع"، يبدو لنا أنها مستوحاة – بطريق مباشر أو غير مباشر – مِن سفر أيوب وهو واحد من الأسفار القانونية المقدسة التي لا نعلم مَن كتبها! قيل: كاتبه موسى! وقيل: سليمان! وقيل إن كاتبه حكيم من حكماء أورشليم دون تحديد الاسم! وقيل غير ذلك! المهم: يبدأ سفرُ أيوب بمشهد في السماء حيث يجتمع اللهُ مع ملائكته في مجلسه السماوي (heavenly court) **[⟵ "الْمَلَإِ الْأَعْلَى" (الصافات 8) (ص 69)]** "وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ" (أيوب 1:6) (أيوب 2:1)؛ "فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنَ أَيْنَ جِئْتَ؟». فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «مِنْ الْجَوَلاَنِ (أي: التجول) فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا»" (أيوب 1:7) (أيوب 2:2) **[⟵ "أَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ" (الجن 8)]**. وبعد جدال قصير بين الله والشيطان حول مدى قوة إيمان أيوب وصلاح أعماله، ينتهي مجلسُ الله بقرار السماح للشيطان بأن يعود إلى الأرض ليضرب أيوبَ بالمرض الشديد ليمتحنه إنْ كان سيصبر على هذا التعذيب الإلهي أم لا! "فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَا هُوَ [أيوب] فِي يَدِكَ (أي: افعل به ما شئت)، وَلكِنِ احْفَظْ نَفْسَهُ (أي: اتركه حياً)» (أيوب 2:6). ثم ينتقل المشهد بعد ذلك إلى الأرض حيث يجتمع أيوبُ المريض المتألم مع ثلاثة من أصحابه ويدور بينهم جدالٌ طويلٌ حول معاناة الإنسان (أيوب) بالرغم من إيمانه وصلاحه[2706]. وفي ثنايا هذا الجدال الطويل بين أيوب وأصحابه، اتهمه واحدٌ منهم بأنه أخطأ إذ تخيل أنه أفطن من سائر الناس ويعرف ما لا يعرفونه وكأنه يعلم الغيب، فقال لأيوب ناقِداً وساخراً: "أَصُوِّرْتَ أَوَّلَ النَّاسِ أَمْ أُبْدِئْتَ قَبْلَ التِّلاَلِ؟ (يقصد: هَلْ كُنْتَ مع الله والملائكة حين خُلِقَ الإنسان الأول؟) [أَمْ] هَلْ تَنَصَّتَّ فِي مَجْلِسِ اللهِ **[⟵ "يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى"**

(الصافات 8) "خَطِفَ الْخَطْفَةَ" (الصافات 10)]، أَوْ قَصَرْتَ الْحِكْمَةَ عَلَى نَفْسِكَ؟ مَاذَا تَعْرِفُهُ وَلاَ نَعْرِفُهُ نَحْنُ؟ وَمَاذَا تَفْهَمُ وَلَيْسَ هُوَ عِنْدَنَا؟" (أيوب 15:7-9). اقرأ أيضاً (أيوب 12:4).

وتوجد قصة كتابية أخرى (1 ملوك 22:1-28) (2 أخبار الأيام 18:1-27) تتحدث عن أنبياء كَذَبَة (أي: كُهّان) **[← "كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ" (الشعراء 222-223)]** زعموا أنهم يعلمون الغيبَ وقالوا أكذوبةً أخذوها مِن "رُوح كَذِبٍ" (a lying spirit; a deceptive spirit) **[← جِن أو شيطان]** كان حاضراً في مجلس الله السماوي **[← "الْمَلَإِ الْأَعْلَى" (الصافات 8) (ص 69)]** حيث كان "الرَّبّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ (heavenly throne)، وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وُقُوفٌ لَدَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ" (1 ملوك 22:19) (2 أخبار الأيام 18:18)! أما النبي الصادق "ميخا" (prophet Micaiah) **[← محمد حسب الأسطورة الإسلامية]** فهو الذي استطاع أن يكشف أكاذيب الكُهّان ويقول الحق المُوحَى به من الله! وكل هذا حدث بسماح من الله – بل بأمر من الله! – ولتحقيق إرادة الله! ومِن العجيب أن النبي "ميخا" هذا لم يُذكَر إطلاقاً في أي سفر آخر من أسفار الكتاب المقدس بعهديه! فهل قصة "روح الكذب" التي أرسلها اللهُ قصة حقيقية أم مجرد أسطورة (myth) من نسج خيال المؤلف؟

كما توجد أساطير يهودية متأخرة تتمركز حول خرافة "استراق السمع" بصورة أكثر وضوحاً، مما يدل على أنها تراث شرقي شعبي طورته الأجيال تطوراً بشرياً طبيعياً. فيتحدث التلمود البابلي (Gittin 68a)[2707] مثلاً عن روح شرير (evil spirit) **[← جن أو عفريت أو شيطان]** اسمه "أسموداوس" (Ashmedai) (Asmodeus) كان يصعد كل يوم من الجبل إلى جَلَد السماء (firmament)[2708] **[← "لَمَسْنَا السَّمَاءَ[2709]" (الجن 8) "السَّمَاءَ الدُّنْيَا" (الصافات 6) (الملك 5) (فصلت 12)]** ليدرس في "الأكاديمية العليا" (the academy on high) **[← "نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ (أي: كما يصغى التلميذ إلى مدرسه في المدرسة)" (الجن 9) "يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى" (الصافات 8) "خَطِفَ الْخَطْفَةَ" (الصافات 10)]** ثم يعود إلى الأرض. ومِن ثم، استطاع أسموداوس أن يعلم الغيب في عهد سليمان! وهكذا تصل أخبار السماء إلى أهل الأرض! إلا أن معرفة أسموداوس للغيب كانت أحياناً تضعه في مواقف طريفة ومحرجة، فكان مثلاً يبكي في حفل زفاف لأنه يعلم مسبقاً أن العريس سيموت قريباً! ومِن الجدير بالذكر أن أسموداوس له أساطير ومغامرات كثيرة مع سليمان تسللت أيضاً إلى القرآن. ومِن أشهر أساطير سليمان وأسموداوس أن أسموداوس ساعد سليمان في بناء الهيكل **[← "يَعْمَلُونَ لَهُ (أي: يعمل الجنُّ لسليمان) مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ (أي: دور عبادة؛ هيكل سليمان بأورشليم؛ أبنية وحصون وقصور)" (سبأ 13)]**!

وفي خرافة أخرى من خرافات التلمود البابلي (Berakot 18b)، نجد أرواح الموتى أو الملائكة الساقطين (fallen angels)[2710] **[← الشياطين أو الجن]** يختبئون خلف ستارة (veil) عند عرش الله ليخطفوا الأسرار الإلهية (مثلاً: أحوال الطقس هذا العام وتأثيرها على موسم الزراعة والحصاد) **[← خرافة استراق السمع التي اعترف بها القرآن]**! ومِن ثم تنتقل هذه الأسرار الإلهية مِن السماء إلى البشر في الأرض.

فأدى ذلك إلى حدوث خير في عامٍ، وإلى حدوث شر في العام التالي **[⟵ قال الجن في القرآن: "وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (أي: خيراً وهدى)" (الجن 10)]**، فامتنعت تلك الأرواح عن استراق السمع في العام الثالث. وحسب خرافات المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 50, 68) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[2711] أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة – طُرِدَت تلك الأرواح مِن السماء **[⟵ خرافة الشهب المحرقة التي اعترف بها القرآن]**[2712]!

أما الخرافات الضخمة والأساطير الكبرى فنجدها في كتاب يُسمَّى "شهادة سليمان" أو "وصية سليمان" أو "ميثاق سليمان" (Testament of Solomon) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد – أي قبل الإسلام بأكثر من 200 سنة – ويُعتقَد أن مؤلِّفه (أو محرره النهائي) مسيحي، أو أن "النص يهودي من حيث الأصل، ولكنه خضع للمسة تحريرية مسيحية"[2713]. وهذا الكتاب الطريف الممتلئ بالأساطير والحواديت الشعبية مصدر رئيسي للأساطير التي قالها القرآنُ عن سليمان، وأشهرها أن سليمان سخَّر الجن والشياطين لخدمته واستطاع أن يسيطر عليهم ويسخرهم لبناء الهيكل! لكن هذا ليس موضوعنا الآن، فَمَا يهمنا هنا هو خرافة استراق السمع. فكما أعطى القرآنُ فرصةً للجن لكي يتحدثوا عن صعودهم إلى السماء لاستراق السمع من أجل معرفة الغيب (الجن 8-9)، كذلك أعطى مِن قَبله كتابُ "ميثاق سليمان" فرصةً لواحدٍ من الشياطين اسمه "أورنياس" (Ornias) لكي يتحدث ويقول[2714]:

> We demons go up to the firmament of heaven, fly around among the stars, and hear the decisions which issue from God concerning the lives of men.

ولقد حكى المفكر السوري الكبير فراس السواح هذه القصة الطريفة في كتابه الشهير "أساطير الأولين: القصص القرآني ومتوازياته التوراتية"، فقال: "وفي ميثاق سليمان، لدينا قصة عن العفاريت الذين يطيرون نحو قبة السماء من أجل استراق السمع ومعرفة الأوامر التي يصدرها الله إلى الملائكة، وبذلك يتنبؤون بالحوادث المقبلة: فقد احتكم رجل عجوز إلى سليمان شاكياً ابنه الوحيد الذي يعامله معاملة سيئة ويضربه ويهدده بالموت. فاستدعى سليمانُ الشَّابَّ وسأله عن حقيقة الأمر، فأنكر التهمة وطلب إنصافه من أبيه الذي تجنى عليه. ولكن الأب أصر على طلب الموت لابنه. وكان العفريت المدعو أورنياس حاضراً فضحك. ولمَّا سأله سليمان غاضباً عن سبب ضحكه، قال له إن [الابن] سوف يموت بعد ثلاثة أيام موتاً طبيعياً. فأمر سليمانُ الأب والابن أن يعودا إليه بعد ثلاثة أيام. وعندما انصرفا سأل سليمانُ العفريت عن الوسيلة التي تعينه هو وأقرانه على كشف حجب المستقبل. فقال له: نحن نطير نحو قبة السماء ونتجول بين النجوم، فنسمع الأوامر التي يصدرها الله إلى الملائكة بخصوص حيوات البشر؛ ولكن بما أننا لا نملك قدرة الملائكة على الطيران الطويل، فإننا نتعب لعدم وجود شيء نستند إليه أو نستريح عنده، فيقع بعضنا من الأعالي ويهوي مثل وميض البرق، فيظن الناظر إلينا أننا نجوم نتساقط من الأعالي". **"وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الشياطين التي تطير كي تسترق السمع في السماء، وعن شهب تنقض من السماء لإتلافهم"**[2715].

والقاسم المشترك الأكبر في كل هذه الأساطير الدينية والشعبية هو أن الصعود (المعراج) إلى السماء هو السبيل إلى معرفة الغيب وأخبار المستقبل. ولقد كانت هذه الفكرة سائدة ومنتشرة انتشاراً واسعاً في الشرق الأوسط في العصر القديم المتأخر (Late Antiquity). فنقرأ مثلاً عن معراج يوحنا في رؤياه: "نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ، وَالصَّوْتُ الأَوَّلُ الَّذِي سَمِعْتُهُ كَبُوق يَتَكَلَّمُ مَعِي قَائِلاً: «اصْعَدْ إِلَى هُنَا (أي: اصْعَدْ إِلَى السماء) فَأُرِيَكَ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَصِيرَ بَعْدَ هذَا (أي: فأُرِيَكَ ما سيحدث في المستقبل)»" (الرؤيا 4:1). اقرأ أيضاً أسطورة معراج أخنوخ المذكورة في سفر أخنوخ الأول (1 أخنوخ 14).

وفكرة الصعود (المعراج) إلى السماء هي أيضاً الفكرة الأساسية في أسطورة "الإسراء والمعراج" أي: إسراء محمد من مكة (بيت الله) إلى أورشليم حيث كان هيكل سليمان (بيت الرب) ثم صعود/معراج محمد إلى السماء (بيت الله). ومِن الجدير بالذكر أن التراث الإسلامي يقول إن "معراج محمد" حدث بُعيد حادثة "إيمان الجن" بمحمد (الأحقاف 29-32) و/أو (الجن 1-2)؛ بخلاف الإنس (كفار مكة) الذين لم يؤمنوا بمحمد ولا بمعراجه، بل لن يؤمنوا حتى لو عرجوا هُمْ أنفسهم إلى السماء وشاهدوا بأعينهم ما شاهده محمدٌ/أخنوخ/يوحنا: "وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم (أي: على كفار مكة) بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (أي: يصعدون). لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ (أي: سُحِرَتْ) أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (أي: ما نشاهده خيال من أثر سحر صنعه محمدٌ)" (الحجر 14-15)[2716].

يعني الموضوع كله مِن أوله لآخره (الجن والعفاريت والشياطين + الصعود إلى السماء + استراق السمع + الشهب المحرقة + النجوم الحارسة) طلع كله مجرد أساطير جاهلية عربية استلهمها أصحابُ القرآن – كالعادة – وتأثروا بها من تراث الشرق الأوسط القديم، سواء من تراث الديانات الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية مثلاً) أو من تراث الديانات غير الإبراهيمية (الزرادشتية مثلاً).

وهكذا نصل دائماً إلى نفس النتيجة التي تثبت بشرية الإسلام (قرآن + سُنَّة صحيحة). مجرد كوكتيل أساطير شرقية قديمة تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى وصلت إلى العرب قبل الإسلام. ثم جاء أصحابُ القرآن ورواةُ الأحاديث فطوَّروا تلك الأساطير الدينية والشعبية الموروثة تطوراً بشرياً طبيعياً، ثم سجلّوها – بصورتها العربية/الإسلامية الجديدة – في القرآن والسُّنَّة الصحيحة. أو بالأحرى: سجلوا جزءاً منها وتركوا جزءاً آخر وقالوا عليه "إسرائيليات"!

إنها كلها "إسرائيليات" وأساطير ... مِنها ما تسلل إلى القرآن والسُّنَّة الصحيحة، ومِنها ما لم يتسلل.

وقبل أن ننتقل إلى خرافة أخرى اعترف بها الإسلام وهي خرافة "السحر" (Magic)، نرد على جملة يرددها كثير من المسلمين، وهي أن الإسلام ناهض السحر والعِرَافَة؛ وأن الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك كثيرة ومشهورة.

الرد: هذا صحيح، لكنه لا ينفي اعتراف القرآن والأحاديث الصحيحة بتأثير أعمال "السحر" كما اعترف بخرافة "استراق السمع" وخرافة "الشُهُب المُحرقة"، مما يؤكد أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله. وإنما القرآن كلام العرب. وما القرآن إلا تطور بشري طبيعي للتراث العربي (الجاهلي) والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) والتراث اليهودي.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[⟵ القرآن كلام العرب]**.

ثم إن محاربة الإسلام للسحر والعِرَافَة ليست أمراً جديداً، فلقد سبقه إلى ذلك الديانتان اليهودية والمسيحية. يقول الكتاب المقدس: "لاَ تَلْتَفِتُوا إِلَى الْجَانِّ وَلاَ تَطْلُبُوا التَّوَابعَ، فَتَتَنَجَّسُوا بِهِمْ" (اللاويين 31:19). اقرأ أيضاً (اللاويين 6:20) (اللاويين 27:20) (1 صموئيل 3:28-9)[2717][2718] (1 أخبار الأيام 13:10-14) (2 ملوك 1:21-6) (2 أخبار الأيام 1:33-6) وآيات أخرى. ويمكن تلخيصها كما يلي: "لاَ تَتَعَلَّمْ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ رِجْسِ أُولئِكَ الأُمَمِ. لاَ يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ، وَلاَ مَنْ يَعْرُفُ عِرَافَةً، وَلاَ عَائِفٌ وَلاَ مُتَفَائِلٌ وَلاَ سَاحِرٌ، وَلاَ مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً، وَلاَ مَنْ يَسْأَلُ جَانًّا أَوْ تَابِعَةً، وَلاَ مَنْ يَسْتَشِيرُ الْمَوْتَى. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ الرَّبِّ" (التثنية 9:18-12).

وفي هذا السياق يجب أن نقول: على الرغم مِن أنه لا يوجد في الكتاب المقدس بعهديه شيء اسمه "الجن" أو "الجان" بالمعنى المُتعارَف عليه في الإسلام، إلا أننا لاحظنا أن بعض الترجمات العربية للكتاب المقدس – ربماً تأثراً بالثقافة العربية/الإسلامية السائدة في المجتمع – قد استخدمت كلمة "(الـ)جان" للإشارة إلى أعمال العِرَافَة والسحر وتحضير الأرواح (necromancy). قال البابا شنوده الثالث بطريرك الإسكندرية في مصر تعليقاً على كلمة "الْجَانّ" في (1 صموئيل 3:28-9): "حكاية "الجان" دي "الجن" دي ترجمة عربية، لكن إحنا ماعندناش غير ملايكة وشياطين"[2719]. وهذا أيضاً ما قاله الباحثُ المعروف الدكتور "رأفت عماري" (رحمه الله) الذي أكَّد أن المقصود ليس "الجن" أو "الجان" بالمعنى المُتعارَف عليه في الإسلام، وإنما المقصود تحضير شياطين والزعم أنها أرواح موتى[2720]. علماً بأن الكتاب المقدس قد نهى عن كل أعمال العِرَافَة والسحر وتحضير الأرواح وأمثالها وندد بها وبمِن يقومون بها تنديداً مباشراً[2721]. ثم بعد ذلك ظهر الإسلام وندد بأعمال السحر أيضاً، لكنه اعترف بتأثيرها – وهو لا يعلم أنها مجرد خرافة! – واخترع (أو بالأحرى: لجأ إلى) خرافة أكبر منها لمحاربتها وهي خرافة "الرُقية" (Exorcism) ...

4.2.2.2 خرافة "السحر" ... وخرافة أكبر منها تحاربها: "الرُقية (النُّشْرَة)"!

نبدأ أولاً بتعريف "السحر". قال الشيخ عبد الجليل عيسى (من علماء الأزهر في القرن العشرين) إن السحر هو "ما يُزاوِلُه بَعضُ خُبَثاءِ الإنسِ من أَفعالٍ يَكونُ لها أَثَرٌ في شَخصٍ آخَر مِن غَيرِ اتِّصالٍ"[2722].

كان السحر أيام محمد شائعاً في شبه الجزيرة العربية وما حولها. يقول د. جواد علي: "كان أكثر السحرة فى الجاهلية من يهود. يقصدهم الجاهليون من أنحاء بعيدة، لاعتقادهم بسعة علمهم وباختصاصهم فيه. [...] ولا يمكن صنع سحر ما لم يقترن بعمل. ويصحب هذا العمل كلام مفهوم أو غير مفهوم، وإشارات، يدعى الساحر أنه إنما يقوم به وبالإشارات لتسخير الأرواح، وان ما يفعله مفهوم عند جنوده، وَهُم الجن والشياطين"[2723]. وقال الإمام البغوى نقلاً عن الخطابى: "السحر ثابت، وحقيقته موجودة، اتفق أكثر الأمم من العرب، والفرس، والهند، وبعض الروم على إثباته"[2724]. وهذا اعتراف من المراجع العربية والإسلامية على انتشار الإيمان بالسحر، ليس فقط بين العرب، بل أيضاً في البلدان المجاورة لهم.

والقرآن نفسه يعترف بانتشار الإيمان بالسحر أيام محمد. فلقد قال كفار مكة لصحابة محمد: "إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا" (الإسراء 47) و (الفرقان 8)، وقالوا عن محمد: "إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ" (يونس 2) "هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ" (ص 4)، أى ما يقوله مِن قرآن ليس وحياً من عند الله.

والمشكلة ليست في انتشار الإيمان بالسحر بين العرب الجاهليين وغيرهم في القرن السابع الميلادي، وإنما في اعتراف القرآن بتأثير أعمال السحر! وكما ألصق أصحابُ القرآن خرافتي "استراق السمع" و "الشُهُب المُحرقة" بعالم خفي هو عالم الملائكة والجن والشياطين، كذلك ألصقوا خرافةَ "السحر" بعالم الملائكة والجن والشياطين. تقول موسوعة بيان الإسلام: "أما مصدر السحر فهو شياطين الجن المتمردون على الطاعة، المتربصون بالإنسان [...] وأثر السحر هو تفريق الشمل، وتمزيق الوحدة والإفساد فى الأرض. وقد أكد القرآن الكريم كل هذه المعانى فى أكثر من آية"[2725]. على سبيل المثال، يقول القرآن: "فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا (أي: فيتعلم الناسُ/السحرةُ مِن الْمَلَكَيْنِ هَارُوت وَمَارُوت) مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ" (البقرة 102).

ونحن نقول لكل مسلم: السحر ليس له مصدر. السحر ليس له أثر إلا في أوهام مَن يؤمن بأثره. فما السحر إلا خرافة مِن خرافات العالم القديم. ومجرد اعتراف القرآن بتأثير أعمال السحر هو دليل كافي على أن القرآن ليس كلام الله؛ فلا يمكن أن يتناقض كلام الله الأزلي الأبدي مع العقل والعلم الحديث.

وخير دليل على اعتراف القرآن بأثر أعمال السحر هو أن القرآن يأمر المسلمين بأن يعوذوا بالله "مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ" (الفلق 4)، أي: مِنْ شَرِّ النساء الساحرات اللاتي ينفخن فيما يعقدن من عُقَد بقصد السحر، حسب رأي كثير مِن مفسري أهل السُّنَّة والجماعة! قال الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر: ""وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ"، أى: ومن شر النساء السواحر اللائى يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن وينفخن عليها من أجل السحر"[2726]! وقال الشيخ العثيمين: ""النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ" هن الساحرات.

يعقدن الحبال وغيرها، وتنفث بقراءة مطلسمة فيها أسماء الشياطين على كل عقدة تعقد ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصاً معيناً، فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور"[2727]!

لكن كالعادة، اختلف المفسرون في تفسير تلك الآية القصيرة "مِنْ شَرّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ" (الفلق 4) التي يحفظها كل مسلم منذ طفولته! قال الشيخ محمد الغزالي: "يرى ابن حزم وعلماء الظاهر أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو خداع وتخييل"[2728]. انظر أيضاً تفسير الزمخشري المشهور بانتمائه لمذهب الْمُعْتَزِلَة[2729].

أما عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة فهي الاعتراف بحقيقة السحر وإثبات تأثيره. تقول موسوعة بيان الإسلام: "أجمع العلماء - قديماً وحديثاً - على كون السحر حقيقة ثابتة، وليس أوهاماً أو خيالات، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، مستدلين على ذلك بما جاء في القرآن والسنة النبوية الصحيحة، ولم يخالف فى ذلك إلا المعتزلة"[2730]. وقال ابن كثير: "حَكَى أَبُو عَبْد اللَّه الرَّازِيّ فِي تَفْسِيره عَنْ الْمُعْتَزِلَة أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا وُجُود السِّحْر، قَالَ: وَرُبَّمَا كَفَّرُوا مَنْ اِعْتَقَدَ وُجُوده، قَالَ: وَأَمَّا أَهْل السُّنَّة فَقَدْ جَوَّزُوا أَنْ يَقْدِر السَّاحِر أَنْ يَطِير فِي الْهَوَاء وَيَقْلِب الْإِنْسَان حِمَارًا وَالْحِمَار إِنْسَانًا"[2731]!

ليس هذا فحسب، بل ذَكَرَ القرآنُ أن السحر قد أثر على موسى (أحد أولي العزم من الرسل وأكثر نبي مذكور في القرآن!) حتى إنه ليُخيَّل إليه الشيء: "قَالَ [موسى لسحرة فرعون] بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا [صارت حيات] تَسْعَى (أي: تتحرك وتسير!)" (طه 66)، وبدليل أنه خاف مِن فِعْل السحرة: "فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى. قُلْنَا لَا تَخَفْ" (طه 67-68)! أي أن السحر قد أثر على موسى مادياً (بتخييل الرؤية والهلوسة البصرية) ومعنوياً (بالخوف)! بل يزعم القرآنُ أن هذا السحر قد أثر على الناس المشاهدين تأثيراً جسدياً (بالتأثير على أعينهم وأبصارهم) وتأثيراً نفسياً (بالرهبة والرعب): "فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ" (الأعراف 116)! "أي: أثروا فى أعين المشاهدين، عن طريق الإيهام والتأثير، خطفوا أبصارهم، فصارت تتوهم أنها ترى أشياء حية، وهى ليست حية، ولذلك رأت الجمادات من الحبال والعصى أفاعى وثعابين تتحرك وتسعى، مع أنها جامدةٌ ساكنة"[2732]!

أو كما قال الشيخ الشعراوي: "تصبح عين المسحور خاضعة لإرادة الساحر [...] الساحر يسحر أعين الناس ولكن عينيه لا يسحرهما أحد [...] عندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم خُيِّل للموجودين أنها حيات تسعى .. ولكن هل خُيِّل للسحرة أنها حيات؟ طبعاً لا .. لأن أحداً لم يسحر أعين السحرة .. ولذلك ظل ما ألقوه في أعينهم حبالاً وعِصيًّا"[2733]! يعني: عين موسى النبي وعيون الناس الحاضرين كانت خاضعة لإرادة سحرة فرعون! فشاهد موسى والناس حيات تتحرك مع أنها في الواقع كانت مجرد حبالاً وعِصيًّا!

أساطير من العيار الثقيل تثبت أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله.

هذا في القرآن المكي. فماذا عن القرآن المدني؟ للإجابة على هذا السؤال، يجب أن نتوقف عند آية قرآنية واحدة تكفي لإثبات أن القرآن ليس كلام الله ...

4.2.2.2.1 سحر الْمَلَكَيْنِ "هاروت وماروت"! وأثره الضار على الأسرة والمجتمع "بِإِذْنِ اللَّهِ"!

لم يُذكَر "هاروت وماروت" في القرآن كله إلا في آية واحدة فقط! وهي آية مدنية طويلة جداً تقول: "وَاتَّبَعُوا (أي: ولقد ترك فريقٌ مِن اليهود كتابَ الله وصدَّقوا) مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ (أي: ما زعمه شياطين الجن و/أو خُبَثاء الإنس أن المَلِك سليمان بن داود كان ساحراً وكان يحكم ويسيطر بسحره على الإنس والجن والطير والحيوان) وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ (أي: لم يكن ساحراً، لأن السحر نوع من الكفر؛ بل كان نبياً يحكم ويسيطر بنعمة الله[2734]) وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ [هُمْ الذين] كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ (sorcery; witchcraft) وَمَا أُنْزِلَ (أي: ويُعَلِّمونَ النَّاسَ أيضاً السِّحْرَ الذي أنزله اللهُ!) عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ (Babylon؛ مدينة أثرية تقع على نهر الفرات في العراق حالياً) هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ (أي: مع أن هاروت وماروت ما كانا يُعَلِّمَانِ) مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا [له تحذيراً] إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ (أي: اختبار وابتلاء وامتحان من الله لعباده!) فَلَا تَكْفُرْ (أي: كان هاروت وماروت يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السِّحْرَ لكن يقولا لهم: لا تمارسوا السِّحْرَ لأن السحر كفر!) فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا (أي: فيتعلم الناسُ/السحرةُ مِن هاروت وماروت) مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ (أي: السحرة؛ تلاميذ هاروت وماروت؛ اليهود الذين تعلموا السحر ومارسوه) بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (أي: الله وحده هو الذي يأذن بالضرر إنْ شاء وأراد!) وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ (أي: مَن تعلم السحر ومارسه؛ مَن صَدَّق الشياطين وترك كتابَ الله) مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (كلمة عبرية أصلاً ḥēleq تعني: نصيب؛ والمراد هنا: نصيب في الخير أو ثواب أو مكافأة)[2735] وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا (أي: باعوا) بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (البقرة 102) (مدنية).

استدل ابن بطال بهذه الآية القرآنية (البقرة 102) لاثبات حقيقة السحر فى الإسلام، وقال: "فنفى الله السحر عن سليمان وأضافه إلى الشياطين وأخبر أنهم يفعلونه ويعلمونه الناس، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه ولا أخبر تعالى أنهم يعلمونه الناس"[2736]!

وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره لـ (البقرة 102): "وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَقَدْ جَوَّزُوا أَنْ يَقْدِرَ السَّاحِرُ عَلَى أَنْ يَطِيرَ فِي الْهَوَاءِ، وَيَقْلِبَ الْإِنْسَانَ حِمَارًا، وَالْحِمَارَ إِنْسَانًا، إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ عِنْدَمَا يَقْرَأُ السَّاحِرُ رُقًى مَخْصُوصَةً وَكَلِمَاتٍ مُعَيَّنَةً. فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُؤَثِّر فِي ذَلِكَ الْفَلَك وَالنُّجُوم فَلَا". ثم أعطى الرازي دليلاً من القرآن ودليلاً من الْخَبَر (يقصد: الأحاديث)، فقال: "أَمَّا الْقُرْآنُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: "وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ"، وَالِاسْتِثْنَاءُ يَدُلُّ عَلَى حُصُولِ الْآثَارِ بِسَبَبِهِ. وَأَمَّا الْأَخْبَارُ فَهِيَ وَارِدَةٌ عَنْهُ ﷺ مُتَوَاتِرَةً وَآحَادًا. أَحَدُهَا: مَا رُوِيَ أَنَّهُ (أي: محمد) عَلَيْهِ السَّلَامُ سُحِرَ، وَأَنَّ السِّحْرَ عَمِلَ فِيهِ حَتَّى قَالَ: "إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنِّي أَقُولُ الشَّيْءَ وَأَفْعَلُهُ، وَلَمْ أَقُلْهُ وَلَمْ أَفْعَلْهُ"[2737]!

وهكذا جعل الإسلامُ السِّحْرَ عِلماً من العلوم له (technique) مخصوص أو (procedure) معين يُكتسَب بالتعلم والتعليم! يقول القرآن 4 مرات في (البقرة 102): "[...] يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ [...] يُعَلِّمَانِ [...] فَيَتَعَلَّمُونَ [...] وَيَتَعَلَّمُونَ [...]" (البقرة 102)!

وفي عصرنا الحالي، تقول موسوعة العقيدة الإسلامية الصادرة من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "وللسحر تأثيره؛ فمنه ما يُمرض، ومنه ما يقتل، ومنه ما يأخذ بالعقول، ومنه ما يأخذ بالأبصار، لكن تأثيره ذلك إنما هو بما قضاه اللهُ سبحانه وقدره. فالسحر ليس بمؤثر لذاته نفعاً ولا ضراً وإنما يُؤثر بقضاء الله تعالى وقدره، وخلقه وتكوينه، لأنه تعالى خالق الخير والشر والسحر من الشر؛ ولهذا قال تعالى: "فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 102). ومذهب أهل السنة والجماعة – كما يقول المازري – وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة – كحقيقة – غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمَن أنكر ذلك ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها. فهناك إجماع على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة الذي قال إنه لا حقيقة له عنده؛ أما القرطبي فيقول: "وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافاً للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني حيث قالوا: إنه تمويه وتخييل". فالسحر حقيقة وله تأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة رضوان الله عليهم، وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية"[2738]!

تعليقنا: ما قالته هذه الموسوعة الصادرة من وزارة ومؤسسة دينية رسمية يكفينا لاثبات أن الإسلام ليس دين الله. وبخاصة الجملة الأخيرة: "السحر حقيقة وله تأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة رضوان الله عليهم، وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية".

وقال د. محمد سليمان عبد الله الأشقر في تفسيره لـ (البقرة 102): "وقد أجمع أهل العلم (يقصد: شيوخ الإسلام) على أن له (أي: للسحر) تأثيراً في النفس (مثلاً: يُغيّر المزاج) وحقيقة ثابتة، لم يخالف في ذلك إلا المعتزلة وأبو حنيفة"[2739]!

وقال الشيخ الشعراوي: "السحر يؤدي لاختلال التوازن في الكون .. لأن الساحر يستعين بقوة أعلى في عنصرها من الإنسان وهو الشيطان"، "السحر علم يستعين فيه الإنسانُ بالشياطين"، "تعلم السحر يضر ولا ينفع [...] فالسحر لا يأتي إلا بالضرر [...] وَهُمْ (أي: الذين يشتغلون بالسحر) لا يستطيعون أن يضروا أحداً إلا بإذن الله"؛ "فالساحر يفعل ما يريد، لكن الإصابة والأذى مرهونان بأمر الله"[2740]! إذن: الساحر يستعين بالشيطان ليضر الآخرين، لكن الله هو الذي يأمر بحدوث هذا الضرر الذي أراده الساحرُ وأراده الشيطانُ! هل هذا معقول؟! كالعادة، يقحمون اللهَ في خرافاتهم حتى لا يناقشهم أحدٌ! لمَّا بيتزنقوا بيستخبوا وراء الله.

ونحن نقول للشيخ الشعراوي ولكل المسلمين: السحر ليس علماً. السحر خرافة. السحر لا يضر ولا ينفع، فهو مجرد خرافة من خرافات العالم القديم وليس له أي أثر سلبي ولا إيجابي إلا في المجتمعات المنكوبة

بالثقافة الإسلامية/العربية التي تركت الشيخ الشعراوي وأمثاله يظهرون كثيراً في التليفزيون فنشروا تلك الخرافات القديمة التي تحرر منها العالمُ المتحضر بينما لم يتحرر منها المسلمون حتى الآن!

قال د. صلاح الخالدي إن السحر نوعان وكلاهما مذكور فى القرآن! **النوع الأول:** "سحرٌ قائمٌ على خفةِ ومهارةِ الساحر، وقدرتِه على خداعِ المشاهدين وسحرِ عيونهم، وتخييلِ الأمرِ لهم على غير صورتِه المادية، وما يقدِّمُه من سحرٍ ليس له رصيدٌ من عالم الواقع والحقيقة. وهذا معظم ما يقدّمُه السحرة. ومن هذا النوع سحْرُ السحرةِ أمام موسى عليه السلام". أما **النوع الثاني:** "سحْرٌ له حقيقةٌ ورصيدٌ من الواقع، وقد يُغيِّرُ الساحرُ بعضَ الأشياء بإذن الله، وهذا السحرُ قد يضرُّ مَنْ وُجِّهَ له ويُؤذيه، لكن بإذن الله أيضاً. ومن هذا النوع سحْرُ أهلِ بابل الذى تعلَّموه مِن هاروت وماروت، حيث كانوا يُفرقون به بين المرءِ وزوجه بإذن الله، ويضرّون به الآخرين بإذن الله"[2741].

إذن: النوع الأول يعتمد أساساً على خفة اليد (sleight of hand) والخداع (illusion)، وهذا النوع لا يهمنا كثيراً. فما يهمنا أكثر هو النوع الثاني الذي يُعرَف في عصرنا الحالي باسم "الدجل" أو "الشعوذة" (sorcery; witchcraft) مع أن القرآن يقول إنه حقيقة وواقع وله تأثير في الآخرين "بإذن الله"!

إذن: صحيح أن القرآن هاجم السحرَ وقال إنه نوع من الكفر، لكنه اعترف بتأثير أعمال السحر! هذه هي المشكلة. إنها مشكلة كبيرة جداً لأن السحر خرافة من خرافات العالم القديم، ولا تأثير له الآن إلا في أذهان المتخلفين علمياً وحضارياً وثقافياً. ولم يكتفِ القرآنُ بالاعتراف بتأثير أعمال السحر وإنما أقحمَ اللهَ فى هذه الأعمال وقال إن السحر يؤثر "بإذن الله"! وهذا وحده يكفى كدليل قاطع على أن القرآن ليس كلام الله؛ فالله القدوس ليس له علاقة بخرافات العالم القديم وبخاصة خرافة "السحر".

فما هي قصة "هاروت وماروت"؟ وما جذور تلك القصة القرآنية العجيبة في تراث الشرق الأوسط القديم؟ هذا ما سنناقشه في الصفحات التالية ...

4.2.2.2.1.1 قصة "هاروت وماروت" في كتب السُّنَّة وتفسير القرآن

قصة "هاروت وماروت" المذكورة في كتب السُّنَّة وتفسير القرآن أسطورة من العيار الثقيل تذكرنا بأسطورة الْجَسَّاسَة المذكورة في صحيح مسلم.

فلقد أخرج الإمامُ أحمد بن حنبل في مسنده والإمام محمد بن حِبَّان في صحيحه وغيرهما حديثاً مرفوعاً إلى محمد عَنْ مُوسَى بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ آدَمَ ﷺ لَمَّا أَهْبَطَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْأَرْضِ، قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: "أَيْ رَبِّ، أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟" قَالَ [اللَّهُ]: "إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ". قَالُوا: "رَبَّنَا نَحْنُ أَطْوَعُ لَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ" (يقصدون: لو عشنا على الأرض سنكون أكثر طاعةً لأوامرك وأكثر تجنباً لنواهيك من بني آدم).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ [امتحاناً لهم]: "هَلُمُّوا مَلَكَيْنِ (أي: اختاروا مَلَكَيْنِ) مِنْ الْمَلَائِكَةِ، حَتَّى يُهْبَطَ بِهِمَا إِلَى الْأَرْضِ، فَنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلَانِ (أي: هل سيلتزما بالطاعة مثل الملائكة في السماء؟ أم سيسقطا في الخطيئة مثل الإنسان على الأرض؟)". قَالُوا: "رَبَّنَا، هَارُوتُ وَمَارُوتُ". فَأُهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ [ونعرف من الكتب والمراجع الإسلامية أن الله جعل الشهوةَ الجنسية (lust; libidinal forces) في هاروت وماروت فصارا مثل الرجال البشر]، وَمُثِّلَتْ لَهُمَا الزُّهَرَةُ امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ، فَجَاءَتْهُمَا، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا (أي: راوَداها عن نفسها؛ أرادا أن يزنيا بها). فَقَالَتْ [لهما]: "لَا وَاللَّهِ، حَتَّى تَكَلَّمَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْ الْإِشْرَاكِ (أي: تشركا بالله)". فَقَالَا: "وَاللَّهِ لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ أَبَدًا". فَذَهَبَتْ عَنْهُمَا، ثُمَّ رَجَعَتْ بِصَبِيٍّ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. فَقَالَتْ [لهما]: "لَا وَاللَّهِ، حَتَّى تَقْتُلَا هَذَا الصَّبِيَّ". فَقَالَا: "وَاللَّهِ لَا نَقْتُلُهُ أَبَدًا". فَذَهَبَتْ، ثُمَّ رَجَعَتْ بِقَدَحِ خَمْرٍ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. قَالَتْ [لهما]: "لَا وَاللَّهِ، حَتَّى تَشْرَبَا هَذَا الْخَمْرَ". فَشَرِبَا [الْخَمْرَ]، فَسَكِرَا، فَوَقَعَا عَلَيْهَا، وَقَتَلَا الصَّبِيَّ. فَلَمَّا أَفَاقَا، قَالَتْ الْمَرْأَةُ [لهما]: "وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُمَا شَيْئًا [أثيماً] مِمَّا أَبَيْتُمَاهُ عَلَيَّ إِلَّا قَدْ فَعَلْتُمَاه حِينَ سَكِرْتُمَا". فَخُيِّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا"[2742].

إلا أن كثيراً من الشيوخ المسلمين رفضوا هذا الحديث المرفوع سنداً و/أو متناً. قال ابنُ كثير: "وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحَيْنِ، إِلَّا مُوسَى بْنَ جُبَيْرٍ هَذَا"، مع أنه اعترف بأن لموسى بن جبير أحاديث أخرى في السنن: "وَرَوَى لَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهْ، وَذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي كِتَابِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَلَمْ يَحْكِ فِيهِ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَلَا هَذَا، فَهُوَ مَسْتُورُ الْحَالِ"[2743].

لكن الإمام الهيثمي أورد هذا الحديث المرفوع مرتين في كتابه الشهير "مَجمَع الزوائد ومنبع الفوائد"، وقال في المرة الأولى: "رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح خلا موسى بن جبير وهو ثقة". وقال في المرة الثانية: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن جبير وهو ثقة"[2744]. أي أن الإمام الهيثمي قَبِلَ هذا الحديث مرفوعاً إلى محمد عن عبد الله بن عمر.

وكذلك قال الحافِظ ابنُ حجر العسقلاني في كتابه الشهير "فتح الباري بشرح صحيح البخاري": "وَقِصَّةُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ جَاءَتْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَأَطْنَبَ الطَّبَرِيُّ فِي إِيرَادِ طُرُقِهَا بِحَيْثُ يَقْضِي بِمَجْمُوعِهَا عَلَى أَنَّ لِلْقِصَّةِ أَصْلًا، خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ بُطْلَانَهَا كَعِيَاضٍ وَمَنْ تَبِعَهُ، وَمُحَصَّلُهَا أَنَّ اللَّهَ رَكَّبَ الشَّهْوَةَ فِي مَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ اخْتِبَارًا لَهُمَا وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَحْكُمَا فِي الْأَرْضِ، فَنَزَلَا عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ وَحَكَمَا بِالْعَدْلِ مُدَّةً، ثُمَّ افْتُتِنَا بِامْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ فَعُوقِبَا بِسَبَبِ ذَلِكَ بِأَنْ حُبِسَا فِي بِئْرٍ بِبَابِلَ مُنَكَّسَيْنِ وَابْتُلِيَا بِالنُّطْقِ بِعِلْمِ السِّحْرِ، فَصَارَ يَقْصِدُهُمَا مَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ فَلَا يَنْطِقَانِ بِحَضْرَةِ أَحَدٍ حَتَّى يُحَذِّرَاهُ وَيَنْهَيَاهُ، فَإِذَا أَصَرَّ تَكَلَّمَا بِذَلِكَ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُمَا ذَلِكَ وَهُمَا قَدْ عَرَفَا ذَلِكَ فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُمَا مَا قَصَّ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[2745].

وفي ضوء الأحاديث الأسطورية الأخرى التي يقبلها المسلمون، مثل حديث الْجَسَّاسَة في صحيح مسلم وحديث الخضر في صحيح البخاري[2746]! لا نستبعد أن يكون محمدٌ قد قال هذا الحديث المرفوع فعلاً.

ويوجد حديث آخر، لكنه موقوف على كعب الأحبار، ويحظى بقبول أوسع عند شيوخ الإسلام. نجده مثلاً في تفسير عبد الرزاق عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: "ذَكَرَت الْمَلائِكَةُ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ، وَمَا يَأْتُونَ مِنَ الذُّنُوبِ. فَقِيلَ لَهُمْ: "اخْتَارُوا مَلَكَيْنِ". فَاخْتَارُوا هَارُوتَ وَمَارُوتَ. فَقَالَ [اللهُ] لَهُمَا: "إِنِّي أُرْسِلُ رُسُلِي إِلَى النَّاسِ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا رَسُولٌ، انْزِلا وَلا تُشْرِكَا بِي شَيْئًا وَلا تَزْنِيَا وَلا تَسْرِقَا". فَمَا اسْتَكْمَلا يَوْمَهُمَا الَّذِي أُنْزِلا فِيهِ حَتَّى عَمِلا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا"[2747]. قال الشيخ شُعَيب الأرنَؤوط ومحققو مسند أحمد (طبعة مؤسسة الرسالة) عن هذا الحديث الموقوف: "إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو أصح وأوثق من السند المرفوع"[2748]. وقال ابنُ كثير: "وَأَقْرَبُ مَا فِي هَذَا أَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، لَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ، [...]. فَهَذَا أَصَحُّ وَأَثْبَتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ [...]، وَسَالِمٌ أَثْبَتُ فِي أَبِيهِ مِنْ مَوْلَاهُ نَافِعٍ. فَدَارَ الْحَدِيثُ، وَرَجَعَ إِلَى نَقْلِ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، عَنْ كُتُبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[2749].

ويوجد حديث ثالث موقوف على ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "أَطَلَعَتِ الْحَمْرَاءُ بَعْدُ (يقصد: كوكب الزُّهَرَة Venus يُسمَّى بذلك لبياضه ولمعانه وجماله)؟" فَإِذَا رَآهَا قَالَ: "لَا مَرْحَبًا"، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ مَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ سَأَلَا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ، فَأُهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ، فَكَانَا يَقْضِيَانِ (adjudicate) بَيْنَ النَّاسِ، فَإِذَا أَمْسَيَا تَكَلَّمَا بِكَلِمَاتٍ وَعَرَجَا (أي: صعدا) بِهَا إِلَى السَّمَاءِ [ونعرف من الكتب والمراجع الإسلامية أن كلمة السر الخاصة بالصعود إلى السماء هي: اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ]. فَقَيَّضَ لَهُمَا بِامْرَأَةٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَأُلْقِيَتْ عَلَيْهِمَا الشَّهْوَةُ، فَجَعَلَا يُؤَخِّرَانِهَا وَأُلْقِيَتْ فِي أَنْفُسِهِمَا، فَلَمْ يَزَالَا يَفْعَلَانِ حَتَّى وَعَدَتْهُمَا مِيعَادًا فَأَتَتْهُمَا لِلْمِيعَادِ، فَقَالَتْ: "عَلِّمَانِي الْكَلِمَةَ الَّتِي تَعْرُجَانِ بِهَا". فَعَلَّمَاهَا الْكَلِمَةَ، فَتَكَلَّمَتْ بِهَا فَعَرَجَتْ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَمُسِخَتْ [كوكباً]، فَجُعِلَتْ كَمَا تَرَوْنَ (يقصد: كوكب الزُّهَرَة). فَلَمَّا أَمْسَيَا تَكَلَّمَا بِالْكَلِمَةِ الَّتِي كَانَا يَعْرُجَانِ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمْ يَعْرُجَا، فَبُعِثَ إِلَيْهِمَا إِنْ شِئْتُمَا فَعَذَابُ الْآخِرَةِ، وَإِنْ شِئْتُمَا فَعَذَابُ الدُّنْيَا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ عَلَى أَنْ تَلْتَقِيَانِ اللَّهَ تَعَالَى فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمَا وَإِنْ شَاءَ رَحِمَكُمَا. فَنَظَرَ أَحَدُهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: "بَلْ نَخْتَارُ عَذَابَ الدُّنْيَا أَلْفَ أَلْفَ ضِعْفٍ". فَهُمَا يُعَذَّبَانِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ". قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد"[2750]. ولقد ذَكَرَ ابنُ كثير حديثَ ابن عمر بإسناد آخر وبتفاصيل أكثر ومختلفة قليلاً لكن نفس الفكرة الأساسية، ثم قال: "هَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ"[2751]. وفي عصرنا الحالي، قال د. وهبة الزحيلي (عضو المجامع الفقهية) إن هاروت وماروت "كانا في الأصل من الملائكة، وَأُهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ بطلبهما"[2752].

ونحن نرى أن ما قاله ابنُ عمر: "هُمَا (أي: هاروت وماروت) يُعَذَّبَانِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ" قد أعطي قصةَ "هاروت وماروت" بُعداً رؤيوياً أخروياً (eschatological, apocalyptic) ينسجم مع سياق الحديث عن "الآخِرَةِ" في نهاية الآية (البقرة 102) والآية التي تليها (البقرة 103).

ويوجد حديث رابع نجده في المستدرَك للحاكم. سُمِعَ عليّ بن أبي طالب وهو يُخْبِرُ الْقَوْمَ "أَنَّ هَذِهِ الزُّهَرَةَ تُسَمِّيهَا الْعَرَبُ الزُّهَرَةَ، وَتُسَمِّيهَا الْعَجَمُ أَنَاهِيدَ، وَكَانَ الْمَلَكَانِ [هاروت وماروت] يَحْكُمَانِ بَيْنَ النَّاسِ، فَأَتَتْهُمَا امْرَأَةٌ (هي: الزُّهَرَةُ مُثِّلَتْ لَهُمَا امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ)، فَأَرَادَهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ غَيْرِ عِلْمِ صَاحِبِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: "يَا أَخِي إِنَّ فِي نَفْسِي بَعْضَ الأَمْرِ، أُرِيدُ أَنْ أَذْكُرَهُ لَكَ". قَالَ: "اذْكُرْهُ يَا أَخِي لَعَلَّ الَّذِي فِي نَفْسِي مِثْلُ الَّذِي فِي نَفْسِكَ". فَاتَّفَقَا عَلَى أَمْرٍ فِي ذَلِكَ، فَقَالَتْ لَهُمَا الْمَرْأَةُ: "أَلَا تُخْبِرَانِي بِمَا تَصْعَدَانِ إِلَى السَّمَاءِ، وَبِمَا تَهْبِطَانِ إِلَى الأَرْضِ (أي: كلمة السر)؟" فَقَالَا: "بِاسْمِ اللَّهِ الأَعْظَمِ[2753] بِهِ نَهْبِطُ وَبِهِ نَصْعَدُ". فَقَالَتْ: "مَا أَنَا بِمُؤَاتِيَتِكُمَا الَّذِي تُرِيدَانِ حَتَّى تُعَلِّمَانِيهِ". فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: "عَلِّمْهَا إِيَّاهُ". فَقَالَ: "كَيْفَ لَنَا بِشِدَّةِ عَذَابِ اللَّهِ؟" قَالَ الآخَرُ: "إِنَّا نَرْجُو سَعَةَ رَحْمَةِ اللَّهِ". فَعَلَّمَها إِيَّاه، فَتَكَلَّمَتْ بِهِ، فَطَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَفَزِعَ مَلَكٌ فِي السَّمَاءِ لِصُعُودِهَا، فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ بَعْدُ، وَمَسَخَهَا اللَّهُ فَكَانَتْ كَوْكَبًا". ويقول الحديث الذي يليه في المستدرَك للحاكم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كَانَتِ الزُّهْرَةُ امْرَأَةً فِي قَوْمِهَا يُقَالُ لَهَا بَيْدَخَةُ (وفي كتب ومراجع إسلامية أخرى: اسمها بِالنَّبَطِيَّةِ: بِيذُخْتُ)". قَالَ الْحَاكِمُ: "الإِسْنَادَانِ صَحِيحَانِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَالْغَرَضُ فِي إِخْرَاجِ الْحَدِيثَيْنِ ذِكْرُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَمَا سَبَقَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ فِيهِمَا وِلِلزُّهْرَةِ"[2754].

ويوجد حديث خامس رواه الحاكم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "إِنَّ النَّاسَ بَعْدَ آدَمَ وَقَعُوا فِي الشِّرْكِ، اتَّخَذُوا هَذِهِ الأَصْنَامَ، وَعَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ. فَجَعَلَتِ الْمَلَائِكَةُ يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ: "رَبَّنَا خَلَقْتَ عِبَادَكَ فَأَحْسَنْتَ خَلْقَهُمْ، وَرَزَقْتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ رِزْقَهُمْ، فَعَصَوْكَ وَعَبَدُوا غَيْرَكَ اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ"؛ يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ لَهُمُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: "إِنَّهُمْ فِي غَيْبٍ (أي: فِي غَيْبٍ عَنِّي)". فَجَعَلُوا لَا يَعْذُرُونَهُمْ. فَقَالَ [الرَّبُّ للملائكة]: "اخْتَارُوا مِنْكُمُ اثْنَيْنِ أُهْبِطُهُمَا إِلَى الأَرْضِ، فَآمُرُهُمَا وَأَنْهَاهُمَا". فَاخْتَارُوا هَارُوتَ وَمَارُوتَ". قَالَ [الراوي]: وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ فِيهِمَا وَقَالَ فِيهِ: "فَلَمَّا شَرِبَا الْخَمْرَ وَانْتَشَيَا وَقَعَا بِالْمَرْأَةِ وَقَتَلَا النَّفْسَ، فَكَثُرَ اللَّغَطُ فِيمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ فَنَظَرُوا إِلَيْهِمَا وَمَا يَعْمَلَانِ، فَفِي ذَلِكَ أُنْزِلَتْ: "وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ" (الشورى 5)". قَالَ: "فَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ يَعْذُرُونَ أَهْلَ الأَرْضِ وَيَدْعُونَ لَهُمْ". قال الحاكم "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ"[2755]. ولقد ذَكَرَ ابنُ كثير هذا الحديث بقدر أكبر من التفاصيل، وقال إنه "أَقْرَبُ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ [...] فَهَذَا أَقْرَبُ مَا رُوِيَ فِي شَأْنِ الزُّهَرَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[2756].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أيضاً قَالَ: "كَانَ اسْمُ [الْمَلَكَيْنِ] هَارُوتَ وَمَارُوتَ - وَهُمَا فِي السَّمَاءِ - عَزَرًا وَعَزِيزًا". أورده الهيثمي في مَجمَع الزوائد وقال "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ"[2757]. وفي النسخة المطبوعة للمعجم الأوسط للطبراني، وجدنا الاسمين مكتوبين باختلاف بسيط في التنقيط والتشكيل: "عَزْرًا وَعُزَيْرًا"[2758]. ونحن نستنتج من هذا الحديث المهم أن هاروت وماروت هُما الاسمان الأرضيان لهذين الْمَلَكَيْنِ.

وتوجد أحاديث أخرى ذكرها المفسرون في كتبهم، ولا تختلف كثيراً عن هذه الأحاديث الخمسة.

ونحن نندهش أن يقبل المسلمون واحداً أو أكثر مِن الأحاديث الأربعة الموقوفة بينما يرفضون الحديث الأول المرفوع، مع أن الفكرة الأساسية واحدة: هاروت وماروت مَلَكَان أُنزلا أو نزلا (fallen angels) من السماء إلى الأرض، فلمَّا عاشا نفس الابتلاءات التي يحياها الإنسانُ على أرض الواقع، سقطا بسرعة في التجربة، بل صارا أسوأ من الإنسان، فارتكبا ذنوباً من الكبائر التي حرَّمها اللهُ، فاستحقا العقاب، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا لأنه أخف وأهون وأقصر من عذاب الآخرة.

ظل هاروت وماروت في الأرض (بابل) يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السِّحْرَ الذي أنزله اللهُ عليهما ليمتحن النَّاسَ بتعلمه، فَأُخِذَ اللهُ عَلَيْهِمَا أَلَّا يُعَلِّمَا أَحَدًا السِّحْرَ حَتَّى يَقُولَا له تحذيراً: "إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ" (البقرة 102)!

وإنْ قلتم: كيف يتفق ذلك مع "عصمة الملائكة"؟ فسنذكر إجابة ابن كثير على هذا السؤال الذكي: "ذَهَبَ كَثِيرون مِنَ السَّلَفِ إِلَى أَنَّهُمَا (أي: هاروت وماروت) كَانَا مَلَكَيْنِ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَنَّهُمَا أُنزلاَ إِلَى الْأَرْضِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا كَانَ. وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ [...]. وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا ثَبَتَ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى عِصْمَةِ الْمَلَائِكَةِ: أَنَّ هَذَيْنِ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ لَهُمَا هَذَا، فَيَكُونُ تَخْصِيصًا لَهُمَا، فَلَا تَعَارُضَ حِينَئِذٍ، كَمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ مِنْ أَمْرِ إِبْلِيسَ مَا سَبَقَ، وَفِي قَوْلٍ: إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى" (طَهَ 116)، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ. مَعَ أَنَّ شَأْنَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ - عَلَى مَا ذُكِرَ - أَخَفُّ مِمَّا وَقَعَ مِنْ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ"[2759]. وقيل أيضاً إن عصمة الملائكة تنطبق عليهم فقط إذا ظلوا ملائكة، أما إذا تأنَّسوا وصاروا في هيئة البشر فلا عصمة لهم. ثم إن المخاطَبين في سياق هذه الآية المدنية (البقرة 102) هُمْ "فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ" (البقرة 101)، وبصفة خاصة: اليهود؛ والملائكة عند أهل الكتاب لهم إرادة حرة (free will) وليسوا معصومين. وهذا ما حدث للملكين هاروت وماروت. فقدا العصمةَ واكتسبا حريةَ الإرادة لفترة وجيزة جداً (قيل: يوماً؛ وقيل: شهراً)، هي فترة اختبارهما: منذ سقوطهما من السماء إلى الأرض وحتى عقابهما. ومع عقابهما، سُلِبَتْ منهما حريةُ الإرادة، فأمرهما اللهُ أن يُعلِّما النَّاسَ السِّحْرَ، فامتثلا للأمر الإلهي بدون نقاش ولا جدال. ولا نعلم طول المدة التي علَّما فيها النَّاسَ السِّحْرَ؛ ولعلها أيضاً مدة قصيرة. أما طول مدة عقابهما، فقيل إنها حتى قيام الساعة.

ونختم كلامنا بأمثلة من بعض التفاصيل الأخرى المذكورة في كتب تفسير القرآن وقصص الأنبياء ولم نجدها في كتب السُّنَّة. مثلاً: قيل إن هاروت وماروت تمَّ تعليقُهما من رأسيْهما (بل قيل: مِن أقدامهما upside-down) في بابل، فهُما معلَّقان هناك منذ ذلك التاريخ وحتى قيام الساعة! وقيل إنهم كانوا ثلاثة ملائكة: عزا وعزاريا وعزريائيل! عزريائيل لم يكمل التجربة واستقال فأعاده اللهُ إلى السماء؛ بينما سقط عزا وعزاريا في الخطيئة، فغيَّر اللهُ اسميهما إلى هاروت وماروت "وإنما غير اسمهما لما اقترفا من الذنب كما غير اللهُ اسمَ إبليس وكان اسمه عزازيل"[2760]. ونحن سنتحدث عن قصة عزازيل وعلاقته بقصة "هاروت وماروت" في ثنايا حديثنا عن جذور قصة "هاروت وماروت" في تراث الشرق الأوسط القديم.

ويُفهَم من قصة هاروت وماروت أنها حدثت قديماً جداً. قيل: في عهد آدم. وقيل: في عهد إدريس (أخنوخ)؛ أي: قبل طوفان نوح (Antediluvian)؛ بل قيل إن هاروت وماروت طلبا من إدريس أن يشفع لهما عند الله، "ففعل إدريس ذلك، فخَيَّرَهُمَا اللهُ بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا لأنه ينقطع، فَهُما ببابل يعذبان"[2761]. وقيل إن قصتهما حدثت في عهد سليمان؛ بل قيل إن سُلَيْمَان هو الذي خَيَّرَهُمَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ!

وفي جميع الأحوال، ظلت فنون السحر الذي أنزله اللهُ على الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ باقية تتعلمها الأجيال وتمارسها حتى وصلت إلى يهود أورشليم (القدس) في عهد سليمان، بل حتى وصلت إلى يهود يثرب (المدينة) في عهد محمد، وَهُمْ المخاطَبون في سياق هذه الآية المدنية المبكرة (البقرة 102).

لاحظنا فيما سبق أن قصة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" سببت مشكلة كبيرة جداً للمفسرين المسلمين، ولذلك رفضوها وحاولوا إبعادها عن محمد وإلصاقها بكعب الأحبار أو ابن عمر أو عليّ بن أبي طالب أو ابن عباس. وظنوا أنهم بذلك قد وجدوا حلاً للمشكلة! ونسوا – أو تناسوا – أن هؤلاء الصحابة والتابعين الكبار هُمْ المسلمون الأوائل الذين صدّقوا محمداً وآمنوا به، وجيلهم هو الجيل الذي أنتج المصحف ونقل إلينا القرآن حسب ما يقوله التقليد الإسلامي. ولم نجد في الكتب والمراجع الإسلامية أن أحداً مِن الصحابة والتابعين الكبار قد أنكر قصةَ "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" كما رواها كعب الأحبار أو ابن عمر أو عليّ بن أبي طالب أو ابن عباس. ومِن المؤكد أنهم قد سمعوها منهم. إذن: انتشار أسطورة طويلة عريضة مثل أسطورة "هاروت وماروت" بين جيل الصحابة والتابعين الكبار يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الفكر الأسطوري غير العلمي كان يسيطر على عقول الصحابة والتابعين الكبار، مما يعني أنهم كانوا مستعدين أن يصدقوا أي شيء بدون فحص أو تمحيص، ولذلك صدّقوا محمداً حين زعم أنه نبي ورسول من عند الله. وهذا كله يشكك في نبوة محمد المزعومة، حتى لو ثبت أن الحديث المرفوع غير صحيح. بل إن هذا كله يشكك في صحة المصحف (القرآن) ويجعلنا نتساءل: هل (البقرة 102) آية قرآنية أصلية؟ أم أنها - كلها أو بعضها - كلمات دخيلة وعبارات موضوعة أدخلها الصحابة والتابعون الكبار في المصحف لاحقاً بعد وفاة محمد؟

بعبارة أخرى: لو كان محمد لم يقل شيئاً عن تفاصيل قصة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ"، فما الدليل أن (البقرة 102) آية قرآنية أصلية؟ ربما أضيفت في العصر الأموي نكايةً في أهل العراق (بابل)؛ أو ربما تكون كلمة "بَابِل" – التي لم تُذكر في الحديث المرفوع – هي فقط التي أضيفت لاحقاً. أو لعلها أضيفت في عهد عليّ بن أبي طالب الذي يُروَى أنه كان يكره الصلاة في بابل. قال البخاري في صحيحه (بَاب الصَّلَاةِ فِي مَوَاضِعِ الْخَسْفِ وَالْعَذَابِ): "وَيُذْكَرُ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِهَ الصَّلَاةَ بِخَسْفِ بَابِلَ (أي: في موضع برج بابل الذي خسفه اللهُ)"[2762]. رواه ابن أبي شيبة عَنْ حُجْر بْنِ عَنْبَسٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَلِيٍّ إِلَى النَّهْرَوَانِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَابِلَ حَضَرَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، قُلْنَا: الصَّلَاةُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ قُلْنَا: الصَّلَاةُ، فَسَكَتَ، فَلَمَّا خَرَجَ

[عَلِيٌّ] مِنْهَا صَلَّى، ثُمَّ قَالَ: "مَا كُنْتُ أُصَلِّي بِأَرْضٍ خُسِفَ بِهَا" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[2763]. وفي سنن أبي داود أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّ بِبَابِلَ وَهُوَ يَسِيرُ، فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ يُؤَذِّنُ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَلَمَّا بَرَزَ (أي: خَرَجَ) مِنْهَا أَمَرَ الْمُؤَذِّنَ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: "إِنَّ حَبِيبِي ﷺ نَهَانِي أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَقْبَرَةِ وَنَهَانِي أَنْ أُصَلِّيَ فِي أَرْضِ بَابِلَ، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ"[2764]. قال ابنُ كثير: "هذا الحديث حسن عند الإمام أبي داود لأنه رواه وسكت عليه"[2765].

وكالعادة، يوجد فريقٌ من المسلمين رفضوا كل أو معظم الأحاديث والتفاسير السابقة. فمِنهم مَن رفع الراية البيضاء ليعلن فشله في فَهْم قصة "الْمَلَكَيْنِ هاروت وماروت" فاكتفى بما قاله القرآنُ فقط وقال الجملة الإسلامية الانهزامية الشهيرة: "الله أعلم"! قال ابنُ كثير: "وَظَاهِرُ سِيَاقِ الْقُرْآنِ إِجْمَالُ الْقِصَّةِ مِنْ غَيْرِ بَسْطٍ وَلَا إِطْنَابٍ فِيهَا، فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى مَا أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ"[2766]! [يعني: نؤمن بحبر على ورق (صنم) بدون أن نفهمه؟!] ومِنهم مَن حاول أن يبحث عن قصة بديلة ليفسر بها (البقرة 102). وكالعادة أيضاً، جاءت محاولاتهم مختلفة ومتضاربة، فباءت كلها بالفشل ...

4.2.2.2.1.2 محاولات فاشلة حاولها المفسرون المسلمون من أجل البحث عن قصة بديلة!

نؤكد أننا نتفهم صعوبة موقف المفسرين المسلمين، فالآية القرآنية (البقرة 102) بالفعل آية في منتهى الخطورة. الله متورط. والملائكة متورطون. والسحر خرافة من الناحية العلمية، وكُفر من الناحية الإسلامية؛ فكيف يتورط الله وملائكته في السحر؟! ولا توجد آية قرآنية أخرى تذكر هاروت وماروت تصريحاً ولا حتى تشير إليهما تلميحاً! ولا توجد آية قرآنية أخرى تذكر بابل! ولا توجد قصةٌ بديلة قالها محمدٌ في حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد يرضي أهواء جميع المفسرين! ولذلك فإننا لم نندهش حين وجدنا كثير من كتب "قصص القرآن" لا تذكر قصة هاروت وماروت! ونادراً ما نسمع قصتهما في الراديو أو التليفزيون. وكأن دراستها أو مجرد الحديث عنها حقل ألغام يبتعدون عنه لخطورته!

خطورة الآية القرآنية (البقرة 102) أنها تجعلنا نفقد ثقتنا بالله. فالله هو الذي يُعلِّم الملائكة كل شيء: "قَالُوا (أي: قالت الملائكة لله) سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا" (البقرة 32)، والله هو الذي يأمر الملائكة، والملائكة تسمع وتطيع وتنفذ: "لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (التحريم 6) (الأنبياء 26-28) (النحل 50) (الأنبياء 19-20). إذن: (البقرة 102) تزعم - على الأقل ضمنياً - أن الله هو الذي أنزل السحرَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وأن الله هو الذي أَمَرَ هذين الْمَلَكَيْن أن يُعلِّما النَّاسَ السِّحْرَ! "يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ (أي: والذي أُنْزِلَ مِن الله!) عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ" (البقرة 102)!

هاروت وماروت مَلَكَان أُهْبِطَا أو هَبَطا (fallen angels) من السماء إلى الأرض (قيل: في صورة رجلين صالحين أو مُتَظَاهِرَين بالصَّلاح والتقوى!) ثم أنزل اللهُ عليهما السحرَ ليُعَلِّماه للناس (قيل: ليتجنبوه!) امتحاناً من الله للناس!

هل هذا معقول؟!

كالعادة، يوجد رأي آخر. يقول التفسير الوسيط الذي أشرف عليه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر إن هاروت وماروت ليسا مَلَكَيْنِ! وإنما "رجلان صالحان شبها بالملائكة لصلاحهما"! واستدلوا على ذلك بقراءة "الْمَلِكَيْنِ" بكسر اللام، كما استدلوا أيضاً بآيات قرآنية (الأنعام 8-9) زعموا أنها تدل على أن "سنة الله أن يجعل رسله من البشر لا من الملائكة"[2767].

تعليقنا: أولاً: بحثنا في كثير من ترجمات معاني القرآن فوجدناها كلها تقريباً تُترجِم كلمة "الْمَلَكَيْنِ" إلى (two angels) (deux anges)؛ مع ملاحظة أن هذه الترجمات ليست ترجمات حرفية وإنما ترجمات لمعاني القرآن، أي: تفسر القرآن. إذن: هذا هو التفسير الصحيح. حتى الترجمة المصرية الصادرة من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية التي يعمل بها أزهريون تقول: (two angels) (deux anges)[2768]. يعني: الأزهريون أنفسهم لم يقتنعوا بما زعمه التفسير الذي أشرف عليه الأزهر! وفي جميع الأحوال، يمكن التوفيق بين هذين الرأيين بأن نقول إن هاروت وماروت مَلَكَان، لكنهما لمَّا نزلا من السماء إلى الأرض، كان لا بد أن يكونا في صورة رجلين ليستطيعا أن يتعاملا مع الناس.

ثانياً: الاستدلال بآيات قرآنية تقول إن الرسل يكونون من البشر لا من الملائكة (الأنبياء 7) (الأنعام 8) (الفرقان 7) استدلال في غير محله لأن سياق تلك الآيات لا يتحدث عن الفتنة ولا عن السحر، وإنما يتحدث عن تبليغ الكتب السماوية الطويلة التي يحتاج الإيمان بها إلى نقاش وجدال طويل. أما ظهور الملاك على الأرض في صورة بشر لفترة وجيزة ليُبَلِّغ رسالةً قصيرة من الله، فهذا مما يجيزه القرآنُ، مثلاً: "فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا (أي: أرسلنا الملاك جبريل إلى مريم العذراء) فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (أي: في صورة إنسان تام الخَلْق)" (مريم 17)؛ اقرأ أيضاً قصة "ضيف إبراهيم" (هود 69-81). ومِن الجدير بالذكر أن كلمة "ملاك" أو "مَلَك" نفسها كلمة أصلها عبري ومعناه "رسول". وفي قصة "ابني آدم"، "بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا" ليُعلِّم قابيل (قايين) شيئاً بسيطاً جداً: كيف يدفن جثمان أخيه (المائدة 31)! فلا نستبعد أن يرسل إلهُ القرآنِ مَلَكَيْنِ ليُعلِّما الناس السحر. بل يزعم القرآن أن الله أنزل ألف مَلَكاً من السماء إلى الأرض لتثبيت قلوب المسلمين في معركة بدر (الأنفال 9-10) (آل عمران 123-126)، بل قيل إن الملائكة اشتركت في القتال وسفك الدماء وضرب الرقاب وقطع الأرجل والأيدي بأمرٍ من إله القرآن: "إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ (أي: الرؤوس!) وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (أي: الأطراف والمفاصل!)" (الأنفال 12)! فلا نستبعد أن يرسل إلهُ القرآنِ مَلَكَيْنِ ليُعلِّما الناس السحر! وهذا كله يؤكد أن إله القرآن ليس هو الإله الحقيقي الذي يستحق الإيمان والعبادة.

ثالثاً: جميع الآيات القرآنية التي استدلوا بها مكية. أما قصة "الْمَلَكَيْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102) فهي مدنية بإجماع المسلمين. فَمِن المحتمل أن أصحاب القرآن لم يهتموا بمفهوم "الملائكة الساقطين" (fallen angels) – الموجود في التراث المسيحي واليهودي المتأخر – إلا في الفترة المدنية. وهذا لا يعني بالضرورة أن مفهوم "الملائكة الساقطين" في الإسلام هُو هُو نفسه في التراث المسيحي واليهودي، وإنما يعني أن مفهوم "الملائكة الساقطين" في الإسلام هو مجرد تطور بشري طبيعي للتراث المسيحي واليهودي.

مشكلة كثير من أحبائنا المسلمين أنهم ما زالوا يحسبون القرآن كتاباً إلهياً واحداً موجوداً كله منذ الأزل في لوحٍ محفوظ جامد لا يتطور! ولذلك يعجز المسلمون عن تفسير الاختلافات بين الآيات القرآنية.

ونحن نقول لجميع أحبائنا المسلمين: القرآن كتاب بشري له تاريخ يبدأ بنقطة بداية بشرية وينتهي بنقطة نهاية بشرية؛ أو بعبارة أكثر دقة: المصاحف كتب بشرية لها تاريخ يبدأ بنقط بداية وينتهي بنقط نهاية تختلف من حيث الزمان والمكان والأشخاص. وبين نقط البداية ونقط النهاية، اشترك أكثر من شخص في تأليف القرآن (المصاحف)، ومِن ثم مرَّت المصاحف بمراحل تطور بشري طبيعي. ولذلك نجد آيات مدنية تختلف عن آيات مكية. هذا الاختلاف يحدث في الشريعة باعتراف المسلمين أنفسهم (ما يُسمَّى "الناسخ والمنسوخ")، وقد يحدث أيضاً في العقيدة والقصص (مثلاً: الملائكة الساقطين والقصص المرتبطة بهم). مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[2769].

أما لماذا أرسل اللهُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ليعلما الناس السحر؟ فلم يجب القرآنُ على هذا السؤال، فاجتهد المفسرون وسرحوا بخيالهم يميناً ويساراً، لكنهم اتفقوا على اختراع هدف نبيل يبرر أن يُعلِّم اللهُ النَّاسَ السِّحْرَ!

على سبيل المثال، يقول التفسير الوسيط الذي أشرف عليه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: "ألقى اللهُ في قلبيهما علم السحر، فكانا يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السِّحْرَ لكي يتخلصوا بتعلمه من سيطرة السحرة من الصابئة، ويتقوا شرورهم، وكانا يمزجان التعليم بالتحذير، فيقولان لمن يُعَلِّمَانه: إنما نحن فتنة، أي امتحان من الله – تعالى – لعباده لينظر: أينتفعون بسحرنا في اتقاء الشر وجلب الخير، أم يسيئون استخدامه في الإضرار بالناس وإفساد العقائد؟ فهو سلاح ذو حدين، فكما ينفع، يضر ويفسد العقيدة"[2770]!

ونلاحظ هنا أن هذا التفسير الأزهري يردد خرافة من خرافات العالم القديم وهي أن السحر قد يضر وقد ينفع!

ثم يكمل هذا التفسير الأزهري كلامَه: "وقيل: إنهما مَلَكان، وإن السحرة قد كثروا في ذلك العهد، واخترعوا فنوناً غريبة من السحر: يموهون على الناس بها، وربما زعموا أنهم أنبياء، فبعث اللهُ – تعالى – هذين الْمَلَكَيْنِ ليعلما الناس وجوه السحر حتى يمكنوهم من التمييز بينه وبين المعجزة، فيحذروا الكذابين، ولا ينخدعوا بسحرهم"[2771]. أو كما قال د. صلاح الخالدي إن هاروت وماروت "كانا يُعَلِّمَانِ السِّحْرَ لكشف

حقيقته وتحذير الناس منه، لا ليتعلموه ويمارسوه ويعملوا به، ولهذا كانا لا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ، فَلَا تَكْفُرْ. أي فلا تعمل بالسحر ولا تمارسه. وانتهت مهمةُ الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ "هَارُوتَ وَمَارُوتَ". وصعدا إلى السماء مَلَكَيْن كريمين، كما نزلا منها مَلَكَيْن كريمين"[2772].

تعليقنا: كالعادة، يسرح المفسرون المسلمون بخيالهم ويقولون أي كلام وخلاص، وبدون أي دليل تاريخي واحد يثبت صحة ما يزعمون. والمشكلة هي أنهم يقولون هذا الكلام بدون حتى أي سند إسلامي! فلم يؤيدوا كلامهم بآية قرآنية واحدة ولا حتى بحديث صحيح واحد!

إذن: كلامهم مجرد كلام يؤلفونه وَهُمْ جالسون متوهمون أن أحداً لن يجرؤ على مناقشتهم. ونحن نقول لهم: إذا كان الناس يصدقونكم في الماضي بدون مناقشة، فلقد انتهى هذا العصر، فنحن الآن نعيش في عصر العلم والعقل، فَمَن أراد أن يتحدث الآن فلا بد أن يؤيد كلامه بأدلة، وإلا فلن يصدقه إلا السذج والسفهاء.

وكالعادة أيضاً، المشكلة ليست في المفسرين المسلمين الذين اجتهدوا وأفنوا أعمارهم في حل ألغاز القرآن، وإنما المشكلة في أصحاب القرآن أنفسهم الذين أعطونا آيةً طويلة جداً وغامضة ويُمكن أن تُفسَّر بطرق كثيرة ومختلفة ومتضاربة. فنجد مثلاً في تفسير القرطبي رأياً مختلفاً تماماً عن كل ما سبق: ""وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ" مَا نَفْيٌ؛ وَالْوَاوُ لِلْعَطْفِ عَلَى قَوْلِهِ: "وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ" وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ بِالسِّحْرِ [إلى سليمان]، فَنَفَى اللَّهُ ذَلِكَ. وَفِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، التَّقْدِيرُ: "وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ (أي: وَلَا أَنْزَلَ اللَّهُ السِّحْرَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ جِبْرِيل وَمِيكَائِيل)، وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ". فَهَارُوتُ وَمَارُوتُ بَدَلٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ فِي قَوْلِهِ: "وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا". هَذَا أَوْلَى مَا حُمِلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهَا، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى سِوَاه"[2773]!

ونحن سنتجاهل ما زعمه القرطبي عن "ما" في "وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ" أنها نافية! فهذا يتعارض مع ما جاء في كثير من تفاسير وترجمات القرآن أن "ما" هنا موصولة بمعنى "الذي" (what) (ce qui). قال ابنُ حجر إن "الْجُمْهُور" عَلَى "أَنَّهَا مَوْصُولَةٌ" وليست نافية[2774]. وكذلك قال الطبري: "الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي، قَوْلُ مَنْ وَجَّهَ "مَا" الَّتِي فِي قَوْلِهِ : "وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ" إِلَى مَعْنَى "الَّذِي" [...] وَأَنَّ هَارُوتَ وَمَارُوتَ مُتَرْجَمٌ بِهِمَا عَنِ "الْمَلَكَيْنِ""[2775].

أما فيما يتعلق بطبيعة هاروت وماروت حسب رأي القرطبي، هاروت وماروت من الشياطين! ولعله يقصد: ملائكة ساقطين (fallen angels). ربما تأثراً بالتراث المسيحي واليهودي المتأخر الذي يعتبر الشياطين (أي: الشيطان إبليس وجنوده) هُمْ الملائكة الساقطين أو يخلط بينهما[2776].

وبغض النظر عن طبيعة هاروت وماروت: هل هُما من الملائكة الساقطين أم من الإنس؟ فنحن لا يمكن أن نُصدِّق أن الله القدوس يُعلِّم النَّاسَ السِّحْرَ بواسطة مَلَكَيْنِ أو رجلين! السحر خرافة من خرافات العالم القديم، ولا يمكن أن يُورِّط اللهُ نفسَه في تلك الخرافة القديمة البالية. ولا يمكن أن يُعلِّمنا اللهُ السِّحْرَ ليمتحننا!

وإنه لَمِن العجيب أن أصحاب القرآن نفوا السحر عن سليمان (البقرة 102)، لكنهم أثبتوه على الله وملائكته! فهل سليمان عندهم أهم من الله وملائكته؟!

لا يمكن أن نقتنع بما يقوله القرآن. اللهُ يُعلِّمنا السِّحْرَ ليمتحنا؟! مستحيل.

فهل يوجد أب يُعلِّم أبناءَه السرقةَ وهو يقول لهم "إنما أنا فتنة فلا تسرقوا"، وذلك ليختبرهم إنْ كانوا سيسرقوا أم لا؟! مستحيل.

وهل توجد أم تَنهى بناتها وأبناءها عن الدعارة لكن تُعلِّمهم الدعارة حتى ترى إنْ كانوا سيستخدموا ما تعلموه في الخير أم في الشر؟! مستحيل.

وهل يوجد طبيب ينصح مرضاه المتألمين ألا ينتحروا لكن يضع زجاجةَ السم القاتل أمامهم ليفتنهم ويمتحنهم إنْ كانوا سيشربوا هذا السم أم لا؟! مستحيل.

وهل يوجد نبي أو حتى وَليّ قال للناس "تعالوا أعلِّمكم كيف تعبدونني من دون الله"، لكن "أنا أحذركم مِن عبادتي والكفر بالله"؟! مستحيل.

وهل يوجد رئيس دولة يعطي الحشيش إلى تجار المخدرات ويأمرهم بتوزيعه على المواطنين بشرط أن يحذروا كل مَن يأخذه منهم: "إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تدمِنْ"! ثم يقول هذا الرئيسُ للمواطنين: "لا تخافوا من تجار الحشيش، فَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ"!

مستحيل.

مستحيل لأن هذا ليس امتحاناً؛ وإنما هذا فخ. فماذا كانت النتيجة؟ طبعاً، الناس سقطت في فخ هاروت وماروت: "فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا (أي: مِن هاروت وماروت) مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ" (البقرة 102)! والمقصود مِن "الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ" هو الرجل وزوجته؛ وهذا التفريق بين الزوجين – بزرع الكراهية والبغضاء بينهما – مِن عمل الشيطان إبليس، بل إنه أكثر شيء يريده الشيطانُ إبليس. فلقد قال محمدٌ في حديث صحيح رواه مسلم "إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ (أي: مركزه البَحْر!)، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ (أي: يرسل جنودَه في نواحي الأرض)، فَأَدْنَاهُمْ (أي: أقربهم) مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً [للناس]. يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ [لإبليس]: "فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا [بفلان]"، فَيَقُولُ [إبليس له]: "مَا صَنَعْتَ شَيْئًا". ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ [لإبليس]: "مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ". فَيُدْنِيهِ [إبليسُ] مِنْهُ وَيَقُولُ [له]: "نِعْمَ أَنْتَ""[2777]!

يعني: رسالة هاروت وماروت أدت في النهاية إلى أفظع شيء يريده الشيطانُ إبليس "بِإِذْنِ اللَّهِ"!

وقيل إن المقصود مِن "الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ" هو: كل قرينين بينهما ألفة كالأخوين والشريكين ونحو ذلك.

يعني: رسالة هاروت وماروت أدت في النهاية إلى تدمير كامل للأسرة والمجتمع "بِإِذْنِ اللَّهِ"!

مستحيل أن يصنع اللهُ فخاخاً للناس بهذه الطريقة. وكل هذا يؤكد أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله.

أن نفقد ثقتنا بالقرآن خيرٌ ألف مرة مِن أن نفقد ثقتنا بالله.

ولو كان القرآنُ كلامَ الله كما يتوهم المسلمون، لأعلن صراحةً أن السحر خرافة وليس له أثر سلبي ولا إيجابي. السحر لا يضر ولا ينفع. السحر لا يمنع شراً ولا يجلب خيراً. السحر ليس علماً كما زعم الشيخ الشعراوي وغيره. السحر خرافة. السحر ليس سلاحاً ذو حدين كما يزعم التفسير الأزهري. السحر خرافة. ويكفي فقط أن نعلن أنه خرافة. فهذه هي أفضل وسيلة لمواجهة السحر والقضاء عليه. بل إنها أفضل وسيلة لمواجهة أي خرافة والقضاء عليها.

القرآنُ أعلن براءةَ سليمان من تهمة السحر بثلاث كلمات فقط: "مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ" (البقرة 102). فلو كان القرآنُ جاداً في مواجهة السحر كان ينبغي فقط أن يقول كلمتين: "السحر خرافة". السحر خرافة، ويكفي فقط أن يعلن أنه خرافة. إن عدم وجود آية قرآنية واحدة تعلن صراحةً أن السحر خرافة يدل على أن القرآن ليس جاداً في مواجهة السحر. ولذلك تنتشر كتب السحر إلى اليوم وتستمر أعمال السحر إلى اليوم في المجتمعات المتخلفة المنكوبة بالثقافة الإسلامية/العربية.

4.2.2.2.1.3 جذور قصة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوت وَمَارُوت" في تراث الشرق الأوسط القديم

ومما لا شك فيه أن قصة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوت وَمَارُوت" (البقرة 102) هي مجرد أسطورة من أساطير القرآن. فكما أن السحر خرافة ليس لها أي أساس من العلم، كذلك فإن قصة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوت وَمَارُوت" (البقرة 102) أسطورة لم تحدث أبداً في التاريخ.

ومِن المؤكد أن أسطورة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوت وَمَارُوت" القرآنية لها جذور في تراث الشرق الأوسط القديم[2778] بصفة عامة. وتعدد أسماء بطلة الأسطورة الحسناء: الزُّهَرَة[2779]، أَنَاهِيد، بَيْدَخَة (بِيدُخْت)؛ وكذلك تعدد أسماء الْمَلَكَيْنِ: هَارُوت وَمَارُوت، عَزَزًا وَعَزِيزًا (أو: عَزْرًا وَعُزَيْرًا) يؤكد أن الأسطورة كانت منتشرة على نطاق واسع بين العرب والعجم من سكان الشرق الأوسط القديم. وانتشار الأسطورة بين شعوب وثقافات مختلفة يؤدي عادةً إلى ظهور روايات شفوية متعددة (several oral traditions)، وهذا يفسر الاختلافات البسيطة التي وجدناها في كتب السُّنَّة وتفسير القرآن[2780]، مع أن الفكرة الأساسية واحدة: هاروت وماروت مَلَكَان أُسْقِطا أو سقطا (fallen angels) من السماء إلى الأرض، فارتكبا خطايا فعُوقِبا على ما فعلاه وظلا في الأرض وأدى سقوطهما في النهاية إلى حدوث ضررٍ لمجتمعهما الأرضي الجديد (بابل).

وإذا كانت (البقرة 102) آية قرآنية أصلية، بعضها على الأقل، فنحن نرى أن سياقها ينتقد اليهود الذين يضرون مجتمعهم الإسلامي الجديد (المدينة). وكأن أصحاب القرآن استخدموا سقوط هاروت وماروت على الرغم مِن كونهم مِن الملائكة ليشيروا إلى سقوط يهود المدينة الذين لم يؤمنوا بمحمد على الرغم مِن كونهم مِن أهل الكتاب (التوراة). بعبارة أخرى: هاروت وماروت مِن الملائكة، فكان مِن المفترض أن يعيشا حياة

قداسة على الأرض، وكان من المفترض أن يكونا سبباً في هداية البشر الخطاة، لكنهما سقطا في الخطيئة سقوطاً مخزياً، فصارا مثل البشر – بل أسوأ – مع أنهما أصلاً مَلَكَان. كذلك يهود المدينة هُمْ مِن أهل الكتاب (التوراة)؛ وحسب النظرية الإسلامية التي تزعم أن التوراة بشَّرت بمحمد، يجب على اليهود الموحِّدين الذين يؤمنون بالتوراة أن يؤمنوا بمحمد فيكونوا سبباً في هداية المشركين (العرب الأميين)؛ لكنهم سقطوا في الخطيئة الكبرى – من وجهة نظر المسلمين الأوائل – وهي: عدم الإيمان بمحمد (البقرة 99-101)، فصاروا مثل الأميين "كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (البقرة 101) مع أنهم أصلاً أهل كتاب. ثم قصَّ القرآنُ قصةَ "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوت وَمَارُوت" التي انتهت بترهيب اليهود وكل مَن اختار السحرَ (الكفرَ) ورَفَضَ نبوة سليمان (محمد): "وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (البقرة 102). وبعد ذلك، جاءت الآية التالية بالترغيب: "وَلَوْ أَنَّهُمْ (أي: يهود المدينة) آمَنُوا [بمحمد] وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ (أي: ثوابٌ) مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (البقرة 103).

هذا هو سياق قصة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوت وَمَارُوت" (البقرة 99-103). إنها إذن أسطورة استغلها أصحابُ القرآن بذكاء في جدالهم ضد يهود المدينة (Anti-Jewish Polemic) لتحقيق أغراض دينية وسياسية واجتماعية. والمشكلة هي أنهم ألصقوا هذه الأسطورة بالله وورطوا اللهَ في السحر! فأساءوا إلى الله من أجل الترويج لنبوة محمد! أليس محمدٌ عندهم إذن أهم مِن الله؟! ولا تزال الكتب والمراجع الإسلامية إلى اليوم حين تتحدث عن قصة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوت وَمَارُوت" تستغلها فرصةً من أجل الهجوم على اليهود.

بصراحة، لا يمكن فَهْم أسطورة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" القرآنية العربية (البقرة 102) وتقدير أهمية وضعها في سياقها القرآني إلا إذا كان هاروت وماروت من الملائكة الساقطين. ومِن حُسن الحظ أن هذا ما يُفهَم مِن الحديث المرفوع ومن الأحاديث الأربعة الموقوفة.

ولأن هذه الأسطورة القرآنية تتحدث عن ملائكة ساقطين، فَمِن المؤكد أن لها جذور في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي ...

وفي الواقع فإن الجذور اليهودية لـ (البقرة 102) تتضح من عبارة "مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ". فكما قلنا فيما سبق، كلمة "خَلَاق" أصلاً كلمة عبرية (ḥēleq) تعني "نصيب" (portion). وتكررت بهذا المعنى في سفر الجامعة (2:10، 21:2، 22:3، 18:5، 6:9، 9:9، 2:11). وبما أن التقليد اليهودي-المسيحي ينسب سفرَ الجامعة إلى سليمان، فإن وجود كلمة "خَلَاق" في الآية القرآنية الوحيدة التي تذكر اسمَ "سليمان" مرتين (البقرة 102) يشير إلى جذور (البقرة 102) في التراث اليهودي. فعبارة "مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ" (البقرة 102) تكاد تكون منقولة من "المشنا" (Mishnah) اليهودية، أي: الشريعة الشفهية (Oral Law) والمصدر الثاني للتشريع اليهودي، التي يرجع تاريخ جمعها إلى سنة 220م تقريباً[2781]، أي: قبل الإسلام بأكثر من 350 سنة. تقول المشنا (السنهدرين - المحكمة العليا 2:10) (Sanhedrin 10:2)[2782]: "ليس لهم نصيب في الآخرة" (have no share (*ḥēleq*) in the world to come) **[← "مَا لَهُ فِي**

الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ" (البقرة 102)]. علماً بأن كلمة "خَلاَق" جاءت في آيات قرآنية أخرى: "وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ" (البقرة 200) "لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ" (آل عمران 77)، (التوبة 69)؛ وكلها آيات مدنية مما يؤكد أن العرب أصحاب القرآن قد عرفوها من يهود المدينة.

أضف إلى ذلك أن اسمي هَارُوت وَمَارُوت غير عربيين. واسمهما وَهُمَا فِي السَّمَاءِ (أي: قبل سقوطهما) عَزَزًا وَعَزِيزًا (أو: عَزْرًا وَعُزَيْرًا) يشير إلى جذور يهودية. وكذلك "اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ" يشير إلى جذور يهودية ومسيحية؛ فهو "يَهْوَهْ" (YHWH) اسم الله الأبدي حسب توراة موسى (الخروج 15:3)، واسم الله الذي يطرد الشياطين (الملائكة الساقطين fallen angels؛ الأرواح الشريرة evil spirits) حسب إنجيل المسيح (لوقا 10:17-20). إلا أن الأسطورة القرآنية - التي ورّطت الله في السحر - جعلت اسمَه الأعظم هو الاسم الذي يصعد به الملائكة الساقطون إلى السماء!

وبالإضافة إلى الجذور اليهودية والمسيحية لأسطورة "هاروت وماروت" القرآنية (البقرة 102)، وجدنا أيضاً جذور زرادشتية. فنحن إذن نتفق تماماً مع ما قالته دائرة المعارف الإسلامية[2783]:

> […] the immediate source of the allusion in the Ḳurān [to Hārūt wa-Mārūt] and of certain elements in the later Muslim legend is to be found in the syncretistic beliefs developed on the fringe of the main Jewish, Christian and Mazdean religions.

وسنركز فيما يلي على الجذور اليهودية والمسيحية لأنها الأكبر والأكثر والأوضح ...

ومِن حُسْن الحظ أن حاشية ترجمة "عبد الله يوسف علي" لمعاني القرآن قد اعترفت بوجود قصص مشابهة لقصة "هاروت وماروت" القرآنية في التراث المسيحي واليهودي المتأخر[2784]:

> Among the Jewish traditions in the Midrash (Jewish *Tafsīrs*) was a story of two angels who asked Allah's permission to come down to earth but succumbed to temptation, and were hung up by their feet at Babylon for punishment. Such stories about sinning angels who were cast down to punishment were believed in by the early Christians also. (See the Second Epistle of Peter 2:4, and the Epistle of Jude, verse 6). (R)

والآيتان الكتابيتان المشار إليهما هُما: "إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى مَلاَئِكَةٍ قَدْ أَخْطَأُوا، بَلْ فِي سَلاَسِلِ الظَّلاَمِ طَرَحَهُمْ فِي جَهَنَّمَ" (2 بطرس 2:4) "وَالْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ، بَلْ تَرَكُوا مَسْكَنَهُمْ حَفِظَهُمْ

(reserved) إِلَى دَيْنُونَةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِقُيُودٍ أَبَدِيَّةٍ تَحْتَ الظَّلاَمِ" (يهوذا 6) **[← قال ابنُ حجر إن هاروت وماروت "حُبِسَا فِي بِئْرٍ بِبَابِلَ مُنَكَّسَيْنِ"؛ وقال ابنُ عمر إنهما "يُعَذَّبَانِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ"]**.

وتوجد آيات كتابية في العهد القديم أيضاً، اعتمدت عليها الأساطيرُ المسيحية واليهودية المتأخرة. فكما قلنا فيما سبق، قد تكون (التكوين 6:2-4) هي الأساس التوراتي لعقيدة "الملائكة الساقطين" وقصصهم سواء في الأسفار القانونية (المقدسة) أو في الأسفار غير القانونية (غير المقدسة) التي تشمل الأساطير اليهودية المتأخرة والحواديت الشعبية المسيحية.

وكذلك (إشعياء 14:12-17) التي تتحدث عن الشيطان (إبليس) حسب بعض التفاسير المسيحية. فمِن المعلوم أن التقليد المسيحي يقول إن الشيطان (إبليس) لم يُخلَق شيطاناً فاسداً من البداية، وإنما خُلِقَ ملاكاً نورانياً بريئاً ثم سقط بإرادته الحرة بسبب كبريائه الذى أدى إلى تمرُّدِه على الله والخروج عن طاعته، فأسقطه اللهُ من رُتبته. وقبل سقوطه، كان اسمه "لوسيفورس" (Lucifer) أي "حامل النور" (light-bearer) ويُترجَم إلى العربية والإنجليزية "نجمة الصُّبْحِ" (morning star) أو "زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ" (day-star, son of the morning) (إشعياء 12:14) **[← بطلة أسطورة الْمَلَكَيْنِ الساقطين "هاروت وماروت" العربية (البقرة 102) اسمها "الزُّهَرَة" سُميت بذلك لتوهجها نوراً عند رؤيتها في السماء في الصُّبْحِ المبكر[2785]]**. لكن بعض التفاسير – وبخاصة اليهودية أو المتأثرة باليهودية – تقول إن الآيات (إشعياء 14:12-17) تشير إلى "مَلِك" (king) شرير أو "حاكم" (ruler) ظالم مِن أعداء إسرائيل؛ تشير تحديداً إلى "مَلِكِ بَابِلَ" (King of Babylon) (إشعياء 4:14) **[← "بِبَابِلَ" (البقرة 102)]**.

وفيما يتعلق بانتشار السحر في بابل انتشاراً واسعاً، تقول دائرة المعارف الكتابية: "كانت الشياطين – في الديانة البابلية – تلي الآلهة في الأهمية، إذ كانت لهم القدرة على ابتلاء الناس بالأمراض الجسدية والعقلية المتنوعة. ويبدو أن جزءاً كبيراً من الديانة انصرف إلى الصراع المرير ضد هذه الشياطين، وفي كل مكان كان الناس يصلون للآلهة لمساعدتهم ضد هذه الشياطين. وقد وصلت إلى أيدينا كمية ضخمة من التعاويذ التي كانوا يظنون أن لها القدرة على طرد الشياطين"[2786][2787].

إذن: القرآنُ لم يأتِ بجديد حين تحدث عن السحر في بابل.

ومِن المعلوم أيضاً أن مدينة "بابل" – التي ذُكِرَت في الكتاب المقدس أكثر من 200 مرة – مدينة ذات سمعة سيئة جداً في التراث اليهودي والمسيحي:

- في أول سفر من الكتاب المقدس (التكوين 11)، بابل هي موضع بناء "برج بابل" (Tower of Babel) الذي يرتبط بأفكار سيئة كلها ضد الله، مثل: استكبار الإنسان وغروره وتمرده على الله، تأليه الذات، تخليد الذات ... الخ[2788]. ومِن الجدير بالذكر أن هدف بُناة برج بابل هو أن يصعدوا

إلى السماء: "قَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ" (التكوين 11:4) **[← كان هدف الزُّهَرَة في أسطورة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102) هو أن تصعد إلى السماء]**.

- وفي آخر سفر من الكتاب المقدس (الرؤيا 13-18)، نجد رؤيا أخروية (eschatological, apocalyptic) تتنبأ بسقوط "بَابِلُ الْعَظِيمَةُ" (Babylon the great) وهي رمز لثالوث الشر قبل نهاية العالم، وسقوطها يرمز إلى هزيمة ثالوث الشر: الشيطان (إبليس) (Satan) و "ضد المسيح" (Antichrist) و "النبي الكذاب" (False Prophet) **[← انتهت أسطورة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102) بمعاقبة أبطالها الثلاثة: الزُّهَرَة مُسِخَت كوكباً في السماء بينما هاروت وماروت اختارا عذاب الدنيا على الأرض حتى نهاية العالم[2789]]**.

ويبدو لنا أنه من المحتمل أن تكون "الزُّهَرَة" أيضاً ملاكاً ساقطاً "مُثِّلَتْ لَهُمَا امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ" ثم أرادت أن تعود مرة أخرى إلى عالم الملائكة في السماء. ودليلنا على ذلك هو الحديث الموقوف على عليّ بن أبي طالب الذي يقول إن الزهرة "طَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَفَزِعَ مَلَكٌ فِي السَّمَاءِ لِصُعُودِهَا". وبما أنها "طارت"، إذن: لها أجنحة كما يقول القرآنُ على الملائكة! "الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ (أي: أصحاب أجنحة تطير بها) مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ" (فاطر 1)! لكن الزهرة فشلت، فَمُسِخَتْ كوكباً (نجماً) عقاباً لها على ما ارتكبتْ مِن خطايا مع الملكين الساقطين هاروت وماروت.

وهذا ينسجم أيضاً مع التعبيرات المجازية في التراث المسيحي الذي يرمز للملائكة بالكواكب (النجوم) (الرؤيا 1:20)؛ "فَرَأَيْتُ كَوْكَبًا (يقصد: ملاكاً) قَدْ سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ" (الرؤيا 9:1). وينسجم أيضاً مع تراث الديانة الزرادشتية الذي يربط بين الملائكة والكواكب (النجوم) يصل أحياناً إلى درجة التطابق[2790].

اقرأ أيضاً الأساطير الشرقية القديمة التي تتشابه مع أسطورة "هاروت وماروت" القرآنية في بعض الأمور وتكون البطولة النسائية فيها لواحدة مِن أهل السماء تنزل إلى الأرض لفترة معينة ثم تصعد مرة أخرى. مثلاً: الإلهة الجميلة "عشتار" (Ishtar) في "ملحمة جلجامش" (Epic of Gilgamesh) البابلية؛ والحَوْراء/الحورية (nymph) الحسناء "تيلوتاما" (Tilottama) بطلة أسطورة "سوندا وأوباسوندا" (Sunda and Upasunda) في الملحمة الهندوسية الضخمة "مهابهاراتا" (Mahabharata)[2791] التي يرجع تاريخ اكتمالها إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادي، أي قبل الإسلام بأكثر من 100 سنة.

يمكن إذن أن نفهم أسطورة "هاروت وماروت" القرآنية (البقرة 102) كما يلي: كانت الزُّهَرَة أصلاً كوكباً بالمعنى المجازي (أي: ملاكاً)، ثم سقطت مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ – بإرادتها أو بأمرٍ من الله، سقطت مع هاروت وماروت "فمُثِّلَتْ لَهُمَا امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ"، وارتكبت خطايا معهما، فعُوقبتْ بأن مُسِخَتْ كوكباً بالمعنى الحقيقي؛ فهي الآن كوكب الزُّهَرَة (Venus). ومِن ثم نستطيع أن نفهم كيف كان تحولها إلى كوكبٍ في السماء "مَسْخاً" وعقاباً لها. إذا كانت الزُّهَرَة أصلاً ملاكاً مِن ملائكة الملأ الأعلى، فتحولها إلى كوكبٍ جامد يُعتبر فعلاً مسخاً وعقاباً لها على ما فعلته على الأرض[2792].

هذا عن اسم "الزُّهَرَة". فماذا عن اسمي "هاروت" و "ماروت"؟

كما قلنا فيما سبق، أسطورة "هاروت وماروت" القرآنية (البقرة 102) لها جذور كثيرة في ديانات مختلفة وثقافات متعددة. فَمِن الطبيعي ألا نعلم على وجه اليقين مِن أين جاء اسما "هاروت وماروت". الحقيقة المؤكدة أنهما اسمان شرقيان. وهناك احتمالان لجذور اسمي "هاروت وماروت":

- الاحتمال الأول: جذور آرية (Aryan)؛ فارسية (إيرانية) أو أرمينية أو هندوسية (هندية).
  - "هاروت وماروت" تطور بشري طبيعي لاسمي اثنين من رؤساء الملائكة (archangels; Amesha Spenta) في التراث الفارسي الزرادشتي (أي: قبل الإسلامي)، وهُما "هاوروات" (Haurvatat) أي: النزاهة أو الاستقامة أو الكمال (integrity) و"أميريتات" (Ameretat) أي: الخلود[2793]. تقول موسوعة (Encyclopædia Britannica)[2794]:

The names Hārūt and Mārūt appear to be etymologically related to those of Haruvatāt and Ameretāt, Zoroastrian archangels.

  - وفي التراث الأرميني الوثني (أي: قبل المسيحي) نجد الإلهين "هوروت" (Hôrôt) و "موروت" (Môrôt)[2795][2796]. ولا يزال الاسمان "هاروتيان" و "ماروتيان" موجودين عند الأرمن إلى اليوم، بينما لا نجد عربياً واحداً أو مسلماً واحداً اسمه "هاروت" أو "ماروت"!
  - وفي التراث الهندوسي (الهندي القديم) نجد "الماروت" (Maruts) وَهُمْ آلهة العاصفة (storm-gods)؛ وقيل إنهم إخوة "سوندا وأوباسوندا"[2797] اللذين ذكرناهما قبل قليل عند حديثنا عن اسم "الزهرة" بطلة أسطورة "هاروت وماروت" القرآنية.
- الاحتمال الثاني: جذور سريانية. قال الثعلبي في تفسيره لـ (البقرة 102): ""هَارُوتَ وَمَارُوتَ" اسمان سريانيان"[2798]. أي: من الشام و/أو العراق (بابل).
  - "هاروت وماروت" تطور بشري طبيعي لاسمي "هِرتا" (hertā) أي: شجار أو صراع بالسريانية، و "مِرتا" (mertā) أي: مَرَارَة أو غضب أو كراهية بالسريانية[2799] [← **"فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا (أي: مِن هاروت/هِرتا وماروت/مِرتا) مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ (أي: ما يزرع الشجار والمرارة بين الرجل وزوجته)" (البقرة 102)**].
  - وفي كتاب "أخنوخ الثاني" (2 Enoch) الذي يُعْرَف أيضاً بأسماء أخرى عديدة مثل كتاب "أسرار أخنوخ" (Book of the Secrets of Enoch) و "النسخة السلافونيّة" (Slavonic Book of Enoch) ويُقال إن تاريخه يرجع إلى أواخر القرن الأول الميلادي، "وأغلب العلماء يرجحون أنه كُتِب في بداية العصر المسيحي (أي فيما بين 1 – 50م)"[2800]، نجد أن الله أرسل إلى الأرض مَلَكَيْنِ اسمهما "أَرْيُوخ" (Ariokh) و "مَريوخ" (Mariokh)

ليحفظا كتب أخنوخ و/أو كتب أجداده (2 أخنوخ 33:10-12)[2801]. واختيار اسم "أَرْيُوخ" بالذات يدل على أن كاتب هذا الكتاب السوديبِجرافي كان ربما يفكر في بابل، بدليل أن "أَرْيُوخ" اسم رئيس شرطة الملِك "نَبُوخَذْنَصَّر" (King Nebuchadnezzar) مَلِكِ بَابِلَ (دانيال 2:14، 2:24-25). ويقول قاموس الكتاب المقدس: "**أريوخ:** اسم ربما كان من السومرية ولفظه فيها "أري أكو" ومعناه "عبد إله القمر" [...]. ولفظ هذا الاسم في العبرية هو نفس لفظ الاسم "أَرْيُوك" (Arioch) [...] وهذا اسم مَلِكِ أَلأَسَارَ (Ellasar) [...] (التكوين 14:1). وأَلأَسَار هذه هي لارسا (Larsa) في بابل"[2802]؛ ولعلهم يقصدون: في حضارة بابل. أما الاسم الآخر "مَريوخ (مَريوك)" فلعله مُستوحى من اسم الإله الأعظم "مَردوخ (مَردوك)" (Marduk) رأس مجموعة الآلهة البابلية. إذن: اسما أَرْيُوخ ومَريوخ يشيران إلى "بابل" التي لم تُذكَر في القرآن كله إلا مرة واحدة فقط هي أسطورة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102). ولا يمكن أن يكون ذلك كله صدفةً. إما أن أسطورة "هاروت وماروت" قد تأثرت بأسطورة "أريوخ ومَريوخ"؛ وإما أن كلتا الأسطورتين قد تأثرتا بأساطير شرق-أوسطية أقدم منهما.

ويمكن الجمع بين هذين الاحتمالين بأن نقول إن أصحاب القرآن قد اختاروا اسمي "هاروت وماروت" لأنهما يحملان معاني إيجابية (الكمال والخلود) - قبل سقوطهما - ويحملان أيضاً معاني سلبية (الشجار والمرارة) - بعد سقوطهما. أو أن الاسمان قد تسللا من جذورهما الآرية الشمالية والشرقية البعيدة إلى صياغتهما القرآنية العربية عن طريق السريانية (الآرامية) في الشام و/أو العراق.

وفي جميع الأحوال، نحن لا نقول إن هاروت وماروت هُما هاروواتات وأميريتات أو هُما هورروت ومورروت أو هُما هِرتا ومِرتا أو هُما أريوخ ومَريوخ (أَرْيُوك ومَريوك). نحن لا نقول ذلك. وإنما أردنا فقط أن نوضِّح أنه توجد أساطير شرق-أوسطية قديمة تذكر أسماء مشابهة. وما أسطورة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" القرآنية العربية (البقرة 102) إلا أسطورة واحدة من ضمن تلك الأساطير الشرق-أوسطية القديمة، فلا يوجد أي شيء يميز أسطورة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" القرآنية العربية (البقرة 102) عن تلك الأساطير الشرق-أوسطية القديمة. كلها أساطير. والتشابهات القوية بين الأسطورة القرآنية العربية (البقرة 102) والأساطير التي تسبقها تؤكد أن القرآن كتاب بشري تأثر بالكتب البشرية التي سبقته.

وحتى نكون منصفين، قد تكون الميزة الوحيدة في (البقرة 102) هي أنها برأت سليمانَ من تهمة الكفر: "مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ" (البقرة 102). لكن كالعادة، لم يأتِ القرآنُ بجديد. فلقد سبقه التلمود البابلي (Shabbat 56b)[2803] الذي أعاد تفسير (1 ملوك 11) بحيث يُبَرّئ سليمان من تهمة الكفر. يقول التلمود البابلي: "يُخْطِئ مَن يقول إن سليمان قد ارتكب خطيئة" (Whoever says Solomon sinned errs) **[⟵ "مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ" (البقرة 102)]**.

وتوجد في التلمود البابلي أساطير عن الملائكة الساقطين، وهي تعتمد أساساً على الآيات الكتابية التي ذكرناها (التكوين 6:2-4) (إشعياء 12:14-17). مثلاً أسطورة "عُزَّا" (Uzza) و "عزائيل" (Azael)[2804]؛ ومِن اللافت للانتباه أن كليهما اسمٌ له معنى إيجابي يشير إلى "قوة الله" (power) أو "سلطان الله" (dominion) أو ما يُسمَّى في الإسلام "عزة الله" [← قال ابْنُ عَبَّاس: "كَانَ اسْمُ [الْمَلَكَيْنِ] هَارُوتَ وَمَارُوتَ - وَهُمَا فِي السَّمَاءِ (أي: قبل سقوطهما) - عَزَرًا وَعَزِيزًا (أو: عَزْرًا وَعُزَيْرًا)].

وكذلك في الأسفار غير القانونية والأسفار القانونية الثانية / أبوكريفا العهد القديم ...

مثلاً: في كتاب "وصية سليمان" (Testament of Solomon) الذي تحدثنا عنه فيما سبق، نجد الروح الشرير "أسموداوس" (Ashmedai) (Asmodeus) يعترف لسليمان بأنه يزرع الشقاقَ والخلافَ (discord) بين الرجل وزوجته، وبخاصة المتزوجين حديثاً (newlyweds) (وصية سليمان 7:5)، فهو يغيِّر جمالَ الزوجة العذراء [إلى الأسوأ] ويجعل قلبَها بارداً، [فينفر زوجُها منها][2805]:

"I am the renowned Asmodeus; I cause the wickedness of men to spread throughout the world. I am always hatching plots against newlyweds; I mar the beauty of virgins (i.e. change it, alter it, usually for the worse) and cause their hearts to grow cold." (Testament of Solomon 5:7)

[← "فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا (أي: مِن هاروت وماروت) مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ (أي: ما يزرع الشقاق والخلافَ بين الرجل وزوجته)" (البقرة 102)]. وهذا يقتضي أن يكون هاروت وماروت يعرفان كيف يفرقان بين الرجل وزوجته. القرآن لم يشرح كيف. وجدنا الإجابة في كتاب "وصية سليمان" قبل الإسلام بأكثر من 300 سنة: إيحاء نفسي يجعل الزوجَ يرى زوجتَه أقل جمالاً أو يصدِّق أنها صارت أقل رغبةً فيه. إذن: الأسطورة الأصلية أكثر عقلانية ومنطقية أكثر من الأسطورة القرآنية. ليس سحراً. وإنما إيحاء نفسي أو وسوسة أو شكوك أو ظنون سيئة يزرعها شيطانٌ (أي: إنسانٌ خبيث) في نفس الزوج أو قلب الزوجة.

وكذلك لم يشرح القرآنُ لماذا يُفَرِّق الملائكة الساقطون / الشياطين بين الرجل وزوجته؟ نجد الإجابة في كتاب آخر اسمه "سفر طوبيَّا" (Book of Tobias)[2806]، وهو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) / "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha)، ويعود تاريخه إلى القرن الثالث أو الثاني ق.م (حوالى 200 ق.م)، أي قبل الإسلام بأكثر من 700 سنة ...

مما قرأناه عن الشيطان أسموداوس في التراث اليهودي/المسيحي، نستطيع أن نفهم لماذا كان أسموداوس يُفَرِّق بين الرجل وزوجته. لأنه إذا أحب أسموداوس امرأةً واشتهاها لنفسه لكنها تزوجت بآخر، يشعر أسموداوس بالغيرة، فيحرص على التفريق بين العروسين المتزوجين حديثاً. وقد تصل به هذه الغيرة إلى قتل العريس! حتى قبل أن يتم النكاح! وهذا ما حدث للشابة الجميلة "سارة" (Sarah) بطلة سفر طوبيَّا:

"تَزوّجت سبعةَ رجالٍ كان الشيطانُ أسموداوس يقتلهم قبل دُخولِهم عليها" (طوبيا 8:3) **[⟵ في أسطورة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)، قَتَلَ هَارُوتُ وَمَارُوتُ صبياً؛ وقيل: قتلا رجلاً شاهدهما وهما يزنيان مع الزُهَرَة، وقد يكون هذا الرجل هو زوج الزُهَرَة]**.

إذن: نرجع مرة أخرى إلى (التكوين 6:2-4) الأساس الكتابي لأساطير "الملائكة الساقطين" الذين أحبوا الإنسيات الحسناوات **[⟵ في أسطورة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)، أحب هَارُوتُ وَمَارُوتُ الزُهَرَةَ التي مُثِّلَتْ لَهُمَا امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ]**.

وتكملة القصة في سفر طوبيًا أن الله تدخل فأرسلَ ملاكَهُ "رَفائيل" (Raphael) ليزوِّج سارةَ "بطوبيّا بن طوبيت بعد أن يُقيِّدَ (bind) الشيطانَ أسموداوس" (طوبيا 16:3-17) **[⟵ وكذلك انتهت أسطورة "الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102) بمعاقبة الْمَلَكَيْنِ الساقطين هَارُوتَ وَمَارُوتَ؛ قيل: تمَّ تعليقُهما من رأسيْهِما (بل قيل: مِن أقدامهما) في بابل]**. ومِن اللافت للانتباه أن أحداث سفر طوبيّا تبدأ "لمَّا سُبيَ [طوبيت] مع امرأتِه وابنِه إلى مدينةِ نينوى (Nineveh)" (طوبيا 10:1) وهي أيضاً من أهم مدن العراق القديم، مثل بابل.

وفي سفر آخر من الأسفار القانونية الثانية في الترجمة اليونانية (السبعينية) وهو "تتِمة سفر دانيال" (Additions to Daniel)[2807]، نجد القصة الشيقة الشهيرة التي تُعرَف باسم "سُوسَنّة والشيخين" (Susanna and the Elders). أما نحن فنسميها قصة "الشيخين القاضيين ببابل" لأنها تتحدث عن شيخين قاضيين ببابل، أي في نفس المدينة التي حدثت فيها أسطورة هاروت وماروت القرآنية! **[⟵ "الْمَلَكَيْنِ [القاضيين] بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)؛ قال ابنُ عمر إنهما "كَانَا يَقْضِيَانِ بَيْنَ النَّاسِ"؛ وقال عليّ بن أبي طالب إنهما كانا "يَحْكُمَانِ بَيْنَ النَّاسِ"؛ وكذلك قال ابنُ حجر]**. هذان الشيخان القاضيان ببابل افْتُتِنَا بالمرأة الحسناء المتزوجة "سُوسَنّة" (Susanna) "فتَوَلّعا بها. فأفسدت الشهوةُ عقليهما وصرفا أعيُنَهما عن السماء لئلا ينظرا ويتذكرا أحكامَ الله العادلة" (تتِمة سفر دانيال 8:13-9) **[⟵ في قصة "الْمَلَكَيْنِ [القاضيين] بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102) أراد القاضيان هاروت وماروت أن يزنيا بالمرأة الجميلة "الزهرة"]**. رَغب الشيخان القاضيان في مضاجعة سُوسَنّة، لكنها رفضتْ، فاتهماها زوراً بالزنا أمام الناس. هذا الاتهام الخطير سيجعل سُوسَنّة تفقد زوجها **[⟵ "فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا (أي: مِن هاروت وماروت) مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ (مثلاً: جعل الزوج يشك في سلوك زوجته)" (البقرة 102)]**، بل سيجعلها تفقد حياتها لأن عقوبة الزنا حسب الشريعة اليهودية هي الموت. "فصَدّقَتْهُما الجماعةُ لأنهما شَيخان وقاضيان في الشعب وحكموا على سُوسَنّة بالموت" (تتِمة سفر دانيال 41:13). وكالعادة، يتدخل اللهُ لحل المشكلة. فأرسل اللهُ نبيه الشاب "دانيال" (Daniel) ليكشف براءة سُوسَنّة بحيلة ذكية.

وكنا نتمنى أن تذكر القصةُ اسمَ الشيخين القاضيين ببابل حتى نرى إنْ كان في اسميهما سجع مثل السجع الموجود في اسمي الْمَلَكَيْنِ القاضيين بِبَابِلَ "هَارُوتَ وَمَارُوتَ". لكن للأسف، لم تذكر القصةُ اسمَ

الشيخين القاضيين ببابل. لكنها ذكرت الحيلة الذكية التي لجأ إليها دانيال لإثبات براءة سُوسَنّة. باختصار، طلب دانيالُ أن يستجوب كلّ شيخٍ بمفرده بعيداً عن الشيخ الآخر. فقال الشيخُ الأول إنه رأى سُوسَنّة عارية مع شابٍ تحت شجرة "البُطْمَةِ (المستكة)" (mastic) (باليونانية: schinon). بينما قال الشيخُ الثاني إنه رأى سُوسَنّة عارية مع شابٍ تحت شجرة "السّنديانَة" (holm; oak) (باليونانية: prinon).

إذن: السجع الموجود في اسمي الْمَلَكَيْنِ القاضيين بِبَابِلَ "هَارُوتَ وَمَارُوتَ" لم نجده في اسمي الشيخين القاضيين ببابل، وإنما وجدناه في اسمي الشجرتين ببابل: "سكينون وبرينون"!

تضارب أقوال الشيخين الشاهدين واختلافهما في اسم الشجرة جعل الناس يتأكدون أنهما كاذبان وأن سُوسَنّة بريئة من تهمة الزنا.

فانتهت قصة "الشيخين القاضيين ببابل" بقَتْل هذين الشيخين عقاباً لهما لأنهما شهدا بالزور **[← وكذلك انتهت قصة "الْمَلَكَيْنِ [القاضيين] بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102) بمعقابة هَارُوت وَمَارُوت على الخطايا التي ارتكباها؛ "خُيِّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا"]**.

ننتقل الآن إلى "كتاب اليوبيلات" (Book of Jubilees) (Livre des Jubilés)[2808] الذي تحدثنا عنه في المقدمة وقلنا إن تاريخه يرجع إلى القرن الثاني (وقيل: الثالث) قبل الميلاد. ويبدو لنا أن كتاب اليوبيلات هو أكثر كتاب قد تأثر به أصحاب القرآن (البقرة 102)، ولا عجب في ذلك، فكما قلنا فيما سبق: الكنيسةُ الحبشية هي الكنيسة الوحيدة التي تعترف بكتاب اليوبيلات ككتاب قانوني. ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد. فمِن المؤكد أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) فى أوائل القرن السابع الميلادى قد سمعوا عن كتاب اليوبيلات وعرفوا محتواه وربما ظنوا أنه وحيٌ من الله إلى موسى النبي "على جبل سيناء حين صعد [موسى] يتقبّل لوحي الشريعة والوصايا بحسب أمر الرب" كما زعم كتاب اليوبيلات في مقدمته! ونحن نجد في كتاب اليوبيلات أفكاراً كثيرة تشبه ما قاله القرآنُ بعد ذلك، بل تشبه ما يقوله المسلمون اليوم! مثلاً: فكرة أن الشريعة اليهودية صالحة لكل زمان[2809]، التي تحولت في المجتمعات المنكوبة بالثقافة الإسلامية/العربية إلى شعار أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان!

وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بذكر ما يهمنا من كتاب اليوبيلات وما يناظره في أسطورة "هاروت وماروت" (البقرة 102)، موضِّحين التطور البشري الطبيعي بعلامة **[←]** كما تعودنا. والترجمة العربية من سلسلة "على هامش الكتاب"[2810] مع تعديلات بسيطة تساعد على الفهم.

(اليوبيلات 4): {15} وفي أيامه (أي: في أيام يارد Jared والد أخنوخ Enoch) نزل على الأرض ملائكةُ الرب الذين دُعوا الساهرين (أي: الملائكة الذين لا ينامون) (Watchers) كي يعلّموا البشر **[←**

"يُعَلِّمُونَ النَّاسَ [...] مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)]، ويمارسوا على الأرض العدل (judgment; justice) والحقّ (uprightness; righteousness) **[⟵ قال ابنُ عمر "إِنَّ مَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ سَأَلَا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ، فَأُهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ، فَكَانَا يَقْضِيَانِ بَيْنَ النَّاسِ"؛ وقال عليّ بن أبي طالب إنهما كانا "يَحْكُمَانِ بَيْنَ النَّاسِ"؛ وكذلك قال ابنُ حجر]**.

ويُفهَم من السياق أن الله هو الذي أرسل هؤلاء الملائكة من السماء إلى الأرض، وأن المهمة التي كلّفهم الله بها على الأرض كانت أصلاً مهمة حضارية نبيلة. الحكم بالعدل والقضاء بالحق ينبغي أن يؤدي إلى سلام وليس إلى فساد. لكن الأمور اتخذت بعد ذلك منحى آخر غير ما قصده الله القدوس. سقط هؤلاء الملائكة في تجربة النساء، وخطئوا ضد ربهم، فانحرفوا عن المهمة الإلهية السماوية وصاروا مفسدين في الأرض ...

أخنوخ. (اليوبيلات 4): {22} وشهد [أخنوخ] على الساهرين، أولئك الذين خطئوا مع بنات البشر. بادروا فاتحدوا مع بنات البشر وهكذا فسدوا.

خطيئة الملائكة. (اليوبيلات 5): {1} حين بدأ الناسُ يتكاثرون على وجه الأرض، ووُلِد لهم بنات، رأى ملائكةُ الرب [...] أنهن جميلات المنظر، فأخذوا منهنّ نساء بين كل اللواتي اختاروا **[⟵ في أسطورة "الْمَلَكَيْنِ الساقطين هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)، اشتهى هَارُوتُ وَمَارُوتُ الزُّهَرَةَ التي مُثِّلَتْ لَهُمَا امْرَأَةً مِنْ أَجْمَلِ الْبَشَرِ]**. فولدن لهم بنين هُمْ الجبابرة (Nephilim). وتزايد العنف على الأرض [...] تزايد العنف على الأرض، فكانت جميع أفكار كل الناس شريرة في كل الزمن **[⟵ وكذلك ارتكب هاروتُ وماروتُ خطايا كبيرة وكثيرة حسب الأسطورة الإسلامية: زنا وقتل وشرب خمر ... الخ]**.

إذن: هذا الجزء من كتاب اليوبيلات يفسر كثرة الشر والفساد والطغيان في الأرض بسبب الملائكة الساقطين الذين نكحوا الإنسيات الحسناوات فأنجبوا الجبابرة الطغاة (Nephilim) (التكوين 6:2-4) الذين سعوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا قبل طوفان نوح (Antediluvian).

وكالعادة، الأسطورة الأصلية في كتاب اليوبيلات أفضل من الأسطورة الإسلامية في القرآن. القرآن يُورّط الله عز وجل في السحر! أما كتاب اليوبيلات فيُنزّه الله تعالى عن كل ما يُلّوث سمعته أو يُشوّه قداسته. الملائكة هُمْ الذين سقطوا في الخطايا بإرادتهم الحرة. واللهُ بَرِيءٌ مِّمَّا زعم القرآنُ. اللهُ بريءٌ مِن السحر.

فماذا حدث بعد ذلك في كتاب اليوبيلات؟ اتخذ اللهُ قرار الطوفان ليطهِّر الأرضَ من فساد الملائكة الساقطين وأبنائهم الجبابرة (اليوبيلات 5:3-4)، أما نوح البار فسينجو من هذا الطوفان (اليوبيلات 5:5). ثم أمر الله الملائكةَ الأبرار أن يعاقِبوا الملائكة الساقطين **[⟵ عقوبة الْمَلَكَيْنِ الساقطين هاروت وماروت]**.

عقوبة الملائكة الساقطين. (اليوبيلات 5): {6} فدخل [اللهُ] في غضبٍ عنيف على ملائكته [الساقطين]، أولئك الذين أرسلهم على الأرض. وأمر بأن يجرّدهم من كل سلطتهم، وطلب منا [نحن الملائكة الأبرار] أن نقيّدهم (bind them) في أعماق الأرض **[⟵ قال ابنُ حجر إن هاروت وماروت "حُبِسَا فِي**

بِئْرٍ بِبَابِلَ مُنَكَّسَيْنِ"]. وها هُمْ مقيَّدون هناك ومعزولون (isolated). [...] {10} [...] قُيِّد هؤلاء في أعماق الأرض إلى الأبد، إلى يوم الدينونة العظيمة **[⟵ قال ابنُ عمر إن هاروت وماروت "يُعَذَّبَانِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ"]** المعدّة للحكم على جميع الذين أفسدوا سلوكهم وأعمالهم أمام الرب.

مما سبق نستنتج أن أسطورة "الْمَلَكَيْنِ الساقطين هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102) هي مجرد تطور بشري طبيعي لأسطورة "الملائكة الساقطين" في كتاب اليوبيلات.

ولقد لاحظنا فيما سبق أن كتاب اليوبيلات يقول إن الله هو الذي أرسل هؤلاء الملائكة من السماء إلى الأرض وإن هؤلاء الملائكة لم يسقطوا في شهوة النساء الأرضيات إلا بعد نزولهم على الأرض **[⟵ وهذا أيضاً ما نفهمه مِن أسطورة "الْمَلَكَيْنِ الساقطين هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)]**.

لكن في المقابل، يوجد كتاب آخر يقول روايةً أخرى لنفس الأسطورة؛ أو لعلها أسطورة أخرى. يقول إن الملائكة نزلوا مِن السماء إلى الأرض مِن تلقاء أنفسهم (وليس بأمرٍ ولا بإذنٍ من الله) وإنهم اشتهوا النساء الأرضيات حتى مِن قَبْل نزولهم على الأرض. هذا الكتاب هو كتاب "أخنوخ الأول" (1 Enoch)[2811] الذي تحدثنا عنه فيما سبق؛ وهو كتاب في غاية الأهمية يجب على كل مَن يدرس القرآن أن يدرسه[2812].

كتاب أخنوخ الأول يُسمَّى أيضاً "مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) أو "النسخة الحبشية (الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch) تمييزاً له عن كتاب أخنوخ الثاني (النسخة السلافونيّة). ويبدو لنا أن كتاب أخنوخ الأول هو ثاني أكثر كتاب – بعد كتاب اليوبيلات – قد تأثر به أصحابُ القرآن (البقرة 102)، ولا عجب في ذلك، فكما قلنا فيما سبق: الكنيسةُ الحبشية هي الكنيسة الوحيدة التي تعترف بكتاب أخنوخ الأول ككتاب قانوني. ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس. فمِن المؤكد أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) فى أوائل القرن السابع الميلادى قد سمعوا عن هذا السفر المهم (1 أخنوخ) وعرفوا محتواه وربما ظنوا أنه "توراة موسى" التي يؤمن بها يهودُ المدينة وربما توهموا أن "المُختار" (the Elect One) الذي يُبشِّر (1 أخنوخ) بمجيئه هو محمد! "وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ (أي: توراة موسى؛ أو: كتاب اليوبيلات؛ أو: كتاب أخنوخ الأول؛ أو: كتاب آخر من كتب التراث اليهودي ظن المسلمون الأوائل أنه "كتاب الله") [نبذه يهودُ المدينة] وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ" (البقرة 101).

ونظراً لضخامة سفر أخنوخ الأول، فإنه يُقسَّم عند دراسته إلى خمسة كتب مثل توراة موسى، أولها "كتاب الساهرين (أي: الملائكة الذين لا ينامون)" (Book of the Watchers) الذي يتحدث عن الملائكة وسقوطهم وتفاعلهم مع مجتمعهم الأرضي الجديد. ومِن أشهر هؤلاء الملائكة الساقطين: المَلَكَان الساقطان "شميحزا" (Shemhazai; Samyaza) و "عزازيل (أو: عزائيل)" (Azazel). ونظراً لاختلاف نُطْق اسمي هذين الملكين الساقطين بين اللغات الشرقية (العِبرية والآرامية والحبشية وغيرها)، فلا نعلم كيف سمع

المسلمون الأوائل اسميهما؛ ربما: سَمْيازاز وعَزاز؛ أو: شِمِحَزا وعَزَا؛ أو: سِمْيازا وعَسَا؛ أو: شِمِحَزائِل وعَزازل **[← المَلَكَان الساقطان "هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)]**.

شميحزا وعزازيل مشهوران جداً. كلاهما قائد أو رئيس لمجموعة من الملائكة الساقطين. ولعلهما تقليدان مختلفان أُدمِجَا بعد ذلك في نصٍ واحد يفسر كثرة الشر والفساد والطغيان في الأرض بسبب الملائكة الساقطين الذين نكحوا الإنسيات الحسناوات فأنجبوا الجبابرة الطغاة (Nephilim) (التكوين 6:2-4) الذين سعوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا قبل طوفان نوح (Antediluvian).

ويجب علينا أن نقول إنه يوجد تيار من العلماء والباحثين يعتقدون أن أساطير "الملائكة الساقطين" (مثل تلك الموجودة في كتاب اليوبيلات وكتاب الساهرين) تسبق (التكوين 6:2-4) زمنياً. وهذا لا يعني بالضرورة أن كتاب اليوبيلات وكتاب الساهرين أقدم من سفر التكوين، وإنما يعني أنهم جميعاً – سواء كتب قانونية أو غير قانونية – يعتمدون على أساطير شرقية (شفوية) أقدم مِنهم كلهم. ومِن ثم فإن الآيات التوراتية (التكوين 6:2-4) – حسب رأي هؤلاء العلماء – هي مجرد تلخيص واختصار لأساطير "الملائكة الساقطين" التي تتحدث عن الاتصال الجنسي بين الكائنات السماوية (الملائكة) والكائنات الأرضية (البشر)[2813].

أما نحن، فلا يهمنا أيهم أسبق، ولا يهمنا أيهم قانوني (مقدس) وأيهم غير قانوني (غير مقدس). وإنما يهمنا أنهم جميعاً قبل القرآن، وأنهم جميعاً – سواء كتب قانونية أو غير قانونية – كانوا معروفين ومنتشرين في الشرق الأوسط القديم قبل ظهور الإسلام. فكما قلنا إن القرآن هو مجرد تطور بشري طبيعي لكتاب اليوبيلات، نقول الآن إن كتاب القرآن العربي هو مجرد تطور بشري طبيعي لكتاب الساهرين الحبشي.

والفكرة الأساسية واحدة في كتاب الساهرين الحبشي وكتاب القرآن العربي: سقوط الملائكة من السماء إلى الأرض أدى إلى نقل أسرار سماوية أو معرفة ممنوعة (في القرآن: السحر) من الملائكة إلى البشر. معرفة سرية مخفية (occult) كان ينبغي أن تظل سرية مخفية، وما كان ينبغي على البشر أن يتعلَّموها، لكنهم تعلَّموها. وانتقال هذه المعرفة السرية مِن الملائكة الساقطين إلى البشر أدى إلى حدوث ضررٍ لمجتمعهم الأرضي الجديد، لأن الناس استخدموا ما تعلَّموه استخداماً سيئاً ولأغراض غير مشروعة (illicit) أدت إلى انتشار الفساد الأخلاقي (moral corruption). في القرآن: "فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا (أي: مِن الْمَلَكَيْنِ الساقطين هاروت وماروت) مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ [...] وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ" (البقرة 102).

بعبارة أخرى: سقوط الملائكة في الخطايا أدى في النهاية إلى سقوط البشر في مزيد من الخطايا. فلا بد أن يتدخل اللهُ تدخلاً مباشراً في الدنيا لخلق واقع جديد "أفضل" يدمر "الأشرار" ويحفظ "الأبرار" (في التوراة: طوفان نوح[2814] (التكوين 6:5-)؛ في القرآن: طرد اليهود من المدينة) ويتدخل أيضاً تدخلاً مباشراً في الآخرة للدينونة (الحساب والجزاء) فيعاقِب "الأشرار" ويكافئ "الأبرار": "وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ (أي: اختار الكفرَ) مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ (أي: يهود المدينة) آمَنُوا [بمحمد] وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ (أي: ثوابٌ) مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (البقرة 102-103).

وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بذكر ما يهمنا من كتاب الساهرين الحبشي وما يناظره في أسطورة "هاروت وماروت" القرآنية العربية (البقرة 102)، موضّحين التطور البشري الطبيعي بعلامة **[⟵]** كما تعودنا. والترجمة العربية من سلسلة "على هامش الكتاب"[(2815)] مع تعديلات بسيطة تساعد على الفهم.

سقوط الملائكة. خطيئة الملائكة. (1 أخنوخ 6): {1} وحصل أنه حين تكاثر البشر، وُلِد لهم بنات غضّات جميلات. {2} نظر إليهن الملائكة، أبناء السماء، واشتهونهن **[⟵ في أسطورة "الْمَلَكَيْنِ الساقطين هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)، اشتهى هَارُوتُ وَمَارُوتُ الزَّهَرَةَ التي مُثِّلَتْ لَهُمَا امْرَأَةً مِنْ أَجْمَلِ الْبَشَرِ]**. وقال الواحد للآخر: "لنختر نساء وسط البشر ونلد أولاداً". [...] {6} كانوا كلهم مئتين. نزلوا في زمن يارد [...] {7} إليك أسماء رؤسائهم: شميحزا هو الأول. [...] والعاشر بعده عزائيل (أو: عزازيل) [...].

(1 أخنوخ 7): {1} هؤلاء (أي: رؤساء الملائكة الساقطين) **[⟵ "الشَّيَاطِينَ" (البقرة 102)]** وجميع رفاقهم أخذوا لهم نساء، واحدة لكل منهم، وشرعوا يقربوهنّ ويتدنسون بهنّ **[⟵ في أسطورة "الْمَلَكَيْنِ الساقطين هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)، ارتكب هَارُوتُ وَمَارُوتُ فاحشة الزنا مع الزَّهَرَةَ]**. علّموهنّ العقاقير (magical medicine) والسحر (incantations) **[⟵ "الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ (أي: ويُعَلِمُونَ النَّاسَ أيضاً السِّحْرَ الذي أُنْزِلَ) عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)]** [...]. {2} حبلت النسوة وولدن الجبابرة (Nephilim) بقامة ترتفع ثلاثة آلاف ذراع. {3} [...].

(1 أخنوخ 8): {1} وعلّم عزازيل البشرَ صُنع السيوف والحراب والتروس والدروع كما تعلّمها مِن الملائكة، ودلّهم على المعادن وكيف يشتغلونها. [وعلّمهم كيف يعملون] الأساور والحلي والكُحْل [...] وكل أنواع الحجارة الكريمة والصبغ.

ويُفهَم من السياق أن الملاك الساقط عزازيل علَّم الناسَ علوماً قد تفيدهم إنْ أحسنوا استخدامها **[⟵ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ (أي: وَمَا يُعَلِّم هاروتُ وماروتُ أحداً) حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ" (البقرة 102)]**، لكن الناس أساءوا استخدام ما تعلموه: معرفة أسرار صناعة المعادن جعلت الناس يصنعون أسلحة الحروب، ومعرفة الجواهر ووسائل الزينة سهّلت الإغراء الجنسي **[⟵ "فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا (أي: من هاروت وماروت) مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ [...] وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ" (البقرة 102)]**.

النتيجة. (1 أخنوخ 8): {2} فنتج عن ذلك كفر عظيم **[⟵ "يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ" (البقرة 102)؛ والسحر كفر أو نوع من الكفر]**. فجر الرجالُ (أي: ارتكبوا الزنا) وضلّوا وفسدوا في جميع طرقهم. {3} وعلّمهم شميحزا السحر وعلم النبات، وحرموني (هو: ملاك ساقط آخر) [علّمهم] [...] الرقية والشعوذة والعرافة **[⟵ "الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ (أي: ويُعَلِمُونَ النَّاسَ أيضاً السِّحْرَ الذي أُنْزِلَ) عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)]**. [...] وشرعوا كلهم (أي: كل الملائكة الساقطين) يكشفون الأسرار لنسائهم **[⟵ في أسطورة "الْمَلَكَيْنِ الساقطين هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)، كشف هَارُوتُ وَمَارُوتُ للزَّهَرَة كلمةَ السر التي يُصعَد بها إلى السماء، وهي: اسم الله الأعظم]**.

ثم اجتمعت الملائكةُ الأبرار مع الله في السماء ليشتكوا إليه مما فعل المَلَكَان الساقطان عزازيل وشميحزا، فقالوا لله ما يلي. **(1 أخنوخ 9):** {6} رأيتَ [يا رب] ما صنعه عزازيل الذي علّم البشرَ جميع الشرور التي تُقترَف على الأرض وكشف الأسرار الأبدية المحفوظة في السماء، فمارسوا (أي: مارس الناسُ) ما علّمهم. {7} وشميحزا الذي سلّطتَهُ على رفاقه. {8} راحوا إلى بنات البشر على الأرض وضاجعوهنّ وتدنسوا في اتصالهم بالنساء، وكشفوا لهنّ جميع الخطايا **[⟵ وكذلك ارتكب هاروتُ وماروتُ خطايا كبيرة وكثيرة حسب الأسطورة الإسلامية: زنا وقتل وشرب خمر ... الخ]** [...] {11} أنت [يا رب] تعرف كل شيء قبل أن يحصل. أنت تنظر هذا وتتركنا دون أن تقول لنا ماذا يجب أن نفعل بهم!".

فتدخل اللهُ واتخذ قرار الطوفان فأرسل ملاكاً إلى نوح ليُعلِّمه كيف ينجو من الطوفان الذي سيحدث قريباً ليطهِّر الأرضَ من فساد الملائكة الساقطين وأبنائهم الجبابرة. ثم أمر اللهُ الملائكةَ الأبرار أن يعاقِبوا الْمَلَكَيْنِ الساقطين عزازيل وشميحزا **[⟵ عقوبة الْمَلَكَيْنِ الساقطين هاروت وماروت]**.

عقوبة عزازيل. (1 أخنوخ 10): {4} وقال [اللهُ] لِرَفائيل (Raphael): "قيِّد (bind) عزازيل برجليه ويديه، وارمه في الظلمة وافتح الْبَرِّيَّةِ (أي: احفر حفرةً pit في الصحراء) التي في ددوئيل (Dudael) وارمه فيها **[⟵ قال ابنُ حجر إن هاروت وماروت "حُبِسَا فِي بِئْرٍ بِبَابِلَ مُنَكَّسَيْنِ[2816]"]**. {5} ضع عليه حجارة خشنة وحادة، وغطِّه بالظلمة وليبقَ هناك إلى الأبد **[⟵ قال ابنُ عمر إن هاروت وماروت "يُعَذَّبَانِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ"]**. غطِّ وجهه فلا يعود يرى النور. {6} وفي يوم الدين العظيم يُقاد إلى أتون النار (fire) **[⟵ "مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (أي: ليس له ثواب أو مكافأة فِي الآخِرَةِ)" (البقرة 102)]** [...] {8} دُمِّرت الأرضُ بسبب أعمال علّمها عزازيل، فانسب إليه (أي: اكتب عليه؛ اجعله يحمل) كل الخطايا".

عقوبة شميحزا. (1 أخنوخ 10:11-). مشابهة لعقوبة عزازيل، فلا داعي لذكرها بالتفصيل.

إلا أن الملائكة الساقطين طلبوا من أخنوخ **[⟵ إدريس]** أن يشفع (intercede) لهم عند الله. فرفض اللهُ شفاعةَ أخنوخ رفضاً شديداً وقال له: "اذهب [يا أخنوخ] وقُلْ لهؤلاء [الملائكة الساقطين] الذين أرسلوك [لتشفع لهم]: "كان ينبغي عليكم أنتم أن تصلوا (أي: تشفعوا intercede) لأجل البشر، لا البشر أن يصلوا لأجلكم"" (1 أخنوخ 2:15) **[⟵ في حديث ابن عباس: "فَكَثُرَ اللَّغَطُ فِيمَا بَيْنَهُمَا (أي: هاروت وماروت) وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ فَنَظَرُوا إِلَيْهِمَا وَمَا يَعْمَلَانِ [من خطايا]، فَفِي ذَلِكَ أُنْزِلَتْ: "وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ" (الشورى 5)". قَالَ: "فَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ يَعْذُرُونَ أَهْلَ الْأَرْضِ وَيَدْعُونَ لَهُمْ"]**. وهكذا سيُعذَّب شميحزا وعزازيل على الأرض في الدنيا إلى الأبد. وفي الآخرة (يوم الدين)، سيُعذَّبا في أتون النار. فلن يكون لهما سلامٌ أبداً (1 أخنوخ 4:16) لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وهنا نجد اختلافاً آخر بين أسطورة "هاروت وماروت" الإسلامية والأسطورة الأصلية؛ أو بعبارة أكثر دقة: إحدى الأساطير الأصلية وهي أسطورة "شميحزا وعزازيل" اليهودية. فنحن نفهم من أسطورة "هاروت وماروت" الإسلامية أن رحمة الله وَسِعَتْ وشملت هاروت وماروت، ولو جزئياً، بدليل أنهما "بُعِثَ

إِلَيْهِمَا" و "خُيِّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا". وقيل إن هاروت وماروت طلبا من إدريس أن يشفع لهما عند الله، ففعل إدريس ذلك، فخَيَّرَهُمَا اللهُ بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا. أما في أسطورة "شميحزا وعزازيل" اليهودية، فإن شفاعة أخنوخ **[← إدريس]** رُفِضَت تماماً.

وهذا ما نقصده بـ "التطور البشري الطبيعي" بالحذف و/أو الإضافة. فنحن لا نقول إن أسطورة "هاروت وماروت" الإسلامية هي هي نفسها أسطورة "شميحزا وعزازيل" اليهودية. وإنما نقول إن أسطورة "هاروت وماروت" الإسلامية هي مجرد تطور بشري طبيعي لأسطورة "شميحزا وعزازيل" اليهودية، تطور بشري طبيعي بالحذف و/أو الإضافة مع انتقال الأساطير (شفوياً) عبر الزمان والمكان.

بعبارة أخرى: نحن لا نقول إن أسطورة "شميحزا وعزازيل" اليهودية = أسطورة "هاروت وماروت" الإسلامية. وإنما نقول: أسطورة "شميحزا وعزازيل" اليهودية **[← أسطورة "هاروت وماروت" الإسلامية]**. إنها إذن من "الإسرائيليات" التي تسللت إلى القرآن والسُّنَّة والتفسير. وليس لدينا أدنى شك أن هذه الأساطير الإسرائيلية←القرآنية لها جذور أكثر عمقاً في أساطير الشرق القديم. اقرأ مثلاً الأساطير الإغريقية[2817]. ففي إحدى الأساطير الإغريقية كلّف الإلهُ "زيوس" (Zeus) اثنين مِن التيتان (Titans) – التيتان في الأساطير الإغريقية هُمْ أبناء آلهة؛ جبابرة متمردون **[← في الأساطير القرآنية: شياطين أو ملائكة ساقطين]** – هُما "بروميثيوس" (Prometheus) وأخوه "إبيميثيوس" (Epimetheus) **[← الْمَلَكَان الساقطان هاروت وماروت. لاحظ سجع الاسمين في الأسطورة الإغريقية والأسطورة القرآنية!]**؛ كلّفهما زيوس بخلق البشر وتزويدهم وجميع حيوانات الأرض بمتطلبات الحياة التي تمكنهم من البقاء. وطبقاً للأسطورة الإغريقية، يسرق بروميثيوس النار **[← في الأسطورة القرآنية: السحر]** مِن الآلهة ويمنحها للبشر **[← "الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (البقرة 102)]**. فيخلق زيوس "باندورا" (Pandora) **[← الزُّهَرَة]** انتقاماً منه، وهي التي تزوجت أخ بروميثيوس **[← ارتكبت الزُّهَرَة فاحشة الزنا مع هَارُوت وَمَارُوت]** وأطلقت كل شرور العالم. ونلاحظ هنا أن هذه الأسطورة الإغريقية تحاول أيضاً أن تفسر انتشار الشر في العالم. بينما تحكي أسطورة أخرى أن زيوس عاقب بروميثيوس بأن عزله وربطه مقيداً بالأغلال في جبل **[← عاقب اللهُ الْمَلَكَيْنِ الساقطين هاروت وماروت]**. ونلاحظ هنا أيضاً أن فكرة العقاب الإلهي موجودة في الأسطورة الإغريقية والأسطورة الإسلامية. لكن في أساطير شرق-أوسطية أخرى، يكون أحياناً انتقال المعرفة السرية الإلهية من السماء إلى الأرض منحة إلهية لا تستوجب العقاب. اقرأ مثلاً الأسطورة السومرية "لَهار وأشنان" (Lahar and Ashnan) فَهُمَا "بطلان حضاريان بعث بهما الآلهة إلى البشر لتعليمهم الزراعة وتربية الدواجن والماشية"[2818].

وهكذا تطور تراث الشرق الأوسط القديم (سومري، إغريقي، ... الخ) حتى انتقل إلى اليهود والمسيحيين، ثم مِن اليهود والمسيحيين إلى الإسلام (القرآن والسُّنَّة والتفسير). بل استمر يتطور حتى بعد ظهور الإسلام. فمما يدل على أهمية أسطورة "شميحزا وعزازيل" في الثقافة اليهودية أنها ظللت تتطور حتى

بعد ظهور الإسلام! إذ تقول أسطورة يهودية مدراشية، أسطورة متأخرة جداً تنتمي إلى العصور الوسطى، إن شميحزا تاب على يد أخنوخ[2819]. أما عزازيل فلم يتب وظل في الْبَرِّيَّةِ (أي: في الصحراء).

ويجب علينا هنا أن نقول إنه في التراث اليهودي، "عزازيل" اسم شيطان صحراوي (desert demon) يقيم منعزلاً في الأماكن الصحراوية المقفرة. ولم يُذكَر عزازيل في العهد القديم كله إلا في سياق واحد فقط (اللاويين 16)، وهو سياق الطقوس الخاصة بـ "يوم الكفارة" (The Day of Atonement) (Yom Kippur) أهم يوم صوم عند اليهود، بل يوم الصوم الاعتيادي الوحيد المذكور في التوراة[2820]، وهو "يوم عاشوراء" الذي جعله محمدٌ يومَ صومٍ حين دخل يثرب (المدينة) مهاجِراً من مكة[2821]. فَمِن المؤكد إذن أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن يوم الكفارة اليهودي والطقوس الخاصة به، وهذا يتفق جداً مع موضع (البقرة 102) في سورة البقرة أولى السور المدنية.

ونجد طقوس يوم الكفارة في (اللاويين 16) الذي يقول: "وَمِنْ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَأْخُذُ [هَارُونُ] تَيْسَيْنِ مِنَ الْمَعْزِ لِذَبِيحَةِ خَطِيَّةٍ، [...]. [...]. وَيَأْخُذُ التَّيْسَيْنِ وَيُوقِفُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَيُلْقِي هَارُونُ عَلَى التَّيْسَيْنِ قُرْعَتَيْنِ: قُرْعَةً لِلرَّبِّ وَقُرْعَةً لِعَزَازِيلَ. وَيُقَرِّبُ هَارُونُ التَّيْسَ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِلرَّبِّ وَيَعْمَلُهُ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ. وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعَزَازِيلَ فَيُوقَفُ حَيًّا أَمَامَ الرَّبِّ، لِيُكَفِّرَ عَنْهُ لِيُرْسِلَهُ إِلَى عَزَازِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ" (اللاويين 16:5-10).

إذن: يُضحَّى بتيسين في يوم الكفارة:

- التيس الأول ذبيحة يُسمَّى "تَيْس الْخَطِيَّةِ" (the goat of the sin) فهو يُذبَح ويُقدَّم ذبيحة للرب لِيُكَفِّرَ عن خطايا بني إسرائيل.
- والتيس الثاني حي وليس ذبيحة ويُسمَّى "تَيْس عَزَازِيلَ" (the goat of Azazel)، فهو يُرسَل حياً لعزازيل لأنه يحمل خطايا بني إسرائيل، فيُطلَق في الصحراء النائية رمزاً لإبعاد الخطيئة وعزلها وفصلها نهائياً عن المجتمع: "وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ الْحَيِّ (أي: تيس عزازيل) وَيُقِرُّ عَلَيْهِ (أي: يعترف) بِكُلِّ ذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ، وَيَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ، وَيُرْسِلُهُ بِيَدِ مَنْ يُلاَقِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ. لِيَحْمِلَ التَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ، فَيُطْلِقُ التَّيْسَ فِي الْبَرِّيَّةِ" (اللاويين 16:21-22)[2822]. ولذلك فإن بعض الترجمات – وبخاصة تلك الترجمات التي تعتمد على الترجمة السبعينية (اليونانية) والفولجاتا (اللاتينية) – لا تتعامل مع عزازيل على أنه اسم عَلَم، وإنما تترجمه إلى "كَبْش فِدَاء" (scapegoat). والأكثر دقة هو أن نقول إن التيس الذي يُقدَّم حياً لعزازيل هو كبش الفداء، وليس عزازيل نفسه. ويوجد رأي توافقي يقول إن عزازيل هو اسم هذا التيس! وقيل غير

ذلك[2823]. وفي جميع الأحوال، فإن هذا الطقس المهم لا يعني إطلاقاً عبادة عزازيل، وذلك لأن التيس يُطلَق حياً وليس ذبيحة.

"عزازيل" شيطان صحراوي يسكن الصحراء معزولاً عن المجتمع. معزولاً، أي: مطروداً (رجيم[2824]). هذا ما نفهمه من توراة موسى (سفر اللاويين) ومن التراث اليهودي (سفر أخنوخ الأول). نستطيع إذن أن نقول إن سفر أخنوخ الأول هو محاولة جيدة تفسر وتشرح لماذا طُرد عزازيل إلى الصحراء، ومِن ثم لماذا يُطرَد تيس عزازيل إلى الصحراء: كل الخطايا التي ارتكبها بنو إسرائيل طوال العام تنتقل إلى التيس يوم الكفارة، ثم يُطرَد التيسُ حاملاً كل هذا الشر ويعود إلى الشيطان عزازيل أصل هذا الشر؛ ولأن هذا التيس سيموت إما عاجلاً أو آجلاً – وكان أحياناً يُعدَم في الصحراء حتى لا يرجع إلى المجتمع – فإن عزازيل هو الذي سيحمل كل الخطايا في النهاية. وهكذا يكون هذا الطقس المهم الخاص بيوم التكفير العظيم (يوم عاشوراء) سبباً في تطهير المجتمع من الشر، كما كان طوفان نوح سبباً في تطهير الأرض من الشر.

ثم أَطْنَبَ التلمود البابلي (Yoma) في شرح تفاصيل أخرى كثيرة تتعلق بيوم الكفارة بصفة عامة و "عزازيل" بصفة خاصة.

وبمرور الزمن صار اسمُ "عزازيل" يستخدم للإشارة إلى الشيطان (إبليس؛ الحية) الذي أغوى آدم وحواء في الجنة (Apocalypse of Abraham رؤيا إبراهيم 23:1-12)[2825].

وإنطلاقاً مِن التراث اليهودي، تطورت قصص الملائكة الساقطين (الشياطين) تطوراً بشرياً طبيعياً مع انتقالها إلى التراث المسيحي في القرون الستة الأولى للميلاد. انظر مثلاً الفصل 12 وما بعده من الكتاب الثامن مِن "عظات اكليمندس المنحولة" (Pseudo-Clementine Homilies)[2826] التي يُعتقَد أن كاتبها كان من اليهود المتنصرين (Jewish Christians) في الشام في القرن الثالث الميلادي؛ ربما من طائفة الأبيونيين (Ebionites)[2827]، أي: من الطائفة التي يُقال إن القس العربي "ورقة بن نوفل" كان ينتمي إليها.

وفي القرن الثالث الميلادي أيضاً، قال المسيحي المصري/القبطي "أوريجانوس" (Origen) (حوالى 185 – 254م) في الفصل 43 من الكتاب السادس مِن كتابه الشهير "ضد كلسس" (Contra Celsum)، قال إن عزازيل هو الشيطان (إبليس؛ الحية) الذي أغوى آدم وحواء في الجنة[2828].

باختصار: قبل ظهور الإسلام، كان الملاك الساقط "عزازيل" يحتل مكاناً مهماً في التراث اليهودي والمسيحي، فهو شيطان (demon)، بل رئيس شياطين (archdemon)، بل هو الشيطان إبليس (Satan The Devil) أصل الشر في هذا العالم.

فمِن المؤكد إذن أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن قصص الملائكة الساقطين (الشياطين) بصفة عامة، وقصة الشيطان عزازيل بصفة خاصة؛ سواء من أهل الشام أو الحبشة أو مصر أو يهود المدينة.

من كل ما سبق نستنتج أن هدف (البقرة 102) هو شيطنة يهود المدينة غير المؤمنين بمحمد تمهيداً لإزالتهم وإبعادهم ومحوهم وتطهير المجتمع الإسلامي الجديد من شرورهم. أراد أصحابُ (البقرة 102) أن يُذكِّروا يهودَ المدينة بقصص الملائكة الساقطين (هاروت وماروت وأشباههما) ليقولوا لهؤلاء اليهود إن مصيرهم سيكون مشابهاً لمصير الملائكة الساقطين. فكما عُزل الملائكة الساقطون المفسدون (اليوبيلات 6:5)، وكما طُردَ الملاكُ الساقط عزازيل إلى الصحراء (1 أخنوخ 4:10)، وكما يُطرَد تيس عزازيل إلى الصحراء كل سنة (اللاويين 10:16)، كذلك سيُطرَد اليهودُ مِن المدينة إلى الصحراء. وهذا ما حدث بالفعل بعد ذلك ليهود بني قينقاع (2هـ) ثم يهود بني النضير (4هـ) ثم يهود بني قريظة (5هـ) ثم التخلص نهائياً من فلول اليهود في خيبر (7هـ).

الخلاصة: الموضوع كله طلع أساطير شرق-أوسطية قديمة – يهودية ومسيحية وإغريقية وزرادشتية – تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في آية طويلة جداً من القرآن (البقرة 102) استغلها أصحابُ القرآن بذكاء في جدالهم ضد يهود المدينة لتحقيق أغراض دينية وسياسية واجتماعية أدت في النهاية إلى طرد اليهود من المدينة كما طُرد الملائكة الساقطون من المجتمع وكما طُرد الشيطانُ من الجنة.

وهذا كله يؤكد أن القرآن ليس كلام الله. فَمِن المستحيل أن يلجأ اللهُ إلى أساطير شرق-أوسطية قديمة ليعلن عن ذاته للبشرية من خلال خرافة هي "السحر".

وإذا كانت خرافة السحر في آية قرآنية واحدة هي (البقرة 102) تكفي لإثبات أن القرآن ليس كلام الله، فيوجد حديث صحيح واحد هو حديث "سحر النبي" يكفي لإثبات أن محمد ليس رسولاً من عند الله ...

4.2.2.2.2 سحر "لَبِيد بن الأَعْصَم" وأثره على محمد شخصياً!

قال د. صلاح الخالدي: "الراجحُ ما ذهب إليه جمهور أهل السُّنَّة: مِنْ أنّ السحر له حقيقة وتأثير، وأن الساحر يقدر على أن يؤثِّر في خصمه وأن يضره، لكن بإذن الله. هذا هو الراجح لأنه دلّت عليه النصوص، من القرآن والحديث. أما القرآن فمنه ما ورد في قصة هاروت وماروت. [...] وأما الحديث، فحادثة سحر اليهوديّ لرسول الله ﷺ. هذه الحادثة التي أوردها الإمام البخاري في عدة مواضع من صحيحه"[2829]!

بالفعل، المشكلة الكبرى هي أن كتب السُّنَّة الصحيحة قد اعترفت بأثر أعمال السحر على محمد شخصياً! فلقد ذَكَرَت كتب السُّنَّة الصحيحة أن محمد شخصياً قد سُحِرَ حتى إِنَّهُ كان يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، أو أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئًا وَلَمْ يَصْنَعْهُ، أو أَنَّهُ يَأْتِي نساءَه وَلَا يَأْتِيهِنَّ (أي: يُخَيَّلُ إِلَى محمد أنه يجامع نساءَه مع أنه في الواقع لا يجامعهن)! اقرأ حديث "سحر النبي" الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم[2830] وغيرهما. وباعتراف موسوعة بيان الإسلام: "ليس أدل على حقيقة السحر [في القرآن] مِن نزول سورة الفلق

وقوله سبحانه وتعالى: "وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ" (الفلق 4) وذلك عندما سُحِر النبي [...] ليس أدل على حقيقة السحر في السنة النبوية من حديث سحر النبي"[2831]!

وكما تسببت قصة "الْمَلَكَيْن هاروت وماروت" في مشكلة ضخمة للمفسرين، كذلك تسبب حديث سحر النبي في مشكلة ضخمة وإحراج كبير لكثير مِن المسلمين، خاصةً وأن المسحور هو محمد رسول الإسلام وقدوة المسلمين ومَثلهم الأعلى، وأن الساحر "لَبِيد بن الأعْصَم" الذي سَحَرَ محمداً كان يهودياً، وأن تفاصيل هذا السحر تُذكِّرنا بمشاهد الدجل والشعوذة في الأفلام والمسلسلات العربية: فلقد عَمِلَ لَبِيد لمحمد عملاً "في مُشْطٍ ومُشَاطَة"[2832] ووضعه تحت حجر في بئر! أو عَقَدَ له 11 عقدة مغروزة بالإبر في تمثال من الشمع! فكلما رُقِيَ محمدٌ بآيةٍ مِن المعوِّذتين (The Two Apotropaic Formulas) (الفلق (5 آيات) + الناس (6 آيات) = 11 آية) انحلت عقدة، حتى انحلت كل العقد؛ ... إلى آخر هذه الأساطير الإسلامية التى بُنِيت على الخرافات الجاهلية العربية!

إنه إذن نفس النمط (pattern) يتكرر: لمحاربة خرافة سائدة في المجتمع العربي هي خرافة "السحر"، يخترع أصحابُ القرآن – أو بعبارة أكثر دقة: يلجأ المسلمون الأوائل إلى – خرافة أكبر منها هي خرافة "الرُقية". وبعض الروايات تستخدم كلمة "النُّشْرَة" بدلاً من "الرقية". قال ابنُ حجر العسقلاني: "قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيّ: النُّشْرَةُ حَلُّ السِّحْر عَنِ الْمَسْحُور، وَلَا يَكَادُ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ السِّحْرَ"[2833]. [سؤال: هل يجرؤ شيخٌ من الشيوخ المسلمين الحاليين أن يقول الجملة السابقة في مؤتمر صحفي عالمي في أوروبا أو أمريكا؟!]

وليس لدينا أدنى شك أن الرُقية (النُّشْرَة) عادة جاهلية قديمة، وإنْ كان أصحاب القرآن ورواة الأحاديث قد قاموا بـ "تعريبها" و "أسلمتها"، أي: جعلها ملائمة للإسلام. يقول د. جواد علي: "وتستعمل (الرقية) فى مداواة الآفات، مثل الحمى والصرع والنظرة ولدغات العقارب والحيات وأمثال ذلك، وتكون بقراءة شىء على المريض أو على موضع المرض ثم النفث عليه، أو بحمل شىء مكتوب. وقد جاء فى بعض الأحاديث جوازها فى الإسلام، وفى بعضها النهى عنها. وقد ذكر علماء الحديث أن الإسلام قد نهى عن الرقية التى تكون بلسان غير عربى، ويدل هذا على أن الجاهليين كانوا يذهبون إلى أهل الكتاب ولا سيما اليهود منهم، فيرقونهم بالعبرانية أو السريانية، ولذلك نهوا عنه. وقد عرضت بعض أنواع الرقية التى كان يستعملها أهل الجاهلية على الرسول لأخذ رأيه فيها، فأباحها لهم، وأباح لهم كل رقية ليس فيها شىء من ألفاظ الجاهلية"[2834]. ولا يزال المسلمون يستخدمون المعوِّذتين فى "الرُقية" إلى اليوم!

س: ماذا كانت ردود أفعال المسلمين إزاء حديث "سحر النبي"؟ ج: تباينت ردود أفعالهم ...

معظم المراجع الإسلامية التي اطلعنا عليها تعترف بأن اليهودي "لَبِيد بن الأعْصَم" قد سَحَرَ محمداً! بل استدلوا بحديث سحر النبي لإثبات حقيقة السحر في الإسلام! على سبيل المثال، قال الإمام النووي: "قال الْإِمَامُ الْمَازِرِيُّ رحمه الله: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجُمْهُور عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ السِّحْر، وَأَنَّ لَهُ حَقِيقَةً كَحَقِيقَةِ

غَيْرِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الثَّابِتَةِ، خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَنَفَى حَقِيقَتَهُ وَأَضَافَ مَا يَقَعُ مِنْهُ إِلَى خَيَالَاتٍ بَاطِلَةٍ لَا حَقَائِقَ لَهَا، وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَ أَنَّهُ مِمَّا يُتَعَلَّمُ وَذَكَرَ مَا فِيهِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ مِمَّا يُكَفَّرُ بِهِ وَأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ (يقصد: البقرة 102)، وَهَذَا كُلُّهُ لَا يُمْكِنُ فِيمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَهَذَا الْحَدِيثُ أَيْضًا (يقصد: حديث سحر النبي) مُصَرِّحٌ بِإِثْبَاتِهِ، وَأَنَّهُ أَشْيَاءُ دُفِنَتْ وَأُخْرِجَتْ (أي: أَشْيَاء مادية دُفِنَتْ تحت الحجر في البئر وَأُخْرِجَتْ منه)، وَهَذَا كُلُّهُ يُبْطِلُ مَا قَالُوهُ (أي: يُبْطِل كلامَ مَن أنكروا حديث سحر النبي)، [...]، وَلَا يُسْتَنْكَرُ فِي الْعَقْلِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَخْرِقُ الْعَادَةَ عِنْدَ النُّطْقِ بِكَلَامٍ مُلَفَّقٍ، أَوْ تَرْكِيبِ أَجْسَامٍ، أَوِ الْمَزْجِ بَيْنَ قُوًى عَلَى تَرْتِيبٍ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا السَّاحِرُ"[2835]! وفي عصرنا الحالي، موسوعة بيان الإسلام مثلاً تدافع بشدة عن حديث سحر النبي كما لو كان ركناً من أركان الإسلام وشرطاً من شروط الإيمان!

لكنهم يحاولون أن يقللوا من خطورة هذا الحديث الصحيح، فيقولون مثلاً إن محمد سُحِرَ فعلاً لكن لفترة محدودة وفى الأمور الدنيوية فقط وإنه كان أشبه بالمرض، بل قالوا إن السحر الذى تعرض له محمد كان "تسلطاً على البدن والقوة الجسدية فقط، ومثل ذلك من جنس الأمراض"، وإن "السحر مرض كغيره من الأمراض"، وإن السحر "مرض نفسى يحتاج إلى علاج نفسى"[2836]! وقيل إن محمد كان يعاني من "نسيان" فقط! وقيل إنه كان مجرد "صداع خفيف"! وفي جميع الأحوال، يزعمون أن سحر محمد لم يَضُر النبوةَ والوحيَّ وتبليغ الرسالة في شيء، لأن السحر – حسب زعمهم – قد أثر على جسد محمد وجوارحه فقط، ولم يؤثر على عقله! ونسوا – أو تناسوا – أن الخيالات والتهيؤات مِن عَمل العقل، مما يعني أن التجربة الصعبة التي مرَّ بها محمدٌ قد أثرت على عقله ووعيه وإدراكه.

وفي المقابل، حاول بعض المسلمين أن ينكروا هذا الحديث الصحيح، بل أنكروا أن محمد قد سُحِرَ! وإنْ اعترفوا بإمكانية أن يُسحَر غيره! ويكفي أن نذكر على سبيل المثال ما قاله الإمام الشيخ محمد عبده فى تفسير سورة الفلق: "ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه (أى: فى نفس محمد) عليه السلام، حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية، بل هو ماس بالعقل، آخذ بالروح، وهو مما يصدق قول المشركين فيه: "إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا" (الفرقان 8). وليس المسحور عندهم إلا مَن خولط فى عقله، وخيل له أن شيئاً يقع وهو لا يقع، فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه. [...] وأما الحديث – على فرض صحته – فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد، وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون. [...] فإنه إذا خولط النبى فى عقله – كما زعموا – جاز عليه أن يظن أنه بلّغ شيئاً وهو لم يبلّغه أو أن شيئاً نزل عليه وهو لم ينزل عليه. والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان .. ثم إن نفى السحر عنه (أى: عن النبى) لا يستلزم نفى السحر مطلقاً. فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون نفسه، ولكن من المحال أن يصيبه (أي: يصيب محمداً) لأن الله عصمه منه. [...] ولو كان هؤلاء (أى: المؤيدون لحديث سحر النبي) يقدرون الكتاب قدره، ويعرفون من اللغة ما

يكفى لعاقل أن يتكلم، ما هذروا هذا الهذر، ولا وصموا الإسلام بهذه الوصمة .. وكيف يصح أن تكون هذه السورة (أى: سورة الفلق) نزلت فى سحر النبي ﷺ مع أنها مكية – فى قول عطاء والحسن وجابر وفى رواية ابن كريب عن ابن عباس – وما يزعمونه من السحر إنما وقع فى المدينة؟! لكن مَن تعود القول بالمحال لا يمكن الكلام معه بحال .. نعوذ بالله مِن الخبال"[2837]. وقال د. شوقي ضيف في تفسيره لـ "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ [يا محمد] مِنَ النَّاسِ (أي: يحفظك ويصونك من الكفار المشركين واليهود والمنافقين)" (المائدة 67): "والآية تثبت العصمة للرسول وتنفي بوضوح زعم مَن قالوا إن لبيد بن الأعصم سحره. وكيف يُسْحَرُ وهو رسول الله، والله يقول إنه عصمه من الناس جميعاً. وهو (أي: سحر النبي) خبر سخيف كاذب لأنه معصوم بشهادة ربه"[2838].

لكن المؤيدين لحديث سحر النبي يقولون إن (المائدة 67) تعني أن الله يحفظ محمداً من أن يُقتَل فقط. أما كل ما دون القتل مِن جرحٍ (كما حدث يوم أحد) أو سِحرٍ أو غير ذلك فلا مانع من حدوثه لمحمد.

تعليقنا على هذا الجدل الإسلامي-الإسلامي: حديث "سحر النبي" ليس خبراً في جريدة صفراء، وإنما هو حديث صحيح أخرجه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما، أي أنه حديث في أعلى درجات الصحة – حتى لو كان آحاد؛ وبالتالى مِن الصعب على المسلم السُنّي أن ينكر هذا الحديث أو يشكك فيه. هذا بالإضافة إلى أن سحر النبي مذكور في كتب السيرة والتفسير وأسباب النزول. ولا يهم إذا كانت سورة الفلق مكية أو مدنية، فقد تكون السورة مكية، لكن محمد رُقِيَ بها حين سُحِرَ في المدينة (قيل: في شهر المحرم 7هـ). ولا يهم إذا كان محمد قد سُحِرَ لفترة قصيرة (قيل: أياماً) أم طويلة (قيل: شهوراً)، أو إذا كان في أمور دنيوية جسدية أَم في أمور دينية روحية. المهم أن خرافة السحر قد أثّرت على محمد بأي طريقة مهما كانت ولأي فترة مهما قصرت. فلو كان محمدٌ نبياً من عند الله كما يتوهم المسلمون، لعرف أن السحر خرافة وليس له أي تأثير.

أما اعتبار السحر مرض أو أن المرض نوعٌ من السحر، فهذا اعتقاد متخلف جداً. يقول د. جواد علي: "وما المرض فى نظر القدماء إلا أرواح شريرة حلت فى الأجساد أو بجزء منها، فألحقت بها الأمراض. ولن يشفى الجسد أو الجزء المصاب منه إلا بطرد تلك الأرواح. وطرد الأرواح من أعمال السحر. والساحر هو سلف من أسلاف الأطباء. وكلمة (طبيب) العربية هى من هذا الأصل. فالطب فى اللغة السحر، و (المطبوب) هو المسحور، والطابّ هو الساحر يستخدم طبه فى الشفاء. وقد أدخلت كتب الحديث السحر فى (كتاب الطب). فالساحر هو طبيب يعالج أشياء عديدة، ثم تخصص الأطباء بالطب، غير ان الأطباء ظلوا يمارسون حتى فى أوروبة السحر فى معالجة مرضاهم مدة طويلة، الى ان تطور العلم، وظهر البحث الحديث[2839]. ولا توجد الآن كلية طب واحدة فى العالم المتقدِّم تُدرّس كيفية "علاج السحر" أو طرق "الوقاية" منه! فلا يليق بالمسلمين اليوم أن يقولوا إن السحر مرض كغيره من الأمراض!

أما النسيان فهو عكس الهلوسة. النسيان هو أن يظن الإنسانُ أنه لم يفعل الشَّيْءَ لكنه في الحقيقة قد فعله. أما الهلوسة فهي أن يظن الإنسانُ أنه فعل الشَّيْءَ لكنه في الحقيقة لم يفعله.

محمد كان يعاني من هلوسة، وليس نسيان ولا سحر.

نحن نؤمن أن السحر خرافة من خرافات العالم القديم. لكن المشكلة هى أن محمد وأتباعه كانوا يؤمنون بهذه الخرافة. إن إيمان محمد بالسحر – وليس السحر نفسه – هو الذى سبب له كل هذه الهلاوس التى ذكرها رواةُ الأحاديث. أو كما يقول المثل الشعبي: "اللي يخاف من عفريت يطلع له". إن خوف محمد مِن السحر وأثره هو الذى سبب له كل هذه التهيؤات: كان يُخَيَّلُ إلى محمد أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، أو أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئًا وَلَمْ يَصْنَعْهُ، أو أَنَّهُ يَأْتِي نساءَه وَلَا يَأْتِيهِنَّ! مما يدل على أنه لا يمكن أن يكون رسولاً من عند الله.

كذلك فإن "الرُقية" تعمل بنفس النظرية: نظرية الوهم، لكن بصورة إيجابية. وهى تشبه إلى حد كبير ما يُسمَّى (Placebo effect)، أى أنك تُوهِم مريضاً أنك تعطيه علاجاً، مع أن هذا العلاج فى الحقيقة غير مؤثر، بل هو ليس علاجاً أصلاً وإنما مجرد مادة غير فعالة؛ لكن إذا صدَّق المريض أنه يتلقى علاجاً فعالاً فإن هذا الإيمان – حتى لو كان وهماً – قد يُشعِر المريض بتحسن.

بعبارة أخرى: محمد صدَّق أنه سُحِر وصدَّق أن السحر له أثر سلبى، وهذا الوهم سبب له اضطراباً فى حياته لا سيما فى علاقاته بنسائه؛ ثم صدَّق أن الرُقية هى الحل، وهذا الوهم أثر عليه أثراً إيجابياً وجعله بعد أن رُقِى يعود لممارسة حياته بشكل طبيعى.

إذن: الموضوع كله مجرد هلاوس وأوهام وخيالات كانت في عقل محمد، وفسرها هو ومَن حوله على أنها سحر. مما يجعلنا لا نثق في محمد ولا في صحابته. إذا كانوا مش فاهمين طبيعة التجربة التي مرَّ بها محمدٌ وَهُمْ يرونه أمامهم، فكيف يفهمون طبيعة الله الذي لم يروه ولن يروه؟!

وإنه لمن الطريف أن روايات حديث سحر النبي تقول إن محمداً جاءه "رجلان" فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ليكشفا له عن تفاصيل السحر الذي صنعه لبيد بن الأعصم. لكن روايات أخرى لنفس الحديث تقول إن محمداً جاءه "مَلَكَان"[2840]؛ قيل هما جِبْرِيل وَمِيكَائِيل. ويمكن التوفيق بين هذين الرأيين بأن نقول إن الْمَلَكَيْن جِبْرِيل وَمِيكَائِيل جاءا لمحمد في صورة رجلين. يعني: في قصة "هاروت وماروت" (البقرة 102) نزل المَلَكَان هاروت وماروت وعلّما الناسَ السحرَ. وفي حديث "سحر النبي" نزل المَلَكَان جِبْرِيل وَمِيكَائِيل وكشفا لمحمد تفاصيل ما حدث له من سحر! وكما أن قصة نزول الْمَلَكَيْن هاروت وماروت ببابل قصة أسطورية لم تحدث، كذلك فإن قصة نزول الْمَلَكَيْن جِبْرِيل وَمِيكَائِيل بالمدينة قصة أسطورية لم تحدث. وإنما هي مجرد محاولة غير علمية من محمد وصحابته لتفسير التجربة التي مرَّ بها محمدٌ. وهذا كله يؤكد سيطرة الفكر الأسطوري غير العلمي على عقل محمد وعقول صحابته.

لو كان محمدٌ نبياً من عند الله كما يتوهم المسلمون، لعرف أنه يعاني من هلاوس بصرية وليس سحراً، ولبحث عن العلاج عند طبيب متخصص وليس "رُقية" عند ملاك!

وبالإضافة إلى حديث سحر النبي، توجد أحاديث صحيحة أخرى كثيرة تتحدث عن السحر وأثره وتؤكد أيضاً سيطرة الفكر الأسطوري غير العلمي على عقل محمد. على سبيل المثال، يوجد حديث صحيح يقول إن العجوة تَقي مِن السحر والسم! قال محمدٌ: "مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ في ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمٌّ وَلَا سِحْرٌ"[2841]! يعني: إذا كانت الرقية "علاجاً" للسحر، فإن العجوة "وقاية" منه! هل هذا هو الإعجاز الطبي المزعوم؟! والعجيب أن محمد نصح المسلمين بطرق الوقاية من السحر والسم، بينما هو نفسه قد تعرض لكليهما: سَحره اليهوديُّ "لَبِيد بن الأعْصَم" وسَمَّته اليهودية "زينب بنت الحارث"! ومع ذلك يقول القرآن له: "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (أي: مِن أذى الناس)" (المائدة 67)! كيف يكون محمدٌ معصوماً مِن أذى الناس وهو عاش لفترة مسحوراً ومات في النهاية مسموماً؟!

حقاً، إن شر البلية ما يضحك!

إذا كان محمد يُخَيَّل إليه أَنَّهُ فعل شَيْئًا مع أنه في الواقع لَمْ يفعله، فكيف نثق فيما زعمه أن الملاك جبريل كان يأتيه بالقرآن؟! ربما كان ذلك أيضاً كله خيالات وتهيؤات. بل كيف نثق فيما زعمه محمدٌ عن الجنة والنار والأمور الغيبية الأخرى؟! ربما كان ذلك أيضاً كله خيالات وتهيؤات. إذا كان محمد يعاني من هلاوس بصرية تمنعه من أن يصف بدقة ويقين ما رآه بعينيه، فكيف نثق فيما زعمه عن الأمور الغيبية التي لم يرها بعينيه؟!

الخلاصة: على الرغم مِن أن السحر خرافة من خرافات العالم القديم، نجد أن المصادر الإسلامية الأساسية (القرآن وكتب السُّنَّة الصحيحة) تعترف بأثر أعمال السحر على البشر، بل عَلى محمد شخصياً؛ مما يؤكد أن الإسلام ليس دين الله.

فَهَل المسلم العاقل المتعلم المثقف في القرن الواحد والعشرين يؤمن بالسحر وأثره السلبي؟!

وهَل المسلم العاقل المتعلم المثقف في القرن الواحد والعشرين يؤمن بالرقية وأثرها الإيجابي؟!

إن السحر والرقية هما مجرد أوهام لا وجود لها إلا في خيال مَن يؤمن بها.

وأخيراً نسأل سؤالاً: أيهما أفضل؟ محمد الذى "سُحِر" رغم كونه رجلاً كبيراً؟ أَم المسيح "عيسى ابن مريم" الذى لم يستطع الشيطانُ أن يَمَسُّه رغم كونه طفلاً حديث الولادة؟ فلقد ثبت في الأحاديث الصحيحة: "كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ [الشَّيْطَانُ] يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ"؛ "مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ [المولودُ] صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ"[2842]. وأحاديث أخرى صحيحة بنفس المعنى.

نعتقد أن المقارنة محسومة لصالح المسيح. ولقد صدق المسيح حين قال: "فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي. وَلاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ" (يوحنا 5:39-40).

4.2.2.3 خرافة "الحسد" ... وخرافة أكبر منها تحاربها: "الرُقية"!

الحسد (Evil eye) هو أن يتمنى الحاسدُ زوال نعمةٍ عن المحسود، فيؤدي ذلك – حسب زعمهم – إلى ضررٍ مادي يحدث للمحسود! مثلاً: إذا حسدك شخصٌ لأنك حصلتَ على وظيفة مرموقة ذات مرتب كبير، فيؤدي ذلك الحسد – حسب اعتقادك – إلى فقدان تلك الوظيفة المرموقة وخسارة ذلك المرتب الكبير. إذن: الحسد هو السبب (cause) والضرر المادي الذي حدث هو النتيجة (effect). هذا "الحسد" – أو بالأحرى: هذه العلاقة السببية (causal relation) – خرافة. فحين نتحدث عن خرافة الحسد، فإننا نقصد أثره المادي المزعوم، وليس أثره النفسي كأن تشعر بالضيق والحزن لأن شخصاً يحسدك.

وهذا "الحسد" يختلف عن "الحقد" الذي هو مجرد إحساس طبيعي قد يشعر به إنسانٌ تجاه إنسانٍ آخر يكرهه؛ بل قد يشعر به حيوانٌ تجاه حيوانٍ آخر. ونحن نقول ذلك لأننا لاحظنا أن بعض المسلمين زعموا أن الحسد هو الحقد أو مثله! كما زعموا مِن قَبل أن السحر هو المرض والنسيان أو مثلهما! فكما قلنا لهم إن السحر غير المرض والنسيان؛ السحر خرافة. نقول لهم الآن: الحسد غير الحقد؛ الحسد خرافة.

وكما اعترف القرآنُ بتأثير السحر، اعترف أيضاً بتأثير "الحسد"!

وخير دليل على اعتراف القرآن بأثر الحسد هو أن القرآن يأمر المسلمين بأن يعوذوا بالله "مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ" (الفلق 5)! ولأن الحسد مرتبط بالعين، فإن الحاسد يُسمَّى "العائن" أو "المعيان"، أي الذي يصيب بالعين. أما المحسود فيُسمَّى "المعيون" أو "المعين"، أي المصاب بالعين. لكن هذا لا يعني أن الحاسد يجب أن يرى بعينه المحسودَ. يقول د. جواد علي إن الحاسد "يصيب في الغيبة وفي الحضور، لأن عينه تنفذ وتصل إلى المحسود، وإن كان (المحسود) غائباً عن الحاسد"[2843]. وكذلك في الإسلام. تقول موسوعة بيان الإسلام نقلاً عن ابن القيم: "ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى، فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية"[2844].

وكما اعترف الإسلامُ بأثر السحر على محمد شخصياً، كذلك اعترف بأثر الحسد أو العين أو الأنْفُس على محمد شخصياً. قال أصحابُ القرآن لمحمد: "وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ" (القلم 51)، أي: "يَنْظُرُونَ إِلَيْك نَظَرًا شَدِيدًا يَكَاد أَنْ يَصْرَعك وَيُسْقِطك مِنْ مَكَانك"[2845]! أو: "ليزحزحونك عن مكانك حسداً لك"[2846]! ويُقال إن كفار مكة قد جاءوا بمشاهير الحسَّاد كي يحسدوا محمداً[2847]! أو كما قال القرطبي إنهم "أرادوا أن يصيبوه بالعين"[2848]!

هذا في القرآن المكي. فماذا عن القرآن المدني؟ ...

مِن الطريف أن أصحاب القرآن كانوا يظنون أن أهل الكتاب يحسدون المسلمين: "وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ" (البقرة 109)؛ اقرأ أيضاً (النساء 54)[2849]! (ولا يزال كثير من المسلمين اليوم يظنون أن اليهود والمسيحيين يحقدون عليهم! لكن بصراحة نحن لا نجد

سبباً مقنعاً واحداً لِكَيْ يحقد اليهودُ والمسيحيون على المسلمين الذين يعيشون اليوم في أسوأ حالاتهم السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والحضارية ... الخ.)

وتواترت الأحاديث النبوية الصحيحة التي تؤكد تأثير الحسد أو العين في الأشخاص والأشياء ...

على سبيل المثال، قال محمدٌ في حديث صحيح أخرجه الشيخان البخاري ومسلم: "**الْعَيْنُ حَقٌّ**"[(2850)]، ومعنى العين: "نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر"، و "الْعَيْنُ حَقٌّ" أي "الإصابة بالعين شيء ثابت موجود، أو هو مِن جملة ما تحقق كونه"[(2851)]**!** قال الإمامُ النووي نقلاً عن الْإِمَام أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَازِرِيُّ تعليقاً على هذا الحديث: "**أَخَذَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ بِظَاهِرِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَالُوا: الْعَيْنُ حَقٌّ. وَأَنْكَرَهُ طَوَائِفُ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى فَسَادِ قَوْلِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَعْنًى لَيْسَ مُخَالِفًا فِي نَفْسِهِ وَلَا يُؤَدِّي إِلَى قَلْبِ حَقِيقَةٍ وَلَا إِفْسَادِ دَلِيلٍ، فَإِنَّهُ مِنْ مُجَوِّزَاتِ الْعُقُولِ. إِذَا أَخْبَرَ الشَّرْعُ بِوُقُوعِهِ وَجَبَ اعْتِقَادُهُ، وَلَا يَجُوزُ تَكْذِيبُهُ. وَهَلْ من فرق بَيْنَ تَكْذِيبِهِمْ بِهَذَا، وَتَكْذِيبِهِمْ بِمَا يُخْبِرُهُ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ؟**"**!**

وهكذا صار المسلمُ مُجبَراً على أن يؤمن بضرر الحسد، وإلا سيكون كمن لا يؤمن بالآخرة**!**

والحديث الذي يليه في صحيح مسلم يقول: "**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا**"[(2852)]، أي إذا طلب المحسود مِن الحاسد أن يغتسل (أو: يتوضأ)، فليغتسل الحاسد ثم يصب الماء المستعمل فى هذا الغُسل على رأس المحسود حتى يبرأ بإذن الله**!** ثم أفاضت الكتب والمراجع الإسلامية فى شرح الطريقة التى يتم بها هذا الغُسل[(2853)]، وهى طريقة طويلة وعجيبة ومضحكة ولا داعى لذِكرها بالتفصيل، فتفاصيلها طويلة ودقيقة وتُذكِّرنا بالمطالب الطويلة والدقيقة التي يطلبها الدجَّالون من زبائنهم في الأفلام والمسلسلات العربية**!**

وللأسف ما زالت هذه الأساطير والأوهام تعيش إلى اليوم في المجتمعات المنكوبة بالثقافة الإسلامية/العربية**!** على سبيل المثال، يقول الشيخ محمد محمود حجازي (من علماء الأزهر الكبار في القرن العشرين – ت 1972م) في تفسيره الذي أعاد الأزهرُ ومجلس حكماء المسلمين طباعته عام 2018: "وهنا يدور سؤال: هل للحسد أثر حسي مادي في المحسود؟ ورد عن النبي ﷺ: "**إنَّ العين لتُدخِلُ الرَّجُلَ القبر، والجملَ القِدرَ**"، "**أعوذ بكلمات الله التامَّة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة**"، وقوله ﷺ وقد أُخبر بوَعكةٍ لبعض أصحابه من أثر حسد فقال: "**عَلامَ يقتل أحدكم أخاه؟! ألا برَّكتَ؛ إن العين حق، توضأ له**" فتوضأ الحاسدُ، ومعنى: "برَّكتَ" قلت: تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه. وهذا يُفيد أن العين والحسد حق، وأن علاجه الاستعاذة والرُّقى: "**أعوذ بكلمات الله التامَّة ...**" إلخ، وعلى الحاسد أن يتوضأ وأن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين عندما يرى شيئاً: "وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ" [الفَلَق : 5]"[(2854)]**!**

أما فيما يتعلق بالسؤال التالي: كيف تعمل العين مِن بُعد حتى يحصل الضرر للمعيون؟ فلقد حاول شيوخ الإسلام قديماً وحديثاً الإجابة على هذا السؤال، وكانت إجاباتهم أيضاً عجيبة ومضحكة وخرافية، فكما

هي العادة، كل خرافة تؤدي إلى خرافات أخرى أكبر منها. على سبيل المثال، قال ابنُ حجر العسقلانى: "قد يكون ذلك مِن سمٍّ يصل من عين العائن فى الهواء إلى بدن المعيون، وقد نُقِل عن بعض مَن كان معياناً أنه قال: إذا رأيت شيئاً يعجبنى وجدت حرارة تخرج مِن عينى"[2855]! وفي عصرنا الحديث، حاول المصري الأزهري د. موسى شاهين لاشين أن يُقرّب إلى أذهاننا كيف تعمل العين مِن بُعد باستحضار فكرة "التحكم مِن بُعد" (remote control)! فقال: "وقد وصل العلم الحديث إلى اختراع آلة (ريموت كنترول) صغيرة، تحرك بها سيارة مِن بُعد، وتسير بها طائرة وأنت على الأرض، بل تصلح بمثلها خللاً وعطباً حصل فى سفينة الفضاء، وأنت لا ترى جوهراً ولا عرضاً بين الآلة وبين المتأثر بها. هذا فى الخلق، فكيف يستبعد فى صنعه الخالق؟ فتبارك الله أحسن الخالقين"[2856]. تعليقنا: المشكلة ليست فقط فى إيمانهم بهذه الخرافات، ولكن أيضاً فى أنهم – كالعادة – يقحمون اسمَ الله فيها!

أما موسوعة بيان الإسلام فحاولت أن تدافع عن الإيمان بالحسد وتأثيره فى الآخرين دون اتصال أو ملامسة فزعمت أن "العلم الحديث" و "التجارب العلمية" قد أثبتت أن للعين قدرة على التأثير مِن بُعد! ثم أعطت الموسوعة – نقلاً عن موقع يُسمَّى "الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة" – بعض "الأدلة" على ذلك. ونحن نرى أن الأشياء التى ذكروها لا يمكن اعتبارها أدلة علمية على الإطلاق، فَهى فى أحسن الأحوال مجرد حواديت وحكايات (anecdotal evidence). ويكفي أنهم قد اعتمدوا على كتاب للكاتبة "لين ماكتاجارات" (Lynne McTaggart) وهى مجرد صحفية (journalist) وليست عالمة (scientist) ولا حتى باحثة (researcher)! وسنكتفى بذِكر بضعة سطور مما جاء فى موسوعة بيان الإسلام: "أما أكثر هذه الحالات غرابة، وأكثرها مصداقية، وذات توثيق علمى، هى التجربة التى أجريت على (نيليا ميخايلوفا) التى كانت باستطاعتها، وبمجرد النظر مِن على بُعد ستة أقدام أن تفصل بياض البيضة عن صفارها، مستخدمة فى ذلك مقدرتها الخاصة جداً فى تحريك الأجسام المادية عن بُعد ودون أن تقربها. [...]، وقد نجحت السيدة نيليا فى فصل صفار البيضة عن بياضها خلال نصف ساعة"[2857]!

تعليقنا: هل نُشِر هذا "العجز غير العلمى" فى مؤتمرات علمية محترمة (high impact factor peer-reviewed conferences or journals)؟! مستحيل. ولا ندري ما العلاقة بين الحسد وفصل بياض البيضة عن صفارها (أو فصل صفارها عن بياضها)؟! إن لجوء المراجع الإسلامية والمواقع الإسلامية الإلكترونية إلى هذا الهراء وهذه الحواديت المضحكة هو دليل واضح على إفلاسهم وعجزهم عن إثبات أن الحسد له تأثير يُمكِن اختباره (verifiable) ويُمكِن قياسه (measurable) علمياً. باختصار: كل ما قالته موسوعة بيان الإسلام هو مجرد (pseudoscience) (fake science)، أى "علم كاذب" أو "علم مزيف"، وهى كلمة تُطلَق على كل ما يدعي أنه علم، لكنه فى الحقيقة ليس علماً، لأنه لا يعتمد على "الطريقة العلمية فى التفكير" (Scientific Method of Thinking).

وإذا كان الحسد هو المشكلة، فإن الحل الذى يهديه الإسلام للبشرية في القرن الواحد والعشرين هو "الرُقية" (Exorcism)! فلقد أمر محمدٌ في حديث صحيح أخرجه الشيخان البخاري ومسلم أن "يُسْتَرْقَى مِنَ الْعَيْنِ"[2858]! بل إن محمد نفسه كان إذا اشتكى رَقَاهُ جِبْرِيلُ قائلاً: "بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ"، وفي حديث صحيح آخر: "بِاسْمِ اللَّهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ"[2859]! تعليقنا: لو جبريل قال هذا الكلام فعلاً، فهذا يدل على أن جبريل نفسه كانت تسيطر عليه الأفكار الأسطورية غير العلمية، فلا يمكن أن نصدق ما قاله لمحمد مِن قرآن، إنْ كان فعلاً قال لمحمد أي شيء.

ويقول حديث صحيح أخرجه الشيخان البخاري ومسلم (أصح كتابين بعد القرآن) إن محمد رأى جَارِيَةً في وجهها "سَفْعَةٌ" (أى: صُفرَة أو شحوب، أو كما يُقال اليوم بالعامية "وشها أصفر")، فلم يأمر محمدٌ بإحضار طبيب ليعالجها، وإنما قال: "اسْتَرْقُوا لَهَا، فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ"[2860]، أي أصابتها عينٌ! وهذا الحديث وَحده مشكلة كبيرة، لأنه يزعم أن الحسد قد يؤدى إلى المرض، وأن الرُقية هى "العلاج"! سؤال: هل توجد كلية طب واحدة فى العالم المتحضر تُدرِّس هذا الحديث النبوي؟! هل يجرؤ دكتور خريج كلية الطب أن يطبق هذا الحديث على مرضاه في العيادة أو في المستشفى؟! وإذا كان محمدٌ لا يفهم طبيعة الإنسان وأمراضه، فكيف نثق فيما قاله عن طبيعة الله وقوانينه وأحكامه؟!

بل يوجد حديث آخر في مسند أبي داود الطيَالسِي يزعم أن الحسد قد يؤدى إلى الموت! قال طالب [بن حبيب]: وحدثنى عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه [جابر بن عبد الله الأنصارى]، أن رسول الله ﷺ قال: "جُلُّ مَن يموتُ مِن أمتى، بعد قضاء الله وكتابه وقَدَره، بالأنْفُسِ (يعنى: بالحسد أو العين)" أو "أكثرُ مَن يموتُ مِن أمتى بعد كتاب الله وقضائِه وقَدَره بالأنْفُسِ (يعنى: بالحسد أو العين)". لكن اختلف المسلمون حول هذا الحديث. قال د. التركى (محقق مسند الطيَالسِي): "إسناده ضعيف؛ لحال طالب بن حبيب"[2861]. أما الشيخ الألباني صاحب "سلسلة الأحاديث الصحيحة" قال: "هذا إسناد حسن، ابن جابر ثقة محتج به فى "الصحيحين"، وطالب بن حبيب صدوق يهم كما فى "التقريب""[2862]؛ وقال الهيثمى: "رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا طالب بن حبيب بن عمرو، وهو ثقة"[2863]؛ وقالت موسوعة بيان الإسلام إن هذا الحديث "حسن"[2864]. ونحن نرى أن هذا الحديث ليس ببعيد عن معاني القرآن، فلقد قال القرطبي فى تفسيره لـ "وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ" (القلم 51): "أَقْوَال الْمُفَسِّرِينَ وَاللُّغَوِيِّينَ تَدُلّ عَلَى مَا ذَكَرْنَا، وَأَنَّ مُرَادَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ قَتْله. وَلَا يَمْنَع كَرَاهَة الشَّيْء مِنْ أَنْ يُصَاب بِالْعَيْنِ عَدَاوَة حَتَّى يَهْلِك. وَقَرَأَ اِبْن عَبَّاس وَابْن مَسْعُود وَالْأَعْمَش وَأَبُو وَائِل وَمُجَاهِد: "لَيُزْهِقُونَكَ" أَيْ لَيُهْلِكُونَك، وَهَذِهِ قِرَاءَة عَلَى التَّفْسِير"[2865]. وهذا دليل على أن فريقاً من المسلمين الأوائل كانوا يعتقدون أن الإصابة بالعين قد تؤدى إلى الموت. وكانت العرب تقول: "كَادَ فُلَانٌ يَصْرَعُنِي بِشِدَّةِ نَظَره إِلَيَّ"[2866].

أما الخرافة الإسلامية الكبرى فهي أن "عين الجان" يمكن أيضاً أن تصيب مثل "عين الإنس"! يقول حديث صحيح رواه النسائي إن محمد كان "يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسِ. فَلَمَّا نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ"[2867]! وفي سنن ابن ماجه أن محمد كان "يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ ثُمَّ أَعْيُنِ الْإِنْسِ. فَلَمَّا نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَهُمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ"[2868]! ومن الجدير بالذكر أن الإمام السيوطي قد ذكر هذا الحديث فى ثنايا تفسيره لسورة الفلق وذكره ابن كثير أيضاً فى ثنايا تفسيره لـ (القلم 51).

إن كل هذه الأدلة من المصادر الرئيسية للإسلام (القرآن والسنة النبوية الصحيحة) وكذلك كتب الأحاديث والتفاسير وغيرها تؤكد أن الإسلام يعترف بخرافة الحسد وأثر العين. نعم، حاول الإسلام مقاومة الإصابة بالعين، لكنه اخترع – أو بالأحرى: لجأ إلى – خرافة أكبر منها وهي خرافة "الرقية"!

وكما تعودنا فى هذا الفصل، فإن الإيمان بالحسد وأثره هو أيضاً خرافة عربية جاهلية. يقول د. جواد علي عن شيوع الإيمان بأثر العين عند العرب الجاهليين قبل الإسلام: "كان للجاهليين رأى وعقيدة فى العين وفى أثرها فى الحياة، فَهُمْ يعتقدون بأثر العين وإصابتها. ولخطر هذه الإصابة وأهميتها، تفننوا فى ابتداع وسائل الوقاية منها، وحماية أنفسهم من أثرها. وقد زعموا أن عيون بعض الناس تصيب، وأنها إن أصابت شيئاً أهلكته، فإن (العين) لا تنتج إلا شراً، وهى لا تكاد تكون فى خير مطلقاً"[2869]. يعنى حتى لو افترضنا جدلاً أن "العلم الحديث" و "التجارب العلمية" قد أثبتت أن للعين قدرة على التأثير مِن بُعد، فإن شرف هذا "الإعجاز العلمى" المزعوم سيكون مِن حق العرب الجاهليين، وليس مِن حق محمد وأتباعه.

وكذلك بالنسبة لـ "الرُقية". إنها خرافة عربية جاهلية قديمة، كما قلنا في ثنايا حديثنا عن خرافة السحر. لكن هذا لا يعني بالضرورة أن العرب الجاهليين هُمْ الذين اخترعوا الرقية. وإنما كانوا يمارسونها كما كان يمارسها الشعوب والأمم الأخرى المجاورة للعرب. اقرأ مثلاً رُقية مندائية (Mandaean incantation) يعود تاريخها إلى حوالى 600م – أى قبل ظهور الإسلام بقليل – وهي تشبه إلى حد كبير سورة الفلق وتذكر العين الحاسدة (evil eye and the envious) وتستخدم كلمة "رجيم" (rgīmā)[2870]. [ملحوظة: كان "المندائيون" (Mandaeans) يعيشون في العراق وفارس (إيران)، ويُعتقَد أنهم يُعرَفون أيضاً بـ "الصابئون" (Sabians) الذين ذكرهم القرآن (البقرة 62) (المائدة 69) (الحج 17)[2871]].

فلمَّا ادعى الشاب الشرقي محمدٌ النبوةَ (610م) لجأ إلى نفس الأساطير والأوهام المنتشرة في الشرق الأوسط آنذاك، ومِن ضمنها "الرقية". وإنْ كان أصحاب القرآن ورواة الأحاديث قد قاموا بـ "تعريب" الرقية و "أسلمتها"، أي: جعلها ملائمة للإسلام. وخير دليل على ذلك هو الحديث السابق الذي يقول إن محمد كان "يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ وَعَيْنِ الْإِنْسِ" قبل نزول المعوِّذتين. إذن: كان هناك تعويذة (spell; charm) معينة أو رقية (incantation) معروفة استخدمها محمدٌ والمسلمون الأوائل. فلمَّا "نزلت" الْمُعَوِّذَتَانِ صارت هي الرُقية العربية الإسلامية المعتمدة – ولذلك لا يزال المسلمون إلى اليوم يستخدمون المعوِّذتين في الرُقية، بينما سقطت في عالم النسيان كلُّ رقية عربية جاهلية.

وهكذا نصل دائماً إلى نفس النتيجة. الإسلام لم ينشأ في السماء. الإسلام نشأ على الأرض. وتحديداً: على أرض الشرق الأوسط. فلقد تأثر الإسلامُ بالأفكار والمعتقدات والثقافات والديانات الشرق-أوسطية السابقة له، مثل: اليهودية والمسيحية والعربية (الجاهلية) والزرادشتية والغنوسية والمانوية والمندائية (الصابئة) وغيرها. لم ينقل أصحابُ القرآن ورواة السُّنَّة حرفياً ممن سبقوهم، وإنما أخذوا كل هذا التراث الشرق-أوسطي وطوروه تطوراً بشرياً طبيعياً (بالحذف و/أو الإضافة) حتى صار بالصورة التي نراها الآن في المصحف وصحيح البخاري ومسلم وغيرهما.

وفيما يتعلق تحديداً بالأساطير الإسلامية المرتبطة بعالم الجن والشياطين، مثل: استراق السمع والشهب المحرقة والسحر والحسد والرقية، تحدثنا في الصفحات السابقة عن جذور الإيمان بتلك الأساطير في التراث العربي الجاهلي. وللأسف، ما زالت هذه الأساطير العربية الجاهلية/الإسلامية (وبخاصة: السحر والحسد) تؤثر على العلاقات الإجتماعية فى المجتمعات المنكوبة بالثقافة الإسلامية/العربية إلى اليوم. معظم المسلمين ما زالوا إلى اليوم يؤمنون بالسحر والحسد والرقية والجن والعفاريت!

ولمزيد من المعلومات عن جذور تلك الأساطير الإسلامية في الديانات الشرق-أوسطية مثل العربية (الجاهلية) والزرادشتية والغنوسية والمانوية والمندائية (الصابئة) وغيرها، يمكن الرجوع إلى الأبحاث التي قام بها الباحثُ المعروف الدكتور "رأفت عماري" (رحمه الله) في هذا الشأن منذ أكثر من 10 سنوات[2872].

إن كل هذه الأدلة من المراجع الإسلامية والعربية تؤكد أن الإيمان بوجود الجن ليس عقيدة جديدة، وإنما هي أصلاً عقيدة "جاهلية" كانت سائدة بين العرب قبل ظهور الإسلام. وكما هو متوقع، دخل أصحاب القرآن فى حوار وجدل مع معاصريهم مِن عرب مكة حول تفاصيل هذه العقيدة، فأخذوا منهم ما أخذوه وتركوا ما تركوه وغيَّروا ما غيَّروه.

بعبارة أخرى: ما قاله القرآن عن الجِن والعفاريت واستراق السمع والشُهُب المُحرقة والسحر والحسد والرُقية هو مجرد تطور بشري طبيعي للأساطير العربية الجاهلية، وليس وحياً من عند الله.

وخير دليل على أن علاقة الإسلام بالديانات السابقة له هي علاقة "التطور البشري الطبيعي" (بالحذف و/أو الإضافة) وليس علاقة "النقل الحرفي" هو أن الإسلام رفض بعض الخرافات العربية الجاهلية ...

4.2.3 خرافات عربية جاهلية أخرى ... لكن الإسلام رفضها. ولماذا رفضها؟

وكما ذكرنا أمثلة مما أخذه أصحابُ القرآن ورواة الأحاديث – أو تأثروا به – من معتقدات العرب الجاهليين عن الجن والشياطين، فإننا سنذكر مثالاً واحداً مِن الأمور العقائدية الأخرى التى رفضها أصحابُ القرآن ورواة الأحاديث ...

كان بعض العرب المشركين يعبدون الجن. يقول القرآن: "وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ" (سبأ 40-41) "وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ" (الأنعام 100). ويقول د. جواد علي: "وليس لدى المفسرين أو أهل الأخبار علم واضح عن كيفية اعتقاد بعض العرب بألوهية الجن وبمصاهرتها للآلهة أو الإله. وما ورد عن ذلك فى القرآن، مجمل. والظاهر أن ذاكرة الإخباريين لم تتمكن من حفظ تفاصيل هذه العقيدة والعقائد المماثلة الأخرى، ولا بد وأن تكون لها أسطورة قديمة، يظهر أنها ماتت قبل الاسلام، أو أن المسلمين تركوا روايتها لمعارضتها للإسلام ولأنها كانت فى نظرهم خرافة تتعلق بأصنام، فلم يروا الاهتمام بها، وتركوها، ولولا ورود ذكرها مقتضباً فى القرآن، فلربما صرنا فى جهل تام بأمر تلك العبادة"[2873].

طبعاً رَفَضَ أصحابُ القرآن هذا الشرك وجعلوا الجنَّ المسلم يجهرون بالتوحيد ويؤمنون بقرآن محمد: "قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا. وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (أى: نرفض ثالوث الله والزوجة والوَلَد)" (الجن 1-3). ومع ذلك، ظل بعض العرب المشركين يعبدون الجن. يقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم: "كَانَ نَفَرٌ مِنْ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنْ الْجِنِّ، وَاسْتَمْسَكَ الْإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ"[2874]، أي استمر الإنسُ على عبادتهم للجنِّ رغم أن الجن أنفسهم قد أسلموا! فقال أصحابُ القرآن: "قُلِ [يا محمد للمشركين] ادْعُوا [المخلوقين] الَّذِينَ زَعَمْتُمْ [أَنَّهُمْ آلِهَة] مِنْ دُونِهِ (أي: وعبدتموهم من دون الله) فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (أي: لا يستطيعون إزالة الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تغييره). أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ (أي: الَّذِينَ يَدْعُوهم المشركون آلِهَة، سواء من الجن أو الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين) يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ (أي: يتنافسون في القرب من الله بالعبادة والطاعة والأعمال الصالحة) وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (أي: ينبغي أن يحذره العباد ويخافوا منه)" (الإسراء 56-57).

ونحن نرى أن أصحاب القرآن قد تحدثوا كثيراً عن عالم الجن مِن أجل تحقيق هدف محدد، وهو مواجهة كفار مكة. وكأنهم يقولون: إذا كان الجن قد آمن بمحمد والقرآن، فلماذا لا تؤمنون أنتم أيضاً يا أهل مكة؟ قال الطبري في تفسيره لـ (الأحقاف 29): "يقولُ تعالى ذكرُه مُقَرّعاً كفارَ قريشٍ بكفرهم بما آمنت به الجنُّ: "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ" يا محمدُ "نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ". ذُكِرَ أنهم صُرفوا إلى رسولِ الله ﷺ بالحادثِ الذي حدَث من رَجْمِهم بالشُّهُبِ"[2875].

أو ربما أراد أصحابُ القرآن أن يقولوا لكفار قريش في مكة: إذا استطعتم يا معشر قريش أن تمنعوا الإنس من الإيمان بمحمد، فلن تستطيعوا أن تمنعوا الجن. والدليل على ذلك هو أن كل الآيات التى تتحدث عن الجن المسلم المؤمن آيات مكية[2876]، بينما نجد القرآن المدني لا يذكر إيمان الجن بمحمد والقرآن؛ وذلك لأنه فى الفترة المدنية سيطر الإسلامُ بالسيف على الدولة والمجتمع، فلم يعد لموضوع "إيمان الجن" أي فائدة.

إذن: عالم الجن ليس حقيقة، وإنما هو مجرد أسطورة عربية جاهلية استدعاها أصحابُ القرآن فى فترة زمنية معينة فطوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً (بالحذف و/أو الإضافة) واستغلوها لتحقيق مصلحة معينة. ولمَّا انتهت هذه المصلحة بالهجرة من مكة إلى المدينة، أصبحت هذه الأسطورة مالهاش لازمة.

وأخيراً، سؤال لكل مسلم عاقل متعلم مثقف: أنت بجد مؤمن بالجِن والعفاريت وهاروت وماروت واستراق السمع والشُهُب المُحرقة والسحر والحسد والرُقية والأساطير العربية/الإسلامية دي؟! ما فائدة الأموال التى أُنفِقَت على تعليمك والشهادات التى حصلت عليها إنْ كنت لا تزال تؤمن بهذه الأساطير الجاهلية/الإسلامية التي لا يؤمن بها إلا البسطاء؟! بل إنَّ حتى البسطاء بعضهم لا يؤمن بهذه الأساطير. يقول المثل الشعبي: "ما عفريت إلا ابن آدم".

هل يجرؤ رئيس جمهورية أو مَلِك أو أمير أن يظهر في مؤتمر صحفي عالمي ويفسر أي ظاهرة أو حادثة أو وباء (مثلاً: فيروس كورونا) تفسيراً يتضمن الجن أو العفاريت أو السحر أو الحسد ... إلى آخر هذه الخرافات. لا يجرؤ. لا يجرؤ لأنه إذا فعل ذلك، سيتحول كلامه إلى فضيحة دولية في أقل من دقيقة! لكن إله القرآن فعلها، مما يؤكد أن إله القرآن ليس هو الإله الحقيقي الذي يستحق العبادة.

ننتقل الآن إلى أسطورة "خَلْق" الإنسان آدم ...

4.3 "خَلْق" الإنسان: تراب! ماء مهين! طين أسود لزج! صلصال! دم!

الإنسان هو صانع الحضارة ...

الإنسان هو سبب تقدم الغرب (أوروبا وأمريكا) وهو سبب تقدم الشرق (اليابان وكوريا الجنوبية)، بل هو سبب تقدم أي شعب أراد التقدم.

فهل كرم القرآنُ الإنسانَ حين قال في مواضع كثيرة إنه "مخلوق" من عناصر طينية ترابية أرضية: تراب! ماء مهين! طين أسود لزج! صلصال! دم! ...

"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ (أي: خلق أباكم آدم) مِنْ تُرَابٍ (dust; earth) ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (أي: تتناسلون منتشرين في الأرض)" (الروم 20). و (آل عمران 59).

"فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم (أي: خلقنا أباكم آدم) مِّن تُرَابٍ ثُمَّ [تناسلت ذريته] مِن نُّطْفَةٍ (أي: المنِيّ الذي يقذفه الرجل في رحم المرأة) ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ (أي: قطعة مِن الدم؛ أو: شكل مِن أشكال الدم. قيل: دم أحمر غليظ؛ وَقِيلَ: الشَّدِيد الْحُمْرَة؛ وقيل: دم جامد؛ وقيل: دم رطب؛ وقيل: دم طري لين) ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ (أي: قطعة لحم صغيرة قَدْر ما يُمْضَغ) مُّخَلَّقَةٍ (أي: تامة الخلق؛ تنتهي إلى خروج الجنين حياً) وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ (أي: وغير تامة الخلق تارة أخرى؛ فتسقط لغير تمام) لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا (أي: أطفالاً!) [...]" (الحج 5). و (غافر 67) (القيامة 37-38) (فاطر 11) (الكهف 37).

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ (أي: آدمَ؛ أو: النوعَ الإنساني) مِن سُلَالَةٍ (أي: من ذرية؛ من نسل) [وأصله] مِّن طِينٍ[2877]. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ (أي: الْإِنسَانَ نسل آدم) نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (أي: في رحم المرأة). ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا (أي: هيكلاً عظمياً) فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ (أي: نفخنا فيه الروحَ فصار حياً بعد أن كان جماداً أو صورة؛ وقيل إن المقصود: ميلاد الإنسان؛ أو: نموه في الطفولة ثم الشباب ثم الكهولة ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا) فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 12-14). و (النجم 45-46) (الإنسان 2) (عبس 17-19).

"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (أي: مِن دم؛ جَمْع عَلَقَة[2878])" (العلق 1-2).

"إِنَّا خَلَقْنَاهُم (أي: خلقنا أباهم آدم) مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (أي: مِن طين لزج، يلتصق بعضه ببعض فيتماسك) (sticky clay or mud)" (الصافات 11).

"إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ (أي: صوَّرته بالصورة البشرية) وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي (أي: وهبته الحياةَ) [...]" (ص 71-72). و (الحجر 29) (ص 76) (الأعراف 12) (الإسراء 61) (الأنعام 2).

"وَبَدَأَ [اللهُ] خَلْقَ الإِنسَانِ (أي: آدم) مِن طِينٍ (أي: من تراب الأرض وماء). ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ (أي: جعل ذرية آدم يتكاثرون) مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (أي: مَنِيّ قليل ضعيف لا يُؤْبَه له؛ يخرج من موضع حقير). ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ" (السجدة 7-9).

"أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (أي: شديد الخصومة والجدال)" (يس 77). و (النحل 4).

"فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاءٍ (أي: مَنِيّ الرجل) دَافِقٍ (أي: ينصب مندفعاً بسرعة في رحم المرأة). يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ (أي: ظَهْر الرجل؛ عموده الفقري) وَالتَّرَائِبِ (جمع تريبة وهي: موضع القلادة من الصدر؛ والمقصود: صَدْر المرأة!؛ قفصها الصدري!؛ عِظَام صَدْر المرأة مَا بَيْن التَّرْقُوَة إِلَى السُّرَّة!)" (الطارق 5-7). "إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (أي: مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ)" (المعارج 39).

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ (أي: آدم أبا البشر father of mankind) مِنْ صَلْصَالٍ (clay; dried clay) (أي: طين يابس إذا نُقِر عليه سُمِع له صوت) مِنْ حَمَإٍ (أي: من طين أسود!) مَسْنُونٍ (أي: له صورة مصبوب على هيئة الإنسان؛ وقيل: متغيّر اللون والرائحة بسبب طول مكثه!) (black shaped mud)" (الحجر 26). و (الحجر 28-29) (الحجر 33).

"خَلَقَ [اللهُ] الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّار (أي: كالخزف الذي طُبِخَ بِالنَّار)" (الرحمن 14).

وكالعادة، يقول تفسير الطبري: "اخْتَلَفَ أَهْل التَّأْوِيل فِي مَعْنَى الصَّلْصَال". لكن المعنى السائد حسب تفسير القرطبي لـ "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ" (الحجر 26): "أَيْ: مِنْ طِينٍ يَابِسٍ؛ عَنْ اِبْن عَبَّاس وَغَيْره. وَالصَّلْصَال: الطِّين الْحُرّ خُلِطَ بِالرَّمَلِ، فَصَارَ يَتَصَلْصَل إِذَا جَفَّ، فَإِذَا طُبِخَ بِالنَّار فَهُوَ الْفَخَّار؛ عَنْ أَبِي عُبَيْدَة. وَهُوَ قَوْل أَكْثَر الْمُفَسِّرِينَ"[2879]. أو كما قال الشيخ الشعراوى: "أصل الخلق ماء، خلطه الحق بتراب، وبعد وضع الماء على التراب صار الإثنان طيناً، ثم إذا تركنا الطين إلى أن يختمر، يصير حمأ مسنوناً، وبعد ذلك يصير صلصالاً، ومن بعد ذلك خلق منه الحق آدم. [...] وبعد صنع الله القالب الذى يشبه التمثال الذى نراه، ولكن تنقصه الحركة والحياة، فيأتى النفخ فى الروح بكلمة "كن". إذن نحن نحتاج إلى روح وإلى كلمة. والروح عنصر وجودى. وعندما تختلط بالقالب تحدث الحياة، ولا بد من بعد ذلك من الإرادة بكلمة "كن""[2880].

يعني الإنسان "خُلِقَ" مِن: تراب الأرض + ماء = طين؛ ولمَّا يختمر (ينتن) الطينُ يصير حمأ مسنوناً (fetid foul mud)؛ فإذا جَفَّ (أيبس) (dried) صار صلصالاً؛ فَإِذَا طُبِخَ (أُحْرِقَ) (baked) بِالنَّار – أو بغيرها[2881] – فَهُوَ تمثال (lifeless body) أو قالب كالْفَخَّار (earthenware). ومع "النفخ" فيه من "روح الله" بكلمة "كن"، تدب فيه الحياة فيصير إنساناً متحركاً (animate)!

هل هذا الكلام يُدرس في أي جامعة محترمة في العالم المتقدم؟! إنها بكل تأكيد أساطير إسلامية قرآنية عربية، أساطير من العيار الثقيل.

وتوجد أساطير إسلامية أخرى مذكورة في كتب السُّنَّة والتفسير وقصص الأنبياء والتاريخ الإسلامي، وهي تعالج قضايا كثيرة شغلت بال المسلمين في القرون الأولى. على سبيل المثال: ما هو السبب وراء اختلاف ألوان الناس؟ فأخرج أبو داود والترمذي وغيرهما حديثاً صحيحاً مرفوعاً يقول إن محمد قال: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ (أي: مِن جميع أنحاء الأرض؛ والمقصود: لم يأخذ الطينَ من مكانٍ واحدٍ)، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ؛ جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ؛ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ (أي: الصعب) [وَبَيْنَ ذَلِكَ]؛ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ [وَبَيْنَ ذَلِكَ]"[2882]. وبما أن هذه الأسطورة الإسلامية هي أصلاً مجرد خرافة يهودية تلمودية[2883][2884]، فإن هذا الحديث يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن محمد شخصياً كان متأثراً بالإسرائيليات وأنه ساهم في نقل الإسرائيليات إلى الإسلام. وكالعادة، لم ينقلها نقلاً حرفياً، وإنما طورها تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة.

وللأسف، لا يزال المسلمون إلى اليوم يرددون هذه الأساطير اليهودية-الإسلامية! سواء في كتب تفسير القرآن أو في كتب قصص الأنبياء. على سبيل المثال، قال د. محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر): "وهذا الحديث جدير بالتأمل، وحريّ بأن يفسر لنا السر في اختلاف الطبائع بين البشر، وكذلك اختلاف ألوانهم"[2885]! وقال الكاتب المعروف أحمد بهجت صاحب كتاب "أنبياء الله" الذي طُبِع أكثر من 35 طبعة! "جمع اللهُ سبحانه وتعالى قبضةً من تراب الأرض، فيها الأبيض والأسود والأصفر والأحمر، ولهذا يجيء الناسُ ألواناً مختلفة"[2886]!

<u>تعليقنا:</u> إن هذه الأساطير والخرافات سبب رئيسي في تخلف المسلمين اليوم. فإذا كان شيوخ الإسلام وأساتذة الجامعات والكُتَّاب والمثقفون – أو نسبة معينة منهم على الأقل – مؤمنين بهذه الأساطير والخرافات، فهل يوجد أي أمل في تقدم المسلمين؟! مستحيل.

وحرصاً على عدم الإطالة، لن نتحدث أكثر من ذلك عن الأساطير الإسلامية الموجودة في كتب السُّنَّة والتفسير وقصص الأنبياء والتاريخ الإسلامي، وسنكتفي بالحديث عن الأساطير الإسلامية القرآنية، أي: الأساطير الموجودة في كتاب "القرآن" العربي الذي يتوهم المسلمون أنه كتاب الله!

والسؤال الذي يهمنا هو: ما هي جذور هذه الأساطير الإسلامية القرآنية العربية؟

والإجابة بكل تأكيد: جذورها يهودية مسيحية شرق-أوسطية ...

4.3.1 جذور القرآن في الكتاب المقدس بعهديه وفي التراث اليهودي-المسيحي

ذكر الكتابُ المقدس في آيات كثيرة من العهدين القديم والجديد أن الانسان خُلِقَ من تراب الأرض. مثلاً:

- قال الربُّ الإلهُ لآدمَ: "بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (التكوين 19:3).
- "فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى (أي: أجادل اللهَ؛ أتفاوض معه[2887]) وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ" (التكوين 27:18).
- "كَمَا يَتَرَأَفُ الأَبُ عَلَى الْبَنِينَ يَتَرَأَفُ الرَّبُّ عَلَى خَائِفِيهِ. لأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبْلَتَنَا (أي: خلقتنا؛ تكويننا؛ والمقصود: يَعْرِفُ ضَعْفَنَا). يَذْكُرُ أَنَّنَا تُرَابٌ نَحْنُ" (المزامير 103:13-14).
- "يَذْهَبُ كِلاَهُمَا (أي: الإنسان والحيوان) إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ [بعد الموت]. كَانَ كِلاَهُمَا مِنَ التُّرَابِ، وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ كِلاَهُمَا" (الجامعة 20:3). "فَيَرْجعُ التُّرَابُ إِلَى الأَرْضِ كَمَا كَانَ، وَتَرْجعُ الرُّوحُ (أي: روحُ الإنسان) إِلَى اللهِ الَّذِي أَعْطَاهَا" (الجامعة 7:12).
- "الإِنْسَانُ الأَوَّلُ (أي: آدم) مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ" (1 كورنثوس 47:15).
- والآية الأكثر أهمية هي (التكوين 7:2) التي تقول: "وَجَبَلَ (بالعبرية: wayyīṣer) الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ (بالعبرية: ha-adam) تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ (بالعبرية: ha-adamah)، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ **[← "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ" (السجدة 9) "سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي" (الحجر 29) (ص 72)]**. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (التكوين 7:2). **[← "صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ" (غافر 64) (التغابن 3)[2888]]**.

ولا بد هنا من قراءة تفسير هذه الآية التوراتية المهمة (التكوين 7:2) حتى نفهم معنى أول كلمة فيها "جَبَلَ" والتي تتكرر كثيراً في الكتاب المقدس وتترجم إلى الإنجليزية "formed" أو "fashioned". نقرأ تفسير (التكوين 7:2) في كتاب (NIV Study Bible) ما يلي[2889]:

Genesis 2:7 *formed.* The Hebrew for this verb commonly referred to the work of a potter (see Isa 45:9; Jer 18:6), who fashions vessels from clay (see Job 33:6).
تكوين 7:2 جبل. الكلمة العبرية لهذا الفعل عادة ما تشير إلى عمل الفخاري (انظر إش 9:45؛ إر 6:18)، الذي يصمم الأواني من الطين (انظر أي 6:33).

إذن: الأصل العبري لكلمة "جَبَلَ" يُستخدَم عادةً للإشارة إلى عمل "الْفَخَّارِيّ" (potter) الذي يصنع بيديه الأواني الفخارية من "الطين" (clay). وبالطبع التشبيه واضح فهذا "الْفَخَّارِيّ" يرمز إلى الله الذي خلق الإنسان **[← "خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ (أي: من طين يابس) كَالْفَخَّارِ" (الرحمن 14)]**.

ويؤكد الكتاب المقدس هذا التشبيه في مواضع كثيرة جداً. نذكر منها على سبيل المثال: "الْكَلاَمُ الَّذِي صَارَ إِلَى إِرْمِيَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ قَائِلاً: «قُمِ انْزِلْ (أي: اذهب) إِلَى بَيْتِ الْفَخَّارِيِّ وَهُنَاكَ أُسْمِعُكَ كَلاَمِي». فَنَزَلْتُ (أي: فذهب إِرْمِيَا) إِلَى بَيْتِ الْفَخَّارِيِّ، وَإِذَا هُوَ يَصْنَعُ عَمَلاً عَلَى الدُّولاَبِ (أي: على حجرين two wheels يقوم الفخاري بلف الحجر السفلي بقدمه ويضع الطين فوق الحجر العلوي). فَفَسَدَ الْوِعَاءُ الَّذِي كَانَ يَصْنَعُهُ مِنَ الطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ، فَعَادَ وَعَمِلَهُ وِعَاءً آخَرَ كَمَا حَسُنَ فِي عَيْنَيِ الْفَخَّارِيِّ أَنْ يَصْنَعَهُ. فَصَارَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: «أَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ كَهذَا الْفَخَّارِيِّ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ هُوَذَا كَالطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ أَنْتُمْ هكَذَا بِيَدِي يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ" (إرميا 18:1-6).

وأحياناً يوصف "الْفَخَّارِيّ" بـ "الْجَابِل" (من الفعل "جَبَلَ") أو بـ "الْخَزَّافِ" (لأنه يصنع "الخزف") وهذه الكلمات تترجم إلى "potter" أو "maker". مثلاً:

- "وَالآنَ يَا رَبُّ أَنْتَ أَبُونَا. نَحْنُ الطِّينُ وَأَنْتَ جَابِلُنَا، وَكُلُّنَا عَمَلُ يَدَيْكَ" (إشعياء 64:8) **[⟵ "مَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ (My Two Hands)" (ص 75)]**.
- "بَلْ مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تُجَاوِبُ اللهَ؟ **[⟵ "أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (أي: شديد الخصومة والجدال)" (يس 77)؛ (النحل 4)]** أَلَعَلَّ الْجِبْلَةَ تَقُولُ لِجَابِلِهَا: «لِمَاذَا صَنَعْتَنِي هكَذَا؟» أَمْ لَيْسَ لِلْخَزَّافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ، أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ؟" (رومية 9:20-21).
- "يَا لَتَحْرِيفِكُمْ (أي: خلطكم للأمور)! هَلْ يُحْسَبُ الْجَابِلُ كَالطِّينِ، حَتَّى يَقُولُ الْمَصْنُوعُ عَنْ صَانِعِهِ: «لَمْ يَصْنَعْنِي»؟ أَوْ تَقُولُ الْجِبْلَةُ عَنْ جَابِلِهَا: «لَمْ يَفْهَمْ»؟" (إشعياء 29:16).
- "وَيْلٌ لِمَنْ يُخَاصِمُ جَابِلَهُ **[⟵ "خَصِيمٌ مُّبِينٌ" (يس 77) (النحل 4)]**. خَزَفٌ بَيْنَ أَخْزَافِ الأَرْضِ. هَلْ يَقُولُ الطِّينُ لِجَابِلِهِ: مَاذَا تَصْنَعُ؟ أَوْ يَقُولُ: عَمَلُكَ لَيْسَ لَهُ يَدَانِ؟" (إشعياء 45:9).

وكما نرى من الآيات الكتابية السابقة، إن فكرة أن الله خلق الإنسان من "تراب" و "طين" كـ"الفخار" فكرة مذكورة في آيات كثيرة من الكتاب المقدس بعهديه، ومنها أيضاً في سفر أيوب:

- "يَدَاكَ كَوَّنَتَانِي وَصَنَعَتَانِي كُلِّي جَمِيعًا، أَفَتَبْتَلِعُنِي (أي: أفتدمرني؛ أفتسحقني)؟ اُذْكُرْ أَنَّكَ جَبَلْتَنِي كَالطِّينِ، أَفَتُعِيدُنِي إِلَى التُّرَابِ؟ أَلَمْ تَصُبَّنِي كَاللَّبَنِ (يقصد: السائل المنوي الذي ينصب في رحم المرأة) **[⟵ "فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاءٍ (أي: منيّ الرجل) دَافِقٍ (أي: ينصب مندفعاً بسرعة في رحم المرأة)" (الطارق 5-6)]**، وَخَثَّرْتَنِي (أي: جعلت هذا السائل المنوي دماً جامداً) كَالْجُبْنِ[2890] **[⟵ "ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ (أي: السائل المنوي) عَلَقَةً (أي: دماً جامداً)" (المؤمنون 14) "ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ" (الحج 5)]**؟ كَسَوْتَنِي جِلْدًا وَلَحْمًا **[⟵ "فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً (أي: قطعة لحم)" (المؤمنون 14) "ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ" (الحج 5)]**،

فَنَسَجْتَنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ [⟵ "فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا" (المؤمنون 14)]. مَنَحْتَنِي حَيَاةً وَرَحْمَةً (أي: نعمةً) [⟵ "ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ (أي: نفخنا فيه الروحَ فصار حياً بعد أن كان جماداً أو صورة)" (المؤمنون 14)]، وَحَفِظَتْ عِنَايَتُكَ رُوحِي" (أيوب 10:8-12). اقرأ أيضاً (المزامير 139:13-16).

- "إِنَّهُ مَا دَامَتْ نَسَمَتِي فِيَّ، وَنَفْخَةُ اللهِ فِي أَنْفِي، لَنْ تَتَكَلَّمَ شَفَتَايَ إِثْمًا، وَلاَ يَلْفِظَ لِسَانِي بِغِشٍّ" (أيوب 27:3-4). "رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي [⟵ "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ" (السجدة 9) "سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي" (الحجر 29) (ص 72)]. [...] أَنَا أَيْضًا مِنَ الطِّينِ تَقَرَّصْتُ (أي: جُبِلْتُ)" (أيوب 33:4-6).
- وفي سفر أيوب أيضاً ما يشير إلى ضعف الإنسان الترابي، فهو روح ساكنة (محبوسة) في جسد (سجن أو بيت) من الطين؛ مجرد إناء خزفي يسهل كسره بسرعة وسهولة: "سُكَّانُ بُيُوتٍ مِنْ طِينٍ، الَّذِينَ أَسَاسُهُمْ فِي التُّرَابِ، وَيُسْحَقُونَ مِثْلَ الْعُثِّ (أي: كحشرة) بَيْنَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ (أي: بسرعة) يُحَطَّمُونَ" (أيوب 4:19).

أما استخدام كلمة "ماء" بمعنى "مَنِيّ" (semen) في إشارة إلى خَلْق الإنسان أو التناسل بعد خَلْق آدم، فهذا أيضاً له جذور في الكتاب المقدس: "اِسْمَعُوا هذَا يَا بَيْتَ يَعْقُوبَ، الْمَدْعُوِّينَ بِاسْمِ إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مِيَاهِ يَهُوذَا (أي: مِنْ نَسْلِ يَهُوذَا؛ مِنْ صُلْبِ يَهُوذَا)" (إشعياء 48:1) [⟵ "فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاءٍ (أي: مَنِيّ الرجل) دَافِقٍ (أي: ينصب مندفعاً بسرعة في رحم المرأة). يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ" (الطارق 5-7) "أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (أي: فِي رحم المرأة)" (المرسلات 20-21) "وَبَدَأَ [اللهُ] خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ" (السجدة 7-8) "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا" (الفرقان 54)].

أما فيما يخص "الدم (العلق)"، فلقد ذكرت التوراةُ أن الدم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنفس (الحياة)، ليس فقط بالنسبة لجسد الإنسان وإنما بالنسبة لكل جسد: "لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ" (اللاويين 17:11) و "لأَنَّ نَفْسَ كُلِّ جَسَدٍ دَمُهُ هُوَ بِنَفْسِهِ [...] لأَنَّ نَفْسَ كُلِّ جَسَدٍ هِيَ دَمُهُ" (اللاويين 17:14) و "لأَنَّ الدَّمَ هُوَ النَّفْسُ" (التثنية 12:23).

وكذلك ربط الإنجيل بين جسد يسوع المسيح – "آدم الثاني" (Second Adam) أو "آدم الجديد" (New Adam) أو "آدم الأخير" (Last Adam) (1 كورنثوس 15:20-49) و (رومية 5:12-21) – ودمه والحياة: "فَخَاصَمَ الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ: «كَيْفَ يَقْدِرُ هذَا (أي: يسوع) أَنْ يُعْطِيَنَا جَسَدَهُ لِنَأْكُلَ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ، فَمَنْ يَأْكُلْنِي

فَهُوَ يَحْيَا بِي. هذَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. لَيْسَ كَمَا أَكَلَ آبَاؤُكُمُ الْمَنَّ وَمَاتُوا. مَنْ يَأْكُلْ هذَا الْخُبْزَ فَإِنَّهُ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ»" (يوحنا 6:52-58).

اقرأ أيضاً: "الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، هذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي، وَلاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ، إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ. وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ (أي: نَفْسٍ إنسانية واحدة؛ بَشَرٍ واحد هو آدم) كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ" (أعمال الرسل 17:24-26).

وبالطبع توجد آيات كتابية كثيرة أخرى في الكتاب المقدس سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد. أو في "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha)، فمثلاً يقول سفرُ الحكمة عن الإنسان صانع الأصنام: "فَقَلْبُهُ رَمَادٌ، وَرَجَاؤُهُ أَخَسُّ مِنَ التُّرَابِ، وَحَيَاتُهُ أَحْقَرُ مِنَ الطِّينِ. لأَنَّهُ تَجَاهَلَ مَنْ جَبَلَهُ وَنَفَخَ فِيهِ نَفْسًا عَامِلَةً وَبَعَثَ رُوحًا مُحْيِيًا" (الحكمة 15:10-11).

كما يتضح لنا أيضاً تأثير "المشنا" (Mishnah) اليهودية، أي: الشريعة الشفهية (Oral Law) والمصدر الثاني للتشريع اليهودي، ويرجع تاريخ جمعها إلى سنة 220م تقريباً[2891]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 350 سنة. فلقد قالت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) تعليقاً على القرآن الذي يحقِّر أصلَ الإنسان ليتواضع مثل "فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ" (الطارق 5-6) "مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ" (السجدة 8) (المرسلات 20) "إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (أي: مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ)" (المعارج 39)[2892]:

this is reminiscent of the mishnaic injunction [Aboth 3:1] to “know whence thou art come.” The Mishna’s answer to this question, obviously designed to promote humility in humankind, is from a “putrid drop” [*tippah serukhah*]

علماً بأن المشنا (آفوت – الآباء 3:1) (Aboth 3:1) تقول: "يقول عقابيا بن مهلليئل: تأمَّلْ في ثلاثة أمور، ولن تقع في إثم. اعلم من أين جئت، وإلى أين تصير، وأمام مَنْ سوف تُسأل وتُحاسب. من أين جئت؟ من نطفةٍ نتنة. وإلى أين تصير؟ لموضع التراب؛ (حيث) العفن والدود. وأمام مَن سوف تُسأل وتُحاسب؟ أمام مَلِك ملوك الملوك القدوس تبارك"[2893]. فما يهمنا هنا هو هذه الجملة "اعلم من أين جئت" "من أين جئت؟ من نطفةٍ نتنة" **[← "فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ" (الطارق 5) "مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ" (السجدة 8) (المرسلات 20). اقرأ أيضاً: "قُتِلَ الْإِنسَانُ (أي: لُعِنَ الْإِنسَانُ!) مَا أَكْفَرَهُ. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ" (عبس 17-19)! "إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (أي: مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ)" (المعارج 39)! "أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ (أي: من أضعف الأشياء وهي نقطة مَنِيّ مهينة)" (يس 77)! "أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا" (مريم 67) "لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا" (الإنسان 1)! بل زعم القرآنُ أن الله قال لأحد أنبيائه: "قَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا [مذكوراً ولا موجوداً]" (مريم 9)!].**

وتوجد أمثلة أخرى، لكن حرصاً على عدم الإطالة سنكتفي بما سبق على سبيل المثال وليس الحصر.

النتيجة: عناصر قصة "خَلْق الإنسان" القرآنية كانت معروفة وموجودة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وفي التراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة قبل الإسلام بمئات السنين.

4.3.2 جذور القرآن في الأساطير الإغريقية والمصرية القديمة

أشارت موسوعة (Encyclopædia Judaica) إلى الأساطير الإغريقية والمصرية القديمة التي ذكرت خَلْق الإنسان من الماء وتراب الأرض (الطين)[2894]:

> Adam was formed from a mixture of water and earth, as is implied in Genesis 2:7. According to Greek mythology too, Prometheus formed men from water and earth ([…]); and Hesiod ([…]) relates that Hephaestus kneaded earth and water and made woman. The ancient Egyptians also believed that “man was formed from miry and swampy land” ([…]).

والحقيقة هي أن فكرة الإله الذي يخلق "الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ" (الرحمن 14) تعود إلى الأساطير المصرية القديمة قبل ظهور الإسلام بعدة قرون! وتحديداً الإله "خنوم" (Khnoum)[2895]:

> Khnoum d’Esna, le potier divin, est, lui aussi, un dieu artisan *qui tourna les dieux, qui modela les hommes ainsi que les animaux*, mais dans le mythe de la naissance divine d’Aménophis III il ne fait que façonner l’enfant conçu par Amon.

إذن: كان الإله "خنوم" – وهو إله من الآلهة المتعددة التي كان يؤمن بها المصريون القدماء المشركون – هو "الإله الفخاري" (potier divin، dieu-potier) (Divine Potter، potter-god) لأنه كان يخلق الإنسان على دولاب الخَزّاف (tour de potier)[2896] كما يوضح النقش المصرى القديم في الشكل التالي.

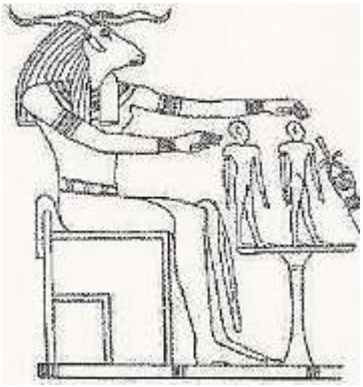

رسم توضيحي 4 – الإله خنوم – من آلهة المصريين القدماء – يخلق الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (الرحمن 14)!

وهذا الإله "خنوم" مذكور في "قصة الأخوين" (Tale of Two Brothers) (Conte des deux frères) وهي أسطورة مصرية قديمة يعود تاريخها إلى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد[2897] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر مِن 1800 سنة. ومِن المؤكد أن هذه الأسطورة المصرية القديمة قد تسللت إلى الديانات الإبراهيمية لأنها الأسطورة الأصلية لقصة "يوسف" المذكورة في التوراة (سفر التكوين) والقرآن (سورة يوسف). فيبدو لنا إذن أن فكرة الإله الفخاري الذي يخلق الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ قد تسللت أولاً إلى اليهودية ثم مِنها (أو: مِن المسيحية) إلى الإسلام.

4.3.3 جذور القرآن في أساطير حضارات بلاد ما بين النهرين

يقول الباحث والمفكر السوري الكبير "فراس السواح": "كانت الميثولوجيا السومرية أول مَن عالج قصة خلق الإنسان في الأدب المكتوب، وذلك في نص يعود إلى النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد. [...] وقد التقطت الميثولوجيا البابلية اللاحقة العناصر الرئيسة لهذه القصة، وصاغت منها تصورات مشابهة فيما يتعلق بخلق الإنسان"[2898].

بالفعل، فنحن نجد فكرة "خَلْق" الإنسان مِن "طين (صلصال)" و "دم (علق)" موجودة في الروايات والأساطير والخرافات القديمة لحضارات بلاد ما بين النهرين (Mesopotamia).

ومن أهم هذه الروايات وأشهرها "ملحمة أتراحاسيس" (Epic of Atrahasis) (Le Poème d'Atrahasîs, ou du Supersage) التي يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر أو الثامن عشر قبل الميلاد[2899] – أي قبل الإسلام بأكثر من 2200 سنة! وملخص قصة "خَلْق" الإنسان في هذه الملحمة هو[2900]:

Le récit commence au moment où les dieux sont las de travailler sur terre et se plaignent amèrement ; certains même se révoltent et se mettent en grève, brûlant leurs outils. C'est alors qu'Ea propose de créer l'homme « pour qu'il assume le dur labeur des dieux ». La réponse est un « oui » unanime. On sacrifice un certain dieu Wê (peut-être le meneur de l'insurrection) et, avec de l'argile mêlée à son sang, la déesse Mami (alias Nintu) façonne le premier homme.

فالقصة إذن هي أن بعض الآلهة كانت متعبة من العمل على الأرض ولم تعد تحتمل هذا العمل الشاق حتى أنهم تمردوا وأعلنوا الإضراب وأحرقوا أدوات عملهم **[← "وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ" (التكوين 2:5)]**. عندئذٍ اقترح الإلهُ "إيا" (Ea) خَلْق الإنسان حتى يقوم بالعمل الشاق على الأرض **[← "لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا" (التكوين 3:23) "لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا" (التكوين 2:15) ← "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة 30)]** بدلاً من الآلهة. وافقت كل الآلهة على هذه الفكرة التي تتلخص في أن يتم التضحية بالإله (Wê) – أي: ذبحه – ويتم خلط "دم" هذا الإله بـ "طين" الأرض. ومِن هذه العجينة السماوية-الأرضية، تقوم الإلهة "مامي" (وتُدعى أيضاً "نينتو"[2901]) بخلق الإنسان الأول **[← آدم]**.

لكن لماذا طين الأرض بالذات؟ ولماذا دم الإله بالذات؟ وليس أي شَيْء آخر. يجيب العالم الكبير (Jean Bottéro) على هذين السؤالين المهمين فيقول[2902]:

Ce n'est pas une idée en l'air: Éa en a tiré un plan subtil et précis, qu'il expose. L'homme sera fait d'argile - matière omniprésente dans le pays -, cette terre à laquelle il devra retourner à sa mort. Mais, pour garder quelque chose de ceux qu'il lui faudra remplacer et servir, sa glaise sera humectée du sang d'un dieu de second rang, immolé pour la circonstance.

إذن: الطين: لأنه مادة موجودة ومتوفرة في كل مكان في بلاد ما بين النهرين وهي الأرض التي سيعود الإنسان إليها بعد موته. وتم خلط هذا الطين بدم إله من الآلهة حتى يحتفظ الإنسان (المخلوق الجديد) بشَيْءٍ - ولو بسيط - مِن تلك الآلهة التي سيخدمها ويحل محلها **[← "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة 30) "إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ" (ص 71) "مِنْ صَلْصَالٍ" (الحجر 28) "مِنْ عَلَقٍ (أي: مِن دم)" (العلق 2)]**.

المُضحِك المُبكِي هو أن كثير مِن شيوخ الإسلام، ومِن بينهم بالطبع الشيخ الشعراوي[2903]، يزعمون أن القرآن به "إعجاز علمي" فيما يتعلق بخلق الإنسان وتطور الجنين ... الخ! وكثيراً ما يستشهد هؤلاء الشيوخ بما جاء في سورة المؤمنون: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ.

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ" (المؤمنون 12-14).

ألم يعلم هؤلاء الشيوخ أن فكرة "خَلْق" الإنسان مِن طين (صلصال) ودم (علقة) وأيضاً فكرة "نفخ الروح" (نسمة الحياة) كلها أفكار قديمة جداً ومذكورة في تراث الديانة اليهودية-المسيحية (سفر أيوب مثلاً) ومذكورة أيضاً في تراث الديانات الوثنية المشركة (polytheist) (ملحمة أتراحاسيس مثلاً) التي سبقت الإسلام بمئات السنين! أما مراحل تطور الجنين (نطفة، علقة، مضغة ... الخ) فيمكن رؤيتها بالعين المجردة سواء في حالات الوفاة أو الإجهاض أو في الحيوانات الثدييات، ويُقال إن الطبيب اليوناني-الروماني "جالينوس" (Galen) قد تحدث عنها قبل القرآن بمئات السنين[2904]. إذن: القرآن ليس إعجازاً علمياً، وإنما مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لِمَا قيل قبله.

وعند قراءة قصة خَلْق الإنسان في ملحمة أتراحاسيس سوف يتضح للقارئ الكريم أنها تستخدم نفس الكلمات التي استخدمها القرآنُ بعد ذلك: "صلصال"، "طين"، "دم"، "روح" ... الخ. ولكن بالطبع اضطر أصحابُ القرآن إلى تعديل بعض الكلمات والأفكار حتى تتلاءم مع الدين الإسلامي. فَمِن المعلوم مثلاً أن الديانات القديمة لبلاد ما بين النهرين كانت ديانات وثنية بها آلهة متعددة (polytheist)، فكانت الأساطير تستخدم مثلاً كلمة "الآلهة"، فكان لا بد من تعديل تلك الكلمة إلى "الله" في القرآن. مثال آخر: تقول الأسطورة "انبعثت الروح مِن جسد الإله"، فتطورت هذه الأسطورة تطوراً بشرياً طبيعياً حتى صارت في القرآن [⟵ **"نَفَخَ [اللهُ] فِيهِ مِنْ رُوحِهِ" (السجدة 9)**]. وهكذا. إنها عملية التطور البشري الطبيعي في أبهى صورها.

وسنكتفي بعرض الجزء المهم مِن قصة خَلْق الإنسان في ملحمة أتراحاسيس، تاركين للقارئ الكريم ملاحظة كيف تطورت هذه القصة تطوراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في القرآن:

فتح "إيا" فاه	Ea [ouvrit] la bouche
وقال للآلهة الكبار	et dit aux dieux, [ses frères] :
[...]	[...]
فليذبحوا إلهاً	Que l'on égorge un dieu
وليتطهر الآلهة الآخرون فيه (أي: بانغماسهم أو غطسهم فيه)	et que les autres dieux, en s'y plongeant, soient purifiés!
وبجسد ودم هذا الإله	Avec la chair et le sang de ce dieu,
فلتمزج "نينتو" الصلصال	que Nintou mélange de l'argile
حتى الإله نفسه والإنسان	afin que dieu même et l'homme
يصبحان ممزوجين معاً بالصلصال	

se trouvent mélangés ensemble dans l'argile ;	[...]
[...]	أجاب مجمع الآلهة : أجل!
« Oui ! » répondirent dans l'assemblée	[...]
[...]	ومن أجل عملية التطهير حضَّر "إيا" حمَّاماً
comme purification, (Ea) prépara un bain.	وأثناء اجتماعهم ذبح الآلهة إلهاً
Dans leur assemblée, (les dieux alors) égorgèrent	
Wê-dieu, qui avait de l'intelligence.	إنه "وي – الإله" (We-Dieu) الذي يمتلك الذكاء
Avec sa chair et son sang.	وبجسده ودمه
Nintou mélangea l'argile.	جبلت (أي: خلطت) "نينتو" الصلصال
Dans la suite des temps, ils entendirent le tambourin.	فسمعوا في الأزمنة اللاحقة قرع الطبل
(Issu) de la chair du dieu, il y eut un « esprit ».	وانبعثت الروح من جسد الإله
Comme vivant, il révéla l'homme par ce signe	وحين أصبح حياً أعلنوا بهذه الإشارة عن وجود الإنسان
et, pour qu'on n'oublie pas, il y eut un « esprit ».	ومن أجل عدم النسيان أضحت له روح

السؤال الذي يطرح نفسه: لو كان القرآن كلام الله الواحد الأحد كما يتوهم المسلمون، فهل يُعقل أن يلجأ الله إلى نفس الكلمات ("صلصال"، "طين"، "دم"، "روح" ... الخ) التي كانت تُستخدَم في أساطير خَلْق الإنسان في المعتقدات الوثنية ذات الآلهة المتعددة؟!

الإجابة: مستحيل.

إذن: القرآن ليس كلام الله، وإنما هو مجرد تطور بشري طبيعي لتلك القصص والأساطير التي نشأت وانتشرت لقرون طويلة في الشرق الأوسط القديم.

وخير دليل على انتشار تلك القصص والأساطير الشرقية هو أن ملحمة أتراحاسيس ليست الملحمة الوحيدة مِن تراث الحضارات القديمة التي تحكي قصة خلق الإنسان. فهناك ملحمات أخرى كثيرة تحكي هذه القصة. مثلاً: ملحمة "إينوما إليش" (Enuma Elish) – التي وجدت في مكتبة الملك الأشوري "أشوربانيبال" (Ashurbanipal) الذي حكم مِن 668 ق.م إلى 627 ق.م[2905] – أي أكثر من 1200

عام قبل الإسلام – ويعتقد بعض العلماء أن تاريخ كتابة الملحمة يعود إلى الربع الأخير من الألفية الثانية قبل الميلاد[2906] – أي أكثر من 1600 عام قبل الإسلام.

وكما توجد بعض الاختلافات بين القصتين الإبراهيميتين (التوراة والقرآن)، كذلك توجد بعض الاختلافات بين الملحمتين الرافدينتين (أتراحاسيس وإينوما إليش). فهذه الاختلافات أمر طبيعي – بل طبيعي جداً – ويحدث عادةً أثناء عملية التطور البشري الطبيعي مِن زمان إلى آخر ومِن مكان إلى آخر. على سبيل المثال: تقول ملحمة أتراحاسيس إن الإنسان قد خُلِق من دم الإله (We) بينما تقول ملحمة إينوما إليش إن الإله "مَردوخ" (Marduk) قد قرر أن يكون خَلْق الانسان من دم الإله "كينجو" (Kingu).

وسنكتفي بعرض الجزء المهم مِن قصة خَلْق الإنسان في ملحمة إينوما إليش، تاركين للقارئ الكريم ملاحظة كيف تطورت هذه القصة تطوراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في القرآن:

حين سمع مردوخ نداء الآلهة	Mardouk, en entendant l'appel des dieux,
عزم علي القيام بعمل جميل	décida de créer une belle œuvre.
وتحدث عن ذلك بصوت عال إلي "إيا"	À haute voix, il en parle à Ea
معلناً له عما قاله لنفسه	et lui donne avis de ce qu'en lui-même il s'était dit :
سأضع شبكة من دم و هيكلاً من عظام	« Je veux faire un réseau de sang, former une ossature
وأقيم مخلوقاً بشرياً وليكن اسمه الإنسان	et dresser un être humain et que son nom soit l'Homme!
سأخلق هذا المخلوق البشري، هذا الإنسان	Je veux créer (cet) être humain, (cet) Homme,
حتي إذا ما كلَّف بخدمة الآلهة أمسوا في سلام	pour que, chargé du service des dieux, ceux-ci soient en paix.

ونلاحظ هنا استخدام كلمتي "دم" و "عظام" في نفس الجملة. وهو نفس ما فعله أصحاب القرآن بعد ذلك، ويدعي كثير من المسلمين اليوم أنه إعجاز علمي! "ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً (أي: قطعة دم) فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ" (المؤمنون 14).

وتقول موسوعة (Encyclopædia Judaica) عن أصل كلمة (adam) إن كلمة (adamu) في الأكادية – وهي إحدى لغات العراق القديم – تُستخدَم للدم، وكلمة (adamatu) تُستخدَم للدم الأسود، والجمع (adamātu) تُستخدَم للطين الأحمر الغامق[2907]. إنها إذن نفس العناصر والألوان التي تسللت بعد ذلك إلى قصة "خلق آدم" القرآنية، وإنْ قال القرآنُ "علق" (أي: دم أحمر) و "حمأ" (أي: طين أسود)!

هل ما زال يوجد مَن يقول إن القرآن فيه إعجاز علمي؟!

إنه ليس إعجازاً علمياً، وإنما سطو غير مسلح على تراث حضارات وثقافات وديانات الشرق الأوسط القديم، سواء الديانات الإبراهيمية أو غير الإبراهيمية. أو كما نقول دائماً: تطور بشري طبيعي (natural human development) لتراث الشرق الأوسط الذي سبق الإسلام.

وختاماً، نريد أن نسأل بضعة أسئلة ...

ما الدليل أن "آدم" شخصاً حقيقياً تاريخياً (historical figure)؟

هل توجد أية وثيقة تاريخية تؤكد أن "آدم" كان موجوداً فعلاً في يومٍ من الأيام؟![2908]

هل علماء الأحياء (Biology) في الجامعات المحترمة عالمياً يقولون إن الإنسان قد "خُلِق" (was created) من تراب أو طين أو حمأ مسنون أو صلصال حسب قصة "الخَلْق" القرآنية التي أسسها محمدٌ وأصحابه؟! أَم يقولون إن الإنسان قد "تطور" (has evolved) من كائنات حية أخرى حسب نظرية "التطور" (Theory of evolution) المشهورة التي أسسها دارون وتلاميذه؟

وأنا شخصياً تعرفت على كثير من المسيحيين والمسلمين العقلاء نسبياً الذين توقفوا عن القول إن "آدم" شخص حقيقي، وإنما يقولون إن "آدم" مجرد رمز (allegory) للجنس البشري بصفة عامة، وليس حقيقة علمية (scientific fact) أو تاريخ (history).

ونختم حديثنا بما قاله الباحث والمفكر السوري الكبير "فراس السواح": "وفي الحقيقة، فإن كلمة "آدم" التي استخدمها سفر التكوين كاسم علم للرجل الأول، هي كلمة سورية قديمة تدل على الإنسان بشكل عام، وتعني "الْبَشَر"؛ وقد وردت بهذا المعنى في أكثر من موضع في نصوص مدينة أوغاريت"[2909].

4.4 وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ رفض أن يسجد لمخلوق

بعد خلق آدم، يزعم القرآن أن الرب قال للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا (prostrated) إلا إبليس! تكررت هذه الأسطورة سبع مرات في القرآن، 60 آية!، هي حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن[2910]:

الرواية الأولى لم تذكر اسمَ آدم! قال صاحب رواية سورة ص (مكية): قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ {67} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ {68} مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى (أي: الملائكة) إِذْ يَخْتَصِمُونَ {69} إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ {70} إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ {71} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ (أي: صوّرته بالصورة البشرية) وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي (أي: وهبته الحياةَ) فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {72} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {73} إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {74} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ (My Two Hands)[2911] أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ {75} قَالَ [إبليس] أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ {76} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا (أي: مِنَ الْجَنَّةِ؛ مِن السماء؛ أو: مِن منزلة الكرامة العالية) فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (أي: مرجوم (بالحجارة)؛ والمقصود: ملعون، مطرود) {77} وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (أي: يوم القيامة، يوم الحساب والجزاء) {78} قَالَ [إبليس] رَبِّ فَأَنْظِرْنِي (أي: فأخِّر أجلي ولا تهلكني) إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {79} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {80} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (أي: إلى أجلٍ مُسمَّى؛ ومع ذلك لم يحدده القرآنُ! قيل: يوم النفخة الأولى عندما يموت جميعُ الخلق) {81} قَالَ [إبليس للرب] فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (أي: الذين أخلصوا لك بالإيمان والعمل الصالح) {83} قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ {84} لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ (أي: ومن ذريتك!) وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ (أي: من ذرية آدم) أَجْمَعِينَ[2912] {85}.

الرواية الثانية كررت الحوار بين الرب وإبليس لكن بكلمات مختلفة قليلاً. قال صاحب رواية سورة الأعراف (مكية): وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ (أي: خَلَقْنَا أباكم آدم) ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ (أي: صَوَّرْنَا أباكم آدم) ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ {11} قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ {12} قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ {13} قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {14} قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {15} قَالَ [إبليس للرب] فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي[2913] (أي: بسبب ما أضللتني؛ بسبب إضلالك لي؛ أو: بسبب ما قدّرت عَلَيَّ مِن الضلال!) لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ (أي: لأضلنَّ بني آدم وأصرفهم عن) صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {16} ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {17} قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا (أي: مذموماً مطروداً) لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ {18}.

الرواية الثالثة حذفت الحوار بين الرب وإبليس وأضافت تحذير الرب لآدم ولزوجته (حواء) من عدوهما الشيطان. قال صاحب رواية سورة طه (مكية): وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (أي: رفض) {116} فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا [الشيطان] عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى {117}

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا (أي: في الْجَنَّةِ) وَلَا تَعْرَى {118} وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (أي: لا يصيبك حر الشمس) {119}.

الرواية الرابعة كررت الحوار بين الرب وإبليس لكن بكلمات مختلفة جداً. قال صاحب رواية سورة الإسراء (مكية): وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا {61} قَالَ [إبليس] أَرَأَيْتَكَ (أي: أخبِرْني عن) هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ [لِمَ كَرَّمْته عَلَيَّ] لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ (أي: لأستأصلنَّ؛ لأهلكنَّ؛ لَأُغْوِيَنَّ؛ لأستولينَّ على) ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا {62} قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ (أي: مِن ذرية آدم) فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا {63} وَاسْتَفْزِزْ (أي: استحث؛ اسْتَخْفِف؛ هيّج) مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ (أي: بوسوستك) وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ (أي: اجمع عليهم؛ صِحْ عليهم) بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ (أي: بجنودك وأتباعك من كل راكب وراجل!) وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (أي: باطلاً؛ خادعاً) {64} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (أي: حافظاً؛ عاصماً؛ مُخلِّصاً) {65}.

الرواية الخامسة لم تذكر اسم آدم وأعادت الحوار بين الرب وإبليس تقريباً كما كان عليه في الروايتين الأولى والثانية. قال صاحب رواية سورة الحجر (مكية): وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ (أي: آدم أبا البشر) مِنْ صَلْصَالٍ (أي: طين يابس إذا نُقِر عليه سُمع له صوت) مِنْ حَمَإٍ (أي: طين أسود!) مَسْنُونٍ (أي: له صورة مصبوب على هيئة الإنسان؛ وقيل: متغيّر لونه ورائحته من طول مكثه!) {26} وَالْجَانَّ (أي: أبا الجن؛ وقيل هو إبليس) خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ {27} وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ {28} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {29} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {30} إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {31} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {32} قَالَ [إبليس] لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ {33} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {34} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {35} قَالَ [إبليس] رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {36} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ {37} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {38} قَالَ [إبليس] رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {43}.

الرواية السادسة أقصر رواية. حذفت الحوار بين الرب وإبليس وأضافت نُصح الرب للناس وتحذيره لهم مِن عدوهم إبليس. قال صاحب رواية سورة الكهف (مكية): وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ (أي: عصى، خَرَجَ عَنْ طاعة) أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ (أي: أنصار، أعوان، موالي) مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا {50}.

الرواية السابعة والأخيرة هي الرواية المدنية الوحيدة. حذفت الحوار بين الرب وإبليس، بل جعلت إبليسَ صامتاً تماماً! وأضافت حواراً جديداً بين الرب والملائكة قبل سجودهم لآدم. قال صاحب رواية سورة البقرة (مدنية): وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

الدِّمَاءَ وَنَحْنُ (أي: بينما نَحْنُ) نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ {30} وَعَلَّمَ [رَبُّكَ] آدَمَ الْأَسْمَاءَ (أي: أسماءَ الموجودات) كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ (أي: عَرَضَ الموجودات) عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [في أنكم أَوْلى بالاستخلاف في الأرض] {31} قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ {32} قَالَ [رَبُّكَ] يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ {33} وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {34}.

آدم مِن "حتة طينة" إلى "خليفة الله": نلاحظ مِن هذا العرض المبدئي للقصة القرآنية كيف تطورت شخصية "آدم" مِن الرواية الأولى التى اهتمت أن تذكر أنه "مِن طين" ولم تهتم أن تذكر اسمَه! إلى الرواية الأخيرة (رواية سورة البقرة) التى ذَكرت اسمَ آدم 3 مرات، منهم مرتين على لسان الله، وقدَّمت آدم كإنسان يتلقى العِلم مِن الله مباشرةً وكمُعلم أو صاحب سلطان (authority) وشرف على الملائكة فى العِلم، ووَصَفَته (وذريَّته) بعبارة "فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة 30)، وهي نفس العبارة التي لم يُوصَف بها أحدٌ فى القرآن إلا "داود" (David) النبي والحاكم بدين الله وشرعه: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ (judge) بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ (with justice) وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ" (ص 26).

يقول التراث الإسلامي إن سورة البقرة قيلت في بداية تأسيس الدولة الإسلامية الناشئة في يثرب (المدينة). فَمِن حقنا أن نسأل: هل استخدام كلمة "خليفة" في (البقرة 30) كان بروباجاندا مدنية تأكيداً وتدعيماً لتنصيب محمد كنبي وحاكم بدين الله وشرعه على الدولة الإسلامية الجديدة؟ وهل أراد أصحابُ القرآن أن يُقدِّموا محمداً على أنه "آدم الثاني" (أو "آدم الجديد"؛ "آدم الأخير" – النبي الأخير) الذي يتلقى العِلمَ (الوحي) مِن الله ويجب على الجميع أن يخضع له تنفيذاً لأمر الله كما خضع الملائكة لآدم الأول تنفيذاً لأمر الله؟[2914]

تقول موسوعة (Encyclopædia of Islam)[2915]:

Just as Jesus was the second Adam in Christianity, a connexion was established in Islam between Adam and Muḥammad, with Adam as the first, Muḥammad as the last apostle (rasūl).

4.4.1 حيرة المفسرين بسبب غموض الروايات القرآنية واختلافاتها

ونلاحظ أيضاً مِن هذا العرض المبدئى للقصة تكرار الألفاظ والأحداث فى الروايات السبع، بل تكرار عبارة "مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ" 3 مرات فى 7 آيات متتالية (الحجر 26-33)! هل هذا هو الإعجاز اللغوى المزعوم؟!

وفى المقابل، توجد اختلافات كثيرة فى الكلمات والألفاظ، بل اختلافات في العبارات! مثلاً:

– اختلافات في: ما هو سؤال الرب لإبليس عن سبب رفضه السجود لآدم؟

- هَل "يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ" (ص 75)؟
- أم "مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ" (الأعراف 12)؟
- أم "يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ" (الحجر 32)؟
- أما صاحب الرواية الرابعة فلم يذكر سؤال الرب لإبليس، وإنما انفرد بوضع رد إبليس مباشرةً بعد رفضه السجود لآدم: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا" (الإسراء 61)! وانفرد صاحب الرواية الرابعة أيضاً بالتصريح بحقد إبليس على آدم[2916] لأن الرب كرَّم آدمَ على إبليس: "قَالَ [إبليس للرب] أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ" (الإسراء 62)!

أما صاحب الرواية السادسة فانفرد بمعلومة أن إبليس "كَانَ مِنَ الْجِنِّ" (الكهف 50)، مما أدى إلى مشكلة كبيرة فى الفكر الإسلامى، وهي: ما هي طبيعة الشيطان (إبليس): هل هو مِن الملائكة أو مِن الجن؟ وكالعادة، لجأ كثير من المسلمين إلى حيلة ذكية، فقالوا إن إبليس مِن الجن لكنه كان **مع** الملائكة!

– مثال آخر للاختلافات بين الروايات القرآنية المختلفة لهذه الأسطورة:

- اتفق صاحبا الروايتين الأولى والخامسة أن إبليس قَالَ "رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ [الربُّ لإبليس] فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ" (ص 79-81) و (الحجر 36-38)، إلا أنهما نَسِيَا أن يشرحا لنا كيف عرف إبليس عقيدة "البعث" فى ذلك الوقت المبكر جداً؟!
- بينما قال صاحب الرواية الثانية إن الربّ قال لإبليس "إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ" (الأعراف 15) بدون أن يقول له "إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ"!
- أما صاحب الرواية الرابعة فاستخدم ألفاظ مختلفة "قَالَ [إبليس للرب] [...] لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء 62)، إلا أنه نَسِيَ أن يشرح لنا كيف عرف إبليس عقيدة "يوم القيامة" فى ذلك الوقت المبكر جداً؟!
- أما أصحاب روايات سور طه والكهف والبقرة فحذفوا هذا الجزء من الحوار بين إبليس والرب!

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[2917].

وفى رأينا، إن أهم اختلاف بين هذه الروايات القرآنية السبع هو انفراد الرواية السابعة – الرواية المدنية الوحيدة – بذِكر كلمة "خليفة": "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة 30).

لكن ما معنى أن يكون الإنسان "خليفة"؟ و"خليفة" مَن؟ "خليفة" عن الله؟! آدم الذى لم يطلق القرآنُ عليه أبداً لقب "نبى" أو "رسول"، هل يُعقَل أن يكون هو "خليفة" عن الله فى الأرض؟!

كالعادة، اختلف المفسرون فى معنى كلمة "خليفة"، فمِنهم مَن قال إن آدم خليفة يخلف الله، ومِنهم مَن قال إن آدم يخلف الجِن، ومِنهم مَن قال إن آدم يخلف الملائكة، ومِنهم مَن قال إن آدم وذريته يخلفون بعضهم بعضاً يتناسلون، وقيل غير ذلك. نذكر فيما يلى أمثلة مما قاله المفسرون فى تفسير كلمة "خليفة" (البقرة 30):

– تقول أسطورة إسلامية شهيرة إن الجن كانوا يسكنون الأرض قبل الإنس! ومِن ثم فإن آدم "خليفة" بمعنى أنه سيخلف الجِنَّ فى الأرض! فلقد أخرج الحاكم في المستدرك حديثاً عن ابن عباس قال: "وقد كان فيها (أي: في الأرض) قبل أن يخلق [آدم] بألفي عام الْجِنُّ بنو الجان، فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء. فلمَّا قال اللهُ: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" قَالُوا: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" يعنون الجن بني الجان. فلمَّا أفسدوا (أي: أفسد الجن) في الأرض، بعث [اللهُ] عليهم جنوداً من الملائكة، فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور. قال: فقالت الملائكة: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا" كما فعل أولئك الجن بنو الجان. قال: فقال الله: "إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ""[2918]! وكالعادة، لجأ فريقٌ من المفسرين إلى هذه الأسطورة فقالوا إن "أَوَّل مَنْ سَكَنَ الْأَرْضَ الْجِنُّ، فَأَفْسَدُوا فِيهَا، وَسَفَكُوا فِيهَا الدِّمَاء، وَقَتَلَ بَعْضهمْ بَعْضًا. قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسَ فِي جُنْد مِنْ الْمَلَائِكَة، فَقَتَلَهُمْ إِبْلِيسُ وَمَنْ مَعَهُ، حَتَّى أَلْحَقَوهُمْ بِجَزَائِر الْبُحُور وَأَطْرَاف الْجِبَال، ثُمَّ خَلَقَ اللهُ آدَمَ فَأَسْكَنَهُ إِيَّاهَا"[2919]!

– وقيل إن خليفة "يعنى: آدم، جعله [اللهُ] خليفةً عن الملائكة الذين كانوا سكَّان الأرض بعد الجِنّ"[2920]! يعني: تاريخ سكان كوكب الأرض مر بثلاث مراحل: الجن ثم الملائكة ثم الإنس!

– وقال الشيخ الشعراوى: "آدم هو خليفة عن الله فى الحكم بين خلقه فى الأرض"؛ "ولكن هذا الخليفة سيخلف مَن؟ قد يخلف بعضه بعضاً (أي: جيل بعد جيل). فى هذه الحالة يكون هنا اعلام من الله بأن كل إنسان سيموت ويخلفه غيره. فلو كانوا جميعاً سيعيشون ما خلف بعضهم بعضاً. وقد يكون الإنسان خليفة لجنس آخر. ولكن الله سبحانه وتعالى نفى أن يخلف الإنسان جنساً آخر. [...] ولكن الله جعل الملائكة يسجدون لآدم ساعة الخلق وجعل الكون مسخراً له فكأنه خليفة الله فى أرضه. أمده بعطاء الأسباب. فخضع الكون له بإرادة الله. وليس بإرادة الإنسان. [...] إذن كلمة خليفة تأخذ عدة معان [...]"[2921].

- "كره بعض العلماء أن يقال عن بشر أنه خليفة الله تعالى، واحتجوا على ذلك بأن الذى يُستخلَف هو الذى يغيب أو يموت، والله سبحانه قد تعالى على الغيبة وتعالى على الموت أيضاً. [...] وأجاز بعض العلماء أن يُقال عن بشر أنه خليفة الله ما دام قائماً بأمر الله"[2922].
- الخليفة هو آدم، والمقصود أنه يخلف الله فى تنفيذ أحكام الله فى الأرض[2923].
- وبعضهم أراح نفسه مِن هذه الحيرة وهذا التخبط، فقال إن الكلمة ليست "خليفة" (بالفاء) وإنما "خليقة" (بالقاف). وطبعاً مسلمون كثيرون سيقولون إن هذه قراءة شاذة، على الرغم من أنها مذكورة في تفاسير ومراجع كثيرة[2924]!
- وقالت موسوعة بيان الإسلام إن "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" تعني "يملك العقل، والإرادة، وحرية الحركة، وإمكانات الإبداع، وتنوع الإنتاج، لينظم لها حركتها، وليدبر أوضاعها، ويصنع فيها مجتمعاتها التى تمتلىء بها ساحاتها، فيكون الإنسان فى الأرض تماماً مثل الملائكة فى السماء، مع أن الإنسان مسئول عن أعماله، بينما الملائكة مجبولون على الطاعة"[2925]. ثم أضافت الموسوعة فى الصفحة التالية أن الخلافة على قسمين: عامة وخاصة. الخلافة العامة للنوع الإنسانى بشكل عام فى مقابل الكائنات الحية الأخرى (أي: سيطرة الإنسان على الكائنات الأخرى). أما الخلافة الخاصة فهى الولاية والسيطرة على الآخرين بشكل مباشر (أي: سيطرة إنسان على بشر آخرين؛ مثل: سيطرة حاكم على محكومين).
- وكالعادة، توجد حلول توافقية تحاول أن توفق بين أكثر من رأي. مثلاً: "سمى الله آدم وذريته "خليفة" لأن بعضهم يخلف بعضاً (أي: جيل بعد جيل) على تعمير هذه الأرض وإصلاحها وإقامة حدود الله فيها، وهو لفظ يطلق على المفرد والجمع"[2926]. قال الله لملائكته: "إنى جاعل فى الأرض مَن أُمكِّنه منها وأجعله صاحبَ سلطان فيها وهو آدم وذريته، أستخلِفهم فى عمارة الأرض"[2927]. أو أن آدم سيكون له سلطان على الأرض "متصرفاً فى موادها ليجعلها ملائمة لحاجاته"[2928].
- "الخليفة مَن يخلف غيره وينوب عنه"[2929]. ونحن نرى أن هذا التفسير – رغم اتساعه – هو أفضل تفسير لكلمة "خليفة". والدليل على ذلك هو أن الترجمات الحديثة للقرآن تترجم كلمة "خليفة" (البقرة 30) (ص 26) إلى "مَن يخلف غيره" (successor) (successeur)[2930] أو "مَن ينوب عن غيره" (representative) (représentant)[2931]. ولا شك أن المعنى الثاني (representative) أسمى مِن المعنى الأول (successor). وسنذكر فى نهاية هذا الفصل معنى ثالث أسمى وأرقى مِن كليهما.

وكما انفرد صاحب الرواية السابعة بذِكر كلمة "خليفة"، كذلك انفرد بذِكر سؤال الملائكة للرب سؤالاً يتضمن أعمال آدم وذريته: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (البقرة 30)، مما أدى إلى حيرة المفسرين المسلمين أمام سؤال هام وهو: كيف عرف الملائكة أن الإنسان سيفسد فى الأرض وسيسفك الدماء؟!

للإجابة على هذا السؤال، اخترع التراث الإسلامي الأسطورة الشهيرة التي ذكرناها فيما سبق: الجن كانوا يفسدون فى الأرض قبل خلق آدم ويسفكون الدماء قبل خلق آدم، ومِن ثَمَّ عرف الملائكة أن الإنس سيفعلون مِثل الجن! [سؤال: حسب القرآن والسُّنَّة، الجِن مخلوقون مِن نار، فهل لهم دماء؟!]

وكالعادة، تذكر المراجع الإسلامية(2932) أساطيراً أخرى مختلفة ومتضاربة. على سبيل المثال:

- قيل: إن الملائكة عَرفوا أعمال الإنسان من اللوح المحفوظ، أطلعهم عليه الْمَلَكَان هاروت وماروت عن مَلَكٍ فوقهما يقال له "السِّجِلُّ"!
- وقيل: لمَّا خلق اللهُ النارَ خافت الملائكة خوفاً شديداً فقالوا: ربنا لمَن خلقت هذه النار؟ قال: لمَن عصانى مِن خلقى، ولم يكن لله يومئذ خلق إلا الملائكة، فلما قال "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" عرف الملائكة أن المعصية ستظهر مِن هذا المخلوق الجديد!
- وقيل: لعلهم شاهدوا أناسيَّ (جمع إنسان) يفسدون ويسفكون الدماء فى كوكب آخر!
- وقيل: لعلهم أدركوا ذلك أيضاً من طبيعة تكوين آدم، فهو مخلوق من طين، وهى مادة متفاعلة متغيرة لا تثبت على حال!

سؤال: إذا كان القرآن كلام الله كما تتوَّهمون، فَهل يُعقَل أن يحتاج إلى كل هذه الأساطير لشرحه وفهمه؟!

ونحن نرى أن صاحب (البقرة 30) قد ورّط نفسَه في واحدة من متناقضات القرآن. وذلك لأن ما قاله يدل على أن الملائكة ترفض القتل وسفك الدماء. بينما نجد في آيات قرآنية أخرى أن الملائكة نزلت من السماء إلى الأرض لتساند البشر وَهُمْ يقتلون ويسفكون الدماء في معركة بدر (الأنفال 9-10) (آل عمران 123-126)! بل قيل إن الملائكة اشتركت في القتال وسفك الدماء وضرب الرقاب وقطع الأرجل والأيدي بأمرٍ من إله القرآن: "إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ (أى: الرؤوس!) وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (أى: الأطراف والمفاصل!) (الأنفال 12)! وهذا كله يؤكد أن إله القرآن ليس هو الإله الحقيقي الذي يستحق الإيمان والعبادة.

وكما سبق وقلنا، إن تعدد هذه الروايات القرآنية واختلافها الشديد فيما بينها يؤكد أن القرآن منتج بشرى وأنه ثمرة عمل جماعى أو عمل فريق (teamwork): كل عضو فى الفريق حكى القصة بطريقة مختلفة. "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24).

ولأن القصة كانت مشهورة جداً قبل ظهور الإسلام – كما سنرى بعد قليل – فَسَمعها كثيرون، ولذلك تعددت رواياتُها حتى وصلت إلى سبع روايات! فلا يُمكِن إذن أن نُصدِّق أن القرآن كلام الله.

والحقيقة أننا لا يمكن أن نُصدِّق أن الملائكة قد اعترضوا على خلق آدم أو حتى تعجبوا وسألوا الرب هذا السؤال: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ" (البقرة 30). وكالعادة، حاول بعض المفسرين (مثل ابن كثير وغيره) أن يحلوا هذه المشكلة، فزعموا أن الملائكة سألوا هذا السؤال على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض. ونحن نرى أن هذا الحل لن ينفع، إذ أن الرواية الأولى تعترف بأن الملائكة قد اختصموا حِين أخبرهم الرب – على صورة المشورة – باستخلاف آدَم فى الأرض: "مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى (أى: الملائكة) إِذْ يَخْتَصِمُونَ" (ص 69)؛ وكلمة "يَخْتَصِمُونَ" تدل على أنه كان هناك على الأقل فريقان: فريق مؤيد وفريق معارض. وكل الترجمات الحديثة للقرآن التى اطلعنا عليها تعطى هذا المعنى[2933].

والأهم مِن كل هذا هو إننا لا يمكن أن نُصدِّق أن الرب أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، فالسجود يجب أن يكون لله وحده. وكالعادة، حاول المفسرون أن يحلوا هذه المشكلة باختراع بضعة حيل، أهمها ثلاث حيل:

- الحيلة الأولى هى أن "السجود" هنا ليس سجود عبادة (worship) وإنما انحناء من أجل التحية والتوقير والاحترام (respect) كما جاء فى (يوسف 100): "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا" (يوسف 100). ونحن لا نقتنع بهذه الحيلة لأن إبليس عندما رفض السجود لآدم، لم يقل الرب له: إن هذا سجود "توقير" فقط يا إبليس! ثم إن السجود المذكور فى (يوسف 100) هو مجرد تأويل للرؤيا المذكورة فى (يوسف 4) وليس أمراً من الله لمخلوق أن يسجد لمخلوق آخر. وإن قلتم إنه يُعتبَر أمراً من الله لأن يوسف نبى ورؤيا الأنبياء حق، فسيكون ردنا: يوسف ليس نبياً، بل لا يوجد أى دليل أن قصة يوسف قصة حقيقية، ولا أن إبراهيم (جد أبيه) شخصاً حقيقياً. وسنناقش هذه الأمور بقدر أكبر من التفصيل فى فصلين مستقلين.
- الحيلة الثانية كانت أكثر ذكاءاً إذ جعلت آدم واقفاً بين الملائكة والله، وبذلك جعلت سجود الملائكة لآدم سجوداً لله، أى أن آدم كان مجرد "قِبلة" (prayer direction) سجد الملائكةُ في اتجاهه كما يسجد المسلمون لله في اتجاه الكعبة! "وقيل: اسجدوا لسجود آدم، فجعله إماماً يصلى بهم (أى: بالملائكة)"[2934]! تعليقنا: هذه الحيلة أيضاً لن تنفع، لأن الرب لم يقل للملائكة "وَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَ آدم" أو "اتخذوا آدمَ إماماً"، وإنما قال لهم "اسْجُدُوا لِآدَمَ".
- أما الحيلة الثالثة فقالت إن سجود الملائكة لآدم هو طاعة (obedience) لأمر إلهى، وبذلك يكون سجوداً لله وعبادة لله، لأن العبادة هى طاعة أوامر الله واجتناب نواهيه.

تعليقنا: نحن نرى أن اختيار تعبير "اسْجُدُوا لِآدَمَ" أو "قَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" وتكرار القصة سبع مرات لم يكن اختياراً موفقاً على الإطلاق، لأن "السجود" (prostration) عمل مِن أعمال العبادة فى الديانات الإبراهيمية وغير الإبراهيمية بصفة عامة، وفى الإسلام بصفة خاصة، إذ ما زال المسلمون يطلقون كلمة "مسجد" على دور عبادتهم. وكان الأفضل أن يحكى القرآنُ هذه الأسطورة مرة واحدة فقط ويقول مثلاً "اخْفِضْوا جَنَاحَكم لِآدَمَ" أو "لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ آدم" أو أى تعبير قرآنى آخر يعطى معنى الاحترام والتكريم وليس السجود. والأفضل من هذا كله هو ألا يردد القرآن هذه الأسطورة المشكوك فيها.

وما يزيد شكوكنا فى هذه القصة القرآنية هو أنه لا توجد آية واحدة فى الكتاب المقدس بعهديه تقول إن الرب أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم. بل إن الفكرة نفسها تتعارض مع الكتاب المقدس ومع العقل والمنطق، فلا يمكن أن تكون حقيقية، إذ كيف يَسْجُد مخلوق (ملاك أو جن) لمخلوق آخر (إنسان)؟! المفروض أن كل المخلوقات تسجد لله. هذا ما أكده الكتاب المقدس فى مواضع كثيرة. على سبيل المثال: عندما طَلَب إبليس مِن يسوع المسيح أن يسجد له، "أَجَابَهُ يَسُوعُ وَقَالَ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ»" (لوقا 4:8) و (متى 4:10)[2935]. وعندما أراد يوحنا أن يسجد للملاك في الرؤيا منعه الملاكُ وقال له: "لاَ تَفْعَلْ! أَنَا عَبْدٌ مَعَكَ (أي: أعَبْد الرَّبَّ الإلهَ مثلك) وَمَعَ إِخْوَتِكَ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ شَهَادَةُ يَسُوعَ. اسْجُدْ لِلهِ! فَإِنَّ شَهَادَةَ يَسُوعَ هِيَ رُوحُ النُّبُوَّةِ" (الرؤيا 10:19) "لاَ تَفْعَلْ! لأَنِّي عَبْدٌ مَعَكَ (أي: أعَبْد الرَّبَّ الإلهَ مثلك) وَمَعَ إِخْوَتِكَ الأَنْبِيَاءِ، وَالَّذِينَ يَحْفَظُونَ أَقْوَالَ هذَا الْكِتَابِ. اسْجُدْ لِلهِ!" (الرؤيا 9:22).

السؤال إذن هو: مِن أين جاءت أسطورة سجود الملائكة لآدم التى كررها القرآن سبع مرات؟! بل مِن أين جاءت العناصر الأخرى المذكورة في القصة القرآنية، مثل: اعتراض الملائكة حين أخبرهم اللهُ أنه سيخلق الإنسان، وغير ذلك من عناصر لا وجود لها في الأسفار المقدسة القانونية (الرسمية)؟!

يقول الباحث والمفكر السوري الكبير "فراس السواح" إن الأدبيات اليهودية غير القانونية (غير الرسمية) أضافت العديد من العناصر إلى الأسفار القانونية (الرسمية) للكتاب المقدس، "ولعل أكثر التنويعات غنى وإثارة، هي ما قدمه لنا كتاب "الهاجاده" الذي زاد على الرواية الرسمية عدداً من العناصر، أهمها:

أ) استطلاع الله رأي الملائكة بخصوص ما هو مقدم عليه من خلق الإنسان.

ب) تحدي الله للملائكة لكي يخبروه بأسماء حيوانات الأرض قبل عرضها على آدم.

ج) الله يُعلِّم آدم أسماء الحيوانات قبل عرضها عليه.

د) مع خلق آدم يخلق الله جميع أرواح البشر الذين سيتسلسلون من صلبه."

وبعد أن أعطى ملخصاً لقصة خلق الإنسان كما وردت في الهاجاده، يقول: "تقوم الرواية القرآنية عن خلق الإنسان على العناصر نفسها التي وجدناها في سفر التكوين وفي كتاب الهاجاده"[2936].

ما قاله فراس السواح يعطينا مفتاحَ الإجابة: اعتمد أصحابُ القرآن على الأساطير اليهودية المذكورة في كتب السوديبِجرافا والتلمود والمدراش والهاجاده. كما اعتمدوا أيضاً على التراث المسيحي السرياني والأبوكريفا المسيحية. ونظراً لأن هذه الأساطير كثيرة وطويلة، فسنذكر باختصار أهم ما جاء فيها موضحين الآيات القرآنية المناظرة بعلامة [←] كما تعودنا[2937].

4.4.2 جذور القرآن في كتب السوديبِجرافا والتلمود والمدراش والهاجاده اليهودية

تقول أسطورة يهودية شهيرة إن الرب أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر! نجد هذه الأسطورة فى كتاب مِن كتب سوديبِجرافا العهد القديم يُعرَف باسم "حياة آدم وحواء" (Life of Adam and Eve). كُتِبَ هذا الكتاب المهم في فلسطين على الأرجح، ويعود تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول أو الثاني بعد الميلاد[2938] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر مِن 400 سنة. وقالت موسوعة القرآن إن كتاب "حياة آدم وحواء" كُتِبَ قبل 400م[2939] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر مِن 200 سنة؛ ويبدو أن الموسوعة تقصد إحدى ترجماته[2940][2941]. فلقد تُرجِم كتابُ "حياة آدم وحواء" إلى عدة لغات: يونانية ولاتينية وأرمينية وجورجيانية وسلافونية وقبطية (مصرية)، مما يدل على انتشاره انتشاراً واسعاً بين يهود ومسيحيي الشرق الأوسط قبل ظهور الإسلام، إلى درجة أن العلماء احتاروا في أصله: فمِنهم مَن قال إنه من إنتاج اليهود، ومِنهم مَن قال إنه مِن إنتاج المسيحيين[2942]. ونحن نميل إلى الرأي الأول ونعتقد أن هذا الكتاب هو النواة الحقيقية لأسطورة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" أو لعله مجرد مرحلة من مراحل تطور هذه الأسطورة التي انتشرت انتشاراً واسعاً في الحواديت الشعبية اليهودية/المسيحية قبل أن تستقر فى سبع سور قرآنية.

وردت أسطورة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" فى الترجمات اللاتينية والأرمينية والجورجيانية[2943]. وكما توجد اختلافات بين الروايات القرآنية السبع، توجد أيضاً اختلافات بين مخطوطات وترجمات كتاب "حياة آدم وحواء". ما نذكره هنا هو أهم ما جاء فى هذه المخطوطات والترجمات إحداها أو جميعها.

يتخيل كاتبُ هذه الأسطورة اليهودية حواراً بين إبليس وآدم يُعبِّر فيه إبليس عن حزنه وحقده على آدم وعداوته له، فبسبب آدم طَرَد الربُّ إبليسَ من مجده في السماء إلى الأرض. ونستنتج من النص أن آدم لا يعلم ماذا حدث، فيقوم إبليس بحكاية القصة له[2944]. أى أن كتاب "حياة آدم وحواء" – قبل القرآن – أعطى الفرصة لإبليس أن يتكلم ويشرح لماذا رفض السجود لآدم.

في الأسطورة اليهودية يقول إبليس لآدم: بعد أن خلقك الربُّ ونفخ فيك نسمةَ الحياة (breath of life)، أحضرك الملاكُ مِيكَائيل (Michael) وجعلنا نسجد لك كما أمر الربُّ **[← "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ**

إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" (ص 71-72) "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" (الحجر 28-29)؛ (الأعراف 11) (طه 116) (الإسراء 61) (الكهف 50) (البقرة 34)].

يُكمِل إبليس حديثه لآدم قائلاً حسب الأسطورة اليهودية: والملاك ميكائيل نفسه سجد لك ثم دعانى أن أسجد لك، فرفضت [← "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ" (الحجر 30-31) "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ" (ص 73-74) "فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ" (البقرة 34)؛ (الأعراف 11) (طه 116) (الإسراء 61) (الكهف 50)]. ولمَّا ظل ميكائيل يحثنى على السجود، قلت له: لن أسجد لمخلوق أقل منى؛ أنَا أقدم مِنْهُ فى الخلق، فلقد خلقنى الرب <u>قبل</u> أن يخلقه [← قَالَ إبليس: "لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ" (الحجر 33) "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ" (ص 76) (الأعراف 12). "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ [...]. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ <u>قَبْلُ</u> [...]" (الحجر 26-27)].

وتقول الأسطورة اليهودية إن ملائكة آخرين اتبعوا إبليس ورفضوا السجود لآدم. لم يذكر أصحابُ القرآن هذه النقطة؛ ربما سمعوا الأسطورة بدونها أو ربما حذفوها عمداً حتى يؤكدوا عُزلة إبليس وطاعة كل الملائكة أجمعين للرب. وإنْ كانت الرواية السادسة (آخر رواية مكية) قد أشارت إلى "ذرِّيَّة" إبليس: "فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي" (الكهف 50)، كما أشارت سورة الشعراء إلى "جُنُود إِبْلِيسَ" (الشعراء 95) أي: أعوان إبليس الذين يتبعونه ويطيعون أوامره.

ثم يقول إبليس لآدم حسب الأسطورة اليهودية: فغضب الربُّ منى وطردنى وملائكتى مِن مجدنا فى السماء إلى الأرض [← قَالَ رَبُّكَ لإبليس: "فَاهْبِطْ <u>مِنْهَا</u> فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. [...] اخْرُجْ <u>مِنْهَا</u> مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ" (الأعراف 13-18) "فَاخْرُجْ <u>مِنْهَا</u> فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (ص 77-78) "فَاخْرُجْ <u>مِنْهَا</u> فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (الحجر 34-35) "اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا" (الإسراء 63)]. وكالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فى معنى "مِنْهَا": قيل إن الله طرد إبليس مِن الجنة، وقيل طرده مِن الحَضرة الإلهية أو مِن جماعة الملأ الأعلى أو مِن السماء إلى الأرض، وقيل طرده مِن رحمته. ويمكن الجَمْع بين هذه التفاسير بأن نقول إن الله طَرد إبليسَ من منزلة الكرامة العالية. ونحن نرى أن مجرد قول القرآن "مِنْهَا" دون تحديد يدل على أن الفكرة نفسها كانت معروفة ومشهورة، ولذلك لم يضطر أصحاب القرآن أن يحددوا المكان الذي طُرِد منه إبليس، فهو مكان يعرفه السامعون جيداً.

وفى الأسطورة اليهودية، قال إبليس لآدم: بعد طَرْدِنا مباشرةً، غلبنا الحزنُ لحرماننا من مجدنا العظيم، وتألمنا عندما رأيناك يا آدم فى الفرح والنعيم [← "قَالَ [إبليس للرب] أَرَأَيْتَكَ (أي: أخبِرْني عن) هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ [لِمَ كَرَّمْته عَلَيَّ]" (الإسراء 62)].

ثم تقول الأسطورة اليهودية إن إبليس اعترف بخداعه لزوجة آدم (حواء)، فقال لآدم: خدعتَ زوجتك يا آدم وجعلتك بسببها تخرج من الفرح والنعيم كما خرجت أنا **[← قَالَ إبليس للرب: "رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ" (الحجر 39) "فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ" (الأعراف 16-17) "فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ" (ص 82) "أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء 62)]**.

إذن: فى الأسطورة اليهودية والقرآن العربي، رَفَضَ إبليس أن يعترف بمكانة آدم العالية ويسجد له، ثم بعد ذلك سعى إلى أن يحرم آدمَ وزوجتَه (وبالتالى: يحرم ذريتهما) من هذه المكانة العالية.

وفى نهاية الأسطورة اليهودية، صرخ آدم وبكى وقال للرب: أَبعِد عني هذا العدو (أى: إبليس) الذى يريد تدمير روحى **[← فقال الربُّ لآدم: "يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ (أي: حواء) فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى. إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى" (طه 117-119) "أَفَتَتَّخِذُونَهُ (أى: إبليس) وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا" (الكهف 50)]**.

إذن: تحتوى هذه الأسطورة اليهودية الشهيرة على معظم عناصر القصة القرآنية (لا سيما رواياتها المكية)، بل تحتوى على أهم عنصرين مشتركين فى جميع الروايات القرآنية السبع، وهما: أمر الرب للملائكة أن يسجدوا لآدم ورفض إبليس أن يمتثل لهذا الأمر.

نذكر بعد ذلك باختصار بعض الأساطير اليهودية الأخرى التى تشترك مع الروايات القرآنية (لا سيما الرواية المدنية الوحيدة) فى عنصر أو أكثر.

نبدأ بالتلمود البابلى (Babylonian Talmud) الذى جُمِع فى القرن الخامس أو السادس الميلادى[2945][2946]، أي قبل ظهور الإسلام. يقول هذا التلمود في (Sanhedrīn 38b)[2947]:

When the Holy One, blessed be He, wished to create man, He [first] created a company of ministering angels and said to them: Is it your desire that we make a man in our image? They answered: Sovereign of the Universe, what will be his deeds? Such and such will be his deeds, He replied. Thereupon they exclaimed: Sovereign of the Universe, What are human beings that you spare a thought for them, or the child of Adam that you care for him? Thereupon He stretched out His little finger among them and consumed them with fire. The same thing happened with a second

company. The third company said to Him: Sovereign of the Universe, what did it avail the former [angels] that they spoke to You [as they did]? the whole world is Yours, and whatsoever that You wish to do therein, do it.

إذن: ملخص هذه الأسطورة التلمودية هو أن الرب أخبر فرقةً من الملائكة برغبته أن يخلق الإنسانَ "عَلَى صُورَتِهِ كَشَبَهِهِ" (التكوين 1:26) [← "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة 30) "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا" (الحجر 28) (ص 71)]. فسأل الملائكةُ الربَّ عن أعمال هذا الإنسان، فأجابهم الربُّ قائلاً: أعماله ستكون كذا وكذا. فتعجب الملائكة وقالوا للرب: "فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟" (المزامير 8:4) [← "قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ (أي: بينما نَحْنُ) نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ" (البقرة 30)].

ونلاحظ هنا أن هذه الأسطورة التلمودية منطقية أكثر من القرآن، إذ أنها تقول إن الملائكة سألوا الرب عن أعمال الإنسان، فأخبرهم الربُّ عن أعماله؛ وليس كما جاء في القرآن أنهم ذكروا هذه الأعمال "يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (البقرة 30) دون أن يشرح القرآن كيف عرفوها، فسَرَحَ كل مُفسّر بخياله ليجيب على هذا السؤال المُحيّر! ومِن حسن الحظ، أن بعض المفسرين المسلمين قد اهتدوا إلى ما قالته الأسطورة التلمودية: الله هو الذي أخبر الملائكة بأعمال الإنسان [← أو كما ألمح القرآنُ إلى ذلك، وإن جاء التلميحُ متأخراً: "قَالُوا (أي: الملائكةُ) سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا" (البقرة 32)]. على سبيل المثال:

- "قال بعض المفسرين: إن في الكلام (أي: في كلام القرآن) حذفاً، والتقدير: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً يفعل كذا وكذا"(2948).
- وقالت موسوعة بيان الإسلام: "ولولا إعلام الله السابق للملائكة بما سيُحدثه الخليفةُ فى الأرض من إفسادٍ وسفكِ دمٍ لما علموه من أنفسهم، وهذا الإعلام السابق قد يطويه الحوار هنا، ولا يذكره مفصَّلاً، وقد عودتنا حوارات القرآن الكريم فى الموضوعات المختلفة، أن تطوى كثيراً من التفاصيل فلا تذكرها"(2949).
- وقال د. محمد بكر إسماعيل: "ولعل الله أخبرهم بطبيعة هذا المخلوق وبما سيكون منه، فطوى ذلك عنا، ولم يذكره تصريحاً ولكنه ذكره تلويحاً، وتلميحاً"(2950).
- وقال آخر نقلاً عن تفسير القرطبى: "إن الله تعالى كان قد أخبر ملائكته أنه إذا جعل فى الأرض خلقاً أفسدوا وسفكوا الدماء"، ثم أضاف فى نفس الصفحة: "حدثهم الله تعالى أنه سيجعل فى الأرض خليفة، وأن هذا الخليفة ستكون له ذرية وأحفاد، وأن أحفاده وذريته سيفسدون فى الأرض، ويسفكون فيها الدماء"(2951).

ومِن ثم يتضح لنا أهمية دراسة جذور القرآن فى الأساطير اليهودية وغيرها حتى نكتشف هذه التفاصيل التى "طواها" القرآن، ومِن ثم نستطيع أن نفسر القرآن تفسيراً صحيحاً.

بعد ذلك، تقول هذه الأسطورة التلمودية إن الرب أحرق هذه الفرقة من الملائكة (عقاباً لهم على اعتراضهم على خلق الإنسان). ثم تكرر نفس الشيء مع فرقة أخرى من الملائكة: اعترضوا **[← "قَالُوا [للرب] أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (البقرة 30)]** فأحرقهم الرب. أما الفرقة الثالثة، ويبدو أنهم قد تعلموا الدرس مِن الفرقتين السابقتين، فلم يعترضوا وإنما قالوا للرب: إن الكون كله مِلكك فلتفعل ما تشاء. أى أن الأسطورة التلمودية تقول إنه كان هناك ثلاث فرق من الملائكة: اثنتان اعترضتا وواحدة لم تعترض **[← عبَّر أصحابُ القرآن عن اختلاف الملائكة فيما بينهم (أو معارضة بعضهم لله) بكلمة "يَخْتَصِمُونَ": "مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ" (ص 69)]**. العجيب أن أصحاب القرآن قالوا في هذه الآية "مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ" وفي الآية التالية "إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ" (ص 70)، أي أنهم زعموا أن المصدر الوحيد لمعرفة محمد بهذه القصة هو الوحي الإلهي، مع أن القصة كلها مجرد أسطورة تلمودية يهودية شعبية وكانت معروفة على نطاق واسع بين اليهود والمسيحيين قبل ظهور الإسلام!

ولا نزعم أننا أول مَن وصل إلى الجذور التلمودية اليهودية لهذه الأسطورة القرآنية، فلقد سبقنا علماء وباحثون كثيرون. على سبيل المثال، تقول موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)[2952]:

Like the Talmudic explanation of Genesis 1:26 ([…]), God's announcement (إِنِّي جَاعِلٌ, Q 2:30; إِنِّي خَالِقٌ, Q 15:28; 38:71) is given before the council of angels (الْمَلَإِ الْأَعْلَى, Q 38:69), who argue against the creation of man ([…]).

وأهمية هذه الأسطورة التلمودية اليهودية هي أنها تُعلمنا كيف تُولَد الأساطير الدينية الشعبية. الأسطورة لا تنشأ مِن العدم (ex nihilo). مؤلف أى أسطورة دينية يأخذ آيةً من هنا وآية من هناك – (التكوين 1:26) و (المزامير 8:4) فى هذه القصة – ويصنع منهم عن عمد أو عن جهل أسطورة خيالية. ثم تنتشر هذه الأسطورة بعد ذلك بين العامة والبسطاء، فيضيف هذا جملة، ويحذف ذاك جملة أخرى. وربما تُولَد أسطورة جديدة أثناء هذا التطور البشرى الطبيعي بالحذف و/أو الإضافة. ثم تستمر عملية التطور البشرى الطبيعي عبر السنين حتى تستقر هذه الأسطورة الشعبية في القرآن. ثم كالعادة، تُكتَب الأسطورة القرآنية في المراجع الإسلامية بدون ذِكر جذورها الأصلية، وذلك حتى يتوهم المسلمُ أن القرآن مِن عند الله! والحق واليقين الذي لا شك فيه هو أن القرآن مِن عند البشر، بل مِن عند أساطير الأولين: التلمود البابلي وغيره.

بل إن الحق واليقين الذي لا شك فيه هو أن الإسلام كله (قرآن، سُنَّة، تفسير، سيرة ... الخ) كلام بشر، بل كلام أساطير الأولين: التلمود البابلي وغيره. فَمِن الجدير بالذكر أن التلمود البابلي يقول في نفس الفقرة (Sanhedrīn 38b) إن آدم في الجنة كان يتحدث اللغة الآرامية[2953]! تسللت هذه الأسطورة إلى كتب إسلامية كثيرة، لكن المسلمين جعلوا آدم في الجنة يتحدث اللغة العربية! وهكذا نجد كل شعب يُطوِّر الأسطورة

تطوراً بشرياً طبيعياً حسب هواه. اليهود كانوا يتحدثون الآرامية فجعلوا آدم في الجنة يتحدث بلغتهم (الآرامية). والمسلمون الأوائل كانوا يتحدثون العربية فجعلوا آدم في الجنة يتحدث بلغتهم (العربية). ولا يزال في عصرنا الحالي بعضُ الشيوخ المسلمين المعروفين يقولون إن اللغة العربية هي "لغة أهل الجنة"[2954]! كلها أساطير اختلقها اليهودُ منذ مئات السنين قبل الإسلام فتطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة مع مرور الزمن حتى وصلت إلينا اليوم بالصورة التي نراها الآن في الكتب والمراجع والمواقع الإسلامية والعربية، وعلى رأسها كتاب "القرآن". وما نذكره مِن تلك الأساطير هو مجرد أمثلة توضح الفكرة وتثبت نظرية التطور البشري الطبيعي بالأدلة على سبيل المثال وليس الحصر.

ننتقل الآن إلى فقرة أخرى (Sanhedrīn 59b) في نفس التلمود البابلي، يُحدِّثنا عنها العالِمُ الكبيرُ (Prof. Gabriel Said Reynolds) فيقول[2955]:

According to *BT Sanhedrīn* (59b) the concern of the angels for Adam led to the serpent's jealousy of him: "Adam reclined in the Garden of Eden, whilst the ministering angels roasted flesh and strained wine for him. Thereupon the serpent looked in, saw his glory [i.e. Adam's glory], and became envious of him [i.e. of Adam]." Cf. D. Sidersky, *Les origines des légendes musulmanes dans le coran et dans les vies des prophètes*, Paris: Geuthner, 1933, 14. According to the Wisdom of Solomon (2.24), the devil (not the serpent) was jealous of Adam.

إذن: لما رأى إبليسُ آدمَ مُكرَّماً مُنعَّماً فى الجنة حقد عليه **[← قَالَ إبليس للرب: "أَرَأَيْتَكَ (أي: أخبِرْني عن هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ [لِمَ كَرَّمْته عَلَيَّ]" (الإسراء 62)].**

وتقول أسطورة يهودية أخرى إن الملائكة سجدوا لأخنوخ (حفيد حفيد حفيد آدم)! نجد هذه الأسطورة اليهودية في سفر "أخنوخ الثالث" (3 Enoch) وهو أحد كتب سوديبِجرافا العهد القديم ويعود تاريخه إلى القرن الخامس أو السادس بعد الميلاد – أي قبل ظهور الإسلام بقليل.

تبدأ الأسطورة اليهودية بالحديث عن كاهن اسمه "إسماعيل" صعد إلى السماء وهناك قابل الملاك (Metatron) الذى قاده إلى السماء السابعة أمام عرش الله[2956]! ثم نعلم فى الفصل الرابع أن (Metatron) هو أخنوخ الذى "سَارَ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ (أي: حيث جرى البحثُ عنه) لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ" (التكوين 24:5) والذى رفعه الله فوق كل الملائكة فصار "حاكم" (ruler) و "رئيس ملائكة" (archangel) و "أمير الحَضرة الإلهية" (Prince of the Divine Presence)[2957]. باختصار، صار أخنوخ "خَلِيفَة" عن الله **[←**

في الأسطورة القرآنية: صار آدم (جد أخنوخ) خليفة عن الله (البقرة 30)]! الأمر الذى أغضب ثلاثة مِن الملائكة. ونستنتج من النص أن هؤلاء الملائكة الثلاث هُمْ (أو: كانوا مِن) الفرقة الثالثة من الملائكة الذين وافقوا الرب على خلق الإنسان كما قال التلمود فى (Sanhedrīn 38b). ثم تحكى الأسطورة على لسان أخنوخ[2958]:

> Then three of the ministering angels […] came and laid charges against me [i.e. Enoch] in the heavenly height. They said before the Holy One, blessed be he, 'Lord of the Universe, did not the primeval ones [i.e. the first and second companies of angels in Sanhedrīn 38b] give You good advice when they said, Do not create man!' The Holy One […] replied, 'I have made and will sustain him; I will carry and deliver him.' When they saw me they said before Him, 'Lord of the Universe, what right has this one [i.e. Enoch] to ascend to the height of heights? […] What right has he to be in heaven?' Again the Holy One […] replied, and said to them, 'What right have you to interrupt me? I have chosen this one [i.e. Enoch] in preference to all of you, to be a prince and a ruler over you in the heavenly heights.' At once they all arose and went to meet me and prostrated themselves before me, saying, 'Happy are you, and happy your parents, because your Creator has favored you.'

أهم ما جاء في هذه الأسطورة هو أن هؤلاء الملائكة الثلاث سألوا الرب وقَالُوا: "ألم تكن مَشورة الملائكة الذين اعترضوا على خلق الإنسان مشورة جيدة؟" **[← "قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (البقرة 30)]**. فقال الرب للملائكة: "قَدْ فَعَلْتُ، وَأَنَا أَرْفَعُ، وَأَنَا أَحْمِلُ وَأُنَجِّي" (إشعياء 4:46) **[← "قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (البقرة 30)]**. ثم اعترض الملائكة على المكانة العالية التى يحظى بها أخنوخ فى السماء. فقال الرب لهم أنه اختار أخنوخ وفضَّله عليهم جميعاً، وجعله عليهم أميراً وحاكماً **[← "خَلِيفَةً" (البقرة 30)]**، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ لأخنوخ **[← "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ" لآدم (ص 73) (الحجر 30)؛ (الأعراف 11) (طه 116) (الإسراء 61) (الكهف 50) (البقرة 34)]**.

ننتقل الآن إلى المدراش، وتحديداً إلى كتاب (Genesis Rabbah) الذى جُمِع فى القرن الخامس الميلادى[2959] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة. تقول الفقرة الخامسة من الفصل الثامن مِن هذا الكتاب المدراشي الخرافي[2960]:

When the Holy One, blessed be He, came to create Adam, the ministering angels formed themselves into groups and parties, some of them saying, ‘Let him be created [because he will dispense acts of love and perform righteous deeds],’ whilst others urged, ‘Let him not be created [because he is compounded of falsehood and full of strife].’ […] While the ministering angels were arguing with each other and disputing with each other, the Holy One, blessed be He, created him (i.e. Adam). Said He to them: ‘What can ye avail? Man has already been made!’

أهم ما جاء في هذا الجزء مِن هذه الأسطورة المدراشية هو: لمَّا أقبل الربُّ على خَلْق آدم، انقسم الملائكة إلى فرق وأحزاب، بعضهم يؤيد خلق الإنسان لأنه سيفعل أفعالاً صالحة، وبعضهم يعترض على خلق الإنسان لأنه (أي: أفعاله، حياته على الأرض) ستمتلئ بالصراع (strife) **[⟵ "قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا (أي: في الأرض) مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (البقرة 30)]**. وبينما كان الملائكة يتجادلون **[⟵ عبَّر أصحابُ القرآن عن اختلاف الملائكة فيما بينهم (أو معارضة بعضهم لله) بكلمة "يَخْتَصِمُونَ": "مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ" (ص 69)]**، خلق الربُّ آدمَ وقال للملائكة: ما فائدة جدالكم؟ لقد خُلِق آدم [وانتهى الأمر].

ونلاحظ هنا مرة أخرى أن الأساطير اليهودية تكون أحياناً كثيرة أفضل من الأساطير القرآنية. وذلك لأن هذه الأسطورة المدراشية قدَّمت تقييماً منصفاً ومتوازناً لأفعال الإنسان على الأرض؛ فقالت الملائكةُ أفعالَ الإنسان الصالحة كما قالت أفعالَه الشريرة. أما الأسطورة القرآنية فجعلت الملائكة تقول أفعال الإنسان الشريرة فقط: "قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا (أي: في الأرض) مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (البقرة 30)!

ثم تقول الفقرة العاشرة من الفصل الثامن مِن نفس هذا الكتاب الخرافي (Genesis Rabbah)[2961]:

When the Holy One, blessed be He, created Adam, the ministering angels mistook him [for a divine being] and wished to exclaim ‘Holy’ before him. What does this resemble? A king and a governor who sat in a chariot, and his subjects wished to say to the king, ‘*Domine!* (Sovereign)!’ but they did not know which it was [i.e. did not know which one was the king]. What did the king do? He pushed the governor out of the chariot, and so they knew who was the king. Similarly, when the Lord created Adam, the angels mistook him [for a divine being]. What did the Holy One, blessed be He,

> do? He [i.e. the Lord] caused sleep to fall upon him [i.e. Adam], and so all knew that he was [but mortal] man.

وأهم ما جاء في هذا الجزء مِن هذه الأسطورة المدراشية هو: بعد أن خلق الربُّ آدمَ، نظر الملائكة إلى آدم، فحسبوه إلهاً وأرادوا أن يقولوا لآدم "يا قدوس" (أي: يعبدونه كإله) **[← "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ" لآدم (ص 73) (الحجر 30)؛ (الأعراف 11) (طه 116) (الإسراء 61) (الكهف 50) (البقرة 34)]**. لكن الرب أنام آدمَ[2962]، وبذلك عرف الملائكة أجمعون أن آدم له حدود (limitations) لا يمكن أن يتجاوزها وأنه مجرد إنسان ينام (وسيموت) وليس إلهاً **[← ثم أكمل القرآنُ الأسطورةَ فأخذ كلمةَ "يا قدوس" التي أراد الملائكةُ أن يقولوها لآدم وجعل الملائكة يقولونها لله: "نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ" (البقرة 30)]**.

ونلاحظ هنا أيضاً أن هذه الأسطورة المدراشية أفضل من الأسطورة القرآنية. في القرآن، الله هو الذي أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم (أي: يسجدوا لمخلوق)! ولا يمكن أن نصدق أن الله فعل ذلك! أما في الأسطورة المدراشية، فنجد أن الملائكة هُمْ الذين أرادوا مِن تلقاء أنفسهم أن يعبدوا آدمَ ويقولوا له "يا قدوس"، فأثبت اللهُ لهم بالدليل العملي أن آدم لا يستحق العبادة.

ثم تقول الفقرة الرابعة من الفصل السابع عشر مِن نفس هذا الكتاب اليهودي المدراشي الممتلئ بالخرافات والأساطير (Genesis Rabbah)[2963]:

> When the Holy One, blessed be He, came to create Adam, He took counsel with the ministering angels, saying to them, *'Let us make man'* (Genesis 1:26). 'What will be the nature of this man?' they inquired. 'His (i.e. Adam's) wisdom will exceed yours,' He answered. What did the Lord do? He brought the animals, beasts, and birds before them (i.e. the angels) and asked them, 'What should be the name of this?' but they did not know; 'of this?' and they did not know. Then He paraded them before Adam, and asked him, 'What is the name of this?' 'An ox.' 'And of this?' 'A camel.' 'And of this?' 'An ass.' 'And of this?' 'A horse.' Thus it is written, AND THE MAN GAVE NAMES TO ALL CATTLE, etc. (Genesis 2:20). Said He to him, 'And what is thy name?' 'It is fitting that I be called Adam, because I was created from the ground (*adamah*),' he replied. 'And what is My name?' 'It is fitting for Thee to be called *Adonai* (Lord), since Thou art Lord over all Thy creatures,' was the answer. R. Ḥiyya said : Thus it is written, *I am the Lord, that is My name* (Isaiah 42:8), which means, That is My

name by which Adam called Me. Then he paraded them again before him in pairs, [male and female].

وأهم ما جاء في هذا الجزء مِن هذه الأسطورة المدراشية هو: لمَّا أراد الرَّبُّ أن يخلق آدمَ، استشار الملائكةَ قائلاً لهم: "نَعْمَلُ الإنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" (التكوين 1:26) **[← "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة 30)]**. فسأل الملائكةُ الرَّبَّ عن طبيعة هذا الإنسان، فقال الرَّبُّ لهم إن حكمة الإنسان ستفوق حكمتهم. ونلاحظ أن المدراش قفز قفزةً فتجاوز مسألةَ خلق آدم مِن تُرَاب وَنَفخ الله فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ ... الخ **[← قفزت رواية سورة البقرة نفس القفزة التي قفزها المدراش فنجد آدمَ يظهر فجأة (البقرة 31) بدون ذِكر تفاصيل خلقه والنفخ فيه من روح الله ... الخ]**. ثم شرح المدراشُ كيف أثبت الرَّبُّ للملائكة تفوق آدم عليهم. أَحْضَرَ الرَّبُّ الحيوانات والطيور أمام الملائكة وسألهم عن أسمائهم **[← "عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ [في أنكم أَوْلى بالاستخلاف في الأرض]" (البقرة 31)]**. فلم يعلم الملائكةُ أسماءهم **[← "قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَاۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (البقرة 32)]**. فعَرَضَهُمْ الرَّبُّ أمام آدم وسأله عن أسمائهم **[← "قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ" (البقرة 33)]**. فقال آدمُ أسماءهم: هذا ثور ... هذا جمل ... هذا حمار ... الخ **[← "أَنبَأَهُم [آدَمُ] بِأَسْمَائِهِمْ" (البقرة 33)]**.

ونلاحظ نقطة مهمة أخرى وهي أن الأسطورة المدراشية لم تذكر الإلهَ باسمه العام "الله (إلوهيم)" وإنما باسمه الخاص "رب" (*Adonai* (Lord))، بل تقول الأسطورة إن آدم هو الذي أعطى الإلهَ هذا الاسم، فهو إذن ربّ آدم؛ أي: ينبغي أن يكون ربّ كل إنسان، بل ربّ كل مخلوق:

'It is fitting for Thee to be called *Adonai* (Lord), since Thou art Lord over all Thy creatures,' was the answer [that Adam provided].

[← وكذلك رواية سورة البقرة، لم تذكر الإلهَ بكلمة "الله" وإنما تذكره بكلمة "رب": "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ [يا محمد] لِلْمَلَائِكَةِ [...]" (البقرة 30). بل إن جميع آيات الروايات القرآنية السبع لا تذكر الإلهَ أبداً بكلمة "الله" وإنما تذكره دائماً بكلمة "رب": (ص 67-85) (الأعراف 11-18) (طه 116-119) (الإسراء 61-65) (الحجر 26-43) (الكهف 50) (البقرة 30-34). مما يدل على وجود علاقة قوية بين المدراش اليهودي والقرآن. إنها علاقة التطور البشري الطبيعي من المدراش اليهودي إلى القرآن].

مما سبق يتضح أن المدراش اليهودي (Genesis Rabbah) كان له أثر كبير على أصحاب القرآن. ورواية سورة البقرة بالذات تكاد تكون منقولة من هذا المدراش. فالاختلافات بينهما بسيطة جداً ويمكن فهمها في إطار عملية التطور البشري الطبيعي بالحذف و/أو الإضافة. على سبيل المثال، يقول المدراش إن آدم هو الذي أعطى أسماءً إلى الحيوانات والطيور. وذلك حتى يتفق المدراشُ مع التوراة: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ" (التكوين

(2:19-20) [← أما القرآن فيقول إن الرَّبّ هو الذي علّم آدمَ تلك الأسماء: "وَعَلَّمَ [الربُّ] آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" (البقرة 31). وذلك ليسلط الضوءَ على عِلم الرَّبّ المطلق واعتماد الإنسان وكذلك الملائكة عليه كمصدر أساسي - وربما مصدر وحيد - للمعرفة. بدليل تكرار الجذر {ع ل م} 7 مرات في هذا السياق القرآني. ومن المعلوم أن الرقم 7 يدل على الكمال: "[...] قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ" (البقرة 30-33)].

ونختم كلامنا عن العلاقة بين التراث اليهودي والروايات القرآنية السبع بصفة عامة والعلاقة بين المدراش اليهودي ورواية سورة البقرة بصفة خاصة، بما قاله (Prof. Holger Zellentin)(2964):

[…] The Biblical story (i.e. Genesis 1–2) inspired centuries of vivid debate among Jews and Christians, who richly added to the story. I read this Qurʾānic passage (i.e. Q 2:30–39) as seeking to calibrate its own view of Adam, on the one hand created in God's image and superior to all other beings, yet on the other hand not as holy or as knowledgeable as God Himself, as intimated to a degree by the Syriac and the rabbinic tradition—the Qurʾān counters both. […]

In the Palestinian rabbinic tradition (*Genesis Rabbah* 8.5), we find an account of the reaction of the *mlʾky hšrt*, "the ministering angels," addressing God as *rbwn hʿwlmym*, "Lord of the Universe," to the impending creation of Adam, some of them favouring, some of them opposing it. Notably, the Midrash points, on the one hand, to the *ṣdqwt*, the "righteous deeds," humans will commit, and on the other hand to the lies and the strife they will cause. Moreover, the rabbis portray Adam as inferior to God, yet superior to the angels. Once Adam is created, the angels initially mistake him for God and want to say *qdwš*, "holy," whereupon God corrects their mistake (ibid. 8.10). Unlike the angels, however, Adam by *himself* knows the *šm*, "the name," of each animal God shows him, while the angels do not (ibid. 17.4). The Qurʾān recasts the story by emphasising Adam's dependence on God [as the fountain of all

knowledge] for learning the names. [The Qurʾān specifies that God first has to *teach* the names to Adam.] Intriguingly, it repeats and amplifies the rabbinic tradition, slightly transposing many of the rabbinic themes while making use of (admittedly common) similar lexemes. Like the rabbis' angels, the Qurʾān's *malāʾika*, "angels" invoke the strife humans will cause. Yet in the Qurʾān they do so by juxtaposing the destruction and bloodshed in which humans engage with the praise and sanctity in which they themselves engage: here, they want to *nuqaddisu* "sanctify" God, not Adam, effectively toning down Adam's exalted status in the rabbinic tradition. Furthermore, like in the rabbinic text, the Qurʾān names God *rabbuka*, "your Lord," and also has him challenge the angels to tell, *al-asmāʾa*, "the names" (likely also of animals), if they are *ṣādiqīna*, "truthful"—a root (with a different meaning) applied to Adam in the rabbinic text. The Qurʾān hence combines the theme of the naming competition between Adam and the angels with the Syriac theme of the refusal and fall of a chief angel (i.e. Satan / The Devil), all the while widening the gap between Adam and God in both contemporary traditions.

يتضح من كل الأدلة السابقة مدى الانتشار الواسع لأساطير تفوق آدم على الملائكة - وأهمها أسطورة سجود الملائكة لآدم - في الحواديت الشعبية اليهودية. فكان طبيعياً أن تنتقل هذه الأساطير أولاً إلى التراث الشعبي المسيحي (السرياني بصفة خاصة) قبل أن تنتقل إلى العرب فيُسجّلوها باللغة العربية في سبع سور قرآنية مختلفة[2965].

إنها حقاً متعة أن نرى بأعيننا كيف تطورت أساطير الأولين حتى استقرت في القرآن ...

4.4.3 جذور القرآن فى التراث المسيحى السريانى والأبوكريفا المسيحية

نكرر: لم يذكر الكتاب المقدس بعهديه قصة سجود الملائكة لآدم.

لكن توجد آيتان فى العهد الجديد يجب أن نتوقف عندهما:

- تقول الآية الأولى إن الله أمر الملائكةَ أن تسجد للبِكر (Firstborn): "مَتَى أَدْخَلَ [اللهُ] الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ»" (العبرانيين 6:1). مَن هو "البِكْر"؟ يقول قاموس الكتاب المقدس: "وأما الْبِكْر في (العبرانيين 6:1) فالمراد به الدلالة على عظمة المسيح ورئاسته. [...] ولمَّا كانت البكورية أمراً ذا شأن واعتبار عند اليهود، فإنهم كانوا يلقبون كل ما كان كبير الأهمية بالبكر"[2966]. وبالفعل نجد الدليل الكتابي على ذلك في الآية الثانية ...

- "البِكر" هو يسوع المسيح – "آدم الثاني" (Second Adam) أو "آدم الجديد" (New Adam) أو "آدم الأخير" (Last Adam) (1 كورنثوس 20:15-49) و (رومية 12:5-21) – "الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ (image of the invisible God) (أي: مخلوق على صورة الله، مثل آدم قبل سقوطه)، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ (أي: أسمى المخلوقات؛ كبيرهم وأوّلهم في المقام؛ سيد الخلق)" (كولوسى 15:1)[2967]. اقرأ أيضاً: "هذَا يَقُولُهُ الآمِينُ، الشَّاهِدُ الأَمِينُ الصَّادِقُ، بَدَاءَةُ[2968] خَلِيقَةِ اللهِ (أي: رئيس خَلِيقَةِ اللهِ؛ سيد الخلق؛ والمقصود: المسيح)" (الرؤيا 14:3).

إذن: يسوع المسيح "هُوَ صُورَةُ اللهِ (image of God)" (2 كورنثوس 4:4) التي خُلِقَ الإنسانُ (آدم) عليها في الأصل (أي: قبل السقوط): "وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، [...]». فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ (image of God) خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (التكوين 26:1-27)، (التكوين 1:5-2).

يبدو إذن أن أصحاب القرآن قد سمعوا هاتين الآيتين (العبرانيين 6:1) و (كولوسى 15:1)، وفهموهما فهماً حرفياً: "البِكْر" "بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ" يعني أول مخلوق (أي: الأول حسب الترتيب الزمني!)، يعني آدم، فتخيلوا أن الله أمر الملائكة أن تسجد لآدم[2969]! وطبعاً هذا فهم خاطئ. ليس هذا فحسب، بل زعموا "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (آل عمران 59). وهذا أيضاً فهم خاطئ تماماً لأن المسيح يسوع (عيسى) مر بمراحل تطور الجنين في بطن أمه مريم بينما آدم لم يمر بتلك المراحل. بدليل الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[2970] ويقول: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ [له]: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنْ الْمَلَائِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ [به]، [فَإِنَّهَا] تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. فَقَالَ [آدمُ للملائكة]: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ (أي: على هيئته في الطول)، فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ [من حيث الطول] حَتَّى الْآنَ"[2971]!

لكن المسألة مش مجرد فهم خاطئ لآية أو آيتين أو ثلاث. المسألة أعمق من كده بكتير، لأنها تعبر عن الفرق الشاسع بين كبرياء آدم وعصيانه لله مِن ناحية وتواضع المسيح وطاعته لله مِن ناحيةٍ أخرى. آدم والمسيح مخلوقان على صورة الله (التكوين 26:1-27) (التكوين 1:5-2) (2 كورنثوس 4:4) (فيلبّي 6:2). لكن طموح آدم جعله يحاول أن يرتفع أكثر ويكون كالله (التكوين 5:3، 22) فعصى اللهَ وأكل من الشجرة المحرمة فسقط في الخطيئة ثم الموت بدلاً من أن يرتفع. أما المسيح (آدم الأخير) "إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ (أي:

مخلوق على صورة الله، مثل آدم قبل خطيئته)، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ" (فيلبّي 6:2)؛ والترجمة الأدق في رأينا هي: "لم يَعُدَّ مُساواتَه للهِ غَنيمَةً [يُسعى إلى امتلاكها]"[2972]. أي: لم يكن طموحاً وطماعاً مثل آدم. فلم يعصَ المسيحُ اللهَ ولم يستغل منصبَه لتحقيق مصلحته الشخصية ولم يحاول أن يرتفع أكثر ويكون كالله كما فعل آدم. وإنما فعل العكس تماماً: أطاع اللهَ فتواضع أكثر وصار كالناس، بل صار خادماً للناس حتى بذل نفسه مِن أجلهم ومِن أجل تحقيق مصلحتهم. "لكِنَّهُ (أي: المسيح، بخلاف آدم) أَخْلَى نَفْسَهُ (أي: أفرغ نَفْسَهُ من المجد الذي يستحقه كونه مسيحَ الله ومختاره المخلوق على صورته وبلا خطيئة)، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ (أي: خادمٍ مملوكٍ يخدم الآخرين وليس سيداً مَلِكاً يخدمه الآخرون)، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ (أي: "مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ" (العبرانيين 15:4)، "فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ" (رومية 3:8)). وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ [اللهَ] (أي: لم يفعل مثل آدم فلم يعصَ الله وإنما أطاع الله) حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ (أي: قَبِلَ أن يُسلِّم حياتَه على الصليب مثل أحط المجرمين مع أنه بلا خطيئة)" (فيلبّي 2:7-8)[2973]. فلمَّا تواضع المسيحُ حتى الموت ارتفع بقيامته حتى الحياة الأبدية. "لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ (مثلاً: الملائكة) وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ" (فيلبّي 2:9-11). وهكذا حقق المسيحُ بتواضعه وطاعته لله ما أراد آدمُ أن يحققه بكبريائه وعصيانه لله[2974]. فينبغي على كل إنسان أن يقتدي بالإنسان يسوع المسيح في طاعته لله وليس بالإنسان آدم في عصيانه لله.

في ضوء هذه المقدمة المهمة، نستطيع الآن أن نفهم لماذا نشأت أسطورةُ "سجود الملائكة لآدم قبل سقوطه" وانتشرت بدون أدنى مشكلة في المجتمعات المسيحية (السريانية بصفة خاصة)؟ والإجابة: لأن هذه الأسطورة ستُفهَم على أنها تأكيد لنبوءة سجود الملائكة للمسيح عاجلاً أو آجلاً طوعاً أو أمراً، أو بعبارة أكثر دقة: سجود الملائكة لِمَجْدِ اللهِ الواحد الأحد الكائن في عبده/ابنه المطيع يسوع المسيح (فيلبّي 2:10-11)[2975]. يقول اللهُ الواحد الأحد الذي لا شريك له: "أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلهَ آخَرَ غَيْرِي [...] أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ. بِذَاتِي أَقْسَمْتُ، خَرَجَ مِنْ فَمِي الصِّدْقُ كَلِمَةٌ لاَ تَرْجعُ: إِنَّهُ لِي تَجْثُو كُلُّ رُكْبَةٍ، يَحْلِفُ كُلُّ لِسَانٍ" (إشعياء 45:21-23).

فننتقل فوراً إلى الحديث عن جذور أسطورة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" في التراث المسيحي السرياني وكذلك في الأبوكريفا المسيحية.

نبدأ أولاً بالتراث المسيحي السرياني، وتحديداً بكتاب "مغارة الكنوز" أو سفر "كهف الكنوز" (Cave of Treasures) (Spelunca Thesaurorum). يرى (Alexander Toepel) الذي ترجم هذا الكتاب السرياني إلى الإنجليزية أنه كُتِب في أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع بعد الميلاد[2976]، بينما تقول دراسة حديثة إنه من المحتمل جداً أن يرجع تاريخه إلى القرن الخامس أو السادس بعد الميلاد[2977].

ويرى (Prof. Gabriel Said Reynolds) الذي درس تأثير هذا الكتاب السرياني على القرآن أنه كُتِب بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد[2978]. ويقول د. إبراهيم سالم الطرزي الذي ترجم هذا الكتاب السرياني إلى العربية: "يُعتقَد الآن عموماً بأن الشكل الذي فيه عندنا هو الآن ليس أقدم من القرن السادس الميلادي"[2979].

نستطيع إذن أن نقول إن كتاب "مغارة الكنوز" السريانى معاصر لكتاب "القرآن" العربى، أو على الأرجح قبله بقليل[2980]. وفى جميع الأحوال، تاريخ الكتابة لا يهم كثيراً، لأن كلا الكتابين (مغارة الكنوز السرياني والقرآن العربي) يضم أساطير شعبية كانت الأجيال تتوارثها شفوياً قبل زمن تدوينها بفترة طويلة. فلا يهم مَن كتبها أولاً: السريان أم العرب. وأغلب الظن أن السريان هُمْ الذين كتبوها أولاً، لأن السريان كانوا وقتئذٍ أكثر تقدماً من العرب، لا سيما فيما يتعلق بالأمور الدينية والأدبية.

وكما توجد اختلافات بين الروايات القرآنية السبع، توجد أيضاً اختلافات بين الروايتين المعروفتين (two different recensions) لكتاب مغارة الكنوز السرياني؛ وهُمَا: الرواية الشرقية (النسطورية) (Oriental; East-Syrian; Nestorian)، والرواية الغربية (الأرثوذكسية) (Occidental; West-Syrian; Syrian-Orthodox). ونحن نقصد الرواية الشرقية إلا إذا ذكرنا غير ذلك. وما نذكره هنا هو أهم ما جاء في مخطوطاتها وترجماتها إحداها أو جميعها.

يقول الفصل الثانى من كتاب مغارة الكنوز[2981] إن الله خلق آدم بيده المقدسة **[← "مَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" (ص 75)]**. ثم جعل اللهُ آدمَ مَلِكاً (king) وكاهناً (priest) ونبياً (prophet) وأجلسه الله على عرش مجده في وسط الأرض **[← "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة 30)]**. وهناك وضع اللهُ كلَّ المخلوقات تحت سلطان آدم: كل الحيوانات والماشية والطيور تجمعت أمام آدم، فأعطاهم آدمُ أسماءً **[← "وَعَلَّمَ [اللهُ] آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا [...] قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ" (البقرة 31-33)]**. فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ آدمُ بِأَسْمَائِهِمْ، أحنوا رؤوسَهم أمامه. ملحوظة: كما قلنا فيما سبق، هذه الأسطورة السريانية – التي تسللت إلى القرآن – مستوحاة أصلاً من التوراة. يقول سفر التكوين: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ" (التكوين 2:19-20). حقاً، إن الأساطير لا تنشأ من العدم. كما نلاحظ أن التوراة – اللي بيقولوا عليها مُحرَّفة – أكثر دقة وأكثر تحديداً ومنطقية أكثر من القرآن. تقول التوراة إن آدم أعطى أسماءً للحيوانات والطيور. أما القرآن فيقول إن الله "عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ **كُلَّهَا**" (البقرة 31)، وهذا طبعاً مستحيل، فلا نتصور أن الله عَلَّمَ آدم أسماء **كل** الاكتشافات الحديثة مثل الكروموسومات والجينات وغيرها، ولا نتصور أن الله عَلَّمَ آدم أسماء **كل** الاختراعات الحديثة مثل الكمبيوتر والتليفون والتليفزيون وغيرها.

وتعاني (البقرة 31) من مشكلة أخرى وهي مشكلة نحوية، إذ تقول: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ (أي: أسماءَ الأشياء) كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ" (البقرة 31)؛ والصواب: عَرَضَهَا، لأن الأشياء لا تعقل. قيل إن

القرآن يجمع أحياناً ما لا يعقل جَمْع مَن يعقل[2982]. أما نحن فنتفق مع (Prof. Munther Younes) الذي يقول إن هذا يشير إلى أن قواعد النحو العربي أيام تدوين القرآن كانت أكثر مرونة مما جعلها النحويون العرب فيما بعد[2983].

نعود إلى كتاب مغارة الكنوز الذي يقول بعد ذلك إن الله قال لآدم إنه جعله مَلِكاً (king) وكاهناً (priest) ونبياً (prophet) ورباً (lord) (أي: سيداً) ورئيساً (chief; head) وزعيماً (leader; ruler) حتى تخضع كل المخلوقات لسلطانه (بالسريانية: šwlṭn ܫܘܠܛܢ) [← **"إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"[2984] (البقرة 30)]**. ولمَّا سمعت الملائكةُ اللهَ يقول ذلك، أحنوا الركبةَ كلهم وعبدوا آدمَ (أي: سجدوا لآدم) أجمعون [← **"وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا" (البقرة 34) "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ" لآدم (ص 73) (الحجر 30)؛ (الأعراف 11) (طه 116) (الإسراء 61) (الكهف 50)]**.

وفى الفصل الثالث مِن هذا الكتاب السرياني نعلم أن إبليس حَسَدَ آدم على العظمة التي منحها اللهُ إياه، فرفض إبليس أن يسجد لآدم [← **"فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ" (الحجر 30-31) "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ" (ص 73-74) "فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ" (البقرة 34) و (الأعراف 11) و (طه 116) و (الإسراء 61) و (الكهف 50)]**.

لماذا رفض إبليس أن يسجد لآدم؟ تقول الأسطورة السريانية إن إبليس قال: أنا مخلوق مِن نار (fire) وروح (spirit)، فلن أسجد لِمَن خُلِق مِن تراب (dust) وطين (dirt) [← **قَالَ إبليس للرب: "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" (ص 76) و (الأعراف 12) "أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا" (الإسراء 61) "لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ" (الحجر 33)]**.

يقول الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) تعليقاً على هذه النقطة المهمة[2985]:

> The most striking similarity between the Quran and the *Cave of Treasures* concerns Satan/Iblīs' argument against bowing down before Adam. Whereas in the *Life of Adam and Eve* his refusal is founded on him being created first, in the *Cave of Treasures* and the Quran the issue is their nature: it is not fitting for a creature made of fire to worship a creature made of dust or clay.

ثم تنتهى الأسطورة السريانية بنفس نهاية الأسطورة القرآنية العربية، وهي سقوط (أو: خروج) إبليس من السماء / من الجنة (heaven) [← **قَالَ رَبُّكَ لإبليس: "فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ**

إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. [...] اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ" (الأعراف 13-18) "فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (ص 77-78) "فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (الحجر 34-35) "اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا" (الإسراء 63)].

لكن كتاب مغارة الكنوز نفسه لم ينتهِ، وإنما ينتقل إلى مواضيع أخرى لا تهمنا الآن، مثل: خلق حواء، سقوط آدم، قصة ابني آدم، ...، قصة نوح والطوفان، ...، قصص إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ... وقصص أنبياء ورسل آخرين حتى نصل في النهاية إلى المسيح وموته على الصليب. إنه إذن إعادة كتابة سريانية للكتاب المقدس (rewritten Bible) بأسلوب أدبي طبعاً، فهو لا ينقل حرفياً من الكتاب المقدس، وإنما قد يحذف وقد يضيف وقد يختصر وقد يبسط وقد يكمل بعض التفاصيل وأحياناً يغير في التفاصيل. بل ليس من المبالغة أن نقول إن أصحاب كتاب مغارة الكنوز حاولوا أن يقدموا كتاباً مسيحياً يحل محل الكتب اليهودية. يقول (Alexander Toepel) الذي ترجم هذا الكتاب المسيحي السرياني إلى الإنجليزية[2986]:

> The *Cave of Treasures* thus appears to be an original work of the late sixth or early seventh century, proposing a Christian view of salvation history with a strong polemical bias against Judaism. […]
>
> […]
>
> The *Cave of Treasures* thus seems to be an attempt to replace older rewritten Bible-texts of Jewish provenance by a Christian work, and its reception-history shows that the book was perceived as such.

وهذا بالضبط ما فعله أصحاب القرآن **العربي** الذي يمكن أيضاً أن نصنفه على أنه "إعادة كتابة للكتاب المقدس" (rewritten Bible). أو بالأحرى نقول إن الإسلام بصفة عامة – والقرآن بصفة خاصة – هو إعادة كتابة **عربية** للتراث اليهودي والمسيحي؛ وهذا يشمل الأسفار المقدسة مثل التوراة والإنجيل ويشمل أيضاً الأسفار غير المقدسة مثل كتب السوديبجرافا والأبوكريفا والتلمود والمدراش وغيرها.

على سبيل المثال، يقول كتاب مغارة الكنوز إن الله خلق آدم يوم الجمعة وإن آدم دخل الجنة يوم الجمعة ومات أيضاً يوم الجمعة[2987]! ومن المعلوم أن الكتاب المقدس لم يقل ذلك، وإنما قال إن الله قَالَ: "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" (التكوين 1:26)، "فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (التكوين 1:27)، "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا" (التكوين 1:31). وبمرور الزمن تطورت القصة تطوراً بشرياً طبيعياً وأصبحت أكثر تحديداً:

اليوم السادس هو يوم الجمعة. ثم أضاف المسيحيون السريان أن آدم دخل الجنة يوم الجمعة ومات أيضاً يوم الجمعة. ولماذا يوم الجمعة بالذات؟ لأنه اليوم الذى مات فيه المسيح (آدم الثاني / آدم الجديد) على الصليب.

ثم تسللت هذه الأسطورة السريانية إلى الإسلام. لم تتسلل إلى القرآن، وإنما تسللت إلى كتب السُّنَّة النبوية التى كتبها المسلمون بعد موت محمد بأكثر من 100 سنة! فتقول أحاديث صحيحة كثيرة إن الله خلق آدم يوم الجمعة وإن آدم دخل الجنة يوم الجمعة ومات أيضاً يوم الجمعة. على سبيل المثال:

- "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خُلِق آدم وفيه أدخل الجنة"[2988]؛
- "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خُلِق آدم وفيه أدخل الجنة"[2989]؛
- "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خُلِق آدم [...] وفيه مات"[2990]؛
- "خَلَقَ الله آدم يوم الجمعة [...] وقبضه يوم الجمعة"[2991]؛
- "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خُلِق آدم [...] وفيه مات"[2992].

إن وجود هذه الأسطورة فى كتب إسلامية كثيرة هو فى حد ذاته دليل آخر على مدى الانتشار الواسع الذى حظيت به هذه الأساطير بين السريان والعرب قبل كتابة القرآن وقبل تدوين الأحاديث.

طبعاً توجد أوجه أخرى للتشابه – بل التطابق – بين الأساطير السريانية فى كتاب مغارة الكنوز والأساطير العربية فى القرآن والسُّنَّة النبوية الصحيحة، مثل: حقد إبليس على آدم، ... الخ. إلا أننا نرى أن ما ذكرناه يكفي ويزيد لإثبات بشرية القرآن. فننتقل الآن إلى كتب الأبوكريفا المسيحية ....

فيما يتعلق بالأبوكريفا المسيحية، ذكرتْ بعض الأعمال الأبوكريفية (غير القانونية) أسطورة سجود الملائكة لآدم ...

مثلاً يوجد عمل أبوكريفى اسمه "أسئلة بَرْثُولَمَاوُس" (Questions of Bartholomew) (Questions de Barthélemy) أو "إنجيل بَرْثُولَمَاوُس" (Gospel of Bartholomew). الرأى السائد هو أن هذا العمل الأبوكريفى كُتِب بين القرنين الثانى والسادس بعد الميلاد – أى قبل ظهور الإسلام – ويُحتمَل أن يكون كُتِب فى مصر[2993].

يتخيل كاتب هذا العمل الأبوكريفى حواراً بين إبليس وبَرْثُولَمَاوُس حيث يحكى إبليس ماذا حدث له لمَّا رفض السجود لآدم[2994]. أى أن "أسئلة بَرْثُولَمَاوُس" – مثل القرآن وكتاب "حياة آدم وحواء" – يعطى الفرصة لإبليس أن يتكلم ويدافع عن نفسه ويشرح لماذا رفض السجود لآدم. والحقيقة أن كل الروايات القرآنية السبع تحكى القصة بأسلوب الحوار ("قُلْنَا"، "قَالَ [إبليس]"، "قَالَ [رَبُّكَ]"، "قالوا" (أي: قال الملائكة))، وهذا يدل على تأثر القرآن بالتراث اليهودى/المسيحى ليس فقط فى المضمون ولكن أيضاً فى الشكل.

تفاصيل القصة المذكورة فى "أسئلة بَرْثُولَمَاوُس" تشبه إلى حد كبير القصة المذكورة فى كتاب "حياة آدم وحواء"، ولذلك فلن نعيدها هنا. وسنكتفى فقط بذِكر مثالين للاختلافات بين القصتين، وذلك للتأكيد على أن تغيُّر الأساطير وتطوُّرها أمر طبيعى، بل طبيعى جداً، ولا يعنى أبداً أن أسطورة أصح من أخرى أو أن أسطورة أفضل من أخرى؛ فهى كلها قصص خيالية وأساطير انتشرت في الشرق الأوسط في القرون الأولى للميلاد وتطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة إلى أن وصلت إلى صورتها – أو بالأحرى: صورها السبع – المذكورة فى القرآن.

المثال الأول: فى "أسئلة بَرْثُولَمَاوُس"، لمَّا طلب الملاك مِيكَائيل (Michael) من إبليس أن يسجد لآدم، رفض إبليس وقال: أَنَا مخلوق مِن نار مِن نار (fire of fire). أَنَا أول ملاك يُخلَق. أَأَسْجُدُ لِصَلْصَالٍ (clay) ومادة (matter) (أو: أَأَسْجُدُ لطين ومادة)؟ **[← قَالَ إبليس للرب: "أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا" (الإسراء 61) "لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ" (الحجر 33) "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" (ص 76) و (الأعراف 12)]**.

المثال الثاني: لم يكتفِ كاتب "أسئلة بَرْثُولَمَاوُس" بذِكر أن الملاك ميكائيل قد سجد لآدم، وإنما أضاف أسطورة من العيار الثقيل وهى أن الله نفسه أظهر "احترام" أو "توقير" (reverence) لآدم! وبرر ذلك بقوله إن آدم مخلوق على صورة الله (image of God) (imago Dei)! والحقيقة هى أن هذا التبرير ليس جديداً، فهو مذكور - صراحةً أو ضمنياً - فى الأعمال المسيحية الأخرى التي ذكرت أسطورة سجود الملائكة لآدم. بعبارة أخرى: فى التراث المسيحى الشعبى، بما أن الله خلق آدمَ "عَلَى صُورَتِهِ كَشَبَهِهِ" (التكوين 1:26-27)، إذن: لا توجد مشكلة إذا سجد الملائكة لآدم قبل سقوطه، لأن سجودهم فى هذه الحالة هو سجود لـ "صورة الله"، لـ "شَبَه الله"، أي لمجد الله الكائن في عبده/ابنه آدم[2995].

فمِن الجدير بالذكر أن معنى أن الله خلق آدمَ "عَلَى صُورَتِهِ كَشَبَهِهِ" (التكوين 1:26-27) يحمل في طياته معاني كثيرة ليس لها أي علاقة بالشكل الخارجي المادي لآدم كاليدين والرجلين ... الخ؛ وإنما لها علاقة بصفات آدم قبل السقوط، أي: كماله (كونه بلا خطيئة) وخضوع الكائنات الأخرى له ... الخ. إنها صورة الله الروحانية المعنوية الأدبية. تقول التوراة: "وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، **فَيَتَسَلَّطُونَ** عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، **وَأَخْضِعُوهَا**، **وَتَسَلَّطُوا** عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ»" (التكوين 1:26-28)[2996]. الله موجود وكائن بذاته (الآب) عاقل وناطق بكلمته (اللوجوس) حي بروحه (الروح القدس). كذلك فإن الإنسان كائن عاقل حي. ولمَّا حصل الإنسانُ على هذه الهبات الإلهية الثلاث (الوجود، العقل/النطق، الحياة/الروح)، صار له مجد (glory) وسلطان (dominion) على الكائنات الأخرى في الأرض والبحر والسماء. ويقول "يشوع بن سيراخ" (Wisdom of Sirach)

(Sirach) وهو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) / "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد: "الرَّبُّ خَلَقَ البشَرَ مِنَ التُّرابِ، وإلى التُّرابِ يُعيدُهُم. أعطاهُم أنْ يَعيشوا أيّامًا مَحْدودَةً، و[لكن أعطاهُم] سُلطانًا (authority) على كُلِّ ما في الأَرضِ. وهَبَهُم قُوَّةً (might) مِنْ قُوَّتِهِ وصَنَعَهُم على حسَبِ صورَتِهِ (in His own image). زَرَعَ الرُّعْبَ [منهم] في كُلِّ خَليقَةٍ حَيَّةٍ، وعلى الوَحشِ والطَّير سَلَّطَهُم. منَحَهُم لِسانًا وعَينَينِ وأُذُنَينِ، وعَقلاً يُفكِّرُ (a discerning mind). ملأَهُم مَعرفَةً (knowledge) وحِكمَةً وأراهُمُ الخَيرَ والشَّرَّ. ألقَى عَينَهُ في قُلوبِهِم لِيُرِيَهُم عظائِمَ أعمالِهِ. ولِيَحمَدوا اَسمَهُ القُدُّوسَ ويُخْبِروا بِعَظائِمِ أفعالِهِ. جعَلَ المَعرفَةَ في مُتَناوَلِهِم ومَنَحَهُم شريعَةَ الحَياةِ (the Torah of life)" (يشوع بن سيراخ 17:1-11)[2997]. وكذلك كتابُ "أخنوخ الثاني" (2 Enoch) الذي يُسمَّى أيضاً كتاب "أسرار أخنوخ" (Book of the Secrets of Enoch) أو "النسخة السلافونيّة" (Slavonic Book of Enoch) ويُقال إن تاريخه يرجع إلى أواخر القرن الأول الميلادي، "وأغلب العلماء يرجحون أنه كُتِب في بداية العصر المسيحي (أي فيما بين 1 – 50م)"[2998]، ويقول: "خَلَق [الرَّبُّ] الإنسانَ على صورته وجعل فيه عَينَين ليرى وأُذُنَين ليسمع وقلباً ليُفكِّر وروحاً لينصح (أو: عقلاً ليُبين؛ reason to argue)" (2 أخنوخ 2:65)[2999].

فيبدو لنا إذن أن هذا السلطان/المجد الذي منحه اللهُ لآدم قد لعب دوراً مهماً في انتشار أسطورة "سجود الملائكة لآدم" انتشاراً واسعاً بدون مشكلة في الأوساط المسيحية قبل الإسلام. وبخاصة في ضوء العلاقة الرمزية التي تربط بين آدم (قبل سقوطه) ويسوع المسيح (آدم الثاني)[3000]. كلاهما مخلوق على صورة الله غير المنظور. كلاهما ابن الله.

أما في الإسلام، فعلى الرغم من أن أصحاب القرآن وضعوا أسطورةَ "سجود الملائكة لآدم" في مكانها الطبيعي وهو قبل سقوط آدم وبعد أن "عَلَّمَ [اللهُ] آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا" (البقرة 31)، إلا أنه توجد مشكلة كبيرة إذا سجد الملائكة لآدم، لأن الإسلام لا يقول إن الله خلق الإنسانَ "عَلَى صُورَتِهِ كَشَبَهِهِ". لذلك اضطر المفسرون المسلمون إلى البحث عن حيل لتبرير سجود الملائكة لآدم، مثل حيلة سجود "التوقير والاحترام" أو حيلة أن آدم كان مجرد "قِبلة" كما ذكرنا فيما سبق.

وقد يكون الحل الأفضل هو أن نُفسِّر كلمة "خَلِيفَة" (البقرة 30) على أنها تعني أن الله خلق الإنسان "عَلَى صُورَتِهِ كَشَبَهِهِ" (التكوين 1:26-27). وهذا الحل ليس من اقتراحنا نحن، وإنما نحن هنا نتفق مع ما قاله (Prof. Gabriel Said Reynolds):

> [T]he idea of humans as *imago Dei* is rejected by Islamic theology. Yet the Qur'ān itself hardly rejects it. The creation of Adam as the *khalīfa* of God

(Q 2.30) can mean nothing else, if what is understood by *imago Dei* is nothing physical. And indeed for the Church fathers this phrase cannot redound to Adam's looks. Origen comments: "But if anyone suppose that this man who is made 'according to the image and likeness of God' is made of flesh, he will appear to represent God himself as made of flesh and in human form. It is most clearly impious to think this about God". The idea of *imago Dei* relates not to the human body but to man's particular relationship with God and His creation, namely his place as *khalīfa*, God's vicegerent. Indeed this seems to be the view of the *Cave of Treasures* itself. Therein the angels do not bow to Adam when they see his glorious appearance, but only when they hear the authority that God has given him. The prostration of the angels to Adam in the Qur'ān might be understood fruitfully from this perspective.(3001)

ونحن ندعو المسلمين إلى قبول هذا التفسير الجديد لكلمة "خَلِيفَة" (البقرة 30): ليس (successor) ولا حتى (representative)، وإنما (image of God) (imago Dei). إن هذا التفسير يُعلِي من قيمة الإنسان في الفكر الإسلامي. فإذا كان الإنسانُ مخلوقاً على صورة الله (image of God): "فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (التكوين 1:27)، (التكوين 5:1-2)، فلا بد من تكريم "صورة الله"، أي تكريم الإنسان سواء كان رجلاً أم امرأة. نعم. فَمَن أهان صورةَ اللهِ، فكأنما أهان اللهَ. فإذا كان الإنسانُ مخلوقاً على صورة الله (image of God)، فلا بد من احترام حقوق "صورة الله"، أي احترام حقوق الإنسان. وحينئذٍ لن يوجد تعارض بين حقوق الإنسان وحقوق الله. حقوق الإنسان هي حقوق صورة الله، أي حقوق الله.

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "يقول (التكوين 1:26) إنَّ الله خلق الإنسانَ على "صورته كشبهه". والمقصود بهذا أنّ الإنسان متمّم لمشيئة الله، كما أنّ المَلِك في الحضارات القديمة هو صورة لآلهته من حيث كونه مسؤولاً عن تنفيذ شريعة هذه الآلهة في العالم. والحقيقة أنّ الاختلاف الأساسي بين قصة الخلق الأولى (يقصد: التكوين 1:1 – 2:3) وقصص الخلق في الحضارات القديمة في الشرق الأوسط، هي في موضوع المَلِك. لا مَلِك في (التكوين 1). الإنسان، كل إنسان، ذكراً وأنثى، هو "صورة الله". هذا يعني أنّ قصة الخلق الأولى تنقلنا من بيئة ملكيّة حصريّة كانت تسيطر على الأديان في الشرق القديم،

إلى بيئة إنسانيّة، يلعب كُلُّ إنسان فيها، بكونه إنساناً دوراً أساسياً من حيث أنّه مدعو لأن يكون على صورة الله، أميناً لمشيئته، وحافظاً لخليقته"[3002].

نكرر دعوتنا للمسلمين إلى قبول هذا التفسير الجديد لكلمة "خَلِيفَة" (البقرة 30): ليس (successor) ولا حتى (representative)، وإنما (image of God) (imago Dei). ومِن حسن الحظ أن هذا التفسير الجديد ليس غريباً على الإسلام، وبخاصة الإسلام الصوفي:

- إذ توجد آية قرآنية تقول: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (أي: فِي أَحْسَنِ صورة)" (التين 4). وبنفس المعنى: "صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ" (غافر 64) (التغابن 3). ونحن نتفق مع الرأي القائل إن "فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" تعني: على صورة الله (image of God)[3003]؛ إذ لا نستطيع أن نتخيل أنه توجد صورة أحسن من صورة الله التي خُلِقَ عليها آدمُ قبل أن يسقط في الخطيئة. إذن: آدم "الخليفة" المخلوق بيديّ الله على صورة الله (أحسن تقويم) والذي نفخ اللهُ فيه مِن روحه هو الإنسان المثالي الكامل (perfect, ideal Adam) الذي أمر اللهُ الملائكة أن تسجد له قبل أن يسقط في الخطيئة.
- ويوجد حديث صحيح متفق عليه أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما يقول إن محمد قال: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"[3004]. وهو حديث مُستوحَى بلا شك من الديانة اليهودية/المسيحية (التكوين 1:26-27).

إذن: الجديد هنا هو فقط الربط بين خَلْقِ آدم على صورة الله (أحسن تقويم) وتفسير كلمة "خَلِيفَة" (البقرة 30).

لكن كالعادة، اختلف شيوخ الإسلام في تفسير حديث "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"، فمِنهم مَن قال إن الضمير فى "صورته" يعود إلى "الله"، ومِنهم مَن قال إن الضمير يعود إلى أقرب مذكور وهو "آدم" وليس إلى "الله"، بمعنى أن آدم خُلِقِ "فى أول الأمر بشراً سوياً كامل الخلقة طويلاً ستين ذراعاً كما هو المشاهد، بخلاف غيره فإنه يكون أولاً نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم جنيناً ثم طفلاً ثم رجلاً حتى يتم طوله فله أطوار"[3005]، أو أن آدم "خُلِق فى أول نشأته على صورته التى كان عليها فى الأرض، وتوفى عليها، وهى طوله ستون ذراعاً ولم ينتقل أطواراً كذريته، وكانت صورته فى الجنة هى صورته فى الأرض لم تتغير"[3006].

ولا يزال شيوخ الإسلام (سنة وشيعة) مختلفين إلى اليوم حول تفسير هذا الحديث[3007]! لكن يتضح من كتب التراث الإسلامي أن التفسير الذي كان سائداً في القرون الهجرية الثلاثة الأولى هو التفسير الصحيح، أي: التفسير اليهودي/المسيحي: "صورة الله". قال ابنُ تيمية: "هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك. وهو أيضاً: مذكور فيما عند أهل الكتابين من الكتب، كالتوراة وغيرها"[3008].

تعليقنا: المشكلة ليست فى شيوخ الإسلام، وإنما – كالعادة – فى غموض النص. قارن بين هذا الحديث الغامض والتوراة التى تقول بكل وضوح: "فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. **عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ**. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (التكوين 1:27)، (التكوين 5:1-2). ومما لا شك فيه أن هذه الفكرة التوراتية لها جذور في تراث الشرق الأدنى القديم الذي كان يُقدِّم المَلِك (king) باعتباره "صورة الإله" على الأرض[3009].

ويوجد حديث آخر أكثر وضوحاً لكن أقل صحة. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير "عن ابنِ عُمَر قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقبِّحوا الوجْهَ، فإنَّ ابنَ آدم خُلِقَ على صورة الرحمن تعالى""[3010]. قال عنه الهيثمي: "رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير إسحق بن اسماعيل الطالقاني وهو ثقة وفيه ضعف"[3011].

وفى جميع الأحوال، لا يوجد دليل قاطع يثبت أن آدم شخص حقيقي؛ ولذلك فنحن نقول إن آدم شخصية رمزية (allegorical figure) ترمز للإنسان بصفة عامة. إذن: المقصود هو المعنى المجازي وهو أن الإنسان (أي إنسان بغض النظر عن دينه أو جنسه أو عرقه ... الخ) كائن عاقل حي (أي: صورة الله؛ خليفة الله) له حقوق (هي حقوق الإنسان) يحصل عليها منذ اللحظة الأولى لتكوينه، ولا يحتاج الإنسان أن يثبت استحقاقه لهذه الحقوق، فهو يحصل عليها لمجرد كونه إنساناً. وكأن التوراة أرادت أن تقول إن الإنسان لا يحتاج أن يكون مَلِكاً حتى يكون "صورة الإله"، فهو "صورة الإله" لمجرد كونه إنساناً.

وبما أن الإنجيل يُسمِّي آدمَ "ابن الله" (لوقا 3:38)، ليس بالمعنى الحرفي طبعاً، وإنما بالمعنى المجازي. إذن: يمكننا أن نستعير هذه الفكرة الإنجيلية لنفسر كلمة "خَلِيفَة" (البقرة 30) القرآنية. خليفة الله، أي: ابن الله (son of God). ومِن حُسن الحظ أن اللغة العربية تساعدنا، فـ "الخَلَفُ" هو الولد أو الذرية.

وهذا التفسير أيضاً يُعلِي من قيمة الإنسان في الفكر الإسلامي. فإذا كان الإنسانُ ابنَ الله، فلا بد من احترام حقوق "ابن الله"، أي احترام حقوق الإنسان. وحينئذ لن يوجد تعارض بين حقوق الإنسان وحقوق الله. حقوق الإنسان هي حقوق ابن الله، أي حقوق الله. وإذا كانت الدولة تحترم حقوق ابن المَلِك أو ابن رئيس الجمهورية، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ حقوق ابن الله، أي: حقوق الإنسان؟

حقوق الإنسان (ابن الله، خليفة الله) هي ضمان استقرار أي مجتمع.

فأين المجتمعات العربية/الإسلامية من حقوق الإنسان (حقوق الله)؟**!**

الله أرسل خليفةً (ابناً) هو الإنسان ليعمر الأرض ... لكن المجتمعات العربية/الإسلامية تنتهك حقوق هذا الإنسان**!**

الله هو الحق ... لكن المجتمعات العربية/الإسلامية تنتشر فيها أكاذيب وأساطير وخرافات بعيدة جداً عن الحقيقة، أي: بعيدة جداً عن الله.

الله هو الحرية ... لكن المجتمعات العربية/الإسلامية تقمع الإنسانَ الحر.

حقوق الإنسان = استقرار المجتمع.

الديكتاتورية والقمع وانتهاك حقوق الإنسان تصنع استقراراً وهمياً يمكن أن ينهار في أي لحظة. أما الاستقرار الحقيقي فلا تصنعه إلا الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان. وقبل كل ذلك: العلمانية.

4.4.4 الخلاصة

يزعم القرآن سبع مرات أن الرب قال للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا جميعاً إلا إبليس! كل الأدلة التى أمامنا تؤكد أن هذه القصة ليست حقيقية، وإنما هى مجرد أسطورة يهودية قديمة انتقلت إلى المسيحيين (السُريان بصفة خاصة) ثم انتقلت بعد ذلك إلى العرب المسلمين. وفى كل مرة تنتقل هذه الأسطورة مِن شعب إلى آخر ومِن ديانة إلى أخرى، يحدث لها تطور بشرى طبيعى بالحذف و/أو الإضافة إلى أن وصلت إلى صورتها – أو بالأحرى: صورها السبع – المذكورة فى القرآن.

يظن كثير مِن المسلمين أن "الإسرائيليات" موجودة فى كتب التفسير والأحاديث الضعيفة والموضوعة فقط. لكن هذه الدراسة أثبتت أن "الإسرائيليات" و "المسيحيات" – بل و "السريانيات" – موجودة فى القرآن نفسه وكتب السُّنَّة النبوية الصحيحة أيضاً! إذن: القرآن ليس كلام الله، ومحمد ليس رسول الله، والإسلام ليس دين الله.

لا يمكن فهم القرآن فهماً صحيحاً إلا إذا عرفنا ما وراء النص القرآنى، أى جذور القرآن فى الديانات والحضارات السابقة له. فلقد وقف المفسرون المسلمون حائرين وتائهين أمام أسئلة عديدة، مثل: ما معنى كلمة "خَلِيفَة" (البقرة 30)؟ وكيف عرف الملائكة أن الإنسان سيسفك "الدماء" وسيفسد فى الأرض؟ إجابات هذه الأسئلة وغيرها موجودة فى جذور القرآن التى عرضنا جزءاً منها فى هذا الفصل.

بعبارة أخرى: أثبتت هذه الدراسة أنه لكي نفهم القرآن فهماً صحيحاً، لا يكفي أن ننظر في الكتب التي كُتِبَت **بعد** القرآن (مثل: كتب السُّنَّة والتفسير والسيرة ... الخ). وإنما علينا أيضاً أن ننظر في الكتب التي كُتِبَت **قبل** القرآن، سواء الكتب المقدسة (القانونية) مثل: التوراة والإنجيل، أو الكتب غير المقدسة (غير القانونية) مثل السوديبِجرافا والتلمود والمدراش والأبوكريفا ... الخ.

ونحن لا نزعم أننا أول مَن اكتشف جذور القرآن في الكتب اليهودية والمسيحية غير القانونية، فلقد سبقنا علماء وباحثون كثيرون. على سبيل المثال، تقول موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)[3012]:

> The details of the story of the fall of the devil [in the Qurʾān] are very similar to those found in Jewish and especially Christian apocryphal literature (and quite distinct from the sketchy story found in the biblical text itself; […]). The idea of the angels worshipping Adam and of the devil's refusal is found in the *Life of Adam and Eve* (written no later than 400 C.E.; […]) and the *Questions of Bartholomew* (likely third century C.E. in its original form) explains, among many details similar to the qurʾānic story, that the devil's refusal to bow was based on the objection that his essence was of fire as opposed to Adam's clay ([…]).

وهكذا فإن الحديث عن قصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" ينقلنا بسرعة إلى الحديث عن قصة "سقوط إبليس (الشيطان)" (Fall of the Devil) (Fall of Satan) ...

4.5 ولإبليس (الشيطان الرجيم) أيضاً قصة قصيرة ...

مِن المعلوم للكافة أن الإيمان بالكائنات غير المرئية مثل الملائكة وإبليس (الشيطان) كان معروفاً قبل ظهور الإسلام بمئات السنين، فلقد ذكر الكتاب المقدس بعهديه والتراث اليهودي/المسيحي بصفة عامة هذه الكائنات غير المرئية مئات المرات.

إذن: الإيمان بالملائكة وإبليس (الشيطان) ليس أمراً جديداً يحتاج وحياً من الله. لكن طبعاً تطوَّر تطوراً بشرياً طبيعياً حتى وصل إلى الصورة الموجودة فى القرآن الذى بين أيدينا اليوم.

لم تُذكَر كلمة "إبليس" فى القرآن كله إلا 11 مرة فقط[3013]؛ مِنهم تسع مرات (أي: حوالي 82%) في سياق قصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" التى كررها القرآن فى سبع سور: (ص 67-85) (الأعراف 11-18) (طه 116-119) (الإسراء 61-65) (الحجر 26-43) (الكهف 50) (البقرة 30-34)[3014].

أما كلمة "(الـ)شيطان"، فلقد ذكرها القرآنُ 70 مرة. و "(الـ)شياطين" 18 مرة[3015]. أغلبيتها العظمى في مواضع خارج سياق قصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس". وكذلك في الأحاديث النبوية نلاحظ أن تكرار كلمتي "(الـ)شيطان" و "(الـ)شياطين" أكثر من كلمة "إبليس". مما يدل على اتساع دور (الـ)شيطان و (الـ)شياطين في القرآن والسُّنَّة.

ولقد تحدثنا في الفصل السابق عن قصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس". أما فى هذا الفصل، فسنتحدث عن بعض الأمور المتصلة بإبليس (الشيطان) مثل طبيعته وكبريائه وقصة سقوطه.

وسنبدأ حديثنا بثلاث كلمات دخيلة (loan words)، أي كلمات مستعارة من لغات أخرى غير العربية، وَهي "إبليس"، "(الـ)شيطان"، "(الـ)رجيم".

4.5.1 معنى "إبليس" ... "الشيطان" ... "الرجيم"

قال الدكتور محمد بكر إسماعيل: "سمى إبليس بهذا الاسم لطرده من رحمة الله، مأخوذ من الإبلاس، ومعناه اليأس والطرد والإبعاد"[3016]! وقالت موسوعة بيان الإسلام فى جرأة تُحسَد عليها: "إبليس اسم عربي مشتق من الإبلاس، وهو اليأس من رحمة الله أو الإبعاد عن الخير"[3017]!

والمضحك هو أنهم يستندون إلى آيات قرآنية ذكرت هذا "الإبلاس" مثل (الروم 12) (الأنعام 44) (المؤمنون 77) (الزخرف 75)، مع أن تلك الآيات القرآنية لا تذكر "إبليس" على الإطلاق!

فنقول لهم: كلامكم غير صحيح (folk-etymology). إبليس ليس اسماً عربياً، بدليل وجوده قبل اللغة العربية. ومِن حُسْن الحظ أن د. صلاح الخالدي قد اعترف بذلك قائلاً لزملائه مِن العلماء المسلمين

العرب: "لا يليق بنا "الهَوَس" اللغوى، بحيث نجعل الأسماء القديمة قبل العربية، مشتقة من لغتنا التى جاءت بعدها. مثل أسماء "إبليس" و "آدم" و [...]"[3018].

والصحيح هو ما قاله الدكتور جواد على فى كتابه الأشهر "المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام": "و (ابليس) من هذه الأفكار التى نفذت الى العرب عن طريق أهل الكتاب، والعلماء على أن الكلمة معربة، وهى كذلك. فأصلها (ديابولُس) "Diabolos" وهى كلمة يونانية استعملت فى مقابل لفظة (شيطان). وقد أطلقت لفظة (أباليس) فى مقابل (شياطين)"[3019].

وكذلك قالت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)[3020]:

Iblīs, [...]. The general consensus is that the word is derived from the Greek *diabolos*.

ولقد اعترف البروفسور "علي مراد" (Ali Mérad) أيضاً بأن كلمة "إبليس" أصلها يونانى (ديابولُس) "Diabolos"، بدليل أنه وضعها كواحدة مِن الكلمات القرآنية ذات أصل يونانى (mots coraniques d'origine grecque)[3021].

"ديابولُس" يعني "المُشتكِي (زوراً)" (accuser) أو "المُفتري" أو "الثالِب" (slanderer, calumniator)، ويُترجَم أيضاً إلى "المُجرّب" (tempter)[3022]. وفى اللغتين الإنجليزية والفرنسية اسم "إبليس" يُكتَب (Devil) (Diable) من الأصل اليونانى "ديابولُس".

وكلمة "الشيطان" أيضاً ليست عربية، وإنما أصلها عِبري "شطن" (śāṭān)، ومعناها "العدو" أو "الخصم" (adversary; antagonist) أو "المُعانِد" أو "المُعارض" (opposer) أو "المُقاوِم" (obstructer)[3023]، أي: الذي يقاوِم اللهَ ويعيق خطة الخلاص. يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "وكلمة "الشيطان" (**هاــش ط ن**) تتألف في اللغة العبرية في هذه الحالة من جزئين: الضمير **ها** (ال التعريف) وكلمة **ش ط ن** (شيطان)، التي تأتي في الكتاب المقدس بمعنى المُعانِد أو المُقاوِم أو الخصم أو المتهِم، سواء استخدمت لإنسان (1 صموئيل 29:4؛ 2 صموئيل 19:22) أو لكائن خارق (العدد 22:22؛ زكريا 3:1) يعاكس أو يتحدى أو يواجه شخصاً ما، وهو الدور الذي يلعبه الشيطان في [سفر أيوب] ضد أيوب كما ضد الله شخصياً. [...] أمّا تطور الشيطان إلى اسم علم لكائن محدد معاكس وعدو لله ومسؤول عن الشر في العالم كما نجده في العهد الجديد، فلن يحدث إلا في مرحلة لاحقة في الفكر اليهودي"[3024].

ثم دخلت كلمة "شطن" إلى اللغة العربية "شـ(يـ)ط(ـا)ن" عن طريق لغة من لغات المسيحيين الشرقيين: إما السريانية (sāṭānā) أو الحبشية (الأثيوبية) (sayṭān)[3025]. ونظراً لأن الفكر المسيحي السرياني قد

انتقل إلى العرب وإلى الكنيسة الحبشية، فإنه من الصعب أن نحدد إذا كانت كلمة معينة أو فكرة معينة قد انتقلت إلى العرب عن طريق السريان أم عن طريق الأحباش. يقول العالِم الكبير (Prof. Manfred Kropp)[3026]:

لقد خضعت الكنيسة الأثيوبيّة رسميّاً وشرعيّاً لبطريركيّة الإسكندريّة، ولكنّ [معظم] الإرساليّات التبشيريّة الهامة والمؤثِّرة جاءت من سوريا وفلسطين. والمنطقة نفسها (أي: سوريا وفلسطين) أثَّرت تأثيراً قويّاً في شبه الجزيرة العربيّة المتاخمة لها: نتيجة لهذا من الصعب الجزم فيما إذا كان لفظ معيَّنٌ أو تأثير معيَّنٌ قد جاء من سوريا-فلسطين مباشرة أم من طريق أثيوبيا إلى شبه الجزيرة العربية.
The Ethiopian church formally and juridically depended on the Patriarchate of Alexandria, but most of the important and influential missionaries came from Syria and Palestine. The same region (i.e. Syria and Palestine) also heavily influenced adjacent Arabia: as a result it can be difficult to decide if a given word or a given influence came directly from Syria–Palestine or via Ethiopia to Arabia.

وفي اللغتين الإنجليزية والفرنسية، كلمة "الشيطان" بأداة التعريف تُكتَب (Satan)، وإنْ كان الأصح والأكثر دقة هو أن نقول (the Satan). أما كلمة "شيطان" بدون أداة التعريف، فنحن نفضل ترجمتها إلى (satan)، وإنْ كانت الترجمة الأكثر استخداماً هي (demon). وكذلك كلمة "شياطين" لا نفضل ترجمتها إلى (demons)، وإنما نفضل ترجمتها إلى (satans) وذلك حفاظاً على أصلها العبري "شطن" (śāṭān).

ومِن حُسْن الحظ أن الشيخ العثيمين قد اعترف بأن كلمة "شيطان" مأخوذة مِن "شطن" وإن قال إن "شطن" بمعنى "بَعُدَ": "وشيطان قيل إنه مأخوذ من شاط يشيط، وعلى هذا فالنون زائدة. وقيل: إنه من شطن بمعنى بَعُدَ، فالنون أصلية، وهذا هو الظاهر أن النون أصلية وهو مأخوذ من شطن إذا بعد؛ لأن الشيطان قد بَعُدَ من رحمة الله"[3027]. ونلاحظ في التراث الإسلامي بصفة عامة أن الشيطان هو الذي يغوي الناس بارتكاب الخطايا التي تبعدهم عن الله؛ وإذا فشل مرة يحاول مراراً وتكراراً.

مما سبق يتضح أن كل معاني اسم الشيطان (إبليس) معاني سلبية وتدل على محامي الاتهام في المحكمة، فهو عدوٌّ لنا وخصم ومُعارِض ومُعانِد ومُقاوِم ومُشتكِي، وقد يشتكي زوراً، أي يفتري علينا.

ولقد أكد الكتاب المقدس بعهديه على عداء الشيطان (إبليس) للإنسان فى آيات كثيرة. نذكر منها على سبيل المثال ما يلى. فى العهد القديم: "فَقَالَ الرَّبُّ الإلهُ لِلْحَيَّةِ (أى: للشيطان): «[...] وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ (أي: حواء)، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. [...]»" (التكوين 3:14-15). وفى العهد الجديد: قال يسوع المسيح لرسله: "رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ. هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ

قُوَّةِ الْعَدُوِّ (أي: الشيطان)" (لوقا 10:18-19). "وَالْعَدُوُّ [...] هُوَ إِبْلِيسُ" (متى 13:39). وقال شَاوُلُ (بُولُسُ) للنبي الكذاب "عَلِيم الساحر" (Elymas the sorcerer): "أَيُّهَا الْمُمْتَلِئُ كُلَّ غِشٍّ وَكُلَّ خُبْثٍ! يَا ابْنَ إِبْلِيسَ! يَاعَدُوَّ كُلِّ بِرّ! أَلاَ تَزَالُ تُفْسِدُ سُبُلَ اللهِ الْمُسْتَقِيمَةَ؟" (أعمال الرسل 13:10).

ومِن المؤكد أن هذا المعنى قد وصل إلى أصحاب القرآن، بدليل أنهم عبَّروا في قرآنهم عن عداء الشيطان للإنسان. بل إن قصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" تذكر عداوة إبليس (الشيطان) لبني آدم: "قَالَ [إبليس للرب] فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ" (ص 82) و (الأعراف 16-17) و (الإسراء 61) و (الحجر 39)؛ "فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا [الشيطان] عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ" (طه 117) "أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ" (الكهف 50). وكذلك في آيات قرآنية أخرى كثيرة خارج قصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس"، مثل: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (يوسف 5) "وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (البقرة 168) و (البقرة 208) و (الأنعام 142) و "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا" (فاطر 6) و "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ (Have I not made a covenant with you) يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (يس 60) و (الزخرف 62) و (الإسراء 53). "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ [...]" (الأنعام 112)؛ وهذه الآية تدل على أن كلمة "شيطان" في القرآن قد تُطلَق على إنسي و/أو جني.

وإنه لمن الطريف أن نجد إلهَ الإسلام في القرآن يفعل أفعالاً تشبه أفعال الشيطان! على سبيل المثال، يقول إلهُ الإسلام للمسلمين: "إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ [...]" (المائدة 91). لكنه يقول في نفس السورة: "وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ (أي: بين اليهود) الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [...]" (المائدة 64)، "فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ (أي: بين النصارى) الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (المائدة 14)! وتوجد أمثلة أخرى[3028] لا داعي لذكرها كلها. فما يهمنا هو أننا نجد لهذا الخلط بين أعمال الله وأعمال الشيطان جذور في التراث اليهودي/المسيحي. على سبيل المثال، يقول سفر أخبار الأيام الأول: "وَوَقَفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ، وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ" (1 أخبار الأيام 21:1)، وتسبب هذا الإحصاء (census) في حدوث كارثة كبيرة: موت 70 ألف رجل مِن الشعب (1 أخبار الأيام 21:14) (2 صموئيل 24:15)! لكن في سفر صموئيل الثاني، نجد أن الرب هو الذي دفع داود ليقوم بهذا التعداد: "وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَهَاجَ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ قَائِلاً: «امْضِ وَأَحْصِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا»" (2 صموئيل 24:1)! والتفسير التقليدي لهذا الخلط في الديانات الإبراهيمية الثلاث بين أعمال الله "القدوس" وأعمال الشيطان "الرجيم" هو أن الله يستخدم الشيطان الرجيم، أو أن الشيطان الرجيم يعمل بسماح أو بإذن (permission) من الله!

وأخيراً كلمة "(الـ)رجيم" التي ذكرها القرآنُ 6 مرات فقط[3029]:

– 4 مرات تصف "(الـ)شيطان":

- "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (النحل 98)؛
- "وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (آل عمران 36)؛
- "وَمَا هُوَ (أى: القرآن) بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ" (التكوير 25)؛
- "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ" (الحجر 16-18)؛

– ومرتان تصف "إبليس" في قصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس":

- "فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (ص 77-78)؛
- "فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (الحجر 34-35).

ومثل كلمتي "إبليس" و "شيطان"، فإن كلمة "رَّجِيم" أيضاً ليست كلمة عربية، فأصلها عبري بمعنى "مرجوم أو مقذوف (بالحجارة)" (lapidé) (stoned, pelted)، أو على الأرجح حبشي (أثيوبي) بمعنى "ملعون" (maudit) (accursed, cursed, execrated)[3030]، وتعني أيضاً "مطرود" (banni, chassé) (banished, outcast, rejected, driven away)[3031][3032] وهو المعنى الذي يؤيده د. محمد شحرور: "الرجيم اسم فاعل بمعنى طريد قام مقام اسم مفعول هو المرجوم بمعنى المطرود بدلالة قوله (فَاخْرُجْ) [الحجر 34] لأن الطرد هو الإخراج القسري. وعليه، يستحيل على العاقل أن يفهم من الآية أن الله أخرج إبليس من الجنة وشتمه، حسب قول مجاهد، أو رماه بالحجارة حتى الموت، حسب قول الرازي"[3033].

إذن: الشيطان – أو الشياطين بصفة عامة – تُرجَم بالشُهُب المُحرقة[3034]، فتُطرَد أو تُمنَع مِن السماء؛ وتُطرَد أيضاً مِن رحمة الله، أي تُلعَن[3035][3036]. وما زال المسلمون إلى اليوم "يرجمون الشيطان" بالحجارة أثناء أداء مناسك الحج، رغم أن القرآن نفسه لم يذكر "رمي الجمرات"!

4.5.2 طبيعة الشيطان (إبليس): هل كان من الملائكة؟

في المسيحية، الإجابة: نعم. الشيطان (إبليس) كان ملاكاً من الملائكة. يقول كتاب "شرح وتفسير قانون الإيمان": "ومن الخلائق التى لا تُرَى أيضاً الشياطين أو الأرواح الشريرة. وَهُمْ أصلاً من الملائكة النورانيين، الذين خُلِقوا بحالة فائقة من الطهر والقداسة. ولأنَّ لهم حرية الإرادة فقد دفعت بهم الكبرياء إلى الخروج عن طاعة الله، فأسقطهم من رتبهم"[3037]. إذن: الشيطان (إبليس) ملاك ساقط (fallen angel) (ange déchu)، بل هو رئيس أو كبير الأرواح الشريرة (evil spirits).

وهؤلاء الشياطين (الأرواح الشريرة الساقطة) يؤمنون بالله الواحد وَيَقْشَعِرُّونَ خوفاً منه! "أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ. وَالشَّيَاطِينُ (أي: ولكن حتى الشياطين أيضاً) يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ!" (يعقوب 19:2)[3038]. إذن: مشكلتهم ليست في عدم إيمانهم بالله، وإنما في عصيانهم لله وأعمالهم السيئة الشريرة.

وهذه الأرواح الشريرة الساقطة ليس لهم توبة ولا فداء ولا خلاص! قيل لأن الخطية نبعت من داخلهم فليس لهم عذر، بخلاف الإنسان الذي لم يسقط إلا عندما أتت إليه الخطيةُ مِن خارجه بواسطة وسوسة الشيطان. إذن: هذه الأرواح الشريرة الساقطة محكومٌ عليهم بالهلاك الأبدي في جحيم الآخرة! ليس لهم أمل ولا رجاء! رحمة الله ومحبته لا تشملهم، مع أنهم يؤمنون بالله ويخافون منه! "حرية الإرادة" دفعتهم إلى الخروج عن طاعة الله، لكن لا يمكن أن تدفعهم إلى الدخول في طاعة الله مرة أخرى!

المهم: في المسيحية، الإجابة واضحة. الشيطان (إبليس) كان ملاكاً من الملائكة.

أما فى الإسلام، فالإجابة كالعادة هي: اختلف المفسرون ... اختلف أهل التأويل ... الله أعلم. تقول موسوعة بيان الإسلام: "اختلف العلماء والمفسرون قديماً وحديثاً حول طبيعة إبليس وحقيقته: هل هو من الملائكة أو من الجن؟"[3039]. والمشكلة – كالعادة أيضاً – ليست في المفسرين الذين اجتهدوا في تفسير القرآن، وإنما المشكلة في أصحاب القرآن أنفسهم. نعم، المشكلة هي أن سبع سور قرآنية أجمعت على أن الله قال لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أبى واستكبر، فدلَّ باستثناء إبليس من الملائكة على أنه واحدٌ منهم؛ يعني: استدل هذا الفريق بأن الأصل فى الاستثناء الاتصال لا الانقطاع: والاستثناء المتصل هو ما كان فيه المُستثنَى (إبليس) مِن جنس المُستثنَى منه (الملائكة)؛ أما الاستثناء المنقطع فهو ما كان فيه المُستثنَى من غير جنس المُستثنَى منه[3040]. لكن (الكهف 50) (آخر رواية مكية لهذه القصة) هى الرواية الوحيدة التى قالت إن إبليس "كَانَ مِنَ الْجِنِّ" وإنه "فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ" وإن له ذُرِّيَّة: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي"؛ بل يقول القرآن صراحةً إن إبليس مخلوق من نار (ص 76) و (الأعراف 12)؛ مما يعنى أن إبليس مِن الجن وليس من الملائكة.

فهَل إبليس (القرآنى) مِن الملائكة أم مِن الجن؟!

للأسف، كالعادة لا توجد إجابة قاطعة على هذا السؤال، فلقد انقسم العلماء والمفسرون المسلمون على قولين. كل قول منهما واجه مشكلة واضطر أن يلجأ – كالعادة – إلى حيل لحل هذه المشكلة ....

<u>القول الأول:</u> إبليس من الملائكة؛ وهذا قول الجمهور[3041]. المشكلة التى واجهت أصحاب هذا الرأى هى الآيات التى ذكرناها (الكهف 50) و (ص 76) و (الأعراف 12). فلجأ أصحابُ هذا الرأى إلى حيل كثيرة تختلف فى تفاصيلها لكن تتفق فى هدفها: يريدون أن يجعلوا إبليس مِن الملائكة لكن له طبيعة تختلف عن الملائكة! قيل إن الجِنَّ سبط (أى: صنف أو فصيل) من الملائكة خُلِقوا من نار وإبليس منهم، وخُلِق سائر الملائكة مِن نور! (وبالتالي إذا قلتَ إن إبليس من الملائكة فكلامك صح؛ وإذا قلتَ إنه مِن الجِن فكلامك صح

أيضاً!) أو كما رُوِي عن ابن عباس أنه قال إن إبليس كان مِن حيٍّ (أو: مِن قبيلة) من الملائكة يقال لهم "الجِنُّ"[3042]! وقيل إن إبليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلةً، وإنما قال عنه القرآن إنه "كَانَ مِنَ الْجِنّ" (الكهف 50) لأنه كان خازناً على الجِنانِ (أي: على الجَنَّةِ)، كما يُقال للرجل: مَكِّيٌّ، وَمَدَنِيٌّ، وَكُوفِيٌّ، وَبَصْرِيٌّ[3043]! أو أن إبليس وُصِفَ بأنه "مِنَ الْجِنِّ" (الكهف 50) لخفائه واستتاره، كما وصف القرآنُ الملائكةَ فى موضع آخر بأنهم "جِنَّة" (الصافات 158) لخفائهم واستتارهم، حسب رأى فريق مِن المفسرين! وقيل إن إبليس من الملائكة المخلوقين من نور، وإن الله لم يقل إن إبليس مخلوق من نار، وإنما إبليس هو الذي قال ذلك "خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ" (الأعراف 12) (ص 76)، فهي مجرد "زلة لسان" (lapsus linguae)[3044]! وقيل إن إبليس كان من الملائكة فلمَّا عصى اللهَ غضب اللهُ عليه فلعنه فصار شيطاناً. وإن سألتهم: كيف يعصى اللهَ مع أنه مِن الملائكة الذين لا يعصون الله أبداً؟! سيكون ردهم: إبليس له طبيعة تختلف عن طبيعة الملائكة المجبولين على الطاعة! يعنى باختصار عملوا (ad hoc exception) أو (special case) لإبليس من أجل تبرير الآيات القرآنية التى سببت المشكلة. فكما كان يهوذا الخائن واحداً من الرسل، كذلك كان إبليس واحداً من الملائكة: نظرياً منهم، لكن عملياً مختلف عنهم.

<u>القول الثاني:</u> إبليس من الجن؛ ونسمع مَن يقول إن هذا قول الجمهور! المشكلة التى واجهت أصحاب هذا الرأى هى الروايات القرآنية السبع التى أجمعت على أن الملائكة سجدوا لآدم "إلا" إبليس. فلجأ أصحاب هذا الرأى إلى حيل كثيرة تختلف فى تفاصيلها لكن تتفق فى هدفها: يريدون أن يجعلوا إبليس مع الملائكة (أي: في صحبتهم) لكنه ليس مِن الملائكة (among the angels, but not one of the angels)؛ بعبارة أخرى: كان إبليس مع الملائكة صورة وليس منهم مادة! أشهر هذه الحيل حيلتان:

- الحيلة الأولى حيلة لغوية نحوية: قالوا إن الاستثناء فى قوله "فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ" استثناء منقطع (أو: منفصل) وليس متصلاً. أو: جعلوا "إِلَّا" هنا بمعنى "لكن"، وبالتالى جعلوا قول القرآن "فَسَجَدُوا <u>إِلَّا</u> إِبْلِيسَ" يعنى "فَسَجَدُوا <u>لكن</u> إِبْلِيسَ لم يسجد"! أو: أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ووجَّه أمراً مباشراً للجِنِّى إبليس بالسجود لآدم - ويستدلون على ذلك بقول الله لإبليس "مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ" (الأعراف 12) - فسجد الملائكة لآدم، <u>لكن</u> إبليس رفض[3045]!

<u>تعليقنا:</u> لو كان القرآن كلام الله كما تدَّعون، ألم يكن من الأفضل أن يقول "فَسَجَدُوا لكن إِبْلِيسَ لم يسجد" أو "فَسَجَدُوا لكن إِبْلِيسَ رفض" بدلاً من أن يكرر القصة سبع مرات وفى السبع مرات يقول "فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ"؟!

- الحيلة الثانية حيلة أسطورية: اخترعوا أسطورة – أو بالأحرى أساطير كثيرة مختلفة ومتضاربة – جعلت الجِنِّي إبليس "جنياً أرضياً" (terrestrial djinn) ينتقل مِن الأرض إلى صُحبة الملائكة فى السماء! فتقول أسطورة إسلامية شهيرة إن الجن كانوا يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء قبل خلق آدم، فبعث اللهُ جنداً من الملائكة إلى الجن المفسدين، فقاتل الملائكةُ الجنَّ وطردوهم إلى جزائر البحور! واستطاع الملائكة أن يأسروا إبليس فى هذه المعركة، وأخذوه معهم إلى السماء، ولذلك شمله أمر

السجود لآدم رغم أنه مِن الجن وليس ملاكاً! وتقول رواية أخرى إن إبليس طلب مِن الله أن يرفعه، فرفعه الله من الأرض إلى السماء، وبذلك صار إبليس مع الملائكة يعبد الله كعبادتهم، ونزل مع الملائكة الذين حاربوا الجِنَّ المفسدين! ولذلك شمله أمر السجود لآدم رغم أنه مِن الجن وليس ملاكاً. ولم يشمل الأمرُ بالسجود لآدم سائرَ الجن؛ لأنهم لم يرتقوا بعبادتهم إلى صفوف الملائكة مثله أو لأن الله أهلكهم[3046]! وتقول أسطورة أخرى إن إبليس كان مِن "الجن النارى" الموجود على كوكب الأرض قبل خلق آدم وكان يعبد الله كثيراً فوصل بعبادته تلك إلى درجة الملائكة النوارنيين[3047].

تعليقنا: لو كان القرآن كلام الله كما تدَّعون، فهل يُعقَل أن يحتاج إلى كل هذه الحيل والأساطير واللف والدوران لشرحه وفهمه؟! ويبدو لنا أن هذه الأساطير الإسلامية مستوحاة – بطريق مباشر أو غير مباشر – مِن سفر أيوب الذى بدأ قصة أيوب بقوله إن الشيطان كان يتجول ويتمشى فى الأرض ثم جاء ذات يوم فى وسط الملائكة ليمثلوا أمام الله! "وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ (أى: الملائكة) لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ. فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنَ أَيْنَ جِئْتَ؟». فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «مِنْ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا»" (أيوب 1:6-7) و (أيوب 2:1-2).

وحتى الآن، لم يتفق جميع المسلمين على رأي واحد فيما يتعلق بطبيعة الشيطان (إبليس). ولقد ختمت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) حديثها عن الشيطان (إبليس) بقولها[3048]:

Popular imagination wound these and other such narrative fragments into an imaginative story to reconcile the various qurʾānic elements, although no consensus was truly reached as to the nature or origin of Iblīs.

وكذلك ختمت موسوعة (Encyclopædia of Islam) حديثها عن طبيعة إبليس بقولها[3049]:

It can in any case be said that Muslim thought remains undecided as to whether he (i.e. Iblīs) was an angel or a dj̲inn, and does not pronounce an opinion on the possibility of his being a “fallen angel”.

ونحن نرى أننا لو حاولنا التوفيق بين تلك الآيات القرآنية المتعلقة بمسألة طبيعة الشيطان، ينبغي علينا أن نؤيد مَن قال إن الجن هُمْ الشياطين (demons)[3050] أي الملائكة الساقطين (fallen angels). لكن للأسف لا نستطيع أن نفعل ذلك، لأن الإسلام قد ميَّز بين الملائكة والجن والشياطين، وأيضاً لأن مفهوم "الملائكة الساقطين" يكاد يكون غائباً عن الإسلام، باستثناء قصة "الْمَلَكَيْنِ هاروت وماروت" (البقرة 102) (مدنية) وقصتهما تختلف عن قصة الشيطان إبليس، أو بعبارة أكثر دقة: قصة سقوط الْمَلَكَيْنِ هاروت وماروت تختلف عن قصة سقوط إبليس (الشيطان).

وإذا كانت تلك الآيات القرآنية المتعلقة بمسألة طبيعة الشيطان تعكس تقاليد مختلفة (disparate traditions) اختلفت في الزمان والمكان والأشخاص، ثم جُمِعَت بعد ذلك في كتابٍ واحد هو القرآن (المصحف)، فإنه مِن الصعب – بل يكاد يكون من المستحيل – التوفيق بينها. مما يدل على أن القرآن ليس كلام الله: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[3051].

وفي جميع الأحوال، لا يوجد دليل علمي ولا عقلي على وجود الشيطان ككائن حقيقي مخلوق (physical, created being)، فَمِن العبث إذن أن نناقش طبيعته. والأقرب إلى العقل والمنطق أن نقول إن الشيطان مجرد شخصية رمزية (symbolic figure) ترمز إلى الشر والفساد بكل أنواعه وأسبابه، ترمز إلى المصدر النهائي لكل الشرور (the ultimate source of all evil). إنه الشر المطلق (absolute) المجرد (abstract). الشر المطلق الذي ليس له وجود حقيقي في عالمنا النسبي. فكل إنسان – مهما كان مجرماً – هو مزيج من الخير والشر. أو إذا أردنا أن نُقرّب المعنى للأذهان، فسنقول إن كلمة "الشيطان" ترمز إلى عدو الإنسان أو ما يعيق الإنسان عن فعل الخير؛ ترمز إلى وسوسة النفس (شر داخلي) أو وساوس الآخرين (شر خارجي)، أو بصفة عامة: ترمز إلى كل ما يحيك في صدر الإنسان مِن أهواء وشهوات وفساد وضعفات وشرور وسقطات.

تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica)[3052]:

In the Bible, except perhaps for 1 Chronicles 21:1 (see below), Satan is not a proper name referring to a particular being and a demoniac one who is the antagonist or rival of God. In its original application, in fact, it is a common noun meaning an adversary who opposes and obstructs. […] “The Satan” as the standing appellation of a particular angel first appears around 520 B.C.E. in Zechariah 3 and then in Job 1–2. In 1 Chronicles 21:1, which has already been referred to, the article is disposed with, and “Satan” seems to be a real proper name. […]

Post-Biblical

Satan is not prominent in the Apocrypha and Apocalypses, and, where mentioned, he is barely personalized but merely represents the forces of anti-God and of evil. […] References in the tannaitic literature are even more sparse, and, with few exceptions, Satan similarly appears merely as

> the impersonal force of evil. […] In the New Testament Satan emerges as the very personification of the spirit of evil, as an independent personality, the Antichrist. [...], and it is this New Testament conception of Satan which has entered into popular lore. […] During the amoraic period, [...] he emerges more and more as a distinct identity.

مما سبق نستنتج أنه حسب الدين اليهودي، كان "(الـ)شيطان" أصلاً مجرد كلمة عبرية تعني (الـ)خصم الذي يعاكِس أو يعيق، وكان يُستخدَم أحياناً كفكرةٍ أو رمز يرمز إلى قوى الشر (forces of evil) التي تعادي الإنسانَ أو تعمل ضد الله، ثم تطوَّر "الشيطانُ" بمرور الزمن حتى صار الشيطانُ شخصاً، أي: كائناً معيناً ومحدداً[3053]. ثم حسب الدين المسيحي، صار الشيطانُ شخصاً يعمل ضد المسيح، لكن المسيح انتصر عليه وهزمه كما هزم أعوانَه بصليب الفداء وقيامة الخلاص من الموت. قال يسوع المسيح: "حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ (أي: الشيطانُ) دَارَهُ (أي: هذا العالم الأرضي الدنيوي) مُتَسَلِّحًا، تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ (أي: تظل نفوس الخطاة تتبع الشيطانَ وتخضع له). وَلكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ (أي: المسيحُ) فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ، وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ (أي: الخطيةَ أقوى أسلحة الشيطان؛ و/أو: الموتَ أجرة الخطية) الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ، وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ (أي: يسترد الأشخاص الذين استولى عليهم الشيطان فوقعوا تحت تأثيره وسلطانه، لكن الإيمان بالفادي والمخلص يسوع المسيح ابن الله حوَّلهم من عبيد للشيطان إلى أحرار وأحباء للمسيح وأبناء لله)" (لوقا 11:21-22)؛ (متى 12:29). ويقول الأب متى المسكين إن "الشيطان ليس وهماً ولا خيالاً"، وإنما "هو شخص محدَّد يترأس على مملكة الشر" و "لم يفقد وجوده نهائياً، بل لا يزال يعمل ولكن [بسماح من الله] تحت ضبط وفي أضيق الحدود لمنفعة الإنسان، لأن عين الله ونعمته ساهرة على أولاده"؛ "فوجود الشيطان هو لصالح الإنسان وليس لضرره، ذلك بالنهاية وعلى المستوى الروحي" لأن "الشيطان يحقد على الإنسان المحبوب من الله، ولكن حقده يجعل الله يزيد المحبة والعناية" إذا التزم الإنسانُ "بالصبر" "مع الشكر الذي لم يتخلَّ عنه أيوب في أحلك ساعاته: "الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا" (أيوب 1:21)". "وللشيطان أعوان على مستوى الرؤساء والسلاطين ولكن أشرار، يذكرهم بولس الرسول كيف أن المسيح ظفر بهم جميعاً على الصليب وجرَّدهم من رتبتهم: "إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ (أي: فضحهم؛ أظهر عيوبهم وضعفهم) جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ (في الصليب)" (كولوسي 2:15)". أما "عقاب الشيطان" نفسه "فهو في النهاية عند الدينونة"[3054].

ومِن الواضح أن الإسلام قد تأثر بفكرة "شخصنة" الشيطان التي نشأت أصلاً في الفكر اليهودي المتأخر والفكر المسيحي الذي ساد في الشرق الأوسط مع انتشار المسيحية في القرون الست الأولى للميلاد، فصار الشيطانُ شخصاً يحاور اللهَ (كما هو الحال في سفر أيوب وكتاب القرآن)، بل جعل القرآنُ للشيطان "ذريةً"!

ويعمل الشيطانُ هو وذريته ضد الله، ولكن بإذن مِن الله! بل يبدو لنا أن فكرة "ذرية الشيطان" نفسها هي أيضاً مستوحاة من التراث المسيحي. فلقد قال يسوع المسيح لخصومه اليهود: "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ" (يوحنا 44:8)؛ والمقصود طبعاً أنهم أبناء الشيطان بالمعنى المجازي، لكن القرآن جعل للشيطان ذريةً بالمعنى الحرفي إذا كان مِن الجن (الكهف 50)! وكذلك في الإسلام، فإن عقاب الشيطان مؤجل إلى يوم الدينونة.

أما نحن فلا نهتم كثيراً بمسألة هل الشيطان شخص أم رمز، مع أننا نرفض شخصنة الشيطان ونتمسك بالمفهوم اليهودي الأصلي للشيطان: مجرد كلمة عبرية أو رمز وليس كائناً حقيقياً. وإن قلتم: كيف يكون الشيطان مجرد رمز ولقد تحدث مع يسوع المسيح في قصة التجربة (متى 4:1-10) (لوقا 4:1-12) و "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ!" (متى 10:4) (لوقا 8:4)؟ فسنقول: ولقد قال يسوعُ المسيح لتلميذه بطرس أيضاً نفس الجملة: "اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!" (مرقس 33:8). إذن: مِن الممكن أن يكون "الشيطان" في قصة التجربة مجرد إنسان تكلَّم مع يسوع ليجرّبه ويمتحنه. والإصرار على أنه كان كائناً حقيقياً سيدخلنا في متاهة كبيرة من الأسئلة مثل: بأي لغة تحدث الشيطان مع يسوع؟ وكيف وأين تعلّم الشيطان تلك اللغة؟ ... الخ.

ولعل خير دليل على أن الشيطان مجرد رمز وليس كائناً حقيقياً هو أنه – حسب ما جاء في القرآن – حَيٌ منذ بدء الخلق (قبل آدم وحواء) إلى نهاية الدنيا! "قَالَ [إبليس] رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ [الرب لإبليس] فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ" (ص 79-81) و (الحجر 36-38)، أي إلى يوم الصعق، يوم النفخة الأولى عندما تموت كل الخلائق؛ بل قيل: إلى يوم القيامة؛ وقيل غير ذلك. المهم أن المسلمين يعتقدون أن الشيطان لا يزال "حياً" إلى الآن وسيظل "مِنَ الْمُنْظَرِينَ" لمدة طويلة جداً. فلو افترضنا جدلاً أن الشيطان كائن حقيقي مخلوق كما يتوَّهم المسلمون، فمِن حقنا أن نسأل: عمره الآن كام ألف سنة؟!

هذا مِن حيث الـ "كَم؟". أما مِن حيث الـ "كيف؟"، فإن مفهوم "الشر" و "الفساد" و "ضد الله" كلها مفاهيم نسبية تختلف مِن مكان إلى مِكان ومِن زمان إلى زمان. فمثلاً: قديماً لم تكن تجارة العبيد (الرقيق) شراً يُغضب اللهَ، لكنها اليوم جريمة أخلاقية، بل جريمة جنائية. فلو افترضنا جدلاً أن الشيطان كائن حقيقي وهو رأس الشر كله كما يزعمون، فلا بد أن يكون هذا الشيطان كائناً مثقفاً جداً يتابع باهتمام تطورَ البشرية فى كل زمان ومكان ويقرأ الكتب الدينية والدساتير والقوانين واللوائح ويفهمها جيداً حتى يستطيع أن يحدد ما هو "شر" وما هو ليس "شر". ولا نعتقد أن إنساناً عاقلاً يقول ذلك.

إذن: الأقرب إلى العقل والمنطق هو أن نقول إن الشيطان مجرد رمز إلى الشر بكل أنواعه وجميع مصادره، سواء شر داخلي (وسوسة النفس[3055]) أو شر خارجي (وساوس الآخرين). وكما قال الشاعر العربي:

إلـهي إليكَ المُشْتَكَى نَفْسٌ مُسِيئَةٌ ... إلى الشر تدعوني، عن الخير تَنْـهاني

ومـا يَشْتَكِي الشيطــانَ إلا مُغَفَّلٌ ... ألا إنَّ نفـسَ المُشْتَهِي ألـفُ شَيْطَــانِ

أو كما "قَالَ [يَسُوعُ]: «إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. لأَنَّهُ **مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ**: زِنىً، فِسْقٌ، قَتْلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءُ، جَهْلٌ. **جَمِيعُ هذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ** وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ»" (مرقس 7:20-23). "وَدَعَا [يَسُوعُ] الْجَمْعَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ (أي: يتحلى بفضيلة محبة الآخرين وإنكار الذات) وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ [الرديئة الشريرة؛ الأَمَّارَة بالسُّوءِ] مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا" (مرقس 8:34-35).

وليس لدينا أدنى شك أن الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله وابن الإنسان قد انتصر على الشيطان (الشر) وأنبيائه الكذبة وكتبهم الضالة المضللة التي تشوِّه اللهَ وتقتل الإنسانَ وتدمِّر المجتمعات والدول.

4.5.3 سقوط إبليس (الشيطان)

ننتقل الآن إلى سقوط إبليس (الشيطان) (Fall of Satan) (Fall of the Devil) ...

يقول التقليد المسيحي إن الشيطان (إبليس) لم يُخلَق شيطاناً فاسداً من البداية، وإنما خُلِقَ ملاكاً نورانياً بريئاً ثم سقط بإرادته الحرة (free will) بسبب كبريائه الذي أدى إلى تمرُّدِه على الله وتحدِّيه والخروج عن طاعته، فأسقطه اللهُ من رُتبته (أي: طرده من السماء؛ طرده من الحضرة الإلهية؛ طرده مِن رحمة الله)، فصار ملاكاً ساقطاً (fallen angel). ويعتمد هذا التقليد المسيحي على آيات كتابية قليلة جداً من حيث الكم وقابلة للتفسير والتأويل من حيث الكيف.

آيات كتابية مِن العهد الجديد:

- "فَقَالَ لَهُمْ [يسوعُ]: «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ" (لوقا 10:18). <u>تعليقنا:</u> لا يوجد أي دليل يثبت أن المسيح هنا يشير إلى حادثة يُفترَض أنها حدثت قبل المسيح بآلاف السنين. ولعله يشير إلى حادثة معاصرة له، أو حادثة ستحدث في المستقبل. يقول الأب متى المسكين: "كان رد المسيح أنه رأى الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِنَ السَّمَاءِ مِثْلَ الْبَرْقِ، بمعنى سقوطه من مركز السيادة والقوة على الإنسان. وهي رؤية تشمل ما بعد الصليب بصورة أساسية، بمعنى نصرة ملكوت الله فوق مملكة الشر الروحية. وهو لم يقل إني أرى، بل رأيت كعمل ختامي"[3056].
- فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الأُسْقُفُ "غَيْرَ حَدِيثِ الإِيمَانِ لِئَلاَّ يَتَصَلَّفَ (أي: يتكبَّر) فَيَسْقُطَ فِي دَيْنُونَةِ إِبْلِيسَ" (1 تيموثاوس 3:6). <u>تعليقنا:</u> هذه الآية لا تتحدث عن سقوط إبليس، وإنما تتحدث عن دينونته (أي: حسابه وعقابه).

وآيات كتابية مِن العهد القديم:

- "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ" (الأمثال 18:16). تعليقنا: حكمة جميلة جداً، لكنها موعظة عامة، فلا يوجد أي دليل يثبت أن المقصود هو الشيطان إبليس تحديداً.
- آيات من سفر حزقيال: "وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: «يَا ابْنَ آدَمَ، ارْفَعْ مَرْثَاةً عَلَى مَلِكِ صُورَ (King of Tyre) وَقُلْ لَهُ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ، مَلآنٌ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ. كُنْتَ فِي عَدْنٍ جَنَّةِ اللهِ. كُلُّ حَجَرٍ كَرِيمٍ سِتَارَتُكَ، عَقِيقٌ أَحْمَرُ وَيَاقُوتٌ أَصْفَرُ وَعَقِيقٌ أَبْيَضُ وَزَبَرْجَدٌ وَجَزْعٌ وَيَشْبٌ وَيَاقُوتٌ أَزْرَقُ وَبَهْرَمَانُ وَزُمُرُّدٌ وَذَهَبٌ. أَنْشَأُوا فِيكَ صَنْعَةَ صِيغَةِ الْفُصُوصِ وَتَرْصِيعِهَا يَوْمَ خُلِقْتَ. أَنْتَ الْكَرُوبُ الْمُنْبَسِطُ الْمُظَلِّلُ، وَأَقَمْتُكَ. عَلَى جَبَلِ اللهِ الْمُقَدَّسِ كُنْتَ. بَيْنَ حِجَارَةِ النَّارِ تَمَشَّيْتَ. أَنْتَ كَامِلٌ فِي طُرُقِكَ مِنْ يَوْمَ خُلِقْتَ حَتَّى وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ. بِكَثْرَةِ تِجَارَتِكَ مَلأُوا جَوْفَكَ ظُلْمًا فَأَخْطَأْتَ. فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللهِ وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكَرُوبُ الْمُظَلِّلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ. قَدِ ارْتَفَعَ قَلْبُكَ لِبَهْجَتِكَ. أَفْسَدْتَ حِكْمَتَكَ لأَجْلِ بَهَائِكَ. سَأَطْرَحُكَ إِلَى الأَرْضِ، وَأَجْعَلُكَ أَمَامَ الْمُلُوكِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْكَ. قَدْ نَجَّسْتَ مَقَادِسَكَ بِكَثْرَةِ آثَامِكَ بِظُلْمِ تِجَارَتِكَ، فَأُخْرِجُ نَارًا مِنْ وَسْطِكَ فَتَأْكُلُكَ، وَأُصَيِّرُكَ رَمَادًا عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ عَيْنَيْ كُلِّ مَنْ يَرَاكَ. فَيَتَحَيَّرُ مِنْكَ جَمِيعُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَكَ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَتَكُونُ أَهْوَالاً وَلاَ تُوجَدُ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ»" (حزقيال 28:11-19). تعليقنا: هذه الآيات لا تتحدث عن سقوط إبليس، وإنما تتحدث عن سقوط "مَلِكِ صُورَ" (حزقيال 12:28).
- قصيدة (poem) في سفر إشعياء وهي في الواقع أهم آيات في هذه المسألة[3057]: "كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ (the mount of divine council, on the summit of Zaphon)[3058]. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ (The Most High). لكِنَّكَ انْحَدَرْتَ إِلَى الْهَاوِيَةِ (Sheol)، إِلَى أَسَافِلِ الْجُبِّ (to the bottom of the pit). اَلَّذِينَ يَرَوْنَكَ يَتَطَلَّعُونَ إِلَيْكَ، يَتَأَمَّلُونَ فِيكَ. أَهذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي زَلْزَلَ الأَرْضَ وَزَعْزَعَ الْمَمَالِكَ، الَّذِي جَعَلَ الْعَالَمَ كَقَفْرٍ، وَهَدَمَ مُدُنَهُ، الَّذِي لَمْ يُطْلِقْ أَسْرَاهُ إِلَى بُيُوتِهِمْ؟" (إشعياء 14:12-17). تعليقنا: لأن هذه الآيات الكتابية من سفر إشعياء لا تذكر الشيطان (إبليس) صراحةً، فإن بعض التفاسير – وبخاصة اليهودية أو المتأثرة باليهودية – تقول إن تلك الآيات تشير إلى "مَلِك" (king) شرير أو "حاكم" (ruler) ظالم مِن أعداء إسرائيل. تشير تحديداً إلى "مَلِكِ بَابِلَ" (King of Babylon) (إشعياء 4:14)[3059]. وتوجد محاولات مسيحية للجمع بين هذين الرأيين تقول إن الشيطان (إبليس) هو مصدر القوة التي كانت تقف وراء هذا الملك الشرير أو الحاكم الظالم؛ أو كما قالت دائرة المعارف الكتابية: "ويرى الكثيرون من العلماء أن الحديث هنا عن "الشيطان" ممثلاً في مَلِكِ بَابِلَ"[3060].

ويقول التقليد المسيحي إن الشيطان إبليس قبل سقوطه لم يكن اسمه الشيطان إبليس، وإنما كان اسمه "لوسيفورس" (Lucifer)، وهو اسم مأخوذ من الترجمة المسيحية اللاتينية الشائعة (Latin Vulgate) لـ

(إشعياء 12:14)، ويعني "حامِل النور" (light-bearer) أو "المُتوهِّج نوراً". وفي الترجمة السبعينية (اليونانية) لنفس الآية: Heōsforos، أي "جالِب الفجر" (bringer of dawn). وفي الترجمات الحديثة: "نجمة الصُّبْحِ" (morning star)؛ والمقصود: كوكب الزُّهَرَة (Venus) عند الفجر. "زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ" (Shining One, son of Dawn)، "نَجْم لامع، ابن سَحَر" (day-star, son of the morning) مِن الأصل العبري (Helel ben Shaḥar).

ونظراً لأن "شَحَر" (Shaḥar) هو إله الفجر (أو إله السَّحَر[3061]) عند الفينيقيين والكنعانيين الوثنيين المشركين، فإن معظم المفسرين المحدثين يعتقدون أن (إشعياء 12:14) يستخدم أسطورة فينيقية أو كنعانية قديمة. وعلى الرغم من عدم اتفاق العلماء على تفاصيل هذه الأسطورة، إلا أن خطوطها العريضة تحمل معاني الغرور والتكبر والتمرد والتحدِّي، وأيضاً التهور أو الطموح الزائد عن حده الذي يدفع صاحبه إلى الاضطلاع بمهام ضخمة ليست من حقه القيام بها أو هو غير مؤهل لها، مما يجعله في النهاية يسقط سريعاً طوعاً أو كرهاً مِن القمة إلى القاع، بل إلى الموت "إِلَى الْهَاوِيَةِ، إِلَى أَسَافِلِ الْجُبِّ" (إشعياء 15:14)[3062].

على سبيل المثال، تقول الترجمة اليسوعية تعليقاً على (إشعياء 12:14-15): "يبدو أن الآيات 12 – 15 اقتباس من نموذج فينيقي. مهما يكن من أمر، فهناك عدّة وجوه شبه بقصائد رأس شمرا (أي: أوغاريت Ugarit): فنجمة الصباح والفجر هما استعارتان إلهيتان، وجبل الجماعة (أي: جَبَل الاجْتِمَاعِ) هو الجبل الذي كان الآلهة يجتمعون فيه، كما في أولَمْب اليونان (أي: Mount Olympus in Greek mythology). لقد فسَّر آباء الكنيسة سقوط نجمة الصباح (في اللاتينية الشائعة "لوسيفير") بأنه سقوط سيد الشياطين"[3063].

ونذكر أيضاً ما قاله (Jewish Study Bible) تعليقاً على (إشعياء 12:14-15) حيث أشار إلى أساطير إغريقية مشابهة[3064]:

The [Assyrian/Babylonian] king's vain aspirations to god-like status are mocked. Isaiah refers ironically to the king as *Shining One, son of Dawn*, applying to him the name of a character from ancient Canaanite myth. (The term *Shining One* is not known from Canaanite texts, but his father, *Dawn*, is described in Canaanite myth from Ugarit as a son of the high god El. The name closely recalls Phaethon son of Eos [or "radiant one" son of "Dawn"] in Greek mythology. Phaethon [our emendation: most likely another Phaethon son of Helios], a presumptuous young god, was thrown down to earth by Zeus.) This character (i.e. *Shining One, son of Dawn*) seems to have attempted to join the head of the pantheon, whether this was El (who was known in Canaanite texts as *Most High*) or Baal (whose

palace was located on the *summit of* Mount *Zaphon*); Isaiah seems to mix the characteristics of these two Canaanite deities in his allusion to the myth. Similar references to a Canaanite myth in which an overreaching god is expelled from heaven occur in Ezek. ch 28 and Ps. 82, and possibly in Gen. 6.1-4. Rabbinic commentators identify the term *Shining One* with the morning star (the planet Venus, at certain times visible on the horizon at dawn). Indeed, the mythological figure to whom this poem refers may have been associated with the morning star in ancient Canaanite myth.

وحرصاً على عدم الإطالة سنكتفي بملخص أسطورة "سقوط فيثون" (Fall of Phaeton). فيثون "في الأساطير الإغريقية أنه ابن "هيليوس" إله الشمس وأمه إحدى الحوريات. احتُقر باعتباره ابناً غير شرعي. طلب "فيثون" رخصة لقيادة عربة الشمس عبر السموات ليوم واحد لكي يثبت أن "هيليوس" كان أباه. [فخشي الأب الإله هيليوس على ابنه فيثون وحاول أن يقنعه بالعدول عن تلك المهمة الصعبة، لكن فيثون أصر واعتلى عربة الشمس] وظهر عليه العَجْز عن السيطرة على الخيول لعدم خبرته. وبعد أن أصاب السموات بجرح بالغ، والذي أصبح درب التبّانة، ركب قريباً جداً من الأرض وبدأ يقود العربة بسرعة فائقة. لمنع حدوث ضرر أكبر، قذفه [الإلهُ الأكبر] "زيوس" بصاعقة، فقتله"[3065].

سؤال للعقلاء فقط: لماذا تكون قصة سقوط فيثون الذي تحدى الآلهة وأصر على ركوب عربة الشمس مجرد أسطورة؟ بينما تكون قصة سقوط إبليس الذي عصى اللهَ ورفض السجودَ لآدم وأصر على غواية بني آدم[3066] حقيقةً لا تقبل النقاش؟ ألا يستطيع العقل البشري الذي أبدع أسطورةَ سقوط فيثون أن ينتج أسطورةَ سقوط إبليس سواء في نسختها الإسلامية (الروايات القرآنية السبع) أو في نسختها المسيحية (إشعياء 12:14-17)؟!

وبغض النظر عن أصل الأسطورة التي استخدمها (إشعياء 12:14-17)، سواء فينيقية أو كنعانية أو إغريقية، فإننا في ضوء ما سبق نستطيع أن نقول إن تلك الأسطورة التي استخدمها (إشعياء 12:14-17) للإشارة إلى سقوط مَلِك مغرور عدو إسرائيل، تحولت عند المسيحيين إلى أسطورة سقوط مَلَك متكبر ومتمرد على الله وصار يُعرَف بعد سقوطه باسمي "الشيطان" و "إبليس"؛ وقد شرحنا معنى هذين الاسمين فيما سبق، مما يُغْنِي عن تكرار ما قلناه.

وتوجد في العهد القديم أيضاً كلمة أخرى ارتبطت بالشيطان في الفكر المسيحي[3067]. إنها كلمة "لَوِيَاثَان" (Leviathan) المذكورة أيضاً في سفر إشعياء في سياق نبوءة عن آخر الأيام حين سيُعلَن انتصارُ الله النهائي على قوى الشر. "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يُعَاقِبُ الرَّبُّ بِسَيْفِهِ الْقَاسِي الْعَظِيمِ الشَّدِيدِ لَوِيَاثَانَ، الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ

(elusive serpent; gliding serpent). لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْمُتَحَوِّيَةَ (أي: المُلتَوِية؛ coiling serpent)، وَيَقْتُلُ التِّنِّينَ (dragon; monster) الَّذِي فِي الْبَحْرِ (sea)" (إشعياء 1:27).

وإنه لمِن الطريف أن (إشعياء 1:27) أيضاً مستوحاة – بل تكاد تكون منقولة – مِن الأساطير الفينيقية أو الكنعانية القديمة! تقول الترجمة اليسوعية تعليقاً على (إشعياء 1:27): "تأثَّر هذا النص بقصيدة من رأس شمرا (القرن الرابع عشر ق. م.) جاء فيها: "ستسحق لاوياثانَ الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ، وتحرق الْحَيَّةَ المُلتَوِية، القديرة ذات الرؤوس السبعة""[3068]. وكذلك قالت موسوعة (Encyclopædia Judaica)[3069] أيضاً:

The closest Near Eastern parallel to the biblical materials, however, and probably their actual source, is the Ugaritic myth(s) of Baal and Anat pitted against various sea monsters, one of which is named Lotan ([…]). Not only is this merely another form of the name leviathan, but the same epithets used of leviathan are here prefigured of Lotan, e.g., *btn brḥ* and *btn ʿqltn* as compared with *naḥash bariah* and *naḥash ʿaqallaton* of Isaiah 27:1.

اقرأ أيضاً ما قاله (Jewish Study Bible) تعليقاً على نفس الآية (إشعياء 1:27)[3070]:

Leviathan … Dragon: All these terms occur in Canaanite mythology and elsewhere in the Bible (e.g., Pss. 74.13-15; 89.6-14; Job 26.5-13), where the sea-monsters are destroyed at the beginning of time, when the world is created. In the Canaanite mythology, it is the god Baal who defeats them; in the Bible, it is the LORD. This text (i.e. Isaiah 27.1) moves the event in which chaos is vanquished [from the beginning of time] to the end of time, when the new world order emerges. [In other words,] The monster which the LORD vanquished of old (cf. 51.9; Ps. 74.13-14) was the embodiment (i.e. personification) of chaos; here it stands for the forces of evil in the present world [which] will finally be destroyed at the end of time.

وتقول دائرة المعارف الكتابية: "الأرجح أن الكلمة العبرية "لوياثان" مشتقة من الفعل "لوى" (وهو نفسه في العربية لفظاً ومعنى)، فيكون معناها "ملفوف" أو "ملتو". ويرى بعض العلماء أنها قد تكون من أصل بابلي. واستخدام هذه الكلمة في الكتاب المقدس، يدل على الإشارة إلى "وحش بحري". ففي المزمور الإشارة صريحة إلى حيوان بحري يلعب في "الْبَحْرُ الْكَبِيرُ الْوَاسِعُ الأَطْرَافِ. هُنَاكَ دَبَّابَاتٌ بِلاَ عَدَدٍ. صِغَارٌ

حَيَوَانٍ مَعَ كِبَارٍ. [هُنَاكَ تَجْرِي السُّفُنُ. لِوِيَاثَانُ هذَا خَلَقْتَهُ لِيَلْعَبَ فِيهِ]" (المزمور 104:25-26)، مما جعل البعض يظنون أن المقصود هو "الحوت" أو "الدلفين". وتستخدم الكلمة مجازياً مرتين في نبوءة إشعياء (1:27) في إشارة إلى "أشور"، "لَوِيَاثَان الْحَيَّة الْهَارِبَة" وفي إشارة إلى نهر الدجلة سريع الجريان. وإلى بابل في القول "لَوِيَاثَان الْحَيَّة الْمُتَحَوِّيَة" في إشارة إلى نهر الفرات كثير الانحناءات. ويُستخدم "لوياثان" في ["أَنْتَ رَضَضْتَ رُؤُوسَ لِوِيَاثَانَ. جَعَلْتَهُ طَعَامًا لِلشَّعْبِ، لأَهْلِ الْبَرِّيَّةِ"] المزمور (14:74) في إشارة إلى فرعون مَلِك مصر، وخروج الشعب من مصر. وفي نبوة حزقيال (3:29-5) يقول صراحة: "هأَنَذَا عَلَيْكَ يَا فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ، التِّمْسَاحُ الْكَبِيرُ الرَّابِضُ فِي وَسْطِ أَنْهَارِهِ" مما يدعو إلى ترجيح الرأي القائل بأن المقصود "بلَوِيَاثَان" إنما هو التمساح، ويؤيد ذلك أيضاً ما جاء في وصفه في سفر أيوب (41:1-34)"[3071]. وتقول دائرة المعارف الكتابية تحت عنوان "سفر أيوب والأساطير": "ويحتمل جداً أنه [في (أيوب 41)] بعد أن بدأ بوصف التمساح، انتقل فجأة إلى شيء آخر، لأن الله أراد أن يذكِّر أيوب بتلك القوى الكونية التي لم يكن "لَوِيَاثَان" إلا رمزاً لها، والتي لا يمكن أن تقف أمامها قوة بشرية"[3072].

مما سبق يتضح أن "لَوِيَاثَان" ليس له أصلاً علاقة بالشيطان. وإنما هو كائن مائي أسطوري مخيف متعدد الرؤوس! أو حيوان مائي حقيقي ضخم؛ قيل إنه الحوت؛ وقيل إنه التمساح؛ وقيل إنه الدينوصور القديم العابر البحار[3073]؛ وقيل إنه البليزوصور (Plesiosaur) المنقرض؛ وقيل غير ذلك. وسواء كان "لَوِيَاثَان" أسطورياً أم حقيقياً أم مزيجاً من الأسطورة والحقيقة، فإنه في جميع الأحوال مجرد رمز استخدمه اليهودُ (الرعاة[3074]) للإشارة إلى أعدائهم التقليديين في الحضارات الزراعية مثل مصر والعراق حيث توجد الأنهار العظيمة، النيل ودجلة والفرات الذي يتلوى مثل الحَيَّة. يقول قاموس الكتاب المقدس: "وكما أن البحر يشبه الأمم الجائشة المتحركة المتقلقلة هكذا لوياثان يسكن فيه، لوياثان الحية الهاربة السريعة الملتوية. ويرمز التنين إلى القوى القاسية الشديدة في العالم، تلك القوى التي أنزلت المصائب والويلات على شعب الله. ولكن الله سيسحقها في النهاية (إشعياء 1:27)"[3075].

وبمرور الزمن تحول "لَوِيَاثَان" في الفكر المسيحي إلى رمز للشيطان إبليس أو إلى لقب/اسم للشيطان إبليس عدو المؤمنين وعدو الخير وعدو الله. تقول الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم إن "لَوِيَاثَان يرمز للشيطان"[3076]؛ وتقول في موضع آخر "إن التنانين ولوياثان هم أيضاً الشياطين التي يكسرها المسيح في ماء المعمودية"[3077]. ويقول القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره للمزمور 104 إن لَوِيَاثَان التنين البحري "رمز الشيطان"، "لَوِيَاثَان، أي الشيطان"[3078]؛ ويقول تحت عنوان (إشعياء 27) "تحطيم لوياثان": "إن كان الله يخرج من مكانه ليعاقب، ففي خروجه لا يطلب هلاك الخطاة وإنما الخطية، لا يريد الدخول في معركة مع البشرية إنما مع إبليس الحية القديمة المخادعة والتنين البحري ... إنه يدخل إلى معركة فريدة خلال الصليب – سيف الحق – القاتل للشر والواهب الحياة لشعبه"[3079].

وعلى الرغم مِن أن كلمة "لَوِيَاثَان" نفسها لم تُذكَر أبداً في العهد الجديد، إلا أن الشيطان إبليس له ألقاب/أسماء متأثرة بأساطير لَوِيَاثَان، مثل:

- "الحَيَّة القديمة" (old serpent) إشارة إلى دهائه ومكره وخداعه (التكوين 3): "الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ" (الرؤيا 2:20).
- "التنين العظيم" (great dragon) إشارة إلى قوته الشريرة الهائلة التي تضل العالم كله: "تِنِّينٌ عَظِيمٌ أَحْمَرُ، لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ (seven heads) وَعَشَرَةُ قُرُونٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِ سَبْعَةُ تِيجَانٍ" (الرؤيا 3:12)؛ "وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ، وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ وَلَمْ يَقْوَوْا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي السَّمَاءِ. فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ [مِن السَّمَاءِ] إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ [الساقطون] (أي: جنود إبليس؛ أعوان إبليس)" (الرؤيا 12:7-9)[3080].

وللشيطان إبليس أيضاً ألقاب/أسماء أخرى في العهد الجديد، مثل:

- "رَئِيسُ هذَا الْعَالَمِ" (the prince of this world) (يوحنا 31:12؛ 30:14؛ 11:16) أو "إِلهُ هذَا الدَّهْرِ" (the god of this age) الذي "أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ (أي: حتى لا) تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ" (2 كورنثوس 4:4).
- "رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ (the ruler of the kingdom of the air) (أي: رئيس القوات الشريرة في الفضاء)، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ" (أفسس 2:2).

وبما أن هذا الشيطان (إبليس) هو الشرير (الشر) الَّذِي يُضِلُّ هذا الْعَالَم ويخدع الناس بالكذب، فإن مصيره في النهاية هو الطَرْح فى "بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ (أي: ضد المسيح) وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلاً (أي: دائماً) إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (الرؤيا 10:20)[3081]. "ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ [الساقطين] (أي: جنود إبليس؛ أعوان إبليس)" (متى 41:25).

ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن أسطورة "سقوط إبليس"، بدليل أنهم وضعوها فى القرآن، إلا أنهم وضعوها مباشرةً بعد أسطورة رفض إبليس السجودَ لآدم، أى أن إبليس سقط بسبب كبريائه (arrogance) الذى أدى إلى عصيانه (disobedience) ورفضه السجود لآدم، أو: بسبب كفره الذى أدى إلى كبريائه الذى أدى إلى عصيانه ورفضه السجود لآدم. قال الإمام الشيخ محمد عبده فى تفسيره لـ "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" (البقرة 34): "[...] نظم الآية جاء على مقتضى الطبيعة فى الذِكر، فإنه يفيد أن الله تعالى أراد أن يبين الفعل أولاً لأنه المقصود بالذات،

وهو الإباء (أى: رفض السجود لآدم)، ثم يذكر سببه وعلته وهو الاستكبار، ثم يأتى بالأصل فى العلة والمعلول والسبب والمسبب وهو الكفر"[3082]. إذن: في جميع الأحوال، سقوط إبليس – حسب العقيدة الإسلامية – مرتبط ارتباطاً وثيقاً برفضه السجود لآدم.

عبَّر أصحابُ القرآن عن سقوط إبليس بكلمات مثل "اهْبِطْ مِنْهَا" و "اخْرُجْ مِنْهَا". يقول القرآن إن الله قَالَ لإبليس: "فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. [...] اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا" (الأعراف 13-18) "فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (ص 77-78) "فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (الحجر 34-35).

كلمة "اخْرُجْ" تحمل نفس المعنى الذى استخدمه سفر التكوين - أول سفر مِن أسفار الكتاب المقدس - للتعبير عن طَرْد الإنسان مِن جنة عدن: "فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ [الرَّبُّ الإلهُ] الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" (التكوين 3:23-24). تُترجَم "أَخْرَجَهُ مِن" إلى (banished him from) (sent him out of) (le renvoya de)، بنفس معنى الكلمة فى الترجمة العربية والقرآن، وهو الخروج.

وكلمة "اهْبِطْ" تحمل نفس المعنى الذى استخدمه سفر الرؤيا - آخر سفر في الكتاب المقدس - للتعبير عن طَرْد الشيطان إبليس نهائياً مِن السماء: "وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ، وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ (أي: جنوده) وَلَمْ يَقْوَوْا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي السَّمَاءِ. فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ (أي: جنوده)" (الرؤيا 12:7-9). وتُترجَم "طُرِح إلى" (was hurled (down) to) (was cast (out) to) (fut précipité sur)[3083]، بنفس معنى الكلمة فى الترجمة العربية والقرآن، وهو الهبوط. وهذا يدل على تأثر أصحاب القرآن بالديانة اليهودية/المسيحية، ليس فقط من حيث العقائد والأفكار، ولكن أيضاً من حيث الكلمات والألفاظ.

أما كلمة "مِنْهَا"، فكالعادة اختلف المفسرون المسلمون في معناها: قيل إن الله طرد إبليس مِن الجنة، وقيل طرده مِن الحَضرة الإلهية أو مِن جماعة الملأ الأعلى أو مِن السماء إلى الأرض، وقيل طرده مِن رحمته. ويمكن الجَمْع بين هذه التفاسير بأن نقول إن الله طرد إبليس من منزلة الكرامة العالية. وفى جميع الأحوال، مصير الشيطان (إبليس) فى النهاية هو جهنم. يقول القرآن إن الله قَالَ لإبليس: "فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ. لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ" (ص 84-85) "لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ" (الأعراف 18) "اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا" (الإسراء 63). "فَكُبْكِبُوا فِيهَا (أي: في نار جهنم) هُمْ وَالْغَاوُونَ (أي: الذين أضلوهم). وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ" (الشعراء 94-95) أي: أعوان إبليس الذين يتبعونه ويطيعون أوامره.

أما فيما يتعلق بتغيير الاسم بعد السقوط، فهو أيضاً موجود فى القرآن، لكن مع اختلاف بسيط: جعل أصحابُ القرآن اسمَ "إبليس" يتغير بعد سقوطه إلى "الشيطان" وأضافوا إليه أحياناً صفة "الرجيم" (ص 77) و (الحجر 34)؛ أو كما قال د. عبد الله شحاته: "تحول من إبليس إلى شيطان رجيم"[3084]. أو يمكن أن نقول إن "إبليس" اسم عَلَم (proper name) بينما الشيطان لقب (epithet) اكتسبه إبليس بعد سقوطه.

والدليل على ذلك هو أن كل الروايات القرآنية السبع لأسطورة سجود الملائكة لآدم استخدمت اسم "إبليس"؛ لكن بعد سقوطه/طرده استخدمت الروايات الثلاث التي أكملت القصة اسمَ أو لقبَ "الشيطان": "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ (أي: فَوَسْوَسَ الشَّيْطَانُ إلى آدم) قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ [...]" (طه 120)؛ "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ (أي: فَوَسْوَسَ الشَّيْطَانُ لآدم وحواء) [...]" (الأعراف 20)؛ "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (البقرة 36).

إذن: فى القرآن، "إبليس" و "الشيطان" كائن واحد. اسمه "إبليس" قبل السقوط؛ واسمه أو لقبه "الشيطان (الرجيم)" بعد السقوط.

ونحن نرى أن تغيير الاسم حسب العقيدة المسيحية منطقي أكثر من العقيدة الإسلامية. قبل السقوط، كان اسمه ذا معنى إيجابي: "المُتوهِّج نوراً"، "حامل النور"، "نجمة الصُّبْحِ". وبعد السقوط، صار اسمه ذا معنى سلبي: "الشيطان"، "إبليس"، "الحية القديمة"، "التنين العظيم". أما حسب الإسلام، فإن اسمه من البداية "إبليس" يحمل معنى سلبي حتى مِن قبل سقوطه!

أضف إلى ذلك أن ربط سقوط إبليس برفضه السجود لآدم ربط غير مقنع، لأن السجود لله وحده، فلا ينبغى أن يسجد مخلوق (ملاك أو جِن) لمخلوق آخر.

ومِن الجدير بالذكر أن القرآن ليس الكتاب الوحيد الذى وضع سقوط إبليس وتغيير اسمه إلى "الشيطان" مباشرةً بعد رفضه السجودَ لآدم. ويجب هنا أن نتوقف مرة أخرى عند التراث المسيحى السريانى، وتحديداً كتاب "مغارة الكنوز" أو "كهف الكنوز" (Cave of Treasures) السريانى المعاصر لكتاب "القرآن" العربى، أو على الأرجح قبله بقليل.

يقول الفصل الثالث من كتاب مغارة الكنوز إنه بعد أن سجد الملائكة كلهم أجمعون لآدم ورفض إبليس أن يسجد له، طُرد إبليس وأُهبط مِن السماء وتغير اسمه إلى الشيطان (بالسريانية: sāṭānā)[3085]:

[…] When the angels heard this heavenly voice they all bent their knees and worshipped him [i.e. Adam].

Chapter 3: The fall of Satan

When the chief of that lowest rank [c.f. Iblis in Islam] saw what greatness had been bestowed upon Adam he envied him from this day on. He did not want to worship him and spoke to his army: "Let us not worship and glorify him together with the angels. It is meet that he worships me who am fire and spirit and not that I worship dust formed from dirt." As soon as the rebel conceived this and was disobedient as regards the wish of his soul and volition he separated himself from God. He was cast down and fell, he and his whole rank, on Friday, the sixth day, and their fall from heaven lasted for three hours. The garments of their glory were taken from them and he was called "Satan" because he set himself apart, […].

وطبعاً توجد أدلة أخرى تؤكد تأثر القرآن بالتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة). فإذا نظرنا مثلاً إلى الجملة التي جاءت في الرواية القرآنية الأولى لقصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" والتي وضعها صاحبُ تلك الرواية على لسان الله عقاباً لإبليس: "قَالَ [اللهُ لإبليس] فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (ص 77-78). وكذلك فعل صاحبُ رواية سورة الحجر: "قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (الحجر 34-35). هذه الجملة مستوحاة من مشهد الدِّين (Judgment scene) في إنجيل متى (متى 25:31-46) والذي درسناه بالتفصيل في ثنايا دراستنا لعقيدة القيامة. فسنكتفي هنا بالآيات الإنجيلية التي طوَّرها صاحبُ رواية سورة ص القرآنية.

مشهد الدِّين (Judgment scene) **[← "يَوْمِ الدِّينِ (أي: يوم القيامة، يوم الحساب والجزاء)" (ص 78) "يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (ص 79)]**. **(متى 25):** {34} ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ (أي: المسيح؛ الديَّانُ العادل) لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ (أي: للأبرار): تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. [...] {40} فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ **[← "فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ" (ص 84)]**: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ (أي: فعلتم الخيرَ) بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ. {41} «ثُمَّ يَقُولُ [الْمَلِكُ] أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ (أي: للأشرار): اذْهَبُوا عَنِّي **[← "فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (أي: مطرود banished؛ ملعون cursed)" (ص 77)]** يَا مَلاَعِينُ **[← "عَلَيْكَ لَعْنَتِي" (ص 78)]** إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ **[← "جَهَنَّمَ" (ص 85)]** الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ **[← "إِبْلِيسَ" (ص 74) "إِبْلِيسُ" (ص 75)]** وَمَلاَئِكَتِهِ (أي: جنوده) **[← "لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ [يَا إِبْلِيسُ] وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ" (ص 85)]**، [...] {45} فَيُجِيبُهُمْ [الْمَلِكُ] قَائِلًا: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ **[← "فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ" (ص 84)]**: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ (أي: لَمْ تَفْعَلُوا الخيرَ) بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا. {46}

فَيَمْضِي هؤُلاَءِ [الأشرار] إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ [← **"لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ [يَا إِبْلِيسُ] وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ" (ص 85)]** وَالأَبْرَارُ [يمضون] إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ».

علماً بأن عبارة "فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ" (ص 84) لم تُذكَر في القرآن كله إلا في هذه الآية (ص 84) فقط. وهذا يؤكد لنا أكثر أن صاحب رواية سورة ص القرآنية قد وقع بشدة تحت تأثير التراث المسيحي، لأنه من المعلوم أن السيد المسيح لطالما كرر عبارة "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ" (بالسريانية: amīn āmēr ēnā lkūn) أو "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُم" عشرات المرات في الإنجيل [← **فمن المؤكد أن صاحب رواية سورة ص قد سمع هذه الجملة الشهيرة، فوضعها في روايته على لسان الله: "قَالَ [اللهُ] فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ" (ص 84)؛ والتي قُرِئَت أيضاً: فَالْحَقَّ وَالْحَقَّ أَقُولُ].**

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Emran Iqbal El-Badawi) تعليقاً على العلاقة بين إنجيل متى (متى 25:41-46) والقرآن (ص 77-85)[3086]:

> God’s command to the evil doers bound for eternal hellfire, “Go from me (*zēlū lkūn mēnī*) [you] cursed ones (*līṭē*)” (Matthew 25:41), coupled with the context of Satan’s curse from Rabbinic literature, is dogmatically re-articulated into God’s command against Satan when he refuses to bow to Adam and opposes God over his creation mankind, to which God replies, “He [God] said, ‘depart from it for your are banished ([فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ]), and indeed My curse is upon you until the Day of Judgment ([وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ])” [ص 77-78].
>
> The syntax of “depart from it” ([فَاخْرُجْ مِنْهَا] [ص 77]) is virtually the same as “go from me (*zēlū lkūn mēnī*)” [Matthew 25:41]. So too has the following adjective *rajīm* [رَجِيمٌ] [ص 77], that is, “banished, cursed,” and the statement “indeed My curse is upon you until the Day of Judgment” ([وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ]) [ص 78] been inspired by the “cursed ones” (*līṭē*) [Matthew 25:41]. Moreover, it has been discussed […] how the formula “truly I say to you” (*amīn āmēr ēnā lkūn*), which is characteristic of Jesus’s rhetorical style in the Gospels, is echoed in the Qur’ānic formula “say, indeed” ([قُلْ إِنَّمَا]; [يونس 20]; [الرعد 36]; [الأنبياء 45]; and so on). However, its utterance by Jesus – who is God and judge – on the Day of Judgment (Matthew 25:45) and immediately preceding the entrance of the evil doers into hellfire (Matthew

25:46) is dogmatically re-articulated by God's words to the now accursed Satan, "He [that is, God] said, 'truly, truly I say ([الْحَقَّ وَالْحَقَّ أَقُولُ]) [that] I will surely fill Gehenna with you [that is, Satan, the adversary] and those who follow you among them, all of them'" [ص 84-85].

In this context, "truly I say" ([الْحَقَّ أَقُولُ]) is a calque for "truly I say to you" (*amīn āmēr ēnā lkūn*) which is found throughout the Gospels. This passage also makes clear that although hellfire is prepared for the "rebellious ones" ([لِلْكَافِرِينَ]) in [البقرة 24], it is just as well prepared for "the adversary [Satan] and his angels ([…])" (Matthew 25:41).

الخلاصة: مما سبق يتضح أن الإسلام قد أخذ عقيدةَ الإيمان بوجود الجن والعفاريت من المعتقدات العربية الجاهلية (Pre-Islamic Arabia)، وأخذ عقيدةَ الإيمان بوجود الشيطان إبليس وكبريائه وسقوطه من الديانتين اليهودية والمسيحية الشرقية (السريانية بصفة خاصة Syriac Christianity)، إلا أن تأثر الإسلام بالمسيحية الشرقية في هذه المسألة كان أكثر بكثير من تأثره باليهودية.

حقاً، لقد صدق مَن قال إن الإسلام هو مزيج عربي مِن اليهودية والمسيحية الشرقية والعربية الجاهلية.

الإسلام ليس ديناً من عند الله. الإسلام هو المرحلة العربية الأخيرة مِن مراحل تطور الديانات العربية الجاهلية واليهودية والمسيحية الشرقية (السريانية بصفة خاصة).

4.6 سقوط آدم: هل الأنبياء معصومون؟ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى فكان مِنَ الظَّالِمِينَ!

بعد أن درسنا الروايات القرآنية السبع لقصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" وتحدثنا عن طبيعة إبليس (الشيطان) وسقوطه، سندرس الآن الروايات القرآنية الثلاث التي أكملت القصة وذكرت لماذا "أُهبِط" آدم (Adam) وحواء (Eve) مِن الجنة. ولذلك تُعرَف هذه القصة - وبخاصة في التراث المسيحي - بِاسْمِ "سقوط الأبوين الأولين" (The Fall of the Protoplasts) أو "سقوط الإنسان" (The Fall of Man) (La chute de l'Homme) وتُعرَف اختصاراً باسم "السقوط" (The Fall) (La chute)؛ وتُعرَف أيضاً بِاسْمِ "الشجرة الْمُحَرَّمَة" (The Forbidden Tree) (L'arbre défendu) التي نهى اللهُ آدمَ وحواء عن الأكل منها، لكنهما عصيا الله وأكلا منها، فكانت سبباً في خروجهما مِن الجنة!

صاحب الرواية الأولى (سورة ص) لم يكمل القصة.

الرواية الثانية. قال صاحب رواية سورة الأعراف (مكية): وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ [حواء] الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (أي: المتجاوزين حدود الله) {19} فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ [بالأكل من تلك الشجرة الْمُحَرَّمَة التي نهاهما اللهُ عنها] لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ (أي: ما سُتِرَ وغُطِّيَ) عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا (أي: عوراتهما) وَقَالَ [الشَّيْطَانُ لهما] مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ (أي: لِئَلَّا) تَكُونَا مَلَكَيْنِ (two angels) أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ [فِي الْجَنَّةِ] {20} وَقَاسَمَهُمَا (أي: حَلفَ الشَّيْطَانُ لهما بأيمانٍ مغلظة) إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ {21} فَدَلَّاهُمَا (أي: أوقعهما شيئاً فشيئاً؛ ساقهما؛ قادهما) بِغُرُورٍ (أي: بهذه الخدعة) فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا (أي: شرعا وأخذا) يَخْصِفَانِ (أي: يقطعان ويَلْزَقان؛ يجمعان؛ يضمان) عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ [ليسترا عوراتهما] وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ {22} قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (أي: مِن الهالكين)[3087] {23} قَالَ [الربُّ لآدم وحواء والشيطان:] اهْبِطُوا [مِن الْجَنَّةِ إلى الْأَرْضِ] بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ[3088] وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ[3089] وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (أي: إلى انتهاء آجالكم) {24} قَالَ [الربُّ لآدم وحواء وذريتهما:] فِيهَا (أي: في الأرض) تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ [وتُدفَنون] وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (أي: تُبعَثون) {25} يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ (أي: هيأنا لكم؛ جعلنا لكم؛ خلقنا لكم) لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ (أي: يستر عوراتكم؛ قيل هو: لباس الضرورة) وَرِيشًا (قيل هو لِبَاس فاخر للزينة والتجمل) وَلِبَاسُ التَّقْوَى (أي: مخافة الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه) ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ {26} يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ (أي: لا يخدعنَّكم؛ احذروا أن يغويكم) الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا [...] {27}.

خطة الخلاص (Salvation Plan) الإسلامية حسب رواية سورة الأعراف. احتمالان لا ثالث لهما[3090]:

- الآية الأولى تذكر ثواب مَن يثبت استحقاقَه الخلاص (أي: عودته إلى الجنة): "يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۙ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ [في مستقبلهم؛ في الآخرة] وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [على ما مضى؛ على ما فاتهم؛ في الدنيا][3091]" (الأعراف 35).
- والآية الثانية تذكر عقاب مَن لا يستحق الخلاص: "وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (الأعراف 36).

الرواية الثالثة. قال صاحب رواية سورة طه (مكية) باختصار: وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى (أي: أمرنا؛ وصينا) (had a covenant with) آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (أي: لم يكن عند آدم عزيمة على حفظ الوصية الإلهية وَلَمْ نَجِدْ لَهُ تصميماً ولا ثباتاً على الامتثال للأمر الإلهي) {115}. **ثم قال صاحب هذه الرواية القرآنية بالتفصيل:** فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ (tree of immortality) وَمُلْكٍ (kingdom; kingship) لَا يَبْلَى (أي: لا ينقطع ولا ينتهي) {120} فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (أي: ضَلَّ عن الصواب والرشد؛ خاب وفسد عيشه)[3092] {121} ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ (أي: اصطفاه وقرَّبه) فَتَابَ عَلَيْهِ (أي: قَبِلَ توبته**!**) وَهَدَى {122} قَالَ [الربُّ لآدم وحواء:] اهْبِطَا مِنْهَا (أي: مِن الْجَنَّةِ إلى الأَرْضِ) جَمِيعًا (أي: مع الشيطان؟ وقيل المقصود: ذُرِّيَّتكُمَا) بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ[3093] [...] {123}.

خطة الخلاص (Salvation Plan) الإسلامية حسب رواية سورة طه. احتمالان لا ثالث لهما[3094]:

- الآية الأولى تذكر ثواب مَن يثبت استحقاقَه الخلاص (أي: عودته إلى الجنة): "[...] فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ [في الدنيا] وَلَا يَشْقَى [في الآخرة]" (طه 123).
- والآية الثانية تذكر عقاب مَن لا يستحق الخلاص: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ [في الدنيا] مَعِيشَةً ضَنْكًا (أي: ضيقة شاقة) وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (أي: متحيراً تائهاً؛ عاجزاً عن الحجة التي يعتذر بها)" (طه 124).

أصحاب الروايات الرابعة (سورة الإسراء) والخامسة (الحجر) والسادسة (الكهف) لم يكملوا القصة.

الرواية السابعة والأخيرة هي رواية سورة البقرة وهي الرواية المدنية الوحيدة. ولقد حاول صاحبُها أن يدمج الروايتين الثانية والثالثة في رواية واحدة، فقال: وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا (أي: مِن ثمارها[3095]) رَغَدًا (أي: هنيئاً طيباً؛ وافراً واسعاً؛ لا عناء فيه) حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (أي: العاصين) {35} فَأَزَلَّهُمَا[3096] الشَّيْطَانُ عَنْهَا (قيل: أوقعهما في الزَّلَّة وهي السَّقْطَة

والخطيئة[3097]؛ وقيل: أَزْلَقَهُمَا made them slip[3098] وأبعدهما عن الجنة) فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ {36} فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ (قيل: ألهم الربُّ آدمَ كَلِمَاتٍ يقولها للاعتراف بخطئه والاستغفار والتوبة، فَتَلَقَّى آدَمُ هذه الكلمات بالقبول وقالها) فَتَابَ [الربُّ] عَلَيْهِ (أي: قَبِل الربُّ توبته!) إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {37} قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا [...] {38}.

خطة الخلاص (Salvation Plan) الإسلامية حسب رواية سورة البقرة. ولقد حاول صاحبُها أن يدمج خطتي الخلاص السابقتين (الأعراف 35-36) (طه 123-124) في خطة خلاص واحدة (البقرة 38-39). احتمالان لا ثالث لهما[3099]:

- الآية الأولى تذكر ثواب مَن يثبت استحقاقَه الخلاص (أي: عودته إلى الجنة): "[...] فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[3100]" (البقرة 38).
- والآية الثانية تذكر عقاب مَن لا يستحق الخلاص: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ (أي: أهل جهنم) هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة 39).

وكالعادة، اختلف المفسرون في أمر تلك الكلمات التي تلقاها آدم مِن ربه فتاب عليه (البقرة 37)[3101][3102]. قال د. محمد أبو شَهبة: "والصحيح فى الكلمات هو: ما روى عن طرق عدة: أنها قوله تعالى: "رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23)"[3103]. ولقد لاحظنا أنه يوجد شبه إجماع بين المفسرين المسلمين على أن (الأعراف 23) تشير إلى توبة آدم. مع أن الآية نفسها لا تستخدم كلمة "تابَ"! وإنما هي مجرد اعتراف بالذنب وطلب المغفرة والرحمة فقط. وحتى لو افترضنا جدلاً أن (الأعراف 23) تشير إلى توبة آدم، فلا يوجد أي دليل في رواية سورة الأعراف على أن الله قَبِل هذه التوبة المزعومة! بالعكس، أمر الهبوط بعدها "اهْبِطُوا" (الأعراف 24) يدل ضمنياً على رفض هذه التوبة المزعومة.

وهكذا صارت التوبة (الأعراف 23؟) (طه 122) (البقرة 37) وإتباع "هُدى" الله الواحد الأحد (طه 123) (البقرة 38) اعتقاداً بالقلب وقولاً باللسان وعملاً بالجوارح "اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ" (الأعراف 35) هما أساس الخلاص (النجاة؛ دخول الجنة) في الإسلام. ولعل المقصود بالهدى هنا هو "يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي" (الأعراف 35)، أو ما يُسمَّى بالكتب "السماوية". لكن أين النسخ الأصلية لتلك الكتب "السماوية"؟! لا توجد نسخة أصلية كاملة للتوراة يرجع تاريخها إلى زمان موسى. ولا توجد نسخة أصلية كاملة للإنجيل يرجع تاريخها إلى زمان المسيح. ولا توجد نسخة أصلية كاملة للقرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد. لا توجد نسخ أصلية كاملة. والأمل في اكتشاف نسخ أصلية كاملة يكاد يكون منعدماً.

4.6.1 حيرة المفسرين بسبب غموض الروايات القرآنية واختلافاتها

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24).

يُمكِن ملاحظة الاختلافات بين الروايات القرآنية الثلاث بسهولة مِن مجرد قراءة آيات كل رواية.

على سبيل المثال، قال صاحب الرواية الثانية إن الشيطان "وَسْوَسَ لَهُمَا" (الأعراف 20) (أي: لآدم وحواء) ثم استخدمت الآيةُ صيغةَ المثنى بانتظام: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ" (الأعراف 20). بينما قال صاحب الرواية الثالثة إن الشيطان "وَسْوَسَ إِلَيْهِ" (طه 120) (أي: إلى آدم) ثم استخدمت الآيةُ صيغةَ المفرد المذكر بانتظام: "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ" (طه 120)! أما صاحب الرواية السابعة، فلم يحدد لِمَن وسوس الشيطان، وإن قال مستخدماً ضمير المثنى "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ" (البقرة 36)؛ وكأنه أراد أن يؤيد صاحب الرواية الثانية (الأعراف 20).

وانفردت الرواية الثانية بمعلومة لم تُذكر فى الروايتين الثالثة والسابعة، وهى: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ. يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 26-27).

كما انفردت الرواية الثانية بِجُملةٍ قالها الشيطانُ لآدم وحواء: "إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" (الأعراف 21). فما معنى وجود هذه الجملة في رواية سورة الأعراف وعدم وجودها في روايتي سورتي طه والبقرة؟! لماذا وضعها صاحبُ رواية سورة الأعراف في روايته؟! هل لأنها منقولة من التراث المسيحي السرياني قبل الإسلام، وتحديداً من الميمر الذي كتبه "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) - أسقف سروج بشمال العراق والمتوفي عام 521م (أي: قبل الإسلام) - عن أيوب، وقال فيه إن الأبالسة اقترحوا على رئيسهم الشيطان أن يخدع امرأةَ أيوب ويتظاهر بنصيحتها ليستخدمها ضد أيوب كما خدع حواءَ من قبل وتظاهر بنصيحتها ليستخدمها ضد آدم[3104]: {902} امضِ وانصحْها (أي: انصحْ امرأةَ أيوب) كما (نصحتَ) حوّاء **[← "وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" (الأعراف 21)]** لكي تتقاتل معه [...] {934} نظرت امرأةُ أيوب إلى هذه الأمور فانحدرت، [...] {937} وانجرَّت إلى نصيحةِ العدوِّ البغيضة **[← "وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" (الأعراف 21)]**. [...] {940} على مثال حواء أخذت ابنتُها النصيحة **[← "وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" (الأعراف 21)]**، {941} لتُوقع أيُّوبَ من برارتِه، كما حصل لآدم؟ أم يوجد سبب آخر وهو أن سورة الأعراف هي أكثر سورة قرآنية جاء بها الفعل "ن ص ح"؛ حيث جاء 6 مرات بصور مختلفة في سورة الأعراف وحدها (الآيات 21، 62، 68، 79 مرتان، 93) بينما جاء في سور أخرى – ليس من بينها طه والبقرة! – مرة أو مرتين فقط: (التوبة 91)؛ (هود 34) مرتان؛ (يوسف 11)؛ (القصص 12، 20)؛ (التحريم 8)[3105]؟ إذا كان هذا هو السبب، فهذا يعني أن الألفاظ المستخدمة في كل سورة كانت تؤثر على

(و/أو: تتأثر بـ) الألفاظ المستخدمة في رواية تلك السورة. وهذا يدل على أن الصنعة الأدبية كانت تؤثر على سرد الأحداث في القرآن، مما يعني أن القصة القرآنية قصة أدبية وليست تاريخية حقيقية. فلو كانت حدثاً تاريخياً حدث بأفعال وأقوال محددة، لاتفقت الروايات القرآنية الثلاث ولمَا ظهرت تلك الاختلافات الكثيرة التي تؤكد بشرية القرآن. "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24).

مثال آخر يوضح أن الألفاظ المستخدمة في كل سورة كانت تؤثر على (و/أو: تتأثر بـ) الألفاظ المستخدمة في رواية تلك السورة: المناداة في سورة الأعراف. فلقد انفردت رواية سورة الأعراف بجملة أخرى غير موجودة في روايتي سورتي طه والبقرة: "وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ" (الأعراف 22). ومِن الواضح أمامنا[3106] أن سورة الأعراف هي أكثر سورة قرآنية جاء بها فعل المناداة بصوره المختلفة؛ بل سُميت سورة الأعراف بهذا الاسم بسبب مناداة أصحاب الأعراف لأصحاب الجنة وأصحاب النار (الأعراف 46-49)، وفي هذا السياق وحده جاء فعل المناداة 5 مرات: "وَنُودُوا (أي: أصحابُ الجنة) أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ [...]. [...]. وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ (أي: على حاجز أو سور عظيم بين أصحاب الجنة وأصحاب النار!) رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ [...]. [...]. وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ (أي: مِن أصحاب النار) [...]. [...]. وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ [...]" (الأعراف 43-50). بينما لم يُذكَر فعل المناداة في سورتي طه والبقرة إلا مرة واحدة فقط لا تنتمي إلى قصة سقوط آدم (طه 11) (البقرة 171)! فيبدو لنا إذن أن هذا هو سبب غياب فعل المناداة عن روايتي سورتي طه والبقرة ووجوده في رواية سورة الأعراف فقط "وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ" (الأعراف 22)، تماشياً مع السياق الأدبي الأوسع للرواية وحفاظاً على تماسك سورتها[3107]. ومما يؤيد ذلك أيضاً كلمة "تِلْكُمَ(ا)" التي لم تُذكَر في القرآن كله إلا في سورة الأعراف[3108]! مرتان فقط وكلتاهما مع المناداة وكلتاهما مع الجنة! المرة الأولى على لسان الله: "وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ" (الأعراف 22)؛ والمرة الثانية على لسان الله أو ملائكته: "وَنُودُوا (أي: أصحابُ الجنة) أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (الأعراف 43)!

مثال آخر: لكن مِن الرواية الثالثة (رواية سورة طه) التي انفردت بكلمة "تَشْقَى" التي وضعها صاحبُ الرواية على لسان الله شخصياً! "فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ" (طه 117). بصراحة لا نرى أمامنا سبباً لوجود هذا الفعل "تَشْقَى" في رواية سورة طه وعدم وجوده في روايتي سورتي الأعراف والبقرة إلا أن سورة طه هي السورة الوحيدة في القرآن كله التي جاء فيها هذا الفعل بهذه الصورة: ثلاث مرات "تَشْقَىٰ" (طه 2) "تَشْقَىٰ" (طه 117) "يَشْقَىٰ" (طه 123). بينما جاء في سور أخرى – ليس من بينها الأعراف والبقرة! – بصور أخرى أكثرها هي "شَقِيًّا" التي تكررت في سورة مريم ثلاث مرات أيضاً (مريم 4، 32، 48)[3109]. ومِن المعلوم أن سورة مريم تسبق سورة طه مباشرةً حسب ترتيب

المصحف الحالي، بل يُعتقَد أن سورة مريم تسبق سورة طه مباشرةً حسب الترتيب الزمني لسور القرآن. فيبدو لنا إذن أن استخدام الفعل "ش ق ى" كان شائعاً ورائجاً بين المسلمين الأوائل في تلك الفترة الزمنية، ولذلك حرص صاحبُ رواية سورة طه على استخدامه، فضلاً عن اتفاقه مع سجع نهايات الآيات في سورة طه. باختصار: السبب أدبي وليس تاريخي. اللهُ لم يقل لآدم "فَتَشْقَىٰ" (طه 117)، وإنما صاحب رواية سورة طه هو الذي تجرأ ووضع هذه الكلمة على لسان الله لأسباب أدبية محضة تتعلق بسورة طه. مما يؤكد ما قلناه فيما سبق: القصة القرآنية قصة أدبية وليست تاريخية حقيقية.

وكذلك انفرد صاحب رواية سورة طه بقول الشيطان لآدم "هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ [...]" (طه 120). والسبب أيضاً كما توقعتم سبب أدبي محض يتعلق بسورة طه نفسها. فكما قالت سورة طه في قصة موسى "هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ [...]" (طه 40) بعد ذِكر عدو الله وموسى "عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ" (طه 39)، أراد صاحبُ رواية سورة طه أن يصنع "تركيباً موازياً" (parallel structure)، فقال في قصة آدم "هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ [...]" (طه 120) بعد ذِكر عدو آدم وحواء "عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ" (طه 117)([3110]).

النتيجة: وجود اختلافات بين الروايات القرآنية المتعددة لنفس القصة، وبخاصة الاختلافات في الأقوال والأفعال وترتيب الأحداث، له تداعيات كثيرة وخطيرة:

- أولاً: يؤكد أن القرآن كلام بشر؛ فلو كان القرآنُ كلامَ الله كما يتوهّم المسلمون لحكى القصةَ مرة واحدة فقط بدون تكرار وبدون اختلافات. ولا مانع مِن الإشارة إليها في مواضع لاحقة لاستخراج عِبر ومواعظ أو لتسليط الضوء على نقطة معينة قيلت مِن قبل.
- ثانياً: يؤكد أن القرآن ثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر مِن شخص؛ فلو كان القرآنُ كلامَ شخص واحد فقط (محمد مثلاً) لحكى القصةَ مرة واحدة فقط أو كررها بدون اختلافات. لكن لأن القرآن كلامَ عدة أشخاص، فكل واحد منهم روى القصةَ بروايةٍ مختلفة حسب التقليد الذي سمعه.
- ثالثاً: يؤكد أن القرآن ليس كتابَ تاريخ. وإنما القرآن كتابٌ أدبي، منتج ثقافي (cultural artifact) أنتجه العرب، وأثّرت الصنعةُ الأدبية العربية على تكوينه.
- رابعاً: أدت هذه الاختلافات، وبخاصة الاختلافات في الأقوال والأفعال وترتيب الأحداث، إلى حيرة المفسرين المسلمين وتخبطهم بين اختلافات الروايات وغموض الآيات ...

4.6.1.1 "اهْبِطَا" (طه 123)؟ أم "اهْبِطُوا" (الأعراف 24) (البقرة 36) (البقرة 38)؟!

ولعل أهم اختلاف فى الألفاظ والعبارات بين الروايات القرآنية الثلاث هو الصيغة التى ذُكِر بها أمر الهبوط (الخروج من الجنة). ورد هذا الأمر فى الرواية الثانية بصيغة الجمع: "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (الأعراف 24). بينما ورد فى الرواية الثالثة: "اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (طه 123) بصيغة

المثنى رغم قوله في نفس الآية "جَمِيعًا" و "يَأْتِيَنَّكُمْ" بصيغة الجمع! فماذا قال اللهُ بالضبط؟! هل قال "اهْبِطُوا" كما زعم صاحب (الأعراف 24)؟ أم قال "اهْبِطَا" كما زعم صاحب (طه 123)؟!

كالعادة، حاول المفسرون المسلمون قديماً وحديثاً أن يجدوا حلولاً لهذه المشكلات القرآنية، فلجأوا إلى حيل، إلا أنهم – كالعادة أيضاً – احتاروا واختلفوا فى تفاصيل هذه الحيل[3111] ...

قيل إن ذلك مثل: "وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ [...] وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ" (الأنبياء 78)، حيث استخدم المثنى "يَحْكُمَانِ" ثم الجمع "لِحُكْمِهِمْ"!

وقيل إن المثنى نوعان[3112]:

- النوع الأول (المثنى الحقيقي) يسمى مثنى لفظاً ومعنى، أى أن واحده فرد واحد أو ذات واحدة. وإذا وُصِف أو استؤنف الحديث عنه وجب تثنية الضمير العائد عليه، مثل: "قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا [...]" (المائدة 23).
- النوع الثانى (المثنى اللفظي، أو: المثنى غير الحقيقي) يسمى مثنى فى اللفظ وجمعاً فى المعنى، أى أن واحده جمع فرد مِن عدة أفراد (collective noun) وليس فرداً واحداً. وإذا وُصِف أو استؤنف الحديث عنه يجوز أن يُراعَى فيه جانب اللفظ (التثنية) أو جانب المعنى (الجمع)، مثل: "هَذَانِ خَصْمَانِ (أي: فريقان) اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ [...]" (الحج 19)؛ "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا [...]" (الحجرات 9).

ولعلنا إذا طبقنا هذه الحيلة النحوية على "اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (طه 123) يكون المقصود هو آدم وحواء وذريتهما كجماعة والشيطان (إبليس) وذريته كجماعة أخرى؛ وبذلك يكون الخطاب فى "اهْبِطَا" لآدم والشيطان (إبليس) كفريقين وليس كفردين. قال القرطبي: ""قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا" خاطب آدَمَ وَإِبْلِيس [...] "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" تَقَدَّمَ فِي "الْبَقَرَة" أَيْ أَنْتَ عَدُوّ لِلْحَيَّةِ وَلِإِبْلِيس، وَهُمَا عَدُوَّانِ لَك. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْله "اِهْبِطَا" لَيْسَ خِطَابًا لِآدَم وَحَوَّاء، لِأَنَّهُمَا مَا كَانَا مُتَعَادِيَيْنِ، وَتَضَمَّنَ هُبُوطُ آدَم هُبُوطَ حَوَّاء"[3113].

إلا أن هذه الحيلة الذكية لم تنجح في إزالة حيرة المفسرين وتوحيد رأيهم. والدليل على ذلك هو أن كثير مِن المفسرين قديماً وحديثاً قالوا إن الخطاب في "اهْبِطَا" لآدم وحواء، وإن المقصود بـ "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" هو العداوة بين ذرية آدم وحواء، أي العداوة بين بني البشر في الدنيا. مثلاً:

- قال تفسير الجلالين: ""قَالَ اهْبِطَا" أَيْ: آدَم وَحَوَّاء، بِمَا اشْتَمَلْتُمَا عَلَيْهِ مِنْ ذُرِّيَّتكُمَا؛ "مِنْهَا" مِنْ الْجَنَّة؛ "جَمِيعًا بَعْضكُمْ" بَعْض الذُّرِّيَّة؛ "لِبَعْضٍ عَدُوّ" مِنْ ظُلْم بَعْضهمْ بَعْضًا"[3114].
- وقال تفسير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "أمر الله آدم وزوجه أن يخرجا من الجنة ويهبطا إلى الأرض، وأخبرهما سبحانه بأن العداوة ستكون فى الأرض بين ذريتهما"[3115].

- وقال د. محمد سليمان عبد الله الأشقر: ""بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" أى: بعضكم يا معشر البشر فى الدنيا عدو لبعض فى أمر المعاش ونحوه، فيحدث بسبب ذلك القتال والخصام"[3116].

وكالعادة، توجد حلول توافقية. مثلاً: قيل إن العداوة بين بني البشر في الدنيا تكون عادةً بسبب إغواء الشيطان. ومِن ثم، فلا مانع مِن إدخال الشيطان في الخطاب!

ونجد في تفسير الطبري رأياً يحاول أن يمسك العصا مِن المنتصف، فيقول إن الخطاب في "اهْبِطَا" لآدم وحواء، لكن المقصود بـ "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" هو: "أَنْتُمَا (أي: آدم وحواء) عَدُوّ إبْليس وَذُرّيَّته، وَإِبْلِيس عَدُوّكُمَا وَعَدُوّ ذُرّيَّتكُمَا"[3117].

أما السخاوي فقال شيئاً في غاية الغرابة، وهو ما يلي: ""قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا" (طه 123) وفى موضع آخر "اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا" (البقرة 38) المأمور بالهبوط آدم وحواء، وفى الآية الأخرى آدم وحواء وإبليس"[3118]! تعليقنا: (طه 123) و (البقرة 38) روايتان مختلفتان لنفس القصة الواحدة (two different versions of the same narrative)، فماذا قال اللهُ بالضبط: هل "اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا" (طه 123)؟ أَم "اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا" (البقرة 38)؟!

أما ابن كثير فكان أذكى مِنهم كلهم، إذ تجاهل تماماً أن الخطاب فى "اهْبِطَا" (طه 123) يستخدم صيغة المثنى، وفسَّر هذه الآية على أن الخطاب للجمع (آدم وحواء وإبليس). فقال في تفسيره لـ "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا" (طه 123): "يَقُول تَعَالَى لِآدَم وَحَوَّاء وَإِبْلِيس: "اِهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا"، أَيْ: مِنْ الْجَنَّة كُلّكُمْ، وَقَدْ بَسَطْنَا ذَلِكَ فِي سُورَة الْبَقَرَة. "بَعْضكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ"، قَالَ: آدَم وَذُرّيَّته، وَإِبْلِيس وَذُرّيَّته"[3119]! وبذلك نجح ابن كثير أن يصوِّب خطأ صاحب الرواية الثالثة حين قال "اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا" (طه 123) بينما كان المفروض أن يقول "اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا". وفي موضعٍ آخر، حاول ابنُ كثير أن يبرر استخدام صيغة المثنى فى "اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (طه 123)، فقال: "هو أمر لآدم وإبليس، واستتبع آدمُ حواءَ، وإبليسُ الحَيَّةَ"[3120]! مع أن تلك "الحَيَّة" غير مذكورة في القصة القرآنية أصلاً!

كالعادة، المشكلة ليست في المفسرين المسلمين الذين اجتهدوا وأفنوا أعمارهم في حل ألغاز القرآن وتصحيح أخطائه. وإنما المشكلة في الاختلافات بين آيات الروايات القرآنية نفسها. فلقد ورد أمر الهبوط مرة واحدة فقط بصيغة المثنى (طه 123) بينما ورد ثلاث مرات بصيغة الجمع: مرة في الرواية الثانية (الأعراف 24)، ومرتين في الرواية السابعة (البقرة 36، 38). فلو كان القرآنُ كلامَ الله كما يَتوَّهم المسلمون، ألم يكن مِن المفروض أن يستخدم صيغة الجمع فى (طه 123) أيضاً؟ السؤال بطريقة أخرى: لو كان القرآن قد استخدم صيغة الجمع "اهْبِطُوا" فى (طه 123)، هل كان المسلمون سيقولون إن الأصح هو المثنى "اهْبِطَا"؟!

مما سبق نستنتج أن (طه 123) ربما وصلت إلينا عن طريق نسخة أخطأ كاتبها حين كتب "اهْبِطَا".

4.6.1.2 سبب تكرار أمر الهبوط "اهْبِطُوا" مرتين في رواية سورة البقرة (البقرة 36) و (البقرة 38)!

احتار المفسرون المسلمون أيضاً في سبب تكرار أمر الهبوط "اهْبِطُوا" مرتين في الرواية السابعة: "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ [...]" (البقرة 36) و "اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا [...]" (البقرة 38).

قيل إن التكرار للتأكيد والتغليظ، أو إن المعنى في الموضع الثاني هو المعنى في الموضع الأول.

وقيل إن المراد بالإهباط الأول هو الهبوط مِن الجنة إلى السماء الدنيا، والمراد بالإهباط الثاني هو الهبوط من السماء الدنيا إلى الأرض! قال القرطبي: "وَقِيلَ: الْهُبُوطُ الْأَوَّلُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى السَّمَاءِ، وَالثَّانِي مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ، عَلَى مَا يَأْتِي"[3121]! تعليقنا: هذا تبرير ضعيف جداً، لأن أمر الإهباط الأول يدل على أنهم أهبطوا إلى الأرض: "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (البقرة 36).

وقال د. عبد الله شحاته: "كرر الله تعالى أمره بالهبوط من الجنة إلى دار الدنيا لبيان أن ذلك أمر محتوم لا محالة، وأن قبول التوبة (أي: توبة آدم) لا يدفعه"[3122]. يقصد: ربما ظن آدمُ أن قبول التوبة (البقرة 37) يلغي أمر الهبوط (البقرة 36) فكرر اللهُ أمر الهبوط (البقرة 38) لبيان خطأ هذا الظن. تعليقنا: نحن لا نتفق مع هذا الرأي، لأن صاحب رواية سورة الأعراف قد ذكر أمر الهبوط "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (الأعراف 24) بعد توبة آدم (وحواء) – أو بعبارة أكثر دقة: بعد اعترافهما بذنبهما وطلبهما المغفرة – "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23). وصاحب رواية سورة طه أيضاً ذكر أمر الهبوط "اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى" (طه 123) بعد توبة آدم وقبولها "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى" (طه 121-122). فبما أن أمر الهبوط جاء بعد التوبة، إذن: هذا يكفي لبيان أن الخروج من الجنة أمر محتوم لا محالة، وأن قبول التوبة لا يدفعه. فلا داعي لأي تكرار.

أما الشيخ العثيمين فقال في تفسير "اهْبِطُوا" (البقرة 36): "الضمير للجمع، والمراد آدم، وحواء، وإبليس؛ ولهذا قال تعالى: "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ": الشيطان عدو لآدم، وحواء". لكنه قال في تفسير "اهْبِطُوا" (البقرة 38): "الواو ضمير جمع، وعبر به عن اثنين لأن آدم، وحواء هما أبَوَا بني آدم؛ فوجه الخطاب إليهما بصيغة الجمع باعتبارهما مع الذرية؛ هذا هو الظاهر"[3123]! تعليقنا: نلاحظ هنا أن الشيخ العثيمين فعل عكس ما فعله ابن كثير. ابن كثير جعل "اهْبِطَا" (طه 123) تعني "اِهْبِطُوا"؛ وهذا هو الصواب من وجهة نظرنا. أما الشيخ العثيمين فجعل "اهْبِطُوا" (البقرة 38) تعني "اهْبِطَا"، لكنه اضطر أن يضيف إلى آدم وحواء ذريتهما حتى يبرر توجيه الخطاب إليهما بصيغة الجمع. على أي حال، إن هذه المحاولات الإسلامية – على الرغم من تخبطها وتضاربها – تدل على الارتباط الوثيق بين (طه 123) و (البقرة 38).

ولعل أفضل ما قيل عن سبب تكرار "اهْبِطُوا" مرتين (البقرة 36) و (البقرة 38) هو ما قاله ابن كثير وغيره إن القرآن كرر "اهْبِطُوا" لفظاً وإن كان واحداً، وناط مع كل مرة حكماً، فناط بالأول عداوتهم فيما

بينهم "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (البقرة 36)، وبالثانى الاشتراط عليهم أن مَن تبع هدى الله فهو السعيد ومَن خالفه فهو الشقي "اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة 38-39)[3124].

ونحن نضيف أن صاحب رواية سورة البقرة – وهي آخر رواية حسب الترتيب الزمني لسور القرآن – قد أراد أن يجمع بين ما قاله صاحب رواية سورة الأعراف وصاحب رواية سورة طه، ولذلك كرر أمر الهبوط مرتين:

- المرة الأولى: "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (البقرة 36) بصيغة الجمع وبنفس الكلمات المُستخدَمة فى الرواية الثانية (الأعراف 24) بالضبط؛
- المرة الثانية: "اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا" (البقرة 38). استخدم كلمةَ "جَمِيعًا" التي استخدمها صاحبُ الرواية الثالثة (طه 123)، لكن صوَّب خطأه فقال "اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا" وليس "اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا" (طه 123).

ليس هذا فحسب، بل أعاد صاحبُ رواية سورة البقرة تقديمَ خطة الخلاص (Salvation Plan) الإسلامية التي ذكرها صاحبا روايتي سورتي الأعراف وطه:

- طريق النجاة والخلود في الجنة: "فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة 38). أخذ نصفَها الأول من "فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ" (طه 123) بينما أخذ نصفها الثاني من "فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (الأعراف 35).
- وطريق الهلاك والخلود في النار: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة 39). تكاد تكون مطابقة لـ "وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (الأعراف 36).

انظر الجدول التالي الذي يوضح كيف استطاع صاحبُ رواية سورة البقرة أن يؤلف روايته اعتماداً على الجمع (conflation) بين روايتي سورتي الأعراف وطه. ولقد وضحنا باللون الأخضر الكلمات المستعارة من رواية سورة الأعراف، وباللون الأزرق الكلمات المستعارة من رواية سورة طه، وباللون البنفسجي الكلمات المشتركة بين الروايتين[3125]. أهمية هذا الجدول أنه يثبت مِن داخل القرآن نفسه (internal evidence) أن أصحاب القرآن كانوا يتميزون بمهارة في الجمع بين روايتين، هنا: روايتين قرآنيتين، لكن سنرى أمثلة أخرى جمعوا فيها بين روايتين أو قصتين (أو أكثر) من التراث اليهودي/المسيحي.

جدول 8 – قصة سقوط الإنسان: كيف استطاع صاحبُ رواية سورة البقرة أن يجمع بين روايتي سورتي الأعراف وطه!

رواية سورة الأعراف: خطيئة – توبة؟ – هبوط – خلاص	رواية سورة طه: خطيئة – توبة – هبوط – خلاص	رواية سورة البقرة: خطيئة – هبوط – توبة – هبوط – خلاص	ملاحظات على رواية سورة البقرة
وَيَا آدَمُ {19}	فَقُلْنَا يَا آدَمُ {117}	وَقُلْنَا يَا آدَمُ {35}	**الله والإنسان**
اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ {19}		اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا[3126] حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ {35}	**الجنة**
فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ {20}	فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ {120}	فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا {36}[3127]	**الشيطان**
	فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ {117}	فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ {36}	
قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ {24}[3128]		وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ {36}	**الهبوط الأول! قبل التوبة**
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {23}	ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ {122}	فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ (قيل إنها: الأعراف 23) فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {37}	**التوبة**
	قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ[3129] {123}	قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا {38}	**الهبوط الثاني! بعد التوبة**

إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۙ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {35}	فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ {123}	فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[3130] {38}	**طريق النجاة**
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {36}	وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ {124}	وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {39}	**طريق الهلاك**

وعلى الرغم مِن المجهود الكبير الذي بذله صاحبُ رواية سورة البقرة مِن أجل الجمع بين روايتي سورتي الأعراف وطه، إلا أنه نَسِيَ أن يُرتِّب الأحداث ترتيباً يتفق مع تلك الروايتين، فنراه قد وضع أمرَ الهبوط الأول "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (البقرة 36) **قبل** توبة آدم "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ" (البقرة 37)، ووضع أمرَ الهبوط الثاني "قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا" (البقرة 38) **بعد** توبة آدم (البقرة 37). فأصبحت تلك التوبة تبدو كما لو كانت محشورة عمداً بين أمري الهبوط الأول (البقرة 36) والثاني (البقرة 38)!

فلو كان القرآنُ كلام الله كما يَتوّهم المسلمون، لكان قد رتَّب الأحداث في رواية سورة البقرة ترتيباً لا يتعارض مع روايتي سورتي الأعراف وطه حيث يأتي أمرُ الهبوط مرة واحدة فقط **بعد** "توبة" آدم (الأعراف 23؟) (طه 122). كأن يقول مثلاً: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ. فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة 36-39 بعد التعديل).

والأفضل مِن ذلك ألا يكرر أمر الهبوط، وأن يكون قبل توبة آدم. لأنه من المنطقي أن يُطرَد آدم من الجنة أولاً، ثم يختبر بنفسه الحياةَ على الأرض بكل ما فيها من تعب وشقاء وجوع وآلام ومرض وموت ... الخ، فيقرر في النهاية أن يتوب لعل الله يرحمه ويعيده إلى الجنة[3131]. لكن هذا يتطلب تعديل الروايات القرآنية الثلاث بحيث يأتي أمر الهبوط مرة واحدة فقط قبل توبة آدم! فَمِن المحتمل أن صاحب رواية سورة البقرة لم يجرؤ على فعل ذلك، فقرر أن يكرر أمر الهبوط عمداً، فجعله مرة قبل التوبة (وهو الاختيار المنطقي) ومرة أخرى بعدها (وهو ما يتفق مع روايتي سورتي الأعراف وطه).

لكن في المقابل، قد يقول قائلٌ إنه من الأفضل أن يكون أمر الهبوط بعد توبة آدم. لأن هذا يدل على أن آدم لم يؤجل التوبة، وإنما أسرع بالتوبة حتى من قبل أن يعرف خطورة العقاب الذي ينتظره.

إذن: نحن نرى أنه كان مِن الأفضل ألا يكرر القرآنُ القصةَ نفسها، أي: يذكر القصةَ مرة واحدة فقط بدون تكرار. وقد يأتي أمر الهبوط قبل توبة آدم (وهو الأفضل منطقياً ودرامياً) وقد يأتي بعد توبة آدم (وهو الأفضل أخلاقياً وتربوياً)؛ كل اختيار – قبل أو بعد – له ما له وعليه ما عليه.

والأفضل والأحسن ألا يذكر توبةَ آدم، لأنها - كما سنرى بعد قليل - جزئية دخيلة على القصة الأصلية المذكورة في التوراة، وعندئذٍ سيكون الترتيب هو: خطيئة – هبوط – خلاص. وسنناقش مسألة توبة آدم بالتفصيل في وقتٍ لاحق، فسنكتفي هنا بأن نقول إن خير دليل قرآني على أن فكرة توبة آدم فكرة دخيلة هو عدم وجودها في رواية سورة الأعراف! وهي أقدم رواية قرآنية لقصة سقوط الإنسان حسب الترتيب الزمني لسور القرآن. فكل ما تقوله رواية سورة الأعراف إن آدم وحواء اعترفا بذنبهما وطلبا المغفرة: "قَالَا رَبَّنَا

ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23). لم تقل "تابا". والأهم من ذلك: لم تقل إن الله قَبِل اعترافهما بذنبهما، ولم تقل إن الله غفر لهما. بل يُفهَم من رواية سورة الأعراف أن الله لم يغفر لآدم وحواء بدليل أنه طردهما من الجنة حسب الآية التالية: "قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ [...]" (الأعراف 24). باختصار: لا نجد أي أثر لـ "توبة آدم" في رواية سورة الأعراف. وإنما هي فكرة دخيلة أدخلها صاحبُ رواية سورة طه حين قال "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ" (طه 122). ثم أكّدها صاحب رواية سورة البقرة حين قال: "فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة 37).

إذن: يوجد احتمال آخر يفسر لنا ما فعله صاحبُ رواية سورة البقرة حين قرر أن يكرر أمر الهبوط مرتين في روايته. ليس سهواً، وإنما عمداً لأسباب أدبية محضة. ربما أراد أن يصنع "انكفاء" (Chiasmus) (le chiasme)[3132] على نمط أ ب ج ب أ (A B C B A’) حتى تأتي توبة آدم في المركز فتتحول عمداً من فكرة جديدة دخيلة غير توراتية إلى فكرة مركزية ومحورية في الرواية القرآنية. كما يلي:

أ **(خطيئة):** فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ {36}

ب **(هبوط):** وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ {36}

ج **(توبة):** فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {37}

ب **(هبوط):** قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا {38}

أ **(خلاص):** فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {38}

بل قيل إن سورة البقرة كلها صُنِعَت على أساس الانكفاء الذي نجده بكثرة في الكتب "الساميّة" ومِن بينها القرآن[3133]. مما يعني أن سبب تكرار أمر الهبوط في رواية سورة البقرة سبب أدبي يتعلق ببناء سورة البقرة نفسها. باختصار: السبب أدبي وليس تاريخي. الله لم يقل "اهْبِطُوا" مرتين (البقرة 36، 38)، وإنما صاحب رواية سورة البقرة هو الذي تجرأ ووضع هذه الكلمة على لسان الله مرتين لأسباب أدبية محضة. وهذا يؤكد أن الصنعة الأدبية كانت تؤثر على سرد الأحداث في القرآن، مما يعني أن القصة القرآنية قصة أدبية وليست تاريخية حقيقية. بل علينا أن نتعامل مع القرآن على أنه كتاب أدبي وليس تاريخاً.

ملحوظة ختامية: توجد أبحاث غربية كثيرة في هذا المجال الذي يُسمّى "التحليل البلاغي" أو "التحليل البلاغي الساميّ" (L’Analyse Rhétorique Sémitique) (Semitic Rhetorical Analysis). أما الأبحاث العربية في هذا المجال فما زالت متأخرة جداً! ربما خوفاً مِن اكتشاف كيف وُلِدَ القرآنُ كمنتج أدبي من منتجات الشعوب الساميّة في الشرق الأوسط.

اختلف المفسرون المسلمون أيضاً اختلافاً شديداً في أمور أخرى كثيرة، مثل: أين تقع "جنة" آدم وحواء؟ هل على الأرض؟ أم في السماء؟؛ وكذلك اختلفوا في تحديد نوع "هَٰذِهِ الشَّجَرَة" الْمُحَرَّمَة. وسنناقش هاتين المسألتين لاحقاً.

فنكتفي بالأمثلة السابقة كدليل على أن القرآن ليس كلام الله: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[3134]، وأيضاً كدليل على أن القرآن منتج بشري اشترك فيه أكثر مِن شخص وتطوّر بمرور الزمن: صاحب رواية سورة الأعراف غير صاحب رواية سورة طه غير صاحب رواية سورة البقرة. وجود الاختلافات بين الروايات القرآنية الثلاث يؤكد أن القرآن كلام بشر اشترك فيه أكثر مِن شخص. ووجود التشابهات بين الروايات القرآنية الثلاث يؤكد أنها لم تتطور بشكلٍ مستقل[3135]، إذ لها جذور مشتركة في التراث اليهودي/المسيحي، سواء التراث المقدس (مثلاً: التوراة) أو التراث غير المقدس (مثلاً: التراث اليهودي المتأخر post-Biblical والتراث المسيحي السرياني).

4.6.2 الجذور التوراتية لقصة الشجرة الْمُحَرَّمَة

نقول "الجذور التوراتية" لأن حديثنا في هذا الجزء سيركّز على ما جاء في التوراة فقط.

الرواية المختصرة لخَلْق آدم وحواء. (التكوين 1): {26} وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا (أي: كَمِثالِنا)، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ (أي: الدواب) الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». {27} فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ (image of God) خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ[3136]. {28} وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». {29} وَقَالَ اللهُ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْل يُبْزِرُ بِزْرًا (seed-bearing plant) عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا (seed-bearing fruit) لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا. {30} وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ (أي: دابة) عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا». وَكَانَ كَذلِكَ. {31} وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا.

الرواية التفصيلية لخَلْق آدم وحده أولاً. (التكوين 2): {4} هذِهِ مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ، يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ. {5} كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الأَرْضِ، وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ (أي: لِيَحرُثَها). {6} ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ (mist؛ وفي ترجمة أخرى: سَيلٌ a flow؛ والمقصود: مَاءٌ) يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ. {7} وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً[3137].

موقع جَنَّة آدم وأشجارها. (التكوين 2): {8} وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ **[← قال الرَّبُّ لآدم: "يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ" (الأعراف 19) (البقرة 35)]**. {9} وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ (the tree of life) فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ (the tree of the knowledge of good and evil). {10} وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ: {11} اِسْمُ الْوَاحِدِ فِيشُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهَبُ. {12} وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ. هُنَاكَ الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ. {13} وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّانِي جِيحُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. {14} وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّالِثِ حِدَّاقِلُ (حالياً: نهر دجلة)، وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُّورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابعُ الْفُرَاتُ. {15} وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ (Garden of Eden) لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا.

إذن: "جَنَّة عَدْنٍ" على الأرض؛ قيل في العراق حيث نهرا دجلة والفرات (التكوين 2:14).

الوصية الإلهية لآدم. (التكوين 2): {16} وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، {17} وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ (do not eat) مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ (you will surely die)[3138]» **[← قال الرَّبُّ لآدم: "يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا (do not approach) هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ[3139]" (الأعراف 19)؛ (البقرة 35). "وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ" (طه 115). إذن: يتفق القرآنُ مع التوراة في أن الوصية الإلهية كانت مُوجَّهة من الله إلى آدم. إلا أن القرآن غير واضح: هل كانت الوصية الإلهية لآدم قبل خَلْق حواء أم بعد خَلْقها؟ أما التوراة فواضحة: الوصية الإلهية لآدم كانت قبل خَلْق حواء]**.

الرواية التفصيلية لخَلْق حواء. (التكوين 2): {18} وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ». {19} وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. {20} فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ. {21} فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. {22} وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. {23} فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ». {24} لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا.

ونجد هنا دليلاً آخر على أن "الجَنَّة" التي ذكرها أصحابُ القرآن بأداة التعريف (الألف واللام) هي "جَنَّة عَدْنٍ" المذكورة في التوراة، والتي كانت على الأرض. والدليل على ذلك هو أن القرآن أشار مباشرةً إلى زوجة آدم في نفس الآيات الثلاث التي أشار فيها مباشرةً إلى "الجنة" (الأعراف 19) و (طه 117) و (البقرة 35)، بدون أن يذكر اسمَ حواء ولا كيف خُلِقَت ولا متى خُلِقَت. فكما افترض القرآنُ أن السامع يعرف "حواء"، كذلك افترض أيضاً أنه يعرف "جَنَّة عَدْنٍ"، فاكتفى بالإشارة إليها بكلمة "الجَنَّة".

ثم تقول التوراة: "وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ" (التكوين 25:2). قبل السقوط، كان آدم وحواء يعيشان حياة البراءة الأخلاقية الكاملة، براءة الأطفال الصغار؛ فكان كلاهما مثل الطفل الرضيع الذى لا يخجل مِن عورته[3140]. قال الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود عن آدم وحواء قبل السقوط: "لقد كان [آدم] يقضى حياته ناعماً بسعادة البراءة وسكينة الأطهار مع رفيقة حياته .. وأصحاب هذه الحياة – حياة البراءة – لا يرون عورة، ولا يحسُّون بالخجل يغمرهم من أجل سيئة. – أترى الطفل يحسُّ بذلك؟ إنهم – وَهُم فى براءة الأطفال – لا يشعرون بخزى ولا ينوء ضميرهم بتأنيب"[3141]. كان هذا قبل السقوط، أي: قبل الأكل مِن الشجرة الْمُحَرَّمَة التي احتار في أمرها المفسرون المسلمون.

"هَذِهِ الشَّجَرَة" الْمُحَرَّمَة (الأعراف 19) (البقرة 35) هي "شَجَرَة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ" (التكوين 9:2) (التكوين 17:2) التي أَنْبَتَها الرَّبُّ الإلهُ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ (التكوين 3:3). وطبعاً لا توجد شجرة على كوكب الأرض اسمها "شَجَرَة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ"، فهي إذن مجرد رمز يرمز إلى التمييز الأخلاقي بين الْخَيْر وَالشَّرّ أو بين الصح والغلط. وهي مُحرَّمة ليس لأن الله لا يريد للإنسان أن يعرف ويُميِّز، وإنما لأن الله أراد للإنسان أن يعرف ويُميِّز في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة التي هي بالتأكيد ليست عن طريق الشيطان. تماماً كما تمنع الأمُ طفليها الرضيعين "العُرْيَانَيْن" (التكوين 25:2) مِن أن يأكلا الأطعمة الصلبة، ليس لأنها مضرة أو غير مفيدة، وإنما لأنها قد تميتهما إذا أكلا منها وهما ما زالا صغيرين.

ومع أن اسم الشجرة "شَجَرَة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ"، إلا أنها عملياً شَجَرَة مَعْرِفَةِ الشَّرّ فقط، وذلك لأن معرفة الخير كانت لدى الإنسان مِن قبل، بدليل أن الله كان قد خلق الإنسانَ على صورته كشَبَهِه (التكوين 26:1-27) "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا" (التكوين 31:1)[3142]. فيمكن إذن أن يُقال إن الله حرَّم على الإنسان معرفة الشر، أو إن هذه الشجرة الْمُحَرَّمَة ترمز إلى مَعْرِفَةِ الشَّرّ، ما دام تعريف الشر هو عصيان الله وكسر وصاياه. وفي المقابل، تعريف الخير هو طاعة الله والالتزام بوصاياه وأهمها: محبة الإنسان لله الواحد الأحد الذي لا شريك له ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان[3143].

ويرى آخرون أن "الْخَيْر وَالشَّرّ" تعني: كل شيء. فهي "ثنائية" (merism)؛ أي: كلمتان متضادتان لتقصد الكل (a figure of speech in which polar opposites denote a totality)[3144]. مثل: "أَنْتَ [يَا رَبُّ] عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي (أي: عَرَفْتَ عني كل شيء)" (المزامير 2:139)؛ "الشُّيُوخُ مَعَ الْفِتْيَانِ (أي: كل الناس من جميع الأعمار)، لِيُسَبِّحُوا اسْمَ الرَّبِّ" (المزامير 12:148-13). إذن: "شَجَرَة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ (مَعْرِفَةِ كل شيء)" مُحرَّمة بمعنى أن الله نهى الإنسانَ عن معرفة كل شيء (Omniscience)؛ أي: نهاه عن أن يصير إلهاً، بدليل قول الله بعد أن أكل آدمُ منها: "هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا (like one of us; like the gods) عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ" (التكوين 22:3). فيمكن حسب هذا الرأي أن يُقال إن الله نهى الإنسانَ عن أن يصير إلهَ نفسه، لئلا يتخلى تماماً عن الله.

ولا يبدو لنا أن صاحبي روايتي سورتي الأعراف والبقرة قد عرفا هذه المعاني، بدليل أنهما لم يذكرا اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة، أو ربما تجاهلاه عمداً. أما صاحب رواية سورة طه فأطلق على الشجرة الْمُحَرَّمَة اسمَ "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120)! أو بعبارة أكثر دقة: قال إن الشيطان سمَّاها كذلك "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ" (طه 120). فيبدو أنه قد اختلط عليه الأمر (confused) بين الشجرة الْمُحَرَّمَة "شَجَرَة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" والشجرة الأخرى غير الْمُحَرَّمَة التي أَنْبَتَها الرَّبُّ الإلهُ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ أيضاً وهي "شَجَرَةَ الْحَيَاةِ" (التكوين 2:9)، أي شجرة الحياة الأبدية (التكوين 3:22) أو الخلود (immortality) **[← "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120)]**. أو لعله أدمجهما (fused / conflated them) عمداً في شجرةٍ واحدة! وسنعلم السبب لاحقاً حين نناقش هذه المسألة بالتفصيل.

الوسوسة الشيطانية. (التكوين 3): {1} وَكَانَتِ الْحَيَّةُ **[← "الشَّيْطَانُ"]** أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ (أي: قال الشيطانُ لحواء): «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» {2} فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، {3} وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ (تقصد: شَجَرَة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ) فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا» **[← لاحِظ أن حواء حرَّفت الوصية الإلهية الأصلية (التكوين 2:16-17) بإضافة كلمة من عندها "وَلاَ تَمَسَّاهُ" (do not touch)"**[3145] **← وفي التوراة السريانية (البشيطا) وجدناها "وَلَا تَقْرَبَا إِلَيْهَا" (التكوين 3:3)**[3146] **وكذلك في شرح القديس إفرام السرياني لـ (التكوين 3:3)**[3147] **← الوصية الإلهية في القرآن: "وَلَا تَقْرَبَا (do not approach) هَذِهِ الشَّجَرَةَ" (الأعراف 19) (البقرة 35)! مما يدل على أن هاتين الآيتين القرآنيتين أقرب لـ (التكوين 3:3) وتطوراتها البشرية أكثر من (التكوين 2:16-17)]**. {4} فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! {5} بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» **[← جعل صاحب رواية سورة الأعراف الشيطانَ يوسوس إلى حواء وآدم معاً! "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ. فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ" (الأعراف 20-22). بينما جعل صاحبُ رواية سورة طه الشيطانَ يوسوس إلى آدم: "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى" (طه 120). أما صاحب رواية سورة البقرة فحذف نَص الوسوسة الشيطانية وقال: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا" (البقرة 36). ولا توجد آية قرآنية واحدة تقول إن الشيطان وَسْوَسَ إلى حواء فقط ولا حتى وَسْوَسَ إليها أولاً]**.

ونلاحظ هنا أن القرآن قد اتفق مع التوراة في مسألة مهمة، وهي أن أول خدعة خدع الشيطانُ الإنسانَ بها هي خدعة "الخلود". إذا فعلت كذا لن تموت! "لَنْ تَمُوتَا!" (التكوين 3:4) **[← "تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ" (الأعراف 20) "الْخُلْدِ" (طه 120)]**[3148].

الخطيئة تؤدي إلى سقوط الإنسان. (التكوين 3): {6} فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ (أي: حواء) أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ (في ترجمات أخرى[3149]: مُنْيَةٌ للتَّعَقُّل؛ باعثةٌ للفَهْمِ؛ مُشْتَهاةٌ للإفْطانِ؛ desirable as a source of wisdom). فَأَخَذَتْ [حواءُ] مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا (أي: آدمَ) أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ **[← "ذَاقَا الشَّجَرَةَ" (الأعراف 22) "فَأَكَلَا مِنْهَا" (طه 121)]**. {7} فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ **[← "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا (أي: عوراتهما)" (الأعراف 22) "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (طه 121)]**. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ **[← "وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ [ليسترا عوراتهما]" (الأعراف 22) (طه 121)]**. {8} وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ.

وترجع أهميةُ الآيتين الأخيرتين (التكوين 3:7-8) إلى أنهما تدلان على أن طبيعة الإنسان قد تغيرت – بل فسدت – بعد سقوطه. تغيرت مِن النظرات البريئة "وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ" (التكوين 2:25) إلى النظرات الشريرة "فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ" (التكوين 3:7). فحلَّ محلَّ البراءةِ والقداسة والنقاء والطهارة الذنبُ والخجلُ والخوفُ والخطايا والحلول المؤقتة (أوراق التين)، بل الهروبُ من الله "فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ" (التكوين 3:8). باختصار: عرف الإنسانُ الشَّرَّ واختبره بنفسه فصار يهرب مِن إلهه الذي خَلَقه عَلَى صُورَتِهِ وَنَفَخَ فِيهِ نَسَمَةَ الحَيَاة.

ولم نجد في الروايات القرآنية الثلاث لقصة سقوط الإنسان ما يدل صراحةً على تغير وفساد طبيعة الإنسان بعد سقوطه. لكن ربما توجد إشارات خفية لذلك. مثلاً "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (البقرة 30). "خَلِيفَةً" تعبر عن إرادة الله وهي أن يكون الإنسان على صورة الله؛ أي: تعبر عن حالة الإنسان قبل السقوط. أما "يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" فلا تعبر عن إرادة الله، وإنما تعبر عن حالة الإنسان بعد السقوط، أي: بعد أن تغيرت طبيعتُه وفسدت فانحدر مِن مقامه العالي كخَلِيفَة الله إلى أسفل سافلين: فاسِد في الأرض وسافِك للدماء.

وقد توجد أيضاً إشارات خفية لتغير وفساد طبيعة الإنسان بعد سقوطه في مواضع أخرى من القرآن. مثلاً: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (أي: غير مقطوع ولا منقوص)" (التين 4-6)[3150]. حيث تعبر الآية الأولى عن حالة الإنسان قبل سقوطه؛ أي: وهو كامل بلا خطيئة: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (أي: في أحسن صورة؛ وهي صورة الله[3151] كما شرحنا فيما سبق)" (التين 4). بينما تعبر الآية الثانية "ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ" (التين 5) عن سقوط الإنسان وخروجه مِن الجنة مع تغير طبيعته من "أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" إلى "أَسْفَلَ سَافِلِينَ"، أي إلى التعب والشقاء والهَرَمِ والموت وربما إلى النار. ونلاحظ أن التغير كبير جداً: من "أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" إلى "أَسْفَل

سَافِلِينَ"، وهو تغير إلى الأسوأ، أي: انحدار أو فساد. أما الآية الثالثة فتقدم طريقَ النجاة حسب خطة الخلاص الإسلامية: "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" (التين 6)، فأولئك يعودون إلى الجنة (جنة الخلد حسب رأي الجمهور) التي طُرد آدمُ منها.

نعود إلى التوراة. **الله والإنسان وجهاً لوجه. (التكوين 3):** {9} فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». {10} فَقَالَ [آدَمُ]: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». {11} فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» **[← "وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ" (الأعراف 22)]** {12} فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». {13} فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي **[← "فَدَلَّاهُمَا [الشَّيْطَانُ] بِغُرُورٍ" (الأعراف 22)]** فَأَكَلْتُ».

النطق بالحُكم: الرَّبُّ الإلهُ يوجه كلامَه لِلْحَيَّةِ (الشيطان) ثم لحواء ثم لآدم. (التكوين 3:14-19):

- {14} فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ (الشيطان): «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا (أي: تراب الأرض) تَأْكُلِينَ (أي: تلحسين[3152]) كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. {15} وَأَضَعُ عَدَاوَةً (perpetual enmity) بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَ [أَضَعُ عَدَاوَةً] بَيْنَ نَسْلِكِ (أي: نسل الحية؛ والمقصود حسب الفكر المسيحي: الشيطان وغير المؤمنين) وَنَسْلِهَا (أي: نسل حواء؛ والمقصود حسب الفكر المسيحي: المسيح والمؤمنين). هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ (أي: نَسْلُ المرأةِ يَسْحَقُ رَأْسَ الحَيَّةِ؛ حسب الفكر المسيحي: المسيح يسحق رأس الشيطان[3153])، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» **[← "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (الأعراف 24) (البقرة 36) "اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا" (البقرة 38). وربما سمع صاحبُ (طه 123) تلك الآيات التوراتية (التكوين 3:14-15) التي تركز على العداوة بين الشيطان وحواء – أو العداوة بين غير المؤمنين والمؤمنين، ولذلك قال "اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (طه 123) بصيغة المثنى]**.
- {16} وَقَالَ [الرَّبُّ الإِلهُ] لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا **[← "حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا (أي: على مشقة وتعب) وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا" (الأحقاف 15) "حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ" (لقمان 14) "الْمَخَاضُ (parturition)" (مريم 23)]**. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ[3154] **[← عبَّر القرآنُ عن وضع المرأة بالنسبة للرجل، لكن ليس حسب الإرادة الإلهية وهي المساواة بين الجنسين، وإنما حسب فساد الطبيعة الإنسانية، فقال: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ [...] وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ (أي: ترفُّعَهُنَّ عن طاعتكم) فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ" (النساء 34)! فنلاحظ أن القرآن قد بالغ في سيادة الرجل على المرأة، ولم يربط هذه السيادة بقصة سقوط الإنسان! فصارت تبدو كما لو كانت هي الإرادة الإلهية!]**».

- {17} وَقَالَ [الرَّبُّ الإلهُ] لآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. {18} وَشَوْكًا وَحَسَكًا (thorns and thistles) تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. {19} بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا **[← "وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (الأعراف 24) (البقرة 36) "فِيهَا تَحْيَوْنَ" (الأعراف 25)]** حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ **[← "وَفِيهَا تَمُوتُونَ [وتُدفَنون]" (الأعراف 25)]**».

ونلاحظ في القصة التوراتية (التكوين 3) "انكفاء" (Chiasmus) (le chiasme)[3155] كما يلي:

(ثلاثة أسئلة من الله لآدم ورد آدم عليهم): {9-12}

(سؤال واحد من الله لحواء ورد حواء عليه): {13}

الفكرة المركزية: (الحكم الإلهي على الشيطان مع ملخص لخطة الخلاص): {14-15}

(الحكم الإلهي على حواء في آية واحدة): {16}

(الحكم الإلهي على آدم في ثلاث آيات): {17-19}

وجود الانكفاء في التوراة والقرآن يدل على أن القرآن تأثر بالكتب السابقة من حيث الشكل، كما تأثر بها من حيث المضمون.

(التكوين 3): {20} وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ «حَوَّاءَ» لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ[3156]. {21} وَصَنَعَ الرَّبُّ الإلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً (garments) مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا **[← "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ" (الأعراف 26)[3157]]**.

تنفيذ حُكم الموت، أي الموت الروحي (بمعنى انفصال الإنسان عن الله[3158]) والموت الأدبي (بمعنى أن يَعْمَلَ آدمُ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا بعد أن كان ينعم بالمجد في الجنة كسلطانٍ على الخليقة، وأن تخضع حواءُ لآدم بعد أن كانت مساويةً له). (التكوين 3): {22} وَقَالَ الرَّبُّ الإلهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». {23} فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. {24} فَطَرَدَ [الرَّبُّ الإلهُ] الإِنْسَانَ **[← "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا" (البقرة 36) "اهْبِطُوا" (الأعراف 24) "اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا" (البقرة 38) "اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا" (طه 123)]**، وَأَقَامَ [الرَّبُّ الإلهُ] شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ (cherubim؛ مجموعة من الملائكة)، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ.

أما الموت الجسدي (بمعنى انفصال الروح عن الجسد) فتأجل تنفيذه مئات السنين! "فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ آدَمَ الَّتِي عَاشَهَا تِسْعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَمَاتَ" (التكوين 5:5). مع أن الله قال لآدم في الوصية الإلهية: "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ **يَوْمَ** (on the day) تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (التكوين 17:2). لحل هذا التناقض بين "930 سنة" (التكوين 5:5) و "يوم" (التكوين 17:2):

- قيل إن "يوم" الله ليس كَيَوْمٍ من أيامنا؛ وإنما كَأَلْفِ سَنَةٍ. "لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ [يَا رَبُّ] مِثْلُ يَوْمِ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ، وَكَهَزِيعٍ (أي: جزءٍ) مِنَ اللَّيْلِ" (المزامير 4:90)؛ "يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ" (2 بطرس 8:3)؛ "لأن اليوم في حساب الله يعني ألف سنة. وهو نفسه شاهدي عندما يقول: "انظروا فإن يوم الرب كألف سنة"" (رسالة برنابا 4:15)[3159]. وبما أن آدم عاش 930 سنة < 1000 سنة؛ إذن: عاش أقل من "يوم"، أي: مات في نفس "يوم" كسر الوصية الإلهية بالأكل من الشجرة الْمُحَرَّمَة[3160].
- ويوجد رأي آخر يقول إن عبارة "مَوْتًا تَمُوتُ" (التكوين 17:2) لا تعني: تَمُوتُ فوراً؛ وإنما تعني: تصير مائتاً (you will become mortal)؛ أي: يموت خلودُك، أو: تفقد صورتَك الإلهية التي مِن صفاتها الخلود. وهذا الرأي يفترض أن الله خلق آدمَ خالداً لا مائتاً (immortal) بأن أتاح له أن يأكل من شجرة الحياة، لكن إذا عصى اللهَ وأكل مِن شجرة معرفة الخير والشر فإن عقابه هو أن يصير مائتاً لا خالداً (mortal)، وهو ما تحقق فعلاً في نفس يوم كسر الوصية الإلهية[3161]. يقول أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) وهو "سفر الحكمة" (Book of Wisdom) الذي يرجع تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد أو الأول بعد الميلاد: "لأنَّ اللهَ لم يصنع الموتَ، ولا يُسَرُّ بهلاكِ الأحياءِ" (الحكمة 13:1)؛ "خَلَقَ اللهُ الإنسانَ لحياةٍ أبديّةٍ (أو: لِعَدَمِ الفساد incorruption؛ أي: لِعَدَمِ الموت الذي يؤدي إلى فساد الجسد بتحلله)، وصَنَعَهُ على صورته الخالدة (in the image of His own eternity)، ولكن بسبب حسَدِ إبليس دخَلَ الموتُ إلى العالم. فلا يَذوقُهُ إلا الذين يَنتمون إليه" (الحكمة 2:23-24)[3162]. وقيل إن "الموت" المذكور هنا هو الموت الأبدي، أي: الانفصال الكامل والنهائي عن الله، أي: الموت والخلود في هذا الموت، بدليل قوله: "فلا يَذوقُهُ إلا الذين يَنتمون إلى" إبليس وَهُمْ الكافرون أو الأشرار أو الخطاة غير الْمُخَلَّصِين.

وفي جميع الأحوال، فإن تنفيذ حُكم الموت الجسدي على آدم كان لا بد أن يتأجل حتى يُولَد بنو آدم[3163]! وإلا فلن يوجد مَن يكتب قصةَ آدم في التوراة!

لكن بعد ذلك، لا تذكر أسفار التوراة الخمسة أبداً اسمَ "آدم" كاسم عَلَم (proper name)، وإنما تقول "بَنُو آدَمَ" (التكوين 5:11) أو "بَنِي آدَمَ" (التثنية 8:32) وهي عبارات لا تعني بالضرورة ذرية شخص

حقيقي تاريخي اسمه "آدم"، وإنما قد تعني "الإنسان" (Man) أو "البشر" (human beings) بصفة عامة. وكذلك في القرآن، نجد أن اسم "آدم" مذكور 25 مرة[3164]، منهم 16 مرة اسم عَلم، كلهم تقريباً (14 مرة) في قصص خلق الإنسان وسجود الملائكة لآدم والشجرة الْمُحَرَّمَة، وبعد ذلك نجد "بَنِي آدَمَ" (7 مرات) و "ذُرِّيَّة آدَمَ" (مرة واحدة فقط) و "ابْنَيْ آدَمَ" (مرة واحدة فقط).

بعبارة أخرى: لم تقل التوراة ولا القرآن شيئاً ذا قيمة عن "آدم" سوى إنه "خُلِق" في الجنة ثم عصى خالقه فطُرد مِن الجنة وأنجب ومات! فهل هذا يكفي لإثبات أن آدم شخص حقيقي تاريخي؟! لا. شخص يُفترَض أنه عاش 930 سنة ومع ذلك لم يترك أي أثر تاريخي! هل هذا معقول؟! مستحيل.

لم يقل القرآنُ شيئاً ذا قيمة عن حياة آدم بعد طرده من الجنة المزعومة! في أي زمان ومكان عاش آدم؟ بأي لغة كان يتحدث؟ ماذا كان يأكل ويشرب؟ ما هي المعارف التي تعلمها والمهارات التي اكتسبها حتى يعيش حياته الجديدة؟ كيف تعامل مع برد الشتاء وحر الصيف؟ ما هي المشكلات التي واجهته وكيف تغلب عليها؟ هل مرض؟ كيف شفي مِن أمراضه؟ هل اكتفى بزوجة واحدة؟ أم نكح مَا طَابَ له مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ؟! أين دُفِنَ؟ ... أسئلة كثيرة لم يجب القرآنُ عليها، مما يجعلنا نشك في تاريخية "آدم".

ونعتقد أن أي باحث محايد وموضوعي سيصل إلى نفس النتيجة التي توصلنا إليها: لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن القصة القرآنية قصة حقيقية تاريخية. وفي جميع الأحوال، فإن تلك القصة القرآنية برواياتها الثلاث (الأعراف وطه والبقرة) هي مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للقصة التوراتية المذكورة في سفر التكوين (التكوين 2-3).

وهذا يفسر وجود تشابهات بين القصة القرآنية والقصة التوراتية؟ فماذا عن الاختلافات؟ ...

4.6.3 المصادر اليهودية والمسيحية لقصة الشجرة الْمُحَرَّمَة

قالت موسوعة بيان الإسلام تعليقاً على هذه القصة: "تختلف حقائق القرآن عن سائر الكتب الأخرى المُحرَّفة فهو النور، وما عداه الظلمات، وهو الحق وما عداه الباطل، وبالاستقراء يتضح لنا أن القرآن هو المصوِّب لأخطاء وعقائد السابقين كما يضيف ما لا علم لهم به، وفيه دلالة على قدسيته فهو وحى من الله إلى رسوله ﷺ"[3165]. وقال د. أحمد شوقى إبراهيم: "ولو كان الرسول ﷺ نقل كما يزعمون ظلماً وزوراً عما كتب فى تراجم الكتب السابقة؛ لذكر القرآن والحديث النبوى ما ذكرت تلك التراجم والأساطير، ولكننا نجد اختلافاً كبيراً بينهما، كما فى قصة خلق آدم وحواء مثلاً"[3166]. وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى إن مِن هداية الآيات (طه 116-122) "تقرير النبوة المحمدية بذكر مثل هذا القصص الذى لا يعلم إلا بالوحى الإلهى"[3167].

سؤال: هل هذا الكلام الذي نسمعه نهاراً وليلاً صحيح؟

الإجابة: بكل تأكيد هذا الكلام غير صحيح. وإنما هى مجرد بروباجاندا إسلامية تثير الضحك، وفى الوقت نفسه تثير الشفقة على مَن ينخدع بها.

القرآن لم يُصوّب عقائد السابقين ولم يضف ما لا علم لهم به. ثم إننا لا نقول إن أصحاب القرآن قد "نقلوا" حرفياً بالورقة والقلم والمسطرة مِن الكتب السابقة، وإنما نقول إنهم كانوا يسمعون بآذانهم القصصَ والأساطيرَ التى تتوارثها الأجيال شفوياً، فأخذوا أموراً كما هي، وحذفوا و/أو أضافوا أموراً أخرى. إنه إذن تطور ثقافي طبيعي (natural cultural evolution)، وليس نقلاً حرفياً. وحتى الذى "ينقل" يضطر غالباً إلى تغيير ما ينقله، لكي لا يعرف الناس أنه نقل.

باختصار: لم يرد أصحابُ القرآن أن يكونوا مجرد كَتَبَة (scribes) أو نُساخ (copyists). وإنما أرادوا بالفعل أن يكونوا مؤلفين (authors) أو على الأقل محررين (redactors).

ولذلك جاءت القصة القرآنية مختلفة عن القصة التوراتية. إن هذه الاختلافات بين القرآن والتوراة ليست دليلاً على أن القرآن وحي من الله؛ وإنما هي دليل على أن القرآن تطور بشري طبيعي للكتب السابقة غير المقدسة. بدليل أن هذه الاختلافات كانت معروفة فى تراث الديانتين اليهودية والمسيحية قبل ظهور الإسلام بسنين، بل بقرون. وهذا دليل قاطع على أن العقل البشرى يستطيع أن يُطوِّر بالحذف و/أو بالإضافة القصصَ الدينية التى توارثتها الأجيال. الموضوع مش محتاج "وحي إلهي".

وسندرس في هذا الجزء أهم وأشهر الاختلافات بين القصة التوراتية والقصة القرآنية ...

4.6.3.1 تقول التوراةُ "الْحَيَّة" بينما يقول القرآنُ "الشيطان"

استخدمت التوراةُ لفظ "الحية" (serpent) ووصفتها صراحةً بأنها حيوان. حيوان ذكي يسمع ويفهم وينطق! لكن يظل حيواناً مخلوقاً مِن خلق الله. "وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ" (التكوين 3:1) "مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ" (التكوين 14:3). ولا يوجد أي تصريح ولا حتى تلميح إلى أن الحية هي/هو الشيطان. بل لا توجد كلمة "الشيطان" في التوراة كلها!

لكن في المقابل، استخدمت الروايات القرآنية الثلاث لفظةَ "الشيطان".

فمِن أين عرف أصحاب القرآن أن الحية هي/هو الشيطان؟

الإجابة: مِن الديانة المسيحية وتراثها. فَمِن المعلوم أنه حسب الإنجيل، يمكن للشياطين (الأرواح الشريرة) أن تتكلم في البشر! أو على الأقل تستطيع الشياطينُ أن تصدر من خلال البشر جُملاً وأصواتاً مفهومة (مرقس 5:6-8) (لوقا 8:27-29)! فإذا كان الشيطان يستطيع أن ينطق على لسان إنسان، فلماذا نستغرب أن يتحدث الشيطان من خلال حيوان كالحية مثلاً؟!

وفيما يتعلق بقصة سقوط آدم تحديداً، فإن العهد الجديد يقول بكل وضوح إن "الحية القديمة" هي/هو "الشيطان (إبليس)": "الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ" (الرؤيا 9:12) و "الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ" (الرؤيا 2:20).

قارن أيضاً بين الحَيَّة في التوراة والشيطان (إبليس) في العهد الجديد. في التوراة: قَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: « [...] وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. **هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ** [...] » (التكوين 3:14-15). وفي العهد الجديد: "**وَإِلهُ السَّلاَمِ سَيَسْحَقُ الشَّيْطَانَ** تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ سَرِيعًا. نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَكُمْ. آمِينَ" (رومية 20:16).

أضف إلى ذلك الوظيفة الرمزية (typological function) التي تربط آدم بيسوع المسيح (آدم الثاني؛ آدم الجديد؛ آدم الأخير). فكما بدأت قصة آدم بعد خلقه في التوراة بمواجهة التجربة (temptation) من الحية (التكوين 3)، كذلك بدأت قصة يسوع بعد معموديته في الإنجيل بمواجهة التجربة من الشيطان إبليس (متى 4:1-11) (مرقس 1:12-13) (لوقا 4:1-13). هذه العلاقة الرمزية بين الشخص المجرَّب (آدم ويسوع) تؤدي حتماً إلى العلاقة الرمزية بين الشخص المجرِّب (the tempter) (الحية والشيطان إبليس). وبخاصة أنه في كلتا القصتين، حدثت الوسوسة الشيطانية مشافهةً مع اقتباس الشيطان آيات كتابية لكن مع تحريفها لفظاً و/أو معنى. أما الفرق بين القصتين فهو أن آدم رسب في التجربة فانتصر الشيطانُ عليه، بينما نجح يسوعُ بامتياز وهزم الشيطانَ هزيمةً ساحقة. ولذلك يقول الكتاب المقدس إن يسوع المسيح "مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ (yet without sin)" (العبرانيين 4:15)، فهو الوحيد الذى "لَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ" (1 يوحنا 3:5) و "لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً" (2 كورنثوس 5:21) و "لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ" (1 بطرس 2:22) "قُدُّوسٌ بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" (العبرانيين 7:26). فى كل مكان كان يسوع المسيح يجول يصنع خيراً (أعمال الرسل 10:38) وفى كل زمان كان يفعل ما يُرضي اللهَ (يوحنا 8:29).

وفي القرن الثاني الميلادي، قال القديس "يوستينوس الشهيد" (St. Justin Martyr) (ت حوالي 165م) في الفصل المئة والثالث مِن كتابه الشهير "الحوار مع تريفون" (Dialogue with Trypho) إن إبليس نفسه هو الحَيَّة المذكورة في توراة موسى: "الشيطان نفسه الذي دعاه موسى بالحية"[3168] (the devil himself, that is, the one whom Moses called the serpent)[3169].

وفي القرن الثالث الميلادي، قال المسيحي المصري/القبطي "أوريجانوس" (Origen) (ت حوالي 254م) في مؤلفه الشهير "في المبادئ الأولى" (On the First Principles 3.2.1) إنه يوجد كتاب

اسمه "صعود موسى" (The Ascension of Moses) يقول إن الحيّة، بوحي من إبليس، كانت السبب في خطيئة آدم وحواء (the serpent, being inspired by the devil, was the cause of Adam and Eve's transgression)[3170].

وفي القرن الرابع الميلادي، قال القديس "إفرام" السرياني (Ephrem the Syrian) (Ephraem) (حوالي 306-373م) عن الحية التي تكلمت إلى حواء (التكوين 3): "ليست الحية كانت المتكلمة، بل الشيطان كان المتكلم فيها"[3171]. ومن الجدير بالذكر أن إفرام السرياني قد كرر هذه الفكرة (Satan spoke through the serpent) في أعماله المتنوعة[3172]، مما يؤكد أنها فكرة أساسية عنده. مثلاً في تعليقه الشهير على سفر التكوين (Commentary on Genesis 2.19)، تجده يقول:

That one (i.e. Satan) who was in the serpent then spoke to the woman, through the serpent, saying, *"Did God truly say, 'You shall not eat of any of the trees of Paradise'?"* […]

لكن لماذا اختار الشيطانُ الحيةَ بالذات واستخدمها ليوسوس من خلالها وبواسطتها إلى حواء (وآدم)؟ يجيب القديس إفرام السرياني على هذا السؤال بأن الشيطان اختار هذا الحيوان الحقير والبشع تماماً (utterly despicable and hideous) حتى لا يكون لآدم وحواء عذرٌ في التعدي على الوصية الإلهية. فلو كان الشيطانُ اختار حيواناً آخر أجمل وأنظف وأكثر جاذبية، لالتمسنا العذرَ لآدم وحواء في انخداعهما به وبجماله وبجاذبيته[3173].

وبعد إفرام السرياني، جاء "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) (ت حوالي 521م) أسقف سروج بشمال العراق فقال إن الحيّة رسول الشيطان. فلقد خاف الشيطانُ مِن مواجهة آدمَ لأنه صورة الله، فأرسل الشيطانُ الحيةَ وتكلم بفمها. نجد ذلك في عظة يعقوب السروجي الشهيرة "إخراج آدم من الفردوس" (On Adam's departure from Paradise). أولاً حاور الشيطانُ نفسه قائلاً: {307} يجب أن لا اقترب منه (أي: مِن آدم) وجهاً لوجه، {308} لأنَّ صورته عظيمة ووقاره يُرعبني. {309} بواسطة رسول (بالسريانية: *izgaddā*) أُسهّل الطريق ليمضي قدّامي، [...]. ثم يقول يعقوب السروجي في نفس العظة: {317} مضى الغاشّ (أي: الشيطانُ)، لبس الْحَيَّةَ (as a garment) بفنِّه، [...] {321} روح كذب نفخ في أنبوب (أو: ناي flute؛ بالسريانية: *abbubā*) ملعون الأصل، {322} ليرتّل هناك أقوال الموت لمن يسمع له. {323} الكاتبُ الغاشّ (أي: الشيطانُ) كتب رسالةً مملوءة مكراً، {324} ووهبها للناطور (notary) المحتال ليمضي ويقرأها (يقصد: الشيطان هو العقل المدبِّر والقوة المحرّكة، أما الْحَيَّة فهي مجرد

موظف أو أداة يتحدث الشيطانُ من خلالها). {325} معلِّم الإثم (أي: الشيطانُ) أملى كلمات لا حُسن فيها، {326} وقرأها للصبيّ الغاش (أي: الحية) لكي يفسّرها للفساد. {327} معلّمٌ شرير كتب مقالاً مليئاً بالمعوقات، {328} ووهبه للتلميذ اللعين ليصعد ويقوله. {329} حكيمُ الإبادة سطَّر خبراً يولِّد الموت، {330} وقام الراوي يرتّل أقوال التواء. {331} تمتم الشرير (أي: الشيطانُ)، فتقبّلت الحيّة مقال الكذب. {332} وركضت اللعينة تعلّم الإثمَ لبيت آدم. [...] {399} شرع الشريرُ (أي: الشيطانُ) بفم الحية يتكلّم[3174].

ننتقل الآن إلى كتاب "مغارة الكنوز" (Cave of Treasures) السرياني – المعاصر لكتاب "القرآن" العربي، أو على الأرجح قبله بقليل – حيث يقول الفصل الرابع مِنه إن الشيطان قد سكن (أو: حَلَّ في) الحَيَّة. أما لماذا اختار الشيطانُ الحيةَ بالذات؟ فيقدِّم كتابُ مغارة الكنوز إجابةً مختلفة عن إجابة القديس إفرام السرياني. سكن الشيطانُ في الحَيَّة حتى يُخفي منظره البشع عن حواء. أي: لأن منظر الشيطان – بعد سقوطه – أبشع من منظر الحَيَّة، اختار الشيطانُ الحَيَّةَ لأن منظرها أقل بشاعة. ويبدو لنا أيضاً أن كتاب مغارة الكنوز أراد أن يلمح إلى التشابه اللفظي بين الحَيَّة (*hiwya*) وحواء (*Hawwah*)؛ وربما التشابه الشكلي أيضاً! باختصار: حَلَّ الشيطانُ في الحَيَّة حتى يكون مألوفاً لحواء فيسهل عليه خداعها[3175]:

Chapter 4: The fall of Adam and Eve

[…]

{4} When Satan saw Adam and Eve rejoicing in paradise the rebel was inflamed and tormented by envy. {5} He went and took residence within the snake, lifted it up and made it fly through the air to the outer fringes of paradise. {6} For what reason did he (i.e. Satan) enter the snake to hide himself? {7} Because he knew that his appearance was hideous, and if Eve had seen his shape she would have fled from him at once. {8} Just as when someone teaching Greek to a bird produces a large mirror and, putting it (i.e. the mirror) between him (i.e. the teacher / the fowler) and it (i.e. the bird), starts talking to it, {9} the bird who hears his voice will at once turn around, behold its own image in that mirror and immediately rejoice, thinking it is its companion (i.e. a fellow bird) talking to him, {10} will thus quietly lend its ear, {11} listen to those words that are being spoken to it and eagerly learn to talk, {12} likewise Satan entered the snake, took residence within it, waited for the moment when he saw her

(i.e. Eve) alone and called her by her name. {13} When she turned toward him she saw her own image. He spoke to her and deceived her with his crafty words, because women's nature is soft, and she believed him. […]

مِن كل ما سبق يتضح أن الربط بين الشيطان والحية (التكوين 3) حقيقة راسخة في الديانة المسيحية وتراثها قبل الإسلام، وليس مجرد رأي أو وجهة نظر انفرد بها شخصٌ بعينه أو لغة بعينها[3176].

ومن الجدير بالذكر فى هذا السياق أن بعض كتب التراث اليهودي – وبخاصة تلك التي اكتملت بعد ظهور المسيحية – ألمحت سواء من قريب أو من بعيد إلى هذا الربط بين الشيطان والحية (التكوين 3). مثلاً: كتاب (Genesis Rabbah) (Genèse Rabba) – وهو أحد كتب المدراش (Midrash) (Midrach) اليهودية وجُمِع فى القرن الخامس بعد الميلاد أى قبل ظهور الإسلام[3177] – قد ذكر أن الشيطان (Satan) قد خُلِق مع خَلْق حواء (Eve)[3178]. وبما أن خَلْق حواء حدث في الآيات الأخيرة من (التكوين 2)، فهذا يعني أن خَلْق الشيطان حدث قبل قصة الحية (التكوين 3) مباشرةً.

وتوجد أمثلة أخرى من كتب التراث اليهودي – أو المحسوبة على التراث اليهودي – لكن حرصاً على عدم الإطالة فإننا سنكتفي بما سبق[3179].

الخلاصة: كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن الحَيَّة المذكورة في قصة الشجرة الْمُحَرَّمَة (التكوين 3) كانت رمزاً للشيطان إبليس أو الشيطانَ متنكراً أو أداةً استخدمها الشيطان (Satan's agent) أو هي/هو الشيطان نفسه، وأن هذا الربط بين الحية والشيطان (linking the serpent with Satan) الذي وصل إلى درجة التطابق (the identification of the serpent with Satan)[3180] كان معروفاً لدى المسيحيين (واليهود أيضاً) قبل ظهور الإسلام بمئات السنين.

وبما أن القرآن بصفة عامة يميل إلى تبسيط الأمور – وأحياناً تبسيطها زيادة عن اللزوم، استخدم أصحابُ القرآن كلمة "الشيطان" مباشرةً واستغنوا تماماً عن "الحَيَّة". ربما ليتجنبوا الجدل والخلاف حول لماذا اختار الشيطانُ الحَيَّةَ بالذات؟ وما الذنب الذي اقترفته الحَيَّة لكي تُعاقَب إذا كانت مجرد أداة استغلها الشيطان؟ ... إلى آخر تلك الأسئلة التي حيَّرت المسيحيين في القرون الأولى للميلاد.

ولذلك فإننا نتفق تماماً مع (Prof. Gabriel Said Reynolds) حين يقول:

> If Genesis has only a serpent in the garden [of Eden], a number of Jewish [exegetical] texts suggest that the serpent is to be identified with Satan, and Christian [exegetical] texts make that identification explicit. The Qur'ān seems to continue this exegetical development by doing away with the serpent altogether and having Satan alone in the garden. […] Accordingly both Geiger (…) and Speyer (…) argue that the presence of Satan in the Qur'ān's garden account indicates that it has a Christian origin(3181).

الخلاصة: لم يحتاج أصحابُ القرآن إلى "وحي إلهي"، وإنما احتاجوا إلى "فكر بشري" أخذوه – بطريق مباشر أو غير مباشر – من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط. المسيحيون السريان أو نصارى العرب.

4.6.3.2 تميز رواية سورة الأعراف بين الروايات القرآنية السبع

إذا نظرنا إلى رواية سورة الأعراف بأكملها من أولها إلى آخرها (الأعراف 11-27)، فسنجد أنها الرواية الوحيدة بين الروايات القرآنية السبع التي انفردت بميزة أنها ذكرت أسطورة سجود الملائكة لآدم إلا إبليس (الأعراف 11)؛ ثم أعطت الفرصةَ لإبليس لكي يشرح وجهة نظره فأعلن سببَ رفضه السجود لآدم وهو الكبرياء الذي أدى إلى سقوطه وطرده من الجنة (الحضرة الإلهية) ومِن ثم حقده على آدم (الإنسان) وحرصه على غوايته (الأعراف 12-18)؛ ثم أكملت روايةُ سورة الأعراف القصةَ فذكرت سقوط آدم (سقوط الإنسان؛ الشجرة الْمُحَرَّمَة) (الأعراف 19-27).

بينما كل الروايات القرآنية الأخرى إما لم تكمل القصةَ فلم تذكر الشجرةَ الْمُحَرَّمَة: روايات سور ص والإسراء والحجر والكهف. وإما أكملت القصةَ وذكرت الشجرةَ الْمُحَرَّمَة لكن لم تعطِ لإبليس فرصةً لكي يتكلم فلا نعلم سبب عداوته لآدم (الإنسان) وحرصه على غوايته: روايتي سورتي طه والبقرة.

فما السر وراء انفراد رواية سورة الأعراف بهذه الميزة؟

إذا أعدنا قراءة الأجزاء التي ذكرناها من كتاب "مغارة الكنوز" (Cave of Treasures) السرياني – المعاصر لكتاب "القرآن" العربي، أو على الأرجح قبله بقليل، فسنجد أن ترتيب أحداث رواية سورة الأعراف يتطابق مع ترتيب أحداث الفصول الثاني والثالث والرابع من كتاب مغارة الكنوز(3182): سجود الملائكة لآدم إلا إبليس؛ ثم سقوط إبليس/الشيطان؛ ثم سقوط آدم (سقوط الإنسان؛ الشجرة الْمُحَرَّمَة). فيبدو أن صاحب رواية سورة الأعراف كان على دراية جيدة بالتراث المسيحي السرياني، وبخاصة كتاب مغارة الكنوز.

يقول الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) تعليقاً على هذه النقطة المهمة[3183]:

<u>Satan's fall and Adam's temptation</u>

In Q 7 immediately after Iblīs is banished (Q 7:13-18), Adam and his mate are placed in the garden and are ordered not to approach the tree (Q 7:19). As [Edmund] Beck notes, this exact sequence of events is found in the *Cave of Treasures* 3.3-9. In Q 20 and Q 2, on the other hand, after Iblīs refuses to bow down, the story moves to the Paradise scene without developing the source of enmity of Iblīs/Satan which explains his role in leading Adam astray.

4.6.3.3 أين تقع "جَنَّة" آدم وحواء؟! على الأرض؟ في السماء؟ بين السماء والأرض؟!

في الديانتين اليهودية والمسيحية، الإجابة واضحة ومحسومة: جَنَّة آدم وحواء تقع على الأرض.

أما في الإسلام، فإن سؤال "أين تقع جَنَّة آدم وحواء؟" لا يزال مطروحاً إلى اليوم! والإجابة كالعادة هي: اختلف المفسرون. نعم، المشكلة الكبيرة التي شغلت بال المفسرين المسلمين طويلاً ولا تزال تؤدي إلى حيرتهم واختلافهم في هذه القصة القرآنية هي مكان هذه "الْجَنَّة" المزعومة التي أمر اللهُ آدَمَ وحواء أن يسكناها "يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ" (الأعراف 19) (البقرة 35) ثم أخرجهما منها. هل هي جنة في السماء؟ أم جنة على كوكب الأرض؟ أم جنة على كوكب آخر؟!

انقسم المفسرون المسلمون إلى ثلاثة فرق رئيسية:

- الفريق الأول قال الردود الإسلامية الشهيرة مثل: "الله أعلم"، "مش ضرورى تعرفوا"، "عاوزين تعرفوا ليه؟"، "تفرق معاكوا إيه؟"، "هتستفيدوا إيه لو عرفتوا؟"، ... إلى آخر هذه الردود الانهزامية التي لا تصلح للقرن الحادى والعشرين. على سبيل المثال:
  - قال الفَخْر الرازى: "الكل ممكن (أي: كل الأقوال ممكنة!) والأدلة النقلية ضعيفة ومتعارضة فوجب التوقف وترك القطع والله أعلم"[3184]!
  - وقالت موسوعة بيان الإسلام: "ليس هناك أى فائدة من معرفة الجنة التى خُلِق فيها آدم عليه السلام، أهى جنة الخلد أم غيرها؟ ومن تمام الإيمان السكوت عمَّا سكت عنه القرآن؛ إذ لو أفاد ذكره ما سكت عنه القرآن الكريم أو الرسول ﷺ. [...] ما الذى يعود علينا، وما الفائدة التى تُرتجى إذا علمنا طبيعة الجنة التى سكنها آدم عليه السلام وزوجه، هل كانت

جنة الخلد أم أنها جنة مِن جنات الدنيا؟" [...] "فعلمها عند الله؛ لأنها من الغيبيات التى نؤمن بها على أى كيفية كانت"[3185]!

- تعليقنا على هذا الفريق الأول: بالعكس، هناك فائدة كبيرة مِن معرفة مكان الجنة التى خُلِق فيها آدم. الفائدة هى أن نعلم هل القرآن كلام الله أم كلام بشر. أما حجة "الغيبيات" التى ترددونها دائماً، فإنها أصبحت حجة مكشوفة ومضحكة مبكية وهدفها هو تغييب العقل وحجب الحقائق وإسكات المفكرين مِن أجل الترويج للأساطير والأوهام.

- الفريق الثانى قال إن هذه الجنة على الأرض (أى: بستان أو حديقة).
- الفريق الثالث قال إن هذه الجنة فى السماء! إلا أنهم اختلفوا: هل هى "جَنَّة الخلد" التى أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة؟ أم هى جنة أخرى اخترعها الله خصيصاً لآدم وحواء فى السماء؟!

جمهور أهل السنة ينتمون إلى الفريق الثالث، فيقولون إن جَنَّة آدم وحواء في السماء[3186][3187]، وإنها "جَنَّة الخلد"، "جَنَّة المأوى"، "دار السلام"، "دار الثواب" التي أعدها الله للمؤمنين المتقين يوم القيامة (The Eschatological Paradise)[3188]. ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة، أهمها ما يلى:

- أشار القرآنُ إلى هذه الجَنَّة بأداة التعريف: "يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ" (الأعراف 19) (البقرة 35). فقالوا إن الألف واللام ليست للعموم ولا لمعهودٍ لفظي (أي: سبق ذِكره)، وإنما تعود على معهود ذهني (أي: معروف في ذهن المُخاطَب)، وهو "جَنَّة المأوى"!
- يقول حديث صحيح يتحدث عن يوم القيامة: "يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ (أي: تقترب وتظهر لهم)، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: "يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ"، فَيَقُولُ [آدم]: "وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ! لَسْتُ [أنا] بِصَاحِبِ ذَلِكَ. اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ". [...]"[3189]. فاستنتجوا مِن هذا الحديث أن جَنَّةَ آدم وحواء هى الجنة التى سيدخلها المؤمنون المتقون فى الآخرة!
- أشار القرآنُ إلى الشجرة الْمُحَرَّمَة بقوله: "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120). فقالوا: كيف يبحث آدم عن شجرة الخلد (immortality) في دار لا خلود فيها؟ فبما أن هذه الجنة فيها "شَجَرَةِ الْخُلْدِ". إذن: هي "جَنَّة الْخُلْدِ". ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم عن محمد قَالَ: "إِنَّ فِي الجَنَّةِ (أي: جَنَّة الْخُلْدِ) لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا"[3190]. وفي مُسند أحمد عن محمد قَالَ: "إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا: شَجَرَةُ الْخُلْدِ"[3191]. وتُذكَر هذه الأحاديث عادةً في تفاسير (طه 120)؛ انظر مثلاً تفسير ابن كثير.
- تكرر أمر الهبوط "اهْبِطُوا" (أو "اهْبِطَا") أربع مرات (الأعراف 24) (طه 123) (البقرة 36) (البقرة 38). فقالوا إن هذا "الهبوط" يدل على النزول مِن السماء!

أما الفريق الثانى الذين قالوا إنها جَنَّة مِن جنات الأرض (أى: بستان أو حديقة)، فيستدلون على ذلك بأدلة كثيرة أهمها ما يلى:

- آدم كُلِّف فى هذه الجَنَّة ألا يأكل مِن الشجرة الْمُحَرَّمَة (الأعراف 19) (البقرة 35)، مما يدل على أنها دار تكليف وابتلاء وامتحان، بخلاف جَنَّة الخلد التى هى دار جزاء فقط.

- الشيطانُ دخل على آدم في هذه الجَنَّة، وهذا يُنافي أن تكون جَنَّة المأوى. فكما سبق وقلنا، الشيطان (إبليس) طُرد مِن السماء (أو مِن الجَنَّة أو مِن الحضرة الإلهية) بعد رفضه السجود لآدم. وبالتالى لم يعد للشيطان مكاناً في السماء لا على سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز[3192]. فلو كانت جَنَّة آدم وحواء فى السماء (كما يزعم أصحابُ الفريق الثالث)، فكيف استطاع الشيطان أن يدخل الجنة ويوسوس لهما ويغويهما مشافهةً بدليل قوله "وَقَاسَمَهُمَا" (الأعراف 21)[3193]؟ يرد أصحابُ الفريق الثالث على هذا السؤال بردود متضاربة ومتهافتة: قيل إن الشيطان دخل الجنة كاللص اللئيم، وقد غفل حراس الجنة عنه! وقيل: "أراد إبليسُ أن يدخل عليهما الجنة، فمنعه الخَزَنة، فأتى الحية، وهي دابة لها أربع قوائم، كأنها البعير، وهي كأحسن الدواب، فكلّمها أن تُدخِله في فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخَلته في فمها، فمرّت الحية على الخزنة [فدخلت] وَهُمْ لا يعلمون، لِمَا أراد اللهُ عز وجل من الأمر، فكلّمه من فمها (أي: كلّم الشيطانُ آدمَ من فم الحية)"[3194]! وقيل: "فَلَمَّا أَرَادَ إِبْلِيسُ أَنْ يَسْتَزِلَّهُمَا دَخَلَ فِي جَوْفِ الْحَيَّةِ، وَكَانَتْ لِلْحَيَّةِ أَرْبَعُ قَوَائِمَ كَأَنَّهَا بُخْتِيَّةٌ (أي: الأنثى من الجمال طوال الأعناق!)، مَنْ أَحْسَنِ دَابَّةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ جلَّ ثناؤُه، فَلَمَّا دَخَلَتِ الْحَيَّةُ الْجَنَّةَ، خَرَجَ مَنْ جَوْفِهَا إِبْلِيسُ"[3195]! وقيل إن آدم وحواء كانا يخرجان خارج الجنة فيتمكن الشيطانُ منهما! وقيل إن الشيطان وسوس لهما وهو على باب الجنة أو مِن تحت السماء! وقيل إن الشيطان لم يدخل الجنة إلى آدم، وإنما أغوى آدم بشيطانه وسلطانه ووساوسه التى أعطاه الله، كما يقول الحديث الصحيح: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابن آدم مَجْرَى الدَّمِ"[3196]! وقيل غير ذلك[3197]. وأطرف ما قيل عن كيفية اتصال الشيطان بآدم وحوارهما في الجنة وهو خارج منها: "المخترعات الحديثة بينت لنا كيفية ذلك الاتصال وبيانه: إن الإنسان فى نفسه قابلية لتلقى الوسواس أشبه ما تكون بجهاز اللاسلكى بواسطتها يتم الاتصال بين الإنسان وعدوه إبليس وذريته"[3198]! تعليقنا: إنها كلها أقوال متهافتة ومتضاربة ومضحكة ولا تستحق الرد.

- صحيح أن القرآنُ قد أشار إلى الشجرة الْمُحَرَّمَة بقوله "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120)، لكن هذا قول الشيطان وليس قول الله. وحتى لو افترضنا أن الشجرة اسمها "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" فعلاً، فهذا لا يعنى أن الجَنَّة هي جَنَّة الخلد. لأن مَن يدخل جنة الخلد لا يخرج منها أبداً؛ والقرآن نفسه يعترف بذلك: "لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا (أي: في جنة الخلد) نَصَبٌ (أي: تعب) وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ" (الحجر 48). أما آدم فقد خرج من هذه الْجَنَّة التى أمره اللهُ أن يسكنها، مما يدل على أنها ليست جنة الخلد.

- المعهود الذهنى الذى تعود عليه أداة التعريف (الألف واللام) فى "يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ" (الأعراف 19) (البقرة 35) ليس "جَنَّة المأوى"؛ وإنما هو ما دل عليه سياق الكلام، فإن آدم خُلِق مِن تراب الأرض "مِنْ طِينٍ" (الأعراف 12)، وخُلِق ليكون فى الأرض "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة 30). ولم يقل القرآن ولا السُّنَّة الصحيحة إن آدم قد "رُفِع" إلى السماء. وبالتالى فإن "الْجَنَّةَ" (الأعراف 19) (البقرة 35) أيضاً فى الأرض. وقالوا إن هذا كقوله "إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ" (القلم 17)؛ "فالألف واللام ليس للعموم، ولم يتقدم معهود لفظى، وإنما هو للمعهود الذهنى الذى دل عليه السياق وهو البستان"، أو الحديقة[3199]. كما استخدم القرآنُ كلمة "جَنَّة" في مواضع أخرى بمعنى بستان أو حديقة، مثل: (البقرة 266) (الكهف 32-42) (سبأ 15) (الفرقان 8) (الإسراء 91).

- أما فيما يخص أمر الهبوط "اهْبِطُوا" (أو "اهْبِطَا")، فإنه لا يدل على النزول مِن السماء. فلقد استخدم القرآن المكي والمدني هذا الأمر في آيات قرآنية أخرى لا تدل إطلاقاً على النزول مِن السماء، مثل: "قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا" (هود 48) و "اهْبِطُوا مِصْرًا" (البقرة 61)[3200]. وفيما يتعلق بجَنَّة آدم وحواء، قالوا لا مانع أن تكون هذه الجنة على جبل أو مكان مرتفع عن سائر الأرض، ولذلك قال القرآنُ "اهْبِطُوا" (أو "اهْبِطَا"). أو ربما يكون الأمر "اهْبِطُوا" (أو "اهْبِطَا") يدل على الهبوط المعنوى، أى النزول من مكانة أعلى إلى مكانة أسفل. قال الشيخ محمد أبو زهرة (مِن كبار شيوخ الإسلام في القرن العشرين) فى تفسيره لـ(البقرة 38): "والهبوط هنا معنوى أو حسى، والمعنوى أنهم نزلوا من الجنة حيث كان القرب من الملائكة الأطهار، وحيث كان العيش رغداً لا مشقة فيه، ولا جهد، بل هو راحة واطمئنان – إلى حيث اللغوب والمشقة، والمعترك الذى يكون فيه الغلب والقهر والانهزام، وحسى لأنه نزول من مكان عال إلى أدنى منه، والهبوط المعنوى ظاهر؛ ولذا نقتصر عليه، لأن الحسى غير ظاهر"[3201]. باختصار: الأمر "اهْبِطُوا" (أو "اهْبِطَا") يدل على النزول فقط، وليس النزول مِن السماء.

- وقال الشيخ الشعراوى: "يجب أن نتنبه إلى أن الجنة التى عاش فيها آدم ليست هى جنة الخلد [...] إذن: فالجنة التى وُجِد فيها آدم بداية ليست هى جنة الجزاء"[3202].

- وقال الشيخ عبد الوهاب النجار: "ومِن رأيى تفويض أمر تلك الجنة إلى علم الله تعالى، فهو الذى يعلم إن كانت فى السماء أو فى الأرض، وهذا لا يمنعنى أن أقول إنى أميل إلى أنها مِن جنات الأرض"[3203].

- وكان د. أحمد شوقى إبراهيم أكثر وضوحاً، فقال: "ونرجح أنها كانت فى الأرض، فآدم خُلِق مِن تراب هذه الأرض، ولم تذكر آية قرآنية أو حديث نبوى أن الله صعد بهما إلى السماء"[3204].

- وقال الشيخ الإمام محمد عبده: "وبالجملة، إن الأوصاف التى وُصِفت بها الجنة الموعود بها (يقصد: فى الآخرة) **لا** تنطبق على ما كان فى جنة آدم، ومنه كون عطائها غير مجذوذ ولا مقطوع وغير ذلك"[3205].

- وقال الألوسى: "والأدلة متعارضة، فالأحوط والأسلم هو الكف عن تعيينها (أى: تعيين هذه الجنة) والقطع به، وإليه مال صاحب التأويلات (يقصد: أبو منصور الماتريدى)، والذى ذهب إليه بعض ساداتنا الصوفية قدس الله تعالى أسرارهم أنها فى الأرض"[3206].

- وقديماً قال جمهور علماء المعتزلة – المعروفين باتجاههم العقلاني في التفسير – إن المراد بـ "الْجَنَّةَ" فى هذه القصة هو "بستان بمكان مرتفع من الأرض"[3207].

- ومِن بعدهم جميعاً، قام الباحث المصري إسلام بحيري بتجميع وترتيب وتقديم أهم الأدلة القرآنية والمنطقية التي تثبت أن جنة آدم كانت حديقة أو حقل مثمر على الأرض[3208].

وكما نرى، فإن كل فريق – كالعادة – يستشهد بآيات قرآنية و/أو أحاديث صحيحة ليؤيد وجهة نظره. فالمشكلة – كالعادة أيضاً – ليست في المفسرين المسلمين الذين اجتهدوا وأفنوا أعمارهم في حل ألغاز الإسلام، وإنما المشكلة في غموض النصوص الإسلامية نفسها وعدم تحديد تفاصيل القصة كالمكان مثلاً. فلو كان القرآنُ كلام الله كما يظن المسلمون، لقال صراحةً أين تقع هذه الجَنَّة المزعومة!

ونحن نرى أن الفريق الثاني – الذين قالوا إنها جَنَّة مِن جنات الأرض مثل بستان أو حديقة، على الرغم مِن كونهم الأقلية، إلا أن أدلتهم أقوى بكثير مِن أدلة الجمهور. وبصراحة لا يمكننا أن نتصور كيف "هبط" آدم وحواء مِن السماء إلى الأرض بدون طائرة ولا باراشوت ولا حتى براق! طب الشيطان (إبليس) كائن نارى وحيعرف ينط مِن السماء إلى الأرض، لكن آدم وحواء من لحم ودم وعظام حينطوا إزاى؟!

إذن: جنة آدم وحواء كانت على الأرض كما تقول التوراة؛ "جَنَّة عَدْنٍ" (Garden of Eden) (التكوين 8:2). وأغلب الظن أن أصحاب القرآن قالوا "اهْبِطُوا" (أو "اهْبِطَا") لأنهم تخيلوا هذه الجنة على جبلٍ أو مكان مرتفع عن سائر الأرض. ربما تأثراً بسفر حزقيال الذي يقول: "كُنْتَ فِي عَدْنٍ جَنَّةِ اللهِ. [...] عَلَى جَبَلِ اللهِ الْمُقَدَّسِ كُنْتَ" (حزقيال 28:13-14). وربما تأثراً بالتراث اليهودي المتأخر (مثلاً: المدراش) و/أو التراث المسيحي السرياني الذي قال في كتاب "مغارة الكنوز"[3209] وأيضاً في ترانيم القديس "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (Ephraem) (القرن الرابع الميلادي) إن الجنة كانت على جبل أعلى من كل جبال الأرض[3210]. ويرى (Dr. Joseph Witztum) أن تكرار أوامر الهبوط في القرآن ("اهْبِطُوا" و "اهْبِطَا") مِن آثار التراث المسيحي السرياني الذي تحدث مراراً وتكراراً عن "سقوط" آدم والشيطان[3211]. بل نجد في عظة الأسقف السرياني "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) (ت حوالي 521م) "إخراج آدم من الفردوس" (On Adam's departure from Paradise) تصويراً

مبدءاً لسقوط آدم والشيطان وكأنهما سقطا سوياً. فتقول الأبيات 135-140 من تلك العظة الشهيرة إن الشيطان "سقط" و "أمسك آدمَ فسقط [آدمُ] معه لأنه تراخى (أي: ما تقوّى بقوة الله)"[3212].

لكن يبقى سؤال: لماذا قال جمهورُ أهل السُّنَّة إن جَنَّة آدم وحواء كانت في السماء؟!

الإجابة: يوجد أكثر من احتمال ...

ربما تأثروا بنفس التراث الذي قال إن جنةَ آدم وحواء كانت على جبلٍ أعلى من كل جبال الأرض؛ جبل تصل قمته إلى السماء[3213]. اقرأ أيضاً "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً (قيل إنها كلمة التوحيد أو الإيمان) كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ [في الأرض؛ وقيل: في قلب المؤمن] وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ" (إبراهيم 24). فكما تخيلوا الإيمان/التوحيد كَشَجَرَةٍ ترتكز على الأرض ويصل أعلاها إلى السماء، كذلك تخيلوا جنةَ آدم وحواء على جبلٍ يرتكز على الأرض وتصل قمته إلى السماء. علماً بأن كلمة "السماء" هنا لا تعني بالضرورة (sky)، وإنما قد تعني ما سما وعلا وارتفع عن غيره؛ أي: نحو السماء.

وربما أرادوا أن يخالفوا التوراة التي تقول إن جنة آدم وحواء، أي "جنة عدن" (Garden of Eden) (التكوين 2:8)، كانت على الأرض.

وربما تأثروا بالقرآن نفسه الذي استخدم عبارة "جَنَّات عَدْن" 11 مرة للإشارة إلى الجنة في الآخرة، أي: جَنَّة الخلد (immortality)! "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ. جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ" (البينة 7-8)؛ "وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا. جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى" (طه 75-76)؛ "وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (التوبة 72)؛ واقرأ أيضاً: (النحل 31) (الرعد 23) (الكهف 31) (مريم 61) (فاطر 33) (ص 50) (غافر 8) (الصف 12).

ومن الجدير بالذكر أن اسم "عَدْن" اسم عَلَم (proper name) فينبغي عدم ترجمته. لكن نظراً لأن اسم "عَدْن" يرتبط بكلمة عبرية تعني "نعيم" (bliss) أو "مسرة" (delight)[3214]، فإن أصحاب القرآن ترجموه في آيات قرآنية أخرى! مثلاً: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ" (يونس 9)؛ "وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ" (الشعراء 85).

أما السبب الرئيسي الذي جعل جمهور أهل السُّنَّة يقولون إن جَنَّة آدم وحواء كانت في السماء هو في رأينا أنهم تأثروا بتاريخ كلمة "فردوس" (Paradise) الفارسية الأصل في تراث الديانات الإبراهيمية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام. "فردوس" (باليونانية: paradeisos) تعني "بستان" (orchard)

أو "حديقة" (enclosed garden). وفي القرن الثالث قبل الميلاد، استخدمت التوراةُ السبعينية (الترجمة اليونانية للتوراة العبرية) كلمةَ "فردوس" للتعبير عن بستان/حديقة آدم وحواء، أي "جنة عدن" (التكوين 8:2) على الأرض. لكن بعد الترجمة السبعينية بأكثر من 250 سنة، استخدم العهد الجديد (اليوناني أيضاً) كلمةَ "فردوس" للإشارة إلى السماء الثالثة (third heaven)[3215]! فصارت كلمةُ "فردوس" في التراث المسيحي لها معنيان مختلفان: أحدهما أرضي (جنة آدم وحواء حسب الترجمة السبعينية التي تبناها المسيحيون الأوائل) والآخر سماوي (السماء الثالثة حسب الإنجيل). ونجد في الإنجيل أيضاً قصةَ اللص التائب الذي قال ليسوع المسيح وهو مُعلَّق على الصليب: "اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ". فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لوقا 23:42-43). وقال المسيحُ أيضاً: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (الرؤيا 7:2)؛ ونلاحظ هنا ذِكر "شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" و "فِرْدَوْس" في نفس الجملة، إلا أن هذا "الفردوس" ليس جنة آدم وحواء، وإنما هو مكان انتظار مؤقت لأرواح المؤمنين الأبرار، أي أنه مكان نعيم للروح فقط دون الجسد، انتظار مؤقت حتى المجيء الثاني للمسيح[3216]. لكن بعد الإنجيل بأكثر من 500 سنة، استخدم أصحابُ القرآن كلمةَ "فردوس" للإشارة إلى جَنَّة الخلد (immortality) في الآخرة! "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ [...] أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (المؤمنون 1-11)؛ "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا" (الكهف 107-108)[3217]. وهكذا صار لدينا معنى ثالث لكلمة "فردوس" وهو جَنَّة الخلد؛ أي: مكان خلود أبدي ينعم أصحابُه بلذات جسدية: أكل وشرب وجنس ... الخ! وهذا في رأينا هو السبب الرئيسي الذي جعل جمهور أهل السُّنَّة يتوهمون أن جنة آدم وحواء ("فردوس" السبعينية حيث توجد شجرة الحياة التي تَهَبُ الحياة الأبدية) هي جَنَّة الخلد ("فردوس" القرآن حيث توجد شجرة الخلد أو حيث يحيا المؤمنون الأبرار حياةً أبدية). إذن: نحن نرى أن كلمة "فردوس" بمعانيها المختلفة هي السبب الرئيسي في هذا الخلط.

وأخيراً وليس آخراً، فَمِن الواضح أن أصحاب القرآن قد تأثروا بكتب التراث اليهودي التي تقول إن جنة عدن (أو الفردوس) هي مكان الأبرار بعد موتهم. ولِم لا؟! أليس فيها شجرة الحياة التي تمنح الحياة الأبدية **[← "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120)]**؟! بل إن المتع الجسدية في الجنة (الفردوس / جَنَّات عَدْنٍ) ليست فكرة إسلامية جديدة، وإنما لها جذور في بعض كتب التراث اليهودي غير المعترف بها. مثلاً: كتاب "رؤيا إبراهيم" (Apocalypse of Abraham) (Apocalypse d'Abraham) وهو مِن كتب سوديبِجرافا العهد القديم ويرجع تاريخه إلى 70-150م، أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 450 سنة. يقول هذا الكتاب الخرافي إنه بعد صعود (أي: مِعراج) إبراهيم، تأمل إبراهيمُ في الكون وقال: "ورأيتُ هناك جنّة عدن (هي: موطن الأبرار) وثمارها، النبع والنهر الذي يخرج منها، أشجارها وأوراقها، والذين يمارسون البرّ (أي: الأبرار righteous men). ورأيتُ هناك طعامهم (their food) وأماكن راحتهم" (رؤيا إبراهيم 8:21)[3218].

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن اليهود – أو على الأقل: بعض مذاهبهم – اعتقدوا في وجود "فردوسين"! يقول قاموس الكتاب المقدس: "وكان اليهود يميزون بين فردوسين، فردوس علوي هو جزء من السماء، وفردوس سفلي هو قسم من مقر الموتى وتخصص لنفوس الأبرار (أي: الأموات الصالحين)"[3219]. وتقول موسوعة "على هامش الكتاب": "والسامريون تكلموا على فردوسين، أرضي وسماوي، ودعوا الاثنين "جنّة عدن""[3220]! ونجد بعض كتب التراث اليهودي تتأرجح بين فردوس أرضي وفردوس سماوي في نفس الكتاب الواحد، مما قد يعني أن أكثر من شخص اشترك في كتابته! والبعض الآخر لم يحدد إذا كان الفردوس (جنة آدم وحواء) في الأرض أم في السماء **[⟵ وهذا بالضبط ما فعله القرآن: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ [...]" (البقرة 35)؛ "الْجَنَّةَ" (الأعراف 19) "الْجَنَّةِ" (الأعراف 22) "الْجَنَّةِ" (الأعراف 27)؛ "الْجَنَّةِ" (طه 121) بدون تحديد مكان تلك الجنة المزعومة]!**

ونختم كلامنا بما قاله العالمُ الكبير (Prof. James L. Kugel) تعليقاً على هذا الاختلاف الشديد والتنوع الكبير في الآراء في كتب التراث اليهودي فيما يتعلق بمسألة مكان الفردوس (جنة آدم وحواء):

> ***Neither Heaven Nor Earth:*** […] while some interpreters located Eden on earth, a number of ancient interpreters concluded that the garden was located in heaven […]. Yet others simply did not specify whether the garden was heavenly or earthly. It may be that to some of those writers in this last group, the location seemed obviously to be in heaven. To others, however, the arguments for an earthly Eden must have seemed as strong as those for the heavenly: the *Apocalypse of Moses* apparently envisaged two paradises, one on earth (38:5) and the other in heaven (40:2).
>
> A final element in this exegetical puzzle was the prophet Ezekiel's implication, in a verse already mentioned, that Eden was located atop a certain mountain:
>
> "You were in Eden, the garden of God […] you were
> on the holy mountain of God." – Ezekiel 28:13-14.
>
> This verse (along with Isaiah 14:13 and others) may be responsible for the particular notion of a mountain, halfway between heaven and earth, where the righteous will receive their reward: […][3221]

وهذا يؤكد لنا ما قلناه مِن قبل: أصحاب القرآن تخيلوا جنةَ آدم وحواء على جبلٍ مرتفع عن سائر الأرض؛ جبل أعلى من كل جبال الأرض؛ أي: بين السماء والأرض. ولذلك انقسم المفسرون المسلمون إلى فريقين،

كلاهما نظر إلى هذا الجبل نظرةً مختلفة، لكن يمكن فهمها. قال فريقٌ إن الجنة كانت على الأرض، لأن الجبل من جبال الأرض. بينما قال الفريق الآخر إنها كانت في السماء، لأن الجبل مرتفع جداً نحو السماء أو تصل قمته إلى السماء (الثالثة). وبعضهم زاد على ذلك أن جنة آدم وحواء هي جنة الخلد في الآخرة حيث يُكافَأ الأبرار على أعمالهم الصالحة في الدنيا. وكل هذه الآراء والأقوال – بما فيها القرآن نفسه – هي مجرد تطور بشري طبيعي لما قاله التراث اليهودي/المسيحي قبل الإسلام.

وفي جميع الأحوال، فإنه مِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا المصطلحات الكتابية "جنة عدن" و "فردوس". إلا أنهم إما لم يفهموها فهماً صحيحاً؛ ونحن نلتمس لهم العذر فلقد اختلفت معاني تلك المصطلحات بمرور الزمن حسب الديانات والمذاهب والترجمات المختلفة. وإما تعمّدوا تغيير معاني تلك المصطلحات، لكنهم لم يوضحوا ما قصدوه، مما أدى إلى حيرة المفسرين المسلمين وتخبطهم واختلافهم.

المشكلة – كالعادة – ليست في المفسرين المسلمين، وإنما المشكلة في غموض الآيات القرآنية نفسها. فلو كان القرآنُ كلام الله كما يتوهم المسلمون، لكان ينبغي أن يقول لنا بوضوح أين تقع "جنة آدم وحواء" و "جَنَّات عَدْنٍ" و "الْفِرْدَوْس". الغموض في مثل هذه المسائل المهمة لا يفيد إلا لإثبات بشرية القرآن. بل إثبات جذور القرآن في التراث اليهودي/المسيحي، فنحن لم نستطع أن نحلّ هذا اللغز القرآني الذي احتار فيه المفسرون المسلمون إلا مِن خلال دراستنا للتراث اليهودي/المسيحي.

وكنا نتمنى أن يلتزم أصحابُ القرآن بما جاء في التوراة العبرية والإنجيل: جنة عدن على الأرض بينما الفردوس في السماء، وألا يتأثروا بكتب التراث اليهودي/المسيحي التي استخدمت كلمتي "جنة عدن" و "فردوس" بمعاني مختلفة ومتناقضة. إنها بصمة يهودية/مسيحية واضحة على القرآن وتفاسيره.

4.6.3.4 شجرتان (التوراة)؟ أم شجرة واحدة (القرآن)؟ ما اسمها؟!

اتفق القرآنُ مع التوراة فيما يتعلق بوجود أشجار كثيرة في الجنة (جنة عدن). تقول التوراة: "وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، [...]" (التكوين 2:9) "وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، [...]" (التكوين 2:16). وكذلك يقول القرآنُ في رواية سورة الأعراف: "وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا [...]" (الأعراف 19). وأضاف صاحبُ رواية سورة البقرة كلمة "رَغَدًا (freely; abundantly)" (البقرة 35). بل يُفهَم من رواية سورة طه أن الشجر كان كثير الثمار إلى درجة أن آدم (وذريته؟) لن يجوعوا! "إِنَّ لَكَ [يا آدم] أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا" (طه 118)!

لكن التوراة ذكرت شجرتين صراحةً بالاسم، هُمَا:

- الشجرة الْمُحَرَّمَة (the forbidden tree) وهي شجرة واحدة فقط تُعرَف باسم "شَجَرَة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ" (the tree of the knowledge of good and evil) (التكوين 2:9، 2:17) التي أكل آدمُ وحواء مِنها وتُسمَّى اختصاراً "شَجَرَة الْمَعْرِفَةِ" (the tree of knowledge). ويمكن أن نسميها "شجرة الحكمة" (the tree of wisdom) لأن عبارة "الشَّجَرَة شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ" (التكوين 3:6) تترجم أحياناً إلى: مُنْيَةٌ للتَّعَقُّل؛ باعثةٌ للفَهْمِ؛ مُشْتَهاةٌ للإِفْطانِ؛ desirable as a source of wisdom)[3222]. هذه هي الشجرة الوحيدة الْمُحَرَّمَة. كل الأشجار الأخرى غير مُحَرَّمَة.
- والشجرة غير المُحَرَّمَة – أو بعبارة أكثر دقة: شجرة واحدة مِن الأشجار الكثيرة غير المُحَرَّمة – هي "شَجَرَة الْحَيَاةِ" (the tree of life) (التكوين 2:9)، أي: شَجَرَة الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةَ (التكوين 3:22) أو شَجَرَة الْخُلُود (tree of immortality).

وتقول التوراة إن الشجرتين كانتا "فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ" (التكوين 2:9) (التكوين 3:3). إذن: الأمور واضحة.

أما إذا نظرنا إلى القرآن. فسنجد أن كل رواية من الروايات القرآنية الثلاث تعاني من مشكلة!

- رواية سورة البقرة لم تذكر اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة صراحةً، بل لم تذكر اسمَ أي شجرة صراحةً! مع أن نفس الرواية القرآنية زعمت أن الله "عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" (البقرة 31)! فهل يُعقَل أن الله عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، ولم يعلِّمه اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة؟!
- أما صاحب رواية سورة طه فذكر اسمَ شجرة واحدة فقط صراحةً هي الشجرة الْمُحَرَّمَة التي أكل آدمُ وحواء مِنها وأطلق عليها اسمَ "شَجَرَةِ الْخُلْدِ (tree of immortality)" (طه 120)! أو بعبارة أكثر دقة: قال إن الشيطان سمَّاها كذلك "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ" (طه 120). ولم يُكذِّب اللهُ الشيطانَ فيما قال؛ بل تقول الآية التالية على لسان الراوي (الله) "فَأَكَلَا مِنْهَا" (طه 121)، والضمير في "مِنْهَا" يعود على "شَجَرَةِ الْخُلْدِ"، مما قد يعني أن صاحب رواية سورة طه قد اختلط عليه الأمر (confused) فظن أن الشجرة الْمُحَرَّمَة هي "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" التي تناظر الشجرة غير الْمُحَرَّمَة "شَجَرَة الْحَيَاة" في التوراة[3223]! أو لعله أدمج (fused; conflated) الشجرتين عمداً في شجرةٍ واحدة! وفي جميع الأحوال، هل يُعقَل أن الشجرة الْمُحَرَّمَة هي شجرة الحياة/الخلود؟! ألا يريد اللهُ للإنسان أن يحيا (إلى الأبد)؟!
- وكذلك فعل صاحبُ رواية سورة الأعراف الذي لم يذكر اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة صراحةً لكن يُفهَم أنها شجرة الحياة/الخلود بدليل "وَقَالَ [الشيطانُ لآدم وحواء] مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ" (الأعراف 20). إلا أن روايته كانت أفضل من رواية سورة طه، إذ قال فيها إن الشيطان "دَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ (أي: بهذه الخدعة) [...]" (الأعراف 22).

مما قد يعني أن التسمية الشيطانية "شَجَرَة الْخُلْدِ" كانت مجرد خدعة، بدليل أن آدم مات في النهاية ولم يخلد.

لكن إذا لم تكن الشجرة الْمُحَرَّمَة هي "شَجَرَة الْخُلْدِ"، فما هي؟ ...

اختلف المفسرون المسلمون اختلافاً شديداً في تحديد نوع "هَذِهِ الشَّجَرَة" الْمُحَرَّمَة: قيل إنها الكَرْم (grapevine)؛ وقيل إنها الحِنْطة (wheat)؛ وقيل إنها التينة (fig)؛ وقيل إنها النخلة؛ وقيل إنها السُّنْبُلة (grain)؛ وقيل إنها شجرة البُرّ (wheat)؛ وقيل إنها شجرة الكافور؛ وقيل إنها شجرة التفاح. ومِن أطرف ما قيل "إن هذه الشجرة كانت خصت بأن تحوج آكلها إلى التبرز، فلذلك نهى عنها، فلمَّا أكلها [آدم] ولم تكن الجنة موضع تبرز أُهبط إلى الأرض"[3224]! وقيل إنها شجرة العلم (knowledge)[3225]. وقيل إنها شجرة الخلد (طه 120). بل قيل إنها الشجرة التي تأكل منها الملائكة، ربما بسبب "تَكُونَا مَلَكَيْنِ" (الأعراف 20)!

مثلاً يقول تفسير ابن كثير لـ (طه 120): "وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عهد (أو: أَوْحَى) إِلَى آدَمَ وَزَوْجه أَنَّ يَأْكُلَا مِنْ كُلِّ الثِّمَار، وَلَا يَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ الْمُعَيَّنَةَ فِي الْجَنَّةِ. فَلَمْ يَزَلْ بِهِمَا إِبْلِيسُ حَتَّى أَكَلَا مِنْهَا، وَكَانَتْ شَجَرَةَ الْخُلْدِ - يَعْنِي: الَّتِي مَنْ أَكَلَ مِنْهَا خُلِّدَ وَدَامَ مُكْثُهُ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ شَجَرَةِ الْخُلْدِ، فَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ أَبِي الضَّحَّاكِ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا، وَهِيَ شَجَرَةُ الْخُلْدِ". وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ"[3226]. وذكر السيوطي في تفسيره روايةً "عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: لَمَّا أَسْكَنَ اللَّهُ آدَمَ الْجَنَّةَ وَزَوْجَتَهُ وَنَهَاهُ عَنِ الشَّجَرَةِ، كَانَتِ الشَّجَرَةُ غُصُونُهَا مُتَشَعِّبَةٌ بَعْضُهَا في (أو: عَلَى) بَعْضٍ، وَكَانَ لَهَا ثَمَرٌ تَأْكُلُهُ الْمَلَائِكَةُ لِخُلْدِهِمْ، وَهِيَ الثَّمَرَةُ الَّتِي نَهَى اللَّهُ آدَمَ عَنْهَا وَزَوْجَتَهُ، [...]. قِيلَ لِوَهْبٍ: وَهَلْ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَأْكُلُ؟ قَالَ: يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ"[3227]!

وكالعادة، قال المفسرون المسلمون الذين يخافون مِن البحث في كواليس القرآن: إنه لا فائدة مِن معرفة نوع "هَذِهِ الشَّجَرَةَ" الْمُحَرَّمَة! مثلاً قال الطبري وغيره: "فَالصَّوَاب فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَال: إِنَّ اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَهَى آدَم وَزَوْجَته عَنْ أَكْل شَجَرَة بِعَيْنِهَا مِنْ أَشْجَار الْجَنَّة دُون سَائِر أَشْجَارهَا، فَخَالَفَا إِلَى مَا نَهَاهُمَا اللَّه عَنْهُ، فَأَكَلَا مِنْهَا كَمَا وَصَفَهُمَا اللَّه جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهِ. وَلَا عِلْم عِنْدنَا بِأَيِّ شَجَرَة كَانَتْ عَلَى التَّعْيِين، لِأَنَّ اللَّه لَمْ يَضَع لِعِبَادِهِ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ فِي الْقُرْآن، وَلَا فِي السُّنَّة الصَّحِيحَة. [...] وَقَدْ قِيلَ: كَانَتْ شَجَرَة الْبُرّ، وَقِيلَ: كَانَتْ شَجَرَة الْعِنَب، وَقِيلَ: كَانَتْ شَجَرَة التِّين، وَجَائِز أَنْ تَكُون وَاحِدَة مِنْهَا، وَذَلِكَ علمٌ إذا عُلِم لَمْ يَنْفَع الْعَالِمَ بِهِ عِلْمُه، وَإِنْ جَهِلَهُ جَاهِلٌ لَمْ يَضُرَّهُ جَهْلُه بِهِ"[3228]!

ونحن نقول لهم: بالعكس. نوع الشجرة الْمُحَرَّمَة مهم جداً في هذه القصة القرآنية. أو بعبارة أكثر دقة: نوع الشجرة مهم جداً في الروايات القرآنية الثلاث المختلفة لهذه القصة. وذلك لثلاثة أسباب على الأقل ...

أولاً: تحديد نوع الشجرة الْمُحَرَّمَة في رواية من الروايات القرآنية الثلاث يساعدنا في معرفة مصادر تلك الرواية؛ فلو كانت رواية سورة الأعراف مثلاً حددت نوع الشجرة ووجدنا نفس نوع الشجرة في كتاب يهودي/مسيحي قبل الإسلام، لاستطعنا أن ندرس ذلك الكتاب كمصدر محتمل لتلك الرواية القرآنية.

ثانياً: عدم ذِكر نوع الشجرة الْمُحَرَّمَة – عن عمد أو عن جهل – مع تضارب أقوال المفسرين المسلمين في هذه المسألة يجعلنا نميل إلى الرأي القائل إنها ليست شجرة حقيقية، وإنما شجرة رمزية. لكن هل ترمز إلى "الْخُلْدِ" كما زعم الشيطانُ (طه 120) (الأعراف 20)؟ أم ترمز إلى شيء آخر؟

ثالثاً: تحديد نوع الشجرة الْمُحَرَّمَة قد يساعدنا في الإجابة على السؤال التالي: هل خلط القرآنُ بين الشجرتين التوراتيتين (شجرة الحياة وشجرة المعرفة)؟ أم أدمجهما في شجرةٍ واحدة؟

لكن بغض النظر عن مدى صحة التسمية الشيطانية "شَجَرَةِ الْخُلْدِ"، وسواء كان الخلط أو الدمج قد حدث عن جهل أو عن عمد، فإن النتيجة في جميع الأحوال واحدة: القرآنُ كلام بشر. فلو كان القرآنُ كلامَ الله، لالتزم بما جاء في التوراة أو لأعطى روايةً بديلة كاملة وواضحة ومتماسكة لا تعاني من أي مشكلة. أما أن يعطينا ثلاث روايات مختلفة وفيها مشكلات، فهذا يؤكد أن القرآن كلام بشر. "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24).

وما يهمنا هو السؤال التالي: ما سبب ظهور هذه المشكلات في الروايات القرآنية الثلاث؟

الإجابة: لأن قبل ظهور الإسلام، كانت هناك بالفعل عدة روايات مختلفة ومتضاربة فيما يتعلق بشجرة (أو: شجرتي) جنة عدن. ويمكن تقسيم هذه الروايات اليهودية/المسيحية إلى ثلاث فئات أو نوعيات:

- النوعية الأولى: روايات لم تذكر اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة **[← "هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ" (الأعراف 19، 20) "الشَّجَرَةَ [...] تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ" (الأعراف 22) "هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ" (البقرة 35)]!**
- النوعية الثانية: روايات تزعم أن الشجرة الْمُحَرَّمَة هي شجرة الحياة/الخلود **[← "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120) "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا [...] مِنَ الْخَالِدِينَ" (الأعراف 20)]!**
- النوعية الثالثة: روايات ساعدت على الخلط بين الشجرتين، أو دمجهما في شجرةٍ واحدة، أو الاكتفاء بشجرة واحدة والاستغناء عن الأخرى. ولأن هذه النوعية الثالثة من الروايات هي الأقدم فنحن نرى أنها قد تكون السبب في إحداث البلبلة التي أدت في النهاية إلى المشكلات التي نراها في الروايات القرآنية الثلاث.

إذن: الروايات القرآنية الثلاث هي نتيجة حتمية وطبيعية لهذا التراث اليهودي/المسيحي البشري المختلِف والمتضارب والْمُمْتَلِئ سهواً أو عمداً بالانحرافات (deviations) عن القصة التوراتية الأصلية. ونقول "انحرافات" لأننا نعتبرها كلمة عامة ومحايدة، فقد تكون انحرافات سلبية (أخطاء) أو إيجابية (إبداعات).

ولكي يكون كلامنا مؤيداً بالأدلة، سنعطي مثالاً لكل نوعية من هذه النوعيات الثلاث.

النوعية الأولى: روايات لم تذكر اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة! مثلاً: كتاب "مغارة الكنوز" أو "كهف الكنوز" (Cave of Treasures) السرياني المعاصر لكتاب "القرآن" العربي، أو على الأرجح قبله بقليل. حسب هذا الكتاب المسيحي السرياني، لم تذكر الوصيةُ الإلهية لآدم اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة صراحةً! فحالما دَخَلَ آدمُ إلى الفردوس، أُمِرَ ألا يأكل من الشجرة (he was commanded not to eat from the tree) (مغارة الكنوز 9:3)[3229] **[← "هَذِهِ الشَّجَرَةَ" (الأعراف 19) "هَذِهِ الشَّجَرَةَ" (البقرة 35)]**. وكذلك في الوسوسة الشيطانية، لا نجد اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة! بينما نجد تفاصيل أخرى أقل أهمية وتتعمد تشويه صورة المرأة بتقديمها ككائن ساذج يسهل خداعه. فيقول كتاب مغارة الكنوز إن الشيطان/الحيّة انتظر حتى رأى حواءَ بمفردها فناداها باسمها، فلمَّا استدارتْ حواءُ نحو الشيطان ونظرتْ إليه رأتْ صورتها الشخصية كما لو كانت منعكسة في مِرْآة (she saw her own image)! فتكلّم الشيطانُ إلى حواء وخدعها بكلماته الكاذبة لأن طبيعة النسوة رقيقة (أو خاضعة) (because women's nature is soft)[3230]! فصدَّقته حواءُ وعندما سمعتْ منه ما يَتَعلّقْ بالشجرة (the tree) وثمارها، رَكضتْ بسرعة وقَطفتْ مِن الشجرة (the tree) ثمرةَ العصيان (the fruit of disobedience) (مغارة الكنوز 4:12-14)[3231]. فنستطيع أن نستنتج أن الشجرة الْمُحَرَّمَة حسب كتاب مغارة الكنوز هي: "شجرة العصيان" أو "شجرة تعدِّي الوصايا"، لكنه اسم عام جداً يصلح لأي شجرة مُحَرَّمَة؛ ولم يقل صاحبُ كتاب مغارة الكنوز إنها شجرة المعرفة! بينما ذكر صراحةً اسمَ الشجرة غير الْمُحَرَّمَة فهي شجرة الحياة في وسط الفردوس التي ترمز إلى صليب مُخلِّصنا (يقصد: صليب المسيح الفادي الْمُخَلِّص الذي يعطي الحياةَ الأبدية[3232]). مما يعني أنه تعمَّد عدم ذكر اسم الشجرةَ الْمُحَرَّمَة **[← "هَذِهِ الشَّجَرَةَ" (الأعراف 20) "الشَّجَرَةَ [...] تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ" (الأعراف 22)]**، ربما ليسلط الضوءَ على صليب المسيح (شجرة الحياة). فكما أن صليب الفداء والخلاص هو صليب واحد فقط وهو صليب المسيح[3233]، كذلك فإن الشجرة الوحيدة التي تستحق أن تُذكر صراحةً بالاسم هي شجرة واحدة فقط وهي شجرة الحياة.

لكن يوجد احتمال آخر: عدم ذِكر اسم شجرة المعرفة صراحةً قد يجعل مَن يسمع هذه الرواية مِن كتاب مغارة الكنوز ربما يظن أن الشجرة الْمُحَرَّمَة هي شجرة الحياة/الخلود[3234] **[← "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120) "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا [...] مِنَ الْخَالِدِينَ" (الأعراف 20)]**. وبما أن الصليب كان يُستخدَم بالفعل لعقاب العصاة والمتمردين وقُطّاع الطرق[3235]، فربما يكون لهذا الظن ما يبرره. بعبارة أخرى: كما جعل اللهُ الصليبَ أداة العقوبة المهينة هو نفسه وسيلة الخلاص المجيدة[3236]، كذلك جعل المؤلف

المسيحي المبدع شجرةَ العصيان (الشجرة الْمُحَرَّمَة) هي نفسها شجرة الحياة/الخلود. ثم تسلل هذا الإبداع المسيحي – بوعي أو بدون وعي – إلى (طه 120) (الأعراف 20)[3237].

نحن نميل إلى الاحتمال الأول، مع أننا لا نستبعد تماماً الاحتمال الثاني.

النوعية الثانية: روايات تزعم أن الشجرة الْمُحَرَّمَة هي شجرة الحياة/الخلود! مثلاً: كتاب "رؤيا سدراخ" (Apocalypse of Sedrach) الذي اكتمل في صورته النهائية في القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي، لكنه يحتوي على مواد أقدم من ذلك بكثير يرجع تاريخها إلى القرون الأولى للميلاد. قيل في القرن السابع الميلادي قبل 635م. وقيل بين القرن الثاني والقرن الخامس بعد الميلاد[3238]. وعلى الرغم من انطلاقه من عناصر يهودية، إلا أنه يُعتبَر جزءاً من التراث المسيحي (اليوناني؛ البيزنطي). ويحكي قصةَ صعود (مِعراج) القديس سدراخ إلى السماء بصحبة ملاك ليكلِّم اللهَ!

فنقرأ في (رؤيا سدراخ 4) حواراً بل جدالاً بين سدراخ والله[3239]: {1} فقال له سدراخ: "تأديبُك [للإنسان] عقاب ونار. وهما مرّان، يا ربّ. {2} فخيرٌ للإنسان لو لم يكن وُلِدَ. {3} فماذا صنعتَ يا ربّ؟ (أو: لماذا تسرّعتَ، يا ربّ، حين صنعتَ [الإنسانَ]؟) ولماذا أتعبتَ يديك اللتين لم تتنجّسا، وخَلَقتَ الإنسانَ، إن كنتَ لا تريد أن تشفق عليه؟" {4} فقال له الله: "أنا صنعتُ جِبْلَةَ آدم (أي: الإنسان الأول)، ووضعتُه في الفردوس، وسط شجرة الحياة (أو: وضعتُه في الفردوس الذي في وسطه شجرة الحياة)، وقلتُ له: "كُلْ من جميع الأثمار، واحذر فقط شجرة الحياة (the tree of life). فإن أكلتَ منها تَمُوتُ مَوْتًا". {5} أما هو (أي: آدم) فما سمع وصيّتي (أي: ما أطاعها). أضلّه إبليس فأكل من الشجرة".

فكما نرى، صاحب كتاب رؤيا سدراخ يذكر شجرةً واحدة فقط صراحةً بالاسم وهي الشجرة الْمُحَرَّمَة ويقول سهواً أو عمداً إنها شجرة الحياة/الخلود **[← وكذلك ذكر القرآنُ شجرةً واحدة فقط صراحةً بالاسم وهي الشجرة الْمُحَرَّمَة "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120) "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا [...] مِنَ الْخَالِدِينَ" (الأعراف 20)].**

النوعية الثالثة: روايات ساعدت على الخلط بين الشجرتين، أو دمجهما في شجرةٍ واحدة، أو الاكتفاء بشجرة واحدة والاستغناء عن الأخرى. مثلاً: كتاب أخنوخ الأول (1 Enoch)[3240] الذي يُسمَّى أيضاً بأسماء أخرى أشهرها "النسخة الحبشية (الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch) و"مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) والذي يضم مجموعةً ضخمة من التقاليد والكتابات التي دُوِّنت بين القرن الثاني ق.م. وبداية القرن الأول المسيحي. إنه واحد مِن أهم وأشهر وأضخم كُتب سوديبِجرافا العهد القديم، ويُعتقَد أنه دُوِّن في الأصل باللغة الآرامية بدليل وجود أجزاء منه مكتوبة بالآرامية ضمن مخطوطات البحر

الميت، ثم نُقِل إلى اللغة اليونانية، ومِن اليونانية انتقل إلى الحبشية (الأثيوبية) على يد العلماء السريان، وهذا كله يدل على انتشاره الواسع في الشرق الأوسط القديم قبل الإسلام. وتعترف به الكنيسةُ الحبشية ككتاب قانوني؛ ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس. فنستطيع إذن أن نقول إن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) فى أوائل القرن السابع الميلادى قد سمعوا عن هذا السفر المهم (1 أخنوخ) وعرفوا محتواه وربما ظنوا أنه مُوحَى به مِن الله.

يقول (1 أخنوخ 6:32) إن أخنوخ رأى شجرةً جميلة تسرّ العيون، فقال له الملاك رفائيل: هي شجرة الحكمة (tree of wisdom)[3241]. جدك وجدتك (يقصد: آدم وحواء) اللذان كانا قبلك أكلا منها. اقتنيا الحكمة (wisdom) وانفتحت أعينهما فعرفا أنهما عريانان وطُرِدا من الفردوس.

إذن: حسب (1 أخنوخ 6:32) وكذلك حسب ترجمات أخرى لـ (التكوين 6:3)، الشجرة الْمُحَرَّمَة هي شجرة الحكمة. لكن حسب سفر الأمثال، الحكمة [الإلهية] ([Divine; Supreme] Wisdom) "هِيَ شَجَرَةُ حَيَاةٍ (tree of life) لِمُمْسِكِيهَا، وَالْمُتَمَسِّكُ بِهَا مَغْبُوطٌ" (الأمثال 18:3). فَمَن يجمع بين النصين عن عمد أو عن جهل، قد يصل إلى أن الشجرة الْمُحَرَّمَة هي شجرة الحياة **[← "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120) "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا [...] مِنَ الْخَالِدِينَ" (الأعراف 20)]**!

ويجب علينا أن نقول إن التراث اليهودي بصفة عامة يعتبر شجرة الحياة (the life-giving tree) رمزاً للحكمة الإلهية أو رمزاً للتوراة (شريعة الحياة) (the law of life; the life-giving law). واعتمدوا على (الأمثال 18:3) التي يقول كتاب (Jewish Study Bible) تعليقاً عليها[3242]:

> The *tree of life* was a widespread ancient Near Eastern mythological symbol, which is especially popular in Mesopotamian palace reliefs. It represented a divine source of well-being and life, sometimes meaning eternal life. In Prov., the symbol has lost its mythological connections and is a metaphor for a source of life and health. Based on the present v. (i.e. Proverbs 3:18), the Rabbis identified the *tree of life* with Torah.

اقرأ أيضاً سفر "يشوع بن سيراخ" (Sirach) (Wisdom of Sirach) وهو أحد الأسفار القانونية الثانية (Deuterocanonical books) / أبوكريفا العهد القديم (Old Testament Apocrypha) ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني ق.م ويقول: "الربُّ خَلَقَ البشَرَ مِن التُّرابِ، [...] ملأَهُم مَعرِفَةً وحِكمَةً وأراهُم الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. [...] جعَلَ المعرِفَةَ (knowledge) في مُتَناوَلِهِم ومَنَحَهُم شَريعَةَ الحياةِ (the Torah of life)" (يشوع بن سيراخ 17:1-11)[3243]. فنلاحظ هنا – وكذلك في (الأمثال 18:3) – جَمْعاً بين الحياة والمعرفة (أو الحكمة) في نفس السياق، مما قد يساعد على الخلط بين شجرتي الحياة والمعرفة، أو دمجهما في شجرةٍ واحدة، أو الاكتفاء بشجرة واحدة والاستغناء عن الأخرى[3244].

وعلينا أيضاً في هذا السياق أن نتذكر أن حواء قد حرَّفت الوصية الإلهية التي قالها اللهُ لآدم "مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (التكوين 2:16-17)، فحذفت اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة وأضافت النهي عن لمس ثمرها، فقالت: "مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا" (التكوين 3:2-3). إذن: (التكوين 3:3) هي أقدم نص يحذف اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة اعتماداً على أن القارئ أو السامع يعرفه. أما عبارة "وَلاَ تَمَسَّاهُ (do not touch)" التي أضافتها حواءُ، فلقد اجتهد المفسرون اليهود في شرح لماذا أضافتها، وبخاصة أن هذا "التحريف" قد حدث قبل السقوط في الخطيئة[3245]:

> Why she (i.e. Eve) adds the prohibition on touching the fruit is unclear. A Talmudic rabbi sees here an illustration of the dictum that “he who adds [to God’s words] subtracts [from them]” (*b. Sanh. 29a*)[3246]. Another rabbinic source presents a more complicated explanation. In relaying the prohibition to his wife, Adam has obeyed the rabbinic principle that one should “make a [protective] hedge for the Torah” (*m. ʾAvot 1.1*)[3247]. […]

فلمَّا رأت حواءُ هذا السياج الذي بناه آدم حول الشجرة الْمُحَرَّمَة، ظنت أن الله نهاهما عن لمس ثمر الشجرة، ولذلك قالت "وَلاَ تَمَسَّاهُ (do not touch)" **[← فتسلل هذا الظن غير الصحيح إلى آيتين قرآنيتين "وَلَا تَقْرَبَا (do not approach) هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ" (الأعراف 19) (البقرة 35)! وهما نفس الآيتين القرآنيتين اللتين لم تذكرا اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة، كما فعلت حواء أيضاً حين لم تذكر اسمَ الشجرة الْمُحَرَّمَة (التكوين 3:3). وهذا دليل آخر يؤكد ما قلناه من قبل: (الأعراف 19) و (البقرة 35) أقرب لـ (التكوين 3:3) وتطوراتها البشرية أكثر من (التكوين 2:16-17)]**. فَمَن يلتزم بنص الوصية الإلهية الأصلية (التكوين 2:17)، سيقول إن السياج الذي بناه آدم كان حول شجرة المعرفة. أما مَن يلجأ إلى التراث اليهودي الذي يعتبر شجرة الحياة رمزاً للتوراة، فقد يقول إن السياج الذي بناه آدم كان حول شجرة الحياة **[← "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120) "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا [...] مِنَ الْخَالِدِينَ" (الأعراف 20)]**.

وبالفعل، تقول مصادر أخرى إن وظيفة آدم في جنة عدن كانت حراسة موضع شجرة الحياة! مثلاً: "رؤيا عزرا اليونانية (Greek Apocalypse of Ezra)" التي يرجع تاريخُها إلى ما بين القرن الثاني والقرن التاسع بعد الميلاد؛ وقيل: النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي[3248]. ومع أن رؤيا عزرا اليونانية تُعتبَر كتاباً مسيحياً، إلا أنه يمكن اعتبارها كتاباً يهودياً لعبت فيه يد (وربما أيادي) مسيحية. تحكي رؤيا عزرا اليونانية قصةَ صعود (مِعراج) النبي عزرا إلى السماء بصحبة ملائكة ليكلِّم اللهَ!

فنقرأ في (رؤيا عزرا اليونانية 2) حواراً بل جدالاً بين عزرا والله[3249]: {9} فقال اللهُ: "كما صنعتُ الليل والنهار، صنعتُ البار والخاطئ، فاقبل (أي: ينبغي عليك) أن تتصرف مثل البار". {10} فقال النبيّ:

"مَن صنع الإنسان الأول، آدم، المجبول الأول؟" {11} فقال اللهُ: "يداي اللامنجّستان. ثم وضعتُه في الفردوس ليحرس موضعَ شجرة الحياة (to guard the region of the tree of life) (وفي ترجمات أخرى: ليحرس ثمرَ شجرة الحياة to guard the food of the tree of life)، {12} ولكنه (أي: آدم) اقتنى العصيان وعمل متجاوزاً (الوصيّة)".

مما سبق يتضح أن التراث اليهودي/المسيحي قبل الإسلام دخل في تعقيدات كثيرة وكبيرة حول شجرتي (أو: شجرة؟) جنة عدن. ويبدو أن هذه التعقيدات اليهودية/المسيحية قد أحدثت حالة من البلبلة التي أدت في النهاية إلى المشكلات التي نراها في الروايات القرآنية الثلاث.

وفي الواقع، فإن القصة التوراتية نفسها (التكوين 2-3) فيها عوامل أخرى قد تساعد على الخلط بين الشجرتين، أو دمجهما في شجرةٍ واحدة، أو الاكتفاء بشجرة واحدة والاستغناء عن الأخرى. مثلاً:

- الشجرتان موجودتان في نفس الموقع، وهو موقع متميز جداً: في وسط الجنة. "شَجَرَة الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ" (التكوين 9:2). أما شَجَرَة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ، فلا نعلم أنها أيضاً في وسط الجنة إلا بعد ذلك بحوالي 20 آية أو أكثر (التكوين 3:3، 5:3، 22:3)!
- نص الوسوسة الشيطانية ينقسم إلى آيتين: "{4} فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! {5} بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ»" (التكوين 3:4-5). الآية الأولى "لَنْ تَمُوتَا!" توحي أن الشجرة الْمُحَرَّمَة تعطي الخلود أو الحياة الأبدية، أي: شجرة الحياة. بينما تقول الآية الثانية أنها شجرة معرفة الخير والشر. فقد يُستنتَج مِن نص الوسوسة الشيطانية أنها شجرة واحدة تعطي الخلود والمعرفة، أو أن الشجرة الْمُحَرَّمَة هي شجرة الحياة/الخلود.
- اسم كل شجرة يحمل معنى إيجابي جذاب ومُغري. "شجرة المعرفة (الحكمة)" و "شجرة الحياة (الخلود)". كل إنسان يريد المعرفة المطلقة، ويشتهي أيضاً الحياة الأبدية. فيمكن إغراء آدم بالمعرفة / الحكمة المطلقة. وإذا افترضنا أن آدم خُلِقَ مائتاً (mortal) – أي: كان سيموت حتى لو أطاع اللهَ ولم يأكل من الشجرة الْمُحَرَّمَة[3250] – فيمكن أيضاً إغراؤه بالخلود والحياة الأبدية. فلماذا شجرتان؟ شجرة واحدة تكفي! ونعتقد أن أصحاب القرآن قد ساروا في هذا الاتجاه، فجعلوا الشجرةَ الْمُحَرَّمَة هي شجرة الحياة (الخلود) واستغنوا عن شجرة المعرفة (الحكمة) عن عمد أو عن جهل.
- شجرة الحياة كانت غير محرَّمة قبل سقوط الإنسان، لكنها صارت محرَّمة بعد سقوطه (التكوين 22:3-24).

الخلاصة: فيما يتعلق بمسألة الشجرتين، فإن القصة التوراتية واضحة. لكنها واضحة لِمَن قرأها أو سمعها كلها (in toto) مِن أولها (التكوين 2:9) إلى آخرها (التكوين 3:24) بلا استثناء: أكثر من 40 آية! أما مَن لم يسمعها كلها أو سمع بعضها من التوراة وبعضها من مصادر أخرى من التراث اليهودي/المسيحي، فقد يقع – بقصد أو بدون قصد – في مثل ما وقع فيه أصحابُ القرآن.

4.6.3.5 لاَ تَأْكُلْ (التكوين 2:17) لاَ تَأْكُلاَ وَلاَ تَمَسَّا (التكوين 3:3) لَا تَقْرَبَا (الأعراف 19) (البقرة 35)

يقول نص الوصية الإلهية التي قالها الله لآدم: "مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا (do not eat)، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (التكوين 2:16-17).

لكن في سياق الوسوسة الشيطانية (التكوين 3:1-5)، نجد أن حواء قد حرَّفت الوصيةَ الإلهية فأضافت النهي عن لمس ثمر الشجرة وقالت: "مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ (do not eat and do not touch) لِئَلاَّ تَمُوتَا" (التكوين 3:2-3).

أما أصحاب القرآن فحرَّفوا الوصيةَ الإلهية أكثر فأضافوا النهي عن مجرد الاقتراب مِن الشجرة! "وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا (do not approach) هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأعراف 19). "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا (do not approach) هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة 35).

وإذا قلتم إن "وَلاَ تَمَسَّاهُ" الحوائية ≠ "وَلَا تَقْرَبَا" القرآنية.

فسنقول: نحن لم نقل أبداً ولن نقول أبداً إن أصحاب القرآن نقلوا حرفياً ممن سبقوهم. وإنما نقول إن أصحاب القرآن سمعوا ممن سبقوهم وطوّروا ما سمعوه تطوراً بشرياً طبيعياً، ومِن ثم استطاعوا أن ينتجوا القرآنَ كمنتج بشري 100%. بعبارة أخرى: نحن لا نقول "وَلاَ تَمَسَّاهُ" = "وَلَا تَقْرَبَا". وإنما نقول: "وَلاَ تَمَسَّاهُ" (التكوين 3:3) **[⟵ "وَلَا تَقْرَبَا" (الأعراف 19) (البقرة 35)]**. ونحن بصراحة نندهش أن يعتمد أصحابُ القرآن على الوصية الإلهية التي خرجت مِن فم حواء (التكوين 3:3) وليس على الوصية الإلهية التي خرجت مِن فم الله (التكوين 2:17)! وسنشرح فيما يلي كيف تطورت "وَلاَ تَمَسَّاهُ" تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى صارت "وَلَا تَقْرَبَا" ...

عند ترجمة التوراة إلى السريانية (البشيطا) حدث خطأ أو عدم دقة في الترجمة. فتُرجمت "وَلاَ تَمَسَّاهُ" (التكوين 3:3) إلى "وَلَا تَقْرَبَا إِلَيْهَا" (بالسريانية: w-lā tetqarrbun lēh)[3251] **[⟵ وبالعربية في القرآن قريبة جداً من السريانية: "وَلَا تَقْرَبَا" (الأعراف 19) (البقرة 35)]**. ويقول Dr. Joseph) Witztum) إن الترجمة السريانية غامضة وقد تعني النهي عن اللمس "do not touch" والنهي عن

مجرد الاقتراب "do not approach"[3252]. إلا أنه يرى أنها تعني النهي عن مجرد الاقتراب "do not approach"، ونحن نؤيده في ذلك. والأدلة تنقسم إلى شقين ...

أولاً: الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخُه إلى ما بين القرن الأول والقرن الرابع بعد الميلاد[3253]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة. يقول هذا الترجوم الآرامي لـ (التكوين 3:3): "ولكن من ثمار الشجرة التي في وسط الجنة، قال الله: لا تأكلا منها ولا تقرباها (you shall not draw near to it)"[3254] **[← "وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ" (الأعراف 19) (البقرة 35)].**

ثانياً: التراث المسيحي السرياني بصفة عامة. ونبدأ أولاً بالقديس "إفرام السرياني" (Ephraem) (Ephrem the Syrian) (القرن الرابع الميلادي) الذي قال في الفصل الثاني مِن تعليقه الشهير على سفر التكوين (Commentary on Genesis 2.19-20)؛ وتحديداً الوسوسة الشيطانية (التكوين 1:3-5):

> Eve responded and *said to the serpent, "We may eat of the fruit of the trees in Paradise; but [God] said, 'You shall not eat from the fruit of the tree which is in the middle of Paradise, neither shall you draw near to it, lest you die,'"*[3255]. […]
>
> 20. The tempter (i.e. the serpent/Satan) then turned its mind to the commandment of Him who had set down the commandment, that [Adam and Eve] were not only commanded not to eat from one single tree, but they were not even to draw near to it (in Syriac: *d-āp lā metqarrābu netqarrbun lēh*[3256]). The serpent then realized that God had forewarned them about even looking at it lest they become entrapped by its beauty. With this in mind, the serpent said, enticing Eve to look upon it, *"You will surely not die. […]"* […] But she (i.e. Eve) neglected these things that she ought to have said to the serpent and, just as the serpent desired, she directed her eyes away from the serpent who was before her and began to look upon the tree to which she had been commanded not to draw near (in Syriac: *d-lā tetqarrab lēh*[3257]).

مما سبق يتضح أن إفرام السرياني فهم الترجمة السريانية (w-lā tetqarrbun lēh) على أنها تعني: "وَلَا تَقْرَبَا إِلَيْهَا" (التكوين 3:3). وتوجد أدلة أخرى في تعليقه على سفر التكوين[3258]، مما يجعلنا نقول إن مَن يقرأ أو يسمع تعليقَ إفرام السرياني على سفر التكوين قد يظن أن الله نهى آدم وحواء عن الاقتراب مِن الشجرة

الْمُحَرَّمَة، أو على الأقل: قد يخطر ذلك على باله **[← "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ" (البقرة 35)؛ (الأعراف 19)]**. لكن يجب علينا أن نعترف أن إفرام نفسه لم يقل ذلك. فلقد ذكر إفرامُ الوصيةَ الإلهية لآدم (التكوين 2:16-17) صحيحة: نهي عن الأكل فقط.

لكن بعد إفرام، جاء "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) (حوالي 451-521م) أسقف سروج بشمال العراق وكان أكثر جرأة من إفرام، فحرَّف في نص الوصية الإلهية لآدم! قال يعقوبُ السروجي إن الله نهى آدمَ عن الاقتراب مِن الشجرة الْمُحَرَّمَة! نجد ذلك في عظته الشهيرة "إخراج آدم من الفردوس" (On Adam's departure from Paradise): {203} قال [اللهُ لآدم]: مِن كلّ ما في الفردوس أكلاً تأكلُ، {204} ومِن هذه [الشجرة] وحدها لا تقرب (بالسريانية: *lā tetqarrab*) [...][3259] **[← "وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ" (الأعراف 19)؛ (البقرة 35). فيبدو القرآنُ هنا وكأنه منقول نقلاً من عظة يعقوب السروجي!]**.

ومما يدل على أن ما فعله يعقوبُ السروجي كان مقصوداً هو أنه كرر بصيغ مختلفة تحذيرات الله لآدم من الاقتراب من الشجرة الْمُحَرَّمَة: {207} اختفى الموتُ فيها. فإن **اقتربتَ** منها قتلتك. [...] {210} ولهذا، احذر، اهرب من ثمرها. {211} تسقي الألمَ لمن يذوقها والمرارة، [...] {217} ما لم **تقرب** وتأكل منها (بالسريانية: *kmā d-lā teqrob tekol menēh*)، فأنت لا مائت، {218} أما إذا ملتَ وذقتَ منها (بالسريانية: *teṭ'am menēh*)، فأنت تموت. [...] {224} وإن **اقتربتَ** منها وقطفتَ ثمرها، أدركك الموت. [...] {226} وإن استخففت **واقتربتَ** منها، فالموت لك[3260].

يقول (Dr. Joseph Witztum) تعليقاً على هذا الجزء المهم من عظة يعقوب السروجي[3261]:

> […] In the course of this, God is said to caution Adam against eating and approaching the tree. […] Interestingly, Jacob's homily also refers several times to tasting the tree just as the Quran does in the description of the sin (Q 7:22) **(يقصد: "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ" (الأعراف 22))**. […]
>
> […]
>
> How exactly Jacob envisions the relationship between the two prohibitions (i.e. not eating and not approaching the tree) remains unclear. Perhaps they are no more than two ways of saying the same thing. The important point is that Jacob's homily supplies a precedent for the Quran formulation of the prohibition.

فلمَّا يكون أصل كلمة قرآنية "لَا تَقْرَبَا" (الأعراف 19) (البقرة 35) هو خطأ أو عدم دقة في الترجمة الآرامية/السريانية للتوراة، فكيف يمكن أن نصدق أن القرآن كلام الله؟! لم يبدأ كخطأ في ترجمة الوصية الإلهية الأصلية التي قالها الله (التكوين 2:17)، وإنما بدأ كخطأ في ترجمة الوصية الإلهية المحرَّفة التي قالتها حواء (التكوين 3:3)! ثم تسلل هذا الخطأ إلى تعليق إفرام السرياني على سفر التكوين (القرن الرابع الميلادي)، ولا يزال على لسان حواء. وبعد ذلك، وضعه يعقوب السروجي على لسان الله (القرن السادس الميلادي)، فصار هو الوصية الإلهية عند يعقوب السروجي! وأخيراً، التزم أصحابُ القرآن بما قاله أستاذهم ومعلمهم يعقوب السروجي، فتركوه كما هو على لسان الله (الأعراف 19) (البقرة 35) (القرن السابع الميلادي)! وهذا يؤكد ما قلناه مرتين مِن قبل: (الأعراف 19) (البقرة 35) أقرب لـ (التكوين 3:3) وتطوراتها البشرية أكثر من (التكوين 2:16-17).

يعني: توراة (التكوين 2:17)، ثم تحريف من امرأة (التكوين 3:3)، ثم خطأ في الترجمة (الترجوم الآرامي والبشيطا السريانية)، ثم تفسير وتعليق (إفرام السرياني ويعقوب السروجي)، ثم قرآن (الأعراف 19) (البقرة 35). إذن: لا يمكن أبداً أن يكون القرآن كلام الله. من المستحيل أن يكون القرآن كلام الله.

ويجب هنا أن نتذكر أن (الأعراف 19) مكية بينما (البقرة 35) مدنية. يعني: توجد سنوات تفصل بين "لَا تَقْرَبَا" (الأعراف 19) و "لَا تَقْرَبَا" (البقرة 35). إذن: تداعيات الخطأ – أو عدم الدقة – في الترجمة الآرامية/السريانية للتوراة ظلت موجودة ومنتشرة بين أصحاب القرآن لسنوات! ولم يحرص صاحبُ (البقرة 35) على تصحيح هذا الخطأ، فتركه كما هو! بل ربما لم يدرك أنه خطأ أصلاً.

الخلاصة: "لَا تَقْرَبَا" (الأعراف 19) (البقرة 35) سبعة حروف فقط تكفينا كدليل قاطع يثبت أن القرآن – سواء كان مكياً أم مدنياً – مجرد كلام بشر 100% وليس كلام الله.

4.6.3.6 "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 20)

حين نقرأ القصة التوراتية نستنتج أن آدم وحواء في جَنَّةِ عَدْنٍ لم يكونا يلبسان شيئاً قبل السقوط "وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ (naked؛ بالعبرية: ʿarummim)، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ" (التكوين 2:25). لكن بعد أن أكلا مِن الشجرة الْمُحَرَّمَة (شجرة معرفة الخير والشر)، "انْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا (أي: عرفا؛ أدركا؛ اكتشفا) أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ" (التكوين 3:7). وفي النهاية بعد خطيئة آدم وحواء وإعلان الحكم الإلهي عليهما، "صَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا" (التكوين 3:21) قبيل طردهما/إخراجهما مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ[3262].

أما حين نقرأ القصة القرآنية – وبخاصة في رواية سورة الأعراف – نستنتج أن آدم وحواء قبل السقوط كانا يلبسان لِبَاساً يستر عوراتهما (their shameful parts)، بدليل أن الشيطان وسوس لهما

ليزيل عنهما لِبَاسَهُمَا فتنكشف عوراتهما: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 20) "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 27). ويوجد دليل آخر مِن رواية سورة طه وهو قول الرب لآدم قبل السقوط: "إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا (أي: في الْجَنَّةِ) وَلَا تَعْرَى" (طه 118)؛ وبما أنه قال "لَا تَعْرَى"، إذن: لم يكن آدم عرياناً قبل السقوط. لكن بعد أن أكل آدمُ وحواء مِن الشجرة الْمُحَرَّمَة، نُزع عَنْهُمَا لِبَاسُهُمَا "فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (طه 121) "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (الأعراف 22) وكانت مِن قبل مستورةً عنهما. أما رواية سورة البقرة، فيبدو أن صاحبها قد تجاهل هذه المسألة، بدليل أنه لم يذكرها في روايته!

وكالعادة، اختلف المفسرون المسلمون في المادة التي صُنِعَ منها هذا اللباس المزعوم الذي كان آدم وحواء يلبسانه قبل السقوط. وسنكتفي بما قاله إمامُ المفسرين الطبري في هذه المسألة: "وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي صِفَةِ "اللِّبَاسِ" الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ نَزَعَهُ عَنْ أَبَوَيْنَا، وَمَا كَانَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ ذَلِكَ أَظْفَارًا. [...] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: "يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا"، قَالَ: كَانَ لِبَاسُهُمَا الظُّفْرَ، فَلَمَّا أَصَابَا الْخَطِيئَةَ نُزِعَ عَنْهُمَا، وَتُرِكَتِ الْأَظْفَارُ تَذْكِرَةً وَزِينَةً. [...] وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ لِبَاسَهُمَا نُورًا. [...] عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ، حَدَّثَنَا عَمْرٌو قَالَ، سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: "يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا"، قَالَ: كَانَ لِبَاسُ آدَمَ وَحَوَّاءَ نُورًا عَلَى فُرُوجِهِمَا، لَا يَرَى هَذَا عَوْرَةَ هَذِهِ، وَلَا هَذِهِ عَوْرَةَ هَذَا. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا عَنَى اللَّهُ بِقَوْلِهِ: "يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا"، يَسْلُبُهُمَا تَقْوَى اللَّهِ. [...]". ويرى الطبري أن الصَّوَّاب هو أن نكتفي بما قاله القرآنُ بدون تحديد المادة: ""اللِّبَاسُ" الْمُطْلَقُ مِنَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ إِضَافَةٍ إِلَى شَيْءٍ فِي مُتَعَارَفِ النَّاسِ"[3263].

وفي جميع الأحوال، نحن لا يهمنا المادة التي صُنِعَ منها هذا اللباس المزعوم، وكذلك لا يهمنا مساحته وهل يغطي العورةَ فقط أم يغطي العورةَ وجزءاً من البدن أيضاً! وإنما يهمنا الفكرة نفسها. فمِن أين جاء أصحاب روايتي سورتي الأعراف وطه بفكرة أن آدم وحواء كانا يلبسان لِبَاساً قبل السقوط؟ هل بالوحي الإلهي كما يزعم الطبري وغيره؟ بالطبع لا. هل عن طريق الملاك "جبريل"؟ بالطبع لا. وإنما عن طريق الانتقال الشفوي-السمعي للأفكار (oral-aural transmission of ideas). والدليل على ذلك هو أن جذور هذا "اللباس" موجودة في التراث اليهودي والمسيحي السرياني الذي سبق القرآن. ويُعرَف باسم "لباس ما قبل الخطيئة" (pre-sin garment) أو "ملابس ما قبل السقوط" (prelapsarian clothing).

نبدأ أولاً بالتراث اليهودي، وتحديداً بالمدراش (Genesis Rabbah 18.6, 20.12)[3264] الذي جُمِعَ في القرن الخامس الميلادي. حيث نلاحظ أن كلمة "جلد (skin)" (بالعبرية: عور) المذكورة في (التكوين 21:3) لها قراءة أخرى تختلف عنها في حرف عبري واحد فقط هي "نور (light)" (بالعبرية: أور). لكن المشكلة هي أن (التكوين 21:3) جاءت بعد السقوط، فهل يُعقَل أن الله صَنَعَ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ نُورٍ بعد سقوطهما؟! طبعاً مستحيل، فالنور شيء إيجابي يُهدَى كَبركةٍ للإنسان المطيع وليس للإنسان العاصي.

لحل هذه المشكلة، ظهرت محاولات لفهم (التكوين 21:3) كما لو كان موضعها بعد (التكوين 25:2) مباشرةً؛ أي: قبل السقوط وليس بعده! ليس بالضرورة عن طريق نقل الآية نفسها، وإنما يكفي تغيير الفعل "صَنَعَ" من زمن الماضي البسيط "وَصَنَعَ الرَّبُّ الإلهُ (made) لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ نُورٍ وَأَلْبَسَهُمَا" (التكوين 21:3) إلى زمن الماضي التام "وَكان الرَّبُّ الإلهُ قد صَنَعَ (had made) لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ نُورٍ وَأَلْبَسَهُمَا". وهكذا ظهر رأي يقول إن آدم وحواء كانا قبل سقوطهما يرتديان لباساً مِن نور (garment of light)! مع أن المدراش نفسه لم يقل ذلك صراحةً[3265].

ليس هذا فحسب، بل عند ترجمة (التكوين 21:3) إلى الآرامية، حدث خطأ – مقصود أو غير مقصود – أدى إلى ترجمة الكلمة العبرية أور (أو: عور) إلى "مَجْد" (glory)[3266]؛ انظر مثلاً ترجوم نيوفيتي (Targum Neofiti)[3267][3268]! فظهر رأي آخر يقول إن آدم وحواء كانا قبل سقوطهما يرتديان لباساً مِن مَجْد (garment of glory)، مع أن الترجوم نفسه لم يقل ذلك[3269]. لكن في إطار محاولات نقل (التكوين 21:3) من موضعها المتأخر بعد السقوط إلى موضع متقدم قبل السقوط(قبل التكوين 1:3)، نستطيع أن نفهم كيف نشأت أسطورة "لباس المجد" الذي كان آدم وحواء يلبسانه قبل سقوطهما.

وفي المقابل، يرى العالمُ الكبير (Prof. James L. Kugel) أن فكرة "لباس المجد" أو "اللباس المجيد" (Glorious Clothing) الذي كان آدم وحواء يلبسانه قبل سقوطهما قد نشأت قبل فكرة "لباس النور" (Garments of Light) ولم تعتمد على (التكوين 21:3)[3270]. وكما سنرى بعد قليل، ربما يكون كلامه صحيحاً. وفي جميع الأحوال، فإن المهم بالنسبة لنا أنه قبل ظهور الإسلام، كان هناك أسطورة تقول إن آدم وحواء قبل سقوطهما كانا يلبسان "لباس المجد". أما كيف نشأت أسطورة "لباس المجد" ومتى بالضبط؟ فهناك أكثر من احتمال.

ويُعرَف لِباس المجد بأسماء أخرى مثل "لِباس الْبِرّ" أو "رِدَاء الْبِرّ" (robe of righteousness) أو "ثِيَاب الْبِرّ" (clothes of righteousness) استنتاجاً مِن بعض كُتب سوديبِجرافا العهد القديم التي وضّحت أن آدم خسر هذا اللباس بعد سقوطه:

- رؤيا باروك اليونانية (Greek Apocalypse of Baruch) الذي يُسمَّى أيضاً سفر باروخ الثالث (3 Baruch): "نال آدمُ بسبب هذه الغرسة (أي: الشجرة المحرمة التي أكل منها) اللعنةَ وجُرّد من (was divested of) مجد الله" (3 باروخ 16:4)[3271].
- حسب بعض مخطوطات كتاب رؤيا موسى (الرواية اليونانية لكتاب حياة آدم وحواء)، قالت حواءُ بعد أن أكلت من الشجرة المحرمة: "وفي الحال انفتحت عيناي وعرفتُ أني تعرّيتُ من البرّ الذي أُلبستُه (naked of the righteousness with which I had been clothed). فأخذتُ أبكي. وقلتُ للحيّة: "لماذا فعلت هذا وغرّبتني (estranged me) من مجدي؟"" (رؤيا موسى 1:20-2). وبعد أن أَعْطَتْ حواءُ لآدم مِنْ ثَمَر الشَّجَرَةِ فَأَكَلَ، قال آدمُ لحواء: "يا امرأة

شريرة، ماذا صنعتِ بنا؟ لقد عرّيتني (deprived me) (أو: غرّبتني) من مجد الله" (رؤيا موسى 6:21)[3272]. والبرّ هنا هو حالة الإنسان قبل الخطيئة، وهو يشبّه مراراً بلباس. مثلاً: "فَرَحًا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلهِي، لأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ (garments of salvation). كَسَانِي رِدَاءَ الْبِرِّ (robe of righteousness)، مِثْلَ عَرِيسٍ يَتَزَيَّنُ بِعِمَامَةٍ، وَمِثْلَ عَرُوسٍ تَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا" (إشعياء 10:61)[3273]. اقرأ أيضاً: "كَهَنَتُكَ يَلْبَسُونَ الْبِرَّ" (المزامير 9:132)؛ "كَهَنَتَهَا أُلْبِسُ خَلاَصًا (salvation; victory)" (المزامير 16:132)؛ "لَبِسْتُ الْبِرَّ فَكَسَانِي. كَجُبَّةٍ وَعَمَامَةٍ كَانَ عَدْلِي" (أيوب 14:29)؛ (الحكمة 5:15-19).

واقرأ أيضاً:

- سفر أخنوخ الأول (1 Enoch) الذي يُسمَّى أيضاً "مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) أو "النسخة الحبشية (الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch). لكن يأتي ذِكْرُ اللباس في سياق الحديث عن قيامة الأبرار: "الأبرار والمختارون يُرفَعون عن الأرض. ما عادوا ينحنون، بل ارتدوا لباس المجد (garments of glory). هذا هو لباسهم، لباس الحياة (garments of life) الذي يعطيه ربُّ الأرواح. ثيابكم لا تبلى، ومجدكم لا يفنى أمام ربِّ الأرواح" (1 أخنوخ 15:62-16)[3274]. ونجد اللباس كصورة للمجد المقبل في (2 كورنثوس 1:5-5).
- سفر أخنوخ الثاني (2 Enoch) في سياق مختلف أيضاً (2 أخنوخ 8:22)[3275].

يقول (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على هذا التراث اليهودي وعلاقته بالقرآن:

> [A]ccording to a prevalent tradition of Jewish midrash Genesis 3:7 is not about some change in Adam and Eve's vision or knowledge, but rather about their loss of an original, celestial garment. In other words, they were really stripped naked, or as the Qur'ān has it, "their shameful parts were revealed to them."
>
> Accordingly Jewish exegetes insist that when Genesis 2:25 mentions that Adam and Eve were naked in the garden it intends that they had no fabricated clothing. Rather, according to *Genesis Rabba* (20:12), they wore a "garment of light," or (according to another tradition) a sort of skin that was as "smooth as a finger nail and as beautiful as a jewel." This

original clothing is often referred to as a garment of "glory," a term inspired by exegesis of Psalm 8:4-5 […][3276].

إذن: فكرة "لِباس المجد" (garment of glory) الذي كان يستر الإنسانَ الأول قبل سقوطه فكرة غير توراتية، وإنما هي فكرة يهودية متأخرة ظهرت قبل الإسلام ومستوحاة – ربما ليس من (التكوين 21:3) – وإنما من آيتين شهيرتين في سفر المزامير رَبطَهما التراثُ اليهودي بآدم. تقول الآيتان: "فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ (بالعبرية: elohim) (في الترجمة اليسوعية: دونَ الإلٰهِ قَليلًا؛ little less than God)، وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ (أي: تغطي رأسَه بِتاج المجد والبهاء؛ وفي البشيطا السريانية[3277]: وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تَكْسُوه، أي: تحيطه أو تغطي جسدَه بثوب المجد والبهاء clothed him with glory and honor)" (المزامير 8:4-5)[3278][3279].

لكن يبقى سؤال: ما هي المشكلة التي حاول التراثُ اليهودي أن يحلها بادعاء أن آدم وحواء كانا يلبسان لِبَاساً في جنة عدن قبل سقوطهما؟ يجيب العالمُ الكبير (Prof. James L. Kugel) المتخصص في العهد القديم وتفاسيره قبل الميلاد وفي القرون الأولى للميلاد، فيقول[3280]:

Glorious Clothing: Adam and Eve were sometimes said to have worn "clothes of glory" or "glorious garments." […] I believe that [the] origins [of this idea] are to be sought […] simply in the discomfort some ancient readers felt with Adam and Eve's nakedness in Eden. The idea that humanity's first parents were somehow clothed, albeit only by "glory," seems to reflect Jewish modesty and, as well, opposition to Hellenistic culture's celebration of the naked body. {*footnote:* In the context of the Jewish-Greek Kulturkampf (i.e. culture struggle) preceding the Maccabean revolt, the possibility that the Bible reported that Adam had run about Eden like a naked athlete in a gymnasium would certainly have troubled some Jews. Some sort of clothing must have existed.} (The use of "glory" in this sense – as a kind of insubstantial, perhaps invisible, protection – has biblical roots, and exists as well in another ancient motif, the "clouds of glory" that protected the Israelites in their wanderings: […]) This glorious covering may be a development of a still earlier motif that attributed glory to Adam's appearance in Eden […].

[…]

Stripped of Their Former Virtues: After Adam and Eve ate of the [forbidden] fruit, the Bible says that they suddenly "knew that they were naked" (Gen. 3:7). […] as mentioned, physical nudity was abhorred by most Jews. One answer, seen above, derived from the motif that maintained that Adam and Eve were clothed "in glory"; to be suddenly naked, then, was to have had this "glory" removed following their transgression.

ثم أعطى (Prof. James L. Kugel) أمثلة أخرى من التراث اليهودي زيادة على ما سبق. لكن حرصاً على عدم الإطالة فإننا سنكتفي بثلاثة أمثلة أعطاها تتحدث عن مجد آدم (Adam's glory) و/أو بهاء آدم (Adam's splendour)[3281]:

- مخطوطات البحر الميت (مخطوطات كهوف قمران) وكلها قبل الإسلام. بعضها يتحدث صراحةً عن مجد آدم (Adam's glory). مثلاً: تقول "وثيقة دمشق" (Damascus Document) إن جزاء مَن يتمسكون بوصايا الله (أي: الأبرار؛ المتقين) هو أن يعيشوا إلى الأبد و "كل مجد آدم (all the glory of Adam) سيصبح مجدهم" (وثيقة دمشق 20:3)[3282].
- سفر "يشوع بن سيراخ" (Wisdom of Sirach) (Sirach) وهو أحد أسفار "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) التي تُسمَّى أيضاً "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، أي قبل الإسلام بأكثر من 700 سنة. يقول يشوع بن سيراخ: "وأيضاً سام [بن نوح] وشيث [بن آدم] نالا مجداً عظيماً بين الناس، ولكن آدم يَفوقُ في المجد (glory) (أو: البهاء splendour) كُلَّ حَيٍّ في الخليقة" (يشوع بن سيراخ 16:49)[3283].
- وكذلك المدراش (Genesis Rabbah 11.2, 12.6, 21.5) يذكر "المجد" و "البهاء" و "البريق / اللمعان" (lustre) الذي خسره آدم بعد سقوطه[3284].

لكن في المقابل، يرى (Dr. Joseph Witztum) أن هذه المصادر اليهودية الثلاث (مخطوطات البحر الميت ويشوع بن سيراخ والمدراش) لا تتحدث عن المجد كلباسٍ ارتداه آدمُ قبل سقوطه ثم خسره بعد سقوطه[3285]. ونحن نقول له: هذا صحيح، لكن إذا أضفنا إلى هذه المصادر اليهودية الآيةَ التي تقول: "عَلَى كُلِّ مَجْدٍ غِطَاءٌ (over all the glory there will be a covering)" (إشعياء 5:4)، قد يُستنتج أن مجد آدم أو آدم نفسه كان عليه غطاء (لباس) في جنة عدن قبل سقوطه. ثم إن (Prof. James L. Kugel) قال إن فكرة "لباس المجد" قد تكون تطوراً لفكرة "مجد آدم"[3286]. وكذلك فكرة خسران المجد بعد السقوط تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً فصارت خسران لباس المجد بعد السقوط. بعبارة أخرى: تحول المجدُ من صفةٍ

(أي: شيء غير مرئي) لآدم قبل السقوط خسرها بعد السقوط إلى لباسٍ (أي: شيء مرئي) لآدم غطّى عورتَه قبل السقوط ونُزِعَ عنه بعد السقوط.

مما سبق يتضح وجود نصوص في التراث اليهودي قبل الإسلام تتحدث عن مجد آدم قبل سقوطه، وتوجد نصوص أخرى تقول أو قد يُستنتج منها أن آدم نفسه قبل سقوطه لم يكن عُرياناً تماماً، وإنما كان عليه لِباس أو غطاء مِن نور أو مِن مجد أو مِن برّ أو مِن غير ذلك. ولقد اعتمد التراث اليهودي على تلك النصوص حتى لا يكون آدم المؤمن الموحِّد في جنة عدن عُرياناً مثل الإغريقي الوثني الذي كان يشارك في الألعاب الأولمبية عُرياناً (باليونانية: gymnos[3287]). ثم جاء أصحابُ القرآن وطوّروا هذا التراث اليهودي البشري ووضعوه في قرآنهم من أجل تحقيق هدف مشابه كما سنرى بعد قليل.

نقطة أخرى وأخيرة. يقول سفرُ يشوع بن سيراخ في موضع آخر: "الغِنَى والقوة يُقَوّيان (أي: يرفعان؛ يُفرّحان) القلبَ، لكن مَخافةَ الرَّبِّ تَفوقُ (أو: فَوقَ) كِلَيهما. فالذي يخاف الرَّبَّ لا يفتقر إلى شيءٍ، ولا يحتاج إلى معونة أحدٍ. مَخافةُ الرَّبِّ كجَنَّةِ بَرَكَة (The fear of the Lord is like an Eden of blessing) وحمايتُها تَفوقُ كُلَّ مَجْد (covered / covers better than any glory) (أو ترجمة أكثر حرفية: غطاؤها فَوقَ كُلِّ مَجْد (covered / covers over all glory)" (يشوع بن سيراخ 40:26-27)[3288]. ونحن نرى أن السياق يؤيد معنى الأفضلية: تَفوقُ؛ أي: أفضل مِن. وتوجد ترجمة أخرى توضح المعنى أكثر: "مَخافةُ الرَّبِّ كفردوس يحفظ الإنسانَ، وليس مِن مَجْد يعادلها" (يشوع بن سيراخ 40:27)[3289]. فقد يُستنتج من هذه الآية أن المجد [غطاء] يحمي الإنسانَ ويحفظه، لكن يوجد غطاء آخر أفضل منه وهو غطاء مخافة الرَّبِّ. ووجود كلمة جَنَّة (فردوس / عدن) في الآية يجعل القارئ أو السامع يفكر فوراً في آدم (الإنسان الأول) **[← "وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ (أي: مخافة الرَّبِّ) ذَٰلِكَ خَيْرٌ (أي: أفضل لباس)" (الأعراف 26). وجاءت هذه الآية القرآنية تعليقاً على قصة خروج آدم من الجنة، بدليل قوله بعدها: "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم (أي: آدمَ وحواء) مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 27)].**

هذا عن التراث اليهودي، فماذا عن التراث المسيحي السرياني؟ ...

قبل الدخول في التراث المسيحي السرياني، يجب أن نذكر آيتين مهمتين في العهد الجديد.

الآية الأولى قالها بولس الرسول وتقول إننا في المعمودية نلبس المسيحَ (آدمَ الثاني، آدمَ الجديد، آدمَ الأخير) الذي تبررنا بالإيمان به ونزع عارَ خطايانا وسترنا ببِرّه: "إِذًا قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ. وَلكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الإِيمَانُ، لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ. لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ (clothed yourselves with Christ) (أي: لَبِسْتُمْ بِرَّ الْمَسِيحِ)" (غلاطية 3:24-27).

والآية الثانية قالها يوحنا الرسول نقلاً عن المسيح وتصف عدمَ بر الأثرياء بالعري (أي: بدون ثياب): "لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ (rich) وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ [عن الله؛ عن برّ الله ونعمته]، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ [روحياً] وَأَعْمَى (أي: لا ترى حقيقةَ أمرك) وَعُرْيَانٌ (باليونانية: gymnos) (naked). أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى بِالنَّارِ[3290] (يقصد: الإيمان بالمسيح الفادي والمخلِّص) لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ، وَثِيَابًا بِيضًا لِكَيْ تَلْبَسَ (white clothes to wear)، فَلاَ يَظْهَرُ خِزْيُ عُرْيَتِكَ (so you can cover your shameful nakedness)" (الرؤيا 3:17-18).

أما فكرة اللباس (مثلاً: لباس المجد) – الذي ارتداه آدمُ قبل الخطيئة ثم خسره بعدها – فيرى الباحثُ الواعد (Dr. Joseph Witztum) أنها فكرة مسيحية سريانية. فحسب رأيه، ربما تناقل اليهود هذه الفكرة شفوياً قبل الإسلام أو في كُتب سوديبِجرافا العهد القديم، لكن ليس في المدراش ولا في الترجوم. وإنما تشير الأدلة المكتوبة الموثقة إلى المصادر المسيحية السريانية للقرآن[3291]. ونحن نتفق معه في أن التراث المسيحي السرياني المتواتر في هذه المسألة أوضح بكثير وأقرب إلى القرآن من التراث اليهودي.

فلقد قال القديس إفرام السرياني (Ephrem the Syrian) (Ephraem) (حوالى 306-373م)، تعليقاً على آدم وحواء قبل السقوط "كَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ" (التكوين 2:25)، إن آدم وحواء لم يخجلا، لأن كلاهما قبل السقوط كان مُغطّى بلباس المجد (glory) (بالسريانية: *shūbḥā*) والقداسة (holiness) (بالسريانية: *qūdshā*)[3292]، أو "لأنهما كأنهما مكتسيان بالمجد"[3293].

وتعليقاً على آدم وحواء بعد السقوط "فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ" (التكوين 3:7)، قال إفرام السرياني إن آدم وحواء شعرا بالخجل لمَّا صارا عُرْيَانَيْنِ فجأة حين نُزِعَ عنهما لباسُ المجد بعد أن أكلا من الشجرة الْمُحَرَّمَة مباشرةً[3294] **[⟵ "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (الأعراف 22)؛ "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (طه 121)]**، وإن العدو (يقصد: الحية؛ الشيطان) كان قد توقع أن آدم وحواء سَيَرَيا عريهما إذا أكلا من الشجرة الْمُحَرَّمَة[3295] **[⟵ جعل القرآنُ هدفَ الشيطان أن يُرِيَهُمَا عوراتهما إذا أكلا من الشجرة الْمُحَرَّمَة: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 20) "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 27). وهذا مما انفردت به رواية سورة الأعراف، إذ لا نجد هذه الفكرة في روايتي سورتي طه والبقرة، ولا نجدها في التوراة. وقيل إن اللام في "لِيُبْدِيَ" (الأعراف 20) و "لِيُرِيَهُمَا" (الأعراف 27) ليست لام الغرض (aim; goal) وإنما لام العاقبة (consequence)[3296]. وفي كلتا الحالتين النتيجة واحدة: القرآن (الأعراف 20، 27) مجرد تطور بشري طبيعي لتعليق القديس المسيحي إفرام السرياني الذي قال إن الشيطان توقع انكشاف عوراتهما لهما]**.

ويبدو أن فكرة "لباس المجد" (Robe of Glory; Garment of Glory) هذا كانت تلح على ذهن القديس المسيحي إفرام السرياني بدليل تكرارها في أعمال كثيرة ومتنوعة له[3297]. على سبيل المثال:

في الترنيمة الثالثة من ترانيمه عن الفردوس (Hymns on Paradise)، قال القديس إفرام السرياني إن آدم وُجِدَ فجأة عارياً (Adam who was suddenly found naked)، الحية (الشيطان) سرق ملابسه (the serpent had stolen his garments)[3298]، يقصد: بعد السقوط.

ونلاحظ هنا نقطتين مهمتين. أولاً: ألمح إفرامُ إلى أن لباس المجد ليس مجرد لباس مجازي يستر بطريقةٍ غامضة عورةَ آدم العريان، وإنما لباس حقيقي كان آدمُ يرتديه فعلاً قبل السقوط ثم خسره بسقوطه فصار عارياً. ثانياً: تعمَّد الشيطانُ (الحية) أن ينزع هذا اللباس عن آدم. وهذا يقرّب لباسَ المجد المذكور في أعمال إفرام إلى اللباس المذكور في القرآن. وبخاصة (الأعراف 27) التي تنسب فِعل نزع اللباس إلى الشيطان: "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ [الشَّيْطَانُ] أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ [الشَّيْطَانُ] عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 27). قال الطبري: "وَأَضَافَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِلَى إِبْلِيسَ إِخْرَاجَ آدَمَ وَحَوَّاءَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَنَزْعَ مَا كَانَ عَلَيْهِمَا مِنَ اللِّبَاسِ عَنْهُمَا، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ الْفَاعِلُ ذَلِكَ بِهِمَا عُقُوبَةً عَلَى مَعْصِيَتِهِمَا إِيَّاهُ، إِذْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنْهُمَا فِي ذَلِكَ عَنْ تَسْبِيبِهِ ذَلِكَ لَهُمَا بِمَكْرِهِ وَخِدَاعِهِ، فَأُضِيفَ إِلَيْهِ أَحْيَانًا بِذَلِكَ الْمَعْنَى، وَإِلَى اللَّهِ أَحْيَانًا بِفِعْلِهِ ذَلِكَ بِهِمَا"[3299]. وعلى الرغم من اتفاقنا مع الطبري في أن الله - وليس الشيطان - هو مَن نزع لِبَاسَهُمَا، إلا أن دراستنا لترنيمة إفرام ساعدتنا على أن نفهم لماذا قال صاحبُ (الأعراف 27) "يَنْزِعُ [الشَّيْطَانُ] عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا"، ولم يقل مثلاً "لِيُنْزَع عَنْهُمَا لِبَاسُهُمَا"؟ الإجابة: لأنه وقع - بوعي أو بدون وعي - تحت تأثير ترنيمة إفرام التي تُقدِّم الشيطانَ على أنه فَاعِلُ فعل النزع الذي أدى إلى عري آدم.

مثال آخر من أعمال المفكر المسيحي المبدع إفرام السرياني: في الترنيمة الثالثة والثمانين مِن ترانيمه عن الإيمان (Hymns on Faith)، والتي تُعرَف أيضاً باسم الترنيمة الثالثة عن اللؤلؤة (Hymn Three On the Pearl)، نجد المفكر المسيحي المبدع إفرام السرياني يخاطب اللؤلؤة العارية التي يكسوها اللمعان، فيشبهها بحواء العارية التي كان يكسوها المجد لكن الحية (الشيطان) نزع عنها مجدها[3300]:

[83:1] You were blameless in your nakedness, O pearl. Even the merchant Who stripped off your robe was drunk with love for you, Though he did not expose you: your garment is your light, Your cloak is your brightness, O naked one! [83:2] You resembled Eve, who was clothed In her nakedness. That cursed one (i.e. Satan, the serpent) deceived her, Despoiled (or: Stripped) and abandoned her (in Syriac: *w-ašlaḥ šabqāh*). But the serpent could not [O pearl]

Strip your glory. In your symbol Women are clothed with the light of Eden.

إن وجود فكرة "لباس المجد" - الذي ارتداه آدمُ وحواء قبل الخطيئة ثم خسراه بعدها - في أعمال كثيرة ومتنوعة لمفكر كبير في حجم القديس إفرام السرياني يدل على أنها لم تكن مجرد فكرة عابرة خطرت على باله فى يومٍ مِن الأيام؛ وإنما كانت نظرية أساسية وأطروحة جوهرية تناولها فى كثير مِن أعماله المتنوعة التى أثرت بالتأكيد على تلاميذه وأتباعه ومَن جاءوا بعده ...

بعد القديس المسيحي إفرام السرياني، جاء يعقوب السروجي (Jacob of Serugh) (ت 521م) أسقف سروج بشمال العراق وقال: "ثمرة الشهوات فضحت آدم وحواء، وأخذتهما مفسدة جميع الحُسن الذى كانا مكتسين به"[3301].

وقال في عظته "إخراج آدم من الفردوس" (On Adam's departure from Paradise) (البيتين 573-574) إن خطيئة آدم وحواء قد نَزعَت عنهما لباس المجد الذي كان الله قد ألبسهما إياه قبل السقوط (the sin of Adam and Eve similarly strips them of the glorious (*shbīḥā*) garment in which God had clothed them and covers them instead in shame)[3302]. وعندما رجعنا إلى الترجمة العربية لنقرأ السياق بالكامل وجدناه كالتالي: {561} حين دخلت هذه الثمرة [المحرمة] فمَ حواء وحدها، {562} قسمٌ من حفظ الوصيّة لبث قائماً. {563} كانت قتاليّة الاثنين لدى الشجرة، {564} والرجل المتراخية زلقت أولاً من القتال. {565} وحين مالت، بلغت إلى السقوط بإرادتها، {566} تراخى الجسم كلّه ومضى معها. {567} وهبت [حواءُ] لآدم فأكل هو أيضاً من الشجرة [المحرمة]، {568} وبالتساوي ركض العريُ فأدركهما. {569} انحدرت الهزيمة وصفعتهما، {570} فاكتمل لديهما تجاوزُ الوصيّة. {571} انفتحت العيونُ هناك باهتات، {572} وتراءى لهما عريُ الجسد بنجاسته. {573} نزعت الخطيئةُ الثوب المجيد (عطيّة) الخالق، {574} وألبستهما خزيَ الوجوه بوقاحتها. [...] {581} اقتربت الخطيئة وعرّتهما حين صنعاها[3303]. **[← "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (الأعراف 22)؛ "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (طه 121)]**.

ونريد هنا أن نتوقف قليلاً أمام البيت رقم 564: والرجل المتراخية زلقت (slipped) أولاً من القتال. والرجل المشار إليها هنا هي رجل حواء التي سقطت أولاً في الخطيئة قبل آدم. ونجد لغة الانزلاق (slipping) مُستخدمة أيضاً في نفس العظة "إخراج آدم من الفردوس" للتعبير عن سقوط إبليس (الشيطان): "ومِن جوق الساهرين (أي: الملائكة) الممجَّدين زلّ الشريرُ (أي: الشيطانُ) (وكبا)" (البيت رقم 72)، وكذلك

للتعبير عن سقوط آدم: "في مكان واحد زلقت رجلا الاثنين (أي: آدم والشيطان)" (البيت رقم 136)[3304]. **[← وكذلك في القرآن نجد نفس لغة الانزلاق (slipping) مُستخدمة للتعبير عن سقوط آدم وحواء! "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا (أي: أَزْلَقَهُمَا caused them to slip[3305] وأبعدهما عن الجنة؛ وقيل: أوقعهما في الزَّلَّة وهي السَّقْطَة والخطيئة[3306]؛ ونحن لا نرى تعارضاً بين المعنيين: الخطيئة هي التي أبعدتهما عن الجنة)" (البقرة 36)]**. ومِن الجدير بالذكر أن استخدام لغة انزلاق القدم أو تعثرها (stumbling) للتعبير عن السقوط (fall) في الخطيئة ليس من اختراع المسيحيين السريان، فنحن نجده في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. على سبيل المثال: "إِذْ قُلْتُ: «قَدْ زَلَّتْ قَدَمِي (slipped)» فَرَحْمَتُكَ يَا رَبُّ تَعْضُدُنِي" (المزامير 94:18)؛ "أَمَّا أَنَا فَكَادَتْ تَزِلُّ قَدَمَايَ. لَوْلاَ قَلِيلٌ لَزَلِقَتْ خَطَوَاتِي" (المزامير 73:2)؛ "فَأَقُولُ: أَلَعَلَّهُمْ (أي: اليهود غير المؤمنين بالمسيح) عَثَرُوا (stumbled) لِكَيْ يَسْقُطُوا (fall)؟ حَاشَا! بَلْ بِزَلَّتِهِمْ (their transgression) صَارَ الْخَلاَصُ لِلأُمَمِ لإِغَارَتِهِمْ" (رومية 11:11).

أما عن الدور الذي لعبه الشيطانُ إبليس في تعرية آدم وحواء، وهل هذا كان هدفه (goal) أم مجرد نتيجة وعاقبة (consequence) للاستسلام لوسوساته؟ فإن الإجابة عند يعقوب السروجي هي: تعرية آدم وحواء كانت هدف الشيطان. بدليل أن يعقوب السروجي قال في نفس العظة "إخراج آدم من الفردوس" (الأبيات 297-300): {297} زحفت الحيّةُ لتَصعد وتُنزل من الشجرة {298} عصفورين اثنين محبوبين وبسيطين (يقصد: آدم وحواء اللذين أحبهما الله). {299} ركض اللّصُّ (robber) (الشيطان) وقام هناك في طريق عدن، {300} ليعرّي (in order to divest) (بالسريانية: *da-nšallaḥ*) التاجرين (يقصد: آدم وحواء) اللذين خرجا فيها[3307] **[← كذلك جعل القرآنُ هدفَ الشيطان أن يُرِيَهُمَا عوراتهما إذا أكلا من الشجرة الْمُحَرَّمَة: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 20) "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 27)]**. ومِن الجدير بالذكر أن الألفاظ التي استخدمها يعقوبُ السروجي هنا مستوحاة من الإنجيل الذي يقول في مَثَل السامري الصالح: "فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ (robbers)، فَعَرَّوْهُ (stripped him of his clothes) [...]" (لوقا 10:30). ومن المعلوم أن سرقة الملابس والممتلكات الشخصية هدفٌ من أهداف اللصوص وقُطاع الطرق وليست مجرد نتيجة لأفعالهم.

وكذلك في عظة أخرى شهيرة ليعقوب السروجي تُعرَف باسم "الأيام الستة" (Hexaemeron)، أي: أيام الخلق الستة (التكوين 1) التي انتهت بخلق الإنسان ذَكَرًا وَأُنْثَى على صورة الله ومثاله (التكوين 1:26-31). وإذا أضفنا اليومَ السابع يوم الراحة (التكوين 2:1-3) فإنها تُعرَف باسم "الأيام السبعة" وتضم 3020 بيتاً من الشعر السرياني البديع!

قال يعقوب السروجي في عظة اليوم السادس: {2495} قام العروسان (أي: العريس آدم والعروس حواء) في حلّة النور (garment of light) التي لبسا، {2496} ففرح العالمُ كلّه بهداياه لهما. {2497}

ضحك النهار قبالة العريس وأهداه، {2498} هديّة النور كلّه لينعم به. {2499} فتح الفردوس أبوابه الرفيعة (أي: المرتفعة) ليدخل العروسان، {2500} فيفرحان هناك في جنان الخيرات المهيّأة لهما. {2501} هنا حسد ذاك المتسلّط الحارسُ الهواء (يقصد: حسد الشيطانُ)، {2502} تلك العظمة التي وُهبت لبيت آدم. {2503} بإرادته رمى [الشيطانُ] نفسه في التمرد، {2504} والتخريب والإفساد والإقلاق. {2505} ليرمي الانشقاق في ذاك العرس المليء بالمحاسن، {2506} ويطرح من العروس إكليلها، بمكره البغيض. {2507} ويصلي فخاً ويفسد حُسن لباسهما (بالسريانية: *we-nesroḥ šuprā da-lbušayhon*)، {2508} ويهتكهما (uncover them) ويقيمهما عريانين (make them stand naked) (بالسريانية: *ʿarṭelāʾit*). {2509} ويجعلهما أضحوكة في العالم وعاراً كبيراً، {2510} لأنه حسد بيت آدم: كم عُظِّما (how greatly they were honored)[3308]!

إذن: إذا كان هدف الشيطان من الوسوسة لآدم وحواء هو تعريتهما مِن لباس النور (لباس المجد؛ اللباس المجيد)، فإن السبب الذي دفع الشيطانَ إلى هذه الوسوسة هو حسده لهما وحقده عليهما وغيرته منهما.

يقول (Dr. Joseph Witztum) عن هذا التراث المسيحي السرياني وعلاقته بالقرآن[3309]:

> That Satan was envious of Adam is a widespread theme and in no way is it unique to the Syriac sources and the Quran. What does, however, link them is the immediate cause of this envy and the way in which it was expressed. Rather than emphasize Satan's desire for Eve as some rabbinic sources say with regard to the serpent['s motivation], the Quran first mentions God's command to the angels to bow down before Adam as the cause of Satan's initial jealousy, and later states that Satan's goal was to divest Adam of his clothes. Whereas the first theme is well-known from several [non-Syriac] sources, including the *Life of Adam and Eve*, the second theme seems to reflect an emphasis in the Syriac sources on the idea that Satan was especially agitated by the garments of glory which symbolized Adam's high status. Therefore he (i.e. Satan) sought to take away these garments and put Adam to shame [like Satan himself].

وتوجد أمثلة أخرى كثيرة من كتب التراث البشري اليهودي/المسيحي التي تحدثت عن حسد الشيطان وحقده كدافعٍ (motivation) دفعه إلى غواية آدم. وإلا فما الدافع؟ ومِن حُسن الحظ أن العالِم الكبير (Prof. James L. Kugel) قد ذكر بعضَ الأمثلة في كتابه الشهير الضخم (Traditions of the

Bible)[3310]. ومِن اللافت للانتباه أنه ذكر القرآنَ – وتحديداً رواية سورة الأعراف – كمثال مِن ضمن الأمثلة. ونحن نتفق معه تماماً في ذلك، فهذا هو المكان الطبيعي الذي يجب أن يُوضَع القرآنُ فيه: في نفس الخانة مع كتب التراث البشري اليهودي/المسيحي.

وإذا كان يعقوب السروجي كتب قصةَ آدم وحواء في شعر سرياني بديع، فإن كتاب "مغارة الكنوز" (Cave of Treasures) كتبها في نثر سرياني لا يقل جمالاً وروعة. يقول الفصل الثاني مِن هذا الكتاب السرياني إن آدم بعد خَلْقِهِ كان يرتدي لباساً ملكياً (gown of kingship) (royal vestments) (بالسريانية: *lbūshê malkūtā*) ووُضِعَ تاجُ المجد (glory) (بالسريانية: *shūbḥā*) على رأسه[3311]، وسجدت له الملائكة. ثم يقول الفصل الثالث إن هذه الجلالة العظيمة المُعطاة إلى آدم جعلت الشيطانَ إبليس يحسده ويرفض السجود له، فطُردَ الشيطانُ وجنوده مِن السَّماوَاتِ ونُزِعَ لباسُ المجد منهم، فسقطوا جميعاً عُراة! ثم يتحدث الفصلُ الثالث عن خَلْق حواء مِن ضلع آدم، ويقول إنهما كانا في الجنة يرتديان لباس المجد (garments of glory) ويلمعان ببهاء قبل السقوط. وهكذا صار آدم وحواء يرتديان لباس المجد في الجنة بينما الشيطان عريان خارجها ويحقد عليهما **[← أكمل القرآنُ هذه الدراما فجعل هدفَ الشيطان هو أن يجعل آدم وحواء عُرْيَانَيْنِ (مثله): "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 20)[3312] "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 27)]**. أما الفصل الرابع فيذكر كيف امتلأ الشيطانُ بالحقد على آدم وحواء وخدعهما (أو بعبارة أكثر دقة: خدع حواءَ) حتى يأكلا مِن الشجرة الْمُحَرَّمَة. فلمَّا أكل آدمُ وحواء مِن الشجرة صارا عُرْيَانَيْنِ **[← "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (الأعراف 22)؛ "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (طه 121)]**.

ولكي تتضح الرؤية سنذكر الجمل المهمة من الترجمة الإنجليزية لكتاب مغارة الكنوز السرياني[3313]:

Chapter 2 (The creation of Adam): [...]. [...] he (i.e. Adam) wore the gown of kingship, and the crown of glory was put upon his head; there he was made king, priest and prophet, and there God made him sit upon the throne of his glory. [...] the angels [...] all bent their knees and worshipped him (i.e. Adam).

Chapter 3 (The fall of Satan): When the chief of that lowest rank saw what greatness had been bestowed upon Adam he envied him from this day on. He did not want to worship him and spoke to his army: "Let us not worship and glorify him together with the angels. It is meet that he worships

me who am fire and spirit and not that I worship dust formed from dirt." As soon as the rebel conceived this and was disobedient as regards the wish of his soul and volition he separated himself from God. He was cast down and fell, he and his whole rank, on Friday, the sixth day, and their fall from heaven lasted for three hours. The garments of their glory were taken from them and he was called "Satan" because he set himself apart, […]. Behold, since that day until now they are naked and bare and of despicable look, he and all his hosts.

Chapter 3 (The formation of Eve): […] Adam and Eve stayed in paradise wearing the garments of glory and shining in splendour for three hours. […]

Chapter 4 (The fall of Adam and Eve): Because Adam was priest, king and prophet, God brought him into paradise in order to minister in Eden like a priest of the holy Church […].

When Satan saw Adam and Eve rejoicing in paradise the rebel was inflamed and tormented by envy. […] He (i.e. Satan) spoke to her (i.e. Eve) and deceived her with his crafty words, […], and she believed him. As soon as she heard from him about the tree and its fruits, she went in a rush because he had flattered and persuaded her, plucked from the tree […], and ate. At once she was stripped bare, and perceiving the shame of her nakedness she ran away naked, […]. Then she called Adam and he came toward her. She gave him that fruit from which she had eaten, he also ate from it and was stripped bare, too. So they made for themselves loincloths out of fig-leaves, wearing these loincloths of disgrace for three hours. […]

مما سبق يتضح أن الفكرة الأساسية والمتواترة فى هذه الأعمال اليهودية والمسيحية البشرية هى أن آدم وحواء قبل السقوط كانا يلبسان لِبَاسَاً (ملكياً أو سماوياً؛ مِن نور أو مِن مجد أو مِن قداسة أو مِن أى شىء آخر؛ حقيقياً أو مجازياً). لكن بعد أن أكلا مِن الشجرة الْمُحَرَّمَة، نُزِع هذا اللباس عنهما فانكشفت عوراتهما.

إذن: هذه الفكرة ليست جديدة وليست من عند الله، وإنما هى من اختراع اليهود والمسيحيين السريان، وتطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن إلى أن استقرت بعد ذلك فى القرآن، لا سيما في الرواية الثانية (سورة الأعراف) التي يبدو أن صاحبها كان على دراية جيدة جداً بالتراث اليهودي والمسيحي السرياني[3314]، بدليل أنه كرر هذه الفكرة ثلاث مرات: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 20)؛ "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (الأعراف 22)؛ وأخيراً العظة والعبرة: "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 27).

ومن الجدير بالذكر أن كلمة "لِبَاسَ" (الأعراف 26-27) التي انفردت بها رواية سورة الأعراف هي بالسريانية[3315] (lbušā). مما يدل على أن تأثر صاحب رواية سورة الأعراف بالتراث المسيحي السرياني لم يقتصر فقط على الأفكار (motifs) وإنما امتد أيضاً ليشمل الألفاظ والكلمات (vocabulary).

يبقى سؤال: لماذا اختار صاحبُ رواية سورة الأعراف أن يأخذ هذه الفكرة تحديداً مِن التراث اليهودى والمسيحى السريانى، وليس مِن القصة التوراتية الأصلية؟ الإجابة: ربما سمع بعض الروايات المدراشية والسريانية، ولم يسمع القصة التوراتية الأصلية بكاملها (in toto). أو على الأرجح ربما أراد أن يستثمر هذه الروايات المدراشية والسريانية لكى يؤكد على أهمية ستر العورة، لا سيما في حضرة الله. والدليل على ذلك هو أنه كرر كلمة "سَوْأَة" (أى: عورة) 4 مرات فى هذا السياق: (الأعراف 20، 22، 26، 27)! قال البيضاوى فى تفسير "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ" (الأعراف 26): "روى: أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها، فنزلت. ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم أن انكشاف العورة أول سوء أصاب الإنسان من الشيطان، وأنه أغواهم فى ذلك كما أغوى أبويهم"[3316]. وقال سيد قطب: "وفى مواجهة مشهد العرى الذى أعقب الخطيئة (يقصد: خطيئة آدم) ومواجهة العرى الذى كان يزاوله المشركون فى الجاهلية يذكر السياق فى هذا النداء نعمة الله على البشر وقد علمهم ويسر لهم، وشرع لهم كذلك، اللباس الذى يستر العورات المكشوفة، ثم يكون زينة – بهذا الستر – وجمالاً، بدل قبح العرى وشناعته"[3317]. وقال الشيخ محمد أبو زهرة: "ولا نحسب أن الآية (يقصد: الأعراف 26) استطرادية، بل الآيات تمهيد لبيان أن ما كان يفعله بعض العرب من الطواف عرايا، هو خروج على الفطرة، وهو خروج على الحياء الإنسانى، الذى جعل آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة"[3318].

إذن: هدف صاحب رواية سورة الأعراف واضح، وهو استغلال التراث اليهودى والمسيحى السريانى المتعلق بقصة سقوط آدم مِن أجل مواجهة ظاهرة العري الذى كان يزاوله العرب المشركون عند الطواف بالبيت. بدليل أنه بعد قصة آدم وحواء (الأعراف 19-25)، وجّه خطابَه إلى "بَنِي آدَمَ" قائلاً ثلاث مرات "يَا بَنِي آدَمَ" (الأعراف 26) "يَا بَنِي آدَمَ" (الأعراف 27) "يَا بَنِي آدَمَ" (الأعراف 31) يدعوهم أن يرتدوا

ملابسهم عند كل مسجد: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ [...]. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ" (الأعراف 31-32).

وهذا يدل على أن أصحاب القرآن لم يكن يهمهم أن ينقلوا حرفياً من التوراة والإنجيل، بل لم يكن يهمهم أن ينقلوا كل قصص التوراة والإنجيل. وإنما كانوا ينتقون مِن التراث اليهودى والمسيحى بصفة عامة – وليس التوراة والإنجيل فقط – ينتقون القصصَ والأفكار التي تفيدهم، ثم يعيدون إنتاجَ تلك القصص والأفكار مِن أجل تحقيق مصلحة تهمهم في واقعهم العربي. والمصلحة في هذه الحالة هي: حث العرب على ارتداء ملابسهم ليستروا عوراتهم عند الطواف ببيت الله. حتى لو أدت عملية إعادة الإنتاج إلى مشكلة ربما لم تكن في حسبان أصحاب القرآن، وهي: تخفيف جريمة الشيطان إبليس مِن تجريد آدم وحواء من خلودهما (حياتهما[3319] الأبدية) إلى تجريدهما من ملابسهما!

ونختم كلامنا بما قاله (Dr. Joseph Witztum) تعليقاً على رواية سورة الأعراف (Q 7)[3320]:

> […] the emphasis in Q 7:20 concerning Satan’s goal of divesting Adam and Eve of their clothes is repeated in Q 7:27 as part of an admonition to the children of Adam (i.e. humanity) to avoid the temptations of Satan. Specifically targeted is a presumably pagan practice of attending places of worship in the nude (Q 7:31).

إذن: التاريخ يعيد نفسه. والحاجةُ أُم الاختراع. كما اخترع اليهودُ فكرةَ "لِباس" آدم وحواء لمواجهة عُري الإغريق الوثنيين في الألعاب الأولمبية، طوّر أصحابُ القرآن هذه الفكرة البشرية ووضعوها في قرآنهم لمواجهة عُري العرب المشركين عند الطواف بالبيت. واستعان أصحابُ القرآن بالتراث المسيحي السرياني الذي أبرز دورَ الشيطان (الحية) في نزع لِباس آدم وحواء. وهكذا صار العري – حسب الرواية القرآنية – هدفاً من أهداف الشيطان، أو على الأقل: عاقبةً للاستسلام لوسوساته الخادعة.

4.6.3.7 "ملكين" (الأعراف 20): هل "مَلَكَيْن" (two angels)؟ أم "مَلِكَيْن" (two kings)؟!

تعاني رواية سورة الأعراف من مشكلة في نص الوسوسة الشيطانية: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ" (الأعراف 20). والمشكلة هي اختلاف القراءات القرآنية في كلمة "ملكين". بدون تنقيط ولا تشكيل، الرسم "ملكىں" واحد. قد يُقرَأ "مَلَكَيْن" (two angels) مِن الملائكة، كما قرأها الجمهور وكما هي في المصحف الحالي الذي بين أيدينا الآن. وقد يُقرَأ "مَلِكَيْن" (two kings) مِن الملوك، كما قرأها ابنُ عباس

وغيره. واستدلوا على هذه القراءة الأخيرة بقول رواية سورة طه "مُلْكٍ" (طه 120)[3321]. لكن كما قلنا فيما سبق، رواية سورة طه تعاني من مشكلات كثيرة – مثلاً: "اهْبِطَا" (طه 123) – فهي إذن ليست حُجة قاطعة ليُستدل بها وحدها مِن أجل إثبات صحة قراءة معينة في رواية سورة الأعراف التي تسبقها زمنياً.

السؤال: أيهما مكتوب في اللوح المحفوظ؟ "مَلَكَيْن" بفتح اللام؟ أم "مَلِكَيْن" بكسرها؟!

لا يمكن الإجابة على هذا السؤال إجابة علمية، لأنه لا يمكن الوصول إلى هذا "اللوح المحفوظ" المزعوم. فيجب إعادة صياغة السؤال بطريقة علمية. مثلاً: أيهما أقدم؟ قراءة "مَلَكَيْن"؟ أم "مَلِكَيْن"؟!

نحن نعتقد أن قراءة "مَلَكَيْن" تسبق قراءة "مَلِكَيْن" زمنياً. ودليلنا على ذلك هو أن "مَلَكَيْن" أقرب إلى التراث اليهودي. ونبدأ أولاً بالتوراة العبرية التي تقول في نص الوسوسة الشيطانية: "فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ (بالعبرية: إلوهيم elohim) عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ»" (التكوين 3:4-5). ومِن المعلوم أن اسم "الله" (God) بالعبري "إلوهيم" في حقيقته اسم جمع. ولذلك عند ترجمة التوراة العبرية إلى اليونانية (السبعينية) جاء الاسم في صيغة الجمع "آلهة" (gods)[3322].

ويبدو أن عبارة "تَكُونَانِ كَإلوهيم (like gods; like God)" (التكوين 3:5) قد أزعجت بعض المفسرين والمترجمين اليهود الذين رفضوا تشبيه أي مخلوق بالله (إلوهيم). وربما وجدوا الحل في العهد القديم العبري (TANAKH) نفسه الذي يقول في موضع آخر ليس له أي علاقة بقصة آدم وحواء والحيَّة! "سَيِّدِي الْمَلِكُ إِنَّمَا هُوَ كَمَلاَكِ اللهِ لِفَهْمِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ" (2 صموئيل 14:17). ونلاحظ أن حلقة الوصل بين هاتين الآيتين هي عبارة "لِفَهْمِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ" (2 صموئيل 14:17) مع عبارة "عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ" (التكوين 3:5). فهل أُخِذَت عبارةُ "كَمَلاَكِ اللهِ" مِن (2 صموئيل 14:17) ووُضِعَت في (التكوين 3:5) عِوَضًا عَنْ "كَاللهِ"، وجُعِلَت "ملائكة" (جمع) لتتفق مع إلوهيم (جمع)؟ وهل التأثر بـ(2 صموئيل 14:17) حدث عمداً أم أنها مجرد صدفة؟ كل الاحتمالات واردة.

وإنما الحقيقة التي لا تخضع للاحتمالات هي أن هذه الآية التوراتية (التكوين 3:5) قد حُرِّفت فعلاً إلى "تكونان كملائكة" (like angels)[3323]! ونجد هذا التحريف مثلاً في الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول الميلادي والرابع الميلادي[3324]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة. يقول ترجوم نيوفيتي في نص الوسوسة الشيطانية (التكوين 3:5): "فتصيران مثل الملائكة (بالآرامية: *mal'akin*؛ ويجب ملاحظة قربها من الكلمة العربية "مَلَكَيْنِ") أمام الربّ" (you will be like angels before the Lord)[3325] **[⟵ "تَكُونَا مَلَكَيْنِ" (الأعراف 20)]**.

لمَّا يكون أصل كلمة قرآنية "مَلَكَيْنِ" (الأعراف 20) هو تحريف أو ترجمة غير دقيقة لكلمة توراتية، فكيف يمكن أن نصدق أن القرآن كلام الله؟! إن (الأعراف 20) تكفي وحدها كدليل يثبت أن القرآن كلام بشر.

وهذا أيضاً يجعلنا نقول إن قراءة "مَلَكَيْن" (two angels) تسبق قراءة "مَلِكَيْن" (two kings) زمنياً. وكذلك تسبق كلمة "مُلْكٍ" (kingship; kingdom) (طه 120).

لكن يبقى سؤال مهم: مِن أين جاءت قراءة "مَلِكَيْن" (two kings)؟

الإجابة: ربما ظهرت هذه القراءة بدون قصد. فكما قلنا فيما سبق، الرسم "ملكس" واحد، وقد يُقرَأ "مَلَكَيْن" أو "مَلِكَيْن". ويبدو أن صاحب رواية سورة طه لم يطلع إلا على نسخ مكتوبة لرواية سورة الأعراف بدون تنقيط ولا تشكيل، فقرأها خطأ "مَلِكَيْن"، ولذلك قال في روايته "مُلْكٍ" (طه 120)[3326].

وربما ظهرت قراءة "مَلِكَيْن" عن عمد، تأثراً بكلمة "مَلِك" (king) الموجودة في نفس الآية التي في سفر صموئيل الثاني: "سَيِّدِي الْمَلِكُ (king) إِنَّمَا هُوَ كَمَلاَكِ اللهِ لِفَهْمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" (2 صموئيل 17:14).

ويوجد احتمال ثالث. ظهرت عن عمد أيضاً، لكن لحل مشكلة أزعجت بعض المسلمين الأوائل. والمشكلة هي أن قراءة الجمهور "مَلَكَيْن" بفتح اللام قد تؤدي إلى تناقض بين الآيات القرآنية. لأن "مَلَكَيْن" قد تعني أن الملائكة أفضل مِن البشر، بل أفضل مِن الأنبياء؛ وإلا فما وجه الإغراء في أن يكون آدم وحواء "مَلَكَيْن"؟! لكن كيف تكون الملائكة أفضل مِن البشر، واللهُ أمر الملائكة أن تسجد لآدم أبي البشر؟!

إذن: مِن المحتمل أن سبب ظهور قراءة "مَلِكَيْن" – وكذلك سبب ظهور كلمة "مُلْكٍ" (طه 120) – هو أن صاحب تلك القراءة أراد أن يتجنب الملائكة تماماً، ومن ثم يتجنب هذا التناقض الذي أشرنا إليه، بل يتجنب هذا الجدل المتعلق بأيهما أفضل: الملائكة أم الأنبياء؟ هذا الجدل الذي لا يزال مستمراً إلى يومنا هذا في الكتب والمراجع والمواقع الإلكترونية! راجع مثلاً ما يقوله المسلمون بين مؤيدين ومعارضين للحديث "الصحيح" "المتفق عليه" الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما (أصح كتابين بعد القرآن!) والذي يقول إن موسى النبي لطم مَلَكَ الْمَوْتِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ[3327][3328]! مما قد يدل على أن البشر (الأنبياء) أفضل من الملائكة. واقرأ في المقابل ما قالته النسوةُ المعجبات بيوسف: "مَا هَٰذَا (أي: يوسف) بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" (يوسف 31). مما قد يدل على أن الملائكة أفضل من البشر (الأنبياء).

فهل هذه القراءات المختلفة والأحاديث النبوية والآيات القرآنية نشأت في إطار الجدل الدائر حول أيهما أفضل عند الله: الأنبياء أم الملائكة؟ نحن نعتقد أن الإجابة: نعم.

ونختم كلامنا بما قاله (Dr. Joseph Witztum) تعليقاً على قراءة "مَلِكَيْن"[3329]:

> […] this reading may have been an attempt to avoid a contradiction between the angels’ recognizing Adam’s superiority and his wishing to

become one of them. More generally, this reading is related to the debate concerning the status of angels with regard to prophets.

4.6.3.8 "أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ" (التكوين 3:21)؟ أم "رِيشًا" (الأعراف 26)؟

لم تُذكَر كلمة "ريش" في القرآن كله إلا في هذه الآية التي تنتمي أيضاً إلى الرواية الثانية (سورة الأعراف): "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا" (الأعراف 26). السؤال: لماذا استخدم صاحبُ الرواية الثانية (سورة الأعراف) كلمة "ريش" بالذات فى هذا الموضع بالذات؟

كالعادة، اختلف القراء والمفسرون والمترجمون في كلمة "ريشاً"؛ واحتاروا إذا كان المقصود "ريش" (feathers) فعلاً؟ أم شيء آخر: مال أو متاع أو أثاث أو ملابس الزينة التي تدل على النعيم ورَفاهة العيش ... الخ. قال تفسير الخازن وتفسير الفَخْر الرازى: "اعلم أن الله عز وجل لما أمر آدم وحواء بالهبوط إلى الأرض وجعلها مستقراً لهم أنزل عليهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما أنزل عليهم اللباس الذى يحتاج إليه فى الدين والدنيا"[3330]. وقال تفسير أبي بكر جابر الجزائري: "إنزال اللباس مِن السماء يعود لأمور منها: أن آدم أول مَن ستر عورته بورق التين من شجر الجنة ومنها أن آدم نزل مكسواً وورث عنه أولاده ذلك"[3331]. وقال التفسير الميسر الذي أصدره مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ جعلنا لكم لِبَاسًا يستر عوراتكم، وهو لباس الضرورة، ولِبَاسًا للزينة والتجمل، وهو من الكمال والتنعم"[3332]. وقال تفسير الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي (عضو المجامع الفقهية): "يَا بَنِي آدَمَ قد خلقنا لكم لِبَاسًا يستر عوراتكم، وريشاً للتجمل، وهو لباس الزينة"[3333].

ونحن نتفق مع مَن قال إن المقصود هو "ريش" فعلاً. لكننا نرى أن أقوال المفسرين لم تستطع الإجابة على سؤالنا: لماذا استخدم صاحبُ رواية سورة الأعراف كلمةَ "ريش" بالذات فى هذا الموضع بالذات؟

أكيد كلمة "رِيشًا" (الأعراف 26) دي وراها حكاية يهودية/مسيحية. نحكيها باختصار ....

يُفهَم مِن القصة التوراتية أن مآزر أوراق التين (التكوين 3:7) لم تكن كافية لستر عورة آدم وحواء، بدليل أن آدم ظل يشعر بعدها أنه عُريان (التكوين 3:10). ثم "صَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا" (التكوين 3:21). المشكلة هي أن هذه الأقمصة الجلدية صُنِعَت **قبيل** تنفيذ حُكم طَرْد آدم وحواء مِن الجنة (التكوين 3:23-24)، مما يعني – على الأقل ضمنياً – أن حيواناً قد ذُبِح ودماً قد سُفِك **في** الجنة؛ وإلا كيف الحصول على "الجلد" (skin)؟ مشكلة أخرى: ما الذنب الذي اقترفه هذا الحيوان البريء لكي يُذبَح ويُسفَك دمه؟!

يبدو أن فكرة الذبح وسفك الدماء فى الجنة لم تعجب بعض المفسرين اليهود والمسيحيين السريان، فلجأوا إلى حيل تشبه الحيل التى يلجأ إليها المفسرون المسلمون لحل مشكلات القرآن. وكالعادة، لم يتفقوا على

حلٍ واحد، وإنما اقترحوا عدة أفكار. فقيل مثلاً إن الأقمصة التي صنعها الرَّبُّ الإلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ لم تكن مِن الجلد، وإنما لِلجلد (أي: لتغطية جلد آدم وحواء). وقيل في قولٍ آخر إن تلك الأقمصة كانت مِن "جلد" شجرة (bark) (أي: مصدر نباتي وليس حيوانياً)! أو إن المقصود بالجلد هنا ليس الجلد بالمعنى الحرفي وإنما "الصوف" (wool) أو "الشعر" (hair) الذي على الجلد! ولماذا قالوا "الصوف" أو "الشعر"؟ الإجابة: لأن الله يمكن أن يقص الصوف أو الشعر مِن حيوان بدون أن يذبحه ويسفك دمه. ثم جاء صاحبُ الرواية القرآنية الثانية ولجأ إلى نفس الحيلة فقال "رِيشًا" (الأعراف 26)، أيضاً لنفس السبب: الله يمكن أن يقص الريش مِن طائر بدون أن يذبحه ويسفك دمه[3334][3335].

ليس هذا فحسب، بل إن صاحب الرواية القرآنية الثانية قد وضع هذه الآية (الأعراف 26) في نهاية القصة، أي: **<u>بعد</u>** تنفيذ حُكم طَرْد آدم وحواء مِن الجنة (الأعراف 24-25). وكأنه أراد أن يؤكد مرة أخرى أن حيواناً لم يُذبَح في الجنة، وبذلك استطاع أن يحقق هدف المفسرين اليهود والمسيحيين السريان الذين رفضوا فكرةَ سفك الدماء في الجنة.

4.6.3.9 توبة آدم (الأعراف 23؟) (طه 122) (البقرة 37)!

إنه أهم اختلاف لأنه يمس العقيدة. حسب القرآن: آدم تاب وقَبِلَ اللهُ توبته!

اكتفى صاحب الرواية الثانية بقوله: "قَالَا (أي: قَالَ آدمُ وحواء) رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (أي: مِن الهالكين)" (الأعراف 23)، التي فسرها المفسرون على أنها تشير إلى توبة آدم (وحواء)! مع أن الآية نفسها – كما قلنا فيما سبق – لا تستخدم كلمة "تابَ"! وإنما هي مجرد اعتراف بالذنب وطلب المغفرة فقط. وحتى لو افترضنا جدلاً أن (الأعراف 23) تشير إلى توبة آدم، فلا يوجد أي دليل في رواية سورة الأعراف على أن الله قَبِل هذه التوبة المزعومة!

لكن بمرور الزمن أصبحت الفكرة الإسلامية أكثر وضوحاً، فقال صاحب الرواية القرآنية الثالثة: "وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ" (طه 121-122). أما صاحب الرواية القرآنية السابعة (رواية سورة البقرة) الذي أدمج الروايتين السابقتين في روايةٍ واحدة فقال في (البقرة 37): "فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ (قيل إنها: الأعراف 23) فَتَابَ عَلَيْهِ (يشير إلى: طه 122)".

وعلى الرغم من توبة آدم وقبول الله توبته، طُردَ آدمُ من الجنة (الأعراف 24) (طه 123) (البقرة 38) ثم مات! السؤال: لو كان الله تاب على آدم كما يزعم القرآن، فلماذا طرده من الجنة؟! لا سيما أنه يُفهَم من رواية سورة طه أن الله أراد لآدم ألا يخرج من الجنة، بدليل هذا التحذير الطويل مِن الله لآدم: "فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا (أي: الشيطان إبليس) عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ <u>فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ</u> فَتَشْقَىٰ. إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ" (طه 117-119).

ومِن الطريف أن الحاكم قد روى في مُستدرَكه حديثاً عن ابن عباس يقول إن آدم قال لله: أي رب ألم تسبق رحمتُكَ غضبَكَ؟ فقال الله: بلى. فقال آدم لله: أرأيتَ إنْ تُبْتُ وأصلحتُ، أراجِعي أنتَ إلى الجنة؟ فقال الله: بلى. قال: فهو قوله "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ" (البقرة 37)[3336]. فالسؤال الذى يطرح نفسه: لو كان آدم تاب والله قَبِلَ توبته كما يزعم القرآن، فلماذا لم يرجع آدم إلى الجنة مباشرةً مرة أخرى؟! إنْ قلتم إن آدم سيرجع إلى الجنة، لكن في الآخرة. سنقول: لا يوجد في هذا الحديث ما يدل على ذلك. سؤال آدم واضح، إنه يتحدث عن حياته الدنيوية، بدليل أنه لم يقل "في الآخرة" أو "يوم القيامة" أو "بعد آلاف السنين"! وأيضاً بدليل أن آدم لم يطلب نفس الطلب بالنسبة لذريته، مما يدل على أنه يريد أن يرجع إلى الجنة فوراً لينجب ذريته هناك. وإنْ قلتم إن آدم لم يرجع إلى الجنة لأنه مخلوق لكي يكون خليفة الله في الأرض. سنقول: الجنة نفسها كانت في الأرض كما أثبتنا، وليست في السماء كما تتوهمون.

أما في الكتاب المقدس فإن آدم (الإنسان الأول) لم يطلب التوبة، والله لم يتب عليه. بل لم يعترف آدمُ بخطيئته، وإنما ألقى اللومَ على الربِّ الإله الذي أعطاه حواء! فَقَالَ آدَمُ [للرب الإله]: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ» (التكوين 12:3). فكانت النهاية الطبيعية المنطقية هي أن آدم وحواء طُردَا من الجنة ثم ماتا. وذلك تحقيقاً لعدل الله وقداسته ورفضه للخطيَّة، وأيضاً تنفيذاً للحُكم الإلهي الذي كان الله قد أعلنه لآدم في الوصية الإلهية: "وَأَوْصَى الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»" (التكوين 2:16-17).

لكن الله في محبته ورحمته – حسب الفكر المسيحي – وضع خطةً لخلاص الإنسان من أجل عودة الإنسان مرة أخرى إلى الجنة. تتلخص خطةُ الخلاص (Salvation Plan) المسيحية في الجملة التي قالها الله للحية (الشيطان) في نفس القصة التوراتية: "هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ (أي: المسيح يَسْحَقُ رَأْسَ الشيطان)" (التكوين 15:3)؛ وبما أن الشيطان هو سبب الخطيَّة التي أدت إلى الموت، فإن هذه الآية التوراتية يمكن أن تُفسَّر بمعنى أن المسيح يَسْحَقُ الخطيَّة أو يَسْحَقُ الموت نفسه. ومن ثم، اكتملت خطةُ الخلاص المسيحية في موت المسيح البار – "آدم الثاني" (Second Adam) أو "آدم الجديد" (New Adam) أو "آدم الأخير" (Last Adam) (1 كورنثوس 20:15-49) (رومية 12:5-21) – على الصليب نيابةً عنا وبدلاً منا وفداءً لنا ككَفَّارَة لمغفرة خطايانا، ثم قيامة المسيح مِن الأموات، فصارت قيامته عربوناً لقيامتنا بل ودليلاً يضمن قيامتنا (خلاصنا) جميعاً من الموت: "قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ. فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ (هو: آدم)، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا (هو: يسوع المسيح) قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ. لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ [الثاني]" (1 كورنثوس 20:15-23). "فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ»[3337]. «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟»[3338]. أَمَّا شَوْكَةُ الْمَوْتِ [التي تنقل السم كالعقرب] فَهِيَ الْخَطِيَّةُ (أي: الخطيئة وضعتنا تحت سلطان الموت)، وَقُوَّةُ الْخَطِيَّةِ هِيَ النَّامُوسُ (أي: شريعة الله تعطي الخطيئة قوتها لأنها تكشف

خطيئتنا وتديننا بسببها وتحكم علينا بها). وَلكِنْ شُكْرًا ِللهِ الَّذِي يُعْطِينَا [بنعمته] الْغَلَبَةَ (أي: الانتصار) بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ (أي: بالإيمان بالفداء والخلاص الذي حققه يسوع المسيح ابن الله بموته وقيامته)" (1 كورنثوس 15:54-57). فبنعمة الله من خلال الإيمان بالفادي والمخلص يسوع المسيح، ينتصر الإنسانُ على عدويه اللدودين وَهُما الْخَطِيَّة والموت، أي: ينتصر الإنسانُ على الموت الأبدي الذي يستحقه بسبب خطاياه، فيحيا بموت المسيح الفادي وقيامته حياةً أبدية مع الله، كما كان آدم يحيا في شركة عظيمة وكاملة مع الله قبل أن يسقط في الخطيئة بسبب الشيطان. أو كما قال يسوع المسيح: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (الرؤيا 2:7)؛ وتقول دائرة المعارف الكتابية تعليقاً على هذه الآية (الرؤيا 2:7): "إشارة واضحة إلى رد الإنسان إلى مكان الراحة والسلام والشركة مع الله التي فقدها آدمُ وحواء بالسقوط، فطُردَا مِن "جنة عدن" ومعناها "جنة المسرة" (التكوين 3:24)"[3339]. ويقول سفر الرؤيا أيضاً: "«هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ»" (الرؤيا 21:3-4).

وبعد انتصارنا في المسيح على عدوينا اللدودين وَهُما الخطية والموت، لم نعد نحتاج شريعة العهد القديم (الناموس؛ الأوامر والنواهي؛ افعل ولا تفعل). يقول الأب متى المسكين: "الله [الذي أنزل الناموسَ هُو هُو نفسه الذي] استطاع أن يوقف عمل الناموس وينهي على زمن الوصايا بفديته العظمى هكذا: كانت قوة الناموس وقوة الوصايا هي في **الأحكام على الخطية**، أي أن الناموس والوصايا كانت قائمة على أساس الأحكام على الخطايا (يقصد: إن لم تفعل ما أمرك اللهُ به أو فعلتَ ما نهاك عنه ستُلعن وتموت). فَلِكَيْ ينهي اللهُ على الناموس وعلى الوصايا نهائياً **ألغى الخطايا كلها** بل وألغى طبيعة الخطية وقوتها التي هي قوة الناموس ففقد الناموس قوته وفقدت الوصايا قوتها أي عملها نهائياً وبالتالي وجودها. ولكن كيف يلغي اللهُ الخطايا بل ويلغي طبيعة "الخطية" ذاتها؟ معروف أن كل مَنْ يعمل الخطية يموت[3340]، فقوة الخطية التي جعلت لها رَعْبَةً وشأناً ووجوداً هي عقوبة **"الموت"** باعتباره عقوبة الخطية الحتمي. فإذا ألغى اللهُ عقوبة الموت أُلغيت الخطية حتماً، وبالتالي أُلغيت كل أحكام الناموس، وبالتالي يكون قد فقد الناموس ضرورته وبالتالي فقد وجوده دون أن تُمس هيبة كلمة الله! هكذا أرسل اللهُ ابنَه [يسوع المسيح ليُصلَب ويموت] – كخاطئ بل وكخطية – [...]، ثم [...] يقوم من الموت دائساً سلطانه ومعه الإنسان غالباً الموت وكل علاقة بين الخطية والموت، ففقدت الخطية سلطانها بالموت وبالتالي فقدت قيمتها نهائياً، وفقد الموت سلطانه الذي استمده من الخطية وبالتالي فقد قيمته نهائياً: "وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ **الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ:** «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ». «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» **أَمَّا شَوْكَةُ الْمَوْتِ فَهِيَ الْخَطِيَّةُ، وَقُوَّةُ الْخَطِيَّةِ هِيَ النَّامُوسُ**" (1 كورنثوس 15:54-56). أما **"الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ"** التي اقتبس منها ق. بولس آيته هذه الذهبية التي تحوي سر الخلاص فهي من هوشع النبي: «مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ **أَفْدِيهِمْ. مِنَ الْمَوْتِ** أُخَلِّصُهُمْ. أَيْنَ أَوْبَاؤُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ شَوْكَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟ تَخْتَفِي النَّدَامَةُ عَنْ عَيْنَيَّ» (هوشع 13:14). وتأتي في النسخة

السبعينية بوضوح أكثر هكذا: «سوف أُخَلِّصُهُمْ مِنْ سلطان الْهَاوِيَةِ وأَفْدِيهِمْ مِنَ الْمَوْتِ. [أَيْنَ] عقوبتك (مسببك) يَا مَوْتُ؟ وأنت يَا هَاوِيَةُ أَيْنَ لسعتك (لسعة الموت للعقرب) [...]». ويُلاحِظ القارئ هنا في هوشع أو في كورنثوس الأولى كيف يركِّز النبي وبالتالي ق. بولس على الخطية دون الخاطئ، ومن هذا المنظور والمنطوق رأينا ق. بولس يقول: عن المسيح إنه صار «**خطية**» لأجلنا في الوضع المطلق[3341]. وبهذا المعنى لا يكون المسيح قد فدى الخاطئ من الخطية وحسب بل **وأنهى على الخطية ذاتها في طبيعتها القاتلة** (أي: أنهى على الخطية والموت)**!** فالإنسان في المسيح إذا أخطأ يسيء إلى محبة الله فقط ولكن لا يقع تحت حكم الموت. والإساءة إلى محبة الله يمكن علاجها بالاعتراف والندم والعودة إلى المحبة (أي: العودة إلى الله؛ التوبة): "إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (1 يوحنا 9:1)"[3342]. نعم، يَغْفِرَ اللهُ لَنَا جميعَ خَطَايَانا سواء كانت صغائر أم كبائر، وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ ذنبٍ مهما كان عظيماً. "اَلسَّهَوَاتُ مَنْ يَشْعُرُ بِهَا؟ مِنَ الْخَطَايَا الْمُسْتَتِرَةِ (أي: التي أفعلها بدون إدراك) أَبْرِئْنِي. أَيْضًا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ (أو: الكبائر؛ الخطايا التي أفعلها عن عمد) احْفَظْ عَبْدَكَ فَلاَ يَتَسَلَّطُوا عَلَيَّ. حِينَئِذٍ أَكُونُ كَامِلاً وَأَتَبَرَّأُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ" (المزامير 19:12-13).

إذن: إذا كان آدم (أول شخصية كتابية) يعبر عن خطايا البشر ودينونتهم وموتهم، فإن يسوع المسيح (آدم الثاني / الجديد / الأخير، أهم شخصية كتابية) يعبر عن تبرير المؤمنين التائبين وخلاصهم وحياتهم الأبدية. "فَإِذًا كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ (أي: خطية آدم) صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ، هكَذَا بِبِرّ وَاحِدٍ (أي: بر المسيح) صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ (أي: ليس اليهود فقط)، لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا. وَأَمَّا النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيَّةُ (أي: تزداد معرفة الإنسان ببشاعة الخطايا الكثيرة والمتنوعة التي يرتكبها). وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ [وأدرك الإنسانُ أنه عاجز عن الالتزام بتطبيق كل أحكام الشريعة] ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا. حَتَّى كَمَا مَلَكَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْمَوْتِ، هكَذَا تَمْلِكُ النِّعْمَةُ بِالْبِرّ، لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا" (رومية 5:18-21)[3343]. "فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ" (رومية 6:14). إذن: التوراة كانت مجرد خطوة على طريق الخلاص. أما المسيح فهو الطريق نفسه (الصراط المستقيم). قال يسوع المسيح: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ (The Way) وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ (أي: إلى الله) إِلاَّ بِي" (يوحنا 14:6) "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ" (يوحنا 11:25-26).

هذا باختصار شديد ما يُعرَف في الفكر المسيحي باسم عقيدة الفداء (Redemption) والخلاص (Salvation) والتي يمكن تلخيصها أيضاً كما يلي: "فلولا محبة الله لكان قد وقع على الإنسان الموتُ لحظة سقوطه، ولكنه فى محبته ورحمته اكتفى بطرده من الجنة إذ أصبح غير مستحق لها ودبر الفداء لإنقاذه (أي: لخلاصه)"[3344]. وأحياناً تُسمَّى عقيدة "الموت الفدائي" (Redemptive Death) أو "الموت الكفَّاري"

أو "الموت النيابي" (Vicarious Atonement) (Atoning, Substitutionary Death) بمعنى أن المسيح قَدَّم نفسَه ذبيحةً ومات على الصليب فداءً لنا وبدلاً منا ونيابةً عنا فدفع بنفسه جزاءَ خطايانا كلها بالكامل ليكفِّر عنها ويهدينا الخلاص (الحياة الأبدية) ويعيد إلينا الخلود الذي فقده الإنسان (آدم) بسبب خطيئته. يسوع المسيح نفسه قال إنه "لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً [عِوَضًا] عَنْ كَثِيرِينَ" (متى 28:20).

فإذا كان الخلاص هو الهدف، فإن فداء المسيح لنا بموته الفدائي الكَفَّاري النيابي على الصليب هو الوسيلة الوحيدة التي تحقق هذا الهدف. "لأَنَّ هذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهِ، الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ. لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ (هو: الله الواحد الأحد الذي لا شريك له) وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: [هو] الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (1 تيموثاوس 2:3-6). "اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا. فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ! لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ! وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا بِاللهِ، بِرَبِّنَا (أي: بِفَضْلِ رَبِّنَا؛ بواسطة سيدنا) يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي نِلْنَا بِهِ الآنَ الْمُصَالَحَةَ" (رومية 5:8-11). "يَسُوع الْمَسِيح النَّاصِرِيّ [...] الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ [...] الَّذِي صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أعمال الرسل 10:4-12). ولذلك قال يَسُوعُ المسيح: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ [الوحيد] وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ (أي: إلى الله) إِلاَّ بِي" (يوحنا 6:14).

إذن: قيامة المسيح هي التي تعطي قيمة خلاصية لموته الفدائي. "لأن القيامة تثبت – أول كل شيء – أن موته كان موت وسيط الخلاص الذي فدانا من الدينونة ... لقد تمت الكَفَّارَة موضوعياً بموت المسيح، ولكن تخصيص فاعليتها للتبرير، لا يمكن إلا إذا آمنا بالقيمة الخلاصية لموته، ويمكننا أن نصل إلى الإيمان بهذا، لأنه قد وضع عليه ختم القيامة"[3345]. فلولا القيامة – ولولا قيامة المسيح بصفة خاصة – لصارت الديانة المسيحية بلا أي معنى. "فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ، وَنُوجَدُ نَحْنُ أَيْضًا شُهُودَ زُورٍ للهِ، لأَنَّنَا شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ وَهُوَ لَمْ يُقِمْهُ، إِنْ كَانَ الْمَوْتى لاَ يَقُومُونَ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتى لاَ يَقُومُونَ، فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ. وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ! [...] وَلكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ. فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ. لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ. [...] هكَذَا مَكْتُوبٌ أَيْضًا: «صَارَ آدَمُ، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً»، وَآدَمُ الأَخِيرُ (أي: يسوع المسيح) رُوحًا مُحْيِيًا. لكِنْ لَيْسَ الرُّوحَانِيُّ أَوَّلاً بَلِ الْحَيَوَانِيُّ، وَبَعْدَ ذلِكَ الرُّوحَانِيُّ. الإِنْسَانُ الأَوَّلُ (أي: آدم) مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ. الإِنْسَانُ الثَّانِي (أي: يسوع المسيح)، الرَّبُّ، مِنَ السَّمَاءِ. كَمَا هُوَ التُّرَابِيُّ هكَذَا التُّرَابِيُّونَ أَيْضًا، وَكَمَا هُوَ السَّمَاوِيُّ هكَذَا السَّمَاوِيُّونَ أَيْضًا. وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ (أي: كما أخذنا صُورَةَ جسد آدم في حياتنا على الأرض حتى الموت)،

سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ (أي: سنأخذ صُورَةَ جسد قيامة يسوع المسيح في قيامتنا مِن الموت)" (1 كورنثوس 15:13-49).

باختصار: "آدم" شخصية مهمة جداً في الديانة المسيحية، أهم بكثير من "آدم" في الديانة اليهودية. الديانة المسيحية هي التي سلطت الضوء على آدم، أو بالأحرى: سلطت الضوء على خطيئة آدم[3346]. بل ليس من المبالغة أن نقول إن أكثر قصة توراتية تناولها الكُتَّاب المسيحيون في كتاباتهم هي قصة سقوط الإنسان. ويعتمد الفكر المسيحي على طرد الإنسان (آدم) مِن الجنة ليؤكد ضرورة موت المسيح الكَفَّاري.

أما الفكر الإسلامي فلم يكتفِ بإنكار قيامة المسيح، بل اعتمد على توبة آدم لينفي موت المسيح الكَفَّاري، بل لينفي أي موت كفاري؛ فكل إنسان – حسب الفكر الإسلامي – مسئول عن نفسه فقط، ولا يموت إنسانٌ فداءً لخطيئة ارتكبها إنسانٌ آخر. ونلاحظ أن توبة آدم في القرآن كانت توبة بسيطة جداً، توبة بالكلمات فقط "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ [الربُّ] عَلَيْهِ" (البقرة 37)، ولم يُقدِّم آدمُ كَفَّارةً (atonement; penance) ولا حتى ذبيحةً (sacrifice) عن خطيئته. ونلاحظ أيضاً أن الفكر الإسلامي يعاني من تناقض. مِن ناحية، يعترف بطرد آدم من الجنة. ومِن ناحية أخرى، يقول إن آدم تاب وقَبِلَ اللهُ توبته! لكن لو كان آدم تاب وقَبِلَ اللهُ توبته، فلماذا طرده اللهُ من الجنة ولماذا لم يعيده إلى الجنة مرة أخرى؟! والأهم من ذلك، لماذا لم يعيد اللهُ نسلَ آدم إلى الجنة؟! كيف يسامح اللهُ آدمَ وحواء فوراً (immediately)، ومع ذلك يصر على عقابهما وعقاب ذريتهما ببقائنا جميعاً خارج الجنة إلى اليوم؟!

مما سبق يتضح أن فكرة توبة آدم فكرة مهمة جداً عند المسلمين، ليس فقط لأنها مذكورة في القرآن، ولكن أيضاً لأنها تهدم عقائد مسيحية كتابية أساسية. أو بعبارة أكثر دقة: لأن توبة آدم تُستخدَم مِن أجل هدم عقيدة الفداء والخلاص المسيحية الكتابية الأساسية.

فما هي جذور هذه الفكرة القرآنية غير الكتابية؟ ...

قد يُقال إن توبة آدم كانت مذكورة في آية مِن سفر التكوين ثم سقطت سهواً أو حُذِفت عمداً أثناء عملية "تحريف الكتاب المقدس" التي يزعمها المسلمون. الرد: أين الدليل؟ اعطونا مخطوطة قديمة واحدة لسفر التكوين تقول إن آدم تاب وقَبِلَ الله توبته. إن أقدم مخطوطات سفر التكوين – وهي مخطوطات البحر الميت – لا تذكر توبة آدم. ولم نجد هذه التوبة المزعومة فى الترجمة السبعينية (اليونانية) ولا فى التوراة السامرية ولا فى البشيطا (السريانية) ولا فى أى نسخة أو ترجمة لسفر التكوين. إنْ كانت آية "توبة آدم" قد سقطت سهواً مِن التوراة (كتاب الله) والإنجيل (كتاب الله)، فأين كان الله حين تسقط الآيات من كتبه؟! وإنْ كانت هذه الآية الوهمية قد حُذِفت عمداً، فلا يُعقَل أن يكون كل اليهود – بجميع طوائفهم – وكل المسيحيين – بجميع مذاهبهم – فى كل بقاع العالم القديم قد تحالفوا جميعاً مِن أجل حذف هذه الآية الوهمية مِن كل المخطوطات القديمة المكتوبة بكل اللغات! مستحيل. ثم إن فكرة "توبة آدم" أو عدم توبته لم تكن أصلاً فكرة مهمة عند اليهود قبل ظهور المسيحية، فلماذا يحرصون على حذفها عمداً من التوراة؟! وليس لليهود مصلحة في حذفها

بعد ظهور المسيحية. بالعكس، لهم مصلحة كبيرة في وجودها. فلو كانت "توبة آدم" مذكورة في التوراة، لحرص اليهودُ أشد الحرص على الحفاظ عليها لمواجهة المبشرين المسيحيين خصوم اليهود.

إذن: ما يُسمَّى بـ "توبة" آدم، أو الفكرة الخيالية الوهمية التي تدعي أن الله قد "تاب على آدم" (طه 122) (البقرة 37) ليس لها أي وجود في الكتاب المقدس بعهديه، بل هي تتعارض مع الكتاب المقدس.

السؤال الآن هو: مِن أين أتى أصحابُ القرآن بهذه الفكرة غير الكتابية؟ هل بوحي مِن الله؟ بكل تأكيد، لا. وإنما بوحي مِن البشر. ونبدأ أولاً بالتراث اليهودي المتأخر قبل الإسلام ...

4.6.3.9.1 جذور فكرة "توبة آدم" في التراث اليهودي المتأخر قبل الإسلام

نبدأ كلامنا بأن الله أراد أن يترك بابَ التوبة مفتوحاً أمام كل إنسان خاطي حتى آخر لحظة في حياته: "حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّير، بَلْ بِأَنْ يَرْجعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ (أي: يتوب) وَيَحْيَا. اِرْجِعُوا، ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الرَّدِيئَةِ!" (حزقيال 33:11)[3347]. ويقول السفر الأخير في العهد القديم العبري حسب الترتيب اليهودي (TANAKH): "فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ وَصَلَّوْا وَطَلَبُوا وَجْهِي، وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمِ الرَّدِيةِ فَإِنَّنِي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيَّتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ" (2 أخبار الأيام 14:7)[3348]. وفي ضوء هاتين الآيتين، نفهم أن التوبة (repentance) (بالعبرية: teshuvah) تعني الرجوع (returning)، رجوع الإنسان عن الخطيَّة، رجوع الإنسان إلى الله. ومِن ثم تغيير حقيقي وجذري داخلياً في القلب وخارجياً باللسان قولاً وبالجوارح عملاً **[⟵ طريق النجاة حسب خطة الخلاص الإسلامية (الأعراف 35) (طه 123) (البقرة 38)]**.

وكذلك نستنتج من هاتين الآيتين (حزقيال 33:11) (2 أخبار الأيام 14:7) ومن غيرهما[3349] أهمية التوبة في الديانة اليهودية. لكن المشكلة هي أننا لا نجد في التوراة توبةَ آدم – أول إنسان وأول خاطي! لحل هذه المشكلة، لجأ التراث اليهودي إلى عدة طرق[3350]، نذكر بعضها على سبيل المثال وليس الحصر.

فيما يتعلق بفكرة "توبة آدم" تحديداً، فإنّ هذه الفكرة لها جذور في كتاب المدراش اليهودي (Genesis Rabbah) الذي جُمِع في القرن الخامس بعد الميلاد، أي: قبل ظهور الإسلام[3351]. إذ يزعم هذا المدراش أن الله قد أعطى لآدم فرصةً للتوبة! ولنقرأ ما قاله العالِمُ الكبير (David Banon) المتخصص في الدراسات العبرية واليهودية في ثنايا تعليقه على قصة آدم والشجرة الْمُحَرَّمَة المذكورة في سورة البقرة[3352]:

> C'est une version un peu remaniée du chapitre 3 de la Genèse, dans laquelle un élément retient notre attention : le rôle dévolu au Démon. Cette identification du serpent au démon ou au Satan, selon les sources juives, ou celle qui souligne le repentir d'Adam et le pardon que lui accorde Dieu,

trouveraient leur origine ou sont l'écho de traditions postbibliques ou midrachiques. Ainsi le midrach insiste sur le fait que « le Saint béni soit-Il a ouvert la porte du repentir à Adam » (Genèse Rabba 21,6), […].

وباللغة الإنجليزية نجدها في الفقرة (21.6) مِن كتاب (Genesis Rabbah)[3353]:

"R. Abba b. Kahana said: This teaches that the Holy One, blessed be He, provided him (i.e. Adam) with an opportunity of repentance."

ويُفهَم من التراث اليهودي/المسيحي بصفة عامة أن هذه الفرصة هي استجواب الله لآدم: "أَيْنَ أَنْتَ؟" (التكوين 9:3). فاللهُ يعلم بكل تأكيد أين آدم وغير محتاج أن يسأل، لكنها كانت فرصة لآدم أن يعترف بخطيئته ويتوب، إلا أن آدم أضاع هذه الفرصة. و/أو استجواب الله لآدم: "هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟" (التكوين 11:3)، إلا أن آدم أضاع هذه الفرصة أيضاً ولم يتب، بل ألقى اللومَ على حواء "فَقَالَ آدَمُ [لله]: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ»" (التكوين 12:3)، مما يعني ضمنياً أنه يلوم الله لأنه هو الذي خلق له حواء! **[⟵ جعل القرآنُ آدمَ يغتنم هذه الفرص(ة) فيتوب، بل ويقبل اللهُ توبته! "اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ (أي: قَبِلَ اللهُ توبةَ آدم)" (طه 122) "فَتَابَ عَلَيْهِ" (البقرة 37)].**

وفي موضعٍ لاحق من نفس المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 22.13)[3354] نجد آدم يقابل ابنَه قايين (Cain؛ قابيل) بعد أن قَتَلَ أخاه هابيل (Abel)، فسأله آدمُ عن أخباره، فقال قايينُ: تبتُ وتصالحتُ [مع الله] (I repented and am reconciled)؛ يقصد أن توبته أنقذت حياته[3355]. وهذا المدراش يُعتبَر تحريفاً للتوراة، لأن قايين لم يتب، وإنما اعترف بذنبه فقط، "فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: «ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ" (التكوين 13:4). ولم يعترف بذنبه في الوقت المناسب حين أعطاه اللهُ فرصةً لكي يعترف ويتوب بإرادته الحرة ويطلب الغفران عندما سأله "أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟" (التكوين 9:4)، فأنكر قايينُ أولاً أنه قتل أخاه (التكوين 9:4)، ثُم جاء اعترافه بذنبه متأخراً جداً (التكوين 13:4) – بعد أن سدَّ اللهُ في وجهه باب النكران (التكوين 10:4) وأعلن عقابَه الإلهي (التكوين 4:11-12) – ومِن ثم لا يمكن أن يسامحه اللهُ. وبالفعل، لم يسامحه اللهُ، وإنما نفاه: "فَخَرَجَ قَايِينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ، وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ (Nod) (أي: أرض التيه)" (التكوين 16:4)، فعاش تائهاً شريداً طريداً هائماً في الأرض كل أيام حياته حتى مات في النهاية بدون أن يتوب.

المهم: نعود إلى المدراش. لمَّا رأى آدمُ أن توبة قايين نجحت، بدأ يبكي ويضرب وجهَه وقال: لم أعرف أن قوة التوبة عظيمة جداً (So great is the power of repentance, and I did not know) **[⟵ جعل القرآنُ آدمَ يعلم أن قوة التوبة عظيمة جداً فيتوب، بل ويقبل اللهُ توبته! "اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ (أي: قَبِلَ اللهُ توبةَ آدم)" (طه 122) "فَتَابَ عَلَيْهِ" (البقرة 37)].** ثم قام آدمُ وقال: "حَسَنٌ هُوَ الاعْتِرَافُ [بالذَّنبِ] لِلرَّبِّ" (It is a good thing to make confession unto the Lord) **[⟵ جعل القرآنُ**

آدمَ وحواء يعترفان بذنبهما لِلرَّبِّ: "قَالَا رَبَّنَا (Our Lord) ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا" (الأعراف 23)]. ومِن الجدير بالذكر أن الجملة التي قالها آدمُ حسب هذه الأسطورة اليهودية المدراشية هي أيضاً تحريف للآية الأولى من مزمور تسبيحة ليوم السبت: "حَسَنٌ هُوَ الْحَمْدُ (to give thanks; to praise) لِلرَّبِّ" (المزامير 1:92).

فَمِن المحتمل جداً أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه الأساطير اليهودية المدراشية بآياتها المحرَّفة لفظاً أو معنى، ومِن ثم جاءتهم فكرةُ اعتراف آدم بذنبه (الأعراف 23) وتوبته وقبول الله لتوبته (طه 122) (البقرة 37). بعبارة أخرى: هذه الأساطير اليهودية المدراشية وضعت بذرةَ فكرة "توبة آدم" في عقول الناس، ثم رعاها أصحابُ القرآن وكبَّروها وطوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً حتى صارت قرآناً يُتلَى على أنه كلام الله! مع أنه في الأصل مِن الإسرائيليات.

ننتقل إلى التلمود البابلي (Babylonian Talmud)، الذي جُمِع في القرن الخامس أو السادس الميلادي[3356][3357]، أي قبل ظهور الإسلام. يقول هذا التلمود (Abodah Zarah 8a)[3358] إن الإنسان الأول (أي: آدم) رأى ظلامَ الليل وقت الغروب. ويبدو أنها كانت أول مرة يرى آدمُ فيها الظلامَ، فظنَّ آدمُ أن هذا الظلام عقابٌ من الله لكل العالم بسببه (أي: بسبب خطيئة آدم)! فماذا كان رد فعل آدم؟ صام وصلّى لمدة ثمانية أيام (So he went and sat in a fast and in prayer for eight days).

ومِن المعلوم أن الصوم (بالعبرية: tzom؛ أو: ẓom) في التراث اليهودي – سواء الصوم الفردي أو الصوم الجماعي – يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاعتراف بالخطايا والندم عليها والتوبة عنها واسترحام الله ليغفرها. تقول دائرة المعارف الكتابية: "أما الصوم المرتبط بالعبادة – في الكتاب المقدس – فكثيراً ما كان مصحوباً بالحزن ولبس المسوح والرماد. ويبدو أن هذا النوع من التذلل له أساس سيكولوجي، وكأنه (أي: الإنسان الصائم) يقول لله: "أنا تائب نادم، ولست متعالياً أو متكبراً، فلا حاجة بك لإذلالي أكثر من ذلك". بل لعله يتضمن أيضاً استرحام الإله. [...] **مناسبات الصوم:** (أ) يَوْمُ الْكَفَّارَةِ (أي: لِلتَّكْفِيرِ عَنْ الإنسان الصائم مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاه) [...]. (ب) **وقت الشدة:** [...] (4) **وقت الندم والتوبة:** فقد كانت المصائب تعتبر دليلاً على غضب الله، فكان الندم والتوبة وسيلة الخلاص منها. فقد صام أَخْآبُ واتضع أمام الرب عندما أنذره إِيلِيَّا بالمصير الذي ينتظره لقتله نَابُوت الْيَزْرَعِيلِيّ (1 ملوك 27:21). كما كان الصوم الذي صامه بنو إسرائيل وعليهم مسوح وتراب في أيام عزرا تعبيراً عن الندم والتوبة (نحميا 1:9)"[3359].

ومن المعلوم أيضاً أن القرآن نفسه اعتبر الصومَ "كَفَّارَة" و "تَوْبَة" و "فِدْيَة" في مسائل متنوعة. مثلاً: "فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ" (المائدة 89)؛ "فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ" (النساء 92)؛ "فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ" (البقرة 196). وهذا خير دليل قرآني يثبت أن التراث اليهودي المرتبط بالصوم قد وصل إلى أصحاب القرآن.

إذن: مجرد أن يسمع أصحابُ القرآن أن آدم صام بعد أن أدرك تداعيات خطيئته، فهذا يعطيهم مفتاحاً (clue) جيداً جداً لاختلاق أسطورة أن آدم اعترف بذنبه وطلب الرحمة والمغفرة من الله (الأعراف 23) وأعلن توبته، بل وقَبِلَ اللهُ توبته (طه 122) (البقرة 37).

هذا عن توبة آدم. فماذا عن توبة حواء؟

بالنسبة لحواء، لجأ التراث اليهودي إلى التوراة نفسها التي تقول: "وَقَالَ [الرَّبُّ الإلهُ] لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ [...]»" (التكوين 16:3). كلمة "اشْتِيَاقُكِ" (بالعبرية: těšûqātēk) لها قراءة أخرى هي بالعبرية: těšûbātēk؛ أي: تحوُّلكِ (your turning) أو رجوعُكِ أو عَوْدَتُكِ (your return)[3360]. وبما أن التوبة (بالعبرية: teshuvah؛ أو: teshubah) تعني الرجوع (returning)، فإن (التكوين 16:3) قد تُفهَم على أنها دليل على "رجوع" حواء، أي: توبتها.

ومِن المؤكد أن هذه القراءة المختلفة لـ (التكوين 16:3) تسبق الإسلام. بل يبدو أنها قراءة قديمة جداً، إذ نجدها في الترجمة السبعينية اليونانية التي يرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، أي: قبل الإسلام بأكثر من 800 سنة! وتُترجَم أيضاً بنفس المعنى إلى "مَلاذُكِ" (your recourse)[3361].

وفي التوراة السريانية (البشيطا) وجدنا (التكوين 16:3) كالتالي: "وإلى بعلكِ تَنقادين" أو "وإلى بعلكِ تَلتفتين" (toward your husband shall be your turning)[3362].

أما الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد[3363]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة. فيقول لـ (التكوين 16:3): "تَلتفتين إلى بعلكِ (to your husband you will return) وهو يكون رأسك في التبرير كما في الخطيئة (whether to remain just or to sin; whether to exonerate or convict)"[3364].

وإنْ قلتم إن هذه القراءات والترجمات لـ (التكوين 16:3) لا تعني رجوع حواء (أي: توبتها) إلى الله، وإنما تعني رجوعها إلى زوجها آدم. فسنقول: بل إنها تعني رجوع حواء (أي: توبتها) إلى الله من خلال زوجها آدم، بدليل قول الترجوم: هو (أي: آدم) يكون رأسك في التبرير. أي أن آدم هو الذي سيقود حواءَ نحو التوبة إلى الله. وهذا ما سنجده في مصادر يهودية أخرى كما سنرى بعد قليل.

يقول (Prof. James L. Kugel) تعليقاً على هذا التقليد اليهودي[3365]:

> Now, "turning" was the ordinary Hebrew word for repentance. So it must have seemed that the whole point of this verse (if understood as "turning") was that Eve had been *unrepentant* when she was reproached by God

[and hence given an opportunity of repentance] in the opening words of Gen. 3:16 (“I will greatly multiply your pain and pregnancy”). Unlike her husband, she showed no remorse. As a result, she was then *further* sentenced to the pains of childbirth, with the additional stipulation that, having failed to show repentance to God, her “turning” would now be mediated through her husband. Gary Anderson has argued that such an interpretation underlies the “penitence narrative” in various versions of the *Life of Adam and Eve* (Anderson, “The Penitence Narrative”).

وهذا بالفعل ما نجده في كتاب آدم وحواء (Life of Adam and Eve): آدم هو الذي دعا حواءَ وقادها (أي: ساقها) نحو التوبة إلى الله.

فننتقل الآن إلى هذا الكتاب المهم من كتب التراث اليهودي وهو كتاب آدم وحواء في مخطوطه اللاتيني (أو: الترجمة اللاتينية) لقصة حياة آدم وحواء (The Latin Life of Adam and Eve) الذي يرجع تاريخُه إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي[3366]، ويُعرَف أيضاً بِاسْمِ (Vita Adae et Evae) أو اختصاراً بِاسْمِ (Vita). وهو نفس الكتاب اليهودي السوديبِجرافي الخرافي الذي حكى أسطورةَ "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس أبى واستكبر" التي تسللت إلى القرآن.

يقول هذا الكتاب اليهودي السوديبِجرافي الخرافي[3367] إنه بعد خروج آدم وحواء من الجنة، اكتشفا أن الحياة صعبة خارج الجنة، ولمَّا جاعا بحثا عن طعامٍ يأكلانه فلم يجدا، فقررا أن يتوبا "توبةً كبيرة". قال آدم لحواء: "[...] مِن العدل والموافق لنا أن نتأوه تحت نظر الله الذي صنعنا. لنقدم توبة كبيرة (repent with a great penitence)، ربما يعطف علينا الرب الإله ويشفق، ويمنحنا ما نحتاجه لنعيش" (3:4). فقالت حواء لآدم: "قل لي، يا سيدي، أي توبة وأي نوع من التوبة يجب أن أعمل، [...]" (1:5). ونلاحظ هنا أن هذا الكتاب اليهودي السوديبِجرافي جعل توبةَ آدم بعد خروجه من الجنة [**← أما القرآن فوضع توبةَ آدم وقبولها (طه 122) قبل خروجه من الجنة (طه 123)! "وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ. قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا" (طه 121-123)! وكذلك في رواية سورة الأعراف، وضع القرآنُ اعترافَ آدم وحواء بالذنب وطلبهما الرحمة والمغفرة (الأعراف 23) قبل الأمر بهبوطهما من الجنة (الأعراف 24)! فوقع القرآنُ في تناقض: لو كان آدم اعترف بذنبه وطلب الرحمة والمغفرة وتاب وهو لا يزال في الجنة وقَبِلَ اللهُ توبته، فلماذا طرده اللهُ من الجنة ولماذا لم يعيده إلى الجنة مرة أخرى؟! والأهم من ذلك، لماذا لم يعيد اللهُ نسلَ آدم إلى الجنة؟! كيف يسامح اللهُ آدمَ وحواء فوراً (immediately)، ومع ذلك يصر على عقابهما وعقاب ذريتهما ببقائنا جميعاً خارج الجنة إلى اليوم؟!**].

هذا بالإضافة إلى أن توبة آدم وحواء حسب هذا الكتاب اليهودي السوديبِجرافي كانت بالفعل "توبة كبيرة": آدم سيصوم عن الأكل 40 يوماً تائباً واقفاً على حجر في مياه نهر الأردن حتى عنقه، وحواء ستصوم عن الكلام[3368] 37 يوماً تائبةً واقفةً على حجر في مياه نهر دجلة حتى عنقها (6:1-3؛ 7:1)، كما اعترف آدمُ بذنبه (8:2)، بل اعترف بذنبهما (6:2) **[⟵ جعل القرآنُ توبةَ آدم وحواء توبة بسيطة جدا! مجرد "كلمات" تُقال باللسان! "فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة 37). قيل إنـها الكلمات التي قالها آدمُ وحواء اعترافاً بذنبهما وطلباً للمغفرة والرحمة الإلهية "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23)]**.

ليس هذا فحسب، بل يقدم لنا هذا الكتاب اليهودي السوديبِجرافي ما قد يكون سبباً منطقياً لعدم قبول توبة آدم وحواء: لأن الشيطان إبليس خدع حواءَ مرة ثانية وظهر لها بعد 18 يوماً (أي: بعد أقل من نصف المدة) ظهر لها في صورة ملاك مُضيء[3369] وأوهمها أن الله قَبِلَ توبتهما فلا داعي أن تكمل صومها بل يمكنها أن تخرج من الماء، فصدّقته حواءُ وخرجت من الماء! وحين خرجت حواءُ من الماء سقطت على الأرض، فأنـهضها إبليسُ واقتادها إلى آدم. فحين رآها آدم هي والشيطان، بكى دامعاً وقال: "يا حواء، يا حواء! أين هو عمل توبتك؟ كيف خدعك مرة ثانية عدوُّنا [الشيطانُ إبليسُ] الذي به حُرمنا من السكن في الفردوس ومن الفرح الروحي؟" (10:2-4). غير أن آدم ثبت أربعين يوماً واقفاً، تائباً في مياه نهر الأردن (17:3).

وبعد ذلك، يستمر هذا الكتاب اليهودي السوديبِجرافي في ذِكر حياة آدم وحواء على الأرض، مثل مقتل هابيل بيد أخيه قايين (قابيل) **[⟵ "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (الأعراف 24) (طه 123) (البقرة 36)؛ إذا فُسِّرَتْ بمعنى العداوة بين البشر بني آدم في الدنيا]** ومعاناة آدم وحواء ومرض آدم قبل وفاته واعتراف حواء بذنبها – قالت لله: "أنا التي خطئت" وقالت لآدم: "عاقبة الذنب جاءت مني إليك" (35:2-3) **[⟵ "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا" (الأعراف 23)]** وطلبها من الله أن يشفق على آدم في آلامه **[⟵ "وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23)]** ثم موت آدم.

وأخيراً أشفق اللهُ على آدم ورحمه بعد موته، فامتدت يدُ الله لترفع آدمَ وتعطيه إلى المَلَك "مِيكَائيل" (Michael) قائلاً: "ليكن [آدمَ] في حمايتك حتى يوم إعطاء العقاب في الأيام الأخيرة (أي: يوم الحساب؛ اليوم الآخر) حين أعود في حزنٍ وفي فرحٍ (أو: عندما أحول حزنَه إلى فرح). عندئذٍ يجلس [آدمُ] على عرش ولا يُزاح عنه (أو: يجلس على عرشه الذي كان قد أزيح عنه)" (47:2)، ويُفهَم من ذلك أن حزن آدم سيتحول إلى فرح في يوم القيامة. ثم أرسل اللهُ مَلَكَيْنِ **[⟵ "مَلَكَيْنِ" (الأعراف 20)؟]** ليشرفا على دفن آدم. ولمَّا أدركت حواءُ أنها أيضاً ستموت، بسطت يديها إلى السماء وصلّت وحنت ركبتيها على الأرض، وسجدت للرب وشكرته وأسلمت الروح (50:3). فدفنها كلُّ أبنائها وَهُمْ يبكون بكاء عظيماً، فظهر لهم المَلَكُ مِيكَائيل وقال لأحدهم: "لا تُطل البكاءَ على ميتك أكثر من ستة أيام، لأن اليوم السابع هو علامة القيامة (Resurrection)، راحة الأجيال الآتية، وفي اليوم السابع استراح الرب من كل أعماله" (51:2). وقد

يعني ذلك أن الله سيرحم حواءَ أيضاً يوم القيامة [← **أشار صاحبُ رواية سورة طه أيضاً إلى يوم القيامة، "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ" (طه 123-124). وكذلك نجد إشارات إلى يوم القيامة في روايتي سورتي الأعراف والبقرة، مثل البعث "تُخْرَجُونَ [مِن الأرض] (أي: تُبْعَثُونَ)" (الأعراف 25) والحساب والجزاء للكافرين "النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (أي: نار جهنم)" (البقرة 39) (الأعراف 36)**].

ننتقل الآن إلى المخطوط اليوناني (أو: الترجمة اليونانية) لقصة حياة آدم وحواء (The Greek Life of Adam and Eve) الذي يرجع تاريخُه أيضاً إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي كما قلنا، وقيل القرن الثاني الميلادي[3370]، ويُعرَف بإسْمِ آخر مصطنع هو "رؤيا موسى" (Apocalypse of Moses)، أي: رؤيا موسى النبي عن آدم. يقدم المخطوط اليوناني روايةً أخرى بديلة لقصة توبة آدم تختلف عن تلك الرواية التي يقدمها المخطوط اللاتيني لنفس القصة. مما يدل على وجود روايات كثيرة مختلفة لنفس قصة توبة آدم في القرون الأولى للميلاد. وهذا يؤكد أن الروايات القرآنية الثلاث في سور الأعراف وطه والبقرة مجرد روايات مختلفة مِن بين روايات كثيرة مختلفة لنفس قصة توبة آدم التي انتشرت في الشرق الأوسط القديم في القرون الأولى للميلاد.

ومِن حُسن الحظ أن الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) قد لخّص أهم ما جاء في هذا المخطوط اليوناني، موضحاً علاقته بالقرآن وبخاصة رواية سورة الأعراف (Q 7)، فقال[3371]:

> Genesis makes no mention of Adam repenting. Some sources understand God's question "where are you?" in Genesis 3:9 as granting Adam the opportunity to repent. Adam, however, chooses to blame Eve rather than confess; […]. Some post-Biblical retellings do describe Adam's repentance, but this usually takes place outside Paradise long after the sin and there is no immediate acceptance on God's part; see *Genesis Rabba* 22.13 (Adam learns repentance from Cain), BT *Erubin* 18b, BT *Aboda Zara* 8a, *PRE* 20. In the Latin *Life of Adam and Eve* 4-8 Adam and Eve are led to repentance after searching for food outside Paradise for several days and finding none. The closest parallel to the Quran that I have found is in the Greek *Life of Adam and Eve* 27-29, where after God orders the angels to cast Adam and Eve out of Paradise, Adam begs God's

forgiveness, admitting his sin. God then tells the angels to continue driving Adam out and tells Adam that he is no longer allowed to be in Paradise. Adam then asks to eat from the Tree of Life before he is cast out and again God denies his request, adding that if he guards himself from all evil outside Paradise he will be raised in the resurrection and will be given to eat from the Tree of Life. Adam receives God's mercy only after he dies ([Greek *Life of Adam and Eve*] 33-37); *OTP*, 2:285 and 289-291. In light of the general affinity between the Quran and the *Life of Adam and Eve* it seems likely that Q 7 reflects the same sort of cool response to Adam's plea of mercy.

أما التفاصيل فنجدها في مراجع سوديبجرافا العهد القديم(3372). وحرصاً على عدم الإطالة سنكتفي بأهم الأحداث التي ذكرها هذا المخطوط اليوناني على لسان حواء بعد وقوعها هي وآدم في الخطيئة. قالت حواءُ إن الله أخبر آدمَ بما سيلاقيه مِن تعب وضيقات ومرارة على الأرض (4-1:24)، وكذلك أخبرها اللهُ بما ستلاقيه هي مِن أوجاع وآلام لا تُحتمل (4-1:25)، ثم أكملت حواءُ كلامَها فقالت: "ولمّا قال اللهُ هذا، أمر ملائكته بأن يطردونا من الفردوس. وإذا كانوا يطردوننا ونحن ننتحب، توسّل أبوكم آدم إلى الملائكة قائلاً: "اسمحوا لي أن أتوسّل إلى الله لكي يتحنّن عليّ ويرحمني، لأني أنا وحدي خطئت (I alone have sinned)(3373)". فتوقفوا عن طرده. فصرخ آدمُ وهو يطلق التنهدات: "اغفر لي، يا رب، ما صنعت"" (3-1:27). إذن: حسب هذا المخطوط اليوناني، صدر أمرُ الطرد/الهبوط أولاً، ثم بدأت الملائكة في تنفيذ هذا الأمر الإلهي، فاعترف آدمُ بخطيئته وطلب الرحمة والمغفرة من الله وهو لا يزال في الفردوس أو على عَتَبَةِ الْبَابِ إن صح التعبير **[← اقرأ رواية سورة الأعراف: آدم وحواء اعترفا بخطيئتهما "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا" (الأعراف 23) وطلبا الرحمة والمغفرة من الله "وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23) وَهُمَا لا يزالا في الجنة، بدليل أن أمر الهبوط لم يصدر إلا بعد ذلك "قَالَ [اللهُ] اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ" (الأعراف 24). إلا أن صاحب رواية سورة الأعراف لم يلتزم التزاماً كاملاً بترتيب الأحداث حسب هذا المخطوط اليوناني، فوضع اعترافَ آدم بخطيئته وطلبه الرحمة والمغفرة قبل أمر الهبوط! وكذلك في رواية سورة طه التي زادت على ذلك أن آدم تاب وقَبِلَ اللهُ توبته (طه 122) قبل خروجه من الجنة (طه 123)! فوقعت في تناقض كبير كما شرحنا]**. أما في هذا المخطوط اليوناني، فنجد أن الله رفض طِلْبَةَ آدم، ولم يغفر له خطيئته، وأصر على طرد آدم من الفردوس وقال لآدم: "لن أتركك بعد الآن في الفردوس" (1:28). فطلب آدمُ طِلْبَةً ثانية من الله، قال: "أَعْطِنِي يا ربّ مِن شجرة الحياة فآكل منها قبل أن أُطرد" (2:28). فرفض اللهُ هذه الطلبة الثانية أيضاً؛ أو بعبارة أكثر دقة: رفضها الآن لكن أجَّل الموافقةَ عليها إلى يوم القيامة. قال اللهُ لآدم: "لن تأخذ منها (أي: مِن شجرة الحياة)

الآن. فقد أُمِرَ الْكَرُوبِيمُ وَلَهِيبُ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ بأن يحرساها بسببك، ليمنعاك من أن تذوقها فتصبح خالداً إلى الأبد. بل كذلك (أي: كونك مائتاً وغير خالد؛ خارج الفردوس) أنت لديك الحرب (أو: القتال) التي أشعلها الْعَدُوُّ (أي: الشيطانُ إبليس) فيك" (3:28) **[⟵ ذكرت الروايات القرآنية الثلاث هذه العداوة بين الشيطان وآدم: "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (الأعراف 24) "اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (طه 123) "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (البقرة 36)؛ إذا فُسِّرتْ بمعنى العداوة بين الشيطان وجنوده مِن ناحية وآدم وذريته مِن ناحيةٍ أخرى]**. ثم أكمل اللهُ كلامَه لآدم وأعطاه خطةَ الخلاص (Salvation Plan)، فقال: "لكن بعدما تخرج مِن الفردوس، إنْ حفظتَ نفسك مِن كل شر، فكما مقضي عليك بالموت (أو: مفضلاً الموت على الشر)، سوف أقيمك ثانيةً حين يأتي زمنُ القيامة (Resurrection)، وحينئذٍ يُعطَى لك من شجرة الحياة وتكون خالداً إلى الأبد" (4:28) **[⟵ خطة الخلاص الإسلامية في الروايات القرآنية الثلاث. طريق النجاة بالتقوى والأعمال الصالحة: "فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (الأعراف 35)؛ (طه 123). طريق الهلاك وذِكر يوم القيامة صراحةً: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ" (طه 124)؛ (الأعراف 36). ورواية سورة البقرة أيضاً تجمع بين طريقي النجاة والهلاك (البقرة 38-39) كما وضحنا في جدولٍ سابق]**. أما طِلْبَة آدم الثالثة والأخيرة فكانت أن يحمل معه طيوباً (أي: روائح حلوة؛ توابل مثل الكمون والقرفة وغيرهما) مِن الفردوس، فوافق اللهُ على هذه الطلبة. فأمر اللهُ أن يُسمَح لآدم بأن يأخذ طيوباً (fragrant herbs) وبذاراً (seeds) من أجل طعامه (5:29)[3374]. ولمَّا أخذها آدمُ، خرج من الفردوس، فسكن هو وحواء على الأرض (7:29). ونلاحظ هنا أن عَطِيَّةَ اللهِ لآدم وحواء قبيل خروجهما من الفردوس لم تكن "أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ" كما تقول التوراة (التكوين 21:3)، وإنما كانت عَطِيَّةً نباتية 100% بدون سفك دم أي حيوان في الفردوس **[⟵ راجع ما قلناه عن كلمة "رِيشًا" (الأعراف 26)!]**. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي نجد فيها القرآن والتراث اليهودي يختلفان عن التوراة بطرق متشابهة.

وبعد ذلك، يذكر هذا المخطوط اليوناني تفاصيل أخرى كثيرة تتعلق بموت آدم (31)، واعتراف حواء بخطيئتها (32). خَرَّت حواءُ ساجدةً وقالت "خطئتُ" (I have sinned) 9 مرات! ثم قالت: "وأنا في أصل كل خطيئة في الخليقة" (2:32) **[⟵ اعتراف آدم وحواء بخطيئتهما "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا" (الأعراف 23)]**. فجاءها رسولُ الإنسانية (the angel of humanity؛ المَلَكُ مِيكَائيل) وقال لها: "انهضي يا حواء مِن توبتك (from your repentance)، لأنه هوذا آدم زوجك قد خرج مِن جسده (يقصد: روحه/نفسه تركت جسده). انهضي وشاهدي روحَه محمولة (أو: صاعدة) لتقابل خالقه (أو: خالقها)" (3:32-4). فنهضت حواءُ ونظرت إلى السماء فرأت الملائكة تسجد أمام الله وتقول له: أيها "القدوس، اغفر له (أي: لآدم) لأنه صورتك وعملُ يديك المقدستين" (5:33) "اصْفَحْ عنه يا أب العالم، لأنه هو صورتك" (2:35). ثم نفخ ملاكٌ في البوق، فنهض جميعُ الملائكة وهتفوا قائلين: "مبارك مجد الرب بأعماله، لأنه رحم [آدمَ] خليقة يديه" (1:37-2). ثم مدّ اللهُ يده، فأخذ آدمَ وسلّمه إلى المَلَك مِيكَائيل قائلاً: "خذه إلى الفردوس (أو: ارفعه إلى

الفردوس، إلى السماء الثالثة)، واتركه هناك حتى اليوم العظيم الرهيب الذي فيه أحاسب العالم (أي: يوم الحساب؛ اليوم الآخر)" (5:37). فأخذ مِيكائيل آدمَ وتركه حيث قال اللهُ له. عندئذٍ أنشد جميعُ الملائكة نشيداً ملائكياً وَهُمْ متعجبون من الغفران الذي ناله آدمُ (6:37)[3375] **[⟵ "اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ (أي: قَبِلَ الله توبةَ آدم)" (طه 122) "فَتَابَ عَلَيْهِ" (البقرة 37)].**

بصراحة: على الرغم مِن كون كتاب حياة آدم وحواء – سواء في مخطوطه اليوناني أو اللاتيني – مجرد أسطورة من أساطير اليهود، إلا أنه منطقي أكثر من القرآن. لأن ذلك الكتاب اليهودي السوديبِجرافي جعل الله يقبل توبةَ آدم ويرحمه بعد موته، بل في يوم القيامة. وهذا يبرر عدم عودة آدم إلى الجنة فوراً، وأيضاً ينجح في التوفيق بين عدل الله وقداسته بضرورة معاقبة آدم على خطيئته وبين محبة الله ورحمته بالغفران والحياة الأبدية التي سينالها آدمُ يوم القيامة. أما القرآن فوضع اعترافَ آدم وحواء بخطيئتهما وطلبهما الرحمة والمغفرة (الأعراف 23) قبل الأمر بهبوطهما من الجنة (الأعراف 24)! بل وضع توبةَ آدم وقبولها (طه 122) قبل خروجه من الجنة (طه 123)! فوقع القرآنُ في تناقض كبير جداً: لو كان آدم اعترف بخطيئته وطلب الرحمة والمغفرة وتاب وهو لا يزال حياً في الجنة وقَبِلَ اللهُ توبته، فلماذا طرده اللهُ من الجنة ولماذا لم يعيده إلى الجنة مرة أخرى؟! والأهم من ذلك، لماذا لم يعيد اللهُ نسلَ آدم إلى الجنة؟! كيف يسامح اللهُ آدمَ وحواء فوراً (immediately)، ومع ذلك يصر على عقابهما وعقاب ذريتهما ببقائنا جميعاً خارج الجنة إلى اليوم؟! ولا نمل مِن تكرار هذه الأسئلة المحيرة التي تبحث عن إجابات مقنعة مؤيدة بالأدلة.

ثم يذكر المخطوط اليوناني بعد ذلك تفاصيل أخرى تتعلق بجنازة آدم ودفنه. أهم ما جاء فيها هو كلمات قالها اللهُ لآدم (أي: لجسده) يعده بأنه سيسترد مجدَه الذي فقده بسبب خطيئته: "آدم، لماذا فعلتَ ذلك؟ لو كنت حفظتَ وصيّتي، لما ابتهج الذين طرحوك في هذا المكان (هُمْ: الشيطان وملائكته الساقطون)! ومع ذلك، فإني أقول لك: إنني سوف أحوِّل فرحَهم إلى حزن وحزنَك إلى فرح، وعندما يتحول، فأنا سوف أقيمك في ملكوتك (أي: سلطانك؛ أو: حالتك الأصلية؛ مجدك السابق thy former glory) على عرش الذي خدعك (ربما يقصد: عرش الشيطان حين كان ملاكاً طاهراً قبل سقوطه) [...] حينئذ هو (أي: الشيطان) ذاته يُدان سوياً مع أولئك الذين أطاعوه (أي: الملائكة الساقطين) ويكونوا في حزن عظيم ويبكون، ناظرين جلوسك على عرشه الممجد (on his throne of glory)" (3-1:39).

ومرة أخرى، يذكر المخطوط اليوناني وعدَ الله لآدم بالقيامة، بل وعد الله لنا جميعاً بالقيامة. دعا اللهُ آدمَ قائلاً: "آدم، آدم"! فأجاب جسدُ آدم من تحت الأرض (أي: مِن القبر) وقال: "ها أنا، يا رب"! فقال الرَّبُّ له: "قلت لك إنك تراب وإلى تراب تعود. ومرة ثانية فإنني أعدك بالقيامة. فأنا سوف أقيمك [مِن الأموات] في اليوم الأخير في القيامة مع كل إنسان يكون من نسلك (أي: كل بني آدم)" (3-1:41) **[⟵ "قَالَ [الرَّبُّ لآدم وحواء وذريتهما:] فِيهَا (أي: في الأرض) تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ [وتُدفَنون] وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (أي: تُبعَثون)" (الأعراف 25)[3376]. لاحِظ أن دراستنا لجذور القرآن في أساطير اليهود – هنا: كتاب آدم وحواء –**

ساعدتنا على اكتشاف مِن أين جاءت عبارة "وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (أي: تُبعَثون)" (الأعراف 25) غير المذكورة في القصة التوراتية الأصلية. حقاً، لقد صدق مَن قال إن صاحب رواية سورة الأعراف كان على دراية جيدة جداً بالتراث اليهودي/المسيحي[3377].

فهل وعدُ الله لآدم ولذريته بالقيامة مِن الأموات – كما جاء في هذه الأسطورة اليهودية – هو "الكلمات" التي تلقاها آدمُ مِن الله: "فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة 37)؟ إذا كانت الإجابة نعم، فهذا يعني أن آدم تَلَقَّى تلك الكلمات الإلهية (الوعد الإلهي) بعد موته، وليس وهو حي في الجنة كما قال معظم المفسرين المسلمين. وكذلك قَبِلَ اللهُ توبةَ آدم ورحمه، ليس وهو حي في الجنة كما قال معظم المفسرين المسلمين، وإنما بعد موته بدليل قول القرآن قبلها "وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (أي: إلى وقت موتكم؛ وقيل: إلى قيام الساعة؛ أو: إلى انقطاع الدنيا)" (البقرة 36). وحينئذٍ يكون قبول توبة آدم له معنى، لأنه لن يتحقق عملياً إلا يوم القيامة حين يعود آدم إلى الجنة ممجداً معززاً مكرماً.

إن هذا التفسير المستوحى من الأسطورة اليهودية قد يساعد – ولو جزئياً – في حل مشكلة رواية سورة البقرة؛ بفرض أن صاحبها كرر أمر الهبوط مرة ثانية (البقرة 38) لعمل انكفاء كما شرحنا فيما سبق، أو ليستكمل القصةَ مرة أخرى مِن حيث تركها فلاَ بُدَّ من تكرار أمر الهبوط "اهْبِطُوا" (البقرة 38).

وهذا يدل على أن دراسة جذور القرآن في التراث اليهودي تساعد على فهم القرآن فهماً "صحيحاً"، أي: معرفة ما كان يدور في أذهان أصحاب القرآن وَهُمْ يؤلفون القرآن.

وإنه لمن المدهش أننا نلجأ إلى التراث اليهودي قبل الإسلام للمساعدة في حل مشكلات القرآن، مما يدل على أن مصادر القرآن موجودة بالفعل في هذا التراث البشري 100%.

أما مشكلة رواية سورة طه، فليس لها حل حتى الآن، لأنها تقول "وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ. قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا" (طه 121-123). وهذا تناقض كبير كما قلنا. لو كان اللهُ قَبِلَ توبةَ آدم وهو لا يزال حياً في الجنة (طه 122) فلماذا طرده مِن الجنة (طه 123)؟! وعلى الرغم مِن اتفاقنا مع مَن قال إن رواية سورة طه متناقضة ومنحرفة عن القصة التوراتية الأصلية[3378]، إلا أننا نتمنى أن نجد أسطورة يهودية (أو مسيحية) أخرى تحل مشكلة هذه الرواية القرآنية.

أما بالنسبة لرواية سورة الأعراف، فإنها لم تذكر توبةَ آدم أصلاً وبالتالي لم تذكر قبولها، وإنما اكتفت باعتراف آدم وحواء بخطيئتهما وطلبهما الرحمة والمغفرة فقط (الأعراف 23).

مما سبق يتضح أن فكرة "توبة آدم" لها جذور يهودية. ولا ندري السبب الذي جعل اليهود يبتكرون هذه الفكرة. طبعاً مِن السهل أن نلجأ إلى نظرية المؤامرة ونفترض سوء النية فنتهم اليهود أنهم أرادوا أن يهدموا عقيدة الفداء والخلاص المسيحية التي لا يؤمنون هُمْ بها؛ فعندما تقرأ كتابَ حياة آدم وحواء مثلاً تشعر

أنك تستطيع أن تنال الخلاص (الحياة الأبدية؛ القيامة) بدون فداء وبدون حتى ذبيحة تكفيريّة (expiatory sacrifice)[3379]! لكن مِن الممكن أيضاً أن نفترض حُسن النية ونقول إن هؤلاء اليهود أرادوا أن يؤكدوا على رحمة الله **[← "إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة 37)]** و/أو أرادوا أن يعطوا درساً أخلاقياً لكل إنسان أن يغتنم كل فرصة للتوبة.

بعبارة أخرى: فكرة "توبة آدم" كفكرة مجردة يمكن استخدامها استخداماً جيداً كدعوة إلى التوبة؛ ويمكن أيضاً استخدامها استخداماً سيئاً بتوظيفها لخدمة أجندة دينية معادية للمسيحية (anti-Christian) والترويج لفكرة أن التوبة هي مفتاح الخلاص ولا داعي لموت المسيح الكَفَّاري على الصليب وقيامته!

ونود هنا أن نؤكد أن المسيحية كديانة ليست ضد التوبة. بالعكس، توجد آيات كثيرة في الإنجيل تؤكد على أهمية التوبة بل وأولويتها على الإيمان. بل إن أول كلمة قالها يسوعُ المسيح في وعظه للناس هي: "تُوبُوا" (Repent). "ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ»" (متى 4:17). وكذلك في تكليفه الختامي للرسل بعد قيامته من الأموات، أمرهم يسوعُ أن يكرزوا أولاً بالتوبة من أجل مغفرة الخطايا في المنتهى. "وَقَالَ لَهُمْ [يسوع]: «هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ" (لوقا 24:46-47). ونذكر أيضاً آيات أخرى على سبيل المثال وليس الحصر: "إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ. [...] إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ" (لوقا 13:3-5)، "أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ. [...] هكَذَا، أَقُولُ لَكُمْ: يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ" (لوقا 15:7-10)، "فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ" (مرقس 1:15) "لأَعْمَال صَالِحَةٍ" (أفسس 2:10)، أي أن الأعمال الصالحة هي نتيجة وثمرة الإيمان الذي هو نتيجة وثمرة التوبة. فالتوبة هي رجوع الإنسان عن الخطيَّة كما قلنا؛ ثم الإيمان هو ارتباط قلب الإنسان بالله أو بالأحرى الرجوع إليه؛ ثم الأعمال الصالحة قولاً باللسان وفعلاً بالجوارح هي الثمرة المرجوة من التوبة والإيمان[3380] **[← طريق النجاة حسب خطة الخلاص الإسلامية (الأعراف 35) (طه 123) (البقرة 38). وكذلك في أربع آيات قرآنية أخرى "تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا" (طه 82) (مريم 60) (القصص 67) (الفرقان 70) بهذا الترتيب الدقيق (أولاً التوبة ثم الإيمان ثم الأعمال الصالحة) الذى يكاد يكون منقولاً مِن الإنجيل!]**. بعبارة أخرى: إذا كان الإنسانُ يسير في اتجاه الخطيَّة وأراد أن يخلص، فعليه أولاً أن يتوب أي: يغيّر اتجاهه 180 درجة فيبتعد عن الخطية ويرجع إلى الحياة مع إلهه الذي يؤمن به فيعمل أعمالاً صالحة تمجد إلهه. كما قال يسوع المسيح: "فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متى 5:16). أو كما قال يوحنا المعمدان (النبي يحيى بن زكريا في الإسلام): "فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ" (متى 3:8) (لوقا 3:8). وقال بولس الرسول: "فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا" (أعمال الرسل 17:30) "أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى اللهِ عَامِلِينَ أَعْمَالاً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ" (أعمال الرسل 26:20)، "لأَنَّ هذَا

حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهِ، الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ" (1 تيموثاوس 2:3-4). وقال يعقوبُ الرسول: "مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ [صالحة]، هَلْ يَقْدِرُ الإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟" (يعقوب 2:14). إن كل هذه الآيات الكتابية – على سبيل المثال وليس الحصر – تؤكد على أهمية التوبة أولاً قبل الإيمان والأعمال الصالحة.

وكذلك تؤكد المسيحية على أهمية الاعتراف بالذنوب وطلب الرحمة والمغفرة من الله. وخير دليل إنجيلي على ذلك هو مَثَل "الفريسي والْعَشَّار" (Parable of the Pharisee and the Tax Collector). "قَالَ [يسوعُ المسيح] لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الآخَرِينَ هذَا الْمَثَلَ: «إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ (يقصد: متدين متزمت متمسك بالكتاب (التوراة) والسُّنَّة (الشفوية)) وَالآخَرُ عَشَّارٌ (أي: مُحصِّل الضرائب؛ يقصد: ذو سمعة سيئة ومكروه من المجتمع). أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هكَذَا: اَللّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّارِ. [فأنا] أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ (أي: ليس ما أربحه فقط؛ يقصد: أدفع الزكاةَ وأكثر). وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ [تواضعاً وتضرعاً]، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ [علامة على المرارة أو الحزن أو الندم] قَائِلاً [بإيمان]: اللّهُمَّ ارْحَمْنِي (حرفياً: ارضَ عني؛ صالِحني)، أَنَا الْخَاطِئَ **[← آدم وحواء يعترفان بخطيئتهما ويطلبان الرحمةَ والمغفرة بإيمان: "قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23)]**. [فقال يسوعُ] أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا [الْعَشَّار الخاطي المعترف الذي لم يجد طوقَ نجاة إلا رحمة الله] نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا (أي: اعتبره اللهُ باراً؛ غُفِرَت خطاياه وحُسِبَ باراً، وهذا ليس بِره الشخصي وإنما البر الذي ينبع من الله بنعمته ورحمته) **[← اللهُ يقبل توبة آدم: "اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ" (طه 122) "فَتَابَ عَلَيْهِ" (البقرة 37)]** دُونَ ذَاكَ [الْفَرِّيسِيّ المؤمن المتشدد الذي افتخر بأعماله والتزامه بأداء الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة وأيضاً أداء النوافل]، لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ»" (لوقا 18:9-14). اقرأ أيضاً (1 يوحنا 1:8-10، 2:1-2).

إذن: المشكلة ليست في "توبة آدم" في حد ذاتها وإنما في طريقة توظيفها.

والدليل على ذلك هو أن فكرة "توبة آدم" لها أيضاً جذور في التراث المسيحي قبل الإسلام ...

4.6.3.9.2 جذور فكرة "توبة آدم" في التراث المسيحي قبل الإسلام

كما بدأنا كلامنا عن الجذور اليهودية بآية من العهد القديم (حزقيال 33:11)، نبدأ كلامنا عن الجذور المسيحية بآية من العهد الجديد وهي تعطي نفس المعنى تقريباً: "لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ (repentance)" (2 بطرس 3:9). "هذَا يَقُولُهُ الآمِينُ، الشَّاهِدُ الأَمِينُ الصَّادِقُ، بَدَاءَةُ[3381] خَلِيقَةِ اللهِ (أي: رئيس خَلِيقَةِ اللهِ؛ سيد

الخلق؛ والمقصود: المسيح): [...] تُبْ (repent). هأَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (الرؤيا 3:14-20).

وفيما يتعلق بتوبة آدم تحديداً، قال القديس "إيريناؤس" (Irenaeus) في القرن الثاني الميلادي في مؤلفه الشهير "ضد الهرطقات" (Against Heresies) (الكتاب الثالث، الفصل 23، الفقرتان الخامسة والسادسة)[3382] إن آدم خُدِعَ بالخلود (beguiled by another under the pretext of immortality) **[← "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120)]**. وأفقدته المعصيةُ ثوبَ القداسة (by disobedience lost that robe of sanctity) **[← "فَأَكَلَا مِنْهَا (أي: مِن شَجَرَةِ الْخُلْدِ) فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (طه 121)]**. فخاف آدمُ واختبأ من الله، بدليل قوله لله: "سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (التكوين 3:10)، مما يدل على أن آدم صار في حالة ارتباك لأنه تَعدَّى على وصية الله (in a state of confusion at having transgressed His command). واستدل إيريناؤس بقول الكتاب المقدس في سفر الأمثال: "مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ" (الأمثال 1:7) أو "بَدْءُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ" (الأمثال 9:10) (the fear of the Lord is the beginning of wisdom)؛ فيُفهَم من كلام إيريناؤس أن خوف آدم واختباءه مِن الله يدل على أنه عرف خطيئته وأدركها. وقال إيريناؤس إن إدراك الخطيئة يؤدي إلى التوبة (the sense of sin leads to repentance)، والله يعطي رحمتَه للتائبين (God bestows His compassion upon those who are penitent). وحسب إيريناؤس، فإن آدم أظهر توبتَه بسلوكه ([Adam] showed his repentance by his conduct)، وهو هنا يقصد: "فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ" (التكوين 3:7)، فكانت هذه المآزر مثل لجام يكبح شهوةَ نفسه وشهوة زوجته (a bridle of continence upon himself and his wife)، مما يدل على أن آدم يتواضع (thus humbling himself)[3383]. ويرى إيريناؤس أن آدم اختار أوراق التين بالذات لأنها تؤلم الجسد (irritated his body; gnaws and frets the body).

ونلاحظ هنا نقطتين مهمتين فيما يتعلق بتوبة آدم حسب إيريناؤس. أولاً: وضع إيريناؤس توبةَ آدم في مرحلة مبكرة جداً، بعد أكل آدم وحواء من الشجرة الْمُحَرَّمَة (التكوين 3:6) وإدراكهما "أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ" (التكوين 3:7). ثانياً: جعل إيريناؤس توبةَ آدم توبةً عملية، بالأفعال وليست بالأقوال، ليست "كَلِمَاتٍ" (البقرة 37) (الأعراف 23؟) وإنما تصرفات "فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ" (التكوين 3:7) **[← وهذا يتفق إلى حد ما مع رواية سورة طه: "فَأَكَلَا مِنْهَا (أي: من الشجرة الْمُحَرَّمَة) فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ" (طه 121). ولم تقل رواية سورة طه إن توبة آدم كانت "كلمات"، وإنما قالت: "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ" (طه 122). وبما أن الفعل الجيد الوحيد في (طه 121) هو: "وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ"، فلعل هذا هو المقصود من توبة آدم في**

هذه الرواية القرآنية؛ كما قال القديس إيريناؤس قبل الإسلام بمئات السنين. ولا نعتقد أن صاحب رواية سورة طه قد نقل من كتاب "ضد الهرطقات" مباشرةً، ولعله قد تأثر بواحدٍ من المعجبين بالقديس إيريناؤس في الشرق المسيحي. وقيل إن هذا حدث على الأرجح بالصدفة أو بدون قصد[3384]!].

أما فيما يتعلق برحمة الله (God's mercy)، فإن إيريناؤس يرى أنها تظهر في أن الله كَسَا آدم وحواء بأَقْمِصَةٍ مِنْ جِلْدٍ (tunics of skins): "وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا" (التكوين 3:21)[3385]. وهي بالفعل ملابس أكثر فعالية من أوراق التين[3386]. فلولا أن الله أعطى آدمَ تلك الأقمصة المصنوعة مِنْ جِلْدٍ قبل خروجه من الجنة، لظل آدمُ يحتفظ بمآزر أوراق التين إلى الأبد، وهكذا يتواضع. وتظهر رحمةُ الله أيضاً في استجوابه لهما (For this purpose, too, He interrogates them)؛ يقصد الأسئلة التي وجهها اللهُ لآدم وحواء دون الحيَّة (التكوين 3:9-13). ولقد تحدثنا كثيراً عن تلك الأسئلة فيما سبق، فلا داعي لتكرار ما قلناه. فنكتفي هنا بأن نقول إن الله لعن الحيَّةَ (الشيطان) (التكوين 3:14) لكنه لم يلعن آدمَ وحواء. لماذا؟ لأن باب التوبة والرحمة الإلهية مقفول أمام الشيطان لكنه مفتوح أمام آدم وحواء.

إلا أن كلام إيريناؤس يبدو متناقضاً، كما هو الحال بالضبط في رواية سورة طه: لو كان آدم تاب توبةً عملية (التكوين 3:7) **[⟵ "طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ" (طه 121)]**، ثم رحمه اللهُ (التكوين 3:21) **[⟵ "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ" (طه 122)]**، فلماذا طرده اللهُ من الجنة (التكوين 3:23-24) **[⟵ "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا" (طه 123)]**؟!

حلَّ إيريناؤس مشكلةَ هذا التناقض حلاً ذكياً: لأن الله أشفق على آدم! نعم. حسب إيريناؤس، طرد اللهُ آدمَ من الجنة لأنه أشفق عليه (because He pitied him). فلو كان آدم ظل في الجنة، لأكل من شجرة الحياة أيضاً ولظل حياً إلى الأبد (التكوين 3:22)، ومِن ثم لظل يخطئ إلى الأبد – يقصد: أخذ الطبيعة الخاطئة من شجرة معرفة الخير والشر وأخذ الحياة الأبدية من شجرة الحياة، ولصار الشر ليس له نهاية وليس له علاج (interminable and irremediable). والله لا يرضى لآدم بذلك. فوضع اللهُ حداً لخطايا آدم (He set a bound to his [state of] sin) عن طريق تدخل الموت (by interposing death)؛ أي: أن يموت آدم فتتوقف خطاياه (thus causing sin to cease). ولذلك لزم إبعاد آدم عن شجرة الحياة، أي: طرده من الجنة لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا (التكوين 3:23) حتى يموت في النهاية فتنتهي الخطيئة بتحلل الجسد (putting an end to it by the dissolution of the flesh)، لكي يبدأ الإنسانُ أن يحيا لله (so that man, ceasing at length to live to sin, and dying to it, might begin to live to God).

ما قاله القديس المسيحي إيريناؤس قد يساعد – ولو جزئياً – في حل مشكلة التناقض في رواية سورة طه: الله قَبِلَ توبةَ آدم (طه 122) ومع ذلك طرده من الجنة (طه 123) لأنه أشفق عليه من أن يعيش حياة

أبدية في الخطيّة، فأعطاه مخرجاً آخر. أن يعيش آدمُ/الإنسانُ على الأرض حياة مؤقتة في الخطيَّة حتى يموت تنفيذاً للعدل الإلهي: "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (التكوين 17:2)، ثم يقوم من الأموات – بنعمة الله ورحمته – ليحيا حياةً أبدية في الجنة[3387] **[← ذِكر "يَوْمَ الْقِيَامَةِ" صراحةً في خطة الخلاص الإسلامية حسب رواية سورة طه: "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ" (طه 123-124)]**.

وهذا يعود بنا مرة أخرى إلى نفس النتيجة التي وصلنا إليها من خلال دراستنا لكتاب آدم وحواء: رحمة الله بقبول توبة آدم لن تتحقق عملياً إلا بعد موت آدم، بل لن تتحقق عملياً إلا يوم القيامة حين يقوم آدمُ من الأموات فيعود ممجداً معززاً مكرماً إلى الجنة ليحيا حياةً أبدية مع الله وبالله.

وهذا يدل على أن دراسة جذور القرآن في التراث المسيحي تساعد على فهم القرآن فهماً "صحيحاً"، أي: معرفة ما كان يدور في أذهان أصحاب القرآن وَهُمْ يؤلفون القرآن.

وإنه لمن المدهش أننا نلجأ إلى التراث المسيحي قبل الإسلام للمساعدة في حل مشكلات القرآن، مما يدل على أن مصادر القرآن موجودة بالفعل في هذا التراث البشري 100%.

إلا أنه حل جزئي. لأننا لا نجد في رواية سورة طه إلا شجرة واحدة فقط سمَّاها الشيطانُ "شَجَرَةِ الْخُلْدِ" (طه 120). فلو كانت شَجَرَةِ الْخُلْدِ حقاً، وأكل آدمُ منها بالفعل (طه 121)، فلماذا لم يخلد؟ على صاحب رواية سورة طه والمؤمنين بها أن يجيبوا على هذا السؤال.

ننتقل الآن إلى ما قاله القديس المسيحي السرياني "أفراهاط" (Aphrahat) (Aphraates) (ت. حوالي 345م) في مقالته السابعة عن التائبين (Demonstration VII: On Penitents)[3388]:

> **7:8.** […] For when Adam had sinned, He (i.e. God) called him to repentance when He said to him: “Adam, where art thou?” (Gen. 3:8). And he, hiding his sin from Him who beholds the heart, laid the blame upon Eve who had deceived him. And because he did not confess his sin, death was decreed against him and against all his offspring.

فنلاحظ هنا أن أفراهاط وكأنه يلوم آدمَ على أنه لم يغتنم فرصةَ التوبة التي أعطاه اللهُ إياها ولم يعترف بخطيئته **[← جعل القرآنُ آدمَ يغتنم هذه الفرصة فيعترف بخطيئته ويطلب الرحمةَ والمغفرة "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23)، ويتوب، بل ويقبل اللهُ توبته "اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ (أي: قَبِلَ اللهُ توبةَ آدم)" (طه 122) "فَتَابَ عَلَيْهِ" (البقرة 37)]**.

وأخيراً قال القديس المسيحي "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (القرن الرابع الميلادي) في الفصل الثاني مِن تعليقه الشهير على سفر التكوين (Commentary on Genesis 2.24)[3389] إن صوت قَدَمَيْ الله "صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ" (التكوين 3:8) الذي سمعه آدمُ وحواء كان أول فرصة تعمّد اللهُ أن يعطيها لآدم وحواء لعلهما يتضرعا (to make supplication) أمامه. فلمَّا أضاع آدمُ وحواء هذه الفرصة، أعطاهما اللهُ فرصةً ثانية، لكن بصوت شفتيه، فقال لآدم: "أَيْنَ أَنْتَ؟" (التكوين 3:9). إلا أن آدم، بدلاً من أن يعترف بحماقته (يقصد: خطيئته التي تدل على حماقته) ويطلب الرحمة قبل أن يصدر الحكم عليه (But Adam, instead of confessing his folly and asking for mercy before the judgment came upon him)، قَالَ لله: "سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ [...]" (التكوين 3:10) **[← حقق صاحبُ رواية سورة الأعراف أمنيةَ أستاذه وأبيه الروحي القديس المسيحي إفرام السرياني وبنفس الترتيب الذي تمناه إفرام! اعترف آدمُ وحواء بخطيئتهما "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا" (الأعراف 23) وطلبا الرحمة والمغفرة من الله "وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23) قبل أن يصدر الحكم الإلهي عليهما "قَالَ [الله] اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ" (الأعراف 24)!]**. فهل نحتاج دليلاً آخر لنثبت أن القرآن كلام بشر؟! (الأعراف 23-24) مجرد فكرة بشرية قالها القديس المسيحي إفرام السرياني على سبيل لوم آدم أو توضيح ما كان ينبغي أن يفعله آدم، ثم تلقفها أصحابُ القرآن فجعلوا آدم يفعل ما كان ينبغي أن يفعله! والمسلمون اليوم يقرأون (الأعراف 23-24) في صلواتهم على أنها كلام الله، مع أنها أصلاً كلام القديس المسيحي إفرام السرياني. نفس الكلام بنفس الترتيب!

وإنْ قلتم إن إفرام لم يذكر كلمة "توبة" صراحةً، فسنقول: هذا صحيح حتى الآن. وهذا أيضاً صحيح بالنسبة لرواية سورة الأعراف التي لم تذكر كلمة "توبة" ولا كلمة "تاب".

إلا أن إفرام ألمح إلى التوبة بإشارة واضحة جداً. فلقد قال إفرام بعد ذلك إن صوت قَدَمَيْ الله (التكوين 3:8) الذي جاء قبل الحكم الإلهي (التكوين 3:14-19) رَمَزَ مسبقاً إلى صوت يُوحَنَّا الْمَعْمَدَان الذي سيأتي قبل الابن (أي: المسيح المخلِّص والديَّان) (prefigured the voice of John, who was to come before the Son). ومِن المعلوم أن يُوحَنَّا الْمَعْمَدَان (النبي يحيى بن زكريا في الإسلام) كان قبل المسيح يدعو إلى التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا "قَائِلاً: «تُوبُوا (Repent)، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ" (متى 3:2)[3390]. وقال يوحنا الْمَعْمَدَانُ أيضاً: "أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ (repentance)، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي (أي: يسوع المسيح) هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ [للمؤمنين فيجدد طبيعتهم] وَنَارٍ [لغير المؤمنين فتهلكهم[3391]]" (متى 3:11).

وكأن إفرام أراد أن يقول إن الله لا يمكن أن يعاقب إنساناً قبل أن يعطيه فرصةً لِكَيْ يتوب ويخلص. فكما نادى يوحنا المعمدان بالتوبة قبل خلاص المسيح ودينونته، كذلك أعطى اللهُ آدمَ فرصةً لِكَيْ يتوب قبل

الحُكم عليه. ومما يدل على أن هذا ما قصده إفرام هو أنه أشار إلى الآيةِ التي تلي (متى 11:3) مباشرةً: "الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ" (متى 12:3) حيث يتحدث يوحنا بلغةٍ رمزية فيشبّه المسيحَ بالفلاح "الَّذِي رَفْشُهُ (أي: المِذْرَى[3392]؛ winnowing fork؛ يقصد: صَلِيبُهُ) فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ (أي: ما حصده وجمعه في مكانٍ متسع بجوار الحقل يُسمَّى البيدر أو الجرن؛ يقصد: يوم الدينونة في نهاية العالم [← يوم الحساب؛ اليوم الآخر؛ يوم الحشر])، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ (يقصد: المؤمنين؛ الأبرار؛ الْمُخَلَّصِينَ المرتبطين بالمسيح ولذلك قال "قَمْحَهُ") إِلَى الْمَخْزَنِ (يقصد: مَلَكُوت السَّماوَاتِ)، وَأَمَّا التِّبْنُ (يقصد: غير المؤمنين؛ الأشرار؛ المدانين الْهَالِكِينَ المنفصلين عن المسيح ولذلك لم يقل "تبنه") فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ (أي: العذاب الأبدي في نار جهنم)" (متى 12:3) **[← خطة الخلاص الإسلامية بنفس ترتيب إنجيل متى[3393]. احتمالان لا ثالث لهما. أولاً طريق النجاة المؤدي إلى جنة الخلد: (الأعراف 35) (طه 123) (البقرة 38). ثم طريق الهلاك المؤدي إلى نار جهنم: (الأعراف 36) (طه 124) (البقرة 39)]**. إلا أن إفرام عكس الترتيبَ فوضع طريقَ الهلاك أولاً قبل طريق النجاة فقال: (burning the straw in fire and purifying the wheat to bring into His granaries)، ويبدو أن إفرام كان يكتب من الذاكرة، أو لعله تأثر بآيات أخرى من العهد الجديد تضع طريقَ الهلاك قبل طريق النجاة. مثلاً: "فَيَمْضِي هؤُلاَءِ (أي: الأشرار وغير المؤمنين) إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ [في نار جهنم] وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ [ونعيم أبدي في مَلَكُوت السَّماوَاتِ أي الوجود الدائم مع الله]" (متى 46:25)؛ "فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ" (1 كورنثوس 18:1) **[← وكذلك توجد آيات قرآنية أخرى تضع طريقَ الهلاك قبل طريق النجاة. مثلاً: "بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة 81-82)]**.

وبعد ذلك (Commentary on Genesis 2.25)[3394]، بدأ إفرامُ يتحدث وكأنه يوجّه نصيحةً لآدم ويقول له: تَكَلَّمْ إلى الله الآن، قبل أن يسألك عن مجيء الْحَيَّة وعن التعدّي (أي: الخطيئة) التي ارتكبتها أنت وحواء (Speak to God now, before he asks you about the coming of the serpent and about the transgression that you and Eve committed) **[← حوَّل صاحبُ رواية سورة الأعراف أفكار إفرام إلى قرآن! لكنه عكَسَ الترتيب: الله سأل آدمَ وحواء عن الخطيئة أولاً "وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ" (الأعراف 22) ثم ذكر الشيطانَ (الحيَّة) "وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (الأعراف 22). ومما يؤكد تأثر صاحب رواية سورة الأعراف بأستاذه إفرام هو أنه لا توجد آية قرآنية واحدة في رواية سورة الأعراف قبل (الأعراف 22) تقول إن الله قال لآدم وحواء "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ"! فكيف يقول الله لهما "أَلَمْ [...] أَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ"؟! كيف يُذكِّر اللهُ آدمَ وحواء بجملةٍ هو لم يقلها أصلاً؟! إذن: صاحب رواية سورة الأعراف أخذ الفكرةَ من أبيه الروحي إفرام السرياني ووضعها في (الأعراف 22) وَنَسِيَ أنه لا يوجد في روايته ما يبرر وجودها.**

ويبدو أن صاحب رواية سورة طه قد تنبّه إلى هذا النقص في رواية سورة الأعراف، ولذلك قال في روايته: "فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا (أي: الشيطان) عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ" (طه 117)].

ثم قال إفرامُ لآدم: الاعتراف بشفتيك قد يغفر لك خطيئة [أكل] الثَّمَرة التي قطفتها أصابعك (Perhaps then, the confession of your lips will absolve you from the sin of [eating] the fruit that your fingers plucked) **[← اعتراف آدمُ وحواء بخطيئتهما "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا" (الأعراف 23) وطلبهما المغفرة "وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23). آدم تاب وقَبِلَ اللهُ توبتَه: "اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ (أي: قَبِلَ الله توبتَه)" (طه 122) "فَتَابَ عَلَيْهِ" (البقرة 37). قبول التوبة يعني أن الله غفر لآدم كما اقترح إفرام. فكما قلنا فيما سبق، قال إفرامُ كلامَه على سبيل الاقتراح أو النصيحة لآدم (ومِن ثم المستمع) أو توضيح ما كان ينبغي أن يفعله آدم. فأخذ أصحابُ القرآن هذه الأفكار من أبيهم الروحي القديس المسيحي إفرام السرياني فزعموا أن آدم فعلها فعلاً: اعترف بذنبه وطلب المغفرةَ والرحمة وتاب وقَبِلَ اللهُ توبتَه!].**

وبعد ذلك قال إفرامُ كلاماً كثيراً لا داعي لذِكره كله بالتفصيل، فسنكتفي بالأفكار والعبارات والكلمات التي تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في القرآن. فنحن نلاحظ أن إفرام أعاد تقديمَ قصة سقوط الإنسان، فلم يلتزم بالنص التوراتي، ربما لأنه كان يكتب من الذاكرة أو لعله فعل ذلك عمداً لتسليط الضوء على عِظة أخلاقية معينة. مثلاً: حين تقرأ (التكوين 3)، تجد أن الحيَّة (الشيطان) قال جملتين فقط (التكوين 3:1، 3:4-5)، وكلتاهما لحواء. إذن: حسب التوراة، لم يوسوس الشيطانُ إلى آدم. لكن حين تقرأ تعليق إفرام السرياني على سفر التكوين (Commentary on Genesis 2.26)[3395] تجده يلوم آدمَ على أنه سمع كلامَ الحيَّة! فيقول إفرامُ في تفسيره لـ "أَيْنَ أَنْتَ؟" (التكوين 3:9): أَيْنَ أَنْتَ يا آدم؟ هل في الألوهية التي وعدتكَ الحيَّةُ إياها؟ (In the divinity that the serpent promised you?)، كما لو كان الشيطانُ وسوس إلى آدم! **[← "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ" (طه 120). "فَوَسْوَسَ لَهُمَا (أي: لحواء وآدم) الشَّيْطَانُ [...]" (الأعراف 20). ولا توجد آية قرآنية واحدة تقول إن الشيطان وَسْوَسَ إلى حواء فقط ولا حتى وَسْوَسَ إليها أولاً].** ثم يلوم إفرامُ آدمَ على أنه سمع كلامَ أحقر المخلوقات (يقصد: الحيَّة) التي لم تفده بشيءٍ ولم تعطه إلا كلمةً فارغة ووعداً شفوياً بالألوهية، بينما لم يسمع كلامَ الله الذي خلقه مِن العدم وجعله إلهاً ثانياً على الخليقة (a second god over Creation)[3396] وحاكماً على كل شيء (ruler over everything) **[← "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة 30)].**

ثم كرر إفرامُ الأفكار التي قالها مِن قبل. آدم لم يعترف، مع أن هذا الاعتراف كان سيساعده. حواء لم تتضرع إلى الله ليغمرها اللهُ هي وزوجها برحمته ... الخ.

وبعد ذلك، لفت القديس إفرامُ السرياني نظرَنا إلى نقطةٍ مهمة. وهي أن الله سأل آدمَ (التكوين 9:3، 11:3) وسأل حواء (التكوين 13:3) قبل أن يحكم عليهما (التكوين 3:16-19). أما بالنسبة للحيَّة (الشيطان)، حكم اللهُ عليه مباشرةً (التكوين 3:14-15) بدون أن يسأله أي سؤال. لماذا؟ لأن أسئلة الله لآدم وحواء كانت فرصةً لهما لكي يتوبا **قبل** أن يصدر الحكمُ الإلهي عليهما. أما الشيطان فلا أمل أن يتوب، ولذلك لا داعي لاستجوابه، فأصدر اللهُ حُكمَه العادل عليه مباشرةً (التكوين 3:14-15). ولنقرأ ما قاله القديس إفرامُ السرياني (Commentary on Genesis 2.29)[3397]:

> When the two of them (i.e. Adam and Eve) had been questioned [by God] and were both found to be wanting in remorse or true contrition, God went down to the serpent, not to make inquiry but to render punishment. For where there is opportunity for repentance, it would be right to inquire, but to one (i.e. the serpent/Satan) who is a stranger to repentance judgment is fitting. It is so that you might know that the serpent is not capable of repentance, that when *God said to it, "Because you have done this, cursed are you above every beast" (Gen. 3.14)*, the serpent did not say, "I did not do it," because it was afraid to lie, nor did it say, "I did it," because it was a stranger to repentance.

[← كما قلنا كثيراً من قبل: جعل أصحابُ القرآن آدمَ يغتنم هذه الفرص فيعترف هو وحواء بخطيئتهما "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا" (الأعراف 23) ويطلبا الرحمة والمغفرة من الله "وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23)، ويتوب، بل ويقبل اللهُ توبته! "اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ (أي: قَبِلَ الله توبةَ آدم)" (طه 122) "فَتَابَ عَلَيْهِ" (البقرة 37). وكل هذا قبل أن يصدر الحكم الإلهي بالهبوط: "قَالَ [اللهُ] اهْبِطُوا" (الأعراف 24) "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا" (طه 123). وبالنسبة لرواية سورة البقرة: جاءت توبة آدم وقبولها قبل أن يصدر أمر الهبوط الثاني "قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا" (البقرة 38)].

ولمَّا سمع آدمُ وحواء حُكمَ الله العادل على الحيَّة باللعنة (التكوين 14:3)، كان ينبغي عليهما أن يخافا ويتوبا (should grow afraid and repent)[3398] لعل النعمة [الإلهية] (Grace) تحفظهم من اللعنات التي يقتضيها العدل [الإلهي] (Justice). لكنهما أضاعا هذه الفرصة أيضاً. فبدأ اللهُ بالحُكم على حواء أولاً لأنه من خلالها تم تسليم الخطيئة إلى آدم (يقصد: التكوين 6:3). فكان حُكم الله على حواء (التكوين 16:3) بمثابة فرصة لآدم أن يتوب. إلا أن آدم أضاع هذه الفرصة أيضاً ولم يتب (still no repentance had risen up in Adam)[3399]. عندئذٍ عاقبه اللهُ (التكوين 3:17-19) **[← جعل أصحابُ القرآن آدمَ يغتنم هذه الفرص، كما قلنا كثيراً من قبل].**

مما لا شك فيه أن القديس المسيحي إفرام السرياني قد ترك بصمةً واضحة على القرآن (المكي بصفة خاصة). ما قلناه عن مسألة "توبة آدم" مجرد مثال. وتوجد أمثلة أخرى كثيرة سنذكرها في حينها. مما يجعلنا ننصح كل باحث جاد في مصادر القرآن وتفسيره أن يدرس أعمال إفرام السرياني المتنوعة.

أي شخص يسمع تعليق القديس المسيحي إفرام السرياني على قصة سقوط الإنسان التوراتية (Commentary on Genesis 2.24-31) سيستنتج أن الله غفور رحيم وينعم على الإنسان بفرص كثيرة للتوبة **[← "إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة 37)]**، فينبغي على الإنسان ألا يضيع هذه الفرص، وإلا سيعرض نفسه للعقوبة التي يقتضيها العدل الإلهي. وهذا أيضاً ما نستنتجه من قصة سقوط الإنسان القرآنية برواياتها الثلاث، بغض النظر عن مشكلة التناقض بين قبول توبة آدم ومع ذلك طرده من الجنة، والتي يمكن حلها – ولو جزئياً – بأن نقتبس أفكار من التراث اليهودي (مثلاً: كتاب حياة آدم وحواء) والتراث المسيحي (مثلاً: إيريناؤس) كما شرحنا فيما سبق.

وهذا يدل على أن دراسة جذور القرآن في التراث اليهودي/المسيحي تساعد على فهم القرآن فهماً "صحيحاً"، أي: معرفة ما كان يدور في أذهان أصحاب القرآن وَهُمْ يؤلفون القرآن.

وإنه لمن المدهش أننا نلجأ إلى التراث اليهودي/المسيحي قبل الإسلام للمساعدة في حل مشكلات القرآن، مما يدل على أن مصادر القرآن موجودة بالفعل في هذا التراث البشري 100%.

ونتمنى أن يدرك أحباؤنا المسلمون أن سبب تعدد الروايات القرآنية لقصة سقوط الإنسان هو أنه كان هناك بالفعل عدة روايات لهذه القصة الشهيرة قبل ظهور الإسلام. فتأثر صاحبُ كل رواية قرآنية بتقليد معين، أو بضعة تقاليد، من التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي (السرياني بصفة خاصة). وهذا أيضاً يفسر وجود اختلافات بين الروايات القرآنية الثلاث كما أشرنا فيما سبق. اختلافات أدت فيما بعد إلى اختلاف المفسرين المسلمين.

4.6.3.9.3 توبة آدم: تفاسير الروايات القرآنية الثلاث وتعليقنا عليها

من كل ما سبق يتضح أن أصحاب القرآن قد أكملوا ما بدأه التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي فقالوا صراحةً إن آدم وحواء اعترفا بذنبهما وطلبا المغفرة "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23) وإن آدم تاب وقَبِلَ الله توبته (طه 122) (البقرة 37). وهي أصلاً مجرد فكرة بشرية 100% كما أثبتنا نشأت وترعرعت وتطورت تطوراً بشرياً طبيعياً في الأوساط اليهودية والمسيحية الشرقية في القرون الأولى للميلاد. مما يدل على أن القرآن نفسه كلام بشر 100%.

ومِن الممكن أن نفترض حُسن النية ونقول إن أصحاب القرآن زعموا أن آدم تاب وقَبِلَ الله توبته تأكيداً على رحمة الله "إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة 37) و/أو لحث المسلمين الأوائل وغيرهم على أن يغتنموا كل فرصة للتوبة.

لكن لا يمكن أن نفترض حُسن النية في المفسرين المسلمين. فنحن حين نقرأ تفاسير الروايات القرآنية الثلاث، نجد هجوماً شديداً على المسيحية. على سبيل المثال، قال سيد قطب: "خطيئة آدم كانت خطيئته الشخصية، والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة فى يسر وبساطة"[3400]. وقال د. محمد عابد الجابرى: "هذه التوبة أسقطت ما تعتبره المسيحية "الخطيئة الأصلية"، خطيئة آدم المذكورة"[3401]. وقال الشيخ الشعراوى: "والذين يقولون بأنه لا بد من وجود بشر نسميه مخلِّصاً. ليفدى العالم بصلبه أو بغير ذلك من الخطيئة التى ارتكبها آدم. نقول له: إنك لم تفهم عن الله شيئاً، لأن القصة هى هنا خطأ قد حدث وصُوب. وفرق بين الخطأ والخطيئة. فالخطأ يصوب. ولكن الخطيئة يعاقب عليها. وآدم أخطأ وصوب الله له. وتلقى من ربه كلمات فتاب عليه. إذن لا توجد خطيئة بعد أن علمه الله التوبة وتاب إلى الله. ثم ماذا فعل آدم. حتى نقول نخلص العالم من خطيئة آدم. إنه أكل من الشجرة. وهل خطايا العالم كلها أكل؟! مَن الذى أوجد القتل وسفك الدماء، والزنا والاغتصاب والنميمة والغيبة؟ لو أن كلامهم (أي: كلام المسيحيين) صحيح لكان لا بد ألا توجد خطيئة على الأرض ما دام قد وجد المخلِّص الذى فدى العالم مِن الخطيئة. ولكن الخطيئة باقية. ومن الذى قال إن الخطيئة تورث. حتى يرث العالم كله خطيئة آدم؟! والله سبحانه وتعالى يقول: "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى""[3402].

تعليقنا: هذا الكلام يؤكد أن الشيخ الشعراوى وغيره من الشيوخ المسلمين لم يفهموا شيئاً عن عقيدة الفداء والخلاص المسيحية، ولم يفهموا "الخطيئة الأصلية" (Original sin) فهماً صحيحاً. الشيء الوحيد الذى حرصوا عليه هو نقض عقيدة الفداء والخلاص المسيحية التى لا يؤمنون بها، بل لا يفهمونها. ومع أن المسيحية ديانة قوية وباقية إلى اليوم وستظل باقية إلى الأبد في كل كنيسة "وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا (أي: مملكة الموت وسلطان الشيطان لن تَقْوَى على المؤمنين بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الْحَيِّ)" (متى 18:16) فلا تحتاج المسيحيةُ لإنسان يدافع عنها، إلا أنه لزم الرد على هؤلاء الشيوخ المسلمين مع الشرح، لكن باختصار حتى لا نبتعد كثيراً عن موضوعنا الأساسي وهو قصة سقوط الإنسان.

نقول لهم أولاً: آدم ارتكب خطيئة، وليس مجرد خطأ. قال الإمام الأكبر محمود شلتوت إن آدم "التجأ إلى ربه معترفاً بذنبه وخطيئته"[3403]. والقرآن نفسه اعترف بأن آدم عصى اللهَ وغوى: "**وَعَصَى** آدَمُ رَبَّهُ **فَغَوَى**" (طه 121). وكلمة "عَصَى" (طه 121) كلمة خطيرة جداً؛ إذ يقول القرآن عن مَن يعصى اللهَ:

- "وَمَن **يَعْصِ** اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا" (الأحزاب 36).
- "وَمَنْ **يَعْصِ** اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا" (الجن 23).
- "وَمَن **يَعْصِ** اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ" (النساء 14).

- "قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ **عَصَيْتُ** رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" (الأنعام 15) (الزمر 13)؛ (يونس 15).
- "عَصَى" هو نفس الفعل الذي وُصِفَ به بنو إسرائيل الذين ارتكبوا الخطيئةَ الكُبرى – بل ارتكبوا أبشع الكبائر – حين اتخذوا العِجلَ إلهاً يعبدونه مِن دون الله: "قَالُوا سَمِعْنَا **وَعَصَيْنَا** وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (البقرة 93).

وكذلك كلمة "غَوَى" (طه 121) كلمة خطيرة جداً؛ فهي نفس الكلمة التي استخدمها إبليسُ (الشيطانُ) وأيضاً استخدمها اللهُ لوصف "أتباع" الشيطان (Satan's minions) الذين سيدخلون "جهنم":

- "قَالَ [إبليسُ] رَبِّ بِمَا **أَغْوَيْتَنِي** [...] **لَأُغْوِيَنَّهُمْ** أَجْمَعِينَ. [...] قَالَ [الربُّ لإبليس] [...] إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ **الْغَاوِينَ**. وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ" (الحجر 39-43).
- "قَالَ [إبليسُ للرب] فَبِعِزَّتِكَ **لَأُغْوِيَنَّهُمْ** أَجْمَعِينَ. [...] قَالَ [الربُّ لإبليس] [...] لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ" (ص 82-85).
- "وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ **لِلْغَاوِينَ** (أي: الذين ضَلُّوا). [...]. فَكُبْكِبُوا فِيهَا (أي: فجُمِعوا وألقُوا في جهنم على رؤوسهم) هُمْ **وَالْغَاوُونَ** (أي: الذين أضَلُّوهم). وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ" (الشعراء 91-95).
- اقرأ أيضاً (الأعراف 16-18) و (الإسراء 62-63).

ثم إن آدم نفسه وحواء نفسها اعترفا بذنبهما وخطيئتهما "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا" وطلبا العفو والرحمة **"وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (أي: من الذين أضاعوا حظَّهم في دنياهم وأخراهم)**"** (الأعراف 23)، وهي تقريباً نفس الجملة التي قالها بنو إسرائيل الذين ارتكبوا الخطيئة الكُبرى – بل ارتكبوا أبشع الكبائر – حين اتخذوا العِجلَ إلهاً يعبدونه مِن دون الله، كما جاء في نفس السورة: "كَانُوا ظَالِمِينَ [لأنفسهم]. وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ (أي: ندموا على خطيئتهم) وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا **لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ"** (الأعراف 148-149)[3404]. وهي أيضاً تقريباً نفس الجملة التي قالها "النبي" نوح: "قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ **وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي [ذنبي[3405]] وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ"** (هود 47). وهذا كله يؤكد أن "عصمة الأنبياء" أسطورة ليس لها أي أساس حتى في القرآن نفسه.

وإذا كنا قد تحدثنا عن خطورة كلمتي "عَصَى" و "غَوَى"، فيجب علينا أيضاً أن نتحدث عن خطورة كلمة "**ظَلَمْنَا** أَنْفُسَنَا" التي قالها آدم (الأعراف 23)، لأنها نفس الكلمة التي استخدمها اللهُ حين نهى آدمَ عن الأكل من الشجرة الْمُحَرَّمَة: "لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ **الظَّالِمِينَ"** (الأعراف 19) (البقرة 35). إن كلمة "الظالمين" ليست كلمة سهلة ولا بسيطة[3406]، فلقد وُصِفَ بها مثلاً عبدة العِجل "كَانُوا **ظَالِمِينَ"** (الأعراف 148)، ووُصِفَ بها آل فرعون "كَانُوا **ظَالِمِينَ"** (الأنفال 54)، ووُصِفَ بها المَلِكُ الكافر (نمرود) الذي جادل إبراهيم في توحيد الألوهية والربوبية "فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ **الظَّالِمِينَ"** (البقرة

258)، "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ **الظَّالِمِينَ**" (آل عمران 86) (التوبة 19) (التوبة 109) (الصف 7) (الجمعة 5)، "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ **الظَّالِمِينَ**" (المائدة 51) (الأنعام 144) (القصص 50) (الأحقاف 10)، "لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى **الظَّالِمِينَ**" (الأعراف 44) (هود 18) "لَهُمُ اللَّعْنَةُ (أي: الطرد من رحمة الله) وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (أي: النار)" (غافر 52).

ومِن عجائب الدنيا الإسلامية – بل: مِن غرائب القرآن – أن "لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى **الظَّالِمِينَ**" "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ **الظَّالِمِينَ**" وآدم "مِنَ **الظَّالِمِينَ**"؛ ومع ذلك اصطفاه اللهُ وهداه "اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى" (طه 122)**!** آيات قرآنية تقول إن الله لا يهدي الظالمين، وآية قرآنية أخرى تقول إن الله هدى أول ظالم في تاريخ البشرية**!** إن هذا التناقض يؤكد أن القرآن كلام بشر "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[3407]، ومن ثم يزيد مِن شكوكنا في "توبة آدم" الوهمية التي يزعمها القرآنُ. إن "توبة آدم" بكل تأكيد مجرد فكرة قرآنية دخيلة موضوعة وضعاً في قصة سقوط آدم تأثراً بالتراث اليهودي/المسيحي البشري كما شرحنا بالتفصيل فيما سبق.

إذن: كل الأدلة الإسلامية تؤكد أن الألفاظ التي استخدمها القرآنُ لوصف معصية آدم ألفاظ شديدة جداً وتدل على أن آدم قد ارتكب خطيئة كبيرة، بدليل أنه بسببها طُردَ من الجنة**!** فلم تكن مجرد خطأ كما زعم الشيخ الشعراوي وغيره. إن آدم قد رسب في أول امتحان وسقط في الخطيئة والمعصية مِن أول تجربة. ومع أن البعض قد يعتبر الأكلَ من شجرةٍ محرمةٍ خطيئةً صغيرة لأنها لا تؤثر تأثيراً كبيراً على المجتمع، إلا أنها في نظر الله خطيئة كبيرة. بدليل أن الألفاظ التي استخدمها القرآنُ لوصف خطيئة آدم هي نفس الألفاظ التي استخدمها القرآنُ لوصف جريمة القتل التي ارتكبها قابيلُ (قايين) وهي خطيئة كبيرة بلا شك. نعم. إن كلمتي "الخاسرين" و "الظالمين" هُما نفس الكلمتين اللتين وصف القرآنُ بهما قابيلَ (قايين) ابن آدم وحواء الذي ارتكب الخطيئة الكبيرة وهي القتل حين قَتَلَ شقيقَه هابيل فاستحق أن يكون في الآخرة "مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ" (المائدة 29). فلقد قال هابيلُ لقابيل قبيل مقتله: "إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ [في الآخرة] مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ **الظَّالِمِينَ**. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ (أي: فَزَيَّنتْ لقابيل نَفْسُهُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ وشجَّعته وَسَهَّلَت عليه) قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ **مِنَ الْخَاسِرِينَ**" (المائدة 29-30)[3408].

نَعم، إن خطيئة آدم معصية كبيرة وخطيئة كبيرة ... بل قائمة إلى يوم القيامة ...

يقول حديث صحيح يتحدث عن يوم القيامة: "يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ (أي: تقترب وتظهر لهم)، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: "يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ"، فَيَقُولُ [آدم]: "وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا **خَطِيئَةُ** أَبِيكُمْ آدَمَ**!** لَسْتُ [أنا] بِصَاحِبِ ذَلِكَ (أي: أنا لا أستطيع أن استفتح لكم الجنة). اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ". [...]"[3409]. ونحن نستنتج من هذا الحديث أن خطيئة آدم قائمة إلى يوم القيامة، بدليل عدم استطاعة آدم أن يستفتح الجنة يوم القيامة. وهذا يزيد مِن شكوكنا في "توبة آدم" التي يزعمها القرآنُ. فلو كان الله تاب على آدم كما يزعم القرآنُ، فلماذا ظلت خطيئة آدم قائمةً إلى يوم القيامة؟**!**

وإنْ قلتم إن خطيئة آدم كانت قبل النبوة وليس بعدها. فسنقول: لا يهم إنْ كانت خطيئة آدم حدثت قبل النبوة أو بعدها. فتلك النبوة المزعومة لا تلغي الخطايا والمعاصي التي قبلها، بدليل أن آدم ظل يتذكر خطيئته حتى بعد النبوة، بل حتى يوم القيامة، وخطيئته تمنعه أن يشفع للآخرين يوم القيامة. تقول روايات أخرى لهذا الحديث الصحيح – الذي يُعرَف باسم "حديث الشفاعة"[3410] – إن الله يجمع الناس يوم القيامة فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ [ليشفع لنا]. فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي، نَفْسِي ([I myself [want to be saved] (أي: أنا نَفْسِي أحتاج مَن يُخلِّصني؛ خطيئتي تمنعني أن أشفع لكم)، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، [...].

نستطيع إذن أن نقول إن هذه الخطيئة الكبيرة التي ارتكبها آدَمُ لم تُغفَر فوراً، على الأقل عملياً، وبخاصة أن آدم طُرِد من الجنة ولم يرجع إليها في حياته الدنيوية كما قلنا؛ أي: ظل مطروداً من الجنة حتى مات. وهذا يجعل توبة آدم بلا معنى عملي في حياته. ربما يكون لتوبة آدم فائدة نظرية أدبية، لكن عملياً على أرض الواقع الذي عاشه: توبة آدم بلا فائدة. وحتى إذا افترضنا أن الله سيقبل توبةَ آدم في الآخرة، فإن هذا القبول لا يزال مرهوناً ومشروطاً برحمة الله (أي: بالنعمة الإلهية by Grace). بدليل أن آدم نفسه قال: "رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا **وَتَرْحَمْنَا** لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (أي: من الهالكين)" (الأعراف 23)[3411].

والسؤال الآن هو: هل نحن ورثنا هذه الخطيئة الكبيرة التي ارتكبها آدَمُ وظلت قائمةً إلى يوم القيامة؟

نقول لجميع الشيوخ المسلمين إننا حين نقول إننا ورثنا خطيئة آدم، فإننا نقول ذلك مجازاً، فنحن **لا** نعني أننا ورثنا خطيئة آدم نفسها بمعنى أن الله يوم القيامة سيحاسبنا على الأكل مِن الشجرة الْمُحَرَّمَة! بكل تأكيد نحن **لا** نعني ذلك؛ وإنما نعنى أننا ورثنا "الطبيعة الخاطئة" (sinful nature) أو ما يُعرَف أحياناً بـ "الطبيعة الفاسدة" (corrupt, degenerate nature) أو "الطبيعة الساقطة" (fallen nature)، أي الطبيعة البشريَّة التى مِن صفاتها الضعف أمام الشهوات والغرائز والأهواء والميول والإغراءات، كما ضعف آدم وأكل من الشجرة الْمُحَرَّمَة.

ورثنا هذه الطبيعة الخاطئة الفاسدة الساقطة (sinfulness)، لكننا لم نرث خطيئةَ آدم نفسها (sin).

والدليل على أننا ورثنا هذه الطبيعة الفاسدة هو أننا جميعاً نخطئ، وأننا جميعاً سنموت (mortal). كل البشر إلى يوم القيامة يعيشون خارج الجنة مثل جدهم آدم ويخطئون مثل جدهم آدم ويموتون مثل جدهم آدم. هذا ما نقصده بـ "الخطية الأصلية" (Original sin) أو "الخطية الجدية" (Ancestral sin)[3412].

إذن: ورثنا موتَ آدم (death)، أو بعبارة أكثر دقة: ورثنا كوننا مائتين (mortality)، لكننا لم نرث ذَنبَ آدم الذي أدى إلى موته[3413].

أو إذا أردنا أن نستخدم عبارات إسلامية لنقرب المعنى إلى أذهان أحبائنا المسلمين، فسنقول إننا ورثنا الضعف البشرى "خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا" (النساء 28) أو كما يقول الحديث الشهير "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"[3414]. ويقول حديث صحيح: "فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ (أو: نُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ)، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ"[3415]. قال ابن العربى: "قوله "فَجَحَدَ آدَمُ وَنَسيَ وَخَطِئَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ" بيان أن الصفات موروثة وأخلاق الآباء مكتسبة للأبناء"[3416]. وقالت موسوعة بيان الإسلام تعليقاً على هذا الحديث المهم: "لا يفيد توريث الخطيئة وإنما توريث الطباع"[3417]. ونحن نتفق مع هذا القول. فنحن ورثنا موتَ آدم، فـ "أَيُّ إِنْسَانٍ يَحْيَا وَلاَ يَرَى الْمَوْتَ؟" (المزامير 89:48) **[← "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" (آل عمران 185) (الأنبياء 35) (العنكبوت 57)]**. لكننا لم نرث وِزْرَ آدم "لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" (الأنعام 164) (الإسراء 15) (فاطر 18) (الزمر 7) (النجم 38).

والكتاب المقدس يؤكد مبدأ "المحاسبة الشخصية" (Personal Accountability) أو "المسئولية الشخصية" (Personal Responsibility) أو "الجزاء الفردي" (Individual Retribution): "وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلًا: «مَا لَكُمْ أَنْتُمْ تَضْرِبُونَ هذَا الْمَثَلَ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، قَائِلِينَ: الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ (أي: العنب غير مكتمل النضج فيكون طعمه حمضياً) وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ (أي: كَلَّتْ وضَعُفَتْ وتعبت من مرارة الْحِصْرِم؛ are blunted)؟ حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، لاَ يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدُ أَنْ تَضْرِبُوا هذَا الْمَثَلَ فِي إِسْرَائِيلَ. هَا كُلُّ النُّفُوسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الأَبِ كَنَفْسِ الابْنِ، كِلاَهُمَا لِي. اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. [...] اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ" (حزقيال 18:1-20). ولهذه العقيدة جذورٌ في التوراة: "لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ (أي: كُلُّ إِنْسَانٍ يتحمَّل وحده دون سواه عقوبةَ الجريمة التي ارتكبها)" (التثنية 24:16). وفي التوراة أيضاً (العدد 16) الذي يتحدث عن ثورة قُورَح (قارون) (Korah) على موسى وهارون، خَرَّ موسى وهارون "عَلَى وَجْهَيْهِمَا وَقَالاَ [لله]: «اللّهُمَّ، إِلهَ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ، هَلْ يُخْطِئُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَتَسْخَطَ عَلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ؟»" (العدد 16:22)[3418]، فكان معنى إجابة الله هو: لا، بدليل أن الله أهلك قُورَحَ بذنبه، لكن أبناء قورح لم يُعاقَبوا بذنب أبيهم: "وَأَمَّا بَنُو قُورَحَ فَلَمْ يَمُوتُوا" (العدد 26:11)[3419]. ومِن حُسن الحظ أن القرآن نفسه يعترف بأن مبدأ "المحاسبة الشخصية" أو "المسئولية الشخصية" موجود في التوراة (أو ما يُسمَّى بـ "صحف موسى"): "أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى. أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى" (النجم 36-39).

وطبعاً توجد آيات أخرى في الكتاب المقدس تؤكد مبدأ "المحاسبة الشخصية" أو "المسئولية الشخصية" أو "الجزاء الفردي"، نذكر منها على سبيل المثال: "أَنَا الرَّبُّ فَاحِصُ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى لأُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ

حَسَبَ طُرُقِهِ، حَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ" (إرميا 10:17)؛ "عَظِيمٌ فِي الْمَشُورَةِ، وَقَادِرٌ فِي الْعَمَلِ، الَّذِي عَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَانِ عَلَى كُلِّ طُرُقِ بَنِي آدَمَ لِتُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طُرُقِهِ، وَحَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ" (إرميا 19:32)؛ "فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: الآبَاءُ أَكَلُوا حِصْرِمًا، وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ. بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ. كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحِصْرِمَ تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ" (إرميا 31:29-30)؛ "لِمَاذَا يَشْتَكِي الإِنْسَانُ الْحَيُّ، الرَّجُلُ مِنْ قِصَاصِ خَطَايَاهُ (his own sins)؟ (أي: فَلِمَاذَا يَشْتَكِي الإِنْسَانُ الْحَيُّ حِينَ يُعَاقَبُ عَلَى خَطَايَاهُ فقط؟)" (مراثي إرميا 39:3)؛ "[قيل:] اَللهُ يَخْزِنُ إِثْمَهُ (أي: إِثْمَ الشرير) لِبَنِيهِ (أي: لأولاده). [أما أنا فأقول:] لِيُجَازِهِ (أي: لِيُجَازِ الشريرَ) نَفْسَهُ فَيَعْلَمَ. لِتَنْظُرْ عَيْنَاهُ هَلاَكَهُ، وَمِنْ حُمَةِ الْقَدِيرِ (أي: غضب الله) يَشْرَبْ" (أيوب 21:19-20).

إذن: نحن لن نُحاسَب على خطيئة آدم. لكننا كلنا مثل آدم بعد سقوطه، كلنا خارج الجنة نخطيء وسنموت. لا يوجد إنسان يعيش في الجنة، لا يوجد إنسان لا يخطيء، ولا يوجد إنسان لن يموت.

حتى الأنبياء والرسل يخطئون ويموتون[3420]. قال يوحنا الرسول: "إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ، نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا" (1 يوحنا 8:1). وقال يعقوب الرسول: "لأَنَّنَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْثُرُ جَمِيعُنَا" (يعقوب 2:3). وقال بولس الرسول: "بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ (هو: آدم) دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رومية 12:5). أَخْطَأَ الْجَمِيعُ. بدون استثناء لنبي أو رسول.

وكذلك بالنسبة للأنبياء والرسل في القرآن، نجدهم يعترفون بخطاياهم ويطلبون الرحمة والمغفرة. فلقد اعترف موسى بذنبه قائلاً: "رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي" (القصص 16)، فسامحه اللهُ بالنعمة (by Grace): "فَغَفَرَ [اللهُ] لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ" (القصص 16-17). واعترف يونس بذنبه قائلاً: "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنبياء 87)، فسامحه اللهُ أيضاً بالنعمة (by Grace): "لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" (القلم 49-50). ومحمد نفسه غُفِرت ذنوبُه بالنعمة (by Grace): "لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ [يا محمد] مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا" (الفتح 2).

توبة آدم – حتى لو افترضنا صحتها – لم تُسقِط الخطية الأصلية؛ بدليل أننا كلنا نعيش خارج الجنة وكلنا نخطيء وكلنا سنموت. كلنا نعيش في هذه الدنيا حياة كلها ألم وتعب وشقاء وأمراض وأوبئة وحروب ... الخ، وكلنا نخطيء وكلنا في النهاية سنموت.

بعبارة أخرى: لم نرث ذَنبَ آدم؛ كذلك فإننا لم نستفد شيئاً مِن توبة آدم المزعومة.

ويجب علينا أيضاً ألا ننسى أن الله أعطى آدمَ حريةَ الإرادة (free will)[3421]، بدليل أن آدم استخدم هذه الحرية فأكل من الشجرة المحرمة فمات. بعبارة أخرى: الله لم يخلق الإنسانَ مائتاً لا خالداً (mortal)، ولم يخلقه خالداً لا مائتاً (immortal)، وإنما خلق اللهُ الإنسانَ حراً (free)، وأراد اللهُ للإنسان أن يختار

الحياةَ، "قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ" (التثنية 19:30)، لكن الإنسان اختار الموتَ بإرادته الحرة. كان من الممكن أن يختار الإنسانُ الحياةَ بنفس إرادته الحرة، لكنه اختار الموتَ فمات. إذن: أعطى اللهُ الإنسانَ (آدمَ) حريةَ الاختيار بين الطاعة والعصيان، لكن الإنسان (آدم) اختار العصيان فارتكب الخطيئة فمات.

يقول شرح سفر التكوين: "فقد كانت شجرة الحياة متاحة للإنسان ليأكل منها ويحيا؛ أما شجرة معرفة الخير والشر فكانت هي الوحيدة المُحَرَّمَة على الإنسان، كوصية وحيدة أُعطيت للإنسان لكي يحفظها فيُظهر بذلك طاعته وحبه وخضوعه لله، لكي بهذا الخضوع الطوعي للوصية تزداد محبته لله التي يقدِّمها بكامل حريَّته. إذن، فشجرة معرفة الخير والشر لم تكن في ذاتها حاملةً سُمَّ الموت، بل هي رمز للوصية التي تربط الإنسان بالله لكي يحفظها بمحض حريته فيحيا بها، أما إذا خالفها فموتاً يموت. لأن الله لم يخلق شيئاً فيه ضرر بالإنسان، إذ شهد الوحي على ذلك قائلاً: "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا" (التكوين 31:1)"[3422].

وكذلك نحن أيضاً. أعطانا اللهُ حريةَ الإرادة (free will). أو تستطيع أن تقول إننا ورثنا الإرادةَ الحرة، كما ورثنا الطبيعةَ الخاطئة. فكما نخطئ بإرادتنا الحرة، من الممكن أيضاً ألا نخطئ بنفس إرادتنا الحرة. وإذا عشنا في خطايانا، فإننا نختار الهلاك (الموت الأبدي) بإرادتنا الحرة. أما إذا قَبِلنا المسيحَ كفادي ومخلِّص وتحررنا من خطايانا، فإننا نختار الحياة الأبدية بنفس إرادتنا الحرة. تقول التوراة: "قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ، إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْمَعُ لِصَوْتِهِ وَتَلْتَصِقُ بِهِ، لأَنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ وَالَّذِي يُطِيلُ أَيَّامَكَ" (التثنية 19:30-20). ويقول سفر يشوع بن سيراخ: "لا تَقُلْ: "الرَّبُّ جَعَلَني أحيد (أي: أسقط في الخطيئة)"، فإنَّه (أي: الرَّب) لا يَعمَلُ ما يَمقُتُه. لا تَقُلْ: "هو أَضَلَّني"، فإنه لا حاجَةَ لَه في الرَّجُلِ الخاطِئ. الرَّبُّ يُبغِضُ كُلَّ قَبيحة و[كُلَّ ما] لَيسَت بِمَحْبوبةٍ عند الذينَ يَتَّقونَه. هو صَنَعَ الإنسانَ في البدء وتَرَكَه يَستَشيرُ نَفسَه (He left him in the hand of his deliberation) (أي: تَرَكَه حراً في اختيارِهِ). فإن شِئتَ حَفِظتَ الوصايا وأتممتَ ما يُرْضيه بِأَمانة. وَضَعَ [الرَّبُّ] أمامَكَ النارَ والماء، فتَمُدُّ يَدَكَ إلى ما شِئتَ. الحياةُ والموتُ أمام الناس، فما أَعجَبَهم يُعْطَى لهم. إنَّ حِكمَةَ الرب عظيمةٌ وهو قَوِيٌّ قَديرٌ يَرى كُلَّ شيء. وعَيناه إلى الذين يَتَّقونَه، وهو يَعلَمُ كُلَّ أَعْمالِ الإنسانِ. لم يُوصِ أَحَداً أن يَكونَ كافِراً (أو: غير تقياً impious؛ لم يأمُرْ أَحَداً بِفِعْلِ الشر)، ولا أَذِنَ لِأَحَدٍ أن يَخطَأ" (يشوع بن سيراخ 11:15-20)[3423].

ولعل ما يلي يُلخِّص أهم النقاط المتعلقة بهذا الموضوع[3424]:

Ancestral sin is the disobedience of Adam to God’s command regarding the tree of the knowledge of good and evil. Adam willingly disobeyed this

commandment and diverted himself, or fell, from God's path to perfection, thus separating himself from His Creator, the Source of life.

WHAT ARE THE CONSEQUENCES OF THE FALL?

1. This Fall of Adam caused mankind to become subject to mortality. While this is often seen mainly as a punishment, or penalty, the emphasis concerning God's judgments on Adam and Eve at the Fall is best understood in terms of His mercy. So, for example, concerning man's mortality (Gn 3:19), St. Gregory the Theologian states, "Yet here too He provides a benefit – namely death, which cuts off sin, so that evil may not be everlasting. Thus His punishment is changed into mercy."

2. We who are of Adam's race are not guilty because of Adam's sin, but because of our sin. However, because all of mankind fell away from the grace of God through Adam's disobedience, man now has a propensity, a disposition, an inclination towards sin, because just as death entered the world through sin, now sin enters through fear of death.

3. Mankind's strong propensity to commit sin reveals that in the Fall, the image of God in man (Genesis 1:26-27) is also fallen. However, the ancient Fathers emphasize that the divine image in man has not been totally corrupted or obliterated. Human nature remains inherently good after the Fall; mankind is not totally depraved. People are still capable of doing good, although bondage to death and the influences of the devil can dull their perception of what is good and lead them into all kinds of evil.

4. Adam's Fall not only brought mortality and sin into the world, but also sweat, toil, hunger, thirst, weariness, sorrow, pain, suffering, sickness, tribulations, tragedy and tears.

5. [Free Will:] Even after the Fall, the intellectual, desiring and incensive (forceful or driving) aspects of the soul are natural and therefore neutral. They can be used in a good way, or in a bad, harmful way. […] The classic

analogy is that these powers of the soul are like iron, which can be made into a plow to help grow food, or into a sword to be used to kill someone.

[The Solution:] Christ, by His [Redemptive] Death and Resurrection, conquered the devil and death, freeing mankind from the fear of death (Hebrews 2:14-15) and making possible a more complete communion between God and man than was ever possible before. This communion allows people to become “partakers of the divine nature” (2 Peter 1:4), to transcend death and, ultimately, all the consequences of the Fall.

مِن كل ما سبق يتضح أن توبة آدم المزعومة لم ولن تحل مشكلة خطيئته.

التوبة لا تستطيع أن تعيد إلى الإنسان طبيعتَه التي خُلِق عليها، أي طبيعتَه غير الفاسدة غير الخاطئة، والتي خسرها الإنسانُ بسقوطه.

التوبة لا تستطيع أن ترد للإنسان مجدَه الأول، أي: الصورةَ الكاملة البهية النقية الرائعة التي خُلِق عليها في الأصل، أي صورة الله (image of God) (imago Dei) (التكوين 1:26-27).

التوبة لا تستطيع أن تعيد الإنسانَ إلى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ.

التوبة لا تستطيع أن تنقذ الإنسانَ من الموت. ومِن ثم، فإن التوبة لا تستطيع أن تمنح الإنسانَ الحياة.

التوبة لا تستطيع أن تنتصر على الشيطان (الحَيَّة).

التوبة لا تستطيع أن تُحرر الإنسان مِن سلطان الخطية[3425].

التوبة لا تستطيع أن تنقل الإنسان مِن الناموس (التوراة) إلى النعمة (الإنجيل)[3426].

توبة آدم لم تنفع آدم، فكيف ستنفعنا نحن؟!

باختصار: توبة آدم مجرد "ترقيع"، وليست حلاً جذرياً للمشكلة. توبة آدم مثل أوراق الشجر التي قد تستر إنساناً مِن الخارج، لكن لا تستطيع أن تُصلح الجنس البشري كله مِن الداخل.

ما الفائدة أن يتَلَقَّى المريضُ مِنْ طبيبه "كَلِمَاتٍ" فيسامحه الطبيبُ على مرضه لكن لا يعطيه خطةً يومية واضحة وبرنامجاً يومياً مفصلاً يضمن شفاءه مِن المرض أو على الأقل يجعله يسيطر على هذا المرض؟! خطة الخلاص الإسلامية غير مضمونة، لأنها تضع الكرة في ملعب الإنسان وتطالبه أن يثبت استحقاقه الخلاص بأن يتجنب الخطيئة ويكفِّر عنها ويتوب منها إذا فعلها، وهذا أمر صعب جداً على الإنسان،

ويكاد يكون مستحيلاً، بدليل أن آدم – الذي خلقه اللهُ بيديه ونفخ فيه مِن روحه وعَلَّمه الأسماء كلها – رسب في أول امتحان بسيط وسقط في الخطيئة والمعصية مِن أول تجربة سهلة؛ وبدليل أن ابني آدم قَتَلَ أحدُهما الآخر. وأيضاً بدليل أن صحابة محمد – الذين رأوا محمداً وتتلمذوا على يديه – قاتل بعضُهم بعضاً أيام الفتنة. إذا كان هذا هو حال آدم (تلميذ الله) وحال الصحابة (تلاميذ محمد)، فما بالك بالمسلم العادي؟ خطة الخلاص الإسلامية غير مضمونة، ولذلك تجد المسلم دائماً في خوف ورعب مِن آخرته ويكفِّر عن كل خطيئة يرتكبها. وحين تتكرر الخطيئة – سهواً أو عمداً – تتكرر الكفَّارة، مما يدل على أن الكفَّارة التي قبلها لم تكن كافية للقضاء على الخطيئة بصفة نهائية وفعَّالة.

أما خطة الخلاص المسيحية فهي على الأقل تعترف بوجود الخطيئة كأمر واقع لا يمكن إنكاره وتعترف بوجود الشر (الشيطان) وتعترف بحتمية موت الإنسان كعقاب على خطاياه، ثم تمنح الخلاص (الحياة الأبدية) بالنعمة (by Grace) كهدية أو هِبة أو عطية مجانية للإنسان الخاطي إذا تاب[3427] وآمن بيسوع المسيح كفادي ومُخلِّص (through Faith in Christ Jesus)[3428] وعاش المسيحُ فيه فعمل المؤمنُ أعمالاً صالحة مثل مسيحه (for good works). "مَنْ قَالَ: إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ (أي: يسوعُ المسيح) هكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا" (1 يوحنا 6:2). "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غلاطية 20:2). بل عمل المؤمنُ أعمالاً صالحة مثل إلهه. "لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا (أي: الرَّبُّ إِلهُكُمْ) قُدُّوسٌ»" (1 بطرس 16:1)[3429]. "عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ (أي: طبيعتنا الفاسدة المائلة للشر التي ورثناها من آدم بعد سقوطه) قَدْ صُلِبَ مَعَهُ (أي: مع المسيح) لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ" (رومية 6:6). "وَأَمَّا الآنَ فَاطْرَحُوا عَنْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا الْكُلَّ: الْغَضَبَ، السَّخَطَ، الْخُبْثَ، التَّجْدِيفَ، الْكَلاَمَ الْقَبِيحَ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ. لاَ تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِذْ خَلَعْتُمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ [الشريرة]، وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ (أي: ينمو؛ يَتَجَدَّدُ باستمرار) لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ (أي: حَسَبَ صُورَةِ الله التي خُلِقَ عليها آدمُ قبل سقوطه)" (كولوسي 3:8-10). وصورة الله التي خُلِقَ عليها آدمُ قبل سقوطه هي في الواقع صورة المسيح. يقول كتابُ "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد الجديد"[3430]:

> The Diaspora Jewish philosopher Philo contrasted the incorruptible “heavenly man” of Genesis 1 [Genesis 1:26-27] with the later “living soul”/“earthly man” of Genesis 2 [Genesis 2:7]; the former represented the ideal spiritual state of the mind seeking heavenly things, the latter the carnal person [the physical, natural “soulish” man] devoted to temporal [earthly] things ([…]). […]

Jewish teachers often taught that Adam had incomparable glory and power before his sin, and that this glory and power would be restored in the world to come. God created humanity in His image (Gen 1:26-27; cf. 1 Cor 11:7). For Philo, it is the first, heavenly man, not the soulish physical man, that bears God's image ([…]); for Paul, God's image is restored in Christ (Rom 8:29; 2 Cor 3:18; Col 3:10).
To inherit the kingdom [of God], people must share the image of the heavenly person (1 Cor 15:45-49).

فعلينا كمؤمنين أن نكون "مُشَابِهِينَ صُورَةَ" المسيح ابْنِ اللهِ (رومية 29:8) وفي يومٍ ما سنكون "مِثْلَهُ" (1 يوحنا 2:3) أي: نقترب منه شيئاً فشيئاً بالنمو التدريجي والتجدد المستمر "إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِل. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ. [...] صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ" (أفسس 4:13-15). "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ (أي: تدريجياً؛ من مستوى مجد إلى مستوى مجد أعلى)" (2 كورنثوس 18:3). فهذا هو الهدف الأسمى لخطة الخلاص المسيحية، أن يعود الإنسانُ مرة أخرى إلى مجد "صورة الله" التي خُلِقَ عليها آدمُ قبل الخطيئة، أي يصير الإنسانُ في صورة المسيح، أي أن يكون مِثْل المسيح "لأنّي أعطَيتُكُمْ مِثالاً (أي: نموذجاً، قدوةً)، حتَّى كما صَنَعتُ أنا بِكُمْ تصنَعونَ أنتُم أيضاً" (يوحنا 15:13)، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا بإعادة خَلْق الإنسان مجدداً. "إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ (أي: آمن بالمسيح كفادي ومُخلِّص) فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا. وَلكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ، أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ. إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ (ambassadors) عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ. لأَنَّهُ جَعَلَ [المسيحَ] الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (2 كورنثوس 5:17-21). فكما أن المسيح لم يكن خاطئاً، ولكنه عُومِل على الصليب كأنه خاطي فمات، هكذا التائبون المؤمنون بالفادي والمُخلِّص يسوع المسيح ابْنِ اللهِ يُعامَلون كأنهم أبرار على الرغم من خطاياهم فينالوا الحياة الأبدية. "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ، مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ (by Grace) بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ (through Faith) بِدَمِهِ، لإِظْهَار بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ. لإِظْهَار بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ [اللهُ] بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ (in Christ Jesus)"(رومية 23:3-26). يقول الأب متى المسكين: "فالمسيح هو نور العالم لأنه كشف سر حب الله للعالم: "هكَذَا أَحَبَّ

اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا 16:3). والمسيح نفسه هو سر حب الله للعالم الذي ارتضى اللهُ أن يبذله لكي يُوَصِّل الحياة الأبدية إلى العالم. فإذا أردنا أن ننزل بهذه المطلقات إلى الواقع الإنساني نجد "الحق" هو الصدق وهو الحب وهو الإيمان بالله. لذلك يميّز اللهُ الإنسانَ بالعقل العارف القادر أن يميّز الحق، لأن الإنسان أصلاً مخلوق على صورة الله ومطلوب منه بعد السقوط أن يعود مرَّة أخرى إلى صورة الله. والعقل الواعي بالحق هو في الإنسان الطاقة المفتوحة على الله. لذلك لمَّا جاء المسيح كان همُّه الأعظم أن يُوَصِّل الإنسانَ إلى الله ليعود إلى صورته الأولى بمعرفة الحق (أي: بمعرفة الله؛ بمعرفة المسيح) عن طريق نور المعرفة المتحرّرة من كل ما هو ليس حقاً (أي: المتحرّرة من الكذب) وما هو ليس من النور (أي: المتحرّرة من الشيطان؛ المتحرّرة من الخطية)"، "الله أرسل ابنه إلى العالم ليرفع الخطية من طبيعة الإنسان، أي جاء ليحرّر الإنسان من الخطية ويقرّبه إلى الله الآب، بل ويصالحه مع الله الآب وينقله من حالة عبد للخطية إلى حالة ابن حر لله. فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا، بل وبنين مصالحين مع الله أيضاً"[3431].

فلسنا إذن محتاجين أن نكفِّر عن كل خطيئة نرتكبها كما كان اليهود يقدِّمون ذبائح حيوانية في العهد القديم "لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ" (اللاويين 11:17) "وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيبًا يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ" (العبرانيين 22:9)[3432]، فلقد كانت الذبيحة الحيوانية تموت فداءً لليهودي الخاطي، أو بعبارة أبسط: تدفع ثمنَ خطاياه (وهو الموت) نيابةً عنه. هذا كان في عهد الناموس (الشريعة؛ التوراة؛ العهد القديم). أما الآن في عهد النعمة (الإنجيل؛ العهد الجديد) فيكفينا تقديم ذبيحة إنسانية واحدة ونهائية وأبدية، "فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً (once and for all)" (العبرانيين 10:10)؛ (العبرانيين 27:7، 12:9، 23:9-28)؛ (1 بطرس 18:3)؛ (رومية 10:6). ذبيحُنا هو يسوع المسيح الذي قَدَّم نفسَه ذبيحةً ومات على الصليب فداءً لنا فدفع بنفسه جزاءَ خطايانا ليكفِّر عنها ويهدينا الخلاص (الحياة الأبدية) ويعيد إلينا الخلود الذي فقده الإنسان (آدم) بسبب خطيئته. "لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ [الذي فداكَ أنت شخصياً بموته الكفَّاري على الصليب]، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ" (رومية 9:10). فَكُنْ مؤمناً "بِمَنْ (أي: بالله الذي) أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ. الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا (أي: صُلِبَ يَسُوعُ ومات فداءً لنا ونيابةً عنا وبدلاً مِنَّا ليكفِّر عن خطايانا) وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا (أي: أقامه اللهُ مِن الأموات ليخلِّصنا من الموت ويقيمنا معه إلى الحياة الأبدية)" (رومية 24:4-25). وكُنْ ثابتاً على إيمانك حتى الموت. "لأَنَّهُ إنْ كُنّا نؤمِنُ أن يَسوعَ ماتَ وقامَ، فكذلك الرّاقِدونَ بيَسوعَ (أي: الذين ماتوا على الإيمان بصلب المسيح وموته وقيامته)، سيُحضِرُهُم اللهُ أيضاً معهُ" (1 تسالونيكي 14:4).

هذا الخلاص بالنعمة الإلهية هو وحده الذي يستطيع أن يقضي على الشر (الشيطان) والخطية والموت وكل تداعيات سقوط الإنسان (خطيئة آدم). "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ (by Grace) مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ (through Faith in Christ Jesus)، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ (أي: نعمة مِن الله الرحيم ولَيْسَ بسبب بِرّكم

الذاتي ولا بسبب أعمالكم الصالحة). لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ[3433]. لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ (for good works)، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا" (أفسس 2:8-10).

خطة الخلاص المسيحية مضمونة لأنها تضع الكرة في "ملعب الله" إن جاز التعبير. فالخلاص مبادرة إلهية. "أَنَا أَنَا الرَّبُّ، وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ" (إشعياء 11:43). "أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ. لَيْسَ سِوَايَ" (إشعياء 21:45). "وَإِلهًا سِوَايَ لَسْتَ تَعْرِفُ، وَلاَ مُخَلِّصَ غَيْرِي" (هوشع 4:13). اللهُ وحده هو الذي يُخلِّص بِالنِّعْمَةِ بِالإِيمَانِ بالفادي والمُخلِّص يسوع المسيح، "إِلهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ [...]. هذَا رَفَّعَهُ اللهُ بِيَمِينِهِ رَئِيسًا وَمُخَلِّصًا، لِيُعْطِيَ إِسْرَائِيلَ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا" (أعمال الرسل 5:30-31). "إِنَّ إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، إِلهَ آبَائِنَا، مَجَّدَ فَتَاهُ يَسُوعَ (الترجمة الأكثر دقة: عَبدَه يَسُوعَ[3434]؛ باليونانية: paida)، [...]، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذلِكَ" (أعمال الرسل 3:13-15).

خطة الخلاص المسيحية مضمونة لأنها مرتبطة بالمسيح الحي. قال المسيح: "أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ" (يوحنا 19:14) "وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا" (يوحنا 3:14). "فالإنسان في المسيح إذا أخطأ يسيء إلى محبة الله فقط ولكن لا يقع تحت حكم الموت. والإساءة إلى محبة الله يمكن علاجها بالاعتراف والندم والعودة إلى المحبة (أي: العودة إلى الله؛ التوبة): "إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (1 يوحنا 9:1)"[3435].

فمما سبق يتضح أن الخلاص "أسلوب حياة" (lifestyle). الخلاص ليس مجرد هدية مجانية قَبِلَها الإنسانُ المؤمن في لحظةٍ ما وانتهى الأمر. الخلاص عملية مستمرة (ongoing process) يعتمد على الإخلاص (faithfulness) المستمر وليس مجرد الإيمان (faith) في لحظة واحدة. فالكلمة اليونانية "pistos" تعني مؤمن وثابت في الإيمان (faithful and never ceases to have faith)[3436]. الخلاص بالنعمة من خلال الإيمان بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الذي صُلِبَ ومات وقام "يتخطّى فعل الإيمان ليشمل استمرار الإيمان. فالإيمان ليس مجرَّدَ حَدَثٍ يحصل مرَّةً واحدةً فحسب، بل هو نمط حياة. والمؤمن الحقيقيُّ الذي حسبه اللهُ بارًّا، يثبت في الإيمان باعتباره نمطاً لحياته"[3437]. "لأن مجرَّد الإيمان يحتمل النكوص، ولكن الثبوت في الإيمان يعني أن الإنسان قد تتلمذ أي أعطي حياتَه للإيمان أو جعل الإيمانَ حياته. [...] فبدون الابن (أي: بدون المسيح) – كما اتفقنا – استحال على الإنسان أن يعرف اللهَ الآب، أو أن يعرف "الحق". لهذا فكل مَنْ يؤمن بالابن يعرف الحق. والحق – وهو الله – يحرّر الإنسانَ من العالم والخطية والموت. لذلك قالها باختصار: "تَعْرِفُونَ الْحَقَّ (أي: الحقيقةَ؛ اللهَ)، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ" (يوحنا 32:8)"[3438].

إذن: الخلاص خطة يومية أو برنامج يومي نتبعه في كل لحظة، حتى نستطيع أن نقوم إذا أسقطتنا إرادتُنا الحرة (free will) في الخطية؛ أو كما قيل: (It is not about never falling; it’s about rising whenever we fall)[3439]؛ وقيل أيضاً: ستظل الخطايا موجودة في حياة الإنسان ولكن المهم

ألا تكون هي القاعدة والأساس. الخطية باقية في العالم منذ آدم إلى اليوم؛ ونحن في حرب مستمرة ضدها. وبالتالي فإن عمل الخلاص لا بد أن يستمر فينا طوال حياتنا بدءاً مِن المعمودية (Baptism) إلى نهاية حربنا ضد الخطية (أي: إلى الموت) مروراً بالاعتراف بالخطايا والتوبة عنها والصلاة والصوم والتناول... إلى آخر هذه الأعمال (الأسرار) التي يجب أن تتم في ضوء الإيمان بدم الفادي والمخلِّص يسوع المسيح. وطبعاً حربنا ضد الخطية ستكون فيها ضيقات وآلام و "اضطِهادات" (مرقس 30:10) يجب أن نحتملها في رضا وشكر "حيث تكون كل ضيقة ومعها آلامها مفروضة ومنتظرة سابقاً بل ومقبولة بلا زعزعة أو شكوى أو طلب الإعفاء منها، وأن يكون في الاعتبار إزاء أي ضيقة عظمى أنها قد تؤدي إلى الموت. لذلك فالموت ينبغي أن يكون مقبولاً باستعداد تسليم النفس والروح منذ البدء بالمسير وراء الرب واتباع المسيح حتى الصليب والموت"، فهذه الاضطهادات هي "الضريبة التي يفرضها العالم ورئيسه (أي: الشيطان) على كل مَن يحتقره ويثبِّت وجهه نحو ميراث الحياة الأبدية ويختار النصيب الصالح"[3440]. وعندما أنتصر – بنعمة الله (God's grace) غير المحدودة – في نهاية هذه الحرب، أستطيع أن أقول بكل ثقة "أنا خلصت" (I Am Saved). "كُنْ أَمِينًا (faithful؛ باليونانية: pistos) إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ" (الرؤيا 10:2)[3441]. "فإنَّ سيرَتَنا (أي: جنسيَّتنا؛ موطننا) نَحنُ هي في السَّماواتِ، التي مِنها أيضاً نَنتَظِرُ مُخَلِّصاً هو الرَّبُّ يَسوعُ المسيحُ [في مجيئه الثاني]، الذي سيُغَيِّرُ شَكلَ جَسَدِ تواضُعِنا ليكونَ على صورَةِ جَسَدِ مَجدِهِ (أي: مثل جسد المسيح بعد قيامته)، بحَسَبِ عَمَلِ استِطاعَتِهِ أنْ يُخضِعَ لنَفسِهِ كُلَّ شَيءٍ" (فيلبّي 20:3-21).

إذن: المهم أن يسلك الإنسانُ المؤمن في النور. "إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّور كَمَا هُوَ (أي: الله) فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ. إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ، نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا. إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (1 يوحنا 7:1-9). "يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا" (1 يوحنا 1:2-2)[3442].

فتوبوا وارجعوا إلى الله ولا تكونوا "كَعِيسُو (Esau)، الَّذِي لأَجْلِ أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ. فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَيْضًا بَعْدَ ذلِكَ، لَمَّا أَرَادَ [عِيسُو] أَنْ يَرِثَ الْبَرَكَةَ رُفِضَ، إِذْ لَمْ يَجِدْ لِلتَّوْبَةِ مَكَانًا، مَعَ أَنَّهُ طَلَبَهَا (أي: طَلَبَ الْبَرَكَةَ) بِدُمُوعٍ" (العبرانيين 16:12-17)[3443].

"اَلآنَ أَنَا أَفْرَحُ، لاَ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ، بَلْ لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ لِلتَّوْبَةِ. لأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ (أي: حَزِنْتُمْ بسبب كسر الوصية الإلهية) [...]. لأَنَّ الْحُزْنَ الَّذِي بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يُنْشِئُ تَوْبَةً لِخَلاَصٍ بِلاَ نَدَامَةٍ [على الخسارة الدنيوية]، وَأَمَّا حُزْنُ الْعَالَمِ (أي: الحزن على الخسارة الدنيوية فقط كفقدان بعض أمور العالم المادية أو المعنوية، بدون توبة) فَيُنْشِئُ مَوْتًا" (2 كورنثوس 9:7-10).

الخلاصة: كل الأدلة النقلية والعقلية تثبت أن قصة توبة آدم وقبول الله توبته هي مجرد فكرة بشرية 100% بدأها التراث اليهودي/المسيحي قبل الإسلام ثم أكملها القرآن العربي.

وليس لدينا أدنى اعتراض على التوبة في حد ذاتها. بالعكس، نحن نؤمن إيماناً راسخاً بأهمية التوبة، لكنها يجب أن تتم في سبيل الإيمان بدم الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ الذي بذله الله بموته على الصليب ثم أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ.

4.6.3.10 القيامة (Resurrection) وخطة الخلاص (Salvation Plan)

لا نجد في القصة التوراتية إشارةً واضحة وصريحة إلى القيامة. فحين تقرأ القصة التوراتية، تشعر أن موت الإنسان ودفنه هو النهاية! قال اللهُ لآدم: "بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (التكوين 3:19). لا توجد خطة خلاص تُعيد الحياةَ إلى الإنسان!

أما حين تقرأ القصةَ القرآنية برواياتها الثلاث فتجد في نهايتها خطة الخلاص الإسلامية (الأعراف 35-36) (طه 123-124) (البقرة 38-39) وإشارات واضحة وصريحة إلى القيامة. فلقد أشار صاحبُ رواية سورة طه صراحةً إلى يوم القيامة، "قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى (guidance) فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ" (طه 123-124). وكذلك نجد إشارات إلى يوم القيامة في روايتي سورتي الأعراف والبقرة، مثل البعث "مِنْهَا تُخْرَجُونَ (أي: مِن الأرض تُبْعَثُونَ)" (الأعراف 25) والحساب والجزاء للكافرين "أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ (أي: نار جهنم) ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة 39) (الأعراف 36).

السؤال: لماذا وضع أصحابُ القرآن خطةَ الخلاص وعقيدةَ القيامة في نهاية قصة سقوط الإنسان (آدم)؟

والإجابة كما توقعتم هي: لأنهم تأثروا بالتراث اليهودي المتأخر (post-Biblical) والتراث المسيحي (السرياني بصفة خاصة) الذي وضع نفس العقائد في نفس الموضع! إما عن طريق تفسير وتأويل ما تقوله التوراة، وإما عن طريق إضافة جملة أو أكثر إلى ما تقوله التوراة.

ونبدأ أولاً بالديانة المسيحية وتراثها. إذ ليس من المبالغة أن نقول إن المسيحية هي ديانة القيامة. فبدون قيامة لا توجد مسيحية. "فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ، وَنُوجَدُ نَحْنُ أَيْضًا شُهُودَ زُورٍ للهِ، لأَنَّنَا شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ وَهُوَ لَمْ يُقِمْهُ، إِنْ كَانَ الْمَوْتى لاَ يَقُومُونَ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتى لاَ يَقُومُونَ، فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ. وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ!" (1 كورنثوس 15:13-17). ولذلك يحتفل المسيحيون بجميع طوائفهم كل سنة بـ "عيد القيامة"، بينما لا نجد عيداً مماثلاً في الديانتين اليهودية والإسلامية!

وفيما يتعلق بقصة سقوط الإنسان تحديداً، فكما قلنا فيما سبق: الآية التوراتية "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ (أي: الحية؛ الشيطان) وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ" (التكوين 15:3) تُسمَّى "بِكْر النبوات" أو "الإنجيل الأول"، لأنها - حسب الفكر المسيحي - أول نبوة كتابية عن المسيح نسل المرأة (مريم العذراء؛ حواء الثانية؛ حواء الجديدة) الذي يسحق رأس الشيطان؛ وبما أن الشيطان هو سبب الخطيَّة التي أدت إلى موت الإنسان، فإن سَحْق رأس الشيطان يعني أن المسيح يُعيد إلى الإنسان خلودَه الذي سلبه الشيطانُ منه بالخطيَّة. إذن: هذه النبوة هي نقطة البداية لخطة الخلاص (Salvation Plan) المسيحية التي اكتملت بعد ذلك بآلاف السنين في شخص المسيح المُخلِّص الذي مات على الصليب ودُفِنَ وقام من الأموات، أي: انتصر على الموت فهزم الشيطانَ وسحق رأسَه وأعطانا بذلك القدرةَ نحن أيضاً أن ننتصر على الموت فنقوم لنحيا حياةً أبدية. "الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ. فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ (هو: آدم)، بِإِنْسَانٍ (هو: المسيح) أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ. لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ (آدم الثاني؛ آدم الجديد؛ آدم الأخير) سَيُحْيَا الْجَمِيعُ" (1 كورنثوس 15:20-22). إذن: موت الإنسان ودفنه ليس النهاية. وإنما يوجد رجاء هو القيامة إلى الحياة الأبدية التي يهبها اللهُ لكل مَن يؤمن بالمسيح الفادي المُخلِّص. قال يسوعُ المسيح نفسه: "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ (أي: اليهود وغير اليهود) حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ (أي: الفريد والْوَحِيد مِن نوعه وهو الإنسان يسوع المسيح[3444])، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ" (يوحنا 3:16-18). "عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ (أي: الآنَ) مِنْ أَجْلِكُمْ، أَنْتُمُ الَّذِينَ بِهِ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْدًا، حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ" (1 بطرس 1:18-21). "حَسَبَ إِعْلاَنِ السِّرِّ الَّذِي كَانَ مَكْتُومًا فِي الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَلكِنْ ظَهَرَ الآنَ، وَأُعْلِمَ بِهِ جَمِيعُ الأُمَمِ (أي: ليس اليهود فقط) بِالْكُتُبِ النَّبَوِيَّةِ حَسَبَ أَمْرِ الإِلهِ الأَزَلِيِّ، لإِطَاعَةِ الإِيمَانِ، للهِ الْحَكِيمِ وَحْدَهُ، بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ" (رومية 16:25-27). "بِحَسَبِ قُوَّةِ اللهِ، الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ (by Grace) الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ. الَّذِي جُعِلْتُ أَنَا لَهُ كَارِزًا وَرَسُولاً وَمُعَلِّمًا لِلأُمَمِ (أي: ليس اليهود فقط)" (2 تيموثاوس 1:8-11)[3445]. "اعْلَمُوا إِذًا أَنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ أُولئِكَ هُمْ بَنُو إِبْرَاهِيمَ. وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ «فِيكَ (أي: في نَسْلِكَ) تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ[3446]». [...] اَلْمَسِيحُ [ابنُ إبراهيم] افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ». لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ (through Faith) مَوْعِدَ الرُّوحِ (أي: الخلاصَ؛ الحياةَ الأبديةَ). [...] وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ: «وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ

وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ. [...] لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ (in Christ Jesus). لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ (أي: لَبِسْتُمْ بِرَّ الْمَسِيحِ): لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ" (غلاطية 3:7-29).

بمرور الزمن، قام آباءُ الكنيسة (Church Fathers) - سواء في الغرب اللاتيني أو في الشرق اليوناني والسرياني - بدورٍ مهم في شرح خطة الخلاص المسيحية وربطها بقصة سقوط الإنسان (خطيئة آدم). فنجد مثلاً القديس "جيروم" (Saint Jerome) (ت 420م) – الذي ترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية – يقول تعليقاً على "لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (التكوين 3:19): "كما يُقال للخاطي: أنت تُرَابٌ وَإِلَى الترابِ تَعُودُ، هكذا يُقال للقديس: أنت سماء وإلى السماءِ تعود"[3447]. وكذلك قال أستاذه المصري القديس "ديديموس الضرير" (St. Didymus the Blind) (ت 398م) تعليقاً على "حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا" (التكوين 3:19)، ففسرها ديديموس تفسيراً رمزياً (allegorical) اعتماداً على أن الله لم يقل لآدم "حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ" وإنما قال له "حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا (أي: خُلِقْتَ مِن ترابها)". وإذا افترضنا أن آدم خُلِقَ من ترابِ أرضٍ قريبةٍ من جنة عدن[3448] (الفردوس Paradise حسب الترجمة السبعينية اليونانية)، فإن الآية تعني: حتى تعود إلى الفردوس. وبما أن ديديموس كان يعتقد أن الفردوس مكان سماوي (heavenly place) سواء بالمعنى المجازي أو الحقيقي[3449]، فإن "حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا" (التكوين 3:19) تعني حسب ديديموس: حتى تُقَامُ "جِسْمًا رُوحَانِيًّا" (1 كورنثوس 15:44) فتعود إلى الفردوس (السماء) لتحيا الحياة (الأبدية) التي كان ينبغي أن تحياها لولا سقوطك[3450].

وبغض النظر عن مدى صحة هذه التفاسير المسيحية التي قد تبدو ملتوية ومتكلفة، فإن ما يهمنا هو أنه قبل الإسلام كانت هناك محاولات كثيرة لربط أول قصة إنسانية في الكتاب المقدس وهي قصة سقوط الإنسان بأهم عقيدة في الديانة المسيحية وهي عقيدة القيامة. بعبارة أخرى أكثر بساطة: إذا كانت المشكلة هي سقوط آدم ابن الله الأول "كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رومية 5:12)، فإن الحل هو قيامة الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الوحيد "لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا 3:16).

وإذا نظرنا إلى التراث المسيحي السرياني، فسنجد مثلاً في كتاب "مغارة الكنوز" السرياني – المعاصر لكتاب "القرآن" العربي، أو على الأرجح قبله بقليل – أنه في نهاية القصة (أي: أثناء طرد آدم وحواء من الجنة) أعطى اللهُ لآدم خطةَ الخلاص المسيحية التي سيقوم بها الابنُ (أي: يسوعُ المسيح). ولكي تتضح الأمور سنذكر الجمل المهمة من الترجمة الإنجليزية لكتاب مغارة الكنوز السرياني[3451]:

Chapter 5 (The expulsion from Eden):

> […] three hours they (i.e. Adam and Eve) remained being stripped naked, and in the ninth hour their descent from paradise took place. When they left it in grief God spoke with Adam, comforted him and told him: "Do not grieve, Adam, because I will return your inheritance to you. Behold, I love you so much that I cursed the whole earth on your account and excepted you from the curse. […] Leave now, because you transgressed my commandments, but do not grieve, for after the completion of the time declared for you to spend in exile upon the cursed earth I shall send my son (i.e. Jesus Christ). He will descend for your salvation, dwell within a virgin (i.e. Mary) and put on a body. Through him your salvation and return will be wrought. But command your children and tell them to embalm your body after your death […] and put it (i.e. your body) down where I am going to show you, in the middle of the earth, because there salvation will be wrought for you and all your offspring." Then God revealed to Adam all that the Son was going to suffer on his behalf. […]

[← وفي نفس الموضع – أي: في نهاية القصة القرآنية أثناء أو بُعيد طرد آدم وحواء من الجنة – قال أصحابُ القرآن إن الله أعطى لآدم وحواء خطةَ الخلاص. وطبعاً ليست خطة الخلاص المسيحية، وإنما خطة خلاص أخرى "إسلامية" (الأعراف 35-36) (طه 123-124) (البقرة 38-39)!].

نكتفي بهذا القدر من التراث المسيحي، فننتقل الآن إلى التراث اليهودي ...

وفي الواقع، لقد أشرنا من قبل إلى ذِكر القيامة وخطة الخلاص واستعادة مجد آدم الذي فقده بسبب خطيئته، فراجِع ما قلناه عن كتاب حياة آدم وحواء وبخاصة الفصول الأخيرة مِن مخطوطه اليوناني (رؤيا موسى Apocalypse of Moses) ولا داعي لتكرار ما قلناه. فإذا افترضنا أن كتاب رؤيا موسى يضم أفكار يهودية نشأت قبل الميلاد، فهذا قد يعني أن هذه الأفكار اليهودية ربما أثّرت على الفكر المسيحي بعد ذلك. يقول العالِمُ الكبير (Prof. James L. Kugel)[3452]:

> Early Christian interpreters saw the Fall of Man as a temporary state of affairs ultimately set aright by the Resurrection. But it should be noted that [some Jewish] sources had in some fashion envisaged a restoration of Adam's lost glory; this idea is thus pre-Christian. (The *Apocalypse of*

Moses, in particular, may have been known to Paul and influenced his views. […]).

أما نحن فما يهمنا هو تأثير هذا التراث اليهودي←المسيحي على الإسلام. وسنكتفي هنا بمثالين، أحدهما لجأ إلى طريق تفسير وتأويل ما تقوله التوراة (التكوين 19:3) بينما لجأ الآخر إلى إضافة جملة أو أكثر إلى ما تقوله التوراة (التكوين 19:3).

المثال الأول من المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 20.10) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[3453] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة. تقول الفقرة العاشرة من الفصل العشرين تعليقاً على "لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (التكوين 19:3)[3454]:

FOR DUST THOU ART, AND UNTO DUST SHALT THOU RETURN. R. Simeon b. Yoḥai said: Here Scripture hints at resurrection, for it does not say, FOR DUST THOU ART, AND UNTO DUST SHALT THOU go, but SHALT THOU RETURN {footnote: Which he interprets: thou shalt go to the dust, yet shalt thou return – at the resurrection.}.

المثال الثاني مِن الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد[3455]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة. ومِن المعلوم أن ترجوم نيوفيتي ليس ترجمة حرفية للتوراة، وإنما ترجمة تفسيرية (interpretive translation) للتوراة، بل ترجمة + شرح (تعليق) يضيف كثيراً من التفاصيل غير الموجودة في التوراة. وأحياناً تكون هذه الإضافات لأسباب سياسية أو اجتماعية أو دينية معاصرة؛ مثلاً: الإشارة إلى الخلاف بين المدارس الفقهية اليهودية في القرن الأول الميلادي حول عقيدة القيامة والحساب والجزاء والحياة بعد الموت. إذن: الترجوم الآرامي ليس نسخة طبق الأصل من التوراة، وإنما تطور بشري طبيعي (natural human development) للتوراة. يعني مثل القرآن العربي. أو بعبارة أكثر دقة: التوراة العبرية **[← الترجوم الآرامي (نيوفيتي) ← الترجوم العربي (القرآن)].**

أضاف ترجوم نيوفيتي إلى نهاية (التكوين 19:3) جملةً تدل على القيامة: البعث والحساب!

(ترجوم نيوفيتي[3456]. التكوين 3): {19} بِعَرَقِ جبينك تَأْكُلُ الخبز حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي خُلِقْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى الترابِ تَعُودُ. ولكنك من التراب تنهض (هي: نهضة القيامة) لتهب دَيناً وحساباً (arise again to give an account and a reckoning) عن كل ما صنعت[3457].

اقرأ الآن (الأعراف 25) وستشعر أنك تقرأ ترجوم عربي للترجوم الآرامي للتوراة العبرية: "قَالَ [الله:] فِيهَا (أي: في الأرض) تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ [وتُدفَنون] وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (أي: تُبعَثون)" (الأعراف 25). وفي الترجوم الآرامي (نيوفيتي) والترجوم العربي (قرآن)، الهدف واحد: تعزية آدم وطمأنته أن طرده من الجنة ثم حياته على الأرض ثم موته ودفنه ليس النهاية، وإنما توجد بعد ذلك قيامة من الأموات. وفي ضوء خطة الخلاص، تؤدي هذه القيامة إلى الحياة الأبدية إذا اتَّبَعَ الإنسانُ هُدى الله فاتَّقَى وعمل أعمالاً صالحة (الأعراف 35) (طه 123) (البقرة 38)[3458].

اتفاق القرآن مع التراث اليهودي/المسيحي البشري في الهدف والفكرة والكلمات وموضعها في القصة يكفينا كدليل قاطع يثبت أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله.

بل إن كل ما سبق يثبت أن القرآن ليس كلام الله وإنما كلام بشر 100% ويجب وضعه في نفس الخانة مع الترجوم والمدراش والتلمود والسوديبِجرافا والعظات والكتب السريانية ... الخ. فلولا التراث اليهودي والتراث المسيحي (السرياني بصفة خاصة) لمَا ظهر القرآنُ أو لتأخر ظهوره كثيراً.

وطبعاً توجد اختلافات آخرى بين القصة التوراتية والقصة القرآنية، لكنها أقل أهمية من الاختلافات التي ذكرناها؛ ولو تتبعنا كل اختلاف منها لوصلنا إلى جذوره فى الفكر اليهودى و/أو المسيحى السريانى الذى سبق الإسلام[3459]، أى أن مصدره مصدر بشري، وليس وحياً مِن الله كما يتوَّهم المسلمون.

نعتقد أنه بعد كل هذا الحديث عن الكتابات اليهودية والمسيحية السابقة للقرآن، علينا جميعاً أن نضرب عرض الحائط بكل البروباجاندا الإسلامية المضللة التي تزعم أن مصدر القرآن هو الوحي الإلهي!

نحن نقول بكل ثقة ويقين وطمأنينة وراحة ضمير إن مصدر القرآن هو الفكر البشري اليهودي والمسيحي (السرياني بصفة خاصة) الذي انتقل إلى العرب – أو بعبارة أكثر دقة: تفاعل معه العرب بالتطور البشري الطبيعي – فاستطاعوا أن ينتجوا كتابهم العربي "القرآن".

ونحن نتفق تماماً مع العالم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) حين قال إن هذه الكتابات اليهودية والمسيحية السابقة للقرآن كانت مثل "الكوبرى" (bridge) بين قصة جنة آدم وحواء المذكورة فى التوراة والقصة المناظرة لها فى القرآن[3460]:

Thus Jewish and Christian midrash act as a sort of bridge between the Biblical and Qur'ānic garden accounts.

ونختم كلامنا عن قصة سقوط الإنسان بما قاله (Prof. Michael Pregill) عن كل الرواية القرآنية السابعة والأخيرة (البقرة 30-34) + (البقرة 35-39)[3461]:

A superlative example of Qurʾān as rewritten Torah: a Biblical narrative is drawn out of its original context and reshaped according to both the larger exegetical tendencies of the day and the predominant thematic concerns and theological outlook of Qurʾānic discourse. The direct parallels in wording between vv. 35–39 and the narrative of the Fall in Genesis 2–3 suggest a close relationship with the canonical precursor, but combined with certain well-established mythemes that circulated widely in Late Antiquity, knitted together into a coherent whole and reshaped to advance the Qurʾān's particular viewpoint and agenda.

In Second Temple and late antique Jewish literature, the mytheme of angelic opposition to the creation of humanity overlaps with that of angelic opposition to the revelation of the Torah. Here it is synthesized with two other narrative complexes, the fall of Adam and the fall of Iblīs; the latter conspicuously draws on still other well-established mythemes, especially Enochic traditions on the fallen angels as well as the prostration story, which unlike most of the other narrative components here seems to be distinctively Christian ([…]). The symmetry between Iblīs' sin and that of Adam is largely implicit here, but more developed elsewhere in the Qurʾān.

The major theme of the [Qurʾānic] story is not the perversion of human will or the inevitability of ruptures in the divine-human relationship (the abiding themes of Christian and Jewish exegesis of the story respectively) but rather that of God's overwhelming sovereignty, which is here asserted over the angels, Adam, and Iblīs alike. […]

V. 34: A verse which features the ubiquitous root *K-F-R*, forms of which are deployed more than five hundred times in the Qurʾān. The centrality of this root links the Qurʾān both linguistically and conceptually with a rich array of late antique precursors, both Jewish and Christian. […]

ونحن نرى أن رأيه المهم ينطبق أيضاً على الروايات القرآنية الست الأخرى، وبخاصة رواية سورة الأعراف.

4.6.4 جذور قصة الشجرة الْمُحَرَّمَة في التراث الأدبي لحضارات بلاد ما بين النهرين

بعد أن تحدثنا عن الجذور اليهودية والمسيحية لقصة الشجرة الْمُحَرَّمَة، لم يتبق لنا سوى أن نذكر جذورها العميقة. نقصد: جذورها في أساطير "الأدب الميزوبوتاميان (أي: الرافديني)" (Mesopotamian literature)، أي أساطير التراث الأدبي لحضارات بلاد ما بين النهرين.

طبعاً نحن لا نقول إن هذه الأساطير الميزوبوتاميان قد وصلت إلى أصحاب القرآن بطريق مباشر، وإنما نقول إنها وصلت إليهم بطريق غير مباشر سواء عن طريق اليهود (بني إسرائيل) الذين عاشوا فترة طويلة في بابل (العراق) وكنعان (إسرائيل/فلسطين)[3462] أو عن طريق المسيحيين السريان الذين سكنوا لقرون طويلة في فارس (إيران) والعراق والشام أو عن طريق نصارى العرب (المناذرة والغساسنة) الذين كانوا يعيشون في جنوب العراق وجنوب الشام قبل وأثناء ظهور الإسلام.

ولا غرابة في وجود جذور عراقية قديمة لقصة سقوط آدم، فكما قلنا فيما سبق إن القصة التوراتية نفسها تحمل في ثناياها دلالات على جذورها العراقية القديمة، مثل ذِكر نهر الفرات ونهر دجلة "حِدَّاقِل، وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُّورَ" (التكوين 2:14) وكذلك ارتباط اسم "عَدْن" بكلمة من بلاد ما بين النهرين تعني "سهل".

وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي هنا بأسطورتين فقط: الأسطورة الأولى أسطورة سومرية تُسمَّى أسطورة "إنكي ونينهورساج" (Enki and Ninhursag)؛ والأسطورة الثانية أسطورة أكادية (عراقية قديمة) تُسمَّى أسطورة "أدابا" (Adapa).

4.6.4.1 أسطورة "إنكي ونينهورساج" (Enki and Ninhursag)

نبدأ بأسطورة "إنكي ونينهورساج" (Enki and Ninhursag) التي يعود تاريخها إلى النصف الأول مِن الألفية الثانية قبل الميلاد[3463] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر مِن 2000 سنة! بل قبل جميع الديانات الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية والإسلام)! فهي بذلك تُعتبر أول أسطورة تذكر فكرة "العقاب نتيجة الأكل مِن شجر الجنة". وسنشرح أهم عناصر هذه الأسطورة السومرية موضحين تطورها البشري الطبيعي في التوراة والإنجيل والقرآن بعلامة **[←]** كما تعودنا.

الشخصيات. أبطال الأسطورة ثلاثة:

- الإله "إنكي" (Enki) **[← آدم (الإنسان الأول)[3464]]**؛
- الإلهة "نينهورساج" (Ninhursag) **[← الله]**؛
- "إيزيمود" (Isimud) **[← الحيَّة (التوراة) ← الشيطان (الإنجيل ومغارة الكنوز والقرآن)]**.

المكان. تدور أحداث الأسطورة في منطقة "دلمون" (Dilmun) **[← "جَنَّةِ عَدْنٍ" (التوراة) ← "الْجَنَّةِ" (القرآن)]**، وهي منطقة على الأرض وتقع على الأرجح في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فارس (إيران)؛ قيل: الكويت أو البحرين أو قطر حالياً. ويُشار إلى دلمون أحياناً باعتبارها "فردوس الآلهة" (garden of the gods) أو "الفردوس الإلهي" (divine paradise) عند السومريين[3465]. ونعتقد أن دلمون تستحق هذا اللقب لعدة أسباب، أهمها:

- تقول الأسطورة إن الإله "إنكي" (Enki) إله الماء قد طلب من الإله "أوتو" (Utu) إله الشمس أن يُخرج المياه العذبة مِن الأرض ويروى بها التربة بوفرة. فلما فعل الإله أوتو ذلك، أصبحت دلمون (الجنة السومرية) حديقة عامرة بالمروج الخضراء وأشجار الفاكهة. (قارن بين هذا الوصف ووصف القرآن للجنة بما فيها مِن أنهار وفاكهة؛ مثلاً: (ص 50-51) (الواقعة 12-40).)
- تصف الأسطورةُ منطقةَ دلمون بصفات مثالية جداً فهي أرض الخلود (immortality) **[← جَنَّة الخلد]**، أرض الأحياء التي ليس فيها موت أو مرض أو ألم أو عجز أو حزن ... الخ. وهي أيضاً منطقة مقدسة ونقية ومضيئة فيها الأسد لا يقتل والذئب لا يهجم على الحملان!
- طبقاً لما ورد في أسطورة سومرية أخرى – هي "ملحمة زيوسودرا" (Epic of Ziusudra) التي تحكي قصة الطوفان (شبيه بطوفان نوح) – فإن دلمون هي المكان الذي سينعم فيه الملكُ "زيوسودرا" (Ziusudra) بعد نجاته (خلاصه) مِن الطوفان بالخلود والحياة الأبدية مثل الآلهة[3466] **[← جَنَّة الخلد]**.

باختصار: تدور أحداث أسطورة "إنكي ونينهورساج" في مكان يشبه إلى حد كبير الجَنَّة التي دارت فيها قصة الشجرة الْمُحَرَّمَة[3467]، أو "جنة الخلد" التي يحلم كل مسلم أن يفوز بها في الآخرة.

نحكي باختصار أهم ما جاء في هذه الأسطورة السومرية الطريفة: أنبتت الإلهةُ نينهورساج ثمانيةَ نباتات في دلمون **[← أنبت الله الشجرةَ في الجنة]**. فضول الإله إنكي **[← آدم]** جعله يريد أن يعرف كل نبات مِن هذه النباتات الثمانية ويقرر مصيره – أي فيمَ يمكن أن يُستخدَم كل نبات. ولكن إنكي **[← آدم]** أراد أولاً أن يعرف اسم ومذاق كل نبات **[← أراد أن يذوق ثمر الشجرة]**.

استعان إنكي **[← آدم]** بـ "إيزيمود" (Isimud) **[← الحيَّة (التوراة) ← الملاك الساقط الشيطان (الإنجيل ومغارة الكنوز) ← الشيطان (القرآن)؛ قيل إنه من الملائكة وقيل إنه من الجن]** الذي أخبر إنكي **[← آدم]** باسم كل نبات **[← في الأسطورة القرآنية، آدم هو الذي أخبر الملائكة بأسماء الأشياء "قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ [...]" (البقرة 33)]**.

ثم أعطى إيزيمود لإنكي قطعةً من كل نبات ليذوقها **[← في التوراة والقرآن، الشيطان وسوس للإنسان أن يأكل من الشجرة]**. وهكذا أكل إنكي مِن كل نبات مِن النباتات الثمانية **[← وهكذا أكل آدم مِن**

الشجرة]. هذا التصرف أغضب نينهورساج **[← أغضب اللهَ]** وجعلها تعاقب إنكي **[← وجعل الله يعاقب آدمَ]** على ما فعله بأن تقرر هي مصيره. العقاب الذي قررته نينهورساج **[← الله]** على إنكي **[← آدم]** هو أن يكون مصيره الموت **[← "مَوْتًا تَمُوتُ" (التكوين 2:17)]** – أي أنه سيفقد الخلود.

وحتى تضمن نينهورساج ألا يحن قلبها على إنكي أو تتراجع عن قرارها بعقابه، قررت نينهورساج أن تخرج مِن مجمع الآلهة وتختفي **[← الانفصال بين الله وآدم؛ لكن هنا نينهورساج (الله) هي التى تخرج، وليس إنكي (آدم). في التوراة والقرآن، آدم/إنكي هو الذي خرج]**. فبدأت صحة إنكى فى التدهور، وأُصِيبَ بالمرض فى ثمانية أجزاء من جسده **[← "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (أي: ضَلَّ عن الصواب والرشد؛ خاب وفسد عيشه)" (طه 121)]**.

خطة الخلاص (Salvation Plan) السومرية: بعد ذلك، استطاع الثعلبُ – بطريقة لا نعلمها – أن يعيد نينهورساج إلى مجمع الآلهة لكي تعالج إنكي وتشفيه. عند وصول نينهورساج، كان إنكى فى أسوأ حالاته الصحية.

تنتهى الأسطورة السومرية بمشهد كله حنان: تُجلِس نينهورساج إنكي بالقرب منها وتسأله عن الأجزاء الثمانية التي تسبب له ألماً. وكلما ذكر لها إنكي واحداً من هذه الأجزاء، تخلق نينهورساج له إلهاً أو إلهةً لكي يعالجه ويشفيه **[← الله يتوب على آدم: "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى" (طه 122)]**.

مما سبق يتضح أن أسطورة إنكي ونينهورساج هى اللَّبِنَةَ الأولى لقصة الشجرة الْمُحَرَّمَة التى تطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور السنين والقرون إلى أن سجَّلها أصحابُ القرآن في ثلاث سور قرآنية (الأعراف وطه والبقرة).

ومِن مظاهر هذا التطور البشرى الطبيعى هو الدور الذى لعبه إيزيمود (Isimud) **[← الحيَّة (التوراة) ← الشيطان (الإنجيل ومغارة الكنوز والقرآن)]** الذي تحوَّل مِن مجرد مُعِين أو مُساعِد (كما جاء في الأسطورة السومرية) إلى مُحرّض (كما جاء في التوراة والإنجيل والقرآن).

بعبارة أخرى: تم تضخيم الدور الذي لعبه إيزيمود/الشيطان حين انتقلت هذه الأسطورة غير الإبراهيمية إلى الديانات الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية والإسلام). وهذا أمر طبيعي – بل طبيعي جداً – ويحدث كثيراً حين تنتقل الأساطير من ثقافة إلى أخرى.

4.6.4.1.1 جذور اسم "حواء" (Eve) (Ève) في أسطورة "إنكي ونينهورساج" السومرية

قبل أن ننتقل إلى الأسطورة الثانية، نتحدث قليلاً عن نقطة فرعية لكن لها علاقة بالموضوع، وهي: ما الذى جعل الديانات الإبراهيمية تقول إن اسم امرأة آدم هو "حواء" وإنها خُلِقت مِن "ضلع" آدم؟ ولماذا "الضلع" (rib) (côte) بالذات؟

نجد إجابة هذا السؤال المهم في نفس الأسطورة السومرية "إنكي ونينهورساج"! مما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك وجود علاقة بين هذه الأسطورة غير الإبراهيمية وأسطورة آدم وحواء الإبراهيمية.

نبدأ حديثنا بما قاله العالم الكبير (Prof. Samuel Noah Kramer)[3468]:

In the Sumerian poem, one of Enki's sick organs is the rib. The Sumerian word for "rib" is *ti* (pronounced *tee*). The goddess created for the healing of Enki's rib is called Nin-ti, "the lady of the rib." But the Sumerian word *ti* also means "to make live." The name Nin-ti may therefore mean "the lady who makes live," as well as "the lady of the rib." In Sumerian literature, therefore, "the lady of the rib" came to be identified with "the lady who makes live" through what may be termed a play on words.
Dans notre poème, l'une des parties malades du corps d'Enki est justement une « côte ». Or, en sumérien, côte se dit: *ti*. La déesse créée pour guérir la côte d'Enki est appelée Ninti, « la Dame de la côte ». Mais le mot sumérien *ti* signifie également « faire vivre ». Les écrivains sumériens, en jouant sur les mots, en vinrent à identifier « la Dame de la côte » à « la Dame qui fait vivre ».

أي أنه في الأسطورة السومرية: كان أحد الأجزاء المريضة في جسد إنكي هو "ضلعه". وكلمة "ضلع" بالسومرية تُنطق (تِي)، والإلهة التي خُلِقت لكي تعالج ضلع إنكي كانت تُدعَى (نِين-تِي) أي "سيدة الضلع". لكن كلمة (تِي) في السومرية تعني أيضاً "يُحْيِي"، وبالتالي فإن (نِين-تِي) قد تعني أيضاً "السيدة التي تُحْيِي". وبذلك استطاع الكتاب السومريون عن طريق هذا اللعب بالكلمات أن يصلوا إلى أن "سيدة الضلع" هي "السيدة التي تُحْيِي". انتهت الترجمة.

هذا في الأساطير السومرية **<u>قبل</u>** كل الديانات الإبراهيمية. فماذا عن التوراة والقرآن؟

"السيدة التي تُحْيِي" (في الأسطورة السومرية) تحوَّلت إلى "حواء" (في التوراة). تقول التوراة إن آدم "دَعَا اسْمَ امْرَأَتِهِ «حَوَّاءَ» لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ" (التكوين 3:20). واسم "حواء" بالعبرية مأخوذ مِن أصل قريب جداً مِن كلمة "يحيا"[3469].

و "سيدة الضلع" (في الأسطورة السومرية) تحوَّلت أيضاً إلى "حواء" (في التوراة)، المرأة التي خلقها الرب الإله مِن آدم بعد أن أخذ "ضلع" من أضلاعه: "وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ». [...] فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، **فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ** وَمَلأَ مَكَانَهَا

لَحْمًا. **وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ** الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ **امْرَأَةً** وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا **مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ**»" (التكوين 2:18-23).

وهكذا صار آدم وحواء أَوَّلَ عريس وعروسة (the first couple) وصار اللهُ أَوَّلَ مأذون شرعي في تاريخ البشرية! بل صار اللهُ أَوَّلَ طبيب تخدير (anaesthesia) وأَوَّلَ دكتور جراح (surgeon) في تاريخ البشرية! فكما خَلَقَتْ الإلهةُ نينهورساج سيدةَ الضلع في الأسطورة السومرية لتخفف آلام ضلع إنكي، كذلك خَلَقَ اللهُ حواءَ زوجة آدم مِن ضلع آدم بعملية غير مؤلمة (a painless operation)!

بمرور الزمن انتقلت الأسطورة السومرية والآيات التوراتية إلى الإسلام بمصدريه الأساسيين (القرآن والسُّنَّة الصحيحة) ...

لا يذكر القرآنُ أسماء النساء؛ وإنما يشير إلى المرأة عادةً باسم زوجها (Mrs. X)[3470] كما هي الحالة هنا: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ (Mrs. Adam) الْجَنَّةَ [...]" (البقرة 35)؛ (الأعراف 19). ولذلك لا نجد اسمَ "حواء" فى القرآن. لكن من المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن حواء زوجة آدم.

وبعد القرآن، جاء رواةُ الأحاديث وذكروا اسمَ "حواء" في أحاديث صحيحة مرفوعة متفق عليها أخرجها الشيخان البخاري ومسلم، مثل: "لَوْلاَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ (أى: لم ينتن) اللَّحْمُ، وَلَوْلاَ حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا"[3471]. وبغض النظر عن الكلام غير العلمي في جملة "لَوْلاَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ"، فإن ما يهمنا هو الجملة الثانية: "وَلَوْلاَ حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا"! قال ابنُ حجر العسقلاني في شرحها: "فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا وَقَعَ مِنْ حَوَّاءَ فِي تَزْيِينِهَا لِآدَمَ الْأَكْلَ مِنَ الشَّجَرَةِ حَتَّى وَقَعَ فِي ذَلِكَ، فَمَعْنَى خِيَانَتِهَا أَنَّهَا قَبِلَتْ مَا زَيَّنَ لَهَا إِبْلِيسُ حَتَّى زَيَّنَتْهُ لِآدَمَ، وَلَمَّا كَانَتْ هِيَ أُمَّ بَنَاتِ آدَمَ أَشْبَهْنَهَا بِالْوِلَادَةِ وَنَزْعِ الْعِرْقِ فَلَا تَكَادُ امْرَأَةٌ تَسْلَمُ مِنْ خِيَانَةِ زَوْجِهَا بِالْفِعْلِ أَوْ بِالْقَوْلِ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْخِيَانَةِ هُنَا ارْتِكَابَ الْفَوَاحِشِ حَاشَا وَكَلَّا، وَلَكِنْ لَمَّا مَالَتْ إِلَى شَهْوَةِ النَّفْسِ مِنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ وَحَسَّنَتْ ذَلِكَ لِآدَمَ عُدَّ ذَلِكَ خِيَانَةً لَهُ، وَأَمَّا مَنْ جَاءَ بَعْدَهَا مِنَ النِّسَاءِ فَخِيَانَةُ كُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِحَسَبِهَا. وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا حَدِيثُ "جَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ" وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى تَسْلِيَةِ الرِّجَالِ فِيمَا يَقَعُ لَهُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ بِمَا وَقَعَ مِنْ أُمِّهِنَّ الْكُبْرَى، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ طَبْعِهِنَّ فَلَا يُفْرِطُ فِي لَوْمِ مَنْ وَقَعَ مِنْهَا شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَيْهِ أَوْ عَلَى سَبِيلِ النُّدُورِ، وَيَنْبَغِي لَهُنَّ أَنْ لَا يَتَمَكَّنَّ بِهَذَا فِي الِاسْتِرْسَالِ فِي هَذَا النَّوْعِ بَلْ يَضْبِطْنَ أَنْفُسَهُنَّ وَيُجَاهِدْنَ هَوَاهُنَّ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ"[3472]! وكذلك قال النووي باختصار: "قَالَ الْقَاضِي: وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهَا (أي: حواء) أُمُّ بَنَاتِ آدَمَ فَأَشْبَهْنَهَا، وَنَزَعَ الْعِرْقُ لِمَا جَرَى لَهَا فِي قِصَّةِ الشَّجَرَةِ مَعَ إِبْلِيسَ، فَزَيَّنَ لَهَا [إبْلِيسُ] أَكْلَ الشَّجَرَةِ فَأَغْوَاهَا، فَأَخْبَرَتْ آدَمَ بِالشَّجَرَةِ فَأَكَلَ مِنْهَا"[3473]!

إذن: حسب هذا الحديث وشرحه، حواء قد أُغْوِيَتْ أولاً ثم تبعها آدم. وطبعاً، هذا الحديث الصحيح المرفوع المتفق عليه متأثر بالكتاب المقدس أكثر من تأثره بالقرآن! بل يبدو أن ابن حجر والنووي هنا كانا يشرحان التوراة! إذ تقول التوراةُ إن حواء هي أول إنسان يتحدث إليه الْحَيَّة (الشيطانُ) (التكوين 3:1) وهي أول إنسان يتحدث إلى الشيطان (التكوين 3:2)، بل تحدثتْ حواءُ إلى الشيطان قبل أن تتحدث إلى آدم زوجها!

فكانت النتيجة هي: "خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا" (2 كورنثوس 11:3). أي أن الْحَيَّة (الشيطان) غَرَّت حواء أولاً بالأكل من الشجرة الْمُحَرَّمَة، ثم "أَخَذَتْ [حواءُ] مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا (أى: زوجَها آدم) أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ" (التكوين 3:1-6).

وهذه الفكرة المعادية للمرأة (misogynistic) والموجودة في الديانات الإبراهيمية كانت – ولا تزال – تُستخدَم لتبرير اضطهاد المرأة وإخضاعها للرجل ومحاصرتها في دور الزوجة والأم فقط؛ زوجة الرجل وأم الأولاد؛ مدام فلان وأم علان! قال بولس الرسول: "لِتَتَعَلَّمِ الْمَرْأَةُ بِسُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ. وَلكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ (يعني: تخرس خالص!)، لأَنَّ آدَمَ جُبِلَ أَوَّلاً ثُمَّ حَوَّاءُ، وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي. وَلكِنَّهَا (أي: المرأة بصفة عامة) سَتَخْلُصُ بِوِلاَدَةِ الأَوْلاَدِ، إِنْ ثَبَتْنَ فِي الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْقَدَاسَةِ مَعَ التَّعَقُّلِ" (1 تيموثاوس 2:11-15)! وزعم في موضعٍ آخر أن كلامه مِن "وَصَايَا الرَّبِّ"! "لِتَصْمُتْ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ، لأَنَّهُ لَيْسَ مَأْذُونًا لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضًا. وَلكِنْ إِنْ كُنَّ يُرِدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ شَيْئًا، فَلْيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ فِي الْبَيْتِ، لأَنَّهُ قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي كَنِيسَةٍ. أَمْ مِنْكُمْ خَرَجَتْ كَلِمَةُ اللهِ؟ أَمْ إِلَيْكُمْ وَحْدَكُمُ انْتَهَتْ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْسِبُ نَفْسَهُ نَبِيًّا أَوْ رُوحِيًّا، فَلْيَعْلَمْ مَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكُمْ أَنَّهُ وَصَايَا الرَّبِّ" (1 كورنثوس 14:34-37)! وفي موضع ثالث يتحدث كما لو كان الزواج عقبةً بين الإنسان والله: "فَأُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلاَ هَمٍّ. غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ، وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ" (1 كورنثوس 7:32-33)! ويوجد في سفر الأمثال - الذي يُنسب إلى سليمان حسب التقليد - آيات تتحدث عن المرأة بطريقة مهينة وغير لائقة وكأنها سبباً من أسباب شقاء الرجل، مثل: "خِزَامَةُ ذَهَبٍ فِي فِنْطِيسَةِ خِنْزِيرَةٍ (أي: في أنف خنزيرة!) [مثل] الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ الْعَدِيمَةُ الْعَقْلِ" (الأمثال 11:22)، "اَلسُّكْنَى [وحيداً] فِي زَاوِيَةِ السَّطْحِ [الضيقة و/أو المكشوفة]، خَيْرٌ مِنِ امْرَأَةٍ مُخَاصِمَةٍ (أي: نَكِدَةٍ) وَبَيْتٍ مُشْتَرَكٍ (أو: بيت واسع)" (الأمثال 21:9)، "اَلسُّكْنَى فِي زَاوِيَةِ السَّطْحِ، خَيْرٌ مِنِ امْرَأَةٍ مُخَاصِمَةٍ فِي بَيْتٍ مُشْتَرَكٍ" (الأمثال 25:24)، "اَلسُّكْنَى فِي أَرْضٍ بَرِّيَّةٍ خَيْرٌ مِنَ [اَلسُّكْنَى مع] امْرَأَةٍ مُخَاصِمَةٍ حَرِدَةٍ (أي: مُشاكِسةٍ؛ شرسةٍ)" (الأمثال 21:19)! وكذلك في سفر الجامعة الذي يُنسب أيضاً إلى سليمان حسب التقليد: "فَوَجَدْتُ أَمَرَّ مِنَ الْمَوْتِ: الْمَرْأَةَ الَّتِي هِيَ شِبَاكٌ، وَقَلْبُهَا أَشْرَاكٌ، وَيَدَاهَا قُيُودٌ. الصَّالِحُ قُدَّامَ اللهِ يَنْجُو مِنْهَا. أَمَّا الْخَاطِئُ فَيُؤْخَذُ بِهَا" (الجامعة 7:26)! "رَجُلاً [بَارًّا] وَاحِدًا بَيْنَ أَلْفٍ وَجَدْتُ، أَمَّا امْرَأَةً [بَارَّةً واحدة] فَبَيْنَ كُلِّ أُولئِكَ لَمْ أَجِدْ!" (الجامعة 7:28)! ثم يختم كلامَه بالتلميح إلى قصة آدم وحواء والْحَيَّة: "اُنْظُرْ. هذَا وَجَدْتُ فَقَطْ: أَنَّ اللهَ صَنَعَ الإِنْسَانَ مُسْتَقِيمًا، أَمَّا هُمْ (أي: البشر) فَطَلَبُوا اخْتِرَاعَاتٍ كَثِيرَةً (أي: بِدَع كثيرة أبعدتهم عن الاستقامة/الله)" (الجامعة 7:29)[3474]! ومع أننا قد نلتمس العذر لبولس وسليمان وغيرهما الذين كانوا يكتبون منذ حوالي 2000 سنة و 3000 سنة، إلا أننا لا نستطيع أن نلتمس العذر للكتاب المعاصرين الذين ما زالوا يرددون نفس الأفكار المعادية للمرأة في عصرنا الحديث وما زالوا يستدلون بقصة آدم وحواء والشيطان! على سبيل المثال، يقول الأب متى المسكين: "خرجت علينا بعض الكنائس في الغرب بأن نصَّبت المرأةَ كاهنة، إلا أن ذلك كان خروجاً شديداً على كل الأعراف الدينية والاجتماعية والتاريخية

وفي كل معاملات الله الأولى حتى منذ آدم وحواء إذ كان الرجل هو القيّم أو القوَّام على المرأة وليس العكس. ولكن كون المرأة تنصَّب كاهنة لتكون قيّمة أو قوَّامة على الرجل فهو نبوَّة بسيادة الخطية بحواء مرة أخرى على عالم الإنسان"[3475]! وقال أ. د. محمد بكر إسماعيل (مِن كبار علماء الأزهر في القرن العشرين): "ولا بد فيمن يتولى القضاء أن تتوفر فيه الشروط التالية: **الشرط الأول:** أن يكون رجلاً، فلا يصح أن تتولى القضاء إمراة، لقوله ﷺ: "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة" (رواه الترمذي وقال حديث حسن). ولأن المرأة ناقصة في عقلها ودينها، أما نقصان عقلها فإن شهادتها على النصف من شهادة الرجل، وأما نقصان دينها فلإنها تترك الصلاة في زمن الحيض والنفاس وتترك الصوم كذلك، ولهذا لم تقبل شهادتها في الحدود ولا في النكاح ولا في الطلاق. ولا تقبل شهادتهن في الأموال مهما كثر عددهن إلا إذا كان معهن رجل لقوله تعالى: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ" (البقرة 282). ثم إن المرأة لا يباح لها أن تخلو بالرجال ولا أن تختلط بهم كثيراً فمنعها الإسلام عن ممارسة هذه الوظيفة صيانة لعرضها وعفتها، ثم إن القضاء يحتاج إلى شخصية قوية مهابة ينقاد إليها الرجال والنساء على السواء. والمرأة مخلوق ضعيف لا قدرة لها على مواجهة الرجال ولا سيما لو كانوا من الظلمة الفجرة، ولا قدرة لها على ردع واحد منهم مهما أوتيت من صبر وجلد وحكمة ورشد، فهي شخص محكوم لا حاكم، قال تعالى: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ" (النساء 34). ولم يحدث فى تاريخ الإسلام على طوله - فيما أعلم - أن المرأة وليت أمر القضاء فى بلد من البلدان الإسلامية على اتساعها، فدل ذلك على أن المسلمين مجتمعون على عدم صلاحيتها لهذا المنصب الخطير"[3476]!

أما فيما يتعلق بسبب تسميتها "حواء"، فلقد ذكرت كثير مِن كتب التفسير وقصص الأنبياء رأي مَن قال إن حواء سُمِّيَت بهذا الاسم لأنها "خُلِقت مِن شيءٍ حَيٍّ" أو "خُلِقت مِن حَيٍّ"[3477]. والأصح أن يقولوا "لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ" (التكوين 3:20) كما قالت التوراة وكما قال النووي عن ابن عباس: "رُوِّينا عن ابن عباس قال: "سُمِّيَت حواء لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ""[3478].

هذا عن "السيدة التي تُحْيِي". فماذا عن "سيدة الضلع"؟ ...

لا يقول القرآنُ إن حواء خُلِقت من ضلع آدم. لكن توجد إشارات قرآنية إلى هذه الفكرة اليهودية/المسيحية الموروثة. إذ يقول القرآنُ إن الله هُوَ الَّذِي:

- "خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً" (النساء 1)؛
- "خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا" (الأعراف 189)؛
- "خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا" (الزمر 6)؛
- "أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ" (الأنعام 98).

فقال كثير مِن المفسرين المسلمين إن "نَفْسٍ وَاحِدَة" هي آدم و "زَوْجَهَا" هي حواء التي خُلِقت مِن آدم؛ أي: مِن ضلعه كما تقول التوراة ومِن بعدها التقليد اليهودي/المسيحي.

لكن كالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن "خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" أو "جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا" تعني: جَعَلَ حواءَ إنسانةً مثل آدم مِن جنسه البشري ومِن طبيعته ومِن خواصه؛ أي: ليست بهيمة أو طائر أو شجرة مثلاً! واستدلوا بآيات قرآنية أخرى مثل (الروم 21) (النحل 72) (الشورى 11) (التوبة 128) (آل عمران 164). كما استدلوا بالفرق بين "النَّفْس" و "الجسد"، فقالوا إن "مِنْهَا" تعني مِن النَّفْس الإنسانية التي خُلِقَ منها آدم، ولا تعني مِن جِسْم/ضلع آدم. لمزيد من التفاصيل، استمع لِمَا قاله الباحث المصري إسلام بحيري الذي قال أيضاً إن "فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ" (الحج 5) تعني أن الله خلق آدمَ وزوجَه مِّن تُرَابٍ[3479].

تعليقنا: كالعادة، غموض الآيات القرآنية يؤدي إلى اختلاف المفسرين المسلمين. إذن: المشكلة ليست في المفسرين المسلمين، وإنما في غموض تلك الآيات القرآنية نفسها. فلو كان القرآنُ كلامَ الله وأراد معنى آخر مخالف للتقليد اليهودي/المسيحي، لكان ينبغي أن يقوله صراحةً. ثم إن هذين الرأيين الإسلاميين غير متناقضين، فيمكن الجمع بينهما بأن نقول إن الله أراد أن يخلق لآدم زوجةً ترافقه، وبما أن الحيوانات والطيور لا تصلح كزوجة لآدم، فخلق اللهُ حواءَ إنسانةً مثل آدم. كيف خلقها؟ الإجابة: مِن ضلع آدم. وبما أن آدم مخلوق مِّن تُرَابٍ حسب التقليد اليهودي/المسيحي/الإسلامي، فإن "فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ" (الحج 5) تعني: خَلَقْنَا أباكم آدم مِّن تُرَابٍ. ومن الممكن أن يُقال إن حواء أيضاً مخلوقة من تراب، لأنها خُلِقَت من آدم المخلوق مِّن تُرَابٍ.

وهذا التوفيق بين الرأيين مستوحى أيضاً من التوراة التي تقول: "وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا (أي: مساعداً؛ helper) نَظِيرَهُ (أي: يناسبه؛ fit for him)»" (التكوين 18:2). فَكُنَّا نتوقع أن تتحدث الآيات التالية عن خلق حواء، لكنها في الواقع تتحدث عن خلق الحيوانات والطيور! "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُور السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ (أي: لآدم؛ للإنسان) فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ" (التكوين 2:19-20). فالحيوانات والطيور قد تصلح كمُعِين أو مساعد للإنسان لكنها ليست "نَظِيرَ" الإنسان فلا تصلح كرفيقة له. ولذلك خلق اللهُ حواءَ إنسانةً مثل آدم (أي: مساويةً له في الكرامة الإنسانية). كيف خلقها اللهُ؟ الإجابة: مِن ضلع آدم. "فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ (أي: أخيراً وجدتُ إنسانةً مثلي) عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ»" (التكوين 2:21-23).

وهذا أيضاً ما قاله التراث اليهودي/المسيحي في هذه القضية التي يبدو أنها شغلت بال اليهود والمسيحيين قبل المسلمين. وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بمثالين فقط.

من التراث اليهودي، يقول كتابُ اليوبيلات إن آدم ظل خمسة أيام ينظر إلى الحيوانات والطيور، فوجد مِن كل نوع ذكراً وأنثى، أما هو فلا يوجد كائن يشبهه. "خلال هذه الأيام الخمسة، نظر آدم كل هذا، الذكور والإناث من كل أنواع الأرض. أما هو فلبث وحده لا يجد عوناً شبيهاً به. وقال لنا (أي: للملائكة) الرَّبُّ: "لا يحسن أن يكون الإنسان وحده. فلنصنع له عوناً شبيهاً به (أي: a human being like himself)". وبسط عليه الرَّبُّ إلهنا رقاداً فنام (الإنسانُ). فأخذ [الرَّبُّ] واحداً من عظامه كي (يصنع) المرأةَ. هذه الضلع التي أخذت من بين العظام (كانت) في أصل المرأة. جبل لحماً مكانها وجبل المرأة" (اليوبيلات 3:3-5)[3480].

ومن التراث المسيحي، قال القديس إفرام السرياني إنه على الرغم من أن آدم كان لديه مساعدين من الحيوانات، إلا أنه لم يزل بحاجة إلى "واحدٍ مثله مِن نوعه" (one like him of his own kind)[3481].

وفي نهاية قصة سقوط الإنسان، قال اللهُ لآدم: "لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (التكوين 19:3). فمع أن هذه الجملة قيلت لآدم فقط، إلا أنها تنطبق أيضاً على حواء، بل تنطبق على كل إنسان ذكر أو أنثى، بدليل أن كل إنسان سيموت وسيُدفَن، فسيعود إلى التراب الذي خُلِقَ منه حسب التقليد اليهودي/المسيحي/الإسلامي. ولذلك فإن الآية المناظرة في القصة القرآنية استخدمت صيغة الجمع: "فِيهَا (أي: في الأرض) تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ [وتُدفَنون] وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (أي: تُبعَثون)" (الأعراف 25). وكذلك (الحج 5) التي تحدثت أيضاً عن البعث: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ [...]" (الحج 5). وكذلك: "مِنْهَا (أي: مِنَ الأَرْضِ) خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ (أي: بالبعث) تَارَةً أُخْرَى" (طه 55). باختصار: "خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ" (الحج 5) لا تعني أن حواء خُلِقَت مِن تراب الأرض مباشرةً. وليس هدف (الحج 5) أن تتحدث عن آدم وحواء، وإنما هدفها أن تُذكِّر النَّاسَ أنهم من تراب وسيعودون إلى التراب وسيُبعَثون من التراب.

ونحن بصراحة نندهش أن إنساناً عاقلاً "باحثاً" لا يصدِّق قصةَ خلق حواء من ضلع آدم بينما يصدِّق قصةَ خلق آدم من تراب! لمجرد أن الأولى غير مذكورة في القرآن صراحةً بينما الثانية مذكورة في القرآن صراحةً. ونحن نقول له: هذه أسطورة وتلك أيضاً أسطورة.

في ضوء ما سبق، فإننا ما زلنا نرى أن القرآن يتفق مع التقليد اليهودي/المسيحي المتواتر في مسألة خَلْق حواء مِن ضلع آدم. وإذا كان القرآن قد اكتفى بالتلميح، فإن السُّنَّة الصحيحة قد قالت ذلك بالتصريح.

نعم. بعد القرآن، جاء رواةُ الأحاديث وقالوا صراحةً إن المرأة خُلِقت مِن "ضلع" (rib). تقول أحاديث صحيحة مرفوعة أخرجها الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما بروايات مختلفة لكن بألفاظ متقاربة:

- "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ (أي: في خلقهن عوج مِن أصل الخلقة!)، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ (أي: وكذلك المرأة، عوجها الشديد في خلقها وفكرها!)، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ (أي: وكذلك المرأة، إن أردت منها الاستقامة التامة في الخلق أدى الأمر إلى

طلاقها!)، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ". وفي رواية أخرى: "وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ (أي: النساء كلهن!) خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، [...]، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"[3482].

- "إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ. لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ. فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ (أي: إن أحببت أن تتمتع بها وتنتفع من خيرها عليك أن تغض الطرف عما فيها من نقص!). وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا". وفي رواية أخرى: "إِنَّ الْمَرْأَةَ كالضِّلَعِ"[3483]!

ونلاحظ أن هذا الحديث قد استخدم كلمة "المرأة" وهي نفس الكلمة التي استخدمتها التوراة للإشارة إلى حواء: "فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً (بالعبرية: ishshah) لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ (بالعبرية: ish) أُخِذَتْ»" (التكوين 2:21-23).

من خلال الجمع بين ما قاله القرآن وما قالته السُّنَّة الصحيحة، وَصل أكثرُ المفسرين المسلمين إلى نفس ما قالته التوراة: إن حواء خُلِقت مِن ضلع آدم. قال الفخر الرازى في تفسيره لـ "وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" (النساء 1): "المراد مِن هذا الزوج هو حواء، وفي كون حواء مخلوقة مِن آدم قولان. الأول: وهو الذى عليه الأكثرون أنه لما خلق الله آدم ألقى عليه النوم، ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى"[3484]. وقال الشيخ العثيمين: "وقوله: "وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" أى: خلق من هذه النفس زوجها، وقد جاء في الآثار أنها خُلِقت مِن ضلعه الأيمن – والله أعلم – لكن ثبت في السنة أن المرأة خُلِقت من ضلع"[3485]. ولا يهم إن كانت حواء قد خُلِقت مِن ضلع آدم الأيسر أو الأيمن؛ المهم أنها خُلِقت مِن ضلع مِن أضلاع آدم، كما قال كثير من المفسرين فى تفسير (النساء 1)[3486]. وزاد بعضُهم على ذلك كلاماً خطيراً يهدد حقوق المرأة. مثلاً، قال ابنُ كثير في تفسيره لـ "خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" (النساء 1): "وَهِيَ آدَمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. "وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" وَهِيَ حَوَّاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ، خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِهِ الْأَيْسَرِ، مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظَ فَرَآهَا فَأَعْجَبَتْهُ، فَأَنِسَ إِلَيْهَا وَأَنِسَتْ إِلَيْهِ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ، فَجُعِلَ نَهْمَتُهَا (أي: حاجتها؛ اشتياقها) فِي الرَّجُلِ، وَخُلِقَ الرَّجُلُ مِنَ الْأَرْضِ، فَجُعِلَ نَهْمَتُهُ فِي الْأَرْضِ (أي: في العمل كالزراعة مثلاً)، فَاحْبِسُوا نِسَاءَكُمْ"[3487]!

سؤال للأذكياء فقط: هل يوجد قسم بيولوجي واحد في جامعة واحدة محترمة مِن جامعات العالم المتقدم يُدرّس أن المرأة خُلِقت مِن ضلع؟! الرجل خُلِق من تراب بينما خُلِقت المرأة مِن عظم ولحم الرجل؟! هل يوجد أي دليل علمي يثبت صحة هذا التقليد اليهودي←المسيحي←الإسلامي؟!

إذا كان هذا الكلام اليهودي←المسيحي←الإسلامي الموروث غير علمي، وهو بالفعل كذلك، فلا داعي لاستخدامه من أجل الانتقاص من حقوق المرأة وعدم مساواتها الكاملة بالرجل.

وختاماً نقول: استخدم بعضُ المسلمين التشابهَ الواضح بين التوراة وهذه الأسطورة السومرية (أو ربما أسطورة سومرية أخرى مشابهة) للتشكيك في كون التوراة كلام الله. على سبيل المثال، يقول د. أحمد سُوسَة في كتابه الشهير "مُفصَّل العرب واليهود في التاريخ": "يتفق الباحثون عموماً على أن التوراة التي تمثّل الديانة اليهودية مقتبسة من أصول قديمة، وهي تعتمد على ثقافة الكنعانيين والمصريين والبابليين بالدرجة الأولى"[3488]. وبعد ذلك بحوالي 100 صفحة، يقول تحت عنوان "قصة آدم وحواء في تصوير السومريين" مستدلاً بنقش سومري: "ومما يثير الدهشة والغرابة أن المكتشفات الأخيرة قد دلّت على أن قصة آدم وحواء بما فيها قصة جنة عدن التي وردت في التوراة قصة قديمة ترجع جذورها إلى عهود ما قبل التوراة، فقصة آدم وحواء التي تشير إلى إغراء الحية لحواء وتناول حواء وآدم من ثمر شجرة معرفة الخير والشر بالرغم من منعهما من الأكل منه. إن هذه القصة ذاتها، نجدها مصورة على نقش سومري يشاهد فيه رجل على رأسه قلنسوة ذات قرنين وامرأة حاسرة الرأس جالسين الواحد أمام الآخر، وقد نبتت شجرة بينهما تشبه شجرة النخل تدلّى عذقان من التمر من طرفيها؛ ويشاهد الرجل ماداً يده اليمنى نحو العذق أمامه ليقطف من ثمره، كما تشاهد المرأة وهي مادة يدها اليسرى نحو العذق الذي أمامها لتقطف من ثمره أيضاً، ثم تشاهد الحية وهي منتصبة على ذنبها خلف المرأة تغريها بالأكل من هذا الثمر المحرم عليها أكله. وهذا دليل على أن شجر النخل وجد على تربة جنوب العراق منذ أقدم الأزمنة وأن شجرة معرفة الخير والشر هي شجرة النخل بالنسبة للسومريين. ومما يذكر أن هذا النقش التاريخي وضع قبل التوراة بزهاء ألفيّ عام. مع العلم أن البعض يشك في كون هذه الصورة تمثّل قصة آدم وحواء من غير أن يعطي هؤلاء تفسيراً آخر ونحن نميل إلى ضمّ صوتنا إلى أصوات القائلين بأنها تمثّل القصة لأن الصورة تتكلم عن نفسها دونما حاجة إلى شرح"[3489].

تعليقنا: بغض النظر عن مدى صحة ما قاله الدكتور أحمد سُوسَة، فإن مِن حقه ومِن حق غيره أن يؤيد الرأي الذي يقول إن التوراة "مقتبسة من أصول قديمة". لكن في ضوء كل هذا التشابه بين التوراة والقرآن من ناحية وبين الأساطير السومرية والقرآن من ناحية أخرى، أليس من حقنا أيضاً أن نستخدم نفس الأساطير للتشكيك في كون القرآن كلام الله وأن نقول إن القرآن أيضاً "مقتبس من أصول قديمة"؟

إذا فكرنا في الإجابة على هذا السؤال بهدوء وبدون تعصب، سنصل إلى النتيجة التالية: الإسلام بمصدريه الأساسيين (القرآن والسُّنَّة الصحيحة) هو مجرد تطور بشري طبيعي لتراث الديانات السابقة له، سواء الديانات الإبراهيمية التوحيدية (اليهودية والمسيحية) أو الديانات غير الإبراهيمية ذات الآلهة المتعددة (في هذه الحالة، السومرية).

وإنْ قيل إن قصة الشجرة المحرمة المذكورة في التوراة والقرآن حقيقية، بدليل وجودها عند السومريين. فسنقول: إن هذا النقش السومري وكذلك الأسطورة السومرية التي ذكرناها ينتميان إلى تراث ديانات وثنية وشرك. فلا يمكن أبداً أن تُستخدَم كدليل على صحة قصة توارتية أو قرآنية. والأقرب إلى العقل أن نقول إن قصة الشجرة المحرمة المذكورة في التوراة والقرآن مجرد تطور بشري طبيعي لهذه النقوش والأساطير

السومرية. وبخاصة أنه لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن قصة الشجرة المحرمة حقيقية تاريخية. بل لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن آدم نفسه شخص حقيقي تاريخي.

وإنه لمن الطريف أننا نرى في النقش السومري الذي قدَّمه الدكتور أحمد سُوسَة شجرةً واحدة فقط! أي أن هذا النقش السومري أقرب إلى الأسطورة القرآنية (حيث توجد شجرة واحدة فقط هي شجرة الخلد) أكثر من الأسطورة التوراتية (حيث توجد شجرتان: شجرة الحياة وشجرة المعرفة)!

4.6.4.2 أسطورة "أدابا" (Myth of Adapa)

ننتقل الآن إلى الأسطورة الأكادية التي تُعرَف باسم أسطورة "أدابا" (Myth of Adapa)[3490]. يعود تاريخ أقدم وأطول نص لهذه الأسطورة إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد – أى قبل ظهور الإسلام بأكثر مِن 1900 سنة! بل قبل جميع الديانات الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية والإسلام)!

الشخصيات. أبطال الأسطورة ثلاثة:

- الإنسان "أدابا" (Adapa) **[← آدم]**؛
- الإلهُ (Anu) **[← الله]**؛
- الإلهُ (Ea) **[← الحيَّة (التوراة) ← الشيطان (الإنجيل ومغارة الكنوز والقرآن)]**.

وسنكتفي هنا بعرض ملخص لأهم ما جاء في هذه الأسطورة، موضحين تطورها البشري الطبيعي في التوراة والإنجيل والقرآن بعلامة **[←]** كما تعودنا.

Adapa, in Mesopotamian mythology, legendary sage and citizen of the Sumerian city of Eridu, the ruins of which are in southern Iraq. Endowed with vast intelligence by Ea (Sumerian: Enki), the god of wisdom, Adapa became the hero of the Sumerian version of the myth of the fall of man. The myth relates that Adapa, in spite of his possession of all wisdom, was not given immortality. One day, while he was fishing, the south wind blew so violently that he was thrown into the sea. In his rage he broke the wings of the south wind, which then ceased to blow. Anu (Sumerian: An), the sky god, summoned him before his gates to account for his behaviour, but Ea cautioned him not to touch the bread and water that would be offered him. When Adapa came before Anu, the two heavenly doorkeepers Tammuz and Ningishzida interceded for him and explained to Anu that as Adapa

had been endowed with omniscience he needed only immortality to become a god. Anu, in a change of heart, then offered Adapa the bread and water of eternal life, which he refused to take [as Ea had cautioned him]. Thus mankind remained mortal. The legend is preserved among the cuneiform tablets discovered during the 19th century in Ashurbanipal's library at Nineveh.(3491)

إذن: تحدثنا هذه الأسطورة عن ما حدث بين الإنسان "أدابا" **[← آدم]** والإله (Anu) **[← الله]**، وكيف وسوس الإلهُ (Ea) **[← الحيَّة ← الشيطان]** إلى "أدابا" **[← آدم]**. ولمَّا نَفَّذ "أدابا" **[← آدم]** كلام (Ea) **[← الحيَّة ← الشيطان]** ولم يُنفِّذ كلام (Anu) **[← الله]**، كانت النتيجة أن "أدابا" **[← آدم]** لم يحصل على الخلود (immortality) **[← "مَوْتًا تَمُوتُ" (التكوين 2:17)]**.

ليس هذا فحسب، بل تقول الأسطورة بعد ذلك إن الإله (Anu) **[← الله]** أعطى الإنسانَ "أدابا" **[← آدم]** لباساً (garment) **[← "أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ" (التكوين 3:21) ← "لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا" (الأعراف 26)]**، ثم طرده مِن السماء (heaven) **[← مِن "جَنَّةِ عَدْنٍ" (التوراة) ← مِن "الْجَنَّةِ" (القرآن)]** إلى الأرض **[← "وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (الأعراف 24) (البقرة 36) "فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ" (الأعراف 25)]**.

<u>الخلاصة:</u> أثبتت هذه الدراسة أن قصة "سقوط الإنسان" (The Fall of Man) التي تُعرَف أيضاً باسم "الشجرة الْمُحَرَّمَة" (The Forbidden Tree) ليست قصة إبراهيمية؛ لا يهودية ولا مسيحية ولا إسلامية. وإنما هي أصلاً مجرد أسطورة ميزوبوتاميان (سومرية/أكادية) قديمة، انتقلت إلى بني إسرائيل (التوراة) ثم إلى المسيحيين (الإنجيل)، ثم طوَّرها اليهود والمسيحيون السريان في القرون الأولى للميلاد، إلى أن انتقلت أخيراً إلى العرب (المسلمين) الذين طوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً وسجَّلوها في القرآن.

وفي كل مرة تنتقل هذه الأسطورة مِن ديانةٍ إلى أخرى ومِن ثقافةٍ إلى أخرى ومِن لغةٍ إلى أخرى، يحدث لها تطور بشري طبيعي بالحذف و/أو الإضافة حتى تلائم بيئتها الجديدة إلى أن وجدت مستقراً لها في ثلاث سور قرآنية (الأعراف وطه والبقرة).

وتؤكد هذه النتيجة أيضاً أن آدم (مثل: أدابا) ليس شخصاً حقيقياً.

4.7 شِرك آدم: هل الأنبياء معصومون؟ جَعَلَ لله شُرَكَاءَ!

يقول القرآن المكي المبكر: "هُوَ [اللهُ] الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ (أي: آدم) وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا (أي: حَوَّاء) لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا (أي: جامعها؛ وطئها) حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ (أي: اسْتَمَرَّ حملُها؛ ذهبت وجاءت وتحركت بسهولة إما لخفته أو لأنها لم تدرك أنها حَمَلَتْ) فَلَمَّا أَثْقَلَتْ (أي: أيقنت بالحمل وقَرُبت ولادتها) دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا (أي: بشراً سوياً سليماً من العاهات وصالحاً للحياة من غير نقصٍ ولا فساد في الخلقة؛ وقيل إن صالحاً يعني: ذكراً؛ وقيل: إنساناً وليس بهيمة أو حيواناً! وقيل: صالحاً بكل معاني الصلاح) لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ [لكَ على هذه النعمة]. فَلَمَّا آتَاهُمَا (أي: رزقهما اللهُ ولداً) صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا (أي: نسبا هذه النعمة لغير الله؛ عبَّدا الولدَ لغير الله؛ شَكَرَا غيرَ الله) فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الأعراف 189-190).

وأخرج أحمد في مسنده حديثاً مرفوعاً: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ (هو: الصحابي سَمُرَةَ بن جُنْدُب) عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ، طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ، وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَقَالَ [إبليسُ لحواء]: "سَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ (أي: عبد إبليس؛ عبد الشيطان)، فَإِنَّهُ يَعِيشُ". فَسَمَّوْهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَعَاشَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ"[3492]!

وكالعادة، سببت الآية القرآنية والحديث المرفوع مشكلةً كبيرة للمفسرين المسلمين: كيف يشرك آدم بالله؟! وكيف يُسمِّي ابنَه "عبد الشيطان"؟! وكيف يطيع وَحْي الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ؟! ألا يتعارض كل ذلك مع "عصمة الأنبياء" المزعومة؟! وكيف يعلم الشيطانُ الغيبَ؟! وكيف يحدد الشيطانُ مَن يعيش ومَن يموت؟!

وكالعادة أيضاً، لجأ المفسرون المسلمون إلى حيل لحل هذه المشكلة. وكالعادة، لم يتفقوا على حيلة واحدة، فجاءت حيلهم مختلفة ومتضاربة تنقض بعضُها بعضاً.

الحيلة الأولى هي تضعيف الحديث و/أو جعله موقوفاً على الصحابي وليس مرفوعاً إلى محمد. ثم تأويل الآية في غير آدم وحواء، وإنما للجنس البشري عموماً، أي: المشركين من بني آدم بصفة عامة، "والمقصود بها ضرب المثل، وأن هذه حالة المشركين" "من قريش وغيرهم"! بعبارة أخرى: زعموا أن الشرك لم يقع من آدم وحواء، وإنما كان في ذريتهما من بعدهما! واستدلوا على ذلك بأدلة أولها أن الآية انتهت بصيغة الجمع "يُشْرِكُونَ" وليس بصيغة التثنية "يُشْرِكان"! وآخرها أن حديث سَمُرَة بن جُنْدُب "ضعيف" و "لم يثبت بسند صحيح"؛ ومِنها أيضاً أن الآية تقول "وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا" (الأعراف 189) ولم تقل "وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" كما جاء في موضع آخر (النساء 1) فزعموا أن "الجعل" يُراد به الجنس وهو "حال كل فرد من بني آدم؛ فإنهم يتناسلون ويتوالدون من بعضهم البعض"، وزعموا أن "الجعل" غير "الخلق" الذي يُراد به النوع وهو آدم وحواء التي خُلِقَتْ من ضلعه من غير أم ولا أب[3493].

وتوجد حيلة أخرى أكثر غرابة قسمت القصة القرآنية الواحدة (الأعراف 189-190) إلى نصفين، فقالوا إن (الأعراف 189) تخص آدم وحواء ثم زعموا أن (الأعراف 190) تخص زوجين آخرين من جنس بني آدم أو المشركين بصفة عامة – وليس آدم وحواء!

وكالعادة، انتهز بعضُ المفسرين الفرصةَ مِن أجل الهجوم على أتباع الأديان الأخرى كالمشركين الذين يسموا أبناءهم "عبد العُزَّى" أو "عبد مَنَاة" مثلاً والمسيحيين الذين يسموا أبناءهم "عبد المسيح" أو "عبد يسوع"! فزعموا أن (الأعراف 189-190) – أو (الأعراف 190) – تخص هؤلاء "المشركين" من ذرية آدم، ولا تخص آدم نفسه! يقول الشيخ محمد محمود حجازي (من علماء الأزهر الكبار في القرن العشرين – ت 1972م) في تفسيره الذي أعاد الأزهرُ ومجلس حكماء المسلمين طباعته عام 2018: "وقد رأى بعض المفسرين في هذه الآية أن المراد: خلقكم يا بني آدم من نفس واحدة هي آدم وجعل منها زوجها وهي حواء، وأن الشرك كان من بعض أولادهما ككفار مكة واليهود والنصارى، وقد نُسِبَ إليهما (أي: إلى آدم وحواء)، والمراد أولادهما بدليل: "فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ""[3494]!

تعليقنا على هذه الحيل: نحن نتمسك بوحدة القصة القرآنية (الأعراف 189-190) بدليل استخدام نفس الكلمات: "آتَيْتَنَا صَالِحًا" (الأعراف 189) "آتَاهُمَا صَالِحًا" (الأعراف 190). ولا نقتنع بتلك الحيل ولا بالأدلة التي ذكروها. وذلك للأسباب التالية.

أولاً: توجد روايات أخرى لهذا الحديث، بعضها حَسن وبعضها وصل إلى درجة الصحيح. فلقد رواه الترمذي في سننه – كتاب "تفسير القرآن" باب "ومن سورة الأعراف" – ثم قال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ قَتَادَةَ. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ وَلَمْ يَرْفَعْهُ"[3495].

وأخرجه الحاكم في المستدرَك – كتاب "تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين" باب "ذكر آدم عليه السلام" – أخرجه مرفوعاً عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "كَانَتْ حَوَّاءُ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَنَذَرَتْ لَئِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ تُسَمِّيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَعَاشَ لَهَا وَلَدٌ فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عَنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ". ثم قال الحاكمُ: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ" ووافقه الذهبي[3496].

وكذلك وجدنا هذا الحديث مذكوراً في أسباب نزول (الأعراف 189-190) للواحدي النيسابوري. قَالَ مُجَاهِدٌ: "كَانَ لَا يَعِيشُ لِآدَمَ وَامْرَأَتِهِ وَلَدٌ، فَقَالَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ: "إِذَا وُلِدَ لَكُمَا وَلَدٌ، فَسَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ"، وَكَانَ اسْمُ الشَّيْطَانِ قَبْلَ ذَلِكَ (أي: قبل سقوطه) الْحَارِثَ، فَفَعَلَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ" الْآيَةَ"[3497].

وأيضاً وجدنا روايات أخرى لهذا الحديث تؤيد بعضُها بعضاً في تفاسير (الأعراف 189-190)، وبخاصة التفاسير التراثية القديمة التي تتميز بالأمانة والشجاعة فلا تجد حرجاً في الاعتراف بخطايا الأنبياء. على سبيل المثال، أخرج الإمام الطبري في تفسيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كَانَتْ حَوَّاءُ تَلِدُ لِآدَمَ، فَتُعَبِّدُهُمْ لِلَّهِ،

وَتُسَمِّيهِ "عَبْدَ اللَّهِ" وَ "عُبَيْدَ اللَّهِ" وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَيُصِيبُهُمُ الْمَوْتُ، فَأَتَاهَا إِبْلِيسُ وَآدَمَ، فَقَالَ [إبليسُ لآدم وحواء]: "إِنَّكُمَا لَوْ تُسَمِّيَانِهِ بِغَيْرِ الَّذِي تُسَمِّيَانِهِ لَعَاشَ". فَوَلَدَتْ لَهُ رَجُلًا (أي: ذكراً) فَسَمَّاهُ "عَبْدَ الْحَارِثِ"، فَفِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" إِلَى قَوْلِهِ "جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا" إِلَى آخِرِ الْآيَةِ"[3498].

وقال الإمام السيوطي في تفسيره: "وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنِ ابْنِ زَيْدٍ قَالَ: "وُلِدَ لِآدَمَ وَلَدٌ فَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: "مَا سَمَّيْتُمَا ابْنَكُمَا هَذَا؟" قَالَ: "عَبْدَ اللَّهِ". وَكَانَ وُلِدَ لَهُمَا قَبْلَ ذَلِكَ وَلَدٌ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ اللَّهِ [ثم مات]. فَقَالَ إِبْلِيسُ: "أَتُظِنَّانِ أَنَّ اللَّهَ تَارِكٌ عَبْدَهُ عِنْدَكُمَا، وَوَاللَّهِ لَيَذْهَبَنَّ بِهِ كَمَا ذَهَبَ بِالْآخَرِ، وَلَكِنْ أَدُلُّكُمَا عَلَى اسْمٍ يَبْقَى لَكُمَا مَا بَقِيتُمَا، فَسَمِّيَاهُ عَبْدَ شَمْسٍ"، فَسَمَّيَاهُ [عَبْدَ شَمْسٍ]. فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: "أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا" (الأعراف 191). آلشَّمْس تَخْلُقُ شَيْئًا؟! إِنَّمَا هِيَ مَخْلُوقَةٌ. قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خَدَعَهُمَا (أي: خدع الشيطانُ آدمَ وحواءَ) مَرَّتَيْنِ". قَالَ زَيْدٌ: خَدَعَهُمَا فِي الْجَنَّةِ (أي: في السماء)، وَخَدَعَهُمَا فِي الْأَرْضِ""[3499].

وفي التفاسير المتأخرة والحديثة، وجدنا أيضاً مَن كان أميناً وشُجاعاً فاعترف بالحديث و/أو اعترف بأن القصة تخص آدم وحواء. على سبيل المثال، قال د. عائض القرني: "فلما كبر هذا الحمل دعا آدم وحواء الله – سبحانه وتعالى – وعاهداه لئن أتاهما ولداً سليماً من العاهات صالحاً من غير نقص ليشكرنَّ نعمة الله – عز وجل – على هذا العطاء. فلما آتاهما اللهُ – عز وجل – هذا الولد الصالح السليم من العاهات التام الخلقة، أخذا يسميانه عبد الحارث بوسوسة من الشيطان. والعبودية إنما هي له (أي: لله) وحده – سبحانه وتعالى – ولا يجوز صرف شيء منها لغيره، فسبحانه أن يكون له شريك"[3500].

إذن: كل الأدلة التي أمامنا - سواء من كتب الأحاديث أو من كتب التفاسير - تجبرنا على الاعتراف بأن القصة القرآنية (الأعراف 189-190) تخص آدم وحواء.

ثانياً: حتى لو افترضنا جدلاً أن الحديث المرفوع ضعيف، فإن هذا لا ينفي علاقة آدم وحواء بالآية القرآنية (الأعراف 189-190). فالآية لا تتحدث عن الجنس البشري عموماً، وإنما تتحدث عن زوج وزوجة. زوج نكح زوجته فحملت ثم أنجبت ولداً. وهذا الزوج وزوجته مؤمنان بالله الواحد الأحد، أو على الأقل: كانا مؤمنين موحدين قبل إنجاب الولد، بدليل قوله: "دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا" (الأعراف 189)؛ وإنما سقطا في خطيئة الشرك بعد إنجاب الولد (الأعراف 190). فكيف يكون المقصود هُمْ المشركين من ذرية آدم (مشركي قريش مثلاً) الذين هُمْ أصلاً مشركون حتى مِن قَبل إنجاب الولد؟! ولو كان الزوج والزوجة أصلاً مشركين، تصبح الآية القرآنية بلا معنى، فمِن الطبيعي أن يسموا ابنهما "عبد الشيطان" أو "عبد الشمس" أو "عبد الصنم".

ولو كان هذا الزوج وزوجته ليسا آدم وحواء، فمَن هما؟!

صحيح أن القرآن لم يذكر اسم الزوج والزوجة. لكن هذا ليس غريباً على القرآن. فلقد تعودنا أن يذكر القرآنُ القصةَ بدون ذكر الزمان والمكان وأسماء الأشخاص وخصوصاً النساء. بل إن الرواية القرآنية الأولى لقصة خَلْق آدم (ص 67-85) لم تذكر اسمَ آدم! أما اسم حواء فلم يُذكر في القرآن كله على الإطلاق!

ونحن لم نقل إنهما آدم وحواء من عندنا، وإنما عرفنا أنهما آدم وحواء مِن الحديث ومِن أسباب النزول ومِن تفاسير القرآن سواء عند أهل السنة والجماعة[3501] أو عند الطوائف الإسلامية الأخرى[3502]. وأيضاً من بداية الآية القرآنية: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا [...]" (الأعراف 189).

ولم نقتنع بالفرق المزعوم بين "الخلق" و "الجعل". اقرأ مثلاً: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا" (الروم 21). وهنا نجد القرآن استخدم الفعل "خَلَقَ" مع أن المراد هو الجنس لا النوع. كذلك في (الأعراف 189)، استخدم القرآنُ الفعل "جَعَلَ" مع أن المراد هو النوع لا الجنس. بل إن إحدى الروايات القرآنية لقصة "خَلْق" آدم استخدمت الفعل "جعل" مرتين: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (البقرة 30). باختصار: لا نرى فرقاً بين "خَلَقَ" و "جَعَلَ" في هذا السياق. قال تفسيرُ الجلالين لـ (الأعراف 189): ""هُوَ" أَيْ: اَللَّهُ "الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" أَيْ: آدَمَ "وَجَعَلَ" خَلَقَ "مِنْهَا زَوْجَهَا" حَوَّاءَ"[3503].

نعم. آدم هو الرجل الوحيد الذي خلقه اللهُ مباشرةً بيديه. وحواء هي الزوجة الوحيدة التي خُلِقَتْ/جُعِلَتْ مِن نَفْس زوجها (أي: من ضلعه). وآدم هو الزوج الوحيد الذي أمره اللهُ مباشرةً أن "يسكن" إلى زوجته: "يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ" (الأعراف 19) (البقرة 35). فلا يمكن أن يكون المقصود غير آدم وحواء.

ثالثاً: أما استخدام صيغة الجمع "يُشْرِكُونَ" في نهاية (الأعراف 190)، فنحن نندهش أنهم تمسكوا بضمير واحد جمع، وتجاهلوا ضمائر أخرى كثيرة بصيغة المثنى: "فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا (أي: نادى آدمُ وحواءُ) اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الأعراف 189-190). ونظن أن هذا الضمير جاء بصيغة الجمع "يُشْرِكُونَ" للحفاظ على السجع مع نهايات الآيات السابقة واللاحقة. أو أن المراد: آدم وحواء وابنهما عبد الحارث الذي سيكبر ويقول "أنا عبد الحارث"، أي: أنا عبد الشيطان، فسيصيروا هُمْ الثلاثة مشركين، ولذلك قال: "فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ". أو أن المراد: آدم وحواء والشيطان إبليس، كما جاء في تفسير ابن عطية: "وَيَبْقَى الْكَلَامُ فِي جِهَةِ أَبَوَيْنَا آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَجَاءَ الضَّمِيرُ فِي "يُشْرِكُونَ" ضَمِيرَ جَمْعٍ لِأَنَّ إِبْلِيسَ مُدَبِّرٌ مَعَهُمَا تَسْمِيَةَ الْوَلَدِ عَبْدَ الْحَارِثِ"[3504]. ونحن نرجح أن المراد: آدم وحواء والشياطين المشركين بصفة عامة سواء من الجن أو الإنس؛ فهذا يتفق أكثر مع سياق تلك الآيات المكية الموجهة إلى العرب مشركي مكة وكفار قريش المؤمنين بالجن. وقيل أيضاً إن جملة "فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" معطوفة على "خَلَقَكُمْ"، وما بينهما (أي: قصة شرك آدم وحواء) جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه، جيء بها لمناسبة ذكر خلق الزوج من

النفس. باختصار: ضمير الجمع في "يُشْرِكُونَ" (الأعراف 190) لا ينفي تهمة الشرك عن آدم وحواء، فيكفينا ضمير المثنى في: "جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا" (الأعراف 190) لاثبات الشرك على آدم وحواء.

ثم إن الأصل في تفسير القرآن هو حمل اللفظ على ظاهره إلا في وجود دليل. وليس ثمة دليل. وإنما حيل ولف ودوران من بعض المفسرين المتأثرين بأسطورة "عصمة الأنبياء" التي لا وجود لها في القرآن.

إذن: ليس أمامنا سوى أن نقبل الحديث والآية على ظاهرهما في قصة آدم وحواء. ومِن حُسن الحظ أن موسوعة بيان الإسلام نفسها قد اعترفت بأن "هذا رأي الجمهور من المفسرين، حيث ذهبوا إلى أن الآية معنيٌّ بها آدم وحواء – رضي الله عنهم جميعاً – حيث سميا ابنهما عبد الحارث"[3505].

ونحن نتمسك برأي الجمهور من المفسرين المسلمين: آدم أشْرَك.

وهنا لجأ المفسرون المسلمون إلى حيلة أخرى للتقليل من خطورة شِرك آدم، فزعموا أن المقصود بالشرك هنا ليس شركاً في العبادة (الشرك الأكبر)، وإنما هو شرك في التسمية أو الطاعة (الشرك الأصغر)!

قال الطبري في تفسيره: "وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَنَى بِقَوْلِهِ: "فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ" فِي الِاسْمِ لَا فِي الْعِبَادَةِ، وَأَنَّ الْمَعْنِيَّ بِذَلِكَ آدَمُ وَحَوَّاءُ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَى ذَلِكَ"[3506].

وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري (الواعظ بالمسجد النبوي الشريف): "وقوله تعالى "فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا" حيث سمته حواء عبد الحارث بتغرير من إبليس، إذ اقترح عليهما هذه التسمية، وهي من الشرك الخَفِي المعفو عنه، نحو: لولا الطبيب هلك فلان. [...] معفو عنه وتركه أَوْلى"[3507]!

تعليقنا: نحن لم نقل إن آدم وحواء عبدا الشيطانَ واتخذاه إلهاً ورباً معبوداً. وإنما مجرد تسمية ابنهما "**عبد** الحارث"، أي: "**عبد** الشيطان"، خطأ كبير. لأنه اعتراف بأن الشيطان هو سبب نجاة الولد وسلامة أمه. وكلمة "عبد" هنا، حتى لو افترضنا أنها لا تدل على العبودية بمعناها الحرفي، فإنها تدل على خضوع آدم وحواء للشيطان وقبول سيادته عليهما والاعتراف بفضله عليهما. وهذه خطيئة كبيرة، وبخاصة أن فاعلها هو آدم الذي خلقه اللهُ بيديه ونفخ اللهُ فيه مِن روحه وعلّمه اللهُ الأسماء كلها وجعله أول نبي في تاريخ البشرية. فكيف يُسمِّي ابنَه "عبد" الشيطان الذي كان قبل ذلك سبباً في طرده هو وحواء من الجنة!

ولا يمكن المقارنة بين جملة "لولا الطبيب هلك فلان" وتسمية الابن "عبد الشيطان". "لولا الطبيب هلك فلان" جملة بسيطة يقولها الإنسانُ مرة أو مرتين وانتهى الأمر. أما تسمية الابن "عبد الشيطان" فستظل معه طول عمره يقول: "أنا عبد الشيطان" ويناديه الناس "يا عبد إبليس". فكيف يكون شركاً خفياً؟! وهل يوجد إعلان للشرك أوضح من تسمية الابن "عبد الشيطان"!

مثال افتراضي يوضح الفكرة أكثر: لو افترضنا أن رجلاً مسلماً اليوم سمَّى ابنَه "بولس" أو "نتانياهو"، قد يتضايق المسلمون منه وربما قاطعوه لكنهم لن يُكفروه. أما لو سمَّى ابنَه "عبد المسيح" أو "عبد يسوع"، فسيُكفره المسلمون إذا لم يتب. إذن: التسمية خطيرة حتى لو لم تقترن بالعبادة.

أما إدعاء أن شرك آدم "كان شركاً في الطاعة فقط"، فهي بالفعل حيلة مضحكة ولا تبرئ آدمَ مِن جريمة الشرك. لأن القرآن نفسه يقول إن الشركَ في الطاعة لغير الله شركٌ بالله: "وَلا تَأْكُلُوا [أيها المسلمون] مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ [كالميتة وما ذُبِحَ للأوثان والجن وغير ذلك من دون الله] وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ (أي: خروج عن طاعة الله؛ تجاوز لحدود الله وتعدٍّ وتحدٍّ لشرعه) وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ (أي: لَيوسوسون إلى أنصارهم وأعوانهم) لِيُجَادِلُوكُمْ [في تحريم أكل ما لم يُذْكَر اسمُ الله عليه] وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (أي: أنتم وَهُمْ في الشرك سواء)" (الأنعام 121). فإذا كانت طاعة أولياء الشيطان في هذه المسألة البسيطة تُعتبَر شركاً بالله، فما بالنا بآدم الذي أطاع الشيطان إبليس نفسه وسمَّى ابنَه "عبد الشيطان" أو "عبد الحارث"!

إذن: نستنتج من (الأعراف 189-190) و (الأنعام 121) أن النبي آدم أشركَ، أو: فَسَقَ (أي: أطاع الشيطانَ وخرج عن أمر الله وحُكمه) ولو لفترة قصيرة. مما يؤكد أن الأنبياء غير معصومين.

وإنْ قلتم إن شرك آدم كان قبل نبوته. فسنقول: القرآن لم يقل إنْ كان آدم قد أشرك قبل نبوته أو بعدها. وفي حالة آدم بالذات، لا يهم على الإطلاق إنْ كان قد أشرك قبل النبوة أو بعدها. المهم أنه أشرك بالله بعد أن خلقه اللهُ بيديه وبعد أن نفخ اللهُ فيه مِن روحه وبعد أن علّمه اللهُ الأسماء كلها وبعد أن جعل اللهُ الملائكة يسجدون له وبعد أن كان الشيطانُ سبباً في خروجه مِن الجنة وبعد أن جعله اللهُ خليفةً له في الأرض وبعد أن حذره اللهُ من عداوة الشيطان له! فكيف بعد كل ذلك يُسمِّي ابنَه "عبد الشيطان"! كيف يجعل للشيطان الرجيم نصيباً فيما رزقه اللهُ الرحيم! ألم يسمع الشيطانَ وهو يتوعد البشرية كلها بالغواية. ألم يسمع اللهَ وهو يتوعد الشيطان وأتباعه بجهنم وبئس المصير[3508]. كيف يخضع لسلطان "الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ" (النحل 98-100).

وفي جميع الأحوال، وبصفة عامة لجميع الأنبياء، لا يهم إنْ كان النبي قد سقط في الخطيئة قبل النبوة أو بعدها. إنها معلومة غير مهمة. فكما نقول دائماً: النبوة لا تُحوّل الإنسانَ إلى إلهٍ لا يُخْطِئ. النبوة لا تُحوّل الإنسانَ إلى ملاكٍ معصوم. النبوة لا تُحوِّل الإنسانَ إلى كائن آخر. وإنما يظل إنساناً من لحم ودم مثلنا. فإذا كان قبل النبوة إنساناً غير معصوم مثلنا، يظل بعد النبوة إنساناً غير معصوم مثلنا.

نعم، الأنبياء غير معصومين. هذا ما نستنتجه من القرآن والسُّنَّة والتراث الإسلامي المبكر. وهذا أيضاً ما تقوله الديانتان اليهودية والمسيحية وتراثهما.

4.7.1 مصادر القرآن في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي

قد تكون قصة تسمية ابن آدم وحواء "عبد الحارث" (أي: عبد الشيطان) المذكورة في القرآن (الأعراف 189-190) مستوحاة من بعض كتب التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي التي تقول إن قايين (Cain) – المعروف بأنه ابن آدم وحواء حسب التوراة والإنجيل – لم يكن ابن آدم! وإنما كان "ابن الشيطان" بالمعنى الحرفي: الشيطان أو ملاك ساقط نكح حواء فأنجبت قايين (الذي يُسمَّى في الإسلام: قابيل)!

ونحن طبعاً لا نقصد أن عبد الحارث (عبد الشيطان) هُو هُو نفسه قايين/قابيل (ابن الشيطان). وإنما نقصد أنه من المحتمل أن تكون قصة عبد الشيطان (ابن آدم وحواء) مستوحاة من قصة قايين (ابن الشيطان وحواء) كما جاءت في بعض كتب التراث اليهودي/المسيحي، وليست كما جاءت في التوراة والإنجيل.

بعبارة أخرى: قصة "قايين ابن الشيطان وحواء" غير القانونية (غير المعتمدة) تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً حتى صارت قصة "عبد الشيطان ابن آدم وحواء" المذكورة في القرآن (الأعراف 189-190).

وإنْ قلتم: "ابن الشيطان" غير "عبد الشيطان". فسنقول إن الثقافة اليهودية/المسيحية تعتبر الشركَ "زنا روحي". فكثيراً ما يتحدث الكتاب المقدس عن الشرك أو البعد عن الله مستخدماً مفردات الزنا أو الخيانة الزوجية. اقرأ مثلاً سفر هوشع و (إرميا 3). ومِن المؤكد أن هذه الثقافة اليهودية/المسيحية قد تسللتْ إلى الإسلام، بدليل قول القرآن: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ **فَخَانَتَاهُمَا**" (التحريم 10)؛ فالمقصود بالخيانة هنا ليس الخيانة الجسدية الجنسية أو الزنا، وإنما الخيانة الدينية الروحية، أي: كفرتا ولم تؤمنا بالله وحده لا شريك له[3509]. وأيضاً بدليل الحديث الصحيح المرفوع المتفق عليه الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم: "وَلَوْلاَ حَوَّاءُ لَمْ **تَخُنْ** أُنْثَى زَوْجَهَا"[3510]. فإذا كان هذا الحديث يتعلق بقصة الشجرة المحرمة، فإن المقصود بالخيانة هو الخيانة الدينية الروحية، أي: أطاعت حواءُ وسوسةَ الشيطان ولم تطع وصيةَ الله. أما إذا كان هذا الحديث يتعلق بقصة "عبد الحارث"، فمن حقنا أن نتساءل: هل المقصود بالخيانة هو الخيانة الدينية الروحية (عبد الشيطان) أم الخيانة الجسدية الجنسية (ابن الشيطان)؟! أم كلاهما؟ مجرد سؤال نتركه للأجيال القادمة من الباحثين.

وفي جميع الأحوال، فإن هذه الثقافة اليهودية/المسيحية/الإسلامية هي حلقة الوصل بين "ابن" الشيطان و "عبد" الشيطان. كلاهما زنا وخيانة، ولا فرق بينهما إلا أن "ابن الشيطان" زنا جسدي وخيانة حقيقية، بينما "عبد الشيطان" زنا روحي وخيانة معنوية.

وسنعرض فيما يلي أمثلة من بعض كتب التراث اليهودي/المسيحي التي زعمت أن قايين كان ابن الشيطان وحواء! وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بأربعة أمثلة فقط.

<u>المثال الأول</u> من سفر المكابيين الرابع (4 Maccabees) وهو أحد كتب سوديبِجرافا العهد القديم ويرجع تاريخه إلى فترةٍ ما بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد؛ وقيل: القرن الثاني الميلادي؛

أي: قبل الإسلام بأكثر من 400 سنة. لم يذكر السفرُ صراحةً أن قايين كان ابن الشيطان وحواء، وإنما ألمح إلى احتمال أن ينكح الشيطانُ امرأةً (حواء) أو على الأقل يغويها بالزنا مع رجلٍ ليس زوجها.

فنجد في (4 مكابيين 18:6-11) أرملةً يهودية مناضِلة تتحدث إلى أبنائها السبعة وتتذكر أيام ما كانت عذراء، فتفتخر بعفافها وهي مستقرة في بيت أبيها تحرس الضلعَ الذي في جسد المرأة (تقصد: الضلع [الأعوج] الذي خُلِقَتْ منه حواء)، فلم يستطع أحدٌ أن يفسدها [بالزنا]، ولم تستطع الحية الكاذبة المُخادِعة (تقصد: الشيطان) أن يُلوّث أو يُلطِّخ نقاوتها العذراوية[3511]. ثم تتذكر هذه الأرملة زوجَها المتوفي الذي كان يُعلّم أبناءه التوراة؛ وأول قصة ذكرتها هي قصة قايين (Cain) الذي قتل أخاه هابيل (Abel). ونحن نرى أن ذِكر قايين والشيطان والزنا والضلع (حواء) في نفس السياق يُلمّح إلى فكرة أن قايين ليس ابن آدم وحواء وإنما ابن الشيطان وحواء **[← عبد الحارث (عبد الشيطان) ابن آدم وحواء (الأعراف 189-190) (مكية مبكرة)]**.

أما السياق العام الذي تجاهله القرآنُ في هذه الآيات المكية المبكرة (الأعراف 189-190)، فهو أن هذه الأرملة اليهودية أرادت أن تُعلِّم أبناءها فضيلة الاستشهاد، بدليل أنها ذكرت قصة هابيل الذي قُتِلَ ثم قصة إسحاق الذي كاد أن يُذبَح ثم قصة يوسف الذي رُمِيَ في السجن وقصص يهودية أخرى تدور حول نفس الهدف وهو: التضحية بالذات وفداء الآخرين.

<u>المثال الثاني</u> من كتاب "عن الصبر" (On Patience) للمفكر المسيحي المعروف "ترتليان" (Tertullian) (حوالي 150 – 240م). تقول الفقرة 15:5 من هذا الكتاب المشهور إن بذرة الشيطان إبليس (the devil's seed) (أي: مَنِيّ الشيطان إبليس) هي التي أنتجت قايينَ ابن حواء[3512]!

<u>المثال الثالث</u> من "إنجيل فيليب" الغنوسي (Gnostic Gospel of Philip) وهو واحد مِن الأعمال الأبوكريفية المسيحية الغنوسية (Gnostic Christianity) التي أُكتشِفت في صعيد مصر عام 1945م، والتي تُعرَف مجتمعة باسم "مكتبة نجع حمادي" (Nag Hammadi library). فهو إذن أحد كتب أبوكريفا العهد الجديد، ويُعتقَد أنه كُتِبَ في سوريا (الشام) باللغة اليونانية ثم تُرجم إلى اللغة القبطية. ويرجع تاريخ هذا الإنجيل الأبوكريفي (غير القانوني) إلى القرن الثاني أو الثالث – وقيل: الرابع – الميلادي؛ أي: قبل الإسلام بأكثر من 200 سنة. وفي جميع الأحوال، لا يمكن أن يكون القديس فيليب الرسول هو الذي كتبه.

وهذا المثال أكثر وضوحاً من المثالين السابقين، إذ يقول صراحةً إن الزنا (adultery) دخل إلى العالم أولاً، ثم القتل بعده. فلقد وُلِدَ [قايينُ] في الزنا لأنه كان ابن الحية (أي: ابن الشيطان). فصار قاتلاً مثل أبيه [الشيطان]، وقَتَلَ أخاه [هابيل]. كل اتصال جنسي بين شخصين مختلفين (مثل: الشيطان وحواء) هو زنا (فيليب الغنوسي 61:5-11)[3513].

ومِن الجدير بالذكر أنه توجد أعمال غنوسية مسيحية أخرى تصور مشهد زنا حواء – أو اغتصابها أو اغتصاب ظلها أو امرأة تشبهها[3514] – بطريقة جنسية أكثر فجاجة. اقرأ مثلاً (Hypostasis of the Archons)[3515]؛ (Secret Book of John)[3516]؛ (On the Origin of the World)[3517]. وعلى الرغم من الاختلافات الشديدة بين هذه الكتب الغنوسية[3518]، إلا أننا نستنتج مِنها أن أسطورة "قايين ابن الشيطان (أو: ابن الشياطين)" كانت منتشرة على نطاق واسع بين المسيحيين الغنوسيين في الشام ومصر قبل ظهور الإسلام.

المثال الرابع من التلمود البابلي الذي جُمِع في القرن الخامس أو السادس الميلادي[3519][3520]. صحيح أن هذا التلمود لم يقل "الشيطان" صراحةً، وإنما يقول "الحية". لكن كما قلنا فيما سبق: في القرون الأولى للميلاد، كان الاعتقاد السائد – وبخاصة في الأوساط المسيحية – أن الحية (التكوين 3) كانت رمزاً للشيطان إبليس أو الشيطانَ متنكراً أو أداةً استخدمها الشيطان (Satan’s agent) أو هي/هو الشيطان نفسه[3521].

يقول التلمود البابلي (Sotah 9b) إن الحية القديمة (the snake of olden times) اشتهى حواء، فأراد أن يقتل آدمَ ليتزوج حواء[3522]! ولكي نفهم هذه الجملة، يجب علينا أن نتذكر أن قصة غواية آدم وحواء بواسطة الحية (التكوين 3) جاءت في التوراة مباشرةً بعد آية تقول: "وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ" (التكوين 2:25). فيقول المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 18.6)[3523] تعليقاً على هذا الموضع إن الحية رأى آدم وحواء العريانين يمارسان الجنس، فاشتهى الحيةُ حواءَ، ولذلك حرص على غواية آدم بالأكل من شجرة معرفة الخير والشر حتى يموت آدمُ كما هدده اللهُ قائلاً: "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (التكوين 2:17).

وتقول مواضع أخرى مِن التلمود البابلي (Yebamot 103b; Abodah Zarah 22b) إن الحية كان له علاقات جنسية مع حواء (the snake had sexual relations with Eve)[3524]! [← **الحديث الصحيح: "وَلَوْلاَ حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا"[3525]، بفرض أن المقصود بالخيانة هو الخيانة الجسدية الجنسية**].

وكما نقول دائماً: الأسطورة لا تنشأ من العدم. مُؤلِّف الأسطورة يأخذ آية مِن هنا وجملة مِن هناك، ومع قدر بسيط من الخيال (وأحياناً: الخطأ)، يصنع بذلك أسطورته. ويبدو لنا أن أسطورة "قايين ابن الشيطان" مستوحاة من قراءات مختلفة وتفسيرات وهمية لـ (التكوين 4:1)[3526]. كما توجد آيات أخرى من العهد الجديد – مثلاً: (يوحنا 8:39-44) (1 يوحنا 3:10-12) – قد يُفهَم مِنها أن قايين كان ابن الشيطان أو مِن أولاده، لكن ليس بالمعنى الحرفي وإنما بالمعنى المجازي، أي: أفعاله شريرة مثل الشيطان أبيه الروحي. وسنتحدث عن هذه الآيات الكتابية بقدر أكبر من التفصيل في ثنايا حديثنا عن قصة "ابني آدم" (المائدة 27-31).

مما سبق يتضح أن بعض اليهود والمسيحيين (الغنوسيين بصفة خاصة) الشرقيين في القرون الأولى للميلاد قبل ظهور الإسلام زعموا – إما تصريحاً أو تلميحاً – أن قايين ابن الشيطان وحواء. وبمرور الزمن، سمع أصحابُ القرآن (أو أجدادهم العرب) هذه الأسطورة بطريق مباشر أو غير مباشر، فطوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً فزعموا أن آدم وحواء أنجبا ابناً وسمياه عبد الحارث (أي: عبد إبليس؛ عبد الشيطان) وهذا شرك بالله (الأعراف 189-190).

هذا ما يتعلق بقصتي ابن الشيطان وعبد الشيطان (عبد الحارث).

أما فيما يتعلق بشرك آدم نفسه، فإننا نجد في التراث اليهودي ما قد يدل على أن آدم سَقَطَ في الوثنية. يقول التلمود البابلي (Sanhedrīn 56b) إن الله حرَّم على آدم الوثنيةَ (God prohibited Adam idolatry)[3527]، مما قد يدل على أن آدم كان قد سَقَطَ في الوثنية قبل ذلك **[← "جَعَلَا لَهُ (أي: لله) شُرَكَاءَ" (الأعراف 190)]**، ولو لفترة قصيرة.

وختاماً نقول: لا يهمنا إنْ كانت قصة شرك آدم قصة حقيقية أَم خيالية. وإنما يهمنا أنها مذكورة في القرآن (الأعراف 189-190). ومجرد وجودها في القرآن يجعل أسطورة "عصمة الأنبياء" بلا أساس.

الخلاصة: لا توجد في القرآن كله آية واحدة تقول إن الأنبياء معصومين. وفي المقابل، توجد آيات قرآنية كثيرة تدل على أن الأنبياء غير معصومين. (الأعراف 189-190) مجرد مثال.

فلا داعي للإصرار على أسطورة "عصمة الأنبياء". إنها مجرد أسطورة اخترعها المسلمون في عصور متأخرة، وليس لها وجود في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن، وليس لها وجود في اليهودية ولا في المسيحية ولا في الإسلام المبكر.

4.8 الأسطورة الآدمية: هل آدم نبي؟ رسول؟ رمز؟ أسطورة؟

قبل أن ننتقل إلى قصة ابني آدم اللذين قَتَلَ أحدهما الآخر! ننهي حديثنا عن آدم بسؤال: هل آدم نبي و/أو رسول؟ بل: هل آدم شخص حقيقي تاريخي أم مجرد شخصية رمزية؟ أم مجرد أسطورة؟ بعض المراجع تُسمِّي قصةَ خلق الإنسان "الأسطورة الآدمية" (The Adamic legend).

نبدأ أولاً بتوضيح الفرق بين النبي والرسول. يقول الإمام الأكبر د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق إن "الفرق بينهما أن النبيَّ لا يأتي بشرع جديد، وإن كان يُلْهَمُ مِنْ قِبَلِ الله ويُوحَى إليه. أما الرسول فإنه يأتي بشرع وكتاب وصُحُف، ويبشِّر بمبادئ جديدة أوحاها الله إليه. ومِن هنا كان الرسل أقل في عددهم من الأنبياء"[3528].

ثم نذكر قصة طريفة حكاها الشيخ عبد الوهاب النجار[3529]:

> هل آدم نبى ورسول؟
>
> **والجواب:** أن نبوة آدم قد أخذت دوراً مهماً من عدة سنوات إذ ظهر بمدينة (دمنهور) رجل أنكر أن يكون آدم نبياً، وقد رفعت عليه الدعوى بالمحكمة الشرعية وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته لردته بذلك الإنكار. ولما استأنف الحكم إلى محكمة الإسكندرية كان كلامه أمامها أنه لم ير لفظاً فى القرآن يذكر آدم بالنبوة وأنه يعتقد نبوته، فصدر حكمها بإلغاء الحكم الأول وأعيدت إليه زوجته. [...]

أهمية هذه القصة هى أنها تُوضِّح لنا إلى أى مدى يمكن أن يدمر الحُكمُ الإسلامي حياةَ الإنسان، إلى درجة التفريق بين رجل وزوجته لمجرد أنه أنكر نبوةَ آدم!

والحقيقة التي لا يستطيع أحدٌ أن ينكرها هي أن القرآن لم يطلق أبداً لقب "نبي" أو "رسول" على آدم. وطبعاً هذه مشكلة كبيرة.

لكن كما هى العادة فى الإسلام، كل مشكلة لها حل ...

عالج المسلمون هذه المشكلة بوسيلتين:

- الوسيلة الأولى هي تأويل بضعة آيات قرآنية مثل (آل عمران 33) و (طه 122) و (البقرة 31) و (البقرة 37) على أنها تعني أن آدم نبي. وبخاصة أن الله عَلَّمه "عَلَّمَ [رَبُّكَ] آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" (البقرة 31)؛ وكَلَّمه "قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا [...]" (البقرة 35) "يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا [...]" (الأعراف 19).

- أما الوسيلة الثانية فهي الأحاديث النبوية. يقول حديث صحيح إن آدم كان نبياً مُكَلَّماً[3530]، أي خاطبه اللهُ بلا واسطة في الجنة. وتقول رواية إسلامية شهيرة – لكن يبدو أنها ضعيفة – إن أبا ذر سأل رسولَ الإسلام عن آدم: أكان آدم نبياً مرسلاً؟ فقال: "نعم"[3531]. وإن سألتهم: لمَن كان آدم رسولاً ولم يكن فى الأرض أحد؟ سيكون الجواب: كان رسولاً إلى أبنائه، أو: إلى زوجه وأبنائه وأولادهم!

يوجد إذن إجماع – أو على الأقل: شبه إجماع – بين المفسرين المسلمين على أن آدم نبي، مع أن القرآن لم يقل صراحةً إنه نبي! إلا أنهم اختلفوا اختلافاً شديداً في هل هو رسول أم لا؟

- قال الشيخ العثيمين إن آدم "نبى، وليس برسول"[3532].
- وكذلك أ. د. عمر سليمان عبدالله الأشقر (كلية الشريعة - الجامعة الأردنية) يرى أن نوحاً وليس آدم هو أول الرسل إلى أهل الأرض واستدل على ذلك بـ "حديث الشفاعة" الذي أخرجه البخاري ومسلم[3533]، فيقول: "والدليل على أن نوحاً أول الرسل ما ورد في حديث الشفاعة، وفيه أن البشر يأتون نوحاً عليه السلام بعد أن يعتذر آدم عليه السلام عن الشفاعة، فيقولون له: "أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسَمَّاك الله عبداً شكوراً""[3534].
- أما د. محمد الطيب النجار فيقول: "نحن نرجح كل الترجيح أن كل نبى رسول، وكل رسول نبى"[3535].
- وقال الشيخ الشعراوى: "بعد أن خرج [آدم] من الجنة اجتباه الله ليكون نبياً ورسولاً"[3536].
- أما موسوعة بيان الإسلام فتؤيد نبوة آدم، لكن موقفها من رسالته غير واضح.
  - مرة تقول: "أما رسالته فالأمر فيها مختلف وشأنه أن نُفوِّض علم ذلك إلى الله".
  - ومرة أخرى تقول إن آدم أكل مِن الشجرة الْمُحَرَّمَة "قبل أن يهبط إلى الأرض، وقبل أن يصير رسولاً مسئولاً عن رسالته" "ولا يطلق عليه عاصٍ أو غاوٍ إذا كانت المعصية قبل النبوة؛ لتشريف الله له بالنبوة والرسالة [...] آدم وقع فى هذه المعصية قبل اختصاصه بالرسالة".
  - ومرة ثالثة تقول إن آدم "وإن كان نبياً إلا أنه لم يكن رسولاً، فلم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم".
  - يعنى مرة يقولوا مش عارفين إذا كان آدم رسول ولا لأ، ومرة يقولوا إنه رسول، ومرة يقولوا إنه مش رسول! المُضحِك هو أن كل هذه الأقوال الثلاثة موجودة جميعها فى نفس الجزء مِن هذه الموسوعة[3537]! هل يوجد حيرة وتيه وتخبط أكثر مِن ذلك؟

تعليقنا: المشكلة كالعادة ليست في المفسرين المسلمين، وإنما المشكلة هي أن القرآن لم يحدد إذا كان آدم نبياً و/أو رسولاً! وبما أن القرآن يطلب مننا أن نؤمن بـ "جميع" الأنبياء والرسل، فكان ينبغي أن يحدد لنا على سبيل الحصر مَن هُمْ هؤلاء الأنبياء والرسل، على الأقل بالنسبة للشخصيات المذكورة في القرآن كآدم مثلاً. عدم تحديد القرآن لهذه المسألة العقائدية المهمة يدل على أن القرآن كلام بشر. فلو كان القرآن كلام الله، لكان قد قال صراحةً إذا كان آدم نبي و/أو رسول. والأهم مِن ذلك أن يثبت أن آدم شخص حقيقي تاريخي أو على الأقل يعطينا معلومات عن الزمان والمكان الذي يُفترَض أن آدم كان يعيش فيهما.

الحق هو أنه لا يوجد أى دليل علمى أو تاريخى يثبت أن آدم شخص حقيقي تاريخي.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن آدم شخص حقيقي تاريخي، فلا يوجد أى دليل يثبت أنه كان نبياً أو رسولاً. إن واحداً من أبناء آدم (وهو: قابيل/قايين) قتل الآخرَ (هو: هابيل)! فهَل يُعقَل أن يكون آدم نبياً؟ ورسولاً لأبنائه كمان؟! لو كان رسولاً، فهو رسول فاشل فشل في تربية أبنائه.

فكرة أن آدم كان نبياً و/أو رسولاً بدأت أولاً كبذرة زرعتها أساطيرُ اليهود[3538] في كتب التراث اليهودي المتأخر. على سبيل المثال:

- قال المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 24.5) إن آدم كان يستحق أن تُعلَن التوراةُ من خلاله (أي: تنزل عليه)[3539]. ولفت المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 16.5) نظرَنا إلى نقطة مهمة وهي أن الكلمات العبرية التي استخدمتها التوراةُ لتحديد مهمة آدم فِي جَنَّةِ عَدْنٍ "لِيَعْمَلَهَا (بالعبرية: *le-ʿabedah*) وَيَحْفَظَهَا (بالعبرية: *ule-shamerah*)" (التكوين 15:2) هي نفس الكلمات التي استخدمتها التوراةُ بعد ذلك لعبادة الله (الخروج 12:3) وحفظ وصاياه (التثنية 12:5) وتقديم الذبائح (العدد 2:28)[3540]. فنرى هنا توجهاً نحو إعطاء آدم فِي جَنَّةِ عَدْنٍ وظائف الخدمة الكهنوتية في الهيكل (priestly service in the Temple)!
- بل قال كتابُ اليوبيلات إن "جنّة عدن هي قدس الأقداس (the holy of holies)، مقام الربّ (the dwelling of the LORD)" (اليوبيلات 19:8)[3541]!
- وقال ترجوم نيوفيتي: "وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَأسكنه فِي جَنَّةِ عَدْنٍ، لكي يتعبّد حسب الشريعة (Torah؛ الناموس) ويحفظ وصاياه" (التكوين 15:2)[3542]. مما قد يعني أن آدم تسلّم التوراة من الله!
- وقال التلمود البابلي (Abodah Zarah 8a)[3543] إن آدم هو الذي أسس الأعياد!
- وقالت الهاجاده: "كان آدم نبياً وحكمته من حكمة الأنبياء"[3544]!

ثم روى المسيحيون السريان هذه البذرة اليهودية حتى كبرت وصارت أكثر وضوحاً؛ مثلاً:

- قَدَّم القديس إفرامُ السرياني آدمَ في الفردوس وكأنه كاهن (priest) في الهيكل[3545][3546]!
- ووصف كتابُ "مغارة الكنوز" السرياني آدمَ بأنه نبي (prophet)[3547]!

وفي ظل هذا التطور البشري الطبيعي لوظيفة آدم، جاء مِن بعد اليهود والمسيحيين السريان رواةُ الأحاديث النبوية والمفسرون المسلمون فزعموا أن آدم نبي و/أو رسول.

أما نحن فنستطيع أن نجزم أن "آدم" مجرد رمز (allegory) للجنس البشرى بصفة عامة، وليس حقيقة علمية (scientific fact) أو تاريخ (history). والدليل على أن آدم شخصية رمزية هو أن قصته سواء فى القرآن أو التوراة مرتبطة برموز كثيرة، مثل "شجرة الخُلد" (طه 120) أو "شجرة الحياة" (التكوين 9:2، 22:3) و "شَجَرَة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ" (التكوين 9:2، 17:2).

فهل توجد شجرة حقيقية اسمها "شَجَرَة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ"؟! بالطبع لا، وإنما هي مجرد شجرة رمزية ترمز إلى التمييز الأخلاقي بين الْخَيْر وَالشَّرّ أو بين الصح والغلط. فإذا أكل الإنسانُ منها وصار عاقلاً بالغاً راشداً "عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ" (التكوين 22:3)، ينبغي أن يُحاسَب على أفعاله وأقواله. فلعلها إذن ترمز إلى الشريعة (الناموس؛ توراة موسى). "لأنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ" (رومية 20:3)؛ أي أن الشريعة تجعل الْخَطِيَّةَ معروفة، فالشريعة هي التي أثبتت أن القاتل ارتكب خَطِيَّةً والسارق ارتكب خَطِيَّةً والزاني ارتكب خَطِيَّةً وهكذا، فدور الشريعة هو مرآة تُظهر الْخَطِيَّةَ وليس علاجاً شافياً لها. "فَإِنَّهُ حَتَّى النَّامُوسِ (أي: قبل مجيئه؛ في الفترة من آدم إلى موسى) كَانَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْعَالَمِ (أي: كان هناك قتلة ولصوص وزناة ... الخ). عَلَى أَنَّ (أي: إلا أَنَّ) الْخَطِيَّةَ لاَ تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ (أي: في حالة عدم وجود شريعة تحدد الأوامر والنواهي حتى لا يكون للناس عذر)" (رومية 13:5). "بَلْ لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيَّةَ إِلاَّ بِالنَّامُوسِ. فَإِنَّنِي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ (أي: لم أعرف أن الشهوة خَطِيَّة) لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ: «لاَ تَشْتَهِ»" (رومية 7:7). وبما أنه من المستحيل أن يلتزم الإنسانُ التزاماً تاماً بكل ما تطلبه الشريعة، فإنه مِن المؤكد أن كل إنسان سيرتكب خطايا. "لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ لاَ يُخْطِئُ" (1 ملوك 46:8) (2 أخبار الأيام 36:6)؛ "لأَنَّهُ لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحًا وَلاَ يُخْطِئُ" (الجامعة 20:7). "الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية 23:3). و "لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ" (رومية 23:6) "وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ" (رومية 12:5)، فإنه طبقاً للناموس: كل إنسان حتماً سيموت كما مات آدمُ لمَّا أكل مِن شَجَرَة مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ. إذن: الشريعة لا تستطيع أن تُخلِّص. "لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ (أي: الذين يحاولون أن ينالوا الخلاص بحفظ الناموس) هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ [في ذلك الناموس نفسه]: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ[3548]»" (غلاطية 10:3). وإنما الفداء الذي أتمّه الشاب اليهودي يسوع المسيح بموته الكَفَّاري على الصليب يستطيع أن يُخلِّص كلَّ البشر. "لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ (أي: في الوقت المناسب)، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ (أي: إنساناً حقيقياً)، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ (أي: يهودياً؛ خاضعاً للشريعة)، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ (أي: اليهود)، لِنَنَالَ [جميعاً يهوداً وأمماً] التَّبَنِّيَ" (غلاطية 4:4-5). "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ،

إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»" (غلاطية 13:3). "لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (رومية 23:6). "لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا" (يوحنا 17:1). "أَمَّا شَوْكَةُ الْمَوْتِ فَهِيَ الْخَطِيَّةُ، وَقُوَّةُ الْخَطِيَّةِ هِيَ النَّامُوسُ. وَلكِنْ شُكْرًا ِللهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (1 كورنثوس 15:56-57). "وَأَمَّا [يسوع المسيح] الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ [من الأموات] فَلَمْ يَرَ فَسَادًا. فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، أَنَّهُ بِهذَا يُنَادَى لَكُمْ بِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، وَبِهذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بِنَامُوسِ مُوسَى" (أعمال الرسل 13:37-39).

وهل توجد شجرة حقيقية اسمها "شجرة الخُلد" أو "شجرة الحياة"؟! بالطبع لا أيضاً، وإنما هي مجرد شجرة رمزية ترمز إلى الخلود أو الحياة الأبدية؛ أو ربما ترمز إلى جسد المسيح ودمه المسفوك على خشبة (شجرة) الصليب حسب إنجيل المسيح[3549]. ولِمَ لا؟ ألم يشبّه الكتابُ المقدس الأبرار بالأشجار المثمرة: "اَلصِّدِّيقُ كَالنَّخْلَةِ يَزْهُو (The righteous shall flourish like the palm tree)، كَالأَرْزِ فِي لُبْنَانَ يَنْمُو. مَغْرُوسِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ، فِي دِيَارِ إِلهِنَا يُزْهِرُونَ. أَيْضًا يُثْمِرُونَ فِي الشَّيْبَةِ" (المزامير 92:12-14)[3550].

ومِن ثم، فإن الأكل من ثمر شجرة الحياة ربما يرمز إلى التناول (Eucharist) في الدنيا والحياة الأبدية في الآخرة. قال يسوع المسيح: "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَق وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ، **فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي**" (يوحنا 6:54-57)؛ "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (الرؤيا 2:7)[3551].

فيمكن إذن أن نقول إن شجرة معرفة الخير والشر ترمز إلى التوراة (الشريعة) التي تؤدي إلى الموت بينما ترمز شجرة الحياة إلى الإنجيل (المسيح) الذي يَهَبُ الحياةَ الأبدية.

قال يسوع المسيح: "وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ" (يوحنا 10:10).

وهل توجد حَيَّة حقيقية تتحدث إلى الإنسان وتوسوس إليه، بل وتنجح فى التأثير عليه؟! بالطبع لا أيضاً، وإنما هذه الحَيَّة هى مجرد رمز للشيطان (الشرير). وإنْ قلتم: ولماذا الحَيَّة بالذات؟ فسنقول: ربما لأن الحية (الثعبان) تقتل الإنسانَ بسمومها، أي: تتسبب في موت الإنسان؛ وهذا بالضبط ما حدث في قصة آدم التوراتية←القرآنية حيث تسبب الشيطانُ في موت آدم، أي: انفصاله عن الله. وإنْ قلتم إن الحية كانت ثعباناً حقيقياً استخدمها الشيطانُ – قيل: حَلَّ أو سكن (dwelt) فيها – ليخدع الإنسان. فسنقول: كالعادة، كل أسطورة تؤدي إلى أسطورة أكبر منها. أسطورة "الحية حقيقية" أدت إلى أسطورة "الشيطان سكن في الحية". ثم إن

هذا يعني أن الحية كانت مجرد أداة (a mere tool) استخدمها الشيطانُ، فهي إذن بريئة، فلماذا يعاقبها الله (التكوين 3:14)؟![3552] وماذا يعني أن يضع اللهُ عداوةً بين نسل ثعبان ونسل حواء (التكوين 3:15)؟! الأقرب إلى العقل والمنطق أن نقول إن الحَيَّة مجرد رمز للشيطان (الشرير) الذي يعادي الإنسان المؤمن البار، ولذلك يستحق هذا الشرير عقابَ الله. "وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ (أي: الشيطان إبليس) قَدْ دِينَ" (يوحنا 16:11) "إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ [الساقطين] (أي: جنوده)" (متى 25:41).

وكذلك طرد/خروج آدم من الجنة هو أيضاً مجرد رمز إلى حياة الشقاء والتعب والألم والمرض ... الخ التي نحياها نحن على الأرض والتي ستنتهي بنا في النهاية إلى الموت، فنموت كما مات "آدم" بعد السقوط.

والجنة نفسها كانت جنة أرضية كما تقول التوراة وكما قال فريقٌ مِن المفسرين المسلمين. لكن هذه الجنة الأرضية مجرد رمز إلى الجنة السماوية (جنة الخلد). بدليل أن آدم قبل السقوط كان من المفترض أن يعيش حياة أبدية مع الله. وهذا بالضبط ما سيحدث لنا حين ننتقل إلى الجنة السماوية فنعيش حياة أبدية مع الله.

إذن: القصة كلها مِن أولها إلى آخرها مليئة بالرموز. كلها قصة رمزية 100%. كذلك، فإن "آدم" ليس شخصاً حقيقياً تاريخياً، وإنما هو مِثل "أدابا"، مجرد شخصية رمزية ترمز إلى الإنسان بصفة عامة؛ كل إنسان يخطىء وسيموت، وبالتالي يحتاج إلى نعمة الخلاص. كل إنسان يحتاج إلى دم المسيح المصلوب الفادي الذي يهب الحياة الأبدية مع الله في الجنة السماوية.

قال يسوع المسيح: "وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ" (يوحنا 10:10).

وخير دليل على أن قصة آدم مجرد قصة رمزية هو تأثرها الواضح بتراث الشرق الأوسط القديم سواء التراث المقروء أو المسموع (أسطورة "أدابا" مثلاً) أو التراث المرئي. فنحن نجد في اللوحات المصرية القديمة[3553] لوحةً ترسم روحَ الإله "رع" (Ra) **[⟵ الله]** (رقم 1 في الشكل التالي) برأس صقر يحتضن (أو: يمتزج مع؛ يتحدث إلى) روح الإله "أوزيريس" (Osiris) (رقم 2) على هيئة طائر بوجه إنسان **[⟵ آدم الذي نفخ اللهُ فيه من روحه وتحدث إليه "يَا آدَمُ"]** يعلوه التاج الأبيض دلالة على أنه مَلِك بشري **[⟵ "خليفة"]**. وبجانبهما قط (cat) يرمز إلى الإله رع **[⟵ الله]** ويجلس بالقرب مِن شجرةٍ (رقم 3) (قيل: شجرة "أكاسيا" (Acacia tree)؛ وقيل: شجرة (Persea)) **[⟵ "الشجرة" التي في الجنة]**. وفي أقصى اليمين، نرى ثعباناً (رقم 4) يرمز إلى "عبب" (أبوفيس) (Apep; Apophis) الذي يمثل الظلام والفوضى والشر **[⟵ الشيطان (الحية القديمة)]** والذي يُعتبَر أخطر وأكبر عدو للإله رع (Ra's archenemy; the eternal adversary of Ra) **[⟵ عدو الله]**. وإذا أمعنا النظر في اللوحة، فسنرى القط (الإله رع) يذبح الثعبانَ (عبب؛ أبوفيس) بالسكين؛ أي: يقطع رأسَ الثعبان (أبوفيس) **[⟵ يسحقَ رأس الحية**

(الشيطان)]. وتوجد لوحات مصرية قديمة أخرى تُظهِر هلاك الثعبان (أبوفيس) في الآخرة وإلى الأبد، بصورة أكثر وضوحاً[3554].

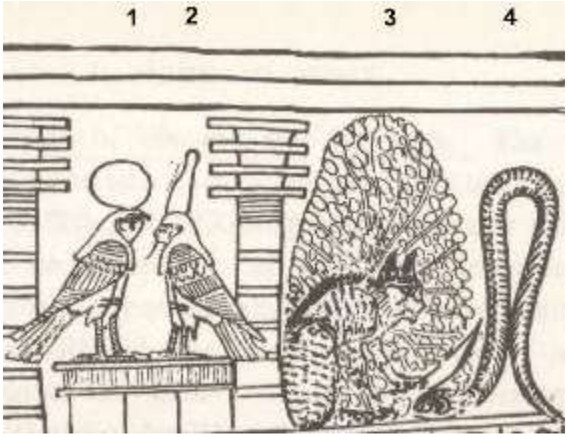

رسم توضيحي 5 – أهم عناصر أسطورة آدم: الله، الإنسان، الشجرة، الحيَّة (الشيطان) وهلاكه!

ونحن طبعاً لا نقول إن هذه اللوحة المصرية القديمة هي هي نفسها أسطورة آدم التوراتية←القرآنية. وبكل تأكيد، لا نقول إنها تتحدث عن الإنسان الأول (آدم أو غيره). فنحن لا يهمنا سياق هذه اللوحة (دنيا أو آخرة؛ أرض أو سماء؛ أجساد أو أرواح ... الخ)، وإنما يهمنا فقط العناصر والأفكار (motifs) الأساسية الموجودة فيها.

ونريد أن نكرر مرة أخرى: نحن ننظر إلى هذه اللوحة المصرية القديمة بمستوى مرتفع جداً من التجريد (at a very high level of abstraction)، فلا يهمنا إلا العناصر والأفكار (motifs) الأساسية فقط بغض النظر عن السياق والزمان والمكان والأشخاص.

ونحن نرى أن أهم عناصر قصة آدم التوراتية←القرآنية موجودة في هذه اللوحة المصرية القديمة التي إذا قرأتها من اليسار إلى اليمين ستحصل على نفس ترتيب الأحداث في الكتاب المقدس: الله (رقم 1 في الشكل السابق) **[← (التكوين 1:1)]**، الإنسان (رقم 2) **[← (التكوين 26:1)]**، الشجرة (رقم 3) **[← (التكوين 9:2)]**، الحية القديمة (رقم 4) **[← (التكوين 1:3) ← الشيطان إبليس عدو الله]**، هلاك الشيطان وانتصار الله عليه إما عاجلاً (التكوين 14:3؛ أو التوراة بصفة عامة) أو آجلاً (في آخر الزمان؛ أو الإنجيل بصفة عامة).

ومِن حُسن الحظ أن الإنجيل نفسه يعترف بتأثر موسى نبي اليهود وزعيمهم بكل حكمة المصريين: "فَتَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ" (أعمال الرسل 22:7). وكذلك قال القرآنُ إن موسى أوتي العلم والحكمة في مصر: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا (wisdom) وَعِلْمًا (knowledge)"(القصص 14). ولا يهم هنا إنْ كان موسى شخصاً حقيقياً تاريخياً أم لا. أي إنسان مثقف

(موسى أو غيره) يرى هذه اللوحة المصرية القديمة يستطيع، بالاستعانة بأساطير أخرى (مثلاً: أسطورة "أدابا") وبقدر بسيط من الخيال، يستطيع بكل تأكيد أن يؤلف أسطورة آدم الكتابية.

ومِن أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين الشرقيين)، انتقل هذا التراث الشرقي إلى أصحاب القرآن. فلم يكن أصحابُ القرآن محتاجين أن يقرأوا كتاباً واحداً، فيكفيهم ما كانوا يشاهدونه بأعينهم (لوحات مثلاً) أو يسمعونه بآذانهم (أساطير مثلاً)، فهذا يكفي – بل يكفي جداً – لإنتاج كتاب مثل القرآن.

ولذلك نحن نتفق تماماً مع العالِم المغربي د. محمد المدلاوي حين سُئِلَ "هل الأديان التوحيدية استفادت من الأساطير التي تسربت إلى داخل الكتب المقدسة؟" فقال بكل شجاعة وجرأة[3555]:

> أولاً هنا يتعين الوقوف عند مفهوم "الأسطورة". مفهوم الأسطورة [...] الذي نستعمله للكلمة اليوم هو مفهوم معياري. معياري بمعنى أن سرديةً معينة هي سردية غير واقعية، وإنما هي سردية تخيلية. [...] الْقَصَص ... جميع الكتب المقدسة ورد فيها مفهوم "الْقَصَصِ" ... "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ" [يوسف 3]. ومفهوم الْقَصَصِ هو للاعتبار ... قصة الخضر ... قصة إرم ذات العماد ... فهي للاعتبار ولا يضيرها أن تكون واقعية أو غير واقعية. مثلاً هذا [الكتاب] (Ancient Egyptian Literature) فيه نصوص إذا أزلتَ "رَع" وعملتَ مكانه "الله" ستجد هناك تماسكاً وتظن بأن النص نص إسلامي ... من حيث الصفات التي تُضْفَى على تلك الماهية الألوهية ... يعني من حيث القدم والأزلية والخلود ولَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء [الشورى 11] والقدرة ... جميع تلك الصفات وأنه مُجرَّد عن (أي: مُنزَّه عن حدود) الزمان والمكان ... الخ. بمعنى أن كل الْقَصَصِ وما يمكن أن نسمِّيه الآن "أساطير" ولكن بالنسبة لتلك الفترة كانت تُعاش كحقائق مطلقة ... كحقائق واقعية وربما مطلقة.
>
> إذن: فالأسطورة هي مكون من ... ما نسمِّيه اليوم نحن "أسطورة" وما سمَّاه القرآنُ بـ "الْقَصَص" هي من بين مكونات الخطاب الإقناعي في الكتب المقدسة ... ولا يضيرها أنها واقعية أم غير واقعية.

ثم أضاف العالِمُ العراقي د. خزعل الماجدي إضافةً أكثر جرأة وشجاعة رداً على نفس السؤال، فقال[3556]:

> أرى أن الأسطورة جزء من الدين نفسه ... يعني: لا يوجد دين بدون أسطورة أصلاً. [...] [الأسطورة بمعناها] العلمي وهي حكاية مقدسة ... أو حكايةُ إله ... حكايةُ إله. كانت [الأساطير] في أوجها مع الأديان القديمة ... ظهرت في الأساطير البابلية جزء من الدين البابلي ... الأساطير السومرية ... الأساطير المصرية ... الكنعانية ... الخ. الشعوب القديمة. لكن مع مجيء التوحيد خفّت وطأةُ الحكايات عن إله. لماذا؟ لأن الله واحد وليس له حكاية سوى أنه خَلَقَ الكونَ. فخفّت الأمور. لم يعد هناك أسطورة تتحدث عن الله باعتباره هو نواة الأسطورة. ولكن شحنة الأسطورة تسربت إلى الملائكة وإلى الأنبياء وإلى الأوصياء وإلى المؤمنين (يقصد: أصبح هؤلاء هُمْ أبطال الأسطورة وليس الآلهة، لأنه لا يوجد آلهة أصلاً، وإنما يوجد إله واحد فقط) [...] وهكذا تجد [...] المعجزات التي تتزايد كلما ذهبنا إلى منطقةٍ شعبية في الدين. [...] وهذه

مؤثرة. يعني: لا أستطيع أن أفصل التأثير الشعبي للأساطير التي موجودة في اليهودية والمسيحية والإسلام ... لا أستطيع أن أفصلها وأقول لأ فقط النص الرسمي أو المقدس [...] ومع ذلك تجد هناك قفزات ... تجد هناك نبضات أسطورية في الكثير من الكتب المقدسة. [...]

يعني الحقيقة أنا أستغرب من الاستياء من فكرة [الأساطير]. الأسطورة نص مقدس وليست نصاً ردیئاً. يعني هو أصلاً معني بالحديث عن إله. احتقارنا للأسطورة جاي من فكرة ساذجة جداً، وهو أنني مسلم ... إذن: أنا ديني هو الصحيح، والآخر دينه أساطير. [...] طيب ما هو أنتَ أيضاً يتحدث المسيحي عنكَ ... ويتحدث البابلي والبوذي واليهودي [عنكَ] ويقولون لكَ: ديني هو الصحيح، وفي دينك (أي: وفي الإسلام) أساطير. بنفس الطريقة.

إذن: لِمَ لا نفض هذه القضية ونقول إن الأسطورة نص محترم ومقدس وليس من الضروري أن يكون [حقيقياً] على الأرض أو واقعياً. [...] هو نوع من التشويق والعظة والعبرة ... الخ أكثر مما هو بَحْث عن الحقيقة ... أكثر مما هو نص تأريخي. هو هذا مستواه (يقصد: التشويق والعظة والعبرة وليس الحقيقة أو التأريخ). هذا طبيعي. [لكن] نحن ننفر من هذه الأمور.

ويجب فى هذا السياق أن نذكر ما قاله الشيخ الإمام محمد عبده فى "تفسير الآيات على طريق الخلف فى التمثيل". صحيح أنه لم يقل صراحةً إن آدم ليس شخصاً حقيقياً تاريخياً، لكن كلامه يوحي بذلك[3557] ويستحق التأمل، فهو محاولة لقراءة القصة قراءة رمزية. وهو كلام طويل، ولذا فسنكتفى بأهم ما جاء فيه[3558]:

[...].

ويصح أن يراد بآدم نوع الإنسان، كما يطلق اسم أبى القبيلة الأكبر على القبيلة، فيقال كلب فعلت كذا ويراد قبيلة كلب، وكان من قريش كذا يعنى القبيلة التى أبوها قريش، وفى كلام العرب كثير من هذا.

[...].

ويصح أن يكون المراد بالأمر بسكنى الجنة وبالهبوط منها أمر التكوين، فقد تقدم أن الأمر الإلهى قسمان: أمر تكوين وأمر تكليف، والتكوين هو المراد بقوله تعالى: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (يس 82).

والمعنى على هذا أن الله تعالى كوَّن النوع البشرى على ما نشاهد فى الأطوار التدريجية التى قال فيها سبحانه: "وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا" (نوح 14).

فأولها طور الطفولية: وهى لا هم فيها ولا كدر، وإنما هى لعب ولهو، كأن الطفل دائماً فى جنة ملتفة الأشجار، يانعة الثمار، جارية الأنهار، متناغية الأطيار. وهذا معنى "اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ". وذكر الزوجة مع أن المراد بآدم النوع الآدمى للتنبيه على الشمول وعلى أن استعداد المرأة كاستعداد الرجل فى جميع الشئون البشرية. [...]

الخلاصة: كثير مِن اليهود والمسيحيين والمسلمين العقلاء نسبياً قد وصلوا إلى نفس النتيجة العقلانية أو على الأقل اقتربوا منها: آدم مجرد رمز يُراد به نوع الإنسان، وليس شخصاً حقيقياً تاريخياً.

تعددت السبل واختلفت التفاصيل، لكن فى النهاية النتيجة واحدة: آدم ليس شخصاً حقيقياً تاريخياً، وإنما هو مجرد شخصية رمزية ترمز إلى الإنسان بصفة عامة.

نستطيع بكل تأكيد أن نقرأ قصة آدم وحواء والشجرة وإبليس (الشيطان) قراءة رمزية عقلانية، بدون أن ينقص إيماننا بالله الواحد الأحد الذي لا شريك له. فنحن ننظر إلى قصة "سقوط آدَم" نفس النظرة التي ننظرها إلى القصص الدينية بصفة عامة. إنها (myth)، أي: a story that may or may not be true, but it points to a bigger truth. والحقيقة ليست آدم وحواء والشجرة والشيطان. وإنما الحقيقة هي أن الإنسان يرتكب خطايا بسبب إرادته الحرة (free will) والوساوس الداخلية والخارجية.

بل يجب علينا أن نقرأ كل القصص المذكورة في الأحد عشر إصحاحاً الأولى من سفر التكوين، التي تُعرَف باسم "التاريخ البدائي" (The Primeval History) أو بعبارة أكثر دقة "القصة البدائية" (The Primeval Story)، يجب علينا أن نقرأها كلها قراءة رمزية. فكما لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن آدم شخص حقيقي تاريخي، كذلك لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن قايين (قابيل) وهابيل وأخنوخ (إدريس) ونوح ... الخ شخصيات حقيقية تاريخية. واحتمال أن نجد دليلاً علمياً واحداً يكاد يكون صفر%.

تقول مقدمة سفر التكوين التي كتبها العالم الكبير (Jon D. Levenson) في (The Jewish Study Bible)[3559]:

How much history lies behind the story of Genesis? Because the action of the primeval story is not represented as taking place on the plane of ordinary human history and has so many affinities with ancient mythology, it is very far-fetched to speak of its narratives as historical at all. […]

4.9 قبول الْآخَرِ المختلِف؟ الصراع بين الراعي والفلاح ... المسلم وغير المسلم

ننتقل الآن إلى أسطورة أخرى من أساطير "القصة البدائية" (The Primeval Story) ...

تقول التوراة ويقول القرآنُ المدني إن أول جريمة حدثت في تاريخ البشرية كانت جريمة قَتْل بشعة! ابنا آدم قَتَلَ أحدُهما الآخر! يعني: الأخ قَتَلَ أخاه (Fratricide)!

وكالعادة، لم يذكر القرآنُ اسمَ الأخ القاتل ولا اسم الأخ المقتول! بل لم تذكر السُّنَّة الصحيحة اسميهما! فسنشير لهما هنا إما باسميهما المذكورين في التوراة "قايين وهابيل" (Cain and Abel) أو باسميهما المعروفين في التراث الإسلامي "قابيل وهابيل". ومِن المعروف أن القاتل هو الأخ الأكبر قايين (قابيل) أول مولود على وجه الأرض، والقتيل هو الأخ الأصغر هابيل أول إنسان يموت بل أول شهيد في العالم!

نجد قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية في سورة المائدة (مدنية)، وهي تتكون من 5 آيات (المائدة 27-31) يمكن تقسيمها إلى 3 أجزاء. كل جزء منها يذكر اسم "الله" مرة واحدة في آيته الأولى:

الجزء الأول (المائدة 27) قبل مقتل هابيل: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ (أي: اقرأ يا محمد على يهود المدينة) نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا [إلى الله] فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا (أي: مِن هابيل) وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ (The Other) (أي: مِن قابيل) [فَحَسَدَ قابيلُ هابيلَ أخاه وَ] قَالَ [له] لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ [هابيلُ] إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ {27}.

الجزء الثاني (المائدة 28-30). مقتل هابيل: لَئِنْ بَسَطْتَ (أي: مَدَدْتَ) إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ (أي: لن أقتلك أبداً ولو دِفاعاً!) إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (أي: ليس عجزاً عن مقابلة قوتك بقوة، وإنما لأنني أخَافُ اللَّهَ) {28} إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي (قيل أي: تَرجِع حاملاً ذنب قَتْلك إياي[3560]) وَإِثْمِكَ (أي: ذنبك الذي عليك قبل ذلك والذي كان سببَ عدم قبول قربانك؛ وقيل: ذنب إصرارك على هذا القتل وعدم قبولك لنصائحي) فَتَكُونَ [في الآخرة] مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ {29} فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ (أي: فَزَيَّنتْ لقابيل نَفْسُهُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ وشجَّعته وَسَهَّلَت عليه) قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (قيل أي: الهالكين الذين باعوا آخرتهم بدنياهم؛ خسر أخاه وخسر نَفْسَه[3561]؛ خسر الدنيا والآخرة) {30}.

الجزء الثالث (المائدة 31) بعد مقتل هابيل: فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ (أي: ينبش تراب الأرض ويحفر حفرةً؛ قيل: ليدفن غراباً ميتاً أو غراباً آخر قَتَلَهُ!، وقيل: ليُنقِّب عن غذاءٍ له، وقيل: ليُخفي غذاءَه) لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ (أي: ليُعلِّم الغرابُ قابيلَ كيف يدفن جثمان هابيل!) قَالَ [قابيلُ] يَا وَيْلَتَا (أي: يا فضيحتي ومصيبتي؛ يا هلاكي) (Woe to me!) أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ [قابيلُ] مِنَ النَّادِمِينَ {31}.

ومما يميز قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) أنها تأتي – حسب الترتيب الزمني لأنبياء القرآن – بعد قصة آدم وسقوطه وقبل قصة نوح وطوفانه (Antediluvian)[3562]. لكن بخلاف قصتي آدم ونوح اللتين تكررتا في مواضع قرآنية كثيرة، لم تُذكَر قصة "ابْنَيْ آدَمَ" إلا في موضع قرآني واحد فقط (المائدة 27-31).

بل انفردت قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) بكلماتٍ لم تُذكَر في القرآن كله إلا في هذا الموضع، مثل: "لَأَقْتُلَنَّكَ" (I will surely kill you) (المائدة 27)!

أول أخوين في تاريخ البشرية قال أحدُهما للآخر "لَأَقْتُلَنَّكَ"! ابنا أول نبي على ظهر الأرض قال أحدُهما للآخر "لَأَقْتُلَنَّكَ" ثم قَتَلَهُ! قَتَلَهُ 3 مرات. قَتَلَهُ أولاً بلسانه: "قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ" (المائدة 27). ثم قَتَلَهُ بقلبه (نفسه): "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ" (المائدة 30). وأخيراً قَتَلَهُ بيده: "فَقَتَلَهُ" (المائدة 30).

"وهذه أولُ جريمةِ قَتْلٍ تقعُ على الأرض، وابنُ آدم القتيل هو أولُ ضحيةٍ للحقد والكراهية، وأولُ ثمرةٍ مُرَّةٍ للاستجابة البشرية للشيطان ووساوسه ونزغاتِه"[3563]. يعني: جريمة كراهية (hate crime).

ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما إن محمد قال: "لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا (أي: بِغَيْرِ حَقّ) [حتى قيام الساعة] إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ (أي: جزء؛ نصيب) مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ (أي: قابيل) أَوَّلُ مَنْ سَنَّ (أي: ابتدع) الْقَتْلَ"[3564]!

والعجيب أننا نجد مسلمين يحملون اسم "قابيل" القاتل رقم 1! بينما لم نجد مسلماً واحداً يحمل اسم "هابيل" المسالِم الوديع! لكن إذا عُرِفَ السبب بطل العجب ...

4.9.1 جذور القرآن في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد

آدم (الإنسان الأول) وابناه. إذن: جذور يهودية.

+ أمور أخرويّة (eschatological)! إيمان هابيل بالحساب والجزاء في الآخرة! – "النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29) – يشير إلى جذور مسيحية (أو: يهودية متأخرة).

إذن: مِن النظرة الأولى، يبدو لنا أن قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) مِن القصص القرآنية التي تجمع بين التراث اليهودي والتراث المسيحي في نفس القصة القرآنية القصيرة.

بالفعل، قصة "ابْنَيْ آدَمَ" موجودة في التوراة (التكوين 4:1-16) قبل الإسلام بمئات السنين. وهناك تعليقات عليها في الإنجيل وأسفار أخرى مِن العهد الجديد. وعند قراءة القصة الكتابية مِن الكتاب المقدس، يتضح لنا مدى التشابه بينها وبين قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية (المائدة 27-31). تشابه يصل أحياناً إلى درجة التطابق ...

(التكوين 4): {1} وَعَرَفَ (أي: جَامَعَ؛ عَاشَرَ) آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ **[⟵ قابيل]**. وَقَالَتِ: «اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ (أي: بمعونة الرب)». {2} ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ **[⟵ هابيل]**. وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، وَكَانَ قَايِينُ عَامِلاً فِي الأَرْضِ (أي: فلاحاً؛ مُزارعاً) **[⟵ "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ**

بِالْحَقِّ" (المائدة 27). يزعم القرآنُ أنه سيتلو "نَبَأَ" ابْنَيْ آدَمَ، والنبأ هو الخبر المهم، وسيتلوه "بِالْحَقِّ" ومع ذلك لا يذكر اسميهما ولا حرفتيهما! لماذا لم يهتم القرآنُ بهذه التفاصيل؟ سنعرف بعد قليل.].

(التكوين 4): {3} وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، {4} وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا [قُرْبَانًا لِلرَّبِّ] **[⟵ "إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا" (المائدة 27)، ولم يذكر القرآنُ ماهية قربانيهما. إنه قربان مُجرَّد (abstract) ولذلك جاء نكرة "قُرْبَانًا" مبهماً. وربما قَرَّبَ قابيلُ قُرْبَانًا مطابقاً أو مشابهاً لقربان هابيل!]**.

لكن حسب التوراة: الفلاح قايين قَرَّب قرباناً نباتياً. بينما قَرَّب الراعي هابيل قرباناً حيوانياً، أي: ذَبِيحَةً.

(التكوين 4): {4} [...] فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، {5} وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. أي: فتقبَّل اللهُ قربانَ الراعي هابيل وَرَضِيَ عنه ولم يتقبَّل قربانَ الفلاح قايين ولم يَرْضَ عنه **[⟵ بنفس الترتيب التوراتي، يقول القرآن: "فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ" (المائدة 27)، لكن بدون أن يحدد مَن قَبِلَ اللهُ مِنه ولا مَن لم يقبل اللهُ مِنه!]**.

لم تذكر التوراةُ صراحةً سبب قبول قربان هابيل ورفض قربان قايين (inégalité sans explication). فاجتهد المفسرون اليهود[3565]:

- قيل إن الرب يفضل مهنة الراعي (هابيل) على مهنة الفلاح (قايين)[3566]! واستدلوا على ذلك بأن التوراة ذكرت ميلاد قايين أولاً (التكوين 4:1) ثم ميلاد هابيل (التكوين 4:2)، لكن عندما ذكرت مهنتيهما ذكرت مهنة الراعي هابيل أولاً ثم مهنة الفلاح قايين (التكوين 4:2)، مما يدل على أن مهنة الراعي أسمى من مهنة الفلاح! ولأن الراعي يرعى كائنات حية (حيوانات) فهي مهنة تمهد لمهنة الحاكم أو المَلِك الذي يرعى شئون البشر.
- وقيل إن الفلاح قايين قَرَّب قرباناً نباتياً بسيطاً بدون عناء أو اكتراث. واستدلوا على ذلك بأن التوراة تقول إن "قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ" (التكوين 4:3) فلا يوجد ما يميز هذه الأثمار؛ إنها إذن أي أثمار وجدها قايين في طريقه. وزاد بعضُهم على ذلك أن قايين حجز أفضل الثمار للمخلوق (أي: لنفسه) وقَدَّم ما تبقى للخالق (أي: لله). أما الراعي هابيل فقَرَّب قرباناً حيوانياً، أي: ذَبِيحَةً، وانتقاها (selected) بعناية وسخاء مِنْ أفضل أَبْكَارِ غَنَمِهِ وأسمنها (التكوين 4:4). لكن هذا الرأي يفترض أن الله سبق أن حدد نوع القربان الذي يجب أن يُقَدَّم له. ولا يوجد في (التكوين 4) ما يؤيد هذا الافتراض.
- فقيل إن نوع القربان الواجب تقدمته محددٌ ضمنياً في (التكوين 3). فلقد التزم هابيلُ بتعاليم الله، فذبح ذَبِيحَةً دموية بإخلاصٍ وصدق كما ذبح اللهُ ذَبِيحَةً دموية ليصنع "أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ" لكسوة

آدم وحواء بعد سقوطهما (التكوين 3:21). أما قايين فابتدع بدعةً مِن عنده وقَدَّمَ قُرْبَانًا غير دموياً مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ التي كان اللهُ قد لعنها بعد سقوط آدم وحواء (التكوين 3:17)!

أما العهد الجديد فذكر بكل وضوح سببَ قبول قربان هابيل ورَفْض قربان قايين. إنه الإيمان بالله وليس الأعمال المُقدَّمة إليه. "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ للهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ. فَبِهِ (أي: بإيمان هابيل وليس بأعماله) شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ اللهُ لِقَرَابِينِهِ **[← "قَالَ [هابيلُ] إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (أي: ليست مهنة الإنسان – فلاح أم راعي، ولا عَمَل القربان – نباتي أم حيواني – هو سبب القبول، وإنما الإيمان والتقوى)" (المائدة 27)]**. وَبِهِ (أي: وبإيمان هابيل)، وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمْ بَعْدُ!" (العبرانيين 11:4). "وَلكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ (أي: لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاءُ الله)، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ" (العبرانيين 11:6).

نعود إلى التوراة. **(التكوين 4):** {5} [...] فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ (أي: غَضِبَ وَتَجَهَّمَ وَجْهُهُ كَمَداً). {6} فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ {7} إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ؟ (أي: لو أَحْسَنْتَ في تصرفك لتقبلته منك وأشرق وَجْهُك فرحاً) **[← "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" (المائدة 27)]** وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ **[← "تَبُوءَ (أي: إذا خرجت من الباب لترتكب هذه الخطية سترجع) بِإِثْمِي (أي: إثم هابيل) وَإِثْمِكَ" (المائدة 29)]**، وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا[3567] وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا (أي: هذه الخطية تنتظرك وتتربص بك وتَتَشَوَّق أن تتسلط عليك، لكنك يجب أن تتحكم فيها وتسيطر عَلَيْهَا، فهل ستنجح؟) **[← "[وإنْ لم تنجح في السيادة عليها] فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29)]**».

(التكوين 4): {8} وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ. ولا تقول التوراةُ العِبرية بماذا كَلَّمَهُ! لكن في كثير مِن الترجمات القديمة[3568] (مثلاً: اليونانية والقبطية والسامرية والسريانية والترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti)، قال قايينُ لهابيل: "هيَّا لِنَخرُجْ إلى الحقل (field)"، أو: "إلى السَّهْل (valley; plain)[3569]"، أو: "قال قايينُ لهابيل: لنخرج إلى الصحراء"[3570] **[← جعل القرآنُ قابيلَ يُصرّح لهابيل بنيته السيئة في قتله: "قَالَ [له] لَأَقْتُلَنَّكَ" (المائدة 27). إذن: حسب القصة القرآنية، قابيل قَتَلَ هابيل عمداً مع سبق الإصرار (premeditated murder) وكان هابيلُ يعلم أنه سيُقتَل!]**.

لم تذكر التوراةُ رد هابيل على قايين، لكن يُفهَم من السياق أنهما خرجا سوياً من الباب إلى الحقل ... إلى الخطية الرابضة التي حذره اللهُ منها (التكوين 4:7).

وتوجد في العهد الجديد آيات كثيرة تدل على إيمان هابيل وبره وشر قايين وهلاك أمثاله: "كَانَ قَايِينُ مِنَ الشِّرِّيرِ (أي: مِن الشيطان) وَذَبَحَ أَخَاهُ. وَلِمَاذَا ذَبَحَهُ؟ لأَنَّ أَعْمَالَهُ كَانَتْ شِرِّيرَةً، وَأَعْمَالَ أَخِيهِ بَارَّةٌ" (1 يوحنا 3:12)؛ "وَيْلٌ لَهُمْ (أي: وَيْلٌ للأشرار؛ وَيْلٌ لغير المؤمنين) **[← "قَالَ [قابيلُ] يَا وَيْلَتَا" (المائدة 31)]**! لأَنَّهُمْ سَلَكُوا طَرِيقَ قَايِينَ" (يهوذا 11). وطريق قايين هو عدم اتضاعه وعدم اعترافه بالخطأ وعدم طلبه المغفرة، ثم اختياره الخروج من الباب إلى الحقل – إلى الخطية الرابضة التي حذره اللهُ منها (التكوين 4:7)

[⟵ أضاف القرآنُ رد هابيل على قابيل؛ وهو رد يدل على إيمان هابيل وتقواه وآثام قابيل وهلاكه في النار: "قَالَ [هابيلُ لقابيل] إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 27-29)].

نعود إلى التوراة. **(التكوين 4):** {8} [...] وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ (أي: وَثَبَ؛ هَجَمَ) عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ **[⟵ "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ" (المائدة 30)].**

إذن: حسب التوراة، لم يكن هابيلُ يعلم أنه سيُقتَل، وربما قَتَلَهُ قَايِينُ خطأً أو ضرب أفضى إلى موت. أما حسب القرآن، كان هابيلُ يعلم أنه سيُقتَل، وقَتَلَهُ قابيلُ عمداً مع سبق الإصرار: "قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ" (المائدة 27)! جريمة قابيل القرآني أبشع من جريمة قايين التوراتي.

(التكوين 4): {9} فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ [الأصغر]؟» فَقَالَ [قَايِينُ]: «لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟» **[⟵ قال هابيلُ القرآني وكأنه يرد على أخيه الأكبر قايين التوراتي: "بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي" (المائدة 28)؛ وكان ينبغي عليك كأخ أكبر أن تبسط إِلَيَّ يَدَكَ لتحميني وتحرسني]** {10} فَقَالَ [الرَّبُّ لِقَايِينَ]: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. {11} فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ. {12} مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا (أي: لن تُعْطِيكَ خَيْرَهَا). تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ» **[⟵ "فَأَصْبَحَ [قابيلُ] مِنَ الْخَاسِرِينَ" (المائدة 30)].**

(التكوين 4): {13} فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: «ذَنْبِي My sin (أو: عِقابي My punishment؛ إثمي My iniquity) أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ (أو: أكبر مِن أن يُغْتَفَر). وقيل إن أسف قايين لم يكن على قَتْل أخيه، وإنما بسبب العقوبة التي حلت عليه في الآيات السابقة؛ فهو إذن رد فعل متأخر جداً **[⟵ انتهت القصة القرآنية بهذه العبارة: "فَأَصْبَحَ [قابيلُ] مِنَ النَّادِمِينَ" (المائدة 31)؛ وقيل إن ندم قابيل لم يكن على قَتْل أخيه، وإنما بسبب عجزه أن يكون مثل الغراب فيدفن أخاه!].**

(التكوين 4): {13} فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: «ذَنْبِي (أو: عِقابي؛ إثمي) أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ. {14} إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ، فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي». {15} فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «لِذلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِينَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ». وَجَعَلَ الرَّبُّ لِقَايِينَ عَلاَمَةً لِكَيْ لاَ يَقْتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ. {16} فَخَرَجَ قَايِينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ، وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ (Nod) شَرْقِيَّ عَدْنٍ.

ومِن الجدير بالذكر أن "أَرْضِ نُودٍ" مكان غير معروف! فيبدو لنا أن المقصود هو المعنى المجازي حسب اللغة العبرية: أرض التيه أو أرض التجول، تأكيداً على حياة قايين شريداً طريداً هائماً في الأرض. نستطيع إذن أن نقول إن عقوبة قايين هي النفي (exile). وقيل: طُبقتْ عليه بعد ذلك 7 عقوبات أخرى حتى

قُتِلَ في النهاية. قيل إنه قُتِلَ بيد واحدٍ من نسله؛ وقيل إنه مات في طوفان نوح! وقيل: سقط عليه سقفُ بيته فقتلتهُ الأحجار كما قَتَلَ هو هابيلَ بحجرةٍ[3571]! وفي جميع الأحوال، لم يسامح اللهُ قايينَ.

مما سبق يتضح أن قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية (المائدة 27-31) هي مجرد تطور بشري طبيعي لقصة "ابْنَيْ آدَمَ" الكتابية المذكورة في الكتاب المقدس بعهديه قبل الإسلام بمئات السنين.

وعلينا أن نعترف أن قصة "ابْنَيْ آدَمَ" قصة غير مهمة في التوراة. وخير دليل على ذلك هو أن العهد القديم كله لم يذكر قايين ولا هابيل إلا في موضع واحد فقط هو (التكوين 4) حيث حكى قصتهما، وانتهى الأمر ولم يذكرهما بعد ذلك أبداً! بل لم يذكرهما حتى في سلاسل النسب (Genealogies) التي ترجع إلى آدم؛ انظر مثلاً (1 أخبار الأيام 1:1-4). لكن هذا لا يمنع أن القصة التوراتية قد تميزت بأمور كثيرة. مثلاً: ذكرت اسم "هابيل" 7 مرات وهذا دليل على كماله، كما أكدت على "أخوة" قايين وهابيل 7 مرات: مرتان قبل مقتل هابيل، ومرة عند مقتله، و 4 مرات بعد مقتله. بل أكدت على أن قايين وهابيل شقيقان، فهما ابنا آدم وأيضاً ابنا حواء. كما تتميز القصة التوراتية بحوار طويل ومهم بين الرب وقايين: الرب يحذر قايين من الخطية (التكوين 4:6-7)؛ لكن قايين لم يهتم بهذا التحذير فقَتَلَ أخاه فلعنه الربُّ (التكوين 4:8-12)؛ فأبدى قايين حزنه وقلقه مِن أن يُقتَل (التكوين 4:13-14)؛ فطمأنه الربُّ أنه لن يُقتَل (التكوين 4:15). أما هابيل فلم ينطق بكلمةٍ واحدة، بل لم يفتح فمه، لكن دمه صرخ إلى الله من الأرض (التكوين 4:10) "الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا" (التكوين 4:11). ثم تنتهي القصة التوراتية بطرد قايين مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ (التكوين 4:16)، كما طُردَ أبواه آدم وحواء من جنة عدن بعد سقوطهما (التكوين 3:22-24). وتتميز القصة التوراتية أيضاً بأنها تأتي مباشرةً بعد قصة "سقوط الإنسان الأول آدم" (التكوين 3)، وتستخدم أحياناً نفس الأفكار والعبارات والكلمات. وأشهر مثال على ذلك هو ما قاله اللهُ لحواء: "وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ" (التكوين 3:16)؛ وما قاله اللهُ لقايين: "وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا (أي: اشتياق الخطية) وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا" (التكوين 4:7)[3572].

وكما ذكرت التوراةُ قصةَ "ابْنَيْ آدَمَ" في موضع واحد فقط هو (التكوين 4:1-16)، كذلك ذكر القرآنُ قصةَ "ابْنَيْ آدَمَ" في موضع واحد فقط هو (المائدة 27-31) حيث حكى قصتهما وانتهى الأمر ولم يذكرهما بعد ذلك أبداً! لكن القصة القرآنية أكدت على "أخوة" قابيل وهابيل 3 مرات فقط: مرة عند مقتل هابيل، ومرتان بعد مقتله. ولم تذكر أن قابيل وهابيل شقيقان، فهما "ابنا آدم" فقط، ولا نعلم إنْ كانا "ابْنَيْ حواء" أيضاً، بل لا نعلم إنْ كانا "ابْنَيْ آدَمَ" بالمعنى الحرفي أم بالمعنى المجازي، فكلنا أبناء آدم. "قال بعض العلماء (أي: المفسرين المسلمين): إن ابْنَيْ آدَمَ ليس معناه ابنيه لصلبه، وإنما هما رجلان مِن بني إسرائيل وكلّنا أولاد آدم. ودليله على ذلك أنه قال عقب هذه القصة: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ" الآية"[3573]! "وذهب بعض العلماء إلى أن قصة ابني آدم قصة تمثيلية خيالية، ولم تحدث على أرض الواقع، وإنما مثّل القرآنُ بها لطبيعة الخير والشر عند الناس، وصوَّر لنا نموذجين بشريَّيْن لكل من الخير والشر. لكن جمهور العلماء والمفسرين على

أن القصة حقيقية واقعية، حدثت فعلاً في عالم الواقع. وذهب الجمهور إلى أن ابْنَيْ آدم، هما ولداه من صلبه، عاشا معه، وجرَت قصتهما في عهده عليه السلام. إن الأصل في قصص القرآن أن يكون لها بُعد واقعي، ووجودٌ حقيقي، وشخصياتُ القصص القرآني شخصيات حقيقية، وأحداثُه حدثت فعلاً في فترة من فترات التاريخ الماضي"[(3574)]. لكن هذا لا يمنع أن ابني آدم "نموذجان مكروران في البشرية [...] في ذرية آدم بعد ذلك، وحتى قيام الساعة: خطُّ الخير الذي يمثله ابنُ آدم القتيل (أي: هابيل) [...]. وخطُّ الشر الذي يمثله ابنُ آدم القاتل (أي: قابيل)"[(3575)].

وحذفَ القرآنُ الحوارَ الطويل بين الرب وقايين، بل لم ينطق قابيلُ اسمَ "الله" أبداً! فلا نعلم إنْ كان قابيلُ مؤمناً أم لا، ربما كان كافراً أو مشركاً. بخلاف هابيل الذي نطق اسمَ "الله" مرتين، فيدلنا القرآنُ على إسلامه وإيمانه بـ "اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (المائدة 27-28). يقول د. محمد بكر إسماعيل (من كبار علماء الأزهر في القرن العشرين) إن "الذي يعطي هذه القصة بعض ما لها من امتداد، وبعض ما فيها من حكمة هو أن يكون الأخوان إنسانين من الناس، وأن أحدهما (أي: هابيل) مؤمن بالله، مستقيم على طاعة أوامره واجتناب نواهيه، وأن الآخر (أي: قابيل) لا يرعى لله حرمة، ولا يحفظ له عهداً"[(3576)].

ووضع القرآنُ مكان الحوار بين الرب وقايين حواراً بين هابيل وقابيل، لكنه كان أشبه بحوار طرشان (dialogue de sourds): قابيل يتوعد هابيل بالقتل بكلمة واحدة فقط "لَأَقْتُلَنَّكَ" (المائدة 27)؛ فأعطاه هابيل محاضرة أو عِظة دينية قال له فيها إنه لن يقتله مهما حصل وحذَّرهُ من الخطية وعاقبتها في الآخرة (المائدة 27-29)؛ لكن قابيل لم يهتم بهذا التحذير فقَتَلَ أخاه (المائدة 30). ثم تنتهي القصة القرآنية بظهور غراب فجأة ليُعلِّم قابيل كيف يدفن جثمان أخيه! وأخيراً جملة قصيرة قالها قابيل لنفسه (interior monologue): "يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي" (المائدة 31).

أما عن موضع قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) في القرآن، فنجدها في موضعٍ بعيد جداً عن قصة "سقوط الإنسان الأول آدم"، بل وُضِعَتْ في سورة المائدة التي لم تذكر آدم إطلاقاً! فَمِن الواضح إذن أن أصحاب القرآن لم يهتموا كثيراً بإبراز العلاقة بين هاتين القصتين؛ وإنما كان لهم أهداف أخرى سنناقشها بعد قليل. لكن يبدو لنا أنهم حاولوا أن يُقلِّدوا التوراة في مسألة استخدام نفس الأفكار والعبارات والكلمات في القصتين. مثلاً: كلمة "سَوْأَة" التي لم تُذكَر في القرآن كله إلا بمعنى "عورة" في قصة "سقوط الإنسان الأول آدم" (الأعراف 20-27) (طه 121) وبمعنى "جثة" في قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 31). وكذلك كلمة "يُوَاري": "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ [...]" (الأعراف 26) و "فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ [...]" (المائدة 31). إذن: الشيطانُ إبليس كشف سوأةَ آدم حين سقط، وقابيلُ كشف سوأةَ هابيل حين قتله، فتدخل اللهُ ليُوَاري سوأةَ الإنسان الحي عند دخوله إلى الدنيا (سقوط آدم) وسوأةَ الإنسان الميت عند خروجه من الدنيا (مقتل هابيل). وهذه الفكرة القرآنية مستوحاة بلا شك من التوراة التي تبدأ بأن الله ستر سَوْأَةَ (أي: عورةَ) آدم بعد سقوطه: "وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ

جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا" (التكوين 21:3)؛ وتنتهي بأن الله ستر سَوْأَةَ (أي: جثةَ) موسى بعد موته: "فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. وَدَفَنَهُ [اللهُ!] فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ" (التثنية 34:5-6).

هذا عن الدين اليهودي وتأثيره الواضح على القرآن. فماذا عن الدين المسيحي؟ ...

في الدين المسيحي، اكتسبت قصة "ابْنَيْ آدَمَ" أهمية كبيرة جداً. فكما أعطى الدينُ المسيحي لآدم وسقوطه (التكوين 1-3) أهميةً كبيرة جداً أكبر بكثير من الدين اليهودي، كذلك أعطى الدينُ المسيحي لهابيل ومقتله (التكوين 4) أهميةً كبيرة جداً أكبر بكثير من الدين اليهودي:

- فإذا كان الراعي هابيل البار قَدَّمَ أول ذَبِيحَة تقبلها اللهُ، فإن الرَّاعِي الصَّالِح يسوع المسيح البار قَدَّمَ نفسَه ذبيحةً تقبلها اللهُ على الصليب. هابيل قَدَّمَ ذَبِيحَةً "مِنْ أَبْكَار غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا" (التكوين 4:4). أما يسوع المسيح (هابيل الثاني؛ هابيل الجديد) فهو "حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يوحنا 29:1) وهو "الرَّاعِي الصَّالِحُ [الذي] يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ" (يوحنا 11:10).

- وإذا كان هابيل التوراتي صامتاً تماماً قبل مقتله وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ بكلمةٍ واحدة، كذلك كان يسوع المسيح مستسلماً تماماً لموته على الصليب "فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إشعياء 7:53)؛ "مِثْلَ شَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ، وَمِثْلَ خَرُوفٍ صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجُزُّهُ هكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (أعمال الرسل 32:8).

- وإذا كان هابيل هو أول شهيد بريء سُفِكَ دمه الزكي عَلَى الأَرْضِ، فإن يسوع المسيح هو أهم شهيد بريء سُفِكَ دمه الزكي عَلَى الأَرْضِ.

- وإذا كان دم هابيل يصرخ إلى الله (التكوين 10:4) طالباً العدل أو الانتقام مِن قاتله، فإن دم يسوع المسيح المسفوك على الصليب "يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ" (العبرانيين 24:12) لأنه يطلب غفران الخطايا "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ (أي: لمَن صلبوه وقتلوه)، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا 34:23) ويهب رحمة الله لكل مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ. "فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا" (1 يوحنا 2:1-2). إنه يسوع المسيح (هابيل الثاني؛ هابيل الجديد) "الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا" (كولوسي 14:1) "لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ" (اللاويين 11:17) "وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ" (العبرانيين 22:9). "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أعمال الرسل 12:4).

- صحيح أن هابيل مات، لكنه مات شهيداً ولذا فإنه "وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمْ بَعْدُ!" (العبرانيين 4:11)[3577]. كذلك يسوع المسيح مات شهيداً على الصليب وقُبِر وقام من بين الأموات وصعد إلى السَّمَوَاتِ ولا يزال حياً إلى الآن. وسيظل حياً إلى الأبد.

- وإذا كان هابيل هو أول مَن دُفِنَ في قبرٍ (أي: لم يُدفَن أحدٌ مِن قبل في هذا القبر)، فإن يسوع المسيح دُفِنَ في قبرٍ جديدٍ لم يُدفَن فيه شخصٌ مِن قبل (متى 27:60) (لوقا 23:53) وهو أول مَن قام مِن قبره قيامةً مجيدة ليحيا حياة أبدية لا موت بعدها.

- وإذا كان هابيل (ابن الإنسان الأول) قد قتله أخوه قايين، فإن يسوع المسيح (ابن الإنسان) قد قتله قومُه اليهود، أو على الأقل: حرضوا على قتله.

- الفلاح قايين أسس المدينة الأرضية (التكوين 4:17) بيده التي قَتَلَ بها أخاه الراعي هابيل، فبنى مجدَه على جثة أخيه التي دُفِنَتْ في "الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ" هابيل (التكوين 4:11). أما الراعي الصالح يسوع المسيح (هابيل الثاني؛ هابيل الجديد) فمملكته "لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ [الأرضي]" (يوحنا 18:36)[3578] وبنى مجدَه بصليبه وآلامه وموته ودفنه ثم قيامته من الأموات وصعوده إلى السموات، فهو الطريق إلى المدينة السمائية، "أورشليم السمائية" (Heavenly Jerusalem) أو "أورشليم الجديدة" (New Jerusalem)[3579].

مما سبق يتضح أن الفكر المسيحي قبل الإسلام رأى في الرجل الطيب هابيل تمهيداً أو رمزاً (prefiguration; typology) ليسوع المسيح، بل نموذجاً (prototype) للشهداء المسيحيين في القرون الأولى للميلاد. كما رأى في أخيه الشرير قايين ابن الشيطان (1 يوحنا 3:12) رمزاً لليهود أولاد إبليس (يوحنا 8:44) الذين قتلوا يسوع المسيح، أو على الأقل: حرضوا على قتله.

السؤال الآن هو: هل تأثر أصحابُ القرآن (المائدة 27-31) بهذا الفكر المسيحي السابق للإسلام؟

الإجابة: بكل تأكيد، نعم. ...

فليست صدفة أن يَذكر يسوعُ المسيح "دَم هَابِيلَ الصِّدِّيقِ" (متى 23:35) (لوقا 11:51) **[← "قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" (المائدة 27)]** في سياق جداله وانتقاده ليهود أورشليم في القرن الأول الميلادي؛ وكأن يهود أورشليم المعاصرين ليسوع يتحملون مسئولية مقتل هابيل بيد قايين! ثم يفعل أصحابُ القرآن نفس الشيء حين يذكرون قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) في سياق قرآني ينتقد يهود المدينة في القرن السابع الميلادي (Anti-Jewish Polemic):

- قبل القصة القرآنية (المائدة 27-31) (مدنية)، كان السياق هو الحديث عن بني إسرائيل "الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. [...] الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" الذين خذلوا موسى بعد خروجهم من مصر ورفضوا أن يدخلوا "الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ" (المائدة 20-26).

- وبعدها كان السياق هو أيضاً الحديث عن اليهود (بني إسرائيل) الذين خذلوا محمداً (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) فلم يؤمنوا به ورفضوا أن يدخلوا في "الإسلام": "وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (أي: لَمتجاوزون حدود

الله بالبغي والقتل؛ وقيل: وقَتْل الأنبياء، فَبنو إسرائيل هُمْ الشعب الوحيد الذي قَتَلَ أنبياءَه)" (المائدة 32).

وكأن يهود المدينة المعاصرين لمحمد يتحملون مسئولية مقتل هابيل بيد قابيل! وكأن محمد أراد أن يقول ليهود المدينة في القرن السابع الميلادي نفس الكلمات التي قالها يسوع ليهود أورشليم في القرن الأول: "يُطْلَبَ مِنْ هذَا الْجِيلِ [اليهودي] دَمُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ الْمُهْرَقُ مُنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا الَّذِي أُهْلِكَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ. نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُطْلَبُ مِنْ هذَا الْجِيلِ!" (لوقا 11:50-51)؛ "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ. فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ. فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ. أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ [← **"النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29)**]؟ لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هذَا الْجِيلِ!" (متى 23:29-36)[3580].

وليست صدفة أن أصحاب القرآن وضعوا قصة "ابني آدم" (المائدة 27-31) بعد قصة رَفْض بني إسرائيل دخول "الأَرْض الْمُقَدَّسَة" (المائدة 20-26)، أي: رَفْضهم دخول كنعان (أورشليم) أيام موسى[3581]. بالضبط كما فعل إنجيل متى حين أشار إلى مقتل هابيل (متى 23:35) بعد أن ذكر رَفْض اليهود المعاصرين ليسوع المسيح دخول مَلَكُوت السَّمَاوَاتِ: "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ" (متى 23:13). وكأن أصحاب القرآن أرادوا أن يُذَكِّروا اليهود بكل جرائمهم تجاه الأنبياء والرسل: رفضوا دخول الأرض المقدسة أيام موسى، ورفضوا دخول مَلَكُوت السَّمَاوَاتِ أيام المسيح، والآن يرفضون دخول الإسلام أيام محمد "وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ" (المائدة 32).

حقاً، لقد صدق العالم الكبير (Uri Rubin) حين قال[3582]:

> […] the Qur'ān is engaged mainly in dealing with the sinners among the Jews and the attack on them is shaped according to models that one encounters in the New Testament.

وليست صدفة أن كلمة "قُرْبَان" لم تُذكر في القرآن المدني إلا في موضعين. في سياق قَتْل هابيل بيد قابيل (المائدة 27). وفي سياق قَتْل أنبياء الله بأيدي اليهود "الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ [يا محمد ليهود المدينة] قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ

(أي: فَلِمَ قَتَلَ آباؤكم هؤلاء الأنبياء؟) إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (آل عمران 183). ومما يؤكد العلاقة بين الموضعين هو علامة قبول القربان. في (آل عمران 183)، يقول القرآنُ صراحةً "قُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ" وهي فكرة مستوحاة بلا شك مِن الديانتين اليهودية والمسيحية وتراثهما؛ مثلاً: (اللاويين 9:24) (1 ملوك 18:38-39)[3583]. أما في (المائدة 27)، فلم يقلها القرآنُ صراحةً لكن قالها المفسرون المسلمون. على سبيل المثال، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لقصة ابني آدم: "كان القربان معروفاً والاحتكام إلى قربان وتأكله النار علامة التقبل من السماء"[3584]. وقال الشيخ عبد الوهاب النجار: "فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأقتلنك"[3585]. إذن: كلا الموضعين (المائدة 27) (آل عمران 183) يشير إلى قصة مِن العهد القديم العبري (كتاب اليهود) في سياق ينتقد يهود المدينة. بعبارة أخرى: استغل أصحابُ القرآن (المائدة 27) (آل عمران 183) قصصاً يهودية وأعادوا انتاجها مِن أجل توجيه النقد واللوم ليهود المدينة.

وليست صدفة أن هابيل هو ربما الشخص الوحيد في القرآن الذي استسلم تماماً لموته، فلم يهرب ولم يقاوم مَن قتله ولم يلجأ إلى العنف ضد قاتله: "لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ (أي: لن أقتلك أبداً ولو دِفاعاً!)" (المائدة 28) ولم ينقذه اللهُ مِن قاتله. وهذه فكرة غريبة جداً على القرآن المدني الذي يُعلِّم الجهاد والقتال والمقاومة والعنف. فَمِن أين أتى أصحابُ القرآن بهذه الفكرة الغريبة على الإسلام المدني؟! بكل تأكيد مِن الدين المسيحي الذي يقول في موعظة السيد المسيح على الجبل: "لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ [بالشَّرِّ] (يقصد: النهي عن الثأر الشخصيّ)، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا" (متى 5:39) (Turning the other cheek). فلقد كان يسوعُ المسيح مستسلماً تماماً لموته على الصليب، فلم يهرب ولم يقاوم مَن قتلوه ولم يلجأ إلى العنف ضدهم ولم ينقذه اللهُ منهم (متى 26-27) (مرقس 14-15) (لوقا 22-23) (يوحنا 18-19)[3586]. هابيل القرآني كان يعلم أنه سيُقتَل ومع ذلك قَبِلَ الموتَ وديعاً مسالماً بدون مقاومة عنيفة. كذلك كان يسوع المسيح يعلم أنه سيُقتَل ومع ذلك قَبِلَ الموتَ وديعاً مسالماً بدون مقاومة عنيفة[3587].

وليست صدفة أن لقب "المسيح" تكرر في سورة المائدة 5 مرات، أكثر من أي سورة قرآنية أخرى!

وليست صدفة أن اسم "عيسى" تكرر في سورة المائدة 6 مرات، أكثر من أي سورة قرآنية أخرى!

وليست صدفة أن اسم "مريم" تكرر في سورة المائدة 10 مرات، أكثر من أي سورة قرآنية أخرى! بل أكثر من سورة مريم (3 مرات فقط)!

وليست صدفة أن قصة ابني آدم (المائدة 27-31) وُضِعَت في سورة "المائدة" التي سُميت بهذا الاسم لأنها تذكر معجزة "المائدة" التي أنزلها "اللهُ من السماء" على المسيح وتلاميذه (المائدة 112-115)! ولم تُذكَر كلمة "مائدة" في القرآن كله إلا في هذا الموضع، ويُعتقَد أنها كلمة ذات جذور حبشية مسيحية[3588].

كل ما سبق يؤكد أن أصحاب القرآن (المائدة 27-31) قد تأثروا بالفكر المسيحي الذي رأى في هابيل رمزاً للخير (المسيح) ورأى في قايين رمزاً للشر (اليهود).

قايين هو أول مولود مِن امرأة ووُلِدَ "مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ (وفي بعض الترجمات: مع يَهْوَهْ؛ أي: مع الرَّبِّ[3589])" (التكوين 4:1) وكان مِن المفترض أن يقوم بدور المُخلِّص - نَسْل المرأة الذي يَسْحَق رَأْسَ الْحَيَّة (الشيطان) (التكوين 3:15) - لكنه للأسف قَتَلَ أخاه هابيل، فصار ابنَ الشيطان (1 يوحنا 3:12) بعد أن كان ابنَ الله. وكذلك كان بنو إسرائيل "شعب الله المختار" و "أولاد الله" (التثنية 7:6-8، 14:1-2) (المزامير 135:4) وكان مِن المفترض أن ينصروا أخاهم يسوع المسيح مُخلِّصهم، لكنهم للأسف خذلوا المسيحَ بل قتلوه، فصاروا أولاد إبليس (يوحنا 8:44) بعد أن كانوا أولاد الله[3590] **[← في سورة المائدة، صار بنو إسرائيل في النهاية قوماً فاسقين بشهادة موسى نبيهم (المائدة 25) وقوماً فاسقين بشهادة الله إلههم (المائدة 26) بعد أن كان الله في البداية قد أنعم عليهم وآتاهم "مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 20) واختارهم وفَضَّلهم على الأمم الأخرى (البقرة 47) (البقرة 122) (الأعراف 140) (الدخان 32) (الجاثية 16)]**.

ويقول كتاب "مغارة الكنوز" السرياني إن الشيطان دَخَلَ في قايين[3591]! وقيل في بعض كتب التراث المسيحي الشرقي إن قايين هو أبو اليهود[3592]! وهذا الرأي لم يأتِ مِن فراغ، وإنما جاء من الإنجيل، فهو يعتمد على تفسير مُعادي لليهود (anti-Jewish) لِمَا قاله يسوع المسيح لهم: "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، [...]. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ" (يوحنا 8:44). وأول مَن ارتكب جريمة قتل هو [الشيطان] قايين. وقيل أيضاً إن العلامة الي جعلها الربُّ لقايين (التكوين 4:15) كانت علامة خِزْي: قرن حيوان[3593] أو قرنين (a pair of horns) مثل قرني الشيطان. فكما صار يسوع المسيح (هابيل الثاني؛ هابيل الجديد) هو الله (أو: ابن الله) في التراث المسيحي، كذلك صار قايينُ هو الشيطان (أو: ابن الشيطان) أبو اليهود، الشعب الوحيد الذي صَلَبَ مُخلِّصه وقتله!

وبعد صلب المسيح ومقتله، خربت أورشليم بأيدي الرومان (70م) وتشتت اليهود في الأرض. كما تشتتوا قبل ذلك بأكثر من 600 سنة يوم خراب أورشليم على يد البابليين (حوالى 587-586 ق.م). وهكذا عُوقِب اليهودُ بنفس العقوبة التي عُوقِبَ بها أبوهم قايين: "تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ" (التكوين 4:12). وظل اليهود تائهين وهاربين ومشتتين حتى ظهر الإسلام، بل حتى بعد ظهور الإسلام[3594].

إن تأثر أصحاب القرآن (المائدة 27-31) بالفكر المسيحي الذي رأى في هابيل رمزاً للمسيح (الخير) ورأى في قايين رمزاً لليهود (الشر) يقودنا إلى السؤال التالي: ما أهمية قصة ابني آدم في القرآن؟ لماذا وضع أصحابُ القرآن قصةَ قايين/قابيل وهابيل في القرآن بهذه الطريقة (المائدة 27-31) التي جعلت هابيل شخصاً طيباً جداً ومسالِماً لا يقاتِل ولا يقاوم؟! يوجد احتمالان:

- الاحتمال الأول: أرادوا أن يقتدي المسلمون بهابيل! قيل إن تصرف هابيل المسالِم الوديع مسموحٌ به في حالة استثنائية واحدة فقط وهي حالة الفتنة (أي: الحرب الأهلية الإسلامية-الإسلامية) حين يرى كل مِن الطرفين أنه يقاتل "الآخرَ" في سبيل الله.

  - واستدلوا على ذلك بحديث صحيح رواه ابن ماجه وأبو داود وغيرهما "عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمْ الْحِجَارَةَ [حتى لا تقاتلوا بها]، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ (أي: فليستسلم حتى يكون قتيلاً كهابيل ولا يكون قاتلاً كقابيل)""(3595). واستدلوا أيضاً بموقف الخليفة عثمان بن عفان حين ثار عليه المسلمون فلم يقاتِلهم فقتلوه.

  - فإذا اقتتل مسلمان في فتنةٍ، يقع عليهما الحكمُ الذي قاله محمدٌ: "إِذَا الْمُسْلِمَانِ حَمَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى أَخِيهِ السِّلَاحَ فَهُمَا عَلَى جُرْفِ جَهَنَّمَ (أي: على طرفها). فَإِذَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ دَخَلَاهَا جَمِيعًا"(3596)(3597). المسلمُ القاتلُ في النار لأنه قَتَلَ أخاه المسلم. والمسلمُ المقتولُ في النار لأنه كان حريصاً على قَتْل أخيه المسلم ولم يمنعه مِن قَتْلِه الخوفُ من الله، وإنما الذي منعه مِن قتله أمرٌ لا إرادي (مثلاً: قدراته أقل؛ قوته أضعف؛ جُبن)(3598).

لكن هذه الحالة الاستثنائية لا تنطبق على حالة قابيل الذي قَتَل أخاه هابيل بسبب الغيرة والحقد والحسد وليس في سبيل الله. فهذا ينقلنا إلى الاحتمال الثاني ...

- الاحتمال الثاني: أراد أصحابُ (المائدة 27-31) ألا يقتدي المسلمون بهابيل. وكأنهم أرادوا أن يقولوا للمسلمين: إنْ فعلتم مثل هابيل ولم تقاتِلوا ولم تقاوموا، فستُقتلَون بسهولة على يد أعدائكم (اليهود بصفة خاصة) كما قُتِلَ هابيل بسهولة على يد قابيل. ونحن نرى أن هذا الاحتمال يتفق مع سياق القصة القرآنية (المائدة 27-31). فالآيات التي تسبقها (المائدة 20-26) تنتقد بني إسرائيل "الْقَوْم الْفَاسِقِين. [...] الْقَوْم الْفَاسِقِين" وتعاقبهم لأنهم رفضوا أن يُقاتِلوا مع موسى. فكما أراد أصحابُ القرآن ألا يقتدي المسلمون ببني إسرائيل في تمردهم وعصيانهم وخوفهم من الهزيمة إذا قاتلوا مع موسى، كذلك أرادوا ألا يقتدي المسلمون بهابيل في سلميته الزائدة عن حدها والتي أدت في النهاية إلى مقتله بسهولة.

ويمكن الجمع بين الاحتمالين بأن نقول: أراد أصحابُ (المائدة 27-31) أن يقتدي المسلمون بهابيل إذا حدثت حربٌ بين المسلمين وإخوتهم المسلمين، بينما لا يقتدوا بهابيل إذا حارب المسلمون أعداءهم غير المسلمين (بصفة خاصة: اليهود).

وهكذا تحولت قصة الصراع بين "ابني آدم" قايين/قابيل وهابيل (المائدة 27-31) إلى قصة حقيقية واقعية (حسب رأي جمهور المسلمين)، لكن لها دلالة رمزية تتجاوز الزمان وتتجرد مِن المكان لتنطبق على كل زمان ومكان، فهي ليست مرتبطة بهابيل وقابيل فقط كشخصين، وإنما كنموذجين إنسانيين أو رمزين دينيين. هابيل يرمز إلى المسلم الطيب المسالِم الذي لا يُقاتِل، فيُقتَل بسهولة. أما قابيل فينوب كرمز أدبي (literary proxy) يرمز إلى "الآخَر" (The Other) اليهودي (أو: غير المسلم بصفة عامة) الشرير الذي لا يقبله اللهُ حتى مِن قبل أن يقتل المسلمين. كما يوضح الجدول التالي:

جدول 9 – قصة "ابني آدم" في القرآن: قابيل اليهودي (غير المسلم) ضد هابيل المسلم

هابيل يرمز إلى المسلم الطيب المسالِم الذي لا يُقاتِل، فيُقتَل بسهولة. وقابيل يرمز إلى "الآخَر" (The Other) اليهودي (أو: غير المسلم بصفة عامة) الشرير الذي لا يقبله اللهُ حتى مِن قبل أن يقتل المسلمين.	
ملخص قصة ابني آدم: "قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ [الْآخَرُ] لَأَقْتُلَنَّكَ [...] فَقَتَلَهُ [الْآخَرُ] فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (المائدة 27-30)	**ملخص القرآن: "الْآخَرُ" هو غيرُ المسلم بصفة عامة.** "وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (آل عمران 84-85)
قابيل يبسط يده ليقتل هابيل، مع أنه أخوه الأكبر فكان ينبغي أن يحميه ويحرسه! "[فقال هابيلُ لقابيل] إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ" (المائدة 27-28)	**اليهود يبسطون أيديهم لقتل المسلمين (وقيل: لقَتْل محمد شخصياً!)، مع أنهم أهل كتاب قبلهم فكان ينبغي أن ينصروا إخوتهم المسلمين!** "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ [مِن اليهود] أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ [اللهُ] أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" (المائدة 11)
جزاء قابيل الذي قتل أخاه: "مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. [...] فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ" (المائدة 29-31)	**جزاء المسلم المنافق الذي يتحالف مع غير المسلمين (وبصفة خاصة: اليهود والنصارى) ضد إخوته المسلمين:** "مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. [...] فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. [...] حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ" (المائدة 51-53)[3599]

وقيل إن "القوم" المشار إليهم في "إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ" (المائدة 11) هُمْ يهود بني النضير الذين أرادوا أن يقتلوا محمداً؛ "قال ابن عباس إن بني النضير همُّوا أن يطرحوا حجراً على النبي ﷺ

ومَن معه، فجاء جبريل، فأخبره بما همُّوا به، فقام ومَن معه، فنزلت هذه الآية. وهذا رأي الجمهور"[3600]. وقيل إنهم كفار مكة المشركين؛ أي: كفار قريش الذين أرادوا أن يقتلوا إخوتهم القرشيين المسلمين في غزوة الأحزاب. ولا يوجد تناقض بين هذين الرأيين، فيمكن الجمع بينهما. إنهم إذن أعداء المسلمين مِن إخوتهم، سواء مِن إخوتهم العرب (أي: الكفار والمشركين) أو إخوتهم في الديانات السماوية (أي: أهل الكتاب) أو إخوتهم في الإسلام (أي: المنافقين). والمراد أنها أخوة زائفة وهمية مثل أخوة قابيل، فلا يمكن أن يثق المسلمون في هؤلاء "الإخوة" (مشركين؛ يهود ونصارى؛ منافقين) لأنهم قد يقتلون المسلمين كما قتل قابيل أخاه هابيل. "إِنْ يَثْقَفُوكُمْ (أي: يلقوكم ويصادفوكم؛ يَظْفَرُوا بِكُمْ وَيَتَمَكَّنُوا مِنْكُمْ) يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ (أي: بالقتل والضرب والسبي) وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ (أي: بالسب والشتم) وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ. لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ (أي: قراباتكم) وَلَا أَوْلَادُكُمْ [حين توالون غير المسلمين مِن أجلهم] يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ [اللهُ] بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ (أي: لإخوتهم الكافرين والمشركين) إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ (أي: بدينكم) وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا (أي: وسنستمر على ذلك) حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ" (الممتحنة 2-4).

أراد أصحابُ القرآن أن يقولوا في قصة "ابني آدم" (المائدة 27-31) إن الأخوة الحقيقية الوحيدة التي يمكن أن يعتمد المسلمون عليها ليست أخوة الدم بين أبناء الرجل الواحد (ابني آدم) وإنما أخوة المسلمين المؤمنين المخلصين غير المنافقين. "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (الحجرات 10). "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" (المائدة 27).

نستطيع إذن أن نقول إن قصة الصراع بين ابني حواء وآدم (هابيل وقايين) تحولت في القرآن إلى قصة الصراع بين ابني آدم (المسلمين وغير المسلمين)، بل تحولت إلي قصة الصراع بين ابني إبراهيم في القومية (المسلمين وكفار العرب) أو الصراع بين ابني إبراهيم في الدين (المسلمين واليهود). وليس من المبالغة أن نقول إنها ارتفعت إلى مستوى الصراع بين الحق والباطل أو الصراع بين الإيمان والكفر أو الصراع بين الخير والشر[3601]. إنها إذن عملية "تجريد" (abstraction) كبيرة قام بها أصحابُ القرآن بنجاح.

والفضل يرجع إلى الدين المسيحي وتراثه الذي اعتبر قصةَ ابني آدم قصةً حقيقية واقعية، لكن لها دلالة رمزية: هابيل الطيب يرمز إلى المسيح البار (الخير)، وقايين الشرير يرمز إلى اليهود الأشرار (الشر).

وهكذا استغل أصحابُ القرآن تقليداً مسيحياً موروثاً يتعلق بقصةٍ توراتية من أجل تقريع يهود المدينة وكفار العرب. أو كما قال القرطبي في تفسيره لـ "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ" (المائدة 27): "وَجْهُ اتِّصَالِ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا قَبْلَهَا التَّنْبِيهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنَّ ظُلْمَ الْيَهُودِ وَنَقْضَهُمُ الْمَوَاثِيقَ وَالْعُهُودَ كَظُلْمِ ابْنِ آدَمَ لِأَخِيهِ. الْمَعْنَى: إِنْ هَمَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ (أي: يهود المدينة) بِالْفَتْكِ بِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَدْ قَتَلُوا قَبْلَكَ الْأَنْبِيَاءَ، وَقَتَلَ قَابِيلُ هَابِيلَ، وَالشَّرُّ قَدِيمٌ، أَيْ: ذَكِّرْهُمْ هَذِهِ الْقِصَّةَ"[3602]. وقال د. الصابوني: "فاليهود اقتفوا في العصيان أوّل عاصٍ لله

في الأرض (أي: قابيل)، فطبيعةُ الشر فيهم مستقاةٌ من ولد آدم الأول"[3603]. وقال الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الأسبق) إن قصة ابني آدم جاءت "في أعقاب حديث طويل عن رذائل قوم موسى، الذين خالفوا نبيهم موسى عليه السلام، وامتنعوا عن طاعته، وقالوا له بكل صلف وسوء أدب: "فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ" (المائدة 24). والمقصود من كل ذلك: التخفيف عن الرسول ﷺ عما أصابه من قومه (أي: كفار قريش)، وبيان أن الذين عصوا أنبياءهم واعتدوا عليهم، قد اقتفوا الطريق الذي سلكه قابيل في عدوانه على أخيه هابيل"[3604].

أصاب هؤلاء المفسرون المسلمون القدامى والمحدثون حين أدركوا علاقة قصة "ابني آدم" القرآنية (المائدة 27-31) بما قبلها مِن آيات قرآنية تنتقد اليهود، لكن لا نظن أن هؤلاء المفسرين المسلمين قد أدركوا الخلفية المسيحية لهذه القصة القرآنية القصيرة.

يقول (Dr. Joseph Witztum) بعد أن شرح الخلفية المسيحية لهذه القصة القرآنية[3605]:

[T]he Quran draws upon a Christian anti-Jewish polemical use of the Cain and Abel episode. In both traditions [i.e. Syriac Christian and Arabic Quran] the story is used to portray the Jews as villains. Their victims are, however, different: in the Quran Jesus is replaced by the Muslims or Muhammad. […] The story establishes the murderous tendencies of the Jews, beginning with Cain's killing of Abel. This evil behavior continues with their assault against Jesus and with their attack against the Muslims. […] […]. The Quranic retelling of the Cain and Abel story draws on both Jewish and Christian traditions, but the overall spirit seems to be guided by Christian anti-Jewish approach. […] a strand of Syriac tradition.
[…]. Thus in our study of the [Quranic] Cain and Abel story, structural observations suggest that it was understood typologically, and was used against the Jews represented by Cain. This is of interest since the [Quranic] retelling of the story displays several similarities to a set of Syriac sources which also read Cain typologically as standing for the Jews. [This is an instance where structural analysis leads to a typological reading.]

أو كما قال العالم الكبير (Michel Cuypers) باختصار في تحليله لسورة المائدة[3606]:

[…] the children of Israel, symbolically represented by Cain. The people who revolted against Moses, a figure of Muhammad in the first narrative [Q 5:20-26], are now making an attempt on Muhammad's life (prefigured by Abel).

باختصار: في المسيحية، هابيل يرمز إلى يسوع المسيح أو إلى المسيحيين "الأبرار" بصفة عامة، وقايين يرمز إلى اليهود "الأشرار" الذين قتلوا المسيح أو حرضوا على قتله. ثم انتقلت هذه العلاقة الرمزية بين "الخير (هابيل)" و "الشر (قايين)" بكل سهولة مِن المسيحية إلى الإسلام. فصار هابيل في الإسلام يرمز إلى محمد أو إلى المسلمين "الأبرار" بصفة عامة، وصار قابيل يرمز إلى أعداء الإسلام (وبصفة خاصة: اليهود) "الأشرار" الذين حاولوا أن يقتلوا محمداً حسب ما يقول التراث الإسلامي.

ولم يكن تأثرُ أصحاب (المائدة 27-31) (مدنية) بالدين المسيحي إعجاباً بشخص هابيل/المسيح المسالِم، وإنما تحذيراً مِن الاقتداء به. وهذا التحذير كان وسيلة لخدمة المخطط الإسلامي في المدينة، المخطط الجهادي التوسعي المُعادي لليهود (Anti-Jewish Polemical Agenda) والمعادي لكفار العرب (Anti-Pagan Polemical Agenda).

ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن المسلمين أصحاب قصة "ابني آدم" (المائدة 27-31) – أو على الأقل: مَن صاغوها في صورتها النهائية – كانوا أصلاً مسيحيين (سريان). ولا يهم إنْ كانوا اعتنقوا الإسلام عن اقتناع أَم أنهم مجرد دخلاء على الإسلام دخلوه خوفاً أو طمعاً، وإنما المهم أنهم تركوا بصمتهم المسيحية على قصة "ابني آدم" القرآنية (المائدة 27-31).

وخير دليل على تأثر قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية (المائدة 27-31) بالدين المسيحي هو أنها تزعم أن هابيل كان مؤمناً بالحساب والجزاء في الآخرة و "النَّار وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29)! وهذه طبعاً مفارقة تاريخية (anachronism) كبيرة جداً، فلا يوجد أي دليل تاريخي ولا حتى دليل كتابي على أن مفهوم "النار" كان معروفاً في هذا الوقت المبكر جداً من تاريخ الإنسان على الأرض!

إذن: وضع أصحابُ القرآن كلاماً على لسان هابيل بن آدم؛ وهذا الكلام لا يناسب عصر هابيل (آلاف السنين قبل المسيح) وإنما يناسب عصر أصحاب القرآن (القرن السابع المسيحي). بدليل أن أصحاب القرآن قد استخدموا هذا الكلام المسيحي←الإسلامي في مواضع أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بالقصة التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage)! كما يوضح الجدول التالي:

جدول 10 – شخصية "هابيل" التي حَرَّفها أصحابُ القرآن: أسلمة للأفكار وتعريب للألفاظ

حَرَّف أصحابُ القرآن شخصية "هابيل"، فوضعوا على لسانه في آيتين متتاليتين كلاماً غريباً ليس في قصة "ابْنَيْ آدَمَ" التوراتية الأصلية ولا يتفق مع زمانها المبكر جداً	إنه كلام إسلامي/عربي (stock phrases) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموه في مواضع أخرى مِن القرآن في آيتين متتاليتين ليس لهما أية علاقة بالقصة التوراتية الأصلية!
"إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (المائدة 28)	"[مَثَل المنافقين في إغراء اليهود على قتال المسلمين] كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (الحشر 15)
"فَتَكُونَ [يا قابيل] مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29). في النار مع الشيطان (نفسك الأمارة بالسوء) الذي أغراك أن تقتلني.	"فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا (أي: نهاية الشيطان الغاوي وذلك الإنسان الكافر (غير المسلم) المغوي) أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (الحشر 16)[3607]

باختصار: قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية (المائدة 27-31) (مدنية) هي مجرد تطور بشري طبيعي لقصة "ابْنَيْ آدَمَ" المعروفة قبل الإسلام بمئات السنين في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا قصة "ابْنَيْ آدَمَ" الكتابية، ثم أعادوا إنتاجها بِحُرية (reproduced it freely) لخدمة مصالحهم الدينية والسياسية والاجتماعية في المدينة، واستعانوا على ذلك بمعتقدات ومفاهيم وأفكار مسيحية كانت سائدة في عصرهم (القرن السابع المسيحي) وليس عصر ابْنَيْ آدَمَ. فلولا الدين المسيحي وتراثه، لمَا استطاع أصحابُ القرآن أن يكتبوا قصة "ابْنَيْ آدَمَ" بهذه الطريقة (المائدة 27-31).

وهذا كله يؤكد أن قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية (المائدة 27-31) كلام بشر وليست كلام الله.

وفي الصفحات التالية، سنثبت أن هذا الكلام البشري في القرآن يعتمد أيضاً على كلام بشري في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) ...

4.9.2 جذور القرآن في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي

لاحظنا فيما سبق وجود بعض الاختلافات بين الرواية الكتابية والرواية القرآنية لقصة "ابْنَيْ آدَمَ". فَمِن أين أتت تلك الاختلافات؟ هل بوحي مِن الله؟ لا. وإنما بوحي مِن التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي قبل الإسلام. ومِن حُسْن الحظ أن القرآن نفسه يعترف بذلك، ولو ضمنياً. بدليل أن القصة القرآنية تبدأ بقول

أصحاب القرآن لمحمد: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ [يا محمد] نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ [...]" (المائدة 27). وكلمة "بِالْحَقِّ" تدل على وجود روايات أخرى رأى أصحابُ القرآن أنها قيلت "بالباطل". ونحن نقول لهم: لا يوجد "حق" ولا "باطل" في هذه المسألة. فلا يوجد أصلاً أي دليل علمي يثبت أن قصة "ابْنَيْ آدَمَ" قصة حقيقية تاريخية. وإلى أن يعطينا المسلمون دليلاً علمياً واحداً مِن خارج منظومة الديانات الإبراهيمية، فليس أمامنا سوى التعامل مع قصة "ابْنَيْ آدَمَ" باعتبارها قصة أدبية، فَمِن حق كل مؤلف أن يرويها كيفما يشاء.

ونحن لا نلوم أصحابَ القرآن على أنهم أدلوا بدلوهم في هذا الموضوع. بالعكس، نحن نشكرهم على ذلك، فلقد ساهموا في إثراء الأدب العربي. وإنما نلوم أصحابَ القرآن على أنهم نسبوا كلامَهم البشري إلى الله سبحانه وتعالى، ونلومهم أكثر على أنهم كَفَّروا مَن لا يؤمن بهذا الكتاب العربي الأدبي (القرآن).

الرواية القرآنية لقصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) هي مجرد رواية بشرية أدبية مِن ضمن روايات أخرى كثيرة (retellings) كانت منتشرة في الشرق الأوسط قبل ظهور الإسلام. ثم جاء أصحابُ القرآن، واستطاعوا – بمعتقدات وأفكار ومفاهيم القرن السابع المسيحي مع قدر قليل مِن الخيال – استطاعوا أن يطوِّروا تلك الروايات تطوراً بشرياً طبيعياً حتى وصلت إلى الصورة التي نراها الآن في (المائدة 27-31).

وهذا ما سنناقشه باختصار في الصفحات القادمة. ولمزيد مِن المعلومات، يمكن الرجوع إلى رسالة الدكتوراه التي أعدها الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) ودافع عنها في جامعة (Princeton) الأمريكية المرموقة عام 2011[3608].

4.9.2.1 هابيل يعطي قابيل عِظة دينية قبيل مقتله!

كما قلنا فيما سبق إنَّ أصحاب القرآن حَرَّفوا شخصية "هابيل"، فوضعوا على لسانه كلاماً غريباً (المائدة 27-29) يشبه الحوار أو العظة الدينية وليس في قصة "ابْنَيْ آدَمَ" التوراتية الأصلية، وهو كلام إسلامي/عربي مِن تأليف أصحاب القرآن في القرن السابع المسيحي بدليل أنهم استخدموه في مواضع أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بالقصة التوراتية الأصلية! إنه إذن حوار أدبي خيالي مِن وحي خيال صاحب (المائدة 27-29)، وليس له أصل في الحقيقة أو في التاريخ.

فهل القرآن هو أول مُنتَج أدبي يتخيل حواراً بين ابْنَيْ آدَمَ قُبيل مقتل هابيل بيد قابيل (قايين)؟

الإجابة: لا. إذ يوجد قبل الإسلام في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) كتب وقصائد وعظية (verse homilies) وترانيم (hymns) وأعمال كثيرة تتخيل حواراً بين ابْنَيْ آدَمَ قُبيل مقتل هابيل. والمدهش أن مضمون هذا الحوار الذي أنتجه اليهود والمسيحيون قبل الإسلام يتشابه في كثير من أفكاره وعناصره (motifs) مع الحوار المذكور في الرواية القرآنية العربية.

وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بالأمثلة التالية.

نبدأ أولاً بالترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد[3609]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة.

ومِن المعلوم أن ترجوم نيوفيتي ليس ترجمة حرفية للتوراة، وإنما ترجمة تفسيرية (interpretive translation) للتوراة، بل ترجمة + شرح (تعليق) يضيف كثيراً من التفاصيل غير الموجودة في التوراة. وأحياناً تكون هذه الإضافات لأسباب سياسية أو اجتماعية أو دينية معاصرة؛ مثلاً: الإشارة إلى الخلاف بين المدارس الفقهية اليهودية في القرن الأول الميلادي حول عقيدة القيامة والحساب والجزاء والحياة بعد الموت. إذن: الترجوم الآرامي ليس نسخة طبق الأصل من التوراة، وإنما تطور بشري طبيعي (natural human development) للتوراة. يعني مثل القرآن العربي. أو بعبارة أكثر دقة: التوراة العبرية **[← الترجوم الآرامي (نيوفيتي) ← الترجوم العربي (القرآن)]**.

حسب ترجوم نيوفيتي: بعد قبول قربان هابيل ورفض قربان قايين، دخل قايين وهابيل في نقاش وجدال حول مواضيع شخصية ودينية ولاهوتية وأخرويّة (eschatological) أدى في النهاية إلى مقتل هابيل.

(ترجوم نيوفيتي[3610]**. التكوين 4):** {8} [...] وَحصَلَ أنه حين كَانَا كلاهما فِي الْحَقْلِ، أجاب قَايِينُ وقال لِهَابِيل: "أرى أن العالم لم يُخلَق برحمة (أو: بمحبة)، وأنه لا يُدبَّر حسب ثمر الأعمال الصالحة، وأن في الدينونة محاباة للوجوه (favoritism). لماذا قُبِلَ قربانك برضى وقرباني لم يُقبَل برضى؟" فأجاب هابيلُ قايين قائلاً: "أما أنا فأرى أن العالم خُلِقَ برحمة، وأنه يُدبَّر حسب ثمر الأعمال الصالحة. لأن أعمالي كانت أفضل من أعمالك (because my [past] deeds were better than yours)، قُبِلَ قرباني أنا برضى وما قُبِلَ قربانك الخاص برضى" **[← "قَالَ [هابيلُ لقابيل] إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [وهو يعلم أنك لست بمتقٍ]" (المائدة 27)]**. فأجاب قايين وقال لهابيل: "لا دينونة (no judgment) ولا ديّان ولا عالم آخر (no other world). ليس مَن يعطي الأجر للأبرار والعقاب للأشرار (أي: لا آخرة ولا حساب ولا جزاء ولا إله!)". فأجاب هابيلُ قايين قائلاً: "هناك دينونة وديّان [واحد] **[← "اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (المائدة 28)]** وعالم آخر. هناك من يُعطي الأجر للأبرار والعقاب للأشرار **[← "النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29)]** في العالم الآتي". على هذه الكلمة الصعبة تجادل الاثنان في الحقل، فقام قايين على هابيل أخيه وقتله **[← "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ" (المائدة 30)]**.

ومِن ضمن أوجه التشابه بين الترجوم الآرامي والقرآن العربي أنه في كليهما قايينُ/قابيلُ هو الذي يبدأ بجملةٍ مستفزة. في الترجوم، قال لِهَابِيل: "أرى أن العالم لم يُخلَق برحمة (أو: بمحبة) [...]". وفي القرآن، قال لهابيل: "لَأَقْتُلَنَّكَ". وفي كليهما أيضاً، لا يفقد هابيلُ أعصابه وإنما يرد رداً يدل على إيمانه وتقواه. بخلاف قايين/قابيل الذي يغضب ولا يستطيع أن يسيطر على نفسه فيقتل أخاه. هذا على مستوى الأفكار. أما على مستوى الألفاظ، فيُفهَم من رسالة الدكتوراه التي أعدها (Dr. Joseph Witztum) أن الكلمتين القرآنيتين

"قُرْبَانًا" و "تُقُبِّلَ" (المائدة 27) أقرب إلى الترجوم الآرامي منها إلى التوراة العِبرية[3611]. وكذلك قال العالِم المغربي محمد المسيَّح إن كلمة "قُرْبَان" القرآنية أصلها سرياني "قُرْبَانا" بمعنى "أضحية"[3612].

ننتقل الآن إلى التلمود البابلي[3613] الذي ذكر قصة ميلاد "قَيِن" **[← قابيل]** و "هَبِل" **[← هابيل]** وحرفتيهما وقربانيهما وقبول قربان هَبِل ورفض قربان قَيِن، ثم أضاف التلمود أن مشادة كلامية حدثت بين الأخوين حول حق هَبِل وغنمه في اجتياز أرض قَيِن وفي المقابل حق قَيِن في أن يأكل مِن لحم غنم هَبِل ويلبس ثياباً مصنوعة من صوفها. ثم أضاف التلمود الحوار التالي بين قَيِن وهَبِل: "فقال قَيِن لأخيه: "ها أنت ذا الآن في قبضتي، فإن وقع في نفسي أن أقتلك **[← "قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ" (المائدة 27)]** الآن في هذا اليوم، مَن تراه يثأر لمقتلك؟". "الرب **[← "اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (المائدة 28)]**، مَن أحلّنا هذه الأرض"، أجاب هَبِل، "فهو الحَكَم العَدل الذي يُجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. وليس بمقدورك أن تقتلني وتتوارى عنه بفعلتك هذه فلا ريب أنه سيعاقبك حتماً **[← "فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29)]**، حتى لهذا الكلام الخبيث الذي تبتدرني به الآن". فزاد هذا الكلام في غيظ قَيِن، وما كان منه إلا أن رفع أداة الفلاحة التي كانت بيده، وضرب بها أخاه على حين غَرّة، فأرداه قتيلاً **[← "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ" (المائدة 30)]**. [...] وحدث بعد هذا الفعل الطائش أن قَيِن ناح وبكى بمرارة **[← "فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (المائدة 30) "فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ" (المائدة 31)]**. ثم تدارك نفسه ونَقَب حفرةً في الأرض **[← "يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ" (المائدة 31)؛ هذا ما فعله الغرابُ الذي – حسب القرآن – علَّم قابيل كيف يدفن أخاه في حفرة!]**، فوارى فيها (أي: فدفن قَيِن في تلك الحفرة) أخاه".

ومن الجدير بالذكر أن د. خزعل الماجدي قد ذكر في كتابه الشهير "أنبياء سومريون" هذا الجزء السابق من التلمود، وأضاف سبباً آخر للخلاف بين قايين وهابيل وهو "أختهما التي تنافسا عليها (أي: على الزواج منها)"، ثم قال: "كل هذه العناصر موجودة أيضاً في المدراش، وكلها ستتسرب إلى القرآن"[3614].

نكتفي بالمثالين السابقين من التراث اليهودي الشرقي الذي تسرب إلى القرآن، وننتقل الآن إلى التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) الذي تسرب أيضاً إلى القرآن، فنحن نجد ثلاثة نصوص سريانية ونصاً يونانياً معتمداً على التقليد السرياني تذكر حواراً بين ابْنَيْ آدَمَ قُبيل مقتل هابيل. يرجع تاريخ هذه النصوص المسيحية إلى القرن الخامس أو السادس الميلادي[3615]، أي: قُبيل ظهور الإسلام. ولقد قام الباحثون مثل (Prof. Sebastian Brock) و (Dr. Joseph Witztum) وغيرهما بترجمة هذه النصوص الأربعة إلى اللغة الإنجليزية. وقمنا نحن بالترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. لكن حرصاً على عدم الإطالة، لن نترجم كل هذه النصوص وسنكتفي فقط بالأفكار والعبارات والكلمات التي تهمنا.

نبدأ أولاً بقصيدة حوارية (dialogue poem) سريانية يقول المقطع المتكرر (refrain) في إحدى مخطوطاتها[3616]: يا أيها الشعب (بالسريانية: ammā‘؛ والمقصود: اليهود) ويا أيتها الأمم (بالسريانية: ammē‘؛ والمقصود: المسيحيون) تعالوا وانْصِتُوا وَاسْمَعُوا قصة هابيل وقايين **[← "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ" (المائدة 27)]**. اصرخوا ويلاً للقاتل الذي قَتَلَ أخاه **[← "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ" (المائدة 30)؛ "قَالَ [قابيلُ] يَا وَيْلَتَا" (المائدة 31)]** [قَتَلَ أخاه] بظلمٍ (بالسريانية: ba-ṭlumyā) **[← "مِنْ [...] الظَّالِمِينَ" (المائدة 29)؛ "ظُلْمًا" (صحيحا البخاري ومسلم)]**.

ثم تقول هذه القصيدة السريانية إن قايين وهابيل قَرَّبوا قربانهم (بالسريانية: qarreb[w] qurbānhon) **[← "قَرَّبَا قُرْبَانًا" (المائدة 27)]**. ثم بعد ذلك، قال قايين لهابيل: لأن الرب قَدْ سُرَّ بقُربانك ورَفَضَ قُرباني، سأقتلك (بالسريانية: qāṭelnā lāk) [...] سأقتلك **[← يقول القرآن بنفس الترتيب الذي يكاد أن يكون منقولاً مِن القصيدة المسيحية السريانية: "فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا (أي: مِن هابيل) وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ (أي: مِن قابيل) قَالَ [قابيلُ لهابيل] لَأَقْتُلَنَّكَ" (المائدة 27)]**.

إذن: تتفق هذه القصيدة السريانية مع القرآن العربي في نقطتين هامتين:

- قايين/قابيل وَجَّه خطاباً مباشراً إلى هابيل وقال له صراحةً: سأقتلك[3617]. في القصيدة السريانية، قالها قايين مرتين: "سأقتلك [...] سأقتلك" (توكيد لفظي). وفي القرآن العربي، قالها قابيلُ مرة واحدة لكن بصيغة التأكيد: "لَأَقْتُلَنَّكَ" (I will surely kill you). وهذه هي المرة الوحيدة في القرآن كله الذي يأتي فيها الفعل "قتل" بصيغة التوكيد مع ضمير المخاطَب المفرد.
- حدث هذا مباشرةً بعد (وبسبب) قبول قربان هابيل ورَفْض قربان قايين/قابيل.

وفي نفس هذه القصيدة الحوارية، يرد هابيل على قايين فيقول: وما ذنبي في أن الرب رَضِيَ عني؟ إن الرب يفتش في القلوب، فَلَهُ الحق أن يختار (أي: يقبل) أو يرفض كما يشاء. [...] في جميع القرابين (يقصد: الذبائح) التي تُقدَّم لِلرَّبِّ، يريد الرَّبُّ أن يرى المحبة (love). بدون نية حسنة (good intention)، تصبح الذبيحة قبيحة وتُرفَض **[← "قَالَ [هابيلُ لقابيل] إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [فلا تلُمني على أن قربانك لم يُقبَل فأنا لا دخل لي في هذه المسألة]" (المائدة 27)]**.

إذن: الله في القصيدة المسيحية السريانية يريد المحبةَ الصادقة بإخلاص (sincere love)، وهذا يتفق مع رسالة الإنجيل: "اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ" (1 يوحنا 16:4). أما الله في القصة القرآنية العربية فيريد التقوى "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" (المائدة 27)، وهذا يتفق أكثر مع أهمية التقوى في الإسلام عند تقديم الذبيحة: "لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا (أي: لن يُرفَع ولن يصل إلى اللهِ ولن يبلغ رضاه لُحُومُ الذبائح) وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ (أي: الإخلاصُ فيها وأن يكون القصد منها وجه الله وحده؛ قلوبُكم الخاشعة؛ إخلاصُ نواياكم؛ خوفُكم مِن الله)" (الحج 37). اقرأ أيضاً: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ [بإخلاصٍ]. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" (الذاريات 56-58). بعبارة أخرى: قام أصحابُ القرآن بعملية "أسلمة" (Islamization) بسيطة للقصيدة المسيحية السريانية. بدلاً من "المحبة" المسيحية، وضعوا "التقوى" الإسلامية. "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (الحجرات 13).

إلا أن مفهوم "التقوى" هنا ليس غريباً على التراث اليهودي/المسيحي. أولاً لأننا لا نرى تعارضاً بين المحبة والتقوى. فلو كان قابيل يحب أخاه، ما قتله. ولو كان يتقي الله، ما قتل أخاه. "وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي الْمَوَدَّةِ الأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً" (2 بطرس 1:7). وثانياً لأن التوراة تقول: "وَهذِهِ هِيَ الْوَصَايَا وَالْفَرَائِضُ وَالأَحْكَامُ الَّتِي أَمَرَ الرَّبُّ إِلهُكُمْ أَنْ أُعَلِّمَكُمْ لِتَعْمَلُوهَا [...]، لِكَيْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَكَ [...]" (التثنية 6:1-2). إذن: تقوى الله هي الهدف، أما العبادات فهي مجرد وسيلة. وكذلك يقول سفر المزامير: "رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ (أي: التقوى؛ الثقة المتواضعة humble trust في الرب وطاعته)" (المزامير 111:10)[3618]؛ "لأَنَّكَ [يَا اَللهُ] لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ (أي: لاَ تَرْضَى عن ذبيحةٍ يُقدّمها شخصٌ مُكابِر مُعانِد يستمر في ارتكاب الخطايا) [...]. ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ (أي: يجب أن تُقدَّم بقلبٍ آسِف ونادِم على الخطية ويتضرع إلى رحمة الله مِن أجل المغفرة). اَلْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ. [...] حِينَئِذٍ تُسَرُّ [يَا اَللهُ] بِذَبَائِحِ الْبِرِّ (أي: بالذبائح المُقدَّمة بتوبة أصيلة وتوجُّه قلبي سليم نحو طاعة الله وشكره على رحمته)" (المزامير 51:16-19)[3619] **[⟵ "قَالَ [هابيلُ] إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ[3620]" (المائدة 27)]**. القربان فِعل خارجي؛ وإنما المهم عند الله هو ما في الداخل: القلب. فلا يريد اللهُ أن يرى عبادات مجردة، وإنما يريد أن يرى أثر هذه العبادات في نفوس أصحابها وعقولهم. "لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ (أي: المظهر الخارجي)، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ" (1 صموئيل 16:7). وإذا أردنا أن نلخص سفرَ الْجَامِعَةِ (Koheleth) في كلمةٍ واحدة، فسنختار "التقوى": "فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ (Fear God) وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ. لأَنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدَّيْنُونَةِ (أي: الحساب والجزاء)، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ، إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا" (الجامعة 12:13-14)[3621]. اقرأ أيضاً: "اِحْفَظْ قَدَمَكَ حِينَ تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ اللهِ، فَالاسْتِمَاعُ (أي: السمع والطاعة) أَقْرَبُ مِنْ تَقْدِيمِ ذَبِيحَةِ الْجُهَّالِ" (الجامعة 5:1)؛ "فِعْلُ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ الرَّبِّ مِنَ الذَّبِيحَةِ" (الأمثال 21:3)؛ "إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، وَمَعْرِفَةَ اللهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ" (هوشع 6:6)؛ "هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ (أي: طاعة الله)؟ هُوَذَا الاسْتِمَاعُ (أي: السمع والطاعة) أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ" (1 صموئيل 15:22)[3622]؛ "لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. اتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ، وَبِدَمِ عُجُول وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ. [...] لَسْتُ أُطِيقُ الإِثْمَ وَالاعْتِكَافَ. [...] فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا. اِغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا. اعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ" (إشعياء 1:11-17)؛ (إشعياء 66:1-4) (المزامير 50:7-15) (الأمثال 15:8) (إرميا 6:20، 7:21-28) (عاموس 5:21-24) (ميخا 6:6-8). وكذلك في

الإنجيل: "إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً" (متى 13:9، 7:12) "لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ" (مرقس 32:12-33). أو كما قال زكريا الكاهن وهو حلقة وصل بين العهد القديم والعهد الجديد: "نَعْبُدُهُ (أي: نعبد الله) بِقَدَاسَةٍ (أي: بطهارة داخلية في قلوبنا، فلا حقد ولا غِل ولا كراهية ... الخ) وَبِرٍّ (أي: بطهارة خارجية تظهر في أعمالنا الصالحة، فلا كذب ولا شتائم ولا سرقة ولا قتل ... الخ) قُدَّامَهُ (أي: قُدَّامَ الله فهو الذي سيحاسبنا وليس الناسُ)" (لوقا 74:1-75). لم يقل نعبده بالصلاة، مع أنه كاهن في الهيكل؛ ولم يقل نعبده بالصوم ولا بالزكاة ولا بالحج ولا بالذبائح. وإنما قال 4 كلمات فقط تلخِّص العبادةَ الحقيقية: "نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ" (لوقا 74:1-75). **[⟵ ولعل هذا ما قصده أصحابُ القرآن حين زعموا أن الله قال: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [بإخلاصٍ وَقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ]. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" (الذاريات 56-58)[3623]].**

إذن: العبادات التي يراها الناسُ يجب أن تكون تعبيراً عن تقوى الله داخلياً وخارجياً وليست بديلاً عن التقوى (right is more important than rite). هذا ما نستنتجه من آيات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. وهذا أيضاً ما نجده في القرآن الذي جعل العبادات مجرد وسيلة بينما التقوى هي الهدف: "اعْبُدُوا رَبَّكُمُ [...] لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة 21)؛ "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ [...] لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة 183)؛ "اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ" (العنكبوت 16) (نوح 3)؛ "أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ" (الأنعام 72)؛ "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً (أي: دينكم دين واحد) وَأَنَا رَبُّكُمْ [الواحد الأحد الذي لا شريك له] فَاعْبُدُونِ" (الأنبياء 92)؛ "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ [...]. وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ" (المؤمنون 51-52)[3624]؛ "إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ [المحمودة في الدنيا والآخرة] لِلْمُتَّقِينَ" (الأعراف 128)؛ "إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ" (هود 49)؛ "وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (القصص 83)؛ "وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ" (طه 132)؛ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (الأنفال 29)[3625].

ونلاحظ في هذه القصيدة الحوارية أن هابيل كان مسالِماً جداً فلم يلجأ قط إلى العنف الجسدي دفاعاً عن نفسه، واكتفى فقط بأن يحاول بطرق مختلفة أن يُنفِّر قايين من ارتكاب جريمة القتل، مثلاً: ذكَّرهُ أن الله العادل سيدينه وذكَّرهُ بتأثير مقتله على أبيهما آدم وأمهما حواء **[⟵ في القصة القرآنية، كان هابيلُ مسالماً جداً (المائدة 28) وحاول أن يُنفِّر قابيل من القتل بثلاث: ذكَّرهُ بالخوف من الله (المائدة 27-28)، أن يبوء بإثمه وإثم نفسه (المائدة 29)، كونه من أصحاب النار ومن الظالمين (المائدة 29)].**

ولمَّا باءت كل محاولات هابيل بالفشل، قتله قايينُ/قابيلُ. تقول القصيدة السريانية إن الشرير الماكر (أي: الشيطان) حرَّض قايين وأشار إليه أن يسفك دماً **[⟵ "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ [الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ[3626]] قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ" (المائدة 30)].** وإنْ قلتم إن القصيدة السريانية تقول "الشيطان" بينما تقول القصة القرآنية "النفس [الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ]". فسنقول: إن هذا اختلاف بسيط جداً، بل نحن لا نرى اختلافاً. وذلك لأن القصيدة السريانية

تقول أيضاً إن قايين صار مسكناً (abode) للشيطان[3627]، فيمكن أن نقول "الشيطان حرَّضه" ويمكن أيضاً أن نقول "نَفْسُهُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ حرَّضته". فلا يوجد اختلاف بين القصيدة السريانية والقصة القرآنية.

أضف إلى ذلك أن الفعل "طَوَّعَ" لم يُذكر في القرآن كله إلا في هذا الموضع (المائدة 30) فقط؛ لكنه يناظر الفعل "سَوَّلَ" الذي ذكره القرآنُ 4 مرات كلها تتحدث عن أمور سلبية: في 3 مرات الفاعل هو النفس الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ "سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي" (طه 96) "سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ" (يوسف 18، 83)[3628]، وفي المرة الرابعة الفاعل هو الشيطان "الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ" (محمد 25). وكذلك يناظر الفعل "وَسْوَسَ" الذي ذكره القرآنُ 4 مرات كلها تتحدث عن أمور سلبية: في 3 مرات الفاعل هو الشيطان (طه 120) (الأعراف 20) (الناس 4-5)، وفي المرة الرابعة الفاعل هو النفس الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ (ق 16). وهذا دليل آخر من القرآن على أن عبارة "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ" المذكورة في القصة القرآنية (المائدة 30) لا تختلف عن "فَطَوَّعَ لَهُ الشَّيْطَانُ" التي تُفهَم من القصيدة السريانية.

وتقول بعضُ تفاسير القرآن إن الشيطان إبليس لعب دوراً في جريمة قتل هابيل، فهو الذي علَّم قابيل القتلَ. على سبيل المثال، يقول تفسير الطبري عن "ابْن جُرَيْجٍ قَالَ: ابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ صَاحِبَهُ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَقْتُلُهُ؟ فَتَمَثَّلَ إِبْلِيسُ لَهُ فِي هَيْئَةِ طَيْرٍ، فَأَخَذَ طَيْرًا فَقَطَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ وَضَعَهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ فَشَدَخَ (أي: حَطَّم) رَأْسَهُ، فَعَلَّمَهُ الْقَتْلَ [بطريقتين]" وقال مجاهد نحوه[3629]. وبغض النظر عن الطبيعة الأسطورية لهذا التفسير، فإنه يدل على أن المفسرين المسلمين قد أدركوا أن الشيطان إبليس ليس بريئاً مِن جريمة قتل هابيل. فكما حقد الشيطانُ على آدم فوسوس إليه حتى أخرجه من الجنة، كذلك حقد قابيل على هابيل، فاستغل الشيطانُ الحقدَ الذي في نفس قابيل حتى جعله يقتل هابيل فيخرجه من الدنيا. باختصار: قابيل أسلم نفسه للشيطان. أو كما قال الأستاذ أحمد بهجت: "نقص أبناء آدم واحداً ... وكسب الشيطانُ واحداً من أبناء آدم"[3630].

إذن: صحيح أن "الشيطان إِبْلِيس" الذي لعب دوراً مهماً في سقوط آدم وحواء قد غاب عن قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) وحضرت بدلاً منه "النفس الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ". إلا أن الأدلة التي أمامنا سواء مِن القرآن أو مِن تفاسيره تؤكد أن "الشيطان إِبْلِيس" و "النفس الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ" وجهان لعملة واحدة. ومِن ثم، لا نرى اختلافاً ذا أهمية بين القصيدة السريانية والقصة القرآنية في هذه المسألة. مما يدل على أن القصة القرآنية هي مجرد تطور بشري طبيعي للقصيدة المسيحية السريانية.

ننتقل الآن إلى عِظة (homily) سريانية لـ "إسحاق الأنطاكي" (Isaac of Antioch) (النصف الأول من القرن الخامس الميلادي). وطبعاً توجد أمور مشتركة كثيرة بين هذه العظة وما قلناه فيما سبق. على سبيل المثال، تقول هذه العظة إن الأخوين قايين وهابيل قَرَّبوا قرباناً إلى الواحد العادل (أي: إلى الله) (بالسريانية: qurbānā l-kinā qarreb[w] [⟵ **"ابْنَيْ آدَمَ [...] قَرَّبَا قُرْبَانًا" (المائدة 27)**]. وحرصاً على عدم الإطالة، لن نكرر هذه الأمور المشتركة، وسنكتفي بما يميز هذه العظة عن غيرها.

على سبيل المثال، تقول هذه العظة إنه لمَّا قَامَ قَايِينُ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ ليقتله، قال له هابيل المسالِم: دع الديونة المرعبة [← "النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29)] تُخيفك مِن الاقتراب من دمٍ بريء. أرِني مخالفتي (أي: خطيئتي؛ بالسريانية: [saklut[y]) [← "إِثْمِي" (المائدة 29)] تجاهك وسترى رقبتي تحت سيفك. أخبرني ما هي جريمتي (بالسريانية: [surḥān[y]) [← "إِثْمِي" (المائدة 29)] ثم افعل بي ما شئت. فلتكنْ أنتَ يا قايين الحكم، واحكمْ بالعدل بيني وبينك [← "إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ (أي: تعترف وتقر[3631]) بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ" (المائدة 29)]. لا تمد يدك (بالسريانية: tawšeṭ idāk) [← "بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ" (المائدة 28)] ظلماً على دم [الإنسان] المستقيم (يقصد: نفسه) [← "إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (المائدة 28)]. احكمْ على نفسك كما تحكم على الغريب، ولا تجامِل نفسك. انْتَهِرْ الإثمَ الذي في قلبك [← "إِثْمِكَ" (المائدة 29)] [...]. إنْ انتصرتَ بظلمٍ (بالسريانية: ba-ṭlumyā)، ستُدان حسب العدالة [الإلهية] [← "فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29)]. [...]

ومِن اللافت للانتباه أنه في العظة السريانية وكذلك في القصة القرآنية، هابيل هو الذي يتحدث حديثاً طويلاً يشبه المحاضرة أو العظة الدينية (المائدة 27-29) بينما يظل قايين (قابيل) صامتاً حتى يرتكب جريمة قَتْل أخيه بعد هذه المحاضرة مباشرةً (المائدة 30)! فتقول العظة السريانية إن قايين لم يستجب لكلام هابيل ورفض أن يُبعِد يده عن أخيه. وذلك لأن الشرير (أي: الشيطان) كان قد شجّع قايين كثيراً لئلا يتردد في قتل أخيه [← "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ [الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ] قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ" (المائدة 30)]. ولا داعي لتكرار ما قلناه عن العلاقة بين الشيطان ونَفْس قايين/قابيل. إنهما وجهان لعملة واحدة كما قلنا.

إذن: نلاحظ أن القصة القرآنية (القرن السابع الميلادي) قد استخدمت تقريباً نفس الأفكار وأحياناً نفس العبارات والألفاظ التي استخدمتها العظة السريانية (القرن الخامس الميلادي)، وإنْ اختلف الترتيبُ والسياق قليلاً. مثلاً: عبارة "تمد يدك" (بالسريانية: tawšeṭ idāk) التي تحولت في القصة القرآنية إلى "بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ" (المائدة 28). ويبدو لنا أن هذه العبارة السريانية←القرآنية هي أصلاً مستوحاة مِن قصة شاول (Saul؛ طالوت) وداود (David). فعلى الرغم من أن المَلِك شاول كان قد حاول عدة مرات أن يقتل داودَ (1 صموئيل 18-23)، إلا أن داود رفض أن "يَمُدُّ يَدَهُ" ليقتل شَاوُلَ عندما أتيحت له الفرصة: "فَقَالَ [دَاوُدُ] لِرِجَالِهِ: «حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ بِسَيِّدِي [المَلِك شاول]، بِمَسِيحِ الرَّبِّ، فَأَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ، لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ». فَوَبَّخَ دَاوُدُ رِجَالَهُ بِالْكَلاَمِ، وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَقُومُونَ عَلَى شَاوُلَ" (1 صموئيل 24:6-7) "وَقَالَ دَاوُدُ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، إِنَّ الرَّبَّ سَوْفَ يَضْرِبُهُ، أَوْ يَأْتِي يَوْمُهُ فَيَمُوتُ، أَوْ يَنْزِلُ إِلَى الْحَرْبِ وَيَهْلِكُ. حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ!" (1 صموئيل 26:10-11). "وَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «[...] لاَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى سَيِّدِي [المَلِك شاول]، لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ. [...] يَقْضِي الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَيَنْتَقِمُ لِي الرَّبُّ مِنْكَ، وَلكِنْ يَدِي لاَ تَكُونُ عَلَيْكَ. [...] فَيَكُونُ الرَّبُّ الدَّيَّانَ وَيَقْضِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَيَرَى وَيُحَاكِمُ مُحَاكَمَتِي، وَيُنْقِذُنِي مِنْ يَدِكَ»" (1 صموئيل 24:9-15) "وَالرَّبُّ يَرُدُّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ بِرَّهُ وَأَمَانَتَهُ، لأَنَّهُ قَدْ دَفَعَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ لِيَدِي وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَمُدَّ

يَدِي إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ. وَهُوَذَا كَمَا كَانَتْ نَفْسُكَ عَظِيمَةً الْيَوْمَ فِي عَيْنَيَّ، كَذلِكَ لِتَعْظُمْ نَفْسِي فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ فَيُنْقِذْنِي مِنْ كُلِّ ضِيق" (1 صموئيل 26:23-24) **[← "لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ" (المائدة 28)]**. ليس لأن داود كان ضعيفاً أو جباناً، وإنما لأن الرب يحرّم ذلك، "فَقَالَ [داودُ] لِرِجَالِهِ: «حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ" (1 صموئيل 24:6) "حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ!" (1 صموئيل 26:11) "فَمَنِ الَّذِي يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ وَيَتَبَرَّأُ؟" (1 صموئيل 26:9) **[← "إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (المائدة 28)]**. ومِن المعلوم أن داود جد يسوع المسيح (متى 1:1) كان راعياً للأغنام مثل هابيل. وباستثناء الخطايا التي ارتكبها داود، علماً بأنه قد تاب عنها بعد ذلك وقَبِلَ اللهُ توبتَه، فإنه على الإجمال يُعتبَر – مثل هابيل – رمزاً ليسوع المسيح ابن داود وفي نفس الوقت رب داود (أي: سيد داود) (متى 22:41-45).

مما سبق يتضح تأثر القرآن بالتراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة).

4.9.2.2 فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ!

تنتهي أحداث القصة القرآنية بظهور "غراب" (raven; crow) (corbeau) فجأة ليُعلِّم قابيل كيف يدفن جثمان هابيل (المائدة 31)! أي: ليُعلِّم أولَ قاتل كيف يدفن جثة أول مقتول! ومع أن هذا "الغراب" ليس أهم اختلاف بين القصة القرآنية والقصة التوراتية، إلا أنه أوضح اختلاف. يقول المفكر السوري الكبير فراس السواح: "والقصة القرآنية تقوم على عناصر القصة التوراتية مع إضافة عنصر الغراب، الذي علَّم قابيل كيف يدفن أخاه القتيل"[(3632)].

ولم نكن نريد أن نُعلِّق على هذا "الغراب" المزعوم لولا أن فريقاً من الكتاب المسلمين المشهورين يستخدمونه كدليل على أن القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله! يقول د. صلاح الخالدي الذي كتب أكثر من 55 كتاباً عن القرآن والإسلام: "إنَّ تَفَرُّدَ القرآنِ بذِكْرِ حادثة الغراب، دليلٌ على أنَّ القرآنَ كلامُ الله، فلو كان من كلام النبي ﷺ لأَخَذَ كلامَ الأحبار (يقصد: التوراة الموروثة) بكلِّ ما فيه، ولما أضافَ له حادثة الغراب، وإلا فمَن أدراهُ بحادثة الغرابِ [غير الوحي الإلهي]؟"[(3633)]. ويقول كتابٌ كتبه "نخبة من العلماء" المسلمين وأصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع إلى وزارة الأوقاف المصرية: "ومِن أين أتى القرآنُ بقصة الغراب الذي جاء لِيُرِيَ القاتلَ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ وهي غير واردة في التوراة المُدَّعى أصالتها للقرآن؟! [...] لا .. إن القرآن له مصدره الخاص به الذي استمد منه الوقائع على وجهها الصحيح، ومجرد التشابه بينه وبين التوراة في "أصل الواقعة" لا يؤثر في استقلال القرآن أبداً"[(3634)].

تعليقنا: بصراحة نحن نندهش مِن أن تتحول حكاية "غراب" – لا يوجد أي دليل علمي يثبت أنها حادثة حقيقية تاريخية – إلى "دليل" على أن كتاباً بأكمله كلام الله! كيف تتحول حكاية (anecdote) إلى "واقعة" قصَّها القرآنُ "على وجهها الصحيح"؟! كيف عرفتم أن هذا هو "وجهها الصحيح"؟! هل لديكم أي دليل علمي يثبت أن القصة القرآنية حادثة حقيقية تاريخية؟! مع العلم بأن هذه القصة لا تتحدث عن أمور غيبية (ملائكة أو جن مثلاً)، وإنما تتحدث عن كائنات مادية: حيوان (غراب) وبشر (هابيل وقابيل) من لحم ودم. فإذا لم يكن لدى شيوخ الإسلام أي دليل علمي على ما حدث لجثة هابيل، فلا يمكن أن نصدقهم حين يزعمون أن "القرآن له مصدره الخاص به الذي استمد منه الوقائع على وجهها الصحيح"!

ونحن نندهش أيضاً مِن أن قابيل عرف كيف يقتل هابيل، لكنه لم يعرف كيف يُوَاري دليلَ الجريمة، جثةَ هابيل! إن رائحة الأسطورة تفوح من قصة "غراب" قابيل (المائدة 31).

<u>السؤال الأول:</u> ما هي جذور قصة هذا "الغراب" المزعوم الذي علَّم البشريةَ الدفنَ (المائدة 31)؟!

الإجابة: ليس بالضرورة أن نجد لكل أسطورة قرآنية جذوراً في التوراة أو الإنجيل. مصادر القرآن البشرية متعددة. قد تكون التوراة. قد تكون الإنجيل. قد يكون التراث المسيحي (السرياني). قد تكون الخرافات اليهودية المتأخرة. فمِن أشهر ما قيل عن أسطورة غراب قابيل (المائدة 31) إنها مستوحاة من أسطورة يهودية في "مدراش تنحوما" (Midrash Tanḥuma Bereshit 10)[3635][3636] الذي يرجع تاريخه إلى القرن الخامس الميلادي حسب رأي بعض العلماء. يقول هذا المدراش اليهودي إنه لمَّا قَتَلَ قايينُ هابيلَ، لم يعرف قايينُ كيف يتصرف بجثة هابيل التي ظلت مُلقاة على الأرض. فبعث الْقُدُّوسُ الواحد (The Holy One) (أي: فبعث اللهُ) له طائرين طاهرين (two pure birds) **[← "فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا" (المائدة 31)]**، فقتل أحدُهما الآخرَ، ثم حفر برجليه حفرةً في الأرض **[← "يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ (أي: ينبش تراب الأرض ويحفر حفرةً)" (المائدة 31)]** ووضع فيها جثة الطائر القتيل. فتعلَّم قايينُ من هذا الطائر **[← "لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ (أي: ليُعلِّم الغرابُ قابيلَ كيف يدفن جثمان هابيل!)" (المائدة 31)]**، وحفر لأخيه هابيل ثم دَفَنَه.

إلا أن فريقاً آخر من العلماء يعترضون على كون مدراش تنحوما يسبق القرآن. على سبيل المثال، يقول (Dr. Joseph Witztum): "the Tanhuma most probably finished evolving long after the Quran appears"[3637]. مع اعترافهم بأن مدراش تنحوما قد بدأ في فترة ما بين القرن الخامس والقرن السابع بعد الميلاد "began to crystallize in the fifth-seventh century, but continued to evolve into the middle ages"[3638].

أما العالم الكبير (James L. Kugel) فيرى أنه ليس مِن المستبعد أن يكون مدراش تنحوما قد جُمِعَ في القرن السابع أو الثامن الميلادي (*Midrash Tanḥuma*, a medieval midrashic collection extant in various different forms; its approximate time of

compilation is unknown (though a guess of seventh-eighth century C.E. might not be far off)[3639]. ثم أضاف[3640]:

> The actual date of composition or compilation […] may not in itself be decisive, since any midrashic work is by definition a gathering together of different bits of exegesis created by different authors, often in different times and historical circumstances.

ولذلك فإننا نرى أنه حتى لو كان مدراش تنحوما قد اكتمل بعد القرآن، فهذا ليس دليلاً على أن القرآن لم يعتمد على مدراش تنحوما. فنحن لا يهمنا كل كلمة في مدراش تنحوما، وإنما يهمنا فقط الجزء المتعلق بقصة ابني آدم وكيف تَعلَّم قايينُ دَفْنَ جثة هابيل مِن طائرٍ بعثه اللهُ. قد يكون هذا الجزء في مدراش تنحوما قبل القرآن، ثم أضيفت أجزاء أخرى إلى مدراش تنحوما حتى اكتمل بعد القرآن. وربما يكون القرآن ومدراش تنحوما قد اعتمدا على مصدرٍ بشري آخر أقدم منهما ولم يكتشفه العلماءُ حتى الآن. وربما لن يكتشفه العلماءُ، لأنه مصدر شفوي-سماعي (oral-aural) عاش في هواء الشرق الأوسط القديم ولم يُكتَب في كتاب.

بل سنكون أكثر جرأة ونقول: ربما تكون (المائدة 31) ليست جزءاً من القصة القرآنية الأصلية، وإنما أضيفت لاحقاً، أي: أن تاريخها متأخر عن تاريخ (المائدة 27-30). علينا دائماً أن نتذكر أن المصحف ≠ القرآن. فربما تكون (المائدة 31) آية مصحفية وليست آية قرآنية، لا سيما وأنها تأتي في نهاية القصة ولم نجد حديثاً صحيحاً مرفوعاً واحداً يتحدث عن هذا "الغراب" المزعوم الذي علَّم البشريةَ الدفنَ (المائدة 31)! فما الدليل القاطع أن محمداً قال هذه الآية (المائدة 31) في حياته؟! ربما أضيفت لاحقاً بعد وفاته.

قد يُقال إن مدراش تنحوما يقول إن الله بعث "طائرين طاهرين" بينما يقول القرآنُ "غراباً". وهذا يقودنا إلى السؤال الثاني: لماذا اختار صاحبُ (المائدة 31) "الغرابَ" بالذات؟

قد يكون الأمرُ له علاقة بالثقافة العربية؛ بسبب تشاؤم العرب بالغراب وقولهم "غراب البين".

وربما لأسباب أخرى من داخل منظومة الديانات الإبراهيمية. ربما لأن الغراب أول طائر ذُكِرَ صراحةً بالاسم في التوراة (التكوين 7:8). وربما لأنه طائر نجس عند اليهود (اللاويين 15:11) (التثنية 14:14)، فهو ينهش الجثث (الأمثال 17:30) ويسكن الأماكن الخربة (إشعياء 11:34). وكأن (المائدة 31) أرادت أن تقول إن قابيل أسوأ من هذا الطائر النجس المرتبط بالموت والخراب.

وإذا سمحنا لأنفسنا أن نقوم بعملية عصف ذهني (brainstorming) فسنقول إنه مما يلفت الانتباه أن قصة ابني آدم (المائدة 27-31) ذكرت اسم "اللَّه" 3 مرات وبترتيب منظم يتفق مع بناء القصة نفسها:

- في الجزء الأول (المائدة 27) قبل مقتل هابيل: "الله" يعتني بهابيل ويتقبل قربانَه.
- في الجزء الثاني (المائدة 28-30) – مقتل هابيل: هابيل يخاف "اللهَ"؛ أي: يخشى حسابَ الله.
- في الجزء الثالث (المائدة 31) بعد مقتل هابيل: "الله" يعتني بهابيل (أي: يعتني بجثته) فيرسل غراباً ليُعلِّم قابيلَ ويُلهِمه كيف يدفن جثة هابيل.

وكأن ثالوث الآب والابن والروح القدس (الثالوث النيقاوي-القسطنطيني) لا يزال مسيطراً على وجدان مَن صاغوا القصة القرآنية في صورتها النهائية؛ وبنفس ترتيب الأقانيم الثلاثة:

- (المائدة 27) الأقنوم الأول: الله الآب الذي يتقبل القرابين والذبائح حسب التوراة (العهد القديم)؛
- (المائدة 28-30) الأقنوم الثاني: الله الابن (المسيح) الديان الذي يُحاسِب ويُجازي حسب الإنجيل (العهد الجديد)؛
- (المائدة 31) الأقنوم الثالث: الله الروح القدس (The Holy Spirit) الذي يُلهِم ويُرشد ويُعطي المواهب حسب بقية أسفار العهد الجديد، وبخاصة سفر أعمال الرسل.

يمكن إذن أن نرسم قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية (المائدة 27-31) على شكل صليب يوضح ثالوث الآب (التوراة) والابن (الإنجيل) والروح القدس (الرسل):

الجزء الأول: قبل مقتل هابيل		المائدة 27		الله الآب	التوراة
الجزء الثاني: مقتل هابيل	المائدة 28	المائدة 29	المائدة 30	الله الابن (المسيح)	الإنجيل
الجزء الثالث: بعد مقتل هابيل		المائدة 31		الله الروح القدس	الرسل
التعليم: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ [...]		المائدة 32			
التشريع: حد الحرابة		المائدة 33			

رسم توضيحي 6 – قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية (المائدة 27-31) مرسومة على شكل صليب!

وما يهمنا هنا هو الروح القدس و (المائدة 31)[3641]، فَمِن المعلوم أن الروح القدس يُرمَز إليه في التراث المسيحي بحمامة (pigeon) أو يمامة (dove) (متى 3:16) (مرقس 1:10) (لوقا 3:22) (يوحنا 1:32)، ويُرسَم أحياناً كحمامة بيضاء **[⟵ جعلها القرآنُ غراباً أسوداً! "فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا (أي: فألهم الله**

غراباً ينزل بحيث يراه قابيلُ) يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ [الغرابُ/اللهُ[3642]] كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ (أي: ليُعلِّم الغرابُ/اللهُ قابيلَ كيف يدفن جثمان هابيل!)" (المائدة 31)].

لكن هل توجد علاقة بين الغراب والحمامة؟

الإجابة: نعم. فإذا كان الغراب هو أول طائر ذُكِرَ صراحةً بالاسم في التوراة (التكوين 8:7)، فإن الحمامة هي ثاني طائر ذُكِرَ صراحةً بالاسم في التوراة (التكوين 8:8)، بعد الغراب مباشرةً في قصة طوفان نوح. "وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّ نُوحًا فَتَحَ طَاقَةَ (أي: نافذة) الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا. وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا (أي: ظل يحوم على الجثث الطافية ولم يعد لنوح) حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. ثُمَّ أَرْسَلَ [نُوحٌ] الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ. فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ" (التكوين 8:6-9).

وقال الفيلسوف اليهودي الشهير "فيلو" السكندري (Philo of Alexandria) (20ق.م إلى 45م) المعروف بتفسيره للتوراة تفسيراً رمزياً (allegorically)، قال تعليقاً على هذه الآيات التوراتية إن الغراب يرمز إلى الشر (wickedness) والحمامة ترمز إلى الفضيلة (virtue)[3643].

فهل أراد صاحبُ (المائدة 31) أن يرمز إلى الروح القدس بغرابٍ أسود (طائر نجس) بدلاً مِن حمامةٍ بيضاء (طائر طاهر)؛ ليس بالضرورة على سبيل الإساءة أو السخرية، وإنما لأن الغراب الأسود يلائم شر قابيل وجريمة القتل التي ارتكبها؟ ربما.

وفي عمل مسيحي سرياني يُعرَف باسم (A Syriac Life of Abel) (أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس الميلادي)، نجد هابيل يتوسل قايين لئلا يترك جثمانه في الحقل فتأكله الكلاب والحيوانات المفترسة وطيور السماء[3644]. وهذه الفكرة لها أساس كتابي: "مَنْ مَاتَ فِي الْحَقْلِ تَأْكُلُهُ طُيُورُ السَّمَاءِ" (1 ملوك 14:11)[3645]؛ وحسب التوراة: قُتِلَ هابيلُ في الحقل (التكوين 4:8). وكما قلنا: الغراب من طيور السماء التي تنهش الجثث. إذن: الغراب من طيور السماء التي خاف هابيلُ أن تنهش جثته. **[⟵ أكمل القرآنُ هذا المشهد المؤثر فجعل حرص الغراب على هابيل الميت أكثر من حرص قابيل على هابيل الحي! "فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ (أي: ليُعلِّم قابيل كيف يدفن جثمان هابيل!)" (المائدة 31)].**

وقد يكون الأمر أبسط مِن كل ما سبق. فَمِن المعلوم أن مِن طبيعة طائر الغراب أنه ينبش في الأرض ليُوَاري طعامَه. قال فخر الدين الرازي: "قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: عَادَةُ الْغُرَابِ دَفْنُ الْأَشْيَاءِ فَجَاءَ غُرَابٌ فَدَفَنَ شَيْئًا فَتَعَلَّمَ [قابيلُ] ذَلِكَ مِنْهُ"[3646]؛ وقال القرطبي: "وَقِيلَ: إِنَّ الْغُرَابَ بَحَثَ الْأَرْضَ عَلَى طُعْمِهِ لِيُخْفِيَهُ إِلَى وَقْتِ الْحَاجَةِ

إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عَادَةِ الْغُرَابِ فِعْلُ ذَلِكَ؛ فَتَنَبَّهَ قَابِيلُ بِذَلِكَ عَلَى مُوَارَاةِ أَخِيهِ"[3647]. فَمِن المحتمل جداً أن يكون صاحب (المائدة 31) قد رأى غراباً "يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ" ومِن هنا جاءته فكرة (المائدة 31).

نحن نعترف بأن مصادر قصة "غراب" قابيل (المائدة 31) تحتاج إلى مزيد من البحث. ونتمنى أن نكون قد فتحنا البابَ للأجيال القادمة من الباحثين. وفي جميع الأحوال، حتى لو لم نجد مصدراً موثوقاً لـ"غراب" قابيل (المائدة 31)، فلا يمكن أن يكون هذا الغراب المزعوم هو الدليل على أن (المائدة 31) كلام الله! وإنما هذا الغراب المزعوم يدل – في أحسن الأحوال – على أن أصحاب القرآن قد اجتهدوا في مسألة دَفْن جثة هابيل، فزعموا أن غراباً علَّم قابيلَ كيف يدفن جثة هابيل!

نعم. ما قاله القرآنُ في مسألة دَفْن جثة هابيل هو مجرد اجتهاد أو رأي شخصي مِن بين آراء أخرى متعددة. فَمِن الواضح أن هذه المسألة كانت تشغل بال اليهود والمسيحيين في القرون الأولى للميلاد:

- فنجد مثلاً التلمود البابلي (Ta'anit 69a)[3648] يقول إن آدم هو الذي دَفَنَ جثةَ ابنه هابيل!
- بينما نجد "يوسيفوس" (Flavius Josephus) (المؤرخ اليهودي المعاصر لتلاميذ المسيح) (حياته: 37-100م تقريباً) يقول بكل بساطة إن قايين أخفى جثة هابيل حتى لا يكتشف أحدٌ جريمة القتل التي ارتكبها[3649].
- ونجد عملاً آخر يُعرَف باسم مصطنع هو "رؤيا موسى" (Apocalypse of Moses)، أي: رؤيا موسى النبي عن آدم، بينما الاسم العلمي الأصح والأدق هو: المخطوط اليوناني (أو: الترجمة اليونانية) لقصة حياة آدم وحواء (The Greek Life of Adam and Eve) ويرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الثاني والرابع بعد الميلاد[3650][3651]. يقول هذا العمل الشهير إن قايين الشرير حاول أن يخفي جثة هابيل [دليل الجريمة] في الأرض، لكن الأرض لم تقبل جسدَ هابيل وأخرجته! [فنلاحظ أن دفن جثة هابيل تحول إلى مشكلة تبحث عن حل! وكالعادة، يتدخل اللهُ ليحل المشكلة ولو بعد فترة.] بعد موت آدم، بَعَثَ اللهُ بضعة ملائكة (أحدهما جبرائيل Gabriel) وأمرهم أن يدفنوا جثة هابيل ففعلوا ذلك[3652]. ومِن المعلوم أن جمهور المسلمين يتوهمون أن الملاك جبريل هو "روح القدس"! فهذا يعود بنا مرة أخرى إلى احتمال أن يكون "الغراب" المذكور في (المائدة 31) مجرد رمز إلى (الـ)روح القدس (أو: الملاك جبريل حسب العقيدة الإسلامية السائدة).

الخلاصة: حتى لو افترضنا جدلاً أن القرآن هو أول كتاب يقول إن "غراباً" علَّم قابيلَ كيف يدفن جثة هابيل (المائدة 31)، فهذا ليس دليلاً على أن القرآن كلام الله. وإنما هو دليل على أن أصحاب القرآن قد اجتهدوا في مسألة خلافية، فقالوا رأياً شخصياً لا يوجد أي دليل علمي يثبت أنه هو الرأي الصحيح.

4.9.2.3 فَأَصْبَحَ قابيلُ مِنَ النَّادِمِينَ. هل تاب قابيلُ؟ وهل قَبِلَ اللهُ توبته؟

أما آخر 3 كلمات في القصة القرآنية، فهي "فَأَصْبَحَ [قابيلُ] مِنَ النَّادِمِينَ" (المائدة 31).

إن "ندم" قابيل يقودنا إلى سؤال مهم وهو: هل تاب قابيلُ مثل أبيه آدم؟ وهل قَبِلَ اللهُ توبته؟

للإجابة على هذا السؤال يجب أن نعود مرة أخرى إلى العظة السريانية التي كتبها إسحاق الأنطاكي (القرن الخامس الميلادي). فمما يميز هذه العظة السريانية أيضاً هو أنها أكدت على أن قايين لم يتب، بل لم يعترف بذنبه في الوقت المناسب حين أعطاه اللهُ فرصةً لكي يعترف ويتوب بإرادته الحرة ويطلب الغفران عندما سأله "أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟" (التكوين 4:9)، فأنكر قايين أولاً ما حدث (التكوين 4:9) ثُم جاء اعترافه بجريمته متأخراً جداً (too late) (التكوين 4:13) – بعد أن سدَّ اللهُ في وجهه باب النكران (التكوين 4:10) وأعلن عقابه الإلهي (التكوين 4:11-12) – ومِن ثم لا يمكن أن يسامحه اللهُ.

ويبدو لنا أن مسألة "توبة قايين" كانت تشغل بال اليهود والمسيحيين وتثير الجدل في القرون الأولى للميلاد. انظر مثلاً المدراش (Genesis Rabbah 22:13)[3653] الذي يقول إن قايين تاب! فأراد إسحاق الأنطاكي في عظته السريانية أن يوضح صراحةً أن قايين لم يتب. وهذا أيضاً ما يُفهَم من القصة القرآنية، بدليل أن القرآن ختم هذه القصة بعبارة "فَأَصْبَحَ [قابيلُ] مِنَ النَّادِمِينَ" (المائدة 31)، ولم يقل "فَأَصْبَحَ مِنَ التائبين". أو كما قال الزمخشري: "لم يندم ندم التائبين"[3654]، وقال د. صلاح الخالدي إن المجرم قابيل ندمَ على جريمته "لكنَّ ندَمَه لم يكن ندمَ توبةٍ واستغفار، وإنما كانَ ندمَ عجزٍ وخسارةٍ وإحباط"[3655]، فلم يتب اللهُ عليه ولم يسامحه على جريمته البشعة. ونحن نتفق مع هؤلاء المفسرين المسلمين ودليلنا مِن القرآن هو أن "الندم" أو "الندامة" يُذكَر في القرآن بمعنى سلبي ≈ الحسرة (المائدة 52) (المؤمنون 40) (الشعراء 157) (الحجرات 6) (يونس 54) (سبأ 33)، بخلاف "التوبة" التي تُذكَر في القرآن في سياقٍ له معنى إيجابي[3656].

وإذا أخذنا كلمة "فَأَصْبَحَ" بمعناها الحرفي "فَأَصْبَحَ [قابيلُ] مِنَ النَّادِمِينَ" (المائدة 31)، فسنستنتج أن ندم قابيل حدث في اليوم الثالث! "فَقَتَلَهُ [في اليوم الأول] فَأَصْبَحَ [في اليوم الثاني] مِنَ الْخَاسِرِينَ. [...] فَأَصْبَحَ [في اليوم الثالث] مِنَ النَّادِمِينَ" (المائدة 30-31). إذن: جاءت هذه العبارة "فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ" (المائدة 31) في نهاية القصة القرآنية لتؤكد على أن "ندم" قابيل كان بالفعل متأخراً جداً فلا يُقبَل كتوبة. ولأنه لم يندم على أنه عصى اللهَ، وإنما ندم على عجزه أن يكون مثل الغراب فيدفن أخاه.

وإذا كانت كلمة "ندم" (بالسريانية: twātā) لم تُذكَر في عِظة إسحاق الأنطاكي، فإنها ذُكِرَت في عِظة سريانية أخرى مشهورة جداً وتُعرَف باسم "عِظة نَرساي الرابعة في الخلق" (Narsai's fourth homily on creation) لأن كاتبها هو المعلِّم والشاعر السرياني الكبير "نَرساي" (Narsai) (القرن الخامس الميلادي أيضاً). تُرجمت إلى الفرنسية (une contrition involontaire)[3657]؛ أي: ندم لا إرادي.

وتُرجمت إلى العربية: "توبة غير إرادية"[3658]! والأصوب والأدق: ندم غير إرادي (he shows regret, but this was involuntary)[3659] **[← وفي القرن السابع الميلادي، اختار أصحابُ القرآن الكلمة التي قالها نَرساي في القرن الخامس وهي "ندم" فقالوا: "فَأَصْبَحَ [قابيلُ] مِنَ النَّادِمِينَ" (المائدة 31)]**.

وفي العمل المسيحي السرياني الذي يُعرَف باسم (A Syriac Life of Abel) (أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس الميلادي) وتحدثنا عنه منذ قليل، نجد قايين يتكلم بعد ارتكابه الجريمة، يتكلم وهو يبكي بكاءاً شديداً أمام أبويه آدم وحواء حزناً على موت أخيه هابيل. ويتمنى قايينُ لنفسه العمى عقاباً لعينيه لأنها رأت دموع شقيقه هابيل ومع ذلك لم تشفق عليه، ويتمنى الصمم عقاباً لأذنيه لأنها لم تسمع صرخة هابيل المتضرعة. ويتمنى قايين أن يعود هابيل إلى الحياة ليرى خِزْي قايين والمستوى المنحط الذي سقط قايينُ فيه **[← في القصة القرآنية، نجد قابيل يتكلم بعد ارتكابه الجريمة: "قَالَ يَا وَيْلَتَا (أي: يا فضيحتي ومصيبتي)" (المائدة 31)؛ إلا أن فضيحة قابيل القرآني هي أنه عجز أن يكون مثل الغراب فيدفن أخاه!]**. إنه إذن ندم شديد يشعر به قايين **[← "فَأَصْبَحَ [قابيلُ] مِنَ النَّادِمِينَ" (المائدة 31)]**؛ ندم قد يصل إلى درجة التوبة. لكن في جميع الأحوال، لا يوجد ما يدل على أن الله قَبِلَ توبته أو يدل على أن توبته خففت عقابه.

نستطيع إذن أن نقول إن الاتجاه العام والرأي السائد في التراث المسيحي (السرياني) قبل الإسلام هو أن قايين لم يتب، وأن اعترافه بجريمته كان متأخراً جداً وطبيعياً ولا إرادياً (involuntary)، ومِن ثم ليس له أي تأثير على عقوبته. أي: لم يسامحه اللهُ. وهذا أيضاً ما يُفهَم مِن القصة القرآنية (المائدة 27-31) مع أنها لم تذكر عقوبة قابيل الدنيوية! إلا إذا كان المقصود هو أن إحدى العقوبات التي صارت فيما بعد حد الحرابة (المائدة 33) قد طُبقتْ عليه. النفي مثلاً كما تقول التوراة؛ والتيه أيضاً.

فنحن نتفق تماماً مع (Dr. Joseph Witztum) حين يختم بحثه عن توبة قايين/قابيل قائلاً[3660]:

Thus we see that in the Christian tradition Cain's confession was involuntary and came too late, therefore having no effect on his fate. The Quran, which ends its description of Cain with "فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ", seems to share the same understanding.

ومِن الجدير بالذكر في هذا السياق أنه توجد أيضاً آيات قرآنية أخرى تؤكد على أن التوبة المتأخرة جداً لا تنفع ولا تُقبَل. وأشهر مثال على ذلك هو توبة فرعون حين أيقن أنه يموت غرقاً لا محالة (يونس 90-92). بل في نفس سورة المائدة، بعد قصة "ابني آدم" بآيتين يذكر القرآنُ حد الحرابة (المائدة 33) ثم يقول: "إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ (أي: مِن قَبْل أن تقبضوا عليهم) فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (المائدة

34). اقرأ أيضاً (النساء 18) (المؤمنون 99-100) (غافر 11، 84-85) (المنافقون 10-11) (الأنعام 27-28، 158) (فاطر 36-37) (السجدة 12-14).

مِن كل ما سبق يتضح أنه قبل ظهور الإسلام، كان الشرق الأوسط القديم يتمتع بقدر كبير من الحرية الفكرية والثقافية في المسائل الدينية، وبخاصة في المناطق الشرقية البعيدة نسبياً عن سلطة الإمبراطورية الرومانية المركزية. فكان أمراً طبيعياً أن نرى أعمالاً أدبية (قصائد مثلاً) وأعمالاً دينية (عظات مثلاً) تضيف إلى (و/أو: تحذف مِن) القصص الأصلية في التوراة و/أو الإنجيل؛ وذلك بهدف توضيح نقطة معينة أو حسم مسألة خلافية تشغل بال الناس أو إضافة فكرة ترفضها المؤسسات الدينية الرسمية أو حذف قصة يخجل المؤلف منها[3661] أو لأي أهداف سياسية أو اجتماعية أو دينية أخرى.

وما القرآن إلا مجرد حلقة مِن حلقات هذه الحرية الأدبية الشرقية. القرآن عمل بشري شرقي أدبي أنتجه العربُ تأثراً بمن سبقوهم من اليهود والمسيحيين الشرقيين (السريان بصفة خاصة). الفرق بين القرآن العربي والأعمال اليهودية/المسيحية التي سبقته هو أن القرآن يزعم أنه كتاب إلهي، بينما كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أنه منتج بشري. منتج ديني له أهداف سياسية. أو منتج سياسي ارتدى رداءَ الدين. أو كما نقول دائماً: إن القرآن مُنتَج ثقافي (cultural artifact) ديني-سياسي يعبر عن طموحات وآمال وتطلعات وتوجهات مَن كتبوه في الزمان والمكان الذي كُتِب فيه.

4.9.2.4 مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ!

ننتقل إلى نقطة أخرى وهي أيضاً من النقاط التي ناقشها (Dr. Joseph Witztum) في بحثه. ولقد نُوقشت كثيراً مِن قبل، سواء في الأبحاث الأكاديمية[3662] أو في الخدمات التبشيرية[3663].

بعد ارتكاب قابيل جناية قتل أخيه هابيل في قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31)، يقول القرآنُ: "مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ (أي: بسبب جناية القتل هذه) كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ (أي: بغير قَتْل نفس يوجب القِصاص lex talionis) أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ (أي: كل مَنْ قَتَلَ نَفْسًا ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ كما قَتَلَ قابيلُ هابيلَ ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ) فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا (أي: أنقذها مِن الموت؛ حافظ على حياتها؛ وقيل: أحياها بالقصاص لها!؛ وقيل: هداها إلى التوحيد!) فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" (المائدة 32).

عند قراءة هذه الآية القرآنية، تتبادر إلى أذهاننا أسئلة كثيرة. مثلاً: كيف يقول القرآنُ "كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ" كما لو كان تشريعاً إلهياً فرضه اللهُ عليهم، مع أنه غير موجود في التوراة؟! والقرآن نفسه لم يقل إنه تشريع موجود في التوراة، فكيف يقول "كَتَبْنَا" (We decreed) وهي نفس الكلمة التي استخدمها القرآنُ للإشارة إلى توراة موسى (الأعراف 145)؟! ولماذا تأتي هذه الآية (المائدة 32) بعد قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة

27-31) مباشرة؟! ما هي العلاقة بين قصة "ابْنَيْ آدَمَ" وهذا التشريع المزعوم التي جعلت القرآن يقول: "مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ (أي: بسبب جناية القتل هذه) [...]" (المائدة 32)[3664]؟! وكيف يكون مَن قَتَلَ إنساناً واحداً فقط "كَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا"؟! وكيف يكون مَن أحيا إنساناً واحداً فقط "كَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"؟! ...

وكالعادة، لا نجد إجابات هذه الأسئلة في القرآن.

وكالعادة أيضاً، نجد إجابات هذه الأسئلة في المصادر البشرية التي اعتمد عليها أصحابُ القرآن. وفي هذه الحالة، المصدر البشري هو "المشنا" (Mishnah) اليهودية، أي: الشريعة الشفهية (Oral Law) والمصدر الثاني للتشريع اليهودي. ويرجع تاريخ جمعها إلى سنة 220م تقريباً[3665]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 350 سنة. وقبل أن نذكر ما تقوله المشنا، يجب أن نشير إلى نقطة مهمة. تقول التوراة العِبرية: "فَقَالَ [الرَّبُّ لِقَايِينَ]: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دِماءِ أَخِيكَ (بالعبرية: demey āḥikhā؛ دماي أحيخا) صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دِماءِ أَخِيكَ (your brother's bloods) مِنْ يَدِكَ" (التكوين 4:10-11)[3666]. السؤال: لماذا جاءت كلمة "دِماء" بصيغة الجمع وليس بصيغة المفرد (بالعبرية: dām) مع أن المقتول شخصٌ واحد فقط؟!

اجتهد أحبارُ اليهود للإجابة على هذا السؤال؛ ومن ضمن اجتهاداتهم أن المقصود: دم هابيل ودم ذريته كلها إلى آخر الزمان (his blood and the blood of his potential descendants to the end of time)[3667]. فمما يُفهَم من سياق القصة التوراتية أن الراعي هابيل مات (قُتِلَ) قبل أن يتزوج وينجب أطفالاً؛ بدليل أن التوراة لم تذكر نسله أبداً. فلو كان هابيل عاش كان سيتزوج وينجب ذرية. لكن قايين قَتَلَ هابيل، فمنعه مِن الحياة ومنع ذريته أيضاً مِن الحياة (الوجود)، فَكَأَنَّمَا قتلهم جميعاً.

فيقول أحبارُ اليهود في المشنا اليهودية (Sanhedrin 4:5) **[⟵ "كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (المائدة 32)]**: ولهذا السبب **[⟵ "مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ" (المائدة 32)]**، خُلِقَ الإنسانُ (أي: آدم) واحداً ووحيداً في العالم، حتى يعلم كل مَن يقتل نفساً واحدةً أنه كأنما قتل عالَماً بأكمله **[⟵ "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا" (المائدة 32)]**، وكل مَن ينقذ نفساً واحدةً (أي: حياةَ إنسانٍ واحدٍ) أنه كأنما أنقذ عالَماً بأكمله **[⟵ "وَمَنْ أَحْيَاهَا (أي: أنقذها مِن الموت) فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" (المائدة 32)]**.

والمدهش أن القرآن يذكر هذا التعليم (المائدة 32) بعد قصة مقتل هابيل (المائدة 27-31) بالضبط كما فعلت المشنا اليهودية قبل القرآن بمئات السنين!

بل استخدم القرآنُ نفس الكلمة "نَفْسًا" (soul) (âme) التي استخدمتها المشنا اليهودية قبل القرآن بمئات السنين!

كما استخدم القرآنُ نفس "توازي المتضادات" (antithetical parallelism) (ABA'B') الذي استخدمته المشنا اليهودية قبل القرآن بمئات السنين: "A مَنْ قَتَلَ نَفْسًا [...] B فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا 'A وَمَنْ أَحْيَاهَا (أي: وَمَنْ أَحْيَا نَفْسًا) 'B فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" (المائدة 32)[3668]!

فهل توجد أدلة أقوى مِن ذلك لإثبات أن القرآن قد أخذ مِن المشنا اليهودية[3669]!

إن (المائدة 32) تثبت أن "الإسرائيليات" (Jewish sources) موجودة في القرآن نفسه!

ونحن نتفق مع العالِم المعروف (Prof. Gabriel Said Reynolds) حين يقول[3670]:

> […] *For this reason* man was created one and alone in the world: to teach that whosoever destroys a single soul is regarded as though he destroyed a complete world, and whosoever saves a single soul is regarded as though he saved a complete world. (m. Sanhedrin 4:5, trans. Danby)
>
> The precept that killing one soul is like killing all souls is directly linked here to the creation of man [i.e. Adam] "one and alone in the world," but the larger context is the discussion of the "bloods" of Abel. The Qur'ān seems to have picked up on that larger context. It is also noteworthy that the Qur'ān refers to God's decreeing (كَتَبْنَا عَلَى) something for Israel which is found not in the Bible but in the Mishnah. And it should not be missed that all of this is connected to the Qur'ān's anti-Jewish polemic: the decree "whoever kills a soul" is imposed *only* on the Israelites, whom the Qur'ān (anachronistically) blames for the murder of Abel (see further Witztum, *Syriac Milieu*, 122-124).

4.9.2.4.1 قد يُقال: لكن القرآن أضاف عبارة "بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ" ...

وإنْ قلتم إن عبارة "بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ" موجودة في القرآن (المائدة 32) وغير موجودة في المشنا. فسنقول: نحن لم نقل أبداً – ولن نقل أبداً – إن أصحاب القرآن كانوا ينقلون نقلاً حرفياً من مصادرهم البشرية. فنحن نؤمن أن القرآن تطور بشري طبيعي (natural human development) للكتب البشرية التي سبقته. بمعنى أن أصحاب القرآن سمعوا محتوى هذه الكتب البشرية السابقة، ثم طوروا

ما سمعوه تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة. وعبارة "بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ" من ضمن ما أضافه أصحابُ القرآن إلى مصادرهم البشرية. في هذه الحالة: المشنا اليهودية[3671].

إذن وباختصار: العلاقة بين القرآن والمشنا في هذه الحالة تشبه العلاقة بين الترجوم والتوراة. ليس نسخة طبق الأصل. وإنما تطور بشري طبيعي يضيف و/أو يحذف حسب الضرورة وحسب مصلحة المسلمين. بعبارة أخرى: المشنا ≠ القرآن. المشنا (Sanhedrin 4:5) **[← القرآن (المائدة 32)]**.

وإضافة "بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ" هنا ضرورية لإستثناء الحالتين اللتين يُسمَح فيهما بالقتل، وَهُما حالتي القِصاص وتطبيق حد الحرابة؛ وكلاهما مذكور في سورة المائدة أيضاً!

- إضافة "بِغَيْرِ نَفْسٍ" (المائدة 32) ضرورية لتبرير القتل في حالة القِصاص "النَّفْسَ بِالنَّفْسِ" (المائدة 45).
  - وفي هذا تعريضٌ باليهود الذين قتلوا الأنبياءَ والرسل بغير قِصاص: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ" (البقرة 87) "كُلَّمَا جَاءَهُمْ (أي: جاء اليهود) رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ" (المائدة 70) "كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ" (البقرة 61) "وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ [...] فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ" (آل عمران 181-183)؛ (البقرة 91) (آل عمران 112) (آل عمران 21) (النساء 155). وكلها آيات مدنية، مثل آيات قصة قابيل الذي قَتَلَ أخاه هابيل ظلماً بِغَيْرِ حَقٍّ (المائدة 27-31)[3672].
- وكذلك إضافة "أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ" (المائدة 32) ضرورية لتبرير القتل في حالة تطبيق حد الحرابة "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (مثلاً: بقتل الأنبياء والرسل أو محاولة قتل أحدهم) **وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا** أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ [...]" (المائدة 33)[3673].
  - ثم بعد ذلك، جاءت كلمة "فساد" للمرة الثالثة والأخيرة في سورة المائدة لتشير إلى يهود المدينة الذين "**يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا**" وقالوا كلمةً مستفزة "**يَدُ** اللَّهِ **مَغْلُولَةٌ**" (أي: الله بخيل بَخِلَ علينا بالرزق والتوسعة!)" فردَّ اللهُ عليهم بسرعة مستخدماً الكلمة التي قالوها: "**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ** وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ **يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ" (المائدة 64). كما قال قابيلُ لهابيل كلمةً مستفزة "قَالَ **لَأَقْتُلَنَّكَ**" (المائدة 27)، فردَّ هابيلُ عليه بسرعة مستخدماً الكلمة التي قالها "لَئِنْ **بَسَطْتَ** إِلَيَّ **يَدَكَ** **لِتَقْتُلَنِي** مَا أَنَا **بِبَاسِطٍ** **يَدِيَ** إِلَيْكَ **لِأَقْتُلَكَ**" (المائدة 28).

- قارن أيضاً بين مصير الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا "لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (المائدة 33) ومصير اليهود (والمرتدين أو المنافقين) "لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (المائدة 41).

- أضف إلى ذلك أن إحدى العقوبات المنصوص عليها في حد الحرابة هي النفي: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا [...] أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ" (المائدة 33). وكذلك كانت عقوبة قايين (الذي يرمز إلى اليهود) هي النفي، حسب التوراة. وليس فقط النفي، وإنما أيضاً التيه. وحسب القرآن، طبقتْ عقوبة التيه على بني إسرائيل لأنهم رفضوا أن يقاتلوا مع موسى لغزو الأرض المقدسة (المائدة 20-25). فكانت عقوبتهم، حسب القرآن: "قَالَ [اللهُ] فَإِنَّهَا (أي: الأرض المقدسة) مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ" (المائدة 26).

- كل هذا يجعلنا نظن أن المعنيين بحد الحرابة (المائدة 33) ليسوا قطاع الطرق – أو على الأقل: ليسوا قطاع الطرق فقط – وإنما بالدرجة الأولى: اليهود[3674]. قال الطبري في مقدمة تفسيره لحد الحرابة (المائدة 33): "ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيمَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانُوا أَهْلَ مُوَادَعَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَقَضُوا الْعَهْدَ، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، فَعَرَّفَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ الْحُكْمَ فِيهِمْ"[3675]. ومن المعلوم أن تهمة "نقض العهد" لا تُوجه في الكتب الإسلامية إلى النصارى، وإنما تُوجه عادةً إلى اليهود. ثم ربط الطبري بين الآيتين (المائدة 32-33) فقال: "كَانَ نُزُولُ ذَلِكَ بَعْدَ الَّذِي كَانَ مِنْ فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْعُرَنِيِّينَ مَا فَعَلَ؛ لِتَظَاهُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ أَوْلَى بِالْآيَةِ لِمَا وَصَفْنَا، فَتَأْوِيلُهَا: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، أَوْ سَعَى بِفَسَادٍ فِي الْأَرْضِ، فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا "وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ" – يَقُولُ: لَسَاعُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، وَقَاتِلُوا النُّفُوسَ بِغَيْرِ نَفْسٍ وَغَيْرِ سَعْيٍ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، حَرْبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ. فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّمَا جَزَاؤُهُ: أَنْ يُقَتَّلُوا، أَوْ يُصَلَّبُوا، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَافٍ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ".

- إذن: (المائدة 32) تنطبق على اليهود، ثم يأتي حد الحرابة (المائدة 33) ليعمم الحكمَ ليشمل كل مَن يفعل مثل اليهود: "الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا". مثلاً: الْعُرَنِيِّين. مع العلم بأن ما فعله محمدٌ بالْعُرَنِيِّين غير مذكور في القرآن؛ ولذلك فإن بعض المسلمين "المستنيرين" اليوم ينكرون الطريقة المتوحشة البشعة التي

عاقب بها محمدٌ الْعُرَنِيِّين[3676]. أما العلاقة المتوترة الدموية بين محمد واليهود فمذكورة في آيات قرآنية مدنية كثيرة، فلا يمكن لأي مسلم مؤمن بالقرآن المدني أن ينكرها.

لا يمكن الفصل بين قصة "ابني آدم" القرآنية المدنية (المائدة 27-31) والآيات التي تسبقها (المائدة 20-26) والآيات التي تليها (المائدة 32-34). إنها وحدة واحدة متماسكة (un tout cohérent) هدفها هو: شيطنة اليهود (Demonization of the Jews) "الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. [...] الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (المائدة 25-26) الذين لهم تاريخ طويل في القتل (المائدة 27-30) "فِي الْأَرْضِ (أي: في أرض آدم أول نبي وأول خليفة[3677])" (المائدة 31) وما زالوا يفسدون "فِي الْأَرْضِ [...] فِي الْأَرْضِ [...] فِي الْأَرْضِ (أي: في أرض محمد آخر نبي وأول حاكم مسلم[3678])" (المائدة 32-33). فلا بد مِن تهديدهم وتخويفهم وإرهابهم، فإما أن يسلموا ويتوبوا "مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ" (المائدة 34) وإما "أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (المائدة 33) "وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (المائدة 36) "يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (أي: دائم)" (المائدة 37) مثل قابيل بن آدم "مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ [فِي الْآخِرَةِ] وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29). ونلاحظ أيضاً أن عقوبة "قطع اليد" سواء في حد الحرابة (المائدة 33) أو في حد السرقة (المائدة 38) تتناسب – لغوياً على الأقل – مع جريمة قابيل الذي "بسط يده" ليقتل أخاه هابيل (المائدة 28).

وليس غريباً أن الفكرة الأساسية التي تربط قصة "ابني آدم" القرآنية المدنية (المائدة 27-31) بالآيات التي تسبقها (المائدة 20-26) والآيات التي تليها (المائدة 32-34) هي "القتل"! بدأ القتلُ أولاً بالجهاد الهجومي المسلح الدموي الذي يبيحه الإسلامُ المدني "فَقَاتِلَا" (المائدة 24)، ثم تكرر القتلُ 7 مرات كجريمة ضد المسلمين (هابيل) "لَأَقْتُلَنَّكَ [...] لِتَقْتُلَنِي [...] لِأَقْتُلَكَ [...] قَتْلَ [...] فَقَتَلَهُ [...] قَتَلَ [...] قَتَلَ" (المائدة 27-32)، ثم جاء القتلُ أخيراً كعقوبة يبيحها الإسلامُ ضد اليهود (قابيل) "يُقَتَّلُوا" (المائدة 33).

إنها وحدة واحدة متماسكة هدفها كما قلنا هو: شيطنة اليهود الذين يُرمَز إليهم هنا بقابيل، أو بصفة عامة: شيطنة الآخر (غير المسلم).

إذن: الاختلافات البسيطة بين القرآن ومصادره البشرية (مثلاً: المشنا) وإضافة عبارة قصيرة مثل "بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ" (المائدة 32) لا تؤثر في النتيجة النهائية، بل إنها تؤكد النتيجة النهائية: بشرية القرآن. فلم يكن هدف أصحاب القرآن أن ينتجوا كتاباً يتطابق مع الكتب السابقة في كل كلمة وكل حرف وكل نقطة! وإنما كان هدفهم أن ينتجوا نصاً يميزهم عن الآخر (غير المسلم)، ويساعدهم في الواقع الجديد الذي يعيشونه في القرن السابع الميلادي في شبه الجزيرة العربية، ويحقق طموحاتهم – بل أطماعهم – القومية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والدينية والتشريعية والمالية والجنسية ... الخ، وبخاصة في الفترة المدنية الجهادية المسلحة الهجومية الدموية. حتى لو تحققت هذه الطموحات الإسلامية – بل الأطماع الإسلامية – على جثث وجماجم وأشلاء وعذابات "الآخرين" (غير المسلمين بصفة عامة؛ واليهود بصفة

خاصة)[3679]. وبالفعل، بعد إقرار حد الحرابة (أواخر سنة 6هـ)، تخلص محمدٌ والمسلمون الأوائل مِن اليهود نهائياً في غزوة خيبر (أوائل سنة 7هـ)! صدفة؟!

إنها خصومة سياسية – بل صراع دنيوي دموي – على السلطة بين المسلمين و "الآخرين" (غير المسلمين بصفة عامة؛ واليهود بصفة خاصة). بالضبط مثل الصراع بين هابيل و "الآخر" قابيل. أما الدين (القربان) فهو مجرد وسيلة استُخدِمتْ – ولا تزال تُستخدَم إلى اليوم – في هذه الخصومات السياسية والصراعات الدنيوية الدموية على السلطة بين المسلمين و "الآخرين"[3680].

وهنا يبرز فرقٌ مهم بين محمد والمسيح. فعلى الرغم مِن أن هابيل كان رمزاً لكليهما، وقايين (قابيل) كان رمزاً لليهود الذين هددوا كليهما بالقتل. إلا أن المسيح اكتفى بالدور النبوي والدعوي السلمي ولم يلجأ أبداً إلى العنف المسلح. أما محمد في المدينة فوضع في يديه جميع السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ولجأ إلى العنف المسلح حتى تمكَّن مِن تصفية اليهود، بل حتى تمكَّن مِن تصفية جميع معارضيه ومنافسيه.

4.9.2.4.2 قد يُقال: وما المشكلة في أن يتبنى القرآنُ تعاليم المشنا؟

وإنْ قلتم: وما المشكلة في أن يتبنى القرآنُ تعاليم المشنا؟ سنقول: المشكلة هي أن أصحاب القرآن اعتمدوا في هذه الآية القرآنية (المائدة 32) على المشنا (أي: كلام أحبار اليهود) وليس على التوراة (كلام الله)! مع أن القرآن في موضعٍ آخر يلوم الْيَهُودَ على أنهم اتبعوا كلامَ أحبارهم: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا (أي: يطيعونهم في الأحكام التي يُشَرّعونها لهم) مِنْ دُونِ اللَّهِ" (التوبة 31)! فكيف يتبع القرآنُ كلامَ أحبار اليهود في آية (المائدة 32)، بينما يلوم الْيَهُودَ في آيةٍ أخرى (التوبة 31) على أنهم اتبعوا كلامَ أحبارهم؟! إن هذا من متناقضات القرآن التي تثبت أنه كلام بشر 100%: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[3681].

على جميع المسلمين أن يشكروا أحبار اليهود لأنهم كتبوا المشنا التي ساهمت في تأليف القرآن.

ولذلك فإننا لا نقول إن القرآن كلام المسلمين. وإنما نقول إن القرآن كلام العرب: مسلمون وغير مسلمين. في هذه الحالة (المائدة 32): كلام يهود.

وبما أن سورة المائدة تُعتبَر مِن أواخر السور القرآنية، فإنه لمِن المؤكد أن خبرة أصحاب القرآن في تأليف الآيات القرآنية كانت قد وصلت إلى مستوى متقدم جداً. ولذلك استطاعوا أن يمزجوا بين تأثرهم بالتراث المسيحي السرياني في (المائدة 27-31) وتأثرهم بالتراث اليهودي المتأخر في (المائدة 32). وساعدهم على ذلك وحدةُ الموضوع ووضوح الهدف: استخدام قصة توراتية قديمة (قصة قايين وهابيل) مع تعليق يهودي متأخر عليها مِن أجل شيطنة يهود المدينة وإبراز شرورهم تمهيداً للانفصال عنهم والتخلص مِنهم نهائياً.

ومِن الجدير بالذكر أن القرآن لم يأتِ بجديد حين لام اليهود على أنهم "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" (التوبة 31)، فلقد سبقه الإنجيلُ بمئات السنين حين لام اليهود لوماً شديداً وانتقدهم نقداً لاذعاً وصل إلى درجة السَّبِّ لأنهم "مُتَمَسِّكِينَ بِتَقْلِيدِ الشُّيُوخِ (أي: كلام الأحبار)" "يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ (أي: وليست وصايا الله). لأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ (أي: التوراة) وَتَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ (أي: المشنا والتلمود ونحو ذلك)" "رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدَكُمْ!" "أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَب تَقْلِيدِكُمْ! يَا مُرَاؤُونَ (أي: يا منافقون)!" "مُبْطِلِينَ كَلاَمَ اللهِ (أي: الشريعة المكتوبة؛ الناموس الإلهي) بِتَقْلِيدِكُمُ (أي: بالشريعة الشفهية؛ بآراء البشر) الَّذِي سَلَّمْتُمُوهُ. وَأُمُورًا كَثِيرَةً مِثْلَ هذِهِ تَفْعَلُونَ" "وَأُمُورًا أُخَرَ كَثِيرَةً مِثْلَ هذِهِ تَفْعَلُونَ" "وَأَشْيَاءُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ [مِن التفاسير والشرائع غير الإلهية] تَسَلَّمُوهَا لِلتَّمَسُّكِ بِهَا" (متى 15:1-20) (مرقس 7:1-23). وعند قراءة هذه القصة في الإنجيل ستلاحظ أنها تشير إلى آيات من العهد القديم (موسى وإشعياء) لتلوم اليهودَ مِن كتابهم. وهذا بالضبط ما فعله أصحابُ القرآن حين استخدموا قصة ابني آدم (التكوين 4:1-16) ليلوموا اليهودَ مِن كتابهم. ومِن الطريف أن سياق القصة في الإنجيل يستخدم كلمة "قُرْبَان" (متى 5:15) (مرقس 7:11)، وهي نفس الكلمة التي استخدمها أصحابُ القرآن في قصة ابني آدم (المائدة 27)! إذن: مرة أخرى نجد أصحاب القرآن يستخدمون نفس الأسلوب ونفس الأفكار – وأحياناً نفس الكلمات – التي استخدمها الإنجيل مِن قَبل مِن أجل تحقيق نفس الهدف: جدال ضد اليهود (anti-Jewish polemic).

4.9.2.4.3 قد يُقال إن هذا النص المشنوي كان موجوداً في التوراة ثم ضاع سهواً أو حُذِف عمداً!

وأخيراً، قد يُقال إن هذا النص المشنوي كان موجوداً في التوراة. وهذا ما قد يُفهَم مِن الترجمة العربية للمشنا التي أصدرتها جامعة القاهرة. إذ تقول: "وبناءً على ذلك لم يخلق إلا إنساناً واحداً، ليعلمك، أن كل مَن يتسبب في فقدان نفس من إسرائيل ينطبق عليه ما ورد (في التوراة): "كأنه قتل العالم كله"، وكل من يقيم نفساً من إسرائيل ينطبق عليه ما ورد (في التوراة)، كأنه أقام العالم كله"[3682].

<u>تعليقنا:</u> لا ندري مِن أين جاءت كلمة "(في التوراة)" التي أضافها المترجم المصري بين قوسين! الترجمات الأجنبية[3683] لا تقول "التوراة" وإنما تقول (Scripture) (l'Écriture) وهي هنا لا تعني أن النص المشنوي موجود في التوراة، وإنما تشير فقط إلى العبارة التوراتية "<u>دِماء</u> أَخِيكَ" (التكوين 4:10) التي يحاول النص المشنوي أن يفسرها. هذه العبارة فقط "<u>دِماء</u> أَخِيكَ" هي الموجودة في التوراة كما قلنا، وليس النص المشنوي نفسه. ودليلنا على ذلك هو أن هذه العبارة هي الوحيدة التي كتبها المترجمُ الأجنبي Danby ثلاث مرات *بخطٍ مائل* (*italic*) "*bloods of thy brother*" كما يفعل مع الآيات الكتابية. ولم يكتب النَّصَّ المشنوي بهذا الخط المائل. إذن: هذا النص المشنوي غير موجود في التوراة.

وإذا ما زلتم مصرين على أن هذا النص المشنوي كان موجوداً في التوراة، فاعطونا مخطوطة قديمة واحدة للتوراة بأي لغة تذكر هذا النص المشنوي كله. إنْ لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فليس أمامكم سوى

الاعتراف بأن القرآن ليس كلام الله، وإنما القرآن كلام بشر. فَمِن الواضح أن أصحاب القرآن قد أخذوا كلاماً بشرياً من المشنا اليهودية ونسبوه – عن عمد أو عن جهل – إلى الله (بدليل قولهم "كَتَبْنَا") مما يدل على أن القرآن نفسه كلام بشر.

النتيجة النهائية: "من المهم أن نلاحظ أن الآية: 32 من "سورة المائدة" هي ترجمة حرفية تقريباً لجزء من هذا المقتطف" من الميشناه سنهدرين (Mishnâh Sanhedrîn)[3684]. وبما أن (المائدة 32) ترجمة شبه حرفية لكلام أحبار اليهود في المشنا اليهودية، فإنها تكفي وحدها كدليل قاطع على أن القرآن ليس كلام الله الخالق، وإنما كلام بشر مخلوقين.

بكل تأكيد، القرآن كلام بشر. كل خلية في عقولنا تؤمن 100% أن القرآن كلام بشر. كل ذرة من كياننا تؤمن 100% أن القرآن كلام بشر.

4.9.2.5 ملاحظات ختامية على الجذور اليهودية والمسيحية لقصة "ابني آدم" القرآنية

قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية (المائدة 27-31) ليست كلام الله، وإنما كلام بشر سمعه أصحابُ القرآن وطوروه تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة، واستعانوا على ذلك بعناصر من التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي. واستغل أصحابُ القرآن هذه القصة الموروثة في جدالهم ضد يهود المدينة غير المؤمنين بمحمد. ولولا الدين المسيحي وتراثه الشرقي السرياني، لمَا استطاع أصحابُ القرآن أن يكتبوا قصة "ابْنَيْ آدَمَ" بهذه الطريقة (المائدة 27-31) المعادية لليهود (anti-Jewish). إنها إذن قصة بشرية 100% اعتمدت على كلام بشري 100%.

ولا يوجد أي دليل علمي يثبت أن قصة "ابْنَيْ آدَمَ" قصة تاريخية حقيقية. لكن من المؤكد أن تاريخ كتابتها في التوراة (التكوين 4:1-16) يرجع إلى قبل الميلاد. وأغلب الظن أنها مجرد قصة رمزية ترمز إلى المسيح. أو بعبارة أكثر وضوحاً: مِن المؤكد أن الشاب اليهودي يسوع كان يسمع قصة "ابْنَيْ آدَمَ" منذ طفولته، ومِن الواضح أنه تأثر بشخصية "هابيل" وحياته القصيرة ومقتله، ولذلك نجد في حياة يسوع مواقف تشبه حياة هابيل حتى مات يسوعُ على الصليب، فاتخذ المسيحيون الأوائل هابيلَ رمزاً ليسوع المسيح.

وليس المهم إنْ كانت قصة "ابْنَيْ آدَمَ" قصة حقيقية أم رمزية. وليس المهم إنْ كانت قد حدثت لابني آدم فعلاً، أم لشخصين آخرين. فنحن ننظر إلى قصة "ابْنَيْ آدَمَ" نفس النظرة التي ننظرها إلى القصص الدينية بصفة عامة. إنها (myth)، أي: a story that may or may not be true, but it points to a bigger truth. فليس المهم هو حقيقة القصة. وإنما المهم هو الحقيقة التي تشير إليها القصةُ. وهذه الحقيقة واضحة في التوراة أكثر بكثير من القرآن. وذلك لأن التوراة تضع قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (التكوين 4:1-16) بعد قصة "سقوط الإنسان الأول آدم" (التكوين 3) مباشرةً، وتستخدم أحياناً نفس الأفكار والعبارات والكلمات في

القصتين كما وضحنا. إذن: الحقيقة التي تشير إليها قصة "ابْنَيْ آدَمَ" التوراتية هي أن خطيئة الإنسان تجاه أخيه الإنسان (مقتل هابيل) تأتي في المرتبة الثانية مباشرةً بعد خطيئة الإنسان تجاه الله (سقوط آدم). ومِن ثم، فإن محبة الإنسان لأخيه الإنسان تأتي أيضاً في المرتبة الثانية مباشرةً بعد محبة الإنسان لله.

تقول الترجمة اليسوعية: "ولعل هذه الرواية كانت منسوبة في أول الأمر، لا إلى أولاد الإنسان الأول (أي: لا إلى ابْنَيْ آدَمَ)، بل إلى جد القينيين (the Kenites) (أهل العصر الحديدي: العدد 21:24)، فنقلها التقليد اليهودي (Jahwist; Yahwist) إلى أوائل البشرية ليُضفي عليها مغزى عاماً هذا مفاده: بعد تمرد الإنسان على الله، تأتي معاداة الإنسان لأخيه الإنسان، وهذان الأمران تقابلهما الوصيتان اللتان تُلخَّص بهما الشريعة كلها، محبة الله ومحبة القريب (متى 40:22)"[3685].

يقول الإنجيل بحسب مرقس إن واحداً مِنَ الْكَتَبَةِ اليهود سأل يسوع: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟». فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ (The LORD our God is the one and only LORD). وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى (وفي الإنجيل بحسب متى: هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى). وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ[3686]. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ (وفي الإنجيل بحسب متى: بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ (أي: العهد القديم كُلُّهُ))». فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ (There is only one God and no one else besides Him). وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ». فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْل، قَالَ لَهُ: «لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ[3687]» (مرقس 12:28-34). اقرأ (متى 22:34-40)، واقرأ أيضاً مَثَل السامري الصالح (Parable of the Good Samaritan) (لوقا 10:25-37) الذي يؤكد أن "قَرِيبَكَ" (لوقا 27:10) (متى 39:22) (مرقس 31:12) هو أي إنسان بغض النظر عن دينه أو تقواه، بل بغض النظر عن أية اعتبارات أخرى، إذ يكفي فقط أنه إنسان تتعامل معه ولو مَرَّة واحدة بالصدفة حتى بدون أن تعرف اسمَه.

نعم. محبة الإنسان لله الواحد الأحد الذي لا شريك له ومحبته أيضاً لأخيه الإنسان أفضل مِن جميع القرابين والأضاحي.

"لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ (**by grace**) مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ (**through faith**)، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ" (أفسس 2:8-9)[3688].

"إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، وَمَعْرِفَةَ اللهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ" (هوشع 6:6).

تلك هي الحقيقة التي تشير إليها قصة "ابْنَيْ آدَمَ" التوراتية (التكوين 4:1-16) التي جاءت في التوراة بعد قصة "سقوط الإنسان الأول آدم" (التكوين 3) مباشرةً. أما قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية (المائدة 27-31)

فوُضِعَتْ في سياقٍ آخر مِن أجل تحقيق أهداف سياسية ودنيوية: شيطنة يهود المدينة وإبراز شرورهم تمهيداً للانفصال عنهم والتخلص مِنهم نهائياً. وهذا يدل على أن القرآن كتاب سياسي أكثر منه كتاب ديني.

القرآن لم ينزل من السماء. وإنما خرج القرآنُ من أرض الشرق الأوسط.

وما قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) إلا أسطورة مِن أساطير القرآن. بل مِن أساطير الشرق الأوسط.

وبعد أن عرفنا جذور أسطورة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) في تراث الديانات الإبراهيمية قبل الإسلام. السؤال الآن: ما هي جذور أسطورة "ابْنَيْ آدَمَ" في الأساطير الشرق-أوسطية القديمة؟ ...

4.9.3 جذور أسطورة "ابْنَيْ آدَمَ" في الأساطير الشرق-أوسطية القديمة

نجد مفتاح الإجابة في "معجم الأديان العالمية" الذي أصدرته جامعة القاهرة: "ويمكن القول إن رواية قَتْل "قابيل" لـ "هابيل" تنطوي على سببين؛ دافعهما: تفسير حدوث أول جريمة في التاريخ، وأن "يهوه" Yahweh (الإله باللغة العبرية) يفضل حياة الراعي على حياة العامل في الأرض (أي: الفلاح)"[(3689)].

وتقول دائرة المعارف الكتابية: "هابيل: وهو اسم لا يُعلَم اشتقاقه على وجه اليقين، ولكن يرجح البعض أنه يعني "نفخة" أو "بخاراً" أو "بطلاً" أو "هشاشة". بينما يرى البعض أنه مشتق من كلمة "يابال" التي معناها "راعٍ". ويرى البعض الآخر أنه مشتق من الكلمة السومرية "أبلو" أو البابلية "أبيل" ومعناهما "ابن""[(3690)]. ويقول قاموس الكتاب المقدس: "هابيل: ربما كان اسماً سامياً معناه "نسمة، بخار" أو اسماً أكادياً معناه "ابن""[(3691)]. إذن: جذور اسم هابيل تشير إلى حضارات بلاد ما بين النهرين (العراق القديم).

أما اسم "قايين" (يُكتَب أيضاً "قاين") فهو "اسم عبري معناه "رمح أو حدَّاد" (القَيْنُ في اللغة العربية هو الحدَّاد، ثم أُطلق على كل صانع)، [...]". "ولكنه (أي: اسم قايين) شبيه بكلمة عبرية أخرى بمعنى "يقتني"، فعندما ولدته حواء "قَالَتِ: اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ" (التكوين 4:1)"[(3692)]. وتؤيد موسوعة (Encyclopædia Judaica) الرأي الأول: اسم قايين (قاين) يعني "حدَّاد" (smith)[(3693)]. وكذلك قاموسُ الكتاب المقدس يؤيد الرأي الأول: "قاين: اسم سامي معناه "حدَّاد أو رمح" [...]. قايين: اسم سامي معناه "حدَّاد""[(3694)]. إذن: جذور اسم قايين تشير إلى الساميين المتحضرين، بدليل استخدام الحديد.

وفي التراث الإسلامي، قال ابنُ حجر العسقلاني: "وَاخْتُلِفَ فِي اسْمِ الْقَاتِلِ، فَالْمَشْهُورُ: "قَابِيلُ" بِوَزْنِ الْمَقْتُولِ لَكِنَّ أَوَّلَهُ هَاءٌ، وَقِيلَ: اسْمُ الْمَقْتُولِ "قَيْنُ" بِلَفْظِ الْحَدَّادِ، وَقِيلَ: "قَايِنُ" بِزِيَادَةِ أَلِفٍ"[(3695)].

إذن: اسما قايين (قَايِن/قَيْن) وهابيل ساعدانا في بحثنا. فعرفنا منهما أننا علينا أن نبحث في أساطير الحضارات السومرية أو البابلية أو الأكادية القديمة. وهذا يدل على أن تغيير الأسماء أثناء عملية التطور البشري الطبيعي يفقدنا أحياناً معلومات مهمة. مثلاً: مِن "قايين" إلى "قابيل"! قايين اسم له معنى ومغزى،

لكن ما معنى "قابيل"؟! وهذا أيضاً يرد على شيوخ الإسلام الذين يزعمون دائماً أن أسماء شخصيات القصص القرآنية غير مهمة! ونحن نقول لهم: بالعكس، إنها مهمة جداً. كل معلومة مهمة جداً وتساعدنا في بحثنا.

علينا أن نبحث في أساطير الحضارات السومرية أو البابلية أو الأكادية القديمة، وعلينا أن نبحث تحديداً عن أساطير الصراع بين الراعي والفلاح، المهنتين الأساسيتين والمهمتين اقتصادياً واجتماعياً في الشرق الأوسط القديم. أو بصفة عامة، علينا أن نبحث في أساطير الشرق الأوسط القديم عن أساطير الصراع بين سكان الصحراء (الرعاة) وسكان المدن (الفلاحين والصناع). الصراع بين مَن يعيشون مع الأغنام حياةً بدوية بسيطة ومَن يقيمون الحضارة الزراعية ويستخدمون الأدوات والحديد.

وعندما بحثنا، وجدنا بالفعل أن فكرة الصراع بين الأخوين المختلفين أو المتناقضين (الفلاح والراعي؛ المتحضر والبدوي؛ الأنا والآخر؛ الشتاء والصيف ... الخ) فكرة شرق-أوسطية قديمة جداً ويرجع تاريخها إلى الأساطير السومرية والمصرية القديمة. وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي هنا بذكر أربعة فقط من هذه الأساطير الشرق-أوسطية القديمة: ثلاثة سومرية، وواحدة مصرية قديمة.

وسنلاحظ في الأساطير السومرية الثلاث أنها تتميز بوجود جدال (debate) أو منافسة كلامية (verbal contest) بين طرفين مختلفين **[← الحوار بين الأخوين المختلفين قايين/قابيل وهابيل في الترجوم الآرامي وفي القصائد السريانية وفي القرآن العربي[3696][3697]]**. إلا أن الأساطير السومرية أقدم بكثير من جميع الديانات الإبراهيمية. وهذا الذي جعل العالم الكبير (Samuel Noah Kramer) في كتابه الشهير (History Begins at Sumer: Thirty-Nine Firsts in Recorded History) يُطلق عليها "أول مناظرات أدبية" (The First Literary Debates).

4.9.3.1 أسطورة الصراع بين إنتين (Enten) وأخيه إيميش (Emesh)

وتُسمَّى أيضاً: الجدال بين الشتاء (يمثله إنتين) والصيف (يمثله إيميش) (Debate between Winter and Summer). كانت هذه الأسطورة معروفة في سومر منذ أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد[3698]؛ أي: قبل جميع الديانات الإبراهيمية!

ولا داعي لذكر جميع أحداث هذه الأسطورة السومرية بالتفصيل[3699]. فما يهمنا هنا هو فقط أوجه التشابه بين هذه الأسطورة الشرق-أوسطية القديمة وأسطورة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) القرآنية.

تقول هذه الأسطورة السومرية إن "إنتين" وأخاه "إيميش" **[← قابيل وأخاه هابيل "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27)]** ذهبا إلى "بيت الحياة" (house of life) ليُقدِّمَا قرابين الشكر والحمد **[← "قَرَّبَا قُرْبَانًا" (المائدة 27)]** إلى أبيهما الإله "إنليل" (Enlil) **[← "اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (المائدة 28)]**. لكن عند باب البيت، ينشأ

خصامٌ بينهما ويدخلان في مناظرة كلامية (logomachy) وأخذ ورد **[← حوار قابيل وهابيل (المائدة 27-29)]** ينتهي بتحدي إيميش لأخيه إنتين حول أحقيته بمنصب "فلاح الآلهة" (farmer of the gods).

فيذهب إيميش وإنتين إلى الإله إنليل ليعرفا مَن هو المفضل عنده، ويعرض كل منهما قضيته. وعند إنليل، يستمر الجدل (debate) والنزاع الكلامي (disputation) بينهما حتي يعلن الإلهُ إنليل صراحةً أنه يفضل إنتين ويجعله فلاح الآلهة **[← "فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ" (المائدة 27)]**، فهو (أي: إنتين) فلاح الآلهة الصادق المخلص (faithful) **[← "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" (المائدة 27)]**.

ولا غرابة في تفضيل الإله إنليل لإنتين الذي يمثل فصل الشتاء، فالشتاء هو موسم سقوط الأمطار الضرورية من أجل الزراعة.

ومِن حُسن حظ السومريين أن هذه الأسطورة السومرية لم تنتهي بالقتل، وإنما انتهتْ بالمصالحة بين الصيف (إيميش) والشتاء (إنتين)، فيتعايشان معاً ويتعاونان على الرغم مِن اختلاف كليهما عن الآخر.

وكنا نتمنى أن تنتهي أسطورة "قايين/قابيل وهابيل" الإبراهيمية (التوراتية←القرآنية) نفس النهاية السعيدة التي انتهت بها أسطورة "إنتين وإيميش" السومرية، لكنها للأسف انتهت نهاية دموية حزينة. انتهت بمقتل هابيل بيد أخيه شقيقه قايين/قابيل!

انتهت أسطورة "قايين/قابيل وهابيل" الإبراهيمية (التوراتية←القرآنية) بقتل الإنسان لأخيه الإنسان بسبب تفضيل الله لأحدهما على الآخر المختلِف عنه "فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ" (المائدة 27)! وهذه هي الآية القرآنية المدنية الوحيدة التي تذكر "الْآخَرِ" (The Other)! ولا يهم إنْ كان القاتل هو الطرف المرضي عنه أم الطرف المغضوب عليه. وإنما المهم هو أن انحياز الله إلى طرفٍ على حساب طرف آخر هو ما يشعل نار الكراهية والغيرة والحسد والإحساس بالدونية واليأس التي تؤدي في النهاية إلى القتل وسفك الدماء: "فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ" (المائدة 27). مما يُرسِّخ لفكرة الصراع بين المسلمين والآخرين (غير المسلمين)، وعدم قبول الآخر "الشرير" وعدم التسامح (intolerance) مع المختلِف "الكافر"، الذي أدى في النهاية إلى ظهور الإرهاب الإسلامي الذي يعاني منه العالمُ إلى اليوم.

وهكذا نجد أن الأساطير الشرق-أوسطية القديمة (غير الإبراهيمية) كانت أحياناً أفضل بكثير من الأساطير القرآنية التي نشأت بعدها. انتهت الأسطورة السومرية القديمة بتصالح (الأخوين) المختلفين، أو على الأقل بالتسوية السلمية بينهما، فيقبل كل طرف بوجود الطرف الآخر المختلِف: أنا لا أستطيع أن أعيش بدون الآخر، وكذلك الآخر لا يقدر أن يحيا بدوني. وكأن هذه الأساطير السومرية القديمة أرادت أن تُعلِّم الإنسان فكرة قبول الآخر المختلِف (tolerance)، فالله إله الجميع، يقبلني ويقبل غيري أيضاً.

4.9.3.2 أسطورة الصراع بين لَهار (Lahar) وأخته أشنان (Ashnan)

وتُسمَّى أيضاً: أسطورة الجدال بين الماشية والغلة (Debate between Sheep and Grain)، أو: الصراع بين الراعي (يمثله لَهار إله الماشية cattle-god) والفلاح (تمثله أخته أشنان إلهة الغلة grain-goddess) **[← هابيل وأخيه قابيل "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27)]**، أو: الصراع بين البدو والحضر.

يرجع تاريخ هذه الأسطورة السومرية القديمة إلى ما قبل الثلث الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد[3700]؛ أي: قبل جميع الديانات الإبراهيمية!

ولا داعي لذكر جميع أحداث هذه الأسطورة السومرية بالتفصيل[3701]. فما يهمنا هنا هو فقط أوجه التشابه بين هذه الأسطورة السومرية غير الإبراهيمية وأسطورة "ابْنَيْ آدَمَ" الإبراهيمية (التوراتية←القرآنية).

تبدأ هذه الأسطورة السومرية بمقدمة طويلة تتحدث عن خَلْق الإنسان ونزول الإلهين لَهار وأشنان من السماء إلى الأرض **[← في التوراة، خَلْق الإنسان ثم سقوطه من جنة عدن إلى الأرض ثم قصة قايين وهابيل ← في القرآن، خَلْق الإنسان ثم سقوطه من الجنة إلى الأرض ثم قصة قابيل وهابيل]**. إلا أن هبوط الإلهين أشنان ولَهار لم يكن عقاباً لهما، وإنما مِنحة إلهية من الآلهة إلى البشر، ليُعلِّما النَّاسَ الزراعةَ وتربية الماشية. فتعددتْ المنافع العمرانية والثقافية التي حبوا بها البشر. "والموضع الذي يقفان فيه يحل فيه الشبع، والموضع الذي يجلسان فيه يزودانه بالمؤن والزاد"[3702]. فرضيتْ الآلهةُ عن لَهار وأشنان.

لكن بعد ذلك، نجد لَهار وأشنان قد أخذا يكثران من شرب الخمر وشرعا من جراء ذلك يتخاصمان في المزارع والحقول **[← "وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ [...]" (التكوين 4:8) ← جعل القرآنُ قابيلَ يُصرِّح لهابيل بنيته السيئة في قتله: "قَالَ [له] لَأَقْتُلَنَّكَ" (المائدة 27)]**.

وفي المناظرة أو المنافرة التي جرت بين لَهار وأشنان، راحا يتجادلان في أيهما أفضل من الآخر، فأخذ كل منهما يعدد أعماله الطيبة والمآثر التي أنجزها ويحط من شأن أعمال خصمه **[← "قَالَ [هابيلُ لقابيل] إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (يقصد: وأنتَ يا قابيل لست تقياً). لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي [فسأكون خيراً منك] مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (يقصد: وأنتَ يا قابيل لا تخاف الله). إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 27-29)]**.

وفي نهاية الأسطورة السومرية، يتدخل الإلهان "إنليل" (Enlil) و "إنكي" (Enki) ليعلنا أن الفائز المنتصر المتفوق هو الفلاح (أشنان) **[← "فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ" (المائدة 27)]**.

وهكذا تنتصر الزراعة على رعي الغنم للمرة الثانية ...

إنَّ أهمية أسطورة لَهار وأشنان – وكذلك أسطورة إيميش وإنتين – تعود إلى أنها تلقي الضوء على اختلاف مهم جداً بين الأساطير السومرية مِن ناحية والأسطورة الإبراهيمية (التوراتية←القرآنية) من ناحية

أخرى. فبينما فضلت الآلهةُ الفلاحَ (أشنان) على الراعي (لَهار)، نجد أن العكس تماماً هو ما حدث في التوراة: فَضَّل يهوه الراعي (هابيل) على الفلاح (قايين) (التكوين 4:2-5).

إلا أن هذا الاختلاف أمر طبيعي، فالحضارة السومرية (العراقية القديمة) كانت حضارة زراعية، فمِن الطبيعي أن تنحاز إلى الفلاح. أما بنو اسرائيل فكانوا أصلاً بدو رعاة[3703] (وكذلك العرب[3704])، ولذلك جعلوا اللهَ يقبل قربانَ الراعي (هابيل) ويرفض قربانَ الفلاح (قايين/قابيل). ولا تزال كلمة "راعي" (Pastor) تُستخدَم حتى الآن في كثير من الكنائس المسيحية حول العالم لتشير إلى الواعظ أو الكاهن أو زعيم "المؤمنين".

وفي القصة القرآنية (المائدة 27-31)، جعل أصحابُ القرآن اللهَ يقبل قربانَ المسلم (هابيل)، ويرفض قربانَ غير المسلم (قابيل).

إن قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية (المائدة 27-31) (مدنية) اتخذتْ بُعداً آخر غير القصص التوراتية والشرق-أوسطية الأصلية. فتحولت من قصة الصراع بين الراعي (هابيل) والفلاح (قايين) إلى قصة الصراع بين المسلم (هابيل) وغير المسلم (قابيل). ولذلك لم يذكر القرآنُ مهنة هابيل ولا مهنة قابيل، ولم يذكر أي تفاصيل عن قربان هابيل ولا قربان قابيل ولا عن سبب تقديمهما قرباناً ولا كيف تقبَّله اللهُ، ولم يذكر القرآنُ زمانَ أو مكان القصة، ولم يذكر كيف قَتَلَ قابيلُ هابيلَ، بل لم يذكر اسمَ هابيل ولا اسم قابيل! كل هذه التفاصيل غير مهمة في القصة القرآنية. ولم نجد حديثاً صحيحاً واحداً يذكر هذه التفاصيل! إذن: القرآن والسنة الصحيحة ذكرا طرفي الصراع فقط. ولم نجد حديثاً صحيحاً واحداً يقول إن الصحابة سألوا محمداً عن هذه التفاصيل.

الصحابة (المسلمون الأوائل) فهموا قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) فهماً صحيحاً، ولذلك لم يسألوا عن تلك التفاصيل غير المهمة بالنسبة لهم. فالمهم عندهم هو فكرة الصراع نفسها، الصراع بين المسلم والآخر (غير المسلم). وللأسف، تنتهي القصة القرآنية بمقتل طرف وبقاء الطرف الْآخَر المختلِف. إنه إذن "صراع وجود" وليس "صراع حدود". وكأن هذا الكون لا يتسع للمسلم وغير المسلم!

إذا كانت الآية القرآنية المدنية الوحيدة التي تذكر "الْآخَر" (The Other) انتهت بالقتل وسفك الدماء، فكيف يمكن أن نُصدِّق شعارات "التسامح" و "التعايش" التي يرفعها بعضُ المسلمين اليوم؟!

حين تُعلِّم طفلاً صغيراً أن أخاً قَتَلَ شقيقه لسببٍ ديني/إلهي، لا تنتظر من هذا الطفل عندما يكبر إلا أن يكون إرهابياً، أو على الأقل متطرفاً أو متعصباً أو غيرَ متسامح أو يرفض النقد والرأي الآخر، بل يرفض الآخر نفسه.

4.9.3.3 أسطورة الصراع بين الراعي دوموزي (Dumuzi) والفلاح إنكِمدو (Enkimdu)

وتوجد أساطير سومرية قديمة أخرى مشابهة، وبعضها على شكل ترنيمة (hymn) أو قصيدة (poem) مما يسهل انتشارها بين الناس، مثل أسطورة الصراع بين الفلاح "إنكِمدو" (Enkimdu) والراعي "دوموزي" (Dumuzi)[3705] **[← "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27)]** التي تُعرَف أيضاً بأسماء أخرى أشهرها "طلب يد إنَانّا" (Courtship of Inanna) و "إنَانّا تفضل الفلاح" (Inanna Prefers the Farmer)؛ ويرجع تاريخها إلى النصف الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد، أي: قبل جميع الديانات الإبراهيمية!

تقول هذه الأسطورة السومرية البديعة إن الإلهة العذراء إنَانّا رفضتْ في البداية أن تتزوج الراعي دوموزي، وفضلَّت أن تتزوج الفلاحَ إنكِمدو. فيُلقي دوموزي خطاباً طويلاً يذكر فيه مزاياه الشخصية وصفاته الحسنة، ربما ليُقنِع إنَانّا أن تتزوجه. ثم بعد ذلك، نرى دوموزي سعيداً وفرحاً على ضفة النهر! ولا نعرف سبب سعادته. لكن يُفهَم مِن السياق – وأيضاً مِن أساطير سومرية أخرى – أن إنَانّا غيرتْ رأيها وقررتْ أن تتزوج دوموزي وليس إنكِمدو. ربما اقتنعتْ بمزايا دوموزي؛ وربما كان لها غاية أخرى في نفسها.

وإنه لمِن الطريف أن دوموزي أراد أن يتشاجر مع إنكِمدو في السهل (plain) **[← "فِي الْحَقْلِ" (التكوين 4:8)؛ وفي ترجمات قديمة (البشيطا مثلاً): "في السهل"!]**، إلا أن إنكِمدو رفض أن يتشاجر معه **[← "قَالَ [...] لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ" (المائدة 27-28)!]**، بل أظهر الفلاحُ إنكِمدو تسامحاً ومودة كبيرة تجاه الراعي دوموزي، فدعاه أن يترك مواشيه تأكل عشب الأرض في مروجه الخضراء. وكأن مؤلف هذه الأسطورة السومرية الجميلة أراد أن يقول إن إنكِمدو أيضاً له مزايا وصفات حسنة. فلا يوجد إنسان شر مطلق، ولا يوجد إنسان خير مطلق. وإنما كل إنسان يجمع بين الخير والشر، ويجمع بين المزايا والعيوب.

ثم تنتهي هذه الأسطورة السومرية الرائعة بنهاية سعيدة: تصالح دوموزي وإنكِمدو، فيصيرا صديقين بعد أن كانا عدوين. الراعي دوموزي سيتزوج الإلهة إنَانّا وسيدعو الفلاحَ إنكِمدو إلى حفل الزفاف، وسيقبل إنكِمدو الدعوة وسيأتي ومعه ثمار الأرض (القمح والفول) هدية إلى دوموزي وعروسه الإلهة إنَانّا.

وبزواجه مِن الإلهة إنَانّا، تحول الراعي دوموزي مِن إنسان إلى إله (apotheosis; deification). وقيل إنه الإله الراعي (Shepherd-God) منذ البداية. وقيل: بل ظل إنساناً مائتاً (mortal) ولم يتأله. بل قيل إن دوموزي لم يتزوج إنَانّا بالمعنى الحرفي وإنما صارت إنَانّا عشيقته أو رفيقته (consort)؛ أما الزواج (النكاح) فهو طقس أو احتفال رمزي يقوم به مَلِكُ سومر لتثبيت حُكمه كـ "راعي" لشئون البلاد: يلعب الملكُ دورَ الإله الراعي دوموزي فيتزوج (ينكح) كاهنةً مِن كاهنات الإلهة إنَانّا.

ونحن لا يهمنا إنْ كان دوموزي زوجاً لإِنَانّا أَم عشيقها. وإنما يهمنا أنه بمرور الزمن تحولت هذه الأسطورة إلى واحدة مِن أهم وأشهر أساطير الشرق الأوسط القديم. ولا غرابة في ذلك فهي أسطورة تمزج بين الدين والجنس والسياسة، وكلها أمور كانت ولا تزال تثير اهتمام الناس وفضولهم.

ونستطيع أن نجزم أن اليهود قد عرفوا هذه الأسطورة الشرق-أوسطية القديمة وغيرها من الأساطير التي تتحدث عن حب دوموزي وإِنَانّا (روميو وجولييت الشرق القديم) وعِشق كليهما للآخر. وسنناقش هذه المسألة بالتفصيل وسنعطي الأدلة على ذلك في الاستطراد في نهاية هذا الفصل. ونكتفي هنا بأن نقول إننا إذا نظرنا إلى الأفكار الجنسية والعاطفية المذكورة في سفر "نشيد الأنشاد" (Song of Songs) مثلاً، فسنجد أن التفسير التقليدي يزعم أن هذا السفر يرمز إلى علاقة الحب بين الله وإسرائيل، و/أو محبة المسيح العريس لعروسه الكنيسة! لكن المسيح نفسه لم يقل ما يؤيد هذا التفسير الرمزي المجازي، بل لا نجد في العهد الجديد كله أي اقتباسات أو حتى إشارات لسفر نشيد الأنشاد! مما جعل فريقاً مِن العلماء والباحثين العقلانيين يعتقدون أن الأفكار الجنسية والعاطفية المذكورة في سفر نشيد الأنشاد مستوحاة من قصائد الحب (love poems) الشرق-أوسطية القديمة بصفة عامة، وتلك المتعلقة بعشق العريس دوموزي لعروسه إنَانّا بصفة خاصة[3706]. فعندما تقرأ الآيتين التاليتين مثلاً تستطيع أن تتخيل إنانّا وهي تبحث عن حبيبها الراعي دوموزي: "أَخْبِرْنِي يَا مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي، أَيْنَ تَرْعَى [قُطْعَانَكَ]؟ أَيْنَ تُرْبِضُ (أي: تُريح خِرافَكَ) عِنْدَ الظَّهِيرَةِ؟" (نشيد الأنشاد 1:7)، فيرد الراعي دوموزي على حبيبته إنانّا (أو: ترد صديقات إنانّا عليها): "إِنْ لَمْ تَعْرِفِي أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ النِّسَاءِ، فَاخْرُجِي عَلَى آثَارِ الْغَنَمِ (أي: فَاقْتَفِي أَثَرَ قطيع الخراف)، وَارْعَيْ جِدَاءَكِ عِنْدَ مَسَاكِنِ الرُّعَاةِ (أي: خذي حملانك إلى خيام الرعاة وهناك ستجدين حبيبك الراعي)" (نشيد الأنشاد 1:8).

ومِن يهود الشرق الأوسط، انتقلتْ هذه الأساطير الشرق-أوسطية القديمة إلى أصحاب القرآن. أو بعبارة أكثر دقة: تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة حتى وصلتْ إلى أصحاب القرآن، بدليل وجود قصة قابيل وهابيل في القرآن (المائدة 27-31). بل استمرت عملية التطور البشري الطبيعي حتى جاء المفسرون المسلمون الذين أضاعوا أعمارهم في تفسير القرآن. وخير دليل على ذلك هو أن تفاسير إسلامية كثيرة قديمة وحديثة قالت إن حقد قابيل على هابيل كان بسبب امرأةٍ أراد كلاهما أن يتزوجها! (يعني: مثل صراع إنكِمدو ودوموزي على الزواج من إِنَانّا!) على سبيل المثال، قال ابنُ حجر العسقلاني في كتابه الشهير "فتح الباري بشرح صحيح البخاري": "وَذَكَرَ السُّدِّيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ مَشَايِخِهِ بِأَسَانِيدِهِ أَنَّ سَبَبَ قَتْلِ قَابِيلَ لِأَخِيهِ هَابِيلَ أَنَّ آدَمَ كَانَ يُزَوِّجُ ذَكَرَ كُلِّ بَطْنٍ مِنْ وَلَدِهِ بِأُنْثَى الْآخَرِ (أي: تنجب حواءُ في كُلِّ بَطْنٍ توأماً ذكر وأنثى، فيُزَوِّجُ آدَمُ ذَكَرَ كُلِّ بَطْنٍ بِأُنْثَى البطن الآخَرِ)، وَأَنَّ أُخْتَ قَابِيلَ كَانَتْ أَحْسَنَ مِنْ أُخْتِ هَابِيلَ، فَأَرَادَ قابيل أن يستأثر بِأُخْتِهِ (أي: يتزوج توأمه) فَمَنَعَهُ آدَمُ، فَلَمَّا أَلَحَّ [قابيلُ] عَلَيْهِ أَمَرَهُمَا [آدمُ] أَنْ يُقَرِّبَا قُرْبَانًا، فَقَرَّبَ قَابِيلُ حُزْمَةً مِنْ زَرْعٍ وَكَانَ صَاحِبَ زَرْعٍ، وَقَرَّبَ هَابِيلُ جَذَعَةً سَمِينَةً وَكَانَ صَاحِبَ مَوَاشٍ، فَنَزَلَتْ نَارٌ فَأَكَلَتْ قُرْبَانَ هَابِيلَ دُونَ قَابِيلَ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الشَّرِّ بَيْنَهُمَا وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ"[3707]. وفي العصر الحديث، يقول

الشيخ محمد محمود حجازي (من علماء الأزهر الكبار في القرن العشرين!) في تفسيره لقصة ابني آدم: "اتلُ خبر ابني آدم لصُلبه – على الأصح – قيل: هما قابيل القاتل، وهابيل القتيل، وكانت عادتهم أن يتزوَّج ذكر البطن الأولى أنثى البطن الثانية، وبالعكس. فصادف أن قابيل معه توأم جميلة، ومع هابيل توأم دميمة رغب عنها قابيل وطلب توأمه وحسد هابيل عليها، فلما احتكما إلى أبيهما آدم قال: كل منكم يقرّب قُرباناً، والذي يتقبله اللهُ منه بالحريق (أي: بنزول نار تأكله) يأخذ الجميلة"[3708].

هذا التفسير الإسلامي المنتشر في كثير من كتب تفسير القرآن وشرح الأحاديث في منتهي الخطورة. وخطورة هذا التفسير ليست فقط في أنه يجعل الأخ يتزوج أختَه (incest; sibling marriage)، وليست فقط في أنه يضع امرأةً في بؤرة صراع بين أخوين أدى إلى مقتل أحدهما بيد أخيه، وإنما الأخطر أنه يجعل طرفاً يفوز بكل شيء والطرف الآخر يخسر كل شيء! ليس صراعاً على قطعة أرض مثلاً يمكن أن يقتسماها سوياً، وإنما صراعٌ على امرأة جميلة، وطبعاً لا يمكن أن يتزوج قابيل وهابيل نفس المرأة. ويُفهَم مِن السياق أنه يجب أن يتزوجها أَحَدُهُمَا[3709].

وليس لدينا أدنى شك أن هذا التفسير الإسلامي المنتشر في كثير من كتب تفسير القرآن وشرح الأحاديث مستوحى من التراث اليهودي (انظر مثلاً المدراش Genesis Rabbah 22:7)[3710] أو التراث المسيحي السرياني (انظر مثلاً كتاب مغارة الكنوز[3711]) الذي استوحاه بدوره مِن أسطورة "إنكِمدو ودوموزي" السومرية أو أساطير أخرى تشبهها تتحدث عن "مَن **سيحرث** فَرْجَ إنانا" (who was going to "plough" Inanna's vulva)[3712]. ولا غرابة في ذلك. فبما أن قصة "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) أسطورة قرآنية، إذن: حين يفسر المفسرون المسلمون هذه الأسطورة القرآنية يلجأون إلى الأساطير الشرقية القديمة، سواء الأساطير الإبراهيمية (اليهودية مثلاً) أو الأساطير غير الإبراهيمية (السومرية مثلاً).

وهكذا: أسطورة تفسر أسطورة.

وما القصص القرآنية إلا مجرد مجموعة من الأساطير الشرقية، تفسرها أساطير شرقية أقدم منها.

4.9.3.3.1 ملاحظات ختامية على أسطورة الصراع بين الفلاح إنكِمدو والراعي دوموزي

تتميز أسطورة الصراع بين الفلاح إنكِمدو والراعي دوموزي بأنها انتهت بانتصار الراعي على الفلاح! وهذا يتعارض مع الأساطير السومرية الأخرى التي تنتهي بانتصار الفلاح على الراعي. وهنا يتدخل المفكر الكبير فراس السواح ليشرح لنا مغزى انتصار الراعي دوموزي فيقول إن "هذا الانتصار لم يكن إلا بداية الكارثة لدوموزي المسكين الذي أرسلت به إنانا فيما بعد إلى العالم الأسفل (أي: إلى الموت)، لينوب عنها هناك، كما سنرى في أسطورة هبوط إنانا للعالم الأسفل. وتغدو التضحية بالراعي شرط انتصار الزراعة واستكمال دورة الخصب على الأرض كما سنرى في أسطورة هبوط عشتار للعالم الأسفل. وهكذا فإن انتصار

الراعي لم يكن إلا مؤقتاً وزائفاً ومرحلة تحضيرية لخسارته النهائية، بل وللتضحية به لضمان استمرار الحضارة الزراعية. وفي مراميها الأخيرة فإن هذه الأسطورة تتفق مع بقية أساطير أرض الرافدين في سيادة الفلاح وغلبته على الراعي.

ولعل النص التوراتي لا يبتعد كثيراً عن هذه الفكرة (أي: فكرة انتصار الراعي/البداوة انتصاراً مؤقتاً يمهِّد لانتصار الفلاح/الزراعة في النهاية) عندما يقبل الإلهُ [يهوه] تقدمات هابيل الراعي مفضلاً إياه عن قابيل المزارع ولكن قابيل يقوم فيما بعد بقتل أخيه انتقاماً منه. [...] ولم يكن بإمكان النص التوراتي إلا أن يسير على هذا المخطط، لأن العبرانيين كانوا قوماً رعاة، ولكنهم استقروا فيما بعد وزرعوا الأرض وبنوا المدن، وبقوا يكنون احتراماً لتاريخهم الرعوي القريب، فجاء قبول يهوه لقربان الراعي تعبيراً عن مرحلتهم الرعوية السابقة واحترامهم لها بسبب قراءاتهم اليومية للتوراة. أما موت الراعي على يد المزارع فجاء نتيجة للأمر الواقع الذي عاشوه من غلبة الزراعة على البداوة"[3713].

4.9.3.4 أسطورة الصراع بين أوزيريس (Osiris) وأخيه سِت (Set)

وتُسمَّى أيضاً: "أسطورة إيزيس وأوزيريس" (Isis and Osiris) أو "أسطورة أوزيريس" (The Osiris Myth) (La légende du dieu Osiris)[3714]. تحكي هذه الأسطورة المصرية القديمة قصة الصراع بين "أوزيريس (يُكتَب أيضاً: أوزوريس)" (Osiris) وأخيه "سِت" (Set; Seth)، أو قصة التناقض (antinomy) بين المكونين الرئيسين لأرض مصر: وادي النيل الخصب (يمثله أوزيريس) والصحراء الجرداء (يمثلها سِت). إنها إذن نسخة أخرى من نسخ الصراع بين الفلاح والراعي؛ الصراع بين الحضر والبدو؛ الصراع بين الخصب والجدب؛ الصراع بين الخير والشر؛ الصراع بين النظام والفوضى؛ بل الصراع بين الحياة والموت. فكما سنرى بعد قليل، إنها أيضاً نسخة أخرى مِن نسخ أساطير الإله الذي يموت (يُقتَل) ثم يعود إلى الحياة (يقوم مِن بين الأموات) (dying-and-rising deity).

مرت هذه الأسطورة المشهورة جداً بعدة تطورات بشرية طبيعية بالحذف و/أو الإضافة منذ النصف الثاني مِن الألفية الثالثة قبل المسيح (أي: قبل جميع الديانات الإبراهيمية) حتى القرن الأول المسيحي (أي: قبل الإسلام بأكثر من 500 سنة) حين قام الكاتب الإغريقي المعروف "بلوتارك" (Plutarch) (Plutarque) بتجميع روايات هذه الأسطورة المصرية القديمة وإعادة كتابتها (أو بالأحرى: إعادة إنتاجها) في رواية واحدة جديدة باللغة اليونانية وأكثر تماسكاً مِن الروايات المصرية القديمة. ويُعتقَد أن الأحداث التي أضافها بلوتارك أو بعضها قد يكون لها جذور مصرية قديمة، وبعضها قد يكون مِن وحي خياله. بعبارة أخرى: العلاقة بين أسطورة أوزيريس التي كتبها بلوتارك وأسطورة أوزيريس المصرية الأصلية (بفرض وجود نسخة أصلية كاملة واحدة لهذه الأسطورة) تشبه العلاقة بين المصحف الحالي والقرآن الأصلي (بفرض وجود نسخة أصلية كاملة واحدة لهذا القرآن). ليس تطابقاً وإنما تطور بشري طبيعي بالحذف و/أو الإضافة.

وليس هدفنا أن نسرد كل التعديلات التي طرأت على روايات هذه الأسطورة المصرية القديمة، وإنما يهمنا أن نبرز أوجه التشابه بين الأفكار الواردة في أسطورة الأخوين "أوزيريس وسِت" المصرية (أو: في إحدى رواياتها) قبل الإسلام وتلك الواردة في أسطورة الأخوين "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27-31) القرآنية.

مثلما أنجب آدم وإمرأته حواء ابنيهما قايين (قابيل) وهابيل حسب القصة التوراتية←القرآنية، كان المصريون القدماء يؤمنون – حسب تاسوع هليوبوليس (Ennead of Heliopolis) (Ennéade d'Héliopolis)[3715] – أن الإله "جِب" (Geb) إله الأرض وإمرأته الإلهة "نوت" (Nut) إلهة السماء قد أنجبا أوزيريس وأخاه سِت **[← "ابْنَيْ آدَمَ" (المائدة 27)]**، وأنجبا أيضاً "إيزيس" (Isis) وأختها "نفتيس" (Nephthys). ثم تزوج سِت أختَه نفتيس، وتزوج أوزيريس أختَه إيزيس. يعني: الأخ تزوج أختَه **[← راجع الأساطير اليهودية←المسيحية (السريانية)←الإسلامية عن زواج الأخ (قايين/قابيل وهابيل) بأخته]**. وقيل إن أوزيريس وزوجته إيزيس كانا توأم؛ بل قيل إن حبهما بدأ وَهُما في رحم أمهما! **[← راجع ما تقوله التفاسير الإسلامية عن رغبة قابيل في أن يتزوج توأمه الجميلة التي كان ينبغي أن يتزوجها أخوه هابيل]**.

كان أوزيريس الطيب **[← هابيل]** مَلِكَ مصر ويحكم في نظامٍ وأمن، وزوجته إيزيس هي مَلِكة مصر. وكان أخوه الشرير سِت **[← قايين ← قابيل]** يغير من أوزيريس غيرة شديدة ويريد أن يستولي على عرشه، فتحكي الأسطورة المصرية أن سِت قَتَلَ أخاه أوزيريس **[← في الأسطورة القرآنية العربية: "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ" (المائدة 30)]**؛ وكان أوزيريس مسالماً ولم يقاوم **[← "لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ" (المائدة 28)]**، فقتله سِت بطريقةٍ بشعة: لجأ أولاً إلى حيلة ماكرة – بل مؤامرة – جعلت أوزيريس سجين تابوت خشبي، ثم سمَّر عليه وغمره في مياه النيل، فمات أوزيريس غرقاً و/أو اختناقاً، إلا أن التابوت ذهب مع مياه النيل حتى صب في البحر الأبيض المتوسط، ثم تدافعته الأمواج حتى وصل إلى مدينة "بيبلوس" (Byblos) الفينيقية (حالياً: ساحل لبنان) حيث علق بإحدى أشجار الشاطئ.

بعد ذلك، نجحت إيزيس (أرملة أوزيريس المخلصة) أن تجد التابوت، فعادت بجثة أوزيريس إلى مصر. لكن سِت الخبيث عثر على التابوت فمَزَّق جثةَ أخيه أوزيريس إلى قطع أشلاء وبعثرها في أنحاء مصر حتى يصبح من المستحيل إعادة الحياة إلى أوزيريس! ومع ذلك، نجحت إيزيس (أرملة أوزيريس المخلصة دائماً) – بمساعدة أختها نفتيس التي تبرأت من سِت وأفعاله الشريرة – أن تبحث عن هذه القطع الأشلاء وتجدها وتجمعها وتعيد بناء جسد زوجها وأخيها أوزيريس.

لكن حتى الآن، لا يزال أوزيريس ميتاً. فكيف يمكن لإيزيس أن تعيد الحياةَ إلى هذا الجسد الميت؟ كيف سيقوم أوزيريس **[← هابيل/المسيح/المسلم]** مِن بين الأموات؟ ...

تجيب العالِمةُ الكبيرة في علم المصريات والأستاذة بجامعة السوربون (Claire Lalouette) على هذا السؤال المهم جداً فتقول[3716]:

Rê ensuite dépêcha auprès du corps sans vie le dieu Anubis, à tête de chacal; celui-ci, en effet, connaissait le secret des opérations préliminaires nécessaires à la résurrection; il fabriqua alors la première momie, afin de mieux protéger le corps divin, ceint de fines bandelettes de lin blanc. Il fallait encore animer la personne du dieu, dont l'intégrité physique était désormais garantie, et lui donner le souffle de la vie. Thoth, prince sacré de la magie, accourut avec ses sortilèges vivificateurs; cependant que Isis et Nephthys, s'étant transformées en oiselles, agitaient leurs grandes ailes au-dessus du corps d'Osiris, pour attirer sur lui les brises et les souffles nécessaires à la renaissance. [...]

Tous ces mots magiques, ces appels amoureux au retour, ces commandements d'être redonnèrent enfin la vie à Osiris. Le dieu, reconstruit, réanimé, revivifié, deviendra le roi du monde de l'au-delà, où séjournent les défunts.

إذن: في الأسطورة المصرية القديمة، بعث الإلهُ "رع" (Ra) الإلهَ "أنوبيس" (Anubis) الذي كان يعرف سر الخطوات الأولية اللازمة لقيامة جسد أوزيريس من الموت. فصنع أنوبيس أول مومياء لكي تحفظ جسد الإله أوزيريس بشكل أفضل وقام بلف الجسد بلفافات رقيقة من الكتان الأبيض **[← في الأسطورة القرآنية العربية، "فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ" (المائدة 31)]**.

فكما تدخل الإلهُ رع لحل مشكلة إيزيس فبعث الإلهَ أنوبيس لكي يقوم بلف جسد أخيها أوزيريس كمومياء حسب الأسطورة المصرية القديمة، كذلك تدخل اللهُ لحل مشكلة قابيل فبعث غُرَابًا لكي يُعلِّم قابيل كَيْفَ يدفن أخاه هابيل في الأرض حسب الأسطورة القرآنية العربية (المائدة 31). وكما علّم أنوبيس التحنيطَ للمصريين القدماء وزاوله بنفسه لأول مرة على جثة أوزيريس حسب الأسطورة المصرية القديمة، كذلك علّم الغرابُ الدفنَ لبني آدم وزاوله قابيلُ لأول مرة على جثة هابيل حسب الأسطورة القرآنية العربية.

ويجب التنويه هنا إلى أن الإله "أنوبيس" مِن أشهر الآلهة عند المصريين القدماء، فهو إله التحنيط والدفن وحراسة المقابر (guardian of the necropolis)، وكان يُرسَم بجسد إنسان ورأس ابن آوى (jackal) أو كلب وحشيّ لونه أسود لون الغراب، كما يوضح الشكل التالي[3717]. وإنْ قلتم: ما العلاقة بين الكلب الوحشي (أو: ابن آوى) والغراب؟ فسنقول إن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن الكلب الوحشي (أو: ابن آوى) سينهش جثة الميت إذا لم تُدفَن أو دُفِنَتْ بطريقة غير صحيحة. إنه إذن يناظر الغراب الذي ينهش جثث الموتى، كما وضحنا في ثنايا نقاشنا للجذور الإبراهيمية لـ "فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا" (المائدة 31). أما لون

أنوبيس الأسود فربما للتحذير مِن التعفن الأسود (Black Putrefaction) الذي يصيب جثة الميت. فيكون دور الإله أنوبيس إذن هو الحفاظ على جثة الميت من التعفن ونهش الكلاب.

وهكذا لعبت الزوجة المصرية (إيزيس) دوراً مهماً في إعادة الزوج (أوزيريس) إلى الحياة؛ سواء بتجميع أشلاء جسده وإعادة بنائه، أو بكلماتها السحرية والبكاء والندب وقصائد الرثاء التي أنشدتها هي وأختها نفتيس، أو باستخدام جناحيها لتحريك الهواء (أو: الريح) فوق جسد أوزيريس الميت ومِن ثم إعطائه نسمة الحياة ليقوم من موته. وساعدتها الآلهةُ على ذلك، مثلاً: رع وأنوبيس كما قلنا. وهكذا استطاعت إيزيس أن تثبت قدرة الآلهة على إحياء الجسد الميت حتى بعد قتله وتقطيعه وتمزيقه (sparagmos) وبعثرة أشلائه[3718].

قام أوزيريس مِن الموت وعاد إلى الحياة. وعلى الرغم من عودته إلى الحياة، لا يعود إلى حُكم مصر، بل لا يحكم أي مكان مسكون على سطح الأرض[3719]! وإنما يتقاعد ويترك هذا العالم فيهاجر وينزل إلى العالم السفلي (underworld) الذي يُسمَّى باللغة المصرية القديمة "إخرت"[3720] (Akert) **[⟵ الآخرة]**! وفي الآخرة (العالم السفلي)، يَحكم أوزيريس كمَلِك وقاضي ديّان (judge) لعالم الموتى وإله للحياة بعد الموت (God of the Afterlife).

ومِن ثم، يُعتبَر الإلهُ أوزيريس من آلهة العالم السفلي (chthonic) المرتبط بالموت ثم البعث والحساب والجزاء، ومِن آلهة خصوبة الأرض (fertility)، ومِن آلهة الحياة النباتية (vegetation deity; god of vegetation and hence of regeneration) فلقد صار موته وبعثرة أشلائه في الأرض تعبيراً عن نثر البذور ودفنها في باطن الأرض الخصبة، بينما صارت قيامته تعبيراً عن خروج النبات من باطن الأرض مرة أخرى بعد انحسار مياه فيضان النيل وبعد موسم الزرع[3721]. ولذلك ربط المصريون القدماء بين أوزيريس وبين النيل بفيضانه – المصدر الأساسي للمياه والطمي الضروريين للزراعة في مصر، بل يُقال إنهم اعتقدوا أن النيل يفيض كل عام بسبب دموع إيزيس حزناً على موت زوجها أوزيريس! فكانوا يحتفلون في مهرجانات سنوية في أنحاء مصر بإعادة رواية (أو: تمثيل مسرحية) موت أوزيريس وبعثه. "وتشابه طقوس أوزوريس طقوس الآلهة الميتة الأخرى من بكاء على الإله وتمثيل لعذاباته (أي: آلامه) ومن ثم الفرح ببعثه (أي: قيامته) وانتصاره على الموت"[3722]. ومِن أشهر هذه الأعياد السنوية وأهمها عيد "أسرار أوزيريس" (The Mysteries of Osiris) الذي كان يُعقَد كل سنة في كل مدن مصر الكبرى مِن يوم 12 إلى يوم 30 مِن الشهر الرابع للفيضان (Akhet) (أي: شهر كيهك Koiak حسب التقويم القبطي[3723]).

ويُعتبَر "أون-نفر" (Wennefer) (Ounennefer) الذي يعني "الكامل إلى الأبد" (celui qui perpétuellement demeure parfait) أو "الصالح إلى الأبد" (eternally good) أو "غير الفاسد إلى الأبد" (eternally incorruptible; not suffering the decay of death) مِن أشهر ألقاب الإله أوزيريس **[⟵ المسيح]**، فلقد كسر شوكةَ الموت وقام مِن بين الأموات ليحيا حياة أبدية لا موت

بعدها[3724]. إن قيامة أوزيريس تُعتبَر بداية لميلاد جديد (rebirth) له أو ميلاده الثاني (second birth; born again)، بل إنها حياته الجديدة (new life)، وإنْ ظل يحيا مدفوناً في العالم السفلي كإله لعالم الموتى.

وفي النقوش، يُرسَم جسدُ الإله أوزيريس باللون الأبيض الذي يرمز إلى الكتان الأبيض الذي يلف مومياء الميت[3725]، أو باللون الأسود الذي يرمز إلى الموت أو إلى طين وادي النيل الخصب، أو باللون الأخضر[3726] الذي يرمز إلى الحياة والقيامة (resurrection)، كما يوضح الشكل التالي[3727]. ولذلك فإننا نفضل أن نسميه "الإله الخَضِر".

ونختم كلامنا عن الميلاد الثاني لأوزيريس بأن نقول إن فكرة القيامة أو الحياة بعد الموت فكرة بسيطة جداً وزراعية (agrarian) جداً. البذرة الميتة تُدفَن في الأرض الميتة، ثم بعد فترة تخرج نباتاً حياً من باطن الأرض. كذلك الإنسان الميت يُدفَن في قبره، ثم بعد فترة يُبعَث (أي: يخرج حياً من قبره). بعبارة أخرى: دَفْن البذرة (الإنسان) في الأرض ليس النهاية، وإنما البداية، بل البداية الحقيقية للحياة. نشأت هذه العقيدة الزراعية في الحضارات الزراعية في مصر القديمة (والعراق كما سنرى بعد قليل) حيث يرتبط الفلاحُ ارتباطاً وثيقاً بأرضه. ثم انتقلتْ عقيدة القيامة مِن مصر و/أو العراق إلى اليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام. بينما رفض كفارُ قريش عقيدةَ القيامة (البعث؛ الحياة بعد الموت) لأنها بالفعل فكرة غريبة على المجتمع الصحراوي الذي يعتمد على التجارة وليس على الزراعة ويتنقل فيه البدوي/الراعي من مكانٍ إلى آخر بدون أن يرتبط بأرضٍ معينة. مع أنه كان من الممكن أن يصلوا إلى نفس عقيدة القيامة (البعث؛ الحياة بعد الموت) بملاحظة ظواهر طبيعية أخرى غير زراعية. مثلاً: الشمس تغيب (تموت) في المساء ثم تظهر (تحيا) في صباح اليوم التالي. ولذلك دعا أصحابُ القرآن كفارَ قريش إلى تأمل الظواهر الكونية مثل الشمس والقمر، النهار والليل ... الخ.

4.9.3.4.1 حورس ابن إيزيس الأرملة [← المسيح ابن مريم العذراء]

وفي نهاية عملية إعادة الحياة إلى أوزيريس وقبل نزوله إلى العالم السفلي، استطاعت إيزيس بمعجزةٍ أو بالسحر أن تلقِّح نفسها مِن أوزيريس (self-impregnation)، فَتَكَوَّنَ في رحمها ابنُهما "حورس" (Horus). لكن توجد نقوش تُصوِّر أوزيريس أثناء عملية التلقيح مستلقياً على ظهره بينما إيزيس إما واقفة أو تطير فوق مومياء أوزيريس أو جثته! فهل كان أوزيريس حياً حينئذٍ؟ أَم أن عملية تكوين حورس وولادته كانت "ميلاداً عذراوياً" بدون زرع بشر (parthenogenesis; miraculous virgin birth)[3728]؟

المهم: هربت إيزيس بجنينها "الإله" حورس إلى دلتا مصر بعيداً عن عدوه سِت الذي أراد أن يقتل حورس [← "قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ" (المائدة 27)][3729] كما قَتَلَ أباه أوزيريس. وهناك أنجبتْ إيزيس الطفلَ الإله (Dieu-enfant) حورس الذي يُسمَّى أيضاً "حر-سا-إزيت" (Harsiesis)، أي: حورس ابن إيزيس،

وذلك لتمييزه عن كل "حورس" آخر في التراث المصري القديم. ونحن نرى أن حورس "ابن إيزيس" أكثر منه "ابن أوزيريس"، وذلك لأن أوزيريس لم ينجب حورس قبل موته (اغتياله؛ استشهاده)، وإنما أنجبه بعد موته (posthumously). إنه تأكيد مرة أخرى على عقيدة القيامة في الثقافات الزراعية: الحياة (يمثلها هنا حورس) يمكن أن تخرج من الموت (يمثله هنا أوزيريس)[3730].

قامتْ إيزيس بإرضاع طفلها حورس وتربيته وكانتْ تشفيه من الأمراض – بالسحر والرقية ونحو ذلك – إنْ لحق به أذى. والفكرة المستفادة من هذه الأسطورة هي أنه إذا استطاعت إيزيس أن تشفي طفلها حورس، فهي تستطيع أيضاً أن تشفي كل طفل مريض، بشرط أن يتحد هذا الطفل روحياً مع حورس؛ مثلاً: تقرأ أُمُّه عليه الرقيةَ أو التعويذة السحرية كما لو كان هو حورس وهي إيزيس. ولذلك كانت إيزيس تحظى بحب وإعجاب وتقدير مِن عامة المصريين، وبخاصة النساء والأمهات اللاتي لجأن إليها مِن أجل شفاء أبنائهن. وهكذا صارت إيزيس نموذجاً ومثلاً أعلى للأم الحنون والزوجة المخلصة؛ المرأة التي وهبتْ حياتها واستخدمتْ كل طاقاتها من أجل زوجها وابنها. وصار حورس ليس ابنَ إيزيس فقط وإنما ابن كل أم مصرية.

أكملت إيزيس تربية حورس حتى كبر وصار شاباً فاستطاع أن ينافس عَمَّه/أخاه[3731] سِت منافسات كثيرة (The Contendings of Horus and Seth) مِن أجل استرداد العرش السليب. واستمرت إيزيس في مساندة ابنها حورس في صراعه ضد سِت على عرش مصر. احتكم حورس وسِت إلى الآلهة **[⟵ "قَرَّبَا قُرْبَانًا" (المائدة 27)]**. وفي النهاية، اختار الآلهةُ حورس ولم يختاروا سِت **[⟵ "فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ" (المائدة 27)]**. وهكذا انتصر حورس على سِت وأبعده عن حُكم مصر، فانتقل مُلْك أوزيريس الأرضي إلى حورس ابنه – أو بعبارة أكثر دقة: حورس ابن إيزيس (son of Isis). بينما صار سِت إلهَ الشر والفوضى **[⟵ الشيطان الرجيم المطرود]** في الصحراء[3732]. وتوجد روايات أخرى.

وبعودة حُكم مصر إلى حورس ابن إيزيس وخليفة أوزيريس ووريثه (heir and successor of Osiris)، عاد النظام والأمن إلى مصر مرة أخرى[3733].

وتُصوِّر التماثيل المصرية القديمة الإلهَ حورس وهو يقف على يمين أبيه الإله أوزيريس[3734]، بينما تقف الإلهة إيزيس – والدة الإله حورس[3735] وزوجة الإله أوزيريس – على يسار زوجها الإله أوزيريس.

وصار يُعتقَد أن الإله حورس يتجسَّد ويتأنَّس أو يتجلى إنسانياً في شخص المَلِك المصري (a human manifestation of Horus). وحين يموت هذا المَلِك يُدعى "أوزيريس"[3736] – كما نقول نحن اليوم "الراحل" أو "المرحوم" أو "المغفور له" أو "المتنيح" أو "رقد على رجاء القيامة" – بينما يُقال "حورس" لخليفته الملك الجديد طوال حياته حتى يموت فيُدعى "أوزيريس" وهلم جرا. وهكذا ينتقل المُلْك (الإلهي) من كل مَلِك/إله "أوزيريس" إلى خليفته/ابنه الملك/الإله "حورس" الذي يتم توحيده مع حورس ويُنتظَر مِنه أن يحقق النظام والأمن كما فعل حورس. وبالتالي، صارت الإلهة/الملكة إيزيس هي والدة الإله/الملك الحالي "حورس" وأيضاً زوجة الإله/الملك الراحل "أوزيريس"، أي زوجة كل الملوك السابقين الراحلين.

ومِن ثم، فإن دور الإلهة إيزيس هي أن تساند المَلِكَ الحالي في أمور الحياة الدنيا كما ساندت ابنَها الإله حورس حتى استطاع أن ينتصر على سِت الشرير، وأيضاً تساند المَلِكَ الراحل في أمور الحياة الآخرة كما ساندت زوجَها الإله أوزيريس حتى استطاع أن ينتصر على الموت، أي: تساعد المَلِكَ الراحل حتى يقوم مِن موته ويحيا حياة أبدية مثل الإله أوزيريس، بل في حضرة الإله أوزيريس.

ومما سبق تتضح أهمية الإلهة إيزيس عند المصريين القدماء سواء على المستوى الشعبي أو على المستوى الملكي. بل تتضح أهمية المرأة عند المصريين القدماء. وكما سنرى بعد قليل، كانت المرأة تحظى بنفس الأهمية في بلاد الرافدين (العراق حالياً). فلقد كانت المرأةُ إلهةً ومَلِكةً وتقوم بأدوار مهمة في الدنيا والآخرة، وليست مثل الكلب والحمار تقطع الصلاةَ كما هو الحال في دين العرب (الإسلام)[3737]!

4.9.3.4.2 القيامة للجميع!

كان يُعتقَد أن الملوك والأمراء والحكام والنبلاء فقط هُمْ الذين يقومون مِن الموت ليحيوا حياة أبدية مثل الإله أوزيريس. لكن مع "ديمقراطية الخلود" أو "دمقرطة الحياة الآخرة" (Democratization of the Afterlife) حوالي 2000 سنة قبل المسيح، صار يُعتقَد أن أي إنسان متوفى (deceased) مِن الشعب المصري يمكن أن يقوم مِن الموت في هيئة الإله أوزيريس (أي: في صورته)[3738]، فصار طموح كل مواطن مصري أن يكون مثل أوزيريس في الحياة الآخرة، بل أن يكون هو أوزيريس، أي: يتحد معه[3739]. أو كما يقول المفكر السوري فراس السواح: "مع صعود الميثولوجيا الأوزيرية الجديدة، وشيوع عبادة أوزيريس بشكلها الشعبي، صار بإمكان كل متوفى أن يصبح أوزيريساً وينعم بالخلود، وذلك بصرف النظر عن وضعه الاجتماعي ومنبته الطبقي، شريطة أن يؤمن بأوزيريس مُخلِّصاً، ويسلك سلوكاً أخلاقياً خلال الحياة الدنيا، ويجهّز له مدفناً يتوفر فيه الحد الأدنى من الشروط اللازمة لراحة روحه، وأداء أهله للطقوس الجنائزية القديمة. إن ما قدمته الأوزيرية بشكلها الشعبي للمعتقدات المصرية، هو التوكيد على عنصر الأخلاق الاجتماعية وربطها بالدين وبمعتقد الخلود. [...] تم ربط الأخلاق بالدين؛ فإذا كان الفرعون (يقصد: المَلِك المصري) يلتحق بعالم الآلهة بسبب نسبه الإلهي، وإذا كان النبلاء والأمراء يلتحقون به نتيجة شفاعته أو لما يقدرون على بنائه من مقابر فارهة وأداء الطقوس الباهظة التكاليف، فإن بقية شرائح المجتمع صارت تأمل في الخلود عن طريق إيمانها بإله مخلِّص وإتيانها لصالح الأعمال. فلقد كان أوزيريس إلهاً أخلاقياً بالدرجة الأولى، يحضُّ على الفضائل ويُجزي بها، ويكره الرذائل ويعاقب عليها"[3740].

باختصار: صار الإله أوزيريس نموذجاً أو مثلاً أعلى يتطلع إليه كل مواطن مصري حين يفكر في الحياة الآخرة. ولذلك حرص المصريون القدماء قدر استطاعتهم على صُنْع المومياوات بطريقة أوزيريس (in the manner of Osiris) – أي: بالطريقة التي صَنع بها الإلهُ أنوبيس أول مومياء لأوزيريس – وأيضاً إقامة الصلوات الجنائزية التي تساهم في خلاص (نجاة) المتوفى. وكل ذلك عسى أن يظفر المتوفى

فيقهر الموتَ ويقوم وينعم بالحياة الخالدة الأبدية المباركة (The Afterlife) (La vie dans l’au-delà) في حضرة الإله أوزيريس إله عالم الموتى ورئيس محكمة الآلهة في العالم الآخر.

بينما انحصر دور الإله أنوبيس في قيادة المتوفى إلى العالم السفلي حيث يتم الحساب والجزاء لكل متوفى بمفرده[3741] دون أن يصاحبه أي فرد من عائلته أو أقربائه كما في الشكل التالي[3742]؛ وأحياناً يكون المتوفى مصحوباً بزوجته. ونرى الإله أنوبيس (على اليسار) يمسك مفتاحَ الحياة – شارة العنخ (Ankh) – وهي عبارة عن صليب رأسه حلقة على شكل شبه بيضاوي أو ربما دمعة (teardrop) أو رأس إنسان يرمز إلى الحياة؛ وفي هذا السياق، يرمز إلى الحياة بعد الموت، أي: الحياة الأبدية. كما يقوم الإلهُ أنوبيس بدور حارس الميزان وضابطه؛ الميزان الذي يزن قلبَ المتوفى ليحدد إنْ كان باراً أم شريراً[3743]. يُوزن القلبُ (التعبير الرمزي عن الضمير) في كفةٍ مقابل الريشة (التعبير الرمزي عن العدل والحق) في الكفة الأخرى. فإذا تساوت كفتا الميزان (كما هو موضح في الشكل التالي)، حُكِمَ للمتوفى بالبراءة. وإلا حُكِمَ عليه بالإدانة[3744].

رسم توضيحي 7 – يوم الحساب الفردي: محاكمة المتوفى برئاسة الإله الخَضِر أوزيريس

ومِن ثم، نستطيع أن نستنتج خطة الخلاص (Salvation Plan) المصرية القديمة، فإن جزاء المتوفى هو أحد احتمالين اثنين لا ثالث لهما[3745]:

- إما الحياة الأبدية إذا كان باراً مثل أوزيريس (وحورس) **[← المسيح ← هابيل القرآني، المسلم: "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" (المائدة 27) "إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (المائدة 28)]**. ونلاحظ في الشكل السابق أن الإله حورس يمسك العنخ ويقوم بدور الشفيع (intercessor) أو الوسيط (intermediary)[3746] الذي يقود المتوفى الظافر (triumphant)، أي: المبرأ، إلى عرش أبيه الإله أوزيريس (على اليمين). ويطلب حورس من أوزيريس أن يدع هذا المتوفى الظافر أوزيريس-فلان "يدخل إلى حضرة "أوزيريس" عسى أن يكون شأنه شأن أتباع "حورس" إلى الأبد ... إلى الأبد"[3747]. ومن ثم، فإن هذه الحياة الأبدية في حضرة الإله حسب الديانة الأوزيرية تناظر "ملكوت السماوات" في المسيحية و "جنة الخلد" في الإسلام. أما فيما يتعلق

بعلاقة الروح بالجسد، فيقول المفكر الكبير فراس السواح: "ولعل الجواب الأكثر إقناعاً عن علاقة الروح بالجسد هو أن طقوس الدفن وما يرافقها من تعاويذ وصيغ سحرية تحول الجثة (يقصد: الجسد الفيزيائي المادي physical body) إلى جسد أثيري (يقصد: جسد روحاني spiritual body) ينبثق منها ويتجه إلى العالم الآخر. وهذا الجسد الأثيري يشبه تماماً الجسد المحفوظ (أي: الذي حُفِظ بالتحنيط)، وهو الذي تُبعَث فيه الروح إلى حياتها الثانية"[3748]. وتوجد آراء أخرى حول علاقة الروح بالجسد في الحياة الأبدية بعد الموت. وفي جميع الأحوال فإن المومياء المحنطة تحافظ على جسد الميت حتى تستطيع الروح أن تتعرف عليه ومِن ثم تعود إليه فيحيا الجسد مِن جديد ويستفيد مِن كل ما دُفِنَ معه مِن ملابس وأدوات وحُلِيّ وغيرها. يقول شرح سفر التكوين: "ابتدع المصريون القدماء تحنيط الموتى منذ قديم الزمان لكي يتغلَّبوا به على فساد الأجساد بعد موتها، وحتى يبقوا على ملامح موتاهم أطول وقت ممكن لعلهم يستطيعون بذلك أن يستشعروا الراحة من عناء فراقهم بعض الشيء. وكانوا يعتقدون أنهم يتيحون بذلك لأرواح الموتى أن تتعرَّف على أجسادها عندما تُبعَثْ للسكنى فيها مرة أخرى يوم القيامة"[3749]. ويقول د. وسيم السيسي إن المصريين القدماء قبل إتقان التحنيط كانوا يصنعون تمثالاً للمتوفى أو يرسمون صورةً لوجهه على التابوت حتى لا تضل الروح الطريق وإنما تتعرف على الجسد وتأتي إليه وتلتقي به[3750].

- وإما الفناء والهلاك الأبدي إنْ كان شريراً مثل سِت **[← الشيطان ← قابيل القرآني، اليهودي، غير المسلم "مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29) "الْخَاسِرِينَ" (المائدة 30)]**. ومِن حُسن حظ المصري القديم الذي يُحاسَب في الشكل السابق أنه لا يوجد عذاب أبدي للخطاة (كما هو الحال في الديانات اللاحقة مثل المسيحية ثم الإسلام)، وإنما فقط هلاك وفناء (annihilation)، أي: يختفي الإنسانُ من الوجود ويتحول إلى عدم. تقوم "عِمِمت" (Ammit; Ammut) ملتهمة الموتى بالتهام الميت فوراً! تظهر عِمِمت (أموت) في الشكل السابق تحت الميزان على شكل كائن مخيف نصفه أسد ونصفه فرس النهر (سيد قشطة) ورأسه رأس تمساح! لكن توجد لوحات مصرية قديمة أخرى فُهِمَ منها الاعتقاد بوجود نار وعذاب أبدي للأشرار[3751].

ومِن الجدير بالذكر أيضاً أن محاكمة كل شخص كانت تحدث على ما يبدو فور وفاته وإقامة كل الطقوس على جسده (تحنيط، صلوات جنائزية، دفن ... الخ). ولا توجد أدلة كافية على أن المصريين القدماء كانوا يعتقدون بيوم بعث جماعي وحساب جماعي في آخر الزمان، أو ما أطلق عليه بعد ذلك في المسيحية ثم الإسلام: يوم القيامة (أي: القيامة العامة)، أو: يوم الحساب (يوم الدين، الدينونة العامة).

وفي الشكل السابق، نرى الإلهة إيزيس واقفة في أقصى اليمين بجوار أختها الإلهة نفتيس خلف عرش الإله الخَضِر أوزيريس.

يقول العالم الكبير (Sir E. A. Wallis Budge) عن أهمية أوزيريس عند المصريين القدماء[3752]:

> Osiris kept and held the highest place in the minds of the Egyptians, from first to last, as the God-man, the being who was both divine and human; […] as […] the cause and symbol and type of the resurrection, and of the life everlasting. For about five thousand years men were mummified in imitation of the mummified form of Osiris; and they went to their graves believing that their bodies would vanquish the powers of death, and the grave, and decay, because Osiris had vanquished them; and they had certain hope of the resurrection in an immortal, eternal, and spiritual body, because Osiris had risen in a transformed spiritual body, […].

"ولذا كان المتوفى يلتمس في بعث "أوزيريس" الدليل على بعثه هو؛ وهذا يفسر لنا كيف أن اسم المتوفى يُذكَر في النصوص الجنائزية مقترناً باسم "أوزيريس" (أي: أوزيريس-فلان). [...] وظل لهذا الثالوث المصري؛ "أوزيريس" و "إيزيس" و "حورس" مكانة كبيرة عند المصريين، ووصل تأثيره خارج حدود مصر. ولم تنته طقوس عبادته من مصر حتى بعد مجيء المسيحية؛ حيث ظلت موجودة بعد المسيحية بأربعة قرون. [...] وكانت صورة "إيزيس" وتماثيلها وهي ترضع طفلها "حورس" من أكثر الصور شعبية رمزاً للحب الأمومي، لتصبح بعد ذلك [...] صورة "مريم العذراء" و "ابنها المسيح""[3753].

وتؤكد مصادر أخرى أن عبادة الإلهة إيزيس وصلتْ إلى الإغريق والرومان والشام شمالاً والنوبة جنوباً، بل كان لإيزيس معابد في روما نفسها! واستمرت عبادة الإلهة إيزيس في جزيرة فِيَله (Philae) في صعيد مصر حتى القرن السادس المسيحي[3754]، أي: قبيل ميلاد مارية القبطية (المصرية الصعيدية) سرية محمد رسول الإسلام. وهذا يعني أن الإلهة إيزيس ظلت تُعبَد لأكثر مِن 3000 سنة! أي: أكثر مِن ضعف عُمْر الإسلام! ولم تحتاج إيزيس إلى "وحي" ولا "كتاب (مصحف)" مُوحَّد ولا "جهاد" ولا "قتال في سبيل إيزيس" ولا قانون "إزدراء إيزيس"! وإنما انتشرت مكانياً بين شعوب مختلفة واستمرت زمانياً 3000 سنة بقوتها الذاتية فقط سلمياً بدون قتل وضرب رقاب وسفك دماء وسبي نساء واحتلال أراضي وتكوين إمبراطورية (خلافة)!

ولا يزال المصريون حتى الآن يحرصون على إتمام طقوس الجنائز والدفن بالطرق التقليدية حسب معتقداتهم الإبراهيمية الحالية، سواء كانت مسيحية أم إسلامية. أما التحنيط الذي طُبِّقَ على يعقوب (إسرائيل) وابنه يوسف حسب ما تقول التوراة[3755]، فصار بمرور الزمن عادة عديمة الفائدة، بل مرفوضة، حسب المسيحية ثم الإسلام. ومع انقراض التحنيط تدريجياً، انقرض أيضاً الإيمانُ بأوزيريس وعبادته، فتحول

أوزيريس مِن إله الموتى (god of the dead) إلى إله ميت (dead god)، وحلَّ محله المسيحُ (القرون الأولى بعد الميلاد) ثم اللهُ (القرن السابع الميلادي). وقد يكون تحريمُ التحنيط أحدَ الأسباب التي جعلت معظم المصريين اليوم يعرفون أسطورة قايين/قابيل الذي قتل أخاه هابيل (أول جثة تُدفَن) بينما لا يعرفون جذورها المصرية القديمة في أسطورة سِت الذي قتل أخاه أوزيريس (أول مومياء تُحنَّط)!

بعد كل هذا العرض، السؤال الذي يطرح نفسه أمام العقلاء: هل قصة "ابْنَيْ آدَمَ" القرآنية (المائدة 27-31) كلام الله؟! أم كلام المصريين القدماء؟ أم كلام السومريين القدماء؟ أم كلام اليهود والمسيحيين الشرقيين؟ الإجابة: إنها خليط مِن كلام اليهود والمسيحيين الشرقيين (السريان بصفة خاصة) والسومريين والمصريين القدماء. ثم تسلل هذا الفكر الشرقي البشري إلى القرآن. أو بعبارة أكثر دقة: انتشر هذا الفكر الشرقي البشري في عقول ووجدان سكان الشرق الأوسط القديم، فتطور تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة حتى أدى في النهاية إلى ظهور كتاب مثل القرآن. مما يؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

4.9.4 استطراد: عقيدة "القيامة" هدية أديان الشرق الأوسط القديم إلى المسيحية والإسلام

حين نتحدث عن هابيل (أول إنسان سقط في هاوية الموت) يجب علينا أن نتحدث عن يسوع المسيح (أول إنسان تحرر مِن قبضة الموت فقام وصعد إلى الحياة الأبدية). فإذا كان موت هابيل البار هو الصدمة بل الكارثة لكل إنسان مؤمن، فإن قيامة يسوع المسيح البار هي رجاء خلاص كل إنسان مؤمن.

باختصار: لا يمكن أن نتحدث عن حقيقة الموت بدون أن نتحدث عن عقيدة القيامة من هذا الموت. وأول قصة تذكر هذه العقيدة هي قصة سومرية (عراقية قديمة) تُسمَّى "هبوط إِنَانّا إلى العالم الأسفل".

نعم، تُعتبر أسطورة "هبوط إِنَانّا إلى العالم الأسفل" (أو: "نزول إِنَانّا إلى الجحيم"؛ "نزول إِنَانّا إلى عالم الموتى") (Inana's Descent to the Nether World) (La Descente d’Inanna aux Enfers)[3756] أقدم نص عرفته البشرية عن القيامة من الأموات؛ أقدم من عقيدة القيامة في الديانتين المسيحية والإسلام بمئات السنين! وهذا الذي جعل العالم الكبير (Samuel Noah Kramer) في كتابه الشهير (History Begins at Sumer: Thirty-Nine Firsts in Recorded History) يُطلق عليها "أول قصة عن العودة إلى الحياة" (The First Tale of Resurrection). فنظراً لأهميتها الدينية والفكرية وتأثيرها الواضح على الديانات الشرقية التي ظهرت بعدها، سنذكر ملخص هذه الأسطورة.

تحكي هذه الأسطورة عن الإلهة إِنَانّا "ملكة السماء" (Queen of Heaven) التي نزلت من "العالم الأعلى العظيم" (The Great Above) وتجردت مِن حللها وحلاها الملكية قطعة قطعة حتى هبطت إلى عالم الموتى السفلي عاريةً تماماً لا يستر جسمها شيء[3757] وليس لها سلطة ملكية (powerless)[3758].

وهناك استقبلتها أختها "ايرشكيجال" (Ereshkigal) وآخرون، وصوبوا إلى إِنَانّا نظرات الموت، فماتت إِنَانّا وتحولت إلى جثة هامدة ثم عُلِّقتْ من عمود قائم (stake)[3759]. ثم تمر ثلاثة أيام وثلاث ليال، وفي اليوم الرابع يدبر الإلهُ إنكي (Enki) خطةً لقيامة إِنَانّا من الأموات. تنجح الخطة وبالفعل تعود إِنَانّا إلى الحياة مرة أخرى[3760]. لكن لكي تخرج إِنَانّا من عالم الموتى وتصعد إلى العالم العلوي، لا بد أن يحل محلها إلهٌ آخر، أي: بديل (substitute). فاختارت إنانا زوجَها (أو: عشيقَها) الإله الراعي دوموزي، عقاباً له لأنه لم يلبس ثياب الحداد على موتها وإنما ارتدى حلل العيد والأفراح الفاخرة وجلس متربعاً على عرشه (أو: على عرشها) ولم يكترث بطقوس الحداد! فانطلق سبعة عفاريت (شياطين) غلاظ شداد ليقبضوا على الإله دوموزي، ثم صوبت إنانا نظرها عليه، ثبتت عليه نظرة الموت، وصرخت قائلة للعفاريت: "أما هذا فخذوه". وهكذا أسلمتْ إنانا الراعي دوموزي إلى أيديهم. فبكى دوموزي حتى اخضر وجهه، ورفع يديه بالضراعة إلى "أوتو" (Utu) إله الشمس، قائلاً: "يا أوتو، أنت أخو زوجتي وأنا زوج أختك. فحوِّل يدي إلى يد حية وحوِّل قدمي إلى قدم حية (أي: غيِّر شكلي حتى لا يعرفونني)، اعمل على انقاذي من الشياطين ولا تدعهم يمسكونني"[3761]. "ومما يؤسف له أنه في هذا الموضع في منتصف عبارات الضراعة التي يخاطب بها "دوموزي" الإله "أوتو" ينتهي نص اللوح الموجود بين أيدينا. ولكن لمَّا كان "دوموزي" قد عُرفَ من مصادر أخرى متنوعة بكونه إلها من آلهة العالم الأسفل، فالأرجح أن ضراعته إلى الإله "أوتو" لم تستجب، وأنه نُقِلَ إلى العالم الأسفل في الواقع"[3762].

وإنه لمن الطريف أن أسطورة سومرية تُعرَف باسم "حلم دوموزي" (The Dream of Dumuzi) (Le Rêve de Dumuzi)[3763] تقول إن دوموزي اختبأ هرباً مِن عفاريت العالم الأسفل. إلا أن صديقاً لدوموزي خانه ودلَّ عفاريت العالم الأسفل على مكان اختبائه، ومِن ثم نجح هؤلاء العفاريت في القبض على دوموزي وقتله[3764]، أو: اقتياده إلى عالم الموتى السفلي. وتقول هذه الأسطورة أيضاً إن هؤلاء العفاريت عذّبوا الإلهَ دوموزي قبيل أن يقتلوه. يعني: عذّبوه أولاً ثم اقتادوه إلى عالم الموتى السفلي.

وهكذا مات الإلهُ الراعي دوموزي مرغماً، عوضاً عن زوجته الإلهة إنانا (أو: فداءً لرفيقته الإلهة إنانا) التي انتصرتْ على الموت وقهرته فخرجتْ من عالم الموتى وصعدتْ إلى عالم الأحياء[3765].

يقول المفكر السوري الكبير فراس السواح عن اللحظات الأخيرة في حياة الإله الفادي دوموزي: "المطاردة تستمر ويفلح دوموزي في الإفلات من بين أيدي العفاريت السبعة كلما أمسكوا به إلى أن يقبضوا عليه أخيراً في الحظيرة. وهنا تبدأ الآلام التي يعانيها الإلهُ قبل أن يسلم الرُّوحَ: دخل الحظيرة العفريتُ الأول، وضرب خدود دوموزي بمسمار طويل. وتبعه إلى الحظيرة العفريتُ الثاني، فراح يضرب وجه دوموزي بعصا الراعي. ثم دخل إلى الحظيرة العفريتُ الثالث، [...]. وتبعه إلى الحظيرة العفريتُ الرابع، [...]. ثم دخل إلى الحظيرة العفريتُ الخامس، [...]. فدوموزي لم يعد بين الأحياء"[3766]. ونلاحظ أن الكاتب يستخدم كلمات مسيحية مثل "آلام" (Sufferings; Passion) (2 كورنثوس 5:1) (1 بطرس 13:4) (1 بطرس

1:5) و "يسلم الرُّوحَ" (متى 50:27) (مرقس 37:15) (لوقا 46:23) (يوحنا 30:19)، وكأنه أراد أن يلمح إلى علاقةٍ بين آلام "الإله" الفادي دوموزي قبيل موته وآلام "الإله" الفادي يسوع المسيح قبيل موته. إلا أن القبض على الراعي دوموزي وقتله كان كرهاً، أما القبض على الراعي الصالح يسوع المسيح (هابيل الثاني؛ هابيل الجديد) وقتله على الصليب كان طوعاً.

ويُفهَم من السياق أن العريس الشاب الراعي دوموزي مات (قُتِلَ) قبل أن ينجب أطفالاً؛ يعني: مثل الشاب الراعي الصالح "العريس"[3767] يسوع المسيح الذي قُتِلَ قبل أن يتزوج وينجب أطفالاً. وكذلك مثل الشاب الراعي هابيل الذي قُتِلَ قبل أن يتزوج وينجب أطفالاً.

"وهنا تكتمل أسطورة قابيل وهابيل. فالراعي [دوموزي] الذي فضلته إنانا على الفلاح أنكمدو في أسطورة سابقة وتزوجت منه تعود لتقضي عليه بنفسها. [...] وبصعود إنانا يكتمل درام الفداء الإلهي. لقد تركت سيدة السموات (أي: الإلهة إنانا) عرشها ونزلت مختارة درجات الموت السبع مضحية بكل شيء في مقابل نتائج غير أكيدة وأمل ضعيف في العودة إلى الحياة. ولكن الحياة تنتصر وتقهر إلهةُ الحياة قوى الموت [...]. [...] لقد حققت إنانا لنفسها عودة مستحيلة من عالم الأموات وهذه العودة [الظافرة المنتصرة لحياة جديدة] ستصبح نموذجاً بدئياً لكل عودة إلى الحياة، نموذجاً سينظر إليه البشر بأمل طالما بقي هناك حياة وموت. وسيحاولون الاتحاد بذلك الإله الميت الذي بعث، والالتصاق به في مجموعة من الطقوس السرية التي من شأنها، في اعتقادهم، جعلهم جزءاً متوحداً معه، فيسيرون على طريقه، ويُنشلون معه من الموت المؤقت إلى حياة جديدة ثانية بعيدة عن العالم الأسفل: "مَنْ آمَنَ بِي وَإِنْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" يقول السيد المسيح"[3768].

4.9.4.1 هل عرف يهودُ الشرق الأوسط هذه الأساطير الشرق-أوسطية القديمة؟

نستطيع أن نجزم أن اليهود قد عرفوا هذه الأساطير الشرق-أوسطية القديمة. وأدلتنا على ذلك هي:

الدليل الأول: الإلهة إِنَانّا "الإلهة الأم العذراء" (Virgin Mother Goddess)! هي الإلهة "عشتار" (Ishtar)[3769] إلهة البابليين – عَشْتُورَث (Ashtoreth) إلهة الكنعانيين – التي سقط بعضُ اليهود في عبادتها مِن دون الله في القرن العاشر ق.م أيام الملك سليمان (Solomon) الذي أدخل عبادتها متأثراً بطقوسها في صيدون (1 ملوك 5:11، 33:11). ولم تحرم عبادتها تحريماً قاطعاً إلا بعد حوالي 300 سنة في عهد الملك يُوشِيَّا (Josiah) (القرن السابع ق.م) (2 ملوك 13:23). لكن أغلب الظن أن الإلهة عشتار هي "مَلِكَة السَّمَاوَاتِ" (Queen of Heaven) (إرميا 44:17-19) التي أرادتْ النساءُ اليهوديات أن يعبدوها من دون الله في عهد النبي الباكي إرميا (Jeremiah) (أواخر القرن السابع وأوائل القرن السادس ق.م). وكل هذا يدل على انتشار عبادة الإلهة عشتار بين اليهود (أو بعضهم) والشعوب الوثنية المجاورة لهم.

الدليل الثاني: الإله دوموزي أو "دوموزيد" (Dumuzid) هو الإله البابلي "تَمُّوز" (Tammuz)[3770] الإله "الابن الأمين" (Faithful Son) "الابن الحقيقي" (Right Son) (Fils légitime) "مُحْيِي الطفل" (Invigorator of the Child)! إله المرعى وحامي القطعان وحارسها، ومِن ثم لقب بالراعي (Shepherd). وكانوا يتصورون أنه يموت سنوياً مع بداية الموسم الجاف (dry season) (أي: موسم احتباس المطر وموت النباتات ويُبْس الأرض) ويظل ميتاً لمدة 6 شهور (semester) (demi-année) هي الموسم الجاف الذي يؤثر سلباً على إنتاج اللبن من الماشية. ثم يجب إعادة هذا الإله إلى الحياة (أي: قيامته من بين الأموات) (dying-rising god) لكي يسقط المطر من جديد. فكانت عشتار (إِنَانّا سابقاً) تهبط إلى العالم الأسفل (underworld) كل سنة لتعيد تموز (دوموزي سابقاً) إلى عالم الأحياء[3771]، فيظل حياً لمدة 6 شهور هي موسم المطر (rainy season) الذي يعيد الحياةَ إلى النباتات في الحدائق والحقول والمراعي حتى يكتمل الاخضرار في أعياد الربيع[3772] حين يعقد قران تموز/دوموزي و عشتار/إِنَانّا. يقول العالِم الكبير طه باقر: "كان يحتفل بقيامته من عالم الأموات في بداية الربيع. ولا تخفى أوجه الشبه الواضحة بين هذه الشعائر الخاصة بتموز وبين فكرة الإله الذي يموت ويقوم في المسيحية"[3773].

إذن: أسطورةُ "هبوط عشتار إلى العالم الأسفل" (Ishtar's descent to the Underworld)[3774] تُعتبَر تطور بشري طبيعي لأسطورة "هبوط إِنَانّا إلى العالم الأسفل" التي تحدثنا عنها منذ قليل. فإذا كانت أسطورة "هبوط إِنَانّا" قتلتْ الإلهَ دوموزي فداءً لإِنَانّا، فإن أسطورة "هبوط عشتار" خلَّصتْ الإلهَ دوموزي (تموز) فأنقذته مِن الموت ووهبته الحياة وجعلته يستحم بالمياه الطاهرة ويُمسَح (أي: يُدهَن) بالزيت الحلو (anoint him with sweet oil)[3775]. لكنه حسب الأساطير السومرية والبابلية خلاص جزئي دوري: حياة 6 شهور ثم موت 6 شهور ثم حياة 6 شهور ثم موت 6 شهور وهكذا. أثناء حياة تموز/دوموزي 6 شهور، تحل محله في عالم الأموات أُخْتُهُ[3776]؛ اسمها "جشتِنانّا" (Geshtinanna) عند السومريين و "بيليلي" (Belili) عند البابليين. وأثناء موته 6 شهور، تعود أخته إلى عالم الأحياء. "ويرمز موته إلى الصيف الطويل الجاف اللافح الحرارة في سورية وفلسطين، عندما تجف كل خضرة وتحترق في حرارة الشمس المحرقة. وتمثل عودته إلى الحياة، فصل الأمطار حين ترتوي الأرض وتكتسي ببساط سندسي من الخضرة والزهور المتنوعة الأشكال والألوان"[3777]. وحسب التقويم العبري، فإن الموسم الجاف في إسرائيل/فلسطين يبدأ في أبريل/مايو ثم يستمر طوال شهور الصيف حتى يبدأ سقوط المطر (مبكراً) في الخريف[3778]؛ أي: حوالي 6 شهور مناخ جاف. وكذلك موسم المطر يستمر حوالي 6 شهور.

ويوجد رأي آخر يقول إن الإلهَ دوموزي (تموز) لا يموت ثم يحيا، وإنما يختفي ثم يظهر مرة أخرى، أو: يغيب ثم يحضر مرة أخرى (disappearing-and-reappearing god)، مثل الشمس والقمر والليل والنهار والنجوم ونحو ذلك.

وتوجد آراء وأساطير أخرى تختلف وأحياناً تتناقض في التفاصيل[3779]. وهذا أمر طبيعي نظراً للطبيعة الشعبية (الفولكلورية) لهذه الأساطير وانتشارها الواسع زمانياً ومكانياً وشعبياً – وبخاصة بين النساء – في مناطق جغرافية ومناخية مختلفة، فضلاً عن عدم وجود سلطة دينية مركزية تتعصب إلى أسطورة معينة أو إله معين أو تعمل على غربلة هذه الأساطير وتوحيدها وتقنينها، وربما لأسباب أخرى مثل تطور شخصيات هذه الآلهة بالتدريج بمرور الزمن مع ازدياد رقعة المؤمنين بها وربما انتقال كثير من صفات الآلهة الأخرى إليها سواء عن طريق عمليات الدمج أو الإبدال أو التداخل بين الآلهة وذلك بتعاقب العصور التاريخية.

وعلى الرغم من اختلاف هذه الآراء والأساطير وتناقضها أحياناً، إلا أنها تتشابه وأحياناً تتفق في الفكرة الأساسية التي يمكن تلخيصها وتبسيطها كما يلي: الإله تَمُّوز له دورة "حياة وموت وقيامة" تتكرر سنوياً بصفة دورية مِن أجل استكمال دورة نمو النباتات على الأرض. ولذلك فإن الإله تَمُّوز يُعتبَر مِن أشهر آلهة الحياة النباتية (vegetation deity; god of vegetation and hence of regeneration). يحيا (أو: يظهر) الإلهُ تَمُّوز 6 شهور مع حياة النباتات في موسم المطر، ثم يموت (أو: يختفي) 6 شهور مع موت النباتات في الموسم الجاف، ثم يقوم مِن بين الأموات وتعود إليه الحياة فيحيا (أو: يظهر مرة أخرى) 6 شهور مع حياة النباتات في موسم المطر وهلم جرا[3780].

وكل هذا يحدث بفضل الدور المهم الذي تلعبه الإلهة عشتار في هذه الأساطير. فَهُما (أي: الإلهة عشتار والإله تموز) "ليسا إلا وجهين لقدرة إلهية واحدة"[3781]. ونحن نرى أن الإلهة عشتار هي الفاعل الرئيسي، أما الإله تموز فهو مفعول به يُقتَل ثم يُعاد إلى الحياة (لاحظ الأفعال المبنية للمجهول)[3782].

والإله تَمُّوز مذكور صراحةً بالاسم في العهد القديم، إذ سقط بعضُ اليهود في عبادته من دون الله أيام النبي حزقيال (Ezekiel) (أوائل القرن السادس ق.م). فلقد رأى حزقيال في رؤياه أن النساء اليهوديات كن جالسات على الباب الشمالي من الهيكل نائحات على مَصْرع الإله تموز "يَبْكِينَ عَلَى تَمُّوزَ" (حزقيال 8:14) وتَتُقْنَ إلى انبعاثه من جديد (أي: قيامته من بين الأموات؛ عودته إلى الحياة)[3783]. إذ كان يُعتقَد أن مراسم الحداد وبكاء النساء على الميت تلعب دوراً في إعادة الإله الميت تَمُّوز إلى الحياة، ومِن ثم سقوط المطر الذي يُرمَز إلى توسله بدموع النساء الباكيات[3784].

ويمكن النظر إلى طقس بكاء النساء على الميت باعتباره مشاركة نسائية للإلهة عشتار في أحزانها على موت حبيبها الإله تموز؛ أو باعتباره حزن النساء على أي رجل شاب مات (أو قُتِلَ أو اختفى) قبل أن ينجب أطفالاً، مثل تموز وهابيل وغيرهما من الرعاة سكان الصحراء المعرضين للمخاطر باستمرار[3785].

"وكان البابليون يحتفلون بالنوح على "تموز" ببكاء النساء عليه في اليوم الثاني من الشهر الرابع الذي أطلق عليه اسم "تموز""[3786]. وكذلك في التقويم العبري الديني، يحمل الشهر الرابع اسم "تموز" منذ أيام السبي البابلي إلى اليوم (أي: أكثر من 2500 سنة!)، وهو يوافق شهر يونيو/يوليو (حزيران/تموز). ومِن

أشهر الأصوام (الأحزان) اليهودية، صوم السابع عشر من هذا الشهر الرابع حداداً وحزناً على سقوط أورشليم بيد البابليين في شهر تموز عام 586 ق.م (2 ملوك 25:3-4) (إرميا 39:2-3) (إرميا 52:6-7).

والآيات التالية من سفر حزقيال تشير إلى عبادة الشمس "نَحْوُ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً ظُهُورُهُمْ نَحْوَ هَيْكَلِ الرَّبِّ وَوُجُوهُهُمْ نَحْوَ الشَّرْقِ، وَهُمْ سَاجِدُونَ لِلشَّمْسِ نَحْوَ الشَّرْقِ" (حزقيال 8:16). ولعل المقصود هو عبادة الإله "أوتو" (Utu) إله الشمس عند السومريين – اسمه "شَمَشْ" (Shamash) عند البابليين – وهو أخ الإلهة عشتار/إنانّا والذي حاول الإلهُ تموز/دوموزي أن يستنجد به لينقذه من الموت كما قلنا. إذا صح ذلك، فإنه قد يدل على أن مراسم البكاء على تموز (حزقيال 8:14) حدثت أثناء الإنتقال من فصل الربيع إلى فصل الصيف الحار (بسبب حرارة الشمس)، أي: شهر يونيو/يوليو كما قلنا.

وفي جميع الأحوال، فإن كل ما سبق يدل على شدة تأثير المعتقدات السومرية والبابلية القديمة على اليهود في القرون التي سبقت ميلاد المسيح.

الدليل الثالث: إنَانّا ودوموزي عند السومريين **[← عشتار وتموز عند البابليين]** يقابلان "إيزيس وأوزيريس" (Isis and Osiris) عند المصريين القدماء، ويقابلان "أفروديت وأدونيس" (Aphrodite and Adonis) عند الإغريق. وكلها آلهة وأساطير مشهورة جداً في الشرق الأوسط القديم.

واسم "أدونيس" الإغريقي ما هو إلا الاسم الفينيقي "أدون(ي)"[3787] ومنه جاء "أدوناي" (Adonai) – أي: ربي، أو: سيدي (my Lord) – لقب الرب يَهْوَهْ (YHWH) الاسم الشخصي لله باعتباره إله الخلاص لبني إسرائيل فقط. أو بعبارة أكثر دقة: أدوناي لقب من ألقاب يَهْوَهْ إله العبرانيين وتحول تدريجياً بمرور الزمن إلى اسم بديل عنه. "منذ أواخر القرن الرابع قبل المسيح تزايد الخوف من تدنيس اسم يهوه، فمُنِعَ الشعبُ [اليهودي] من النطق به. وأصبح لا يستطيع التلفظ به إلا رئيس الكهنة عند تلاوة الصلاة وإعطاء البركة في الهيكل. واستعاضوا عن النطق به بأسماء أخرى أهمها "أدوني" أي الرب والسيد"[3788].

ومِن الجدير بالذكر أن قصة "قايين وهابيل" (التكوين 4:1-16) هي أول قصة في التوراة تذكر دائماً – 9 مرات – اسمَ "الرب" يَهْوَهْ (YHWH, The Lord) منفرداً، ولم تذكر أبداً اسمَ "الله/الإله" العام (Elohim, God). بخلاف القصص التوراتية التي تسبقها والتي إما تذكر "الله" أو "الرب الإله".

وهذا يعني أن اليهود كانوا حين يقرأون قصة "قايين وهابيل" (التكوين 4:1-16) كانوا ينطقون 9 مرات اسمَ "أدوناي" أو "أدوني" الاسم الفينيقي/الإغريقي للإله تموز/دوموزي زوج الإلهة عشتار/إنانا، والذي يناظر الإله الخَضِر "أوزيريس" إله الحياة الأبدية والقيامة مِن الموت عند المصريين القدماء وزوج الإلهة المصرية إيزيس. ومِن حُسن الحظ أن الكتاب المقدس نفسه يعترف بتأثر موسى "**بِكُلِّ** حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ"، أي: الحضارة المصرية العظيمة **بِكُلِّ** ما فيها من معتقدات وأخلاق وأساطير ... الخ، التي تعلمها موسى مِن النساء

المصريات (ابنة فرعون): "اتَّخَذَتْهُ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ وَرَبَّتْهُ لِنَفْسِهَا ابْنًا. فَتَهَذَّبَ مُوسَى **بِكُلِّ** حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ" (أعمال الرسل 7:21-22).

إذن: كل ما سبق يؤكد أن يهود الشرق الأوسط قد عرفوا هذه الأساطير الشرق-أوسطية القديمة.

ومِن اليهود، انتقلتْ هذه الأساطير الشرق-أوسطية القديمة إلى أصحاب القرآن (أو أجدادهم العرب). ليس فقط فيما يتعلق بقصة "قابيل وهابيل" (المائدة 27-31)، وإنما أيضاً فيما يتعلق بقصص قرآنية أخرى كما رأينا فيما سبق وكما سنرى فيما يلي.

4.10 وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا!

ننتقل الآن إلى أسطورة أخرى من أساطير "القصة البدائية" (The Primeval Story) ...

قال صاحبُ رواية سورة مريم: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا (أي: باراً) نَّبِيًّا {56} وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا {57} أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ [...] {58}.

وقال صاحبُ رواية سورة الأنبياء: وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ {85} وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ {86}.

4.10.1 جذور القرآن في الكتاب المقدس وتراثه

قد ينكر – أو على الأقل يندهش – كثيرٌ من المسلمين أن النبي "إدريس" المذكور في القرآن هو "أخنوخ" (Enoch) (Hénoch) المذكور في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. وقد يكون السبب في ذلك هو اختلاف الاسمين اختلافاً كبيراً، فليس هناك أي وجه للشبه بين اسم "إدريس" واسم "أخنوخ" (اسمه العبري: حنوك). لكن كما قلنا كثيراً من قبل فإن موضوع اختلاف الأسماء أمر عادي وطبيعي عند أخذ أو استلهام قصة قيلت من قبل في ديانةٍ أو حضارةٍ ما وإعادة تقديمها مرة أخرى لكن في ديانةٍ أو حضارةٍ أخرى. وعلى أي حال، صحيح أن المعلومات المتوفرة لدينا عن إدريس وأخنوخ ليست كثيرة، لكننا نستطيع أن نؤكد أنه واضح من التشابه الكبير بين أخنوخ في الكتاب المقدس وما ورد عن إدريس في القرآن وفي كتب التفسير أن شخصية "إدريس" القرآنية مجرد تطور بشري طبيعي لشخصية "أخنوخ" في التراث اليهودي/المسيحي. بعبارة أخرى: نحن لا نقول إن أخنوخ = إدريس. وإنما نقول: أخنوخ **[⟵ إدريس]**.

نجد في (التكوين 5:1-32) كتاب مواليد من آدم (Adam) إلى نوح (Noah). آدم ولد شيث (Seth). شيث ولد أنوش (Enosh). أنوش ولد قينان (Kenan). قينان ولد مهللئيل (Mahalalel). مهللئيل ولد يارد (Jared). يارد ولد أخنوخ (Enoch) فهو إذن السابع في قائمة نسل آدم **[⟵ إدريس "مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ" (مريم 58)]**. أخنوخ ولد متوشالح (Methuselah). متوشالح ولد لامك (Lamech). لامك ولد نوح (Noah). هذا يعني أن أخنوخ جد أبي نوح. ونلاحظ عند قراءة هذا السفر أنه يؤكد أن آدم وشيث وأنوش وقينان ومهللئيل ويارد قد ماتوا جميعاً، إلا أن أخنوخ عاش 365 سنة بالضبط (أي: نفس عدد أيام السنة الشمسية solar year بالضبط لكن بالسنين!) ولم يمت! يقول (التكوين 5:22-24): وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ (أي: كان تقياً) **[⟵ "إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا (أي: باراً)" (مريم 56) "مِّنَ الصَّالِحِينَ" (الأنبياء 86) "مِّنَ الصَّابِرِينَ" (الأنبياء 85)]** بَعْدَ مَا وَلَدَ مَتُوشَالَحَ ثَلاَثَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً. وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ (أي: كان تقياً) **[⟵ "إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا (أي: باراً)" (مريم 56) "مِّنَ الصَّالِحِينَ" (الأنبياء 86) "مِّنَ الصَّابِرِينَ" (الأنبياء 85)]**، وَلَمْ يُوجَدْ (أي: حيث جرى

البحثُ عنه) لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ[3789] [← "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" (مريم 57)]. وفي العهد الجديد، ذكر كاتبُ الرسالة إلى العبرانيين تلك الآية التوراتية، لكنه لم يعتمد على النص العبري وإنما اعتمد على الترجمة اليونانية (السبعينية) "وأَرْضَى أَخْنُوخُ اللهَ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ نَقَلَهُ" (التكوين 24:5 حسب الترجمة السبعينية)[3790]، فقال في (العبرانيين 5:11): بِالإِيمَانِ نُقِلَ أَخْنُوخُ لِكَيْ لاَ يَرَى الْمَوْتَ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ نَقَلَهُ (أي: رفعه اللهُ حياً بجسده إلى السماء؛ إلى الحضرة الإلهية Shekhinah) [← "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (أي: رِفعة مادية حسية بجسده إلى السماء)" (مريم 57) "وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا" (الأنبياء 86)]. إِذْ قَبْلَ نَقْلِهِ شُهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَرْضَى اللهَ [← "إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا (أي: باراً)" (مريم 56) "مِّنَ الصَّالِحِينَ" (الأنبياء 86) "مِّنَ الصَّابِرِينَ" (الأنبياء 85)].

ثم أضاف العهد الجديد في الرسالة القصيرة والوحيدة المنسوبة إلى شخصٍ يُسمَّى "يهوذا" (Jude) معلومةً جديدة ليس لها أي وجود في الكتاب المقدس قبل ذلك وهي أن أخنوخ نبي [← تسللت هذه المعلومة التي انفردت بها رسالة يهوذا إلى القرآن، فقال إن إدريس كان "نَّبِيًّا" (مريم 56) "مِّنَ النَّبِيِّينَ" (مريم 58)]! فبماذا تَنَبَّأَ أخنوخ؟! الإجابة التي انفردت بها رسالة يهوذا: تَنَبَّأَ أخنوخ بالمجيء الثاني ليسوع المسيح قبل الدينونة العامة (أي: الحساب والجزاء) [← "وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ (أي: وإن نزول المسيح عيسى قبل يوم القيامة لدليلٌ على قُرْبِ وقوع الساعة)" (الزخرف 61). لاحِظ أيضاً أن أول ذِكر لإدريس في القرآن كان في سورة مريم أم المسيح عيسى، مما قد يدل على أن صاحب رواية سورة مريم قد أدرك العلاقة بين أخنوخ/إدريس والمسيح يسوع/عيسى].

ولنقرأ (يهوذا 1): {14} وَتَنَبَّأَ عَنْ هؤُلاَءِ أَيْضًا أَخْنُوخُ [← "إِدْرِيس [...] كَانَ [...] نَّبِيًّا" (مريم 56)] السَّابعُ مِنْ آدَمَ [← "مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ" (مريم 58)] قَائِلاً: «هُوَذَا قَدْ جَاءَ الرَّبُّ (يقصد: يسوع المسيح!) فِي رَبَوَاتِ قِدِّيسِيهِ، {15} لِيَصْنَعَ دَيْنُونَةً عَلَى الْجَمِيعِ، وَيُعَاقِبَ جَمِيعَ فُجَّارِهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ فُجُورِهِمُ الَّتِي فَجَرُوا بِهَا، وَعَلَى جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الصَّعْبَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا عَلَيْهِ خُطَاةٌ فُجَّارٌ».

ويجب هنا أن نذكر ثلاث نقاط مهمة.

أولاً: هذه الرسالة القصيرة جداً (25 آية فقط!) والوحيدة المنسوبة إلى شخصٍ يُسمَّى "يهوذا" كانت بين الكتب المشكوك فيها (questioned books) حتى القرن الثالث أو الرابع وربما الخامس الميلادي[3791].

ثانياً: هذا الشاهد تحديداً (يهوذا 14:1) الذي يذكر نبوة أخنوخ المزعومة مأخوذ من كتب سوديبِجرافا العهد القديم وتحديداً "مأخوذ من كتاب "أخنوخ" الذي يُفهم أنه كُتِبَ بواسطته كما ورد ذكره في (التكوين 5)، لكنه، في واقع الأمر، لم يظهر إلا في القرن الأول ق.م. كان كتاب أخنوخ [الأول] كتاباً له وزنه (a well-respected writing) في زمن العهد الجديد. وكونه ليس قانونياً لا يعني عدم احتوائه على الحق،

ولا يعني أن يهوذا باقتباسه منه يعتبره موحى به". وإنما يعني "أن كُتاب الأسفار المقدسة وجدوا في هذه الاقتباسات ما يؤكد المعنى المراد توصيله للقارئ أو يوضحه"[3792].

ثالثاً: "وبالإضافة إلى هذا الاقتباس الواضح، هناك مفاهيم كثيرة في العهد الجديد لها ما يطابقها في أخنوخ الأول، مثل الطبيعة الروحية لحكم المسيا، وكذلك ألقاب المسيا، مثل "المسيح" أو "الممسوح"، "والبار" "والمختار" "وابن الإنسان"، كما أن مفاهيم العهد الجديد عن الهاوية والقيامة والشياطين مشابهة – لحد بعيد – للمفاهيم الموجودة في أخنوخ. كما أن الكثير من كتابات الآباء تدل على معرفتهم بأخنوخ الأول، فيكاد برنابا وترتليان، مثلاً يعتبرانه في مستوى الأسفار المقدسة، كما أن الكتابات الغنوسية والأبوكريفية تقتبس منه. ولكن ما جاء القرن الرابع [الميلادي] حتى هبطت قيمة الكتاب في الغرب، وأعلن جيروم أنه كتاب أبوكريفي، ولكن ظل استخدامه فترة أخرى في الشرق"[3793].

ونحن طبعاً نتفق أن مجرد كَوْن الكتاب (أخنوخ أو غيره) ليس قانونياً لا يعني بالضرورة عدم احتوائه على الحق، ولكن في الوقت نفسه لا يعني عدم احتوائه على الباطل. بل ترجح هنا كفة الباطل على كفة الحق، لأن كتب سوديبِجرافا العهد القديم كأخنوخ واليوبيلات مثلاً ممتلئة بالأساطير كما رأينا فيما سبق وكما سنرى لاحقاً في أمثلة أخرى. أما فيما يتعلق بمسألة الاقتباسات من الكتب غير القانونية، فإنها ليست مشكلة كبيرة في الكتاب المقدس لأنه ليس كلام الله الحرفي؛ فالوحي في اليهودية والمسيحية وحي إلهام بفكرة معينة (مثلاً: يسوع المسيح كان يشفي المرضى) ثم يقوم الإنسانُ بكتابة هذه الفكرة المُوحى بها من الله لكن مستخدماً أسلوبه ولغته ومفرداته (فيقول مثلاً بأسلوب غير علمي: يسوع المسيح كان يُخْرِج شياطين)، فلا مانع إذن أن يلجأ الكاتبُ إلى اقتباسات مِن الثقافة السائدة في مجتمعه لتوضيح الفكرة وتقريبها إلى الأذهان، وبخاصة إذا كانت تلك الاقتباسات قليلة نسبياً (أي: بالنسبة لحجم الكتاب المقدس). لكن في المقابل، تمثِّل تلك الاقتباسات من الكتب غير القانونية مشكلة كبيرة جداً في القرآن. أولاً: لأنها كثيرة نسبياً (أي: بالنسبة لحجم القرآن) كما رأينا فيما سبق وكما سنرى لاحقاً في أمثلة أخرى. وثانياً: لأن المسلمين يزعمون أن القرآن كلام الله الحرفي (word-by-word dictation)! فهل يُعْقَل أن يلجأ اللهُ إلى أساطير كتب سوديبِجرافا العهد القديم كأخنوخ واليوبيلات مثلاً؟! مستحيل طبعاً. ويجب هنا أن يتذكر القارئ الكريم أن كتاب أخنوخ لم يعترف به اليهود ولا المسيحيون إلا في الحبشة (أثيوبيا)[3794] التي هاجر إليها المسلمون الأوائل أثناء الفترة المكية. فَمِن الواضح إذن أن هذه الأفكار قد تسللت إلى عقول المسلمين الأوائل، فتوهموا أنها من عند الله، مع أنها في الواقع من عند كتاب أخنوخ السوديبِجرافي المنحول. وكما نقول دائماً ونكرر: لم يكن أصحاب القرآن محتاجين أن يقرأوا كتاب أخنوخ ولا كتاب اليوبيلات ولا أي كتاب آخر، فيكفيهم ما كانوا يسمعونه بآذانهم من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة. فهذا يكفي – بل يكفي جداً – لإنتاج كتاب في حَجم القرآن (المصحف).

ولنقرأ سوياً الآيات الأولى من كتاب أخنوخ الأول (1 أخنوخ) (1 Enoch) – الذي يُسمَّى أيضاً "النسخة الحبشية (الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch) أو "مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) – لنرى تأثيرها الواضح على آيات سورة مريم المكية في مصحف قرآن. **(1 أخنوخ 1)[3795]:** {2} تقوّه أخنوخ بأمثاله. كان رجلاً باراً (be'si ṣādiq) **[⟵ "صِدِّيقًا (أي: باراً)" (مريم 56)]** كُشفتْ له رؤية من عند الله **[⟵ "نَّبِيًّا" (مريم 56)]**، فرأى القدوس (أي: الله!) والسماء **[⟵ "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" (مريم 57). لاحِظ أن القرآن يردد نفس الأفكار وبنفس الترتيب! "إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا. وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" (مريم 56-57)]**. وقال [أخنوخ]: "هذا ما أراني الملائكة القدّيسون، ومنهم سمعت كل شيء، وبالمشاهدة اقتنيتُ العلم. [...]". فيُفْهَم من الآية السابقة – ومِن مصحف أخنوخ بصفة عامة – أن أخنوخ تعلَّم الحكمةَ والمعرفة مِن الملائكة[3796]. وتوجد بعد ذلك تفاصيل كثيرة لا تهمنا هنا ولا يتسع المجال لذكرها، فسنكتفي بأن نقول إن مصحف أخنوخ يتحدث بعد ذلك عن صعود (معراج) أخنوخ مع الملائكة إلى السماء (Enoch's heavenly journey)!

وكما تأثر أصحابُ القرآن بمصحف أخنوخ، تأثروا أيضاً بكتاب اليوبيلات (Jubilees) الذي لم يعترف به اليهود ولا المسيحيون إلا في الحبشة (أثيوبيا) أيضاً! ولا غرابة في ذلك، فكما قلنا فيما سبق: كتاب اليوبيلات ومصحف أخنوخ من أهم المصادر التي اعتمد عليها أصحابُ القرآن من أجل تأليف القرآن. بل ليس من المبالغة أن نقول إن كتاب اليوبيلات ومصحف أخنوخ هما المصدران الأساسيان من خارج الكتاب المقدس. فماذا قال كتابُ اليوبيلات عن أخنوخ؟ مدح كتابُ اليوبيلات أخنوخَ مدحاً كثيراً إلى درجة أن جعله أكثر بِرًّا من نوح[3797]! وأعطاه دورَ "الكاتب السماوي" (The Heavenly Scribe) الذي سيكون حاضراً يوم الدينونة (أي: يوم الحساب والجزاء) وسيكتب الحكمَ على العالم وجميع شرور البشر! **(اليوبيلات 4)[3798]:** {23} انتُزِع [أخنوخُ] من بين البشر: حملناه إلى جنّة عدن **[⟵ "وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا" (الأنبياء 86)؛ "أي: في الجنة"[3799]]**، إلى العظمة والكرامة **[⟵ "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (أي: رِفعة معنوية بالعظمة والكرامة)" (مريم 57)]**. وهناك دوّن الدينونةَ والحكمَ على العالم وجميع شرور البشر. {24} [...]، لأنه هناك أقيم كعلامة ليشهد على جميع البشر وليقول جميعَ أعمال الأجيال حتى يوم الدينونة. **(اليوبيلات 10)[3800]:** {17} في حياته (أي: في حياة نوح) على الأرض، تجاوز [نُوحٌ] بالبر (الذي كان فيه كاملاً) (كُلَّ) البشر ما عدا أخنوخ **[⟵ "إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا (أي: باراً)" (مريم 56) "مِّنَ الصَّالِحِينَ" (الأنبياء 86) "مِّنَ الصَّابِرِينَ" (الأنبياء 85)]**، لأن أخنوخ كُلِّف بمهمة الشهادة على أجيال العالم، والقول في يوم الدينونة بما صُنِعَ من جيلٍ إلى جيلٍ.

لكن في المقابل، رفض بعضُ أحبار اليهود أن يُوصَف أخنوخُ بالبار! ولعلهم رفضوا ذلك مخالفةً للمسيحيين الذين يقولون إن أخنوخ نبي (يهوذا 14:1). فنجد في المدراش مثلاً انتقادات لأخنوخ، فقيل إنه كان منافقاً، أحياناً باراً وأحياناً شريراً (Enoch was a hypocrite, acting sometimes as a

righteous, sometimes as a wicked man)! بل قيل إن أخنوخ مات مثل باقي البشر وإن عبارة "اللهَ أَخَذَهُ" (التكوين 5:24) تعني أنه مات[3801]. واستدلوا على ذلك بآية في سفر حزقيال يأتي فيها الفعلُ "أَخَذَ" بمعنى "أماتَ" بلا أدنى شك: "يَا ابْنَ آدَمَ، هأَنَذَا آخُذُ عَنْكَ شَهْوَةَ عَيْنَيْكَ (أي: أميتَ زوجتك) بِضَرْبَةٍ، فَلاَ تَنُحْ وَلاَ تَبْكِ وَلاَ تَنْزِلْ دُمُوعُكَ" (حزقيال 16:24) (Genesis Rabbah 25.1)[3802]. وقالت مصادر يهودية يونانية (مصرية؟) إن أخنوخ كان مذنباً في شبابه ثم تاب وهو شيخ كبير عمره 65 سنة؛ ولعلهم قالوا ذلك لأن التوراة تقول: "وَعَاشَ أَخْنُوخُ خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً، وَوَلَدَ مَتُوشَالَحَ. وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ **بَعْدَ** (وليس: قبل) مَا وَلَدَ مَتُوشَالَحَ" (التكوين 5:21-22)[3803]. فتقول الترجمة اليونانية (السبعينية) لسفر يشوع بن سيراخ، والتي تختلف عن نسخته العبرية: "أخنوخ أرضى الرب، فنُقِلَ إلى السماء وكان مَثَلاً يُشَجِّع الأجيال المقبلة على التوبة"(يشوع بن سيراخ 44:16 اليوناني)، بينما تقول النسخة العبرية إن أخنوخ "كان مَثَلاً (أو: آيةً) في المعرفة (sign of knowledge) للأجيال المقبلة" (يشوع بن سيراخ 44:16 العبري)[3804]!

ويبدو أن أصحاب القرآن قد تجاهلوا هذه الآراء اليهودية الشاذة، أو لعلها لم تصل إليهم، أو لعلهم قد سمعوها، فأرادوا أن يردوا عليها بالتأكيد على بر إدريس ونبوته، فرددوا ما جاء في معظم كتب التراث اليهودي/المسيحي التي أكَّدت على بر أخنوخ، بل وبالغت مبالغة شديدة في وصف هذا البر، إلى درجة وَصْف أخنوخ بعبارات فخمة مثل "كاتِب البر" (scribe de justice) (1 أخنوخ 4:12)، بل "رجل الحقيقة وكاتِب الحق" (homme véridique, scribe de la vérité) (1 أخنوخ 1:15) **[← "إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا (أي: باراً؛ أو: يقول الحق والصدق دائماً) نَّبِيًّا" (مريم 56) "مِّنَ النَّبِيِّينَ" (مريم 58) "مِّنَ الصَّالِحِينَ" (الأنبياء 86) "مِّنَ الصَّابِرِينَ" (الأنبياء 85)]**.

مما سبق يتضح أن أخنوخ: (1) نبي مدحه الكتابُ المقدس ومعظم كتب التراث اليهودي/المسيحي؛ (2) وهو جد أبي نوح؛ (3) ولم يمت بل أخذه الله أو نقله حياً!

فمن هو النبي المذكور في القرآن وتتوافر فيه كل هذه الصفات الثلاث؟ الإجابة: ليس هناك غير النبي إدريس. ولسنا أول مَن يصل إلى هذه النتيجة. فنحن نجد مدحاً لإدريس في سورة الأنبياء المكية: "وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ" (الأنبياء 85-86). ولقد قال تفسير الطبري: "يَعْنِي تَعَالَى ذِكْره بِإِسْمَاعِيل: إِسْمَاعِيل بْن إِبْرَاهِيم صَادِق الْوَعْد، وَبِإِدْرِيس: أَخْنُوخ"[3805]. وكذلك قال تفسير القرطبي: "وَهُوَ أَخْنُوخ"[3806]. ونجد مدحاً لإدريس والتأكيد على أنه نبي وأنه قد رُفِع في سورة مريم المكية: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا. أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ [...]" (مريم 56-58). ملاحظة: القرآن يصف إدريس بكلمة "النبي" بدون أن يشرح لنا بماذا تنبأ! بل بدون أن يجعله ينطق بكلمةٍ واحدة! وهذه ليست المرة الأولى ولا

الأخيرة التي نجد فيها التراث اليهودي/المسيحي أوضح بكثير من القرآن، ولذلك يلجأ المفسرون المسلمون إلى التراث اليهودي/المسيحي من أجل تفسير القرآن.

فحين نقرأ ما قاله المفسرون المسلمون في (مريم 56-58)، نجد كلاماً كثيراً وعنعنات أكثر وآراء مختلفة، لكن يتضح من مجمل هذه الآراء (ويمكن الرجوع إليها بالتفصيل) أن إدريس من ذرية آدم وليس من ذرية نوح، ومِنهم من قال صراحةً إن إدريس جد أبي نوح[3807] كما تقول التوراة، ومِنهم من قال إن إدريس جد نوح وإنه رُفِع ولم يمت كما رُفِع عيسى. على سبيل المثال، يقول تفسير ابن كثير "عن مجاهد في قوله: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً} قال: إدريس رُفِعَ، ولم يمت؛ كما رُفِعَ عيسى"[3808]. لكن في المقابل، حرص فريقٌ آخر من المفسرين المسلمين أن يفسِّروا القرآنَ تفسيراً آخر ظناً منهم أنهم بذلك يُبْعِدون القرآنَ عن التراث اليهودي/المسيحي، فزعموا أن "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" (مريم 57) تعني "رفعة مكانة لا رفعة مكان"[3809] (مع أن القرآن يقول "مَكَانًا"!) قاصدين بذلك أنها رفعة معنوية أي رفعناه في المقام والمنزلة بشرف النبوة والثناء الحسن! وعلى الرغم من عدم وجود تعارض ولا تناقض بين الرفع مادياً حياً إلى السماء والرفع معنوياً في المقام والمنزلة إذ يمكن الجمع بينهما كما رأينا في كتاب اليوبيلات ومصحف أخنوخ، إلا أننا نرى أن التفسير الصحيح للقرآن (أي: التفسير الذي كان يدور في أذهان أصحاب القرآن وَهُمْ يؤلِّفون القرآنَ) هو التفسير المأخوذ من التراث اليهودي/المسيحي السائد: أخنوخ/إدريس رُفِعَ حياً إلى السماء. والدليل الإسلامي على ذلك هو حديث صعود (معراج) محمد مع الملاك جبريل إلى السماء الذي يقول إن محمد رأى إدريس في السماء الرابعة: "[...] ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ. فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام. قِيلَ: مَنْ هذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَك؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا. فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ. فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" (مريم 57) [...]"[3810]. وبغض النظر عن أسطورية قصة الإسراء والمعراج، فإن هذا الحديث الصحيح يدل على أن المسلمين الأوائل قد فهموا "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" (مريم 57) فهماً مستوحى من التراث اليهودي/المسيحي السائد الذي يقول إن أخنوخ لم يمت وإنما رفعه اللهُ حياً إلى السماء. وقيل: رفعه اللهُ حياً إلى السماء ومات هناك فرأى محمدٌ روحَه في ليلة الإسراء والمعراج! وإنْ قلتم إن قصة الإسراء والمعراج تقول إن محمد رأى في السماء أنبياء آخرين غير إدريس، فسنقول: هذا صحيح، لكن الآية القرآنية الوحيدة المذكورة في حديث الإسراء والمعراج كما جاء في صحيح مسلم هي آية إدريس: "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" (مريم 57)، مما يدل على أن رواة الحديث قد فهموا هذه الرفعة على أنها رفعة حسية مادية انفرد بها إدريس دون غيره من الأنبياء وليست مجرد رفعة معنوية يحظى بها كل الأنبياء. ويدل أيضاً على أن رواة الحديث قد فهموا الاختلافَ بين رفع إدريس/أخنوخ ورفع عيسى/يسوع: فحسب العقيدة المسيحية، يسوع مات أولاً ثم قام ثم رُفِعَ، أما أخنوخ فلم يمت أصلاً (العبرانيين 5:11). بل إن وجود الآية القرآنية "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" (مريم 57) في حديث الإسراء والمعراج يدل كذلك على أن المسلمين الأوائل كانوا على دراية بقصة صعود (معراج) أخنوخ المذكورة في كتاب

أخنوخ السوديبِجرافي المزيف، إذ لا يمكن أن تكون مجرد صدفة أن يتحدث مصحف أخنوخ السوديبِجرافي المزور عن معراج أخنوخ مع الملائكة إلى السماء، وأن نجد "وَرَفَعْنَاهُ (أي: ورفعنا إدريس) مَكَانًا عَلِيًّا" (مريم 57) مذكورة في حديث عن معراج محمد مع الملاك إلى السماء. لا يمكن أن يكون كل ذلك مجرد صدفة.

وفي جميع الأحوال، فإننا لا نقول إن إدريس هُوَ هُوَ نفسه أخنوخ، وإنما نقول إن إدريس المذكور في القرآن المكي فقط هو مجرد تطور بشري طبيعي لأخنوخ المذكور في التراث اليهودي/المسيحي فقط. بعبارة أخرى: نحن لا نقول إن أخنوخ = إدريس. وإنما نقول: أخنوخ [← إدريس]. "إدريس" مجرد شخصية قرآنية (Qur'ānic character) مستوحاة من شخصية "أخنوخ".

وكالعادة، لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن أخنوخ شخص حقيقي تاريخي. ولا يوجد أي دليل علمي يثبت أن إدريس شخص حقيقي تاريخي. لا يوجد ولن يوجد.

4.10.2 جذور القرآن في تراث الشرق الأوسط القديم

أشارت موسوعة (Encyclopædia Judaica) إلى جذور شخصية "أخنوخ" (Enoch) في تراث الشرق الأوسط القديم، وتحديداً تراث العراق بلاد الرافدين (Mesopotamia)[3811]:

In comparison with the life-span of his ancestors and descendants, his [i.e. Enoch's] life is short and corresponds in years with the number of days in the solar year. It is further said of him that he "walked with God; then he was no more for God took him" (Gen. 5:23). This cryptic statement implies the existence of some fuller narrative about Enoch, now lost, perhaps connecting him with the sun god (see below). Legend has stepped in to fill the gap. Some scholars have pointed to a similarity with the Mesopotamian story of Enmeduranna, the seventh king before the flood, who was very close to the sun-god to whom his capital city was dedicated. Hess follows Borger (Bibliography) in suggesting that a better Mesopotamian counterpart of Enoch would be Utuabzu, adviser to Enmeduranki. Utuabzu, seventh in a list of sages before the Mesopotamian flood, like Enoch ascended into heaven.

[Nahum M. Sarna / S. David Sperling (2nd ed.)]

In the Apocrypha

In Jewish apocryphal literature of the Second Temple period similar motifs to those of Enmeduranna are connected with Enoch (seventh in Seth's line); he too learned God's mysteries and had access to the heavenly tablets. It is therefore probable that the similarity between the later legends about Enoch and the figure of the Babylonian legendary king can be explained by the fact that Genesis preserves a partly expurgated narrative about Enoch and that some of the original mythological motifs continued to exist in oral tradition until they reached their present form in Jewish pseudepigrapha and medieval legends and mystical literature.

وعلى الرغم من عدم إجماع العلماء والباحثين على وجود علاقة بين شخصية أخنوخ/إدريس وشخصية إنميدورانكي[3812]، إلا أننا نرى أن فكرة أن إنساناً لم يمت مثل باقي البشر وأُخِذَ إلى مكانٍ آخر فكرة قديمة جداً وموجودة أيضاً في تراث العراق بلاد الرافدين (Mesopotamia). على سبيل المثال في ملحمة جلجامش الخالدة (Epic of Gilgamesh) (L'Épopée de Gilgamesh) – التي سوف نشرحها في قصة نوح والطوفان – نجد أن "أوتنابيشتيم" (Utnapishtim) (Outa-napishtim) لم يمت بل منحه الإلهُ أنليل (Enlil) الحياةَ الأبدية (eternal life) "مثل الآلهة" و "أخذه" إلى مكانٍ "بعيد" يُسمَّى "فم الأنهار"! يقول أوتنابيشتيم حسب هذه الأسطورة العراقية القديمة[3813]:

Enlil monta alors dans le bateau ; il prit ma main, et, moi, me fit monter. Il fit (aussi) monter et s'agenouiller ma femme à mon côté. Il toucha nos fronts, et, debout entre nous, nous bénit: « Auparavant, Outa-napishtim était de condition humaine. « À présent, que lui et sa femme soient comme nous, les dieux!	وعندئذٍ صعد أنليل الى السفينة أمسك بيدي وأركبني معه في السفينة وأركب معي أيضاً زوجتي وجعلها تسجد بجانبي ثم لمس ناصيتنا وباركنا قائلاً: لم يكن أوتنابيشتيم قبل الآن سوى بشر ولكن منذ الآن ليكن هو وزوجته مثلنا نحن الآلهة

« Qu'Outa-napishtim demeure au loin, à la bouche des fleuves! »	وليسكن أوتنابيشتيم بعيداً عند "فم الأنهار"
Ils me prirent donc et m'installèrent au loin, à la bouche des fleuves.	وأخذوني بعيداً عند "فم الأنهار"

نكتفي بهذا القدر عن أوتنابيشتيم، فسوف نعود إليه بقدر أكبر من التفصيل في قصة نوح والطوفان كما قلنا. وسوف نعود إلى أوتنابيشتيم – وإلى إدريس أيضاً – مرة أخرى عندما ندرس قصة "موسى والخَضِر" (الكهف 60-82) حيث تحوَّل "فم الأنهار" مكان أوتنابيشتيم حسب ملحمة جلجامش العراقية القديمة إلى "مجمع البحرين" مكان الخَضِر حسب سورة الكهف القرآنية العربية (الكهف 60)[3814]. وكما يزعم مصحف أخنوخ أن أخنوخ تَعلَّم من الملائكة: "هذا ما أراني الملائكة القدّيسون، ومنهم سمعت كل شيء، وبالمشاهدة اقتنيت العلم" (1 أخنوخ 2:1)، كذلك يزعم مصحف قرآن أن الخَضِر تَعلَّم من الله: "عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا" (الكهف 65).

وإنه لمِن الطريف أن بعض الكتاب المسلمين قد وقعوا – ربما بدون قصد – تحت تأثير العلاقة بين الأساطير العراقية القديمة وأخنوخ/إدريس، فقالوا إن إدريس نشأ في العراق القديم! على سبيل المثال، الكاتب السعودي المعروف "سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث" قال في أطلسه الشهير "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل" إن مكان بعثة النبي إدريس هو "العراق القديم"! "فأطاعه نفر قليل، وخالفه جم غفير، فهاجر من ديارهم ببابل في أرض العراق إلى أرض مصر الكنانة، [...]، فأقام إدريس عليه السلام ومَن معه في مصر يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له"[3815]!

ونحن طبعاً لن نعلق على هذا الكلام المضحك الذي يُقال بدون أدنى دليل علمي أو تاريخي، لكن المسلمين يصدقونه بدون شك ولا سؤال لأنهم يريدون أن يصدقونه لأنه يريحهم (wishful thinking) ويحسسهم أن الأنبياء المذكورين في القرآن هُمْ سبب هداية البشر إلى التوحيد! بل هُمْ "أوَّل" مَن قادوا البشر إلى الإيمان بالله!

وهذا الكلام المضحك ينقلنا إلى التراث المصري القديم وإلى ما يُسمَّى بـ "أوَّليات" إدريس، فلقد زعم بعضُ المسلمين (المصريين) أن إدريس هو أوزيريس (Osiris)! تقول حاشية كتاب "أنبياء الله" للشيخ محمد متولي الشعراوي: "وإدريس هو الجيل الخامس من آدم وهو الذي قال عنه بعض العلماء إنه "أوزوريس" الذي تحدثت عنه الأساطير الفرعونية. ولكن نحن لا نعرف ذلك، ولكن السير علمتنا أن إدريس هو أول مَن علمه الله أن يخيط الملابس بعد أن كانوا يسترون عوراتهم بجلود الحيوانات، وهو أول من علمه الله غزل الصوف، وأول من استخدم النجوم في الاهتداء بها في ظلام الليل، كما أنه أول من خط بالقلم. هذه الأشياء كلها تسمى أوَّليات إدريس"[3816]. ويبدو لنا أن هؤلاء "العلماء" المسلمين قد وقعوا – بوعي أو بدون وعي

– تحت تأثير تشابه اسمي إدريس وأوزيريس (حسب النطق اليوناني)، أو ربما تأثروا باللون الأخضر الذي كان يُرْسَم به أوزيريس (أو كما سمَّيناه نحن: الإله الخَضِر)!

ويوجد بالفعل حديث طويل صححه ابنُ حِبَّان يقول إن محمداً قال لأبي ذر: "[...] أربعة [أنبياء رسل سريانيون: آدمُ، وشيثُ، وأخنوخُ وهو إدريسُ وهو أَوَّل مَنْ خَطَّ بالقلم، ونوحٌ. [...] وأُنْزِلَ على أخنوخ ثلاثون صحيفة، [...]"[3817]. وعلى الرغم من أن الألباني والأرنؤوط وغيرهما قد ضعّفوا هذا الحديث، إلا أننا وجدنا كثيراً من المراجع الإسلامية والمواقع الإلكترونية تقول إن النبي إدريس هو أول من خَطَّ بالقلم! وتضيف على ذلك أساطير أخرى يروّج لها بعضُ الشيوخ المسلمين (المصريين) مثل د. علي جمعة مفتي مصر السابق وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر[3818]! أما نحن، فبعد دراستنا للتراث اليهودي/المسيحي الشرقي، نستطيع أن نقول وبكل ثقة ويقين إن ما قاله د. علي جمعة وأمثاله من الشيوخ المسلمين مجرد ترديد للأساطير اليهودية/المسيحية الشرقية (الإسرائيليات) التي نشأت حول أخنوخ قبل الإسلام، وبخاصة في كتاب اليوبيلات ومصحف أخنوخ. فمثلاً يقول كتاب اليوبيلات: "وهكذا كان [أخنوخ] أول البشر على الأرض يتعلّم الكتابة والحكمة والمعرفة" (اليوبيلات 17:4)[3819] **[⟵ يقول التراث الإسلامي إن إدريس "أَوَّل مَنْ خَطَّ بالقلم"!]**! وبما أن الكتابة أصعب من القراءة، فإن القدرة على الكتابة تعني القدرة على القراءة، وهذا ما نجده في مصحف أخنوخ: "وقال لي [الملاكُ] أيضاً: "أنظر، يا أخنوخ، هذه اللويحات السماويّة، إقرأ ما كُتِبَ فيها وتعلّم تفاصيله". فنظرتُ اللويحات السماوية وقرأتُ كل ما كُتِبَ فيها وتعلّمته. قرأتُ جميعَ أعمال البشر، كل أبناء البشر على الأرض حتى الجيل الأخير" (1 أخنوخ 81:1-2)[3820]. وإنه لمِن المضحك أن الأساطير الإسرائيلية التي نشأت قبل الإسلام ما زالت إلى يومنا هذا تُذْكَر في المراجع والمواقع الإلكترونية الإسلامية وعلى ألسنة "كبار العلماء" الذين يقولون إن إدريس هو "أَوَّل مَنْ خَطَّ بالقلم"!

لكن الكتابة بالقلم ليست من صفات الإله المصري القديم أوزيريس، وإنما هي صفة مميزة من صفات الإله المصري القديم "توت" أو "تحوت" (Thoth) إله الحكمة والكتابة والعلم الذي يظهر ماسكاً قلمه الشهير أثناء محاكمة الموتى (Judgment of the dead) التي تحدثنا عنها في فصلٍ سابق **[⟵ قال كتابُ اليوبيلات إن أخنوخ سيكون حاضراً يوم الدينونة وسيكتب الحكمَ على العالم وجميع شرور البشر (اليوبيلات 23:4، 17:10)!]**. ومن المهم جداً أن نقول إن الإله توت أو تحوت لا يزال حاضراً في حياة المصريين (الأقباط) إلى اليوم: فلا يزال أول شهر من شهور السنة القبطية يحمل اسم "توت"! ومن المعلوم أن السنة القبطية تعتمد أساساً على السنة المصرية القديمة وهي سنة شمسية (solar year) تتكون من 365 يوم، أي نفس عدد سنين حياة أخنوخ! "فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً" (التكوين 23:5). صدفة؟! ولقد علمنا من بعض الأصدقاء أن شعار جامعة القاهرة في مصر هو الإله تحوت إله الحكمة والكتابة والعلم، حيث يظهر الإلهُ تحوت جالساً وماسكاً قلمه الشهير!

ويبدو أن التشابه بين صفات الإله تحوت والنبي إدريس/أخنوخ – لا سيما فيما يتعلق بالكتابة بالقلم – هو الذي جعل بعض الكتاب المسلمين (المصريين) يزعمون أن النبي إدريس هو الإله تحوت! على سبيل المثال، د. هدى درويش (رئيس قسم الأديان المقارنة بمعهد الدراسات الآسيوية – جامعة الزقازيق المصرية) ألّفتْ كتاباً كاملاً لتقول إن "كافة المصادر تجمع على أن هِرمِس الأول هو الإله "تحوت" أو "توت" عند المصريين القدماء، وهو أخنوخ عند اليهود، وهو إدريس عليه السلام عند المسلمين الذي علم الإنسانية الحكمة، وطرق المعرفة الإلهية، وطرق التأمل في القدرة الإلهية"[3821]! تعليقنا: نحن بصراحة لا ندري كيف تجمع تلك المصادر المزعومة على هذه النتيجة العجيبة، مع أنه لا يوجد أصلاً أي دليل علمي يثبت أن إدريس شخص حقيقي تاريخي؟! بل إن إدريس نفسه لم ينطق بكلمةٍ واحدة في القرآن!

لكن كيف حدث الخلط بين النبي أخنوخ أو نظيره الإسلامي إدريس في الديانات الإبراهيمية من ناحية والإله المصري القديم "تحوت" (Thoth) أو نظيره الإغريقي "هِرمِس" (Hermes) أو نظيره الروماني "عطارد" (Mercury) في الديانات الوثنية من ناحية أخرى؟!

الإجابة باختصار وتبسيط: بدأ هذا الخلط كالعادة قبل الإسلام، وكالعادة أيضاً: في الشرق. وغالباً في مصر حيث أُدْمِجَ الإلهُ المصري تحوت والإلهُ الإغريقي هِرمِس في شخصٍ واحد هو "هِرمِس الهرامسة" أو "هِرمِس المثلث العظمة" (Hermes <u>Tris</u>megistus). ونظراً لتأثر شخصية أخنوخ في الفكر اليهودي بشخصيتي هِرمِس وتحوت (راجع ما قلناه مثلاً عن دور الكاتب في يوم الحساب والجزاء الذي سيقوم به تحوت حسب الديانة المصرية القديمة بينما سيقوم به أخنوخ حسب كتاب اليوبيلات)، فانتقل هذا الخلط إلى الإسلام في شخص إدريس. "ولا يخفى قرب الحروف الأولى في هذا الاسم (يقصد: طريس Tris) من حروف إدريس، فلعل العرب اختصروا الاسم لطوله فاقتصروا على أوله مع تغيير"[3822]. انتقل هذا الخلط أولاً بصورة مختصرة في القرآن والحديث (cameo appearance)، ثم انتقل بوضوح أكثر في التراث الإسلامي الذي أعطى أوصاف كثيرة لإدريس هي في الواقع أوصاف جذوره الإبراهيمة (أخنوخ) وجذوره غير الإبراهيمية (تحوت/ هِرمِس). يقول معجم الأديان العالمية الذي أصدرته جامعة القاهرة المصرية والذي نرى على غلافه صورةَ الإله تحوت: "ويرى آخرون أن الإله المصري "تحوت"، هو مؤلف النصوص الهرمسية الفلسفية. وليس في القرآن أو الحديث الصحيح، ما يثبت أو ينفي أن "إدريس" هو "هرمس" أو "أخنوخ" أو "تحوت". وسواء أكان "هِرمس" هو "إدريس" أم "أخنوخ" أم "تحوت"، فهذا يسير بنا نحو تأكيد احتمالية نشأته المصرية. خاصة أن كثيراً من أوصاف تلك الشخصيات تتقاطع بشكل أساس؛ مثل حامل الحكمة وحارسها، وكاتب الآلهة، وأول من خط بالقلم وقطع الثياب وخاطها. وقد جعلت المراجع العربية القديمة من "هِرمِس" أوَّل من تكلم في الصنعة (= الكيمياء) ويُنسب له في ذلك عدة كتب، ووقف على عمل الطلسميات، وينسب له أيضاً في ذلك كتب كثيرة (ابن النديم)، كما أنه "أوَّل مَن استخرج الحكمة وعلم النجوم، فإن الله عز وجل أفهَمه أسرار الفلك وتركيبه ونقط اجتماع الكواكب فيه وأفهمه عدد السنين والحساب"

(القفطي)". ويقول نفس المعجم في نفس الصفحة إن "الهرمسية" (Hermeticism) "مجموعة من المعتقدات الفلسفية والدينية (philosophical and religious beliefs) نسبت إلى "هِرمِس المثلث العظمة" (Hermes the Thrice-Greatest) (Hermes Trismegistos). ربما في بدايتها كانت الهرمسية ديناً ثم تحولت إلى تيار غنوصي (عرفاني) فلسفي يجمع بين مزيج من التصورات المصرية والفارسية واليونانية والتنجيم الكلداني وغيرها. تؤمن الهرمسية بالإله المتعالي وتسعى إلى خلاص الإنسان"[3823].

أما الإجابة بالتفصيل فنجدها في موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)[3824]:

> With respect to the roles attributed to Idrīs by Muslim tradition, there is indeed a strong similarity between him and the figures with which he was identified. Hermes Trismegistus is, in effect, the incarnation of Thoth, the Egyptian god, the messenger and scribe of the gods. At the same time, some of the apocalyptic writings gave Enoch eternal life in heaven based on the biblical account that God took him up to himself. During his sojourn in heaven, Enoch acquired the secrets of creation, learned what would happen in the world in the future and the secret of the solar calendar. He was the first to transmit heavenly knowledge to human beings. According to the Jewish book *Ben Sīrā*, Enoch was a “symbol of knowledge for all generations” (*Ben Sīrā* 44:16). Enoch’s primacy also derives from his Hebrew name which means “initiation.” With respect to the planet Mercury, the parallel between Hermes and Mercury is an ancient one. The Jewish Aggada identified Mercury with the sun’s scribe (*BT Shabbat* 156:a). Enoch who, according to the Bible, lived to an age equal to the number of days in a solar year and who transmitted the secrets of the solar calendar to humankind, was also a scribe in the garden of Eden (Jubilees 4:23).
>
> Despite the strong connection between Idrīs, Enoch, Mercury, and Hermes Trismegistus from the point of view of their common roles in human history, there is a great dissimilarity among their names. Generations of scholars have attempted to discover the origins of the name “Idrīs” both within and beyond apocryphal and hermetic literature. Casanova and Torrey maintained that the origin of the name Idrīs is from

Ezra — which entered Islam in the Greek version of the name, Esdras — who also enjoyed a status of distinction in the apocalyptic literature. Albright claimed that Idrīs is a corruption of the last two syllables of Poimandres, the most important work of hermetic literature. Recently, Gil suggested that Idrīs is a corruption of the name Hermes, a name that reached the Arabs in the form of *hīrmīs*.

It may be possible, however, to discover the missing link between the name Idrīs and Enoch by means of the Qumran scrolls. These scrolls are based on the previously extant Enoch literature and excerpts of this apocalyptic literature in Hebrew and Aramaic were found in the twentieth century in caves in the Judean Desert. The Damascus Covenant scroll mentions a character called the "interpreter of the Torah" *(dōresh ha-Torah)*, whose name describes his occupation. The "interpreter" is identified with the "legislator" *(meḥōqeq)* and this links him to Enoch of the apocalyptic literature, who brought the secrets of the heavens to human beings. The connection between Hermes, whose name means "interpretation" *(hermeneia)*, and *dōresh* is clear. In the Damascus Covenant scroll, the "interpreter of the Torah" is also identified with "the star," the name used to refer to Mercury, although its full name in Hebrew is "the sun star." In view of the etymological connection between *dōresh* and Idrīs, and the similarity of their roles and those of Hermes Trismegistus and the planet Mercury, it is possible that the figure of the "interpreter of the Torah" contains the solution to the origin of the name Idrīs. Apparently, the apocalyptic literature of Enoch penetrated Islam in the era of the Prophet by means of the Manichaeans. Fragments of this literature which were discovered in the Qumran caves are the basis of Mani's *Book of giants*.

ولا نزال إلى اليوم نقول باللغة العربية "مُحنَّك" بمعنى: خبير أو حكيم أو متمكن من الدراسة والمعرفة في مجالٍ ما. فهل توجد علاقة بين "مُحنَّك" و "حنوك" الاسم العبري الأصلي لأخنوخ/إدريس؟ ربما.

في ضوء كل ما سبق، نقول لجميع أحبائنا المسلمين إن وجود تشابهات في الأسماء أو الصفات أو الأقوال أو الأفعال بين شخصية معينة في تراث الشرق الأوسط القديم (تحوت أو هِرمِس أو أوزيريس أو أوتنابيشتيم أو إنميدورانكي أو أخنوخ أو غيرهم) وشخصية أخرى في القرآن (إدريس مثلاً)، لا يعني أن الشخصية الثانية = الشخصية الأولى، وإنما يعني أن الشخصية الثانية مجرد تطور بشري طبيعي للشخصية الأولى. أي يعني أن الشخصية القرآنية مجرد تطور بشري طبيعي للشخصية الشرق-أوسطية القديمة. فكما لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن تحوت / هِرمِس / أوزيريس / أوتنابيشتيم / إنميدورانكي / ... له وجود حقيقي، كذلك لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن أخنوخ شخص حقيقي تاريخي. وكذلك أيضاً لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن إدريس شخص حقيقي تاريخي. كلها شخصيات أسطورية نشأت نتيجة دمج عن عمد (fusion; conflation) أو خلط عن جهل (confusion) لشخصيات خيالية أو حقيقية أقدم منها. ومَن يعترض على ذلك فعليه أن يعطينا دليلاً علمياً واحداً يثبت أن إدريس القرآني أو أخنوخ الكتابي شخص حقيقي تاريخي. كالعادة، لا يوجد أي دليل علمي. ولن يوجد أي دليل علمي.

الخلاصة: نحن لا نقول إن تحوت / هِرمِس / أوزيريس / أوتنابيشتيم / إنميدورانكي / ... = أخنوخ = إدريس. وإنما نقول إن تراث الشرق الأوسط القديم **[← أخنوخ ← إدريس]**.

العلاقة بين هذه الشخصيات الشرقية ليست التطابق "=" (identification)، وإنما التطور البشري الطبيعي "←" (natural human development). أو بعبارة أخرى نقول: أصحاب القرآن أنتجوا شخصيةَ "إدريس" بناء على أخبار سمعوها عن شخصيات شرق-أوسطية أقدم منه، وكالعادة طوَّروا تلك الأخبار تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة حتى تتفق مع معتقداتهم وأهدافهم. واستمر هذا التطور البشري الطبيعي في التراث الإسلامي.

نظرية التطور البشري الطبيعي (natural human development) هي التي تفسِّر كيف خرج القرآنُ مِن رحم الشرق الأوسط القديم. بل هي التي تفسِّر كيف خرج الإسلامُ مِن رحم الشرق الأوسط القديم.

4.10.3 "أوَّليات" إدريس!

وأخيراً يجب أن نعلق على ما يُسمَّى في التراث الإسلامي بـ "أوَّليات إدريس" والتي أثبتنا في الصفحات السابقة أنها أصلاً فكرة قديمة جداً وموجودة في التراث اليهودي/المسيحي الشرقي (الإسرائيليات) قبل الإسلام، فيما يُسمَّى بـ "أوَّليات أخنوخ" (Enoch's primacy). على سبيل المثال، يقول كتاب اليوبيلات: "وهكذا كان [أخنوخ] أوَّل البشر على الأرض يتعلّم الكتابة والحكمة والمعرفة، ويكتب في كتاب علامات السماء (أي: علم الفلك astronomy) حسب نظام الأشهر، لكي يعرف البشر الفصول حسب ترتيبها، شهراً شهراً. وكان [أخنوخ] أوَّل مَن دوَّن شهادة بين الأرضيين وأعطى شهادة للبشر. تكلّم عن أسابيع اليوبيلات، وعرَّف أيام السنة، وقدَّم ترتيب الأشهر، وتحدَّث عن السبوت كما **علّمناه [نحن الملائكة]**" (اليوبيلات 4:17-18)[3825].

والمهم هنا أن نلاحظ أن مصدر عِلْم أخنوخ هو الملائكة، أي: مصدر سماوي وليس مصدراً أرضياً! وهذا ما يزعمه مصحف أخنوخ أيضاً الذي يقول إن ملاكاً علَّم أخنوخ حركة الأجرام السماوية! "في ذلك الوقت كلّمني الملاكُ أورئيل (Uriel) فقال: "هذا ما أريتُك يا أخنوخ. كَشفتُ (أي: أوحيتُ؛ I have revealed) لك كل شيء لكي ترى هذه الشمس، هذا القمر، أولئك الذين يقودون كواكب السماء وجميع الذين يجعلونها تدور، عملها، زمنها، وموضع خروجها"" (1 أخنوخ 1:80)[3826].

تسللت هذه الفكرة من التراث اليهودي/المسيحي الشرقي (الإسرائيليات) إلى التراث الإسلامي كما رأينا فصارت تُعْرَف باسم "أوَّليات إدريس". وبمرور الوقت، كبرت الأسطورةُ وتحوَّلت إلى "أوَّليات الإسلام" أو "أوَّليات القرآن"! فصرنا نسمع كثيراً في البروباجاندا الإسلامية-العربية أن القرآن هو "أوَّل" مَن قال كذا وكذا قبل العلم الحديث بمئات السنين، أو ما يُسمَّى بـ "الإعجاز العلمي". وهدف هذه البروباجاندا هو نفس هدف كتاب اليوبيلات ومصحف أخنوخ: الترويج لفكرة أن مصدر القرآن هو الله، أي: مصدر سماوي وليس مصدراً أرضياً! وأن محمداً تلقَّى الوحي من الملاك جبريل. (كما تلقى أخنوخُ الوحي من الملاك أورئيل!)

وكما نرفض البروباجاندا الموجودة في كتاب اليوبيلات ومصحف أخنوخ وغيرهما من كتب سوديبِجرافا العهد القديم، كذلك نرفض البروباجاندا الإسلامية-العربية. وبنفس المنطق نرفض البروباجاندا المصرية التي تزعم أن إدريس/أخنوخ هو مَن علَّم المصريين القدماء كذا أو كذا.

وبعد أن عرفنا كيف نشأت أسطورة "الإعجاز العلمي"، بقي أن نعرف لماذا نشأت؟ الإجابة: لأن اليهود الموحِّدين أرادوا أن ينفوا أنهم تلقوا العلمَ والحكمة والمعرفة من الأمم الوثنية التي حولهم، وعلى رأسها بالطبع الحضارة المصرية القديمة والحضارة العراقية القديمة، وكلتاهما حضارتان زراعيتان بخلاف اليهود الذين كانوا أصلاً "أَهْلَ مَوَاشٍ" (التكوين 34:46) "رُعَاة غَنَمٍ" (التكوين 3:47) "مِّنَ الْبَدْوِ" (يوسف 100). فزعم اليهود أنهم تلقوا العلمَ من آبائهم القدماء، مثلاً أخنوخ البار الذي "سَارَ مَعَ اللهِ [الواحد الأحد الذي لا شريك له]" (التكوين 22:5، 24). ثم انتقلت هذه الأساطير اليهودية إلى المسيحيين الشرقيين، فنجد مثلاً إفرام السرياني (القرن الرابع الميلادي) يزعم أن آدم ونوح قد سبقا المصريين القدماء والعراقيين القدماء في معرفة الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية! ثم انتقلت هذه الأساطير اليهودية والأساطير المسيحية الشرقية إلى المسلمين، فصرنا نسمع مَن يزعم أن القرآن (أو محمد) قد سبق الغرب في معرفة كذا أو كذا من العلوم الحديثة! ونسمع مَن يزعم أن إدريس هو مَن علَّم المصريين القدماء كذا أو كذا! إنه حلم التفوق على الحضارات الزراعية والأمم الأخرى، بل وَهْم التفوق على الحضارات الصناعية والأمم الأخرى.

وخير ما نختم به كلامَنا عن إدريس "أَوَّل مَنْ خَطَّ بالقلم" هو ما قاله العالِم اليهودي الكبير (Prof. James Kugel) تحت عنوان "أخنوخ الكاتِب السماوي" (Enoch the Heavenly Scribe)[3827]:

[…] In other words, the motif “Enoch the Heavenly Scribe” began as a way of asserting that astronomical teachings had not come to Israel from the sages of other peoples and were not connected with the worship of other gods, but had originated with someone whom Genesis listed among Israel’s ancestors (albeit a remote one) and someone who was a devotee of the one true God. […].

The same worry about the Mesopotamian origins of the knowledge of astronomy continued to plague later writers. It is therefore most interesting to observe that Ephraem, for example, went out of his way to specify that Adam – and no Babylonian – was the one to figure out that the lunar year falls short of the solar one by eleven days:

> From that [first] year Adam and his descendants learned to add eleven days to each [lunar] year. The Chaldeans [Babylonians] thus were clearly not the ones to put the seasons and the years in order. These things had been put into order before [by] Adam.
>
> Noah and those with him were in the ark three hundred and sixty-five days. Observe, therefore, that the generation of Noah had used this calculation of three hundred and sixty-five days [in a solar year]. Why then should you say that the Chaldeans and the Egyptians discovered its arrangement?
>
> – Ephraem, *Commentary on Genesis* 1:25, 6:12

وأخيراً نقول لأحبائنا المسلمين: أنتم غرقى في بحر كبير وعميق مِن الأساطير والأوهام والأكاذيب. فإن أردتم حقاً أن تبنوا مجتمعات مستقرة ودولاً حديثة، فعليكم أولاً أن تتحرروا مِن كل تلك الأساطير والأوهام والأكاذيب. والحقيقة وحدها هي التي ستحرركم: "تَعْرِفُونَ الْحَقَّ (أي: الحقيقةَ؛ اللهَ)، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ (أي: يُحَرِّرُكُمْ مِن الباطل؛ يُحَرِّرُكُمْ مِن الشيطان والخطية والموت؛ يُحَرِّرُكُمْ مِن العالم الفاني؛ يُحَرِّرُكُمْ مِن الجهل بالله الذي يؤدِّي إلى كل المعاصي وجميع الخطايا)" (يوحنا 32:8) "فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الابْنُ (أي: المسيحُ) فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا (أي: تتحولون من عبيد للشيطان إلى أبناء لله)" (يوحنا 36:8).

4.11 هل الأنبياء معصومون؟ قَالَ نُوحٌ: رَّبِّ اغْفِرْ لِي! رَبِّ إِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ!

ننتقل الآن إلى أسطورة أخرى من أساطير "القصة البدائية" (The Primeval Story) وهي قصة نوح[3828] (Noah) (Noé) التي اهتم بها القرآنُ بصفة عامة، والقرآنُ المكي بصفة خاصة. فلقد ذكر القرآنُ اسمَ نوح 43 مرة، وأكثر من 80% منها في القرآن المكي[3829]! كما كرر القرآنُ قصةَ نوح 10 مرات! وكلها بلا استثناء روايات مكية! وهي حسب الترتيب الزمني لسور القرآن[3830]: (القمر 9-17) (الأعراف 59-64) (الشعراء 105-122) (يونس 71-73) (هود 25-49) (الصافات 75-82) (نوح بتمامها 1-28) (الأنبياء 76-77) (المؤمنون 23-30) (العنكبوت 14-15)!

حكى صاحبُ رواية سورة القمر (مكية) القصةَ باختصار، فمثلاً لم يذكر صراحةً أن نوحاً قد نجا في سفينة (فُلك) ولم يقل صراحةً إن الكافرين المكذبين من قوم نوح قد هلكوا جميعاً بالغرق في الطوفان (Flood; Deluge)، على اعتبار أن كل هذه المعلومات مشهورة ويعرفها السامعون، ولذلك لم يحرص صاحبُ هذه الرواية أن يقولها. وإنما كان حريصاً أن يربط بين قصة نوح مع قومه وقصة محمد مع قومه في مكة: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ (أي: قبل قومك يا محمد) قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (أي: انتهروه بالسب وتوعدوه بالأذى بل بالقتل حتى يمتنع عن تبليغ رسالته[3831]) {9} فَدَعَا [نُوحٌ] رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (أي: انصرني عليهم؛ انتقم لي منهم) {10} فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (أي: بمطرٍ غزير منصب بشدة وتتابع) {11} وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا (أي: شققنا الْأَرْضَ عُيُونًا متفجرة بالماء) فَالْتَقَى الْمَاءُ (أي: ماءُ السماء وماءُ الأرض) عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (أي: قدَّره اللهُ وقضاه) {12} وَحَمَلْنَاهُ (أي: حَمَلْنَا نُوحًا) عَلَىٰ [سفينةٍ] ذَاتِ أَلْوَاحٍ [من خشب] وَدُسُرٍ (قيل: مَسَامِير (nails) تُثَبِّت الألواح الخشبية؛ وقيل: خُيُوط من ليف تشد أَلْوَاح السَّفِينَة؛ وقيل: مَا تُشَدّ بِهِ أَلْوَاح السَّفِينَة مِنْ الْمَسَامِير وَغَيْرهَا؛ وقيل: أَضْلَاع السَّفِينَة؛ وقيل: صَدْرهَا الَّذِي يُضْرَب بِهِ الْمَوْج؛ وقيل: طَرَفَاهَا[3832]!) {13} تَجْرِي [السفينةُ على الماء] بِأَعْيُنِنَا (أي: بمرأى منا؛ بأمرنا وحفظنا وحراستنا) جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (أي: ثواباً لنوح الذي كَذَّبه قومُه) {14} وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً (أي: عِبرةً؛ دليلاً وعلامةً على قدرتنا لمن بعد نوح، والمراد: لمعاصري محمد[3833]) فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (أي: مُتذكِّرٍ مُتَّعظ) {15} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (أي: إنذاراتي بالعذاب قبل وقوعه) {16} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ (أي: للتلاوة والحفظ؛ للفهم والتدبر؛ للتذكر والاتعاظ) فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (أي: مُتَّعظ بمواعظه؛ معتبر بعبره) {17}.

حرص صاحبُ رواية سورة الأعراف (مكية) أن يملأ الفراغات التي تركها صاحبُ الرواية السابقة، فذكر الفُلك (أي: السفينة) صراحةً وقال إن الكافرين المكذبين من قوم نوح قد هلكوا بالغرق، كما ذكر مضمونَ رسالة نوح وهو الدعوة إلى التوحيد[3834]! لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [وحده] مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ [يستحق العبادة] غَيْرُهُ[3835] إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (أي: يوم القيامة! و/أو: يوم الطوفان) {59} قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ (أي: سادتهم وكبراؤهم) إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {60} قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ

بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {61} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {62} أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {63} فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ (أي: السفينة) وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (أي: عُمْيَ القلوب؛ غير مبصرين الحق) {64}.

قال صاحب رواية سورة الشعراء (مكية): كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ {105} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ (أي: أخوهم نسباً أو جنساً لا ديناً) أَلَا تَتَّقُونَ (أي: ألا تخشون عقابَ الله على كفركم ومعاصيكم؟!) {106} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ [من الله] أَمِينٌ (أي: حفيظ على توصيل رسالته إليكم كما أوحاها إليَّ) {107} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ {108} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ (أي: مال أو جاه أو أي مقابل آخر) ۖ إِنْ أَجْرِيَ (أي: ثوابي) إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ {109} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ {110} قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ[3836] (أي: سفلة الناس وأقلهم جاهاً ومالاً؛ المستضعفون وأهل الصناعات الخسيسة)[3837] {111} قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (أي: لم أُكلَّف بمعرفة أعمالهم ولا حسبهم ولا نسبهم ولا مناصبهم ولا نواياهم؛ إنما كُلِّفت أن أدعوهم إلى الإيمان فما أنا إلا بَشِير ونَذِير) {112} إِنْ حِسَابُهُمْ [على ضمائرهم وأعمالهم] إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ {113} وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ {114} إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ {115} قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (أي: من المقتولين رمياً بالحجارة[3838]؛ وقيل: من المطرودين[3839]) {116} قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ {117} فَافْتَحْ (أي: فَاحْكُمْ؛ فافصل) بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {118} فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (أي: في السفينة المملوءة بهم وبالدواب والطعام) {119} ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ {120} إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً (أي: دلالة واضحة على قدرة الله؛ عِبْرةً لمن يعتبر) ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم (أي: أكثر قوم نوح؛ و/أو: أكثر قوم محمد) مُّؤْمِنِينَ {121} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ [في انتقامه من الكفار وَالعُصَاة] الرَّحِيمُ [بعباده التائبين المؤمنين الطائعين] {122}.

قال صاحب رواية سورة يونس (مكية): وَاتْلُ [يا محمد] عَلَيْهِمْ (أي: على كفار قومك) نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي (أي: إن كان وجودي فيكم قد أصبح شاقاً عليكم) وَتَذْكِيرِي [إياكم] بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ (أي: اعتمدتُ؛ وثقتُ) فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ (أي: فأعدُّوا قرارَكم وادعوا حلفاءَكم و/أو آلهتكم لنصرتكم) ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً (أي: لا تجعلوا أَمْرَكُمْ مستتراً خفياً بل ظاهراً منكشفاً) ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ (أي: نفِّذوا إن استطعتم ذلك الأمر الشرّ بي) وَلَا تُنظِرُونِ (أي: ولا تمهلوني؛ لا تؤخروني) [فأنا لا أخاف منكم لأن الله يحميني ويحفظني] {71} فَإِن تَوَلَّيْتُمْ (أي: أعرضتم عن دعوتي) [فهذا لن يضيرني] فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ (أي: لم أطلب منكم مَالًا أخشى عليه الضياع بسبب إعراضكم؛ لم أطلب منكم مَالًا يوجب ثقله عليكم وإعراضكم) ۖ إِنْ أَجْرِيَ (أي: ثوابي) إِلَّا عَلَى اللَّهِ [سواء آمنتم أو تَوَلَّيْتُمْ] ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (أي: مُنقاداً لحكم الله وحده؛ مُسَلِّماً جميع أموري إلى الله وحده؛ مستسلماً لأوامر الله ونواهيه وخاضعاً له بالطاعة) {72} فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ (أي: السفينة) وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ (أي:

خُلفاء (جمع "خليفة") يسكنون الأرض بعد هلاك المكذبين الكافرين الذين أغرقهم الطوفان) وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ [يا محمد] كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ {73}.

أما صاحبُ رواية سورة هود (مكية) فانفرد بذكر اسم الجبل الذي استقرت عنده سفينة نوح، لكن كالعادة لم يحدد مكانه! وانفرد أيضاً بتأكيده عدة مرات على العقيدة اليهودية/المسيحية التي تقول إن النجاة (أي: الخلاص) بالرحمة (أي: بالنعمة) الإلهية (هود 28، 41، 43، 47) وكذلك الفكرة المسيحية التي تقول إن القرابة الحقيقية هي قرابة الإيمان والدين وليس قرابة العائلة والنسب (Faith over Family) (هود 46). إنها الرواية القرآنية الأكثر دراما وتذكر تفاصيل مهمة، ويبدو لنا أن صاحبها كان على دراية بالتراث اليهودي/المسيحي، فاستطاع بمهارةٍ أن يطوّره تطوراً بشرياً طبيعياً ويقول: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {25} أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (أي: يوم القيامة! و/أو: يوم الطوفان) {26} فَقَالَ الْمَلَأُ (أي: الزعماء؛ الأشراف) الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ [يا نوح إنك لست نبياً لأمور ثلاثة هي:]

مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا [فليس فيك مزية خاصة تستحق بها النبوة دوننا]

وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا (the riffraff among the people) (أي: أسافلنا؛ الطبقة الدنيا منا؛ الفقراء الأخساء وأتباع الحرف الدنية) بَادِيَ الرَّأْيِ (sans réfléchir) (أي: اتبعوك في ظاهر الرأي من غير تعمق ولا تحقق؛ اتبعوك بسرعة وسطحية مِن غير تفكر ولا تفهم ولا رويَّة لأنهم غير مثقفين لا يدركون مواقع الخطأ فيما تقول)

وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ [في رزقٍ ولا مالٍ ولا جاهٍ ولا أي شيء آخر لمَّا دخلتم في دينكم هذا] بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ {27}

قَالَ [نُوحٌ لهم رداً يتكون من ثلاث نقاط أيضاً:]

يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ (أي: برهان واضح؛ حُجة ظاهرة) مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً (أي: نبوةً؛ رسالةً) مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ (أي: فأخفاها عليكم وحَجَب نورها عنكم) أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (أي: فهل يصح - وهل نستطيع - أن نجبركم على الإيمان بالإكراه؟ كلا، ولكن نَكِل أمركم إلى الله حتى يقضي في أمركم ما يشاء) {28}

وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا (أي: لا أطلب على تبليغ رسالة ربي أجراً تؤدونه إليَّ) ۖ إِنْ أَجْرِيَ (أي: ثوابي) إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ [صائرون إلى الله يوم القيامة[3840]! فهو يجازيهم على إيمانهم ويعاقبني إن طَرَدتُّهُمْ بسبب فقرهم ووضعهم الاجتماعي المتدني] وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (أي: لا تعلمون ما يصح أن يتفاضل به الخلق عند الله. أهو الغنى والجاه؟ أم اتباع الحق وعمل الخير؟) {29}

وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ (أي: لا أحد يستطيع أن يُخلِّصني مِن عقابِ الله) إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (أي: تتعظون؛ تتدبرون الأمور فتعلموا ما هو الأنفع لكم والأصلح) {30} وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ [حتى تستدلوا بعدمها على كذبي] وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ [بل لم أقل لكم إلا أنني نَذِيرٌ مُّبِينٌ] وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ [حتى تردوا عليَّ بقولكم إنني بَشَر مثلكم] وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ [من هؤلاء الفقراء المستضعفين المؤمنين] لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ [ولئن قلتُ ذلك أو طَرَدتُّهُمْ من مجلسي] إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ [لأنفسهم ولغيرهم] {31}

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا (أي: بهذا العذاب الأليم الذي تخوفنا منه وتخافه علينا) إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {32} قَالَ [نوحٌ لهم] إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (أي: بمانعين عذابه ولا بمفلتين منه إذا جاء عاجلاً أو آجلاً لأن الله لا يعجزه شيء) {33} وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ (أي: يُضلَّكم!) (to misguide you) (to cause you to err) (to lead you astray)[3841] ۚ هُوَ رَبُّكُمْ (أي: مَالِكَكم) وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [في الآخرة للحساب والجزاء!] {34} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ (أي: أيقول المشركون من قوم نوح إن نوح افترى هذا القول؟؛ أو: أيقول كفار مكة من قوم محمد إن محمد اختلق هذا القرآن ومنه قصة نوح؟)ۖ قُلْ [لقومك يا نوح؛ أو: قل لقومك يا محمد[3842]] إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي (أي: فَعَلَيَّ إثم ذلك لا عليكم ولا على غيركم) وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (أي: وإذا كنتُ صادقاً فأنتم الآثمون بكفركم وتكذيبكم) {35} وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ (أي: فَلَا تحزن) بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ[3843] {36} وَاصْنَعِ الْفُلْكَ (أي: السفينةَ) بِأَعْيُنِنَا (أي: بمرأى منَّا؛ تحت رعايتنا وعنايتنا وحفظنا) وَوَحْيِنَا (أي: أمرنا وإرشادنا بكيفية الصنع) وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا (أي: لا تسألني العفوَ عن أحد من الكافرين المكذبين) ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (أي: إني حكمتُ بإغراقهم لا محالة) {37} وَيَصْنَعُ [نُوحٌ] الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ (قيل: لأنه يصنع سفينةً على البر بعيداً عن الماء!؛ أو قالوا له: كُنتَ نبياً فأصبحت نجاراً!)ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا [الآن] فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ [في المستقبل عند الغرق] كَمَا تَسْخَرُونَ [الآن][3844] {38} فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ (أي: يُذلُّه؛ وهو: عذاب الغرق في الدنيا) وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (أي: عذاب دائم خالد؛ وهو: عذاب النار في الآخرة!) {39} حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا [بإهلاك الكافرين المكذبين] وَفَارَ التَّنُّورُ (oven; furnace) (أي: الفرن أو بيت النار الذي ينضج فيه الخبز!) قُلْنَا [لنوح] احْمِلْ فِيهَا (أي: في السفينة) مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (أي: مِن كل نوع من الحيوانات ذكراً وأنثى ليبقى لهما نسلٌ بعد هلاك الحيوانات في الطوفان) وَأَهْلَكَ (أي: أهلَ بيتك) إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ (أي: الحكم بالإهلاك) وَمَنْ آمَنَ [مِن قومك]ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ {40} وَقَالَ [نُوحٌ للمؤمنين] ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {41} وَهِيَ (أي: السفينة) تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ [يعلو ويرتفع] كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ (قيل: كنعان؛ وقيل: يَام؛ وقيل إن يَام اسم آخر لكنعان[3845]!) وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ (أي: في ناحيةٍ من السَّفِينَة؛ أو: منعزلاً عن دعوة أبيه) يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ[3846] {42} قَالَ [ابنُ نوح] سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ [مرتفعٍ] يَعْصِمُنِي (أي: يحميني) مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ [نُوحٌ لابنه] لَا عَاصِمَ

الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ [الأكثر ارتفاعاً من الْجِبَالِ] فَكَانَ [ابنُ نوح] مِنَ الْمُغْرَقِينَ {43} وَقِيلَ (أي: قال اللهُ للأرض بعد هلاك قوم نوح الكفار) يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي (أي: امتنعي عن إنزال المطر) وَغِيضَ الْمَاءُ (أي: نقص ونَضَب حتى جفّ) وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ (أي: رست السفينةُ واستقرت عند الجبل المسمى بالْجُودِيِّ؛ قيل: قرب الْمَوْصِل في شمال العراق حالياً!)ۖ وَقِيلَ بُعْدًا (أي: هلاكاً وسُحْقاً؛ طرداً من رحمة الله) لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (أي: الكافرين؛ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر)[3847] {44} وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي [وقد وَعَدْتني بنجاةِ أهلي] وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ [الذي لا يُخلَف] وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ {45} قَالَ [اللهُ] يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ [الذين وعدتك أن أنجيهم، وذلك بسبب كُفره. إنما أهلك هُم المؤمنون، فالقرابة الحقيقية هي قرابة الإيمان والدين وليس قرابة العائلة والنسب]ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ [وأنت يا نوح لا ينتسب إليك العمل السيء، فهو ليس من أهلك؛ وإنما أهلك هُم أهل دينك وعقيدتك]ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (أي: ما لا تعلم الْحَقَّ فيه)ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ (أي: أحذرك أن تكون؛ أرشدك إلى الْحَقّ لكيلا تكون) مِنَ الْجَاهِلِينَ (أي: الآثمين) {46} قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي [ذنبي[3848]] وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ {47} قِيلَ (أي: قال اللهُ) يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ (أي: جماعات مِن ذُريَّة المؤمنين الذين معك في السفينة سيكونوا مؤمنين مثلهم)ۚ وَأُمَمٌ (أي: لكن جماعات أخرى مِن ذُريَّتهم سيصيروا كُفاراً) سَنُمَتِّعُهُمْ [في الحياة الدنيا] ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ [يوم القيامة!] {48} تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ [يا محمد]ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَاصْبِرْ [على قومك كما صبر نوح على قومه]ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ (أي: المستقبل الطيب في الدنيا و/أو الآخرة the Eschaton) لِلْمُتَّقِينَ {49}.

قال صاحب رواية سورة الصافات (مكية): وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ (أي: دعانا لننصره على قومه) فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ[3849] {75} وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ [المؤمنين] مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (أي: الغم الشديد؛ وهو: الطوفان والغرق؛ وقيل: أذى الكفار) {76} وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ (أي: ذُرِّيَّةَ نوح) هُمُ الْبَاقِينَ {77} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ [ثناءً حسناً] فِي الْآخِرِينَ (أي: في الأجيال التالية) {78} سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ {79} إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {80} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {81} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (أي: الكافرين المكذبين من قومه) {82}.

وانفرد صاحب رواية سورة نوح (مكية) بذكر أسماء الآلهة (الأوثان) التي كان قومُ نوح يعبدونها من دون الله (نوح 23). وختم روايتَه بأن وضع على لسان نوح دعاءً على الكافرين! لكنه لمِن العجيب حقاً أن رواية سورة نوح لقصة نوح لا تذكر فُلْكَ نوح! إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ[3850] مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (أي: عذاب النار في الآخرة! أو: عذاب الموت غرقاً بالطوفان في الدنيا) {1} قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {2} أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ [وحده] وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ {3} يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ[3851] وَيُؤَخِّرْكُمْ (أي: يُمدد في أعماركم) إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى (أي: نهاية آجالكم؛ يقصد: فلا يعذبكم في الدنيا)ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ (أي: الموتَ) إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {4} قَالَ [نُوحٌ] رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا {5} فَلَمْ يَزِدْهُمْ

دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا {6} وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ [حتى لا يسمعوا صوتي] وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ (أي: غطوا وجوههم بثيابهم حتى لا يروا وجهي) وَأَصَرُّوا [على الكفر] وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا {7} ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا {8} ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ [في حال] وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا [في حال أخرى] {9} فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا[3852] {10} يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (أي: يُنْزل عليكم المطرَ غزيراً متتابعاً)[3853] {11} وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ (أي: حدائق؛ بساتين) وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا {12} مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (أي: لا تخافون عظمةَ الله وسلطانه؛ لا ترون لله عظمةً)[3854] {13} وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (أي: كَرَّات متدرجة؛ نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ولحماً! أو: أطفالاً ثم صبياناً ثم شباباً ثم شيوخاً)[3855] {14} أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (أي: بعضها فوق بعض؛ متطابقة؛ متناسقة متوافقة) {15} وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا[3856] {16} وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (أي: ابتدأ خلقكم في الأصل من طين الأَرْضِ لمَّا خلق أباكم آدم منها) {17} ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا (أي: تموتون فتتحلل أجسادكم حتى تعود إلى الأرض) وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (أي: يخرجكم من الأرض بالبعث يوم القيامة!) {18} وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (أي: ممهدة كالبساط!) {19} لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (أي: طرقاً واسعة)[3857] {20} قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (أي: ضلالاً في الدنيا وعقاباً في الآخرة) {21} وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (أي: كبيراً عظيماً) {22} وَقَالُوا (أي: قال الرؤساءُ للأتباع) لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ (أي: لا تتركوا عبادة آلهتكم إلى عبادة الله الواحد الذي يدعو إليه نُوحٌ) وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا {23} وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا {24} مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ (أي: بسبب ذنوبهم وإصرارهم على الكفر والطغيان) أُغْرِقُوا [بالطوفان في الدنيا] فَأُدْخِلُوا نَارًا (أي: نار جهنم بعد قيام القيامة والحساب في الآخرة؛ وقيل: عذاب القبر!) فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا {25} وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (أي: لا تترك من الكافرين بك أحداً حياً على الأرض يدور ويتحرك!) {26} إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ [دون إهلاك واستئصال] يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا (أي: مُنحرفاً عن الحق معانداً له) كَفَّارًا (أي: شديد الكفر بك والعصيان لك)[3858] {27} رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ (أي: الكافرين) إِلَّا تَبَارًا (أي: هلاكاً وخسراناً في الدنيا والآخرة!) {28}.

قال صاحب رواية سورة الأنبياء (مكية): وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ (أي: دعا ربَّه أن يُطهِّر الأرض من الكافرين المكذبين من قومه[3859]) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ[3860] فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ [المؤمنين] مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {76} وَنَصَرْنَاهُ (أي: خلَّصناه) مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ [بالطوفان] {77}.

أما صاحب رواية سورة المؤمنون (مكية)، فمن الواضح جداً تأثره الشديد برواية سورة هود (أو بعبارة أكثر دقة: بالتقليد الشفوي الذي أنتج روايةَ سورة هود)، إذ استخدم نفس الكلمات والعبارات مثل

"جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ" و "اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا" و "مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ" و "وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ"، فقال: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [وحده] مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ [يستحق العبادة] غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ {23} فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ [للعامة] مَا هَٰذَا (أي: نوح) إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ (أي: يُريدُ أن يتميز عليكم؛ يريد رئاسةً وسيادةً عليكم) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ {24} إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ (أي: مَسٌّ من الجنون) فَتَرَبَّصُوا بِهِ (أي: انتظروه؛ اصبروا عليه) حَتَّىٰ حِينٍ (أي: حتى ينكشف جنونه أو يترك دعوته أو يموت) {25} قَالَ [نُوحٌ] رَبِّ انصُرْنِي [عليهم] بِمَا كَذَّبُونِ (أي: بسبب تكذيبهم لدعوتي) {26} فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا (أي: فأدخِلْ في السفينة) مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ {27} فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ (أي: فإذا علوتم على السفينة مستقرين عليها) فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا (أي: خلَّصنا) مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {28} وَقُل [عند نزولك من السفينة إلى الأرض] رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا (أي: يَسِّر لي النزول في منزلٍ مبارك آمن) وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ {29} إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ (أي: دلالات واضحة على صدق رسل الله فيما جاؤوا به من الله؛ عبراً وعظات لمن بعد نوح، والمراد: لكفار مكة مِن قوم محمد) وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (أي: نختبر الأمم بإرسال الرسل إليهم قبل وقوع العقوبة بهم؛ نعاملهم معاملة المختبَرين ليظهر المؤمن والكافر والمطيع والعاصي!) {30}.

وانفرد صاحب رواية سورة العنكبوت (مكية) بتحديد المدة الطويلة جداً التي لبثها نوحٌ في قومه، لكن كالعادة بدون أن يحدد زمانه ولا مكانه! وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا (أي: 950 سنة!)(3861) فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (أي: لم يستجيبوا له طوال هذه المدة!) {14} فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (أي: علامةً وعبرة وعِظة للعالم أجمع الذين أتوا بعدهم) {15}.

سؤال لكل مسلم عاقل: لماذا ذكر القرآنُ نفس القصة في عشرة مواقع؟! أليس هذا في حد ذاته دليل على أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله؟ ألم يكن من الأفضل أن يذكر القرآنُ القصةَ كاملةً في مكانٍ واحد - وليكن مثلاً سورة نوح - وبعد ذلك في المواقع الأخرى ممكن يشير إليها (أي: يعمل cross-reference) تسهيلاً على القارئ ومنعاً للتكرار الذي يصل أحياناً إلى استخدام نفس الكلمات لكن بترتيب مختلف! قارن مثلاً بين: "فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ" (المؤمنون 27) و "وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ. [...] حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ" (هود 37-40).

وتوجد بالفعل آيات قرآنية أخرى أشارت إلى قصة نوح إشارةً سريعة باختصار بدون تفاصيل، مثل: "وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ" (النجم 52)، "وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (أي:

خارجين عن دين الله وطاعته)" (الذاريات 46)، "وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا" (الفرقان 37)، "إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ (أي: جاوز ماءُ الطوفان حدَّه حتى علا وارتفع فوق كل شيء) حَمَلْنَاكُمْ [في أصلاب آبائكم وأمهاتكم الذين كانوا مع نوح] فِي الْجَارِيَةِ (أي: في السفينة). لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ" (الحاقة 11-12). ويُفْهَم من القرآن أن قوم نوح هُمْ أول قوم يُهْلِكهم اللهُ: "وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا (أي: أغنياءها) [بالإيمان والطاعة] فَفَسَقُوا فِيهَا (أي: فعصوا أمرَ ربهم وكذَّبوا رسله)[3862] فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ (أي: الحكمُ بالعذاب والهلاك) فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا. وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ (أي: الأمم) مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا" (الإسراء 16-17).

كما توجد آية مهمة في **سورة التحريم المدنية** ويمكن أن نضمها إلى الروايات القرآنية المكية العشر السابقة، فهي توضح أن امرأة نوح كانت كافرة أو منافقة (أي: موالية للكفار) وستدخل النار في الآخرة، مما يعني أنها لم تركب السفينةَ مع نوح وإنما هلكت مع الهالكين بالغرق (إذا كانت حية إلى يوم الطوفان مثل ابن نوح): "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ (أي: يا محمد) جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا (أي: خيانةً روحية؛ خَانَتَاهُمَا في الدين، فقد كانتا كافرتين أو منافقتين) فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا (أي: لم تنفعهما علاقتهما الأسرية بالمؤمنين الأبرار نوح ولوط) وَقِيلَ [لامرأة نوح وامرأة لوط يوم القيامة] ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (أي: مع الشيطان إبليس والْكُفَّار وَالْمُنَافِقِين؛ لا فرق بينكما وبين مَن ليس له صِلة قرابة بنبي أو غيره، فالنجاة من نار جهنم يوم القيامة تكون بالإيمان والطاعة في الدنيا وليس بالشفاعة ولا بالعلاقات الأسرية أو العائلية)" (التحريم 9-10)[3863].

4.11.1 مصادر القرآن من التوراة

قال صاحبُ رواية سورة هود متحدثاً عن قصة نوح ومُوجّهاً خطابه إلى محمد أو إلى المسلمين الأوائل بصفة عامة: "تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا" (هود 49)! فهل كان رسول الإسلام وقومه فعلاً لا يعلمون قصةَ نوح؟! الحقيقة هي أن القصة مشروحة بالتفصيل في سفر التكوين في التوراة قبل القرآن بمئات السنين! حتى وإن كان هناك بعض الاختلافات بين القصة التوراتية والروايات القرآنية المتعددة لقصة نوح، فإن أوجه التشابه أكثر بكثير جداً من أوجه الاختلاف كما سنرى.

"نوح" اسم سامي معناه "راحة" (rest)[3864]. ويتضح من (التكوين 5:1-32) وهو كتاب مواليد (أي: سلسلة أنساب) من آدم (Adam) إلى نوح (Noah) الذي ذكرناه سابقاً أن نوح هو العاشر من آدم – أي قبل إبراهيم [← **وكذلك في القرآن نجد أن نوحاً قبل إبراهيم: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا" (النساء 163)؛ (الأنعام 84) (الحديد 26)**].

ولنتوقف قليلاً عند ميلاد نوح. **(التكوين 5):** {28} وَعَاشَ لاَمَكُ (Lamech) [أبو نوح] مِئَةً وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ ابْنًا. {29} وَدَعَا اسْمَهُ نُوحًا، قَائِلاً: «هذَا يُعَزِّينَا (وفي الترجمة اليونانية (السبعينية): يُريحُنا[3865]) عَنْ عَمَلِنَا وَتَعَبِ أَيْدِينَا مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ الَّتِي لَعَنَهَا الرَّبُّ» **[⟵ حَوَّل أصحابُ القرآن أمنية والد نوح في بداية القصة إلى دعاءٍ وضعوه على لسان نوح في نهاية القصة: "رَّبِّ اغْفِرْ [...] لِوَالِدَيَّ" (نوح 28). وهذا قد يعني أنهم فهموا كلمةَ "يُعَزِّينَا" أو "يُرِيحُنا" بمعنى يُخلِّصنا من ذنوبنا، أي: يستغفر لنا]**.

ثم يشرح الإصحاح السادس من سفر التكوين أسباب الطوفان ومن بينها شر الإنسان وفساده وظلمه وطغيانه. **(التكوين 6):** {1} وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، {2} أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا (يقصد: اختلط الخير مع الشر وساد الشر وانتشر الفساد[3866]). {3} فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ (أي: لاَ يَدِينُ رُوحِي الإِنْسَانَ؛ يقصد: لن يظل الروح القدس يبكِّت الإنسَانَ الشرير ويدعوه للتوبة والبر) إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ (أي: لحم ودم؛ والمراد: سيموت mortal). وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً (أي: الحد الأقصى لحياة أشرار هذا الجيل (أو: حياة الإنسان بصفة عامة) هو 120 سنة (أو: 120 سنة إضافية) كفرصةٍ أخيرة للتوبة وبعد ذلك الموت)». {4} كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ (Nephilim)[3867] **[⟵ "إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى" (النجم 52)]** فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ (gibbōrīm) الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ (أي: الذين يعتبرهم الناس منذ القِدَم أبطالاً مشهورين، مع أنهم في نظر الله مجرد جبابرة طغاة خطاة ساقطين)[3868] **[⟵ "الْمَلَأُ (أي: الرؤساء؛ السادة والأشراف)" (الأعراف 60) "مَلَأٌ" (هود 38) "الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا" (هود 27) (المؤمنون 24)]**. {5} وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ **[⟵ "إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" (الذاريات 46) "قَوْمًا عَمِينَ" (الأعراف 64) "قَوْمَ سَوْءٍ" (الأنبياء 77) "إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى" (النجم 52). لكن أصحاب القرآن أضافوا أسباباً أخرى للطوفان، أهمها: عبادة الأصنام من دون الله! وأضافوا أيضاً أن نوحاً هو الذي طلب من الله أن يعاقب الكافرين! والله استجاب له! (نوح 21-28) (الشعراء 117-120) (الصافات 75-78) (الأنبياء 76-77) (القمر 9-12) (المؤمنون 26-27)]**. {6} فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. {7} فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ **[⟵ "الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (أي: إني حكمتُ بإغراقهم لا محالة)" (هود 37) (المؤمنون 27)]**، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ».

وبما أن قصة طوفان نوح هي أول قصة هلاك في التوراة (أي: في الكتاب المقدس كله)، فنستطيع إذن أن نقول إن القرآن قد صدَّق التوراةَ في أن قوم نوح هُمْ أول قوم يُهْلِكهم اللهُ **[⟵ "وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ (أي: الأمم) مِن بَعْدِ نُوحٍ" (الإسراء 17)]**.

وصدَّق القرآنُ التوراةَ أيضاً في الثناء على نوح لأنه كان رجلاً باراً تقياً. **(التكوين 6):** {8} وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً (grace) **[⟵ "رَحْمَةً" (هود 28) "تَرْحَمْنِي" (هود 47) "لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ" (هود 43)]** فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ (LORD)[3869] **[⟵ "أَعْيُنِنَا" (القمر 14) (هود 37) (المؤمنون 27)]**. {9} هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً[3870] (perfect; flawless)؛ والترجمة الأكثر دقة: (wholehearted) (بالعبرية: tamim) (بالآرامية: shelīm) **[⟵ بالعربية: "سَلِيم" وربما جاءت منها كلمة "مُسْلِم". "وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (أي: مستسلماً بالكامل لأمر الله)" (يونس 72)]** فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ (God) **[⟵ "سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ. إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ" (الصافات 79-81) "إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا" (الإسراء 3) "وَنُوحًا هَدَيْنَا" (الأنعام 84)؛ (آل عمران 33) (التحريم 10). وأضاف القرآنُ على كل ما سبق أن نوحاً نبي ورسول: "رَسُولٌ أَمِينٌ" (الشعراء 107) "رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ" (الأعراف 61) "أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ" (هود 25) (المؤمنون 23) (نوح 1) (العنكبوت 14) (الأعراف 59) "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا" (الحديد 26)]**. {10} وَوَلَدَ نُوحٌ ثَلاَثَةَ بَنِينَ: سَامًا، وَحَامًا، وَيَافَثَ.

وكذلك صدَّق القرآنُ التوراةَ في أن الله أخبر نوحاً مباشرةً بقرار إهلاك الأشرار. **(التكوين 6):** {11} وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ (God)، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا (بالعبرية: ḥāmās؛ أي: عُنْفاً؛ وقد تعني: الوثنية، الشرك، عبادة الأصنام idolatry[3871]) **[⟵ وكذلك في اللغة العربية والقرآن يُفسَّر "الظلم" بمعنى الكفر لأن الظلم هو وضع الشيء (العبادة مثلاً) في غير موضعه: "إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ" (النجم 52) "الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (المؤمنون 28) (هود 44) "الظَّالِمِينَ" (نوح 24، 28) "الَّذِينَ ظَلَمُوا" (هود 37) (المؤمنون 27) "وَهُمْ ظَالِمُونَ (أي: ظالمون لأنفسهم بالكفر)" (العنكبوت 14)]**. {12} وَرَأَى اللهُ (God) الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ. {13} فَقَالَ اللهُ (God) لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا (بالعبرية: ḥāmās؛ أي: عُنْفاً؛ وقد تعني: الوثنية، الشرك، عبادة الأصنام idolatry) مِنْهُمْ **[⟵ "إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ" (النجم 52) "الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (المؤمنون 28) (هود 44) "الظَّالِمِينَ" (نوح 24، 28) "الَّذِينَ ظَلَمُوا" (هود 37) (المؤمنون 27) "وَهُمْ ظَالِمُونَ" (العنكبوت 14)]**. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ **[⟵ "الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (أي: إني حكمتُ بإغراقهم لا محالة)" (هود 37) (المؤمنون 27)]**.

ثم تقول التوراة إن الله شرح لنوح بالتفصيل كيف يصنع فُلْكَ النجاة (سفينةَ الخلاص). ونلاحظ أن التوراة كانت أكثر دقة من القرآن. أولاً: لأنها ذكرت تفاصيل أكثر بكثير من القرآن؛ لكن حرصاً على عدم الإطالة سنكتفي ببعض التفاصيل على سبيل المثال وليس الحصر. ثانياً: لأنها وضَّحت أن "الفُلْك" لم يكن سفينةً عادية، بل لم يكن سفينةً أصلاً؛ وإنما كان تابوتاً (ark) (صندوقاً) مغلقاً حتى لا تُغْرِقه مياهُ الأمطار وضخماً حتى يضمن ثباته واستقراره، فليس من المهم أن يكون الفلك جميلاً وإنما المهم أن يكون آمناً وكبيراً

وواسعاً حتى يدخل فيه ذلك العدد الهائل من الطيور والحيوانات الضخمة كالفيل والزرافة والخرتيت وفرس النهر (سيد قشطة) والتمساح مثلاً! **[← أما القرآن فوصف التابوتَ عدة مرات بكلمة "فُلْك" التي تعني "سفينة" (العنكبوت 15) وهذا غير دقيق إطلاقاً[3872]. بل يُفْهَم من (يس 41-43) أن أصحاب القرآن ظنوا أن السفن التي يركبها معاصروهم تشبه سفينة نوح! "وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ (أي: آباءهم وأجدادهم!) فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ (أي: مثْل سفينة نوح من السفن وغيرها من المراكب[3873]!) مَا يَرْكَبُونَ. وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ (أي: مغيث) لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ" (يس 41-43)! اقرأ أيضاً " وَعَلَيْهَا (أي: وعلى الأنعام في البر) وَعَلَى الْفُلْكِ [في البحر] تُحْمَلُونَ" (المؤمنون 22) التي استخدمت كلمةَ "الْفُلْك" بمعنى السفن التي يركبها أصحابُ القرآن ومعاصروهم، ثم جاءت بعدها مباشرةً رواية سورة المؤمنون لقصة نوح (المؤمنون 23-30) التي استخدمت نفس الكلمة "الْفُلْك" (المؤمنون 27)!].**

ومع ذلك، علينا أن نعترف بأن القصة التوراتية تعاني من مشكلات سنوضحها أيضاً فيما يلي ...

(التكوين 6): {14} [قَالَ اللهُ لِنُوحٍ:] اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا (الترجمة الأكثر دقة: تابوتاً) (ark) **[← وكذلك حسب القرآن، جاء الأمرُ الإلهي: "اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا (أي: سنشرح لك بالتفصيل كيف تصنعها)" (هود 37) (المؤمنون 27)]** مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ (قيل: خشب السَّرْو؛ خشب الكافور؛ خشب الأَرْز؛ والمراد: نوع متين من الخشب) **[← "أَلْوَاحٍ [من خشب]" (القمر 13)]**. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ (أي: غُرَفاً)، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِل وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ (أي: بالزِّفْتِ؛ مادة صمغيَّة كانت تُستخدَم للصق الألواح الخشبية ولسد الشقوق حتى تمنع تسرب الماء من خلال الخشب) **[← "دُسُرٍ (أي: حبال من ليف لسد الشقوق) (caulks)[3874][3875]" (القمر 13)]**. {15} وَهكَذَا تَصْنَعُهُ: ثَلاَثَ مِئَةِ ذِرَاعٍ (أي: حوالي 135م أو 140م) يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ، وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضُهُ (أي: حوالي 22م أو 23م)، وَثَلاَثِينَ ذِرَاعًا ارْتِفَاعُهُ (أي: حوالي 13م أو 14م)[3876]. {16} وَتَصْنَعُ كَوًّا لِلْفُلْكِ، وَتُكَمِّلُهُ إِلَى حَدِّ ذِرَاعٍ مِنْ فَوْقُ (أي: نافذةً أو نوافذ على انخفاض نحو 45 سم من سقف الفلك، حتى يدخل الهواءُ وضوءُ النهار إلى الفلك). وَتَضَعُ بَابَ الْفُلْكِ فِي جَانِبِهِ. مَسَاكِنَ سُفْلِيَّةً وَمُتَوَسِّطَةً وَعُلْوِيَّةً (أي: غُرَفاً في ثلاثة طوابق) تَجْعَلُهُ. {17} فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ **[← "الطُّوفَان" (العنكبوت 14)]** عَلَى الأَرْضِ لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الأَرْضِ يَمُوتُ. {18} وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ **[← "ارْكَبُوا فِيهَا" (هود 41) "اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ" (المؤمنون 28)]** أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ **[← "أَهْلَكَ (أي: أهل بيتك)" (المؤمنون 27) "أَهْلَكَ [...] وَمَنْ آمَنَ [مِن قومك وَمَا] هُمْ قلائل]" (هود 40)، فمعيار النجاة - حسب القرآن - هو التوبة والإيمان وليس مجرد الانتساب إلى نوح. وفي هذا الإطار، أضاف أصحابُ القرآن استثناءً "إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ (أي: الحكم بالإهلاك)" (هود 40) "إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ" (المؤمنون 27). وهذا الاستثناء يشمل ابن نوح الذي هلك (هود 42-43) وامرأته التي هلكت إن كانت لم تمت قبل الطوفان**

(التحريم 10). وهذا يعني أن نوح القرآني لم يحمل معه كل أقاربه بينما حمل أناساً ليسوا من أقاربه؛ أو باختصار: حمل فقط جميعَ المؤمنين سواء كانوا من أقاربه أم لا]. {19} وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، اثْنَيْنِ (one pair) مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَى الْفُلْكِ لاسْتِبْقَائِهَا مَعَكَ. تَكُونُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. {20} مِنَ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنَ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنْ كُلِّ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. اثْنَيْنِ (one pair) مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَيْكَ لاسْتِبْقَائِهَا (أي: لاستمرار الحياة بعد الطوفان) **[⟵ "احْمِلْ فِيهَا (أي: في السفينة) مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (one pair) (أي: مِن كل نوع من الحيوانات ذكراً وأنثى ليبقى لهما نسلٌ بعد هلاك الحيوانات في الطوفان)" (هود 40) "فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (one pair)" (المؤمنون 27)]**. {21} وَأَنْتَ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُؤْكَلُ وَاجْمَعْهُ عِنْدَكَ، فَيَكُونَ لَكَ وَلَهَا طَعَامًا **[⟵ "الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (أي: السفينة المملوءة بهم وبالدواب والطعام)" (الشعراء 119) (يس 41)]**». {22} فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ اللهُ (God). هكَذَا فَعَلَ **[⟵ "وَيَصْنَعُ [نُوحٌ] الْفُلْكَ" (هود 38)]**.

لاحظنا من الآيات التوراتية السابقة أن التابوت الذي صنعه نوحٌ لم يكن له دفَّة ولا مجداف ولا شراع، أي أنه لم يكن يتحرك بعِلْم إنسان ولا بمهارة بحَّار وإنما كان يتحرك بأمر الله وحده[3877]. فمع أن التابوت قد صُنِعَ بأيدي بشرية ومن موارد أرضية طبيعية كالخشب وخلافه ولم ينزل مِن السماء، إلا أنه كان يجري بإرادة السماء[3878] **[⟵ عبَّر أصحابُ القرآن عن ذلك بقولهم: "بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا" (هود 41) "تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا (أي: بأمرنا وحفظنا وحراستنا؛ بمرأى منا)" (القمر 14). لكن يبدو أن أصحاب القرآن توهَّموا أن كل فُلْك (أي: سفينة) تجري في البحر بأمر الله! بدليل: "اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ" (الجاثية 12) "وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ" (إبراهيم 32) "وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ" (الحج 65) "وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ" (الروم 46) "وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ (أي: السفن التي تجري) فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (أي: رافعة سواريها وأشرعتها كالجبال). إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ" (الشورى 32-33) "وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ" (الرحمن 24) "أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ" (لقمان 31) "رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي (أي: يُسيِّر؛ يسوق) لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ" (الإسراء 66)[3879]! وطبعاً هذه مشكلة كبيرة جداً في كتاب القرآن العربي تؤكد أنه كلام بشر 100% وليس كلام الله ولا علاقة له بالله. لأنه لو كان كلام الله أو له علاقة بسيطة بالله لعرف أنه توجد أنواع أخرى من السفن تجري في البحر بلا شراع وليس "بأمر الله" ولا "بنعمة الله" وإنما تجري بالمجداف مثلاً أو بالموتور في عصر العلم الحديث[3880]]**.

نعود إلى قصة نوح التوراتية⟵القرآنية ...

على الرغم من دقة التوراة في وصف تابوت نوح ودخول اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ، أي: اثْنَيْنِ مِنَ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا، وَاثْنَيْنِ مِنَ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَاثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا (التكوين 6:19-20)، "غير أن التدخل الحاخامي سرعان ما يظهر في فقرة أخرى من سفر التكوين عندما ميّز بين الحيوانات الطاهرة

وغيرها، فجعل أعداد الأولى سبعة أزواج والثانية زوجين اثنين"[3881]! **(التكوين 7):** {1} وَقَالَ الرَّبُّ (LORD) لِنُوحٍ: «ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ **[⟵ "ارْكَبُوا فِيهَا" (هود 41) "اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ" (المؤمنون 28)]**، لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هذَا الْجِيلِ. {2} مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةً سَبْعَةً (seven pairs) ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ (one pair): ذَكَرًا وَأُنْثَى. {3} وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضًا سَبْعَةً سَبْعَةً (seven pairs): ذَكَرًا وَأُنْثَى. لاسْتِبْقَاءِ نَسْل عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. {4} لأَنِّي بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا أُمْطِرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَأَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ كُلَّ قَائِمٍ عَمِلْتُهُ». {5} فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ الرَّبُّ (LORD).

"وهذه الإضافة الفقهية التفسيرية (يقصد: التكوين 7:2-5) يخالفها النص التوراتي السابق (يقصد: التكوين 6:19-21) والقرآن الكريم، وكذلك النص التوراتي اللاحق الذي يتحدث عما قام به نوح فعلاً"[3882].

(التكوين 7): {6} وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ **[⟵ "الطُّوفَانُ" (العنكبوت 14)؛ لكن يُفْهَم من نفس الآية القرآنية أن الطوفان حدث لمَّا كان عُمْر نوح 950 سنة أو أكثر: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ" (العنكبوت 14)]** عَلَى الأَرْضِ، {7} فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ [سَام وَحَام وَيَافَث] وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ (أي: 8 أفراد فقط[3883]!) **[⟵ "وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" (هود 40) "وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ" (الشعراء 121)]** [دخلوا] إِلَى الْفُلْكِ **[⟵ "ارْكَبُوا فِيهَا" (هود 41) "اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ" (المؤمنون 28)]** [لينجوا] مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ. {8} وَمِنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ، وَمِنَ الطُّيُورِ وَكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ: {9} دَخَلَ اثْنَانِ اثْنَانِ (one pair) إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَمَا أَمَرَ اللهُ (God) نُوحًا **[⟵ "احْمِلْ فِيهَا (أي: في السفينة) مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (one pair)" (هود 40) "فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (one pair)" (المؤمنون 27)]**.

"وبهذا نتأكد أن هذا النص [التوراتي] قد أدرجت فيه نصوص تفسيرية وضعها مفسّرو الكتاب المقدس وشراحه، لكنها بالتأكيد، إذا تعرّضت للمراجعة والنقد فلن تجد لها موقعاً داخل النص ويظهر تناقضها ومخالفتها للسياق العام للنصوص الأساسية"[3884]. وكذلك اعترفت الترجمة اليسوعية بوجود روايتين متوازيتين مختلفتين، فتقول في بداية قصة طوفان نوح التوراتية (التكوين 6-9): "يضم هذا المقطع روايتين متوازيتين: الأولى يهوية مليئة بالألوان والحيوية (6/5-8 و7/1-5 و10/7 و12 و17 و22-23 و8/2-3 و6-13 و20-22) والثانية كهنوتية أكثر دقةً وتفكيراً، لكنها أكثر جفافاً (6/9-22 و7/6-11 و13-16 و18-21 و24 و8/1-5 و13-19 و9/1-17). وقد راعى المحرّر الأخير هاتين الشهادتين اللتين أخذهما عن التقليد. ولم يحاول أن يزيل ما بينهما من اختلاف في التفاصيل"[3885]. وكذلك قال أيضاً "الكتاب اليهودي

الدراسي" (Jewish Study Bible) وإن ذكر الآراء (الحيل؟) الأخرى التي حاولت أن تبرر هذا الاختلاف[3886]:

Genesis 6.19-20: This contradicts 7.2, in which the LORD instructs Noah to take seven pairs of the clean animals and two unclean animals ([...]). Critical scholars explain the contradiction by attributing 6.19-20 to the Priestly source (P) but 7.2 to the J [i.e. Jahwist; Yahwist] source. Only the latter reports Noah's sacrifice when he emerges from the ark (8.20-21). If there were only one pair of each animal, this sacrifice would actually lead to the extinction of the species offered. The source-critical explanation receives corroboration from the use of God in 6.9-22 but "LORD" in 7.1-5, which suggests (as do other features of the flood story) that two slightly differing stories have been interwoven. Traditional [i.e. medieval] commentators have other explanations: for example, that *two* in 6.19 means "at least two" (Rashi [ca. 1040-1105]) or that a pair of each species would come of their own accord, but Noah would later have to capture seven pairs of the "clean" species to use for the sacrifice (Ramban [1194-1270]).

ومن الأمور العجيبة فعلاً في هذه القصة التوراتية←القرآنية أن الطيور والحيوانات التي كانت مع نوح في التابوت منها ما كان مفترساً كالأسد والنمر والذئب ومنها ما كان غير مفترس كالخروف والأرنب والدجاج، وعلى الرغم من ذلك لم تعتد الحيوانات المفترسة على غير المفترسة! فهل هذا معقول؟!

(التكوين 7): {10} وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأَرْضِ. {11} فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ (the great deep) (أي: تَفَجَّرَت المياهُ من الينابيع العميقة في باطن الأرض؛ حدثت فيضانات في البحار والأنهار) **[⟵ "فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا" (القمر 12) "جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ" (هود 40) (المؤمنون 27)]**، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ (أي: انْفَتَحَتْ نوافذُ السَّمَاءِ فَهَطَلَ الْمَطَرُ) **[⟵ حوَّل أصحابُ القرآن "نوافذ السَّمَاءِ" إلى "أَبْوَاب السَّمَاءِ": "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ" (القمر 11)[3887]]**. {12} وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً (أي: 40 يوماً متواصلة) **[⟵ "مَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (أي: مطر غزير منصب بشدة وتتابع)" (القمر 11)]**. {13} فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ دَخَلَ نُوحٌ، وَسَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ بَنُو

نُوحٍ، وَامْرَأَةُ نُوحٍ، وَثَلاَثُ نِسَاءِ بَنِيهِ مَعَهُمْ إِلَى الْفُلْكِ [← "ارْكَبُوا فِيهَا" (هود 41) "اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ" (المؤمنون 28)]. {14} هُمْ وَكُلُّ الْوُحُوشِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا: كُلُّ عُصْفُورٍ، كُلُّ ذِي جَنَاحٍ. {15} وَدَخَلَتْ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ (one pair) مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ. {16} وَالدَّاخِلاَتُ دَخَلَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، كَمَا أَمَرَهُ اللهُ (God) [← "احْمِلْ فِيهَا (أي: في السفينة) مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (one pair)" (هود 40) "فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (one pair)" (المؤمنون 27)]. وَأَغْلَقَ الرَّبُّ (LORD) عَلَيْهِ.

(التكوين 7): {17} وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأَرْضِ. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ [← "فَالْتَقَى الْمَاءُ (أي: ماءُ السماء وماءُ الأرض)" (القمر 12)] وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ، فَارْتَفَعَ عَنِ الأَرْضِ. {18} وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتْ جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَكَانَ الْفُلْكُ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ [← "وَهِيَ (أي: السفينة) تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ" (هود 42)]. {19} وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرًا جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ [← "وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ [يعلو ويرتفع] كَالْجِبَالِ" (هود 42)]. {20} خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ (أي: ارتفعت المياهُ فوق أعلى قمة جبل بحوالي 7 متر ونصف!) [← "طَغَى الْمَاءُ (أي: جاوز ماءُ الطوفان حدَّه حتى علا وارتفع فوق كل شيء!)" (الحاقة 11). ونفهم من رواية سورة هود أيضاً أن المياه كانت أعلى من الجبال، بدليل أن ابن نوح هلك مع أنه لجأ إلى أحد الجبال "وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ [الأكثر ارتفاعاً من الجِبالِ] فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ" (هود 43)]. {21} فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ، وَكُلُّ الزَّحَّافَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَزْحَفُ عَلَى الأَرْضِ، وَجَمِيعُ النَّاسِ [← "فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ" (الأنبياء 77) "مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ (أي: بسبب خطاياهم) أُغْرِقُوا" (نوح 25) "الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ" (هود 37) (المؤمنون 27) "فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ" (العنكبوت 14)]. {22} كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ. {23} فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالدَّبَّابَاتِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الأَرْضِ [← "فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ" (الأنبياء 77)؛ (الأعراف 64) (الشعراء 120) (يونس 73) (الصافات 82) (الفرقان 37)]. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ [← "فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ" (الأعراف 64) "فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ" (الشعراء 119) "فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ" (يونس 73) "فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ" (العنكبوت 15) "فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَنَصَرْنَاهُ (أي: خلّصناه)" (الأنبياء 76-77) "وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ" (الصافات 76)]. {24} وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأَرْضِ مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا.

ويُفْهَم ضمنياً من الآيات التوراتية السابقة أن طوفان نوح كان كارثةً عالمية (a global flood) (a universal event)[3888][3889]! ومع ذلك، يوجد رأي آخر يقول إن الطوفان كان إقليمياً أو محلياً. وسواء

كان الطوفان عالمياً في كل مكان أم محلياً على قوم نوح فقط، فيُفْهَم من التوراة - وكذلك القرآن - أن جميع الذين لم يركبوا مع نوح في فُلْك النجاة قد هلكوا، بما فيهم الأطفال الصغار! فما ذنب هؤلاء الأبرياء؟! بل ما ذنب الحيوانات التي هلكت كالطُّيُور وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ؟! ... أسئلة كثيرة نطرحها أمام كل إنسان عاقل.

(التكوين 8): {1} ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا عَلَى الأَرْضِ [لتجفيف المياه] فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ. {2} وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ **[← "وَقِيلَ (أي: قال الله للأرض) يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ" (هود 44)]** وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ [انْسَدَّتْ أيضاً]، فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ **[← "وَقِيلَ [...] يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي (أي: امتنعي عن إنزال المطر)" (هود 44)]**. {3} وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ **[← "وَغِيضَ الْمَاءُ (أي: نقص ونَضَب)" (هود 44)]**، {4} وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ (Ararat) (قيل: في أرمينيا حالياً[3890]؛ وقيل: في أقصى شرق تركيا حالياً شمال شرق بحيرة ڤان (Lake Van)؛ وقيل: في شرق تركيا حالياً وشمال منطقة ما بين النهرين دجلة والفرات) **[← "فحطّت [السفينةُ] على قمة لوبار (Lûbâr)، أحد جبال أَرَارَاط" (اليوبيلات 5:28) ← "وارتاحت [السفينةُ] [...] على جبال كَردو (Kardo)" (البشيطا - التكوين 8:4) أو "جبال قَردون (Kardun)" (ترجوم نيوفيتي - التكوين 8:4) أي: كردستان في شمال العراق[3891] ← "وَاسْتَوَتْ (أي: استقرت السفينةُ) عَلَى الْجُودِيِّ[3892][3893] (قيل: في شمال العراق)" (هود 44)]**. {5} وَكَانَتِ الْمِيَاهُ تَنْقُصُ نَقْصًا مُتَوَالِيًا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ. وَفِي الْعَاشِرِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، ظَهَرَتْ رُؤُوسُ الْجِبَالِ.

وبعد ذلك، تقول التوراة إن نوحاً أطلق غراباً (raven) ثم أرسل حمامةً (dove) 3 مرات حتى لم تعد الحمامة. **(التكوين 8):** {6} وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّ نُوحًا فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا، {7} وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا (أي: ظل يحوم ولا يدخل الفلك) حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. {8} ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، {9} فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. {10} فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، {11} فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ (a freshly plucked olive leaf) فِي فَمِهَا[3894]. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ [لأن الزيتون لا ينمو على ارتفعات شاهقة]. {12} فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَيْضًا [فأدرك أن مياه الطوفان قد انحسرت عن الأرض]. {13} وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ، فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، أَنَّ الْمِيَاهَ نَشِفَتْ عَنِ الأَرْضِ. فَكَشَفَ نُوحٌ الْغِطَاءَ عَنِ الْفُلْكِ وَنَظَرَ، فَإِذَا وَجْهُ الأَرْضِ قَدْ نَشِفَ. {14} وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، جَفَّتِ الأَرْضُ **[← "وَغِيضَ الْمَاءُ (أي: نقص ونَضَب حتى جفّ)" (هود 44)]**.

"فتكون المدة، من بداية الطوفان حتى نهايته، سنةً وعشرة أيام، من (التكوين 11:7) إلى (التكوين 14:8)"[3895]! لكن كيف استطاع البشر والحيوانات والطيور البقاء في الفلك طوال هذه المدة؟! كيف تعاملوا مع التبول والتبرز والمرض مثلاً؟! ... أسئلة كثيرة نطرحها أمام كل إنسان عاقل.

إلا أن نوحاً من فرط إيمانه وطاعته لله، لم ينزل من الفلك إلا بعد أن أمره اللهُ!

نزول نوح (The apobaterion of Noah) وعودة دورة الحياة إلى الأرض من جديد. **(التكوين 8):** {15} وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا قَائِلاً: {16} «اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ **[⟵ "قِيلَ (أي: قال اللهُ) يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ" (هود 48)]**. {17} وَكُلَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَعَكَ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ: الطُّيُورِ، وَالْبَهَائِمِ، وَكُلَّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، أَخْرِجْهَا مَعَكَ. وَلْتَتَوَالَدْ فِي الأَرْضِ وَتُثْمِرْ وَتَكْثُرْ عَلَى الأَرْضِ». {18} فَخَرَجَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ. {19} وَكُلُّ الْحَيَوَانَاتِ، كُلُّ الدَّبَّابَاتِ، وَكُلُّ الطُّيُورِ، كُلُّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، كَأَنْوَاعِهَا خَرَجَتْ مِنَ الْفُلْكِ **[⟵ "فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ" (الأعراف 64) "فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ" (الشعراء 119) "فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ" (يونس 73) "فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَنَصَرْنَاهُ (أي: خلّصناه)" (الأنبياء 76-77) "وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ" (الصافات 76) "فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ" (العنكبوت 15)]**. {20} وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا (altar) لِلرَّبِّ [للعبادة][3896] **[⟵ "وَقُل [عند نزولك من السفينة إلى الأرض] رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا (أي: يَسِّر لي النزول في منزلٍ مبارك آمن) وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ" (المؤمنون 29) "فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا (أي: خلّصنا) مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (المؤمنون 28)]**. وَأَخَذَ [نُوحٌ] مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ (burnt offerings) عَلَى الْمَذْبَحِ، {21} فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ (أي: بسبب الإنسان)، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ. {22} مُدَّةَ كُلِّ أَيَّامِ الأَرْضِ: زَرْعٌ وَحَصَادٌ، وَبَرْدٌ وَحَرٌّ، وَصَيْفٌ وَشِتَاءٌ، وَنَهَارٌ وَلَيْلٌ، لاَ تَزَالُ (أي: ستستمر دورة الحياة الطبيعية ولن تتوقف أبداً حتى نهاية التاريخ)».

بركة الله لنوح. **(التكوين 9):** {1} وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ **[⟵ "قِيلَ (أي: قال اللهُ) يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ" (هود 48)]** وَقَالَ [اللهُ] لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ **[⟵ "وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ" (الصافات 77)[3897] "وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ (أي: خلفاء يسكنون الأرض بعد هلاك الآخرين)" (يونس 73). إذن: يتفق القرآنُ مع التوراة على أن نوحاً هو بدء البشرية الجديدة بعد الطوفان]**. {2} وَلْتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ (أي: سلطتكم) عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الأَرْضِ وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ، مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، وَكُلِّ أَسْمَاكِ الْبَحْرِ. قَدْ دُفِعَتْ إِلَى أَيْدِيكُمْ. {3} كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا (أي: سمحتُ لكم من الآن بأكل لحوم الحيوانات والطيور والأسماك[3898]). كَالْعُشْبِ الأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمُ الْجَمِيعَ. {4} غَيْرَ أَنَّ لَحْمًا بِحَيَاتِهِ، دَمِهِ، لاَ تَأْكُلُوهُ[3899] **[⟵ "شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ"**

(الشورى 13) "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ (أي: ما ذُكِر عليه غير اسم الله عند الذبح) وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ (أي: التي ضُرِبَت بعصا أو حجر حتى ماتت) وَالْمُتَرَدِّيَةُ (أي: التي سقطت من مكانٍ عالٍ أو هَوَت في بئر فماتت) وَالنَّطِيحَةُ (أي: التي ضَرَبَتْها أخرى بقرنها فماتت) وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ (أي: إلا ما أدركتموه وفيه حياة مما يحل لكم أكله فذبحتموه قبل أن يموت فهو حلال لكم) وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ (أي: وحُرِّمَ عليكم ما ذُبِح لغير الله على ما يُنصب للعبادة من حجر أو غيره) [...] الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" (المائدة 3) "وَأُمِرْتُ [أنا نوح] أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (يونس 72)؛ (البقرة 173) (النحل 115)]. {5} وَأَطْلُبُ أَنَا دَمَكُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَقَطْ. مِنْ يَدِ كُلِّ حَيَوَانٍ أَطْلُبُهُ. وَمِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَطْلُبُ نَفْسَ الإِنْسَانِ، مِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَخِيهِ. {6} سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ **[← "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى [...] وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" (البقرة 178-179)].** لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ. {7} فَأَثْمِرُوا أَنْتُمْ وَاكْثُرُوا وَتَوَالَدُوا فِي الأَرْضِ وَتَكَاثَرُوا فِيهَا» **[← "وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ" (الصافات 77) "وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ (أي: خلفاء يسكنون الأرض بعد هلاك الآخرين)" (يونس 73). إذن: يتفق القرآنُ مع التوراة على أن نوحاً هو الأب الثاني للبشر بعد آدم. مما قد يعني أن طوفان نوح كان كارثةً عالمية (a global flood) (نوح 26)! بل قد يعني أن نوحاً كان نبياً ورسولاً "إلى جميع أهل الأرض". "فلذلك لمَّا كفَروا أغْرَق اللهُ أهلَ الأرض جميعاً"[3900]].**

ومما يدل على أن التوراة قد تعمَّدت أن تقدِّم نوحاً باعتباره الأب الثاني للبشر بعد آدم هو أنها جعلت الله يقول لنوح تقريباً نفس الكلمات التي قالها لآدم قبل سقوطه. فمثلاً: "أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ" (التكوين 9:1) و "فَأَثْمِرُوا أَنْتُمْ وَاكْثُرُوا وَتَوَالَدُوا فِي الأَرْضِ وَتَكَاثَرُوا فِيهَا" (التكوين 9:7) تناظران "أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ" (التكوين 1:28). وكذلك "وَلْتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ (أي: سلطتكم) عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الأَرْضِ وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ، مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، وَكُلِّ أَسْمَاكِ الْبَحْرِ. قَدْ دُفِعَتْ إِلَى أَيْدِيكُمْ" (التكوين 9:2) تناظر "وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ" (التكوين 1:28) **[← لاحَظ صاحبُ رواية سورة هود ذلك بدليل أنه جعل نوحاً يردد تقريباً نفس الكلمات التي قالها آدم بعد سقوطه: "وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ" (هود 47) تناظر "وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 23). ثم جاء صاحب رواية سورة نوح وجعل الربط بين آدم ونوح أكثر وضوحاً فوضع على لسان نوح الجملة التالية: "وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (أي: ابتدأ خلقكم في الأصل من طين الْأَرْضِ لمَّا خلق أباكم آدم منها)" (نوح 17). وهذا يؤكد أن القرآن صدَّق التوراةَ في أن نوحاً هو الأب الثاني للبشر بعد آدم. مما قد يعني أن طوفان نوح كان كارثةً عالمية (a universal event) (نوح 26)! بل قد يعني أن نوحاً كان نبياً ورسولاً "إلى جميع أهل الأرض". "فلذلك لمَّا كفَروا أغْرَق اللهُ أهلَ الأرض جميعاً" كما جاء في تفسير القرطبي كما قلنا فيما سبق].**

عهد الله مع نوح (God's covenant with Noah) (Noahic Covenant) **[← الميثاق]**، وهو أول عهد موثق يقيمه اللهُ مع البشر، بل مع كل الخليقة. وهو عهد غير مشروط؛ فهو إذن منحة أو نعمة. **(التكوين 9):** {8} وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ مَعهُ قَائِلاً: {9} «وَهَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ (أي: مع كل البشر؛ to all of humanity)، {10} وَمَعَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ: الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَكُلِّ وُحُوشِ الأَرْضِ الَّتِي مَعَكُمْ، مِنْ جَمِيعِ الْخَارِجِينَ مِنَ الْفُلْكِ حَتَّى كُلُّ حَيَوَانِ الأَرْضِ (أي: مع كل الخليقة). {11} أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ» **[← ونفهم من القرآن أيضاً أن أول عهد موثق يقيمه اللهُ مع البشر هو عهده مع نوح، فهو أول أولي العزم من الرسل: "شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ" (الشورى 13)؛ بل هو "أوَّل الرسل إلى أهل الأرض" حسب حديث الشفاعة المعروف الذي أخرجه البخاري ومسلم[3901]؛ "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (أي: عهداً مؤكداً)" (الأحزاب 7)]**. {12} وَقَالَ اللهُ: «هذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ (sign) الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ (أي: إلى الأبد) **[← "آيَةً (أي: علامةً؛ sign)" (القمر 15) (الشعراء 121) "آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (sign for the worlds)" (العنكبوت 15)[3902]؛ والمقصود: السفينة أو قصة الطوفان. "لِلنَّاسِ آيَةً" (الفرقان 37)]**: {13} وَضَعْتُ قَوْسِي (rainbow) فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ (sign) مِيثَاق بَيْنِي وَبَيْنَ الأَرْضِ. {14} فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرْ سَحَابًا عَلَى الأَرْضِ، وَتَظْهَرِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، {15} أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ. فَلاَ تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ. {16} فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أُبْصِرُهَا لأَذْكُرَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا (أي: صالحاً لكل زمان ومكان) **[← "مِّيثَاقًا غَلِيظًا" (الأحزاب 7)]** بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الأَرْضِ». {17} وَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «هذِهِ عَلاَمَةُ (sign) الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا أَقَمْتُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كُلِّ ذِي جَسَدٍ عَلَى الأَرْضِ».

أولاد نوح. **(التكوين 9):** {18} وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَامًا (Shem) [جد إبراهيم وإسرائيل] **[← "بَنِي إِسْرَائِيلَ [...] ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ" (الإسراء 2-3)]** وَحَامًا (Ham) وَيَافَثَ (Japheth)[3903]. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ (Canaan) [جد الكنعانيين الوثنيين الذين صاروا فيما بعد أعداء إسرائيل الألداء]. {19} هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ بَنُو نُوحٍ. وَمِنْ هؤُلاَءِ تَشَعَّبَتْ كُلُّ الأَرْضِ[3904] **[← "حَمَلْنَاكُمْ [في أصلاب آبائكم وأمهاتكم الذين كانوا مع نوح] فِي الْجَارِيَةِ (أي: في السفينة)" (الحاقة 11)، واستدل مفسرون مسلمون مثل ابن كثير والقرطبي وغيرهما بهذه الآية - وبآيات أخرى مثل (الصافات 77) - على أن الناس كلهم من سلالة نوح وذريته. مما قد يعني أن طوفان نوح كان كارثةً عالمية (a global flood) (نوح 26)! بل قد يعني أن نوحاً كان نبياً ورسولاً "إلى جميع أهل الأرض". "فلذلك لمَّا كَفَروا أَغْرَقَ اللهُ أهلَ الأرض جميعاً" كما جاء في تفسير القرطبي الذي ذكرناه فيما سبق]**.

وأخيراً فتح نوحٌ فمه ونطق! فماذا قال؟! **(التكوين 9):** {20} وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. {21} وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ (أي: خيمته)[3905]. {22} فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ [ولم يُغطّيه؛ بلَّ ضَحِكَ عليه وسَخرَ منه[3906]]، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا [في الشارع[3907] أو في السوق[3908]] (أي: ذهب ليفضح أباه ويشهّر به أمام أَخَوَيْهِ بل أمام عامّة الناس!)[3909]. {23} فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. {24} فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ (أي: ابْنُهُ الأصْغَر؛ والمقصود: كنعان، سواء كان كنعانُ حفيدَ نوح (أي: أصغر أبناء حام بن نوح) حسب التقليد المشهور[3910] أو أصغر أبناء نوح حسب تقليدٍ آخر[3911])، {25} فَقَالَ [نوحٌ]: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». {26} وَقَالَ [نوحٌ]: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. {27} لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ (أي: فَيَسْكُنَ اللهُ؛ أو: فَيَسْكُنَ يَافَثُ) فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ[3912]» **[← تسلل لعن كنعان ومباركة سام ويافث إلى القرآن، لكن بدون ذِكر أسماء لأن المعيار هو الإيمان كما قلنا وليس مجرد الانتساب إلى شخصٍ بعينه من أبناء نوح. ونرى ذلك في نقطتين، كلتاهما في رواية سورة هود التي يبدو لنا أن صاحبها كان على دراية بالتراث اليهودي/المسيحي. أولاً: التمييز بين فريقين مِن ذرية مَن ركبوا في السفينة مع نوح: "قِيلَ (أي: قال اللهُ) يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ (أي: جماعات مِن ذُريَّة المؤمنين الذين معك في السفينة سيكونوا مؤمنين، مثل بني إسرائيل بصفة عامة وجميع الأنبياء من بعد نوح[3913]) وَأُمَمٌ (أي: لكن جماعات أخرى مِن ذُريَّتهم سيصيروا كُفاراً، مثل الكنعانيين الوثنيين وعاد وثمود وقوم لوط والمديانيين ونِمرود) سَنُمَتِّعُهُمْ [في الحياة الدنيا] ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ [يوم القيامة!]" (هود 48)[3914]. وثانياً: قال صاحب رواية سورة هود إن ابناً من أبناء نوح قد هلك غرقاً في الطوفان (هود 42-43)، وقيل في كتب تفسير القرآن إنه كنعان[3915]. وسواء كانت كلمة "ابن" (التكوين 9:24) (هود 42) تعني ابن أم حفيد (أو: نسل[3916])، فَمِن الواضح أن لعن ابن/حفيد نوح حسب التوراة (التكوين 9:25-27) قد تطوَّر تطوراً بشرياً طبيعياً حتى صار هلاك ابن/حفيد نوح حسب القرآن (هود 42-43)].**

هذا هو كل ما قاله نوحٌ حسب التوراة: 3 جمل فقط! "مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ [...] لْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ [...] لْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ" (التكوين 9:25-27)!

(التكوين 9): {28} وَعَاشَ نُوحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. {29} فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً **[← "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا" (العنكبوت 14)، مما يعني ضمنياً أنه عاش 950 سنة أو أكثر!]**، وَمَاتَ.

ولا يمكن أن نترك قصةَ نوح التوراتية بدون أن نعلق على الهدف السياسي من آياتها الختامية (التكوين 9:18-27). وهذا الهدف السياسي يظهر واضحاً في نقطتين على الأقل:

أولاً: عداء بني إسرائيل البدو الرعاة[3917] للحضارات الزراعية. فلقد "ابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا" (التكوين 9:20) وبعد ذلك مباشرةً "شَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ" (التكوين 9:21)[3918]! وكأن الزراعة هي التي تجعل الإنسانَ يشرب الخمر ويسكر ويتعرى! وكأن الحضارة الزراعية هي التي تجعل الإنسانَ البار (التكوين 6:9، 7:1) يخسر بِرَّه ويفقد توازنَه ووقارَه وتُرى عورته! بل ليس من المبالغة أن نقول إن قصة الطوفان التوراتية تشير من بدايتها إلى أن الطوفان الذي عمله اللهُ كان هدفه هو القضاء على الحضارة! فكما قلنا فيما سبق، توجد تفاسير كثيرة لعبارة "أَبْنَاء اللهِ" أو "بَنُو اللهِ" الواردة في بداية القصة التوراتية (التكوين 6:2، 4). وأحد هذه التفاسير يقول إنهم أصحاب السلطة والنفوذ والثروة في المجتمع كالملوك والأمراء والنبلاء والقضاة ... الخ[3919]. **[← تسلل هذا التفسير إلى القرآن نفسه سواء في قصة نوح: "الْمَلَأُ (أي: الرؤساء؛ السادة والأشراف)" (الأعراف 60) "مَلَأٌ" (هود 38) "الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا" (هود 27) (المؤمنون 24). أو بصفة عامة: "مُتْرَفُوهَا (أي: أغنياؤها؛ رؤساؤها)" (سبأ 34) (الزخرف 23)؛ "مُتْرَفِيهَا (أي: أغنياءَها)" (الإسراء 16)؛ "أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا (أي: الرؤساء والعظماء. وخصهم بالذكر لأنهم أقدر على الفساد)" (الأنعام 123)[3920]]**. "كانوا ربما ملوكاً من البشر أرادوا إقامة جناح للحريم"[3921]. "وفي الشرق الأدنى القديم كان يُفهم عامةً أن الملوك لهم علاقة البنوة بالإله، وكثيراً ما كان يتم اعتبارهم أنهم قد وُلِدوا من الإله"[3922]. وبما أننا لا يمكن أن نتصور وجود هؤلاء الملوك إلا في مدينة مستقرة ذات سلطة مركزية **[← "قَرْيَة" (سبأ 34) (الزخرف 23) (الإسراء 16، 58) (الأنعام 123) (الأعراف 4) (الحجر 4) (الأنبياء 6، 95) (الحج 45، 48) (الفرقان 40) (الشعراء 208) (القصص 58) (العنكبوت 31، 34) (محمد 13) (الطلاق 8)]**، فهذا يعني أن هدف الله - حسب التوراة - هو القضاء على الحضارة[3923][3924]!

ثانياً: لعن كنعان (التكوين 9:25)! فكما قلنا فيما سبق، كنعان - حسب التوراة - هو جد الكنعانيين الوثنيين الأعداء الألداء لبني إسرائيل المؤمنين. مما يعني أن مُؤلِّف (التكوين 9:18-27) أراد أن يرسل رسالةً عنصرية (racist) إلى أعدائه الألداء مفادها أن جدهم الأكبر كنعان ملعون (التكوين 9:25) بسبب شرب الخمر والسُّكْر والتعري (التكوين 9:21-22)! وفي نفس الوقت يعطي شرعيةً دينية لاستيلاء بني إسرائيل (الساميين Semites = ذرية سام بن نوح) على أرض الكنعانيين (ذرية كنعان بن حام بن نوح)، بل جعل الكنعانيين عبيداً لبني إسرائيل: "عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ [كَنْعَانُ] لإِخْوَتِهِ [...] لِيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ [...] لِيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ" (التكوين 9:25-27)! يعني: استعباد وتمييز عنصري على أساس الدين!

وإنه لمن المؤسف حقاً أن هذا الاستعباد والتمييز العنصري على أساس الدين حسب التوراة ربما لعب دوراً بعد ذلك في إعطاء شرعية دينية للاضطهاد والتمييز العنصري على أساس لون البشرة (كما كان يحدث أثناء اضطهاد السود في أمريكا حتى أوائل القرن العشرين الميلادي)! وذلك لأن حام - حسب التوراة أيضاً - هو جد أصحاب البشرة السمراء والسوداء مثل سُكَّان شمال شرق إفريقيا في مصر والحبشة وليبيا وسُكَّان

جنوب غرب آسيا في بلاد العرب وكنعان (التكوين 10:6-20) (1 أخبار الأيام 1:8-16). وكما انتقلت قصص ومعتقدات كثيرة من التراث اليهودي-المسيحي إلى التراث الإسلامي، كذلك انتقلت أنساب نسل حام من التراث اليهودي-المسيحي إلى التراث الإسلامي. فنجد في تاريخ الطبري مثلاً رأيَ مَن قال "وولَد حامٌ القِبْط والسودان والبربر"[3925]! وفي العصر الحديث، قال أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن - جامعة الأزهر): "وحام أبو السودان والحبشة وغيرهم من الأفارقة"[3926]! انظر أيضاً "خريطةَ ذرية نوح" في "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل" حيث صنَّف المؤلفُ المسلمُ الزنوج الأفارقة ضمن أبناء حام بن نوح[3927][3928]!

لكن في المقابل، رفض كثيرٌ من الباحثين المسلمين هذا التمييز العنصري. فيقول د. مصطفى بوهندي: "نرى هنا، التصور اليهودي لشعوب وأقوام المنطقة حسب الرؤية النمطية [العنصرية] التي أسبغها عليهم بنو إسرائيل؛ فهناك أقوامساميّة مباركة، لها مكانة عالية، ينتمي إليها بنو إسرائيل؛ وهناك أقوام وشعوب ملعونة ينبغي أن تُستعبد وتكون خادمة للأسياد، وَهُمْ سكان المنطقة من الكنعانيين ومختلف قبائلهم، [...]"؛ أي أن "[...] رجال الدين اليهود الذين غلبت عليهم العنصرية الإسرائيلية، ضد شعوب المنطقة، أرادوا أن يخصوا بني جلدتهم بالبركة ومخالفيهم باللعنة فابتكروا نظرية الساميّة، التي تبارك ساماً وذريته وتلعن كنعان وذريته، وتجعلهم عبيداً لهم"[3929]! ويرى د. حسن الباش أن "هذه التفصيلات كُتِبَت زمن احتدام الصراع بين الغزاة العبرانيين وأهل فلسطين (يقصد: الكنعانيين). فهي كتابة تمت على يد البشر ولم تكن لترد في التوراة الموسوية التي أنزلها الله حقاً على موسى عليه السلام" [...]؛ "فذِكر اسم كنعان مرتبط بأرض كنعان وهي فلسطين. ولمّا كانت التوراة قد دُونت بعد موت النبي موسى بمئات السنين فقد كان الصراع على أشده بين الغزاة اليهود (يقصد: العبرانيين) وبين سكان فلسطين من العرب الكنعانيين. وحتى يجد العبرانيون مبرراً للحرب والإبادة فقد أضافوا أو اخترعوا قصةَ كنعان بن حام. ولماذا كنعان بالذات؟ لأن أبناءه هُمْ أصحاب الأرض الفلسطينية وأمر طردهم وقتلهم هو من الرب أنزله من عنده كما ترى التوراة"[3930]! وعلى الرغم من اتفاقنا معه في نقاط كثيرة، إلا أننا لا نرى دليلاً علمياً واحداً يثبت أن الكنعانيين القدماء هُمْ أجداد الفلسطينيين العرب الحاليين. ومِن ثم فإن عبارات مثل "العرب الكنعانيين" أو "الكنعانيين العرب" أو "الأرض الفلسطينية الكنعانية" أو "أرض كنعان العربية" كلها عبارات مضللة وليس لها أي أساس علمي. ولا يوجد أصلاً أي دليل علمي يثبت أن نوح شخص حقيقي تاريخي، ولا ابنه/حفيده كنعان شخص حقيقي تاريخي، ومِن ثم فإنه من العبث أن تقول إن أبناء كنعان "هُمْ أصحاب الأرض الفلسطينية"! علمياً وتاريخياً، كنعان اسم أرض وليس اسم شخص. وبالتأكيد كان هناك سكان أصليون في أرض كنعان لمَّا غزاها العبرانيون، والتوراة نفسها تعترف بذلك، لكن لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن هؤلاء السكان الأصليين هُمْ أجداد الفلسطينيين الحاليين وحدهم دون غيرهم، أو بعبارة أخرى: لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن الفلسطينيين الحاليين هُمْ نسل هؤلاء السكان الأصليين وحدهم دون غيرهم. وفي جميع الأحوال، فإن الحقيقة المؤكدة هي أن الآثار العبرية والإسرائيلية واليهودية

في هذه الأرض المقدسة المتنازَع عليها أقدم بكثير جداً من الآثار العربية والإسلامية. ومِن ثم، فإن الاحتكام إلى التاريخ سيصب في مصلحة الإسرائيليين وليس في مصلحة الفلسطينيين.

وبعد ذلك، لم يُذْكَر طوفانُ نوح في التوراة إلا 3 مرات فقط! وكلها في سفر التكوين! وكلها إشارات عابرة في سجلات مواليد (أي: سلاسل أنساب) (التكوين 1:10، 32:10، 10:11)! ولم يُذْكَر في العهد القديم كله بعد ذلك إلا مرتين فقط (المزامير 10:29) (إشعياء 9:54)! فلو كانت قصة طوفان نوح قصة حقيقية تاريخية، بل لو كانت جزءاً أصيلاً من التوراة التي كتبها موسى كما يُشاع، فكيف لم يتذكرها بنو إسرائيل (اليهود) إلا مرتين فقط؟! سؤال نطرحه أمام كل إنسان عاقل.

بل لم يُذْكَر اسمُ نوح في العهد القديم كله بعد ذلك إلا 3 مرات في سجلات مواليد (أي: سلاسل أنساب) (التكوين 1:10، 32:10) (1 أخبار الأيام 4:1) و 3 مرات في أسفار الأنبياء (إشعياء 9:54) (حزقيال 14:14، 20)! فلماذا نصدِّق أن نوحاً شخص حقيقي تاريخي؟!

4.11.2 مصادر القرآن من التراث اليهودي-المسيحي البشري والتراث العربي

كالعادة، كما اقتبس القرآنُ أفكاراً كثيرة من الأسفار المقدسة قبل الإسلام كالتوراة والإنجيل، اقتبس أيضاً أفكاراً كثيرة من الأسفار غير المقدسة قبل الإسلام كالتلمود البابلي والمدراش اليهودي والتراث المسيحي السرياني الذي أنتجه المفكرون المسيحيون السريان مثل القديس إفرام السرياني والأسقف يعقوب السروجي وغيرهما. نجد ذلك واضحاً في عدة نقاط معظمها في رواية سورة هود. وسوف نلاحظ في الصفحات التالية أن بعض الأفكار المذكورة في التراث المسيحي البشري قد تأثرت بما جاء في التراث اليهودي البشري و/أو أثَّرت فيه. ولذلك فإننا نسمّيه إجمالاً التراث اليهودي-المسيحي البشري.

وبما أن القرآن قد نشأ في بيئة عربية، فإنه قد تأثر أيضاً بالتراث العربي بصفة عامة، وبحياة المسلمين الأوائل بصفة خاصة. ونجد ذلك واضحاً في رواية سورة هود أيضاً!

4.11.2.1 يزعم القرآن أن نوحاً كان ينذر قومَه ويدعوهم إلى عبادة الله وحده!

لاحظنا فيما سبق أن التوراة قد جعلت نوحاً صامتاً تماماً من بداية القصة إلى نهاية أحداث الطوفان، إذ لم ينطق بكلمةٍ واحدة إلا **بعد** أن خرج مِن الفلك! وحتى بعد خروجه مِن الفلك، لم ينطق إلا 3 جمل فقط! "مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ [...] لِيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ [...] لِيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ" (التكوين 25:9-27)! فهل هذا معقول؟! واحد عاش 950 سنة ولم ينطق إلا 3 جمل فقط! كيف؟!

هذا الفراغ الكبير الذي تركته التوراة أثار طبعاً انتباهَ المفكرين اليهود والمسيحيين قبل الإسلام، فحاولوا أن يملأوا هذا الفراغ بأن وضعوا على لسان نوح وقومه كلاماً كثيراً، كما سنرى بعد قليل.

ثم جاء أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي فساروا على درب مَن سبقوهم. فلقد جعل القرآنُ نوحاً يتكلم ويقول كلاماً كثيراً لقومه **قبل** الطوفان، ومن أهم ما قاله نوحٌ لقومه قبل الطوفان - حسب القرآن - هو إنذارهم ودعوتهم إلى التوبة وعبادة الله وحده حتى يغفر لهم ذنوبهم ولا يعاقبهم. يقول د. مصطفى بوهندي إن القرآن أضاف "أمراً لم يُذْكَر في التلاوة الكتابية (يقصد: التوراة)، وهو دعوة نوح الناس من أجل الرجوع إلى ربهم، وتحذيرهم من عذاب الله إن استمروا على هذا الإعراض عن ذكره وشكره، وبقوا على ظلمهم وفسادهم [...] فكان الرسول نوح عليه السلام، بمثابة صفارة الإنذار المبكر التي أطلقت في قومه لعلهم يتوبون إلى الله فينجون من عذاب أليم صنعوه بأيديهم، وكان يمكنهم اجتنابه إذا استغفروا ربهم فيجدون الله غفاراً ويؤخرهم إلى أجل مسمّى، بدل أجل العذاب الذي قدروه على أنفسهم"[3931]. ونحن نجد ذلك فعلاً في القرآن: "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ. يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا" (نوح 1-6) إلى آخر السورة. وكذلك (الأعراف 59-64) (هود 25-36) (الشعراء 105-116) (يونس 71-73) (المؤمنون 23-25) (إبراهيم 9-13) (الفرقان 37). ليس هذا فحسب، بل جعل القرآنُ قومَ نوح يردون عليه بالسخرية والاستهزاء: "وَيَصْنَعُ [نُوحٌ] الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ" (هود 38)!

السؤال: من أين أتى أصحابُ القرآن بأن نوحاً كان ينذر قومَه ويدعوهم إلى التوبة وعبادة الله وحده وأنهم كانوا يسخرون منه؟!

الإجابة: نجد في العهد الجديد أن نوحاً قد دعا قومه الْفُجَّار إلى البر: "وَلَمْ يُشْفِقْ [اللهُ] عَلَى الْعَالَمِ الْقَدِيمِ، بَلْ إِنَّمَا حَفِظَ نُوحًا ثَامِنًا كَارِزًا (أي: داعياً؛ واعظاً) لِلْبِرّ (preacher of righteousness)، إِذْ جَلَبَ [اللهُ] طُوفَانًا عَلَى عَالَمِ الْفُجَّار" (2 بطرس 2:5). ونفهم من العهد الجديد أيضاً أن نوحاً قد أنذر أهلَ زمانه بدينونة الله الوشيكة عقاباً لهم على خطاياهم: "بِالإِيمَانِ نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ خَافَ، فَبَنَى فُلْكًا لِخَلاَصِ بَيْتِهِ، فَبِهِ دَانَ الْعَالَمَ (he condemned the world)، وَصَارَ وَارِثًا لِلْبِرّ الَّذِي حَسَبَ الإِيمَانِ (أي: القائم على أساس الإيمان؛ الحاصِل بالإيمان)" (العبرانيين 11:7)، "إِذْ عَصَتْ [نفوسُ معاصري نوح] قَدِيمًا، حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللهِ تَنْتَظِرُ (God waited patiently; the longsuffering of God waited) مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلْكُ يُبْنَى" (1 بطرس 3:20). والتفسير التقليدي لتلك الآيات هو أن نوحاً ظل يبني الفُلْكَ أمام قومه لمدة طويلة جداً مقدارها 120 سنة هي المذكورة في بداية قصة الطوفان في التوراة (التكوين 6:3) أو مقدارها 100 سنة (= 600 (التكوين 7:6، 7:11) - 500 (التكوين 5:32) = 950 (التكوين 9:29) - 350 (التكوين 9:28) - 500 (التكوين 5:32))[3932]! وطوال هذه المدة كان نوحٌ ينذر

قومَه ويدعوهم إلى التوبة والبر. وهكذا أيضاً استطاع المفسرون اليهود والمسيحيون أن يجيبوا على سؤالٍ مهم فرضته هذه الآية التوراتية: "فَقَالَ الرَّبُّ: «[...] وَتَكُونُ أَيَّامُهُ (أي: أَيَّامُ الإنْسَانِ) مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً»" (التكوين 6:3). السؤال: فَقَالَ الرَّبُّ لمَن؟! لا بد أنه قال لنوح الذي "وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ" (التكوين 6:8) وكان "رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ" (التكوين 6:9) وقال الرَّبُّ له "إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هذَا الْجِيلِ" (التكوين 7:1)، ثم قام نوحٌ بتبليغ هذا التحذير والإنذار للناس **[⟵ ولذلك وصف القرآنُ نوحاً 3 مرات بعبارة "نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (هود 25) (نوح 2) (الشعراء 115)]**.

ولا يزال هذا التفسير التقليدي يُذْكَر في التفاسير المعاصرة للتوراة: أعطى اللهُ الإنسانَ الشرير "فرصةً أخيرة للتوبة 120 سنة وهي مدة بناء الفلك. [فلقد] ضاق الله من شرور الإنسان المتزايدة ورفضه التوبة فقرر إهلاكه لأنه رفضه ولكنه أعطاه بحنانه الأبوي فرصة أخيرة للتوبة وهي فرصة طويلة مدتها 120 سنة سيعلن نوح أثناءها هلاك الأشرار إن لم يتوبوا. [...] فمن رحمة الله وعدله قرر إنهاء حياته (أي: إنهاء حياة الإنسان الشرير بسبب خطاياه) وفي نفس الوقت أعطاه فرصة أخيرة للتوبة لعله يرجع إليه"[3933]. وخير دليل على قِدم هذا التفسير هو وجوده صراحةً في قصة طوفان نوح حسب الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد[3934]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة: "وأعطيتهم مهلةً مئة وعشرين سنة ليصنعوا توبةً" (ترجوم نيوفيتي. التكوين 6:3)[3935]. اقرأ أيضاً ما قاله بطرس الرسول عن طوفان نوح (2 بطرس 3:5-6) ثم عن طول المدة التي يعطيها اللهُ للخطاة كفرصةٍ أخيرة للتوبة: "لاَ يَخْفَ عَلَيْكُمْ هذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ: أَنَّ <u>يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ</u>، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ <u>يَتَأَنَّى</u> (أي: يَصبِر) عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ" (2 بطرس 3:8-9)[3936]؛ وما قاله بولس الرسول عن الإنسان الخاطي بصفة عامة: "أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ (أي: لُطْفِ اللهِ) وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟" (رومية 2:4). **[⟵ "وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا (أي: بما عملوا من الذنوب والمعاصي) مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا (أي: على ظهر الأرض) مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى [لعلهم يتوبوا قبل موتهم]" (فاطر 45)؛ "وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم (أي: بكفرهم و/أو افترائهم) مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ" (النحل 61). ولقد وضع أصحابُ القرآن تلك العبارة الأخيرة على لسان نوح: "وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ" (نوح 4)]!**.

بمرور الزمن، طوَّر المفكرون المسيحيون الشرقيون هذه الفكرة، وبصفة خاصة: المفكرون المسيحيون السريان. مثلاً: القديس "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (القرن الرابع الميلادي) - الذي نعتبره واحداً من الآباء الروحيين لأصحاب القرآن - أضاف أفكاراً أخرى مثل أن الله قد أهلك الخطاة بدافع من المحبة لأنه لو كان لم يهلكهم لفسدت الأجيال القادمة بسببهم[3937]! **[⟵ طوَّر أصحابُ القرآن كلامَ أستاذهم**

إفرام السرياني، فصار كلاماً قاسياً جداً وضعوه على لسان نوح نفسه! "وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (أي: لا تترك من الكافرين بك أحداً حياً على الأرض!). إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ [دون إهلاك واستئصال] يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا" (نوح 26-27)[3938]! وإنه لمن الطريف أن "علماء" مسلمين يدافعون عن القرآن زعموا أن هلاك الأطفال الصغار مع آبائهم الكفار كان "رحمةً للأطفال قبل أن يجري عليهم القلم" "وينشئوا على الكفر ويكونوا من أصحاب الجحيم"[3939]! يعني: رددوا - بوعي أو بدون وعي - فكرةَ إفرام السرياني وإن وضعوا الكلمةَ الإسلامية "رحمة" عوضاً عن الكلمة المسيحية "محبة" أو "نعمة"]. كما قال إفرامُ السرياني أيضاً إن قوم نوح سخروا منه قائلين له: كيف ستأتي الدواب والطيور من جميع أنحاء الأرض وتدخل معك في الفُلْك؟![3940][3941] **[← "وَيَصْنَعُ [نُوحٌ] الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ" (هود 38)].** ولعل إفرام السرياني قد استوحى هذه الفكرة من سفر أيوب الذي يقول إن الإنسان البار المستقيم قد يصبح أُضْحُوكَةً لمن حوله: "رَجُلاً سُخْرَةً لِصَاحِبِهِ (أي: لجاره) صِرْتُ. دَعَا اللهَ فَاسْتَجَابَهُ (أي: يستهزئون بي فيقولون إنني دعوتُ اللهَ فاستجاب إليَّ بالمرض والألم!). سُخْرَةٌ (أي: أُضْحُوكَة) هُوَ الصِّدِّيقُ الْكَامِلُ" (أيوب 4:12). وفي حالة نوح، فإن احتمال حدوث سخرية سيكون أكثر نظراً لطول فترة بناء الفلك (100 سنة أو 120 سنة كما قلنا!) وعدم وقوع الطوفان الموعود طوال هذه المدة! أو ربما استوحاها إفرامُ من آيات كتابية أخرى ليس لها علاقة (مباشرة) بقصة نوح مثل: "فَكَانُوا يَهْزَأُونَ بِرُسُلِ اللهِ، وَرَذَلُوا كَلاَمَهُ وَتَهَاوَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ" (2 أخبار الأيام 16:36). أو ربما استوحاها إفرامُ من "المستهزئين" المكذِّبين الذين جادلوا ضد مجيء المسيح ثانيةً "قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ (the promise of his coming)؟" (2 بطرس 4:3)، لا سيما أن تلك الفقرة من رسالة بطرس الثانية تذكر طوفانَ نوح (2 بطرس 3:5-6)! **[← فليس صعباً على صاحب رواية سورة هود لقصة نوح القرآنية أن يتخيل أن قومَ نوح الكفار المكذِّبين المستهزئين طالبوه بمجيء الطوفان الموعود: "قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا (promise) إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (هود 32)].**

وبغض النظر عن كيف استطاع إفرامُ السرياني أن يبتكر تلك الأفكار المبدعة التي تطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى استقرت في القرآن العربي، فإننا نتفق هنا مع علماء وباحثين كثيرين - مثل (Dr. Tommaso Tesei) - الذين وضحوا في أبحاثهم القيمة أن آيات قرآنية كثيرة - مثل (هود 38) - تبدو أكثر قرباً للتقاليد والتفاسير البشرية للتوراة من قُربها للتوراة نفسها[3942]:

> The motif of Noah being mocked by the unbelievers ([هود 38]) is not found in the Biblical account. On the contrary, many rabbinical sources refer to the episode (references to primary sources in: *Jewish Encyclopedia*, “Noah”). In his *Commentary on Genesis*, Ephrem too reports: “But they mocked him [saying], ‘How will all the beasts and birds that are scattered

throughout every corner of the earth come from all those regions?'" (1994: 139). The Qurʾānic statement [(هود 38) وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ] parallels this exegetical tradition. It seems that, as in many cases, this Qurʾānic passage is more closely related to late antique traditions and exegeses about the Biblical texts than to the Scripture itself.

ويقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) تعليقاً على (هود 38) وتأثرها الواضح بالمفكرين المسيحيين السريان قبل الإسلام، وعلى رأسهم بالطبع المفكر المسيحي المبدع القديس "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (القرن الرابع الميلادي)(3943):

Later Jewish and Christian texts develop a portrait of Noah as a preacher who warned his people of the coming disaster. Ephrem and Jacob of Serugh, along with other Syriac fathers, report that his preaching went on for one hundred years. Ephrem reports that during this time people mocked him (cf. [هود 38]):

> Although Noah was an example to that generation by his righteousness and had, in his uprightness, announced to them the flood during that one hundred years, they still did not repent. So Noah said to them, "Some of all flesh will come to be saved with me in the ark." But they mocked him [saying], "How will all the beasts and birds that are scattered throughout every corner of the earth come from all those regions?" (Ephrem, *Commentary on Genesis*, 6:9)

For more detail, see commentary on [نوح 1-28] (with further references).

وقال في نفس المرجع تعليقاً على سورة نوح وتأثر شخصية "نوح" في القرآن بالصورة التي رسمها التلمود البابلي والتراث المسيحي السرياني قبل الإسلام(3944):

The Qurʾānic character of Noah is quite unlike that of the Noah in Genesis, who does not speak a word until after the flood. In contrast the Noah of the Qurʾān is above all a preacher, a warner ([نوح 2]), who seeks (like other

Qurʾānic prophets of the punishment stories) to convince his people to believe in God and obey him lest they suffer divine wrath. This perspective on Noah is suggested by the way the author of 2 Peter 2 refers to him as a "preacher of uprightness" (a development of the description of Noah as a "righteous" man in Genesis 6:9). It is also suggested by a passage in the Talmud:

> The righteous Noah rebuked them, urging, "Repent; for if not, the Holy One, blessed be He, will bring a deluge upon you and cause your bodies to float upon the water like gourds, as it is written, He is light [i.e., floats] upon the waters. Moreover, ye shall be taken as a curse for all future generations." (b. Sanhedrin 108a)

It is also prominent with the Syriac fathers, several of whom report that Noah preached to his people for a hundred years before God finally sent the flood:

> One hundred years long Grace cried out as a herald / [O] Sinners, turn from iniquity before justice goes forth (Narsai, "On the Flood," 33, ll. 227-230)
>
> Noah the just, saved only by his righteousness / before God, had not even heard the proclamation of circumcision. / Five hundred years he remained in the beauty of his virginity; / One hundred years he preached to, and admonished, the children of his race. (Jacob of Serugh, *Homélies contre les juifs*, 70, homily 2, ll. 37-40; see also ibid., *On the Flood*, 23-24)

ولنقرأ سوياً ما جاء في الترجمة العربية لمقتطفات من نصوص التلمود: "وحدث في السنة الثمانين بعد الأربع مئة من عمر نُوَح، أن الصالحين الوحيدين المتبقين في ذلك الجيل كانوا مِتُوشِلَح ونُوَح مع أسرته. وعندها، صدرت كلمة الرب إلى مِتُوشِلَح ونُوَح كما يلي: هيّا امضيا، أعلنا أمام البشرية قاطبةً: هكذا تكلّم

الرب: «تراجعوا عن نواياكم الخبيثة، تخلّوا عن طرقكم الضالة»، لكي يعفو عنكم الله ويُبقيكم على وجه الأرض. لأن الله الأزلي قال: «إني سأمهلكم مئة وعشرين سنة لتتوبوا، فإن تخلّيتم عن طرقكم الضالة، سوف أتخلّى عن نيّتي في إفنائكم». فمضى نُوَح ومِتُوشِلَح قُدُماً، وتحدّثا بكلمات الرب هذه أمام الناس. وكانا كل يوم، من الصباح حتى المساء، يخاطبان الناس، لكن الناس لم يُلقوا بالاً إلى كلامهما. [...] وكلّم الرب مِتُوشِلَح ونُوَح من جديد، قائلاً: «مرّة أخرى ادعيا البشرية إلى التوبة. كررا النداء قبل أن يحل عقابي بالناس». غير أن الناس لم يُصغوا، بل تجاهلوا كلمات الإنذار"[3945]. **[← "وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ" (هود 38)]**. ولمَّا حدث الطوفان، "هرع الناس (يقصد: الخطاة) إلى التابوت (أي: الفُلْك، السفينة) وتمسكوا به وصاحوا بنُوَح مستغيثين، فأجابهم: «مئة وعشرون سنة مضت وأنا ألح عليكم لتسمعوا كلامي، أما الآن فهَيْهات، قد فاتتكم الفرصة»"[3946]. **[← "فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ. فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ (أي: يُذلُّه؛ وهو: عذاب الغرق في الدنيا)" (هود 38-39)]**.

أما المقابلة الثانية من المقابلات مع الشعب اليهودي (Homilies against the Jews 2) التي كتبها بالسريانية المفكر المسيحي السرياني المبدع "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) أسقف سروج بشمال العراق والمتوفي عام 521م (أي: قبل الإسلام) والذي نعتبره أيضاً واحداً من الآباء الروحيين لأصحاب القرآن، فيقول: {37} نوح البار الذي كان البقية (أي: نجا من الطوفان) باستقامته، {38} ما سمع هو أيضاً بخبر الختان من عند الرب. {39} لبث في جمال البتوليّة خمس مئة سنة، {40} وحثّ بني جيله [على التوبة] مئة سنة فوبّخهم [على خطاياهم][3947].

كما ذكرت موسوعة (Encyclopædia Judaica) أمثلة مما قيل عن نوح في القصص والأساطير اليهودية (Aggadah) كالمدراش اليهودي (Genesis Rabbah) وأعمال "يوسيفوس" اليهودي (Flavius Josephus) وغيرهما. (ولا نعتقد أن الأمر يحتاج تعليقاً مننا، فسوف نترك القارئ الحكيم ليلاحظ بنفسه مدى تشابه تلك القصص والأساطير اليهودية مع ما قيل عن نوح في القرآن.) كما ذكرت الموسوعةُ كيف تطورت شخصيةُ "نوح" في المسيحية والإسلام[3948]:

In the Aggadah

[...] Finding it difficult to disregard God's command, yet dreading the destruction of the human species, [Noah] waited [patiently] for 120 years in the hope that his contemporaries would depart from their evil ways.

Noah also admonished and warned his contemporaries, and called upon them to repent. A similar motif is found also in Josephus (Ant. 1:74) and the Apostolic Fathers (Clement, 1, 7, 6). Noah's reproof of the men of his generation is derived from a reference to him as a righteous man (Gen.

6:9); the *aggadah*, states that “wherever it says ‘a righteous man’ – the reference is to one who forewarns others” (Gen. R. 30:7), only such a one being worthy of the designation “righteous.” In the Bible, Noah figures as a man wholeheartedly righteous and reticent; in the *aggadah*, a prophet, a truthful man, a monitor of his generation, a herald persecuted for his rebukes and honesty.

[...]

In Christianity

In Christian symbolism Noah is one of the most important typological figures. [...] As a type and prefiguration of Jesus, Noah exhorts to repentance and announces the inevitable judgment. Being spared from the universal catastrophe, he [just like Jesus] appears as a redeemer through whom humanity is saved from complete destruction and is reconciled with God.

[...] In later Christian tradition Noah’s ark symbolizes the Church outside of which no salvation is possible. The dove sent out by Noah prefigures the Holy Spirit moving upon the baptismal waters, symbolizing divine reconciliation.

In Islam

Nūḥ (Noah) is one of Muhammad’s favorite biblical characters. He devotes a complete sura to Noah (71) considering Noah’s life as a prototype of his own. [...] Following the *aggadah* (Sanh. 108a and other Midrashim) [...]

أما دعوة نوح إلى عبادة الله الواحد وترك عبادة الأصنام، وهي الفكرة الأساسية في رسالة نوح إلى قومه حسب القرآن، فنجد ذلك في أعمال يهودية ومسيحية قبل الإسلام. فلقد حرصت تلك الأعمال اليهودية والمسيحية على تطوير عهد الله مع نوح المذكور في التوراة (التكوين 9) فأضافت إليه وصايا أخرى اعتبرتها مُلْزِمةً لجميع بني نوح، أي: لكل إنسان على وجه الأرض، سواء كان مِن أصل يهودي (Jew) أو مِن أصل غير يهودي (Gentile). ومن بين تلك الوصايا: عبادة الله الواحد وترك عبادة الأصنام.

فيقول كتاب اليوبيلات مثلاً: "بدأ نوح يُملي على أبناء أبنائه الترتيبات والوصايا وكل ما عرف (من) شريعة. أوصى بنيه أن يُتمّوا البر (أو: العدل؛ justice)، أن يستروا عورة جسدهم، أن يباركوا خالقهم (bless the one who created them) (أي: يعبدوا الإلهَ الواحد الذي خلقهم)، أن يكرموا أباهم وأمهم، أن يحب كل واحد قريبه، أن يحتفظ (أي: يمتنع) من الزنى والنجاسة وكل عنف" (اليوبيلات 20:7)[3949]. وكما قلنا فيما سبق: يرجع تاريخ "كتاب اليوبيلات" (Book of Jubilees) إلى القرن الثاني (وقيل: الثالث) قبل الميلاد، وهو أحد كتب سوديبِجرافا العهد القديم، إلا أن الكنيسة الحبشية هي الكنيسة الوحيدة التي تعترف به ككتاب قانوني، مما يعني أنه انتقل من التراث اليهودي إلى التراث المسيحي الشرقي. ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد. فمِن المؤكد أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) فى أوائل القرن السابع الميلادى قد سمعوا عن كتاب اليوبيلات وعرفوا محتواه وربما ظنوا أنه وحيٌ من الله إلى موسى النبي؛ وخير دليل على ذلك هو انتقال أفكار كثيرة من كتاب اليوبيلات اليهودي-المسيحي إلى كتاب القرآن العربي.

وبمرور الزمن، صارت هذه الفكرة أكثر وضوحاً وأكثر تحديداً، فلقد وضع التلمود سبع وصايا تُعْرَف باسم "الوصايا السبع لذرية نوح" (Seven commandments of the descendants of Noah) أو (Noahide Laws) وقال التلمود إن الله سيرضى تماماً عن كل إنسان أممي (أي: غير يهودي) يلتزم بتلك الوصايا السبع، ومن بينها ترك الوثنية وعبادة الأصنام (idolatry). يقول "الكتاب اليهودي الدراسي" (Jewish Study Bible) تعليقاً على عهد الله مع نوح (التكوين 8:9-17)[3950]:

In the Talmud, it is taught that "descendants of Noah" - that is, universal humanity - are obligated by seven commandments: (1) to establish courts of justice, (2) to refrain from blaspheming the God of Israel, as well as from (3) idolatry, (4) sexual perversion, (5) bloodshed, (6) robbery, and (7) not to eat meat cut from a living animal (*b. Sanh.* 56a). Whereas Jews have hundreds of commandments in addition to these seven (traditionally, 613 altogether), Gentiles who observe the "seven commandments of the descendants of Noah" meet with God's full approval.

ويرى العالِم الكبير (Prof. James Kugel) أن هذا التقليد اليهودي ربما لعب دوراً في تأسيس الوصايا التي طلبها رسل المسيح من الأمم (أي: غير اليهود) الداخلين حديثاً في المسيحية في القرن الأول الميلادي: "أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَاتِ الأَصْنَامِ (idols)، وَالزِّنَا، وَالْمَخْنُوقِ (strangled) (أي: أكل الحيوان الميت غير المذبوح)، وَالدَّمِ (أي: أكل اللحم بالدم السائل)" (أعمال الرسل 20:15) "أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ

لِلأَصْنَامِ، وَعَنِ الدَّمِ، وَالْمَخْنُوقِ، وَالزِّنَا" (أعمال الرسل 29:15)؛ "أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ، وَمِنَ الدَّمِ، وَالْمَخْنُوقِ، وَالزِّنَا" (أعمال الرسل 25:21)[3951]. ونحن نتفق معه في ذلك، لا سيما أن الآيات السابقة من العهد الجديد تُذْكَر أحياناً في التفاسير المسيحية لعهد الله مع نوح المذكور في التوراة (التكوين 9).

مما سبق يتضح أن شخصية "نوح" التوراتية قد تطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً قبل الإسلام، فلقد أضاف التراث اليهودي-المسيحي البشري أفكاراً كثيرة ليس لها أي وجود في التوراة. ولمَّا جاء أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي فعلوا نفس الشيء. فمن الواضح أن أصحاب القرآن قد علموا بهذه الأفكار اليهودية-المسيحية بطريقةٍ مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة، فطوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً في قصة نوح القرآنية، فكانت النتيجة أننا نراها تتكرر كثيراً في الروايات القرآنية المتعددة لقصة نوح كما قلنا، وخصوصاً فيما يتعلق بدعوة نوح إلى التوحيد وترك الشرك ونبذ عبادة الأصنام.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن أصحاب القرآن لم يسمعوا تلك الأفكار من المسيحيين السريان ولا من الأحباش ولا من غيرهم، فنحن نرى أن معظم تلك الأفكار تتشابه مع حياة محمد كما جاءت في القرآن نفسه. وهذا وحده يكفي لأن يضعها أصحاب القرآن في قصة نوح القرآنية حتى يصير "نوح" في القرآن تمهيداً أو رمزاً (prefiguration; typology) لـ "محمد" الذي يمكن أن نسميه "نوح الثاني" (Second Noah) أو "نوح الجديد" (New Noah). فكما كان محمدٌ ينتمي إلى القوم الذين أُرْسِلَ إليهم "رَسُولًا مِنْهُمْ" (الجمعة 2) (البقرة 129) "رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ" (آل عمران 164) "رَسُولًا مِّنكُمْ" (البقرة 151) "رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ" (التوبة 128) "مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ" (ق 2) (ص 4) "رَجُلٍ مِّنْهُمْ" (يونس 2) "رَسُولٌ مِّنْهُمْ" (النحل 113) وكان يدعو قومَه الكفار إلى التوحيد وترك الشرك ونبذ عبادة الأصنام وكان قومُه يكذِّبونه ويتهمونه بالجنون ويسخرون منه، جعل أصحابُ القرآن نوحاً أيضاً ينتمي إلى القوم الذين أُرْسِلَ إليهم "أَخُوهُمْ" (الشعراء 106) "رَجُلٍ مِّنكُمْ" (الأعراف 63) ويدعو قومَه الكفار إلى التوحيد وترك الشرك ونبذ عبادة الأصنام وجعلوا قومَه يكذِّبونه ويتهمونه بالجنون ويسخرون منه. نستطيع إذن أن نقول إن أصحاب القرآن قد أخذوا عناصر مِن حياة محمد ووضعوها بالقوة في حياة نوح، حتى تبدو قصة نوح مشابهة لسيرة محمد، ومِن ثم يصير نوحٌ رمزاً لمحمد وفي الوقت نفسه نموذجاً (prototype; model; example to follow) لمحمد، بل يصير محمدٌ نبياً ورسولاً مثل نوح ومن ثم عليه أن يصبر على قومه الكافرين المكذبين المؤذيين كما صبر نوحٌ على قومه الكافرين المكذبين المؤذيين، وأن يثبت أمام المعارضة التي تزعمها سادةُ قريش وكبراؤها "الْمَلَأُ مِنْهُمْ" (ص 6) كما ثبت نوحٌ أمام المعارضة التي تزعمها "الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ" (الأعراف 60) "الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ" (هود 27) (المؤمنون 24): "وَإِن يُكَذِّبُوكَ [يا محمد] فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ" (الحج 42) "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ" (القمر 9) "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ" (ص 12) "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ" (غافر 5) "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ" (ق 12) "فَاصْبِرْ [يا محمد على قومك كما صبر نوحٌ على قومه] ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ" (هود 49)

"وَاصْبِرْ" (هود 115) "وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ [يا محمد] مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ [السابقين وأولهم نوح] مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ [السورة] الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ" (هود 120) "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ [يا محمد] فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ" (الأنعام 34) "اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ (أي: ما يقوله خصومك)" (ص 17) "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ. وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ" (الصافات 171-173) "فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ (أي: ما يقوله خصومك)" (طه 130) (ق 39) "إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (أي: ويوم القيامة)" (غافر 51) "وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ (أي: ما يقوله خصومك)" (المزمل 10) "كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" (المجادلة 21) "فَاصْبِرْ [يا محمد] كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ [وأولهم نوح]" (الأحقاف 35).

ولذلك فإننا نتفق تماماً مع موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) حين تقول[3952]:

> Some stories in the Qurʾān stress the vilification and mistreatment Noah suffered as his people’s response to his warnings of divine punishment for their misdeeds. Here he is viewed as the prototype of the prophet Muḥammad, suffering the same hatred and threats of physical harm that the Prophet was later to experience from his Meccan compatriots ([...]). [...] reassuring Muḥammad by telling him that [the earlier prophets], too, had been denied, vilified and mistreated by their people.

ونتفق أيضاً مع موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam) حين تقول إن محمداً وضع على لسان نوح ما كان هو نفسه (أي: محمد) يقوله ووضع على لسان خصوم نوح ما كان خصومه هو (أي: خصوم محمد) يقولونه[3953]:

> Muḥammad is fond of seeing himself reflected in the earlier prophets. In the case of Nūḥ, the Muslim Ḳurʾan exegetes have already noticed this [...]. Muḥammad puts into the mouth of Nūḥ things that he would himself like to say and into the mouths of [Nūḥ's] opponents what he himself has heard from [his own] opponents.

نعم، أصحاب القرآن فعلوا نفس الشيء في قصص الأنبياء السابقين الآخرين أيضاً مثل هود وصالح وغيرهما كما سنرى لاحقاً. ولذلك فإننا نتفق تماماً مع العالِم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) حين يقول تعليقاً على (الأعراف 59-137) التي تحكي قصةَ نوح مع قومه (الأعراف 59-64) ثم قصة هود مع قومه عاد (الأعراف 65-72) ثم قصة صالح مع قومه ثمود (الأعراف 73-79) ثم قصة لوط مع قومه (الأعراف 80-84) ثم قصة شعيب مع قومه أصحاب مدين (الأعراف 85-93)[3954]:

[The Qurʾānic] accounts involving prophets, unbelievers, and divine punishment [...] are best understood in light of the Qurʾān's own prophetology; that is, the Qurʾān projects the image and message of its own prophet on earlier figures to convince its audience to accept and obey Muḥammad (and avoid the fate of earlier doomed peoples).

ونتفق أيضاً مع الباحث (Prof. Michael Pregill) الذي قال تعليقاً على رواية سورة الشعراء لقصة نوح (الشعراء 105-122) وعلى سورة الشعراء بصفة عامة[3955]:

The story of Noah again, embedded in one of the most thorough treatments of the topos of the pre-Islamic prophets in the Qurʾān. According to the traditional chronology of revelation, [سورة الشعراء] appears to have been the first *sūra* to do so; among all of the prophets who are included here (Moses, Abraham, Hūd, Ṣāliḥ, Lot, Šuʿayb), that of Noah stands out as the paradigmatic warner-story or *ʿibra*. The thematic parallels between the narratives of the prophets recounted here and the biography of Muḥammad are consistent and conspicuous: warnings are issued to the unbelievers; the message is rejected and the prophet is denounced, particularly on account of the low status of his followers; the sincerity of the believers is asserted as the only true criterion for inclusion in the saved community; the prophet's welfare is threatened; divine protection is invoked; and finally the warnings of destruction to unbelievers and promises of deliverance to believers are fulfilled. The thematic links to the *sīra* tradition are obvious, but this once again raises the classic chicken-and-egg question provoked by revisionist

historiography decades ago. While I am extremely sympathetic to the revisionist approach, it seems easier to believe that the narrative pattern we see here was crafted to evoke and resonate with the particular experience of the Qurʾānic prophet and his community than that all of the details of the *sīra* were crafted in conformity with the template provided here.

وكذلك فيما يتعلق بمسألة سخرية قوم نوح منه ورده عليهم أنه سيسخر منهم في المستقبل: "وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ" (هود 38). حتى لو افترضنا جدلاً أن أصحاب القرآن لم يأخذوا تلك الفكرة من التراث المسيحي (إفرام السرياني) ولا من التراث اليهودي (المدراش والتلمود)، فإنها تعكس الواقع الذي كان يعيشه المسلمون الأوائل في مكة حيث كان كفار قريش يسخرون من محمد والمؤمنين به: "إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا (أي: كفروا) كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (أي: يسخرون). وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (أي: تفكّهوا معهم بالاستهزاء من المؤمنين). وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ. [...]. فَالْيَوْمَ (أي: يوم القيامة) الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (أي: يسخر المؤمنون من الكفار كما سخر الكفار منهم في الدنيا)" (المطففين 29-34)؛ "وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ. فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الأنعام 4-5)؛ "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ (أي: كُلَّ ما يُلهي عن الإيمان بالله وطاعته) لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" (لقمان 6)؛ "وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" (الجاثية 9). وكذلك في يثرب (المدينة)، كان المنافقون وغير المسلمين بصفة عامة يسخرون من محمد والمؤمنين به: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا [مثلكم] وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ (أي: زعمائهم) قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ [بالمسلمين المؤمنين]" (البقرة 14)؛ "وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ [أيها المؤمنون] فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا" (النساء 140)؛ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ" (المائدة 57-58). ومن الجدير بالملاحظة أن أصحاب القرآن حرصوا على التأكيد أن الأنبياء والرسل السابقين لاقوا سخريةً واستهزاء مثل محمد: "وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ [يا محمد]" (الأنعام 10) (الرعد 32) (الأنبياء 41) "يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (يس 30) "وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الزخرف 7) "وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الحجر 11). وهذا كله حتى تبدو حياة الأنبياء

والرسل السابقين مع أتباعهم وخصومهم مشابهة لحياة محمد مع أتباعه وخصومه، ومن ثم يسهل على السامعين أن يصدِّقوا أن محمداً نبي ورسول مثل الأنبياء والرسل السابقين وأن يصدِّقوا أيضاً أن الإسلام الذي جاء به محمدٌ هو رسالة الأنبياء والرسل السابقين. ولذلك نصح أصحابُ القرآن محمداً "قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ (أي: لست أول رسول من الرسل ولا تختلف رسالتي عن رسالتهم)" (الأحقاف 9) "هَٰذَا (أي: محمد؛ القرآن) نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ (أي: من جنس الأنبياء السابقين)" (النجم 56).

ولذلك فإننا نتفق مع الباحثة (Dr. Esma Hind Tengour) التي قالت تعليقاً على رواية سورة الشعراء لقصة نوح (الشعراء 105-122) وعلى سورة الشعراء بصفة عامة[3956]:

Il est question dans ce passage de la dénégation des gens de Noé, [قَوْمُ نُوحٍ]. Celle-ci est rendue par le verbe [كَذَّبَ], [يُكَذِّبُ], dénier. Particulièrement récurent dans le Coran, le thème de la dénégation, [تَكْذِيب], est d'abord associé à la tribu des [قُرَيْش] qui, durant toute la période mecquoise (610–622, dates présumées), va persister dans son refus d'entendre l'avertissement, [إنذار], que Muḥammad lui adresse au nom du devoir de solidarité tribale qui le lie à elle. Le même mot sera ensuite repris pour désigner la dénégation des peuples locaux historico-mythiques des [عَاد] et des [ثَمُود] et celle des peuples des prophètes bibliques, en particulier Moïse et, comme ici, Noé, que la parole coranique se représente toujours comme ayant été rejetés par les leurs de la même manière que Muḥammad est rejeté par les siens, si bien qu'il va de plus en plus s'identifier à eux.

Dans ce passage de la sourate [الشعراء], Noé est raillé par les hommes de sa tribu qui, dans [الشعراء 111], le pointent du doigt comme n'étant suivi que par des hommes de rien, [الْأَرْذَلُون]. On pourra mettre ce verset en chronologie avec [هود 27]. Ces propos d'adversaires – qui n'ont pas la parole directement – ne sont pas sans rappeler la condition basse des partisans mekkois de Muḥammad et même de Muḥammad lui-même qui n'avait pas le statut que la tradition lui prêtera plus tard. C'est là un exemple frappant de réappropriation du parcours biblique de Noé dont le devenir coranique a pour but de servir la cause de Muḥammad. La rencontre avec cet *autre* lui permet ainsi de continuer d'avertir sa tribu du

péril qui, croit-il, la menace, mais aussi de s'inscrire dans la lignée d'un Noé qui, bien que rejeté par les siens, est néanmoins protégé par une divinité au pouvoir grandissant.

كذلك فيما يتعلق بمسألة دعاء نوح على قومِه الكافرين واستجابة الله له (نوح 21-28) (الشعراء 117-120) (الصافات 75-78) (الأنبياء 76-77) (القمر 9-14) (المؤمنون 26-27). فنحن نرى أنها مأخوذة مِن حياة أصحاب القرآن أنفسهم. فَمِن المعلوم أن المسلمين الأوائل قد قاتلوا قومَهم مِن كفار قريش. ونجد في سير الصحابة مَن قتل أباه ومَن قتل أخاه ومَن قتل خاله ... الخ. وكذلك نجد مَن دعا على أبيه الكافر. يُروَى أن "أبو أُحيحة سعيد بن العاص" مرض (وقد كان كافراً)، فقال: "لئن رفَعنِي اللهُ مِن مرضي هذا، لا يُعبَد إلهُ ابن أبي كَبْشَة[3957] (يقصد: إله محمد) بمكة أبداً". فدعا عليه ابنُه الصحابي المهاجر "خالد بن سعيد بن العاص" وقال: "اللهم لا تَرْفَعْه". فاستجاب الله لدعاء خالد على أبيه، فتوفي أبوه في مرضه ذلك[3958]!

اقرأ أيضاً الجملة التي وضعها أصحابُ القرآن على لسان نوح وهو يتحدث إلى ربه: "قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا (أي: أطاعوا) مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا" (نوح 21). فمَن هو هذا الزعيم الكافر الذي "لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا" وكان معاصراً لنوح؟! لا نعلم. ولا أحد يعلم. القرآن لم يذكر اسمَه. والمفسرون لم يذكروا اسمَه أيضاً. إنه إذن مجرد شخصية وهمية خيالية مجهولة. لكن إذا قرأت القرآن وتفاسيره وسيرة محمد فستجد زعيماً كافراً معاصراً لمحمد "كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ" (القلم 14). والرأي السائد في كتب التفسير وأسباب النزول إنه الوليد بن المغيرة أحد زعماء كفار قريش وأغنيائها. إذن: "اتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا" (نوح 21) جملة دخيلة أخذها أصحابُ القرآن من واقعهم المؤلم في مكة وأقحموها في قصة نوح القرآنية لينتقدوا كُلَّ مَن يتبع زعيماً كافراً لأنه "ذَا مَالٍ وَبَنِينَ" (القلم 14) وليحذروه أنه سيخسر في النهاية. وتوجد بالفعل آيات قرآنية أخرى تربط بين المال والبنين والكفر والخسارة في الدنيا والآخرة، مثل: "فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ" (التوبة 55)؛ (التوبة 85)؛ "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (آل عمران 116)؛ (آل عمران 10)؛ "لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (المجادلة 17). مما يدل على أنه كان أمراً مهماً يشغل بال المسلمين الأوائل، فوضعوه في قصة نوح القرآنية، بل زعموا أنه تكرر في قصة حياة كل رسول! "وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ. وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ. قُلْ [...]. وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ. وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ (أي: يحاولون إبطال حججنا وتعجيز أنبيائنا عن تبليغها) أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ (أي: عذاب جهنم يوم القيامة) مُحْضَرُونَ" (سبأ 34-38).

نستطيع إذن أن نقول إن أصحاب القرآن قد اقتبسوا قصةَ نوح من التراث اليهودي-المسيحي لكنهم أدخلوا فيها عناصر مِن حياتهم وتجربتهم الشخصية فوضعوها بالقوة في حياة أبطال القصة: نوح "وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ" الذين صاروا في القرآن رمزاً ونموذجاً لمحمد "وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ". فعلى محمد وصحابته أن يصبروا ويثبتوا في مواجهة زعماء كفار قريش الأثرياء كالوليد بن المغيرة وغيره كما صبر نوحٌ ورفاقه وثبتوا في مواجهة أصحاب المال والسلطة "الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ" (هود 27) (المؤمنون 24).

وكذلك أسماء الأوثان (الأصنام) المذكورة في رواية سورة نوح: "وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا" (نوح 23)! هل يوجد أي دليل علمي - أو حتى دليل كتابي - يثبت أن هذه الأوثان كانت تُعْبَد في زمان ومكان نوح (هذا لو افترضنا جدلاً أن نوح نفسه شخص حقيقي تاريخي)؟! كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن الذين كانوا يعبدون هذه الأوثان هُمْ العرب في زمان محمد أو في القرون الأولى بعد الميلاد[3959] أو ربما في القرون القليلة قبل الميلاد[3960]. فمثلاً كانت حِمْيَر تعبد نَسْرًا وَهمدان تعبد يَعُوقَ وكَلْب تعبد وَدًّا، مما يعني أنها أوثان كانت تُعْبَد في أزمنة مختلفة بعد نوح بمئات السنين وفي أماكن مختلفة بعيدة عن المكان الذي يُفترض أن نوحاً كان يعيش فيه (هذا لو افترضنا جدلاً أن نوح نفسه شخص حقيقي تاريخي). كالعادة، حاولت المراجع الإسلامية تبرير ذلك، فزعمت أن هذه الأوثان كانت تُعْبَد في زمان نوح ثم اتخذها العرب بعد ذلك آلهةً لهم! واستدلت تلك المراجع بحديثٍ أخرجه البخاري عن ابن عباس يقول إن وَدًّا وَسُوَاعًا وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا "أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا (أي: تماثيل وصور) وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ [لأنهم كانوا يعلمون أنها نُصِبَت تخليداً لذكراهم فقط] حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ (أي: ماتوا) وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ (أي: زالت معرفة الناس بأصل نصبها) عُبِدَتْ"[3961]! لكن كالعادة أيضاً، لا يوجد أي دليل علمي - ولا حتى دليل كتابي - يؤيد ذلك الزعم الإسلامي. إنه إذن مجرد محاولة يائسة لتبرير المفارقات التاريخية (anachronisms) التي تنتشر بكثرة في القرآن فتؤكد أنه مِن كلام العرب وليس مِن عند الله.

وتوجد مفارقة تاريخية أخرى في رواية سورة نوح أيضاً وهي: "وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (أي: يخرجكم من الأرض بالبعث يوم القيامة!) (نوح 18)! فهل يوجد أي دليل علمي - أو حتى دليل كتابي - يثبت أن مفهوم "البعث" كان معروفاً في زمان ومكان نوح؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإنها إذن مفارقة تاريخية لأنها لا تنتمي إلى زمان نوح ومكانه، وإنما تنتمي إلى زمان محمد الذي أراد أن ينشر الإيمانَ بالقيامة في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي. مفارقة تاريخية تؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

بل ليس من المبالغة أن نقول إننا إذا قرأنا الـ 24 آية الأولى من سورة نوح، فسنجد أنها تعبِّر عن حياة محمد والمسلمين الأوئل في مكة أكثر من كونها تعبِّر عن حياة نوح ورفاقه.

باختصار: قصة نوح القرآنية ليست قصة جديدة وليست قصة حقيقية تاريخية. وإنما هي مجرد قصة أدبية من تأليف البشر ومستوحاة مِن التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) وكذلك مِن التراث

العربي سواء قبيل الإسلام أو بعد ظهور الإسلام. وهكذا نصل دائماً إلى نفس النتيجة وهي أن القرآن مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للتراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) والتراث العربي:

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) + التراث العربي [← القرآن كلام العرب وليس كلام الله].

4.11.2.2 " وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (هود 29)!

زعم صاحبُ رواية سورة هود أن نوحاً قال لقومه: "وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا (أي: لا أطلب على تبليغ رسالة ربي أجراً تؤدونه إليَّ)ۖ إِنْ أَجْرِيَ (أي: ثوابي) إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (هود 29). ولقد تكرر هذا الزعم في رواية سورة يونس "فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (يونس 72) وفي رواية سورة الشعراء "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 109).

وفي الواقع فإن سورة الشعراء قد وضعت نفس الجملة على لسان أنبياء ورسل سابقين آخرين! على لسان هود الذي قال لقومه: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 127)! وعلى لسان صالح الذي قال لقومه: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 145)! وعلى لسان لوط الذي قال لقومه: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 164)! وعلى لسان شعيب الذي قال لأصحاب الأيكة: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 180)!

إنها جملة إسلامية/عربية (stock phrase) بدليل أن محمد نفسه كان يقولها أو نصحه أصحابُ القرآن أن يقولها: "قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ (أي: القرآن؛ الإسلام) إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ" (الأنعام 90)، "وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" (يوسف 104)، "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ [...]. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" (ص 86-87)، "قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (سبأ 47)، "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" (الفرقان 57)، "قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا" (الشورى 23)، "أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا" (الطور 40) (القلم 46).

فلماذا وضع أصحابُ القرآن جملةَ "مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ [...]" على لسان أنبياء ورسل سابقين مثل نوح وغيره؟ نعتقد أن الإجابة على هذا السؤال قد أصبحت واضحة الآن: حتى يتوَّهم السامعون أن الأنبياء والرسل السابقين كانوا يقولون نفس الكلام الذي يقوله محمد، ومِن ثم يسهل على السامعين تصديق أن محمد نبي ورسول مثلهم. أو بعبارة أخرى: يسهل على السامعين أن يصدقوا أن الإسلام هو دين ورسالة جميع الأنبياء والرسل السابقين. فَهُمْ جميعاً مجرد تمهيد لمحمد وللقرآن.

أما السؤال الذي لا تبدو إجابته واضحة فهو: مِن أين جاءت جملة "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ [...]"؟ أو بعبارة أخرى: مِن أين جاءت فكرة أن النبي أو الرسول لا يتقاضى أجراً عن تبليغه الرسالة؟ أو بصفة عامة: لا يسعى إلى مال أو جاه أو أي مكافأة دنيوية أخرى بعد تبليغه الرسالة؟

الإجابة: جاءت هذه الفكرة من التراث المسيحي سواء التراث المقدس أو التراث غير المقدس. فنحن نجدها أولاً في الإنجيل ضمن الوصايا التي قالها يسوعُ المسيح لرسله الاثني عشر. "هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: «[...] مَجَّانًا أَخَذْتُمْ [مني]، مَجَّانًا أَعْطُوا [للآخرين]. لاَ تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ، وَلاَ مِزْوَدًا لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ عَصًا، [...] وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ (أي: مَن يُكذِّبكم) فَاخْرُجُوا خَارِجًا مِنْ ذلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ (أي: لا تأخذوا أي شيء مادي منهم ولا حتى الغبار الذي في أَرْجُلِكُمْ)" (متى 10:5-14)؛ (مرقس 6:7-11) (لوقا 9:1-5).

"وَبَعْدَ ذلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ [يسوعُ] سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضًا، وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعًا أَنْ يَأْتِيَ. فَقَالَ لَهُمْ: «[...] هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ حُمْلاَنٍ بَيْنَ ذِئَابٍ. لاَ تَحْمِلُوا كِيسًا وَلاَ مِزْوَدًا وَلاَ أَحْذِيَةً، [...] وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ (أي: كذّبوكم)، فَاخْرُجُوا إِلَى شَوَارِعِهَا وَقُولُوا: حَتَّى الْغُبَارَ الَّذِي لَصِقَ بِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَنْفُضُهُ لَكُمْ" (لوقا 10:1-11).

ثم تكررت الفكرة في أعمال مسيحية مشهورة أخرى قبل الإسلام، فصارت أكثر وضوحاً، بل صارت أحد المعايير للتمييز بين النبي الصادق الذي من عند الله حقاً والنبي الكذاب الذي ليس من عند الله حقاً. فإذا طلب النبي أجراً مقابل نبوته، فهو نبي كذاب. نجد ذلك في كتاب "الراعي لهرماس" (The Shepherd of Hermas) الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي وكان له أهمية كبيرة في القرون الأولى للميلاد لدرجة أنه مذكور في "القانون الموراتوري" (Muratorian Canon) وموجود في "المخطوطة السينائية" (Codex Sinaiticus) التي تُعتبَر مِن أهم وأقدم مخطوطات العهد الجديد إذ يرجع تاريخُها إلى القرن الرابع الميلادي[(3962)]. ينقسم كتابُ الراعي لهرماس إلى 5 رؤى (visions) و 12 وصية أو تعليم (mandates; commandments) و 10 أمثال (parables). يركز التعليم الحادي عشر على كيف نميّز بين النبي الصادق الحقيقي "الذي يسكن فيه الروح الإلهي" والنبي الكذاب (أي: غير الحقيقي) "الذي يظن أن فيه الروح [الإلهي]" "ويتقاضى أجراً على تنبؤاته، وبدون أجر لا يتنبأ". "هل يمكن أن يقبل روحٌ إلهي (أي: نبي صادق حقيقي) أجراً ليتنبأ؟ إنه لمن المستحيل على نبي الله أن يتصرف هكذا!". ومَن يتقاضى أجراً على تنبؤاته "فروح مثل هؤلاء الأنبياء أرضي (earthly) (أي: ليس من عند الله)"[(3963)].

إذن: في القرون الأولى للميلاد، كان أحد المعايير المسيحية للتمييز بين النبي الصادق الذي من عند الله حقاً والنبي الكذاب الذي ليس من عند الله حقاً هو: هل هذا النبي يطلب أجراً مقابل نبوته "وبدون أجر لا يتنبأ"؟ إذا طلب أجراً، فهو نبي كذاب [**← ولذلك جعل صاحبُ رواية سورة هود نوحاً يقول - في ثنايا رده على اتهامه بالكذب - إنه لم يطلب أجراً. فلقد قال له قومه: "بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ" (هود 27)، فردَّ عليهم:**

"وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا" (هود 29). وكذلك فعل صاحبُ رواية سورة الشعراء الذي بدأ روايته بتهمة الكذب الموجهة إلى نوح: "كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ" (الشعراء 105)، فردَّ نوحٌ عليهم: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" (الشعراء 109). وكذلك فعلت سورة الشعراء مع الأنبياء والرسل الآخرين: "كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ. [...] [فقال لهم هود] وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" (الشعراء 123-127). "كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ. [...] [فقال لهم صالح] وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" (الشعراء 141-145)."كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ. [...] [فقال لهم لوط] وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" (الشعراء 160-164). "كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ. [...] [فقال لهم شعيب] وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" (الشعراء 176-180)].

البصمة المسيحية على القرآن واضحة جداً لكل إنسان عاقل.

وفي الواقع، فإن القرآن نفسه يعترف ضمنياً بوجود تلك البصمة المسيحية. فنحن نجدها في قصة "أصحاب القرية (أي: المدينة)" (يس 13-30) التي تُعرَف أيضاً باسم قصة "قوم يس" أو قصة "رسل الله الثلاثة" وسوف ندرسها بالتفصيل لاحقاً، فسنكتفي هنا بالإشارة إليها باختصار: "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ **فَكَذَّبُوهُمَا** فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ. قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا **تَكْذِبُونَ**" (يس 13-15). "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَن **لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا** وَهُم مُّهْتَدُونَ" (يس 20-21). إذن: نفس النمط (pattern) يتكرر. أولاً تهمة الكذب تُوجَّه إلى رسل الله، ثم تُنفَى بأنهم لم يسألوا الناس أجراً.

كالعادة، اختلف المفسرون المسلمون في مكان حدوث قصة "أصحاب القرية" (يس 13-30) (إنْ كانت حدثت فعلاً!)، لكن القول السائد هو أن القرية التي دارت فيها أحداث هذه القصة هي أنطاكية[3964]. ولذلك فإننا نعتقد أن هذه القصة القرآنية القصيرة مستوحاة مِن أحداث رحلة الرسول بولس (Paul) التبشيرية الأولى (أعمال الرسل 13) التي انطلقت مِن أَنْطَاكِيَةَ (Antioch) (في سوريا القديمة؛ وحالياً: في تركيا على الحدود مع سوريا) إلى أَنْطَاكِيَةِ بِيسِيدِيَّةَ (Pisidian Antioch) (في وسط تركيا حالياً) مروراً بمدن أخرى. والرسولان هما برنابا وبولس (شاول) **[⟵ "أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ" (يس 14)]**، أما الثالث الذي انضم إليهما فهو يوحنا (مرقس) **[⟵ "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" (يس 14)]**: "وَرَجَعَ بَرْنَابَا وَشَاوُلُ (أي: بولس) مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَا كَمَّلاَ الْخِدْمَةَ، وَأَخَذَا مَعَهُمَا يُوحَنَّا الْمُلَقَّبَ مَرْقُسَ" (أعمال الرسل 12:25). ومع أن الرحلة قد حققت نجاحاً كبيراً في البداية، إلا أن يهود المدينة قد أفشلوها تماماً في النهاية! فلقد حرَّك اليهودُ "وُجُوهَ الْمَدِينَةِ **[⟵ الملأ]**، وَأَثَارُوا اضْطِهَادًا عَلَى بُولُسَ وَبَرْنَابَا، وَأَخْرَجُوهُمَا مِنْ تُخُومِهِمْ. أَمَّا هُمَا (أي: بولس وبرنابا) فَنَفَضَا غُبَارَ أَرْجُلِهِمَا عَلَيْهِمْ" (أعمال الرسل 13:50-51)؛ أي: نفَّذا حرفياً وصيةَ المسيح التي ذكرناها فيما سبق (متى 10:5-14) (مرقس 6:7-11) (لوقا 9:1-5، 10:1-11) ليؤكدا على أنهما لم يأخذا أي شيء مادي مقابل التبشير برسالة الخلاص **[⟵ "لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا" (يس 21)]**. وبعد ذلك، سافر بولس وبرنابا من أجل التبشير في مدينة أخرى، لكن "حَصَلَ مِنَ الأُمَمِ وَالْيَهُودِ مَعَ رُؤَسَائِهِمْ هُجُومٌ لِيَبْغُوا عَلَيْهِمَا وَيَرْجُمُوهُمَا" (أعمال الرسل

5:14)[3965] **[← "لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ" (يس 18). كذلك زعم صاحب رواية سورة الشعراء أن قوم نوح هددوه بالرجم! "قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ" (الشعراء 116)]**. الخلاصة: وجود فكرة "لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا [...]" في قصة قرآنية مستوحاة من التراث المسيحي يؤكد جذورها المسيحية، بل يؤكد تأثر القرآن بالتراث المسيحي.

ونختم كلامنا عن هذه الفكرة المسيحية بأنها موجودة أيضاً في التراث اليهودي (البشري) الذي ربما تأثر هو أيضاً بالتراث المسيحي في القرون الأولى للميلاد. ونقصد "المشنا" (Mishnah) اليهودية، أي: الشريعة الشفهية (Oral Law) والمصدر الثاني للتشريع اليهودي، التي يرجع تاريخ جمعها إلى سنة 220م تقريباً[3966]، أي: قبل الإسلام بأكثر من 350 سنة. تقول المشنا (آفوت – الآباء 3:1) (Aboth 1:3)[3967]: "لا تكونوا كالعبيد الذين يخدمون السيد لأجل الأجر، بل كونوا كالعبيد الذين يخدمون السيد لغير غاية **[← "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" (الشعراء 109) "فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ" (يونس 72) "لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا" (هود 29)]** وليكن خوف الله نصب أعينكم **[← "أَلَا تَتَّقُونَ [...] فَاتَّقُوا اللَّهَ [...] وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ [...] فَاتَّقُوا اللَّهَ" (الشعراء 106-110) "اتَّقُوهُ" (نوح 3) "وَلِتَتَّقُوا" (الأعراف 63) "أَفَلَا تَتَّقُونَ" (المؤمنون 23) "إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ" (هود 49)]**".

وفي الواقع فإن هذه الفكرة لها جذور عميقة في العهد القديم (الكتاب المقدس اليهودي). مثلاً: استدل النبيُّ "صموئيل" (Samuel) على صدقه وأمانته بأنه لم يأخذ شيئاً من أحد ولا حتى حماراً أو ثوراً! "وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِكُلِّ إِسْرَائِيلَ: «هأَنَذَا قَدْ سَمِعْتُ لِصَوْتِكُمْ فِي كُلِّ مَا قُلْتُمْ لِي وَمَلَّكْتُ عَلَيْكُمْ مَلِكًا. وَالآنَ هُوَذَا الْمَلِكُ يَمْشِي أَمَامَكُمْ. وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ شِخْتُ وَشِبْتُ، وَهُوَذَا أَبْنَائِي مَعَكُمْ. وَأَنَا قَدْ سِرْتُ أَمَامَكُمْ مُنْذُ صِبَايَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. هأَنَذَا فَاشْهَدُوا عَلَيَّ قُدَّامَ الرَّبِّ وَقُدَّامَ مَسِيحِهِ (أي: الْمَلِكِ): ثَوْرَ مَنْ أَخَذْتُ؟ وَحِمَارَ مَنْ أَخَذْتُ؟ وَمَنْ ظَلَمْتُ؟ وَمَنْ سَحَقْتُ؟ وَمِنْ يَدِ مَنْ أَخَذْتُ فِدْيَةً لأُغْضِيَ عَيْنَيَّ (أي: لأُغمِضَ عَيْنَيَّ) عَنْهُ، فَأَرُدَّ لَكُمْ؟» فَقَالُوا: «لَمْ تَظْلِمْنَا وَلاَ سَحَقْتَنَا وَلاَ أَخَذْتَ مِنْ يَدِ أَحَدٍ شَيْئًا». فَقَالَ لَهُمْ: «شَاهِدٌ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ وَشَاهِدٌ مَسِيحُهُ الْيَوْمَ هذَا، أَنَّكُمْ لَمْ تَجِدُوا بِيَدِي شَيْئًا». فَقَالُوا: «شَاهِدٌ»" (1 صموئيل 1:12-5). وفي المقابل، فإنَّ "الأنبياء الكذبة اعتادوا تطويع نبوءاتهم وفقاً لرغبات مَن كانوا يعولونهم (1 ملوك 6:22، 8، 18؛ إرميا 28؛ ميخا 5:3، 11)"[3968].

مما سبق يتضح أن البصمة اليهودية-المسيحية على القرآن العربي واضحة جداً لكل إنسان عاقل.

4.11.2.3 سَبْعَ سَمَاوَاتٍ: "أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا" (نوح 15)!

ومن ضمن ما قاله نوحٌ لقومه قبل الطوفان - حسب زعم رواية سورة نوح: "**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا**" (نوح 15)! وبما أنه لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن فكرة الـ "سَبْعَ سَمَاوَاتٍ" (نوح 15) قيلت فعلاً في زمان نوح ومكانه (هذا طبعاً لو افترضنا جدلاً أن نوح نفسه شخص حقيقي تاريخي)،

فليس أمامنا سوى أن نقول إنها أيضاً جملة إسلامية/عربية (stock phrase) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم قالوها في آية قرآنية أخرى ليست لها أية علاقة بقصة نوح التوراتية الأصلية: "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ (أي: تناقُض أو تخالُف أو قلّة تناسُب) ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (أي: عيب؛ شقوق أو صدوع؛ نقص أو خلل)" (الملك 3).

وبغض النظر عن مدى صحة أو عدم صحة فكرة الـ "سَبْع سَمَاوَات" (نوح 15) (الملك 3) من الناحية العلمية، فإن السؤال الذي يشغل بالنا هو: من أين جاء أصحابُ القرآن بفكرة الـ "سَبْع سَمَاوَات" التي وضعوها على لسان نوح (نوح 15) وذكروها في آيات قرآنية أخرى مثل (الملك 3) (البقرة 29) (الإسراء 44) (المؤمنون 17، 86) (فصلت 12) (الطلاق 12) (النبأ 12)؟!

ولقد أجبنا على هذا السؤال في باب المعتقدات أثناء دراستنا لفكرة خَلْق "سَبْع سَمَاوَاتٍ وسَبْع أَرَضِينَ"، وأثبتنا أن هذه الفكرة لها جذور عميقة في التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام، وجذور أعمق في تراث ديانات وحضارات الشرق الأوسط القديم. ولقد وضَّحنا أن فكرة خَلْق سَبْع سَمَاوَاتٍ تحديداً مذكورة في أعمال كثيرة قبل الإسلام، مثل كتاب "صعود إشعياء (معراج إشعياء)" (Ascension of Isaiah) الذي تُرجم إلى اللغة الحبشية (الإثيوبية) فيما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد، وكتاب "برهان الكرازة الرسولية" (Proof of the Apostolic Preaching) للقديس "إيريناؤس" (Irenaeus) في القرن الثاني الميلادي، وكتاب "أخنوخ الثاني" (2 Enoch) الذي يرجع تاريخه إلى القرن الأول الميلادي!

فلن نكرر هنا ما شرحناه بالتفصيل فيما سبق، وسنكتفي هنا بأن نقول إن التراث المسيحي قبل الإسلام قد ربط كثيراً بين أخنوخ ونوح. لأن كليهما إنسان بار "سَارَ مَعَ اللهِ" (التكوين 5:22-24) (التكوين 6:9، 7:1). أخنوخ لم يمت (التكوين 5:24) ونوح عاش طويلاً جداً (التكوين 9:29). فلقد ذكرت الرسالةُ إلى العبرانيين نوحاً بعد أخنوخ مباشرةً كمثالين للإيمان والطاعة، بل نموذجين للإيمان المطلق بالله والطاعة المطلقة لله: "بِالإِيمَانِ نُقِلَ أَخْنُوخُ لِكَيْ لاَ يَرَى الْمَوْتَ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ نَقَلَهُ. إِذْ قَبْلَ نَقْلِهِ شُهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَرْضَى اللهَ. [...] بِالإِيمَانِ نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ خَافَ، فَبَنَى فُلْكًا لِخَلاَصِ بَيْتِهِ، فَبِهِ دَانَ الْعَالَمَ، وَصَارَ وَارِثًا لِلْبِرِّ الَّذِي حَسَبَ الإِيمَانِ" (العبرانيين 11:5-7).

وفي ضوء هذا الربط بين أخنوخ ونوح في التراث المسيحي، لم نندهش حين وجدنا أفكاراً أخرى قد تسللت من كتاب أخنوخ الثاني إلى الروايات القرآنية لقصة نوح. مثلاً: يقول كتاب أخنوخ الثاني إن أحد أسباب الطوفان هو غضب الله بسبب انتشار الشرك وعبادة الأصنام. **(2 أخنوخ 34):** {1} أنا أعرف شر البشر [...] [إنهم] يعبدون آلهة باطلة (أي: أوثاناً)، ويرفضون سلطاني الملكيّ، فتخرّ الأرض تحت الشرور والجور والزنى وعبادة الأصنام {2} فأجلب الطوفان على الأرض، فتغرق الأرض في وحلٍ عظيم[3969]. **[← وكذلك تحدث القرآن عن الشرك وعبادة الأصنام قبل الطوفان: "آلِهَتَكُمْ [...] وَدًّا وَ [...] سُوَاعًا وَ [...] يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا" (نوح 23)، وزعم أن الله أرسل نوحاً ليدعو قومه إلى عبادة الله الواحد ونبذ الوثنية: "لَقَدْ**

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف 59) "أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ" (هود 26) "أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ" (نوح 3) "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ" (المؤمنون 23)].

وبعد ذلك نجد في كتاب أخنوخ الثاني صوراً انتروبومورفيّة (Anthropomorphic) تشبّه اللهَ بالإنسان. هناك فم الرب ويمينه ووجهه وعيناه (2 أخنوخ 39:3-7)[3970]. **[← وكذلك نجد صوراً انتروبومورفيّة في الروايات القرآنية لقصة نوح مثل "أَعْيُنِنَا (أي: أَعيُن الله!)" (القمر 14) (هود 37) (المؤمنون 27). كما نجد حواراً، بل جدالاً، طويلاً بين الله ونوح (هود 45-48)!].**

4.11.2.4 "عَذَابٌ مُّقِيمٌ" (هود 39)! ... "وَفَارَ التَّنُّورُ" (هود 40) (المؤمنون 27)!

نريد أن نتوقف قليلاً أمام عبارة "فَارَ التَّنُّورُ" التي لم تُذْكَر إلا في رواية سورة هود وفي رواية سورة المؤمنون المعتمدة عليها، بل لم تُذْكَر كلمة "التَّنُّور" في القرآن كله إلا في هاتين الآيتين (هود 40) (المؤمنون 27) فقط! كالعادة، اختلف المفسرون المسلمون في تفسير "فَارَ التَّنُّورُ". فقيل إن التَّنُّور هو وجه الأرض. وقيل إن التَّنُّور أعلى مكان في الأرض وأشرف مكان فيها؛ فكان خروجُ الماء منه معجزةً! وقيل إن التَّنُّور كل مفجر ماء. وقيل: "فَارَ التَّنُّورُ" أي طلع الصبح! وقيل: "فَارَ التَّنُّورُ" أي اشتد الأمر، كقولنا حَمِيَ الوطيس! وقيل غير ذلك. وعلى الرغم من أن "التَّنُّور" كلمة أعجمية الأصل ولا نعلم أصلَها على وجه اليقين[3971]، إلا أنه يوجد شبه اتفاق على أن "التَّنُّور" في اللغة العربية يعني: الفرن أو بيت النار الذي ينضج فيه الخبز! أما المراد من "فَارَ التَّنُّورُ" فهو:

- إما المعنى الحرفي: نبع الماءُ بقوةٍ من فُرْنٍ علامةً على وقوع الطوفان ومجيء العذاب، وقيل إن هذا الفرن كان في بيت نوح، وقيل إن هذا الفرن كان لآدم أو حواء ثم صار لنوح، وكانت امرأة نوح تخبز الخبز في هذا الفرن فأخبرته بخروج الماء!

- أو المعنى المجازي: نبع ماءُ الطوفان بقوةٍ كالماء الذي يغلي فوق النار. فهل المقصود بركان أو ما شابه ذلك؟! ربما[3972]. قال د. محمد شحرور تعليقاً على "خلافات واختلافات" المفسرين المسلمين في تفسير هاتين الآيتين "جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ" (هود 40) (المؤمنون 27): "وفي التَّنُّور قولان: أحدهما أنه التنور الذي يُخبز فيه، والثاني أنه غيره. أما الأول فهو قول جماعة عظيمة من المفسرين كابن عباس والحسن ومجاهد، وهؤلاء اختلفوا، [...]. [...] وأما الثاني، فالتقدير أنه ليس التنور الذي يُخبز فيه، وعلى هذا ففيه أقوال: [...]. [...] كان لا بدّ من هذه الإطالة في نقل تفسير الآيتين [...]. والقصد منها وضع نموذج بين يدي القارئ يعطيه فكرة واضحة صحيحة عمّا تطفح به كتب التفسير والأخبار التراثية من خلافات واختلافات في فهم كتاب الله تعالى، ومن تفريع لمعاني الألفاظ تفريعاً يخرج بها عن سياقها في الآية، ومن هذر وهُراء لا

يعلم أحد – إلا الله العليم – من أين تسلل إلينا، ومع ذلك يصرّ المتشددون من مقدّسي التراث وأهله على إلزامنا به حرفياً تحت طائلة التكفير، وفي معظم كتب التفسير تقرأ كل شيء فيها ماعدا التفسير وهي إن اشتركت في شيء فهو منتهى الاحتقار للعقل الإنساني. لقد اختلف المفسرون في أمر الله، أهو الأمر أم العذاب، واختلفوا في التنور أهو مكان خبز الخبز أم غيره. [...] واختلفوا في قراءة (كل) أهي بالتنوين أم بدونه. واختلفوا في النبات هل يدخل في الأمر بالتحميل أم لا يدخل. صحيح أنهم في المحصّلة أدخلوه بحسب قرينة الحال إلا أن الخلاف بقي قائماً. واختلفوا في الزوج أهو واحد أم اثنان. واختلفوا في التنور [...]. [...] وهناك احتمال بأن التنور هو فُوَّهة بُركان، فإذا ثار البركان يمكن أن يراه الناس من أماكن بعيدة"[3973].

وكالعادة، فإن اختلاف المفسرين المسلمين يؤدي إلى اختلاف المترجمين، لكننا لاحظنا أن ترجمات كثيرة تترجم "التَّنُّورُ" إلى "الفرن" (the oven; the furnace) (le four). و "فَارَ التَّنُّورُ" (هود 40) (المؤمنون 27) تُترجم إلى مثلاً: (the oven gushes forth) أو (the furnace boils over) أو (le four se mit à bouillonner)[3974].

يقول د. صلاح الخالدي المعروف بنقده اللاذع للتوراة ودفاعه الشديد عن القرآن: "وأضاف القرآنُ معلومةً جديدة، وهي أنَّ بَدْءَ الطوفان عندما فَارَ التَّنُّورُ؛ قال تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ" [هود:40]. والتَّنُّورُ هو الفُرْنُ الذي يُخْبَزُ فيه، وقد بَدَأَ الطوفانُ بفورانِ الماءِ من وسَطِه"[3975]!

ونحن نقول له ولأمثاله الذين يحاولون عبثاً إثبات صحة القرآن بأية طريقة مهما كانت ملتوية: لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن قصة نوح القرآنية فيها معلومة واحدة جديدة وصحيحة. وفي هذه المسألة تحديداً، فإن مجرد استدعاء فكرة "التَّنُّور" (الفرن) يجعلنا نقول إن القرآن هنا قد تأثر بتقليد يهودي مشهور يقول إن ماء الطوفان كان ساخناً! نجد هذا التقليد اليهودي المعروف في "مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) – الذي يُسمَّى أيضاً بأسماء أخرى أشهرها سفر "أخنوخ الأول" (1 أخنوخ) (1 Enoch) و "النسخة الحبشية (الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch) – وهو كتاب مهم جداً إذ يضم مجموعة ضخمة من التقاليد والكتابات التي دُوِّنت بين القرن الثاني ق.م. وبداية القرن الأول المسيحي. إنه واحد مِن أهم وأشهر وأضخم كُتب سوديبِجرافا العهد القديم، ويُعتقَد أنه دُوِّن في الأصل باللغة الآرامية بدليل وجود أجزاء منه مكتوبة بالآرامية ضمن مخطوطات البحر الميت، ثم نُقِل إلى اللغة اليونانية، ومِن اليونانية انتقل إلى الحبشية (الأثيوبية) على يد العلماء السريان، وهذا كله يدل على انتشاره الواسع في الشرق الأوسط القديم قبل الإسلام. وتعترف به الكنيسةُ الحبشية ككتاب قانوني؛ ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس. فنستطيع إذن أن نقول إن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة في أوائل القرن السابع الميلادي قد سمعوا عن هذا السفر المهم (مصحف أخنوخ) وعرفوا محتواه وربما ظنوا أنه مُوحَى به مِن الله.

يقول مصحف أخنوخ عن طوفان نوح: "ورأيت أيضاً ينابيع مفتوحة على الأرض، داخل هذه الحظيرة الواسعة (يقصد: الأرض المسكونة؛ المعمورة). وأخذ الماء يغلي (the water began to swell) (L'eau se mit à bouillonner) ويرتفع على الأرض" (1 أخنوخ 3:89)[3976].

وكذلك قال التلمود البابلي (Sanhedrin 108b) إن ماء الطوفان كان ساخناً[3977][3978].

وهذا باختصار يعني أن "فَارَ التَّنُّورُ" (هود 40) (المؤمنون 27) من الإسرائيليات التي تطوَّرت تطوَّراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في القرآن.

ومن حُسن الحظ أن موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) قد اعترفت بوجود عناصر متشابهة أو متوازيات (parallels) بين القرآن والتراث اليهودي البشري كالتلمود البابلي[3979]:

> Some elements of the qurʾānic account [of Noah] seem to parallel certain Jewish post-biblical midrashic embellishments of the Bible story, in which Noah appears as a prophet and admonisher: his people laugh at his building the ark, and the unbelievers of his family are punished with hot water (*Tal. Sanhedrin* 108a-b; *Gen Rabba*, xxix-xxxvi). This last element in the story is reflected in qurʾānic and later Islamic texts, where the deluge (*ṭūfān*) sent by God begins with the *tannūr* (oven, cauldron, furnace or kiln) gushing forth with boiling water ([هود 40]; [المؤمنون 27]).

كما اعترفت موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam) بنفس الحقيقة[3980]:

> From the *Haggada* is developed, as Geiger shows, the following elements of this Ḳurʾanic legend of Nūḥ: 1. Nūḥ appears as a prophet and admonisher; 2. his people laugh at the Ark; 3. his family is punished with hot water (main passages: *Talm. Sanhedrin*, 108a-b; *Gen. Rabba*, xxix-xxxvi).

ومن المعلوم أن فكرة العذاب بماءٍ حار أو سائلٍ ساخن موجودة في آيات قرآنية كثيرة أخرى مثل: "يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (أي: الْمَاءُ الْحَارُّ الْمُغَلَّى؛ وقيل: النُّحَاسُ الْمُذَابُ بالنَّار). يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ" (الحج 19-20)؛ (الكهف 29) (الدخان 48) (يونس 4) (الأنعام 70) (الصافات 67) (الواقعة 42) (إبراهيم 16-17) (محمد 15)، مما يعني أنها لم تكن فكرة غريبة على المجتمع العربي الذي

نشأ فيه القرآنُ. وإن قلتم إن الآيات القرآنية السابقة تتحدث عن العذاب بنار جهنم في الآخرة وليس لها علاقة مباشرة بقصة نوح القرآنية. فسنقول: هذا صحيح[3981]، لكن صاحب رواية سورة هود لقصة نوح القرآنية قد أشار أيضاً إلى عذاب الآخرة حين قال "فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ (أي: يُذلُّه؛ وهو: عذاب الغرق في الدنيا) وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (أي: عذاب دائم خالد؛ وهو: عذاب نار جهنم في الآخرة!)" (هود 39) في الآية التي تسبق "فَارَ التَّنُّورُ" (هود 40)، مما يؤكد أنه كان يفكر في عذاب الدنيا بالماء الساخن حين قال "فَارَ التَّنُّورُ" (هود 40). وكأنه أراد أن يقول إن عذابهم بالماء الساخن في الدنيا مجرد بداية أو تمهيد لعذابهم بنار جهنم في الآخرة. وخير دليل على أن "عَذَابٌ مُّقِيمٌ" (هود 39) يعني عذاب نار جهنم في الآخرة هو أن القرآن قد استخدم نفس العبارة "عَذَابٌ مُّقِيمٌ" في آيات أخرى لتعني صراحةً عذاب نار جهنم في الآخرة، مثل: "وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ" (التوبة 68)؛ "[...] عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ [...]. يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ" (المائدة 36-37). ثم جاء صاحبُ رواية سورة نوح وجعل الربط بين عذاب الغرق في الدنيا وعذاب النار في الآخرة أكثر وضوحاً فقال: "مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ (أي: بسبب ذنوبهم وإصرارهم على الكفر والطغيان) **أُغْرِقُوا** [بالطوفان في الدنيا] **فَأُدْخِلُوا نَارًا** (أي: نار جهنم بعد قيام القيامة والحساب في الآخرة!) فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا" (نوح 25).

وفي الواقع، فإن صاحب رواية سورة هود ليس أول مَن ربط بين عذاب النار في الآخرة "عَذَابٌ مُّقِيمٌ" (هود 39) وعذاب الدنيا بالماء الساخن "فَارَ التَّنُّورُ" (هود 40) في قصة طوفان نوح. فكما أشارت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)، لقد سبقه المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 28.8) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[3982] أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة. يقول هذا المدراش اليهودي إن الله كان يُسخِّن في نار جهنم (Gehenna) كُلَّ نقطة ماء قبل أن يسقطها على الخطاة الذين هلكوا في طوفان نوح الذين ليس لهم أي نصيب فِي الدَّهْرِ الآتِي (in the World to Come) (أي: في الأيام الأخيرة؛ في الآخرة؛ في الجنة)[3983]:

> R. Joḥanan said: We learnt: The judgment of the generation of the Flood lasted twelve months: having received their punishment [in this world], are they to enjoy a portion in the World to Come?—Said R. Joḥanan: The Holy One, blessed be He, will boil up in Gehenna every single drop which He poured out on them, produce it and pour it down upon them. Thus it is written, *What time they wax hot, they vanish* (Job VI, 17), which means, they will be destroyed absolutely by scalding water. *As well their love* (Eccl. IX, 6)—i.e. they loved idolatry; *As their hatred* (*ib.*): they hated the Holy

> One, blessed be He, and provoked His jealousy; *Is long ago perished, neither have they any more a portion in the world [to come] on account of everything that was done [by them] under the sun* (*ib.*).

وإنه لمن الطريف أيضاً أن هذا المدراش اليهودي قد ذكر الوثنية (idolatry) كواحدة من خطايا الذين هلكوا في طوفان نوح [← **وكذلك تحدث القرآن عن الشرك وعبادة الأصنام قبل الطوفان: "آلِهَتَكُمْ [...] وَدًّا وَ [...] سُوَاعًا وَ [...] يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا" (نوح 23)، وزعم أن الله أرسل نوحاً ليدعو قومه إلى عبادة الله الواحد ونبذ الوثنية (هود 26) (المؤمنون 23) (الأعراف 59) (نوح 3)]**.

اقرأ أيضاً ما جاء في سفر أيوب الذي يذكر وسائل كثيرة يُعذَّب بها الأشرار. إحدى هذه الوسائل هي أن غضب الله الحارق ينزل عليهم من السماء كالمطر (أي: الماء الساخن): "يَكُونُ عِنْدَمَا يَمْلأُ [الإنْسَانُ الشِّرّيرُ] بَطْنَهُ [بالكسب الحرام]، أَنَّ اللهَ يُرْسِلُ عَلَيْهِ حُمُوَّ غَضَبِهِ (أي: نارَ غضبِه؛ His burning anger)، وَيُمْطِرُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ طَعَامِهِ (أي: طَعَاماً لَهُ؛ أو بالأحرى: شراباً له)" (أيوب 23:20) "تَأْكُلُهُ نَارٌ لَمْ تُنْفَخْ (أي: لَمْ يُضْرِمْهَا بَشَرٌ، وإنما أنزلها اللهُ من السماء عليه). تَرْعَى (أي: تَلْتَهِمُ) الْبَقِيَّةَ فِي خَيْمَتِهِ (أي: تحرقه هو وأهل بيته وكل ماله). السَّمَاوَاتُ تُعْلِنُ إِثْمَهُ، وَالأَرْضُ تَنْهَضُ عَلَيْهِ. تَزُولُ غَلَّةُ بَيْتِهِ (أو: تَجرفُ السُّيولُ flood بَيتَهُ). تُهْرَاقُ (أي: تَجْري كالمِياهِ؛ تَفِيضُ؛ تسكب وتصب) فِي يَوْمِ غَضَبِهِ (أي: الغضب الإلهي)" (أيوب 26:20-28). فيبدو لنا أن كاتب هذه الآيات في سفر أيوب كان يفكر في طوفانٍ تتحد فيه النار مع الماء ضد الأشرار كما هو الحال في طوفان نوح حسب القرآن الذي كُتِبَ بعد سفر أيوب بمئات السنين. كما يبدو لنا أن التراث المسيحي قد فهم هذه النار على أنها ترمز للنار الأبدية التي يتعذب فيها الإنسان الشرير. يقول القمص تادرس يعقوب ملطي تعليقاً على "تَأْكُلُهُ نَارٌ لَمْ تُنْفَخْ" (أيوب 26:20) إن "هذه الكلمات القليلة تعلن عن نار جهنم [...] لا تُشعَل بجهود بشرية، ولا تستمر بإلقاء خشب فيها. ولكنها إذ توجد مرة، تبقى غير قابلة للانطفاء، ولا تحتاج إلى إشعالها، ولا تنقص حرارتها [...] قيل بالمرتل: "تَجْعَلُهُمْ مِثْلَ تَنُّور نَارٍ فِي زَمَانِ حُضُورِكَ (أو: غضبِك). الرَّبُّ بِسَخَطِهِ يَبْتَلِعُهُمْ وَتَأْكُلُهُمُ النَّارُ" (المزامير 9:21)"[3984]. اقرأ أيضاً ما قاله سفرُ أيوب عن الكائن "لَوِيَاثَان" (Leviathan) الذي "يَجْعَلُ الْعُمْقَ (the depths) (أي: مياه النهر أو البحر) يَغْلِي كَالْقِدْرِ (a boiling cauldron)" (أيوب 31:41)!

وخير ما نختم كلامَنا به هو ما قاله العالم (Prof. Holger Zellentin) تعليقاً على "عَذَابٌ مُّقِيمٌ" (هود 39) "وَفَارَ التَّنُّورُ" (هود 40) (المؤمنون 27)[3985]:

> The image of the punishment of the generation of the flood with an oven gushing water in [هود 39-40] (see also [المؤمنون 27]) once again points to the pertinence of the Palestinian Rabbinic tradition for the Qurʾān, and to the secondary importance of the Babylonian one ([...]). As has been noted by

Geiger, the Babylonian Talmud relates about the generation of the flood that "with hot passion they sinned, and by hot water they were punished;" the Talmud derives this knowledge from a specific reading of the Hebrew term *wyškw hmym* in Genesis 8.1 (see Geiger 1883: 110–111, cf. also 1 Enoch 89:3). This is certainly a relevant image, but it too connects the earthly punishment of the generation to the one in the after-life only symbolically and therefore indirectly. The Qurʾān specifies that it is an [عَذَابٌ مُّقِيمٌ], "a lasting punishment," ([هود 39]) that will descend, and then immediately [فَارَ التَّنُّورُ], "the oven gushed forth," ([هود 40]) indicating that the punishment in question begins in this world and carries on into hell ([...]). A more pertinent intertext, identified by Sidersky (1933:27), may therefore be *Genesis Rabbah*, which states that "the Holy One, blessed be He, will boil up in Gehenna every single drop which He poured out on [the generation of the flood], produce it and pour it down upon them" (ibid, 28.8). Only in the Palestinian Rabbinic Midrash, but not in the Babylonian Talmud, do we find the explicit continuity between the earthly deluge and the post-mortem punishment with which the Qurʾān may assume its audience to be familiar, and, what is more important, against which the traditional depth of the Qurʾānic allusion becomes more palpable.

4.11.2.5 "سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ" ... "لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ" (هود 43)!

وأثناء حدوث الطوفان، زعم صاحبُ رواية سورة هود أن ابن نوح الكافر "قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ [مرتفعٍ] يَعْصِمُنِي (أي: يحميني) مِنَ الْمَاءِ" (هود 43)، فقَالَ له نُوحٌ "لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ" (هود 43) "وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ [الأكثر ارتفاعاً من الْجِبَالِ] فَكَانَ [ابنُ نوح] مِنَ الْمُغْرَقِينَ" (هود 43).

طبعاً هذه الفكرة ليس لها أي وجود في التوراة. فَمِن أين جاءت؟! هل جاءت بوحي من الله كما تزعم البروباجاندا الإسلامية؟! طبعاً لا. وإنما جاءت بوحي من التراث المسيحي السرياني، وتحديداً كتاب "مغارة الكنوز" أو سفر "كهف الكنوز" (Cave of Treasures) (Spelunca Thesaurorum) المعاصر لكتاب "القرآن" العربي، أو على الأرجح قبله بقليل كما وضّحنا فيما سبق[3986].

يقول الفصل الثامن عشر من كتاب مغارة الكنوز السرياني: "وأبناء شيث، الذين لوّثوا أنفسهم في حمأة الزنا، ركضوا إلى باب الفُلْك، واستعطفوا نوح ليفتح لهم باب الفلك. وعندما هُمْ رأوا طوفان الماء الذي كان يلتفُّ حولهم ويبتلعهم من كل الجوانب، هُمْ كانوا في محنةٍ عظيمة، وحاولوا تسلُّق جبال الفردوس (the mountain of paradise)، لكنهم كانوا غير قادرين على عمل ذلك. الآن الفلك أُغلِق وخُتِم، ووقف ملاك الرب على جانب واحد منه حتى أنه قد يفعل كالربان من ذلك. وعندما سادت طوفانات المياه أبناء شيث، وهُمْ بدأوا بالغرق في موجاته العظيمة والقديرة؛ حينئذ تم ما قيل من داود فيما يتعلق بهم، قائلاً: "أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ" (المزامير 6:82). لكن حيث أنكم فعلتم هذا، وأحببتم الزنا مع بنات قايين، مثلهم أنتم تموتون، وحتى كما عملوا ذلك تسقطون"[3987].

إذن: حسب كتاب كهف الكنوز السرياني، فإن أبناء شيث (Seth) الذين هُمْ أقرباء نوح - لأن نوح نفسه من أبناء شيث (التكوين 5:1-32) (لوقا 3:36-38) - وكان ينبغي أن يعيشوا حياة القداسة والطهارة مع الله ليستحقوا لقب "أبناء الله" (التكوين 6:2، 4) الذي أطلق عليهم بسبب صلاح والدهم الذي ساروا على نهجه الصالح فترةً من الزمن، لكنهم بعد ذلك سقطوا في فاحشة الزنا مع "بَنَاتِ النَّاسِ" (التكوين 6:2، 4) أي مع بنات قايين (Cain) المنغمسات في الفساد على خُطى أبيهم قايين القاتل الشرير الذي لعنه الله لأنه قتل أخاه البار هابيل، فاستحقوا أن يهلكوا في الطوفان. وعندما حاولوا عبثاً أن يُخلِّصوا أنفسهم من الهلاك باللجوء إلى جبلٍ مرتفع وهو جبل الفردوس (the mountain of paradise) ليحميهم من الماء فشلوا فغرقوا في موجات الطوفان العظيمة والقديرة! **[← نجد في كتاب القرآن العربي نفس المشهد تقريباً، والضحية واحدٌ من أقرباء نوح أيضاً بل من أقرب الناس إليه فهو ابنه، وكانت جريمته هي الزنا أيضاً لكنه الزنا الروحي أي الكفر. قال صاحبُ رواية سورة هود: "وَهِيَ (أي: السفينة) تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ [يعلو ويرتفع] كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ [الكافر] وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ (أي: في ناحيةٍ من السَّفِينَة) يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ [ابنُ نوح] سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ [مرتفعٍ] يَعْصِمُنِي (أي: يحميني) مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ [نُوحٌ لابنه] لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ [الأكثر ارتفاعاً من الْجِبَالِ] فَكَانَ [ابنُ نوح] مِنَ الْمُغْرَقِينَ" (هود 42-43)].**

4.11.2.6 "قَالَ [اللهُ] يَا نُوحُ إِنَّهُ (أي: ابنك الكافر) لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ" (هود 46)

قلنا فيما سبق إن صاحب رواية سورة هود أكَّد في روايته على أن القرابة الحقيقية بين المؤمنين هي قرابة الإيمان والدين وليس قرابة العائلة والنسب؛ فأهلك هُم أهل دينك وعقيدتك وليس أهل بيتك وعشيرتك. ولذلك لمَّا "نَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي [وقد وَعَدْتني بنجاةِ أهلي] وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ" (هود 45) "قَالَ [اللهُ] يَا نُوحُ إِنَّهُ (أي: ابنك الكافر) لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ (أي: لا يُعتبَر مِنْ أَهْلِكَ بسبب كُفره) ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ" (هود 46). وقال الشيخ الشعراوي في تفسيره لهاتين الآيتين إن "الأنبياء لا بنوة

لهم إلا بنوة الاتِّباع"؛ "النبوَّة ليس لها بنوَّة، بل النبوَّة لها أتباع"؛ "أهليَّة الأنبياء ليست أهلية الدم واللحم، ولكنها أهليَّة المنهج والاتِّباع، وإذا قاس نوحٌ - عليه السلام - ابنَه على هذا القانون، فلن يجده ابناً له"؛ "فعمل ابن نوح جعله غير صالح أن يكون ابناً لنوح. وهكذا نجد أن المحكوم عليه في البنوة للأنبياء ليس الدم، وليس الشحم، وليس اللحم، إنما هو الاتِّباع"[3988].

فَمِن أين أتى صاحب رواية سورة هود بهذه الفكرة (motif) (topos)؟

إنها في الواقع فكرة مسيحية بامتياز، وإنْ كان لها بعض الجذور في التقليد اليهودي النبوي (ميخا 7:5-6). وتُعْرَف باسم (Faith over Family)، أي أن العلاقات التي تُبْنَى على أساس الإيمان أهم وأعلى من العلاقات الأسرية والعائلية. فلقد تكررت هذه الفكرة كثيراً في الإنجيل وفي التراث المسيحي بصفة عامة. على سبيل المثال وليس الحصر: قال يسوع المسيح بكل وضوح إن أهله الحقيقيين هُمْ تلاميذه وأتباعه المؤمنين به "وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُ الْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ [مريم] وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ. فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ». فَأَجَابَ [يسوعُ] وَقَالَ لِلْقَائِلِ لَهُ: «مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتي؟» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتي. لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي (أي: الله) الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي»" (متى 12:46-50) "فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أُمِّي وَإِخْوَتِي هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللهِ وَيَعْمَلُونَ بِهَا»" (لوقا 8:21). وقال السيد المسيح بكل وضوح أيضاً إن الإيمان به قد يؤدي إلى انقسام العائلة الواحدة: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا (أي: انْقِسَامًا). فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أو ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" (متى 10:34-37)؛ "جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا على الأرضِ، فماذا أريدُ لو اضطرَمَتْ؟ ولي صِبغَةٌ (باليونانية: بابْتِزما baptisma؛ أي: معمودية) أصطَبِغُها (أي: أعتمد بها؛ يقصد: آلامه وموته على الصليب)، وكيفَ أنحَصِرُ حتى تُكمَلَ؟ (أي: لن تهدأ نفسي حتى تَتِمَّ) أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا. لأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلاَثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ، وَاثْنَانِ عَلَى ثَلاَثَةٍ. يَنْقَسِمُ الأَبُ عَلَى الابْنِ، وَالابْنُ عَلَى الأَبِ، وَالأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ، وَالْبِنْتُ عَلَى الأُمِّ، وَالْحَمَاةُ عَلَى كَنَّتِهَا، وَالْكَنَّةُ عَلَى حَمَاتِهَا" (لوقا 12:49-53)؛ "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، (يقصد: إنْ كَانَ أَحَدٌ يحب نَفْسَه وأهلَ بيته أكثر مِن حبه لي؛ إنْ كَانَ لا يحبهم أقل مِن حبه لي) فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا" (لوقا 14:26)[3989]؛ "وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَالأَبُ وَلَدَهُ، وَيَقُومُ الأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ. وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ" (مرقس 13:12-13)؛ "وَسَوْفَ تُسَلَّمُونَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَالإِخْوَةِ وَالأَقْرِبَاءِ وَالأَصْدِقَاءِ، وَيَقْتُلُونَ مِنْكُمْ. وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلكِنَّ شَعْرَةً مِنْ رُؤُوسِكُمْ لاَ تَهْلِكُ. بِصَبْرِكُمُ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ" (لوقا 21:16-19). اقرأ أيضاً (متى 10:21-22) (مرقس 3:31-35) (لوقا 11:27-28).

فكل ما فعله صاحبُ رواية سورة هود هو أنه أخذ هذه الفكرة المشهورة من التراث المسيحي وأقحمها ببراعة في قصة نوح القرآنية، مع أنها ليست لها أية علاقة بقصة نوح التوراتية الأصلية، بل لم تُذْكَر في الروايات القرآنية الأخرى لقصة نوح! باستثناء رواية سورة المؤمنون: "وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ" (المؤمنون 27) التي لم تضف شيئاً جديداً وإنما كررت ما كان قد جاء في رواية سورة هود: "وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ" (هود 40) "وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ" (هود 37).

ولعل صاحب رواية سورة هود قد أراد بذلك أن يرسل رسالةً إلى المسلمين الأوائل في مكة مفادها أن إخوتهم وأقاربهم الحقيقيين هُمْ المسلمون مثلهم، وليس إخوتهم وأقاربهم الذين ما زالوا كافرين وثنيين فيجب عدم الاستغفار لهم "وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا" (هود 37) (المؤمنون 27). ومِن الواضح أن هذا الأمر كان بالفعل يشغل بال المسلمين الأوائل بدليل تكراره في آيات قرآنية قيلت بعد ذلك في المدينة (يثرب) التي هاجر إليها المسلمون الأوائل لمَّا انفصلوا جغرافياً عن إخوتهم وأقاربهم الكفار في مكة: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ **إِلَّا** قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ"[3990] (الممتحنة 4)؛ "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ [محمد] وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ [لموتهم على الشرك[3991]]. وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ [المشرك] إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ (أي: إلا تحقيقاً لوعد من إبراهيم لأبيه رجاء إيمانه) فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ (أي: لم ينفع فيه الوعظ وأنه سيموت كافراً؛ أو: مات كافراً) تَبَرَّأَ مِنْهُ (أي: تركه وترك الدعاءَ له بالمغفرة) ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ (أي: كثير التضرع والدعاء لله) حَلِيمٌ" (التوبة 113-114)؛ "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ (أي: للكفار؛ للمنافقين) أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" (التوبة 80)؛ "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ (أي: حارب؛ عادى؛ خالف أمر) اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ" (المجادلة 22)[3992]. وكذلك فيما يتعلق بالمنافقين الذين ظهروا في المدينة (يثرب) أيضاً: "وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (أي: يخافون أن يظهروا ما هُم عليه، فيحلفون تَقِيَّة لكم)" (التوبة 56).

ولذلك فإننا نتفق تماماً مع العالِم (Prof. Mun'im Sirry) وغيره حين قالوا[3993]:

Whereas in Genesis Noah took his entire household, in the Qurʾān only those righteous were saved. Even Noah's own son was drowned, because salvation depends upon submission to God's will, and not upon blood kinship. Scholars like Neal Robinson understand the Qurʾānic twist regarding Noah's lost son as a means by which the Qurʾān relates to the

Prophet's own experience. Robinson writes, "[T]he poignant scene in which Noah pleads in vain with his [unfaithful] son to enter the ark ([هود 42-46]) probably mirrors the anguish of the Muslims who left [unfaithful] relatives behind when they migrated [from Mecca] to Yathrib" (1996: 156).

ونتفق أيضاً مع ما قاله العالِم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على (هود 45-46) وعلاقتها بآيات أخرى في سورة هود أيضاً وصفت النبي هود بأنه "أخو" قومه عاد (هود 50)، ووصفت النبي صالح بأنه "أخو" قومه ثمود (هود 61)، ووصفت النبي شعيب بأنه "أخو" قومه مدين (هود 84)؛ والمراد أنه أخوهم حسب القبيلة أو العائلة أو الأسرة (أو كما قالت رواية سورة الأعراف لقصة نوح: "رَجُلٍ مِّنكُمْ" (الأعراف 63))، لكنه ليس أخاهم ولا منهم حسب الإيمان[3994]:

The Qurʾān's concern with family ties, or rather, with the importance of obeying God even when this involves breaking family ties, is notable here. When Noah ([هود 45]) asks God for mercy for his unfaithful son who has been drowned in the flood, God replies ([هود 46]): "Indeed he is not of your family." Thus the Qur'ān suggests here something which it makes explicit elsewhere (see [التوبة 113-114]), that believers should not pray for family members who are unbelievers. Meanwhile the virtue of breaking ties with an unbelieving family (at the center of the Abraham material elsewhere in the Qurʾān: [الأنعام 74-83]; [مريم 41-48]; [الشعراء 69-104]; [العنكبوت 16-17، 24-25]; [الصافات 83-99]; [الزخرف 26-27]; [الممتحنة 4]) is suggested by the description of Ṣāliḥ as "the brother" of Ṯamūd ([هود 61]) and Šuʿayb as "the brother" of Midian ([هود 84]).

وأخيراً يجب التنويه إلى أن هذه الفكرة - التي تقول إن الروابط بين المؤمنين في الدنيا أعلى وأهم من الروابط الأسرية والعائلية - تمهّد لِمَا سوف يحدث في الآخرة حين تنقطع وتتلاشى كُلُّ الروابط الدنيوية، بدليل أن بعض الآيات الإنجيلية السابقة مثل (مرقس 13:12-13) (لوقا 21:16-19) جاءت في سياق الحديث عن علامات نهاية الزمان (علامات الساعة)[3995] **[⟵ "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ (أي: تنسى رضيعها وتتركه!) وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا**

(أي: أسقط جنينها في غير أوانه فزعاً ورعباً!)" (الحج 1-2) "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا" (لقمان 33) "وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ (أي: فدية) وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ" (البقرة 48) "لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (الممتحنة 3) "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ (أي: لن تفيدهم الأنسابُ التي كانوا يفتخرون بها في الدنيا) وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (أي: ولا يسأل أحدٌ أحدًا شيئاً ينفعه)" (المؤمنون 101) "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ" (عبس 34-37) "وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (أي: ولا يسأل قريبٌ قريبَه عن شأنه). يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ. وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ. وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ. كَلَّا" (المعارج 10-15) "يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا [من النفع أو الضرر] ۖ وَالْأَمْرُ [كله] يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ [وحده]" (الانفطار 19) "وَكُلُّهُمْ آتِيهِ (أي: سوف يأتي اللَّهَ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (أي: لا أولاد معه ولا مال ولا أنصار، ليس معه إلا عمله)" (مريم 95) "وَيَأْتِينَا فَرْدًا" (مريم 80) "يَوْمَ يُبْعَثُونَ. يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء 87-89) "وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ" (الأنعام 94) "الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" (الزخرف 67) "يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ. إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" (الدخان 41-42)؛ (البقرة 166، 254) (إبراهيم 31) (الحاقة 33-35)].

4.11.2.7 امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

وتوجد فكرة مسيحية أخرى ترتبط بالفكرة السابقة، وهي أن برّ البارّ لا يُنجّي أقرباءه الأشرار. وتُقال أحياناً بطريقة أخرى: قرابة الإنسان الشرير بإنسانٍ بار لا تنفعه ولا تُخلِّصه. ونفهم من الإنجيل (يوحنا 8:30-47) أن اليهود غير المؤمنين بالمسيح كانوا يعتقدون أن مجرد كونهم أبناء إبراهيم يكفي لخلاصهم، فوضَّح لهم المسيحُ أنهم أبناء إبراهيم جسدياً فقط (أي: بيولوجياً) وهذا لا يكفي لخلاصهم، وإنما ينبغي أن يكونوا أبناء إبراهيم روحياً (أي: بالإيمان والطاعة)، أي: ينبغي أن يؤمنوا به بصفته المسيح (المسيَّا) وابن الله ويطيعوا الله الذي أرسله، فإن عصوا ولم يؤمنوا فَهُمْ في الواقع أبناء الشيطان إبليس ومصيرهم الهلاك مثله ولن تنفعهم أبداً بنوتهم الجسدية لإبراهيم. قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "أَنَا عَالِمٌ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ (أي: بيولوجياً خلال الجسد؛ sperma Abraam). لكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي لأَنَّ كَلاَمِي لاَ مَوْضِعَ لَهُ فِيكُمْ. [...] «لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ (أي: روحياً خلال الإيمان؛ tekna Abraam)، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ (أي: لَكُنْتُمْ تتشبَّهون بإيمان

إبراهيم وطاعته لله)[3996]! وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ. هذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ. أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ». [...] أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ" (يوحنا 8:37-44).

بمرور الزمن، طوَّر المفكرون المسيحيون الشرقيون هذه الفكرة، وبصفة خاصة: المفكرون المسيحيون السريان. فصارت أكثر وضوحاً. ولنقرأ سوياً المقابلة السادسة من المقابلات مع الشعب اليهودي (Homilies against the Jews 6) التي كتبها بالسريانية المفكر المسيحي السرياني المبدع "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) أسقف سروج بشمال العراق والمتوفي عام 521م (أي: قبل الإسلام) والذي نعتبره واحداً من الآباء الروحيين لأصحاب القرآن[3997]:

{111} نفسُ الأب كنفس الابن، وكلتاهما للرب،

{112} ونفسُ الخاطئ هي التي تُطالَب (أي: تُقبَض؛ تُؤخَذ؛ يقصد: تموت[3998])، كما كُتِب.

{113} الأب البار لا يعين (أي: لا ينفع؛ لا يفيد) الابنَ الذي خطئ،

{114} هو (أي: الأب البار) لا ينجّي ابناً ولا ابنة[3999] كما كُتِب.

The soul of the father and the soul of the son both belong to the Lord; / it is the soul of the sinner from which vengeance shall be sought, *as it is written* / a just father will not profit a sinning son (cf. Ezekiel 18:4); / *as it is written* he will save neither a son nor a daughter (cf. Ezekiel 14:16). (Jacob of Serugh, *Homélies contre les juifs*, 164-165, homily 6, ll. 111-114)

وبعد يعقوب السروجي، جاء تلميذُه صاحبُ رواية سورة هود - الذي يتضح دائماً أنه كان على دراية بالتراث اليهودي/المسيحي - وطبَّق هذه الفكرة المسيحية على ابن نوح الذي هلك "فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ" (هود 43) مع أنه ابن إنسان بار بل ابن نبي ورسول من أولي العزم من الرسل. ثم جاء صاحب (التحريم 10) وجعل الفكرةَ أكثر وضوحاً وطبَّقها على امرأة نوح (وامرأة لوط النبي أيضاً[4000]): "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا (أي: خيانةً روحية؛ خَانَتَاهُمَا في الدين، فقد كانتا كافرتين أو منافقتين) فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا (أي: لم تنفعهما علاقتهما الأسرية بالمؤمنين الأبرار نوح ولوط) وَقِيلَ [لامرأة نوح وامرأة لوط يوم القيامة] ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (أي: مع الشيطان إبليس والْكُفَّار وَالْمُنَافِقِين؛ لا فرق بينكما وبين مَن ليس له صِلة قرابة بنبي أو غيره، فالنجاة من نار جهنم يوم القيامة تكون بالإيمان والطاعة في الدنيا وليس بالشفاعة ولا بالعلاقات الأسرية أو العائلية)" (التحريم 10).

من حق المسلمين أن يسألوا: لكن لماذا طبَّق أصحابُ القرآن هذه الفكرة المسيحية على ابن نوح وامرأته بالذات ولم يطبقوها على ابن أو امرأة نبي آخر كهود وصالح مثلاً وقصتهما تشبه قصة نوح إلى حد كبير؟!

الإجابة تنقسم إلى شقين. أولاً: نوح في الإسلام واحدٌ مِن أولي العزم من الرسل (أي: أفضل الرسل) - بل هو أولهم زمنياً وجميع الأنبياء من بعده من ذريته "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ" (الحديد 26)، فتطبيق هذه الفكرة على ابنه وامرأته سيكون أقوى وأكثر إقناعاً من تطبيقها على أي نبي أو رسول آخر. وثانياً: لأن يعقوب السروجي كان ينقل من سفر حزقيال (حزقيال 18) وخصوصاً (حزقيال 14) الذي يذكر نوحاً صراحةً بالاسم مرتين، وفي كلتا المرتين يذكر اسمَ نوح أولاً قبل أبرار آخرين: "وَكَانَتْ إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قَائِلَةً: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ أَخْطَأَتْ إِلَيَّ أَرْضٌ وَخَانَتْ خِيَانَةً (أي: خيانةً روحية؛ يقصد: عبدتْ أصناماً) **[← "فَخَانَتَاهُمَا (أي: خيانةً روحية؛ خَانَتَاهُمَا في الدين)" (التحريم 10)]**، فَمَدَدْتُ يَدِي عَلَيْهَا وَكَسَرْتُ لَهَا قِوَامَ الْخُبْزِ (أي: مَؤُونَةَ الخبز)، وَأَرْسَلْتُ عَلَيْهَا الْجُوعَ، وَقَطَعْتُ مِنْهَا الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ، وَكَانَ فِيهَا هؤُلاَءِ الرِّجَالُ [الأبرار] الثَّلاَثَةُ: نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرّهِمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. [...] فَحَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنَّهُمْ لاَ يُخَلِّصُونَ بَنِينَ وَلاَ بَنَاتٍ. هُمْ وَحْدَهُمْ يَخْلُصُونَ وَالأَرْضُ تَصِيرُ خَرِبَةً. [...] فَحَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنَّهُمْ لاَ يُخَلِّصُونَ بَنِينَ وَلاَ بَنَاتٍ، بَلْ هُمْ وَحْدَهُمْ يَخْلُصُونَ. أَوْ إِنْ أَرْسَلْتُ وَبَأً عَلَى تِلْكَ الأَرْضِ، وَسَكَبْتُ غَضَبِي عَلَيْهَا بِالدَّمِ لأَقْطَعَ مِنْهَا الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ، وَفِي وَسْطِهَا [هؤُلاَءِ الرِّجَالُ الأبرار الثَّلاَثَةُ] نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ، فَحَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنَّهُمْ لاَ يُخَلِّصُونَ ابْنًا وَلاَ ابْنَةً. إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرّهِمْ" (حزقيال 14:12-20).

يقول د. مصطفى بوهندي تعليقاً على الآيات السابقة من (حزقيال 14): "إن هذا النص يخبرنا أن نوحاً ودانيال (يقصد: دَانِيآل) وأيوب، لا يمكنهم أن يخلصوا أبناءهم ولا بناتهم من العذاب، إن لم يكونوا صالحين هُمْ أيضاً، وإن لم يخلصهم برّهم؛ وهو ما يفيد أن نوحاً ما كان ليخلص مَن خلص مِن العذاب لو لم يكونوا صالحين، وليس لأنهم أهله وعشيرته؛ وهو ما أسهم القرآن الكريم في بيانه من خلال قصة ابنه وامرأته [...] وهو ما يسقط النظرية العنصرية التي أسس لها كهنة بني إسرائيل، عندما قسموا الشعوب إلى مباركة وملعونة تبعاً لأسلافها (يقصد: التكوين 9:18-29 وتفاسيرها)، فكان الجواب القرآني على هذا الطرح العنصري بقصة لا ينفع فيها نوحٌ ابنَه ولا يستطيع إنقاذه من الغرق، فكيف ينفع أحدٌ من أبناء نوح أبناءه؟ أو كيف يضرهم على الأساس العنصري نفسه؟ وهو ما أفاض سفر حزقيال في بيانه كما رأيناه سالفاً"(4001)!

ويجب هنا أن نؤكد أن (حزقيال 14) **لم** يقل إن ابنَ نوح قد هلك في الحقيقة. نكرر: (حزقيال 14) **لم** يقل إن ابنَ نوح قد هلك في الحقيقة، وإنما قال ما معناه: لو افترضنا جدلاً أن ابن نوح كافر أو شرير، فإن نوحاً لا يستطيع أن يُخلِّصه. فيبدو أن صاحب رواية سورة هود قد حوَّل هذا الافتراض إلى حقيقة، فقال إن ابن نوح كان كافراً فعلاً وهلك فعلاً بسبب كُفره "فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ" (هود 43) ولم يستطع نوحٌ أن يُخلِّصه(4002).

ونحن نعتقد أن صاحب رواية سورة هود قد فعل ذلك عن عمد وليس عن جهل. وساعده على ذلك أن سياق (حزقيال 14) يتحدث عن الوثنية وعبادة الأصنام عند بني إسرائيل: "فَجَاءَ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ (أي: قادة إسرائيل) **[← "الْمَلَأُ" (هود 27)]** وَجَلَسُوا أَمَامِي. فَصَارَتْ إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قَائِلَةً: «يَا ابْنَ آدَمَ، هؤُلاَءِ الرِّجَالُ قَدْ أَصْعَدُوا أَصْنَامَهُمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ **[← "الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا" (هود 27)]**" (حزقيال 14:1-3)؛ وفيه دعوة صريحة إلى التوبة ونبذ عبادة الأصنام: "لِذلِكَ قُلْ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: تُوبُوا وَارْجِعُوا عَنْ أَصْنَامِكُمْ **[← "لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ" (هود 26)]**، وَعَنْ كُلِّ رَجَاسَاتِكُمُ اصْرِفُوا وُجُوهَكُمْ" (حزقيال 14:6)؛ وفيه إنذار وتحذير من الدينونة الوشيكة التي لن ينجو منها إلا المؤمنون الأبرار كما قلنا (حزقيال 14:12-20) **[← "إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (هود 25) "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ" (هود 26) "لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ" (هود 43)]**.

وساعده على ذلك أيضاً أن هذا الأمر كان يشغل بال المسلمين الأوائل في مكة. على سبيل المثال، نجد في سورة الأحقاف ابناً (حقيقياً أو افتراضياً) كافراً غير مؤمن بالبعث ووَالِدَيْه المؤمنين حاولا دعوتَه إلى الإيمان لكنه أصر على الكفر فحَقَّ عليه العذابُ مثل غيره من الخاسرين: "وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ [من قبري حيًا] وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي (أي: هلكوا فلم يُبعث منهم أحدٌ) وَهُمَا (أي: الأب والأم المؤمنان) يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ [في أمر ابنهما] [ويقولان لابنهما] وَيْلَكَ آمِنْ [بالبعث] إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ [بالبعث] حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (أي: مَا هَٰذَا البعث إلَّا ما سطَّره الأولون من الأباطيل فهو منقول من كتبهم). أُولَٰئِكَ الَّذِينَ (أي: أمثال هذا الابن الكافر) حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ (أي: وجب عَلَيْهِمُ العذاب) فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ" (الأحقاف 17-18) (مكية)، أي أن إيمان والديه لم يشفع له عند الله ولم يستطع أن يُنجّيه من الهلاك. ولا نعتقد أنها مجرد صدفة أن الآيتين السابقتين من سورة الأحقاف تستخدمان تقريباً نفس الكلمات والمعاني التي استخدمها صاحبُ رواية سورة هود، بل أحياناً التي انفرد بها صاحبُ رواية سورة هود! كما يوضح الجدول التالي:

جدول 11 – قصة "نوح" التي حَرَّفها صاحبُ رواية سورة هود (هود 25-49): أسلمة للأفكار وتعريب للألفاظ

قصة نوح التي حرّفها صاحبُ رواية سورة هود (هود 25-49) بأن وضع فيها كلاماً غريباً ليس في قصة نوح التوراتية الأصلية!	إنه كلام إسلامي/عربي (stock phrases) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموه في (الأحقاف 17-18) التي ليس لها أية علاقة بقصة نوح التوراتية الأصلية!
قال نوحٌ: "إِنَّ وَعْدَكَ (أي: وَعدَ اللهِ) الْحَقُّ" (هود 45). ولم تُذكر كلمة "وَعْد" في جميع الروايات القرآنية لقصة نوح إلا في رواية سورة هود!	قال الأب والأم المؤمنان: "إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ" (الأحقاف 17)
"أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ" (هود 47). ولم تُذكر كلمة "خَاسِرِينَ" في جميع الروايات القرآنية لقصة نوح إلا في رواية سورة هود!	"إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ" (الأحقاف 18)
"سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ [بالعذاب]" (هود 40). ولم تُذكر كلمة "الْقَوْلُ" في جميع الروايات القرآنية لقصة نوح إلا في رواية سورة هود وفي رواية سورة المؤمنون المعتمدة على رواية سورة هود!	"حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ [بالعذاب]" (الأحقاف 18)
قال نوحٌ لابنه الكافر: "يَا بُنَيَّ [...] لَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ" (هود 42)	قال الأب والأم المؤمنان لابنهما الكافر: "آمِنْ" (الأحقاف 17)
"وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي [...]" (هود 45)	"وَهُمَا (أي: الأب والأم المؤمنان) يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ [في أمر ابنهما]" (الأحقاف 17)

فإذا قرأنا مرّةً أخرى الآيات المذكورة في الجدول السابق لكن في ضوء (حزقيال 14)، فسنلاحظ أن السياق العام لـ (حزقيال 14) يتشابه مع المجتمع المكي الذي كان يعيش فيه صاحبُ رواية سورة هود حيث كانت الوثنية منتشرة وعبادة الأصنام سائدة ولا يوجد إلا قلة قليلة من المؤمنين. فأخذ صاحبُ رواية سورة هود هذه الأفكار من (حزقيال 14) ومن المجتمع المكي الذي كان يعيش فيه ونقلها مئات السنين إلى الوراء فوضعها في قصة نوح - المذكور صراحةً بالاسم مرتين في (حزقيال 14)، بل وضعها في مشهدٍ إنساني مؤثر بين نوح المؤمن البار وابنه الكافر العاصي الذي لم يُذكَر في الروايات القرآنية الأخرى لقصة نوح! ثم وجَّه روايتَه القرآنية الفريدة (هود 25-49) إلى معاصريه في مكة. فَمِن حقه في نهاية روايته أن يفتخر بأنه أنتج عملاً أدبياً رائعاً لم ينتجه أحدٌ من قبل: "تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ

مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ" (هود 49). لأنه إذا كانت رواية سورة هود لقصة نوح هي الرواية القرآنية الأكثر تأثراً بالتراث اليهودي/المسيحي الشرقي، فهي أيضاً الرواية القرآنية الأكثر قدرةً على مزج هذا التراث اليهودي/المسيحي الشرقي بالتراث العربي وخصوصاً بحياة المسلمين الأوائل في مكة حيث كان من المحتمل جداً أن يكون الأب مؤمناً لكن ابنه كافر. وهذا يؤكد ما نقوله دائماً إن القرآن مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للتراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) والتراث العربي أيضاً:

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب وليس كلام الله]**.

وإذا كان الجدول السابق يوضح أسلمة الأفكار وتعريب الألفاظ في رواية سورة هود (هود 25-49)، فإن تلك الأسلمة وذلك التعريب لا يقتصران على تلك الرواية القرآنية فقط، وإنما يشمل الروايات القرآنية الأخرى أيضاً. والجدول التالي يوضح كيف حرَّف أصحابُ القرآن قصةَ نوح بأن وضعوا فيها كلاماً ليس في قصة نوح التوراتية الأصلية. إنه كلام إسلامي/عربي (stock phrases) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموه في مواضع أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بقصة نوح التوراتية الأصلية! بعبارة أخرى: الجدول التالي - وهو في الواقع مجرد استكمال للجدول السابق - يوضح كيف استطاع أصحابُ القرآن أن يطوِّروا / يحرّفوا شخصيةَ "نوح" بأن وضعوا على لسان نوح كلامَ محمد ووضعوا على لسان كفار قوم نوح كلامَ كفار قريش! وذلك حتى يصير نوحٌ رمزاً ونموذجاً لمحمد، وفي الوقت نفسه يصير محمدٌ "نوح الثاني" (Second Noah) أو "نوح الجديد" (New Noah) أي: يصير نبياً ورسولاً مثل نوح.

ولقد وضحنا في الحواشي أمثلة من الآيات الكتابية التي اعتمد عليها أصحابُ القرآن. وهذا يعني أن أصحاب القرآن كانوا يقتبسون أفكاراً وكلاماً من التراث اليهودي-المسيحي، ويطوِّرونه تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development) ويُقدِّمونه لمعاصريهم على أنه كلام الله (قرآن)، وفي الوقت نفسه يضعونه في قصص الأنبياء والرسل السابقين (مثل نوح) حتى تبدو حياة الأنبياء والرسل السابقين مع أتباعهم وخصومهم مشابهة لحياة محمد مع أتباعه وخصومه، ومن ثم يسهل على السامعين أن يصدِّقوا أن محمداً نبي ورسول مثل الأنبياء والرسل السابقين وأن يصدِّقوا أيضاً أن الإسلام الذي جاء به محمدٌ هو رسالة الأنبياء والرسل السابقين. ولذلك نصح أصحابُ القرآن محمداً "قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ (أي: لست أول رسول من الرسل ولا تختلف رسالتي عن رسالتهم)" (الأحقاف 9) "هَٰذَا (أي: محمد؛ القرآن) نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ (أي: من جنس الأنبياء السابقين)" (النجم 56).

<u>ملحوظة:</u> نوح هنا مجرد مثال. وسوف نرى أمثلة كثيرة أخرى عند دراستنا لقصص العقاب الإلهي (Divine Punishment Stories) المكررة المتشابهة المسلسلة: أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وآخرين "لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ"!

جدول 12 – قصة "نوح" التي حَرَّفها أصحابُ القرآن: أسلمة للأفكار وتعريب للألفاظ

قصة نوح التي حرَّفها أصحابُ القرآن بأن وضعوا فيها كلاماً غريباً ليس في قصة نوح التوراتية الأصلية!	إنه كلام إسلامي/عربي (stock phrases) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموه في مواضع أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بقصة نوح التوراتية الأصلية!
قال نوحٌ لكفار قومه: "وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ" (هود 31). ولم تُذكر كلمتا "خَزَائِن" و "الْغَيْب" في جميع الروايات القرآنية لقصة نوح إلا في رواية سورة هود! وكذلك كلمة "مَلَك".	"قُل [يا محمد لكفار قومك] لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ" (الأنعام 50). ولم تُذكر "خَزَائِنُ اللَّهِ" في القرآن كله إلا في (الأنعام 50) و (هود 31)! صدفة؟! "قُل [يا محمد لكفار قومك] [...] وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ [...]" (الأعراف 188).
قال الكفار من قوم نوح له: "مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا" (هود 27). وقالوا للعامة: "مَا هَٰذَا (أي: نوح) إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ" (المؤمنون 24). ولم تُذكر كلمة "بَشَر" في جميع الروايات القرآنية لقصة نوح إلا في رواية سورة هود وفي رواية سورة المؤمنون المعتمدة على رواية سورة هود!	إنه كلام كفار قريش: "هَلْ هَٰذَا (أي: محمد) إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ" (الأنبياء 3). وأكَّدهُ محمدٌ: "قُلْ [يا محمد] إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ" (الكهف 110) (فصلت 6) "قُلْ [يا محمد] سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا" (الإسراء 93).
قال الكفار من قوم نوح: "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً" (المؤمنون 24).	إنه كلام الكفار من قوم محمد: "وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ (أي: محمد) يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ" (الفرقان 7) "لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ" (الأنعام 8) "لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ" (هود 12) "لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ" (الحجر 7) "وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ" (الفرقان 21). اقرأ أيضاً (الأنعام 111) (الإسراء 94-95) (الأنبياء 3)[4003].
قال نوحٌ لكفار قومه: "يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي" (هود 28). ولم تُذكر كلمة "بَيِّنَةٍ"	"قُلْ [يا محمد] إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي" (الأنعام 57).

في جميع الروايات القرآنية لقصة نوح إلا في رواية سورة هود!	
قال نوحٌ لقومه: "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" (الأعراف 59) "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ" (هود 26).	إنه كلام محمد لقومه: "فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ" (هود 3).
قال الكفار من قوم نوح: "قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا (أي: بهذا العذاب الأليم الذي تخوفنا منه) إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (هود 32). ولم يُذكَر ذلك في جميع الروايات القرآنية لقصة نوح إلا في رواية سورة هود!	خصوم محمد هُمْ الذين تحدوه أن يأتيهم بالعذاب الأليم: "قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (الأنفال 32). "خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ. وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (أي: العذاب الذي تَعِدُنَا به يا محمد أنت وأتباعك) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (الأنبياء 37-38)؛ "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ [لهم يا محمد] عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم (أي: اقترب لكم ودنا منكم) بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ [من العذاب]" (النمل 71-72)؛ "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (أي: البعث) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (يس 48)؛ "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (أي: قيام الساعة) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 48)؛ "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (أي: يوم الحشر) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (الملك 25)؛ "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (أي: يوم الحساب) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (سبأ 29). "وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا (أي: جزاءنا) قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ" (ص 16) "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (الحج 47) "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى (أي: وَلَوْلَا أن الله جعل لعذابهم وقتاً لا يتقدم ولا يتأخر) لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ [حين طلبوه] وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ" (العنكبوت 53-54)

	"أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ" (الصافات 176) "أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ. أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ. ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ. وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ. ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ" (الشعراء 204-209). "قُلْ [لهم يا محمد] إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا (أي: العذاب الذي) تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ (أي: يبيّن) الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ. قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ (أي: لَهلكتم) ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ" (الأنعام 57-58).
قال نوحٌ لكفار قومه: "إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ (أي: بالعذاب) اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ" (هود 33). ولم تُذكر كلمة "مُعْجِزينَ" في جميع الروايات القرآنية لقصة نوح إلا في رواية سورة هود!	"وَيَسْتَنبِئُونَكَ [يا محمد] أَحَقٌّ هُوَ (أي: العذاب) ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ" (يونس 53) "إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ" (الأنعام 134)
قال نوحٌ لكفار قومه: "فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ" (هود 39). ولم تُذكر كلمتا "يُخْزيهِ" و "مُّقِيمٌ" في جميع الروايات القرآنية لقصة نوح إلا في رواية سورة هود!	"قُلْ [يا محمد لكفار قومك] يَا قَوْمِ [...] ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ" (الزمر 39-40)!
قال نوحٌ لكفار قومه: "وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا [...]. [...] إِن طَرَدتُّهُمْ [...]. [...] إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ" (هود 29-31). وفي رواية سورة الشعراء: "إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي [...]. وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ" (الشعراء 113-114).	كفار قوم محمد هُمْ الذين طلبوا منه أن يطرد الأراذل المؤمنين به من مجلسه. فنهاه أصحابُ القرآن عن ذلك[4004]: "وَلَا تَطْرُدِ [يا محمد] الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ[4005] فَتَطْرُدَهُمْ [استجابةً لمطالب الكفار أصحاب المال والسلطة من قومك] فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنعام 52)[4006]. اقرأ أيضاً: "فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ" (الرعد 40)؛ "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. [...]

وفي كلتا الروايتين، لم يطلب قومُ نوح منه أن يطرد الأراذل المؤمنين به من مجلسه! أو على الأقل، لم يطلبوا منه ذلك صراحةً.	ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم" (الغاشية 21-26)؛ (الكهف 28) (الزخرف 23) (سبأ 34) (الإسراء 16).
ومِن الجدير بالملاحظة أن نوح اتخذ القرار السليم الذي يتفق مع مبادئه وأخلاقه من تلقاء نفسه: "وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا" (هود 29) "وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ" (الشعراء 114). أما محمد فاحتاج وصيةً تنهاه عن اتخاذ القرار الخاطئ! "وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ" (الأنعام 52)! فكيف يكون محمدٌ أشرف من نوح؟![4007] بل كيف يكون محمدٌ أشرف المرسلين؟!	
قال نوحٌ لكفار قومه: "أَفَلَا تَتَّقُونَ" (المؤمنون 23) "أَلَا تَتَّقُونَ" (الشعراء 106)	"فَقُلْ [يا محمد للمشركين] أَفَلَا تَتَّقُونَ" (يونس 31) "قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ" (المؤمنون 87)
قال نوحٌ لكفار قومه: "وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا (أي: لا أطلب على تبليغ رسالة ربي أجراً تؤدونه إليَّ)ۖ إِنْ أَجْرِيَ (أي: ثوابي) إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (هود 29)، "فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (يونس 72)، "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 109).	"قُل [يا محمد لكفار قومك] لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ (أي: القرآن؛ الإسلام) إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ" (الأنعام 90)، "وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" (يوسف 104)، "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ [...]. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" (ص 86-87)، "قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (سبأ 47)، "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" (الفرقان 57)، "قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا" (الشورى 23)، "أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا" (الطور 40) (القلم 46).
قال نوحٌ لكفار قومه: "فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ" (يونس 71)	"قُلِ [يا محمد لكفار قومك] ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ" (الأعراف 195)!
قال نوحٌ لكفار قومه: "أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا" (نوح 15)	"الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ" (الملك 3)
قال نوحٌ لكفار قومه: "أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا" (نوح 15-16)	"تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا" (الفرقان 61) "وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا" (النبأ 12-13)

قال نوحٌ لكفار قومه: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (أي: ممهدة كالبساط!). لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (أي: طرقاً واسعة)" (نوح 19-20)	"الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا" (الزخرف 10) "وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا" (الأنبياء 31)!
رد فعل الكفار من قوم نوح: "فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا" (نوح 6)	إنه رد فعل كفار قريش: "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا (أي: وَضَّحْنا ونَوَّعْنا) فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا" (الإسراء 41) "وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ (هو: محمد) مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا" (فاطر 42)
قال الكفار من قوم نوح إنه "مَجْنُونٌ" (القمر 9) "إِنْ هُوَ (أي: نوح) إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ (أي: مَسٌّ من الجنون)" (المؤمنون 25)	إنها تهمة وَجَّهها كفارُ قريش لمحمد عدة مرات: "وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ" (الحجر 6) "وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ" (الصافات 36) "ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ" (الدخان 14) "وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ" (القلم 51)؛ "أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ (أي: مَسٌّ من الجنون)" (المؤمنون 70) "أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ" (سبأ 8). "كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَتَوَاصَوْا بِهِ" (الذاريات 52-53). الإجابة: كلا، لم يتواصوا به. وإنما أصحاب القرآن هُمْ الذين أعادوا كتابة (rewrote) قصص الأنبياء والرسل السابقين (مثل نوح وغيره) بحيث تبدو مشابهة لحياة محمد.
قال نوحٌ لكفار قومه: "أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ [...]" (الأعراف 63).	كفار مكة هُمْ الذين تعجبوا: "أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ (هو: محمد) أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ [...]" (يونس 2)؛ "وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ" (ص 4)؛ "بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ" (ق 2). كما يؤكد القرآن أن محمد كان ينتمي إلى القوم الذين أُرْسِلَ إليهم "رَسُولًا مِنْهُمْ" (الجمعة 2) (البقرة 129)

	"رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ" (آل عمران 164) "رَسُولٌ مِّنْهُمْ" (النحل 113) "رَسُولًا مِّنكُمْ" (البقرة 151) "رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ" (التوبة 128).
قال نوح لكفار قومه: "مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (أي: لا تخافون عظمةَ الله وسلطانه؛ لا ترون لله عظمةً)" (نوح 13).	كان أصحاب القرآن يستخدمون الفعل المنفي "لا يرجون" بمعنى: لا يخافون؛ لا يرون. وخصوصاً عند الحديث عن الكفار؛ أي: لا يؤمنون، لا يوقنون. "إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ" (يونس 7)؛ (يونس 11، 15)؛ "وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا" (الفرقان 21)؛ "كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (أي: لا يؤمنون بالبعث)" (الفرقان 40)؛ "كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا" (النبأ 27)[4008].
آية مركزية ومحورية وتأتي في منتصف رواية سورة هود لقصة نوح، لكن احتار المفسرون المسلمون في تفسيرها: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ (قيل: أيقول المشركون من قوم نوح إن نوح افترى هذا القول؟؛ وقيل: أيقول كفار مكة من قوم محمد إن محمد اختلق هذا القرآن ومنه قصة نوح؟)ۖ قُلْ (قيل: قُلْ لقومك يا نوح؛ وقيل: قُلْ لقومك يا محمد) إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي (أي: فَعَلَيَّ إثم ذلك لا عليكم ولا على غيركم)" (هود 35)[4009]!	سبب حيرة المفسرين المسلمين هو أن أصحاب القرآن قد استخدموا عبارة "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُۖ قُلْ [...]" في آيات قرآنية أخرى قاصدين محمداً والقرآن: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا (أي: لعاقبني اللهُ أشد العقوبة، ولم يقدر أحدٌ من أهل الأرض لا أنتم ولا غيركم أن يجيرني منه)" (الأحقاف 8)؛ "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ" (هود 13) "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ" (يونس 38)! اقرأ أيضاً (السجدة 3)[4010].
كل الأنبياء والرسل "مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ" (البقرة 213) (النساء 165) (الأنعام 48) (الكهف 56) لكن كل "نذير مبين" في القرآن هو إما نوح أول رسول أو محمد (نوح الثاني؛ نوح الجديد) آخر رسول!	
قال نوحٌ لقومه: "إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (هود 25) "إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (نوح 2) "إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (الشعراء 115)	"وَقُلْ [يا محمد] إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ" (الحجر 89) "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (الحج 49) "وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (العنكبوت 50) "وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

	مُّبِينٌ" (الملك 26) "وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (الأحقاف 9) "أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (ص 70) "فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (الذاريات 50-51)؛ "إِنْ هُوَ (أي: محمد) إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (الأعراف 184)!
ملخص دين نوح: "أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (أي: أَطِيعُونِي)" (نوح 3)	إنه ملخص دين محمد: "فَاتَّقُوا اللَّهَ [...] ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (الأنفال 1)!

هذا بالنسبة لابن نوح، فماذا عن امرأة نوح التي يقول القرآنُ إنها كانت كافرةً أو منافقةً وستدخل النار في الآخرة، مما يعني أنها هلكت في الدنيا إذا كانت حية إلى يوم الطوفان مثل ابن نوح (التحريم 10)؟!

الإجابة باختصار هي أنه قبل الإسلام، كانت هناك فرق غنوسية (Gnostics) قدّمت امرأةَ نوح كامرأة شريرة بطريقة مُبَالغ فيها إلى درجة أنهم زعموا أنها أحرقت بالنار الْفُلْكَ الذي كان نوح يصنعه ثلاث مرات! أحرقته 3 مرات بالنار! وأسموها "Nuria" حتى يبدو اسمها قريباً من الكلمة السريانية "nūrā" - التي تعني "نار" (fire) - ومِن ثم يسهل انتشار هذه الأسطورة الغنوسية بين السريان. ولقد تحدث واحدٌ مِن أهم آباء الكنيسة في القرن الرابع الميلادي هو "ابيفانيوس أسقف سلاميس" (Epiphanius of Salamis) (حوالي 315 – 403م) في كتابه الشهير (Panarion) عن هؤلاء الغنوسيين[4011]. **[← فمِن الواضح أن هذه الأسطورة الغنوسية قد انتشرت بين العرب أيضاً، بدليل أنهم وضعوا في قرآنهم "امرأةَ نوح" مع "النار" في آية واحدة: "امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ [...] وَقِيلَ [لهما يوم القيامة] ادْخُلَا النَّارَ (The Fire)" (التحريم 10). وساعدهم على ذلك كُفْرُ ابن نوح وأنه "ليس من أهل" نوح (هود 46) فلا بد أن تكون أمه كافرة / منافقة / خائنة: "فَخَانَتَاهُمَا" (التحريم 10)[4012].]**

ونحن نرى أن هذه الأسطورة الغنوسية - التي تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في القرآن (التحريم 10) - لها علاقة بتقليد يهودي مذكور في المدراش (Genesis Rabbah) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[4013] أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة. يقول هذا التقليد اليهودي إن إمرأة نوح هي "نَعْمَة" (Naamah) (التكوين 22:4)[4014]، فهي إذن من نسل قايين (Cain) القاتل الشرير وواحدة من "بَنَاتِ النَّاسِ" المذكورات في بداية قصة الطوفان في التوراة (التكوين 6:2، 4) كأحد أسباب انتشار الشر والفساد في الأرض قبل الطوفان ومِن ثم أحد أسباب غضب الله على الإنسان قبل الطوفان[4015]. فكما قلنا فيما سبق، يوجد في التراث اليهودي-المسيحي تفاسير مختلفة لـ "بَنَاتِ النَّاسِ" (التكوين 6:2، 4)؛ لكن أحد هذه التفاسير - وربما أشهرها - يقول إنهن "نسل قايين ودُعِين كذلك لأنهم عاشوا منشغلين بالجسد والاهتمامات المادية التي للناس"[4016]. وهذا التفسير ساد في الأوساط المسيحية على الأقل منذ القرن الرابع

الميلادي[4017]، وهو مذكور في كتاب "مغارة الكنوز" أو سفر "كهف الكنوز" (Cave of Treasures) المعاصر لكتاب "القرآن" العربي أو على الأرجح قبله بقليل كما وضّحنا فيما سبق، ومذكور أيضاً في أعمال إفرام السرياني الأب الروحي لأصحاب القرآن[4018]. فإذا ربطنا هذا التفسير المشهور بالتقليد اليهودي الذي يقول إن امرأة نوح كانت من نسل قايين، نستطيع أن نفهم جيداً كيف تشوَّهت صورة امرأة نوح في القرون الأولى للميلاد حتى صارت كافرةً أو منافقةً في قرآن القرن السابع الميلادي (التحريم 10).

أما الإجابة بالتفصيل فنفضل أن نؤجلها إلى حديثنا عن هلاك امرأة لوط المذكورة في نفس الآية القرآنية (التحريم 10) وذلك عند دراستنا لقصة لوط القرآنية.

4.11.3 جذور قصة طوفان نوح في التراث الأدبي لحضارات بلاد ما بين النهرين

يقول صاحبُ رواية سورة هود القرآنية إن سفينة نوح استقرت "عَلَى الْجُودِيِّ" (هود 44). قيل: في شمال العراق حالياً. وتقول التوراة إن فُلْك نوح اسْتَقَرَّ "عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ (Ararat)" (التكوين 8:4). ويقول قاموس الكتاب المقدس: "**أَرَارَاط:** هذا اللفظ العبري مأخوذ من الأصل الأكّادي (أُورارْطو) وقد أطلق هذا الاسم على بلاد جبلية تقع شمالي أشور"[4019]. وتقول دائرة المعارف الكتابية: "ولعل جِبَال أَرَارَاط التي استقر عليها الفلك هي جبال كوردش التي تفصل أرمينية عن بلاد النهرين وكردستان، ويسمَّى في القصص البابلية بجبل "نيزير" ويقع شرقي أشور"[4020]. ويقول المفكر الكبير فراس السوّاح: "الطوفان الكبير. **الخلفية الميثولوجية:** أسطورة الطوفان الكبير الذي غمر الأرض وأفنى البشر والكائنات الحية، عدا فئة قليلة نجت وأعادت بناء الحضارة، هي أسطورة شائعة في ثقافات العالم القديم وفي الثقافات البدائية المعاصرة. ولكن السومريين في جنوب وادي الرافدين كانوا أول من قدّم لنا وثيقة مكتوبة عن هذه الأسطورة ترجع إلى النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد. وقد احتوت الأسطورة السومرية العناصر التي بنت عليها بقية ثقافات المنطقة، إضافة إلى الثقافة اليونانية، تنويعاتها الخاصة"[4021].

إذن: إذا أردنا أن نكمل دراستنا لقصة نوح وطوفانه المزعوم، علينا أن نذهب إلى التراث الأدبي للحضارات العراقية القديمة التي نشأت في بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات (Mesopotamia). ولقد وجدنا بالفعل أن قصة الطوفان فكرة أسطورية مشهورة ومتكررة (mythologem) قبل القرآن، بل قبل التوراة. فنجدها في الروايات القديمة لحضارات بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات.

ومن أهم هذه الروايات وأشهرها "ملحمة جلجامش" البابلية الخالدة (Epic of Gilgamesh) (L'Épopée de Gilgamesh) التي تُسمَّى أحياناً "الطوفان البابلي" ووُجِدَت في مكتبة الملك الأشوري "أشوربانيبال" (Ashurbanipal) الذي حكم من 668 ق.م إلى 627 ق.م[4022] – أي أكثر من 1200 عام قبل الإسلام! بل تم العثور على مقاطع أقدم يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر أو الثامن عشر قبل

الميلاد[4023] – أي أكثر من 2200 عام قبل الإسلام! إذن وبكل تأكيد: ملحمة جلجامش تسبق القرآن. لكن قد يقال إنه ربما تكون ملحمة جلجامش هي التي أخذت فكرةَ طوفان نوح من التوراة. إلا أن هذا الكلام ليس له أي دليل مادي. والدليل المادي الوحيد هو أن نجد مخطوطةً لسفر التكوين تحكي قصةَ طوفان نوح ويكون تاريخها أقدم من أقدم أثر لملحمة جلجامش. حتى هذه اللحظة، لم نجد هكذا مخطوطة. فنحن إذن نتفق مع المفكر الكبير فراس السوّاح حين يقول: **"الرواية التوراتية:** إن الشكل الأدبي الأخير لملحمة جلجامش يعود بتاريخه إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد. ولكن نسخة منها وُجدت محفوظة في مكتبة الملك آشور بانيبال بمدينة نينوى تعود بتاريخها إلى أواسط القرن السابع قبل الميلاد، وهذا يدل على أنها بقيت متداولة إلى حين وصول سبي يهوذا إلى بابل نحو عام 587 ق.م، وكان لدى محرري التوراة فرصة للاطلاع على قصة الطوفان الكبير، ودمجها في روايتهم عن بدايات التاريخ البشري في سفر التكوين"[4024].

وفي جميع الأحوال، نحن ندرس جذور القرآن - وليس جذور التوراة - في تراث الشرق الأدنى القديم.

وَمِن حق أحبائنا المسلمين أن يتساءلوا: كيف يمكن أن يكون أصحاب القرآن قد علموا بقصة الطوفان في ملحمة جلجامش؟

الإجابة: بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مِن يهود الشرق الأوسط.

سؤال آخر: وكيف يمكن لليهود أن يكونوا قد علموا بهذه القصة؟

الإجابة: في محاضرةٍ له في (Collège de France)[4025]، قال (Prof. Thomas Römer) إنه قد ورد ذِكر جلجامش فى كتاب "الجبابرة" (Livre des Géants) (The Book of Giants) الذي عُثِر عليه في قمران (Qumran) (شمال البحر الميت)[4026]. ومن المعروف أن مخطوطات البحر الميت (Dead Sea Scrolls) التي وُجِدَت في هذه المنطقة تضم أيضاً مجموعة تعتبر من أهم وأقدم مخطوطات عُثِر عليها حتى الآن لأسفار من العهد القديم. إذن: اليهود كانوا على علم بجلجامش قبل الإسلام بمئات السنين. ومن المعروف أيضاً أن اليهود قد عاشوا عقوداً طويلة في بلاد ما بين النهرين - فترة السبي البابلي وما بعدها - فمِن المؤكد أنهم قد علموا بقصة الطوفان التي قد بلغت درجة كبيرة من الأهمية حتى أنها قد "ازدهرت على مدى أكثر من ألف سنة سواء فى آشور أو بابل، كما أنها اجتازت بشكل واسع حدود هذين البلدين فعُرفت ونُسخت أو تُرجمت، بدءاً من فلسطين حتى قلب الأناضول فى بلاط ملوك الحثيين"[4027]. كذلك تؤكد مراجع أخرى[4028] نفس المعنى عن انتشار ملحمة جلجامش في الشرق الأدنى القديم. كما نقرأ على موقع المتحف البريطاني أن نسخ من ملحمة جلجامش قد وُجدت في مجدو (في إسرائيل حالياً) وفي أماكن أخرى في الشرق الأدنى القديم[4029]:

The Epic of Gilgamesh is a huge work, the longest literary work in Akkadian (the language of Babylonia and Assyria). It was widely known,

with versions also found at Hattusas, capital of the Hittites, and Megiddo in the Levant.

إذن: ملحمة جلجامش كانت - وما زالت - مشهورة جداً ومنتشرة على نطاق واسع في أنحاء الشرق الأوسط، فمن المؤكد أن العرب (أصحاب القرآن) قد سمعوا محتواها ولو بطريقة غير مباشرة و/أو غير كاملة. والصفحات التالية ستؤكد ذلك أكثر لأنها ستساعدنا على فهم من أين جاءت بعض الاختلافات بين القصة التوراتية والقصة القرآنية برواياتها المتعددة.

فماذا تقول "ملحمة جلجامش" الخالدة عن الطوفان؟ ...

تقول ملحمة جلجامش إن "جلجامش" بعد وفاة صديقه العزيز "أنكيدو" (Enkidu) حزن حزناً شديداً بسبب الموت فأراد أن يحيا حياةً أبدية حتى لا يموت مثل أنكيدو. ظل جلجامش يبحث عن سر الحياة الأبدية حتى وجد "أوتنابيشتيم" (Utnapishtim) (Outa-napishtim) **[⟵ "نوح" التوراة ⟵ "نوح" القرآن]** الذي قد وصل إلى هذه الحياة الأبدية (أي: سوف يعيش إلى الأبد) بعد نجاته من طوفان هائل **[⟵ نوح عاش 950 سنة (التكوين 9:29) ⟵ "فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا" (العنكبوت 14)]**. وعندما سأل جلجامش أوتنابيشتيم كيف وصل إلى الحياة الأبدية قصَّ عليه أوتنابيشتيم قصةَ الطوفان الموجودة في اللوحة الحادية عشر من الملحمة **[⟵ "قصة الطوفان" في التوراة ⟵ "قصة الطوفان" في القرآن]**. وملخص قصة الطوفان في هذه الملحمة أن الآلهة الكبار ومن بينهم الإله "إنليل" (Enlil) قرروا إهلاك البشرية عن طريق طوفان، لكن الإله "إيا" (Ea) أراد أن ينجو أوتنابيشتيم من الموت فأمره أن يبني سفينةً ويحمل فيها كُلَّ بذرة حية **[⟵ نظراً لأن التوراة والقرآن لا يؤيدان تعدد الآلهة، تم دمج الإله إنليل صاحب قرار الطوفان والإله إيا منقذ بطل القصة في إلهٍ واحد فقط هو "يهوه" في التوراة ⟵ "الله" في القرآن، فهو مهلِك الأشرار وهو أيضاً منقذِ الأبرار!]**. وأوحي الإلهُ إيا إلى أوتنابيشتيم كيف يصنع السفينة. وبالفعل بني أوتنابيشتيم السفينةَ وحمل فيها جميع أهله وذويه وكل ما لديه من مخلوقات حية، "ولكن أوتنابشتيم كان أكثر فطنة من نوح لأنه حمل معه أيضاً نخبة من أهل الصناعة والحرف، من شأنها حفظ منجزات الحضارة من الضياع"[4030]. ثم حدث طوفانٌ هائل، فلقد استمر المطر في النزول، وانهارت السدود وتدفق ماؤها، وانفتحت بوابات المياه الجوفية حتى هلكت البشرية كلها إلا مَن في السفينة التي استوت علي جبلٍ أيضاً! لكن هذه المرة اسم الجبل "نيصير" (Nisir) **[⟵ "أَرَارَاطَ" (التكوين 8:4) ⟵ "لوبار" (اليوبيلات 5:28) ⟵ "كَردو" (البشيطا - التكوين 8:4) أو "كَردون" (ترجوم نيوفيتي - التكوين 8:4) ⟵ "الْجُودِيِّ" (هود 44)]**[4031]. وفي النهاية بعد أن توقف الطوفان وهدأ اليم وسكنت الريح، جاء الإله إنليل وبارك أوتنابيشتيم وزوجته ومنحهما الخلودَ (الحياةَ الأبدية) **[⟵ نظراً لأن التوراة والقرآن يُعلِّمان أن كل بشر سيموت، تم تخفيض عُمْر بطل القصة مِن الخلود إلى عمر طويل جداً لكن محدود: 950 سنة (التكوين 9:29)! ⟵ "فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا" (العنكبوت 14)!]**.

يمكن قراءة قصة الطوفان في ملحمة جلجامش في مراجع كثيرة[4032]. وعند قراءة هذه القصة سوف يتضح للقارئ مدى التشابه الكبير بينها وبين القصة في القرآن، مما يجعلنا نقول إن شخصية "نوح" في القرآن هي مجرد تطور بشري طبيعي لشخصية "أوتنابيشتيم" في ملحمة جلجامش. حتى أن موضوع سخرية قوم نوح منه ورده عليهم: "وَيَصْنَعُ [نُوحٌ] الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا [الآن] فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ [في المستقبل عند الغرق] كَمَا تَسْخَرُونَ [الآن]" (هود 38) - وهو أحد الإضافات التي أضافتها القصة القرآنية على القصة التوراتية - نجد شيئاً مشابهاً له في ملحمة جلجامش! فعندما أمر الإلهُ إيا أوتنابيشتيم ببناء السفينة نجد أن أوتنابيشتيم كان قلقاً مما قد يقوله قومه حين يرونه يبني السفينة، فسأل إيا كيف سيبرر لهم بناء تلك السفينة[4033]:

« À l'ordre, mon Seigneur, que, toi, tu m'as ainsi donné,	بالنسبة للأمر الذي أمرتني به يا سيدي
« j'obéirai, et, pour ma part, je l'exécuterai.	سأطيعك ومن جهتي سأنفذه
« [Mais, com]ment répondrai-je à la ville, au peuple et aux Anciens? »	ولكن ما عساني أن أقول للمدينة وللشعب وللشيوخ
Ea, ouvrant la bouche, parle	ففتح إيا فاه وقال لي، أنا عبده:
et me dit, à moi, son serviteur:	
« Homme, voici ce que, toi, tu leur diras:	أيها الرجل، إليك بما ستقوله لهم:
« [Il semble bien] qu'envers moi Enlil éprouve de la haine ;	يبدو لي أن أنليل يُكن لي كرهاً
« je ne resterai donc pas dans votre ville.	ولذلك لن أبقي في مدينتكم
« Ne pouvant plus poser le pied sur le sol d'Enlil,	و لن أضع قدمي بعد الآن علي أرض أنليل
« je descendrai dans l'Abîme, pour habiter chez mon seigneur Ea.	سأنزل إلي حياة العمق حيث أسكن مع سيدي "إيا"

فكما وصل أوتنابيشتيم الي الحياة الأبدية نجد أن نوح في القرآن قد عاش فترة طويلة جداً – على الأقل 950 سنة! (نوح هو الشخصية الوحيدة التي ذكر القرآنُ معلومةً رقمية (donnée chiffrée) عن عمرها. فهل هذه مجرد صدفة؟!): "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ" (العنكبوت 14). وفي التوراة نجد أن عمر نوح 950 سنة: "فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمَاتَ" (التكوين 29:9).

أسئلة تطرح نفسها: هل نوح شخص حقيقي تاريخي (historical figure)؟! هل يُمكن أصلاً لإنسان أن يعيش 950 سنة أو أكثر؟! هل يُعقل أن يعيش شخصٌ 950 سنة أو أكثر بدون أن يترك لنا أثراً واحداً يساعدنا على أن نحسم الاختلافات بين قصته في القرآن وقصته في التوراة؟! بل هل يمكن أن نصدق القرآن حين يقول عن قصة نوح: "تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ" (هود 49). الاجابة بكل قوة: بالطبع لا يمكن أن نصدق القرآن. فالقصة مشهورة جداً وتتوراثها الأجيال وتُطوّرها لمئات السنين قبل الإسلام. وبعد كل هذا التشابه الواضح بين قصة نوح في القرآن وقصته في التوراة وقصة أوتنابيشتيم في ملحمة جلجامش، ليس أمامنا سوى أن نقول إن قصة نوح في القرآن مجرد تطور بشري طبيعي لقصته في التوراة (والتراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة) والتي هي بدورها مجرد تطور بشري طبيعي لقصة أوتنابيشتيم في ملحمة جلجامش.

ونختم كلامنا عن أوتنابيشتيم بنكتة طريفة. فَمِن أطرف ما قيل عن أوتنابيشتيم إنه هو نوح! تقول دائرة المعارف الكتابية إن أرك (يقصدون: أوروك Uruk) "كانت عاصمة البطل الأسطوري جلجامش الذي شاهد عجائب الدنيا وتحدث إلى نوح وجهاً لوجه"[4034]! فنلاحظ هنا أنهم حذفوا اسمَ أوتنابيشتيم ووضعوا مكانه اسم نوح! وكان ينبغي عليهم أن يعترفوا بأنه بما أن أوتنابيشتيم أسطورة، فإن نوح نفسه أسطورة. أو على الأقل يعترفوا بأنه لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن نوح شخص حقيقي تاريخي.

أما نحن فلا نقول إن نوح هو أوتنابيشتيم. وإنما نقول إن شخصية "نوح" في الديانات الإبراهيمية مجرد تطور بشري طبيعي لشخصية "أوتنابيشتيم" الأسطورية. بعبارة أخرى: نحن لا نقول إن أوتنابيشتيم = نوح، وإنما نقول إن أوتنابيشتيم **[⟵ نوح التوراتي ⟵ نوح القرآني]**. أو مجازاً نطلق على "نوح" بطل قصة الطوفان التوراتية⟵القرآنية لقبَ "أوتنابيشتيم الثاني".

وفي الواقع، فإن ملحمة جلجامش ليست الملحمة الوحيدة من تراث الحضارات القديمة التي تحكي قصة الطوفان. فهناك ملحمات أخري كثيرة تحكي هذه القصة ولكن بالطبع مع بعض الاختلافات بالحذف و/أو الإضافة. على سبيل المثال: بينما لا تشرح ملحمة جلجامش أسباب الطوفان بوضوح، نجد في "ملحمة أتراحاسيس" (Epic of Atrahasis) (Le Poème d’Atrahasîs, ou du Supersage) – التي ذكرناها في موضوع خلق الانسان – أن للطوفان أسباباً واضحة جعلت الإله انليل (Enlil) يقرر إهلاك البشرية عن طريق الطوفان لأن تكاثرهم وضجيجهم أصبح يقضّ مضجعه! ولمزيد من التفاصيل، يمكن للقارئ الكريم أن يرجع إلى المراجع التي تحكي تلك الأسطورة بالتفصيل[4035]. كما تذكر هذه الأسطورة أمراً مهماً وهو أن "أتراحاسيس نصح البشرية بأن يتخلوا عن عبادة آلهتهم ويعبدوا المسؤول فقط عن الكارثة وليكن ذلك دون علم "أنليل" حتى يخف غضبه"[4036]. وهذا يتشابه إلى حد كبير مع ما هو مذكور في القرآن أن نوح كان يدعو قومَه إلى أن يتخلوا عن عبادة آلهتهم ولا يعبدوا إلا الله وحده.

وتوجد أيضاً روايات أخرى لأسطورة الطوفان غير ما جاء في ملحمة جلجامش وملحمة أتراحاسيس. ويمكن للقارئ الكريم أن يرجع إلى المراجع(4037) للاطلاع على خمس قصص للطوفان في ملحمات بلاد ما بين النهرين! ومن ضمن هذه القصص بالطبع "ملحمة زيوسودرا" (Epic of Ziusudra)(4038) التي تُسمَّى أحياناً "الطوفان السومري" ويرجع تاريخُها إلى النصف الثاني من الألفية الثالثة قبل الميلاد؛ وقيل: بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، إلى ما يقرب من عصر الملك البابلي حمورابي (Hammurabi) (أي: القرن الثامن عشر قبل الميلاد). ونظراً لتاريخها القديم الذي يؤكد أنها تسبق التوراة بمئات السنين، اعتبرها العالِمُ الكبير (Samuel Noah Kramer) أقدم ملحمة سومرية تحكي قصة الطوفان حتى أنه أطلق على "زيوسودرا" بطل الأسطورة لقبَ "أوَّل نوح" أو "نوح الأوَّل" (The first "Noah") (Le premier "Noé")! أما نحن فلا نفضِّل هذا اللقب، وإنما نفضِّل أن نطلق على "نوح" بطل قصة الطوفان التوراتية←القرآنية لقبَ "زيوسودرا الثاني".

وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي هنا بالعناصر الأربعة الأساسية لقصة الطوفان حسب ملحمة زيوسودرا: "**أولاً:** ثمة قرار إلهي بإنهاء الحياة على الأرض عبر طوفان شامل. **ثانياً:** انتقاء مُخلِّص لإنقاذ البشر بعد الطوفان، لا بل وإنقاذ الحيوانات. **ثالثاً:** حصول الطوفان وإنقاذ الحياة عبر المُخلِّص، محبوب الإله. **رابعاً:** انتهاء الطوفان وانبعاث الحياة من جديد عبر المُخلِّص ومرافقيه"(4039). ونلاحظ أن تلك العناصر الأربعة الموجودة في ملحمة زيوسودرا (الطوفان السومري) موجودة أيضاً في قصة طوفان نوح التوارتية وقصة طوفان نوح القرآنية، مع اعترافنا بوجود اختلافات في التفاصيل.

وعند قراءة كل هذه المصادر الكثيرة لقصة الطوفان يتضح لنا أن موضوع الاختلافات بين القرآن والتوراة أمر طبيعي(4040) وأنه لا يعني أن القرآن أصح من التوراة كما يتوَّهم المسلمون وكما تزعم البروباجاندا الإسلامية. الأمر فقط مشابه للاختلافات بين القصة الواحدة في الملاحم المختلفة من تراث الحضارات القديمة السابقة للأديان الإبراهيمية. فكما توجد اختلافات بين ملحمة جلجامش وملحمة أتراحاسيس وملحمة زيوسودرا، كذلك توجد اختلافات بين ملحمة نوح التوراتية والروايات المتعددة لملحمة نوح القرآنية. وحده التطور البشري الطبيعي (natural human development) بالحذف و/أو الإضافة هو الذي يفسر وجود تلك الاختلافات، وليس أن رواية معينة أو كتاب معين أصح من رواية أخرى أو كتاب آخر. نعم، مؤلِّفو (أو: مؤلِّف) كل رواية يطوّرون ما سمعوه من الروايات السابقة حتى يتناغم مع المجتمع الذي يعيشون فيه ويحقق الهدف الذي يصبون إليه في الزمان والمكان اللذين يعيشون فيهما.

ومِن حُسن الحظ أن المراجع الأكاديمية واليهودية والمسيحية بصفة عامة تعترف بوجود تشابهات كثيرة بين قصة طوفان نوح التوراتية وقصة الطوفان (بل: قصص الطوفان؛ أساطير الطوفان) في تراث

حضارات بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات (Mesopotamia)، وخصوصاً البابلية والسومرية. أو على الأقل: لم تستطع تلك المراجع الأكاديمية واليهودية والمسيحية أن تنكر وجود تلك التشابهات. فأدلة وجودها كثيرة جداً وقوية جداً إلى درجة أنه لا يمكن لأي باحث منصف أن ينكر وجودها.

فيقول قاموس الكتاب المقدس مثلاً: "والجدير بالذكر أن هناك أساطير عن الطوفان شبيهة بطوفان نوح موجودة في تراث بعض الأمم. وأقدمها أسطورة الطوفان عند البابليين، وهناك أساطير مشابهة لها عند اليونان والرومان. والقصة البابلية عن الطوفان جزء من ملحمة جلجاميش. وأما الرجل الذي أنقذ نفسه وعائلته والبهائم في فُلْكٍ كما جاء في القصة البابلية فكان اسمه "أوتنافشتيم". وأوجه الشبه في القصتين العبرية والبابلية تثبت صحة قصة الطوفان في الكتاب المقدس"[4041].

أما نحن فنرى أن أوجه الشبه بين قصة طوفان نوح التوراتية وأساطير الطوفان البابلية والسومرية تثبت أن القصة التوراتية مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للأساطير البابلية والسومرية.

ولقد اعترفت موسوعة (Encyclopædia Britannica) بوجود تشابهات ملموسة (tangible similarities) بين الأساطير الرافدينية والتوراتية للطوفان، وقالت إن الأساطير البابلية (تقصد: ملحمة جلجامش) هي المصدر (the source) لسمات معينة في قصة الطوفان التوراتية. لكن قالت إنه توجد اختلافات بين القصص الرافدينية والقصة التوراتية، ونحن طبعاً نتفق معها في ذلك، إذ تقول[4042]:

> The [biblical] story of the Flood has close affinities with Babylonian traditions of apocalyptic floods in which Utnapishtim plays the part corresponding to that of Noah. These mythologies are the source of such features of the biblical Flood story as the building and provisioning of the ark, its flotation, and the subsidence of the waters, as well as the part played by the human protagonist. Tablet XI of the Gilgamesh epic introduces Utnapishtim, who, like Noah, survived cosmic destruction by heeding divine instruction to build an ark.
>
> [...]
>
> Despite the tangible similarities of the Mesopotamian and biblical myths of the flood, the biblical story has a unique Hebraic perspective. In the Babylonian story the destruction of the flood was the result of a disagreement among the gods; in Genesis it resulted from the moral

corruption of human history. The primitive polytheism of the Mesopotamian versions is transformed in the biblical story into an affirmation of the omnipotence and benevolence of the one righteous God. Again, following their survival, Utnapishtim and his wife are admitted to the circle of the immortal gods; but Noah and his family are commanded to undertake the renewal of history.

كما اعترفت موسوعة (Encyclopædia Judaica) بوجود تشابهات أو متوازيات (unmistakable and striking parallels) بين قصة الطوفان التوراتية وملحمة جلجامش، أو بصفة عامة: التقاليد الرافدينية التي تسبقها (its Mesopotamian antecedents). واعترفت أيضاً بأن قصة طوفان نوح التوراتية تعتمد على التقاليد الرافدينية التي تسبقها بكثير (it is clear that the biblical account is dependent on the much earlier Mesopotamian material). لكنها قالت إنه توجد اختلافات (discrepancies) بينهما أيضاً، ونحن طبعاً نتفق معها في ذلك، إذ تقول[4043]:

Parallels between the Epic of Atrahasis and the biblical Flood narrative may be cited, but even greater similarities to the Genesis account are present in another Babylonian epic whose hero bears the name Gilgamesh. (Thanks to the biblical similarities, the publication of this work in the late 19th century created a great stir in religious circles.) This epic skillfully and creatively blends several borrowed Sumerian literary motifs into what has come to be regarded as one of the masterpieces of world literature. It most likely came into existence around the beginning of the second millennium [BCE]. Important sections written in classical (or Old) Babylonian are extant today, as are later rescensions extending over a millennium.

[...]

The Biblical-Mesopotamian Parallels

No parallels between the biblical and extra-canonical [Flood] accounts are more remarkable and impressive than those between Utanapishtim’s story

[i.e. the Gilgamesh Epic] and that of Genesis. At the same time, there are important and basic differences between the two sources.

[...] In both accounts the flood is a result of divine decision and one individual, a deity's favorite, is chosen to be saved by constructing a large vessel, whose dimensions, together with building instructions, are divinely communicated. In each case the vessel is calked inside and out with a tar-like substance to render it seaworthy. Animals and birds are taken aboard in both narratives. Both traditions describe the utter devastation of the flood, and both have the ship coming to rest on a mountain peak, with the hero shortly thereafter sending forth birds to determine if the earth was again hospitable. Finally, in both narratives the hero offers sacrifices on emerging from his vessel, and receives a divine blessing.

In spite of these unmistakable and striking parallels, many details are not shared by the two accounts. Some of the dissimilarities are obviously due to the fundamental difference in religious orientation. The Book of Genesis is essentially monotheistic, while the Gilgamesh Epic and its predecessors are consistently polytheistic in outlook. Utanapishtim is elevated to the status of a god, while Noah remains human. In further contrast, the God of the Bible establishes a covenant with all humankind after the deluge, a concept alien to Mesopotamia.

[...]

Sacrifice is significant in both stories to the point of striking verbal similarity. According to Genesis 8:21, YHWH smelled the pleasing odor of the sacrifice, while Gilgamesh XI, 161 reads: "The gods smelled the savor, the gods smelled the sweet savor." The [Mesopotamian] writer continues with "the gods gathered likes flies around the sacrificer," a formulation that the biblical writer could hardly have tolerated. [...]

While it is clear that the biblical account is dependent on the much earlier Mesopotamian material, the numerous differences between the two

versions may be due either to Israelite reworking of earlier sources or to an intermediary recension. The text was widely known even outside Mesopotamia, including Akkadian fragments from *Emar in upper Syria, *Megiddo in Israel and Hattušaš, the Hittite capital in Turkey. Hattušaš has also yielded Hittite and Hurrian adaptations.

When the deluge story became part of the Hebrew repertory, it was developed in more than a single tradition. Subsequently the products were carefully interwoven, but without eliminating some contradictions and duplications. The biblical narrative emerges, nonetheless, as a consistent moral indictment of the human race, designed to reveal the character of Israel's God and His ethical demands. It is this aspect of the Genesis diluvial presentation which makes it significantly different from its Mesopotamian analogues.

وأضافت الموسوعة أن قصة الطوفان البابلية انتقلت إلى مُدوِّني الأخبار في التوراة عن طريق وسيط (intermediate agent)، وأغلب الظن عن طريق الحوريين (Hurrians)؛ وإن هذا الانتقال غير المباشر هو ربما الذي أنتج لنا اسمَ "نوح" (Noah) الذي ليس له ما يناظره في تراث حضارات بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات (Mesopotamia)[4044]:

Another discrepancy between the biblical and Mesopotamian traditions lies in the name of the hero. The earliest Mesopotamian flood account, written in the Sumerian language, calls the deluge hero Ziusudra, which is thought to carry the connotation "he who laid hold on life of distant days." The Sumerian name obviously has in view the immortality granted [to] the hero after the Flood. [...] In the ancient Babylonian versions there is likewise clearly an indebtedness to the prior Sumerian account (see *Flood). In one of these versions the hero bears the name Atra(m)ḫasis, meaning "the exceedingly wise." This name apparently is in the nature of an epithet. Woven into the famous Epic of Gilgamesh is another version, in which the man who survived the flood is known as Utnapishtim, signifying "he saw life." This is patently a loose rendering of the Sumerian

Ziusudra, which symbolizes the status attained by the hero. The name Noah, by contrast, cannot be related to any of these on the basis of present knowledge.

The foregoing factors strongly suggest that in the transmission of the Babylonian antediluvian lists to biblical chroniclers an intermediate agent was active. The people most likely to have fulfilled this role are the Hurrians, whose territory included the city of Haran, where the Patriarch Abraham had his roots. The Hurrians inherited the Flood story from Babylonia. Unfortunately, their version exists in an extremely fragmentary condition, so that nothing positive can be said one way or the other on the matter. There is preserved, however, a personal name which invites comparison with the name of Noah. It is spelled syllabically: *Na-aḥ-ma-su-le-el*. It is possible, but by no means certain, that Noah is a shortened form of this name.

وبكل شجاعة أيضاً، تقول الترجمة اليسوعية للكتاب المقدس: "عندنا عدّة روايات بابلية في الطوفان تشبه بوضوح رواية الكتاب المقدس، مع أن هذه الرواية غير مأخوذة مباشرة عنها، بل مقتبسة مثلها من مصدر واحد، أي ذكرى طوفان وخيم، أو أكثر من طوفان، لوادي دجلة والفرات، ضخَّمها التقليد وجعل منها كارثة عالمية. لكن المؤلِّف المُلهَم، وهذا هو الأمر الأساسي، قد ضمَّن هذه الذكرى تعليماً أبدياً في برّ الله ورحمته وفي خبث الإنسان وفي الخلاص الذي يناله البارّ (راجع (العبرانيين 7:11)). وهذه الدينونة الإلهية [في الدنيا] صورة مسبقة للأزمنة الأخيرة (لوقا 26:17) (متى 37:24)، كما أن الخلاص الذي ناله نوحٌ هو صورة الخلاص بمياه المعمودية (1 بطرس 3:20-21)"[4045].

وفي السنوات الأخيرة، بدأ بعضُ الباحثين المسلمين والعرب أيضاً الاستدلال بأساطير الطوفان البابلية والسومرية – مع اعترافهم بأنها "روايات" أو "أساطير" – ليثبتوا أن طوفان نوح حدث تاريخي حقيقي حدث فعلاً في بلاد الرافدين! فمثلاً الباحث السوري د. محمد شحرور يقول: "ولا تقدّم نتائجُ التنقيبات الأثرية والأبحاث التاريخية والأنثربولوجية دليلاً قاطعاً جازماً على زمن حصول الطوفان، لكنها تؤكد حصوله، وذلك بالاستناد إلى الوثائق التي تحدثت عنه ولاسيما في موطن الطوفان الأول في بلاد ما بين النهرين. [...] وما يعنينا هنا هو أن رواية الطوفان السومرية (الرافدية) (أي: ملحمة زيوسودرا) والتي تُعتبر الرواية الأولى تاريخياً قد جرى تطويرها في الرواية البابلية (أي: ملحمة جلجامش)، ثم تم نقلها إلى التوراة حيث جرت

إضافات عليها بما يلائم الشخصية اليهودية، ومن ثم نجدها قد وردت في القرآن الكريم بشكلها النهائي، متبعة الخطوط العامة للرواية المشرقية، غير أنها منزلة من الله إلى البشر في حين أن رواية الطوفان المشرقية كانت بشرية المصدر". ثم ذَكَر أهم ما جاء في قصة الطوفان السومرية (ملحمة زيوسودرا) وقصة الطوفان البابلية (ملحمة جلجامش) وكذلك ملحمة أتراحاسيس (أتراخيس)، ثم قال تحت عنوان "الطوفان التوراتي": "إذا ما قرأنا رواية الطوفان في سفر التكوين / الإصحاح 6-7-8 / نجد أننا أمام حالة تشابُهٍ واضحٍ مع النصوص البابلية الطوفانية، ويبدو أن مدوّني التوراة في القرن السادس قبل الميلاد في بابل وأثناء فترة السبي البابلي قد استوحوا القصة البابلية أو أنهم استمدّوها من ثقافة بلاد كنعان قبل سبيهم. وقد أجروا بعض التعديلات والتغييرات ولا سيّما ما تعلّق منها بشخصية الإله الرئيسي. فمقابل التشابك الإلهي والتناقض الظاهر في الرؤية البابلية بين الآلهة، نجد أن يهوه إله التوراة ينفرد بالفعل الإلهي الوحيد في الرواية التوراتية". ثم أعطى جدولاً يوضِّح التشابهات والاختلافات بين النص التوراتي والنصوص المشرقية /السومرية-البابلية/. وقال إنه "يُعتقد أن الطوفان حصل [...] بين الألف الخامس ومنتصف الألف الرابع قبل الميلاد"[(4046)].

ونحن نقول له: كيف تكون قصة طوفان نوح القرآنية "منزلة من الله" وفي الوقت نفسه "متبعة الخطوط العامة للرواية المشرقية" (أي: متبعة الخطوط العامة للأساطير السومرية والبابلية)؟! هل الله يلجأ إلى الأساطير؟! أو بعبارة أخرى: بما أن كل رواية تُطوِّر الروايةَ أو الروايات التي تسبقها، فلماذا تكون الرواية القرآنية فقط هي التي "منزلة من الله"! كلها روايات بشرية يا عزيزي. ولقد أثبتت نظريةُ التطور البشري الطبيعي (natural human development) أننا لا نحتاج نظرية "التنزيل" لنفهم من أين جاء القرآن.

مثال آخر: الباحث التونسي د. سامي عامري صاحب الكتاب الشهير "الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي – شبهات وردود" وصل إلى نتيجةٍ مفادها: "تُظهر الأسطورتان السومرية (أي: ملحمة زيوسودرا) والبابلية (أي: ملحمة جلجامش) أثر وجود حدث طوفاني ضخم جدًّا في بلاد الرافدين، أَثَّرَ في التاريخ الديموغرافي والثقافي للمنطقة، على صورةٍ لم يُحْدِثْها أيُّ طوفان من الطوفانات الكثيرة للمنطقة". علماً بأنه بدأ حديثَه عن "الوجود التاريخي لنوح -عليه السلام-" بنَصٍّ يعود إلى "الألفية الثانية قبل الميلاد" اسمه "قائمة الملوك السومرية" (The Sumerian King List) "وقد تضمَّن هذا النص قوائم الملوك السومريين قبل الطوفان، وملوك سومر بعد الطوفان، مع تحديد مكان حكمهم، ومدده. وقد أضيف لاحقًا إلى هذا النص حديثٌ حول أحداث ما قبل الطوفان. وتكمن أهميةُ هذه القائمة في دلالتها على مركزية الطوفان في تاريخ بلاد الرافدين؛ حتى إنه يُعدّ فاصلًا بين عصرين عظيمين"؛ "بما يُظهر أنّ الطوفان الذي أصاب البلاد هو أعظم حدث بيئي – سياسي، وهو الأكبر في تاريخ بلاد الرافدين"[(4047)]!

ونحن نقول له: ذِكْرُ الطوفان في قائمة الملوك السومرية لا يعني بالضرورة أن الطوفان حدث تاريخي حقيقي، إذ أنه من المحتمل جداً أن يكون كاتب تلك القائمة قد تأثَّر بأساطير الطوفان التي انتشرت في بلاد الرافدين القديمة. (بالضبط كما يقول المسلمون "قبل الهجرة" و "بعد الهجرة" على الرغم من عدم وجود أي

دليل علمي يثبت أن الهجرة من مكة إلى يثرب (المدينة) حدث تاريخي حقيقي. أو كما تتحدث مئاتُ بل آلافُ الكتب والمراجع الإسلامية عن قصة "الإسراء والمعراج" مع أنها في الواقع مجرد أسطورة ولم تحدث أبداً.) كما يجب هنا أن ننبه المسلمين إلى أن قائمة الملوك السومرية تعاني من مشكلات كثيرة تجعلنا لا نثق فيها تاريخياً. أهمها مشكلتان. أولاً: مدد حكم ملوك قبل الطوفان المذكورة في هذه القائمة عظيمة جداً إلى درجة أنه لا يمكن تصديقها! فلقد حكم أحدهم 43200 سنة! وآخر حكم 36000 سنة، وتزعم القائمة أنه الإله "دوموزي" (Dumuzi)! وأكثر من ملك حكموا 28800 سنة! ... الخ. فهذا كله مستحيل. وثانياً: المرجع الأجنبي الذي نقل عنه د. سامي عامري هذه القائمة يعترف بأن كاتب القائمة قد جمع بعض معلوماته من نصوص ملحمية (epical texts) وقصص أسطورية (legendary stories) وتقاليد حواديت محلية (local anecdotic traditions)[4048]! إذن: لا يمكن الاعتماد على قائمة الملوك السومرية لاثبات "حدوث طوفان عظيم في بلاد الرافدين أو بعضها، أفنى عامة أهلها"! لا يمكن الاعتماد على تلك القائمة.

وحتى لو افترضنا جدلاً "وجود حدث طوفاني ضخم جدًّا في بلاد الرافدين"، فلماذا تستدل بهذا الطوفان على "الوجود التاريخي لنوح" تحديداً؟! لماذا لا تستدل به على الوجود التاريخي لزيوسودرا وأوتنابشتم! أليس لأنك مسلم وتريد أن تثبت صحةَ القرآن بأية طريقة مهما كانت متهافتة؟ لماذا تعتبر "نوح" حقيقة لكن زيوسودرا وأوتنابشتم أساطير؟! كلهم أساطير يا عزيزي. فلا تغيّر الموضوع: نحن نطالبكَ بإثبات تاريخية نوح، وليس إثبات تاريخية طوفان بلاد الرافدين. بل نحن نطالبكَ أن تثبت أن قصة طوفان نوح القرآنية صحيحة بكل ما فيها **بحذافيرها**، وليس فقط أن الخلفية حقيقة تاريخية. فإذا أعطيتكَ مثلاً صورةَ سوبرمان يحمل قطة لها عشرة ذيول وفي الخلفية صورة برج إيفل، وطلبتُ منك أن تثبت أن سوبرمان حقيقة والقطة ذات الذيول العشرة حقيقة، لا تثبت لي أن برج إيفل حقيقة!

ثم ذَكَر د. سامي عامري أهم ما جاء في قصة الطوفان السومرية (ملحمة زيوسودرا) وقصة الطوفان البابلية (ملحمة جلجامش)، ثم قال تحت عنوان "دلالات تراث بلاد الرافدين على الطوفان"[4049]:

> **دلالات تراث بلاد الرافدين على الطوفان**
>
> تشترك قصة الطوفان السومرية وقصة الطوفان البابلية في عدد من الأمور - وإن كانت قصة جلجامش أطولَ من القصة السومرية -؛ ومنها إهلاك الربِّ للبشر بالطوفان، وتحذيرُ الإله أَحَدَ البشر من البلاء القادم، وبلوغ الطوفان ذروته في اليوم السابع، وتقديم هذا الناجي قُربانًا إلى الآلهة بعد انتهاء الطوفان، ورفعُ الآلهة له بعد ذلك ليكون في مصافِّها. وذاك يظهر أنّ القصة البابلية صورةٌ متأخّرة عن أصل سومريٍّ قد يكون له أصل أسطوريٌّ آخر عن أصلٍ أوّل.

وأمّا الخلاف بين القصَّتَيْنِ ففي عدد الناجين، وحجم السفينة، ومعمّري الأرض بعد الطوفان، وفي اسم البطل، فهو زيوسودرا في السومريّة وأوتنابشتم في ملحمة جلجامش. وذاك لا يُؤَثِّرُ في أصل التشابه ودلالته على الاقتباس؛ إذ لا يلزم من الاقتباس التطابق كليّة. والتشابهات الكثيرة والبارزة هي المحكّمة هنا.

والتشابهات بين قصة بلاد الرافدين وقصة الطوفان التوراتية كثيرة، وواضحة، أهمها أنّ الآلهة هي التي أمرتْ بالطوفان، وأن الطوفان سببُه الأمطار الغزيرة، وأن الطوفان كان لإهلاك البشر بعد فسادهم، وأنّ الله نجّى البطل لصلاحه، وأنّ النجاة كانت بسفينة عظيمة، وأنّ البطل يُرسِلُ طُيورًا لمعرفة ما انتهى إليه الطوفان، وأنّ السفينة ترسو على جبلٍ.

ليس في القرآن أيُّ تفصيلٍ قابل للبحث التاريخي غير الطوفان الذي أغرق قوم نوح -عليه السلام-؛ فلم يُذكر مكانُه ولا زمانه، ولا الدولة التي عاش في كنفها، ولا ما خلّف من عمران. ولذلك فالبحث في صدق خبر نوح -عليه السلام- لا يمكن أن يُبْحَث إلا في خبر الطوفان.

ونحن نقول له: لماذا تجاهلتَ التشابهات بين قصة طوفان نوح القرآنية من ناحية وقصة طوفان نوح التوراتية وأساطير الطوفان البابلية والسومرية من ناحيةٍ أخرى؟! فهي أيضاً كثيرة وواضحة كما أثبتنا في دراستنا. وبما أنك تعترف بأن نوح "لم يُذكر مكانُه ولا زمانه، ولا الدولة التي عاش في كنفها" في القرآن، إذن: ما علاقة نوح بطوفان بلاد الرافدين تحديداً؟! ثم إن القرآن فيه تفاصيل كثيرة "قابلة للبحث التاريخي غير الطوفان". مثلاً: أسماء الأوثان (أو الرجَال الصالِحِين) التي وضعها صاحبُ رواية سورة نوح على لسان قوم نوح: "وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا" (نوح 23)! هل لديكَ أي دليل علمي يثبت أن هذه الأسماء كانت معروفة في أي مكان في الشرق الأوسط قبل إبراهيم؛ أي: في بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد أو ما قبلها؟! مثال آخر: قال قومُ نوح له "لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ" (الشعراء 116). والتفسير السائد لكلمة "الْمَرْجُومِينَ" هو: المقتولين رمياً بالحجارة. فهل لديكَ أي دليل علمي يثبت أن الرجم كان معروفاً كوسيلة إعدام في أي مكان في الشرق الأوسط قبل إبراهيم؛ أي: في بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد أو ما قبلها؟! وتوجد أمثلة أخرى ذكرناها في دراستنا، فلا داعي لتكرارها.

أما العالِم العراقي د. خزعل الماجدي فكان أكثر شجاعة وجرأة، فلقد قال[4050]:

طبعاً موضوع طويل ومعقد [...] لكن حقيقةً من خلال شغلي في هذا الحقل، وجدت أن بصراحة ... يعني بنسبة تكاد تكون 95% أو أكثر ... لا توجد ... لا توجد آثار تؤيد [الأسفار المقدسة] ... لا توجد على الإطلاق. وهذا مش كلامي أنا. يعني [هذا] كلام الآثاريين الكبار في هذا المجال. لكن أنا بذلت جهداً بسيطاً الحقيقة متواضعاً في هذا الموضوع: أخذتُ ما يُسمَّى بـ "الآباء الأوَّلين" من آدم إلى نوح. هل موجودين؟ وأين هُمْ؟ فاكتشفتُ شيئاً آخر لا يخطر حتى على البال: أن هؤلاء الآباء والأنبياء هُمْ ملوك سومريين وليسوا أنبياء ولا آباء. وهذا كتابي الحقيقة اللي هو كتاب "أنبياء سومريون" بَحْث في هذا

الموضوع. أن هذه السلالة التي تبدأ من آدم وحواء وتنتهي بنوح والطوفان. كُلهم عشرة [...] وجدتُ أنهم كلهم عشرة في قائمة ثبت الملوك السومريين. وقارنتُ بينهم فوجدتُ تشابهات كثيرة جداً. [...] مش [تشابهات في] القصة فقط، [وإنما أيضاً] الأسماء قريبة من بعضها في استبطانها ليس في ظاهرها، والأعمار [متشابهة] وما فعلوه [متشابه أيضاً] ... يعني: الصعود إلى السماء ونَيْل كُتب المعرفة والطوفان كيف حصل. يعني رواية الطوفان عند زيوسودرا وأوتنابيشتيم هي بالظبط بالظبط نفس رواية التوراة. وهذا ما كشفته الآثار بشكل واضح، وأكَّدت عليه ملحمة جلجامش في اللوح الحادي عشر على سبيل المثال. [...]

ثم نأتي بعد ذلك [...] من نوح أو سام ... من نوح وأولاده إلى إبراهيم ... لا أثر [تاريخي] على الإطلاق ولا نعرف مَن هؤلاء هُمْ.

ثم نأتي إلى شخصية إبراهيم. نعم هو رجل مذكور في الروايات الدينية على أنه أبو الأنبياء، لكننا عندما نخضعه للبحث الآثاري والتاريخي، لا نجد له أي أثر حتى في أور الكلدانيين كما يقول [الكتابُ المقدس]. وأيضاً رحلته لا نعرف لها أي أثر [تاريخي] ، وليس هناك أي شيء [علمي] يؤيد وجوده.

ثم بعد ذلك [...] من إبراهيم إلى يوسف لا نجد آثار [تاريخية] لهم. ليس هناك آثار [تاريخية] عن يوسف ولا نعرف مَن هو يوسف رغم التأويلات التي هنا وهناك تُرْجِعه إلى مكانٍ ما .... يعني أسماء تقريبية.

ثم من يوسف إلى موسى. مصيبة موسى أنتَ تعرفها. لا يوجد أي أثر [تاريخي] لموسى في هذا الموضوع. وحاول المؤلفون والكُتَّاب في هذه القصة.

ثم من موسى إلى الخروج. لا نعرف شيئاً (يقصد: أثراً تاريخياً أو دليلاً علمياً) عن هذا الموضوع. ولا تؤيد الآثارُ المصرية [القديمة] أي شيء في هذا الموضوع.

ثم من يشوع إلى القضاة ... ومن القضاة إلى شاول وداود.

ونأتي إلى القصة الكبيرة ... قصة داود وسليمان ... لا يوجد أي أثر [تاريخي] بالمطلق لوجود داود وسليمان في الآثار الأركيولوجية. [...]

[كل هذه الأسماء] لا توجد لها آثار [تاريخية].

وعلى الرغم من أن د. خزعل الماجدي قال بعد ذلك إنه من المحتمل في المستقبل أننا سوف نجد آثاراً تاريخية لهؤلاء الأنبياء، إلا أننا لا نرى أمامنا أي شيء يشجعنا على أن نشترك معه في هذا الحلم!

فنحن نرى أن كل الأدلة التي أمامنا تجبرنا على الاعتراف بأن التشابهات بين قصة طوفان نوح القرآنية من ناحية وقصة طوفان نوح التوراتية وأساطير الطوفان البابلية والسومرية من ناحيةٍ أخرى تثبت أن القصة القرآنية مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للقصة التوراتية التي هي بدورها مجرد تطور بشري طبيعي للأساطير البابلية والسومرية. أو بعبارة أكثر دقة: كل قصة من

تلك القصص الدينية هي مجرد تطور بشري طبيعي لما توارثته الأجيال قبلها (its antecedents) سواء توارثته شفوياً أو توارثته كتابةً عن ذكرى فيضان (أو طوفان) وخيم لكن محدود، أو أكثر من فيضان، قد يكون حقيقياً وقد يكون خيالياً وأغلب الظن أنه - كالعادة - مزيج من قليل من الحقيقة وكثير من الخيال؛ أي: ربما يستند إلى حدث تاريخي حقيقي لكنه يرويه بأسلوب أدبي درامي غير علمي يصبغ عليه ملامح أسطورية كثيرة وكبيرة تشحنه بتفاصيل باهرة وأفعال خارقة للطبيعة وأقوال رنانة ليكون مثيراً للدهشة والإعجاب وربما أيضاً العظة والعبرة[4051]، لكنها في الوقت نفسه تجعله أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة. وهذا التطور البشري الطبيعي في أساطير بلاد الرافدين ثم التوراة ثم القرآن يشمل بطبيعة الحال حذف بعض التفاصيل و/أو إضافة تفاصيل جديدة، فهو يفسر وجود الاختلافات كما يفسر وجود التشابهات.

الخلاصة: حتى لو افترضنا جدلاً أن قصة الطوفان السومرية←البابلية←التوراتية←القرآنية فيها شيء من الحقيقة (مثلاً 10% أو حتى 50%) يتعلق بطوفان أو فيضان كبير لكن محدود، أو أكثر من فيضان، لوادي دجلة والفرات، تم تضخيمه بعد ذلك في التوراة (ثم القرآن) لتحقيق أهداف دينية و/أو سياسية لبني إسرائيل في كنعان (ثم للمسلمين الأوائل في مكة)، فإن الحقائق المؤكدة هي:

(1) لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت أن الطوفان حدث كما يقول تراث بلاد الرافدين بكل ما جاء فيه من تفاصيل. لا حسب الرواية السومرية ولا حسب الروايات البابلية.

(2) لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت أن الطوفان حدث كما تقول التوراة بكل ما جاء فيها من تفاصيل. لا حسب الرواية اليهوية ولا حسب الرواية الكهنوتية.

(3) لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت أن الطوفان حدث كما يزعم القرآن بكل ما جاء فيه من تفاصيل. لا حسب رواية سورة نوح ولا حسب رواية سورة هود ولا حسب رواية أي سورة أخرى في القرآن.

(4) لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت أن "نوح" نفسه شخص حقيقي تاريخي. أو كما قال د. سامي عامري: "وأمّا وجود رجلٍ اسمُه نوح في ذاك العصر (أي: في بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد أو ما قبلها)، فليس مما للأركيولوجيين أن يقولوا فيه بكلمةٍ"؛ "لا يوجد شاهدٌ تاريخيٌّ يُثبت وجود نوح -عليه السلام-، ولا يَتَوَقّعُ الأركيولوجيون وجود شاهدٍ يذكر اسمه"[4052].

<u>لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت أن "نوح" نفسه شخص حقيقي تاريخي.</u>

4.12 هل الأنبياء معصومون؟ فَلَمَّا رَأَى إبراهيمُ الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ!

نبدأ الآن حديثنا عن "إبراهيم" (Abraham أو Abram)[4053] الذي قال عنه القرآنُ المدني إنه "خليل الله": "وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" (النساء 125)، ووصفه القرآنُ المكي صراحةً بأنه نبي: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا" (مريم 41).

وذكرت سورة مريم ما قاله إبراهيمُ لأبيه منكراً عليه عبادة غير الله: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا. قَالَ [أبوه] أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ (أي: لأقتلنَّك رمياً بالحجارة؛ وقيل: لأطردنَّك[4054]) وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (أي: زمناً طويلاً). قَالَ [إبراهيمُ] سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (أي: رحيماً بي؛ رؤوفاً بحالي؛ قريباً مني؛ يحيطني دائماً ببرّه ولطفه). وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا" (مريم 41-48).

ونجد هذا الحوار بين إبراهيم وأبيه في سور قرآنية أخرى مع حذف و/أو إضافة بعض المعلومات؛ وهذا أمر طبيعي إذ يُفهَم من هذه الروايات القرآنية أن الحوار قد تكرر أكثر من مرة. مثلاً: حسب سورة الأنبياء، لم تقتصر دعوةُ إبراهيم للتوحيد على أبيه فقط، بل امتدت أيضاً إلى قومه: "وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ (his people) مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ. قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ" (الأنبياء 51-56)؛ كما نفهم من رواية سورة الأنبياء أن إبراهيم كان صغيراً في السن نسبياً، بدليل كلمة "فَتًى (a young man)" (الأنبياء 60). وتوجد روايات قرآنية أخرى: (الشعراء 69-89) (العنكبوت 16-17) (الصافات 83-88) (الزخرف 26-27). اقرأ أيضاً: (الممتحنة 4) (التوبة 114).

وذكرت سورةُ الأنعام هذا الحوار باختصار، وانفردت بمعلومة مهمة وهي اسم أبي إبراهيم: "آزَرَ" (Āzar): "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (الأنعام 74). وكالعادة، اختلف المفسرون المسلمون في "آزر": فقيل إنه اسم والد إبراهيم؛ وقيل إنه لقب والد إبراهيم؛ وقيل إنه اسم صنم كان والد إبراهيم يعبده و/أو يصنعه؛ وقيل إنه اسم عم إبراهيم؛ وقيل إنه صفة أو كلمة سب وعيب قالها إبراهيم لأبيه. وكالعادة أيضاً، يختمون كلامهم بالعبارة الإسلامية الشهيرة "الله أعلم"! هل يوجد حيرة وتخبط أكثر مِن ذلك؟! وسنعلم بعد قليل مِن أين جاء هذا الاسم القرآني!

ثم أضافت سورة الأنعام أن إبراهيم جلس ينظر إلى السماء مِن الليل حتى بزوغ الشمس و "قَالَ هَذَا رَبِّي" 3 مرات، مرة لكوكب (أي: نجم star) (الأنعام 76)، ومرة للقمر (الأنعام 77)، ومرة للشمس (الأنعام 78). وبعد أن غابت الشمس، وَجَّه إبراهيمُ قلبَه فى النهاية لله الواحد الأحد (الأنعام 79): "وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ (أي: غاب) قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" (الأنعام 75-83). اقرأ أيضاً: "فَنَظَرَ [إبراهيمُ] نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (stars)" (الصافات 88).

4.12.1 مصادر القرآن من العهد القديم

لم يذكر الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد أن إبراهيم جلس ينظر إلى السماء مِن الليل حتى بزوغ الشمس إلى أن آمن فى النهاية بالله الواحد الأحد. ولا أعتقد أنه يوجد يهودى واحد أو مسيحى واحد فى العالم يؤمن أن هذه القصة حقيقية. لكن كما تعودنا فإن القصة القرآنية عادةً ما يكون لها بعض الجذور فى الكتاب المقدس حتى وإن لم تكن موجودة فيه صراحةً.

فلقد ذَكَر سفرُ التكوين رؤيا (vision) لإبراهيم. تقول هذه الرؤيا إن إبراهيم آمن بالرب بعد أن نظر إلى نجوم السماء. يقول النص الذى جاء فيه تعبير "آمَنَ بِالرَّبِّ" للمرة الأولى فى الكتاب المقدس: "صَارَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى أَبْرَامَ (أى: إبراهيم) فِي الرُّؤْيَا قَائِلاً: «لاَ تَخَفْ يَا أَبْرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا». فَقَالَ أَبْرَامُ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، مَاذَا تُعْطِينِي وَأَنَا مَاضٍ عَقِيمًا، وَمَالِكُ بَيْتِي (أي: مدير شئون منزلي؛ رئيس خدمي؛ عبدي) هُوَ أَلِيعَازَرُ (Eliezer) الدِّمَشْقِيُّ؟». وَقَالَ أَبْرَامُ أَيْضًا [للرب]: «إِنَّكَ لَمْ تُعْطِنِي نَسْلاً، وَهُوَذَا [أَلِيعَازَرُ] ابْنُ بَيْتِي وَارِثٌ لِي». فَإِذَا كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَيْهِ قَائِلاً: «لاَ يَرِثُكَ هذَا، بَلِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ هُوَ يَرِثُكَ». ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: «**انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ** إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا». وَقَالَ [الرَّبُّ] لَهُ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». **فَآمَنَ [أَبْرَامُ/إبراهيم] بِالرَّبِّ** فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا" (التكوين 15:1-6). وهذه الآية الأخيرة (التكوين 6:15) آية هامة فى الديانتين اليهودية والمسيحية، بدليل أن بولس الرسول أشار إليها: "لأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا»" (رومية 3:4)، ويعقوب الرسول أشار إليها: "وَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» وَدُعِيَ خَلِيلَ اللهِ" (يعقوب 23:2). إذن: مِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا

هذه القصة المشهورة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مِن يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة (أثيوبيا). ومِن ثم قالوا إن إبراهيم "نَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ" (الصافات 88) "وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (أي: على يقين؛ من الراسخين في الإيمان)" (الأنعام 75). وراجِع القصة التوراتية (التكوين 15:1-6) وستجد أن إبراهيم كان بالفعل في البداية يشك (questions) في تحقيق الوعد الإلهي له بالنسل والأمة العظيمة[4055] فأمره اللهُ أن ينظر إلى السماء (التكوين 15:5). فماذا رأى إبراهيمُ لمَّا نظر إلى السماء؟ "رَأَىٰ كَوْكَبًا [...] رَأَى الْقَمَرَ [...] رَأَى الشَّمْسَ" (الأنعام 76-78). ثم آمن بالله الواحد الأحد: "قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 78-79). إذن: نفس الأفكار الأساسية وترتيب الأحداث في القصة التوراتية: نظر إبراهيمُ إلى السماء (التكوين 15:5) "فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا" (التكوين 15:6).

وفي التوراة، نجد آيات تنهى صراحةً عن عبادة الشمس والقمر والنجوم: "وَلِئَلاَّ تَرْفَعَ عَيْنَيْكَ إِلَى السَّمَاءِ، وَتَنْظُرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ، كُلَّ جُنْدِ السَّمَاءِ الَّتِي قَسَمَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ، فَتَغْتَرَّ وَتَسْجُدَ لَهَا وَتَعْبُدَهَا" (التثنية 4:19)؛ بل تحكم بالإعدام رجماً بالحجارة على مَن يعبد الشَّمْسَ أو الْقَمَرَ أو النُّجُومَ: "إِذَا وُجِدَ فِي وَسَطِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ يَفْعَلُ شَرًّا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكَ بِتَجَاوُزِ عَهْدِهِ، وَيَذْهَبُ وَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى وَيَسْجُدُ لَهَا، أَوْ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْقَمَرِ أَوْ لِكُلّ مِنْ جُنْدِ السَّمَاءِ، الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ أُوصِ بِهِ، وَأُخْبِرْتَ وَسَمِعْتَ وَفَحَصْتَ جَيِّدًا وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ أَكِيدٌ. قَدْ عُمِلَ ذلِكَ الرِّجْسُ فِي إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرِجْ ذلِكَ الرَّجُلَ أَوْ تِلْكَ الْمَرْأَةَ، الَّذِي فَعَلَ ذلِكَ الأَمْرَ الشِّرِّيرَ إِلَى أَبْوَابِكَ، الرَّجُلَ أَوِ الْمَرْأَةَ، وَارْجُمْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ" (التثنية 17:2-5)[4056]! وهذا التحريم منطقي، لأن الله هو الذي خلق الشمس والقمر والنجوم: "فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ (أي: الشمس) لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ (أي: القمر) لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ" (التكوين 1:16). وهذا أيضاً ما ردده أصحابُ القرآن في موضعٍ آخر: "وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" (فصلت 37). أما في قصة إبراهيم، فنجدهم قد عكسوا الترتيبَ ليبدأوا من الأصغر إلى الأكبر أو من الليل إلى النهار لأن اليوم يبدأ في الثقافة اليهودية من الغروب، فجعلوا إبراهيم ينظر أولاً إلى الكوكب (النجم) ليعبده "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي" (الأنعام 76)، ثم ينظر إلى القمر ليعبده "رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي" (الأنعام 77)، ثم ينظر إلى الشمس ليعبدها "رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ" (الأنعام 78). "فَلَمَّا أَفَلَتْ (أي: غابت الشمس) قَالَ [إبراهيمُ] يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 78-79). مما يعني أن إبراهيم قد اهتدى إلى التوحيد بعقله. أو كما نقول نحن اليوم: ربنا عرفوه بالعقل. بالعقل وليس بالنقل. بالتفكير وليس بالوحي. وإنْ ألمح القرآنُ إلى أن الله قد ساعد إبراهيمَ بطريقةٍ ما لم يشرحها القرآنُ: "قَالَ [إبراهيمُ] لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ" (الأنعام 77)؛ "وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ" (الأنعام 75). فهل كانت رحلة سماوية (un voyage céleste)؛ أو: معراج؟ ربما[4057].

أما اسم "آزَر" الذي لم يُذكَر في القرآن كله إلا مرة واحدة فقط وهي في هذا السياق القرآني (الأنعام 74)، فهو مجرد تحريف لاسم "أَلِيعَازَر" (Eliezer) خادم إبراهيم أو كبير عبيده الذي لم يُذكَر في التوراة كلها إلا مرة واحدة فقط وهي في هذا السياق التوراتي (التكوين 2:15). صدفة؟! لا. ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد لنا أكثر أن القصة القرآنية (الأنعام 74-79) مجرد تطور بشري طبيعي للقصة التوراتية (التكوين 1:15-6). ويجب هنا أن نقول إن أَلِيعَازَر لم يكن مجرد خادم أو عبد عادي، بل كان يتمتع بنفوذ واسع داخل بيت إبراهيم، ويُعتقَد أنه هو الذي وُصِفَ بعد ذلك بعبارة "عَبْدِهِ (أي: عَبْد إِبْرَاهِيم) كَبِيرِ بَيْتِهِ الْمُسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ" (التكوين 2:24). ومِن الجدير بالذكر أيضاً أن عبارة "ابْنُ بَيْتِي" (التكوين 3:15) التي قالها إبراهيمُ إشارةً إلى أَلِيعَازَر قد جعلت فريقاً من المفسرين اليهود والمسيحيين يقولون إن إبراهيم قد تبنَّى أَلِيعَازَر؛ بل قيل إن أَلِيعَازَر وُلِدَ في بيت إبراهيم[4058]. وكل ذلك يدل على أن أَلِيعَازَر كان يُعامَل معاملة خاصة كما لو كان فرداً من أفراد عائلة إبراهيم. إلا أن التراث اليهودي قدَّم "أَلِيعَازَر الدِّمَشْقِيّ" باعتباره واحداً من الكنعانيين [الوثنيين] الملعونين على الرغم من خصاله الطيبة[4059]. فيبدو إذن أن صاحب (الأنعام 74) قد سمع هذه الآيات التوراتية والتراث اليهودي/المسيحي المتعلق بها، فاختلط عليه الأمر وظنَّ أن أَلِيعَازَر الوثني أبو إبراهيم (أي: ظنَّ أن إبراهيم ابنُ أَلِيعَازَر الوثني) وسَمَّاه "آزر" بقصد أو بدون قصد.

أما اسم أبي إبراهيم حسب التوراة والإنجيل، فهو "تَارَح" (Terah) (التكوين 26:11) (لوقا 34:3). ولقد ذَكَر سفرُ يشوع بالفعل أن تَارَح كان يعبد آلهة أخرى، أي غير الرب الإله: "وَقَالَ يَشُوعُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: **آبَاؤُكُمْ** سَكَنُوا فِي عَبْرِ النَّهْرِ (أي: نهر الفرات) مُنْذُ الدَّهْرِ. **تَارَحُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ وَأَبُو نَاحُورَ، وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى**" (يشوع 2:24). وقال "يوسابيوس" (Eusebius of Caesarea) (ت. حوالي 340م) فى كتابه الشهير "التاريخ الكنسي" (Ecclesiastical History) إن إبراهيم ترك خرافةَ آبائه (renounced the superstition of his fathers)[4060]. كما تحدث سفرُ التكوين عن هجرة أبرام (أي: إبراهيم) مِن "أُور الْكَلْدَانِيِّين" (Ur of the Chaldeans) (حالياً: جنوب نهر الفرات) إلى "حاران" (Haran) (حالياً: شمال نهر الفرات)، وبعد ذلك إلى أرض "كنعان" (Canaan) (حالياً: إسرائيل/فلسطين وأجزاء من الشام)، وكان معه "لوط" (Lot) ابن أخيه (التكوين 27:11-32) (التكوين 1:12-5) (أعمال الرسل 2:7-4). ثم تسللت كل هذه الأفكار إلى القرآن، فَذَكَر أصحابُ القرآن هذه الهجرة: "وَقَالَ [إبراهيمُ] إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ" (الصافات 99) التى فسرها كثير مِن المراجع الإسلامية على أنها تشير إلى ذهاب إبراهيم من العراق إلى الشام/فلسطين[4061]. وكان "لوط" مع إبراهيم، بدليل: "فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ (أي: فآمن لوطٌ لإبراهيم) وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (العنكبوت 26) "وَنَجَّيْنَاهُ

وَلُوطًا (أي: وَنَجَّيْنَا إبراهيمَ وَلُوطًا) إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (أي: إلى الشام/فلسطين)" (الأنبياء 71)[4062].

كذلك بالنسبة لتسمية إبراهيم "خليل الله" (النساء 125)، فإنها أيضاً قديمة وليست جديدة، إذ أنها موجودة فى العهد القديم: "أَلَسْتَ أَنْتَ إِلهَنَا الَّذِي طَرَدْتَ سُكَّانَ هذِهِ الأَرْضِ (أي: كنعان) مِنْ أَمَامِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ وَأَعْطَيْتَهَا لِنَسْلِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ إِلَى الأَبَدِ؟" (2 أخبار الأيام 7:20)؛ "وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِسْرَائِيلُ عَبْدِي، يَا يَعْقُوبُ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي" (إشعياء 8:41). كما جاءت عبارة "إبراهيم خليلك" أو "إبراهيم الذى تحبه" فى صلاة عزريا (Prayer of Azariah) المذكورة فى أحد أسفار "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) / "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) وهو "تتِمة سفر دانيال" (Additions to Daniel) (تتِمة سفر دانيال 35:3)[4063]؛ ويرجع تاريخ هذه الصلاة إلى القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد. وأخيراً يقول العهد الجديد (القرن الأول الميلادى): "وَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» وَدُعِيَ خَلِيلَ اللهِ" (يعقوب 23:2). كل هذا يؤكد أن الأجيال المتعاقبة ظلت تتوارث فكرة أن إبراهيم "خليل الله" لمئات السنين قبل ظهور الإسلام.

وكذلك أيضاً بالنسبة لنبوة إبراهيم "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا" (مريم 41)، فلقد وصف سفرُ التكوين إبراهيمَ صراحةً بكلمة "نبي" (التكوين 7:20)، بل إن إبراهيم هو أول مَن سُمِّيَ نبياً فى الكتاب المقدس كله. ويجب هنا أن نقول أيضاً إن كلمة "صِدِّيقًا" (مريم 41) تكاد تكون منقولة من الآية التوراتية الشهيرة التي ذكرناها فيما سبق: "فَآمَنَ [أَبْرَامُ/إبراهيمُ] بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا (بالعبرية: tzedakah)" (التكوين 6:15).

مما سبق يتضح أن أصحاب القرآن قد أخذوا أفكاراً كثيرة من الكتاب المقدس بعهديه فيما يتعلق بإبراهيم. فلا نحتاج نظرية "الوحي" لنفهم كيف استطاع أصحابُ القرآن أن ينتجوا هذه الآيات القرآنية. وحده التطور البشري الطبيعي (natural human development) هو الذي يفسر قدرة العرب على إنتاج هذه الآيات القرآنية.

أما التفاصيل الأخرى المذكورة فى القرآن وليست مذكورة فى الكتاب المقدس، فإنها – كالعادة – مذكورة في مصادر القرآن الأخرى من التراث اليهودي/المسيحي. وفي هذه الحالة تحديداً، فإنها مذكورة فى كتب سوديبِجرافا العهد القديم: كتاب "اليوبيلات" (Book of Jubilees) (Livre des Jubilés) وكتاب "رؤيا إبراهيم" (Apocalypse of Abraham) (Apocalypse d'Abraham). وكالعادة أيضاً، سنلاحظ فيما يلي أن كتب السوديبِجرافا – مثل القرآن – مجرد تطور بشري طبيعي للكتاب المقدس ...

4.12.2 مصادر القرآن من كتاب اليوبيلات وأعمال يوسيفوس اليهودي

كتاب اليوبيلات (Book of Jubilees) (Livre des Jubilés) هو أحد كتب سوديبِجرافا العهد القديم. وكما قلنا فى المقدمة: كُتِب كتاب اليوبيلات أصلاً باللغة العبرية فى النصف الأول مِن القرن الثانى قبل الميلاد (تقريباً 161-140 ق.م) مع بدايات الحقبة الحسمونية (Hasmonean Period) (Époque asmonéenne) التى امتدت مِن سنة 166 إلى 63 ق.م[4064]، أى قبل ظهور الإسلام بأكثر من 700 سنة. ولهذا الكتاب المهم نسخٌ أثيوبية يعود تاريخها إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد[4065]، أى أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) فى بدايات القرن السابع الميلادى قد وجدوه هناك. فنحن إذن نتفق مع العالِم الكبير (Prof. Guillaume Dye) حين يقول إن كتاب اليوبيلات مِن أقدم المصادر اليهودية لهذه القصة القرآنية (الأنعام 74-83)[4066].

كتاب اليوبيلات حجمه كبير (50 فصل) ولا داعى لعرضه كله، فالجزء الذى يهمنا هنا هو فقط الفصل الثانى عشر[4067] الذى يبدأ بحوار بين إبراهيم وأبيه "تارح" **[⟵ "أَبِيهِ آزَرَ " (الأنعام 74)]** يحاول فيه إبراهيمُ أن يقنع أباه بعبادة الله وترك عبادةَ الأصنام التى خُلقِت بأيدي الانسان وليس منها منفعة **[⟵ كرر القرآنُ هذه الأفكار في أكثر من موضع: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (الأنعام 74) "يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا" (مريم 42) و "إِذْ قَالَ [إبراهيمُ] لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ" (الشعراء 70-73) "إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (العنكبوت 17)]**. ومِن الجدير بالذكر أن العهد القديم – قبل كتاب اليوبيلات وطبعاً قبل كتاب القرآن – قد أكد في مواضع كثيرة أن الأصنام مصنوعة بأيدي الإنسان ولا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ولا تنفع مَن يعبدها ولا تضر مَن لا يعبدها: "أَصْنَامُ الأُمَمِ فِضَّةٌ وَذَهَبٌ، عَمَلُ أَيْدِي النَّاسِ. لَهَا أَفْوَاهٌ وَلاَ تَتَكَلَّمُ. لَهَا أَعْيُنٌ وَلاَ تُبْصِرُ. لَهَا آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُ. كَذلِكَ لَيْسَ فِي أَفْوَاهِهَا نَفَسٌ! مِثْلَهَا يَكُونُ صَانِعُوهَا، وَكُلُّ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَيْهَا" (المزامير 135:15-18)؛ "أَصْنَامُهُمْ (أي: أَصْنَامُ الأُمَمِ) فِضَّةٌ وَذَهَبٌ، عَمَلُ أَيْدِي النَّاسِ. لَهَا أَفْوَاهٌ وَلاَ تَتَكَلَّمُ. لَهَا أَعْيُنٌ وَلاَ تُبْصِرُ. لَهَا آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُ. لَهَا مَنَاخِرُ وَلاَ تَشُمُّ. لَهَا أَيْدٍ وَلاَ تَلْمِسُ. لَهَا أَرْجُلٌ وَلاَ تَمْشِي، وَلاَ تَنْطِقُ بِحَنَاجِرِهَا. مِثْلَهَا يَكُونُ صَانِعُوهَا، بَلْ كُلُّ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَيْهَا. يَا إِسْرَائِيلُ، اتَّكِلْ عَلَى الرَّبِّ" (المزامير 115:4-9)؛ "لاَ تَخَافُوهَا (أي: لا تخافوا من الأصنام) لأَنَّهَا لاَ تَضُرُّ [مَن لا يعبدها]، وَلاَ فِيهَا أَنْ تَصْنَعَ خَيْرًا [لِمَن يعبدها]" (إرميا 10:5)؛ (إشعياء 44:9-20، 46:6-7) (إرميا 2:11، 10:1-16، 16:19). إذن: أخذ كتابُ اليوبيلات هذه الآيات الكتابية التي كُتِبَت **بعد** إبراهيم بمئات السنين ووضع أفكارها الأساسية على لسان إبراهيم! وفي الواقع، كان هذا أسلوباً معروفاً في تأليف القصص والروايات في كتب التراث اليهودي بصفة عامة (الإسرائيليات)[4068]. ثم جاء أصحابُ القرآن وفعلوا كما فعل أصحابُ الإسرائيليات، فوضعوا كلاماً على لسان إبراهيم مع أن هذا الكلام قيل **بعد** إبراهيم بمئات السنين، مما يؤكد 100% أن القرآن كلام بشر

مثل كتاب اليوبيلات بالضبط، بل يؤكد أن الإسرائيليات موجودة في القرآن نفسه، وليست في كتب الأحاديث والتفاسير فقط كما يظن المسلمون. وخير دليل قرآني (internal evidence) يثبت أن هذه الأفكار ليس لها علاقة بقصة إبراهيم التوراتية الأصلية هو أن أصحاب القرآن استخدموها في مواضع أخرى ليس لها علاقة بقصة إبراهيم، وإنما لها علاقة بقصة محمد: "إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ [أيها العرب المشركون] عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ. إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ. وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ. وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ" (الأعراف 194-198). إنها إذن أفكار كانت معروفة وشائعة في الشرق الأوسط أيام محمد، لكن أصحاب القرآن وضعوها على لسان إبراهيم، كما فعل مِن قبلهم أصحابُ اليوبيلات.

وحسب كتاب اليوبيلات أيضاً، قال إبراهيمُ لأبيه إن هذه الأصنام لا روح فيها، فهي بكماء لا تنطق **[⟵ "فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ" (الأنبياء 63) "لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ" (الأنبياء 65) "مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ" (الصافات 92)].**

نقرأ هذا الجزء المهم مِن كتاب اليوبيلات (اليوبيلات 12:1-5)[4069]:

إبراهيم والأصنام. (اليوبيلات 12): {1} في الأسبوع السادس، في السنة السابعة، قال أبرام لأبيه تارح: "يا أبي"! فأجاب هذا: "ها أنا يا ابني". {2} فقال (أبرام): "أي عون لنا وأية فائدة من هذه الأصنام التي تَعبد والتي أمامها تسجد؟ {3} لا نسمة فيها. هي بكماء وضلال الروح. فلا تعبدها، {4} (بل) اعبد إلهَ السماء الذي يُنزل على الأرض المطر والندى، الذي يُنتج كل شيء على الأرض، الذي خلق كل شيء بكلمته والذي منه تنبثق كل حياة. {5} لماذا تعبدون هذه الأشياء التي لا نسمة فيها؟ لقد صنعتها أيدي (البشر). تحملونها أنتم على أكتافكم، فلا يأتيكم منها عون، بل خزي كبير للذين صنعوها، وضلال الروح للذين يعبدونها. فلا تعبدوها".
Chapter 12: Abram's plea to avoid idolatry […] Abram spoke to Terah, his father, saying, "O father." […] "What help or advantage do we have from these idols before which you worship and bow down? Because there is not any spirit in them, for they are mute, and they are the misleading of the heart.

Do not worship them. Worship the God of heaven, who sends down rain and dew upon the earth, and who makes everything upon the earth, and created everything by his word, and all life is in his presence. Why do you worship those who have no spirit in them? Because they are works of the hands, […] Do not worship them.”

باختصار: محتوى الحوار بين إبراهيم وأبيه "تارح" فى كتاب اليوبيلات يمثل الجذور غير الكتابية للحوار بين إبراهيم وأبيه "آزر" فى كتاب القرآن العربى. وإن كان رد فعل آزر فى القرآن أكثر قسوة. فى القرآن، هدد آزر ابنَه إبراهيم بالقتل رجماً وأمره أن يهجره إن لم يكف عن الحديث فى هذا الموضوع: "قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا" (مريم 46). أما فى كتاب اليوبيلات، فإن تارح حاول أن يقترب مِن ابنه إبراهيم وحذره مِن أن يقتله قومُه إن لم يكف عن الحديث فى هذا الموضوع[4070]:

(اليوبيلات 12): {6} فقال له أبوه: "هذا ما أعرفه أنا أيضًا، يا ابني. ولكن ماذا أفعل لهؤلاء الناس الذين رسموني (كاهنًا) لكي أخدم (الأصنام)؟ {7} إن قلت لهم الحقيقة يقتلوني، لأن عقلهم تعلّق (بالأصنام) جدًا بحيث يعبدونها ويكرمونها. حافظْ على الصمت يا ابني لئلا يقتلوك".
And his father [i.e. Abram’s father] said to him, “I also know (that), my son, but what shall I do to the people who have made me minister before them? And if I speak to them in righteousness, they will kill me because their souls cleave to them so that they might worship them and praise them. Be silent, my son, lest they kill you.”

فنلاحظ هنا أن كتاب اليوبيلات قدَّم أبا إبراهيم كإنسان خائف مغلوب على أمره يخشى أن يقتله قومُه إن صارحهم بأن الأصنام لا تستحق العبادة[4071]، بينما قدَّمه كتابُ القرآن كإنسان وثني مقتنع فعلاً بعبادة الأصنام.

لكن ما الذى دفع أصحاب القرآن إلى أن يجعلوا رد فعل أبي إبراهيم بهذه القسوة: "قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا" (مريم 46) (مكية)؟ الإجابة: لأنهم تأثروا بأساطير

يهودية أخرى لا تقدِّم أبا إبراهيم كإنسان خائف مغلوب على أمره كما هو الحال في اليوبيلات، وإنما تقدِّمه كإنسان وثني مقتنع فعلاً بعبادة الأصنام، بل يصنع الأصنام، كما سنرى لاحقاً في المدراش اليهودي مثلاً.

ويجب علينا أيضاً ألا ننسى أن أصحاب القرآن حين كانوا يكتبون في القرآن أسطورةً يهودية أو حتى قصة كتابية، لم يكن هدفهم أبداً هو كتابة القصة كما سمعوها مِن مصدرها، وإنما كان هدفهم هو إعادة إنتاج (reproducing) هذه القصة بحيث تكون مفيدة (useful) (utile) لهم في واقعهم الديني والاجتماعي والسياسي. ففي هذه الحالة تحديداً، نلاحظ أن (مريم 46) مكية. فَمِن الواضح أن أصحاب القرآن أرادوا تشجيع المسلمين الأوائل في مكة على أن يهجروا الكفارَ والمشركين حتى وإن كانوا آباءهم وأقاربهم. بدليل قول إبراهيم لأبيه بعدها: "وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ" (مريم 48). وهذا ما حدث أيضاً في كتاب اليوبيلات، وإن جعل أبا إبراهيم يرحل معه، ربما حتى تتفق القصة في اليوبيلات مع القصة الأصلية في التوراة: فلقد ترك إبراهيمُ وأبوه وعائلته هذه المدينة الوثنية (أُور الْكَلْدَانِيِّينَ) وذهبوا إلى حاران متوجهين إلى أرض كنعان (التي تُسمِّيها المراجع الإسلامية: فلسطين/الشام) (اليوبيلات 15:12)[4072].

ثم أضاف الفصل الثاني عشر مِن كتاب اليوبيلات[4073] أن إبراهيم جلس مِن الليل حتى بزوغ الشمس يلاحظ النجوم (الكواكب) **[← "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا" (الأنعام 76)]**. أثناء ملاحظة إبراهيم للسماء حتى يعرف هل ستمطر أم لا، خطر بباله أن كل علامات النجوم (الكواكب) **[← "كَوْكَبًا" (الأنعام 76)]** والشمس **[← "الشَّمْسَ" (الأنعام 78)]** والقمر **[← "الْقَمَرَ" (الأنعام 77)]** بيد الله، فصلّى إبراهيمُ إلى الله الواحد الأحد الذي خلق كلَّ شيء **[← "إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ (أي: خلق) السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 79)]** طالباً منه ألا يجعل الأرواح الشريرة تضله عن سبيل الله **[← "قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ" (الأنعام 77)]**، وأن يوسّع له طريقاً مستقيماً (straight path) **[← "صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (الأنعام 87) "صِرَاطًا سَوِيًّا" (مريم 43)[4074]]** إلى الله. فنلاحظ هنا أن الرواية القرآنية (الأنعام 76-79) تكاد تكون منقولة من كتاب اليوبيلات! أي إنسان عنده قدر بسيط من الخيال مع التعريب والأسلمة يستطيع بأقل مجهود أن يحوِّل إسرائيليات اليوبيلات إلى آيات القرآن.

ولنقرأ سوياً هذا الجزء المهم مِن كتاب اليوبيلات[4075]:

(اليوبيلات 12): {16} في الأسبوع السادس، في السنة الخامسة، وقف إبراهيم في إحدى الليالي، في بداية الشهر السابع، ليراقب الكواكب من المساء إلى الصباح، ليرى ماذا تفعل الأمطار في السنة. كان وحده واقفًا يراقب. {17} فجاءت كلمة إلى قلبه وأعلنت: "كل العلامات (التي تعطيها) الكواكب، وتلك (التي تعطيها) الشمسُ والقمر، هي كلّها في يد الربّ. فماذا أطلب؟ {18} فإن رغب (= الله) أمطر صباحًا ومساءً، وإن رغب ما أمطر. كل شيء هو في يديه".

{19} في تلك الليلة صلّى (ابرام) فقال: "يا الله، أيها الإله العلي، أنت وحدك (الله)، أنت إلهي. أنت خلقت كلَّ شيء، وكلُّ موجود هو عمل يديك. أنا اخترتك أنت، (اخترت) لاهوتك. {20} خلّصني من إصابة الأرواح الشرّيرة التي تنظّم أفكار القلب البشري لئلاّ تبتعد عنك يا إلهي. أنت ثبّتني أنا ونسلي إلى الأبد لئلاّ نضلّ من الآن إلى الأبد. {21} أتساءل إن كنت سأعود إلى أور، إلى الكلدانيين الذين يطالبون بعودتي، أم أبقى هنا، في هذا الموضع. وسّع لعبدك طريقًا مستقيمًا أمامك فآخذه ولا أسلك تابعًا ضلال قلبي يا إلهي".

Abram's night vigil

[…], Abram sat up during the night […], so that he might observe the stars from evening until daybreak so that he might see what the nature of the year would be with respect to rain. And he was sitting alone and making observations; and a word came into his heart, saying, "All the signs of the stars and the signs of the sun and the moon are all in the hand of the Lord. Why am I seeking?

If he desires, he will make it rain morning and evening,
and if he desires he will not send (it) down;
and everything is in his hand."

And he prayed on that night, saying:

"My God, the Most High God, you alone are God to me.
And you created everything,
and everything which is was the work of your hands,
and you and your kingdom I have chosen.
Save me from the hands of evil spirits
which rule over the thought of the heart of man,
and do not let them lead me astray from following you, O my God;
but establish me and my seed forever,
and let us not go astray henceforth and forever."

> And he said, "Shall I return unto Ur of the Chaldees who seek my face so that I should return to them? Or shall I dwell here in this place? Make the straight path prosper before you in the hand of your servant that he might serve. And do not let me walk in the error of my heart, O my God."

ومِن المهم جداً هنا أن نلاحظ أن كتاب اليوبيلات يؤكد أن إبراهيم اهتدى إلى الله الواحد الأحد بقوة ملاحظته لمخلوقات الله في الطبيعة كالنجوم والشمس والقمر (اليوبيلات 12:16-21)؛ أي: اهتدى إلى وحدانية الله بعقله **قبل** أن يدعوه الوحي الإلهي (اليوبيلات 12:22-24) (التكوين 12:1-3) **[← عبَّر القرآنُ المكي عن ذلك بعبارة "حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 79) التي تعني عملياً في القرآن أنه مثل محمد: اهتدى إلى التوحيد وهو ليس من أهل التوراة ولا من أهل الإنجيل. وفي حالة إبراهيم: قبل التوراة والإنجيل؛ كما قال القرآنُ المدني بصيغة أكثر وضوحاً: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ [...] مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 65-67)]**. فنحن هنا نتفق مع موسوعة (Encyclopædia of the Qur'ān) التي تقول[4076]:

> Abraham's disposition as a *ḥanīf* means that the Qur'ān, in accordance with the Talmud, perceives him as a natural believer, i.e. as one who has reached monotheism by means of individual insight [الأنعام 75-79].

ونتفق أيضاً مع العالِم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) الذي يقول[4077]:

> Thus Abraham appears in the Qur'ān as a rational monotheist, a believer who discovers the existence of one God through an examination of natural signs. The Qur'ān also describes how Abraham, after becoming a monotheist, opposes idolatry. […] Thus the Abraham in the Qur'ān is [like Muḥammad] a self-taught monotheist and an opponent to the idolaters [i.e. an opponent to his own people].

وإنْ قلتم إن إبراهيم فى النص السابق مِن كتاب اليوبيلات نظرَ إلى السماء بهدف التنجيم (astrology) وليس بهدف البحث عن الإله الذى يستحق العبادة كما جاء فى القرآن (الأنعام 75-79). فسنقول: كما قلنا مِن قبل، عندما تنتقل قصةٌ مِن مكان إلى مكان أو مِن زمان إلى زمان يحدث لها عادةً بعض التغييرات، وهذه التغييرات أمر طبيعى يستطيع أى انسان عادى أن يقوم بها. الموضوع مش محتاج وحي من الله. والهدف مِن هذه التغييرات الطبيعية هو عادةً جعل القصة تلائم بيئتها الجديدة: لم يكن أصحاب القرآن

محتاجين موضوع التنجيم، لكنهم كانوا في أشد الحاجة إلى التأكيد على وحدانية الله، لا سيما في مكة حيث كان الشرك شائعاً. فَمِن الطبيعي وجود بعض الاختلافات البسيطة بين كتاب اليوبيلات اليهودي وسورة الأنعام المكية[4078]. ثم إن القصة في الكتابين (اليوبيلات والقرآن) انتهت نفس النهاية: توجَّه إبراهيم إلى الله الواحد الأحد "قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 78-79). وهذا ما يؤكد لنا حدوث تطور بشري طبيعي لهذه الأسطورة اليهودية من كتاب اليوبيلات إلى كتاب القرآن (سورة الأنعام المكية بصفة خاصة).

وكما قلنا فيما سبق، هذه الأسطورة – سواء في كتاب القرآن أو في كتاب اليوبيلات – تبدو لنا مجرد تطور بشري طبيعي لرؤيا إبراهيم المذكورة في سفر التكوين (التكوين 15:1-6). وفي هذه الرؤيا أيضاً نجد هدفاً مختلفاً لنظر إبراهيم إلى السماء، وهو أن يعد النجوم إن استطاع. لكن النهاية مماثلة: إيمان إبراهيم بالرب. "وَقَالَ [الرَّبُّ لأَبْرَامَ]: «**انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ** إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا». وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». **فَآمَنَ [أَبْرَامُ] بِالرَّبِّ** فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا" (التكوين 15:5-6).

باختصار: حين تنتقل قصةٌ مِن ثقافةٍ إلى أخرى أو تؤلف قصة جديدة اعتماداً على قصة قديمة، فَمِن الطبيعي أن تحدث تغييرات بالحذف و/أو الإضافة. وفيما يتعلق بموضوعنا وهو نظر إبراهيم إلى السماء الذي هداه في النهاية إلى التوحيد، فيبدو أنه كان تقليداً (tradition) أو أسطورة (legend) توارثتها الأجيال عن إبراهيم، بدليل وجودها في أعمال يهودية كثيرة مثل المدراش (Genesis Rabbah) وكتابات اليهوديين "فيلو السكندري" (Philo of Alexandria) و "يوسيفوس" (Flavius Josephus)[4079]. اقرأ مثلاً ما قاله (Prof. Michael Pregill) تعليقاً على (الأنعام 74-83) عن كيف استطاع يوسيفوس أن يوظِّف هذه الأسطورة اليهودية من أجل تحقيق هدف معين وكيف استطاع القرآنُ أن يوظِّفها وعلاقة ذلك بكلمة "حَنِيفًا" (الأنعام 79) التي غيَّر القرآنُ معناها السلبي إلى معنى إيجابي كما قلنا كثيراً فيما سبق[4080]:

> The theme of the idolatry of Abraham's people is common in the midrash, appearing as early as *Genesis Rabbah* (3rd c. CE), but the most pertinent parallel to this Qurʾānic passage is actually pre-rabbinic. Josephus' *Jewish Antiquities* 1.154–168 is one of the earliest portrayals of Abraham's rejection of his ancestral polytheism on account of his observation of the heavenly bodies. As Reed (2004) has shown, Josephus here puts a uniquely Jewish spin on an older Greek conception of astrology and astronomy as a quintessentially barbarian art; appropriating this "alien wisdom" as the source of Abraham's discovery of monotheism establishes it as the very foundation of Israel's religion. Here in Q 6 [يقصد: سورة الأنعام],

the progression from polytheism to monotheism via observation of the heavenly bodies is exactly the same. It is striking that the consequence is that Abraham states that "إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا" (v. 79). The term حَنِيفًا is of course much discussed, with the derivation from Syriac *ḥanpā*, "pagan," largely taken for granted, but the implications of its appropriation and subversion are still debated. Syriac sources, which would term the idolatry Abraham abandoned as *ḥanpūtā*, construct the following polarity:

GOOD = virtuous of Israel, Christians = faith of Abraham

// BAD = Jew, pagan (*ḥanpā*).

The term *ḥanpā* is thus pejorative, marking one who is outside of the true faith, an infidel. The critical move made in the Qurʾān seems to be to shift the moral valence of the term: in identifying the faith it reveals (or revives) as the same as Abraham's, though it is emphatically not Judaism or Christianity (cf. Q 3:67), the Qurʾān reconstructs the polarity as:

GOOD = virtuous of Israel, Believers = faith of Abraham (حَنِيفًا, *ḥanpā* in the new sense)

// BAD = Jew, Christian, pagan (مُشْرِك, *ḥanpā* in the literal sense)

The mentality behind the shift in the Qurʾān seems similar to that of Josephus. In depicting Abraham as discovering monotheism through the "alien wisdom" of [astral observation], Josephus asserts that the worship of one God is an "outsider" development, in contrast to the culture of civilized Hellenes who nevertheless maintained polytheism. The Qurʾān likewise associates monotheism with astral observation, but also specifically marks it as an essentially "outsider" development of "pagans" (*ḥanpē*/حُنَفَاء), people like Abraham himself who was neither Jew nor Christian. Its claim to outsider status, reasserting the "pagan" (or better, gentile) nature of original monotheism, implies that the corrupt monotheism of Jews and Christians is tantamount to idolatry.

إذن: كانت هذه الأسطورة اليهودية معروفة وتتوارثها الأجيال، بل تتناقلها الثقافات المختلفة، وكل ثقافة توظِّف الأسطورةَ من أجل بناء خطاب معين موجَّه إلى مخاطَبين معينين: يوسيفوس اليهودي كان يوجِّه خطابَه في القرن الأول الميلادي إلى اليونانيين والرومان؛ أما محمد المسلم فكان يوجِّه خطابَه في القرن السابع الميلادي إلى مشركي العرب وأهل الكتاب. فَمِن الطبيعي أن تتغير الأسطورةُ مع تغير الخطاب وتغير المخاطَبين وتغير الزمان وتغير المكان. هذا أمر طبيعي جداً. بعبارة أخرى: مِن الطبيعي أنه بمرور الزمن تترك كل ثقافة بصمتها على هذه الأسطورة بالحذف و/أو الإضافة مِن خلال عملية "التطور البشري الطبيعي" (natural human development) للتوراة أقدم كتاب تحدث عن "إبراهيم"[4081]، مروراً بكتاب اليوبيلات ثم وصولاً إلى القرآن. وهذه التغييرات الطبيعية لا يمكن أبداً أن تكون هي الدليل على أن هذه الأسطورة القرآنية مِن عند الله. وإلا لأصبحت الأساطير اليهودية في كتاب اليوبيلات مِن عند الله أيضاً!

نعتقد أن كل الأدلة تؤكد تأثر أصحاب القرآن العربي بكتاب اليوبيلات اليهودي. وهذا يؤكد أن القرآن ليس كلام الله. الله لا يمكن أن يعيد إنتاج الأساطير اليهودية.

وقبل أن نترك كتابَ اليوبيلات، فمِن الجدير بالذكر أن مَن ألّفه (أو: مَن ألّفوه) قد ادعوا أن هذا الكتاب السوديبِجرافي وحي إلهي (divine revelation) مكتوب في ألواح سماوية (heavenly tablets) وأن موسى قد تلقاه عن طريق ملاك[4082]! وهذا بالضبط ما فعله أصحابُ القرآن بعد اليوبيلات بمئات السنين حين ادعوا أن القرآن وحي إلهي مكتوب في اللوح المحفوظ وأن محمد قد تلقاه عن طريق ملاك (جبريل)!

وفى هذا السياق أيضاً، يجب أن نقول إننا نتفق تماماً مع مَن قال إنه يمكن تصنيف كتاب اليوبيلات على أنه "إعادة كتابة للكتاب المقدس" (rewritten Bible)[4083]:

> The book of Jubilees […] is usually categorized as "rewritten Bible" […]
> The author follows the general outline of Genesis and the early part of Exodus, but in the process of retelling the biblical narratives, he at times omits, condenses, expands, supplements, or alters the biblical accounts.

وهذا بالضبط ما فعله أصحاب القرآن العربي الذى يمكن أيضاً أن نصنفه على أنه "إعادة كتابة للكتاب المقدس" (rewritten Bible) بأسلوب أدبي طبعاً وبلسانٍ عربي. أو بالأحرى نقول إن القرآن هو إعادة كتابة عربية للتراث اليهودي والمسيحي بصفة عامة، وهذا يشمل الأسفار المقدسة مثل التوراة والإنجيل ويشمل أيضاً الأسفار غير المقدسة مثل كتب السوديبِجرافا والأبوكريفا والتلمود والمدراش وغيرها.

4.12.3 مصادر القرآن من كتاب رؤيا إبراهيم

ننتقل الآن إلى كتاب آخر مِن كتب سوديبِجرافا العهد القديم يُعرَف باسم "رؤيا إبراهيم" (Apocalypse of Abraham) (Apocalypse d'Abraham)، ويرجع تاريخه إلى 70-150م، أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 450 سنة. ويجب من البداية أن نؤكد أن تسمية الكتاب "رؤيا إبراهيم" لا تعني إطلاقاً أن إبراهيم هو الذي كتبه، وإنما هو مجرد كتاب سوديبِجرافي منحول كُتِبَ بعد إبراهيم بمئات السنين، وانتشرت أساطيره في الشرق الأوسط قبل الإسلام.

تحدثنا الفصول الستة الأولى[4084] مِن هذا الكتاب السوديبِجرافي المنحول عن نفس الأساطير المذكورة في اليوبيلات والقرآن: رفض إبراهيم لعبادة الأصنام وسخريته منها لأنها عديمة الفائدة، وحديث إبراهيم مع أبيه تارح **[← "أَبِيهِ آزَرَ" (الأنعام 74)]** منكراً عليه عبادتها. إلا أن رد فعل تارح كان أكثر قسوة مما جاء في كتاب اليوبيلات، ويشبه إلى حد كبير رد فعل آزر في كتاب القرآن.

وفي الفصل السابع، يُكمِل إبراهيمُ حديثَه إلى أبيه تارح **[← "أَبِيهِ آزَرَ" (الأنعام 74)]** متبعاً نفس الأسلوب الذي انتقل بعد ذلك إلى القرآن وهو أسلوب "مجاراة الخصم"، فيقول له على سبيل الفرض جدلاً إن الشمس "أجدر بالعبادة" من أشياء أخرى **[← "فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ [مِن القمر والكوكب]" (الأنعام 78)[4085]]**. لكن إبراهيم يستدرك بسرعة ما قاله ويحاول أن يقنع أباه بأن الإله الذى يستحق العبادة لا يمكن أن يكون الشمس **[← "الشَّمْسَ" (الأنعام 78)]** ولا القمر **[← "الْقَمَرَ" (الأنعام 77)]** ولا النجوم **[← "كَوْكَبًا" (الأنعام 76)]** لأنهم جميعاً يغيبون **[← "فَلَمَّا أَفَلَ (أي: غاب) [الكوكبُ] قَالَ [إبراهيمُ] لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ [...] فَلَمَّا أَفَلَ [القمرُ] [...] فَلَمَّا أَفَلَتْ [الشمسُ] قَالَ [إبراهيمُ] يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 76-79)]**. وفي نهاية الفصل السابع، دعا إبراهيمُ أن يعلن اللهُ نفسَه بنفسِه له ولأبيه **[← في القرآن، دعا إبراهيمُ أن يهديه اللهُ: "قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ" (الأنعام 77)]**. نقرأ هذا الجزء المهم مِن كتاب رؤيا إبراهيم[4086]:

> **(رؤيا إبراهيم 7):** {1} وقلتُ [أنا إبراهيم لأبي] هذا: "النار أجدر بالعبادة من الأصنام، لأن غير الخاضع يخضع لها، وهي تهزأ ممّا يهلك بدون تعب في نيرانها. {2} ولكني لا أسمي أيضًا (النار) إلهًا لأنها خاضعة للمياه. فالمياه أجدر بالعبادة، لأنها تنتصر على النار، وتغذّي الأرض. ولكني لا أعطي (المياه) أيضًا اسم إله، لأنها حين تنزل تحت الأرض تخضع (للأرض). {3} فأدعو الأرض التي هي أجدر بالعبادة (إلهاً) لأنها تنتصر على طبيعة الماء وكتلتها. ولكني لا أعطي (الأرض) أيضًا إسم الله، لأنها تجفّ أيضًا بالشمس وهي مهيّأة لعمل الإنسان. {4} فأسمّي الشمس أجدر بالعبادة من الأرض، لأنها تنير بشعاعها العالم ومختلف الفضاءات، ولكني لا أجعل (الشمس) بين الآلهة، لأن مسيرتها تصبح مظلمة بالغيوم، في الليل. {5} ولا أسمّي أيضًا القمر ولا النجوم إلهًا، لأنها هي أيضًا في وقتها يختفي نورها، في الليل. {6} فاسمع يا تارح

أبي، سأبحث أمامك عن الإله الذي خلق كل شيء، لا الآلهة التي نخترعها نحن. {7} فمن هو أو ما هو ذاك الذي جعل السماء حمراء، والشمس ذهبيّة، من أعطى النور [للقمر] ومعه النجوم، من جفّف الأرض وسط المياه الكثيرة، من وضعك أنت بين البشر؟ يا ليت الله يكشف ذاته لنا"!
Abraham, having thought this, came to his father and said, "Father Terah, […]. The sun I call more venerable than the earth, for with its rays it illuminates the whole universe. But I will not call it a god because when night comes it becomes murky with darkness. Nor again shall I call the moon or the stars gods, because they too at times during the night dim their light. But hear this, Terah my father, let me proclaim to you the God who created all things. […] this is the true God […]. If [only] God will reveal himself by himself to us!"

فنستنتج مِن هذه الفصول السبعة الأولى مِن هذا الكتاب السوديبجرافي المنحول أن إبراهيم كان يحرص حرصاً شديداً على هداية أبيه بالحجة والمنطق **[⟵ تسللت هذه الأسطورة المنحولة إلى آيات قرآنية مكية مثل: "إِذْ قَالَ [إبراهيم] لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا" (مريم 42-45). إلا أن القرآن جعل دعاءَ إبراهيم يضم استغفاراً لأبيه: "سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا. [...] وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا" (مريم 47-48). وقَالَ إبراهيمُ لربّه: "اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ" (الشعراء 86)، وكذلك آخر جملة في دعاء إبراهيم المكي: "رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ" (إبراهيم 41) (مكية)]**.

وفي الفصل الثامن من كتاب رؤيا إبراهيم، يعلن اللهُ نفسَه لإبراهيم ويأمره أن يهجر أباه وبيته **[⟵ "اهْجُرْنِي مَلِيًّا (أي: زماناً طويلاً)" (مريم 46)]** حتى لا يموت في خطايا أبيه. بالفعل، ينفذ إبراهيمُ هذا الأمر الإلهي ويخرج مِن بيت أبيه تارح **[⟵ "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ" (الزخرف 26) "وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ" (مريم 48) "وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ" (التوبة 114) "وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ" (الصافات 99)]**. ثم يقوم اللهُ بإحراق تارح وبيته وكل ما كان في بيته عقاباً له على وثنيته وشِركه **[⟵ جعل القرآنُ إبراهيمَ يحذّر أباه مِن العقاب الإلهي قبل وقوعه: "يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا" (مريم 45). وتوجد آيتان قرآنيتان أشارتا إلى هلاك "قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ" (التوبة 70) (الحج 43) بدون ذِكْر أي تفاصيل!]**! فإذا أردنا أن نعرف التفاصيل فليس أمامنا إلا أن نرجع إلى التراث اليهودي-المسيحي ونقرأ هذا الجزء الهام مِن الكتاب الأسطوري المسمَّى "رؤيا إبراهيم"[4087]:

(رؤيا إبراهيم 8): {1} وحصل إذ كنتُ [أنا إبراهيم] هكذا أكلّم أبي تارح في دار بيته، أن صوت (الله) القدير سقط من السماء في سيل من نار، قائلاً ومناديًا: "إبراهيم، إبراهيم"! فقلتُ: "هاءنذا"! {2} فقال: "أنت تبحث عن إله الآلهة والخالق في فهم قلبك. أنا هو. {3} اخرج من عند أبيك تارح ومن بيته لئلا تُقتل أنت أيضًا في خطايا بيت أبيك". {4} فخرجتُ. وحصل أني خرجتُ وما سنح لي الوقت سوى أن أعبر باب الدار. {5} فجاء صوت رعد أحرق أبي وبيته وكل ما كان في بيته، على عمق أربعين ذراعًا.
And it came to pass as I [i.e. Abraham] was thinking things like these with regard to my father Terah in the court of my house, the voice of the Mighty One [God] came down from the heavens in a stream of fire, saying and calling, “Abraham, Abraham!” And I said, “Here I am.” And he said, “You are searching for the God of gods, the Creator, in the understanding of your heart. I am he. Go out from Terah, your father, and go out of the house [cf. Genesis 12:1], that you too may not be slain in the sins of your father’s house.” And I went out. And it came to pass as I went out – I was not yet outside the entrance of the court – that the sound of a great thunder came and burned him [i.e. Terah] and his house and everything in his house, down to the ground, forty cubits.

وفي الفترة المدنية، طوَّر أصحابُ القرآن هذه الأسطورة اليهودية مِن أجل دعوة المسلمين المُوحِّدين للتبرؤ مِن آبائهم وأقاربهم الكفار المشركين وعدم الاستغفار لهم: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ **إِلَّا** قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ"[4088] (الممتحنة 4)؛ "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ [محمد] وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ [لموتهم على الشرك[4089]]. وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ [المشرك] إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ (أي: إلا تحقيقاً لوعد من إبراهيم لأبيه رجاء إيمانه) فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ (أي: لم ينفع فيه الوعظ وأنه سيموت كافراً؛ أو: مات كافراً) تَبَرَّأَ مِنْهُ (أي: تركه وترك الدعاءَ له بالمغفرة) ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ (أي: كثير التضرع والدعاء لله) حَلِيمٌ" (التوبة 113-114)؛ "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ (أي: للكفار؛ للمنافقين) أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" (التوبة 80)[4090]؛ "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ (أي: حارب؛ عادى؛ خالف أمر) اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ" (المجادلة 22)! ومِن المعلوم للكافة أنه حسب التراث الإسلامي: رفض "أبو

طالب" عم محمد أن يؤمن بمحمد وظل رافضاً حتى مات كافراً. أما السيدة "آمنة" أم محمد فماتت قبل الإسلام؛ أي: على الشرك والوثنية. ولقد ربط المفسرون المسلمون بالفعل بين هذه الأمور الشخصية الخاصة بحياة محمد (والمسلمين الأوائل) والآيات القرآنية السابقة المتعلقة بحياة إبراهيم (حسب القرآن طبعاً). انظر مثلاً ما يُسمَّى بـ "أسباب نزول" (التوبة 113-114) التي يُفهَم منها أن محمد والمسلمين الأوائل كانوا بالفعل يستغفرون لأقاربهم الكفار والمشركين في الفترة المكية وجزء من الفترة المدنية حتى نهاهم القرآنُ عن ذلك الاستغفار[4091]. وهكذا أكَّد القرآنُ أن الإيمان يعلو فوق العلاقات الأسرية (faith over family).

وهذا يؤكد ما نقوله دائماً وهو أن أصحاب القرآن قد تعمَّدوا إعادةَ إنتاج (reproducing) شخصية "إبراهيم" في ثوبٍ جديد بحيث يكون نسخة من محمد؛ أو على الأقل: قريباً منه[4092]. فكما كان محمدٌ حريصاً على هداية عمه أبي طالب، كذلك جعل أصحابُ القرآن إبراهيمَ حريصاً على هداية أبيه آزر. وكما كان محمدٌ يوجِّه دعوةَ التوحيد إلى عمه وقومه، كذلك جعلوا إبراهيمَ يوجِّه دعوةَ التوحيد إلى أبيه وقومه. وكما كان محمدٌ يستغفر لعمه الكافر، كذلك جعلوا إبراهيمَ يستغفر لأبيه الكافر. وكما قالوا لمحمد أن يقول إن الله حرَّم "أَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا" (الأعراف 33)، كذلك وضعوا نفس الجملة تقريباً على لسان إبراهيم وهو يجادل قومَه "أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا" (الأنعام 81)[4093]! البصمة البشرية والصنعة الأدبية واضحتان جداً لكل إنسان عاقل. وكل ذلك حتى يبدو إبراهيم أمام الناس كما لو كان نسخةً من محمد، فيسهل عليهم أن يصدقوا أن محمداً نبي ورسول مثل إبراهيم.

أما أهمية هذه الدراسة فترجع إلى أنها فسَّرت لنا لماذا اختار أصحابُ القرآن إبراهيمَ بالذات؟ الإجابة: لأنهم تأثروا بأساطير من التراث اليهودي (الإسرائيليات)، كتلك الموجودة في كتابي اليوبيلات ورؤيا إبراهيم، والتي تقول إن إبراهيم كان حريصاً على هداية أبيه تارح إلى التوحيد. وطبعاً طوَّر أصحابُ القرآن هذه الأساطير اليهودية تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة حتى تخدم مصالحهم الدينية والدنيوية، وبخاصة فيما يتعلق باستغفار إبراهيم لأبيه حسب القرآن المكي (مريم 47) (الشعراء 86) (إبراهيم 41) ثم نهي مسلمي المدينة عن الاقتداء بإبراهيم في الاستغفار لأبيه الكافر: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ [...] إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ" (الممتحنة 4)؛ (التوبة 113-114).

نظرية "التطور البشري الطبيعي" وحدها هي التي تفسر نشأةَ القرآن:

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

وفي هذه الدراسة تحديداً، كان التراث اليهودي حاضراً بقوة أكثر من التراث المسيحي الشرقي. لكن يجب علينا ألا ننسى نقطتين مهمتين:

أولاً: من المحتمل جداً أن هذا التراث اليهودي قد انتقل إلى أصحاب القرآن بطريق غير مباشر من خلال المسيحيين الشرقيين (السريان، الأحباش، نصارى العرب).

ثانياً: فكرة أن الإيمان يعلو فوق العلاقات الأسرية (faith over family) هي أصلاً فكرة مسيحية بامتياز، وإنْ كان لها بعض الجذور في التقليد النبوي اليهودي (ميخا 7:5-6). فلقد قال السيد المسيح بكل وضوح إن الإيمان به قد يؤدي إلى انقسام العائلة الواحدة: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا (أي: انْقِسَامًا). فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَو ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" (متى 10:34-37)؛ "جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا على الأرضِ، فماذا أريدُ لو اضطرَمَتْ؟ ولي صِبغَةٌ (باليونانية: بابْتِزما baptisma؛ أي: معمودية) أصطَبِغُها (أي: أعتمد بها؛ يقصد: آلامه وموته على الصليب[4094])، وكيفَ أنحَصِرُ حتى تُكمَلَ؟ (أي: لن تهدأ نفسي حتى تَتِمَّ) أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا. لأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلاَثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ، وَاثْنَانِ عَلَى ثَلاَثَةٍ. يَنْقَسِمُ الأَبُ عَلَى الابْنِ، وَالابْنُ عَلَى الأَبِ، وَالأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ، وَالْبِنْتُ عَلَى الأُمِّ، وَالْحَمَاةُ عَلَى كَنَّتِهَا، وَالْكَنَّةُ عَلَى حَمَاتِهَا" (لوقا 12:49-53)؛ "وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَالأَبُ وَلَدَهُ، وَيَقُومُ الأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ" (متى 10:21-22)؛ "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، (يقصد: إنْ كانَ يحب نَفْسَه وأهلَ بيته أكثر مِن حبه لي؛ إنْ كانَ لا يحبهم أقل مِن حبه لي) فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا" (لوقا 14:26)[4095]؛ "وَفِيمَا هُوَ (أي: يسوع) يُكَلِّمُ الْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ [مريم] وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ. فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ». فَأَجَابَ [يسوعُ] وَقَالَ لِلْقَائِلِ لَهُ: «مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي. لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي»" (متى 12:46-50). اقرأ أيضاً (مرقس 3:31-35) (لوقا 8:19-21؛ 11:27-28). يقول الأب متى المسكين تعليقاً على (لوقا 12:49-50) إن النار التي يلقيها المسيحُ "هي كلمة الرب. هكذا عرفها الأنبياء: "أَلَيسَتْ هكذا كلِمَتي كنارٍ، يقولُ الربُّ، وكمِطرَقَةٍ تُحَطِّمُ الصَّخرَ؟" (إرميا 23:29). والكلمة والروح لهما خاصية النار. إذا تعرَّضت لهما طبيعةُ الإنسان مع طواعية تسري فيها سريان النار الطيبة ذات التمييز والإفراز بين ما هو للحريق وما هو للتطهير. وهي نار لا تُطفأ لأنها عمل النعمة، ولا يُثني النعمة عن العمل إلا اكتمالها. [...] فنار الله تأكل المضادين وتقدِّس المختارين. [...] والمعنى أن المسيح جاء لتطهير البشرية بنار الكلمة والروح ودم صليبه. [...] فالخلاص كلَّف [المسيحَ] المخلِّص أن يصطبغ بدم صليبه الذي سكبه حتى أسلم الروح. لذلك سبق ونبَّه تلاميذه أنه لم يأتِ ليلقي سلاماً على الأرض، بل انقساماً وألماً وعناءً وموتاً زعافاً. خاض [المسيحُ] معركتها بنفسه وترك لنا أن لا نجزع من أن نقتدي به ونحمل ذات الصليب لنبلغ ذات الغاية. ولكن، بروح المحبة التي سكبها علينا، يُخرج من الألم راحة، ومن العناء سعادة، ومن الموت حياة. أمَّا الانقسام فهو يعمل من أجل تنحية الباطل وتكميل الوحدة بالنهاية. فهو ألقى انقساماً يثمر وحدةً، لا سلاماً يثمر انقساماً. هذه كانت نظرة المسيح للمسيحية في العالم"[4096].

ومن المؤكد أن الشاب اليهودي يسوع المسيح كان يعلم – أو على الأقل: سمع عن – القصص اليهودية الشعبية المتعلقة بانفصال إبراهيم المؤمن عن أبيه الكافر، وبخاصة تلك المذكورة في كتاب اليوبيلات فهي أقدم وأكثر شهرة من كتاب رؤيا إبراهيم[4097]؛ وربما كان يسوعُ يفكر في تلك القصص اليهودية الشعبية حين قال هذه الجمل. ومِن المعلوم أن يسوع المسيح نفسه قد مر بهذه التجربة، إذ لم يؤمن به إخوَته (أي: أولاد يوسف) ولا أَقْرِبَاؤُهُ، في بداية دعوته على الأقل: "إخوَتَهُ أيضاً لم يكونوا يؤمِنونَ بهِ" (يوحنا 5:7)، "وَلَمَّا سَمِعَ أَقْرِبَاؤُهُ (تُفسَّر بمعنى: إخوته، وليس أمه) خَرَجُوا لِيُمْسِكُوهُ، لأَنَّهُمْ قَالُوا: «إِنَّهُ مُخْتَلٌّ»" (مرقس 21:3).

4.12.4 الخلاصة

مما سبق يتضح أن كتاب رؤيا إبراهيم (القرن الأول أو الثاني الميلادي) كان بمثابة "كوبري" (bridge) أو "حلقة وصل" بين كتاب اليوبيلات اليهودي (القرن الثاني قبل الميلاد) وكتاب القرآن العربي (القرن السابع الميلادي). أو باختصار نقول إن الكتابين اليوبيلات ورؤيا إبراهيم كانا "الكوبري" أو "حلقة الوصل" بين التوراة والقرآن. وهذه النتيجة مهمة جداً لأنها ترد على البروباجاندا الإسلامية التي تزعم أن الاختلافات بين التوراة والقرآن تثبت أن القرآن كلام الله! أما نحن فنقول: إن الاختلافات بين التوراة والقرآن تثبت أن للقرآن مصادر أخرى غير التوراة. في هذه الدراسة: كانت تلك المصادر الأخرى هي كتاب اليوبيلات وكتاب رؤيا إبراهيم. أو بعبارة أكثر دقة: الأساطير الموجودة في اليوبيلات ورؤيا إبراهيم والتي كانت تنتشر شفوياً في الشرق الأوسط قبل ظهور الإسلام. وكما نقول دائماً: لم يكن أصحابُ القرآن محتاجين أن يقرأوا أي كتاب، فيكفيهم ما كانوا يسمعونه بآذانهم – عن طريق مباشر أو غير مباشر – من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة (أثيوبيا). فهذا يكفي – بل يكفي جداً – لإنتاج كتاب مثل القرآن.

اليوبيلات أولاً، ثم رؤيا إبراهيم، ثم القرآن. وكلهم كلام بشر.

اليوبيلات كلام بشر. رؤيا إبراهيم كلام بشر. القرآن كلام بشر.

وخير ما نختتم به بحثَنا هو ما قاله العالِمُ المعروف (Prof. Gabriel Said Reynolds) تعليقاً على تأثير كتب اليوبيلات (Jubilees) ورؤيا إبراهيم (Apocalypse of Abraham) وغيرهما على القرآن (الأنعام 74-83)[4098]:

> [الأنعام 74-83] In this passage the Qurʾān develops a tradition on Abraham that is prominent in earlier Jewish and Christian exegetical works. The tradition seems to have been inspired by speculation on two Biblical

passages: Genesis 15:4-6, which has God tell Abraham to examine the stars of the sky, and Deuteronomy 4:19:

> When you raise your eyes to heaven, when you see the sun, the moon, the stars – the entire array of heaven – do not be tempted to worship them and serve them. The Lord your God has allotted these to all the other peoples under heaven. (Deuteronomy 4:19)

These [two Biblical] passages shaped the way Jewish and Christian authors told the story of Abraham's childhood in Ur (Genesis 11:31). According to a tradition found in the *Apocalypse of Abraham* (a work of Jewish origin, usually dated to the first or second century AD) and *Genesis Rabbah* (38:19), Abraham's father, Terah (the Qurʾān names him Āzar, perhaps through a confusion with the name of Abraham's servant, Eliezer, who appears in the Targums, the Septuagint, and the Peshitta of Genesis 15:2) is himself a "manufacturer of idols" (cf. Joshua 24:2).

Jubilees (which has Terah reject idol worship) relates that Abraham observed the stars one night, looking for a sign that would tell what the rain for the upcoming year would be like. As he observed the stars, he came to the realization that there is only one god, the creator. Thus, he became a monotheist by observing nature, and without receiving revelation:

> And he was sitting alone making observations [of the stars] and a voice came into his heart saying, "All the signs of the stars and the signs of the sun and the moon are all under the Lord's control. Why am I seeking [them out]? If He wishes, He will make it rain morning and evening; and if He desires, He will not make it fall; for everything is under His control." (*Jubilees*, 12:16-17)

The *Apocalypse of Abraham* has Abraham himself recount this experience:

So I would call the sun nobler than the earth, since with its rays it illumines the inhabited world and the various airs. But I would not make it into a god either, since its course is obscured both at night and by the clouds. Nor, again, would I call the moon and the stars gods, since they too in their times at night can darken their light. (*Apocalypse of Abraham*, 7:8-10; cf. also Josephus, *Jewish Antiquities*: I, 7:1)

وقال تعليقاً على (الشعراء 69-93) وعلاقة هذا كله بمحمد والمسلمين الأوائل(4099):

[الشعراء 69-93] Geiger (*Judaism and Islam*, 99) notes that whereas earlier Jewish legends have Abraham preach to his [unbelieving] father only, the Qurʾān has him preach to his [unbelieving] father and his [unbelieving] people. He argues quite reasonably that this is because the Qurʾānic Abraham is meant to be a type of Muḥammad and therefore must also be a public preacher.

The Qurʾānic material (cf. 6:74-83; 19:41-48; 21:51-67; 26:69-82; 29:16-17, 24-25; 37:83-96; 43:26-27; 60-4) on Abraham's preaching to his father is related to the theme of faith over family, which is prominent in the Qurʾān. In this Sura [يقصد: سورة الشعراء] it might be compared with Moses's preaching to Pharaoh (v. 16-31), his adoptive father (cf. also the episode of Noah and his lost son, 11:40-47). At the same time this material is a development of the Jewish and Christian exegetical traditions which have Abraham raised in the pagan city of Ur by a father (Terah, though he is named Āzar in 6:74) who is not only an idolater but a maker of idols. In the *Apocalypse of Abraham*, Abraham comes to realize that his father's idols are powerless, and he seeks to convince his father to forsake them:

And I declared to him and said to him, "Hear Terah, [my] father! It is the gods who are blessed by you, since you are a god to them, since you have made them; since their blessing is perdition, and their power is vain. They could not help themselves, how [then] will

> they help you or bless me? [In fact] I was for you a kind of god of this gain, since it was through my cleverness that I brought you the money for the smashed [gods].” And when he heard my word his anger was kindled against me, since I had spoken harsh words against his gods. (*Apocalypse of Abraham*, 4:3-6)

One might also compare the narrative of *Jubilees* 12 (2-3), where Abraham says to his father: “What help or advantage do we have from these idols before which you worship and bow down? Because there is not any spirit in them, for they are mute, and they are the misleading of the heart. Do not worship them.”

وأخيراً نذكر ما قاله تعليقاً على الآيتين المدنيتين (التوبة 113-114)[4100]:

[التوبة 113-114] […].

Behind the Qurʾān’s discussion of Abraham’s prayer for his father is a real concern to convince believers not to have sympathy for unbelievers, even unbelieving family members (see المجادلة:22), something which presumably reflects an expression of Muḥammad’s own desire that his followers break off all ties with those who have not accepted his message. The choice of Abraham to illustrate this principle is connected to the Jewish and Christian midrashic traditions which make his father Terah a maker of idols in Ur and Abraham a faithful monotheist who seeks to convince Terah to abandon idolatry. This scenario is found, for example, in the *Apocalypse of Abraham*:

> Listen, Terah, my father, I shall seek in your presence the God who created all the gods which we consider! For who is it, or which one is it, who colored heaven and made the sun golden, who has given light to the moon and the stars with it, who has dried the earth in the midst of many waters, who set you yourself among the elements, and who now has chosen me in the distraction of my mind? Will he

reveal himself by himself to us? He is the God! (*Apocalypse of Abraham*, 7:11-12)

The Qurʾān's interest in describing the way fidelity to God divides a son from his father (or, in the case of Noah in 11:42-47, a father from his son) may also be connected to the insistence of Jesus in the Gospels that his message will divide families (Matthew 10:34-37; cf. Luke 12:51-53; 14:25).

النتيجة النهائية: أساطير اليهود (الإسرائيليات) عنصر أساسي من عناصر تكوين القرآن. فلولا الإسرائيليات، لمَا استطاع العرب أن يؤلفوا القرآنَ.

والأسطورة القرآنية التالية – وهي أسطورة تحطيم إبراهيم للأصنام ونجاته من النار – ستؤكد هذه النتيجة أكثر ...

4.13 قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ!

بعد أن فشل إبراهيمُ في إقناع قومه بالحوار، لجأ إلى العنف فحطَّم أصنامهم! فلجأوا هُمْ أيضاً إلى العنف فألقوا إبراهيمَ في النار! إلا أن الله تدخل بمعجزة فجعل النارَ بَرْداً وسلاماً على إبراهيم! "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ. وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (أي: أرض كنعان؛ فلسطين/الشام)" (الأنبياء 69-71).

نركز في هذا الفصل على قصة تحطيم إبراهيم للأصنام وأسطورة نجاته من النار[4101]. تكررت هذه القصة ثلاث مرات في القرآن، هي حسب الترتيب الزمني لسور القرآن[4102]:

الرواية الأولى (الصافات 83-99): وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ (أي: مِنْ شِيعَة نوح) لَإِبْرَاهِيمَ {83} إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {84} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ {85} أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ {86} فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {87} فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ {88} فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ[4103] {89} فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (أي: فتركوه وحيداً وراء ظهورهم) {90} فَرَاغَ (أي: مال مسرعاً على وجه الخفية والمراوغة) إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ {91} مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ {92} فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ {93} فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (أي: يَعْدُون مسرعين غاضبين) {94} قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ {95} وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ {96} قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ {97} فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا [لإهلاكه] فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (أي: الأَخْسَرِينَ) {98} وَقَالَ [إبراهيمُ] إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (ونعرف من التوراة أنه هاجر من أرض العراق إلى أرض كنعان، أي: إلى فلسطين/الشام، وكان لوط ابن أخيه معه[4104]) {99}.

الرواية الثانية (الأنبياء 51-71) هي أطول رواية، وذكر القرآنُ فيها أربع أفكار رئيسية عن إبراهيم حين كان لا يزال "فَتًى" (الأنبياء 60):

رواية سورة الأنبياء <u>(الفكرة الأولى)</u> إبراهيم ينكر على أبيه وقومه عبادةَ الأصنام: وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ (أي: هداه) مِن قَبْلُ (أي: مِن قَبْلُ موسى وهارون؛ أو: مِن قَبْلُ أن يكون نبياً) وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ {51} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (أي: ملازمون على عبادتها) {52} قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ {53} قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {54} قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (أي: المستهزئين) {55} قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ {56}. اقرأ أيضاً (الأنعام 74) (مريم 41-45) (الشعراء 69-77) (الزخرف 26-27) (الممتحنة 4).

رواية سورة الأنبياء <u>(الفكرة الثانية)</u> في غياب قومه، يحطم إبراهيمُ أصنامَهم "إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ"؛ ثم يدَّعي في سخرية واضحة أن هذا الصنم الكبير هو الذي حطَّمهم! وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ {57} فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا (أي: قطعاً صغيرة) إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ {58} قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ

لَمِنَ الظَّالِمِينَ [لأنه كَسَّر التماثيل التي نعبدها] {59} قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ [بسوءٍ] يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ {60} قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ {61} قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ {62} قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ {63}.

رواية سورة الأنبياء (الفكرة الثالثة) إبراهيم يجادل قومَه، ويثبت لهم بالبرهان العملي أن هذه الأصنام لا تنطق ولا تنفع ولا تضر: فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ [لأنكم تعبدون تماثيلاً لا تنطق] {64} ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ (أي: أطرقوا في الأرض؛ انتكست عقولهم فانقلبوا إلى الباطل وعادوا إلى كفرهم[4105]) [واحتجّوا على إبراهيم بما هو حجة له عليهم فقالوا له] لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ {65} قَالَ [إبراهيمُ] أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ {66} أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {67}. اقرأ أيضاً (الأنعام 80-83) (الشعراء 72-89).

رواية سورة الأنبياء (الفكرة الرابعة) بعد فشل قوم إبراهيم في جداله ومناظرته، قرروا إلقاءَ إبراهيم في النار، لكن الله يُنَجّيه منها! قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ {68} قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ {69} وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا [لإهلاكه] فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ {70} وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (أي: أرض كنعان؛ فلسطين/الشام) {71}.

أما الرواية الثالثة (العنكبوت 16-26)، فإنها لم تذكر أن إبراهيم قد حطَّم الأصنام! ولكنها قالت إن الله قد أنجاه من النار! وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ [وحده] وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {16} إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا (أي: تفترون كذباً) ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (أي: إلى الله تُردُّون من بعد مماتكم، فيجازيكم على ما عملتم![4106]) {17} [ثم ينتقل الخطابُ فجأة إلى أهل مكة! أو إلى الكافرين بصفة عامة[4107]] وَإِن تُكَذِّبُوا [محمداً] فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {18} أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ [من العدم] ثُمَّ يُعِيدُهُ [من بعد فنائه] ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ {19} قُلْ [يا محمد إلى منكري البعث بعد الممات] سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ [اللَّهُ] الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {20} يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (أي: تُرْجَعُونَ من بعد مماتكم، فيجازيكم على ما عملتم![4108]) (21) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (أي: بِمُعْجِزي الله) فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ {22} وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ [يوم القيامة] أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {23} [ثم يعود السياقُ مرة أخرى إلى قصة إبراهيم![4109]] فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {24} وَقَالَ [إبراهيمُ لقومه] إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ (أي: يتبرأ بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ) وَيَلْعَنُ

بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ {25} ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ [إبراهيمُ] إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي (أي: إلى أرض كنعان؛ إلى فلسطين/الشام) ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {26}.

نلاحظ أن الروايات القرآنية الثلاث انتهت بنفس النهاية وهي هجرة إبراهيم مِن هذه المدينة الوثنية إلى كنعان، وكان لوطٌ معه (الصافات 99) (الأنبياء 71) (العنكبوت 26).

وعلى الرغم من اتفاق الروايات القرآنية الثلاث على الإطار العام للقصة ونهايتها، إلا أنه توجد اختلافات كثيرة بينها في التفاصيل ...

وأمام هذه الروايات القرآنية الثلاث المختلفة، نجد العديد مِن الأسئلة التى تطرح نفسها بقوة. أهم سؤال هو: هل "معجزة" نجاة إبراهيم من النار قد حدثت بالفعل؟ نشك فى ذلك. فما الدليل على أنها قصة حقيقية؟ وحتى لو افترضنا جدلاً أنها حدثت بالفعل، فهل حدثت مرة واحدة ولكن رواها القرآنُ ثلاث مرات؟ أم أن القصة نفسها حدثت ثلاث مرات؟

- إذا كانت القصة حدثت ثلاث مرات، فهل من المعقول أن يحاول قومُ إبراهيم حرقه ثلاث مرات وفي كل مرة يُنَجّيه اللهُ، ولم تحدث ولا مرة واحدة أن يقوم أحدهم بقتله للتخلص منه؟! فمِن الواضح أن قوم إبراهيم أرادوا فعلاً أن يتخلصوا منه بدليل أنهم قالوا "اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ" (العنكبوت 24)!
- إذا كانت القصة حدثت مرة واحدة، فلماذا التكرار ثلاث مرات؟! ثم إن هناك بعض الاختلافات بين الروايات الثلاث! اختلافات فى الأقوال والأفعال. على سبيل المثال:
  - اختلاف فى الأقوال: ماذا قال قوم إبراهيم حين قرروا القائه في النار؟ هل كما جاء فى (الأنبياء 68): "قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ"؟ أم كما جاء فى (الصافات 97): "قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ"؟ طبعاً أمام هذه الأسئلة يلجأ شيوخ الإسلام عادةً إلى حيل معروفة، كأن يقولوا مثلاً: مجموعة مِن قوم إبراهيم قالوا القول الأول (الأنبياء 68) ومجموعة أخرى قالوا القول الثاني (الصافات 97). لكن فى هذه الحالة على الأقل، فإن مثل هذه التبريرات المحفوظة لن تكون مقنعة لأن (العنكبوت 24) استخدمت أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء: "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ". فماذا قال قوم إبراهيم بالضبط؟!
  - اختلاف فى الأفعال: بينما ذكرت سورة الأنبياء أن إبراهيم قد حطَّم الأصنام "إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ" (الأنبياء 58)، نجد أن (الصافات 91-93) لم تذكر أن إبراهيم قد ترك صنماً منهم! أما الرواية القرآنية الثالثة (العنكبوت 16-26) فلم تذكر أصلاً أن إبراهيم قد حطَّم الأصنام! (سوف نوضح بعد قليل السبب وراء هذا الاختلاف.)

النتيجة: إن هذه الاختلافات (discrepancies) تكفى وحدها كدليل قاطع يثبت أن القرآن ليس كلام الله: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[4110]، وكدليل أيضاً على أن فكرة نجاة إبراهيم من النار تبدو أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة.

(الفكرة الخامسة) بالإضافة إلى الأفكار الأربع التي ذكرناها، أضافت سورةُ البقرة فكرةً خامسة وهي أن مَلِكاً قد جادل إبراهيم فى رَبِّهِ: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ (أي: جادل) إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ (أي: تحيَّر وانقطعت حجته) ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (البقرة 258).

كالعادة لم يذكر القرآنُ زمان هذه المناظرة المزعومة ولا مكانها ولا اسم هذا المَلِك! ولا يوجد حديث صحيح يحدد زمانها أو مكانها أو اسم المَلِك! فعلينا إذن أن نذهب إلى المراجع الإسلامية القديمة والحديثة[4111]: فلقد ذكر كثير مِن المفسرين القدامى والمعاصرين أن هذا الملك الذى جادل إبراهيم هو "نَمْرُود" (يُكتَب أحياناً "نمروذ" أو "النمرود" أو "النمروذ")؛ وهناك مَن اكتفى بذكر أن نمرود هو الملك الذى عاش إبراهيم فى عصره؛ وهناك مَن زاد على ذلك فقال إن نمرود هو زعيم القوم الذين حاولوا إحراق إبراهيم في النار، ومِن ثم استطاع أن يربط ربطاً ذكياً بين هذه الفكرة الخامسة التي انفردت بها سورة البقرة (البقرة 258) والأفكار الأربع الأخرى التي ذكرتها (الصافات 83-99) (الأنبياء 51-71) (العنكبوت 16-26).

السؤال: مِن أين جاء أصحابُ القرآن بهذه الأفكار الخمس؟ هل بوحي مِن الله كما تزعم البروباجاندا الإسلامية؟ هل عن طريق الملاك "جبريل"؟ أم عن طريق آخر؟

الإجابة باختصار: ما ذكره القرآن فى هذه القصة ليس وحياً مِن الله؛ وإنما هو مجرد تطور بشري طبيعى للأسفار المقدسة والأسفار غير المقدسة التي سبقت القرآن. والآن، إلى التفاصيل ...

4.13.1 جذور القرآن في العهد القديم

لم يذكر الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد أن إبراهيم حطَّم أصناماً أو نجا مِن نار؛ ولا أعتقد أنه يوجد يهودي واحد أو مسيحي واحد في العالم يؤمن أن هذه القصة حقيقية! ولكن كما تعودنا فالقصة القرآنية عادةً ما يكون لها بعض الجذور في الكتاب المقدس حتى وإن لم تكن موجودة فيه صراحةً. نذكر فيما يلي بعض الأفكار المذكورة في العهد القديم والتي تُعتبَر الجذور الكتابية لِما ذكره القرآن في هذه الأسطورة.

4.13.1.1 جذور القرآن في سفر التكوين

تحدث سفر التكوين عن الملك نِمْرُود (Nimrod) بصورة سلبية للغاية: "وَكُوشُ وَلَدَ **نِمْرُودَ** الَّذِي ابْتَدَأَ يَكُونُ **جَبَّارًا فِي الأَرْضِ**، الَّذِي كَانَ **جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ**. لِذلِكَ يُقَالُ: «**كَنِمْرُودَ جَبَّارُ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ**». وَكَانَ ابْتِدَاءُ مَمْلَكَتِهِ بَابِلَ وَأَرَكَ وَأَكَّدَ وَكَلْنَةَ، فِي أَرْضِ شِنْعَارَ" (التكوين 10:8-10). وكذلك في سفر أخبار الأيام الأول: "وَكُوشُ وَلَدَ **نِمْرُودَ** الَّذِي ابْتَدَأَ يَكُونُ **جَبَّارًا فِي الأَرْضِ**" (1 أخبار الأيام 10:1).

ومِن الجدير بالذكر أن اسم "نمرود" يعني "جبار" أو "متمرد". أما القول: "جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ"، فربما تعني أنه كان عنيداً ومتمرداً يعتز بذاته في قدرته على الصيد وفي مقاومته للرب[4112]. وإذا أضفنا إلى ذلك أن عبارة "جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ" يمكن أن تُترجَم أيضاً إلى "جَبَّارَ صَيْدٍ مقابل (ضد) الرَّبِّ"[4113]، فهذا كله يؤكد أن التوراة تُقدِّم المَلِكَ نمرود على أنه شخص مُعادِي لله. وبمرور الزمن صارت هذه الفكرة أكثر وضوحاً. فنجد مثلاً في الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخُه إلى ما بين القرن الأول والقرن الرابع بعد الميلاد[4114]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة، أن نمرود "كان أول جبّار في الأرض. كان جبّاراً في الخطيئة أمام الرب. لهذا قيل: "مثل نمرود جبّار في الخطيئة أمام الرب"" (ترجوم نيوفيتي. التكوين 10:8-9). وأضافت حاشية الترجمة العربية: "سيلعب نمرود دوراً كبيراً في التقاليد حول بناء برج بابل ودعوة إبراهيم"[4115]. ومِن المعلوم أنه حسب التقاليد اليهودية والمسيحية، يرتبط بناء برج بابل (Tower of Babel) بأفكار سيئة كلها ضد الله، مثل: تكبر الإنسان وغروره وتمرده على الله، تأليه الذات، تخليد الذات ... الخ[4116].

مما سبق يتضح أن شخصية الملك نمرود حسب التراث اليهودي/المسيحي تشبه شخصية الملك الكافر "الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة 258) حسب القرآن.

قد يُقال إنه مِن الصعب أن يكون الملك نمرود المذكور فى التوراة هو هو نفسه المَلِك "الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة 258)؛ إذ أن هناك عدة أجيال تفصل بين نمرود وإبراهيم، فحسب التوراة: نمرود حفيد حام (Ham) بن نوح (التكوين 10:1-8)، أما إبراهيم فهو حفيد حفيد حفيد أرفكشاد بن سام (Shem) بن نوح (التكوين 11:10-26). "فمن الواضح من سفر التكوين أن نمرود عاش قبل عدة أجيال من زمن إبراهيم"[4117].

لكن إذا عرفنا أن نوح – حسب التوراة والقرآن – عاش على الأقل 950 سنة (التكوين 9:29) (العنكبوت 14) منهم 350 سنة بعد الطوفان (التكوين 9:28)، وقارنا عمر نوح بعد الطوفان مع مجموع السنين المذكورة في (التكوين 11:10-26)، فسنجد أن نوح نفسه – حسب التوراة – كان لا يزال حياً حين وُلِد إبراهيم[4118]. فليس مِن المستحيل إذن أن يكون نمرود هو أيضاً حياً في زمان إبراهيم. أو ربما يكون

الملك المذكور فى (البقرة 258) نمرود آخر، فليس هناك ما يمنع تكرار اسم "نمروذ" لأكثر مِن ملك فى أكثر مِن عصر وتاريخ[4119]. وقالت موسوعة بيان الإسلام إنه ربما يكون "النمروذ" ليس اسماً، وإنما لقب كل ملك حكم العراق فى ذلك الزمان، كما هو الحال بالنسبة للألقاب التالية: "فرعون" مصر و "قيصر" الروم و "كسرى" الفرس ... الخ[4120]!

وكنا نتمنى أن يعطينا شيوخُ الإسلام دليلاً تاريخياً واحداً على أن إبراهيم ونمرود شخصيات حقيقية[4121] أو دليلاً تاريخياً واحداً على أن مجادلة قد حدثت بين إبراهيم وملك (أياً كان اسمه)؛ فنحن لا نتحدث عن مجادلة بين شخصين عاديين، وإنما عن مجادلة بين **ملك** ونبي هو إبراهيم وَهُو ليس نبياً عادياً بل هو أبو الأنبياء وأحد أولى العزم مِن الرسل وثانى أكثر نبي مذكور في القرآن.

فى حالة عدم وجود أى دليل على أن هذه المجادلة قد حدثت بالفعل، يُصبح مِن العبث مناقشة هل هذا الملك هو نمرود المذكور فى سفر التكوين أم نمرود آخر! وليس أمامنا سوى أن نقول إن هذه المجادلة المزعومة مجرد قصة خيالية مثل قصة تحطيم إبراهيم للأصنام و "معجزة" نجاته من النار.

وفي جميع الأحوال، نحن لا نقول إن المَلِك "الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة 258) هو هو نفسه نمرود، وإنما نقول إن شخصية المَلِك "الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة 258) مجرد تطور بشري طبيعي لشخصية المَلِك نمرود. بعبارة أخرى: نحن لا نقول إن المَلِك نمرود = المَلِك "الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة 258). وإنما نقول: المَلِك نمرود **[⟵ المَلِك "الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة 258)]**. وسوف تثبت الصفحات التالية هذا التطور البشري الطبيعي أكثر.

4.13.1.2 جذور القرآن في سفر القضاة

يُحدِّثنا (القضاة 6) عن النبي المؤمن الشاب "جِدْعُون" (Gideon) الذي هدم "مَذْبَحَ الْبَعْلِ" (the altar of Baal) وهو الوثن الذي كان أبوه "يُوآش الأَبِيعَزَرِيّ" (Joash the Abiezrite) وقومُه يعبدونه مِن دون الله **[⟵ وهي نفس الفكرة التي تسللت بعد ذلك إلى القرآن الذي يُحدِّثنا عن الفتى المؤمن إبراهيم الذي حطم الأوثان التي كان أبوه "آزَر" وقومُه يعبدونها مِن دون الله!]**.

(القضاة 6): {25} وَكَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُ (أي: لجدعون): «خُذْ ثَوْرَ الْبَقَرِ الَّذِي لأَبِيكَ، وَثَوْرًا ثَانِيًا ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، وَاهْدِمْ مَذْبَحَ الْبَعْلِ الَّذِي لأَبِيكَ، وَاقْطَعِ السَّارِيَةَ [المقدسة] الَّتِي عِنْدَهُ، {26} وَابْنِ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ عَلَى رَأْسِ هذَا الْحِصْنِ بِتَرْتِيبٍ، وَخُذِ الثَّوْرَ الثَّانِي وَأَصْعِدْ مُحْرَقَةً عَلَى حَطَبِ السَّارِيَةِ الَّتِي تَقْطَعُهَا. {27} فَأَخَذَ جِدْعُونُ عَشَرَةَ رِجَال مِنْ عَبِيدِهِ وَعَمِلَ كَمَا كَلَّمَهُ الرَّبُّ. وَإِذْ كَانَ يَخَافُ مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَعْمَلَ ذلِكَ نَهَارًا، فَعَمِلَهُ لَيْلاً **[⟵ "فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (أي: ليلاً[4122]). فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ. فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (أي: فتركوه وحيداً وراء ظهورهم). فَرَاغَ (أي: مال مسرعاً على وجه الخفية والمراوغة)**

إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ [...]. [...]. فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ" (الصافات 88-93)؛ ونعرف من رواية سورة الأنبياء أنه حطَّم الأصنامَ عن عمد مع سبق الإصرار: "وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا (أي: حطَّم الأصنامَ وجعلها قطعاً صغيرة)" (الأنبياء 57-58)].

(القضاة 6): {28} فَبَكَّرَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي الْغَدِ وَإِذَا بِمَذْبَحِ الْبَعْلِ قَدْ هُدِمَ وَالسَّارِيَةُ الَّتِي عِنْدَهُ قَدْ قُطِعَتْ، وَالثَّوْرُ الثَّانِي قَدْ أُصْعِدَ عَلَى الْمَذْبَحِ الَّذِي بُنِيَ. {29} فَقَالُوا الْوَاحِدُ لِصَاحِبِهِ: «مَنْ عَمِلَ هذَا الأَمْرَ؟» **[← "قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا" (الأنبياء 59)]** فَسَأَلُوا وَبَحَثُوا فَقَالُوا: «إِنَّ جِدْعُونَ بْنَ يُوآشَ قَدْ فَعَلَ هذَا الأَمْرَ» **[← " قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ" (الأنبياء 60)].** {30} فَقَالَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لِيُوآشَ [أبي جِدْعُون]: «أَخْرِجِ ابْنَكَ **[← "قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ" (الأنبياء 61)]** لِكَيْ يَمُوتَ **[← "قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ" (العنكبوت 24) "قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ" (الأنبياء 68) "قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ" (الصافات 97)]**، لأَنَّهُ هَدَمَ مَذْبَحَ الْبَعْلِ وَقَطَعَ السَّارِيَةَ الَّتِي عِنْدَهُ».

فكما أراد قومُ جِدْعُون (بطل القصة الكتابية) أن يقتلوه لأنه حطم أوثانهم، كذلك أراد قومُ إبراهيم (بطل القصة القرآنية) أن يقتلوه لأنه حطم أوثانهم. إلا أن يُوآش أبا جِدْعُون تدخل بسرعة لينقذ ابنَه جِدْعُونَ مِن الموت، فجادل قومَه بأسلوب عقلاني وقال لهم: إنْ كانَ البعلُ إلهًا فهو الذي سينتقم مِن جدعون وليس أنتم.

(القضاة 6): {31} فَقَالَ يُوآشُ لِجَمِيعِ الْقَائِمِينَ عَلَيْهِ: «أَنْتُمْ تُقَاتِلُونَ لِلْبَعْلِ؟ أَمْ أَنْتُمْ تُخَلِّصُونَهُ؟ مَنْ يُقَاتِلْ لَهُ يُقْتَلْ فِي هذَا الصَّبَاحِ. إِنْ كَانَ [البَعْلُ] إِلهًا فَلْيُقَاتِلْ لِنَفْسِهِ لأَنَّ مَذْبَحَهُ قَدْ هُدِمَ». {32} فَدَعَاهُ (أي: دَعَا يُوآشُ جِدْعُونَ) فِي ذلِكَ الْيَوْمِ «يَرُبَّعْلَ (Jerubbaal)» قَائِلاً: «لِيُقَاتِلْهُ الْبَعْلُ لأَنَّهُ قَدْ هَدَمَ مَذْبَحَهُ».

إذن: تنتهي القصة الكتابية الأصلية والقصة القرآنية المنحولة بنفس النهاية، وهي نجاة بطل القصة (الشاب جدعون **[← الفتى إبراهيم]**) من حُكْم الإعدام. مع اختلاف أن هذه النجاة قد تحققت بطريقة عقلانية في القصة الكتابية الأصلية بينما تحققت بمعجزة مزعومة في القصة القرآنية المنحولة وهي معجزة نجاة إبراهيم مِن النار. وجذور هذه المعجزة المزعومة ليست في سفر القضاة وإنما في سفر دانيال ...

4.13.1.3 جذور القرآن في سفر دانيال

إن سفر دانيال يعطينا أدلة واضحة على أن شخصية المَلِك الكافر (نمرود؟) القرآنية هي مجرد تطور بشري طبيعي لشخصية المَلِك الكافر "نَبُوخَذْنَصَّر" (King Nebuchadnezzar). أي: المَلِك الكافر نَبُوخَذْنَصَّر **[← المَلِك الكافر (نمرود؟) (البقرة 258)].** ومِن حُسن الحظ أن هذه النتيجة التي توصلنا إليها ليست غريبة على التراث الإسلامي، إذ تقول رواية إسلامية شهيرة: "مَلَكَ الأرضَ أربعةٌ: مؤمنان وكافران: فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام، وأما الكافران فنمروذ وبُخْتَنَصَّر (يقصدون: نَبُوخَذْنَصَّر)"[4123]. وبغض النظر عن مدى صحة هذه الرواية الإسلامية، فإنها تدل على أن المسلمين أنفسهم

قد استطاعوا أن يدركوا أوجه الشبه الكبيرة بين المَلِك الكافر "نمرود" والمَلِك الكافر "نَبُوخَذْنَصَّر". أو بعبارة أخرى: على الأقل من الناحية الأدبية يمكن أن نعتبر المَلِك الكافر "نمرود" والمَلِك الكافر "نَبُوخَذْنَصَّر" شخصيةً واحدة فيما يتعلق بالمُلْك مع الكفر، وبخاصة إذا عرفنا أنهما كانا مَلِكين في العراق القديم مسقط رأس إبراهيم حسب التوراة، وذلك طبعاً بغض النظر عن الفاصل الزمني بين المَلِك الكافر "نمرود" والمَلِك الكافر "نَبُوخَذْنَصَّر" والذي يمتد إلى مئات السنين.

وسنبدأ أولاً بما قاله سفر دانيال عن المَلِك نَبُوخَذْنَصَّر ...

(دانيال 5): {18} [...] فَاللهُ الْعَلِيُّ أَعْطَى [...] نَبُوخَذْنَصَّرَ مَلَكُوتًا وَعَظَمَةً وَجَلاَلاً وَبَهَاءً **[⟵ "آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ" (البقرة 258)]**. {19} وَلِلْعَظَمَةِ الَّتِي أَعْطَاهُ إِيَّاهَا كَانَتْ تَرْتَعِدُ وَتَفْزَعُ قُدَّامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. فَأَيًّا شَاءَ قَتَلَ، وَأَيًّا شَاءَ اسْتَحْيَا **[⟵ "قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ" (البقرة 258)]**، وَأَيًّا شَاءَ رَفَعَ، وَأَيًّا شَاءَ وَضَعَ. {20} فَلَمَّا ارْتَفَعَ قَلْبُهُ وَقَسَتْ رُوحُهُ تَجَبُّرًا، انْحَطَّ عَنْ كُرْسِيِّ مُلْكِهِ، وَنَزَعُوا عَنْهُ جَلاَلَهُ، {21} وَطُرِدَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، وَتَسَاوَى قَلْبُهُ بِالْحَيَوَانِ، وَكَانَتْ سُكْنَاهُ مَعَ الْحَمِيرِ الْوَحْشِيَّةِ، فَأَطْعَمُوهُ الْعُشْبَ كَالثِّيرَانِ، وَابْتَلَّ جِسْمُهُ بِنَدَى السَّمَاءِ، حَتَّى عَلِمَ أَنَّ اللهَ الْعَلِيَّ سُلْطَانٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ، وَأَنَّهُ يُقِيمُ عَلَيْهَا مَنْ يَشَاءُ **[⟵ "فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ (أي: فأصيب بالخزي والحيرة والعجز) وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (البقرة 258)]**.

أما إذا قرأنا (دانيال 3) فسنجد قصةً أخرى تشبه إلى حد كبير "معجزة" نجاة إبراهيم من النار. تقول هذه القصة الكتابية إن المَلِك "نَبُوخَذْنَصَّر" جادل ثلاثة فتية يهود في رَبِّهِم **[⟵ تقول القصة القرآنية إن الملك (نمرود؟) "حَاجَّ (أي: جادل) إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة 258)]**. ونلاحظ أن هذه القصة الكتابية تتحدث عن "فتية"، بالضبط كما ذكر القرآنُ أن إبراهيم كان "فَتًى" حين حطَّم الأصنام ونجا من النار: "قَالُوا سَمِعْنَا **فَتًى** يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ **إِبْرَاهِيمُ**" (الأنبياء 60). ثم تحكى القصة الكتابية أن هؤلاء الفتية اليهود الثلاثة قد نجوا من النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ التي تم القائهم فيها ولنفس السبب تقريباً: رفض عبادة الأصنام. أحداث القصة الكتابية كما يلي:

"نَبُوخَذْنَصَّرُ الْمَلِكُ صَنَعَ تِمْثَالاً مِنْ ذَهَبٍ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ سِتُّ أَذْرُعٍ، وَنَصَبَهُ فِي بُقْعَةِ دُورَا فِي وِلاَيَةِ بَابِلَ" (دانيال 1:3) وأمرَ نَبُوخَذْنَصَّرُ الناسَ أن يَخِرُّوا وَيَسْجُدُوا لهذا التمثال "وَمَنْ لاَ يَخِرُّ وَيَسْجُدُ، فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ يُلْقَى فِي وَسَطِ أَتُّونِ نَارٍ مُتَّقِدَةٍ" (دانيال 6:3).

عَلِمَ الْمَلِكُ نَبُوخَذْنَصَّرُ أن هناك ثلاثة فتية يهود هُمْ شَدْرَخُ (Shadrach) وَمِيشَخُ (Meshach) وَعَبْدَنَغُوَ (Abednego) لَمْ يَجْعَلُوا لَه اعْتِبَارًا، فَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ آلِهَتُه، وَلِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْه لاَ يَسْجُدُونَ. "حِينَئِذٍ أَمَرَ نَبُوخَذْنَصَّرُ بِغَضَبٍ وَغَيْظٍ بِإِحْضَارِ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُو. فَأَتَوْا بِهؤُلاَءِ الرِّجَالِ قُدَّامَ الْمَلِكِ" (دانيال 13:3)، فأمرهم نَبُوخَذْنَصَّرُ أن يَخِرُّوا وَيَسْجُدُوا للتمثال الذي عمله وهددهم قائلاً: "وَإِنْ لَمْ تَسْجُدُوا فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تُلْقَوْنَ فِي وَسَطِ أَتُّونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ. وَمَنْ هُوَ الإِلهُ الَّذِي يُنْقِذُكُمْ مِنْ يَدَيَّ؟" (دانيال 15:3).

"فَأَجَابَ شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُوَ وَقَالُوا لِلْمَلِكِ: «يَا نَبُوخَذْنَصَّرُ، لاَ يَلْزَمُنَا أَنْ نُجِيبَكَ عَنْ هذَا الأَمْرِ. هُوَذَا يُوجَدُ إِلهُنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْ أَتُّونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ، وَأَنْ يُنْقِذَنَا مِنْ يَدِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. وَإِلاَّ فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَنَّنَا لاَ نَعْبُدُ آلِهَتَكَ وَلاَ نَسْجُدُ لِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْتَهُ». حِينَئِذٍ امْتَلأَ نَبُوخَذْنَصَّرُ غَيْظًا وَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهِهِ عَلَى شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُوَ، فَأَجَابَ وَأَمَرَ بِأَنْ يَحْمُوا الأَتُّونَ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ مُعْتَادًا أَنْ يُحْمَى. وَأَمَرَ جَبَابِرَةَ الْقُوَّةِ فِي جَيْشِهِ بِأَنْ يُوثِقُوا شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُوَ وَيُلْقُوهُمْ فِي أَتُّونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ. ثُمَّ أُوثِقَ هؤُلاَءِ الرِّجَالُ فِي سَرَاوِيلِهِمْ وَأَقْمِصَتِهِمْ وَأَرْدِيَتِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ وَأُلْقُوا فِي وَسَطِ أَتُّونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ. وَمِنْ حَيْثُ إِنَّ كَلِمَةَ الْمَلِكِ شَدِيدَةٌ وَالأَتُّونَ قَدْ حَمِيَ جِدًّا، قَتَلَ لَهِيبُ النَّارِ الرِّجَالَ الَّذِينَ رَفَعُوا شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُوَ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ الرِّجَالِ، شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُوَ، سَقَطُوا مُوثَقِينَ فِي وَسَطِ أَتُّونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ" (دانيال 3:16-23).

وأضافت تتِمة سفر دانيال أن ملاك الرب نزل مع الفتية الثلاثة إلى داخل الأَتُّونِ وطرد لهيب النار عن الأَتُّونِ، وجعل وسط الأَتُّونِ ريحاً باردةً – أو ريحاً ذات ندى (vent de rosée) (wind of dew)، فلم تَمُسّ النارُ الفتيةَ، فما أصابهم من جَرّائِها سُوءٌ أو أذى (تتِمة سفر دانيال 3:49-50)[4124] **[← "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا [لإهلاكه] فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ" (الأنبياء 69-70) "فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا [لإهلاكه] فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (أي: الْأَخْسَرِينَ)" (الصافات 98) "فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ" (العنكبوت 24). وقال الضحاك: "يذكرون أن جبريل كان مع إبراهيم في النار يمسح عنه العرق"!، وذكرت كتب التفسير وقصص الأنبياء[4125] أن جبريل أتى إبراهيم وهو فى هذا الموقف وسأله إن كان يريد منه شيئاً!، وقال السُّدِّى: "كان معه مَلَكُ الظِّل"!].**

نعود إلى (دانيال 3): "حِينَئِذٍ تَحَيَّرَ نَبُوخَذْنَصَّرُ الْمَلِكُ وَقَامَ مُسْرِعًا فَأَجَابَ وَقَالَ لِمُشِيرِيهِ: «أَلَمْ نُلْقِ ثَلاَثَةَ رِجَال مُوثَقِينَ فِي وَسَطِ النَّارِ؟» فَأَجَابُوا وَقَالُوا لِلْمَلِكِ: «صَحِيحٌ أَيُّهَا الْمَلِكُ». أَجَابَ وَقَالَ: «هَا أَنَا نَاظِرٌ أَرْبَعَةَ رِجَال مَحْلُولِينَ يَتَمَشَّوْنَ فِي وَسَطِ النَّارِ وَمَا بِهِمْ ضَرَرٌ، وَمَنْظَرُ الرَّابعِ شَبِيهٌ بِابْنِ الآلِهَةِ». ثُمَّ اقْتَرَبَ نَبُوخَذْنَصَّرُ إِلَى بَابِ أَتُّونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ وَأَجَابَ، فَقَالَ: «يَا شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُو، يَا عَبِيدَ اللهِ الْعَلِيِّ، اخْرُجُوا وَتَعَالَوْا». فَخَرَجَ شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُو مِنْ وَسَطِ النَّارِ" (دانيال 3:24-26).

ورأى الملك نَبُوخَذْنَصَّرُ ومشيروه ومَن حولهم "هؤُلاَءِ الرِّجَالَ الَّذِينَ لَمْ تَكُنْ لِلنَّارِ قُوَّةٌ عَلَى أَجْسَامِهِمْ، وَشَعْرَةٌ مِنْ رُؤُوسِهِمْ لَمْ تَحْتَرِقْ، وَسَرَاوِيلُهُمْ لَمْ تَتَغَيَّرْ، وَرَائِحَةُ النَّارِ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِمْ. فَأَجَابَ نَبُوخَذْنَصَّرُ وَقَالَ: «تَبَارَكَ إِلهُ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُوَ، الَّذِي أَرْسَلَ مَلاَكَهُ وَأَنْقَذَ عَبِيدَهُ الَّذِينَ اتَّكَلُوا عَلَيْهِ وَغَيَّرُوا كَلِمَةَ الْمَلِكِ وَأَسْلَمُوا أَجْسَادَهُمْ لِكَيْلاَ يَعْبُدُوا أَوْ يَسْجُدُوا لإِلهٍ غَيْرِ إِلهِهِمْ! فَمِنِّي قَدْ صَدَرَ أَمْرٌ بِأَنَّ كُلَّ شَعْبٍ وَأُمَّةٍ وَلِسَانٍ يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّوءِ عَلَى إِلهِ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُوَ، فَإِنَّهُمْ يُصَيَّرُونَ إِرْبًا إِرْبًا، وَتُجْعَلُ بُيُوتُهُمْ مَزْبَلَةً، إِذْ لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَ هكَذَا»" (دانيال 3:27-29) **[← "فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ" (الأنبياء 64)].**

إذن: (دانيال 3) هو اللبنة الأولى لقصة نجاة إبراهيم من النار. ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا قصة هؤلاء الفتية الثلاثة الذين نجوا من النار (دانيال 3)، فهي قصة معروفة وشهيرة وكانت تُرسَم في المقابر الرومانية (Roman catacombs) في القرنين الثالث والرابع الميلاديين[4126].

في ضوء ما سبق، نستطيع أن نقول إن قصة تحطيم إبراهيم للأصنام ونجاته من النار (الصافات 83-99) (الأنبياء 51-71) (العنكبوت 16-26) هي مجرد دمج أو خلط (conflation) لقصة تحطيم جدعون للأصنام (القضاة 6:25-32) وقصة نجاة الفتية الثلاثة مِن النار (دانيال 3:1-29). ولسنا أول مَن يصل إلى هذه النتيجة ويؤيدها بالأدلة الموثقة[4127]. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يدمج فيها أصحابُ القرآن قصتين كتابيتين (أو أكثر) في قصة قرآنية واحدة. وسنذكر في هذه المذكرات أمثلة أخرى على عملية "الدمج" أو "الخلط" (conflation) التي تُعتبَر إحدى وسائل التطور البشري الطبيعي الذي اعتمد عليه أصحابُ القرآن لتأليف كتابهم البشري العربي "القرآن". البعض يعتبرها حلقة من "سلسلة السرقات القرآنية من الكتاب المقدس"[4128]. أما نحن فنفضل أن نستخدم المصطلح الأكثر دقة والأصح علمياً وهو "التطور البشري الطبيعي" (natural human development) للتراث اليهودي/المسيحي حتى استقر في كتاب "القرآن" العربي. نعم، التطور البشري الطبيعي وحده هو الذي يفسر نشأة القرآن.

وإنْ قلتم: وهل يُعقَل أن أصحاب القرآن قد سمعوا كل هذه القصص الكتابية؟ فسنقول: نعم، يُعقَل. إنها ليست قصص عادية، وإنما قصص مقدسة ومشهورة جداً وتوارثتها عشرات الأجيال من اليهود والمسيحيين قبل الإسلام. وفي جميع الأحوال، ليس من الضروري أن يسمع أصحابُ القرآن كل هذه القصص الكتابية، فيكفيهم أن يسمعوا الآيات التي تلخصها أو تبرز فكرةً أو أكثر من أفكارها الأساسية. وليس بالضرورة بالنسبة لإبراهيم ذاته، وإنما بالنسبة لأي إنسان مؤمن بصفة عامة. مثلاً: النجاة من النار. "إِذَا اجْتَزْتَ فِي الْمِيَاهِ فَأَنَا (أي: الرب) مَعَكَ، وَفِي الأَنْهَارِ فَلاَ تَغْمُرُكَ. إِذَا مَشَيْتَ فِي النَّارِ فَلاَ تُلْذَعُ، وَاللَّهِيبُ لاَ يُحْرِقُكَ" (إشعياء 43:2) **[← "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا [لإهلاكه] فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ" (الأنبياء 69-70) "فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا [لإهلاكه] فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (أي: الْأَخْسَرِينَ)" (الصافات 98) "فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ" (العنكبوت 24)].**

أما إذا أردنا أن نعرف مِن أين أتى أصحاب القرآن بجميع الأفكار الخمس التى ذكرناها، فما علينا إلا أن نذهب - كالعادة - إلى كتب التراث اليهودي (المدراش والسوديبِجرافا مثلاً) التي كُتِبَت قبل الإسلام. وحينئذ سنكتشف أن أصحاب القرآن ليسوا هُمْ أول مَن يَجمع هذه الأفكار في قصة واحدة، فلقد سبقهم اليهودُ الذين كتبوا الأساطير اليهودية في كتب المدراش وسوديبِجرافا العهد القديم. بعبارة أخرى: "القرآن" - هذا المنتج الأدبي الذي أنتجه العرب - ليس أصلياً (not original, not genuine)، وإنما هو مجرد إعادة إنتاج

لقصص قيلت مِن قبل. أو كما قال المعاصرون لمحمد له: "هَذَا (أي: القرآن) إِفْكٌ قَدِيمٌ" (الأحقاف 11). وهاتان الكلمتان مهمتان جداً. "إِفْكٌ" يعني: كذب. "قَدِيمٌ" يعني: سمعناه قبل كده؛ مش حاجة جديدة.

أما نحن فحرصاً على مشاعر أحبائنا المسلمين، لا نقول إن القرآن "إِفْكٌ قَدِيمٌ"، وإنما نقول إن القرآن مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للتراث اليهودي/المسيحي بشقيه المقدس (مثلاً: التوراة وسفر القضاة وسفر دانيال) وغير المقدس (مثلاً: المدراش اليهودي) ...

4.13.2 جذور القرآن في المدراش اليهودي

علينا أن نذهب تحديداً إلى كتاب "التكوين ربَّاه" (Genesis Rabbah) (Genèse Rabba) الذى جُمِع في القرن الخامس الميلادي[4129] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة. يذكر الفصل 13:38 مِن هذا الكتاب المدراشي قصة تحطيم إبراهيم للأصنام ونجاته من النار كما ألَّفها (Rabbi Hiyya) في القرون الأولى للميلاد[4130].

باختصار، تقول هذه القصة اليهودية المؤلَّفة إن إبراهيم حطم الأصنام إلَّا أكبر صنم فيهم **[⟵ "فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا (أي: حطَّم الأصنامَ وجعلها قطعاً صغيرة) إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ" (الأنبياء 58)]**، وادَّعى أن الأصنام اختلفت فيما بينها على مَن يأكل أولاً الطعام الذي كان أمامهم **[⟵ "أَلَا تَأْكُلُونَ" (الصافات 91)]**، فقام الصنم الكبير بتحطيمهم **[⟵ "قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا" (الأنبياء 63)]**! بعد ذلك، تم تسليم إبراهيم إلى نمرود. وبعد جدال بين نمرود وإبراهيم حول مَن الأحق بالعبادة **[⟵ "الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة 258)]**، قرر نمرود أن يُلقِي إبراهيمَ فى النار، لكن إبراهيم خرج مِن النار سالماً **[⟵ "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا [لإهلاكه] فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ" (الأنبياء 69-70) "فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا [لإهلاكه] فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (أي: الْأَخْسَرِينَ)" (الصافات 98) "فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ" (العنكبوت 24)]**!

إذن: حين تقرأ هذه القصة اليهودية المؤلَّفة[4131]، تشعر وكأنك تقرأ القرآن قبل تأليف القرآن:

> R. Hiyya said:
>
> **[⟵ الفكرة الأولى]** Terah was a manufacturer of idols. He once went away somewhere and left Abraham to sell them in his place.
>
> **[⟵ الفكرة الثالثة]** A man came and wished to buy one [idol]. 'How old are you?' Abraham asked him. 'Fifty years,' was the reply. 'Woe to such a man!' he [Abraham] exclaimed, 'you are fifty years old and would worship a day-old object!' At this he [the man] became ashamed and departed.

[الفكرة الثانية ←] On another occasion a woman came with a plateful of flour and requested him [Abraham], 'Take this and offer it to them [i.e. to the idols].' So he [Abraham] took a stick, broke them, and put the stick in the hand of the largest. When his father returned he [Terah] demanded, 'What have you done to them?' 'I cannot conceal it from you,' he [Abraham] rejoined. 'A woman came with a plateful of fine meal and requested me to offer it to them. One [idol] claimed, "I must eat first," while another [idol] claimed, "I must eat first." Thereupon the largest [idol] arose, took the stick, and broke them.'

[الفكرتان الأولى والثالثة ←] 'Why do you make sport of me,' he [Terah] cried out; 'have they then any knowledge!' 'Should not your ears listen to what your mouth is saying,' he [Abraham] retorted. [i.e. 'You deny their knowledge and yet you worship them!'] Thereupon he [Terah] seized him [Abraham] and delivered him to Nimrod.

[الفكرة الخامسة ←] 'Let us worship the fire!' he [Nimrod] proposed. 'Let us rather worship water, which extinguishes the fire,' replied he [Abraham]. 'Then let us worship water!' 'Let us rather worship the clouds which bear the water.' 'Then let us worship the clouds!' 'Let us rather worship the winds which disperse the clouds.' 'Then let us worship the wind!' 'Let us rather worship human beings, who withstand the wind.'

[الفكرة الرابعة ←] 'You are just bandying words,' he [Nimrod] exclaimed; 'we will worship nought but the fire. Behold, I will cast you into it, and let your God whom you adore come and save you from it.' […] Abram descended into the fiery furnace and was saved, […]

وها هي الترجمة العربية لهذه الأسطورة اليهودية المدراشية التي وردت في "المدراش رباه" اليهودي حيث ترد الحكاية اليهودية المدراشية على النحو التالي(4132):

إن تارح كان يصنع الأصنام، فخرج مرة إلى محل ما وأناب عنه إبراهيم في بيعها. [← الفكرة الأولى]

فإذا أتى أحدٌ يريد الشراء كان إبراهيم يقول له: كم عمرك؟ فيقول له: عمري خمسون أو ستون سنة، فكان إبراهيم يقول له: ويل لمن كان عمره ستين سنة ويرغب في عبادة الشيء الذي لم يظهر في حيز الوجود إلا منذ أيام قليلة. فكان يعتري الرجل الخجل وينصرف إلى حال سبيله. **[← الفكرة الثالثة]**

ومرة أتت امرأة وفي يدها صحن دقيق قمح، وقالت له (أي: لإبراهيم): يا هذا، ضع هذا أمامهم (أي: أمام الأصنام). فقام [إبراهيمُ] وأخذ عصا في يده وكسرها كلها جذاذاً ووضع العصا في يد كبيرهم. فلمَّا أتى أبوه قال له: من فعل بهم كذلك؟ فقال له إبراهيم: لا أخفي عليك شيئاً. إن امرأة أتت ومعها صحن دقيق قمح وقالت لي: يا هذا، ضع هذا أمامهم. فوضعته أمامهم، فقال هذا (أي: واحدٌ من الأصنام): أريد أن آكل أولاً، وقال ذلك: أريد أنا أن آكل أولاً. فقام كبيرهم وأخذ العصا وكسرهم. **[← الفكرة الثانية]**

فقال له أبوه: لماذا تلفق عليَّ خرافة؟ فهل هذه الأصنام تدرك وتعقل؟ فقال له إبراهيم: ألا تسمع أذناك ما تتكلم به شفتاك؟ فألقى والده القبض عليه وسلَّمه إلى نمرود. **[← الفكرتان الأولى والثالثة]**

فقال له نمرود: فلنعبد النارَ. فقال له إبراهيم: فلنعبد المياه التي تطفئ النار. فقال له نمرود: فلنعبد المياهَ. فقال له إبراهيم: إذا كان الأمر كذلك فلنعبد السحابَ الذي يجيء بالمياه. فقال له نمرود: فلنعبد السحاب، فقال له إبراهيم: إذا كان الأمر كذلك فلنعبد الرياحَ التي تسوق السحاب. فقال له نمرود: فلنعبد الرياحَ. فقال له إبراهيم: فلنعبد الإنسانَ الذي يقاوم الرياح. **[← الفكرة الخامسة]**

فقال له نمرود: إذا كان مرادك المحاولة فأنا لا أعبد إلا النار، وها أنا ألقيك في وسطها، وليأت الله الذي تعبده وينقذك منها. ونزل إبراهيم في أتون النار ونجا. **[← الفكرة الرابعة]**

وها هو تعليق المستشرق المعروف سان كلير تيسدال (Rev. William St. Clair Tisdall) عليها[4133]:

من الواضح تماماً أن الحكاية المحمدية هي استعارة مباشرة من [الحكاية] اليهودية، وان اتسعت قليلاً عن طريق إضافة تفاصيل مصدرها الخيال الخصب لمحمد وشاعريته. ولكن نرى هنا من جديد أن محمداً لا يستنسخ روايةً اطلع عليها مكتوبةً في كتابٍ ما، ولكنه سمعها شفوياً من اليهود. كما أن الهيمنة التي مارستها هذه القصة على عقله تتضح ليس فقط من خلال توسيعه للحكاية، ولكن أيضاً من المرات الكثيرة التي تتكرر فيها القصة في أجزاء مختلفة من القرآن. ويبدو أن القصة كانت معروفة جيداً في مخططها الرئيسي في زمنه، وهو ما يظهر من حقيقة أن محمداً لم يجد أن من الضروري أن يروي القصة بشكل كامل. وتبين كلماته في القرآن أنه يعتقد أنها معروفة جيداً ومقبولة من جميع أتباعه. وربما كانت متداولة في الجزيرة [العربية] قبل فترة طويلة من الزمن، كما هو الحال مع الكثير من الحكايات الأخرى عن إبراهيم. هدفنا من اقتباس القصة كما وردت في "المدراش رباه" ليس لإثبات أن محمداً سرقها من هذا العمل في هذا الشأن، ولكن لإظهار أن القصة في تفاصيلها الرئيسية كانت لا تزال حاضرة بين اليهود في ذلك الوقت، فلا بد أن يكون هذا المصدر أو أيّ شكل مماثل للأسطورة هو المصدر الذي استمد العرب

معرفتهم منه. ومن غير المحتمل أن يهمل محمد التحقق من القصة عن طريق استشارة أصدقائه اليهود، الذين سيقولون له أنها وردت في بعض كتبهم، وبالتالي تأكيد إيمانه في حقيقته (أي: في حقيقة القصة).

مما سبق يتضح أن القصة القرآنية بأفكارها الخمس التي ذكرناها في بداية بحثنا هي مجرد تطور بشري طبيعي للأسطورة اليهودية المدراشية، مما يؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله، ويؤكد أيضاً أن الأساطير اليهودية (الإسرائيليات) موجودة في القرآن نفسه. ولا نزعم أننا أول مَن اكتشف هذه الحقيقة، فلقد سبقنا علماء كثيرون سواء من الباحثين الغربيين أو من الباحثين العرب. وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بأربعة أمثلة فقط. المثال الأول مِن عالمنا العربي، فلقد قال العالِم المغربي محمد المسيَّح إن "القصة المعروفة التي مذكورة في القرآن أنه (أي: إبراهيم) كسَّر الآلهة ووضع العصا في يد الإله الأكبر ... يعني حتى يقول لأبيه إن الإله الأكبر هو الذي كسَّر الآلهة الصغرى. وهذا طبعاً ... هذا الموضوع موجود في مدراش ربَّاه (يقصد: التكوين ربَّاه) ... [القصة القرآنية] مأخوذة تقريباً حرفياً مِن مدراش ربَّاه عن هذا الموضوع"[4134]. وكذلك المثال الثاني مِن عالمنا العربي، فلقد قال د. أحمد ايبش (دكتوراة فى التاريخ) إن نمرود "هو صاحب قصة إلقاء إبراهيم في النار، التي ليست في التوراة أصلاً بل في المدراش والتلمود"[4135]. والمثال الثالث مِن عالمنا العربي أيضاً، فلقد قال د. "رأفت عماري" (رحمه الله) إن "هذه الخرافة موجودة في كتاب [...] مأخوذة من كتاب عِبراني ... كتاب يهودي خرافي اسمه "مدراش ربَّاه" [...] هو أصل هذه الخرافة [...] مصدرها هو هذا الكتاب الذي هو "مدراش ربَّاه""[4136]. أما المثال الرابع والأخير فَمِن العالَم الغربي، إذ يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على القرآن "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ" (البقرة 258)[4137]:

[البقرة 258] *Tafsīr al-Jalālayn* rightly identifies "him who argued with Abraham about his Lord" as Nimrod. While in the Bible Nimrod appears only as a "mighty hunter" (see Gen 10:8-9; 1Ch 1:10), in later Jewish and Christian tradition he becomes a mighty king who organized the building of the Tower of Babel. This [Qurʾānic] verse [يقصد: البقرة 258] appears to be related to a [Jewish] tradition in *Genesis Rabbah* [38:13] which has Abraham (as a child) argue with King Nimrod over proper worship ([…]):

[…] (*Genesis Rabbah*, 38:13)

Speyer wonders (*BEQ*, 141) if the Qurʾān's detail regarding the sun's changing directions may be connected to a report in the Talmud (b.

Sanhedrin, 90a) that one should not follow a prophet who teaches idolatry even if he makes the sun stand still.

وقال تعليقاً على رواية سورة الأنبياء (الأنبياء 51-71)[4138]:

[الأنبياء 68-70] The Qurʾān here (cf. [العنكبوت 23-24]; [الصافات 97-101]) follows the sequence of a midrashic tale on Abraham's childhood (see commentary on [الأنبياء 51-67] for the beginning of the tale). [...] In this passage [يقصد: الأنبياء 68-70], which has Abraham end up in a furnace, the Qurʾān is following midrashic traditions such as that in *Genesis Rabbah*:

[...] (*Genesis Rabbah*, 38:13: cf. Pesahim 118a)

On the salvation of Abraham from the furnace, cf. [العنكبوت 24-25] and [الصافات 97-98]. The casting of Abraham in fire (coming from the midrashic account) seems to contradict the threat that Abraham would be stoned (the more common threat against messengers in the Qurʾān) in [مريم 46].

ويجب هنا أن نشير إلى أن كتاب "التكوين ربَّاه" (Genesis Rabbah) ليس أقدم كتاب يهودي يذكر أسطورة تحطيم إبراهيم للأصنام ونجاته مِن النار؛ فالعنصران الأساسيان لهذه الأسطورة اليهودية - (1) تحطيم إبراهيم للأصنام؛ (2) نجاة إبراهيم مِن النار - موجودان فى التراث اليهودى الذى تم تأليفه قبل الميلاد وفى القرن الأول بعد الميلاد. ولكى نكون أكثر تحديداً: فى كتاب اليوبيلات (Book of Jubilees) (Livre des Jubilés) وكتاب فيلو المنحول (Pseudo-Philo) (Pseudo-Philon) – أى الكتاب المنحول المنسوب كذباً وزوراً إلى الفيلسوف اليهودى الشهير فيلو السكندرى (Philo of Alexandria) (Philon d'Alexandrie). ولنبدأ أولاً بكتاب اليوبيلات ....

4.13.3 جذور القرآن في كتاب اليوبيلات

يقول كتابُ اليوبيلات إن إبراهيم قد حطم الأصنام في غياب قومه. حسب هذا الكتاب السوديپجرافي، قام إبراهيم ليلاً **[← "فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (أي: ليلاً). فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ. فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (أي: فتركوه وحيداً وراء ظهورهم)" (الصافات 88-90)]** وحرق بيتَ الأصنام (أو: المعبد) وكل ما فيه دون أن يراه أحد **[← "فَرَاغَ (أي: مَالَ مسرعاً فِي خفية) إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ [...]. [...]. فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ" (الصافات**

93-91) "فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا (أي: حطَّم الأصنامَ وجعلها قطعاً صغيرة)" (الأنبياء 58)]. ولنقرأ أولاً نبذة قصيرة عن هذا النص يرويها لنا العالِمُ الكبير (David Banon) المتخصص في الدراسات العبرية واليهودية[4139]:

C'est ainsi que le livre des *Jubilés* raconte qu'au cours de « la soixantième année de la vie d'Abram ... celui-ci se leva la nuit et brûla la maison des idoles. Il brûla tout ce qui s'y trouvait et personne ne sut qui avait provoqué l'incendie. Les autres se levèrent dans la nuit et cherchèrent à sauver du feu leurs divinités. Haran se précipita à leur secours, mais le feu s'alluma sur lui, il [Haran] fut brûlé et mourut à Our des Chaldéens » (*Jubilés* 12, 12-14).

النص مِن مراجع سودييجرافا العهد القديم يقول[4140]:

(اليوبيلات 12): {12} في السنة الستين من حياة أبرام (أي: إبراهيم)، في الأسبوع الرابع، في السنة الرابعة، نهض أبرام في الليل، وأحرق بيت الأصنام. أحرق كل ما فيه، فلم يعرف به أحد. {13} ونهضوا (أي: قومُ إبراهيم) في الليل وحاولوا أن يخلِّصوا آلهتهم. {14} وانبرى هارانُ [أخو إبراهيم وأبو لوط] لمساعدتهم، ولكن اشتعلت النار فيه فمات [هارانُ] في أور الكلدانيين [قبل أبيه تارح].
Abram burns the house of idols In the sixtieth year of the life of Abram, […] Abram arose in the night, and burned the house of the idols. And he burned everything in the house. And there was no man who knew. And they rose up in the night, and they wanted to save their gods from the midst of the fire. And Haran [Abram's brother and Lot's father] rushed to save them, and the fire flared up over him. And he [Haran] was burned in the fire and died in Ur of the Chaldees before Terah, his father.

ونلاحظ هنا أن كتاب اليوبيلات يقول إن إبراهيم قد حرق كل الأصنام – أي لم يترك الصنم الكبير كما زعم كتابُ المدراش (Genesis Rabbah). إذن: صاحبُ الرواية القرآنية الثانية الذي قال "فَجَعَلَهُمْ (أي: الأصنامَ) جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ" (الأنبياء 58) اتفق أكثر – فى هذه النقطة تحديداً – مع المدراش، أما صاحب الرواية القرآنية الأولى الذي قال "فَرَاغَ [إبراهيمُ] إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ [...] فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ" (الصافات 91-93) اتفق أكثر مع كتاب اليوبيلات لأنه لم يقل "إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ".

وإذا قُلتم إن كتاب اليوبيلات يقول إن إبراهيم كان عمره 60 سنة حين حرق الأصنام، بينما يقول القرآن إنه كان "فتى" (الأنبياء 60). فسنقول: هذا اختلاف بسيط، ولا يمكن أن يكون هو الدليل على أن القرآن كلام الله! القصة من أولها إلى آخرها مجرد أسطورة يهودية تأليف بشر، وتطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة بمرور الزمن حتى استقرت في القرآن. وعلى أي حال، فلقد ذكر كتابُ اليوبيلات أيضاً أن إبراهيم كان لديه 2*7 = 14 سنة (أي: كان فتى) حين بدأ يرفض عبادة الأصنام مع أبيه: "وبدأ الولد (أي: إبراهيمُ) يفهم ضلالَ الأرض (أي: الوثنية): كلهم (أي: قومُ إبراهيم) يضلّون متّبعين صوراً منحوتة ونجسة. علّمه والدُه الكتابةَ (وله من العمر) أسبوعان من السنين (أي: 7*2 = 14 سنة). فترك [إبراهيمُ] والدَه لئلا يعبد الأصنام معه. وبدأ يرفع الصلاةَ إلى خالق كل شيء كي يخلّصه من ضلال البشر، ولا يكون نصيبُه في الضلال الذي تقود إليه النجاسة والسفالة (يقصد: الوثنية)" (اليوبيلات 11:16-17)[4141].

قد يُطرَح سؤال: ما الذى دفع اليهود إلى تأليف قصة تحطيم إبراهيم للأصنام؟ الإجابة: كما قلنا فى المقدمة، كُتِب كتابُ اليوبيلات فى بدايات الحقبة الحسمونية، وهى فترة عصيبة من تاريخ الشعب اليهودى، إذ كان اليهود المؤمنون مضطهدين مِن الحُكَّام السلوقيين (Seleucid) الوثنيين، الذين أصروا على فرض الفكر والثقافة الإغريقية (Hellenization) على اليهود المؤمنين. وصل هذا الاضطهاد إلى درجة حرق نسخ مِن الكتب اليهودية المُقدَّسة وغيرها من الممارسات التى أدت إلى اندلاع الثورة المكابية (Maccabean revolt) ضد السلوقيين وأعوانهم[4142]. فى ظل هذه الظروف السياسية الصعبة التى تهدد الهوية اليهودية، بل تهدد الإيمان اليهودي بالتوحيد المطلق، يمكن لنا أن نفهم لماذا ألَّف اليهود قصة تحطيم إبراهيم للأصنام. إنها نوع من المقاومة الثقافية التى حاول اليهود المؤمنون بها الحفاظ على إيمانهم وهويتهم وتشجيع أنفسهم – وبصفة خاصة تشجيع الفتيان والشباب – على رفض الأوثان الإغريقية، وبالتالى رفض الثقافة اليونانية (الهلينية) المفروضة عليهم بالقوة[4143].

استلهم أصحابُ القرآن هذه الأسطورة اليهودية لأنها تستطيع أن تُقدِّم لهم نفس الخدمة؛ فحال المسلمين المؤمنين المضطهدين الذين كانوا يرفضون عبادة أصنام قريش فى مكة يشبه إلى حد كبير حال اليهود المؤمنين المضطهدين الذين كانوا يرفضون عبادة أصنام الحُكَّام السلوقيين الوثنيين. والدليل على ذلك أن كل الآيات القرآنية التى ذكرت قصة تحطيم إبراهيم للأصنام كلها آيات مكية: (الصافات 83-99) و (الأنبياء 51-71). فلقد أراد أصحابُ القرآن في مكة أن يحطموا أصنامَ قريش، لكنهم كانوا في مكة أضعف مِن قريش، فما فشلوا في تحقيقه على أرض الواقع بسيوفهم، حققوه على الورق بأقلامهم. ما لم يستطيعوا أن يغيروه بأيديهم، غيّروه بألسنتهم وقلوبهم. ما لم يستطيعوا أن يروه بأعينهم، تخيلوه بعقولهم. ولذلك، تلقفوا هذه الأسطورة اليهودية مِن التراث اليهودي وأعادوا إنتاجها (reproduced it) بلسانٍ عربي مبين في القرآن لأنها تحقق لهم نفس المصلحة: تشجيع المسلمين الأوائل – وبصفة خاصة تشجيع الفتيان والشباب – على التمسك بالتوحيد ونبذ الوثنية والشرك وعبادة الأصنام.

وكأن أصحاب القرآن في الفترة المكية أرادوا أن يبعثوا رسالة إلى كفار قريش، وهي: كما استطاع إبراهيمُ أن يحطم أصنامَ قومه ولم يستطع قومُه إيذاءَه، كذلك يستطيع محمدٌ (حفيد إبراهيم حسب التراث العربي-الإسلامي) أن يحطم أصنامَكم ولن تستطيعوا إيذاءَه. وكما انتصر اليهود في النهاية على أعدائهم الوثنيين، كذلك سينتصر المسلمون في النهاية على أعدائهم الكفار المشركين. وهو ما تحقق بالفعل بعد ذلك بسنوات قليلة يوم فتح مكة (8هـ) وتحطيم الأصنام التي كانت حول الكعبة. فما فعله إبراهيمُ في الأسطورة اليهودية←القرآنية، تحوّل إلى حقيقة فعلها محمدٌ (إبراهيم الثاني) على أرض الواقع يوم فتح مكة.

إذن: قصة تحطيم إبراهيم للأصنام قصة أدبية فنية، لكن لها أبعاد دينية وسياسية. ليست قصة حقيقية تاريخية، وإنما مجرد قصة أدبية فنية خيالية. مجرد أسطورة مِن الأدب الإسرائيلي/اليهودي (الإسرائيليات) وأخذها أصحابُ القرآن وأعادوا كتابتها (rewrote it) للمسلمين باللغة العربية، فصار "إبراهيم" (بطل الأسطورة الإسرائيلية/اليهودية) هو مجرد رمز (typology) لحفيده العربي/المسلم "محمد". أو كما نقول دائماً: تعمَّد أصحابُ القرآن إعادةَ إنتاج (reproduced) شخصية "إبراهيم" في ثوبٍ جديد بحيث يكون نسخةً من محمد، أو على الأقل: قريباً منه.

أما "معجزة" نجاة إبراهيم من النار فهى مجرد إضافة مِن بين إضافات أخرى كثيرة أُدخِلت على الأسطورة الإسرائيلية/اليهودية الأصلية في القرون الأولى للميلاد. وأقدم نص عثرنا عليه يذكر هذه "المعجزة" المزعومة هو كتاب "فيلو المنحول" ...

4.13.4 جذور القرآن في كتاب فيلو المنحول

ننتقل الآن إلى كتاب آخر مِن كتب سوديبِجرافا العهد القديم يُعرَف باسم: كتاب "فيلو المنحول" (Pseudo-Philo) (Pseudo-Philon)[4144]. قد يكون هذا الكتاب هو أقدم كتاب يذكر "المعجزة" التي تزعم أن الله قد نجَّا إبراهيم من النار (الفكرة الرابعة في القصة القرآنية). تم تأليف هذا الكتاب السوديبِجرافي في القرن الأول بعد الميلاد[4145] – أى قبل ظهور الإسلام بأكثر من 500 سنة. وهو أيضاً كتاب ضخم (65 فصل)، لكن ما يهمنا هو أول جملة مِن الفصل الخامس وكل الفصل السادس.

يحكى هذا الجزء أن نمرود (Nimrod) **[← الْمَلِكُ "الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة 258)]** زعيم بني حام (Ham)، ويقطان (Joktan) زعيم بني سام (Shem)، وفينيق (Fenech) زعيم بني يافث (Japheth) خططوا لبناء برج بابل (Tower of Babel). بدأت المشكلة حين رَفضَ إبراهيم ولوط وعشرة رجال آخرين **[← "إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ" (الممتحنة 4) "الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ" (آل عمران 68) "فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ" (العنكبوت 26)]** رفضوا المشاركة فى بناء هذا البرج لأنهم يعرفون الله الواحد ويعبدونه وحده[4146]. حاول يقطان – لأنه مِن بنى سام مثل إبراهيم والأحد عشر الآخرين – أن ينقذهم مِن العقاب بالرمي في النار،

فاقترح أن يُحبَسوا لمدة أسبوع كمهلة لهم لكي يتراجعوا عن رفضهم. ثم وضع يقطان خطة لكي يُهرّبهم. وافق الأحد عشر على الهروب، أما إبراهيم فرفض أن يهرب وأصر أن يواجه النار بشجاعة ثقةً منه في الله. بعد مرور الأسبوع، رُمِي إبراهيمُ وحده في النار، فزلزل الله الأرض، مما جعل ألسنة لهيب النار تتطاير وتقتل كل مَن كان واقفاً حولها إلا إبراهيم الذي نجا مِن النار دون أدنى إصابة! [← **"قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا [لإهلاكه] فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ" (الأنبياء 69-70) "فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا [لإهلاكه] فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (أي: الْأَخْسَرِينَ)" (الصافات 98) "فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ" (العنكبوت 24)]**! نقرأ هذه الأجزاء الهامة من كتاب فيلو المنحول[4147]:

Chapter 5: The census of Noah's descendants

Then the sons of Ham came and made Nimrod their leader; and the sons of Japheth appointed Fenech their chief; and the sons of Shem came together and made Joktan their leader. […]

[…]

Chapter 6: The tower of Babel and Abraham in the furnace

[…], *each one said to his neighbor,* "[…] Now *come, let us build for ourselves a tower whose top will reach the heavens, and we will make a name for ourselves* and a glory *upon the earth."* […]

And they took their bricks, all of them except twelve men who would not take them. And these are their names: Abram, Nahor, Lot, […]. […] And the leaders said to them, "Why were each of you not willing to cast in bricks along with the people of the land?" And those men answered saying, "We are not casting in bricks, nor are we joining in your scheme. We know the one LORD, and him we worship. Even if you throw us into the fire with your bricks, we will not join you." And the leaders were angered and said, "As they have spoken, so do to them. And unless they take part with us in throwing in the bricks, you will have the fire devour them along with your bricks."

And Joktan, who was chief of the leaders, answered, "No, but let them be given a period of seven days, and if they repent of their evil plans and are willing to cast in bricks with you, they may live. If not, let it be done and

let them be burned then in accord with your judgment.” He, however, sought how he might save them from the hands of the people, because he was of their tribe and served God. [… The eleven men agreed to escape. …] And Abram said, “I will not go forth, but I will stay here.” […] And after seven days had passed, the people gathered together and said to their leader, “Give us back the men who were unwilling to join in our plan, and we will burn them in the fire.” And they sent the leaders to bring them out, and they found no one but Abram. […]

And then those men said, “This fellow who alone has been found, we will burn him.” And they took Abram and brought him to the leaders. […] And they took him and built a furnace and lit it. And they threw bricks burned with fire into the furnace. And then the leader Joktan with great emotion [lit. “dissolved with feeling”] took Abram and threw him along with the bricks into the fiery furnace. But God caused a great earthquake, and the fire gushing out of the furnace leaped forth in flames and sparks of flame. And it burned all those standing around in sight of the furnace. […] But there was not the least injury to Abram from the burning of the fire. And Abram came up out of the furnace, and the fiery furnace collapsed. And Abram was saved and went away to the eleven men who were hidden in the mountains, rejoicing in the name of the LORD. […]

ونلاحظ هنا أن مؤلف كتاب فيلو المنحول ذكر نجاةَ إبراهيم مِن النار ولم يذكر تحطيمَ إبراهيم للأصنام. وهذا بالضبط ما فعله صاحب الرواية القرآنية الثالثة (العنكبوت 16-26)!

يبقى سؤال يطرح نفسه بقوة: مِن أين أتى اليهود بفكرة أن الله يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَ إنساناً من النار؟ حاول بعضُ الباحثين أن يجيبوا على هذا السؤال(4148). أما نحن فلقد قلنا فيما سبق إن الفكرة موجودة في الإصحاح الثالث مِن سفر دانيال، فهي إذن ليست فكرة جديدة.

ومِن الجدير بالذِكر فى هذا السياق أن فكرة أن الله يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَ إنساناً "مِنَ النَّار" (العنكبوت 24) (الأنبياء 69) أو من "الْجَحِيمِ" (الصافات 97) فكرة قديمة جداً، فهي موجودة في قصيدة سومرية قديمة اسمها

"جلجامش وأنكيدو والجحيم" (أو: "جلجامش وأنكيدو وعالم الموتى") (Gilgamesh, Enkidu, and the Netherworld) (Gilgamesh, Enkidu et les Enfers)[4149]. إذ تقول هذه القصيدة السومرية إن "أنكيدو" (Enkidu) حُبِس في الجحيم (أو عالم الموتى) ولم يستطع الصعود إلى الأرض. فأراد "جلجامش" (Gilgamesh) أن يُخرجه، فذهب إلى الإله "أنليل" (Enlil) طالباً المساعدة، ولكن أنليل لم يستجب. فذهب جلجامش إلى الإله "إنكى" (Enki) الذى أمر بدوره إله الشمس "أوتو" (Utu) أن يفتح ثقباً فى سقف الجحيم حتى يستطيع أنكيدو أن يخرج ويعود إلى الأرض. أطاع الإلهُ أوتو الأمرَ وبالفعل فتح الثقب فظهر خيال أنكيدو أمام جلجامش. وفى نهاية القصيدة، يسأل جلجامش أنكيدو عن ما رآه فى الجحيم! ومشهد لقاء جلجامش وصديقه أنكيدو في نهاية الأسطورة السومرية يذكِّرنا على الفور بمشهد لقاء لوط وعمه إبراهيم في نهاية الأسطورة القرآنية: "وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 71) "فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (العنكبوت 26).

إذن: التطور البشري الطبيعي (natural human development) وحده هو الذي يستطيع أن يفسر نشأة القصص القرآنية، سواء اعتماداً على تراث الديانات غير الإبراهيمية (مثلاً: السومرية القديمة) أو اعتماداً على تراث الديانات الإبراهيمية (مثلاً: اليوبيلات وفيلو المنحول والمدراش).

أولاً: تراث ديانات وحضارات الشرق الأوسط القديم؛ ثم التراث اليهودي؛ ثم التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)؛ ثم القرآن العربي كلام بشر 100%.

4.13.5 الخلاصة

الجدول التالي يُلخِّص ما قلناه عن علاقة القرآن بالأساطير الإسرائيلية/اليهودية القديمة فيما يتعلق بقصة تحطيم إبراهيم للأصنام ونجاته مِن النار. يتضح مِن هذا الجدول أن قصة تحطيم إبراهيم للأصنام هى أصلاً أسطورة إسرائيلية/يهودية قديمة (إسرائيليات) تم تأليفها فى القرون السابقة للميلاد فى كتاب اليوبيلات. أما "معجزة" نجاة إبراهيم من النار فهى مجرد إضافة مِن بين إضافات أخرى كثيرة أُدخِلت على الأسطورة الإسرائيلية/اليهودية الأصلية فى القرون الأولى للميلاد: أولاً فى كتاب فيلو المنحول، ثم بعد ذلك فى كتاب المدراش اليهودى "التكوين ربَّاه" (Genesis Rabbah)، وأخيراً في كتاب القرآن العربي برواياته المكية الثلاث المختلفة.

جدول 13 – تطور قصة تحطيم إبراهيم للأصنام ونجاته مِن النار: مِن الأساطير اليهودية إلى الروايات القرآنية المختلفة

<table dir="rtl">
<tr><th colspan="2" rowspan="2"></th><th colspan="2">إبراهيم يحطم الأصنام</th><th rowspan="2">إبراهيم ينجو من النار</th></tr>
<tr><th>"إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ"</th><th>بدون "إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ"</th></tr>
<tr><td colspan="2">القرن الثانى قبل الميلاد: الفصل 12 مِن كتاب اليوبيلات</td><td></td><td>√</td><td></td></tr>
<tr><td colspan="2">القرن الأول بعد الميلاد: الفصل 6 مِن كتاب فيلو المنحول</td><td></td><td></td><td>√</td></tr>
<tr><td colspan="2">القرن الخامس بعد الميلاد: الفصل 13:38 مِن كتاب المدراش "التكوين ربَّاه" (Genesis Rabbah)</td><td>√</td><td></td><td>√</td></tr>
<tr><td rowspan="3">القرن السابع بعد الميلاد: القرآن كلام العرب</td><td>الرواية الأولى: (الصافات 83-99)</td><td></td><td>√</td><td>√</td></tr>
<tr><td>الرواية الثانية: (الأنبياء 51-71)</td><td>√</td><td></td><td>√</td></tr>
<tr><td>الرواية الثالثة: (العنكبوت 16-26)</td><td></td><td></td><td>√</td></tr>
</table>

نتمنى أن تكون الاختلافات بين النصوص اليهودية – النص الأقدم (كتاب اليوبيلات) والنصين الأحدث (كتاب فيلو المنحول وكتاب المدراش) – دليلاً مقنعاً للمسلمين على أنه بإمكان العقل البشري أن يأخذ قصة معينة ثم يدخل على أحداثها بعض التغييرات بالحذف و/أو الإضافة لكى يصنع قصة جديدة. لكن تظل هذه القصة الجديدة مستوحاة مِن القصة الأصلية – أو على الأقل متأثرة بها. أو بعبارة أخرى: القصة الجديدة مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للقصة القديمة.

وهذا بالضبط ما فعله أصحابُ القرآن: سمعوا هذه الأساطير وأدخلوا على أحداثها بعض التغييرات بالحذف و/أو الإضافة. هذا هو أكثر تفسير منطقي وعقلاني للاختلافات بين القصص في النصوص الأقدم (التراث الديني لديانات الشرق الأدنى القديم) ومثيلاتها في النص الأحدث (القرآن العربي). وإنما قصص القرآن هي مجرد تطور بَشري طبيعي للقصص التي توارثتها الأجيال عبر مئات السنين قبل ظهور الإسلام. أي انسان عنده قُدرة على الخيال يقدر يعمل كده. الموضوع مش محتاج وحي مِن الله، ولا حتى محتاج قُدرة على القراءة والكتابة؛ فقط قُدرة بسيطة على الخيال تكفي. فإنْ قلتم إن هذه الاختلافات دليل على أن القرآن مِن عند الله، سيترتب على ذلك أن تقولوا إن الأساطير اليهودية في كتاب اليوبيلات وكتاب فيلو المنحول والمدراش أيضاً مِن عند الله! ولا نعتقد أن مسلماً عاقلاً يقبل بذلك.

السؤال الآن موجه لكل مسلم عاقل: هل ما زلت مقتنعاً أن القرآن كلام الله؟! أعتقد أن هذا الفصل وحده يكفي كدليل قاطع يثبت أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله. وذلك لأن الله لا يمكن أن يلجأ إلى الأساطير اليهودية لكي يُقدِّم نفسه إلى البشرية. بل إن هذا الفصل يكفي أيضاً كدليل قاطع على تعدد مصادر القرآن،

وأن تأليف القرآن كان عملاً جماعياً اشترك فيه أكثر مِن شخص: صاحب الرواية القرآنية الأولى (الصافات 83-99) كان متأثراً أكثر بكتاب اليوبيلات، وصاحب الرواية القرآنية الثانية (الأنبياء 51-71) كان متأثراً أكثر بكتاب المدراش (Genesis Rabbah)، أما صاحب الرواية القرآنية الثالثة (العنكبوت 16-26) فكان متأثراً أكثر بكتاب فيلو المنحول. انظر الجدول السابق. هذا هو أكثر تفسير منطقي وعقلاني للاختلافات بين الروايات القرآنية المتعددة للقصة الواحدة: القرآن ثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر من شخص. فصاحب كل رواية قرآنية يعبر عن التقاليد اليهودية/المسيحية (الإسرائيليات) التي وصلت إليه، وطبعاً يضع عليها بصمته العربية/الإسلامية. وبخاصة صاحب رواية سورة العنكبوت الذي وضع بصمته الإسلامية/العربية (العنكبوت 18-23) في قلب قصة إبراهيم (العنكبوت 16-17) (العنكبوت 24-26)!

كنا زمان نظن أن كتب التفسير فقط هي التي فيها "إسرائيليات". أما الآن فعلينا جميعاً أن نعترف بأن القرآن نفسه – وليس كتب التفسير فقط – قد تأثر بتراث بني إسرائيل: كتاب اليوبيلات ثم كتاب فيلو المنحول ثم المدراش اليهودي ثم القرآن العربي! وكلهم كلام بشر.

باختصار: كتاب اليوبيلات منتج بشري ... منتج ثقافي (cultural artifact) ... منتج أدبي.

كتاب فيلو المنحول منتج بشري ... منتج ثقافي (cultural artifact) ... منتج أدبي.

المدراش اليهودي منتج بشري ... منتج ثقافي (cultural artifact) ... منتج أدبي.

والقرآن العربي أيضاً منتج بشري ... منتج ثقافي (cultural artifact) ... منتج أدبي. بل ليس من المبالغة أن نقول إن القرآن هو مجرد مدراش مكتوب بلغة العرب في القرن السابع الميلادي.

4.14 بدويّة إبْرَاهِيمَ ... وَامْرَأَتُهُ العجوز قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ: لماذا ضَحِكَتْ؟!

بعد ذلك تقول القصة الموروثة إن إبراهيم ولوط انفصلا، فعاش إبراهيمُ حياةً بدوية بينما استقر لوطٌ في المدينة. عاش إبراهيمُ حياةً بدوية في خيمة في كنعان (حالياً: إسرائيل/فلسطين) بينما استقر لوطٌ في بيت في مدينة زراعية خصبة (قرية) تقع على الحدود الشرقية لأرض كنعان. إلا أن كل واحد منهما كان على موعد مهم مع ملائكة الله الواحد "الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ" (البقرة 258) ...

"ضَيْف إبراهيم" (Abraham's guests) هو التعبير الذي استخدمه أصحابُ القرآن للإشارة إلى الرسل (أي: الملائكة)[4150] الذين جاءوا في صورة شُبان حِسَان وزاروا إبراهيمَ ليبشّروه بأن زوجته سارة (Sarah) سوف تلد له إسحاق[4151] (Isaac) وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ[4152] (Jacob)، وأخبروا إبراهيمَ أيضاً بهلاك قوم لوط[4153] (Lot) وامرأته، ثم اجتازوا ذاهبين إلى قوم لوط ليُهلِكُوهُم ويُهلِكُوا امرأته عقاباً لهم على كُفْرهم وممارسة "المثلية الجنسية" (homosexuality) وأشياء أخرى. إنها إذن قصة قرآنية تمزج بين إبراهيم ولوط ابن أخيه، أو بعبارة أكثر دقة: تبدأ بآل إبراهيم الذين باركهم اللهُ وأنعم عليهم بالنسل والذرية، ثم في المقابل تنتقل إلى قوم لوط الذين استأصلهم اللهُ ودمَّرهم بحجارةٍ نزلت عليهم مِن السماء! إذن: الرسالة إلى إبراهيم كانت رسالة حياة، أما الرسالة إلى لوط فكانت رسالة موت. الرسالتان مختلفتان، لكنهما جاءتا من الله الواحد الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ. "إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ" (البقرة 258).

في هذا الفصل نركز على قصة ضيف إبراهيم، وفي الفصل التالي نركز على قصة هلاك قوم لوط.

كرر القرآنُ قصةَ ضيف إبراهيم أربع مرات! مما يجعلنا نتساءل: هل نحن أمام أربع روايات لنفس القصة؟ أم نحن أمام أربع قصص (أي: أربع زيارات قام بها الملائكة/الرسل لإبراهيم)؟! لا يمكن أن تكون هذه الروايات لأربع قصص، إذ لا يمكن أن يكون قوم لوط قد هلكوا أربع مرات. ولذلك تعتبرها المراجع الإسلامية قصةً واحدة هي "ضيف إبراهيم"[4154]. وروایاتها الأربع حسب الترتيب الزمني لسور القرآن[4155]:

<u>الرواية القرآنية الأولى (رواية سورة هود)</u> تذكر لوط وامرأته وتذكر امرأة إبراهيم أيضاً: وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (أي: مشويّ roasted) {69} فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ (أي: أنكر ذلك منهم؛ نفر منهم) وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ {70} وَامْرَأَتُهُ (أي: سارة امرأة إبراهيم) قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ {71} قَالَتْ [سارة] يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي (أي: زوجي إبراهيم) شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ {72} قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ (أي: أَهْلَ بَيْتِ النبوة) إِنَّهُ (أي: الله) حَمِيدٌ مَجِيدٌ {73}.

لم يعلق إبراهيمُ على البشارة بميلاد إسحاق ثم يعقوب! وإنما راح يجادل الرسلَ في شأن قوم لوط (أي: يحاول أن يلتمس الرحمةَ لقوم لوط)! **رواية سورة هود:** فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ (أي: الخوفُ

الذي انتابه لعدم أكل الضيوف/الملائكة الطعام) وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى [بميلاد إسحاق ثم يعقوب] يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ {74} إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ (أي: كثير الحلم لا يحب المعاجلة بالعقاب) أَوَّاهٌ (أي: كثير التضرع والدعاء إلى الله) مُنِيبٌ (أي: تائب يرجع إلى الله في أموره كلها) {75} [فقالت الملائكة/الرسل له:] يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا [الجدال] إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (أي: غير مصروف عنهم) {76}.

ثم تترك الروايةُ إبراهيمَ، وتركز بعد ذلك على هلاك قوم لوط ونجاة لوط وأهله مِن الهلاك إلا امرأته فقد هلكت (هود 77-83). وكما قلنا فيما سبق، سنذكر تكملةَ رواية سورة هود في الفصل التالي.

<u>الرواية القرآنية الثانية (رواية سورة الحجر)</u> تذكر لوط وامرأته فقط ولا تذكر امرأة إبراهيم!: وَنَبِّئْهُمْ [يا محمد] عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ {51} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (أي: خائفون لأننا لا نعرفكم من قبل؛ فزعون) {52} قَالُوا لَا تَوْجَلْ (أي: لَا تَخَفْ) إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (هو: إسحاق) {53} قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ {54} قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (أي: اليائسين) {55} قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ {56}.

ثم أخبر الرسل/الملائكة إبراهيمَ بهلاك قوم لوط وأن أهل لوط إلا امرأته سوف ينجون مِن هذا الهلاك. **رواية سورة الحجر:** قَالَ [إبراهيمُ لهم] فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ {57} قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (هُمْ: قوم لوط) {58} إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ {59} إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (أي: الهالكين؛ الباقين في العذاب) {60}.

ثم تترك الروايةُ إبراهيمَ، وتركز بعد ذلك على هلاك قوم لوط، ونجاة لوط وأهله من الهلاك (الحجر 61-77). وكما قلنا فيما سبق، سنذكر تكملةَ رواية سورة الحجر في الفصل التالي.

<u>الرواية القرآنية الثالثة (رواية سورة الذاريات)</u> تذكر امرأة إبراهيم فقط ولا تذكر لوط وامرأته!: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ {24} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (أي: غرباء لا نعرفكم) {25} فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ (أي: فذهب إِلَىٰ أَهْلِهِ في خفية من ضيوفه) فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ {26} فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ {27} فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (هو: إسحاق) {28} فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ (أي: في صرخة عظيمة ورنة؛ في صياح) فَصَكَّتْ وَجْهَهَا (أي: لطمت تعجباً؛ ضربت جَبهَتَها بيدها) وَقَالَتْ [كيف ألد وأنا] عَجُوزٌ عَقِيمٌ {29} قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ {30}.

ثم أخبر الرسل/الملائكة إبراهيمَ بهلاك **"قَوْمٍ مُجْرِمِينَ"** دون ذِكر اسم لوط! **رواية سورة الذاريات:** قَالَ [إبراهيمُ لهم] فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ {31} قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (أي: قد أجرموا لكفرهم

بالله؛ آثمين عاصين) {32} لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ [من السماء] حِجَارَةً مِّن طِينٍ {33} مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ [يا محمد] (أي: معلَّمة بعلامة مميزة غير حجارة الأرض!) لِلْمُسْرِفِينَ {34}.

ثم تترك الروايةُ إبراهيمَ، وتتحدث بعد ذلك باختصار عن هلاك هؤلاء القوم المجرمين، ونجاة شخص وأهله "الْمُسْلِمِينَ" "الْمُؤْمِنِينَ" من الهلاك (الذاريات 35-37)، وكل هذا دون ذِكر اسم لوط ولا امرأته! ومع ذلك، فإننا سنذكر تكملةَ رواية سورة الذاريات في الفصل التالي مع قصة هلاك قوم لوط.

وفي الواقع، توجد **رواية قرآنية رابعة (رواية سورة العنكبوت)** يمكن أن نضمها إلى الروايات القرآنية الثلاث السابقة، وإن ركَّزت هذه الرواية على هلاك قوم لوط أكثر من قصة ضيف إبراهيم لأن هلاك قوم لوط يتفق أكثر مع مضمون سورة العنكبوت وهو هلاك المذنبين[4156]. أما حديث هذه الرواية عن قصة ضيف إبراهيم، فجاء متقطعاً لأنها تمزج بشدة بين قصتي إبراهيم ولوط[4157]، فنجد أولاً آية تتحدث عن ميلاد إسحاق ثم يعقوب: "وَوَهَبْنَا لَهُ (أي: لإبراهيم) إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" (العنكبوت 27)، ثم تتحدث الرواية عن خطايا قوم لوط المتعددة وليس المثلية الجنسية فقط (العنكبوت 28-30)، ثم تعود الرواية إلى إبراهيم فتتحدث باختصار عن قصة ضيف إبراهيم الذين بشَّروا إبراهيمَ [بميلاد إسحاق ثم يعقوب]! "وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ. قَالَ [إبراهيمُ] إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" (العنكبوت 31-32)، ثم تعود الروايةُ مرة أخرى إلى قوم لوط فتتحدث عن هلاكهم وهلاك امرأة لوط (العنكبوت 33-35) وهو ما سندرسه بالتفصيل في الفصل التالي.

4.14.1 اختلاف الروايات القرآنية في الشخصيات والأقوال والأفعال وترتيب الأحداث!

قبل الحديث عن الجذور الدينية والتاريخية لقصة ضيف إبراهيم، يجب أن نتوقف قليلاً أمام الاختلافات الكثيرة بين هذه الروايات القرآنية الأربع.

ونبدأ بسؤال: هل رواية سورة الحجر تروي قصةَ ضيف إبراهيم كما زعم صاحبُها في آيته الأولى "وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ" (الحجر 51)؟ أو بعبارة أخرى أكثر شمولاً: هل رواية سورة الحجر تروي نفس القصة التي ترويها رواية سورة الذاريات "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ" (الذاريات 24) و/أو روايتا سورتي هود والعنكبوت "جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ" (هود 69) (العنكبوت 31)؟

الإجابة: لا. بدليل وجود اختلافات كثيرة بين هذه الروايات القرآنية الأربع سواء في الشخصيات أو الأقوال أو الأفعال أو ترتيب الأحداث!

ولنبدأ أولاً بالشخصيات. انظر الجدول التالي الذي يوضح الاختلافات بين الروايات القرآنية الأربع فيما يتعلق بذِكْر شخصيات الرواية الأربع (إبراهيم وامرأته ولوط وامرأته) والعجل. فكما نرى: لا توجد رواية قرآنية واحدة تتفق مع رواية أخرى في كل شيء!

جدول 14 – قصة ضيف إبراهيم: الاختلافات بين الروايات القرآنية الأربع فيما يتعلق بذِكْر الشخصيات والعجل!

اسم السورة	آيات الرواية	آيات تكملتها	إبراهيم	امرأة إبراهيم	لوط		امرأة لوط		العجل
					في الرواية	في تكملتها	في الرواية	في تكملتها	
هود	76-69	83-77	نعم	نعم	نعم	نعم	لا	نعم	نعم
الحجر	60-51	77-61	نعم	لا	نعم	نعم	نعم	لا	لا
الذاريات	34-24	37-35	نعم	نعم	لا	لا	لا	لا	نعم
العنكبوت	27؛ 32-31	30-28؛ 35-33	نعم	لا	نعم	نعم	نعم	نعم	لا

أهمية هذا الجدول هو أنه يكفي لاستنتاج ما يلي:

- كما قلنا فيما سبق، رواية سورة العنكبوت هي أكثر رواية ركَّزت على قصة هلاك قوم لوط، بدليل أنها ذكرت لوطاً مرتين على الأقل (مرة في الرواية نفسها ومرة في تكملتها)، وكذلك ذكرت امرأةَ لوط مرتين على الأقل (مرة في الرواية نفسها ومرة في تكملتها).
- رواية سورة الذاريات هي أكثر رواية ركَّزت على قصة ضيف إبراهيم، بدليل أنها ذكرت امرأةَ إبراهيم والعجلَ، بينما لم تهتم بذِكْر لوط ولا امرأته.
- توجد اختلافات مهمة بين روايتي سورتي هود والحجر: هل كانت امرأة إبراهيم موجودة أم لا؟ وهل كانت هناك مأدبة (عِجْل) أم لا؟ مما يجعلنا نقول إنهما ليستا روايتين لقصة واحدة، وإنما هُمَا روايتان لقصتين مختلفتين. أو بعبارة أكثر دقة: (هود 69-76) تطور بشري طبيعي لقصة معينة، بينما (الحجر 51-60) تطور بشري طبيعي لقصة أخرى؛ وأثناء التطور البشري الطبيعي، اقتربت هاتان الروايتان القرآنيتان حتى صارتا كما لو كانتا قصةً واحدة. والصفحات التالية ستؤكد صحة هذا الاستنتاج.

أما فيما يتعلق بالاختلافات بين الروايات القرآنية الأربع في الأقوال، فهي كثيرة. على سبيل المثال: رواية سورة هود هي الرواية القرآنية الوحيدة التي وضعت اسمَ الغلام المُبشَّر به (إسحاق) على لسان الرسل/الملائكة، بل هي أيضاً الرواية القرآنية الوحيدة التي وضعت بشارةً أخرى على لسان الرسل/الملائكة وهي البشارة بأن مولود ذكر آخر اسمه يعقوب سيأتي "مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ"! "وَامْرَأَتُهُ (أي: سارة امرأة إبراهيم) قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" (هود 71)! أسئلة تطرح نفسها: هل ذكر الرُسل اسمَ إسحاق أم لم يذكروه؟! وهل البشارة كانت بإسحاق فقط أم بإسحاق ويعقوب؟! وما معنى أن تُبشَّر سارةُ بأن يعقوب سيأتي "مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ"؟! فهل كان صاحب (هود 71) يظن أن يعقوب أخو إسحاق الأصغر؟! مِن المحتمل، وبخاصة إذا عرفنا أن القرآن المكي قال 4 مرات "وَهَبْنَا لَهُ (أي: لإبراهيم) إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" بدون ذِكر اسم إسماعيل (الأنعام 84) (مريم 49) (الأنبياء 72) (العنكبوت 27)!

لكن في هذا الموضع تحديداً (هود 71) يبدو لنا أن السبب الذي جعل صاحبَ رواية سورة هود يضع اسمَ "يعقوب" في هذا الموضع بالذات (هود 71) هو على الأرجح الحفاظ على السجع (rhyme)، أي الحفاظ على الحرف قبل الأخير (penultimate)[4158] في فواصل آيات سورة هود كما يوضح الجدول التالي:

جدول 15 – الحرف قبل الأخير (ياء أو واو) في فواصل آيات سورة هود

الآيات	الحرف قبل الأخير: ياء	الحرف قبل الأخير: واو
هود 52-55	مجرمين. مُؤْمِنِين.	تشركون. تُنظِرُون.
هود 56-60	مستقيم. حفيظ. غليظ. عنيد.	هود.
هود 61-65	قريب مجيب. مريب. تخسير. قريب.	مكذوب.
هود 66-68	العزيز. جاثمين.	ثمود.
هود 69-71	حنيذ.	لوط. يعقوب.
هود 72-74	عجيب. حميد مجيد.	لوط.
هود 75-76	منيب.	مردود.
هود 77-82	عصيب. رشيد. نريد. شديد. قريب.	منضود.
هود 83-90	بَعِيد. محيط. مفسدين. حَفِيظ. الحليم الرشيد. أُنِيب. بَعِيد.	ودود.

إذن: لو كان صاحب رواية سورة هود ختم كلامَه في (هود 71) باسم "إسحاق"، لكان ذلك أحدث نشازاً، إذ أن الحرف قبل الأخير في "إسحاق" هو الألف، وليس الياء أو الواو. ولذلك اضطر صاحبُ رواية سورة هود إلى أن يختم كلامَه باسم "يعقوب". أي أن سبب وجود اسم "يعقوب" صراحةً في (هود 71) هو سبب بلاغي محض. لم يكن اسم "يعقوب" جزءاً مِن البشارة. وهذا يؤكد لنا أن (هود 71) ليست كلامَ الله، إذ لا يُعقَل أن يغيّر اللهُ في أحداث القصة لمجرد أنه أراد أن يحافظ على سجع الجمل (فواصل الآيات)!

أما فيما يتعلق بالقراءات المختلفة لـ (هود 71)، فإن في قراءة عبد الله ابن مسعود: "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وهُوَ جَالِسٌ"[4159]، وفي رواية أخرى "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وهُوَ قَاعِدٌ"[4160]. سؤال للمسلمين الذين يؤمنون بما يُسمَّى "اللوح المحفوظ": أيهما مكتوب منذ الأزل في اللوح المحفوظ "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ" أم "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وهُوَ جَالِسٌ" أم "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وهُوَ قَاعِدٌ"؟!

مثال آخر على الاختلافات بين الروايات القرآنية الأربع: رواية سورة هود هي الرواية الوحيدة التي تقول إن سارة ضحكت: "وَامْرَأَتُهُ (أي: سارة امرأة إبراهيم) قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 71). أما الرواية الثالثة فلم تقل إن سارة ضحكت وإنما قالت: "فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ (أي: في صرخة عظيمة ورنة؛ في صياح) فَصَكَّتْ وَجْهَهَا (أى: فضربت وجهها بيدها)" (الذاريات 29). سؤال: هل سارة ضحكت (هود 71)؟ أم صرخت ولطمت (الذاريات 29)؟ ممكن واحد مسلم ناصح يقول إن سارة ضحكت أولاً ثم سمعت البشارة بإسحاق فصاحت ولطمت. الرد: قد نقتنع بهذا الرأي لو كنا نتحدث عن كتاب قصص عادي أو (Puzzle game)، أما إذا كنا نتحدث عن كتاب يُفترَض أنه مِن عند الله، فلا يمكن أن نقتنع بمثل هذه التبريرات الواهية. وحتى لو اقتنعنا بها، فتوجد اختلافات أخرى مثل: هل سارة قالت "يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" (هود 72)؟ أم قالت "عَجُوزٌ عَقِيمٌ" (الذاريات 29)؟ وماذا كان رد الرُسل عليها؟ هل قالوا "أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ" (هود 73)؟ أم قالوا "كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ" (الذاريات 30)؟ وماذا عن رواية سورة الحجر التي لم تذكر سارة إطلاقاً؟!

ولعل أهم اختلاف بين الروايات القرآنية هو اختلاف في ترتيب الأحداث! نعم، ترتيب الأحداث مختلف: روايتا سورتي الحجر والذرايات استخدمتا تعبير "ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ" (الحجر 51) و (الذاريات 24)، واتفقتا أن ضيف إبراهيم قالوا له "لَا تَخَفْ" (الذاريات 28) أو "لَا تَوْجَلْ" (الحجر 53)، ثم بعد ذلك مباشرةً في نفس الآية بشروه بغلامٍ عليمٍ (الذاريات 28) و (الحجر 53) بدون ذِكر اسمه، لكن نحن نعلم أنه إسحاق: "فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ" (الذاريات 28). ثم سألهم إبراهيمُ "فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ" (الذاريات 31) و (الحجر 57)، فردوا عليه فى الآية التالية قائلين: "إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ" أى قوم لوط (الذاريات 32) و (الحجر 58). أما رواية سورة هود فلم تستخدم تعبير "ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ" وإنما قالت "رُسُلُنَا" (هود 69)، وأعطت ترتيباً مغايراً للأحداث، إذ أن الرسل قالوا أولاً لإبراهيم "لَا تَخَفْ" (هود 70) ثم بعد ذلك مباشرةً فى نفس الآية قالوا له "إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ" (هود 70) بدون أن يسألهم إبراهيم "مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ"! ولم تأتِ البشارة بميلاد إسحاق إلا بعد ذلك: "وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ. وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 70-71).

احتار المفسرون المسلمون في تبرير هذه الاختلافات، كما احتاروا في تبرير ضحك سارة "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ" (هود 71). فلماذا ضَحِكَتْ؟! بصراحة، لا يوجد أي مبرر منطقي لضحكها، وبخاصة أنها – حسب القرآن – ضَحِكَتْ قبل سماع البشارة بميلاد إسحاق! يقول القرآنُ: "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 71)؛ ومن المعلوم أن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب مع السرعة! إذن: سارة ضحكت أولاً، وبعد ذلك جاءتها البشارة بميلاد إسحاق؛ فلماذا ضحكت؟! لا توجد إجابة منطقية في القرآن. فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هي – كالعادة – حيرة المفسرين المسلمين وتخبطهم. فلقد احتاروا واحتاسوا في السبب

الذي يجعل سارة تضحك قبل أن تسمع البشارة! واعترف إمامُ المفسرين الطبري بهذا الاختلاف قائلاً: "اِخْتَلَفَ أَهْل التَّأْوِيل فِي مَعْنَى قَوْله: "فَضَحِكَتْ"، وَفِي السَّبَب الَّذِي مِنْ أَجْله ضَحِكَتْ"[4161]. ولا يتسع المجال هنا لذِكر كل ما جاء في كتب التفسير، ولذلك فسنكتفي بإعطاء بعض الأمثلة التي توضِّح مدى الحيرة والتخبط الذي عانى منه المفسرون القُدامى والمحدثون في تفسير (هود 71)، مع تعليقات من عندنا بين القوسين [].

- قيل إن "مَعْنَى قَوْله: "فَضَحِكَتْ" فِي هَذَا الْمَوْضِع: فَحَاضَتْ"[4162]. [تعليقنا: خيال واسع جداً! وكالعادة، نجد الرأي المناقض في مراجع إسلامية وعربية أخرى تقول: "أَنْكَرَ بَعْض اللُّغَوِيِّينَ أَنْ يَكُون فِي كَلَام الْعَرَب ضَحِكَتْ بِمَعْنَى حَاضَتْ. وَقَالَ الْجُمْهُور: هُوَ الضَّحِك الْمَعْرُوف، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ"[4163].]
- قيل إن سارة "ضَحِكَتْ الضَّحِك الْمَعْرُوف، تَعَجُّبًا مِنْ أَنَّهَا وَزَوْجهَا إِبْرَاهِيم يَخْدُمَانِ ضِيفَانهمْ بِأَنْفُسِهِمَا، تَكْرِمَة لَهُمْ، وَهُمْ عَنْ طَعَامهمْ مُمْسِكُونَ لَا يَأْكُلُونَ"[4164]. [تعليقنا: سبب ضعيف جداً.]
- قيل إن سارة "ضَحِكَتْ مِنْ أَنَّ قَوْم لُوط فِي غَفْلَة وَقَدْ جَاءَتْ رُسُل اللَّه لِهَلَاكِهِمْ"[4165]. أي: ضَحِكَتْ اسْتِبْشَارًا بِهَلَاكِ قوم لوط. ويبدو لنا أن الطبري وابن كثير يميلان إلى هذا الرأي. وفي مختصر لتفسير الطبري: ""فَضَحِكَتْ" تعجباً من خدمتها، وخدمة زوجها للأضياف إكراماً لهم، وَهُمْ ممسكون عن أكل طعامها. وقيل: ضحكت، من أن قوم لوط في غفلة؛ وقد جاءت رسل الله بإهلاكهم"[4166]. [تعليقنا: ليس من المنطقي أن تضحك سارة لهلاك قومٍ ما مهما كان كفرهم أو عنادهم أو حتى فسادهم! إذا كان إبراهيم النبي التمس الرحمةَ لهم كما جاء في نفس الرواية "يُجَادِلُنَا [إبراهيمُ] فِي قَوْمِ لُوطٍ" (هود 74)، فكيف تفرح سارة لهلاكهم؟! وبخاصة أن لوط (ابن أخي إبراهيم) قد يهلك هو أيضاً، فراوية سورة هود لم تذكر أن الملائكة قالوا لإبراهيم وسارة إن لوط سينجو مِن الهلاك. تقول الرواية: "قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ. وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 70-71).]
- قيل إن سارة "ضَحِكَتْ ظَنًّا مِنْهَا بِهِمْ أَنَّهُمْ (أى: رُسُل اللَّه) يُرِيدُونَ عَمَل قَوْم لُوط." أو "ضَحِكَتْ لَمَّا رَأَتْ بِزَوْجِهَا إِبْرَاهِيم مِنْ الرَّوْع"[4167]. [تعليقنا: سببان مضحكان! ولقد ذكر ابنُ كثير هذين الرأيين ووصفهما أنهما "ضعيفان جداً"، إلا أنه ختم كلامَه بالعبارة الإسلامية الشهيرة "الله أعلم"[4168].]
- قيل إن سارة "ضَحِكَتْ حِين بُشِّرَتْ بِإِسْحَاق، تَعَجُّبًا مِنْ أَنْ يَكُون لَهَا وَلَدٌ عَلَى كِبَر سِنّهَا وَسِنّ زَوْجهَا"[4169]. [تعليقنا: هذا سبب منطقي، بل هو السبب المنطقي الوحيد الذي يجعل سارة تضحك. ومِن المؤكد أن مَن قاله قد سمع القصةَ التوراتية الأصلية التي تقول (كما سنرى بعد قليل) إن سارة جاءتها البشارة بميلاد إسحاق أولاً ثم ضحكت. لكن المشكلة هي أن هذا الرأي المنطقي يتعارض مع ترتيب الأحداث في القرآن الذي يقول "فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ"، أي: سارة ضحكت أولاً ثم جاءتها البشارة بميلاد إسحاق. ولذلك اعترض ابنُ كثير على هذا الرأي المنطقي التوراتي فقال: "هَذَا مُخَالِف لِهَذَا السِّيَاق [القرآني]، فَإِنَّ الْبِشَارَة صَرِيحَة مُرَتَّبَة عَلَى ضَحِكهَا"[4170]. ولا يمكن هنا أن نلجأ إلى حيلة "التقديم والتأخير" لأن القرآن لم يقل "وَضَحِكَتْ وَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (بالواو)، وإنما قال "فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (بالفاء التى تفيد الترتيب والتعقيب مع السرعة). والصواب أن يقول: "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَبَشَّرْنَاهَا

بِإِسْحَاقَ فَضَحِكَتْ (أي: ضَحِكَتْ تعجباً مِن أن تلد وهي عجوز عقيم)"، فهذا ما يقوله العقل والمنطق وهذا أيضاً ما تقوله التوراة كما سنرى بعد قليل.]

- قيل إن سارة "ضَحِكَتْ سُرُورًا بِالْأَمْنِ مِنْهُمْ، لَمَّا قَالُوا لِإِبْرَاهِيم: "لَا تَخَفْ"، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ خَافَهُمْ، وَخَافَتْهُمْ أَيْضًا كَمَا خَافَهُمْ إِبْرَاهِيم. فَلَمَّا أَمِنَتْ ضَحِكَتْ، فَأَتْبَعُوهَا الْبِشَارَة بِإِسْحَاق"[4171]. أو: "أَنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَأْكُلُوا أَنْكَرَهُمْ [إبراهيم] وَخَافَهُمْ، فَلَمَّا قَالُوا: لَا تَخَفْ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ رُسُل الله، فَرِحَ بِذَلِكَ، فَضَحِكَتْ اِمْرَأَته سُرُورًا بِفَرَحِهِ"[4172]، أو: "سروراً بذهاب الخوف عن زوجها"[4173]. [تعليقنا: سبب ضعيف، لكنه على الأقل يعترف بأن القرآن يقول إن سارة ضحكت أولاً ثم بعد ضحكها جاءتها البشارة بميلاد إسحاق.]
- قيل "إن سارة ضحكت فعلاً تعجباً من البشارة التي تحققت، فقد أحست بالجنين يتحرك في بطنها"، أي أن سارة "شعرت بالحمل وبتحرك الجنين في بطنها"[4174]. [تعليقنا: سنعلم بعد قليل من أين جاء هذا الرأي!]
- قيل إن "كتب التاريخ" تقول إن سارة قالت لإبراهيم: ألا تضم لوط ابن اخيك إلى كنفك هنا؛ لأن قومه يوشك أن يعمهم الله بالعذاب. فعندما كانت سارة قائمة على خدمة الضيوف وسمعت أن الرسل إنما جاءت إلى قوم لوط، اطمأنت على أنه لا عذاب على قوم إبراهيم، وتحققت "فراستها" فضحكت فأزادها الله سروراً، وبشَّرتها الملائكة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب[4175]. [تعليقنا: "كتب التاريخ"؟! أي تاريخ؟ أين المصدر؟ مَن المؤرخ الذي قال ذلك؟ وهل كان معاصراً لإبراهيم؟ ولا أدري ما المقصود بـ "فراسة" سارة. هل يُعقَل أن تكون سارة قد تنبأت بعذاب قوم لوط بينما لم تستطع أن تتنبأ أنها هي شخصياً سوف تُرزَق بطفل؟! بل أنها تعجبت فوراً مِن البشارة و "قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" (هود 72) أو كما جاء في (الذاريات 29). هل هذا معقول؟!]
- "رُوِيَ أَنَّ الْمَلَائِكَة مَسَحَتْ الْعِجْل، فَقَامَ مِنْ مَوْضِعه، فَلَحِقَ بِأُمِّهِ، فَضَحِكَتْ سَارَة عِنْد ذَلِكَ، فَبَشَّرُوهَا بِإِسْحَاق"[4176]. [تعليقنا: ماقدرتش أمسك نفسي مِن الضحك!]
- "وَيَجُوز أَنْ يَكُون الضَّحِك: إِشْرَاق الْوَجْه، تَقُول: رَأَيْت فُلَانًا ضَاحِكًا، أَيْ: مُشْرِقًا، وَأَتَيْت عَلَى رَوْضَة تَضْحَك، أَيْ: مُشْرِقَة. وَفِي الْحَدِيث: "إِنَّ الله سُبْحَانه يَبْعَث السَّحَاب، فَيَضْحَك أَحْسَن الضَّحِك". جَعَلَ اِنْجِلَاءَهُ عَنْ الْبَرْق ضَحِكًا، وَهَذَا كَلَام مُسْتَعَار"[4177]. [تعليقنا: مجرد حيلة بلاغية.]
- قيل إن سارة "ضحكت لسرورها لنجاة لوط ابن أخي زوجها"[4178]. [تعليقنا: غير صحيح. لأن الملائكة – حسب ما جاء في الرواية الأولى (هود 69-73) – لم يقولوا لإبراهيم إن لوط سينجو وإنما قالوا فقط "لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ" (هود 70).]

يعنى عندنا على الأقل 11 تفسير مختلف لكلمة واحدة تتكون من 5 حروف "فَضَحِكَتْ"! يعني عدد التفاسير المختلفة أكثر من ضعف عدد حروف الكلمة! وتفسير واحد فقط منهم هو المنطقي والمعقول، لكنه

يتعارض مع القرآن! بصراحة نحن نشفق على المفسرين، لكن ماذا نقول؟! الغلطة ليست غلطتهم. الغلطة غلطة أصحاب القرآن، وتحديداً غلطة صاحب الرواية الأولى، فطبقاً لترتيب الأحداث في (هود 69-73) لا يوجد أي سبب منطقي يجعل سارة تضحك **قبل** أن تسمع البشارة بميلاد إسحاق، فكل مفسر يقول أي كلام حتى يبرر ما جاء في القرآن بأي طريقة وخلاص، اعتماداً على أن أحداً لن يتجرأ ويعترض؛ ومَن يعترض سيقولوا له "أنت مش فاهم" أو "أنت مش متخصص في تفسير القرآن" واحتمال يقولوا له "أنت كافر"!

نقول للمفسرين ولكل أحبائنا المسلمين: إن البشارة بإسحاق هي السبب المنطقي الوحيد الذي يجعل سارة تضحك. وهذا ما جاء في بعض كتب التفسير كما قلنا. وكان أكثرهم وضوحاً في رأينا هو الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور؛ والمدهش أنه بحث في التوراة (التكوين 18) – اللي بيقولوا عليها محرَّفة – ليجد تفسيراً منطقياً للقرآن! فلقد قال صراحةً: "وإنما ضحكت امرأة إبراهيم – عليه السلام – من تبشير الملائكة إبراهيم – عليه السلام – بغلام، وكان ضحكها ضحك تعجب واستبعاد. وقد وقع فى التوراة فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين "وقالوا له: أين سارة امرأتك؟ فقال: ها هى فى الخيمة. فقالوا: يكون لسارة امرأتك ابن، وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة فضحكت سارة فى باطنها قائلة: أفبالحقيقة ألد وأنا قد شِخت؟ فقال الرب: لماذا ضحكت سارة؟ فأنكرت سارة قائلة لم أضحك، لأنها خافت، قال: لا بل ضحكت". وتفريع "فبشّرناها بإسحاق" على جملة (ضحكت) باعتبار المعطوف وهو "ومن وراء إسحاق يعقوب" لأنها ما ضحكت إلا بعد أن بشّرها الملائكة بابن، فلما تعجبت من ذلك بشّروها بابن الابن زيادة فى البشرى"[(4179)].

وهذا ما جاء أيضاً – على الأقل ضمنياً – فى ترجمة Muhammad Pickthall التى تُترجِم (هود 71) كما يلي:

“And his wife, standing by, laughed when We gave her good tidings (of the birth) of Isaac, and, after Isaac, of Jacob.”[(4180)]

وترجمة أخرى إلى اللغة الفرنسية وضعت كلمة (lorsque) (أي: حين، when) بين قوسين لأنها ليست في النص القرآني لكنها ضرورية لتوضيح السبب الوحيد المنطقي الذي جعل سارة تضحك:

“Son épouse debout [derrière les stores de la tente] éclata de rire [lorsque] nous lui annonçâmes [la naissance] d’Isaac et celle de Jacob après lui.”[(4181)]

سؤال: ألم يكن من الأفضل أن يذكر القرآنُ قصةَ ضيف إبراهيم مرة واحدة فقط ويعطي الترتيب المنطقي للأحداث: "فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ فَضَحِكَتْ" وليس كما جاء في القرآن بصورته الحالية "فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 71)؟! ولكي نحافظ على الحرف قبل الأخير (ياء أو واو) في فواصل آيات سورة هود، كان ممكناً أن نقول: "فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ فَضَحِكَتْ وضحك إبراهيم". والأنسب أن توضع قصة ضيف إبراهيم في سورة إبراهيم.

وإنه لَمِن العجيب أنه على الرغم من كل هذه المشكلات التي يعاني منها القرآنُ ويعاني منها المفسرون بسبب تعدد الروايات القرآنية واختلافاتها، مازال كثير من المسلمين يقولون إن القرآن "معجزة"! فما هي المعجزة في أن تحكي قصةً بثلاث أو أربع روايات مختلفة، وتعطي ترتيباً غير منطقي للأحداث، وتتسبب في حيرة وتخبط المفسرين طوال أكثر مِن 1400 سنة؟! ما المعجزة في ذلك؟! إنه خير دليل على أن القرآن منتج بشري وثمرة عمل جماعي (fruit d'un travail collectif) اشترك فيه أكثر من شخص.

أما الأمر المثير للعجب فعلاً هو وجود اختلافات داخل الرواية القرآنية الواحدة، بل في نفس الآية! نعم. اقرأ مثلاً: "وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ" (هود 69). يعني: نفس الفعل "قال" + نفس الكلمة "سلام"، لكن مرة "قَالُوا سَلَامًا" منصوبة وفي نفس الآية "قَالَ سَلَامٌ" مرفوعة! فأيهما أصح: "سَلَامًا" الأولى المنصوبة؟ أم "سَلَامٌ" الثانية المرفوعة؟! وتكررت المشكلة مرة أخرى في رواية سورة الذاريات: "إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ" (الذاريات 25)! وطبعاً كالعادة، لجأ علماء اللغة العربية إلى حيل لتبرير هذا الاختلاف. على سبيل المثال، قال الزَّجَّاج في كتابه الشهير "معاني القرآن وإعرابه": ""قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ". وَقَالُوا سَلَامٌ، يُقْرَآنِ جَمِيعًا، فَأَمَّا قَوْلُهُ: "سَلَامًا" فَمَنْصُوبٌ عَلَى "سَلَّمْنَا سَلَامًا"، وَأَمَّا "سَلَامٌ" فَمَرْفُوعٌ عَلَى مَعْنَى: "أَمْرِي سَلَامٌ""[4182]! لا تعليق!

وتوجد مشكلة لغوية أخرى في رواية سورة هود، وهي "وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" (هود 72). فلماذا جاءت كلمة "شَيْخًا" منصوبة؟! أليس الأصح أن تكون مرفوعة "شَيْخٌ" كما جاءت كلمة "عَجِيبٌ" مرفوعة في نفس الآية وكما تعلمنا في حصص النحو في المدارس الابتدائية؟! لجأ الزَّجَّاج أيضاً إلى حيلة لغوية لتبرير نصب "شَيْخًا"، فقال: ""وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا" اَلْقِرَاءَةُ النَّصْبُ وَكَذَلِكَ هِيَ فِي الْمُصْحَفِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، وَالْحَالُ هَهُنَا نَصْبُهَا مِنْ لَطِيفِ النَّحْوِ وَغَامِضِهِ. [...]"[4183]!

لن نعلق على حيل الزجاج وغيره، وإنما سنترك عالِم اللغويات المعروف (Munther Younes) المتخصص في اللغة العربية ليعلق عليها[4184]:

> A meaningful linguistic account of these irregularities would have to look for explanations beyond those offered by al-Zağğāğ and the other grammarians whose approach lies within the *tafsīr* tradition rather than a sound linguistic framework with a clear and consistent set of rules. The standard practice of these grammarians when faced with violations of the rules they developed, which are numerous in the Qurʾān, was to invent "explanations" that did not meet the minimal standards of a coherent

linguistic analysis [and were sometimes quite far-fetched and completely unacceptable by sound methodologies of linguistic description].

Among the questions that a linguistic inquiry into these problems needs to address are: 1. Could these irregularities be the result of scribal errors? 2. What is the nature of the case system [يقصد: الإعراب؛ الرفع والنصب والجر]: was it as systematic when applied to the language of the Qurʾān as it became known and viewed later? 3. Does the accusative [أي: النصب] in words like شَيْخًا in the phrase وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا suggest a category in older forms of Arabic that is similar to the emphatic case in Syriac? An important phenomenon to remember in this regard is that the accusative case in singular, indefinite, masculine nouns is the only case involving singular nouns that is represented by a letter, and that letter is *alif*, the same as the Syriac emphatic case marker. The nominative [أي: الرفع] and genitive [أي: الجر] are marked by a diacritic. Compare شَيْخًا with شيخٌ , شيخٍ.

ونحن نتفق مع ما قاله عالِم اللغويات (Munther Younes) المتخصص في اللغة العربية. وكما سنرى بعد قليل، روايتا سورتي هود والذاريات متأثرتان فعلاً بالتراث السرياني. بعبارة أخرى: كتابة كلمتي "سَلَامًا" (هود 69) (الذاريات 25) و "شَيْخًا" (هود 72) بالألف في نهاية الكلمة مجرد بصمة سريانية تعطي إشارةً (hint; clue) للباحث لكي يبحث عن جذور الآيات القرآنية في التراث المسيحي السرياني وعلى قمته بالطبع المفكر المسيحي المبدع العملاق "إفرام السرياني" (Ephraem) (القرن الرابع الميلادي) الأب الروحي لأصحاب القرآن (القرن السابع الميلادي).

أما فيما يتعلق بالعجائب والغرائب التي نراها في إعراب القرآن وتفسير معانيه، فالمشكلة هي أنه لا توجد قواعد واضحة ومحددة وثابتة لإعراب القرآن ولا لتفسير معانيه، فكل شيخ من شيوخ الإسلام يبحث عن حيل لتبرير اختلافات القرآن ظناً منه أن هذه الحيل تحل المشكلة!

ولذلك فإننا ندعو جميع المسلمين أن يتركوا حيل التبرير التي لم تعد تنفع ويعترفوا بالحقيقة مهما كانت مُرة: إن كل هذه الاختلافات سواء في الشخصيات أو الأقوال أو الأفعال أو ترتيب الأحداث أو القراءات القرآنية، وكذلك التصرفات غير المعقولة مثل "فَضَحِكَتْ" قبل سماع البشارة بميلاد إسحاق (هود 71)، تؤكد أن القرآن منتج بشري. نعم، إن كل هذه الاختلافات (discrepancies) بين الروايات القرآنية هي في حد ذاتها دليل على أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله. القرآن نفسه يقول ذلك: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82)[4185]. ونحن وجدنا "اخْتِلَافًا كَثِيرًا" في القرآن. إذن: القرآن "مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ". بل إن هذه الاختلافات تدل أيضاً على أن القرآن ثمرة عمل جماعي: الشخص الذي روى روايةَ سورة الحجر غير الشخص الذي روى روايةَ سورة هود (والذاريات والعنكبوت). ودراستنا للجذور اليهودية والمسيحية السريانية لقصة ضيف إبراهيم ستؤكد ذلك أكثر.

4.14.2 مصادر قصة "ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ" مِن الكتاب المقدس

كما ألمحنا فيما سبق، قصة ضيف إبراهيم ليست قصة جديدة فهي معروفة قبل القرآن بمئات السنين وموجودة في التوراة. وسنعطي فيما يلي ترتيب أحداث القصة التوراتية الأصلية موضحين الآيات المناظرة في الروايات القرآنية المختلفة بعلامة [⟵] كما تعودنا.

حسب التوراة، توجد **بشارتان** صريحتان بميلاد إسحاق بن إبراهيم وسارة[4186].

البشارة الأولى (التكوين 17:15-22) كانت مِن الله وحده لإبراهيم وحده ولم تسمعها سارةُ امرأته، أي: حوار خاص بين الله وإبراهيم فقط، وبالطبع لم يكن فيها وليمة (عِجْل) ولا حتى ضيوف (زوار) آخرين غير الله **[⟵ (الحجر 51-56) حيث لا نجد امرأةَ إبراهيم ولا نجد العجل]**. تقول التوراة **(التكوين 17):** {15} وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «سَارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايَ، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ (أي: أميرة؛ رئيسة). {16} وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا **[⟵ "إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ" (الحجر 53)]**. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَمًا، وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ». {17} فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ [مِن التعجب و/أو الفرح] وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ **[⟵ وكذلك في رواية سورة الحجر، عبَّر إبراهيمُ عن دهشته في صيغة سؤال: "قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ" (الحجر 54)]** وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟». {18} وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!». {19} فَقَالَ اللهُ: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ **[⟵ تأكيد البشارة: "قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ" (الحجر 55)]**. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. {20} وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. {21} وَلكِنْ عَهْدِي [الأبدي] أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ». {22} فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ صَعِدَ اللهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ (أي: اختفى المنظر الذي ظهر به اللهُ أمام إبراهيم؛ ولم تحدد التوراة هذا المنظر فقد يكون سحابة أو نور أو أي منظر عظيم آخر).

أما البشارة الثانية (التكوين 18:1-15) فحدثت بعد البشارة الأولى بفترة وجيزة (قيل: 3 أيام؛ وقيل: أيام قليلة) وكانت مِن ثلاثة زوار لإبراهيم وسارة. أو بعبارة أكثر دقة: الرب نفسه ومَلاكان ظهروا في صورة ثلاثة رجال[4187] وزاروا إبراهيمَ في حضور سارة امرأته. ولأن الذين زاروا إبراهيم وسارة كانوا ثلاثة

أحدهما الرب، فإن هذه القصة تُعرَف في الفكر اليهودي والمسيحي باسم "الزوار الثلاثة" (The Three Visitors) أو "الزيارة الإلهية لإبراهيم" (The Divine Visitation to Abraham) أو "إبراهيم والملائكة الثلاثة" (Abraham and the Three Angels). ويُفهَم من السياق أن إبراهيم لم يكن يعلم أن زواره الثلاثة هُمْ الله وملائكته؛ فَهُمْ بالنسبة له مجرد ثلاثة زوار غرباء[4188] **[⟵ "قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (أي: غرباء لا نعرفهم)" (الذاريات 25)]**. ومع ذلك، فلقد كشفت هذه الزيارة عن طبيعة إبراهيم السخية جداً في العطاء، إذ عَمِلَ هو وسارة وليمةً عظيمة مِن أفضل ما لديهما (عِجْل وأشياء أخرى) لضيوفهما الكرام **[⟵ (هود 69-73) (الذاريات 24-30) حيث نجد امرأةَ إبراهيم ونجد العجل أيضاً]**. تقول التوراة **(التكوين 18):** {1} وَظَهَرَ لَهُ (أي: لإبراهيم) الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا (Oak of Mamre) [التي في حَبْرون][4189] وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، {2} فَرَفَعَ [إبراهيمُ] عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رجَال **[⟵ "رُسُلُنَا" (هود 69) (العنكبوت 31)[4190] "ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ" (الذاريات 24)]** وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، {3} وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ (أو: يا سادتِي)، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ (أي: لا يمكن أن تمروا عَلَيَّ بدون أن تبقوا عندي قليلاً). {4} لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، {5} فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ (أو كما نقول نحن اليوم من باب التواضع: لُقمة)، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ». {6} فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ **[⟵ "فَمَا لَبِثَ" (هود 69)]** إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ **[⟵ "فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ" (الذاريات 26)]**، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا (أي: دقيقاً فاخراً؛ fine flour). اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ (أي: فطيراً؛ cakes)». {7} ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا (أي: صغيراً؛ tender) وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ **[⟵ "فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (أي: مشويٍّ roasted)" (هود 69)؛ أما صاحب رواية سورة الذاريات فقال – تأثراً بالتوراة السريانية (البشيطا)[4191] وبإفرام السرياني[4192]: "فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ" (الذاريات 26)!**[4193]**]**. {8} ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ **[⟵ "فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ" (الذاريات 27)]**. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا **[⟵ جعلهم القرآنُ لا يأكلون: "رَأَىٰ [إبراهيمُ] أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ" (هود 70) "قَالَ [لهم] أَلَا تَأْكُلُونَ" (الذاريات 27)؛ وسنعلم بعد قليل سببَ هذا التغيير]**. {9} وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ» **[⟵ "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ" (هود 71)]**. {10} فَقَالَ [الربُّ]: «إِنِّي أَرْجعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ (أي: بعد حوالي سنة) وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ» **[⟵ "فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 71)[4194] "بَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ" (الذاريات 28)]**. وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً **[⟵ "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ" (هود 71)]** فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ. {11} وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ **[⟵ "عَجُوزٌ عَقِيمٌ" (الذاريات 29)]**. {12} فَضَحِكَتْ سَارَةُ **[⟵ "فَضَحِكَتْ" (هود 71)[4195]]** فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ، وَسَيِّدِي (أي: زوجي إبراهيم) قَدْ شَاخَ؟» **[⟵ وكذلك في رواية سورة هود، ظل إبراهيمُ صامتاً ولم يتعجب، لأنه كان قد سمع هذه البشارة مِن قبل (التكوين 17:16) (الحجر 53). أما سارة فتسمعها الآن**

للمرة الأولى، وعبَّرت عن دهشتها – بل شكها – في صيغة سؤال أيضاً وبنفس الترتيب التوراتي! "قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي (أي: زوجي إبراهيم) شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" (هود 72)؛ أما صاحب رواية سورة الذاريات فجعل المشهد أكثر دراما (حركة): "فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ" (الذاريات 29)] {13} فَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟ **[← "أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ" (هود 72)]** {14} هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ **[← وكذلك في رواية سورة هود، جاء العتابُ الإلهي في صيغة سؤال لكن موجَّه إلى سارة: "قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ" (هود 73)]** فِي الْمِيعَادِ أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ **[← "قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ" (الذاريات 30)]**». {15} فَأَنْكَرَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: «لَمْ أَضْحَكْ». لأَنَّهَا خَافَتْ. فَقَالَ: «لاَ! بَلْ ضَحِكْتِ».

في ضوء ما سبق، نستطيع أن نضع تصوراً لمراحل تطور الروايات القرآنية حسب الترتيب الزمني لسور القرآن (هود أولاً ثم الحجر ثم الذاريات ثم العنكبوت):

صاحب رواية سورة هود حكى روايته وهو متأثر إلى حد كبير بقصة الزوار الثلاثة المذكورة في التوراة (التكوين 18:1-15). يتضح ذلك من عدة أمور، مثل انفراده بمعلومة أن سارة "ضَحِكَتْ" (التكوين 18:12) (هود 71)، وتأكيده في أكثر من موضع على وجود الله في المشهد بدليل استخدامه ضمير المتكلم الجمع "فَبَشَّرْنَاهَا" (هود 71) وبعد ذلك "يُجَادِلُنَا" (هود 74) وليس ضمير الغائب الجمع "فبشروها" و "يجادلهم". وهذا يتفق مع التوراة، إذ أن البشرى جاءت مِن الرب (التكوين 18:10)، والمجادلة كانت أيضاً مع الرب (التكوين 18:22-33). ومع ذلك، أدخل صاحبُ رواية سورة هود بعضَ التغييرات على القصة التوراتية الأصلية مثل إضافة بشارة بميلاد يعقوب! "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" (هود 71)، ربما أراد أن يحافظ على الحرف قبل الأخير (ياء أو واو) في فواصل آيات سورة هود، و/أو تأثر بآيات توراتية أخرى تقول إن الله أكّد لإبراهيم أن إسحاق سيكون له ابن (لكن دون تحديد اسمه): "فَقَالَ اللهُ [لإبراهيم]: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ (أي: مع إسحاق) عَهْدًا أَبَدِيًّا **لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ**" (التكوين 17:19).

أما صاحب رواية سورة الحجر، فأخذ بشارةَ الله لإبراهيم التي لم تسمعها سارة (التكوين 17:15-22)، وأراد أن يدمجها مع قصة الزوار الثلاثة (وهلاك قوم لوط) في قصة قرآنية واحدة أسماها "ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ" (الحجر 51)! لكنه لم يذكر العِجل المذكور في رواية سورة هود! مما تسبب في مشكلة: كيف يكونوا "ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ" ولا يُقدِّم إبراهيمُ لهم شيئاً يأكلوه؟! بل كيف لا يرد إبراهيمُ عليهم السلامَ "إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ" (الحجر 52)؟!

أراد صاحبُ رواية سورة الذاريات أن يحل هذه المشكلة وأن يؤكد بالقوة أن القصة المذكورة في رواية سورة الحجر هي نفسها القصة المذكورة في رواية سورة هود. فماذا فعل صاحبُ رواية سورة الذاريات؟

- بدأ روايته بسؤال مُشوِّق: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ" (الذاريات 24). فمع أن القصة معروفة وقيلت في القرآن مِن قبل، إلا أن الرواي الآن يعلن عن بداية رواية ثالثة جديدة. وحرص على وصف ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ بكلمة "الْمُكْرَمِينَ" للتأكيد على كرم الضيافة الشرقي المعهود الذي أضاعه صاحبُ رواية سورة الحجر[4196].
- أخذ عناصر كثيرة مِن رواية سورة هود مثل: وجود امرأة إبراهيم، والعِجل الذي وصفه بقوله "عِجْلٍ سَمِينٍ" (الذاريات 26) تأكيداً مرة أخرى على كرم الضيافة الذي أضاعته رواية سورة الحجر و/أو تأثراً بالتوراة السريانية (البشيطا) وبإفرام السرياني كما قلنا، ثم قال بعدها مباشرةً إن إبراهيم "قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ" (الذاريات 27)، وعطف الأفعال بالفاء "فَرَاغَ [...] فَجَاءَ [...] فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ" في هاتين الآيتين (الذاريات 26-27) ليدل على السرعة وعدم الإبطاء في إكرام الضيف، أو كما قال صاحب رواية سورة هود: "فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ" (هود 69). كل هذا ليؤكد على كرم الضيافة الذي أضاعته رواية سورة الحجر. كما أخذ من رواية سورة هود أيضاً عبارات أخرى مثل رد السلام "قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ" (الذاريات 25) (هود 69)، و "أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ" (الذاريات 28) (هود 70)، و "مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ" (الذاريات 34) (هود 83).
- وأخذ عناصر كثيرة أخرى مِن رواية سورة الحجر مثل: اسم القصة "ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ" (الذاريات 24) (الحجر 51)، و "إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا" (الذاريات 25) (الحجر 52)، والبشارة "بِغُلَامٍ عَلِيمٍ" (الذاريات 28) (الحجر 53) بدون ذِكر اسمه، ونَص السؤال الذي قاله إبراهيمُ "قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ" (الذاريات 31) (الحجر 57)، ونَص الإجابة التي قالها الرسل/الملائكة "قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ" (الذاريات 32) (الحجر 58). كما ختم روايتَه بكلمتي "الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (الذاريات 37) المذكورتين قبل رواية سورة الحجر: "نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ" (الحجر 49-50).

إذن: رواية سورة الذاريات هي مجرد محاولة بشرية للتوفيق بين روايتي سورتي هود والحجر. وهذه ليست المرة الأولى التي يجمع فيها صاحبُ رواية قرآنية بين روايتين قرآنيتين سابقتين[4197]. ولأن تركيز صاحب الرواية الثالثة كان أساساً على إبراهيم وامرأته، لم يذكر اسمَ لوط ولا امرأته. وأخيراً وضع صاحبُ رواية سورة الذاريات بصمتَه الإسلامية على القصة بأن جعل النجاةَ لمَن اتصف بالإيمان والإسلام معاً: "فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (أي: يوحِّدون اللهَ ويعبدونه ويسلمون أنفسهم له)" (الذاريات 35-36)! وقال بعض المفسرين إن فى هذا دليل على أن الإيمان والإسلام شيء واحد! وقال

الشيخ عبد الجليل عيسى (من كبار علماء الأزهر في القرن العشرين الميلادي) إن المراد هو جمع الإسلام مع الإيمان "فالإيمانُ هو العقائد، والإسلامُ هو الأعمال كالصلاة والصيام ... الخ"[4198]. نحن إذن أمام عملية "أسلمة" واضحة حدثت للقصة في هذه المرحلة قبل الأخيرة.

أما صاحب رواية سورة العنكبوت، فتعمَّد أن يربط روايتَه برواية سورة هود؛ بدليل أنه استخدم نفس الجملة "جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ" (العنكبوت 31) (هود 69)، وذكر اسميّ إسحاق ويعقوب (العنكبوت 27) مثل (هود 71)، وأثنى على إبراهيم "وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" (العنكبوت 27) مثل "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ" (هود 75)، وجعل الملائكة/الرسل تخبر إبراهيمَ بهلاك قوم لوط بدون أن يسألهم إبراهيمُ وبدون استثناء لوط (العنكبوت 31) مثل (هود 70). إلا أن تركيز صاحب رواية سورة العنكبوت على قصة هلاك قوم لوط كان أكثر من تركيزه على قصة ضيف إبراهيم، فأعطانا معلومةً مهمة انفرد بها وهي مضمون "المجادلة" التي أبهمتها رواية سورة هود "يُجَادِلُنَا [إبراهيمُ] فِي قَوْمِ لُوطٍ" (هود 74) ولم تذكرها روايتا سورتي الحجر والذاريات. فكيف جادل إبراهيمُ الرسل/الملائكة؟ ماذا قال لهم؟ "قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا" (العنكبوت 32)، أي: كيف تهلكون قومَ لوط بلا استثناء وفيهم لوط النبي المؤمن البار[4199]؟! وهنا وضع صاحبُ رواية سورة العنكبوت رد الرسل/الملائكة: "قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ (أي: لوطاً) وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" (العنكبوت 32). وهو رد مختلف عن ردهم حسب رواية سورة هود: "يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ" (هود 76). وسنعلم بعد قليل سبب هذا الاختلاف. فكما سنرى، هذه "المجادلة" والرد عليها مستوحاة مِن تكملة قصة الزوار الثلاثة في التوراة (التكوين 18:16-33) ...

حسب التوراة، قام الزوار الثلاثة مِن عند إبراهيم وامرأته وتطلعوا نحو لوط وامرأته، أو بعبارة أكثر دقة: ذهبوا لتدمير المنطقة الخصبة التي كان لوطٌ يسكنها بعد أن انفصل عن عمه إبراهيم[4200]، وهي منطقة "سدوم" (Sodom) و"عمورة" (Gomorrah) التي لا يعرف أحدٌ مكانَها على وجه اليقين! لكن يُقال إنها تقع إما في جنوب شرق البحر الميت (Dead Sea) أو في جنوب غرب البحر الميت أو في شمال البحر الميت! وقيل إن موقع سدوم هو موقع "باب الذراع" (Bab edh-Dhra) في الجانب الجنوبي الشرقي للبحر الميت في المملكة الأردنية حالياً[4201]! وقال الشيخ عبد الجليل عيسى إن سدوم تقع "بشرق الأردُنِّ (يقصد: شرق نهر الأردن؛ Transjordan) قريباً من البحر الميت"؛ "والمشهود أن تلك القرى تحت الماء المعروف الآن ببحيرة لوط"[4202]! ويقول قاموس الكتاب المقدس: "تقع سدوم [مغمورة] تحت الماء اليوم في جنوب البحر الميت، وتجري المحاولات لكشف مكانها بواسطة الغواصين الذين يغوصون تحت الماء بمعداتهم الحديثة"[4203]! لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، ولم يُكتشَف حتى الآن أي دليل على وجود سدوم وعمورة[4204]! فلا يوجد أي دليل علمي واضح يؤيد رأياً معيناً فيما يتعلق بموقع سدوم وعمورة[4205]، ومِن ثم فإن كل ما يُقال في هذه المسألة هو مجرد تقاليد قديمة (ancient tradition). تقول دائرة المعارف

الكتابية: "وقد أجريت حفريات أثرية كثيرة في تلك المنطقة، ولكنها لم تسفر حتى الآن عن دليل حاسم لتحديد موقع سدوم وعمورة."[4206]!

وعلى الرغم من تضارب الأقاويل والتكهنات والآراء والتخمينات حول موقع منطقة سدوم وعمورة، فإنها تتفق على أنها بعيدة جداً عن حَبْرون إذ "تقع على بعد نحو 25 ميلاً"[4207] (أي: أكثر من 40 كيلومترا!) وأنها تقع على الحدود الشرقية لأرض كنعان (إسرائيل/فلسطين) (التكوين 19:10، 11:13)؛ أي: في أراضي الوثنيين (الأمم، الأغيار). إذن: بغض النظر عن ما إذا كانت قصة تدمير سدوم وعمورة **[⟵ قصة هلاك قوم لوط]** قصة حقيقية أم خيالية أم مزيجاً من الحقيقة والخيال، وبغض النظر عن ما إذا كان هذا التدمير/الهلاك قد حدث كعقاب إلهي كما تزعم التوراةُ والقرآن أم مجرد ظاهرة طبيعية (حرائق مثلاً)، فإنه من الواضح أن كاتب التوراة (التكوين 18-19) كان يرى أن المثلية الجنسية مرتبطة بالوثنية، أو بعبارة أكثر جراة: كان يرفض المثليةَ الجنسية لأنها كانت آنذاك مرتبطة بالوثنية؛ ومِن حُسْن الحظ أن التوراة نفسها تعترف بذلك: "وَلاَ تُضَاجِعْ ذَكَرًا مُضَاجَعَةَ امْرَأَةٍ. إِنَّهُ رِجْسٌ. [...] لأَنَّ جَمِيعَ هذِهِ الرِّجْسَاتِ قَدْ عَمِلَهَا أَهْلُ الأَرْضِ [الوثنيين] الَّذِينَ قَبْلَكُمْ فَتَنَجَّسَتِ الأَرْضُ. فَلاَ تَقْذِفُكُمُ الأَرْضُ بِتَنْجِيسِكُمْ إِيَّاهَا كَمَا قَذَفَتِ الشُّعُوبَ [الوثنية] الَّتِي قَبْلَكُمْ" (اللاويين 18:22-28)؛ "وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطِجَاعَ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلاَ كِلاَهُمَا رِجْسًا. إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا. [...] وَلاَ تَسْلُكُونَ فِي رُسُومِ الشُّعُوبِ [الوثنية] الَّذِينَ أَنَا طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ. لأَنَّهُمْ قَدْ فَعَلُوا كُلَّ هذِهِ، فَكَرِهْتُهُمْ" (اللاويين 20:13-23). وكذلك في القرآن، فإن خير دليل قرآني على أن مثلية قوم لوط كانت مرتبطة بكفرهم هو الآيتان السابقتان من رواية سورة الذاريات: "فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ [واحد] مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (الذاريات 35-36)، أي أن معظم أهل المدينة أو كلهم تقريباً كانوا وثنيين مشركين كُفار. ويوجد دليل قرآني آخر وهو هلاك امرأة لوط، فلقد هلكت لأنها كافرة أو منافقة (موالية للكفار) وليس لأنها مثلية: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا (أي: خيانةً روحية؛ خَانَتَاهُمَا في الدين، فقد كانتا كافرتين أو منافقتين) فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (أي: مع الشيطان إبليس والْكُفَّار وَالْمُنَافِقِين)" (التحريم 10).

وكل هذه الأفكار والمعتقدات القديمة لا تنطبق إطلاقاً على المثلية الجنسية اليوم، فلا توجد الآن أي علاقة بين الكفر/الوثنية والمثلية الجنسية. فالمثلية الجنسية اليوم مختلفة تماماً عن المثلية الجنسية أيام لوط (بفرض أنه شخصية حقيقية تاريخية)[4208].

ومِن الجدير بالذكر أيضاً أن التوراة تقول إن منطقة سدوم وعمورة كانت قبل خرابها خصبةً "جَمِيعَهَا سَقْيٌ (well watered every where)، [...]، كَجَنَّةِ الرَّبِّ، كَأَرْضِ مِصْرَ" (التكوين 10:13). فَمِن المحتمل جداً أن تكون قصة تدمير سدوم وعمورة **[⟵ قصة هلاك قوم لوط]** مجرد حلقة مِن حلقات مسلسل حِقْد العبرانيين البدو الرعاة على أهل المدن الزراعية الخضراء الخصبة[4209].

تكملة قصة الزوار الثلاثة. (التكوين 18): {16} ثُمَّ قَامَ الرِّجَالُ (أي: الزوار الثلاثة) مِنْ هُنَاكَ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سَدُومَ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مَاشِيًا مَعَهُمْ لِيُشَيِّعَهُمْ (أي: لِيُوَدِّعَهُمْ)[4210]. {17} فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ، {18} وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ **[← "وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" (العنكبوت 27)]** {19} لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ **[← "ذُرِّيَّتِهِ" (العنكبوت 27)]** أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً **[← الثناء على إبراهيم: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ" (هود 75)]**، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ (أي: لِكَيْ يُتم الرَّبُّ وعدَه وكلمته لإِبْرَاهِيم)». {20} وَقَالَ الرَّبُّ [لإبراهيم][4211]: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ (أي: الصراخ عليهم؛ الشكاوى ضدهم) قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا **[← "إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ" (العنكبوت 31) "قَوْمٍ مُجْرِمِينَ" (الذاريات 32) (الحجر 58)]**. {21} أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ (أي: هَل فَعَلوا بِحَسَبِ ما بَلَغَني مِن شكاوى ضدهم أم لا؟)، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ» **[← روايتان قرآنيتان تقولان إن الرسل/الملائكة أخبروا إبراهيمَ مِن تلقاء أنفسهم كما هو الحال في التوراة: "إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ" (هود 70) "إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ" (العنكبوت 31). وفي المقابل، روايتان قرآنيتان تقولان إن إبراهيم سألهم أولاً "قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ" (الحجر 57) (الذاريات 31) فأجابوه "قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ" (الحجر 58) (الذاريات 32)!**[4212]**]**. {22} وَانْصَرَفَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ **[← "هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ" (العنكبوت 31)]**، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ (YHWH) (LORD).

ملحوظة: نستنتج من هذه الآيات الأخيرة أن إبراهيم أدرك الآن أن هذا الرجل الذي يُكلِّمه هو "الرَّبّ" لأنه يتحدث بسلطانٍ كديَّان[4213]. ويقول التراث المسيحي المثلِّث إن هذا "الرَّبّ" كان كلمة الله (الله الابن، المسيح) قبل تجسُّده (pre-incarnate Christ)! بل قال كثير من آباء الكنيسة إن الزوار الثلاثة الذين تكلّموا باسم الله كانوا بمثابة إعلان عن سرّ الثالوث الذي لم يُكشَف إلا في العهد الجديد حين "تجسَّد" اللهُ الكلمة وحلَّ بيننا كإنسان هو شخص يسوع المسيح (الله الكلمة المُتجسِّد؛ أو: الإله المُتجسِّد المُتأنِّس)! أما نحن فلا نؤمن بلاهوت المسيح ولا نؤمن بالثالوث ولا نؤمن بتجسُّد الله حسب الفكر النيقاوي-القسطنطيني، ولا نقتنع إطلاقاً بتلك التفاسير المصطنعة التي ليس لها ما يؤيدها في النص التوراتي (has no basis in the text)! المسيح إنسان وديع أحيا الْمَوْتَى حسب الإنجيل (متى 9:18-26) (مرقس 5:21-43) (لوقا 7:11-17، 8:40-56) (يوحنا 11:38-44) ورفض أن يعاقِب امرأةً واحدةً زانية بل رفض أن يدينها حسب بعض مخطوطات إنجيل يوحنا (يوحنا 8:1-11). فمِن المستحيل أن نصدِّق أن المسيح هذا الإنسان الوديع يحرق منطقةً بأكملها بكل ما فيها مِن إنسان وحيوان ونبات!

وفي المقابل، نحن نتفق مع حاشية الترجمة اليسوعية التي يُفهَم منها أن قصة الزوار الثلاثة (التكوين 18) تنتمي إلى التقليد اليهوي (Jahwist; Yahwist)[4214]. ومن المعلوم أن التقليد اليهوي هو أقدم مصدر

من مصادر التوراة (القرن العاشر أو التاسع ق.م) ويتميز بأنه يُصوِّر الربَّ (YHVH) أدبياً بطريقة إنسانية (Anthropomorphism)[4215]. فنجده هنا يتحاور مع إبراهيم كما لو كان صديقه (خليله)، ونجد أيضاً تعبيرات إنسانية مثل "أَنْزِلُ وَأَرَى" (التكوين 21:18). هذه التعبيرات الإنسانية ليست دليلاً على "التجسد" المزعوم، وإنما دليلٌ على قِدم هذا النص. والآيات التالية ستقدِّم دليلاً آخر على قِدم النص، حيث أنه ما زال يناقش قضايا لم تُحسَم إلا بعد ذلك بفترة طويلة مثل قضية المسؤولية (الحساب) (Accountability) وهل هي مسؤولية جماعية (للمنطقة كلها)؟ أم مسؤولية فردية (كل إنسان يُحاسَب بمفرده)؟ والأهم من ذلك أن النص يثير قضايا الشفاعة (Intercession) والفداء (Redemption) والخلاص (Salvation)، فهل يستطيع الأبرار أن يخلِّصوا الأشرار من العذاب؟ بل هل يستطيع بار واحد أن ينقذ شعبَه من الهلاك؟ تقول حاشية الترجمة اليسوعية: "يقول (إرميا 1:5) و (حزقيال 30:22) إن الله يعفو عن أورشليم بكاملها، إن وجد فيها باراً واحداً. وأخيراً، ورد في (إشعياء 53) أن عذاب العبد [البار] وحده سيخلِّص الشعب كله. لكن هذا الأمر لن يكون مفهوماً إلا عند تحقيقه في المسيح"[4216]. ونحن نرى أن هذه هي علاقة المسيح بقصة الزوار الثلاثة بغض النظر عن مدى تاريخيتها. يسوع المسيح البار ابن إبراهيم (إسحاق الحقيقي) وابن الله الفريد هو العبد البار الفادي والمخلِّص لكل مَن يؤمن بموته على الصليب وقيامته مِن الأموات[4217]. الإنسان يسوع المسيح هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق عدل الله (التكوين 25:18) ورحمته (التكوين 26:18)[4218].

نعود إلى **تكملة قصة الزوار الثلاثة حيث لم يتحدث إبراهيمُ مع الرب فيما يخصه هو أو زوجته في مسألة إنجابهما إسحاق حسب وعد الله لهما، وإنما راح يجادل اللهَ ويسترحمه ويطلب العفوَ عن سدوم كلها[4219]، فيما يُعرَف باسم "شفاعة إبراهيم" (Abraham's intercession for Sodom)[4220] أو "صلاة إبراهيم". (التكوين 18):** {23} فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ [لِلرَّبِّ] **[← كذلك في روايتي سورتي هود والعنكبوت، لم يعلِّق إبراهيمُ نهائياً على البشارة بميلاد إسحاق! وإنما راح "يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ" (هود 74)[4221]]**: «أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ (بالعبرية: zaddik[4222][4223]) مَعَ الأَثِيمِ؟ **[← في ضوء التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي بصفة خاصة، جعل القرآنُ إبراهيمَ يذكر اسمَ لوط صراحةً: "قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا (أي: باراً واحداً)" (العنكبوت 32)[4224]]** {24} عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ. أَفَتُهْلِكُ الْمَكَانَ وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ {25} حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟ **[← "فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ" (التوبة 70) "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ" (العنكبوت 40)]**» {26} فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ (all the place) مِنْ أَجْلِهِمْ». {27} فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ. {28} رُبَّمَا نَقَصَ الْخَمْسُونَ بَارًّا خَمْسَةً. أَتُهْلِكُ كُلَّ الْمَدِينَةِ بِالْخَمْسَةِ؟» فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ». {29} فَعَادَ [إبراهيمُ] يُكَلِّمُهُ أَيْضًا وَقَالَ: «عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ». فَقَالَ [الرَّبُّ]: «لاَ أَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الأَرْبَعِينَ». {30} فَقَالَ [إبراهيمُ]: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ ثَلاَثُونَ». فَقَالَ [الرَّبُّ]: «لاَ أَفْعَلُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ ثَلاَثِينَ». {31}

فَقَالَ [إبراهيمُ]: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عِشْرُونَ». فَقَالَ [الرَّبُّ]: «لاَ أُهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعِشْرِينَ». {32} فَقَالَ [إبراهيمُ]: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عَشَرَةٌ». فَقَالَ [الرَّبُّ]: «لاَ أُهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعَشَرَةِ». {33} وَذَهَبَ الرَّبُّ عِنْدَمَا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَانِهِ.

وكما سنرى في الفصل التالي (التكوين 19)، كانت سَدُوم غارقةً في الفساد، إلى درجة أن الله لم يجد حتى عشرةَ أبرار في المدينة، بل لم يجد حتى باراً واحداً[4225][4226]، فعاقبهم اللهُ ودمَّرهم دماراً شاملاً بالنار! فلم ينجُ من هذه الهولوكوست (Holocaust؛ المحرقة الكاملة) إلا لوط وابنتاه (أي: ثلاثة أشخاص فقط)! ولا نجد في القصة التوراتية أي دليل على بر لوط وابنتيه واستحقاقهم النجاة من الهلاك. بالعكس، نجد ما يدل على عدم برّهم (التكوين 8:19، 30-38). ومِن ثم نستنتج أن الخلاص الذي تمتع به لوط وابنتاه كان بسبب بركة إبراهيم وشفاعته **[⟵ "يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ" (هود 74) "قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا" (العنكبوت 32)]** و/أو كان بنعمة الله "لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ" (التكوين 16:19)[4227] **[⟵ "أَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا (Our Mercy)" (الأنبياء 75) "نِّعْمَةً (Grace) مِّنْ عِندِنَا" (القمر 35)]**. أما امرأة لوط فقد هلكت **[⟵ "نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ (أي: لوطاً) وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" (العنكبوت 32) "إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ" (الحجر 59-60)]**.

وبما أننا سندرس (التكوين 19) بالتفصيل في الفصل التالي، فسنكتفي هنا بأهم ما جاء في **(التكوين 19):** {24} فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ **[⟵ "لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ [مِنَ السَّمَاءِ] حِجَارَةً مِّن طِينٍ. مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ" (الذاريات 33-34)]**. {25} وَقَلَبَ [الرَّبُّ] تِلْكَ الْمُدُنَ[4228]، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ (أي: دائرة وادي نهر الأردن)، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتَ الأَرْضِ. {26} وَنَظَرَتِ امْرَأَتُهُ (أي: امرأةُ لوط) مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ (المراد: هلكت). {27} وَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْغَدِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ أَمَامَ الرَّبِّ، {28} وَتَطَلَّعَ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، وَنَحْوَ كُلِّ أَرْضِ الدَّائِرَةِ، وَنَظَرَ وَإِذَا دُخَانُ الأَرْضِ يَصْعَدُ كَدُخَانِ الأَتُونِ. {29} وَحَدَثَ لَمَّا أَخْرَبَ اللهُ مُدُنَ الدَّائِرَةِ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ (أي: تَذَكَّرَ اللهُ صَلَاةَ إِبْرَاهِيمَ التي لم تنجح في إنقاذ سدوم وعمورة من الهلاك الشامل) **[⟵ "يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا [الاسترحام] إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ" (هود 76)]**، وَأَرْسَلَ [اللهُ] لُوطًا مِنْ وَسَطِ الانْقِلاَبِ (أي: أَنْقَذَ لوطاً قُبَيْل الهلاك الشامل). حِينَ قَلَبَ الْمُدُنَ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا لُوطٌ.

وتقول المراجع اليهودية والمسيحية إن هذه الآية التوراتية الأخيرة (التكوين 29:19) تدل على أن "كانت نجاة لوط الاهتمام الرئيسي لصلاة إبراهيم (التكوين 23:18-32)، التي استجاب لها اللهُ"[4229]؛ صحيح "لم ينطق إبراهيم بكلمةٍ بخصوص لوط وعائلته لكن كان يتكلم بقلبه وفكره وعواطفه وأحاسيسه التي لا يسمعها إلا الرب نفسه، وقد استجاب له، إذ يقول [الكتابُ]: "الله ذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ وَأَرْسَلَ لُوطًا مِنْ وَسَطِ الانْقِلاَبِ"؛ وكأن ما قد تمتع به لوطٌ كان بسبب إبراهيم"[4230] **[⟵ عبَّر صاحبُ رواية سورة العنكبوت عن**

ذلك بطريقة أكثر وضوحاً إذ جعل إبراهيمَ يذكر اسمَ لوط صراحةً في مجادلته وجعل الرسل/الملائكة يؤكدون أنه سينجو: "قَالَ [إبراهيمُ] إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا (أي: قال الرسل) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ" (العنكبوت 32)[4231].

مما سبق يتضح أن كل ما فعله أصحابُ القرآن هو أنهم سمعوا عناصر القصة التوراتية مِن الإصحاحات 17 و 18 و 19 مِن سفر التكوين وأشاروا إلى هذه العناصر في أربع روايات قرآنية مختلفة. لا توجد رواية قرآنية واحدة تعطي القصة كاملة بكل تفاصيلها وترتيب أحداثها كما جاءت في التوراة، وإنما كل رواية قرآنية هي عبارة عن "خُطبة" أو "عِظة دينية" (homily) تُعلِّق على أحداث القصة التوراتية الأصلية. بالطبع أدخل أصحابُ القرآن كعادتهم بعض التغييرات (modifications) على القصة التوراتية بالحذف و/أو الإضافة، أو ما نسمّيه "التطور البشري الطبيعي" (natural human development)، مثل إضافة جملة تعمل على تفخيم إبراهيم (أبو الأنبياء وأبو إسماعيل أبو العرب وأكثر نبي مذكور في القرآن بعد موسى): "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ" (هود 75)، وإضافة جملة أخرى تجعل النجاةَ لمَن اتصف بالإيمان والإسلام معاً: "فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (الذاريات 35-36)! لكن فى جميع الأحوال ورغم هذه الاختلافات، تظل التوراة هي المصدر الرئيسي لكل الروايات (أو بالأحرى: العِظات) القرآنية الأربع. بل نستطيع أن نقول إن أصحاب القرآن قد افترضوا أن السامعين يعلمون القصة الأصلية المذكورة في التوراة (التكوين 18-19)؛ وبخاصة صاحب رواية سورة هود الذي التزم إلى حد كبير بترتيب أحداث القصة التوراتية الأصلية.

يقول (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على (هود 69-83)[4232]:

> [...] the Qurʾān follows quite closely here the sequence of the Biblical account: from the visitation to Abraham (Gn 18.1-16; [هود 69-73]), to Abraham's plea for Lot's people (Gn 18.17-33; [هود 74-76]), to the destruction of Lot's people (Gn 19.1-29; [هود 77-83]). In doing so, however, the Qurʾān neither reproduces the Biblical account in full nor provides an alternative account. Instead the Qurʾān develops its own homily, or religious exhortation, using references to the Biblical story along the way. This suggests that the Qurʾān assumes that its audience is already familiar with this story.

وقال في مرجعٍ آخر تعليقاً على نفس القصة القرآنية[4233]:

Evidently, the Qurʾan is not borrowing or retelling the biblical story [exactly], but rather commenting on it. Accordingly, there is a distinctly homiletic feel to this passage.

وأخيراً يجب أن نؤكد مرة أخرى على وجود اختلافات بين الروايات القرآنية الأربع، بالإضافة إلى الاختلافات بين القصة التوراتية من ناحية والروايات القرآنية الأربع من ناحية أخرى! فإذا قلتم إن قصة الزوار الثلاثة وخراب سدوم وعمورة **[← قصة ضيف إبراهيم وهلاك قوم لوط]** قصة حقيقية حدثت فعلاً تاريخياً، فهل حدثت كما تقول التوراة؟ أم كما تقول روايةُ سورة هود؟ أم كما تقول روايةُ سورة الحجر؟ أم كما تقول روايةُ سورة الذاريات؟ أم كما تقول روايةُ سورة العنكبوت؟! وفي الفصل التالي، سنرى روايات قرآنية أخرى لقصة هلاك قوم لوط!

وحيث أننا قد تحدثنا عن الاختلافات بين الروايات القرآنية الأربع، سنتحدث الآن عن بعض الاختلافات بين القصة التوراتية والروايات القرآنية. فمِن أين جاءت هذه الاختلافات؟ هل بوحي من الله كما تزعم البروباجاندا الإسلامية ليلاً ونهاراً؟ الإجابة: لا. وإنما بوحي من كلام البشر وأحاديثهم، وتحديداً: التراث اليهودي المتأخر (post-Biblical) والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة). وسنلاحظ فيما يلي أن البصمة البشرية اليهودية/المسيحية واضحة جداً على رواية سورة هود بصفة خاصة، مما يدل على أن صاحبها كان على دراية جيدة جيداً بالتراث اليهودي/المسيحي. وبما أن رواية سورة هود هي الرواية الأولى زمنياً، فإننا نستنتج أيضاً أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن التراث اليهودي/المسيحي مبكراً.

4.14.3 مصادر القرآن من التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني

4.14.3.1 رَأَى إبراهيمُ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إلى العجل ... فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ!

مِن أبرز الاختلافات بين القصة التوراتية والروايات القرآنية هو أن التوراة تقول إن الزوار الثلاثة قد أكلوا العِجل: "ثُمَّ أَخَذَ [إبراهيمُ] زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ (أي: قُدَّام الزوار الثلاثة). وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا" (التكوين 18:8). أما القرآن فيقول إن "ضيف إبراهيم" أو الرسل/الملائكة لم يأكلوا العِجل: "فَمَا لَبِثَ [إبراهيمُ] أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ. فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً" (هود 69-70)، وفي رواية قرآنية أخرى "فَرَاغَ [إبراهيمُ] إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ. فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً" (الذاريات 26-28).

إلا أن هذا الاختلاف البسيط (في التوراة أكلوا، في القرآن لم يأكلوا) ليس اختلافاً جديداً، إذ يعود تاريخه إلى "فيلو" (Philo) (الفيلسوف اليهودي المعاصر للمسيح) الذي قال في الفصل 118 مِن كتابه الشهير (De Abrahamo) إن الزوار الثلاثة لم يأكلوا وإن بدا وكأنهم يأكلون، ولم يشربوا وإن بدا وكأنهم يشربون. النص بالترجمتين العربية والإنجليزية[4234]:

إنه أمر عجيب حقاً أنه رغم أنهم (أي: الزوار الثلاثة) لم يأكلوا أو يشربوا إلا أنهم ظهروا بمظهر من يأكل ويشرب.
And it is a thing that deserves to be looked on as a prodigy, that though they [i.e. the three visitors] did not drink they seemed to drink, and that though they did not eat they presented the appearance of persons eating.

كذلك فإن "يوسيفوس" (Flavius Josephus) اليهودي (القرن الأول الميلادي) قال صراحةً في الفقرة (1.11.2) مِن كتابه الشهير (Antiquities of the Jews) إن العِجل كان مشوياً **[← "عِجْلٍ حَنِيذٍ (أي: مشوياً)" (هود 69)]** وإن الزوار الثلاثة كانوا ملائكة **[← "رُسُلُنَا" (هود 69) (العنكبوت 31)]** وإنهم تظاهروا بالأكل (أي: أنهم في الحقيقة لم يأكلوا) **[← "رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ (أي: إلى العجل)" (هود 70) "فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ" (الذاريات 27)]**. النص بالإنجليزية[4235]:

[…] Abraham […] saw three angels; and, thinking them to be strangers, he rose up and saluted them, and desired they would accept of an entertainment, and abide with him; to which when they agreed, he ordered cakes of meal to be made presently: and when he had slain a calf, he roasted it, and brought it to them, as they sat under the oak. Now they [i.e. the three visitors] made a show of eating; […].

طبعاً مِن حق أحبائنا المسلمين أن يسألوا: وهل يُعقَل أن أصحاب القرآن قد قرأوا كتب فيلو ويوسيفوس؟!

الإجابة: فيلو ويوسيفوس مشهورين جداً وكتاباتهم كانت مشهورة ومنتشرة بين اليهود وغيرهم في القرون الأولى للميلاد. وكما سبق وقلنا: لم يكن أصحاب القرآن محتاجين أن يقرأوا هذه الكتب ولا غيرها، فيكفيهم ما كانوا يسمعونه بآذانهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود الشرق الأوسط، لا سيما وأن هذه الفكرة – أي أن الزوار الثلاثة بدا فقط وكأنهم يأكلون لكنهم في الحقيقة لم يأكلوا – فكرة موجودة في كتب يهودية أخرى قبل الإسلام مثل الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti)[4236] والمدراش

(Genesis Rabbah)[4237]، مما يدل على انتشارها الواسع بين اليهود وغيرهم في القرون الأولى للميلاد، ويدل أيضاً على أن الأجيال المتعاقبة ظلت تتوارث هذه الفكرة قبل الإسلام. فتطورت الفكرةُ تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى صارت في القرآن: لم يأكلوا، بل لم يمدوا أيديهم إلى العجل، "رَأَى [إبراهيمُ] أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ" (هود 70) "فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ" (الذاريات 27).

بل توجد قصة أخرى مشابهة فى "سفر طوبيًّا" (Book of Tobias)[4238]، وهو أحد الأسفار القانونية الثانية (Deuterocanonical books) / أبوكريفا العهد القديم (Old Testament Apocrypha)، ويعود تاريخه إلى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد (حوالى 200 ق.م). باختصار: تحكي هذه القصة البديعة عن الملاك "رافائيل" (Raphael) الذي ظهر في صورة رجل ورافق طوبيًّا في رحلة طويلة انتهت بزواج طوبيًّا من امرأة اسمها أيضاً "سارة" (Sarah)[4239]! هدف هذه الزيارة هو أن يقوم الملاك رافائيل – الذي يعني اسمه "الله يشفي" – بشفاء سارة وأيضاً شفاء "طوبيت" (Tobit) والد طوبيًّا. وفي نهاية القصة، أعلن رافائيل عن ذاته لطوبيت وابنه طوبيًّا وأخبرهما أنه ملاك. عندئذ، ارتعد طوبيت وابنه وانحنيا إلى الأرض خائفين. فقال لهما الملاك رافائيل: "لا تخافا" (طوبيا 12:17) **[← "لَا تَخَفْ" (هود 70) "لَا تَخَفْ" (الذاريات 28) "لَا تَوْجَلْ (أي: لَا تَخَفْ)" (الحجر 53)]**. ثم قال لهما الملاك: "كُنتُما تَروننى آكُل، ولم يكن ذلك إلا رؤية تَريانها" وفى رواية أخرى "فى أيامى معكم لم آكل ولم أشرب وقد ظهر لكم هذا" (أى: لم آكل ولم أشرب حتى وإن ظهر لكما أننى كنت آكل وأشرب) (طوبيا 12:19)[4240]. **[← جعل القرآنُ الملائكة/الرسل لا يأكلون، بل لا يمدوا أَيْدِيَهُمْ إلى العجل، "رَأَى [إبراهيمُ] أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ" (هود 70) "فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ" (الذاريات 27)]**.

أما إذا أردنا قصةً تقول صراحةً إن الملاك الزائر لا يأكل، فعلينا أن نذهب إلى الإصحاح 13 مِن سفر القضاة، حيث نجد قصة "مَنوح" (Manoah) وامرأته التى كانت عاقراً مثل سارة امرأة إبراهيم. "فَتَرَاءَى مَلاَكُ الرَّبِّ لِلْمَرْأَةِ وَقَالَ لَهَا: هَا أَنْتِ عَاقِرٌ لَمْ تَلِدِي، وَلكِنَّكِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا" (القضاة 13:3). وفى المرة الثانية، "قَالَ مَنُوحُ لِمَلاَكِ الرَّبِّ: «دَعْنَا نُعَوِّقْكَ (أي: نَستَبقيكَ عندنا؛ نَسْتَضِيفَكَ) وَنَعْمَلْ لَكَ جَدْيَ مِعْزًى». فَقَالَ مَلاَكُ الرَّبِّ لِمَنُوحَ: «وَلَوْ عَوَّقْتَنِي لاَ آكُلُ (I shall not eat) مِنْ خُبْزِكَ، وَإِنْ عَمِلْتَ مُحْرَقَةً فَلِلرَّبِّ أَصْعِدْهَا». لأَنَّ مَنُوحَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مَلاَكُ الرَّبِّ" (القضاة 13:15-16).

كل هذه الأدلة تؤكد أن الفكرة التى تقول إن الملاك الزائر لا يأكل (أو أنه يتظاهر فقط بالأكل لكنه في الحقيقة لا يأكل) هى فكرة ليست جديدة وإنما هى فكرة قديمة جداً ومشهورة شغلت بال اليهود لفترة طويلة مِن الزمن حتى وصلت إلى أصحاب القرآن فسجّلوها في كتابهم العربي: "رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ (أي: إلى العجل)" (هود 70) "فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ" (الذاريات 27).

نعود إلى قصة ضيف إبراهيم ونُلخِّص ما قلناه فى النقاط التالية:

فى التوراة: الزوار الثلاثة (الذين بشّروا إبراهيم وامرأته العاقر أنها ستلد ابناً) أكلوا.

فى سفر القضاة: الملاك (الذى بشّر مَنوح وامرأته العاقر أنها ستلد ابناً) لم يأكل.

فى كتب فيلو ويوسيفوس وفى الترجوم والمدراش: الزوار الثلاثة (الذين بشّروا إبراهيم وامرأته العاقر أنها ستلد ابناً) بدا وكأنهم يأكلون، لكنهم فى الحقيقة لم يأكلوا.

فى القرآن: الملائكة (الذين بشّروا إبراهيم وامرأته العاقر أنها ستلد ابناً) لم يأكلوا. أو كما قال الأستاذ أحمد حسين في تفسيره الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: إن إبراهيم خاف من الملائكة "فى دخيلة نفسه عندما وجدهم لا يأكلون بالفعل وانما يرفعون أيديهم الى حلوقهم متظاهرين بالأكل وَهُمْ فى حقيقتهم لا يأكلون لأنهم ملائكة"[(4241)].

النتيجة: ما جاء في القرآن ليس وحياً من الله، وإنما هو مجرد كلام بشر 100%. نعم، القرآن مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لِما جاء في الكتب اليهودية/المسيحية السابقة، سواء الكتب القانونية (مثلاً: سفر القضاة) أو الكتب القانونية الثانية / الأبوكريفية (مثلاً: سفر طوبيَّا) أو حتى الكتب غير القانونية (مثلاً: فيلو ويوسيفوس والترجوم والمدراش).

فكما نقول دائماً: لولا التراث اليهودي/المسيحي، لمَا استطاع العرب أن ينتجوا القرآنَ.

4.14.3.2 "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 71)!

يوجد اختلاف آخر مهم بين التوراة والقرآن في قصة ضيف إبراهيم وهو أن القصة الأصلية في التوراة تقول إن البشارة بإسحاق حدثت أولاً ثم بعد ذلك ضحكت سارة تَعَجُّبًا مِنْ أَنْ يَكُون لَهَا وَلَد عَلَى كِبَر سِنّهَا وَسِنّ زَوْجها: "وَقَالُوا لَهُ (أي: قال الزوار الثلاثة لإبراهيم): «أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ». فَقَالَ: «إِنِّي أَرْجعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ **وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ**». وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ. **فَضَحِكَتْ سَارَةُ** فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ، وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ؟»" (التكوين 18:9-12).

أما القصة القرآنية العربية فتقول إن سارة (امرأة إبراهيم) ضحكت **قبل** أن تسمع البشارة بميلاد إسحاق: "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ **فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ**" (هود 71)! مما أوقع المفسرين المسلمين في مأزق كبير كما رأينا فيما سبق، وبخاصة أن الآية تستخدم حرف "الفاء"، فلا يمكن اللجوء إلى حيلة التقديم والتأخير.

سؤال: إذا كان أصحاب القرآن قد أخذوا عناصر القصة من التوراة، فلماذا خالفوا التوراة وقالوا "فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ"؟ ما الذى جعلهم يفعلون ذلك؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال، يجب أن نوضِّح أن اسم "إسحاق" يعني باللغة العبرية "يضحك"[(4242)].

تقول التوراة العبرية: "وَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ابْنِهِ الْمَوْلُودِ لَهُ، الَّذِي وَلَدَتْهُ لَهُ سَارَةُ «**إِسْحَاقَ**». وَخَتَنَ إِبْرَاهِيمُ

إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ. وَقَالَتْ سَارَةُ: «قَدْ صَنَعَ إِلَيَّ اللهُ ضِحْكًا. كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ يَضْحَكُ لِي»" (التكوين 21:3-6).

لكن فى اللغة العربية، لا توجد علاقة لغوية واضحة بين اسم "إسحاق" والفعل "يضحك"، مما جعل بعض المفسرين المسلمين يفتعلون علاقة وهمية. على سبيل المثال، ذكر الماوردي في تفسيره أن ابن عباس قال: "سُمى إسحاق لأن سارة سحقت بالضحك حين بشرت به"[4243]! فنلاحظ هنا أن صاحب هذا الرأي وجد أنه لا توجد علاقة لغوية واضحة بين اسم "إسحاق" والفعل "يضحك" في اللغة العربية، فاضطر أن يحشر الفعل "سحقت" بينهما ليخلق أي علاقة بين إسحاق والضحك! خيال واسع جداً! حيلة ذكية لكن مصطنعة.

كذلك في اللغة السريانية، لا توجد علاقة لغوية واضحة بين اسم "إسحاق" والفعل "يضحك". ولذلك وَجَد المسيحيون السُريان سبباً آخر لضحك سارة. قال إفرام السرياني (Ephrem the Syrian) (Ephraem) (القرن الرابع الميلادي) إن ضحك سارة يشير إلى ميلاد المسيح: "لم تضحك سارة بسبب إسحاق، وإنما بسبب الذي وُلِد من مريم"، بل شبَّه إفرامُ ضحك سارة بركض الجنين "يوحنا المعمدان" (John the Baptist) في بطن أمه "أليصابات" (Elizabeth) ابتهاجاً بقدوم المسيح في بطن أمه مريم (لوقا 1:39-44)[4244]. ولا غرابة في ذلك، فبما أن يسوع المسيح ابن إسحاق (أي: من نسله)، فإنه إذن ابن سارة أيضاً. وكذلك يوحنا المعمدان. فلولا تدخُّل الله بمعجزاته، لمَا أنجبت سارةُ العاقر إسحاقَ ولمَا أنجبت أَلِيصَابَاتُ العاقر يوحنا ولمَا أنجبت مريمُ العذراء يسوعَ. فلا نستغرب إذا ربط أحدٌ بين سارة (امرأة إبراهيم) وأليصابات (امرأة زكريا) ومريم، أو ربط بين إسحاق ويوحنا (يحيى) ويسوع (عيسى). هذا ما فعله إفرامُ السرياني في القرن الرابع الميلادي، وهذا أيضاً ما فعله أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي.

نعم، توجد بالفعل في القرآن نفسه أدلة داخلية (internal evidence) تؤكد أن أصحاب القرآن العربي قد تأثروا فعلاً بالتراث المسيحي الشرقي بصفة عامة وبفِكر إفرام السرياني بصفة خاصة. فكما ربط إفرامُ السرياني بين سارة العاقر أم إسحاق ومريم العذراء أم المسيح (أو بعبارة أخرى: ربط بين معجزة ميلاد إسحاق من أمه العاقر سارة ومعجزة ميلاد المسيح من أمه العذراء مريم)، كذلك فعل أصحابُ القرآن، بدليل أن الأفكار والعبارات والكلمات التي استخدموها في قصة بشارة الملائكة (أو الملاك) لمريم العذراء بميلاد المسيح (روايتين: واحدة في سورة آل عمران والأخرى في سورة مريم) تشبه إلى حد كبير الأفكار والعبارات والكلمات التي استخدموها في قصة بشارة الملائكة لسارة العاقِر بميلاد إسحاق (روايتين: واحدة في سورة هود والأخرى في سورة الذاريات)، كما يُوضِّح الجدول التالي:

جدول 16 – البشارة بميلاد إسحاق ابن سارة العاقر والبشارة بميلاد المسيح عيسى ابن مريم العذراء في القرآن

	سارة العاقر (والدة إسحاق بن إبراهيم)	مريم العذراء (والدة المسيح ابن إبراهيم)
البشارة بميلاد ابن ذكر	"وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 71). لاحظ أن الله هو الذى يُبشِّر، بدليل قوله "فَبَشَّرْنَاهَا". ولاحظ أيضاً أن الملائكة حددوا اسمَ الغلام: إسْحَاق!	"إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ" (آل عمران 45). لاحظ أن الله هو الذى يُبشِّر. ولاحظ أيضاً أن الملائكة حددوا اسمَ الغلام: عيسى!
	"وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ" (الذاريات 28) بدون ذِكر اسم هذا الغلام!	"لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا" (مريم 19) بدون ذِكر اسم هذا الغلام!
تعجُّب الأم مِن البشارة	"قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" (هود 72).	"قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ" (آل عمران 47).
	وأضافت سبباً آخر يحافظ على سجع الآيات، وهو أنها عاقر! "فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (أي: عاقر)" (الذاريات 29).	وأضافت سبباً آخر يحافظ على سجع الآيات، وهو أنها لم تكن بَغِيًّا! "قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا" (مريم 20).
رد الملائكة يؤكد أن هذا أمر الله	"قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ" (هود 73)[4245].	"قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (آل عمران 47)[4246].
	"قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ" (الذاريات 30).	"قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ" (مريم 21).

ولم تُذكر عبارة "كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ" في القرآن كله إلا ثلاث مرات فقط. نعم، ثلاث مرات فقط هي: البشارة بميلاد إسحاق "قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ" (الذاريات 30)؛ والبشارة بميلاد يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان بن زكريا وأليصابات) "قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ" (مريم 9)؛ والبشارة بميلاد المسيح عيسى (يسوع) "قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ" (مريم 21). فلا يمكن أن يكون ذلك مجرد صدفة! وإنما هذا يؤكد 100% أن أصحاب القرآن قد تأثروا بأفكار المفكر المسيحي المبدع إفرام السرياني الذي قال إن سارة لم تضحك بسبب إسحاق بن إبراهيم، وإنما بسبب الذي وُلِد من مريم (أي: المسيح يسوع ابن إبراهيم)، وشبَّه ضحك سارة بركض الجنين يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) في بطن أمه أليصابات ابتهاجاً بقدوم المسيح في بطن أمه مريم (لوقا 1:39-

44). ومما يؤكد ذلك أكثر هو العبارة التي استخدمها إنجيل لوقا للتعبير عن رد فعل أليصابات العاقر، **(لوقا 1)**: {41} فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ [يوحنا] فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، {42} وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ **[⟵ تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً حتى صارت في القرآن رد فعل سارة العاقر: "فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ (أي: في صرخة عظيمة ورنة؛ في صياح)" (الذاريات 29)]**. كل هذه الأدلة التي تؤيد بعضُها بعضاً تؤكد أن أصحاب القرآن العربي قد وقعوا تحت تأثير التراث المسيحي الشرقي بصفة عامة وتراث إفرام السرياني بصفة خاصة، فيما يتعلق بالربط بين سارة العاقر ومريم العذراء، ومِن ثم الربط بين معجزة ميلاد إسحاق بن إبراهيم ومعجزة ميلاد يسوع المسيح (إسحاق الحقيقي) ابن إسحاق بن إبراهيم. ومَن يعترض على هذه النتيجة، عليه أن يجد لنا سبباً آخر مقنعاً يفسر التشابهات الكثيرة بين سارة ومريم في القرآن (انظر الجدول السابق)، بل عليه أن يجد لنا سبباً آخر مقنعاً يفسر ضحك سارة قبل سماعها البشارة بميلاد إسحاق: "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 71).

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) تعليقاً على "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 71) وأفكار إفرام السرياني بخصوص ضحك سارة[4247]:

> Christians accordingly found a different meaning for the laughter of Sarah. To Ephraem her laughter points to the birth of Christ: "Sarah did not laugh because of Isaac, but because of the One who is born from Mary." He then likens Sarah's laughing to John the Baptist's leaping in Elizabeth's womb at the approach of Christ (Lk 1.44): "And as John by leaping, so Sarah by laughing revealed the joy." […]
>
> Ephraem's reading is encouraged by the Biblical portrayal of Mary as the new Sarah. […]
>
> This Sarah/Mary typology is preserved in the Qur'ān. […]
>
> It is, I propose, in light of the Sarah/Mary typology that the Qur'ān's reference to Sarah's laughter should also be understood. The Qur'ān reflects the fullness of Christian veneration for Mary. […] As in the Syriac Bible, the laughter of Sarah in the Qur'ān cannot be understood in light of the Hebrew word play, since in Arabic too the verbal root for laughter (*d.ḥ.k.*) does not match Isaac's name (*isḥāq*). Instead her laughter, and

indeed the annunciation to Sarah as a whole, should be understood as an anticipation of the angelic annunciation to Mary.

فعلى الرغم مِن أن فكرة إفرام السرياني قد تبدو غريبة للوهلة الأولى، إلا أنها في الواقع ليست غريبة على مَن له دراية ولو قليلة بالتراث المسيحي الشرقي، إذ هي مستوحاة مِن قصة البشارة بميلاد يسوع كما جاءت في إنجيل لوقا (لوقا 1) وتشابهها مع البشارة بميلاد إسحاق كما جاءت في قصة الزوار الثلاثة (التكوين 18)[4248]. و/أو مستوحاة من قصة البشارة الأولى الصريحة بميلاد "إسحاق" كما جاءت في التوراة، فكما لاحظنا فيما سبق أن أول بشارة إلهية تذكره صراحةً باسمه "إسحاق" هي: "فَقَالَ اللهُ [لإبراهيم]: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ" (التكوين 19:17). وبما أن يسوع المسيح ابن إسحاق هو الذي حقق هذا الوعد الإلهي لإبراهيم: "وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ: «وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ" (غلاطية 16:3)، إذن: من الطبيعي – بل من الطبيعي جداً – أن يربط التراث المسيحي بين إسحاق بن إبراهيم ويسوع المسيح ابن إبراهيم، ومن ثم يربط بين سارة العاقر أم إسحاق ومريم العذراء أم المسيح كما فعل إفرامُ السرياني وكما فعل أصحابُ القرآن (انظر الجدول السابق). وكما قال إفرام السرياني إن ضحك سارة لم يكن بسبب البشارة بميلاد إسحاق، كذلك فعل صاحبُ رواية سورة هود حين وضع ضحك سارة أولاً قبل البشارة بميلاد إسحاق: "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ <u>فَضَحِكَتْ</u> **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ**" (هود 71) مما يعني أنها ضحكت لسببٍ آخر غير البشارة بميلاد إسحاق.

ومِن الجدير بالذكر أيضاً أن البشارة الإلهية الأولى الصريحة بميلاد "إسحاق" (التكوين 19:17) جاءت في سياق فريضة الختان في اليوم الثامن من ميلاد الابن الذكر: "اِبْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ" (التكوين 12:17)؛ وبما أن اليوم السابع هو السبت، فإن اليوم الثامن هو يوم الأحد يوم قيامة يسوع المسيح من الأموات. يقول شرح سفر التكوين: "من أساسيات ممارسة الختان أن يكون في اليوم الثامن، وإسحاق هو أول مَن اختتن في اليوم الثامن من ميلاده [التكوين 4:21]، وهو اليوم الأول بعد اكتمال الأسبوع إشارة إلى زمان جديد بعد انتهاء دورة الزمان المعهود. فهو يشير إلى يوم الأحد، يوم قيامة الرب يسوع من الأموات الذي به بدأت البشرية عهداً جديداً روحياً لحياة أبدية لا يسود عليها الموت بعد"[4249]. وفي نفس السياق، يجب أيضاً أن نقول إن العِجل الجيد (التكوين 7:18) الذي ذبحه إبراهيم في قصة الزوار الثلاثة (البشارة لسارة) والذي وصفه إفرامُ السرياني بأنه "عِجل مُسَمَّنَ" (a fatted calf)[4250] **[← "عِجْلٍ سَمِينٍ" (الذاريات 26)!]** "يشير للمسيح المذبوح الذي قدم جسده لنا لنأكله "الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ" (لوقا 23:15)"[4251]. ففي ضوء كل هذه التشابهات والمتوازيات بين إسحاق بن إبراهيم ويسوع المسيح ابن إبراهيم - وكذلك قصة الذبيح إسحاق (**<u>وليس</u>** إسماعيل) المذكورة في (التكوين 22) - فإن يسوع المسيح

يُعرَف في الفكر المسيحي بلقب "إسحاق الحقيقي"[4252]. ويكفي ما قاله بولس الرسول حين ربط كثيراً بين إسحاق بن إبراهيم والمسيح ابن إبراهيم[4253]. وفي الواقع، توجد تشابهات ومتوازيات أخرى كثيرة – سواء حقيقية أو مفتعلة – بين إسحاق بن إبراهيم ويسوع المسيح ابن إبراهيم، ومِن المؤكد أن هذه التشابهات والمتوازيات قد جعلت إفرام السرياني وغيره مِن المفكرين المسيحيين يربطون أيضاً بين سارة أم إسحاق ومريم العذراء أم يسوع المسيح. ثم جاء أصحابُ القرآن وفعلوا مثل ما فعله إفرام السرياني (انظر الجدول السابق).

إذن الفِكر القرآني هو مجرد تطور بشرى طبيعي للفِكر المسيحي: سارة العاقر (في التوراة والقرآن) تشير إلى مريم العذراء (في الإنجيل والقرآن)، وإسحاق (في التوراة والقرآن) يشير إلى المسيح (في الإنجيل والقرآن). وكما وَجَد إفرامُ السرياني سبباً آخر لضحك سارة غير سماعها البشارة بميلاد إسحاق، كذلك فصلَ صاحبُ رواية سورة هود بين ضحك سارة وسماعها البشارة، بدليل أنه وضع ضحكها **قبل** سماعها البشارة: "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 71) مما يعني أنها ضحكت لسببٍ آخر غير البشارة بميلاد إسحاق. فاحتار المفسرون المسلمون بحثاً عن هذا السبب الآخر، فرجعوا إلى نفس المصادر الأساسية الثلاثة التي أخذ منها القرآنُ وهي: التراث العربي + التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي؛ فمنهم مَن لجأ إلى التراث العربي فقال إن ضحكت تعني: حاضت؛ ومِنهم مَن ارتد إلى القصة التوراتية الأصلية فقال إن سارة ضَحِكَتْ حِين بُشِّرَتْ بِإِسْحَاق تَعَجُّبًا مِنْ أَنْ يَكُون لَهَا وَلَدٌ عَلَى كِبَر سِنّهَا وَسِنّ زَوْجهَا؛ ومِنهم مَن اهتدى - بوعي أو بدون وعي - إلى فِكر إفرام السرياني فقال إن سارة ضحكت لأنها "شعرت بالحمل وبتحرك الجنين في بطنها"[4254] تأثراً بإفرام السرياني الذي شبَّه ضحك سارة بركض الجنين "يوحنا المعمدان" (يحيى بن زكريا) في بطن أمه أليصابات ابتهاجاً بقدوم المسيح في بطن أمه مريم (لوقا 1:39-44).

فكما تأثر أصحابُ القرآن بأفكار إفرام السرياني، كذلك تأثر المفسرون المسلمون بأفكار إفرام السرياني. ولقد وجدنا أيضاً في المراجع الإسلامية قصة طريفة تربط أيضاً بين سارة ويحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان). تقول هذه القصة: "كان اسم سارة يسارة، فلما قال لها جبريل عليه السلام: يا سارة. قالت: إن اسمى يسارة، فكيف تُسمِّينى سارة؟ قال الضحاك: يسارة: العاقر التى لا تلد، وسارة: الطالِق الرَّحِم التى تلد. فقال لها جبريل عليه السلام: كنت يسارة لا تحملين، فصِرتِ سارة تحملين الولد وتُرْضِعينه. فقالت سارة: يا جبريل، نَقصْتَ اسمى. قال جبريل: إن الله قد وعدك بأن يجعل هذا الحرف فى اسم ولدٍ مِن ولدك فى آخر الزمان، وذلك أن اسمه عند الله حيى، فسمَّاه يحيى"[4255]. ومن المعلوم للكافة أن تعبير "في آخر الزمان" الموجود في هذه الأسطورة الإسلامية تعبير مسيحي يشير إلى ميلاد المسيح من امرأة (مريم): "لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ (أي: آخر الزمان)، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ" (غلاطية 4:4). فأهمية هذه الأسطورة الإسلامية هو أنها تدل على أن أفكار إفرام السرياني كانت لا تزال حية يتناقلها العرب والسُريان ويُطورونها تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة حتى بعد ظهور الإسلام.

وكما نقول دائماً: لولا التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)، لَمَا استطاع العرب أن ينتجوا القرآنَ ولَمَا استطاع العرب أن يصنعوا الإسلامَ.

استطراد: من اللافت للانتباه أن القرآن يقول إن ضيف إبراهيم قالوا له: "إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ" (الحجر 53) ثم قالوا له بعد ذلك مباشرةً: "بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ" (الحجر 55). كلمة "غلام" فى الآية الأولى تشير إلى إسحاق. فهل يُمكِن أن نقول إن "الحق" فى الآية الثانية يشير إلى إسحاق الحقيقي "يسوع المسيح" الذى قال عن نفسه: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يوحنا 6:14)؟ مجرد سؤال يدعو إلى التأمل والتفكر ...

4.14.3.3 "بَعْلِي" (هود 72)

تقول التوراة إن سَارَة أشارت إلى إبراهيم زوجها بكلمة "سَيِّدِي" (my master) (my lord) (التكوين 12:18). أما في رواية سورة هود القرآنية، فنجد أن سَارَة أشارت إلى إبراهيم زوجها بكلمة "بَعْلِي" (my baal) (هود 72). نحن نعلم أن المعنى واحد وهو "زوجي" (my husband)[4256]، أو "رَجُلي" (my man)، فَمِن المعلوم أن "بعل" (baal) كلمة ساميّة تعني "رب" (lord) أو "سيد" (master) أو "زوج" (husband) أو "مالِك" (owner)[4257]!

لكن لماذا قال صاحبُ رواية سورة هود: "بَعْلِي" (هود 72)؟ ...

في الواقع، هذا سؤال بسيط، فمن الواضح أن صاحب (هود 72) قد سمع الآيات التوراتية التي تلي قصة الزوار الثلاثة (التكوين 18) وقصة خراب سدوم وعمورة (التكوين 19) وهي آيات تقول إن الله وصف إبراهيمَ بكلمة "بعل"، وذلك في القصة الشهيرة التي كذب فيها إبراهيمُ وقال عن سارة إنها أخته وأخفى أنها امرأته: "وَانْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ (أي: مِن بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ) إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ، [...]، وَتَغَرَّبَ فِي جَرَارَ (Gerar؛ مدينة أو منطقة في جنوب غرب كنعان بين بئر سبع وغزة). وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي». فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ (Abimelech) مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ (أي: ضمَّها إلى حريمه). فَجَاءَ اللهُ إِلَى أَبِيمَالِكَ [الأممي/الوثني] فِي حُلْمِ اللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ مَيِّتٌ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ (أي: سارة) الَّتِي أَخَذْتَهَا، فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَةٌ بِبَعْلٍ (بالعبرية: bā·‘al)»" (التكوين 20:1-3). وفي نفس القصة وصف اللهُ إبراهيمَ بكلمة "نَبِيٌّ (بالعبرية: nā·ḇî)" (التكوين 20:7) وهي المرة الأولى في التوراة التي يُوصف فيها أي إنسان بكلمة "نَبِيٌّ"[4258]. ويُفهَم من التوراة أن إسحاق وُلِدَ في نفس المنطقة الجغرافية (التكوين 21:1-3)، أي: في جَرَارَ أو في بئر سبع. فيبدو إذن أن صاحب (هود 72) قد جعل سارةَ تقول "بَعْلِي" لأنه – بقصد أو بدون قصد – ربط بين تعجب سارة من البشارة الإلهية (التكوين 18:12) وتحقق هذه البشارة في رحمها (التكوين 21:1-3) في نفس المنطقة الجغرافية التي وصف اللهُ فيها إبراهيمَ بكلمة "بعل" (التكوين 20:3).

ومِن المحتمل أيضاً أن صاحب (هود 72) قد تأثر بسفر إشعياء (حوالي 700 ق.م) الذي استخدم كلمةَ "بعل" بمعنى "زوج": "ذَاتِ الْبَعْلِ (أي: المتزوجة)" (إشعياء 54:1)، ثم طبَّق بولس الرسول (حوالي 55م) هذه الآية على سارة امرأة إبراهيم ووعد الله وعهده (غلاطية 4:26-27) "وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَنَظِيرُ إِسْحَاقَ [ابن سارة]، أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ" (غلاطية 4:28)[4259]. ثم في القرن السابع الميلادي، جاء صاحبُ (هود 72) – الذي كان 100% على دراية ممتازة بالتراث اليهودي/المسيحي – ووضع كلمة "بَعْل" على لسان سارة إشارةً إلى إبراهيم بعد أن سمعت البشارة بميلاد إسحاق (هود 71): "فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ [...]. قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي [إبراهيم] شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" (هود 71-72).

وأخيراً نقول إن "بعل" (Baal) كان اسم إله الطقس (weather) والخصوبة (fertility) عند الكنعانيين والفينيقيين (أي: الساميين الغربيين) وهو ابن الإله "إيل" (El) أو حفيده حسب الأساطير الساميَّة الغربية[4260]! "وقد أولع أهل المشرق جداً بعبادة البعل حتى أنهم كانوا يضحّون الذبائح البشرية على مذابحه (إرميا 19:5). [...] وكان للبعل كهنة كثيرون يخدعون الناس بسحرهم وشعوذتهم وأعمال أخرى ينسبونها لإلههم، كما نرى من قصة إيليا وأنبياء البعل"[4261]. ومِن المؤكد أن هذا المعنى أيضاً قد وصل إلى أصحاب القرآن، بدليل قصة "إلياس" (إيليا): "وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ. أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ" (الصافات 123-125) التي وضعها أصحابُ القرآن (أو بعبارة أكثر دقة: أصحابُ المصحف) في نفس الصفحة مع قصة الذبيح التي انتهت بالبشارة بنبوة إسحاق "وَبَشَّرْنَاهُ (أي: وَبَشَّرْنَا إبراهيمَ) بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ" (الصافات 112-113).

4.14.4 الخلاصة

قصة "ضيف إبراهيم" تكفينا لإثبات أن القرآن كلام بشر، ففيها كل ما نحتاجه من أدلة دامغة:

- روايات قرآنية متعددة ومختلفة في الشخصيات! ومختلفة في الأقوال! ومختلفة في الأفعال! ومختلفة في ترتيب الأحداث! مما يؤكد 100% أن القرآن كلام بشر وثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر من شخص. كل شخص يحكي روايةً بناء على ما سمعه مِن المحيطين به وبناء على رؤيته الشخصية.
- اختلاف في نفس الآية! "قَالُوا سَلَامًاۖ قَالَ سَلَامٌ" (هود 69) (الذاريات 25). فأيهما أصح: "سَلَامًا" الأولى المنصوبة؟ أم "سَلَامٌ" الثانية المرفوعة؟! مما أدى كالعادة إلى اختراع حيل لتبرير الاختلاف!
- تصرفات غير معقولة وغير مبررة: "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ" (هود 71)! فلماذا ضَحِكَتْ؟! مما أدى كالعادة إلى حيرة المفسرين المسلمين وتخبطهم في البحث عن إجابة.
- القرآن تطور بشري طبيعي للكتاب المقدس (الأسفار القانونية)، وخصوصاً التوراة.
- القرآن تطور بشري طبيعي للأسفار القانونية الثانية / الأبوكريفية، وخصوصاً سفر طوبيًّا.

– القرآن تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي المتأخر، وخصوصاً فيلو ويوسيفوس والمدراش والترجوم. بل ليس من المبالغة أن نعتبر القرآن مجرد مدراش/ترجوم عربي للتوراة.
– القرآن تطور بشري طبيعي للتراث المسيحي الشرقي، وخصوصاً إفرام السرياني. بل ليس من المبالغة أن نقول إن العملاق إفرام السرياني كان أباً روحياً لأصحاب القرآن، بل الأب الروحي لأصحاب القرآن. فلولا إفرام لَمَا كان القرآن.
– القرآن تطور بشري طبيعي للتراث الشرقي بصفة عامة: "بَعْل".
– أصحاب القرآن كانوا مختلفين وعلى درجات متفاوتة من الثقافة. في قصة ضيف إبراهيم مثلاً، من الواضح أن صاحب رواية سورة هود كان على دراية ممتازة بالتراث اليهودي/المسيحي الشرقي. أما صاحب رواية سورة الحجر، فدرايته بالتراث اليهودي/المسيحي متوسطة أو أقل من متوسطة، بدليل أنه خلط بين (التكوين 17:15-22) و (التكوين 18:1-15)، فسمَّى روايته "ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ" (الحجر 51) مع أننا لا نرى فيها أي شيء يدل على "ضيافة"! [وبحثنا في الفصل التالي (قصة هلاك قوم لوط) سيؤكد هذه النتيجة أكثر.]

ونستنتج من دراستنا لقصة ضيف إبراهيم النتائج التالية:

– قصة ضيف إبراهيم ليست قصة جديدة، فهي مذكورة قبل ظهور الإسلام بمئات السنين في التوراة وفي التراث اليهودي والمسيحي، في كتب فيلو ويوسيفوس وإفرام السرياني وغيرهم.
– فيما يتعلق بضحك سارة، فإن ترتيب الأحداث في التوراة (البشارة بميلاد إسحاق أولاً ثم ضحك سارة) (التكوين 18:9-12) منطقي أكثر مِن ترتيب الأحداث في القرآن (ضحك سارة أولاً ثم البشارة بميلاد إسحاق) (هود 71)! ومِن الواضح أن صاحب رواية سورة هود قد تأثر بفِكر إفرام السرياني الذي قال إن ضحك سارة لم يكن بسبب سماعها البشارة بميلاد إسحاق! وعلى الرغم من إعجابنا بذكاء إفرام السرياني وثقافة صاحب رواية سورة هود، إلا أننا ما زلنا نرى أن التوراة مقنعة أكثر في هذه النقطة تحديداً: سارة سمعت البشارة بميلاد إسحاق أولاً، ثم بعد ذلك ضحكت تعجباً.
– قصة ضيف إبراهيم مثال جيد على أنه يُمكِن أن ننظر إلى القصة في القرآن باعتبارها مجرد "خُطبة" أو "عِظة دينية" (homily) تُعلِّق على القصة المناظرة لها فى الكتاب المقدس أو فى التراث اليهودى/المسيحى بصفة عامة. ومِن ثم يجب ألا نندهش حين تحذف القصة القرآنية بعض التفاصيل مِن القصة الأصلية لأنها معروفة. ويجب أيضاً ألا نندهش حين نجد اختلافات بين القصة القرآنية والقصة الأصلية، فمِن الطبيعى أن ينحرف الواعظ قليلاً أو كثيراً عن القصة الأصلية، ومِن الطبيعى أيضاً أن يقوم الواعظ بإعادة إنتاج القصة الأصلية بلغة تناسب البيئة التى ظهر فيها القرآن. باختصار: مِن الطبيعى أن يضع الواعظ بصمته الإسلامية/العربية على القصة اليهودية/المسيحية الأصلية.

- تكررت قصة ضيف إبراهيم فى القرآن أربع مرات، ويوجد اختلافات بين هذه الروايات القرآنية سواء فى الشخصيات أو الأقوال أو الأفعال أو ترتيب الأحداث.
- القرآن كلام العرب وليس كلام الله. القرآن مُنتَج بشري اشترك فيه أكثر مِن شخص: صاحب الرواية الأولى (هود 69-76) غير صاحب الرواية الثانية (الحجر 51-60). أما صاحب الرواية الثالثة (الذاريات 24-34) و/أو الرواية الرابعة (العنكبوت 27، 31-32) فقد يكون هو نفسه صاحب رواية سورة هود أو شخص آخر ينتمي إلى نفس التقليد العربي/السرياني.
- لولا التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)، لَمَا استطاع العربُ أن ينتجوا القرآنَ ولَمَا استطاع العربُ أن يصنعوا الإسلامَ.

ولذلك فإننا ندعو جميعَ أحبائنا المسلمين أن يقرأوا التراثَ اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) حتى يكتشفوا حقيقةَ الإسلام.

4.15 مدنيّة لوط ... وَامْرَأَتُهُ العجوز نَاظِرَةٌ فَهَلَكَتْ: لماذا هَلَكَتْ؟!

نستكمل في هذا الفصل القصةَ القرآنية التي تُسمَّى "قصة هلاك قوم لوط"، أو اختصاراً "قصة قوم لوط"[4262]. وكما قلنا فيما سبق، عبارة "قوم لوط" عبارة غير صحيحة، أو على الأقل: غير دقيقة؛ وذلك لأن أهل سدوم وعمورة لم يكونوا من قوم لوط، وإنما كان لوط مهاجِراً إليهم يعيش غريباً في وسطهم. ومع ذلك، استخدم أصحابُ القرآن هذه العبارة الخاطئة عدة مرات، مثل: (الأعراف 80) (هود 70، 74، 78، 89) (الحج 43) (الشعراء 160) (النمل 54، 56) (العنكبوت 28، 29) (ص 13) (القمر 33)[4263]! لماذا؟! الإجابة: لأن أصحاب القرآن أرادوا - كالعادة - أن يعيدوا إنتاجَ (reproduced) شخصية "لوط" في ثوبٍ جديد بحيث تكون شخصيته قريبة من شخصية محمد. فكما زعموا أن محمداً نبي ورسول إلى قومه الذين كذّبوه، كذلك جعلوا لوطاً نبياً ورسولاً إلى "قومه" الذين كذّبوه.

توجد 10 روايات قرآنية مختلفة لقصة قوم لوط! وهي حسب الترتيب الزمني لسور القرآن[4264]:

رواية سورة القمر: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ [التي جاءهم بها] {33} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا (أي: ريحاً شديدة أو عاصفة تحمل التراب sandstorm وترميهم بالحصى وصغار الحجارة) إِلَّا آلَ لُوطٍ [المؤمنين]ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (أي: في آخر الليل قبل الفجر) {34} نِّعْمَةً (Grace) مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ [بالإيمان والطاعة] {35} وَلَقَدْ أَنذَرَهُم [لُوطٌ] بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (أي: شكُّوا في إنذاراته) {36} وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ (أي: طلبوا منه أن يمارسوا الجنس مع ضيوفه الشباب!) فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ (أي: محونا أبصارهم فصاروا عُمياناً؛ مسحنا أَعْيُنَهُمْ وجعلناها كسائر الوجه لا شق لها!) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ {37} وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً (أي: في الصباح الباكر) عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (أي: ثابت لم يتوقف حتى هلكوا تماماً؛ ثابت دائم حتى يُفضي بهم إلى عذاب الآخرة) {38} فَذُوقُوا عَذَابِي [الذي أنزلته بكم لكفركم وتكذيبكم] وَنُذُرِ [التي أنذركم بها لوطٌ] {39} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (أي: فَهَلْ مِن متعظٍ به؟) {40}.

رواية سورة الأعراف: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ (أي: أتفعلون) الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (أي: لم يسبقكم إليها أحدٌ مِن الخلق مِن بني آدم!) {80} إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ (أي: لتجامعون؛ لتنكحون[4265]) الرِّجَالَ [في أدبارهم] شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ [في تجاوز حدود الله] {81} وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم (أي: أَخْرِجُوا لوطاً وأهله/أتباعه الذين آمنوا معه) مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ {82} فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ [المؤمنين] إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (أي: الهالكين؛ الباقين في عذاب الله) {83} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا [من الحجارة]ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ {84}.

رواية سورة الشعراء: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ {160} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (أي: ألا تخشون عقابَ الله على كفركم ومعاصيكم؟!) {161} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ [من الله] أَمِينٌ (أي: حفيظ على توصيل رسالته إليكم كما أوحاها إليَّ) {162} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ {163} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ {164} أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ {165} وَتَذَرُونَ (أي: تتركون) مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ

أَزْوَاجِكُم(4266) ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (أي: متجاوزون الحد) {166} قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (أي: المطرودين من مدينتنا) {167} قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (أي: مِّنَ الكارهين والمبغضين له بغضاً شديداً) {168} رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ {169} فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ {170} إِلَّا عَجُوزًا (هي: امرأته) فِي الْغَابِرِينَ (أي: أهلكناها) {171} ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ {172} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا [من الحجارة]ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ {173} إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً (أي: عبرة وموعظة؛ حجة وعلامة ودلالة واضحة على قدرة الله)ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم (أي: أكثر قوم لوط؛ و/أو: أكثر قوم محمد) مُّؤْمِنِينَ {174} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ [الذي يقهر الكفار المكذبين العاصين] الرَّحِيمُ [بعباده التائبين المؤمنين الطائعين] {175}.

رواية سورة النمل: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (أي: تعلمون أنها فَاحِشَة؛ جهاراً وعلناً ولا تستترون!) {54} أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ [في أدبارهم] شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (أي: لا تعلمون حقَّ الله عليكم؛ لا تعلمون عاقِبَةَ أفعالكم وهي نار جهنم) {55} ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ {56} فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا (أي: قضينا أنها) مِنَ الْغَابِرِينَ {57} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا [من الحجارة]ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ {58} قُلِ [يا محمد] الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰۗ آللَّهُ (أي: هل اللهُ) خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ {59}.

رواية سورة هود: وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا (أي: الملائكة ضيف إبراهيم) لُوطًا [في صورة رجال وِسام] سِيءَ بِهِمْ (أي: استاء واغتم وحزن، وذلك لأنه ظنَّ أنهم من البشر ولم يكن يعلم أنهم ملائكة الله) وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا [لخوفه عليهم مِن تحرش قومه بهم وهو عاجز عن حمايتهم] وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ {77} وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ (أي: مسرعين) وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ (أي: يَأْتُون الرِّجَالَ في أدبارهم شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ) ۚ قَالَ [لوط لقومه] يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ {78} قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ [في نكاحهن أو رغبة فيهن] وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (أي: لا نريد إلا اغتصاب ضيوفك الشبان الحسان!) {79} قَالَ [لوط لقومه] لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ [مِن الأنصار والعشيرة والجنود ونحو ذلك] شَدِيدٍ (أي: قوي اعتمد عليه لَواجهتكم ومنعتكم ودَفَعتُكم عن ضيوفي) {80} قَالُوا (أي: قالت الملائكة) يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ [لا بَشر كما بدا لك ولقومك] لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ [بِشَرٍ أو ضرر]ۖ فَأَسْرِ (أي: فاخرج من هذه المدينة) بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ (أي: في بعض أوقات الليل المظلم) وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ [خلفه] إِلَّا امْرَأَتَكَۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ (أي: مَوْعِد هلاكهم) الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ {81} فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا [بنزول العذاب بقوم لوط] جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا (أي: قَلَبنا أرضها وخسفناها!) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (أي: من طين حمى بالنار حتى تحجَّر؛ حجارة مُحَمَّاة بالنار) مَّنضُودٍ (أي: منتظم متتابع صُفَّ بعضه فوق بعض) {82} مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ [يا محمد] (أي: مُعَلَّمَةً بعلامةٍ مميزة غير حجارة الأرض!؛ مُعَلَّمَةً بعلامةٍ خاصَّةٍ معلومةٍ عند رَبِّكَ تجعلها خاصَّةً بهم لا تُصيبُ غيرَهم!)ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ (بقصد: كفار قريش؛ أو: الظَّالِمِين جميعاً) بِبَعِيدٍ {83}.

رواية سورة الحجر: فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (أي: الملائكةُ ضيف إبراهيم) {61} قَالَ [لوط لهم] إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (أي: غرباء لا أعرفكم؛ تنكركم نفسي وتنفر منكم مخافة أن تمسونا بِشَرٍّ) {62} قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (أي: بعذاب قومِك الذي كانوا يشكُّون في وقوعه) {63} وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ {64} فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ (أي: سر أنت خلف أهلك) وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ [خلفه] وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ {65} وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ (أي: أوحينا إلى لوط) ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ (أي: مُستأصَلون بالهلاك عن آخرهم، ولا يبقى منهم أحد)[4267] مُّصْبِحِينَ {66} وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ [بضيوف لوط الذكور ليضاجعوهم] {67} قَالَ [لوط لقومه] إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ {68} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ {69} قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (أي: أَوَلَمْ نَنْهَكَ أن تضيِّف الزوار الغرباء؛ و/أو تدافع عنهم لئلا نفعل معهم ما نريد) {70} قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (أي: راغبين في قضاء الشهوة الجنسية) {71} لَعَمْرُكَ (أي: بحق حياتك يا محمد؛ وقيل إنه قَسَمٌ من الملائكة للوط) إِنَّهُمْ (أي: قوم لوط؛ تعريضاً بكفار قريش قوم محمد) لَفِي سَكْرَتِهِمْ (أي: غفلتهم الشديدة؛ غوايتهم وضلالتهم) يَعْمَهُونَ (أي: لضالون متحيرون مترددون لا يعرفون ما يسلكون) {72} فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ (أي: صوتُ العذاب المهلِك) مُشْرِقِينَ (أي: وقت شروق الشمس) {73} فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ {74} إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (أي: للمتأملين المعتبرين الذين يتعرفون الأمور ويدركون نتائجها من سماتها) {75} وَإِنَّهَا (أي: مدينة قوم لوط؛ سدوم وعمورة) لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (أي: تقع على طريق ثابت ومعروف يسلكه الناس/قريش إلى الشام) (76) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً (أي: عبرة وموعظة) لِّلْمُؤْمِنِينَ {77}.

رواية سورة الصافات: وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ {133} إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ [المؤمنين] أَجْمَعِينَ {134} إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ {135} ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (أي: غيرَ المؤمنين مِن كُفَّار قومه) {136} وَإِنَّكُمْ [يا أهل مكة في أسفاركم إلى الشام] لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم (أي: على أطلال سدوم وعمورة) مُّصْبِحِينَ {137} وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (أي: أفلا تتعظون بهم وتخافون أن يحدث لكم ما حدث لهم) {138}.

رواية سورة الذاريات: فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا (أي: في مدينة قوم لوط) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {35} فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ [أهل] بَيْتٍ [واحد] مِّنَ الْمُسْلِمِينَ {36} وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً (أي: دليلاً على ما نزل بقوم لوط من العذاب؛ عبرةً) لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ {37}.

رواية سورة الأنبياء: وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا (أي: حِكْمَةً) وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ (أي: كان أهلُها يعملون) الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ {74} وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا (Our Mercy) ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ {75}.

رواية سورة العنكبوت: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (أي: ما سبقكم بفعلها أحدٌ من الإنس والجن!) {28} أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ [في أدبارهم] وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ (أي: تَقْطَعُونَ الطريقَ على المارة و/أو المسافرين لتسرقونهم أو تقتلونهم أو تُكرهونهم على اللواط؛ وقيل: تَقْطَعُونَ

سبِيلَ النسل!) وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ (أي: مجلسكم؛ مكان اجتماعكم) الْمُنكَرَ (أي: يزين بعضُكم لبعضٍ الفاحشةَ وتقترعون في مجلسكم على من يرتكبها[4268]!) ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {29} قَالَ [لوط] رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ {30} [...] وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا (أي: الملائكةُ ضيف إبراهيم) لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ {33} إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا (أي: عذاباً) مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {34} وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً (أي: آثاراً ظاهرة؛ دليلاً واضحاً؛ عِبرةً وعِظةً) لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {35}.

وتوجد آية مهمة في **سورة التحريم المدنية** ويمكن أن نضمها إلى الروايات القرآنية المكية العشر السابقة، وهي مهمة لأنها دليل قرآني مهم يثبت أن مثلية قوم لوط كانت مرتبطة بكفرهم، فلقد هلكت امرأةُ لوط ليس لأنها كانت مثلية وإنما لأنها كانت كافرة أو منافقة (موالية للكفار): "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ (أي: يا محمد) جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا (أي: خيانةً روحية؛ خَانَتَاهُمَا في الدين، فقد كانتا كافرتين أو منافقتين) فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا (أي: لم تنفعهما علاقتهما الأسرية بالمؤمنين الأبرار نوح ولوط) وَقِيلَ [لامرأة نوح وامرأة لوط يوم القيامة] ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (أي: مع الشيطان إبليس والْكُفَّار وَالْمُنَافِقِين؛ لا فرق بينكما وبين مَن ليس له صِلة قرابة بنبي أو غيره، فالنجاة من نار جهنم يوم القيامة تكون بالإيمان والطاعة في الدنيا وليس بالشفاعة ولا بالعلاقات الأسرية أو العائلية)" (التحريم 9-10)[4269].

وبغض النظر عن ما إذا كانت خطيئة قوم لوط الأساسية هي الكفر (Disbelief)؟ أم قطع الطريق على الأبرياء لسرقتهم أو قتلهم (Mugging; Street Robbery; Highway Robbery)؟ أم اغتصاب الذكور (Rape of males)؟ أم ممارسة الجنس جهاراً وعلناً (Public Sex)؟ أم ازدواجية الميل الجنسي (Bisexuality)؟ أم المثلية الجنسية (Homosexuality)؟ أم كل ما سبق؟؛ وبغض النظر عن ما إذا كان المقصود بـ "الْفَاحِشَةَ" هو اللواط أو نكاح الأدبار (anal sex) فقط؟ أم كل أنواع الجنس المثلي؟، فإن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة: هل قصة هلاك قوم لوط قصة حقيقية تاريخية؟ أم مجرد أسطورة من أساطير الأولين؟ وبفرض أنها قصة حقيقية تاريخية، فهل فعلاً كان قوم لوط هُمْ أَوَّل مَن أتوا الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ كما يزعم القرآن: "تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ" (الأعراف 80) (العنكبوت 28)؟! وبفرض أن قصة هلاكهم حقيقية وتاريخية، فهل فعلاً كانت عقاباً من الله؟ أم مجرد ظواهر طبيعية (مثلاً: حرائق، رياح شديدة، زلازل ... الخ)؟

وفي جميع الأحوال، فإن تفاصيل قصة هلاك قوم لوط لا تنطبق على المثلية الجنسية اليوم، فلا توجد الآن أي علاقة بين الكفر والمثلية الجنسية. بل لا توجد الآن أي علاقة بين خطايا قوم لوط المتعددة والمثلية الجنسية. إن خطايا قوم لوط المتعددة تدل على إجرام فظيع وصل إلى درجة التحرش الجنسي بالضيوف!

وتدل على انحطاط أخلاقي فاضح لا نراه اليوم عند المثليين الذين يعملون في كبرى الشركات العالمية التي نستفيد من منتجاتها ويدفعون الضرائب التي تصلنا في صورة معونات أو منح أو قروض ميسرة.

المسلمون والمسيحيون الشرقيون الذين يهاجرون إلى أوروبا وأمريكا الشمالية يجب عليهم أولاً قبل أن يحصلوا على الجنسية (citizenship) أن يقسموا على دساتير تلك الدول الغربية التي تقر وتحترم حقوق المثليين. فلو كانت المثلية الجنسية بصورتها الحالية فاحشة أو جريمة، فلماذا يقسم هؤلاء المسلمون والمسيحيون الشرقيون على الدساتير التي تعتبرها حقاً من حقوق الإنسان؟! الإجابة: قد يُقال لأنهم منافقون، أو لأنهم وضعوا مصالحهم الشخصية فوق معتقداتهم الدينية. أما نحن فسوف نحسن الظن بهم ونقول: لأنهم أدركوا بعقولهم أنه لا يوجد الآن أي وجه للمقارنة بين المثلية الجنسية اليوم والمثلية الجنسية أيام لوط (بفرض أنه شخصية حقيقية تاريخية). فحتى لو افترضنا جدلاً أن قصة قوم لوط قصة حقيقية تاريخية، فإننا لا نرى أي مبرر عقلاني لاستخدامها اليوم كذريعة لكراهية المثليين أو الخوف منهم (Homophobia).

وقبل أن نناقش مسألة تاريخية قصة هلاك قوم لوط، يجب أولاً أن ندرس المشكلات التي تعانها منها الروايات القرآنية العشر، ثم نثبت أنها مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي/المسيحي المتعلق بتدمير سدوم وعمورة، سواء التراث المقدس (التوراة والإنجيل) أو التراث غير المقدس (مثلاً: التلمود البابلي وكتابات آباء الكنيسة في القرون الأولى للميلاد قبل الإسلام).

4.15.1 اختلاف الروايات القرآنية في الأقوال والأفعال وترتيب الأحداث!

في الواقع، توجد اختلافات كثيرة بين الروايات القرآنية العشر. مما يجعلنا نتساءل نفس السؤال: هل نحن أمام عشر روايات مختلفة لنفس الموقف؟ أم نحن أمام عشر مواقف مختلفة؟! لا يمكن أن تكون هذه الروايات لعشر مواقف مختلفة، إذ لا يمكن أن يكون قوم لوط قد هلكوا عشر مرات! ولذلك تعتبرها المراجع الإسلامية قصةً واحدة هي "قصة هلاك قوم لوط"، أو اختصاراً "قصة قوم لوط".

حرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي ببعض الاختلافات على سبيل المثال وليس الحصر.

اختلاف في الأقوال: ماذا قال الرُسل للوط؟!

- هل قالوا له حسب رواية سورة هود: "فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ" (هود 81)؟ وقال الفرَّاء عن (هود 81): وليس فى قراءة عبد الله "وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ"[(4270)]!
- أم قالوا له حسب رواية سورة الحجر: "فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ" (الحجر 65) دون أن يقولوا له "إِلَّا امْرَأَتَكَ"؟

- أم قالوا له حسب رواية سورة العنكبوت: "لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" (العنكبوت 33). وجود عبارة "إِلَّا امْرَأَتَكَ" في روايتي سورتي هود والعنكبوت فقط، وكذلك عبارة "جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا" (هود 77) (العنكبوت 33)، يؤكد ما قلناه فيما سبق إن صاحب رواية سورة العنكبوت اعتمد على رواية سورة هود، بل ربما يكون هو نفس الشخص أو على الأقل ينتمي إلى نفس المجموعة أو الحلقة (same circle).

ويوجد اختلاف خطير في ترتيب أحداث روايتي سورتي هود والحجر!

- تقول رواية سورة هود إن قوم لوط جاءوا "يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ" (هود 78) لمَّا علموا بقدوم الشُبان الحِسَان (الملائكة). فاقترح عليهم لوط أن ينكحوا بناته: "قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي" (هود 78). فقالوا له: "لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ" (هود 79). فقال لوط لهم: "لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ" (هود 80). ثم بعد ذلك، ظهر الشبان الحسان على حقيقتهم وكشفوا أنهم ملائكة وأعلنوا عن مهمتهم قائلين للوط: "يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ" (هود 81).
- أما رواية سورة الحجر فتقول إن الشُبان الحِسَان (الملائكة) كشفوا عن طبيعتهم ومهمتهم منذ اللحظة الأولى، إذ قالوا للوط: "بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ. وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ. فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ. وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ" (الحجر 63-66). ثم بعد ذلك، جاء قومُ لوط إليه: "وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ" (الحجر 67). ثم دار بينهم وبين لوط الحوار المذكور في رواية سورة هود مع بعض الاختلافات في الكلمات. قال لوط لهم: "إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ" (الحجر 68-69). فقالوا له: "أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ" (الحجر 70). فاقترح عليهم لوط أن ينكحوا بناته: "قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ" (الحجر 71).

فأيهما حدث أولاً: الحوار الذي دار بين لوط وقومه فاقترح لوطٌ عليهم أن ينكحوا بناته (هود 78-80) (الحجر 67-71)؟ أم الحوار الذي دار بين لوط والملائكة فأمرته الملائكةُ أن يخرج من المدينة ليلاً (الحجر 63-66) (هود 81)؟! حسب رواية سورة هود، الحوار بين لوط وقومه حدث أولاً. أما حسب رواية سورة الحجر، فإن الحوار بين لوط والملائكة هو الذي حدث أولاً!

مِن فضلكم تدبروا القرآنَ، لتكتشفوا الاختلافات الكثيرة بين الروايات القرآنية فتتأكدوا بأنفسكم أنه من عند غير الله. "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[4271].

ومن حُسن الحظ أن بعض الكتاب المسلمين قد اعترفوا بهذا الاختلاف في ترتيب الأحداث، لكنهم كالعادة يلجأون إلى حيل ولف ودوران لتبريره بأي طريقة مهما كانت ملتوية وغير معقولة. على سبيل المثال، يقول الأستاذ سيد قطب فى تفسيره لسورة الحجر[4272]: "وكذلك يختلف ترتيب الحوادث فى القسم الخاص بلوط فى السورتين [يقصد: هود والحجر] .. ففى سورة هود لم يكشف عن طبيعة الملائكة إلا بعد أن جاءه قومه يهرعون إليه وهو يرجوهم فى ضيفه فلا يقبلون رجاءه، حتى ضاق بهم ذرعاً وقال قولته الأسيفة: "لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ". وأما هنا [يقصد: سورة الحجر] فقدَّم الكشف عن طبيعة الملائكة منذ اللحظة الأولى، وأخَّر حكاية القوم وائتمارهم بضيف لوط". وطبعاً كالعادة، حاول سيد قطب أن يجد تبريراً لهذا الاختلاف فقال: "لأن المقصود هنا ليس هو القصة بترتيبها الذى وقعت به، ولكن تصديق النذير، وأن الملائكة حين ينزلون فإنما ينزلون للعذاب فلا ينظر القوم ولا يمهلون"!

ونحن نقول له ولكل المسلمين: ليس هذا التبرير الضعيف هو السبب، وإنما السبب هو أن القرآن مُنتَج بشرى اشترك فيه أكثر مِن شخص. نعم، إن كل هذه الاختلافات (discrepancies) سواء فى الأقوال أو الأفعال أو ترتيب الأحداث أو القراءات هي في حد ذاتها دليل على أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله[4273]. بل هي أيضاً دليل على أن القرآن ثمرة عمل جماعي (fruit d'un travail collectif): الشخص الذي قال روايةَ سورة الحجر غير الشخص (أو الأشخاص) الذين قالوا الروايات الأخرى.

وكما سنرى بعد قليل، ترتيب أحداث القصة التوراتية الأصلية يتفق مع رواية سورة هود أكثر من اتفاقه مع رواية سورة الحجر. مما يؤكد نفس النتيجة التي وصلنا إليها عند دراستنا لقصة ضيف إبراهيم: صاحب رواية سورة هود كان على دراية ممتازة بالتراث اليهودي/المسيحي الشرقي. أما صاحب رواية سورة الحجر، فدرايته بالتراث اليهودي/المسيحي متوسطة أو أقل من متوسطة.

اختلاف في الأفعال: ماذا كانت عقوبة قوم لوط وكيف هلكوا؟!

اتفقت معظم الروايات القرآنية على أن الله أنزل عليهم حجارةً من السماء: "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا [من الحجارة]" (الأعراف 84) (الشعراء 173) (النمل 58) "لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ [من السماء] حِجَارَةً مِّن طِينٍ" (الذاريات 33) "فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ" (الحجر 74) "إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا (أي: عذاباً) مِّنَ السَّمَاءِ" (العنكبوت 34)[4274]. وكان ذلك في الصباح الباكر: "مُّصْبِحِينَ" (الحجر 66) "إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ" (هود 81-82).

لكن في المقابل انفردت بعض الروايات بمعلومات أخرى. مثلاً تقول رواية سورة القمر: "أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا [...] فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ" (القمر 34-37). وكان ذلك في آخر الليل أو بعده بدليل قوله بعد الحَاصِب

"إِلَّا آلَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ" (القمر 34) وقبل الصباح الباكر بدليل قوله بعد طمس الأعين "فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ. وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ" (القمر 37-38). ثم تقول رواية سورة الحجر: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (أي: وقت شروق الشمس)" (الحجر 73). وتقول المراجع الإسلامية إن الصَّيْحَة هي صوت العذاب المهلِك. وقال د. شوقي ضيف إن الصَّيْحَة "هي الصَّعقة أو الرجفة، وربما كانت رجفة زلازل مدمرة"[4275]!

قد يُقال إن هذه المعلومات مجرد معلومات إضافية تفصيلية ولا يوجد تناقض بينها وبين عقوبة نزول الحجارة من السماء، فيمكن إذن الجمع بينها كلها. أو كما قال الشيخ محمد محمود حجازي (من علماء الأزهر في القرن العشرين): "إن موعدهم الصبح؛ إذ سيبتدئ عذابهم من طلوع الفجر وينتهي عند شروق الشمس"؛ "الصَّيْحَةُ: المراد: الصوت القاصف عند الشروق مع رفع بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها سافلها"[4276]! وبغض النظر عن أسطورية "رفع بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها"، فإن هذا الرأي قد يبدو صحيحاً، لكن المشكلة هي أنه توجد آية مهمة جداً في سورة العنكبوت تقول عن المكذبين المذنبين المذكورين في السورة كقوم لوط وغيرهم: "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (العنكبوت 40). فأين نضع قومَ لوط؟ هل مع "مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا" كما تقول رواية سورة القمر؟ أم مع "مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ" كما تقول رواية سورة الحجر؟ أم مع "مَّنْ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً" وَهُمْ غير مذكورين أصلاً في (العنكبوت 40) مع أنه العقاب الذي اتفقت عليه معظم الروايات القرآنية كما قلنا!

وفي الواقع، توجد مشكلة أخرى وهي – كما توقعتم في رواية سورة الحجر – وهي المعلومة الإضافية التي انفرد بها صاحبُ رواية سورة الحجر: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ" (الحجر 73). فهل قال ذلك لأن "الصَّيْحَة" حدثت فعلاً؟ أم لأنه أراد أن يتفق عقابُ قوم لوط مع عقاب قوم صالح (أَصْحَاب الْحِجْرِ) المذكور في نفس السورة (سورة الْحِجْر) بعد ذلك بقليل: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ" (الحجر 83)؟ بعبارة أخرى: هل صاحب رواية سورة الحجر قال عن قوم لوط: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ" (الحجر 73) لأسباب تاريخية تتعلق بقوم لوط؟ أم لأسباب أدبية تتعلق بسورة الحجر؟ في ضوء الاختلافات والمشكلات الكثيرة التي تعاني منها رواية سورة الحجر، نعتقد أن الإجابة واضحة: صاحب رواية سورة الحجر قال عن قوم لوط: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ" (الحجر 73) لأسباب أدبية تتعلق بسورة الحجر. ومَن يتوهم أن هذه "الصَّيْحَة" المزعومة قد حدثت فعلاً، فعليه أولاً أن يثبت أن قصة هلاك قوم لوط القرآنية قصة حقيقية تاريخية. بل عليه أولاً أن يثبت أن لوط نفسه شخصية حقيقية تاريخية.

وفي نفس السياق، نلاحظ أن صاحب رواية سورة هود انفرد بأن وضع على لسان لوط كلمةَ "رَّشِيدٌ": "قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ" (هود 78). فهل فعل ذلك لأسباب تاريخية تتعلق بلوط؟ أم لأسباب أدبية تتعلق بسورة هود؟ الإجابة: لأسباب أدبية تتعلق بسورة هود، إذ لم تُذكَر كلمة "رَّشِيد" في القرآن كله إلا ثلاث مرات فقط، كلهم في سورة هود: قصة لوط

(هود 78)، قصة شعيب (هود 87)، قصة موسى (هود 97)! الصنعة الأدبية واضحة لكل ذي عقل. فعلى الرغم من إعجابنا بثقافة صاحب رواية سورة هود، إلا أن هذا لا يمنعه من أن يضع بصمته الأدبية على الرواية، وبخاصة حتى يحافظ على السجع (rhyme)، أي يحافظ على فواصل الآيات.

أما رواية سورة الشعراء فانفردت أدبياً بأنها وضعت قصةَ قوم لوط في إطار نمطي (pattern) يبدأ بخمس آيات "كَذَّبَتْ [قَوْمُ النبي فلان] الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ [فلان] أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، ولقد تكررت هذه الآيات الخمس خمس مرات في السورة في قصص الأنبياء نوح (الشعراء 105-109)؛ هود (الشعراء 123-127)؛ صالح (الشعراء 141-145)؛ لوط (الشعراء 160-164)؛ شعيب (الشعراء 176-180). صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا كتابةَ (rewrote) هذه القصص المتوارثة فحذفوا منها ما حذفوا وأضافوا إليها ما أضافوا[4277] واستخدموا عبارات تلائم بيئتهم العربية فى القرن السابع الميلادى، بدليل أنهم استخدموا نفس العبارات الـ(formulaic) في قصص مختلفة ولشخصيات مختلفة لغوياً وثقافياً وزمانياً ومكانياً. وكان أحد أهداف أصحاب القرآن أن يجعلوا قصص الأنبياء والرسل السابقين مشابهة لحياة محمد، حتى يسهل عليهم إقناع أهل مكة بأن محمد نبي ورسول مثل هؤلاء الأنبياء والرسل السابقين. وخير دليل قرآني على ذلك هو نهاية هذا الإطار النمطي التي تتكون مِن ثلاث جمل "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ[4278]" استخدمها أصحابُ القرآن في نفس السورة ليختتموا حديثهم عن قوم محمد (الشعراء 8-9) وقوم فرعون الذين أُرسِل إليهم موسى (الشعراء 67-68) وقوم إبراهيم (الشعراء 103-104) وقوم نوح (الشعراء 121-122) وقوم هود (الشعراء 139-140) وقوم صالح (الشعراء 158-159) وقوم لوط (الشعراء 174-175) وأصحاب الأيكة الذين أُرسِل إليهم شعيب (الشعراء 190-191). وكل ذلك حتى عندما تسمع/تقرأ تلك القصص، تجد نفس الأفكار والعبارات والكلمات المستخدمة، ومِن ثم يسهل عليك أن تصدق أن محمد نبي مثل نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى وغيرهم! الصنعة الأدبية واضحة جداً لكل إنسان عاقل، وتمنعنا من الاعتماد على القرآن كمصدر تاريخي. وإنما القرآن منتج أدبي ثقافي أنتجه العرب انطلاقاً من التراث اليهودي/المسيحي.

4.15.2 مصادر قصة "قوم لوط" مِن التوراة

نبدأ أولاً بالتوراة لأنها أساس هذه القصة القرآنية (الأسطورة العبرانية) التي يُفترَض أنها حدثت في مكانٍ ما بالقرب من البحر الميت قبل منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد! وقَلَبت مدناً كاملة! وأبادت كُلَّ سكانها! ومع ذلك، لا يوجد أي دليل علمي يثبت حدوثها تاريخياً!

تدور أحداث الأسطورة التوراتية←القرآنية في ليلة واحدة من المساء إلى شروق شمس اليوم التالي:

أحداث الليل. **(التكوين 19)**[4279]**:** {1} فَجَاءَ الْمَلاَكَانِ [اللذان رافقا الربَّ في زيارة إبراهيم] إِلَى سَدُومَ (Sodom) مَسَاءً، وَكَانَ لُوطٌ جَالِسًا فِي بَابِ سَدُومَ (أي: بوابة الدخول إلى المدينة؛ port of entry **[← "جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا" (هود 77) (العنكبوت 33) "جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ" (الحجر 61)]**. فَلَمَّا رَآهُمَا لُوطٌ قَامَ لاسْتِقْبَالِهِمَا، وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. {2} وَقَالَ: «يَا سَيِّدَيَّ (أو: يا سادَتِي)، مِيلاَ إِلَى بَيْتِ (بالعبرية: bêṯ) **[← بالعربية: "بَيْتٍ" (الذاريات 36)]** عَبْدِكُمَا (أي: بَيْتِ لوط) وَبِيتَا وَاغْسِلاَ أَرْجُلَكُمَا، ثُمَّ تُبَكِّرَانِ وَتَذْهَبَانِ فِي طَرِيقِكُمَا». فَقَالاَ: «لاَ، بَلْ فِي السَّاحَةِ (أي: الميدان العام) نَبِيتُ [كأي غريبين عن المدينة]». {3} فَأَلَحَّ [لُوطٌ] عَلَيْهِمَا جِدًّا، فَمَالاَ إِلَيْهِ وَدَخَلاَ بَيْتَهُ، فَصَنَعَ لَهُمَا ضِيَافَةً وَخَبَزَ فَطِيرًا (أي: غير مختمر) فَأَكَلاَ. {4} وَقَبْلَمَا اضْطَجَعَا أَحَاطَ بِالْبَيْتِ رِجَالُ الْمَدِينَةِ، رِجَالُ سَدُومَ، مِنَ الْحَدَثِ إِلَى الشَّيْخِ، كُلُّ الشَّعْبِ مِنْ أَقْصَاهَا **[← "جَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ" (الحجر 67) "جَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ" (هود 78)]**. {5} فَنَادَوْا لُوطًا وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ الرَّجُلاَنِ اللَّذَانِ دَخَلاَ إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ؟ أَخْرِجْهُمَا إِلَيْنَا لِنَعْرِفَهُمَا (أي: لِنَعْرِفَهُمَا جسدياً وجنسياً؛ لنمارس معهما اللواط Sodomy!)» **[← "رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ" (القمر 37)]**. {6} فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لُوطٌ إِلَى الْبَابِ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ {7} وَقَالَ: «لاَ تَفْعَلُوا شَرًّا يَا إِخْوَتِي **[← "قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ" (الحجر 68-69)]**. {8} هُوَذَا لِي ابْنَتَانِ لَمْ تَعْرِفَا رَجُلاً (أي: عَذْرَاوَان). أُخْرِجُهُمَا إِلَيْكُمْ فَافْعَلُوا بِهِمَا كَمَا يَحْسُنُ فِي عُيُونِكُمْ **[← "قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ" (الحجر 71) "قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ" (هود 78)]**. وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ فَلاَ تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا، لأَنَّهُمَا قَدْ دَخَلاَ تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِي **[← "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ" (هود 78) "أَلَا تَتَّقُونَ. [...]. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ" (الشعراء 161-163)]**». {9} فَقَالُوا (أي: قال رجالُ سَدُومَ للوط): «ابْعُدْ إِلَى هُنَاكَ **[← "قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ" (الشعراء 167) "قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ" (النمل 56) "قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ" (الأعراف 82)]**». ثُمَّ قَالُوا: «جَاءَ هذَا الإِنْسَانُ (أي: لوط) لِيَتَغَرَّبَ، وَهُوَ يَحْكُمُ حُكْمًا. الآنَ نَفْعَلُ بِكَ شَرًّا أَكْثَرَ مِنْهُمَا». فَأَلَحُّوا عَلَى الرَّجُلِ لُوطٍ جِدًّا **[← "رَاوَدُوهُ" (solicited) (القمر 37) "قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (أي: لا نريد إلا الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ وراء الباب في بيتك)" (هود 79)]** وَتَقَدَّمُوا لِيُكَسِّرُوا الْبَابَ.

قبل أن نستكمل، يجب أن نتوقف قليلاً أمام ملاحظتين:

الملاحظة الأولى: حاول لوطٌ أن يتقرب إلى أهل المدينة فقال لهم "يَا <u>إِخْوَتِي</u>" (التكوين 7:19)، لكنهم رفضوا ذلك وذكّروه بالحقيقة وهي أنه مجرد مهاجر غريب (alien) يعيش في وسطهم (التكوين 9:19) **[← تبنّى القرآنُ وجهةَ نظر لوط الخاطئة، فجعل أهل المدينة قومه بل إخوته! "<u>إِخْوَانُ</u> لُوطٍ" (ق 13)! "قَوْمُ لُوطٍ [...] <u>أَخُوهُمْ</u> لُوطٌ" (الشعراء 160-161)! "قَوْمُ لُوطٍ" (القمر 33) وآيات أخرى كثيرة!]**.

الملاحظة الثانية: عرض لوطٌ ابنتيه **[← بناته]** على رجَال سَدُومَ ليعتدوا عليهما جنسياً بدلاً من أن يعتدوا جنسياً على ضيفيه **[← ضيوفه]** الرجال! وهذا طبعاً لا يليق برجل شرقي محترم، ناهيك من رجل بار أو نبي أو رسول[4280]! فكيف حلَّ التراث الديني هذه المشكلة الصعبة؟ يوجد حلان على الأقل:

- الحل الأول نجده في التفاسير اليهودية و/أو المسيحية التي تعترف بأن لوط قدَّم ابنتيه للزنا، لكنها تحاول أن تجد مبرراً لهذا العرض المشين، وكالعادة لم يتفقوا على مبرر واحد معقول. فقيل إن واجبات الضيافة آنذاك كانت "تفرض على المُضِيف أن يحمي ضيوفه في جميع المواقف وبكل الطرق الممكنة"[4281]! وقيل إن لوط أدرك أن ضيفيه ملاكان "وقد بيّن تصرّفه في تضحيته بابنتيه حتى لا يمسّ الملاكين أنه عرف قيمتهما ومَن يمثلان"[4282]! وقيل: "لعله أراد بهذا إخجالهم (أي: إخجال رجال سدوم) حتى ينصرفوا ويتركوه. ولكن على كل حال قد أخطأ بهذا العرض الشرير ولعله قاله لتأثره بالسكن وسط الأشرار، فقبل ولو بالنية أن يقدِّم ابنتيه للزنا"[4283]!
- أما الحل الثاني فنجده في تفاسير القرآن التي ترفض أن لوط قدَّم ابنتيه للزنا! وتزعم أن كلمة "بَنَاتِي" (هود 78) (الحجر 71) لا تعني بنات لوط مِن صُلْبه! وإنما تعني زوجاتكم اللاتي بمنزلة بناتي، و/أو بنات المدينة غير المتزوجات فتَزَوَّجوهن، "لأن نبي الأمَّة بمنزلة الأب لهم"[4284]!

أما نحن فنرى أن القصة كلها غير معقولة، ولا نستطيع أن نتصور أنها حدثت فعلاً بالطريقة العجيبة التي يصفها القرآن أو حتى التوراة.

نعود إلى التوراة. تكملة أحداث الليل. ماذا حدث بعد أن تَقَدَّم رجَالُ سَدُومَ لِيُكَسِّرُوا بَابَ بيت لوط؟ **(التكوين 19):** {10} فَمَدَّ الرَّجُلاَنِ (أي: الْمَلاَكَان) أَيْدِيَهُمَا وَأَدْخَلاَ لُوطًا إِلَيْهِمَا إِلَى الْبَيْتِ وَأَغْلَقَا الْبَابَ. {11} وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَضَرَبَاهُمْ بِالْعَمَى (dazzled with a blinding light) **[← كان إفرام السرياني أكثر وضوحاً فقال صراحةً إنهم أصيبوا بِالْعَمَى (were afflicted with blindness)[4285] ← وكذلك في القرآن: "فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ (أي: محونا أبصارهم فصاروا عُمياناً)" (القمر 37)]**، مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ، فَعَجِزُوا عَنْ أَنْ يَجِدُوا الْبَابَ (أي: أصر رجَالُ سَدُومَ على التحرش الجنسي بالضيوف حتى بعد أن ضُربوا بالعمى!) **[← "إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ (أي: غوايتهم) يَعْمَهُونَ (أي: متخبطون متحيرون لا يعرفون ما يسلكون[4286])" (الحجر 72) "إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ" (الأنبياء 74)]**. {12} وَقَالَ الرَّجُلاَنِ (أي: الْمَلاَكَان) لِلُوطٍ: «مَنْ لَكَ أَيْضًا ههُنَا؟ أَصْهَارَكَ (أي: أزواج بناتك[4287]) وَبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَكُلَّ مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْ مِنَ الْمَكَانِ **[← "فَأَسْرِ (أي: فَاخْرُجْ من المدينة) بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ" (هود 81) (الحجر 65)]**، {13} لأَنَّنَا مُهْلِكَانِ هذَا الْمَكَانَ **[← "وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ (أي: أوحينا إلى لوط) ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ (أي: أهل المدينة مُستأصَلون بالهلاك عن آخرهم)" (الحجر 66)]**، إِذْ قَدْ عَظُمَ صُرَاخُهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ، فَأَرْسَلَنَا الرَّبُّ لِنُهْلِكَهُ» **[← "قَالُوا (أي: قال الرسل/الملائكة) يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ" (هود 81) "إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا (أي: عذاباً) مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ"**

(العنكبوت 34)]. {14} فَخَرَجَ لُوطٌ وَكَلَّمَ أَصْهَارَهُ الآخِذِينَ بَنَاتِهِ وَقَالَ: «قُومُوا اخْرُجُوا مِنْ هذَا الْمَكَانِ، لأَنَّ الرَّبَّ مُهْلِكٌ الْمَدِينَةَ» **[← "وَلَقَدْ أَنذَرَهُم [لُوطٌ] بَطْشَتَنَا" (القمر 36)]**. فَكَانَ كَمَازِحٍ فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِهِ **[← "فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (أي: شكُّوا في الهلاك)" (القمر 36) "كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ" (الحجر 63) "كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ" (القمر 33) "كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ" (الشعراء 160) "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (أي: مِن الجادين ولستَ تمزح)" (العنكبوت 29)]**.

أحداث الفجر. **(التكوين 19):** {15} وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ كَانَ الْمَلاَكَانِ يُعَجِّلاَنِ لُوطًا قَائِلَيْنِ: «قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ لِئَلاَّ تَهْلَكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ» **[← "وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ" (العنكبوت 33)]**. {16} وَلَمَّا تَوَانَى [لوطٌ] (أي: تَبَاطَأ)، أَمْسَكَ الرَّجُلاَنِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وَبِيَدِ ابْنَتَيْهِ، لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ (the LORD's mercy on him) **[← "أَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا (Our Mercy)" (الأنبياء 75) "نِّعْمَةً (Grace) مِّنْ عِندِنَا" (القمر 35)]**، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ **[← "فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (الذاريات 35) "نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ" (الأنبياء 74) "فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ" (الأعراف 83) (النمل 57) "فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ" (الشعراء 170) "نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ" (الصافات 134) "آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (أي: في آخر الليل قبل الفجر)" (القمر 34)]**. {17} وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجٍ أَنَّهُ قَالَ (أي: قَالَ أحدُ الملاكين للوط): «اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ **[← "وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ [خلفه]" (هود 81) (الحجر 65)]** (أي: اقطع كل تعلق بممتلكاتك المادية التي تركتها في المدينة)، وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ (أي: دائرة سهل الأردن). اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلَكَ **[← "امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ" (الحجر 65)]**». {18} فَقَالَ لَهُمَا لُوطٌ: «لاَ يَا سَيِّدُ. {19} هُوَذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً (favor, grace) **[← "نِّعْمَةً" (القمر 35)]** فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظَّمْتَ لُطْفَكَ الَّذِي صَنَعْتَ إِلَيَّ بِاسْتِبْقَاءِ نَفْسِي، وَأَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ. {20} هُوَذَا الْمَدِينَةُ هذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبُ إِلَى هُنَاكَ. أَلَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟ فَتَحْيَا نَفْسِي». {21} فَقَالَ لَهُ [الملاكُ]: «إِنِّي قَدْ رَفَعْتُ وَجْهَكَ (أي: أكرمتك وقَبِلْتُ طِلْبَتَكَ) فِي هذَا الأَمْرِ أَيْضًا، أَنْ لاَ أَقْلِبَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَكَلَّمْتَ عَنْهَا. {22} أَسْرِعِ اهْرُبْ إِلَى هُنَاكَ لأَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا حَتَّى تَجِيءَ إِلَى هُنَاكَ». لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُ الْمَدِينَةِ «صُوغَرَ» (Zoar) (أي: صغيرة؛ متواضعة الشأن؛ لا أهمية لها)[4288].

أحداث الشروق **[← "مُشْرِقِينَ" (الحجر 73) "مُّصْبِحِينَ" (الحجر 66) "إِنَّ مَوْعِدَهُمُ (أي: مَوْعِد عذابهم) الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ" (هود 81) "وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ" (القمر 38)]**. **(التكوين 19):** {23} وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلَى صُوغَرَ، {24} فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا (brimstone and fire) مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ **[← الآيات القرآنية تكاد تكون منقولة من التوراة! "أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (أي: حجارة مُحَمَّاة بالنار)" (الحجر 74) "أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ. مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ" (هود 82-83) "لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن**

طِينٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ" (الذاريات 33-34) "أَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا [من الحجارة]" (الأعراف 84) (الشعراء 173) (النمل 58) "إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ" (العنكبوت 34)]. {25} وَقَلَبَ (overthrew) (بالعبرية: *yahapōk*) (بالسريانية: *hfak*) تِلْكَ الْمُدُنَ[4289] **[← بالعربية: أَفَكَ. "وَالْمُؤْتَفِكَةَ (أي: التي قلبها اللهُ) أَهْوَىٰ (أي: خسف بهم وأسقطهم)" (النجم 53)؛ "الْمُؤْتَفِكَاتُ" (الحاقة 9) (التوبة 70)[4290] وصيغة الجمع تدل على أنها كانت بضعة مدن بالضبط كما تقول التوراة. "جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا (أي: قَلَبنا أرضها وخسفناها)" (هود 82) (الحجر 74)]**، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ **[← "ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ" (الشعراء 172) (الصافات 136)]**، وَنَبَاتَ الأَرْضِ. {26} وَنَظَرَتِ امْرَأَتُهُ (أي: امرأةُ لوط) مِنْ وَرَائِهِ **[← "وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ [إلى الوراء] إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ" (هود 81)]** فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ (أي: تحولت من إنسان إلى جماد! والمقصود: هلكت) **[← "إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (أي: الهالكين؛ الباقين في العذاب)" (الأعراف 83) (العنكبوت 32) "إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ" (النمل 57) "إِلَّا عَجُوزًا (هي: امرأته) فِي الْغَابِرِينَ" (الشعراء 171) (الصافات 135) "إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" (العنكبوت 33) "إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا ۙ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ" (الحجر 60)].**

لوط وابنتاه! هل كانوا أبراراً؟! **(التكوين 19):** {30} وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ **[← "امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ" (الحجر 65)]**، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. {31} وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. {32} هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا [حتى يفقد القدرة على التمييز] وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». {33} فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. {34} وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». {35} فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، {36} فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. {37} فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ» (Moab)، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ (Moabites) إِلَى الْيَوْمِ. {38} وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي» (Ben-ammi)، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ (Ammonites) إِلَى الْيَوْمِ.

ومِن المعلوم أن الْمُوآبِيّين والعمُّونيين كانوا يسكنون شرق نهر الأردن (حالياً: المملكة الأردنية وعاصمتها عَمَّان Amman) وكانوا وثنيين وأعداء تقليديين للعبرانيين (بني إسرائيل؛ اليهود شعب الله) (التثنية 3:23-6) (إشعياء 15-16) (إرميا 1:48 – 6:49) (حزقيال 1:25-11) وآيات أخرى. فَمِن الواضح أن صاحب (التكوين 30:19-38) قد ألّف هذا المشهد المشين ليسيء إلى خصومه الْمُوآبِيّين والعمُّونيين بأن يقول إن أصلهم سِفَاح بين لوط وابنتيه، أي: أولاد زنا محارم (incest)[4291][4292]!

وبغض النظر عن مدى تاريخية هذا المشهد بين لوط وابنتيه، فإن أهمية هذا المشهد المضحك المبكي (tragicomic) ترجع إلى أنه يساعدنا على فهم شخصية "لوط" التوراتية. فَمِن خلال دراستنا لشخصية

"لوط" في التوراة، نستطيع أن نستنتج أن لوط حسب التوراة شخص عادي، بل أقل من عادي. صحيح كان له نقاط إيجابية مثل إيمانه بالله وحرصه على حماية ضيوفه، لكن أيضاً كان له نقاط سلبية كثيرة، مثل:

- فضَّل لوطٌ الحياةَ مع الوثنيين الأشرار على الحياة مع عمه المؤمن البار إبراهيم الذي يُعتبر في منزلة والده أو أخيه الأكبر والذي أنقذه من الأسر (التكوين 13-14)! وزاد المدراش اليهودي (Genesis Rabbah) على ذلك فقال إن لوطاً انفصل عن الله حين انفصل عن إبراهيم[4293].
- عرض لوطٌ ابنتيه على رجَال سَدُومَ ليعتدوا عليهما جنسياً (التكوين 19:8)!
- "تَوَانَى" في الرحيل من سدوم (التكوين 19:16) على الرغم من عِلْمه أنها ستهلك (19:12-15)!
- قال "لاَ" (NO) لله! ورفض أن ينفذ الأمرَ الإلهي بالذهاب إلى الجبل فوراً، وإنما طلب أن يذهب إلى مدينة أخرى، "فَقَالَ لَهُمَا لُوطٌ: «لاَ يَا سَيِّدُ (NO). [...]" (التكوين 19:18-20)[4294]!
- لم يكن للوط شخصية قوية. أصهاره اعتبروه مُهرّجاً (buffoon) (التكوين 19:14)! وابنتاه جعلتاه يفقد القدرةَ على التمييز مرتين بكل سهولة ويسر في ليلتين متعاقبتين (التكوين 19:30-38)!
- شَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ حتى سَكِرَ وفقد القدرةَ على التمييز فزنا بابنتيه حتى أنجبتا (التكوين 19:30-38)!

فلولا "شفاعة إبراهيم" (التكوين 18:23-33) **[⟵ "يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ" (هود 74) "قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا" (العنكبوت 32)]**، ولولا رحمة الله ونعمته على لوط "شَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ" (التكوين 19:16) **[⟵ "أَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا (Our Mercy)" (الأنبياء 75) "نِّعْمَةً (Grace) مِّنْ عِندِنَا" (القمر 35)]**، لهلك لوطٌ أيضاً.

وبعد ذلك، لم تقل التوراةُ شيئاً جديداً عن لوط! فهل عاقبه اللهُ على خطيئته مع ابنتيه التي تدينها التوراةُ في نفس الموضع الذي تدين فيه المثلية الجنسية (اللاويين 18، 20)؟ لا نعلم. وكذلك لم تقل التوراةُ أين مات لوطٌ؟! ومتى؟! وأين دُفِنَ؟! وكأنه نكرة أو شخص غير مهم. إن آخر ما نعرفه عن لوط هو أنه شَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ مرتين حتى سَكِرَ مرتين وفقد القدرةَ على التمييز مرتين فزنا بابنتيه في ليلتين متعاقبتين حتى أنجبتا شعبين عدوين لأبناء إبراهيم (التكوين 19:30-38)! إنها حقاً نهاية مخزية.

مما سبق يتضح أن التوراة قد تعمّدت أن تقدِّم شخصيةَ "لوط" في صورة دونية وأقل بكثير من شخصية "إبراهيم"[4295]؛ أو بعبارة أخرى: تعمّدت التوراةُ أن تقدِّم لوطاً كشخصية سيئة لتبرز بالتضاد ملامح شخصية إبراهيم الجيدة[4296]. لماذا؟ لأن إبراهيم يمثل الشخص البدوي، الذي انحازت إليه التوراةُ في أكثر من موضع. أما لوط فيمثل الشخص المدني، الذي وقفت ضده التوراةُ في أكثر من موضع. وهذا يتضح من عدة أمور، منها على سبيل المثال أن كلمة "الْمَدِينَة" (city) تكررت 8 مرات في (التكوين 18-19) للإشارة إلى سدوم التي سيُهْلِكها الله (التكوين 18:24، 26، 28) (التكوين 19:4، 12، 14، 15، 16) ومنها عبارات صادمة مثل: "الرَّبَّ مُهْلِكٌ الْمَدِينَةَ" (التكوين 19:14) فاترك الْمَدِينَةَ فوراً أنتَ وأسرتك "لِئَلاَّ تَهْلَكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ" (التكوين 19:15)! وفي المقابل، قال الملاكان للوط: "اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلَكَ" (التكوين 19:17)! وكأن طريق الخلاص الوحيد هو ترك الحياة المدنية المتحضرة والعودة مرة أخرى إلى الحياة البدوية البسيطة في

الْجَبَلِ! رفض لوطٌ في البداية أن يذهب إلى الجبل، واختار أن يذهب إلى مدينة أخرى، لكنها ليست مدينة كبيرة مثل سدوم وإنما مدينة صغيرة متواضعة هي «صُوغَرَ» (التكوين 19:18-23). ويدلُّ جواب الملاك على أن حتى هذه "الْمَدِينَة [...] الْمَدِينَة [...] الْمَدِينَة «صُوغَرَ»" (التكوين 19:20-22) "كانت واقعة أيضاً تحت الدينونة بحسب الخطَّة، لكن ولأجل خاطر لوط شملها العفو"[4297]. ثم بعد ذلك "صَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ [كما أمره الملاكان]، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ [لوطٌ] فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ" (التكوين 19:30)، أي: ترك لوطٌ الحياةَ المدنية تماماً وعاد إلى الحياة البدوية البسيطة في مغارة فِي الْجَبَلِ مع ابنتيه! لكن يُفهَم من النص أن لوط وابنتيه ما زالوا متأثرين بشرور المدينة، بدليل شرب الخمر والسكر والزنا بل زنا المحارم (التكوين 19:31-38)[4298]! إذن: القصة كلها معادية للمدنيّة ومعادية للحضارة (anti-civilization) وتتعمد تشويه صورة أهل المدينة بطريقة مُبالَغ فيها (caricatural) وغير معقولة.

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "إنّ "المدينة" باعتبارها خليقة الإنسان، ما كانت، في نظر كاتب [سفر] التكوين، "حسنة" كخليقة الله، الأمر الذي يبرز هذا التضاد بين فعل الله في (التكوين 1) وفعل الإنسان في المواقع الأخرى"[4299].

ولقد قام التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس بعمل مقارنة ممتازة بين قصة زيارة الملائكة الثلاث لإبراهيم (التكوين 18) وقصة زيارة الملاكين للوط (التكوين 19)، وتقول هذه المقارنة[4300]:

(التكوين 18:1-8) ضيافة إبراهيم للرب في الخيمة [...]

في قصة إبراهيم، يظهر الرب لإبراهيم (التكوين 18:1)، وهذا الظهور، كما رأينا في الحالات السابقة، يحمل الوعد بالنسل والأرض، وبإقامة عهد أبدي. بينما في قصة سدوم، يقول النصّ إن الملاكين [فقط بدون الرب] جاءا إلى سدوم (التكوين 19:1)، وقد أعلن الكاتب (أي: كاتبُ التوراة) في 18:21 أن مجيئهما إلى سدوم هدفه أن "أَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ".

عندما ظهر الرب لإبراهيم كان هذا جالساً في باب الخيمة (التكوين 18:1)، في مشهد بدويّ. أما حين جاء الملاكان إلى سدوم كان لوط جالساً في باب المدينة (التكوين 19:1)، في مشهد مدنيّ، خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار أن سدوم كان عليها مَلِك، وقد جاء الكلامُ عن إنقاذ إبراهيم له في حربه مع الملوك الأربعة في الفصل 14 [من سفر التكوين].

تشترك القصتان في حُسن استقبال إبراهيم ولوط لهما، غير أن الفرق يكمن في المشهد، فإبراهيم يدعو الرجال إلى الاتكاء تحت الشجرة (التكوين 18:4)، فيما يدعو لوط الملاكين إلى الدخول إلى بيته (التكوين 19:2). تعزز هذه الملاحظة المشهديّة البدويّةَ في قصة إبراهيم، والمدنيّةَ في قصة سدوم.

نلاحظ أن جواب الرجال على دعوة إبراهيم كان القبول بلا تردد (التكوين 5:18)، أما جوابهم على دعوة لوط الدخول إلى بيته فكان الامتناع في البداية، ثم القبول بعد الإلحاح (التكوين 19:2-3). ومعنى هذا مرتبط بالتفضيل الكتابيّ للمشهد البدويّ على المشهد المدنيّ، وطبعاً أيضاً بسبب الهدف المختلف لكل من الزيارتين. زيارة الرجال لإبراهيم أن يعلنوا له ولادة إسحاق، أمّا زيارة الملاكين لسدوم فكانت لإهلاكها بسبب خطاياها.

[...]

هذه المقابلة بين النصين توضح الاختلاف في البيئة والاختلاف في الهدف، وخلاصتها أن الرب، في مجيئه الواحد، يعطي الحياة والاستمرار لعجوز (أي: سارة) في بيئة [بدوية صحراوية] عديمة الحياة، ويمنعها عن مدينة [زراعية] فيها قوة الحياة ووفرتها. والسبب لذلك، هو السبب الذي من أجله أعطى الرب الحياةَ لهابيل [الراعي الطيب] من خلال شيث، ومنعها عن قايين [الفلاح الشرير[4301]]، وأعطى الحياةَ لنوح البار، ومنعها عن أبناء الآلهة والناس وبناة مدينة بابل[4302]. هذا السبب هو أن إبراهيم، رغم البيئة البدوية، قرر السير مع الرب. وسدوم، رغم البيئة التي تعزز الحياة، قررت الابتعاد عن الرب، لا بل استعداءه. تأتي الحياةُ إلى إبراهيم لأنه اتكل على الرب، وقَبِل عهده، وتُمنَع [الحياةُ] عن سدوم لأنها أهانته وتمرّدت عليه. يتضح هنا مراد الكاتب (أي: كاتب التوراة) بالمدنية والبداوة، ففي حين أن المدنية ترمز إلى الاستعلاء حتى على الله، ترمز البداوة إلى قبول إرادته والاتكال عليه، وفي مواضع لاحقة سترمز البداوة إلى الفقر، والمدنيّة إلى الغنى، وسيكون للأدب النبويّ إسهام مهم في هذا المجال، سنعود إليه لاحقاً.

(التكوين 18:9-15) إعلان ولادة سارة ابناً [...]

[...] سفر التكوين يعتبر المدنيةَ وبناءها تحدٍّ لسلطان الرب، لأن الإنسان فيها يتطلع إلى ذاته وإلى إنجازاته ويركّز على أناه، مبتعداً بهذا عن الرب وتالياً عن الفقير والمسكين، ضحايا المدنيّة. لذلك كان خيار الكاتب، أن جماعة الرب ليست المدينة الإنسانية، التي شكّلت في حضارات الشرق القديم وأديانه، جماعة إله المدينة في هذ الحضارة أو تلك. جماعة الرب في سفر التكوين خصوصاً، وفي العهد القديم عموماً، هي المنعزلة عن المدينة وعن حياتها. وإذا كانت كذلك لا يبقى للكاتب صورة من الحياة البشرية للتعبير عن هذه الجماعة سوى القفر، أو الْبَرّيَّةِ. ولمّا كان القفر لا يشكل تجمعاً طبيعياً للناس في الحضارات، فهو خالٍ منهم، وهو بالتالي كامرأة عاقر [مثل سارة]. ليس من طريقة لملئه بالناس سوى بفعل الرب الذي يدعو مَن هم في المدينة إلى الخروج إليه واعتماده مكاناً لهم، ولحياتهم. وهذا بالضبط ما رأيناه في قصة إبراهيم الذي دُعي من الربّ إلى أن [يخرج من حضارة العراق الزراعية لكي] يعيش في الترحال في أرض كنعان، مغيّراً مسيرته التي كان فيها متجهاً إلى مدائنها. هذه الإقامة في القفر واختياره موضعاً للحياة يعني التخلي عن شرور المدنية، المتمثلة في قصة سدوم وعمورة. طبعاً استعمال المدينة والقفر بهذه المعاني إنما هو استعاريّ للإشارة إلى [الخطيئة والبر]. فالخطيئة متوفرة، أمّا البر فلا يأتي إليه إلا مَن كان

مدعواً من الرب نفسه. وعليه فإن استعمال صورة العاقر [سارة] للحديث عن جماعة الرب مرتبط بهذه الخلفية الحضارية التي يسكبها الكاتب (أي: كاتب التوراة) في قصصه في سفر التكوين.

على هذا الأساس نفهم لماذا ربط الكاتب بين إعلان ولادة سارة في القسم الأول من الفصل 18 (ع. 1-15)، وبين إعلان دمار سدوم في قسمه الثاني (ع. 16-33). فإذا كانت سارة تمثل القفر الذي سيتحول إلى عدن ["تَنَعُّم" (التكوين 18:12)] بكلمة الرب وفعله، فإن سدوم هي المدينة التي ستتحوّل من مدنيّة وافرة الحياة إلى قفر يابس، لا حياة فيه، بدينونة الرب.

[...]

(التكوين 19:27-29) إبراهيم ينظر إلى الخراب [...] ويرتبط هنا إنقاذ لوط بإبراهيم، وكأن الله أعطى هذه الحياة (أي: النجاة؛ الخلاص) للوط بسبب إبراهيم عمّه، متيحاً له مرّة أخرى العودة إلى الانتماء إلى قصة إبراهيم. غير أنّ النص لا يعود يذكر لوطاً بعد هذا إلا في المقطع التالي الذي يتحدث عن اضطجاع ابنتيه معه. سبب عدم ذكر لوط فيما بعد، هو ترك الجواب عن السؤال ما إذا كان لوط عاد إلى إبراهيم مفتوحاً، وكأن الكاتب (أي: كاتب التوراة) يستعمل صورة لوط ليخاطب قارئه الذي يعرف أنه يعيش في المدن الكبرى وهو مبهور بالمدنيّة، ويطرح عليه التحدي فيما إذا كان مستعداً للهروب إلى «صُوغَرَ»، أي الاتضاع لتحيا نفسه أولاً.

في ضوء كل ما سبق، ليس مِن المبالغة أن نقول إن مؤلف أسطورة "تدمير سدوم وعمورة"، أو على الأقل مَن كتبها في صورتها النهائية التي وصلت إلينا (التكوين 19)، كان رجلاً عبرانياً بدوياً معادياً للحضارة وكارهاً للمدنية، بل كان شخصاً متطرفاً ومتعصباً جداً ضد الآخَر (The Other) المختلِف عنه:

- كان شخصاً متعصباً جداً ضد الآخَر المختلِف عنه جنسياً (المرأة) بدليل أنه جعل لوطاً يعرض ابنتيه على رجال سدوم! وكأن المرأة مجرد وعاء جنسي أو لعبة جنسية (sex toy) مسلوبة الإرادة وليست إنساناً كاملاً لها إرادة حرة[4303]. وأيضاً بدليل أنه جعل المرأةَ (امرأة لوط) تهلك بينما الرجل (لوط) ينجو! وأيضاً بدليل أنه جعل ابنتي لوط سبباً في ارتكابه فاحشة الزنا[4304]!
- وكان شخصاً متعصباً جداً ضد الآخَر المختلِف عنه في الميل الجنسي (المثليين) بدليل أنه قدَّم المثليين في أبشع صورة ممكنة، بل في صورة مشوهة تفوق الخيال ولا تحدث أبداً في الواقع، إلى درجة أنه جعلهم يحيطون ببيت لوط ليقتحموه ويعتدوا جنسياً على ضيوفه!
- وكان شخصاً متعصباً جداً ضد الآخَر المختلِف عنه دينياً (الوثنيين) بدليل أنه جعل ضيوف لوط رسلاً من الله (ملاك في العبرية يعني: رسول)، أي: سفراء الله إلى الأرض. ومِن ثم فإن اعتداء رجال سدوم عليهم يمثِّل اعتداءً على الله شخصياً.

- وكان شخصاً متعصباً جداً ضد الآخَر المختلِف عنه اجتماعياً (أهل المدينة) بدليل أنه جعل جميع رجال "الْمَدِينَةِ" **[← "الْمَدِينَةِ" (الحجر 67) "الْقَرْيَةِ (أي: المدينة[4305])" (الأنبياء 74) (العنكبوت 34) (الفرقان 40) "قَرْيَتِكُمْ" (الأعراف 82) (النمل 56)]** كلهم مثليين (gays) أو مزدوجي الميل الجنسي (bisexuals)! "أَحَاطَ بِالْبَيْتِ (أي: بيت لوط) رِجَالُ الْمَدِينَةِ (city)، رِجَالُ سَدُومَ، مِنَ الْحَدَثِ إِلَى الشَّيْخِ، كُلُّ الشَّعْبِ مِنْ أَقْصَاهَا" (التكوين 19:4)! **[← وكذلك حسب القرآن، لم يجد لوطٌ ولا واحد رشيد يؤيده ويقف معه وينصره، فقال لقومه: "أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ [...] لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ" (هود 78-80)]**. فهل هذا معقول؟ مستحيل.
- وأخيراً كان شخصاً متعصباً جداً ضد الآخَر المختلِف عنه في الانتماء القومي (الْمُوآبِيّين والعمُّونيين) بدليل أنه قدَّمهم بطريقة مشينة كأولاد زنا! فبينما جاء نسلُ إخوته العبرانيين بمعجزة إلهية أدت إلى ميلاد إسحاق بن إبراهيم، جاء نسلُ خصومه الْمُوآبِيّين والعمُّونيين من زنا محارم بين لوط وابنتيه! وبينما كانت سارة (أم الإسرائيليين) تقف على استحياء داخل الخيمة عند بابها ولا تخاطب الرجال (التكوين 18:9-10)، تُعرَض ابنتا لوط (والدتي الْمُوآبِيّين والعمُّونيين) على الرجال لممارسة الجنس (التكوين 19:8) وفي النهاية يزني لوطٌ معهما بعد شرب الخمر في مشهد جنسي فاضح (التكوين 19:30-38)! ومما يدل على أن كاتب (التكوين 18-19) قد تعمَّد المقارنة بين سارة وابنتي لوط هو التشابه بل التطابق بين الجملة التي قالتها سارة "سَيِّدِي (أي: زوجي إبراهيم) قَدْ شَاخَ" (التكوين 18:12) والجملة التي قالتها ابنة لوط الكبرى "أَبُونَا (أي: لوط) قَدْ شَاخَ" (التكوين 19:31).

إن بصمة النفس البشرية الممتلئة حقداً وكراهية ضد الآخَر المختلِف واضحةٌ جداً في أسطورة "تدمير سدوم وعمورة" التوراتية العبرانية (التكوين 18-19)، فلا يمكن أن نصدق أنها كلام الله.

ومِن المؤكد أن هذه الأفكار التوراتية المعادية للآخَر المختلِف قد تسللت إلى القرآن، بدليل:

- بدليل أن قصة "هلاك قوم لوط" القرآنية مجرد تطور بشري طبيعي لقصة "تدمير سدوم وعمورة" التوراتية (التكوين 18-19) كما رأينا في الصفحات السابقة.
- وأيضاً بدليل تكرار كلمة "الْمَدِينَةِ" (الحجر 67) أو بنفس المعنى "الْقَرْيَةِ (أي: المدينة)" (الأنبياء 74) (العنكبوت 34) (الفرقان 40) "قَرْيَتِكُمْ" (الأعراف 82) (النمل 56).
- وكذلك بدليل تكرار نفس الأفكار المعادية للمدن المتحضرة والمعادية للمجتمعات الزراعية المستقرة في قصص أخرى مشابهة مثل: قصة هلاك عاد قوم هود "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ (أي: مكان مرتفع) آيَةً (يقصد: بناءً عالياً شامخاً يدل على الترف ويعد علامة على العظمة كالأبراج مثلاً) تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ (أي: قصوراً ضخمة؛ حصوناً منيعة مشيَّدة) لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ. [...] أَمَدَّكُم [اللهُ] بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ. وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ" (الشعراء 128-134)، وقصة هلاك ثمود قوم صالح "أَتُتْرَكُونَ (أي: أتظنون أنكم ستُتْرَكُونَ) فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (أي: غير خائفين من العذاب والزوال والموت!). فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ.

وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (أي: يانع ناضج لين طيب). وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ" (الشعراء 146-149)؛ وَ هُمَا القصتان اللتان تسبقان قصة هلاك قوم لوط (الشعراء 160-175) حسب تسلسل قصص هلاك الأقوام الكافرين المكذِّبين في سورة الشعراء.

- وأخيراً بدليل أن الإرهابيين المسلمين تركوا مدنهم ودولهم وذهبوا ليعيشوا في الجبال والكهوف والمغارات، وقاموا بعمليات إرهابية ضد رموز الحضارة كالمطارات ومترو الأنفاق وناطحات السحاب والمحاكم والمسارح ودور السينما ... الخ. ولا نتصور أن هؤلاء الإرهابيين المسلمين كرهوا الحضارةَ لأنهم قرأوا التوراةَ! فَمِن المؤكد أنهم اكتسبوا تلك الكراهية من التراث الإسلامي.

وبما أن أسطورة "هلاك قوم لوط" القرآنية العربية مجرد تطور بشري طبيعي لـ (التكوين 18-19)، وبما أننا لا يمكن أن نصدق أن (التكوين 18-19) كلام الله، إذن: لا يمكن أيضاً أن نصدق أن أسطورة "هلاك قوم لوط" القرآنية كلام الله. وإنما هي كلام العرب بدو الصحراء العربية. وفي جميع الأحوال، لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن قصة "تدمير سدوم وعمورة" التوراتية العبرانية **[← قصة "هلاك قوم لوط" القرآنية العربية]** قصة حقيقية تاريخية. بل لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن لوط نفسه شخصية حقيقية تاريخية.

باختصار: لا نرى أمامنا سبباً واحداً مقنعاً يجعلنا نصدِّق هذه الأسطورة العبرانية←العربية!

4.15.3 تطور الأسطورة العبرانية وتأثير هذا التطور على القرآن العربي

بمرور الزمن صارت مدينتا سدوم وعمورة عنواناً للشر ورمزاً للخطيئة والعقاب الإلهي[4306]. يقول القمص تادرس يعقوب ملطي: "كانت سدوم وعمورة مدينتان بجوار البحر الميت أقام في إحداهما لوطٌ؛ الأولى تعني (احتراق)، والثانية تعني (فيض "طوفان"). هكذا صارت سدوم وعمورة رمزاً للخطية التي تدفع النفس كما إلى الاحتراق بالنار أو الغرق بالطوفان"[4307]. ويقول قاموس الكتاب المقدس: "وجعل الأنبياء (أي: أنبياء بني إسرائيل) من تلك الحادثة برهاناً على غضب الله وأداة لتحذير بني إسرائيل من الفساد"[4308].

4.15.3.1 سدوم وعمورة ... الحرق بالنار والغرق بالطوفان

نعم، صارت قصةُ تدمير سدوم وعمورة أنموذجاً للعقاب الإلهي (Divine Punishment) أي: دينونة الله (God’s Judgment) على الخطيئة، وصارت تُضرَب كمثال بهدف التحذير من وقوع العقوبة الإلهية في المستقبل، سواء العقوبة الزمنية في المستقبل القريب (الحياة الدنيا) أو الدينونة الأخروية في المستقبل البعيد (الآخرة). وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بثلاثة أمثلة فقط[4309]:

- المثال الأول من العهد القديم وهو عن العقوبة الزمنية في الدنيا. في أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن السابع قبل الميلاد، حذَّر إشعياءُ النبي معاصريه في يهوذا وأورشليم من تدينهم الشكلي

المظهري الذي لا يمنعهم من ارتكاب المعاصي والآثام، فأنذرهم إشعياءُ هلاكاً مثل أهل سدوم وعمورة الذين هلكوا لأن الله لم يجد عشرةَ أبرار وسطهم (التكوين 32:18)، فقال إشعياءُ لمعاصريه: "لَوْلاَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ أَبْقَى لَنَا بَقِيَّةً صَغِيرَةً [من المؤمنين الأبرار الحقيقيين]، لَصِرْنَا مِثْلَ سَدُومَ وَشَابَهْنَا عَمُورَةَ. اِسْمَعُوا كَلاَمَ الرَّبِّ يَا قُضَاةَ سَدُومَ (يقصد: يهوذا)! أَصْغُوا إِلَى شَرِيعَةِ إِلهِنَا يَا شَعْبَ عَمُورَةَ (يقصد: أورشليم): «لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. اتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ، وَبِدَمِ عُجُول وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ. [...] فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا. اِغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا. اعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ. هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ. إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ (أي: إنْ تبتم وأطعتم) تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرْضِ (أي: تخلصون في الدنيا). وَإِنْ أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ (أي: تهلكون في الدنيا)». لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ. كَيْفَ صَارَتِ الْقَرْيَةُ الأَمِينَةُ (يقصد: أورشليم) زَانِيَةً (أي: خانت الربَّ؛ سقطت في الوثنية والشرك؛ سقطت في خطايا أخرى كالظلم والعنف)! [كانت] مَلآنَةً حَقًّا (أي: بالحق). كَانَ الْعَدْلُ يَبِيتُ فِيهَا، وَأَمَّا الآنَ فَالْقَاتِلُونَ" (إشعياء 1:9-21). والترجمة اليسوعية للآية الأخيرة أكثر وضوحاً: "لقَد كانَت [أورشليم] مَمْلوءَةً عَدلًا (أي: بالعدل؛ justice)، وفيها كانَ مَبيتُ البِرّ (righteousness)، أَمَّا الآنَ فإِنَّما فيها قَتَلَة" (إشعياء 21:1). ويجب أن نلاحظ أنه لا توجد هنا أية إشارة إلى أن الخطيئة الأساسية التي ارتكبتها سدوم وعمورة هي المثلية الجنسية، بل لا نرى أية إشارة إلى المثلية الجنسية[4310].

- المثال الثاني من العهد القديم أيضاً وتحديداً من سفر حزقيال الذي يتحدث عن خطايا يهوذا وأورشليم الكثيرة والكبيرة إلى درجة أنها تجاوزت خطايا سدوم وعمورة في الخطورة وفي خيانة الرب (أي: الزنا الروحي؛ السقوط في الوثنية والشرك؛ السقوط في خطايا أخرى كالظلم مثلاً): "وَكَانَتْ إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قَائِلَةً: «يَا ابْنَ آدَمَ، عَرِّفْ أُورُشَلِيمَ بِرَجَاسَاتِهَا، وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لأُورُشَلِيمَ: مَخْرَجُكِ وَمَوْلِدُكِ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. أَبُوكِ أَمُورِيٌّ وَأُمُّكِ حِثِّيَّةٌ (يقصد: صار سُكان أورشليم وثنيين مثل الكنعانيين السكان الأصليين). [...] فَلِذلِكَ يَا زَانِيَةُ اسْمَعِي كَلاَمَ الرَّبِّ [...] حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنَّ سَدُومَ أُخْتَكِ لَمْ تَفْعَلْ هِيَ وَلاَ بَنَاتُهَا كَمَا فَعَلْتِ أَنْتِ وَبَنَاتُكِ. **هذَا كَانَ إِثْمَ أُخْتِكِ سَدُومَ:** الْكِبْرِيَاءُ وَالشَّبَعُ مِنَ الْخُبْزِ وَسَلاَمُ الاطْمِئْنَانِ كَانَ لَهَا وَلِبَنَاتِهَا، وَلَمْ تُشَدِّدْ (أي: ولَم تُساعِدْ) يَدَ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ، وَتَكَبَّرْنَ وَعَمِلْنَ الرِّجْسَ **[← "وَتَأْتُونَ [...] الْمُنْكَرَ" (العنكبوت 29)]** أَمَامِي فَنَزَعْتُهُنَّ كَمَا رَأَيْتُ" (حزقيال 1:16-50). ويجب هنا أن نلاحظ أنه على الرغم من أن الآيات الأخيرة تذكر خطايا سدوم، إلا أننا لا نجد فيها أية إشارة صريحة إلى المثلية الجنسية تحديداً. وهذا يؤكد ما قلناه فيما سبق: حتى لو افترضنا أن أهل سدوم كانوا مثليين أو مزدوجي الميل الجنسي بالصورة الخيالية البشعة الموجودة في (التكوين 19)، فإن خطيئتهم الأساسية هي الكفر وليست المثلية الجنسية. ويضيف سفر حزقيال

خطيئةً أخرى وهي الظلم الاجتماعي (social injustice) فيما يتعلق بسوء توزيع الثروة (distribution of wealth) بين ثراء فاحش وفقر مدقع. "**هذَا كَانَ إِثْمَ أُخْتِكِ سَدُومَ:** الْكِبْرِيَاءُ وَالشَّبَعُ مِنَ الْخُبْزِ وَسَلاَمُ الاطْمِئْنَانِ" للأغنياء "وَلَمْ تُشَدِّدْ (أي: لم تساعد) يَدَ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ" (حزقيال 16:49)[4311].

- المثال الثالث من الإنجيل وهو عن الدينونة الأخروية في الآخرة. ولا غرابة في ذلك، فلقد صارت "النارُ" التي أبادت سدوم وعمورة (التكوين 19:24) رمزاً لنار جهنم التي ستهلك الكفار يوم الحساب (يَوْم الدِّينِ). في أوائل القرن الأول الميلادي، كان المعلم الإسرائيلي يسوعُ المسيح يُعلِّم تلاميذه الرسل أن يدعوا الناس إلى التوبة والإيمان، فكان يسوع يقول لهم إن هلاك غير المؤمنين وغير التائبين في الآخرة (يَوْم الدِّينِ) سيكون أسوأ من هلاك سدوم وعمورة: "وَأَيَّةَ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَقَبِلُوكُمْ، فَكُلُوا مِمَّا يُقَدَّمُ لَكُمْ، وَاشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا، وَقُولُوا لَهُمْ: قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ. وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ، فَاخْرُجُوا إِلَى شَوَارِعِهَا وَقُولُوا: حَتَّى الْغُبَارَ الَّذِي لَصِقَ بِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَنْفُضُهُ لَكُمْ[4312]. وَلكِنِ اعْلَمُوا هذَا إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَكُونُ لِسَدُومَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ" (لوقا 10:8-12)؛ "وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ فَاخْرُجُوا خَارِجًا مِنْ ذلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ (The Day of Judgment) حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ" (متى 10:14-15)؛ (مرقس 6:10-11). وكما هو الحال في المثالين السابقين، **لا** توجد هنا أية إشارة إلى أن الخطيئة الأساسية التي ارتكبتها سدوم وعمورة هي المثلية الجنسية، بل لا نرى أية إشارة إلى المثلية الجنسية[4313].

4.15.3.2 لوط: أَحَد الزُّنَاةِ في التوراة ... وأَحَد الأنبياء في القرآن!

أما شخصية لوط – ونحن نتعامل معها باعتبارها شخصية كتابية (Biblical character) وليس باعتبارها شخصية حقيقية تاريخية (historical figure) – فلقد تطورت هذه الشخصية الكتابية تطوراً هائلاً بمرور الزمن، حتى صارت في القرن الأول الميلادي شخصيةَ رجلٍ "بار"! ومِن "الأتقياء"! يعني: صارت شخصية لوط قريبة من شخصية نوح أو تطابقت معها[4314]. وصارت نجاة لوط في مقابل هلاك أهل سدوم وعمورة – وكذلك نجاة نوح من الطوفان – رمزاً لنجاة المؤمنين الأبرار في مقابل هلاك الأشرار وغير المؤمنين يوم القيامة. وهكذا صارت قصةُ نجاة لوط "البار" من هلاك أهل سدوم وعمورة "الأشرار" عظةً أخلاقية (paraenesis; moral exhortation) وعبرةً (example) لمن يعتبر.

وعلى الرغم من وجود هذه العبرة والعظة الأخلاقية ضمنياً في القصة التوراتية نفسها، بدليل "فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ [في أهل سدوم وعمورة]، وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ

بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ **يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ (أي: يعلِّمهم؛ يعظهم؛ ينصحهم)** أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً (what is right and just) [ولا يعملوا خطيئةً وظلماً كأهل سدوم وعمورة] [...]" (التكوين 18:17-19)، فإن هذه العبرة والعظة الأخلاقية صارت أكثر وضوحاً في العهد الجديد. وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي ببضعة أمثلة ...

نبدأ أولاً برسالة بطرس الثانية التي أخذ منها أصحابُ القرآن أفكاراً كثيرة. **(2 بطرس 2):** {5} وَلَمْ يُشْفِقْ [اللهُ] عَلَى الْعَالَمِ الْقَدِيمِ، بَلْ إِنَّمَا حَفِظَ نُوحًا ثَامِنًا كَارِزًا (أي: داعياً؛ واعظاً) لِلْبِرِّ، إِذْ جَلَبَ [اللهُ] طُوفَانًا عَلَى عَالَمِ الْفُجَّارِ. {6} وَإِذْ رَمَّدَ [اللهُ] مَدِينَتَيْ سَدُومَ وَعَمُورَةَ (أي: جَعَلهما رَمادًا بالنار والكبريت)، حَكَمَ عَلَيْهِمَا بِالانْقِلاَبِ، وَاضِعًا عِبْرَةً (an ensample) لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يَفْجُرُوا (أي: عِبْرَةً لِمَن يَأتي بَعدَهما مِنَ الكُفّار ungodly) **[⟵ "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً (أي: عِبْرَةً وموعظة)ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (أي: كان معظمهم كُفّار)" (الشعراء 174) "أَفَلَا تَعْقِلُونَ [يا كُفّار مكة]" (الصافات 138)]**، {7} وَأَنْقَذَ [اللهُ] لُوطًا الْبَارَّ **[⟵ "لُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا (أي: حِكْمَةً) وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ [...]. [...] إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" (الأنبياء 74-75)]**، مَغْلُوبًا (أي: كان لوطٌ متضايقاً جداً) مِنْ سِيرَةِ الأَرْدِيَاءِ فِي الدَّعَارَةِ **[⟵ "مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ (أي: كان أهلُها يعملون) الْخَبَائِثَۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ" (الأنبياء 74) "كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ" (هود 78)]**. {8} إِذْ كَانَ الْبَارُّ [لوط]، بِالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، يُعَذِّبُ يَوْمًا فَيَوْمًا نَفْسَهُ الْبَارَّةَ بِالأَفْعَالِ الأَثِيمَةِ **[⟵ جعل القرآنُ لوطاً يتكلم صراحةً ولا يكتفي بالنظر والسمع، فقال لأهل سدوم وعمورة: "أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" (النمل 55) "إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (أي: مِّنَ الكارهين). رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ" (الشعراء 168-169) "رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ" (العنكبوت 30)]**. {9} يَعْلَمُ الرَّبُّ أَنْ يُنْقِذَ الأَتْقِيَاءَ مِنَ التَّجْرِبَةِ **[⟵ "فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ" (الشعراء 170) "إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (أي: الأتقياء)" (الأنبياء 75) "كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ" (القمر 35) "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً (أي: عبرة وموعظة) لِّلْمُؤْمِنِينَ" (الحجر 77) "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ" (الحجر 75) "وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (الذاريات 37)]**، وَيَحْفَظَ [الرَّبُّ] الأَثَمَةَ (أي: يحجزهم كسجناء ينتظرون تنفيذ الحُكم النهائي) إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (The Day of Judgment) مُعَاقَبِينَ [فِي نار جَهَنَّمَ] **[⟵ "فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ" (الأعراف 84) "وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ (يقصد: الكفار؛ أو: العصاة) بِبَعِيدٍ" (هود 83) "وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (العنكبوت 35) "أَفَلَا تَعْقِلُونَ [يا كُفّار مكة]" (الصافات 138)]**.

ونلاحظ في الآيات السابقة ربطاً مهماً بين عذاب الدنيا بالنار المؤقتة "رَمَّدَ [اللهُ] مَدِينَتَيْ سَدُومَ وَعَمُورَةَ [بالنار والكبريت]" (2 بطرس 6:2) وعذاب الآخرة بالنار الأبدية "يَوْمِ الدِّينِ مُعَاقَبِينَ [فِي جَهَنَّمَ]" (2 بطرس 9:2)، مما يعني أن العقاب الدنيوي المدمر (cataclysmic) لأهل سدوم وعمورة كان مجرد لمحة مسبقة أو صورة مصغرة من العقاب الأخروي (eschatological) للكفار والأشرار بصفة عامة.

ونرى هذا الربط بين العقاب الدنيوي والعقاب الأخروي بصورة أكثر وضوحاً في رسالة يهوذا. **(يهوذا 1):** {7} كَمَا أَنَّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَالْمُدُنَ الَّتِي حَوْلَهُمَا، إِذْ زَنَتْ عَلَى طَرِيق مِثْلِهِمَا، وَمَضَتْ وَرَاءَ جَسَدٍ آخَرَ، جُعِلَتْ عِبْرَةً (an example) **[← "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً (أي: عِبْرَةً وموعظة)" (الشعراء 174) (الحجر 77) "وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً" (الذاريات 37) "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ" (الحجر 75) "وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً" (العنكبوت 35)]** مُكَابِدَةً عِقَابَ نَارٍ أَبَدِيَّةٍ (أي: لَقِيَت عِقابَ النَّارِ الأَبَدِيَّة) **[← اقرأ سورةَ القمر التي بدأت بالتحذير من قُرب يوم القيامة: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ" (القمر 1). ثم جعل صاحبُ رواية سورة القمر العقابَ الأخروي متصلاً بالعقاب الدنيوي: "وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (أي: عذاب دنيوي في الصباح الباكر "عذاب دائم استقر فيهم حتى يُفضي بهم إلى عذاب الآخرة"[4315]) (القمر 38). اقرأ أيضاً: "وَلَقَدْ أَتَوْا (أي: أتى مشركو مكة في أسفارهم إلى الشام للتجارة) عَلَى الْقَرْيَةِ (أي: قريةِ قوم لوط) الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (أي: الذي منع مشركي مكة من أخذ العبرة من عذاب قوم لوط الدنيوي هو أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث يوم القيامة، فلا يرجون لقاءَ الله ولا يخشون عذابَه الأخروي لأنهم غير مؤمنين به أصلاً)" (الفرقان 40)]**.

مما سبق يتضح أن أصحاب القرآن في القرن السابع الميلادي قد ساروا على نهج بطرس (Peter) ويهوذا (Jude) وغيرهما مِن المسيحيين الأوائل في القرن الأول الميلادي، فيما يتعلق بإعادة إنتاج قصة هلاك قوم لوط (قصة تدمير سدوم وعمورة) بحيث تكون عِبْرةً للكفار بصفة عامة، وعِبْرةً لكُفّار مكة بصفة خاصة، بدليل أن جميع الروايات القرآنية العشر لهذه القصة اليهودية/المسيحية الشهيرة كلها من القرآن المكي. فنستطيع إذن أن نقول إن أصحاب القرآن قد استغلوا فكرة "العقاب الإلهي" (divine punishment) الذي حدث لكفار سدوم وعمورة – كما تقول الأسطورة العبرانية الموروثة (التكوين 18-19) – حتى يُحذِّروا كفار مكة مِن هذا العقاب الإلهي إذا لم يؤمنوا بمحمد (لوط الجديد). ولكي تصل هذه الرسالة بوضوح إلى كفار مكة، تعمَّد أصحابُ القرآن أن يعيدوا إنتاجَ (reproduced) شخصية "لوط" في ثوبٍ جديد بحيث تكون شخصيته قريبة من شخصية محمد، فلم يكتفوا بأن جعلوا لوطاً من الصالحين الأتقياء، وإنما جعلوه أيضاً نبياً ورسولاً إلى "قومه" حتى تتطابق شخصيته مع شخصية محمد الذي زعم أصحابُ القرآن أنه نبي ورسول إلى قومه. وكما كان كفار مكة (قوم محمد) يكذّبون محمداً، كذلك جعل أصحابُ القرآن قومَ لوط يكذّبونه. نرى ذلك في الروايات القرآنية لقصة قوم لوط، ونراه أيضاً في الآيات القرآنية التي أشارت باختصار إلى قصتهم وربطت أيضاً بين عذابهم الدنيوي وعذاب الكافرين المكذّبين الأخروي، مثل:

- "وَإِن يُكَذِّبُوكَ [يا محمد] فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ **وَقَوْمُ لُوطٍ**. وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ (أي: فأمهلتهم ولم أعاجلهم بالنقمة والعذاب) ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ (أي: عاقبتُهم بالعذاب الدنيوي) ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (أي: فانظر كيف كان إنكاري عليهم كفرهم وتكذيبهم؛ كيف كان تغييري ما كان بهم من نعمة إلى عذاب وهلاك وخراب). فَكَأَيِّن (أي: فكثيراً) مِّن **قَرْيَةٍ**

أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ [بالكفر و/أو التكذيب] فَهِيَ (أي: فأصبحت) خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا (أي: مدمَّرة تماماً؛ خالية من سكانها وقد سقطت سقوفها على جدرانها؛ أو: سقطت سقوفُها ثم جدرانُها) وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ (أي: هُجِرَت آبارها فلا يُستقَى منها) وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (أي: قصور تعب أهلُها في تشييدها وتعليتها لكنها لم تحميهم من العذاب والهلاك[4316]). أَفَلَمْ يَسِيرُوا (أي: أَفَلَمْ يَسِر كفار مكة) فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا[4317] ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ. وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ[4318]. وَكَأَيِّن مِّن **قَرْيَةٍ** أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ [بالكفر و/أو التكذيب] ثُمَّ أَخَذْتُهَا (أي: عاقبتُ أهلها بالعذاب الدنيوي) وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (أي: وَإِلَيَّ وحدي مرجعهم يوم القيامة لأعذبهم العذاب الأخروي). قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ [فالله وحده هو الذي يتولى حسابكم ومجازاتكم]. فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [في الدنيا] لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [في الآخرة]. وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي [تكذيب] آيَاتِنَا (أي: يثبطون الناس عن اتباع محمد) مُعَاجِزِينَ (أي: مُعاندين مُسابقين؛ مُغالبين مُشاقين وباذلين كل جهودهم[4319]؛ ظانين أنهم يعجزوننا) [في الدنيا] أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ **الْجَحِيمِ** (أي: نار جهنم) [في الآخرة]" (الحج 42-51).

- "وَإِذْ قَالُوا (أي: قال أهلُ مكة المشركين) اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا [القرآن] هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ (أي: أهلَ مكة المشركين) وَأَنتَ فِيهِمْ (أي: قبل خروجك يا محمد مِن مكة)" (الأنفال 32-33). قيل: مدنية؛ وقيل: مكية؛ وفي جميع الأحوال نلاحظ استخدام نفس الأفكار ونفس العبارات عند الحديث عن قوم لوط وقوم محمد:
  - "فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ" (الأنفال 32) هي عقوبة قوم لوط "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا [من الحجارة]" (الأعراف 84) (الشعراء 173) (النمل 58) "لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ [من السماء] حِجَارَةً مِّن طِينٍ" (الذاريات 33) "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ" (الحجر 74) "إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا (أي: عذاباً) مِّنَ السَّمَاءِ" (العنكبوت 34).
  - وكذلك "ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (الأنفال 32) تذكِّرنا على الفور بكلمتي "الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" في قصة قوم لوط (الذاريات 37)[4320].
  - وأيضاً "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ (أي: أهلَ مكة المشركين) وَأَنتَ فِيهِمْ (أي: قبل خروجك يا محمد مِن مكة)" (الأنفال 33) تذكِّرنا على الفور بالجملة التي قالها الملاكُ للوط: "أَسْرِعِ اهْرُبْ [من سدوم] إِلَى هُنَاكَ لأَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا حَتَّى تَجِيءَ إِلَى هُنَاكَ (أي: لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أدمِّر سدوم قبل خروجك منها)" (التكوين 22:19). فيجب عليك يا محمد أن تخرج (تهاجر) من مكة إلى المدينة (يثرب) كما خرج لوطٌ من سدوم إلى "الْمَدِينَةَ [...] الْمَدِينَةَ [...] الْمَدِينَة «صُوغَرَ»" (التكوين 20:19-22).

كل هذه الأدلة القرآنية (internal evidence) تؤكد أن أصحاب القرآن قد تعمَّدوا أن يعيدوا إنتاجَ (reproduced) قصة لوط مع "قومه" الكافرين المكذِّبين في سدوم بحيث تكون مشابهة بل متطابقة لقصة محمد مع قومه الكافرين المكذِّبين في مكة.

فيمكن إذن أن نقول إن شخصية لوط التوراتية قد تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن من شخصية رجل مؤمن عادي بل زاني (التوراة) إلى شخصية رجل مؤمن بار وتقي (الإنجيل) إلى شخصية نبي ورسول مثل رسول الإسلام محمد (القرآن). ومِن العبث أن تسأل أيهم أصح؟ التوراة؟ أم الإنجيل؟ أم القرآن؟ لأنه لا يوجد أصلاً أي دليل علمي يثبت أن لوط شخص حقيقي تاريخي. فما يهمنا هنا هو أن الإنجيل والتراث المسيحي بصفة عامة كان بمثابة الكوبري (bridge) بين التوراة والقرآن فيما يتعلق بمراحل تطور شخصية "لوط". تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica)(4321):

[LOT IN] ISLAM. Lūṭ (Lot) accompanied Abraham when he left Aram-Naharaim ([العنكبوت 26]), but Muhammad has set aside an important place for him in his prophecies because he regards him to have been, like himself, a prophet sent to rebuke the wicked (الحج 43; الشعراء 160; الصافات 133). The name of Sodom, however, is not mentioned in the Koran. It appears that the positive description of Lot in the Koran was influenced by Christian literature, because in the Jewish Midrashim there is no such appreciation.

وكذلك قال العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) تأكيداً على تأثير المسيحيين الأوائل رسالة بطرس الثانية (2 بطرس 2:6-8) ورسالة يهوذا (يهوذا 7:1) على القرآن (الأعراف 80-84) (العنكبوت 28-35) فيما يتعلق بإعادة تقديم قصة تدمير سدوم وعمورة (قصة هلاك قوم لوط) كعظة أخلاقية (moral exhortation) وعِبْرَة (example)(4322):

[الأعراف 80-84] […] the Qur'ān's brief reference to the story of Lot for the purpose of moral exhortation is closer to 2 Peter 2:6-8 than to Genesis [19] […]. […].
[العنكبوت 28-35] The allusion to the sinfulness of Lot's people [العنكبوت 28-30] reflects not so much the narrative of Sodom and Gomorrah's destruction

in Genesis 19, or other Old Testament references to Sodom, but rather 2 Peter 2:6-8:

[…]

Like the Qur’ān, the author of 2 Peter points to Sodom and Gomorrah as an example of God’s rescuing the righteous from the midst of a wicked people and refers to the ruins of those cities as a “warning to future sinners” (2 Peter 2:6; cf. [35 العنكبوت]; see also Jude 1:7). […].

4.15.3.3 لوط ... نوح ... في الجنة يوم القيامة

وفي هذا السياق، يجب علينا أن نلاحظ أيضاً أن بطرس قال الآيات السابقة عن قصة تدمير سدوم وعمورة (2 بطرس 2:6-9) كقصة واحدة من بين قصص يهودية/مسيحية موروثة تؤكد هلاك الأشرار ونجاة الأبرار، بدليل أنه قال الآيات السابقة بعد أن ذكر قصةَ طوفان نوح (2 بطرس 2:5) وقصة سقوط الشياطين (2 بطرس 2:4). وكذلك فعل يهوذا، إذ ذكر قصةَ تدمير سدوم وعمورة (يهوذا 1:7) بعد أن ذكر قصةَ سقوط الشياطين (يهوذا 1:6) وقصةَ موسى وفرعون (قصة خروج بني إسرائيل من مصر) حين خَلَّص اللهُ المؤمنين مِن بني إسرائيل وأهلك غير المؤمنين (كفرعون وجنوده وعَبَدة العجل الذهبي) (يهوذا 1:5). وفي الواقع، فإن أسلوب بطرس ويهوذا هنا يتفق مع أسلوب يسوع المسيح الذي تحدث مع تلاميذه عن علامات نهاية العالم ومنها مجيئه الثاني (Parousia; Second Coming of Christ) فقال: "وَكَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ **نُوحٍ** كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا فِي أَيَّامِ ابْنِ الإِنْسَانِ: كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيُزَوِّجُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ (أي: كانوا منشغلين بأمورهم الدنيوية)، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ **نُوحٌ** الْفُلْكَ، وَجَاءَ الطُّوفَانُ [فجأة] وَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ [إلا نوح ومَن معه]. كَذلِكَ أَيْضًا كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ **لُوطٍ**: كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيَشْتَرُونَ وَيَبِيعُونَ، وَيَغْرِسُونَ وَيَبْنُونَ. وَلكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ خَرَجَ **لُوطٌ** مِنْ سَدُومَ، أَمْطَرَ [اللهُ] نَارًا وَكِبْرِيتًا مِنَ السَّمَاءِ [فجأة] فَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ [إلا لوط ومَن معه]. هكَذَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُظْهَرُ ابْنُ الإِنْسَانِ (أي: يعود المسيح مرة ثانية)" (لوقا 17:26-30). اقرأ أيضاً (متى 24:36-41). كما يجب أن نوضح أن أسلوب يسوع وبطرس ويهوذا هنا يتفق مع أسلوب اليهود بصفة عامة، فلقد "كان الأدب اليهودي يستخدم غالباً جيلَ نوح كصورة [نموذجية] للشر (a typical image of evil)، [...]. استخدمت كثير من النصوص اليهودية سدوم (التكوين 19) كصورة نموذجية للشر [...]، وربطها في معظم الأحيان بجيل نوح"[4323]. وانظر أيضاً ما قالته موسوعة (Encyclopædia Judaica) عن التوازي (parallelism) بين قصتي نوح ولوط[4324]:

> Parallels have been pointed out between Noah's position in the Flood story and that of Lot in Sodom's destruction ([Genesis] 19:1–29). In both cases, God's natural, destructive forces act against man because of his wickedness, and both narratives emphasize God's choice in saving the one worthy person of that generation.

ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن في القرن السابع الميلادي قد تأثروا بالتوراة والإنجيل والتراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة، بدليل أنهم ساروا على نهج يسوع وبطرس ويهوذا وغيرهم فقدَّموا قصةَ هلاك قوم لوط كقصة واحدة من بين قصص موروثة تؤكد هلاك الأشرار ونجاة الأبرار. أو ما يُسمَّى بـ "قصص العقاب الإلهي" (Divine Punishment Stories)[4325]. ومِن حيث الكم، تأتي قصة هلاك قوم لوط القرآنية في المرتبة الثانية بعد قصة هلاك قوم نوح (قصة الطوفان) القرآنية[4326]. وأحياناً تأتي قصة هلاك قوم لوط بعد قصة هلاك قوم نوح مباشرةً، مثل: "وَأَنَّهُ (أي: الله) أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ. وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ. وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ. وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ. فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ (أي: فألبسها ما ألبسها من الحجارة المحَمَّاة بالنار والمتتابعة النازلة عليهم من السماء كالمطر)" (النجم 50-54)؛ وأحياناً نجد العكس فتأتي قصة هلاك قوم نوح بعد قصة هلاك قوم لوط مباشرةً، مثل: "وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ" (الأنبياء 74-77). مما يؤكد أن أصحاب القرآن لم يهتموا كثيراً بالترتيب الزمني للقصص، وإنما كان شغلهم الشاغل هو العظة والعبرة[4327][4328]. أو كما قال صاحبُ رواية سورة القمر: "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (أي: فَهَلْ مِن متعظٍ به؟)" (القمر 40).

إلا أن أصحاب القرآن لم يكتفوا بقصص نوح ولوط وغيرهما المأخوذة من التراث اليهودي/المسيحي، وإنما أضافوا إليها قصص من التراث العربي وهي قصص هود وصالح وشعيب. وسوف نعود إلى هذه النقطة بقدر أكبر من التفصيل تحت عنوان "قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة" (recurrent, serial presentations of punishment stories that share many thematic and textual similarities). فسنكتفي هنا بأن نقول إننا إذا نظرنا إلى سورة هود مثلاً، فسنجد ترتيب قصص العقاب الإلهي فيها كما يلي: قصة نوح (هود 25-48)، قصة هود (هود 50-60)، قصة صالح (هود 61-68)، قصة ضيف إبراهيم كمقدمة لقصة لوط التي تليها مباشرة (هود 69-83)، قصة شعيب (هود 84-95)، قصة موسى وفرعون (هود 96-99)؛ وتستخدم السورةُ كلمات متشابهة وأحياناً نفس الكلمات، مثل "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا (أي: أَمْرُ الله) [...]" (هود 40) "وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا [...]" (هود 58) "فَلَمَّا

جَاءَ أَمْرُنَا [...]" (هود 66) "جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ [...]" (هود 76) "فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا [...]" (هود 82) "وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا [...]" (هود 94) "لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ [...]" (هود 101)، للتأكيد على أن الفكرة الأساسية واحدة في كل هذه القصص: النبوة والرسالة، ثم انقسام المجتمع بين أقلية مصدِّقة وأغلبية مكذِّبة "فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ" (العنكبوت 3) "وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ" (العنكبوت 11)، ثم "جَاءَ أَمْرُنَا" "جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ" وهو النجاة (الخلاص) للمؤمنين والهلاك للكافرين بطرق عذاب متنوعة ومختلفة حسب القصة "فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (العنكبوت 40).

وكذلك إذا نظرنا إلى سورة الأعراف، فسنجد ترتيب قصص العقاب الإلهي فيها كما يلي: قصة سقوط الشيطان (أو ما يُسمَّى: قصة سجود الملائكة لآدم إلا إبليس) (الأعراف 11-18)، قصة نوح (الأعراف 59-64)، قصة هود (الأعراف 65-72)، قصة صالح (الأعراف 73-79)، قصة لوط (الأعراف 80-84)، قصة شعيب (الأعراف 85-93)، قصة موسى وفرعون (قصة خروج بني إسرائيل من مصر) (الأعراف 103-145)، قصة العجل الذهبي (الأعراف 148-156)، قصة أصحاب السبت (الأعراف 163-167).

وكل هذا يؤكد تأثر أصحاب القرآن بأسلوب بطرس ويهوذا، وفي الوقت نفسه يؤكد أن القرآن مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي/المسيحي + التراث العربي. وفي كل قصة من تلك القصص المكررة المتشابهة المسلسلة، يتعمَّد أصحابُ القرآن أن يعيدوا إنتاج (reproduced) شخصية النبي بطل القصة بحيث تكون شخصيته قريبة من شخصية محمد، وذلك حتى يسهل على السامعين أن يصدقوا أن محمد نبي مثلهم، وأيضاً حتى يكون للقصة معنى وفائدة في حياة المسلمين الأوائل: تبشير المؤمنين بالنجاة (الخلاص) وإنذار الكافرين بالهلاك. ولا يزال المسلمون إلى اليوم يزعمون أن "الإسلام دين جميع الأنبياء". أما نحن فنقول: تعمَّد أصحابُ القرآن أن يعيدوا إنتاجَ شخصيات الأنبياء السابقين بحيث تكون شخصية محمد هي شخصيتهم وكلام محمد هو كلامهم ومِن ثم يكون دين محمد (الإسلام) هو دينهم.

ولقد درس كثير من العلماء الغربيين "قصص العقاب الإلهي" (Divine Punishment Stories) في القرآن. ولأن موضوعنا الآن هو قصة هلاك قوم لوط فقط وليس كل تلك القصص القرآنية المكررة المتشابهة المسلسلة، فسنكتفي هنا بما قاله العالِم (Prof. Michael Pregill) تعليقاً على سورة هود[4329]، فما قاله ينطبق أيضاً على رواية سورة هود لقصة هلاك قوم لوط (هود 77-83) والتي تعتبر أكثر رواية قرآنية لقصة هلاك قوم لوط تلتزم بترتيب أحداث القصة التوراتية الأصلية (التكوين 19):

> A tour de force of Qurʾānic parenesis. The stories of Noah, Hūd, Ṣāliḥ, Abraham, Lot, Šuʿayb and Moses are related in succession, the language of each echoing the others in clear and distinct ways. This exposition of a prophetic succession in which cycles of revelation, rejection, and

destruction inevitably succeed one another anticipates the parenetic present in which the Qurʾān and its prophet seek to communicate their own message to their audience. By implication, the contemporary experience of rejection points forward to an impending cataclysm that will consume this prophet's people as well. Language such as إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا and بُعْدًا! is repeated formulaically to underscore the inevitable annihilation of the sinners in the community; the Eschaton (الْعَاقِبَةَ) is surely coming. The subject of the early Muslims/Believers as an apocalyptic or eschatologically-oriented community is receiving significant attention now; cf., e. g., Shoemaker 2011.

[…]

The "Arabian prophets" [i.e., هود, صالح and شعيب] are understudied; the Qurʾān's assimilation and presumed adaptation of indigenous pre-Islamic Arabian lore may be productively compared with the passages on the "Biblical" prophets here, for example vv. 69–76 on Abraham. The latter combine rewritten Torah (cf. Gen 18) and thematic adjustments of an apologetic sort that echo earlier Jewish and Christian exegetical treatments (the angels' refusal of the proffered food, Sarah laughing before the annunciation of the birth of Isaac). By contrast, the scene with Lot and his daughters seems extremely close to the Biblical precursor in Genesis 19, and the Qurʾānic author(s) does not miss the oft-overlooked pathos of the scene.

4.15.3.4 من بولس الرسول إلى لوط "الرسول" في القرآن!

بعد أن أعطينا أمثلة مما قاله بطرس ويهوذا، ينبغي علينا أيضاً أن نعرض أمثلة مما قاله بولس الرسول (Paul the Apostle). ركّز بولس في رسائله على إدانة المثلية الجنسية. ولا غرابة في ذلك. فماذا نتوقع من رجل عِبراني إسرائيلي يهودي متعصب عاش في الشرق الأوسط في القرن الأول الميلادي[4330]؟! لا نتوقع منه غير معاداة المثلية الجنسية. فكما كان لبولس موقف متطرف جداً ضد المرأة (misogynistic)[4331]، كذلك كان له أيضاً موقف متطرف جداً ضد المثليين (homophobic). وهذا

الموقف المتطرف المتعصب يتضح من الرسائل التي كتبها بولس أو المنسوبة إليه، ولا يهمنا هنا سوى تأثير أفكار بولس وعباراته وكلماته على أصحاب القرآن. فلقد طوَّر أصحابُ القرآن كلامَ بولس الرسول ووضعوه على لسان لوط "الرسول"! ...

(رومية 1): {18} لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ **[⟵ "رِجْزًا (أي: عذاباً) مِّنَ السَّمَاءِ" (العنكبوت 34)]** عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ (يقصد: كُفْرهم ungodliness) وَإِثْمِهِمِ **[⟵ "بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ" (العنكبوت 34)]**، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ (أي: يَجعَلونَ الحَقَّ أسيرًا لِلظُّلْمِ). [...] {25} الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ **[⟵ "بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (أي: لا تعلمون حقَّ الله عليكم)" (النمل 55)]**، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ **[⟵ "قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ" (الشعراء 161-163) "وَاتَّقُوا اللَّهَ" (الحجر 69)]**، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ. {26} لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ، لأَنَّ إِنَاثَهُمُ اسْتَبْدَلْنَ الاسْتِعْمَالَ الطَّبِيعِيَّ بِالَّذِي عَلَى خِلاَفِ الطَّبِيعَةِ، {27} وَكَذلِكَ الذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ **[⟵ "تَذَرُونَ (أي: تتركون) مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم[4332]" (الشعراء 166)]**، اشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ (lust) بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءَ (committed indecent acts) ذُكُورًا بِذُكُورٍ **[⟵ "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ (أي: لَتفعلون) الْفَاحِشَةَ [...]. أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ (أي: لتجامعون؛ لتنكحون) الرِّجَالَ [في أدبارهم]" (العنكبوت 28-29)؛ "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ [...]. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ [في أدبارهم] شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ" (الأعراف 80-81)؛ "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ [...]. أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ [في أدبارهم] شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ" (النمل 54-55)؛ "أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ" (الشعراء 165)؛ "كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ (أي: فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءَ)" (هود 78)؛ "الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ (أي: كان أهلُها يعملون) الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ" (الأنبياء 74)]**، وَنَائِلِينَ (أي: فنالوا) فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلاَلِهِمِ **[⟵ "سَكْرَتِهِمْ (أي: ضلالتهم وغوايتهم)" (الحجر 72)]** الْمُحِقَّ (أي: نالوا العقابَ الذي يستحقونه؛ أخذوا العقوبةَ التي تناسبهم) (meet, due, fit) **[⟵ "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ (أي: كَانَتْ عُقُوبَتُه بِمَا يُنَاسِبهُ[4333]) فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا [كقوم لوط] وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ [كقوم صالح وقوم شعيب] وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ [كقارون] وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا [كفرعون وجنوده وقوم نوح] وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (العنكبوت 40)[4334]]**.

ولقد قال بولس كلاماً آخر ضد المثلية الجنسية، أو على الأقل يُفسَّر تقليدياً على أنه ضد المثلية الجنسية: (1 كورنثوس 6:9-11) (1 تيموثاوس 1:9-10) (غلاطية 5:19-21) (أفسس 5:3-5)، لكننا لم نجد فيه شيئاً جديداً يتعلق بموضوعنا وهو مدى تأثيره على قصة هلاك قوم لوط القرآنية، ولذلك فإننا سنكتفي بما قاله في رسالة رومية.

كتب بولس رسالةَ رومية في القرن الأول الميلادي "إِلَى جَمِيعِ الْمَوْجُودِينَ فِي رُومِيَةَ (أي: روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية الوثنية آنذاك)" (رومية 1:7) أي: إلى المسيحيين الأوائل من أصل وثني

و/أو إلى الوثنيين بصفة عامة. وهذا يؤكد ما قلنا فيما سبق إن المثلية الجنسية في العصور القديمة كانت مرتبطة بالوثنية[4335]، ولذلك رفضها اليهود والمسيحيون الأوائل من أصل يهودي وعلى رأسهم بولس بالطبع. أما اليوم، فالوضع مختلف تماماً، إذ لا يوجد الآن أي ارتباط أو علاقة بين الوثنية والمثلية الجنسية. فما قاله بولس ضد المثلية الجنسية ينطبق على نوعية معينة من الممارسات المثلية الجنسية في عصره، ولا يمكن أن ينطبق على كل الممارسات المثلية الجنسية في القرن الواحد والعشرين الميلادي. وإلا بنفس المنطق، سيُؤخذ ما قاله يسوعُ المسيح ضد نوعية معينة من الأغنياء في عصره ويُطبَّق على كل الأغنياء اليوم: "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ" (لوقا 24:6)؛ "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ! وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَل مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!" (متى 23:19-24)؛ (مرقس 23:10-25) (لوقا 24:18-25). فلو أخذنا كلامَ يسوع وطبقناه أوتوماتيكياً على كل الأغنياء اليوم، هل ستقبلون بهذا التعميم الخطير الذي ينتزع الآيات من سياقها الزماني والمكاني؟! بالطبع لا. كذلك نحن لا نقبل تعميمكم لِمَا قاله بولس أو غيره ضد المثلية الجنسية السائدة في عصره.

ومِن ثم فإن كل ما قاله بولس الرسول (أو غيره) ضد المثلية الجنسية في عصره لا ينطبق على المثليين اليوم، وإنما ينطبق أكثر على المسيحيين المثلِّثين الذين مزجوا بين توحيد اليهودية وشِرك الوثنية "الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ [يسوعَ المسيح] دُونَ الْخَالِقِ [الله الواحد الأحد]، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ" (رومية 25:1). "إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ" (أفسس 6:4) "لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (1 تيموثاوس 5:2-6).

ولم نجد جملةً واحدة قالها الفادي والمخلِّص يسوعُ المسيح بلسانه ضد المثلية الجنسية أو ضد المثليين[4336].

4.15.3.5 امرأة لوط ... امرأة نوح ... في النار يوم القيامة

ويجب علينا ألا ننسى امرأةَ لوط (Mrs. Lot) التي لا نعرف حتى اسمَها! ولم تنطق بكلمةٍ واحدة في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن! ونحن نتعامل معها أيضاً باعتبارها شخصية كتابية (Biblical character) وليس باعتبارها شخصية حقيقية تاريخية (historical figure).

تطورت شخصية "امرأة لوط" أيضاً بمرور الزمن. إذ يُفهَم من التوراة أن امرأة لوط خرجت من مدينة سدوم وكادت أن تنجو من الهلاك لولا أنها كسرت الوصيةَ الإلهية التي تنهى عن النظر إلى الوراء (التكوين 17:19) فهلكت بتحولها من إنسان متحرك إلى عَمُود مِلْحٍ غير متحرك! "وَنَظَرَتِ امْرَأَتُهُ (أي: امرأةُ لوط) مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ" (التكوين 26:19). لكن المشكلة هي أن الوصيةَ الإلهية التي تنهى عن النظر إلى الوراء كانت موجَّهة إلى لوط فقط: "اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ" (التكوين 17:19)، مما قد يعني

أن امرأة لوط لم تُكلَّف أصلاً بهذه الوصية الإلهية. حلَّ صاحبُ رواية سورة هود هذه المشكلة بأن استخدم صيغة الجمع فجعل أهلَ لوط كلهم مكلَّفين بهذه الوصية الإلهية: "فَأَسْرِ (أي: فاخرج من المدينة) بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ [خلفه] إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ" (هود 81). لكن يُفهَم من روايات قرآنية أخرى أن امرأة لوط لم تخرج أصلاً من المدينة؛ والدليل على ذلك هو كلمة "الْغَابِرِينَ (أي: الهالكين؛ الباقين في العذاب)" التي لم تستخدمها روايةُ سورة هود أبداً وكذلك لم تستخدمها الروايات القرآنية الثلاث التي لم تذكر مصيرَ امرأة لوط (القمر 33-40) (الذاريات 35-37) (الأنبياء 74-75)، بينما استخدمتها 6 روايات قرآنية أخرى! "إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" (الأعراف 83) (العنكبوت 32) "إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ" (النمل 57) "إِلَّا عَجُوزًا (هي: امرأته) فِي الْغَابِرِينَ" (الشعراء 171) (الصافات 135) "إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" (العنكبوت 33) "إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا ۙ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ" (الحجر 60)، مما يعني أن امرأة لوط بقيت في المدينة وهلكت مع سكانها (his wife remained in the city and died)[4337]. لكن لماذا تهلك إذن؟! أجاب صاحبُ (التحريم 10) على هذا السؤال بكل بساطة: امرأة لوط هلكت لأنها كانت كافرة أو منافقة (أي: موالية للكفار): "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا (أي: خيانةً روحية؛ خَانَتَاهُمَا في الدين، فقد كانتا كافرتين أو منافقتين) فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ [لامرأة نوح وامرأة لوط يوم القيامة] ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ" (التحريم 10).

فَمِن أين جاء صاحبُ (التحريم 10) بهذه الفكرة؟ هل من الوحي الإلهي كما تزعم البروباجاندا الإسلامية صباحاً ومساءً؟ الإجابة: لا. هل من التوراة؟ الإجابة: لا. فلم تقل التوراةُ إن إمرأة لوط كانت كافرة (غير مؤمنة). أما التراث اليهودي/المسيحي، فجعلها كافرة (غير مؤمنة)! بل جعلها عبرةً لغير المؤمنين!

يقول "سفر الحكمة" (Book of Wisdom) (أو: "حكمة سليمان" (Wisdom of Solomon)) وهو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha)، ويرجع تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد أو الأول بعد الميلاد، أي: قبل الإسلام بأكثر من 500 سنة: "وعَمودٌ مِن مِلْحٍ (يقصد: امرأة لوط) قائِمٌ تَذْكاراً لِنَفْسٍ لم تُؤمِن (a monument to an unbelieving soul)" (الحكمة 7:10)[4338]. وقبل الإسلام أيضاً، قال القديس "جيروم" (Saint Jerome) (ت 420م) إن امرأة لوط "صارت نصباً تذكارياً للنفس غير المؤمنة"[4339]

[← كذلك جعل القرآنُ امرأةَ لوط مَثَلًا لغير المؤمنين: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا (an example) لِّلَّذِينَ كَفَرُوا (أي: لم يؤمنوا) امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا (أي: خيانةً روحية؛ خَانَتَاهُمَا في الدين، فقد كانتا كافرتين أو منافقتين) فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ [لامرأة نوح وامرأة لوط يوم القيامة] ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ" (التحريم 10)].

لكن لماذا وضع صاحبُ (التحريم 10) امرأةَ لوط مع امرأة نوح مع أحداث يوم القيامة ("النار") في نفس الآية القرآنية (التحريم 10)؟

الإجابة: لأنه بقصد أو بدون قصد، وقع تحت تأثير الإنجيل الذي لم يذكر امرأةَ لوط إلا مرة واحدة فقط وأيضاً في نفس السياق مع نوح ولوط وأحداث نهاية العالم (المجيء الثاني للمسيح). ولقد أشرنا إلى هذا السياق من قبل عند حديثنا عن (2 بطرس 2) الذي وضع قصةَ لوط (2 بطرس 2:6-9) بعد قصة نوح (2 بطرس 5:2) مباشرةً؛ لكن لكي تكتمل الفكرة سنذكره هنا كاملاً. قال يسوع المسيح لتلاميذه: "وَكَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ **نُوحٍ** كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا فِي أَيَّامِ ابْنِ الإِنْسَانِ: كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيُزَوِّجُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ (أي: كانوا منشغلين بأمورهم الدنيوية)، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ **نُوحٌ** الْفُلْكَ، وَجَاءَ الطُّوفَانُ [فجأة] وَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ [إلا نوح ومَن معه]. كَذلِكَ أَيْضًا كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ **لُوطٍ**: كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيَشْتَرُونَ وَيَبِيعُونَ، وَيَغْرِسُونَ وَيَبْنُونَ (أي: كانوا يزاولون أنشطتهم اليومية كالمعتاد). وَلكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ خَرَجَ **لُوطٌ** مِنْ سَدُومَ، أَمْطَرَ [اللهُ] نَارًا (fire) وَكِبْرِيتًا مِنَ السَّمَاءِ [فجأة] فَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ [إلا لوط ومَن معه]. هكَذَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُظْهَرُ ابْنُ الإِنْسَانِ (أي: يعود المسيحُ مرة ثانية). فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَنْ كَانَ عَلَى السَّطْحِ وَأَمْتِعَتُهُ فِي الْبَيْتِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَهَا، وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ كَذلِكَ لاَ يَرْجِعْ إِلَى الْوَرَاءِ. اُذْكُرُوا **امْرَأَةَ لُوطٍ** (أي: خذوا عِبْرةً مِن امْرَأَة لُوطٍ التي تعلّق قلبها بالماديات الدنيوية الزائلة (ارتدت إلى الوراء بعينيها) فهلكت عند عتبة الخلاص)! مَنْ طَلَبَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ [ويأخذ أمتعته معه] يُهْلِكُهَا، وَمَنْ أَهْلَكَهَا [متجرداً من كل شيء باغضاً حتى نفسه] يُحْيِيهَا. أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يَكُونُ اثْنَانِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ، فَيُؤْخَذُ الْوَاحِدُ [لملكوت الله حيث الوجود الدائم مع الله والنعيم الأبدي] وَيُتْرَكُ الآخَرُ [للانفصال الدائم عن الله والهلاك الأبدي]. تَكُونُ اثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ مَعًا، فَتُؤْخَذُ الْوَاحِدَةُ [لملكوت الله حيث الوجود الدائم مع الله والنعيم الأبدي] وَتُتْرَكُ الأُخْرَى [للانفصال الدائم عن الله والهلاك الأبدي]. يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ، فَيُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ»" (لوقا 17:26-33)[(4340)].

إذن: كما وضع الإنجيل والتراث المسيحي لوطاً مع نوح في نفس الخانة وهي خانة الأبرار وأحياناً في نفس سياق الحديث، كذلك وفي المقابل، وضع القرآنُ امرأةَ نوح مع امرأة لوط في نفس الخانة وهي خانة الأشرار / الكفار / المنافقين وأيضاً في نفس الآية القرآنية (التحريم 10). فهل هذا شيء جديد نسمعه لأول مرة عن امرأة نوح؟ أو فكرة جديدة أضافها القرآنُ بالوحي الإلهي كما تزعم البروباجاندا الإسلامية ليلاً ونهاراً؟ كلا، إذ توجد قبل الإسلام فرق غنوسية (Gnostics) قدّمت امرأةَ نوح كامرأة شريرة بطريقة مُبَالغ فيها إلى درجة أنهم زعموا أنها أحرقت بالنار الْفُلْكَ الذي كان نوح يصنعه ثلاث مرات! أحرقته 3 مرات بالنار. وأسموها "Nuria" حتى يبدو اسمها قريباً من الكلمة السريانية "nūrā" - التي تعني "نار" (fire) - ومِن ثم يسهل انتشار هذه الأسطورة الغنوسية بين السريان. ومِن المعلوم أن سدوم (التي كانت تسكنها امرأة لوط) هي أول مدينة يهلكها اللهُ بالنار (fire) حسب التوراة (التكوين 19:24) وأيضاً حسب الإنجيل (لوقا 17:29) **[← فَمِن الواضح أن هذه الأسطورة الغنوسية قد انتشرت بين العرب أيضاً، بدليل أنهم وضعوا**

في قرآنهم "امرأة نوح" مع "امرأة لوط" مع "النار" في آية واحدة: "امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ [...] وَقِيلَ [لهما يوم القيامة] ادْخُلَا النَّارَ (The Fire)" (التحريم 10)]. ولقد تحدث واحدٌ مِن أهم آباء الكنيسة في القرن الرابع الميلادي هو "ابيفانيوس أسقف سلاميس" (Epiphanius of Salamis) (حوالي 315 – 403م) في كتابه الشهير (Panarion) عن هؤلاء الغنوسيين. ومرجعنا في ذلك هو العالِمُ الكبير (.Prof Gabriel Said Reynolds) الذي قال تعليقاً على (التحريم 10)[4341]:

> Noah and Lot are presented in parallel in 2 Peter 2 (see commentary on [العنكبوت 28-35]). It could be that the Qur'ān [التحريم 10] has extended this parallelism by making Noah's wife unfaithful in a way similar to Lot's wife, who is destroyed for disobeying the command of an angel […]:
>
> […] (Genesis 19:17, 26).
>
> However, it is important to note that already in the pre-Islamic period certain groups had developed hostile legends regarding Noah's wife. In his *Panarion* (2:26), Epiphanius (d. 403) relates how the Gnostics held that the wife of Noah (whom they named Nuria) was not allowed to join Noah in the ark after she burned it down on three occasions (the name Nuria is a play on the Syriac word nūrā, for "fire" […].

بعبارة أخرى أكثر بساطة: كما تطورت شخصية لوط بمرور الزمن تطوراً بشرياً طبيعياً في الاتجاه الإيجابي حتى اقتربت من شخصية نوح أو تطابقت معها في الْبِرّ، كذلك تطورت شخصية امرأة نوح تطوراً بشرياً طبيعياً أيضاً، لكن في الاتجاه السلبي حتى اقتربت من شخصية امرأة لوط أو تطابقت معها في الشر. وكالعادة، لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن نوح ولوط شخصان حقيقيان تاريخيان، فَمِن العبث أن نتساءل عن مصير امرأتيهما المحقق تاريخياً. إنها مجرد شخصيات كتابية (Biblical characters) تطورت بمرور الزمن تطوراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في القرآن بالصورة التي نراها الآن في المصحف (التحريم 10).

أما كلمة "فَخَانَتَاهُمَا (أي: خيانةً روحية؛ خَانَتَاهُمَا في الدين)" (التحريم 10) فتدل على أن أصحاب القرآن كانوا يستخدمون نفس العبارات التي كان يستخدمها التراثُ اليهودي/المسيحي حين يشير إلى الوثنية والشرك بعبارات مثل "الزنا" أو "الخيانة"، والمقصود: الزنا الروحي، أي: خيانة الرب أو خيانة أنبيائه أنبياء بني إسرائيل الذين نادوا بالتوحيد المطلق وعبادة الإله الواحد الأحد الذي لا شريك له؛ ومِن ثم فإن عبادة أي إله آخر تُعتبَر خيانة روحية، كما تخون المرأةُ زوجَها خيانةً جسدية مع رجلٍ آخر. راجِع ما قلناه عن (حزقيال 16) على سبيل المثال وليس الحصر، إذ توجد أمثلة أخرى كثيرة.

4.15.3.6 تأثير التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي على القرآن

وأخيراً، نذكر مثالين آخرين يؤكدان تأثير التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي على قصة "هلاك قوم لوط" القرآنية. المثال الأول يتعلق بفكرة "تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ" (العنكبوت 29). والمثال الثاني يتعلق بكلمة "أَطْهَرُ" (هود 78).

المثال الأول من التراث اليهودي. فلقد انفرد صاحبُ رواية سورة العنكبوت بأن لوط قال لقومه إنكم "تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ (أي: تَقْطَعُونَ الطريقَ على المسافرين لسرقتهم)" (العنكبوت 29). كما انفرد صاحبُ رواية سورة الحجر بمعلومة أخرى وهي أن قوم لوط "قَالُوا [له] أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (أي: أَوَلَمْ نَنْهَكَ أن تضيِّف الزوار الغرباء)" (الحجر 70). فما هو مصدر هاتين المعلومتين؟ هل الوحي الإلهي كما تزعم البروباجاندا الإسلامية؟ لا. وإنما التراث اليهودي البشري 100%، وتحديداً: التلمود البابلي (Babylonian Talmud) – الذي جُمِع في القرن الخامس أو السادس الميلادي[4342][4343]، أي قبل ظهور الإسلام ...

فلقد حاول التلمود (Sanhedrīn 109a-109b)[4344] أن يشرح الآيةَ التوراتية التي تقول: "وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ (أي: ضد الرب) جِدًّا" (التكوين 13:13). فقالت الأسطورة التلمودية إن أهل سدوم كانوا متكبرين لأن الله أنعم عليهم بثروات طبيعية كثيرة جداً إلى درجة أن أَرْضهم كان يَخْرُجُ مِنْهَا الْخُبْزُ وحِجَارَتهَا هِيَ مَوْضِعُ الْيَاقُوتِ وَفِيهَا تُرَاب مِن ذهب[4345]! وتستدل هذه الأسطورة التلمودية بما قاله (حزقيال 16): "هذَا كَانَ إِثْمَ أُخْتِكِ سَدُومَ: الْكِبْرِيَاءُ وَالشَّبَعُ مِنَ الْخُبْزِ وَسَلاَمُ الاطْمِئْنَانِ" (حزقيال 49:16). ولذلك لم يكن أهلُ سدوم محتاجين أن يزورهم أحدٌ (we do not need people to come to us). بل كانوا يقولون إن الزوار الغرباء يأتون إلى مدينتهم سدوم طمعاً في ثرواتها لينهبوها من سُكانها الأصليين (They come to us only to take things away from us) **[⟵ "قَالُوا [للوط] أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (أي: أَوَلَمْ نَنْهَكَ أن تضيِّف الزوار الغرباء)" (الحجر 70)]**. "وَلَمْ تُشَدِّدْ (أي: ولَم تُساعِدْ سَدُومُ) يَدَ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ، وَتَكَبَّرْنَ وَعَمِلْنَ الرِّجْسَ **[⟵ "وَتَأْتُونَ [...] الْمُنكَرَ" (العنكبوت 29)]** أَمَامِي" (حزقيال 16:49-50). فعاقبهم اللهُ "فَنَزَعْتُهُنَّ كَمَا رَأَيْتُ" (حزقيال 50:16)، حتى صار أهلُ سدوم يحسدون الأغنياء ويَهْجُمُونَ عَلَى المسافر الغريب الغني يَهْدِمُونَهُ كلهم كَحَائِطٍ مُنْقَضٍّ، كَجِدَارٍ وَاقِعٍ[4346]، ويسرقون كل ما معه من أموال (take away all his money) **[⟵ "تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ (أي: تَقْطَعُونَ الطريقَ على المسافرين لسرقتهم أو قتلهم)" (العنكبوت 29)]**. ثم يذكر التلمود بعد ذلك خطايا أخرى كثيرة ارتكبها أهلُ سدوم فيما يتعلق بالظلم الاجتماعي وفساد القضاة وسوء معاملة الضيوف ... الخ. وتنتهي الأسطورة بفتاةٍ عذَّبها أهلُ سدوم بطريقة بشعة لمجرد أنها أطعمت فقيراً! فظلت الفتاةُ "تصرخ" حتى وصل "صُرَاخها" إلى الله وماتت. ولذلك "قَالَ الرَّبُّ: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا" (التكوين 20:18). إنها

إذن أسطورة تلمودية تحاول أن تصنع قصة واحدة متماسكة (un tout cohérent) تربط بين ما قاله (حزقيال 16) عن سدوم وما قاله سفر التكوين عن سدوم.

خيال واسع جداً. يدل على مدى ما كان يتمتع به اليهود قبل الإسلام من قدرة هائلة على تأليف أساطير وإبداع قصص تفسِّر التوراةَ أو تعلِّق عليها أو تملأ الفراغات التي لم تذكرها أو تربط بين الآيات. ثم تطورت هذه الإبداعات اليهودية (الإسرائيليات) تطوراً بشرياً طبيعياً حتى تسللت إلى القرآن.

المثال الثاني من التراث المسيحي الشرقي. فلقد انفرد صاحبُ رواية سورة هود بوضع صيغة التفضيل "أَطْهَرُ" على لسان لوط "قَالَ [لوطٌ] يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ (plus pures pour vous)" (هود 78) التي لا نجدها في أي رواية قرآنية أخرى، ولا نجدها في التوراة! فَمِن أين جاءت؟! هل بوحي من الله؟! الإجابة: كلَّا، وإنما بوحي من التراث الديني الذي ظهر في الشرق الأوسط قبل القرآن. يقول القديس المسيحي "يوحنا ذهبي الفم" (John Chrysostom) (ت. حوالي 407م؛ أي قبل الإسلام بأكثر من 190 سنة) إن لوطاً قال لرجال سدوم: "فإذا كان لاَ بُدَّ من غذاء لإشباع هياجكم، فها أنا أقدم لكم الوسيلة الأقل إجراماً (je **vous** procurerai, moi, ce qui rendra **moins lourd** le poids de votre crime) هوذا ابنتاي البكرتان اللتان لم يعرفهما رجلٌ بعد"[4347] **[⟵ "قَالَ [لوطٌ] يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ (plus pures pour vous)" (هود 78)].**

قد يُقال إن هذا مثال بسيط وهامشي وثانوي وغير مهم. أما نحن فنرى أن أهميته ترجع إلى أنه يؤكد لنا مرة أخرى أن صاحب رواية سورة هود كان على دراية جيدة جداً بالتراث المسيحي الشرقي. فكما تأثر بالعملاق المسيحي إفرام السرياني فانفرد بعبارة "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ" (هود 71) التي لم تُذكَر في أي رواية قرآنية أخرى، نراه الآن يتأثر بالعملاق المسيحي يوحنا ذهبي الفم فينفرد بعبارة "هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ" (هود 78) التي لم تُذكَر في أي رواية قرآنية أخرى. ولقد لاحظنا فيما سبق أن صاحب رواية سورة هود هو أكثر واحد التزم بترتيب أحداث القصة حسب التوراة (التكوين 18-19)؛ أولاً قصة الزوار الثلاثة (التكوين 18:1-15) **[⟵ قصة ضيف إبراهيم (هود 69-73)]**، ثم شفاعة إبراهيم في سدوم (التكوين 18:16-33) **[⟵ مجادلة إبراهيم في قوم لوط (هود 74-76)]**، ثم قصة تدمير سدوم وعمورة (التكوين 19:1-29) **[⟵ قصة هلاك قوم لوط (هود 77-83)]**. بخلاف الروايات القرآنية الأخرى – وبخاصة رواية سورة الحجر – التي لم تلتزم بترتيب أحداث القصة حسب التوراة. وبعضها حوَّل القصةَ إلى عِبرة أو عظة أخلاقية، فصارت تلك الروايات القرآنية (مثلاً: روايات سور الأعراف والعنكبوت والشعراء) أقرب إلى التراث المسيحي (مثلاً: رسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا) منها إلى التوراة. أما صاحب رواية سورة الأنبياء فنراه يجمع بذكاء بين التوراة والإنجيل، فقال: "وَأَدْخَلْنَاهُ (أي: وَأَدْخَلْنَا لوطاً) فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" (الأنبياء 75). "أَدْخَلْنَاهُ

فِي رَحْمَتِنَا" حسب التوراة "لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ" (التكوين 16:19)، "إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" حسب الإنجيل "وَأَنْقَذَ لُوطًا الْبَارَّ، [...] الْبَارُّ [...] نَفْسَهُ الْبَارَّةَ [...] يَعْلَمُ الرَّبُّ أَنْ يُنْقِذَ الأَتْقِيَاءَ مِنَ التَّجْرِبَةِ" (2 بطرس 2:7-9).

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24).

تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ، فستجدوا فيه الاختلافات الكثيرة التي تثبت أنه من عند غير الله. إنه من عند التراث اليهودي البشري 100% والتراث المسيحي الشرقي البشري 100%. بل ليس من المبالغة أن نقول إن القرآن كتاب من كتب التراث اليهودي/المسيحي الشرقي قبل أن يكون النص العربي المؤسس لدين الإسلام. القرآن المكي بصفة خاصة.

4.15.4 الخلاصة

من كل ما سبق يتضح أن القصة القرآنية التي تُسمَّى "هلاك قوم لوط" امتداد لقصة "ضيف إبراهيم" وهي مجرد تطور بشري طبيعي للقصة التوراتية التي تُسمَّى "تدمير سدوم وعمورة" (التكوين 19) والتي هي بدورها امتداد لقصة "الزوار الثلاثة" الذين حلّوا ضيوفاً على إبراهيم (التكوين 18). ولا يوجد أي دليل علمي يثبت أن تلك القصص حقيقية تاريخية. بل لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن لوط وإبراهيم شخصان حقيقيان تاريخيان.

تقول حاشية الترجمة اليسوعية: "الرواية (أي: التكوين 18) تمهّد لرواية الفصل 19. وقد أخذ المؤلف اليهوي أسطورة قديمة في تدمير سدوم يتدخل فيها ثلاثة أشخاص إلهيين. وكانت هذه القصة تشكِّل نواة روايات تدور على لوط، ضُمَّت إلى روايات إبراهيم"؛ "ولعل قصة سدوم، التي دُمِّرت بسبب خطيئة سكانها، قصة عَبْرأدرنية قديمة توازي رواية الطوفان"[4348].

ونحن نضيف أن هذه الأسطورة اليهودية قد تطورت تطوراً بشرياً بمرور الزمن حتى تسللت إلى القرآن، بل كررها أصحاب القرآن 10 مرات في 10 سور مكية! بالإضافة إلى آيات قرآنية أخرى أشارت إلى القصة باختصار مثل (الفرقان 40) وغيرها.

قصة "تدمير سدوم وعمورة" **[← قصة "هلاك قوم لوط"]** مجرد روايات وقصص شعبية بل أساطير شرقية قديمة ولا يوجد أي دليل علمي يثبت أنها حدثت فعلاً تاريخياً. وحتى لو كان فيها شيء من الحقيقة، فلا يمكن استخدامها كذريعة لكراهية المثليين اليوم، لأن المثلية الجنسية اليوم مختلفة تماماً عن المثلية الجنسية أيام لوط. المثليون الآن في الدول المتحضرة يعملون في الشركات وينتجون في المصانع ويدرّسون في الجامعات والمدارس ويعالِجون المرضى في المستشفيات بل ويدافعون عن أوطانهم الحرة في الجيش

والشرطة. فلا يوجد أي مبرر عقلاني لأن نكره المثليين اليوم بسبب أسطورة شرقية قديمة كتبها واحد عبراني متعصب ومتطرف وبطلها شخص اسمه "لوط" لا يوجد أي دليل علمي يثبت أنه شخص حقيقي تاريخي!

بل ليس من المبالغة أن نقول إنه ربما سَمَحَ اللهُ للمرأة والمثليين والأقليات الدينية والعرقية وغيرهم أن ينالوا حقوقهم ليثبت للعالم كله أن شرائع الأديان غير كاملة (imperfect) وليست صالحة لكل زمان ومكان.

الشريعة اليهودية ليست صالحة لكل زمان ومكان.

الشريعة المسيحية ليست صالحة لكل زمان ومكان.

الشريعة الإسلامية ليست صالحة لكل زمان ومكان.

ولم نجد جملةً واحدة قالها يسوعُ المسيح بلسانه ضد المثلية الجنسية أو ضد المثليين[4349].

نكرر: لا توجد جملة واحدة قالها يسوعُ المسيح بلسانه ضد المثلية الجنسية أو ضد المثليين. لماذا؟ لأنَّ "النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا" (يوحنا 17:1). والحقُّ هو أن للمثلية الجنسية أسباباً وراثية (genetic; biological) واجتماعية (social; environmental) ونفسية (psychological)[4350]. ومعظم هذه الأسباب أو كلها تقريباً خارجة عن إرادة الإنسان وليست باختياره، وبخاصة مَن كان مثلياً منذ اللحظة الأولى في مرحلة البلوغ ولم يشعر أبداً بالميل إلى الجنس الآخر (100% homosexual). فَمِن المستحيل أن نصدِّق أن الله العادل الرحيم يعاقب إنساناً على شيء خارج عن إرادته، وبخاصة إذا كان هذا الإنسان لا يضر الآخرين. وهذا ما نراه عند المثليين اليوم الذين يفيدون مجتمعاتهم في مختلف المجالات.

4.15.5 دعوة الأمم المتحدة إلى حقوق المثليين والمثليات وغيرهم

في يوم 29 سبتمبر 2015، قامت 12 منظمة تابعة للأمم المتحدة (منها منظمة الصحة العالمية واليونيسكو واليونيسف ومكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان وغيرهم) بإصدار بياناً مشتركاً يدعو إلى القضاء على العنف والتمييز ضد المثليات (lesbian) والمثليين (gay) ومزدوجي الميل الجنسي (bisexual) ومغايري النوع الاجتماعي (transgender) وثنائيي الجنس (intersex) الذين يُعْرَفون اختصاراً (LGBTI). وسنكتفي هنا بمقدمة هذا البيان التاريخي التي تقول[4351]:

> تدعو وكالات الأمم المتحدة الدول إلى التحرك بشكل عاجل للقضاء على العنف والتمييز ضد المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري النوع الإجتماعي وثنائيي الجنس (LGBTI) من البالغين والمراهقين والأطفال.

لكل الناس الحق على قدم المساواة في العيش بعيداً عن العنف والاضطهاد والتمييز والوصم (stigma). ويتولى القانون الدولي لحقوق الإنسان وضع التزامات قانونية على الدول لضمان تمتع كل شخص، دون تمييز، بهذه الحقوق. وفي حين نرحب بالجهود المتزايدة في العديد من الدول لحماية حقوق ال LGBTI، فإننا لا نزال نشعر بقلق بالغ من أن هناك الملايين حول العالم من ال LGBTI، أو الذين يُتصور أنهم كذلك، يواجهون هُمْ وعائلاتهم انتهاكات واسعة النطاق لحقوق الإنسان، ويعتبر هذا سبباً للقلق والعمل (action).

ويشكل عدم احترام حقوق الإنسان لهم والفشل في حمايتهم من الانتهاكات مثل العنف والقوانين والممارسات التمييزية، انتهاكاً جسيماً للقانون الدولي لحقوق الإنسان كما أن لهذا الأمر تأثيراً بعيد المدى على المجتمع – مما يساهم في زيادة التعرض لإعتلال الصحة بما في ذلك الإصابة بفيروس نقص المناعة البشري، والإقصاء الاجتماعي الاقتصادي، الأمر الذي يمثل ضغطاً على الأسر والمجتمعات المحلية، ويؤثر سلباً على النمو الاقتصادي والعمل اللائق والتقدم نحو تحقيق الأهداف الإنمائية المستدامة في المستقبل. يقع على عاتق الدول بموجب القانون الدولي واجب أساسي لحماية الجميع من التمييز والعنف. لذا تتطلب هذه الانتهاكات استجابة عاجلة مِنْ قِبَل الحكومات والبرلمانات والهيئات القضائية والمؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان. وتلعب القيادات المجتمعية والدينية والسياسية، ومنظمات العمال، والقطاع الخاص، ومقدمي الخدمات الصحية، ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام دوراً هاماً أيضاً. إن حقوق الإنسان عالمية – ولايمكن التذرع بالممارسات والمعتقدات الثقافية والدينية والأخلاقية والمواقف الاجتماعية لتبرير انتهاكات حقوق الإنسان ضد أية جماعة، بما في ذلك المثليات والمثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري النوع الإجتماعي وثنائي الجنس (Human rights are universal – cultural, religious and moral practices and beliefs and social attitudes cannot be invoked to justify human rights violations against any group, including LGBTI persons).

حقاً، إن حقوق الإنسان عالمية (universal) ولا يمكن تجزئتها (indivisible). حقوق الإنسان أصبحت تعريفاً للإنسان. فكل إنسان يجب أن يتمتع بهذه الحقوق. وكل مَن يتمتع بهذه الحقوق إنسانٌ. وكما لا يمكن تجزئة الإنسان، كذلك لا يمكن تجزئة حقوقه. فلا يمكن مثلاً تأييد حقوق المرأة ورفض حقوق المثليين. ولا يمكن كذلك أن ندافع عن حقوق الأقليات الدينية ونهاجم حقوق الملحدين (الكافرين بالله) أو حقوق اللادينيين (الْمُكَذِّبِين لجميع الأنبياء وكل الرسل).

حقوق الإنسان هي أساس الاستقرار والعدل والسلام والحرية في المجتمع.

4.16 وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا

إسماعيل (Ishmael) (Ismaël) هو ابن إبراهيم (Abraham) والجارية المصرية هاجر (Hagar) (Agar). ذكر القرآنُ إِسْمَاعِيلَ 12 مرة فقط، أكثر من نصفهم في القرآن المدني[4352]: (البقرة 125، 127، 133، 136، 140) (آل عمران 84) (النساء 163) (الأنعام 86) (إبراهيم 39) (مريم 54) (الأنبياء 85) (ص 48).

يقول القرآن إن إسماعيل كان "رَسُولًا نَبِيًّا"! "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ[4353] وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا. وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا" (مريم 54-55). لم يُعطِ القرآن أي تفاصيل عن هاتين الآيتين! اللافت للنظر أننا إذا حذفنا هاتين الآيتين أو وضعنا اسمَ أي نبي آخر – داود مثلاً – مكان اسم إسماعيل، فهذا لن يضر سورة مريم فى شيء، وقد يقرأها مسلم دون أن يلاحظ الفرق! ونشير هنا إلى رأي مَن قال إن "إسماعيل" المذكور في هاتين الآيتين ليس إسماعيل بن إبراهيم وإنما نبي آخر يُدعَى "إسماعيل بن حزقيل"[4354]! الغلطة – كالعادة – مش غلطة مَن قال ذلك. الغلطة غلطة أصحاب القرآن الذين لم يحددوا عن أي "إسماعيل" يتحدثون، ووضعوا آيتين (مريم 54-55) مستقلتين تماماً، والكلام المذكور فيهما كلام عام جداً يُمكِن أن يقال عن أي رسول وأي نبى!

حتى لو أخذنا برأي الجمهور وهو أن إسماعيل المذكور في (مريم 54-55) هو إسماعيل بن إبراهيم، فستظل العديد من الأسئلة تطرح نفسها: إذا كان إسماعيل بالفعل "رَسُولًا نَبِيًّا"، فما هي رسالته؟ ولأي قوم؟ وبأي لغة؟ ومتى عاش؟ وأين وُلِد؟ وأين بُعِث رسولاً؟ وأين مات؟ وماذا "أُنزل إليه": "قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ" (البقرة 136)؟! وفي آية أخرى "أُنزل عليه": "قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ" (آل عمران 84)؟! وفي آية ثالثة "أُوحِي إليه": "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ" (النساء 163)؟!

مع الأسف، لم يجب أصحاب القرآن على هذه الأسئلة الجوهرية! فكانت النتيجة الحتمية هي أن المفسرين – كالعادة – سرحوا بخيالهم وحاولوا تقديم إجابات لا يوجد أي دليل مادي على صحتها. قالوا إن إسماعيل كان رسولاً إلى قبيلة عربية تُدعَى "جُرْهُم"! لكن القرآن نفسه لم يذكر هذه القبيلة على الاطلاق! وقالوا إن إسماعيل كان يُبلِّغ شريعةَ نوح وقيل شريعة إبراهيم. لكن ما الدليل أن نوح وإبراهيم وإسماعيل أنفسهم كانوا شخصيات حقيقية تاريخية؟ وقالوا إن إسماعيل قد أنبأ برسول الإسلام محمد مِن قَبل ظهوره. ولكن هل يوجد دليل مادي واحد يؤيد هذا الكلام؟ أما إذا كانوا يشيرون إلى دعاء إبراهيم (و/أو إسماعيل): "رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (البقرة 128-129)، فإن الرد سيكون: لا يمكن هنا أن تستخدم القرآن كدليل على صحة القرآن! فعليك أولاً أن تثبت صحة القرآن قبل أن تستخدمه كحُجة. والأفضل أن تعطينا دليلاً من خارج الإسلام، كدليل من الآثار التاريخية

مثلاً أو على الأقل دليل من تراث الديانات الإبراهيمية السابقة للإسلام. في ظل غياب هذا الدليل، فليس أمامنا سوى أن نقول إن أصحاب القرآن هُمْ الذين وضعوا هذه الكلمات (البقرة 128-129) في القرن السابع الميلادي ونسبوها إلى إبراهيم و/أو إسماعيل من أجل إعطاء جذور للإسلام تعود إليهما، وبالتالي تقديم الإسلام على أنه دين جميع الأنبياء. والدليل على ذلك هو أن الكلمات المُستخدَمة في (البقرة 128) مثل "مُسْلِمَيْنِ" و "أُمَّةً مُسْلِمَةً" تلائم القرن السابع الميلادي أكثر مِن ملائمتها للفترة التي يُفترَض أن إبراهيم وإسماعيل قد عاشا فيها. أما "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ" (البقرة 129) (مدنية) فهي تشبه إلى حد كبير آيات أخرى قالها أصحابُ القرآن في مواضع أخرى من القرآن المدني، مثل: "كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (البقرة 151) و "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (آل عمران 164) و "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (الجمعة 2). هي إذن نفس المفردات التي كان أصحاب القرآن – وليس إبراهيم وإسماعيل – يقولونها ويكررونها في القرن السابع الميلادي!

كل هذا يجعلنا نشك في أن إسماعيل بن إبراهيم كان "رَسُولًا نَبِيًّا"، خاصةً إذا عرفنا أنه لا يوجد يهودي واحد ولا مسيحي واحد في العالم يقول إن إسماعيل رسول أو نبي! وذلك لأن الكتاب المقدس بعهديه لا يعتبر إسماعيل رسول ولا نبي! بالعكس، صورة إسماعيل في الكتاب المقدس صورة سلبية، أو على الأقل ليست إيجابية. فلقد قدَّمت التوراةُ إِسْمَاعِيلَ لنا لأول مرة قبل ولادته على أنه سيكون "إِنْسَانًا وَحْشِيًّا"! فلقد قَالَ مَلاَكُ الرَّبِّ لهاجر أم إسماعيل: "«هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ. وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا (a wild man)[4355]، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ»" (التكوين 16:11-12). وفي العهد القديم، لم يُذكَر إسماعيل خارج سفر التكوين إلا مرة واحدة فقط (1 أخبار الأيام 1:28-31)! ولم تعطِ أي معلومة جديدة عنه، وإنما هي تكرار لأسماء بني إسماعيل المذكورين في (التكوين 25:12-16).

هذا عن العهد القديم، فماذا عن العهد الجديد؟ ...

لم يذكر الإنجيلُ اسمَ إسماعيل على الإطلاق! أبداً! ولا آية واحدة!

السفر الوحيد في العهد الجديد الذي أشار إلى إسماعيل لم يذكر اسمَه، وإنما وصفه بعبارة "ابْنِ الْجَارِيَةِ"! واستخدمه كرمز (allegory) لأولاد إبراهيم حسب الجسد وَهُمْ تحت عبودية الناموس (أي: اليهود أبناء العهد القديم عهد الشريعة المؤقتة) وكانوا يضطهدون أبناء الوعد الإلهي أولاد إبراهيم حسب الروح (أي: المسيحيين أبناء العهد الجديد عهد النعمة الأبدية)[4356]: "قُولُوا لِي، أَنْتُمُ الَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ النَّامُوسِ: أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ النَّامُوسَ؟ فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ كَانَ لإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ. لكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ، وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْحُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ. وَكُلُّ ذلِكَ رَمْزٌ، لأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا

الْعَهْدَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، الْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ، الَّذِي هُوَ هَاجَرُ. لأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَلكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا، فَهِيَ حُرَّةٌ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:«افْرَحِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. اِهْتِفِي وَاصْرُخِي أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ، فَإِنَّ أَوْلاَدَ الْمُوحِشَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ». وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَنَظِيرُ إِسْحَاقَ، أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ. وَلكِنْ كَمَا كَانَ حِينَئِذٍ الَّذِي وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ يَضْطَهِدُ الَّذِي حَسَبَ الرُّوحِ، هكَذَا الآنَ أَيْضًا. لكِنْ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «اطْرُدِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّهُ لاَ يَرِثُ ابْنُ الْجَارِيَةِ مَعَ ابْنِ الْحُرَّةِ». إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَسْنَا أَوْلاَدَ جَارِيَةٍ بَلْ أَوْلاَدُ الْحُرَّةِ" (غلاطية 4:21-31).

فهل يُعقَل بعد كل ذلك أن نُصدِّق أن إسماعيل كان "رَسُولًا نَبِيًّا" كما يزعم القرآنُ (مريم 54)؟!

بالطبع سيقول المسلمون إن الكتاب المقدس مُحرَّف. ونحن نرد عليهم بما يلي: هل يُعْقَل أن اليهود اشتركوا مع خصومهم المسيحيين في مؤامرة كونية هدفها تشويه صورة إسماعيل في جميع مخطوطات الكتاب المقدس بجميع اللغات والترجمات؟! واستمرت هذه المؤامرة لعدة قرون بدءاً من التوراة ومروراً بالإنجيل ووصولاً إلى ظهور الإسلام؟! هل هذا معقول؟! وحتى لو افترضنا جدلاً أن اليهود والمسيحيين اشتركوا في هذه المؤامرة المزعومة، فلماذا لم يرد اللهُ عليهم رداً قوياً ومؤيداً بالأدلة التي تعطي تفاصيلاً أكثر عن إسماعيل وحياته ورسالته ونبوته وقومه وزمانهم ومكانهم ... الخ؟! وإذا كان اليهود والمسيحيون قد حرَّفوا الكتاب المقدس فيما يخص إسماعيل، أعطونا أنتم أيها المسلمون التوراةَ "الأصلية" أو الإنجيلَ "الأصلي" الذي يقول إن إسماعيل كان "رَسُولًا نَبِيًّا"! أعطونا أي دليل تاريخى يقول إنه كان هناك شخص اسمه إسماعيل بن إبراهيم وكان "رَسُولًا نَبِيًّا". "هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (البقرة 111).

إن لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فعليكم أن تعترفوا بالحقيقة المُرَّة وهي أنه لا يوجد أي دليل كتابي أو دليل تاريخي يثبت أن إسماعيل بن إبراهيم كان "رَسُولًا نَبِيًّا" كما يزعم القرآنُ (مريم 54). بل لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن إسماعيل بن إبراهيم كان شخصية حقيقية تاريخية.

4.16.1 أين عاش إسماعيل بن إبراهيم: في مكة؟ أم في خيال العرب؟

يقول المسلمون إن إسماعيل بن إبراهيم عاش في مكة! ودليلهم على ذلك يعتمد أساساً على أربعة ادعاءات: (1) دعاء إبراهيم؛ (2) مَقَامِ إبراهيم؛ (3) فاران هي مكة؛ (4) نسل إسماعيل. نذكر فيما يلي كل ادعاء ونرد عليه بالأدلة.

4.16.1.1 "دعاء إبراهيم" في القرآن المكي (إبراهيم 35-41)

يقول القرآنُ المكي إن إبراهيم دعا رَبَّه (Abraham's Prayer) قائلاً: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ

الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" (إبراهيم 37). القول السائد في تفسير هذه الآية هو أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل في مكة! ولكننا لم نجد أي دليل كتابي أو دليل تاريخي أو حتى دليل عقلي على أن إبراهيم ذهب إلى مكة! ثم إن الآية المذكورة (إبراهيم 37) لم تذكر "مكة" صراحةً!

مِن هذه الآية الوحيدة ألَّف المسلمون قصةً أقرب إلى الخيال والأسطورة منها إلى الواقع والحقيقة. تقول هذه الأسطورة العربية/الإسلامية إن سارة زوجة إبراهيم غارت مِن هاجر لما ولدت إسماعيل، فأمر الله إبراهيم أن يأخذ هاجر والرضيع إسماعيل مِن الشام (أى: كنعان) إلى مكة! نفَّذ إبراهيمُ أمرَ الله وأخذ هاجر والرضيع إسماعيل إلى مكة وتركهما هناك! ثم رجع إبراهيمُ إلى الشام! ولمَّا نفذ الماء الذى كان مع هاجر، عطش إسماعيل وتألم من العطش. لم تحتمل هاجر أن تنظر إلى رضيعها وهو على هذا الحال، فانطلقت تبحث عن ماء أو عن أحد يغيثها، فسعت بين الصفا والمروة سبعة أشواط[4357]، ولكن دون جدوى. فى النهاية، ضرب إسماعيلُ (أو المَلَكُ جبريل) الأرضَ، فانفجرت الماء من باطن الأرض. ويعتقد المسلمون أن هذا المكان هو البئر المعروف حالياً باسم "بئر زمزم" فى مكة. ويُحكَى أن عرب مِن جُرْهُم تجمعوا حول المكان، وتعلم إسماعيل منهم اللغة العربية، ثم شبَّ وتزوج امرأةً منهم واستقر – حسب ما تقول الأسطورة – فى مكة. ويُروَى أن إبراهيم كان يركب "البراق" ذاهباً إلى مكة لكى يزور إسماعيل ويَطَّلِع عليه ثم يرجع إلى الشام! وكانت إحدى هذه الزيارات سبباً فى طلاق زوجة إسماعيل! إلى آخر ما جاء فى تلك الأساطير العربية/الإسلامية التى نُسجِت حول هاجر أم إسماعيل أبي العرب. ومع الأسف، ما زالت إحدى تلك الأساطير تُستخدَم لكى تُعطِي شرعية لعادة قبيحة بل جريمة تُرتكَب فى المجتمعات العربية-الإسلامية إلى اليوم، وهي جريمة "تشويه الأعضاء التناسلية للإناث" (Female genital mutilation) المعروفة عربياً وإسلامياً باسم "ختان الإناث". تقول هذه الأسطورة إن سارة حلفت لتقطعنَّ ثلاثة أعضاء من هاجر، فثقبت أذنيها وختنتها، وبذلك تكون هاجر – حسب هذه الأسطورة – هى أول مَن اختتن مِن النساء[4358].

ما يهمنا من كل تلك الأساطير العربية/الإسلامية هو قصة ذهاب هاجر وإسماعيل إلى مكة وموضوع "بئر زمزم". ليس لهذه القصة الخيالية أى وجود فى القرآن، بل إن القرآن نفسه لم يذكر هاجر ولا بئر زمزم فى أى آية على الإطلاق! ويجب هنا أن نقول إن وجود القصة فى الكتب الإسلامية (أحاديث، سيرة، تاريخ .. الخ) لا يكفى كدليل؛ وذلك لأن مَن كتبوا هذه الكتب كانوا كلهم مسلمين، فمِن الطبيعى أن يؤيدوا وجهة النظر الإسلامية المنحازة بالطبع إلى مكة. وبالتالى لا يمكن أن نُصدِّق هذه الكتب، خاصةً إذا كنا بصدد قصة يُفترَض أنها حدثت حوالى 2000 سنة قبل الميلاد، أى قبل ظهور الإسلام بحوالى 2500 سنة أو أكثر!

باختصار: لا نعرف لماذا يؤمن المسلمون بهذه القصة ويؤكدون أنها قصة حقيقية؟! قصة ليس لها أى دليل تاريخى ولم تُذكَر لا فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى القرآن، فلماذا يُصدِّقونها؟! هل لأنها تُريحهم وتُشعرهم بأهمية مكة وبالتالى تعطى جذوراً عميقة للإسلام؟ (Wishful thinking)؟

السؤال الآن هو: مِن أين جاءت هذه القصة العربية/الإسلامية الخيالية؟ ...

الإجابة: إنها مستوحاة بلا أدنى شك مِن قصة توراتية (التكوين 21:8-21)[4359]، وهي قصة طرد هاجر والغلام إسماعيل بُناءً على طلب سارة أُم إسحاق وتأييد الله لها في طلبها.

قصة طرد هاجر وإسماعيل حسب التوراة. **(التكوين 21):** {8} فَكَبِرَ الْوَلَدُ (أي: إسحاق) وَفُطِمَ. وَصَنَعَ إِبْرَاهِيمُ وَلِيمَةً عَظِيمَةً يَوْمَ فِطَامِ إِسْحَاقَ. {9} وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ (قيل إن الغلام إسماعيل كان يضحك سخريةً من الطفل إسحاق؛ وقيل إن الغلام إسماعيل كان يصوب سهامَه على الطفل إسحاق مهدداً بقتله من باب التخويف)، {10} فَقَالَتْ [سَارَةُ] لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا (أي: هاجرَ وإسماعيلَ)، لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ». {11} فَقَبُحَ الْكَلاَمُ جِدًّا فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ. {12} فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ [إسماعيل] وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ [هاجر]. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. {13} وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ». {14} فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ [إسماعيل]، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ [هاجرُ] وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ (Wilderness of Beersheba) (حالياً: في صحراء النقب Negeb في جنوب إسرائيل/فلسطين) **[⟵ "بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ (أي: صحراوي) عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ (أي: في مَكَّة حسب التراث الإسلامي!)" (إبراهيم 37). إذن: كما قلنا فيما سبق، قال أصحابُ القرآن كلاماً عن إبراهيم هو مجرد تطور بشري طبيعي لِمَا قالته التوراة عنه، مع نقل الجغرافيا مِن الشمال إلى الجنوب، أي: مِن كنعان (أورشليم وما حولها) إلى صحراء شبه الجزيرة العربية (مكة وما حولها)]**. {15} وَلَمَّا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ [هاجرُ] الْوَلَدَ [إسماعيلَ] تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ، {16} وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ بَعِيدًا نَحْوَ رَمْيَةِ قَوْسٍ، لأَنَّهَا قَالَتْ: «لاَ أَنْظُرُ مَوْتَ الْوَلَدِ [من العطش]». فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ. {17} فَسَمِعَ اللهُ صَوْتَ الْغُلاَمِ، وَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا لَكِ يَا هَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ لِصَوْتِ الْغُلاَمِ حَيْثُ هُوَ. {18} قُومِي احْمِلِي الْغُلاَمَ وَشُدِّي يَدَكِ بِهِ، لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً». {19} وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ **[⟵ "بئر زمزم" في مَكَّة حسب الأسطورة العربية/الإسلامية. إذن: مرة أخرى، ينقل المسلمون جغرافيا القصة التوراتية من كنعان إلى الحجاز!]**، فَذَهَبَتْ [هاجرُ] وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ [إسماعيلَ فعاش]. {20} وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ [إسماعيل] فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ.

حدثت هذه القصة التوراتية فى بِئْرِ سَبْعٍ (Beersheba) التى تقع فى صحراء النقب (Negev) في إسرائيل حالياً[4360]. غيَّر المسلمون مكانَ القصة وجعلوها تحدث فى مكة! ونقلوا بئر الماء مِن بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ (التكوين 21:19) إلى مكة وأسموه "بئر زمزم"! كذلك غيَّر المسلمون زمانَ القصة، إذ جعلوها تحدث حين كان إسماعيل رضيعاً (أي: قبل ميلاد إسحاق!) مع أن التوراة تقول إن القصة حدثت بعد ميلاد إسحاق وفطامه (التكوين 21:8) كما تؤكد التوراة 6 مرات أن إسماعيل كان حينئذٍ "غلاماً" (boy; lad) (التكوين 21:12، 17-20)! إذن: نحن نرى هنا تحريفاً إسلامياً لزمان ومكان قصة توراتية! فلنا هنا وقفة ...

اختلف المفسرون المسلمون – كالعادة – حول متى قال إبراهيمُ دعاءَه المذكور فى (إبراهيم 37):

- ذكرت مراجع إسلامية[4361] أن إبراهيم قال هذا الدعاء بعد أن ترك هاجر والرضيع إسماعيل فى مكة. ولكن إذا قرأنا دعاءَ إبراهيم كاملاً (إبراهيم 35-41)، فسنجد أن إسحاق كان قد وُلِد، بدليل أن إبراهيم قال: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ" (إبراهيم 39). السؤال الآن: هل كان إسماعيل رضيعاً حين وُلِد إسحاق؟ الإجابة مِن التوراة: بالقطع لا. لأن إبراهيم كان "ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ" (التكوين 16:16) وكان "ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ" (التكوين 21:5) – أى: وُلِد إسحاق وعُمْر إسماعيل 14 سنة. ومِن المستحيل أن غلاماً عمره 14 سنة يكون رضيعاً! هذا عن التوراة، فماذا عن القرآن؟ كالعادة، لا يذكر القرآن هذه التفاصيل الهامة! وإذا ذهبنا إلى كتب التفسير، فسنجد أن المفسرين – كالعادة أيضاً – اختلفوا فى عمر إسماعيل حين وُلِد إسحاق، ولكننا لم نجد أحداً قال إن إسماعيل كان لا يزال رضيعاً حين وُلِد إسحاق، وسنكتفي هنا بالقول المشهور المنسوب لاِبْن عَبَّاس – وهو الذى روى قصة هاجر وإسماعيل وبئر زمزم – إذ يقول: "وُلِدَ لَهُ إِسْمَاعِيل وَهُوَ اِبْن تِسْع وَتِسْعِينَ سَنَة، وَإِسْحَاق وَهُوَ اِبْن مِائَة وَاثْنَتَيْ عَشْرَة سَنَة" – أى: وُلِد إسحاق وعُمْر إسماعيل 13 سنة[4362]. ومِن المستحيل أيضاً أن غلاماً عمره 13 سنة يكون رضيعاً! باختصار: من المستحيل أن يكون إبراهيم قد قال هذا الدعاء (إبراهيم 35-41) حين كان إسماعيل رضيعاً.
- ولذلك فإن مراجع إسلامية أخرى[4363] قالت إن إبراهيم قال هذا الدعاء بعد أن أقام هو وإسماعيل بناء الكعبة – أى بعد أن كبر إسماعيل. إلا أننا لا نقتنع بهذا الرأي لأن دعاء إبراهيم المكي (إبراهيم 35-41) لم يذكر بناء الكعبة و "رفع القواعد" و "تطهير بيت الله" ... إلى آخر هذه التفاصيل التي لا نجدها إلا في دعاء إبراهيم المدني (البقرة 126-129) الذي سنناقشه بعد قليل.
- كالعادة، حاول تيار ثالث التوفيق بين الرأيين فقال: وَكَانَ بَيْن قَوْله: "رَبّنَا إِنِّي أَسْكَنْت مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْر ذِي زَرْع عِنْد بَيْتك الْمُحَرَّم" (إبراهيم 37) وَبَيْن قَوْله: "الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَر إِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق" (إبراهيم 39) كَذَا وَكَذَا عَامًا[4364]. لكن القرآن لم يقل ذلك! فهذا إذن تحايل نرفضه، خاصةً إذا كنا بصدد كتاب يُفترَض أنه مِن عند الله! ثم إن أهم ما يميز دعاء إبراهيم المكي (إبراهيم 35-41) هو أنه وحدة كاملة متكاملة مستقلة تماماً عمَّا قبلها وعمَّا بعدها، فمِن الصعب أن نقبل بفكرة أن إبراهيم قال هذا الدعاء على مرحلتين منفصلتين بينهما عدة أعوام!

بالطبع نحن لا يهمنا هل قال إبراهيم هذا الدعاء حين كان إسماعيل رضيعاً أم كبيراً، فنحن أصلاً لا نؤمن بهذه القصة القرآنية. ما يهمنا هو أننا نجد – كالعادة – آراء مختلفة فى الكتب الإسلامية! والمشكلة – كالعادة أيضاً – ليست فى المفسرين المسلمين، وإنما المشكلة فى أصحاب القرآن الذين لم يعطونا تفاصيل محددة بدرجة كافية. فإذا كان القرآن كلام الله حقاً كما تدعون، فلماذا لم يُعطِ اللهُ الأحداث بحسب ترتيبها

الزمنى بصورة كاملة وواضحة لا لبس فيها بدلاً مِن أن يترك الأمر للمفسرين والرواة لملء الفراغات وتوفيق الأوضاع والبحث عن حلول وتبريرات مختلفة وأحياناً متناقضة؟! ثم يختمون كلامهم دائماً بالعبارة الإسلامية الشهيرة: "والله أعلم"!

هذه ليست المشكلة الوحيدة التي تعاني مِنها هذه الأسطورة الإسلامية. هناك مشكلات أخرى:

- لا يُعقَل أن رجل كبير فى السن مثل إبراهيم يسافر كل هذه المسافة الطويلة مِن كنعان (حالياً: إسرائيل / فلسطين وأجزاء من الشام) إلى مكة ويترك زوجته ورضيعها وحدهما "بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ" ثم يرجع إلى كنعان! ولا يمكن أن نُصدِّق أن هناك شيء اسمه "البراق" كان إبراهيم يركبه حين يذهب إلى مكة! (أما فى التوراة، فلم يرحل إبراهيم مع هاجر وإسماعيل، وكان إسماعيل غلاماً عمره حوالى 16 سنة[4365] – أى قادراً أن يتدبَّر أمره وأمر والدته هاجر.)
- إبعاد هاجر وإسماعيل كل هذه المسافة الطويلة مِن كنعان إلى مكة ليس له أي مبرر منطقي، فالمهم فقط هو إبعادهما عن سارة وإسحاق.
- هاجر مصرية (التكوين 1:16). والعقل يقول إنها تذهب هي وابنها إسماعيل فى اتجاه مسقط رأسها مصر، وليس فى اتجاه مكة وهى منطقة غريبة عنها.

مِن حُسْن حظ المسلمين أن قصة ذهاب هاجر وإسماعيل إلى مكة وموضوع "بئر زمزم" لم يُذكَر فى القرآن، وبالتالى فإن التخلص من هذه القصة أمر بسيط. بالفعل، على المسلمين أن يتخلصوا منها لأنها قصة خيالية لم تحدث ومليئة بالأمور غير المعقولة وغير المنطقية وغير المقبولة!

قصة ليس لها أي دليل تاريخي ولا دليل كتابي ولا دليل قرآني ولا دليل عقلي، فلماذا نؤمن بها؟!

وختاماً نقول إن مسألة نقل جغرافية قصة توراتية مِن مكانٍ إلى آخر كان أمراً شائعاً في الشرق الأوسط ولم يقتصر على العرب أو المسلمين فقط. ولعل السبب في ذلك هو عدم وجود خريطة "إلهية" توضح بالتحديد أين تقع الأماكن المذكورة في التوراة أو في أي كتاب مقدس آخر. فحسب التقليد الموروث في الديانات الإبراهيمية الثلاث، الله أنزل "كتاباً" فقط! وكنا نتمنى أن ينزل اللهُ "خريطةً" أيضاً مع الكتاب. لكن هذا لم يحدث. مما جعل كُلَّ فريق يرسم خريطةً على هواه، الخريطةَ التي تحلو له، الخريطةَ التي تحقق هدفاً معيناً.

فإذا كان أصحابُ القرآن العربي (أو: المسلمون الأوائل) قد نقلوا جغرافية قصة طرد هاجر وإسماعيل (التكوين 21:8-21) إلى الحجاز العربي، فلقد سبقهم أصحاب الترجوم الآرامي الذين نقلوا جغرافية قصة هروب هاجر وهي حُبلَى (التكوين 16:4-16) إلى شرق نهر الأردن (Transjordan)! تقول التوراةُ: "فَوَجَدَهَا (أي: هاجرَ) مَلاَكُ الرَّبِّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ فِي الْبَرِّيَّةِ، عَلَى الْعَيْنِ الَّتِي فِي طَرِيقِ شُورَ (Shur)" (التكوين 16:7)؛ وبما أن شُور تقع بامتداد شمال سيناء وشمال غربها، فهذا يعني أن هاجر كانت تحاول

العودة إلى مصر مسقط رأسها عبر طريق معروف تجتازه القوافل في البرية. لكن عند ترجمة هذه الآية إلى الآرامية، حدث تحريف لكلمة "شُور" فصارت في ترجوم نيوفيتي (Targum Neofiti) "حلوصه" (Haluzah)! وفي ترجوم آرامي آخر اسمه "ترجوم أنكيلوس" (Targum Onkelos) صارت "هجرا" (Hagra)! فأين تقع حلوصه أو هجرا؟ تقول حواشي الترجمة العربية لترجوم نيوفيتي إن حلوصه "هي مدينة الأنباط [...]. [...] في تر يون (أي: ترجوم يوناتان): هجرا التي تعتبر البتراء"[4366]! وكذلك يرى (Prof. James Kugel) أن "هجرا" تقع في شرق نهر الأردن (Transjordan)[4367]. ولعل سبب هذا الخطأ – المقصود أو غير المقصود – هو اعتقاد وجود علاقة بين "نَبَايُوت" (Nebaioth) الابن البكر لإسماعيل (التكوين 13:25) والأنباط (Nabataeans) الذين كانوا يسكنون شرق نهر الأردن. وربما ساعدت على ذلك الآيات التوراتية التي تقول "أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ [إسماعيلُ]" (التكوين 12:16) "أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ نَزَلَ [بنو إسماعيل]" (التكوين 18:25) والتي إذا فُسِّرت تفسيراً حرفياً وضيقاً قد تعني أن نسل إسماعيل سكن "أَمَامَ" (alongside of; against the faces of) (أي: قُبالَةَ؛ في وَجهِ) نسل أخيه إسحاق؛ وبما أن نسل إسحاق سكن أرض كنعان (أي: غرب نهر الأردن؛ حالياً: إسرائيل/فلسطين)، إذن: نسل إسماعيل سكن شرق نهر الأردن (حالياً: المملكة الأردنية الهاشمية)[4368].

إذن: جعل أصحابُ الترجوم الآرامي هاجرَ تتوجه من كنعان في اتجاه الشرق إلى شرق نهر الأردن، وليس من كنعان في الاتجاه الجنوبي الغربي إلى مصر!

ثم جاء أصحابُ القرآن العربي (أو: المسلمون الأوائل) فكانوا أكثر جرأة من أصحاب الترجوم الآرامي فزعموا أن الشيخ الكبير إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل "بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ" (إبراهيم 37) أي في مكة! ولعل سبب هذا الخطأ – المقصود أو غير المقصود – هو اعتقاد وجود علاقة بين "قِيدَار" (Kedar) الابن الثاني لإسماعيل (التكوين 13:25) وقبيلة قريش (Quraish) الذين كانوا يسكنون مكة حسب التقاليد الموروثة[4369].

وبما أننا لا يمكن أن نقبل ما قاله أصحابُ الترجوم الآرامي (نيوفيتي) تحريفاً لـ (التكوين 16)، كذلك لا يمكن أن نقبل ما قاله أصحابُ الترجوم العربي (القرآن) تحريفاً لـ (التكوين 21). ومِن ثم، فإننا <u>لا</u> نرى في "دعاء إبراهيم" حسب القرآن المكي (إبراهيم 35-41) أي دليل على وجود أية علاقة بين إسماعيل ومكة.

4.16.1.2 "مَقَام إبراهيم" (البقرة 125)؛ "دعاء إبراهيم" في القرآن المدني (البقرة 126-129)

هناك آيات قرآنية أخرى يعتمد عليها المسلمون في ادعائهم أن إسماعيل عاش في مكة، وهي الآية المتعلقة بـ "مَقَام إِبْرَاهِيمَ": "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ (أي: الكعبةَ البيت الحرام[4370] في مكة حسب التراث العربي/الإسلامي!) مَثَابَةً (أي: ملاذاً؛ مَجْمعاً؛ مَرْجِعاً) لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ (أي: موضع قيام إبراهيم لبناء الكعبة في مكة؛ أو: موضع قيام إبراهيم للصلاة فيه) مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (البقرة 125). وكذلك الآيات التي تليها مباشرةً وهي الآيات المتعلقة بـ "دعاء إبراهيم" (Abraham's Prayer) في القرآن المدني: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا (أي: مكة حسب التراث العربي/الإسلامي!) بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ [اللهُ] وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا [في الدنيا] ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً (nation) مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ (أي: في ذُرِّيَّتِنَا؛ في ذرية إسماعيل) رَسُولًا مِنْهُمْ (هو محمد حسب التقليد الإسلامي) يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (البقرة 126-129).

تقول موسوعة بيان الإسلام في جرأة تُحسَد عليها: "ولم يلفق النبى ﷺ قصة بناء الكعبة وينسبها إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، بل هى حادثة ثابتة تاريخياً بالتواتر عن العرب وغيرهم من الأمم"[4371]!

تعليقنا: أين الدليل التاريخى المادى على أنها قصة حقيقية؟ بل أين الدليل التاريخى المادى على أن إبراهيم وإسماعيل شخصيات حقيقية؟ "التواتر" ليس دليلاً. الأساطير والحواديت الشعبية متواترة وتتوارثها الأجيال، لكن هذا لا يعني أنها حقيقية. لو كان التواتر دليلاً كافياً، لكان "طرزان" و "Snow White" و "سندريلا" شخصيات تاريخية حقيقية. لو كان التواتر دليلاً كافياً، لوجب على جميع المسلمين أن يؤمنوا بصلب يسوع المسيح فهو ثابت بالتواتر منذ القرن الأول الميلادي إلى اليوم!

وفيما يتعلق بمقام إبراهيم وبناء الكعبة: لم يأتِ القرآنُ بشيء جديد، وإنما كالعادة أعاد إنتاجَ (reproduced) تقاليد قديمة لا يوجد أي دليل علمي يثبت صحتها. وفي هذه المرة، أعاد القرآنُ إنتاجَ تقاليد عربية متوارثة. تَحكِي هذه التقاليد العربية أن إبراهيم وإسماعيل هُمَا اللذان أقاما بناء الكعبة في مكة! أو أن إبراهيم كان يبني "يرفع القواعد" وإسماعيل يساعده، قيل: كان إسماعيل يناوله الحجارة.

ولقد قلنا فيما سبق عند حديثنا عن الحنيفية "ملة إبراهيم" ما قاله د. طه حسين في مسألة الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم. فراجِع ما قلناه هناك.

والآن نقدِّم ما قاله الكاتب المصري الأستاذ "خليل عبد الكريم" فى كتابه الشهير "الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية" تحت عنوان "تعظيم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام"[4372]:

> يحكى العرب أن أول مَن تكلم بالعربية مِن ولد إبراهيم هو إسماعيل حين أتى مكة ونزل بجرهم فأنطقه الله بكلامهم وكان كلامهم العربية [...].
>
> لما جاء الإسلام أقر تعظيم إسماعيل (عليه السلام)؛ ففى سنن إبن ماجه فى كتاب الجهاد [رمياً بنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً]؛ وفى القرآن الكريم "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ".

كذلك كان العرب الأقدمون يعتقدون أن إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – هما اللذان أقاما بناء الكعبة فى مكة المكرمة وفرضا لهم الحج [وهم بعد يعظمون الكعبة ويسيرون على إرث إبراهيم وإسماعيل]، أى العرب الأقدمين السابقين على ظهور الإسلام. وسبق أن ذكرنا أن الكلبى فى كتابه [الأصنام] أخبر أنهم كانوا يعظمون الكعبة ويحجّون ويعتمرون على إرث أبيهم إسماعيل (عليه السلام) فلما جاء الإسلام تبنى اعتقاد بناء إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) لكعبة مكة "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ". بل إن مقام إبراهيم الذى يحتوى على قدم إبراهيم التى انطبعت فى الحجر أثناء بناء الكعبة – هذا المقام – موضع تقديس من المسلمين إذ يسن للحاج أن يصلى عنده ركعتين بعد فراغه من طواف القدوم "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى". وهذه الآية إحدى آيات ثلاث نزلت بموافقة [أى باقتراح] من عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) [عن أنس قال قال عمر وافقت ربى فى ثلاث ووافقنى ربى فى ثلاث، قلت يا رسول الله "لو اتخذنا مقام إبراهيم مصلى" فأنزل الله "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى". والذى لا نشك فيه أن اقتراح [يسميه الامام أبو الفرج الجوزى موافقة] عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) نابع مما ورثه قبل الإسلام من العرب من تعظيم الجد إبراهيم (عليه السلام) ومن تقديس البيت الحرام والكعبة.

هذا وقد ذكرت بالفعل العديد من المراجع الإسلامية أن "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" (البقرة 125) كانت باقتراح من عمر بن الخطاب[4373]. وهذا دليل قاطع – مِن الكتب والمراجع الإسلامية – أن القرآن عمل جماعي، وليس من تأليف محمد وحده. كان محمد قائداً للفريق الذي أسميناه "أصحاب القرآن".

ونحن نتفق مع مَن قال إن هذه العبارة "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" لم تكن أصلاً جزءاً مِن الآية (البقرة 125) وإنما أضيفت لاحقاً. بدليل أنه لا يُعقَل أن يكون الأمر بالصلاة "اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" قبل الأمر بتطهير البيت "طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ". وأيضاً بدليل أنه يمكننا حذف هذه العبارة التى قالها عمر بن الخطاب أو غيره وقراءة الآية (البقرة 125) دون أدنى مشكلة: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا (وَ)عَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"[4374].

ليس هذا فحسب، بل إننا إذا قرأنا هذه الآية جيداً "وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (البقرة 125)، فسنلاحظ أن نهايتها تشبه إلى حد كبير نهاية آية مدنية أخرى هى: "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (الحج 26). ولم يُذكَر تعبير "الرُّكَّعِ السُّجُودِ" فى القرآن كله إلا فى هاتين الآيتين[4375]، مما يدل على ارتباطهما الوثيق. الفرق بينهما هو أن (الحج 26) تذكر إبراهيم فقط "طَهِّرْ"، أما (البقرة 125) فتذكر إبراهيم وإسماعيل "طَهِّرَا"! مما يجعلنا نقول إن اسم إسماعيل يبدو كما لو كان موضوعاً بالقوة في (البقرة 125).

وكذلك بالنسبة لـ (البقرة 127): فإذا قرأناها جيداً، فسنجد أن اسم إسماعيل يبدو كما لو كان موضوعاً بالقوة فيها أيضاً. وخير دليل قرآني على ذلك هو أن اسم إسماعيل لم يأتِ بعد اسم إبراهيم مباشرةً! وإنما جاء اسمُ إسماعيل متأخراً: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"

(البقرة 127) مما أدى إلى حيرة المفسرين واختلافهم في: هل ساعد إسماعيلُ إبراهيمَ في رفع القواعد أم لا؟ وهل اشترك إبراهيمُ مع إسماعيل في قول الدعاء أم لا؟![4376] إذا كانت الإجابة على هذين السؤالين هي: نعم، فكان مِن الأفضل أن تقول الآيةُ: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ وَيَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (البقرة 127 كما قرأها عبد الله بن مسعود وأُبَيّ بن كعب[4377]). وهذا يؤكد أن القراءات القرآنية المخالِفة تكون أحياناً أفضل من القراءة السائدة الموجودة في المصحف الحالي. والأفضل والأحسن والأوضح أن تقول الآيةُ: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَيَقُولَانِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (البقرة 127 بعد توضيح الغموض).

مما سبق يتضح أنه يمكننا حذف اسمَ إسماعيل تماماً من (البقرة 125-127) وقراءة الآيات دون أدنى مشكلة لغوية! فنحن لا نحتاج إسماعيل هنا إلا من الناحية الدرامية: إبراهيم شيخ كبير ويحتاج شاباً أو غلاماً يساعده في "تطهير البيت" (البقرة 125) و "رفع قواعده" (البقرة 127)، وقد يقوم إسماعيل (أبو العرب) أو إسحاق (أبو إسرائيل) أو غيرهما بهذا الدور المساعد. وما اختار أصحابُ القرآن العربي إسماعيلَ إلا لأن التراث العربي يقول إنه أبو عرب الحجاز وإنه ساعد إبراهيم في بناء الكعبة في مكة. أما من الناحية اللغوية فإن حذف اسم إسماعيل مقبول جداً كما هو الحال في (الحج 26). هكذا: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا (وَ)عَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَنْ طَهِّرِ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَيَقُولُ رَبَّنَا[4378] تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (البقرة 125-127 بعد حذف اسم "إسماعيل" تماماً وحذف عبارة "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى").

يبدو لنا إذن أن إسماعيل لم يكن له أصلاً أى علاقة بـ (البقرة 125-127)، وإنما أضيف اسمه لاحقاً لهذه الآيات. بعبارة أخرى: نستطيع أن نقول إن "دعاء إبراهيم" المكي (إبراهيم 35-41) قد تحول فى الفترة المدنية – أو ربما بعدها – إلى "دعاء إبراهيم وإسماعيل" (البقرة 126-129). أو إن شئت، فقل إنه تحول إلى مختصر "دعاء إبراهيم" "رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ" (البقرة 126) ثم "دعاء إسماعيل" المثلث "رَبَّنَا [...]. رَبَّنَا [...]. رَبَّنَا [...]" (البقرة 127-129)[4379]. وهذا دليل آخر يؤكد أن القرآن عمل جماعي وتطوَّر بمرور الزمن: الشخص الذي قال (البقرة 125-129) غير الشخص الذي قال مِن قبله (إبراهيم 35-41). إذ يكفي أن تقارن بين هذين الدعاءين لترى بنفسك الاختلافات الكثيرة والكبيرة بينهما. انظر الجدول التالي الذي يقارن بين النسخة المكية لـ "دعاء إبراهيم" (إبراهيم 35-41) والنسخة المدنية لـ "دعاء إبراهيم" (البقرة 126-129). إن هذه المقارنة تساعدنا على ملاحظة كيف تطور الإسلامُ بمرور الزمن، ليس فقط فيما يتعلق بتصعيد إسماعيل (أبو العرب) والمبالغة في أهميته على حساب إسحاق (أبو إسرائيل)، وإنما أيضاً فيما يتعلق بموقف الإسلام مِن "الآخر" (أي: غير المسلمين)[4380]:

جدول 17 – مقارنة بين "دعاء إبراهيم" المكي (إبراهيم 35-41) و "دعاء إبراهيم" المدني (البقرة 126-129)

"دعاء إبراهيم" المكي (إبراهيم 35-41)	"دعاء إبراهيم" المدني (البقرة 126-129)
"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا" (إبراهيم 35).	"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا" (البقرة 126).
لا يذكر تأسيس كعبة مكة. مع أن الآيات مكية؛ أي: قيلت في مكة!	يذكر تأسيس كعبة مكة "البيت": "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127).
يذكر اسمَ "إسحاق" (إبراهيم 39).	يتجاهل إسحاق تماماً!
يذكر اسمَ "إسماعيل" مرة واحدة (إبراهيم 39).	يذكر اسمَ "إسماعيل" مرتين (البقرة 125، 127)!
دور إسماعيل محدود جداً، فهو مجرد ابن لإبراهيم ولا ينطق بكلمةٍ واحدة ولا يفعل شيئاً.	دور إسماعيل مهم وبارز قولاً وفعلاً، فهو يشارك في الدعاء ويشارك في رفع القواعد من البيت.
غير مرتبط بابتلاء إبراهيم.	مرتبط بابتلاء إبراهيم: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" (البقرة 124).
الدعاء بالرزق في الدنيا لذرية إبراهيم بصفة عامة: "وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" (إبراهيم 37).	الدعاء بالرزق في الدنيا للمؤمنين فقط! "وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" (البقرة 126).
يتميز بالتسامح والدعاء بالرحمة والمغفرة حتى للعصاة والكافرين! "فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (إبراهيم 36)؛ "رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ (أي: لأمي وأبي وقد كان أبوه كافراً) وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ" (إبراهيم 41)[4381].	الرحمة والمغفرة للمسلمين فقط! "رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة 128). [بل نهى أصحابُ القرآن المدني المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم في استغفاره لأبيه الكافر! "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ"[4382] (الممتحنة 4)[4383]!]
	أما الكافرون فلهم عذاب النار ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ: "وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ

	الْمَصِيرُ" (البقرة 126)؛ "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (البقرة 124).
لا نجد فيه نقداً لفئة معينة من البشر. حتى عندما ذكر عَبدةَ الأصنام، كان لطيفاً ورقيقاً معهم فألقى اللومَ على الأصنام: "وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ (أي: الأصنام) أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ" (إبراهيم 35-36)[4384].	جاء في سياق يوجّه نقداً للكفار بصفة عامة "الظَّالِمِينَ" (البقرة 124) "وَمَن كَفَرَ" (البقرة 126)؛ ونقداً لليهود (أولاد إسحاق) بصفة خاصة بدليل ما قبله "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" (البقرة 122)[4385].
يركز على الله مجيب الدعاء، مع أن إبراهيم فقط هو الذي يتكلم: "[...] رَبِّ [...] رَبِّ [...] رَّبَّنَا [...] رَبَّنَا [...] رَبَّنَا [...] اللَّهِ [...] لِلَّهِ [...] رَبِّي [...] رَبِّ [...] رَبَّنَا [...] رَبَّنَا" (إبراهيم 35-41).	جاء في سياق يركز على رسول صاحب دين يتكلم اللهُ معه. إبراهيم وملته (الحنيفية) غير اليهودية وغير المسيحية: "إِبْرَاهِيمَ [...] إِبْرَاهِيمَ [...] إِبْرَاهِيمَ [...] إِبْرَاهِيمُ [...] إِبْرَاهِيمُ [...] مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ [...] إِبْرَاهِيمُ [...] إِبْرَاهِيمَ [...] مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا [...] إِبْرَاهِيمَ [...] إِبْرَاهِيمَ" (البقرة 124-140).
ذكر الصلاةَ فقط (إبراهيم 37، 40).	ذكر الصلاةَ والزكاة ومناسك الحج الإسلامي: "وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (البقرة 125)؛ "وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا" (البقرة 128)؛ "وَيُزَكِّيهِمْ" (البقرة 129).
لم يذكر الإسلامَ ولا المسلمين.	"مُسْلِمَيْنِ لَكَ [...] مُّسْلِمَةً لَّكَ [...] قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [...] مُّسْلِمُونَ [...] لَهُ مُسْلِمُونَ [...] لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة 128-136).
لا توجد فيه نبوءة عن محمد.	"رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ (هو محمد حسب التراث الإسلامي) يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (البقرة 129).

ولعلنا إذا عقدنا مقارنةً أكبر بين القرآن المكي والقرآن المدني سواء مِن حيث "الكَم" أو "الكيف"، لاكتشفنا بسهولة اهتمامَ أصحاب القرآن بإسحاق (أبو إسرائيل) في الفترة المكية في مقابل اهتمامهم بإسماعيل (أبو العرب) في الفترة المدنية. إذ يكفي أن تنظر إلى المقارنة العددية في الجدول التالي:

جدول 18 – اهتمام القرآن المكي بإسحاق (أبو إسرائيل) على عكس اهتمام القرآن المدني بإسماعيل (أبو العرب)

وجه المقارنة	القرآن المكي	القرآن المدني
اسم "إسحاق" (17 مرة في القرآن كله)	12 مرة[4386] = 71%	5 مرات[4387] = 29%
اسم "إسماعيل" (12 مرة في القرآن كله)	5 مرات[4388] = 42%	7 مرات[4389] = 58%
"وَهَبْنَا لَهُ (أي: لإبراهيم) إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" (بدون ذِكر إسماعيل!)	4 مرات[4390]	صفر
"إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ" (بدون ذِكر إسماعيل!)	3 مرات[4391]	صفر
"إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ"	صفر	5 مرات[4392]
إبراهيم وإسماعيل (بدون ذِكر إسحاق)	صفر	مرتان[4393]

هذا مِن حيث "الكَم" أدلة داخلية (internal evidence) أي: من داخل القرآن نفسه.

وكذلك مِن حيث "الكيف" توجد أدلة داخلية توضح اهتمامَ أصحاب القرآن بإسحاق (أبو إسرائيل) فى الفترة المكية إلى درجة تكرار جملة "وَهَبْنَا لَهُ (أي: لإبراهيم) إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ (أي: إسرائيل)" 4 مرات في القرآن المكي بدون ذِكر إسماعيل (الأنعام 84) (مريم 49) (الأنبياء 72) (العنكبوت 27)! بينما نجد اهتماماً بإسماعيل (أبو العرب) فى الفترة المدنية إلى درجة أن العديد من العلماء قالوا إن محمد لم يعلم أن إسماعيل ابن إبراهيم إلا في الفترة المدنية! فلا توجد في القرآن المكي كله إلا آية واحدة وحيدة فقط تخبرنا أن إسماعيل ابن إبراهيم (إبراهيم 39). لكن حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن – أو ما يسمى "ترتيب النزول" (انظر الملحق) – فإن سورة إبراهيم ليست مكية مبكرة. فهذا يجعلنا نتساءل: هل كان أصحاب القرآن المكي يعرفون منذ بداية الإسلام أن إسماعيل ابن إبراهيم؟ هل النسخة المكية الأصلية لـ (إبراهيم 39) كانت بدون اسم "إسماعيل" ثم أضيف اسمُه لاحقاً[4394]؟

كذلك إذا نظرنا إلى "قائمة الأنبياء" (enumeration of the prophets)[4395] التي يذكرها القرآن كثيراً، فسنجد أن إسماعيل يأخذ مكاناً متأخراً – ومنفصلاً عن إبراهيم – في القرآن المكي (الأنعام 84-86) (ص 45-48)، بينما يحتل مكاناً متقدماً – وبعد إبراهيم مباشرةً – في القرآن المدني (البقرة 136) (آل عمران 84) (النساء 163)[4396]!

بل يكفي أن تقارن بين هاتين الآيتين القرآنيتين:

- يوسف بن يعقوب يقول: "اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ" (يوسف 38). الآية مكية، فلم تهتم حتى أن تذكر اسمَ إسماعيل، وإنما قالت: "إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ".
- أبناء يعقوب يقولون له بنفس المعنى: "نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا" (البقرة 133). لكن لأن الآية مدنية، فأدخلت اسمَ إسماعيل بين إبراهيم وإسحاق!

يؤيد الجدولان السابقان الرأيَ الذي يقول إن القرآن نص ثقافي وليس نصاً إلهياً. بالفعل، يعكس القرآن التوجهات الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية لأصحاب القرآن والمسلمين الأوائل بصفة عامة، كما يعطينا القرآن معلومات هامة عن تغير هذه التوجهات مع الزمن مِن مكة إلى المدينة وتكيفها مع الأحداث. في الفترة المكية، اهتم أصحاب القرآن باختراع جذور "كتابية" (biblical) لدينهم، ولذلك اهتموا بإبراهيم وإسحاق. أما في الفترة المدنية، فصار لدينهم "الإسلام" كيانٌ مستقل ومنفصل عن اليهودية والمسيحية، وبدأوا ينقلبون على أهل الكتاب (لا سيما اليهود)، ولذلك اهتموا بتسليط الضوء على الجذور القومية (national) أي الجذور "العربية" للإسلام، ومن ثم جاء اهتمامهم بإبراهيم وإسماعيل[4397]. وما زال المسلمون إلى اليوم يعتبرون إبراهيم وإسماعيل "الآباء المؤسسين" (Founding Fathers) للإسلام. ولذلك ينتشر اسمُ "إسماعيل" بكثرة بين المسلمين، بينما لا تجد ذكراً مسلماً اسمه "إسحاق" إلا نادراً جداً، مع أن إسحاق مذكور في القرآن (17 مرة) أكثر مِن إسماعيل (12 مرة فقط)! ومع أن القرآنُ ذكر اسمَ يعقوب/إسرائيل بن إسحاق ولم يهتم أبداً أن يذكر اسماً واحداً من أسماء أبناء إسماعيل!

في ضوء ما قلناه هنا وما قلناه فيما سبق عند حديثنا عن الحنيفية "ملة إبراهيم"، نستنتج أن ما قاله القرآن في سورة البقرة: "وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ [...]" (البقرة 125) "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ [...]" (البقرة 127) مجرد أساطير عربية جاهلية (Pre-Islamic) طوَّرها أصحابُ القرآن تطوراً بشرياً طبيعياً في الفترة المدنية تحديداً من أجل التأكيد على الهوية العربية (Arabic Identity) التي تميز الإسلامَ عن الديانتين غير العربيتين اليهودية والمسيحية. وهذا التطور البشري الطبيعي يتفق مع التوجه العام لأصحاب القرآن في الفترة المدنية فيما يتعلق بتسليط الضوء على إسماعيل (أبو العرب) والمبالغة في أهميته على حساب إسحاق (أبو إسرائيل). ومِن ثم لا يمكن الاعتماد على تلك الأساطير الجاهلية←الإسلامية العربية←القرآنية مِن أجل إثبات أي شيء تاريخي أو جغرافي يخص إسماعيل.

وأخيراً نقول إن القرآن ذكر مَقَامَ إِبْرَاهِيم في آية أخرى: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ" (آل عمران 96-97) (مدنية أيضاً). وأضافت كتب التفاسير

والأحاديث أن أول مَن بنى البيت الحرام هو آدم! وقيل إنه أول بناء بنته الملائكة مِن أحجار الجنة! وقيل إن الطوفان الذى غمر الأرض فى عهد نوحٍ هو الذى أخفى معالم البيت إلى أن جاء إبراهيم وإسماعيل اللذان كانت مهمتهما هى رفع القواعد لإظهار مكان البيت للناس! هل هذا معقول يا أصحاب العقول؟! ما الدليل العلمي أو حتى القرآني على صحة هذه الأقاويل؟!

ولن نعلق على هذه الأساطير الإسلامية التي في الواقع لا تستحق التعليق. وسنكتفي بالتعليق على ما قاله القرآنُ: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ" (آل عمران 96). فنسأل المسلمين: إذا كان فعلاً أَوَّل بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ هو الذي بِبَكَّةَ – أي الكعبة بيت الله الحرام بمكة كما تقولون، فلماذا لم تظهر الدياناتان اليهودية والمسيحية في مكة؟! لماذا لم يذهب موسى إلى مكة بعد خروج بني إسرائيل من مصر؟! لماذا لم يذهب عيسى ابن مريم والحواريون إلى مكة؟! لماذا لم يفكر أي نبي من الأنبياء المذكورين في القرآن بعد إبراهيم وإسماعيل أن يأخذ أتباعه ويحج بهم إلى الكعبة أو أن يُجدِّد الكعبة إن كانت فى حاجة إلى تجديد؟! لماذا لم تُذكر مكة ولا الكعبة في أية مخطوطة من مخطوطات الكتاب المقدس بعهديه؟! بل لماذا كانت الكعبة في مكة هى قِبْلة المسلمين الثانية وليست قِبْلتهم الأولى؟![4398] فنحن لا يمكننا أن نفصل بين مبالغة القرآن المدني في تسليط الضوء على إسماعيل ومكة والكعبة وبين القرار الاستراتيجي بتحويل القِبلة من بيت المقدس في أورشليم إلى الكعبة في مكة في السنة الثانية لهجرة النبي العربي محمد إلى المدينة[4399]. اقرأ (البقرة 142-150) (مدنية أيضاً) ولاحظ النقد الشديد المُوجَّه لأهل الكتاب (أبناء إسحاق) بسبب موقفهم حين تحولت قِبلة المسلمين مِن بيت المقدس – المرتبطة دينياً وتاريخياً بآباء وأنبياء أهل الكتاب – إلى الكعبة المرتبطة في الموروث الشعبي العربي بإسماعيل أبو العرب!

نعتقد أنه أصبح الآن واضحاً أن الأفكار القرآنية المرتبطة بإبراهيم وإسماعيل ومكة والكعبة لا يمكن أن تكون من عند الله، وإنما هي من الموروث الشعبي العربي. أيّد أصحابُ القرآن هذه التقاليد العربية (الجاهلية) المتوارثة رغبةً منهم في اجتذاب أكبر عدد ممكن مِن العرب – خاصةً في الفترة المدنية بعد أن بدأ أصحابُ القرآن ينقلبون على أهل الكتاب (لا سيما اليهود). فلا يمكن أبداً الاعتماد على تلك الأفكار القرآنية المدنية (البقرة 125-129) البشرية 100% مِن أجل إثبات أي شيء تاريخي أو جغرافي يخص إسماعيل.

بل لا يمكن أبداً الاعتماد على القرآن في أي نقاش علمي جاد حول إسماعيل الذي لا يوجد أصلاً أي دليل علمي يثبت وجوده تاريخياً. وحتى لو افترضنا أن إسماعيل شخص حقيقي تاريخي، فإنه يسبق القرآن بأكثر من 2000 سنة، أي أن أصحاب القرآن لم يكونوا معاصرين لإسماعيل حتى نصدِّق ما قالوه في كتابهم.

4.16.1.3 فاران هي مكة! ... امنعوا الضحك!

حاول شيوخ الإسلام أن يلجأوا إلى التوراة – التي يقولون عليها مُحرَّفة! – ليثبتوا أن إسماعيل عاش في مكة! لكن جاءت محاولتهم على طريقة "لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ" فَهُمْ يأخذون النصف الأول من الآية التوراتية

التى جاءت مباشرةً بعد قصة طرد هاجر وإسماعيل (التكوين 21:8-20) والتى تقول إن إسماعيل "سَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ" (التكوين 21:21) ويقولون – كعادتهم بدون أى سند أو دليل – إن فَارَانَ هى مكة!

ولو قرأ شيوخُ الإسلام النصف الثاني من تلك الآية لحصلوا على إشارة (clue) تساعدهم في معرفة أين تقع فَارَان: "سَكَنَ [إسماعيلُ] فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ" (التكوين 21:21). (إذن: زوجة إسماعيل كانت مِن مصر كما تقول التوراة، وليست مِن جُرْهُم كما تقول الأسطورة العربية/الإسلامية.) بالفعل، تقع بَرِّيَّة فَارَانَ (Paran) في سيناء – أي في مصر – جنوب كنعان، وهي بَرِّيَّة ذات جبال وسهول مرتفعة ومعظمها على ارتفاع يتراوح بين 2000 و 2500 قدم عن سطح البحر[4400].

والحقيقة أن ادعاء شيوخ الإسلام أن فَارَانَ هى مكة ليس هدفه إثبات أن إسماعيل عاش فى مكة، وإنما هدفه الحقيقى هو محاولة إثبات – بأية طريقة مهما كانت ملتوية – أن التوراة بها بشارة برسول الإسلام محمد! إذ يعتمد هؤلاء "العلماء" على الآية المذكورة فى الإصحاح قبل الآخير من التوراة: "وَهذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ اللهِ، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ **فَارَانَ**، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ" (التثنية 33:1-2)، فيقولون إن جبل فاران هو الجبل الذي به غار حراء حيث تلقى رسول الإسلام بدء "الوحي"، وإن فاران هي مكة مولد ومنشأ ومبعث محمد[4401]! يا سلام؟! هكذا بكل بساطة وبدون أي دليل ترسمون خريطةً على مزاجكم؟

وكنا نتمنى أن يذكر هؤلاء "العلماء" كل المواضع التي ذكرت التوراةُ فيها فَارَانَ، لكنهم ذكروا فقط (التثنية 33:1-2) و (التكوين 21:21). لو كانوا درسوا كل هذه المواضع بأمانة وعمق لكانوا عرفوا أن فَارَان تقع في سيناء كما قلنا، وخير دليل على ذلك هو أن فَارَانَ مذكورة عدة مرات في قصة خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض الموعد (كنعان) (حالياً: إسرائيل / فلسطين وأجزاء من الشام)، خاصةً في سفر العدد الذى يروي تاريخ بني إسرائيل أثناء التيه في البَرِيَّة (wandering in the desert):

- "فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي رِحْلاَتِهِمْ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، فَحَلَّتِ السَّحَابَةُ فِي بَرِّيَّةِ **فَارَانَ**" (العدد 10:12)؛
- "وَبَعْدَ ذلِكَ ارْتَحَلَ الشَّعْبُ (أي: بنو إسرائيل) مِنْ حَضَيْرُوتَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ **فَارَانَ**" (العدد 12:16)؛
- "ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَرْسِلْ رِجَالاً لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. رَجُلاً وَاحِدًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ آبَائِهِ تُرْسِلُونَ. كُلُّ وَاحِدٍ رَئِيسٌ فِيهِمْ». فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى مِنْ بَرِّيَّةِ **فَارَانَ** حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ" (العدد 13:1-3)؛
- "فَصَعِدُوا وَتَجَسَّسُوا الأَرْضَ [...]. [...]. ثُمَّ رَجَعُوا مِنْ تَجَسُّسِ الأَرْضِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. فَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَى بَرِّيَّةِ **فَارَانَ**، إِلَى قَادَشَ، وَرَدُّوا إِلَيْهِمَا خَبَرًا وَإِلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَأَرَوْهُمْ ثَمَرَ الأَرْضِ" (العدد 13:21-26). وأيضاً في (التثنية 1:1).

نستنتج مما سبق أن فَارَانَ كانت محطة هامة من محطات رحلة خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض كنعان. فهل ذهب بنو إسرائيل من مصر إلى أرض كنعان عن طريق مكة؟! مستحيل!

أما الآية التوراتية: "تَلأْلأَ [الرَّبُّ] مِنْ جَبَلِ فَارَانَ" (التثنية 2:33)، فهي لا تشير إلى بشارة أو نبوءة ستحدث في المستقبل. بالعكس، الآية تشير إلى حدث في الماضي، مذكور أيضاً في سفر العدد، وهو ظهور مجد الرب في فَارَانَ حيث "ظَهَرَ مَجْدُ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِكُلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (العدد 10:14)[4402]، ولا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى رسول الإسلام محمدا! ولو كان موسى قد أراد أن يُبشِّر بمحمد، لكان قالها واضحة وصريحة بدون ألغاز ولا فوازير! أو كان محمد نفسه قال لنا أين تقع فَارَان، ولكن الواقع أن القرآن لم يذكر فَارَانَ إطلاقاً. فكيف تكون فاران هي مكة، والقرآنُ نفسه لم يذكر فَارَانَ نهائياً!

وإننا لنندهش حين يتمسك المسلمون بهذه الحُجج الواهية، فهي تضر الإسلام أكثر ما تفيده، لأنها دليل إفلاس. فلو كان لدى هؤلاء "العلماء" دليل أقوى من ذلك لقالوه.

4.16.1.4 نسل إسماعيل!

وأخيراً، يعتمد المسلمون في قولهم إن إسماعيل عاش في مكة على الاعتقاد السائد أن العرب مِن نسل إسماعيل. الرد: نحن لا نتحدث عن نسل إسماعيل؛ وإنما نتحدث عن إسماعيل نفسه. فحتى لو افترضنا جدلاً أن إسماعيل "أبو العرب" شخصية حقيقية تاريخية، فهذا لا يعني أن إسماعيل نفسه كان يعيش في مكة! وذلك لأن نسل إسماعيل انتشروا في أماكن واسعة من الشرق الأدنى القديم. يقول سفر التكوين إن نسل إسماعيل "سَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ (Havilah) إِلَى شُورَ (Shur) الَّتِي أَمَامَ مِصْرَ حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ أَشُّورَ (Assyria)" (التكوين 18:25). ونظراً لعدم وجود "خريطة" إلهية توضِّح جغرافيا "الوحي" الإلهي، فإن المراجع اليهودية والمسيحية اختلفت اختلافاً كبيراً حول موقع "حَوِيلَة". ولذلك فإننا سنعتمد على الجزء الثاني من الآية: "أَمَامَ مِصْرَ حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ أَشُّورَ" (التكوين 18:25). وبما أن "أَشُّور: تشمل جميع الأراضي من البحر الأبيض المتوسط إلى شرق نهر دجلة"[4403]، إذن: نسل إسماعيل هُمْ البدو الذين كانوا يعيشون في المناطق الصحراوية التي تقع بين مصر الزراعية غرباً والهلال الخصيب (Fertile Crescent) (الشام والعراق) شرقاً.

وبالفعل نستنتج من آيات العهد القديم بصفة عامة أن الإسماعيليين (Ishmaelites) (أي: نسل إسماعيل) سكنوا "الجزء الشمالي من شبه جزيرة العرب على حدود فلسطين وأرض ما بين النهرين"[4404]. فلقد "سكن إسماعيل بقبائله المختلفة شمال شبه جزيرة العرب وامتدت بعض قبائله في منطقة الشام وفلسطين"[4405]. "أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ" (التكوين 12:16). "أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ نَزَلَ" (التكوين 18:25). ولقد عرف الإسماعيليون بأنهم تجار رحل ينتقلون من مكان إلى آخر.

ولذلك فإن الاسم "إِسْمَاعِيلِيّون" كان يُستعمَل أحياناً للدلالة على القبائل البدوية التي كانت تسكن "مِدْيَان" (Midian) في شمال غرب شبه جزيرة العرب. اقرأ مثلاً قصة بيع يوسف للتجار الإسماعليين/المديانيين المسافرين من شرقي نهر الأردن إلى مصر: "ثُمَّ جَلَسُوا (أي: إخوةُ يوسف) لِيَأْكُلُوا طَعَامًا. فَرَفَعُوا عُيُونَهُمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا قَافِلَةُ إِسْمَاعِيلِيِّينَ مُقْبِلَةٌ مِنْ جِلْعَادَ (Gilead) (أي: مِن شرقي نهر الأردن)، [...]. فَقَالَ يَهُوذَا لإِخْوَتِهِ: «مَا الْفَائِدَةُ أَنْ نَقْتُلَ أَخَانَا وَنُخْفِيَ دَمَهُ؟ تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ، [...]». فَسَمِعَ لَهُ إِخْوَتُهُ. وَاجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ، فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ، وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. فَأَتَوْا بِيُوسُفَ إِلَى مِصْرَ" (التكوين 37:25-28)[4406].

كذلك، فإن كلمة "العربية" (Arabia)[4407] كانت تُستخدَم قديماً للإشارة إلى مناطق بعيدة جداً عن مكة. فعلى سبيل المثال، المنطقة التي سُميت بـ "الْعَرَبِيَّةِ" في (غلاطية 1:17) هي صحراء الأنباط (Nabateans) في شرق نهر الأردن (Transjordan) الممتدة جنوباً من دمشق باتجاه القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية. ليس هذا فحسب، بل إن سيناء أيضاً أُعتبِرت جزءاً من "العربية" (Arabia)، بدليل: "جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ" (غلاطية 4:25). ولا غرابة في ذلك، فكما قُلنا فيما سبق إنه حسب التوراة: "سَكَنَ [إسماعيلُ] فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ [في سيناء]، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ" (التكوين 21:21). وإلى يومنا هذا، ما زال المصريون مِن سكان وادي النيل والدلتا يقولون على المصريين سكان سيناء "عرب سيناء" أو "بدو سيناء" أو "القبائل البدوية/العربية في سيناء".

مما سبق يتضح أن نسل إسماعيل سكنوا المناطق الصحراوية الشمالية من شبه الجزيرة العربية والتي تشمل أيضاً صحراء سيناء والنقب ومِدْيَان وشرق نهر الأردن؛ ومن المعلوم أن مكة لا تقع في هذه المناطق الشمالية. لكن تدريجياً بمرور الزمن صارت القبائل البدوية الصحراوية بصفة عامة، وليس الشمالية فقط، تعتقد أنها من نسل إسماعيل[4408]. "ويرجع جميع العرب اليوم إلى إسماعيل فيعتبرونه جدهم الأكبر"[4409].

إذن: حتى لو افترضنا جدلاً أن إسماعيل بن إبراهيم شخصية حقيقية تاريخية وافترضنا جدلاً أن جميع العرب اليوم مِن نسل إسماعيل، فهذا لا يعني بالضرورة أن إسماعيل نفسه كان يعيش في مكة تحديداً!

لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت وجود أية علاقة تاريخية بين إسماعيل ومكة.

4.16.2 الخلاصة

تفتقر قصة إسماعيل الإسلامية/العربية إلى الأدلة. "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (البقرة 111). ما الدليل أن إسماعيل المذكور في القرآن شخصية حقيقية تاريخية؟ ما الدليل أنه كان رسولاً نبياً؟ ما الدليل أنه عاش في مكة وأنه اشترك مع أبيه إبراهيم في إقامة بناء الكعبة في مكة؟ بل ما الدليل أن إبراهيم نفسه

ذهب إلى مكة في يومٍ من الأيام؟! بل ما الدليل أن مكة نفسها كان لها أي وجود تاريخي أيام إبراهيم (أي: قبل الميلاد بأكثر من 1500 سنة؛ في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد)؟!

على المسلمين أن يجيبوا على هذه الأسئلة الهامة بإجابات موثقة ومؤيدة بالأدلة العلمية تاريخياً وجغرافياً قبل أن يقولوا كلمةً واحدة عن إسماعيل بن إبراهيم.

كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن ما يقوله المسلمون عن إسماعيل هو مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لتقاليد عربية جاهلية (Pre-Islamic) متوارثة لا يوجد أي دليل علمي على صحتها، وإنما أقرها أصحابُ القرآن رغبةً منهم في تضخيم وتعظيم دور إسماعيل الذي يُعتبَر "أبو العرب" ومِنهم النبي العربي محمد، وبالتالي اجتذاب أكبر عدد ممكن مِن العرب – خاصةً فى الفترة المدنية بعد أن بدأ أصحابُ القرآن ينقلبون على أهل الكتاب (لا سيما اليهود) أبناء إسحاق.

4.17 وَفَدَيْنَا ابنَ إبراهيم بِذِبْحٍ عَظِيمٍ: ابنه بالجسد؟ أم ابنه بالإيمان؟

في سورة المائدة، قَتَلَ الأخُ أخاه! وجاء أمرُ القتل مِن الشيطان. أو بعبارة أكثر دقة: جاء أمرُ القتل من النفس الأَمَّارَة بالسُّوءِ: "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ" (المائدة 30) (مدنية).

أما في سورة الصافات، فأقدم الأبُ على قَتْل ابنه! وجاء أمرُ القتل مِن الله! أو بعبارة أكثر دقة: جاء أمرُ القتل في "مَنَام" رآه الأبُ واعتقدَ أنه وحي مِن عند الله!

سورة الصافات[4410]: وَقَالَ [إبراهيمُ] إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ {99} رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ {100} فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ {101} فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ (أي: كَبُرَ واشتد عودُه فصار يساعد أباه إبراهيم في مطالب الحياة؛ شبَّ وذهب مع أبيه) قَالَ [إبراهيمُ] يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ {102} فَلَمَّا أَسْلَمَا (أي: استسلما لأمر الله وانقادا له) وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (أي: ألقى إبراهيمُ ابنَه على جبينه - وهو جانب الجبهة - ليذبحه مِن قفاه ولا يشاهد وجهَه عند ذبحه فيكون أهون عليه؛ أو: حتى لا تأخذه الشفقة على ابنه إذا نظر في عينيه) {103} وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ {104} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا (أي: قد فعلتَ ما أمرناك به) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {105} إِنَّ هَٰذَا [الأمر بذبح ابنك] لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (أي: الامتحان الذي أبان عن صدق إيمانك وإيمان ابنك) {106} وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ [يُذبَح بديلاً عنه] {107} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (أي: وَتَرَكْنَا له الثناءَ على ألسنة مَن جاء بعده؛ أبقينا على ذكره والثناء عليه في الأمم) {108} سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ {109} كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {110} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {111} وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ {112} وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ [لنفسه بالإيمان والطاعة] وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ [بالكفر و/أو المعصية] مُبِينٌ (أي: بيّن الضلال) {113} (مكية).

تُعرَف هذه القصة القرآنية القصيرة باسم قصة "الذبيح" إشارةً إلى ابن إبراهيم الذي كاد أن يُذبَح لولا تدخل الله في اللحظة الأخيرة. ومعظم مَن يدرسون قصةَ الذبيح يكتفون بالآيات السابقة مِن القرآن المكي (الصافات 99-113). لكن كما رأينا فيما سبق توجد علاقة قوية بين قصة الذبيح و "مَقَام إبراهيم" (البقرة 125) و "دعاء إبراهيم" في القرآن المدني (البقرة 126-129) وبخاصة قصة "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127)؛ مع الأخذ في الاعتبار وجود اختلاف طبيعي في الهدف بين (البقرة 125-129) و (الصافات 99-113)، وهو اختلاف طبيعي لأنه حدث بسبب الاختلاف في الهدف بين سورة البقرة المدنية (Q 2) وسورة الصافات المكية (Q 37). يقول الباحث (Dr. Joseph Witztum)[4411]:

> […] In Q 2 [يقصد: سورة البقرة] the issue is the identity of Muslims as the true heirs of the Abrahamic legacy; therefore the episode that is retold concerns the founding of the Kaʿba by Abraham and Ishmael, father of the Arabs. In Q 37 [يقصد: سورة الصافات], on the other hand, the issue is God's

care for and protection of the righteous; therefore what is of interest is the fact that the son was saved and not sacrificed.

هذه العلاقة القوية بين قصة الذبيح (الصافات 99-113) و (البقرة 125-129) جعلت كثيراً مِن الباحثين يعتقدون أن (البقرة 124) أيضاً لها علاقة بقصة الذبيح: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ [إبراهيمُ] وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ [اللهُ] لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (البقرة 124)[4412]. ومما يؤيد هذا الاحتمال عبارة "ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (أي: امْتَحَنَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ)" (البقرة 124) التي يناظرها في سورة الصافات المكية "إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ (أي: الامتحان) الْمُبِينُ" (الصافات 106). وكذلك عبارة "قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي (أي: ذرية إبراهيم) ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (البقرة 124) التي يناظرها في سورة الصافات المكية "وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا (أي: ذرية إبراهيم وإسحاق) مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ" (الصافات 113). إذن: نحن أيضاً نرى أنه مِن المحتمل أن تكون قصة الذبيح هي جذور (البقرة 124) أو على الأقل أحد جذورها فلقد ابتلى اللهُ إبراهيمَ عدة ابتلاءات "فَأَتَمَّهُنَّ (أي: فأكملها؛ فأدَّاها وقام بها خير قيام)" (البقرة 124).

ويقول التراثُ اليهودي إن عدد ابتلاءات إبراهيم هو: عشرة ابتلاءات؛ إلا أن المفسرين اليهود اختلفوا في تحديد هذه الابتلاءات العشرة، ومِنهم مَن قال إن ذبح ابنه أحدها؛ وقيل: آخرها. ولا ندري لماذا اختار اليهود العدد 10 بالذات؟ هل لأنه عدد الابتلاءات أو التجارب في سياق قصص أخرى مثل قصة موسى وبني إسرائيل (العدد 22:14) وقصة يوسف غير القانونية[4413] "بعشر تجارب امتحنني [اللهُ]، وفي كل هذه التجارب كُنتُ صابراً **[← "مِنَ الصَّابِرِينَ (أي: الثابتين)" (الصافات 102)]**. فالصبر دواء قوي، والثبات يُنتج الخيرات العظيمة" (وصية يوسف 7:2)؟ أم لأن العدد 10 هو عدد وصايا الله لموسى "الوصايا العشر"؟ أَم لأن العدد 10 كان – ولا يزال – يُستخدم أحياناً ليدل على الكثرة والتكرار (نحميا 12:4)؟ يقول العالِم الكبير (Prof. James Kugel) في فصل عنوانه "ابتلاءات إبراهيم" (The Trials of Abraham)[4414]:

Ten Tests: The tradition that Abraham had to undergo specifically *ten* tests is widespread among rabbinic sources, which frequently list all the tests in question. However, these lists disagree as to which incidents make up the ten. […] In many cultures the number ten is a conventional one; its use in this context may have been strengthened by God’s mention of ten “tests” in Num. 14:22, and see also Job 19:3. Joseph also refers to ten tests in *Testament of Joseph* 2:7.

> […]
>
> ***Abraham's Last Test:*** Although the tradition of Abraham's ten tests is quite ancient, different [Jewish] interpreters listed different groups of ten tests. The offering of Isaac, coming toward the end of Abraham's life story and having a certain finality about it, was sometimes listed as Abraham's tenth and final test. […]

ولم نندهش حين نظرنا في تفاسير (البقرة 124) فوجدنا رأي مَن قال إن ابتلاءات إبراهيم كانت أيضاً عشرة؛ واختلف المفسرون المسلمون أيضاً في تحديد هذه الابتلاءات العشرة، ومِنهم مَن قال إن ذبح ابنه أحدها، ومِنهم مَن قال إنها أوامر ونواهي لكنه - كالعادة - صبغها صبغة "إسلامية" فقال إنها مناسك الحج والختان وحلق العانة ونتف الإبط وقص الشارب والاستنجاء وغير ذلك[4415]! [كالعادة، يعيدون تقديمَ إبراهيم بحيث يكون نسخةً من محمد العربي المسلم أو على الأقل مشابهاً له.]

في ضوء ما سبق يطمئن قلبُنا إلى أن أصحاب القرآن كانوا يفكرون في قصة الذبيح وَهُمْ يكتبون (البقرة 124). بل يبدو لنا أن أصحاب القرآن أنفسهم قد اعتقدوا أن عدد ابتلاءات إبراهيم هو 10 كما يقول التراث اليهودي. والدليل القرآني على ذلك هو كلمة "فَأَتَمَّهُنَّ" (البقرة 124)، فلقد استخدم أصحابُ القرآن نفس الفعل مع العدد 10 في آيات قرآنية أخرى في قصة موسى: "وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ (أي: 10 ليال)" (الأعراف 142)؛ "أَتْمَمْتَ عَشْرًا (أي: 10 سنين)" (القصص 27)[4416]. وهذا يعني أن أصحاب القرآن اعتقدوا أن قصة الذبيح (البقرة 124) هي الابتلاء العاشر لإبراهيم "فَأَتَمَّهُنَّ" (البقرة 124)، وهذا بالفعل ما تقوله بعضُ كتب التراث اليهودي (مثلاً: ترجوم نيوفيتي) كما سنرى بعد قليل. وبما أن الابتلاء بذبح الابن الحبيب هو بالفعل أكبر ابتلاء "إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ" (الصافات 106)، إذن: مِن الطبيعي أن يكون هو أيضاً آخر ابتلاء.

إلا أن القرآن – كالعادة – لم يذكر تفاصيل هامة مثل مكان قصة الذبيح وزمانها، ولم يذكر أهم معلومة وهي اسم هذا الابن الذبيح! إنه إذن ذبيح مجهول أو ضحية مجهولة (Anonymous Victim). يؤمن المسلمون بصفة عامة أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق، ربما لأن آيات سورة البقرة المدنية (البقرة 124-129) تذكر اسمَ إسماعيل مرتين (البقرة 125، 127) ولا تذكر اسمَ إسحاق. لكن كما رأينا فيما سبق، تلك الآيات من سورة البقرة نشأت من خلال عملية تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي/المسيحي، وأثناء هذا التطور البشري الطبيعي حُذِفَ اسمُ إسحاق (أبو إسرائيل) ووُضِعَ مكانه اسمُ إسماعيل (أبو العرب). وخير دليل قرآني على ذلك هو أننا إذا رجعنا إلى آيات سورة الصافات المكية، وهي أقدم من سورة البقرة، فسنجد أن أصحاب القرآن أنفسهم لم يجرؤوا على قول إن الذبيح هو إسماعيل! بل نراهم يذكرون اسمَ إسحاق مرتين

(الصافات 112، 113) ولا يذكرون اسمَ إسماعيل. والسبب في ذلك هو أنهم كانوا بالتأكيد يعلمون جيداً أن القصة التوراتية الأصلية عند اليهود والمسيحيين ذكرت اسمَ إسحاق صراحةً بالاسم خمس مرات ...

4.17.1 مصادر القرآن من الكتاب المقدس

تقول التوراة. **(التكوين 22)**[4417]**:** {1} وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ (بالعبرية: debārīm؛ أي: أشياء things؛ أو: كَلِمَات words **[← "كَلِمَاتٍ (قيل: هي أمور؛ أو: أوامر)" (البقرة 124)]**) (أي: وَحَدَثَ بعد طرد هاجر وإسماعيل إلى سيناء واستقرار إبراهيم وإسحاق في كنعان) أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ[4418] **[← "ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ" (البقرة 124) "إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ (أي: الامتحان) الْمُبِينُ" (الصافات 106)]**، فَقَالَ [اللهُ] لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». {2} فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى (بالعبرية: lekh-lekha)[4419] **[← بالعربية: "ذَاهِبٌ إِلَى" (الصافات 99)]** أَرْضِ الْمُرِيَّا (Moriah)، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً (a burnt offering) عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ». {3} فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ، وَأَخَذَ اثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ، وَإِسْحَاقَ ابْنَهُ، وَشَقَّقَ حَطَبًا لِمُحْرَقَةٍ، وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ (بالعبرية: māqōm) **[← بالعربية: "مَّقَامِ" (البقرة 125) (آل عمران 97)! "مَكَانَ" (الحج 26)!]** الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ. {4} وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ (بالعبرية: māqōm) **[← بالعربية: "مَّقَامِ" (البقرة 125) (آل عمران 97)! "مَكَانَ" (الحج 26)!]** مِنْ بَعِيدٍ، {5} فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِغُلاَمَيْهِ: «اجْلِسَا أَنْتُمَا ههُنَا مَعَ الْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ (lad) **[← "غُلَام" (الصافات 101)]** فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا». {6} فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا **[← "بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ" (الصافات 102)]**. {7} وَكَلَّمَ إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَالَ: «يَا أَبِي!» **[← "قَالَ يَا أَبَتِ" (الصافات 102)]**. فَقَالَ [إبراهيم]: «هأَنَذَا يَا ابْنِي» **[← "قَالَ يَا بُنَيَّ" (الصافات 102)]**. فَقَالَ [إسحاقُ]: «هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟» {8} فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «اللهُ يَرَى (God will see) (أي: الله يدبّر) لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي». فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا **[← "بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ" (الصافات 102)]**. {9} فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ (the altar) **[← "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ" (البقرة 127)]** وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ **[← في القرآن المدني وكذلك في التراث الإسلامي المتأخر، صار بطلُ القصة هو "إِسْمَاعِيلُ [...] إِسْمَاعِيلَ" (البقرة 125-127)]** ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. {10} ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ **[← "أَنِّي أَذْبَحُكَ" (الصافات 102)؛ "فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ" (الصافات 103)]**. {11} فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!» **[← "وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ" (الصافات 104)]**. فَقَالَ: «هأَنَذَا» {12} فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ (في بعض المخطوطات السريانية، الفاعل هو إبراهيم: الآن قد أظهرتَ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ[4420]) **[← كذلك في القرآن، الفاعل هو إبراهيم: "يَا إِبْرَاهِيمُ.**

قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا" (الصافات 104-105)[4421]**]**، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». {13} فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ **[← "وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ [يُذبَح بديلاً عنه]" (الصافات 107)]**. {14} فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ يِرْأَهْ (the LORD will see)». حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى» **[← وكذلك في القصة القرآنية، نجد كلمات تدل على الرؤيا أو الرؤية: "أَرَىٰ [...] الْمَنَامِ [...] فَانظُرْ [...] تَرَىٰ" (الصافات 102) "الرُّؤْيَا" (الصافات 105)]**. {15} وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ {16} وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، {17} أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً **[← "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" (البقرة 124) "وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ (أي: على إبراهيم)" (الصافات 113)]**، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ (أي: إسحاق[4422]) **[← "ذُرِّيَّتِي (أي: ذرية إبراهيم)" (البقرة 124) "إِسْحَاقَ [...] إِسْحَاقَ" (الصافات 112-113) "ذُرِّيَّتِهِمَا (أي: نسل إسحاق بن إبراهيم)" (الصافات 113)]** تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، {18} وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ[4423] **[← "وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ (أي: على إبراهيم) وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا (أي: من نسل إسحاق بن إبراهيم)" (الصافات 113)]**، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي **[← "قَدْ صَدَّقْتَ" (الصافات 105) "إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ" (الصافات 111) "كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (الصافات 105، 110)]**». {19} ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى غُلاَمَيْهِ، فَقَامُوا وَذَهَبُوا مَعًا إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ. وَسَكَنَ إِبْرَاهِيمُ فِي بِئْرِ سَبْعٍ.

تُعرَف هذه القصة التوراتية بأسماء كثيرة، ومِن أشهرها: "امتحان إبراهيم" (Abraham Tested) (La mise à l'épreuve d'Abraham) و"العقادة" "عقادة إسحاق" (Akedah) و"ربط إسحاق" (The Binding of Isaac) (La ligature d'Isaac) و"أضحية إسحاق" أو "ذبيحة إسحاق" (The Sacrifice of Isaac) (Le sacrifice d'Isaac). لكن لتوحيد الاسم بين التراث اليهودي/المسيحي والتراث الإسلامي، سنشير إليها أيضاً باسم "قصة الذبيح". ومما سبق يتضح أن قصة الذبيح القرآنية (الصافات 99-113) هي مجرد تطور بشري طبيعي لقصة الذبيح التوراتية (التكوين 22:1-19).

ولقد أشار العهد الجديد أيضاً إلى قصة الذبيح إسحاق: "أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟" (يعقوب 2:21)؛ "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ (tried; tested). قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ. الَّذِي قِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ»" (العبرانيين 11:17-18).

4.17.2 مصادر القرآن مِن التراث اليهودي والتراث المسيحي

جاء ذِكر قصة الذبيح فى التلمود[4424] وفي كتب كثيرة مِن أبوكريفا وسوديبيجرافا العهد القديم، نذكر منها على سبيل المثال: كتاب اليوبيلات (Book of Jubilees) (الفصل 18)[4425] وكتاب يشوع بن سيراخ (Sirach) (Livre de Ben Sirac le Sage) (20:44)[4426] وسفر المكابيين الرابع (4

(Maccabees 4) (Maccabées 4) (20:16)[4427] وكتاب فيلو المنحول (Pseudo-Philo) (5:18، 2:32-4، 2:40)[4428] وغيرهم. كذلك جاء ذِكرُها في المدراش (Genesis Rabbah)[4429]. كما تم تصويرها برسومات فنية مبدعة في معابد قديمة مثل (Dura-Europos synagogue) الذي يعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادى و (Bet Alfa synagogue) الذى يعود تاريخه إلى القرن السادس الميلادي[4430]. كل هذا يدل على أهمية هذه القصة وشهرتها وتوارثها عبر الأجيال. فمِن المؤكد 100% أن أصحاب القرآن قد سمعوها بآذانهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة، أو على الأقل رأوها بأعينهم في الرسومات الفنية المنتشرة في الشرق الأوسط. مما يؤكد لنا أن قصة الذبيح القرآنية (الصافات 99-113) هي مجرد تطور بشري طبيعي لقصة الذبيح التوراتية (التكوين 1:22-19).

وكالعادة، توجد بعض الاختلافات بين القصة القرآنية والقصة التوراتية الأصلية. وكالعادة أيضاً، إذا بحثنا في التراث اليهودي و/أو المسيحي البشري الذي كُتِبَ في الفترة الزمنية التي تفصل بين التوراة والقرآن (أكثر من 1000 سنة)، فربما نجد جذور هذه الاختلافات ومِن ثم نكتشف "الكوبري" (bridge) أو "الكباري" (bridges) التي تصل بين التوراة والقرآن ...

4.17.2.1 الحوار الصريح والمباشر بين إبراهيم وابنه الذبيح

يتميز الذبيحُ في القصة القرآنية بالطاعة الكاملة والامتثال التام للأمر بذبحه! "قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ" (الصافات 102). بخلاف الذبيح في القصة التوراتية الذي لم يكن يعلم في البداية أنه سيموت "فَقَالَ [لأبيه]: «هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟»" (التكوين 7:22). فهل هذا الاختلاف بين التوراة والقرآن جاء بوحي من الله؟ الإجابة كالعادة هي: لا. وإنما جاء بالتطور البشري الطبيعي. فإذا قرأنا القصة التوراتية جيداً، سنجد أن إسحاق لم يعترض ولم يقاوم ولم يهرب، بل كان يرافق أباه إبراهيم في كل خطوة "فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا" (التكوين 6:22) "فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا" (التكوين 8:22) **[⟵ "بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ" (الصافات 102)]**. "فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ" (التكوين 9:22). وبما أن إبراهيم وقتئذٍ كان عمره أكثر من 100 سنة (التكوين 5:21) وكان إسحاقُ شاباً أو على الأقل غلاماً (التكوين 5:22، 12)، فلا نتصور أن الشيخ إبراهيم فعل كل ما يلي "بَنَى الْمَذْبَحَ" "وَرَتَّبَ الْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ" (التكوين 9:22) إلا إذا كان إسحاق يساعده ويتعاون معه أو على الأقل لا يقاومه. وكذلك لَمَّا "مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ [إسحاق]" (التكوين 10:22)، كان بإمكان الشاب إسحاق أن يهرب من الشيخ إبراهيم، إلا أنه لم يفعل ذلك. بل لم يقاوم إسحاقُ إبراهيمَ ولم يعترض، وإنما ظل راضياً

ومستسلماً ومطيعاً ولو بسكوته[4431] **[⟵ جعل القرآنُ الذبيحَ يعبر عن رضاه وطاعته واستسلامه بالكلمات: "قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ" (الصافات 102)]**.

بمرور الزمن، صارت الفكرة أكثر وضوحاً فاستغلها كاتبُ سفر المكابيين الرابع (4 Maccabees) الذي كُتِب في فترة ما بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد، وقيل: القرن الثاني الميلادي، ليؤكد على أهمية الاستشهاد في سبيل الله وتحمل الآلام حتى الموت، كما تحملها إسحاقُ بإيمان وثبات وقبول (Isaac's willingness to be sacrificed) وعدم خوف مِن هذا الموقف الصعب (4 مكابيين 7:12-14، 13:12، 16:20)[4432] **[⟵ وهو ما عبَّر عنه القرآنُ بعد ذلك بمئات السنين حين جعل الذبيحَ يقول: "قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (أي: الثابتين)" (الصافات 102)]**. وكأن صاحب سفر المكابيين الرابع أراد أن يقول إن هذه القصة امتحان لإيمان إسحاق كما هي إمتحان لإيمان إبراهيم (التكوين 22:1)؛ وهذا بالطبع يخدم قضيته الأساسية التي يدافع عنها وهي التضحية بالنفس والاستشهاد الذي يتطلب إقدام الشباب على الموت ويتطلب أيضاً رضا الآباء بموت أبنائهم في سبيل الله **[⟵ عبَّر القرآنُ عن رضا الأب والابن باستخدام صيغة المثنى في "أَسْلَمَا (أي: أَسْلَمَا أمرَهما لله)" (الصافات 103) والتي تأتي في منتصف القصة القرآنية لأنها بالفعل فكرتها المركزية والمحورية[4433]. فنحن نرى أن قصة الذبيح القرآنية تريد أن تسلِّط الضوءَ على طاعة الإنسان لله "أَسْلَمَا" (الصافات 103) في نفس الوقت مع فداء الله للإنسان "فَدَيْنَاهُ" (الصافات 107). ويجب في هذا السياق أن نؤكد على الدور المحوري والمركزي الذي يلعبه إبراهيمُ في القرآن: إنه شخص مؤمن تبرأ من أبيه الكافر وقدَّم ابنَه نبيحةً طاعةً لله. فهذا ما يتوقعه القرآنُ مِن المؤمنين به (وبخاصة من المسلمين الأوائل): أن يتبرأوا مِن الكفار حتى لو كانوا آباءهم وأن يقدِّموا أبناءهم شهداء في سبيل الله[4434]]**.

ومِن الجدير بالذكر أيضاً أنه يوجد في كتب التراث اليهودي مَن قال إن إسحاق كان عُمره وقتئذٍ 25 أو 26 أو 37 سنة، وهذا يؤيد أكثر الرأي القائل إنه اشترك في بناء المذبح؛ أي: اشترك في تنفيذ الخطة التي ستؤدي إلى نهايته (موته/استشهاده)[4435].

أما إذا انتقلنا إلى المدراش اليهودي، وتحديداً كتاب "التكوين ربَّاه" (Genesis Rabbah) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[4436] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة، فسنجد الذبيحَ إسحاق يتكلم ويعبِّر صراحةً عن رضاه وقبوله الموت. إذ يذكر الفصل 4:56 مِن هذا الكتاب المدراشي اليهودي الأسطوري أن الشيطان (Samael) حاول أولاً أن يوسوس إلى إبراهيم حتى لا يمتثل للأمر الإلهي بقتل ابنه، إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً، فذهب الشيطانُ يوسوس إلى إسحاق قائلاً له إن أباه إبراهيم سيقتله، فقال إسحاقُ للشيطان: "أنا أقبل مصيري" (I accept my fate)[4437] **[⟵ جعل القرآنُ الذبيحَ يقول لأبيه مباشرةً: "يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ" (الصافات 102)]**. وإنْ قلتم إن القصة المدراشية جعلت الذبيحَ يوجِّه كلامَه إلى الشيطان بينما جعلت القصة القرآنية الذبيحَ يوجِّه كلامَه إلى أبيه، فسنقول إن هذا اختلاف بسيط جداً ومتوقع

أثناء عملية التطور البشري الطبيعي مِن المدراش إلى القرآن. وبخاصة أنه توجد قصص أخرى مشابهة في التراث اليهودي/المسيحي وتحدث فيها الذبيحُ إلى الأب مباشرةً مُعرباً عن استسلامه وطاعته لله وامتثاله للموت. مثلاً قصة "ابنة يَفْتَاح" (Jephthah's daughter) التي لا نعرف اسمَها أيضاً كما هو الحال بالنسبة للذبيح في القصة القرآنية! تقول قصة "ابنة يَفْتَاح" **(القضاة 11)**: {30} وَنَذَرَ يَفْتَاحُ نَذْرًا لِلرَّبِّ قَائِلاً: «إِنْ دَفَعْتَ بَنِي عَمُّونَ لِيَدِي (أي: إنْ نصرتَني على أعدائي بَنِي عَمُّونَ)، {31} فَالْخَارِجُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَبْوَابِ بَيْتِي لِلِقَائِي عِنْدَ رُجُوعِي بِالسَّلاَمَةِ مِنْ عِنْدِ بَنِي عَمُّونَ يَكُونُ لِلرَّبِّ، وَأُصْعِدُهُ مُحْرَقَةً». {32} ثُمَّ عَبَرَ يَفْتَاحُ إِلَى بَنِي عَمُّونَ لِمُحَارَبَتِهِمْ. فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِهِ (أي: نصره اللهُ عليهم). [...]. {34} ثُمَّ أَتَى يَفْتَاحُ إِلَى الْمِصْفَاةِ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِذَا بِابْنَتِهِ خَارِجَةً لِلِقَائِهِ بِدُفُوفٍ وَرَقْصٍ. وَهِيَ وَحِيدَةٌ. لَمْ يَكُنْ لَهُ ابْنٌ وَلاَ ابْنَةٌ غَيْرَهَا. {35} وَكَانَ لَمَّا رَآهَا أَنَّهُ مَزَّقَ ثِيَابَهُ وَقَالَ: «آهِ يَا بِنْتِي! قَدْ أَحْزَنْتِنِي حُزْنًا وَصِرْتِ بَيْنَ مُكَدِّرِيَّ، لأَنِّي قَدْ فَتَحْتُ فَمِي إِلَى الرَّبِّ (أي: نذرتُ نذراً للرب) وَلاَ يُمْكِنُنِي الرُّجُوعُ». {36} فَقَالَتْ لَهُ: «يَا أَبِي، هَلْ فَتَحْتَ فَاكَ إِلَى الرَّبِّ؟ فَافْعَلْ بِي كَمَا خَرَجَ مِنْ فِيكَ **[⟵ "يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ" (الصافات 102)]**، بِمَا أَنَّ الرَّبَّ قَدِ انْتَقَمَ لَكَ مِنْ أَعْدَائِكَ بَنِي عَمُّونَ». [...] {39} [...]، [ثم مَرَّ شهران] فَفَعَلَ [يَفْتَاحُ] بِهَا نَذْرَهُ الَّذِي نَذَرَ.

ننتقل الآن إلى كتاب مِن كتب سوديبِجرافا العهد القديم وهو كتاب "فيلو المنحول" (Pseudo-Philo) الذي يرجع تاريخه إلى القرن الأول الميلادي[4438] – أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 500 سنة. حين تقرأ قصةَ الذبيح في كتاب فيلو المنحول، تشعر أنك تقرأ القرآنَ قبل القرآن بـ 500 سنة! وذلك نظراً لوجود عدة أمور مشتركة بين قصة الذبيح في كتاب فيلو المنحول وقصة الذبيح في كتاب القرآن. على سبيل المثال، يقول كتابُ فيلو المنحول إن الأمر الإلهي لإبراهيم بتقديم ابنه مُحْرَقَةً جاء لإبراهيم في رؤيا (vision) (فيلو المنحول 5:18)[4439] **[⟵ "فِي الْمَنَامِ" (الصافات 102) "الرُّؤْيَا" (الصافات 105)]**. وقد يكون كتاب فيلو المنحول هو أقدم كتاب يذكر حواراً بين إبراهيم وابنه الذبيح يشبه الحوار بينهما في القرآن. فلقد جعل هذا الكتاب السوديبِجرافي الأسطوري إبراهيمَ يقول لابنه صراحةً إنه سيقدمه مُحْرَقَةً (Behold now, my son, I am offering you as a burnt offering and I am returning you into the hands of Him who gave you to me) (فيلو المنحول 2:32)[4440] **[⟵ وكذلك في القرآن، قَالَ إبراهيمُ لابنه صراحةً: "يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ" (الصافات 102)]**. وإنه لَمِن الطريف أن هذا الجزء من كتاب فيلو المنحول لم يذكر اسمَ الابن الذبيح! **[⟵ وكذلك القصة القرآنية لم تذكر اسمَ الابن الذبيح!]**. فماذا كان رد فعل الابن حين علم أنه سيموت بيد والده؟ حسب كتاب فيلو المنحول، قَبِلَ الابنُ الموتَ وقال لأبيه مباشرةً إنه وُلِدَ حقاً في هذا العالم ليُقدَّم كذبيحة لله الذي خلقه (I was indeed born in this world in order to be offered as a sacrifice to Him who made me) (فيلو المنحول 3:32)[4441] **[⟵ وكذلك حسب القرآن، قَبِلَ الابنُ الموتَ وقال لأبيه مباشرةً: "يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ" (الصافات 102)]**. وإنه لَمِن الطريف أيضاً أن كتاب فيلو المنحول ذكر بعد ذلك قصةَ "ابنة يَفْتَاح" وأسماها أو لقَّبها "Seila" (أي: المطلوبة the requested

(one وذكر معها قصةَ الذبيح في نفس الجملة، مما يدل على أن رد فعل الذبيح ابن إبراهيم كان مطابقاً لرد فعل المطلوبة ابنة يَفْتَاح؛ وهو: الرضا بالموت (he did not refuse him but gladly gave consent to him, and the one being offered was ready and the one who was offering was rejoicing) (فيلو المنحول 2:40)[4442]. وأخيراً يساعدنا كتابُ فيلو المنحول أيضاً على الرد على مَن قد يقول إن القصة القرآنية أقل عنفاً مِن القصة التوراتية لأنها لم تذكر "النَّارَ وَالسِّكِّينَ" (التكوين 22:6-7) وجعلت إبراهيمَ يلقي ابنَه على جبينه "وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ" (الصافات 103) ليذبح ابنَه مِن قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه فيكون أهون عليه. ردنا: لكن في المقابل، قد يُقال أيضاً إن القصة القرآنية أكثر عنفاً لأنها جعلت الأب يقول لابنه صراحةً إنه سيذبحه: "قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ" (الصافات 102)! وهذا ما وجدناه في كتاب فيلو المنحول قبل القرآن بأكثر من 500 سنة!

كما نجد هذا الحوار الصريح والمباشر بين إبراهيم وابنه الذبيح (إسحاق) موجوداً في أعمال يهودية أخرى قبل الإسلام، مما يدل على انتشار هذه الفكرة انتشاراً واسعاً في الشرق الأوسط قبل استقرارها في القرآن "قَالَ يَا بُنَيَّ [...] أَذْبَحُكَ [...]ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ [...]" (الصافات 102). اخترنا على سبيل المثال وليس الحصر ما قاله "يوسيفوس" (Flavius Josephus) اليهودي (القرن الأول الميلادي) في الفقرات (1.13.2-1.13.4) مِن كتابه الشهير (Antiquities of the Jews)[4443]. قال يوسيفوس إن الشاب إسحاق (عُمره 25 سنة) كان يبني الْمَذْبَحَ (he was building the altar). وبما أن التوراة تقول إن إبراهيم "بَنَى الْمَذْبَحَ" (التكوين 22:9)، فيبدو إذن أن المقصود أن الشاب إسحاق ساعد أباه الشيخ إبراهيم في بناء المذبح **[← "بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ" (الصافات 102) (مكية)[4444]]**. وبعد بناء المذبح وترتيب الحطب وتهيئة كل شيء، قال إبراهيمُ صراحةً لابنه إسحاق إنه سيُقدِّمه ذبيحةً لله (thou, my son, wilt now die, [...], sent to God, [...], by thy own father, in the nature of a sacrifice) **[← وكذلك في القرآن، قَالَ إبراهيمُ لابنه صراحةً: "يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ" (الصافات 102)]**، وحاول إبراهيمُ أن يخفف الأمرَ على إسحاق فقال له إنها إرادة الله (God's will) الذي وهبه إياه وإن الموت بهذه الطريقة المميزة أفضل من الموت بطريقة أخرى عادية كالمرض مثلاً. فماذا كان رد فعل إسحاق حين علم أنه سيموت بيد والده؟ قال يوسيفوس إن إسحاق تقبَّل الأمرَ بفرحٍ وقال لأبيه إبراهيم مباشرةً إنه ما كان يستحق أن يُولَد لو لم يطع الأمر الإلهي ([Isaac] was pleased with this discourse; and said "That he was not worthy to be born at first, if he should reject the determination of God and of his father, and should not resign himself up readily to both their pleasures; since it would have been unjust if he had not obeyed, even if his father alone had so resolved.") **[← وكذلك في القرآن، قال الذبيحُ لأبيه إبراهيم مباشرةً: "يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ" (الصافات 102)]**.

فذهب إسحاقُ فوراً (immediately) إلى المذبح ليُقدِّمه إبراهيمُ كذبيحة **[← "فَلَمَّا أَسْلَمَا (أي: أسْلَمَا أمرَهما لله)" (الصافات 103)؛ وحرف الفاء "فَلَمَّا" يدل على الترتيب والتعقيب مع السرعة]**.

مثال آخر مِن الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد[4445]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة. **(ترجوم نيوفيتي**[4446]**. التكوين 22):** {1} وبعد هذه الأحداث، حصل أن الربّ امتحن إبراهيم المحنة العاشرة[4447] **[← "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ (أي: أوامر؛ أمور؛ ونلاحظ صيغة الجمع) فَأَتَمَّهُنَّ [عشراً]" (البقرة 124)]** [...]. {2} قال [الربُّ لإبراهيم]: "خذ ابنك، ابنك الوحيد الذي تحبه، إسحاق، وامضِ إلى أرض جبل موريا، وقدّمه لي محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك". [...] {6} فأخذ إبراهيم حطب المحرقة وجعله على ابنه إسحاق، وأخذ في يده النار والسكين ومضى الاثنان معاً **[← "بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ" (الصافات 102)]**، بقلبٍ تامٍ **[← "بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الصافات 84)]**. {7} فكلّم إسحاق أباه إبراهيم وقال: "يا أبي"! **[← "قَالَ يَا أَبَتِ" (الصافات 102)]** قال [إبراهيمُ]: "ها أنا، يا ابني"! **[← "قَالَ يَا بُنَيَّ" (الصافات 102)]** قال [إسحاقُ]: "هنا النار والحطب، فأين الحمل للمحرقة؟" {8} قال [إبراهيمُ]: "أمام الرب أعدّ (أي: الرب أعدّ مِن قَبْل؛ أو: كلمة الرب سيعد) له حمل للمحرقة. وإلا، فأنت حمل المحرقة[4448][4449]" **[← "إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ" (الصافات 102)]**. ومضى الاثنان معاً **[← "بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ" (الصافات 102)]** بقلبٍ تامٍ **[← "بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الصافات 84)]**. {9} فأتيا إلى الموضع الذي قال له الله، فبنى إبراهيم هناك المذبح، ورتّب الحطب، وربط (= عقد) ابنَه إسحاق، ووضعه على المذبح فوق الحطب. {10} ثم مدّ إبراهيمُ يده وأخذ السكين ليذبح ابنَه إسحاق. فأجاب إسحاق وقال لإبراهيم أبيه: "يا أبي، اربطني جيداً [...]" **[← "قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ" (الصافات 102)]** [...]. وكانت عينا إبراهيم في عيني إسحاق، وعينا إسحاق ملتفتتان نحو الملائكة في العلى (أي: إسحاق لا ينظر في عيني إبراهيم) **[← جعل القرآنُ إبراهيمَ هو الذي لا ينظر في عيني ابنه: "تَلَّهُ لِلْجَبِينِ" (الصافات 103)]**، [...]. واحد (هو: إبراهيم) يَذبح والآخر (هو: إسحاق) يُذبح: فالذي يَذبح لا يتردد، والذي يُذبح يمدّ عنقه **[← "أَسْلَمَا (أي: أَسْلَمَا أمرَهما لله)" (الصافات 103)]**.

مما سبق يتضح أنه قبل ظهور الإسلام كانت هناك حرية دينية وأدبية أنتجت روايات متعددة ومختلفة لقصة الذبيح التوراتية الأصلية. فما قاله القرآنُ هو مجرد رواية مختلفة مِن ضمن تلك الروايات المتعددة والمختلفة. فَمِن الطبيعي – بل من الطبيعي جداً – أن تكون الرواية القرآنية مختلفة عن القصة التوراتية الأصلية. وسبب وجود هذه الاختلافات بين القصتين التوراتية والقرآنية هو أن أصحاب القرآن قد اعتمدوا على ما سمعوه مِن كتب التراث اليهودي البشري مثل المدراش "التكوين ربَّاه" وكتاب "فيلو المنحول" وكتاب "اليوبيلات"[4450]، وهي نفس المصادر اليهودية الثلاثة التي اعتمد عليها أصحابُ القرآن في تأليف أسطورة تحطيم إبراهيم للأصنام وأسطورة نجاته من النار (الصافات 83-99) (الأنبياء 51-71) (العنكبوت 16-26)! فلا يمكن أن يكون كل ذلك مجرد صدفة، وإنما هذا دليل قاطع يثبت 100% أن القرآن كلام بشر وأنه

مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي/المسيحي الذي ظل ينتشر في الشرق الأوسط لمئات السنين قبل الإسلام، سواء التراث المقدس (مثلاً: التوراة، وكتاب اليوبيلات في الكنيسة الحبشية) أو التراث غير المقدس (مثلاً: المدراش وسوديبِجرافا العهد القديم).

4.17.2.2 "ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ" (الصافات 113) "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (البقرة 124)

وبغض النظر عن هذه الاختلافات الطبيعية بين القصتين التوراتية والقرآنية التي لم تنشأ إلا بسبب التطور البشري الطبيعي بالحذف و/أو الإضافة، فَمِن المهم جداً أن نلاحظ أن القصتين التوراتية والقرآنية قد انتهتا بالتأكيد على بركة إبراهيم ونسله: "وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً **[← "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" (البقرة 124) "سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ" (الصافات 109-111)]**، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ (أي: في إسحاق[4451]) جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي»" (التكوين 22:15-18) **[← "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا (أي: نسلهما) مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ" (الصافات 112-113). ويجب هنا أن نؤكد أن القصة القرآنية المكية فيها كلمتان فقط بصيغة المثنى "أَسْلَمَا" (الصافات 103) و "ذُرِّيَّتِهِمَا" (الصافات 113). وبما أن ضمير المثنى في الكلمة الثانية "ذُرِّيَّتِهِمَا" يعود 100% على إبراهيم وإسحاق، فإن ضمير المثنى في الكلمة الأولى "أَسْلَمَا" يعود أيضاً على إبراهيم وإسحاق، مما يؤكد أن الذبيح هو إسحاق]**.

إلا أننا نلاحظ هنا اختلافاً آخر بين القصتين التوراتية والقرآنية. فلقد جعلت القصةُ التوراتية "بركةَ إبراهيم" في نسله دون تحديد "وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ" (التكوين 22:18)، بينما يُفهَم من القصة القرآنية أنها جعلت "بركةَ إبراهيم" في المؤمنين المحسنين فقط مِن نسله "وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا (أي: نسلهما) مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ" (الصافات 113)؛ وبصيغة أكثر وضوحاً في القرآن المدني: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ [اللهُ] إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ [إبراهيمُ] وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ [اللهُ] لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (أي: العصاة؛ غير المؤمنين)" (البقرة 124)[4452].

فَمِن أين جاء هذا الاختلاف بين التوراة والقرآن؟ ...

الإجابة: مِن الإنجيل ومِن التراث المسيحي بصفة عامة. فلقد فسَّر بولس الرسول كلمة "نسل" إبراهيم على أنها تعني: يسوع المسيح ابن إبراهيم. "وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ: «وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ" (غلاطية 3:16). وكما قلنا فيما سبق: "بركة إبراهيم" إلى جميع أمم الأرض قد تحققت في شخص الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن

إسحاق وابن إبراهيم وابن الله الوحيد لكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ كفادي صُلِبَ ومات ومُخلِّص قام مِن الأموات. قال يسوع المسيح نفسه: "هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ **[← "مُحْسِنٌ [لنفسه بالإيمان والطاعة]" (الصافات 113) "مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" (البقرة 126)]** لاَ يُدَانُ **[← "إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (الصافات 105) "وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ" (الصافات 107) "كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ" (الصافات 110-111)]**، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ **[← "وَمَن كَفَرَ" (البقرة 126) "ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ [بالكفر و/أو المعصية] مُبِينٌ (أي: بيّن الضلال)" (الصافات 113)]** قَدْ دِينَ **[← "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (البقرة 124) "فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" (البقرة 126)]**، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ" (يوحنا 3:16-18).

بعبارة أخرى: التمييز الذي نجده في الإنجيل وفي التراث المسيحي بصفة عامة بين المؤمنين بالفادي والمخلص يسوع المسيح ابن الله الوحيد وغير المؤمنين به وبخاصة مِن اليهود الذين لم يؤمن معظمهم بيسوع المسيح (anti-Jewish polemics)، قد تطور تطوراً بشرياً طبيعياً فصار في القرآن تمييزاً بين المؤمنين بمحمد كنبي ورسول من عند الله وغير المؤمنين به وبخاصة مِن أهل الكتاب الذين لم يؤمن معظمهم بمحمد (anti-Jewish, anti-Christian polemics). اقرأ مثلاً: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ. ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ" (الحديد 26-27). والمدهش أننا عادةً نجد إبراهيم حاضراً في المشهد (الصافات 104، 109) (البقرة 124، 125 مرتان، 126، 127) (الحديد 26). فكما قلنا فيما سبق: كلمة السر هي "إبراهيم". كل مَن يريد أن ينفصل عن الديانة التي قبله، يرجع إلى "إبراهيم"، فهو أبو أهل الكتاب وأبو العرب أيضاً حسب التقليد الموروث.

4.17.2.3 علاقة قصة الذبيح بأعياد الحج السنوية: عيد الفصح ... عيد القيامة ... عيد الأضحى!

نفهم من التوراة أن قصة الذبيح قد حدثت في مكانٍ ما في كنعان (حالياً: في إسرائيل/فلسطين). ويتفق التقليد اليهودي والتقليد المسيحي على أن قصة الذبيح التوراتية قد حدثت عند جبل الْمُرِيَّا (Mount Moriah) في أورشليم (Jerusalem)، أو بعبارة أكثر دقة: عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ في أَرْضِ الْمُرِيَّا (التكوين 22:2). وفي نهاية القصة: ذَهَب إِبْرَاهِيمُ وإسحاقُ مَعًا إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ (Beersheba) (حالياً: في صحراء النقب Negev في جنوب إسرائيل/فلسطين) (التكوين 22:19).

غيَّر المسلمون مكانَ القصة وجعلوها – كالعادة – تحدث في مكة في الحجاز! مع أن القرآن نفسه لم يقل إنها حدثت في مكة! ليس هذا فحسب، بل تحولت هذه القصة إلى عيد سنوي يحتفل به المسلمون كل عام

وهو عيد الأضحى (Feast of the Sacrifice) (10 ذو الحجة) المرتبط ارتباطاً وثيقاً بأداء فريضة الحج السنوي إلى مكة في الحجاز! مع أن القرآن نفسه لم يتحدث صراحةً عن وجود علاقة بين قصة الذبيح وعيد الأضحى! بل لا نجد آيةً واحدة في القرآن تذكر عيدَ الأضحى صراحةً! إذ لم تُذكَر كلمة "عيد" في القرآن كله إلا مرة واحدة فقط، وهذا "العيد" الوحيد المذكور صراحةً في القرآن هو عيد المائدة (مائدة المسيح أو عشاء الرب Lord's Supper؛ العشاء الأخير Last Supper): "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (المائدة 112). "قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا **عِيدًا** لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا (أي: عيداً لنا ولِمَن سيأتي بعدنا) [...]" (المائدة 114). والمقصود طبعاً هو "عيد الفصح" اليهودي (Passover) الذي تطور فصار يُعرَف في المسيحية بِاسْمِ "عيد القيامة" (Easter) وكلاهما يرتبط بالحج السنوي إلى أورشليم.

ولم نندهش حين وجدنا في التراث اليهودي قبل الإسلام ارتباطاً بين قصة الذبيح إسحاق التوراتية وعيد الفصح اليهودي. على سبيل المثال، تقول التوراة عن ليلة عيد الفصح: "هِيَ لَيْلَةٌ تُحْفَظُ لِلرَّبِّ لإِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ (أي: لإخراج بني إسرائيل) مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. هذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لِلرَّبِّ. تُحْفَظُ مِنْ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَجْيَالِهِمْ **[← "عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا (أي: عيداً لنا وللأجيال القادمة)" (المائدة 114)]**" (الخروج 12:42). وإذا نظرنا إلى ترجوم نيوفيتي، فسنجد أنه أشار إلى قصة الذبيح إسحاق في ترجمته لهذه الآية التوراتية (أو بالأحرى: تعليقه عليها). **(ترجوم نيوفيتي**[4453]**. الخروج 12):** {42} [...] هناك أربع ليالٍ (four nights) تسجّلت في كتاب التذكارات. الليلة الأولى، حين [...]. والليلة الثانية حين [...] وكان إسحاق ابن سبع وثلاثين سنة حين قُرّب على المذبح. [...]. والليلة الثالثة، حين [...]. والليلة الرابعة، حين [...]. تلك هي ليلة الفصح لاسم الرب. وهي ليلة محفوظة ومحددة لتحرير كل إسرائيل على مدى أجيالهم **[← "عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا (أي: عيداً لنا وللأجيال القادمة)" (المائدة 114)]**. وأيضاً لم نندهش حين وجدنا ارتباطاً بين قصة الذبيح إسحاق التوراتية وعيد الفصح عند السامريين[4454].

وكذلك فيما يتعلق بالتراث المسيحي قبل الإسلام، فكما سنرى بعد قليل، توجد علاقة وثيقة جداً بين قصة الذبيح إسحاق التوراتية وعيد قيامة المسيح (إسحاق الحقيقي؛ الذبيح الحقيقي؛ الذِبْح العظيم الذي مات على الصليب بدلاً منا ونيابةً عنا وفداءً لنا).

ومِن ثم نستطيع أن نفهم كيف تطور عيد الفصح اليهودي وعيد القيامة المسيحي فصارا يُعرَفا في الإسلام بِاسْمِ "عيد الأضحى" الذي يرتبط بقصة الذبيح (إسماعيل) وأيضاً يرتبط بالحج السنوي إلى مكة[4455] وأيضاً يستمر أربعة أيام (four days)!

إذن كالعادة، التطور البشري الطبيعي هو الذي يفسر نشأةَ الإسلام. التطور البشري الطبيعي هو الذي نقل التاريخَ (قصص الأنبياء) من بني إسرائيل إلى العرب، وهو الذي نقل الجغرافيا من أورشليم إلى مكة.

أورشليم في كنعان **[← مكة في الحجاز]**. جبل الْمُرِيَّا **[← جبل المروة]**. المذبح (وصار فيما بعد: الهيكل المقدس بيت الرب) **[← الكعبة بيت الله الحرام]**. إسحاق أبو إسرائيل **[← إسماعيل أبو العرب]**. التراث اليهودي/المسيحي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب، والإسلام دين العرب]**. فلولا التراث اليهودي/المسيحي، لَمَا استطاع العرب أن ينتجوا القرآنَ ولا أن يصنعوا الإسلامَ.

ويجب علينا الآن أن نثبت بالأدلة أن الذبيح ابن إبراهيم هو إسحاق وليس إسماعيل.

4.17.3 مَن هو الذبيح ابن إبراهيم؟ إسماعيل ابن الجارية؟ أَم إسحاق ابن الحرة؟

اليهود مجمعون على أن الذبيح ابن إبراهيم هو إسحاق. والمسيحيون أيضاً مجمعون على أن الذبيح ابن إبراهيم هو إسحاق. أما فيما يخص المسلمين، فكالعادة يوجد اختلاف! ويجب هنا أن نقول إن فريقاً من المسلمين الأوائل اعترفوا أن الذبيح هو إسحاق، ولقد ذكرت المراجع الإسلامية أسماءهم، وكذلك أسماء أعضاء الفريق الثاني الذين قالوا إنه إسماعيل[4456] وهو الرأي الأكثر انتشاراً اليوم. ويوجد فريقٌ ثالث قال إن الذبيح هو إسحاق أو إسماعيل! على سبيل المثال، يقول تفسير الجلالين لـ "وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ" (الصافات 107): ""وَفَدَيْنَاهُ" أَيِ: الْمَأْمُورَ بِذَبْحِهِ وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ أَوْ إِسْحَاقُ قَوْلَانِ"[4457]. باختصار: كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن المسلمين – على الأقل في القرون الأولى – كانوا محتارين ومش متأكدين مَن الذبيح!

وإننا لنندهش أن يتسبب أصحاب القرآن فى كل هذه الحيرة! فلو كان القرآن من عند الله كما يظن المسلمون، ألم يكن الله يعلم أن هذه القصة القرآنية ستثير كل هذا الجدل فيذكر اسمَ الذبيح ويريحنا؟! ما الهدف مِن إخفاء اسم الذبيح؟!

نذكر فيما يلي الحُجج التى يُقدِّمها المسلمون الذين يقولون إن الذبيح هو إسماعيل، ونرد عليها، وفى ثنايا الرد نُلخِّص الأدلة اليهودية/المسيحية والأدلة الإسلامية والأدلة العقلية التى تؤكد أن الذبيح هو إسحاق.

للمسلمين أربع حُجج رئيسية: (1) الابن الوحيد؛ (2) البشارتان فى سورة الصافات؛ (3) نسل إسحاق؛ (4) الابن البكر.

4.17.3.1 الحُجة الأولى: الابن الوحيد

أهم حُجة يقولها المسلمون هي أن التوراة وصفت الذبيحَ بعبارة "ابْنَكَ وَحِيدَكَ" ثلاث مرات (التكوين 2:22، 12، 16)، وحيث أن إسماعيل أكبر سناً مِن إسحاق، فلا بد أن تكون هذه القصة قد حدثت قبل ميلاد إسحاق حين كان إسماعيل هو الابن "الوحيد" لإبراهيم.

الرد: للوهلة الأولى، يبدو هذا الكلام كما لو كان منطقياً، إلا أنه يغفل – عن جهل أو عن عمد – عنصراً هاماً من عناصر القصة التوراتية، وهو متى حدثت؟ أو بعبارة أخرى: ترتيب الأحداث. إن هذه القصة قد حدثت **بعد** ميلاد إسحاق وفِطامه (التكوين 21:1-8) **وبعد** طرد هاجر وإسماعيل (التكوين 21:9-21)، بل بعد كل ذلك بفترة طويلة بدليل قوله: "وَتَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ (الترجمة الأكثر دقة: أَرْضِ الفِلِسْطِيِّينَ[4458] the land of the Philistines) (أي: في جنوب غرب كنعان) أَيَّامًا كَثِيرَةً" (التكوين 21:34)[4459] "وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، [...]" (التكوين 22:1).

إذن: **لم** يكن إسماعيلُ موجوداً أصلاً مع إبراهيم وقت حدوث قصة الذبيح، ولذلك أشارت التوراة إلى إسحاق بعبارة "ابنك وحيدك"، أي الوحيد الموجود معك في بيتك الآن، وهو إسحاق الذي تكرر اسمه فى القصة التوراتية خمس مرات كما قلنا (التكوين 22:2، 3، 6، 7، 9).

بالطبع سيقول المسلمون إن ظهور اسم إسحاق فى القصة التوراتية هو مِن ضمن "التحريف" الذى لحق بالتوراة. بل قال فريقٌ من المفسرين المسلمين ذلك فعلاً. على سبيل المثال، يقول د. محمد سليمان عبد الله الأشقر: "وفي التوراة المحرفة: "اذبح بكرك وحيدك إسحاق" فكلمة (إسحاق) من زيادات اليهود في التوراة وتحريفهم لكتاب الله، وإلا فإن (إسحاق) لم يكن بكر إبراهيم، ولم يكن وحيده، بل الذي كان كذلك هو إسماعيل، والتوراة نفسها تذكر ذلك"[4460].

الرد: لو كان هذا "التحريف" حدث فعلاً، فلماذا لم يذكر القرآنُ اسمَ إسماعيل صراحةً فى (الصافات 99-113) حتى يكشف هذا التحريف المزعوم؟! على أى حال، حتى يكون كلامكم مؤيداً بدليل، أعطونا مخطوطة واحدة للإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين تذكر اسمَ إسماعيل بدلاً من إسحاق، أو لا تذكر أياً منهما، أو تضع قصةَ الذبيح قبل ميلاد إسحاق وقبل طرد إسماعيل، بشرط أن تكون أقدم مِن المخطوطات التى عثر عليها الباحثون. إن لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فما عليكم إلا أن تعترفوا أن الذبيح هو إسحاق، خاصةً وأن العهد الجديد أيضاً يؤكد أن الذبيح هو إسحاق: "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ الَّذِي قِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ»" (العبرانيين 11:17-18)؛ "أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟" (يعقوب 2:21). وليس من المعقول أن يتفق كل اليهود مع خصومهم المسيحيين على تحريف التوراة بحيث يكون الذبيح هو إسحاق فى جميع مخطوطات الكتاب المقدس بعهديه في كل اللغات! فهذا من المستحيل منطقياً وعملياً.

4.17.3.2 الحُجة الثانية: البشارتان فى سورة الصافات

تقول حُجة إسلامية أخرى إن القصة القرآنية فى سورة الصافات تحتوى على بشارتين: البشارة الأولى في بداية القصة "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الصافات 101)، والبشارة الثانية في نهاية القصة "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" (الصافات 112). وحيث أن البشارة الثانية بِإِسْحَاقَ، فلا بد أن تكون الأولى بأخيه الأكبر

إسماعيل! وبالتالى فإن قصة الذبيح القرآنية المذكورة بين هاتين البشارتين تخص صاحب البشارة الأولى – أي إسماعيل! على سبيل المثال، يقول تفسير الجلالين للبشارة الثانية (الصافات 112): ""وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ" اُسْتُدِلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ اَلذَّبِيحَ غَيْرُهُ"(4461).

الرد: لم يقل القرآن صراحةً إن البشارة الأولى كانت بميلاد إسماعيل. [ممكن نسأل سؤالاً خيالياً شوية: أليس من المحتمل أن تكون البشارة الأولى بميلاد ابنٍ آخر لإبراهيم ولم يذكر القرآنُ ولا التوراةُ اسمَه؟]

بما أن القرآن لم يقل صراحةً إن البشارة الأولى كانت بميلاد إسماعيل. إذن: إنه مجرد اجتهاد من فريق من المفسرين. قد يكون هذا الاجتهاد صواب أو خطأ. وهو خطأ لسببين على الأقل. السبب الأول قرآني محض. أما السبب الثاني فهو سبب منطقي وكتابي (biblical) وقرآني أيضاً.

<u>السبب الأول:</u> حسب الترتيب الزمني لسور القرآن(4462) – أو ما يُسمَّى "ترتيب النزول" – فلا توجد آية قرآنية واحدة قبل (الصافات 99-113) تقول إن إسماعيل ابن إبراهيم! كل الآيات القرآنية التى سبقت (الصافات 99-113) لا تذكر إلا إسحاق كابن لإبراهيم: (مريم 49) (هود 71) (يوسف 6) (يوسف 38) (الأنعام 84). أول آية مكية تقول إن إسماعيل ابن إبراهيم هى (إبراهيم 39)، وهى <u>**بعد**</u> (الصافات 99-113) حسب الترتيب الزمني لسور القرآن (بفرض صحته). إذن: عندما قال أصحابُ القرآن (الصافات 99-113)، لم يكن لدى المسلمين أى معلومة قرآنية مؤكدة قطعية الثبوت قطعية الدلالة تثبت أن إسماعيل ابن إبراهيم. فلو كانت البشارة الأولى (الصافات 101) بميلاد إسماعيل كما تزعمون، لكان ضرورياً أن يذكر أصحابُ القرآن اسمَ إسماعيل صراحةً، على الأقل ليؤكدوا للمسلمين أنه ابن إبراهيم. لكن هذا لم يحدث. وبما أن أصحاب القرآن لم يذكروا اسمَ الذبيح، فلم يبق أمامنا سوى الابن الوحيد الذى كان كل الناس فى ذلك الوقت يعرفون أنه ابن إبراهيم. هذا الابن هو إسحاق. إذن: إسحاق هو الذبيح.

<u>السبب الثاني:</u> تقولون إن البشارة الأولى (الصافات 101) كانت بميلاد إسماعيل. ونحن نقول لكم: ميلاد إسماعيل ليس فى حاجة إلى بشارة إلهية، فولادة إسماعيل ولادة طبيعية "حَسَبَ الْجَسَدِ" (غلاطية 4:23) مِن نكاح رجل (إبراهيم) وامرأة (هاجر). صحيح كان إبراهيم رجلاً كبيراً في السن(4463)، لكن هذا لا يمنع أن ينجب. ثم إن زواج إبراهيم وهاجر تم بُناء على اقتراح مِن سارة – وليس الله، أى تم حسب العادات والتقاليد السائدة فى ذلك الزمان، وكان إبراهيم يعلم جيداً أن هدف هذا الزواج هو الإنجاب: "وَأَمَّا سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ (أي: سارة امْرَأَةُ إبراهيم) فَلَمْ تَلِدْ لَهُ. وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ، فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: «هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَمْسَكَنِي عَنِ الْوِلاَدَةِ. ادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِي لَعَلِّي أُرْزَقُ مِنْهَا بَنِينَ». فَسَمِعَ أَبْرَامُ لِقَوْلِ سَارَايَ. فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا، مِنْ بَعْدِ عَشَرِ سِنِينَ لإِقَامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَعْطَتْهَا لأَبْرَامَ رَجُلِهَا زَوْجَةً لَهُ. فَدَخَلَ عَلَى هَاجَرَ فَحَبِلَتْ" (التكوين 16:1-4). وبالتالى، لم يكن إبراهيم فى حاجة إلى أية بشارة إلهية بميلاد إسماعيل. كل شيء يتعلق بميلاد إسماعيل تم بصورة طبيعية 100%

وبشرية 100% ومخططة 100% ومتوقعة 100% وباقتراح مِن سارة – وليس الله. ومِن ثم فإنه من المستحيل أن تكون البشارة الأولى "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الصافات 101) بميلاد إسماعيل.

أما ميلاد إسحاق فهو مختلف تماماً. ميلاد إسحاق معجزة تحتاج بالفعل إلى بشارة إلهية، وذلك لأن سارة كانت "بِنْت تِسْعِينَ سَنَةً" (التكوين 17:17) "وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ، وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ" (التكوين 11:18) – أي مستحيل بيولوجياً أن تلِد سارةُ بدون تدخل الله، لأن "غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ" (لوقا 27:18).

إذن: كان ميلاد إسحاق "حَسَبَ الرُّوحِ" (غلاطية 29:4) مِن رحم سارة الميت (رومية 19:4)، ولذلك احتاج إلى بشارة إلهية ومعجزة إلهية. والقرآنُ نفسه اعترف أن ميلاد إسحاق "لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" يحتاج إلى بشارة إلهية ومعجزة إلهية "مِنْ أَمْرِ اللَّهِ": "وَامْرَأَتُهُ (أي: سارةُ امرأة إبراهيم) قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ [...]. قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ. فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ [...]" (هود 71-74)؛ "قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ. قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ" (الذاريات 28-30). ومثل إسحاق هنا مِثل يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) الذى كان ميلاده من امرأة عاقر أيضاً معجزة فاحتاج إلى بشارة فى القرآنين المكي والمدني (مريم 2-11) (آل عمران 38-41) ومن قبله فى الإنجيل (لوقا 1:5-25)، ومِثل المسيح عيسى ابن مريم (يسوع المسيح) الذى كان ميلاده من عذراء أيضاً معجزة فاحتاج إلى بشارة فى القرآنين المكي والمدني (مريم 16-21) (آل عمران 45-47) ومن قبله فى الإنجيل (لوقا 1:26-38).

ونحن هنا نؤيد المسلمين الأوائل الذين اعترفوا بأن البشارة الأولى "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الصافات 101) هي بشارة بميلاد إسحاق. ومِن الأدلة على ذلك هو ما جاء فى كثير مِن المراجع الإسلامية أن قول إبراهيم قبلها "إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ" (الصافات 99) يشير إلى هجرة إبراهيم إلى الشام/فلسطين[(4464)] (يقصدون: كنعان)، وعبارة "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ" (الصافات 102) تدل على أن هذا الغلام قد كبر وبلغ سن السعي مع أبيه إبراهيم. ومِن المعلوم أن الابن الذى وُلِد لإبراهيم وبلغ وكبر معه فى كنعان هو إسحاق – هذا ما تقوله التوراة، بدليل أن إسحاق سكن في كنعان وبحث إبراهيمُ عن زوجةٍ له (التكوين 24)، بخلاف إسماعيل الذي طُردَ من كنعان "وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ [وليس أبوه] زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ" (التكوين 21:21)؛ وأيضاً بدليل "وَأَعْطَى إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ (أي: كُلَّ ممتلكاته ميراثاً). وَأَمَّا بَنُو السَّرَارِيِّ اللَّوَاتِي كَانَتْ لإِبْرَاهِيمَ فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِهِ شَرْقًا إِلَى أَرْضِ الْمَشْرِقِ، وَهُوَ بَعْدُ حَيٌّ" (التكوين 25:5-6). وهذا أيضاً ما يقوله العهد الجديد: "بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي. بِالإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ (أي: كنعان) كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ"

(العبرانيين 11:8-9). ويقوله القرآن نفسه: "فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا" (مريم 49). ونلاحظ هنا أيضاً أن الفعل "وَهَبْنَا" (مريم 49) هو نفس الفعل المذكور في "رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الصافات 100-101) مما يدل على أن الغلام "المُبشَّر" به في "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الصافات 101) هُو هُو نفسه الغلام "الموهوب" لإبراهيم بالنعمة الإلهية "رَبِّ هَبْ لِي" (الصافات 100) وهو: إسحاق "وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ" (مريم 49). وبما أن الذبيح هو غلام البشارة "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الصافات 101)، إذن الذبيح هو إسحاق. ولو كان الذبيح هو إسماعيل، لكانت سورة الصافات قد ذكرت قصة طرد هاجر وإسماعيل وبئر زمزم أولاً قبل الدخول في قصة الذبيح.

إذن: الانتقال مباشرةً مِن هجرة إبراهيم (الصافات 99-100) إلى البشارة (الصافات 101) إلى قصة الذبيح (الصافات 102-111) يؤكد أن الذبيح هو إسحاق. ثم ذِكر اسم إسحاق مرتين (الصافات 112-113) وعدم ذِكر اسم إسماعيل نهائياً يحسم القضية ويؤكد 100% أن الذبيح هو إسحاق.

نستنتج مما سبق أن البشارتين الموجودتين فى سورة الصافات ليست لشخصين مختلفين، وإنما كلتاهما متعلقتان بنفس الشخص (وهو إسحاق)، لكن الأولى "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الصافات 101) كانت قبل ميلاده وهى تُبشِّر بأنه سيولد ذكر وسيكون حليماً، أما الثانية "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" (الصافات 112) فكانت بعد أن وُلِد وكبر وبلغ سن السعي مع أبيه وهى تُبشِّر بأن إسحاق سيكون نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ.

وهذه ليست المرة الوحيدة في القرآن التي نجد فيها بشارتين متعلقتين بنفس الشخص. اقرأ: "فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ (أي: فَنَادَتْ الْمَلَائِكَةُ زكريا) وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ" (آل عمران 39) حيث نجد 5 بشارات كلها متعلقة بيحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان). البشارة الأولى بميلاده "اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ" والبشارة الأخيرة بنبوته "وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ". كذلك هو الحال في قصة الذبيح إسحاق: البشارة الأولى بميلاد إسحاق "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الصافات 101) والبشارة الثانية بنبوته "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" (الصافات 112). وفي الواقع، نحن نجد عدة تشابهات قرآنية بين قصة يحيى بن زكريا وقصة إسحاق بن إبراهيم:

- <u>أم يحيى وأم إسحاق:</u> يقول القرآن إن أم يحيى كانت "عَاقِرًا (أي: لا تلد)" (مريم 5، 8) (آل عمران 40)، ويقول القرآنُ أيضاً إن أم إسحاق "عَقِيمٌ (أي: لا تلد)" (الذاريات 29)، ولا توجد امرأة ثالثة وصفها القرآنُ بهذا الوصف: عاقر = عقيم. صدفة؟!

- <u>أبو يحيى وأبو إسحاق:</u> يقول القرآن إن زكريا "قَالَ رَبِّ [...] إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ" (آل عمران 38)، ويقول القرآنُ أيضاً إن إبراهيم قَالَ "إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ" (إبراهيم 39)، ولم تُذكَر عبارة "سَمِيعُ الدُّعَاءِ" في القرآن كله إلا في هاتين الآيتين فقط: على لسان زكريا أبي يحيى (آل عمران 38) وعلى لسان إبراهيم أبي إسحاق (إبراهيم 39). صدفة؟! وحسب القرآن، طلب زكريا من الله علامةً تدل على أن امرأته العاقر ستلد له "ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً" أي ابناً يرثه: "قَالَ [زكريا] رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً (أي:

علامةً) [...]" (آل عمران 41) (مريم 10). ولم تأتِ عبارة "رَبِّ اجْعَل" على لسان شخص آخر في القرآن إلا على لسان إبراهيم: "قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ [...]" (إبراهيم 35) (البقرة 126) "رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي [...]" (إبراهيم 40). وحسب التوراة، طلب إبراهيمُ من الله علامةً على أنه ونسله سيرثون أرض كنعان: "فَقَالَ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، بِمَاذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَرِثُهَا؟»" (التكوين 8:15) **[⟵ حوَّل القرآنُ العلامة المطلوبة من علامة قومية إلى علامة دينية، فجعل إبراهيمَ يطلب من الله علامةً على القيامة (إحياء الموتى)! "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ [...]" (البقرة 260)(4465)]**.

- يحيى وإسحاق: وكذلك لا يوجد نبي ثالث وصفه القرآنُ بعبارة "نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ"، إذ لم تُذْكَر عبارة "نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" في القرآن كله إلا مرتين فقط: يحيى "نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" (آل عمران 39) وإسحاق "نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" (الصافات 112). صدفة؟! وكلتاهما بشارة إلهية. صدفة؟! وطبعاً هذه التشابهات القرآنية لم تأتِ من فراغ، وإنما لها جذور كالعادة في التراث اليهودي/المسيحي الذي ربط صراحةً أو ضمنياً بين إبراهيم وامرأته وابنه إسحاق وبين زكريا وامرأته وابنه يوحنا (يحيى). مثلاً: إسحاق هو أول مَن خُتِنَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ في العهد القديم (التكوين 4:21)، ويوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) هو أول مَن خُتِنَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ في العهد الجديد (لوقا 59:1).

فكل هذه الأدلة من داخل القرآن نفسه (internal evidence) لا يمكن أن تكون مجرد صدفة. وإنما تؤكد أن حالة يحيى بن زكريا (آل عمران 39) هي نفسها حالة إسحاق بن إبراهيم (الصافات 101، 112): أكثر من بشارة تتحدث عن نفس الشخص؛ البشارة الأولى بميلاده والبشارة الأخيرة بنبوته.

وبعد ذلك مباشرةً، بارك القرآنُ إسحاقَ وإبراهيمَ: "وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ" (الصافات 113)، وكل ذلك تَكْرِمةً من الله ومكافأةً لهما على النجاح فى الامتحان بذبح إسحاق. فلو كان الذبيح هو إسماعيل، فلماذا لم يباركه القرآنُ صراحةً؟! ولماذا لم يذكره القرآنُ بالاسم كما ذكر اسمَ إسحاق مرتين (الصافات 112-113)؟! بل لماذا لم تذكر سورةُ الصافات إسماعيلَ نهائياً؟! فيجب هنا أن نشير إلى أن سورة الصافات ذكرت ثمانية أنبياء بأسمائهم: نوح وإبراهيم وإسحاق وموسى وهارون وإلياس ولوط ويونس. فلو كان الذبيح هو إسماعيل، ألم يكن يستحق أن تذكر السورةُ اسمَه وتُسلّم عليه أو تباركه مع هؤلاء الأنبياء؟!

وإنْ قلتم إن سورة الصافات لم تذكر أن سارة سمعت هذه البشارة بميلاد إسحاق "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الصافات 101). فسنقول إن هذا ليس غريباً على القرآن، بل إنه يُذكِّرنا بـ (الحجر 51-56) التى بشَّرت إبراهيم بميلاد إسحاق مع عدم ذِكر سارة أيضاً. أما البشارة التى سمعتها سارة فهى تلك المذكورة صراحةً في سورتي هود والذاريات: "وَامْرَأَتُهُ (أي: سارة امرأة إبراهيم) قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ" (هود 71) و "قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ (أي: فى صيحة) فَصَكَّتْ وَجْهَهَا (أي: فضربت وجهها بيدها) وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ" (الذاريات 28-29).

باختصار: كل موضع ذكر فيه القرآنُ تبشير إبراهيم بِغُلَامٍ، فإنما هو تبشير بإسحاق وليس بإسماعيل. ولا يوجد أي موضع في القرآن كله ذكر تبشير إبراهيم بإسماعيل. وبما أن الذبيح هو غلام البشارة "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الصافات 101)، إذن الذبيح هو إسحاق.

وإذا نظرنا إلى التوراة فسوف نجد أيضاً بشارة بإسحاق لإبراهيم فقط ولم تسمعها سارة (التكوين 17)، وبشارة أخرى بإسحاق لإبراهيم وسمعتها سارة (التكوين 18). ومن المفيد هنا أن نذكر الترتيب الزمني لكل الأحداث الهامة فى القصة كما جاءت فى سفر التكوين[4466]:

- إبراهيم (أبرام) يتزوج سارة (سَارَاي) (التكوين 11:29).

- دعوة إبراهيم أو الوعد الإلهي لإبراهيم وهو أول مرة يتحدث فيها الرب لإبراهيم (أبرام) قال له: "وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (التكوين 12:3). قد يبدو كلامُ الرب غامضاً ولكن سنعرف المقصود بعد قليل.

- الرب يقول لأبرام أكثر مِن مرة أنه سيعطيه نسلاً: (التكوين 12:7) (التكوين 13:15-16). مش أي نسل وخلاص. وإنما النسل الذي سيرث أرضَ كنعان ميراثاً أبدياً: "«لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ»" (التكوين 12:7) "لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ" (التكوين 13:15). [وكما سنرى فيما بعد، فإن المقصود بالـ "نَسْل" هو إسحاق الذي استقر في كنعان ولم يخرج منها أبداً، بل نهاه اللهُ أن يخرج منها (التكوين 26:1-6)؛ وليس إسماعيل الذي خرج من كنعان مطروداً بموافقة الله حتى لا يرث مع إسحاق (التكوين 21:9-12).]

- ظل أبرام ينتظر تحقيق هذا الوعد الإلهى، لكنه لم يتحقق، فقال أبرام للرب: "إِنَّكَ لَمْ تُعْطِنِي نَسْلاً" (التكوين 15:3). فرد عليه الرَّبُّ قائلاً: "«انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا». وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». فَآمَنَ [أبرامُ] بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا" (التكوين 15:5-6). نؤكد هنا أن سَارَاي ظلت هى الزوجة الوحيدة لأبرام أثناء سماعه هذا الوعد الإلهى أكثر من مرة.

- سَارَاي – وليس الله – هى التى اقترحت على أبرام أن يتزوج هاجر لينجب منها. وافق أبرام على هذا الاقتراح، ربما ظناً منه أن هذه هى الوسيلة لتحقيق الوعد الإلهى. هاجر تحمل، ثم تلد إسماعيل بن أبرام (التكوين 16:1-16).

- الله يُغيِّر اسمَ أبرام إلى إبراهيم: "فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ" (التكوين 17:5). وتغيير الاسم نقطة تحوُّل مهمة لأنه يعني بداية مرحلة جديدة.

- الله يُبشِّر إبراهيم بميلاد إسحاق ويؤكد لإبراهيم بكل وضوح أن المولود الجديد إسحاق هو الذي سيحقق الوعد الإلهي وليس إسماعيل. كانت هذه البشارة لإبراهيم فقط ولم تسمعها سارة: "وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «سَارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايَ، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ. وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا.

أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَمًا، وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ». فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟». وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ِللهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!». فَقَالَ اللهُ: «**بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ**. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. **وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ**»" (التكوين 17:15-21). نلاحظ هنا أن الله سيقيم عهدَه "الأبدي" مع إسحاق ومع نسله مِن بعده. أما إسماعيل فسيباركه الله مِن جهة العدد فقط.

- بشارة أخرى بإسحاق لإبراهيم وكانت سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ، وهذه هي قصة الزوار الثلاثة (التكوين 18:1-15) والتى تحدثنا عنها سابقاً، فلا داعى لتكرارها.
- ميلاد إسحاق وفِطامه (التكوين 21:1-8).
- طرد الجارية هاجر وابنها إسماعيل (التكوين 21:9-21). قال الله لإبراهيم ليلة طرد هاجر وإسماعيل: "بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (التكوين 21:12). صحيح أن الله قال له بعدها: "وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ" (التكوين 21:13)، لكن كما قلنا مِن قبل: المقصود هنا هو الكثرة العددية فقط. اقرأ (التكوين 16:10) (التكوين 17:20). إذن: منذ يوم طرد هاجر وابنها إسماعيل "ابْنِ الْجَارِيَةِ"، لَمْ يَرَ إبراهيمُ إسماعيلَ بعد ذلك، فأصبح إسحاق ابن سارة الحرة هو بالفعل "الابن الوحيد" لإبراهيم.
- قصة الذبيح وهو إسحاق الابن الوحيد لإبراهيم (التكوين 22:1-18). انتهت هذه القصة بقسمٍ من الرب لإبراهيم: "وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ (أي: في إسحاق) جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ" (التكوين 22:18).
- موت سارة وهى المرأة الوحيدة التى يذكر الكتاب المقدس عمرها عند موتها (التكوين 23:1-2).
- موت إبراهيم (التكوين 25:7-8)، "وَدَفَنَهُ إِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنَاهُ" (التكوين 25:9)، "وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ اللهَ بَارَكَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ" (التكوين 25:11). نلاحظ هنا أن الله لم يبارك إسماعيل على الرغم مِن وجوده أثناء دفن إبراهيم.
- الرَّبُّ يبارك إسحاق ويقول له نفس الوعد الذى قاله لإبراهيم فى نهاية قصة الذبيح: "وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ" (التكوين 26:4). نلاحظ أن الله لم يقل أبداً هذا الوعد لإسماعيل. كل ما سبق يؤكد أن إسحاق – وليس إسماعيل – هو ابن الموعد الذى وعد اللهُ به إبراهيمَ أن يَتَبَارَكُ فِي نَسْلِه جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْض.
- الرَّبُّ يبارك يعقوب (إسرائيل) بن إسحاق ويقول له ما قاله مِن قبل لأبيه إسحاق ولجده إبراهيم: "وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (التكوين 28:14).

وأخيراً فى العهد الجديد نعلم أن يسوع المسيح ابن إسرائيل بن إسحاق هو المقصود بنسل إبراهيم الذى تَتَبَارَك فِيه جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، أى جميع الأمم (Gentiles) (goyīm) وليس فقط بنى إسرائيل (يعقوب). يقول بطرس الرسول: "«أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، [...] إِنَّ إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، إِلهَ آبَائِنَا، مَجَّدَ فَتَاهُ يَسُوعَ (الترجمة الأكثر دقة: عَبدَه يَسُوعَ[4467]؛ باليونانية: paida)، [...]. [...] أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الأَنْبِيَاءِ، وَالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ بِهِ اللهُ آبَاءَنَا قَائِلاً لإِبْراهِيمَ: وَبِنَسْلِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. إِلَيْكُمْ أَوَّلاً، إِذْ أَقَامَ اللهُ فَتَاهُ يَسُوعَ (أي: عَبدَه يَسُوعَ)، أَرْسَلَهُ يُبَارِكُكُمْ بِرَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْ شُرُورِهِ»" (أعمال الرسل 3:12-26). ويقول بولس الرسول: "وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ». [...] لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، [...]. [...] وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ: «وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ" (غلاطية 3:8-16). ولذلك فإن يسوع المسيح ابن إبراهيم يستحق بالفعل لقب "إسحاق الحقيقي"، وسنشرح الآن هذا اللقب بقدر أكبر من التفصيل ...

4.17.3.3 الحُجة الثالثة: نسل إسحاق

حاول فريقٌ من المسلمين التشكيك فى أن الذبيح هو إسحاق قائلين إن الله بَشَّر بأن إسحاق سيكون له نسل. نجد هذا فى التوراة حين قال الله لإبراهيم: "سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ" (التكوين 17:19)، ونجده أيضاً فى القرآن: "وَامْرَأَتُهُ (أي: سارةُ امرأة إبراهيم) قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" (هود 71). سؤالهم: إذا كان الله قد بَشَّر بأن إسحاق سيكون له نسل، فكيف يأمر إبراهيمَ بعد ذلك بذبح إسحاق قبل أن يُولَد له ولد؟!

بصراحة ملاحظة جيدة وسؤال وجيه.

الإجابة: إذا قرأنا قصةَ الذبيح جيداً سواء في التوراة أو في القرآن، فسنلاحظ أن إبراهيم لم يسأل الله هذا السؤال، بل لم يسأله أى سؤال على الإطلاق، ولم يجادله كما جادله مِن قبل فى شأن قوم لوط: فى التوراة (التكوين 18:22-33) وفى القرآن (هود 74-76) (العنكبوت 31-32). فهذا يشير إلى أن إبراهيم كان مؤمناً إيماناً راسخاً بأن الله الذى وهبه إسحاق على الرغم من شيخوخته وعقم امرأته لن يسمح بموت إسحاق. وهناك أدلة على ذلك في التوراة وأيضاً في القرآن.

الدليل الأول: الفترة الزمنية التى مرت مِن أمر الله لإبراهيم أن يُقدِّم ابنه ذبيحة إلى إقدام إبراهيم على تنفيذ الأمر هى ثلاثة أيام: "وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، [...]. فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ، [...]. وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ، [...]" (التكوين 22:1-4). فمِن المؤكد أن إبراهيم ظل يفكر فى هذا الأمر طوال هذه الأيام الثلاثة، وهى فترة كافية جداً لرجل فى إيمان إبراهيم أن يعرف قصد الله مِن هذا الْبَلاَء الْمُبِين. وحتى إذا نظرنا إلى القرآن، فسنجد أن أصحاب القرآن

قد استخدموا الفعل المضارع "أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ" (الصافات 102) وليس الماضي "رأيتُ فِي الْمَنَامِ"، مما يدل على أن إبراهيمقد رأى هذه الرؤيا مرّة بعد مرّة وأنه بالتأكيد ظل يفكر فيها لفترة زمنية معينة، قيل إنـها أيضاً ثلاثة أيام[4468].

الدليل الثاني: قال إبراهيمُ لِغُلاَمَيْهِ – أي لخادميه: "اجْلِسَا أَنْتُمَا ههُنَا مَعَ الْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ (أي: ابنه إسحاق) فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجعُ إِلَيْكُمَا" (التكوين 5:22). استخدم إبراهيم هنا ضمير الجمع "نَذْهَبُ"، "نَسْجُدُ"، "ثُمَّ نَرْجعُ إِلَيْكُمَا"؛ وهذا يؤكد أن إبراهيم كان واثقاً أن ابنه إسحاق سيجتاز هذه التجربة ويعيش ويرجع معه حياً.

الدليل الثالث: لمَّا سأل إسحاق أباه إبراهيم قائلاً: "هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟" (التكوين 7:22)، ردَّ إبراهيم عليه قائلاً: "اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي" (التكوين 8:22). وهذا أيضاً يؤكد أن إبراهيم كان متيقناً أن وعد الله حق وأن الله لن يخلف وعده أبداً وأن الله سيُقدِّم بديلاً عن إسحاق – وهو ما حدث بالفعل حين "رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ" (التكوين 13:22).

نستنتج مما سبق أن إبراهيم المؤمن البار الذي "آمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا" (التكوين 6:15) كان يعلم جيداً أن الرب الإله الذي وعده أنه سيقيم عهدَه "الأبدي" مع إسحاق ومع نسله مِن بعده هُو هُو نفسه الرب الإله الذي لن يسمح أبداً بموت إسحاق قبل أن يُولَد له ولد. إذن: أمرُ الله لإبراهيم بذبح ابنه إسحاق قبل أن يُولَد له ولد (التكوين 2:22) لم يكن أمراً غريباً فى نظر إبراهيم، وبالتالى فهو ليس غريباً فى نظرنا.

ومن الجدير بالذكر أن العهد الجديد قد ألقى ضوءاً هاماً على هذه القصة التوراتية: "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ (باليونانية: monogenes) الَّذِي قِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا، الَّذِينَ مِنْهُمْ أَخَذَهُ أَيْضًا فِي مِثَال" (العبرانيين 11:17-19). المقصود هنا هو أن إبراهيم آمن بأن الله قادر على إقامة إسحاق مِن الموت، وأن إسحاق سوف يرجع حياً حتى لو مات. وعلى الرغم من وجود بعض التفاسير اليهودية التي تقول إن إسحاق ذُبِحَ فعلاً فمات ثم قام من الأموات[4469]، فإننا حتى إذا تجاهلنا تلك التفاسير والتزمنا بالتفسير السائد الذي يقول إن إسحاق لم يمت، فإنه يمكننا أن نقول – على الأقل بصورة مجازية أو رمزية – إن إسحاق قد رجع من هذه التجربة قائماً مِن الأموات. صحيح أن إسحاق لم يمت. لكن حُكِمَ عليه بالموت على حَطَبِ الْمُحْرَقَةِ (التكوين 2:22)، وحمل حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ على كتفه (التكوين 6:22)، ورُبِطَ على خشب الحطب (التكوين 9:22)، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ (التكوين 4:22) رجع حياً.

وفى هذا السياق، نذكر الرأي الذي يقول إن عبارة "ابْنَكَ وَحِيدَكَ" التى أشارت ثلاث مرات إلى الابن الذبيح فى التوراة (التكوين 2:22، 12، 16) تعني "وحيد في نوعه" (one of a kind) أو "فريد" (unique) أو "مونوجينيس (أي: وحيد الجنس)" (monogenes) (monogène). يعني: وحيد في

الكيف (quality) وليس في الكم (quantity). لكن لماذا يكون إسحاقُ فريداً فى نوعه؟ الإجابة: لأن إسحاق هو الابن الوحيد (باليونانية: monogenes في (العبرانيين 17:11)) الذي وُلِد لإبراهيم بحسب وعد الله، أي أنه وحيد من حيث هبة الله إياه، وكأن إسحاق ليس ابن إبراهيم بل ابن الله. ويكون بذلك إقدام إبراهيم على ذبح ابنه الوحيد إسحاق المربوط عَلَى خشب الْحَطَبِ ثم الفداء بذبح كبش عِوَضًا عَنِ إسحاق فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ هو رمز (typology) لموت يسوع المسيح ابن الله الوحيد (باليونانية: monogenes في (يوحنا 14:1، 18:1؛ 16:3، 18:3)) المعلَّق على خشبة الصليب عِوَضًا عَنِ العالم كله ثم قيامة المسيح من الأموات فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. "إلهُ رَبِّنَا (أي: سيدنا؛ معلِّمنا؛ مولانا) يَسُوعَ الْمَسِيحِ [...] أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أفسس 1:17-20) "أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ" (أعمال الرسل 40:10). "الله الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْدًا، حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ" (1 بطرس 21:1) "الله الآب الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (غلاطية 1:1).

ومِن الكتابات المسيحية الشهيرة في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد (أي: قبل الإسلام)، نذكر على سبيل المثال ما يلي. يقول القديس أغسطينوس (Augustine) (ت. 430م): "حمل إسحاقُ الخشب الذى يقدم عليه محرقة إلى موضع الذبيحة كما حمل المسيح صليبه"[4470]:

And on this account Isaac carried the wood on which he was to be offered up to the place of sacrifice, just as the Lord Himself [i.e. Jesus] carried His own cross. Finally, since Isaac himself was not killed – for his father had been forbidden to kill him – who was that ram which was offered instead, and by whose foreshadowing blood the sacrifice was accomplished? For when Abraham had caught sight of him, he was caught by the horns in a thicket. Who then did he represent but Jesus, who, before He was offered up, had been crowned with thorns? – Augustine, *City of God* 16, 32

والقديس أغسطينوس يشير هنا إلى الإنجيل الذي يؤكد أن المسيح حمل صليبه: "فخرجَ [يسوعُ] وهو حامِلٌ صَليبَهُ [...]" (يوحنا 17:19). يقول الأب متى المسكين تعليقاً على هذه الآية الإنجيلية المهمة: "أمَّا حمله الصليب، فهو الموازي في أعمال النبوَّة لحمل إسحاق حطب المحرقة"[4471].

ويقول القديس جيروم (Jerome): "إسحاق فى استعداده للموت حمل صليب الإنجيل قبل مجىء الإنجيل"[4472]. ويقول القديس إفرام السرياني (Ephraem) في أعماله المتنوعة[4473]:

[…] Sarah had lulled Isaac, who as a slave [cf. Genesis 22:6] bare the Image of the King his Master on his shoulders, even the sign of His Cross; yea, on his hands were bandages and sufferings, a type of the nails. […]

[…] In the five-and-twentieth year let Isaac give thanks to the Son [i.e. Jesus] – Who in the mount saved him from the knife, – and became in his stead the lamb to be slain. The mortal escaped, and He died Who gives life to all; blessed be His offering!
[…] In the ram, which was hanging from the tree and was sacrificed as an offering in place of Abraham's son, was prefigured the time of [Jesus], who was hung from a tree (= crucified) like the ram and tasted death for the sake of the whole world. […]

وبذلك يكون يسوع المسيح هو "إسحاق الحقيقي" وهو أيضاً "حَمَل اللهِ"، أي أننا نرى المسيحَ في إسحاق والكبش معاً. نراه في إسحاق لأنه مِثل المسيح حمل الصليب وصُلِب ثم قام من الأموات فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، ونراه في الكبش لأنه يرمز إلى موت المسيح فداءً لنا. اقرأ الآيات التالية:

- "وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ، فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!" (يوحنا 29:1).

- "وَفِي الْغَدِ أَيْضًا كَانَ يُوحَنَّا وَاقِفًا هُوَ وَاثْنَانِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، فَنَظَرَ إِلَى يَسُوعَ مَاشِيًا، فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ!» " (يوحنا 1:35-36).

- "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ (أي: الإنسانية كلها؛ اليهود وغير اليهود) حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ (أي: الفريد والْوَحِيد مِن نوعه وهو الإنسان يسوع المسيح[4474]) لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ" (يوحنا 3:16-18).

- "إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟ اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ (يقصد: ابْنِهِ يسوع المسيح)، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" (رومية 8:31-32). ويجب هنا أن نلاحظ أن عبارة "لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ (did not spare His own son)" منقولة من الترجمة اليونانية (السبعينية) لـ (التكوين 22:12، 16)، مما يؤكد أن بولس الرسول أراد أن يوضح العلاقة الرمزية (typological) بين عقادة إسحاق وصليب يسوع المسيح[4475].

- "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مرقس 10:45).

- "وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ. بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. [...] أَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (1 يوحنا 4:8-10).

- "وَالْكَلِمَةُ (أي: كلمةُ الله الخالِق؛ لِيَكُنْ؛ كُن) صَارَ جَسَدًا (flesh) (أي: صار بَشراً؛ خَلَقَ إنساناً؛ هو: يسوع المسيح) وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يوحنا 14:1).

- "اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يوحنا 18:1).

- قال يسوع المسيح لليهود: "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ" (يوحنا 56:8).

- أطاع إسحاقُ الموتَ ولم يعترض أو يُقاوِم. كذلك "وَضَعَ" يسوعُ المسيح "نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فيلبي 8:2) "فَتَذَلَّلَ [عبدُ الله] وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إشعياء 7:53) "مِثْلَ شَاةٍ سِيقَ [يسوعُ المسيح] إِلَى الذَّبْحِ، وَمِثْلَ خَرُوفٍ صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجُزُّهُ هكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (أعمال الرسل 32:8).

- إسحاق بن إبراهيم حُكِم عليه بالموت، لكنه رجع حياً في اليوم الثالث. يسوع المسيح ابن إبراهيم مات فعلاً، لكنه قام من الأموات في اليوم الثالث. فلقد صُلِب يسوعُ المسيح وتألَّم ومات وقُبِرَ ثم "أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ" (رومية 9:6، 4:7) "أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 15:3) "أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 10:4) كما "سَبَقَ [لداود النبي] فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ: أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا (أي: لَمْ يَرَ جَسَدُهُ فَسَادًا في قبره، بل اتحد جَسَدُهُ النوراني بروحه فَقَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ). فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذلِكَ" (أعمال الرسل 31:2-32) "أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ" (أعمال الرسل 24:2). صُلِبَ يسوعُ المسيح ومات ودُفِنَ "وَلكِنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 30:13). "الله أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (رومية 9:10). "أَقَامَهُ [اللهُ] مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 34:13، 31:17) (كولوسي 12:2) (1 تسالونيكي 10:1). "شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ" (1 كورنثوس 15:15). "أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ (أي: بقوة الآب)" (رومية 4:6). "الله الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْدًا، حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ" (1 بطرس 21:1). "الله الآب الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (غلاطية 1:1)؛ "إِلهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ (أي: اليهود) قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ" (أعمال الرسل 30:5)؛ "إِلهُ رَبِّنَا (أي: سيدنا؛ معلِّمنا؛ مولانا) يَسُوعَ الْمَسِيحِ [...] أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أفسس 17:1-20)؛ "إِنَّ إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، إِلهَ آبَائِنَا، مَجَّدَ فَتَاهُ يَسُوعَ (الترجمة الأكثر دقة: عَبدَه يَسُوعَ[4476]؛ باليونانية: paida)، [...]، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذلِكَ" (أعمال الرسل 13:3-15). "اللهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبَّ [يَسُوعَ]، وَسَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ" (1 كورنثوس 14:6). "أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ" (أعمال الرسل 40:10). "فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ" (متى 21:16، 23:17، 19:20) (مرقس 34:10) (لوقا 22:9، 33:18، 7:24). "قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ" (1 كورنثوس 4:15).

- "لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ [الذي فداكَ أنت شخصياً بموته الكفّاري على الصليب]، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ" (رومية 9:10). فَكُنْ مؤمناً "بِمَنْ (أي: بالله الذي) أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ. الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا (أي: صُلِبَ يَسُوعُ ومات فداءً لنا ونيابةً عنا وبدلاً مِنَّا ليكفّر عن خطايانا) وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا (أي: أقامه اللهُ مِن الأموات ليخلِّصنا من الموت ويقيمنا معه إلى الحياة الأبدية)" (رومية 4:24-25). إنه "يَسُوع الْمَسِيح النَّاصِرِيّ [...] الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ [...] الَّذِي صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أعمال الرسل 4:10-12). ولذلك قال يَسُوعُ المسيح: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ [الوحيد] وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ (أي: إلى الله) إِلاَّ بِي" (يوحنا 6:14).

باختصار: أرسل اللهُ ابنَه الوحيد يسوع المسيح البار ليُسفَك دمه كذبيحة بلا خطيئة ويموت طوعاً على الصليب نيابةً عنا وبدلاً منا وفداءً لنا حتى ننتصر نحن على الموت الأبدي الذى نستحقه بسبب خطايانا ونحيا بموته الفدائي وقيامته حياة أبدية[4477].

نعتقد أنه أصبح الآن واضحاً لكل ذى عقلٍ مُنصِف أن قصة الذبيح اليهودية/المسيحية أكثر تماسكاً (more coherent) مِن القصة الإسلامية. ومَن يعترض على ذلك، فما عليه إلا أن يعطينا مخطوطة واحدة لسفر التكوين تؤيد الرواية الإسلامية!

ويبدو لنا أن صاحب (الصافات 99-113) كان متأثراً – ربما دون أن يقصد – بالتراث اليهودى/المسيحى. وذلك يتضح مِن ثلاث نقاط:

- أولاً: لم يذكر اسمَ الذبيح. لأنه يعلم أن المعهود الذهني (أي: المعروف في ذهن المُخاطَب) هو أنه "إسحاق".
- ثانياً: استخدم كلمة "وَفَدَيْنَاهُ" (الصافات 107)، وهي المرة الوحيدة في القرآن كله التي يُذكَر فيها هذا الفعل ويكون الفاعل هو "الله". يبدو إذن أن صاحب (الصافات 99-113) قد سمع عن العلاقة الرمزية بين قصة الذبيح إسحاق وعقيدة الفداء والخلاص (Redemption and Salvation) الذي أتمه يسوع المسيح (ابن الله) ابن إسحاق (أي: من نسل إسحاق).
- ثالثاً: وضع قصة الذبيح فى سورة الصافات. وهو اختيار موفق جداً لسببين:
  - سورة الصافات تتحدث عن الـ (Salvation History)، أى: تاريخ "الخلاص" (أو: بالتعبير القرآنى "النجاة" Deliverance). اقرأ الآيات التالية ولاحظ أن الفاعل دائماً هو الله: "وَنَجَّيْنَاهُ (أى: نَجَّيْنَا نوحاً) وَأَهْلَهُ" (الصافات 76)، "وَنَجَّيْنَاهُمَا (أى: نَجَّيْنَا موسى وهارون) وَقَوْمَهُمَا" (الصافات 115)، "نَجَّيْنَاهُ (أى: نَجَّيْنَا لوطاً) وَأَهْلَهُ" (الصافات 134). وهى أيضاً السورة الوحيدة فى القرآن كله التى ذكرت "عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ" خمس مرات: الآيات 40، 74، 128، 160، 169. مَن هُمْ "عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ"؟ إنهم الذين "لَهُمْ رِزْقٌ

مَعْلُومٌ [...] فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ" (الصافات 41-43). أي إنهم "الْمُخْلَصِينَ" (who will be saved).

- سورة الصافات تذكر ثمانية أنبياء (نوح وإبراهيم وإسحاق وموسى وهارون وإلياس ولوط ويونس)، وكلهم شخصيات كتابية (Biblical figures). فى المقابل، لم تذكر سورة الصافات أي نبي عربي غير كتابي (مثل: هود وصالح وشعيب)! فلا يوجد أى احتمال أن يكون الذبيح هو إسماعيل (أبو العرب).

كل هذه الأدلة مِن التراث اليهودى/المسيحى ومِن القرآن نفسه تؤكد أن صاحب قصة الذبيح القرآنية (الصافات 99-113) كان يقصد "إسحاق" (أبو إسرائيل) وليس "إسماعيل" (أبو العرب).

وفي ضوء هذه العلاقة المهمة بين الذبيح إسحاق والمسيح الذبيح، هل يمكن لنا أن نفسر "وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ" (الصافات 107) تفسيراً جديداً؟ فمما لا شك فيه أن ضمير الغائب المفعول به في "وَفَدَيْنَاهُ" يعود على إسحاق بن إبراهيم (ابنه بالجسد)، لكننا نرى أنه في الوقت نفسه يشير إلى ابن إبراهيم بالإيمان، أي: كل مسيحي يؤمن بالفداء والخلاص. "فَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ" (الصافات 107) أي: فَدَيْنَا ابنَ إبراهيم (أي: ابنَه بالإيمان؛ كُلَّ مسيحي) بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ليُذبَح بديلاً عنه وليكفِّر عن كُلِّ خطاياه (Redemptive Death) (Atoning, Substitutionary Death) (Vicarious Atonement). وهذا الذِبْح العظيم هو بكل تأكيد سيد الخلق يسوع المسيح ابن الله الفريد، فلا نستطيع أن نتخيل ذِبحاً أعظم منه. "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا 3:16).

4.17.3.4 الحُجة الرابعة: الابن البكر

آخر حُجة نناقشها هي ما يقوله فريقٌ من المسلمين أن "إنجيل برنابا" يقول إن الذبيح هو "الابن البكر" لإبراهيم – أى إسماعيل[4478].

الرد: هذا قولٌ لا يُلتفَت إليه لأن المسيحيين – بل والمسلمين أنفسهم – لا يعترفون بهذا الكتاب المزور المُسمَّى "إنجيل برنابا" الذي كُتِب فى القرن الخامس عشر الميلادي أو السادس عشر الميلادي – أي بعد ظهور الإسلام بمئات السنين، وبالتالي فهو ليس حُجة ولا يستحق التعليق أو الرد[4479].

لكن نرد على ما يقوله بعضُ المسلمين إن إسماعيل هو "الابن البكر" لإبراهيم ولذلك فإن الأمر بذبحه أبلغ فى الابتلاء والاختبار لأنه أَحَبُّ إلى والده ممن يولد بعده.

الرد: هذا كلام يثير الضحك ويمكن الرد عليه بسهولة بأن نقول إن إسحاق كان "آخر العنقود" حين حدثت هذه القصة، ولذلك فإن الأمر بذبحه أبلغ فى الابتلاء والاختبار لأنه أَحَبُّ إلى والده ممن يولد قبله!

وإذا دققنا النظرَ في القصة القرآنية، فسنجد أن إبراهيم حين نادى ابنَه قد استخدم صيغة التصغير، فلم يقل "يَا ابْنِي" وإنما قال "يَا بُنَيَّ (O my little son)" (الصافات 102)، ولعل في ذلك إشارة خفية إلى أن المقصود هو الابن الأصغر، أي: إسحاق. وإنْ قلتم إن صيغة التصغير هنا لا تدل بالضرورة على السن وإنما تدل على المحبة. فسنقول: المحبة لا تتعارض مع كَوْن إسحاق هو المقصود. فلقد قَالَ اللهُ لإبراهيم حسب القصة التوراتية الأصلية: "خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، **الَّذِي تُحِبُّهُ**، إِسْحَاقَ، [...]" (التكوين 2:22).

نقطة أخرى: لماذا نصر على تفسير "الابن البكر" بمعنى واحد فقط وهو المولود الأول للأب؟ صحيح أن "الابن البِكر" قد يعنى المولود الأول للأب، كما قالت التوراة: "بِكْر فِرْعَوْنَ" (الخروج 5:11). لكنه قد يعنى أيضاً المولود الأول للأم (الرَحِم)، كما قالت التوراة فى نفس الآية: "بِكْرِ الْجَارِيَةِ الَّتِي خَلْفَ الرَّحَى" (الخروج 5:11). وتقول التوراة فى شريعة "تكريس الأبكار" (Consecration of the Firstborn) أيضاً: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ (first-born)، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ (womb) مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي»" (الخروج 13:1-2). فوصف "البكر" بعبارة "فَاتِحِ رَحِمٍ" يدل على أنه المولود الأول للأم. أو كما قال الإنجيل عن يسوع المسيح (إسحاق الحقيقى) ابن مريم البِكر (Mary's Firstborn Son) "فَوَلَدَتِ [مريمُ] ابْنَهَا الْبِكْرَ" (لوقا 2:7) الذي قُدِّمَ للرب بموجب شريعة تكريس الأبكار اليهودية: "وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ. وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا (أي: بعد 40 يوماً)، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى (يقصد: اللاويين 12)، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ" (لوقا 2:21-23).

ومن الأدلة التوراتية أيضاً على أن الابن البكر هو المولود الأول للأم (الرَحِم): شريعة زواج الأخ بأرملة أخيه (Levirate Marriage): "إِذَا سَكَنَ إِخْوَةٌ مَعًا وَمَاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ، فَلاَ تَصِرِ امْرَأَةُ الْمَيْتِ إِلَى خَارِجٍ لِرَجُلٍ أَجْنَبِيٍّ. أَخُو زَوْجِهَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا وَيَتَّخِذُهَا لِنَفْسِهِ زَوْجَةً، وَيَقُومُ لَهَا بِوَاجِبِ أَخِي الزَّوْجِ. وَالْبِكْرُ الَّذِي تَلِدُهُ يَقُومُ بِاسْمِ (أي: يحمل اسمَ) أَخِيهِ الْمَيْتِ، لِئَلاَّ يُمْحَى اسْمُهُ مِنْ إِسْرَائِيلَ" (التثنية 25:5-6). إذن: كان البكر المولود يُنْسَب للأخ الْمَيْتِ لأنه بكر الأم، حتى لو لم يكن بكر الأخ الحي (أبيه الحقيقي).

إذن: نحن نميل إلى تفسير "الابن البكر" بمعنى أنه المولود الأول للأم (الرَحِم). وكل اليهود وكل المسيحيين وكل المسلمين متفقون جميعاً على أن إسحاق هو الابن البِكر لسارة. أما إسماعيل فلا ندري إن كان الابن البكر لهاجر أم لا. أي: ليس لدينا دليل قاطع على أن إسماعيل هو الابن البكر لهاجر. بل من شبه المؤكد أن إسماعيل ليس هو الابن البكر لهاجر؛ لأن سارة ما كانت لتعطي هاجرَ لإبراهيم ليدخل عليها وتلد لولا أنها على يقين أن هاجر تستطيع الإنجاب، أي أن هاجر أنجبت قبل ذلك.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن الابن البِكر هو المولود الأول للأب، فيجب أن نلاحظ أن إسماعيل لم يكن الابن البكر لإبراهيم، وإنما كان الابن البكر لأبرام. وذلك لأن إسماعيل وُلِدَ قبل تغيير اسم الأب مِن "أبرام"

إلى "إبراهيم". "فَوَلَدَتْ هَاجَرُ لأَبْرَامَ ابْنًا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرُ «إِسْمَاعِيلَ». كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ" (التكوين 16:15-16). وبعد ذلك بـ 13 سنة، تغيَّر اسمُ الأب إلى "إبراهيم": "وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: [...] فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ" (التكوين 17:1-5). وبعد ذلك بسنة على الأقل، وُلِدَ إسحاق: "وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ" (التكوين 21:5). إذن: إسماعيل هو الابن البكر لأبرام، أما إسحاق فهو الابن البكر لإبراهيم الذي امتحنه اللهُ في قصة الذبيح التوراتية (التكوين 22:1-19). الترتيب الزمني لكل أحداث القصة مهم جداً، ولذلك يتعمد المسلمون تجاهله لأنه ينسف نظريتهم من أساسها.

والأهم من كل ما سبق هو أننا حتى لو افترضنا جدلاً أن الابن البِكر هو المولود الأول للأب، وحتى لو تجاهلنا تغيير اسم الأب مِن "أبرام" إلى "إبراهيم"، فإنه في الديانتين اليهودية والمسيحية، لم يكن الابنُ البكر هو دائماً الابن المُفضَّل أو الابن المختار. والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها مثلاً:

- هابيل لم يكن الابن البكر لأبيه آدم (التكوين 4:1-2)، ويقول عنه الكتاب: "فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ، وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ" (التكوين 4:4-5). قايين (Cain) هو الأخ الأكبر لهابيل (Abel).

- يعقوب (إسرائيل) لم يكن الابن البكر لأبيه إسحاق (التكوين 25:19-26)، ويقول الكتاب إن الرب قال: "أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ" (ملاخي 1:2-3) (رومية 9:13). عِيسُو (Esau) هو الأخ الأكبر ليعقوب (Jacob).

- يوسف لم يكن الابن البكر لأبيه يعقوب (التكوين 35:22-26)، ويقول عنه الكتاب: "وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ (أي: يعقوب) فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لأَنَّهُ ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ" (التكوين 37:3). بل إن سجود الأب يعقوب لابنه يوسف وكذلك سجود إخوة يوسف الكبار ليوسف المذكور في القرآن "وَرَفَعَ [يوسفُ] أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ [يوسفُ لأبيه] يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ(4480) قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا (أي: حقيقةً واقِعَةً)" (يوسف 100) هو خير دليل قرآني على أن معيار السن ليس له قيمة في اختيارات الله والتفضيل الإلهي لشخصٍ على آخر.

- ولمَّا بارك يعقوبُ (إسرائيلُ) حفيديه ابني يوسف، وَهُمَا مَنَسَّى (وهو البِكر) وَأَفْرَايِم (وهو الصغير) "مَدَّ إِسْرَائِيلُ يَمِينَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِ أَفْرَايِمَ وَهُوَ الصَّغِيرُ، وَيَسَارَهُ عَلَى رَأْسِ مَنَسَّى" (التكوين 48:14). "فَلَمَّا رَأَى يُوسُفُ أَنَّ أَبَاهُ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِ أَفْرَايِمَ، سَاءَ ذلِكَ فِي عَيْنَيْهِ، فَأَمْسَكَ بِيَدِ أَبِيهِ لِيَنْقُلَهَا عَنْ رَأْسِ أَفْرَايِمَ إِلَى رَأْسِ مَنَسَّى. وَقَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ: «لَيْسَ هكَذَا يَا أَبِي، لأَنَّ هذَا هُوَ الْبِكْرُ. ضَعْ يَمِينَكَ عَلَى رَأْسِهِ». فَأَبَى أَبُوهُ وَقَالَ: «عَلِمْتُ يَا ابْنِي، عَلِمْتُ. هُوَ أَيْضًا يَكُونُ شَعْبًا، وَهُوَ أَيْضًا يَصِيرُ كَبِيرًا. وَلكِنَّ أَخَاهُ الصَّغِيرَ يَكُونُ أَكْبَرَ مِنْهُ، وَنَسْلُهُ يَكُونُ جُمْهُورًا مِنَ الأُمَمِ». وَبَارَكَهُمَا

فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: «بِكَ يُبَارِكُ إِسْرَائِيلُ قَائِلاً: يَجْعَلُكَ اللهُ كَأَفْرَايِمَ وَكَمَنَسَّى». فَقَدَّمَ أَفْرَايِمَ [الصغير] عَلَى مَنَسَّى [البِكر]" (التكوين 48:17-20).

- اختار اللهُ اللاويين (أي: بني لاوي بن يعقوب) للقيام بواجبات الكهنوت (العدد 3:11-13)، مع أن لاوي لم يكن الابن البكر ليعقوب. ولا نعلم لماذا اختار اللهُ اللاويين بالذات! قيل: ربما جزئياً بسبب تمسكهم بالتوحيد ونبذ الشرك وغيرتهم المقدَّسة في حادثة العجل الذهبي (الخروج 32:26-29)!

- موسى لم يكن الابن البكر لأبيه عَمْرَام (الخروج 7:7). ومع ذلك يقول عنه الكتاب: "وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ" (التثنية 34:10).

- "ناداب" (Nadab) و "أَبيهُو" (Abihu) – ابنا هارون الأكبران. ومع ذلك لم يخترهما الربُّ، بل قتلهما الربُّ حرقاً بالنار عقاباً لهما (اللاويين 10:2) (العدد 26:61)!

- "جدعون" (Gideon) لم يكن الابن البكر لأبيه، بل كان "الأَصْغَر" (the youngest) في بَيْتِ أَبِيه (القضاة 6:15). ومع ذلك اختاره الربُّ ليخلِّص بني إسرائيل من أعدائهم المديانيين الوثنيين وحلفائهم (القضاة 6-8).

- "داود" (David) لم يكن الابن البكر لأبيه يَسَّى (Jesse)، ومع ذلك اختاره اللهُ (1 صموئيل 16:1-13)، ثم جاء المسيحُ مِن نسله (متى 1:1). فعلى الرغم من أنّ داود كان الابن الأصغر، إلا أن الله أنعم عليه بالبكورية: "هُوَ (أي: داود) يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي. أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا (first-born)، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ" (المزامير 89:26-27).

- "سليمان" (Solomon) لم يكن أكبر أبناء داود (1 أخبار الأيام 3:1-9). وحتى حين صار سليمانُ مَلِكاً "لم يكن أكبر أبناء داود الأحياء"[(4481)]، لكنه كان أكثرهم حكمةً وعِلْماً. "وأطلق [داودُ] عليه اسمَ سليمان متمنياً له سلاماً بلا حرب، ولكن الله أعطاه اسمَ يَدِيدِيًّا أي محبوب يهوه (2 صموئيل 12:24-25)"[(4482)].

وهذا كله يؤكد أن الله له معايير أخرى أكثر أهمية من معيار البكورية الذي يريد المسلمون العرب أن يفرضوه على الله!

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس تعليقاً على "لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ يَعْقُوبَ لِذَاتِهِ، وَإِسْرَائِيلَ لِخَاصَّتِهِ" (المزامير 135:4): "لقد اختار اللهُ يَعْقُوبَ لكي يخلصه ويمنح إسرائيلَ الشريعة، لا لخير أو برّ فيه بل من أجل رحمته ونعمته. والاختيار قديم في وعي إسرائيل، ولا ينفصل عن العهد. لكنه كان حادثاً متواصلاً، فكل مرة يعين اللهُ مختاريه بمبادرة خاصة، ليس الوارث الطبيعي هو من سيحمل بركةَ الله (كألعازار أو إسماعيل أو عيسو أو رأوبين) بل من يختاره الله"[(4483)]. ويقول القمص تادرس يعقوب ملطي تعليقاً على هذا النمط الذي يتكرر كثيراً في مواقف كثيرة في الكتاب المقدس: "تفضيل [الابن] الأصغر عن [الابن] الأكبر

كما رأينا في كثير من المواقف إنما كان يشير إلى مجيء آدم الثاني (أي: يسوع المسيح) الذي يحتل البكورية بينما يفقد آدم الأول بكوريته، فالله لا يهمه بكورة الجسد إنما يطلب عمل الروح [...] وفي دراستنا لإنجيل متى البشير رأينا السيد المسيح يأتي من نسل أغلبهم لا يحملون بكورية جسدية"[4484].

اقرأ أيضاً "لأَنَّكَ أَنْتَ [يا شعب إسرائيل] شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ" (التثنية 7:6-8)؛ وكذلك ما قاله "الكتاب اليهودي الدراسي" (Jewish Study Bible) عن نمط تفضيل الابن الأصغر على الابن الأكبر[4485]:

1 Samuel 16.1-13 […] [David's] being chosen, though the youngest and least esteemed of eight brothers, agrees with the biblical motif of the younger being preferred to the elder: Abel to Cain (Gen. 4.2-5), Isaac to Ishmael (Gen. 21.9-13), Jacob to Esau (Gen. 27.28-40), Joseph to Reuben (Gen. 37.3-11; 49.3-4, 22-26). This indicates that not seniority, but suitability, is the decisive factor. The motif of the younger, or youngest son being chosen (as in the patriarchal stories) may reflect Israel's feeling that it was a latecomer on the world scene, much younger than the great surrounding civilizations of Egypt and Mesopotamia.

وحتى إذا نظرنا إلى الكون والطبيعة، فسنجد أن الأرض ليست أكبر كواكب المجموعة الشمسية، ومع ذلك اختارها اللهُ ليحيا عليها الإنسانُ (خليفةُ الله) وليرسل اللهُ إليها الأنبياء والرسل. وكذلك القمر أصغر من الشمس[4486]، ومع ذلك اختاره اللهُ لتحديد بدايات الشهور والأعياد الدينية. يقول سفر المزامير إن الله "صَنَعَ الْقَمَرَ لِلْمَوَاقِيتِ (أي: لِتَحْدِيدِ مَوَاقِيتِ الشُّهُورِ؛ لِتَحْدِيدِ المَوَاسِمِ)" (المزامير 104:19). "هذا وقد اهتم الله أن يجعل عيداً شهرياً يرتبط برأس الشهر والقمر، [...]. هذا وبعض الأعياد [اليهودية] كالفصح والخمسين (الأسابيع) يحكمها أيضًا القمر"[4487]. [← وكذلك بدايات الشهور العربية (القمرية) وبخاصة شهر رمضان يحكمها القمرُ أيضًا، والأعياد الإسلامية كعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد رأس السنة الهجرية يحكمها القمرُ أيضًا: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ" (البقرة 189)؛ "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" (التوبة 36)].

باختصار: "الأكبر" لم يكن دائماً هو اختيار الله للقيام بمهمة معينة.

أما التضحية بالابن البِكر (أي: المولود الأكبر/الأوّل للأب) (Child Sacrifice)، فكان ذلك مِن عادات الوثنيين اعتقاداً منهم أنه إذا قدَّم الأبُ ابنَه البكر ذبيحةً أو مُحرقةً للآلهة ستغفر الآلهةُ خطايا الأب وتعينه وتنصره على أعدائه! فَعَلَ ذلك مثلاً المَلِكُ الوثني "مِيشَعُ مَلِكُ مُوآبَ" (Mesha king of Moab) حين انهزم هزيمةً نكراء أمام إسرائيل وحلفائها، "فَأَخَذَ [مِيشَعُ] ابْنَهُ الْبِكْرَ الَّذِي كَانَ مَلَكَ (أي: الوريثَ الشرعي للعرش) عِوَضًا عَنْهُ، وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عَلَى السُّور" (2 ملوك 3:27). وتوجد آيات توراتية وكتابية كثيرة تنهى بشدة عن فِعْل هذه العادة الوثنية (اللاويين 18:21، 20:1-5) (التثنية 12:29-32، 18:9-10) مما يدل على انتشارها الواسع بين الوثنيين وتأثر بعض بني إسرائيل بها كما رأينا في قصة "ابنة يَفْتَاح" (القضاة 11:29-40)[4488]؛ وشواهد أخرى كثيرة (2 ملوك 16:3، 17:17، 17:31، 21:6، 23:10) (المزامير 106:34-39) (إرميا 7:31، 19:5، 32:35) (حزقيال 16:20-22، 23:37)[4489][4490]. بل قيل إن قصة الذبيح التوراتية (التكوين 22:1-19) تهدف إلى مواجهة هذه العادة الوثنية والقضاء عليها واستبدالها بالتضحية بحيوان (كبش) فداءً للإنسان (إسحاق بن إبراهيم)، على اعتبار أن إسحاق ابن سارة الحرة هو الوريث الشرعي لإبراهيم بعد أن "قَالَتْ [سارةُ] لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ (أي: هاجر) وَابْنَهَا، لأَنَّ [إسماعيل] ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ». [...] فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «[...]. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (التكوين 21:10-12)؛ "اطْرُدِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّهُ لاَ يَرِثُ ابْنُ الْجَارِيَةِ مَعَ ابْنِ الْحُرَّةِ" (غلاطية 4:30)؛ (التكوين 15:1-7) (رومية 9:7) (العبرانيين 11:18)[4491].

وإنْ قلتم إن طرد الجارية هاجر يعني عملياً عِتْقها، أي: حصولها على حريتها. فسنقول: هذا صحيح، لكنه في المقابل يعني أيضاً خسران إسماعيل أيّة حقوق في الميراث[4492]. والمسلمون أنفسهم يقولون إن إسماعيل عاش في مكة؛ وبغض النظر عن مدى صحة هذا الاعتقاد فإنه اعتراف إسلامي صريح بأن إسماعيل لم يرث أرضَ كنعان (أرض الموعد). إذن: إسحاق هو بالفعل الوريث الشرعي الوحيد لإبراهيم، ولذلك فإن الأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار لأنه إذا مات إسحاقُ فَمَن سيرث إبراهيم؟ إسحاق هو الوحيد الذي ورث أرضَ كنعان (حالياً: إسرائيل/فلسطين) "وَأَعْطَى إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ" (التكوين 25:5) "أَعْطَاهُ كُلَّ مَا لَهُ" (التكوين 24:36). ومِن بعده ابنه يعقوب (إسرائيل)، ومِن بعده بنو إسرائيل. وكل الآثار التاريخية تؤكد أيضاً أن اليهود (أبناء إسحاق) عاشوا في كنعان قبل العرب (أبناء إسماعيل) بمئات السنين.

مِن كل ما سبق يتضح أن الابن المفضَّل والأحَبّ إلى أبيه ليس بالضرورة هو الأكبر سناً (الابن البكر)، وإنما قد يكون ابناً آخر غيره، مثل: الوريث الشرعي، الأحسن أخلاقاً، الأكثر تسامحاً، الأكبر أو الأعظم نسلاً، الأكثر تديناً أو تمسكاً بالشريعة، الأعلى شأناً، الابن المختار (أي: الذي يختاره اللهُ لأي سببٍ آخر).

وإنه لَمِن العجيب أن المسلمين أنفسهم يعتقدون أن محمد "سيد الخلق" و "أشرف المرسلين"، مع أن محمد آخر "الأنبياء"، أي: أصغرهم سناً إنْ صح التعبير. ونحن طبعاً لا نؤمن أن محمد "أشرف المرسلين"،

بل لا نؤمن أصلاً أن محمد مِن "الأنبياء"، لكنها حُجة على المسلمين تثبت تناقض كلامهم. فحينما يكون الأمر متعلقاً بمحمد يختارون الأصغر/الأحدث، لكن حينما يكون الأمر متعلقاً بإسحاق (جد المسيح) يختارون الأكبر/الأقدم إسماعيل لمجرد أنه يُقال إنه جد محمد!

ونحن نقول لأحبائنا المسلمين: إسحاق لم يكن الابن البكر لأبيه، ومع ذلك اختاره الله. لماذا؟ نجد الإجابة في الكتاب المقدس مكتوبة منذ حوالي 2000 سنة! "لأَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلاَدٌ. بَلْ «بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». أَيْ لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ، بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلاً. لأَنَّ كَلِمَةَ الْمَوْعِدِ هِيَ هذِهِ: «أَنَا آتِي نَحْوَ هذَا الْوَقْتِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ». وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ رِفْقَةُ أَيْضًا، وَهِيَ حُبْلَى مِنْ وَاحِدٍ وَهُوَ إِسْحَاقُ أَبُونَا. لأَنَّهُ وَهُمَا لَمْ يُولَدَا بَعْدُ، وَلاَ فَعَلاَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللهِ حَسَبَ الاخْتِيَارِ، لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو، قِيلَ لَهَا: «إِنَّ الْكَبِيرَ يُسْتَعْبَدُ لِلصَّغِيرِ». كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ». فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ عِنْدَ اللهِ ظُلْمًا؟ حَاشَا!" (رومية 9:6-14).

وإذا قال مسلمٌ إن الكتاب المقدس "مُحرَّف"، فسنرد عليه بكل بساطة ونقول له: وهل يُعقَل أن يتفق كل اليهود بجميع مذاهبهم مع كل المسيحيين بجميع طوائفهم على تحريف كل هذه القصص الكتابية التي يختار اللهُ فيها الابنَ غير البكر (هابيل، يعقوب، يوسف، أَفْرَايِم، موسى ... الخ) في كل المخطوطات القديمة للكتاب المقدس المكتوبة بكل اللغات الشرقية والغربية (عِبرية ويونانية وسريانية ولاتينية ... الخ)؟! طبعاً مستحيل. مستحيل عقلياً ومستحيل عملياً. وبهذا نعلن سقوط حُجة "الابن البكر". بل نعلن انهيار كل الحجج الإسلامية التي تزعم أن الذبيح ابن إبراهيم هو إسماعيل.

4.17.3.5 حجج إسلامية أخرى

تعتمد الحُجج الإسلامية الأخرى على المصادر الإسلامية فقط (أحاديث، سيرة، تاريخ ... الخ)، مِثل مَن قال إنه سمع رسولَ الإسلام محمد يقول "أنا ابن الذبيحين"! فيقول المسلمون إن المقصود بالذبيحين هنا هما عبد الله أبو محمد وإسماعيل جده الأكبر. لكن حتى لو افترضنا جدلاً أن الرسول محمد قال "أنا ابن الذبيحين"، فهذا لا يعني بالضرورة أن الذبيح هو إسماعيل. وذلك لأن العرب تجعل العم أباً. الدليل مِن القرآن: "أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ" (البقرة 133)[4493]. فنجد هنا أن أصحاب القرآن قد وضعوا إسماعيل مع آباء يعقوب، على الرغم من أن إسماعيل هو العم المباشر ليعقوب. كذلك، فإن مقولة "أنا ابن الذبيحين" قد تشير إلى إسحاق العم الأكبر للرسول محمد. هذا بالطبع إذا افترضنا جدلاً أن إسماعيل شخصية تاريخية حقيقية وأن محمد مِن نسله كما يقول التقليد الإسلامي المُتوارَث!

ونحن لا نثق في مثل هذه الروايات ولا نُصدِّقها لأنها مجرد كلام مُرسَل بدون دليل يؤيدها. وبعض هذه الحُجج لا يستحق الرد، مِثل مَن قال إن قرني كبش الفداء كانا معلقين في الكعبة إلى أن احترقت في زمن الحجاج وابن الزبير! إلى آخر ما جاء في الكتب الإسلامية مِن روايات وحكايات. وكما قلنا فإننا لا نعتقد أننا في حاجة إلى أن نرد على مثل هذه الروايات والأقاويل المُرسَلة، فهي لا تستحق الرد وإنما تستحق الشفقة.

وسنكتفي هنا بما قاله الطبري إمامُ المفسرين المسلمين الذي يؤيد الرأي الصحيح: الذبيح هو إسحاق[4494]:

وَقَوْلُهُ: "وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ" (الصافات 107). يَقُولُ: وَفَدَيْنَا إِسْحَاقَ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ. وَالْفِدْيَةُ الْجَزَاءُ، يَقُولُ: جَزَيْنَاهُ بِأَنْ جَعَلْنَا مَكَانَ ذَبْحِهِ ذَبْحَ كَبْشٍ عَظِيمٍ، وَأَنْقَذْنَاهُ مِنَ الذَّبْحِ.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَفْدِيِّ بِالذِّبْحِ، مِنِ ابْنَيْ إِبْرَاهِيمَ؛ **فَقَالَ بَعْضُهُمْ:** هُوَ إِسْحَاقُ.

[...]

وَقَالَ آخَرُونَ: الَّذِي فُدِيَ بِالذِّبْحِ الْعَظِيمِ مِنِ ابْنَيْ إِبْرَاهِيمَ: إِسْمَاعِيلُ.

[...]

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ فِي الْمَفْدِيِّ مِنِ ابْنَيْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، عَلَى ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ - قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ إِسْحَاقُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ قَالَ: "وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ" (الصافات 107)، فَذَكَرَ أَنَّهُ فَدَى الْغُلَامَ الْحَلِيمَ الَّذِي بُشِّرَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ حِينَ سَأَلَهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ وَلَدًا صَالِحًا مِنَ الصَّالِحِينَ، فَقَالَ: "رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ" (الصافات 100). فَإِذْ كَانَ الْمَفْدِيُّ بِالذِّبْحِ مِنِ ابْنَيْهِ هُوَ الْمُبَشَّرُ بِهِ، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَدْ بَيَّنَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِي بُشِّرَ بِهِ هُوَ إِسْحَاقُ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ، فَقَالَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -: "فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" (هود 71)، وَكَانَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ، ذَكَرَ تَبْشِيرَهُ إِيَّاهُ بِوَلَدٍ، فَإِنَّمَا هُوَ مَعْنِيٌّ بِهِ إِسْحَاقُ - كَانَ بَيِّنًا أَنَّ تَبْشِيرَهُ إِيَّاهُ بِقَوْلِهِ: "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الصافات 101) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَحْوُ سَائِرِ أَخْبَارِهِ فِي غَيْرِهِ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ خَلِيلِهِ أَنَّهُ بَشَّرَهُ بِالْغُلَامِ الْحَلِيمِ، عَنْ مَسْأَلَتِهِ إِيَّاهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ وَلَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ذَلِكَ إِلَّا فِي حَالٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ وَلَدٌ مِنَ الصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنِ ابْنَيْهِ إِلَّا إِمَامُ الصَّالِحِينَ، وَغَيْرُ موهومٍ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ سَأَلَ رَبَّهُ فِي هِبَةِ مَا قَدْ كَانَ أَعْطَاهُ وَوَهَبَهُ لَهُ. فَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الَّذِي ذَكَرَ فِي سَائِرِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ بَشَّرَهُ بِهِ، وَذَلِكَ لَا شَكَّ أَنَّهُ إِسْحَاقُ، إِذْ كَانَ الْمَفْدِيُّ هُوَ الْمُبَشَّرَ بِهِ.

وَأَمَّا الَّذِي اعْتَلَّ بِهِ مَنِ اعْتَلَّ فِي أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ، أَنَّ اللَّهَ قَدْ كَانَ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ إِسْحَاقَ ابْنُ ابْنٍ، فَلَمْ يَكُنْ جَائِزًا أَنْ يَأْمُرَهُ بِذَبْحِهِ، مَعَ الْوَعْدِ الَّذِي قَدْ تَقَدَّمَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ إِنَّمَا أَمَرَهُ بِذَبْحِهِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ، وَتِلْكَ حَالٌ غَيْرُ منكرٍ أَنْ يَكُونَ قَدْ وُلِدَ لِإِسْحَاقَ فِيهَا أَوْلَادٌ، فَكَيْفَ الْوَاحِدُ؟

وَأَمَّا اعْتِلَالُ مَنِ اعْتَلَّ بِأَنَّ اللَّهَ أَتْبَعَ قِصَّةَ الْمَفْدِيِّ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ بِقَوْلِهِ: "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا" (الصافات 112). وَلَوْ كَانَ الْمَفْدِيُّ هُوَ إِسْحَاقَ لَمْ يُبَشَّرْ بِهِ بَعْدُ، وَقَدْ وُلِدَ، وَبَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ، فَإِنَّ الْبِشَارَةَ بِنُبُوَّةِ إِسْحَاقَ مِنَ اللَّهِ - فِيمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ - جَاءَتْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ بَعْدَ أَنْ فُدِيَ؛ تَكْرِمَةً مِنَ اللَّهِ لَهُ عَلَى صَبْرِهِ لِأَمْرِ رَبِّهِ، فِيمَا امْتَحَنَهُ بِهِ مِنَ الذَّبْحِ، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الرِّوَايَةُ قَبْلُ عَمَّنْ قَالَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا اعْتِلَالُ مَنِ اعْتَلَّ بِأَنَّ قَرْنَ الْكَبْشِ كَانَ مُعَلَّقًا فِي الْكَعْبَةِ، فَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ يَكُونَ حُمِلَ مِنَ الشَّامِ إِلَى مَكَّةَ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّمَا أُمِرَ بِذَبْحِ ابْنِهِ إِسْحَاقَ بِالشَّامِ، وَبِهَا أَرَادَ ذَبْحَهُ.

4.17.4 الخلاصة

قصة الذبيح ابن إبراهيم القرآنية (الصافات 99-113) مجرد تطور بشري طبيعي لقصة الذبيح ابن إبراهيم التوراتية (التكوين 22:1-19).

لم يذكر القرآنُ اسمَ الذبيح ابن إبراهيم. بينما يؤكد الكتاب المقدس بعهديه أن الذبيح هو إسحاق. ويؤكد التراث اليهودي/المسيحي كله أن الذبيح هو إسحاق.

الأدلة العقلية والمنطقية أيضاً تجعلنا نقول: بغض النظر عن هل قصة الذبيح قصة حقيقية تاريخية أم هي مجرد قصة رمزية (typological; allegorical) ترمز إلى صلب المسيح (إسحاق الحقيقي) وموته وقيامته في اليوم الثالث، فإن الذبيح فى جميع الأحوال هو إسحاق ابن سارة الحرة و "ابن الموعد" الإلهي (غلاطية 28:4) وصاحب العهد الأبدي مع الله (التكوين 19:17)؛ وليس إسماعيل ابن هاجر الجارية المطرودة وابن الاقتراح البشري الذي اقترحته سارة على إبراهيم.

ونعتقد أن أهم درس نتعلمه مِن قصة الذبيح هو أن تفاصيل أي قصة (الزمان والمكان وأسماء الأشخاص والترتيب الزمني للأحداث ... الخ) هي معلومات مهمة، بل في غاية الأهمية، وليست "علم لا ينفع والجهل به لا يضر" كما يقول شيوخ الإسلام للرد على أي سؤال لا يستطيعون الإجابة عليه!

4.18 هل إبراهيم شخص حقيقي تاريخي؟!

بعد كل هذا الحديث عن إبراهيم المذكور فى القرآن 69 مرة[4495] – أى ثانى أكثر نبى مذكور فى القرآن بعد موسى، لا يزال هناك العديد من الأسئلة التي تحتاج إلي إجابات مُقنِعة ومُؤيَّدة بأدلة علمية دامغة. من بين هذه الأسئلة: أين "صُحُف إبراهيم" المذكورة في القرآن: "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" (الأعلى 18-19) و (النجم 36-37)؟ هل لا تزال "صُحُف إبراهيم" موجودة؟ أم ضاعت هي أيضاً كما ضاعت النسخة الأصلية للقرآن؟ إذا كانت صحف إبراهيم قد ضاعت، فهل الله لم يستطع أن يحافظ على صحف النبي الذي يُفترَّض أنه أول مَن نادى بالإله الواحد – حتى قبل إخناتون – كما يتوهَّم كثير من المسلمين؟! وبأي لغة كُتِبت صحف إبراهيم؟ هل "صحف إبراهيم" هى سفر التكوين أو أجزاء منه؟ و "صحف موسى" هى سفر الخروج أو التوراة كلها أو بعضها؟ أم هى كتب آخرى غير قانونية مثل الأبوكريفا والسوديبِجرافا ... الخ؟ وما الدليل علي أن إبراهيم نفسه – كما ذكره القرآن – شخصية حقيقية تاريخية (historical figure)؟ متى وأين عاش إبراهيم – حسب القرآن؟ مع الأسف لم يُجب أصحاب القرآن على هذه الأسئلة الهامة! لكن على المسلمين أن يجيبوا على هذه الأسئلة إجابات مُقنِعة ومُؤيَّدة بأدلة علمية دامغة قبل أن يطلبوا منا أن نؤمن بالقرآن.

نحن لا نعلم على وجه اليقين متى عاش إبراهيم، لكن لدينا بعض التواريخ التقريبية. يُعتقَد أن إبراهيم وُلِد عام 2166 ق.م، وارتحل إلى كنعان (حالياً: إسرائيل/فلسطين وأجزاء من الشام) عام 2091 ق.م، ثم ارتحل إلى مصر حوالي سنة 2000 قبل الميلاد أو بعد ذلك بقليل ومات عام 1991 ق.م[4496]. وهناك مَن يقول إن إبراهيم وُلِد فى منتصف القرن العشرين قبل الميلاد وارتحل إلى مصر فى عهد سنوسرت الثالث (1871 ق.م) أو في عهد ملوك الرعاة من الهكسوس[4497]! وهناك مَن يقول إن إبراهيم ارتحل إلى كنعان حوالي 1800 ق.م[4498]. ولا نستبعد وجود اجتهادات وتكهنات وآراء أخرى.

وبغض النظر عن اختلاف هذه التواريخ وتضاربها، يمكننا القول إن إبراهيم عاش تقريباً في نهايات الألفية الثالثة وبدايات الألفية الثانية قبل الميلاد – يعني حوالي 2100-1800 سنة قبل الميلاد. إذا لم يوافق المسلمون على هذه التواريخ التقريبية، فعليهم أن يعطونا تواريخ أكثر دقة. أما إذا وافقوا، فعليهم أن يعطونا دليلاً مادياً واحداً يثبت أنه قبل الميلاد بحوالي 2100-1800 سنة كان هناك شخص اسمه إبراهيم وقال الكلمات التي جاء ذِكرُها في **سورة العنكبوت:** وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {16} إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {17} [...] فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ (أي: قَوْمِ إبراهيم) إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {24} وَقَالَ [إبراهيمُ لقومه] إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ {25}!

المشكلة هي أن كل هذه المفردات والمفاهيم – "إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا" (العنكبوت 17) "إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا" (العنكبوت 17) و "إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (العنكبوت 17) "يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (العنكبوت 25) "مَأْوَاكُمُ النَّارُ" (العنكبوت 25) – مفردات ومفاهيم متقدمة جداً ولا تلائم اطلاقاً 1800-2100 سنة ق.م! فلا يوجد أي دليل علمي أو تاريخي ولا حتى دليل كتابي يثبت أن إبراهيم – بفرض أنه شخص حقيقي تاريخي – كان يؤمن بـ "يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (العنكبوت 25). بل إن توراة موسى نفسها لم تذكر "يَوْمَ الْقِيَامَةِ" بهذا الوضوح الشديد. إنها إذن مفارقة تاريخية (anachronism) كبيرة أن يجعل القرآنُ إبراهيمَ يقول هذه الكلمات. يعني تخيل أنك تقرأ قصة تدور أحداثها خلال موقعة عين جالوت وأحد أبطال هذه القصة يقول "اشتريت تليفون محمول" أو "شاهدت فيلماً على شبكة الانترنت"! هل ستصدق هذه القصة؟ بكل تأكيد، لا. وكذلك نحن لا نصدق القرآن (العنكبوت 16-17، 24-25).

الأقرب إلى العقل والمنطق أن رسول الإسلام محمد – أو أصحاب القرآن بصفة عامة – استخدموا كلمات تناسب عصرهم وبيئتهم الجغرافية (القرن السابع الميلادي في شبه الجزيرة العربية) ونسبوها إلى إبراهيم – أي: وضعوها وضعاً على لسان إبراهيم – حتى يعطوا انطباع أن الاسلام ما هو إلا امتداد لما جاء به إبراهيم، وبالتالي يعطوا جذوراً للدين الاسلامي تعود إلى إبراهيم الذي يُعتبَر – حسب الديانتين اليهودية والمسيحية – أبو الآباء (Patriarchs). والدليل على ذلك أن الأمر "قُلْ" المذكور في "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ" (العنكبوت 20) أمر لمحمد[4499]، أي أن الذين صنعوا القرآنَ وضعوا كلاماً يخص محمد وسط كلام آخر منسوب إلى إبراهيم الذي بدأ في (العنكبوت 16) "وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ [...]" وعاد إليه مرة أخرى في (العنكبوت 24) "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا [...]". والهدف من ذلك هو أنه عندما يقرأ القارئ القصة كلها (العنكبوت 16-26) تذوب كلمات محمد في كلمات إبراهيم ويَشعر القارئ أنها كما لو كانت قصة واحدة! بل يشعر أن محمد نبي ورسول مثل إبراهيم. أو كما قلنا فيما سبق: أعاد أصحابُ القرآن تقديمَ شخصية "إبراهيم" بحيث يكون إبراهيم نسخةً من محمد ويكون محمد نسخةً من إبراهيم، فتتماهى أمامك شخصيتا إبراهيم ومحمد، ومن ثم يسهل عليك أن تصدق أن محمداً هو الوريث الشرعي لدين إبراهيم "الحنيف"، أي يسهل عليك أن تصدق أن محمداً يستحق أن ينضم إلى الخط النبوي الذي افتتحه إبراهيمُ المسلم/الحنيف.

نضيف إلى ما سبق أمثلة أخرى لكلمات وضعها أصحابُ القرآن على لسان إبراهيم وهى لا تلائم اطلاقاً الفترة الزمنية التي يُفترَض أن إبراهيم عاش فيها. نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر:

- البعث: "وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ" (الشعراء 81) و "يَوْمَ يُبْعَثُونَ. يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ" (الشعراء 87-88).
- الحساب: "يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ" (إبراهيم 41) و "يَوْمَ الدِّينِ" (الشعراء 82).
- الجزاء: "جَنَّةِ النَّعِيمِ" (الشعراء 85).

- "الشَّيْطَانَ" (مريم 44).
- الرحمن: "يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا" (مريم 44).
- "رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" (الممتحنة 4) و "رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا" (الممتحنة 5).

هل يوجد أي دليل علمي أو حتى دليل كتابي يثبت أن إنساناً قال تلك الكلمات قبل الميلاد بحوالي 2100-1800 سنة؟! إنها مفارقات تاريخية، بل أخطاء تاريخية، تؤكد أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله أبداً. أصحاب القرآن هُمْ الذين وضعوا تلك الكلمات على لسان إبراهيم. فلقد حرص أصحابُ القرآن أن يضعوا على لسان إبراهيم نفس الجمل الإسلامية/العربية التي كان محمدٌ يقولها لمعاصريه في القرن السابع الميلادي في شبه الجزيرة العربية، مثل: "إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (العنكبوت 17) "إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (أي: تُرْجَعُونَ)" (العنكبوت 21)؛ "وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ" (العنكبوت 25) "وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ" (الجاثية 34). وذلك حتى تتطابق شخصيتا إبراهيم ومحمد تطابقاً كاملاً في الإيمان وأيضاً في الأقوال، فتتحد أمامك الشخصيتان في شخصية واحدة هي: رسول الله، الحنيف الموحِّد، النَّبِيّ الأُمِّيّ (أي: ليس يهودياً ولا مسيحياً). "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 67).

<u>الخلاصة:</u> حتى لو افترضنا جدلاً أن إبراهيم شخصية حقيقية تاريخية، فلا يمكن تاريخياً أن يكون قد قال هذا الكلام الموجود في القرآن. وليس من المبالغة أن نقول إن "إبراهيم" في القرآن هو محمد. مَا كَانَ محمدٌ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

وختاماً يجب أن نقول إن المؤرخين وعلماء الآثار قد بحثوا كثيراً عن "إبراهيم" في الشرق الأوسط كله تقريباً: في مصر وفي كنعان وفي بلاد ما بين النهرين، ولم يجدوا في أي مكان أي دليل مادي سواء مكتوب أو مرسوم أو منحوت عنه! وهذا ما دفع العالم الكبير (William G. Dever) أن يقول[(4500)]:

> Or take the Patriarchal narratives. After a century of exhaustive investigations, all respectable archaeologists have given up hope of recovering any context that would make Abraham, Isaac or Jacob credible "historical figures".

هذا بالإضافة إلى النتائج الهامة التي توصل إليها العالم الأركيولوجي (Israel Finkelstein) والمؤرخ (Neil Asher Silberman) في كتابهما الشهير "The Bible Unearthed"[(4501)]، وإن

كان تركيزهما على الفترة الزمنية التي تمت فيها كتابة (writing) قصص الآباء (patriarchs): إبراهيم (Abraham) وإسحاق (Isaac) ويعقوب (Jacob). نوجز أهم هذه النتائج فيما يلي:

[… p. 35 …]

Yet the search for the historical patriarchs was ultimately unsuccessful, since none of the periods around the biblically suggested date provided a completely compatible background to the biblical stories. (See Appendix A for additional details.)

[… p. 38 …]

[…] These and other anachronisms suggest an intensive period of writing the patriarchal narratives in the eighth and seventh centuries BCE.

[… p. 45 …]

The biblical story of the patriarchs would have seemed compellingly familiar to the people of Judah in the seventh century BCE. […] It was stitched together from memory, snatches of ancient customs, legends of the birth of peoples, and the concerns aroused by contemporary conflicts.

[… p. 47 …]

The great genius of the seventh century [BCE] creators of this national epic was the way in which they wove the earlier stories together without stripping them of their humanity or individual distinctiveness. Abraham, Isaac, and Jacob remain at the same time vivid spiritual portraits and the metaphorical ancestors of the people of Israel. And the twelve sons of Jacob were brought into the tradition as junior members of more complete genealogy. In the artistry of the biblical narrative, the children of Abraham, Isaac, and Jacob were indeed made into a single family. It was the power of legend that united them – in a manner far more powerful

and timeless than the fleeting adventures of a few historical individuals herding sheep in the highlands of Canaan could ever have done.

ونظراً لأهمية هذا المرجع العلمي "The Bible Unearthed"، تمت ترجمته إلى عدة لغات، من بينها الفرنسية والعربية. الترجمة العربية لما سبق هي كما يلي(4502):

[... صفحة 65 ...]

و لكنَّ البحث عن الآباء التّاريخيّيْن بقي بلا نتيجة، و أثبت – في النّهاية – إخفاقه؛ حيث لم تُزوِّدنا أيٌّ من الفترات الزّمنيَّة – المُقترحة توراتيّاً – بخلفيَّة مُتوافقة – بنَحْو جيِّد – مع القصص التّوراتيَّة. (انظر المُلحق "أ" لمزيد من التّفاصيل).

[... صفحة 68 ...]

[...] هذه المُؤشِّرات وغيرها من المُفارقات التّاريخيَّة تقترح أنَّ الفترة الزّمنيَّة المركزيَّة لتدوين قصص الآباء إنَّما تقع في القرنَيْن الثّامن والسّابع ق.م.

[... صفحة 77 ...]

كانت القصَّة التّوراتيَّة للآباء ستبدو مألوفة – بشَكْل كبير – لشعب يهُوذا في القرن السّابع ق.م. [...] لقد تمَّ حَبْكُهَا من الذّاكرة، مع نتف من العادات القديمة، ومن أساطير ولادة شُعُوب، ومن المخاوف التي كانت تُثيرها النزاعات المُعاصرة.

[... صفحة 79 ...]

لقد تجلَّت العبقريَّة العظيمة لمُؤلِّفي تلك المَلْحَمَة الوَطَنيَّة في القرن السّابع [قبل الميلاد] بالطّريقة الرّائعة التي جمعوا فيها القصص الأوَّليَّة إلى بعضها البعض، دُون أنْ يُعَرُّوهَا من إنسانيَّتها، أو تمايزها الفَرْدي. بقي كُلٌّ من إبراهيم، وإسحاق، ويعقُوب شخصيَّات رُوحيَّة حيَّة، مع كَونهم بالوقت نفسه، الأسلاف المجازيِّيْن لشعب إسرائيل. وتمَّ جَلْبُ الأبناء الإثنَيْ عشر ليعقُوب إلى التّقليد، كأعضاء أصغر في سلاسل الأنساب الأكثر كمالاً في المهارة الفنِّيَّة للقصَّة التّوراتيَّة، التي جَعَلَتْ أبناء إبراهيم، وإسحاق، ويعقُوب عائلة واحدةً حقيقيةً. كان الذي وحَّدهم – في الواقع – هُو قُوَّة الأسطورة، التي استطاعت أنْ تقوم بهذا التّوحيد بطريقة أكثر قُوَّة، وأبقى خُلُوداً ممَّا كان يُمكن أنْ تعمله مُجرَّد قصص مُغامرات عابرة لبضعة أفراد تاريخيِّين كانوا يرعون الخراف في مُرتفعات كَنْعَان.

بالطبع العلماء الذين قاموا بهذه الأبحاث والاكتشافات الأثرية كانوا علماء غربيين، فكان تركيزهم الأساسي على إبراهيم وإسحاق ويعقوب المذكورين في التوراة. لكن بما أن شخصيات إبراهيم وإسماعيل

وإسحاق ويعقوب المذكورين في القرآن هُمْ مجرد تطور بشري طبيعي لشخصيات إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب المذكورين في التوراة وفي التراث اليهودي/المسيحي بصفة عامة، فإننا نعتقد أن نفس النتائج التي توصلوا إليها تنطبق أيضاً على القرآن. مع الأخذ في الاعتبار طبعاً الاختلاف في الأهداف الذي يؤدي حتماً إلى اختلاف في التفاصيل. أسطورة "إبراهيم" في التوراة تريد أن تصنع تاريخاً مشتركاً لجميع العبرانيين (بني إسرائيل) في أرض هجرتهم كنعان؛ ولذلك تهتم التوراةُ بذِكر أسماء المدن والقرى لتربط القارئ بجغرافيا المكان. أما أسطورة "إبراهيم" في القرآن فتريد أن تجعل ملةَ إبراهيم (= دين محمد؛ الإسلام) فوق جميع الأديان السائدة في الشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي (الوثنية واليهودية والمسيحية)؛ ولذلك يهتم القرآنُ بوضع العقائد الإسلامية على لسان إبراهيم. "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 67).

أو كما قال د. طه حسين قبلهم بعشرات السنين، وإن ركّز على تاريخ لغة العرب[4503]:

> للتوراة أن تحدِّثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدِّثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدّثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة (أي: العدنانيين) فيها. [...].
>
> [...]
>
> [...] وإذن فليس ما يمنع قريشاً من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم، كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب مشابهة أسطورة أخرى صنعها لها اليونان تثبت أن روما متصلة بإينياس ابن بريام صاحب طِرْوادة.
>
> أمر هذه القصة إذن واضح. فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام، واستغلها الإسلام لسبب ديني، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً. وإذن فيستطيع التاريخ الأدبي واللغوي ألا يحفل بها عندما يريد أن يتعرّف أصل اللغة العربية الفصحى. وإذن فنستطيع أن نقول إن الصلة بين اللغة العربية الفصحى التي كانت تتكلمها العدنانية [في الحجاز] واللغة التي كانت تتكلمها القحطانية في اليمن إنما هي كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السامية المعروفة، وإن قصة "العاربة" (أي: القحطانيين) و "المستعربة" (أي: العدنانيين) وتعلُّم إسماعيل العربية من جُرْهُم، كل ذلك حديث أساطير لا خطر له ولا غَناء فيه.

فكما اخترع اليهود أساطير تخص إبراهيم وإسحاق، كذلك اخترع العرب أساطير تخص إبراهيم وإسماعيل. وبمرور الزمن، تطورت أساطير اليهود وأساطير العرب تطوراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في القرآن الذي يُتلَى على أنه كلام الله! مع أنه في الواقع كلام الأساطير. أساطير الأولين.

وإذا كان في حد معترض على هذا الكلام، فبدلاً من الصراخ والزعيق، فليعطنا دليلاً علمياً واحداً يثبت أن "إبراهيم" – الذي ذكره القرآنُ والذي قال الكلامَ الموجود في سورة العنكبوت – شخصية حقيقية تاريخية. فنحن لدينا العديد من الأدلة العلمية التي تثبت أن "أخناتون" شخص تاريخي حقيقي، وليس لدينا دليل علمي واحد مقنع عن إبراهيم! فيا أولي الألباب، أليس هذا شيئاً يدعو إلى إعادة النظر في القرآن؟!

كل قراءة للقرآن – بشرط أن تكون قراءة عقلانية علمية نقدية موضوعية محايدة – ستصل حتماً إلى نفس النتيجة التي وصلنا إليها: القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله نهائياً.

4.19 قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة: أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وآخرين "لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ"!

درسنا فيما سبق قصةَ غرق قوم نوح التي كررها القرآنُ المكي 10 مرات! وقصةَ هلاك قوم لوط التي كررها القرآنُ المكي 10 مرات أيضاً! فمن حقنا الآن أن نتوقف عند قضية التكرار في القرآن، ونسأل لماذا يكرر القرآنُ (المكي بصفة خاصة) بعضَ القصص بهذه الطريقة المثيرة للدهشة بل المثيرة للريبة؟! والحقيقة أن التكرار لا يقتصر فقط على قصتي العقاب الإلهي (Divine Punishment Stories) لقوم نوح وقوم لوط (كما رأينا) بل يمتد أيضاً إلى قصص العقاب الإلهي لأقوام أنبياء ورسل آخرين مثل هود وصالح وشعيب كما يوضح الجدول التالي. *ملحوظة: لتكرار تفاصيل قصة معينة (مثلاً: قصة صالح مع قومه ثمود)، انظر العمود الخاص بتلك القصة. ولتسلسل قصص العقاب الإلهي في سورةٍ معينة (مثلاً: سورة الشعراء)، انظر الصف الخاص بتلك السورة.*

جدول 19 – المواضع التي كرر القرآنُ فيها تفاصيل قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وقصص أقوام آخرين "لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ"!

رقم السورة[4504]	اسم السورة	تفاصيل قصة نوح[4505]	تفاصيل قصة هود مع عاد[4506]	تفاصيل قصة صالح مع ثمود[4507]	تفاصيل قصة لوط[4508]	تفاصيل قصص شعيب مع أصحاب مدين وأصحاب الأيكة[4509]	قصص مختصرة أو قصص أخرى[4510]	عدد الآيات
2	البقرة						50-47	4
3	آل عمران						12-10	3
6	الأنعام						6؛ 11؛ 45-42	6
7	**الأعراف**	**64-59**	**72-65**	**79-73**	**84-80**	**93-85 (مع أصحاب مدين)**	**7-4؛ 138-94**	**84**
9	التوبة						70-69	**2**
10	يونس	73-71					14-13؛ 92-74	**24**
11	**هود**	**49-25**	**60-50**	**68-61**	**83-77**	**95-84 (مع أصحاب مدين)**	**99-96**	**67**
12	يوسف						109	**1**
14	إبراهيم						18-5؛ 47-44	**18**
15	الحجر			84-80	77-57	79-78 (مع أصحاب الأيكة)		**28**
17	الإسراء						17-16؛ 59؛ 104-101	**7**

18	الكهف						43-32؛ 59-55	**17**
19	مريم						53-51؛ 74؛ 98	**5**
20	طه						80-9	**72**
21	الأنبياء	77-76			75-74		15-6	**14**
22	الحج						51-42	**10**
23	المؤمنون	30-23	41-31				49-42	**27**
25	الفرقان						44-35	**10**
26	**الشعراء**	**122-105**	**140-123**	**159-141**	**175-160**	**191-176 (مع أَصْحَاب لْأَيْكَةِ)**	**68-10**	**146**
27	النمل			53-45	59-54		14-7	**23**
28	القصص						46-3؛ 84-76	**53**
29	العنكبوت	15-14			35-28	37-36 (مع أصحاب مدين)	23-18؛ 40-38	**21**
30	الروم						10-9؛ 42	**3**
32	السجدة						26	**1**
34	سبأ						19-15	**5**
35	فاطر						4؛ 26-25؛ 44	**4**
36	يس						32-13	**20**

37	الصافات	82-75			138-133		74-71؛ 114-132	**37**
38	ص						17-12	**6**
39	الزمر						26-25	**2**
40	غافر						6-5؛ 46-21؛ 85-82	**32**
41	فصلت		16-13	18-17				**6**
43	الزخرف						25-22؛ 56-45	**16**
44	الدخان						37-17	**21**
46	الأحقاف		28-21					**8**
47	محمد						11-10؛ 14-13	**4**
50	ق						14-12	**3**
51	الذاريات		42-41	45-43	37-31		40-38؛ 46	**16**
53	النَّجم						56-50	**7**
54	**القمر**	**17-9**	**22-18**	**32-23**	**40-33**		**43-41**	**35**
64	التغابن						6-5	**2**

66	التحريم						11-9	**3**
67	الملك						18-16	**3**
69	الحاقة		4، 6-8	5-4			12-9	**10**
71	نوح	28-1						**28**
73	المزمل						19-15	**5**
79	النازعات						26-15	**12**
85	البروج						20-17	**4**
89	الفجر						14-6	**9**
91	الشمس			15-11				**5**
105	الفيل						5-1	**5**
عدد الآيات		**109**	**71**	**70**	**86**	**41**	**577**	**954**

إجمالي عدد الآيات = 954 آية! أي أكثر من 15% من القرآن!

أي بمعدل متوسط أكثر من آية ونصف في كل صفحة من صفحات المصحف الحالي!

وعند قراءة هذه القصص القرآنية الخمس بالذات (نوح ولوط وهود وصالح وشعيب) نلاحظ التشابه الكبير بينها. صحيح هناك بعض الاختلافات في التفاصيل مثل سفينة نوح وناقة صالح و "خطايا" كل قوم مِن وجهة نظر هذا النبي أو ذاك والطريقة التي عُوقب وأُهلِك بها كل قوم ... الخ، لكن الأفكار الأساسية في هذه القصص متشابهة – بل أحياناً العبارات والكلمات المستخدمة متشابهة – إلى حد كبير وأحياناً متطابقة[4511]! (recurrent, serial presentations of Divine Punishment stories that share many thematic and textual similarities).

ويمكن تلخيص هذه الأفكار الأساسية كما يلي: يذهب النبي أو الرسول إلى قومه لينصحهم ويرشدهم ويهديهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، لكن كثيراً مِن قومه يكذِّبونه ولا يسمعون له، بل أحياناً يسخرون منه ويستهزئون به ويستبعدون أن يرسل اللهُ بشراً مثلهم. ورغم تحذيرات النبي لهم بعقاب الله، يصرون على عنادهم، فيهلكهم الله عقاباً لهم على الكفر والتكذيب: "وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ" (الشعراء 208) و "إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ" (ص 14). وفي النهاية يُنجِّي اللهُ هذا النبي ومَن اتبعه، ويُهلِك مَن لم يتبعه حتى لو كان من أهل بيت هذا النبي، مثل هلاك ابن نوح (هود 42-46) وهلاك امرأة لوط وامرأة نوح إذا كانت لا تزال حية يوم الطوفان (التحريم 10).

ولعل خير دليل قرآني على التشابه الواضح بين هذه القصص هو أنه عندما لم يذكر القرآنُ اسمَ النبي ولا اسم القوم كما جاء مثلاً في (المؤمنون 31-41)، احتار المفسرون المسلمون مَن النبي المقصود، فمِنهم مَن قال إنه هود وهي قصته مع قومه عاد واستدلوا على ذلك بأنهم جاءوا بعد نوح (المؤمنون 31)[4512]، ومِنهم مَن قال إنه صالح وهي قصته مع قومه ثمود واستدلوا على ذلك بأنهم أُهْلِكوا بالصيحة (المؤمنون 41)[4513]، ومِنهم مَن ذكر القولين وإن أيد أحدهما[4514]. أما القرطبي فقد ذكر كل الاحتمالات الممكنة (هود أو صالح أو شعيب!) واختتم قوله بالعبارة الإسلامية المشهورة "اَللَّه أَعْلَم" فقال: "يَعْنِي هُودًا؛ لِأَنَّهُ مَا كَانَتْ أُمَّة أُنْشِئَتْ فِي إِثْر قَوْم نُوح إِلَّا عَاد. وَقِيلَ: هُمْ قَوْم ثَمُود "فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا" يَعْنِي صَالِحًا. قَالُوا: وَالدَّلِيل عَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى آخِر الْآيَة "فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَة" [الْمُؤْمِنُونَ : 41]؛ نَظِيرهَا: "وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَة" [هُود : 67] . قُلْت: وَمِمَّنْ أُخِذَ بِالصَّيْحَةِ أَيْضًا أَصْحَابُ مَدْيَن قَوْمُ شُعَيْب (يقصد: هود 94)، فَلَا يَبْعُد أَنْ يَكُونُوا هُمْ، وَاَللَّه أَعْلَم"[4515]!

وبما أننا قد درسنا قصةَ نوح وقصةَ لوط فيما سبق، فسنركز الآن على قصص هود وصالح وشعيب. وكما تعودنا سنرتب الروايات القرآنية المتعددة لكل قصة حسب الترتيب الزمني لسور القرآن[4516].

4.19.1 الروايات القرآنية المتعددة لقصة هود

ذكر القرآنُ اسمَ "هود" 7 مرات[4517] كلها في روايات مكية لقصته مع قومه عاد! وذكر اسمَ "عاد" 24 مرة جُلها أو تقريباً كلها في آيات مكية أيضاً[4518]! ويزعم القرآنُ أن قبيلة عاد كانت تسكن "بِالْأَحْقَافِ" (الأحقاف 21). أو بعبارة أكثر دقة: يقول القرآنُ "وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ" (الأحقاف 21) التي تُفسَّر بمعنى أن قبيلة عاد كانت تسكن منطقةً اسمها "الْأَحْقَاف". وحسب هذا التفسير السائد، فإن "الْأَحْقَاف" اسم عَلَم (proper name) أي: اسم مكان معين؛ أو على الأقل وَصْف يصف أرضاً رمليّة كثيفة الرمال (sand dunes)، وذلك لأن "الْأَحْقَاف" لغةً هي الرّمال. قال الماوردي إن الأحقاف "جمع حِقْف، وهو ما استطال واعوجّ من الرمل العظيم، ولا يبلغ أن يكون جبلاً"[4519]. لكن كالعادة، يوجد تفسير آخر لا يعتبر "الأحقاف" اسم عَلَم ولا وصف لمكان؛ وإنما يفسِّر "أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ" (الأحقاف 21) بمعنى هدد قَوْمَهُ بعقاب إلهي يأتي بواسطة الأحقاف؛ أي: بواسطة الرمال الكثيرة أو الرياح الرملية[4520].

وحتى إذا سلَّمنا بالتفسير السائد الذي يعتبر الأحقاف مكاناً محدداً على الخريطة، فإن القرآن – كعادته – لم يعين موضعَ الأحقاف، وإنما عيَّنه المفسرون المسلمون، فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هي – كالعادة أيضاً – اختلاف المفسرين المسلمين! والرأي السائد في المراجع والأطالس الإسلامية هو أن الأحقاف تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية بين صحراء الربع الخالي وحضرموت، أو في اليمن شمالي حضرموت وغربيّ عُمان. لكن كالعادة توجد آراء أخرى حيث أن "موقع الأحقاف مختلف فيه"[4521]! ...

يقول الباحث التونسي د. سامي عامري[4522]:

> [...] لا يوجد اتفاق بين المفسّرين أنّ "الأحقاف" منطقة تقع جنوب الجزيرة العربية [...].
>
> [...] قال تعالى: "فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ" (الأحقاف 24)؛ فدلَّ ذِكْرُ الأودية أنّهم لم يسكنوا الرّمال. وأَصْرَحُ من ذلك قوله تعالى: "وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ. وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ" (الشعراء 132-134).
>
> وهذا وصفٌ لمستوطنةِ عادٍ، بعيدٌ عن حقيقة الأحقاف "جمع حِقْف وهو من الرَّمل ما استطال، ولم يبلغ أن يكون جبلاً". فالأحقاف بذلك تصدقُ على واحد من احتمالَيْنِ:
>
> 1. ما آلت إليه مساكن قوم عاد عصر البعثة الخاتمة في القرن السابع الميلادي؛ إذ صارَتْ صحراء، وطُمِسَ أَثَرُ الجِنَانِ والعيون؛ فجاء تعريفها في القرآن بما يعرفه أهل العصر (أي: أهلُ القرن السابع الميلادي) عن واقع الأرض التي كان قد سكنها قوم هود -عليه السلام-. [...]
>
> 2. الأحقاف لا تُفسَّر بالمعنى اللغوي، وإنّما هي اسمٌ لمنطقة ما. وقد روى الطبري عن الضَّحَّاك - التابعيّ المفسّر - أنها اسمٌ لجبل. وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنّ الأحقاف المذكورة في الآية جبل

بالشام. ومما قد يُستدل به لذلك، وجود أحد الوديان باسم "وادي إرم" في شمال الحجاز. كما دلَّت الحفرياتُ الأثرية على وجود مكان يُسمَّى "إرم" في منطقة جنوب الأردن.

حاول تفسيرُ المنتخب (الصادر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية) التوفيق بين هذه الآراء المختلفة، فقال: "ويجدر بالذكر أن منازل عاد عند بعض الغربيين القدامى تقع في أعالي الحجاز في منطقة حسمى وعلى مقربة من منازل ثمود. وأيا كان هذا الرأي فلا يستبعد أن يكون قوم عاد قد رحلوا في وقتٍ ما من الأحقاف [في جنوب شبه الجزيرة العربية] إلى هذه المنطقة [الشمالية]"[4523]. باختصار: إذا كان "الْأَحْقَاف" اسم مكان تسكنه قبيلة عاد، فإنه يقع في بلاد الجزيرة العربية إما في الجنوب الشرقي من جزيرة العرب أو شرقي العقبة حيث كان التجار وأصحاب القوافل ينزلون عليها في طريقهم إلى الشام[4524]. في كل الأحوال عاد كانوا عرباً.

وكالعادة، فإن اختلاف المفسرين المسلمين في مسألة معينة (مثلاً: موقع الأحقاف) يرجع إلى غموض القرآن وإلى الاختلافات بين الروايات القرآنية المتعددة للقصة الواحدة. فإذا نظرنا إلى الجدول التالي، فسنرى أنه توجد اختلافات كثيرة بين الروايات القرآنية المتعددة في جميع العناصر الأساسية للقصة وهي: هل ذُكِرَ اسمُ هود؟ هل ذُكِرَ اسمُ عاد؟ ما هي وسيلة هلاك عاد إن ذُكِرَت؟ هل ذُكِرَت نجاة هود ورفاقه المؤمنين؟! فمعظم الروايات لا تذكر اسمَ هود! ورواية (المؤمنون 31-41) لا تذكر اسمَ هود ولا اسمَ عاد! ومعظم الروايات لا تذكر نجاةَ هود ورفاقه المؤمنين! قد يُقال إن هذا أمر مفهوم ضمنياً ولا يحتاج أن يُذْكَر صراحةً لأنه من الطبيعي ألا يهلك اللهُ عبادَه المؤمنين. أما نحن فنرى أن السبب الحقيقي هو عدم تركيز الروايات القرآنية على النجاة (Salvation) وإنما على العقاب (Punishment)، ولذلك فإنها تُسمَّى "قصص العقاب" (Punishment Stories). فالشيء الوحيد المشترك بين جميع الروايات القرآنية هو أنها كلها ذكرت هلاكَ عاد! لكن حتى في هذا الشيء الوحيد المشترك، نجد اختلافاً في التفاصيل! فبينما تقول معظم الروايات إن عاد هلكت بالريح (القمر 19) (فصلت 16) (الأحقاف 24) (الذاريات 41) (الحاقة 6)، تقول رواية سورة المؤمنون: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ" (المؤمنون 41)! وقال المفسرون المسلمون إنها صيحة جبريل! ولعلهم قالوا ذلك حتى يوفقوا بين "الصيحة" و "الريح" لأن الريح تُستخدَم غالباً في الكتاب المقدس (حزقيال 37:9-10) (يوحنا 3:8) (أعمال الرسل 2:2) للدلالة على الروح القدس الذي يتوهَّم المسلمون أنه جبريل. أما إذا كان المقصود بـ "الصيحة" هو الرعد (thunder)، فهذا يعني أن أصحاب القرآن كانوا يتوهَّمون أن الرعد صيحة جبريل! أما الروايات القرآنية الثلاث الأخرى فاستخدمت كلمات عامة وغامضة لا تحدد طريقة هلاك معينة مثل "فَأَهْلَكْنَاهُمْ" (الشعراء 139) "وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا" (الأعراف 72) و "عَذَابٍ غَلِيظٍ. [...] وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ [...] ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ" (هود 58-60).

كل هذه الاختلافات الكثيرة بين الروايات القرآنية المتعددة لقصة هود مع قومه عاد تؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[4525]، وتؤكد أيضاً أن أصحاب القرآن كانوا بالفعل ينسون الآيات التي يقولونها ثم يقولون آيات أخرى "خَيْراً منها" حتى لو كانت تختلف عنها: "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا (أي: أنفع منها) أَوْ مِثْلِهَا" (البقرة 106)، "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى. إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [أَنْ تَنْسَاهُ]" (الأعلى 6-7)!

جدول 20 – الاختلافات الكثيرة بين الروايات القرآنية المتعددة لقصة هود مع قومه عاد!

الرواية / هل تذكر ...	اسمَ هود؟	اسمَ عاد؟	وسيلةَ هلاك عاد؟	نجاةَ هود ورفاقه المؤمنين؟
الأعراف 65-72	نعم	نعم	وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا	فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
الشعراء 123-140	نعم	نعم	فَأَهْلَكْنَاهُمْ	غير مذكورة!
هود 50-60	نعم	نعم	عَذَابٍ غَلِيظٍ. وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ [...] ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ	نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم
الأحقاف 21-28	لا	نعم	رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا	غير مذكورة!
الحاقة 4، 6-8	لا	نعم	فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا	غير مذكورة!
الذاريات 41-42	لا	نعم	أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ	غير مذكورة!
فصلت 13-16	لا	نعم	صَاعِقَةً. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ	غير مذكورة!
القمر 18-22	لا	نعم	إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ	غير مذكورة!
المؤمنون 31-41	لا!	لا!	فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	غير مذكورة!

وفي جميع الأحوال وبغض النظر عن كل هذه الاختلافات الكثيرة بين الروايات القرآنية المتعددة لقصة هود مع قومه عاد، فإنه حسب القرآن (أو بعبارة أكثر دقة: حسب التراث الإسلامي): عاد قبيلة عربية ورسولها هود كان من عاد بدليل أن القرآن يقول: "وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا" (الأعراف 65) (هود 50) "وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ" (الأحقاف 21). إذن: هود نبي عربي؛ يعني: مثل النبي العربي محمد ليس من بني إسرائيل. ولذلك فإننا أحياناً نجد في القرآن محاولات للربط بين قصة النبي العربي هود مع قومه عاد الكافرين المكذبين وقصة النبي العربي محمد مع قومه قريش الكافرين المكذبين.

قال صاحب رواية سورة القمر: كَذَّبَتْ عَادٌ [رسولَهم هوداً] فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ {18} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا (أي: شديدة البرودة؛ و/أو: عالية الصوت) فِي يَوْمِ نَحْسٍ (أي: شؤم) مُّسْتَمِرٍّ {19} تَنزِعُ (أي: تَقتلِعُ) النَّاسَ [وترمي بهم على رؤوسهم فتدق أعناقهم وتفصل رؤوسهم عن أجسادهم**!**] كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (أي: أصولُ نَخْلٍ منقلعٍ من مغارسه**!**) {20} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (أي: إنذاراتي بالعذاب قبل وقوعه) {21} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ (أي: للتلاوة والحفظ؛ للفهم والتدبر؛ للتذكر والاتعاظ) فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (أي: مُتَّعظ بمواعظه؛ معتبر بعبره) {22}.

وقال صاحب رواية سورة الأعراف: وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا (أي: أَخَاهُمْ في النَّسب لا في الدين)ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ [وحده] مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ [يستحق العبادة] غَيْرُهُۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ {65} قَالَ الْمَلَأُ (أي: الكبراء؛ السادة؛ الأشراف؛ ذوو الزعامة والصدارة) الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ (أي: ناقص العقل) وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ {66} قَالَ [هودٌ] يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {67} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ {68} أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ [لسانِ] رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ وَاذْكُرُوا [نعمةَ الله عليكم] إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ [هلاك] قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً (أي: زاد في أجسامكم طولاً وضخامة؛ و/أو: قوةً في السلطان)ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ (أي: نِعَمَ اللَّهِ) لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {69} قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ (أي: نترك) مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا (أي: بالعذاب الذي تهددنا به) إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {70} قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم (يقصد: قَدْ حقَّ عليكم) مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ (أي: عذابٌ شديد) وَغَضَبٌۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ (يقصد: الأوثان؛ الأصنام؛ فما هي من الحقائق الموجودة إلا مجرد أسماء) سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ (أي: حُجة؛ برهان)ۚ فَانتَظِرُوا [عقابَ الله] إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ {71} فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا (وهي: هدايتهم للإيمان والطاعة) وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا (أي: أهلكناهم تماماً؛ استأصلناهم فلم يبق منهم أحدٌ يخلفهم**!**)ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ {72}.

وقال صاحب رواية سورة الشعراء: كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ {123} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (أي: ألا تخشون عقابَ الله على كفركم ومعاصيكم؟**!**) {124} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ [من الله] أَمِينٌ (أي: حفيظ على توصيل رسالته إليكم كما أوحاها إليَّ) {125} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ {126} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ {127} [ثم عاب هودٌ قومَه في أمور ثلاثة وهي:] أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ (أي: مكانٍ

مرتفعٍ من الأرض؛ أو: طريق؛ فج بين جبلين) آيَةً (أي: علامةً على القوة والعزة؛ يقصد: بناءً عالياً شامخاً ليس فيه نفع حقيقي فتتفاخرون به فقط) تَعْبَثُونَ (أي: وذلك عبث وإسراف لا يعود عليكم بفائدة في الدين أو الدنيا[4526]) {128} وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ (أي: قصوراً منيعة؛ حصوناً مشيَّدة؛ وقيل: أحواض لتجميع مياه الأمطار) لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (أي: كأنكم لا تموتون) {129} وَإِذَا بَطَشْتُم (أي: أخذتم غيرَكم بعنفٍ وسرعة) بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (أي: ظالمين قاهرين تضربون وتقتلون غاضبين بلا رأفة) {130} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ {131} وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ {132} أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ {133} وَجَنَّاتٍ (أي: بساتين مثمرات) وَعُيُونٍ (أي: ينابيع المياه) {134} إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {135} قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (أي: يستوي عندنا وعظك وعدمه، فلن نؤمن بك في جميع الأحوال) {136} إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (أي: ما هذا الذي نحن عليه إلا عادة آبائنا وأجدادنا ولن نتركها؛ أو: ما هذا الذي جئتنا به إلا اختلاق السابقين وافتراؤهم وكذبهم) {137} وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ {138} فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً (أي: دلالة واضحة على قدرة الله؛ عِبْرةً لمن يعتبر) ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم (أي: أكثر قوم هود؛ و/أو: أكثر قوم محمد) مُّؤْمِنِينَ {139} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ [الغالبُ على الكفار وَالعُصَاة] الرَّحِيمُ [بعباده التائبين المؤمنين الطائعين] {140}.

وقال صاحب رواية سورة هود: وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (أي: كاذبون في إشراككم بالله) {50} يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي (أي: خلقني على الفطرة السليمة وهي فطرة التوحيد) ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {51} وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (أي: يُنْزل عليكم المطرَ متتابعاً كثيراً)[4527] وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا (أي: لا تُعرضوا عما أدعوكم إليه) مُجْرِمِينَ {52} قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ (أي: بحُجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه) وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ {53} إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ (أي: أصابك) بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ (المراد: بجنون) ۗ قَالَ [هودٌ] إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {54} مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا (أي: فتعاونوا أنتم وآلهتكم على إلحاق الضرر بي) ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (أي: لا تؤخروا عقابي لحظة) [فأنا لا أخاف منكم لأن الله يحميني ويحفظني] {55} إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا (أي: قصاص الشعر من مقدمة رأسها؛ والمراد: مالِك أمرها؛ تحت سلطانه وتصرفه) ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (أي: عدل في قضائه فلا يسلطكم عليّ)[4528] {56} فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ [يخلفونكم في دياركم وأموالكم] وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ {57} وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا [بإهلاك عَادٍ] نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا [بتوفيقهم للإيمان والطاعة] وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ {58} وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ (أي: طاغية؛ متكبر) عَنِيدٍ (أي: لا يقبل الحق ولا يُذْعن له) {59} وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً [من الله والملائكة والناس!][4529] وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ (أي: ولعنةً أخرى في الآخرة) ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا (أي: هلاكاً وسُحْقاً؛ طرداً من رحمة الله) لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ {60}.

وقال صاحب رواية سورة فصلت: فَإِنْ أَعْرَضُوا (أي: فَإِنْ أَعْرَضت قريش والعرب) فَقُلْ [لهم يا محمد] أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً (أي: عذاباً يهلككم ويستأصلكم في الحال؛ وقيل: ناراً تنزل مِن السماء فتقتل مَن تصيبه فوراً) مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ {13} إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ (أي: من جميع الجهات في المكان؛ يتبع بعضُهم بعضاً متوالين في الزمان) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ {14} فَأَمَّا عَادٌ [قوم هود] فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ {15} فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ (أي: مشؤومات) لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ (أي: الذل والهوان) فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (أي: لا يجدون مَن يُخلِّصهم من العذاب) {16}.

وقال صاحب رواية سورة الأحقاف: وَاذْكُرْ [يا محمد لقومك هوداً] أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ (أي: مضت الرسل قبله وبعده بمثل إنذاره) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (قيل هو يوم القيامة!) {21} قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا (أي: لتصرفنا) عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا (أي: بالعذاب الذي تهددنا به) إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {22} قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ [بوقت مجيء عذابكم] عِندَ اللَّهِ [وحده] وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ {23} فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا (أي: رأوا العذابَ في صورة سحاب عرض في أفق السماء) مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ (أي: متوجهاً نحو أوديتهم) قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا (أي: سحاب سيجلب لنا الماءَ ليسقينا) ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ {24} تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا [فأهلكتهم أجمعين] فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ (أي: آثار بناياتهم المتهدمة؛ أو: فقط موقع الأرض التي كانوا يسكنون فيها) ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ {25} وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ (أي: بمقدارٍ كبير لم نجعل لكم يا أهل مكة مثله فلقد كانوا أشد منكم قوةً وأكثر أموالاً وأولاداً وأعز جانباً وأمنع سلطاناً) وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ (أي: فما نفعهم) سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم (أي: نزل بهم؛ أحاط بهم) [من العذاب] مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {26} وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ [يا أهل مكة] وَصَرَّفْنَا (أي: بيَّنَّا ونوَّعنا) الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [عن الكفر لكنهم لم يرجعوا] {27} فَلَوْلَا (أي: فهلَّا) نَصَرَهُمُ [الأوثانُ] الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً (أي: يتقربون بها إلى الله لتشفع لهم عنده) ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ (أي: غابت تلك الأوثان عنهم لأنها مجرد أسماء ليس لها وجود حقيقي) ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (أي: هذا الهلاك هو عاقبة كذبهم وافترائهم في إشراكهم بالله) {28}.

وقال صاحب رواية سورة الذاريات: وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (أي: لا بركة فيها ولا تأتي بخير) {41} مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (أي: كالعظم البالي) {42}.

وقال صاحب رواية سورة المؤمنون: ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ (أي: بَعْد قوم نوح) قَرْنًا آخَرِينَ (أي: جيلاً آخر؛ وَهُمْ حسب رأي أكثر المفسرين: عاد قوم هود) {31} فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ {32} وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ (أي: وأنعمنا

عليهم بحظٍ كبيرٍ من الترف والنعيم) فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ {33} وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ {34} أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (أي: تُبْعَثون من قبوركم أحياء!) {35} هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (أي: ما وعدكم به بعيد حقاً ولن يحدث أبداً) {36} إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا (أي: يتوارد علينا الموتُ والحياة فحيٌّ يموت ومولود يولد) وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ[4530] {37} إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ {38} قَالَ [هودٌ داعياً ربه عليهم] رَبِّ انصُرْنِي [عليهم وعاقِبهم] بِمَا كَذَّبُونِ (أي: بسبب تكذيبهم لي) {39} قَالَ [اللهُ] عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ {40} فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ (قيل إنها صيحة جبريل!) بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً (أي: كالشيء الضعيف الحقير الذي يجرفه السيل ولا يُنتفع به)ۚ فَبُعْدًا [عن رحمة الله] لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {41}.

وقال صاحب رواية سورة الحاقة: كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (أي: بالقيامة!)[4531] {4} فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (أي: الصيحة العظيمة التي جاوزت الحد في شدتها) {5} وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (أي: بريح باردة عاصفة عنيفة جاوزت الحد لشدة هبوبها وشدة بردها وطول زمانها) {6} سَخَّرَهَا (أي: سلَّطها اللهُ) عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا (أي: متتابعة لا تنقطع ولا تَفْتُر؛ فأهلكتهم أجمعين) فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ (أي: موتى) كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (أي: جُذُوع نَخْلٍ ساقطة بالية خَربة متآكلة الأجواف) {7} فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن [نفسٍ] بَاقِيَةٍ [دون هلاك؟] {8}.

4.19.2 الروايات القرآنية المتعددة لقصة صالح

ذكر القرآنُ اسمَ "صالح" 9 مرات[4532] كلها في روايات مكية لقصته مع قومه ثمود! وذكر اسمَ "ثمود" 26 مرة جُلها أو تقريباً كلها في آيات مكية أيضاً[4533]! وفي التراث الإسلامي، تُعْرَف ثمود باسم آخر وهو "أَصْحَاب الْحِجْر". فعلى الرغم من أن القرآن لم يقل صراحةً إن قبيلة ثمود كانت تسكن منطقةً اسمها "الْحِجْر"، إلا أنه يوجد شبه إجماع بين المفسرين المسلمين على أن هذا هو المقصود من "وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ" (الحجر 80) واستدلوا على ذلك بأحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم تقول إن "الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرضَ ثمودَ، الحِجْرَ، [...]"[4534]. وكالعادة، لم يعين القرآنُ موضعَ الْحِجْر، وإنما عيَّنه المفسرون المسلمون أيضاً. فتقول مراجع إسلامية إن "الحِجْر" المعروفة حالياً باسم "مدائن صالح" (أو بالقرب منها) تقع بوادي القرى شمال غرب جزيرة العرب بين الحجاز والشام. فمثلاً يقول تفسير المنتخب (الصادر من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية) لـ(الحجر 80) إن "أصحاب الحِجْر هُمْ ثمود. والحِجْر واد بين المدينة والشام"[4535]. وقال الشيخ الشعراوي إن "قوم صالح كانوا أصحاب حضارة، وكان عندهم فن العمارة، دليل ذلك قول الحق سبحانه: "وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ" (الشعراء 149) فالذين شاهدوا مدائن صالح بجزيرة العرب رأوا كيف استطاع قوم صالح أن ينحتوا بيوتاً في الجبال. لم يبنوا بيوتاً في أرض فضاء وإنما نحتوا بيوتهم في الجبال"[4536]. وقال د. شوقي أبو خليل صاحب "أطلس

القرآن" الشهير الذي تُرجم إلى عدة لغات وهو من أكثر الكتب مبيعاً: "مساكن ثمود قوم صالح الحِجْر (مدائن صالح) بين الحجاز والشام، جنوب شرق أرض مدين التي تقع شرق خليج العقبة، ومساكنهم ظاهرة منحوتة في الصَّخر"[4537]. وكذلك الكاتب السعودي المعروف "سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث" صاحب "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل" وهو أيضاً من الكتب الأكثر مبيعاً والأوسع انتشاراً، قال: "سكن قومُ ثمود في منطقة الحِجْر التي تُسمَّى اليوم بمدائن صالح وهي منطقة جبلية"[4538]. وكثير من "المفكرين" المسلمين اللي بيقولوا على أنفسهم "مستنيرين" يرددون نفس الكلام، مثل د. محمد شحرور الذي قال: "وقوم ثمود هُمْ أَصْحَابُ الْحِجْرِ في قوله تعالى "وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ" (الحجر 80). [...]، وآثار مدائنهم ما زالت ظاهرة حتى الآن باسم مدائن صالح"[4539]! وكل هذا يعني أنه حسب التراث الإسلامي: مساكن ثمود = "الحِجْر" (الحجر 80) = "مدائن صالح" بجزيرة العرب. مع أن القرآن لم يقل ذلك صراحةً.

وملخص قصة النبي صالح أن الله أرسل صالحاً لقومه ثمود يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام وأيَّده اللهُ بمعجزةٍ هي "ناقة" (chamelle) (she-camel)! وزعم المفسرون المسلمون أن هذا الكائن الحي (الناقة) خرج من صخرة أو من جبل؛ أي: خرج من جماد لا روح فيه! وأخبر صالحٌ قومَه أن هذا الحيوان سيقاسمهم في ماء الشرب! "قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ" (الشعراء 155)! أي: للناقة وحدها يوم لا يشرب فيه أحدٌ غيرها مِن الماء، وللقبيلة كلها يوم لا تشرب الناقةُ فيه! (يعني ناقة واحدة تتساوى مع أفراد القبيلة كلهم؟! هل هذا معقول؟! أيهما أهم: الناقة أم الإنسان؟!) فرفض قومُه طبعاً - وبصراحة عندهم حق - وكذَّبوا صالحاً وآذوه وعقروا الناقةَ (hamstrung the she-camel) وذبحوها! ثم تنتهي القصة بنفس النهاية التي تتنهي بها جميع قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة: ينجو النبي (صالحٌ) ومَن آمن بنبوته. قيل إنهم ساروا إلى بلاد الشام ونزلوا في فلسطين. وكالعادة توجد آراء أخرى متضاربة. فقيل إنهم ذهبوا إلى حضرموت. وقيل: ذهبوا إلى مكة! وقيل: بل أقاموا في ديارهم بعد هلاك قومهم ثمود الذين دمَّرهم اللهُ تدميراً شاملاً عقاباً لهم على كفرهم وتكذيبهم. قيل: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ" حسب 3 روايات قرآنية (الحجر 83) (هود 67) (القمر 31)؛ وقيل إنها صيحة جبريل! فإذا كان الرعد (thunder) هو المقصود، فهذا يعني أن أصحاب القرآن كانوا يتوهَّمون أن الرعد صيحة جبريل! وقيل: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ" حسب روايتين قرآنيتين (الذاريات 44) (فصلت 13، 17)! ولعل المقصود هو البرق (lightning) المصاحب للرعد[4540]. وقيل: "أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ (أي: الزلزال الشديد)" حسب رواية قرآنية سادسة (الأعراف 78)! وقيل: "أُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ" حسب رواية قرآنية سابعة (الحاقة 5)! وكالعادة، حاولت المراجع الإسلامية الجمع بين هذه الآراء المختلفة غير المتناقضة فقالت إن تلك النقم كلها اجتمعت على ثمود يوم عذابهم؛ أو إن "الطاغية" (الحاقة 5) هي "الصيحة" (الحجر 83) (هود 67) (القمر 31) شديدة القوة التي أدت إلى حدوث "الرَّجْفَة" (الأعراف 78) وكانت مصحوبة بـ "الصَّاعِقَة" (الذاريات 44) (فصلت 13، 17)! أو إن الزلزلة الشديدة حدثت أولاً ثم جاءتهم الصيحة (الصَّاعِقَة)[4541]! أما نحن فنرى أن الاختلاف في طريقة هلاك ثمود يدل على تعدد التقاليد الشفهية التي اعتمدت عليها الروايات القرآنية المتعددة لقصة

صالح[4542]. و/أو يدل على أن صاحب الرواية القرآنية كان يختار طريقةَ هلاك تتفق مع السجع في روايته[4543]. فمثلاً صاحب رواية سورة الحاقة قال: "فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ" (الحاقة 5) حتى يتفق سجع الآية مع الآيات التي قبلها وبعدها في رواية سورة الحاقة: [...] بِالْقَارِعَةِ {4} [...] بِالطَّاغِيَةِ {5} [...] عَاتِيَةٍ {6} [...] خَاوِيَةٍ {7} [...] بَاقِيَةٍ {8}.

وهذا ليس الاختلاف الوحيد بين تلك الروايات القرآنية المتعددة، إذ توجد اختلافات كثيرة أخرى بينها في جميع العناصر الأساسية للقصة وهي: هل ذُكِرَ اسمُ صالح؟ هل ذُكِرَ اسمُ ثمود؟ هل ذُكِرَت الناقة؟ ما هي وسيلة هلاك ثمود إن ذُكِرَت؟ هل ذُكِرَت نجاة صالح ورفاقه المؤمنين؟! انظر الجدول التالي الذي يوضِّح أنه لا توجد رواية قرآنية واحدة تتفق مع رواية قرآنية أخرى في جميع العناصر الأساسية للقصة! نكرر مرة أخرى هذه الملاحظة المهمة: لا توجد رواية قرآنية واحدة تتفق مع رواية قرآنية أخرى في جميع العناصر الأساسية للقصة! فضلاً عن اختلافها في التفاصيل كما سنرى بعد قليل!

كل هذه الاختلافات الكثيرة بين الروايات القرآنية المتعددة لقصة صالح مع قومه ثمود تؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[4544]، وتؤكد أيضاً أن أصحاب القرآن كانوا بالفعل ينسون الآيات التي يقولونها ثم يقولون آيات أخرى "خَيْراً منها" حتى لو كانت تختلف عنها: "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا (أي: أنفع منها) أَوْ مِثْلِهَا" (البقرة 106)، "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى. إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [أَنْ تَنْسَاهُ]" (الأعلى 6-7)!

جدول 21 – الاختلافات الكثيرة بين الروايات القرآنية المتعددة لقصة صالح مع قومه ثمود!

الرواية / هل تذكر ...	اسمَ صالح؟	اسمَ ثمود؟	الناقةَ؟	وسيلةَ هلاك ثمود؟	نجاةَ صالح ورفاقه المؤمنين؟
الأعراف 73-79	نعم	نعم	نعم	فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ	فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ
الشعراء 141-159	نعم	نعم	نعم	فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ	غير مذكورة!
هود 61-68	نعم	نعم	نعم	وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا	نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ
النمل 45-53	نعم	نعم	لا	دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ. فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا	وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ
الشمس 11-15	لا	نعم	نعم	فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا	غير مذكورة!
القمر 23-32	لا	نعم	نعم	إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ	غير مذكورة!
فصلت 17-18	لا	نعم	لا	فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ	وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ
الذاريات 43-45	لا	نعم	لا	فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ	غير مذكورة!
الحاقة 4-5	لا	نعم	لا	فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ	غير مذكورة!
الحجر 80-84	لا!	لا!	لا!	فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ	غير مذكورة!

وفي جميع الأحوال وبغض النظر عن كل هذه الاختلافات الكثيرة بين الروايات القرآنية المتعددة لقصة صالح مع قومه ثمود، فإنه حسب القرآن (أو بعبارة أكثر دقة: حسب التراث الإسلامي): ثمود قبيلة عربية ورسولها صالح كان من ثمود بدليل أن القرآن يقول "وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا" (الأعراف 73) (هود 61). إذن: صالح نبي عربي؛ يعني: مثل النبي العربي محمد ليس من بني إسرائيل. ولذلك فإننا أحياناً نجد في القرآن محاولات للربط بين قصة النبي العربي صالح مع قومه ثمود الكافرين المكذبين وقصة النبي العربي محمد مع قومه قريش الكافرين المكذبين.

قال صاحب رواية سورة الشمس: كَذَّبَتْ ثَمُودُ [رسولَهم صالحاً] بِطَغْوَاهَا (أي: بسبب طغيانها وتجاوزها الحد في المعاصي) {11} إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (أي: قام أكثرُ القبيلة شقاوةً لقتل الناقة!) {12} فَقَالَ لَهُمْ [صالحٌ] رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (أي: اتركوا الناقةَ تأكل في أرض الله واحذروا منعها الشرب في يومها) {13} فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا (أي: فنحروا الناقةَ) فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم (أي: غَضِب عَلَيْهِمْ فدمَّر ديارهم وأهلكهم وجعلهم تحتَ التراب) بِذَنبِهِمْ (أي: بسبب جُرْمهم وهو الكفر والتكذيب والعَقْر) فَسَوَّاهَا [بالأرض ولم يُفْلِت منهم أحدٌ] (leveled their town) {14} وَلَا يَخَافُ [اللهُ] عُقْبَاهَا (أي: تبعةَ هذه العقوبة) {15}.

وقال صاحب رواية سورة القمر: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (أي: بإنذارات نبيهم صالح) {23} فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا (أي: منفرداً وحده لا متابع له على ما يدعو إليه) نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (أي: جنون؛ عناء) {24} أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (أي: منكر للنعمة؛ متجبر ومتكبر يريد الاستعلاء علينا وأن يقودنا ونحن نطيعه) {25} سَيَعْلَمُونَ غَدًا (أي: قريباً) مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ {26} إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ (أي: مُخْرجوها من صخرة صماء من الجبل!) فِتْنَةً (أي: امتحاناً واختباراً) لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ (أي: انتظر ما يصنعون) وَاصْطَبِرْ [على دعوتك إياهم وأذاهم لك] {27} وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ (أي: للناقة يوم ولهم يوم!) ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (أي: كل نصيب من الماء يحضره صاحبه في يومه ويُحظر على من ليس يومه!) {28} فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ [يحضونه على ذبح الناقة] فَتَعَاطَىٰ (أي: فتهيأ لذبحها بأن تناولها بيده وتناول سيفاً أو نحوه) فَعَقَرَ (أي: فقطَعَ إحدى قوائِمِها فسقطت ثم ذبحها)[4545] {29} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ {30} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً (قيل إنها صيحة جبريل!) فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (أي: كتبن صاحب الحظيرة؛ كالمتكسِّر من الشجر اليابس الذي يجعله صاحبُ الحظيرة سياجاً لحفظ الإبل والمواشي فتدوس الأنعام بأقدامها على ما يتكسر ويسقط منه؛ كالشجر البالي الذي تهشم وتحطم حتى ذرته الريح؛ والمراد: فبادوا عن آخرهم ولم تبق منهم باقية سليمة) {31} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ {32}.

وقال صاحب رواية سورة الأعراف: وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ (أي: برهان واضح؛ حُجة ظاهرة) مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {73} وَاذْكُرُوا [نعمةَ الله عليكم] إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ [هلاك] عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ (أي: مَكَّن لكم؛ أنزلكم؛ أسكنكم) فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ

بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ (أي: نِعَمَ اللَّهِ) وَلَا تَعْثَوْا (أي: وَلَا تَسْعَوْا) فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {74} قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ [حقاً؟] ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ {75} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ {76} فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا (أي: تجاوزوا الحد في استكبارهم وأعرضوا) عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا [من العذاب الأليم] إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ {77} فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ (أي: الزلزلة الشديدة) فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (أي: لاصقين بالأرض ميتين جثثاً هامدة؛ والمراد: هلكوا جميعاً) {78} فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ (أي: فأعرض صالحٌ عَنْهُمْ) وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ {79}.

وقال صاحب رواية سورة الشعراء: كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ {141} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ {142} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {143} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ {144} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ {145} أَتُتْرَكُونَ (أي: أيتركَكم اللهُ) فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ [من العذاب والزوال والموت] {146} فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {147} وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (أي: ثمرها رُطَب نضيج لين الهضم) {148} وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (أي: ماهرين حاذقين؛ وقيل: متجبرين متكبرين تبنونها للفخر والخيلاء) {149} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ {150} وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (أي: المتمادين في معصية الله؛ يقصد: الكفار، المشركين) {151} الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ {152} قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (أي: الذين سُحِروا سحراً كثيراً أو شديداً حتى غلب على عقولهم) {153} مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {154} قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ (أي: لها نصيب من الماء في يومٍ لا تشربوا فيه**!**) وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (أي: وَلَكُمْ نصيب من الماء في يومٍ آخر لا تشرب الناقةُ فيه**!**) {155} وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ {156} فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ [لَمَّا رأوا علامات العذاب وأيقنوا أنه سيحل بهم] {157} فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم (أي: أكثر قوم صالح؛ و/أو: أكثر قوم محمد) مُّؤْمِنِينَ {158} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {159}.

أما صاحب رواية سورة النمل فحكى قصةَ صالح مع قومه ثمود بطريقةٍ مختلفةٍ تماماً ولم يذكر الناقةَ إطلاقاً(4546)**! كما انفرد باستخدام كلمة "مكر" التي لم تُذكَر في أي رواية قرآنية أخرى!** وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ [أحدهما مؤمن مصدِّق والآخر كافر مكذِّب] يَخْتَصِمُونَ (أي: كل فريق يزعم أن الحق معه)(4547) {45} قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ (أي: لِمَ تبادرون الكفر وعمل السيئات وتستعجلون العذاب وتؤخرون الإيمان وفِعْل الحسنات الذي يضمن لكم النجاة؟) ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ [وتتوبون إليه] لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {46} قَالُوا اطَّيَّرْنَا (أي: تشاءَمْنا) بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ (أي: كل ما أصابكم من شر أو خير فهو من عند الله وليس بسببي) ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (أي: تُخْتَبرون بالسراء والضراء) {47} وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ (أي: تسعة رجال هُمْ زعماء الشر وأئمة الكفر) يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ {48} قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ (أي: لنغيرن على صالح هو وأهله بغتة في

ظلمة الليل ونقتلهم) ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ (أي: لقريبه المطالب بدمه) مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ (أي: ما حضرنا قتلهم أصلاً) وَإِنَّا لَصَادِقُونَ {49} وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا[4548] وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {50} فَانظُرْ [يا محمد] كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ[4549] {51} فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {52} وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ {53}.

وقال صاحب رواية سورة هود: وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ (أي: ابتدأ خلقكم في الأصل من طين الأَرْضِ لمَّا خلق أباكم آدم منها) وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا (أي: مكَّنكم من عمارتها) فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ {61} قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا (أي: كنا نؤمل فيك العقل والنفع) قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (أي: يوجب الظن والشك والتهمة) {62} قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً (أي: نبوةً؛ رسالةً) فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ (أي: لا أحد يستطيع أن يُخلِّصني مِن عقابِ الله) إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (أي: تضليل؛ خسران) {63} وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ {64} فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ [ثم يأتيكم بعدها عذابُ الله] ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ {65} فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا [بوقوع العذاب] نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا [بتوفيقهم للإيمان والطاعة] وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ {66} وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ {67} كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا (أي: هلكوا جميعاً ولم يبقَ لهم أثرٌ فكأنهم في تمام فنائهم وسرعة زوال آثارهم من ديارهم لم يعيشوا فيها أصلاً) ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا (أي: هلاكاً وسُحْقاً؛ طرداً من رحمة الله) لِّثَمُودَ {68}.

أما صاحب رواية سورة الحجر فحكى القصةَ باختصار فلم يذكر الناقةَ! لكنه ألمح إلى وجود "آيات" أخرى غيرها! فهل كان يقصد قصةَ صالح مع قومه ثمود؟ أم قصةً أخرى؟! وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (أي حسب رأي كل المفسرين تقريباً: كَذَّبَتْ ثَمُودُ صالحاً) {80} وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (أي: مبتعدين؛ غير معتبرين) {81} وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (أي: مطمئنين على أنفسهم وأموالهم؛ لا يخافون شيئاً) {82} فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ {83} فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (أي: لم تستطع حصونُهم في الجبال ولا أموالهم ولا قوتهم ولا جاههم أن تدفع عنهم عذابَ الله) {84}.

وكذلك صاحب رواية سورة فصلت حكى القصةَ باختصار شديد ولم يذكر الناقةَ! وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ (أي: بيَّنَّا لهم طريقَ الخير وطريق الشر) فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ (أي: اختاروا الكفر وليس الإيمان) فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ (أي: المهين المذل) بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (أي: بسبب ما كانوا يعملون من ذنوب) {17} وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ {18}.

وكذلك صاحب رواية سورة الذاريات حكى القصةَ باختصار شديد ولم يذكر الناقةَ! وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا [مؤقتاً في الدنيا] حَتَّىٰ حِينٍ (أي: إلى وقتٍ معلوم هو وقت العذاب والهلاك) {43} فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ

رَبِّهِمْ (أي: تَجبَّروا وتعالوا عن الاستجابة لأمْرِ رَبِّهِمْ) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ (أي: يعاينون وقوعها بهم) {44} فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ (أي: نهوض؛ هروب) وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ [لأنفسهم] (أي: مَا اسْتَطَاعَ أحدٌ أن يُخلِّصهم) {45}.

4.19.3 الروايات القرآنية المتعددة لقصة شُعيب أو لقصص شُعيب

ذكر القرآنُ اسمَ "شعيب" 11 مرة[4550] كلها في روايات مكية لقصته مع قومه أصحاب مَدْيَن وقصته مع "أَصْحَاب الْأَيْكَةِ" الذين ذكرهم القرآنُ 4 مرات كلها في آيات مكية أيضاً[4551]! أو بعبارة أكثر دقة: ذكر المصحفُ الحالي الأكثر شيوعاً "أَصْحَاب الْأَيْكَةِ" مرتين (الحجر 78) (ق 14) بينما ذكر "أَصْحَاب لْأَيْكَةِ" (بدون الألف) مرتين (الشعراء 176) (ص 13)! لكن معظم المراجع الإسلامية أو كلها تقريباً (وبخاصة المراجع الحديثة) تتجاهل هذا الاختلاف بين "الْأَيْكَةِ" و "لْأَيْكَةِ" أو تقلل من أهميته!

تقع مَدْيَن شرق خليج العقبة بين جنوب الأردن وشمال الحجاز، أي تقع في جنوب شرق إسرائيل/فلسطين في أقصى الشمال الغربي لشبه جزيرة العرب[4552]. وهذا يعني أن أصحاب مَدْيَن كانوا عرباً. وكما هو الحال في جميع قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة، تبدأ القصة بنفس البداية: النبي شعيب يدعو أصحابَ مدين إلى التوحيد لكن معظمهم يكذبوه. فتنتهي القصة بنفس النهاية: ينجو النبي ورفاقه المؤمنون بينما يدمِّر اللهُ الكافرين المكذبين تدميراً شاملاً عقاباً لهم! قيل: "فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ (أي: الزلزلة الشديدة)" حسب روايتين قرآنيتين (الأعراف 91) (العنكبوت 37)؛ وقيل: أَخَذَتْهُمُ "الصَّيْحَةُ" حسب رواية قرآنية ثالثة (هود 94)! وكالعادة، قيل إنها صيحة جبريل!

أما الْأَيْكَة (thicket; tanglewood) (fourré) (أي: الشجر الكثير الملتف؛ غَيْضَة تنبت ناعم الشجر)، فتقول المراجع الإسلامية إنها في مَدْيَن أو في مكانٍ آخر بالقرب من مَدْيَن (في باديتها)؛ قيل إنها تبوك بين جبلي حِسمَى غرباً وشَرَوْرَى شرقاً؛ وقيل إنها غَيْضَة من ساحل البحر إلى مَدْيَن كان أصحابُ الأيكة يعبدونها من دون الله. وقيل إن الْأَيْكَة هي الغيضة أو الشجر الملتف؛ أما لْأَيْكَة (بدون الألف) فهي اسم القرية أو البلد الذي فيه الأَيْكَة؛ مما يعني أن الاختلاف بين "الْأَيْكَة" (الحجر 78) (ق 14) و "لْأَيْكَةِ" (الشعراء 176) (ص 13) ليس ذا تأثير، فهو - حسب رأيهم - مثل الاختلاف بين مكة وبكة!

وكالعادة، اختلاف الآراء حول موقع الْأَيْكَة (لْأَيْكَة) أدى إلى اختلاف الآراء حول مَن هُمْ أصحاب الأَيْكَة. فقيل إن أصحاب الأيكة هُمْ أصحاب مدين قوم شعيب؛ أو على الأقل مجموعة منهم أو عشيرة أخرى من عشائرهم. ويوجد رأي آخر يقول إن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أصحاب مدين قوم شعيب[4553]؛ ومَن قالوا ذلك استدلوا بأن القرآن حين تحدث عن أصحاب مدين وصف شعيباً 3 مرات بكلمة "أَخَاهُمْ (أي: واحداً منهم)" (الأعراف 85) (هود 84) (العنكبوت 36) لكنه لم يستخدم أبداً كلمةَ "أَخَاهُمْ" حين تحدث عن

أصحاب الْأَيْكَة (لْأَيْكَة). إلا أن مؤيدي الرأي الأول يقولون إن القرآن لم يقل إن شعيب "أخو" أصحاب الْأَيْكَة ليس لأنه غريب عنهم وإنما لأنهم نُسِبوا إلى الأيكة وهي شجرة عظيمة مُلْتَفَّة الأغصان كانوا يعبدونها، فلا يصح أن يقول إن النبي شعيب "أخوهم". ومع ذلك، فإننا نميل إلى الرأي الثاني، ونرى أن اختلاف الآراء قد يرجع إلى أن المديانيين كانوا من البدو الرحل الذين يعيشون في الصحراء وليس في المدن وليس لهم مقر ثابت، فلقد كانوا كثيري التنقل إما سعياً وراء الكلأ لمواشيهم وإما بسبب تجارتهم ونقل البضائع من مكانٍ إلى آخر.

وفي جميع الأحوال، كنا نتمنى أن يذكر القرآنُ أين حدثت قصة شعيب؛ أو بالأحرى: قصص شعيب مع أصحاب مدين / لْأَيْكَة / الْأَيْكَة.

ويقول القرآن إن أَصْحَاب الْأَيْكَةِ (أو بعبارة أكثر دقة: أَصْحَاب لْأَيْكَةِ) "أَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ" في رواية (الشعراء 189) بينما لم تذكر الروايةُ الأخرى (الحجر 78-79) كيف هلك أصحابُ الأيكة وإنما اكتفت بعبارةٍ غامضة وغير محددة تقول "فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ" (الحجر 79)! كيف؟!

وكالعادة، الاختلافات السابقة ليست الاختلافات الوحيدة بين الروايات القرآنية المتعددة لقصة شعيب أو لقصص شعيب، إذ توجد اختلافات كثيرة أخرى بينها في جميع العناصر الأساسية للقصة وهي: هل ذُكِرَ اسمُ شعيب؟ هل ذُكِرَ اسمُ القوم أو مكانهم: مدين / لْأَيْكَة / الْأَيْكَة؟ ما هي وسيلة هلاك القوم إن ذُكِرَت؟ هل ذُكِرَت نجاة شعيب ورفاقه المؤمنين؟! انظر الجدول التالي الذي يوضِّح أنه لا توجد رواية قرآنية واحدة تتفق مع رواية قرآنية أخرى في جميع العناصر الأساسية للقصة! نكرر مرة أخرى هذه الملاحظة المهمة: لا توجد رواية قرآنية واحدة تتفق مع رواية قرآنية أخرى في جميع العناصر الأساسية للقصة! فضلاً عن اختلافها في التفاصيل كما سنرى بعد قليل!

كل هذه الاختلافات الكثيرة بين الروايات القرآنية المتعددة لقصة شعيب أو لقصص شعيب تؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[4554]، وتؤكد أيضاً أن أصحاب القرآن كانوا بالفعل ينسون الآيات التي يقولونها ثم يقولون آيات أخرى "خَيْراً منها" حتى لو كانت تختلف عنها: "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا (أي: أنفع منها) أَوْ مِثْلِهَا" (البقرة 106)، "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى. إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ [أَنْ تَنْسَاهُ]" (الأعلى 6-7)!

جدول 22 – الاختلافات الكثيرة بين الروايات القرآنية المتعددة لقصة شعيب أو لقصص شعيب!

الرواية / هل تذكر ...	اسمَ شعيب؟	اسمَ القوم؟	وسيلةَ هلاك القوم؟	نجاةَ شعيب ورفاقه المؤمنين؟
الأعراف 85-93	نعم	أصحاب مدين	فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ [...] كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا	فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ [شُعَيْبٌ] وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ
العنكبوت 36-37	نعم	أصحاب مدين	فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ	غير مذكورة!
هود 84-95	نعم	أصحاب مدين	وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا	نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
الشعراء 176-191	نعم	أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ	فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ	غير مذكورة!
الحجر 78-79	لا	أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ	فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ	غير مذكورة!

وفي جميع الأحوال، فإنه حسب القرآن (أو بعبارة أكثر دقة: حسب التراث الإسلامي): أصحاب مَدْيَن وأَصْحَاب الْأَيْكَةِ وأَصْحَاب لْأَيْكَةِ عرب ورسولهم شعيب كان من مَدْيَن بدليل أن القرآن يقول: "وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا" (الأعراف 85) (هود 84) (العنكبوت 36). إذن: شعيب نبي عربي؛ يعني: مثل النبي العربي محمد ليس من بني إسرائيل مع أنه جاء بعد إسرائيل (يعقوب). ولذلك فإننا أحياناً نجد في القرآن محاولات للربط بين قصة (أو قصص) النبي العربي شعيب مع قومه أصحاب مَدْيَن الكافرين المكذبين وقصة النبي العربي محمد مع قومه قريش الكافرين المكذبين.

قال صاحب رواية سورة الأعراف: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ (أي: لا تُنْقِصوهم شيئاً من حقوقهم في كَيْلٍ أو وزنٍ أو غير ذلك[4555]) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (أي: بشرط الإيمان والتوحيد، فلا ينفع عمل بدون إيمان) {85} وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ (أي: بكل طريقٍ) تُوعِدُونَ (أي: تهددون الناس بالأذى إذا جاءوا إليَّ؛ وقيل: إن لم يعطوكم أموالهم) وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ {86} وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ {87} قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا (أي: إلا إذا صرتم في ديننا) ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ {88} قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا (أي: اعتمدنا في أن يثبتنا على الإيمان) ۚ رَبَّنَا افْتَحْ (أي: احكم؛ افصل) بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (أي: الْحَاكِمِينَ) {89} وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (أي: لهالكون؛ لخَاسِرُونَ ثروتكم وشرفكم) {90} فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ (أي: الزلزلة الشديدة) فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ {91} الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ [لأنفسهم وما ملكوا] {92} فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ (أي: فأعرض شُعَيْبٌ عَنْهُمْ) وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ (أي: أحزن) عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ {93}.

وانفرد صاحبُ رواية سورة الشعراء بأن "شعيب" هو رسول الله إلى "أَصْحَاب الْأَيْكَةِ" (وفي المصحف الحالي: "أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ"): كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ (وفي المصحف الحالي: أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ) الْمُرْسَلِينَ {176} إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ {177} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {178} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ {179} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ {180} أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (أي: ممن يُنْقِصون الناس حقوقهم) {181} وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (أي: الميزان العادل السويّ) {182} وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [بالشرك والقتل والسرقة وقطع الطريق وغير ذلك] {183} وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (أي: وخلق الأمم السابقة) {184} قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ

(أي: أصابهم السحر إصابةً شديدة حتى ذهب بعقولهم) {185} وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ {186} فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ (أي: قطعة من النار أو غيرها مما ينزل من السماء ويعذب به فتستأصلنا) إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {187} قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ [من المعاصي وبما تستحقون من العذاب إما عاجلاً وإما آجلاً] {188} فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ (أي: السحاب؛ والمراد: سحابة الغضب التي أمطرت عليهم ناراً كما اقترحوا فهلكوا؛ قيل: سلَّط اللهُ عليهم الحر الشديد فصاروا يبحثون عن ملاذٍ يستظلون به فأظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً، فلمَّا اجتمعوا تحتها أسقطها اللهُ عليهم ناراً ملتهبة فأحرقتهم وأهلكتهم جميعاً![4556])ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [ونجّى اللهُ شعيباً والذين آمنوا معه] {189} إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم (أي: أكثر أصحاب لأيكة؛ و/أو: أكثر قوم محمد) مُّؤْمِنِينَ {190} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {191}.

وقال صاحب رواية سورة هود: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ (أي: في سَعَة عيش؛ لديكم ما يغنيكم عن المال الحرام) وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (أي: يحيط بكم جميعاً فلن تستطيعوا أن تفلتوا منه) {84} وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ (أي: بالعدل)ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {85} بَقِيَّتُ اللَّهِ (أي: ما أبقاه اللهُ لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال) خَيْرٌ لَّكُمْ [من المال الحرام الذي تأخذونه بالتطفيف ونحوه] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (أي: وما أنا عليكم برقيبٍ أحصي أعمالكم وأحاسبكم عليها، بل أنا مبلِّغ) {86} قَالُوا [ساخرين مستهزئين] يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ {87} قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ (أي: لن أرتكب أمراً نهيتكم عنه)ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (أي: أرجع بالتوبة؛ أفوّض جميع أموري) {88} وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم (أي: لا يحملنكم الخلاف بيني وبينكم على العناد والإصرار على الكفر فيصيبكم) مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ [لا في المكان ولا في الزمان] {89} وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ {90} قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا (أي: ليس لكَ قوة سياسية ولا اقتصادية)ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ (أي: عشيرتُك وأهلُك الذين نجاملهم لأنهم على ديننا) لَرَجَمْنَاكَ (أي: لقتلناك رمياً بالحجارة؛ وقيل: لطردناك[4557])ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ {91} قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ [فذكرتموهم ونسيتموه] وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا (أي: نبذتم اللهَ خلف ظهوركم لا تأتمرون بأمره ولا تنتهون بنهيه)ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (أي: لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم وسيحاسبكم عليها إما عاجلاً وإما آجلاً) {92} وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ (أي: كُلَّ ما أنتم قادرون عليه) [فأنا لا أخاف منكم] إِنِّي عَامِلٌ (أي: مُثابِرٌ على العمل بما يخالف عملكم)ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن [مِنَّا] يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌۖ وَارْتَقِبُوا (أي: انتظروا ما سَيَحِلُّ بكم) إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (أي: من المنتظرين لِمَا يقضي به اللهُ بيننا) {93} وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا [بإهلاك قوم شعيب] نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا

[بتوفيقهم للإيمان والطاعة] وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا (أي: ظلموا أنفسهم بالتصميم على الكفر وظلموا غيرهم بما أخذوا من أموالهم بغير وجه حق) الصَّيْحَةُ (قيل إنها صيحة جبريل!) فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ {94} كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا (أي: هلاكاً وسُحْقاً؛ طرداً من رحمة الله) لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ {95}.

وقال صاحب رواية سورة الحجر: وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ {78} فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا (أي: مكان أصحاب الأيكة وقرى قوم لوط) لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (أي: لفي طريقٍ واضحٍ يمرُّ بهما الناس في أسفارهم من الحجاز إلى الشام) {79}.

وقال صاحب رواية سورة العنكبوت: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ (أي: ارْجُوا الثوابَ يوم الحساب والجزاء في الآخرة!)[4558] وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {36} فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ {37}.

4.19.4 تشابه - بل تطابق - قصص العقاب الإلهي المسلسلة!

هذا النمط (pattern) من قصص العقاب الإلهي المتشابهة المنظومة في سلسلة (series) واحدة تلو الأخرى تكرر بشكلٍ واضحٍ جداً في 4 سور قرآنية (مكية طبعاً) هي: الأعراف وهود والشعراء والقمر.

4.19.4.1 تشابه - بل تطابق - قصص العقاب الإلهي المسلسلة في سورة الشعراء!

ولنبدأ أولاً بسورة الشعراء فهي بحق خير مثال على هذا النمط، وهي توضح أيضاً أن التشابه بين هذه القصص ليس في الأحداث والأفكار فقط، بل أيضاً في تطابق العبارات والكلمات[4559]!

تتحدث سورة الشعراء أولاً عن القرآن ومحمد وتكذيب قومه له (الشعراء 1-7) وينتهي الكلامُ بقوله: "**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**" (الشعراء 8-9).

ثم تنتقل السورة إلى قصة موسى وفرعون (الشعراء 10-66) وأيضاً تنتهي القصةُ بنفس الجملتين الختاميتين: "**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**" (الشعراء 67-68)!

ثم تذكر السورةُ نبأ إبراهيم مع قومه الوثنيين (الشعراء 69-102) وتكرر في نهايتها نفس الجملتين الختاميتين: "**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**" (الشعراء 103-104)!

ثم تتحدث السورةُ عن قصة نوح مع قومه (الشعراء 105-120) فتذكر أن نوح قال لقومه: "**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ**" (الشعراء 106-109)، وتنتهي القصةُ بنفس الجملتين الختاميتين: "**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**" (الشعراء 121-122)!

ثم تنتقل السورةُ إلى قصة هود مع قومه عاد (الشعراء 123-138) وتذكر أن هود أيضاً قال لقومه نفس ما قاله نوح من قبل لقومه! "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 124-127) وطبعاً تنتهي القصةُ بنفس الجملتين الختاميتين: "فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" (الشعراء 139-140).

ثم تنتقل السورةُ إلى قصة صالح مع قومه ثمود (الشعراء 141-157) وتذكر أن صالح قال لقومه نفس ما قاله نوح لقومه ونفس ما قاله هود لقومه بالضبط! هل هذا معقول؟! "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 142-145) وطبعاً تنتهي القصةُ بنفس الجملتين الختاميتين: "فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" (الشعراء 158-159).

ثم تنتقل السورةُ إلى قصة لوط مع قومه (الشعراء 160-173) وتذكر أن لوط أيضاً قال لقومه نفس ما قاله نوح لقومه ونفس ما قاله هود لقومه ونفس ما قاله صالح لقومه بدون زيادة ولا نقصان! هل هذا معقول؟! "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 161-164) وطبعاً تنتهي القصةُ بنفس الجملتين الختاميتين اللتين نحفظهما عن ظهر قلب: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" (الشعراء 174-175).

ثم تنتقل السورةُ إلى قصة شعيب مع أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ (أو بعبارة أكثر دقة: أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ) (الشعراء 176-189) فتزعم أن شعيب قال لهم نفس ما قاله نوح لقومه ونفس ما قاله هود لقومه ونفس ما قاله صالح لقومه ونفس ما قاله لوط لقومه بالضبط! هل هذا معقول؟! "إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 177-180) وطبعاً تنتهي القصةُ بنفس الجملتين الختاميتين اللتين رأيناهما في القصص السابقة: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" (الشعراء 190-191).

وأخيراً تعود السورة مرة أخرى لتتحدث عن القرآن وكفار قريش في مكة (الشعراء 192-220) إلى آخر السورة.

4.19.4.2 تشابه - بل تطابق - قصص العقاب الإلهي المسلسلة في سورة الأعراف!

أما سورة الأعراف فتسلط الضوءَ على موقف الملأ – وَهُمْ علية القوم مِن أهل الصدارة والزعامة – مما دعا إليه كل نبي. وموقف الملأ هو تكذيب النبي والكفر بما جاء به.

فالسورة تبدأ أولاً بالتذكير بإهلاك كثير من أمم الكافرين المكذبين السابقين: "وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا (أي: وَهُمْ نائمون ليلاً) أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (أي: وَهُمْ نائمون نهاراً)" (الأعراف 4).

والأمة الأولى التي أُهْلِكَت هي قوم نوح (الأعراف 59-64)، فتذكر السورةُ ما قاله نوحٌ لقومه: "فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف 59)، ثم تذكر السورةُ موقفَ ملأ قوم نوح الكافرين المكذبين: "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ [يا نوح] فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (الأعراف 60). ثم يضع صاحبُ هذه الرواية القرآنية جملةً على لسان نوح تشمل الرسالة + البلاغ + النصيحة: "قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (الأعراف 61-62). ولم تُذْكَر هذه الجملة إلا في رواية سورة الأعراف لقصة نوح.

ثم تنتقل السورةُ إلى قصة هود مع قومه عاد (الأعراف 65-72)، فتزعم أن هود قال لقومه نفس ما قاله نوحٌ لقومه: "قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف 65)! ثم تذكر السورةُ موقفَ ملأ قوم هود الكافرين المكذبين: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ [يا هود] فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ" (الأعراف 66). ثم يضع صاحبُ هذه الرواية القرآنية جملةً على لسان هود تشمل الرسالة + البلاغ + النصيحة! "قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ" (الأعراف 67-68)! وطبعاً لم تُذْكَر هذه الجملة إلا في رواية سورة الأعراف لقصة هود.

ثم تنتقل السورةُ إلى قصة صالح مع قومه ثمود (الأعراف 73-79)، فتزعم أن صالح قال لقومه نفس ما قاله نوحٌ لقومه وهو نفس ما قاله هود لقومه بالضبط: "قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف 73)! هل هذا معقول؟! ثم تذكر السورةُ موقفَ ملأ قوم صالح الكافرين المكذبين: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ" (الأعراف 75). ثم يضع صاحبُ هذه الرواية القرآنية جملةً على لسان صالح تشمل الرسالة + البلاغ + النصيحة! "فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ" (الأعراف 79)! وطبعاً لم تُذْكَر هذه الجملة إلا في رواية سورة الأعراف لقصة صالح. الصنعة الأدبية واضحة لكل إنسان عاقل.

ثم تنتقل السورةُ إلى قصة لوط مع قومه (الأعراف 80-84). "وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ" (الأعراف 82). وهنا نرى السورةَ تستخدم تعبيراً مختلفاً: "مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا"، ربما لأنه نفس التعبير الذي استخدمه القرآنُ في روايات أخرى لقصة لوط (النمل 56) (العنكبوت 29) وأيضاً في قصة عمه إبراهيم (العنكبوت 24).

ثم تتحدث سورةُ الأعراف بعد ذلك عن قصة شعيب مع قومه أصحاب مدين (الأعراف 85-93)، فتزعم أن شعيب قال لقومه نفس ما قاله نوحٌ لقومه وهو نفس ما قاله هود لقومه وهو أيضاً نفس ما قاله صالحٌ لقومه بدون زيادة ولا نقصان: "قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف 85)! هل هذا معقول؟!

ثم تذكر السورةُ موقف ملأ أصحاب مدين الكافرين المكذبين: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ" (الأعراف 88) "وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ" (الأعراف 90). ثم يضع صاحبُ هذه الرواية القرآنية جملةً على لسان شعيب تشمل الرسالة + البلاغ + النصيحة! "فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ" (الأعراف 93)! وطبعاً لم تُذْكر هذه الجملة إلا في رواية سورة الأعراف لقصة شعيب. التأليف واضح جداً.

ثم بعد حديث عن طريقة تعامل الله مع أهل القرى الذين كذبوا الأنبياء السابقين (الأعراف 94-100)، تتوجه سورة الأعراف بخطابٍ إلى محمد: "تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ. وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ" (الأعراف 101-102).

ثم تنتقل السورة بعد ذلك إلى قصة موسى وفرعون (الأعراف 103-138)، وأيضاً تذكر ما قاله الملأ الكافرون المكذبون: "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ" (الأعراف 109) "وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ" (الأعراف 127).

4.19.4.3 تشابه - بل تطابق - قصص العقاب الإلهي المسلسلة في سورة القمر!

تبدأ سورةُ القمر بالحديث عن تكذيب قوم محمد (أي: مشركي مكة؛ كفار قريش) لمحمد: "وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ [...]" (القمر 3). ومن ثم تقول تسليةً لمحمد إن قوم نوح قد كذَّبوه أيضاً: "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ [...]" (القمر 9) وهي الآية الأولى في رواية سورة القمر لقصة نوح مع قومه (القمر 9-17) التي تنتهي بقوله: "وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ" (القمر 15-17).

ثم تنتقل السورةُ إلى قصة هود مع قومه عاد (القمر 18-22)، وتبدأ القصةُ أيضاً بالتكذيب: "كَذَّبَتْ عَادٌ [...]" (القمر 18)، وتنتهي أيضاً بنفس الجملتين الختاميتين: "فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ" (القمر 21-22).

ثم تنتقل السورةُ إلى قصة صالح مع قومه ثمود (القمر 23-32)، وتبدأ القصةُ أيضاً بالتكذيب: "كَذَّبَتْ ثَمُودُ [...]" (القمر 23)، وتنتهي بنفس الجملتين الختاميتين: "فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ" (القمر 30) "وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ" (القمر 32).

وبعد ذلك تتحدث السورةُ عن قصة لوط مع قومه (القمر 33-40)، وتبدأ القصةُ أيضاً بالتكذيب: "كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ [...]" (القمر 33)، وتنتهي بهاتين الجملتين الختاميتين: "**فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**" (القمر 39-40)!

ثم تتحدث السورةُ عن آل فرعون (القمر 41-42) الذين هُمْ أيضاً "كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا" (القمر 42).

وفي النهاية تعود السورةُ مرة أخرى إلى كفار قريش في مكة فتقول لهم: "أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ (أي: أقوى مِنْ أُولَئِكُمْ (أي: مِن الذين تقدَّم ذكرهم ممن كَذَّبُوا فهلكوا) أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ [مِن عقاب الله] فِي الزُّبُرِ (أي: في الكتب المنزلة)" (القمر 43) "وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ (أي: أمثالَكُم في التكذيب والكفر من الأمم الخالية) **فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**" (القمر 51).

4.19.4.4 تشابه - بل تطابق - قصص العقاب الإلـهي المسلسلة في سورة هود!

تتميز سورة هود بأنها السورة الوحيدة التي تحمل اسمَ نبي من أنبياء قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة، إذ لا توجد سورة تحمل اسمَ صالح ولا لوط ولا شعيب ولا حتى موسى. صحيح توجد سورة تحمل اسمَ نوح، لكنها تتحدث عن قصة نوح مع قومه فقط. أما سورة هود فتذكر قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى.

تبدأ سورة هود بترديد نفس الأفكار والعبارات والكلمات التي تُذْكَر كثيراً في قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة، مثل: "أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ" (هود 2)، "إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ" (هود 2)، "وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ" (هود 3)، "وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ" (هود 3)، "وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا [...]" (هود 6) ... الخ.

قصة نوح مع قومه هي القصة الأولى في قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة في سورة هود (هود 25-48)، وتزعم رواية سورة هود أن نوح قال لقومه: "**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي** وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ..." (هود 28). وتستخدم الروايةُ كلمتي "**جَاءَ أَمْرُنَا**" (هود 40) لتعبر عن بدء عملية إهلاك الكافرين المكذبين، وتستخدم كلمةَ "**بُعْدًا** لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (هود 44) لتعبر عن نهاية تلك العملية.

<u>ملحوظة:</u> راجِع ما قلناه عن "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ [...]" (هود 35) التي تأتي في وسط قصة نوح، لكن المفسرين المسلمين احتاروا فيها: هل تتحدث عن نوح وقومه؟ أم تتحدث عن محمد وقومه؟ وسبب حيرة المفسرين المسلمين هو أن أصحاب القرآن قد استخدموا عبارةَ "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ [...]" في آيات قرآنية أخرى قاصدين محمداً والقرآن، وإحدى تلك الآيات جاء في سورة هود أيضاً! "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ [...]" (هود 13)! أو كما قلنا فيما سبق: صحيح أن رواية سورة هود (هود 25-48) تتحدث عن قصة نوح مع

قومه، لكن صاحب هذه الرواية كان يكتبها وهو يفكر في قصة محمد مع قومه، فأدخل فيها – بوعي أو بدون وعي – عناصر من حياة محمد.

ثم توجه السورةُ خطاباً إلى محمد (هود 49).

ثم تنتقل السورةُ إلى قصة هود مع قومه عاد (هود 50-60). وهنا يضع صاحبُ الرواية على لسان هود بعضَ الأفكار والعبارات والكلمات التي جاءت في مقدمة السورة! مثل: "قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (هود 50) [قارنها مع (هود 2)]، "وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ" (هود 52) [قارنها مع (هود 3)]، "مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا" (هود 56) [قارنها مع (هود 6)]، "فَإِن تَوَلَّوْا" (هود 57) [قارنها مع (هود 3)]. إنه إذن كلام أصحاب القرآن ووضعه صاحبُ الرواية على لسان هود. وتستخدم الروايةُ نفس الكلمتين "**جَاءَ أَمْرُنَا**" (هود 58) لتعبر عن بدء عملية إهلاك الكافرين المكذبين، وتستخدم نفس الكلمة "**بُعْدًا** لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ" (هود 60) لتعبر عن نهاية تلك العملية!

ثم تنتقل السورةُ إلى قصة صالح مع قومه ثمود (هود 61-68) حيث وضع صاحبُ الرواية على لسان صالح نفس الجملة التي قالها نوحٌ لقومه! "**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي** وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ..." (هود 63). وتستخدم الروايةُ نفس الكلمتين "**جَاءَ أَمْرُنَا**" (هود 66) لتعبر عن بدء عملية إهلاك الكافرين المكذبين، وتستخدم نفس الكلمة "**بُعْدًا** لِّثَمُودَ" (هود 68) لتعبر عن نهاية تلك العملية!

ثم تبدأ قصة ضيف إبراهيم (هود 69-76)، وينتقل منها إلى قصة لوط مع قومه (هود 77-83). وتستخدم الروايةُ نفس الكلمتين "**جَاءَ أَمْرُنَا**" (هود 82) لتعبر عن بدء عملية إهلاك الكافرين المكذبين!

ثم تتحدث سورةُ هود بعد ذلك عن قصة شعيب مع قومه أصحاب مدين (هود 84-95) فنجد أن شعيب قال نفس الجملة التي قالها صالحٌ لقومه وقالها نوحٌ من قبله: "**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي** وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ..." (هود 88). هل هذا معقول؟! ليس هذا فحسب، بل تستخدم الروايةُ نفس الكلمتين "**جَاءَ أَمْرُنَا**" (هود 94) لتعبر عن بدء عملية إهلاك الكافرين المكذبين، وتستخدم نفس الكلمة "**بُعْدًا** لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ" (هود 95) لتعبر عن نهاية تلك العملية!

ثم تتحدث سورةُ هود عن قصة موسى وفرعون (هود 96-99).

ثم توجه السورة خطاباً إلى محمد مرة أخرى (هود 100-102)، ثم تتحدث عن الآخرة حيث النار للأشقياء والجنة للسعداء (هود 103-108)، وأخيراً تتحدث عن المشركين وعبَّاد الأوثان من أهل مكة قوم محمد: "فَلَا تَكُ [يا محمد] فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ" (هود 109).

وفي النهاية تعترف سورةُ هود التي ذكرت قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وقصص أخرى بأن هذه القصص "تُثَبِّتُ فُؤَاد" محمد: "وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ" (هود 120).

وهذا الاعتراف الصريح يجعلنا نتساءل: هل قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة قصص حقيقية تاريخية؟ أم هي مجرد تسلية لمحمد تشجعه على الصبر حتى النصر كما صبر الأنبياء والرسل السابقون حتى نصرهم اللهُ: "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ" (الأنعام 34)؟ لكن قبل أن نجيب على هذا السؤال، يجب علينا أولاً أن نقرأ آيات قرآنية أخرى تذكر عاد وثمود وأقوام آخرين "لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ"! ...

4.19.5 آيات قرآنية أخرى تذكر عاد وثمود وأقوام آخرين "لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ"!

توجد آيات قرآنية أخرى تشير باختصار إلى قصة هلاك عاد قوم هود وهلاك ثمود قوم صالح وهلاك أقوام آخرين "لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ" مثل "أَصْحَابَ الرَّسِّ" و "قَوْمُ تُبَّعٍ"! ومعظم تلك الآيات أو كلها تقريباً توجِّه الخطاب - بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - إلى محمد أو إلى خصومه مثل كفار قريش الذين كذَّبوه في مكة والمنافقين في المدينة (يثرب). مما يؤكد أن هدف هذه القصص القرآنية ليس التأريخ وإنما تثبيت محمد والمسلمين الأوائل وتخويف خصومهم وتهديدهم وإرهابهم. وخير دليل قرآني على ذلك هو عبارة "أهلكنا قبلهم (أي: قبل كفار قريش)" أو "قبلهم أهلكنا" التي كررها أصحابُ القرآن 11 مرة ليذكِّروا المشركين بالهلاك الذي حدث لأمم الكافرين المكذبين من قبلهم! وكل تلك الآيات الإِحْدَى عَشْرَةَ آيات مكية وهي:

- "وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ" (يونس 13)؛
- "وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ" (مريم 74، 98) (ق 36)؛
- "كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ" (ص 3)؛
- "أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ [...] فَأَهْلَكْنَاهُم" (الأنعام 6)؛
- "أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ" (يس 31)؛
- "أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ" (طه 128)؛
- "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ" (السجدة 26)؛
- "مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ" (الأنبياء 6)؛
- "أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَاهُمْ" (الدخان 37)!

نكرر: كل تلك الآيات الإِحْدَى عَشْرَةَ آيات مكية! ونحن نقول ذلك ونكرره لنرد على مَن يزعم أن الإرهاب الإسلامي موجود في القرآن المدني فقط. فنقول له: "اقْرَأْ" (العلق 1) وانتبه! الإرهاب الإسلامي موجود في القرآن المكي أيضاً، لكنه يأتي في صورة قصة (narrative) ويُلْصَق تنفيذُه بالله! أما في القرآن المدني، فتحول الإرهاب الإسلامي إلى أمر (injunction) مِن الله وينفذه المسلمون بأيديهم عن طريق القتال! "وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ **أَوْ بِأَيْدِينَا** ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ" (التوبة 52)! "قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ **بِأَيْدِيكُمْ** وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" (التوبة 14)! "الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ [...] يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ **وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**" (الحشر 2)! وهذا الإرهاب الإسلامي الموجود في القرآن المدني مستمر إلى اليوم، بدليل أن عبارة "وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" (التوبة 14) هي نفس العبارة التي رددها الحمساويون الإرهابيون الذين غزوا إسرائيل يوم السبت 7 أكتوبر 2023 فقتلوا الرجال وخطفوا النساء (ملك يمين) ونهبوا الممتلكات (الغنائم) وَهُمْ يهتفون "الله أكبر"! وطبعاً اللهُ بريء من كل ذلك الإرهاب، سواء الإرهاب باللسان (المرحلة المكية قبل الهجرة إلى المدينة) أو الإرهاب باليد (المرحلة المدنية بعد الهجرة إلى المدينة).

وفيما يلي نذكر أمثلة من تلك الآيات القرآنية التي تشير باختصار إلى قصص هلاك الكافرين والمكذبين من الأمم السابقة. وهي على سبيل المثال وليس الحصر.

سورة الإسراء: وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ (أي: المعجزات التي اقترحها أهلُ مكة عليك يا محمد) إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ [فهلكوا جميعاً بسبب كفرهم وتكذيبهم]ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً (أي: معجزة واضحة) فَظَلَمُوا بِهَا (أي: كفروا بها)ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (أي: إرهاباً!) {59}.

تعليقنا على (الإسراء 59): هكذا حاول أصحابُ القرآن تبرير عدم تأييد الله لمحمد بأي معجزة! فكأنهم أرادوا أن يقولوا إن رحمة الله هي التي منعت قيام محمد بأي معجزة، لأنه لو كان عمل معجزةً ولم يؤمن بها كفار قريش لهلكوا جميعاً مثل ثمود! وهذا طبعاً تبرير غير مقنع، لأن المسيح عمل معجزات كثيرة ولم يؤمن بها معظم اليهود، ومع ذلك لم يهلكهم اللهُ، بل ما زال اليهود والإسرائيليون موجودين إلى يومنا هذا ومتفوقين على المسلمين والعرب! فما هو السبب الحقيقي الذي جعل اللهُ لا يؤيد محمداً بأي معجزة؟! الإجابة الوحيدة المقنعة: لأن محمد ليس رسولاً من عند الله أصلاً.

سورة النجم: وَأَنَّهُ (أي: الله) أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (أي: قومَ هود أول أمة أهلكت بعد نوح) {50} وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (أي: فلم يُبْقِ منهم أحداً) {51} وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ {52} وَالْمُؤْتَفِكَةَ (أي: مدائن قوم لوط التي قلبها اللهُ) أَهْوَىٰ (أي: خسف بهم وأسقطهم) {53} فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ (أي: فألبسها ما ألبسها من الحجارة المحمَّاة بالنار والمتتابعة النازلة عليهم من السماء كالمطر) {54} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (أي: فَبِأَيِّ نِعَمِ رَبِّكَ أيها الإنسان المكذِّب تشك؟) {55} هَٰذَا (أي: محمد؛ أو: القرآن) نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ (أي: ينذركم ويخوِّفكم يا أهل مكة كما حذر الأنبياءُ والرسل السابقون أقوامهم) {56}.

سورة الفجر: أَلَمْ تَرَ [يا محمد] كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ {6} إِرَمَ (قيل: اسم آخر أو لقب لعاد الأولى قوم هود؛ وقيل: هو أبوهم أو جدهم. وقيل: قبيلة من عاد. وقيل: هُما عادان، عاد الأولى قوم هود وعاد الأخرى إِرَم! وقيل: عاد الأولى هو عاد بن عَوْص(4560) بن إِرَم (أرام(4561)) بن سام بن نوح، وعاد الثانية من ولد عاد الأولى أو مَن تبقوا منها أو هي ثمود! وقيل إنَّ عاداً الآخرة هُمْ الجبَّارون قوم هود! وقيل إن "إِرَمَ" اسم موضع وهو مدينة دمشق! أو مدينة الإسكندرية! أو مدينة أخرى بالأحقاف شرق اليمن أو غرب عُمان(4562)) ذَاتِ الْعِمَادِ (أي: الأبنية العالية المرفوعة على الأعمدة؛ القوة الشديدة) {7} الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ {8}

وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ (أي: قطعوه ونحتوه واتخذوا منه بيوتاً وقصوراً) بِالْوَادِ {9} وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (أي: المباني العظيمة الثابتة؛ المُلْك الراسخ) {10} الَّذِينَ طَغَوْا (أي: ظلموا واستبدُّوا؛ تجاوزوا الحد) فِي الْبِلَادِ {11} فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ [بالكفر والمعاصي والظلم] {12} فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (أي: عذَّبهم عذاباً دائماً مؤلماً؛ أنواعاً مؤلمة من الكوارث) {13} إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (أي: يرصد ويراقب أعمال العباد) {14}.

سورة العنكبوت: وَ[اذكر يا محمد] عَادًا وَثَمُودَ [إذ أهلكناهم] وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم [يا أهل مكة] مِّن مَّسَاكِنِهِمْ (أي: آثار بناياتهم المتهدمة؛ أو: فقط موقع الأرض التي كانوا يسكنون فيها) [ترونها بالأحقاف والْحِجْر فيتبيَّن لكم خرابُها وخلاؤُها منهم]ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ [الخسيسة فحسبوها رفيعة فاتبعوه] فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ (أي: فصرفهم الشَّيْطَانُ عن الطريق الوحيد الواضح الموصل إلى الحق/الله) وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (أي: كانوا يعرفون الحق بواسطة الرسل فليس لهم عذر؛ كانوا عقلاء ذوي بصائر لكنها لم تنفعهم؛ كانوا معجبين بكفرهم يحسبون أنهم على هدى وصواب بينما هُمْ في الضلال غارقون) {38}.

سورة ص: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ (أي: قبل كفار مكة) قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ {12} وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ (وفي المصحف الحالي: وَأَصْحَابُ لْأَيْكَةِ)ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ (أي: الذين تجمَّعوا بالكثرة والقوة ضد رسلهم كما تحزَّب قومُك قريش ضدك يا محمد) {13} إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (أي: فاستحقوا عقاب الله الذي حلَّ بهم وإن تأخَّر) {14} وَمَا يَنظُرُ (أي: وما ينتظر) هَٰؤُلَاءِ (أي: كفار قريش) إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (أي: ليس لها رجوع؛ لا تحتاج إلى تكرار؛ ليس فيها مهلة بل هي متصلة حتى تهلكهم) {15} وَقَالُوا [تحدياً واستهزاءً] رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا (أي: نصيبَنا وقسطنا من العذاب؛ جزاءَنا؛ وقيل "معناه: كتابَنا، بالنَّبَطية (أي: لغة الأنباط)"[(4563)][(4564)]) قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ {16} اصْبِرْ [يا محمد] عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ (أي: على ما يقول المشركون) [...] {17}.

سورة الحج: وَإِن يُكَذِّبُوكَ [يا محمد] فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ {42} وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ {43} وَأَصْحَابُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ (أي: فأمهلتهم ولم أعاجلهم بالنقمة والعذاب) ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ (أي: عاقبتُهم بالعذاب الدنيوي)ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (أي: فانظر كيف كان إنكاري عليهم كفرهم وتكذيبهم؛ كيف كان تغييري ما كان بهم من نعمة إلى عذاب وهلاك وخراب) {44} فَكَأَيِّن (أي: فكثيراً) مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ [بالكفر و/أو التكذيب] فَهِيَ (أي: فأصبحت) خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا (أي: مدمَّرة تماماً؛ خالية من سكانها وقد سقطت سقوفها على جدرانها؛ أو: سقطت سقوفُها ثم جدرانُها) وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ (أي: هُجِرَت آبارها فلا يُستقَى منها) وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (أي: قصور تعب أهلُها في تشييدها وتعليتها لكنها لم تحميهم من العذاب والهلاك[(4565)]) {45} أَفَلَمْ يَسِيرُوا (أي: أَفَلَمْ يَسِر كفار مكة) فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا[(4566)]ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ {46} وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ {47} وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ

[بالكفر و/أو التكذيب] ثُمَّ أَخَذْتُهَا (أي: عاقبتُ أهلها بالعذاب الدنيوي) وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (أي: وَإِلَيَّ وحدي مرجعهم يوم القيامة لأعذبهم العذاب الأخروي) {48} قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ [فالله وحده هو الذي يتولى حسابكم ومجازاتكم] {49} فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [في الدنيا] لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [في الآخرة] {50} وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي [تكذيب] آيَاتِنَا (أي: يثبطون الناس عن اتباع محمد) مُعَاجِزِينَ (أي: مُعاندين مُسابقين؛ مُغالبين مُشاقين وباذلين كل جهودهم[4567]؛ ظانين أنهم يعجزوننا) [في الدنيا] أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (أي: نار جهنم) [في الآخرة] {51}.

سورة إبراهيم: أَلَمْ يَأْتِكُمْ [يا قوم محمد[4568]] نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ (أي: بالحُجج الواضحة على صدقهم) فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ (أي: استغراباً وتكذيباً؛ وقيل: غيظاً؛ أو: أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرونهم بالسكوت) وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (أي: موجب للريبة؛ غير يقيني) {9} قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى (أي: إلى وقتٍ محدد هو منتهى العمر في الدنيا فلا يعاجلكم جميعاً بالعذاب والهلاك) ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا (أي: تمنعونا) عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (أي: ببرهان واضح حسّي؛ بحُجة ظاهرة مادية) {10} قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ (أي: يتفضَّل بنعمة النبوة والرسالة) عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ {11} وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا [بالقول أو بالفعل] ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ {12} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ {13} وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي (أي: موقفه بين يديَّ يوم الحساب) وَخَافَ وَعِيدِ (أي: وعيدي بالعذاب في الدنيا والآخرة) {14} وَاسْتَفْتَحُوا (أي: لجأ الرسل إلى ربهم وسألوه النصر على أعدائهم فاستجاب لهم) وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ {15} مِّن وَرَائِهِ (أي: أمامه؛ بانتظاره) جَهَنَّمُ [في الآخرة] وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (أي: ما يسيل من أجسام أهل النار من القيح والدم وغير ذلك!) {16} يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ (أي: لا يستطيع أن يبتلعه لحرارته ومرارته وقذارته!) وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ (أي: تأتيه أسبابُ الموت من كل جهة) وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ (أي: ولكنه لا يُراح بالموت فلا يموت!) ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (أي: بل يستقبل في كل وقت عذاباً أشد!) {17} مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ [الصالحة في الدنيا] كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ [فجعلته هَبَاءً مَّنثُورًا ولم تترك له أثراً] ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ (أي: لا يمكنهم يوم القيامة أن ينتفعوا بشيءٍ من أعمالهم الدنيوية الطيبة فلقد أذهبها الكفر كما أذهبت الريح الرماد!) ۚ ذَٰلِكَ [العملُ الصالح الذي يفتقد أهم شرط ضروري وهو شرط الإيمان والتوحيد] هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ {18}.

سورة إبراهيم: وَأَنذِرِ [يا محمد] النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ (أي: يومَ القيامة) فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ (أي: أَعْطِنَا مُهْلَةً ولو قصيرة) نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ [فيُقال لهم توبيخاً] أَوَلَمْ

تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ [عن الدنيا إلى الآخرة] {44} وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ [كقوم هود وصالح وغيرهما] وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ {45} وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ (أي: كان الله عليماً بمكرهم) وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ {46} فَلَا تَحْسَبَنَّ [يا محمد] اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ (أي: ما وعدهم به من النصر وإهلاك مكذبيهم)ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ {47}.

سورة فاطر: وَإِن يُكَذِّبُوكَ (أي: وَإِن يُكَذِّبْك كفارُ قومك يا محمد) فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [في الآخرة] {4} [...] وَإِن يُكَذِّبُوكَ [يا محمد] فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ (أي: بالمعجزات الواضحات) وَبِالزُّبُرِ (أي: الكتب المكتوبة Scriptures؛ قيل: كزَبُور دَاوُود Psalms، أو صحف إبراهيم وموسى) وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (أي: الكتاب الموضِّح لطريق النجاة في الدنيا والآخرة؛ قيل: كالتوراة والإنجيل) {25} ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا [بأنواع العقاب والعذاب]ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (أي: إنكاري لعملهم وغضبي عليهم) {26}.

سورة محمد: وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ (أي: مكة) الَّتِي أَخْرَجَتْكَ [يا محمد] أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ {13} أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم {14}.

سورة التوبة: [أنتم أيها المنافقون] كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ (أي: ككفار الأمم السابقة) كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ (أي: بما في الدنيا من الملذات والحظوظ) فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا (أي: دخلتم مثلهم في الباطل والمنكر؛ في شهوات الدنيا الفانية؛ وقيل: في تكذيب آيات الله والاستخفاف برسله) ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ (أي: بطلت وذهب ثوابُها؛ والمراد: لن تَنْفعهُم) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {69} أَلَمْ يَأْتِهِمْ (أي: هؤلاء المنافقين) نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ (أي: قرى قوم لوط التي انقلبت بهم حتى صار عاليها سافلها)ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ [بالعذاب والهلاك لأن رسله قد أنذروهم وحذروهم] وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [بالكفر والتكذيب والمعصية] {70}[4569].

4.19.5.1 أَصْحَاب الرَّسِّ ... مَن هُمْ؟! ... الله أعلم!

سورة الفرقان: وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً (أي: علامةً تدل على قدرتنا؛ عِبرةً)ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا {37} وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا (أي: أمماً) بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا {38} وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ (أي: وَكُل الأمم بيَّنَّا لهم الحجج ووضَّحنا لهم الأدلة وأنذرناهم وخوَّفناهم فليس لهم عذر)ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (أي: أهلكناهم إهلاكاً؛ دمَّرناهم تدميراً!) {39} وَلَقَدْ أَتَوْا (أي: أتى مشركو مكة في أسفارهم إلى الشام للتجارة) عَلَى الْقَرْيَةِ (أي: قريةِ قوم لوط) الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (أي: الذي منع مشركي مكة من أخذ العبرة من عذاب قوم لوط الدنيوي هو أنهم

كانوا لا يؤمنون بالبعث يوم القيامة، فلا يرجون لقاءَ اللهِ ولا يخشون عذابَه الأخروي لأنهم غير مؤمنين به أصلاً) {40} وَإِذَا رَأَوْكَ [يا محمد] إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا {41} إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا (أي: ثَبَتْنا على عبادتها)ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا {42} أَرَأَيْتَ [يا محمد] مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (أي: كفيلاً وقَيِّماً تدبر مصالحه حتى تردَّه إلى الإيمان؟ كلا، فما عليك إلا البلاغ) {43} أَمْ تَحْسَبُ [يا محمد] أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ [في عدم الانتفاع بما يسمعونه]ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا [من البهائم! فالبهائم تنقاد لأصحابها إلى ما فيه خيرها وتنأى عما يضرها لكن هؤلاء المشركين لا ينقادون لخالقهم فيلقون بأنفسهم فيما يهلكهم!] {44}.

<u>تعليقنا على "أَصْحَاب الرَّسِّ" (الفرقان 38) (ق 12):</u> كما توقعنا وكما تعودنا دائماً، فلقد احتار المفسرون المسلمون في تحديد مَن هُمْ "أَصْحَاب الرَّسّ". فقيل إنهم أمة أَرْسَلَ اللَّه إِلَيْهِا شُعَيْبًا مثلهم مثل أصحاب الأيكة؛ وقيل: بل هُمْ قوم شعيب. لكن في المقابل، قيل إن نبيهم كان اسمه "حنظلة بن صفوان"! وقيل إنهم أَهْل قَرْيَة مِنْ قُرَى ثَمُود ونبيهم هو "صالح"! وقيل إنهم قَبل عاد بدهور متطاولة! وقيل إنهم أهل قرية من قُرَى اليمامة! وقيل إنهم أصحاب قصة يس أهل أنطاكية! وقيل إنهم كانوا يسكنون بِأَذْرَبِيجَان! وقيل إنهم قتلوا نبيهم في بِئْر! وقيل إنهم أصحاب الأخدود المذكورين في سورة البروج ... الخ. يعني باختصار لا نعلم يقيناً ولا أحد يعلم يقيناً مَن هم "أَصْحَاب الرَّسّ" ولا نعلم زمانهم ولا مكانهم على وجه التحديد. لكن القول السائد في المراجع الإسلامية هو أن أَصْحَاب الرَّسّ قَوْم كَانُوا عَلَى بِئْر، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسّ فِي كَلَام الْعَرَب هو كُلّ مَحْفُور مِثْل الْبِئْر أو البئر المطويَّة بالحجارة وَمثل الْقَبْر وَنَحْو ذَلِكَ[4570].

سورة ق: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ (أي: قبل هؤلاء المشركين من قريش) قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ {12} وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ {13} وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (أي: فاستحقوا ما وعدتهم به من العذاب والهلاك) {14}.

4.19.5.2 قَوْمُ تُبَّعٍ ... هل لهم علاقة بقصة سبأ (سبأ 15-19)؟

وسورة الدخان تؤكد لنا أن "قَوْم تُبَّعٍ" قد هلكوا مع أنهم كانوا أقوى من كفار مكة: إِنَّ هَٰؤُلَاءِ [المشركين المكذِّبين بالبعث من قومك يا محمد] لَيَقُولُونَ {34} إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ [في الدنيا] وَمَا نَحْنُ [بعدها] بِمُنشَرِينَ (أي: بمبعوثين أحياء للحساب والجزاء) {35} فَأْتُوا بِآبَائِنَا (أي: أرجِعوهم بعد موتهم إلى الدنيا) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {36} أَهُمْ خَيْرٌ (أي: أكفار مكة خَيْرٌ في القوة والمنعة والسلطان وسائر أمور الدنيا؟) أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ (أي: عاد وثمود وغيرهما)ۚ أَهْلَكْنَاهُمْۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (أي: كافرين) {37}.

<u>تعليقنا على "قَوْم تُبَّعٍ" (الدخان 37) (ق 14):</u> فيما يخص "قَوْم تُبَّعٍ"، فالأمر لا يختلف كثيراً عن "أَصْحَاب الرَّسّ" إذ ذكر القرآنُ الاسمَ ولم يذكر أي تفاصيل عن الزمان أو المكان، وإن كان كثير من المفسرين

المسلمين - أو كلهم تقريباً - قد ذكروا أن "قَوْم تُبَّعٍ" كانوا يعيشون في اليمن. وقال أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن - جامعة الأزهر): "كانت العرب تُسمِّي كُلَّ مَن مَلك اليمن مع الشحر وحضرموت "تُبَّعاً" كما يسمون مَن مَلك الشام مع الجزيرة "قيصر"، ومَن مَلك الفرس "كسرى"، ومن مَلك مصر "فرعون"، ومن ملك الحبشة "النجاشي""[4571]. وفي لسان العرب [ت ب ع]: "وقيل: كان مَلِكُ اليمن لا يُسَمَّى تُبَّعاً حتى يَمْلِكَ حَضْرَمَوْتَ وسَبَأً وحِمْيَرَ". وهذا يعني أن "تُبَّع" لقب وليس اسماً؛ وجمعه: تَبابِعَة. فقيل إن تُبَّع هو لقب الملك الحِمْيَري باليمن من أواخر القرن الثالث الميلادي إلى أوائل القرن السادس الميلادي (أي: قبل ميلاد محمد). ويُروى أن "تُبَّع" المذكور في القرآن كان مؤمناً فنجا من الإهلاك وأن الإهلاك قد سلط على قومه لأنهم كذبوا الرسل (أو: لأنهم ارتدوا عن الإيمان بالله الواحد بعد وفاة تُبَّع) "وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ" (ق 14)، لكن القرآن لم يذكر أسماءَ هؤلاء الرسل[4572]! ولعل المقصود هُمْ رسل الله الموحِّدين بصفة عامة. نجاة "تُبَّعٍ" من الهلاك تذكرنا بنجاة الأنبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب المذكورين مع تُبَّعٍ إما تصريحاً أو تلميحاً في نفس السياق القرآني (ق 12-14)، وإن كنا لا نعلم هل "تُبَّع" نبي مثلهم أم مجرد مَلك مؤمن صالح. بل يُرْوَى أن محمداً نفسه – على الأقل في بادئ الأمر – قال: "ما أَدْرِي تُبَّع ألعيناً كان أم لا"، ثم بعد ذلك قال: "لا تَسُبُّوا تُبَّعاً، فإِنَّه كانَ قدْ أَسْلَمَ"[4573]!

ولم نجد حديثاً صحيحاً مرفوعاً يذكر اسمَ تُبَّع الذي ذكره القرآنُ وزعم أن قومه قد هلكوا: "أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ" (الدخان 37). فقيل في المراجع الإسلامية والعربية إنه "أَسْعَد أَبُو كَرِب"، أو "أسعد أبو كريب بن مَلْكيكَرِب" الذي ملك على قومه 326 سنة وتوفي قبل مبعث محمد بنحو من 700 عام (أي: قبل المسيح)! وتوجد في المراجع الإسلامية والعربية أساطير أخرى كثيرة عن تُبَّعٍ وقَوْم تُبَّعٍ، وهي بصراحة مضحكة ولا تستحق التعليق. فللمزيد من التعليقات عليها أو للمزيد من المعلومات التاريخية عن تُبَّع (أَسْعَد أَبُو كَرِب) وعن الحميريين بصفة عامة، راجِع الأبحاث التي قام بها العالم الدكتور "رأفت عماري" (رحمه الله) تحت عنوان "هلاك شعب تُبَّع الحميري"[4574].

لم يذكر القرآنُ الطريقةَ التي هلك بها "قَوْمُ تُبَّعٍ"، فكيف هلكوا إذن؟! حاول ابنُ كثير الإجابة على هذا السؤال فقال إن "قَوْمِ تُبَّع" هُمْ "سَبَأ حَيْثُ أَهْلَكَهُمْ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَخَرَّبَ بِلَادهمْ وَشَرَّدَهُمْ فِي الْبِلَاد وَفَرَّقَهُمْ شَذَر مَذَر كَمَا تَقَدَّمَ ذَٰلِكَ فِي سُورَة سَبَأ"[4575]. ويشير ابنُ كثير هنا إلى سورة سبأ التي تذكر قصةَ سبأ (سبأ 15-19)[4576] التي يُقال إنها حدثت في مأرب (إلى الشرق من صنعاء باليمن).

سورة سبأ: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ (أي: دلالة على قدرة الله) ۖ جَنَّتَانِ (أي: بستانان؛ حديقتان) عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ [على ما رزقكم من النعم] ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ [في الدنيا] وَرَبٌّ غَفُورٌ [في الآخرة] {15} فَأَعْرَضُوا [عن أمر الله وشكره] فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ (أي: السيل الجارف الشديد الذي خرَّب سد مأرب وأغرق البساتين ودمَّر البيوت) وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ (أي: ثمر مُرّ) وَأَثْلٍ (هو شجر لا يثمر) وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (أي: قليلٍ من شجر النَّبْق كثير الشوك وقليل الثمر)

{16} ذَٰلِكَ [التبديل من خير إلى شر] جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا (أي: بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نِعَمَ الله)ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (أي: الجَحود المبالغ في الكفر) {17} وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ (أي: بين مَسْكَنِهِمْ في اليمن) وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا (أي: قُرَى الشام) قُرًى ظَاهِرَةً (أي: مُدناً متصلة يُرى بعضها من بعض!) وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ (أي: جعلناه مقدَّراً بمحطات متعاقبة ذات مسافات متناسبة فلا يتيهون عنه ولا يتعبون فيه؛ قيل: كانوا يقيلون في قريةٍ ويبيتون في أخرى فكان مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء بل حيث نزل وجد ماء وثمراً!)ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ {18} فَقَالُوا [بطراً بنعمة الراحة والأمن] رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا (أي: اجعل قُرانا متباعدة!) وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ (أي: حكايات تُروَى ويتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل) وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ (أي: فَرَّقناهم كُلَّ تفريق وخربت بلادهم)ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ (أي: عظاتٍ) لِّكُلِّ صَبَّارٍ [على المصائب] شَكُورٍ [على النعم] {19}.

ومن الجدير بالذكر أن المراجع قد اختلفت حول تاريخ تهدُّم سد مأرب[4577]. وهذا الاختلاف أمر طبيعي، لأن "حادث تصدع السد لم يكن حادثاً واحداً، [...]. فقد تصدع السد مراراً ورمّ مراراً"[4578]. ولقد تم ترميم سد مأرب في عهد أبرهة، قبل ميلاد محمد بأقل من 30 سنة. يقول د. جواد علي: "وقد ترك أبرهة وثيقة مهمة على جانب خطير من الأهمية، [...]. وتبحث" هذه الوثيقة "عن ترميم سد مأرب ذي المكانة الخالدة في القصص العربى وتجديده مرتين، وذلك في أيام أبرهة. المرة الأولى [...] سنة (542) للميلاد، والثانية [...] سنة (543) من الميلاد"[4579]. ولقد قالت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) إن "سَيْلَ الْعَرِمِ" (سبأ 16) يشير إلى السيل الذي حدث بسبب تصدع سد مأرب حوالي 542م[4580]:

Verse 16 [(سبأ 16)], in particular, alludes to the flood caused by the break of the dam of al-ʿArim ([...]) that occurred circa 542 C.E. in the Yemeni city of Mārib (see PRE-ISLAMIC ARABIA AND THE QURʾĀN).

أما موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam) فترى أنه يبدو أن "سَيْلَ الْعَرِمِ" (سبأ 16) حدث في أوائل القرن السابع الميلادي (أي: قُبيل ظهور الإسلام) وأنه دمَّر سد مأرب نهائياً. وأضافت الموسوعة أن كلمة "عَرِمِ" سبأية وتعني "سد" (dam). إذن "سَيْلَ الْعَرِمِ" (سبأ 16) يعني: السيل (flood) الذي دمَّر السد أو الذي تسبب في تدمير السد[4581]:

The final catastrophe apparently occurred only at the beginning of the 7th century. It is the event which is mentioned in the Ḳurʾān as the dam-flood (["سَيْلَ الْعَرِمِ" (سبأ 16)]), i.e. the flood which broke the dam (Sabaean *ʿrm*).

Afterwards, the Mārib oasis became desolate and, in the words of the Ḳurʾān, produced only briar fruits, tamarisks and a few Zizyphus trees. Only small fields which lie at the edge of the wadi bed, and to which the high water can be directed through diverting dams, are cultivated.

إذن: قصة تهدُّم سد مأرب قصة حقيقية تاريخية ولا يستطيع أحد أن ينكرها. لكن ما علاقتها بـ "قَوْم تُبَّعٍ"؟! هل يُعقَل أن يعطي اللهُ عنوانَ القصة "قَوْم تُبَّعٍ" في سورتين (الدخان و ق) ثم يعطي تفاصيل القصة نفسها في سورة ثالثة (سبأ) ليس فيها أي ذِكر لـ "قَوْم تُبَّعٍ"! هل هذا كلام يحترم عقلَ القارئ؟! هل يُمكن أن يكون هذا كلام الله؟! بكل تأكيد لا.

وفي جميع الأحوال، وبغض النظر عن هل قصة سبأ هي نفسها قصة قَوْم تُبَّعٍ أَم قصة أخرى، فلقد اعترف القرآن نفسه بأن قصة سبأ قصة معروفة إذ صار أمرهم حديثاً يتنقل، وحكايات تُروَى، وأحاديث (حواديت) تُتداوَل: "فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ" (سبأ 19)[4582]؛ وذاعت شهرتهم إلى درجة أن العرب كانوا يضربون بهم المثل في التشتت[4583]. القصة إذن معروفة جداً وقريبة زمانياً ومكانياً من ظهور الإسلام، فما الجديد الذي أتى به القرآنُ؟! وهل يوجد أي دليل قاطع يثبت أن قصة سبأ قد حدثت بالضبط كما رواها القرآن؟! بكل تأكيد لا. فهي إذن مزيج من التاريخ والأسطورة. مزيج من الحقيقة والخيال. وبصفة خاصة، هل يوجد أي دليل يثبت أن تهدُّم سد مأرب كان عقاباً من الله؟! بكل تأكيد لا. وإنما تهدُّم السدود أمر عادي ويحدث إلى اليوم، كما انهار سدا درنة في ليبيا في سبتمبر 2023، مما أدى إلى موت الآلاف من المسلمين البسطاء والفقراء الذين لا حول لهم ولا قوة، فلم يقل أحدٌ إنه عقاب من الله لمسلمي درنة!

4.19.5.3 قصة "أصحاب القرية" (يس 13-30) ... إحدى القصص المسيحية في القرآن

سورة يس تحكي لنا قصةَ "أصحاب القرية" التي تُسمَّى أيضاً قصة "قوم يس" أو قصة "رسل الله الثلاثة"[4584]**:** وَاضْرِبْ [يا محمد] لَهُم (أي: لمشركي قومك) مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ {13} إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ {14} قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ {15} قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ {16} وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {17} قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا (أي: تَشَاءَمْنا) بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ (أي: لنقتلنَّكم رمياً بالحجارة؛ وقيل: لنطردنَّكم[4585]) وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ {18} قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ (أي: شؤمكم معكم بسبب كفركم؛ كل ما أصابكم فهو بسبب أعمالكم وليس بسببنا) ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم (أي: أإن وُعظْتم بما فيه خيركم تتشاءموا منا وتهددونا بالعذاب الأليم؟!) ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (أي: متجاوزون الحد في العصيان) {19} وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ

رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ {20} اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ {21} وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ (أي: وأيُّ شيء يمنعني مِن أن أعبد الله) الَّذِي فَطَرَنِي (أي: خلقني) وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [للحساب والجزاء] {22} أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ {23} إِنِّي إِذًا (أي: إن فعلت ذلك) لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {24} إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ [الذي أرسلكم أيها الرسل] فَاسْمَعُونِ (قال المفسرون: فقتله قومُه الكافرون المكذِّبون[4586]) {25} قِيلَ [له بعد مقتله] ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ [وهو في نعيم الجنة] يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ {26} بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ {27} وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ [كالحجارة والمطر الغزير والريح وغير ذلك] وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (أي: وَمَا كاثرناهم بالجموع المقاتِلة ولا بالملائكة فالأمر أيسر وأهون علينا من ذلك[4587]) {28} إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (أي: ميّتون لم تَبْقَ منهم باقية) {29} يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {30} أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (أي: لا يعودون مرة أخرى إلى حياتهم الدنيا) {31} وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ [يوم القيامة للحساب والجزاء] {32}.

تعليقنا: عند قراءة هذه القصة القرآنية القصيرة نلاحظ أن الأفكار الأساسية فيها تتشابه مع ما جاء في قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب: يذهب المرسلون إلى قوم ليبلغوهم رسالة من عند الله (يس 13)، لكن القوم يكذبوهم (يس 14-19) ويستهزءون بهم (يس 30)، فيهلك اللهُ المكذبين (يس 28-29) ويُنجّي ويكافئ مَن اتبع المرسلين (يس 20-27).

واللافت للانتباه أن القرآن يربط بين هذه القصة أيضاً وبين حال محمد في مكة، فالقصة أصلاً من بدايتها موجهة إلى العرب أهل مكة الذين كذبوا محمداً: "يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ [يا محمد] لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ (أي: العرب) فَهُمْ غَافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. [...] وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ" (يس 1-13). كما ذكرت بعض كتب التفسير أن القصة انتهت أيضاً بخطاب موجَّه إلى أهل مكة الذين كذبوا محمداً: "أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ. وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ" (يس 31-32)[4588]. إذن: أحد أهداف هذه القصة القرآنية القصيرة هو تحذير أهل مكة الكافرين المكذِّبين من أنهم سوف يواجهون نفس مصير أمم الكافرين المكذِّبين السابقين إذا استمروا في عنادهم وعدم إيمانهم بمحمد.

وإذا كان القرآن في قصتي "أَصْحَاب الرَّسِّ" و "قَوْم تُبَّعٍ" قد ذكر الاسمَ ولم يذكر أي تفاصيل، فإنه في قصة أصحاب القرية فعل العكس تماماً: ذكر تفاصيل أحداث القصة ولم يذكر أي اسم! فلا نعلم هل قصة "أصحاب القرية" حقيقية أم خيالية – ولا يمكن أن نعلم إذ أن القرآن لم يعطنا على الإطلاق أي تفاصيل أو إشارات عن الزمان والمكان وأسماء الأشخاص: لا اسم القرية ولا اسم القوم الذين يسكنوها ولا أسماء المرسلين الثلاثة – "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" (يس 14) – ولا اسم الرجل المؤمن الذي جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى (يس 20). لكن على الرغم من كل هذا الغموض الذي يحيط بهذه القصة القرآنية

القصيرة، وعلى الرغم من أن القرآن نفسه يقول إنها "مَثَل" (parable) (يس 13)، إلا أن القول السائد في كتب تفسير القرآن هو أن القرية التي دارت فيها أحداث هذه القصة هي أنطاكية (Antioch)[4589]. وقال أ. د. وهبة الزحيلي (رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق وعضو المجامع الفقهية): "والقرية، على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والزهري: أنطاكية. والمرسلون: هُمْ جماعة من الحواريين، بعثهم عيسى عليه السلام قبل رفعه إلى السماء [...] وَهُمْ رسولان دعوا أهل القرية إلى عبادة الله وحده، وإلى الهدى والإيمان، فكذبوهما، فشدّد اللهُ أمرهما بثالث، فصاروا ثلاثة، وقامت الحجة على أهل القرية، وآمن منهم الرجل الذي جاء يسعى، وقتلوه في آخر أمره وكفروا، فأصابتهم صيحة من السماء، فخمدوا وماتوا. فإذا استمر مشركو قريش على عنادهم، كان إهلاكهم يسيراً كأهل هذه القرية"[4590].

إذن: قصة أصحاب القرية (يس 13-30) قصة مسيحية طوَّرها أصحابُ القرآن تطوراً بشرياً طبيعياً ووضعوها في القرآن ليوجّهوا رسالةً دينية وسياسية لأهل مكة. وعندما ندرس هذا التطور البشري الطبيعي بالتفصيل في الصفحات القادمة، سنتأكد أكثر من هذه النتيجة.

نريد أن نختم هذه المجموعة من قصص العقاب الإلهي: قصص أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وقصص أَصْحَاب الرَّسِّ وقَوْم تُبَّعٍ وسبأ وأصحاب القرية بسؤال بسيط: إذا كانت هذه القصص حدثت بالفعل كما رواها القرآن وليست مجرد أساطير تتوارثها الأجيال، فلماذا لا يهلك اللهُ المكذبين للرسل – وَهُم كثيرون جداً في عصرنا الحالي – بنفس الطرق التي أهلك بها هذه الأقوام "الكافرة" ونجَّى المؤمنين مِن بينهم؟!

4.19.6 هل لعب التطور البشري الطبيعي دوراً في تأليف قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة في القرآن؟

في دراساتنا السابقة، أثبتنا أن قصة نوح القرآنية ليست كلام الله وإنما هي مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لقصة نوح التوراتية ولِمَا قيل عنها في التراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة + تعريب وأسلمة من تأليف أصحاب القرآن. ولقد أثبتنا أيضاً أن قصة لوط القرآنية ليست كلام الله وإنما هي مجرد تطور بشري طبيعي لقصة لوط التوراتية ولِمَا قيل عنها في التراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة + تعريب وأسلمة من تأليف أصحاب القرآن. فماذا عن قصص الأنبياء العرب هود وصالح وشعيب في القرآن؟! هل لها أي جذور في التراث اليهودي-المسيحي؟ وماذا عن قصص أَصْحَاب الرَّسِّ وقَوْم تُبَّعٍ وقصة سبأ؟! هل لها أي جذور في التراث اليهودي-المسيحي؟ ...

في الواقع، القرآن نفسه أجاب على هذا السؤال. فلقد لاحظ خصوم محمد أن قصص العقاب الإلهي القرآنية ليست جديدة، فلقد سمعوها من قبل ولذلك اعتبروها من "أساطير الأولين". كما لاحظوا أيضاً أن لها

جذور في التراث اليهودي-المسيحي، لأنها كلها تشبه قصة هلاك قوم لوط. يقول القرآن: "وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ [كما حدث لقوم لوط] أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (الأنفال 31-32).

لكن هل الجذور اليهودية-المسيحية لقصص العقاب الإلهي القرآنية تقتصر فقط على تشابهها مع قصة هلاك قوم لوط؟ أم توجد جذور أخرى سواء في التراث اليهودي-المسيحي أو في التراث العربي (الجاهلي) أو في تراث الديانات الشرق-أوسطية الأخرى التي ظهرت قبل الإسلام في فارس (إيران) والعراق مثل الزرادشتية والمندائية والمانوية؟ هذا ما سنجيب عليه في الصفحات التالية ...

نبدأ أولاً بقصة النبي العربي هود مع قومه عاد وقصة النبي العربي صالح مع قومه ثمود. ونؤكد من البداية أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لم يذكر شيئاً عن قومٍ اسمهم عاد ولا عن قومٍ اسمهم ثمود ولا عن نبي اسمه هود ولا عن نبي اسمه صالح؛ مما يلقي مزيداً من الشك حول هذين النبيين بالذات.

4.19.6.1 التطور البشري الطبيعي في قصة عاد ونبيهم هود حسب القرآن

حاول بعضُ الباحثين مثل (Abraham Geiger) أن يزعموا أن هود المذكور في القرآن هو "عَابِر" (Eber) المذكور في التوراة (التكوين 10:21، 24، 25) والذي جاء من نسل سام بن نوح ثم بعد ذلك جاء إبراهيمُ (أبرامُ) من نسله (التكوين 11:16-27) مما يعني أن السيد يسوع المسيح جاء أيضاً من نسله (متى 1:1) (لوقا 3:34-35). واستدل هؤلاء الباحثين على أن هود (القرآن) = عَابِر (الكتاب المقدس) بأن كلمة "عِبراني" (التكوين 14:13) مشتقة من اسم "عَابِر" هذا حسب التراث اليهودي[4591]، ثم بمرور الزمن صارت كلمة "عِبراني" مرادفة لكلمة "يهودي" التي أصبحت أكثر استخداماً بعد السبي وحتى ظهور الإسلام، فربما ظن العرب أن كلمة "يهودي" مشتقة من شخص اسمه "هود". لا سيما أن القرآن نفسه قد استخدم الاسمَ "هود" والفعلَ "هاد" عدة مرات للإشارة إلى اليهود كجماعة: "وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ **هُودًا** أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (البقرة 111)؛ (البقرة 135، 140)؛ "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ **هَادُوا** وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة 62)؛ (النساء 46، 160) (المائدة 41، 44، 69) (الأنعام 146) (النحل 118) (الحج 17) (الجمعة 6). ونظراً لأن القرآن يقول إن هلاك عاد قوم هود حدث بعد هلاك قوم نوح بالطوفان، بل في "القرن" (أي: الجيل) الثاني بعد نوح (المؤمنون 31) (الأعراف 69) (النجم 50)، ربط هؤلاء الباحثين بين عقاب عاد (قوم هود/عَابِر) وعقاب المتكبرين الذين أرادوا بناءَ "برج بابل" (Tower of Babel) (التكوين 11:1-9) بعد طوفان نوح[4592]!

أما نحن، فعلى الرغم من اقتناعنا بأن اسم "هُود" اسم عبري بالفعل ومعناه "جلال" أو "مجد"، وفي العهد القديم توجد شخصيات من بني إسرائيل حملت اسم "هُود" (Hod) و "هُودَايَاهُو" (Hodaiah) و "هُودَوْيَا" (Hodaviah) و "هُودُويَا" (Hodevah) و "هُودِيَّا" (Hodijah) أي: المجد ليهوه[4593]. إلا أننا لم نقتنع بأن هود (القرآن) = عَابِر (الكتاب المقدس)! بل نحن نتفق مع د. سامي عامري حين يقول: "وقد اجتهد بعض الكتّاب لإثبات أنّ هودًا وشعيبًا وذا الكفل -عليهم السلام- شخصيات توراتيّة، وإنْ تَغَيَّرَ اسمُها في الخبر القرآني. وهي محاولاتٌ فيها تكلُّفٌ لغويٌّ واضح، وفقدانٌ للقرائن الجادّة التي من الممكن أن تطابقَ بين هؤلاء الأنبياء وقصص التوراة"[4594].

نحن نرى أن قصة هود القرآنية مأخوذة أساساً من التراث العربي بشقيه الإثنين: التراث العربي الجاهلي (أي: الأساطير والحواديت والأخبار التي توارثها العرب قبل الإسلام عن قومٍ اسمهم "عاد") والتراث العربي الإسلامي (أي: الأسلمة التي يضعها أصحابُ القرآن في كل قصة قرآنية كما رأينا في قصص سابقة مثل الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالبعث والحساب والجزاء ... الخ).

يقول الدكتور جواد علي: "وقد ذكر الطبري أن شعراء الجاهلية ذكرت في شعرها عاداً وثمود، وأن أمرهما كان معروفاً عند العرب في الشهرة قبل الإسلام، وأن من يظن أن الجاهليين لم يكونوا يعرفون عاداً أو ثموداً فإنه على وهم وخطأ"[4595].

أما علاقة قصة هود القرآنية بالتراث اليهودي-المسيحي، فأقصى ما يمكن أن نقوله هو إن الطريقة التي قدَّم بها القرآنُ قصةَ عاد قوم هود قد تكون مستوحاة (أي: تطور بشري طبيعي) من قصص الجبابرة المتكبرين المذكورين في التوراة سواء بعد طوفان نوح (التكوين 10-11) أو حتى قبل طوفان نوح (التكوين 6). وهذا يتضح من الأفكار والعبارات والكلمات التي استخدمتها التوراة (أو استخدمها التراثُ اليهودي-المسيحي بصفة عامة) ثم استخدمها القرآنُ.

فمثلاً قبل الطوفان تتحدث التوراة عن الخطاة الطغاة الساقطين (Nephilim) والجبابرة (بالعبرية: gibbōrīm) (التكوين 6:4) **[⟵ بالعربية: "جَبَّارِين"؛ "وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ" (الشعراء 130)]!**. ومن الجدير بالذكر أن الكلمة العبرية (Nephilim) وكذلك (gibbōrīm) تُترجم أحياناً في التراث اليهودي-المسيحي إلى "عمالقة" (giants) (géants) أي أصحاب قامة مرتفعة جداً[4596][4597] **[⟵ "وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً (أي: زاد في أجسامكم طولاً وضخامة)" (الأعراف 69)**[4598] **"كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ" (القمر 20) (الحاقة 7)]**؛ وهي كلها كلمات تدل على القوة الشديدة **[⟵ "وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ" (هود 52) "وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً" (فصلت 15)]**.

وبعد الطوفان بفترة، جاء الملك نِمْرُود (Nimrod) الذي يعني اسمه "جبار" أو "متمرد" و "الَّذِي ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّارًا (بالعبرية: gibbōr) فِي الأَرْضِ، الَّذِي كَانَ جَبَّارَ (gibbōr) صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ (أي: ضد الله). لِذلِكَ يُقَالُ: «كَنِمْرُودَ جَبَّارُ (gibbōr) صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ (أي: ضد الله)»" (التكوين 10:8-9) **[⟵**

بالعربية: "جَبَّارٍ"؛ "وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ (أي: طاغية؛ متكبر) عَنِيدٍ (أي: معاند للحق)" (هود 59)؛ "كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ" (إبراهيم 15)[4599]].

ثم بعد ذلك قال المتكبرون الذين أرادوا بناءَ برج بابل تخليداً لاسمهم على الأرض: "هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ (أي: برجاً عالياً) **[⟵ "عَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (أي: الأبنية العالية المرفوعة على الأعمدة)" (الفجر 6-7)[4600] "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ (أي: مكانٍ مرتفعٍ من الأرض) آيَةً (أي: علامةً على القوة والعزة؛ يقصد: بناءً عالياً شامخاً) تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ (أي: قصوراً منيعة؛ حصوناً مشيَّدة)" (الشعراء 128-129)].** وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا [خالداً] لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ **[⟵ "لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (أي: كأنكم لا تموتون)" (الشعراء 129)]"** (التكوين 11:4). فعاقبهم الله بما يلي: "فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ" (التكوين 11:8) "وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ" (التكوين 11:9)[4601]، فقال مفسرون يهود إن تكرار جملة العقاب الإلهي مرتين (التكوين 11:8، 9) يدل على عقابهم في الدنيا ثم في الآخرة **[⟵ "لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ" (فصلت 16) "وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ (أي: ولعنةً أخرى في الآخرة)" (هود 60)[4602]!].**

4.19.6.2 التطور البشري الطبيعي في قصة ثمود ونبيهم صالح حسب القرآن

وإنه لمِن الطريف أن والد عَابِر هذا اسمه "شَالَحُ" (Shelah): "شَالَحُ وَلَدَ عَابِرَ" (التكوين 10:24). فهل حرَّف العربُ اسمَه حتى صار "صالح" ومِن ثم ربطوا بينه وبين هود/عَابِر؟ ربما. لكن لا نستطيع أن نجزم، وخصوصاً أن "شالح" هذا ليس له قصة معينة في التوراة.

ولذلك فإننا نرى أن قصة صالح القرآنية أيضاً مأخوذة أساساً من التراث العربي بشقيه الإثنين: التراث العربي الجاهلي (أي: الأساطير والحواديت والأخبار التي توارثها العرب قبل الإسلام عن قومٍ اسمهم "ثمود") والتراث العربي الإسلامي (أي: الأسلمة التي يضعها أصحابُ القرآن في كل قصة قرآنية كما رأينا في قصص سابقة مثل الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالبعث والحساب والجزاء ... الخ).

وحين سمعنا ديوانَ أمية بن أبي الصلت[4603][4604][4605] مثلاً وجدناه يتحدث عن ثمود و "ناقة للإله" **[⟵ "نَاقَةَ اللَّهِ" (الشمس 13) (الأعراف 73) (هود 64)]** التي صارت "عقيراً" **[⟵ "فَعَقَرُوهَا" (الشمس 14) (الشعراء 157) (هود 65) "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ" (الأعراف 77) "فَعَقَرَ" (القمر 29)]!** ونظراً لأن شعر أمية بن أبي الصلت يشبه القرآن إلى حد كبير، فلقد اخترنا أن نكتبه ليس كما نكتب الشعر وإنما كما نكتب القرآن موضحين التطور البشري الطبيعي من الشعر الجاهلي إلى القرآن بعلامة **[⟵]** كما تعودنا.

قال أمية بن أبي الصلت: كثمود التي تفتكت (أي: فتكت) الدين **[⟵ "كَذَّبَتْ ثَمُودُ" (الشمس 11) "كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ" (القمر 23) "كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ" (الشعراء 141) "وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ**

الْمُرْسَلِينَ" (الحجر 80)] عُتِيّاً (أي: تجاوزت ثمودُ الحد في التكبر والمعصية) **[← "عَتَوْا (أي: تجاوزوا الحد في استكبارهم)" (الأعراف 77) (الذاريات 44) "بِطَغْوَاهَا (أي: بسبب طغيان ثمود وتجاوزها الحد في المعاصي)" (الشمس 11)]** وأُمّ سَقْبٍ (هو: ولد الناقة) عقيراً. ناقة للآله **[← "نَاقَةَ اللَّهِ" (الشمس 13) (الأعراف 73) (هود 64)]** تسرح (أي: تخرج في طلب المرعى) في الأرض **[← "تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ" (الأعراف 73) (هود 64)]** وتنتاب (أي: تقصد مرة بعد مرة) حول ماءٍ قديراً **[← "لَّهَا شِرْبٌ (أي: لها قدر معين من الماء)" (الشعراء 155) "شِرْبٍ" (القمر 28) "وَسُقْيَاهَا" (الشمس 13)]**. فأتاها أُحَيْمِرٌ (هو: لقب عاقر الناقة) **[← "فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ" (القمر 29) "انبَعَثَ أَشْقَاهَا" (الشمس 12)]** كأخي السهم (أي: في السرعة كالسهم) بعَضْبٍ (أي: بسيفٍ قاطعٍ) **[← "فَتَعَاطَىٰ (أي: فتهيأ لذبح الناقة بأن تناولها بيده وتناول سيفاً أو نحوه)" (القمر 29)]** فقال كوني عقيراً. فأبتَّ (أي: قطع) العرقوبَ (أي: الوتر الغليظ فوق العقِب) والساق منها **[← "فَعَقَرَ" (القمر 29) "فَعَقَرُوهَا" (الشمس 14) (الشعراء 157) (هود 65) "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ" (الأعراف 77)]** ومضى في صميمه (أي: العظم الذي به قوام العضو) مكسوراً. فرأى السقبُ أمَّه فارقته بعد إلف حَنِيّةً (أي: حانية) وظؤوراً (أي: ملازمتها لولدها). فأتى صخرةً فقام (أي: وقف) عليها صعقةٌ في السماء **[← "الصَّاعِقَةُ" (الذاريات 44) "صَاعِقَةً [...] صَاعِقَةِ" (فصلت 13) "صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ" (فصلت 17)]** تعلو الصخورا. فرغا رغوةً (أي: صوّت مرة واحدة) **[← "صَيْحَةً وَاحِدَةً" (القمر 31)]** فكانت عليهم رغوةُ السقب دُمِّروا تدميراً **[← جعل القرآنُ اللهَ - وليس ابن الناقة - هو الذي ينتقم بالصيحة من ثمود: "أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ. فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا" (النمل 51-52) "فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا" (الشمس 14) "فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ" (الأعراف 78) "وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا [..] أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ" (هود 67-68) "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ" (الحجر 83) "فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ" (الشعراء 158) "فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ" (الذاريات 45) "فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ" (القمر 31)]!**

ننتقل إلى نقطة أخرى مهمة، وهي أيضاً بصمة عربية (جاهلية) على القرآن. فإذا قرأنا ما قاله صالحٌ لقومه حسب زعم القرآن: "يَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ" (هود 64) (الأعراف 73) "وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ" (الشعراء 156)، فسنجده يعبِّر عن العادات والتقاليد العربية الوثنية (الجاهلية قُبيل ظهور الإسلام) المتعلقة باحترام الإبل بل تقديسها وتكريسها للأوثان وخصوصاً تقليد "الناقة السائبة" و "الناقة البَحِيرة" الذي ذكره القرآنُ نفسه وإن لام العربَ الجاهليين على هذا التقليد الوثني الذي يحترم الأنعام (المواشي) احتراماً مبالغاً فيه جداً وما شرعه اللهُ: "مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ (أي: ناقةٍ حرَّم العربُ الجاهليون ركوبَها ولم يطردوها عن ماء ولا مرعى وخلَّوْا سبيلها وبَحَروا - أي: شقوا - أذنها ليميزوها عن بقية الإبل حتى يعرف الناس أنها لا تُركَب ولا تُحلَب!) وَلَا سَائِبَةٍ (أي: ناقةٍ سَيَّبَها العربُ الجاهليون بنذرها لآلهتهم (الأصنام) فتركوها تأكل حيث شاءت وتشرب الماءَ من حيث شاءت وامتنعوا عن الانتفاع بها فلا تُذْبَح ولا يُحْمَل عليها شيءٌ ولا يُجَزُّ وَبَرُها ولا يُحْلَب لَبَنُها إلا لضيف!) وَلَا وَصِيلَةٍ (أي: الناقة أو الشاة التي

تصل أخاها، فلقد كان العربُ الجاهليون إذا ولدت الشاةُ ذكراً ذبحوه لآلهتهم وإذا ولدت أنثى ذبحوها لأنفسهم أما إذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا عن الأنثى "وصلت أخاها" فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم!) وَلَا حَامٍ (أي: الفحل الذي يولد من ظهره عشرة أبطن فكان العربُ الجاهليون يقولون "حَمَى ظهره" فلا يُحْمَل عليه ولا يُرْكَب ولا يُمْنَع من ماءٍ ولا مرعى!) وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ [لأنهم حرَّموا على أنفسهم ما لم يحرّمه الله] وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" (المائدة 103-104). يقول التفسير الوسيط الذي أشرف عليه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في مصر: "وأول من سَنَّ لأهل الشرك تلك السُّنن الباطلة المنكرة، ونسبها إلى الله، هو عمرو بن لُحَيٍّ الخزاعي، فهو الذي غَيَّر دِينَ إبراهيم وإسماعيل، وبَحَر البحيرةَ وسَيَّبَ السائبةَ وحَمَى الحامي، وزعم أن ذلك شَرْعُ إبراهيم عليه السلام"[4606]! إنها إذن تقاليد عربية حديثة نسبياً ابتدعها "الملأ" كعمرو بن لُحَيٍّ وغيره من أكابر العرب ورؤسائهم؛ أما "أَكْثَرُهُمْ" (المائدة 103) وَهُمْ عوام العرب الذين يَتَّبعون الرؤساء فَهُمْ قومٌ "لَا يَعْقِلُونَ" (المائدة 103) أنها افتراء باطل فقلَّدوا آباءهم تقليداً أعمى بدون تفكير ولا فحص واستمروا على تقليدهم. ولذلك فإننا نتفق مع رأي مَن قال تعليقاً على (الأعراف 73)[4607]:

The Thamūd are instructed to allow the camel to *graze freely on God's earth* without harm (see also [هود 64]). The command to treat the sacred *she-camel* in this way bears similarities to the pagan Arab practices of allowing certain camels to roam and graze without interference, while forbidding their use or slaughter, although the Quran criticizes these latter practices for the arbitrary manner in which the sacrosanct nature of such animals was assigned to them by the pagan Arabs themselves (see [المائدة 103]; [الأنعام 138]). In the case of Ṣāliḥ and his people, however, the *she-camel* is a miraculously produced sign for the Thamūd, whom Ṣāliḥ warns of a *painful punishment* if they were to harm her in any way (see also [الشعراء 156]).

ومن عادات العرب الجاهليين أيضاً شن الحروب لأتفه الأسباب. فيجب هنا أن نقول إن قصة الناقة – التي سمَّاها أمية بن أبي الصلت "ناقة للإله" ثم سمَّاها القرآنُ "ناقة الله" ثلاث مرات (الأعراف 73) (هود 64) (الشمس 13) – والتي قتلها ثمود فكانت سبباً في إهلاكهم، يبدو لنا أن هذه القصة القرآنية لها جذور عربية (جاهلية) مرتبطة بحرب البسوس التي استمرت 40 سنة قبيل ظهور الإسلام واندلعت بسبب ناقة أيضاً! قال د. جواد علي: "واشتهرت (البسوس) بالبؤس والشؤم حتى قالوا (شؤم البسوس). وهي بنت منقذ

التميمية، زارت أختها أم جسّاس بن مُرّة ومع البسوس جار لها من جَرْم، يقال له سعد بن شمس، ومعه ناقة له، فرماها كليب وائل لما رآها في مرعى قد حماه، فأقبلت الناقة إلى صاحبها وهي ترغو وضرعها يشخب لبناً ودماً، فلمَّا رأى ما بها انطلق إلى البسوس فأخبرها بالقصة، فقالت: واذلّاه! واغربتاه! وأنشأت تقول أبياتاً تُسمّيها العرب أبيات الفناء. فسمعها ابن اختها جسّاس فثار الدمُ في رأسه، وخرج معقباً كليباً حتى وجده فطعنه طعنة قضت عليه. ووقعت الحرب بين بكر وتغلب ودامت أربعون سنة. وسار شؤم البسوس مثلاً، ونسبت الحرب إليها لكونها سببها، فقيل: حرب البسوس. وهكذا فسر أهل الأخبار سبب وقوع حرب البسوس"[4608].

لكن في مقابل الرأي الذي يؤكد على الجذور العربية (الجاهلية) لقصة ناقة صالح القرآنية، يوجد رأي آخر يقول إن قصة ناقة صالح القرآنية مستوحاة من التراث الفارسي القديم (الزرادشتي)، إلا أن الخرافة الفارسية الأصلية تتحدث عن ثور وليس ناقة، وتقول إن التنازع بين الفريقين المتخاصمين كان على الحدود وليس على ماء الشرب، وتنتهي الخرافة الفارسية بقَتْل الثور وعقاب مَن قتلوه[4609]! **[⟵ نفس نهاية الأسطورة القرآنية: عَقْر الناقة (أي: قَتْلها) وعقاب مَن عقروها!]**. وفي خرافة فارسية أخرى[4610]، كان بطل القصة اسمه "زالَّ" أو "زاله" **[⟵ صالح]** والحيوان "ناگا" (naga) (أي: تنين أو أفعى مجنحة لها 3 رؤوس) يمنع الماءَ عن الناس **[⟵ صار الحيوانُ "ناقة" يمنع الماءَ عن قبيلة ثمود لمدة يوم كل يومين: "نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ" (الشعراء 155)؛ أي: للناقة وحدها يوم تُمْنَع فيه قبيلةُ ثمود من شرب الماء، وللقبيلة كلها يوم لا تشرب الناقةُ فيه!]**، وتنتهي الخرافة الفارسية بقتل الناگا **[⟵ عَقْر الناقة (أي: قتلها) في الأسطورة القرآنية: "فَعَقَرَ" (القمر 29) "فَعَقَرُوهَا" (الشمس 14) (الشعراء 157) (هود 65) "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ" (الأعراف 77)]**.

ونحن نتردد في قبول هذا الرأي الآخر لسببين على الأقل. أولاً: لأننا بصراحة لم نتحقق بشكلٍ مستقلٍ من صحة ودقة تلك الخرافات الفارسية القديمة؛ وإنما نذكرها فقط لأنها تستحق مزيداً من البحث والدراسة. وثانياً: لأننا ما زلنا نرى أن الجذور العربية (الجاهلية) لقصة ناقة صالح القرآنية أقوى من جذورها الفارسية (الزرادشتية). وفي جميع الأحوال، لا يوجد تعارض بين هذين الرأيين غير المتناقضين، إذ يمكن الجمعُ بينهما بأن نقول إن العرب قبل الإسلام قد سمعوا تلك الخرافات الفارسية القديمة، فطوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً بأن أسقطوا عليها ثقافتَهم العربية التي تهتم بالناقة وتتنازع كثيراً على مياه الشرب الذي يندر في الصحراء، فحلت الناقةُ محل الثور/الناگا وحل النزاعُ على مياه الشرب محل النزاع على الحدود **[⟵ ثم انتقلت القصة من العرب قبل الإسلام إلى أصحاب القرآن المسلمين الأوائل، فصار النزاعُ بين فريق الإيمان وفريق الكفر: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ [أحدهما مؤمن مصدّق والآخر كافر مكذّب] يَخْتَصِمُونَ (أي: كل فريق يزعم أن الحق معه)" (النمل 45)]**. وسواء كانت القصة القرآنية مستوحاة من التراث العربي (الجاهلي) و/أو التراث الفارسي (الزرادشتي)، فإن النتيجة في كلتا الحالتين واحدة: إنها

مجرد أسطورة قرآنية تثبت جذور القرآن في تراث الشرق الأوسط القديم بصفة عامة، ومن ثم تثبت أن القرآن خرج من أرض الشرق الأوسط ولم ينزل من السماء، فهو كلام بشر 100% وليس كلام الله.

أما علاقة قصة صالح القرآنية بالتراث اليهودي-المسيحي، فكل ما يمكن أن نقوله يتلخص في نقطة واحدة فقط. إذ تعتبر التوراةُ عقرَ حيوانٍ عملاً قاسياً ووحشياً: "فِي غَضَبِهِمَا قَتَلاَ إِنْسَانًا، وَفِي رِضَاهُمَا عَرْقَبَا ثَوْرًا (hamstrung an ox). مَلْعُونٌ غَضَبُهُمَا فَإِنَّهُ شَدِيدٌ، وَسَخَطُهُمَا فَإِنَّهُ قَاسٍ" (التكوين 49:6-7) **[⟵ "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ (hamstrung the she-camel)" (الأعراف 77) "فَعَقَرُوهَا" (الشمس 14) (الشعراء 157) (هود 65) "فَعَقَرَ" (القمر 29)]**. ومِن المؤكد أن العرب مثل أمية بن أبي الصلت ثم محمد بن عبد الله وغيرهما قد تأثروا بهذه الثقافة اليهودية-المسيحية، لكنهم بالغوا فيها مبالغة كبيرة جداً حتى جعلوا عقرَ الحيوان (الناقة) سبباً في قتل الإنسان، بل سبباً في تدمير قبيلة بأسرها! ولذلك نرى شعر أمية سمَّاها "ناقة للآله" **[⟵ وقرآن محمد سمَّاها "نَاقَةَ اللَّهِ" (الشمس 13) (الأعراف 73) (هود 64) حتى يجعل عقرَ "ناقة الله" جريمةً كبيرة تستحق الدمار الشامل: "فَعَقَرُوهَا (أي: فنحروا الناقةَ) فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم (أي: غَضِب عَلَيْهِمْ فأهلكهم ودمَّر ديارهم) بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا [بالأرض ولم يُفْلِت منهم أحدٌ!]" (الشمس 14)]**.

4.19.6.3 التطور البشري الطبيعي في قصة أصحاب مَدْيَن ونبيهم شعيب حسب القرآن

أما النبي العربي شعيب فأمره يختلف عن هود وصالح. فإذا كان هود وصالح قد ارتبط اسمهما باسم قومين هما عاد وثمود، فإن اسم شعيب قد ارتبط باسم أرض هي مَدْيَن. وبما أن الكتاب المقدس قد ذكر مِدْيَان (Midian)؛ في الترجمة اليونانية (السبعينية): مَدْيَن (Madian) أو مَدْيَم (Madiam) **[⟵ في القرآن العربي: مَدْيَن (Madyan)]**. إذن: يمكن لنا أن نجد جذوراً كثيرة لشعيب في التراث اليهودي-المسيحي[4611].

جاء ذِكرُ "مِدْيَان" للمرة الأولى في الكتاب المقدس كواحد من أبناء إبراهيم وقَطُورَة (التكوين 25:2، 4)[4612] ويُعتقَد أن مِدْيَان جد المديانيين (the eponymous ancestor of the Midianites) الذين سكنوا أرض مِدْيَان. إذن: "مِدْيَان" اسم شخص وأيضاً اسم أرض ويمكن أن يُستخدم للدلالة على سُكان تلك الأرض الذين عُرفوا أيضاً باسم المديانيين **[⟵ ذكر القرآنُ العربي اسمَ "مَدْيَن" 10 مرات[4613] ويأتي دائماً كاسم أرض فقط ويمكن أن يُستخدَم للدلالة على سُكان تلك الأرض الذين عُرِفوا أيضاً باسم "أَصْحَابِ مَدْيَنَ" في قصة شعيب (التوبة 70) (الحج 44) و "أَهْلِ مَدْيَنَ" في قصة موسى (طه 40) (القصص 45)]**.

والرأي المشهور في كتب تفسير القرآن أن النبي شعيب هو حمو النبي موسى (أي: أبو زوجته)! قال ابنُ كثير: "وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل (أي: أبو زوجة موسى): مَن هو؟ على أقوال؛ أحدها: أنه

شعيب النبي – عليه السلام – الذي أُرسِل إلى أهل مدين. وهذا هو المشهور عند كثيرين، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد"[4614]. وقيل إن هذا الرأي "هو الأرجح نظراً لورود قصة موسى بعد قصة شعيب [مع قومه أصحاب مدين] في كل سرد تاريخي للقصتين في القرآن. مما يوحي بأنهما كانا متعاصرين أو متواليين"[4615]. لكن في المقابل، يوجد رأي آخر يقول إن أبا زوجة موسى النبي ليس هو شعيب النبي، أو على الأقل: لا يوجد دليل حاسم يثبت أنه شعيب النبي. إذ "ليس في الخبر القرآنيّ تصريحٌ أو دلالة قويّة أن شعيباً -عليه السلام- الذي مِنْ مَدْيَن، قد عاش في الزمن الذي كان فيه موسى -عليه السلام- في مَدْيَن. ولا يوجد في الخبر النبويّ ما يُؤيّد اتحاد زمن هذَيْن النَّبِيَّيْن. ولذلك قال ابن تيمية: "ولم يُذْكَرْ عن هذا الشيخ أنه كان شعيبًا، ولا أنه كان نبيًّا، ولا عند أهل الكتابين أنه كان نبيًّا، ولا نُقِلَ عن أحدٍ من الصحابة أن هذا الشيخ الذي صاهَرَ موسى كان شعيبًا النبي؛ لا عن ابن عباس ولا غيره، بل المنقول عن الصحابة أنه لم يكن هو شعيب". وهذا هو الأَوْلَى؛ إذ الحُجَّةُ على المثبِتِ للمطابقة، ولا حجّة له"[4616].

وبما أننا سوف ندرس قصةَ هروب موسى إلى مِدْيَانَ بالتفصيل في وقتٍ لاحق، فسنكتفي هنا بأن نقول إن أبا زوجة موسى يُعْرَف في التوراة باسم "رَعُوئِيل" (Reuel) (الخروج 18:2) (العدد 29:10) الذي يعني "صديق الله" أو "الله صديق"، ويُعْرَف أيضاً باسم/لقب "يَثرون" (Jethro) (الخروج 1:3، 18:4، 1:18) الذي يعني "سمو" أو "فضل" أو "تفوق" (excellence) أو "وفرة" (abundance). لكن يوجد رأي آخر يقول إن يثرون هو والد زوجة موسى، بينما رعوئيل هو والد يثرون (أي: جد زوجة موسى)[4617]! وسبب هذا الخلاف هو غموض كلمة "أب" التي قد تعني والد أو جد، وكذلك غموض كلمة "حمي" التي قد تعني والد الزوجة أو جد الزوجة أو ربما أخو الزوجة[4618]. وفي الواقع فإن مشكلة العلاقة بين رعوئيل ويثرون أكثر تعقيداً من ذلك إذ يوجد اسم ثالث هو "حُوبَاب" (Hobab) الذي وُصِفَ في آيةٍ بأنه "حُوبَابَ بْنِ رَعُوئِيلَ الْمِدْيَانِيِّ حَمِي مُوسَى" (العدد 29:10) ووُصِفَ في آيةٍ أخرى بأنه "حُوبَاب حَمِي مُوسَى" (القضاة 11:4)! فقيل إن حُوبَاب هو يثرون، وقيل إنه أخو يثرون بن رَعُوئِيل، وقيل إنه ابن رعوئيل/يثرون أو أخو زوجة موسى، وقيل غير ذلك[4619]! أما نحن فنرى أن الحل الوحيد المقنع لهذه المشكلة هو أن نعترف بأن وجود أسماء متعددة ومختلفة لنفس الشخصية يدل على وجود تقاليد متعددة ومختلفة حول منطقة مِدْيَان الواقعة في شمال غرب شبه جزيرة العرب[4620].

تقول دائرة المعارف الكتابية: "وهناك تقليد قديم عند العرب بأن "حوباب" كان اسماً آخر ليثرون، ولكنه تقليد لا يستند على أساس متين، ويتعارض مع ما جاء في الكتاب المقدس. وسواء كان حوباب حما لموسى أو صهراً له، فإنه قدم لموسى ولشعب إسرائيل خدمةً عظيمة، فقد كان حوباب شيخاً من شيوخ الصحراء خبيراً بمسالك الصحراء وأخطارها، وقد طلب منه موسى أن يسير برفقتهم وأن يكون مرشداً لهم في البرية، أو كما قال موسى أن يكون لهم عيوناً"[4621].

فهل حرَّف العربُ اسمَ "حُوبَاب" حتى صار "شُعَيْب" في القرآن؟ ربما[4622].

ويوجد احتمال آخر. ربما جاء الاسمُ "شُعَيْب" مِن "يثرون" الذي ظن العربُ أنه اسم آخر لـ "حوباب" كما قالت دائرة المعارف الكتابية. لكن كيف؟ الإجابة: تقول أسطورة يهودية إن عصا موسى التي صنع بها المعجزات بعد ذلك كانت قد نمت في حديقة يثرون[4623]، مما يعني أنها كانت غصناً من شجرة، أي: "شُعْبَة" التي جمعها "شُعَب" و "شِعَاب"[4624]. فمن المحتمل إذن أن الاسم العربي "شُعَيْب" نشأ من تلك الأسطورة اليهودية. ومما يؤيد ذلك أنه بدون تنقيط ولا تشكيل يمكن للرسم "سعىب" أن يُنْطَق "شِعَاب". ثم إن امتلاك يثرون لحديقة حسب الأساطير اليهودية يُذكِّرنا على الفور بـ "الْأَيْكَة" (أي حسب التفسير الإسلامي السائد: الأرض أو القرية ذات الشجر الكثير الملتف؛ غَيْضَة تنبت ناعم الشجر) التي يقول القرآنُ إن الله أرسل شعيباً لأصحابها (الشعراء 176-191)[4625] وتقول المراجع الإسلامية إنها في مَدْيَن أو بالقرب منها. وكثرة الأشجار في الْأَيْكَة يتفق أيضاً مع اسم "يثرون" الذي يعني: وفرة أو تفوق أو فضل.

وبغض النظر عن كيف نشأ الاسمُ العربي "شُعَيْب"، فإن أهم ما يؤكد لنا التطور البشري الطبيعي من حُوبَاب ورَعُوئِيل ويثرون إلى شعيب هو وجود صفات إيجابية كثيرة مشتركة بين رَعُوئِيل/يثرون التوراتي وشعيب القرآني. ويجب هنا أن نؤكد أننا لا نقول إن حُوبَاب أو رَعُوئِيل أو يثرون = شُعَيْب. وإنما نقول إن شخصية "شُعَيْب" القرآنية مجرد تطور بشري طبيعي لشخصيات حُوبَاب ورَعُوئِيل ويثرون التوراتية. أي: حُوبَاب ورَعُوئِيل ويثرون **[⟵ شُعَيْب]**. وفي جميع الأحوال، لا يوجد أصلاً أي دليل علمي يثبت أن حُوبَاب أو رَعُوئِيل أو يثرون أو شُعَيْب شخصية حقيقية تاريخية، وإنما هي مجرد تقاليد شعبوية توارثتها الأجيال في الشرق الأوسط القديم سواء من أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين) أو من العرب الأميين (الأُمَمِيّين).

تقدِّم التوراةُ رَعُوئِيلَ باعتباره "كَاهِن مِدْيَانَ" (الخروج 2:16). وكذلك تقدِّم يَثْرونَ باعتباره "كَاهِن مِدْيَانَ" (الخروج 3:1) وكإنسان حكيم يؤمن بالإله الواحد الحقيقي (الخروج 18:1-12) وينصح النبي موسى بالفصل بين السلطة التشريعية والسلطة القضائية على أن يكون القضاة "ذَوِي قُدْرَةٍ خَائِفِينَ اللهَ، أُمَنَاءَ مُبْغِضِينَ الرَّشْوَةَ" (الخروج 18:21)؛ وموسى النبي ينفذ نصيحته "فَسَمِعَ مُوسَى لِصَوْتِ حَمِيهِ وَفَعَلَ كُلَّ مَا قَالَ" (الخروج 18:24) مع أن يَثْرون كان أممياً (أي: ليس من بني إسرائيل؛ "ويرجح أن يثرون كان من نسل إبراهيم وقَطُورَة [والدة مِدْيَانَ] (التكوين 25:2)"[4626] **[⟵ اعترف القرآنُ بحكمة شعيب ولباقته: "إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ" (هود 87) وأعطاه فضلاً وسمواً وتفوقاً آخر فجعله نبياً ورسولاً إلى قومه أصحاب مدين وإلى أصحاب لأيكة. وزاد التراث الإسلامي على ذلك فأعطى شعيباً لقب "خطيب الأنبياء" (Orator of the Prophets)! وقيل إنه من نسل مِدْيَان بن إبراهيم؛ أي: كان أممياً ليس من بني إسرائيل]**.

ويُفْهَم من التوراة أن أهل مِدْيَانَ أو بعضهم على الأقل (الرُّعَاة) لم تكن علاقتهم جيدة برَعُوئِيل/يَثْرون بدليل أنهم طردوا بناته السبع من عند البئر (well): "فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبِئْرِ. وَكَانَ لِكَاهِنِ مِدْيَانَ سَبْعُ بَنَاتٍ، فَأَتَيْنَ وَاسْتَقَيْنَ وَمَلأْنَ الأَجْرَانَ لِيَسْقِينَ غَنَمَ أَبِيهِنَّ. فَأَتَى الرُّعَاةُ وَطَرَدُوهُنَّ" (الخروج 2:15-17) **[⟵ في ضوء العلاقة السيئة بين هؤلاء الرعاة وكَاهِن مِدْيَانَ المؤمن،**

استطاع أصحابُ القرآن (أو أجدادهم العرب) أن يؤلفوا أسطورةً تقول إن أصحاب مدين كانوا كفاراً وكان نبيهم يدعوهم إلى عبادة الإله الواحد الحقيقي: "وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف 85) (هود 84). لكن بالغ القرآنُ في عداء أصحاب مدين لشعيب، فجعلهم يهددون شعيباً نفسه ورفاقَه المؤمنين بالطرد: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا" (الأعراف 88). وفي روايةٍ قرآنية أخرى، هددوه بالقتل رجماً (أي: يطردوه من الدنيا كلها)! "قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ" (هود 91)[4627].]

ووجود "بئر" في القصة التوراتية السابقة يُذكِّرنا على الفور بـ "أَصْحَاب الرَّسّ (أي: أصحاب البئر)" المذكورين مرتين في القرآن (الفرقان 38) (ق 12) واحتار المفسرون المسلمون في أمرهم كما قلنا فيما سبق. لكن قيل إنهم أمة أَرْسَلَ اللَّه إِلَيْهِا شُعَيْبًا مثلهم مثل أصحاب الأيكة (لأيكة)؛ وقيل: بل هُمْ قوم شعيب. ونحن نؤيد هذا الرأي الذي يقول إنهم قوم شعيب، أي: أصحاب مدين. ودليلنا على ذلك هو القرآن نفسه الذي يقول في سورة ق: "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ. وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ" (ق 12-14) حيث نجد كُلَّ الذين كذَّبوا الرُّسُلَ ما عدا أصحاب مدين! فكان ينبغي أن يذكر أصحاب مدين كما فعل في آيات قرآنية أخرى مثل (الحج 42-44). إذن: أَصْحَاب الرَّسّ (أي: أصحاب البئر) = أصحاب مدين. وكذلك في سورة الفرقان: "وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ" (الفرقان 38) التي جاءت بعد ذِكر قوم نوح (الفرقان 37) وقبل ذِكر قوم لوط (الفرقان 40)، ونلاحظ أن الآية (الفرقان 38) تذكر عاداً قوم هود وثمودَ قوم صالح، فكان من المفترض أن تذكر أصحابَ مدين قوم شعيب، لكنها ذكرت أَصْحَابَ الرَّسّ. إذن: أَصْحَاب الرَّسّ = أصحاب مدين قوم شعيب. ومع أننا لا نزعم أننا أول مَن يصل إلى هذه النتيجة[4628]، إلا أننا ربما أول مَن يثبتها بأدلة داخلية من القرآن نفسه وأدلة خارجية من التراث اليهودي-المسيحي. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي نثبت فيها أن دراستنا لجذور القرآن في التراث اليهودي-المسيحي تساعدنا على تفسير القرآن تفسيراً صحيحاً.

أما دعوة النبي شعيب القرآني إلى الأمانة وعدم الغش في المكيال والميزان (الأعراف 85) (هود 84-85) (الشعراء 181-183)، فهي أيضاً مستوحاة من التوراة التي تقول إن المديانيين كانوا تُجَّاراً من أيام يوسف (التكوين 28:37) إلى أيام المملكة (إشعياء 6:60)[4629]، وتقول إن الكاهن يثرون دعا إلى اختيار القضاة على أساس الأمانة: "خَائِفِينَ اللهَ، أُمَنَاءَ مُبْغِضِينَ الرَّشْوَةَ" (الخروج 21:18). وفي جميع الأحوال، فإن الآيات القرآنية السابقة مستوحاة من توراة موسى بلا أدنى شك: "لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا (أي: ظلماً) فِي الْقَضَاءِ، لاَ فِي الْقِيَاسِ، وَلاَ فِي الْوَزْنِ، وَلاَ فِي الْكَيْلِ. مِيزَانُ حَقٍّ، وَوَزْنَاتُ حَقٍّ، وَإِيفَةُ (أي: مكيال للحبوب) حَقٍّ، وَهِينُ (أي: مكيال للسوائل) حَقٍّ تَكُونُ لَكُمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَتَحْفَظُونَ كُلَّ فَرَائِضِي، وَكُلَّ أَحْكَامِي، وَتَعْمَلُونَهَا. أَنَا الرَّبُّ" (اللاويين 35:19-37)؛ "لاَ يَكُنْ لَكَ فِي كِيسِكَ

أَوْزَانٌ مُخْتَلِفَةٌ كَبِيرَةٌ [تشتري بها لنفسك] وَصَغِيرَةٌ [تبيع بها للناس]. لاَ يَكُنْ لَكَ فِي بَيْتِكَ مَكَايِيلُ مُخْتَلِفَةٌ كَبِيرَةٌ [تشتري بها لنفسك] وَصَغِيرَةٌ [تبيع بها للناس]. وَزْنٌ صَحِيحٌ وَحَقٌّ يَكُونُ لَكَ (أي: معك دائماً تشتري وتبيع به)، وَمِكْيَالٌ صَحِيحٌ وَحَقٌّ يَكُونُ لَكَ (أي: معك دائماً تشتري وتبيع به)، لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ عَمِلَ ذلِكَ، كُلَّ مَنْ عَمِلَ غِشًّا، مَكْرُوهٌ لَدَى الرَّبِّ إِلهِكَ" (التثنية 25:13-16). اقرأ أيضاً: "مَوَازِينُ غِشٍّ مَكْرَهَةُ الرَّبِّ، وَالْوَزْنُ الصَّحِيحُ رِضَاهُ" (الأمثال 11:1). **[← قال شعيبٌ لقومه أصحاب مدين: "فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ (أي: لا تُنْقِصوهم شيئاً من حقوقهم)" (الأعراف 85) "وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ [...]. وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ (أي: بالعدل) ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ" (هود 84-85)! وقال لأصحاب لأيكة: "أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (أي: ممن يُنْقِصون الناس حقوقهم). وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (أي: الميزان العادل السويّ). وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ" (الشعراء 181-183). اقرأ أيضاً ما قاله أصحابُ القرآن في آيات أخرى: "وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (أي: الذين يُنْقِصُون من الكيل أو الوزن شيئاً طفيفاً). الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ (أي: إذا اشتروا لأنفسهم من الناس) يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ (أي: إذا باعوا لغيرهم) يُخْسِرُونَ (أي: يُنْقِصُون)" (المطففين 1-3)؛ (الأنعام 152) (الإسراء 35) (الرحمن 8-9)].**

تقول دائرة المعارف الكتابية: "ولا يرد ذِكر مديان بعد ذلك [في الكتاب المقدس] إلا بعد خروج بني إسرائيل من مصر، ووصولهم إلى تخوم موآب ومديان. فاتفق ملك موآب مع شيوخ مديان على استئجار بلعام العرّاف لكي يلعن إسرائيل، لأنهم خشوا أن يفعلوا بهم ما فعلوه بالأموريين (العدد 22:1-8). ولكن الرب منع بلعام من أن يلعن شعبه، بل وضع في فمه بركات ونبوات مذهلة [(العدد 23، 24:1-19)]، مما جعل غضب بالاق - ملك موآب - يشتعل على بلعام. ولما رأى بلعام ذلك انطلق عائداً إلى شعبه [(العدد 24:25)]. ولكنه قبل انطلاقه أوصى بالاق بأن يلقي معثرة أمام بني إسرائيل، بأن يغريهم ببنات موآب، حتى يزنوا ويأكلوا ما ذُبحَ للأوثان (الرؤيا 2:14) لإثارة غضب الرب عليهم، وهو ما حدث فعلاً (العدد 25:1-15) ويتضح مما جاء في هذا الفصل من سفر العدد، أن بنات مديان هن اللواتي قمن بهذا الدور"[4630].

وهكذا صار المديانيون الوثنيون من ألد أعداء بني إسرائيل المؤمنين. "ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «ضَايِقُوا الْمِدْيَانِيِّينَ وَاضْرِبُوهُمْ، لأَنَّهُمْ ضَايَقُوكُمْ بِمَكَايِدِهِمِ الَّتِي كَادُوكُمْ بِهَا" (العدد 25:16-18). "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «اِنْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ" (العدد 31:1-2). فحارب بنو إسرائيل المديانيين وهزموهم هزيمة ساحقةً "وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ [مِن مِدْيَانَ]. وَمُلُوكُ مِدْيَانَ [الخمسة] قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلاَهُمْ: [...]. وَبَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ. وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ. وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ. وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَتَوْا إِلَى مُوسَى" (العدد 31:7-12)! ثم أمر موسى بني إسرائيل بإعدام جميع المديانيين الذكور والنساء ما عدا الفتيات العذارى لأن هذا يضمن عدم ظهور جيل جديد من المديانيين! فلقد

قال لهم موسى: "فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا [لأنها قد تكون حُبْلَى]. لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ" (العدد 31:17-18). [← **يبدو لنا أن قصة استئصال المديانيين المذكورة في التوراة هي التي شجَّعت أصحابَ القرآن على تأليف قصة هلاك أصحاب مدين**].

لكن في أيام القضاة (أي: في المرحلة الانتقالية التي استمرت مئات السنين من احتلال بني إسرائيل لأرض كنعان إلى تأسيسهم أول مملكة)، تقوَّى المديانيون مرة أخرى (القضاة 6)! كيف؟! قيل إن المديانيين الذين أبيدوا في (العدد 31) "كانوا المديانيين المقيمين في موآب"، أما الإشارة إلى المديانيين في (القضاة 6) فهي إلى "عشيرة مختلفة"[4631]! وقيل: "لم يستأصل بنو إسرائيل كُلَّ المديانيين من الوجود، بل بقي منهم عدد كبير من النساء والأطفال كما يقول سفر العدد 31:18. ولاَ بُدَّ أن هذا العدد نما في مدة 200 سنة بعد أن تحالفوا مع العمالقة وغيرهم، فضايقوا بني إسرائيل"[4632]! [← **قال شعيبٌ لأصحاب مدين: "وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ" (الأعراف 86)**].

ونفهم من (القضاة 6) أن هؤلاء المديانيين الجدد كانوا عصابة من الحرامية المجرمين المفسدين في الأرض. **(القضاة 6):** {1} وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِ مِدْيَانَ سَبْعَ سِنِينَ. {2} فَاعْتَزَّتْ يَدُ مِدْيَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ. بِسَبَبِ الْمِدْيَانِيِّينَ عَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنْفُسِهِمِ الْكُهُوفَ الَّتِي فِي الْجِبَالِ وَالْمَغَايِرَ وَالْحُصُونَ. {3} وَإِذَا زَرَعَ إِسْرَائِيلُ، كَانَ يَصْعَدُ الْمِدْيَانِيُّونَ وَالْعَمَالِقَةُ وَبَنُو الْمَشْرِقِ، يَصْعَدُونَ عَلَيْهِمْ، {4} وَيَنْزِلُونَ عَلَيْهِمْ وَيُتْلِفُونَ غَلَّةَ الأَرْضِ إِلَى مَجِيئِكَ إِلَى غَزَّةَ، وَلاَ يَتْرُكُونَ لإِسْرَائِيلَ قُوتَ الْحَيَاةِ، وَلاَ غَنَمًا وَلاَ بَقَرًا وَلاَ حَمِيرًا. {5} لأَنَّهُمْ كَانُوا يَصْعَدُونَ بِمَوَاشِيهِمْ وَخِيَامِهِمْ وَيَجِيئُونَ كَالْجَرَادِ فِي الْكَثْرَةِ وَلَيْسَ لَهُمْ وَلِجِمَالِهِمْ عَدَدٌ [← **"فَكَثَّرَكُمْ" (الأعراف 86)**]، وَدَخَلُوا الأَرْضَ لِكَيْ يُخْرِبُوهَا [← **نهى شعيبٌ أصحابَ مدين عن نشر الفساد في الأرض: "وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (هود 85) (العنكبوت 36) "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا" (الأعراف 85) "وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" (الأعراف 86). كما نهى أَصْحَابَ لْأَيْكَةِ عن نشر الفساد في الأرض أيضاً: "وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (الشعراء 183)**].

"فَذَلَّ إِسْرَائِيلُ جِدًّا مِنْ قِبَلِ الْمِدْيَانِيِّينَ. وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ" (القضاة 6:6). فأقام الرَّبُّ لبني إسرائيل قاضياً هو "جِدْعُون" (Gideon) ليحارب المديانيين ويُخلِّص بني إسرائيل. "وَلَبِسَ رُوحُ الرَّبِّ جِدْعُونَ فَضَرَبَ بِالْبُوقِ (trumpet) (أي: أعطى الأمرَ لجيش بني إسرائيل بالتقدم)" (القضاة 6:34). فاستطاع جِدْعُون أن يهزم المديانيين هزيمة منكرة فكادوا يتلاشون من الوجود (القضاة 6-8).

ونريد أن نتوقف هنا قليلاً عند تلك "الصَّيْحَة" (العنكبوت 40) التي زعم أصحابُ القرآن أنها كانت عقابَ أصحاب مدين (هود 94)! وزعم أصحابُ القرآن أن "الصَّيْحَة" كانت أيضاً عقابَ ثمود (هود 67) (القمر 31) أصحاب الحجر (الحجر 83)! وزعم أصحابُ القرآن أن "الصَّيْحَة" كانت أيضاً عقابَ عاد (المؤمنون 41)! وزعم أصحابُ القرآن أن "الصَّيْحَة" كانت أيضاً عقابَ قوم لوط (الحجر 73)! وزعم

أصحابُ القرآن أن "الصَّيْحَة" كانت أيضاً عقابَ أصحاب القرية (قوم يس) (يس 29)! يرى د. رأفت عماري (رحمه الله) أن تلك الصَّيْحَات لها جذور في الديانات الشرقية القديمة التي ظهرت قبل الإسلام في فارس (إيران) والعراق مثل الزرادشتية والمندائية والمانوية. لمزيد من المعلومات والشرح بالتفاصيل، راجع الأبحاث التي قام بها د. رأفت عماري تحت عنوان "الجذور الوثنية للصيحات في القرآن"[4633]. ومع أننا لا نستبعد هذا الاحتمال، إلا أننا نرى أن تلك الصَّيْحَة التي أهلكت أصحابَ مدين (هود 94) لها جذور أيضاً في التراث اليهودي-المسيحي، فهي تطور بشري طبيعي للبوق (القرن) (trumpet) الذي كان "يُستخدَم أساساً للأغراض الحربية، فكان يعطي الأمرَ للجيوش بالتقدم ["وَلَبِسَ رُوحُ الرَّبِّ جِدْعُونَ فَضَرَبَ بِالْبُوقِ"] (القضاة 34:6) (1 صموئيل 3:13) (2 صموئيل 1:20). كما كان يضرب به للتحذير من عدو قادم (عاموس 6:3) (حزقيال 6:33) (إرميا 5:4، 1:6) [مثل صفارات الإنذار في عصرنا الحالي]. كما كان يسمع صوت البوق في أثناء المعركة ["وَيَمُوتُ مُوآبُ بِضَجِيجٍ، بِجَلَبَةٍ، بِصَوْتِ الْبُوقِ"] (عاموس 2:2). كما كان يُضرَب بالبوق ليكف الجيش عن السير (2 صموئيل 28:2)"[4634][4635].

ثم زعم المفسرون المسلمون أن تلك الصَّيْحَة المهلكة كانت صيحة الملاك "جبريل"! ومن المعلوم أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد قد ذكر الملاكَ "جِبْرَائِيل" (Gabriel) **[⟵ جبريل]** وأن اسمه يعني: "رَجُلُ اللهِ" الجبَّار القوي القدير (one mighty in power) أي: "جبَّار الله" (mighty man of God) "أو أظهر اللهُ ذاته جباراً"[4636]. **[⟵ ولذلك وصف القرآنُ جبريلَ بعبارات مثل: "شَدِيدُ الْقُوَىٰ" (النجم 5)؛ "ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ (أي: عند الله) [...]" (التكوير 20). ثم أعطاه التراثُ الإسلامي مهمةَ إهلاك أمم الكافرين والمكذبين مع أن القرآن لم يقل ذلك صراحةً!]**. وتقول دائرة المعارف الكتابية عن جِبْرَائِيل: "ورغم اعتباره أحد رؤساء الملائكة، فإن هذا اللقب لا يُذْكَر مطلقاً في الأسفار المقدسة، ولكن يرد ذكره في سفر أخنوخ الأبوكريفي (9، 20، 40) باعتباره واحداً من الأربعة رؤساء الملائكة (أو الستة)، ويُوصَف بأنه "المتسلط على كل القوات" وأنه يرفع مع غيره من رؤساء الملائكة صرخات نفوس الموتى طلباً للانتقام، كما يذكر أنه "متسلط على الحيَّات وعلى الفردوس وعلى الكروبيم [وَهُمْ نوع من الملائكة]""[4637]. **[⟵ تكملة (التكوير 20): "[...] مَكِينٍ (أي: صاحب مكانة رفيعة عند الله). مُّطَاعٍ (أي: تطيعه الملائكة)" (التكوير 20-21)!]**. البصمة اليهودية-المسيحية على القرآن العربي وتفاسيره واضحة جداً لكل إنسان عاقل. ونحن نراها هنا في "جبريل" صاحب الصيحة، كما رأينها مِن قبل في البوق (القرن) (trumpet) الذي نفخه جدعون ليعلن الحربَ على المديانيين **[⟵ "الصَّيْحَة" التي أهلكت أصحابَ مدين (هود 94)]**.

وحسب التقليد، حدث انتصارُ جدعون على المديانيين في القرن الثاني عشر أو الحادي عشر قبل الميلاد[4638]، مما يعني أن المديانيين فقدوا قوتهم العسكرية والسياسية في القرن الحادي عشر أو القرن العاشر قبل الميلاد[4639]. فاكتسب هذا الانتصار شهرةً كبيرة حتى صار يُعرَف باسم "يَوْمِ مِدْيَانَ" (إشعياء 4:9) أو "ضَرْبَةِ مِدْيَانَ" (إشعياء 26:10). ومنذ ذلك اليوم، ظل هذا الانتصار محفوراً في ذاكرة بني إسرائيل فيتكرر

ذكره مراراً في أسفار الأنبياء والمزامير والعهد الجديد (إشعياء 4:9، 26:10) (المزامير 83:9-11) (حبقوق 3:7) (1 صموئيل 12:11) (العبرانيين 11:32). [← فمِن المؤكد أن أصحاب القرآن (أو أجدادهم العرب) قد سمعوا عنه من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة. ثم بالغوا فيه حتى صار هلاكاً لأصحاب مدين في القرآن، إلا أنهم تجاهلوا الطابع القومي للقصة فوضعوا مكانه طابعاً دينياً بأن جعلوا أصحابَ مدين يهلكون بسبب كُفْرهم وتكذيبهم لرسولٍ اسمه "شعيب". "فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ. الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 91-92) "فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ" (العنكبوت 37) "وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ" (هود 94-95)].

وعلى الرغم من انتصار جدعون الساحق على المديانيين، إلا أن المديانيين لم يختفوا تماماً من الوجود، وإنما انتقلوا إلى شمال شبه جزيرة العرب وساحل البحر الأحمر. ويوجد في شرق خليج العقبة موقع اسمه "مغائر شعيب" أو "مغاير شعيب" (Maghāyir Shuʿayb)[4640]. ويبدو لنا أن المسلمين العرب هُمْ الذين أطلقوا عليه هذا الاسم من أجل الربط بين مدين وشعيب.

ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أن سفر "يهوديت" (Judith) - وهو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) / "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) والذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد والذي يعاني من أخطاء تاريخية كثيرة مثل القرآن - قد ذكر هجومَ الملِك نَبوخذنصَّر على شمال العربية ومدين. يقول هذا السفر الأبوكريفي غير التاريخي إن الملِك نَبوخذنصَّر "تابعَ تقدُّمَهُ ووصَلَ إلى حُدودِ أرضِ يافَثَ التي إلى الجنوبِ على مَقرُبةٍ من ديار العربِ. وحاصرَ المديانيين وأحرقَ مساكِنَهُم وسلبَ غنمَهُم" (يهوديت 2:25-26). وفي المقابل، ينتهي سفرُ يهوديت بنجاة اليهود من الهلاك في الحرب: "وعيَّدَ الشعبُ (أي: بنو إسرائيل) في أورشليم أمام الهيكل مدة ثلاثة أشهر وكانت يهوديت معهم" (يهوديت 16:20). فنلاحظ أنه حتى في الأسفار الأدبية الروائية غير التاريخية مثل سفر يهوديت تتكرر فكرةُ عقاب المديانيين الوثنيين ونجاة اليهود المؤمنين [← وكذلك في القرآن وهو منتج أدبي غير تاريخي، تتكرر فكرةُ هلاك المديانيين الكفار المكذبين ونجاة المؤمنين الذين آمنوا بشعيب: "وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ" (هود 94-95) "فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ. الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ. فَتَوَلَّىٰ [شعيب] عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ" (الأعراف 91-93)][4641].

وقبل أن نترك مدينَ وشُعَيْباً، يجب علينا أن نؤكد أننا لا نقول إن كل ما قاله القرآنُ عن مدين مستوحى من التراث اليهودي-المسيحي. وإنما ما قاله القرآنُ عن مدين يمكن أن نقسمه إلى قسمين. قسم مستوحى من التراث اليهودي-المسيحي وهو القسم المتعلق بقصة هروب موسى إلى "أهل مدين" والذي سوف ندرسه

بالتفصيل في وقت لاحق كجزء من قصة موسى وفرعون (قصة خروج بني إسرائيل من مصر). وقسم آخر مستوحى من التراث العربي وهو القسم المتعلق بالنبي شعيب الذي يزعم القرآنُ أن الله قد أرسله إلى "أصحاب مدين" لكنهم كذَّبوا شعيباً فعاقبهم اللهُ. إلا أن هذين القسمين غير منفصلين تماماً كما رأينا، فلقد التقيا في القرآن في اسم "مدين" المشترك بينهما بل المشترك بين التراث العربي والتراث اليهودي-المسيحي، وفي شخصيات حُوبَاب ورَعُوئِيل ويثرون التوراتية التي طوَّرها أصحابُ القرآن تطوراً بشرياً طبيعياً حتى صارت شخصية "شُعَيْب" القرآنية. ثم التقيا مرة أخرى في كتب التراث الإسلامي التي زعمت أن شعيب هو والد زوجة موسى! ولذلك فإننا نتفق تماماً مع موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) حين تقول[4642]:

> The name Madyan, which occurs in the Qurʾān ten times, refers either to a geographical place to which Moses fled ([...]) or to a people or folk to whom the prophet Shuʿayb was sent ([...]). The former set of references parallels the biblical Midian of Exodus while the latter most likely reflects indigenous pre-Islamic Arabian tradition ([...]). The two separate trajectories of traditional lore are joined in the Qurʾān because of their common reference to Midian. That connection became embellished in the later [post-qurʾānic Islamic] exegetical tradition where the prophet Shuʿayb becomes Moses' father-in-law ([...]) [...].

وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي نثبت فيها أن كتاب القرآن هو مجرد محاولة بشرية لدمج التراث القومي (العربي) مع التراث الديني (اليهودي-المسيحي الشرقي). أو كما نقول دائماً إن القرآن مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للتراث العربي والتراث اليهودي-المسيحي الشرقي.

التراث العربي + التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي **[⟵ القرآن كلام العرب]**.

4.19.6.4 التطور البشري الطبيعي في قصة "أصحاب القرية" (يس 13-30)

كما قلنا فيما سبق، اختلف المفسرون المسلمون في مكان حدوث قصة "أصحاب القرية" (يس 13-30) (إنْ كانت حدثت فعلاً!)، لكن القول السائد هو أن القرية التي دارت فيها أحداث هذه القصة القرآنية القصيرة هي أنطاكية[4643]. ولذلك فإننا نعتقد أن هذه القصة القرآنية القصيرة مستوحاة مِن أحداث رحلة الرسول بولس (Paul) التبشيرية الأولى (أعمال الرسل 13) التي حدثت قبيل منتصف القرن الأول الميلادي وانطلقت مِن أَنْطَاكِيَة (Antioch) (في سوريا القديمة؛ وحالياً: في تركيا على الحدود مع سوريا) إلى أَنْطَاكِيَة بِيسِيدِيَّة (Pisidian Antioch) (في وسط تركيا حالياً) مروراً بمدن أخرى. والرسولان هما برنابا وبولس

(شاول) **[← "أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ" (يس 14)]**، أما الثالث الذي انضم إليهما فهو يوحنا (مرقس) **[← "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" (يس 14)]**: "وَرَجَعَ بَرْنَابَا وَشَاوُلُ مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَا كَمَّلاَ الْخِدْمَةَ، وَأَخَذَا مَعَهُمَا يُوحَنَّا الْمُلَقَّبَ مَرْقُسَ" (أعمال الرسل 25:12). "وَكَانَ مَعَهُمَا يُوحَنَّا خَادِمًا" (أعمال الرسل 5:13) إلا أنه بعد ذلك ولسببٍ غير مفهوم "فَارَقَهُمْ وَرَجَعَ إِلَى أُورُشَلِيمَ" (أعمال الرسل 13:13)؛ (أعمال الرسل 15:37-38)!

ومع أن هذه الرحلة التبشيرية قد حققت نجاحاً كبيراً في أَنْطَاكِيَةِ بِيسِيدِيَّةَ **[← "الْقَرْيَةِ" (يس 13)]** في بادئ الأمر، إلا أن يهود المدينة قد أفشلوها تماماً في النهاية! "فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودُ الْجُمُوعَ [الذين اقتنعوا بكلام رسل المسيح] امْتَلأُوا غَيْرَةً، وَجَعَلُوا يُقَاوِمُونَ مَا قَالَهُ بُولُسُ مُنَاقِضِينَ وَمُجَدِّفِينَ. فَجَاهَرَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَقَالاَ [لليهود]: «كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلاً بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ، وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ (Gentiles) (أي: مَن ليسوا يهوداً) **[← "لِتُنذِرَ [يا محمد] قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (أي: ليسوا يهوداً ولا مسيحيين؛ وَهُمْ: أهل مكة)" (يس 6)[4644]]**. لأَنْ هكَذَا أَوْصَانَا الرَّبُّ: قَدْ أَقَمْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ، لِتَكُونَ أَنْتَ خَلاَصًا إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ». فَلَمَّا سَمِعَ الأُمَمُ ذلِكَ كَانُوا يَفْرَحُونَ وَيُمَجِّدُونَ كَلِمَةَ الرَّبِّ. وَآمَنَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا مُعَيَّنِينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ. وَانْتَشَرَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ فِي كُلِّ الْكُورَةِ (أي: في كل المنطقة). وَلكِنَّ الْيَهُودَ حَرَّكُوا النِّسَاءَ الْمُتَعَبِّدَاتِ الشَّرِيفَاتِ وَوُجُوهَ الْمَدِينَةِ **[← الملأ]**، وَأَثَارُوا اضْطِهَادًا عَلَى بُولُسَ وَبَرْنَابَا، وَأَخْرَجُوهُمَا مِنْ تُخُومِهِمْ. أَمَّا هُمَا (أي: بولس وبرنابا) فَنَفَضَا غُبَارَ أَرْجُلِهِمَا عَلَيْهِمْ" (أعمال الرسل 13:45-51)؛ أي: نفَّذا حرفياً وصيةَ المسيح للتأكيد على أنهما لم يأخذا أي شيء مادي مقابل التبشير برسالة الخلاص **[← "لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا" (يس 21)]**.

وبعد ذلك، ذهب الرسولان بولس وبرنابا إلى مدينة أخرى هي "إيقونية" (Iconium) (في وسط تركيا حالياً). **(أعمال الرسل 14):** {1} وَحَدَثَ فِي إِيقُونِيَةَ أَنَّهُمَا دَخَلاَ مَعًا إِلَى مَجْمَعِ الْيَهُودِ وَتَكَلَّمَا، حَتَّى آمَنَ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ (أي: الأمم). {2} وَلكِنَّ الْيَهُودَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ غَرُّوا وَأَفْسَدُوا نُفُوسَ الأُمَمِ عَلَى الإِخْوَةِ. {3} فَأَقَامَا زَمَانًا طَوِيلاً يُجَاهِرَانِ بِالرَّبِّ الَّذِي كَانَ يَشْهَدُ لِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ، وَيُعْطِي أَنْ تُجْرَى آيَاتٌ وَعَجَائِبُ عَلَى أَيْدِيهِمَا. {4} فَانْشَقَّ جُمْهُورُ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ مَعَ الْيَهُودِ، وَبَعْضُهُمْ مَعَ الرَّسُولَيْنِ. {5} فَلَمَّا حَصَلَ مِنَ الأُمَمِ وَالْيَهُودِ مَعَ رُؤَسَائِهِمْ هُجُومٌ لِيَبْغُوا عَلَيْهِمَا وَيَرْجُمُوهُمَا **[← "لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ" (يس 18)]**، {6} شَعَرَا بِهِ، فَهَرَبَا [...].

ومن الجدير بالذكر أن ابن كثير قد ضعَّف هذا الرأي الذي يقول إن القرية المذكورة في هذه القصة هي أنطاكية؛ وكان سببه الرئيسي هو أن أهل أنطاكية آمنوا فلم يهلكوا، أما أهل القرية المذكورة في القرآن كذبوا المرسلين فهلكوا: "إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ" (يس 29)[4645]. والرد على ذلك بسيط جداً، ويتكون من شقين. أولاً: القصة فعلاً لم تحدث في أَنْطَاكِيَة؛ وإنما حدثت في أَنْطَاكِيَةِ بِيسِيدِيَّةَ ثم إيقونية؛ وفي كلتا المدينتين كذَّب اليهودُ الرَّسُولَيْن بولس وبرنابا وأثاروا اضطهاداً ضدهما مما اضطرهما في النهاية إلى الهرب ليكملا عملهما التبشيري في مدن أخرى. ثانياً: تعودنا أن يأتي القرآنُ ببعض التغييرات في التفاصيل

حين يذكر قصةً موجودة في الكتاب المقدس. وهذا التغيير بالذات ضروري لكي تتوافق نهاية قصة أصحاب القرية مع نهاية قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة. فحيث أن الأحداث – وأحياناً العبارات والكلمات – من بدايتها متشابهة، كان لا بد أن تكون النهاية أيضاً متشابهة بإهلاك الكافرين والمكذِّبين. ولذلك زعم أصحابُ القرآن أن أهل المدينة قد هلكوا مع أن القصة الإنجيلية الأصلية لا تقول ذلك ولا التاريخ الروماني يقول ذلك ولا التاريخ اليهودي يقول ذلك! مما يؤكد أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله.

لكن يُحْسَب لابن كثير ولمفسرين مسلمين آخرين أنهم ذكروا – نقلاً عن غيرهم – أسماء الرسل الثلاثة. فيقول تفسير ابن كثير مثلاً: "قال ابن جريج، عن وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي؛ قال: كان اسم الرسولين الأولين شمعون ويوحنا، واسم الثالث بولص، والقرية أنطاكية"[4646]. مما يؤكد أن هؤلاء المفسرين المسلمين قد تأثروا – بوعي أو بدون وعي – برحلة بولس الرسول التبشيرية الأولى بدليل أنهم ذكروا اسمَ بولص (بولس) واسمَ يُوحَنَّا (الْمُلَقَّب مَرْقُس) واسمَ القرية أنطاكية (والصواب: أَنْطَاكِيَة بِيسِيدِيَّة).

إن أهمية قصة أصحاب القرية (يس 13-30) تعود إلى أنها تؤكد على قدرة أصحاب القرآن أن يؤلفوا قصةً قصيرة معتمدين على أحداث قصص أخرى، وهي قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة (نوح وهود وصالح ولوط وشعيب) ورحلة بولس الرسول التبشيرية الأولى وحال محمد في مكة قبل الهجرة. فنحن إذن لسنا بحاجة إلى نظرية الوحي لكي نفهم مِن أين جاءت هذه القصة القرآنية القصيرة التي استخدمت تقريباً نفس الأفكار والعبارات والكلمات الموجودة في القصص الأخرى التي ذكرناها.

لمزيد من المعلومات والشرح بالتفاصيل، راجِع الأبحاث التي قام بها د. رأفت عماري (رحمه الله) تحت عنوان "خرافة تدمير أنطاكيا في العصر الميلادي"[4647].

وفي الواقع، يوجد رأي آخر[4648] يقول إن قصة "أصحاب القرية" (يس 13-30) مستوحاة من "مَثَل الكرَّامين الأردياء" (The Parable of the Evil Tenants) (متى 21:33-46) (مرقس 12:1-12) (لوقا 20:9-19) **[← "اضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا (parable)" (يس 13)]** الذي لا يمكن تفسيره إلا كما يلي: بما أن معظم اليهود قد رفضوا يسوعَ المسيحَ ابن الله بل قتلوه، فإن رسالة الخلاص ستتجه بشكل أساسي إلى الأُمَمِ (Gentiles) (أي: مَن ليسوا يهوداً) **[← "لِتُنذِرَ [يا محمد] قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (أي: ليسوا يهوداً ولا مسيحيين؛ وَهُمْ: أهل مكة)" (يس 6)].**

ونحن لا نرى تناقضاً بين هذين الرأيين فيمكن الجمع بينهما بأن نقول إن صاحب هذه القصة القرآنية القصيرة (يس 13-30) قد أدمج (conflated) هذين المصدرين المسيحيين (رحلة بولس الرسول التبشيرية الأولى + مَثَل الكرَّامين الأردياء) في قصةٍ قرآنية واحدة هي قصة أصحاب القرية (يس 13-30)؛ وساعده على ذلك أن مغزى المصدرين واحد: توجُّه رسالة الخلاص من اليهود إلى الأمم.

مَثَل الكرَّامين الأردياء (أي: الأشرار؛ القتلة؛ غير الأمناء) **(لوقا 20):** {9} وَابْتَدَأَ [يسوعُ] يَقُولُ لِلشَّعْبِ هذَا الْمَثَلَ (أي: قصة رمزية) **[⟵ "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا" (يس 13)]**: «إِنْسَانٌ [رَبُّ بَيْتٍ] (يرمز هنا إلى: الله) غَرَسَ كَرْمًا (يرمز هنا إلى: اليهود شعب الله المختار) وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ (يرمز هنا إلى: رؤساء اليهود) **[⟵ الملأ]** وَسَافَرَ زَمَانًا طَوِيلاً. {10} وَفِي الْوَقْتِ (أي: وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الأَثْمَار) أَرْسَلَ [صاحبُ الْكَرْمِ (أي: الله)] إِلَى الْكَرَّامِينَ عَبْدًا لِكَيْ يُعْطُوهُ مِنْ ثَمَرِ الْكَرْمِ، فَجَلَدَهُ الْكَرَّامُونَ، وَأَرْسَلُوهُ فَارِغًا. {11} فَعَادَ وَأَرْسَلَ عَبْدًا آخَرَ، فَجَلَدُوا ذلِكَ أَيْضًا وَأَهَانُوهُ، وَأَرْسَلُوهُ فَارِغًا **[⟵ "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا" (يس 14)]**. {12} ثُمَّ عَادَ فَأَرْسَلَ ثَالِثًا **[⟵ "فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" (يس 14)]**، فَجَرَّحُوا هذَا أَيْضًا وَأَخْرَجُوهُ.

وقيل إن الرسول الأول يرمز إلى ضمير الإنسان؛ أي: النزعة الفطرية للتمييز بين الصواب والخطأ. والرسول الثاني يرمز إلى شريعة موسى؛ أي: التوراة، الناموس. أما الرسول الثالث فيرمز إلى الأنبياء عموماً أو المجموعة الأخيرة من أنبياء العهد القديم. ولذلك فإن عدد الرسل (العبيد) حسب روايتي إنجيل متى وإنجيل مرقس كان أكثر من ثلاثة.

(متى 21): {35} فَأَخَذَ الْكَرَّامُونَ عَبِيدَهُ (أي: عبيدَ صاحب الكرم؛ رسل الله) وَجَلَدُوا بَعْضًا وَقَتَلُوا بَعْضًا وَرَجَمُوا بَعْضًا **[⟵ "لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ" (يس 18)]**. {36} ثُمَّ أَرْسَلَ [صاحبُ الْكَرْمِ (أي: الله)] أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ، فَفَعَلُوا بِهِمْ كَذلِكَ.

(لوقا 20): {13} فَقَالَ صَاحِبُ الْكَرْمِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ أُرْسِلُ ابْنِي الْحَبِيبَ [الوحيد] (يرمز هنا إلى: المسيح ابن الله الفريد) **[⟵ "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ" (يس 20)[4649]. وقال فريقٌ من المفسرين المسلمين إن هذا الرجل المؤمن الذي جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ اسمه "حبيب"! مما يؤكد أن هؤلاء المفسرين المسلمين قد تأثروا – بوعي أو بدون وعي – بالقصة الإنجيلية الرمزية التي أشارت إليه بكلمة "حَبِيب" (لوقا 13:20) (مرقس 6:12). كما جاء في بعض المراجع الإسلامية أن اسمه "حبيب النجار"، مما يدل على أنهم قد فهموا أن المقصود هو المسيح يسوع "النَّجَّار ابْنَ مَرْيَمَ" (مرقس 3:6) "ابْنَ النَّجَّارِ" (متى 55:13) "وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ [النَّجَّارِ]" (لوقا 23:3) "ابْنَ يُوسُفَ [النَّجَّارِ]" (لوقا 22:4) (يوحنا 45:1)]**، لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَهَابُونَ! {14} فَلَمَّا رَآهُ الْكَرَّامُونَ تَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ لِكَيْ يَصِيرَ لَنَا الْمِيرَاثُ! {15} فَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ **[⟵ "أَقْصَى الْمَدِينَةِ" (يس 20)]** وَقَتَلُوهُ **[⟵ ولذلك قال المفسرون المسلمون إن قوم هذا الرجل المؤمن قد قتلوه. وأضاف تفسيرُ ابن كثير إضافة مهمة جداً: "وقال قتادة: جعلوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: "اللهم، اهد قومي، فإنهم لا يعلمون". فلم يزالوا به حتى أقعصوه وهو يقول كذلك. فقتلوه رحمه الله"[4650]. وهذا يدل على أن هذا التفسير قد تأثر – بوعي أو بدون وعي – بالقصة الإنجيلية الرمزية التي تقصد المسيح الذي قتله قومُه اليهود على الصليب وهو يقول: "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا 34:23)[4651]. ويُفْهَم من القصة القرآنية أنه قام من بين الأموات وصعد حياً إلى السماء بدليل أنه دخل الجنة: "قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ" (يس**

26). أو بما أنه شهيد قُتِلَ في سبيل الله، فإنه ينتقل مباشرةً ليحيا في الجنة ونعيمها: "قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ" (يس 26-27)].

(متى 21): {40} [فسأل يسوعُ الجمعَ] فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأُولَئِكَ الْكَرَّامِينَ؟» {41} قَالُوا لَهُ: «أُولئِكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكًا رَدِيًّا (يرمز هنا إلى: خراب أورشليم سنة 70م) **[⟵ "إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ" (يس 29)]**، وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ (يرمز هنا إلى: الأمم؛ غير اليهود) يُعْطُونَهُ الأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا». {42} قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ[4652] **[⟵ "كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (يس 30)]** هُوَ (أي: الْحَجَرُ؛ المسيحُ) قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! {43} لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. {44} وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ (أي: مَنْ يحاول أن يكسر الْحَجَرَ/المسيحَ هو الذي سيَتَكَسَّر)، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ (أي: الْحَجَرُ؛ المسيحُ) عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!». {45} وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ أَمْثَالَهُ، عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ.

ويبقى سؤال: لماذا أدخل أصحابُ القرآن هذه القصة المسيحية الأصل في القرآن؟ ما الهدف منها؟

الجواب: بالإضافة إلى الهدف الذي قلناه فيما سبق وهو تحذير أهل مكة الكافرين المكذِّبين من أنهم سوف يواجهون نفس مصير أمم الكافرين المكذِّبين السابقين إذا استمروا في عنادهم وعدم إيمانهم بمحمد، يوجد هدف آخر وهو إبراز الدور الذي لعبه هذا الرجل المؤمن الذي "جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى" (يس 20)، فالمساحة المخصصة له (8 آيات: يس 20-27) تقترب من نصف مساحة القصة في القرآن (18 آية: يس 13-30)! وإذا كان أصحابُ القرآن قد وضعوا على لسان هذا الرجل المؤمن كلاماً يدعو إلى التوحيد المطلق (يس 22-25)، أي: يدعو إلى الإسلام، فإن المفسرين المسلمين قد أضافوا أن هذا الرجل المؤمن قد قُتِلَ على يد الكافرين المكذبين من قومه، كما أخبر القرآن – فجأة! – أن هذا الرجل المؤمن قد دخل الجنة: "قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ" (يس 26)، وأنه حيٌّ داخل الجنة بدليل أنه يتحدث عن أن الله قد غفر له وجعله مِن المُكرَمين: "قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ" (يس 26-27).

باختصار: لا يوجد أي دليل يثبت أن قصة أصحاب القرية (يس 13-30) قد حدثت كما رواها القرآن، وإنما هي مجرد "مَثَل" (parable) يمزج بين رحلة بولس الرسول التبشيرية الأولى ومَثَل الكرَّامين الأردياء ويهدف إلى تخويف وإرهاب كفار قريش في مكة وفي الوقت نفسه تشجيع المسلمين الأوائل في مكة على الجهر بإيمانهم بالله الواحد الأحد والدفاع عن هذا الإيمان[4653]؛ وإن كلَّفهم ذلك حياتهم، فذنوبهم مغفورة والجنة في انتظارهم مباشرةً (Immediate Retribution). وهي على أي حال ليست فكرة جديدة، فهي معروفة قبل ظهور الإسلام بمئات السنين، لا سيما في التراث المسيحي السرياني كما سبق وقلنا[4654]. ولقد اضطر أصحاب القرآن إلى أن يستدعوا هذه الفكرة من التراث وطوَّروها أكثر في الفترة المدنية حتى تُشجِّع

المسلمين الأوائل على القتال في الحروب والغزوات: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (آل عمران 169)؛ (البقرة 154). اقرأ أيضاً: (النساء 74) (آل عمران 157، 195) (التوبة 111) (محمد 4-6)، وهي كلها آيات مدنية.

4.19.6.5 مظاهر أخرى من مظاهر التطور البشري الطبيعي

وطبعاً توجد أدلة أخرى تؤكد التطور البشري الطبيعي من التراث اليهودي-المسيحي إلى القرآن. ولا يتسع المجال لذِكْرها كلها. ونحن نرى أن الأدلة التي قدَّمناها في الصفحات السابقة تكفي. ومع ذلك، سنقدِّم أدلة أخرى. على سبيل المثال، دعا أصحابُ القرآن معاصريهم الكفار إلى أن يسيروا في الأرض ليتأملوا آثار الأمم الكافرة السابقة كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم حتى يتعظوا ويعتبروا: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور" (الحج 46). والمقصود بالطبع هو أن "لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ (أي: الكفار) كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ" (الأعراف 179)، فلقد "خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (البقرة 7) وآيات قرآنية أخرى بنفس المعنى. وهي كلها آيات قرآنية مستوحاة - بل تكاد تكون منقولة - من الكتاب المقدس بعهديه[4655]:

- في العهد القديم: "اِسْمَعْ هذَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْجَاهِلُ وَالْعَدِيمُ الْفَهْمِ، الَّذِينَ لَهُمْ أَعْيُنٌ وَلاَ يُبْصِرُونَ. لَهُمْ آذَانٌ وَلاَ يَسْمَعُونَ" (إرميا 21:5)؛ "لَمْ يُعْطِكُمُ الرَّبُّ قَلْبًا لِتَفْهَمُوا، وَأَعْيُنًا لِتُبْصِرُوا، وَآذَانًا لِتَسْمَعُوا إِلَى هذَا الْيَوْمِ" (التثنية 4:29)؛ "لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَكَبَ عَلَيْكُمْ رُوحَ سُبَاتٍ وَأَغْمَضَ عُيُونَكُمْ" (إشعياء 10:29)؛ "وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْتَ سَاكِنٌ فِي وَسْطِ بَيْتٍ مُتَمَرِّدٍ، الَّذِينَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لِيَنْظُرُوا وَلاَ يَنْظُرُونَ. لَهُمْ آذَانٌ لِيَسْمَعُوا وَلاَ يَسْمَعُونَ، لأَنَّهُمْ بَيْتٌ مُتَمَرِّدٌ" (حزقيال 12:1-2)؛ "لاَ يَعْرِفُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ لأَنَّهُ قَدْ طُمِسَتْ عُيُونُهُمْ عَنِ الإِبْصَارِ، وَقُلُوبُهُمْ عَنِ التَّعَقُّلِ" (إشعياء 18:44)؛ "فَقَالَ [الربُّ لي]: «اذْهَبْ وَقُلْ لِهذَا الشَّعْبِ: اسْمَعُوا سَمْعًا وَلاَ تَفْهَمُوا، وَأَبْصِرُوا إِبْصَارًا وَلاَ تَعْرِفُوا. غَلِّظْ قَلْبَ هذَا الشَّعْبِ وَثَقِّلْ أُذُنَيْهِ وَاطْمُسْ عَيْنَيْهِ، لِئَلاَّ يُبْصِرَ بِعَيْنَيْهِ وَيَسْمَعَ بِأُذُنَيْهِ وَيَفْهَمَ بِقَلْبِهِ، وَيَرْجعَ فَيُشْفَى»" (إشعياء 9:6-10)!

- وفي العهد الجديد: "فَقَالَ [يسوعُ لتلاميذِه]: «لَكُمْ قَدْ أُعْطِيَ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ اللهِ، وَأَمَّا لِلْبَاقِينَ فَبِأَمْثَال، حَتَّى إِنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لاَ يَفْهَمُونَ" (لوقا 10:8)؛ "فَقَالَ [يسوعُ] لَهُمْ: «قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا سِرَّ مَلَكُوتِ اللهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ فَبِالأَمْثَالِ يَكُونُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ، لِكَيْ يُبْصِرُوا مُبْصِرِينَ وَلاَ يَنْظُرُوا، وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ وَلاَ يَفْهَمُوا، لِئَلاَّ يَرْجِعُوا فَتُغْفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ»" (مرقس 11:4-12)؛ "مِنْ أَجْلِ هذَا أُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَال، لأَنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لاَ يَسْمَعُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ. فَقَدْ تَمَّتْ فِيهِمْ نُبُوَّةُ إِشَعْيَاءَ الْقَائِلَةُ: تَسْمَعُونَ سَمْعًا وَلاَ تَفْهَمُونَ، وَمُبْصِرِينَ تُبْصِرُونَ وَلاَ تَنْظُرُونَ. لأَنَّ قَلْبَ هذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلُظَ، وَآذَانَهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعُهَا. وَغَمَّضُوا عُيُونَهُمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا

فَأَشْفِيَهُمْ" (متى 13:13-15)؛ "وَقَالَ [يَسوعُ] لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ أَنْ لَيْسَ عِنْدَكُمْ خُبْزٌ؟ أَلاَ تَشْعُرُونَ بَعْدُ وَلاَ تَفْهَمُونَ؟ أَحَتَّى الآنَ قُلُوبُكُمْ غَلِيظَةٌ؟ أَلَكُمْ أَعْيُنٌ وَلاَ تُبْصِرُونَ، وَلَكُمْ آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُونَ، وَلاَ تَذْكُرُونَ؟" (مرقس 8:17-18)! اقرأ أيضاً "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَعْطَاهُمُ اللهُ رُوحَ سُبَاتٍ، وَعُيُونًا حَتَّى لاَ يُبْصِرُوا، وَآذَانًا حَتَّى لاَ يَسْمَعُوا إِلَى هذَا الْيَوْمِ»" (رومية 11:8)؛ "قَالَ بُولُسُ كَلِمَةً وَاحِدَةً: «إِنَّهُ حَسَنًا كَلَّمَ الرُّوحُ الْقُدُسُ آبَاءَنَا بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ قَائِلاً: اذْهَبْ إِلَى هذَا الشَّعْبِ وَقُلْ: سَتَسْمَعُونَ سَمْعًا وَلاَ تَفْهَمُونَ، وَسَتَنْظُرُونَ نَظَرًا وَلاَ تُبْصِرُونَ. لأَنَّ قَلْبَ هذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلُظَ، وَبِآذَانِهِمْ سَمِعُوا ثَقِيلاً، وَأَعْيُنُهُمْ أَغْمَضُوهَا. لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِأَعْيُنِهِمْ وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ وَيَرْجِعُوا، فَأَشْفِيَهُمْ. فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ أَنَّ خَلاَصَ اللهِ قَدْ أُرْسِلَ إِلَى الأُمَمِ، وَهُمْ سَيَسْمَعُونَ!»" (أعمال الرسل 28:25-28). "أَمَّا هؤُلاَءِ (أي: المعلمون الْكَذَبَة الزائفون) فَكَحَيَوَانَاتٍ غَيْرِ نَاطِقَةٍ، طَبِيعِيَّةٍ (natural brute beasts)، مَوْلُودَةٍ لِلصَّيْدِ وَالْهَلاَكِ، يَفْتَرُونَ عَلَى مَا يَجْهَلُونَ، فَسَيَهْلِكُونَ فِي فَسَادِهِمْ" (2 بطرس 2:12)؛ "هؤُلاَءِ (أي: الأشرار؛ غير المؤمنين) يَفْتَرُونَ عَلَى مَا لاَ يَعْلَمُونَ. وَأَمَّا مَا يَفْهَمُونَهُ بِالطَّبِيعَةِ، كَالْحَيَوَانَاتِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ (unreasoning animals)، فَفِي ذلِكَ يَفْسُدُونَ" (يهوذا 10) **[← "أُولَٰئِكَ (أي: الكفار) كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ" (الأعراف 179) "إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ (أي: كالبهائم!)ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا" (الفرقان 44) "وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ" (محمد 12)!]**.

مثال آخر من سورة إبراهيم: "مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَالُهُمْ [الصالحة في الدنيا] كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ [فجعلته هَبَاءً مَّنثُورًا ولم تترك له أثراً]ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ (أي: لا يمكنهم يوم القيامة أن ينتفعوا بشيءٍ من أعمالهم الدنيوية الطيبة فلقد أذهبها الكفر كما أذهبت الريح الرماد!)ۚ ذَٰلِكَ [العملُ الصالح الذي يفتقد أهم شرط ضروري وهو شرط الإيمان والتوحيد] هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ" (إبراهيم 18). ومِن المعلوم أن تبديد ثمرة أعمال الكفار مقرر في القرآن في آيات كثيرة مثل: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ [الصالحة في الدنيا] كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ (أي: على الأراضي المنبسطة الواسعة التي لا شجر فيه ولا نبت) يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ (أي: عاقبه الله على كُفْره عقاباً كاملاً لأن أعماله الدنيوية الطيبة لم تنفعه)ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ" (النور 39)؛ "وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ [صالح] فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا" (الفرقان 23)؛ "وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ (أي: بطلت وذهب ثوابُها؛ والمراد: لن تَنْفعهُم) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة 217)؛ "وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ" (الأعراف 147)؛ "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا. ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا" (الكهف 105-106)؛ "وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ. ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ" (محمد 8-9)؛ (آل عمران 117). وفي المقابل، توجد آيات قرآنية كثيرة تؤكد على شرط الإيمان من أجل قبول الأعمال الصالحة، مثل: "وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ" (النساء 124)؛ "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (النحل 97)؛ (الإسراء 19) (طه 112) (الأنبياء 94) (غافر 40)؛ "فَالَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [في الدنيا] لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [في الآخرة]" (الحج 50)؛ "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة 82)؛ "مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ (أي: الجنة في الآخرة)" (الكهف 88)؛ وآيات قرآنية أخرى كثيرة بنفس المعنى. وكل هذه الآيات القرآنية مستوحاة من التراث اليهودي-المسيحي. على سبيل المثال، تقول الصفحة الأولى من سفر المزامير: "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلاً. فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ، الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ، وَوَرَقُهَا لاَ يَذْبُلُ. وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ. لَيْسَ كَذلِكَ الأَشْرَارُ، لكِنَّهُمْ كَالْعُصَافَةِ (chaff) الَّتِي تُذَرِّيهَا الرِّيحُ. لِذلِكَ لا تَقُومُ الأَشْرَارُ فِي الدِّينِ، وَلاَ الْخُطَاةُ فِي جَمَاعَةِ الأَبْرَارِ. لأَنَّ الرَّبَّ يَعْلَمُ طَرِيقَ الأَبْرَارِ، أَمَّا طَرِيقُ الأَشْرَارِ فَتَهْلِكُ" (المزامير 1:1-6). وفي العهد الجديد أيضاً: "بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ (أي: لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاءُ اللهِ)، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ" (العبرانيين 11:6)؛ "هُمْ (أي: المعلمون الْكَذَبَة الزائفون) آبَارٌ بِلاَ مَاءٍ (أي: آبَارٌ يَحْسَبُ الظَّمْآنُ أن فيها مَاء حَتَّىٰ إِذَا جَاءَها لَمْ يَجِدْ فيها شَيْئًا)، غُيُومٌ يَسُوقُهَا النَّوْءُ (أي: سحابٌ يَحْسَبُ الظَّمْآنُ أنها ستمطر لكن الريح العاصفة تبددها قبل سقوط قطرة ماء واحدة). الَّذِينَ قَدْ حُفِظَ لَهُمْ قَتَامُ الظَّلاَمِ إِلَى الأَبَدِ (أي: مصيرهم الجحيم)" (2 بطرس 2:17)؛ والأشرار أو غير المؤمنين "غُيُومٌ بِلاَ مَاءٍ تَحْمِلُهَا الرِّيَاحُ. أَشْجَارٌ خَرِيفِيَّةٌ بِلاَ ثَمَرٍ مَيِّتَةٌ مُضَاعَفًا، مُقْتَلَعَةٌ. أَمْوَاجُ بَحْرٍ هَائِجَةٌ مُزْبِدَةٌ بِخِزْيِهِمْ. نُجُومٌ تَائِهَةٌ مَحْفُوظٌ لَهَا قَتَامُ الظَّلاَمِ إِلَى الأَبَدِ (أي: مصيرهم الجحيم)" (يهوذا 12-13) **[← "أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" (الحج 51) "وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ" (محمد 12)]**. اقرأ أيضاً ما قاله السيد يسوع المسيح عن أركان العبادة الأساسية وهي الصدقة (الزكاة) (متى 6:1-4) والصلاة (متى 6:5-8) والصوم (متى 6:16-18) التي يجب أن تكون من أجل الله وليس لطلب مديح الناس.

حتى قصة سبأ التي كانت تنعم بالأمن والأمان ليلاً ونهاراً "سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ" (سبأ 18)، فهي أيضاً مستوحاة من أسطورة يهودية يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادي وربما قبل ذلك؛ أي: قبل الإسلام بأكثر من 500 سنة. ودليلنا هو أنها مذكورة عند "يوسيفوس" (Flavius Josephus) اليهودي (حياته: 37-100م تقريباً) في الفقرة (2.10.2) مِن كتابه الشهير (Antiquities of the Jews)[4656]. تقول هذه الأسطورة اليهودية القديمة إن مدينة سبأ (Saba) في الحبشة (Ethiopia) كانت مُحاطة بالأنهار مثل الجزيرة ومحصنة بسورٍ قوي (a strong wall) ومتاريس كبيرة بين السور والأنهار (great ramparts between the wall and the rivers) لتحميها من الفيضان وتحميها أيضاً من الأعداء الذين يحاولون الاستيلاء على المدينة حتى لو نجحوا في عبور الأنهار **[← "سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ" (سبأ 18)]**. وإن قلتم إن تلك الأسطورة اليهودية لم تذكر هلاكَ سبأ، فسنقول: هذا صحيح؛ لكن الكلمات التي استخدمتها الأسطورة مثل "السور" و "المتاريس" و "الأنهار" مستوحاة من آيات كتابية تصف العقاب الإلهي بالإهلاك الذي لا تستطيع أن تمنعه التحصينات الطبيعية مثل الأنهار ولا التحصينات البشرية مثل السور

والمتاريس. مثلاً هلاك أورشليم: "قَصَدَ الرَّبُّ أَنْ يُهْلِكَ سُورَ بِنْتِ صِهْيَوْنَ. مَدَّ الْمِطْمَارَ (أي: خَيْطَ القياس؛ والمراد: دمَّر بنفس معايير الدقة والإحكام التي استُخدمت في البناء). لَمْ يَرْدُدْ يَدَهُ عَنِ الإِهْلاَكِ، وَجَعَلَ الْمِتْرَسَةَ وَالسُّورَ يَنُوحَانِ. قَدْ حَزِنَا مَعًا" (مراثي إرميا 2:8). اقرأ أيضاً: "هَلْ أَنْتِ [يا نِينَوَى عاصمة الإمبراطورية الأشورية قبل سقوطك] أَفْضَلُ مِنْ نُوَ أَمُونَ (أي: طِيبَة العاصمة الكبرى في جنوب مصر) الْجَالِسَةِ بَيْنَ الأَنْهَارِ، حَوْلَهَا الْمِيَاهُ الَّتِي هِيَ حِصْنُ الْبَحْرِ، وَمِنَ الْبَحْرِ سُورُهَا؟ كُوشُ (أي: الحبشة) قُوَّتُهَا مَعَ مِصْرَ وَلَيْسَتْ نِهَايَةٌ (أي: لامُتَنَاهِيَة). فُوطُ وَلُوبِيمُ (أي: ليبيا) كَانُوا مَعُونَتَكِ. هِيَ أَيْضًا قَدْ مَضَتْ إِلَى الْمَنْفَى بِالسَّبْيِ، وَأَطْفَالُهَا حُطِّمَتْ فِي رَأْسِ جَمِيعِ الأَزِقَّةِ (أي: تَمَزَّقَ أطفالُها أشْلاءً في زاويةِ كُلِّ شَارِعٍ)" (ناحوم 3:8-10) **[⟵ "وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ (أي: فَرَّقناهم كُلَّ تفريق وخربت بلادهم)" (سبأ 19). في ضوء هذه الآيات الكتابية مع تلك الأسطورة اليهودية القديمة، نستطيع أن نفهم كيف استطاع أصحابُ القرآن تأليف (سبأ 15-19)]**.

مما سبق يتضح أن أصحاب القرآن كانوا يأخذون آيات من الإنجيل ومن المزامير ومن أسفار أنبياء العهد القديم كإشعياء وإرميا وحزقيال وغيرهم، بل ويأخذون أفكاراً من التراث اليهودي المتأخر، ويطوِّرونها تطوراً بشرياً طبيعياً ويضعونها على لسان الأنبياء والرسل السابقين مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم. وكما قلنا كثيراً فيما سبق، هذا الأسلوب الأدبي في تأليف القصص والأساطير ليس من اختراع أصحاب القرآن، وإنما هو أسلوب قديم ومعروف في التراث اليهودي-المسيحي البشري قبل الإسلام[4657]. ثم جاء أصحاب القرآن ففعلوا كما فعل مَن سبقوهم وساروا على درب أسلافهم.

وتوجد طبعاً أدلة أخرى، لكن حرصاً على عدم الإطالة سنذكر بعضها سريعاً على سبيل المثال[4658]

...

(إشعياء 55): {6} اُطْلُبُوا الرَّبَّ مَا دَامَ يُوجَدُ. ادْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ **[⟵ قال صالحٌ لقومه ثمود: "إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ" (هود 61)]**. {7} لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ، وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَإِلَى إِلهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ **[⟵ قال هود لقومه عاد: "وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ" (هود 52)! وقال صالح لقومه ثمود: "فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ" (هود 61)! وقال شعيب لقومه أصحاب مدين: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ" (هود 90)]**! اقرأ أيضاً (ميخا 7:18-19).

(المزامير 145): {18} الرَّبُّ قَرِيبٌ لِكُلِّ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ، الَّذِينَ يَدْعُونَهُ بِالْحَقِّ. {19} يَعْمَلُ رِضَى خَائِفِيهِ، وَيَسْمَعُ تَضَرُّعَهُمْ، فَيُخَلِّصُهُمْ **[⟵ قال صالحٌ لقومه ثمود: "إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ" (هود 61)]**.

(المزامير 34): {17} أُولئِكَ صَرَخُوا، وَالرَّبُّ سَمِعَ، وَمِنْ كُلِّ شَدَائِدِهِمْ أَنْقَذَهُمْ. {18} قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ **[⟵ قال صالحٌ لقومه ثمود: "إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ" (هود 61)]**.

(المزامير 91): {14} «لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي أُنَجِّيهِ. أُرَفِّعُهُ لأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. {15} يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ **[⟵ قال صالحٌ لقومه ثمود: "إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ" (هود 61)]**، مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقْ، أُنْقِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ. {16} مِنْ طُولِ الأَيَّامِ أُشْبِعُهُ **[⟵ قال نوحٌ ورسل عَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ: "يُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى (أي: يُمدد في أعماركم إلى وقت مقدر في علم الله)" (نوح 4) (إبراهيم 10)]**، وَأُرِيهِ خَلاَصِي»!

(المزامير 118): {5} مِنَ الضِّيقِ دَعَوْتُ الرَّبَّ فَأَجَابَنِي مِنَ الرُّحْبِ (أي: فَفَرَّجَ عَنِّي؛ فَفَكَّ ضيقتي). {6} الرَّبُّ لِي (أي: مَعِي؛ إِلَى جَانِبِي on my side) فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي الإِنْسَانُ؟ {7} الرَّبُّ لِي (أي: مَعِي؛ إِلَى جَانِبِي on my side) بَيْنَ مُعِينِيَّ، وَأَنَا سَأَرَى بِأَعْدَائِي (أي: سَأَرَى ما أريده بِأَعْدَائِي؛ سَأَرَى هَزِيمَةَ أَعْدَائِي). {8} الاحْتِمَاءُ بِالرَّبِّ خَيْرٌ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى إِنْسَانٍ. {9} الاحْتِمَاءُ بِالرَّبِّ خَيْرٌ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى الرُّؤَسَاءِ. **[⟵ قال صالحٌ لقومه ثمود: "إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ" (هود 61)]**.

"حِينَئِذٍ تَدْعُو فَيُجِيبُ الرَّبُّ. تَسْتَغِيثُ فَيَقُولُ: هأَنَذَا" (إشعياء 9:58). "يَتَرَاءَفُ [الرَّبُّ] عَلَيْكَ عِنْدَ صَوْتِ صُرَاخِكَ. حِينَمَا يَسْمَعُ يَسْتَجِيبُ لَكَ" (إشعياء 19:30). "وَيَكُونُ أَنِّي قَبْلَمَا يَدْعُونَ أَنَا أُجِيبُ، وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بَعْدُ أَنَا أَسْمَعُ" (إشعياء 24:65)[4659]. **[⟵ قال صالحٌ لقومه ثمود: "إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ" (هود 61)]**.

(الأمثال 3): {1} يَا ابْنِي، لاَ تَنْسَ شَرِيعَتِي، بَلْ لِيَحْفَظْ قَلْبُكَ وَصَايَايَ. {2} فَإِنَّهَا تَزِيدُكَ طُولَ أَيَّامٍ، وَسِنِي حَيَاةٍ وَسَلاَمَةً **[⟵ قال نوحٌ ورسل عَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ: "يُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى" (نوح 4) (إبراهيم 10)]**. {3} لاَ تَدَعِ الرَّحْمَةَ وَالْحَقَّ يَتْرُكَانِكَ. تَقَلَّدْهُمَا عَلَى عُنُقِكَ. اُكْتُبْهُمَا عَلَى لَوْحِ قَلْبِكَ، {4} فَتَجِدَ نِعْمَةً وَفِطْنَةً صَالِحَةً فِي أَعْيُنِ اللهِ وَالنَّاسِ. {5} تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ **[⟵ "قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ [...] قَالَتْ رُسُلُهُمْ [...] وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ [...] وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" (إبراهيم 9-12)]**. {6} فِي كُلِّ طُرُقِكَ اعْرِفْهُ، وَهُوَ يُقَوِّمُ سُبُلَكَ **[⟵ قال نوحٌ ورسل عَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ إن الله "قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا" (إبراهيم 12)]**!

(إشعياء 45): {18} لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «خَالِقُ السَّمَاوَاتِ هُوَ اللهُ. مُصَوِّرُ الأَرْضِ وَصَانِعُهَا. هُوَ قَرَّرَهَا. لَمْ يَخْلُقْهَا بَاطِلاً. لِلسَّكَنِ صَوَّرَهَا. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ **[⟵ "قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ [...] قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (إبراهيم 9-10)]**!

(المزامير Psalms 19) لإمام المغنين. مزمور لداود: {8} وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ الْقَلْبَ. أَمْرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ الْعَيْنَيْنِ **[⟵ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُود وغيرهم "جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ (أي: الكتب المكتوبة Scriptures؛ قيل: كزَبُور دَاوُود Psalms) وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ" (فاطر 25) "رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ [يا محمد] جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ" (آل عمران 184)]**.

(التثنية 11): {13} «فَإِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَايَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَتَعْبُدُوهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ، {14} أُعْطِي مَطَرَ أَرْضِكُمْ فِي حِينِهِ: الْمُبَكِّرَ (أي: مطر الخريف) وَالْمُتَأَخِّرَ (أي:

مطر الربيع) (أي: مَطَراً يكفي لزراعة السَّنَةِ كلها) **[⟵ قال هود لقومه: "اعْبُدُوا اللَّهَ [...] يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا" (هود 50-52). وقال نوحٌ لقومه: "اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ [...] يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا" (نوح 3-11)]**. فَتَجْمَعُ حِنْطَتَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ.

(المزامير 130): {1} مِنَ الأَعْمَاقِ صَرَخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ. {2} يَا رَبُّ، اسْمَعْ صَوْتِي. لِتَكُنْ أُذُنَاكَ مُصْغِيَتَيْنِ إِلَى صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي. [...] {4} لأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ. [...] {7} [...] لأَنَّ عِنْدَ الرَّبِّ الرَّحْمَةَ **[⟵ قال صالحٌ لقومه ثمود: "لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (النمل 46). وقال شعيب لقومه أصحاب مدين: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ" (هود 90)]**.

(الحكمة 11): {23} لكنّكَ يا ربُّ ترحَمُ الجميعَ لأنكَ قادِرٌ على كُلِّ شيءٍ، وتَتَغاضَى عن خطايا الناس لِتُمهِلَهُم حتى يتوبوا. {24} وأنتَ يا ربُّ تُحِبُّ الوجودَ كُلَّهُ، ولا تُبغِضُ شيئاً منه وإلا لما كُنتَ أوجَدْتَهُ[4660][4661] **[⟵ قال شعيب لقومه: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ" (هود 90)]**.

(1 ملوك 14): {7} اِذْهَبِي قُولِي لِيَرُبْعَامَ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: [...]، {9} وَقَدْ سَاءَ عَمَلُكَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكَ، فَسِرْتَ وَعَمِلْتَ لِنَفْسِكَ آلِهَةً أُخْرَى وَمَسْبُوكَاتٍ لِتُغِيظَنِي، وَقَدْ طَرَحْتَنِي وَرَاءَ ظَهْرِكَ **[⟵ قال شعيبٌ لقومه أصحاب مدين: "يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا (أي: نبذتم الله خلف ظهوركم لا تأتمرون بأمره ولا تنتهون بنهيه)" (هود 92)]**!

(العدد 23): {19} لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟ **[⟵ قال صالحٌ لقومه ثمود: "ذَٰلِكَ وَعْدٌ (أي: وَعْدُ اللَّهِ) غَيْرُ مَكْذُوبٍ" (هود 65). وقال نوحٌ: "إِنَّ وَعْدَكَ (أي: وَعْدَ اللَّهِ) الْحَقُّ" (هود 45)]**! اقرأ أيضاً (1 صموئيل 15:29).

(تيطس 1): {1} بُولُسُ، عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لأَجْلِ إِيمَانِ مُخْتَارِي اللهِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، الَّذِي هُوَ حَسَبُ التَّقْوَى، {2} عَلَى رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الْكَذِبِ **[⟵ قال صالحٌ لقومه ثمود: "ذَٰلِكَ وَعْدٌ (أي: وَعْدُ اللَّهِ) غَيْرُ مَكْذُوبٍ" (هود 65). وقال نوحٌ: "إِنَّ وَعْدَكَ (أي: وَعْدَ اللَّهِ) الْحَقُّ" (هود 45)]**! اقرأ أيضاً (العبرانيين 6:18).

ونقرأ في رحلة الرسول بولس (Paul) التبشيرية الأولى **(أعمال الرسل 13):** {9} وَأَمَّا شَاوُلُ، الَّذِي هُوَ بُولُسُ أَيْضًا، فَامْتَلأَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَشَخَصَ إِلَيْهِ (أي: إلى عليم الساحر Elymas the sorcerer) {10} وَقَالَ: «أَيُّهَا الْمُمْتَلِئُ كُلَّ غِشٍّ وَكُلَّ خُبْثٍ! يَا ابْنَ إِبْلِيسَ! يَاعَدُوَّ كُلِّ بِرّ! أَلاَ تَزَالُ تُفْسِدُ سُبُلَ اللهِ الْمُسْتَقِيمَةَ؟ **[⟵ قال شعيبٌ لقومه أصحاب مدين: "وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا" (الأعراف 86)]**!

(1 تسالونيكي 5): {1} وَأَمَّا الأَزْمِنَةُ وَالأَوْقَاتُ فَلاَ حَاجَةَ لَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، {2} لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ (أي: بالتأكيد) أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ (أي: المجيء الثاني للمسيح بالدينونة العادلة) كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ هكَذَا يَجِيءُ (أي: بَغْتَةً؛ فَجْأَةً؛ في أيّة لحظة؛ بدون توقع وبغير إنذار) **[⟵ "فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا (أي: ليلاً)" (الأعراف 4) "يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ" (الأعراف 97)]**. {3} لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ (أي: يزعمون؛ يتخيلون): «سَلاَمٌ وَأَمَانٌ» **[⟵ "أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ [...] أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ [...] أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ" (الأعراف 97-99)]**، حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً **[⟵ "أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (يوسف 107)؛ "لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (الشعراء 201-202)؛ "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (العنكبوت 53)؛ "فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (الأعراف 95)؛ "فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ. هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (الزخرف 65-66)]**، كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى، فَلاَ يَنْجُونَ **[⟵ "الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (أي: الهالكون)" (الأعراف 99)]!**

(2 بطرس 3): {8} [...] يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. {9} لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ يَتَأَنَّى (أي: يَصبِر) عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ. اقرأ أيضاً: "لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ [يَا رَبُّ] مِثْلُ يَوْمِ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ، وَكَهَزِيعٍ (أي: جزءٍ) مِنَ اللَّيْلِ" (المزامير 90:4)؛ "لأن اليوم في حساب الله يعني ألف سنة. وهو نفسه شاهدي عندما يقول: "انظروا فإن يوم الرب كألف سنة"" (رسالة برنابا 15:4)[4662]. **[⟵ "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (الحج 47). اقرأ أيضاً: "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (السجدة 5)؛ "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا" (المعارج 4-5)]!.**

(متى 6): [في موعظته الخالدة على الجبل، قال السيد يسوعُ المسيح لأتباعه: ...] {27} وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ (أي: حَمَلَ الهُمُومَ) يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ (وفي ترجمات أخرى: حياته؛ عُمْرِه[4663]) ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟ **[⟵ قال نوحٌ لقومه: "إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ (أي: الموت) إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ" (نوح 4)؛ وقال أصحابُ القرآن: "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ (أي: جماعة اجتمعت على الكفر) أَجَلٌ (أي: وقت محدد لحلول العقوبة بهم) ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ" (الأعراف 34)؛ "مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ" (المؤمنون 43) (الحجر 5)؛ (يونس 49) (النحل 61) (سبأ 30)]!**

طرق العقاب الإلهي كثيرة وجُلّها مذكورة في التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام بمئات السنين. مثلاً موت "ناداب" (Nadab) و"أبيهُو" (Abihu) ابني هارون. **(اللاويين 10):** {1} وَأَخَذَ ابْنَا هَارُونَ: نَادَابُ وَأَبِيهُو، كُلٌّ مِنْهُمَا مِجْمَرَتَهُ وَجَعَلاَ فِيهِمَا نَارًا وَوَضَعَا عَلَيْهَا بَخُورًا، وَقَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ نَارًا غَرِيبَةً لَمْ

يَأْمُرْ هُمَا بِهَا. {2} فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ [⟵ "صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ" (فصلت 13) "الصَّاعِقَةُ" (الذاريات 44) "صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ" (فصلت 17)] وَأَكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ. اقرأ أيضاً (العدد 26:61).

طرق العقاب الإلهي كثيرة وجُلّها مذكورة في التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام بمئات السنين. مثلاً ابتلاء أيوب. (أيوب 1): {16} وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «نَارُ اللهِ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ [⟵ "صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ" (فصلت 13) "الصَّاعِقَةُ" (الذاريات 44) "صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ" (فصلت 17)] فَأَحْرَقَتِ الْغَنَمَ وَالْغِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ، [...]». [...] {19} وَإِذَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ [⟵ "رِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (أي: ريح شديدة جاوزت الحد لشدة هبوبها)" (الحاقة 6) "رِيحًا صَرْصَرًا" (القمر 19) (فصلت 16) "رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [أهلكت عاد]" (الأحقاف 24) "الرِّيحَ الْعَقِيمَ" (الذاريات 41)[4664]] جَاءَتْ مِنْ عَبْرِ الْقَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايَا الْبَيْتِ الأَرْبَعَ، فَسَقَطَ عَلَى الْغِلْمَانِ فَمَاتُوا، [...]».

طرق العقاب الإلهي كثيرة وجُلّها مذكورة في التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام بمئات السنين. مثلاً سقوط بابل. (إشعياء 47): {13} قَدْ ضَعُفْتِ مِنْ كَثْرَةِ مَشُورَاتِكِ. لِيَقِفْ قَاسِمُو السَّمَاءِ الرَّاصِدُونَ النُّجُومَ، الْمُعَرِّفُونَ عِنْدَ رُؤُوسِ الشُّهُورِ، وَيُخَلِّصُوكِ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْكِ. {14} هَا إِنَّهُمْ (أي: المنجّمون والمتكهّنون الذين اتّكل عليهم البابليون) قَدْ صَارُوا كَالْقَشِّ [⟵ "كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ" (القمر 31)]. أَحْرَقَتْهُمُ النَّارُ [⟵ "صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ" (فصلت 13) "الصَّاعِقَةُ" (الذاريات 44) "صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ" (فصلت 17)]. لاَ يُنَجُّونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ يَدِ اللَّهِيبِ [فكيف سيُخلّصون البابليين الذين اتّكلوا عليهم؟!] [⟵ "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا (أي: مَلَكُ الموت وأعوانه) يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ [ليخلّصوكم مما أنتم فيه؟]ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا (أي: تركونا وحدنا وذهبوا عنا) وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ" (الأعراف 37) "ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (أي: يُوقَد بهم). ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ. مِن دُونِ اللَّهِۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ" (غافر 72-74)]. لَيْسَ هُوَ جَمْرًا لِلاسْتِدْفَاءِ وَلاَ نَارًا لِلْجُلُوسِ تُجَاهَهَا (أي: حَوْلَها) [وإنما هي نار إلهية نزلت عليهم من السماء لإهلاكهم]. {15} هكَذَا صَارَ لَكِ الَّذِينَ تَعِبْتِ فِيهِمْ. تُجَّارُكِ مُنْذُ صِبَاكِ قَدْ شَرَدُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى وَجْهِهِ، وَلَيْسَ مَنْ يُخَلِّصُكِ [⟵ "قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا (أي: تركونا وحدنا وذهبوا عنا)" (الأعراف 37) (غافر 74)].

طرق العقاب الإلهي كثيرة وجُلّها مذكورة في التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام بمئات السنين. مثلاً (حزقيال 13): {13} لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: إِنِّي أُشَقِّقُهُ بِرِيحٍ عَاصِفَةٍ فِي غَضَبِي [⟵ "رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [أهلكت عاد]" (الأحقاف 24) "الرِّيحَ الْعَقِيمَ" (الذاريات 41) "فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا (أي: ريحاً عاصفة تحمل التراب والحصى وصغار الحجارة) [كقوم لوط]" (العنكبوت 40)]، وَيَكُونُ مَطَرٌ جَارِفٌ فِي سَخَطِي [⟵ "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (أي: بمطرٍ غزير منصب بشدة وتتابع) [على قوم نوح]" (القمر 11) "وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا [بالمطر كقوم نوح]" (العنكبوت 40)]، وَحِجَارَةُ بَرَدٍ فِي غَيْظِي لإِفْنَائِهِ [⟵ "رِيحًا صَرْصَرًا (أي: شديدة البرودة) [أهلكت عاد]" (القمر 19) (فصلت 16) "رِيحٍ صَرْصَرٍ

عَاتِيَةٍ (أي: رِيحٍ باردة عنيفة جاوزت الحد لشدة بردها)" (الحاقة 6)]. {14} فَأَهْدِمُ الْحَائِطَ الَّذِي مَلَّطْتُمُوهُ بِالطُّفَالِ، وَأُلْصِقُهُ بِالأَرْضِ **[← "جَاثِمِينَ (أي: لاصقين بالأرض)" (الأعراف 78) (هود 67) في قصة هلاك ثمود؛ "جَاثِمِينَ (أي: لاصقين بالأرض)" (الأعراف 91) (هود 94) (العنكبوت 37) في قصة هلاك أصحاب مدين؛ "وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ [كقارون]" (العنكبوت 40)]**، وَيَنْكَشِفُ أَسَاسُهُ فَيَسْقُطُ (أي: أُسَوِّيه بالأرض فَيَتَعَرَّى أَسَاسُهُ) **[← "فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ (أي: على ثمود) رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا [بالأرض]" (الشمس 14)]**، وَتَفْنَوْنَ أَنْتُمْ فِي وَسْطِهِ **[← "فَأَصْبَحُوا (أي: ثمود) فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ" (الأعراف 78) "فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ" (هود 67) "فَأَصْبَحُوا (أي: أصحابُ مدين) فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ" (الأعراف 91) (العنكبوت 37) "فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ" (هود 94) "فَتَرَى الْقَوْمَ (أي: عاد) فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ. فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ" (الحاقة 7-8)]**، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ **[← "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً" (فصلت 15) "إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ" (إبراهيم 47) "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ" (هود 66) "وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ" (الشعراء 9، 68، 104، 122، 140، 159، 175، 191) "فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ" (القمر 16، 18، 21، 30) "فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ" (الحج 44) (سبأ 45) (فاطر 26) (الملك 18)]**.

وفيما يتعلق بالعقاب الإلهي باستخدام الظواهر الطبيعية العنيفة كالريح والعواصف والبرق والرعد والبرد، يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم" تعليقاً على أن يهوه إله إسرائيل هو "الْمُصْعِدُ السَّحَابَ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ. الصَّانِعُ بُرُوقًا لِلْمَطَرِ. الْمُخْرِجُ الرِّيحَ مِنْ خَزَائِنِهِ (His treasuries) (His storehouses) (His vaults). الَّذِي ضَرَبَ أَبْكَارَ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْبَهَائِمِ. أَرْسَلَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ فِي وَسَطِكِ يَا مِصْرُ، عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَى كُلِّ عَبِيدِهِ. الَّذِي ضَرَبَ أُمَمًا كَثِيرَةً، وَقَتَلَ مُلُوكًا أَعِزَّاءَ" (المزامير 135:7-10): "استخدم [الكتابُ المقدس] صورةَ يهوه الذي لديه مخازن للمطر وكُرات الثلج والبَرَد التي تُطلَق بقوة ريح أنفه (انظر أيضاً التثنية 28:12؛ المزامير 33:7؛ أيوب 38:22). الكلمة المترجَمة "خَزَائِن" يمكن أن تشير إلى من يُخزن أشياءً غالية وأسلحة مَلَكية. كانت كُرات الثلج والبَرَد والريح والبرق والرعد تعتبر أسلحة الله يستخدمها لهزيمة أعدائه"[4665]. اقرا مثلاً ما قاله اللهُ لأيوب: "أَدَخَلْتَ إِلَى خَزَائِنِ الثَّلْجِ، أَمْ أَبْصَرْتَ مَخَازِنَ الْبَرَدِ، الَّتِي أَبْقَيْتُهَا لِوَقْتِ الضَّرِّ، لِيَوْمِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ؟" (أيوب 38:22-23).

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن كلمة "كَيْفَ" التي تكررت كثيراً في قصص العقاب الإلهي أو تعليقاً عليها في كتاب القرآن العربي هي الكلمة الأولى (بالعبرية: ekhah) في كتاب مراثي إرميا ومن ثم فإنها الأصل العبري لعنوان هذا الكتاب المؤثر الذي يتحدث عن العقاب الإلهي الذي حلَّ بأورشليم وخراب الهيكل سنة 586 ق.م: "كَيْفَ جَلَسَتْ وَحْدَهَا الْمَدِينَةُ الْكَثِيرَةُ الشَّعْبِ! كَيْفَ صَارَتْ كَأَرْمَلَةٍ الْعَظِيمَةُ فِي الأُمَمِ" (مراثي إرميا 1:1)؛ "كَيْفَ غَطَّى السَّيِّدُ بِغَضَبِهِ ابْنَةَ صِهْيَوْنَ بِالظَّلاَمِ!" (مراثي إرميا 2:1)؛ "كَيْفَ اكْدَرَّ الذَّهَبُ (أي: تَغَيَّرَ لونه إلى السواد)، تَغَيَّرَ الإِبْرِيزُ الْجَيِّدُ! انْهَالَتْ حِجَارَةُ الْقُدْسِ فِي رَأْسِ كُلِّ شَارِعٍ. بَنُو صِهْيَوْنَ الْكُرَمَاءُ

الْمَوْزُونُونَ بِالذَّهَبِ النَّقِيِّ، كَيْفَ حُسِبُوا أَبَارِيقَ خَزَفٍ عَمَلَ يَدَيْ فَخَّارِيٍّ!" (مراثي إرميا 4:1-2) [⟵ "فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ" (القمر 16، 18، 21، 30) "فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ" (غافر 5) (الرعد 32) "فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ" (الحج 44) (سبأ 45) (فاطر 26) (الملك 18) "كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" (الأعراف 86، 103) (النمل 14) "كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ" (يونس 73) (الصافات 73) "كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" (آل عمران 137) (الأنعام 11) (النحل 36) (الزخرف 25) "كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ" (الأعراف 84) (النمل 69) "كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ" (يونس 39) (القصص 40) "كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ" (النمل 51) "كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ" (يوسف 109) (الروم 9) (فاطر 44) (غافر 82) "كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ" (غافر 21) "كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ" (الروم 42) "فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ" (الأعراف 93)].

وكذلك كلمة "سَوْط" التي لم تُذْكَر في القرآن كله إلا مرة واحدة فقط (hapax legomenon): "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ [...] وَثَمُودَ [...] وَفِرْعَوْنَ [...] فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ" (الفجر 6-13). ومن المعلوم أن السَّوْط هو ما يُضْرَب به من جلد أو ما نسميه اليوم "الكرباج" (whip; scourge). ولقد استخدمه القرآنُ هنا بالمعنى المجازي الذي يعني عذاباً شديداً أو أنواعاً من الكوارث (calamities) التي أنزلها الله بأمم الكافرين والمكذبين مثل عاد وثمود وفرعون (أي: كرباج قومي national scourge). أما المعلومة التي ربما يجهلها كثيرٌ من الناس فهي أن كلمة "سَوْط" كلمة آرامية أصلاً ومستخدمة في العِبرية والسريانية بنفس معناها في العربية[4666]. بل استخدمها الكتابُ المقدس قبل الإسلام بمئات السنين بالمعنى المجازي الذي يعني عذاباً شديداً أو أنواعاً من الكوارث (calamities) التي أنزلها الله بأعداء إسرائيل الوثنيين مثل أهل مِديان وفرعون وجنوده (أي: كرباج قومي national scourge)! اقرأ مثلاً: "وَيُقِيمُ عَلَيْهِ رَبُّ الْجُنُودِ سَوْطًا (بالعبرية: šō·wṭ)، كَضَرْبَةِ مِدْيَانَ عِنْدَ صَخْرَةِ غُرَابَ (يقصد: انتصار جدعون على المديانيين)، وَعَصَاهُ عَلَى الْبَحْرِ، وَيَرْفَعُهَا عَلَى أُسْلُوبِ مِصْرَ (أي: كما أهلك فرعونَ وجنوده الذين طاردوا بني إسرائيل أثناء خروجهم من مصر)" (إشعياء 26:10). ليس هذا فحسب، بل نجد في سفر إشعياء أيضاً عبارة "السَّوْطُ الْجَارِفُ (the overflowing scourge)" (إشعياء 15:28، 18) التي تدمج صورتَي الكرباج (السَّوْط) والماء الفائض (الْجَارِف) [⟵ وبعد ذلك بمئات السنين، جاء صاحبُ (الفجر 13) وأخذ الفكرةَ من إشعياء فأدمج صورتَي الكرباج (سَوْط) والماء الدائم (صَبَّ): "فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ" (الفجر 13)! "فالصبُّ كناية عن الدَّوام، والسَّوْط عن الإيلام، فالمعنى: عذَّبهم عذاباً دائماً مؤلماً"[4667]].

وهكذا نرى كيف تحولت آيات كتابية ليست لها أية علاقة بنوح ولوط وطبعاً ليست لها أية علاقة بهود وصالح وشعيب إلى آيات قرآنية في قصص نوح ولوط وهود وصالح وشعيب وآخرين "لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ"! وكما سنرى بعد قليل في جدول طويل، كيف استعان أصحابُ القرآن بتلك الآيات الكتابية (وبالتراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة) في آيات قرآنية أخرى تتحدث عن محمد وأتباعه وخصومه. والفضل يرجع إلى التطور

البشري الطبيعي (natural human development) بالأسلمة والتعريب والحذف و/أو الإضافة. إنه التطور البشري الطبيعي من التراث اليهودي-المسيحي إلى القرآن العربي. وكالعادة، وكما نقول دائماً: نحن لا نقصد أن أصحاب القرآن قد قرأوا كُلَّ كتب التراث اليهودي-المسيحي! وإنما يكفيهم ما كانوا يسمعونه بآذانهم من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة. بعبارة أخرى: كان أصحاب القرآن يسمعون أفكاراً وكلاماً من التراث اليهودي-المسيحي سواء المقدس أو غير المقدس، ويطوّرونه تطوراً بشرياً طبيعياً ويُقدِّمونه لمعاصريهم على أنه كلام الله (قرآن)، وفي الوقت نفسه يضعونه في قصص الأنبياء والرسل السابقين حتى تبدو حياة الأنبياء والرسل السابقين مع أتباعهم وخصومهم مشابهة لحياة محمد مع أتباعه وخصومه، ومن ثم يسهل على السامعين أن يصدِّقوا أن محمداً نبي ورسول مثل الأنبياء والرسل السابقين وأن يصدِّقوا أيضاً أن الإسلام الذي جاء به محمدٌ هو رسالة الأنبياء والرسل السابقين. ولذلك نصح أصحابُ القرآن محمداً "قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ (أي: لست أول رسول من الرسل ولا تختلف رسالتي عن رسالتهم)" (الأحقاف 9) "هَٰذَا (أي: محمد؛ القرآن) نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ (أي: من جنس الأنبياء السابقين)" (النجم 56).

ونرى هذا التطور البشري الطبيعي بوضوح في قصص الأنبياء الثلاثة هود وصالح وشعيب. ولا غرابة في ذلك فَمِن أهم ما يميز هؤلاء الأنبياء الثلاثة هو أولاً: أنهم غير مذكورين في الكتاب المقدس ولا في التراث اليهودي-المسيحي، ومن ثم كان لأصحاب القرآن حرية كبيرة في تأليف قصصهم؛ وثانياً: أنهم حسب القرآن (أو بعبارة أكثر دقة: حسب التراث الإسلامي) عرب مثل محمد.

وإذا كان هود وصالح قد جاءا قبل إبراهيم، فإن أهمية شعيب بالذات هو أنه جاء **بعد** إبراهيم وإسماعيل وإسحاق لكنه ليس من نسل إسحاق. قيل إنه من نسل مِدْيَان (مَدْيَن) بن إبراهيم. ومِن ثم فإنه يساعد محمداً نفسه في إدعاء أنه نبي مع أنه من نسل إسماعيل بن إبراهيم وليس من نسل إسحاق بن إبراهيم.

تقديم هؤلاء الأنبياء الثلاثة هود وصالح وشعيب كأنبياء عرب وتكرار قصصهم في القرآن وجعل قصصهم تشبه حياة محمد أمر مهم جداً بالنسبة لمحمد إذ أنه يساعده على إدعاء أنه نبي عربي مثلهم وأن النبوة والرسالة ليستا محصورتين فقط في بني إسرائيل (يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم. ومِن ثم يساعده على إدعاء أن القرآن كلام الله، مع أن كل الأدلة تؤكد أن القرآن كلام بشر 100% وأنه مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي-المسيحي (يثرون/شعيب وموسى مثلاً) والتراث العربي (هود وصالح وشعيب مثلاً).

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

وبمرور الزمن، استغل المسلمون ذِكْرَ هود في القرآن لإدعاء أن اللغة العربية (لغة هود المزعومة) أقدم وأعرق من اللغة العبرية (لغة يعقوب/إسرائيل المزعومة). وكالعادة، لا يوجد أي دليل علمي يثبت صحةَ الإدعاءات الإسلامية-العربية. ولن يوجد أي دليل علمي يثبت صحةَ الإدعاءات الإسلامية-العربية. فكما قلنا فيما سبق: اسم "هُود" اسم عبري وليس عربياً.

4.19.7 لماذا كرر القرآنُ قصص العقاب الإلهي على الرغم من أن العرب كانوا يعرفونها؟!

قصتا نوح ولوط موجودتان في التوراة كما قلنا، ولقد اعترف القرآنُ أن قريش وأهل مكة كانوا يمرون على آثار قرية قوم لوط وَهُمْ يسافرون للتجارة إلى الشام صباحاً وليلاً: "وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ. وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (الصافات 137-138)[4668] وكذلك في (الفرقان 40) (الحجر 76، 79) (العنكبوت 35). كما اعترف القرآنُ أيضاً أن أهل مكة كانوا يعرفون مساكن عاد وثمود: "وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ [خرابُها وخلاؤُها منهم]" (العنكبوت 38) وكانوا يعرفون أيضاً مساكن الأقوام الآخرين الذين أهلكهم اللهُ: "فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا" (الحج 45-46)؛ "وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ [كقوم هود وصالح وغيرهما] وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ" (إبراهيم 45)؛ "أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ" (طه 128)؛ "أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ" (السجدة 26)؛ "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ (أي: حرثوها وزرعوها؛ قلبوا وجهها ليستخرجوا ما فيها من مياه ومعادن وزروع) وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ [بالإهلاك] وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (الروم 9)؛ (فاطر 44) (غافر 21، 82) (محمد 10)؛ "قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ (أي: أمم) فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" (آل عمران 137)؛ (الأنعام 11) (يوسف 109) (النحل 36) (النمل 69) (الروم 42). وقال الدكتور جواد علي: "وقد ذكر الطبري أن شعراء الجاهلية ذكرت في شعرها عاداً وثمود، وأن أمرهما كان معروفاً عند العرب في الشهرة قبل الإسلام، وأن من يظن أن الجاهليين لم يكونوا يعرفون عاداً أو ثموداً فإنه على وهم وخطأ"[4669]. و "يذكر ابن الأثير في تاريخه أن شهرة النبيين: هود وصالح عند العرب قبل الإسلام كشهرة إبراهيم الخليل عليه السلام"[4670].

مما سبق يتضح أن قصص العقاب الإلهي قديمة ومعروفة ومشهورة جداً قبل الإسلام، فلماذا يكررها القرآنُ عدة مرات؟! وبصفة خاصة القرآن المكي.

الإجابة: نعتقِد أن القرآن المكي قد كرر قصص العقاب الإلهي حتى يُسقِط عليها الواقعَ الذي كان يعيشه محمدٌ والمسلمون الأوائل في مكة قبل الهجرة إلي المدينة[4671]؛ والطريقة بسيطة وقلناها كثيراً مِن قبل: وضع أصحابُ القرآن على لسان هؤلاء الأنبياء والرسل السابقين الكلامَ الذي كان محمدٌ يقوله في مكة، كما وضعوا على لسان خصوم هؤلاء الأنبياء والرسل السابقين الكلامَ الذي كان كفارُ قريش يقولونه في مكة. وذلك حتى يمكن لمحمد أن يقول إن أصل دعوته إلى الإسلام ودعوة الأنبياء والرسل مِن قبله واحدٌ، وأيضاً

أسلوب الكافرين في الرد على الأنبياء والرسل واحدٌ. فمحمد أيضاً دعا قومه في مكة إلى الإسلام، لكن كثيراً مِنهم كذَّبوه ولم يسمعوا له واستبعدوا أن يرسل اللهُ بشراً مثلهم: "وَمَا مَنَعَ النَّاسَ (أي: مشركي مكة) أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا" (الإسراء 94) و "لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا (أي: محمد) إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ" (الأنبياء 3)؛ بل كانوا يسخرون من محمد: "وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا" (الفرقان 41) "وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ" (الأنبياء 36). فأراد القرآنُ/محمدٌ أن يكرر على مسامع أهل مكة قصص العقاب الإلهي حتى يهددهم بما قد يحدث لهم من عقاب مماثل إذا استمروا في عنادهم، وأيضاً لكي يُطمئِّن أصحابه وأتباعه من المسلمين أن الله سوف يُنجّيهم في النهاية كما نجَّى نوح ولوط وهود وصالح وشعيب ورفاقهم المؤمنين. والدليل على ذلك أن كل الآيات القرآنية التي ذكرت تفاصيل أحداث قصص العقاب الإلهي كلها آيات مكية. كما تم استخدام أحداث قصص العقاب الإلهي لتحقيق أهداف محددة تخدم محمداً في مكة، مثل استخدام ناقة صالح وتكذيب ثمود له كوسيلة لتبرير عدم إتيان محمد بالمعجزات التي طلبها كفار مكة: "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا" (الإسراء 59)[4672]. أما في الفترة المدنية التي استقوى فيها محمدٌ بالأوس والخزرج على قومه قريش فصار الإسلامُ قوياً بالسيف والعنف وانشغل المسلمون بالغزوات والقتل وسفك الدماء وجَمْع الغنائم وسبي النساء، فنجد القرآنَ يكتفي فقط بالإشارة إلى هذه القصص من بعيد دون الدخول في التفاصيل مثل: (التوبة 70)، كما كان يفعل أيضاً في بعض الآيات المكية مثل: (الفرقان 37-40) (فاطر 4، 25-26) (النجم 50-54) (الفجر 6-14) أو الآيات المُختلَف في مكيتها ومدنيتها مثل (الحج 42-48). لكن تفاصيل قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة جاءت كلها في القرآن المكي فقط.

وكما قلنا فيما سبق، القرآن نفسه يعترف في آخر سورة هود التي ذكرت قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وقصص أخرى أن هذه القصص "تُثَبِّتُ فُؤَاد" محمد: "وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ" (هود 120). بمعنى أنها تشجّع محمداً على الصبر حتى النصر كما صبر الأنبياء والرسل السابقون حتى نصرهم اللهُ: "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ" (الأنعام 34).

وإذا نظرنا إلى سورة ص مثلاً، فسنجد أن القرآن قد أطلق نفس اللفظ "الأحزاب" على المكذبين لمحمد والمتحزبين ضده وأطلقوه أيضاً على المكذبين لهؤلاء الأنبياء والرسل السابقين والمتحزبين ضدهم: "جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ **الْأَحْزَابِ**. كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ (أي: قبل قومك يا محمد) قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ. وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ **الْأَحْزَابُ**. إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ. وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ" (ص 11-15) (مكية). اقرأ أيضاً: "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ (أي: قبل قومك يا محمد) قَوْمُ نُوحٍ **وَالْأَحْزَابُ** مِن بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ (أي: ليقتلوه؛ وقيل: ليأسروه) ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا

بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ [بالعذاب المستأصل]ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ" (غافر 5). كما يحاول القرآن في أكثر من موضع أن يربط بين قصص الأنبياء والرسل السابقين وحال محمد في مكة. فمثلاً في سورة فصلت: "فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ" (فصلت 13) (مكية) التي تفسيرها أنه إذا أعرض كفار مكة أو كفار قريش أو المشركون المكذبون لما جاء به محمد[4673]، فعلى محمد أن ينذرهم "صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ". لماذا؟ لأنهم أيضاً رفضوا عبادةَ الإلهِ الواحد وقالوا لو أراد الله إرسال رسول لهدايتهم لأنزل إليهم ملائكة: "إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ" (فصلت 14). ثم ينتقل الحديث بعد ذلك في هذه السورة إلي حديث عن عاد (فصلت 15-16)، ثم عن ثمود (فصلت 17-18)، ثم عن عذاب النار لأعداء الله بصفة عامة (فصلت 19-29)، ثم في المقابل عن الجنة للمؤمنين الموحدين الذين عملوا بطاعة الله واجتنبوا معصيته "الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا" (فصلت 30)، ثم يُطمئِن المؤمنين في مكة أن الملائكة ستتولاهم ليس فقط في الآخرة ولكن أيضاً في الحياة الدنيا: "نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ. نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ" (فصلت 31-32).

مثال آخر: في سورة الأحقاف حيث يتحدث أولاً عن عاد (الأحقاف 21-25)، ثم بعد ذلك مباشرةً يربط بينهم وبين أهل مكة (الأحقاف 26-28). كذلك في سورة الذاريات: يتحدث أولاً عن قوم لوط (الذاريات 31-37)، ثم عن موسى وفرعون (الذاريات 38-40)، ثم عن عاد (الذاريات 41-42)، ثم عن ثمود (الذاريات 43-45)، ثم باختصار عن قوم نوح (الذاريات 46) وأخيراً يربط بين هذه القصص ومحمد: "فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. [...]. فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا [بكفرهم وتكذيبهم لمحمد] ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ (أي: الكافرين والمكذبين في الأمم السابقة) فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ" (الذاريات 50-60).

ولذلك فإننا نتفق تماماً 100% مع العالِم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) حين يقول تعليقاً على (الأعراف 59-137) التي تحكي قصةَ نوح مع قومه (الأعراف 59-64) ثم قصة هود مع قومه عاد (الأعراف 65-72) ثم قصة صالح مع قومه ثمود (الأعراف 73-79) ثم قصة لوط مع قومه (الأعراف 80-84) ثم قصة شعيب مع قومه أصحاب مدين (الأعراف 85-93)[4674]:

> [The Qurʾānic] accounts involving prophets, unbelievers, and divine punishment [...] are best understood in light of the Qurʾān's own prophetology; that is, the Qurʾān projects the image and message of its own prophet on earlier figures to convince its audience to accept and obey Muḥammad (and avoid the fate of earlier doomed peoples).

ونتفق أيضاً 100% مع العالِم الكبير (Prof. Guillaume Dye) حين يقول تعليقاً على (هود 25-99)[4675]:

On a souvent affaire, dans le Coran, à la même histoire qui se répète: 1) envoi d'un prophète ou d'un messager, qui appelle un peuple à reconnaître le dieu unique, 2) incrédulité du peuple, 3) punition divine, qui anéantit le peuple. Tous les prophètes apparaissent comme des prophètes de l'islam, appelant à reconnaître l'unicité divine et l'obligation d'observer les commandements divins. Il semble que la présentation de ces histoires soit adaptée à l'image qui veut être donnée de la carrière prophétique de Muḥammad. On peut parler d'une vision de l'histoire, *apocalyptique* (elle révèle le sens du passé selon les événements actuels) et *eschatologique* (il est toujours question du Jour du jugement) (De Prémare 1988).

ونتفق أيضاً 100% مع موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) حين تقول تعليقاً على أهمية قصص العقاب الإلهي (Punishment Stories) وخصوصاً في القرآن المكي[4676]:

The significance of the punishment stories

The point is widely recognized that the punishment stories provide a window onto the situation of Muḥammad at Mecca. These stories reflect both the wider context in which Muḥammad was preaching and also something of his own experience of being rejected by the unbelievers in Mecca ([...]).

Working from this assumption, it is possible to explore the functions these stories served. Their primary purpose was to warn of a punishment from God that would fall upon the Meccan unbelievers if they did not repent and accept Muḥammad's message. Thus, if the unbelievers reject his message, Muḥammad is bidden to tell them: ["أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ" (فصلت 13)]. What had happened to unbelieving communities in the past

could happen to the Meccans in the present if they persisted in their rejection of Muḥammad’s message ([...]).

In addition to exercising this warning function, the punishment stories also served to encourage Muḥammad and his followers to persevere in the face of hostile unbelief. This is implicit throughout the stories as they depict the final vindication of God’s messengers and their followers (e.g. especially the sequence of stories at [الصافات 148-71]) and is made explicit in the qurʾānic comment on the stories in [سورة هود]: [" وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ [يا محمد] مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ" (هود 120)].

There is further interest in the punishment stories, however, in that they also give some fascinating insights into Muḥammad’s experience in Mecca. The observation of Horovitz ([...]) that “Muḥammad’s feelings and experiences repeatedly come to expression in the speeches of the earlier messengers of God and their opponents” is perhaps best illustrated in the story of Noah at [هود 25-49], with its memorable account of Noah’s anguish over his unbelieving son ([...]). On this passage Newby ([...]) comments: “the compassion of Noah tells us of Muḥammad’s concern for those who would not heed his message.”

This approach to the punishment stories, emphasizing their relevance to and reflection of Muḥammad’s actual context in Mecca, can also be extended to offer a possible explanation for their disappearance after the emigration (*hijra*) from Mecca to Medina. In the Medinan passages the theme of the punishment of unbelievers in this world by God undergoes significant developments. With the onset of military conflict between Muḥammad’s community and the Meccan unbelievers, as well as other opponents, the Qurʾān gradually unfolds a new paradigm ([...]). In the Meccan period the punishment stories had reflected the expectation that God would intervene suddenly to destroy the unbelievers directly, without human mediation ([...]). In Medina, however, it is recognized that it is

through the believers and in the course of a military campaign that the divine punishment will be inflicted on the unbelievers (key Medinan passages articulating this transition are [سورة الأنفال], [محمد 4] and [التوبة 14]; [...]). Therefore, whereas in Mecca the punishment stories functioned with purposes specific to that context, after the *hijra* — and particularly after the battle of Badr — the changed context of Muḥammad and his community mean that these stories had in a sense been outgrown. The messengers who had so regularly been invoked as forerunners of Muḥammad in the Meccan context were not so relevant in the very different circumstances of Medina ([...]).

It should also be noted that narrative as a whole — not just the particular case of the punishment stories — is a rare phenomenon in Medinan passages in comparison with Meccan passages. It can be argued that this is another reflection of the difference between the two contexts. In Mecca the abundant use of narrative, with its indirect way of commenting on Muḥammad's circumstances, seems to reflect, at least in part, a situation of weakness and lack of authority. Medina, in contrast, is a context of growing power and authority for Muḥammad and his community ([...]), and there is here a tendency to comment much more directly on events, without recourse to the medium of narrative ([...]). This interpretation sheds further interesting light on the way in which the Meccan punishment stories functioned in context within the life of a struggling and vulnerable community.

باختصار: قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة في القرآن ليست قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى قبل الميلاد، وإنما هي قصة محمد في مكة في القرن السابع الميلادي مع تعديلات مستوحاة من التراث العربي (هود وصالح وشعيب) والتراث اليهودي-المسيحي (نوح ولوط ويثرون وموسى) حتى تبدو للسامعين كما لو كانت قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى. والهدف الأول لهذه القصص هو إنذار كفار مكة بالعقاب الإلهي إذا لم يؤمنوا بمحمد. ولمَّا فشل أسلوبُ الإرهاب اللفظي وهو

تخويف كفار مكة بالعذاب الإلهي الذي لم يحدث، هاجر محمدٌ والمسلمون الأوائل إلى يثرب (المدينة) حيث لجأوا إلى العنف والإرهاب اليدوي ليعذِّبوا الكفار بأيديهم ويثبتوا لأنفسهم أن قرآنهم صحيح: "قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ (أي: تنتظرون) بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ (أي: النصر أو الشهادة) ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ **أَوْ بِأَيْدِينَا** ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ" (التوبة 52)؛ "قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ **بِأَيْدِيكُمْ** وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" (التوبة 14)! "الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ [...] يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ **وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**" (الحشر 2)!

4.19.8 هل تفاصيل قصص العقاب الإلهي حدثت بالفعل كما رواها القرآن؟!

قد يُقال: وما المشكلة أن يربط أصحاب القرآن بين قصص الأنبياء والرسل السابقين مثل نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وبين حال محمد والمسلمين الأوائل في مكة في القرن السابع الميلادي؟ الإجابة: بالطبع ليس هناك مشكلة إذا كانت هذه القصص قد حدثت بالفعل كما رواها القرآن بكل ما جاء فيها من تفاصيل. أما إذا كانت قصص مؤلَّفة أو أساطير الأولين أو حكايات تتوارثها الأجيال، ففي هذه الحالة هناك مشكلة كبيرة.

ولعل أفضل دليل أن هذه القصص لم تحدث حرفياً كما رواها القرآن هو العبارات المستخدمة في هذه القصص. فنحن نجد أحياناً عبارات ومفاهيم وأفكار لا تناسب إطلاقاً الزمان الذي يُفترَض أن هؤلاء الأنبياء والرسل قد عاشوا فيه! صحيح لم يذكر القرآن متى عاشوا، لكن القرآن يحتوي على بعض الإشارات (clues) التي يمكن أن تساعدنا في معرفة زمانهم على الأقل بالنسبة لأولي العزم من الرسل كنوح وإبراهيم وموسى: فلقد جاء هود بعد نوح (الأعراف 65-69) (المؤمنون 31)، وجاء صالح بعد هود (الأعراف 73-74). أضف إلى ذلك أن شعيب جاء بعد صالح ولوط، فلقد قال شعيب لقومه: "وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ" (هود 89). وإذا افترضنا أن المقصود بقوله "مَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ" أنهم ليسوا بعيدين في المكان ولا في الزمان كما قال كثير من المفسرين والمتخصصين قديماً وحديثاً[4677]، فيمكننا أن نستنتج أن شعيب جاء بعد لوط بفترة زمنية قصيرة نسبياً. وحيث أن لوط ابن أخي إبراهيم وكان معاصراً له[4678]، فالترتيب المتوافق مع القرآن إذن هو: نوح ثم هود ثم صالح ثم إبراهيم ولوط ثم شعيب[4679]. كما أشار القرآن أيضاً في سورة الأعراف إلى أن موسى جاء بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، فبعد أن سرد القرآن قصص هؤلاء الأنبياء قال: "ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى ..." (الأعراف 103). إذن: الترتيب المتوافق مع القرآن هو: نوح ثم هود ثم صالح ثم إبراهيم ولوط ثم شعيب ثم موسى وهارون. طبعاً يوجد أنبياء آخرين بين لوط وشعيب، وربما يوجد أنبياء آخرين بين شعيب وموسى. لكن ما يهمنا الآن هو ترتيب هود وصالح ولوط وشعيب بالنسبة لأولي العزم من الرسل كنوح وإبراهيم وموسى. نكرر الترتيب المتوافق مع القرآن والتراث الإسلامي: **نوح ثم هود ثم صالح ثم إبراهيم ولوط ثم شعيب ثم موسى وهارون.**

في ضوء هذا الترتيب، نلاحظ أن قصص العقاب الإلهي في القرآن تعاني من مفارقات تاريخية (anachronisms) كثيرة وكبيرة! فكما قلنا فيما سبق، يُعتقَد أن الفترة الزمنية التي دارت فيها أحداث قصص إبراهيم هي 1800-2100 سنة قبل الميلاد؛ فإذا أصر المسلمون على أن القرآن كلام الله وأنه ينقل الحقيقة كما حدثت بالفعل، فعليهم أن يعطونا دليلاً مادياً واحداً أنه قبل 1800-2100 سنة قبل الميلاد كان هناك شخص اسمه نوح أو هود أو صالح قال أو سمع كُلَّ العبارات والأفكار التالية:

أولاً: التوحيد (monotheism)! هل يوجد أي دليل علمي – أو حتى دليل كتابي – يثبت أنه قبل 1800-2100 سنة قبل الميلاد كان هناك شخص اسمه نوح أو هود أو صالح قال أو سمع كُلَّ ما يلي؟!

في قصة نوح مع قومه: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**" (الأعراف 59) (المؤمنون 23) "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَنْ **لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ** إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ" (هود 25-26).

وفي قصة هود مع قومه عاد: "وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**" (الأعراف 65) (هود 50) "فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**" (المؤمنون 32) "وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ **أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ** إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" (الأحقاف 21). "قَالُوا أَجِئْتَنَا **لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ** وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا" (الأعراف 70).

وفي قصة صالح مع قومه ثمود: "وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**" (الأعراف 73) (هود 61) "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ **اعْبُدُوا اللَّهَ** فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ" (النمل 45).

ثانياً: الله يرسل رسلاً برسالات ليبلغوها! هل يوجد أي دليل علمي – أو حتى دليل كتابي – يثبت أنه قبل 1800-2100 سنة قبل الميلاد كان هناك شخص اسمه نوح أو هود أو صالح قال أو سمع كُلَّ ما يلي؟!

في قصة نوح مع قومه: "**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي** ضَلَالَةٌ **وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ** وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. **أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ** وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (الأعراف 61-63).

وفي قصة هود مع قومه عاد: "**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي** سَفَاهَةٌ **وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ** أَمِينٌ. **أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ**" (الأعراف 67-69) و "قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ **وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ** وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ" (الأحقاف 23) "فَإِنْ تَوَلَّوْا **فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ**" (هود 57).

وفي قصة صالح مع قومه ثمود: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ **صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ** قَالُوا **إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا **إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**" (الأعراف 75-77) "فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ **أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي** وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ" (الأعراف 79).

وإنه لمن العجيب فعلاً أن الله (أو بعبارة أكثر دقة: الإله الذي يقدمه المسلمون إلى البشرية) أرسل نوحاً إلى قومه "فَكَذَّبُوهُ" (الأعراف 64) (يونس 73)، فماذا فعل الله؟ أرسل هوداً إلى قومه عاد! فطبعاً "كَذَّبُوهُ" (الشعراء 139). فماذا كان رد فعل الله؟ أرسل صالحاً إلى قومه ثمود! فطبعاً "كَذَّبُوهُ" (الشمس 14). ألم يكن اللهُ يعلم أن ما سوف يحدث لصالح هُو هُو نفسه الذي حدث لنوح وهود مِن قَبله؟! المهم: ماذا فعل اللهُ بعد ذلك؟! أرسل شعيباً إلى قومه أصحاب مدين! فطبعاً "كَذَّبُوهُ" (العنكبوت 37). ولقد تكرر هذا التكذيب مع أنبياء ورسل آخرين، بل مع كل الأنبياء والرسل! والقرآن نفسه يعترف بذلك في آيات كثيرة، مثل: "أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ (أي: يتبع بعضُهم بعضاً)ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ" (المؤمنون 44) "كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ" (ق 14) "إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ" (ص 14)! "فَإِن كَذَّبُوكَ [يا محمد] فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ" (آل عمران 184) "وَإِن يُكَذِّبُوكَ [يا محمد] فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ" (الحج 42-44) "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ. وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ" (ص 12-13) "وَإِن يُكَذِّبُوكَ [يا محمد] فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ" (فاطر 4) "وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ" (فاطر 25) "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ [يا محمد]" (الأنعام 34) "وَكَذَّبَ بِهِ (أي: بهذا القرآن) قَوْمُكَ [يا محمد]" (الأنعام 66) "يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (يس 30) "وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الزخرف 7) "وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الحجر 11) "وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ [يا محمد]" (الأنعام 10) (الرعد 32) (الأنبياء 41) "كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ" (الذاريات 52) "مَّا يُقَالُ لَكَ [يا محمد من تكذيب واستهزاء واتهامات بالسحر والجنون] إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ" (فصلت 43)! "وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ (أي: ليقتلوه؛ وقيل: ليأسروه)" (غافر 5)!

ومِن المعلوم أن معظم سكان الأرض اليوم لا يؤمنون بالرسل والأنبياء المذكورين في القرآن وخصوصاً الأنبياء العرب مثل محمد وشعيب وصالح وهود. وحتى المؤمنون بالرسل والأنبياء نراهم يقاتلون بعضُهم بعضاً. مما يعني أن مشروع إرسال الرسل برسالات قد فشل فشلاً ذريعاً. فإذا كان المشروع فاشلاً من بدايته عند نوح، فلماذا أكمله اللهُ وأصر على تكراره مع أنه يعلم جيداً أنه "كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ" (المؤمنون 44)؟! ألم يجد اللهُ وسيلةً أخرى للتواصل مع البشر؟! مثلاً أن يتواصل اللهُ مباشرةً مع كل إنسان بلغته في مرحلة البلوغ دون الحاجة إلى نبي أو رسول أو وسيط.

ثالثاً: البعث والقيامة والآخرة والحساب! هل يوجد أي دليل علمي – أو حتى دليل كتابي – يثبت أنه قبل 2100-1800 سنة قبل الميلاد كان هناك شخص اسمه نوح أو هود أو صالح قال أو سمع كُلَّ ما يلي؟!

في قصة نوح مع قومه: قال نوحٌ لقومه "مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا. أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا. وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا **وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا**" (نوح 13-18) "وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**" (هود 34) و "**إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي** لَوْ تَشْعُرُونَ" (الشعراء 113).

وفي قصة هود مع قومه عاد: "وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ **الْآخِرَةِ**" (المؤمنون 33) "**أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ**. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ. إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ **بِمَبْعُوثِينَ**" (المؤمنون 35-37).

وفي قصتي هود وصالح مع عاد وثمود: "**الْحَاقَّةُ** (أي: القيامة الواقعة حقاً). مَا **الْحَاقَّةُ**. وَمَا أَدْرَاكَ مَا **الْحَاقَّةُ**. كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ **بِالْقَارِعَةِ** (أي: القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها)" (الحاقة 1-4).

رابعاً: المسلمين والكافرين! هل يوجد أي دليل علمي – أو حتى دليل كتابي – يثبت أنه قبل 2100-1800 سنة قبل الميلاد كان هناك شخص اسمه نوح أو هود أو صالح قال أو سمع كُلَّ ما يلي؟!

في قصة نوح مع قومه: قال نوحٌ لقومه "فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ **الْمُسْلِمِينَ**" (يونس 72) (نريد دليلاً مادياً واحداً يثبت أن نوح الذي يُفترض أنه عاش على الأقل 950 سنة قد نطق هذه الكلمة "المسلمين" أياً كان معناها!). "وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ **الْكَافِرِينَ**" (هود 42) "وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ **الْكَافِرِينَ** دَيَّارًا. إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا **كَفَّارًا**" (نوح 26-27).

وفي قصة هود مع قومه عاد الذين "قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ **كَافِرُونَ**" (فصلت 14).

وفي قصة صالح مع قومه ثمود الذين "قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ **كَافِرُونَ**" (فصلت 14) "قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ **كَافِرُونَ**" (الأعراف 76).

نريد دليلاً مادياً واحداً – أو حتى دليلاً كتابياً واحداً – يثبت أن كل ما سبق من كلام قيل قبل 2100-1800 سنة قبل الميلاد! كما نريد دليلاً مادياً واحداً – أو حتى دليلاً كتابياً واحداً – يثبت أن كل الأوثان المذكورة في (نوح 23): "وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا" كانت تُعبَد قبل 2100-1800 سنة قبل الميلاد!

فإن لم يكن هناك أدلة علمية على كل ما سبق، فالأقرب إلى العقل والمنطق هو أن أصحاب القرآن قد وضعوا كلاماً يناسب زمانهم ومكانهم (القرن السابع الميلادي في مكة) ونسبوه إلى نوح وهود وصالح (ولوط وشعيب) حتى يعطوا انطباعاً أن محمد "رسول" من عند الله مثل هؤلاء "الرسل"، وأن قصص هؤلاء "الأنبياء" السابقين مشابهة لقصة "النبي" الجديد محمد، وأن أصل دعوة محمد إلى الإسلام ودعوة الأنبياء مِن قبله واحد. هذه هي الغاية. وهذا هو الهدف. أما الوسيلة فهي بسيطة وقلناها كثيراً مِن قَبل: وضع أصحابُ القرآن على لسان هؤلاء الأنبياء والرسل السابقين الكلامَ الذي كان محمدٌ يقوله في مكة، كما وضعوا على لسان خصوم هؤلاء الأنبياء والرسل السابقين الكلامَ الذي كان كفارُ قريش يقولونه في مكة. والجدول التالي يعطي أمثلةً تؤكد ذلك وهي على سبيل المثال وليس الحصر:

جدول 23 – كيف استطاع أصحابُ القرآن أن يؤلفوا قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة: أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وآخرين "لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ"!

الكلام الذي وضعه أصحابُ القرآن في قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة: أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وآخرين "لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ"!	إنه كلام إسلامي/عربي (stock phrases) من تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموه في آيات قرآنية أخرى تتحدث عن محمد وأتباعه وخصومه!
دعا نوحٌ قومَه إلى التوحيد المطلق: "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف 59) (المؤمنون 23). وقال هود لقومه عاد نفس الجملة: "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف 65) (هود 50) (المؤمنون 32)! وقال صالح لقومه ثمود نفس الجملة: "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف 73) (هود 61)! وقال شعيب لقومه أصحاب مَدْيَنَ نفس الجملة: "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (الأعراف 85) (هود 84)! وقال اللهُ لموسى: "إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي" (طه 14)!	إنه كلام أصحاب القرآن الذين دعوا إلى التوحيد المطلق: "أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (الطور 43)؛ "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (التوبة 31)؛ "ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ" (الأنعام 102)؛ "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" (البقرة 163)؛ "هَٰذَا [القرآن] بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ" (إبراهيم 52)؛ "وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا" (النساء 36). وآيات قرآنية أخرى بنفس المعنى، ومنها ما يقول إن التوحيد المطلق هو دعوة جميع الأنبياء والرسل السابقين، مثل: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ [يا محمد] مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" (الأنبياء 25)؛ "وَاسْأَلْ [يا محمد] مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ" (الزخرف 45).
قوم نوح "كَذَّبُوهُ" (الأعراف 64) (يونس 73). عاد قوم هود "كَذَّبُوهُ" (الشعراء 139)! ثمود قوم صالح "كَذَّبُوهُ" (الشمس 14)! أصحاب مدين قوم شعيب "كَذَّبُوهُ" (العنكبوت 37)!	قوم محمد كَذَّبُوهُ. "فَإِن كَذَّبُوكَ [يا محمد] فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ" (آل عمران 184) "وَإِن يُكَذِّبُوكَ [يا محمد] فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ" (الحج 42-44) "وَإِن يُكَذِّبُوكَ [يا محمد] فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ" (فاطر 4) "وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ" (فاطر 25)؛ (الأنعام 34) (ص 12-13).

قال الكفار من قوم نوح إنه "مَجْنُونٌ" (القمر 9) "إِنْ هُوَ (أي: نوح) إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ (أي: مَسٌّ من الجنون)" (المؤمنون 25). وقالت ثمود لصالح: "قَالُوا إِنَّمَا أنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (أي: الذين سُحِروا سحراً كثيراً أو شديداً حتى غلب على عقولهم)" (الشعراء 153). وقال أصحابُ لأيكة لشعيب نفس الجملة: "قَالُوا إِنَّمَا أنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ" (الشعراء 185)! هل هذا معقول؟!	الجنون والسحر تهمتان وَجَّهها كفارُ قريش لمحمد عدة مرات: "وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ" (الحجر 6) "وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ" (الصافات 36) "ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ" (الدخان 14) "وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ" (القلم 51)؛ "أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ (أي: مَسٌّ من الجنون)" (المؤمنون 70) "أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ" (سبأ 8). "وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ (هو: محمد) وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ" (ص 4) "قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا (أي: محمد) لَسَاحِرٌ مُبِينٌ" (يونس 2) "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ (أي: على المشركين من أهل مكة) آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ" (الأحقاف 7) "إِنْ هَذَا (أي: القرآن) إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ" (المدثر 24). وقال كفار مكة لصحابة محمد: "إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا" (الإسراء 47) "إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا" (الفرقان 8). اقرا أيضاً (الصافات 15) (سبأ 43) (هود 7) (التكوير 22). "كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَتَوَاصَوْا بِهِ" (الذاريات 52-53). الإجابة: كلا، لم يتواصوا به. وإنما أصحاب القرآن هُمْ الذين أعادوا كتابة (rewrote) قصص الأنبياء والرسل السابقين (مثل نوح وصالح وشعيب وغيرهم) بحيث تبدو مشابهة لحياة محمد.
يزعم القرآنُ أن هود قال لقومه عاد: "أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ" (الأعراف 71).	هذا ليس من كلام هود، وإنما من كلام محمد. فلقد كان محمدٌ يقول لقومه كفار قريش ومشركيها في مكة: "إِنْ هِيَ (أي: أصنامكم وأوثانكم التي تعبدونها من

ويزعم القرآنُ أيضاً أن إبراهيم قال لقومه: "وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ **مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ** عَلَيْكُمْ **سُلْطَانًا**" (الأنعام 81)[4680]!	دون الله) إِلَّا **أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ**" (النجم 23). "قُلْ [يا محمد] إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ [...] أَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ **مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا** وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (الأعراف 33). "وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ **مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**" (الحج 71)[4681].
يزعم القرآنُ أن عاد قوم هود "**اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا** آلِهَةً (أي: يتقربون بها إلى الله لتشفع لهم عنده)" (الأحقاف 28). يعني كانوا مؤمنين بوجود الله لكنهم ليسوا موحّدين.	هذه كانت عقيدة (مجموعة من) كفار مكة؛ أو: (مجموعة من) كفار العرب في القرن السابع الميلادي: "الَّذِينَ **اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ** (أي: مِن دُونِ اللَّهِ) أَوْلِيَاءَ (أي: أنصار؛ يتولونهم بعبادتهم ودعائهم) مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا **لِيُقَرِّبُونَا** إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ (أي: لتقربنا إلى الله منزلةً وتشفع لنا عنده)" (الزمر 3)؛ "**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ** مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ **شُفَعَاؤُنَا** عِندَ اللَّهِ ۚ [...] ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (يونس 18)؛ "وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ" (يوسف 106)[4682]؛ "وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا **تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ** إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ [إنهم سيقولون: لا]" (الزمر 38)؛ (العنكبوت 61، 63) (لقمان 25) (الزخرف 87) (يونس 31-32) (المؤمنون 84-89). يعني كانوا مؤمنين بوجود الله لكنهم ليسوا موحّدين[4683].
وفي قصة أصحاب القرية، قال الرجل المؤمن الذي جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ: "أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ **لَّا تُغْنِ** عَنِّي **شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا** وَلَا يُنقِذُونِ. إِنِّي إِذًا (أي: إن فعلت ذلك) لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (يس 23-24)[4684].	"وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ **لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا** إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ" (النجم 26).

"قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ [...] قَالَتْ رُسُلُهُمْ [...] وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ [...] وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" (إبراهيم 9-12)[4685].	"قُل [يا محمد] لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" (التوبة 51). "وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" (آل عمران 122، 160) (المائدة 11) (المجادلة 10) (التغابن 13). "وَلَئِن سَأَلْتَهُم [يا محمد] مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا (أي: هذه الآلهة الأوثان التي) تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ [لهم يا محمد حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ" (الزمر 38).
قال هود لقومه: "قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ" (هود 54). وكذلك قال إبراهيم لقومه حسب رواية سورة الأنعام: "قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ" (الأنعام 78).	إنه كلام محمد ومذكور في سورة الأنعام أيضاً! "قُلِ [يا محمد] اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ [...] قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ" (الأنعام 19)!
قال كفار عاد لهود: "أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا [من الأوثان]" (الأعراف 70). وقال كفار ثمود لصالح: "أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا" (هود 62)! وحين "قَالَ [إبراهيمُ] لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ" (الأنبياء 52-53) "وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ" (الشعراء 74)! وقال كفار مدين لشعيب: "أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا" (هود 87)!	إنه كلام كفار قريش (أو كفار العرب بصفة عامة) الذين تمسكوا بعبادة الأوثان التي كان يعبدها آباؤهم! "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ [على محمد] قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا" (لقمان 21)؛ "وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا (أي: محمد) إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ" (سبأ 43)؛ "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا" (المائدة 104)؛ "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا (أي: وجدنا) عَلَيْهِ آبَاءَنَا" (البقرة 170)[4686]. اقرأ أيضاً: "وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً

وقال فرعون وملؤه لموسى: "أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا (أي: لتصرفنا) عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا [من عبادة غير الإله الواحد إله بني إسرائيل]" (يونس 78)! وكذلك قال كفار قوم نُوحٍ وأقوام آخرين لرسلهم إنكم "تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا" (إبراهيم 10)!	قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا" (الأعراف 28)؛ "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ (أي: استخرج ذريةَ بني آدم من أصلاب آبائهم) وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ (your Lord) ۖقَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا[4687] ۛ أَن تَقُولُوا (أي: لئلا تقولوا) يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖأَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ" (الأعراف 172-173).
"وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ [يا محمد] فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ (أي: دين؛ مذهب؛ طريقة) وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ" (الزخرف 23)	إنه كلام كفار قريش ومذكور في سورة الزخرف أيضاً! "بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ" (الزخرف 22)
قال كفار عاد لهود: "قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا (أي: لتصرفنا؛ لِتُضِلَّنَا) عَنْ آلِهَتِنَا" (الأحقاف 22).	إنه كلام كفار قريش: "وَإِذَا رَأَوْكَ [يا محمد] إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا. إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا (أي: ثَبَتْنا على عبادتها)" (الفرقان 41-42).
قال كفار عاد: "إِنْ هُوَ (أي: هود) إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" (المؤمنون 38). (يعني: هؤلاء "الكفار" كانوا مؤمنين بوجود الله بدليل أنهم يقولون "افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ"؛ لكنهم "كفار" بمعنى أنهم لم يؤمنوا بكل ما جاء في رسالة هود وخصوصاً التوحيد المطلق.) وقال شعيب لقومه أصحاب مدين: "قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا" (الأعراف 89)!	"افترى على الله كذبا" عبارةٌ كان العرب (سواء مسلمين أو غير مسلمين) يقولونها على كل مَن يقول كلاماً لم يقله اللهُ وخصوصاً إذا كان مخالفاً لكلام الله. "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا [...] أَفْتَرَىٰ [محمدٌ] عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ" (سبأ 7-8)؛ "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ [محمدٌ] عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" (الشورى 24). (يعني هؤلاء "الكفار" كانوا مؤمنين بوجود الله بدليل أنهم يقولون "افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ"؛ لكنهم "كفار" بمعنى أنهم لم يؤمنوا بكل ما جاء في رسالة محمد وخصوصاً التوحيد المطلق.) "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" (هود 18)؛ "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى

"قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ (أي: قال موسى لسحرة فرعون) وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم (أي: يستأصلكم؛ يهلككم) بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ" (طه 61)!	اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ" (الأنعام 21)؛ "فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ" (الأعراف 37) (يونس 17)؛ "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ" (العنكبوت 68)؛ "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ" (الأنعام 93)[4688]؛ "فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ" (الأنعام 144). "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ" (الصف 7)؛ "فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (آل عمران 94). حتى الجن قالوا: "وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" (الجن 5)!
حسب رواية سورة الأعراف لقصة شعيب، اتهم شعيبٌ قومَه أصحاب مدين باتهامات خطيرة: "وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا" (الأعراف 86).	إنها الاتهامات التي وجهها أصحابُ القرآن في سورة الأعراف أيضاً إلى كل خصومهم بدءاً من الشيطان إبليس إلى كل "الظالمين" (أي: الكافرين بالقرآن)! "قَالَ [الشيطانُ إبليس لله] فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ" (الأعراف 16)؛ "لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ[4689] وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا[4690] وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ" (الأعراف 44-45). وكذلك في سور أخرى: "لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ" (هود 18-19)؛ "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا" (آل عمران 99)؛ "وَوَيْلٌ

	لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ" (إبراهيم 2-3).
قال نوحٌ لقومه: "اللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ (أي: خلق أباكم آدم من تراب الأرض)" (نوح 17) وقال صالحٌ لقومه: "هُوَ (أي: الله) أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ" (هود 61)	"هُوَ (أي: الله) أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ (أي: خلق أباكم آدم من تراب الأرض)" (النجم 32)[4691].
قال شعيبٌ لقومه أصحاب مدين: "فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ (أي: لا تُنْقِصوهم شيئاً من حقوقهم)" (الأعراف 85) "وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ [...]. وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ (أي: بالعدل)ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ" (هود 84-85)! وقال شعيبٌ لأصحاب لأيكة: "أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (أي: ممن يُنْقِصون الناس حقوقهم). وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (أي: الميزان العادل السويّ). وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ" (الشعراء 181-183)!	هذا الأمر كان يشغل بالَ المسلمين الأوائل الذين عملوا بالتجارة (مثل المديانيين بدليل وجود سورة في القرآن اسمها "المطففين"! "وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (أي: الذين يُنْقِصُون من الكيل أو الوزن شيئاً طفيفاً). الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ (أي: إذا اشتروا لأنفسهم من الناس) يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ (أي: إذا باعوا لغيرهم) يُخْسِرُونَ (أي: يُنْقِصُون)" (المطففين 1-3). وأيضاً بدليل الآيات القرآنية التالية: "وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ" (الأنعام 152) "وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ" (الإسراء 35). وفي سورة الرحمن، ربط أصحابُ القرآن بين "ميزان الله" (أي: العدل المطلق) وميزان البشر (أي: العدل النسبي): "وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ" (الرحمن 7-9)[4692].
قال شعيبٌ لقومه: "بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (هود 86). وقال سحرة فرعون بعد إيمانهم: "إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ" (طه 73).	إنه كلام أصحاب القرآن بدون أدنى شك: "وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا" (الشورى 36)؛ "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ" (القصص 60). "وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ" (طه 131).

قال صالحٌ لقومه ثمود: "وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ. الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ" (الشعراء 151-152) "وَلَا تَعْثَوْا (أي: وَلَا تَسْعَوْا) فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (الأعراف 74). اقرأ أيضاً: "وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ" (النمل 48)!

وقال لوطٌ لقومه: "إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ" (الأعراف 81)! وقالت الملائكة لإبراهيم: "قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (أي: قوم لوط). لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ. مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ" (الذاريات 32-34)!

وقال شعيب لقومه أصحاب مدين: "وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (هود 85) (العنكبوت 36) "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا" (**الأعراف** 85)!

وقال شعيب لأصحاب لأيكة: "وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (الشعراء 183)! "وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ" (الأعراف 142)!

"وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ [...] إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ [...] كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ [...] وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ" (غافر 28-43)! اقرأ أيضاً: "وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ" (يونس 83) "فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ" (الدخان 31)!

"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ. وَثَمُودَ

أصحابُ القرآن هُمْ الذين كانوا يستخدمون عبارتي "المسرفين" و "المفسدين في الأرض" للحديث عن الخطاة أو الكافرين أو المنافقين. اقرأ مثلاً: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (الزمر 53)؛ "وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا" (آل عمران 147)؛ "وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (يونس 12)؛ "وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ" (طه 127)؛ "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (القصص 83)؛ "وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا" (**الأعراف** 56)؛ "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ (أي: للكفار و/أو المنافقين) لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ" (البقرة 11-12)؛ "وَإِذَا تَوَلَّىٰ [المنافقُ] سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ" (البقرة 205)؛ "فَهَلْ عَسَيْتُمْ [أيها المنافقون] إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ" (محمد 22)؛ "وَيَسْعَوْنَ (أي: يسعى الْيَهُودُ) فِي الْأَرْضِ فَسَادًا" (المائدة 64)؛ "وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" (البقرة 27)؛ "وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ" (الرعد 25)؛ "ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم (أي: من بني إسرائيل) بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ. إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ [...]" (المائدة 32-33)؛ "أَمْ نَجْعَلُ

الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ. وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ. الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ" (الفجر 6-12)[4693]! وقال الرسل الثلاثة لأصحاب القرية: "بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ" (يس 19)!	الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّار" (ص 28). اقرأ أيضاً ملخص قصص العقاب الإلهي: "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ [يا محمد] إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ [...] ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ" (الأنبياء 7-9).
قال نوحٌ لقومه: "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" (الشعراء 107). وقال هودٌ لقومه: "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" (الشعراء 125)! وقال صالحٌ لقومه: "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" (الشعراء 143)! وقال لوطٌ لقومه: "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" (الشعراء 162)! وقال شعيبٌ لأصحاب لأيكة: "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" (الشعراء 178)! ولم تُذْكَر هذه الجملة إلا في روايات سورة الشعراء فقط! وقالها موسى لقوم فِرْعَوْنَ لكن في سورة الدخان: "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" (الدخان 18)!	وفي سورة الشعراء أيضاً وبعد انتهاء قصة شعيب مباشرة، يقول أصحاب القرآن: "وَإِنَّهُ (أي: القرآن) لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (أي: الملاكُ جبريل رسولُ الله إلى محمد)" (الشعراء 192-193)! اقرأ أيضاً: "إِنَّهُ (أي: القرآن) لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (هو: الملاك جبريل). ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (أي: صاحب مكانة رفيعة عِندَ الله). مُّطَاعٍ (أي: تطيعه الملائكةُ) ثَمَّ أَمِينٍ" (التكوير 19-21).
قال الرسل الثلاثة لأصحاب القرية: "قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ. وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (يس 16-17).	"وَإِن تُكَذِّبُوا [محمداً] فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (العنكبوت 18)؛ "وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (النور 54)؛ "فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (التغابن 12)؛ "فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (المائدة 92)؛ "فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (النحل 35)؛ "فَإِن تَوَلَّوْا (أي: أعرضوا عنك يا محمد) فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (النحل 82). اقرأ أيضاً (آل عمران 20) (المائدة 99) (الرعد 40) (الشورى 48) (البقرة 272).

قال الكفار من قوم نوح له: "مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا" (هود 27). وقالوا للعامة: "مَا هَٰذَا (أي: نوح) إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ" (المؤمنون 24). وأكَّد نوحٌ هذه الحقيقة: "وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ" (هود 31). وقال كفار عاد: "مَا هَٰذَا (أي: هود) إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ" (المؤمنون 33-34). وقال كفار ثمود لصالح: "مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا" (الشعراء 154)؛ "أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ" (القمر 24). وقال أصحابُ لأيكة لشعيب: "وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا" (الشعراء 186). وقال كفار قوم نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وأقوام آخرين لرسلهم: "إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا" (إبراهيم 10) "فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا" (التغابن 6). وأكَّدت رُسُلُهُمْ ذلك: "قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ" (إبراهيم 11). وقال فرعون وملؤه لموسى وهارون: "أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا" (المؤمنون 47). وقال أصحابُ القرية للرسل الثلاثة: "قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ" (يس 15).	إنه كلام كفار قريش الذين قالوا "هَلْ هَٰذَا (أي: محمد) إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ" (الأنبياء 3). وأكَّد محمدٌ هذه الحقيقة: "قُلْ [يا محمد لكفار قومك] إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ" (الكهف 110) (فصلت 6) "قُلْ [يا محمد] سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا" (الإسراء 93) "قُل [يا محمد] [...] وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ" (الأنعام 50)[4694]. اقرأ أيضاً ما قاله الكفار والمشركون: "قَالُواْ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ" (الأنعام 91)؛ "إِنْ هَٰذَا [الذي يقوله محمدٌ] إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ" (المدثر 25). بل يُفْهَم من القرآن أن بشرية محمد كانت عقبةً أساسيةً أمام إيمان أهل مكة به! "وَمَا مَنَعَ النَّاسَ (أي: مشركي مكة) أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا" (الإسراء 94). واقرأ أيضاً ملخص قصص العقاب الإلهي: "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ [يا محمد] إِلَّا رِجَالًا [من البشر] نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا [تخالف أجساد البشر] لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ. ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ" (الأنبياء 7-9).
قال الكفار من قوم نوح: "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ [أن يرسل إلينا رسولاً] لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً" (المؤمنون 24). وكذلك عاد وثمود "قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً" (فصلت 14)!	إنه كلام الكفار من قوم محمد: "وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ (أي: محمد) يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ" (الفرقان 7) "لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ" (الأنعام 8) "لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ" (هود 12) "لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ" (الحجر 7) "وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ"

(الفرقان 21)[4695]. فحاول أصحابُ القرآن تبرير عدم نزول ملائكة: "وَمَا مَنَعَ النَّاسَ (أي: كفار مكة) أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا. قُل [لهم يا محمد] لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ [بدل البشر] مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا [من جنسهم]" (الإسراء 94-95)؛ "وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ [بإهلاكهم] ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (أي: لَا يُمْهَلُونَ لتوبةٍ). وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا [كما طلبوا] لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا (أي: في صورة البشر حتي يستطيعوا رؤيته والسماع منه والكلام معه) وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (أي: ولاشتبه الأمرُ عليهم كما اشتبه عليهم أمرُ محمد، فالنتيجة واحدة في الحالتين)" (الأنعام 8-9)؛ "وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا (أي: جمعنا لهم كُلَّ شَيْءٍ طلبوه فعاينوه مواجهة) مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ" (الأنعام 111)؛ "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ" (الأنعام 91)؛ "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا (أي: من البشر وليس من الملائكة) نُّوحِي إِلَيْهِمْ" (يوسف 109) (النحل 43) "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ (أي: أهل الكتاب؛ أهل العلم بالكتب المنزلة السابقة كالتوراة والإنجيل) إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (الأنبياء 7)؛ "وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ (أي: كانوا بشراً عاديين مثل كل البشر)" (الفرقان 20).	

قال نوحٌ لقومه: "يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي" (هود 28). وقال صالحٌ لقومه: "يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي" (هود 63)! وقال شعيبٌ لقومه: "يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي" (هود 88)! ولم تُذْكَر هذه الجملة إلا في روايات سورة هود فقط!	هذه الجملة من كلام أصحاب القرآن في سورة الأنعام: "قُلْ [يا محمد] إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي" (الأنعام 57).
قال صالحٌ لقومه: "قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" (الأعراف 73). وقال شعيبٌ لقومه: "قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" (الأعراف 85)! وقال موسى لفرعون: "قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ" (الأعراف 105)! ولم تُذْكَر هذه الجملة إلا في روايات سورة الأعراف فقط!	هذه الجملة من كلام أصحاب القرآن في سورة الأنعام! يا كفار العرب، لقد أنزلنا هذا القرآن لئلا "تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ (أي: كتابٌ من السماء كما أُنزلَ على اليهود والنصارى) لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" (الأنعام 157)!
قال نوحٌ لكفار قومه: "أَفَلَا تَتَّقُونَ" (المؤمنون 23) "أَلَا تَتَّقُونَ" (الشعراء 106). وكذلك قال هودٌ لقومه عاد: "أَفَلَا تَتَّقُونَ" (الأعراف 65) (المؤمنون 32) "أَلَا تَتَّقُونَ" (الشعراء 124)! وكذلك قال صالحٌ لقومه ثمود: "أَلَا تَتَّقُونَ" (الشعراء 142)! وكذلك قال لوطٌ لقومه: "أَلَا تَتَّقُونَ" (الشعراء 161)! وكذلك قال شعيبٌ لأصحاب لأيكة: "أَلَا تَتَّقُونَ" (الشعراء 177)!	"فَقُلْ [يا محمد للمشركين] أَفَلَا تَتَّقُونَ" (يونس 31) "قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ" (المؤمنون 87) "أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ" (النحل 52)
قال نوحٌ لكفار قومه: "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ" (المؤمنون 23) "اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ" (نوح 3). وكذلك قال هودٌ لقومه عاد: "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ"	"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة 21)(4696).

(الأعراف 65) "اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ" (المؤمنون 32)! "وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ" (العنكبوت 16)!	
قال نوحٌ لكفار قومه: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 109)، "وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا (أي: لا أطلب على تبليغ رسالة ربي أجراً تؤدونه إليّ) ۖ إِنْ أَجْرِيَ (أي: ثوابي) إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (هود 29)، "فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (يونس 72). وكذلك قال هودٌ لقومه عاد! "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 127)! "يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي" (هود 51)! وكذلك قال صالحٌ لقومه ثمود! "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 145)! وكذلك قال لوطٌ لقومه! "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 164)! وكذلك قال شعيبٌ لأصحاب لأيكة! "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 180)! وفي قصة أصحاب القرية "جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ. وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي	إنه كلام أصحاب القرآن الذين قالوا لمحمد: "أُولَٰئِكَ [الأنبياء والرسل] الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل [يا محمد لكفار قومك] لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ (أي: القرآن؛ الإسلام) إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ" (الأنعام 90)، "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ [...]. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" (ص 86-87)، "قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (سبأ 47)، "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" (الفرقان 57)، "قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا" (الشورى 23)، "وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" (يوسف 104)، "أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا" (الطور 40) (القلم 46).

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (يس 20-22)! اقرأ أيضاً (النمل 36) (الكهف 95).	
قال نوحٌ لكفار قومه: "أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ [...]" (الأعراف 63). وقال هود لكفار عاد: "أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ [...]" (الأعراف 69)! كما يؤكد القرآن أن هود كان ينتمي إلى القوم الذين أُرْسِلَ إليهم: "فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ [...]" (المؤمنون 32)؛ (الأعراف 65) (هود 50) (الأحقاف 21). وكذلك بالنسبة لصالح وقومه ثمود، وبالنسبة لشعيب وقومه أصحاب مدين. حتى لوط جعله القرآنُ رسولاً إلى قومه (الشعراء 160-161) (ق 13)! مع أن التوراة لا تقول ذلك.	كفار مكة هُمْ الذين تعجبوا: "أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ (هو: محمد) أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ [...]" (يونس 2)؛ "وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ" (ص 4)؛ "بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ" (ق 2). كما يؤكد القرآن أن محمد كان ينتمي إلى القوم الذين أُرْسِلَ إليهم: "بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ" (الجمعة 2) "بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ" (آل عمران 164) "وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ" (النحل 113) "كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ" (البقرة 151) "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ" (التوبة 128)؛ (البقرة 129).
قال هود لقومه عاد: "اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ" (هود 52). وقال صالح لقومه ثمود: "فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ" (هود 61)! وقال شعيب لقومه أصحاب مدين: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ" (هود 90)! ولم تُذْكَر هذه الجملة إلا في روايات سورة هود فقط!	إنه كلام أصحاب القرآن ومذكور أيضاً في سورة هود! "وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ" (هود 3)!
قال صالحٌ لقومه ثمود: "فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ" (هود 61).	"وَإِذَا سَأَلَكَ [يا محمد] عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ" (البقرة 186).

قال شعيب لقومه أصحاب مدين: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ" (هود 90).	"وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ" (البروج 14). ولم تُذْكَر كلمة "ودود" في القرآن كله إلا في هاتين الآيتين (هود 90) (البروج 14)!
قال نوحٌ لقومه: "اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ. يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى" (نوح 3-4). وكذلك قال رُسُل "قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ" إن الله "يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى" (إبراهيم 9-10)!	إنه كلام محمد: "أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ. وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى" (هود 2-3).
قال نوحٌ لكفار قومه: "وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (أي: ممهدة كالبساط!). لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (أي: طرقاً واسعة)" (نوح 17-20)! وقال موسى لفرعون: رَبّي "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ. [...] مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ" (طه 53-55)!	"وَلَئِن سَأَلْتَهُم [يا محمد] مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ" (الزخرف 9-11) "وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ" (الأنبياء 31)!
قال نوحٌ لقومه: "اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا" (نوح 10-11). وقال هود لقومه عاد: "وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا" (هود 52)!	السماء لا تُرْسَل. وإنما المراد: يُرْسِل المطرَ أو يُرْسِل مطرَ السماءِ. فهي من بلاغة اللغة العربية، لغة أصحاب القرآن؛ بدليل أنهم استخدموها في موضعٍ آخر: "أَلَمْ يَرَوْا (أي: هؤلاءُ الكفار الذين يُكذِّبون محمداً) كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا" (الأنعام 6).

قال إبراهيمُ لقومه: "وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا" (الأنعام 80)! وقال شعيب لقومه: "وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا" (الأعراف 89)! وقال موسى لقومه: "إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا" (طه 98)!	إنه كلام أصحاب القرآن: "لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا" (الطلاق 12)؛ "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ" (غافر 7).
"وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ" (إبراهيم 6) "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ" (المائدة 20). وقال صالحٌ لقومه ثمود: "فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ" (الأعراف 74)! وقال هودٌ لقومه عاد: "فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ (أي: نِعَمَ اللَّهِ)" (الأعراف 69)!	إنه كلام أصحاب القرآن: "اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ" (المائدة 7) (الأحزاب 9) "اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ" (البقرة 231) (آل عمران 103) (المائدة 11) (فاطر 3). "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (أي: تَشُك). هَٰذَا (أي: محمد؛ القرآن) نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ (أي: من جنس الأنبياء السابقين)" (النجم 55-56). "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" (الرحمن 13، 16، 18، 21، 23، 25، 28، 30، 32، 34، 36، 38، 40، 42، 45، 47، 49، 51، 53، 55، 57، 59، 61، 63، 65، 67، 69، 71، 73، 75، 77)!
قال هودٌ لقومه عاد: "إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا (أي: مالِك أمرها؛ تحت سلطانه وتصرفه)" (هود 56). ولم تُذْكَر هذه الجملة إلا في رواية سورة هود لقصة هود مع قومه عاد!	إنه كلام أصحاب القرآن ومذكور أيضاً في سورة هود! "وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا (أي: مكان استقرارها في حال حياتها) وَمُسْتَوْدَعَهَا (أي: المكان الذي تودع فيه بعد موتها)" (هود 6).
قال شعيب لقومه أصحاب مدين: "وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ" (هود 86).	إنه كلام محمد: "وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ" (الأنعام 104)! "وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا" (الأنعام 107)؛ "فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا" (النساء 80) (الشورى 48). اقرأ أيضاً: "وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ" (يونس 108) "قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ"

	(الأنعام 66) "وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ" (الأنعام 107) (الزمر 41) (الشورى 6) "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا" (الإسراء 54).
قال شعيب لقومه أصحاب مدين: "عَلَيْهِ (أي: على الله) تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" (هود 88).	إنه كلام محمد: "عَلَيْهِ (أي: على الله) تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" (الشورى 10)!
تساءل كفارُ عاد: "أَيَعِدُكُمْ [هودٌ] أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ [من قبوركم أحياء]" (المؤمنون 35). ولم يُذْكَر هذا السؤال إلا في رواية سورة المؤمنون لقصة هود مع قومه عاد!	هذا سؤال طرحه كفار مكة، وهو أيضاً مذكور في سورة المؤمنون! "قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ[4697]. قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (أي: مُّخْرَجُونَ من قبورنا أحياء). لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (old nonsense; fables of the ancients)" (المؤمنون 81-83)[4698]. "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (النمل 67-68). "أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ" (الصافات 16-17). "وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا (أي: فُتاتاً؛ حُطاماً؛ تُراباً) أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا" (الإسراء 49) (الإسراء 98). "فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ" (الرعد 5). "وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ" (السجدة 10). "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ (يقصدون: محمد) يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ" (سبأ 7). اقرأ أيضاً: "وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ" (الواقعة 47-48)؛ "أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (أي: أنُبْعَث ونُحاسَب

ونُجازَى بأعمالنا)" (الصافات 53)؛ "يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (أي: أنُرَدُّ أحياء بعد موتنا وبعد كوننا في حفر القبور؟!). أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (أي: بالية)" (النازعات 10-11)؛ "وَيَقُولُ الْإِنسَانُ [المنكِرُ للبعث بعد الموت] أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا" (مريم 66)؛ "بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ (هو: محمد ينذرهم بالبعث والحساب والعقاب في الآخرة) فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا [نرجع بعد الموت إلى الحياة؟!] ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (أي: بعيد الوقوع؛ غير ممكن)" (ق 2-3). ولقد أخرج الحاكمُ في المُستدرَك حديثاً صحيحاً يقول إن العاص بن وائل جاء إلى محمد وفي يده عَظْم رميم وهو يفتُّه ويَذْرُوه في الهواء ويقول: "يا محمد، أيبعث اللهُ هذا بعد ما أَرَمَّ؟" فقال محمدٌ له: "نعم، يبعث اللهُ هذا، يُميتك ثم يُحييك ثم يُدخلك نار جهنم"! فنزلت الآيات: "أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ" (يس 77-78)[4699]. ومن المعلوم أن كفار مكة ليسوا أول مَن أنكر القيامة. فهذا الإنكار له جذور في التراث اليهودي قبل الإسلام حيث أنكر بعضُ اليهود القيامةَ (كالصَّدُّوقِيِّين وأمثالهم)[4700]، وله أيضاً جذور في التراث المسيحي قبل الإسلام حيث أنكر الوثنيون القيامةَ وأنكر المعلمون الزائفون مجيءَ المسيح ثانيةً قبل يوم القيامة (2 بطرس 3:4)[4701]، بل أنكر فريقٌ من المسيحيين المعاصرين للإسلام القيامةَ[4702]. فما يهمنا هنا هو أن أصحاب القرآن قد وضعوا كلامَ منكري القيامة بصفة عامة (وكلامَ كفار مكة بصفة خاصة) على لسان كفار عاد أثناء تأليف	

	قصة هود القرآنية غير التاريخية. وهذا يؤكد أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله.
قال كفار عاد: "إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ" (المؤمنون 37)	هذا أيضاً كلام كفار مكة: "وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ" (الأنعام 29) "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ [...] ائْتُوا بِآبَائِنَا [الأموات] إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (الجاثية 24-25)؛ "إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ [في الدنيا] وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (أي: بمبعوثين). فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (الدخان 35-36)[4703]. "وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ" (النحل 38). وطبعاً توجد آيات قرآنية أخرى كثيرة تعطي نفس المعنى، مثل: "زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا" (التغابن 7)؛ "كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (أي: كان مشركو مكة لا يؤمنون بالبعث يوم القيامة)" (الفرقان 40)؛ "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ (أي: القيامةُ)" (سبأ 3)؛ "وَإِذَا قِيلَ [لكم] إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ" (الجاثية 32).
قال كفار عاد لهود: "قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (أي: يستوي عندنا وعظك وعدمه، فلن نؤمن بك في جميع الأحوال)" (الشعراء 136)	أصحاب القرآن هُمْ الذين كانوا أحياناً يشعرون أنهم لن يستطيعوا إقناع الكفار والمنافقين: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة 6) "وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (يس 10). اقرأ أيضاً: "سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" (المنافقون 6)

قال هود لقومه عاد: "فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا" (هود 57).	"وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم" (محمد 38) "إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا" (التوبة 39). اقرأ أيضاً "إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ" (فاطر 16) (إبراهيم 19)؛ "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا" (آل عمران 144)؛ "وَلَا يَحْزُنكَ [يا محمد] الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا [...]. إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (آل عمران 176-177)؛ "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا" (محمد 32).
كفار ثمود استَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ: "وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ (أي: استَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ)" (فصلت 17). ولم تُذْكَر هذه العبارة إلا في رواية سورة فصلت لقصة صالح مع قومه ثمود!	الكفار المعاصرون للإسلام هُمْ الذين اسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ (أي: اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ). ونجد ذلك في سورة فصلت أيضاً! "قُلْ هُوَ (أي: القرآن) لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى" (فصلت 44). اقرأ أيضاً: "ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" (النحل 107-108)؛ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ" (التوبة 23)؛ "خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. [...] أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ" (البقرة 7-

	16)؛ "إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (آل عمران 177)؛ "أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ" (البقرة 108).
هود ذكَّر قومَه عاد بهلاك قوم نوح: "وَاذْكُرُوا [نعمةَ الله عليكم] إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ [هلاك] قَوْمِ نُوحٍ" (الأعراف 69). وصالح ذكَّر قومَه ثمود بهلاك عاد قوم هود: "وَاذْكُرُوا [نعمةَ الله عليكم] إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ [هلاك] عَادٍ" (الأعراف 74). وشعيب ذكَّر قومَه أصحابَ مدين بهلاك أمم الكافرين والمكذبين السابقين: "وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ" (هود 89)[4704].	أصحاب القرآن هُمْ الذين كانوا يذكِّرون قومَهم الكفارَ في مكة والمنافقين في المدينة بهلاك أمم الكافرين والمكذبين السابقين. اقرأ مثلاً: "فَإِنْ أَعْرَضُوا (أي: فَإِنْ أَعْرَضت قريش والعرب) فَقُلْ [لهم يا محمد] أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ" (فصلت 13)؛ "أَهُمْ خَيْرٌ (أي: أكفار مكة خَيْرٌ في القوة والمنعة والسلطان وسائر أمور الدنيا؟) أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ (أي: عاد وثمود وغيرهما) ۚ أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ" (الدخان 37)؛ "وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ [يا كفار مكة] وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ (أي: فما نفعهم) سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم (أي: نزل بهم؛ أحاط بهم) [من العذاب] مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الأحقاف 26)؛ "وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ (أي: مكة) الَّتِي أَخْرَجَتْكَ [يا محمد] أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ" (محمد 13)؛ "أَلَمْ يَأْتِهِمْ (أي: أَلَمْ يَأْتِ المنافقين في المدينة) نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ (أي: قرى قوم لوط) ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ [بالعذاب والهلاك لأن رسله قد أنذروهم وحذروهم] وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (التوبة 70). وآيات أخرى كثيرة مثل (الأنعام 6) (الأعراف

	4) (الإسراء 17) (مريم 74، 98) (الأنبياء 11) (الحج 45-48) (القصص 58-59) (ص 3) (ق 36-37) (طه 128) (السجدة 26) (يس 31).
قال نوحٌ لقومه: "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" (الأعراف 59) "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ" (هود 26). وقال هودٌ لقومه عاد: "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" (الشعراء 135) "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" (الأحقاف 21)! وقال صالحٌ لقومه ثمود: "وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ" (الشعراء 156)! وقال شعيبٌ لقومه أصحاب مدين: "وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ" (هود 84)!	محمد هو الذي قال لقومه "إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ [...]": "فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ" (هود 3). اقرأ أيضاً: "وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ (أي: في شك مما جئتَهم به من القرآن) حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ" (الحج 55)؛ "فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ" (الزخرف 65).
قال الكفار من قوم نوح: "قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا (أي: بهذا العذاب الأليم الذي تخوفنا منه) إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (هود 32). وكذلك قالت عاد لهود: "فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الأعراف 70)! "فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الأحقاف 22)! فردَّ هودٌ عليهم: "قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ" (الأحقاف 23). وكذلك قالت ثمود لصالح: "قَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (الأعراف 77)! "فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الشعراء 154)! واقرأ أيضاً ما قاله صالحٌ لهم: "قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ" (النمل 46).	خصوم محمد هُمْ الذين تحدوه أن يأتيهم بالعذاب الأليم أو على الأقل بأي دليل أو علامة (آية) تثبت صدقه. "وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ" (الأنعام 124) "فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (أي: كمعجزات موسى وعيسى)" (الأنبياء 5). "وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ [كما حدث لقوم لوط] أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (الأنفال 31-32). "لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ [التي تُهْلِك كما حدث لقوم لوط[4705]] إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الحجر 7). "خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا

وكذلك قال قومُ لوط له: "قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (العنكبوت 29)!

وقال فرعون لموسى: "قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الأعراف 106)! "قَالَ فَأْتِ بِهِ (أي: بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الشعراء 31)!

تَسْتَعْجِلُونَ. وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (أي: العذاب الذي تَعِدُنَا به يا محمد أنت وأتباعك) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (الأنبياء 37-38)؛ "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ [لهم يا محمد] عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم (أي: اقترب لكم ودنا منكم) بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ [من العذاب]" (النمل 71-72)؛ "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (أي: البعث) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (يس 48)؛ "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (أي: قيام الساعة) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 48)[4706]؛ "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (أي: يوم الحشر) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ" (الملك 25-26)؛ "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (أي: يوم الحساب) إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (سبأ 29). "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ. يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا" (الشورى 17-18). "وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا (أي: نصيبَنا من العذاب) قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ" (ص 16) "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (الحج 47) "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى (أي: وَلَوْلَا أن الله جعل لعذابهم وقتاً لا يتقدم ولا يتأخر) لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ [حين طلبوه] وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ" (العنكبوت 53-54) "أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ" (الصافات 176) "أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ. أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ. ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ. وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ. ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ" (الشعراء 204-209). "قُلْ [لهم يا محمد] إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا (أي: العذاب الذي) تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ (أي: يبيّن) الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ

واقرأ أيضاً ما قيل لكفار عاد المكذِّبين حين رأوا السحاب فظنوا أنه سيجلب لهم المطر والخير: "بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ" (الأحقاف 24).	الْفَاصِلِينَ [بين الحق والباطل]. قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ (أي: لَهلكتم) ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ" (الأنعام 57-58). واقرأ أيضاً ما قيل للكفار المكذِّبين حين رأوا النار يوم الحساب: "ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ (أي: عذابَكم بالإحراق في النار) هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ" (الذاريات 14).
وقال أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ لشعيب: "فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ (أي: قطعة من النار أو غيرها مما ينزل من السماء ويعذب به فتستأصلنا) إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الشعراء 187).	خصوم محمد هُمْ الذين قالوا له ذلك! "قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (الأنفال 32) "أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا" (الإسراء 92). وتساءل أصحابُ القرآن: "أَفَلَمْ يَرَوْا (أي: أَفَلَمْ يَرَ الكفار) إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ" (سبأ 9).
قال صالح لكفار ثمود: "قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (النمل 46)	كفار مكة هُمْ الذين استعجلوا محمداً بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ! "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ [يا محمد] بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ (أي: مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم الكفار والمكذبين) ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ" (الرعد 6)
قال نوحٌ: "إِنَّ وَعْدَكَ (أي: وَعْدَ اللَّهِ بالنجاة) الْحَقُّ" (هود 45). وقال صالحٌ: "ذَٰلِكَ وَعْدٌ (أي: وَعْدَ اللَّهِ بالعذاب) غَيْرُ مَكْذُوبٍ" (هود 65).	كان أصحابُ القرآن يستخدمون عبارةَ "وعد الله" بمعنى وعد الله بالنجاة (الخلاص، النصر، الجنة) للمؤمنين؛ وأيضاً بمعنى وعد الله بالهلاك (العذاب، النار) للكفار. مثال على "وعد الله" بمعنى النجاة للمؤمنين: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ [بالنصر في بداية غزوة أحد]" (آل عمران 152)؛ "الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ" (الزمر

20). مثال على "وعد الله" بمعنى الهلاك للكفار: "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ [يا محمد] بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ" (الحج 47). وكلاهما مرتبط بالآخر. اقرأ مثلاً: "وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ" (الأعراف 44). اقرأ أيضاً ملخص قصص العقاب الإلهي: "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ [يا محمد] إِلَّا رِجَالًا [من البشر] نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا [تخالف أجساد البشر] لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ. ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ" (الأنبياء 7-9). أمثلة أخرى: "فَلَا تَحْسَبَنَّ [يا محمد] اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ" (إبراهيم 47). "فَاصْبِرْ [يا محمد] إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ" (الروم 60) (غافر 55، 77). "وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا" (التوبة 111) (النحل 38). "وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ" (يونس 55) (الكهف 21) (القصص 13) (لقمان 33) (فاطر 5) (الجاثية 32) (الأحقاف 17). "وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا" (النساء 122) (يونس 4) (لقمان 9). "وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ" (الروم 6). "وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ" (الرعد 31). "إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ" (آل عمران 9). "رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ" (آل عمران 194). "وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ" (إبراهيم 22). "إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ" (الذاريات 5).	

قوم لوط هددوه بالطرد من أرضهم: "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ" (النمل 56) "وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ" (الأعراف 82) "قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (أي: المطرودين من مدينتنا)" (الشعراء 167). وكذلك هدد أصحابُ مدين شعيباً بالطرد: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا" (الأعراف 88)! وكذلك قال أقوام رسل آخرين "لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ"! "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا" (إبراهيم 13)!	محمد هو الذي طُردَ من أرضه مكة فهاجر إلى يثرب (المدينة): "وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ (أي: مكة) الَّتِي أَخْرَجَتْكَ [يا محمد]" (محمد 13). "أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ [مِن مكة]" (التوبة 13). "إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا" (التوبة 40)[4707]. وكذلك المسلمون الأوائل المهاجرون من مكة إلى المدينة "الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ" (آل عمران 195) "الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ" (الحج 40) "الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ" (الحشر 8).
قال شعيبٌ لقومه: "وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ (أي: كُلَّ ما أنتم قادرون عليه) [فأنا لا أخاف منكم] إِنِّي عَامِلٌ (أي: مُثابِرٌ على العمل بما يخالف عملكم)ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن [مِنَّا] يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ" (هود 93). وكذلك قال نوحٌ لقومه: "فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن [مِنَّا] يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ" (هود 39).	"قُلْ [يا محمد لقومك] يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. مَن [مِنَّا] يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ" (الزمر 39-40) "قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن [مِنَّا] تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ" (الأنعام 135) "وَقُل [يا محمد] لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ" (هود 121)
قال نوحٌ لكفار قومه: "فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ" (يونس 71). وكذلك قال هودٌ لقومه عاد! "قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. مِن دُونِهِۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ" (هود 54-55)!	"قُلِ [يا محمد لكفار قومك] ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ" (الأعراف 195)!

قال صالحٌ لكفار قومه: "تَمَتَّعُوا [مؤقتاً في الدنيا] حَتَّىٰ حِينٍ (أي: إلى وقتٍ معلوم هو وقت العذاب والهلاك)" (الذاريات 43) "تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ [ثم يأتيكم بعدها عذابُ الله]ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ" (هود 65).	قل يا محمد لكفار قومك: "وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ [به من العذاب والهلاك]. [...] وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ (أي: لعل إمهالكم وتأخير العذاب) فِتْنَةٌ لَّكُمْ (أي: اختبار واستدراج لكم) وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ" (الأنبياء 109-111) "أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ. أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ. ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ" (الشعراء 204-207) "كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ" (المرسلات 46)؛ "نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ" (لقمان 24)؛ "مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ" (يونس 70). اقرأ أيضاً (النحل 55) (العنكبوت 66) (الروم 34).
"وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ" (هود 45). وقال شعيبٌ لقومه: "فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ" (الأعراف 87). وقال لِرَبِّهِ: "رَبَّنَا افْتَحْ (أي: احكم؛ افصل) بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (أي: الْحَاكِمِينَ)" (الأعراف 89)[4708].	"وَاتَّبِعْ [يا محمد] مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ" (يونس 109) "قُلْ [يا محمد لكفار قريش] [...]ۖ مَا عِندِي مَا (أي: العذاب الذي) تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ (أي: يبيّن) الْحَقَّۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (أي: الحاكمين)" (الأنعام 57). "أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ" (التين 8).
قال هودٌ لقومه: "فَانتَظِرُوا [قضاءَ الله بيننا وبينكم] إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ" (الأعراف 71). وقال شعيبٌ لقومه: "وَارْتَقِبُوا (أي: انتظروا قضاءَ الله بيننا وبينكم) إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (أي: من المنتظرين لِمَا يقضي به اللهُ بيننا)" (هود 93).	"وَيَقُولُونَ (أي: أهلُ مكة) لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ (أي: على محمد) آيَةٌ مِّن رَّبِّهِۖ فَقُلْ [يا محمد] إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا [قضاءَ الله بيننا وبينكم] إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ" (يونس 20) "فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ" (يونس 102) "قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ" (الأنعام 158) "وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ" (هود 122) "وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ" (السجدة 30)

	"فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ" (الدخان 59). "قُلْ [لهم يا محمد] تَرَبَّصُوا (أي: انتَظِرُوا) فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (أي: الْمُنتَظِرِينَ)" (الطور 31) "قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ" (طه 135)[4709] "وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ" (التوبة 52)[4710]. اقرأ أيضاً: "فَتَوَلَّ عَنْهُمْ [يا محمد] حَتَّىٰ حِينٍ (أي: حتى تنتهي المدة التي أمهلهم الله فيها ويأتي أمرُ الله بعذابهم). وَأَبْصِرْهُمْ (أي: أنظرهم وارتقب ما يحل بهم) فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ. أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ. فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ. وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ. وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ" (الصافات 174-179).
كفار عاد قوم هود "لَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا (أي: لَمَّا رأوا العذابَ في صورة سحاب عرض في أفق السماء) مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا (أي: ظنوا أنه سحاب سيجلب لهم الماءَ ليسقيهم)" (الأحقاف 24).	كفار مكة قوم محمد هُمْ الذين كانوا يظنون ذلك! "وَإِن يَرَوْا كِسْفًا (أي: قِطَعاً) مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (أي: سحاب متراكم بعضه فوق بعض سيمطرنا بالماء كالعادة)" (الطور 44).
"الصَّيْحَةُ" (العنكبوت 40) كانت عقابَ عاد (المؤمنون 41)! وعقابَ ثمود (هود 67) (القمر 31) أصحاب الحجر (الحجر 83)! وعقابَ قوم لوط (الحجر 73)! وعقابَ أصحاب مدين (هود 94)! وعقابَ أصحاب القرية (قوم يس) (يس 29)! وقيل إنها صيحة الملاك "جبريل" (Gabriel)! وسواء كان المقصود بـ "الصيحة" هو العذاب بالرعد (thunder) أو العذاب بالبرق (الصاعقة) (lightning) أو العذاب بالريح (wind) أو العاصفة	"الصَّيْحَةُ" كانت عقاباً هدد به أصحابُ القرآن الكفارَ والمنافقين في القرن السابع الميلادي: "وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ" (ص 15)؛ "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ (أي: تميتهم) وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (أي: يتنازعون في شئون الدنيا)" (يس 49). وقيل إنها نفخة الملاك "إسرافيل" (Seraphiel) في الصُّور (البوق، القَرْن)[4713]! ثم "إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً [تبعثهم أحياء من قبورهم] فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا

(storm) أو العذاب بالزلزال (الرجفة)، فيبدو لنا أن أصحاب القرآن قد توهَّموا أن تلك الظواهر الطبيعية أو بعضها على الأقل تحدث بسبب الملائكة (جبريل) أو بسبب غضبٍ من الله(4711)(4712)!	مُحْضَرُونَ [للحساب والجزاء]" (يس 53)؛ "يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ [من القبور]" (ق 42)؛ "فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ (أي: صيحة؛ نفخة) وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ. وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ. هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ" (الصافات 19-21)؛ "فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ. فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (أي: أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتاً في بطنها)" (النازعات 13-14)(4714). اقرأ أيضاً: "يَحْسَبُونَ (أي: يَحْسَب الْمُنَافِقُون) كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" (المنافقون 4) حيث تأتي الصيحة بمعنى "الغارة، إذا فوجئ بها الحي"(4715)(4716)(4717)!
قصة سبأ: مزيج من الحقيقة والخيال. مزيج من التاريخ والأسطورة أو المَثَل. ديكور المشهد: "جَنَّتَانِ" (سبأ 15) "بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ" (سبأ 16)؛ "أُكُلٍ" (سبأ 16). أصحاب الْجَنَّتَيْنِ كانوا كافرين؛ أي: جاحدين (ungrateful): "اشْكُرُوا [...] فَأَعْرَضُوا [عن أمر الله وشكره]" (سبأ 15-16) "كَفَرُوا" (سبأ 17). الكفر ظلم للنفس: "وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ" (سبأ 19). العقاب الإلهي هو دمار الجنتين: "وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ (أي: ثمر مُرّ) وَأَثْلٍ (هو شجر لا يثمر) وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (أي: قليلٍ من شجر النَّبْق كثير الشوك وقليل الثمر)" (سبأ 16).	بدليل وجود ما يوازيها: "مَثَلُ الْجَنَّتَيْنِ" (Parable of the Two Gardens). ديكور المشهد: "جَنَّتَيْنِ" (الكهف 32) "الْجَنَّتَيْنِ" (الكهف 33)؛ "أُكُلَهَا" (الكهف 33). صاحب الْجَنَّتَيْنِ كان كافراً: قال "وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ (أي: القيامة) قَائِمَةً" (الكهف 36). "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ" (الكهف 37). الكفر ظلم للنفس: "وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ" (الكهف 35). العقاب الإلهي هو دمار الجنتين: "وَيُرْسِلَ [اللهُ] عَلَيْهَا حُسْبَانًا (أي: قَدَراً قدَّره لها: المراد: عذاباً؛ صاعقةً أو ناراً) مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (أي: أرضاً ملساء جرداء لا تثبتُ عليها قدم ولا ينبت فيها نبات). أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا (أي: عميقاً

	غائراً في الأرض) فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (أي: فلا تقدر على إخراجه لتسقي الأرض). وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ (أي: أحاطت المهلكاتُ بثمار جنتيه؛ المراد: تحقق كلُّ ما سبق) فَأَصْبَحَ [الكافرُ صاحب الجنتين] يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا (أي: خالية قد سقطت سقوفها على أرضها)" (الكهف 40-42).
الدرس المستفاد هو الإيمان والشكر: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ (أي: لعظاتٍ) لِّكُلِّ صَبَّارٍ [على المصائب] شَكُورٍ [على النعم]" (سبأ 19)(4718).	الدرس المستفاد هو الإيمان والشكر: "وَيَقُولُ [الكافرُ] يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا" (الكهف 42) "وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ [هذا] مَا شَاءَ اللَّهُ [لي] لَا قُوَّةَ [لي على تحصيله] إِلَّا بِاللَّهِ (أي: اعترفت بفضل الله وقدرته وعجزك)" (الكهف 39).
فلن يجد الكافرُ مَن ينصره: "قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ (أي: الذين عَبدتُم من الأصنام والملائكة والبشر وغير ذلك) لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ (أي: ليس لتلك الأوثان شركة مع الله في السَّمَاوَاتِ والأرض، لا بالخلق ولا بالملك ولا بالتصرف) وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (أي: مُعين؛ مساعد)" (سبأ 22).	فلن يجد الكافرُ مَن ينصره: "وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا" (الكهف 43)(4719).

4.19.9 هل أنبياء القرآن العرب هود وصالح وشعيب شخصيات حقيقية تاريخية؟!

بعد كل ما قلناه عن هود وقومه عاد وصالح وقومه ثمود، السؤال الآن هو: في ظل عدم وجود أي دليل كتابي يثبت أن هود وصالح شخصان حقيقيان تاريخيان، فهل يوجد أي دليل علمي؟ ...

قد يُقال إن هلاك عاد وثمود دليل كافي يثبت أن هود وصالح شخصان حقيقيان تاريخيان. والرد: بالطبع لا، فحتى لو افترضنا جدلاً أن هلاك عاد وثمود قصص حقيقية تاريخية، فهذا لا يعني بالضرورة أن هذا الهلاك كان عقاباً من الله لتكذيبهما رسولين هُمَا هود وصالح؛ إذ أنه من الممكن أن يكون هلاك عاد وثمود نتيجة أي سبب آخر، مثلاً: كارثة طبيعية (عواصف، سيول، زلزال، جفاف، براكين ... الخ)[4720]، أو معركة مع قبيلة أخرى لأسباب اقتصادية و/أو اجتماعية، أو غزو تعرضوا له من قومٍ آخرين وهذا كان أمراً يحدث كثيراً في منطقة الشرق الأدنى القديم – ولا يزال يحدث في العصر الحديث، فمن المعروف أن منطقة الشرق الأوسط منطقة ملتهبة بالصراعات والحروب والغزوات منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا. وبالتالي، فكتابة قصتي هود وصالح في القرآن وعدم وجودهما في الكتاب المقدس بعهديه ليس دليلاً على نظرية الوحي التي تدعي دون أي دليل أن القرآن موحى به من الله.

4.19.9.1 هل صالح شخصية حقيقية تاريخية؟ وهل قصته مع ثمود قصة حقيقية تاريخية؟

يقول د. محمد شحرور: "الجدير ذكره أن سيرة النبي صالح لم ترد في أية كتب دينية أو وثائق عدا القرآن الكريم"[4721]! وغياب صالح عن الوثائق التاريخية والكتب المقدَّسة يجعلنا نتساءل: هل صالح شخصية حقيقية تاريخية؟ وهل قصته مع ثمود قصة حقيقية تاريخية؟ بل هل في القرآن ما يتعارض مع التاريخ؟ ...

نبدأ أولاً بدليلٍ آخر يثبت أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله. يقول القرآن في سورة غافر: "**وَقَالَ فِرْعَوْنُ** ذَرُونِي أَقْتُلْ **مُوسَى** وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ. **وَقَالَ مُوسَى** إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ. **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ** يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ. يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا **قَالَ فِرْعَوْنُ** مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ. **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ** يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ **نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ** وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ" (غافر 26-31). هنا نجد أن هذا الرجل المؤمن الذي كان معاصراً لما دار بين موسى وفرعون يذكر ما حدث لقوم نوح وعاد وثمود (غافر 31)، وهذا يعني أن القرآن يقول إن هلاك ثمود كان **قبل** زمن موسى[4722]! كما أشار القرآن أيضاً في سورة الأعراف إلى أن موسى جاء بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، فبعد أن سرد القرآنُ قصص هؤلاء الأنبياء قال: "ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ

..." (الأعراف 103). وفي سورة القصص: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ (أي: التوراة) مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى[4723] [كقوم نوح وعاد وثمود]" (القصص 43). وفي سورة يونس: "ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ (أى: مِنْ بَعْدِ نوح) رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ (يقصد: هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً وغيرَهم[4724]) [...]. ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ" (يونس 74-75). وفي سورة إبراهيم: "وَقَالَ مُوسَى [لقومِه] إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ. أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ[4725]" (إبراهيم 8-9). ويقول الحديث الصحيح: "ما أهلك الله قوماً، ولا قَرْناً، ولا أمةً، ولا أهل قريةٍ منذ أنزل التوراة على وجه الأرض بعذاب من السماء، غير أهل القرية التى مُسِخَتْ قِرَدَة"[4726].

إذن: كل الأدلة الإسلامية التي أمامنا تؤكد بما لا يدع أي مجال للشك أن القرآن والسنة الصحيحة يزعمان أن هلاك ثمود كان **قبل** زمن موسى! مما يعني أن ظهور ثمود كان أيضاً **قبل** زمن موسى!

السؤال: هل من الممكن تاريخياً أن يكون هلاك ثمود **قبل** زمن موسى كما يزعم القرآنُ؟! بل هل من الممكن تاريخياً أن يكون ظهور ثمود **قبل** زمن موسى كما يزعم القرآنُ؟!

قبل أن نجيب على هذا السؤال، علينا أن نذكر ما جاء في تفسير "المنتخب" الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "ثمود قوم يشكلون الطبقة الأولى من طبقات العرب البائدة شأنهم فى ذلك شأن عاد، وقد ورد اسمهم فى نقوش الملك سرجون الأشورى سنة 715 ق.م وقد جاء ذكرهم بين الشعوب التى أخضعها هذا الملك فى شمال شبه جزيرة العرب"[4727]. وهذا يعني أن لدينا دليل تاريخي يؤكد أن شعب ثمود كان من "الشعوب" الذين ما زالوا موجودين كـ "قومٍ" سنة 715 ق.م، أي أن هلاك ثمود كان بعد هذا التاريخ. وهذا يعني أن زمن موسى – حسب القرآن (غافر 26-31) وغيرها – كان بعد 715 ق.م! وهذا لا يقوله أحدٌ يفهم شيئاً ولو بسيطاً عن أنبياء بني إسرائيل! مما يؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

بعبارة أخرى أكثر بساطة: زمن موسى هو القرن الخامس عشر أو القرن الثالث عشر قبل الميلاد، والأدلة التاريخية تؤكد أن قبيلة ثمود كانت لا تزال موجودة كـ "شعبٍ" وكـ "قومٍ" في القرن الثامن قبل الميلاد. إذن: من المستحيل تاريخياً أن يكون هلاك ثمود **قبل** زمن موسى كما يزعم القرآن. ومِن ثم فإنه مِن المستحيل أن تكون (غافر 31) وغيرها كلام الله. ومِن المستحيل أن تكون (الأعراف 103) أو (القصص 43) أو (يونس 74-75) أو (إبراهيم 8-9) كلام الله. كل تلك الآيات القرآنية كلام بشر 100%.

وفي الواقع، فإن نقوش الملك سرجون الأشوري التي يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد هي أقدم أثر تاريخي يذكر اسمَ ثمود. مما يعني أن ثمود قد ظهرت على الساحة في الشرق الأوسط في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل؛ أي: بعد موسى بمئات السنين. فكيف يضع القرآنُ ثمودَ قبل موسى؟! تلك هي المشكلة الكبرى. وتوجد مشكلات أخرى سنعرضها بعد قليل.

فكيف سيبرر المسلمون هذا الخطأ التاريخي الفادح الذي وقع فيه القرآنُ؟! ...

قد يقول أحد المسلمين إن صالح والذين آمنوا معه قد أقاموا في مساكن ثمود بعد هلاكها أو انتقلوا إلى مكانٍ آخر، واستمروا في البقاء حتى 715 ق.م، وَهُمْ الذين ذكرهم الملك سرجون الأشوري في نقوشه. الرد: أين الدليل؟ مِن السهل أن تقول ما تشاء ولكن المهم أن تأتي بدليلٍ يؤيد ما تقول. ثم هل يُعْقَل أن هؤلاء الثموديين المؤمنين – الذين كانوا أصحاب حضارة وكان عندهم فن العمارة ولديهم خبرة طويلة في بناء القصور (الأعراف 74) ونحت الجبال بيوتاً (الأعراف 74) (الحجر 82) (الشعراء 149) – يعيشون أكثر من 1000 سنة (من قبل 2100-1800 سنة ق.م حتى 715 ق.م) دون أن يتركوا أثراً تاريخياً واحداً يسجل "انتصار" هذا النبي المزعوم صالح على الثموديين الكافرين أو حتى يشير من قريب أو من بعيد إلى شخص اسمه "صالح"؟! طبعاً لا يُعقَل. لماذا لا يوجد أي أثر تاريخي واحد يذكر "الناقة" المعجزة؟! لماذا لا يوجد أي أثر تاريخي واحد يذكر "الصيحة" التي أهلكت أعداء الله؟! بل لماذا لا يوجد أي أثر تاريخي واحد يذكر "صالح" رسول الله؟! فمن حقنا – بل من واجبنا – أن نقول إن عدم وجود أي أثر تاريخي يذكر اسمَ النبي صالح أمرٌ يثير الريبة والشك في القرآن.

قد يقول مسلمٌ آخر إنه كان هناك "ثمودتان" أي اثنان ثمود: الأولى قديمة قبل موسى وهي التي هلكت كما جاء في القرآن، أما الثانية المذكورة في نقوش الملك سرجون الأشوري فكانت في القرن الثامن قبل الميلاد. الرد: هذا أيضاً قول يفتقر إلى الدليل. والواقع أن القرآن نفسه لم يقل أنه كان هناك اثنان ثمود! بالعكس، القرآن وضَّح أن ثمود هلكوا وانتهى أمرهم وكأنهم لم يكونوا في يوم من الأيام يعيشون في ديارهم: "وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ" (هود 67-68)[4728]. فلقد تم تدميرهم أجمعين ولم يتبقَّ إلا الذين آمنوا: "فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ. فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" (النمل 51-53). هذا وتقول السنة الصحيحة وكتب التراث الإسلامي إن نبي الإسلام محمد قد مَرَّ بديار ثمود بعد خروجه من المدينة مُتّجهاً إلى تبوك بمَن معه مِن المسلمين[4729]، وكان ذلك سنة 9هـ، ولم يذكر محمدٌ يومها ولا في أي يومٍ آخر أنه كان هناك ثمود أخرى غير تلك التي هلكت في ذلك المكان من شمال شبه جزيرة العرب. وكل هذا يعني أنه ليس لدينا أي دليل لا من القرآن ولا من السنة الصحيحة ولا من التاريخ ولا من الكتاب المقدس يثبت أنه كان هناك اثنان ثمود. إنها إذن مجرد حيلة إسلامية لخداعنا.

قد يقول مسلمٌ ثالث - أكثر ذكاءً - إن الثموديين الذين هلكوا قبل موسى حسب القرآن هُمْ جزء من قبيلة ثمود وليس كلها. أما الثموديون الذين ذكرهم الملك سرجون الأشوري في نقوشه في القرن الثامن قبل الميلاد فَهُمْ جزء آخر (مثلاً: عشيرة مختلفة؛ أو في مكانٍ آخر) ظلوا موجودين بعد موسى. فمثلاً د. سامي عامري صاحب الكتاب الشهير "الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي – شبهات وردود" يقول: "وما

سبق دالٌّ على أنّ قوم ثمود كان لهم وجود في القرن الثامن قبل الميلاد، وأنّهم عاشوا في مساحات واسعةٍ من شبه الجزيرة العربية. ولا يعني ذلك أنه لم يكن لهم وجودٌ قبل ذلك. إذ الظاهر أنّهم وجدوا قبل ذلك؛ فإن حضورهم في القرن الثامن قبل الميلاد حُجّة على أنهم جماعة من أهلِ الحرب، لا أنهم أُسرةٌ حديثةُ عهدٍ بنشأةٍ"[4730]! الرد: نلاحظ أنه لم يقدِّم دليلاً أركيولوجياً واحداً يثبت أن ثمود كانت موجودة قبل القرن الثامن قبل الميلاد، وإنما كل الأدلة الزمانية والمكانية التي قدَّمها في بحثه يرجع تاريخُها إلى القرن الثامن قبل الميلاد وما بعده، ثم اكتفى بعبارةٍ فارغة غير علمية تقول "الظاهر أنّهم وجدوا قبل ذلك"! ولذلك فنحن نقول له ولأمثاله: زعمكم يفتقر إلى الدليل، وإنما هو مجرد محاولة دفاعية (apologetic) تخلق تاريخاً يتوافق مع القرآن. ثم إن المفردات التي استخدمها القرآن للتعبير عن هلاك ثمود الكافرين المكذبين هي نفس المفردات التي استخدمها للتعبير عن هلاك قوم نوح وهلاك قوم لوط الكافرين المكذبين الذين هلكوا كلياً وليس جزئياً، باعتراف د. سامي عامري نفسه في كتابه: "لم يبق من قوم لوط -عليه السلام- وبنيانهم شيء؛ إذ قد جاء الخبر في القرآن بدمارهم كلية: "فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ" (هود 82)"[4731]. وبالفعل نجد ذلك بصورة واضحة جداً في روايات سورة هود التي قالت عن هلاك كل الكافرين المكذبين من قوم نوح: "وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (هود 44)؛ ثم استخدمت نفس الكلمة "بُعْدًا" للتعبير عن هلاك كل الكافرين المكذبين من عاد وثمود ومدين: "أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ" (هود 60) "فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (المؤمنون 41)؛ "أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ" (هود 68)؛ "أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ" (هود 95). فلقد تم تدمير كل الثموديين الكافرين المكذبين أجمعين ولم يتبقَّ إلا الذين آمنوا: "فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ. فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" (النمل 51-53). بل أحياناً يأتي هلاك ثمود مع هلاك قوم نوح وهلاك قوم لوط وهلاك عاد قوم هود في نفس السياق القرآني. اقرأ مثلاً: "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ. وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ. إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ. وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ" (ص 12-15). قال الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الأسبق) تعليقاً على هلاك عاد قوم هود: "وبهذا العذاب الأليم طويت صفحة قوم هود - عليه السلام - كما طويت من قبلهم صفحة قوم نوح"[4732]. فكيف يمكن أن نصدق أن أصحاب القرآن قصدوا هلاك بعض الثموديين وليس كلهم؟! ثم إنه توجد أحاديث في كتب السنة تدل على أن قوم صالح الكافرين المكذبين قد هلكوا كلهم. فلقد روى الإمام أحمد في مسنده حديثاً أن محمداً قد قال: "[...] فعَقَروها، فأخَذَتْهُم صَيْحَةٌ أهْمَدَ الله مَن تَحْتَ أديمِ السَّماءِ مِنهُم، إلا رجلاً واحداً كان في حَرَمِ الله" قيل: مَن هو يا رسول الله؟ قال: "هو أبو رِغَال، فلمَّا خَرَجَ من الحَرَمِ، أَصابَهُ ما أَصابَ قَوْمَه"[4733]. وقال الإمامُ ابنُ كثير في تفسيره لـ "إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ" (القمر 31): "أَيْ : فَبَادُوا عَنْ آخِرِهِمْ لَمْ تَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ، وَخَمَدُوا وَهَمَدُوا كَمَا يَهْمُدُ يَبِيسُ الزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ. قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ"[4734]. وفي عصرنا الحالي، قال د. محمد علي الصابوني (الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة):

"وقد كان هلاكهم بأنواع من العذاب (الصاعقة) التي دمّرتهم و (الصيحة) التي أخذتهم، و (الرجفة) التي زلزلت تحتهم الأرض حتى هلكوا عن بكرة أبيهم"[4735]. كما قال الكاتب المعروف د. صلاح الخالدي: "أَطبقَ عليهم العذاب، حتى عمّهم جميعاً، وسَوّى الأرض بهم، [...]. وبهذا انتهى قومُ ثمود، وذهبوا من الوجود"[4736]! وفي سورة النجم، يقول القرآن بكل وضوح: "وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (أي: فلم يُبْقِ منهم أحداً)" (النجم 51)؛ ونلاحظ أنه لم يقل "وقومَ صالح فَمَا أَبْقَىٰ" التي قد يفسرها البعض بمعنى: الثموديين الذين كانوا مع صالح في نفس المدينة أو القرية فقط؛ وإنما قال "وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ" (النجم 51)؛ أي: كل الثموديين. مما يعني أن أصحاب القرآن قد ظنوا أن كل الثموديين كانوا مع صالح في نفس المدينة أو القرية وأنهم هلكوا جميعاً!

وفي جميع الأحوال، فإن مسألة هلاك ثمود كلياً أم جزئياً مسألة ثانوية، بل ثانوية جداً، وليس من الحكمة أن نضيع وقتاً طويلاً في مناقشتها. إذ يجب علينا دائماً أن نركز على أساس المشكلة. نكرر مرة أخرى: المشكلة الكبرى هي أن القرآن يقول إن ثمود هلكت **قبل** موسى، مما يعني أنها ظهرت **قبل** موسى، أي: قبل القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد، بينما كل الأدلة التاريخية التي أمامنا تقول إن ثمود ظهرت **بعد** موسى بمئات السنين! اثْبِتوا لنا أولاً أن ثمود ظهرت قبل موسى كما يزعم القرآن، ثم بعد ذلك نناقش هل ثمود هلكت كلياً أم جزئياً، وهل هلكت قبل موسى أم بعده.

نكرر مرة أخرى: يجب على المسلمين أن يثبتوا لنا أولاً أنه كانت هناك قبيلة اسمها "ثمود" قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد أو حتى قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

إنها بالفعل مشكلة كبرى يعاني منها القرآن. ولا يوجد أي حل لهذه المشكلة إلا أن نعترف بأن أصحاب القرآن قد أخطأوا خطأً تاريخياً كبيراً، مما يعني أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله.

وتوجد مشكلات أخرى كثيرة كما قلنا. مثلاً: مشكلة عدم وجود أي ذِكر لرسولٍ اسمه "صالح" في التاريخ ولا في الكتاب المقدس قبل موسى! ومشكلة عدم وجود أي ذِكر لمدينة اسمها "الحجر" في التاريخ ولا في الكتاب المقدس قبل موسى! ومشكلة عدم وجود أي دليل علمي تاريخي يثبت أن الثموديين كانوا يتميزون بأنهم "يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا" كما يزعم القرآن صراحةً (الشعراء 149) (الأعراف 74) وحسب التفسير السائد لـ (الحجر 82)! ومشكلة المفارقات التاريخية (anachronisms) الكثيرة والكبيرة مثل دعوة صالح إلى الإيمان بالقيامة (الحاقة 1-4) ومثل الكلام الإسلامي/العربي (stock phrases) الذي وضعه أصحابُ القرآن على لسان صالح وأتباعه مع أنه في الواقع كلام محمد وأتباعه (راجع الجدول الطويل السابق)!

باختصار: توجد مشكلات كثيرة جداً وكبيرة جداً في القرآن، ولن تحلها حيل اللف والدوران الإسلامية-العربية المعتادة. فلا يمكن حل كل هذه المشكلات القرآنية الكثيرة والكبيرة إلا بطريقة واحدة فقط، وهي الاعتراف بأن أصحاب القرآن قد اختلقوا تاريخاً وأخطأوا خطأً كبيراً في المعلومات التاريخية الموثقة؛ مما يؤكد أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله.

في ضوء ما سبق، مِن حقنا - بل مِن واجبنا - أن نشك في أن القرآن قد قدَّم ثمود بصورة صحيحة تاريخياً. وعلينا إذن أن نترك القرآنَ تماماً ونذهب إلى المراجع التاريخية لمعرفة معلومات دقيقة عن ثمود. والواقع أن الدكتور جواد علي قد قال عن ثمود: "ويرى بعض الباحثين أن آخر ذكر ورد في الوثائق لقوم (ثمود) كان في القرن الخامس للميلاد، حيث ورد أن قوماً منهم كانوا فرساناً في جيش الروم"[(4737)]. إذن: شعب ثمود كانوا لا يزالوا موجودين كـ "قومٍ" حتى القرن الخامس الميلادي، فمن المستحيل تاريخياً أن يكونوا قد هلكوا قبل موسى كما يزعم القرآن. والحقيقة هي أن شعب ثمود انتهوا (أو امتزجوا مع قبائل عربية أخرى) بعد موسى بمئات السنين، وليس قبل موسى كما يزعم القرآن العربي. بل إن شعب ثمود ظهروا على الساحة في الشرق الأوسط بعد موسى بمئات السنين، وليس قبل موسى كما يزعم القرآن العربي.

وهذا أيضاً ما تؤكده المراجع الأجنبية التي تحدثت عن قبيلة "ثمود" التاريخية والنبي المزعوم "صالح" غير التاريخي:

- “The name of Thamud is found as late as the 5th century, when certain Thamudite horsemen were numbered in the Roman army. (…) The earliest historical notice which we have of the tribe of Thamud has been read in the Assyrian Monuments “in the list of tribes subdued by Sargon in one of his expeditions into Arabia in about B.C. 715. […]””[(4738)].

- “SARGON II (721-705): THE FALL OF SAMARIA […] (b) From Annalistic Reports […] *The Inscriptions of Sargon II, King of Assyria*, Part I. […] Upon a trust(-inspiring oracle given by) my lord Ashur, I crushed the tribes of Tamud, Ibadidi, Marsimanu, and Haiapa, the Arabs who live, far away, in the desert (and) who know neither overseers nor official(s) and who had not (yet) brought their tribute to any king. I deported their survivors and settled (them) in Samaria.”[(4739)].

ويقول الباحث التونسي المعروف د. سامي عامري الذي ترجم النص السابق إلى اللغة العربية: "أَقْدَمُ ذِكْرٍ للثموديين ورد [في القرن الثامن قبل الميلاد] في حوليات سرجون الثاني مع شعوب أخرى، باعتبارهم من العرب ساكني الصحراء، وذلك بمناسبة معركة جرت بين الآشوريين وهذه الشعوب. وتدّعي هذه الحوليات أنّ سرجون قد هزم خصومه، وسباهم إلى السامرة: "لقد قضيتُ بعون آشور ربّي على تمودي ومرسيماني وحيابا، أرض العرب البعيدة، سُكّان الصحراء، الذين لا يعترفون برؤساء أو قادة، والذين لم يدفعوا جزيةً لأي مَلِكٍ. وقد سبَيْتُ الأحياء منهم ونقلتهم إلى السامرة""[(4740)]. وقال د. محمد شحرور: "الجدير ذكره هنا أن ملوك آشور وبابل في حروبهم ضد العرب في شبه الجزيرة العربية كانوا يطلقون عليهم اسم "العرب"

وذلك بدءاً من القرن التاسع وحتى القرن السادس قبل الميلاد"[4741]. فكلمة "عرب" هنا لا تعني أنهم كانوا يتحدثون اللغة العربية، وإنما تعني: البدو؛ الرحل؛ سُكّان الصحراء؛ الذين يعيشون في قبائل متفرقة بدون سلطة مركزية واحدة. إذن: كلمة "عرب" هنا تعني أسلوب حياة (lifestyle) وليس لغة ولا قومية.

- "**THAMŪD**, an old Arabian tribe that flourished in ancient times but had disappeared from the ethnographic map of Arabia before the rise of Islam. References to it in the non-Arabic sources from the Assyrian inscription of Sargon II in 715 B.C. to the *Geography* of Ptolemy (A.D. 136-65) attest both its antiquity and its Hiḏjāzī location; otherwise they are not informative. But a bilingual Greek-Aramaic inscription of the 2nd century, found in Ruwāfa in the northern Hiḏjāz, indicates that the tribe had entered the Roman cultural and political orbit and had intimate connections with Rome: […]. The *Notitia dignitatum*, a 5th century Byzantine military document, lists two Thamūdī units as serving in the Byzantine army, one in Palestine and the other in Egypt. But after this, the Thamūdīs disappear from the extant sources, and so apparently does the tribe, but it is not clear exactly when and how. The Arab poets of the century before the Hiḏjra already knew Thamūd as a thing of the past, and so did the genealogists […].'"[4742].

- "The dwellings which the Thamūdic people had hewn out of the rocks according to the Ḳurʾān ([...]), the remains of which were still visible ([...]), are connected in folk-lore with the tombs at al-Ḥiḏjr = Madāʾin Ṣāliḥ, but this connection is unclear; these rock tombs are, in fact, essentially Nabataean [...], although the tomb inscription of Raḳāshi bt. ʿAbd al-Manāt is written in Nabataean, with strong Arabic influence, and in Thamudic."[4743]. They are "family tombs [...] almost indistinguishable from some of the tombs found in Petra. [...] Vast numbers of inscriptions have been found in al-Ḥiḏjr: in Arabic, Aramaic, Thamudic, Nabatean, Minaean, Lihyanite, and even in Hebrew, Greek, and Latin. [...] but from what

evidence is available it is held that al-Ḥiḏjr was second only to Petra in importance during the Nabatean period."[4744].

- "The site [of Ḥijr] is universally identified with Hegra, mentioned by Strabo (16.4.24), Pliny (6.32.156) and Stephanus of Byzantium (*Ethnika* 260, 11-2), which served as the southern commercial and administrative center of the Nabatean kingdom. [...] In the second or early first century B.C.E., following the collapse of the Liḥyānī dynasty at nearby Dedan in the al-ʿUlā oasis, al-Ḥijr was chosen by the Nabateans as their southern base of operations. The earliest pottery for which a date can be established that was found at the site are the distinctive Nabatean painted fine wares that date to this period. Nabatean al-Ḥijr seems to have reached its zenith during the first century C.E., when as many as eighty monumental sepulchral edifices were carved in the surrounding sandstone cliffs. Units of the third Roman legion stationed at al-Ḥijr after the Roman annexation of the Nabatean kingdom in 106 C.E. attest to the town's continued strategic importance during the second and third centuries C.E. The historical record is silent about the demise of the Nabatean/Roman settlement. In spite of its traditional association with the Thamūd, al-Ḥijr and its surroundings have produced very little archaeological evidence of their presence. Surprisingly few Thamūdic inscriptions (about forty) have been found, and only one of these, a bilingual Nabataeo-Thamūdic inscription, has been dated (267 C.E.). By the seventh century, al-Ḥijr apparently had become an abandoned ruin"[4745].

- "On the whole, the word [Salih] is so general in its meaning of "a pious man" that we cannot treat it here with certainty as having been originally a proper name. Perhaps the story of the houghing [of the she-camel] is founded on the words in Jacob's blessing of his sons [i.e. Genesis 49:6], and the sharing of the water on the etymology of the name [Thamud]"[4746].

- “The name itself Ṣāliḥ may well be a formation from the time of Muḥammad himself, from the root *ṣ-l-ḥ* with the connotation of “to be pious, upright” [...], and it was clearly a very rare name [in pre-Islamic North Arabian], not attested in e.g. Nabataean, Palmyrene or Hatran. The story of the camel cannot be conclusively connected with any known past story either, although J.M. Rodwell, in his Ḳurʾān translation, suggested in it a possible reminiscence of the story of the milch-camel of al-Basūs [*q.v.*], the killing of which sparked off the famous pre-Islamic war in Arabia (…).”(4747).

حاول الباحث التونسي المعروف د. سامي عامري الرد على التشكيك في تاريخية النبي صالح المذكور في القرآن، فقال إن "ثمود قومٌ من العرب – من غير الإسماعيليين؛ فَهُمْ أسبقُ وُجوداً من إبراهيم -عليه السلام- على قول عامّة الباحثين. وَهُمْ سامِيُّون، تكلّموا لغةً ساميَّةً. وكلمة "صالح" من فعل "صلح" الثلاثي، وهو من المشترك السَّامِيّ؛ فهو موجود في عربيّتنا، والعربية الجنوبية، والسريانية، والآرامية، والعبرية. وليس من سُنّة القرآن في نقلِهِ للأسماء الساميَّةِ نقلها دائماً بحرفها نفسه، خاصة الصَّوائت vowels. ولذلك فلا عَجَبَ أن يكون اسمُ هذا النبيّ من فعل صلح السَّامِيّ. وقد جاء ذِكْرُه في القرآن على صيغةِ اسم الفاعل من صَلَحَ، لأنّه على اسم الفاعل من صلح في لغة الثموديين؛ فليس هو من النقل المطابق صوتياً، وإنما هو نقلٌ على سبيل التعريب؛ مع الاحتفاظ بصوامت consonants الأصلِ السَّامِيّ"(4748). ونحن نقول له إنه ركّز فقط على الجذور الساميَّة لاسم (أو صفة) "صالح" وهذا ليس موضوع خلافنا. وكعادته، لم يعطنا دليلاً أركيولوجياً واحداً يثبت تاريخية النبي صالح المذكور في القرآن فقط؛ بل لم يعطنا دليلاً أركيولوجياً واحداً يثبت أن الاسم "صالح" كان مستخدماً كاسم عَلَم (proper name) قبل إبراهيم، أي قبل المسيح بحوالي 1800-2100 سنة! أو حتى قبل موسى، أي قبل القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد.

- “L’identité de trois figures pose problème : Hūd, Ṣāliḥ, Šuʿayb. [...] Ṣāliḥ (mais n’est-ce pas plus un surnom qu’un prénom ?) est envoyé au Ṯamūd, tribu historiquement bien attestée. Les récits sur la chamelle appartiennent manifestement à une forme de mythologie préislamique qui, bien avant l’époque du Prophète, avait pu être réinterprétée dans une perspective biblique.”(4749).

خلاصة القول في صالح وثمود والحجر ومدائن صالح:

ثمود كانت موجودة فعلاً ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك، لكن تاريخها يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل، أي **بعد** موسى بمئات السنين وليس قبل موسى كما يزعم القرآن. ولم تختفِ ثمود من

الوجود (أو لم تمتزج مع قبائل عربية أخرى) إلا في القرن الخامس بعد الميلاد، أي **بعد** موسى بأكثر من 1500 سنة وقبل ظهور الإسلام بحوالي قرنين (200 سنة) فقط أو أقل من ذلك! وهذا يفسر لماذا ظل اسمُ ثمود محفوراً في ذاكرة العرب قبل الإسلام وحتى ظهوره. المشكلة الكبرى هي أن القرآن قد وضع "ثمود" **قبل** موسى! وادَّعى أن هلاكها كان بسبب تكذيبهم لنبي اسمه "صالح" دون أن يقدم دليلاً واحداً أن "صالح" شخصية حقيقية تاريخية! والحقيقة هي أنه لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن "صالح" شخص حقيقي تاريخي (historical figure)؛ ولا يوجد حتى أي دليل كتابي يثبت أن "صالح" شخص حقيقي تاريخي. ومِن ثم فإننا نرى أن "صالح" مجرد شخصية رمزية (allegorical figure) للإنسان التقي المستقيم.

وفي جميع الأحوال، **لا** يمكن الاعتماد على القرآن لمعرفة أي شيء تاريخي يتعلق بثمود: لا زمانها ولا حتى مكانها. فالمنطقة التي تقع فيها الحجر (مدائن صالح) كانت أصلاً ديدانية ثم صارت لحيانية ثم صارت نبطية في القرن الثاني أو الأول قبل المسيح، فاستعمل الأنباط مدينةَ الحجر في تجارتهم الواسعة وأيضاً كمقابر لعائلاتهم. ولم تسكن مجموعةٌ من قبيلة ثمود مدينةَ الحجر أو ضواحيها إلا متأخراً جداً وبعد الميلاد؛ أي: في العصر النبطي أو ما بعده. فلم تكن مدينةُ الحجر موطنَ الثموديين الأصلي ولا المكان الوحيد الذي سكنوه. ولا يُعْقَل أصلاً أن كل الثموديين كانوا يسكنون في مدينة صغيرة نسبياً مثل الحجر. وإنما كانت ثمود قبيلة كبيرة جداً وكان الثموديون منتشرين في مناطق مختلفة في شمال شبه الجزيرة العربية. "ويجدر الذكر هنا إلى أن ثمود كما تشير المرويات قطنت منطقة الحجاز وجوارها أي المنطقة الممتدة من الحجاز وحتى سوريا. ويشير بطرس البستاني إلى أن ديار الثموديين امتدت من الحجاز حتى البلاد السورية"[4750]. ومع ذلك، لم يجد العلماءُ آثاراً مشابهة لآثار مدينة الحجر (مدائن صالح) في المناطق التي عاش فيها الثموديون فقط، أي: لم يجد العلماءُ بيوتاً أو مقابر منحوتة في صخر الجبال في المناطق الثمودية حصرياً، وإنما وَجدوا مثلها في المناطق النبطية بامتياز كمدينة البتراء (Petra) عاصمة الأنباط (حالياً: في جنوب غرب الأردن).

ولمزيد من المعلومات عن اللحيانيين ثم الأنباط ثم الثموديين ثم "المغالطات التاريخية الجسيمة" في القرآن، راجِع الأبحاث التي قام بها العالم الدكتور "رأفت عماري" (رحمه الله) تحت عنوان "ثمود في القرآن والتاريخ"[4751]. فنحن نتفق 100% مع الدكتور "رأفت عماري" حين يقول إن القرآن يعاني من "فوضى كبيرة جداً" في التسلسل التاريخي "تجعل الدفاع عن القرآن قضية مستحيلة"[4752]!

ومِن حُسن الحظ أن بعض الباحثين المسلمين المنصفين وعلماء الآثار العرب قد اعترفوا بأن الْحِجْر (مدائن صالح) بما فيها من مقابر منحوتة في الجبال نبطية وليست لها علاقة بالثموديين. على سبيل المثال، كتبت الكاتبة "حليمة مظفر" مقالاً مهماً في جريدة "الشرق الأوسط" المشهورة عدد رقم 10029 بتاريخ 14 مايو 2006 تستدل فيه بما قاله الدكتور "سامر السحلة" أستاذ الآثار في جامعة الملك سعود بالرياض وما قاله "مطلق سليمان المطلق" الذي كان آنذاك يشغل منصب مساعد مدير وحدة الآثار والمتاحف في منطقة العلا في المملكة العربية السعودية، فتقول: "وأوضح المطلق أن مدائن صالح بما فيها من مقابر منحوتة في

الجبال، هي نبطية وليست لها علاقة بالثموديين، وهو ما أكده الدكتور سامر السحلة أستاذ الآثار في جامعة الملك سعود بالرياض، إذ قال: "لا يُوجد دليل علمي أو معطيات أثرية حتى الآن تعود للثموديين المعروفين بأنهم قوم صالح، وكل الأدلة تعود للحيانيين والديدانيين والأنباط الذين سكنوا المنطقة فقط". وهذه الحقيقة التاريخية ظلت غائبة عن المسلمين وقتاً طويلاً، حتى أنهم سموا المنطقة نسبة للنبي صالح منذ أوائل العصر الإسلامي، فيما كانت تسمى سابقاً بالحجر كما ذكر في القرآن"[4753].

وبعد ذلك ببضعة أشهر، كتبت الكاتبة "حليمة مظفر" مقالاً آخر تؤكد فيه نفس الحقيقة وعنوانه "القصور المنحوتة في مدائن صالح .. مساكن لموتى الأنباط. أثريون: آثار الحجر لا علاقة لها بقوم النبي صالح". كُتِبَ هذا المقال المهم في جريدة "الشرق الأوسط" أيضاً عدد رقم 10146 بتاريخ 8 سبتمبر 2006[4754]:

> أكد عدد من علماء الآثار والمختصين لـ "الشرق الأوسط" أنهم لم يعثروا حتى الآن على دليل علمي أثري خلال الحفريات الأثرية التي قاموا بها، يعود بهم إلى أن الثموديين الذين بعث فيهم النبي صالح عليه السلام، وحلّ عليهم العذاب في الحجر [حسب كتب التراث الإسلامي]، قد سكنوا المنطقة المشهورة بمدائن صالح، التي تبعد عن شمال شرق محافظة العلا بـ 22كم، وذهبوا إلى أن الآثار والواجهات الجبلية المنحوتة قصوراً هي عبارة عن مقابر نبطية، ولا يزيد عمرها على 2100 سنة تقريباً.
>
> وقال عالم الآثار الدكتور فرج الله أحمد يوسف لـ "الشرق الأوسط": إن كل الواجهات المنحوتة في الحجر هي مقابر نبطية، وأقدم تأريخ لواجهة منحوتة بها يعود لسنة 100 قبل الميلاد، وليس لهذه الواجهات المنحوتة أي صلة بقوم ثمود، الذين ينسبون للنبي صالح ممن حل عليهم العذاب.
>
> وأضاف: مدائن صالح في أساسها لم تنسب للنبي صالح، وإنما لرجل اسمه صالح من بني العباس بن عبد المطلب، نسبت إليه في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، وقد ذكر ذلك الدكتور عبد الرحمن الأنصاري عالم الآثار السعودي المعروف خلال أبحاثه وكتبه.
>
> وتابع فرج الله حديثه قائلاً: خلال الحفريات التي تمت للبحث عن المنطقة السكنية للأنباط، الذين بقيت قبورهم في الجبال لم نعثر على أي نقش أو كلمة واحدة تقصد ثمود وتثبت على الأقل أن الثموديين سكنوا هذه المنطقة، وكل ما عثر عليه هو نقوش وكتابات لحيانية ونبطية، بينما تم العثور على كلمة ثمود واحدة في جنوب منطقة تبوك وليس في العلا.
>
> [...]
>
> وأكد ما ذهب إليه فرج الله، مساعد مدير وحدة الآثار والمتاحف في منطقة العلا مطلق سليمان المطلق، الذي أوضح أن كافة الواجهات المنحوتة في منطقة الحجر، التي يصل عددها إلى 132، هي عبارة عن مقابر نبطية أسرية، وأن التحليل الكيميائي، الذي تم إجراؤه لبقايا العظام البشرية في هذه المقابر، أثبت أنها تعود في تاريخها إلى 100 سنة ما قبل الميلاد، حيث بدأت الحضارة النبطية في منطقة الحجر،

وقال: ليس صحيحاً الزعم الذي يقول إن بعض الواجهات التي لم تكتمل عليها عملية النحت أو تخلو منها هي ثمودية، وهو زعم واجتهاد فردي مردود لعدم وجود إثبات علمي على ذلك.

وأشار المطلق، الذي رافق سابقاً "الشرق الأوسط" خلال جولتها في مدائن صالح والمناطق الأثرية بالعلا، إلى أن الأدلة الشرعية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، هي وحدها التي تم الاستناد إليها في تحديد المنطقة ونسبتها لقوم صالح، من دون الاستناد إلى أدلة علمية أثرية.

ورد عالم الآثار الدكتور خالد أسكوبي، من وكالة الآثار والسياحة الزعم، الذي يذهب إلى وجود فئة من الواجهات الجبلية في المدائن الخالية من النحت على أنها ثمودية قائلاً: خلال دراستي العلمية لم أسمع برأي يقول ذلك، وهو رأي اجتهادي وليس علمياً. وتابع: إلى الآن وخلال ثلاث حفريات أجريناها في منطقة الحجر (مدائن صالح) لم نعثر على أي دليل أثري يرجع لثمود قوم صالح، وكل الذي عثرنا عليه هو نبطي بشكل جازم.

[...]

جدير بالذكر أن "الشرق الأوسط" التي زارت منطقة مدائن صالح نشرت تقريراً مفصلاً بتاريخ 14 مايو 2006 عما تحويه المنطقة وما تثيره من جدل تاريخي وديني، مستندة إلى آراء عديدة منها لعلماء غربيين بحثوا في المنطقة، منهم عالم الآثار البريطاني البروفيسور جون هيلي من جامعة مانشستر، حيث أكد عبر بحثه المنشور في الأطلال - حولية الآثار السعودية، أن كافة الآثار المنحوتة في الحجر تعود للأنباط، نافياً اعتقاد المسلمين بأن تكون هناك علاقة للنبي صالح وقومه بالمكان.

ويجب التوضيح أن كل ما يقوله المقالان السابقان هو أن منطقة الحجر (مدائن صالح) نبطية وليست ثمودية، فلا توجد علاقة بينها وبين النبي صالح وقومه ثمود الذين أهلكهم اللهُ كما يقول القرآن. ونحن طبعاً نتفق معهما في هذه النتيجة وندعو كل المسلمين إلى الاقتناع بها. لكننا نضيف إليها التشكيك في أن صالح شخص حقيقي تاريخي، إذ لا يوجد أي دليل تاريخي - ولا حتى دليل كتابي - يثبت أن صالح شخص حقيقي تاريخي. كما نشكك أيضاً في صحة القرآن، لأن القرآن زعم أن قبيلة ثمود قد ظهرت قبل موسى وهلكت كلها (أو بعضها) قبل موسى، بينما كل الأدلة العلمية والتاريخية التي أمامنا تؤكد أن قبيلة ثمود قد ظهرت بعد موسى بمئات السنين، وانتهت (أو امتزجت مع قبائل عربية أخرى) بعد موسى بأكثر من 1500 سنة، بل بعد المسيح بمئات السنين. مما يؤكد أن القرآن قد أخطأ خطأً تاريخياً كبيراً، ويثبت أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله نهائياً. بل ليس للقرآن أية علاقة بالله ولا بالعلم ولا بالتاريخ ولا بالحقيقة. فلا يمكن أبداً الاعتماد على القرآن. ومن حقنا - بل من واجبنا - أن نترك القرآنَ تماماً حين ندرس التاريخ.

وحتى نكون منصفين، يجب علينا أن نعترف بأن القرآن لم يقل صراحةً إن "الْحِجْر" (الحجر 80) هي هي نفسها "مدائن صالح" الحالية، ولم يقل صراحةً إن مساكن ثمود هي "مدائن صالح" الحالية، بل لم يذكر القرآنُ مكاناً باسم "مدائن صالح" أصلاً. يقول الباحث التونسي د. سامي عامري صاحب الكتاب الشهير "الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي – شبهات وردود": ""مدائن صالح" الحالية ليست أرض خراب؛ فإنّها وإن كانت غير مأهولة، إلا أنّ منحوتاتها سليمة، لم تُصِبْها جائحة. ولم يَرِدْ عن الصحابة ذكرُ منحوتاتِ ما يُعرَف اليوم بمدائن صالح عند خبر المرور عند [الْحِجْر] أرض [ثمود] قوم صالح -عليه السلام-، رغم أنّها مبان عجيبة ومثيرة"؛ "القول إنّ مدائن صالح هي عيناً وادي الحِجر، عُمْدَتُه مطابقة المتأخّرين بينهما. والحقّ أن المتقدمين قد اختلفوا في تحديد وادي الحِجْر؛ [...]. فليس هناك نقل متواتر عن القرون الأولى في موقع منطقة الحِجْر التي مرّ بها الرسولُ ﷺ"؛ "الصخور المنحوتة في ما يُعْرَف بمدائن صالح سليمة، ليس عليها أثرُ خرابٍ. [...] [بينما] مساكن قوم صالح -عليه السلام- قد أصابها الخراب [...]؛ فالأمل في العثور على آثار غير مهدومة وغير مطمورة لقوم صالح -عليه السلام- بعيد"؛ و "من السهل أن نفهم ظنّ كثير من الكتّاب المتأخّرين أنّ مساكن قوم ثمود هي تلك "البيوت" التي استعملت كمقابر؛ إذ إنّها: منحوتة في الجبال، وتقع بين المدينة وتبوك، وقد مرّ الرسول ﷺ بالحجر أثناء عبوره مع الجيش عن طريق الحجر، وهي أشهر التلال المنحوتة، علماً أنه توجد أيضاً مقابر منحوتة في مدائن شعيب، جنوب تبوك. وعادةُ تفسير القصص القرآني وغيره بالمعالم المادية المعروفة لأهل كل عصر، شائعة؛ كنسبة كثير من القبور مجهولة الأصل إلى الأنبياء، وتحويلها إلى مزاراتٍ دينية مقدّسةٍ، والزعم أنّ قبّةَ الصخرة هي التي عرج منها الرسول ﷺ إلى السماء، وأنّ المئذنة الشرقية البيضاء للمسجد الأموي هي المنارة البيضاء التي سينزل عندها عيسى -عليه السلام- كما في الحديث ..."؛ "التفسير الأظهر الجامع بين الآيات والأحاديث هو أنّ آثار [ثمود] قوم صالح -عليه السلام- قد طُمست، وأن مقابر "مدائن صالح" ليست من ميراث [ثمود] قوم صالح -عليه السلام-"[4755]. ونحن نتفق معه في أن "مدائن صالح" الحالية ليست من ميراث ثمود التاريخية. لكننا نختلف معه في التذرع بذريعة خراب مساكن ثمود لتبرير عدم وجود أي أثر تاريخي للنبي صالح المذكور في القرآن. ودليلنا هو القرآن نفسه الذي يقول إن طائفة من الثموديين آمنوا بصالح ولم يهلكوا. فلماذا لم يترك هؤلاء الثموديين المؤمنين أثراً تاريخياً واحداً يسجل "انتصار" هذا النبي المزعوم صالح على الثموديين الكافرين أو حتى يشير من قريب أو من بعيد إلى شخصٍ اسمه "صالح" وناقته المعجزة المزعومة؟!

نستطيع إذن أن نقول إن "مدائن صالح" الحالية هي "حِجْر" الأنباط (Hegra)، فهي المدينة النبطية الأولى في الجنوب والثانية بعد العاصمة "البتراء" (Petra) في الشمال. فهل "مدائن صالح" هي "الْحِجْر" (الحجر 80) كما تقول عامّة المراجع والأطالس الإسلامية؟ أغلب الظن أن الإجابة هي: نعم. بمعنى أن صاحب (الحجر 80) حين قال "الْحِجْر" كان يقصد "حِجْر" الأنباط في شبه الجزيرة العربية؛ ثم صار اسمُها فيما بعد "مدائن صالح" واستمر هذا الاسم العربي-الإسلامي إلى اليوم.

لكن هل هذه "الْحِجْر" (الحجر 80) هي مساكن ثمود كما تقول كتب أحاديث محمد كالبخاري ومسلم وغيرهما وكما تقول جُل المراجع والأطالس الإسلامية أو كلها تقريباً؟ ...

حتى نكون منصفين أكثر وأكثر، يجب علينا أن نعترف بأن القرآن لم يقل صراحةً إن ثمود كانت تسكن الْحِجْر، فالرواية القرآنية الوحيدة التي ذكرت "أَصْحَاب الْحِجْر" (الحجر 80-84) لم تذكر اسمَ ثمود ولا اسمَ صالح ولا حتى الناقة! وإنما رواة أحاديث محمد في البخاري ومسلم وغيرهما وكذلك المفسرون المسلمون القدامى والمحدثون هُمْ الذين ربطوا بين ثمود و (الحجر 80-84)، فقالوا إن أصحاب الحجر هُمْ ثمود! حتى الباحثون المسلمون الأكاديميون الذين يصدِّقون البخاري ومسلم بدون فحص ولا تفكير نقدي قالوا إن أصحاب الحجر هُمْ ثمود! فمثلاً د. سامي عامري يقول: "أُرْسِلَ صالحٌ -عليه السلام- إلى ثمود الوثنيين: قال تعالى: "وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ" (هود 61). عاش قوم صالح -عليه السلام- في منطقة الْحِجْر: قال تعالى: "وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ" (الحجر 80)"[4756]! وكذلك قال د. محمد شحرور. لكن في ظل عدم وجود أي دليل علمي يثبت صحةَ هذا التفسير السائد لـ (الحجر 80)، بل في ضوء أدلة علمية كثيرة تثبت خطأً هذا التفسير السائد إذا اتفقنا أن "الْحِجْر" (الحجر 80) هي مدائن صالح الحالية كما تقول عامّة المراجع والأطالس الإسلامية، فإننا نطالب شيوخ الإسلام بإعادة النظر في تفسير (الحجر 80-84). فنحن نرى أن "أَصْحَاب الْحِجْر" هُمْ الأنباط وليس الثموديين. الأنباط في الْحِجْر هُمْ الذين "كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ" (الحجر 82). وربما جاء رجل دين مسيحي (صالح) ودعا هو ورفاقُه الأنباطَ (أصحابَ الحجر) إلى الإيمان المسيحي (الموحِّد؛ أي: غير المثلِّث) لكن الأنباط كَذَّبوهم: "وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ" (الحجر 80). وبعد ذلك حلت بهم كارثةٌ طبيعية (مثلاً وباء أو زلزال أو سيول وأغلب الظن أنها كانت الهزيمة الساحقة التي لحقت بالأنباط في حربهم ضد الرومان عام 106م)، ثم أدت عوامل سياسية واقتصادية إلى جعل الْحِجْر مدينةً مهجورةً، فتوهَّم أصحابُ القرآن أن تلك الكارثة القومية وما تلاها كانت عقاباً من الله، لكنهم لم يحددوا ذلك العقاب في قرآنهم، فقالوا: "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ[4757] مُصْبِحِينَ. فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ [من تجارتهم الواسعة]" (الحجر 83-84).

فإذا وافق المسلمون على هذا التفسير الجديد لـ (الحجر 80-84) أو على أي تفسير عقلاني آخر يفصل بين ثمود و (الحجر 80-84)، فإنه قد يساهم في حل مشكلة تلك الرواية القرآنية فقط، لكنه للأسف الشديد لن يكون حلاً كاملاً! وذلك لأن المفردات التي استخدمها أصحابُ القرآن في رواية سورة الحجر مثل "يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا" (الحجر 82) هي هي نفسها التي استخدموها في الروايات القرآنية الأخرى التي تذكر اسمَ ثمود صراحةً مثل "تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا" (الشعراء 149) "تَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا" (الأعراف 74)! وبما أن عادة نحت البيوت والمقابر والمعابد في صخر الجبال هي عادة نبطية بامتياز وليست ثمودية، فإن استخدام نفس المفردات في تلك الروايات القرآنية الثلاث (الحجر 82) (الشعراء 149) (الأعراف 74) يؤكد أن أصحاب القرآن قد خلطوا (confused) بين الثموديين والأنباط. أو بعبارة أخرى: أخطأ أصحابُ القرآن

خطأً كبيراً حين نسبوا إلى الثموديين (الأعراف 74) (الشعراء 149) عادةً نبطية شهيرة هي عادة نحت البيوت والمقابر والمعابد في صخر الجبال (الحجر 82). مما يؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله[4758].

لكن لماذا لم يذكر صاحبُ رواية سورة الحجر الأنباطَ صراحةً في روايته (الحجر 80-84)؟ للإجابة على هذا السؤال، يجب أن نتذكر أن سورة الحجر تأتي بعد سورتي الأعراف والشعراء حسب الترتيب الزمني التقليدي لسور القرآن؛ فربما أراد صاحبُ رواية سورة الحجر (الحجر 80-84) عدمَ إحراج صاحبي روايتي سورتي الأعراف والشعراء (الأعراف 73-79) (الشعراء 141-159) اللذين وقعا في هذا الخطأ الجسيم الذي يؤكد أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله.

كما تظل جميعُ المشكلات الأخرى التي تعاني منها الروايات القرآنية لقصة صالح مع قومه ثمود قائمةً بدون حل لأنها أيضاً خاطئة تاريخياً خطأً كبيراً. فلقد ظهرت ثمود **بعد** موسى بمئات السنين وليس قبل موسى كما يزعم القرآن. ولا يوجد أي دليل علمي - ولا حتى دليل كتابي - يثبت أن النبي المزعوم "صالح" شخصية حقيقية تاريخية. أما الناقة فهي مجرد أسطورة مستوحاة من تراث الشرق الأوسط القديم قبل الإسلام سواء التراث العربي (الجاهلي) أو التراث الفارسي (الزرادشتي) كما وضحنا فيما سبق.

أما إذا رفض المسلمون هذا التفسير الجديد لـ (الحجر 80-84) وأصروا على الربط بين ثمود و (الحجر 80-84)، فإن عليهم أن يتفقوا في تحديد موقع "الحِجْر" (الحجر 80) على الخريطة الجغرافية، وألا يكتفوا بعبارات انهزامية مثل "الله أعلم" أو "اختلف أهل العلم" أو "العلم به لا ينفع والجهل به لا يضر" أو "ليس في العلمِ به أداءُ فَرْضٍ ولا في الجهلِ به تَضْييعُ واجبٍ"! ومن الجدير بالذكر أن د. سامي عامري قال إن "من المواضع المرشّحة لتكون أرض قوم صالح -عليه السلام- بين المدينة وتبوك، بلدة الخريبة، شمال شرقي العلا. [...] بلدة الخريبة التي تبعد عن مدائن صالح بنحو عشرة أميال"[4759]. واستدل على ذلك بما قاله د. جواد علي إن "المستشرق "دوتي" (Doughty) قد ذهب إلى أن "الحِجْر" التي سكن بها قوم ثمود، هي موضع "الخريبة" في الزمن الحاضر، لا "مدائن صالح" التي هي في نَظَرِهِ "حِجْر" النَّبَطِ"[4760]. لكن يبدو لنا أن د. جواد علي لا يصدِّق أن الخريبة هي مساكن ثمود، بل يبدو لنا أن د. سامي عامري نفسه لا يؤيد هذا الرأي، بدليل أنه قال إن الخريبة من المواضع "المرشّحة" لتكون أرض قوم صالح، ثم ختم بحثه بقوله: "ولسنا نعلم في أي موضع من الحِجْر بين المدينة وتبوك كان هلاكهم (أي: هلاك ثمود قوم صالح)"[4761]! وإنه لمن الطريف أن د. سامي عامري قد نقل جُملةً من موقع ويكيبيديا العربي على شبكة الإنترنت تقول إن الخريبة فيها "مقابر منحوتة" و "نقوش دادانية ومَعِيْنيّة ولحيانيّة وثموديّة ونَبَطيّة وكُوفيّة"؛ كما نقل صورةً منتشرة على شبكة الإنترنت تظهر تلّة منحوتة في الصخر في بلدة الخريبة[4762]! إلا أنه – كعادته – لم يعطنا دليلاً حاسماً يثبت أن الثموديين هُمْ الذين نحتوا تلك الصخرة. ويجب هنا أن ننبه د. سامي عامري وجميع المسلمين إلى معلومةٍ مهمة، وهي أنه حين يُقال "نقوش ثمودية (Thamudic)"، فهذا لا يعني بالضرورة أنها لها علاقة بقبيلة ثمود تحديداً، وإنما يعني فقط أنها تنتمي إلى قبائل شمال شبه الجزيرة

العربية لكن حتى الآن لم يصنفها العلماءُ تصنيفاً أكثر دقة إلى قبيلةٍ معينة. تقول موسوعة (Encyclopædia of Islam)[4763]:

THAMUDIC, a modern misnomer applied to all those texts in Ancient North Arabian scripts which have not yet been classified more precisely as Taymanitic, Dedanitic (previously "Dedanite" and "Liḥyanite", see under LIḤYĀN), Hasaitic, Hismaic, or Ṣafaitic. It is therefore a *Restklassenbildung*, or "undetermined" category, and does not refer to a particular script or dialect. The name is purely conventional and there is no evidence that the inscriptions were in any way connected with the tribe of Thamūd.

ونحن نعتقد أن الأنباط هُمْ الذين نحتوا تلك الصخرة في بلدة الخريبة. لكن حتى لو افترضنا جدلاً أن الثموديين هُمْ الذين نحتوها، فهل يرجع تاريخُها إلى ما قبل إبراهيم أو حتى إلى ما قبل موسى؟! هل يوجد فيها أي أثر يثبت أن النبي المزعوم "صالح" شخصية حقيقية تاريخية؟! هل يوجد فيها أي أثر يثبت أن معجزة الناقة المزعومة قد حدثت فعلاً في ذلك المكان أو في أي مكان آخر في أي يومٍ من الأيام؟! تلك هي الأسئلة المهمة الكبرى التي يتجنَّب الباحثون المسلمون أمثال د. سعيد عامري و د. محمد شحرور الإجابة عليها، بل يتهرَّبون منها. لأن الإجابة عليها ستؤدي حتماً إلى الاعتراف بأن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله، فلا يمكن الاعتماد على القرآن عند دراسة التاريخ أو الجغرافيا.

من كل ما سبق يتضح أننا على صواب حين نقول إنه من حقنا - بل من واجبنا - أن نترك القرآنَ تماماً حين ندرس التاريخ والجغرافيا. فكما لا يمكن أن نعتمد على الشعر العربي (الجاهلي) حين ندرس التاريخ والجغرافيا، كذلك لا يمكن أن نعتمد على القرآن العربي (الإسلامي) حين ندرس التاريخ والجغرافيا. فالقرآن منتَج ثقافي (cultural artifact) منتَج أدبي وليس علمياً ولا تاريخياً ولا جغرافياً، وهو عمل بشري 100% مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لتراث الشرق الأوسط القديم بصفة عامة، وتطور بشري طبيعي للتراث العربي (الجاهلي) والتراث اليهودي-المسيحي الشرقي بصفة خاصة.

4.19.9.2 هل شعيب شخصية حقيقية تاريخية؟ وهل قصصه مع أصحاب مدين وأصحاب الأيكة (لْأَيْكَة) قصص حقيقية تاريخية؟

يقول د. محمد شحرور: "ولا ذِكْر للنبي شعيب خارج القرآن الكريم"[4764]! وغياب شعيب عن الوثائق التاريخية والكتب المقدَّسة يجعلنا نتساءل: هل شعيب شخصية حقيقية تاريخية؟ وهل قصصه مع أصحاب مدين وأصحاب الأيكة (لْأَيْكَة) قصص حقيقية تاريخية؟ ...

في الواقع، إنَّ ما قلناه عن صالح وثمود ينطبق أيضاً على شعيب ومدين. نعم، مدين كانت موجودة فعلاً ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك، لكن التاريخ لم يذكر نبياً اسمه "شعيب" قبل موسى؛ أي: قبل القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد. وكذلك الكتاب المقدس لم يذكر نبياً اسمه "شعيب" قبل موسى. مع أن توراة موسى قد ذكرت مَدْيَن (مِدْيَان) في عدة مواضع كما وضحنا فيما سبق، وذكرت قصةَ هروب موسى إلى مديان وزواجه من واحدة من بنات القبيلة وبقائه في مديان 40 سنة، فلماذا لم يتكلم موسى ولو كلمة واحدة عن هذا النبي المدياني المزعوم "شعيب" الذي يُفْتَرَض حسب القرآن أنه كان يسبق موسى والذي يُفْتَرَض حسب التراث الإسلامي أنه كان "خطيب الأنبياء"؟!

وإن قلتم إن الكتاب المقدس محرَّف. فسنقول: وما مصلحة اليهود أن يحذفوا أو ينسوا هلاكَ المديانيين عقاباً لهم على تكذيبهم لشعيب؟! المديانيون كانوا من ألد أعداء بني إسرائيل. فلو كانوا هلكوا فعلاً بهذه الطريقة التراجيدية التي يصفها القرآنُ، لاحتفل بنو إسرائيل بذلك النصر العظيم وكتبوا عشرات الآيات في التوراة أو في التراث اليهودي (كالأشعار والترانيم مثلاً) فرحاً وابتهاجاً بهلاك أعدائهم المديانيين الوثنيين.

ثم إن المديانيين ظلوا موجودين حتى ظهور الإسلام[4765] وإن كانوا قد فقدوا قوتهم العسكرية والسياسية في القرن الحادي عشر أو القرن العاشر قبل الميلاد كما قلنا فيما سبق. فمن المستحيل علمياً وتاريخياً أن يكونوا قد هلكوا قبل موسى كما يزعم القرآن في سورة الأعراف: "وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا [...] فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ. الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا [...] ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ [...]" (الأعراف 85-103). ومن ثم، فإنه من المستحيل أيضاً أن يكون هلاك المديانيين قد حدث بعد هلاك قوم لوط بفترة زمنية قصيرة نسبياً كما يُفْهَم من رواية سورة هود القرآنية: "وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ (أي: من أصحاب مدين) بِبَعِيدٍ [في المكان ولا في الزمان]" (هود 89)[4766].

إنها أخطاء تاريخية أخرى تنضم إلى قائمة الأخطاء الكثيرة والكبيرة التي وقع فيها أصحابُ القرآن بقصد أو بدون قصد أثناء تأليف قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة في القرآن. إن تلك الأخطاء تجعلنا على يقين 100% أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله. بل ليس من المبالغة أن نقول إنه لا توجد أية علاقة بين القرآن والله.

ولنقرأ سوياً ما قالته موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) عن مدين والمديانيين وأصحاب الأيكة (لْأَيْكَة)[4767]:

> [...] Archaeological evidence in the northern Ḥijāz east of ʿAqaba ([...]) seems to confirm biblical portrayals of Midian/Madyan as an important political entity that emerged in that vicinity during the thirteenth century B.C.E. Midian successfully projected its political and military power over Israelites, Moabites and other peoples in areas corresponding to today's Jordan, Israel and Palestine. The name is attested in Greek and Latin sources and turns up well into the period of Islam's emergence in the seventh century C.E., although the powerful Midianite polity may have died out as early as the tenth century B.C.E. Later biblical references seem to be geographical or genealogical in nature rather than political.
>
> [...]
>
> The qurʾānic Midianites are also closely connected with the "people of the tanglewood" (or "thicket," [أصحاب الأيكة], [الحجر 78-79]; [ص 13]; [ق 14]; see PEOPLE OF THE THICKET). Shuʿayb is sent to both ([الشعراء 176-189]) and both also exhibit dishonest trading practices. Beeston (The 'Men') suggests that both qurʾānic designations refer to the same group, who are designated either by their ethnic or kinship (q.v.) identity as Midianites or by their religious association with the vegetation deity, *dhū l-sharā* (Greek Dusares) as the "people of the tanglewood." The latter association must of course be much later than the probable historical dating for the strong Midianite polity of the early Iron Age. Thus the long-lived legend of the ancient Midianites may have been conflated with the great Nabatean civilization that flourished and then died out in the general vicinity a millennium later.

فهل أدمج أصحابُ القرآن جزءاً من أخبار المديانيين (من أخبار التراث الديني اليهودي-المسيحي) مع جزء من أخبار الأنباط (من أخبار التراث القومي العربي) في قصةٍ قرآنيةٍ واحدة هي قصة شعيب وأصحاب الْأَيْكَة (لْأَيْكَة)؟ ربما. وساعدهم على ذلك أن الأنباط الوثنيين سكنوا أرضَ مدين بعد المديانيين الوثنيين بحوالي 1000 سنة[4768]. ومن الجدير بالذكر أيضاً في هذا السياق أن موقع "مغاير شعيب" شرق خليج العقبة الذي

ذكرناه فيما سبق يضم مقابر منحوتة في الصخر وهي أساساً مقابر نبطية. تقول موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam)[4769]:

> [...] the archaeological site known locally as Maghāʾir Shuʿayb "the caves of Shuʿayb", [refers] to a large necropolis with tombs carved into a very soft and friable limestone, hence much worse-preserved than those at Petra. As Musil and Philby correctly surmised, the tombs are Nabataean; the surface pottery is largely Nabataean and Roman, and a fragment of a monumental inscription in Latin has been found.

اقرأ أيضاً ما قاله العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على موقع الأَيْكَة (لْأَيْكَة)[4770]:

> [...] the [Qurʾānic] reference to "al-Ayka" [الأَيْكَة] is sometimes thought to reflect the geography or vegetation of Midian [...].
>
> However, Gerd Puin ("Leuke Kome") notes that "al-Ayka" has also been read *layka [لْأَيْكَة]*; indeed the initial *alif* is missing in [الشعراء 176] and [ص 13] (but not [الحجر 78] or [ق 14]) in the Cairo edition of the Qurʾān. This suggests that the reading *al-ayka [الْأَيْكَة]* is a correction. Puin argues that *layka [لْأَيْكَة]* refers to Leuke Kome, a port on the Arabian Red Sea coast connected to the Nabataean kingdom. Thereby he does away with the "thicket."

أما الباحث التونسي د. سامي عامري صاحب الكتاب الشهير "الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي – شبهات وردود"، فلم يعطنا دليلاً أركيولوجياً واحداً يثبت أن قصة شعيب القرآنية قصة حقيقية تاريخية! ثم ختم دفاعَه الهزيل (أقل من خمس صفحات!) عن قصة شعيب القرآنية بقوله: "ليس في أخبار شعيب -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة، خاصة مع جهلنا بأرض شعيب -عليه السلام- وزمانه، وعلمنا بالدمار الذي أصاب عمران قومه. ليس في خبر القرآن عن شعيب -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة"[4771]. ونحن نقول له رداً على جملته الأولى: بما أنه مطلوبٌ منا أن نؤمن بكل كلمة في القرآن وإلا سنُحْرَق في نار جهنم إلى الأبد، فمن أبسط حقوقنا إذن أن نتساءل عن آثار شعيب في الكشوف الأركيولوجيّة! أما جملته الثانية، فالرد عليها أسهل، فهي تنطبق على كل المؤلفات الأدبية

الخيالية التي "ليس فيها ما يُخالف حقيقة تاريخيّة"، ولا تعني أن ما قاله القرآنُ عن شعيب صحيح تاريخياً، وإنما قصة شعيب القرآنية ليست لها أية علاقة بالتاريخ أصلاً. ونحن نختلف معه أيضاً في التذرع بذريعة دمار عمران مدين لتبرير صعوبة "العثور على حجّة في البحث الأركيولوجيّ تشهد لشعيب -عليه السلام-". ودليلنا هو القرآن نفسه الذي يقول إن طائفة من المديانيين آمنوا بشعيب ولم يهلكوا. فلماذا لم يترك هؤلاء المديانيين المؤمنين أثراً تاريخياً واحداً يسجل "انتصار" هذا النبي المزعوم شعيب على المديانيين الكافرين أو حتى يشير من قريب أو من بعيد إلى شخصٍ اسمه "شعيب"؟! ثم إن مدين اليوم تتبع المملكة العربية السعودية. ولذلك فإننا نطالب المملكة العربية السعودية بالتنقيب عن آثار شعيب. مع علمنا المسبق ويقيننا أنهم لن يجدوا أي أثر تاريخي له. لأن قصة شعيب القرآنية مجرد أسطورة من أساطير القرآن.

ولمزيد من المعلومات، راجِع الأبحاث التي قام بها العالِم الدكتور "رأفت عماري" (رحمه الله) عن "خرافات" شعيب والأخطاء التاريخية "الطفولية" في القرآن تحت عنوان "المديانيون والقرآن والتاريخ"[4772]. ونحن نتفق 100% مع الدكتور "رأفت عماري" حين يقول إن "الديكتاتورية الدينية تريد أن تتحكم بالعقل الإنساني وتلغي موضوع البحث عنده. وهنا الخطورة في الأمر"[4773]! ولذلك فإننا ندعو جميع أحبائنا المسلمين أن يحرروا أنفسهم من سجن الديكتاتورية الدينية وأن يقرأوا ويبحثوا ويعملوا عقولهم ليعرفوا حقيقةَ كتاب "القرآن" العربي المنسوب زوراً إلى الله.

هذا عن قصتي صالح وشعيب، فماذا عن قصة هود وعاد والأحقاف؟ ...

4.19.9.3 هل هود شخصية حقيقية تاريخية؟ وهل قصته مع عاد قصة حقيقية تاريخية؟

يقول د. محمد شحرور: "ولا يوجد ذِكْر للنبي هود خارج القرآن الكريم"[4774]! وغياب هود عن الوثائق التاريخية والكتب المقدَّسة يجعلنا نتساءل: هل هود شخصية حقيقية تاريخية؟ وهل قصته مع عاد قصص حقيقية تاريخية؟ ...

قال د. جواد علي عن عاد: "وقد سبق أن قلت: إن Oaditae الذين ذكرهم (بطلميوس) هم قوم (عاد)، وإنهم كانوا يسكنون في الأرضين الشمالية الغربية من جزيرة العرب في منطقة (حسمى)، أي في أعالي الحجاز، وعلى مقربة من مناطق ثمود. وهو أقرب إلى الصواب، إذ اقترن ذِكْرُ عاد في القرآن بذِكْر (ثمود الذين جابوا الصخر بالواد). (حسمى) أقرب الى هذا الوصف من الرمال. ولم يعين القرآن موضع الأحقاف، وإنما عينه المفسرون، ولا يحتم تفسيرهم تخصيص الأحقاف بهذا المكان، حيث جعلوا رمال (وبار) في جملة المناطق التي كانت لعاد"[4775] "ويدل ورود خبر (عاد) في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي على أن القصة كانت شائعة بين عرب الجاهلية معروفة عندهم، وأنهم كانوا يتصورون أن قوم (عاد) كانوا من أقدم الأقوام،

ولذلك ضُرب بقدمهم المثل حتى إنهم كانوا ينسبون الشيء الذي يريدون أن يبالغوا بقدمه، إلى عاد، فيقولون إنه (عادي). وإذا رأوا أثراً قديماً أو أطلالاً قديمة عليها نقوش لا يعرفون صاحبها، قالوا إنها عادية، أي من أيام عاد. وإذا رأوا بناءً قديماً لا يعرفون صاحبه، قالوا إنه بناء عادي. وقد تحدث (المسعودي) عن أشجار عادية، أي قديمة جداً. ولهذا السبب رأى (ولهوزن) أن كلمة (عاد) لم تكن اسم علم في الأصل، بل كان يراد بها القدم، وأن كلمة (عادي) تعني منذ عهد قديم جداً، وكذلك كلمة (من عاد) أو (من العاد)، أو من (عهد عاد). وأن المعنى هو الذي حمل الناس على وضع تلك الأساطير عن أيام (عاد). وقد جعل بعض الشعراء أيام (عاد) من أوليات الزمان، التي جاءت بعد (نوح) [...]

وقال بعض طيء:

وبـالجبليـــن معقــــــل صعدنـا إليه بسمر الصعاد

ملكناه في أوليات الزمان من بعد نوح ومن قبل عاد"[4776].

ننتقل إلى المراجع الأجنبية التي تحدثت عن عاد وهود:

- “[…] the existence of a tribe of Ad is problematic. This is still truer of Hud”[4777].

- “Frequent references in pre-Islamic poetry show that legends about the tribe of ʿĀd were well known among Arabs before the time of the Prophet ([...]) and the qurʾānic versions of these stories apparently belong to this cycle of genuinely Arabian traditions”[4778].

- “The old [pre-Islamic Arabian] poets knew ʿĀd as an ancient nation that had perished (…). […] Whether there really existed, and where, a nation called ʿĀd, is still an unanswered question. The genealogies of the Arabs relating to the ʿĀdites are naturally valueless, just as is their locating of that people in the large and uninhabitable sandy desert between ʿUmān and Ḥaḍramawt. The identification of Iram with Aram, adopted by the Arabs and several modern scholars, is not at all likely. Of the latter, Loth has identified ʿĀd with the well-known tribe of Iyād; on the other hand Sprenger sought for ʿĀd in the Oadites, who according to Ptolemy lived in N.-W. Arabia; this recalls the well of Iram in Ḥisma ([...]). The excavation of the second-century Nabataean temple of Ḏjabal Ramm, about twenty-five

miles due east of ʿAḳaba, brought to light Nabataean inscriptions giving the name of the place ʾ*rm*; Savignac, very plausibly, connected this with Iram. [...]. But Wellhausen pointed out that instead of the expression "since the time of ʿĀd" the expression *min al-ʿād* also occurs; therefore he supposed that originally ʿĀd was a common noun ("the ancient time"; adj. ʿ*ādī*, "very ancient") and that the mythical nation arose from a misinterpretation of that expression."[4779].

- "Loth [...] identifie *Ad* avec la tribu connue *Iyad*. Sprenger [...] identifie les *Adites*, avec les *Oadites* qui habitaient le Nord-Ouest de l'Arabie, fait qui paraît rappeler le puis *Iram* [إرم] à Hisma. [...] Welhausen [...] voit dans *Ad* un nom commun qui veut dire "Le temps ancien". Ces différentes opinions démontrent que la question reste encore ouverte"[4780].

- "Hūd est envoyé au ʿĀd, tribu sur laquelle on ne sait rien – si tant est qu'il faille interpréter ʿĀd comme un nom propre."[4781].

- "There exist several traditions concerning the genealogy of Hūd, going back to ʿĀd b. ʿŪs. b. Aram b. Sām b. Nūḥ; but he is sometimes assimilated with ʿĀbar (the biblical Heber, ancestor of the Hebrews) or regarded as a son of the latter. Since the word Hūd is also, in the Ḳurʾān, a collective noun denoting the Jews (…) and that the root *h.w.d.* there has the meaning "to practice Judaism, to profess the religion of the Jews" (…), the proper name [Hūd] certainly appears to be derived from this root, which would also confirm the identification of Hūd with the ancestor of the Jews; thus Hirschfeld is perhaps correct when he calls Hūd an allegorical figure (…)"[4782].

- "For one modern Western scholar's theory, see Horovitz, *Jewish proper names*, 29: "Perhaps the name 'Hūd' is an invention on the part of Mohammed, who, then, while looking for a name of the warner of the ʿĀd which should be in accord with names like 'Lūṭ' and 'Nūḥ,' may have made 'Hūd' out of 'Yahūd.'"[4783].

نعتقد أن الصورة الآن قد أصبحت واضحة: أمر عاد يختلف كثيراً عن ثمود ومدين، إذ لا يوجد أي دليل قاطع يثبت أنه كان هناك أصلاً قبيلة باسم "عاد" في التاريخ! وهذا بالفعل أمر يثير كثيراً من الشكوك حول القرآن الذي يقول إن عاد كانوا أصحاب حضارة عظيمة "لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ" (الفجر 8) التي يفسرها الشيخ الشعراوي قائلاً: "ومعنى هذا أنها كانت حضارة أقوى وأعظم حتى من حضارة قدماء المصريين"[4784]! ونحن نقول له: لكن قدماء المصريين تركوا آلاف الآثار والأدلة القاطعة على وجودهم في التاريخ القديم؛ فهل يُعقَل ألا تترك عاد ولو دليلاً واحداً فقط؟! ونحن نعلم أسماء ملوك مصر القديمة، فما هي أسماء ملوك عاد المحققة تاريخياً؟! وإذا قلتم إن عاد هلكوا تماماً ولذلك لم يتبق دليل على وجودهم، فسنقول: لكن ثمود هلكوا تماماً أيضاً ومع ذلك توجد أدلة كثيرة على وجودهم! ولو كانت عاد موجودة تاريخياً، لتعاملت مع قبائل أخرى تجارياً وسياسياً وعسكرياً ... الخ، ولوجدنا لها ذِكْراً في مصادر القبائل الأخرى التي لم تهلك! فهل يوجد لعاد أي ذِكْر في آثار الأقوام الأخرى التي عثر عليها العلماءُ؟!

أضف إلى هذا كله أنه حتى لو افترضنا - جدلاً - أن "عاد" كانت موجودة تاريخياً وأنها (Oaditae) (Oadites) التي ذكرها الجغرافيّ الإسكندري "بطليموس" (Ptolemy) الذي وُلِدَ في أواخر القرن الأول الميلادي، فإن تاريخها إذن يرجع إلى القرن الثاني الميلادي[4785]! أي بعد نوح بآلاف السنين، بل بعد موسى بمئات السنين، بل بعد المسيح! فلا يمكن أن تكون قد هلكت قبل موسى كما يزعم القرآن (غافر 31) (إبراهيم 8-9) (يونس 74-75) (الأعراف 103) (القصص 43). ولقد كانت قبيلة صغيرة وبدوية وليست صاحبة حضارة عظيمة "لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ" (الفجر 8) كما يدعي القرآنُ. ثم إن التاريخ لم يذكر أن هذه القبيلة ظهر فيها نبي أو رسول اسمه "هود"! ونفس الكلام ينطبق أيضاً على القبائل العربية الأخرى التي تزعم مراجع إسلامية دفاعية أنها عاد، لمجرد أن اسمها أو جزء من اسمها يتشابه مع اسم "عاد"! مثل (Iyad) و (Ibadidi): كلها بعد نوح بآلاف السنين، بل بعد موسى بمئات السنين! فلا يمكن أن تكون قد هلكت قبل موسى كما يزعم القرآن (غافر 31) (إبراهيم 8-9) (يونس 74-75) (الأعراف 103) (القصص 43). والتاريخ لم يذكر أن تلك القبائل ظهر فيها نبي أو رسول اسمه "هود"! إذن: ادعاؤكم أن عاد هي إحدى تلك القبائل العربية لا يؤيد القرآن، بل يتعارض مع القرآن.

أما الباحث السوري د. محمد شحرور فحاول أن يُوهمنا أن مدينة "إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ" (الفجر 7) هي مدينة "وبار" (أو: عُبار) (Ubar) في عُمان حالياً "التي تعود إلى الفترة 3000 ق.م." ولم يكتشف أحدٌ "هذه المدينة الغارقة تحت الرمال" إلا "عالم آثار هاوٍ" في أواخر القرن العشرين الميلادي! ودليله على ذلك هو "الأعمدة الضخمة" التي عُثر عليها في وبار/عُبار، بالإضافة إلى "أدلة على وجود نظام متقدم من الإنشاءات المائية من قنوات وسدود" استعملت في ري تلك المنطقة التي كانت "أراضي خصيبة" (يقصد: مصداقاً لقول القرآن: "جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ" (الشعراء 134)) ثم "تعرّضت لتغيّرات مناخية حوّلتها إلى صحاري". وزعم د. محمد شحرور أن تلك التغيرات المناخية هي "عقاب ربّها" الذي نزل بها حيث "طمرتها عاصفة رملية غير

عادية" "أدّت إلى غمر المدينة بطبقات من الرمال"، وهذا – حسب زعمه – "صورة من صورة الإعجاز التاريخي في كتاب الله تشهد له بصفائه الربّاني، وبأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"[4786]!

لكننا حين قرأنا ما قاله د. محمد شحرور وغيره عن هذا الاكتشاف، لم نجد دليلاً حاسماً يثبت أن تاريخ قبيلة عاد يرجع إلى الفترة 3000 ق.م. فحتى لو كانت مدينة وبار/عُبار بُنيت في الفترة 3000 ق.م.، هل كانت عاد تسكنها في هذه الفترة، أم قبيلة أخرى قبل عاد؟ بصراحة لم نجد دليلاً حاسماً يثبت أن قبيلة عاد كانت تسكن مدينة وبار/عُبار في يومٍ من الأيام، وخصوصاً أن عبارة "جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ" (الشعراء 134) التي استخدمها القرآنُ لوصف أرضَ عاد هي نفس العبارة التي استخدمها لوصف أرضَ ثمود أيضاً "جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ" (الشعراء 147)! مما يعني ضمنياً احتمال وجود قبائل عربية قديمة أخرى كان لها أيضاً "جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ". فلماذا الإصرار على أن مدينة وبار/عُبار من آثار قبيلة عاد تحديداً؟! ثم إننا لم نجد دليلاً واحداً يثبت أن مدينة إِرَمَ هي هي نفسها مدينة وبار/عُبار تحديداً. هل مجرد وجود أعمدة ضخمة يكفي؟! بالطبع لا. فالأعمدة الضخمة كانت موجودة في دمشق والإسكندرية اللتين قيل بالفعل إن إحداهما هي إِرَم، فلماذا الإصرار على أن مدينة وبار/عُبار هي هي نفسها مدينة إِرَمَ تحديداً؟! والأهم مما سبق هو أننا لم نجد دليلاً واحداً يشير إلى النبي المزعوم "هود"، باعتراف د. محمد شحرور نفسه في كتابه، إذ يقول: "ولا يوجد ذكر للنبي هود خارج القرآن الكريم"[4787]! والأهم من هذا كله هو أن د. محمد شحرور نفسه يقول إن علماء الحضارة الرومانية قد اكتشفوا تلك المنطقة في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد: فلقد قام الباحثون "بإعداد تقرير مطوّل يضمّ نتائج الدراسة، ويدعو رجال الأعمال والحكومات العربية إلى التبرُّع بسخاء للكشف عن تلك الآثار" "وقد ذكر التقرير أن اثنين من العلماء القدامى قد سبق لهما زيارة مملكة عاد في أواخر حكمها، وكانت المنطقة لا تزال عامرة بحضارة زاهرة، والأنهار فيها متدفقة بالماء، والبحيرات زاخرة بالحياة، والأرض مكسوّة بالخضرة، وقوم عاد مستكبرون في الأرض، ويشكلون الحضارة السائدة فيها، وذلك قبل أن يهلكهم الله (تعالى) مباشرة. وكان أحد هؤلاء هو بليني الكبير من علماء الحضارة الرومانية الذي عاش في الفترة من 23م إلى 79م، والآخر هو الفلكي والجغرافي بطليموس الإسكندري الذي كان أميناً لمكتبة الإسكندرية، وعاش في الفترة من 100م إلى 170م تقريباً، وقام برسم خريطة للمنطقة بأنهارها المتدفقة، وطرقاتها المتشعبة التي تلتقي حول منطقة واسعة سمّاها باسم (سوق عُمان)"[4788]. وهذا يعني أمرين. أولاً: حضارة مدينة وبار/عُبار كانت مزدهرة ومستمرة حتى القرنين الأول والثاني بعد الميلاد؛ أي بعد نوح بآلاف السنين، بل بعد موسى بمئات السنين، بل بعد المسيح! فلا يمكن أن تكون هي عاد/إِرَم التي هلكت قبل موسى كما يزعم القرآن (غافر 31) (إبراهيم 8-9) (يونس 74-75) (الأعراف 103) (القصص 43). ولعل هذا يفسر عدم تسرع شيوخ الإسلام التقليديين في تأييد مزاعم هذه الأبحاث، لأنهم يعلمون أنها تتعارض مع القرآن، لا سيما أن مَن بدأها عالم آثار هاوٍ (أي: غير محترف؛ أو: باحث عن الشهرة). ثانياً: حتى لو افترضنا - جدلاً - أن حضارة مدينة وبار/عُبار هي عاد/إِرَم تحديداً، فإن الروم قد وصفوها وصفاً دقيقاً في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد؛ أي: قبل الإسلام بأكثر من 400 سنة! وبما أن القرآن نفسه يؤكد اتصال العرب بالروم، بدليل وجود سورة كاملة

هي سورة "الروم" التي ذكرت هلاك الأمم والحضارات الزراعية السابقة (الروم 9-10، 42). إذن: من المحتمل جداً – بل من شبه المؤكد – أن أصحاب القرآن قد نقلوا وصفَ حضارة وبار/عُبار (عاد/إرَم) من كتابات بليني الكبير (Pliny the Elder) وبطليموس الإسكندري (Ptolemy) سواء بطريق مباشر أو غير مباشر. ومِن حُسن الحظ أن د. محمد شحرور نفسه يقول: "ووصف بليني الكبير لتلك الحضارة بأنها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أخرى كأنه ترجمة لمنطوق الآية الكريمة "الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ" (الفجر 8)"[4789]. ونحن نقول له: بليني الكبير عاش في القرن الأول الميلادي. أما القرآن فظهر في القرن السابع الميلادي. فكيف يكون وصفُ بليني الكبير لتلك الحضارة ترجمةً للقرآن؟! العكس هو الصحيح: وصفُ القرآنِ لحضارة عاد/إرَم هو الترجمة لوصف بليني الكبير لحضارة وبار/عُبار. أو بعبارة أكثر دقة: وصفُ القرآنِ لحضارة عاد/إرَم مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لوصف بليني الكبير لحضارة وبار/عُبار. أما النبي المزعوم "هود" فهو محض خيال خارج التاريخ ومنفصل عن الجغرافيا. "ولا يوجد ذكر للنبي هود خارج القرآن"! فلا يوجد أي إعجاز تاريخي في القرآن. وإنما يوجد عجز تاريخي يثبت أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله.

أما الباحث التونسي د. سامي عامري صاحب الكتاب الشهير "الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي – شبهات وردود"، فلم يردد مزاعم د. محمد شحرور وأمثاله، إلا أنه لم يعطنا دليلاً أركيولوجياً واحداً يثبت أن قصة هود القرآنية قصة حقيقية تاريخية! ثم ختم دفاعَه الهزيل (تسع صفحات فقط!) عن قصة هود القرآنية بقوله: "ليس في أخبار هود -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة، خاصة مع جهلنا بعصره، وعلمنا بما لحق قومه من عذاب أبادهم. ليس في خبر القرآن عن هود -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة"[4790]!

ونحن نقول له رداً على جملته الأولى: بما أنه مطلوبٌ منا أن نؤمن بكل كلمة في القرآن وإلا سنُحْرَق في نار جهنم إلى الأبد، فمن أبسط حقوقنا إذن أن نتساءل عن آثار هود في الكشوف الأركيولوجيّة! أما جملته الثانية، فالرد عليها أسهل، فهي تنطبق على كل المؤلفات الأدبية الخيالية التي "ليس فيها ما يُخالف حقيقة تاريخيّة"، ولا تعني أن ما قاله القرآنُ عن هود صحيح تاريخياً، وإنما قصة هود القرآنية ليست لها أية علاقة بالتاريخ أصلاً. ونحن نختلف معه أيضاً في التذرع بذريعة هلاك عاد ودمار بناياتها لتبرير عدم وجود أي أثر تاريخي للنبي هود المذكور في القرآن. ودليلنا هو القرآن نفسه الذي يقول إن طائفة من العاديين آمنوا بهود ولم يهلكوا. فلماذا لم يترك هؤلاء العاديين المؤمنين أثراً تاريخياً واحداً يسجل "انتصار" هذا النبي المزعوم هود على العاديين الكافرين أو حتى يشير من قريب أو من بعيد إلى شخصٍ اسمه "هود"؟! ثم إن الأحقاف – بفرض أنها مكان معين وهو التفسير السائد لـ "وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ" (الأحقاف 21) – تقع في بلاد الجزيرة العربية، باعتراف د. سامي عامري نفسه في كتابه، إذ يقول تعليقاً على "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ" (الفجر 6-8): "وحاصل ما سبق أنّ قوم

عادٍ أو بعضهم كانوا أقوياء أو أهلَ رحلةٍ أو شيّدوا أَعْمِدةً. وأقصى ما يُقال فيما سبق من الناحية الأركيولوجيّة أنّه كانت لعادٍ بناياتٌ ذاتُ أعمدةٍ عاليةٍ. وهي مَعْلَمٌ مبنيٌّ من الممكن رصدُه في الحفريّات، لكنّ ذلك يبقى رهينَ الكشفِ عن منطقة سكَنِهم في بلاد الجزيرة العربية الرمليّة التي لم تَمَسَّها يد البحث الأركيولوجيّ إلا قليلاً"[4791]. ولذلك فإننا نطالب دول اليمن وعُمان والسعودية والإمارات والأردن بالتنقيب عن آثار عاد وهود في أراضيها بقيادة علماء آثار مشهورين ومحترفين وليسوا هواة. مع علمنا المسبق ويقيننا أنهم لن يجدوا أي أثر تاريخي لهود. لأن قصة هود القرآنية مجرد أسطورة من أساطير القرآن.

وإنه لمن الطريف أن العلماء قد وجدوا في صحراء جزيرة العرب آثاراً لحيواناتٍ لا تعيش في الصحاري! يقول د. سامي عامري: "والبحث الكشفيّ يشهد اليوم أنّ جزيرة العرب كانت أنهاراً وحدائق من خلال صور الأقمار الاصطناعية الكاشفة عن أنهارٍ وبحيرات كثيرةٍ قديمة جافّةٍ، بالإضافة إلى العثور على بقايا حيوانات لا تعيش إلا في الأراضي الخصبة لا الصحاري"[4792]. ويقول "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل": "وجدت بعض النقوشِ في بَعض المعابدِ القديمةِ قريباً من حضرموت، تصور بعض الحيوانات مثل الأسود التي لا تعيش في المناطق الصحراوية البتة، وكذلك الجاموس -كما هو الحال في الصورة المرفقة-، وهو لجاموس برّي، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن المنطقة كانت جنات كما جاء في القرآن الكريم"[4793]. يعني: توجد آثار تدل على الوجود التاريخي للأسود والجاموس البري في منطقةٍ قريبةٍ من الأحقاف (بفرض أنها في جنوب الجزيرة العربية)، بينما لا يوجد أثر واحد في نفس المنطقة الجغرافية يدل على الوجود التاريخي للنبي المزعوم هود! ألا يكفي هذا كدليل على أن قصة هود القرآنية مجرد أسطورة من أساطير القرآن.

إذن: عاد مجرد أسطورة (mythical nation) والموضوع كله مجرد حواديت وأخبار غير موثقة كانت شائعة ومعروفة عند العرب الجاهليين قبل الإسلام؛ ربما نقلاً عن الروم بطريق مباشر أو غير مباشر. والقرآن نفسه يؤكد اتصال العرب بالروم، بدليل سورة "الروم" التي ذكرت هلاك الأمم والحضارات الزراعية السابقة (الروم 9-10، 42). وبالتالي، فإن ذِكْر عاد في القرآن أمر طبيعي، مثله مثل ذكرها في الشعر الجاهلي. ومن ثم، فإن كتابة قصة عاد في القرآن وعدم وجودها في الكتاب المقدس ليس دليلاً على نظرية الوحي التي تدعي دون أي دليل أن القرآن موحى به من الله.

وكذلك لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن "هود" شخص حقيقي تاريخي ظهر في عاد ولا في أي قبيلة أخرى. وبما أن القرآن قد استخدم الاسمَ "هود" والفعلَ "هاد" عدة مرات للإشارة إلى اليهود كجماعة كما قلنا فيما سبق، فيبدو لنا إذن أن "هود" ليس شخصاً حقيقياً تاريخياً، وإنما "هود" مجرد شخصية رمزية (allegorical figure) للإنسان المؤمن الموحِّد أو الذي يهدي الناس إلى التوحيد؛ بعد موسى طبعاً وليس قبل موسى كما زعم القرآن. ولقد قال د. محمد شحرور: "هود تسمية عربية مشتقة من الجذر العربي هاد. فهو هائد أي تائب وراجع إلى الله. أو من هدى فهو المهدي والهادي. ولا يوجد ذكر للنبي هود خارج القرآن الكريم"[4794]. وقال د. جواد علي إن المستشرقين "ذهبوا إلى أن هوداً لم يكن اسم رجل، وإنما هو اسم جماعة

من اليهود هاجرت إلى بلاد العرب، وأقامت في الأحقاف، وحاولت تهويد الوثنيين، وعرفوا بيهوذا، ومنها جاءت كلمة (هود)، وانها استعملت من باب التجوز علماً لشخص"[4795].

ولمزيد من المعلومات، راجِع الأبحاث التي قام بها العالِمُ الدكتور "رأفت عماري" (رحمه الله) عن "خرافة" هود وعاد والأخطاء التاريخية "الطفولية" "الوخيمة" في القرآن تحت عنوان "قبيلة عاد في القرآن والتاريخ"[4796]. فنحن نتفق 100% مع الدكتور "رأفت عماري" حين يقول إن القرآن يعاني من "فوضى كبيرة جداً" في التسلسل التاريخي "تجعل الدفاع عن القرآن قضية مستحيلة"[4797]! وطبعاً هذه الفوضى الكبيرة في القرآن أدت - كالعادة - إلى حيرة وفوضى أكبر منها في كتب التراث الإسلامي ككتب تفسير القرآن والأحاديث والسيرة والكتب التي تُسمَّى كتب "تاريخ" مع أنها في الواقع مجرد حواديت وبعيدة جداً عن التاريخ القديم. ولذلك فإننا نتفق أيضاً 100% مع د. جواد علي حين يقول[4798]:

> لقد تحدث أهل الأخبار عن عاد وثمود وطَسْم وجديس وجُرْهُم وغيرهم من الأمم البائدة، وتكلموا على المباني (العادية) وعن جن سليمان وأسلحة سليمان، ورووا شعراً ونثراً نسبوه إلى الأمم المذكورة وإلى التبابعة، [...]. ورووا أشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل.
>
> ولكن هل يمكن الاطمئنان إلى قصص كهذا يرجع أهلُ الأخبار زمانَه إلى مئات من السنين قبل الإسلام، وإلى أكثر من ذلك، ونحن نعلم، بتجاربنا معهم، أن ذاكرتهم اختلفت في أمور وقعت قبيل الإسلام، واضطربت في تذكر حوادث حدثت في السنين الأولى من الإسلام. كيف يمكننا الاطمئنان إلى ما ذكروه عن التبابعة وعن أناس زعموا أنهم عاشوا دهراً طويلاً قبل الإسلام، ونحن نعلم من كتابات المسند ومن المؤلفات اليونانية والسريانية، أنهم لم يكونوا على ما ذكروه عنهم، وأنهم عاشوا في أيام لم تبعد بعداً كبيراً عن الإسلام، وأنهم كانوا يكتبون بالمسند وبلسان يختلف عن هذا اللسان الذي نزل به القرآن. ثم خذ ما ذكروه عن حملة (أبرهة) على مكة وعن أبرهة نفسه، وعن (أبي رغال)، وعن حادث نجران وذي نواس، وعن خراب سد مأرب، وعن أمثال ذلك من حوادث وأشخاص سيرد الكلام عليها في أجزاء هذا الكتاب، تجد أن ما ذكروه عنها وعنهم يتحدث بجلاء وبكل وضوح عن جهل بالواقع وعن عدم فهم لما وقع، وعن عدم ادراك للزمان والمكان، وعن عدم معرفة بالأشخاص. فرفعوا تورايخ بعض تلك الحوادث إلى مئات من السنين، وخلطوا في بعض منها، وفي كل ذلك دلالة على أن ما حفظته الذاكرة، لم يكن نقياً خالصاً من الشوائب، وأن الذاكرة لا يمكن أن تحافظ على ما تحفظه أمداً طويلاً وأن آفات النسيان وتلاعب الزمان بالحفظ لا بد أن يغير من طبائع المحفوظ.

في ضوء ما سبق، نرى أنه ليس أمام المسلمين وسيلة لكي يثبتوا أن هود وصالح وشعيب شخصيات حقيقية تاريخية إلا أن يأتونا بدليل مادي قاطع يدل على أن عاد كانت موجودة فعلاً وأن هلاك عاد وثمود كان بسبب تكذيبهما للنبيين هود وصالح قبل 2100-1800 سنة ق.م أو حتى قبل الزمان الذى يُفترض أن موسى

قد عاش فيه؛ أي: قبل القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد. وكذلك بالنسبة لشعيب. على المسلمين أن يقوموا بأبحاث أثرية جادة في المناطق العربية التي يُفْتَرَض أن هود وصالح وشعيب عاشوا فيها قبل القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد ويعطونا دليلاً مادياً واحداً يثبت وجودهم التاريخي. وإلى أن يأتي المسلمون بهذه الأدلة، نعتقد أنه مِن حقنا أن نقول إن هود وصالح وشعيب المذكورين في القرآن ليسوا مِن الشخصيات الحقيقية التاريخية، ويحق لنا أيضاً أن نقول إن القرآن بصفة عامة – و (غافر 31) (إبراهيم 8-9) (يونس 74-75) (الأعراف 103) (القصص 43) بصفة خاصة – كلام بشر 100% وليس كلام الله.

4.19.10 الخلاصة

مما سبق يمكن استنتاج ما يلي:

استلهم أصحابُ القرآن قصتي نوح ولوط من سفر التكوين في التوراة وأدخلوا عليها بعض التغييرات الضرورية (mutatis mutandis) مثل دعوة نوح قومه إلى عبادة الله الواحد وسخريتهم منه؛ وهذا لكي يستطيع أصحاب القرآن أن يربطوا بين أحداث هاتين القصتين وبين الواقع الذي كان يعيشه محمد والمسلمون الأوائل في مكة قبل الهجرة.

مِن قصتي نوح ولوط (بعد التعديل) ومِن واقع حياة محمد في مكة قبل الهجرة ومِن بعض القصص الشعبية المتوارثة حول اختفاء قبيلتي عاد وثمود من الوجود (أو امتزاجهما مع قبائل عربية أخرى)، استطاع أصحابُ القرآن تأليف قصتين جديدتين، هما: قصة هود مع قومه عاد وقصة صالح مع قومه ثمود. وهما أيضاً قصتان متشابهتان عن نبيين عربيين مع قومهما من العرب (مثل محمد مع أهل مكة). وكذلك بالنسبة للنبي العربي الثالث شعيب مع قومه أصحاب مدين ومع أصحاب الأيكة (لأيكة). وأثناء تأليف تلك القصص الثلاث، أخذ أصحابُ القرآن عناصر من الشعر الجاهلي ومن التراث اليهودي-المسيحي[4799]؛ أي: طوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development).

تكرار هذه القصص المتشابهة في القرآن مع استخدام تقريباً نفس الأفكار وأحياناً نفس العبارات والكلمات، وذكر هذه القصص في عدة سور على شكل سلسلة تتكون مِن قصة تلو الأخرى يساعد أصحاب القرآن في زعمهم أن الإسلام الذي جاء به محمد ما هو إلا امتداد طبيعي لما جاء به الأنبياء والرسل من قبله، وأن حال محمد مع كفار مكة يشبه حال الأنبياء والرسل مِن قبله كلٌ مع قومه. ومِن ثم فعليه أن "يصبر" كما صبر الأنبياء والرسل من قبله. "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ [يا محمد] فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ" (الأنعام 34). أو كما تقول نهاية سورة هود بكل وضوح: "وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (هود 115) "وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ" (هود 120).

توجد مفارقات تاريخية بل أخطاء تاريخية كثيرة وكبيرة في قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة في القرآن. تؤكد تلك المفارقات والأخطاء أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله نهائياً. بل ليس من المبالغة أن نقول إنه لا توجد أية علاقة بين القرآن والله. فالكتاب الذي يخطئ كل الأخطاء التاريخية التي وضحناها لا يمكن أن يكون على صواب حين يتحدث عن التفاصيل الدقيقة لمصيرنا الأبدي.

فلا يمكن أبداً أن نعتبر قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة في القرآن قصص تاريخية حقيقية، وإنما هي مجرد قصص أدبية دينية/سياسية هدفها هو نشر العقائد الإسلامية بين العرب وتثبيت محمد والمسلمين الأوائل وتخويف خصومهم الكفار والمنافقين وتهديدهم وإرهابهم.

وخير ما نختم به دراستنا هو النصيحة الغالية التي وجهها د. رأفت عماري (رحمه الله) لأحبائنا المسلمين: "ليس من الحكمة التمسك في كتاب مثل القرآن الذي فيه أخطاء تاريخية أصفها بأنها صارخة والتي قبلتها مجموعات ساذجة وجاهلة مثل الأوس والخزرج الذين كانوا على مستوى من الجهل لدرجة أنهم لم يكونوا يستطيعوا أن يفندوا أقوال محمد غير التاريخية هذه التي نحن الآن يستعفي طالب في الإبتدائي أن يقبلها. فقبلتها مجموعة بدون ثقافة تاريخية البتة. ولكن من الخطورة - أنا أخاطب الإخوة المسلمين - أن يربطوا مصيرهم الأبدي بهذا الكتاب (يقصد: القرآن) الذي عنده مثل تلك الخرافات"[4800].

4.20 من أَيُّوب المتكبِّر المخْتَال الفخُور إلى أَيُّوب النبي الصابر الخاضِع!

في ست آيات فقط من النثر المسجوع (rhymed prose)، يحدِّثنا القرآنُ عن نبي اسمه "أيوب" (Job) مسَّه ضُرٌّ فصبر ونادى ربَّه وتضرع إليه فاستجاب اللهُ له ورحمه وكشف ما به من ضُرٍّ! وكالعادة، يحكي القرآنُ قصةَ أيوب بدون أن يقول لنا أين عاش ولا متى عاش ولا حتى يذكر اسمَ أيوب بالكامل! فهل أيوب شخص حقيقي تاريخي؟ أم أن قصته مجرد أسطورة من أساطير القرآن ...

قال صاحب رواية سورة الأنبياء: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ (أي: سقم عظيم في جسدي، وفقدان أولادي ومالي) وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {83} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ (أي: أعطيناه أولاداً بقدر مَنْ مات من أولاده؛ وقيل: أحيا اللهُ له أولاده بعد موتهم[4801]! وقيل: جمعهم اللهُ بعد تفرقهم) وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ (أي: وزدناه مثلهم؛ مضاعفاً) رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ {84}.

وقال صاحب رواية سورة ص: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ (أي: تعب ومشقة) وَعَذَابٍ {41} [فقال اللهُ له:] ارْكُضْ بِرِجْلِكَ (أي: اضرب برِجْلِكَ الأرضَ ينبع لك منها عين ماء جارية!) ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ {42} وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ {43} وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا (أي: قبضةً أو حُزمةً صغيرة من الحشيش أو الشجر الرطب أو العصى!؛ غُصْناً من الشجرة فيه عدةُ فروعٍ صغيرة) فَاضْرِب بِّهِ [امرأتَك بلا قسوة] وَلَا تَحْنَثْ (أي: إبراراً بيمينك فقط؛ إذ كان قد غضب على امرأته بسبب ذنبٍ جَنَتْه أو أمرٍ ما غير معروف أثناء مرضه فأقسم ليضربنَّها مائة جلدة إذا شفاه اللهُ! فرخص اللهُ له أن يأخذ حزمة صغيرة وبها مائة عود ثم يضرب بها امرأتَه ضربةً واحدة خفيفة، وبذلك يكون قد جمع بين الوفاء بيمينه وبين الرحمة بامرأته!) ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا [على البلاء الذي ابتليناه به] ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (أي: رجَّاع إلى الله في كل الأمور؛ رجَّاع إلى الله بالاستغفار والتوبة) {44}.

نلاحظ هنا ملاحظتين هامتين:

- يوجد تكرار واضح بين الآيات في الروايتين القرآنيتين لقصة أيوب. ألم يكن من الأفضل دمج الروايتين في رواية واحدة كما يلي: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ يا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِضُرٍّ ونُصْبٍ وَعَذَابٍ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ. وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ولِأُولِي الْأَلْبَابِ. وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ"؟

- على الرغم من وجود تكرار في كثير من التفاصيل، توجد اختلافات بين الروايتين القرآنيتين في تفاصيل أخرى! فلقد انفرد صاحبُ رواية سورة ص بأن ذكر الشَّيْطَانَ صراحةً: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" (ص 41)، وألمح إلى امرأة أيوب: "وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ [امرأتَك!]" (ص 44)، لكنه لم يذكر صراحةً شفاءَ أيوب من مرضه! بخلاف صاحب رواية سورة الأنبياء الذي فعل العكس تماماً: لم يذكر الشيطانَ ولا امرأة أيوب، لكنه ذكر صراحةً شفاءَ أيوب من مرضه:

"فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ" (الأنبياء 84)! ويوضح الجدول التالي أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين رواية سورة الأنبياء ورواية سورة ص لقصة أيوب.

جدول 24 – قصة أيوب القرآنية: مقارنة بين رواية سورة الأنبياء ورواية سورة ص

وجه المقارنة	(الأنبياء 83-84)	(ص 41-44)
هل وُصِفَ أيوب بعبارة "عبد" الله؟	لا	عَبْدَنَا أَيُّوبَ {41} [...] نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ {44}
ماذا قال أيوب حين "نَادَىٰ رَبَّهُ"؟	نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {83}	نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ {41}
هل ذُكِرَت امرأةُ أيوب؟	غير مذكورة	ذُكِرَت تلميحاً فقط: وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ [امرأتك] وَلَا تَحْنَثْ {44}
هل ذُكِرَ صبرُ أيوب؟	غير مذكور!	إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا {44}
رحمة الله	وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {83} [...] رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا {84}	رَحْمَةً مِّنَّا {43}
هل ذُكِرَ الماءُ؟	غير مذكور	هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ {42}
هل ذُكِرَ شفاءُ أيوب؟	فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ {84}	ذُكِرَ تلميحاً فقط: هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ [ليكشف عنكَ الضُّرَّ] {42}
استرداد أيوب لأهله	وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ {84}	وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ {43}
ذِكْرَىٰ لمن؟	ذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ {84}	ذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ {43}

أهمية الجدول السابق هي أنه يثبت أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله. "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[4802]. ويثبت أيضاً أن القرآن ثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر من شخص. صاحب رواية سورة ص ليس هو نفسه صاحب رواية سورة الأنبياء. والصفحات التالية ستثبت أن صاحب رواية سورة ص كان على دراية جيدة جداً بما قيل عن أيوب في الكتاب المقدس وبخاصة في سفر أيوب وكذلك بما قيل عنه في التراث اليهودي-المسيحي.

4.20.1 مصادر القرآن من سفر أيوب ومن التراث اليهودي-المسيحي

جاء ذِكْرُ قصة "أيوب" (Job) في الكتاب المقدس في أحد أسفار الحكمة (Wisdom Literature) وهو سفر أيوب (42 إصحاح). يقول قاموس الكتاب المقدس: "وقد قال بعض النقاد بأن أجزاء من سفر أيوب مثل المقدمة [النثرية (أيوب 1-2)] والخاتمة [النثرية (أيوب 42:7-17)] ترجع إلى مصادر قديمة. كما قال آخرون إن هناك أجزاء أدخلت إلى السفر بعد كتابته. ولكنَّ من يدرس السفر درساً مدققاً ويسير مع اتساق الحوار وتسلسله وسير الفكر المنطقي فيه يقتنع بوحدة السفر، وأن الاتجاه إلى قبول وحدته أقوى كثيراً من الاتجاه إلى تجزئته. [...] ولا يمكن تعيين تاريخ كتابة السفر على وجه التحقيق. وقد ظنّ بعض النقاد أنه كُتِبَ في عصر إرميا (أي: أواخر القرن السابع أو أوائل القرن السادس قبل الميلاد). وظنّ آخرون أنه كُتِبَ بعد السبي بسبب الصراع الواضح فيه بشأن الثواب والعقاب. أما لغة السفر ففيها بعض من مؤثرات آرامية أو عربية آرامية، وربما تشير إلى تاريخ متأخّر لكتابة السفر. ومع أن بعض العلماء يقولون إنه كُتِبَ حالاً بعد السبي إلا أن غيرهم يظنون أنه كُتِبَ في القرن الرابع قبل الميلاد تقريباً. كما أن هناك علماء يعتقدون أنه بما أن البيئة والظروف التي يتحدث عنها السفر تشبه البيئة والظروف التي عاش فيها الآباء الأولون، فلذلك يحتمل أنه يرجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد"[(4803)]!

وعلى الرغم مِن أننا لا نعلم مَن كتب (أو: مَن كتبوا) سفرَ أيوب، وعلى الرغم من الآراء المتعلقة بتاريخ كتابته متعددة ومتضاربة ومختلفة جداً في مئات السنين (من الألف الثانية قبل الميلاد إلى القرن الرابع قبل الميلاد!)، إلا أن هذا لا يقلل من أهمية هذا السفر الذي يحاول مناقشة مشكلة من أهم المشكلات التي ما زالت تشغل بال الإنسان إلى يومنا هذا وهي مشكلة الألم أو المعاناة (Problem of suffering) وبصفة خاصة مشكلة تألم ومعاناة الإنسان البار (The godly sufferer) أو (The righteous sufferer).

لماذا يتألم البار؟! هذا هو السؤال الجوهري الذي يحاول سفرُ أيوب أن يناقشه وربما يجيب عليه.

وأيوب هنا مثال لرجل مؤمن بار كان "كَامِلاً وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرّ" (أيوب 1:1) حتى أن الرب نفسه يشهد مرتين أن أيوب "لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرّ" (أيوب 1:8، 2:3). ولكن على الرغم من كل ذلك، سمح الله بمعاناة أيوب وتألمه بسبب المرض وفقدان المال والبنين! فإذا كان بإمكاننا أن نتفهم تألم ومعاناة الإنسان العاصي كعقاب له على خطاياه حسب قانون "الثواب والعقاب" الذي يُسمَّى أيضاً "المجازاة العادلة" (Just retribution) (Retributive justice) ويتلخص في أن الإنسان يحصد ما يزرعه (أيوب 4:7-9) فالدمار للأشرار والسعادة للأبرار (أيوب 8:11-22)، فلماذا وكيف يسمح اللهُ بتألم ومعاناة الإنسان البار الذي "يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرّ"؟! هل مشكلة الألم سببها الشيطان أم الله؟ فإذا كان الشيطان، فلماذا يسمح له اللهُ؟ وإذا كان الله هو سبب المشكلة، فكيف نلجأ إليه باحثين عن الحل؟! وإذا قلنا إن اللهَ *لا يستطيع* إزالة الألم عن الإنسان البار، يصبح اللهُ عاجزاً وغير قادر!

وفي المقابل، إذا قلنا إن الله يستطيع إزالة الألم عن الإنسان البار لكنه لا يريد إزالته، يصبح اللهُ ظالماً وغير عادل وغير حكيم وغير صالح، بل غير بار! في كلا الاحتمالين، لدينا مشكلة كبيرة في فَهْم العلاقة بين طبيعة الله وطبيعة البشر وفي مسألة استحقاق أو عدم استحقاق الإنسان للمعاناة التي يتعرض لها. كيف يمكن التوفيق بين تألم ومعاناة الإنسان البار (innocent suffering) من ناحية وقدرة الله (omnipotence) وعدله (justice) من ناحيةٍ أخرى؟ وكيف يمكن أن نثق في الله إذا سمح بتألم ومعاناة عباده المؤمنين الأبرار؟ بل كيف نعبده كإلهٍ؟!

وهذه الأسئلة المهمة تقودنا حتماً إلى سؤالٍ آخر أكبر أهمية وأكثر عمقاً وهو: كيف يمكن التوفيق بين وجود الشر (evil) من ناحية وقدرة الله وصلاحه من ناحيةٍ أخرى؟ "وهو موضوع الثيوديسية [theodicy] أو علاقة الله بالشر الذي يحصل في هذا العالم، ومسؤوليته أو عدم مسؤوليته عن خلق أو تسبيب أو إيقاف أو منع أو القضاء على ذلك الشر، أو بكلمات أخرى، التحقيق في عدالة الإله. فالثيوديسية هي محاولة للتوفيق بين الإيمان بالعدالة الإلهية من جهة، ووجود الشر والمعاناة في العالم من جهة ثانية، أي محاولة الدفاع عن عدالة الله وقدرته في عالم مليء بالشر والمعاناة"[4804].

ويمكن الرجوع إلى تفاسير سفر أيوب لمزيد من المعلومات عن قصته المؤثرة[4805][4806].

وعلى الرغم من أن قصة أيوب القرآنية بروايتيها المختلفتين لم تعالج تلك الأسئلة المهمة التي يثيرها سفرُ أيوب، إلا أن القصة القرآنية – وبصفة خاصة رواية سورة ص – هي مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لِمَا قيل عن أيوب في سفر أيوب وفي التراث اليهودي وفي التراث المسيحي (السرياني بصفة خاصة). والصفحات التالية ستثبت ذلك بالأدلة الحاسمة ...

4.20.1.1 "عَبْدَنَا أَيُّوب" (ص 41) ... "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ" (ص 44)

يقول الرأي السائد في كتب التراث اليهودي إن أيوب كان أممياً (gentile)، أي ليس من بني إسرائيل؛ وكان يتحلى بصفات إيجابية تستحق المدح[4807]. وحسب سفر أيوب، كان أَيُّوبُ يعيش "فِي أَرْضِ عَوْصَ (Uz)" (أيوب 1:1) وهي منطقة كبيرة تقع شرق وادي الأردن وكانت تضم أدوم (Edom) في الجنوب وآرام (Aram) في الشمال؛ ولا يهمنا كثيراً تحديد المكان بدقة وإنما المهم: كان أَيُّوبُ يعيش في مكانٍ شرقي خارج حدود إسرائيل/فلسطين. وكان أيوب "أَعْظَمَ كُلِّ بَنِي الْمَشْرِقِ" (أيوب 3:1)، فلقد أنعم الربُّ عليه بزينة الحياة الدنيا المال والبنين ...

أيوب في جنته الشرقية. **(أيوب 1):** {1} كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عَوْصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هذَا الرَّجُلُ كَامِلًا[4808] وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي (أي: يخاف) اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ **[⟵ "نِّعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44)]**. {2} وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ. {3} وَكَانَتْ مَوَاشِيهِ سَبْعَةَ آلاَفٍ مِنَ الْغَنَمِ، وَثَلاَثَةَ آلاَفِ جَمَلٍ، وَخَمْسَ مِئَةِ فَدَّانِ بَقَرٍ

(أي: 500 زَوْجٍ من البقر)، وَخَمْسَ مِئَةِ أَتَانٍ، وَخَدَمُهُ كَثِيرِينَ جِدًّا. فَكَانَ هذَا الرَّجُلُ أَعْظَمَ كُلِّ بَنِي الْمَشْرِقِ. {4} وَكَانَ بَنُوهُ يَذْهَبُونَ وَيَعْمَلُونَ وَلِيمَةً فِي بَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمِهِ (أي: في دوره بحسب أيام الأسبوع فلقد كانوا سبعة بنين؛ أو: في مناسبة خاصة كعيد ميلاده)، وَيُرْسِلُونَ وَيَسْتَدْعُونَ أَخَوَاتِهِمِ الثَّلاَثَ لِيَأْكُلْنَ وَيَشْرَبْنَ مَعَهُمْ[4809]. {5} وَكَانَ لَمَّا دَارَتْ أَيَّامُ الْوَلِيمَةِ (أي: في نهاية كل أسبوع؛ أو: في نهاية الوليمة التي قد تستمر لمدة أسبوع)، أَنَّ أَيُّوبَ أَرْسَلَ فَقَدَّسَهُمْ، وَبَكَّرَ فِي الْغَدِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ (burnt offerings) عَلَى عَدَدِهِمْ كُلِّهِمْ، لأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: «رُبَّمَا أَخْطَأَ بَنِيَّ وَجَدَّفُوا عَلَى اللهِ (حرفياً: باركوا الله؛ فهي تورية euphemism والمقصود هو ما جاء في الترجمة: جَدَّفُوا عَلَى اللهِ blasphemed God، لعنوا الله cursed God) فِي قُلُوبِهِمْ (أي: سهواً بدون قصد؛ ولو بالفكر فقط دون اللسان والجوارح) [أثناء أفراحهم ومباهجهم][4810]». هكَذَا كَانَ أَيُّوبُ يَفْعَلُ كُلَّ الأَيَّامِ (أي: كان كاهناً لعائلته) **[← بالغ التراث المسيحي في أهمية أيوب إلى درجة أن جعله رمزاً للمسيح يسوع، فهو أيضاً بار متألم صبر حتى انتصر على الشيطان بقوة الله[4811]. كما زعم التراث المسيحي أن أيوب من نسل عيسو (Esau) أخي يعقوب (إسرائيل)، واستدلوا على ذلك بآيات دخيلة أضافتها الترجمة السبعينية (اليونانية) إلى نهاية (أيوب 42) تزعم أن أيوب (Iob) كان اسمه "يوباب" (Iobab) وهو "يُوبَابُ بْنُ زَارَحَ" (التكوين 33:36) بن رعوئيل بن عيسو (التكوين 10:36-13، 17) (1 أخبار الأيام 1:35-37، 44)[4812]، ربما للتأكيد على أن أيوب ليس من بني إسرائيل[4813] ← استمر مسلسل تعظيم أيوب حتى جعله القرآنُ نبياً ووضع اسمَه في القرآن بعد المسيح عيسى مباشرةً! "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (النساء 163)؛ (الأنعام 84). ولعل أصحاب القرآن قد زعموا أن أيوب نبي لأن هذا الزعم يساعدهم على التأكيد على أن النبوة ليست محصورة في بني إسرائيل، ومن ثم يساعدهم على إدعاء نبوة محمد ابن إسماعيل أخي إسحاق: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ [يا محمد] كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ [...] أَيُّوبَ" (النساء 163)]**.

الامتحان الأول لأيوب (أيوب 1:6-22) هو خسارة الثروة وفقدان الأبناء والبنات. يقوم الشيطانُ (the Satan)[4814] هنا بدور المشتكي أو المُتهِم (accuser) الذي يَتَّهِم أيوب أمام الرب (يهوه).

(أيوب 1): {6} وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ (أي: الملائكةُ؛ الأرواح الخادمة لله) لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ. {7} فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «مِنْ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا». {8} فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ (أي: انتباهَكَ؛ تركيزَكَ) عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ **[← "عَبْدَنَا أَيُّوبَ" (ص 41)]**؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ **[← "نِّعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44)]**». {9} فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «هَلْ مَجَّانًا (for nought) يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ {10} أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الأَرْضِ. {11} وَلكِنِ ابْسِطْ يَدَكَ الآنَ وَمَسَّ (touch)

كُلَّ مَا لَهُ [← "مَسَّنِيَ" (ص 41) (الأنبياء 83)]، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ (حرفياً: يباركك؛ فهي تورية euphemism والمقصود هو ما جاء في الترجمة: يُجَدِّفُ عَلَيْكَ blaspheme You، يلعنك curse You)».

ونلاحظ من مقدمة القصة (أيوب 1:6-11) أن الشيطان لم يكن عدواً لأيوب بالمعنى الحرفي لكلمة "عدو". فالله - وليس الشيطان - هو الذي ذكر أيوبَ أولاً (أيوب 1:8)؛ أي أن الله هو الذي بادر بالحديث الذي قاد إلى تجربة أيوب. وإنما أراد الشيطانُ أن يتحدى اللهَ في شخص أيوب. ولذلك فإننا نتفق مع الرأي الذي يقول "إن الشيطان المذكور في مقدمة القصة، الذي تحدى الله من جهة أيوب، يوصف في القصة ببراعة، ليس على أنه المجرّب الخبيث المعادي للجنس البشري، بل على أنه روح من التشكيك الصفيق الذي يقيس كل شيء بمقياس المنفعة الشخصية. [...] ويحاول إثبات أن كمال أيوب إنما هو صفقة رابحة، فهو يدفع لأنه يربح ويستثمر، واضعاً المكافأة نصب عينيه. وكان هذا في الواقع اتهاماً لكل من الله والطبيعة البشرية. فمن جهة الله، يربط بشدة بين البر والكسب. ومن ناحية الطبيعة البشرية، ينكر وجود شيء اسمه الفضيلة في الإنسان، فالشيطان يهاجم بشدة أيوب الذي يمثل الفضيلة الإنسانية، ويتحدى الله نفسه الذي يقبل هذا التحدي"[(4815)]. "ومن الملفت للنظر هنا أن تحدي الشيطان لله يتبنَّى المفهوم التقليدي للحكمة، مفهوم الثواب والعقاب (المجازاة) [...] ولكنه يطرحه بطريقة عكسية، فإذا كان الله يكافئ مَن يتقونه، فإن أيوب يتقي اللهَ نتيجة لتلك المكافأة وطمعاً فيها. [...] فالسؤال المطروح في العمق ["هَلْ مَجَّانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟" (أيوب 1:9)] هو عمَّا إذا كانت المحبة التي تجمع بين الله والناس هي محبة مشروطة أم غير مشروطة"[(4816)].

كان بمقدور الرب أن يسحق الشيطان، ولكن ليس هذا أسلوب الله، فالله لا يقمع معارضيه. ولكن لا يمكن أيضاً تجاهل ما قاله الشيطان في حق أيوب. فما قاله الشيطان في منتهى الخطورة لأنه يعني أن بِرّ أيوب هو في الواقع مجرد خدعة بل شر محض، لأنه رهنٌ (أي: مشروط؛ contingent) بما يأتيه من الله. فحسب كلام الشيطان: أيوب لا يهتم إلا بذاته فهو بار، أو بالأحرى يتظاهر بِالْبِرّ، فقط لأن الأمر مفيد له؛ "وأن هذه هي أيضاً الحقيقة الكامنة وراء سلوك جميع الأتقياء. لو كان [الشيطانُ] صادقاً، ولو تمكن من إثبات أن صلاح الذين يسر بهم اللهُ ما هو إلا شر، فستنشأ هوة لا تُعْبَر من الانفصال (a chasm of alienation that cannot be bridged) بين الله والبشر. وحينئذٍ يكون حتى فداء الإنسان غير وارد لأن أشدهم صلاحاً سيظهرون أنهم أشرار في الحقيقة. وسيظهر نظام الخليقة الإلهي وكأنه قد تصدع بالكامل، ولا يمكن لله إلا أن يتخلص منه بدينونة وقضاء رهيب. بمجرد أن يُثار الاتهام لا يمكن أن يتم تجاهله لينتهي الأمر، ولا يمكن إسكاته أيضاً، ولا حتى بتدمير المشتكي (أي: الشيطان) [...]"[(4817)].

فلا بد من حل ثالث. الحل هو أن يسمح الرَّبُّ للشيطان بأن يجعل أيوبَ يفقد "كُلَّ مَا لَهُ" أي: ثروته وأبنائه وبناته في يومٍ واحد، بل في ساعةٍ واحدة! **(أيوب 1):** {12} فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ

فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ (أي: لا تصيبه هو شخصياً بأي شيء؛ مما يؤكد أن الشيطان يعمل تحت سلطان الله (ضابط الكل) ويظل دائماً مقيداً في حدود معينة)». ثمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ.

"يستقبل أيوب وبشكل متتالٍ أربعة رسل يحملون أخبار أربع كوارث متصاعدة في قيمتها وصعوبتها، أصابت أيوبَ وكُلَّ ما يملك (أيوب 1:14-19). وإنّ الرقم أربعة يشمل كل جهات الأرض، ويؤكد تكامل خسارة أيوب، حيث إنَّ الإصابة بأربع ضربات في الأدب القديم (كما في أسطورة جلجامش مثلاً) تشير إلى الدمار التام والكامل. وتلك الضربات الأربع التي تصيب ممتلكات أيوب يسببها الإنسان (السَّبَئِيُّون والْكَلْدَانِيُّون)، كما تسببها الطبيعة (النار والريح) كما هو الحال مع أسباب معاناة كل إنسان"[4818]. **(أيوب 1):** {13} وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنَاتُهُ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ (أي: يحتفلون بعيد ميلاد أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ)، {14} أَنَّ رَسُولًا جَاءَ إِلَى أَيُّوبَ وَقَالَ: «الْبَقَرُ كَانَتْ تَحْرُثُ، وَالأُتُنُ تَرْعَى بِجَانِبِهَا، {15} فَسَقَطَ عَلَيْهَا السَّبَئِيُّونَ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ (بالعبرية: han·nə·‘ā·rîm (the boys; the lads) (أي: الحُرَّاسَ the attendants؛ الخَدَمَ the servants) بِحَدِّ السَّيْفِ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». {16} وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «نَارُ اللهِ (أي: البرق) سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتِ الْغَنَمَ وَالْغِلْمَانَ (the boys; the lads) وَأَكَلَتْهُمْ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». {17} وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «الْكَلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلاَثَ فِرَقٍ، فَهَجَمُوا عَلَى الْجِمَالِ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ (the boys; the lads) بِحَدِّ السَّيْفِ، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». {18} وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ، {19} وَإِذَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ عَبْرِ الْقَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايَا الْبَيْتِ الأَرْبَعَ، فَسَقَطَ عَلَى الْغِلْمَانِ (the boys; the lads) فَمَاتُوا، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ».

رد فعل أيوب. **(أيوب 1):** {20} فَقَامَ أَيُّوبُ وَمَزَّقَ جُبَّتَهُ، وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ، وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ **[← "نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (أي: رجَّاع إلى الله في كل الأمور)" (ص 44)]**، {21} وَقَالَ: «عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي (أي: والدتي؛ أو بالمعنى المجازي: عُرْيَانًا خَرَج أبونا آدم حين خُلِقَ من تراب الأرض[4819])، وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ (أي: بَطْنِ الأرض؛ تراب الأرض؛ يقصد: القبر). الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا». {22} فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ وَلَمْ يَنْسِبْ للهِ جِهَالَةً (أي: حماقة؛ wrongdoing) (يقصد: لم يعترض على حُكْمِ الله؛ لم يُجَدِّف على الله؛ لم يشك في صفات الله الحميدة كالعدل أو الحكمة أو الرحمة مثلاً) **[← "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا [على البلاء الذي ابتليناه به]" (ص 44)[4820]]**.

وهكذا نجح أيوب في الابتلاء الأول. وانتصر الربُّ على الشيطان ... أو هكذا يبدو[4821].

الامتحان الثاني لأيوب (أيوب 2:1-10) هو المرض الشديد. الشيطان يحاول مرة أخرى بنفس الطريقة ونفس الكلمات تقريباً! وهنا ينكشف هدف الشيطان الحقيقي. فأيوب قد نجح في الاختبار الأول، فلماذا يحاول الشيطان مرة ثانية؟! في المرة الأولى: الشيطان اتهم أَيُّوبَ أمام الرب؛ أما في المرة الثانية:

فالشيطان يُشكِّك في مصداقية الرب نفسه، وكأنه يقول للرب: إنك مخطئ في إصرارك على مدح أيوب، فهو شخص أناني جداً محب لذاته فقط ولا تشغله إلا صحته وراحته وسلامة جسده.

(أيوب 2): {1} وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ (أي: الملائكةُ) لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ لِيَمْثُلَ أَمَامَ الرَّبِّ. {2} فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «مِنَ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا». {3} فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ (أي: انتباهَكَ؛ تركيزَكَ) عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ **[⟵ "عَبْدَنَا أَيُّوبَ" (ص 41)]**؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ **[⟵ "نِّعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44)]**. **<u>وَإِلَى الآنَ</u>** هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ **[⟵ "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا [على البلاء الذي ابتليناه به]" (ص 44)]**، وَقَدْ هَيَّجْتَنِي عَلَيْهِ لأَبْتَلِعَهُ بِلاَ سَبَبٍ (for nought)».

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "(أيوب 2:3ب) [...] يقدم التفسير الحقيقي لمعاناة أيوب، وذلك التفسير هو أن تلك المعاناة كانت "بِلاَ سَبَبٍ". [...] وذلك التفسير "بِلاَ سَبَبٍ" يعبِّر عن انكسار قانون المجازاة (الثواب والعقاب)، وبالتالي [انكسار] المفهوم التقليدي للحكمة"[4822].

(أيوب 2): {4} فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «جِلْدٌ بِجِلْدٍ (أي: جِلْدٌ مقابل جِلْدٍ، بمعنى أن أيوب قَبِلَ أن يُجرَّد تدريجياً من كل ما يملكه حتى لا يُمسَّ في ذاته؛ أو: جِلْدٌ تحت جِلْدٍ، بمعنى أن أيوب احتمل الخسارة الخارجية السطحية في ثروته وأولاده لكنه لن يحتمل الخسارة الداخلية العميقة في نَفْسِهِ؛ أو: نَجا بِجِلدِهِ، بمعنى أنه لا خسارة بالنسبة للإنسان ما دامت نفسه في أمان)، وَكُلُّ مَا لِلإِنْسَانِ يُعْطِيهِ لأَجْلِ نَفْسِهِ (أي: فالإنسانُ يَبْذُلُ كُلَّ ما له فِدَاءَ نَفْسِهِ). {5} وَلكِنْ ابْسِطِ الآنَ يَدَكَ وَ<u>مَسَّ</u> (touch) عَظْمَهُ وَلَحْمَهُ **[⟵ "<u>مَسَّنِيَ</u>" (ص 41) (الأنبياء 83)]**، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ (حرفياً: يباركك؛ فهي تورية euphemism والمقصود هو ما جاء في الترجمة: يُجَدِّفُ عَلَيْكَ blaspheme You، يلعنك curse You)».

الرب يسمح للشيطان بأن يصيب جسدَ أيوب بالمرض، وأيوب يستسلم للأمر الواقع. **(أيوب 2):** {6} فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَا هُوَ فِي يَدِكَ، وَلكِنِ احْفَظْ نَفْسَهُ (أي: لا تقتله؛ وقيل: لا تفسد عقلَه؛ مما يؤكد أن الشيطان يعمل تحت سلطان الله (ضابط الكل) ويظل مقيداً في حدود معينة)». {7} فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ، وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ. {8} فَأَخَذَ [أَيُّوبُ] لِنَفْسِهِ شَقَفَةً (أي: كسر أواني فخارية) لِيَحْتَكَّ بِهَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي وَسْطِ الرَّمَادِ (قيل: على مكب حرق النفايات خارج بوابة المدينة حيث كان المصابون بالْبَرَص ونحوه يُستبعَدون من الجماعة). **[⟵ اتفق صاحب رواية سورة ص مع سفر أيوب في أن الشيطان هو سبب "الضرّ" الذي لحق بأيوب، لكنه جعل أيوبَ يعلم أن الشيطان هو السبب! "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ (أي: تعب ومشقة) وَعَذَابٍ" (ص 41)، بخلاف سفر أيوب الذي لم يذكر الشيطانَ إلا في حواراته مع الله (أيوب 1-2) التي لم يعلم أيوبُ عنها شيئاً[4823]. كما ترك القرآنُ طبيعةَ مرض أيوب مبهمة تماماً وغير معروفة، بخلاف سفر أيوب الذي أعطانا كثيراً من التفاصيل التي نفهم منها أنه كان أساساً مرضاً جلدياً؛ وهذا أيضاً ما قاله كثيرٌ من**

المفسرين المسلمين]. فمن ضمن أعراض مرض أيوب حسب سفر أيوب: دمامل مؤلمة ومتقرحة في بَدَنِهِ كُلِّه من قِمَّةِ رأسِه إلى أَخْمَصِ قَدَمِهِ (أيوب 2:7، 30:16-19)؛ حكاك حاد / التهاب (أيوب 2:7-8)؛ غطى لحمَه الدودُ والتراب (أيوب 7:5)؛ قروح في نَزٍّ متواصل (أيوب 7:5)؛ جِلدٌ يبلى (أيوب 13:28)؛ جفاف وتجعُّد (أيوب 19:20)؛ جِلدٌ ينزع إلى السواد (أيوب 30:30). هذا بالإضافة إلى مشاكل صحية ونفسية واجتماعية أخرى عانى منها أيوب، مثل: كآبة عظيمة جداً (أيوب 2:13)؛ فقدان الشهية (أيوب 3:24؛ 6:6-7)؛ أرق (أيوب 7:4)؛ كوابيس (أيوب 7:14)؛ رائحة فم كريهة (أيوب 19:17)؛ أسنان تتساقط (أيوب 19:20)؛ ألمٌ مبرحٌ ومتواصل (أيوب 30:17)؛ حُمَّى عنيفة (أيوب 30:30)؛ هزالٌ مخيف (أيوب 33:21)؛ ابتعاد الناس عنه، حتى امرأته وإخوته وأقاربه هجروه (أيوب 19:13-19)؛ فقدان السلطة والمركز الاجتماعي المرموق (أيوب 29:25)[4824]؛ حتى أَرَاذِل الناس صاروا يحتقرونه ويسخرون منه ويبصقون عليه (أيوب 30:1، 30:8-10، 17:6)!

وعلى الرغم من كل تلك المشاكل الصحية والنفسية والاجتماعية الكثيرة والكبيرة التي عانى منها أيوب، بالإضافة إلى فقدانه البنين والبنات والثروة والسلطة، إلا أنه ظل باراً ومتماسكاً وصابراً **إِلَى الآنَ**. وتوجد آيات أخرى في الكتاب المقدس تؤكد على بر أيوب وصبره. لكنها آيات قليلة بل قليلة جداً، إذ لم يُذْكَر أيوبُ خارج سفر أيوب إلا مرتين فقط في الأسفار المقدسة! وذُكِرَ مرة واحدة فقط في الأسفار القانونية الثانية (Deuterocanonical books) / أبوكريفا العهد القديم (Old Testament Apocrypha)!

لا يوجد في أسفار التوراة الخمسة أي ذِكر لأيوب ولا حتى أي اقتباس من سفر أيوب! وهذا أحد الأسباب التي تجعلنا **لا** نصدق أن أيوب كان معاصراً للآباء الأولين المذكورين في سفر التكوين، وطبعاً **لا** نصدق أن موسى هو كاتِب سفر أيوب. كما أننا **لا** نصدق أن سفر أيوب كُتِبَ في الألف الثانية قبل الميلاد.

خارج سفر أيوب، لم يُذْكَر اسمُ أيوب في العهد القديم كله إلا في سفر حزقيال (Ezekiel) الذي تحدَّث عن برّ أيوب. **(حزقيال 14):** {12} وَكَانَتْ إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قَائِلَةً: {13} «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ أَخْطَأَتْ إِلَيَّ أَرْضٌ وَخَانَتْ خِيَانَةً، فَمَدَدْتُ يَدِي عَلَيْهَا [لأدينها؛ لأعاقبها] وَكَسَرْتُ لَهَا قِوَامَ الْخُبْزِ (أي: مَؤُونَةَ الخبز)، وَأَرْسَلْتُ عَلَيْهَا الْجُوعَ، وَقَطَعْتُ مِنْهَا الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ، {14} وَكَانَ فِيهَا هؤُلاَءِ الرِّجَالُ [الأبرار] الثَّلاَثَةُ: نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرِّهِمْ **[⟵ "نِّعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44)]**، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. [...] {20} وَفِي وَسْطِهَا نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ[4825]، فَحَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنَّهُمْ لاَ يُخَلِّصُونَ ابْنًا وَلاَ ابْنَةً. إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرِّهِمْ **[⟵ "نِّعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44)]**.

ولم يُذْكَر اسمُ أيوب في الأسفار القانونية الثانية (أبوكريفا العهد القديم) كلها إلا في "سفر طوبيًّا" (Book of Tobias) الذي ذكر بِرَّ أيوب وصبره، لكن فقط حسب الترجمة اللاتينية (Latin Vulgate) التي يرجع تاريخُها إلى القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس الميلادي! **(طوبيا 2):** {12} وَإِنَّمَا أَذِنَ الرَّبُّ

أَنْ تَعْرِضَ لَهُ (أي: لطُوبِيَّا الأب) هذِهِ التَّجْرِبَةُ (أي: امتحانه؛ ابتلاؤه؛ وهو: إصابته بالعمى[4826]) لِتَكُونَ لِمَنْ بَعْدَهُ قُدْوَةَ صَبْرِهِ كَأَيُّوبَ الصِّدِّيقِ[4827] **[← "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44)]**.

ويجب هنا أن نؤكد على وجود تشابهات كثيرة وكبيرة بين سفر أيوب وسفر طوبيا. تقول الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم التي أصدرتها كنيسةُ مارمرقص القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة في القاهرة – مصر: "وهناك تشابه بين سفري أيوب وطوبيا يظهر فيه ما يلي: (1) كان الإثنان (أي: أيوب وطوبيا الأب) مثالاً للصبر. (2) الإصحاح الأول في كل منهما يتحدث عن شخصيته. (3) تظهر علاقة الملائكة بالبشر في السفرين. (4) يظهر حسد الشيطان ومقاومته لأولاد الله الأتقياء في السفرين، ثم انتصارهم عليه بقوة الله. (5) اهتمام الله بكل صلوات وكلمات البشر الطيبة والردية تظهر واضحة في السفرين. (6) تذمر الزوجة والأصدقاء ولومهم لأيوب وطوبيا. (7) إعلان الله صوته بوضوح في نهاية السفر، سواء بنفسه في حالة أيوب، أو عن طريق رئيس ملائكته في حالة طوبيا. (8) إختتام كلا السفرين ببركات الله لمن يتقيه، أي أيوب وطوبيا"[4828].

لا يوجد في الأناجيل الأربعة كلها أي ذِكر لأيوب ولا حتى أي اقتباس من سفر أيوب!

لم يُذْكَر اسمُ أيوب في العهد الجديد كله إلا في رسالة يعقوب (James) التي كُتِبَت إلى المسيحيين ذوي الأصل اليهودي وتتحدَّث عن صبر أيوب (أو: مثابرته). **(يعقوب 5):** {7} فَتَأَنَّوْا (أي: فَاصْبِرُوا) أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ. هُوَذَا الْفَلاَّحُ يَنْتَظِرُ ثَمَرَ الأَرْضِ الثَّمِينَ، مُتَأَنِّيًا عَلَيْهِ حَتَّى يَنَالَ الْمَطَرَ الْمُبَكِّرَ وَالْمُتَأَخِّرَ. {8} فَتَأَنَّوْا أَنْتُمْ وَثَبِّتُوا قُلُوبَكُمْ، لأَنَّ مَجِيءَ الرَّبِّ قَدِ اقْتَرَبَ. {9} لاَ يَئِنَّ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَيُّهَا الإِخْوَةُ لِئَلاَّ تُدَانُوا. هُوَذَا الدَّيَّانُ وَاقِفٌ قُدَّامَ الْبَابِ. {10} خُذُوا يَا إِخْوَتِي مِثَالًا لاحْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ وَالأَنَاةِ: الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِاسْمِ الرَّبِّ. {11} هَا نَحْنُ نُطَوِّبُ الصَّابِرِينَ (أو: الثابتين). قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ (باليونانية: hupomone) أَيُّوبَ (أو: ثبات أيوب؛ مثابرة أيوب؛ تحمُّل أيوب) **[← "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا [على البلاء الذي ابتليناه به]" (ص 44)]** وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الرَّبِّ. لأَنَّ الرَّبَّ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَرَؤُوفٌ **[← "أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأنبياء 83) "رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا" (الأنبياء 84) "رَحْمَةً مِّنَّا" (ص 43)]**.

ولا يوجد في العهد الجديد كله إلا اقتباسان اثنان فقط من سفر أيوب! والاقتباسان انفرد بهما بولس الرسول: أحدهما جزئي (1 كورنثوس 19:3) من جملةٍ لم يقلها أيوب (أيوب 13:5)! والآخر غير مؤكد (رومية 35:11) وأيضاً من جملةٍ لم يقلها أيوب (أيوب 11:41)! وهو غير مؤكد بمعنى أن بولس كان ربما يلمح إلى نفس الفكرة وليس إلى (أيوب 11:41) بعينها.

4.20.1.2 معادلة المرأة (Misogyny): "وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ [امرأتَك]" (ص 44)!

يقول التراث الإسلامي إن النساء ناقصات عقل ودين! فهل لهذه الفكرة الإسلامية جذور في التراث اليهودي-المسيحي؟ وهل كانت امرأة أيوب من تلك النساء الناقصات عقل ودين؟ ...

امرأة أيوب تظهر فجأة للمرة الأولى والأخيرة في سفر أيوب بأكمله! **(أيوب 2):** {9} فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: «أَنْتَ مُتَمَسِّكٌ بَعْدُ بِكَمَالِكَ؟ بَارِكِ اللهَ (ترجمة حرفية؛ لكنها أيضاً تورية euphemism فهي تقصد: جَدِّف على الله blaspheme God، العن الله curse God) وَمُتْ[4829]!».

وقال التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس تعليقاً على تلك الجملة الوحيدة التي نطقت بها امرأةُ أيوب في السفر بأكمله: "هي من جهة تكرر ما قاله الله (2:9أ // 2:3ب)، ومن جهة أخرى تكرر ما قاله الشيطان (2:9ب // 2:5ب)"[4830]. وهذا يعني أن الشيطان يستخدم امرأةَ أيوب ليجرّبه ويحطِّم صبرَه ويُخرجه من الحياة الدنيا، كما استخدم حَوَّاءَ امرأةَ آدم من قَبل ليخرج آدم من الجنة. فهل سيستجيب أيوبُ لامرأته (للشيطان) كما استجاب آدَمُ لامرأته (للشيطان)؟ ...

أيوبُ يرفض اقتراحَ امرأته. **(أيوب 2):** {10} فَقَالَ لَهَا [أيوبُ]: «تَتَكَلَّمِينَ كَلاَمًا كَإِحْدَى الْجَاهِلاَتِ (أي: كمَن يرفض اللهَ أو يرفض إرادتَه المعلَنة) **[← كَإِحْدَى الناقصات عقل ودين]**! أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ (أي: المصيبة؛ المشاكل trouble؛ ما نراه نحن شراً أو غيابَ الخير) لاَ نَقْبَلُ؟[4831]». فِي كُلِّ هذَا لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ (أي: بلسانِه)[4832] **[← "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا [على البلاء الذي ابتليناه به]" (ص 44)]**.

ونفهم مما جاء بعد ذلك في سفر أيوب أن امرأة أيوب كانت تكره رائحةَ فَمِهِ (أي: رائحةَ أنفاسه)، فلقد قال أيوب: "نَكْهَتِي مَكْرُوهَةٌ عِنْدَ امْرَأَتِي" (أيوب 19:17)!

ونلاحظ من كتب التراث اليهودي قبل الإسلام أنها قدَّمت امرأةَ أيوب بصورة سلبية جداً. فلقد "جاءت الترجمة السبعينية (أي: اليونانية): "وإذ عبر وقت طويل، قالت له امرأته: إلى متى أنت تحتمل، قائلاً: ها أنا انتظر قليلاً متوقعاً الرجاء في خلاصي!" (أيوب 2:9أ). جاء أيضاً في الترجمة السبعينية أن امرأة أيوب كانت تجول من بيتٍ إلى بيتٍ لعلها تجد ملجأ تأوي فيه. [...] جاءت تكملة [كلام امرأة أيوب] في الترجمة السبعينية: "أنظر لقد مُحي ذكرك من الأرض، حتى أولادك وبناتك الذين هُمْ آلام طلقي، ومتاعب رحمي، الذين أنجبتهم بالأحزان باطلاً (in vain) (أي: بلا جدوى)، وها أنت تجلس لتقضي لياليك في الهواء الطلق وسط فساد الدود، وصرتُ أنا متجولة وعبدة، انتقل من موضعٍ إلى موضعٍ، ومن بيتٍ إلى بيتٍ، أترقب غروب الشمس كي أستريح من أتعابي وآلامي التي أحدقت بي، قل كلمةً ضد الله وَمُتْ" (أيوب 2:9ب)"[4833]!

ليس هذا فحسب، بل "يرى بعض اليهود أن زوجة أيوب هي دِينَة (Dinah) ابنة يعقوب"[4834] التي "خَرَجَتْ [...] لِتَنْظُرَ بَنَاتِ الْأَرْضِ [الوثنيات في كنعان]، فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الْحِوِّيِّ رَئِيسِ الْأَرْضِ، وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا (أي: اغتصبها)" (التكوين 34:1-2)! ولقد استدل المدراش اليهودي وغيره على أن زوجة أيوب هي دِينَة بأن أبناء يعقوب لمَّا عرفوا ما فعله شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الْحِوِّيِّ بأختهم دِينَة "غَضِبَ الرِّجَالُ وَاغْتَاظُوا جِدًّا لِأَنَّهُ صَنَعَ قَبَاحَةً (بالعبرية: nebalah)[4835] فِي إِسْرَائِيلَ بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ يَعْقُوبَ" (التكوين 34:7)، ولمَّا أراد أيوبُ أن يوبِّخ امرأتَه على ما قالته استخدم نفس الكلمة العبرية "فَقَالَ لَهَا: «تَتَكَلَّمِينَ كَلاَمًا كَإِحْدَى الْجَاهِلَاتِ (بالعبرية: nebaloth)[4836][4837]!" (أيوب 2:10)؛ وكأنه أراد أن يذكِّر امرأتَه بماضيها المشين. ويجب هنا أن نقول إن بعض المفسرين اليهود قد أطنبوا في الحديث عن جريمة اغتصاب دينة وبالغوا فيها جداً إلى درجة أنهم جعلوا كُلَّ رجال شَكِيم يشتركون في جريمة اغتصاب دينة! واستدلوا على ذلك بضمير الجمع في "نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ [دِينَة]" (التكوين 34:27)[4838]. ونجد ضميرَ الجمعِ أيضاً في سفر يهوديت (Judith) وهو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) / "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) الذي وصف جريمةَ الاغتصاب بالتفاصيل الدقيقة فقال إن الذين اغتصبوا دِينَة كانوا "غُرباءَ (أي: وثنيين؛ ليسوا يهوداً ولا مختونين) حَلُّوا إزارَ عَذْراءَ لِعارِها (وقيل إن المقصود: نزعوا غطاءَ رأسها فكشفوا شعرَها)، وعَرَّوا فَخذَها لِخِزْيِها، ودَنَّسوا بَطنَها لِهَوانِها (وفي ترجمة أخرى: فضوا بكارتَها وللعار تركوها)" (يهوديت 9:2)[4839]!

وكذلك في كتب التراث المسيحي قبل الإسلام، وجدنا نقداً لاذعاً وهجوماً شديداً على امرأة أيوب!

فلقد قال القديس أفراهاط السرياني: "جرَّب الخصمُ (أي: الشيطانُ) أيوبَ خلال أبنائه وممتلكاته (أيوب 1:13)، وإذ لم يستطع أن ينتصر عليه أحضر له عدته، جاء محضراً معه [امرأةَ أيوب] ابنةَ حواء التي أغرقت آدم، وخلال فمها قال لأيوب، الزوج البار: "العن الله"، لكن أيوب رفض المشورة"[4840]. وقال القديس أغسطينوس (ت. 430م) إن الشيطان "ترك له (أي: لأيوب) زوجته وحدها، ليست كمعزٍ، بل بالحري حليفة الشيطان". وقال القديس جيروم (ت. 420م): "لم يترك له الشيطانُ شيئاً سوى لسانه وزوجته. فبزوجته يجربه، وبلسانه يمكنه أن يجدف. لم ينسَ الشيطانُ خداعه القديم الذي به خدع آدم خلال امرأة، لذلك هاجم أيوبَ خلال زوجته، حاسباً أنه قادر على الدوام أن يخدعه بامرأة". وقال الأب هيسيخيوس الأورشليمي: "إذ لم يجد الخصم (أي: الشيطان) أن المقاتل قد لان، جنَّد زوجتَه (Satan “recruited” Job’s wife). ربما قال في نفسه: هذا الشخص (أيوب) لن يكون أقوى من آدم. إن كان غنياً، لكن ليس لديه "فردوس الله" (كآدم في الجنة). ومع أنه بار، لكنه لم يحرز "شجرة الحياة". ومع أنه تقي، لكن آدم تمتع بالحوار مع الله. هذا الشخص (أيوب) لديه مواشٍ كثيرة، أما آدم فكل حيوانات الأرض خضعت له. لهذا إن كنتُ قد استطعتُ أن أفقده هذا خلال حواء زوجته، ربما هذا (أي: أيوب) لا يقدر أن يقاوم هجمات زوجته. بهذا الفكر أثار الشيطانُ زوجةَ أيوب ضده"[4841].

أما المفكر المسيحي السرياني المبدع "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) – أسقف سروج بشمال العراق والمتوفي عام 521م (أي: قبل الإسلام) والذي نعتبره واحداً من الآباء الروحيين لأصحاب القرآن – فكتب ميمراً طويلاً جداً عن أيوب (1834 بيت!) وهاجم امرأةَ أيوب بشدة. ولا يتسع المجال هنا لذكر الميمر كله، فسنكتفي بأهم ما جاء فيه بخصوص امرأة أيوب والشيطان فقط ...

قال يعقوب السروجي إن الأبالسة هُمْ الذين اقترحوا على رئيسهم الشيطان أن يستخدم امرأةَ أيوب في الامتحان الثاني بعد أن انتصر أيوبُ في الامتحان الأول: {870} أجاب معسكرُ العدوِّ بعد هذه (كلها)، {871} لكي يشجعوا ذاك (أي: الشيطانَ) الذي قُهِرَ في المعركة: {872} "ما لك يا معلِّمنا! لا تسرع فتترك (المواجهة) {873} تحصَّنْ قليلاً واستمرَّ في الحرب لعلَّه يضعف! {874} أما كانت معك زوجة أيوب؟"، {875} قال الأبالسة [للشيطان]: "نصْفُ قوَّتك فُصِلَتْ عنك. {876} لماذا لم تقتَدْ بنتَ سرّنا لتمضي معك؟ {877} بها تأخذ المعركةُ نهايَتها وتجعلك تنتصر. {878} بدون هذا، ما معنى حربك تجاه البطل؟ {879} هي قوسُك من البداية، وأنت باريها. {880} في أيِّ وقت صعد عملك بدون مشورتها؟ {881} وأين تركتَها وقامت رجلك في البطولة. {882} منذ متى طمرتَ فخاً من دونها، {883} وأين بسطتَ مصيدة في البرّيَّة بدون حيَلها؟ {884} أين رميتَ الخصام في الأرض وما كانت معك؟ {885} وفي أيّ وقت نلتَ انتصاراً بدون عونها؟ {886} أما علَّمتك معركةُ آدم ماذا تفعل، {887} لكي تغلب نصفه بواسطة نصفه فيندحر كلُّه؟ (التكوين 1:3) {888} أبناء إلوهيم زلقوا في الخطيئة ببنات الناس (التكوين 6:1-4)، {889} الجيل الفاسد، بنو شيت الزاهي، تنجَّسوا بهنَّ. [...] {892} إن اندحرَ بها آدم رئيس العشائر، {893} فكيف ينجو من حيلها الضعيفُ بين الناس؟ [...] {896} حواء هي قوسك المختارة منذ الأزل، {897} مُدَّها وألقِ بها فيُطعَن ويسقط بعافيته. {898} إن لم تجلب بنت سرّه لتكون معك، {899} فلا يُسرَق صدقُه من لدن الحقّ، {900} إذا شريكته لا تمكر بتجارته، {901} لا يُسلَب لأنَّه يحرس كنزه باعتناء. {902} امضِ وانصحْها كما (نصحتَ) حوّاء لكي تتقاتل معه، {903} وحين تغلبه يُغلَبُ بها ويندحران معاً"[4842].

ثم قال يعقوب السروجي إن الشيطان استجاب لتحريض الأبالسة: {904} قبلَ الشريرُ نصيحةَ بني جبهته البغيضة، {905} فالضعيف الذي قُهِرَ أراد أن تعينه امرأة. {906} مضى وأغرى الضلع المتراخي لتكون معه، {907} وبعونها يغلب البارَّ الذي تقاتل معه. {908} طلب امرأةً تساعده فبان أضحوكة، {909} دعا مَن لا قوَّة لها لكي تقوِّي ضعفه. {910} اقترب الصيّادُ الماكر، ورمى للحمامة لقطاً {911} لتقود رفيقها وتأتي وتدخل في مصائده. {912} ذئبٌ شرهٌ ألقى للنعجة أكلاً كاذباً، {913} لتكون مع زوجها أكلاً حين تُمسَك. {914} قرَّب لها الملل وقطْعَ الرجاء، {915} مع القنوط الذي يُولِّد الألم والفكر البغيض. {916} ألقى عليها سهام الحيرة الكبيرة والحزن، {917} وطاردها بالحلم وأفزعها بمناظر خياليَّة. {918} اقتادها، وملأها بكلِّ الأفكار والانقسام، {919} وجمع بها وطمرها بالحزن الكبير البغيض. {920} شرعت تفكِّر بالمصائب التي أحاطت بها من كلِّ جانب، {921} وبالضيقات الكثيرة المحيطة بها. {922} صعدَتْ

على بالها العصابةُ التي سقطت على الفدادين (أيوب 14:1)، {923} والسيف الذي ارتوى من الأُتُن والفلاحين (أيوب 15:1). {924} فكَّرت بالقطعان والرعاة الذين أكلتهم النار (أيوب 16:1)، {925} وبالجِمال والجمّالين الذين سُبوا بيد الكلدانيّين (أيوب 17:1). {926} فجأة صعدَت عليها غيمةُ الألم، {927} وطمرها ضبابُ الحزن دون أن تفكِّر. {928} داهمتْها مصيبةُ البيت الذي سقط على أحبَّائها (أيوب 1:18-19)، {929} والكآبةُ بثمار (حشاها) العشر التي تمزَّقت. {930} حشدُ بنيها الذي كان يصرخ تحت الركام، {931} وجمعُ أولادها العشرة الذين معسهم (أي: طعنهم؛ سحقهم؛ أهانهم) الغضب. {932} شريك (حياتها) ملقًى (على الأرض) ولحمُه يتناثر بالنتانة، {933} والسهام القاسية في جرح قاسٍ مُثبتة فيه(4843).

ثم قال يعقوب السروجي إن امرأة أيوب استجابت لتحريض الشيطان: {934} نظرت امرأةُ أيوب إلى هذه الأمور فاندحرت، {935} ورفعت إصبعها وأعطت يدها للمطاردِ (علامة الموافقة). {936} غلب الشيطانُ أفكارها فأكثر سحْقَها، {937} وانجرَّت إلى نصيحةِ العدوِّ البغيضة. {938} لبسَتْ سلاح أمِّها حوّاء، ومضت لتتحارب {939} مع ابن آدم، الذي كان أكثر حيلة من الحيَّة (التكوين 3:1-2). {940} على مثال حواء أخذت ابنتُها النصيحة، {941} لتُوقع أيُّوبَ من برارتِه، كما حصل لآدم. {942} شرعت تعلِّق (تربط) الخبر الذي قالَتْ بقطع الرجاء {943} ووضعَتْ هدف الملل (أمامها) واتَّجهت إليه. {944} [وقالت لأيوب] "أيها الرجل، إلى متى تتحصَّن في وداعتك، {945} اشتُمْ [اللهَ] وانجُ من العذاب الذي يؤذيك" (أيوب 9:2). {946} مَن أقنى هذه الكلمة لامرأة أيوب؟ {947} الشيطان هو بداية خبرها، لا جدال في ذلك. {948} لمن قيل: "اشتُمْ [اللهَ] ومُتْ" إلا لأيوب، {949} أو من نجا من الضيق بواسطة الشتيمة؟ {950} ممَّن تعلَّمَتْ: "إن كان لا يشتم [اللهَ] لا يموت"؟ {951} ومن كشف لها أنَّ هذه العلَّة هي التي دعَتْه ليتعذَّب؟ {952} من شتم ومات جليًّا، كما قالتْ له، {953} وممَّن سمعَتْ أنَّه يتعذَّب بسبب هذا؟ {954} عُرف (الآن) أنها بنت سرّ العدوِّ، {955} ومنه تعلَّمتْ أن تجادل مع شريك (حياتها). {956} [فقالت لأيوب] "إلى متى تتحصَّن في هذا العذاب، {957} وكم هي قوَّتك لتطيل روحك وأنت تُضرَب؟ {958} أما كفى المؤدِّبُ (اللهُ) أنَّه ضربك ثمَّ منع يده (عنك)؟ {959} أما انتهى بأن يضيف (الضربات) على ضرباتك؟ {960} أما مللتَ من الألم الذي تحتمل؟ {961} أما تتضايق بعد أن باد جسمُك من النتانة؟ {962} اقتيدَ مقتناك، احترقَتْ أغنامك وسُبيَتْ جِمالك. {963} اختنق أولادك، وأين هو رجاؤك بعد هذا؟ {964} طلبتَ أن تنهي في هذه الفكرة التي بها بدأتَ {965} ألا تلين من القساوة بهذه الأوجاع؟ {966} لماذا لا تشتم وعندئذٍ تنجو من العذاب؟ {967} كم ضُربتَ وأنت تحتمل وأنت تتألَّم! {968} ألقِ على الله شتيمة واحدة فيأخذ نفسك {969} ويُحطُّك من هنا! كفى أن تمكث في هذا العذاب الكبير! {970} بدون الجسد لا تقدرُ النفسُ أن تحيا، {971} أخذ جسدَك وترك لك نفسك من أجل العذاب. {972} ضربك لكي تشتم، لماذا أنت بطّال؟ {973} إن لم تشتم لا تنجو من الضربات. {974} هبِ الشتيمة، وخذْ لك الموت المليء حناناً، {975} ألقِ تجديفاً واقبلِ السكون بيد الوفاة. {976} مُدَّ الكلمة التي تضايقك في رأس لسانك، {977} وها أنا أريحك من العذاب بسبات الموت. {978} إن كنت لا تشتم لا يبطل (يتوقَّف) عن ضربك. {979} كلَّما تحصَّنتَ،

كان العذاب قاسياً والمدَّة طويلة. {980} هو يتطلَّع إلى هذا، لذلك أضاف (ضرباتٍ) إلى ضرباتك، {981} اشتم [اللهَ] وعندئذٍ تنجو من الآلام التي تهطل عليك"[4844].

ثم ذكر يعقوبُ السروجي ردَّ أيوب على امرأته، ونلاحظ أن أيوب قد أدرك أن الشيطان قد أضلَّها[4845]: {982} قال أيوب: "ملعون من كتب هذه الرسالة، {983} وملعون من دوَّنها ومن حرَّرها وأرسلها. {984} هذه الرسالة كتبها مَلكُ الإثم وأرسلها إليَّ، {985} فأنا لا أسمع وصيَّتَه التي تولِّد الموت. {986} هذه الثمرة وهبَتْها تلك الشجرةُ السيِّئة، {987} ولن أذوق (طعم) شرّها الذي وُهب لي. {988} هذه العنبات المرَّة التي أُرسلَتْ إليَّ، {989} من تلك الجفنة التي لُعن جذرُها منذ البداية. {990} هذا خبر خداع يتربَّص (بنا) على مثال الحيَّة: {991} هو من ذلك الملعون الذي أضلَّ حواء ومكرَ بآدم **[⟵ جعل صاحبُ رواية سورة ص أيوبَ يعلم أن الشيطان هو مَن تسبب له بتعب وعذاب: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" (ص 41)]**. {992} هذا السمُّ الذي فاض نحوي من شفتيك، {993} هو من تلك الأفعى **[⟵ "الشَّيْطَانُ" (ص 41)]** التي سخرَتْ من أمِّك [حواء] بين الأشجار. {994} هذا مقال مكتوب، متناقض، ردَّده فمُك، {995} هو همسُ المحامي عن الإثم ومعلِّمِ الشرّ **[⟵ "الشَّيْطَانُ" (ص 41)]**. {996} أنا أصمُّ عن هذا الخبر ولن أسمع {997} ولا أقبل أن تدخل في أذنيَّ نصيحتُك البغيضة. {998} مثل حمقاوات **[⟵ ناقصات عقل ودين]** تكلَّمتِ هنا، فأنهي خبرَكِ، {999} لن أسمع تراجمك، فتخلَّيْ عن نصيحتك".

تكملة ميمر يعقوب السروجي عن أيوب[4846]: {1000} سمع أيُّوب وفهم ما الخبر {1001} ولم يقسُ على زوجته ولم يغضب عليها. **[⟵ وهذا أيضاً ما قصده صاحبُ رواية سورة ص حين زعم أن أيوب ضرب امرأتَه ضربةً واحدةً خفيفة وفاءً بيمينه فقط: "وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا (أي: قبضةً أو حُزمةً صغيرة من الحشيش ونحوه) فَاضْرِب بِّهِ [امرأتَك بلا قسوة] وَلَا تَحْنَثْ (أي: وفاءً بيمينك فقط)" (ص 44)]** {1002} عرف [أيوبُ] بأنَّ التعليم هو من آخر **[⟵ "الشَّيْطَانُ" (ص 41)]**، {1003} فأجابها بهدوء وما هدَّد. {1004} لم يدْعُها البارُّ حمقاء، وكأنَّه يهينها، {1005} بل وبَّخها قال: "تكلَّمتِ مثل حمقاء" (أيوب 2:10) {1006} شبَّهها بإحدى الحمقاوات **[⟵ الناقصات عقل ودين]** لأنَّها تسرَّعت، {1007} ووهبت يدها للعدوِّ **[⟵ "الشَّيْطَانُ" (ص 41)]** فانقسمت. {1008} رأى أنَّ عصابة اليسار اقتادت شريكة (حياته)، {1009} فخرج وراءها بتعليم لتعود نحوه. {1010} رأى أنَّ امرأته تعذَّبت بفعل العدوّ **[⟵ "الشَّيْطَانُ" (ص 41)]**، {1011} فغار الصدِّيق لئلا تبقى لدى الشيطان **[⟵ "الشَّيْطَانُ" (ص 41)]**.

وإذا كان أيوب حسب ميمر يعقوب السروجي قد أدرك أن الشيطان قد أضلَّ امرأتَه، فإنه حسب عملٍ آخر يُسمَّى "وصية أيوب (أو: عهد أيوب)" (Testament of Job) – الذي يُعْتَبَر من سوديبِجرافا العهد القديم ويرجع تاريخُه إلى القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول الميلادي – قد علم أن الشيطان هو الذي تسبب في مرضه وخسارة ثروته وأولاده (وصية أيوب 16-20)[4847] **[⟵ "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ**

رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" (ص 41)]. وكذلك في التلمود البابلي (Bava Batra 16a). وفي الواقع، فإن أصحاب القرآن قد اعتادوا أن يجعلوا أبطال القصص القرآنية يوجّهون اللومَ إلى الشيطان أو النفس – وليس إلى الله – كنوع من التأدب مع الله حسب زعمهم، مع أن الله هو الذي يسمح للشيطان بأن يضر الإنسانَ! فنحن نرى هذا الأسلوب في قصة يعقوب الذي "قَالَ [لابنه يوسف] يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (يوسف 5)، ونراه أيضاً في قصة يوسف الذي ألقى اللومَ على الشيطان فقال: "نَّزَغَ الشَّيْطَانُ (أي: أفسد الشَّيْطَانُ رابطةَ الأُخوّة) بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي" (يوسف 100)، ونراه كذلك في قصة موسى الذي قتل عَدُوَّه المصريَ ثم "قَالَ هَٰذَا [القتل] مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ" (القصص 15)، ونراه أيضاً في قصة إبراهيم الذي نسب الخلقَ والهدايةَ والإطعامَ والسقايةَ والشفاءَ إلى الله بينما نسب المرضَ إلى نفسه: "رَبَّ الْعَالَمِينَ. الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ" (الشعراء 77-80). ولذلك فإننا نتفق تماماً مع العالم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) حين يقول تعليقاً على (ص 41)[4848]:

> The way the Qur'ān has Job blame Satan reflects a larger tendency with its protagonists (with Jacob see [يوسف 5]; with Moses, see [القصص 15]). It also reflects a tradition in the Babylonian Talmud (b. *Bava Batra* 16a) that [unlike the Biblical Book of Job] makes Job aware that Satan is behind his troubles.

مما سبق يتضح أن صاحب رواية سورة ص قد ذكر الشَّيْطَانَ صراحةً على لسان أيوب: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" (ص 41)، وألمح إلى امرأة أيوب: "وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ [امرأتك!]" (ص 44)، لأنه تأثّر بالتراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام، وبصفة خاصة سفر عهد أيوب السوديبجرافي الخرافي (الذي يُسمَّى أيضاً: وصية أيوب) والميمر الذي كتبه المفكر المسيحي السرياني المبدع يعقوب السروجي وذكر فيه الشَّيْطَانَ وامرأة أيوب. وهذا بخلاف صاحب رواية سورة الأنبياء الذي لم يذكر الشيطانَ ولا امرأة أيوب! مما يدل على أن دراية صاحب رواية سورة ص (ص 41-44) بما قيل عن أيوب في التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام كانت أوسع وأعمق من دراية صاحب رواية سورة الأنبياء (الأنبياء 83-84). والصفحات التالية ستؤكد هذه النتيجة أكثر.

ويجب هنا أن نذكر أمثلة مما قاله المفسرون المسلمون في تفسير "وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ" (ص 44) حيث نجدهم يقولون إن المضروب هي امرأة أيوب، وبعضهم قال إن الشيطان أغوى امرأةَ أيوب، مما يدل على أنهم كانوا على دراية بالتراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام وخصوصاً ميمر يعقوب السروجي؛ وإن احتاروا - كالعادة - في تفاصيل الوسوسة التي وسوس الشيطانُ بها إلى امرأة أيوب.

قال تفسيرُ القرطبي: "كَانَ أَيُّوب حَلَفَ فِي مَرَضه أَنْ يَضْرِبَ اِمْرَأَته مِائَة جَلْدَة، وَفِي سَبَب ذَلِكَ أَرْبَعَة أَقْوَال: [أَحَدهَا] مَا حَكَاهُ اِبْن عَبَّاس أَنَّ إِبْلِيس لَقِيَهَا فِي صُورَة طَبِيب فَدَعَتْهُ لِمُدَاوَاةِ أَيُّوب، فَقَالَ أُدَاوِيه عَلَى أَنَّهُ إِذَا بَرِئَ قَالَ: أَنْتَ شَفَيْتنِي، لَا أُرِيد جَزَاء سِوَاهُ. قَالَتْ: نَعَمْ! فَأَشَارَتْ عَلَى أَيُّوب بِذَلِكَ فَحَلَفَ لَيَضْرِبَنَّهَا. وَقَالَ: وَيْحَك ذَلِكَ الشَّيْطَانُ. [الثَّانِي] مَا حَكَاهُ سَعِيد بْن الْمُسَيِّب: أَنَّهَا جَاءَتْهُ بِزِيَادَة عَلَى مَا كَانَتْ تَأْتِيه مِنْ الْخُبْز، فَخَافَ خِيَانَتَهَا فَحَلَفَ لَيَضْرِبَنَّهَا. [الثَّالِث] مَا حَكَاهُ يَحْيَى بْن سَلَّام وَغَيْره: أَنَّ الشَّيْطَان أَغْوَاهَا أَنْ تَحْمِل أَيُّوب عَلَى أَنْ يَذْبَح سَخْلَةً (أي: ذبيحةً من ولَدِ الضَّأْن والمَعْز سَاعَةَ يُولَدُ) تَقَرُّبًا إِلَيْهِ وَأَنَّهُ يَبْرَأ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَحَلَفَ لَيَضْرِبَنَّهَا إِنْ عُوفِيَ مِائَةً. [الرَّابِع] قِيلَ: بَاعَتْ ذَوَائِبَهَا بِرَغِيفَيْنِ إِذْ لَمْ تَجِد شَيْئًا تَحْمِلُهُ إِلَى أَيُّوب، وَكَانَ أَيُّوب يَتَعَلَّق بِهَا إِذَا أَرَادَ الْقِيَام، فَلِهَذَا حَلَفَ لَيَضْرِبَنَّهَا، فَلَمَّا شَفَاهُ اللَّه أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ ضِغْثًا فَيَضْرِب بِهِ، فَأَخَذَ شَمَارِيخ قَدْر مِائَة فَضَرَبَهَا ضَرْبَةً وَاحِدَة. وَقِيلَ: الضِّغْث قَبْضَة حَشِيش مُخْتَلِطَة الرَّطب بِالْيَابِسِ. وَقَالَ اِبْن عَبَّاس: إِنَّهُ إِثْكَال النَّخْل الْجَامِع بِشَمَارِيخِهِ"[4849].

تعليقنا على تفسير القرطبي: القول الثاني "مَا حَكَاهُ سَعِيد بْن الْمُسَيِّب: أَنَّهَا جَاءَتْهُ بِزِيَادَة عَلَى مَا كَانَتْ تَأْتِيه مِنْ الْخُبْز، فَخَافَ خِيَانَتَهَا" مستوحى من سفر طوبيا الذي أشرنا إليه فيما سبق. يقول سفر طوبيا (حسب الترجمة اليونانية التي تُسمِّي الأب "طوبيت") إنه بعد إصابة طوبيت بالعمى وعدم قدرته على العمل، "كانت حنّةُ امرأتُهُ تَشتغِل أشغالاً يدويةً لإعالته وتُسلِّم ما تُنجِزُهُ إلى مُستخدِميها وتَقبَضُ مِنهُم أجرتَها. ومرّةً أعطاها مُستخدموها جَدْياً علاوةً على أجرتها. ولمَّا جاءَت به إلى البيت أخذَ الجَدْيُ بالثُّغاءِ (أي: بالصياح)، فسألها طوبيتُ: "مِنْ أينَ هذا الجدي؟ إذا كان مسروقاً فأعيديهِ إلى أصحابه لأنه حرامٌ أن نأكل شيئاً مسروقاً." فأجابته امرأتُه: "أعطوني هذا الجدي علاوةً على أجرتي". ولكن طوبيت لم يُصدِّقها فأمرَها أن تُعيدَه إلى أصحابِه وهو يشعر بالخجل لِعمَلِها هذا" (طوبيا 2:11-14)[4850]. يعني في سفر طوبيا وتفسير القرآن: رجعت الزوجةُ إلى بيت زوجها المريض العاجز ومعها زيادة على ما كانت تحصل كل يوم. في سفر طوبيا، ظنَّ الزوجُ المريض العاجز أن زوجته كسرت الوصية الثامنة "لاَ تَسْرِقْ" (الخروج 15:20) (التثنية 19:5). وفي تفسير القرآن: ظنَّ الزوجُ المريض العاجز أن زوجته كسرت الوصية السابعة "لاَ تَزْنِ" (الخروج 14:20) (التثنية 18:5). وهذا يدل على أن التابعين الكبار مثل سَعِيد بْن الْمُسَيِّب قد تأثروا – بوعي أو بدون وعي – بسفر طوبيا وبتشابهه مع سفر أيوب في كثير من الأمور، إلى درجة أنهم استعانوا – بقصد أو بدون قصد – بعنصر من عناصر سفر طوبيا من أجل تفسير قصة أيوب القرآنية! والمدهش أنهم لم يلاحظوا أن هذا العنصر لا يخدم القرآنَ، وذلك لأنه يعني أن أيوب قد اتهم امرأته ظلماً، ومن ثم فإنها لا تستحق الضرب نهائياً، وكان ينبغي على الله أن ينبِّه أيوبَ إلى ذلك، لا أن يقول له "وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ [امرأتَك!]" (ص 44)!

أما القول الرَّابِع في تفسير القرطبي "قِيلَ: بَاعَتْ ذَوَائِبَهَا بِرَغِيفَيْنِ إِذْ لَمْ تَجِد شَيْئًا تَحْمِلُهُ إِلَى أَيُّوب" فهو مستوحى من سفر "وصية أيوب" (Testament of Job) الذي أشرنا إليه فيما سبق أيضاً[4851]!

وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بملخص القصة كما جاء في موسوعة (Encyclopædia Judaica) مع ملاحظة أن امرأة أيوب الأولى (أي: قَبل دِينَة) في هذا العمل السوديبِجرافي الخرافي اسمها (Sitis)[(4852)]:

> Suffering from hunger, Sitis (etymologically related perhaps to Satan or *sotah*, "unfaithful wife") unknowingly barters her hair to Satan for three loaves of bread, whereupon she addresses Job: "The feebleness of my heart has crushed my bones, rise then and take these loaves of bread and enjoy them, and speak some word against the Lord and die" (Job 2:9). Job realizes that it is Satan who is speaking through Sitis' mouth.

وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يلجأ فيها المفسرون المسلمون إلى التراث اليهودي ("الإسرائيليات") من أجل تفسير قصة قرآنية. فكما نقول دائماً: إذا كانت القصة القرآنية هي نفسها من الإسرائيليات، فمن الطبيعي أن يلجأ المفسرون المسلمون إلى الإسرائيليات من أجل تفسيرها. هذا أمر طبيعي، بل طبيعي جداً: رجع المفسرون المسلمون إلى المصادر الأصلية للقرآن من أجل تفسيره، لا سيما حين تكون القصة القرآنية مختصرة وقصيرة جداً مثل قصة أيوب (ست آيات فقط**!**). ولا نزعم أننا أوّل مَن يكتشف أن المفسرين المسلمين قد نقلوا من التراث اليهودي (كالتلمود وسفر وصية أيوب) من أجل تفسير قصة أيوب القرآنية. تقول موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam)[(4853)]:

> Later Muslim writers greatly amplified this meagre Ḳurʾānic account, drawing partly on the Biblical Book of Job, (which Ibn ʿAsākir actually quotes), partly on Rabbinic tales from Talmud and Midrash (for which cf. *Encyclopedia Judaica*, s.v. Job) and the Greek Testament of Job, but also exercising pious imagination in developing various details of the story.

ننتقل إلى تفسير الطبري: وَقَوْله: {وَخُذْ بِيَدِك ضِغْثًا} يَقُول: وَقُلْنَا لِأَيُّوبَ: خُذْ بِيَدِك ضِغْثًا، وَهُوَ مَا يُجْمَعُ مِنْ شَيْءٍ مِثْلُ حُزْمَةِ الرُّطَبَة، وَكَمِلْءِ الْكَفِّ مِنْ الشَّجَر أَوْ الْحَشِيش وَالشَّمَاريخ وَنَحْو ذَلِكَ مِمَّا قَامَ عَلَى سَاق [...] **حَدَّثَنَا** بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَة: {وَخُذْ بِيَدِك ضِغْثًا} الْآيَة، قَالَ: كَانَتْ اِمْرَأَتُه قَدْ عَرَضَتْ لَهُ بِأَمْرٍ، وَأَرَادَهَا إِبْلِيسُ عَلَى شَيْءٍ، فَقَالَ: لَوْ تَكَلَّمَتِ بِكَذَا وَكَذَا. وَإِنَّمَا حَمَلَهَا عَلَيْهَا الْجَزَعُ، فَحَلَفَ نَبِيُّ الله: لَئِنْ شَفَاهُ الله لَيَجْلِدَنَّهَا مِئَةَ جَلْدَةٍ، قَالَ: فَأُمِرَ بِغُصْنٍ فِيهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ قَضِيبًا، وَالْأَصْلُ تَكْمِلَةُ الْمِئَةِ، فَضَرَبَهَا ضَرْبَةً وَاحِدَة، فَأَبَرَّ نَبِيُّ الله، وَخَفَّفَ الله عَنْ أَمَتِه، وَاَللَّه رَحِيمٌ. **حُدِّثْت** عَنْ الْحُسَيْن، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ يَقُول: أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُول فِي قَوْله: {وَخُذْ بِيَدِك ضِغْثًا} يَعْنِي: ضِغْثًا مِنْ الشَّجَر

الرَّطْب، كَانَ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَأَخَذَ مِنْ الشَّجَر عَدَدَ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، فَضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، فَبَرَّتْ يَمِينُه، وَهُوَ الْيَوْم فِي النَّاس يَمِينُ أَيُّوب، مَنْ أَخَذَ بِهَا فَهُوَ حَسَنٌ. **حَدَّثَنِي** يُونُس، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْله: {وَخُذْ بِيَدِك ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَث} قَالَ: ضِغْثًا وَاحِدًا مِنْ الْكَلَأ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ عُودٍ، فَضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، فَذَلِكَ مِئَةُ ضَرْبَة. **حَدَّثَنِي** مُحَمَّد بْن عَوْفٍ، قَالَ: ثنا أَبُو الْمُغِيرَة، قَالَ: ثنا صَفْوَانُ، قَالَ: ثنا عَبْدُ الرَّحْمَن بْن جُبَيْرٍ {وَخُذْ بِيَدِك ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ} يَقُول: فَاضْرِبْ زَوْجَتَك بِالضِّغْثِ، لِتَبَرَّ فِي يَمِينك الَّتِي حَلَفْت بِهَا عَلَيْهَا أَنْ تَضْرِبَهَا {وَلَا تَحْنَث} يَقُول: وَلَا تَحْنَثْ فِي يَمِينك[4854].

وفي العصر الحديث قالت موسوعة بيان الإسلام (التي اشترك في إنجازها أكثر من 200 عالم وباحث مسلم**!**): "كان الشيطان يوسوس لخُلصائه (أي: المخلصين التابعين له) القلائل الذين بقوا على وفائهم له – ومنهم زوجته (أي: زوجة أيوب) – بأن الله لو كان يحب أيوب عليه السلام ما ابتلاه، وكانوا يحدثونه بهذا، فيؤذيه في نفسه أشد ما يؤذيه الضرُّ والبلاءُ، فلما حدَّثته امرأته ببعض هذه الوسوسة، حلف لئن شفاه الله ليضربنَّها عدداً حدده قيل: مائة" [...] "فهو عليه السلام لم يغضب إلا بعد أن علم أن الشيطان خادع زوجته، وساومها على سلامة اعتقادها في الله عز وجل"[4855].

و قال الشيخ محمد محمود حجازي (من علماء الأزهر الكبار في القرن العشرين – ت 1972م) في تفسيره الذي أعاد الأزهرُ ومجلس حكماء المسلمين طباعته: "نادى [أيوبُ] ربَّه مُستغيثاً به: أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذابٍ، مَسَّه الشَّيْطَانُ بوسوسته، وإلقاء الخواطر الفاسدة في ذِهنه، وإبليس وجنده يتحيَّنون الفرص، ويطرُقون لكل إنسانٍ بابًا خاصًّا به، ويدخُلون عليه من النقطة الضعيفة عنده. [...] وأمر [اللهُ] أيوبَ أن يأخُذ بيده ضِغْثًا فيَضرب به ولا يحنث. قالوا: إن امرأته خالَفَتْه في أمر، فأقْسَمَ ليضربنَّها مائةً، فأرشده اللهُ إلى أخذ "قِنْو" فيه مائة شمروخ، أو يأخذ حُزمة فيها مائة عود، فيضرب بها [امرأتَه] ولا يحنَث"[4856].

وقال الشيخ عبد الوهاب النجار (أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين) نقلاً عن الألوسي إن امرأة أيوب "ذهبت لحاجة فأبطأت أو بلغت أيوب عن الشيطان أن يقول كلمة محظورة فيبرأ وأشارت عليه بذلك فقالت له إلى متى هذا البلاء، كلمة واحدة ثم استغفر ربك فيغفر لك، أو جاءته بزيادة على ما كانت تأتي به من الخبز فظن أنها ارتكبت في ذلك محرماً فحلف ليضربنها إن برئ مائة ضربة"[4857].

تعليقنا على ما قاله الشيخ عبد الوهاب النجار: طبعاً "الكلمة الواحدة المحظورة" التي أشارت امرأةُ أيوب على أيوب أن يقولها هي "بَارِكِ اللهَ (وهي تورية، فالمقصود: العن اللهَ؛ جَدِّف على الله)" (أيوب 2:9). وحسب التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام وخصوصاً سفر وصية أيوب السوديبجرافي الخرافي (الذي يُسمَّى أيضاً: عهد أيوب) والميمر الذي كتبه المفكر المسيحي السرياني المبدع يعقوب السروجي، فإن الشيطان هو الذي أغوى امرأةَ أيوب حتى ينتصر على أيوب، بل حتى ينتصر على الله. ولذلك ربطت كتبُ تفسير القرآن بين الشيطان وامرأة أيوب.

وقال الشيخ عبد الجليل عيسى (من علماء الأزهر الكبار في القرن العشرين – ت 1981م) في تفسيره الذي أعاد الأزهرُ ومجلس حكماء المسلمين طباعته: "وكان [أيوبُ] غَضِبَ على امرأته لأمرٍ ما، فحَلَفَ: لئن شُفِيتُ لأضربَنَّها مائةَ ضربةٍ. ولمَّا كان سُبحانَه يَعلَمُ أنها مَعذُورَةٌ وأن أيوب يحبها ولا يستغني عنها، تَلَطَّفَ سُبحانَه بها وبه فرَخَّصَ له أن يأخُذَ حُزْمَةً من عِيدان الحشائِشِ بها مائةُ عُودٍ ويَضربَها بها حتى لا يَقَعَ في يَمِينِه"[4858]! وكذلك قال أ.د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر) إن الله أمر أيوبَ "أن يأخذ حزمة من سعف النخل بها مائة سعفة فيَضربَها بها إبراراً بقسمه"[4859]!

تعليقنا على ما قاله هذان الشيخان الأزهريان الكبيران: هذا التفسير المنتشر بكثرة في المراجع والمواقع الإسلامية في منتهى الخطورة. وخطورته تكمن في أنه يعني أن كرامة المرأة (الزوجة) أقل أهمية عند الله من يمين الرجل (الزوج)! فنحن نذكره هنا ليس بهدف تأييده، وإنما بهدف إثبات أن صاحب (ص 44) قد طوَّر التراث اليهودي-المسيحي، لكن ليس إلى الأفضل، وإنما إلى الأسوأ.

وكالعادة، يوجد فريقٌ آخر من المفسرين المسلمين رفضوا كُلَّ هذه الروايات بحجة أنها "مأخوذة من الإسرائيليات"! على سبيل المثال، يقول د. صلاح الخالدي: "وقد أورد المفسرون رواياتٍ فصَّلوا فيها هذه الحادثة، وبَيَّنوا فيها هذه المبهمات (يقصد التفصيلات التي لم يذكرها القرآنُ ولم يَردْ حديثٌ صحيحٌ عن محمد يبيِّنها مثل: مَن الشخص الذي ضربه أيوبُ؟ هل هو امرأتُه أم غيرها؟ ولماذا حلف أن يضربه/يضربها؟ ...)، ولكن رواياتهم مأخوذةٌ من الإسرائيليات! ولذلك لا نذكر منها شيئاً"[4860].

تعليقنا على ما قاله د. صلاح الخالدي وأمثاله: نحن نعلم أنها من الإسرائيليات. لكن القرآن نفسه اعتمد على هذه الإسرائيليات وتلك السريانيات! أو بعبارة أكثر دقة: قصة أيوب القرآنية مجرد تطور بشري طبيعي لِمَا قيل عن أيوب في سفر أيوب الكتابي وسفر وصية أيوب السوديبِجرافي الخرافي والتلمود البابلي وميمر المسيحي السرياني يعقوب السروجي. أو كما نقول دائماً بكل يقين وطمأنينة وراحة ضمير: القرآن هو المصدر الرئيسي للإسرائيليات في الإسلام. وبما أن أصحاب القرآن قد اعتمدوا على الإسرائيليات والمسيحيات والسريانيات، فمن الطبيعي – بل من الطبيعي جداً – أن يلجأ المفسرون المسلمون القدامى والمحدثون إلى نفس الإسرائيليات والمسيحيات والسريانيات من أجل تفسير القرآن كما رأينا!

ونحن نرى أنه كان من الأفضل أن يسامح أيوبُ امرأتَه، لأنها فعلاً معذورة بل مظلومة، فلا يضربها، وأن يسامحه اللهُ أيضاً على عدم الوفاء بيمينه أو يطالبه بكفارة اليمين ويغفر له، وخصوصاً أن المراجع الإسلامية تقول إن أيوب قد حلف هذا اليمين في لحظة غضب وأثناء مرضه. والأحسن والأفضل أن يُعلِّمِ اللهُ أيوبَ ألا يحلف الْبَتَّةَ في الأمور البسيطة مثل حديثه اليومي مع زوجته. أو كما قال السيد يسوعُ المسيح في "الموعظة على الجبل" (Sermon on the Mount): "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَحْنَثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللهِ، وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ

قَدَمَيْهِ، وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. وَلاَ تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ، لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلَى ذلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ" (متى 5:33-37).

بعد (أيوب 2:10)، اختفى الشيطانُ مع امرأة أيوب من قصة أيوب الكتابية، ولم يتبق سوى الله وأيوب وأربع شخصيات جديدة لم تعلم شيئاً – ولن تعلم شيئاً – عن الصراع الذي دار بين الله والشيطان (أيوب 1-2). إلا أن تلك الشخصيات الأربع الجديدة غير موجودة في قصة أيوب القرآنية!

4.20.1.3 هل تجاهل أصحابُ القرآن جزءاً كبيراً من سفر أيوب؟ ولماذا؟

عن طريق جدال (debate) يدور في شكل حوار (dialogue)، يحاول سفر أيوب الإجابة على أسئلة كثيرة تتعلق بقانون الثواب والعقاب (المجازاة العادلة) لكن من وجهات نظر مختلفة. ولا يتسع المجال هنا لشرحها كلها بالتفصيل، فسنكتفي بالإشارة إلى نقاط محددة تساعدنا على فَهْمِ شخصيات الرواية، وَهُمْ:

- ثلاث شخصيات جديدة: أصحاب أيوب "الحكماء" الذين يتحاورون مع أيوب ويجادلونه.
- أيوب المتألم "البار" الذي يريد أن يعرف سببَ آلامه: هل ظل صابرا؟! **<u>الإجابة: لا!</u>**
- شخصية جديدة: الشاب "أَلِيهُو" (Elihu) الذي يعني اسمه "هو الله"!
- الرب (يهوه) (LORD) هو الله (God).

علماً بأن الحوار بين شخصيات الرواية منظوم كأبيات من الشعر (poetic verse) تشغل معظم سفر أيوب (أيوب 3:1 – 42:6) باستثناء مقدمة خُطَب أَلِيهُو (أيوب 32:1-6) ومقدمات الخطابات الأخرى – أي: العبارات القصيرة التي تذكر أسماء المتكلمين، مثل "فَأَجَابَ أَيُّوبُ وَقَالَ:" (أيوب 6:1) و "فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ وَقَالَ:" (أيوب 38:1) – التي كُتِبَت نثراً (prose). بعبارة أخرى: يتكون سفر أيوب من المقدمة الافتتاحية الروائية النثرية (أيوب 1-2)، ثم مادة الحوار وكلها تقريباً شعر فهي الجسم الشعري الرئيس للسفر (أيوب 3:1 – 42:6)، ثم الخاتمة النثرية أو الملحق الروائي (أيوب 42:7-17).

للأسف، اختزل القرآنُ قصةَ أيوب في ست آيات فقط من النثر المسجوع (rhymed prose) (!) وبطريقةٍ أفرغتها من مضمونها وأضاعت تقريباً كُلَّ المعاني العميقة التي تحتويها. فلقد حذف القرآنُ من القصة أصحابَ أيوب الذين يتحاورون معه ويجادلونه. فالقصة القرآنية ليس بها أي جدال وهي أقرب إلى المناجاة أو الحديث المنفرد (monologue) منها إلى الحوار (dialogue). فنستطيع أن نقول إن القرآن قد اكتفى بالمقدمة النثرية لسفر أيوب (أيوب 1-2) ومعظم آيات الإصحاح الأخير (أيوب 42)[4861]، وإن تأثر ببعض الأفكار المذكورة في الإصحاحات الأخرى كما سنرى بعد قليل.

ولعل أصحاب القرآن قد تجاهلوا معظم الإصحاحات الأخرى (أيوب 3-41) لأنهم أرادوا أن يبسِّطوا القصةَ الكتابية فحذفوا الجدالَ الذي دار في شكل حوار طويل جداً بين أيوب وأصحابه ومنظوم كأبيات من الشعر. أو بعبارة أكثر دقة: تجاوز أصحابُ القرآن هذا الجدالَ الطويل بين أيوب وأصحابه، فجعلوا أيوبَ يتوجَّه مباشرةً إلى الربِّ (LORD) **[⟵ "أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ" (الأنبياء 83) (ص 41)]**. أو ربما لم تعجبهم بعض الآيات المذكورة في (أيوب 3-41) والتي قد يُفهَم منها أن أيوب جدَّف على الله أو يأس من رحمته ولو مؤقتاً أو أن أيوب لم يصبر بثباتٍ دائماً. فعلى الرغم من صبر أيوب وبرّه طوال (أيوب 1-2)، إلا أنه بعد فقط "سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَال" (أيوب 2:13) لعن يومَ مولده: "بَعْدَ هذَا فَتَحَ أَيُّوبُ فَاهُ وَسَبَّ يَوْمَهُ، وَأَخَذَ أَيُّوبُ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ: «لَيْتَهُ هَلَكَ الْيَوْمُ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ، وَاللَّيْلُ الَّذِي قَالَ: قَدْ حُبِلَ بِرَجُلٍ (أي: بِطِفْلٍ ذَكَرٍ). لِيَكُنْ ذلِكَ الْيَوْمُ ظَلاَمًا. لاَ يَعْتَنِ بِهِ اللهُ مِنْ فَوْقُ، وَلاَ يُشْرِقْ عَلَيْهِ نَهَارٌ. [...] لِيَلْعَنْهُ لاَعِنُو الْيَوْمِ (أي: السحرةُ؛ العرَّافون الشرقيون) [...]" (أيوب 3:1-8)! "لِمَ لَمْ أَمُتْ مِنَ الرَّحِمِ؟ عِنْدَمَا خَرَجْتُ مِنَ الْبَطْنِ، لِمَ لَمْ أُسْلِمِ الرُّوحَ؟" (أيوب 3:11)[4862]! ويجب هنا أن نتذكر أن أيوب في التراث اليهودي-المسيحي ليس نبياً. بينما أيوب القرآني نبي، فحسب العقيدة الإسلامية لا يصح أن نبياً يطلب من السحرة أو العرَّافين الشرقيين أن يلعنوا يومَ مولده الذي يرمز إلى حياته بل يرمز إلى حكمة مقاصد الله كُلِّيّ السيادة الذي خلق الإنسانَ على صورته وباركه (أي: ولم يلعنه) ودعاه إلى التناسل بكثرةٍ ليملأ الأرضَ (التكوين 1:27-28). كما لا يليق بنبي – حسب العقيدة الإسلامية – أن يقول كلاماً مثل ما قاله أيوبُ الكتابي رداً على أصحابه الثلاثة كما سوف نرى بعد قليل. لكن يجب أولاً أن نتعرف على أصحاب أيوب الثلاثة ...

4.20.1.3.1 ثلاث شخصيات جديدة: أصحاب أيوب "الحكماء" الذين يتحاورون مع أيوب ويجادلونه

نكرر: أيوب لم يعلم شيئاً – ولن يعلم شيئاً – عمَّا دار بين الله والشيطان (أيوب 1-2). وكذلك أصحاب أيوب الثلاثة لم يعلموا شيئاً – ولن يعلموا شيئاً – عمَّا دار بين الله والشيطان (أيوب 1-2). فَمَن هُمْ أصحاب أيوب الثلاثة؟ ...

إنهم ثلاثة من أصحاب أيوب وَهُمْ "أَلِيفَازُ" التَّيْمَانِيُّ (Eliphaz the Temanite) و "بِلْدَدُ" الشُّوحِيُّ (Bildad the Shuhite) و "صُوفَرُ" النَّعْمَاتِيُّ (Zophar the Naamathite) الذين "جَاءُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مَكَانِهِ [...]، وَتَوَاعَدُوا أَنْ يَأْتُوا [إلى أيوب] لِيَرْثُوا لَهُ (أي: لِحالِه) وَيُعَزُّوهُ" (أيوب 2:11) "وَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ [لأن شكله قد تغيَّر كثيراً إلى الأسوأ بسبب مرضه وآلامه ومعاناته]، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوْا، وَمَزَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ جُبَّتَهُ، وَذَرَّوْا تُرَابًا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَقَعَدُوا مَعَهُ عَلَى الأَرْضِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَال، وَلَمْ يُكَلِّمْهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ (أي: ظلوا صامتين أمام أيوب انتظاراً أن يبدأ هو الحديث إنْ أراد)، لأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ كَآبَتَهُ كَانَتْ عَظِيمَةً جِدًّا" (أيوب 2:12-13). وعلى الرغم من تعاطفهم مع أيوب في بادئ الأمر، لكن بعد أن بدأ هو الحديث "وَسَبَّ يَوْمَهُ [...]" (أيوب 3:1) كما قلنا، فإنهم سينقلبون ضده

ويتحولون إلى خصوم له يهاجمونه، ثم ينتهى الأمرُ بهم للجدل معه جدلاً عنيفاً وطويلاً وعقيماً حول سبب معاناته وآلامه، مما جعلهم في الواقع سبباً في زيادة آلام أيوب لأنهم جرحوه بافتراءات واتهامات باطلة أو بمواعظ رنانة قد تبدو صحيحة بصفةٍ عامة لكنها لا تنطبق على حالة أيوب أو تُقال في الوقت غير المناسب لإنسانٍ مريض يحتاج المساعدة وليس التجريح.

ويُفْهَم من سفر أيوب أن أصحاب أيوب الثلاثة كانوا أيضاً مثل أيوب شرقيين وغير يهود، وعلى نفس درجة الغنى (wealth) والسلطة (authority). لكن الفرق بينهم وبين أيوب هو أنهم يمثِّلون الفكر اللاهوتي التقليدي المتحفظ (the logic of the orthodox theology)، أي الحكمة المتراكمة المتوارثة، أي الأفكار التي تسلمناها من آبائنا وأجدادنا (les idées reçues) التي تربط كُلَّ ما يصيب الإنسانَ في هذه الحياة الدنيا من خيرٍ أو شر ببر ذلك الإنسان أو خطيئته. ولذلك فإن بِلْدَد مثلاً يستعين بالتقليد ويطلب من أيوب أن يرجع إلى السلطات القديمة ومعشر الأسلاف الأتقياء (أقوال السلف الصالح) ليعرف سبب معاناته وآلامه: "اِسْأَلِ الْقُرُونَ الأُولَى (أي: الأَجْيَالَ السَّالِفة) وَتَأَكَّدْ مَبَاحِثَ آبَائِهِمْ (أي: أَصْغِ إلى خِبرَةِ الآبَاء)، لأَنَّنَا نَحْنُ مِنْ أَمْسٍ (أي: قَدْ وُلِدْنَا بِالأَمْسِ الْقَرِيبِ) وَلاَ نَعْلَمُ [شَيْئاً]، لأَنَّ أَيَّامَنَا عَلَى الأَرْضِ ظِلٌّ. فَهَلاَّ يُعْلِمُونَكَ؟ يَقُولُونَ لَكَ (أي: يُكَلِّمونَكَ)، وَمِنْ قُلُوبِهِمْ يُخْرِجُونَ أَقْوَالًا قَائِلِينَ: [...] هكَذَا سُبُلُ كُلِّ النَّاسِينَ اللهَ، وَرَجَاءُ الْفَاجِرِ يَخِيبُ، [...] هُوَذَا اللهُ لاَ يَرْفُضُ الْكَامِلَ، وَلاَ يَأْخُذُ بِيَدِ فَاعِلِي الشَّرِّ" (أيوب 8:8-20)! ويجب هنا أن نلاحظ أن موقف أصحاب أيوب "في اتفاق مع الوضع الذي كان ولا يزال سائداً في الشرق الأوسط حيث إننا كنا دائماً ما نتميز باحترامنا للتقليد ونشير إلى حكمة الآباء والأجداد ونجلُّها، كما نتذكر الماضي على أنه كان أفضل من الحاضر"[4863].

أصحاب أيوب الثلاثة يؤيدون قانونَ الثواب والعقاب (المجازاة العادلة)، فالله بار وحق وعادل وحريص على أن ينال كُلُّ إنسان الجزاءَ العادل الذي يستحقه بحسب أعماله، فالمكافأة للأبرار والعقاب للأشرار (أيوب 4:7-11، 8:3-22، 11:11). وبما أن كل البشر خطاة – "مَكْرُوهٌ وَفَاسِدٌ الإِنْسَانُ الشَّارِبُ الإِثْمَ كَالْمَاءِ!" (أيوب 15:16)، إذن: يحق لله أن يعاقبهم (أيوب 4:17-21، 15:14-16)؛ مما يعني أن المعاناة جزء حتمي من حياة الإنسان. ومن ثم لم ير أصحابُ أيوب الثلاثة في مرض أيوب إلا أنه انتقام من الله بسبب خطايا ارتكبها أيوب في الماضي ويرفض الآن أن يعترف بها أو ربما يتناسها أو ينساها ولا يتذكرها. وكذلك بالنسبة لأبناء أيوب الذين نالوا جزاءً عادلاً لخطاياهم فهلكوا كلهم تحت أنقاض البيت حسب التفسير السائد لـ (أيوب 1:18-19)[4864]. فقال بلددُ لأيوب: "هَلِ اللهُ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ (أي: هَلِ اللهُ يُحَرِّفُ العَدلَ؟ هَلِ اللهُ ظالمٌ؟) [حَاشَا وَكَلَّا]، أَوِ الْقَدِيرُ يَعْكِسُ الْحَقَّ (أي: الصَّوَابَ؛ الْبِرَّ)؟ [حَاشَا وَكَلَّا] إِذْ أَخْطَأَ إِلَيْهِ بَنُوكَ، دَفَعَهُمْ إِلَى يَدِ مَعْصِيَتِهِمْ" (أيوب 8:3-4). وهذه الجملة تعني ضمنياً أن خطايا أبناء أيوب كانت أكبر من خطايا أيوب، ولذلك هُمْ ماتوا جميعاً بينما هو لم يمت حتى الآن! وطبعاً هذا أزعج أيوبَ وضايقه جداً، خاصة وأن أبناءه قد ماتوا في سن الشباب كما يُفْهَم من سفر أيوب.

الهجوم الفظيع الذي شنه أصحابُ أيوب الثلاثة عليه وعلى أبنائه الموتى استفز أيوبَ جداً ووضعه في موضع الدفاع عن النفس، فأصرَّ على بِرّه الذاتي (self-righteousness) بطريقةٍ تبدو مبالَغة وفيها جرأة شديدة وتطاول على قضاءِ الله وقدره، إذ كيف ولماذا يعاقبه اللهُ وهو إنسانٌ بار؟! فاتهمه أصحابُه بالكبرياء والغرور والعناد وتحدي الله القدير العادل الحكيم الصالح. وتجادلوا جميعاً في حوارٍ طويل جداً يتكون من 3 جولات أو حلقات متتالية من الحوارات الممتلئة بالجدل بين الرأي والرأي الآخر (أيوب 3-31). أو بعبارة أكثر دقة: بدأ الجدال بخُطْبَة أيوب الأولى غير الموجَّهة لشخصٍ بعينه (أيوب 3) والتي تنمُّ عن اليأس وتلخِّص الموقف الذي يتبناه أيوب حيث يتمنى الموت ليرتاح من الآلام والمعاناة غير المستحقة وغير المبررة التي تملأ حياته التعيسة البائسة. ثم حوارات جدلية (dialogue-dispute) بين أيوب وأصحابه الثلاثة أَلِيفَاز وبِلْدَد وصُوفَر الذين يتحدثون بالتناوب في 3 جولات متتالية مقسَّمة على الإصحاحات التالية (أيوب 4-27) كما يلي حسب التقليد اليهودي-المسيحي:

الجولة الأولى (أيوب 4-14) وهي الأطول: أَلِيفَازُ (4-5)؛ أيوبُ (6-7)؛ بِلْدَدُ (8)؛ أيوبُ (9-10)؛ صُوفَرُ (11)؛ أيوبُ (12-14).

الجولة الثانية (أيوب 15-21) حيث صارت لهجةُ الحوار أكثر حدة: أَلِيفَازُ (15)؛ أيوبُ (16-17)؛ بِلْدَدُ (18)؛ أيوبُ (19)؛ صُوفَرُ (20)؛ أيوبُ (21).

الجولة الثالثة (أيوب 22-27) وهي الأقصر لكنها الأكثر حدة لأن أصحاب أيوب لم يكتفوا بالتلميح إلى خطايا أيوب التي يحاول أيوبُ – حسب زعمهم – أن يخفيها تحت ستار من الرياء والنفاق الاجتماعي والتدين الظاهري، وإنما لجأوا إلى التصريح بخطايا محددة كثيرة وكبيرة ارتكبها أيوبُ حسب زعمهم أيضاً: أَلِيفَازُ (22)؛ أيوبُ (23-24)؛ بِلْدَدُ (25)؛ أيوبُ (26-27). أي أن الجولة الثالثة غير مكتملة لأن صُوفَر لم يتحدث! قيل إنه ترك الجلسةَ؛ وقيل إنه يأس وفقد الأمل في إقناع أيوب بخطاياه؛ وقيل غير ذلك[4865]!

وبعد تلك الجولات الثلاث، تأتي قصيدةٌ عن الحكمة (wisdom poem) (أيوب 28) لا نعلم مَن قالها، لكنها حسب التقليد اليهودي-المسيحي تُنْسَب إلى أيوب. ثم 3 قصائد أو خُطَب أو أحاديث فردية (monologues) قالها أيوبُ (أيوب 29، 30، 31) دون أي رد من أصحابه الثلاثة!

ونركز هنا على أَلِيفَاز قائدهم والمتحدث باسمهم وربما أكبرهم سناً الذي لخَّص قانونَ الثواب والعقاب (المجازاة العادلة) في جملتين: "اُذْكُرْ: مَنْ هَلَكَ وَهُوَ بَرِيءٌ، وَأَيْنَ أُبِيدَ الْمُسْتَقِيمُونَ؟ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ: أَنَّ الْحَارِثِينَ إِثْمًا، وَالزَّارِعِينَ شَقَاوَةً يَحْصُدُونَهَا" (أيوب 4:7-8)؛ يقصد: الثواب للأبرار والعقاب للأشرار. ثم لَامَ أَلِيفَازُ أيوبَ بسبب كبريائه وتحديه لله (أي: شكه في عدالة حُكْمِ الله عليه بالعقاب): "أَالإِنْسَانُ أَبَرُّ مِنَ اللهِ؟ أَمِ الرَّجُلُ أَطْهَرُ مِنْ خَالِقِهِ؟" (أيوب 4:17) "أَصُوِّرْتَ أَوَّلَ النَّاسِ أَمْ أُبْدِئْتَ قَبْلَ التِّلاَلِ؟ (يقصد بتهكم: هل خُلِقتَ مع الحكمة الإلهية[4866]؟) هَلْ تَنَصَّتَّ فِي مَجْلِسِ اللهِ (يقصد: هل أنتَ نبي[4867]؟ أو كائن قريب جداً من الله؟)، أَوْ قَصَرْتَ الْحِكْمَةَ عَلَى نَفْسِكَ (أي: هل أنتَ الوحيد الحكيم بين البشر)؟ مَاذَا تَعْرِفُهُ وَلاَ نَعْرِفُهُ

نَحْنُ؟ وَمَاذَا تَفْهَمُ وَلَيْسَ هُوَ عِنْدَنَا؟ عِنْدَنَا الشَّيْخُ وَالأَشْيَبُ، أَكْبَرُ أَيَّامًا مِنْ أَبِيكَ (أي: نحن أكبر منك سناً بكثير)" (أيوب 15:7-10) "«لِمَاذَا يَأْخُذُكَ قَلْبُكَ(4868) (أي: يَسْتَهْوِيكَ فِكْرُك؛ يقصد: لِمَاذَا تعجب بنفسك وتتكبر)؟ وَلِمَاذَا تَخْتَلِجُ عَيْنَاكَ (أي: على أي شيء تغمز عيناك؛ يقصد: لماذا لا تبالي بالكلام الذي تسمعه كأنك غير مقتنع به أو أنك أرفع من أن تنتبه إليه) حَتَّى تَرُدَّ عَلَى اللهِ وَتُخْرِجَ مِنْ فِيكَ أَقْوَالاً؟" (أيوب 15:12-13). ثم اتهم أَلِيفَازُ أيوبَ صراحةً بارتكاب أشنع أنواع الخطايا التي كانت سبباً في آلامه ومعاناته الفظيعة: "هَلْ يَنْفَعُ الإِنْسَانُ اللهَ؟ (أي: هل يحتاج اللهُ الإنسانَ؟) [حَاشَا وَكَلَّا] بَلْ يَنْفَعُ نَفْسَهُ الْفَطِنُ! هَلْ مِنْ مَسَرَّةٍ (أي: ربحٍ) لِلْقَدِيرِ إِذَا تَبَرَّرْتَ، أَوْ مِنْ فَائِدَةٍ إِذَا قَوَّمْتَ طُرُقَكَ؟ هَلْ عَلَى تَقْوَاكَ يُوَبِّخُكَ، أَوْ يَدْخُلُ مَعَكَ فِي الْمُحَاكَمَةِ؟ أَلَيْسَ شَرُّكَ عَظِيمًا، وَآثَامُكَ لاَ نِهَايَةَ لَهَا؟ لأَنَّكَ ارْتَهَنْتَ أَخَاكَ (أي: أخذتَ أخاكَ رهينةً أو عبدًا إلى أن يسدد ما عليه من ديون لكَ) بِلاَ سَبَبٍ (for nought) (أي: بِغَيْرِ حَقٍّ)، وَسَلَبْتَ ثِيَابَ الْعُرَاةِ. مَاءً لَمْ تَسْقِ الْعَطْشَانَ، وَعَنِ الْجَوْعَانِ مَنَعْتَ خُبْزًا. أَمَّا صَاحِبُ الْقُوَّةِ فَلَهُ الأَرْضُ (أو: بِبَطشِكَ امتَلَكتَ كُلَّ الأرضِ؛ أنتَ تحابي الأقوياء فتسمح لهم بتملك الأراضي)، وَالْمُتَرَفِّعُ الْوَجْهِ سَاكِنٌ فِيهَا (أو: وبجاهٍ رفيعٍ سكَنتَ فيها؛ أنتَ تحابي العظماء فتسمح لهم بإقامة المباني والسكن فيها) (يقصد: رغم امتلاككَ للقوة والسلطة، لم تُعامِلْ الضعفاء والمساكين برحمةٍ). الأَرَامِلَ أَرْسَلْتَ خَالِيَاتٍ، وَذِرَاعُ الْيَتَامَى انْسَحَقَتْ. لأَجْلِ ذلِكَ حَوَالَيْكَ فِخَاخٌ، وَيُرِيعُكَ رُعْبٌ بَغْتَةً أَوْ ظُلْمَةٌ فَلاَ تَرَى، وَفَيْضُ الْمِيَاهِ يُغَطِّيكَ (أي: يَغْمُرُكَ؛ يقصد: أصبحتَ كالغريق الذي يعاني من الضيق الشديد والضغوط والمشاكل)" (أيوب 22:2-11)! وبهذا يعلن أليفازُ لأيوب أن ما حل به من نكبات ليس ظلمًا من الله، بل نتيجة طبيعية لخطاياه الكثيرة والكبيرة. مع العلم بأن أليفاز لم يقدِّم دليلاً واحداً يثبت به تلك الخطايا الكبرى على أيوب! فهي إذن مجرد استنتاجات أو تكهنات أو افتراضات، بل إنها تخيلات وافتراءات واتهامات باطلة ليس لها أي أساس من الصحة.

أما صُوفَرُ فذهب إلى أبعد من ذلك، فقال لأيوب إن الله يعاقبه بأقل مما يستحق! "يَا لَيْتَ اللهَ يَتَكَلَّمُ وَيَفْتَحُ شَفَتَيْهِ مَعَكَ، وَيُعْلِنُ لَكَ خَفِيَّاتِ الْحِكْمَةِ (أي: أسرار حكمته)! إِنَّهَا مُضَاعَفَةُ الْفَهْمِ (أي: فَلِلْحِكْمَةِ الصَّالِحَةِ وَجْهَانِ أو أكثر؛ لكل درجة عالية من الفهم توجد درجة أخرى أعلى منها)، فَتَعْلَمَ أَنَّ اللهَ يُغْرِمُكَ (أي: يُعَاقِبُكَ) بِأَقَلِّ مِنْ إِثْمِكَ (أي: فتَعلَمَ أَنَّ اللهَ يعاقبك بأقل مما تستحق)" (أيوب 11:5-6)! يقصد أن أيوب يستحق عذاباً أشد وأقسى مما هو فيه الآن! ثم اتهم صُوفَرُ أيوبَ بالرياء والنفاق (التدين الخارجي) فهو يظهر عكس ما يبطن ويقول غير ما يفعل: "حَلاَ فِي فَمِهِ الشَّرُّ، وَأَخْفَاهُ تَحْتَ لِسَانِهِ، أَشْفَقَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتْرُكْهُ، بَلْ حَبَسَهُ وَسَطَ حَنَكِهِ (أو: في حنجرته)" (أيوب 20:12-13)(4869).

ونحن نلاحظ من كلام أصحاب أيوب أنهم يحتقرون الإنسانَ: "مَكْرُوهٌ وَفَاسِدٌ الإِنْسَانُ الشَّارِبُ الإِثْمَ كَالْمَاءِ!" (أيوب 15:16). فبالنسبة لهم، "الإِنْسَانُ الرِّمَّةُ، وَابْنُ آدَمَ الدُّودُ" (أيوب 25:6)! والبشر في نظرهم مجرد "سُكَّانُ بُيُوتٍ مِنْ طِينٍ، الَّذِينَ أَسَاسُهُمْ فِي التُّرَابِ، وَيُسْحَقُونَ مِثْلَ الْعُثِّ" (أيوب 4:19)! "فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ عِنْدَ اللهِ؟ وَكَيْفَ يَزْكُو مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ؟" (أيوب 25:4). "مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى يَزْكُو، أَوْ مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ

حَتَّى يَتَبَرَّرَ؟" (أيوب 14:15). فَهُمْ لا يرون إلا الجوانب السلبية في الإنسان. وبما أنهم هُمْ أنفسهم بشر وينطبق عليهم نفس الصفات التي قالوها، فَهُمْ في الواقع يحتقرون أنفسهم، ولذلك لجأوا إلى الحكمة التقليدية الموروثة (أي: حكمة غيرهم وليست حكمتهم) واستخدموها كمخلب يهاجمون به أيوبَ – بل يهاجمون كُلَّ إنسان – بدون أن يكون لديهم دليل يثبت خطيئةً معينة ومحددة ارتكبها!

ولقد أنهى أصحابُ أيوب "نصائحهم بنفس الطريقة تقريباً، واعدين أيوب بأنه سيسترد رضا الله، ولكن مع التلميح الخفي إلى أنه يجب أن يعترف بإثمه [كشخصٍ مذنبٍ] ويتضرع إلى الله كخاطئ"[4870] ويتوب ويلتزم بالبر والاستقامة ويطلب باتضاع من الله أن يرفع عنه العقابَ. أي أنهم أعطوا أيوبَ الرجاءَ (hope) لكنه رجاء مشروط بإحداث تغيير جذري في حياته يشمل أعمالاً إيجابية وليس مجرد ترك الخطية فقط: "فَإِنْ بَكَّرْتَ (أي: أَسْرَعْتَ؛ سَعَيتَ) أَنْتَ إِلَى اللهِ وَتَضَرَّعْتَ إِلَى الْقَدِيرِ (أي: والتَمَستَ مِن اللهِ أن يرفع عنكَ العقابَ)، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ زَكِيًّا مُسْتَقِيمًا (أي: نَقيًّا صَالِحاً)، فَإِنَّهُ الآنَ يَتَنَبَّهُ لَكَ وَيُسْلِمُ مَسْكَنَ بِرِّكَ (أي: ويُعيدُكَ إلى مَقَرّ بِرّكَ؛ وَيَرُدُّ إِلَيْكَ عَائِلَتَكَ). وَإِنْ تَكُنْ أُولاَكَ (أي: حالَتُكَ فِي المَاضِي) صَغِيرَةً فَآخِرَتُكَ (أي: حالَتُكَ فِي المُسْتَقْبَلِ) تَكْثُرُ جِدًّا" (أيوب 8:5-7). "تَعَرَّفْ بِهِ (أي: بالله) وَاسْلَمْ (Be wholehearted) (أي: اخضعْ لله؛ استسلمْ إلى الله). بِذلِكَ يَأْتِيكَ خَيْرٌ. اقْبَلِ الشَّرِيعَةَ مِنْ فِيهِ (أي: فَمِهِ)، وَضَعْ كَلاَمَهُ فِي قَلْبِكَ. إِنْ رَجَعْتَ إِلَى الْقَدِيرِ (بالعبرية: Shaddai؛ أي: الله) تُبْنَى (يقصد: تسترد صحتك وكُلَّ نجاحك السابق). إِنْ أَبْعَدْتَ ظُلْمًا مِنْ خَيْمَتِكَ، وَأَلْقَيْتَ التِّبْرَ عَلَى التُّرَابِ وَذَهَبَ أُوفِيرَ بَيْنَ حَصَا الأَوْدِيَةِ. يَكُونُ الْقَدِيرُ [هو] تِبْرَكَ[4871] (أي: كَنْزَكَ) وَفِضَّةَ أَتْعَابٍ لَكَ (أي: فضتك الثمينة) (يقصد: لتكن مسرتك في الله وليس في الذهب والفضة)، لأَنَّكَ حِينَئِذٍ تَتَلَذَّذُ بِالْقَدِيرِ وَتَرْفَعُ إِلَى اللهِ وَجْهَكَ. تُصَلِّي لَهُ فَيَسْتَمِعُ لَكَ، وَنُذُورُكَ تُوفِيهَا. وَتَجْزِمُ أَمْرًا فَيُثَبَّتُ لَكَ (أي: يتحقق لكَ ما تعزم عليه)، وَعَلَى طُرُقِكَ يُضِيءُ نُورٌ" (أيوب 22:21-28). وكما لجأ أصحاب أيوب إلى أسلوب الترغيب في المكافأة المفرحة التي تنتظر أيوب إذا التزم بالشروط التي وضعوها له (أيوب 11:13-19)، لجأوا أيضاً إلى أسلوب الترهيب والتهديد والتحذير من النتيجة السيئة التي تنتظره إذا لم يحقق تلك الشروط: "أَمَّا عُيُونُ الأَشْرَارِ [الذين يرفضون التوبة] فَتَتْلَفُ، وَمَنَاصُهُمْ (أي: وكُلُّ مَنفذٍ للهرب أو مَلجَإٍ لَهم) يَبِيدُ، وَرَجَاؤُهُمْ تَسْلِيمُ النَّفْسِ (أي: وَلا أَمَلَ لَهُمْ إلّا فِي الْمَوْتِ)" (أيوب 11:20)!

فإذا أردنا أن نلخِّص أهم ما قاله أصحابُ أيوب الثلاثة في جملةٍ واحدة، فسنقول إنهم رأوا أن معاناة الإنسان عقابية أي جزاء الخطيَّة، لكنها أيضاً استردادية أي وسيلة إلى التوبة والعودة مباشرةً إلى اللهِ القدير "الْفَاعِلِ عَظَائِمَ لاَ تُفْحَصُ وَعَجَائِبَ لاَ تُعَدُّ" (أيوب 5:9) "لأَنَّهُ هُوَ يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ (أي: يُضَمِّدُ). يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ" (أيوب 5:18).

فما قاله أصحابُ أيوب الثلاثة يفترض افتراضين: (1) إن أيوب شخص شرير جداً، (2) إن أهم شيء عند أيوب هو أن يسترد صحته ونجاحه وازدهاره المادي. لكن بالنسبة لنا نحن القرَّاء الذين نعرف كُلَّ ما حدث في مقدمة القصة (أيوب 1-2)، فإن الافتراض الأول غير صحيح، بشهادة الرب نفسه مرتين:

"عَبْدِي أَيُّوبَ [...] رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرّ" (أيوب 1:8، 2:3). وسوف نرى مما قاله أيوب رداً عليهم أنه لم يكن منشغلاً باستعادة صحته وأولاده وأمواله بقدر ما كان منشغلاً بأن يفهم سببَ مرضه وشقائه وآلامه الفظيعة على الرغم من بِرّه. إذن: الافتراض الثاني أيضاً غير صحيح.

وما قاله أصحابُ أيوب الثلاثة لا يثبت صحةَ قانون الثواب والعقاب (المجازاة العادلة). بل على العكس تماماً، إن ما قالوه يضع قانونَ الثواب والعقاب موضع تساؤل وشك، بل موضع رفض وسخرية وازدراء، لأنهم يطالبون أيوبَ بأن يفعل ما كان يفعله في بداية القصة، فلقد "كَانَ هذَا الرَّجُلُ كَامِلًا وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرّ" (أيوب 1:1). ومع ذلك فإن أيوب يعاني ويتألم! فما تفسير تلك الآلام والمعاناة؟! حتى الآن، لا توجد إجابة منطقية في قصة أيوب الكتابية، ولا في قصة أيوب القرآنية. فلقد ركز أصحابُ أيوب الثلاثة في القصة الكتابية على ثواب البار وعقاب الشرير، لكنهم لم يقدموا إجابةً على السؤال الجوهري الذي يدور في ذهن أيوب وهو "لماذا يتألم البار؟". بل نستطيع أن نقول إنهم تجنبوا الإجابةَ على هذا السؤال المحير لأن ليس لديهم إجابة؛ أو لأنهم يعتبرونه سؤالاً ليس ذا معنى، فلا يوجد إنسان "بار" بالمعنى الحرفي؛ وحتى إنْ وُجِدَ فإن الله القدير العادل الحكيم الصالح لن يجعله يتألم إلا إذا كان هذا الإنسان مرائياً مثل أيوب يخفي خطاياه ويتظاهر بالقداسة (التدين الظاهري الخارجي) وليس باراً حقيقياً حسب زعمهم.

أما قصة أيوب القرآنية فحذفت أصحابَ أيوب الثلاثة تماماً، ومن ثم حذفت معهم السؤالَ! فلا يوجد أي سؤال (شك) في قصة أيوب القرآنية!

وإنه لمن الطريف أنه رغم أن قصة أيوب القرآنية قد حذفت أصحابَ أيوب الثلاثة تماماً، إلا أن بعض أقوالهم قد تسللت إلى مواضع أخرى من القرآن. مثلاً، قال أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ إن "الإِنْسَانَ مَوْلُودٌ لِلْمَشَقَّةِ" (أيوب 5:7)[4872] **[⟵ "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (أي: مشقة؛ عناء)" (البلد 4)]**! وقال أيضاً: "هَلْ يَنْفَعُ الإِنْسَانُ اللهَ؟ (أي: هل يحتاج اللهُ الإنسانَ؟) [حَاشَا وَكَلَّا] بَلْ يَنْفَعُ نَفْسَهُ الْفَطِنُ! هَلْ مِنْ مَسَرَّةٍ (أي: ربح) لِلْقَدِيرِ إِذَا تَبَرَّرْتَ، أَوْ مِنْ فَائِدَةٍ إِذَا قَوَّمْتَ طُرُقَكَ؟" (أيوب 22:2-3) **[⟵ يردد القرآنُ نفس الفكرة وهي أن الله هُوَ الْغَنِيُّ الذي لا يحتاج البشر، بل لا يحتاج إيمانهم وتقواهم وشكرهم: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ (أي: المحتاجون) إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" (فاطر 15)؛ "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ" (لقمان 12)؛ "وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا" (النساء 131)؛ "الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" (الحديد 24) وآيات أخرى بنفس المعنى]**.

وقال بِلْدَدُ الشُّوحِيُّ: "هكَذَا سُبُلُ كُلِّ النَّاسِينَ اللهَ، وَرَجَاءُ الْفَاجِرِ يَخِيبُ، فَيَنْقَطِعُ اعْتِمَادُهُ (أي: ما يَعْتَمِدُ عليه؛ ما يَتكِلُ عليه)، وَمُتَّكَلُهُ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ! يَسْتَنِدُ إِلَى بَيْتِهِ فَلاَ يَثْبُتُ. يَتَمَسَّكُ بِهِ فَلاَ يَقُومُ" (أيوب 8:13-

15) [← "مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ" (العنكبوت 41)]!

وقال صُوفَرُ النَّعْمَاتِيُّ: "وَيُعْلِنُ [اللهُ] لَكَ خَفِيَّاتِ الْحِكْمَةِ (أي: أسرار حكمته)! إِنَّهَا مُضَاعَفَةُ الْفَهْمِ (أي: فَلِلْحِكْمَةِ الصَّالِحَةِ وَجْهَانِ أو أكثر؛ لكل درجة عالية من الفهم توجد درجة أخرى أعلى منها)" (أيوب 6:11) [← "نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" (يوسف 76)]! وقال أيضاً إن الشرير (المنافق) لن ينعم بالخير "فَخُبْزُهُ فِي أَمْعَائِهِ يَتَحَوَّلُ، مَرَارَةُ أَصْلاَلٍ (أي: يَتَحَوَّلُ إلى سُمِّ الثعابين) فِي بَطْنِهِ. قَدْ بَلَعَ ثَرْوَةً فَيَتَقَيَّأُهَا. اللهُ يَطْرُدُهَا مِنْ بَطْنِهِ. سَمَّ الأَصْلاَلِ يَرْضَعُ (يقصد: بدأ محبة الشر منذ أن كان طفلًا، فهو يرضع السم من فم الثعبان). يَقْتُلُهُ لِسَانُ الأَفْعَى. لاَ يَرَى الْجَدَاوِلَ أَنْهَارَ سَوَاقِيَ عَسَلٍ وَلَبَنٍ[4873]" (أيوب 17-14:20) [← "مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ [فهل مَن هو في هذه الجنة] كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ" (محمد 15)]!

[← كما توجد آيات قرآنية كثيرة تقول إن المصائب تحدث للإنسان بسبب خطاياه. وخير دليل قرآني على ذلك هو قصص العقاب الإلهي (Divine Punishment Stories) المكررة المتشابهة المسلسلة (أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم) حيث يعاقب اللهُ الكافرين والمكذِّبين بالهلاك بينما يكافئ المؤمنين والمصدِّقين بالنجاة (الخلاص). اقرأ أيضاً: "فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ (أي: بسبب ما اقترفوه من معاصي)" (النساء 62)؛ "وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ" (القصص 47)؛ "وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً (أي: نعمةً كالصحة والثراء ونحو ذلك) فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ (أي: مُّصِيبَةٌ كالمرض أو الفقر مثلاً) بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ" (الروم 36)؛ "وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ" (الشورى 48)؛ "وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ [من الذنوب والآثام] وَيَعْفُو [اللهُ] عَن كَثِيرٍ" (الشورى 30)، أي: يعاقب اللهُ الإنسانَ بأقل مما يستحق، وهذا أيضاً ما قاله صُوفَرُ النَّعْمَاتِيُّ كما وضَّحنا فيما سبق. اقرأ أيضاً: "وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ (أي: السفن) فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (أي: كالجبال). إِن يَشَأْ [اللهُ] يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ. أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا (أي: يُهْلِك السُّفُنَ بالغرق بسبب ذنوب ركابها!) وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ [من الذنوب فلا يعاقب عليها]" (الشورى 32-34). وكما رأى أصحابُ أيوب الثلاثة أن معاناة الإنسان عقابية أي جزاء الخطيَّة، فهي أيضاً استردادية أي وسيلة إلى التوبة والعودة مباشرةً إلى اللهِ: "ظَهَرَ الْفَسَادُ (أي: الحرق والقحط والآفات وكساد التجارة والغرق وكثرة الأمراض والأوبئة) فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ (أي: بسبب المعاصي التي يقترفها البشر) لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا (أي: ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها في الدنيا) لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (أي: كي يتوبوا إلى الله ويرجعوا عن المعاصي، فتصلح أحوالهم، وتستقيم أمورهم)" (الروم 41)].

4.20.1.3.2 أيوب المتألم "البار" الذي يريد أن يعرف سببَ آلامه: هل ظل صابرا؟! الإجابة: لا!

لم يعتمد أيوبُ على الحكمة التقليدية (conventional wisdom) النظرية الموروثة التي يؤيدها أصحابُه أَلِيفَازُ وبِلْدَدُ وصُوفَرُ بدون تفكير أو مراجعة والتي لم تستطع أن تجيب على سؤاله: "لماذا أتألم رغم أنني بار؟!". وإنما اعتمد أيوب على التفكير (thinking)، بل اعتمد على مراجعة الأفكار (rethinking)، انطلاقاً من دراسته لواقع الحياة والخبرة الإنسانية بصفة عامة (empirical observation) وملاحظته الشخصية للتجربة الجديدة القاسية التي يمر بها بصفة خاصة (personal observation).

فإذا كان أصحابُ أيوب يسألون "الْقُرُونَ الأُولَى (أي: الأَجْيَالَ السَّالِفة؛ السلف الصالح)" (أيوب 8:8) ومن ثم يحصلون على المعرفة النظرية المكتوبة في الكتب "مِنَ الْقَدِيمِ" (أيوب 4:20) المنفصل تماماً عن الواقع الحالي، فإن أيوب يدعوهم أن يسألوا "عَابِرِي السَّبِيلِ (أي: أي إنسان يسير في الشارع)" (أيوب 29:21) حتى يحصلوا على المعرفة الحقيقية العملية التي تحدث فعلاً على أرض الواقع الآن: "حَاشَا لِي أَنْ أُبَرِّرَكُمْ (أي: لن أُقِرّ بِصَوَابِ أَقْوَالِكُمْ)!" (أيوب 5:27) "هَا أَنْتُمْ كُلُّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمْ (أي: عَايَنْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ أن ما تقولونه يخالف الواقع، فأنا بار ومع ذلك أتألم)، فَلِمَاذَا تَتَبَطَّلُونَ تَبَطُّلًا (بالعبرية: he-ḇel teh-bā-lū)؟ (أي: تَنْطِقُونَ بِالْبَاطِلِ؛ تقولون كلاماً بلا أي معنى complete nonsense)" (أيوب 12:27). فنستطيع إذن أن نقول إن هذا الخلاف يمثل حلقةً من حلقات الصراع المستمر إلى اليوم بين النظريين والعمليين، بين المتخلفين والتقدميين، بين المتزمتين والليبراليين، بين التقليديين والمجددين، بين أهل النقل وأهل العقل.

ولذلك اختلف أيوب مع أصحابه الثلاثة كما قلنا فيما سبق، بل وبَّخهم قائلاً: "قَدْ سَمِعْتُ كَثِيرًا مِثْلَ هذَا. مُعَزُّونَ مُتْعِبُونَ كُلُّكُمْ! هَلْ مِنْ نِهَايَةٍ لِكَلاَمٍ فَارِغٍ؟" (أيوب 16:2-3) "الْمُخَاتِلُونَ (أي: الْمُخَادِعُونَ؛ الْمُسْتَهْزِئُونَ) عِنْدِي، وَعَيْنِي تَبِيتُ عَلَى مُشَاجَرَاتِهِمْ" (أيوب 17:2) "فَلاَ أَجِدُ فِيكُمْ حَكِيمًا" (أيوب 17:10) "صَحِيحٌ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ شَعْبٌ وَمَعَكُمْ تَمُوتُ الْحِكْمَةُ!" (أيوب 12:2) "أَمَّا أَنْتُمْ فَمُلَفِّقُو كَذِبٍ. أَطِبَّاءُ بَطَّالُونَ كُلُّكُمْ (أي: تعطون علاجاً لا يقدم أية فائدة بل يضر). لَيْتَكُمْ تَصْمُتُونَ صَمْتًا. يَكُونُ ذلِكَ لَكُمْ حِكْمَةً" (أيوب 13:4-5) "خُطَبُكُمْ أَمْثَالُ رَمَادٍ، وَحُصُونُكُمْ حُصُونٌ مِنْ طِينٍ. «اُسْكُتُوا عَنِّي فَأَتَكَلَّمَ أَنَا" (أيوب 13:12-13). وكرر أنه ليس أقل منهم في الفهم والمعرفة: "لِي فَهْمٌ مِثْلَكُمْ. لَسْتُ أَنَا دُونَكُمْ" (أيوب 12:3) "مَا تَعْرِفُونَهُ عَرَفْتُهُ أَنَا أَيْضًا. لَسْتُ دُونَكُمْ" (أيوب 13:2) "أَنَا أَيْضًا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ مِثْلَكُمْ" (أيوب 16:4). "اِسْمَعُوا قَوْلِي سَمْعًا، وَلْيَكُنْ هذَا تَعْزِيَتَكُمْ. اِحْتَمِلُونِي وَأَنَا أَتَكَلَّمُ" (أيوب 21:2-3).

شعر أيوبُ أن أصحابه قد ظلموه باتهامات باطلة: "حَتَّى مَتَى تُعَذِّبُونَ نَفْسِي وَتَسْحَقُونَنِي بِالْكَلاَمِ؟ هذِهِ عَشَرَ مَرَّاتٍ (أي: مَرَّاتٍ كثيرة) أَخْزَيْتُمُونِي. لَمْ تَخْجَلُوا مِنْ أَنْ تَحْكِرُونِي (أي: تُعَنِّفوني؛ تُسيئون إِلَيَّ؛ تظلمونني بالتَّنْدِيدِ والتحقير من شأني). وَهَبْنِي (أي: فلنفترض أنني) ضَلَلْتُ حَقًّا. عَلَيَّ تَسْتَقِرُّ ضَلاَلَتِي (أي: تَعْنيني وَحْدي؛ لا تَخُصُّ سِواي؛ يقصد: أَخْطَائِي لم تؤذِ أحداً؛ ليس من حقكم أن تتدخلوا في الأمر أو تتصرفوا

وكأنكم الله)!" (أيوب 19:2-4) "هُوَذَا قَدْ عَلِمْتُ أَفْكَارَكُمْ وَالنِّيَّاتِ الَّتِي بِهَا تَظْلِمُونَنِي. [...] فَكَيْفَ تُعَزُّونَنِي بَاطِلًا (أي: بِلَغْوِ الْكَلامِ؛ بما يخالِف الحقائق) وَأَجْوِبَتُكُمْ بَقِيَتْ خِيَانَةً (أي: خِداعًا؛ غير أمينة؛ غير صادقة)؟" (أيوب 21:27-34). وهو يرى أنهم اتهموه اتهامات باطلة ظناً منهم أنهم بذلك يدافعون عن الله وينالون رضاه: "أَتَقُولُونَ لأَجْلِ اللهِ ظُلْمًا (أي: لإرضاءِ اللهِ تَنْطِقُونَ بِالْكَذِبِ)، وَتَتَكَلَّمُونَ بِغِشٍّ لأَجْلِهِ؟ أَتُحَابُونَ وَجْهَهُ، أَمْ عَنِ اللهِ تُخَاصِمُونَ (أي: تُدافِعونَ)؟" (أيوب 13:7-8).

ومن ثم، رأى أيوب أن أصحابه قد فقدوا مصداقيتهم ولا يمكن الاعتماد عليهم، فالفائدة المرجوَّة من مشورتهم لا تتعدَّى الفائدة المرجوَّة من مجرى نهر أو جَدْوَلٍ قد جفَّ في فصل الصيف: "حَقُّ الْمَحْزُونِ مَعْرُوفٌ مِنْ صَاحِبِهِ، وَإِنْ تَرَكَ خَشْيَةَ الْقَدِيرِ. أَمَّا إِخْوَانِي فَقَدْ غَدَرُوا مِثْلَ الْغَدِيرِ (أي: كَسَيْلٍ انْقَطَعَ مَاؤُهُ). مِثْلَ سَاقِيَةِ الْوُدْيَانِ يَعْبُرُونَ (أي: كَمِيَاهِ الأَوْدِيَةِ الْعَابِرَةِ)، [...]. إِذَا جَرَتِ انْقَطَعَتْ (أو: فَتَتَلاشَى فِي فَصْلِ الْجَفَافِ). إِذَا حَمِيَتْ جَفَّتْ (أي: بسبب الحرّ الشديد تختفي) مِنْ مَكَانِهَا" (أيوب 6:14-17)[4874]، فهو يشعر بالخذلان وخيبة الأمل فيهم لأنه توقع أن يتعاطفوا معه كأصدقاء لا أن يوجِّهوا إليه أصابع الاتهام كأعداء!

ولذلك دافع أيوبُ عن نفسه وجادلهم في حوارٍ طويل جداً كما قلنا فيما سبق. بل لجأ إلى تهديدهم وتخويفهم بنفس العقاب الإلهي الذي يزعمون أنه حَلَّ به لأنه يستحقه: "فَإِنَّكُمْ تَقُولُونَ: لِمَاذَا نُطَارِدُهُ؟ وَالْكَلاَمُ الأَصْلِيُّ (أي: أصل الأمر؛ أصل المشكلة) يُوجَدُ عِنْدِي (أو: كَيفَ نَضْطَهِدهُ لِيَعْلَمَ أَنَّ المُشكِلَةَ فِيهِ؟). [ولٰكِن] خَافُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنَ السَّيْفِ، لأَنَّ الْغَيْظَ مِنْ آثَامِ السَّيْفِ (أي: لِأنَّ غَضَبَكُمْ إثمٌ يَستَوْجِبُ السَّيْفَ). لِكَيْ تَعْلَمُوا مَا هُوَ الْقَضَاءُ (أي: الدينونة العادلة التي تتكلمون عنها)" (أيوب 19:28-29). وردَّ إليهم نفس الاتهام الذي اتهموه به زوراً: "لِيَكُنْ عَدُوِّي كَالشِّرِّيرِ، وَمُعَانِدِي كَفَاعِلِ الشَّرِّ" (أيوب 27:7).

وأثناء دفاعه عن نفسه، انتقد أيوبُ أصحابَه كما رأينا، وانتقد اللهَ ذاته كما سنرى!

كان أيوبُ يصر على برّه وبراءته: "كَامِلٌ أَنَا" (أيوب 9:21) "الصِّدِّيقُ الْكَامِلُ" (أيوب 12:4) "لَبِسْتُ الْبِرَّ فَكَسَانِي. كَجُبَّةٍ وَعَمَامَةٍ كَانَ عَدْلِي" (أيوب 29:14) "بِخَطَوَاتِهِ اسْتَمْسَكَتْ رِجْلِي (يقصد: سِرْتُ في طريق الله دائماً كما يتبع الطِّفْلُ أباه). حَفِظْتُ طَرِيقَهُ وَلَمْ أَحِدْ. مِنْ وَصِيَّةِ شَفَتَيْهِ لَمْ أَبْرَحْ (يقصد: لَمْ أَتَعَدَّ عَلَى وَصَايَا الله). أَكْثَرَ مِنْ فَرِيضَتِي (أي: طعامي الضروري اليومي) ذَخَرْتُ (أي: ادخرتُ) كَلاَمَ فِيهِ (أي: فَمِهِ)" (أيوب 23:11-12)[4875] "يَا أَرْضُ لاَ تُغَطِّي دَمِي (أي: لَا تَسْتُرِي دَمِي) [فأنا بريء مثل هابيل]، وَلاَ يَكُنْ مَكَانٌ لِصُرَاخِي (أي: وَلا يَكُنْ لِصُرَاخِي استقرارٌ في مكانٍ واحد فقط؛ وَلا يَكُنْ لِصُرَاخِي مَكَانٌ للاختباء)" (أيوب 16:18)[4876]. وهذا الإصرار على بره وبراءته جعله يشعر – حسب قانون الثواب والعقاب نفسه – أن الله قد ظلمه، وإلا لماذا يعذبه مع أنه بار؟! فاللهُ بالنسبة لأيوب هو "ذَاكَ الَّذِي يَسْحَقُنِي بِالْعَاصِفَةِ، وَيُكْثِرُ جُرُوحِي بِلاَ سَبَبٍ (for nought). لاَ يَدَعُنِي آخُذُ نَفَسِي، وَلكِنْ يُشْبِعُنِي مَرَائِرَ" (أيوب 9:17-18)! وفي الوقت نفسه، أعطاه هذا الإصرار على بره وبراءته جرأةً في الكلام والدفاع عن نفسه إذا أتيحت له الفرصة: "لأَنَّهُ (أي: الله) لَيْسَ هُوَ إِنْسَانًا مِثْلِي فَأُجَاوِبَهُ، فَنَأْتِي جَمِيعًا إِلَى الْمُحَاكَمَةِ. لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ

(أو: حَكَمٌ arbiter؛ أو: وَسِيطٌ mediator) يَضَعُ يَدَهُ عَلَى كِلَيْنَا[4877]. لِيَرْفَعْ عَنِّي عَصَاهُ (أي: عصا الله؛ يقصد: قضاءَ الله؛ غضبَ الله) وَلاَ يَبْغَتْنِي (أي: وَلاَ يُرَوِّعَنِي) رُعْبُهُ. إِذًا أَتَكَلَّمُ وَلاَ أَخَافُهُ (أي: فأتكلَّمَ بحرّيَّةٍ ولا أخافَ مِن الله)، لأَنِّي لَسْتُ هكَذَا عِنْدَ نَفْسِي (أي: لأَنَّ نَفْسِي بَرِيئَةٌ مِمَّا أُتَّهَمُ بِهِ)" (أيوب 9:32-35).

ومن الجدير بالذكر أن جملةَ "كَامِلٌ أَنَا" (أيوب 9:21) المذكورة في الفقرة السابقة وجدناها في بعض الترجمات في صيغة افتراضية "وهَبْني كاملاً"[4878] أو في صيغة سؤال "أنزيهٌ أنا؟"[4879]، وكأن أصحاب أيوب قد جعلوه يشك في كماله. وكالعادة توجد آراء أخرى. فقيل: "أذعن أيوب لحجَّة أليفاز التي اعتبرت أنه أخطأ، لا لأنه كان مقتنعاً، بل لأنه تعذَّر عليه، على ما يبدو، أن يجد تفسيراً آخر"[4880]. وقيل إن أيوب اقتنع فعلاً أنه مذنب، لكن كبرياءه منعه أن يعترف بآثامه أمام أصحابه، فكان يعترف بها فقط حين يناجي اللهَ، أو بالأحرى كان يسأل اللهَ عنها: "أَأَخْطَأْتُ؟" (أيوب 7:20). لكن مجرد السؤال عن خطاياه يعني ضمنياً أنه يشك في وجودها. وفي جميع الأحوال، ظل أيوب يرى أنه بريء 100% من نوعية الخطايا الكبيرة التي يستحق مَن يقترفها تلك المعاناة الفظيعة التي يمر بها هو. مما يعني أن أيوب ظل يرى أن الله قد ظلمه.

نعم، رأى أيوبُ أنه مظلوم ظلماً كبيراً لأنه حتى إذا كان قد أخطأ، فهو لا يستحق كُلَّ هذه المعاناة الجسيمة والمستمرة بلا توقف، بل لا يستحق أن يُعيره اللهُ كُلَّ هذا الاهتمام بأن يجلب عليه كُلَّ هذا البؤس والشقاء ليمتحنه: "سِهَام الْقَدِيرِ فِيَّ [...]. أَهْوَالُ اللهِ مُصْطَفَّةٌ ضِدِّي" (أيوب 6:4) "كُفَّ عَنِّي [يا الله] لأَنَّ أَيَّامِي نَفْخَةٌ. مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَعْتَبِرَهُ (أي: تَستَعظِمَه كما لو كان نداً لكَ)، وَحَتَّى تَضَعَ عَلَيْهِ قَلْبَكَ (أي: انتباهكَ؛ تركيزَك)؟ وَتَتَعَهَّدَهُ كُلَّ صَبَاحٍ، وَكُلَّ لَحْظَةٍ تَمْتَحِنُهُ؟ حَتَّى مَتَى لاَ تَلْتَفِتُ عَنِّي وَلاَ تُرْخِينِي رَيْثَمَا أَبْلَعُ رِيقِي؟ أَأَخْطَأْتُ؟ مَاذَا أَفْعَلُ لَكَ (أو: مَاذَا فَعَلتُ لَكَ؛ أي: ما تأثير خطيئتي كإنسانٍ محدود عليكَ أيها الإله غير المحدود؛ يقصد: ما هي الخطيئة الرهيبة التي ارتكبتها في حقكَ لاستحق كل تلك المعاناة الفظيعة) يَا رَقِيبَ النَّاسِ؟ لِمَاذَا جَعَلْتَنِي عَاثُورًا لِنَفْسِكَ (أي: هدفاً لكَ) حَتَّى أَكُونَ عَلَى نَفْسِي حِمْلًا (أو: عِبئًا علَيكَ)؟ وَلِمَاذَا لاَ تَغْفِرُ ذَنْبِي، وَلاَ تُزِيلُ إِثْمِي؟ (أي: لماذا لا تغض الطرف عن خطيئتي [الافتراضية]؟)" (أيوب 7:16-21). "كَمْ لِي مِنَ الآثَامِ وَالْخَطَايَا؟ أَعْلِمْنِي ذَنْبِي وَخَطِيَّتِي[4881]. لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ (أي: تمنع عَنِّي بركتَك؟ أو: تمنع عَنِّي معرفةَ سبب آلامي؟)، وَتَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَكَ؟ أَتُرْعِبُ وَرَقَةً مُنْدَفَعَةً (أي: تَحْمِلُهَا الرِّيحُ)، وَتُطَارِدُ قَشًّا يَابِسًا؟ (يقصد: لا يصح أيها الإله القدير أن تتخذني أنا الإنسان الضعيف عَدُوًّا لَكَ) لأَنَّكَ كَتَبْتَ عَلَيَّ أُمُورًا مُرَّةً، وَوَرَّثْتَنِي آثَامَ صِبَايَ (أي: وَجَعَلتَنِي أُعَانِي الآن بِسَبَبِ آثَامِ شَبَابِي؛ أو: بِسَبَبِ آثَامِي قبل سن الرشد)، فَجَعَلْتَ رِجْلَيَّ فِي الْمِقْطَرَةِ (أي: تُقَيّدُ قَدَمَيَّ بِالخَشَبِ وَالحَدِيدِ كأي مجرم مدان مسجون فلا أستطيع الحركةَ نهائيًا)، وَلاَحَظْتَ جَمِيعَ مَسَالِكِي (يقصد: وضعتَ جميع تصرفاتي تحت المجهر لتبحث عن أي خطأ ارتكبتُه لإدانتي؛ أي: رَاقَبْتَ جَمِيعَ سُبُلِي ليس بهدف رعايتي وإنما بهدف مناكفتي)، وَعَلَى أُصُولِ رِجْلَيَّ نَبَشْتَ (أو:

خَطَّطْتَ عَلامَاتٍ عَلَى بَاطِنِ قَدَمَيَّ[4882] لِتَقْتَفِي أثري؛ يقصد: لتبحث عن أي خطأ ارتكبتُه حتى في الماضي). وَأَنَا كَمُتَسَوِّسٍ يَبْلَى (أي: كخَشَبٍ نَخَرَهُ السُّوسُ)، كَثَوْبٍ أَكَلَهُ الْعُثُّ" (أيوب 13:23-28).

آلام أيوب ومعاناته بالإضافة إلى شعوره بالظلم جعلاه يطلب الموتَ لنفسه "يَا لَيْتَ طِلْبَتِي تَأْتِي وَيُعْطِينِيَ اللهُ رَجَائِي! أَنْ يَرْضَى اللهُ بِأَنْ يَسْحَقَنِي، وَيُطْلِقَ يَدَهُ فَيَقْطَعَنِي. [...]" (أيوب 6:8-13) عاجلاً وليس آجلاً: "مَا هِيَ قُوَّتِي حَتَّى أَنْتَظِرَ؟ وَمَا هِيَ نِهَايَتِي (أي: مَصِيري) حَتَّى أُصَبِّرَ نَفْسِي؟" (أيوب 6:11)! "فَلِمَاذَا لاَ تَضِيقُ رُوحِي؟ (أي: فَلِمَاذَا لَا أَكُونُ ضَيِّقَ الْخُلُقِ؟ Why should I not be impatient؛ فلِماذا لا أكونُ قَصيرَ البال؟؛ يقصد: وَلِهَذَا لَا صَبْرَ لِي) (Why should I not lose my patience?)" (أيوب 21:4)! وربما فكَّر في الانتحار: "رَذَلْتُ حَيَاتِي" (أيوب 9:21) "كَرِهَتْ نَفْسِي حَيَاتِي" (أيوب 10:1) "فَاخْتَارَتْ نَفْسِي الْخَنِقَ (أي: فَضَّلْتُ الاخْتِنَاقَ)، الْمَوْتَ عَلَى عِظَامِي هذِهِ" (أيوب 7:15)[4883]. فالموت بالنسبة لأيوب هو المهرب الوحيد والنهاية: "إِنْ مَاتَ رَجُلٌ أَفَيَحْيَا؟ (أي: لو كانَ الإنسانُ يموتُ فيَحيا) كُلَّ أَيَّامِ جِهَادِي أَصْبِرُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بَدَلِي (أي: لانتَظَرتُ كُلَّ أَيَّامِ شَقائي حتَّى يأتِيَ زَمَنُ إعفائِي)" (أيوب 14:14). فهل هذا شخص يُمكن أن يُوصَف بالصبر؟! وقال أيوبُ أيضاً: "أَيَّامِي أَسْرَعُ مِنَ الْوَشِيعَةِ (أي: مَكُّوكِ النَّسَّاجِين a weaver's shuttle الذي يتحرك لكن ذهاباً وإياباً في حركةٍ متكررة وفي نفس الحيز الضيق)، وَتَنْتَهِي بِغَيْرِ رَجَاءٍ (أو: وقد نَفِدَت لِفُقْدانِ الخُيوط)" (أيوب 7:6)! "فَأَيْنَ إِذًا آمَالِي؟ آمَالِي، مَنْ يُعَايِنُهَا؟ تَهْبِطُ [آمَالِي] إِلَى مَغَالِيقِ الْهَاوِيَةِ (Sheol) (أي: عَالَمِ الأَمْوَاتِ؛ أو: القَبْر) إِذْ تَرْتَاحُ مَعًا (أي: وَنَستَقِرُّ أنا وآمالي مَعاً) فِي التُّرَابِ" (أيوب 17:15-16)! أليس من حقنا إذن أن نقول إن سفر أيوب يؤكد أن أيوب كان يعاني من اليأس وفقدان الأمل ولو لفترةٍ وجيزة؟

أيوب يستمر في استجواب الله كما لو كان خصمه في قاعة المحاكمة، ويشبِّه اللهَ بالأسد الذي يصطاد فريستَه! **(أيوب 10):** {1} [قال أيوبُ] «قَدْ كَرِهَتْ نَفْسِي حَيَاتِي. أُسَيِّبُ شَكْوَايَ (أي: أُطْلِقُ العَنَانَ لِشَكْوَايَ). أَتَكَلَّمُ فِي مَرَارَةِ نَفْسِي. {2} قَائِلًا للهِ: لاَ تَسْتَذْنِبْنِي (Do not condemn me). فَهِّمْنِي لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي! {3} أَحَسَنٌ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ، أَنْ تُرْذِلَ (أي: تنبذ) عَمَلَ يَدَيْكَ، وَتُشْرِقَ عَلَى مَشُورَةِ الأَشْرَار (أي: تُحَبِّذ أو تُعينَ مَشُورَةَ الأَشْرَار!)؟ {4} أَلَكَ عَيْنَا بَشَرٍ، أَمْ كَنَظَرِ الإِنْسَانِ تَنْظُرُ؟ (يقصد: لماذا تخطئ في الحُكْمِ؟ كما لو كانت عيناك مثل عيون البشر) {5} أَأَيَّامُكَ كَأَيَّامِ الإِنْسَانِ، أَمْ سِنُوكَ كَأَيَّامِ الرَّجُلِ (أي: في قِصَرِها)، {6} حَتَّى تَبْحَثَ عَنْ إِثْمِي وَتُفَتِّشَ عَلَى خَطِيَّتِي؟ (يقصد: بما أنكَ يا الله أبدي ولن تموت، فهل توجد خطيَّةٌ بشريةٌ تهددكَ أو تؤثر عليكَ؟) {7} فِي عِلْمِكَ أَنِّي لَسْتُ مُذْنِبًا (أي: أنتَ تعلم أنني بار وبريء، وبالتالي فأنتَ لا تعاقبني لأنكَ تظن أنني مذنب، وإنما تعاقبني لأنكَ ظالم!)، وَلاَ مُنْقِذَ مِنْ يَدِكَ. {8} «يَدَاكَ كَوَّنَتَانِي وَصَنَعَتَانِي كُلِّي جَمِيعًا، أَفَتَبْتَلِعُنِي؟ {9} اُذْكُرْ أَنَّكَ جَبَلْتَنِي كَالطِّينِ، أَفَتُعِيدُنِي إِلَى التُّرَابِ؟ {10} أَلَمْ تَصُبَّنِي كَاللَّبَنِ (يقصد: السائل المنوي)، وَخَثَّرْتَنِي (أي: ثَخَّنْتَنِي؛ جَمَّدْتَني) كَالْجُبْنِ (يقصد: الجنين في الرحم)؟ {11} كَسَوْتَنِي جِلْدًا وَلَحْمًا، فَنَسَجْتَنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ. {12} مَنَحْتَنِي حَيَاةً وَرَحْمَةً، وَحَفِظَتْ عِنَايَتُكَ رُوحِي (أي: لم تُميتني؛ أو:

حفظتني من عدم الإيمان؛ يقصد: بينما لم تحفظ عِنَايَتُكَ جسدي). {13} لكِنَّكَ كَتَمْتَ هذِهِ [الأمور؛ أو: سببَ آلامي] فِي قَلْبِكَ. عَلِمْتُ أَنَّ هذَا عِنْدَكَ (أي: قَصْدُكَ): {14} إِنْ أَخْطَأْتُ تُلاَحِظُنِي وَلاَ تُبْرِئُنِي مِنْ إِثْمِي. {15} إِنْ أَذْنَبْتُ فَوَيْلٌ لِي، وَإِنْ تَبَرَّرْتُ (أي: وحتى إِنْ كُنْتُ بريئاً) لاَ أَرْفَعُ رَأْسِي. إِنِّي شَبْعَانُ هَوَانًا وَنَاظِرٌ مَذَلَّتِي. {16} وَإِنِ ارْتَفَعَ (أي: شَمَخْتُ برأسي) تَصْطَادُنِي كَأَسَدٍ، ثُمَّ تَعُودُ وَتَتَجَبَّرُ عَلَيَّ. {17} تُجَدِّدُ شُهُودَكَ تُجَاهِي (أي: هَجَماتِكَ في وجهي)، وَتَزِيدُ غَضَبَكَ عَلَيَّ. نُوبٌ وَجَيْشٌ (أي: تُؤلِّبُ جيوشاً تَتَنَاوَبُ) ضِدِّي. {18} «فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنِي مِنَ الرَّحِمِ؟ كُنْتُ قَدْ أَسْلَمْتُ الرُّوحَ (أي: ألم يكن أحسن لو مِتُّ قَبْلَ مولدي) وَلَمْ تَرَنِي عَيْنٌ! {19} فَكُنْتُ كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ، فَأُقَادَ مِنَ الرَّحِمِ إِلَى الْقَبْرِ (from womb to tomb). {20} أَلَيْسَتْ أَيَّامِي قَلِيلَةً؟ اتْرُكْ (أي: دَعْنِي)! كُفَّ عَنِّي فَأَتَبَلَّجَ (أي: فأبتهج) قَلِيلًا، {21} قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ وَلاَ أَعُودَ. إِلَى أَرْضِ ظُلْمَةٍ وَظِلِّ الْمَوْتِ (يقصد: ظُلْمَةِ الْقَبْرِ)[4884]، {22} أَرْضِ ظَلاَمٍ مِثْلِ دُجَى ظِلِّ الْمَوْتِ وَبِلاَ تَرْتِيبٍ (أي: أرض اضطراب وفوضى؛ ليست أرض راحة)، وَإِشْرَاقُهَا كَالدُّجَى (أي: حيث النور كالظلام العميق)».

أيوب ينتقد الله نقداً لاذعاً ويصفه بصفات الأشرار الذين يهاجمون الأبرار، مثل "عَدُوِّي" الذي "غَضَبُهُ افْتَرَسَنِي وَاضْطَهَدَنِي" و "حَرَقَ عَلَيَّ أَسْنَانَهُ"! **(أيوب 16):** {6} [قال أيوبُ] «إِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ تَمْتَنِعْ كَآبَتِي، وَإِنْ سَكَتُّ فَمَاذَا يَذْهَبُ عَنِّي؟ (يقصد: فلن تتحسن حالتي) {7} إِنَّهُ (أي: الله) الآنَ ضَجَّرَنِي (أي: أجهَدَني؛ أصابني بالضيق). [فإِنَّكَ يا الله] خَرَّبْتَ كُلَّ جَمَاعَتِي. {8} قَبَضْتَ عَلَيَّ (أي: كَبَّلْتَنِي؛ أو: مَلأتَ وَجْهِي بِالتَّجَاعِيدِ). وُجِدَ شَاهِدٌ (أي: فصار ذلك شاهداً ضدي؛ يقصد: فصارت آثارُ الأمراض الظاهرة عَلَيَّ تُستخدَم ضدي كدليل على أن الله قد نبذني). قَامَ عَلَيَّ هُزَالِي يُجَاوِبُ فِي وَجْهِي (أي: يَشْهَدَ عن ذنبي). {9} غَضَبُهُ (أي: غَضَبُ الله) افْتَرَسَنِي وَاضْطَهَدَنِي (persecutes) (بالعبرية: way·yiś·ṭə·mê·nî). حَرَقَ عَلَيَّ أَسْنَانَهُ (أي: صرَّ بأسنانه إعلانًا لغيظه واستعداداً للافتراس)[4885]. عَدُوِّي (يقصد: اللهُ!) يُحَدِّدُ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ (أو: طَعَنَنِي بنظراته الحادة) **[← جعل صاحبُ رواية سورة ص أيوبَ ينسب ضيقاته إلى الشيطان – وليس الله – تأدباً مع الله كما يُقال: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" (ص 41). لكن السبب الحقيقي هو تأثر صاحب رواية سورة ص بالتراث اليهودي-المسيحي كما رأينا في ميمر يعقوب السروجي وسفر وصية أيوب السوديبِجرافي الخرافي والتلمود البابلي. وربما نراه هنا أيضاً، لأن الفعل العبري (satam) المستخدَم في (أيوب 9:16) له علاقة بالأصل العبري لكلمة "شيطان" (Satan)، ولذلك فإن الشيطان يُسمَّى (Mastema) في التراث اليهودي المتأخر[4886] مثل كتاب اليوبيلات (Jubilees) الذي تعترف بقانونيته كنيسةُ الحبشة (أثيوبيا) التي هاجر إليها المسلمون الأوائل].**

أيوب يرى أن الله يحاربه من كل جهة "أَحَاطَتْ بِي رُمَاتُهُ (أي: رُمَاةُ سِهامِهِ)"، ثم يلقي التهم الكثيرة على الله، ثم يلخص مأساته: فبالرغم من كونه باراً، إلا أن هذا الإله المحارب الظالِم يجعله يعاني باستمرار! **(أيوب 16):** {10} فَغَرُوا (أي: فَغَرَ النَّاسُ؛ أو فَغَرَ أصحابي الثلاثة) عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ. لَطَمُونِي عَلَى فَكِّي

تَعْيِيرًا. تَعَاوَنُوا عَلَيَّ جَمِيعًا. (يقصد: اضطهادُ اللهِ لي أعطى فرصةً للآخرين أن يهجموا عَلَيَّ) {11} دَفَعَنِيَ اللهُ إِلَى الظَّالِمِ، وَفِي أَيْدِي الأَشْرَار طَرَحَنِي. {12} كُنْتُ مُسْتَرِيحًا فَزَعْزَعَنِي [اللهُ]، وَأَمْسَكَ بِقَفَايَ فَحَطَّمَنِي، وَنَصَبَنِي لَهُ غَرَضًا (أي: هَدَفاً). {13} أَحَاطَتْ بِي رُمَاتُهُ (أي: رُمَاةُ سِهامِهِ؛ يقصد: السَّبَئِيُّون والْكَلْدَانِيُّون ونَارُ اللهِ والريح الشديدة، وربما يقصد أيضاً: أصحابُه الثلاثة المُتْعِبُون)[4887]. شَقَّ [اللهُ] كُلْيَتَيَّ وَلَمْ يُشْفِقْ (أي: بلا رحمة!). سَفَكَ مَرَارَتِي عَلَى الأَرْضِ. {14} يَقْتَحِمُنِي اقْتِحَامًا عَلَى اقْتِحَامٍ (أي: مَرَّةً تِلْوَ مَرَّةٍ؛ فالضربات كانت متوالية). يَعْدُو عَلَيَّ (أي: يهجم عَلَيَّ؛ يجري فوقي ويدوس عَلَيَّ) كَجَبَّارٍ. {15} خِطْتُ مِسْحًا (أي: ملابس خشنة ترمز للحزن والذل؛ sackcloth) عَلَى جِلْدِي، وَدَسَسْتُ فِي التُّرَابِ قَرْنِي (أي: عِزّي؛ مجدي). {16} اِحْمَرَّ وَجْهِي مِنَ الْبُكَاءِ، وَعَلَى هُدُبِي (أي: جَفنيَّ؛ رموش عَيْنَيْ) ظِلُّ الْمَوْتِ (أي: الظلامُ)[4888]. {17} مَعَ أَنَّهُ لاَ ظُلْمَ فِي يَدِي (أي: لم أقترف ظلماً)، وَصَلاَتِي خَالِصَةٌ (أي: نقيَّة؛ طاهرة).

لكن يجب أن نؤكد على أن أيوب حين قال كُلَّ ما سبق لم يكن منشغلاً باستعادة صحته وأولاده وأمواله بقدر ما كان منشغلاً بأن يفهم سببَ مرضه وشقائه وآلامه الفظيعة على الرغم من بِرّه: "حِينَمَا تَرَجَّيْتُ الْخَيْرَ (أي: تَوَقَّعْتُ أن يباركني اللهُ ثواباً على بِرّي ومكافأةً على أعمالي الصالحة) جَاءَ الشَّرُّ (أي: آلام ومعاناة لا أعرف سببها)، وَانْتَظَرْتُ النُّورَ فَجَاءَ الدُّجَى" (أيوب 26:30). ومما زاد من حيرة هذا الإنسان البار المتألم أنه في المقابل يرى الأشرار يتمتعون بحياتهم وأولادهم! "لِمَاذَا تَحْيَا الأَشْرَارُ وَيَشِيخُونَ، نَعَمْ وَيَتَجَبَّرُونَ قُوَّةً؟ (يقصد: أما أنا البار فضعيف ومريض!) نَسْلُهُمْ قَائِمٌ أَمَامَهُمْ مَعَهُمْ، وَذُرِّيَّتُهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ (يقصد: أما أنا البار ففقدتُ أبنائي وبناتي كلهم في ريعان شبابهم!). بُيُوتُهُمْ آمِنَةٌ مِنَ الْخَوْفِ (يقصد: أما أنا البار فهجم السَّبَئِيُّون والْكَلْدَانِيُّون على ممتلكاتي!)، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ عَصَا اللهِ. ثَوْرُهُمْ يُلْقِحُ وَلاَ يُخْطِئُ. بَقَرَتُهُمْ تُنْتِجُ وَلاَ تُسْقِطُ (يقصد: أما أنا البار ففقدتُ كُلَّ ماشيتي!)" (أيوب 21:7-10)[4889]. "فَيَقُولُونَ (أي: فيقول الأشرار) للهِ: ابْعُدْ عَنَّا، وَبِمَعْرِفَةِ طُرُقِكَ لاَ نُسَرُّ. مَنْ هُوَ الْقَدِيرُ حَتَّى نَعْبُدَهُ؟ وَمَاذَا نَنْتَفِعُ إِنِ الْتَمَسْنَاهُ (أي: إنْ صَلَّيْنَا إِلَيْهِ)؟" (أيوب 21:14-15). "خِيَامُ الْمُخَرِّبِينَ (أي: اللصوص) مُسْتَرِيحَةٌ، وَالَّذِينَ يُغِيظُونَ اللهَ مُطْمَئِنُّونَ، الَّذِينَ يَأْتُونَ بِإِلهِهِمْ فِي يَدِهِمْ (أي: الذين يعبدون صنماً؛ يعبدون ما فِي يَدِهِمْ كالمال مثلاً)!" (أيوب 6:12). وما قاله أيوب في الآيات السابقة ليس مجرد استثناء بسيط لقاعدة الثواب والعقاب (المجازاة العادلة)، وإنما هذا يضرب قاعدةَ الثواب والعقاب في مقتل، أو يعني أن الله غير حكيم وغير عادل وغير صالح[4890]، ليس فقط في علاقته مع أيوب، ولكن أيضاً في علاقته بالخليقة بأسرها: "رَذَلْتُ حَيَاتِي. هِيَ وَاحِدَةٌ (أي: الأَمْرُ سِيَّان). لِذلِكَ قُلْتُ: إِنَّ الْكَامِلَ وَالشِّرِّيرَ هُوَ يُفْنِيهِمَا (أي: اللهُ يُمِيتهمَا على حَدٍّ سَواءٍ!)[4891]. إِذَا قَتَلَ السَّوْطُ بَغْتَةً، يَسْتَهْزِئُ (أو: يَفْرحُ) [اللهُ] بِتَجْرِبَةِ الأَبْرِيَاءِ. الأَرْضُ مُسَلَّمَةٌ لِيَدِ الشِّرِّير (يقصد: اللهِ! أو أن الله ترك الأرضَ تَحْتَ سُلطَةِ قوى الشر). يُغَشِّي وُجُوهَ قُضَاتِهَا (أي: أَعْمَى اللهُ عُيُونَ قُضَاتِهَا فلا يَرَونَ الجريمةَ ولا البراءةَ). وَإِنْ لَمْ يَكُنْ [اللهُ] هُوَ [الْفَاعِلُ؛ المسؤولُ؛ الذي وَرَاءَ هَذِهِ الأُمُور]، فَإِذًا مَنْ؟" (أيوب 9:21-24). الأمر الذي دفع أيوبَ إلى إعادة النظر في قاعدة الثواب والعقاب بل إعادة النظر في أسلوب تعامل الله مع الإنسان.

ومع أنه من الصعب جداً أن نلخِّص كُلَّ كلام أيوب في جملةٍ واحدة، إلا أنه يمكننا القول إن أيوب رأى أن الأمر لا يخرج عن احتمالين اثنين. الاحتمال الأول: الله يدير الكونَ بقانونٍ آخر غير قانون الثواب والعقاب (المجازاة العادلة). الاحتمال الثاني: الله نفسه غير عادل في أحكامه، أي: غير حكيم!

وعلى الرغم من شك أيوب في عدالة الله وحكمته، إلا أنه لم يجد أمامه ملاذاً آخر سوى أن يطلب أن يقف أمام الله في محاكمةٍ ليدافع عن براءته؛ ليس بمعنى أنه إنسان بلا خطيئة، وإنما بمعنى أنه بريء 100% من نوعية الخطايا الكبيرة التي يستحق مَن يقترفها تلك المعاناة الفظيعة التي يمر بها هو، أي: بريء من أية خطية تتناسب مع معاناته. "أُرِيدُ أَنْ أُكَلِّمَ الْقَدِيرَ، وَأَنْ أُحَاكَمَ إِلَى اللهِ" (أيوب 3:13) **[← "أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ" (الأنبياء 83) (ص 41)]**. "فَهذَا يَعُودُ إِلَى خَلاَصِي (أي: لأنَّ هَذَا سَبِيلُ خَلاصِي)، أَنَّ (أي: لأنَّ) الْفَاجِرَ لاَ يَأْتِي قُدَّامَهُ. [...] هأَنَذَا قَدْ أَحْسَنْتُ الدَّعْوَى. أَعْلَمُ أَنِّي أَتَبَرَّرُ. مَنْ هُوَ الَّذِي يُخَاصِمُنِي حَتَّى أَصْمُتَ الآنَ وَأُسْلِمَ الرُّوحَ؟ إِنَّمَا أَمْرَيْنِ لاَ تَفْعَلْ بِي [يا الله]، فَحِينَئِذٍ لاَ أَخْتَفِي مِنْ حَضْرَتِكَ. أَبْعِدْ يَدَيْكَ (يقصد: العقابَ الإلهي) عَنِّي، وَلاَ تَدَعْ هَيْبَتَكَ تُرْعِبُنِي. ثُمَّ ادْعُ [عبدَك أيوب إلى المحاكمة] فَأَنَا أُجِيبُ، أَوْ أَتَكَلَّمُ فَتُجَاوِبُنِي" (أيوب 16:13-22). "الْيَوْمَ أَيْضًا شَكْوَايَ تَمَرُّدٌ. ضَرْبَتِي أَثْقَلُ مِنْ تَنَهُّدِي (أو: اليَد التي عَلَيَّ أَثْقَلُ مِن أَنِينِي؛ يَدُ اللهِ عَلَيَّ ثَقِيلَةٌ رُغْمَ أنِينِي؛ يقصد: آلامي أكثر بكثير مما قلته). مَنْ يُعْطِينِي أَنْ أَجِدَهُ (أي: أَجِدَ اللهَ)، فَآتِيَ إِلَى كُرْسِيِّهِ، أُحْسِنُ الدَّعْوَى أَمَامَهُ، وَأَمْلأُ فَمِي حُجَجًا، فَأَعْرِفُ الأَقْوَالَ الَّتِي بِهَا يُجِيبُنِي، وَأَفْهَمُ مَا يَقُولُهُ لِي؟ أَبِكَثْرَةِ قُوَّةٍ (أي: أَبِعَظَمَةِ جَبَروتِه) يُخَاصِمُنِي؟ كَلاَّ! وَلكِنَّهُ كَانَ يَنْتَبِهُ إِلَيَّ (أو: يُصغي إليَّ؛ يَعطِف عليَّ أكثر منكم). هُنَالِكَ كَانَ يُحَاجُّهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَكُنْتُ أَنْجُو إِلَى الأَبَدِ مِنْ قَاضِيَّ" (أيوب 2:23-7).

ولمَّا لم يستجب اللهُ لطلب أيوب، شعر أيوبُ أن الله تركه يعاني وتجاهله تماماً. فاستمر أيوب في انتقاد الله واتهامه بالظلم. **(أيوب 19):** {6} فَاعْلَمُوا إِذًا أَنَّ اللهَ قَدْ عَوَّجَنِي (has perverted me) (أي: آذاني؛ أَوْقَعَنِي فِي الْخَطَأِ؛ يقصد: الله هو المذنب بمعاقبتي ظُلْمًا)، وَلَفَّ عَلَيَّ أُحْبُولَتَهُ (أي: وَأَلْقَى شِبَاكَهُ عَلَيَّ). {7} هَا إِنِّي أَصْرُخُ ظُلْمًا (أي: أَسْتَغِيثُ مِنَ الظُّلْمِ/العُنْفِ) فَلاَ أُسْتَجَابُ[4892]. أَدْعُو وَلَيْسَ حُكْمٌ (أي: أَهْتِفُ عَالِياً وَلَيْسَ مِنْ قضاءٍ مُنْصِفٍ). {8} قَدْ حَوَّطَ [اللهُ] طَرِيقِي فَلاَ أَعْبُرُ (أي: منعني من السير والتقدم في حياتي)، وَعَلَى سُبُلِي جَعَلَ ظَلاَمًا. {9} أَزَالَ [اللهُ] عَنِّي كَرَامَتِي وَنَزَعَ تَاجَ رَأْسِي. {10} هَدَمَنِي [اللهُ] مِنْ كُلِّ جِهَةٍ فَذَهَبْتُ (أي: فَتَلاشَيْتُ؛ فهَلَكتُ)، وَقَلَعَ مِثْلَ شَجَرَةٍ رَجَائِي (أي: واستَأصَلَ أملي استِئصالَ الشَّجَرَة)، {11} وَأَضْرَمَ (أي: أشعل) عَلَيَّ غَضَبَهُ، وَحَسِبَنِي كَأَعْدَائِهِ. {12} مَعًا جَاءَتْ غُزَاتُهُ (أي: زَحَفَتْ قُوَّاتُ الله بأجمَعِهم دَفْعَةً وَاحِدَةً)، وَأَعَدُّوا عَلَيَّ طَرِيقَهُمْ (أي: لِيُمَهِّدُوا طَرِيقَ حِصَارٍ ضِدِّي)، وَحَلُّوا حَوْلَ خَيْمَتِي [الضعيفة التي لا تحتاج أصلاً لحصار فهي ليست حصناً منيعاً] (يقصد: لا يوجد أي تناسب بين ضعف الإنسان وجبروت الله). {13} قَدْ أَبْعَدَ [اللهُ] عَنِّي إِخْوَتِي، وَمَعَارِفِي زَاغُوا عَنِّي[4893]. {14} أَقَارِبِي قَدْ خَذَلُونِي، وَالَّذِينَ عَرَفُونِي نَسُونِي. {15} نُزَلاَءُ بَيْتِي وَإِمَائِي يَحْسِبُونَنِي أَجْنَبِيًّا. صِرْتُ فِي أَعْيُنِهِمْ غَرِيبًا. {16} عَبْدِي دَعَوْتُ فَلَمْ يُجِبْ (يقصد: كما دَعَوْتُ إلهي فَلَمْ يُجِبْ). بِفَمِي تَضَرَّعْتُ إِلَيْهِ. {17} نَكْهَتِي (أي: رَائِحَةُ أَنْفَاسِي) مَكْرُوهَةٌ عِنْدَ

امْرَأَتِي، وَخَمَمْتُ (أي: أمسيتُ مُنْتِنًا) عِنْدَ أَبْنَاءِ أَحْشَائِي (أي: بَني أُمِّي؛ يقصد: إخْوَتِي؛ وقيل إنه يقصد الذين وُلِدوا في بيته كأبناء عبيده وأبناء سراريه أو أبناء قبيلته بصفة عامة). {18} اَلأَوْلاَدُ [الصِّغارُ] أَيْضًا قَدْ رَذَلُونِي (أي: رفضوني). إِذَا قُمْتُ يَتَكَلَّمُونَ عَلَيَّ. {19} كَرِهَنِي كُلُّ رِجَالِي، وَالَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمُ انْقَلَبُوا عَلَيَّ. {20} عَظْمِي قَدْ لَصِقَ بِجِلْدِي وَلَحْمِي، وَنَجَوْتُ بِجِلْدِ أَسْنَانِي (أي: بحياتي فقط وبلا شيء آخر، فالأسنان ليس لها جِلْد!). {21} تَرَاءَفُوا، تَرَاءَفُوا أَنْتُمْ عَلَيَّ يَا أَصْحَابِي، لأَنَّ يَدَ اللهِ قَدْ مَسَّتْنِي (touched me) (أي: ضَرَبَتْنِي) [← "مَسَّنِيَ" (ص 41) (الأنبياء 83)]. {22} لِمَاذَا تُطَارِدُونَنِي كَمَا اللهُ (أي: وكأنكم الله!)، وَلاَ تَشْبَعُونَ مِنْ لَحْمِي (أي: أكل لَحْمِي؛ التشهير بي وإذاعة السوء عني)؟ {23} «لَيْتَ كَلِمَاتِي الآنَ تُكْتَبُ. يَا لَيْتَهَا رُسِمَتْ فِي سِفْرٍ، {24} وَنُقِرَتْ إِلَى الأَبَدِ فِي الصَّخْرِ بِقَلَمِ حَدِيدٍ[4894] وَبِرَصَاصٍ. {25} أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي (أي: فَادِيَّ؛ Vindicator؛ Redeemer) حَيٌّ، وَالآخِرَ عَلَى الأَرْضِ يَقُومُ (أي: لاَ بُدَّ في النهاية أن يَقومَ على الأرضِ لِلدِّفَاعِ عَنِّي)، {26} وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هذَا، وَبِدُونِ جَسَدِي (الترجمة الأكثر دقة: في جَسَدي؛ while still in my flesh) أَرَى اللهَ. {27} الَّذِي أَرَاهُ أَنَا لِنَفْسِي (أي: بِنَفْسي)، وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرُ (أي: وَلَا عَينَا غيري). إِلَى ذلِكَ تَتُوقُ كُلْيَتَايَ فِي جَوْفِي (أي: إِلَى ذلِكَ أشتاق مِنْ أعْمَاقِي).

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس تعليقاً على الآيات الثلاث الأخيرة (أيوب 19:25-27): "ويقرأ التقليد المسيحي الإعلانَ في ["وَلِيِّي"] (أيوب 19:25) كإشارة للمسيح، وهي قراءة تسيطر على النص لدرجة تخفي معناه الأصلي. كما أن التقليد المسيحي وجد في (أيوب 19:25-27) إثبات للقيامة الجسدية، رغم عدم قبول ذلك كثيراً في الأوساط اللاهوتية اليوم. ولفهم المعنى الحقيقي لإعلان أيوب هنا علينا أن ندرك أن تعبير **ج و إ ي ل** (وليّ، فادي، مخلص) (أيوب 19:25) يأتي من إطار القوانين العائلية، حيث يطلق على الذكر الأقرب في العائلة والذي يطلب إليه أن يقوم بحماية العائلة عندما يعجز رب تلك العائلة عن القيام بذلك. ويتضمن ذلك استعادة ممتلكات عائلة تسقط بيد غرباء (اللاويين 25:25-28) [...]، دفع فدية قريب يسقط في العبودية (اللاويين 25:47-49) [...]، الزواج من أرملة وتأمين نسل ووريث لقريبه المتوفي [...]، والثأر لدم قريب مقتول [...]. في الكتاب المقدس، الله يدعى بـ "جوئيل" المتألمين والمأسورين والضعيفين والعاجزين (الخروج 6:6، 13:15) (المزامير 74:2) (الأمثال 23:11) (إشعياء 49:7-9) (إرميا 50:34) (مراثي إرميا 3:58) [...]. وبالتالي فالأولى لا بد أن يكون [الوليّ الذي يعلنه أيوب في (أيوب 19:25) هو] نفس الكائن السماوي الذي يرجوه أيوب في (أيوب 16:19) [ليلعب دور الشاهد لصالحه المدافع عنه في محكمة الله] (انظر أيضاً [الكائن السماوي الذي يرجوه أيوب ليلعب دوراً في محاكمته ضد الله، كالحكم بالعدل بين ادعاءاته وادعاءات الله] (أيوب 9:33)). من جهتها، لا تشير (أيوب 19:25-27) إلى القيامة أو الحياة بعد الموت، بما أن ذلك المفهوم غير موجود في أيوب، ولم يكن قد دخل الفكر اليهودي في تلك المرحلة بعد (أيوب 14:12، 21) (الجامعة 9:5). لكن الترجمة الأفضل لـ (أيوب 19:26ب-27ب) هي "ولكن أرى الله وأنا في جسدي، الذي أراه أنا لنفسي، وعيناي تنظران وليس آخر

.." [...] فأيوب يعلن رجاءه بنيل العدالة قبل موته، مدركاً أن الموت الذي طلبه في خطاباته السابقة لن يعيد إليه كرامته وبالتالي فهو يحتاج إلى رد تلك الكرامة قبل أن يموت"[4895].

ولمَّا لم يحقق اللهُ لأيوب طلبَه ولم يرد له كرامتَه، ظلَّ أيوبُ يؤكد براءتَه وبِرَّه بلسانه إلى أن أنهى كلامَه مع أصحابه معلناً أنه لن يعترف بذنوبٍ هو لم يرتكبها حتى يُرضي أصحابَه، أو بالأحرى حتى يُرضي اللهَ كما زعم أصحابُه وألحوا عليه: "حَيٌّ هُوَ اللهُ الَّذِي نَزَعَ حَقِّي (أي: يَمْنَعُنِي اللهُ مِنْ أخذِ حَقِّي)، وَالْقَدِيرُ الَّذِي أَمَرَّ نَفْسِي (أي: مَلأَ اللهُ حَيَاتِي مرارةً)، إِنَّهُ مَا دَامَتْ نَسَمَتِي فِيَّ، وَنَفْخَةُ اللهِ فِي أَنْفِي (أي: ما دُمْتُ حياً)، لَنْ تَتَكَلَّمَ شَفَتَايَ إِثْمًا، وَلاَ يَلْفِظَ لِسَانِي بِغِشٍّ. حَاشَا لِي أَنْ أُبَرِّرَكُمْ (أي: حَاشَا لِي أَنْ أُقِرَّ بِصَوَابِ أَقْوَالِكُمْ)! حَتَّى أُسْلِمَ الرُّوحَ لاَ أَعْزِلُ كَمَالِي عَنِّي (أي: فَلَنْ أَتَخَلَّى عَنِ استِقَامَتِي حَتَّى أَمُوتَ). تَمَسَّكْتُ بِبِرِّي وَلاَ أَرْخِيهِ (أي: أَتَمَسَّكُ بِبَرَاءَتِي وَلَا أَتَخَلَّى عَنْهَا). قَلْبِي لاَ يُعَيِّرُ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِي (أي: ضَمِيرِي لَا يُؤَنِّبُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ). لِيَكُنْ عَدُوِّي كَالشِّرِّير، وَمُعَانِدِي كَفَاعِلِ الشَّرِّ" (أيوب 27:2-7). كما ظل أيوبُ يشعر أيضاً أن الله يتجاهله: "إِلَيْكَ [يا الله] أَصْرُخُ فَمَا تَسْتَجِيبُ لِي. أَقُومُ فَمَا تَنْتَبِهُ إِلَيَّ" (أيوب 30:20).

ولقد سبب لأيوب ذلك الشعور بالتجاهل أشدَّ الآلام. لأنه إذا شعر الإنسانُ المتألم بأنه منبوذ ومتروك من الله، فما الفائدة المرجوَّة من الكلام معه عن قوة الله "القدير"؟ فهو لا يشعر أصلاً بوجود الله في وسط معاناته وآلامه: "هُوَذَا يَمُرُّ [اللهُ] عَلَيَّ وَلاَ أَرَاهُ، وَيَجْتَازُ فَلاَ أَشْعُرُ بِهِ" (أيوب 9:11) "هأَنَذَا أَذْهَبُ شَرْقًا فَلَيْسَ هُوَ (أي: اللهُ غير موجود) هُنَاكَ، وَغَرْبًا فَلاَ أَشْعُرُ بِهِ. شِمَالًا حَيْثُ عَمَلُهُ فَلاَ أَنْظُرُهُ. يَتَعَطَّفُ الْجَنُوبَ (أي: يَستَتِرُ في الجَنوبِ فكأنه يلبس معطفًا تعبيرًا عن اختفائه) فَلاَ أَرَاهُ" (أيوب 23:8-9). أو هو لا يرى أن العدل والصلاح يتحكمان في تلك القدرة العظيمة التي ينفرد بها اللهُ الديَّان وحده: "إِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ قُوَّةِ الْقَوِيِّ، يَقُولُ [اللهُ]: هأَنَذَا. وَإِنْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْقَضَاءِ يَقُولُ [اللهُ]: مَنْ يُحَاكِمُنِي؟ إِنْ تَبَرَّرْتُ يَحْكُمُ عَلَيَّ فَمِي، وَإِنْ كُنْتُ كَامِلًا يَسْتَذْنِبُنِي (أي: يَحْكُمُ اللهُ عَلَيَّ ظلماً بدون ذنبٍ اقترفته)" (أيوب 9:19-20)[4896]. "ويقدم أيوبُ اللهَ كإله متحكِّم جبار مرعب تحركه شهوته ورغباته (أيوب 13:23-16)، ولا يستطيع أي شخص، مهما كان باراً كأيوب، أن يدفعه لتغيير رأيه. وبالتالي فأيوب لا يلوم اللهَ لأنه يتصرف بشكل عشوائي، ولكن لما هو أسوأ من ذلك وهو أنه يتصرف بحسب شهوته ["أَمَّا هُوَ (أي: الله) فَوَحْدَهُ (أي: فَرِيدٌ؛ unique) (وفي ترجمات أخرى: إذا اختار؛ قَدْ عَزَمَ أمرَهُ)، فَمَنْ يَرُدُّهُ؟ وَنَفْسُهُ تَشْتَهِي فَيَفْعَلُ"] (أيوب 13:23)؛ الأمر الذي يمثل سبباً آخر لغياب أي رجاء بالعدالة (أيوب 23:15-16)"[4897].

وعلى الرغم من شعور أيوب أن الله قد ظلمه ثم تركه يتألم وتجاهله، إلا أن أيوب ظل حتى نهاية كلامه متمسكاً بإيمانه بالإله الخالِق الواحد الأحد. ويبدو لنا أن أيوب كان يؤمن بإله إسرائيل بدليل أنه نطق اسمَه "يهوه" (Yahweh) التي تُترجم إلى "الرَّبِّ" (the LORD) (أيوب 9:12)[4898] "الَّذِي بِيَدِهِ نَفَسُ كُلِّ حَيٍّ وَرُوحُ كُلِّ الْبَشَر" (أيوب 10:12). فلم ينكر أيوبُ أبداً وجودَ الله، حتى وإن كان قد اعتبر اللهَ عدوه (أيوب 9:16)، أي أن الجانب الوحيد الذي يختبره من وجود الله هو جبروته وقوته الغاشمة (brute

power) وغضبه العظيم (divine anger) غير المفهوم وبالتالي غير الحكيم، مما يعني أن وجود الله بالنسبة لأيوب في تلك اللحظة ليس شيئاً مرغوباً فيه ولكنه شيء سلبي ومؤذي ومخيف ومرعب: "مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَرْتَاعُ قُدَّامَهُ. أَتَأَمَّلُ فَأَرْتَعِبُ مِنْهُ. لأَنَّ اللهَ قَدْ أَضْعَفَ قَلْبِي، وَالْقَدِيرَ رَوَّعَنِي" (أيوب 23:15-16). فمع اعتراف أيوب أحياناً بأن الله/الرب حكيم "عِنْدَهُ الْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ. لَهُ الْمَشُورَةُ وَالْفِطْنَةُ" (أيوب 12:13)، إلا أنه سرعان ما يركز على التأثير السلبي لتلك الحكمة، بل تأثيرها السلبي جداً، مما يجعلنا نشعر أنه ربما كان يسخر من الحكمة الإلهية أو ينكرها لكن بطريقة غير مباشرة أو يطرح سؤالاً (شكاً) حول أهلية الله لحكم الكون!

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس تعليقاً على "عِنْدَهُ الْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ. لَهُ الْمَشُورَةُ وَالْفِطْنَةُ" (أيوب 12:13) والآيات التي تليها: "ويستخدم أيوب عدة أساليب في تقديم تلك الصورة السلبية لله. فيركز على التأثير السلبي لامتلاك الله الحكمة والقدرة والمشورة والفهم (أيوب 12:13)، فيركز على الهدم، دون البناء، والإغلاق، دون الفتح ["هُوَذَا يَهْدِمُ فَلاَ يُبْنَى. يُغْلِقُ عَلَى إِنْسَانٍ فَلاَ يُفْتَحُ"] (أيوب 12:14). ويعتبر أيوب أنه حتى عند قيام الله بعملين متكاملين أو متعاكسين فإنهما يقودان معاً إلى نتيجة سلبية في النهاية، فيعلن بأن الله مسؤول عن منع الماء لتسبيب الجفاف، كما عن إطلاق الماء لتسبيب الطوفان ["يَمْنَعُ الْمِيَاهَ فَتَيْبَسُ. يُطْلِقُهَا فَتَقْلِبُ الأَرْضَ"] (أيوب 12:15)، وعن تسبيب حل مناطق الملوك أو شد أحقائهم لقيادتهم للفشل والأسر والذل في كلتا الحالتين ["يَذْهَبُ بِالْمُشِيرِينَ أَسْرَى (أو: مُجَرَّدين؛ naked)، وَيُحَمِّقُ الْقُضَاةَ. يَحُلُّ مَنَاطِقَ الْمُلُوكِ، وَيَشُدُّ أَحْقَاءَهُمْ بِوِثَاقٍ"] (أيوب 12:17-18). ويقدم أيوب (أيوب 12:17-21) لائحةً من تسع فئات من الأشخاص [هُمْ الْمُشِيرين والْقُضَاة والْمُلُوك والْكَهَنَة والأَقْوِيَاء والأُمَنَاء والشُّيُوخ والشُّرَفَاء والأَشِدَّاء] الذين يلعبون دوراً قيادياً في الحياة السياسية والدينية والاجتماعية ليعلن (في رد على (الأمثال 8:14-16)) أن الرب إنما يقودهم ليتسبب بفشلهم وبالتالي فشل حياة الجماعة التي يقودونها [...]. ويعتبر أيوب (أيوب 12:22-25) أن الله يقوم بالإضافة لكل ذلك بإحضار ظلمة الموت إلى عالم النور، فيتسبب بإبادة الأمم. وهذا الإعلان الأخير يكتسب أهمية خاصة لأنه يهاجم الله في صُلْب طبيعته وعلاقته بخليقته بأسرها. ذلك النوع من الإعلان قد يبدو مرفوضاً بالنسبة لنا، لكننا دائماً نحمِّل اللهَ مسؤولية كل ما يحصل في حياتنا والعالم الذي نعيش فيه، بما في ذلك (حتى ولو لم نقل ذلك) الشر والألم والموت"[4899]. ويقول الكتاب المقدس الدراسي تعليقاً على نفس الآيات (أيوب 12:13-25): "فكرة هذا الجزء مذكورة بوضوح في آية 13: الله هو المتسلط على كل الخليقة، وعبر التاريخ. ولكن بقية القصيدة تركز على الجوانب السلبية في قدرة وحكمة الله، مثل قوى الطبيعة المدمرة (الآيات 14-15)، وكيف يصير القضاة حمقى (آية 17)، وكيف يُهان الكهنة (آية 19)، وكيف يسكت الحكماء الموثوق بهم وتبطل فطنة الشيوخ (آية 20). يتباين هذا مع زعم أليفاز أن الله يستخدم قوته دائماً بطرق إيجابية (أيوب 5:10-16)"[4900].

وكذلك حين يقول أيوبُ جملةً إيجابية عن الله مثل: "كُنْ [يا الله] ضَامِنِي عِنْدَ نَفْسِكَ. مَنْ هُوَ الَّذِي يُصَفِّقُ يَدِي (أي: يُصَافِحَ يَدِي؛ يقصد: يَكُونَ كَفِيلِي) [غَيرُك]؟" (أيوب 3:17)، نجده سرعان ما يقول بعدها جملةً تدل على الدور السلبي الذي يقوم به اللهُ في حياته: "أَوْقَفَنِي [اللهُ] مَثَلًا (أي: محط احتقار وسخرية) لِلشُّعُوبِ[4901]، وَصِرْتُ لِلْبَصْقِ فِي الْوَجْهِ. كَلَّتْ عَيْنِي مِنَ الْحُزْنِ، وَأَعْضَائِي كُلُّهَا [هَزِيلَةً] كَالظِّلِّ (أي: كأنه ظل إنسان وليس إنسان)" (أيوب 17:6-7). مما يعني أن التأييد الذي طلبه أيوبُ في (أيوب 3:17) لم يحدث.

لكن يجب أن نؤكد أن أيوب لم يلعن اللهَ، حتى وإن كان قد لعن يومَ مولده (أيوب 3). ولم يرتكب أيوب فاحشةَ الزنا ولا حتى بمجرد النظر لامرأةٍ بشهوة (أيوب 31:1، 9). ولم يشترك أيوبُ مطلقاً في عبادةٍ وثنية للنجوم أو الشمس أو القمر (أيوب 31:26-28) بل ظل مصمماً على أنه لم يرتكب خطيئةً كبيرة تبرر العقابَ المؤلم الذي عاقبه اللهُ به (أيوب 31). وفي الواقع كانت هذه مشكلة أيوب. فلو كان مجرماً، لقال إن آلامه نتيجة خطاياه ولانتهت القصة. لكن مشكلة أيوب هي أنه بار، أو بالأحرى أنه يعلم يقيناً أنه بار. ولذلك ظل يتساءل في حيرة وغضب: لماذا أتألم كل هذه الآلام الفظيعة؟!

ويُحْسَب أيضاً لأيوب أنه قال قصيدةً بديعةً عن الحكمة (أيوب 28)، ولعله يقصد: الحكمة الحقيقية (الإلهية) الضروريَّة لشرح آلامه ومعاناته. **(أيوب 28):** {12} «أَمَّا الْحِكْمَةُ فَمِنْ أَيْنَ تُوجَدُ، وَأَيْنَ هُوَ مَكَانُ الْفَهْمِ (أي: الفِطنَة)؟ {13} لاَ يَعْرِفُ الإِنْسَانُ قِيمَتَهَا وَلاَ تُوجَدُ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ. {14} الْغَمْرُ (أي: المياهُ المحيطة بالأرض من كل جانب حسب ظن القدماء!) (The Deep)[4902] يَقُولُ: لَيْسَتْ هِيَ فِيَّ، وَالْبَحْرُ يَقُولُ: لَيْسَتْ هِيَ عِنْدِي. {15} لاَ يُعْطَى ذَهَبٌ خَالِصٌ بَدَلَهَا (أي: لَا تُقَايَضُ بِالذَّهَبِ الْخَالِصِ)، وَلاَ تُوزَنُ فِضَّةٌ ثَمَنًا لَهَا. [...] {18} لاَ يُذْكَرُ (أي: لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُذْكَر مَعَهَا) الْمَرْجَانُ أَوِ الْبَلُّوْرُ، وَتَحْصِيلُ الْحِكْمَةِ خَيْرٌ مِنَ اللَّآلِئِ. [...] {20} «فَمِنْ أَيْنَ تَأْتِي الْحِكْمَةُ، وَأَيْنَ هُوَ مَكَانُ الْفَهْمِ؟ {21} إِذْ أُخْفِيَتْ عَنْ عُيُونِ كُلِّ حَيٍّ، وَسُتِرَتْ عَنْ طَيْرِ السَّمَاءِ. [...] {23} اَللهُ [وَحْدَهُ] يَفْهَمُ طَرِيقَهَا (أي: يُبصِرُ سُبُلَ الْحِكْمَةِ)، وَهُوَ عَالِمٌ بِمَكَانِهَا. {24} لأَنَّهُ هُوَ يَنْظُرُ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ يَرَى. {25} لِيَجْعَلَ لِلرِّيحِ وَزْنًا (أي: مقداراً محدداً، فقد تكون خفيفةً كنسمةٍ أو ثقيلةً كعاصفةٍ)، وَيُعَايِرَ الْمِيَاهَ (أي: مياهَ الأنهار والبحار) بِمِقْيَاسٍ (أي: بمعيارٍ مناسبٍ). {26} لَمَّا جَعَلَ لِلْمَطَرِ فَرِيضَةً (أي: قانوناً يضبطه؛ أَحْكامًا وسُنَناً)، وَ[جَعَلَ] مَذْهَبًا لِلصَّوَاعِقِ (أي: مَسَارًا للبرق المصحوب بالرعد؛ thunderstorms)، {27} حِينَئِذٍ رَآهَا (أي: رأى اللهُ الحكمةَ) وَأَخْبَرَ بِهَا (أو: قَدَّرَهَا؛ gauged it؛ appraised it)، هَيَّأَهَا (أو: ثَبَّتَها؛ رَسَّخَهَا؛ أَكَّدَها) وَأَيْضًا بَحَثَ عَنْهَا (أو: فَحَصَهَا؛ سَبَرَ غَورَها؛ probed it؛ tested it)[4903]، {28} وَقَالَ لِلإِنْسَانِ (أي: وأعلنها لِلْبَشَر): هُوَذَا مَخَافَةُ الرَّبِّ (Adonai) (the Lord) هِيَ الْحِكْمَةُ، وَالْحَيَدَانُ عَنِ الشَّرِّ هُوَ الْفَهْمُ».

وكالعادة، توجد آراء أخرى حول قصيدة الحكمة (أيوب 28). فلقد قيل إنها ليست من كلام أيوب. قيل إنها كلام كاتِب السفر (أي: الراوي)[4904]. وقيل إنها كلام الشاب "أَلِيهُو" (Elihu) لكنها وُضِعَتْ في مكانٍ خاطئ (misplaced)[4905]!

وبغض النظر عن مَن المتكلم في (أيوب 28)، فإننا عند مقارنة هذه الآية الأخيرة "هُوَذَا مَخَافَةُ الرَّبِّ هِيَ الْحِكْمَةُ، وَالْحَيَدَانُ عَنِ الشَّرِّ هُوَ الْفَهْمُ" (أيوب 28:28) مع ما قاله الرَّبُّ عن أيوب مرتين في بداية القصة "يَتَّقِي (أي: يخاف) اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرّ" (أيوب 1:8، 3:2)، يمكن أن نستنتج أن أيوب كان حكيماً. كما نستنتج من هذه القصيدة أيضاً أن أيوب يعترف بمحدودية الحكمة الإنسانية، فليس من حق إنسان (أي: ليس من حق أَلِيفَاز ولا بِلْدَد ولا صُوفَر) أن يحتكر الحكمة الحقيقية (الإلهية) أو يزعم أنه يمتلك الحقيقة غير المحدودة، فاللهُ وَحْدَهُ هو الذي يملكها بالكامل (أيوب 23:28). لكن هذا <u>لا</u> يعني أن الحكمة شيء ثابت؛ وإنما الحكمة هدفٌ متحرك (moving target). يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس[4906]:

> في حين أن (أيوب 28:23-27) تعلن أن الله وحده هو من يعرف مكان الحكمة، وذلك بسبب كونه هو الخالق الذي يفهم ويعلم وينظر ويرى كل شيء على الأرض وفي السماء، ويتمتع بقدرة على رؤية ما يعجز الإنسان عن رؤيته. ومن الملفت للنظر أن هذه الأفعال الأربعة المذكورة أعلاه والمستخدمة لوصف قدرات الله على الرؤية والفهم ["يَفْهَمُ ... يَعْلَمُ ... يَنْظُرُ ... يَرَى"] (أيوب 28:23-24) هي أفعال متفاعلة ومتغيرة وليست جامدة، وأن جميع الأفعال التي تصف عمل الله في الخلق (أيوب 28:25-27) هي أفعال تنظيم ووضع حدود لأشياء ليس لها شكل محدد (الريح، المياه، المطر، الصواعق)، ما يعني أن الحكمة ليست شيئاً ثابتاً في الله، ولكنها شيء يدركه الله من خلال خلقه للخليقة وتفاعله معها (في رد واضح على (الأمثال 8:22-31))، وهي شيء فاعل ومتفاعل ينبع ويجد معناه في العلاقة [...].
>
> من جهتها يبدو العدد الأخير في القصيدة (أيوب 28:28) وكأنها تعيد أيوب إلى حالته في بداية السفر (أيوب 1:1)، وتعلن تبنيه للمفهوم التقليدي للحكمة (الأمثال 1:7؛ 3:7؛ 9:10 ...)، وتتناقض مع ما اختبره أيوب ومع موقفه الذي أعلنه وأصر عليه، على طول حواره مع رفاقه وهو حقه في الاعتراض والسؤال والثورة في وجه الله وما سيعود في (أيوب 29-31) لمتابعة القيام به. وقد دفع ذلك بعض الباحثين لاعتبار (أيوب 28:28) إضافة لاحقة إلى الفصل، مدعمين فرضيتهم بأن هذا العدد هو الوحيد في السفر الذي يستخدم اسم أدوناي وليس يهوه (الترجمة العربية لكليهما هي الرب) لله.
>
> لكن تفسير (أيوب 28:28) على أنها تتبنى المفهوم التقليدي للحكمة هو تفسير يتناقض مع المضمون العام لقصيدة الحكمة بأكملها. يجب أن تفهم (أيوب 28:28) على أنها تعلن في اتفاق مع (أيوب 28:25-27)، أنَّ الحكمة ليست شيئاً يمكن البحث عنه والحصول عليه ولكنها شيء يمكن فقط عيشه ولا يمكن أن يوجد إلا في العلاقة [relationship] والتفاعل [...].

وبالتالي فإن ما يفعله أيوب هنا هو ليس تبني المفهوم التقليدي للحكمة والخضوع لمخافة الرب والعودة إلى وضعه في بداية السفر [بدليل أنه واصل الاعتراض والسؤال والثورة في وجه الله (أيوب 29-31)]، ولكن هو تغيير معنى مخافة الرب والحيدان عن الشر وتقديمهما على أنهما يقومان على البحث الجاد والعميق عن الحكمة ["يَفْهَمُ ... يَعْلَمُ ... يَنْظُرُ ... يَرَى ... رَآهَا وَأَخْبَرَ بِهَا، هَيَّأَهَا وَأَيْضًا بَحَثَ عَنْهَا"]، مع إدراك محدودية البشر وعجزهم عن فهم جميع أسرار هذه الحياة وتفسير كل ما يحصل فيها.

وعلى الرغم من أن أيوب كان باراً وحكيماً **قبل** التجربة (أيوب 1:1، 8:1، 3:2)، إلا أنه بسبب تذمره من آلامه **أثناء** التجربة سقط في خطيئة الكبرياء التي تتنافى مع البر والحكمة. أولاً: افتخر بأعماله الصالحة (برّه الذاتي) (self-righteousness). وثانياً: افتخر بمجده وسلطانه ومركزه الاجتماعي المرموق الذي كان يتمتع به أيام العز في الماضي قبل التجربة! ونرى ذلك بوضوح في (أيوب 29-31).

أيوب يتفاخر بمجده السابق وأعماله الصالحة! **(أيوب 29):** {6} إِذْ غَسَلْتُ خَطَوَاتِي بِاللَّبَنِ (أي: عِنْدَمَا كُنْتُ أغسِلُ قَدَمَيَّ بِاللَّبَنِ الحَليب!)، وَالصَّخْرُ (يقصد: الرب الإله[4907]) سَكَبَ لِي جَدَاوِلَ زَيْتٍ (يقصد: كُنْتُ ثرياً جداً بفضل الله). {7} حِينَ كُنْتُ أَخْرُجُ إِلَى الْبَابِ فِي الْقَرْيَةِ، وَأُهَيِّئُ فِي السَّاحَةِ مَجْلِسِي [كشيخٍ من شيوخ المدينة وأحد أعضاء المجلس الحاكم]. {8} رَآنِي الْغِلْمَانُ فاخْتَبَأُوا [خوفاً مني]، وَالأَشْيَاخُ قَامُوا وَوَقَفُوا [احتراماً لي]. {9} الْعُظَمَاءُ أَمْسَكُوا عَنِ الْكَلاَمِ، وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ. {10} صَوْتُ الشُّرَفَاءِ اخْتَفَى، وَلَصِقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِأَحْنَاكِهِمْ. {11} لأَنَّ الأُذُنَ سَمِعَتْ فَطَوَّبَتْنِي، وَالْعَيْنَ رَأَتْ فَشَهِدَتْ لِي (يقصد: قيادتي وإدارتي لشؤون المدينة كانت مقبولة بالشكر والامتنان والإعجاب من الجميع)، {12} لأَنِّي أَنْقَذْتُ الْمِسْكِينَ الْمُسْتَغِيثَ وَالْيَتِيمَ وَلاَ مُعِينَ لَهُ. {13} بَرَكَةُ الْهَالِكِ حَلَّتْ عَلَيَّ [لأني أنقذتُه من الموت]، وَجَعَلْتُ قَلْبَ الأَرْمَلَةِ يُسَرُّ. {14} لَبِسْتُ الْبِرَّ فَكَسَانِي. كَجُبَّةٍ (أي: كعباءةٍ؛ كَرِدَاءٍ) وَعَمَامَةٍ كَانَ عَدْلِي. {15} كُنْتُ عُيُونًا لِلْعُمْيِ، وَأَرْجُلاً لِلْعُرْجِ (أي: أساعد العُمْي والعُرْج في قضاء مصالحهم). {16} أَبٌ أَنَا لِلْفُقَرَاءِ (أي: أساعد الفقراء وأدبِّر حالهم ومستقبلهم وكأنني أباهم)، وَدَعْوَى لَمْ أَعْرِفْهَا فَحَصْتُ عَنْهَا (أي: كُنْتُ أدْرُس قَضِيَّةَ الغريب الذي لا أعْرِفْهُ وأحلها). {17} هَشَّمْتُ أَضْرَاسَ الظَّالِمِ (أي: حطَّمتُ قوةَ الشر التي في الظالم، ولم أحطم الإنسانَ الظالم نفسه لأن هدفي ليس الانتقام منه وتدميره وإنما إصلاحه وتنقيته من الشر)، وَمِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ خَطَفْتُ الْفَرِيسَةَ (أي: نصرتُ المظلومَ)[4908]. {18} فَقُلْتُ: إِنِّي فِي وَكْرِي (my nest) أَسْلِمُ الرُّوحَ (يقصد: كنتُ أقول إنني سأموتُ في فراشي هادئاً مستقراً؛ كنتُ أظن أنني سأظل حياً في هذا المجد حتى أموت)، وَمِثْلَ السَّمَنْدَلِ (أي: الفينيقِ phoenix وهو طائر خرافي يعيش طويلاً في دورات متتالية حياة-موت-حياة إلى الأبد) أُكَثِّرُ أَيَّامًا (أو: وَسَتُضَاعَفُ أَيَّامُ حَيَاتِي لِتَكُونَ كَحَبَّاتِ الرَّمْلِ). {19} أَصْلِي كَانَ مُنْبَسِطًا إِلَى الْمِيَاهِ (أي: جُذوري مُمتَدَّةٌ تصل إلى المياهِ)، وَالطَّلُّ (أي: قطرات الندى) بَاتَ عَلَى أَغْصَانِي. {20} كَرَامَتِي بَقِيَتْ حَدِيثَةً عِنْدِي (أي: مَجْدي ظل متجدداً لَدَيَّ؛ كُنْتُ أنتقل من مجدٍ إلى مجدٍ أعلى وأكبر)، وَقَوْسِي تَجَدَّدَتْ (أي: أَبَداً جَدِيدَةٌ) فِي

يَدِي (يقصد: ازدادت قوتي شباباً). {21} لِي سَمِعُوا وَانْتَظَرُوا، وَنَصَتُوا (أي: أنصتوا صامِتين) عِنْدَ مَشُورَتِي. {22} بَعْدَ كَلاَمِي لَمْ يُثَنُّوا (أي: لَمْ يزيدوا ولَمْ يضيفوا إلى كلامي، إذ رأوه كاملًا لا يمكن الإضافة إليه)، وَقَوْلِي قَطَرَ عَلَيْهِمْ (أي: نزل مثل قطرات الندى أو قطرات المطر التي تروي العطشان). {23} وَانْتَظَرُونِي مِثْلَ الْمَطَرِ (أي: كانوا يَنتَظِرونَني كما يُنتَظَرُ الغَيْثُ)، وَفَغَرُوا أَفْوَاهَهُمْ كَمَا لِلْمَطَرِ الْمُتَأَخِّرِ (أي: وَيَفْتَحُونَ أَفْوَاهَهُمْ كَمَنْ يَنْهَلُ مِنْ مَطَرِ الرَّبيعِ الذي يكمل النضج ويعطي الثمار). {24} إِنْ ضَحِكْتُ عَلَيْهِمْ لَمْ يُصَدِّقُوا (أي: إِنْ ابْتَسَمْتُ لَهُمْ يفرحوا جدًا ويكادوا لا يصدقوا؛ أو: لا يميلون إلى اليمين ولا إلى اليسار)، وَنُورَ وَجْهِي لَمْ يُعَبِّسُوا (أي: لم يجعلني أحدٌ أحزن؛ أو: لَمْ يَدَعُوا شيئاً من كلامي يسقط إلى الأرض). {25} كُنْتُ أَخْتَارُ طَرِيقَهُمْ وَأَجْلِسُ رَأْسًا (أي: أتولَّى أمرَهُم وأتصَدَّرُ مَجالِسَهُم واتخذ قرارات تؤثر على حياتهم)، وَأَسْكُنُ كَمَلِكٍ فِي جَيْشٍ، كَمَنْ يُعَزِّي النَّائِحِينَ (يقصد: وأما الآن فأنا من النائحين ولا أجد مَن يعزيني!).

أيوب يواصل التفاخر بأعماله الصالحة (بِرّه الذاتي) ومجده السابق ويقارنه بوضعه الحالي "وَأَمَّا الآنَ ... أَمَّا الآنَ ..."، فيتحسر ويُحمِّل اللهَ المسؤولية ويتهمه بإساءة استخدام قوته بالهجوم عليه "تَحَوَّلْتَ إِلَى جَافٍ مِنْ نَحْوِي. بِقُدْرَةِ يَدِكَ تَضْطَهِدُنِي"! **(أيوب 30):** {1} «وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ضَحِكَ عَلَيَّ أَصَاغِرِي أَيَّامًا (أي: هَزَأَ بِي مَنْ هُمْ أَصْغَرُ مِنِّي سِنّاً)، الَّذِينَ كُنْتُ أَسْتَنْكِفُ مِنْ أَنْ أَجْعَلَ آبَاءَهُمْ مَعَ كِلاَبِ غَنَمِي[4909] (أي: كنتُ أثق في الكلاب التي تحرس غنمي ولا أثق في آباء الذين يسخرون مني الآن!). [...] {5} مِنَ الْوَسَطِ يُطْرَدُونَ (أي: يَطرُدُهُم أهلُ الحَضَرِ مِنْ بَينِهِم). يَصِيحُونَ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَى لِصٍّ. [...] {8} أَبْنَاءُ الْحَمَاقَةِ، بَلْ أَبْنَاءُ أُنَاسٍ بِلاَ اسْمٍ (أي: لَا وَزنَ أوْ قِيمَةَ لَهُمْ)، سِيطُوا (أي: يضربهم الناس بِالسِّيَاطِ ويطردونهم) مِنَ الأَرْضِ. {9} «أَمَّا الآنَ فَصِرْتُ أُغْنِيَتَهُمْ (أي: مَثَارَ سُخْرِيَةٍ لَهُمْ)، وَأَصْبَحْتُ لَهُمْ مَثَلًا (أي: أُضْحُوكَةً يَتَنَدَّرُونَ بِها)![4910] {10} يَكْرَهُونَنِي. يَبْتَعِدُونَ عَنِّي، وَأَمَامَ وَجْهِي لَمْ يُمْسِكُوا عَنِ الْبَصْقِ. {11} لأَنَّهُ (أي: الله) أَطْلَقَ الْعَنَانَ [لهم] (أو: لأَنَّ اللهَ قَدْ أَرْخَى وَتَرَ قَوْسِي) وَقَهَرَنِي (أي: وَأَذَلَّنِي)، فَنَزَعُوا الزِّمَامَ (أي: الحدود) قُدَّامِي (يقصد: ما فعله اللهُ بي جعل الآخرين يستغلون ضعفي وفقري ووحدتي ويهجمون عَلَيَّ بلا حدود). [...] {15} انْقَلَبَتْ عَلَيَّ أَهْوَالٌ. طَرَدَتْ كَالرِّيحِ نِعْمَتِي (أو: كَرَامَتِي)، فَعَبَرَتْ كَالسَّحَابِ سَعَادَتِي (أو: خَلَاصِي؛ شرفي). [...] {19} قَدْ طَرَحَنِي [اللهُ] فِي الْوَحْلِ، فَأَشْبَهْتُ التُّرَابَ وَالرَّمَادَ. {20} إِلَيْكَ [يا الله] أَصْرُخُ فَمَا تَسْتَجِيبُ لِي. أَقُومُ فَمَا تَنْتَبِهُ إِلَيَّ. {21} تَحَوَّلْتَ إِلَى جَافٍ مِنْ نَحْوِي (أي: صِرْتَ يا الله قَاسِيًا عَلَيَّ). بِقُدْرَةِ يَدِكَ تَضْطَهِدُنِي (persecute) (بالعبرية: tiś·tə·mê·nî)[4911]. {22} حَمَلْتَنِي [يا الله]، أَرْكَبْتَنِي الرِّيحَ (أو: تَرَكْتَ يا الله الرِّيحَ تَحْمِلُنِي وَتَرْمِي بِي بَعِيدًا) وَذَوَّبْتَنِي تَشَوُّهًا (أو: وأفسدتَ نجاحي؛ وأذابَتني العاصِفَةُ؛ وَالعَوَاصِفَ الهَادِرَةُ تَتَقَاذَفُنِي). {23} لأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ إِلَى الْمَوْتِ تُعِيدُنِي (أو: تَسُوقُنِي)، وَإِلَى بَيْتِ مِيعَادِ كُلِّ حَيٍّ[4912] (أي: إلى القبر). {24} وَلكِنْ فِي الْخَرَابِ أَلاَ يَمُدُّ يَدًا؟ فِي الْبَلِيَّةِ أَلاَ يَسْتَغِيثُ عَلَيْهَا؟ (أو: حتماً لم أمد يدي يوماً ضد أي محتاج، إذا ما صرخوا إليَّ في بليتهم[4913]؛ أو: لَكِنْ أَيَضْطَهِدُ أحَدٌ إنْسَانًا مُحَطَّمًا خَرِبًا، إنِ استَغَاثَ لَحظَةَ الدَّمَار؟؛ أو: ولكِنْ إلى المَساكينِ مَدَدتُ يَدي، أُغيثُهُم إذا استَغاثوا بي) {25} «أَلَمْ أَبْكِ لِمَنْ عَسَرَ (أي: قَسَى) يَوْمُهُ؟ أَلَمْ تَكْتَئِبْ نَفْسِي عَلَى الْمِسْكِينِ؟ {26} حِينَمَا تَرَجَّيْتُ الْخَيْرَ (أي: تَوَقَّعْتُ أن يباركني

الله ثواباً على بِرّي ومكافأةً على أعمالي الصالحة) جَاءَ الشَّرُّ (أي: آلام ومعاناة لا أعرف سببها)، وَانْتَظَرْتُ النُّورَ [من الله كما كُنْتُ أنا عُيُونًا لِلْعُمْي] فَجَاءَ الدُّجَى. [...] {31} صَارَ عُودِي لِلنَّوْحِ، وَمِزْمَارِي لِصَوْتِ الْبَاكِينَ.

أيوب يواصل التفاخر ببِرّه الذاتي، مؤكداً بالقسم (oath) على براءته من خطايا كثيرة وكبيرة. ولذلك فهو لا يرى أي مبرر لِمَا يتعرض له من ألم ومعاناة، ومن ثم يوجّه دعوةً رسمية لله ليواجهه في المحاكمة (أيوب 31)[4914]! أيوب يقول إنه أبرم عهداً مع عينيه أن لا يحدّق بشهوةٍ جنسية إلى أية فتاة (أيوب 1:31). فهو بريء تماماً من الزنا، بل بريء من كل مقدمات الزنا كالنية والفكرة والنظرة والشهوة والخطوة (أيوب 31:9-12). وبريء من الْكَذِبِ والْغِشِّ (أيوب 31:5-8). وبريء من انتهاك حقوق العبيد والإماء (أيوب 31:13-15)، بل يتضح من كلامه أنه مؤمن بالمساواة بين جميع البشر: "أَوَلَيْسَ صَانِعِي فِي الْبَطْنِ صَانِعَهُ (أي: أَلَيْسَ الله الخالق الَّذِي صَنَعَنِي فِي بَطنِ أُمّي هُوَ الَّذِي صَنَعَ عَبْدِي؟)، وَقَدْ صَوَّرَنَا وَاحِدٌ فِي الرَّحِمِ؟" (أيوب 15:31)! ويقول أيوب أيضاً إنه بريء من تجاهل المحتاجين والمستضعفين في المجتمع كالأيتام والأرامل والفقراء والمساكين والعراة (أيوب 31:16-23) والجائعين والغرباء والمسافرين وعَابِري السَّبِيلِ (أيوب 31:31-32). وبريء من الاتكال على الغنى والذهب والمال، وبريء من الطمع والجشع (31:24-25). وبريء من عبادة آلهة أخرى كالنجوم أو الشمس أو القمر ولا حتى سِرًّا ولا برمي قُبْلَة باليد (أيوب 31:26-27)[4915]: "فَهذَا أَيْضًا إِثْمٌ يُعْرَضُ لِلْقُضَاةِ (أي: يُعَاقِبُ عَلَيْهِ الْقُضَاةُ)، لأَنِّي أَكُونُ قَدْ جَحَدْتُ اللهَ مِنْ فَوْقُ (أو: اللهَ الْعَلِيَّ)" (أيوب 28:31). وبريء من الشماتة بالآخرين حتى لو كانوا أعداءه (أيوب 31:29-30). وبريء من الرياء والنفاق أو كتمان ذنوبه وإخفاء آثامه خوفاً من المجتمع (أيوب 31:33-34)؛ وتبرؤه من كتمان الذنوب "كَالنَّاسِ (بالعبرية: ḵə·’ā·ḏām) (فالترجمة الأكثر دقة: كآدم؛ كإنسان؛ as human)" (أيوب 33:31) فيه إشارة ضمنية إلى آدم الذي سقط في الخطيئة "فَاخْتَبَأَ" "مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ" (التكوين 3:8-10). وأخيراً أنهى أيوبُ دفاعَه عن نفسه بقوله إنه بريء من الاستيلاء على أراضي الآخرين وثمارها (أيوب 31:38-40)؛ وقوله "يَنْبُتْ شَوْكٌ" (أيوب 40:31) فيه أيضاً إشارة ضمنية إلى عقاب آدم بعد سقوطه في الخطيئة: "شَوْكًا [...] تُنْبِتُ لَكَ [الأَرْضُ]" (التكوين 18:3). "وبذلك المعنى يؤكد أيوب أنه لا زال بريئاً ويتمتع بحالة الإنسان في مرحلة ما قبل السقوط"[4916]!

ويبدو لنا أن الأعمال الصالحة التي افتخر بها أيوبُ في (أيوب 31) قد انتقلت إلى التراث الإسلامي، بدليل أن موسوعة بيان الإسلام (التي اشترك في إنجازها أكثر من 200 عالم وباحث مسلم) قالت إن أيوب كان "عطوفاً على الفقراء، رحيماً بالمساكين يكفل الأرامل والأيتام، ويكرم الضيف، ويبلغ ابن السبيل، فأثنى اللهُ عليه بقوله: "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ" (ص 44)"[4917].

وعلى الرغم من إعجابنا بهذا الموقف الأخلاقي لأيوب (أيوب 31)، إلا أننا نرى أنه مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للاعتراف السلبي (Negative Confession)

الموجود في النص المصري القديم المعروف باسم "كتاب الموتى" (Book of the Dead)، بدليل استحضار أيوب لصورة "مِيزَانِ الْحَقِّ" الذي يُوزَن به الإنسانُ (أو بالأحرى: قلبُ الإنسان) في "محاكمة الموتى" (Judgment of the dead): "إِنْ كُنْتُ قَدْ سَلَكْتُ مَعَ الْكَذِبِ، أَوْ أَسْرَعَتْ رِجْلِي إِلَى الْغِشِّ، لِيَزِنِّي [اللهُ] فِي مِيزَانِ الْحَقِّ، فَيَعْرِفَ اللهُ كَمَالِي. إِنْ حَادَتْ خَطَوَاتِي عَنِ الطَّرِيقِ، وَذَهَبَ قَلْبِي (my heart) وَرَاءَ عَيْنَيَّ، أَوْ لَصِقَ عَيْبٌ بِكَفِّي، أَزْرَعْ وَغَيْرِي يَأْكُلْ، وَفُرُوعِي تُسْتَأْصَلْ" (أيوب 31:5-8)؛ فأيوب هنا يؤكد براءةَ مختلف أعضاء جسمه (لسان، رجْل (خطوات)، قلب (فكر)، عين، يد (كف))، فهو بريء براءة كاملة بالفكر والفعل والقول. يقول مرجع (The IVP Bible Background Commentary)[4918]:

31:1-40. legal parallels to Job. Job's renunciation of evil is similar in many respects to the negative confession from the Egyptian Book of the Dead. In this work an individual after death is presented before the judgment seat of Osiris where he recites a lengthy list of forty-two sins that he did not commit. […] This oath [of innocence] has clearly put Job in the position of defendant. A declaration of innocence was a common element in legal proceedings that were being appealed to a judge for a public hearing. Since it was often impossible to gather sufficient evidence in this type of court case, the swearing of an oath took on great significance. Up until this point Job has been distressed that God has been silent. By swearing to this oath of innocence, Job hopes to turn any continued silence to his advantage. If God ignores his oath it will be tacit admission of Job's innocence.
31:1-40. عهود أيوب. إنكار أيوب للشر يشبه في عدة نواحٍ الاعتراف السلبي في كتاب الموتى المصري. وفي هذا الكتاب يحضر الشخص بعد موته أمام كرسي القضاء أوزوريس. ويردِّد قائمةً طويلة من اثنين وأربعين خطية لم يرتكبها. [...]. هذا القَسَم يضع أيوب في موقف المُدافِع بوضوح. إعلان البراءة كان أمراً شائعاً في الإجراءات القانونية وكانت تُطلَب للقضاء للسماع علناً. بما أن هذا كان مستحيلاً في مرّات كثيرة لجمع دلائل كافية من هذا النوع من مجالس المحاكم فإن القَسَم كان له أهمية كبيرة. وحتى هذه النقطة [كان] أيوب يشعر بالأسى لأن الله كان صامتاً. حَلَف أيوب أنه بريء وكان يرجو أن يحوِّل الصمت المتوالي لصالحه. فإن تجاهل الله لقَسَمِه سيكون موافقةً ضمنيةً على براءة أيوب.

"لكن هذا الموقف الأخلاقي يعاني أيضاً من بعض نقاط الضعف، فأيوب مثلاً وفي سعيه لتأكيد قسمه على براءته من الزنى يُعرّض زوجته وليس نفسه للعقاب ["إِنْ غَوِيَ قَلْبِي عَلَى امْرَأَةٍ، أَوْ كَمَنْتُ عَلَى بَابِ قَرِيبِي (أي: جَاري)، فَلْتَطْحَنِ امْرَأَتِي لآخَرَ (أي: تصير امْرَأَتِي جاريةً يمتلكها رجلٌ آخر، وتعمل أعمالًا لصالحه ويعمل بها ما بدا له)، وَلْيَنْحَنِ عَلَيْهَا (أي: وَلْيَقَعْ علَيها؛ وَلْيَضْطَجِعْ مَعَهَا) آخَرُونَ"!] (أيوب 31:9-10). كما يعاني هذا الموقف من فرضه لمفهوم المجازاة على الله، دون ترك مجال للاستثناءات أو التناقضات. [...] بالإضافة لذلك، يقوم أيوب بنسب مجموعة من الصفات أو النشاطات الإلهية لنفسه، حيث الهداية (أيوب 31:18) في العهد القديم هي بشكل شبه دائم إحدى الوظائف والنشاطات الإلهية (التكوين 24:27) (الخروج 13:21) (المزامير 5:8) [...]، في حين أن اليد (أيوب 31:21) تمثل رمزاً للقوة والسلطة والدينونة الإلهية (إشعياء 19:16) (زكريا 2:9) [...]"[4919].

كما يعاني موقف أيوب من سلبية هدفه، وهو تحديه لله والتأكيد على أن الله قد ظلمه. فحين يقول مثلاً إنه لم يتوار عن الناس "كآدم" خجلاً من ذنوبه (أيوب 31:33-34)، فهو في الواقع يؤكد ثقته الشديدة في بِرّه الذاتي واستعداده للمثول أمام الناس بل أمام الله نفسه في محاكمة، فهو ليس مذنباً مثل آدم الذي أخطأ "فَاخْتَبَأَ" "مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ" (التكوين 3:8-10). وحين يقول إنه لم يكن قاسياً على الفقراء العراة (أيوب 31:19-20) ولم يظلم الأيتام مُسْتَغِلاً نُفُوذه فِي الْقَضَاءِ (أيوب 31:21)، فهو في الواقع يتهم اللهَ بالقسوة والظلم وإساءة استخدام السلطة والنفوذ[4920]. أو كما لخَّص هو مأساته ببراعةٍ في جملةٍ واحدة قالها قُبَيْل اعترافه السلبي: "حِينَمَا تَرَجَّيْتُ الْخَيْرَ (أي: تَوَقَّعْتُ أن يباركني الله ثواباً على بِرّي ومكافأةً على أعمالي الصالحة) جَاءَ الشَّرُّ (أي: آلام ومعاناة لا أعرف سببها)، وَانْتَظَرْتُ النُّورَ [من الله كما كُنْتُ أنا عُيُونًا لِلْعُمْيِ] فَجَاءَ الدُّجَى" (أيوب 30:26). وخير دليل على تحدي أيوب لله هو قوله: "مَنْ لِي بِمَنْ يَسْمَعُنِي؟ هُوَذَا إِمْضَائِي (أي: توقيعي). لِيُجِبْنِي الْقَدِيرُ. وَمَنْ لِي بِشَكْوَى كَتَبَهَا خَصْمِي (أو: لَيْتَ خَصْمِي يَكْتُبُ شَكْوَاهُ ضِدِّي)" (أيوب 31:35). وكلمة "خَصْمِي" "من المؤكد لا تعني الشيطان لأن الأصل العبري لهذه الكلمة ليس هو نفسه الذي يستخدم لوصف "الشيطان" [...]. فهنا من يتهم أيوبَ إما أنه (1) إنسانٌ عدو (ربما يكون أحد الأصدقاء الثلاثة) أو (2) اللهُ نفسه. وعلى أية حال يفترض أيوبُ أن الاتهامات قد قدمت ضده أمام محكمة السماء وقد أجاب اللهُ بحكمه الإلهي"، فأيوب "الآن يذيل الكلامَ بتوقيعه (أيوب 31:35) وتبقى مهمة إثبات أنه خاطئ بين يدي الله"[4921]. وفي الترجمة العربية المُبَسَّطَة: "لَيْتَ هُنَاكَ مَنْ يَرْضَى أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَيَّ! فَلْيُجِبْنِي خَصْمِي القَدِيرُ، وَلِيَكْتُبِ اتِّهَامَاتِهُ عَلَى مَخْطُوطَةٍ، وَأَنَا سَأُوَقِّعُ عَلَيْهَا" (أيوب 31:35)[4922].

إذن: الخصم الذي يتحداه أيوبُ أن يكتب حيثيات الحُكْم عليه هو الله القدير شخصياً!

خصم أيوب = عدو أيوب = الله "القَدِيرُ" (أيوب 31:35) الذي أساء استخدامَ قدرته حين أصاب أيوبَ البار بالألم والمعاناة. وعلى الرغم من قدرته، فإنه يعجز عن اتهام أيوب بأية خطيئة. واستمرار الله في سكوته وعدم رده على دفاع أيوب النهائي (أيوب 31) يعني أن أيوب بريء فعلاً وأنه انتصر في الدعوى

المطروحة ضد الله. "ففي الدعاوى اليهودية في العصر القديم، كان صمت طرف وتوقفه عن الرد على الطرف الآخر يعتبر اعترافاً بانتصار ذلك الطرف في القضية المتنازع عليها"[4923].

هكذا "تَمَّتْ أَقْوَالُ أَيُّوبَ" (أيوب 40:31).

فَمِن حقنا – بل من واجبنا – أن نقول إن خطاب أيوب في (أيوب 1:3 – 40:31) كان في مجمله خطاباً سلبياً تجاه الله. بل حتى العبارات التي يمكن أن تُفْهَم بمعنيين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، يتضح لنا أن أيوب كان يقصد معناها السلبي! مثلاً قوله: "مَنْ يُخْرِجُ الطَّاهِرَ مِنَ النَّجِسِ؟" (أيوب 4:14) يمكن أن تُفْهَم بمعنى إيجابي، فتكون الإجابة هي "الله القدير الحكيم الصالح" الذي أخرج مثلاً الطَّاهِرَ إبراهيمَ مِنَ أبيه النَّجِسِ عابد الأصنام. لكن أيوب لم يقصد هذا المعنى بدليل أن إجابته هي "لاَ أَحَدٌ!" (أيوب 4:14)، فهو يقصد: مَنْ يُخْرِجُ الطَّاهِرَ (أي: الأعمال الصالحة دائماً بلا خطية أبداً) مِنَ النَّجِسِ (أي: الإنسان)؟ لاَ أَحَدٌ! أي أن الإنسان بطبيعته نجس ولا أحد يستطيع تغيير هذه الحقيقة، فلا يحق لله أن يعاقب الإنسانَ على شيءٍ فيه بالطبيعة[4924]. ومن الملفت للنظر أن أصحاب أيوب أيضاً رأوا أن كل البشر خطاة، لكن النتيجة التي وصلوا إليها مختلفة تماماً عن النتيجة التي وصل إليها أيوب، فَهُمْ يرون أن من حق الله – بل من واجب الله – أن يعاقب الإنسانَ حين يذنب! وهكذا نلاحظ أن أصحاب أيوب كانوا ينظرون لله نظرةً إيجابية جداً، لكن أيوب نظر لله نظرةً سلبية جداً، حتى لو اتفقوا أحياناً على نفس المعطيات.

وبينما يصف إشعياءُ الربَّ بطريقةٍ إيجابية فيشبهه بالجبَّار على أعدائه الأشرار: "الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ" (إشعياء 13:42)، نجد أيوبَ يستخدم نفس الكلمة "جَبَّار" (بالعبرية: gibbor) ونفس التشبيه لكنه يستخدمهما بطريقةٍ سلبيةٍ جداً، فيشبه اللهَ بالجبَّار عليه رغم بِرّه: "يَقْتَحِمُنِي اقْتِحَامًا عَلَى اقْتِحَامٍ. يَعْدُو عَلَيَّ كَجَبَّارٍ" (أيوب 14:16).

اقرأ أيضاً ما قاله أيوب في (أيوب 16): "خِطْتُ مِسْحًا (sackcloth) عَلَى جِلْدِي، وَدَسَسْتُ فِي التُّرَابِ قَرْنِي (أي: عِزّي؛ مجدي). اِحْمَرَّ وَجْهِي مِنَ الْبُكَاءِ، وَعَلَى هُدُبِي (أي: جَفنيَّ) ظِلُّ الْمَوْتِ" (أيوب 15:16-16). هذه الكلمات تدل على حزن أيوب، وقد تُفْهَم بمعنى إيجابي وهو أنه يعلن توبتَه. لكن أيوب لم يقصد هذا المعنى، وإنما قصد الحزن بسبب ظلم الله له، بدليل ما قاله في الآية التالية للآيتين السابقتين: "مَعَ أَنَّهُ لاَ ظُلْمَ فِي يَدِي (أي: لم أقترف ظلماً)، وَصَلاَتِي خَالِصَةٌ (أي: نقيَّة؛ طاهرة)" (أيوب 17:16). يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس تعليقاً على (أيوب 15:16-17): "وبالتالي، فالحزن الذي يعبر عنه أيوب هنا هو ليس حزن التائب الذي يتألم بسبب الخطيئة، ولكن حزن البريء الذي يتألم بسبب الظلم. وعليه فـ (أيوب 17:16) يمثل نقطة الانفصال بين (أيوب 7:16-17) و (مراثي إرميا 3). حيث تتفق (أيوب 7:16-16) مع (مراثي إرميا 1:3-19) في رسم صورة عنف الله. ولكن حيث تعود (مراثي إرميا 3) ابتداءً من (مراثي إرميا 20:3) إلى النمط التقليدي للمراثي الكتابية، فتعلن الخضوع والثقة بمراحم الرب التي لا تنتهي (مراثي إرميا 20:3) وتعلن صلاح الله (مراثي إرميا 21:3-24) وأنه من المناسب أن نقبل

ضرباته بصمت (مراثي إرميا 3:25-30) لأنها تأتي كعقاب على الخطيئة (مراثي إرميا 3:31-39)، وبالتالي يجب أن نعترف ونعود إلى الله (مراثي إرميا 3:40-42). يقدم (أيوب 16:17) موقفاً مختلفاً تماماً فتؤكد على براءة وبر أيوب وعدم استحقاقه لعنف الله تجاهه. وهكذا فأيوب يقلد أساليب أدب المراثي التقليدية في البداية، ولكنه يبتعد عنها لكي ينتقدها وينتقد خطها العام الذي يربط الألم والمعاناة بالخطيئة والعقاب"(4925).

وكذلك قوله "يَمُدُّ [اللهُ] الشَّمَالَ (بالعبرية: Zaphon؛ يقصد: السماء؛ مَسْكَنَ اللهِ؛ مجموعةً من النجوم) عَلَى الْخَلاَءِ، وَيُعَلِّقُ الأَرْضَ عَلَى لاَ شَيْءٍ (أي: على العَدَمِ)" (أيوب 26:7) يمكن أن يُفْهَم بمعنى إيجابي وهو أن لا شيء يضمن سلامة جميع سكان المعمورة إلا قوة الله الحافظة للأرض. بل قيل إن "وَيُعَلِّقُ الأَرْضَ عَلَى لاَ شَيْءٍ" (أيوب 26:7) إعجاز علمي(4926)! لكن أيوب لم يقصد هذا المعنى، ولا يوجد أي إعجاز علمي. وإذا قرأنا الآية من أولها، فسنكتشف "أنَّ الكلمة العبرية المترجمة بمعنى "الْخَلاَءِ" هي **(ت هـ و)** والتي تعني فوضى – **(ت هـ و)** و **(ب هـ و)** "خَرِبَةً وَخَالِيَةً" (التكوين 1:2)، وبالتالي يعاكس أيوب هنا ما تعلنه قصة الخلق عن تنظيم الله للفوضى بأن يعلن بأن الأرض بأسرها معلقة على الفوضى والفراغ. من جهة أخرى، في إعلانه أن الله "يُعَلِّقُ الأَرْضَ عَلَى لاَ شَيْءٍ" (أيوب 26:7ب) يبتعد أيوب عن المفهوم الشائع في الكتاب المقدس والشرق الأدنى القديم والذي يعتبر بأن الأرض ترتكز على أعمدة وأساسات قوية تحملها وتحميها من السقوط في فوضى العالم السفلي (أيوب 9:6، 38:4-6) (المزامير 104:5)، ويشير بالتالي إلى أن الله هو المسؤول عن غياب أي مرتكز يحمي الأرض من السقوط في تلك الفوضى"(4927).

وكذلك قوله "خِيَامُ الْمُخَرِّبِينَ (أي: اللصوص) مُسْتَرِيحَةٌ، وَالَّذِينَ يُغِيظُونَ اللهَ مُطْمَئِنُّونَ، الَّذِينَ يَأْتُونَ بِإِلهِهِمْ فِي يَدِهِمْ (أي: الذين يعبدون صنماً؛ يعبدون ما فِي يَدِهِمْ كالمال مثلاً)!" (أيوب 12:6) يمكن أن يُفْهَم بمعنى إيجابي وهو أن الله رحيم وبطيء الغضب ويطيل لطفه وأناته على الأشرار حتى يعطيهم فرصةً بل فرص ليتوبوا، أو كما يُقال "يمهل ولا يهمل". لكن الآيات التي جاءت بعدها (أيوب 12:13-25) تدل على أن أيوب لم يقصد هذا المعنى، وإنما قصد التعجب من حال الأشرار المرتاحين وحال الأبرار المتألمين أمثاله. بل قصد أن العدل والصلاح والحكمة لا تتحكم في قوة الله. فبينما يرى أليفاز أن الله يستخدم قوته دائماً بطرق إيجابية (أيوب 5:10-16)، نجد أيوبَ يركز على الجوانب السلبية في قوة الله (أيوب 12:13-25) كما قلنا فيما سبق(4928)!

وكذلك قوله "يُعْطِيهِ (أي: يُعطي اللهُ الشريرَ) طُمَأْنِينَةً فَيَتَوَكَّلُ (أي: فيَرْكَنُ إِلَيْهَا ويعتمد عليها ويثق بها)، وَلكِنْ عَيْنَاهُ عَلَى طُرُقِهِمْ (أي: عَيْنَا اللهِ تُرَاقِبهم). يَتَرَفَّعُونَ قَلِيلًا (أي: مؤقتاً؛ إِلَى حِينٍ؛ إلى أجلٍ مُسمًّى) ثُمَّ لاَ يَكُونُونَ (أي: ثمَّ يَزولونَ) وَيُحَطُّونَ (أي: يذبلونَ ويضمحلُّونَ). كَالْكُلِّ (أي: مثل باقي البشر) يُجْمَعُونَ [إلى القبر]، وَكَرَأْسِ السُّنْبُلَةِ يُقْطَعُونَ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَا، فَمَنْ يُكَذِّبُنِي وَيَجْعَلُ كَلاَمِي لاَ شَيْئًا؟" (أيوب 24:23-25) يمكن أن يُفْهَم بمعنى "يمهل ولا يهمل" وهذا هو المقصود فعلاً، لكنه جاء في سياق يدل على أن أيوب

لا يرى دينونةَ الأشرار وعقابَهم يحدث أمام عينيه في الحياة الدنيا، بدليل أن الآية الأولى في هذا الإصحاح تقول: "لِمَاذَا إِذْ لَمْ تَخْتَبِئِ الأَزْمِنَةُ (أي: أزمِنَةُ المحاكمة) مِنَ الْقَدِيرِ، لاَ يَرَى عَارِفُوهُ (أي: لاَ يَرَى مُتَّقُوهُ؛ لاَ يَرَى الأبرارُ) يَوْمَهُ (أي: يَوْمَ الرب؛ يَوْمَ العدالة؛ يَوْمَ دينونة الأشرار وعقابهم)؟" (أيوب 1:24). وفي الواقع، فإن الجزء الأول من هذا الإصحاح (أيوب 1:24-17) يصف الظلم الشديد الموجود في العالم، أي: ظلم الإنسان لأخيه الإنسان كالسرقة والقتل والزنا واضطهاد اليتامى والأرامل والبطش بالفقراء والمساكين[4929]، ويقول "مِنَ الْوَجَعِ أُنَاسٌ يَئِنُّونَ، وَنَفْسُ الْجَرْحَى تَسْتَغِيثُ، وَاللهُ لاَ يَنْتَبِهُ إِلَى الظُّلْمِ (أي: لَا يُصْغِي إِلَى استغاثة المظلومين)" (أيوب 12:24)! مما جعل بعض العلماء يشكون في أن يكون أيوب هو قائل "يُعْطِيهِ طُمَأْنِينَةً فَيَتَوَكَّلُ، وَلكِنْ عَيْنَاهُ عَلَى طُرُقِهِمْ. يَتَرَفَّعُونَ قَلِيلًا ثُمَّ لاَ يَكُونُونَ وَيُحَطُّونَ" (أيوب 23:24-24)، إذ كيف يقول في الجزء الأول إن الله لاَ يَنْتَبِهُ إِلَى ظلم الأشرار (أيوب 12:24)، ثم في الجزء الأخير يقول إنه يعاقبهم حتى لاَ يَكُونُونَ وَيُحَطُّونَ (أيوب 24:24)؟! ثم إن فكرة عقاب الأشرار تتفق أكثر مع وجهة نظر أصحاب أيوب الذين يؤيدون قانونَ الثواب والعقاب (المجازاة العادلة)، ولذلك قال العديد من الباحثين إن المتحدث في الجزء الأخير من (أيوب 24) هو أحد أصحاب أيوب وليس أيوب. لكن يوجد رأي آخر يقول إن أيوب هو المتحدث لكنه قال هذا الكلام كأمنية (wish) يرجو أن تتحقق أمام عينيه في الحياة الدنيا (May God let the wicked feel secure until He suddenly brings them down)[4930]. يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس تعليقاً على (أيوب 18:24-25): "يبدو الجزء الأخير من خطاب أيوب الثامن وكأنه إعلان للدينونة على الأشرار، وبشكل يختلف عن موقف أيوب في هذا الخطاب كما في السفر ككل، مما دفع العديد من الباحثين لاقتراح أنَّ هذا الجزء من الخطاب ينتمي أساساً لخطاب بلدد الثالث القصير الذي يليه (أيوب 1:25-6)، أو يشكل خطاب صوفر الثالث الذي يعاني السفر من غيابه. في حين اقترح البعض أن (أيوب 24) بكامله يمثل قصيدة مستقلة بذاتها [...]. لكن الترجمات الأولى للعهد القديم كالسبعينية واللاتينية والسريانية، تضع هذه الأعداد أيضاً على لسان أيوب وتقدمها بشكل تمنيات يقدم من خلالها أيوب العدالة التي يترجى أن يطبقها الله ليثبت وجوده وعدالته وصلاحه. كما أنه من الممكن أيضاً تفسير هذا المقطع (أيوب 18:24-25) بأن أيوب يسبق رفاقه لإعلان ما يتوقع أن يقولوه وذلك لاسكاتهم، وهو أسلوب متبع في الشرق الأوسط [...]. في كل الأحوال، يختتم أيوب خطابه بأن يعلن ببساطة أن عدم تحقق ما يترجاه ويدعو الله لتحقيقه إنما هو إثبات دامغ لعدم وجود الله من أساسه، وبالتالي لعدم وجود من يستطيع أن يجاوبه ["وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَا، فَمَنْ يُكَذِّبُنِي وَيَجْعَلُ كَلاَمِي لاَ شَيْئًا؟"] (أيوب 25:24)"[4931].

إذن: خطاب أيوب في (أيوب 1:3 – 40:31) كان في مجمله خطاباً سلبياً جداً تجاه الله كما قلنا. ومن ثم، فإن وجود بعض النقاط الإيجابية في كلامِ أيوب تجعله أحياناً يعاني من التناقضات حين يتخبط بين الفكرة وعكسها! مثلاً، بينما يتحدث عن "الشجرة" بطريقةٍ إيجابية ويستخدمها كرمز للأمل: "لأَنَّ لِلشَّجَرَةِ رَجَاءً. إِنْ قُطِعَتْ تُخْلِفْ أَيْضًا (أي: تَنْمُو مِنْ جَدِيدٍ) وَلاَ تُعْدَمُ خَرَاعِيبُهَا (أي: أَغْصَانُهَا؛ بَرَاعِمُهَا). وَلَوْ قَدُمَ

فِي الأَرْضِ أَصْلُهَا، وَمَاتَ فِي التُّرَابِ جِذْعُهَا، فَمِنْ رَائِحَةِ الْمَاءِ (أي: فَبِالمَاءِ القَلِيلِ) تُفْرِخُ وَتُنْبِتُ فُرُوعًا كَالْغِرْسِ (أي: كَنَبْتَةٍ جَدِيدَةٍ)" (أيوب 14:7-9)، نجده بعد ذلك يتحدث عن "الشجرة" أيضاً لكن بطريقةٍ سلبية جداً ويستخدمها كرمز لليأس وانعدام الأمل: "هَدَمَنِي [اللهُ] مِنْ كُلِّ جِهَةٍ فَذَهَبْتُ (أي: فَتَلاشَيْتُ؛ فهَلَكتُ)، وَقَلَعَ مِثْلَ شَجَرَةٍ رَجَائِي (أي: واستَأصَلَ أملي استِئصالَ الشَّجَرَة)" (أيوب 19:10) "[الشرير] تَنْسَاهُ الرَّحِمُ (أي: تَنْسَاهُ أُمُّه)، يَسْتَحْلِيهِ الدُّودُ (يقصد: يموت ويُدْفَن فيلتهمه الدُّودُ ويتمتع بأكله في القبر). لاَ يُذْكَرُ بَعْدُ، وَيَنْكَسِرُ (أي: يُحَطَّمُ) الأَثِيمُ كَشَجَرَةٍ" (أيوب 24:20)! ثم يعود إلى الكلام بطريقةٍ إيجابية ويشبِّه حالَه قبل التجربة بالشجرة الثابتة الراسخة: "أَصْلِي كَانَ مُنْبَسِطًا إِلَى الْمِيَاهِ (أي: جُذوري مُمتَدَّةٌ تصل إلى المياهِ)، وَالطَّلُّ (أي: قطرات الندى) بَاتَ عَلَى أَغْصَانِي" (أيوب 29:19)!

مثال آخر: بينما يدعو أيوبُ اللهَ ليواجهه في المحاكمة: "أُرِيدُ أَنْ أُكَلِّمَ الْقَدِيرَ، وَأَنْ أُحَاكَمَ إِلَى اللهِ" (أيوب 13:3)، نجده بعد ذلك بقليل يتهم اللهَ بأنه هو مَن بدأ المحاكمةَ بينهما: "فَعَلَى مِثْلِ هذَا [اَلإِنْسَان الضعيف المائت] حَدَّقْتَ عَيْنَيْكَ، وَإِيَّايَ أَحْضَرْتَ إِلَى الْمُحَاكَمَةِ مَعَكَ" (أيوب 14:3)!

مثال ثالث: بينما يُفْهَم من كلام أيوب أنه لا يؤمن بالقيامة: "أَمَّا الرَّجُلُ فَيَمُوتُ وَيَبْلَى. الإِنْسَانُ يُسْلِمُ الرُّوحَ، فَأَيْنَ هُوَ؟" (أيوب 14:10) "إِذَا رَجَوْتُ الْهَاوِيَةَ (Sheol) (أي: عَالَمَ الأَمْوَاتِ؛ أو: القَبْر) بَيْتًا لِي، وَفِي الظَّلاَمِ مَهَّدْتُ فِرَاشِي، وَقُلْتُ لِلْقَبْرِ: أَنْتَ أَبِي، وَلِلدُّودِ: أَنْتِ أُمِّي وَأُخْتِي، فَأَيْنَ إِذًا آمَالِي؟ آمَالِي، مَنْ يُعَايِنُهَا؟ تَهْبِطُ [آمَالِي] إِلَى مَغَالِيقِ الْهَاوِيَةِ (the bars that shut the gates of the underworld)[4932] إِذْ تَرْتَاحُ مَعًا (أي: وَنَسْتَقِرُّ مَعاً) فِي التُّرَابِ" (أيوب 17:13-16)، أو على الأقل لا يؤمن بالحياة بعد الموت بفترةٍ وجيزة: "وَالإِنْسَانُ يَضْطَجِعُ (أي: يَرْقُدُ؛ يقصد: يموت) وَلاَ يَقُومُ. لاَ يَسْتَيْقِظُونَ حَتَّى لاَ تَبْقَى السَّمَاوَاتُ، وَلاَ يَنْتَبِهُونَ مِنْ نَوْمِهِمْ (أي: فَلَنْ يقوم المَوْتَى إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاوَاتُ؛ لكن بعض المراجع فسَّرتها بمعنى آخر: فَلَنْ يقوم المَوْتَى إِلَّا حِينَ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ)" (أيوب 14:12)، نجده في الآية التالية يقدم طلبَه للإقامة فِي الْهَاوِيَةِ على أنه طلب إقامة مؤقتة تنتهي بانتهاء غضب الله عليه وتذكره له: "لَيْتَكَ تُوارِينِي فِي الْهَاوِيَةِ، وَتُخْفِينِي إِلَى أَنْ يَنْصَرِفَ غَضَبُكَ، وَتُعَيِّنُ لِي أَجَلًا فَتَذْكُرَنِي (أي: فتقيمني)" (أيوب 14:13)!

فهل أثَّرت آلامُ أيوب على عقله وتركيزه فجعلته لا يدرك ما يقول إدراكًا كاملًا وغير قادر على ضبط كلامه؟! لا نظن ذلك. قيل إن أيوب قال هذا الكلام السلبي بسبب محبته لله وحزنه على تجاهل الله له وسط معاناته وآلامه، أي: كما يعاتِب المحبُّ حبيبَه بجرأةٍ على هجره وتعذيبه عَشَماً في رضاه ووِصاله مرة أخرى لأنه لا يستطيع أن يحيا بدونه. لكننا بصراحة لم نقتنع بهذا الرأي الدفاعي (apologetic). فيبدو لنا إذن أن أيوب كان ربما يهرب من الحقيقة والواقع المر (النقاط السلبية الكثيرة في كلامه عن جبروت الله وظلمه مثلاً) إلى الخيال والتمني الحلو (النقاط الإيجابية القليلة في كلامه عن حكمة الله ورحمته مثلاً).

ومهما يكن من أمر، فإن المهم بالنسبة لنا هو أن أيوب لم يظل صابراً كما يُشاع! وكما سنرى بعد قليل، فإن الشاب أليهو قد نصح أيوب بالصبر: "فَإِذَا قُلْتَ [يا أيوب] إِنَّكَ لَسْتَ تَرَاهُ (أي: لا ترى اللهَ؛ لا تفهم

سببَ آلامك)، فَالدَّعْوَى قُدَّامَهُ، فَاصْبِرْ لَهُ" (أيوب 14:35)، مما يعني أنه قد لاحظ أن أيوب لم يكن صابراً! ويقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "التجربة التي يتعرض لها أيوب هي إذا ما كان سيجدف على الله أم لا (أيوب 11:1؛ 5:2)، فهل يجدف أيوب على الله أم لا؟ الجواب التقليدي الشائع هو لا. لكن الجواب الحقيقي للسفر هو نعم. فأيوب يجدف على الله بشكل واضح في الحوار مع رفاقه الثلاثة من خلال إصراره على بره هو [...]، وعلى مسؤولية الله عن الألم الذي يصيبه [...]، ومن خلال تحديه لصلاح الله [...]، وتحديه لخلق الله للخليقة وللنظام الذي وضعه للكون [...]، ومن خلال إعلانه بأنه ورغم إدراكه لعظمة الله فإن تلك العظمة لا تعني أي شيء بالنسبة له [...]"[4933]! ويقول الباحث التونسي محمد يوسف إدريس المتخصص في علم الأديان المقارن: "فصبر أيوب في **(العهد القديم)** كان محدوداً؛ إذ جدّف على الله أكثر من مرة"[4934]. وكذلك قال د. سامي عامري إن أيوب في الكتاب المقدس "أظهر السخط وسبّ يومه لما آل إليه أمره، وقال في عدل الله قولاً عظيماً؛ كصرخته: "فَهِّمْنِي لِمَاذَا تُخَاصِمُنِي! أَحَسَنٌ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ، أَنْ تُرْذِلَ عَمَلَ يَدَيْكَ، وَتُشْرِقَ عَلَى مَشُورَةِ الأَشْرَارِ؟" (أيوب 10:2-3)"[4935]. ولمزيد من المعلومات والمقارنات بين "أيوب الصابر" (Job the Patient) و "أيوب غير الصابر" (Job the Impatient)، انظر المراجع اليهودية والمراجع المسيحية الغربية والمراجع المسيحية الشرقية المطلعة على الفكر المسيحي الغربي[4936].

سؤال: فَمِن أين جاءت صورةُ أيوب الصابر التقي التي نجدها في القرآن والتراث الإسلامي، ونجدها أيضاً في مراجع مسيحية عربية تدافع عن برّ أيوب وصبره باستماتة كما لو كان قديساً أو نبياً؟!

الإجابة: كما قلنا فيما سبق، توجد أعمال يهودية بشرية ظهرت في الفترة الزمنية التي تفصل بين قصة أيوب الكتابية (التي كُتِبَت قبل المسيح بمئات السنين) وقصة أيوب القرآنية (التي كُتِبَت بعد المسيح بأكثر من 600 سنة). وبعض هذه الأعمال اليهودية البشرية – مثل "وصية أيوب" السوديبجرافي الخرافي الذي أشرنا إليه فيما سبق – حاولت أن تقدِّم أيوبَ بصورةٍ أكثر تقوى وأكثر صبراً (أو: أكثر احتمالاً؛ أكثر مثابرةً) من تلك الصورة التي رأيناها في قصة أيوب الكتابية.

+ “Some Second Temple literature related to Job – the translations and the pseudepigraphal Testament of Job – tone down the hero’s stridency and portray him as far more conventionally pious than in the biblical book”[4937].

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "وهكذا فكلا التقليدَين اليهودي والمسيحي يطرحان مشكلة حقيقية في فهم سفر أيوب وفي التعامل معه. فمن جهة أولى، هناك تناقض حقيقي بين مفهوم صبر أيوب وصورة أيوب الصابر من جهة، والصورة المسيطرة لأيوب في السفر نفسه، والتي هي صورة شخص ثائر يرفض ألمه ومعاناته ويتحدّى اللهَ بسببهما، من جهة أخرى. حيث إنَّ هناك عدة طرق يمكن وصف أيوب بها كما يظهر في السفر، كالبار أو المخلص أو الأمين أو الثائر المقاتل وربما أيضاً المفتخر المتكبر،

لكن حتماً الصبر هو ليس إحدى تلك الصفات. لكن ورغم ذلك سيطرت صورة أيوب الصابر الخاضع الخانع، التي تنبع من قراءة الفصلين الأولَين لوحدهما أو مع الفصل الأخير في السفر، كما تنبع من رفض الكثيرين لفكرة إمكانية أن بطل سفر موجود في الكتاب المقدس، يمكن أن يهاجم اللهَ بمثل الطريقة القاسية التي يراها ويُصدَم بها كُلُّ من يقرأ السفر بتمعن [...]. ومن الهام أن ندرك هنا أن صورة أيوب الصابر التقليدية إنما تأتي من سفرين آخرين يختلفان عن سفر أيوب. السفر الأول هو سفر غير قانوني هو سفر عهد أيوب (أي: وصية أيوب)، والذي يقدم صورةً مختلفةً لأيوب يسيطر عليها الصبر كما سنرى لاحقاً، أما السفر الثاني فهو رسالة يعقوب في العهد الجديد، وبالتحديد (يعقوب 11:5)"[4938].

علماً بأن الكلمة اليونانية المستخدمة في (يعقوب 11:5) وهي (hupomone) لا تعني حرفياً "صَبْر" وإنما تعني حرفياً "بقاء تحت" (remaining under)؛ أي: بقاء أيوب تحت [الآلام]؛ أو: ثبات أيوب؛ مثابرة أيوب؛ تحمُّل أيوب. إذن: أيوب الكتابي لم يكن صابراً؛ وإنما كان مثابراً في بقائه تحت الآلام.

+ “Endurance (Gk “hupomone”; also in Heb 12.1) is correctly rendered “endurance” as opposed to “patience” as in KJV”[4939].

+ “*Job’s perseverance*. Not “patience.” Job was not patient (Job 3; 12:1-3; 16:1-3; 21:4), but he persevered (Job 1:20-22; 2:9-10; 13:15)”[4940].

+ “Job persevered, but [Job] chapters 9-10 show that he did so with impatience (see [Job] 4:2; 6:11; 21:4). Cf. James 5:11, which speaks of Job’s perseverance, not (as traditionally) his patience”[4941].

ولا ننسى أيضاً التراثَ المسيحي الذي ظهر في القرون الأولى للميلاد والذي اعتبر أيوبَ رمزاً للمسيح، ومن ثم حرص على تقديم أيوب بصورةٍ أفضل بكثير من تلك الصورة الموجودة في سفر أيوب الكتابي. وخير مثال على ذلك هو الميمر الذي كتبه يعقوب السروجي بالسريانية.

وهذا كله يعني أن شخصية أيوب – ونحن نتعامل معها باعتبارها شخصية أدبية غير تاريخية (literary, ahistorical character) – قد تطوَّرت بمرور الزمن بدءاً من أيوب الثائر والمتمرد وصولاً في النهاية إلى أيوب الصابر والخاضع؛ ويعني أيضاً أن تلك الأعمال اليهودية البشرية ورسالة يعقوب وكذلك التراث المسيحي (السرياني بصفة خاصة) قد لعبت دور "الكوبري" (bridge) الذي يصل بين قصة أيوب الكتابية وقصة أيوب القرآنية.

وإنه لمن الطريف أنه رغم أن قصة أيوب القرآنية قد حذفت كلامَ أيوب الثائر المتمرد، إلا أن بعض أقواله التي قالها أثناء تذمره وثورته قد تسللت إلى مواضع أخرى من القرآن! مثلاً، قال أيوبُ لله في **(أيوب 10):** {8} يَدَاكَ كَوَّنَتَانِي وَصَنَعَتَانِي كُلِّي جَمِيعًا، أَفَتَبْتَلِعُنِي (أي: أفتدمرني؛ أفتسحقني)؟ {9} اُذْكُرْ أَنَّكَ جَبَلْتَنِي

كَالطِّينِ[4942]، أَفَتُعِيدُنِي إِلَى التُّرَابِ؟ **[← آيات قرآنية كثيرة تقول إن الإنسان مخلوق من طين أو تراب أو صَلْصَالٍ، مثل: "خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ" (الرحمن 14)]** {10} أَلَمْ تَصُبَّنِي كَاللَّبَنِ (يقصد: السائل المنوي الذي ينصب في رحم المرأة) **[← "فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاءٍ (أي: منيّ الرجل) دَافِقٍ (أي: يتدفق بسرعة في رحم المرأة)" (الطارق 5-6)]**، وَخَثَّرْتَنِي (أي: جعلت هذا السائل المنوي دماً جامداً) كَالْجُبْنِ[4943] **[← "ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ (أي: السائل المنوي) عَلَقَةً (أي: دماً غليظاً)" (المؤمنون 14) "ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ" (الحج 5)]**؟ {11} كَسَوْتَنِي جِلْدًا وَلَحْمًا **[← "فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً (أي: قطعة لحم)" (المؤمنون 14) "ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ" (الحج 5)]**، فَنَسَجْتَنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ **[← "فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا" (المؤمنون 14)]**. {12} مَنَحْتَنِي حَيَاةً وَرَحْمَةً (أي: نعمةً) **[← "ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ (أي: نفخنا فيه الروح فصار حياً يتحرك بعد أن كان جماداً)" (المؤمنون 14)]**، وَحَفِظَتْ عِنَايَتُكَ رُوحِي.

مثال آخر. قال أيوب في **(أيوب 14)**: {1} اَلإِنْسَانُ مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ، قَلِيلُ الأَيَّامِ (أي: مائت) **[← "وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ" (الأنبياء 34)؛ "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" تكررت ثلاث مرات في القرآن (آل عمران 185) (الأنبياء 35) (العنكبوت 57) وتأتي دائماً في سياق الحديث عن الابتلاء و/أو الصبر! "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [...]. لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ [...] وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" (آل عمران 185-186) "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً" (الأنبياء 35) "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [...]. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا [...]. الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" (العنكبوت 57-59)]** وَ[اَلإِنْسَانُ] شَبْعَانُ تَعَبًا **[← "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (أي: مشقة؛ عناء)" (البلد 4)]**. [...] {5} إِنْ كَانَتْ أَيَّامُهُ مَحْدُودَةً، وَعَدَدُ أَشْهُرِهِ عِنْدَكَ، وَقَدْ عَيَّنْتَ أَجَلَهُ فَلاَ يَتَجَاوَزُهُ **[← "إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ (أي: الموت) إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ" (نوح 4)؛ "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ" (الأعراف 34)؛ "مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ" (المؤمنون 43) (الحجر 5)؛ (يونس 49) (النحل 61) (سبأ 30)]**. {6} فَأَقْصِرْ عَنْهُ لِيَسْتَرِيحْ، إِلَى أَنْ يُسَرَّ كَالأَجِيرِ بِانْتِهَاءِ يَوْمِهِ.

مثال ثالث. قال أيوبُ لأصحابه وهو يلومهم في **(أيوب 19)**: {22} [...] وَلاَ تَشْبَعُونَ مِنْ لَحْمِي (أي: أكل لَحْمِي[4944]؛ يقصد: إدانتي والنميمة عليَّ)؟ **[← "وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ" (الحجرات 12)]**.

مثال رابع: كما قلنا فيما سبق، فكرة "مِيزَانِ الْحَقِّ" الذي يُوزَن به الإنسانُ (أي: تُوزَن أعمالُه) تطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً من مشهد "محاكمة الموتى" في ديانة مصر القديمة إلى سفر أيوب. فلقد قال أيوبُ: "لِيَزِنِّي [اللهُ] فِي مِيزَانِ الْحَقِّ (أو: قِسْطَاسِ الْعَدْلِ؛ مِيزَانِ البِرّ) (the scale of righteousness)، فَيَعْرِفَ اللهُ كَمَالِي" (أيوب 6:31) **[← ثم استمر مسلسل التطوّر البشري الطبيعي حتى استقرت الفكرة في وصف أحداث يوم القيامة في القرآن: "وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ**

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ" (الأنبياء 47) "وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ" (الأعراف 8-9) "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ. فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ" (المؤمنون 101-103). اقرأ أيضاً (القارعة 1-11) (الزلزلة 1-8) (النساء 39-40) (سبأ 3-5) (يونس 60-61) (لقمان 15-16)].

4.20.1.3.3 شخصية جديدة: الشاب "أَلِيهُو" (Elihu) الذي يعني اسمه "هو الله"!

"أَلِيهُو بْن بَرَخْئِيلَ الْبُوزِيِّ" (Elihu son of Barachel the Buzite) شاب أصغر سناً من أيوب وأصحابه الثلاثة. ولقد حذفه القرآنُ أيضاً! ومع أن كاتب سفر أيوب لم يقل إن الشاب أليهو كان إسرائيلياً أو يهودياً، بل يبدو من لقبه "الْبُوزِيِّ" (Buzite) أنه كان أيضاً مثل أيوب وأصحابه ينتمي إلى مكانٍ شرقي خارج حدود إسرائيل/فلسطين (إرميا 25:23)، إلا أن اسم "أَلِيهُو" (Elihu) اسم يهودي وله معنى في اللغة العبرية ويعني "هو الله" (He is God) أو "إلهي هو" (He is my God). وكذلك اسم والده "بَرَخْئِيلَ" (Barachel) يعني "بركة الله" أو "المبارَك من الله" (God has blessed). "وقد أشار اسم أليهو واسم والده أن هذه العائلة اتسمت بالتقوى، ولم تمارس العبادة الوثنية"[4945]. فهل أراد كاتِبُ سفر أيوب أن يقدِّم لنا شاباً حكيماً مثقفاً يمزج بين ثقافة الشرق الأدنى القديم وثقافة العبرانيين الموحِّدين (اليهود / بني إسرائيل)؟ أي: يجمع بين الحكمة البشرية (الإنسانية) والحكمة الدينية (الإلهية) وكأنه رسول من الله أو وسيط بين أيوب وأصحابه الثلاثة من ناحية والله من ناحية أخرى؟ ربما.

المهم: لمَّا وصل الجدل العقيم بين أيوب وبين أصحابه الثلاثة إلى طريق مسدود (dead end) ثم "تَمَّتْ أَقْوَالُ أَيُّوبَ" (أيوب 31:40) "فَكَفَّ هؤُلاَءِ الرِّجَالُ الثَّلاَثَةُ عَنْ مُجَاوَبَةِ أَيُّوبَ لِكَوْنِهِ بَارًّا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ" (أيوب 32:1)، ظهر الشاب أَلِيهُو **<u>فجأة</u>** (!) ليقول رأيه في شكل 4 قصائد أو خُطَب أو أحاديث فردية (monologues) طويلة ومتتالية (أيوب 32-33، 34، 35، 36-37) دون أي رد من أيوب ولا أي رد من أحدٍ من أصحابه الثلاثة، فبدا أليهو وكأنه يكلِّم نفسه (soliloquy)! قال أليهو بقوةٍ 6 إصحاحات كاملة دون انقطاع ودون فتور! قال أكثر من 150 آية! أي: أكثر من أي واحد من أصحاب أيوب!

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس تعليقاً على "هذا الظهور المفاجئ لأليهو وخطاباته الطويلة التي لا يقاطعها أي أحد": "يتفق معظم الباحثين على أن خطابات أليهو تمثل إضافات لاحقة للسفر [...]. حيث تغيب شخصية أليهو في افتتاحية وملحق السفر النثريين، كما في جميع الأجزاء الأخرى للجسم الشعري الرئيس للسفر (خطابات أيوب ورفاقه، ومن ثم خطابات الله). وفي نفس الوقت، يتحدث أليهو بطريقة تظهر أنه يمتلك معرفة جيدة وواضحة بالحوار بين أيوب ورفاقه، لا بل إن خطابات أليهو تعتمد اعتماداً كبيراً على حلقات الحوار ما بين أيوب ورفاقه حيث تتضمن الكثير من الاقتباسات والإشارات إلى أجزاء منها. كما

يقتبس أليهو أيوبَ بشكل حرفي، في حين أن أيوب ورفاقه يقتبسون بعضهم البعض بتصرف كبير. فأليهو، وبشكل مغاير لبقية محاوري أيوب في السفر، يدعو أيوب باسمه (أيوب 12:32؛ 1:33، 31؛ 5:34، 7، 35، 36؛ 16:35؛ 14:37) ويقتبس جملاً من خطابات أيوب (أيوب [33:8-11]؛ 34:5-6؛ 35:2-3)؛ الأمر الذي يظهر أن كاتب خطابات أليهو كان على معرفة بالنص المكتوب لسفر أيوب [...]. من جهة أخرى، تدخل خطابات أليهو في وسط التسلسل الطبيعي من دعوة أيوب لله لكي يظهر ويجيبه (أيوب 31)، والظهور الفعلي لله ورده على أيوب (أيوب 38). بالإضافة إلى ذلك، يقترح فكر ولغة خطابات أليهو بأن هذه الخطابات هي إضافة لاحقة إلى السفر تعود إلى حوالي القرن الثالث ق.م [...]، أي في المراحل الأخيرة من تطور تأليف سفر أيوب"[4946][4947].

(أيوب 32): {1} فَكَفَّ هؤُلاَءِ الرِّجَالُ الثَّلاَثَةُ عَنْ مُجَاوَبَةِ أَيُّوبَ لِكَوْنِهِ بَارًّا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ. {2} فَحَمِيَ غَضَبُ أَلِيهُوَ بْنِ بَرَخْئِيلَ الْبُوزِيِّ [...]. عَلَى أَيُّوبَ حَمِيَ غَضَبُهُ لأَنَّهُ حَسَبَ نَفْسَهُ أَبَرَّ مِنَ اللهِ (أو: برَّرَ نفسَهُ لا اللهَ rather than God؛ أو: برَّرَ نفسَهُ في مواجهة اللهِ against God) (أي: لأنَّ أيوب حَسَبَ أنه لم يخطئ (خطأً كبيراً) لكن الله هو الذي أخطأ حين ظلمه ظلماً كبيراً؛ أو: لأن أيوب يحاسب اللهَ على أفعاله). {3} وَعَلَى أَصْحَابِهِ الثَّلاَثَةِ حَمِيَ غَضَبُهُ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا جَوَابًا وَاسْتَذْنَبُوا أَيُّوبَ. {4} وَكَانَ أَلِيهُو قَدْ صَبَرَ[4948] عَلَى أَيُّوبَ بِالْكَلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ أَيَّامًا (أي: أكبر منه سناً). {5} فَلَمَّا رَأَى أَلِيهُو أَنَّهُ لاَ جَوَابَ فِي أَفْوَاهِ الرِّجَالِ الثَّلاَثَةِ حَمِيَ غَضَبُهُ. {6} فَأَجَابَ أَلِيهُو بْنُ بَرَخْئِيلَ الْبُوزِيُّ وَقَالَ: «أَنَا صَغِيرٌ فِي الأَيَّامِ وَأَنْتُمْ شُيُوخٌ، لأَجْلِ ذلِكَ خِفْتُ وَخَشِيتُ أَنْ أُبْدِيَ لَكُمْ رَأْيِي. {7} قُلْتُ: الأَيَّامُ تَتَكَلَّمُ وَكَثْرَةُ السِّنِينِ تُظْهِرُ حِكْمَةً. {8} وَلكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحًا، وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ. {9} لَيْسَ الْكَثِيرُو الأَيَّامِ حُكَمَاءَ، وَلاَ الشُّيُوخُ يَفْهَمُونَ الْحَقَّ. {10} لِذلِكَ قُلْتُ: اسْمَعُونِي. أَنَا أَيْضًا أُبْدِي رَأْيِي. {11} هأَنَذَا قَدْ صَبِرْتُ لِكَلاَمِكُمْ. أَصْغَيْتُ إِلَى حُجَجِكُمْ حَتَّى فَحَصْتُمُ الأَقْوَالَ. {12} فَتَأَمَّلْتُ فِيكُمْ وَإِذْ لَيْسَ [بَيْنَكُمْ] مَنْ حَجَّ أَيُّوبَ (أي: أثبتَ خَطأَه؛ أقنعه بالحجج والأدلة القوية؛ أفحَمَه)، وَلاَ جَوَابَ مِنْكُمْ لِكَلاَمِهِ (أي: فشلتم في الرد على أيوب؛ فشلتم في الدفاع عن الله).

وضَّح أَلِيهُو لأيوب أنه سقط في خطأ الإصرار الشديد على البر الذاتي (self-righteousness) وبالغ في تبرير نفسه حتى اتهم اللهَ بمعاداته! **(أيوب 33):** {8} «إِنَّكَ [يَا أَيُّوبُ] قد قُلْتَ في مَسَامِعِي، وَصَوْتَ أَقْوَالِكَ سَمِعْتُ. {9} قُلْتَ: أَنَا بَرِيءٌ بِلاَ ذَنْبٍ. زَكِيٌّ (أي: نَقِيٌّ؛ طَاهِرٌ) أَنَا وَلاَ إِثْمَ لِي. {10} هُوَذَا [اللهُ] يَطْلُبُ عَلَيَّ عِلَلَ عَدَاوَةٍ (أي: يبحث عن أسباب ويختلِقُ المُبرّراتِ ليعاديني). يَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَهُ. {11} وَضَعَ رِجْلَيَّ فِي الْمِقْطَرَةِ. يُرَاقِبُ كُلَّ طُرُقِي. {12} «هَا إِنَّكَ فِي هذَا لَمْ تُصِبْ. أَنَا أُجِيبُكَ، لأَنَّ اللهَ أَعْظَمُ مِنَ الإِنْسَانِ. {13} لِمَاذَا تُخَاصِمُهُ؟ لأَنَّ كُلَّ أُمُورِهِ لاَ يُجَاوِبُ عَنْهَا (أو: ألأنَّه لا يُجيبُ عن جَميعِ تَسَاؤُلاتِك؟). {14} لكِنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ مَرَّةً، وَبِاثْنَتَيْنِ (أي: يَتَكَلَّمُ بِطَرِيقَةٍ ثُمَّ بأُخْرَى) [ولكن] لاَ يُلاَحِظُ الإِنْسَانُ [كلمات الله ولا يفهم أنها رسالة منه]. {15} [قد يَتَكَلَّم اللهُ] فِي حُلْمٍ [أو] فِي رُؤْيَا اللَّيْلِ (أي: في رؤى يراها الإنسانُ وهو مستيقظ)، [أو] عِنْدَ سُقُوطِ سُبَاتٍ (أي: نوم عميق) عَلَى النَّاسِ، [أو] فِي النُّعَاسِ (أي: نوم خفيف) عَلَى الْمَضْجَعِ. {16}

حِينَئِذٍ يَكْشِفُ آذَانَ النَّاسِ (أي: يَفْتَحُ اللهُ آذَانَهُمْ) وَيَخْتِمُ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ (disciplining them)، {17} لِيُحَوِّلَ الإِنْسَانَ عَنْ عَمَلِهِ (يقصد: خَطِيئَتِهِ؛ شُرورِهِ)، وَيَكْتُمَ الْكِبْرِيَاءَ عَنِ الرَّجُلِ (أي: يَسْتَأْصِلَ التَّفَاخُرَ مِن الإنْسَانِ المتكبِّر)، {18} لِيَمْنَعَ نَفْسَهُ عَنِ الْحُفْرَةِ (أي: لِيُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنَ الْهَاوِيَةِ) وَحَيَاتَهُ مِنَ الزَّوَالِ بِحَرْبَةِ الْمَوْتِ (يقصد: لئلا يموت الإِنْسَانُ قبل أن يتوب عن خطاياه). {19} أَيْضًا (أي: وتوجد طريقة أخرى يَتَكَلَّم اللهُ بها إلى الإنسان، وهي عبر جسده:) يُؤَدَّبُ [الإِنْسَانُ] بِالْوَجَعِ عَلَى مَضْجَعِهِ، وَمُخَاصَمَةُ (أو: ارتِجافُ؛ ألمُ) عِظَامِهِ دَائِمَةٌ، {20} فَتَكْرَهُ حَيَاتُهُ خُبْزًا، وَنَفْسُهُ الطَّعَامَ الشَّهِيَّ. {21} فَيَبْلَى لَحْمُهُ عَنِ الْعَيَانِ، وَتَنْبَرِي عِظَامُهُ فَلاَ تُرَى (أو: وَتَبْرُزُ عِظَامُهُ وَتُرَى بسبب الهُزَالِ وعدم الأكل)، {22} وَتَقْرُبُ نَفْسُهُ إِلَى الْقَبْرِ، وَحَيَاتُهُ إِلَى الْمُمِيتِينَ (أي: الملائكة الذين على وشك أن يأخذوا روحَه؛ أو: آلام المرض التي تؤدي للموت). {23} [وتوجد طريقة ثالثة يَتَكَلَّمُ اللهُ بها:] إِنْ وُجِدَ عِنْدَهُ مُرْسَلٌ (بالعبرية: malak) (أي: إِنْ وُجِدَ لِلإِنْسَانِ رسولٌ من الله، وهذا الرسول قد يكون ملاكاً أو إنساناً حكيماً[4949])، وَسِيطٌ (mediator) (أو: شَفِيعٌ advocate؛ مُفسِّرٌ interpreter) وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ لِيُعْلِنَ لِلإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ (أي: يتحدث بالنيابة عن الإنسانِ ويُدَافِعُ عَنِ استِقَامَتِهِ طالباً له الرأفة والخلاص؛ أو: يُدَافِعُ عَنِ استِقَامَةِ الله فيفسِّر لِلإِنْسَانِ سببَ آلامه وحكمةَ الله منها ويشرح له مَا هُوَ صَالِحٌ لَهُ ومطلوب منه أن يعمله ليقف مستقيماً أمام الله)، {24} [فإذا تجاوب الإنسانُ مع هذا الوسيط، وتاب وتمسك بإيمانه وتقبَّل آلامه] يَتَرَاءَفُ [اللهُ] عَلَيْهِ وَيَقُولُ: أُطْلِقْهُ (Redeem him; Deliver him) عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحُفْرَةِ (أي: أُخَلِّصهُ مِنَ الانْحِدَار إِلَى الجحيم؛ أُنجِّيهِ مِنَ الهلاك الأبدي)، قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً (بالعبرية: kopher) (أي: قَدْ وَجَدْتُ مبرراً لخلاصه؛ يقصد أن الله لا يعمل ضد الإنسان بالتفتيش عن سببٍ لإدانته كما زعم أيوبُ، وإنما العكس هو الصحيح: اللهُ يعمل لصالح الإنسان بالبحث عن مبرر لخلاصه). {25} [وثمار خلاص الإنسان هي:] يَصِيرُ لَحْمُهُ أَغَضَّ (أي: أطرى وأنعم) مِنْ لَحْمِ الصَّبِيِّ، وَيَعُودُ إِلَى أَيَّامِ شَبَابِهِ (بالمعنى الحرفي: يسترد صحته وقوته وكأنه وُلِدَ من جديد[4950]؛ بالمعنى المجازي: ينال حيوية روحية ويمتلئ حماسًا لحياته الجديدة مع الله[4951]). {26} يُصَلِّي إِلَى اللهِ فَيَرْضَى [اللهُ] عَنْهُ، وَيُعَايِنُ وَجْهَهُ بِهُتَافٍ (أي: وَيَمْثُلُ الإنسانُ فِي حَضْرَةِ اللهِ بِفَرَحٍ) فَيَرُدُّ [اللهُ] عَلَى الإِنْسَانِ بِرَّهُ (أي: فيعيد إليه بِرَّهُ الذي فقده بسبب خطيئته؛ فيحيا الإِنْسَانُ في نقاوةٍ وكأنه لم يخطئ). {27} يُغَنِّي بَيْنَ النَّاسِ فَيَقُولُ [هذا المؤمن التائب]: قَدْ أَخْطَأْتُ، وَعَوَّجْتُ الْمُسْتَقِيمَ، وَلَمْ أُجَازَ عَلَيْهِ (أي: نجوتُ من العقاب الذي أستحقه؛ غفر اللهُ لي برحمته التي لا أستحقها). {28} فَدَى نَفْسِي مِنَ الْعُبُورِ إِلَى الْحُفْرَةِ، فَتَرَى حَيَاتِيَ النُّورَ. {29} «هُوَذَا كُلُّ هذِهِ يَفْعَلُهَا اللهُ مَرَّتَيْنِ وَثَلاَثًا (أي: مرات كثيرة) بِالإِنْسَانِ، {30} لِيَرُدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْحُفْرَةِ، لِيَسْتَنِيرَ بِنُورِ الأَحْيَاءِ. {31} فَاصْغَ يَا أَيُّوبُ وَاسْتَمِعْ لِي. اُنْصُتْ فَأَنَا أَتَكَلَّمُ. {32} إِنْ كَانَ عِنْدَكَ كَلاَمٌ فَأَجِبْنِي. تَكَلَّمْ. فَإِنِّي أُرِيدُ تَبْرِيرَكَ (أي: أنا لا أريد أن اتهمك وأدينك مثل أليفاز وبلدد وصوفر، وإنما أريد أن أجذبكَ إلى الحق) [لكن هذا لن يحدث ببِرِّكَ الذاتي وإنما بتوبتِكَ ورجوعِكَ إلى الله. فالله هو الذي يبررك، أما أنتَ فلن تقدر على تبرير نفسك]. {33} وَإِلاَّ (أي: وإنْ لم يكن عِنْدَكَ كَلاَمٌ) فَاسْتَمِعْ أَنْتَ لِي. اُنْصُتْ فَأُعَلِّمَكَ الْحِكْمَةَ».

مما سبق يتضح أن أَلِيهُو يرى أن الله ليس ظالماً وليس شريراً، ولذلك اختلف أليهو مع أيوب: "لأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: تَبَرَّرْتُ، وَاللهُ نَزَعَ حَقِّي (أي: ظلمني). عِنْدَ مُحَاكَمَتِي أُكَذَّبُ. جُرْحِي عَدِيمُ الشِّفَاءِ مِنْ دُونِ ذَنْبٍ" (أيوب 34:5-6)؛ "فَأَيُّ إِنْسَانٍ كَأَيُّوبَ يَشْرَبُ الْهُزْءَ كَالْمَاءِ (أي: يهزأ كثيراً بأحكام الله؛ أخذ قدرًا كبيرًا في توجيه الاتهامات لله)، وَيَسِيرُ مُتَّحِدًا مَعَ فَاعِلِي الإِثْمِ، وَذَاهِبًا مَعَ أَهْلِ الشَّرِّ؟ لأَنَّهُ قَالَ: لاَ يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ بِكَوْنِهِ مَرْضِيًّا عِنْدَ اللهِ" (أيوب 34:7-9). فقال أليهو: "لأَجْلِ ذلِكَ اسْمَعُوا لِي يَا ذَوِي الأَلْبَابِ. حَاشَا للهِ مِنَ الشَّرِّ، وَلِلْقَدِيرِ مِنَ الظُّلْمِ" (أيوب 34:10)، فاللهُ الصالحُ العادلُ القدير كثيراً يستخدم الألمَ ليس لينتقم من الإنسان ولا حتى ليعاقب الإنسانَ على خطاياه (كما أصر أصحابُ أيوب الثلاثة)، وإنما يستخدم الألمَ لينبِّه الإنسانَ ويؤدِّبه ويربِّيه ويهذِّبه حتى يبتعد عن الخطايا ويتجنبها في المستقبل، أي: لينفع الإنسانَ ويجعله باراً ويعلنه مستقيماً وينقذه من الانتهاء في الهاوية. وبالتالي، فإن آلام الإنسان لا تعني بالضرورة أنه شرير وعدو مرفوض من الله؛ بل العكس هو الصحيح فهي دعوة من الله للإنسان حتى يتوب ويرجع إلى الله. فهي إذن دليل على رحمة الله ومحبته ورعايته واهتمامه بالإنسان حتى ينجو الإنسانُ من الهلاك.

ومع أن أَلِيهُو قد بَنَى جزءاً من كلامه على بعض ما قاله أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ باختصار: "هُوَذَا طُوبَى لِرَجُلٍ يُؤَدِّبُهُ اللهُ. فَلاَ تَرْفُضْ تَأْدِيبَ الْقَدِيرِ. لأَنَّهُ هُوَ يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ (أي: يُضَمِّدُ). يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ" (أيوب 5:17-18) وأسَّسَه أيضاً على ما جاء في مواضع أخرى من العهد القديم مثل "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي تُؤَدِّبُهُ يَا رَبُّ، وَتُعَلِّمُهُ مِنْ شَرِيعَتِكَ" (المزامير 94:12) و "يَا ابْنِي، لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ وَلاَ تَكْرَهْ تَوْبِيخَهُ، لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَكَأَبٍ بِابْنٍ يُسَرُّ بِهِ" (الأمثال 3:11-12)، إلا أن أليهو يعلِّم "أن قسوة الله الظاهرية في معاقبة البشر، هي في الحقيقة عمل من أعمال المحبة، إذ أنهم لا يُعاقَبون أبداً في هذه الحياة وفقاً لما يستحقونه بالفعل (انظر (أيوب 33:27))"[4952]. ثم إن "أليهو يغير مفهوم الألم من أسلوب مجازاة (عقاب) إلى وسيلة فداء. ويتفق مثل هكذا تغيير وتطوير في مفهوم الألم والمعاناة مع التطور الواضح في الأدب والفكر اليهوديين في نهاية الحقبة الفارسية وبداية الحقبة الهلنستية. بالإضافة إلى ذلك، يقوم خطاب أليهو في (أيوب 33) بنقل الحوار من بعده القانوني [(أيوب 31)] إلى بعده التعبدي، من خلال عدم محاولته لإثبات تحقق العدالة، ولكن تأكيده بالمقابل على رحمة الله وضرورة مجيء الإنسان إليه بالعبادة والاعتراف بفضله أمام الناس"[4953]. أو كما قال الكتاب المقدس في مواضع أخرى: "لأَنَّهُ لا لأجلِ برّنا نَطرَحُ تضَرُّعاتِنا أمامَ وجهِكَ [يا إلهي]، بل لأجلِ مَراحِمِكَ العظيمَةِ" (دانيال 9:18)؛ "اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ (mercy)، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ (love) الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ بِالنِّعْمَةِ (grace) أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ (أي: بر ذاتي) كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ (أي: الأعمال الصالحة نتيجة الخلاص وليست سبباً له)، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا" (أفسس 2:4-10). **[← جعل القرآنُ أيوبَ يتوجَّه مباشرةً إلى رحمة الرب ولا يذكر شيئاً عن أعماله**

الصالحة (بِرِّه الذاتي): "أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ" (الأنبياء 83) (ص 41) "أَنتَ [يا ربي] أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأنبياء 83) "رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا" (الأنبياء 84) "رَحْمَةً مِّنَّا" (ص 43)].

ونريد هنا أن نسجِّل إعجابَنا بالشاب الحكيم أَلِيهُو الذي نجح فيما فشل فيه الشيوخ الكبار المغترين بأنفسهم الذين يدعون الحكمةَ. فلقد قدَّم الشاب أَلِيهُو إجابةً جيدة على سؤال "لماذا يتألم البار؟"، وفي الوقت نفسه قدَّم إجابةً جيدة على سؤالٍ آخر أكثر أهمية وهو "كيف يتعامل المتألم البار مع ألمه؟". والإجابة هي: يجب على المتألم البار أن يصبر ويواظب على الصلاة والعبادات والاعتراف بفضل الله وألا يتحدث كما يتحدث الأشرار وألا يرتكب إثماً أثناء ثورته على آلامه. وبصفة خاصة، يجب على المتألم البار ألا يتكبَّر ويتفاخر ببرّه الذاتي[4954]. فلقد "عرض [أليهو] وجهة نظر جديدة. فبينما قال أصحاب أيوب الثلاثة إنه يعاني الآلام بسبب بعض الخطايا الماضية، فإن أليهو قال إن آلام أيوب لن تفارقه إلا إذا عرف خطيته الراهنة، فأيوب لم يكن يعاني بسبب خطية، ولكنه كان يخطئ بسبب آلامه. لقد أوضح أليهو أن أيوب أصبح متكبراً وهو يحاول أن يدافع عن براءته. كما قال أليهو إن الألم ليس المقصود منه أن يكون عقاباً لنا، بقدر ما المقصود منه أن يقوّمنا ويرد نفوسنا ويحفظنا في الطريق الصحيح. ويوجد الكثير من الحق في كلام أليهو، لقد حاول أن يُقنع أيوبَ أن ينظر إلى آلامه من وجهة نظر مختلفة ولهدف أعظم في فكره. ومع أن كلامه كان على مستوى روحي أعلى من الآخرين، إلا أنه أخطأ في افتراض أن رد الفعل الصحيح للألم لاَ بُدَّ أن يؤدي إلى النجاح (أيوب 33:23-30)، وأن الألم يرتبط بطريقة ما بالخطية"[4955].

ويمكننا القول إن اهتمام أليهو بسؤال "كيف يواجه الإنسانُ ألمَه؟" كان أكبر من اهتمامه بسؤال "لماذا يتألم الإنسانُ؟". وهذا اختلاف مهم بين أليهو وأصحاب أيوب الثلاثة. ومع أن أليهو قد اتفق معهم في التأكيد على عدالة الله والدفاع عن تدبيره ورعايته للعالم بأسره، إلا أن أسلوبه كان أكثر أدباً وأقل استفزازاً. لكن يُؤخَذ على أليهو أنه مدح نفسه كثيراً إلى درجة أن وصف نفسه بأنه "صَحِيح الْمَعْرِفَةِ (أي: الْكَامِل فِي الْمَعْرِفَةِ)" (أيوب 36:4)! ولعله فعل ذلك حتى يشجع الشيخَ أيوبَ على الاستماع لشابٍ صغيرٍ مثله.

أليهو يدافع عن سلطان الله وعدله المنزه عن كل شر ويدعو أيوبَ إلى الصلاة والتوبة، بل يعلِّمه ما ينبغي أن يقوله في توبته! **(أيوب 34):** {10} «لأَجْلِ ذلِكَ اسْمَعُوا لِي يَا ذَوِي الأَلْبَابِ. حَاشَا للهِ مِنَ الشَّرّ، وَلِلْقَدِيرِ مِنَ الظُّلْمِ. {11} لأَنَّهُ يُجَازِي الإِنْسَانَ عَلَى فِعْلِهِ، وَيُنِيلُ الرَّجُلَ كَطَرِيقِهِ (أي: ويُعامِلُ الإنسانَ على حَسَبِ سُلوكِهِ). {12} فَحَقًّا إِنَّ اللهَ لاَ يَفْعَلُ سُوءًا، وَالْقَدِيرَ لاَ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ (أي: لا يُحَرِّفُ الحقَّ). {13} مَنْ وَكَّلَهُ بِالأَرْضِ (يقصد: اللهُ ليس وكيلاً عن أحد ولا خاضعاً لأحد؛ وإنما هو صاحب الأرض فإذا أخطأ سيظلم نفسه وهذا لا يُعْقَل)، وَمَنْ صَنَعَ الْمَسْكُونَةَ كُلَّهَا؟ (يقصد: الله القدير هو الذي خلق العالمَ وهو الذي وضع نظامَ حكمِه العادل، فلا يمكن لقدرته أن تعجز عن تحقيق العدل ولا أن تخالفه، لا عن مصلحة ولا عن إكراه) {14} إِنْ جَعَلَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ (أي: إنْ أراد اللهُ)، إِنْ جَمَعَ إِلَى نَفْسِهِ رُوحَهُ وَنَسَمَتَهُ (أي: إنْ قَرَّرَ اللهُ أنْ يَسْتَرِدَّ رُوحَهُ وَيَسْتَعِيدَ نَسَمَةَ الحَيَاةِ التي وضعها في الإنسان)، {15} يُسَلِّمُ الرُّوحَ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعًا، وَيَعُودُ الإِنْسَانُ

إِلَى التُّرَابِ (يقصد: من السهل جداً على الله أن يُميت البشر جميعاً إِنْ أراد، فلماذا يعادي إنساناً؟!)[4956]. {16} فَإِنْ كَانَ لَكَ فَهْمٌ [يا أيوب] فَاسْمَعْ هذَا، وَاصْغَ إِلَى صَوْتِ كَلِمَاتِي. {17} أَلَعَلَّ مَنْ يُبْغِضُ الْحَقَّ (أي: يكره العدلَ) يَتَسَلَّطُ (يقصد: إن الله هو السيد فوق الكل منذ الأزل فلو كان ظالماً لانهارت مملكته مع الوقت ولمَا استطاع أن يحكم طويلاً)، أَمِ الْبَارَّ الْكَبِيرَ (أي: الله) تَسْتَذْنِبُ؟ {18} أَيُقَالُ لِلْمَلِكِ: يَا لَئِيمُ، وَلِلنُّدَبَاءِ (أي: للأمراء ومندوبي الملك ورسله): يَا أَشْرَارُ؟ (وفي الترجمة اليسوعية: إن الله هو "القائِلِ لِلمَلِك: يا عَديمَ الخَير! ولِلعُظَماء: يا أَشْرار!"[4957]؛ فكيف يا أيوب تتهم اللهَ بالظلم إذا كان هو القدير الذي يحقق العدلَ ويطيح بالحكام الظالمين؟!) {19} الَّذِي لاَ يُحَابِي بِوُجُوهِ الرُّؤَسَاءِ، وَلاَ يَعْتَبِرُ مُوسَعًا (أي: غنيًا) دُونَ فَقِيرٍ. لأَنَّهُمْ جَمِيعَهُمْ عَمَلُ يَدَيْهِ. {20} بَغْتَةً يَمُوتُونَ وَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ. يَرْتَجُّ الشَّعْبُ وَيَزُولُونَ، وَيُنْزَعُ الأَعِزَّاءُ لاَ بِيَدٍ (أي: بدون تدخل إنسان، وإنما بإرادة الله وحده). {21} لأَنَّ عَيْنَيْهِ عَلَى طُرُقِ الإِنْسَانِ، وَهُوَ يَرَى كُلَّ خَطَوَاتِهِ. {22} لاَ ظَلاَمَ وَلاَ ظِلَّ مَوْتٍ حَيْثُ تَخْتَفِي عُمَّالُ الإِثْمِ (أي: كل شيء واضح أمام الله؛ فعِلْم اللهِ الكامل هو الذي يضمن أن الله لن يخطئ في أحكامه). {23} لأَنَّهُ لاَ يُلاَحِظُ الإِنْسَانَ زَمَانًا لِلدُّخُولِ فِي الْمُحَاكَمَةِ مَعَ اللهِ (أي: لأنَّ اللهَ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَفْحَصَ الإِنْسَانَ زَمَانًا إضافياً أو مَرَّةً أُخْرَى حَتَّى يَدْعُوهُ لِلْمُثُولِ أَمَامَهُ فِي مُحَاكَمَةٍ؛ أو: لأنَّ اللهَ لا يُعَيِّنُ ميعاداً محدداً يُحاكِمُ فيهِ الإنسانَ؛ أو: وَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ أَنْ يُحَدِّدَ مَوعِدًا لِيَمثُلَ أَمامَ اللهِ في القَضَاء). {24} يُحَطِّمُ الأَعِزَّاءَ مِنْ دُونِ فَحْصٍ (أي: وَلَا يَسألُ أَحَدًا؛ بدون مزيد من الفحص فحكمه نهائي لا يحتاج إلى استئناف أو إعادة نظر لأنه عارف خفايا القلوب)، وَيُقِيمُ آخَرِينَ مَكَانَهُمْ. {25} لكِنَّهُ يَعْرِفُ أَعْمَالَهُمْ، وَيُقَلِّبُهُمْ لَيْلًا (أو: في لَيلَةٍ) فَيَنْسَحِقُونَ. {26} لِكَوْنِهِمْ أَشْرَارًا، يَصْنِفُقُهُمْ (أي: يَضْرِبُهُمْ؛ يَصفَعُهم) فِي مَرْأَى النَّاظِرِينَ. {27} لأَنَّهُمُ انْصَرَفُوا مِنْ وَرَائِهِ (أي: انْحَرَفُوا عَنِ اتِّبَاعِهِ)، وَكُلُّ طُرُقِهِ لَمْ يَتَأَمَّلُوهَا، {28} حَتَّى بَلَّغُوا إِلَيْهِ صُرَاخَ الْمِسْكِينِ، فَسَمِعَ [اللهُ] زَعْقَةَ الْبَائِسِينَ. {29} إِذَا هُوَ سَكَّنَ، فَمَنْ يَشْغَبُ؟ (أي: إذا أراد اللهُ أن يُسَكِّنَ الألمَ ويعطي الهدوءَ فَمَنْ يستطيع أن يثير شغبًا ويسبب مشاكل؟؛ أو: إذا أراد اللهُ أن يَسْكُن ولا يفعل شيئاً فَمَنْ يَدِينُهُ؟) وَإِذَا حَجَبَ وَجْهَهُ، فَمَنْ يَرَاهُ سَوَاءٌ كَانَ عَلَى أُمَّةٍ أَوْ عَلَى إِنْسَانٍ؟ {30} حَتَّى لاَ يَمْلِكَ الْفَاجِرُ (بالعبرية: chaneph؛ أي: الحنيفُ؛ الكافِرُ؛ الفاسِدُ؛ المنافِقُ) وَلاَ يَكُونَ شَرَكًا لِلشَّعْبِ (أي: لِئَلّا تَعْثُرَ الأُمَّةُ). {31} «وَلكِنْ هَلْ للهِ قَالَ [أيوبُ]: احْتَمَلْتُ [الآلاَمَ لأنها تأديب] (أو: ضَلَلْتُ؛ تُبْتُ). لاَ أَعُودُ أُفْسِدُ؟ {32} [وهل تاب أيوبُ لله قائلاً] مَا لَمْ أُبصِرْهُ فَأَرِنِيهِ أَنْتَ (أي: عَلِّمْنِي يا الله مَا لَمْ أدركه؛ عَرِّفْنِي فائدةَ هذه التجربة؛ عَرِّفْنِي خَطَايَايَ الخفية). إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ إِثْمًا فَلاَ أَعُودُ أَفْعَلُهُ. {33} هَلْ كَرَأْيِكَ يُجَازِيهِ، قَائِلًا: لأَنَّكَ رَفَضْتَ؟ (أي: هل تظن يا أيوب أن الله يُجَازِي الإنسانَ بحسب ما تراه مناسباً لمجرد أنك رَفَضْتَ أَحْكامَه؟!) فَأَنْتَ تَخْتَارُ لاَ أَنَا[4958] (يقصد بسخرية: لو كان اللهُ يستشير البشرَ في أَحْكامِه، فتفضل أنتَ يا أيوب واختر الحُكْمَ السليم بدلاً من الله!)، وَبِمَا تَعْرِفُهُ تَكَلَّمْ. {34} ذَوُو الأَلْبَابِ يَقُولُونَ لِي، بَلِ الرَّجُلُ الْحَكِيمُ الَّذِي يَسْمَعُنِي يَقُولُ: {35} إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِلاَ مَعْرِفَةٍ (أي: بِجَهْلٍ)، وَكَلاَمُهُ لَيْسَ بِتَعَقُّلٍ. {36} فَلَيْتَ أَيُّوبَ كَانَ يُمْتَحَنُ إِلَى الْغَايَةِ (أي: يُجَرَّبُ إِلَى آخِرِ حَدٍّ أو إلى أن يتحقق الهدف وهو توبته) مِنْ أَجْلِ أَجْوِبَتِهِ (أي:

بسبب كلامه الصعب الذي قاله) كَأَهْلِ الإِثْمِ. {37} لكِنَّهُ أَضَافَ إِلَى خَطِيَّتِهِ مَعْصِيَةً. يُصَفِّقُ بَيْنَنَا (أي: يسخر مما نقوله له؛ يتمرد على الله أمامنا)، وَيُكْثِرُ كَلاَمَهُ عَلَى اللهِ (أي: يستمر في اتهام الله بالظلم)».

اتفق أليهو مع أيوب على أن خطاياه لن تضر اللهَ في شيء: "إِنْ أَخْطَأْتَ فَمَاذَا فَعَلْتَ بِهِ؟ وَإِنْ كَثَّرْتَ مَعَاصِيَكَ فَمَاذَا عَمِلْتَ لَهُ؟" (أيوب 6:35). لكن بنفس المنطق، فإن بره الذاتي (أعماله الصالحة) لن تنفع اللهَ في شيء أيضاً: "إِنْ كُنْتَ بَارًّا فَمَاذَا أَعْطَيْتَهُ؟ أَوْ مَاذَا يَأْخُذُهُ مِنْ يَدِكَ؟" (أيوب 7:35). فأعمال الإنسان كلها سواء خير أو شر تؤثر على البشر فقط، أي تؤثر على فاعلها وعلى الآخرين: "لِرَجُلٍ مِثْلِكَ شَرُّكَ (أي: إِنَّما شَرُّكَ يَضُرُّ إِنْسانًا مِثْلَكَ)، وَلابْنِ آدَمٍ بِرُّكَ (أي: وابنُ آدمَ وحدَهُ ينتَفِعُ بعَدلِكَ)" (أيوب 8:35). أما الله فلا يتأثر ببر الإنسان ولا بخطاياه. لكن خطايا الإنسان تجعل مَن حوله يتألمون: "مِنْ كَثْرَةِ الْمَظَالِمِ يَصْرُخُونَ. يَسْتَغِيثُونَ مِنْ ذِرَاعِ الأَعِزَّاءِ" (أيوب 9:35). واللهُ يستجيب لصراخ المظلومين وقد لا يستجيب. إلا أنه عندما لا يستجيب، فإن ذلك لا يعود إلى وجود عيب في الله. وإنما يعود إلى وجود عيب في الشخص المتألم نفسه لأنه لم يصرخ إلى الله بإيمان حقيقي: "لَمْ يَقُولُوا (أي: لَا أَحَدَ يَقُولُ): أَيْنَ اللهُ صَانِعِي" (أيوب 10:35)؛ أو لأنه لم يصل إلى مرحلة الثقة في عدالة وصلاح الله الذي هو نبع الحكمة "الَّذِي يُعَلِّمُنَا أَكْثَرَ مِنْ وُحُوشِ الأَرْضِ، وَيَجْعَلُنَا أَحْكَمَ مِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ" (أيوب 11:35)؛ أو لأنه يصرخ بكبرياء وتذمر بدون اتضاع واعتراف وتقديم توبة: "ثَمَّ يَصْرُخُونَ مِنْ كِبْرِيَاءِ الأَشْرَارِ وَلاَ يَسْتَجِيبُ [اللهُ]" (أيوب 12:35). فَإِنْ كَانَ اللهُ لَا يَسْتَجِيبُ لِصُرَاخِهِمِ الفَارِغِ لأنه "لاَ يَسْمَعُ كَذِبًا" (أيوب 13:35)، فَكَمْ بِالأَحْرَى لَا يَسْتَجِيبُ لَكَ عِنْدَمَا تَقُولُ إِنَّكَ لَا تَرَاهُ وإنه عدوك وإنه يظلمك وإنه ... الخ! "فَإِذَا قُلْتَ إِنَّكَ لَسْتَ تَرَاهُ، فَالدَّعْوَى قُدَّامَهُ، فَاصْبِرْ لَهُ" (أيوب 14:35). "وَأَمَّا الآنَ فَلأَنَّ غَضَبَهُ لاَ يُطَالِبُ (أي: لأن الله لم يُعاقِب أيوبَ على كل كلمة شريرة قالها أمامنا)، وَلاَ يُبَالِي بِكَثْرَةِ الزَّلاَّتِ، فَغَرَ أَيُّوبُ فَاهُ بِالْبَاطِلِ، وَكَبَّرَ الْكَلاَمَ [ضد الله] بِلاَ مَعْرِفَةٍ" (أيوب 15:35-16). فلو أسرع اللهُ في معاقبة الأشرار - كما طالب أيوبُ - لجازَى أيوبَ نَفْسَهُ وعاقبه عقابًا شديدًا على كل ما تَفَوَّه به ضد تدبير الله. إذن: طول أناة الله على الأشرار - التي اعترض عليها أيوبُ - هي في الواقع تعمل الآن لمصلحة أيوب، إذ أنها تعطيه فرصةً للتوبة والتراجع عن الكلام الباطل الذي قاله بجهلٍ على الله. فعلى أيوب ألا يستمر في التطاول على الله مستغلاً أن الله قد احتمل الكلامَ الصعب الذي قاله ولم يعاقبه عليه. فسكوت الله مؤقتاً عن إحقاق الحق ليس مبرراً لأيوب أن يفتح فمَه ضده بالباطل. ويبدو أن أيوب قد بدأ يتجاوب مع هذه النصيحة (بل هذا التحذير)، بدليل أنه سكت ولم يرد على ما قاله أليهو.

فاستمر أليهو في الدفاع عن عدالة الله وصلاحه موضحاً لأيوب الفارق بين تعامل الأشرار مع الله وتعامل الأبرار الخطاة معه، حيث يموت الأشرار قبل أن يلتجئوا إلى الله (أيوب 6:36، 13:36-14) بينما ينبغي على الأبرار الخطاة أن يتوبوا قبل أن يموتوا. "لاَ يُحَوِّلُ [اللهُ] عَيْنَيْهِ عَنِ الْبَارّ، بَلْ مَعَ الْمُلُوكِ يُجْلِسُهُمْ عَلَى الْكُرْسِيِّ أَبَدًا، فَيَرْتَفِعُونَ. إِنْ أُوثِقُوا بِالْقُيُودِ، إِنْ أُخِذُوا فِي حِبَالَةِ الذُّلِّ، فَيُظْهِرُ لَهُمْ أَفْعَالَهُمْ وَمَعَاصِيَهُمْ، لأَنَّهُمْ تَجَبَّرُوا، وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ لِلإِنْذَارِ [الإلهي]، وَيَأْمُرُ بِأَنْ يَرْجِعُوا عَنِ الإِثْمِ (أي: يتوبوا). إِنْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا قَضَوْا

أَيَّامَهُمْ بِالْخَيْرِ وَسِنِيهِمْ بِالنِّعَمِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا (أي: لم يتوبوا)، فَبِحَرْبَةِ الْمَوْتِ يَزُولُونَ، وَيَمُوتُونَ بِعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ" (أيوب 36:7-12). ثم يعطي أليهو الرجاءَ (hope) لأيوب فيشجعه على أن يختار طريقَ التوبة حتى ينعم بالرحمة (المحبة) الإلهية: "يُنَجِّي [اللهُ] الْبَائِسَ فِي ذِلِّهِ (أي: يُخلِّص اللهُ البارَّ التائبَ من آلامه ومعاناته المؤقتة)، وَيَفْتَحُ آذَانَهُمْ فِي الضِّيقِ. وَأَيْضًا يَقُودُكَ مِنْ وَجْهِ الضِّيقِ إِلَى رَحْبٍ لاَ حَصْرَ فِيهِ، وَيَمْلأُ مَؤُونَةَ مَائِدَتِكَ دُهْنًا (يقصد: يهبكَ خَيْرَاتٍ كثيرة)" (أيوب 36:15-16). ثم يحذره من اختيار طريق عدم التوبة: "حُجَّةَ الشِّرِّيرِ أَكْمَلْتَ (أي: الكلام الباطل الذي قلتَه ضد أحكام الله وقراراته جعلكَ مُثْقَلاً بِالدَّيْنُونَةِ الْوَاقِعَةِ عَلَى الأَشْرَارِ)، فَالْحُجَّةُ وَالْقَضَاءُ يُمْسِكَانِكَ[4959]. عِنْدَ غَضَبِهِ (أي: غضبِ الله) لَعَلَّهُ يَقُودُكَ بِصَفْقَةٍ (أي: بضربةٍ شديدةٍ). فَكَثْرَةُ الْفِدْيَةِ لاَ تَفُكُّكَ (يقصد: لن ينفعكَ أحدٌ ولن يفديكَ شيء من يدي الله، لا بِرّك الذاتي ولا أعمالك الصالحة ولا ذبائحكَ ولا آلامكَ ولا مالكَ). هَلْ يَعْتَبِرُ غِنَاكَ؟ (أي: هل يهتم اللهُ بثروتكَ؟ كلا) لاَ التِّبْرَ وَلاَ جَمِيعَ قُوَى الثَّرْوَةِ! [فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآن وأنتَ فقيرٌ وضعيفٌ!]" (أيوب 36:17-19)[4960]. "اِحْذَرْ. لاَ تَلْتَفِتْ إِلَى الإِثْمِ لأَنَّكَ اخْتَرْتَ هذَا عَلَى الذِّلِّ (أي: اخْتَرْتَ الشجار مع الله عِوَضاً عَنِ احتمال الآلام والمعاناة بصبر والتوبة وطلب رحمة الله) (يقصد: أنا أحذركَ من عاقبة هذا الاختيار الْمُهْلِك)" (أيوب 36:21).

وأخيراً ينطلق أليهو في تمجيد عمل الله العظيم في الخليقة وفي الطبيعة بصفةٍ خاصة (أيوب 36:26 – 37:24): "هُوَذَا اللهُ عَظِيمٌ وَلاَ نَعْرِفُهُ (أي: فَوقَ إدراكِنا؛ لاَ نَعْرِفُهُ تمام المعرفة؛ يقصد: أفكار الله وطرقه غير محدودة وتسمو عن أفكارنا وطرقنا)" (أيوب 36:26). فهو "يَصْنَعُ عَظَائِمَ لاَ نُدْرِكُهَا (أي: عَجَائِبَ وَآيَاتٍ تَفُوقُ إِدْرَاكَنَا)" (أيوب 37:5) كالرعد والبرق والمطر والسحاب والثلج والرياح وَهِيَ كلها أدوات في يد الله الخالِق "مُدَوَّرَةٌ مُتَقَلِّبَةٌ بِإِدَارَتِهِ، لِتَفْعَلَ كُلَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ الْمَسْكُونَةِ، سَوَاءٌ كَانَ لِلتَّأْدِيبِ أَوْ لأَرْضِهِ (أي: لري أرْضٍ مَا) أَوْ لِلرَّحْمَةِ يُرْسِلُهَا (أي: سواء اعتبرها البشر سيئة أم جيدة، عقاب أم مكافأة). «أَنْصِتْ إِلَى هذَا يَا أَيُّوبُ، وَقِفْ وَتَأَمَّلْ بِعَجَائِبِ اللهِ" (أيوب 37:12-14) "مُعْجِزَاتِ الْكَامِلِ الْمَعَارِفِ (أي: اللهِ العالِمِ العَليمِ)" (أيوب 37:16). وأليهو هنا يريد أن يجعل أيوبَ يشعر بضعفه وعجزه أمام الله، ويستنكر عليه ما قاله في أنه يريد أن يجادل اللهَ ويُحاكِم أمامه! إذ كيف يطلب إنسانٌ من لحم ودم أن يرى الله وجهًا لوجه ليعرض شكواه أمامه؟! فيقول لأيوب بسخريةٍ: "عَلِّمْنَا مَا نَقُولُ لَهُ. إِنَّنَا لاَ نُحْسِنُ الْكَلاَمَ بِسَبَبِ الظُّلْمَةِ (أي: بِسَبَبِ الْجَهْلِ؛ لأننا بَشَرٌ في أجساد مادية)! (in the dark both physically and mentally) هَلْ يُقَصُّ عَلَيْهِ كَلاَمِي إِذَا تَكَلَّمْتُ؟ (أي: هل يُنقَلُ إلَيه إذا تَكَلَّمتُ؟!؛ هل يحتاج اللهُ أن أتكلّم لأخْبِره بشيءٍ ما هو لا يعلمه؟!؛ مَن يستطيع أن يتكلّم في حضرةِ الله؟!) هَلْ يَنْطِقُ الإِنْسَانُ لِكَيْ يَبْتَلِعَ؟ (أي: هل يَتَمَنَّى رَجُلٌ لِنَفْسِهِ الْهَلاكَ إذا تكلّم أمام الله وأخطأ؟!)" (أيوب 37:19-20). ثم يختم أليهو كلامَه كالعادة بالرجاء (الترغيب) أولاً: "وَالآنَ لاَ يُرَى النُّورُ الْبَاهِرُ (أي: الشمس) الَّذِي هُوَ فِي الْجَلَدِ (أي: فِي السَّمَاءِ)، ثُمَّ تَعْبُرُ الرِّيحُ فَتُنَقِّيهِ (أي: تأتي الرِّيحُ وتُبْعِد السَّحَابَ وتبدد الغُيومَ فتجعل السماءَ صافيةً فيرى النَّاسُ الشَّمْسَ؛ يقصد: تجربتك كسحابة تغطي نورَ الله، فَاصْبِرْ حتى تنتهي وحينئذٍ تستطيع أن تعاين اللهَ وتفرح برؤية مجده وبرّه وعدله ورحمته). مِنَ الشَّمَالِ (بالعبرية: Zaphon؛ يقصد: السماءِ) يَأْتِي ذَهَبٌ (أو: يَأْتِي اللهُ بِمَجْدٍ ذَهَبِيٍّ؛

يقصد: مراحم الله قريبة وسوف تشرق عليكَ كما تشرق الشمس). عِنْدَ اللهِ جَلاَلٌ مُرْهِبٌ (أي: بَهاءٌ مَهيب)" (أيوب 37:21-22)؛ ثم بعد ذلك ينتقل أليهو إلى التحذير (الترهيب): "[اللهُ] الْقَدِيرُ لاَ نُدْرِكُهُ (أي: أعلى وأسمى مِن كل إدراك بشري). عَظِيمُ الْقُوَّةِ وَالْحَقِّ (أي: العَدْل)، وَكَثِيرُ الْبِرّ. لاَ يُجَاوِبُ (أي: غير مضطر أن يُجيب تساؤلاتنا في وقتٍ محدد؛ يقصد: بما أننا عاجزون عن إدراك حكمة الله في قراراته وأحكامه، فليس من حقنا أن نستجوبه أو نسأله لماذا فعلتَ هذا أو ذاك ونتوقع منه أن يُجَاوِبنا فوراً، وكذلك ليس من حقنا أن نجيب نحن بالنيابة عنه. وفي ترجمات أخرى: لا يَجُورُ، لا يَظلِم). لِذلِكَ فَلْتَخَفْهُ النَّاسُ. كُلَّ حَكِيمِ الْقَلْبِ (أي: مَنْ يدَّعي الحِكمةَ؛ الحكيمَ في عيني نفسه؛ الْمُتَكَبِّرَ) لاَ يُرَاعِي (أي: لا يغير اللهُ أحكامه وخططه بسبب اعتراض الإنسان الْمُتَكَبِّر ولا يجيب دعاءَ مَن لا يخاف اللهَ؛ يقصد: لا تلعب يا أيوب دورَ الحكيم في مواجهة الله الخالِق القدير العليّ العادل البار)" (أيوب 37:23-24). وهنا ينتهي كلامُ الشاب أليهو.

"هكذا يختم أليهو حديثه بطريقة مختلفة تمامًا عن الثلاثة أصدقاء. يختمه بإبراز عظمة الله وجلاله وحكمته وقدرته التي يليق بكل إنسان - مهما كانت قدرته ومواهبه - أن يخضع في انسحاق أمام الله. ختم حديثه بأنه يرى العظمة الإلهية تقترب لتلتقي مع أيوب كسحابةٍ من ذهب بهي مصقول، ويود أن يتهيأ أيوب لهذا اللقاء بالكف عن التذمر والشكوى، وأن يعترف بأعمال الله العظيمة وعدله وبرّه. يرى أليهو أن الرب قادم، ويليق أن يتوقف كل حديث بشري أو جدال، ليخضع الكل في صمتٍ، وينصتوا للصوت الإلهي. يكفينا أن نقتنع بأنه يعمل بعدلٍ (أيوب 37:23-24)"[4961].

فخلاصة رسالة أليهو إلى أيوب هي: عليك ألا تتذمر بسبب آلامك وألا تثور على معاناتك، فهي لخيرك ومصلحتك ومنفعتك كأسلوب من أساليب التأديب والإصلاح الإلهي، وإنما عليك أن تقبلها وتحتملها وتشكر اللهَ في جميع الأحوال وتتوب عن خطاياك وتخضع لله بروح التواضع عِوَضًا عَن الكبرياء والافتخار بالبر الذاتي والتذمر والتحدث مع الله كمن يتهمه.

ويُحْسَب للشاب أليهو أيضاً أنه ساعدنا على أن نفهم الشخصيات الأخرى في الرواية ونعرف خطأ كل شخصية حتى لا نقع في نفس الخطأ:

- أيوب اهتم بالدفاع عن نفسه وليس إظهار مجد الله، فاتهم (accused) اللهَ بالظلم، وهذا خطأ لأن الله عادل وحكيم وليس ظالماً. ثم إن كبرياء أيوب وافتخاره ببره الذاتي جعلاه لا يفكر في احتمال أن تكون المشكلة فيه هو نفسه كإنسانٍ ذي معرفة محدودة وبِرّ محدود، فَمَن هو لكي يحسب "نَفْسَهُ أَبَرَّ مِنَ اللهِ" (أيوب 32:2) (أيوب 35:2) أو يستجوب اللهَ الذي هو "أَعْلَى مِنْكَ" (أيوب 35:5) "أَعْظَمُ مِنَ الإِنْسَانِ" (أيوب 33:12)؟! فبما أن لا أحد وَكَّلَ اللهَ بِالأَرْضِ (أيوب 34:13)، إذن: لا توجد أية سلطة عليا تستطيع تقييم عمل الله أو تستطيع أن تُجْبِر اللهَ على أن يدير الكونَ بطريقةٍ معينة. "هُوَذَا اللهُ يَتَعَالَى بِقُدْرَتِهِ. مَنْ مِثْلُهُ مُعَلِّمًا؟ مَنْ فَرَضَ عَلَيْهِ طَرِيقَهُ، أَوْ مَنْ يَقُولُ لَهُ: قَدْ فَعَلْتَ شَرًّا؟ أُذْكُرْ [يا أيوب] أَنْ تُعَظِّمَ عَمَلَهُ الَّذِي يُغَنِّي بِهِ النَّاسُ" (أيوب 36:22-24)؛ يقصد: أَنْ تُمَجِّدَ اللهَ عوضاً عن تحديه والتذمر عليه. فهكذا أَظهر أليهو لأيوب خطيئتَه

الخفية أو خطيئتَه الدفينة وهي غروره وكبريائه وافتخاره ببره الذاتي إلى درجة أنه اعتبر "نَفْسَهُ أَبَرَّ مِنَ اللهِ"! وهي خطيئة "خفية" أو "دفينة" بمعنى أنها كانت موجودة عند أيوب من قبل[4962] لكنها لم تظهر بوضوح إلا بعد بدء آلامه وسماعه كلام أصحابه الثلاثة الذين هاجموه واستفزوه فوضعوه في موضع الدفاع عن الذات. فكأن أليهو أراد أن يقول لأيوب: أنتَ تحاول أن تبرر نفسكَ عن طريق إلقاء اللوم على الله واتهامه بالظلم، لكن مجرد إلقاء اللوم على الله واتهامه بالظلم يتناقض مع ادعائك البر!

- أما أصحاب أيوب الثلاثة فبسَّطوا (oversimplified) اللهَ زيادة عن اللزوم، وهذا خطأ لأن الله يتعامل معنا بقانونٍ (بل بقوانين وعلاقات) أكثر تعقيداً من قانون الثواب والعقاب (المجازاة العادلة). "لقد أخطأ أصحاب أيوب بافتراض أن آلام أيوب نتجت عن خطية كبيرة. كانوا يحكمون على أيوب دون أن يدروا ما كان الله يفعله. ويجب علينا أن نحذر من إصدار أحكام على شخصٍ ما، إذ لعل الله يكون عاملاً بطرق لا نعلم شيئاً عنها"[4963]. فلا يمكن تقسيم البشر إلى فئتين فقط: أبرار وأشرار! كما لا يمكن اختزال الله في قانونٍ واحد ساذج يتكون من أربع كلمات فقط: المكافأة للأبرار والعقاب للأشرار! ولا يمكن أن نتوقع تطبيق هذا القانون بصورةٍ فورية ومباشرة "واحدة بواحدة" لكل عملٍ بار وكل عملٍ شرير؛ كما لو كان اللهُ شرطياً في إدارة المرور همه وشغله الشاغل هو رصد كُلّ المخالفات وفرض جميع الغرامات عاجلاً أو آجلاً! ولو كان هذا القانون لا يقبل استثناءات ولا تناقضات، لوجب على الله ألا يرحم وألا يغفر! فبما أن الله قد يغفر للشرير، إذن وبنفس المنطق: قد يجعل اللهُ الْبَارَّ يتألم لكن لأسباب أخرى غير العقاب. ولو كان هذا القانون لا يقبل إبطاء ولا إمهال، لعوقبنا كلنا على خطايانا بسرعة وبدون أية فرصة للتوبة! فهل نقبل ذلك؟! طبعاً لا. فنحن كثيرًا نطالب الله أن يعاقب بسرعة كُلَّ مَن سبب لنا ألمًا وظلمًا؛ ولكن هل بنفس السرعة سنقبل أن يعاقبنا اللهُ لو أخطأنا نحن في حق الآخرين؟! طبعاً لا. "إِنْ كُنْتَ تُرَاقِبُ الآثَامَ يَا رَبُّ (أي: لو عاملتنا بعدلِك فقط)، يَا سَيِّدُ، فَمَنْ يَقِفُ؟ (أي: فلن يثبت أحدٌ أمامكَ)" (المزامير 3:130)؛ "وَلاَ تَدْخُلْ [يَا رَبُّ] فِي الْمُحَاكَمَةِ مَعَ عَبْدِكَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَتَبَرَّرَ قُدَّامَكَ حَيٌّ" (المزامير 2:143). وفي جميع الأحوال، فإن الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ "وَنَفْسُهُ تَشْتَهِي فَيَفْعَلُ" (أيوب 13:23)[4964] فلا يمكن التنبؤ بأحكامه: قد يعاجِل بعقاب الأشرار وقد يتمهل وقد يرحمهم، وقد يزيل الألمَ بسرعة عن الأبرار وقد ينتظر. ثم إن جمود أصحاب أيوب الفكري وتعصبهم لآرائهم التقليدية البدائية الرجعية الموروثة ودفاعهم الشديد عن الله كما لو كانوا محاميين موكَّلين من الله أو متحدثين رسميين باسم الله – بدليل أن أليفاز قال لأيوب: "أَقَلِيلَةٌ عِنْدَكَ تَعْزِيَاتُ اللهِ" (أيوب 11:15) – جعلهم يخسرون إنسانيتَهم ويهاجمون أخاهم الإنسان ويحاولون إظهارَ شره بأية وسيلة ولا يحلون مشكلته بل لا يتعاطفون معه في محنته "لَمْ يَجِدُوا جَوَابًا وَاسْتَذْنَبُوا أَيُّوبَ" (أيوب 3:32)؛ كما جعلهم أيضاً لا يفكرون في احتمال أن تكون الحياة الدنيا ليست مصممةً من البداية لكي تكون عادلةً (not designed to be fair) (not designed to prevent suffering). فالله بعد أن خلق الكونَ "رَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا" (التكوين 31:1). فقط "حَسَنٌ جِدًّا". لم يقل "كامِلٌ" ولا "عادِلٌ" ولا "حكيمٌ" ولا "آمن" ولا حتى "مريح". فقط "حَسَنٌ جِدًّا"، وهو كذلك حقاً رغم كل الألم والمعاناة.

ملحوظة: أيوب أيضاً زعم أن كلامه كلام الله، بدليل قوله لأصحابه: "إِنِّي أُعَلِّمُكُمْ بِيَدِ اللهِ. لاَ أَكْتُمُ مَا هُوَ عِنْدَ الْقَدِيرِ" (أيوب 11:27)! ولذلك قيل إن المتحدث هنا هو صوفر وليس أيوب[4965]. لكن توجيه الخطاب بصيغة الجمع "أُعَلِّمُكُمْ" يضعف هذا الرأي. وكذلك زعم أليهو أنه حصل على وحي من الله، بدليل قوله: "وَلكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحًا، وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ" (أيوب 8:32) "اِسْتِقَامَةُ قَلْبِي كَلاَمِي (أي: كَلِمَاتِي تَصْدُرُ مِنْ قَلْبٍ مُسْتَقِيمٍ)، وَمَعْرِفَةُ شَفَتَيَّ هُمَا تَنْطِقَانِ بِهَا خَالِصَةً (أي: وَشَفَتَايَ تَتَحَدَّثَانِ بِإِخْلاصٍ بِمَا أَعْلَمُ بدون إفراط ولا تفريط). رُوحُ اللهِ (The Spirit of God) صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي" (أيوب 3:33-4) "هأَنَذَا حَسَبَ قَوْلِكَ عِوَضًا عَنِ اللهِ" (أيوب 6:33)! فنستطيع أن نقول إن جميع شخصيات الرواية سقطت في هذا الخطأ.

ولذلك فإننا نتفق تماماً مع الرأي الذي يقول: "يحذِّرنا سفر أيوب من السقوط في فخ البر الذاتي، ومن محاولة تنصيب أنفسنا مكان الله، أو في موقع الدفاع عن الله. وتلك رسالة هامة لنا اليوم في الوقت الذي يتصارع فيه الكثيرون نتيجة للسقوط في ذلك الفخ أو تحت تلك الذريعة"[4966].

مما سبق تتضح أهمية شخصية الشاب أليهو في سفر أيوب بصورته النهائية. لكن على الرغم من أهمية هذه الشخصية الحكيمة، إلا أن قصة أيوب القرآنية قد حذفتها تماماً. فهل أدرك أصحابُ القرآن أن شخصية أليهو قد أضيفت إلى سفر أيوب في وقتٍ لاحق؟ ربما.

وإنه لمن الطريف أنه رغم أن قصة أيوب القرآنية قد حذفت شخصية "أليهو" تماماً، إلا أن بعض أقواله قد تسللت إلى مواضع أخرى من القرآن. مثلاً: "رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي **[← "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ" (السجدة 9) "سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي" (الحجر 29) (ص 72)]**. [...] أَنَا أَيْضًا مِنَ الطِّينِ تَقَرَّصْتُ (أي: جُبِلْتُ) **[← آيات قرآنية كثيرة تقول إن الإنسان مخلوق من طين، مثل: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ" (الأنعام 2)؛ "إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ" (الصافات 11)]**" (أيوب 4:33-6). مثال آخر: "إِنْ أَخْطَأْتَ فَمَاذَا فَعَلْتَ بِهِ (أي: بالله)؟ وَإِنْ كَثَّرْتَ مَعَاصِيَكَ فَمَاذَا عَمِلْتَ لَهُ؟ إِنْ كُنْتَ بَارًّا فَمَاذَا أَعْطَيْتَهُ؟ أَوْ مَاذَا يَأْخُذُهُ مِنْ يَدِكَ؟ لِرَجُلٍ مِثْلِكَ شَرُّكَ، وَلابْنِ آدَمٍ بِرُّكَ" (أيوب 6:35-8) **[← "فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا" (يونس 108)؛ (الإسراء 15) (الزمر 41)]**. مثال ثالث: "يَصْرُخُونَ مِنْ كِبْرِيَاءِ الأَشْرَارِ وَلاَ يَسْتَجِيبُ. وَلكِنَّ اللهَ لاَ يَسْمَعُ كَذِبًا، وَالْقَدِيرُ لاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ (أي: لا يستجيب الله لصلوات المتكبرين والكاذبين)" (أيوب 12:35-13) **[← أكمل القرآنُ حكمةَ أليهو: "قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" (المائدة 27)]**. كما لاحظنا أن أليهو لاَمَ أيوبَ على أنه انتقد اللهَ بكبرياءٍ وجادل أصحابَه الثلاثة بجهلٍ: "إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِلاَ مَعْرِفَةٍ، وَكَلاَمُهُ لَيْسَ بِتَعَقُّلٍ" (أيوب 35:34) "فَغَرَ أَيُّوبُ فَاهُ بِالْبَاطِلِ، وَكَبَّرَ الْكَلاَمَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ»" (أيوب 16:35) "أَتَحْسِبُ هذَا حَقًّا [يا أيوب]؟ قُلْتَ: أَنَا أَبَرُّ مِنَ اللهِ" (أيوب 2:35) "قُلْتَ: أَنَا بَرِيءٌ بِلاَ ذَنْبٍ. زَكِيٌّ أَنَا وَلاَ إِثْمَ لِي. هُوَذَا [اللهُ] يَطْلُبُ عَلَيَّ عِلَلَ عَدَاوَةٍ. يَحْسِبُنِي عَدُوًّا لَهُ" (أيوب 9:33-10) **[← "الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ (أي: بلا برهان ولا حجة) أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ**

كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ" (غافر 35)؛ "إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ (أي: كبرياء وتكبر) مَّا هُم بِبَالِغِيهِ" (غافر 56)].

قال الشاب أَلِيهُو كُلَّ كلامه "دون أي رد من أيوب، الذي يبدو وكأنه لا يسمع أو غير مهتم بالرد على ما يُقال، كما لو أنه ينتظر تدخل الله في الحوار؛ الأمر الذي يحصل في نهاية الحوار (أيوب 38:1 – 42:6)"؛ وقيل إن "خطابات أليهو تهدف للتحضير لخطابات الله من خلال وضع كل ما قاله أيوب ورفاقه موضع تساؤل"، فلقد قام أليهو في خطابه الأخير "بطرح مجموعة من الأسئلة البلاغية (أيوب 37:14-20) والتي تشبه الأسئلة [البلاغية] التي سيبدأ بها اللهُ خطاباته في الفصل 38 وبالتالي تخدم كمقدمة وتمهيد لها، بالإضافة لاظهارها لمحدودية أيوب كإنسان"، "فرغم مهاجمته لحجج رفاق أيوب وادعائه بأنه يمتلك جواباً مختلفاً (أيوب 32)، يقوم أليهو بتكرار تلك الحجج وإن كان بصيغ مختلفة، ويقوم بالتالي بإدانة نفسه بنفسه، وبالتحضير لدخول الله على الصورة مباشرة بعد ذلك ودينونته لرفاق أيوب ومفهومهم عنه (أيوب 42:7-9) [...]. لا بل ومما يدعو للسخرية أن أليهو يختتم حديثه بأن يعلن بأن الله لا يتنازل ليجيب البشر الفانين (أيوب 37:23-24)؛ الأمر الذي سيقوم اللهُ بنقضه في العدد الذي يلي ذلك مباشرة ["فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ وَقَالَ:"] (أيوب 38:1)"، "ويظهر بالتالي أن الله وحده هو من يمتلك القدرة على فهم أيوب وجعله يفهم معاناته. تجعل خطابات أليهو من الواضح أن كل حديث بشري عن الله، حتى لو كان بوحي وإلهام من الله، يعاني من محدودية ونقائص وسوء فهم، وأن الله وحده هو من يستطيع أن يتحدث عن نفسه ويكشف عمق ذاته. ولذلك، فعلى الرغم من دعواته المستمرة له (أي: دعوات أليهو لأيوب) ليرد عليه لا يقوم أيوب بالرد على أليهو، لكن الله هو من يقوم بالرد على الجميع، ويدخل إلى الصورة فقط بعد انتهاء أيوب ومحاوريه جميعهم من قول كل ما لديهم والدخول في مرحلة صمت واستعداد لسماع كلام الله"[4967][4968]. "وفي هذا يظهر أَلِيهُو وكأنه يمهد الطريق لمجيء الرب المخلِّص"[4969] ...

4.20.1.3.4 الرب (يهوه) (LORD) هو الله (God)

وأخيراً الرب (يهوه) نفسه يتكلَّم! وأخيراً "يفاجئ اللهُ الجميعَ ويستجيب لتحدي أيوب، ويضع نفسه في المحاكمة عوضاً عن أن يعاقب أيوبَ، كما كان يفترض أن يحصل"[4970]. نعم، يحقق اللهُ طلبَ أيوب حين قال: "أُرِيدُ أَنْ أُكَلِّمَ الْقَدِيرَ، وَأَنْ أُحَاكَمَ إِلَى اللهِ" (أيوب 13:3) "لِيُجِبْنِي الْقَدِيرُ" (أيوب 31:35) **[← "أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ" (ص 41) (الأنبياء 83)]**. "فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ (tempest)[4971] وَقَالَ [لأيوب]:" (أيوب 38:1) **[← "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ" (الأنبياء 84)]!**

تكلَّم الرَّبُّ (يهوه) في شكل خُطَب أو أحاديث فردية (monologues) (أيوب 38-41). أو بعبارة أكثر دقة: تحدَّث الرَّبُّ إلى أيوب في خطابين طويلين، الخطاب الأول (أيوب 38:1 – 40:2) والخطاب الثاني (أيوب 40:6 – 41:34)، ويرد أيوبُ على كل منهما بخطابٍ قصيرٍ جداً (أيوب 40:3-5) (أيوب

42:1-6). إلا أن الرب لم يقدِّم إجابةً منطقية واضحة وشافية تحسم الجدل حول "لماذا يتألم البار؟"؛ ولم يتهم أيوبَ بارتكاب أية خطايا كانت سبباً في آلامه؛ ولم يُخْبِرْ أيوبَ عن الصراع الذي دار بين الرب والشيطان في (أيوب 1-2) والذي كان علَّةَ معاناة أيوب، فهذا الصراع يظل سراً غير معلوم لأيوب ولأصحابه الثلاثة ولأليهو حتى نهاية السفر (أيوب 42:11)، وربما حتى نهاية حياتهم جميعاً. وكأن كاتِب السفر أراد أن يقول لنا إنه لكي نحصل على إجابة نهائية شاملة كاملة 100% وصحيحة 100% على سؤال "لماذا يتألم البار؟"، يجب أن نذهب إلى السماء لنعرف كيف يدير الرَّبُّ الكونَ.

وإنما وجَّه الربُّ أكثر من 60 سؤالاً بلاغياً (rhetorical questions) إلى أيوب. إذن: هذا الجزء من السفر يعكس الأدوار؛ فبعد أن كان أيوب يسأل ومطلوب من الله أن يرد، صار الله هو الذي يسأل ومطلوب من أيوب أن يرد: "هَلْ يُخَاصِمُ الْقَدِيرَ مُوَبِّخُهُ، أَمِ الْمُحَاجُّ اللهَ يُجَاوِبُهُ؟" (أيوب 40:2). وبعد أن كان أيوبُ يتحدى اللهَ، أصبح اللهُ هو الذي يتحدى أيوبَ. "وَقَالَ [الرَّبُّ لأَيُّوبَ]: «مَنْ هذَا الَّذِي يُظْلِمُ الْقَضَاءَ بِكَلاَمٍ بِلاَ مَعْرِفَةٍ (أي: يُسَوِّدُ تَدْبيري ويُشَوِّهُ مَقَاصِدِي ويُغَلِّفُ مَشورَتي بِأَقْوالٍ لَيسَت مِنَ العِلمِ بِشَيء)؟ (يقصد أن شكوى أيوب وغضبه على الله ليس لهما ما يبررهما وأنهما ينبعان من فهمه المحدود للحياة) اُشْدُدِ الآنَ حَقْوَيْكَ كَرَجُلٍ (أي: شُدَّ وَسْطَكَ وكُنْ رَجُلًا؛ يقصد: اِسْتَعِدَّ وتَهَيَّأ)، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي" (أيوب 38:1-3). وقوله "مَنْ هذَا الَّذِي [...]" (أيوب 38:2) ليس احتقاراً لأيوب بقدر ما هو تعبيراً عن تغيُّر أيوب تحت آلام التجربة؛ فأيوب قبل التجربة كان "عَبْدِي أَيُّوب" (أيوب 1:8، 2:3) الذي يعرفه اللهُ جيداً ويشهد له بالاستقامة والكمال والتقوى والحيدان عن الشر، أما الآن فأيوب شخص آخر لا يعرفه اللهُ ولذلك يتساءل "مَنْ هذَا [...]" (أيوب 38:2) ثم يوجّه له أسئلة كثيرة أخرى. وإذا قرأنا تلك الأسئلة البلاغية، فسنلاحظ أنها مثل بانوراما أو جولة سياحية تدعو إلى التأمل في مخلوقات الله الحية وغير الحية، بل في أنحاء الكون كله (كالأرض والبحر والشمس والسماوات والعالم السفلي وحالة الطقس والكواكب) وتهدف إلى التأكيد على ضآلة الإنسان أمام الرب، وتثبت لأيوب أن معرفة الإنسان وحكمته وقدرته لا يمكن أن تساوي معرفة الله وحكمته وقدرته. فلا يوجد إنسان كامل، وليس أحد صالحاً إلا الله الخالق المسؤول عن السيطرة والتنظيم والاستقرار للكون. "فمن داخل العاصفة الرعدية المرهبة يُذكِّر اللهُ أيوبَ بأن الحكمة التي تُوجّه طرق الخالق أعلى من أن يستوعبها فهم البشر، فحكمة البشر التي تُعْطَى من الله (humanity’s almost godlike wisdom) يجب ألا تفترض يوماً أنها يمكن أن تشابه حكمة الله أو تقاربها"[4972]. وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بأمثلة من تلك الأسئلة البلاغية التي وجَّهها اللهُ لأيوب:

- "أَيْنَ كُنْتَ [يا أيوب] حِينَ أَسَّسْتُ [أنا الرَّبُّ] الأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ" (أيوب 38:4).

- "هَلْ أَدْرَكْتَ عَرْضَ الأَرْضِ؟ أَخْبِرْ إِنْ عَرَفْتَهُ كُلَّهُ" (أيوب 38:18). ثم يقول اللهُ لأيوب بسخريةٍ لاذعةٍ: "تَعْلَمُ، لأَنَّكَ حِينَئِذٍ كُنْتَ قَدْ وُلِدْتَ، وَعَدَدُ أَيَّامِكَ كَثِيرٌ!" (أيوب 38:21)!

- "مَنْ فَرَّعَ قَنَوَاتٍ لِلْهَطْلِ (أي: لِسُيُولِ الْمَطَرِ)، وَطَرِيقًا لِلصَّوَاعِقِ (أي: الْبُرُوق)، لِيَمْطُرَ عَلَى أَرْضٍ حَيْثُ لاَ إِنْسَانَ، عَلَى قَفْرٍ لاَ أَحَدَ فِيهِ (أي: لا بَشَرَ فيه)، لِيُرْوِيَ الْبَلْقَعَ (أي: المكان الخالي من كُلِّ شيء) وَالْخَلاَءَ (أي: الأَرْضَ الْخَرِبَةَ؛ الأرْضَ الجَرْدَاءَ) وَيُنْبِتَ مَخْرَجَ الْعُشْبِ؟[4973] هَلْ لِلْمَطَرِ أَبٌ؟ وَمَنْ وَلَدَ مَآجِلَ الطَّلِّ (أي: قَطَرَاتِ النَّدَى)؟ مِنْ بَطْنِ مَنْ خَرَجَ الْجَمَدُ (أي: الجَلِيدُ)؟ صَقِيعُ السَّمَاءِ، مَنْ وَلَدَهُ؟" (أيوب 25:38-29). يقصد: اللهُ أب لكل مخلوقاته فهو يحبها ويرعاها ويهتم بها ويدبر شؤونها، فكم بالأحرى يهتم اللهُ بالإنسان (أيوب) الذي هو رأس الخليقة فهو الوحيد المخلوق على صورة الله[4974][4975]. "ومن الهام أن نلاحظ هنا أن صورة الإله الذي يمطر حتى على المناطق التي بلا حياة ولا ترد أي شيء بالمقابل، هي صورة مشابهة للإله الذي يمطر على الأبرار والظالمين على السواء (متى 45:5ب)، هي إعلان صريح لنعمة الله التي تحكم عمله في حياة خليقته"[4976]. لكنها تعلن أيضاً أن قرارات الله وأحكامه قد تبدو لنا أحياناً غير حكيمة أو بلا معنى، إذ لماذا يمطر اللهُ عَلَى أَرْضٍ ليس فيها إنسان بينما تعاني شعوبٌ كثيرة أخرى من الجفاف ونقص المياه؟![4977] (أو كما يقول المثل الشعبي: يعطي الحلق لمن ليس له أُذُنَانِ!) ونحن نرى أن هذه الآيات تؤكد أن قانون الثواب والعقاب (المجازاة العادلة) – الذي أيَّده بشدة أصحابُ أيوب الثلاثة – ليس صحيحاً دائماً.

- "هَلْ تَرْبِطُ أَنْتَ عُقْدَ الثُّرَيَّا (Pleiades)، أَوْ تَفُكُّ رُبُطَ الْجَبَّارِ (Orion)؟" (أيوب 31:38).

- "هَلْ عَرَفْتَ سُنَنَ (أي: قوانين؛ أحكام) السَّمَاوَاتِ، أَوْ جَعَلْتَ تَسَلُّطَهَا عَلَى الأَرْضِ (مثل: تعاقب الليل والنهار وفصول السنة الأربعة وحركة المد والجزر ونحو ذلك)؟ أَتَرْفَعُ صَوْتَكَ إِلَى السُّحُبِ (أي: أَتَقْدِرُ أنْ تَأْمُرَ السحاب ليُنْزل المطرَ) فَيُغَطِّيَكَ فَيْضُ الْمِيَاهِ؟ أَتُرْسِلُ الْبُرُوقَ فَتَذْهَبَ وَتَقُولَ لَكَ: هَا نَحْنُ (أي: سَمْعًا وَطَاعَةً)؟" (أيوب 33:38-35). يقصد: كما أنكَ يا أيوب تعجز عن فَهْم أسرار الطبيعة لكنك تدرك وجودَ نظامٍ معين يحكمها، كذلك إذا عجزتَ عن فَهْم أحكام الله (مثلاً في تجربة الألم والمعاناة التي تمر بها) كُنْ واثقاً في وجود نظامٍ لها لا يعلمه إلا اللهُ الخالِق والراعي.

- "أَتَصْطَادُ لِلَّبْوَةِ فَرِيسَةً، أَمْ تُشْبِعُ نَفْسَ الأَشْبَالِ" (أيوب 39:38).

- "مَنْ يُهَيِّئُ لِلْغُرَابِ صَيْدَهُ، إِذْ تَنْعَبُ (أي: تصيح؛ تَصْرُخُ) فِرَاخُهُ إِلَى اللهِ، وَتَتَرَدَّدُ (أي: تَهيمُ شاردَةً؛ تحرك رؤوسها يمينًا ويسارًا) لِعَدَمِ الْقُوتِ؟" (أيوب 41:38). يقصد: يستجيب اللهُ لصراخ فراخ الغربان لأنها تَصْرُخُ "إِلَى اللهِ" (أيوب 41:38). أما أنتَ يا أيوب فلم تصرخ إلى الله، وإنما صرختَ ضد الله، ولذلك لم يستجب اللهُ لكَ (أيوب 7:19، 20:30)!

- "أَتَعْرِفُ وَقْتَ وِلاَدَةِ وُعُولِ الصُّخُور (أي: الْمَعْز الجبلية) (mountain goats) (wild goats)، أَوْ تُلاَحِظُ مَخَاضَ الأَيَائِلِ (أي: الوُعُولِ؛ أو: الغُزلَان)؟" (أيوب 1:39).

- "جَنَاحُ النَّعَامَةِ يُرَفْرِفُ [بجمالٍ وكبرياء لكنها تعجز عن الطيران]. [...] [وهي أيضاً حمقاء] لأَنَّهَا تَتْرُكُ بَيْضَهَا وَتُحْمِيهِ (أي: تُبْقِيه دافِئًا) فِي التُّرَابِ، وَتَنْسَى أَنَّ الرِّجْلَ تَضْغَطُهُ، أَوْ حَيَوَانَ الْبَرِّ يَدُوسُهُ. تَقْسُو عَلَى أَوْلاَدِهَا كَأَنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا. بَاطِلٌ تَعَبُهَا بِلاَ أَسَفٍ. لأَنَّ اللهَ قَدْ أَنْسَاهَا الْحِكْمَةَ، وَلَمْ يَقْسِمْ لَهَا فَهْمًا. [لكن الله برعايته يحفظها، فتضع بيضًا كافيًا، ويفقس البيض، فتتكاثر النعامة ويبقى جنسها. وأعطاها اللهُ نعمةً أخرى:] عِنْدَمَا تُحْوِذُ نَفْسَهَا إِلَى الْعَلاَءِ (أي: عندما ترفع رأسها لتركض)، تَضْحَكُ عَلَى الْفَرَسِ وَعَلَى رَاكِبِهِ (أي: تهزأ بهما؛ تسبقهما)" (أيوب 39:13-18). يقصد: تَأَمَّلْ النعامةَ يا أيوب فستجد أن الله قد أنعم عليها بمواهب معينة مثل جمال الجسد وقوة الجسم وسرعة الركض، لكنه حرمها من مواهب أخرى كالطيران والحكمة وحنان الأم[4978]. فكل شيء بمقدارٍ معين لا يعلمه إلا اللهُ الذي يرعى جميع مخلوقاته[4979]. وكذلك يتعامل اللهُ مع البشر؛ فالآلام والمعاناة بمقدارٍ. فأيهما تختار؟ الكبرياء والحماقة؟! أم التواضع والحكمة؟

- "هَلْ أَنْتَ تُعْطِي الْفَرَسَ قُوَّتَهُ [في الحرب] وَتَكْسُو عُنُقَهُ عُرْفًا؟ أَتُوثِبُهُ (أي: هل أنتَ تجعله يقفز) كَجَرَادَةٍ[4980]؟ نَفْخُ مِنْخَرِهِ مُرْعِبٌ. يَبْحَثُ فِي الْوَادِي (أي: يَضْرِبُ الأرْضَ بِعُنفٍ بِحَافِرِهِ) وَيَنْفِزُ بِبَأْسٍ (أي: يَمْرَحُ ويتهلل فِي جَمِّ نَشَاطِهِ؛ يُسرعُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ؛ يثب ويطفر رافعاً قوائمه ثم يضعهن معًا). يَخْرُجُ لِلِقَاءِ الأَسْلِحَةِ. يَضْحَكُ عَلَى الْخَوْفِ (أي: يهزأ به) وَلاَ يَرْتَاعُ، وَلاَ يَرْجِعُ عَنِ السَّيْفِ" (أيوب 39:19-22).

- "أَمِنْ فَهْمِكَ يَسْتَقِلُّ الْعُقَابُ (أي: يُحَلِّقُ الصَّقْرُ) وَيَنْشُرُ جَنَاحَيْهِ نَحْوَ الْجَنُوبِ؟" (أيوب 39:26). أي: بحثاً عن الدفء، يهاجر الصَّقْرُ نَحْوَ الْجَنُوبِ بدون بوصلة أو خريطة، فاللهُ هو الذي يوجهه ويهديه.

- "أَوْ بِأَمْرِكَ يُحَلِّقُ النَّسْرُ وَيُعَلِّي وَكْرَهُ (أي: يَبْنِي عُشَّهُ فِي أعَالِي الجبال)؟ يَسْكُنُ الصَّخْرَ وَيَبِيتُ عَلَى سِنِّ الصَّخْرِ وَالْمَعْقَلِ (أي: عَلَى جُرْفٍ صَخْرِيٍّ يَكُونُ حِصْنه). مِنْ هُنَاكَ يَتَحَسَّسُ قُوتَهُ (أي: يَتَرَصَّدُ فَرِيسَتَه). تُبْصِرُهُ عَيْنَاهُ مِنْ بَعِيدٍ. فِرَاخُهُ تَحْسُو (أي: تلحس) الدَّمَ، وَحَيْثُمَا تَكُنِ الْقَتْلَى فَهُنَاكَ هُوَ" (أيوب 39:27-30).
ملحوظة: "عوضاً عن إحضار [تلك الحيوانات النجسة أو الوحشية غير الأليفة] إلى أيوب ليقوم بتسميتها وتأكيد وجودها (التكوين 2:19-20)، [يقوم اللهُ] بإحضار أيوب إليها لكي يحصل أيوب على فهم جديد لوجوده هو"؛ "التركيز [هنا] على كون الألم والمعاناة يشكلان جزءاً طبيعياً من حياة تلك الحيوانات (جوع الأشبال والفراخ، أوجاع حمل ومخاض وولادة وُعُولِ الصُّخُور والأَيَائِلِ، حماقة النعامة، خوض الفرس للحرب، وعورة حياة الْعُقَابِ ودمويتها)؛ ويدعو اللهُ أيوبَ لكي ينظر إلى العالم من وجهة نظر بقية الخليقة وليس فقط من وجهة نظره هو"؛ "في استعراضه للخليقة ينقل اللهُ أيوبَ من محيط حياة الإنسان [...] إلى محيط عالم الخليقة [...]. ويعلن اللهُ لأيوب بأن الإنسان ليس محور الكون وليس محور الاهتمام الإلهي. لا بل من خلال الإشارة إلى الحيوانات البرية (أي: الوحشية) في حديثه يدعو اللهُ أيوبَ ليرى نفسه جزءاً من الخليقة (أي: وليس سيداً عليها) وبالتالي يدعو الإنسانَ ليتكامل مع كل الخليقة [...]، ويدرك محدوديته، ليس فقط في المعرفة، ولكن أيضاً في القدرة [...]، وليدرك أن الألم والمعاناة يشكلان جزءًا طبيعياً من حياة الخليقة التي خلقها اللهُ ويهتم بها وبحياتها. ويعلن اللهُ لأيوب في خطابه هذا بأن اهتمامه ومسؤوليته تتجاوزان

العالم الإنساني لتشملا الخليقة بأسرها. وبذلك فهو يقدم مفهوم العدالة الإلهية في إطار الخلق والرعاية وليس في إطار المفاهيم الإنسانية للمكافأة والعقاب [...]، في إطار العلاقة [relationship] أكثر مما هي في إطار القوانين"[4981].

- "فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعَاصِفَةِ فَقَالَ: «الآنَ شُدَّ حَقْوَيْكَ كَرَجُلٍ. أَسْأَلُكَ فَتُعْلِمُنِي. لَعَلَّكَ تُنَاقِضُ حُكْمِي، تَسْتَذْنِبُنِي لِكَيْ تَتَبَرَّرَ أَنْتَ؟ (أي: أَتَدِينَنِي قائلاً "الله قَدْ عَوَّجَنِي" حتى تَتَبَرَّأ أَنْتَ؟) هَلْ لَكَ ذِرَاعٌ [قويةٌ قادرةٌ] كَمَا للهِ، وَبِصَوْتٍ [مُرْعِبٍ] مِثْلِ صَوْتِهِ تُرْعِدُ؟ (يقصد: إذا أردتَ فعلاً أن تقف أمامي في محاكمةٍ وتفوز بدعواك ضد عدالتي، فإن عليكَ أن تمتلك قدرتي وكلامي) تَزَيَّنِ الآنَ بِالْجَلاَلِ وَالْعِزِّ، وَالْبَسِ الْمَجْدَ وَالْبَهَاءَ[4982] (يقصد بسخريةٍ: خُذْ مكاني؛ اظهرْ بمظهر الإلوهية). فَرِّقْ فَيْضَ غَضَبِكَ، وَانْظُرْ كُلَّ مُتَعَظِّمٍ وَاخْفِضْهُ. اُنْظُرْ إِلَى كُلِّ مُتَعَظِّمٍ وَذَلِّلْهُ، وَدُسِ الأَشْرَارَ فِي مَكَانِهِمْ[4983]. اطْمِرْهُمْ (أي: ادْفِنْهُمْ) فِي التُّرَابِ مَعًا، وَاحْبِسْ وُجُوهَهُمْ فِي الظَّلاَمِ (أو: الحُفرَة؛ أي: الهاوية). (يقصد: حقق العدلَ المطلق الذي تتهمني بأنني لا أحققه) [لو استطعتَ أن تفعل شيئاً مما سبق] فَأَنَا أَيْضًا أَحْمَدُكَ لأَنَّ يَمِينَكَ تُخَلِّصُكَ (أي: عِنْدَئِذٍ أَعْتَرِفُ لَكَ بِأَنَّكَ تقدر أن تُخلِّص نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ!)" (أيوب 40:6-14). يقصد: مِن المستحيل أن تُخلِّص نَفْسَكَ ببِرّك الذاتي. ملحوظة: "يتحدث الله هنا عن الأمور المتعلقة بعدالته، ومحاولة أيوب عديمة النفع بادعاء البر الذاتي. في الفصلين 21، 24 اشتكى أيوب من صمت الله إزاء أفعال الأشرار. وهنا يؤكد الله على قدرته وتصميمه على تطبيق العدل، وهي مسألة لا يمكن لأيوب أن يفعل شيئاً بشأنها. ولذا فهناك حث ضمني لأيوب على ترك هذه الأمور لسلطان الله ([أيوب 40:9])، بما في ذلك قرار براءته ([أيوب 40:14])"[4984].

- ولقد تحدَّث اللهُ حديثاً طويلاً عن مخلوق من مخلوقاته وهو مخلوق قوي مرعب اسمه "بَهِيمُوث" (Behemoth) (10 أعداد = أيوب 40:15-24)! قيل إنه فرس النهر (hippopotamus) وقيل غير ذلك كما سنشرح بالتفصيل عند دراستنا لأساطير سفر أيوب. "هُوَذَا بَهِيمُوثُ الَّذِي صَنَعْتُهُ (أي: خَلَقْتُهُ أنا الله) مَعَكَ [يا أيوب]" (أيوب 40:15) "هُوَ أَوَّلُ أَعْمَالِ اللهِ (أي: أفضل ما تظهر فيه قوةُ الله؛ أَعْجَبُ كُلِّ الْخَلاَئِقِ أو الرئيسي بينها؛ وفي الترجمة اليسوعية: هُوَ أَوَّلُ طُرُقِ اللهِ في الخَلْق)" (أيوب 40:19) "هَا هِيَ قُوَّتُهُ فِي مَتْنَيْهِ (أي: حَقَوَيْهِ؛ عِظَامِ فَخِذَيْهِ)، وَشِدَّتُهُ فِي عَضَلِ بَطْنِهِ. يَخْفِضُ ذَنَبَهُ (أي: ذَيْلَهُ) كَأَرْزَةٍ (أي: كَشَجَرَةِ أَرْزٍ!). عُرُوقُ فَخِذَيْهِ مَضْفُورَةٌ" (أيوب 40:16-17) "هَلْ يُؤْخَذُ مِنْ أَمَامِهِ؟ (أي: هل لديك الشجاعة يا أيوب أن تأخذ شيئاً من أمام بَهِيمُوث؟؛ أو: هل تجرؤ أَنْ تَصْطَادَ بَهِيمُوث مِنَ الأَمَامِ؟) هَلْ يُثْقَبُ أَنْفُهُ بِخِزَامَةٍ (أي: بشَوكةٍ)؟" (أيوب 40:24). يقصد: هل تقدر يا أيوب أن تَصْطَادَ بَهِيمُوث وتضع حلقةً معدنية في أنفه إعلانًا عن ملكيتك له وخضوعه لك؟! فما دُمْتَ لا تجرؤ أن تقف أمام بَهِيمُوث، فكيف تجرؤ أن تقف في محاكمةٍ أمامي أنا خالِق بَهِيمُوث؟!

- كما تحدَّث اللهُ أيضاً حديثاً طويلاً جداً عن مخلوق آخر من مخلوقاته وهو أيضاً مخلوق قوي مرعب اسمه "لَوِيَاثَان" (Leviathan) (34 عدد = إصحاح كامل = أيوب 41:1-34)! قيل إنه التمساح

(crocodile) وقيل غير ذلك كما سنشرح بالتفصيل عند دراستنا لأساطير سفر أيوب. "ضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ (أي: هل تجرؤ يا أيوب أن تلمس لَوِيَاثَان؟!). لاَ تَعُدْ تَذْكُرُ الْقِتَالَ (أي: إِنْ حَاوَلْتَ الْقَبْضَ عَلَيْهِ بِيَدِكَ فَإِنَّكَ سَتَذْكُرُ ضَرَاوَةَ قِتَالِهِ وَلا تَعُودُ تُقْدِمُ عَلَى ذَلِكَ ثَانِيَةً)!" (أيوب 8:41) "مَنْ يَفْتَحُ مِصْرَاعَيْ فَمِهِ؟ دَائِرَةُ أَسْنَانِهِ مُرْعِبَةٌ" (أيوب 14:41) "عِطَاسُهُ يَبْعَثُ نُورًا، [...]. مِنْ فِيهِ (أي: فَمِهِ) تَخْرُجُ مَصَابِيحُ. شَرَارُ نَارٍ تَتَطَايَرُ مِنْهُ. مِنْ مِنْخَرَيْهِ يَخْرُجُ دُخَانٌ [...]. نَفَسُهُ يُشْعِلُ جَمْرًا، وَلَهِيبٌ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ" (أيوب 18:41-21)[4985] "عِنْدَ نُهُوضِهِ تَفْزَعُ الأَقْوِيَاءُ (أو: الآلِهةُ؛ divine beings). مِنَ الْمَخَاوِفِ يَتِيهُونَ" (أيوب 25:41) "لَيْسَ لَهُ فِي الأَرْضِ نَظِيرٌ. صُنِعَ لِعَدَمِ الْخَوْفِ (أي: طُبِعَ على عَدَمِ الخَوف؛ مَخْلُوقٌ عَدِيمُ الْخَوْفِ). يُشْرِفُ (أي: يتعالى) عَلَى كُلِّ مُتَعَالٍ. هُوَ مَلِكٌ عَلَى كُلِّ بَنِي الْكِبْرِيَاءِ" (أيوب 33:41-34)! "هُوَذَا الرَّجَاءُ بِهِ كَاذِبٌ. [...] لَيْسَ مِنْ شُجَاعٍ يُوقِظُهُ، فَمَنْ يَقِفُ إِذًا بِوَجْهِي [أنا الله خالق لوياثان وبالتالي أقوى منه]؟" (أيوب 9:41-10). <u>ملحوظة:</u> "**فَمَنْ يَقِفُ إِذًا بِوَجْهِي**؟ إنه السؤال الجوهريُّ المطروح في النصَّين المتعلِّقَين ببهيموث ولوياثان. الله خلق هذين الكائنين الراعبَين، وقدرته تعالى تفوق قدرتهما بما لا يُقاس. وما دام أيوب لا يقوى على الوقوف ضدَّهما، فماذا عساه يعمل في نزاعه مع الله؟"[4986].

- "مَنْ تَقَدَّمَنِي فَأُوفِيَهُ؟ (أي: مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاني شيئاً حتى يطالبني بمكافأةٍ؟!؛ مَن بادَأَني بِنِعمَةٍ فأرد له الجميلَ؟!؛ لِمَنْ أَنَا مَدِينٌ فأُوفِيَهُ؟!) مَا تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ هُوَ لِي (أي: كل شيء في عالم المخلوقات المادية والحيوانية وحتى بهيموث ولوياثان خاضعٌ تَحْتَ سلطان الله وسيادته وضبطه)" (أيوب 11:41)[4987].

ويقول الفكر الديني – وبخاصة الفكر المسيحي – إن بهيموث ولوياثان رمزان للشر (evil) أو الفوضى (chaos; disorder) أو الموت (death) الموجودين في هذا العالم "الحسن جدًّا" الذي خلقه اللهُ (التكوين 31:1)، بل قيل إنهما رمزان للشيطان (إبليس) رئيس هذا العالم وعدو الإنسان (آدم/أيوب)! **[← لم تذكر قصةُ أيوب القرآنية بهيموث ولوياثان اللذين يرمزان إلى الشيطان (إبليس) حسب الفكر المسيحي، وإنما ذكرت الشيطانَ صراحةً: "الشَّيْطَانُ" (ص 41)[4988]].**

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس[4989]:

> وبالتالي، فلوياثان في الخطاب الثاني لله يعلن لأيوب أن الفوضى لم تختفِ من خليقة الله، الذي خلق الكون بتنظيم تلك الفوضى، دون أن يلغيها. ويعلن عدم قدرة الإنسان على السيطرة على الفوضى التي تفوق بسلطانها سلطان كل خليقة. لكنه يعلن أيضاً أن الفوضى هي جزء من خليقة الله، وأن الله وحده هو من يستطيع السيطرة عليها.
>
> [...]
>
> **بهيموث ولوياثان**

في رده على أيوب، ينقل اللهُ التركيزَ من الإنسان إلى الخليقة بأسرها، ولذلك فهو لا يشير إلى الإنسان ولكن إلى عالم المخلوقات المادية والحيوانية وحتى الأسطورية. وبذلك فالله يتعامل مع الأسئلة التي يتصارع معها أيوب ورفاقه من وجهة نظر وبعد مختلفين تماماً، ويقوم بالتالي بنقل أيوب ورفاقه إلى أبعاد جديدة. ومن الملفت للنظر أن الله الذي يبدأ حديثه بالإشارة إلى نظام الأرض وأساساتها واستقرارها، ينهيه بالحديث عن لوياثان وبهيموث اللذين يمثلان الفوضى واللااستقرار. وبالتالي فالله يأخذ أيوب من ركن الاستقرار إلى ركن الفوضى واللااستقرار [...]، كما هو حال أيوب في السفر.

في بهيموث يرى أيوبُ اللهَ وهو يمتدح مخلوقاً يُظهِر ثقة لا تهتز بقدرته على مواجهة كل اضطراب ومعارضة. وفي لوياثان يرى أيوبُ مخلوقاً يُظهِر جمالاً وتكبراً وسيطرة تهدد كل شيء باستثناء الله، الذي لا يكتفي بامتداح قدرته ولكن أيضاً يمتدح رفضه للخضوع لأي سلطان أدنى.

بهيموث ولوياثان يُقدَّمان كجزء من خليقة الله، مما يعني بأن الشر الذي يرمزان إليه هو جزء من خليقة الله، لا بل هو موجود قبل كل مخلوق آخر، مما يعني أنه غير مرتبط باستحقاق أو عدم استحقاق الخليقة له. بذلك يعلن سفر أيوب بأن الشر موجود في الخليقة من قبل "سقوط" الإنسان، ويرد بذلك على قصة الخلق الثانية والسقوط الذي فيها [...]. وفي بهيموث ولوياثان معاً، يعلن الله أن الفوضى هي جزء من خليقته وحياتها، وأن الإنسان لا يستطيع أن يسيطر عليها، لكن الإنسان يستطيع رغم ذلك أن يواجه تلك الفوضى بثقة ويلعب في وسطها، لثقته بأن الله هو من يسيطر عليها في نهاية الأمر.

وبالتالي ما يقوله الله في نهاية السفر ينتقد ما قاله أيوب وما قاله رفاقه، وما قاله أليهو، من خلال اقتناعهم جميعاً بأن البار يجب ألا يتألم ومحاولتهم لتفسير سبب الألم في الحياة. فعلى النقيض من موقف رفاق أيوب الذي يعتبر أنَّ نظام المجازاة يسود الخليقة، وأن سقوط هذا النظام سيؤدي إلى ضياع الخليقة، يؤكد الله أن الاضطراب واللااستقرار والفوضى هي جزء لا يتجزأ من الخليقة، وأنه هو شخصياً متدخل في هذه الفوضى، يسمح بوجودها، يضبطها، ويمنح ثقة في مواجهتها [...].

[...]

فالله قد خلق خليقة حسنة جداً بضبطه للفوضى وسيطرته عليها (التكوين 1:1 – 3:2). لكن ذلك لا يعني انتفاء الفوضى واختفاءها الكامل من وجود وحياة الخليقة. وبذلك فالشر والألم والمعاناة، والتي ما هي إلا نتائج للفوضى، وإن كانت تحت السيطرة، لا تختفي من حياة الخليقة، بل تشكل جزءًا لا يتجزأ من وجود وحياة الخليقة. ولكن معاناة وألم الخليقة لا تعني على الإطلاق أنه (أي: أن الله) قد تخلى عنها وتركها تعود إلى [غياهب] الفوضى. معاناة الخليقة لا تعني عودة الفوضى ولكنها نتيجة طبيعية لعدم انتفاء الفوضى من حياة الخليقة التي ما زالت تحت رعاية إلهها. لا بل يدعو اللهُ أيوبَ ليرى جمال خليقته رغم الألم والمعاناة التي فيها. ولنلاحظ هنا أن الله يستعرض جمال الخليقة قبل الإنسان، الذي يُعتبَر مصدراً أساسياً

من مصادر ألم ومعاناة الخليقة. ومن الملفت أيضاً أن جمال الخليقة هو ليس في سلامها، ولكن في قلب حياتها وصراعها ومعاناتها. ويعلن الله أن ما يمر به أيوب ليس تجربة من الله، لكنه جزء من الحياة، وتجربة تضعنا فيها الحياة، حيث إنَّ الألم هو أكبر تجربة يمر بها الإنسان في الحياة. الحياة والألم وليس الله هو ما يجرب أيوب [...].

[...]

علينا أن ننتبه أنه على طول رده لا يشير الرب إلى وضع أيوب ومعاناته. فالله ليس مهتماً بإجابة السؤال الذي كان أيوب ورفاقه يحاولون الإجابة عنه عن مصدر الشر الذي أصاب أيوب وتبريره. بالنسبة لكاتب سفر أيوب، الشر الذي يتعرض له أيوب هو بلا سبب (أيوب 3:2)، كما أنه ليس هناك تفسير أو شرح للشر والمعاناة في هذا الكون. وإن محاولة إيجاد أسباب للشر لا تقود إلا إلى مشاكل أكثر تعقيداً. الكثيرون يحاولون أن يكونوا "رفاقاً" أو "معزين" لمن يتألم ويبذلون جهدهم لتقديم سبب للشر والألم الحاصل. لكن سفر أيوب يدعو مثل هؤلاء بالمعزين المتعبين (أيوب 2:16)، ويظهر بأن أفضل طريقة لإظهار تعاضدهم ودعمهم هي الجلوس بصمت إلى جانب أيوب في قلب ألمه ومعاناته (أيوب 13:2).

كلامُ الرب (الله) إلى أيوب والأسئلة البلاغية التي وجهها له يعني ضمنياً أن الرب وحده هو القوي الحكيم القادر أن ينعم على أيوب بالخلاص من آلامه، فما على أيوب إلا أن يتواضع ويترك الافتخارَ بِبِرِّهِ الذاتي (self-righteousness) ويثق ثقةً ثابتةً بالرب المخلِّص ذي السيادة المطلقة والحكمة الكاملة فهو كُلِّيّ القدرة وكُلِّيّ المعرفة ويعلم تماماً ما يصنع ولا يخطئ، وأسرار حكمته تظهر في أعماله. أما البشر فقدرتهم ضعيفة وحكمتهم محدودة وبالتالي لا يقدرون أن يفهموا دائماً كُلَّ ما يعمله اللهُ[4990].

فماذا كان رد أيوب على تلك الأسئلة البلاغية التي وجهها الرَّبُّ (اللهُ) له؟! ...

"فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ وَقَالَ: «هَا أَنَا حَقِيرٌ (أي: تافِهٌ وبلا وزن)، فَمَاذَا أُجَاوِبُكَ؟ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى فَمِي. مَرَّةً (أي: فيما سبق) تَكَلَّمْتُ فَلاَ أُجِيبُ (أي: لم أستطع أن أجد إجابةً لسؤال: ما الحكمة من آلامي؟)، وَمَرَّتَيْنِ (أي: تَكَلَّمْتُ كثيراً) فَلاَ أَزِيدُ (أي: لن أجادل أو أعترض مَرَّةً أخرى)»" (أيوب 40:3-5). أي: هدأ أيوبُ واستعاد سلامَه النفسي، وبدأ يتخلص من الغرور والكبرياء ويكتسب الاتضاع أمام اتضاع الله القوي الذي نزل ليكلمه ويقنعه. فبعد أن كان أيوبُ يصف نفسه بكلمة "شَرِيف (أو: أمير)" (أيوب 31:37)، صار يصف نفسه بكلمة "حَقِير" (أيوب 40:4)! وبعد أن كان يستنكف مِنْ أَنْ يتركَ رجال قريته يرافقون كِلاَبَ غَنَمِه (أيوب 30:1)، أصبح مطلوباً منه أن يرافق الحيوانات النجسة والوحشية ويتأمل حياتهم ليتعلّم ويفهم حكمةَ الله (أيوب 39:1-30)! وبعد أن تجرأ وطلب الوقوف في محاكمةٍ أمام الله بلا خوف، تذكَّر أنه لا يجرؤ على الوقوف أمام مخلوقات الله (كبهيموث ولوياثان) فأَنَّىٰ له أن يقف أمام الله خالقهم وأقوى منهم؟!

كان أيوب في شكٍ وحيرةٍ واضطراب يبحث عن إجابةٍ لسؤاله المحير "لماذا يتألم الأبرار؟"، ومع أن أيوب لم يجد الإجابةَ، بل من الواضح أنه فهم وأدرك أنه لن يجدها، إلا أنه قد وجد أفضل منها، فلقد وجد اللهَ نفسه (Job was looking for an answer, but he found God)[4991]. ومع أن الله لم يعطِ أيوبَ إجابةً على سؤاله المحير، إلا أن الله فعل ما هو أحسن من ذلك بكثير، فلقد انتزع اللهُ السؤالَ (الشك) من فِكر أيوب (God did not give [Job] an answer, but God took away the question). ولذلك هدأ أيوبُ واستعاد سلامَه النفسي الذي كان يفتقده، فلقد تأكد أن الله ليس غاضباً عليه ولم يكن يُعاقِبه بسبب خطايا ارتكبها كما زعم أصحابُه الثلاثة. فبما أن الله لم يطلب من أيوب أن يعترف بخطاياه الخفية المزعومة التي طالبه أصحابُه الثلاثة بأن يعترف بها، فهذا يعني أن أيوب كان على حق وصواب حين رفض أن يعترف بخطايا هو لم يرتكبها أصلاً. وبما أن الله لا يدين أيوبَ ولا يوبِّخه، إذن: المضمون العام لأحاديث الله تبرئ أيوبَ، ولاحقاً سوف يتم تثبيت هذه البراءة (أيوب 42:7-9). وهذه البراءة كانت بالنسبة لأيوب أهم من استعادة صحته وأولاده وأمواله وممتلكاته. وفي الوقت نفسه تأكد أيوبُ أن الله أب رحيم حنون يرعى أبناءَه ويحبهم ويسمح لهم بالتساؤل والاعتراض والعتاب واللوم وقد يتنازل ليجيبهم وجهاً لوجه بخلاف ما زعمه الشاب أليهو. بدليل أن الله ظهر بنفسه لأيوب وتكلّم معه حديثًا طويلًا ولم يرسل ملائكة مثلاً. فحتى الاتهامات التي وجهها أيوبُ لله، لم يغضب اللهُ بسببها، وإنما بسبب الدافع من ورائها (God was not upset about the action of accusing God, but [about] the motive behind it)[4992]. وفي حالة أيوب، فإن الدافع من وراء تلك الاتهامات كان كبرياء أيوب وافتخاره ببره الذاتي اللذين بدأ أيوبُ يتخلص منهما بعد أن كلَّمه اللهُ.

إذن: علينا أن نعترف بأنه على الرغم من أن أيوب الكتابي كان يتكلم كثيراً بجرأةٍ بل بوقاحةٍ، لا سيما في انتقاده لله، إلا أننا نتعاطف معه في محنته وتخبطه وهو يتطوَّر من ذروة الاحتجاج المؤقت على الله وعدالته إلى ذروة الإيمان الكامل والدائم بالله وحكمته وصلاحه، حتى وإن لم ينل إجابةً مباشرة على تساؤلاته. بينما ظل أصحابه الثلاثة كما هُمْ شخصيات جامدة متحجرة وغير متطورة فلم يتقدموا خطوةً واحدة نحو مستوى أيوب من الكمال وإيمانه العميق، مما يدل على أنهم في الواقع ليسوا حكماء[4993] وإنما هُمْ مجرد ببغاوات تحفظ كلامَ "السلف الصالح" وتردد إجابات جاهزة بلا فطنة وتطبّقها بتهورٍ على كل إنسان مهما كانت حالته مختلفة أو فريدة من نوعها. فلقد "ظنّوا أنهم على بيّنة من الإجابات كلِّها، لكنَّ جهلَهم عَمِل على زيادة الأزمة تعقيداً"[4994]. ربما لأنهم لم يعلنوا إيمانَهم بالقيامة (الحياة بعد الموت) فظنوا أن العدل الحقيقي يجب أن يتحقق في هذا العالَم الزائل الذي أفسدته الخطيَّةُ بسبب الشيطان، بينما الحكمةُ الحقيقية تقتضي أن العدل الحقيقي (أي: الإلهي) لا يمكن أن يتحقق إلا في العالَم الأبدي (أي: في الآخرة؛ in the World to Come) الذي لا توجد فيه خطيَّة ولا شر ولا شيطان ولا موت[4995].

يقول قاموس الكتاب المقدس[4996]:

لماذا يتألم البار؟ والغرض الرئيسي هو دحض النظرية التي تقول إن الألم علامة على غضب الله وعدم رضاه، وأنه لا بد أنه صادر كنتيجة لخطيئة ارتكبها مَن يقاسي هذا الألم. ومَن يدرس العهد القديم يلاحظ أن النجاح كثيراً ما يأتي نتيجة لحياة البر، وأن الشر نذير الفشل والخيبة ([...]). ولذا فعندما يكون هناك استثناء لقانون الثواب والعقاب يصبح سبب حيرة عظيمة وارتياب بالغ. أما في حالة الأبرار [مثل أيوب] فقد كان هناك اتجاه [عند بعض الناس مثل أصحاب أيوب الثلاثة] إلى البحث عن الخطيئة التي هي سبب ما يقاسون (أي: ما يقاسيه الأبرار) مِن ألم. بما أن الألم ينتج عن الخطيئة لذا فكل ألم دليل على أنه كانت هناك خطيئة سببت هذا الألم. ومن الواضح أن هذا الاستنتاج مجانب للمنطق السليم. وأيوب في نقاشه لا يدعي أنه بريء كل البراءة من الخطيئة ولكنه يعتقد اعتقاداً راسخاً أن عقابه، إن كان هناك شيء موجب للعقاب، فإنه لا يتناسب في قسوته مع خطيئته. [...]

[...]

ويظهر من خلال المحاورات التي دارت بين أيوب وأصحابه أنه كان يشعر شعوراً قوياً باستقامته، ومع ذلك فإنه لا يستطيع أن يدرك سر اليد التي جاءت عليه بقوة وبقسوة. ويزداد التنازع الداخلي القلبي كلما ازداد اليأس من حالته الخارجية الظاهرة، ولكنه في كل هذه يبقى ثابتاً على عزمه راسخاً في اعتقاده أنه مهما يقع عليه من سوء ومهما يصيبه من شر، فإنه سيبقى على ثقته بالله واتكاله عليه. ثم يرى بريقاً من النور عندما يجول بخاطره أنه في وقت ما ووفقاً لمسرة الله ورضاه سيظهر بر أيوب وتعلم براءته. وربما لا يحدث هذا في هذه الحياة الدنيا ولكنه سيحدث يقيناً وأنه لا بد آت. وفي هذا اقتناع قوي بالخلود. عندئذ ينطق أيوب بهذا القول الرائع: "أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ، وَالآخِرَ عَلَى الأَرْضِ يَقُومُ، وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هذَا، وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ" وبهذا يصل أيوب إلى الأساس الراسخ الذي لا يمكن أن يتزعزع عنه البتة (أيوب 19:25-26).

ثم في النهاية يتقدم أَلِيهُو أحد أصحاب أيوب الذي كان صامتاً إلى الآن ويقدّم أساساً آخراً للحوار، فبدلاً من أن نعتبر الألم كعقاب خطيئة يضع هو اعتباراً آخراً وهو أن الألم كثيراً ما يكون وسيلة إلى تشجيع أولاد الله وتنقيتهم وتطهيرهم. وفي هذه الحالة، لا يعبّر الألمُ عن غضب الله، بل يكون كمجرد تأديب صادر من أب محب. وفي هذا يظهر أَلِيهُو وكأنه يمهد الطريق لمجيء الرب المخلِّص. ويظهر من (أيوب 32-37) أن أيوب قَبِلَ هذا الرأي. عندئذٍ يتكلم الربُّ ويظهر لأيوب أن معرفة الإنسان ضئيلة قليلة لا تمكنه من أن يدرك كيف يفسر أسرار الله وأحكامه. فيتضع أيوبُ أمام الرب (أيوب 38:1 – 42:6). وفي الختام يرجع إلى أيوب ثراؤه ونجاحه وتعود أسرة أيوب إلى ما كانت عليه من قبل (أيوب 42:7-17).

ويقول مرجع (The IVP Bible Background Commentary)[(4997)]:

RETRIBUTION PRINCIPLE

[…] In its most basic form [the retribution principle] contends that the righteous will prosper and the wicked will suffer. On a national level this principle is built into the covenant, with its potential blessings and threat of curses. On the individual level it had been determined that this was necessary in order for God to maintain justice. Since the Israelites had only the vaguest concept of the afterlife and no revelation concerning judgment or reward in the afterlife, God's justice could only be accomplished in this life. Most Israelites believed that if God were to be considered just, rewards and punishments in this life would have to be proportional to the righteousness or wickedness of the individual. These beliefs had also then led most Israelites to believe that if someone was prospering, it must be a reward for righteousness, and if someone was suffering, it must be a punishment for wickedness. The greater the suffering, the greater the wickedness must be. Babylonian and Assyrian writers of magical texts describe this same principle of retribution. But since they were not completely convinced of the justice of the gods, it was not as big a theological issue in Mesopotamia. In the book of Job this principle is turned on its head, because Job, the apparent epitome of righteousness, is suffering every possible disaster. All of the characters in the book believe in the retribution principle. This is the basis on which Job's friends accuse him, and it is the reasoning by which Job questions the justice of God. It is even the logic by which the satan can feel so confident about his accusation. He uses the retribution principle to create the tension for his accusation against God. If God operates by the retribution principle, the satan argues, then he will prevent the development of true righteousness, because people will behave righteously only to gain the reward. On the other hand, if God does not operate by the retribution principle, then people like Job will conclude that God is unjust. The satan's case can be won if

Job relents to the pressure of his friends. They want him to appease God by simply confessing to anything and everything, regardless of whether he considers himself to be faultless or not. In this way he can rejoin the ranks of the righteous and regain his prosperity. This is the integrity that Job refuses to compromise – he is not a righteous man simply for the gain. He is interested in being exonerated, not just in regaining his prosperity. His integrity is a vote of confidence for God, because it insists that to God, righteousness is more important than appeasement. The book resolves the problem by suggesting that the retribution principle does not constitute a guarantee or a promise, but that God delights in rewarding righteousness and takes seriously the need to punish the wicked. God's justice cannot be evaluated, because no one has sufficient information to call him to account. Instead people can believe that he is just because they are convinced that he is wise (the thrust of God's discourses).

مبدأ العقاب

[...] وفي شكله الأساسي الغالب يتضمَّن [مبدأ العقاب] أن البار سيزهو والشرير سيعاني. وعلى المستوى المحلي فقد بُنِيَ هذا المبدأ على العهد، مع البَركات المُنْتَظرة والتهديدات باللعنات. وعلى المستوى الفردي فقد تقرَّر أنه ذو أهمية حتى يمكن أن يحفظ اللهُ العدلَ. وبما أن إسرائيل كان لديها أكثر المفاهيم غموضاً عما بعد الحياة ولا يوجد إعلان بخصوص الإدانة أو المكافأة فيما بعد الحياة، فإن عدْل الله يمكن أن يتحقَّق في هذه الحياة فقط. أغلب الإسرائيليين اعتقدوا أنه إذا كان الله مشغولاً بالعدل والمكافأة والعقاب في هذه الحياة فيجب أن يكون [الثواب أو العقاب] متناسباً لبر أو شر الشخص. هذه المعتقدات أدَّت أيضاً إلى أن أغلب الإسرائيليين اعتقدوا أنه إذا ازدهرت حياة شخص ما فيجب أن يكون هذا مكافأة للبر، وإن تألم شخصٌ ما فهذا لاَ بُدَّ أن يكون عقاباً على الشر. وكلما زاد الألم فلاَ بُدَّ أن الشر كان أكثر. وَصَفَت كتب السحر في بابل وأشور نفس المبدأ العقابي. ولكن لأنهم لم يكونوا على قناعة تامة من عدل الآلهة فلم يأخذ الموضوع توجُّهاً لاهوتياً بشكل كبير في بلاد الرافدين. في سِفْر أيوب انقلب المبدأ لأن أيوب – كمثال البر في الظاهر – عانى من كل المصائب الممكنة. وكل الشخصيات في السِفْر آمنت بمبدأ العقاب. هذا هو الأساس الذي جعل أصدقاء أيوب يوجهون له الاتهامات، وهذا هو السبب الذي يجعل أيوب يسأل الله عن عدله. إنه المنطق الذي جعل الشيطان يشعر بثقة تجاه اتهاماته. هو (أي: الشيطان) استخدم مبدأ العقاب ليخلق التوتر اللازم لاتهاماته ضد الله. وإذا عمل اللهُ طبقاً لمبدأ العقوبة، فإن الشيطان يجادله بأنه سيمنع تقدُّم البر الحقيقي،

لأن الناس سيسلكون بالبر ليكسبوا الجائزة فقط. ومن ناحية أخرى إن لم يتصرَّف اللهُ طبقاً لمبدأ العقاب فإن الناس الذين مثل أيوب سيستنتجون أن الله غير عادل. كان يمكن لشكاية الشيطان أن تنتصر لو أن أيوب رجع في قراره تحت ضغط أصحابه، فَهُمْ أرادوا منه أن يُرضي اللهَ بمجرد الاعتراف بأي شيء وبكل شيء بغضّ النظر عما إذا كان يعتبر نفسه مخطئاً أم لا. وبهذه الطريقة يمكنه أن يلحق بطابور الأبرار ويسترد زهوته وازدهاره. هذه هي الأمانة التي رفض أيوب أن يضعها محل مساومة، فهو ليس رجلاً بارًّا لمجرد أنه يتطلَّع إلى المكسب. هو مهتم بكونه بريئًا ليس لمجرد أن يستعيد ثروته. إن أمانته بمثابة تصويت على ثقته بالله لأنها تؤكد أن البر أهم من الإرضاء بالنسبة لله. يحل السِفْر المشكلة بأن يقول إن مبدأ العقاب ليس مجرد ضمان أو وعد، ولكن الله يُسَر بمكافأة البار ويأخذ عقاب الشرير بجدية. عدْل الله لا يمكن تقييمه لأنه لا يوجد من لديه معلومات كافية ليحاسبه. الناس يمكن أن تؤمن أنه عادل لأنهم مقتنعون أنه حكيم (فحوى خطاب الله).

ويقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس إنه توجد أربعة آراء عن الألم في سفر أيوب. أولاً: "رأي الشيطان: لا يؤمن الناس بالله إلا متى كانوا ناجحين غير متألمين. وهذا خطأ". ثانياً: "رأي أصحاب أيوب الثلاثة: الألم هو عقاب الله للخطية. وليس هذا صحيحاً دائماً". ثالثاً: "رأي أليهو: الألم هو طريقة الله في التعليم والتأديب والتنقية. وهذا صحيح ولكنه ليس التفسير الكامل". رابعاً: "رأي الله: الألم يدفع للاتكال على الله لكونه الله، وليس من أجل ما يفعل (to trust God for who he is, not what he does)"[4998].

فإذا أردنا أن نضع عنواناً مختصراً لسفر أيوب، فسنقول إنه سفر "الثقة بالله" (Trust in God) أي: تواضع الإنسان واتكاله بصبرٍ على الله وحده وليس الاتكال على الآخرين (الشيطان (بهيموث/لوياثان[4999]) وامرأة أيوب وأصحابه)[5000] ولا الاتكال على الذات (أيوب)[5001][5002] ولا حتى الاتكال على قاعدة أو معادلة نفرضها على الله (قانون الثواب والعقاب مثلاً)! فالله ليس إله قواعد ومعادلات وقوانين، وإنما إله علاقة محبة (love relationship)[5003]. وليس من المهم أن نعرف ونفهم كُلَّ شيء في الكون. وإنما المهم أن نثق في أن الله ضابط الكل يعرف ويفهم كُلَّ شيء في الكون.

ويقول الكتاب المقدس الدراسي إن كاتِب سفر أيوب يذكِّر "المتألمَ التقي بلطفٍ بأن الحكمة الحقيقية الإلهية هي محبة الله أكثر من كل عطاياه (أي: أن يكون حب المتألم التقي للمعطي أكثر من حبه للعطايا؛ أن يكون حب المتألم التقي لله أقوى مِن كُرْهِه لآلامه؛ أن يحب اللهَ لشخصه وليس مشروطاً بعطاياه)، وبأن يثق في صلاح الله الحكيم حتى حين تكون طرقه في بعض الأحيان أبعد من قدرة الإنسان على الفهم"؛ "ولكن ينبغي أن تتاح الفرصة للإنسان للتعبير عن مشاعره. المرنم الذي عبر عن عطشه لله (المزامير 42:1-2) تساءل أيضاً عن الأمر الذي بسببه نَسِيَهُ اللهُ (المزامير 42:9) ورَفَضَهُ (المزامير 43:2)"[5004]. وكذلك المرنم الذي تساءل لماذا تركه اللهُ: "إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي" (المزامير 22:1)، وهي نفس الجملة التي

عبَّر بها يسوعُ المسيح عن مشاعره لمَّا حمل خطايا العالم على الصليب: "صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِلُوِي، إِلُوِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (مرقس 34:15) (متى 46:27). "فبعد 3 أو 4 قرون من كتابة سفر أيوب، يصرخ يسوع على الصليب سائلاً الله لماذا تخلى عنه: "إِلهِي إِلهِي إِلهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟!" لكن جواب الله للمسيح هو؛ كما كان جوابه لأيوب، "أنا لم أفعل (أي: لم أتركك). ألمك ومعاناتك لا يعنيان على الإطلاق أنك متروك مني، بل أنا معك في قلب ألمك ومعاناتك""[5005]. فكما جاء اللهُ إلى أيوب ليتكلّم معه، كذلك أقام اللهُ يسوعَ من الأموات. فالله لا يترك الإنسانَ البار في معاناته وألمه.

ويقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس إن "ما يطلبه [اللهُ] هو مؤمنون به يحبونه ليس بسبب طمع [في عطاياه] أو بسبب خوف [من عقابه]، بل بسبب شيء واحد وهو محبته لأجل شخصه وفيض محبته ونعمته"[5006]. أو كما قال القديس بولس الرسول: "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَار. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ». وَلكِنَّنَا فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا. فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (رومية 35:8-39). "وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ (أي: تصيروا بقدر الإمكان مشابهين لله). وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا، لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدُّهُور. آمِينَ" (أفسس 18:3-21).

وتقول دائرة المعارف الكتابية: "وقد وجد أيوب في تجربته القاسية معنى سامياً، فهي تمحيص له حتى لا يبقى فيه إلى كل ما هو ثمين كالذهب (أيوب 10:23)، ولم يكن هذا الفكر حكراً على أيوب، بل يمكن أن يدركه الجميع. فماذا عن الأشرار إذاً؟ يضع أيوب قضية الأشرار في ضوئها الصحيح في الأصحاح السابع والعشرين (أيوب 8:27-23) [...]. وجوهر الأمر هو أنهم – أي الأشرار – لا يتلذذون بالقدير (أي: بالله)، أي ليس لهم فرح الله (أيوب 10:27)، وليس لهم سلام أو رجاء باقٍ. وتتفق أقوال أيوب هنا مع كلام أصحابه اللاذع إلى حد بعيد، ولكن مع هذا الفارق، وهو أن أيوب يتطرق من المحنة الظاهرة إلى ميول الأشرار الدفينة وبطلهم المتأصل، مشيراً إلى أن الطبيعة البشرية الساقطة [في الأشرار] لا تتطهر باجتيازها امتحاناً عظيماً، وهذا أمر مرعب للأشرار. ثم نأتي أخيراً إلى خلاصة الحكمة ذاتها في الأصحاح الثامن والعشرين، فنجد أنه لا يبقى – بعد كل هذا الفحص للبواعث – إلا الشيء الجوهري الصحيح، ودور الإنسان فيه هو ما كانت عليه حياة أيوب، أي مخافة الرب والحيدان عن الشر ["وَقَالَ [اللهُ] لِلإِنْسَانِ: هُوَذَا مَخَافَةُ الرَّبِّ هِيَ الْحِكْمَةُ، وَالْحَيَدَانُ عَنِ الشَّرِّ هُوَ الْفَهْمُ"] (أيوب 28:28)"[5007].

اقرأ أيضاً ما قاله العهد الجديد في مسألة لماذا يتألم الْبَارُّ (أو: لماذا يُجَرّب اللهُ الْبَارَّ): "«يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ (أي: لا تفقد العزيمةَ) إِذَا وَبَّخَكَ. لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ». إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ (أي: إِنْ كُنْتُمْ لا تتلقون التأديب الذي يشترك فيه أبناءُ الله جميعاً)، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ (أي: أولاد غير شرعيين) لاَ بَنُونَ" (العبرانيين 12:5-8). فالإنسان المؤمن بالله، حتى لو كان باراً، فإنه يفتقر إلى الكمال العملي ويحتاج إلى التأديب والتدريب والبناء والتنمية الروحية، وهذا يحدث من خلال التجارب والآلام التي تعتبر دليلاً على محبة الله لأولاده واهتمامه برعايتهم حتى يتمسكوا بإيمانهم وبِرِّهم. أو كما قال أيوب نفسه: "أَمَّا الصِّدِّيقُ فَيَسْتَمْسِكُ بِطَرِيقِهِ (أي: ببِرّه)، وَالطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ يَزْدَادُ قُوَّةً" (أيوب 17:9). فعلى المؤمن البار أن يفرح بآلامه لأنها دليل على أنه ابن شرعي لله وأن الله يهتم بقوةِ بنيانه كما يهتم الأب ببنيان ابن زوجته الحرة ولا يبالي بابن سُرِّيَّتِهِ الأمة[5008]، أو كما يهتم الطبيبُ بعلاج المريض الذي يمكن شفاؤه بينما يرفع عنايتَه عن المريض الميئوس من شفائه، أو كما يحرص الأب على أن يشرب ابنُه المريض الدواءَ المر لآخر قطرة حتى يشفى تماماً. وكما يفرح الأب بشفاء ابنه المريض أو برجوع ابنه الضائع، فإن الله أيضاً يفرح بتوبة ابنه الخاطي. فرحة كبيرة جداً وصفها السيد يسوع المسيح قائلاً: "هكَذَا، أَقُولُ لَكُمْ: يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ" (لوقا 15:10) "أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا (أي: يحسبون أنفسهم أبراراً) لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ" (لوقا 15:7).

أما الأشرارُ وغيرُ المؤمنين حين يسقطون تحت الضيق، فإنهم ينالون عقابَ شرهم ولا يُؤَدَّبون كأبناء. بل إن الذين يرفضون اللهَ تماماً سوف يتلقَّون عقاباً إلهياً شديداً "لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا. وَلأَجْلِ هذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ، لِكَيْ يُدَانَ (أي: يهلك) جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالإِثْمِ" (2 تسالونيكي 2:10-12)! "أُتْرُكُوهُمْ (أي: لعلهم يتوبوا ويتخلَّوا عن كبريائهم إذا تخلَّى الناس عنهم؛ أو: أُتْرُكُوهُمْ لأن الله نفسه تركهم وتخلَّى عنهم). هُمْ عُمْيَانٌ قَادَةُ عُمْيَانٍ. وَإِنْ كَانَ أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى يَسْقُطَانِ كِلاَهُمَا فِي حُفْرَةٍ (أي: حفرة الجهل؛ حفرة الهلاك)" (متى 15:14).

باختصار: آلام المؤمنين الأبرار ليست شراً أبداً وإنما خير دائماً لأنها تفيدهم روحياً وتهذِّبهم أخلاقياً وترتقي بهم وترفع مكانتهم عند الله الذي يرافقهم وسط الآلام ولا يتركهم ولا يتخلَّى عنهم. أو كما قال يوسفُ الصِّدِّيقُ لإخوته الذين كانوا قد آذوه: "أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا [للجميع]، لِكَيْ يَفْعَلَ [اللهُ] كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ [اللهُ] شَعْبًا كَثِيرًا" (التكوين 50:20). وقال بولس الرسول: "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رومية 8:28)[5009].

اقرأ أيضاً ما قاله بطرس الرسول إن آلامنا المؤقتة في الدنيا اختبارٌ لحقيقة إيماننا كَمَا تَخْتَبِرُ النَّارُ الذَّهَبَ وَتُنَقِّيهِ، على أن تكون آلامنا مصحوبةً بالرجاء (أي: التفاؤل الواثق) في القيامة حيث نجد الخلاص الأبدي من الموت ومن كل الآلام: "مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ (mercy) الْكَثِيرَةِ

وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى (أي: لا يَزُولُ) وَلاَ يَتَدَنَّسُ (أي: وَلا يَفْسُدُ) وَلاَ يَضْمَحِلُّ (أي: وَلَا يَذْبُلُ)، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَاوَاتِ لأَجْلِكُمْ، أَنْتُمُ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللهِ مَحْرُوسُونَ، بِإِيمَانٍ، لِخَلاَصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الأَخِيرِ. الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ - إِنْ كَانَ يَجِبُ - تُحْزَنُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ (أي: اخْتِبَارُ حَقِيقَةِ إِيمَانِكُمْ؛ تُبَرهِنُ أَصَالَةَ إِيمَانِكُمْ)، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ. ذلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ، فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ، نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلاَصَ النُّفُوسِ. الْخَلاَصَ الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ [العهد القديم]، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ (grace) الَّتِي لأَجْلِكُمْ، بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا" (1 بطرس 1:3-11). "فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ، تَسَلَّحُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهذِهِ النِّيَّةِ. فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ، كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ، لِكَيْ لاَ يَعِيشَ أَيْضًا الزَّمَانَ الْبَاقِيَ فِي الْجَسَدِ، لِشَهَوَاتِ النَّاسِ، بَلْ لإِرَادَةِ اللهِ" (1 بطرس 1:4-2).

فإذا كانت المعاناة وآلام التجارب (التي شبهها بالنار) تهلك أولادَ الشيطان، فإنها تختبر أولادَ الله وتُطهّرهم من كُلِّ خطية وكُلِّ ضعف وكُلِّ شر مهما كان صغيراً ومِن ثم تُنمّيهم روحياً في طريق الكمال.

وهذا التهذيب وهذه التنقية هُما ما حدث كثيراً لبني إسرائيل (لليهود) حتى يتوبوا عن خطاياهم ويرجعوا إلى الله. اقرأ مثلاً ما حدث لمَّا سلَّم اللهُ بني إسرائيل مؤقتاً إلى أعدائهم من أمم الوثنيين (القضاة 3)، ولمَّا سلَّم اللهُ بني إسرائيل مؤقتاً إلى أعدائهم الأشوريين (2 ملوك 16-17)، ولمَّا سلَّم اللهُ بني إسرائيل مؤقتاً إلى أعدائهم البابليين (2 ملوك 24-25). فهو دليل على أن الله ما زال يحتفظ بعلاقته (relationship) بالشعب حتى لو عَصَى اللهَ، إذ كان هدفُ الله هو تأديب بني إسرائيل الخطاة وتعليم الشباب فنون الحرب والقتال. بعبارة أخرى: كل تلك الأمم أعداء إسرائيل أرادوا تدمير إسرائيل، لكن الله استخدمهم لمصلحة إسرائيل. والتاريخ يؤكد ذلك، فلقد انهار الوثنيون الفلسطيون والأشوريون والبابليون والإغريق والرومان وماتت الخلافة الإسلامية، وبقيتْ إسرائيل إلى اليوم وسوف تظل باقية إلى الأبد رغم أنف كل أعدائها.

وهذا التأديب وهذا التعليم هُما أيضاً ما حدث لأيوب في قصة أيوب الكتابية بعد أن سلَّمه اللهُ مؤقتاً إلى الشيطان الذي أراد أن يدمر أيوبَ، لكن الله استخدمه لمصلحة أيوب. أو كما قال أيوب: "إِذَا جَرَّبَنِي (أي: امتَحَنَني) أَخْرُجُ كَالذَّهَبِ [الخالص]" (أيوب 10:23)، فلقد خرج أيوب من هذه التجربة وقد تحرر من الغرور وتطهَّر من الكبرياء وتنقَّى من الافتخار ببره الذاتي وتخلَّص من اليأس، وأدرك أن معاناة أي إنسان لا تعني بالضرورة أن الله قد تركه أو تخلى عنه بدليل أن الله جاء بنفسه ليتكلّم معه، وتعلَّم أن يثق باللهِ الخالِق الذي تظهر قدرته وحكمته في أعماله وتظهر محبته وصلاحه في رعايته لكل مخلوقاته فهو وحده الرجاء والخلاص. والأهم من هذا كله: تعلَّم أيوبُ أن يظل باراً لكن لا يرى نفسه باراً ولا يفتخر بأعماله الصالحة؛ فالشيء الوحيد الذي كان ينبغي أن يفتخر به هو ثقته بالله، لكنه للأسف لم يفعل ذلك. إذ يجب على الإنسان

المؤمن البار أن يضع إيمانَه وثقتَه الكاملة في الله وحده وليس في أي عملٍ صالحٍ مهما علا شأنُ هذا العمل الصالح. كما قال المسيحُ في "الموعظة على الجبل" (Sermon on the Mount): "لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي (أي: مشيئةَ الله) الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ [حسبوا أنفسهم أبراراً؛ تفاخروا بأعمالهم الصالحة ووضعوا ثقتهم الكاملة فيها] سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!" (متى 7:21-23). اقرأ أيضاً مَثَل "الفريسي والعشّار" (Parable of the Pharisee and the Tax Collector): "قَالَ [المسيحُ] لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الآخَرِينَ هذَا الْمَثَلَ: «إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ (يقصد: متدين متزمت متمسك بالكتاب (التوراة) والسُّنَّة (الشفوية)) وَالآخَرُ عَشَّارٌ (أي: مُحصِّل الضرائب؛ يقصد: ذو سمعة سيئة ومكروه من المجتمع). أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هكَذَا: اَللّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّارِ. [فأنا] أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ (أي: ليس ما أربحه فقط؛ يقصد: أدفع الزكاةَ وأكثر). وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ [تواضعاً وتضرعاً]، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ [علامة على المرارة أو الحزن أو الندم] قَائِلاً [بإيمان]: اللّهُمَّ ارْحَمْنِي (حرفياً: ارضَ عني؛ صالِحني)، أَنَا الْخَاطِئَ. [فقال يسوعُ] أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا [الْعَشَّار الخاطي المعترف الذي لم يجد طوقَ نجاة إلا رحمة الله] نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا (أي: اعتبره اللهُ باراً؛ غُفِرَت خطاياه وحُسِبَ باراً، وهذا ليس بِره الشخصي وإنما البر الذي ينبع من الله بنعمته ورحمته) دُونَ ذَاكَ [الْفَرِّيسِيّ المؤمن المتشدد الذي افتخر بأعماله الصالحة والتزامه بأداء الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة وأيضاً أداء النوافل]، لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ»" (لوقا 18:9-14). اقرأ أيضاً (متى 23) (مرقس 12:38-40) (لوقا 20:45-47) (1 يوحنا 1:8-10، 2:1-2)، وكذلك "مَثَل الابن الضال" (The Parable of the Prodigal Son): "وَقَالَ [يسوعُ المسيح]: «إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ. وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ. فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. فَمَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ. وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوبِ الَّذِي كَانَتِ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ. فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا! أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ. فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ الابْنُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاً فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ. وَكَانَ ابْنُهُ الأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ الْبَيْتِ،

سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ وَرَقْصًا. فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا؟ فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا. فَغَضِبَ [الابنُ الأَكْبَرُ] وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ! فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ»" (لوقا 15:11-32). "ومَثَلُ الابن الضال هو مثال التوبة الصادقة. أمَّا الابن الأكبر فيُظهِر شرَّ البرّ الذاتيّ [...]. أمَّا الأبُ فيصوِّر الله المشتاق ليغفر والتوَّاق إلى عودة الخاطي"[5010]. فينبغي إذن أن يُسمَّى "مَثَل الابنين الضالين" (The Parable of the Two Prodigal Sons): الابنُ الأصغر ضلَّ بسبب خطاياه (hedonism) بينما ضلَّ الابنُ الأكبر بسبب أعماله الصالحة (moralism)[5011]! فحال الابن الأكبر يشبه حال أيوب: أعماله الصالحة هي التي أصابته بالغرور والكبرياء واحتقار الآخرين فجعلته ينحرف ويضل عن الله. فأراد اللهُ أن يعيده إليه. ولذلك سمح بتجربته لمصلحته.

أو كما قال البابا شنوده الثالث بطريرك الإسكندرية في مصر (عهده: 1971 – 2012): "إيه مشكلة أيوب؟ وليه ربنا سمح بتجربة أيوب؟ [...] مشكلة أيوب تتلخص في جملةٍ واحدة: كان رجلاً باراً ويعرف عن نفسه أنه بار. كان رجلاً باراً ويعرف عن نفسه أنه بار. لذلك كان بَارًّا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ. صحيح ماغلطشي، ماوقعش في أي خطية من الخطايا. لكن راجل كامل وكان يعرف عن نفسه أنه كامل. فربنا حَبَّ يُنجّيه من هذا الشعور بالبر والكمال. وكان راجل محترم جداً وغني جداً وطيب جداً وحنون جداً وشاعِر بكده. فربنا قال "أنا سوف أُجرّده من كل شيء وأوقفه كده زي ما قال "عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي" بلا شيء. أُجرّده من المركز اللي جايب له شعور بالقوة. أُجرّده من الغنى. أُجرّده من الأولاد ومن البنات. حتى من احترام امرأته له ومن احترام عبده وخدامه له. وأسيبه كده ع البلاطة ع الآخر لكي أُنقِّيه في الداخل من الشعور بالبر ومن الشعور بالكمال""[5012]. يقصد: يُنقِّيه من الكبرياء والافتخار بالبر الذاتي.

كل هذه الأمور المهمة غابت عن قصة أيوب القرآنية لأن القرآن – كما قلنا فيما سبق – قد اختزل قصةَ أيوب في مجرد قصة إنسان مسَّه ضُرٌّ فصبر ونادى ربَّه فرحمه اللهُ وكشف ما به من ضُرٍّ! إلا أن الفكر المسيحي الذي عرضناه في الصفحات السابقة قد انتقل إلى التراث الإسلامي. مثلاً يقول أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر): "ويُبْتَلَى الناس بقدر إيمانهم، فيكون البلاءُ تطهيراً لهم، وتمحيصاً لقلوبهم. وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: "أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يُبْتَلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زِيدَ في بلائه""[5013]! بل يجب أن نعترف باحتمال وجود إشارة خفية لكبرياء أيوب في القرآن نفسه. ونحن لا نجد هذه الإشارة الخفية إلا في رواية سورة ص، وذلك لأن سورة ص تتحدث كثيراً عن خطايا المتكبرين، إذ تبدأ أولاً بالكفار

المعاصرين لمحمد "الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ (أي: متكبرون)" (ص 2)، ثم كفار الأمم السابقة المتكبرين مثل "فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (أي: ذو القوة العظيمة)" (ص 12)، ثم المَلِك داوود الذي استغل نفوذه وأساء استخدامَ سلطته حتى يأخذ نعجةَ (أي: امرأةَ) غيره "وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ" (ص 23)، ثم المَلِك سليمان الذي "قَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ (أي: الخيل؛ أو: المال عموماً) عَن ذِكْرِ رَبِّي" (ص 32)، ثم أيوب (ص 41-44)، ثم "الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ" (ص 69)، ثم إبليس الذي "اسْتَكْبَرَ" (ص 74) "قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ (أي: أنا أفضل من الإنسان)" (ص 76). فوجود قصة النبي أيوب وسط قصص أولئك المتكبرين ربما يلقي ضوءاً ولو خافتاً على كبريائه، ثم يسلِّط الضوءَ في النهاية على توبته "نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ" (ص 44)؛ كما تاب النبي داوودُ "إِنَّهُ أَوَّابٌ" (ص 17) "فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ" (ص 24)، وكما تاب النبي سليمانُ "نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ" (ص 30) "أَنَابَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي" (ص 34-35)[5014].

وإنه لمن الطريف أيضاً أنه على الرغم من أن قصة أيوب القرآنية قد حذفت كُلَّ الأسئلة البلاغية التي وجهها الرَّبُّ (اللهُ) لأيوب، إلا أن بعضاً منها قد تسلل إلى مواضع أخرى من القرآن! مثلاً: "مَنْ هذَا الَّذِي يُظْلِمُ الْقَضَاءَ بِكَلاَمٍ بِلاَ مَعْرِفَةٍ (أي: بِغَيْرِ عِلْمٍ)؟" (أيوب 38:2) **[← "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ" (الحج 3، 8) (لقمان 20) "فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ" (الأنعام 144)]**. مثال آخر: "هَلْ أَنْتَ تُعْطِي الْفَرَسَ قُوَّتَهُ [في الحرب] [...]؟ أَتُوثِبُهُ كَجَرَادَةٍ؟ نَفْخُ مِنْخَرِهِ مُرْعِبٌ (striking terror)" (أيوب 39:19-20) **[← حرَّف أصحابُ القرآن الآيةَ فجعلوها أمراً بالإرهاب! "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" (الأنفال 60)]!**. ومن المعلوم أيضاً أنه توجد في القرآن أسئلة بلاغية كثيرة تشير إلى عناصر حية أو جامدة من الطبيعة بهدف إثبات قدرة الله الفائقة وعلمه الواسع في مقابل محدودية المعرفة البشرية وقدرة الإنسان. مثلاً:

- "أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ. أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ. [...] أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ. أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ. لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (أي: تتعجبون). [...] أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ. أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ (أي: السحاب) أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ. لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا (أي: شديد الملوحة، لا يُنتفع به في شرب ولا زرع) فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ. أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (أي: توقدون). أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ. [...] فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ" (الواقعة 58-74).
- "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" (الزمر 21).
- "وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (الذاريات 21).
- "أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ" (النازعات 27-33).

- "أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" (الغاشية 17-20).

يقول العالِمُ (Prof. Gabriel Reynolds) عن هذا الأسلوب البلاغي في القرآن (الغاشية 17-20) وتأثره بقصة أيوب الكتابية (أيوب 38-41)[5015]:

> [الغاشية 17-20] The divine voice of the Qur'ān points to these elements of nature (camel, the sky or heaven, mountains, earth) as signs that point to God's power. In Job 38 God speaks, "from the heart of the tempest" and begins to describe similar elements of nature in order to show the limitations of human knowledge and the extent of God's power:
>
> […] (Job 38:4-7)
>
> […] (Job 39:1-2)

نعود إلى قصة أيوب القرآنية. فلقد درسنا في بداية بحثنا هذا كيف طوَّر أصحابُ القرآن تطوراً بشرياً طبيعياً المقدمةَ النثرية لسفر أيوب (أيوب 1-2) التي تركِّز تركيزاً شديداً على بر أيوب وصبره وثباته أمام الابتلاء. فننتقل الآن إلى دراسة كيف طوَّر أصحابُ القرآن تطوراً بشرياً طبيعياً الإصحاحَ الأخير من سفر أيوب (أيوب 42) الذي يركِّز على كيف كافأ اللهُ أيوبَ على صبره/مثابرته أو ربما كافأه على ندمه وتوبته في نهاية القصة. أو لعلها ليست مكافأة يستحقها أيوب لأجل بِرّه، وإنما تعويض له عن كل ما كان يمتلكه في بداية القصة ثم فقده بشكلٍ غير مستحق وغير مبرر. وفي الواقع، نحن نرى أنها بالأحرى هدية مجانية من الله (a free gift of God) أو نعمة إلهية (Divine Grace) مجانية لا يستحقها أيوبُ **[← ومن الواضح أن صاحب رواية سورة ص القرآنية قد أدرك هذا المعنى الصحيح بدليل أنه استخدم كلمةَ "وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ" (ص 43) وهي بالفعل أكثر دقة من كلمة "آتَيْنَاهُ أَهْلَهُ" التي استخدمها صاحبُ رواية سورة الأنبياء (الأنبياء 84). قال الشيخ الشعراوي إن "الوهب عطاء بلا مقابل"[5016]. وهذا يزيدنا يقيناً بأن دراية صاحب رواية سورة ص (ص 41-44) بما قيل عن أيوب في التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام كانت أوسع وأكثر عمقاً من دراية صاحب رواية سورة الأنبياء (الأنبياء 83-84)].**

4.20.1.4 "وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ" (ص 43) "وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ" (الأنبياء 84)

أيوب يعترف بخطئه في تبرير نفسه أمام الله ويتذلل تائباً متصالحاً مع الله وخاضعاً له ...

(أيوب 42): {1} فَأَجَابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ **[← "أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ" (الأنبياء 83) (ص 41)]** فَقَالَ: {2} «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ. {3} فَمَنْ ذَا الَّذِي يُخْفِي الْقَضَاءَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ (أي: يُظْلِم أحكام الله العادلة - بما في ذلك الألم - أو يشوّهها بكلماتٍ ينطق بها في جهالةٍ)؟ وَلكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ. بِعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا. {4} اِسْمَعِ الآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ. أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي (أي: أخضعُ لكَ وأسألُكَ الآنَ بهدف التعلُّم وليس بهدف الاعتراض والتشكيك). {5} بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي (أي: رأيتُ عدلَك ورحمتَك؛ رأيتُ قدرتَك وبِرَّك؛ حصلتُ على علاقة relationship بنوة لله ومعرفة شخصية بالله جعلتني أمتلك شعوراً جديداً بحقيقة الله وفهماً جديداً لله ولنفسي وللعالَم كله).

ونلاحظ هنا كيف أدت محنة أيوب وتجربته إلى تطوُّر تفكيره إلى الأفضل. فطوال التجربة، كان أيوب يتحدث عن قوة الله وجبروته بطريقةٍ سلبية وبصيغة الغائب، مثلاً: "أَمَّا هُوَ فَوَحْدَهُ (أي: فَرِيدٌ؛ أو: إذا اختار؛ قَدْ عَزَمَ أمرَهُ)، فَمَنْ يَرُدُّهُ؟ وَنَفْسُهُ تَشْتَهِي فَيَفْعَلُ" (أيوب 13:23). أما الآن فأيوب يتحدث عن قوة الله العادلة بطريقةٍ إيجابية، بل بالأحرى يتحدث مباشرةً إلى الله القدير العادل بصيغة المخاطَب وهو يدرك أخيراً أن الله ومقاصده أعلى من أي فَهْم: "قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ" (أيوب 2:42). "كأنه يقول له: "قوتك لا تحد، وحكمتك مطلقة، ألا يليق بي أن أسلمك كل حياتي بلا جدال؟!"[5017]. وطوال التجربة، كان أيوب يسأل بهدف الوقوف كخصم يدافع عن نفسه أمام عدوه (الله)، مثلاً: "ادْعُ [عبدَك أيوب إلى المحاكمة] فَأَنَا أُجِيبُ، أَوْ أَتَكَلَّمُ فَتُجَاوِبُنِي. كَمْ لِي مِنَ الآثَامِ وَالْخَطَايَا؟ [...]" (أيوب 22:13-23). أما الآن فهو يسأل كتلميذٍ خاضعٍ لمعلمه لا ليسأل عن سبب ما ألم به من معاناة وإنما ليحصل على أجوبة عن ذاته وعن الكون وعن الحياة وعن الله نفسه: "اِسْمَعِ الآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ. أَسْأَلُكَ (بالعبرية: ashal·k) فَتُعَلِّمُنِي" (أيوب 4:42). و "الكلمة العبرية "shaa'al سأل" تحمل تواضعًا عميقًا ورغبة جادة في التعلّم. إنه يتوسل إليه (أي: أيوب يتوسل إلى الله) لكي يعلِّمه"[5018]. وطوال التجربة، كان أيوب لا يرى اللهَ بل لا يشعر بوجودِه أساساً: "هُوَذَا [اللهُ] يَمُرُّ عَلَيَّ وَلاَ أَرَاهُ، وَيَجْتَازُ فَلاَ أَشْعُرُ بِهِ" (أيوب 11:9) "هأَنَذَا أَذْهَبُ شَرْقًا فَلَيْسَ هُوَ هُنَاكَ، وَغَرْبًا فَلاَ أَشْعُرُ بِهِ. شِمَالًا حَيْثُ عَمَلُهُ فَلاَ أَنْظُرُهُ. يَتَعَطَّفُ الْجَنُوبَ فَلاَ أَرَاهُ" (أيوب 8:23-9). أما بعد أن رأى عظمةَ الله في العاصفة وسمع صوتَ الله الذي يثبت قوةَ الله ومحبته وقدرته الفائقة وعنايته بخليقته، فأيوب الآن يرى اللهَ بعيني الإيمان والفهم الروحي: "بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي" (أيوب 5:42)، "لذا يمكنه أن يقبل طرق الله في التعامل معه (انظر آية 2) بما في ذلك الألم"[5019]. "فبعد أن كان لأيوب فكرة تقليدية عن الله، أدركَ سرّه وها هو ينحني أمام القدير. إنّ أسئلته عن العدل بقيت بلا جواب. ولكنه فهم أن الله لا يُحاسَب وأن حكمته قد تعطي معنى غير متوقّع لبعض الحقائق كالألم والموت"[5020]. "يعترف أيوب أنه قد جاءت الإجابة إليه على غير ما يتوقع. ربما كان ينتظر من الله أن يكشف له خلال رؤيا أو حلم عن سبب ما حلّ به، فيستريح قلبه. ربما انتظر من الله أن يخبره بأن ما حلّ به لا يُقارن بجانب ما يعده له في الدهر الآتي. أما أن يظهر له الله ويتجلى أمامه، ويتحدث معه، فهذا ما لا

يُمكن أن يتصوره. حقًا إن رؤية الله سواء بالقلب خلال الإيمان أو وجهًا لوجه في يوم الرب العظيم لمكافأة فائقة! إن أقصى ما يبغيه الإنسان هو أن يرى الله"[5021].

وهذه الجمل الخالدة التي قالها أيوبُ لله: "قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ. [...] بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي" (أيوب 42:2-5) تؤكد أن التجارب والآلام والمعاناة والمحن تزيد معرفتنا بالله، أو تنقلنا من المعرفة النظرية التقليدية إلى المعرفة العملية المتجددة.

أما الجملة النهائية التي قالها أيوبُ في سفر أيوب، وهي أيضاً الجملة الأخيرة في الجسم الشعري الرئيس لهذا السفر الطويل جداً، فهي: "لِذلِكَ أَرْفُضُ (بالعبرية: amas) (recant؛ retract؛ أي: أرجعُ عن كلامي الذي اتهم اللهَ بالظلم) (وفي ترجمات أخرى: أَخْجَلُ مِنْ نَفْسِي؛ أي: أَرْفُضُ نفسي أو أمقت ذَاتِي I despise myself لأنني خاطي ودنس ونجس الشفتين بل لأنني لا شيء) وَأَنْدَمُ (بالعبرية: wə·ni·ḥam·tî) فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ (dust and ashes) (أو: وَأندَمُ وأنا هكذا في التُّرابِ والرَّمادِ؛ وَأَتُوبُ مُعَفِّراً ذَاتِي بِالتُّرَابِ وَالرَّمَادِ)» (أيوب 42:6)" **[⟵ "نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ" (أي: رجَّاع إلى الله في كل الأمور؛ رجَّاع إلى الله بالاستغفار والتوبة)" (ص 44)]**.

إنها جملة غامضة حيَّرت المترجمين والمفسرين، وما ذكرناه هو الترجمة التقليدية والتفسير التقليدي لها مع أمثلة من الترجمات والتفاسير الأخرى. يقول "الكتاب اليهودي الدراسي" (Jewish Study Bible)[5022]:

42.6 Therefore, I recant and relent, Being but dust and ashes. The Hebrew can sustain neither this nor most other translations. The verb rendered *recant* requires a direct object, which is lacking. *Dust and ashes* is a figurative expression referring to the abject human condition (see Gen. 18.27; Job 30.19); but the preposition "ʿal" cannot mean "being." This key verse should thus be rendered: "Therefore I am disgusted (see [Job] 7.16 [I am sick of it]), and I take pity (cf. e.g., [I am consoled] 2 Sam. 13.39) on wretched humanity" This understanding of the Hebrew is reflected in a liturgical poem recited on the evening of Yom Kippur: "Take pity on (pathetic) humanity!".

ويقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس[5023]:

فتعبير (**ا م ا س**) يأتي غالباً من الفعل العبري (**م ا س**) والذي يعني رفض، أي أن أيوب يرفض فهمه السابق وكلماته السابقة تجاه الله والحياة. كما أن هذا التعبير قد يكون مركباً من فعل آخر هو (**م س س**) (ذاب)، وتصبح ترجمة الكلمة بالتالي "أخضع" [...]. وعليه (**ا م ا س**) تعني أرفض أو أحتقر (نفسي أو كلماتي كمعنى مضمر)، أو تعني أخضع أو أذوب.

في حين أن تعبير (**ن ه م**) يعني عادة الحصول على تعزية، وفي حال عنى الندم، فإنه يعني ندم أيوب ليس في التراب والرماد، ولكن حول معنى التراب والرماد بالنسبة له [...]. أي أن أيوب يدرك مكانه في خليقة الله، كجالس على عرش من تراب ورماد، أو أنه هو شخصياً كإنسان، كبهيموث ولوياثان، ورغم مكانته العظيمة في خليقة الله، إنما مصنوع من تراب ورماد. وبالتالي، فتعبير (**ن ه م ت ي**) يعني أتعزى أو أقبل تعزية.

وبالتالي فـ (أيوب 6:42) يجب أن تعني "أنا أخضع، وأجد تعزية لترابي ورمادي (أو في ترابي ورمادي)" لأن الخلفية القانونية للسفر ورفض أيوب للاعتراف بأنه قد ارتكب أي شيء خاطئ يندم لأجله تجعل "أخضع" المعنى الأكثر تفضيلاً لـ "**اماس**" في حين أن معاناة أيوب وفقدانه لأولاده تجعل "أجد تعزية" المعنى الأكثر منطقية لـ (**ن ه م ت ي**) [...]. وذلك يتماشى أكثر مع ما يعلنه السفر في العدد التالي مباشرة (أيوب 7:42) من أنه بالنسبة لله، لا يحتاج أيوب لأن يندم لأنه تكلم بالصواب.

مما سبق، في رده على خطاب الله الثاني يعلن أيوب أنه يسحب دعواه ضد الله (أيوب 6:42). لكنه، كما في رده على الخطاب الأول لله (أيوب 40:3-5)، لا يسحب أو يعتذر أية كلمة مما قد قاله، ولا يعترف بأن الله على صواب وهو على خطأ، ولا يعترف بأنه ارتكب أية خطيئة. في رده هذا يعلن أيوب ثلاثة أمور: فهو يعترف بقدرة الله اللا محدودة (أيوب 2:42)؛ ويقبل أنه أدخل نفسه إلى مجال الأمور الفائقة التي تتجاوز قدرته (أيوب 3:42)؛ وأنه بعد أن سمع ما أعلنه الله ورآه، يجد تعزية ويتوقف عن النواح ويقوم بسحب دعواه ضده ويخطط ليستعيد حياته الطبيعية (أيوب 42:5-6).

وبغض النظر عن الترجمة الدقيقة والتفسير الدقيق لـ (أيوب 6:42)، فإنها تعبِّر عن اتضاع الإنسان (أيوب) واتكاله على الله وتخلصه تماماً من الكبرياء والغرور وتنقيته تنقيةً كاملةً من الاتكال على بِرّه الذاتي المزعوم. لقد اعترف أيوبُ لله بأنه لم يكن لديه إيمان كافٍ للثقة فيه، فالإيمان الحقيقي يبدأ بمثل هذا الاتضاع. ولذلك فإننا نرى أن (أيوب 6:42) تعني: لِذلِكَ أحتقر نفسي بسبب كل خطاياي في حق الله، وتَعْزِيَتِي هي أنني مجرد بشر وضيع حاله يثير الشفقة مثل كل البشر. "فالرماد الذي جلس عليه الرجُل المنكسر لم يتبدَّل، لكنّ قلب عبد الله المتألم تغيَّر. لم يكن أيوب في حاجة إلى التوبة عن خطايا ألمح إليها الشيطان أو متَّهِموه، بل كان أظهر غروراً، ونسب إلى ربِّه مظالم، فبات إذ ذاك يمقت ذاته بشكل يدعو إلى الانكسار

والتوبة"[5024]. "توبة أيوب لم تكن من النوع الذي كان يطلبه منه أصحابه، فلم يطلب الغفران عن خطايا سرية، بل لأنه شك في سيادة الله المطلقة وعدله. لقد تاب أيوب عن موقفه، وأقر بقدرة الله العظيمة وعدالته الكاملة"[5025]. "فحتى الأبرار، الذين لم يرتكبوا آثاماً كبيرة يلزم أن يتوبوا عنها، عليهم أن يحزنوا كثيراً في أنفسهم للأعمال الناجمة عن الكبرياء والغضب الشديد، والغيظ والسخط، وكل أقوالهم المتهورة المتسرعة. وكلما زاد ما نراه من مجد الله وعظمته، وكلما زاد ما نراه من شر الخطية وبشاعتها، وبشاعة أنفسنا بسبب الخطية، زاد احتقارنا لأنفسنا وبغضتنا لها. لنترك إدارة العالم لله، ونعتني بطهارة أنفسنا، وقلوبنا، بمعونته وقوة نعمته"[5026].

وإذا كانت آخر كلمتين نطقهما أيوبُ في السفر هي "التُّرَاب وَالرَّمَاد" (أيوب 42:6) ليؤكد على بشريته وضعفه مقارنةً بالله، فإن آخر كلمتين نطقهما اللهُ في السفر هي "عَبْدِي أَيُّوبَ" (أيوب 42:8) ليؤكد على حبه لأيوب وقربه منه وأن الإساءة إلى الإنسان (أيوب؛ عبد الله؛ بل ابن الله) هي إساءة إلى الله نفسه.

نعم، أشار الرَّبُّ إلى أيوب بعبارة "عَبْدِي أَيُّوبَ (My servant Job)" 4 مرات (أيوب 42:7-8) وهي طبعاً عبارة محبة وتشريف وتكريم، ووصف لا يمكن أن يُطلق إلا على شخص يتمتع بعلاقة relationship متميزة مع الله وأمين في عبادته مثل إبراهيم (التكوين 26:24) وموسى (العدد 12:7-8) (يشوع 1:1-2، 7:1) وداود[5027] (2 صموئيل 3:18، 7:5، 7:8) وفي آيات أخرى. ولم تُذْكَر عبارةُ "عَبْدِي أَيُّوبَ" في سفر أيوب إلا مرتين في (أيوب 1-2) وأربع مرات في (أيوب 42) فقط **[⟵ وهي الإصحاحات التي طوّرها أصحابُ القرآن تطوراً بشرياً طبيعياً في قصة أيوب القرآنية كما قلنا فيما سبق، إلا أن كلمة "عَبْد" لم تظهر إلا في رواية سورة ص فقط: "عَبْدَنَا أَيُّوبَ" (ص 41) "نِّعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44)! وهذا يزيدنا يقيناً بأن دراية صاحب رواية سورة ص (ص 41-44) بما قيل عن أيوب في التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام كانت أوسع وأكثر عمقاً من دراية صاحب رواية سورة الأنبياء (الأنبياء 83-84)].**

(أيوب 42): {7} وَكَانَ بَعْدَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَ أَيُّوبَ بِهذَا الْكَلاَمِ، أَنَّ الرَّبَّ قَالَ لأَلِيفَازَ التَّيْمَانِيِّ: «قَدِ احْتَمَى غَضَبِي عَلَيْكَ وَعَلَى كِلاَ صَاحِبَيْكَ (أي: وَعَلَى بِلْدَد الشُّوحِيّ وَصُوفَر النَّعْمَاتِيّ)، لأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِيَّ الصَّوَابَ (truth; right) (أي: بأمانة؛ بصراحة؛ truthfully) كَعَبْدِي أَيُّوبَ **[⟵ "عَبْدَنَا أَيُّوبَ" (ص 41) "نِّعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44)]** (يقصد: احْتَدَمَ غَضَبِي عليكم لأنكم أخطأتم في حق عَبْدِي أَيُّوبَ ولم تعلنوا الحَقَّ، بل اتهمتوه زورًا واعتبرتوه شريرًا وزعمتم أنني أعاقبه على خطاياه حسب قانون الثواب والعقاب الذي تؤيدونه). {8} وَالآنَ فَخُذُوا لأَنْفُسِكُمْ سَبْعَةَ ثِيرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ وَاذْهَبُوا إِلَى عَبْدِي أَيُّوبَ **[⟵ "عَبْدَنَا أَيُّوبَ" (ص 41) "نِّعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44)]**، وَأَصْعِدُوا مُحْرَقَةً (a burnt offering) لأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ، وَعَبْدِي أَيُّوبُ **[⟵ "عَبْدَنَا أَيُّوبَ" (ص 41) "نِّعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44)]** يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ (أي: يشفع لكم أمامي)، لأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ (أي: أرضى عنه) لِئَلاَّ أَصْنَعَ مَعَكُمْ حَسَبَ حَمَاقَتِكُمْ (أي: لِئَلاَّ أعاملكم حسب قانون الثواب والعقاب

نفسه الذي تؤيدونه والذي يلغي رحمةَ الله فأعاقبكم)، لأَنَّكُمْ لَمْ تَقُولُوا فِيَّ الصَّوَابَ (truth; right) (أي: بأمانة؛ بصراحة؛ truthfully) كَعَبْدِي أَيُّوبَ [← "عَبْدَنَا أَيُّوبَ" (ص 41) "نِعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44)]». {9} فَذَهَبَ أَلِيفَازُ التَّيْمَانِيُّ وَبِلْدَدُ الشُّوحِيُّ وَصُوفَرُ النَّعْمَاتِيُّ، وَفَعَلُوا كَمَا قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ. وَرَفَعَ الرَّبُّ وَجْهَ أَيُّوبَ (أي: أَكْرَمه؛ رفع شأنه؛ أو: استجابَ له) [فرحمهم الرَّبُّ وغفر لهم].

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "ما يعلنه الله في نهاية السفر عن كون أيوب قد قال فيه الصواب لا يحمل أية إشارة إلى الرهان الموجود في المقدمة الافتتاحية للسفر أو إلى نجاح أيوب أو عدم نجاحه في الاختبار. الصواب الذي يقوله أيوب في الله هو إعلانه أن واقع الحياة يثبت أن الله لا يحكم هذا الكون ولا يديره وفق مبدأ المجازاة الذي يتبناه ويتمسك به رفاق أيوب، والذين لذلك بالتالي لم يقولوا الصواب في الله. وبالتالي يتبنى سفر أيوب نظرة لاهوتية تتحدى سفر الأمثال والنظرة التقليدية التي يقدمها للحكمة، والتي ترى بأن الشر إنما يصيب الجهال، والتي يعلن سفر أيوب بأن الله يدعوها بالحماقة (أيوب 42:8). تلك "الحماقة" التي يحذر اللهُ رفاقَ أيوب من أن يتبناها هو شخصياً في تعامله معهم [فيعاقبهم]"(5028). ويقول الكتاب المقدس الدراسي: "على الرغم من أن أيوب أخطأ بالكلام والفكر في أثناء معاناته، إلا أنه يُمتدَح الآن بينما يُوبَّخ المشيرون (أي: أصحابُه الثلاثة). لماذا؟ لأنه حتى في غضبه، وحتى حين تحدى اللهَ، كان مصراً على أن يتحدث بأمانة أمامه. أما المشيرون (أي: أصحابُه الثلاثة) من الجانب الآخر فعلى الرغم من أنهم تحدثوا بالعديد من الحقائق اللاهوتية الصحيحة، ولكن بدون معرفة حية بالله الذي ادعوا أنهم يعرفونه. تحدث أيوب مع الله: ولكنهم لم يتحدثوا إلا عن الله. والأسوأ من ذلك هو أن كبرياءهم الروحي جعلهم يدعون معرفة لا يمتلكونها، فقد افترضوا أنهم يعرفون أسباب معاناة أيوب"(5029). وهكذا علَّم اللهُ أصحابَ أيوب الثلاثة أن قانون المجازاة (الثواب والعقاب) الذي يؤيدونه ليس صحيحاً دائماً. وفي الوقت نفسه علّم اللهُ أيوبَ أن يشفع لمن أساءوا إليه طالباً لهم الغفران الإلهي رغم أنه كان ما زال مريضًا وفقيرًا يعاني ويتألم(5030)! وكذلك علَّمنا اللهُ أن مصير الإنسان يرتبط بمصير أخيه الإنسان حتى لو كان خصمه، "فمصير أيوب يرتبط بمصير رفاقه، الذين عليه أن يصلي لأجلهم، رغم مهاجمتهم له، وأن يقوم بذلك حتى وهو لا يزال في التراب والرماد وفي أمس الحاجة أن يصلي آخرون لأجله؛ قيام أيوب بذلك هو الطريق الوحيد له لكي يستعيد ذاته ويرفع الله وجهه من جديد"(5031). وهكذا نما أيوبُ وأصحابُه في المحبة واستناروا روحياً وتزكوا جميعاً أمام الله. كل هذه النتائج الإيجابية حدثت بفضل ألم أيوب ومعاناته. فنستطيع إذن أن نقول إن الله قد استخدم تجربةَ أيوب من أجل مصلحة أصحابه الثلاثة أيضاً وليس من أجل مصلحة أيوب فقط(5032). بل ليس من المبالغة أن نقول إن تجربة أيوب كانت من أسباب قبول شفاعته. إذ "يبدو أن محنته من أسباب فعّالية صلاته. في الخلفية يرتسم خيال وجه العبد (أي: عبد الرب الذي يتألم ويتمجد) (راجع ["لِذلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ"] (إشعياء 12:53)) الذي يُصبح ألمه في هذه المرة تكفيراً صريحاً عن الآخرين"(5033). "اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ

كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ. فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا" (رومية 8:16-18). "لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا" (فيلبي 1:23). "الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ. لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ، لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ" (فيلبى 3:8-11).

ويقول "الكتاب اليهودي الدراسي" (Jewish Study Bible)[5034]:

Most readers of Job have taken the subject of innocent suffering, or theodicy – the existence of evil combined with a belief in an all-good and all-powerful Deity – as the main theme of the book. It is frustrating to many such readers that, in His speech from the whirlwind, God does not provide an explicit explanation of evil; He would seem to sidestep it. Accordingly, many readers assume that the answer lies between the lines, and so they interpret the Deity's response as a demonstration of divine providence – in the way that God maintains an order in nature, so does God maintain a moral order, difficult as it may often be to discern it. Or they deduce, from the Deity's demonstration to Job of how little he comprehends of the world, that God's justice is as mysterious as the rest of creation. These answers are not satisfactory, since the readers familiar with chapters 1-2 know the cause of Job's afflictions – there is no mystery about it.

There is no resolution to the problem of evil in Job because that is not the theme of the book. Although the problem of innocent suffering, the search for an explanation for a case like that of Job, is the topic of discussion among the participants in the dialogues, it is not the theme of Job. Instead, Job incorporates two main themes. First, the book presents a philosophical argument about how our knowledge is warranted or justified. Job's companions stubbornly cling to the claim that all worthwhile knowledge had been transmitted and learned from tradition […] (8.8-9a). Job, on the other hand, bases his claims on his personal observation – knowledge that can be transformed by new experience, such as what has

happened to him – and on his experience of a revelation from a divine spirit (see 4.12-21 and ch 16). Job's unconventional understanding of God is only confirmed by the theophany from the "tempest," in which the Deity passes over, and possibly tramples, the principle of just retribution […]. A second, and arguably even more prevalent, theme in Job is that of honesty in talking about God. The book examines and tests the limits of appropriate speech. The test of Job is all about speech – will Job, severely afflicted with anguish and physical distress, "blaspheme [God] to [His] face" (1.11)? The dialogues, it goes without saying, consist only of speech – there is no action within them. Job's companions continually denigrate the way he talks (e.g., 11.2-4), and he feels he must beg to be heard (13.13). Their view is shared by readers such as The Talmudic Sage Rav, who suggests that "dirt be put in Job's mouth" to silence him. But while the friends regard Job's discourse as no more than hot air, "useless talk" (e.g., 15.2-3), Job takes pride in his absolute commitment to speaking only truth (see 27.3-4). The radical turning point in the book comes at its conclusion: God turns to Job's companions and reproves them for not speaking "truthfully" (*nekhonah* is adverbial) about Him as Job "My servant" had done (42.7-8). Job may not have arrived at the truth, but he had reason to believe in what he was saying, as it came to him honestly, unlike the words of the companions, who merely repeated uncritically the wisdom they had received. Seen this way, the book of Job promotes honesty in theological discourse and rejects a blind reliance on tradition.
Rabbis such as Rava, who maintained that Job's assertions [in 3.1-31.40] were heresy, learn from God's approbation [in 42.7-9] that a person is not responsible for what he may say in pain (*b. B. Bat.* 16b).

نعود إلى استرداد أيوب (Job's Restoration) **(أيوب 42):** {10} وَرَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ أَيُّوبَ (أي: اسْتَرَدَّ أيوبُ وضعَه وإمكانياته فصار كمن تحرر من السبي (الشيطان/الشر، الخطية، الكبرياء/الافتخار بالبر

الذاتي) ورجع إلى وطنه (الله، التوبة، التواضع)؛ ولعل المقصود: اسْتَرَدَّ ثرواته fortunes وربما أيضاً أولاده وصحته) **[← "فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ" (الأنبياء 84) "وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ" (ص 43)]** لَمَّا صَلَّى لأَجْلِ أَصْحَابِهِ (أي: لَمَّا ارتفع روحياً إلى مستوى محبة المسيئين والْمُتْعِبِينَ)، وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لأَيُّوبَ ضِعْفًا **[← "وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ (أي: وزدناه مثلهم؛ مضاعفاً)" (الأنبياء 84) (ص 43)]**. {11} فَجَاءَ إِلَيْهِ كُلُّ إِخْوَتِهِ وَكُلُّ أَخَوَاتِهِ وَكُلُّ مَعَارِفِهِ مِنْ قَبْلُ، وَأَكَلُوا مَعَهُ خُبْزًا فِي بَيْتِهِ، وَرَثَوْا لَهُ وَعَزَّوْهُ (consoled and comforted him) عَنْ كُلِّ الشَّرِّ (trouble; misfortune) الَّذِي جَلَبَهُ الرَّبُّ (the LORD) (Yahweh) عَلَيْهِ[5035]، وَأَعْطَاهُ كُلٌّ مِنْهُمْ قَسِيطَةً وَاحِدَةً (أي: قِطعةً مِنَ الفِضَّةِ؛ مقداراً من المال)، وَكُلُّ وَاحِدٍ قُرْطًا مِنْ ذَهَبٍ (gold) [وبهذا عوَّض الله أيوبَ مالَه الذي خسره في بداية تجربته] **[← روى البخاري أن محمد قال: "بَيْنَما أيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ (أي: أنزل اللهُ عليه ذهباً كثيراً على صورة جماعة من الجراد)"[5036]! ويُفْهَم من الحديث أن هذا كان أثناء اغتسال أيوب بالماء البارد (ص 42) وأنه بهذا عوَّض اللهُ أيوبَ مالَه الذي خسره في بداية ابتلائه]**. {12} وَبَارَكَ الرَّبُّ آخِرَةَ أَيُّوبَ أَكْثَرَ مِنْ أُولاَهُ. وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْغَنَمِ، وَسِتَّةُ آلاَفٍ مِنَ الإِبِلِ، وَأَلْفُ فَدَّانٍ مِنَ الْبَقَرِ (أي: 1000 زَوْجٍ من البقر)، وَأَلْفُ أَتَانٍ (أي: ضِعْف ما كان يملكه في بداية القصة[5037]) **[← "وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ (أي: وزدناه مثلهم؛ مضاعفاً)" (الأنبياء 84) (ص 43)]**. {13} وَكَانَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ (أي: مجموعة جديدة من البنين والبنات ليحلوا محل أبنائه وبناته الذين فقدهم[5038]) **[← "وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ" (الأنبياء 84) "وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ" (ص 43)]**. {14} وَسَمَّى اسْمَ الأُولَى يَمِيمَةَ (Jemimah) (أي: يَمَامة)، وَاسْمَ الثَّانِيَةِ قَصِيعَةَ (Keziah) (أي: كاسيا Cassia وهي من أثمن العطور الطيبة القديمة)، وَاسْمَ الثَّالِثَةِ قَرْنَ هَفُّوكَ (Keren-happuch) (أي: إناء كُحْل لتجميل العيون). {15} وَلَمْ تُوجَدْ نِسَاءٌ جَمِيلاَتٌ كَبَنَاتِ أَيُّوبَ فِي كُلِّ الأَرْضِ، وَأَعْطَاهُنَّ أَبُوهُنَّ مِيرَاثًا بَيْنَ إِخْوَتِهِنَّ (in the midst of their brothers)[5039] (أو: كَمَا فَعَلَ مَعَ إِخْوَتِهِنَّ).

يقول مرجع (The IVP Bible Background Commentary) تعليقاً على "وَأَعْطَاهُنَّ أَبُوهُنَّ مِيرَاثًا بَيْنَ إِخْوَتِهِنَّ (أو: كَمَا فَعَلَ مَعَ إِخْوَتِهِنَّ)" (أيوب 42:15)[5040]:

> **42:15. daughters inheriting along with sons.** Daughters normally inherited in ancient Israel only when there was no son (see Numbers 26:33 [and 27:8]). Thus the daughters inheriting along with sons is unique in the Old Testament, although there are parallels from the Aegean in the early first millennium B.C. and from Ugarit.

15:42. بنات يرثن مثل الأولاد. في إسرائيل القديمة كانت البنات ترث عندما لا يوجد أولاد (انظر سِفْر العدد 33:26 [و 8:27]). ولذا فميراث البنات مثل الأولاد أمر فريد في العهد القديم رغم إنه حدث نفس الشيء في أيجة في بواكير الألفية الأولى ق.م. في أوغاريت.

إذن: يعطينا سفرُ أيوب مثالاً ممتازاً لإعطاء ميراث للبنات مع البنين (بل: مثل البنين)، قبل الإسلام بأكثر من 900 سنة! وهو أيضاً مثال على أنه يجب على المؤمن الحقيقي أن يفعل الصوابَ (أيوب 7:42، 8) حتى لو تعارض مع التقليد أو الشريعة (العدد 33:26، 8:27).

وعلى الرغم من أن القرآن قد اعترف بأن الرَّبّ كان كريماً جداً مع أيوب: "وَزَادَ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لأَيُّوبَ ضِعْفًا" (أيوب 10:42) **[← "وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ (أي: وزدناه مثلهم؛ مضاعفاً)" (الأنبياء 84) (ص 43)]**، إلا أننا حين قرأنا تلك العبارة "وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ" - التي تكررت حرفياً في روايتي سورتي ص والأنبياء - لم نفهم معناها الروحي إلا عندما رجعنا إلى قصة أيوب الكتابية الأصلية في سفر أيوب. ونحن نرى هذا المعنى الروحي في ثلاث نقاط مهمة. أولاً: بما أن الضعف في ميراث الأب كان يُعْطَى للابن الْبِكْر (Rule of Primogeniture): "يُعْطِيَهُ [الأبُ] نَصِيبَ اثْنَيْنِ (a double portion) مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ، لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لَهُ حَقُّ الْبَكُورِيَّةِ" (التثنية 17:21)، إذن: اعتبر اللهُ أيوبَ ابناً بِكْرًا له بين أولاده القديسين. وهو بهذا رمز ليسوع المسيح الذي "هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ" (رومية 29:8). وثانياً: إعطاء أيوب الضعف وليس المثل يؤكد أن ما يحصل عليه أيوب ليس مكافأةً على صبره وبره كما يُشاع، وإنما تعويض حسب الشريعة (الخروج 4:22) التي تفرض التعويض بالضعف على اللص الذي يُضْبَط وهو يسرق. وثالثاً: يؤكد الرَّبُّ لأيوب أنه لا يتعامل معه طبقاً لنظرية المجازاة (الثواب والعقاب)، وإنما طبقاً لحقيقة النعمة الإلهية غير المشروطة، فكأن الرَّبّ يقول لأيوب: أنا الآن في نهاية القصة أنعم عليكَ بخيراتٍ بِلاَ سَبَبٍ (أي: لا تستحقها) كما أنعمتَ عليكَ من قبل في بداية القصة بخيراتٍ كثيرة أيضاً بِلاَ سَبَبٍ (أي: لا تستحقها)، فلماذا تذمرتَ حين ابتليتك بآلامٍ "بِلاَ سَبَبٍ" (أيوب 3:2، 17:9) (أي: لا تستحقها)؟ ونظراً لأن قصة أيوب القرآنية قد حذفت الجزءَ المتعلق بتذمر أيوب، ضاع هذا المعنى الروحي المهم ولم نكتشفه إلا عندما رجعنا إلى سفر أيوب. وهذا يؤكد أهمية دراسة جذور القرآن في التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام. مع التأكيد على أن تذمر المتألم البار ليس خطأ ما دام لم ولا ولن يؤثر على الإيمان بالله والثقة فيه وفي مشيئته كإله قدير وأب رحيم لا يريد إلا الخير ولا يفعل إلا الصواب[5041]. وإنما الخطأ هو الاعتقاد أن علاقتنا بالله علاقة بيع وشراء: تقوى مقابل منفعة شخصية، أعمال صالحة مقابل أجر، طاعة مقابل ثواب.

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس[5042]:

تقوم صورة الله في الملحق الختامي [(أيوب 7:42-17)] بإصلاح الصورة الموجودة لله في المقدمة الافتتاحية [(أيوب 1-2)] كإله مرعب يتسلى بخليقته ويدخلها في اختبارات مدمرة لا داعٍ ولا مبرر لها.

وتقوم صورة الله في الملحق بتأكيد صورة الله في خطاباته كإله يمتلك الكلمة الأخيرة على الفوضى ويدبر عالمه على أساس النعمة لا المجازاة.

يظهر الملحق الختامي بأن الله لا يرى أي شيء خاطئ في غضب أيوب وثورته ورفضه وتجديفه عليه (أيوب 42:7)، لكنه [...] يعلن أن الإصرار على "عدالة" الله كما نفهمها نحن والإصرار على التمسك بمفهوم المجازاة (العقاب والثواب) هو شيء خاطئ (أيوب 42:7-8). ولذلك فرغم أن أيوب يعلن في [(أيوب 40:3-5)] أنه لن يتكلم أكثر، يعود ليتكلم ويعلن فهمه الجديد لله (أيوب 42:1-6)، في حين أن الذي لا يتكلم أبداً بعد ذلك هو رفاق أيوب، ومعهم يصمت المفهوم التقليدي للحكمة.

[...] الملحق الختامي يرفض مفهوم المجازاة ذاك بكل مشاكله ولا واقعيته ويعلن أن ما يحصل عليه أيوب في النهاية هو ليس مكافأة على صبره، ولكنه عمل نعمة من الله.

وبحسب الملحق الختامي، ما يحصل في النهاية هو تعويض وإعادة بناء لما دمرته الفوضى، وبالتالي إعلان وتثبيت لسيطرة الله على الفوضى. إعادة البناء والإصلاح لا تلغي حقيقة الشر، لا بل وهي كثيراً ما لا تأخذ شكلاً مادياً، لكنها تعلن أن السلطان النهائي هو لله، وتؤكد إمكانية انتصار الخير والصلاح على الشر والألم والمعاناة التي هي جزء لا يتجزأ من واقعنا [...].

[...]

ويظهر غياب الشيطان عن الصورة في النهاية؛ كما على طول صفحات السفر ما عدا فصليه الأولين، رفض سفر أيوب لفكرة وجود كائن ما مسؤول عن الشر الموجود في العالم. فـ "هاشاطان" الذي يتحدث عنه السفر في الفصلين الأولين هو وظيفة [function] بمعنى المعاند وليس اسم علم. وخلال صراع السفر مع مسألة الشر والذي يستمر للأربعين فصلاً التي تلي يختفي ذلك "هاشاطان" من الصورة، لأن سفر أيوب لا يجد مكاناً لأي كائن آخر غير الله والإنسان في مواجهة الشر والألم والمعاناة. الشيطان لا يجد له مكاناً في الفكر اللاهوتي لسفر أيوب لأنه عبارة عن اختراع أولئك الذين يحاولون حماية عدالة الله من خلال ربط مصدر الظلم والشر في العالم بكائن آخر. وسفر أيوب كما رأينا غير مهتم بالإجابة عن مصدر الشر، بل بإعلان حقيقة أن الله بكل قدرته العظيمة والفائقة يرافق الإنسان المتألم في وسط ألمه ومعاناته.

[...]

[...] سفر أيوب هو سفر "حكمة في ثورة" يرفض المفاهيم والمعتقدات التقليدية، وعلى رأسها المفهوم التقليدي للحكمة والمتمثل بمفهوم المجازاة، ويعلن أن الله يفهم آلامنا ويقبل صرخاتنا وعدم صبرنا في وسط معاناتنا. يستعيد أيوب كل شيء مضاعفاً بعد ثورته ضد مفهوم المجازاة ورفضه الصمت والاستسلام وتجرؤه على تحدي الله ودعوته للمحاكمة واتهامه بالمسؤولية عما أصابه عوضاً عن الصبر والخضوع

أمامه. والله بدوره يمتدح أيوب لكونه صادقاً مع الله ومع ذاته ولاعترافه بأن الشر والألم والمعاناة التي كثيراً ما تملأ حياتنا تجعلنا نرى الله كعدو لنا، ويؤكد الله لأيوب ولنا بأن ذلك ليس خاطئاً في عيني إلهنا.

فالسفر يدعو من يقرؤه لرفض المازوتشية المسيحية التي تدعونا لنتألم بصمت لا بل ونسعى لمزيد من الألم. يتحدى سفر أيوب كل مفاهيمنا عن الله والعدالة التي نطالبه بها. يتعلم أيوب عدم وجود أية جدوي لاتهام الله باللاعدالة، بما أنه لم يدع يوماً [في سفر أيوب] أنه مسئول عن العدالة، على الأقل بحسب مفهومنا البشري للعدالة. لا يمكن لله أن يكون ظالماً لأنه لم يدع يوماً [في سفر أيوب] أنه عادل. سفر أيوب يعلن أن الله ليس إله عدالة بل إله نعمة لا مشروطة تحب الجميع وترفض أن تعاقب الشرير وتكافئ البار؛ إله يرفض أن يلعب دور الشرطي أو القاضي الذي نريد أن نفرضه عليه ويعاملنا بحسب استحقاقنا، وإلا لاستحقينا جميعاً الموت. سفر أيوب يظهر أن العدالة هي إحدى مسؤوليات الإنسان؛ في حين أن ما يحكم علاقة الله بخليقته هو النعمة. [...] النعمة [المجانية] غير المشروطة التي لا يحكمها استحقاق أو تبرير.

[...]

في وسط كل ذلك، لا سؤال حول قدرة الله وعظمته، لكن ذلك لا يعني بأن العالم الذي نعيش فيه هو "جنة". الله خلق عالَماً عظيماً وحسناً جداً، لكنه ليس كاملاً. الشر والألم والمعاناة والموت هي جزء [طبيعي] من واقع الحياة التي بدورها ترفض الخضوع لمفهومنا عن "العدالة" وتترك كل سؤال عن سبب الظلم الموجود بدون أية إجابة شافية. ليس هناك علاقة بين الأعمال و "الاستحقاق" والمعاناة والألم في واقع هذه الحياة [...] لكن ذلك لا يعني بأن الله عاجز أو غائب، ولكنه يرافق خليقته في حياتها اليومية، وحتى في قلب أكثر لحظاتها ألماً. يؤكد سفر أيوب أن الجزء الأصعب في المعاناة هو ليس الألم الذي يحس به الشخص نتيجة لتلك المعاناة ولكن الشعور الذي يعانيه بأنه متروك ومرفوض من الله؛ الأمر الذي يعلن السفر خطأه، حيث يدعو كل من يعاني ليدرك أن تلك المعاناة لا تعني أنه متروك من الله، لا بل على العكس من ذلك، ليجد الله في قلب تلك المعاناة وفي قمة شعوره بالحاجة إلى الله. الإله الذي نؤمن به هو إله مرتبط بحياة خليقته ويتدخل شخصياً في حياتها لكي يحميها، ليس من اللاعدالة، ولكن من سيطرة الفوضى والموت عليها. الله لا يدعي أنه يحمي خليقته من الشر ولكنه يرافقها في وسطه، ويؤكد عظمة محبته وقدرته وسلطانه، التي تمتلك الكلمة النهائية، ويعلن نصرة الحياة به ومعه حتى على الموت.

[...]

سفر أيوب، الذي يعتبره العديد من الباحثين والأدباء جوهرة الأدب الكتابي [...]، يعلن أن السؤال حول إذا ما كنا نقبل الخير دون الشر من يد الله (أيوب 10:2) يفقد معناه وقيمته، لأن ما نستقبله من يد الله هو ليس الخير أو الشر، لكنه الحياة بكل ما فيها. والحياة هي بحد ذاتها عطية نعمة [إلهية مجانية] لا مكافأة استحقاق، ونحن مدعوون لنتمتع بها ونعيشها بملئها.

[...]

[...] ويدعونا سفر أيوب لنرفض ونقاوم أية نظرة سلبية أو انهزامية أو استسلامية لواقع حياتنا مهما تدهورت الظروف وزادت الصعوبات، بل على العكس من ذلك لنرى في كل ذلك فرصة للصراع مع إيماننا وحياتنا وللنمو في فهمنا لله وللحياة وعلاقتنا بالله وحياتنا في ضوء تلك العلاقة، والانطلاق من ذلك كله في العمل على تغيير ذلك الواقع.

[...]

يعلن سفرُ أيوب أن الصمت والاستسلام في مواجهة الألم والمعاناة لا يحلان المشكلة، وأن الأمر ليس قضاء وقدرًا علينا أن نقبله بخضوع. على العكس من ذلك، يتحدانا السفر لنرفض الشر والألم والموت ونواجه كل ذلك ونثور في وجهه ثورة حياة ومحبة وسلام. وبالتالي فسفر أيوب يدعونا لنرفض الظلم والشر والقتل من أي طرف كان ونعلن رسالة ملكوت الله، رسالة المحبة والحرية والعدالة والسلام والرجاء للجميع، في كل وقت، وخاصة في هذا الوقت الذي تسود فيه الفوضى ويسيطر فيه العنف والقتل والدم.

[...]

يدعونا سفر أيوب لامتلاك رؤية وفهم جديدين ومتجددين أبداً لله وللحياة مع الله، للحوار مع تقاليدنا، ولكن لرفض الغرق فيها والاستسلام لها ولكن للتجدد والنمو على كافة الصعد والمستويات [...] في ضوء حوار صادق مع التقليد ورغبة أمينة بالمسير نحو الأمام.

يُظهِر سفر أيوب المكانة المحورية التي يجب أن يحتلها الحوار في حياتنا كبشر، ويكشف لنا الحاجة إلى الحوار مع "رفاقنا" حتى المتعبين الذين يختلفون معنا بالرأي منهم، ويعلن لنا أن ذلك وحده هو من يقودنا ويقودهم للنمو والغنى على كافة المستويات. [...]. لا بل إن سفر أيوب يُظهِر لنا أن الحوار هو بعد أساسي في علاقتنا بالله نفسه، ويدعونا لنتعلم أن نسمع صوته ونرى مشيئته ولنضع أمامه أفكارنا واهتماماتنا ومشاكلنا، وأن ذلك وحده هو الطريق للنمو في علاقتنا بذلك الإله.

في النهاية يدعونا سفر أيوب لنحمل رسالة رجاء لا رسالة خوف، رسالة محبة لا رسالة عداوة، رسالة سلام لا رسالة حرب، رسالة فرح لا رسالة دينونة، ورسالة حياة لا رسالة موت لعالمنا الشرق أوسطي، الذي يعاني من الموت والخوف والعداوة والحرب والدينونة المتبادلة.

نعود إلى (أيوب 42) حيث نلاحظ أن هذا الإصحاح الأخير من سفر أيوب (أيوب 42) لم يذكر صراحةً شفاءَ أيوب من مرضه! وإنما اكتفى بعبارةٍ غامضة تقول: "وَرَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ أَيُّوبَ" (أيوب 42:10)

[← وكذلك صاحب رواية سورة ص القرآنية لم يذكر صراحةً شفاءَ أيوب من مرضه، وإنما اكتفى بعبارةٍ غامضة تقول: "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" (ص 42)]!

4.20.1.5 "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" (ص 42)!

كيف شُفِي أيوبُ من مرضه؟!

يزعم القرآن أن الاغتسال بالماء البارد وشربه كان هو الحل لمشكلة أيوب! ونجد هذه الفكرة أيضاً في رواية سورة ص فقط، فلقد أمر اللهُ أيوبَ: "ارْكُضْ برِجْلِكَ (أي: اضرب بِرِجْلِكَ الأرضَ ينبع لك منها عين ماء جارية!) ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" (ص 42).

لم يذكر الكتاب المقدس أن أيوب شُفِي بالاغتسال بالماء أو شرابه. فإذا أردنا أن نعرف لماذا خَطَرَ الماءُ وشرابه على بال أصحاب القرآن فقدَّموه كحلٍ لمشكلة أيوب، ما علينا إلا أن نرجع إلى نفس الميمر الذي كتبه أستاذهم وأبوهم الروحي "يعقوب السروجي" عن أيوب! وذلك لأن هذا المفكر المسيحي المبدع (المتوفي عام 521م؛ أي: قبل الإسلام) حين تحدث عن رحمة الله بأيوب في نهاية القصة استخدم كلمات مثل "المياه" و "المطر" و "الندى" و "السقي"[5043]: {1745} تكلَّم الربُّ **[← "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ" (الأنبياء 84)]** فهرب الجرح الذي عذَّب أيوب **[← "فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ" (الأنبياء 84)]**، {1746} ورعدَ العليّ فأخِذَت الأوجاع من الصدِّيق **[← "فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ" (الأنبياء 84)]**. {1747} جدل الرحمنُ[5044] **[← "أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأنبياء 83) "رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا" (الأنبياء 84) "رَحْمَةً مِّنَّا" (ص 43)]** إكليلَ العافية، ووضعه على المريض، {1748} واشتدَّت أعضاؤه التي قطَّعتها القروح، {1749} تطلَّعت قوَّة اللاهوت، فبدا الجسدُ لها متقناً، [...] {1755} نزل الصوت مثل المطر **[← "مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ" (ص 42)]** على الجذور {1756} وشرع يتحرَّك، فخلع لباس عفونته ورماه. {1757} سقى الربيعُ **[← "شَرَابٌ" (ص 42)]** حنطةَ الرماد التي [كانت قد] صارت عفنة، {1758} ونبتت وصعدت وعقدت الساق لتأتي بمئة. {1759} رشَّ الندى **[← "مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ" (ص 42)]** على زهرة أقفرها الحرُّ، {1760} فابتهجت الأثمارُ وجَمُل لونُها ولمع جمالها. {1761} وصلت المياه **[← "مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" (ص 42)]** إلى جفنة جرَّدها شتاء الأوجاع، {1762} فغلَّت وأعطت أوراقاً وأثماراً غنيَّة. {1763} أتى السقي **[← "شَرَابٌ" (ص 42)]** نحو شجرة عُرِّيت (من أوراقها) {1764} وأورقت أغصانها وامتلأت أحضانها وتكلَّلت جمالاتها. {1765} قام البارُّ الذهب الذي خرج من داخل الكور، {1766} ولمع جمالُه واستنار لونُه وتنقَّى منظرُه. [...] {1771} خرج من بين الآلام **[← "فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ" (الأنبياء 84)]** مثل طفل بلا عيوب، {1772} بانطفاء جرحه، بإتقان جسده، بجمال جسمه. [...] {1775} الضربة هربت، الجرحُ اختفى، وبطُلَ الوجع **[← "فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ" (الأنبياء 84)]**، {1776} انتهى الضيق، عبرت المحنة والألم تلاشى **[← "فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ" (الأنبياء 84)]**. [...] {1779} نال الظافرُ الإكليلَ من الجهاد وقام، {1780}

وصنع مأثرة ببطولته وبدا الرجلُ عظيماً. {1781} ضُرِبَ بيد مجموعة (لجيون) الأبالسة **[← "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" (ص 41)]** وما تراخى **[← "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا" (ص 44)]**، {1782} فانتصر [أيوبُ] عليهم (أي: على الأبالسة) وغلبهم فصاروا هزءًا.

وفي الواقع فإننا نجد في سفر أيوب ما يدل على أن أيوب قد فكَّر في الاغتسال بالماء البارد ولو عبثاً، أو أن يقوم بممارسات تعبدية تطهيرية بالماء البارد في محاولةٍ يائسة للحصول على رضا الله، فلقد قال أيوب: "أَخَافُ مِنْ كُلِّ أَوْجَاعِي عَالِمًا أَنَّكَ [يا الله] لاَ تُبَرِّئُنِي. أَنَا مُسْتَذْنَبٌ، فَلِمَاذَا أَتْعَبُ عَبَثًا [لكي أتبرأ أمامكَ]؟ وَلَوِ اغْتَسَلْتُ فِي الثَّلْجِ (أي: الثَّلْجِ المذاب) **[← "مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ" (ص 42)]**، وَنَظَّفْتُ يَدَيَّ بِالإِشْنَانِ (هو نوع من المنظفات مثل الصابون أو المطهر)، فَإِنَّكَ فِي النَّقْعِ (أي: في المستنقع؛ في وحل الهاوية) تَغْمِسُنِي حَتَّى تَكْرَهَنِي ثِيَابِي" (أيوب 9:28-31).

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الكتاب المقدس قد ذكر الماءَ كوسيلة للتطهر من الأمراض الجلدية؛ أو بعبارة أكثر دقة: التطهير الطقسي الذي ينبغي أن يُجْرَى بعد إعلان شفاء المصاب. اقرأ مثلاً ما جاء في شريعة تطهير الأبرص: "فَيَغْسِلُ الْمُتَطَهِّرُ ثِيَابَهُ وَيَحْلِقُ كُلَّ شَعْرِهِ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ **[← "مُغْتَسَلٌ" (ص 42)]** فَيَطْهُرُ. ثُمَّ يَدْخُلُ الْمَحَلَّةَ، لكِنْ يُقِيمُ خَارِجَ خَيْمَتِهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ يَحْلِقُ كُلَّ شَعْرِهِ (أي: ما نَمَا من شَعْرِهِ خلال تلك الأيام السبعة): رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ وَحَوَاجِبَ عَيْنَيْهِ وَجَمِيعَ شَعْرِهِ يَحْلِقُ. وَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ **[← "مُغْتَسَلٌ" (ص 42)]** فَيَطْهُرُ" (اللاويين 14:8-9).

واقرأ ما حدث مع نعمان السرياني (Naaman the Syrian) الذي كان "أَبْرَصَ" (2 ملوك 5:1)، "فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَلِيشَعُ [النَّبِيُّ] رَسُولاً يَقُولُ: «اذْهَبْ وَاغْتَسِلْ **[← "مُغْتَسَلٌ" (ص 42)]** سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي [نهر] الأُرْدُنِّ، فَيَرْجعَ لَحْمُكَ إِلَيْكَ وَتَطْهُرَ»" (2 ملوك 5:10)، "فَنَزَلَ [نعمانُ] وَغَطَسَ فِي [نهر] الأُرْدُنِّ **[← "مُغْتَسَلٌ" (ص 42)]** سَبْعَ مَرَّاتٍ، حَسَبَ قَوْلِ رَجُلِ اللهِ (أي: النَّبِيِّ أَلِيشَع)، فَرَجَعَ لَحْمُهُ كَلَحْمِ صَبِيٍّ صَغِيرٍ (أي: شُفِيَ من الْبَرَصِ) وَطَهُرَ" (2 ملوك 5:14)؛ ولقد أشار أليهو إلى قصة نعمان السرياني حين قال لأيوب: "يَصِيرُ لَحْمُهُ أَغَضَّ مِنْ لَحْمِ الصَّبِيِّ، وَيَعُودُ إِلَى أَيَّامِ شَبَابِهِ" (أيوب 33:25). ولا نزعم أننا أوَّل مَن يكتشف أن أصحاب القرآن ربما خلطوا (confused) بين قصة نعمان السرياني وما سمعوه عن قصة أيوب. تقول موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam)[5045]:

> In the story of the miraculous spring by which [Ayyūb] was healed there seems to be a confusion with the Naaman story of II Kings v, and in the obscure verse about his taking a bundle in his hand and striking with it, there may be a similar confusion with the story in II Kings xiii, 14 ff. (See Bell, *Qurʾān*, 454 and *Introduction to the Qurʾān*, 162, 163).

اقرأ أيضاً التطهر من الخطيئة: "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ يَنْبُوعٌ مَفْتُوحًا (أي: يَتَفَجَّرُ يَنْبُوعٌ) **[⟵ "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ (أي: اضرب بِرِجْلِكَ الأرضَ ينبع لك منها عين ماء جارية!)" (ص 42)]** لِبَيْتِ دَاوُدَ وَلِسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ لِلْخَطِيَّةِ وَلِلنَّجَاسَةِ (أي: للتطهير من الخطية والنجاسة)" (زكريا 13:1). واقرأ أيضاً (الخروج 30:17-21) (اللاويين 15:1-33) (العدد 19:1-22) (المزامير 26:6؛ 51:2) (حزقيال 16:9؛ 36:25) (العبرانيين 10:22).

ويحدِّثنا إنجيلُ يوحنا عن بِرْكَة من الماء في مدينة أورشليم المقدسة تشفي "مِنْ أَيِّ مَرَضٍ" بمعجزة ملائكية! "لأَنَّ مَلاَكًا كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَانًا فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ **[⟵ "مُغْتَسَلٌ" (ص 42)]** كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ" (يوحنا 5:4)[5046]! وكذلك معجزة شفاء المولود أعمى (الأَكْمَه) لم تتم إلا بعد اغتساله بالماء: "وَفِيمَا هُوَ (أي: يَسُوعُ المسيح) مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَانًا أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ، فَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «لاَ هذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ، لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ. [...]». قَالَ [يسوعُ] هذَا وَتَفَلَ عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِينًا وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الأَعْمَى. وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ اغْتَسِلْ **[⟵ "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ" (ص 42)]** فِي بِرْكَةِ سِلْوَامَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: مُرْسَلٌ، فَمَضَى وَاغْتَسَلَ **[⟵ "مُغْتَسَلٌ" (ص 42)]** وَأَتَى بَصِيرًا" (يوحنا 9:1-7). ومن الملفت للانتباه أن الآيات الأولى من معجزة شفاء المولود أعمى تؤكد أن الخطيَّة ليست بالضرورة سبباً في المرض والألم والمعاناة: "أَجَابَ يَسُوعُ: «لاَ هذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ، لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ" (يوحنا 9:3)؛ أو بعبارة أخرى: الآلام ليست دائماً نتيجة الخطيَّة. وهذا أحد الدروس المستفادة من قصة أيوب كما شرحنا بالتفصيل فيما سبق.

أما المعجزة القرآنية المزعومة التي تقول إن الله قد أعطى ماءً لأيوب في محنته: "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ (أي: اضرب بِرِجْلِكَ الأرضَ ينبع لك منها عين ماء جارية!) هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" (ص 42)، فيبدو لنا أنها مستوحاة من التوراة التي تقول إن الله قد أعطى ماءً لهاجر في محنتها بعد أن طُرِدَت هي وابنها الغلام إسماعيل بعد ميلاد إسحاق بن إبراهيم. **(التكوين 21):** {14} فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ [إسماعيل]، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ [هاجرُ] وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ. {15} وَلَمَّا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ [هاجرُ] الْوَلَدَ [إسماعيلَ] تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ، {16} وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ بَعِيدًا نَحْوَ رَمْيَةِ قَوْسٍ، لأَنَّهَا قَالَتْ: «لاَ أَنْظُرُ مَوْتَ الْوَلَدِ [من العطش]». فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ. {17} فَسَمِعَ اللهُ صَوْتَ الْغُلاَمِ، وَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: «مَا لَكِ يَا هَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ لِصَوْتِ الْغُلاَمِ حَيْثُ هُوَ. {18} قُومِي احْمِلِي الْغُلاَمَ وَشُدِّي يَدَكِ بِهِ، لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً». {19} وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا (أي: عَيْنَيْ هَاجَر) فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ [إِسْمَاعِيلَ] **[⟵ "شَرَابٌ" (ص 42)]**.

ومما يقوّي هذا الرأي هو أن سورة ص قد ذكرت إبراهيم وإسحاق وإسماعيل في (ص 45، 48) أي مباشرةً بعد الآيات التي تحدثت عن أيوب (ص 41-44)؛ مما قد يعني أن صاحب رواية سورة ص كان ربما يفكر في قصة طرد إسماعيل بعد ميلاد إسحاق بن إبراهيم (التكوين 21:9-21). ومن المعلوم أن هذه القصة التوراتية (التكوين 21:9-21) قد انتقلت إلى التراث الإسلامي، إلا أن المسلمين طوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف والإضافة – يعني: حرَّفوها – فأنكروا أنها حدثت "فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ (Beersheba) (حالياً: في صحراء النقب Negev في جنوب إسرائيل/فلسطين)" (التكوين 21:14) وزعموا أنها حدثت في مَكَّة! كما زعموا أن "بِئْرَ مَاءٍ" (التكوين 21:19) هو بئر زمزم في مَكَّة! وما يهمنا هنا هو أن يوجد باحثون مسلمون قد لاحظوا التشابهَ الواضح بين قصة هاجر الإسلامية المحرَّفة وقصة أيوب القرآنية. على سبيل المثال، يقول د. صلاح الخالدي: "فلمَّا ضرب [أيوبُ] الأرضَ برجله، أنبع اللهُ له عيناً من الماء البارد!! وتُذكِّرُنا هذه المعجزة بمعجزة تفجير العيون من الحجر، لمَّا ضربَه موسى عليه السلام بعصاه، كما تذكِّرنا بمعجزة ضرب جبريل الأرض بجناحه فأنبع اللهُ ماء زمزم أمام الرضيع إسماعيل!"[5047].

وفي الواقع، يوجد مشهد مشابه وضعه أصحابُ القرآن في قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم، ويقول إن الله قد أعطى ماءً لمريم في محنتها لمَّا ولدت عيسى مع أنها عذراء: "فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (أي: جَدْولَ ماء عذب؛ نهراً صغيراً). وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي [البلح الرطب] وَاشْرَبِي [الماء العذب] [...]" (مريم 24-26).

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" (ص 42) وعلاقتها بقصة هاجر التوراتية وقصة مريم القرآنية[5048]:

> In [ص 42] the Qur'ān seems to have taken an episode from the Biblical account of Hagar and Ishmael (Genesis 21:16-19) and applied it to Job. Hagar was in great distress, to the point of death, when the Lord provided her with water. The Qur'ān seems to have attributed something similar to Job because of the Biblical account of his great distress. Cf. also the account of Mary in [مريم 23-24].

نعود إلى **(أيوب 42):** {16} وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ هذَا (أي: بعد انتهاء تجربته) مِئَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً[5049][5050]، وَرَأَى بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ[5051] **[⟵ "وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ (أي: وزدناه مثلهم؛ مضاعفاً)" (الأنبياء 84) (ص 43)].** {17} ثُمَّ مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَشَبْعَانَ الأَيَّامِ.

وهكذا انتهت قصةُ أيوب الكتابية بما بدأت به. فكما بدأت القصة بأيوب الذي يُصْعِد مُحْرَقَاتٍ لأجل أولاده (أيوب 1:5)، انتهت بأيوب الذي يُصْعِد مُحْرَقَةً لأجل أصحابه (أيوب 42:8). وكما بدأت بذِكر أيوب "كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عَوْصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ" (أيوب 1:1)، انتهت أيضاً بذِكره "مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَشَبْعَانَ الأَيَّامِ" (أيوب 42:17) **[← وكذلك فعل صاحبُ رواية سورة ص القرآنية، فقد بدأ روايتَه بذِكر أيوب "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ [...]" (ص 41) وأنهاها أيضاً بالثناء عليه "نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ" (ص 44)!]**.

مما سبق يتضح أن القرآن – كالعادة – لم يأتِ بأي شيء جديد وصحيح في قصة أيوب. فالقصة القرآنية بروايتيها في سورتي ص والأنبياء مجرد تطور بشري طبيعي (natural human evolution) لقصة أيوب في الكتاب المقدس وفي التراث اليهودي-المسيحي وخصوصاً ميمر يعقوب السروجي عن أيوب. ونلاحظ أن صاحب رواية سورة ص كان على دراية جيدة جداً بسفر أيوب وبميمر يعقوب السروجي عن أيوب، بدليل أنه حاول أن يجمع عناصر من سفر أيوب مع عناصر من ميمر يعقوب السروجي في روايةٍ قرآنية واحدة، فذكر الشَّيْطَانَ صراحةً: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" (ص 41)، وألمح إلى امرأة أيوب: "وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ [امرأتَك!]" (ص 44)، لكنه لم يذكر صراحةً شفاءَ أيوب من مرضه! بخلاف صاحب رواية سورة الأنبياء الذي فعل العكس تماماً: لم يذكر الشيطانَ ولا امرأة أيوب، لكنه ذكر صراحةً شفاءَ أيوب من مرضه: "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ" (الأنبياء 84)!

فما الشيء الجديد والصحيح الذي أتى به القرآنُ حتى نؤمن أنه كلام الله؟! لا شيء! كالعادة.

4.20.2 جذور القرآن في ثقافة الشرق الأدنى القديم

ننتقل الآن إلى نقطة أخرى، وهي ما جاء عن مشكلة الألم (Problem of suffering) في تراث الشرق الأدنى القديم، وهو موطن الحكمة في الفكر اليهودي (1 ملوك 4:30). ومِن حُسْن الحظ أن مقدمة سفر أيوب نفسه تشير إلى جذوره الشرقية القديمة، فهي تذكر صراحةً "بَنِي الْمَشْرِقِ" (أيوب 1:3)، وتصف مشهدين في المحفل السماوي (the heavenly court) أو المجمع الإلهي (the divine assembly) (the divine entourage) (أيوب 1:6-12، 2:1-7). يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "فبحسب (أيوب 1:6)، في أحد الأيام يجتمع الرب (يهوه) مع بني الله في المحفل السماوي. وإن فكرة المحفل أو المجمع الإلهي أو مجلس الآلهة هي فكرة موجودة لدى شعوب الشرق الأدنى القديم سواء الرافدينية أو الأوغاريتية [...]، حيث يجتمع مجمع الآلهة أمام كبير الآلهة في يوم رأس السنة لتقييم السنة التي مضت وتقرير مصير الأمم والشعوب للسنة المقبلة، وبالتالي يعتبر ذلك اليوم يوماً محورياً وأساسياً في الانتقال من الماضي إلى المستقبل وفي حياة الخليقة ومصيرها [...]. وبصورة مشابهة يلتئم المجمع الإلهي أمام يهوه (الرب) في يوم محوري وأساسي في حياة أيوب، الذي كما أشرنا أعلاه يمثل كل إنسان"[5052].

4.20.2.1 أساطير X أساطير X أساطير: رَهَب (أيوب 13:9، 12:26) ... لَوِيَاثَان (أيوب 8:3، 1:41) ... بَهِيمُوثُ (أيوب 7:12، 15:40)!

وكذلك الجسم الشعري الرئيس للسفر (أيوب 1:3 – 6:42) فيه إشارات كثيرة إلى أساطير شرقية قديمة. مثلاً: "أَعْمِدَةُ السَّمَاوَاتِ تَرْتَعِدُ وَتَرْتَاعُ مِنْ زَجْرِهِ (أي: عِنْدَمَا يَنْتَهِرُهَا الله). بِقُوَّتِهِ يُزْعِجُ الْبَحْرَ (أي: يهَيِّج البَحْرَ؛ وفي ترجمات أخرى: يُهَدِّئُ هَيَجَانَ الْبَحْرِ!)، وَبِفَهْمِهِ يَسْحَقُ رَهَبَ. بِنَفْخَتِهِ السَّمَاوَاتُ مُسْفِرَةٌ (أي: واضحة ومكشوفة وصافية؛ مزينة بالنجوم وجميلة) وَيَدَاهُ أَبْدَأَتَا (أو: طَعَنَتَا؛ صرعتا) الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ" (أيوب 11:26-13). كل آية من تلك الآيات الثلاث فيها أسطورة شرقية قديمة!

- "أَعْمِدَةُ السَّمَاوَاتِ (colonnes des cieux) (pillars of the heavens)" (أيوب 11:26) هي الجبال التي كانوا يعتقدون قديمًا أنها تحمل السَّمَاوَاتِ أو أن السَّمَاوَات ترتكز عليها[5053]! فلقد "كانوا يعتقدون قديماً أن أعلى ما في الأرض، وهي الجبال، ترتكز عليها السماء، لذلك دعوها أَعْمِدَة السماء"[5054]! وهذا طبعاً غير صحيح علمياً، بل ليس له أي علاقة بالعلم الحديث لا من قريب ولا من بعيد!

- "رَهَب" (Rahab) (أيوب 12:26) هو "وحش البحر الأسطوري" (mythical sea monster)[5055]! ونظراً لأن "رَهَب" يعني "عاصفة" (storm) أو "غطرسة" (arrogance)، فإن "هذا الوحش البحريّ من الأساطير القديمة [...] يشير إلى الإنسان المتكبِّر. إنّ سحق الله للمتكبِّر، كان أسلوباً شعرياً للقول: ما دام وحش البحر، هذا الكائن الأسطوريّ (استعارة للقوى الشرّيرة والمقتدرة) لا يستطيع الصمود أمام غضب الله، فكيف بالحري أيوب؟ بالطبع لن يُفْلح أمام المحكمة الإلهية، لأنّ الله قدير"[5056]! ولذلك فإن "أَعْوَانُ رَهَبَ" (أيوب 13:9) تُترجم أيضاً إلى "كِبْرِيَاءُ الأَشْرَار"[5057]. كما استخدم سفرُ إشعياء "رَهَب" كرمز لفرعون مصر وجنوده (إشعياء 7:30، 9:51-10) لأنهم – حسب إشعياء وحسب التراث اليهودي بصفة عامة – متكبِّرون وأشرار وأعداء بني إسرائيل! اقرأ أيضاً (المزامير 4:87؛ 10:89).

- أما "الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ" (elusive serpent; gliding serpent) (أيوب 13:26) فهو وصف للوحش البحري (sea monster) المعروف بـ "لَوِيَاثَان" (Leviathan) وهو "مستمد من الأساطير الكنعانية" (Canaanite myths)[5058]! واستخدمه سفرُ إشعياء كرمز للأمم "الشريرة" أي أعداء بني إسرائيل: "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ (أي: في آخر الأيام حين سينتصر الله نهائياً على قوى الشر) يُعَاقِبُ الرَّبُّ بِسَيْفِهِ الْقَاسِي الْعَظِيمِ الشَّدِيدِ لَوِيَاثَانَ، الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ. لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْمُتَحَوِّيَةَ (أي: المُلتَوِية؛ coiling serpent)، وَيَقْتُلُ التِّنِّينَ (dragon; monster) الَّذِي فِي الْبَحْرِ (sea)" (إشعياء 1:27)!

فمع أن المراد من هذه الآيات الثلاث (أيوب 11:26-13) هو بيان قدرة الله وسلطانه على الطبيعة والفوضى والشر، إلا أنها "تحمل بقايا للأسطورة البابلية لخلق الله للكون من خلال [انتصار الإله أو الآلهة في] معركة مع التنين البحري والفوضى اللذين يرمزان إليها (إينوما إيليش والمعركة بين مردوخ وتيامات في الأدب

البابلي، أو المعركة المشابهة بين بعل ويم في الأدب الأوغاريتي؛ انظر (أيوب 8:3، 12:7، 13:9ب))"؛ "فلوياثان أو التنين هو رمز للشر في الشرق الأوسط القديم، حيث نجده في قصة الخلق البابلية وقصص تجدد الخليقة الأوغاريتية. حيث إنَّ لوياثان (أو لوتان) (حرفياً المتلوي) هو في الأدب الكنعاني تنين البحر الأسطوري، الذي يتوجب على الآلهة أن يهزموه في المعركة لكي يضمنوا استقرار الخليقة"[5059].

حاولت دائرةُ المعارف الكتابية أن تدافع عن سفر أيوب فقالت تحت عنوان "سفر أيوب والأساطير": "هناك ثمة عبارات في سفر أيوب، تبدو عليها مسحة أسطورية، ويقولون: كيف تتفق هذه الإشارات الأسطورية في السفر مع النظرة إليه كسفر من أسفار كلمة الله؟ [...] لقد كانت أفكار أيوب وأصحابه مشوشة فيما يتعلق بعدالة الله، فكانت تصدر منهم أحياناً عبارات انسياقاً وراء الآراء التي كانت شائعة في عصرهم، ولكننا لا نجد شيئاً من ذلك في أقوال الله المدونة في الأصحاحات 38-41، فهي خالية تماماً من مثل هذه المزاعم الأسطورية"[5060]. تعليقنا: هذا الدفاع غير صحيح، بل بعيد تماماً عن الحقيقة، بدليل ذِكْر الكائن الأسطوري أو شبه-أسطوري "لَوِيَاثَان" في الكلام الذي وضعه سفرُ أيوب على لسان الله (أيوب 1:41).

وقالت حاشية الترجمة اليسوعية عن "لَوِيَاثَان" (أيوب 1:41): "يدل هذا الاسم على وحش من الخواء القديم (أيوب 8:3+). المُفترض أنه لا يزال عائشاً في البحر. يُطبَّق هنا على التمساح. ولكن الحيوان الظاهر – وهو رمز مصر في (حزقيال 3:29ت و 2:32ت) – لا يزال يعود بالذاكرة إلى الوحش الذي هَزَمَه الرب في مبادئ العالم (أي: ليخلق العالمَ) (راجع أيوب 12:7+)، وهذا الوحش هو مثال القوى المعادية لله"[5061]. أي: مثال القوى الفوضوية المتكبّرة الشريرة المعادية لله. وإذا رجعنا إلى ما قالته حاشية الترجمة اليسوعية تعليقاً على "لَوِيَاثَان" حسب النص العبري لـ (أيوب 8:3) أو "التِّنِّينِ" حسب ترجمات أخرى: "كان لاوياثان (أو التِّنِّينِ والْحَيَّة الْهَارِبَة) (راجع أيوب 13:26 و [1:41+] وإشعياء 1:27 و 9:51 وعاموس 3:9 والمزامير 14:74 و 26:104) في الأساطير الفينيقية وحشاً من وحوش الخواء الأصلي (راجع 12:7+). وكانت المخيّلة الشعبية تخشى دائماً أن يستيقظ مجذوباً بلعنة فعَّالة على النظام القائم. وإن التنين الوارد ذكره في ["هُوَذَا تِنِّينٌ عَظِيمٌ أَحْمَرُ، لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشَرَةُ قُرُونٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِ سَبْعَةُ تِيجَانٍ"] (الرؤيا 3:12)، والذي يجسّد مقاومة قدرة الشر لله، يتسم ببعض ميزات تلك الحية الآتية من الخواء"[5062]. وإذا رجعنا إلى ما قالته حاشية الترجمة اليسوعية تعليقاً على قول أيوب "أَبَحْرٌ أَنَا أَمْ تِنِّينٌ" (أيوب 12:7): "ورد في النظريات البابلية في نشأة الكون أن تيامات (البحر)، بعد أن ساهم في ولادة الآلهة، غلبه وأخضعه واحدٌ منهم. وقد تناولت المخيّلة الشعبية أو الشعرية هذه الصور ونسبت إلى الرب هذا الانتصار السابق لتنظيم الخواء ورأت فيه ذلك الذي لا يزال يُخضع البحر وسكانه الوحوش"[5063].

وقال د. كارم محمود عزيز تعليقاً على وصف لَوِيَاثَان (أيوب 1:41-34): "يركز هذا النص أيضاً على تقديم وصف لـ "لَوِيَاثَان" وإن كانت هناك إشارة إلى صراع الرب معه في داخل النص: "ضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ. لاَ تَعُدْ تَذْكُرُ الْقِتَالَ!" [(أيوب 8:41)]. ويبدو أن المؤلف، بوصفه الحي لـ "لَوِيَاثَان" - على لسان الرب، كان

يهدف إلى التذكير بعظمة الرب وقدرته، وإبراز الفارق بين "أيوب"- الإنسان الضعيف القنوط، وبين الرب القادر، الذي بقدرته ساس هذا المسخ الهائل المرعب واستأنسه، فالرب هو الذي "اصطاده بالشص" [(أيوب 41:1)]، و "تضرع إليه التنين وتكلم معه باللين" [(أيوب 41:3)] و "لعب به الرب كعصفور" [(أيوب 41:5)] و "ملأ جلده بالحراب" [(أيوب 41:7)]. وفي كل هذه إشارات للصراع الذي حدث بين الرب والتنين، وانتصار الرب عليه"، أي: "الصراع بين الرب والفوضى الأزلية - ممثلة في التنين، ثم تأتي بعد انتصار الرب مرحلةُ النظام الكوني - ممثلة في الخليقة نفسها"[5064].

وقال القمص تادرس يعقوب ملطى إن "لَوِيَاثَان" (أيوب 41:1) "يقصد به هنا الشيطان (أي: إبليس المتكبِّر الشرير عدو الخير)"[5065]! **[← لم تذكر قصةُ أيوب القرآنية لَوِيَاثَان (التِّنِّين أو الْحَيَّة الْهَارِبَة) الذي يرمز إلى الشيطان (إبليس) حسب الفكر المسيحي، وإنما ذكرت الشيطانَ صراحةً: "الشَّيْطَانُ" (ص 41)[5066]]**.

وكذلك الكائن الأسطوري أو شبه-أسطوري الذي يُسمَّى "بَهِيمُوثُ" (Behemoth) والذي وضعه كاتبُ سفر أيوب على لسان الله (أيوب 40:15)! فلقد قالت حاشية الترجمة اليسوعية تعليقاً على "بَهِيمُوث" (أيوب 40:15): "هذه صيغة الجمع لكلمة تعني "البهيمة". وهذه الصيغة تدلّ على البهيمة العظمى، أي على أيّ وحش كان. في الواقع، كثيراً ما رأى المفسّرون في بَهِيمُوث فيلاً أو جاموساً أسطورياً ورد ذكره في نصوص أوغاريت. أمّا هنا فإنّه يمثّل فرس البحر، رمز القوّة الوحشيّة التي يتحكّم فيها اللهُ والتي لا يستطيع الإنسانُ أن يُخضعها"[5067]. و "يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن بعض المفسرين فسروا هذه العبارة ["هُوَذَا بَهِيمُوثُ الَّذِي صَنَعْتُهُ مَعَكَ" (أيوب 40:15)] بمفهوم روحي، وأن هذا الحيوان يشير إلى الشيطان (أي: رمز لإبليس المتكبِّر الشرير عدو الخير)"[5068]! **[← لم تذكر قصةُ أيوب القرآنية بَهِيمُوث الذي يرمز إلى الشيطان (إبليس) حسب الفكر المسيحي، وإنما ذكرت الشيطانَ صراحةً: "الشَّيْطَانُ" (ص 41)[5069]]**.

ولنقرأ ما قاله "الكتاب اليهودي الدراسي" (Jewish Study Bible) تعليقاً على "بَهِيمُوث" (Behemoth) و "لَوِيَاثَان" (Leviathan) المذكورين على لسان الله في (أيوب 40-41)[5070]:

> [...] Behemoth (40.15-24) would seem to be a semi-mythological version of the hippopotamus and Leviathan ([41.1-34]) a semi-mythological version of the crocodile, both animals foreign to the Land of Israel and native to Egypt. Comparing the creatures' composition to inanimate materials, like metal, wood, and stone (e.g., 40.17-18; [41.24, 27]), has parallels in Mesopotamian descriptions of divine figures. Both Behemoth and Leviathan have been anticipated in the dialogues [by Job] ([12.7; 3.8 respectively]).

[…]

[…] The Talmud relates that in the messianic era the Leviathan will be slain and served as food at a banquet for the righteous, and its skin will be made into “sukkot” (festival booths) for the righteous (*b. B. Bat.* 74b-75a). In this conception, evil, symbolized by the monstrous creature, will be vanquished only in an idealized future.

ولنقرأ أيضاً ما قاله مرجع (The IVP Bible Background Commentary) تعليقاً على "بَهِيمُوث" (Behemoth) و "لَوِيَاثَان" (Leviathan) المذكورين على لسان الله في (أيوب 40-41)(5071):

40:15-24. Behemoth. Since about the seventeenth century Behemoth has traditionally been identified with the hippopotamus, which flourished in Egypt and much of Africa. The monarchs of Egypt hunted this animal, as depicted on numerous wall reliefs. The hippopotamus plays a role in many Egyptian myths, where it often symbolized enemy powers against the throne. There was even an Egyptian festival where a hippopotamus was ritually slain, symbolic of pharaoh’s enemies. The difficulty with this identification is that the description in the [Biblical] text is not particularly suitable to a hippopotamus (especially v. 40.17). Early intertestamental interpretation favors a mythical/supernatural identification (for instance, many would equate the beast and the dragon of Revelation to Behemoth and Leviathan). In Ugaritic literature the seven-headed dragon (see comment on 41:1 below) is paired with a creature identified as Arshu, also known as El’s calf, Atik.

[…]

41:1. Leviathan. Leviathan has often been identified as a crocodile, which were found mostly in Egypt (where it symbolized kingly power and greatness) but also sparsely in Palestine. However, the multiple heads in Psalm 74:14 and the fiery breath here in verses [Job 41:]19-21 make the

crocodile identification difficult. Alternatively Leviathan has been depicted as a sea monster (see Psalm 74:14; Isaiah 27:1). Support for this is found in Ugaritic texts which contain detailed descriptions of a chaos beast, representing the seas or watery anarchy, in the form of a many-headed, twisting sea serpent who is defeated by Baal. There is a close affinity between the description of Leviathan in Isaiah as a “coiling serpent” and the Ugaritic Baal epic, which speaks of how the storm god “smote Litan the twisting serpent.” In both cases there is a sense of the god of order and fertility vanquishing a chaos monster. Several other passages in the Old Testament mention Leviathan, but most of them, like Psalm 74:14, speak in terms of God’s creative act that establishes control over watery chaos (personified by the sea serpent). In Isaiah 27:1, however, that struggle between order and chaos occurs at the end of time. It may be that the fall of Satan, portrayed as a seven-headed dragon in Revelation 12:3-9, also echoes the Ugaritic image of Litan as “the tyrant with seven heads.” Biblically, Leviathan would therefore most easily fit into the category of “supernatural” creature (like cherubim) as opposed to natural or purely mythological. As such it may appear in extrabiblical mythology, as well as being symbolized by something like a crocodile (as in Ezekiel 29:3, though Leviathan is not specifically referred to in that context).

41:18-21. flame-emitting creatures. Flame-emitting creatures were known from Ugaritic myth of Baal against the sea (Yam). Yam’s terrible messengers terrorized the divine assembly by their fiery appearance. In the Gilgamesh Epic the guardian Huwawa is described by the phrase “his mouth is fire itself.”

40:15-24. بهيموث. منذ القرن السابع عشر كان بهيموث يُعْرَف بأنه [فرس النهر] الذي انتشر في مصر وبالأكثر في أفريقيا. وكان ملوك مصر يصيدون [فرس النهر] كما هو مرسوم على كثير من الجدران. ويلعب [فرس النهر] دوراً في الكثير من الأساطير المصرية حيث يرمز إلى قوات معادية تجاه العرش. وكان هناك احتفال في مصر كان يُذْبَح فيه [فرس النهر] ضمن ممارسات طقسية رمزاً لأعداء

فرعون. صعوبة هذا التعريف أن الأوصاف التي في النص [الكتابي] لا تناسب [فرس النهر] بشكل محدَّد (خاصة عدد [17:40]). وتفسير ما بين العهدين المبكِّر يفضِّل تعريفاً خيالياً أسطورياً (فمثلاً كثيرون يمكن أن يساووا بين وحش وتنين سِفْر الرؤيا مع بهيموث ولوياثان). ويتساوى الوحش الذي بسبعة رؤوس في الأدب الأوغاريتي مع مخلوق يُعْرَف بالأرشو Arshu وأيضاً يُعْرَف بالعجل إيل (أو: بعجل إيل) أتيك Atik (انظر الشرح اللاحق على 1:41).

[...]

1:41. لوياثان. يُعرَّف كثيراً بأنه تمساح. وكان يوجد في مصر أكثر (حيث يرمز لقوة ملكية وعَظَمة) ووجد لكن بعدد قليل في فلسطين. لكن الرؤوس الكثيرة في مزمور 14:74 ونَفَسه الناري في أعداد (أيوب 21-19:41) يجعل تعريفه صعباً. وكان لوياثان ظاهراً كوحش البحر (انظر مزمور 14:74؛ إشعياء 1:27) كما يوجد في نصوص أوغاريتية ما يؤيد هذا حيث تفاصيل وحش الفوضى تمثِّل [البحور] أو فوضى مائية في شكل ثعبان ذي رؤوس كثيرة يتلوَّى وقد هزمه بَعْل. وهناك وصف قريب بين وصف للوياثان في إشعياء "كحيّة متحوِّية" والملحمة الأوغاريتية بَعْل [التي] تتكلم عن [كيف هزم] إلهُ العاصفة ليتانَ Litan الْحَيَّةَ الْمُتَحَوِّيَةَ [...]. في الحالتين يوجد ما يفيد أن إلهيّ الخصب والنظام يهزمان وحش الفوضى. وهناك نصوص كثيرة في العهد القديم تذكر لوياثان ولكن أغلبها كما مزمور 14:74 تتكلم بمعنى عمل الله الخالق الذي أسَّس النظام على فوضى البحار (ممثلاً في الحيَّة البحر). وفي إشعياء 1:27 ينشأ الصراع بين النظام والفوضى في نهاية الأيام. قد يكون هذا هو سقوط الشيطان في صورة التِّنِّينِ ذي الرؤوس السبعة في رؤيا 12:3-9، ويردِّد أيضاً صورة أوغاريت لليتان "كوحش بسبعة رؤوس". ومن الناحية الكتابية فإن لوياثان متناسب بشكل كبير مع مخلوق "فائق الطبيعة" [(مثل الشاروبيم) عكس ما هو طبيعي أو أسطوري محض. وربما كذلك] جاء في مصادر أسطورية خارج الكتاب المقدَّس. هذا بالإضافة إلى الإشارة له بشيء مثل التمساح [(كما في حزقيال 3:29، على الرغم من عدم وجود إشارة محددة إلى لوياثان في ذلك السياق)].

21-18:41. كائنات تخرِج لهيبًا. كانت معروفة في أسطورة أوغاريت البَعْل ضد البحر (يم). أرسل الْيَمُّ [رسلَه] المزعجين الذين أزعجوا محفل الإله بمظهرهم الناري. ويُوصَف الحارس هواوا Huwawa في ملحمة جلجامش بعبارة "فمه نَفَسه نار" (أو: "فمه هو النار نفسها").

وإنْ قلتم إنَّ رَهَب وبَهِيمُوث ولَوِيَاثَان كائنات حقيقية لكن منقرضة! فسنقول: وهل يوجد أي دليل علمي يثبت وجود رَهَب وبَهِيمُوث ولَوِيَاثَان في الماضي؟! بعبارة أخرى: هل يوجد أي دليل علمي يثبت وجود أي كائن حقيقي في يومٍ من الأيام تنطبق عليه المواصفات المذكورة في سفر أيوب عن رَهَب وبَهِيمُوث ولَوِيَاثَان؟! الإجابة: لا يوجد. ثم إن كاتب سفر أيوب جعل اللهَ يتحدث عن لَوِيَاثَان كما لو كان موجوداً أيام أيوب، بدليل

أنه قال له: "ضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ" (أيوب 8:41)! فما الدليل العلمي على وجود لَوِيَاثَان أيام أيوب؟! وكذلك جعل كاتبُ السفر اللهَ يتحدث عن بَهِيمُوث كما لو كان موجوداً أيام أيوب، بدليل أنه قال له: "هُوَذَا بَهِيمُوثُ الَّذِي صَنَعْتُهُ مَعَكَ" (أيوب 15:40) "هَلْ يُؤْخَذُ مِنْ أَمَامِهِ؟ هَلْ يُثْقَبُ أَنْفُهُ بِخِزَامَةٍ؟" (أيوب 24:40)! فما الدليل العلمي على وجود بَهِيمُوث أيام أيوب؟! إذن: رَهَب وبَهِيمُوث ولَوِيَاثَان مجرد أساطير شرقية قديمة حتى يثبت العكس. وبما أنه لم يثبت العكس طوال أكثر من 2500 سنة. إذن: قلوبنا مطمئنة حين نقول إن رَهَب وبَهِيمُوث ولَوِيَاثَان مجرد أساطير شرقية قديمة تسللت إلى سفر أيوب. ثم قال الفكر المسيحي إن بَهِيمُوث ولَوِيَاثَان يرمزان للشيطان. ثم جاء صاحبُ رواية سورة ص و "جاب من الآخِر" فوضع كلمة "الشيطان" في روايته القرآنية: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" (ص 41).

قد يُقال: وما المشكلة أن يَستدعي كاتبُ سفر أيوب بعضَ الكائنات الأسطورية مثل رَهَب وبَهِيمُوث ولَوِيَاثَان ليتحدث عنها كرموز لقوى الشر أو الكبرياء أو الفوضى أو حتى كرموز لقوى الشيطان أو الموت من أجل تحقيق هدف نبيل وهو إعلان قدرة الله على أن يُخْضِع كل تلك القوى الفوضوية المتكبِّرة الشريرة قبل خلق العالم وفي نهاية العالم؟

طبعاً سؤال وجيه. والإجابة: المشكلة هي أن كاتب سفر أيوب لم يتحدث عن تلك الكائنات الأسطورية على أنها مجرد رموز، وإنما الفكر الديني – وبخاصة الفكر المسيحي – هو الذي قال إنها رموز. أما كاتب سفر أيوب فتحدَّث عنها كمخلوقات خلقها اللهُ مثلها مثل الوعول والأَيَائِل والنعامة والصقر والنسر والحمار الوحشي والثور الوحشي! أي: تحدَّث عنها ككائنات حقيقية ملموسة لها جسد ولَحْم وعظام وفم وأسنان وعُنُق وقَلْب ... الخ! اقرأ الوصف الطويل جداً لبَهِيمُوث (10 أعداد = أيوب 15:40-24) ولَوِيَاثَان (34 عدد = إصحاح كامل = أيوب 1:41-34)! فلو كان كاتبُ سفر أيوب شبَّه الشيطانَ ببَهِيمُوث ولَوِيَاثَان – كما فعل بطرس الرسول مثلاً حين شبَّه الشيطانَ بالأسد الجائع[5072] (1 بطرس 8:5) – لكان من الممكن أن نقتنع أن بَهِيمُوث ولَوِيَاثَان رمزان للشيطان. لكن كاتب سفر أيوب لم يفعل ذلك، وإنما تحدَّث عن بَهِيمُوث ولَوِيَاثَان باعتبارهما من ضمن مخلوقات الله ولم يذكر الشيطانَ نهائياً! بل وضع كاتبُ السفر هذين المخلوقين المرعبين بَهِيمُوث ولَوِيَاثَان في نهاية كلام الله لأيوب وكأنهما أعظم مخلوقين يفتخر اللهُ بهما ولا يمل من الحديث عنهما طويلاً في 44 آية (أيوب 15:40-24، 1:41-34) أي أكثر من عدد آيات سجل نسب يسوع المسيح في إنجيلي متى ولوقا مجتمعين (33 آية فقط) (متى 1:1-17) (لوقا 23:3-38)! فمثلاً قال اللهُ لأيوب عن لوياثان: "لاَ أَسْكُتُ عَنْ أَعْضَائِهِ (أي: لَنْ أتوقف عن وَصْفِ أطرَافِهِ)، وَخَبَرِ قُوَّتِهِ وَبَهْجَةِ عُدَّتِهِ (أي: تَنَاسُقِ قَامَتِهِ؛ حُسْنِ بِنيَتِهِ؛ شَكلِهِ الجَمِيلِ)" (أيوب 12:41)! "لَيْسَ لَهُ فِي الأَرْضِ نَظِيرٌ. صُنِعَ لِعَدَمِ الْخَوْفِ (أي: خُلِقَ لا يخاف مخلوقاً آخر)" (أيوب 33:41)! وكل هذا يؤكد أن سفر أيوب - أو على الأقل (أيوب 15:40-24، 1:41-34) - كلام بشر مزجوا بين الأساطير والحقائق وليس كلام الله الحقيقي.

ثم إن المشكلة لا تقتصر على أساطير رَهَب وبَهِيمُوث ولَوِيَاثَان (التِّنِّينِ أو الْحَيَّة الْهَارِبَة)، إذ توجد إشارات إلى أساطير شرقية قديمة أخرى في مواضع كثيرة في سفر أيوب. لكن حرصاً على عدم الإطالة، فإننا لن نشرحها بالتفصيل. على سبيل المثال، اقرأ التعليقات على (أيوب 38:1؛ 38:4-11؛ 38:17؛ 38:19؛ 38:22؛ 38:31-32)[5073].

ومع ذلك، فإننا نتفق مع دائرة المعارف الكتابية والمراجع المسيحية واليهودية الدفاعية الأخرى في أنه توجد طبعاً اختلافات بين ما جاء في سفر أيوب وما جاء في الأساطير الشرقية القديمة المشار إليها[5074]. فنحن لا نقول إنه حدث نقل مباشر من الأساطير، وإنما نقول ونؤكد أنه حدث تطور بشري طبيعي للأساطير (natural human development). وهذا أمر ضروري، على الأقل لحذف كل ما يتعلق بالوثنية والشرك في تلك الأساطير الشرقية القديمة. وفي جميع الأحوال، ما يهمنا هنا هو فقط الأساطير الشرقية القديمة المتعلقة بمشكلة الألم (Problem of suffering) ...

يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم"[5075]:

حكمة رجال الشرق: هناك تقليد قديم للحكمة في الشرق الأوسط القديم. وتقترب نصوص الحكمة مثل حكمة بتاح حتب (Ptah-Hotep) المصرية (2450 ق.م) وأمنموبي (Amenemope) ([حوالي] 1100 [ق.م]) والحكمة الأشورية أهيكار (Ahiqar) ([حوالي] 700 [ق.م]) بأجزاء من سفر الأمثال. وأما نصوص الحكمة الأطول مثل أيوب والجامعة فهي تشبه كثيراً في الشكل والمحتوى مع المناظرة المصرية بخصوص الانتحار (Egyptian Dispute over Suicide) ([حوالي] 2100 [ق.م]) والحوار البابلي بشأن البؤس الإنساني (Babylonian Dialogue about Human Misery) ([حوالي] 1000 [ق.م]). وحتى القصيدة الملحمية الكلاسيكية مثل جلجامش (Gilgamesh) وقصة نزول عشتار إلى الأرض السفلى (Ishtar's descent to the underworld) تحوي عناصر من أدب الحكمة (wisdom literature) الذي يتناول موضوعات مثل [حتمية موت كل إنسان] (human mortality) والاهتمام بالإنجاز الشخصي.

ويقول الباحث والمفكر الكبير "فراس السواح" في كتابه المهم "أساطير الأولين: القصص القرآني ومتوازياته التوراتية"[5076]:

أيوب في ثقافة الشرق القديم: إن فكرة المعذب الصابر الذي تأتيه البلايا من كل حدب وصوب على الرغم من تقواه وصلاحه، هي فكرة قديمة في الفكر الديني للمنطقة المشرقية. فلقد رأى إنسان الشرق القديم في المصائب والبلايا التي تحل على الأفراد عقاباً على الذنوب والخطايا. ولكن الحكماء المشرقيين على إيمانهم هذا، قد انشغلوا في

تأمل مسألة طرحت نفسها على الفكر الديني والفلسفي في معظم الثقافات، وهي ابتلاء أشخاص صالحين عاشوا حياة أخلاقية سوية، وأقاموا الصلوات وقرَّبوا القرابين لآلهتهم، وأدوا واجباتهم الاجتماعية على أكمل وجه. ولدينا عن مثل هذه التأملات نصَّان من ثقافة الشرق القديم: الأول سومري يعود إلى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، والثاني بابلي يعود إلى أواسط الألف الثاني قبل الميلاد.

4.20.2.2 أيوب الأول – أيوب السومري: رجلٌ وإلهه (A man and his God)

القصة الأولى جاءت في نص سومري قديم نشره العالم الكبير (Samuel Noah Kramer) تحت عنوان "رجلٌ وإلهه" (A man and his God) (Un homme et son Dieu)[5077]. كُتِب هذا النص أكثر من ألف سنة قبل كتابة سفر أيوب في العهد القديم، مما جعل العالم الكبير (Samuel Noah Kramer) يطلق عليه "أيوب" الأول (The First "Job") (Le premier "Job"). والقصة السومرية هنا تشبه إلى حد كبير قصة أيوب الكتابية←القرآنية: رجل كان غنياً وحكيماً وصالحاً ومحاطاً بالأقارب والأصدقاء، ثم يحل به المرض والمعاناة ولكنه لا ييأس من رحمة إلهه بل يصلي خاضعاً له [← **"أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ" (الأنبياء 83) (ص 41)]**. وكما يبدو من العنوان، فالنص يحتوي على مناجاة أو حديث منفرد (monologue) يتوجه به هذا الصالح المتألم إلى إلهه حتى يرحمه [← **"أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأنبياء 83)]**. في النهاية يستمع الإله لصلواته [← **"فَاسْتَجَبْنَا لَهُ" (الأنبياء 84)]** ويُخلِّصه من آلامه ويُحوِّل أحزانه الي أفراح [← **"فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ" (الأنبياء 84)]**.

هذا المثال يهدف إلى توضيح فكرة هامة من عقائد السومريين القدماء وهي أن يظل الإنسان يصلي ويُمجِّد إلهَه ويخضع له مهما حل به من آلام [← **وهذه الفكرة تشبه إلى حد كبير ما جاء به القرآن في القرن السابع الميلادي – أي بعد تاريخ كتابة الأسطورة السومرية بأكثر من 2000 عام: "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا [على البلاء الذي ابتليناه به]ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (أي: رجَّاع إلى الله في كل الأمور)" (ص 44)]**!

كما تؤكد القصة السومرية على معنى آخر لا يقل أهمية، إذ يقول المعذَّب الصابر (أيوب السومري): "لم يلد لامرأة طفل بلا خطيئة" (Never has a sinless child been born to its mother) (Jamais un enfant sans péché n'est sorti d'une femme)[5078]. وهو أيضاً نفس المعنى الذي جاء به الإسلام بعد ذلك بآلاف السنين: "كل ابن آدم خطاء"! إنه بالطبع اعتراف ضمني بخطيئة كل متألم "بار".

4.20.2.3 أيوب البابلي: الصالح المتألم (The Righteous Sufferer)

الصالح المتألم (The Righteous Sufferer) (Le Juste souffrant)[5079] – الذي يُعْرَف أيضاً بأول ثلاث كلمات فيه (Ludlul bel nemeqi) التي تعني "أريد أن أمدح سيد الحكمة" (أو: لأمتدحن إله الحكمة) – كُتِب نحو نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد؛ أي: قبل القرآن بأكثر من 1600 سنة! والهدف من هذا النص البابلي الوثني هو التأكيد على سمو الإله وحريته المطلقة التي يعجز الإنسانُ عن فهمها أو فهم المقاصد الربانية التي وراء ما يفعله الإله وأن هذا السر الغامض هو وحده الذي يمكن أن يفسر ما يبدو للإنسان أنه ظلم في هذه الحياة.

يحكي النص عن رجل صالح ملتزم بالتعاليم الدينية اسمه "شوبشي-ميشري-شاقان" (Shubshi-meshre-Shakkan) كان شخصية لها تأثيرها ونفوذها في بلاط أحد ملوك بابل. يبدأ النص بذكر النكبات التي حلَّت بشوبشي-ميشري-شاقان دون أن يكون قد عمل ما يستوجبها: ضياع ثروته وتوزيعها على الأوغاد والدهماء وفقدان مركزه الاجتماعي واحترام مواطنيه له. أضيف إلى كل ما سبق معاناته بسبب الآلام والأمراض التي ضربت أنحاء جسده لمدة طويلة حتى أن عائلته بدأت تبكيه وتُحضِّر جنازته وقبره. كل هذه النكبات والآلام التي لا يستحقها هذا المتألم البار ولا يعرف سببها جعلته يتوجه بمناجاة أو حديث منفرد (monologue) إلى الإله مردوخ (Marduk) **[⟵ "أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ" (الأنبياء 83) (ص 41)]** مادحاً له **[⟵ "أَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأنبياء 83)]** وطالباً منه أن يساعده ومتسائلاً لماذا تخلى عنه رغم كل صلواته وتضراعته.

ثم يحلم شوبشي-ميشري-شاقان ثلاثة أحلام متتالية؛ تظهر له فيها شخصيات تُطهِّره وتشفع له وتسأل العفو عنه. في النهاية، يرحمه الإلهُ مردوخ **[⟵ "أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأنبياء 83)]** ويستجيب لندائه **[⟵ "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ [...] رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا" (الأنبياء 84) "رَحْمَةً مِّنَّا" (ص 43)]** ويُخلِّصه تدريجياً من آلامه وأمراضه ويعيد له رخاءَه وسلامه وسعادته **[⟵ "فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ" (الأنبياء 84)]**.

ليس هذا فحسب، بل في الحلم الثاني يظهر كاهنٌ لشوبشي-ميشري-شاقان ويسكب عليه الماءَ ويحك جسدَه – أي يغسله بالماء **[⟵ "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ (أي: اضرب بِرِجْلِكَ الأرضَ ينبع لك منها عين ماء جارية!) هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ" (ص 42)]**! ولنقرأ هذا الجزء المهم من أسطورة أيوب البابلي[5080]:

A second time [I had a dream,] And in the dream I had at night A remarkable priest (Lit.: washed one) [was …] Holding in his hand a piece of purifying tamarisk wood. “Laluralimma, resident of Nippur,

Has sent me to purify you." The water he was carrying he poured over me, Recited the life-restoring incantation, and massaged [my body].
Pour la deuxième fois, [je vis un rêve], et, dans le rêve que je vis [cette nuit-là], un prêtre-lustrateur [apparut devant moi] qui tenait [dans sa] main le tamaris purificateur : « Tâb-outoul-Enlil (, me dit-il,) le purificateur de Nippour, m'a envoyé ici pour que je te purifie. » Il [versa] sur moi l'eau qu'il portait, il lança l'incantation de vie, et me frotta le corps.
وللمرة الثانية رأيت حلماً. وفي الحلم الذي رأيته في هذه الليلة ظهر لي كاهن مطهّر يمسك بيده المن المطهر إنه "تاب - أوتول - أنليل" مطهّر نيبور قال لي: لقد أرسلني إليك لأطهرك وسكب عليَّ الماء الذي يحمله وأطلق رقية الحياة وفرك جسدي

سؤال لكل إنسان عاقل: ما الفرق الجوهري بين قصة آلام أيوب السومري وقصة آلام أيوب البابلي وقصة آلام أيوب الكتابي←القرآني؟! طبعاً توجد اختلافات، لكننا لا نرى فرقاً جوهرياً بينها. فكلها قصص لا وجود لها إلا في التراث الديني، وليس لها أي وجود في الآثار التاريخية الحقيقية.

4.20.2.4 علم الإلهيات البابلي (The Babylonian Theodicy)

وفي نفس السياق يجب أن نذكر مثالاً ثالثاً وهو أيضاً من تراث بلاد ما بين النهرين (العراق القديم).

علمُ الإلهيات البابلي (The Babylonian Theodicy) (La Théodicée babylonienne)[5081][5082] كُتِب في بابل نحو نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد أو أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد – أي قبل الإسلام بأكثر من 1000 عام. يعالج النص مسئولية الآلهة في سعادة أو شقاء البشر عن طريق جدال (debate) يدور في شكل حوار (dialogue) منظوم كأبيات من الشعر (verse) بين صديقين مثقفين أحدهما (A) شكاك متشائم أما الآخر (B) فمتعبد متفائل. (A) مثله مثل أيوب الكتابي: جسده منهك فضعفت قوته وانتهى نجاحه فنضبت خيراته وتوقف رخاؤه. الأمر الذي جعله يتساءل هل يمكن أن يضمن حياة سعيدة؟ وما الوسيلة إلى ذلك؟ فيجيبه صديقه (B) أنه إذا التزم بالتعاليم الدينية مثل الصلوات وتقديم الذبائح، فسوف ترحمه الآلهة وتعطيه كل ما يرغب فيه. هذه هي العدالة الإلهية التي عليه أن يتوجه إليها دائماً. يتطور الجدال بعد ذلك إلى جدوى المحافظة على التعاليم الدينية أو الثقة بالعدالة الإلهية، فالحياة مليئة بالتناقضات: الأبرار يزدادون فقراً ووضاعةً بينما الأشرار يزدادون سعادةً وجاهاً، فإذا كانت الآلهة عادلة حقاً فكيف تسمح بهذا الظلم؟! كما أن (A) ظل طوال حياته ملتزماً بالتعاليم الدينية، ولكنها لم تمنع عنه الشقاء! فيرد (B) قائلاً إن الإنسان لا يمكنه أن يفهم المقاصد الربانية فهي بعيدة بُعد السماوات عن فهم الإنسان الأرضي الخاطي بطبيعته؛ وعلى أي حال، فعاجلاً أو آجلاً سوف يُعاقَب الظالمون أما الفضيلة فسوف تنال حظوتها. في نهاية الجدال، يَقبل (A) بسمو الإله وعجز الطبيعة البشرية وينصاع إلى الرحمة الإلهية فيَتوسل إلى الآلهة **[← "أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ" (الأنبياء 83) (ص 41)]** أن يشفقوا عليه ويساعدوه.

ويُفهَم من النص أن سبب التناقض بين العدل والظلم هو أن الآلهة التي يُفترَض أنها مسؤولة عن الحفاظ على العدل هي نفسها التي خلقت بشراً يميلون أحياناً إلى فعل الشر الذي يؤدي إلى الظلم. فما على الإنسان المتألم إلا أن يلجأ إلى عبادة الآلهة طالباً منهم أن يحموه!

أما نحن فنرى أن الإنسان يجب أن يفعل أكثر من ذلك. يجب على الإنسان أن يقاوِم الشر ويهزمه لكن بالخير. أو كما قال الرب يسوعُ المسيح في "الموعظة على الجبل" (Sermon on the Mount): "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ [بهذا الأسلوب]" (متى 5:38-39)، وقال القديس بولس الرسول: "كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ. [...] عَابِدِينَ الرَّبَّ، فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ، مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ، [...]. بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا. [...] مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا، غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ (أي: لَا تَتَكَبَّرُوا؛ لا تَطمَعوا في المَعالي) بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ. لاَ تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ. لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ (أي: غضب الله)، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي، يَقُولُ الرَّبُّ». «فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ». لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ" (رومية 12:9-21).

وفي نهاية عرضنا باختصار لأهم الأساطير الشرقية القديمة التي تتشابه مع قصة أيوب الكتابية←القرآنية، نكرر اعترافَنا بوجود اختلافات بين تلك الأساطير الشرقية القديمة وقصة أيوب الكتابية←القرآنية. فهذا أمر طبيعي، فلا يوجد كاتِب مبدع ينقل حرفياً مِن أعمال المبدعين الذين سبقوه؛ وإلا لاضطر كاتِبُ سفر أيوب أن يضع اسمَ الوثن مردوخ بدلاً من اسم الإله الحقيقي يهوه! وفي الواقع، فإن هذه الاختلافات تُذكِّرنا بالاختلافات بين قصة أيوب الكتابية وقصة أيوب القرآنية، مثل حذف كل ما يتعلق بشعور أيوب أن الله قد ظلمه ظلماً كبيراً، لأن هذا الشعور يتعارض تماماً مع سلوك الأنبياء في القرآن.

فكما أن قصة أيوب الكتابية ليست منقولة حرفياً من الأساطير الشرقية القديمة، وإنما هي مجرد تطور بشري طبيعي لها. كذلك فإن قصة أيوب القرآنية ليست منقولة حرفياً من قصة أيوب في الكتاب المقدس وفي التراث اليهودي-المسيحي، وإنما هي مجرد تطور بشري طبيعي لها.

أو بعبارة أخرى: الأساطير الشرقية القديمة **[← قصة أيوب في الكتاب المقدس وفي التراث اليهودي-المسيحي ← قصة أيوب القرآنية (الأنبياء 83-84) (ص 41-44)].**

4.20.3 هل أيوب الكتابي←القرآني شخص حقيقي تاريخي؟

يتضح من كل ما سبق، أن مشكلة المتألم البار حظيت باهتمام الديانات والحضارات الشرقية السابقة للإسلام، سواء الديانات الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية) أو الديانات الوثنية. ويتضح أيضاً أنه لا يمكن إنكار التشابه بين القصص الواردة في تراث تلك الديانات والحضارات الشرقية وقصة أيوب القرآنية. مما يؤكد أن القرآن مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للديانات والحضارات الشرقية التي تسبقه.

وفي الواقع، هناك نقطة أخرى يجب التوقف عندها: بعض القصص التي ذكرناها فيما سبق (مثل القصة السومرية "رجلٌ وإلهه") لا يوجد أي دليل يثبت أنها قصة حقيقية تاريخية، وإنما هي مجرد مثال توضيحي يهدف إلى التعليم والارشاد فقط. وهذا يجعلنا نكرر السؤال الذي سألناه من قبل: **هل قصة أيوب المذكورة في القرآن قصة حقيقية تاريخية؟** ما الدليل على أن أيوب شخص حقيقي تاريخي؟ ما نسبه أو اسمه بالكامل؟ أين عاش؟ ومتى؟ هل هناك أي نصوص تاريخية – أي: غير الكتاب المقدس والقرآن – ذكرت "أيوب" بالاسم؟ وإذا افترضنا أن أيوب شخص حقيقي تاريخي، فمَن هو؟ هل هو أيوب الثائر والمتمرد الذي نجده في الجزء الشعري في سفر أيوب؟ أم هو أيوب النبي الصابر والخاضع الذي نجده في القرآن؟ أيهما أصح ولماذا: القصة في الكتاب المقدس أم القصة في القرآن؟ لا نعلم ولا يمكن أن نعلم، لأنه لا توجد أي إشارات لأي أحداث تاريخية سواء في القصة الكتابية أو في القصة القرآنية. وتوجد أسئلة كثيرة أخرى

يجب على كل مؤمن بالقرآن أن يجيب عليها اجابات مقنعة – وبالأدلة العلمية – قبل أن يدعونا إلى الإيمان بأن القرآن كلام الله. فكل الأدلة التي أمامنا تجبرنا على الاعتراف بأن القرآن كلام بشر 100% وأنه ثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر من شخص. كما تجبرنا على الاعتراف أيضاً بأن "أيوب" مجرد شخصية أدبية غير تاريخية (literary, ahistorical character) "لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ" (أيوب 1:8، 3:2)، وهذه الشخصية الأدبية قد تطوَّرت بمرور الزمن من أيوب الثائر والمتمرد الذي نجده في الجزء الشعري في سفر أيوب، إلى أيوب الصابر في التراث اليهودي المتأخر ورسالة يعقوب والتراث المسيحي، إلى أيوب النبي الصابر والخاضع في القرآن، ثم إلى أيوب النبي المعصوم في التراث الإسلامي.

وأخيراً نقول: قبل أن نطالب المسلمين بإثبات نبوة أيوب، فإننا نطالبهم بإثبات تاريخيته. هل يوجد أي دليل علمي يثبت أن أيوب شخصية حقيقية تاريخية؟! كالعادة، فإن الإجابة: لا. وكالعادة أيضاً، يوجد اختلاف كبير جداً في الفترة الزمنية التي يُفترَض أن أيوب عاش فيها. فلقد قال البابا شنوده الثالث إن "أيوب الصِدِّيق عاش في الفترة ما بين نوح وإبراهيم، عاش في الفترة بين نوح وإبراهيم"[(5083)]. لكن في المقابل، تقول الموسوعة الكنسية التي أصدرتها كنيسة مارمرقص القبطية الأرثوذكسية التي يرأسها البابا شنوده الثالث: "ولد أيوب في عصر البطاركة إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وكان ذلك عام 1936 ق.م، أي بعد ميلاد إبراهيم وإسحق ويعقوب. وقد يكون من نسل عيسو [بن إسحاق بن إبراهيم]"[(5084)]! فأيهما نصدِّق؟! البابا شنوده الثالث؟ أم كنيسة مارمرقص القبطية الأرثوذكسية التابعة له؟! وقيل في التلمود إن أيوب كان معاصراً للآباء الأوَّلين[(5085)]، أي إبراهيم وإسحاق ويعقوب و/أو الأسباط. وقيل في الترجمة السبعينية - كما رأينا فيما سبق - إن أيوب هو يُوبَاب بْن زَارَحَ بن رعوئيل بن عيسو بن إسحاق بن إبراهيم. كما يُفْهَم أيضاً من التراث الإسلامي بصفة عامة أن أيوب كان من نسل إبراهيم، وزعم الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الأسبق) أن أيوب النبي "ينتهي نسبه إلى إسحاق بن إبراهيم - عليهما السلام - وكانت بعثته على الراجح بين موسى ويوسف - عليهما السلام"[(5086)][(5087)]! أما الباحث التونسي د. سامي عامري صاحب الكتاب الشهير "الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي – شبهات وردود"، فلم يعطنا دليلاً أركيولوجياً واحداً يثبت أن قصة أيوب القرآنية قصة حقيقية تاريخية! لكنه وضع أيوبَ من ضمن "الأنبياء في الألفية الأولى قبل الميلاد" أي بعد موسى بمئات السنين! ثم ختم دفاعَه الهزيل (أقل من خمس صفحات!) عن قصة أيوب القرآنية بقوله: "ليس في أخبار أيوب -عليه السلام- في القرآن ما لا بدّ أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجيّة. ليس في خبر القرآن عن أيوب -عليه السلام- ما يُخالف حقيقة تاريخيّة"[(5088)]. ونحن نقول له رداً على جملته الأولى: بما أنه مطلوبٌ منا أن نؤمن بكل كلمة في القرآن وإلا سنُحْرَق في نار جهنم إلى الأبد، فمن أبسط حقوقنا إذن أن نتساءل عن آثار أيوب في الكشوف الأركيولوجيّة! أما جملته الثانية، فالرد عليها أسهل، فهي تنطبق على كل المؤلفات الأدبية الخيالية التي "ليس فيها ما يُخالف حقيقة تاريخيّة"، ولا تعني أن ما قاله القرآنُ عن أيوب صحيح تاريخياً، وإنما قصة أيوب القرآنية ليست لها أية علاقة بالتاريخ أصلاً. فالقرآن لم يذكر زمانَ القصة ولا مكانها ولا حتى اسمَ بطلها بالكامل ولا اللغة التي كان يتحدث بها!

وهكذا نجد تضارباً واختلافاً كبيراً في تحديد زمان أيوب بين المؤمنين بتاريخيته. فأيهم نصدِّق؟! وأين نضع أيوبَ في تلك الفترة الزمنية الطويلة جداً والممتدة من نوح إلى ما بعد موسى بمئات السنين؟! بين نوح وإبراهيم؟! أم من نسل عيسو حفيد إبراهيم؟! أم بين يوسف وموسى؟! أم بعد موسى بمئات السنين؟!

وفي رأي آخر مختلف تماماً عن كل ما سبق، قيل في التراث اليهودي إن قصة أيوب مجرد مَثَل (parable) أو قصة رمزية (allegory) بل قصة خيالية (fiction):

+ “some [Jewish] rabbis saw the book [of Job] as a parable, composed by Moses, teaching that God tries the one God loves”(5089).

+ “Some [Jewish rabbis] said Job never existed and his story is an allegory”(5090).

+ “The folktale-like quality of the story of Job […] was suggested already in the Talmud: “Job never was and was never created; he was a fiction (or parable)” (*b. B. Bat.* 15a). […] Maimonides and others likewise took Job as a parable”(5091).

وعلى الرغم من أن كاتِب سفر أيوب قد حرص على أن يضع قصتَه في فترة الآباء الأوَّلين (قارن مثلاً بين (أيوب 3:1) التي تتحدث عن غنى أيوب الذي لا يُقاس بالذهب أو الفضة أو الأرض وإنما يُقاس بعدد مواشيه و (التكوين 14:26) التي تتحدث عن غنى إسحاق الذي يُقاس بنفس الطريقة)، إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أن أيوب كان معاصراً للآباء الأوَّلين، ولا يعني أيضاً أن أيوب شخص حقيقي تاريخي. أما الاستدلال بطول عُمْر أيوب (أيوب 16:42) من أجل وضعه في نفس زمان الآباء الأوَّلين إبراهيم وإسحاق ويعقوب الذين عاشوا طويلاً أيضاً (التكوين 7:25، 28:35، 28:47)، فهو في الواقع استدلال مضحك لأنه لا يدل على أن أيوب كان معاصراً لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وإنما يدل على أن شخصية "أيوب" شخصية مشكوك في تاريخيتها مثل شخصيات أخرى تُسمَّى "إبراهيم" و "إسحاق" و "يعقوب".

وفي جميع الأحوال، نحن لا نهتم كثيراً بالفترة الزمنية التي تدور فيها أحداثُ قصة أيوب، وإنما يهمنا الفترة الزمنية التي كُتِبَ فيها سفر أيوب ...

بصراحة نحن نتفق مع الرأي الذي يقول إن أيوب ليس شخصاً حقيقياً تاريخياً "لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ" (أيوب 8:1، 3:2) (أي: ليس له وجود حقيقي في الأرض)؛ وإنما قصته قصة رمزية تتجاوز حدود الزمان والمكان، ففي كل زمان ومكان يوجد متألم بار أو شخص تقي يعاني ولا يجد تفسيراً مقنعاً لآلامه. إلا أن قصة أيوب لا ترمز إلى آلام شخص معين هو "عبد الرب"، وإنما ترمز إلى آلام شعب معين هُمْ "عباد الرب" أو "شعب الله". إنها ترمز إلى معاناة اليهود في فترة السبي البابلي (Babylonian Exile) التي هددت وجود اليهود لكنها في الوقت نفسه مكّنتهم من الإطلاع على الأدب البابلي والسومري مثل علم الإلهيات البابلي وقصة أيوب البابلي (الصالح المتألم) وقصة أيوب السومري (رجلٌ وإلهه)، ومِن ثم استطاعوا أن يكتبوا سفرَ أيوب في فترة السبي البابلي (أي: القرن السادس قبل الميلاد) أو بعدها حتى القرن الرابع قبل

الميلاد. ولذلك فإن عدم ذِكْر الشريعة ولا الهيكل في سفر أيوب – والذي يُستخدَم أحياناً كدليل على أن السفر كُتِبَ قبل شريعة موسى – هو على العكس من ذلك يدل على أن كاتب السفر كان متأثراً بفترة السبي البابلي والتي هي أيضاً لم يكن فيها هيكل لليهود. إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أن اليهود الذين كتبوا سفرَ أيوب قد نقلوا من كتب التراث البابلي والسومري أو حتى قرأوها، وإنما يعني أنهم قد تأثروا بالأسئلة المحيرة التي تثيرها تلك الأعمال الشرقية القديمة والإجابات المتعددة والمختلفة التي تقترحها.

وتوجد أدلة في سفر أيوب نفسه تؤكد أن كتابة السفر بدأت في فترة السبي البابلي أو بعدها، مثل:

<u>الدليل الأول:</u> ذِكْرُ "الْكَلْدَانِيُّونَ" الذين "هَجَمُوا" في بداية قصة أيوب (أيوب 17:1) فيه إشارة إلى مَلِك الكلدانيين "نَبُوخَذْنَصَّر" (Nebuchadnezzar) الذي هَجَم على أورشليم ودمَّر الهيكل عام 586 ق.م وَسَبَى اليهود من أورشليم إِلَى بَابِلَ[5092]. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن عبارة "ثَلاَثَ فِرَق" المذكورة في سفر أيوب "الْكَلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلاَثَ فِرَق، فَهَجَمُوا عَلَى الْجِمَالِ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ" (أيوب 17:1) غير منطقية لأنه ليس من المعقول أن يعين الْكَلْدَانِيُّونَ جيشاً يتكون من "ثَلاَث فِرَق" لقتال غِلمان أيوب وسرقة جِماله! وإنما عبارة "ثَلاَثَ فِرَق" تُستخدَم في العهد القديم في سياق الحروب والمعارك والهجوم على شعبٍ أو سكان مدينة أو معسكر جيش من ثلاث جهات، وليس مجرد الهجوم على ممتلكات شخصٍ واحد مهما كان ثرياً! اقرأ مثلاً (القضاة 16:7؛ 20:7؛ 43:9) (1 صموئيل 11:11؛ 17:13) (2 صموئيل 2:18) (1 مكابيين 33:5). وكذلك لا يمكن تصديق عبارة "وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ" لأنها تكررت حرفياً على لسان أربعة أشخاص مختلفين: "وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ [...]، أَنَّ رَسُولًا جَاءَ إِلَى أَيُّوبَ وَقَالَ: «[...]، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «[...]، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «[...]، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «[...]، وَنَجَوْتُ أَنَا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ»" (أيوب 13:1-19)! وأصلاً كيف نجا هؤلاءُ الرسل الأربعة فقط بينما مات كُلُّ أبناء أيوب وكل بناته وكل غلمانه؟! الصنعة الأدبية واضحة جداً أمام كل إنسان عاقل. إنها أقرب إلى مسرحية خيالية منها إلى قصة تاريخية حقيقية!

<u>الدليل الثاني:</u> "وَرَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ (captivity) أَيُّوبَ" في نهاية القصة (أيوب 10:42) فيه إشارة إلى عودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم. وتعبير "ردّ سَبْي" مُسْتخدَم كثيراً في كلام النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم (إرميا 3:30، 11:33، 47:48، 6:49، 39:49).

<u>الدليل الثالث:</u> ترديد شخصيات الرواية كأيوب وغيره لِكلام النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم. قارنْ مثلاً بين (أيوب 3:3-11) و (إرميا 14:20-18). وقارنْ أيضاً بين (أيوب 4:6، 9:16، 13:16) و (مراثي إرميا 2:2-5، 16:2-17، 21:2، 10:3-15، 43:3). وكذلك قارنْ بين (أيوب

17-14:6) و (إرميا 18:15). وبين (أيوب 4:16) و (إرميا 16:18، 27:48) (مراثي إرميا 15:2). وبين (أيوب 16:16) و (مراثي إرميا 17:5). وبين (أيوب 7:19) و (إرميا 8:20). وبين (أيوب 9:19) و (مراثي إرميا 16:5). وبين (أيوب 24:19) و (إرميا 1:17). وبين (أيوب 21:7-9) و (إرميا 1:12-2). وبين (أيوب 9:30، 6:17) و (مراثي إرميا 14:3). وبين (أيوب 20:34) و (مراثي إرميا 6:4). وبين (أيوب 10:38-11) و (إرميا 22:5). وبين (أيوب 25:38-29) و (إرميا 22:14). وبين (إرميا 13:39-17) و (مراثي إرميا 3:4). وبين (أيوب 19:39-20) و (إرميا 27:51)[5093]. بل إن قيام أيوب بدور الشفيع قبيل خروجه من محنة الألم (أيوب 8:42-9) يُذكِّرنا بقيام إرميا بنفس الدور قبيل دخوله في محنة السجن (إرميا 3:37).

الدليل الرابع: تأمل الأسلوب الأدبي البديع الذي لجأ إليه بِلْدَدُ الشُّوحِيُّ حين استعان بمشهدٍ من الطبيعة يشبِّه الله بمصدر المياه ويشبِّه الإنسانَ بالنبات حتى يوضح التناقض بين مَن لا يتكل على الله ومَن يتكل على الله (يعتمد على مصدر الحياة) لينمو وينضر (أيوب 11:8-19)[5094]، وقارنه مع لجوء النبي إرميا إلى نفس الأسلوب الأدبي (إرميا 5:17-13) حتى يوضح التناقض بين مَن يتكل على الإنسان ومَن يتكل على الرَّبِّ "يَنْبُوع الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ" (إرميا 13:17، 13:2).

الدليل الخامس: حذَّر أليفازُ أيوبَ من الانسياق وراء "قلبه" يقصد: هواه. "«لِمَاذَا يَأْخُذُكَ قَلْبُكَ (أي: يَسْتَهْوِيكَ فِكْرُك)؟" (أيوب 12:15). وكذلك حذرنا النبي إرميا نفس التحذير في نفس الفقرة التي أشرنا إليها في الدليل الرابع (إرميا 5:17-13): "اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ (perverse) (يقصد: وأخبَثُ الأشياءِ)" (إرميا 9:17).

الدليل السادس: قال أيوبُ إن الشرير "بَقِيَّتُهُ تُدْفَنُ بِالْمَوْتَانِ (أي: ذُرِّيَّتُهُ تَمُوتُ بِالْوَبَاء أو بمرض يصيب الماشية؛ تُدْفَنُ جُثَّته - بل تُتْرَك - في حقارةٍ مثل البهائم)، وَأَرَامِلُهُ لاَ تَبْكِي (أو: وأرامِلُهم لا يَنُحْنَ علَيهِم)" (أيوب 15:27). وهذا كان قد حدث للملِك الشرير "يَهُويَاقِيمَ بْنِ يُوشِيَّا" (Jehoiakim son of Josiah) مَلِكِ يَهُوذَا قبل قبل الأخير (609-598 ق.م). كما يقول سفر إرميا: "لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ عَنْ يَهُويَاقِيمَ بْنِ يُوشِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا: لاَ يَنْدُبُونَهُ قَائِلِينَ: آهِ يَا أَخِي! أَوْ آهِ يَا أُخْتِي! لاَ يَنْدُبُونَهُ قَائِلِينَ: آهِ يَا سَيِّدُ! أَوْ آهِ يَا جَلاَلَهُ! يُدْفَنُ دَفْنَ حِمَارٍ (donkey; ass) مَسْحُوبًا وَمَطْرُوحًا بَعِيدًا عَنْ أَبْوَابِ أُورُشَلِيمَ" (إرميا 18:22-19)!

الدليل السابع: قال أيوبُ إن الرب (يهوه) "يَذْهَبُ بِالْمُشِيرِينَ أَسْرَى، [...]. يَحُلُّ مَنَاطِقَ الْمُلُوكِ، وَيَشُدُّ أَحْقَاءَهُمْ بِوِثَاقٍ. يَذْهَبُ بِالْكَهَنَةِ أَسْرَى، وَيَقْلِبُ الأَقْوِيَاءَ" (أيوب 17:12-19). وهذا كان قد حدث للملِك "صِدْقِيَّا" (Zedekiah) مَلِكِ يَهُوذَا الأخير (597-586 ق.م) بعد إعدام أولاده أَمَامَ عَيْنَيْهِ! كما يقول سفر إرميا: "فَسَعَى جَيْشُ الْكَلْدَانِيِّينَ وَرَاءَهُمْ، فَأَدْرَكُوا صِدْقِيَّا [...]، فَأَخَذُوهُ وَأَصْعَدُوهُ إِلَى نَبُوخَذْنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ [...]، فَكَلَّمَهُ بِالْقَضَاءِ عَلَيْهِ. فَقَتَلَ مَلِكُ بَابِلَ بَنِي صِدْقِيَّا (أي: أولاده) [...] أَمَامَ عَيْنَيْهِ، وَقَتَلَ مَلِكُ بَابِلَ كُلَّ

أَشْرَافِ يَهُوذَا (أي: كُلَّ رؤساءِ يهوذا). وَأَعْمَى عَيْنَيْ صِدْقِيَّا، وَقَيَّدَهُ بِسَلاَسِلِ نُحَاسٍ لِيَأْتِيَ بِهِ إِلَى بَابِلَ" (إرميا 39:5-7) "وَجَعَلَهُ فِي السِّجْنِ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِ" (إرميا 52:11)!

الدليل الثامن: تكرار أيوب لكلمة "جِهاد" (بالعبرية: tsaba): "أَلَيْسَ جِهَادٌ (term of service) لِلإِنْسَانِ عَلَى الأَرْضِ، وَكَأَيَّامِ الأَجِيرِ أَيَّامُهُ؟" (أيوب 7:1)؛ "إِنْ مَاتَ رَجُلٌ أَفَيَحْيَا؟ (أي: لو كانَ الإنسانُ يموتُ فيَحيا) كُلَّ أَيَّامِ جِهَادِي أَصْبِرُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بَدَلِي (أي: لانتَظَرتُ كُلَّ أَيَّامِ تَجَنُّدي حتَّى يأتِيَ زَمَنُ إعفَائِي)" (أيوب 14:14). "هذا المصطلح في اللغة العبرية يُستخدم في بعض الأحيان للإشارة إلى الخدمة العسكرية. كما يُستخدم أيضاً كإشارة إلى السبي البابلي (انظر [طَيِّبُوا قَلْبَ أُورُشَلِيمَ وَنَادُوهَا بِأَنَّ جِهَادَهَا قَدْ كَمُلَ، أَنَّ إِثْمَهَا قَدْ عُفِيَ عَنْهُ، أَنَّهَا قَدْ قَبِلَتْ مِنْ يَدِ الرَّبِّ ضِعْفَيْنِ عَنْ كُلِّ خَطَايَاهَا] (إشعياء 40:2) والتعليق)"[5095].

الدليل التاسع: يقول الكتاب المقدس الدراسي تعليقاً على (إرميا 31:29): "ظن كثيرون (أي: كثيرٌ من اليهود) في أيام إرميا وحزقيال أن عقاب الله لهم [بالسبي البابلي] لم يكن بسبب خطاياهم بل بسبب خطايا أسلافهم"[5096]؛ أي: حاول هؤلاء اليهود إلقاءَ اللوم على أجدادهم وآبائهم ليبرئوا أنفسهم من الخطايا! رفض أيوبُ هذه المحاولة: "[قيل إنَّ] اَللهُ يَخْزِنُ إِثْمَهُ (أي: إِثْمَ الشرير) لِبَنِيهِ (أي: لأولاده). [أما أنا فأقول:] لِيُجَازِهِ (أي: لِيُجَازِ الشريرَ) نَفْسَهُ فَيَعْلَمَ. لِتَنْظُرْ عَيْنَاهُ هَلاَكَهُ، وَمِنْ حُمَةِ الْقَدِيرِ (أي: غضب الله) يَشْرَبْ" (أيوب 21:19-20). ترجمة كتاب الحياة أكثر وضوحاً من ترجمة ڤاندايك: "أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ إِثْمَ الشِّرِّيرِ لأَبْنَائِهِ، لا! إِنَّهُ يُنْزِلُ الْعِقَابَ بِالأَثِيمِ نَفْسِهِ، فَيَعْلَمُ. [...]"[5097]. فنستطيع إذن أن نقول إن أيوب هنا يؤكد مبدأ "لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" أي "المحاسبة الشخصية" (Personal Accountability) أو "المسئولية الشخصية" (Personal Responsibility) أو "الجزاء الفردي" (Individual Retribution)، الذي تكرر كثيراً في سفر إرميا وسفر مراثي إرميا وسفر حزقيال: "أَنَا الرَّبُّ فَاحِصُ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى لأُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طُرُقِهِ، حَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ" (إرميا 17:10)؛ "الإِلهُ الْعَظِيمُ الْجَبَّارُ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ. عَظِيمٌ فِي الْمَشُورَةِ، وَقَادِرٌ فِي الْعَمَلِ، الَّذِي عَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَانِ عَلَى كُلِّ طُرُقِ بَنِي آدَمَ لِتُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طُرُقِهِ، وَحَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ" (إرميا 32:18-19)؛ "فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: الآبَاءُ أَكَلُوا حِصْرِمًا (أي: عنباً حامضاً)، وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ (أي: كَلَّتْ وضَعُفَتْ من تناول الحامض؛ are blunted). بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ. كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحِصْرِمَ تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ" (إرميا 31:29-30)؛ "لِمَاذَا يَشْتَكِي الإِنْسَانُ الْحَيُّ، الرَّجُلُ مِنْ قِصَاصِ خَطَايَاهُ (his own sins)؟ (أي: لِمَاذَا يَشْتَكِي الإِنْسَانُ الْحَيُّ حِينَ يُعَاقَبُ عَلَى خَطَايَاهُ فقط؟)" (مراثي إرميا 3:39)؛ "وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلًا: «مَا لَكُمْ أَنْتُمْ تَضْرِبُونَ هذَا الْمَثَلَ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، قَائِلِينَ: الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ؟ حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، لاَ يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدُ أَنْ تَضْرِبُوا هذَا الْمَثَلَ فِي إِسْرَائِيلَ. هَا كُلُّ النُّفُوسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الأَبِ كَنَفْسِ الابْنِ، كِلاَهُمَا لِي. اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. [...] اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ" (حزقيال 18:1-20). ويجب هنا أن نتذكر أن اسم

أيوب لم يُذْكَر في العهد القديم كله خارج سفر أيوب إلا في سفر حزقيال (حزقيال 14:12-20)؛ مما يؤكد عدم وجود أي دليل كتابي يثبت أن اسم أيوب كان معروفاً قبل حزقيال الذي وُلِدَ وكبر ونشأ أثناء خدمة النبي إرميا، ثم حُمِلَ حِزْقِيَالُ مسبياً مع زوجته من بين العشرة آلاف يهودي الذين اقتيدوا أسرى من يهوذا إلى بابل سنة 597 ق.م (2 ملوك 24:8-17).

<u>الدليل العاشر:</u> قال الباحث التونسي محمد يوسف إدريس المتخصص في علم الأديان المقارن: "إنّ تمزق أيوب بين الطاعة والجحود (أي: طاعة الإله والجحود بنعمته) كناية عن تمزق جماعة إسرائيل بين الربّ الإله وآلهة الشعوب المجاورة (بعل زبوب ...)، وبهذا المعنى إن الشيطان ما هو إلا رمز لآلهة شعوب أرض كنعان، أما العبد الصالح البار فليس إلا كناية عن شعب الله. [...] فإذا مواقف أيوب تختزل تذبذب جماعة إسرائيل بين الإيمان بالربّ الإله والكفر به"؛ "ففي **(العهد القديم)** كانت محنة أيوب مثلاً صَوَّرَ من خلاله الرواةُ صلةَ الربّ الإله بجماعة إسرائيل تصويراً مجازياً، [...]، فمثلما راوح أيوب بين الكفر والإيمان راوحت الجماعة بين الإيمان والكفر، فإذا ضعف أيوب دال على تمزق اليهود بين طاعة الله والتمرد عليه"؛ "مراوحة أيوب بين التجديف على الله والامتثال لأحكامه تعبير رمزي عن علاقة بني إسرائيل بربهم؛ إذ راوح بنو إسرائيل بين الكفر والإيمان أكثر من مرة"[5098]. وطبعاً نحن نتفق معه 100% في أن أيوب يرمز إلى اليهود شعب الله. أما الشيطان فيرمز إلى أعداء اليهود ويرمز أيضاً إلى كل ما يُعْبَد من دون الله، مثل النجوم أو القمر أو الشمس (أيوب 31:26-28) (حزقيال 8:16)، أو الوثن البابلي "تَمُّوز" (Tammuz) الذي سقط بعضُ اليهود في عبادته من دون الله أيام النبي حزقيال (أوائل القرن السادس ق.م). فلقد رأى حزقيال في رؤياه أن النساء اليهوديات كن جالسات على الباب الشمالي من الهيكل نائحات على مَصْرع الإله تموز "يَبْكِينَ عَلَى تَمُّوزَ" (حزقيال 8:14)!

<u>الدليل الحادي عشر:</u> ذُكِرَ معدنُ "الحديد" (iron) 5 مرات في سفر أيوب: على لسان أيوب (أيوب 19:24)، على لسان صُوفَر (أيوب 20:24)، في قصيدة الحكمة التي تُنْسَب إلى أيوب أو أليهو أو الراوي كاتِب السفر (أيوب 28:2)، ومرتين على لسان الله (أيوب 40:18، 41:27)؛ مما يدل على أن استخراج الحديد من الأرض (أيوب 28:2) بغرض استخدامه في صناعة الأدوات المختلفة مثل الأسلحة (أيوب 20:24) وأدوات النقر أو الحفر (أيوب 19:24) كان شائعاً جداً آنذاك. يقول الكتاب المقدس الدراسي: "لم يكن استخدام الحديد شائعاً في الشرق الأوسط القديم حتى القرن الثاني عشر ق.م. ولكن يُذْكَر شيء عن استخدامات محدودة له في وقت مبكر يقارب عام 2000 ق.م. تقريباً"[5099]. ويقول قاموس الكتاب المقدس: "وقد حدث أول صهر الحديد نحو 1400 ق.م.، وربما كان ذلك في هضاب آسيا الصغرى الحثية"، "وكان الحديد قد بدأ يعم استعماله في القرن الحادي عشر قبل الميلاد"[5100]؛ أي: في أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد. وتقول موسوعة (Encyclopædia Judaica) إن الحديد لم يُنْتَج بكميات كبيرة إلا في القرن العاشر قبل الميلاد[5101]؛ أي: في أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد. وهذا كله يُقَوِّي الرأي الذي يقول إن زمان أيوب يرجع

إلى الألفية الأولى قبل الميلاد، وليس بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. ومما يعطي قوةً أكثر لهذا الرأي أنه في 4 مرات جاء ذِكْرُ معدن "النحاس" (copper) مع الحديد (أيوب 24:20، 2:28، 18:40، 27:41). وفي الألفية الأولى قبل الميلاد، كان النحاس يُستخدَم مع الحديد في صناعة البوابات والعوارض، كما نقرأ في المزمور 107 الذي كُتِبَ على الأرجح بعد السبي البابلي (أي: بعد 538 ق م): "مَصَارِيعَ نُحَاسٍ [...] عَوَارِضَ حَدِيدٍ" (المزامير 16:107)، وكما نقرأ أيضاً في سفر إرميا: "هَلْ يَكْسِرُ الْحَدِيدُ الْحَدِيدَ الَّذِي مِنَ الشِّمَالِ وَالنُّحَاسَ؟" (إرميا 12:15).

<u>الدليل الثاني عشر:</u> قال أليهو إن الله "يُحَطِّمُ الأَعِزَّاءَ مِنْ دُونِ فَحْصٍ، وَيُقِيمُ آخَرِينَ مَكَانَهُمْ. لكِنَّهُ يَعْرِفُ أَعْمَالَهُمْ، وَيُقَلِّبُهُمْ لَيْلًا (أو: فِي لَيلَةٍ؛ in a night) فَيَنْسَحِقُونَ. لِكَوْنِهِمْ أَشْرَارًا" (أيوب 24:34-26). وهذا كان قد حدث عام 539 ق.م للمِلِك الوثني "بَيْلْشَاصَّر" (Belshazzar) آخر ملوك بابل الذي "أولم وليمةً مدة حصار مدينة بابل لعظمائه واستعمل [في شرب الخمر] آنيةَ الهيكل [اليهودي] التي غنمها نَبُوخَذْنَصَّر [من أورشليم]، وفي وسط الوليمة ظَهَرَتْ أَصَابعُ يَدِ إِنْسَانٍ وكتبت على الحائط "مَنَا مَنَا تَقَيْلُ وَفَرْسِينُ" (دانيال 25:5). ولمَّا عجز حكماء وسحرة الكلدانيين عن قراءة أو تفسير الكتابة، أستدعي دانيال لتفسير هذه الكتابة التي ظهرت أنها نبوة بموت الملك وانقلاب المملكة. وحدث ذلك في الليلة التالية"[5102] إذ سقطت المدينة في أيدي الفرس الغزاة، كما يقول سفر دانيال: "فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ قُتِلَ بَيْلْشَاصَّرُ مَلِكُ الْكَلْدَانِيِّينَ" (دانيال 30:5). وهكذا فِي لَيلَةٍ (in a night) سقط الملك بَيْلْشَاصَّر من مجد الوليمة إلى هاوية الهزيمة وتحولت المملكة من أيدي البابليين إلى أيدي الفارسيين. ولذلك قال أليهو لأيوب: "وَيُقِيمُ آخَرِينَ مَكَانَهُمْ" (أيوب 24:34).

<u>الدليل الثالث عشر:</u> قال أيوب: "لَيْتَ كَلِمَاتِي الآنَ تُكْتَبُ. يَا لَيْتَهَا رُسِمَتْ فِي سِفْرٍ، وَنُقِرَتْ إِلَى الأَبَدِ فِي الصَّخْرِ بِقَلَمِ حَدِيدٍ وَبِرَصَاصٍ" (أيوب 23:19-24). عبارة "نُقِرَتْ إِلَى الأَبَدِ فِي الصَّخْرِ" ربما تلمِّح إلى "نقش بيستون" (Behistun inscription) الذي أقامه المَلِكُ الفارسي "دَارِيُوس" (Darius of Persia) (Darius I) (Darius the Great) (عهده: من 522 أو 521 ق.م إلى 486 ق.م) ليسجل انتصاراته في أواخر القرن السادس قبل الميلاد[5103]، أي: بعد السبي البابلي.

<u>الدليل الرابع عشر:</u> تسمية بنات أيوب في نهاية القصة بأسماء العطور وأدوات التجميل النسائية: "[...] وَاسْمَ الثَّانِيَةِ قَصِيعَةَ (Keziah) (أي: كاسيا Cassia وهي من أثمن العطور الطيبة القديمة)، وَاسْمَ الثَّالِثَةِ قَرْنَ هَفُّوكَ (Keren-happuch) (أي: إناء كُحْل لتجميل العيون)" (أيوب 14:42). فهذا يُذكِّرنا بعادات الفارسيين. فلقد "لاحظ توماس رو Thomas Roe في سفرياته أن الفارسيين اعتادوا أن يعطوا نسائهم أسماء تعني عطورًا أو أطياب أو لآلئ أو حجارة كريمة أو أي شيء جميل ومبهج"[5104]. وكذلك التركيز على جمال بنات أيوب: "وَلَمْ تُوجَدْ نِسَاءٌ جَمِيلاَتٌ كَبَنَاتِ أَيُّوبَ فِي كُلِّ الأَرْضِ" (أيوب 15:42) يُذكِّرنا بالتركيز على جمال الفتاة اليهودية-الفارسية "أستير" (Esther) حسب سفر أستير (Book of Esther) الذي تدور أحداثه في فارس في القرن الخامس قبل الميلاد، أي: بعد السبي البابلي: "وَكَانَتِ الْفَتَاةُ جَمِيلَةَ

الصُّورَةِ وَحَسَنَةَ الْمَنْظَرِ" (أستير 7:2) "وَكَانَتْ أَسْتِيرُ تَنَالُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ كُلِّ مَنْ رَآهَا" (أستير 15:2) "فَأَحَبَّ الْمَلِكُ أَسْتِيرَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النِّسَاءِ، وَوَجَدَتْ نِعْمَةً وَإِحْسَانًا قُدَّامَهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الْعَذَارَى" (أستير 17:2). وكما أنه لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن قصة أيوب حقيقية تاريخية، كذلك لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن قصة أستير حقيقية تاريخية. وإنما هما قصتان أدبيتان رائعتان تهدفان إلى توصيل رسالتين متكاملتين: قصة أيوب تركز على دور الله في خلاص الإنسان من عدوه (الشيطان) بينما قصة أستير تركز على دور الإنسان في خلاص نفسه وخلاص شعبه من عدوه (هامان). وحسناً فعل الكتابُ المقدس العربي حين وضع سفرَ أيوب بعد سفر أستير مباشرةً، لأنهما بالفعل سفران يُكمِّلان بعضهما بعضاً.

الدليل الخامس عشر: الجملة التي قالها صُوفَرُ لأيوب: "فَتَعْلَمَ أَنَّ اللهَ يُغَرِّمُكَ (أي: يُعَاقِبُكَ) بِأَقَلِّ مِنْ إِثْمِكَ" (أيوب 6:11). إنها تذكِّرنا على الفور بالجملة التي قالها الكاهن والكاتب اليهودي عزرا (Ezra) الذي لعب دوراً مهماً في عودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم في القرن الخامس قبل الميلاد: "وَبَعْدَ كُلِّ مَا جَاءَ عَلَيْنَا لأَجْلِ أَعْمَالِنَا الرَّدِيئَةِ وَآثَامِنَا الْعَظِيمَةِ، لأَنَّكَ قَدْ جَازَيْتَنَا يَا إِلهَنَا أَقَلَّ مِنْ آثَامِنَا وَأَعْطَيْتَنَا نَجَاةً كَهذِهِ" (عزرا 13:9). وعلى الرغم من أنها حكمة صحيحة بصفة عامة وقد تدل على رحمة الله، إلا أنها استخدمت في الموضعين لتدل على بشاعة خطايا الإنسان/أيوب (أيوب 6:11) وبشاعة خطايا الشعب/اليهود (عزرا 13:9).

الدليل السادس عشر: يُفْهَم من التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس أن سفر أيوب كُتِبَ في القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، إذ يقول: "لم يتم وضع علامات الترقيم للنصّ العبري للعهد القديم، إلا في القرن السادس بعد الميلاد؛ أي بعد حوالي ال 1000 سنة على كتابة سفر أيوب"؛ و "بعد 3 أو 4 قرون من كتابة سفر أيوب، يصرخ يسوع على الصليب سائلاً الله لماذا تخلى عنه"[5105]. إذن: سفر أيوب كُتِبَ في القرن الرابع قبل الميلاد، وربما القرن الثالث قبل الميلاد. أما خطابات أليهو فهي "إضافة لاحقة إلى السفر تعود إلى حوالي القرن الثالث ق.م [...]، أي في المراحل الأخيرة من تطور تأليف سفر أيوب"[5106].

وخير ما نختم به دراستنا هو ما قاله (Prof. Christopher B. Hays)[5107]:

> Viewed in historical perspective, the tensions that persist beyond the end of the book of Job are probably anything but accidental. Who in the ancient Near East was any more qualified to cry out to their God than the desolated Judeans in Babylon, whose city was in ruins and whose whole culture was on the brink of annihilation? Job's theological depth and complexity are likely a direct result of the exilic experience – not only in that suffering led to more impassioned questioning and a refusal to embrace easy answers, but also in that the exposure to Babylonian culture

brought the Judean thinkers into more direct conversation with a whole range of other people's ideas about the gods and their ways.

ونظراً لأن معاناة اليهود في فترة السبي البابلي تشبه إلى حد كبير معاناة المسلمين الأوائل في مكة، استدعى أصحابُ القرآن قصةَ أيوب من التراث اليهودي-المسيحي، وطوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً كما رأينا، وأدخلوها في القرآن لأنها تدعو صراحةً إلى الصبر "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ" (ص 44). تدعو صراحةً إلى الصبر إلى أن يتدخل الربُّ وينصر عباده المسلمين الأوائل على أعدائهم كفار قريش ومشركيها، كما نصر "عبدَه" أيوب على عدوه الشيطان. إنها بالفعل "رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ" (الأنبياء 84) "رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" (ص 43). وليست قصة حقيقية تاريخية.

4.21 مدخل لقصة يُوسُفَ: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ

"يوسف" (Joseph) هو النبي ابن النبي "يعقوب" (Jacob) – الذي يُسمَّى أيضاً "إسرائيل" (Israel) – ابن النبي "إسْحَاق" (Isaac) ابن النبي "إبراهيم" (Abraham) الخليل. فهو النبي الوحيد في القرآن – بل في الإسلام كله – الذي يتميز بأنه نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي!

ذكر القرآنُ يوسفَ 27 مرة (= 3 * 3 * 3)[5108]؛ مِنهم 25 مرة (= 5 * 5) في سورة مكية تحمل اسمه: سورة يوسف. فهو واحد من الأنبياء القلائل الذين لهم سور في القرآن تحمل أسماءهم. إلا أن يوسف هو النبي الوحيد في القرآن الذي يتميز بأن قصته وردت كاملة في مكانٍ واحد (سورة يوسف) دون تكرار في مواضع أخرى، على الرغم من طولها واحتوائها على قدر كبير من التفاصيل[5109].

ومِن المعلوم أن قصة يوسف مِن القصص المشتركة بين الديانات الإبراهيمية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام.

ومِن حُسن الحظ أن العهد الجديد قد أعطانا ملخصاً جيداً لقصة يوسف: "وَأَعْطَاهُ (أي: أعطى اللهُ لإبراهِيمَ) عَهْدَ الْخِتَانِ، وَهكَذَا وَلَدَ [إبْرَاهِيمُ] إسْحَاقَ وَخَتَنَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبُ وَلَدَ رُؤَسَاءَ الآبَاءِ الاثْنَيْ عَشَرَ (أي: الآباء الأوَّلين؛ يوسفَ وإخوته). وَرُؤَسَاءُ الآبَاءِ (يقصد: إخوة يوسف الكبار غير الأشقاء) حَسَدُوا يُوسُفَ وَبَاعُوهُ [مِن كنعان (حالياً: إسرائيل/فلسطين)] إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ اللهُ مَعَهُ (أي: مع يوسف)، وَأَنْقَذَهُ مِنْ جَمِيعِ ضِيقَاتِهِ، وَأَعْطَاهُ نِعْمَةً وَحِكْمَةً أَمَامَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، فَأَقَامَهُ مُدَبِّرًا عَلَى مِصْرَ وَعَلَى كُلِّ بَيْتِهِ. ثُمَّ أَتَى جُوعٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ وَكَنْعَانَ، وَضِيقٌ عَظِيمٌ، فَكَانَ آبَاؤُنَا لاَ يَجِدُونَ قُوتًا. وَلَمَّا سَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّ فِي مِصْرَ قَمْحًا، أَرْسَلَ آبَاءَنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ. وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ اسْتَعْرَفَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ، وَاسْتَعْلَنَتْ عَشِيرَةُ يُوسُفَ لِفِرْعَوْنَ. فَأَرْسَلَ يُوسُفُ وَاسْتَدْعَى أَبَاهُ يَعْقُوبَ وَجَمِيعَ عَشِيرَتِهِ، خَمْسَةً وَسَبْعِينَ نَفْسًا. فَنَزَلَ يَعْقُوبُ [مِن كنعان] إِلَى مِصْرَ وَمَاتَ هُوَ وَآبَاؤُنَا" (أعمال الرسل 7:8-15).

ونظراً لطول قصة يوسف القرآنية، فإننا سنقسمها إلى ثلاثة فصول:

- الفصل الأول (يوسف 4-20) يحكي كيف رُمِيَ يوسفُ في البئر ظلماً ثم بِيعَ كعبدٍ في مصر.
- الفصل الثاني (يوسف 21-57) يروي دخول يوسف السجن ظلماً ثم صعوده إلى السلطة في مصر بسبب قدرته على تفسير حلم ملك مصر بعد أن عجز كبراءُ مصر وحكماؤها عن تفسيره!
- الفصل الثالث (يوسف 58-101) يحكي رحلات إخوة يوسف بين كنعان ومصر ذهاباً وإياباً التي أدت إلى هجرة بني إسرائيل كلهم مِن كنعان إلى مصر واستقرارهم فيها!

ومع أن الفصل الثاني ليس أطول الفصول، إلا أننا نرى – ويرى آخرون أيضاً – أنه أهم الفصول. ولذلك فإنه يمكن تقسيمه إلى ستة فصول فرعية[5110] كما يوضح الجدول التالي:

جدول 25 – أهم أحداث قصة يوسف القرآنية كما جاءت في سورة يوسف

الفصل	الآيات	أهم أحداث قصة يوسف القرآنية كما جاءت في سورة يوسف
1	6-4	رؤيا يوسف
	20-7	تآمر إخوة يوسف الكبار عليه مما أدى إلى رَميه في البئر وبَيعه كعبدٍ لعزيز مصر
2	22-21	صعود نسبي ليوسف في بيت العزيز "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" (21)
	35-23	امرأة العزيز تراود يوسفَ عن نفسه. "كَيْد" النسوة يجعل يوسف يفضل السجن!
	42-36	يوسف في السجن يدعو إلى التوحيد! ويفسر رؤيا سجينين
	49-43	يوسف في السجن يفسر رؤيا مَلِك مصر بعد أن عجز كبراءُ مصر عن تفسيرها
	53-50	النسوة يعترفن ببراءة يوسف. امرأة العزيز تعترف بذنبها وببراءة يوسف
	57-54	يوسف يخرج من السجن ويصبح فجأة الرجل الثاني في مصر؛ بعد المَلِك فقط! صعود مطلق ليوسف في مصر "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" (56)
3	99-58	إخوة يوسف الكبار يعترفون بذنبهم وبفضل يوسف وسلطته. ويوسف يسامحهم. هجرة بني إسرائيل كلهم مِن كنعان إلى مصر واستقرارهم فيها!
	101-100	رؤيا يوسف تتحقق: "هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا" (100)

إنها بالفعل قصة قرآنية ممتعة. لكنها تعاني مِن مشكلات كثيرة سنناقشها بالتفصيل. ومِن أهم تلك المشكلات أسطورة "عصمة الأنبياء" سواء قبل النبوة أو بعدها.

فهيا بنا نبدأ رحلتنا الطويلة مع يوسف "النبي" ...

4.22 هل الأنبياء معصومون؟ قَالُوا اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا!

نبدأ أولاً بالفصل الأول مِن قصة يوسف حيث نتحدث عن الفترة التي قضاها يوسفُ وَهُوَ غُلاَمٌ مع أبيه يعقوب وإخوته الأحد عشر قبل مجيئه مِن كنعان إلى مصر (يوسف 4–20). فكما قلنا: كان ليوسف 11 أخاً؛ مِنهم 10 غير أشقاء (أي: إخوته لأبيه فقط) أكبر مِنه سناً وواحد فقط شقيق أصغر مِنه سناً. وكان ليوسف أخت غير شقيقة أكبر منه اسمها "دِينَة" (Dinah) وربما كان له أخوات أخريات (التكوين 35:37، 7:46)، لكن القرآن تجاهلهن. ولذلك فإننا حين نقول "إخوة يوسف"، فإننا نقصد الذكور فقط. وكذلك حين نقول "يوسف وإخوته" = "أولاد يعقوب" = "أبناء يعقوب"، فإننا نقصد الذكور فقط وعددهم 12 كما قلنا وهو نفس ترتيب سورة يوسف في المصحف (Q 12)! أما ترتيب أبناء يعقوب حسب السن فهو: رَأُوبَيْن، شِمْعُون، لاَوِي، يَهُوذَا، دَان، نَفْتَالِي، جَاد، أَشِير، يَسَّاكَر، زَبُولُون، يُوسُف، بَنْيَامِين. انظر الجدول التالي:

جدول 26 – نساء يعقوب الأربع وأبناؤه الاثنا عشر (التكوين 29:31-35، 30:1-24، 35:16-18، 35:23-26)

نساء يعقوب	الزوجة لَيْئَةُ (Leah)	الجارية بِلْهَة (Bilhah)	الجارية زِلْفَةُ (Zilpah)	الزوجة رَاحِيلُ (Rachel)
أبناء يعقوب (Jacob's Sons)	رَأُوبَيْن (Reuben) شِمْعُون (Simeon) لاَوِي (Levi) يَهُوذَا (Judah) يَسَّاكَر (Issachar) زَبُولُون (Zebulun)	دَان (Dan) نَفْتَالِي (Naphtali)	جَاد (Gad) أَشِير (Asher)	يُوسُف (Joseph) بَنْيَامِين (Benjamin)

تبدأ قصة يوسف القرآنية برؤيا رآها الغلام الصغير يوسف وهو نائم مثل الحمل الوديع ...

رؤيا يوسف: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ [يعقوب أثناء غياب إخوته] يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ [في منامي] أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا (أي: إخوته) وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ (أي: أباه وأمه؛ أو: أمه وأباه) رَأَيْتُهُمْ [جميعاً] لِي سَاجِدِينَ {4} قَالَ [يعقوبُ ليوسف] يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ [العشرة الكبار؛ غير الأشقاء] فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا (أي: لئلا يحسدوك ويعادوك فيحتالوا عليك ويدبروا مؤامرةً ضدك لإهلاكك)ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ {5} وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ (أي: وكما اصطفاك رَبُّكَ بالرؤيا يختارك أيضاً) وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ (أي: تفسير الأحلام تفسيراً سليماً فتحدث في الواقع كما تفسرها) وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ (قيل: النعمة الإلهية بالنبوة والرسالة؛ وقيل: نعمة المُلْك والرياسة كما تدل عليه الرؤيا التي رآها يوسف؛ وقيل: النعمتان النبوة والمُلْك) وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ [النبيّين] إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {6}.

إخوة يوسف غير الأشقاء يتآمرون عليه في جلسةٍ سرية خاصة: لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ {7} إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ [شقيقُه الأصغر بنيامين] أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا [كُلِّنا] وَنَحْنُ عُصْبَةٌ (أي: جماعةٌ أكثر عدداً وأكبر سناً وأقوى وأنفع لأبينا مِنهما) إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (أي: خَطَأٍ بَيِّنٍ) {8} اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا (أي: انبذوه في أرضٍ بعيدة مجهولة لأبيكم) يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ (أي: يَصفُ ويَخْلُصُ لكم حب أبيكم وإقباله عليكم فلا يلتفت عنكم إلى غيركم) وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ (أي: مِن بَعْد قَتْل يوسف أو نفيه) قَوْمًا صَالِحِينَ (أي: تستغفروا اللهَ وتتوبوا إليه وتعتذروا لأبيكم؛ أو: ناجحين في أمور دنياكم لذهاب ما كان يؤرقكم ويغيظكم) {9} قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ [فهو أخونا والقتلُ ذنبٌ كبير] وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ (أي: ارموه في جوف البئر الذي يغيب عن رؤية البصر؛ في قاع البئر المظلم؛ وقيل: في حُفْرَةٍ بجانب البئر) يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ (أي: المسافرين الذين يسيرون في الأرض لمسافاتٍ طويلة مِن أجل التجارة، فيأخذونه معهم إلى مكانٍ بعيد) إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ [الصوابَ فهذا هو الصواب إنْ كُنتُمْ بالفعل عازمين على التفريق بين يوسف وأبينا] {10}.

إخوة يوسف العشرة الكبار ينفذون مؤامرتهم على أخيهم يوسف على ثلاث مراحل. ويوسف صامتٌ تماماً لا ينطق بكلمةٍ واحدة وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ[5111]!

- **المرحلة الأولى: راودوا أباهم وخدعوه داخل بيته.** قَالُوا (أي: قال إخوةُ يوسف لأبيهم يعقوب بعد أن اتفقوا على نفي يوسف) يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا (أي: لا تأتمنا) عَلَىٰ يُوسُفَ [وتخاف عليه منا وتبعده عنا] وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ[5112] {11} أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا [إلى المراعي] يَرْتَعْ (أي: ينعم بأكل ما طاب من الفاكهة وغيرها؛ يَسْعَ وينشط ويفرح) وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[5113] {12} قَالَ [لهم أبوهم يعقوب] إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ [بعيداً عني] وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (أي: بسبب اشتغالكم بشئون أنفسكم؛ بسبب قلة اهتمامكم برعايته وحفظه) {13} قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (أي: فاشلون لا خير فينا ولا نفع يُرْجَى منا لانتفاء القدرة على أيسر شَيْء) {14}.
- **المرحلة الثانية: بدأ التنفيذ الفعلي في اليوم التالي مع يوسف خارج بيت أبيهم.** فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ (أي: بيوسف) وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ (أي: إلى يوسف **"**في رأي جمهور المفسرين**"**[5114] مع أن يوسف ما زال غُلاماً صغيراً! فقيل: أوحينا إلى يعقوب! وقيل: أعطى اللهُ يوسفَ النبوةَ وهو فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ فجاءه الملاكُ جبريل بالوحي. وقيل: كان مناماً رآه يوسف. وقيل إن المراد: ألهمنا يوسفَ[5115] وهو فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ) لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا (أي: لَتُخْبِرنَّهم مستقبلاً بما فعلوه بك) وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [حين تخبرهم أنك أخوهم يوسف الذي ائتمروا به وظنوا أنهم قضوا عليه واستراحوا منه[5116]] {15}.
- **المرحلة الثالثة: رجعوا إلى بيت أبيهم وليس معهم يوسف.** وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً (أي: في ظلمة الليل) يَبْكُونَ (أي: يتباكون؛ يتظاهرون بالبكاء والحزن) {16} قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ (أي:

نتسابق في الجري أو الرمي بالسهام) وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا (أي: لن تصدِّقنا) وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ {17} وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ (أي: بِدَمٍ غير دم يوسف وزعموا أنه دم يوسف ليصدقهم أبوهم؛ جعلوا قميصَ يوسف دليلاً على صدقهم فكان شاهداً على كذبهم لأن القميص سليمٌ ولم يُمَزَّقْ، فكيف أَكَلَهُ الذِّئْبُ؟!) ۚقَالَ [يعقوبُ لهم بعد أن اكتشف كذبهم] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ [الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ] أَمْرًا [نُكْرًا أنزلتموه بأخيكم يوسف]ۖفَصَبْرٌ جَمِيلٌ [لا جزع فيه ولا شكوى إلا لله وحده]ۖوَاللَّهُ [وحده] الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (أي: ما تزعمون وتدعون مِن الباطل) {18}.

يوسف يُباع كعبدٍ وهو صامتٌ تماماً لا ينطق بكلمةٍ واحدة وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ! وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ (أي: وجاءت جهة البئر جماعةٌ مِن المسافرين التجار مِن مَدْيَنَ – وقيل: مِن الشام – متجهين إلى مصر) فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ (أي: مَن يجلب لهم الماء مِن البئر) فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ [في البئر ثم رفعه فإذا يوسف متعلق به]ۖقَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ (قيل: كان يوسفُ ابْنَ 7 سنين؛ وقيل: كان ابْنَ 12 سنة؛ وقيل: كان ابْنَ 17 سنة!) ۚوَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً (أي: أخفى الواردُ وأصحابه يوسفَ وسط أمتعتهم وكأنه بضاعة، وقالوا: إن هذه بضاعة استبضعناها) ۚوَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ {19} وَشَرَوْهُ (أي: باعوه) بِثَمَنٍ بَخْسٍ (أي: ناقص عن ثمن مِثْلِه) دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ (أي: قليلة يمكن عَدُّها) وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ [الراغبين عنه، الذين يبتغون الخلاص منه] {20}.

وهكذا انتهى هذا الجزء مِن قصة يوسف القرآنية بليلةٍ سقط يوسفُ فيها إلى قاع الرق والعبودية، بينما بدأ بليلةٍ رأى يوسفُ في منامه أنه يصعد إلى الرياسة والمُلْك!

4.22.1 مصادر القرآن من التوراة

تبدأ قصةُ يوسف القرآنية بعبارة عجيبة يستخدمها المسلمون كدليل على نبوة محمد وعلى أن القرآن كلام الله. يقول أصحابُ القرآن لمحمد (أو: للمستمع): "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ (أي: مِن قبل إيحائه) لَمِنَ الْغَافِلِينَ (أي: لا تدري شيئاً عن هذه الأخبار!)" (يوسف 3)! وتنتهي قصةُ يوسف القرآنية بعبارة أعجب: "ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ [يا محمد]ۖوَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (أي: وما كُنتَ يا محمد حاضراً مع إخوة يوسف حين دبَّروا له الإلقاء في البئر واحتالوا عليه وعلى يعقوب ليأخذوا يوسفَ معهم خارج بيت يعقوب)" (يوسف 102)!

وطبعاً لم يكن محمدٌ مع إخوة يوسف. لكن هل كان محمدٌ فعلاً لا يعلم شيئاً عن قصة يوسف؟!

وهل لم يعرف محمدٌ قصةَ يوسف إلا عن طريق "الوحي الإلهي"؟!

وهل قصة يوسف "مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ" أخبرَ اللهُ بها محمداً؟!

الإجابة: لا. بدليل أن قصة يوسف مذكورة في التوراة قبل القرآن بمئات السنين. بل إنها أطول قصة في سفر التكوين، إذ يتجاوز طولها 400 آية، أي: تحتل وحدها أكثر مِن 25% مِن سفر التكوين. هذا مِن

حيث الكم. وكذلك مِن حيث الكيف، فهي بالفعل قصة درامية بديعة "أَحْسَنَ الْقَصَصِ" (يوسف 3) وبها مشاعر إنسانية عميقة وهبوط وصعود (Snakes and Ladders) وحياة وموت[5117] وعلاقات أسرية وقبلية ومسائل في الدين والسياسية والجنس وكل عناصر القصة الشعبية المشوقة. فَمِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوها بطريق مباشر أو غير مباشر مِن يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة (أثيوبيا). ثم طَوَّر أصحابُ القرآن ما سمعوه تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف (omission) و/أو الإضافة (addition; expansion) حتى صارت قصةُ يوسف في هيئتها التي نراها الآن في المصحف الحالي.

وفي الصفحات التالية، سنذكر قصة يوسف التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage)، ونبرز بعض التعديلات التي أدخلها أصحابُ القرآن وأدت إلى وجود اختلافات بين القصة التوراتية والقصة القرآنية. اختلافات في الأقوال والأفعال، وأيضاً في ترتيب الأحداث. لكن تظل قصة يوسف التوراتية وأحداثها الأساسية هي العمود الفقري الذي تقوم عليه قصة يوسف القرآنية.

مقدمة القصة. (التكوين 37): {1} وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أَبِيهِ [إسْحَاقَ]، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. {2} هذِهِ مَوَالِيدُ يَعْقُوبَ: يُوسُفُ إِذْ كَانَ ابْنَ سَبْعَ عَشَرَةَ سَنَةً، كَانَ يَرْعَى مَعَ إِخْوَتِهِ الْغَنَمَ وَهُوَ غُلاَمٌ **[← "غُلَامٌ" (يوسف 19)]** عِنْدَ بَنِي بِلْهَةَ وَبَنِي زِلْفَةَ امْرَأَتَيْ أَبِيهِ، وَأَتَى يُوسُفُ بِنَمِيمَتِهِمِ الرَّدِيئَةِ (bad reports of them) إِلَى أَبِيهِمْ. {3} وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ (أي: يعقوبُ) فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لأَنَّهُ ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ **[← قال إخوةُ يوسف غير الأشقاء: "لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ [شقيقُه] أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا [كُلِّنا] وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (يوسف 8)]**، فَصَنَعَ [يَعْقُوبُ] لَهُ قَمِيصًا مُلَوَّنًا (a coat of many colors)[5118] (المراد: ثوباً تُعرَف به المكانة الخاصة لِمَن يرتديه) **[← "قَمِيصه" (يوسف 18)]**. {4} فَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ أَنَّ أَبَاهُمْ أَحَبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ أَبْغَضُوهُ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُكَلِّمُوهُ بِسَلاَمٍ.

حُلْم يوسف الأول. (التكوين 37): {5} وَحَلُمَ يُوسُفُ حُلْمًا وَأَخْبَرَ إِخْوَتَهُ، فَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ. {6} فَقَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا هذَا الْحُلْمَ الَّذِي حَلُمْتُ: {7} فَهَا نَحْنُ حَازِمُونَ حُزَمًا فِي الْحَقْلِ، وَإِذَا حُزْمَتِي قَامَتْ وَانْتَصَبَتْ، فَاحْتَاطَتْ (أي: فأحاطتْ بها، فتجمعتْ حولها) حُزَمُكُمْ وَسَجَدَتْ لِحُزْمَتِي». {8} فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا مُلْكًا أَمْ تَتَسَلَّطُ عَلَيْنَا تَسَلُّطًا؟» وَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ مِنْ أَجْلِ أَحْلاَمِهِ وَمِنْ أَجْلِ كَلاَمِهِ.

حُلْم يوسف الثاني [← رؤيا يوسف]. (التكوين 37): {9} ثُمَّ حَلُمَ [يُوسُفُ] أَيْضًا حُلْمًا آخَرَ وَقَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ حَلُمْتُ حُلْمًا أَيْضًا، وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا (stars) سَاجِدَةٌ لِي **[← "إِنِّي رَأَيْتُ [في منامي] أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا (stars) وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (يوسف 4)]**». {10} وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ، فَانْتَهَرَهُ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: «مَا هذَا الْحُلْمُ الَّذِي حَلُمْتَ؟ هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ [الأحد عشر] لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الأَرْضِ؟» {11} فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ، وَأَمَّا أَبُوهُ فَحَفِظَ الأَمْرَ (kept the matter in mind). ملحوظة: المقصود بكلمة "أُمُّكَ" (التكوين 37:10) ليس "رَاحِيل" (Rachel) والدة يوسف وزوجة يعقوب المحبوبة، فلقد ماتت رَاحِيلُ وهي تلد بنيامين (التكوين 35:16-20)؛ وإنما

المقصود إحدى نساء يعقوب التي في مقام أُمِّ يوسف. ويوجد رأي آخر يقول إن الرواية التوراتية تتبنى تقليداً آخر يؤخِّر وفاة رَاحِيل(5119).

ونلاحظ هنا اختلافاً بين قصتي يوسف التوراتية والقرآنية. في التوراة، حَلُمَ يُوسُفُ حلمين متتاليين يحملان معنى واحد: قَصَّ الحلم الأول على إخوته (التكوين 37:5-8) ثم قَصَّ الحلم الثاني مرتين: أولاً عَلَى إِخْوَتِهِ ثم عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ (التكوين 37:9-10). حذف القرآنُ الحلمَ الأول تماماً، على الرغم مِن أهميته فهو حلم زراعي "فِي الْحَقْلِ" (التكوين 37:7) ويتنبأ بما سيحدث في المستقبل حين سيأتي إخوةُ يوسف مِن كنعان إلى مصر ويسجدون ليوسف "عزيز مصر" ويشترون مِنه القمح. اكتفى القرآنُ بالحلم الثاني ربما لأنه أوضح وأشمل مِن الحلم الأول، لكن جعل القرآنُ يوسفَ يقصه مرة واحدة فقط على أبيه يعقوب فقط: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (يوسف 4)؛ فهذا حدث في غياب إخوة يوسف بدليل أن الآية القرآنية التالية تقول إن يعقوبَ طلب من يوسف ألا يَقْصُصْ رُؤْيَاه عَلَى إِخْوَتِه: "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ [...]" (يوسف 5).

إلا أن القصتين التوراتية والقرآنية قد اتفقتا على أن يوسف كان يتكلم ويتحدث بكل حرية حتى "انْتَهَرَهُ أَبُوهُ" (التكوين 37:10) أو نهاه عن كشف رُؤْيَاه لإخوته (يوسف 5). وبعد ذلك، ظل يوسفُ صامتاً تماماً لا يتحدث إلى إخوته بكلمةٍ واحدةٍ! إلى أن فَقَدَ حريته وبِيعَ كعبدٍ في مصر (التكوين 37:36) (يوسف 20)! فليس مِن المبالغة أن نقول إن يوسف كان مسيحاً قبل المسيح، فلقد كانت حياتُه تطبيقاً عملياً لوصية "لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ [بالشَّرّ] (يقصد: النهي عن الثأر الشخصيّ)، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا (Turning the other cheek). وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا" (متى 5:39-40) التي قالها المسيحُ بعد يوسف التوراتي بمئات السنين وقَبْل يوسف القرآني بمئات السنين.

نعود إلى قصة يوسف التوراتية. **(التكوين 37):** {12} وَمَضَى إِخْوَتُهُ (أي: إخوةُ يوسف العشرة الكبار) لِيَرْعَوْا غَنَمَ أَبِيهِمْ عِنْدَ شَكِيمَ (Shechem). {13} فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «أَلَيْسَ إِخْوَتُكَ يَرْعَوْنَ عِنْدَ شَكِيمَ؟ تَعَالَ فَأُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ». فَقَالَ لَهُ: «هأَنَذَا». {14} فَقَالَ لَهُ (أي: قال يعقوبُ ليوسف): «اذْهَبِ انْظُرْ سَلاَمَةَ إِخْوَتِكَ وَسَلاَمَةَ الْغَنَمِ وَرُدَّ لِي خَبَرًا». فَأَرْسَلَهُ [يعقوبُ] مِنْ وَطَاءِ حَبْرُونَ (Valley of Hebron) فَأَتَى [يوسفُ] إِلَى شَكِيمَ.

وهذا يؤكد أن يعقوب – حسب التوراة (التكوين 37:12-14) وبخلاف القرآن (يوسف 11-14) – لم يقلق لوجود يوسف مع إخوته ولم يكن يُبعده عنهم ولا يحزن لفراق يوسف وبُعْده عنه، بدليل أنه ومِن تلقاء نفسه أرسل يوسفَ وحيداً إلى إخوته عند شَكِيم التي تبعد حوالي 80 كلم عن شماليّ حَبْرُون. بل إن يوسف نفسه لم يكن يخش تواجده بمفرده مع إخوته العشرة الكبار (غير الأشقاء)، بدليل أنه لمَّا لم يجدهم في شَكِيم، كان من الممكن أن يعود إلى أبيه ويقول له إنه لم يعثر عليهم، ولكنه لم يفعل ذلك، وإنما ظل يبحث عنهم ...

(التكوين 37): {15} فَوَجَدَهُ رَجُلٌ وَإِذَا هُوَ ضَالٌّ (أي: تائِهٌ) فِي الْحَقْلِ. فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ قَائِلاً: «مَاذَا تَطْلُبُ؟». {16} فَقَالَ: «أَنَا طَالِبٌ إِخْوَتِي. أَخْبِرْنِي أَيْنَ يَرْعَوْنَ؟». {17} فَقَالَ الرَّجُلُ: «قَدِ ارْتَحَلُوا مِنْ هُنَا، لأَنِّي سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: لِنَذْهَبْ إِلَى دُوثَانَ (Dothan)». ملحوظة: مدينة دُوثَان تبعد حوالي 20 كلم إلى الشمال من شَكِيم، وعلى الرغم مِن طول المسافة (80 كلم + 20 كلم = 100 كلم) "ذَهَبَ يُوسُفُ وَرَاءَ إِخْوَتِهِ فَوَجَدَهُمْ فِي دُوثَانَ" (التكوين 17:37)[5120].

(التكوين 37): {18} فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ مِنْ بَعِيدٍ، قَبْلَمَا اقْتَرَبَ إِلَيْهِمِ، احْتَالُوا لَهُ لِيُمِيتُوهُ (أي: تآمَروا عليه ليقتلوه)[5121] **[← "قَالُوا [...] اقْتُلُوا يُوسُفَ" (يوسف 8-9)].** {19} فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هُوَذَا هذَا صَاحِبُ الأَحْلاَمِ قَادِمٌ. {20} فَالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْهُ وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الآبَارِ **[← "قَالُوا [...] اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا" (يوسف 8-9)]** وَنَقُولُ: وَحْشٌ رَدِيءٌ (evil beast; wild animal) أَكَلَهُ **[← "يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ (wolf) [...] أَكَلَهُ الذِّئْبُ [...] أَكَلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13-17)].** فَنَرَى مَاذَا تَكُونُ أَحْلاَمُهُ». {21} فَسَمِعَ رَأُوبَيْنُ (Reuben؛ ابن يعقوب البكر، فهو أخو يوسف الأكبر وابن خالته) **[← "قَائِلٌ مِّنْهُمْ" (يوسف 10)؛ اسمه رَأُوبَيْن؟]** وَأَنْقَذَهُ [رَأُوبَيْنُ] مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَقَالَ: «لاَ نَقْتُلُهُ». {22} وَقَالَ لَهُمْ رَأُوبَيْنُ: «لاَ تَسْفِكُوا دَمًا. اِطْرَحُوهُ فِي هذِهِ الْبِئْرِ **[← "قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ (أي: في البئر)" (يوسف 10)]** الَّتِي فِي الْبَرِّيَّةِ وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَدًا». [فكانت خطةً طيبةً مِن رَأُوبَيْن] لِكَيْ يُنْقِذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ لِيَرُدَّهُ إِلَى أَبِيهِ. {23} فَكَانَ لَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ أَنَّهُمْ خَلَعُوا عَنْ يُوسُفَ قَمِيصَهُ[5122] **[← "وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ" (يوسف 18)؛ إذن: خَلَعُوا قَمِيصَهُ]**، الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهِ، {24} وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ **[← "ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ (أي: في أسفل البئر)" (يوسف 15)].** وَأَمَّا الْبِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ.

إذن: خطة رَأُوبَيْن لإنقاذ أخيه يوسف هي: اقترحَ على إخوته ألا يقتلوا يوسف وأن "يلقوه في أحد الآبار الجافة حتى إذا انصرفوا عن البئر يُخرجه [رَأُوبَيْنُ] ويعيده إلى أبيه"[5123].

ملحوظة: تقول القصة التوراتية بكل وضوح إن الْبِئْر كَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ (التكوين 24:37).
أما القصة القرآنية فيُفهَم مِنها أن البئر كان فيها ماءٌ ولو قليل، بدليل أن السَيَّارَة "أَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ [في البئر]" (يوسف 19)؛ أي: ليجلب لهم الماء مِن البئر. لكن مِن الممكن أن يُقال إن البئر كانت فارغةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ، وظن الواردُ أن فيها ماء ولذلك أَدْلَىٰ دَلْوَهُ فيها. قال د. شوقي ضيف ""غَيَابَتِ الْجُبِّ" أي في جانب لا يظهر من الْجُبِّ وكان بئراً واسعة، ولم يكن بها ماء"[5124]. ويوجد رأيٌ آخر قاله الشيخ الأزهري عبد الجليل عيسى: "الْجُبُّ هو البئرُ غير المبنيَّة (أي: التي لم تُطْوَ بالحجارة والآجر ونحوهما)، وغَيَابَتُه ما يغيب عن رؤية البصر مِن قعره أو حُفْرَةٌ بجانبه تكون فوق سطح الماء ينزل فيها مَن أراد إخراجَ شيءٍ وَقَعَ في البئر"[5125].

(التكوين 37): {25} ثُمَّ جَلَسُوا لِيَأْكُلُوا طَعَامًا **[← نَرْتَعْ (يوسف 12) حسب إحدى القراءات القرآنية**[5126]**؛ أي: نأكل كيف نشاء]**. فَرَفَعُوا عُيُونَهُمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا قَافِلَةُ إِسْمَاعِيلِيِّينَ [تُجَّار] **[← "بَعْضُ السَّيَّارَةِ" (يوسف 10)]** مُقْبِلَةٌ مِنْ جِلْعَادَ (Gilead) (أي: مِن شرقي نهر الأردن)، وَجِمَالُهُمْ حَامِلَةٌ كَثِيرَاءَ (gum; spices) وَبَلَسَانًا (balm; liniment) وَلاَذَنًا (labdanum; myrrh; resin) (هي: بِضَاعَة تجارية عبارة عن دهان أو زيوت أو لبان أو مواد صمغية ذات خواص طبية وعلاجية وعطرية)، ذَاهِبِينَ لِيَنْزِلُوا بِهَا إِلَى مِصْرَ. {26} فَقَالَ يَهُوذَا (Judah؛ شقيق رَأُوبَيْن، فهو أخو يوسف وابن خالته) لإِخْوَتِهِ: «مَا الْفَائِدَةُ أَنْ نَقْتُلَ أَخَانَا وَنُخْفِيَ دَمَهُ؟ **[← "قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ (اسمه يَهُوذَا؟) لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ" (يوسف 10)]** {27} تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ **[← "يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ" (يوسف 10)]**، وَلاَ تَكُنْ أَيْدِينَا عَلَيْهِ لأَنَّهُ أَخُونَا وَلَحْمُنَا». فَسَمِعَ لَهُ إِخْوَتُهُ.

(التكوين 37): {28} وَاجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ **[← "وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ (أي: وجاءت جهة البئر جماعةٌ مِن المسافرين التجار مِن مَدْيَنَ – وقيل: مِن الشام)" (يوسف 19)]**، فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ **[← "فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً" (يوسف 19)]**، وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ **[← "وَشَرَوْهُ (أي: باعوه) بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ (أي: قليلة يمكن عدُّها) وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ" (يوسف 20)]**. فَأَتَوْا بِيُوسُفَ إِلَى مِصْرَ.

(التكوين 37): {29} وَرَجَعَ رَأُوبَيْنُ إِلَى الْبِئْرِ [لينقذ أخاه يوسف]، وَإِذَا يُوسُفُ لَيْسَ فِي الْبِئْرِ، فَمَزَّقَ [رَأُوبَيْنُ] ثِيَابَهُ [حزناً على فشل خطته لإنقاذ أخيه يوسف]. {30} ثُمَّ رَجَعَ [رَأُوبَيْنُ] إِلَى إِخْوَتِهِ وَقَالَ: «الْوَلَدُ لَيْسَ مَوْجُودًا، وَأَنَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟». {31} فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَذَبَحُوا تَيْسًا مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ **[← "وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ (false blood)" (يوسف 18). وحسب إحدى القراءات القرآنية: بِدَمٍ كَدِب. وكَدَب: هو الجديُ**[5127]**]**. {32} وَأَرْسَلُوا الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ وَأَحْضَرُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ **[← "وَجَاءُوا أَبَاهُمْ" (يوسف 16)]** وَقَالُوا: «وَجَدْنَا هذَا [القميص]. حَقِّقْ أَقَمِيصُ ابْنِكَ هُوَ أَمْ لاَ؟». {33} فَتَحَقَّقَهُ [يَعْقُوبُ] وَقَالَ: «قَمِيصُ ابْنِي! وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ **[← "يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ (wolf) [...] أَكَلَهُ الذِّئْبُ [...] أَكَلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13-17)]**، افْتُرِسَ يُوسُفُ افْتِرَاسًا». {34} فَمَزَّقَ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَوَضَعَ مِسْحًا عَلَى حَقَوَيْهِ (put sackcloth upon his loins)، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً. {35} فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ، فَأَبَى [يَعْقُوبُ] أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ **[← "تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ" (يوسف 84)**[5128]**]**: «إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي [يوسف] نَائِحًا إِلَى الْهَاوِيَةِ (Sheol؛ مسكن الأموات؛ مقرّ الموتى العام) (أي: سأبقى حزيناً على ابني يوسف إلى أن أموت وألحق به) **[← "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ (بالمعنى الرمزي: القبر)" (يوسف 10، 15)]**». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ **[← "وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (قيل: لم يكن يعقوبُ يبكي أمام أحد حتى تكون دموعُه الغزيرة والشديدة شكوى إلى الله وحده لا يعلمها إلا الله فقط)" (يوسف 84)]**.

(التكوين 37): {36} وَأَمَّا الْمِدْيَانِيُّونَ فَبَاعُوهُ (أي: باعوا يوسفَ) فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ (Potiphar) خَصِيِّ فِرْعَوْنَ، رَئِيسِ الشُّرَطِ (أي: رئيس الحرس؛ رئيس السجن؛ وقيل: مثل وزير الداخلية أو رئيس الحرس الملكي حالياً. والمهم أنه مِن الطبقة الأرستقراطية العليا طبقة الأمراء أو النبلاء أصحاب النفوذ والسلطان[5129]).

ونلاحظ فيما سبق أن التوراة الحالية تذكر تُجَّار "إِسْمَاعِيلِيِّينَ" (التكوين 37:25، 37:27، 39:1) وتُجَّار "مِدْيَانِيِّينَ" (التكوين 37:28، 37:36)! وكلاهما تُجَّار بدو/رحل من شعوب الصحراء العربية. لكن هل هُمَا جماعة واحدة؟ أَم جماعتان؟ قيل إنها قافلة واحدة فـ "الإِسْمَاعِيليون والمديانيون من نسل إبراهيم الخليل، وكانوا متشابهين في العادات وأسلوب الحياة. والأغلب أن القافلة كانت مملوكة لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ، ومعظم العاملين فيها من المديانيين"[5130]! وقيل: "تزاوجتْ القبيلتان (أي: الإِسْمَاعِيليون والمديانيون) فنتج هؤلاء التجار المسافرون أي أن أصلهم من إسماعيل ومديان"[5131]!

ونحن بصراحة لم نقتنع بهذه التبريرات والحيل؛ فلو كانت قافلة واحدة تتكون من إِسْمَاعِيلِيِّين و/أو مِدْيَانِيِّين، فلماذا تقول التوراة الحالية: "وَاجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ" (التكوين 37:28) كما لو كانت معلومة جديدة، مع أنها ذكرتْ قبلها "الإِسْمَاعِيلِيِّينَ" (التكوين 37:25، 37:27)؟!

سؤالان آخَرَان، لكن في نفس السياق: لماذا تزعم التوراة الحالية أن يَهُوذَا تساءل "مَا الْفَائِدَةُ أَنْ نَقْتُلَ أَخَانَا وَنُخْفِيَ دَمَهُ؟" (التكوين 37:26) مع أن رَأُوبَيْن كان قد اقترح عليهم مِن قبل ألا يقتلوا يوسف (التكوين 37:21)؟! ولماذا يوجد اقتراحان لإنقاذ حياة يوسف: رَأُوبَيْن يريد أن يلقيه في البئر (التكوين 37:22)، ويَهُوذَا يريد أن يبيعه إلى الإِسْمَاعِيلِيِّين/المديانيين (التكوين 37:27)؟!

نجد إجابات هذه الأسئلة المحيرة في "الكتاب اليهودي الدراسي" (Jewish Study Bible) الذي يقول إن كثيراً من العلماء في العصر الحديث يعتقدون أن القصة التوراتية الحالية نتجت من عملية دمج لتقليدين مختلفين: المصدر الإلوهيمي (الإيلوهي) (Elohist) يذكر رَأُوبَيْن والمديانيين؛ والمصدر اليهوي (Jahwist; Yahwist) وهو الأقدم يذكر يَهُوذَا والإِسْمَاعِيلِيِّين[5132]. وكذلك قالت الترجمة اليسوعية: "نلاحظ هنا دمجاً للمصدر الإيلوهي والمصدر اليهوي. يفيد الأول أن بني "يعقوب" أرادوا قتل يوسف، فعرض عليهم رَأُوبَيْنُ أن يُطرَح [يوسفُ] في البئر فقط، راجياً أن ينتشله فيما بعد. لكن تجاراً من مِدْيَن مرّوا بذلك المكان دون معرفة إخوته وأخذوا يوسف وذهبوا إلى مصر. ويفيد المصدر الثاني أن بني "إسرائيل" أرادوا أن يقتلوا يوسف، فاقترح عليهم يَهُوذَا أن يبيعوه لقافلة إسماعيليين ذاهبين إلى مصر"[5133]. وكذلك قالت موسوعة (Encyclopædia Judaica)[5134] أيضاً:

DUPLICATIONS [in Genesis]. […] Finally there seem to be two separate traditions about the identity of those who bought and sold Joseph; they are variously called Midianites (37:28a, 36) and Ishmaelites (37:27, 28b; 39:1)
The present [biblical] story combines different traditions about which brother attempted to save Joseph. […] The conflation of the two traditions is most obvious in Gen. 37:29–30, describing Reuben's discovery that Joseph was gone. At this point the story proceeds to describe how the brothers sought to deceive their father about Joseph's fate. […]

أما القصة القرآنية فتذكر جماعة واحدة فقط من المسافرين (يوسف 19) بدون أن تحدد جنسيتهم! ويبدو أن أصحاب القرآن العرب لم يقبلوا أن يكون العرب – سواء إِسْمَاعِيلِيِّين أم مِدْيَانِيِّين – هُمْ الذين باعوا النبي يوسف بن النبي يعقوب بن النبي إِسْحَاق بن النبي إبراهيم كعبدٍ إلى المصريين. فحذفوا كلمتي "إِسْمَاعِيلِيِّين" و "مِدْيَانِيِّين"، لكنهم تركوا بصمات عربية أخرى في القصة القرآنية كما سنرى بعد قليل، مثلاً: كلمة "دَرَاهِم" (يوسف 20). أما فيما يتعلق بِمَن صاحب اقتراح عدم قَتْل يوسف، فأراح أصحابُ القرآن أنفسهم ولم يذكروا اسمَه! بل دمجوا (conflated) اقتراحَ رَأُوبَيْن مع اقتراح يَهُوذَا في اقتراحٍ واحد مُعدَّل: "قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ (هذا اقتراح رَأُوبَيْن حسب التوراة) يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ (في التوراة: اقترح يَهُوذَا بيعه للتجار)" (يوسف 10). وإنه لمِن الطريف أن المفسرين المسلمين قد احتاروا في مَن هو "القائل" في هذه الآية (يوسف 10). وأشهر الآراء هي: قيل يهوذا؛ وقيل روبيل (يقصدون: رَأُوبَيْن[5135])؛ وقيل شمعون؛ ونلاحظ أن الثلاثة أولاد لَيْئَة، أي: أولاد خالة يوسف، فَهُمْ بالفعل الأقرب إليه. وقيل كبيرهم في العمر أو كبيرهم في العقل؛ وقيل كالعادة: الله أعلم!

وتعاني القصة التوراتية مِن مشكلة أخرى، وهي مَن فاعل الأفعال في هذه الآية: "سَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ" (التكوين 37:28)؟ هل الرجال المديانيون التجار؟ أم إخوة يوسف؟ إنْ قلنا: الرجال المديانيون التجار "بَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ"، فهذا يعني أن المديانيين غير الإسماعيليين، ولا يتفق مع (التكوين 37:36) التي تقول "وَأَمَّا الْمِدْيَانِيُّونَ فَبَاعُوهُ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ". وإنْ قلنا: إخوة يوسف، فهذا يعني أن إخوة يوسف عرفوا أنه بِيعَ كعبدٍ وذهب مع الإسماعيليين/المديانيين إلى مصر، ويعني أيضاً أن رَأُوبَيْن لم يكن موجوداً أثناء عملية بيع يوسف، بدليل أنه رجع إلى البئر ليُخرجه فلم يجده (التكوين 37:29-30).

وما يهمنا هو أن هذه المشكلة التوراتية قد انتقلتْ إلى القصة القرآنية. فعلى الرغم مِن أن القصة القرآنية تقول بكل وضوح إن المسافرين – أو بعبارة أكثر دقة: الواردين الذين أرسلهم المسافرون – هُمْ الذين سَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ (يوسف 19)، نجد المفسرين المسلمين قد اختلفوا حول مَن فاعل الفعل "شَرَوْهُ (أي: باعوه)" في الآية التالية (يوسف 20):

- قيل: المسافرون – أو: الواردون الذين أرسلهم المسافرون – استولوا على يوسف مجاناً في غيبةِ إخوتِه "وباعوه في مصر بثمن دون قيمته، كان الثمن دراهم قليلة، وكانوا في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه، لخوفهم أن يدركهم أهله ويعرفوه بينهم وينتزعوه منهم"[5136]. أي أن يوسف بِيعَ مرة واحدة فقط، وبدأتْ عبوديته في مصر. كان لقيطاً عند البئر، بدليل "يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ" (يوسف 10)، ثم صار عبداً في مصر.
- وقيل: إخوة يوسف باعوه أولاً "للواردين من المسافرين بثمن قليل من الدراهم" (يوسف 20)، وبعد ذلك لمَّا ذهب المسافرون بيوسف إلى مصر باعوه مرة ثانية (يوسف 21)[5137]. أي أن يوسف بِيعَ مرتين، وبدأتْ عبوديته عند البئر (أي: في كنعان).

ونلاحظ أن الرأي الأول يتفق أكثر مع التقليد الإلوهيمي (الإيلوهي) بينما يتفق الرأي الثاني أكثر مع التقليد اليهوي. ويتفق الرأي الثاني أيضاً مع تفاسير التوراة الحالية وترجماتها. ويتفق الرأي الثاني أيضاً مع العهد الجديد الذي يقول: "وَيَعْقُوبُ وَلَدَ رُؤَسَاءَ الآبَاءِ الاثْنَيْ عَشَرَ (أي: الآباء الأوَّلين). وَرُؤَسَاءُ الآبَاءِ (يقصد: إخوة يوسف الكبار غير الأشقاء) حَسَدُوا يُوسُفَ وَبَاعُوهُ إِلَى مِصْرَ (أي: بَاعُوهُ كعبدٍ حتى وصل في النهاية إِلَى مِصْرَ)" (أعمال الرسل 7:8-9). ولقد قال البابا شنوده الثالث: "يوسف يمثل الشخص الذي لا يدافع عن نفسه. لم يدافع عن نفسه أمام إخوته، لمَّا نزعوا قميصه، ولمَّا ألقوه في البئر، ولمَّا باعوه كعبدٍ"[5138]. وفي جميع الأحوال وفي كل الروايات، صار يوسفُ عبداً لرجلٍ مِن الطبقة العليا في مصر.

إن كل ما سبق يؤكد أن التوراة الحالية ليست كلام الله، وليس موسى هو كاتب التوراة، أو على الأقل: ليس موسى هو كاتب التوراة الوحيد. فلو كانت التوراة كلام الله، فماذا قال اللهُ: التقليدَ الإلوهيمي (الإيلوهي)؟ أَم التقليدَ اليهوي؟ ولو كان موسى هو كاتب التوراة الوحيد، فماذا كتب موسى: التقليدَ الإلوهيمي (الإيلوهي)؟ أَم التقليدَ اليهوي؟

لكن كل ما سبق يؤكد أيضاً أن قصة يوسف القرآنية (يوسف 4–20) بكل ما فيها مِن مشكلات هي مجرد تطور بشري طبيعي لقصة يوسف التوراتية (التكوين 37) بكل ما فيها مِن مشكلات.

إذن: كل ما سبق يؤكد أن القرآن (المصحف الحالي) ليس كلام الله.

نعم، كل كتاب مقدس (توراة، إنجيل، قرآن) هو كلام بشر وثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر من شخص.

وبما أننا قد تحدثنا كثيراً فيما سبق عن قصة يوسف التوراتية (التكوين 37)، فيجب أن نتحدث ولو قليلاً عن مصادر تلك القصة، وبخاصة فيما يتعلق بالتقليد اليهوي والتقليد الإلوهيمي (الإيلوهي) ...

4.22.1.1 مصادر قصة يوسف التوراتية (التكوين 37)

تقول "نظرية الوثائق" (Documentary Hypothesis) إن التوراة نتجت من عملية دمج لأربعة مصادر (تقاليد) على الأقل. أشهرها وأقدمها المصدر "اليهوي" (Jahwist; Yahwist) الذي يرجع تاريخه إلى القرن العاشر أو التاسع قبل المسيح. يليه التقليد "الإلوهيمي (أو: الإيلوهي)" (Elohist) الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثامن قبل المسيح. والمصدر الثالث يُعرَف باسم "التثنية" (Deuteronomist) ويرجع تاريخه إلى منتصف القرن السابع قبل المسيح. أما المصدر الرابع فهو المصدر "الكهنوتي" (Priestly) الذي يُعرَف أيضاً باسم "حواشي الكهنة" ويرجع تاريخه إلى ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد. وعلى الرغم من اتفاق فريق من العلماء على وجود هذه المصادر التوراتية، إلا أنهم اختلفوا في التفاصيل وفي تحديد الآيات الخاصة بكل مصدر في التوراة الحالية[5139].

أما فيما يتعلق بقصة يوسف تحديداً، فيقول كتاب "قصص التوراة في ضوء النقد الأدبي" للأستاذ سعيد عطيه مطاوع والذي أصدره المجلس الأعلى للثقافة في مصر عام 2007، في صفحته رقم 184: "امتزجتْ في القصة (أي: قصة يوسف) ثلاثة مصادر هي: اليهوي (ي) والإلوهيمي (أ) وحواشي الكهنة (ك)، ويبرز هذا الامتزاج في الإصحاح السابع والثلاثين من سفر التكوين الخاص بفصل من فصول القصة".

ولقد قمنا في الصفحات التالية بكتابة المصادر الثلاثة لقصة يوسف التوراتية الحالية (التكوين 37)، معتمدين على التحليل المذكور في كتاب "قصص التوراة في ضوء النقد الأدبي"، واستفدنا أيضاً مِن الترجمة اليسوعية وغيرها. وربما توجد تحليلات أخرى أفضل. مع العلم بأن عملية تحليل العنصرين اليهوي والإلوهيمي ليست سهلة وتختلف من ناقدٍ إلى آخر، وذلك لأن (التكوين 37) لا يذكر أبداً كلمة "رب/يهوه" التي تساعد على تمييز المصدر اليهوي! ولا يذكر أبداً كلمة "الله/الإله/إلوهيم" التي تساعد على تمييز المصدر الإلوهيمي (الإيلوهي)! وهذا بخلاف القصة القرآنية التي تضع "الله" أو "الرب" في مواضع كثيرة.

انظر الجدول التالي واقرأ كل عمود مستقلاً بذاته عن العمود الآخر، فستجد أنه رواية مختلفة ومتصلة ومتكاملة وقائمة بنفسها، والأهم من كل ذلك أنها أكثر وضوحاً من القصة التوراتية الحالية، بل أكثر وضوحاً مِن القصة القرآنية (المصحفية) الحالية:

جدول 27 – المصادر الثلاثة لقصة يوسف التوراتية (التكوين 37): المصدر اليهوي والمصدر الإلوهيمي والمصدر الكهنوتي

1-2أ	**المصدر الكهنوتي**[5140]: {1} وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أَبِيهِ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. {2أ} هذِهِ مَوَالِيدُ يَعْقُوبَ (أي: سيرة يوسف وإخوته):	
	المصدر اليهوي يذكر إسرائيل ويَهُوذَا والإسماعيليين وشكيم، لكن لا يذكر أحلام يوسف ولا إلقائه في بئرٍ. إخوة يوسف أرادوا أن يقتلوه لكنهم عدلوا عن ذلك فباعوه للإسماعيليين. ثم بَاعَ الإسماعيليون يُوسُفَ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ. إذن: يوسف بِيعَ مرتين، وبدأتْ عبوديته في كنعان.	**المصدر الإلوهيمي (الإيلوهي) يذكر يعقوب ورَأُوبَيْن والمِدْيَانيين ودوثان، كما يذكر أحلام يوسف وإلقائه في بئرٍ. إخوة يوسف أرادوا أن يقتلوه لكنهم عدلوا عن ذلك فألقوه حياً في بئرٍ. ثم التقطه المديانيون من البئر دون معرفة إخوته. ثم بَاعَ الْمِدْيَانِيُّون يُوسُفَ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ. إذن: يوسف بِيعَ مرة واحدة فقط، وبدأتْ عبوديته في مصر.**
2ب		{2ب} يُوسُفُ إِذْ كَانَ ابْنَ سَبْعَ عَشَرَةَ سَنَةً، كَانَ يَرْعَى مَعَ إِخْوَتِهِ الْغَنَمَ وَهُوَ غُلاَمٌ عِنْدَ بَنِي بِلْهَةَ وَبَنِي زِلْفَةَ امْرَأَتَيْ أَبِيهِ، وَأَتَى يُوسُفُ بِنَمِيمَتِهِمِ الرَّدِيئَةِ إِلَى أَبِيهِمْ.
3-4	{3} وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لأَنَّهُ ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ، فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصًا مُلَوَّنًا. {4} فَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ أَنَّ أَبَاهُمْ أَحَبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ أَبْغَضُوهُ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُكَلِّمُوهُ بِسَلاَمٍ.	
5-11		{5} وَحَلُمَ يُوسُفُ حُلْمًا وَأَخْبَرَ إِخْوَتَهُ، فَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ. {6} فَقَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا هذَا الْحُلْمَ الَّذِي حَلُمْتُ: {7} فَهَا نَحْنُ حَازِمُونَ حُزَمًا فِي الْحَقْلِ، وَإِذَا حُزْمَتِي قَامَتْ وَانْتَصَبَتْ، فَاحْتَاطَتْ حُزَمُكُمْ وَسَجَدَتْ لِحُزْمَتِي». {8} فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا مُلْكًا أَمْ تَتَسَلَّطُ عَلَيْنَا تَسَلُّطًا؟» وَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ مِنْ أَجْلِ أَحْلاَمِهِ وَمِنْ أَجْلِ كَلاَمِهِ. {9} ثُمَّ حَلُمَ أَيْضًا حُلْمًا آخَرَ وَقَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ حَلُمْتُ حُلْمًا أَيْضًا، وَإِذَا

		الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا سَاجِدَةٌ لِي». {10} وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ، فَانْتَهَرَهُ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: «مَا هذَا الْحُلْمُ الَّذِي حَلُمْتَ؟ هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الأَرْضِ؟» {11} فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ، وَأَمَّا أَبُوهُ فَحَفِظَ الأَمْرَ.
12-13	{12} وَمَضَى إِخْوَتُهُ لِيَرْعَوْا غَنَمَ أَبِيهِمْ عِنْدَ شَكِيمَ. {13} فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «أَلَيْسَ إِخْوَتُكَ يَرْعَوْنَ عِنْدَ شَكِيمَ؟ تَعَالَ فَأُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ». فَقَالَ لَهُ: «هأَنَذَا».	
14	{14ب} فَأَتَى [يوسفُ] إِلَى شَكِيمَ.	{14أ} فَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ انْظُرْ سَلاَمَةَ إِخْوَتِكَ وَسَلاَمَةَ الْغَنَمِ وَرُدَّ لِي خَبَرًا». فَأَرْسَلَهُ مِنْ وَطَاءِ حَبْرُونَ
15-17		{15} فَوَجَدَهُ رَجُلٌ وَإِذَا هُوَ ضَالٌّ فِي الْحَقْلِ. فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ قَائِلاً: «مَاذَا تَطْلُبُ؟» {16} فَقَالَ: «أَنَا طَالِبٌ إِخْوَتِي. أَخْبِرْنِي «أَيْنَ يَرْعَوْنَ؟». {17} فَقَالَ الرَّجُلُ: «قَدِ ارْتَحَلُوا مِنْ هُنَا، لأَنِّي سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: لِنَذْهَبْ إِلَى دُوثَانَ». فَذَهَبَ يُوسُفُ وَرَاءَ إِخْوَتِهِ فَوَجَدَهُمْ فِي دُوثَانَ[5141].
18	{18ب} قَبْلَمَا اقْتَرَبَ إِلَيْهِمِ، احْتَالُوا لَهُ لِيُمِيتُوهُ.	{18أ} فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ مِنْ بَعِيدٍ،
19-20		{19} فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هُوَذَا هذَا صَاحِبُ الأَحْلاَمِ قَادِمٌ. {20} فَالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْهُ وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الآبَارِ وَنَقُولُ: وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ. فَنَرَى مَاذَا تَكُونُ أَحْلاَمُهُ».
21	{21} فَسَمِعَ ~~رَأُوبَيْنُ~~ [يَهُوذَا[5142]] وَأَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَقَالَ: «لاَ نَقْتُلُهُ».	

22		{22} وَقَالَ لَهُمْ رَأُوبَيْنُ: «لاَ تَسْفِكُوا دَمًا. اِطْرَحُوهُ فِي هذِهِ الْبِئْرِ الَّتِي فِي الْبَرِّيَّةِ وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَدًا». لِكَيْ يُنْقِذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ لِيَرُدَّهُ إِلَى أَبِيهِ.
23	{23أ} فَكَانَ لَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ	{23ب} أَنَّهُمْ خَلَعُوا عَنْ يُوسُفَ قَمِيصَهُ، الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهِ،
24		{24} وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ. وَأَمَّا الْبِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ.
25-27	{25} ثُمَّ جَلَسُوا لِيَأْكُلُوا طَعَامًا. فَرَفَعُوا عُيُونَهُمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا قَافِلَةُ إِسْمَاعِيلِيِّينَ مُقْبِلَةٌ مِنْ جِلْعَادَ، وَجِمَالُهُمْ حَامِلَةٌ كَثِيرَاءَ وَبَلَسَانًا وَلاَذَنًا، ذَاهِبِينَ لِيَنْزِلُوا بِهَا إِلَى مِصْرَ. {26} فَقَالَ يَهُوذَا لإِخْوَتِهِ: «مَا الْفَائِدَةُ أَنْ نَقْتُلَ أَخَانَا وَنُخْفِيَ دَمَهُ؟ {27} تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ، وَلاَ تَكُنْ أَيْدِينَا عَلَيْهِ لأَنَّهُ أَخُونَا وَلَحْمُنَا». فَسَمِعَ لَهُ إِخْوَتُهُ.	
28	{28ب} وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ.	{28أ} وَاجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ، فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ. {28ج} فَأَتَوْا بِيُوسُفَ إِلَى مِصْرَ.
29-30		{29} وَرَجَعَ رَأُوبَيْنُ إِلَى الْبِئْرِ، وَإِذَا يُوسُفُ لَيْسَ فِي الْبِئْرِ، فَمَزَّقَ ثِيَابَهُ. {30} ثُمَّ رَجَعَ إِلَى إِخْوَتِهِ وَقَالَ: «الْوَلَدُ لَيْسَ مَوْجُودًا، وَأَنَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟».
31	{31أ} فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ	{31ب} وَذَبَحُوا تَيْسًا مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ.
32	{32ب} وَأَحْضَرُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ وَقَالُوا: «وَجَدْنَا هذَا. حَقِّقْ أَقَمِيصُ ابْنِكَ هُوَ أَمْ لاَ؟»	{32أ} وَأَرْسَلُوا الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ [إِلَى أَبِيهِمْ]

33	{33} فَتَحَقَّقَهُ وَقَالَ: «قَمِيصُ ابْنِي! وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ، افْتُرِسَ يُوسُفُ افْتِرَاسًا».	
34		{34} فَمَزَّقَ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَوَضَعَ مِسْحًا عَلَى حَقَوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً.
35	{35} فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ، فَأَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحًا إِلَى الْهَاوِيَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ.	
36		{36} وَأَمَّا الْمِدْيَانِيُّونَ فَبَاعُوهُ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ خَصِيِّ فِرْعَوْنَ، رَئِيسِ الشُّرَطِ.
	"وَأَمَّا يُوسُفُ فَأُنْزِلَ إِلَى مِصْرَ، وَاشْتَرَاهُ فُوطِيفَارُ خَصِيُّ فِرْعَوْنَ رَئِيسُ الشُّرَطِ، رَجُلٌ مِصْرِيٌّ، مِنْ يَدِ الإِسْمَاعِيلِيِّينَ الَّذِينَ أَنْزَلُوهُ إِلَى هُنَاكَ" (التكوين 39:1)	

النتيجة: كل عمود يُمثِّل رواية متماسكة ومستقلة ومتصلة وأكثر وضوحاً مِن القصة التوراتية الحالية، بل أكثر وضوحاً مِن القصة القرآنية (المصحفية) الحالية.

4.22.2 مصادر القرآن مِن التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي

لاحظنا فيما سبق وجود اختلافات كثيرة وكبيرة بين قصة يوسف القرآنية والقصة التوراتية الأصلية. اختلافات بالحذف (ommission) أو الإضافة (addition) أو التوسع (expansion) في مسألة معينة أو ترتيب الأحداث (sequence of events) أو تخصيص لكلمة عامة (specification of a general term) أو التحويل (transformation) بأي طريقة أخرى.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: أيهما أصح؟ القرآن أم التوراة؟ بالطبع سيقول المسلمون إن القرآن أصح؛ وفي المقابل سيؤكد اليهود والمسيحيون أن التوراة أصح. أما نحن فلا نجد أمامنا أي دليل علمي يثبت أن قصة يوسف قصة حقيقية تاريخية. ومِن ثم فإنه مِن العبث أن نسأل أيهما "أصح"؟! التوراة أم القرآن؟!

ثم إن أهداف القصة التوراتية تختلف كثيراً عن أهداف القصة القرآنية. مثلاً: التوراة تركز على قصة يوسف بن إسرائيل (يعقوب) باعتبارها حلقة وصل بين بني إسرائيل في كنعان وبني إسرائيل في مصر، أو بعبارة أخرى: قصة يوسف التوراتية تروي لنا انتقال شعب إسرائيل من كنعان إلى مصر، ولذلك اهتمتْ التوراة بالسياق التاريخي الذي يذكر أسماء الأماكن وأسماء الأشخاص (dramatis personae). وكنا نتمنى أن تعطينا التوراةُ تصويراً دقيقاً للمنازل في المدن أو القرى والحجرات والحقول والمناظر الطبيعية والملابس والعادات والتقاليد الدينية والاجتماعية في مصر القديمة. لكنها للأسف لم تفعل. ولا غرابة في ذلك. فمع اهتمام التوراة بالسياق التاريخي قدر استطاعتها، إلا أنها ليست كتاب تاريخ. فنستطيع أن نقول إن تركيز القصة التوراتية كان أكثر على "سيرة" بني يعقوب (إسرائيل) وخصوصاً يوسف. إنها إذن ملحمة قومية تحاول أن تخلق لبني إسرائيل الرعاة دوراً إيجابياً وفعالاً في حضارة مصر الزراعية! أو كما قال الباحث التونسي محمد يوسف إدريس المتخصص في علم الأديان المقارن: إن جماعة بني إسرائيل "بدأت مع يوسف أنصع صفحاتها؛ بأن تحولت من مجرد جماعة تعيش على هامش الواقع الديموغرافي والسياسي إلى جماعة فاعلة، بيدها زمام أكبر إمبراطوريات المنطقة (يقصد: مصر)، وهو ما تجلّى في أفعال يوسف الذي ما فتئ يرسّخ قدم بني شيعته في أرض مصر يوم مكّنهم مِن أرض جَاسَانَ (التكوين 27:47). بناء على ذلك يمكن القول: إنّ مُتخيّل الأحلام منغمس في تاريخ الجماعة، مُخبِر عن ظروف نشأتها، وتحوّلها من الضعف إلى القوة، فالنصّ التوراتي لا يذكر اقتدار يوسف على تفسير الأحلام بالاستناد إلى الربّ الإله كي يرسم صورة للإله العليم بالغيب بقدر ما كان يروم إبراز علوّ شأن الجماعة من خلال تبيُّن بعض مظاهر تفوق النبي (يقصد: تفوق يوسف على كهنة مصر وعلمائها وسحرتها في مسألة تفسير حلم مَلِك مصر الذي أدى إلى إنقاذ مصر مِن مَجاعة مُهلِكة)، وبذلك يغدو الحلم وتفسيره شكلين من أشكال الإقرار بأحقية النبي وقومه في الوجود، ففضل يوسف يتجاوز فرعون ليطال أهل مصر، فلولاه لهلكت"[5143].

هذا بخلاف القرآن العربي الذي يعطينا في روايته لقصة يوسف ملحمةً دينية حوارية "قَالَ (46 مرة) [...] قَالُوا (21 مرة) [...]" تشبه حوارات محمد مع معاصريه في مكة وتركز على التوحيد والصبر والثبات

والثقة في الله الذي يهدي عِبَادَه ويكافئ المتقين في الدنيا والآخرة "وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 22)؛ أي: نَجْزي كلَّ الذين يحسنون الأعمال الصالحة وليس يوسف فقط. يوسف مجرد مثال؛ فما يوسف إلا واحد "مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" (يوسف 24) "مِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 51) "مِنَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 36) "وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" (يوسف 56-57) "إِنَّهُ مَن (أي: كل إنسان وليس يوسف فقط) يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 90). أما يعقوب فلم يُذكَر أبداً باسم إسرائيل في سورة يوسف. أما أجداد يوسف: "إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ"، فلم يُذكَرا في سورة يوسف إلا مرتين فقط: المرة الأولى على لسان يعقوب (يوسف 6) والمرة الثانية على لسان يوسف (يوسف 38). ولولا (يوسف 6) لَمَا تأكدنا أن يوسف بن يعقوب هذا هو يوسف بن يعقوب بن إسْحَاق بن إبْرَاهِيم[5144]. وأهمل القرآنُ أسماء باقي الأشخاص؛ مثلاً: أهمل أسماء إخوة يوسف على الرغم من أهميتهم في تاريخ بني إسرائيل، وأهمل اسمَ مَلِك مصر على الرغم مِن أهميته في تاريخ مصر القديمة.

إذن: لا يوجد سياق تاريخي واضح لقصة يوسف القرآنية. وإنما هدفها في المقام الأول دعوي وتربوي وتعليمي (didactic) لكل الناس، وليس هدفاً تأريخياً (historiographical) لبني إسرائيل. باللغة العامية البسيطة: القرآن أخذ قصةَ يوسف التوراتية وانتزعها مِن سياقها (decontextualized it) "ووداها في سكة تانية خالص". سكة دينية وليست سكة قومية.

فَمِن الطبيعي أن تؤدي الاختلافات الكبيرة في الأهداف إلى اختلافات كبيرة في المضمون بين القصتين التوراتية والقرآنية. بل أدت هذه الاختلافات إلى أنه مِن الممكن أن نحذف سورة يوسف بدون أن يتأثر القرآن. لكن حَذْف قصة يوسف مِن سفر التكوين سيؤدي إلى خلل كبير وفجوة ضخمة في تسلسل أحداث الرواية القومية الإسرائيلية التي تبدأ بخلق السماوات والأرض (التكوين 1:1) وتنتهي بوفاة يوسف (التكوين 26:50)[5145]!

باختصار: الاختلافات بين التوراة والقرآن أمر طبيعي، بل طبيعي جداً ومتوقع جداً.

إلا أن فريقاً مِن الكتاب المسلمين المشهورين – الذين يخلطون بين ما هو طبيعي (natural) وما هو غير طبيعي (supernatural) – يستخدمون تلك الاختلافات الطبيعية بين التوراة والقرآن كدليل على أن القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله! على سبيل المثال، يقول د. صلاح الخالدي إن الاختلافات بين التوراة والقرآن تقدم "شهادةً أخرى للقرآن بأنه كلامُ الله، فلو كان هذا القرآنُ من تأليفِ محمد ﷺ، لأخَذَ رواياتِ الأحبار في سفر التكوين (يقصد: التوراة الموروثة) كما هي، ولم يُخالِفْها"[5146].

ولكي نرد على هذه البروباجاندا الإسلامية، يجب علينا أن نجيب على السؤال التالي: مِن أين أتى أصحابُ القرآن بهذه الاختلافات؟ هل بوحي من الله؟! الإجابة: لا. وإنما بوحي مِن البشر، كما سنرى بعد قليل. وتحديداً: بوحي من التراث اليهودي المتأخر (post-Biblical) والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة). إنه إذن كلام بشر 100% تطور تطوراً بشرياً طبيعياً مِن اليهود والمسيحيين السريان إلى

القرآن، مما يدل على أن القرآن نفسه كلام بشر 100%. بعبارة أخرى: المصادر البشرية للقرآن في التراث اليهودي/المسيحي تُعتبَر دليل خارجي (external evidence) يثبت بشرية القرآن.

ونحن ننصح جميع الباحثين المسلمين حين يقارنون بين القرآن والكتب السابقة، ألا يكتفوا بالتوراة والإنجيل فقط، بل عليهم أن يدرسوا التراث اليهودي/المسيحي الشرقي كله، وبخاصة التراث اليهودي المتأخر (post-Biblical) والتراث المسيحي السرياني؛ فلم يكن أصحابُ القرآن يهتمون إذا كانت مصادرهم مقدسة أم غير مقدسة، وإنما كان شغلهم الشاغل هو كيف يمكنهم أن يستخدموا تلك المصادر بحيث تكون مفيدةً لهم[5147]. إذا فعل الباحثون المسلمون ذلك، فسيكتشفون حتماً بشرية القرآن، كما اكتشفناها نحن فتركنا الإسلام.

ومِن حُسن الحظ أن سورة يوسف نفسها تحتوي على علامات (signs) "آيَات" تشير إلى جذورها في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني:

- اسم السورة "يوسف" يشير إلى التراث اليهودي، فَمِن المعلوم أن كلمة "يوسف" (yôsēf) عِبرية الأصل ومعناها "يَزيدُ (add)"، فلقد سمته أمه «يُوسُفَ» لاعتقادها بأن الله سيرزقها ابناً آخر: "وَدَعَتِ [رَاحِيلُ] اسْمَهُ «يُوسُفَ» قَائِلَةً: «يَزِيدُنِي الرَّبُّ ابْنًا آخَرَ»" (التكوين 30:24). وهو ما تحقق حين وَلَدَتْ بنيامين (التكوين 35:16-18) **[⟵ "أَخُوهُ (أي: شقيق يوسف)" (يوسف 8)]**.
- ثم تبدأ سورة يوسف القرآنية بحروف مقطعة (isolated letters) "الر" (يوسف 1) التي احتار المفسرون المسلمون في معناها[5148]؛ وكالعادة: أي حاجة مش فاهمنها يقولوا عليها "إعجاز"! أو كما قلنا: يخلطون بين ما هو طبيعي وما هو غير طبيعي! إلا أن الاتجاه السائد بين الباحثين الأكاديميين الآن هو أن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية تحمل شفرة معينة، ومفتاح حل هذه الشفرة موجود في التراث المسيحي السرياني. وإنْ اختلف الباحثون في مدلول "الر". قيل حسب أسلوب معقد لتجميع المكافئ العددي لكل حرف إن "الر" تعني "الآب والابن وَهُمَا إلهٌ واحد"[5149]! ونحن لم نقتنع بذلك الأسلوب، ونرى أنه احتمال مستبعد جداً لأنه يتجاهل سياق "الر"، ثم إنه يفترض افتراضات كثيرة لا أساس لها فيما يتعلق ببناء الجملة وترتيب كلماتها وتشكيل حروفها والمكافئ العددي لكل حرف، مما يفتح البابَ واسعاً أمام احتمالات كثيرة حسب شطارتك في ترتيب الكلمات وتشكيل الحروف، فَمِن الممكن – حسب ذلك الأسلوب – أن "الر" تعني "وَهْمَاً الآب والابن إلهٌ واحد" أو "الآب والابن إلهٌ واحد وَهْمَاً" أو "الآب وإله الابن وَهُمَا واحد" أو "ليس أحدٌ بابنٍ للآب". ولذلك فإننا نستبعد كل هذه الاحتمالات، بل نستبعد ذلك الأسلوب الذي يعتمد على الشطارة والفهلوة.

وإنما الاحتمال الأقرب في رأينا يعتمد على أسلوبٍ آخر يعتبر الحروف المقطعة الثلاثة "ا ل ر" اختصار (acronym) لجملة سريانية شهيرة تتكون من ثلاث كلمات هي "اِمر لِي رَبَّا" (emar lī Rabbā)، أي: "قال لي العظيمُ" (The Great One [the Lord] spoke to me)[5150].

والمقصود طبعاً: قال لي الرَّبُّ، أو: قال لي اللهُ. فهذا المعنى يتفق أكثر مع سياق "الر" التي تكررت 5 مرات في القرآن ودائماً يُذكَر بعدها "(الـ)كتاب" (يونس 1) (هود 1) (يوسف 1) (إبراهيم 1) (الحجر 1)؛ إنها إذن محاولة عربية-سريانية للإصرار والإلحاح على مصدر "الكتاب" الإلهي، سواء كان هذا "الكتاب" هو القرآن و/أو الكتاب المقدس.

ثم تقول الآيات الأولى من سورة يوسف: "الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (يوسف 1-2). فما يميز الرواية الإسلامية لقصة يوسف هو أنها "قُرْآنًا عَرَبِيًّا". وهذا اعتراف ضمني بوجود روايات أخرى غير قرآنية: شعر جاهلي مثلاً؛ وكذلك اعتراف ضمني بوجود روايات أخرى غير عربية: عِبرية؛ آرامية؛ سريانية؛ يونانية؛ حبشية؛ لاتينية ... الخ.

وتقول الآية الأخيرة من سورة يوسف: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ (أي: في قصة يوسف وإخوته؛ أو: في القصص القرآني بصفة عامة) عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ" (يوسف 111). وهذا اعتراف ضمني بأن الرواية القرآنية العربية ليست جديدة، فهي "تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ". لكن لم يقل: تَصْدِيقَ التوراة. ولم يقل: تَصْدِيقَ الإنجيل. ولم يقل: تَصْدِيقَ الكتب المنزلة مِن السماء. ولم يقل "مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ" كما قال عن يَحْيَىٰ بن زكريا (آل عمران 39). ولم يقل "مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ" كما قال عن عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (المائدة 46) (آل عمران 50) (الصف 6). وإنما قال: "تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ". إذن: كان هناك مصادر أخرى غير التوراة والإنجيل "بَيْنَ يَدَيْ" القرآن؛ أي: قبل القرآن ومُتاحة لأصحاب القرآن، وربما ظنُّوا أنها كتب سماوية أو تنقل ما في الكتب السماوية. فجاء القرآنُ "مُصَدِّقًا" لهذه المصادر الأخرى التي تشمل التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني، سواء في صورته المكتوبة (كتب مثلاً) أو في صورته المسموعة (عِظات وترانيم مثلاً) أو في صورته المرئية (نقوش ولوحات مثلاً).

وفي الصفحات التالية سنوضح الجذور البشرية لهذه الاختلافات بين القرآن والتوراة. فسنوضح مصادر ما قاله القرآن (what?)، وسنوضح أحياناً لماذا اختلف القرآنُ عن التوراة (why?) وكيف عبَّر أصحابُ القرآن عن هذه الاختلافات (how?).

وسنلاحظ أن كل مصادر القرآن البشرية يرجع تاريخها إلى قبل الإسلام، ومعظمها جاء مِن التراث المسيحي السرياني في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد[5151]. ولا غرابة في ذلك، فلقد اعتبر المسيحيون الأوائل يوسفَ تمهيداً أو رمزاً (prefiguration; typology) ليسوع المسيح[5152][5153]. فَمِن الطبيعي إذن أن يتحدث المسيحيون السريان عن يوسف كثيراً في عظاتهم وترانيمهم وقصائدهم وقصصهم "أَحْسَنَ الْقَصَصِ". ومِن الطبيعي أيضاً أن يرسموا شخصيةَ يوسف بصورة ملائكية أو شبه ملائكية حتى يصلح أكثر لأن يكون رمزاً لـ "الإله" المعصوم يسوع المسيح.

وفيما يتعلق بالتراث المسيحي السرياني تحديداً، فإن مرجعنا الأساسي هو رسالة الدكتوراه التي أعدها الباحث Dr. Joseph Witztum ودافع عنها في جامعة Princeton الأمريكية المرموقة عام

2011[5154]. ولقد قام Dr. Joseph Witztum وغيره بترجمة النصوص السريانية إلى اللغة الإنجليزية، وقمنا نحن بالترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. لكن حرصاً على عدم الإطالة، لن نترجم كل هذه النصوص السريانية وسنكتفي فقط بالأفكار والعبارات والكلمات التي تهمنا. وتسهيلاً على القارئ الكريم، سنستخدم نفس الرموز العلمية (PsN; PsB; Balai) التي استخدمها Dr. Joseph Witztum في بحثه.

وكالعادة، ليس هدفنا أن نثبت أن القرآن العربي والتراث السرياني يتفقان في كل شيء. وإنما هدفنا أن نثبت أن القرآن العربي والتراث السرياني يختلفان عن التوراة بطرق متشابهة كثيراً[5155]، ومتطابقة أحياناً. وبما أن التراث السرياني يسبق القرآن زمنياً، فهذا يدل على أن أصحاب القرآن كانوا على دراية بالتراث السرياني ويدل أيضاً على أن القرآن تطور بشري طبيعي للتراث السرياني.

باختصار، نحن لا نقول: التراث السرياني = القرآن. وإنما نقول: التراث السرياني **[← القرآن]**.

وبما أن التراث السرياني كلام بشر 100%، فهذا يدل على أن القرآن نفسه كلام بشر 100%.

4.22.2.1 تبدأ قصةُ يوسف القرآنية برؤيا يوسف (يوسف 4)

لا تبدأ قصةُ يوسف التوراتية برؤيا يوسف، وإنما تبدأ بمقدمة مهمة (التكوين 37:1-4)، لكنها تُصوِّر يوسفَ ويعقوبَ بصورةٍ سلبية أو مُحرجة:

- يوسف "كَانَ يَرْعَى مَعَ إِخْوَتِهِ الْغَنَمَ وَهُوَ غُلاَمٌ" "وَأَتَى يُوسُفُ بِنَمِيمَتِهِمِ الرَّدِيئَةِ (bad reports of them) إِلَى أَبِيهِمْ" (التكوين 37:2)؛ أو كما يُقال اليوم بالعامية "فتن عليهم" مثل أي شخص جاسوس أو "خبَّاص" (tattletale) وربما مفتري (slanderer)[5156]. وقد يُفهَم مِن ذلك أن يوسف كان له نوايا سيئة في إيقاع الخصومة بين إخوته ويعقوب، أو كان له أطماع شخصية في التقرب مِن يعقوب ولذلك عمل على إثارة الفتنة بين يعقوب وسائر بنيه، أو على الأقل كانت "شقاوة" سخيفة مِن الغلام يوسف تستفز إخوته الكبار. ومما قد يساعد على هذا الفهم أن الكلمة العبرية التي استخدمتها التوراةُ لوصف يوسف حين كان عمره 17 سنة هي "naʿar" (التكوين 37:2) وهي نفس الكلمة العبرية التي استخدمتها التوراةُ لوصف موسى حين كان عمره 3 أشهر (الخروج 2:6)[5157]! وكأن كاتب التوراة أراد أن يقول إن يوسف كان عمره 17 سنة، لكن تصرفاته كانت صبيانية وحمقاء مثل تصرفات طفل مدلل أصغر من ذلك بكثير.
- أمَّا يعقوب فلم يعاتِب يوسفَ على نقله الأخبار والنميمة الرديئة مِن بيتٍ إلى بيت! وإنما "أَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ" (التكوين 37:3)، بل كافأهُ "فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصًا مُلَوَّنًا" (التكوين 37:3) ولم يعطِ إخوته شيئاً! وإنْ قلتم إن يعقوب أَحَبَّ يُوسُفَ أكثر "لأَنَّهُ ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ" (التكوين 37:3)، فسنقول: هذا سبب غير مقنع. فلو كان معيار المحبة هو "ابْنُ شَيْخُوخَتِهِ"، لكان ينبغي على يعقوب أن يحب

بنيامين أكثر من يوسف، فبنيامين أصغر سناً من يوسف وهو أيضاً ابن راحيل زوجة يعقوب المحبوبة، بل ماتت راحيلُ وهي تلده (التكوين 35:16-20)، أي أن بنيامين لم ير أمه أبداً، فكان ينبغي على يعقوب أن يعطف عليه ويحبه أكثر من يوسف. ثم إن بنيامين هو الابن الوحيد الذي وُلِدَ في كنعان (أرض الموعد؛ الأرض المقدسة)[5158]. وبنيامين هو الابن الوحيد الذي وُلِدَ بعد تغيير اسم يعقوب إلى "إسرائيل" (التكوين 32:28، 35:10). وبنيامين هو الابن الوحيد الذي أعطاه يعقوبُ/إسرائيلُ اسماً، بخلاف إخوته الآخرين الذين قامت أمهاتهم بتسميتهم.

باختصار: لا تقدِّم التوراةُ أي سبب مقنع لحب يعقوب ليوسف تحديداً "أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ". فماذا كانت النتيجة؟ الغيرة والكراهية والعداوة. "فَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ [العشرة الكبار] أَنَّ أَبَاهُمْ أَحَبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ أَبْغَضُوهُ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُكَلِّمُوهُ بِسَلاَمٍ" (التكوين 37:4).

إذن: قد يُقال إن يوسف (الغلام المدلل المغرور) ويعقوب (الأب الشيخ غير العادل) هُما السبب في العداوة والبغضاء والكراهية بين يوسف وإخوته العشرة الكبار. يوسف، بتنصته على إخوته ونقل نَمِيمَتِهِمِ الرَّدِيئَةِ وأخبارهم السيئة إلى أبيهم. ويعقوب، بتفضيله (favoritism) ليوسف على سائر إخوته سواء بالمحبة القلبية أو بالعطايا المادية (القميص المُزَيَّن).

بعبارة أخرى: بسبب سلوك يوسف وسلوك أبيه، أبغضه إِخْوَتُهُ. هذا ما قد يُستنتَج مِن قصة يوسف التوراتية، بل هذا ما تقوله اليوم بعضُ المراجع الإسلامية عن التوراة، وكأن التوراة "تسعى لتبرير السلوك الإجرامي لإخوة يوسف ضده"[5159]. أو كما قالت الباحثة كريمة كطيبي: "أصبح حب إسرائيل (أي: يعقوب) ليوسف سبباً في تحريك مشاعر الغيرة والحسد في صدور أبنائه ليبحثوا بذلك عن مكيدة له"[5160].

هذا عن التوراة. فماذا عن القرآن؟ يبدو أن أصحاب القرآن لم تُعجِبهم الإساءة إلى "النبيّين" يوسف ويعقوب ولو تلميحاً. فحذفوا تلك المقدمة التوراتية، وجعلوا تفضيل يعقوب ليوسف مجرد رأي أو إحساس أو اتهام (accusation) قاله إخوةُ يوسف أو أوهام زرعها الشيطانُ في نفوسهم فقالوها بألسنتهم: "قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ [بنيامين] أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا" (يوسف 8)، وليس حقيقة أقرَّها اللهُ في كتابه.

وهكذا استطاع أصحابُ القرآن أن يُقدِّموا لنا يوسفَ كشخصية بريئة تماماً، ومِن ثم استطاعوا أن يجردوا إخوة يوسف مِن أي عذر أو سبب يبرر مَا فعلوه تجاه أخيهم البريء وأبيهم الشيخ. قال د. صلاح الخالدي إن يعقوب كان يُظهِر ليوسف "مزيداً من العناية والرعاية [لصغر سنه]، لكن ليس على حساب أبنائه الآخرين. لكنَّ الأبناء الآخرين لم ينظروا إلى الموضوع بمنظار حُسنِ الظنِّ والتعليل، وإنما أساءوا الحكمَ على أبيهم، فاتهموه بالانحياز إلى أخيهم الصغير (أي: إلى يوسف)، وأساءوا النظرَ إلى أخيهم، فعاملوه بحقدٍ وكيد، بدلَ أن يعاملوه بحبٍّ وودّ. [...]. لقد كان إخوةُ يوسف عليه السلام [...] نموذجاً بشرياً للكيدِ والحقد، والمكر والتآمر، والحسدِ وسوء الظن، وخطأ النظر وضلال الحكم، والكذبِ والافتراء. مَن هؤلاء؟ إنهم أصولُ وأجدادُ بني إسرائيل، الذين عُرفوا بعد ذلك باسم اليهود!"[5161].

وبغض النظر عن هذه النغمة الإسلامية المعادية لليهود (anti-Jewish)، ما يهمنا هو السؤال التالي: هل القرآن هو أول نص يحذف تلك المقدمة التوراتية ويبدأ القصة برؤيا يوسف؟

الإجابة: لا. إذ يوجد في التراث المسيحي السرياني عِظات (رمزها العلمي: PsN) يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي، أي: قبل الإسلام، حذفتْ هذه المقدمة التوراتية وبدأتْ القصةَ بحُلْم يوسف[5162] **[← رؤيا يوسف]**.

وعلى الرغم من أن هذه العظات المسيحية السريانية قد اتفقتْ مع التوراة العِبرية وترجماتها في أن يوسف قد حَلُمَ حلمين، إلا أنها اختلفتْ عن التوراة العِبرية (والسامرية والسريانية) التي تقول إن يُوسُف قَصَّ الحلم الأول على إخوته (التكوين 37:5-8) ثم قَصَّ الحلم الثاني مرتين: أولاً عَلَى إِخْوَتِهِ ثم عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ (التكوين 37:9-10). كما اختلفتْ هذه العظات المسيحية السريانية عن التوراة اليونانية (السبعينية) التي تقول إن يوسف قَصَّ الحلم الثاني مرة واحدة فقط عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ[5163].

فماذا قالتْ هذه العظات المسيحية السريانية خلافاً لكل التراث التوراتي العبري واليوناني والسامري والسرياني (البشيطا)؟! قالت إن يوسف قصَّ هذين الحلمين مرة واحدة فقط على أبيه يعقوب فقط[5164]!

وهذا ما ردده أصحابُ القرآن بعد ذلك (يوسف 4)! وإنْ حذفوا الحلمَ الأول واكتفوا بالحلم الثاني كما قلنا فيما سبق. ونستطيع الآن أن نفهم لماذا فعل أصحابُ القرآن ذلك. الاكتفاء بحلم واحد فقط وقصه مرة واحدة فقط على أبيه يعقوب فقط وذِكر الإخوة "أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا" أولاً قبل الأبوين "الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ" (يوسف 4)[5165] يُبعِد عن يوسف أي شُبهة غرور ويدحض أي اتهام له بالتكبر على إخوته.

ليس هذا فحسب، بل كرر أصحابُ القرآن اسمَ "يوسف" في هذا الجزء من القصة 7 مرات (يوسف 4، 7، 8، 9، 10، 11، 17)؛ ومِن المعلوم أنه حسب التراث اليهودي/المسيحي فإن رقم 7 يرمز إلى التمام والكمال (perfection). ففي ذلك دليلٌ على كمال يوسف القرآني. وقيل إن الآية "لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ" (يوسف 7) مدنية[5166]. إنْ صح ذلك، فإنه قد يعني أنها أضيفتْ لاحقاً عن عمد لاستكمال عدد مرات تكرار اسم "يوسف" في هذا الجزء من القصة إلى 7 مرات بالضبط.

إنه إذن نفس الهدف: رَسْم شخصية يوسف بأحسن صورة ممكنة، وعدم الإساءة إليه ولو تلميحاً.

الهدف نبيل. لكن القرآن ليس أول كتاب يسعى إليه. فلقد سبقه التراث المسيحي السرياني.

وقبل أن نترك هذه العظات المسيحية السريانية (PsN)، يجب أن نذكر مظهراً آخر مِن مظاهر تأثر القرآن (يوسف 4) بها. إنه مظهر شكلي لكنه يستحق التأمل. يقول القرآن: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (يوسف 4). كان ينبغي أن يقول "سَاجِدَة" أو "سَاجِدَات" لأن الشمس والقمر والكواكب غير عاقلة. فاجتهد المفسرون المسلمون لتبرير كلمة "سَاجِدِين" التي تُستخدَم لجمع العاقل. فقيل إن السجود مِن أفعال العقلاء؛ والمقصود إخوته وأبواه[5167]. وقيل إن القرآن يجمع

أحياناً ما لا يعقل جَمْع مَن يعقل[5168]. وقيل: حفاظاً على السجع. وقد يكون ذلك صحيحاً. لكن في الواقع، يوجد سبب محتمل آخر. وهو أن هذه العظات المسيحية السريانية (PsN) تقول "سَاجِدِين" (بالسريانية: sāgdin)! وكذلك الترجوم الآرامي "ترجوم أنكيلوس" (Targum Onkelos) يقول "سَاجِدِين"[5169]! وكذلك التوراة السريانية (البشيطا) تقول "سَاجِدِين" (التكوين 9:37)[5170]! فهل هي مجرد صدفة أن نفس الكلمة الآرامية/السريانية موجودة في نفس الموضع في القرآن (يوسف 4)؟! لا نعتقد أنها مجرد صدفة.

نعود إلى موضوعنا وهو محاولة تصوير يوسف ويعقوب بأحسن صورة ممكنة. وننتقل إلى التراث اليهودي المتأخر (post-Biblical) ...

في الواقع، توجد أدلة أخرى أقدم مِن ذلك في التراث اليهودي[5171] ولم نذكرها بالتفصيل حرصاً على عدم الإطالة. مثلاً: كتاب اليوبيلات (Book of Jubilees) الذى كُتِب أصلاً باللغة العبرية في القرن الثاني قبل الميلاد ويُعتبر أحد كتب سوديبِجرافا العهد القديم، لكن الكنيسة الحبشية (الأثيوبية) هي الكنيسة الوحيدة التي تعترف بقانونيته. لم يذكر كتابُ اليوبيلات أن يوسف كان ينقل نميمة إخوته الرديئة إلى يعقوب، ولم يذكر أن يعقوب هو الذي صنع ليوسف "قَمِيصًا مُلَوَّنًا" واكتفى بأن قال "ثوب يوسف" **[← وكذلك فعل القرآنُ، قال "قَمِيصه" (يوسف 18) بدون أن يقول إن يعقوب هو الذي صنعه ليوسف وبدون أن يقول إنه ملوَّن[5172]]**، بل لم يذكر كتابُ اليوبيلات أحلام يوسف! فحين تقرأ كتابَ اليوبيلات (وكذلك حين تقرأ كتابَ القرآن)، تشعر أن يعقوب لم يُميِّز يوسفَ عن إخوته بعَطاءٍ أو مال، بل تشعر أن يعقوب ويوسف بريئان تماماً وليس لهما أي ذنب وليس عليهما أي مسئولية في كراهية إخوة يوسف له! ومِن ثم تشعر أن إخوة يوسف أبغضوه دون أن يرتكب يوسف في حقهم ما يجعله يستحق هذا البغض! وكأن يوسف وقع ضحية لكراهية إخوته له!

واتخذتْ بعضُ كتب التراث اليهودي طريقاً آخر، فحاولتْ أن تجد أسباباً مقنعة تبرر تفضيل يعقوب ليوسف على سائر إخوته، ومِن ثم حقد إخوته عليه. قيل: لحكمة يوسف وذكائه. وقيل: لجماله [الخارجي]. وقيل: لروحه الكريمة (أي: جماله الداخلي). وقيل غير ذلك[5173]. وكالعادة، تسللتْ هذه الأفكار اليهودية والاجتهادات الإسرائيلية إلى كتب تفسير القرآن وقصص الأنبياء. على سبيل المثال، يقول أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر) إن "إخوة يوسف قد حقدوا عليه وحسدوه على حب أبيه إياه، وعلى ما أوتيه من علم وجمال وجلال"[5174]. وقال الشيخ عبد الوهاب النجار (أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين): "كان يوسف جميل الصورة أثيراً عند أبيه يخصه بقسط عظيم من محبته، وكان ذلك سبباً في حقد إخوته عليه"[5175]. وقال الدكتور محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق): "وكان أبوه يختصه بحب عميق، وحنان كبير، ويؤثره على بنيه جميعاً، لما يلمسه فيه من مخايل النجابة

والذكاء، ولما يرى فيه من مميزات لا تتوفر في سائر إخوته. [...] ولم يستطع يعقوب عليه السلام أن يخفي حبه العميق ليوسف عن إخوته الآخرين، فغاظهم ذلك، وملأ قلوبهم بالحقد على أخيهم والحسد له"[5176].

وكل ما سبق يؤكد أن البصمتين البشريتين اليهودية والمسيحية واضحتان على القرآن وتفاسيره منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا. فلو أعطيتَ هذا القرآن إلى رجلٍ يعيش في جزيرةٍ منعزلة، فستدور في ذهنه أسئلةٌ كثيرة ولن يستطع أن يجيب عليها إلا إذا رجع إلى الكتاب المقدس وتراثه وتفاسيره.

4.22.2.2 رد فعل يعقوب حين سمع رؤيا يوسف (يوسف 5-6)

لاحظنا أيضاً اختلافَ قصتي يوسف التوراتية والقرآنية في رد فعل يعقوب حين سمع حلمَ ابنه يوسف. في التوراة "انْتَهَرَهُ أَبُوهُ" واستغرب حلمه "وَقَالَ لَهُ: «مَا هذَا الْحُلْمُ الَّذِي حَلُمْتَ؟ هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الأَرْضِ؟»" (التكوين 10:37)؛ بينما في القرآن نهاه يعقوبُ عن كشف رُؤْيَاه لإخوته "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (يوسف 5).

فحين تقرأ القصة التوراتية تشعر أن يعقوب مَالَ ولو قليلاً إلى إخوة يوسف ووقف في صفهم بدليل أنه انتهر يوسفَ ورفض حلمه. أما حين تقرأ القصة القرآنية فترى يعقوب ويوسف يقفان سوياً في جانبٍ بينما يقف إخوةُ يوسف وحدهم في جانبٍ آخر.

كما يتضح مِن هذه الآية القرآنية (يوسف 5) أن يعقوب – حسب القرآن – خاف أن يثير هذا الحلم في نفوس إخوة يوسف الحسدَ والحقد على أخيهم يوسف، فيبغون له الغوائل ويغريهم الشيطانُ بتدبير الحيل ضده للإضرار به والعدوان عليه؛ ولهذا خاف يعقوبُ على يوسف وطلب منه ألا يقصَّ هذا الحلم على إخوته[5177]. هذه الفكرة ليس لها أي وجود في التوراة التي تقول إن إخوة يوسف حسدوه بعد أن سمعوا أحلامه (التكوين 11:37) ولم تقل إن يعقوب كان يخاف على يوسف مِن إخوته.

السؤال الآن هو: مِن أين أتى أصحابُ القرآن بفكرة أن يعقوب خاف على يوسف مِن تأثير حلمه على إخوته إذا قصَّ يوسفُ عليهم رؤياه (يوسف 5)؟

الإجابة تنقسم إلى شقين ...

الشق الأول: مِن بقية أحداث القصة التوراتية. فلقد قالتْ التوراةُ عدة مرات إن أحلام يوسف كانت سبباً في زيادة بُغْض إخوته له حينما يسمعونها: "وَحَلُمَ يُوسُفُ حُلْمًا وَأَخْبَرَ إِخْوَتَهُ، فَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ" (التكوين 5:37) "وَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ مِنْ أَجْلِ أَحْلاَمِهِ وَمِنْ أَجْلِ كَلاَمِهِ" (التكوين 8:37) "ثُمَّ حَلُمَ [يُوسُفُ] أَيْضًا حُلْمًا آخَرَ وَقَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، [...] فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ" (التكوين 9:37-11). فكانت النتيجة أنهم تآمروا ضده بسبب أحلامه (التكوين 18:37-24).

الشق الثاني: مِن التراث المسيحي السرياني. في نفس العظات المسيحية السريانية (PsN) التي ذكرناها فيما سبق، نجد أن يعقوب لم ينتهرْ يوسف وإنما قال له: "اهدأ يَا بُنَيَّ، لا تكشفْ [أحلامك] لئلا يحسدك إخوتُك ويقتلوك" (Be quiet child. Do not reveal [your dreams] / lest there be envy among your brothers and they kill you)[5178] **[⟵ كذلك في القرآن، يعقوب لم ينتهرْ يوسف وإنما "قَالَ [له] يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا (أي: لئلا يحسدوك ويعادوك فيحتالوا عليك ويدبروا مؤامرةً ضدك لإهلاكك)" (يوسف 5)].**

ليس هذا فحسب، بل تقول هذه العظات المسيحية السريانية إن يعقوب فَسَّر حلمَ يوسف وقال تفسيره ليوسف: "إله الكل يريد أن يجعلك مَلِكاً (a king)، وسنأتي أنا وَأُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ لننحني أمامك" (The God of all wishes to make you a king / and I, your mother, and your brothers shall come and bow down before you)[5179] **[⟵ وكذلك في القرآن، استطاع يعقوب "النبي" أن يفسر حلمَ يوسف وقال تفسيره ليوسف: "وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ[5180] رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ" (يوسف 6)].**

إذن: كما رأينا فيما سبق أن القرآن اتفق مع العظات المسيحية السريانية (PsN) في التأكيد على أن يوسف لم يكن مغروراً أو متعالياً على إخوته، نرى القرآن الآن يتفق مع نفس هذه العظات المسيحية السريانية (PsN) في أمرين مهمين: (1) نصيحة يعقوب ليوسف بعدم كشف حلمه لإخوته (يوسف 5)؛ (2) التأكيد على أن يعقوب فَسَّر حلمَ يوسف وأدرك أنه علامة أو إشارة مِن عند الله (يوسف 6).

إلا أن القرآن (يوسف 6) لم يحدد تلك "النعمة" الإلهية التي سيتمها اللهُ على يوسف. قيل: النبوة والرسالة مثل آبائه يعقوب وإسحاق وإبراهيم[5181]، فلقد بدأ اللهُ يتواصل معه ويخبره بالغيب (المستقبل) عن طريق الرؤيا الإلهامية (prophetic dream) على الرغم مِن صغر سنه. وقيل: الرياسة والمُلْك كما يُفهَم مِن الرؤيا التي رآها. ونحن نميل إلى الرأي الثاني لأنه يتفق أكثر مع الرؤيا التي رآها يوسف، ويتفق أكثر مع التراث اليهودي/المسيحي الذي لا يعتبر يوسف نبياً ولا رسولاً، والأهم من ذلك أنه يتفق أكثر مع ما قالته العظات المسيحية السريانية قبيل الإسلام: "إله الكل يريد أن يجعلك مَلِكاً (a king) [...]". لكننا نعترف بأنه لا تعارض بين الرأيين، فيمكن الجمع بينهما. قال الشيخ عبد الجليل عيسى (مِن علماء الأزهر في القرن العشرين): "عند ذلك أدرك يعقوبُ من الرؤيا أن الله تعالى سيختار يوسفَ لأمرٍ هامٍّ، [...] [فقال ليوسف:] وكما اجتباك ربُّك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف المنزلة يجتبيك للنبوة والأمور العظيمة، ويُعَلِّمُك من علمه الإلهي تعبير الرؤيا وتفسيرها على الوجه الصواب، ويتم نعمته عليك بالنبوة والرسالة والرياسة"[5182]. وقال شيخ الأزهر الأسبق د. محمد سيد طنطاوي: "ويتم نعمته عليك بالنبوة والرسالة، والمُلْك والرياسة"[5183].

ومِن حُسن الحظ أنه يوجد في التراث المسيحي السرياني قصة نثرية (a narrative in prose) تُعرَف باسم "قصة يوسف السريانية" (The Syriac History of Joseph) ورمزها العلمي (PsB) ويرجع تاريخها أيضاً إلى القرن الخامس الميلادي، أي: قبيل الإسلام. تقول قصة يوسف السريانية إن يعقوب قال لنفسه (وليس ليوسف): هذه الأحلام التي رآها ابني يوسف ليست أحلاماً كاذبة، وإنما هي أحلام حقيقية. الله هو الذي جعل يوسف يرى هذه الأحلام **[⟵ وصف القرآنُ حُلْمَ يوسف بكلمة "رُؤْيا" (يوسف 5)؛ والرؤيا لا تكون إلا مِن الله، بخلاف الحُلم الذي قد يكون من الشيطان (أَضْغَاث أَحْلَامٍ)[5184]]**. ثم تقول قصةُ يوسف السريانية: "وسيفعل الله أمراً عظيماً مع يوسف" (something great will be done by God with Joseph)[5185]. ولم تحدد قصة يوسف السريانية ما هو هذا "الأمر العظيم" الذي سيفعله الله مع يوسف **[⟵ لم يحدد القرآنُ ما هي تلك "النعمة" الإلهية التي سيتمها اللهُ على يوسف]**.

يبدو لنا إذن أن أصحاب القرآن أرادوا أن يجمعوا (أي: يدمجوا conflate) هذين التقليدين المسيحيين السريانيين في آية قرآنية واحدة (يوسف 6)، فجعلوا يعقوب لا ينتهر يوسف وإنما يقول تفسير الحلم له (كما جاء في العظات المسيحية السريانية PsN) بدون أن يحدد بالضبط ما المقصود بالنعمة الإلهية التي سيتمها اللهُ على يوسف (كما جاء في قصة يوسف السريانية PsB).

وفي جميع الأحوال، فإننا نرى في التراث المسيحي السرياني (ومِن بعد ذلك في القرآن) أن يعقوب سُرَّ بحُلْم يوسف **[⟵ رؤيا يوسف]** واستشرفَ له مستقبلاً عظيماً وربَطَ هذا المستقبل العظيم بالله.

فَمِن المهم جداً أن نلاحظ أن القرآن ليس أول نص يُقحم اللهَ في هذا الجزء مِن قصة يوسف، فلقد سبقه التراث المسيحي السرياني. بخلاف التوراة التي لم تذكر اللهَ أبداً في هذا الجزء مِن قصة يوسف! حُلم يوسف في التوراة يساعدنا على فَهْمِ لماذا أبغض إخوةُ يوسف يوسفَ وحسدوه. أما في القرآن (ومِن قبله التراث المسيحي السرياني)، فإن حُلم يوسف رسالةٌ مِن الله. ولذلك لم تذكر التوراةُ حُلمَ يوسف بعد ذلك، فلقد أدى وظيفته الفنية في بداية القصة. بينما انتهتْ القصة القرآنية بالتأكيد على أن رؤيا يوسف تحققت والتأكيد أيضاً على أن الله هو الذي جعلها حقيقة واقعة: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ [يوسفُ] يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا" (يوسف 100). أي: بدأتْ القصة القرآنية برؤيا إلهية (يوسف 4) وانتهتْ بتحقيق تلك الرؤيا الإلهية (يوسف 100). وهذا وجه مِن أوجه السرد الدائري (circular, cyclical narrative) الذي سنراه كثيراً بعد ذلك في قصة يوسف القرآنية. بل ليس من المبالغة أن نقول إن القصة القرآنية ليست قصة يوسف، وإنما قصة رؤيا إلهية تحققتْ على الرغم مِن كل العقبات. وكأن القصة القرآنية أرادتْ أن تقول إن إرادة الله ستتحقق في النهاية مهما حاول البشر إعاقتها[5186]. أما يوسف فهو مجرد مثال كما قلنا. تستطيع أن تستبدله بأي نبي قرآني آخر (محمد مثلاً).

يوسف القرآني يرمز إلى محمد. تبدأ قصة يوسف القرآنية بالرؤيا في المنام (يوسف 4)، وتقول كتب السُّنَّة والسيرة النبوية إن رسالة محمد بدأتْ بالرؤيا في المنام[5187]! يذهب الغلام يوسف إلى أبيه النبي يعقوب ليفسر له رؤياه، ويذهب الشاب محمدٌ إلى معلمه وأبيه الروحي الشيخ ورقة بن نوفل ليفسر له رؤياه.

هذا عن التراث المسيحي السرياني الذي تسلل إلى الإسلام، فماذا عن التراث اليهودي المتأخر؟

اخترنا على سبيل المثال وليس الحصر ما قاله "يوسيفوس" (Flavius Josephus) اليهودي (القرن الأول الميلادي) في الفقرة (2.2.3) مِن كتابه الشهير (Antiquities of the Jews)[5188]. قال يوسيفوس إن يعقوب فهم حلم يوسف وفرح "للأمور العظيمة" (great things) التي يعنيها لأنه يتنبأ بسعادة ابنه يوسف في المستقبل وأنه "ببركة الله" (the blessing of God) – أو: "بعطية الله" (God's gift) – [← "**يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ [...] وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ (His blessing; His grace) عَلَيْكَ" (يوسف 6)**] سيأتي اليوم الذي يكون يوسف فيه محل تقدير وإجلال مِن أبويه وإخوته.

الخلاصة: نتمنى أن يكون أحباؤنا المسلمون قد لاحظوا واقتنعوا أنه قبل ظهور الإسلام، لم تكن هناك رواية واحدة وحيدة لقصة يوسف. وإنما كانت هناك عدة روايات (retellings; recastings) تنتمي لأزمنة وأماكن وثقافات مختلفة. فالرواية العربية المذكورة في القرآن (المصحف) هي مجرد رواية بشرية مِن ضمن روايات بشرية أخرى كثيرة. ولا يوجد أي دليل على أن الرواية القرآنية لقصة يوسف هي الرواية الصحيحة. بل إن كل الأدلة التي أمامنا تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الرواية القرآنية لقصة يوسف هي مجرد تطور بشري طبيعي للروايات التي سبقتها سواء في التراث اليهودي (المتأخر) أو في التراث المسيحي (السرياني). وإنما نحن نركز على التراث المسيحي السرياني لأنه الأقرب زمانياً ومكانياً وثقافياً إلى القرآن. أخذ أصحابُ القرآن هذا التراث اليهودي/المسيحي عن يوسف، وطوروه تطوراً بشرياً طبيعياً حتى جعلوا قصةَ يوسف القرآنية تتفق أكثر مع قصة حياة نبيهم محمد، كما سنناقش بقدر أكبر من التفصيل فيما يلي ...

4.22.2.3 إخوة يوسف يدبرون مؤامرتهم ضده قبل خروجهم مِن بيت أبيهم (يوسف 8-10)

حسب التوراة، كانت فكرة اغتيال يوسف عفوية وتلقائية (spontaneous) ولم تخطر على بال إخوته إلا وَهُمْ خارج بيت أبيهم، في دوثان حين رَأَوْا يوسفَ قادماً إليهم: "فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ مِنْ بَعِيدٍ، قَبْلَمَا اقْتَرَبَ إِلَيْهِمِ، احْتَالُوا لَهُ لِيُمِيتُوهُ" (التكوين 37:18). أي أنهم خرجوا من بيت أبيهم لِيَرْعَوْا غَنَمَ أَبِيهِمْ عِنْدَ شَكِيمَ ثم ذهبوا إلى دوثان وهناك رَأَوْا يوسفَ فجأة فتآمروا عليه. "وهو ما يفيد أن مؤامرتهم على أخيهم، إنما كانت أمراً طارئاً حدث عن رؤيتهم له في مرعاهم، مِن دون سبق إصرار وترصد"[5189].

لكن حسب القرآن، دبَّر إخوةُ يوسف مؤامرتهم ضده قبل – وليس بعد – خروجهم مِن بيت أبيهم إلى المرعى: "قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ [...]. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا [...]. قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ (بالسريانية: šyārtā؛ أي: قافلة[5190])" (يوسف 8-10). إذن: جريمة إخوة يوسف – حسب القرآن – أبشع وأفظع لأنها قَتْل عمد مع سبق الإصرار (premeditated murder). فنلاحظ أنه كما حرص أصحابُ القرآن على رسم شخصية يوسف في أحسن صورة ممكنة، كذلك حرصوا على رسم شخصيات إخوته العشرة الكبار في أسوأ صورة ممكنة. فجعلوهم أولاً يحقدون على أخيهم بنيامين شقيق يوسف "قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" (يوسف 8) مع أن بنيامين الصغير لم يؤذهم أبداً بالقول ولا بالفعل، فلم يحلم أحلاماً تتعارض مع مصالحهم ولم ينقل نميمتهم الرديئة إلى أبيهم يعقوب. ثم جعلوهم يدبرون مؤامرتهم ضد أخيهم يوسف مبكراً جداً، قبل خروجهم مِن بيت أبيهم إلى المرعى. بل دبروا مؤامرتهم بدون أن يسمعوا رؤيا يوسف. قال الأستاذ أحمد بهجت "إن يوسف استسلم لأمر أبيه ولم يحدث إخوته عن رؤياه. ومع ذلك جلس الإخوة يكيدون له ويدبرون له مؤامرة. ذلك أدعى لاتصافهم بالظلم"[5191].

وكما توقعنا، يظهر لنا هنا تأثر القرآن بالتراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني.

فنجد في العظات المسيحية السريانية (PsN) أن إخوة يوسف لمَّا سمعوا أحلام يوسف البار، حسدوه "وخططوا للتخلص منه نهائياً" (they planned to do away with him)[5192] **[⟵ "اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ (أي: بعد التخلص مِن يوسف نهائياً، سيخلُص حب أبينا يعقوب لنا وحدنا)" (يوسف 9)]**. ثم بعد ذلك، خرج إخوةُ يوسف ليرعوا الغنمَ في شكيم. أو بعبارة أكثر دقة: أرسلهم يعقوبُ البار ليرعوا الغنمَ في شكيم. إذن: مؤامرتهم لقتل يوسف بدأت قبل – وليس بعد – خروجهم مِن بيت أبيهم **[⟵ وكذلك في القرآن، تآمروا على يوسف أولاً (يوسف 8-10) ثم بعد ذلك طلبوا من أبيهم أن يرسله معهم خارج البيت "أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا [إلى المراعي] يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (يوسف 12)]**.

وكذلك في قصة يوسف السريانية (PsB)، سمع إخوةُ يوسف أحلامه، فتآمروا عليه داخل بيت أبيهم، فرآهم يعقوبُ وَهُمْ يدبرون شراً ضد يوسف (contriving something evil against Joseph)[5193]، فأرسلهم يعقوبُ بعيداً ليرعوا الغنمَ في شكيم بحجة أنه لا يصح أن يتركوا أبناءهم الصغار (أي: أحفاد يعقوب) يرعون الغنمَ وحدهم. فخرج إخوةُ يوسف من بيت أبيهم بينما ظل يوسف وبنيامين مع أبيهما في البيت.

وبصراحة، نحن لا نستغرب أن المسيحيين السريان قد جعلوا إخوةَ يوسف يتآمرون عليه داخل بيت أبيهم، فَمِن الواضح أن المسيحيين السريان أرادوا أن يجعلوا شخصية يوسف قريبة من شخصية يسوع، حتى يصلح يوسف لكي يكون رمزاً ليسوع كما قلنا فيما سبق. فاستعان المسيحيون السريان بعناصر من حياة يسوع ووضعوها في قصة يوسف. وبما أن الإنجيل يقول إن كهنةَ اليهود (إخوة يسوع اليهودي) تآمروا على يسوع

وخططوا لاغتياله في دار رئيس الكهنة (أي: داخل بيت أبيهم الروحي)[5194]، جعل المسيحيون السريان إخوةَ يوسف يتآمرون على أخيهم يوسف داخل بيت أبيهم يعقوب (إسرائيل).

إذن: جَعَلَ المسيحيون السريان يوسفَ رمزاً ليسوع المسيح، وجعلوا إخوةَ يوسف رمزاً لليهود المتآمرين على يسوع المسيح. وانتشرت هاتان العلاقتان الرمزيتان (typological) في أعمال سريانية كثيرة. مثلاً: العظات المسيحية السريانية (PsN)[5195].

ثم تسللت هاتان العلاقتان الرمزيتان إلى القرآن. ويجب هنا أن نقول إن القرآن عندما تحدث عن اليهود الأشرار الذين تآمروا على المسيح ليقتلوه قال: "وَمَكَرُوا" (آل عمران 54). الفعل "مَكَرُوا" قريب من الفعل العبري (makar) أي: باع (to sell)، وهو نفس الفعل العبري الذي نجده في قصة يوسف التوراتية: "وَبَاعُوا (بالعبرية: way-yim-kə-rū) يُوسُفَ" (التكوين 28:37). فإذا افترضنا أن أصحاب القرآن قد استخدموا هذا الفعل "مَكَرُوا" (آل عمران 54) بالذات لأنهم وقعوا تحت تأثير قصة يوسف، فهذا يدل على أنهم قد فهموا جيداً العلاقةَ الرمزية بين يوسف والمسيح، ومِن ثم العلاقةَ الرمزية بين إخوة يوسف الأشرار المتآمرين على يوسف واليهود الأشرار المتآمرين على المسيح.

والسبب الرئيسي في تسلل هاتين العلاقتين الرمزيتين إلى القرآن هو أن الفكرة نفسها تتفق أيضاً مع حياة محمد، إذ نجد في كتب السيرة النبوية أن كفار قريش (إخوة محمد القرشي) تآمروا على اغتيال محمد وهو معهم في مكة (بالقرب مِن بيت الله الحرام؛ مقام أبيهم إبراهيم)، إلا أن محمداً كان أسرع منهم وهاجر إلى يثرب (المدينة). بعبارة أخرى: كما نجح المسيحيون السريان في تطوير (تحريف) قصة يوسف الموروثة حتى يجعلوا يوسفَ البار رمزاً ليسوع اليهودي ويجعلوا إخوتَه الأشرار رمزاً لخبثاء اليهود المتآمرين على يسوع، كذلك نجح أصحابُ القرآن في تطوير (تحريف) قصة يوسف الموروثة حتى يجعلوا يوسفَ الصِدِّيق رمزاً لمحمد القرشي ويجعلوا إخوتَه الأشرار رمزاً لكفار قريش المتآمرين على محمد[5196].

وهذه القراءة الرمزية (typological reading) (أو بالأحرى: إعادة القراءة الرمزية) تُعتبر مظهراً آخر من مظاهر تأثير التراث المسيحي السرياني على القرآن، يُضاف إلى المظاهر الأخرى التي ذكرناها: الأفكار (motifs) والكلمات (vocabulary).

ولذلك فإن سورة يوسف تُصنَّف على أنها سورة مكية متأخرة، فهي تتفق أكثر مع أحداث تلك الفترة من حياة محمد حسب ما جاء في كتب السُّنَّة والسيرة النبوية. قال شيخ الأزهر الأسبق د. محمد سيد طنطاوي: "ويغلب على الظن أن نزولها على النبي ﷺ كان في الفترة التي أعقبت حادث الإسراء والمعراج، والتي اشتد فيها الأذى الذي أنزله المشركون بالنبي ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجته السيدة خديجة رضي الله عنها. فكان نزول هذه السورة فيه ما فيه من التسلية للنبي ﷺ عما أصابه من قومه، حيث قصتْ عليه ما فعله إخوة يوسف به، وما تعرض له هذا النبي الكريم من كيد وحقد، ومن أذى واضطهاد ومن دسائس ومؤامرات"[5197]. وقال د. شوقي ضيف إن سورة يوسف المكية "تسلية للرسول عما يلقى من أذى قريش، وقد يكون ما فيها من

هجرة يعقوب وآله [مِن فلسطين] إلى مصر إرهاصاً بهجرة الرسول وأتباعه [مِن مكة] إلى المدينة"[5198]. الهجرة التي ستعطي محمداً الأملَ في الانتصار على قومه كفار قريش. قال الطبري إن سورة يوسف تَسْلِيَةٌ مِن الله لمحمد (ونحن نقول: تَسْلِيَةٌ مِن أصحاب القرآن لمحمد) "عَمَّا كَانَ يَلْقَى مِنْ أَقْرِبَائِهِ وَأَنْسِبَائِهِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأَذَى فِيهِ، يَقُولُ له: فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا نَالَكَ فِي اللَّهِ، [...]، ثُمَّ يَصِيرُ أَمْرُكَ وَأَمْرُهُمْ إِلَى عُلُوِّكَ عَلَيْهِمْ، وَإِذْعَانِهِمْ لَكَ، كَمَا صَارَ أَمْرُ إِخْوَةِ يُوسُفَ إِلَى الْإِذْعَانِ لِيُوسُفَ بِالسُّؤْدُدِ عَلَيْهِمْ، وَعُلُوِّ يُوسُفَ عَلَيْهِمْ"[5199].

وفي نفس الاتجاه، يقول العالم الباكستاني الأصل "مستنصر مِير" (Prof. Mustansir Mir)[5200]:

> […] Muḥammad is identified with Joseph, and the tribe of Quraysh, to which Muḥammad belonged and which had turned hostile to him, [is identified] with Joseph's brothers. In addition, the story predicts that just as Joseph finally triumphed over the obstacles put in his way by his brothers, so Muḥammad will eventually emerge a victor in his struggle against the Quraysh.

وكذلك تقول موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)[5201]:

> […] Joseph [in the Qur'ān] can thus be seen as exemplifying the basic paradigm of the Qur'ān: he is a prophet (*nabī*) who is derided and exiled, but is eventually vindicated and rises to prominence. As such, he serves as a model for the life of Muḥammad; and many of the qur'ānic commentaries ([…]) see this as a central theme and function of the sūra. […]
>
> […]
>
> […] While earlier Western scholarship focused on comparisons between this sūra and the Hebrew Bible's Joseph narratives, the more recent scholarship focuses on the literary qualities of the sūra and on the relevance of this narrative to the life of Muḥammad.

وهنا يتضح لنا فضل التراث اليهودي/المسيحي على المسلمين الأوائل، بل على محمد شخصياً. حقاً: لولا الكتاب المقدس وتراثه لمَا ظهر الإسلام ولمَا كان القرآن. فلقد وجد محمدٌ في قصة يوسف قدوةً

(model) تُحتذى تساعده على الصبر والثبات في مكة أملاً في أن تتغير حياته إلى الأفضل وينتصر كما حدث ليوسف. ولذلك فإننا لا نقول إن قصة يوسف تنبأت (predicted) بما سيحدث لمحمد. وإنما نقول إن محمد تأثر بقصة يوسف واعتبرها نموذجاً (prototype) يمكن تطبيقه مرة أخرى في المدينة. الفرق بين يوسف ومحمد هو أن يوسف اعتمد على مواهبه (وهي: تفسير الأحلام **[← تأويل الأحاديث؛ تعبير الرؤيا]**) حتى صعد إلى السلطة في مصر، بينما اعتمد محمدٌ على العنف والسيف والقتل وسفك الدماء حتى يتحقق النصر (التمكين) في المدينة.

إلا أنه لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن كل ما زعمه القرآنُ عن قصة حياة يوسف حقيقي تاريخي. وكذلك لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن كل ما زعمته كتب السُّنَّة والسيرة النبوية عن قصة حياة محمد حقيقي تاريخي. ولذلك فإننا نفضل التعامل مع هاتين القصتين (أي: سورة يوسف وسيرة محمد) باعتبارهما قصتين شعبيتين (folklore) مروثتين. والتقتْ القصتان **<u>عن عمدٍ</u>** في كثيرٍ مِن النقاط في الاتجاهين:

- مِن السيرة إلى السورة: استعان أصحابُ القرآن بعناصر من حياة محمد ووضعوها في قصة يوسف. مثلاً: محمد ادعى النبوة وزعم أنه يتلقى "الرسالة" من الله. فجعل أصحابُ القرآن يوسفَ نبياً رسولاً[5202]، مع أن اليهود والمسيحيين لا يعتبرون يوسفَ نبياً ولا رسولاً. وكما سنرى لاحقاً، أخذ أصحابُ القرآن كلامَ محمد عن التوحيد والإيمان بالآخرة ووضعوه على لسان يوسف (يوسف 37-40)!

- مِن السورة إلى السيرة: استعان أصحابُ القرآن وكُتاب السُّنَّة والسيرة النبوية بعناصر مِن قصة يوسف ووضعوها في حياة محمد. مثلاً: رُمِيَ يوسفُ في البئر، ثم خرج منه سالماً. فجعلوا محمداً يدخل غار ثور وهو يهاجر مِن مكة إلى المدنية، ثم يخرج مِن الغار سالماً. وكما زعموا أن الله أوحى إلى يوسف ليطمئنه وهو في البئر[5203]، كذلك زعموا أن الله كان مع محمد وَأَنزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وهو في الغار[5204]. مثال آخر: يقول صحيحا البخاري ومسلم "إِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَؤُوا عَنِ الإِسْلاَمِ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ"، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا المَيْتَةَ وَالعِظَامَ"[5205]! بل تقول مراجع إسلامية إن محمد المنتصر قال لكفار قريش يوم فتح مكة ما قاله يوسفُ لإخوته في نهاية القصة: "لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ" (يوسف 92)[5206] "اذْهَبُوا" (يوسف 93) فأنتم الطلقاء!

بعبارة أخرى: أراد الوعي الجمعي (collective consciousness) العربي[5207] أن ينتج هاتين القصتين (أي: قصة يوسف وقصة محمد) بحيث تكونا متشابهتين في كثيرٍ مِن النقاط. ذكرنا مِنها بضعة نقاط على سبيل المثال، لكن توجد عناصر أخرى متشابهة بين هاتين القصتين[5208].

إذن: أعاد أصحابُ القرآن إنتاجَ قصة يوسف التوراتية بحيث تتفق أكثر مع قصة حياة نبيهم محمد، كما أعاد مِن قبلهم المسيحيون السريان إنتاجَ قصة يوسف التوراتية بحيث تتفق أكثر مع قصة حياة إلههم

يسوع[5209]. مما يؤكد أن القرآن مجرد تطور بشري طبيعي للتراث المسيحي السرياني. وبما أن العظات والقصص السريانية كلام بشر 100%، فإن القرآن أيضاً كلام بشر 100%.

القصة القرآنية ليست قصة يوسف التوراتية، وإنما قصة يوسف المحمَّدية.

ومِن التراث اليهودي المتأخر، اخترنا على سبيل المثال وليس الحصر "يوسيفوس" (Flavius Josephus) اليهودي (القرن الأول الميلادي) الذي قال في الفقرة (2.2.4) مِن كتابه الشهير (Antiquities of the Jews)[5210] إن إخوة يوسف فهموا أحلامه فحزنوا وقرروا أن يقتلوا الغلامَ ثم خرجوا ليرعوا الغنم في شكيم. إذن: زعم يوسيفوس أن جريمة إخوة يوسف لم تكن عفوية كما تقول التوراة، وإنما كانت بنيّةٍ مُبيَّتةٍ كما قال القرآنُ بعد يوسيفوس بأكثر من 500 سنة! ويصف يوسيفوس يوسفَ بكلمة "غلام" (lad) تأكيداً على براءته وأنه لم يؤذِ إخوته.

وقيل إن يوسيفوس وَضَعَ مؤامرةَ إخوة يوسف في هذه المرحلة المبكرة من القصة، لأنه هو شخصياً (أي: يوسيفوس) تعرض لمؤامرةٍ من خصومه مع أنه كان بريئاً ولم يؤذهم[5211]! إنْ صح ذلك، فإنه يدل على أن أي واحد كان يعيد إنتاجَ قصة يوسف التوراتية بحيث تتفق أكثر مع حياته الشخصية أو مع حياة النبي الذي يتبعه أو الإله الذي يعبده.

وكل ما سبق يؤكد على القدر الكبير مِن الحرية الدينية التي تمتع بها اليهود والمسيحيون الشرقيون في القرون الستة الأولى للميلاد، فكان أمراً عادياً – بل عادياً جداً – أن يأخذ كاتبٌ قصةً توراتية أو إنجيلية ويطورها تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة حتى تتفق مع وجهة نظر معينة يريد أن يبرزها.

في ضوء هذه الحرية الدينية وبفضلها، خرج القرآنُ مِن رحم الشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي. وكما نقول دائماً: القرآنُ لم ينزل من السماء، وإنما صعد من أرض الشرق الأوسط.

4.22.2.4 حوار إخوة يوسف مع يعقوب وإلحاحهم وكذبهم ليأخذوا يوسف مِنه (يوسف 11-14)

حسب القرآن، طلب إخوةُ يوسف صراحةً مِن أبيهم يعقوب أن يرسل يوسفَ معهم خارج البيت (يوسف 11-12) لكن يعقوب لم يكن يريد أن يرسل يوسفَ معهم فتعلل لهم بأنه يحزن لفراقه ويخاف عليه (يوسف 13) فلم يوافق على طلبهم إلا بعد مداولات بينه وبينهم وبعد أن ألحوا عليه وكذبوا (يوسف 14). ونحن نتفق مع د. الصابوني في أن يعقوب "أرسله معهم على كره ومضض"[5212]. "ولم يأذن لهم في اصطحابه إلا بعد تمنع شديد"[5213]. ومِن الواضح أن إخوة يوسف كانوا يعرفون سلفاً أن أباهم يعقوب كان يخشى على يوسف منهم، بدليل أنهم سألوا يعقوب بكل وضوح "يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا (do not trust us) عَلَى يُوسُفَ" (يوسف 11)، ولقد فَسرتْ بعضُ كتب التفسير وقصص الأنبياء هذه الآية بأن يعقوب كان يخشى على يوسف

مِن إخوته فكان يُبعِده عنهم ولا يشعر بالأمن إذا كان معهم[5214]، وأن قولهم "يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ" فِيهِ دَلِيل عَلَى أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ قَبْل ذَلِكَ أَنْ يُخْرِج مَعَهُمْ يُوسُفَ ولكنه رفض[5215]. قال الشيخ الشعراوي إن قولهم "مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ" "يدل أنه كانت هناك محاولات سابقة منهم في ذلك، ولم يوافقهم الأب"[5216].

أما ما نجده في التوراة فهو العكس تماماً! فبعد ذِكر حلم يوسف مباشرة (التكوين 37:9-11)، نجد أن يعقوب (إسرائيل) هو الذي – وَمِن تلقاء نفسه – أرسل يوسفَ وحيداً إلى إخوته لكي يَطمئن على سلامتهم وسلامة الغنم (التكوين 37:12-14). فلا نجد في التوراة أي حوار بين إخوة يوسف وأبيهم يعقوب مِن طلبهم أَخْذ يوسف معهم وخوف يعقوب على يوسف مِن تواجده معهم بعيداً عنه.

السؤال الآن هو: مِن أين أتى أصحابُ القرآن بهذه الأفكار غير التوراتية؟

والإجابة كالعادة هي: مِن التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني.

مِن التراث اليهودي المتأخر، اخترنا على سبيل المثال وليس الحصر الفيلسوف اليهودي المصري الكبير "فيلو" السكندري (Philo of Alexandria) (Philon d'Alexandrie) الذي عاش من 20ق.م إلى 45م أو 50م[5217]؛ أي: كان معاصراً ليسوع المسيح، قبل ظهور الإسلام بأكثر من 500 سنة.

قال فيلو في كتابه الشهير "عن يوسف" (De Iosepho) إن يعقوب طلب من ابنه يوسف أن ينسى الحلمَ الذي رأى فيه الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدين له، وأن يمسح هذا الحلم من ذاكرته وألا يُفكِّر في هذا الحلم بعد ذلك اليوم لأن تفسير الحلم هو أن يسود يوسف على إخوته، وهو ما سيرفضه الإخوةُ؛ فعنَّفه يعقوبُ بحدة قائلاً: "يبدو أنك تقصد بالشمس أباك وبالقمر أمك وبالأحد عشر نجماً إخوتك الأحد عشر. هل يمكن أن نظهر لك أنا وأمك وإخوتك الإجلال؟ لا يخطر ببالك هذا الفكر أبداً، يَا بُنَيَّ، ولتخب ذكرى ما رأيته في نومك. لأن فكرة أن ترجو وتتوقع بلهفة أن تهيمن على عائلتك هي فكرة بغيضة للغاية في رأيي، وأعتقد أن كل من يهتمون بالمساواة والعدل بين الأقارب سيتفقون معي في هذا حتماً"[5218][5219] **[⟵ "قَالَ [يعقوبُ له] يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا" (يوسف 5)].**

وأضاف فيلو أن يعقوب خاف أن يثير تواجد يوسف وسط إخوته الاضطراب والشقاق بين الإخوة، لحقدهم عليه بسبب أحلامه. ولهذا أرسلهم يعقوبُ يرعون الغنم وحدهم بعيداً، وأبقى على يوسف في البيت، أي: حرص يعقوبُ على بقاء يوسف معه وعدم اختلاطه بإخوته **[⟵ "قَالَ [يعقوب لإخوة يوسف] إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ [بعيداً عني] وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ" (يوسف 13)].**

لكن ما الذي جعل يعقوبَ يغير رأيه بعد ذلك؟ الإجابة حسب فيلو هي: الوقت. بمرور الوقت، ظن يعقوبُ أن كراهيتهم ليوسف لم تعد موجودة في قلوبهم **[⟵ الإجابة حسب القرآن هي: إلحاحهم وكذبهم على يعقوب: "قَالُوا يَا أَبَانَا [...] إِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. [...] وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (يوسف 11-12) "قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ**

الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ" (يوسف 14)]. فاطمأن يعقوبُ لهم وأرسل يوسفَ إليهم **[⟵ "ذَهَبُوا بِهِ (أي: أخذوا يوسف معهم)" (يوسف 15)].**

ننتقل إلى التراث المسيحي السرياني حيث توجد عِظات شعرية (قصائد) منسوبة إلى إفرام السرياني أو على الأرجح "بالاي" (Balai of Qenneshrin)[5220] ولذلك فإن رمزها العلمي هو (Balai) ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي، أي: قبل الإسلام، لكنها قريبة جداً مما قاله القرآنُ بعد ذلك. حسب Balai، أيقن إخوةُ يوسف أنه مِن الصعب أن يتخلصوا من يوسف وهو بالقرب من أبيهم يعقوب. فدبروا حيلةً لخداع أبيهم الشيخ يعقوب حتى يأخذوا يوسفَ مِنه. تتلخص هذه الحيلة في أن يخفوا عن يعقوب ما بداخلهم مِن كراهيةٍ ليوسف؛ لأنه إذا علم يعقوبُ أنهم غاضبون من يوسف لن يثق فيهم ولن يرسله إليهم **[⟵ "قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. [...] وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (يوسف 11-12)].** ثم يقولوا لأبيهم يعقوب أن يجلس في بيته مع حبيبه يوسف بينما يذهبون هُمْ إلى المراعي، ويطلبوا مِن أبيهم يعقوب أن يُطمئنهم على صحته إذا تأخروا هناك (if it so happens that we are late, inform us of your health)[5221]. وطبعاً الوسيلة الوحيدة ليُطمئنهم يعقوب على صحته هي أن يُرسِل يوسفَ إليهم **[⟵ في القرآن، زعموا أن هدفهم هو إسعاد يوسف بالأكل واللعب وليس الاطمئنان على صحة يعقوب: "أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا [إلى المراعي] يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ" (يوسف 12). لكن في الحالتين، هدفهم الحقيقي واحد: أَخْذ يوسف من يعقوب بالمكر والكذب والخداع].** فنجحتْ حيلتهم، وأرسل يعقوبُ يوسفَ إليهم **[⟵ وكذلك في القرآن، نجحتْ خطتهم وأرسل يعقوبُ يوسفَ معهم. وهكذا استطاعوا أن يأخذوا يوسف مِن يعقوب: "ذَهَبُوا بِهِ (أي: بيوسف)" (يوسف 15)].**

إذن: هذه العظات المسيحية السريانية أعطت القرآنَ فكرة أن إخوة يوسف لجأوا إلى خداع أبيهم يعقوب حتى ينفردوا بيوسف في المراعي ويتخلصوا منه حيث لن يستطيع يعقوب أن ينقذه أو يحميه مِنهم.

وهنا يتفق القرآنُ مع التراث المسيحي السرياني الذي سعى – كما قلنا فيما سبق – إلى التأكيد على شرور إخوة يوسف وتقديمهم بأقبح وأشنع وأفظع صورة ممكنة: عشرة كبار أشداء أقوياء "عُصْبَة" (يوسف 8، 14) يملؤهم الحقدُ والحسد كذبوا على أبيهم الشيخ الضعيف لينفردوا بأخيهم الطفل الصغير البريء ويتخلصوا مِنه في مكانٍ بعيدٍ مظلمٍ تحت الأرض "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ" (يوسف 10، 15)! إنها بالفعل جريمة – بل جرائم – في غاية البشاعة.

ولقد صدق يسوعُ المسيح حين قال: "اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ (أي: غير الحقيقيين؛ false prophets) الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَاب الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. [...] مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ" (متى 7:15-20). فهذا بالضبط ما فعله إخوةُ يوسف الْكَذَبَة حسب القرآن (ولا يهمنا هنا

إنْ كانوا أنبياء أم لا): فلقد تحدثوا مع أبيهم يعقوب بِثِيَاب الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ، فكذبوا على أبيهم يعقوب وخدعوه حتى خطفوا يوسفَ مِنه.

4.22.2.5 الذِّئْبُ ... الذِّئْبُ ... الذِّئْبُ (يوسف 13-17)

لم نجد في التوراة أن "الذئب" أكل يوسف. وإنما تقول التوراة: "وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ". قالتها التوراةُ مرتين: أولاً على لسان إخوة يوسف كاقتراح لأكذوبة أو خدعة "هَلُمَّ نَقْتُلْهُ (أي: نَقْتُلْ يوسفَ) وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الآبَارِ وَنَقُولُ: وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ" (التكوين 20:37)؛ ثم على لسان يعقوب كفكرة صدّقها يعقوبُ مع أنها في الواقع مجرد أكذوبة "قَمِيصُ ابْنِي! وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ، افْتُرِسَ يُوسُفُ افْتِرَاسًا" (التكوين 33:37). ولم تحدد التوراةُ نوع هذا الوحش الرديء، ولم تقل أبداً إنه الذئب!

أما القرآن فقال إن هذا "الوحش الرديء" كان الذئب بالتحديد! قالها القرآنُ ثلاث مرات: أولاً على لسان يعقوب "أَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13)؛ ثم على لسان إخوة يوسف "لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ" (يوسف 14)؛ وأخيراً على لسان إخوة يوسف مرة أخرى "تَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 17). ولم ترد كلمة "ذئب" في القرآن كله إلا في هذه المواضع الثلاثة وكلها في قصة يوسف!

نحن إذن أمام عملية "تخصيص لكلمة عامة" (specification of a general term) قام بها أصحابُ القرآن: مِن "وَحْش رَدِيء" في التوراة إلى "الذِّئْب" في القرآن. "الذِّئْب" بأداة التعريف – الألف واللام. أي: ذئب معروف لدى إخوة يوسف العشرة الكبار.

ونلاحظ هنا أن المرة الأولى جاءت على لسان يعقوب "أَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13). وهنا احتار المفسرون المسلمون في الإجابة على السؤال التالي: لماذا خاف يعقوبُ على يوسف مِن أن يأكله الذئبُ بالتحديد؟ كالعادة، توجد إجابات كثيرة ومختلفة وبعضها أسطوري. لكن مِن حُسن الحظ أن بعض المفسرين المسلمين قد اهتدوا إلى الإجابة العقلانية الصحيحة، وهي: "وقيل: قال يعقوب هذا تخوفاً عليه مِنهم (أي: تخوفاً على يوسف مِن إخوته العشرة الكبار)، فَكَنَّى عن ذلك بالذئب"[5222]. ووضعها البعضُ في صيغة سؤال: "أكان [يعقوبُ] يقصد الذئاب الداخلية فيهم (أي: إخوة يوسف العشرة الكبار)، أم ذئاب الوحوش؟ لا أحد يدري"[5223]. مع أن الإجابة معروفة ومذكورة في الكتب والمراجع الإسلامية منذ مئات السنين. فلقد قال القرطبي: "وَقِيلَ: إِنَّمَا قَالَ [يعقوبُ] ذَلِكَ؛ لِخَوْفِهِ مِنْهُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ أَرَادَهُمْ بِالذِّئْبِ، فَخَوْفُهُ إِنَّمَا كَانَ مِنْ قَتْلِهِمْ لَهُ، فَكَنَّى عَنْهُمْ بِالذِّئْبِ مُسَاتَرَةً لَهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَمَّاهُمْ ذِئَابًا"[5224].

إذن: "الذئب" (يوسف 13) ليس ذئباً حقيقياً، وإنما مجرد رمز أو كناية عن إخوة يوسف العشرة الكبار.

لكن يظل السؤال قائماً: لماذا اختار أصحابُ القرآن "الذئب" بالتحديد في قصة يوسف؟ ولم يختاروا حيواناً مفترساً آخر مثل "الأسد" أو "النمر" أو "الدب" وكلها حيوانات مفترسة وأكبر حجماً مِن الذئب؟

حسب التراث اليهودي/المسيحي، الوحوش بصفة عامة ترمز إلى الشر أو إلى الأشرار. اقرأ مثلاً: المزمور 22 الشهير التي كانت آيته الأولى "إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي" (المزامير 1:22) هي آخر جملة قالها يسوع المسيح وهو على الصليب قبيل موته (متى 46:27) (مرقس 34:15).

فإذا كانت الوحوش بصفة عامة ترمز إلى الشر أو إلى الأشرار، فلماذا اختار أصحابُ القرآن "الذئب" بالتحديد في قصة يوسف؟!

إذا بحثنا في التوراة، فسنجد أن الذئب الوحيد المذكور في أسفار التوراة الخمسة كلها جاء في قصة يوسف بالفعل، لكن في سياقٍ آخر، ليس في بداية القصة وإنما في نهايتها، وليس كناية عن إخوة يوسف العشرة غير الأشقاء وإنما كناية عن بنيامين الشقيق الأصغر ليوسف! بعد صعود يوسف إلى السلطة في مصر وبعد هجرة يعقوب وأبنائه مِن كنعان إلى مصر، بارك يعقوبُ أبناءَه وذريتهم قبيل وفاته (التكوين 1:49-27). في هذه البركة، قال يعقوبُ عن بنيامين: "بَنْيَامِينُ ذِئْبٌ يَفْتَرِسُ. فِي الصَّبَاحِ يَأْكُلُ غَنِيمَةً، وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يُقَسِّمُ نَهْبًا" (التكوين 27:49). والمقصود مِن هذه "النبوءة" هو أن سبط بنيامين (أو جزء منه) سيتصف بالعنف والوحشية والميل للحرب مثل الذئب المفترس[5225].

فهل أخذ أصحابُ القرآن هذا "الذئب" الكناية عن سبط بنيامين شقيق يوسف وجعلوه كناية عن إخوة يوسف العشرة غير الأشقاء؟ الإجابة: ربما.

أَم هل سمع أصحابُ القرآن هذه الآية التوراتية (التكوين 27:49) سمعاً خاطئاً فظنوها تقول "بَنْيَامِينُ سيأكله ذِئْبٌ يَفْتَرِسُ" ومِن ثم جاءتهم فكرة أن يأكل الذئبُ يوسفَ؟ الإجابة: احتمال.

لكن في ضوء كل الأدلة السابقة التي تثبت تأثر القرآن بالتراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني، فإن الاحتمال الأقوى هو أن هذا "الذئب" (يوسف 13-17) المذكور في القرآن له أيضاً جذور في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني ...

وسنبدأ أولاً بالتراث اليهودي المتأخر. "وصية جاد" (Testament of Gad) إحدى "وصايا الآباء الاثْنَيْ عَشَرَ" (Testaments of the Twelve Patriarchs) التي يرجع تاريخها إلى القرن الأول أو الثاني قبل المسيح، وقيل: القرن الثاني بعد المسيح، وفي جميع الأحوال: قبل الإسلام بمئات السنين. يقول جاد ابن زِلْفَة امرأة يعقوب إن "نَمِيمَتِهِمِ الرَّدِيئَةِ" التي كان يوسفُ ينقلها إلى أبيهم يعقوب (التكوين 2:37) هي: "روى يوسفُ على أبينا أن أبناء زِلْفَة وبِلْهَة يقتلون أحسن ما في القطيع (أي: قطيع الغنم) ويأكلونه" (وصية جاد 6:1)[5226]! لكن مَن يقتل الغنمَ ويأكله غير "أسد أو ذئب أو نمر أو دب أو أي وحش آخر مِن وحوش الْبَرّ" (وصية جاد 3:1)؟ فَمِن المحتمل أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذا التقليد اليهودي فاختاروا "الذئب" وجعلوه كناية عن إخوة يوسف العشرة الكبار وليس أبناء زِلْفَة وبِلْهَة فقط. بعبارة أخرى: إخوة يوسف الكبار

أكلوا الغنمَ التي مِن المفترض أن يرعوها، بل أكلوا "أحسن ما في القطيع" كنايةً عن يوسف **[← "يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13)؛ "أَكَلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 14)؛ "فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 17)]**.

لكن ذلك لا يجيب على سؤال: لماذا اختار أصحابُ القرآن "الذئب" بالتحديد في قصة يوسف؟ ...

فلننظر إذن إلى مثال آخر مِن التراث اليهودي المتأخر. سفر "أخنوخ الأول" (1 Enoch) الذي يُسمى أيضاً "النسخة الأثيوبية (الحبشية)" وتحدثنا عنه فيما سبق وقلنا إنه واحد مِن أهم وأشهر كُتب سوديبِجرافا العهد القديم ويضم مجموعة ضخمة من التقاليد والكتابات التي دُوِّنت بين القرن الثاني ق.م. وبداية القرن الأول المسيحي، وتعترف الكنيسةُ الحبشية به ككتاب قانوني[5227]. يقول هذا السفر بلغة رمزية: "وأنجب الخروفُ (أي: يعقوبُ/إسرائيلُ) اثني عشر خروفاً (أي: أولاد يعقوب؛ بني إسرائيل). وحين كبرت هذه الخراف، سُلِّمَ واحدٌ منها (أي: يوسف) إلى الحمير (أي: الإسماعيليين)، فسلَّمهُ الحميرُ بدورهم إلى الذئاب (أي: المصريين)، وكبر هذا الخروف وسط الذئاب (أي: كبر يوسف وسط المصريين)"[5228][5229] (1 أخنوخ 89:12-13). فنلاحظ هنا استخدام الحيوانات بأسلوب الكناية: "الخراف" كناية عن بني إسرائيل لأن قصة يوسف التوراتية وصفتهم بأنهم يرعون الغنم (التكوين 37:12-14) ولأنهم كانوا في مصر مثل القطيع الذي يحتاج باستمرار إلى راعي (هو موسى)؛ و "الحمير" كناية عن الإسماعيليين لأن التوراة قدَّمت إسْمَاعِيلَ بن إبراهيم لأول مرة قبل ولادته على أنه سيكون "إِنْسَانًا وَحْشِيًّا" (a wild donkey of a man) (التكوين 16:11-12)[5230]؛ و "الذئاب" (wolves) كناية عن المصريين الذين أكلوا الخروفَ، أي: اشتروا يوسفَ كعبدٍ.

فَمِن الطبيعي أن نجد نصوصاً أخرى تستخدم كلمة "الذئاب" كناية عن إخوة يوسف الكبار الذين باعوا يوسفَ كعبدٍ، أو على الأقل: كانوا سبباً في بيع يوسف كعبدٍ للمصريين. نجد هذه النصوص بالفعل في التراث المسيحي السرياني قبل القرآن ...

مثلاً: تقول العظات المسيحية السريانية (PsN): "قام الذئابُ (بالسريانية: dēbē؛ ونلاحظ قربها من الكلمة العربية "الذِّئْب" التي استخدمها القرآنُ) وأمسكوا بالحمل (أي: قام إخوةُ يوسف وأمسكوا بيوسف)" (The wolves rose, grabbed the lamb). وتوجد أمثلة أخرى مشابهة في التراث المسيحي السرياني والبيزنطي قبل القرآن، ومِنها ما وضع كلمة "ذئاب" على لسان يعقوب كما هو الحال في القرآن "أَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13)[5231]. على سبيل المثال، قال المرنم السوري البيزنطي الشهير "رومانوس" (Romanos the Melodist) (Romain le Mélode) في القرن السادس الميلادي، أي: قبيل ظهور الإسلام، إن يعقوب حين أرسل يوسفَ إلى إخوته (التكوين 37:13-14) قال له: يا حَمَلي، اذهب لتبحث عن خرافك، اذهب قبل أن تأكلكَ الذئابُ[5232] **[← "أَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13)]**. وبعد ذلك، يصف رومانوس إخوةَ يوسف الذين باعوه بأنهم أكثر شراسة من الوحوش البرية[5233]، لأن اللبوات على الأقل لا تدع صغيرها يُنتزَع مِن حُضنها.

وهذا يجيب على سؤال: لماذا اختار أصحابُ القرآن "الذئب" بالذات في قصة يوسف؟ والإجابة: لأنهم تأثروا بالتراث المسيحي الشرقي (السرياني والبيزنطي) الذي كَنَّى عن إخوة يوسف الكبار بالذئاب أو عبَّر عن خوف يعقوب على يوسف مِن أن تأكله الذئابُ **[⟵ "أَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13)]**.

لكنه يطرح سؤالاً آخر: لماذا اختار المسيحيون الشرقيون "الذئب" بالذات في قصة يوسف؟

الإجابة تكمن في تقديم يوسف كرمز ليسوع المسيح (Joseph-Jesus typology). فَكما قلنا فيما سبق، حرص المسيحيون الشرقيون على جعل يوسف رمزاً أو تمهيداً ليسوع المسيح. ومِن المعلوم أن الكتاب المقدس يشير كثيراً إلى يسوع المسيح بكلمة "حَمَل" أو "خروف" (Lamb) أو كلمات أخرى مشابهة. مثلاً مِن نبوءات العهد القديم عن يسوع المسيح: "فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. **كَشَاةٍ** تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، **وَكَنَعْجَةٍ** صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إشعياء 53:7). وفي الإنجيل: "هُوَذَا **حَمَلُ** اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يوحنا 1:29) "هُوَذَا **حَمَلُ** اللهِ!" (يوحنا 1:36). وفي سفر أعمال الرسل: "مِثْلَ **شَاةٍ** سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ، وَمِثْلَ **خَرُوفٍ** صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجُزُّهُ هكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (أعمال الرسل 8:32). وعدة مرات في سفر الرؤيا آخر أسفار الكتاب المقدس، مثلاً: "وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ الأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِ الشُّيُوخِ **خَرُوفٌ** قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ[5234] أَرْوَاحِ اللهِ الْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ الأَرْضِ" (الرؤيا 5:6)؛ "وَسُورُ الْمَدِينَةِ كَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ أَسَاسًا، وَعَلَيْهَا أَسْمَاءُ رُسُلِ **الْخَرُوفِ** الاثْنَيْ عَشَرَ" (الرؤيا 21:14). والإشارة إلى يسوع المسيح بكلمة "حَمَل" أو نحو ذلك ليست بالطبع تقليلاً من شأنه، وإنما كناية عن وداعته وكناية أيضاً عن انتصاره. يقول الكتاب المقدس الدراسي: يبدو أن فكرة الحمل كقائد عسكري منتصر تأتي مِن التقليد الرؤيوي في سفر أخنوخ الأول ووصية يوسف[5235]. إذن: خيوط البحث رجعتْ بنا مرة أخرى إلى التراث اليهودي المتأخر الذي ذكرناه منذ قليل: سفر أخنوخ الأول ووصية يوسف إحدى وصايا الآباء الاثْنَيْ عَشَرَ!

وبما أن الذئب يأكل الحَمَل، استخدم الإنجيلُ كلمة "حُمْلان" كناية عن المسيحيين، وكلمة "ذئاب" كناية عن أعداء المسيحيين. مثلاً: "اِذْهَبُوا! هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ **حُمْلاَنٍ** بَيْنَ **ذِئَابٍ**" (لوقا 10:3)؛ "اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ (أي: غير الحقيقيين؛ false prophets) الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ **الْحُمْلاَنِ**، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل **ذِئَابٌ** خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. [...] مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ" (متى 7:15-20).

إذن: لِكي يكون يوسف رمزاً ليسوع المسيح، ينبغي وصفه بكلمة "حَمَل" ووصف أعدائه (أي: إخوته العشرة غير الأشقاء) بكلمة "ذئب". وهذا ما نراه في التراث المسيحي الشرقي. وهذا ما تسلل بعد ذلك إلى القرآن ثلاث مرات: "يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13)؛ "أَكَلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 14)؛ "فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 17). ولم ترد كلمة "ذئب" في القرآن كله إلا في هذه المواضع الثلاثة، وكلها في هذا الجزء مِن قصة يوسف، فلا يمكن أن تكون مجرد صدفة. ولا يمكن لعاقلٍ أن يقول إن المسيحيين الشرقيين هُمُ الذين أخذوا كلمة "الذئب" مِن أصحاب القرآن. فنحن لم نفهم كلمة "الذئب" إلا لمَّا رجعنا إلى التراث المسيحي الشرقي. كلمة "الذئب"

لها معنى ومغزى في التراث المسيحي الشرقي، لكن ما مغزاها في القرآن؟! لا يمكن أن تعرف مغزاها إلا إذا رجعتَ إلى التراث المسيحي الشرقي.

بعبارة أخرى: لولا التراث المسيحي الشرقي، لمَا قال القرآنُ هنا "الذِّئْبُ" (يوسف 13-14، 17).

إن هذا "الذئب" الذي تكرر في هذا الجزء مِن قصة يوسف، بل في القرآن كله، 3 مرات فقط (يوسف 13، 14، 17) بصمة مسيحية واضحة تركها إِصْبَعُ المؤلِّف المسيحي الشرقي المبدع على القرآن، مما يدل على أن القرآن نفسه كلام بشر 100% ومِن المستحيل أن يكون كلام الله.

وتكرار كلمة "الذئب" ثلاث مرات يدعو إلى التأمل[5236]. وكأن فكرة "الثالوث" النيقاوي-القسطنطيني لا تزال تسيطر على وجدان مَن صاغوا قصةَ يوسف القرآنية في صورتها النهائية. ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن أصحاب قصة يوسف القرآنية – أو على الأقل: مَن صاغوا هذا الجزء مِن القصة في صورته النهائية – كانوا أصلاً مسيحيين شرقيين (سريان).

وإنْ قلتم إنَّ يوسف لم يُوصَف في القرآن بكلمة "حَمَل". فسنقول: هذا صحيح، لكن كل الألفاظ التي استخدمها القرآنُ تدل على براءة يوسف وصغر سنه. فهو مثل الحمل الصغير. قيل تأثراً بالتوراة (التكوين 2:37): كان عنده 17 سنة. "والذي يُفقَه مِن القرآن أن يوسف كان أصغر مما ذكرته التوراة، فإن تعلق يوسف بدلو المستقي عندما أدلى دلوه في البئر ما كان ليتم لو كان يوسف في سن السابعة عشرة"[5237]. قال شيخ الأزهر الأسبق د. محمد سيد طنطاوي: "على الراجح - قبل أن يبلغ سن الحلم"[5238]. وقال الشيخ الشعراوي: "يوسف في أوان الطفولة؛ واللعب بالنسبة له أمر مُحبَّب ومسموح به؛ لأنه ما زال تحت سن التكليف"[5239]. قيل: كان عنده 12 سنة. وقال د. صلاح الخالدي: "ولعلَّه لم يَصِلْ إلى السنة العاشرة مِن عُمره"[5240]. وقال ابنُ عطية: "ورُوي أن يوسف كان يومئذ ابن سبع سنين"[5241]. ونحن نتفق مع هذا الرأي الأخير، والأدلة على صحته كثيرة: بدليل كلمة "يَلْعَبْ" (يوسف 12)؛ وبدليل احتياج يوسف المستمر لِمَن يحميه "إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (يوسف 12) لئلا يأكله حيوانٌ في حجم الذئب وهو حجم صغير نسبياً: "أَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (أي: منشغلون)" (يوسف 13)؛ وأيضاً بدليل كلمة "غُلاَمٌ" (يوسف 19) التي استخدمها القرآنُ في مواضع أخرى ليقصد الطفل الصغير الذي لم يبلغ حدَّ التكليف (الكهف 74، 80) والطفل اليتيم (الكهف 82) وطفل البشارة (مريم 7-8، 19-20) (آل عمران 40) (الحجر 53) (الصافات 101) (الذاريات 28).

ومِن الجدير بالذكر أن أصحاب القرآن ليسوا أول مَن زعم أن يوسف كان طفلاً صغيراً حين بِيعَ كعبدٍ. فلقد سبقهم – كالعادة – المسيحيون الشرقيون. ودليلنا على ذلك هو النقوش المتعلقة بقصة يوسف والمنحوتة على "كرسي ماكسيميان" ("عرش ماكسيميان") (Throne of Maximian) الذي صُنِعَ في القرن السادس الميلادي في الشرق المسيحي البيزنطي (سوريا أو مصر أو القسطنطينية)، فهي تعرض بصورٍ مرئية واضحة بعضَ أحداث قصة يوسف مثل بيعه كعبدٍ وهو طفل صغير. انظر الشكل التالي[5242] حيث نرى مِن اليسار

إلى اليمين: ثلاثة من إخوة يوسف، ثم الطفل الصغير يوسف، ثم اثنين مِن التجار العرب (Saracens)[5243] ومعهما جَمَلان! وواضح جداً مِن هذه الصورة أن الفنان المسيحي المبدِع الذي تخيلها جعل يوسفَ أقل بكثير مِن 17 سنة؛ ربما في السنة العاشرة أو السابعة مِن عُمره[5244] **[← "غُلَامٌ" (يوسف 19)]**. وإنه لمِن الطريف أن التجار العرب حُفاة (أو: شبه حُفاة) وشبه عُراة فلا يرتدون إلا ملابس قليلة تستر عوراتهم السفلية (ما بين السُّرَّة والركبة) وتشبه ملابس الإحرام التي يرتديها المسلمون اليوم في الحج والعمرة!

رسم توضيحي 8 – فنان مسيحي مِن القرن السادس تخيل يوسفَ يُباع وهو طفل صغير [← "غُلَامٌ" (يوسف 19)]

حقاً: لولا التراث المسيحي الشرقي، لمَا ظهر الإسلام ولمَا كان القرآن. فلا يمكن أن تفهم القرآنَ – بل لا يمكن أن تكتشف حقيقةَ الإسلام – إلا إذا رجعتَ إلى التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة).

وهذا ما نقوله دائماً لأحبائنا المسلمين حين يزعمون أن أمية محمد هي الدليل على أن القرآن كلام الله! فنقول لهم: لم يكن محمدٌ محتاجاً أن يقرأ أي كتاب. فيكفيه ما كان يسمعه بأذنيه مِن تلاوات وعظات وخطب وميامر وترانيم ... الخ. بل يكفيه ما كان يراه بعينيه مِن لوحات ورسومات ونقوش وجداريات في الكنائس والبيوت والمقابر ... الخ. الرسومات الموجودة على كرسي ماكسيميان مجرد مثال واحد. توجد أمثلة أخرى كثيرة موثقة في المتاحف والأبحاث العلمية ورسالات الدكتوراه والكتب والمراجع المعتمدة[5245].

الخلاصة: كل المعلومات والأفكار كانت في الشرق متاحة لأصحاب القرآن فرأوها بأعينهم وسمعوها بآذانهم في رحلاتهم إلى الشام والعراق ومصر. ولم يكن عليهم سوى أن يعيدوا إنتاجها بلسانٍ عربي مبين "قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (يوسف 2). وفيما يتعلق بمسألة "الذِّئْبُ" (يوسف 13-14، 17) و "غُلَامٌ" (يوسف 19)، فإن أصحاب القرآن قد اعتمدوا على التراث المسيحي الشرقي، فقَدَّموا لنا يوسفَ كطفلٍ صغير (غلام) مثل الحمل يحتاج باستمرار لِمَن يرعاه ويحفظه، لكن إخوته الكبار لم يحفظوه، بل باعوه. وهو أيضاً حَمَل مثل المسيح: وديع منذ البداية ومنتصر على كل الذئاب (إخوته الكبار) في النهاية.

4.22.2.6 "وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" (يوسف 8، 14)

رأينا فيما سبق أن إخوة يوسف العشرة الكبار الأشرار وصفوا أنفسهم مرتين بعبارة "وَنَحْنُ عُصْبَةٌ":

- المرة الأولى وَهُمْ يدبرون مؤامرتهم على يوسف. في بداية حديثهم سراً فيما بينهم: "قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ (أي: جماعةٌ أكثر عدداً وأكبر سناً وأقوى مِنهما) إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (يوسف 8).

- والمرة الثانية في المرحلة الأولى مِن تنفيذ مؤامرتهم على يوسف. في نهاية حديثهم مع أبيهم يعقوب: "قَالُوا [له وَهُمْ يكذبون عليه] لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ" (يوسف 14). ثم بدأ التنفيذ الفعلي لمؤامرتهم في اليوم التالي: "ذَهَبُوا بِهِ (أي: بيوسف) وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ [...]" (يوسف 15).

إذن: عبارة "وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" تقوم بعمل إطار شفوي (oral frame) حول اليوم الأول الذي بدأ بتخطيط إخوة يوسف سراً للمؤامرة (يوسف 8-10) وانتهى بحديثهم الكاذب مع أبيهم ليأخذوا يوسفَ منه (يوسف 11-14)[5246]. فكما قلنا فيما سبق: القرآن كان أصلاً ظاهرة شفوية-سماعية (oral-aural)، كان يُتلَى ويُسمَع، وليس يُكتَب ويُقرَأ. إذن: لا توجد وسائل مرئية لتوضيح بداية الفكرة ونهايتها، مثل الفقرات والتسطير والترقيم كما هو الحال في الكتابة. فكان ينبغي أحياناً الاعتماد على وسائل شفوية-سماعية مثل استخدام كلمات أو عبارات متطابقة أو متشابهة عند أول الفكرة وآخرها. عبارة "وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" (يوسف 8، 14) مجرد مثال.

ويتضح مِن الآيتين السابقتين (يوسف 8، 14) أن كلمة "عُصْبَة" (a band; a group of men) تحمل في طياتها معاني كلها سلبية: التآمر؛ العداء؛ الكذب؛ الغرور بالعدد و/أو القوة. وهذا يتفق مع الآيات القرآنية الأخرى التي ذكرت كلمة "عُصْبَة"، وهي – كما توقعنا – آيات جاءت في قصتي موسى ومحمد (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب). على الترتيب: "إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ" (القصص 76)؛ "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ" (النور 11)[5247].

فهل كلمة "عُصْبَة" لها جذور في التراث اليهودي؟

تقول التوراة إن رحلة يوسف إلى إخوته بدأت مِن وادي "حَبْرُونَ" (التكوين 14:37)؛ ويقول قاموس الكتاب المقدس إن حَبْرُون "اسم عِبري معناه "عُصبَة، صحبة، رباط، اتحاد""[5248].

كما استخدمت التوراةُ كلمات عسكرية حربية لوصف أعداء يوسف. بعد صعود يوسف إلى السلطة في مصر وبعد هجرة يعقوب وأبنائه مِن كنعان إلى مصر، بارك يعقوبُ أبناءَه وذريتهم قبيل وفاته (التكوين 1:49-27). في هذه البركة، قال يعقوبُ عن يوسف: "فَمَرَّرَتْهُ وَرَمَتْهُ وَاضْطَهَدَتْهُ أَرْبَابُ السِّهَامِ (أي: الرُّمَاةُ archers)" (التكوين 23:49). ونظراً لأن هذه البركة هي في الواقع قصيدة شعرية وتستخدم كلمات عِبرية قديمة وصعبة، فإن المفسرين اليهود والمسيحيين يحتارون ويختلفون في تفسيرها. إلا أن التفسير التقليدي لعبارة "أَرْبَابُ السِّهَامِ (حرفياً: أسياد السِّهَامِ masters of arrows)" هو أنها تقصد أعداء يوسف؛ سواء

أعداؤه في الماضي مثل إخوته، أو أعداؤه في المستقبل (أي: أعداء ذريته). نستطيع إذن أن نقول إن التوراة العبرية تصف إخوة يوسف بأنهم أعداؤه الرُّمَاة الذين اضطهدوه ورموه بسهامهم.

لكن التوراة السريانية (البشيطا) حرَّفت عبارة "أَرْبَابُ السِّهَامِ (أو: أسياد السِّهَامِ)" إلى "أسياد الزُّمَر"[5249] أو "سادة القوات" (masters of troops) (بالسريانية: māray guddē)[5250]، ومِن ثم جعلت العبارةَ عسكرية وحربية أكثر من التوراة العبرية. وكأن إخوة يوسف يحاربونه ليس كأفراد بالسهام وإنما كقادة أو رؤساء لزُمَر (جمع زُمْرَة؛ أي: جماعة أو عُصْبَة) مِن الْفِرَق العسكرية (military divisions). وهكذا صارت الكلمة السريانية (guddē) أو بالأحرى مفردها (guddā) – التي تعني جماعة أو عُصْبَة أو جَوْقَة (band) أو زُمْرَة (group) أو صُحْبَة (company) أو قوة (troop) – تُستخدَم في التراث المسيحي السرياني كوصف لإخوة يوسف العشرة الكبار الأشرار.

ثم جاء القديس المسيحي الشهير "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (Ephraem) (القرن الرابع الميلادي) وشرح هذه الآية (التكوين 23:49) – حسب التوراة السريانية (البشيطا) – وأكّد أن المقصود مِن "سادة القوات" أو "قادة القوات" (leaders of troops) هُمْ إخوة يوسف "رؤساء القبائل (الأسباط)" (the heads of the tribes). فقال إفرامُ السرياني في الفصل الثاني والأربعين مِن تعليقه الشهير على سفر التكوين (Commentary on Genesis 42.13)[5251]:

> *"Leaders of troops quarrelled with him and looked on him with malice,"* that is, the heads of the tribes. If "heads of divisions" were written, it would mean exactly the same thing, for his brothers (i.e. Joseph's brothers) are the sons of his division (i.e. coheirs), and they looked on him with malice and sold him to Egypt.

بعد ذلك، أصبح مِن الطبيعي أن تُستخدَم هذه الكلمة السريانية (guddā) على نطاق أوسع في التراث المسيحي السرياني كوصف لإخوة يوسف. فنجدها تُستخدَم في القرن الخامس الميلادي كوصف لإخوة يوسف في العظات المسيحية السريانية (PsN) وكذلك في العظات المسيحية السريانية (Balai)[5252].

وفي القرن السابع الميلادي، أصبح مِن الطبيعي أن يُستخدَم مرادفها العربي "عُصْبَة" كوصف لإخوة يوسف. وهذا ما نجده في القرآن، ليس على لسان يعقوب، وإنما على لسان إخوة يوسف أنفسهم، فلقد قالوا مرتين: "وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" (يوسف 8، 14)! وكأن أصحاب القرآن قد جعلوا إخوةَ يوسف يعترفون بعداوتهم ليوسف واستقوائهم عليه، فَهُمْ عشرة رجال كبار وهو غلام وحيد. وهذا يتفق مع ما قلناه فيما سبق إن أصحاب القرآن قد تعمدوا أن يُظهِروا إخوةَ يوسف العشرة الكبار في أبشع وأفظع صورة ممكنة. ويتفق أيضاً مع جذور قصة يوسف القرآنية في التراث المسيحي السرياني كما رأينا فيما سبق وكما سنرى لاحقاً.

إذن: الأدلة التي أمامنا تشير إلى أن جذور كلمة "عُصْبَة" (يوسف 8، 14) موجودة في التراث المسيحي السرياني، وهي كلمة (guddā) وجمعها (guddē) التي نتجت بسبب تحريف للآية التوراتية (التكوين 23:49) أولاً في التراث المسيحي السرياني (البشيطا) ثم في التراث الإسلامي العربي (القرآن).

وهذا دليل آخر يؤكد ما قلناه مِن قَبْل إن تأثير التراث المسيحي السرياني على القرآن لا يقتصر على الأفكار (motifs) فقط، وإنما يشمل الكلمات (vocabulary) والعبارات (phrases) أيضاً.

4.22.2.7 وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ (يوسف 15)

كالعادة، يقول القرآنُ كلاماً غير توراتي: "فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ (أي: فَلَمَّا ذهب إخوةُ يوسف بيوسف) وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ (the bottom of the pit) (أي: في قعر البئر المظلم الذي يغيب عن رؤية البصر) ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ (We revealed to him) (أي: إلى يوسف) لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا (أي: لَتُخْبِرنَّهم مستقبلاً بما فعلوه بك) وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (يوسف 15). وفي ذلك طمأنة لقلب يوسف وتبشيراً له بالسلامة لأنه يدل على أنه سينجو وسيخرج حياً مِن البئر وسيرى إخوته ويُخبِرُهم بما صنعوه معه.

ولم تُذكَر كلمة "الْجُبِّ" في القرآن كله إلا في هذا الجزء من قصة يوسف (يوسف 10، 15). ولم يستخدم أصحابُ القرآن كلمة "بئر" مع أنهم يعرفونها بدليل أنهم استخدموها في موضعٍ آخر (الحج 45). إذن: كلمة "الْجُبِّ" تخص قصة يوسف القرآنية وحدها دون سواها. فما أصل هذه الكلمة القرآنية الفريدة؟ منذ أكثر من 80 عاماً وفي كتابه الشهير "The foreign vocabulary of the Qur'ān"، استدل العالم الكبير (Arthur Jeffery) بالترجوم الآرامي والبشيطا السريانية ليستنتج أن أصل كلمة "الْجُبِّ" آرامي: "The origin would thus be Aramaic and probably it was an early borrowing"[5253]. وحديثاً قال الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum)[5254]:

> *Jubb* occurs only twice in the Quran and only in the Joseph story (Q 12:10 and 15). It does not have a plausible Arabic etymology and is most likely a loan from Aramaic/Syriac *gubbā*, used in the Jewish Targums, Samaritan Targum, Peshitta to Genesis 37, and throughout the Syriac texts on Joseph.

إذن: كلمة "الْجُبِّ" (يوسف 10، 15) أصلها آرامي/سرياني (gubbā)، فعلينا أن نبحث عن جذور القرآن (يوسف 10، 15) في المصادر السريانية لقصة يوسف ...

بالفعل، تقول العظات المسيحية السريانية (PsN)[5255]: قاد الإخوةُ الخونة يوسفَ إلى البئر، وقالوا له: "انزلْ إذن إلى قاع البئر (بالسريانية: eštēh d-gubbā **[← "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ" (يوسف 10، 15)]** (Descend therefore to the bottom of the well) [...]". أمسكَ الذئابُ بالحمل العاقل (أي: أمسك إخوةُ يوسف به) وألقوه إلى أسفل (أي: في أسفل الْجُبِّ) **[← "ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ" (يوسف 15)]**. فنزل إلهُ أبيه معه في البئر (his father's God had descended with him to the well) **[← "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ (قيل: جاءه الملاكُ جبريل بالوحي)" (يوسف 15)[5256]]**. [...] الذي يواسيه ويشجعه قائلاً له: "لا تخف (Do not fear)، يَا أَيُّهَا البار يوسف، ولا تحزنْ، فأنا معك طوال حياتك كلها. لن أتركك مرة أخرى ولن أهملك أينما ذهبت وسأكون معك حتى ترى [أباك] الشيخ يعقوب (I shall be with you until you see old Jacob)" **[← جعلها القرآنُ: حتى ترى إخوتك "لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (يوسف 15). وفي كلتا الحالتين، الهدف واحد وهو طمأنة لقلب يوسف لأنه يدل على أنه سينجو مِن هذه المحنة وسيخرج حياً مِن البئر وسيرى إخوتَه/أباه]**.

وتوجد أمثلة أخرى مشابهة في التراث المسيحي السرياني قبل القرآن، ومِنها ما قال إن يوسف صلّى إلى الله مِن قاع الْجُبِّ، ومِنها ما جعل الابنَ (أي: المسيحَ) يزور يوسفَ في الْجُبِّ ويواسيه[5257]!

إذن: ردد القرآنُ نفس الأفكار الموجود في العظات المسيحية السريانية (PsN). كان اللهُ مع يوسف وكلَّمه "أوحى إليه" وهو في أسفل الْجُبِّ، أي: في مرحلة مبكرة مِن القصة، وطمأنه أن هذه البئر ليست النهاية وإنما البداية وأنه سيخرج منها حياً. بل استخدم أصحابُ القرآن نفس الكلمة السريانية "gubbā" فجعلوها "الْجُبِّ" (يوسف 10، 15) ونلاحظ تقارب الكلمتين! بل لم يقل أصحابُ القرآن "الْجُبِّ" فقط كما تقول التوراة "البئر" فقط، وإنما ردد أصحابُ القرآن نفس العبارة الموجودة في العظات المسيحية السريانية: أسفل الْجُبِّ (بالسريانية: eštēh d-gubbā **[← "غَيَابَتِ الْجُبِّ" (يوسف 10، 15)]**. فهل نحتاج دليلاً آخر لنثبت تأثر القرآن بالتراث البشري السرياني؟ مما يدل على أن القرآن نفسه كلام بشر.

أما الجزء المناظر في قصة يوسف التوراتية (التكوين 37) فلا يذكر أبداً كلمة "الله" ولا كلمة "رب"، وبالطبع لا يقول إن الله كان مع يوسف في البئر أو "أوحى إليه" في البئر. فحسب التوراة، بدأ اللهُ (الربُّ) يكون "مع يوسف" في المرحلة اللاحقة، أي: في الفصل الثاني: "كَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ" في بيت سيده المصري (التكوين 39:2) ثم "الرَّبَّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ" في السجن (التكوين 39:21).

لكن يجب علينا أن نلاحظ أن الكلمة العبرية التي استخدمتها التوراة لـ "السجن" (dungeon) الذي رُمِيَ فيه يوسف (التكوين 40:15) (التكوين 41:14) هي نفسها الكلمة العبرية التي استخدمتها التوراة لـ "البئر" (pit) الذي رُمِيَ فيه يوسف (التكوين 37:20، 37:22، 37:24، 37:28)[5258]. وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل المسيحيين السريان – ومِن بعدهم: أصحابَ القرآن – يقولون إن الله كان مع يوسف في البئر. ولا غرابة في ذلك، فالبئر نوعٌ مِن السجن الانفرادي، بل أشد وأقسى، إذ لا يوجد ماء ولا زاد.

بعبارة أخرى أكثر وضوحاً: تقول التوراة إن الله كان مع يوسف في السجن، لكن كلمة "السجن" في (التكوين 15:40) (التكوين 14:41) هي نفسها كلمة "البئر" بالعبرية، فلذلك قال المسيحيون السريان إن الله كان مع يوسف في البئر وكلَّمه. ثم انتقلت هذه الفكرة المسيحية السريانية إلى أصحاب القرآن فقالوا إن الله "أوحى إلى" يوسف في البئر: "وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ" (يوسف 15).

ومما يؤكد هذه النتيجة أن الكلمة السريانية التي استخدمتها البشيطا بمعنى "السجن" (التكوين 14:41) هي "الْجُبِّ" (gubbā)[5259]، أي: نفس الكلمة السريانية التي استخدمتها البشيطا بمعنى "البئر"، وهي أيضاً نفس الكلمة التي استخدمها أصحابُ القرآن بعد ذلك بمعنى "البئر": "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ" (يوسف 10، 15). فهل نحتاج أدلة أخرى لنثبت تأثر القرآن بالتراث السرياني البشري 100%؟ مما يدل على أن القرآن نفسه كلام بشر 100%.

الخلاصة: فكرة كلام الله إلى يوسف "أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ" وهو في أسفل الْجُبِّ (البئر) فكرة دخيلة اخترعها المسيحيون السريان في القرن الخامس الميلادي، ثم تلقفها مِنهم أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي فوضعوها في قصة يوسف القرآنية: "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ" (يوسف 15).وهذا يؤكد وجود البصمة المسيحية السريانية على القرآن: أفكار (motifs) وعبارات (phrases) وكلمات (vocabulary). مما يؤكد أن القرآن كلام بشر.

القرآن كلام العرب. ولولا التراث المسيحي الذي أنتجه جيرانُهم السريان في القرون الرابع والخامس والسادس بعد المسيح، لمَا استطاع العربُ أن ينتجوا القرآنَ في القرن السابع بعد المسيح.

ومما ساعد المسيحيين السريان أيضاً على اختراع هذه الفكرة (أو بالأحرى: إدخالها إلى الروايات السريانية لقصة يوسف) هو وجودها في قصص كتابية أخرى متشابهة ومشهورة: قصة إرميا وقصة دانيال. كلاهما (أي: إرميا ودانيال) كان له خصوم ومنافسون تآمروا عليه ورموه ظلماً في "جُبٍّ" فكاد أن يموت (مثل يوسف التوراتي←السرياني←القرآني)، وكلاهما كلّمه اللهُ وهو في الجُبِّ (أي: أوحى إليه بطريق مباشر أو مِن خلال ملاك) فطمأنه ثم أخرجه مِن الجُبِّ وأنقذه من الموت (مثل يوسف السرياني←القرآني)، وكلاهما نبي حسب العقيدة المسيحية[5260] (مثل يوسف حسب العقيدة الإسلامية).

<u>قصة النبي إرميا (Jeremiah).</u> "فَأَخَذُوا إِرْمِيَا وَأَلْقَوْهُ فِي جُبِّ (dungeon) **[← "ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ" (يوسف 15)]** [...]، الَّذِي فِي دَارِ السِّجْنِ، وَدَلُّوا إِرْمِيَا بِحِبَال. وَلَمْ يَكُنْ فِي الْجُبِّ مَاءٌ بَلْ وَحْلٌ، فَغَاصَ إِرْمِيَا فِي الْوَحْلِ" (إرميا 6:38). ويقول إرميا عن هذه التجربة: "قَدِ اصْطَادَتْنِي أَعْدَائِي كَعُصْفُورٍ بِلاَ سَبَبٍ (أي: ظلماً). قَرَضُوا فِي الْجُبِّ حَيَاتِي (أي: أرادوا أن يقتلوني فطرحوني حياً فِي الْجُبِّ) وَأَلْقَوْا عَلَيَّ حِجَارَةً. طَفَتِ الْمِيَاهُ فَوْقَ رَأْسِي. قُلْتُ: «قَدْ قُرِضْتُ (أي: هَلَكْتُ)!». دَعَوْتُ بِاسْمِكَ

يَا رَبُّ مِنَ الْجُبِّ الأَسْفَلِ (the depths of the pit) **[⟵ "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ" (يوسف 10، 15)]**. لِصَوْتِي سَمِعْتَ: «لاَ تَسْتُرْ أُذُنَكَ عَنْ زَفْرَتِي (أي: آهاتي)، عَنْ صِيَاحِي (أي: صراخ استغاثتي)». دَنَوْتَ يَوْمَ دَعَوْتُكَ. قُلْتَ [لي يَا رَبُّ وأنا في الْجُبِّ الأَسْفَلِ] **[⟵ "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ" (يوسف 15)]**: «لاَ تَخَفْ (Do not fear)[5261]!». خَاصَمْتَ يَا سَيِّدُ خُصُومَاتِ نَفْسِي (أي: دَافَعْتَ عني؛ تَوَلَّيتَ قَضِيَّتِي؛ وقفتَ معي ضد أعدائي[5262]). فَكَكْتَ حَيَاتِي (أي: افتديتَ حياتي؛ خلصتني؛ نجيتني)" (مراثي إرميا 3:52-58). أنقذ اللهُ حياةَ إرميا بأن أرسل "عَبْدِ مَلِكَ الْكُوشِيّ" (Ebedmelech the Ethiopian) ليُخرجه مِن الجُبِّ (إرميا 38:7-13).

قصة النبي دانيال (Daniel) وهي تتشابه مع قصة يوسف في كثير مِن الأفكار والعبارات[5263]، مما ساعد على أن يكون لقصة دانيال الكتابية تأثير على الروايات المتأخرة لقصة يوسف مثل الروايات السريانية والرواية القرآنية العربية. وحرصاً على عدم الإطالة سنكتفي فقط بقصة "دانيال في جُبِّ الأسود" (Daniel in the Den of Lions). "فَأَحْضَرُوا دَانِيآلَ وَطَرَحُوهُ فِي جُبِّ الأُسُودِ **[⟵ "ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ" (يوسف 15)]**. أَجَابَ الْمَلِكُ (ويُفهَم من السياق أن المَلِك كان متعاطفاً مع دانيال) وَقَالَ لِدَانِيآلَ: «إِنَّ إِلهَكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ دَائِمًا هُوَ يُنَجِّيكَ». وَأُتِيَ بِحَجَرٍ وَوُضِعَ عَلَى فَمِ الْجُبِّ وَخَتَمَهُ الْمَلِكُ بِخَاتِمِهِ وَخَاتِمِ عُظَمَائِهِ، لِئَلاَّ يَتَغَيَّرَ الْقَصْدُ فِي دَانِيآلَ (أي: لِئَلاَّ يستطيع دانيال أن يخرج مِن الْجُبِّ). حِينَئِذٍ مَضَى الْمَلِكُ إِلَى قَصْرِهِ وَبَاتَ صَائِمًا، وَلَمْ يُؤْتَ قُدَّامَهُ بِسَرَارِيهِ وَطَارَ عَنْهُ نَوْمُهُ. ثُمَّ قَامَ الْمَلِكُ بَاكِرًا عِنْدَ الْفَجْرِ وَذَهَبَ مُسْرِعًا إِلَى جُبِّ الأُسُودِ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى الْجُبِّ نَادَى دَانِيآلَ بِصَوْتٍ أَسِيفٍ (أي: حزين). أَجَابَ الْمَلِكُ وَقَالَ لِدَانِيآلَ: «يَا دَانِيآلُ عَبْدَ اللهِ الْحَيِّ، هَلْ إِلهُكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ دَائِمًا قَدِرَ عَلَى أَنْ يُنَجِّيَكَ مِنَ الأُسُودِ؟» فَتَكَلَّمَ دَانِيآلُ مَعَ الْمَلِكِ: «يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ، عِشْ إِلَى الأَبَدِ! إِلهِي أَرْسَلَ مَلاَكَهُ (My God sent his angel) [إليَّ في الْجُبِّ] **[⟵ "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ (قيل: جاءه الملاكُ جبريل بالوحي)" (يوسف 15)[5264]]** وَسَدَّ أَفْوَاهَ الأُسُودِ فَلَمْ تَضُرَّنِي، لأَنِّي وُجِدْتُ بَرِيئًا قُدَّامَهُ، وَقُدَّامَكَ أَيْضًا أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَمْ أَفْعَلْ ذَنْبًا». حِينَئِذٍ فَرِحَ الْمَلِكُ بِهِ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُصْعَدَ دَانِيآلُ مِنَ الْجُبِّ. فَأُصْعِدَ دَانِيآلُ مِنَ الْجُبِّ وَلَمْ يُوجَدْ فِيهِ ضَرَرٌ (أي: لم ينله أيُّ أذى)، لأَنَّهُ آمَنَ بِإِلهِهِ (أي: لأنه وَثِقَ في إلهه). فَأَمَرَ الْمَلِكُ فَأَحْضَرُوا أُولئِكَ الرِّجَالَ الَّذِينَ اشْتَكَوْا عَلَى دَانِيآلَ (أي: أَحْضَرُوا خصومَ دانيال ومنافسيه) وَطَرَحُوهُمْ فِي جُبِّ الأُسُودِ [عقاباً لهُمْ] هُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ. وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى أَسْفَلِ الْجُبِّ (the bottom of the den) **[⟵ "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ" (يوسف 10، 15)]** حَتَّى بَطَشَتْ بِهِمِ الأُسُودُ وَسَحَقَتْ كُلَّ عِظَامِهِمْ" (دانيال 6:16-24).

والدرس المستفاد مِن كل هذه القصص المتشابهة هو أن "إلهَ دَانِيآلَ (وهو أيضاً إله إِرْمِيَا وإله يوسف)، [...] هُوَ الإِلهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (أي: القائم بذاته منذ الأزل) إِلَى الأَبَدِ، وَمَلَكُوتُهُ لَنْ يَزُولَ وَسُلْطَانُهُ إِلَى الْمُنْتَهَى. هُوَ يُنَجِّي وَيُنْقِذُ وَيَعْمَلُ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ. هُوَ الَّذِي نَجَّى دَانِيآلَ مِنْ يَدِ الأُسُودِ [لأنه وَثَقَ في الله]" (دانيال 6:26-27).

وكل هذه القصص المتشابهة في العهد القديم (يوسف، إرميا، دانيال) يمكن أن نعتبرها رمزاً أو تمهيداً للعهد الجديد: الإنجيل. إنجيل "يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ" (متى 1:1). إلا أن يسوع المسيح صُلِب وتألَّم ومات فعلاً وقُبِرَ ثم "أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ" (رومية 6:9، 4:7) "أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 15:3) "أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 10:4) كما "سَبَقَ [لداود النبي] فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ: أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ **[← "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ (بالمعنى الرمزي: القبر)" (يوسف 10، 15)]** وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا (أي: لَمْ يَرَ جَسَدُهُ فَسَادًا في قبره، بل اتحد جَسَدُهُ النوراني بروحه فَقَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ). فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذلِكَ" (أعمال الرسل 2:31-32) "أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ" (أعمال الرسل 2:24). صُلِبَ يسوعُ المسيح ومات ودُفِنَ "وَلكِنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 13:30). "الله أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (رومية 10:9). "أَقَامَهُ [اللهُ] مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 13:34، 17:31) (كولوسي 2:12) (1 تسالونيكي 1:10). "شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ" (1 كورنثوس 15:15). "أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ" (رومية 6:4). "الله الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْطَاهُ مَجْدًا، حَتَّى إِنَّ إِيمَانَكُمْ وَرَجَاءَكُمْ هُمَا فِي اللهِ" (1 بطرس 1:21). "الله الآب الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (غلاطية 1:1)؛ "إِلهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ (أي: اليهود) قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ" (أعمال الرسل 5:30)؛ "إِلهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ [...] أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أفسس 1:17-20)؛ "إِنَّ إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، إِلهَ آبَائِنَا، مَجَّدَ فَتَاهُ يَسُوعَ (الترجمة الأكثر دقة: عَبدَه يَسُوعَ[5265]؛ باليونانية: paida)، [...]، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذلِكَ" (أعمال الرسل 3:13-15). "أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ (أي: بقوة الآب)" (رومية 6:4). "اللهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبَّ [يَسُوعَ]، وَسَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ" (1 كورنثوس 6:14). "أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ" (أعمال الرسل 10:40). "فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ" (متى 16:21، 17:23، 20:19) (مرقس 10:34) (لوقا 9:22، 18:33، 24:7). "قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ" (1 كورنثوس 15:4).

نستطيع الآن أن نفهم لماذا ذكرتْ بعضُ كتب تفسير القرآن وقصص الأنبياء رأيَ مَن قال إن يوسف كان "مُقامُه في الجبِّ ثلاثة أيام"[5266]؟ والإجابة: لأن هؤلاء المفسرين المسلمين قد لاحظوا العلاقةَ الرمزية بين كل هذه القصص الموروثة؛ سواء قصة يوسف فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ثلاثة أيام[5267]، أو قصة المسيح في ظلام القبر (الهاوية) ثلاثة أيام[5268]، أو قصة يونان (يونس) في ظُلُمَاتِ بطن الحوت (الهاوية) ثلاثة أيام[5269]. اقرأ أيضاً "هَلُمَّ نَرْجعُ إِلَى الرَّبِّ (أي: نتوب) لأَنَّهُ هُوَ افْتَرَسَ (أي: مَزَّقنا) فَيَشْفِينَا، ضَرَبَ فَيَجْبِرُنَا (أي: سَيُضَمِّدُ جُرُوحَنا). يُحْيِينَا بَعْدَ يَوْمَيْنِ. فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ (أي: بسرعة؛ بعد وقتٍ قصير) يُقِيمُنَا فَنَحْيَا أَمَامَهُ" (هوشع 6:1-2).

النتيجة: كلمة "الْجُبِّ" (بالسريانية: gubbā) (يوسف 10، 15) تكفي وحدها كدليل قاطع يثبت قوة عملية التطور البشري الطبيعي وقدرتها على إعادة إنتاج القصص القديمة في ثوبٍ جديد. فَمِن بعض القصص

والأفكار والعبارات والكلمات الكتابية، استطاع المسيحيون السريان أن يبتكروا فكرةً جديدة وأدخلوها في عظاتهم الدينية عن يوسف. ثم تطورتْ هذه الفكرة تطوراً بشرياً طبيعياً حتى وضعها أصحابُ القرآن في قصة يوسف القرآنية: "فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (يوسف 15). وهذا يؤكد أن القرآن كلام بشر.

العقل البشري وحده يكفي لإنتاج قصة يوسف القرآنية، بل يكفي جداً لإنتاج القرآن. فلسنا محتاجين أسطورة "الوحي الإلهي" لكي نفهم كيف نشأت قصة يوسف القرآنية. نظرية "التطور البشري الطبيعي" هي التي تشرح كيف نشأت قصة يوسف القرآنية، بل تشرح كيف نشأ القرآن.

4.22.2.8 إخوة يوسف يتظاهرون بالبكاء والحزن لكن يعقوب يكتشف كذبهم (يوسف 16-18)

كالعادة، يضع القرآنُ كلاماً غير توراتي وسط كلام توراتي: "وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (أي: يتباكون؛ يتظاهرون بالبكاء والحزن). قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا (أي: لن تصدّقنا) وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (even if we were telling the truth). وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ [يعقوبُ لهم بعد أن اكتشف كذبهم] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ [الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ] أَمْرًا [نُكْرًا أنزلتموه بأخيكم يوسف] ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ (أي: صبرٌ لا شكوى معه إلا لله) ۖ وَاللَّهُ [وحده] الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (أي: ما تزعمون وتدعون من الباطل)" (يوسف 16-18).

هذا الكلام القرآني ليس كلام الله. وإنما كلام رجال الدين المسيحيين السريان قبل القرآن ...

فلقد قال القديس الكبير "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (Ephraem) (القرن الرابع الميلادي) في الفصل الثالث والثلاثين مِن تعليقه الشهير على سفر التكوين (Commentary on Genesis 33.2)[5270]:

> With no mercy they [i.e. Joseph's brothers] cast him [i.e. Joseph] into a pit in the desert but they wept over him with tears in the house. They sold him naked to the Arabs but wept over him and wailed in the presence of the Canaanites. They put irons on his hands and feet and sent him on his way but composed lamentations over him in the village.

الترجمة: بلا أي رحمة، طَرَحَ إخوةُ يوسف يوسفَ في البئر في الصحراء لكنهم بكوا عليه بالدموع في البيت **[⟵ "جَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (أي: يبكون بكاءً مصطنعاً ليتظاهروا بالرحمة والشفقة على يوسف)" (يوسف 16)]**. باعوه عرياناً (أي: بدون قميصه) إلى العرب (يقصد: الإسماعيليين و/أو المديانيين) لكنهم بكوا عليه وولولوا عند الكنعانيين **[⟵ "جَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً [في كنعان] يَبْكُونَ" (يوسف 16)]**. وضعوا

الحديد على يديه وقدميه وأرسلوه في طريقه لكنهم ألّفوا الرثاءَ عليه في القرية **[⟵ "جَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (أي: يتباكون؛ يتظاهرون بالبكاء والحزن)" (يوسف 16)]**.

فنلاحظ هنا أن فكرة بكاء إخوة يوسف (أو بالأحرى: تظاهرهم بالبكاء) حين جاءوا بقميص يوسف إلى أبيهم يعقوب فكرة مسيحية سريانية وليست توراتية[5271]. فكرة بشرية ابتكرها إفرام السرياني في القرن الرابع الميلادي؛ ثم انتقلتْ مِن إفرام السرياني إلى القرآن في القرن السابع الميلادي. وبما أن إفرام السرياني بشر لا يُوحَى إليه وليس نبياً وكلامه كلام بشر 100%، فإن القرآن أيضاً كلام بشر 100%.

ومِن المعلوم أن القديس إفرام السرياني يُعتبر واحداً مِن أهم وأشهر أعلام الفكر المسيحي السرياني قبل الإسلام. فَمِن الواضح أن شهرته ومكانته الرفيعة في الأدب السرياني قد جعلت أفكاره كلها أو بعضها تنتشر بسهولة وسرعة في أعمال سريانية وغير سريانية أخرى[5272].

مثلاً: العظات المسيحية السريانية (Balai) التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي كما قلنا فيما سبق، أي: قبل الإسلام. نجد فيها[5273] أن إخوة يوسف تعمدوا التظاهر بالحزن على يوسف، بل وضعوا خطةً لذلك قبل دخولهم على أبيهم! فقالوا: عندما ندخل ويرانا أبونا، سيسألنا "أين يوسف؟" وعندئذٍ فلنجعل كلنا الدموعَ تظهر في عيوننا بالبكاء (let us all introduce tears through weeping). وبالفعل غطّوا رؤوسهم وتدفقتْ الدموعُ من عيونهم (tears flow from their eyes) **[⟵ "جَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ" (يوسف 16)]**، فسألهم بعضُ مَن رآهم: "على مَن تَبْكُون؟" (بالسريانية: bākēton) **[⟵ بالعربية: "يَبْكُونَ" (يوسف 16)]**. ولمّا دخلوا على أبيهم يعقوب سألهم "أين يوسف؟" "إن أوقفتموه (أي: جعلتموه يبقى) لدى الغنم فلا ينبغي أن يبقى. يجب أن يدخل معكم فأنا انتظرتُه أكثر منكم". فقالوا ليعقوب: "ما بقي [يوسفُ] مع الغنم بدوننا" "يا أبانا، اصبرْ" **[⟵ جعل القرآنُ يعقوبَ يقولها لنفسه: "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ" (يوسف 18)]**[5274] "وأمهلنا فنكشفَ لك ما حصل". ويبدو أن إخوة يوسف فهموا كلامَ يعقوب على أنه تلميح إلى تقصيرهم في حماية يوسف أو أنهم آذوه **[⟵ جعل القرآنُ يعقوبَ يقول شكوكه فيهم صراحةً: "قَالَ [لهم] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ [الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ] أَمْرًا [نُكْرًا أنزلتموه بأخيكم يوسف]" (يوسف 18)]**، فقالوا رداً على الاتهامات التي وجهها يعقوبُ ضمنياً لهم: "نحن قائمون في الخجل أمامك، مثل أناس عملوا القبيح. فَمُنَا مُغلَق وكأننا نحن أذنبنا إلى حبيبك. ففي دخولنا [عليكَ] شابَهْنا أناساً عملوا القبائح، ومثل قتلة ولصوص يُقبَض علينا أمامك" (And [we resemble] murderers and thieves for we have been apprehended by you) "لنقتنِ قلبَ الوحوش ونتجاسرْ فنروي قباحتنا" **[⟵ عبَّر القرآنُ بعبارة مختصرة عن سوء اختيارهم للألفاظ التي تكاد أن تثبت الاتهامات عليهم: "وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (even if we were telling the truth)" (يوسف 17). فقيل إنه اعتراف ضمني بكذبهم، على غرار "كاد المريبُ أن يقولَ: خذوني". أي: "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تُصَدِّقُنَا - وَالْحَالَةُ هَذِهِ - لَوْ كُنَّا عِنْدَكَ صَادِقِينَ، فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَتَّهِمُنَا فِي ذَلِكَ"[5275]؛ "وَمَا أَنْتَ بِمُصَدِّقٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ الَّذِينَ لَا يُتَّهَمُونَ،**

لِسُوءِ ظَنِّكَ بِنَا، وَتُهْمَتِكَ لَنَا"[5276][5277]]. ثم قالوا لأبيهم روايتهم الكاذبة الملفقة وتتلخص في أن يوسف تاه في الجبل بدون علمهم وقُتِلَ. ثم أضافوا: آخرون قتلوا الطفلَ (others killed the child) [← "أَكَلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 17)]، ولكن نحن يُقبَض علينا بسببه (yet we are apprehended on his account). هرب قاتلوه وابتعدوا عنه (Those who killed him departed from him)، ولكن قُبِضَ على الذين لم يقتلوه (يقصدون: أنفسهم) (yet those who did not kill him are apprehended).

فماذا كان رد فعل يعقوب؟ هل صدَّق روايتهم الكاذبة الملفقة؟ ...

حسب التوراة، نجح إخوةُ يوسف في خداع أبيهم يعقوب، فلقد صدّق يعقوبُ روايتهم الكاذبة الملفقة: صدَّق أن الدم الذي على قميص يوسف هو دم يوسف وصدَّق أن وحشاً رديئاً قد أكل يوسف وافترسه حتى الموت، فناح يعقوبُ على يوسف أياماً كثيرة وبكى حزناً على موته (التكوين 37:31-35).

أما حسب القرآن، فنجد العكس تماماً: يعقوب لم يُصَدِّق أبناءَه حين ادعوا أن يوسف أكله الذئبُ، ولم يُصدِّق أن الدم الذي على قميص يوسف هو دم يوسف، بل واتهمهم أنهم قد فعلوا أمراً شنيعاً في أخيهم: "قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ [الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ] أَمْرًا [نُكْرًا أنزلتموه بأخيكم يوسف]" (يوسف 18)، واتهمهم بالكذب: "وَاللَّهُ **الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** (أي: ما تزعمون وتدعون من الباطل)" (يوسف 18)[5278]. وهي قطعاً عبارة دخيلة على قصة يوسف الأصلية، بدليل عدم وجودها في التوراة، وبدليل أن أصحاب القرآن استخدموا هذه العبارة في موضعٍ آخر ليس له أي علاقة بالقصة التوراتية الأصلية: "قَالَ [محمدٌ] رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ [بيننا وبين قومنا المكذبين]ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ **الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** (أي: ما تزعمون وتدعون من الباطل)" (الأنبياء 112)! بل توجد 11 آية قرآنية أخرى ليس لها أي علاقة بقصة يوسف التوراتية تستخدم الفعل "وصف" للإشارة إلى الكذب والافتراء: "تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ" (النحل 116) "وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ" (الأنبياء 18) "نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ" (المؤمنون 96) "تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ" (النحل 62) "سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ" (المؤمنون 91) "سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ" (الصافات 159) "سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ" (الصافات 180) "فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ" (الأنبياء 22) "سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ" (الزخرف 82) "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ" (الأنعام 100) "سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" (الأنعام 139).

وفي الحديث، قال محمدٌ لابن عباس: "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ"[5279].

إذن: "وَاللَّهُ **الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**" (يوسف 18) عبارة عربية/إسلامية (stock phrase) وضعها أصحابُ القرآن ــ وربما وضعها محمدٌ شخصياً ــ على لسان يعقوب العبراني! وهذا يدل على أن أصحاب القرآن قد قاموا ــ كعادتهم ــ بأسلمة وتعريب القصص التوراتية التي تلقفوها من أهل الكتاب.

ويبدو لنا أن أصحاب القرآن قد رفضوا فكرة أن يعقوب "نبي الله" يُخدَع. فكما قلنا فيما سبق إنَّ أصحاب القرآن حرصوا على تقديم النبي المسلم "يعقوب" في أحسن صورة ممكنة. ومِن المؤكد أن صورة الشيخ الكبير الذي يسهل خداعه و "الضحك عليه" ليست أحسن صورة، بل قد تكون أسوأ صورة. ولذلك جعل أصحابُ القرآن يعقوبَ يكتشف كذب إخوة يوسف. لكنهم أوقعوا أنفسهم في مشكلة أكبر ...

وتلك المشكلة الكبرى هي رد فعل يعقوب بعد أن اكتشف جريمة إخوة يوسف "قَالَ [لهم] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ [الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ] أَمْرًا [نُكْرًا أنزلتموه بأخيكم يوسف]" (يوسف 18). جاء رد فعله بسيطاً جداً ولا يتناسب أبداً مع أبٍ فَقَدَ ابنَه: اكتفى بالصبر والاستعانة بالله! "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ" (أي: ليس فيه نواح ولا بكاء ولا جَزَع ولا شَكْوَى مِن قدر الله، وإنما الشكوى إلى الله وحده[5280]) ۖ وَاللَّهُ [وحده] الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ" (يوسف 18)! وإنْ قلتم إنَّ النبي يعقوب كان يعلم من رؤيا يوسف أنه سيعيش حتى يكون نبياً. فسنقول: نحن لا نتحدث عن مستقبل يوسف، وإنما نستغرب من رد فعل يعقوب لمَّا فَقَدَ ابنَه حبيبه وهو لا يعلم ما أصابه مِن مكروه. وإنْ قلتم إنَّ النبي يعقوب كان يعلم من رؤيا يوسف أنه سيرى يوسفَ مرة أخرى. فسنقول: وماذا عن الآلام التي قد يعانيها يوسفُ حتى يتحقق هذا اللقاء؟ ألم يحزن يعقوبُ على حال يوسف؟!

والأغرب من ذلك: لم يعاقب يعقوبُ إخوةَ يوسف على كذبهم وجريمتهم! لم يوبخهم! بل لم يُحاكِمْهم! والأعجب والأغرب من كل ذلك أن يعقوب لم يخرج من بيته ليبحث عن ابنه حبيبه يوسف وليسأل عنه القاصي والداني!

باختصار: هذا التعديل الذي أدخله أصحابُ القرآن على القصة التوراتية الأصلية غير محبوك درامياً. وإنْ حاولتْ بعض كتب تفسير القرآن أن تسد هذه الثغرة القرآنية، فزعمتْ أن يعقوب بكى وصاح وخرَّ مغشياً عليه، "فلم يُفِق إلا ببردِ السَّحَر"[5281]!

أما نحن فيبدو لنا أن الحبكة الدرامية لم تكن هدفَ أصحاب القرآن، وإنما الرسالة الدينية والاجتماعية. أراد أصحابُ القرآن أن يُعلِّموا المسلمين الأوائل في مكة كيف يتصرفون حين يفقدون أبناءهم بسبب مؤامرات كفار قريش ضدهم. فجعلوا يعقوبَ "المسلم" قدوةً. فما فعله يعقوبُ القرآني – وليس ما فعله يعقوب التوراتي – هو ما ينبغي أن يفعله المسلم في تلك الفترة المكية المسالمة: الثبات والصبر والاستعانة بالله والرضا بالقضاء والقدر دون انتقام أو انهيار أو يأس "وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" (يوسف 87).

مما سبق يتضح أن أصحاب القرآن قد حرّفوا قصة يوسف التوراتية، واستعانوا على ذلك بعبارات عربية/إسلامية (مثلاً: "وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ" (يوسف 18)) وأفكار مستوحاة من التراث المسيحي السرياني (مثلاً: تظاهر إخوة يوسف بالبكاء أمام أبيهم (يوسف 16)).

إنَّ قصة يوسف تكفي وحدها كدليل يثبت ما نقوله دائماً إن القرآن مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) والتراث العربي.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[⟵ القرآن كلام العرب]**.

ولمَّا بدأ المسلمون يفسرون القرآنَ، كان من الطبيعي أن يلجأوا إلى نفس المصادر الأصلية للقرآن: التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) والتراث العربي.

على سبيل المثال. احتار المفسرون المسلمون في الإجابة على السؤال التالي: كيف عرف يعقوبُ أن أبناءه كاذبون في ادعائهم أن الذئب أكل يوسفَ؟! كالعادة، توجد إجابات كثيرة ومختلفة في الكتب والمراجع الإسلامية، لكن الإجابة الأشهر والتي نسمعها منذ طفولتنا في المساجد وحصص التربية الدينية الإسلامية هي أن قميص يوسف كان سليماً صحيحاً ولم يُمَزَّقْ، فكيف أَكَلَ الذِّئْبُ يوسفَ بدون أن ينقطع قميصه؟! مثلاً، قال تفسيرُ الجلالين: ""وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ" أَيْ: ذِي كَذِبٍ، بِأَنْ ذَبَحُوا سَخْلَةً (هي: الصغيرة من الغنم) وَلَطَّخُوهُ بِدَمِهَا وَذَهَلُوا عَنْ شقِّهِ (أي: نسوا أن يمزقوا قميصَ يوسف) وَقَالُوا إنَّهُ دَمُهُ. "قَالَ" يَعْقُوبُ لَمَّا رَآهُ صَحِيحًا وَعَلِمَ كَذِبَهُمْ [إذ لو أكله الذئبُ لمزّق قميصه] "بَلْ سَوَّلَتْ" زَيَّنَتْ "لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا" فَفَعَلْتُمُوهُ بِهِ"[5282]. وقال القرطبي إن "الفقهاء [...] أجمعوا على أن يعقوبَ عليه السلام استدلَّ على كذبهم بصحة القميص (أي: استدلَّ على كذب إخوة يوسف بصحة قميص يوسف)"[5283]. وفي العصر الحديث، قال الشيخ محمد محمود حجازي (من علماء الأزهر الكبار في القرن العشرين الميلادي): "وجاءوا (أي: جاء إخوةُ يوسف) على قميصه بدمٍ ليس من دمه؛ ليشهد كذباً وزوراً أنه دمه، والله يعلم أن الذئب بريء من دم ابن يعقوب. رُوي أن يعقوب قال استهزاءً: "ما أحلمك يا ذئب! تأكل ابني ولا تشق قميصه!" قال هذا استهزاءً بهم. وقال ملوِّحاً بكذبهم: بل سوَّلت لكم أنفسكم أمراً إدًّا، وفعلتم فعلاً نُكراً"[5284].

ما قاله القرطبي والجلالان وغيرهما في العصور الوسطى وما قاله شيوخ الأزهر وغيرهم في القرن العشرين الميلادي هو مجرد تطور بشري طبيعي لِمَا قاله التراث المسيحي السرياني في القرن الخامس الميلادي إنَّ يعقوب لم يصدق أن حيواناً مفترساً أكل يوسف. فلقد قالتْ العظات المسيحية السريانية (Balai)[5285] التي تحدثنا عنها منذ قليل إن يعقوب لم يفهم كيف كان قميص يوسف سليماً؛ فلو كان حيوانٌ متوحشٌ قد افترس يوسفَ كما يزعم الإخوةُ، لكان قميصه تمزَّق إلى قطع (if he had been devoured by wild animals, it should have been torn to pieces). ونظراً لأهمية هذه الفكرة في التراث المسيحي السرياني قبل الإسلام، وكذلك لتأثيرها الواضح على تفاسير القرآن، فإننا سنذكر الترجمة العربية بتفصيل[5286]:

> "إن كان الذين قتلوه في الْبَرِّيَّةِ بشراً فلماذا تركوا القميص؟
>
> وإن كانت الوحوش افترسته فكيف حفظت لباسَه (سالماً)؟

القميص مُلقى في الْبَرّيَّةِ، ولابسه أُبيدَ منه.

أن لا يضيع (القميص) ولا يتمزَّق، زرعَ في وجداني الشكوك.

ماذا استفاد الناس الذين قتلوه إذ تركوا القميص الجميل؟

وإلى من أذنب في الْبَرّيَّةِ بحيث كمنَ له القاتل؟

إن هاجمته الوحوش، كيف أفلتَ القميص؟

لا يُرى في لباسه ظِفرٌ صنع ضرراً.

مَن وهب للأسد التمييز فنزع الثوب وحفظه (سالماً)؟

ولماذا يطوي الثوب ويضعه (جانباً) ويأكل الجسدَ بعظامه؟

كنتُ فكَّرتُ أنَّ الناس قتلوك لو كان القميص مفقوداً.

وكنتُ تثبَّتُّ من الوحوش لو مُزّق لباسك.

لو كان الناس قتلوك، فجليٌّ أنَّهم لا يتركون اللباس،

وإن كانت الوحوش [قتلوك]، فمن المعروف أنَّها كانت مزَّقت ثوبك".

[...]

حفظتُ أحلامك ووثقتُ أنَّك عائد إلينا بالسلامة.

وها قميصك يصرخ بدمك: أحلام يوسف كاذبة.

وحتى الآن ما قطعتُ (الأمل) لأنِّي جرَّبتُ قوَّة الأحلام.

ففي الشيول (أي: مثوى الأموات) جسمك إن وضعوه، بعثته تفاسيرُهم.

عَرَّوْك ثم قتلوك، أو قتلوك ثم عَرَّوْك؟

بانذهال حسبتُ ما رأيتُ لئلا يعدُّوني بليداً.

إن كانوا عَرَّوْه ثم قتلوه، فلماذا تلطَّخ ثوبه بالدم؟

وإن كانوا قتلوه ثم عَرَّوْه، ما الذي استفادوا من قميصه؟

والجثَّة التي سكنتْ حركاتُها، لا يقربُ العريُ إليها.

يبدو لي أنَّ يد الإنسان التي عرَّتها (= الجثَّة) كانت قريبة.

وبما أنَّ الجثَّة ما وُجدت ظننتُ أنَّ الوحوش افترستها.

ولكن لماذا أخذوا هذا العناء فلطَّخوا لباسه بالدم؟ ليكشف الله لعبده هذا العمل الذي يُحَيِّره".

إذن: على الرغم مِن أن يعقوب بكى على يوسف كما يبكي على ميت، إلا أنه لم يُصَدِّق الرواية الكاذبة الملفقة التي زعمها إِخْوَتُهُ، بدليل أنه لم يقطع الأمل في تحقق أحلام يوسف، مما يعني أنه يشعر أن يوسف حي. فلمَّا سمع إخوةُ يوسف كلمات أبيهم، شعروا أنه يوبخهم لأنه قد أعلن اتهاماته لهم (their consciences were rebuked, for their indictments had been proclaimed) "والإخوة الذين عرّوا (يوسف)، بُهتوا بما قاله يعقوب من كلام. هُم كذبوا، وَفَمُ اَلشَّيْخِ أعلن الحقيقة. وبَّختهم ضمائرُهم لأنَّ الشكاوى عليهم تكرَّرت. فاَلشَّيْخُ فسَّر في داخل البيت كلَّ ما فعلوه بجانب القطيع" **[← "قَالَ [اَلشَّيْخُ يعقوبُ لهم] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ [الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ] أَمْرًا [نُكْرًا أنزلتموه بأخيكم يوسف]ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (أي: ما تقولونه مِن أكاذيب)" (يوسف 18)].**

وتوجد أمثلة أخرى مشابهة في التراث المسيحي (السرياني واليوناني) قبل القرآن، ومِنها ما جعل يعقوب أكثر ذكاءً فأدرك بذكائه وفطنته أن الدم الذي على قميص يوسف ليس دم إنسان وإنما دم حيوان[5287].

إذن: كما اعتمد القرآنُ على التراث المسيحي السرياني الذي يؤكد أن إخوة يوسف فشلوا في خداع أبيهم يعقوب، كان مِن الطبيعي أن يلجأ مفسرو القرآن إلى نفس هذا التراث المسيحي السرياني من أجل أن يعرفوا كيف استطاع يعقوبُ أن يكتشف كذب إخوة يوسف. يعني: المفسرون استخرجوا تفسيرَ القرآن من المصادر الأصلية للقرآن. حصلوا على المعلومة من مصدرها الأصلي.

ونحن نقول ذلك لأحبائنا المسلمين الذين يقولون إن كتب تفاسير القرآن فيها "إسرائيليات". فنقول لهم: نعم، كلامكم صحيح. كتب تفاسير القرآن فيها إسرائيليات (و "مسيحيات" و "سريانيات" ... الخ). لكن وجود كل هذه الإسرائيليات في كتب تفاسير القرآن هو نتيجة حتمية وطبيعية لوجود الإسرائيليات في القرآن نفسه.

أصحاب القرآن أخذوا مِن الإسرائيليات (ومِن المسيحيات والسريانيات ... الخ)، وطوروها تطوراً بشرياً طبيعياً ووضعوها في القرآن، لكن بصورة مختصرة. ثم جاء المفسرون المسلمون وأرادوا أن يعرفوا التفاصيل، فلجأوا إلى نفس الإسرائيليات (والمسيحيات والسريانيات ... الخ) التي أخذ أصحابُ القرآن منها.

وكما نقول دائماً: "الإسرائيليات" و "المسيحيات" و "السريانيات" ليست موجودة فقط في كتب تفاسير القرآن وكتب السُّنَّة، وإنما موجودة أولاً في القرآن نفسه. أو بعبارة أكثر دقة: "الإسرائيليات" و "المسيحيات" و "السريانيات" موجودة في القرآن نفسه، ولذلك نجدها في كتب تفاسير القرآن وكتب السُّنَّة.

فنقول بكل يقين وطمأنينة وبدون مبالغة: القرآن هو المصدر الرئيسي للإسرائيليات في الإسلام.

وهكذا نرى أن الإسلام كله مدين بالفضل للكتاب المقدس وتراثه. فلولا الكتاب المقدس وتراثه اليهودي/المسيحي لما ظهر الإسلام.

بل ليس مِن المبالغة أن نقول إن القرآن كتابٌ من كتب التراث اليهودي/المسيحي الشرقي قبل أن يكون النص المؤسس لدين العرب الجديد (الإسلام). فنحن نضع سورة يوسف القرآنية (Q 12) في نفس الخانة التي نضع فيها العظات المسيحية السريانية (مثلاً: Balai). فكلاهما كلام بشر 100% يعيد إنتاج قصة يوسف الموروثة من أولها إلى آخرها. بالاي أعاد تقديمها في شعر سرياني موزون، ثم أعاد القرآنُ تقديمها في نثر عربي مسجوع. ولذلك فإننا نتفق تماماً مع الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) حين يقول[5288]:

> Taken together, two features of Q 12 suggest an affinity with the Syriac poems: the presentation of the Biblical material in a continuous narrative, and the repeated use of dialogue. Whereas rabbinic midrash usually presents its exegesis in the form of discrete comments on the Biblical verses, the Syriac poems and Q 12 both offer an uninterrupted retelling of the story (the former in verse, the latter in rhymed prose).

ونعتقد أن هذه الدراسة التي قمنا بها تبعث رسالةً هامة لكل المسلمين أنه حين يكون هناك اختلافات بين القرآن والتوراة، فهذا لا يعني أن القرآن صح والتوراة غلط. وإنما يعني أن هناك مصادر أخرى غير التوراة تأثر بها أصحابُ القرآن. وعلى كل باحث جاد أن يبحث في هذه المصادر الأخرى، وعلى رأسها التراث اليهودي المتأخر (post-Biblical) والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة).

وأحياناً يكون ذلك المصدر الآخر هو التوراة نفسها، لكن قصة توراتية أخرى. مثلاً: كلمة "عِشَاءً (أي: ليلاً)" في "وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ" (يوسف 16). يوجد شبه إجماع بين المفسرين المسلمين على أن إخوة يوسف قد اختاروا الظلامَ وقت الليل لأنه مِن الأسهل أن يخدعوا أباهم يعقوب في العتمة. وبغض النظر عن بداهة هذا التفسير وبساطته – فَمِن الطبيعي أن يخفي المرءُ ما يريد ليلاً أسهل مِن نهاراً، إلا أننا نرى أن تأكيد القرآن على أن إخوة يوسف حاولوا أن يخدعوا يعقوبَ "عِشَاءً" مستوحى مِن قصة توراتية أخرى هي قصة يعقوب نفسه. فلقد أراد يعقوبُ أن يتزوج رَاحِيلَ، لكن أباها لابان (Laban) خدعه وجعله يتزوج أختها الكبرى لَيْئَةَ أولاً (التكوين 29:15-30). وتؤكد التوراةُ أن هذه الخدعة كانت ممكنة بسبب ظلام الليل[5289]: "وَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّهُ (أي: لابان) أَخَذَ لَيْئَةَ ابْنَتَهُ وَأَتَى بِهَا إِلَيْهِ (أي: إلى يعقوب)، فَدَخَلَ [يعقوبُ] عَلَيْهَا. [...]. وَفِي الصَّبَاحِ إِذَا هِيَ لَيْئَةُ (أي: ظل يعقوبُ طوال الليل يظن أن المرأة التي يضاجعها هي راحيل ولم يكتشف أنها لَيْئَةَ إلا في الصباح!)، فَقَالَ [يعقوبُ] لِلاَبَانَ: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ أَلَيْسَ بِرَاحِيلَ خَدَمْتُ عِنْدَكَ؟

فَلِمَاذَا خَدَعْتَنِي؟»" (التكوين 29:23-25). قصة توراتية طريفة لم يذكرها القرآنُ، لكنه اقتبس مِنها كلمةَ "عِشَاءً" ووضعها في قصة يوسف ابن يعقوب ورَاحِيل: "وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ" (يوسف 16).

4.22.2.9 النتيجة النهائية

مِن كل ما سبق يتضح أن أصحاب القرآن طوَّروا التراثَ اليهودي المتأخر والتراثَ المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) تطوراً بشرياً طبيعياً وأدخلوهما في قصة يوسف التوراتية، ومِن ثم استطاعوا أن يؤلفوا قصةَ يوسف القرآنية. وزعموا أن قرآنهم كلام الله!

لكن بما أن التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي كلام بشر 100%. إذن: القرآن نفسه كلام بشر 100% وليس كلام الله كما يتوهم المسلمون.

بعبارة أخرى: تأثير التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي على القرآن يُعتبر دليل خارجي (external evidence) يثبت بشرية القرآن.

القرآن كلام بشر وليس كلام الله ولا علاقة له بالله.

4.22.3 الأخطاء والمفارقات التاريخية في القرآن

ولأن الله يحبنا، جعل أصحابَ القرآن يتركون لنا أدلة أخرى داخل هذا القرآن تثبت بشرية القرآن. أي: أدلة داخلية (internal evidence) تثبت بشرية القرآن.

ومِن ضمن هذه الأدلة القرآنية الداخلية: الأخطاء والمفارقات التاريخية في القرآن.

فكما أخذ إخوةُ يوسف قميصَه ونسوا أن يمزّقوه، أخذ أصحابُ القرآن التراثَ اليهودي المتأخر والتراثَ المسيحي ونسوا أن يعيدوا كتابته مستخدمين أفكار وعبارات وكلمات تناسب عصر يعقوب ويوسف. فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هي أن أصحاب القرآن استخدموا كلمات لا تناسب عصر يعقوب ويوسف (قبل المسيح بأكثر من 1600 سنة، بل قبل موسى بمئات السنين)، وإنما تناسب العصر اليهودي المتأخر (فترة ما بين العهدين؛ قبل المسيح بـ 400 سنة أو 433 سنة على الأكثر) أو عصر المسيحيين الأوائل (القرون الستة الأولى للميلاد) أو عصر المسلمين الأوائل أنفسهم (القرن السابع الميلادي)!

بعبارة أخرى: وقع أصحابُ القرآن في أخطاء ومفارقات تاريخية جسيمة تثبت بشرية القرآن 100%.

4.22.3.1 "الشَّيْطَانَ" (يوسف 5)!

كلمة "الشيطان" (the Satan) ليس لها وجود في قصة يوسف التوراتية، بل ليس لها وجود في سفر التكوين كله. ولا الكلمات التي تحمل نفس المعنى مثل المُقاوِم أو المُعارِض (The opposer) أو الخصم (The adversary) أو المُتهِم (The accuser) أو حتى "إبليس" (Diabolos) (The Devil) ... الخ، كلها ليس لها أي وجود في سفر التكوين.

ولا يوجد أي دليل علمي ولا حتى دليل توراتي يثبت أن كلمة "الشيطان" كانت معروفة لإبراهيم أو إسحاق أو يعقوب أو يوسف. فهذه الكلمة موجودة في بقية أسفار العهد القديم، وبخاصة سفر أيوب (Job) وهو كتاب أدبي أسطوري لا نعلم مَن كتبه ولا نعلم تاريخ كتابته، لكن مِن المؤكد أنه كُتِبَ بعد موسى[5290]. وطبعاً نجد كلمة "الشيطان" في العهد الجديد، أي: بعد المسيح. مثلاً: "الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ" (الرؤيا 20:2). وطبعاً "الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ" هي "الْحَيَّةِ" التي وسوست إلى آدم وحواء فأخرجتهما من الجنة، حسب ما يقول سفر التكوين. لكن لا يوجد أي دليل علمي ولا حتى دليل توراتي يثبت أن إبراهيم أو إسحاق أو يعقوب أو يوسف أو حتى آدم نفسه كانوا يعرفون أن تلك "الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ" هي الشيطان إبليس.

باختصار: كلمة "الشيطان" تعبر عن مفهوم متقدم جداً بالنسبة لعصر يعقوب ويوسف.

إلا أن القرآن يزعم أن يعقوب "قَالَ [لابنه يوسف] يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** (أي: ظاهر العداوة؛ يقصد: ويحتمل أن يوسوس الشيطانُ لهم بأن يكيدوا لك)" (يوسف 5)[5291]! وعبارة "إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" مِن كلام يعقوب لابنه يوسف بدليل أن قبلها - في المصاحف الأكثر تداولاً (مصحف حفص مثلاً) - علامة "ۖ" التي تدل على أن الوصل أوْلَى مِن الوقف. وأيضاً بدليل أن ما جاء بعدها مِن كلام يعقوب لابنه يوسف: "وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ [...]" (يوسف 6).

السؤال: هل هناك أي دليل غير القرآن يثبت أن فكرة وجود "الشَّيْطَانَ" وأنه "لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" كانت فكرة معروفة في الزمان والمكان الذي يُفترَض أن يعقوب كان يعيش فيه؟!

إذا كان هناك دليل علمي من خارج الإسلام، نريد أن نعرفه.

أما إذا لم يكن هناك دليل علمي مستقل عن الإسلام، فعلينا جميعاً أن نعترف بأن عبارة "إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (يوسف 5) عبارة عربية/إسلامية (stock phrase) وضعها أصحابُ القرآن على لسان يعقوب العبراني. بدليل أنهم استخدموها في 8 مواضع قرآنية أخرى ليس لها أي علاقة بقصة يوسف التوراتية الأصلية: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا" (الإسراء 53) "وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (البقرة 168، 208) (الأنعام 142) "أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (يس 60) "وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (الزخرف 62)؛ قصة موسى: "قَالَ [موسى] هَٰذَا [القتل] مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ" (القصص 15)؛ قصة آدم وحواء: "وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ

أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ" (الأعراف 22). فإنْ قلتم إنَّ العداوة بين الشيطان والإنسان معروفة منذ أن خَلَقَ اللهُ آدمَ، فسنقول: هذا ما يزعمه القرآن (الأعراف 22). ولا يوجد أي دليل علمي ولا حتى كتابي يثبت ذلك، فلم يكن آدم وحواء يعلما أن الحية هي الشيطان. ولا يوجد أصلاً أي دليل علمي يثبت أن قصة آدم وحواء قصة حقيقية تاريخية. ولو كنا صدّقنا القرآنَ في (الأعراف 22)، لصدّقناه في (يوسف 5) ولانتهت المشكلة.

مما سبق نستنتج أن جملة "إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (يوسف 5) تعاني من مشكلتين:

- المشكلة الأولى: إنها مفارقة تاريخية (anachronism). فلا يوجد أي دليل علمي ولا حتى توراتي يثبت أن فكرة وجود "الشَّيْطَانَ" وأنه "لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" كانت معروفة في الزمان والمكان الذي يُفترَض أن يعقوب ويوسف عاشا فيه.
- المشكلة الثانية: إنها جملة دخيلة على قصة يوسف. ووجودها في مواضع قرآنية أخرى ليس لها أي علاقة بقصة يوسف التوراتية الأصلية يدل على أنها جملة عربية/إسلامية مِن تأليف أصحاب القرآن.

وكل مشكلة من هاتين المشكلتين تكفي وحدها كدليل قاطع يثبت أن القرآن كلام بشر.

لكن يبقى سؤال: لماذا أدخل أصحابُ القرآن كلمةَ "الشيطان" في قصة يوسف ووضعوها في هذا السياق بالذات الذي يعبر عن حسد إخوة يوسف وكراهيتهم له وغيرتهم مِنه إلى درجة الكيد له وتدبير المؤامرات ضده: "فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (يوسف 5)؟

الإجابة: لأن أصحاب القرآن تأثروا بالتراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي الذي وضع كلمة "الشَّيْطَان" – أو كلمةً أخرى لها نفس الدلالة – في نفس السياق من قصة يوسف!

نبدأ أولاً بـ"وصية شمعون" (Testament of Simeon) وهي إحدى "وصايا الآباء الاثْنَيْ عَشَرَ" (Testaments of the Twelve Patriarchs) التي يرجع تاريخها إلى القرن الأول أو الثاني قبل المسيح، وقيل: القرن الثاني بعد المسيح، وفي جميع الأحوال: قبل الإسلام بمئات السنين. يعترف شمعون أخو يوسف قائلاً: "في شبابي، حسدتُ يوسف لأن أبي أحبّه. قسّيتُ قلبي عليه لأهلكه **[⟵ "يَكِيدُوا لَكَ (أي: ليوسف) كَيْدًا" (يوسف 5)]**، لأن أمير الضلال (Prince of Error) **[⟵ "الشَّيْطَانَ" (يوسف 5)]** أرسل روح الحسد فأعمى عقلي. لهذا ما اعتنيتُ به كأخ، ولا راعيتُ أبي يعقوب. ولكن إلهه وإله آبائه أرسل ملاكه، فنجّاه مِن يديّ" (وصية شمعون 2:5-8)[5292].

مثال آخر: "وصية دان" (Testament of Dan) وهي أيضاً إحدى "وصايا الآباء الاثْنَيْ عَشَرَ" (Testaments of the Twelve Patriarchs) فهي إذن من ضمن أساطير سوديبِجرافا العهد القديم. يعترف دان أخو يوسف قائلاً: "أقرّ لكم اليوم، يا أبنائي، أني قررتُ في قلبي موت يوسف أخي، هذا الإنسان

الصالح والصادق. فرحتُ لأنه بِيعَ، لأن أبي كان يحبّه أكثر منا. فقد قال لي روح الحسد والتبجّح: "أنتَ أيضاً ابنه". وقال لي أحد أرواح بليعار (Beliar) (Béliar) **[← "الشَّيْطَانَ" (يوسف 5)]**: "خذ هذا السيف واقتل يوسف **[← "يَكِيدُوا لَكَ (أي: ليوسف) كَيْدًا" (يوسف 5)]**، فيحبك أبوك حين يموت يوسف **[← "يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ (أي: تخلص لكم محبة أبيكم) وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ (أي: مِن بَعْدِ يوسف) قَوْمًا صَالِحِينَ" (يوسف 9)]**". كان روح الغضب يقنعني أن امتصّ دم يوسف كما يمتصّ النمرُ دم الجدي" (وصية دان 1:4-8)[5293].

ومِن الجدير بالذكر أن "بليعار" (Beliar) - أو: "بَلِيعَال" (Belial) - أحد أسماء الشيطان في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي؛ وهو أصلاً كلمة عبرية (belial) تعني: عديم الفائدة worthless؛ لا نفع فيه useless؛ لئيم؛ شرير؛ سفيه. تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica)[5294]:

In postbiblical literature – especially in the pseudepigrapha – Belial (usually written Beliar) is the name of the Prince of Evil, i.e., Satan.

وتقول دائرة المعارف الكتابية: "وفي استعمال العهد القديم لها (أي: لكلمة بليعال) [مثلاً: (التثنية 13:13) (1 صموئيل 27:10)]، لا يوجد ما يدل على أنها اسم علم. [...] وفي الكتابات اليهودية في العصور المتأخرة، أصبحت كلمة "بليعال" تُستخدم علماً على "الشيطان" وكذلك على "ضد المسيح" أو "المسيح الكذاب"، كما في الكتب الأبوكريفية: "اليوبيل" و "صعود إشعياء" والأقوال السبليانية. [...] وقد استخدم الرسول بولس كلمة "بليعال" (2 كورنثوس 15:6) بمعناها الشائع عند يهود عصره، حيث – كما سبق القول – كانت تطلق على الشيطان أو ضد المسيح"[5295]. يقول الرسول بولس: "لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ (أي: لا تقترنوا في أي مشروع روحي كالزواج مثلاً) مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالَ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟ وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللهِ مَعَ الأَوْثَانِ؟" (2 كورنثوس 14:6-16). وفي البشيطا السريانية، تُترجم كلمة "بَلِيعَالَ" إلى "الشيطان" (Satan)[5296].

وبمرور الزمن، صارت الفكرةُ أكثر صراحةً وأكثر وضوحاً في التراث المسيحي الشرقي. فنستنتج مِن إحدى ترانيم المرنم السوري البيزنطي الشهير "رومانوس" (Romanos the Melodist) (Romain le Mélode) في القرن السادس الميلادي، أي: قبيل ظهور الإسلام، أن الشيطان/إبليس هو المسئول عن حسد إخوة يوسف وكراهيتهم له[5297][5298] **[← قال يعقوبُ ليوسف في بداية القصة القرآنية: "فَيَكِيدُوا (أي: فيكيد إخوتُك) لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (يوسف 5)؛ وقال يوسفُ في نهاية القصة القرآنية: "نَّزَغَ الشَّيْطَانُ (أي: أفسد الشَّيْطَانُ رابطة الأخوَّة) بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي" (يوسف 100)]**.

ومن الجدير بالذكر أن رومانوس برع في فن الكونتاكيا (kontakia) الذي تميز به التراث المسيحي اليوناني (البيزنطي) في القرن السادس الميلادي، أي: قبيل ظهور الإسلام. والكونتاكيا عبارة عن عظات أو ترانيم طويلة موزونة وشقوية[5299] تشبه القرآن (المكي بصفة خاصة) من حيث الشكل.

وكل ما سبق يؤكد جذور القرآن في التراث الديني الشرقي سواء من حيث المضمون أو من حيث الشكل، وسواء كان تراثاً يهودياً أم مسيحياً، وسواء كان سريانياً أم بيزنطياً (يونانياً)[5300].

الخلاصة: "الشَّيْطَان" (يوسف 5) مفارقة تاريخية تدل على تأثر القرآن بالتراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي. أو بعبارة أكثر دقة: إقحام التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي في قصة توراتية هي قصة يوسف. فلقد أخذ أصحابُ القرآن التراثَ اليهودي المتأخر والتراثَ المسيحي الشرقي ونسوا أن يعيدوا كتابته مستخدمين أفكار وعبارات وكلمات تناسب عصر يعقوب ويوسف، فسقطوا في أخطاء ومفارقات تاريخية جسيمة تثبت بشرية القرآن 100%.

4.22.3.2 "دَرَاهِم" (يوسف 20)!

المشكلة التاريخية الثانية التي تعاني منها قصةُ يوسف القرآنية هي مشكلة الدراهم: "وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ (أي: قليلة يمكن عَدُّها) وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ" (يوسف 20). فعلى مَن يظنون أن القرآن كلام الله أن يأتونا بدليل مادي واحد يثبت أن عملة الدرهم كانت معروفة في الزمان والمكان الذي دارت فيه قصة يوسف. الزمان: أكثر من 1600 سنة قبل المسيح. والمكان: كنعان و/أو مصر. هل يوجد أي دليل علمي من خارج الإسلام يثبت أن عملة الدرهم كانت متداولة في هذا الزمان وهذا المكان؟!

إن كل الأدلة التي أمامنا تثبت أن اسم عملة الـ"دَرَاهِم" (يوسف 20) مأخوذ مِن اسم العملة الإغريقية (اليونانية القديمة): drachma (دراخما). ولقد اعترف البروفسور "علي مراد" (Ali Mérad) بأن كلمة "دَرَاهِمَ" أصلها يوناني، بدليل أنه وضعها كواحدة مِن الكلمات القرآنية ذات أصل يوناني (mots coraniques d'origine grecque)[5301]. وكذلك العالِم المغربي محمد المسيَّح اعترف بذلك[5302].

وتقول موسوعة (Encyclopædia Britannica) عن الدراهم وعلاقتها بالدراخما:

> Drachma, silver coin of ancient Greece, dating from about the mid-6th century BC, and the former monetary unit of modern Greece. The drachma was one of the world's earliest coins. Its name derives from the Greek verb meaning "to grasp," and its original value was equivalent to that of a handful of arrows. The early drachma had different weights in different regions. From the 5th century BC, Athens gained commercial preeminence, and the Athenian drachma became the foremost currency. [...].

As a result of the conquests of Alexander the Great, the Athenian drachma came to be the monetary unit of the Hellenistic world. In time, silver coins of one drachma and its multiples were debased, and progressively higher proportions of copper were admixed. The drachma also became the prototype of an Islamic coin—the dirham. […].

إذن: استخدام عملة الدراخما بدأ في اليونان في القرن السادس قبل الميلاد، أي: بعد يوسف بأكثر من 1000 سنة! ولم ينتشر استخدام عملة الدراخما في منطقة الشرق الأوسط إلا منذ غزوات الإسكندر الأكبر، أي: القرن الرابع قبل الميلاد، أي: بعد يوسف بأكثر من 1200سنة! ثم بعد ذلك بمئات السنين، صارت الدراخما نموذجاً للعملة الإسلامية "الدرهم".

باختصار: مِن المستحيل أن يكون يوسف قد بِيعَ بـ "دَرَاهِم" (يوسف 20) كما يزعم القرآنُ.

ومِن الواضح أن أصحاب القرآن قد عرفوا من التوراة أن الذين باعوا يوسف كانوا عرباً إسماعيليين و/أو مديانيين، فظن أصحابُ القرآن أن هؤلاء الإسماعيليين/المديانيين كانوا يتعاملون بالدراهم مثلهم. وهذا طبعاً ظن غير صحيح، لأن عملة الدرهم لم تكن معروفة أيام يوسف. إنها بالفعل مفارقة تاريخية كبيرة، بل خطأ تاريخي جسيم، سقط فيه أصحابُ القرآن[5303].

لو كان القرآن قال إن يوسف بِيعَ بقروش أو بمليمات، هل كان المسلمون سيؤمنون بالقرآن؟ مستحيل. كذلك ينبغي على كل إنسان عاقل ألا يؤمن بالقرآن حين يزعم أن يوسف بِيعَ بـ "دَرَاهِم" (يوسف 20).

وإنْ قلتم إنَّ كلمة "دراهم" هنا لا تعني عملة الدارهم بعينها وإنما تعني العملة بشكل عام. فسنقول: هذا الكلام يمكن قبوله إذا كنا نتحدث عن كتاب عادي أو "ألف ليلة وليلة". أما اذا كنا نتحدث عن كتابٍ يُفترَض أنه مِن عند الله، فلا يمكن قبول هذه التبريرات الواهية. وبخاصة أن الآية نفسها ليست بحاجة أصلاً إلى عبارة "دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ"، فلقد كان مِن الممكن أن يقول القرآنُ "وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ". إذن: وجود عبارة "دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ" يدل على أن المقصود هو عملة الدراهم بعينها.

وهكذا فسَّر المفسرون المسلمون هذه الآية (يوسف 20). فسروا عبارة "دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ" على أنها دراهم فعلاً. حتى أنهم ذكروا عدد هذه الدراهم، وإنْ اختلفوا – كالعادة – في هذا العدد. قيل: عشرون درهماً؛ وقيل: اثنان وعشرون درهماً؛ وقيل: أقل من أربعين درهماً؛ وقيل غير ذلك. على سبيل المثال، قال الشيخ الشعراوي: "والبخس أي: النقص، وهو إما في الكَمِّ أو في الكَيْف؛ فهو (أي: يوسف) يساوي مثلاً مائة درهم وَهُمْ باعوه بعشرين درهماً فقط"[5304]. فنلاحظ أن الشيخ الشعراوي يقول "عشرين درهماً"، ولم يقل عشرين وحدة من العملة المتداولة آنذاك. وكذلك أخرج الحاكمُ في المُستدرَك حديثاً عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ [بن مسعود] قَالَ: "إِنَّمَا اشْتُرِيَ يُوسُفُ بِعِشْرِينَ دِرْهَمًا"[5305]. إذن: أصحاب القرآن قصدوا عملة الدراهم بعينها.

وهذه مفارقة تاريخية (anachronism) كبيرة تثبت أن القرآن كلام بشر يصيبون أحياناً ويخطئون أحياناً أخرى. وهنا الخطأ التاريخي كبير جداً: أكثر مِن 1000 سنة!

وكذلك بالنسبة لمترجمي القرآن. فلقد لاحظنا أن كثيراً من الترجمات الإنجليزية والفرنسية لمعاني القرآن قد تركتْ كلمة "دراهم" كما هي "dirhams"[5306] بدون ترجمة. بالضبط كما نكتب نحن في عصرنا الحالي "dinar" و "دولار" و "يورو" و "استرليني" بدون ترجمة.

والحقيقة أن ليس كل مترجمي القرآن قد فعلوا ذلك، فبعضُهم أدرك المشكلة القرآنية فحاول حلها إما بترجمة كلمة "دَرَاهِمَ" إلى "silver coins"[5307] أي "عملات مِن الفضة"! وإما بوضع الكلمتين "دَرَاهِمَ" و "عملات مِن الفضة" ((for a few Dirhams (i.e. for a few silver coins))[5308]! أي أنهم حرَّفوا معاني القرآن، فأدخلوا فيها عبارة "عملات من الفضة" غير المذكورة في القرآن!

وقد يتساءل البعضُ من أين جاءت عبارة "عملات من الفضة" هذه؟!

الإجابة بسيطة: مِن أحد المصادر الأصلية للقرآن وهو: التوراة. فلقد ذكرتْ التوراةُ الفضةَ في قصة بيع يوسف: "وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ" (التكوين 28:37) – أي أن التوراة (التي يعتقد المسلمون أنها مُحرَّفة) ظهرتْ هنا أكثر دقة وأكثر صحة مِن القرآن! التوراة أكثر دقة من القرآن لأنها ذكرتْ العدد "عشرين" فلم تترك المفسرين تائهين ومختلفين. والتوراة أكثر صحة من القرآن لأنها لم تقل "دراهم" ولا "جنيهات" ولا "دولارات"، وإنما قالتْ "عِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ" (twenty pieces of silver).

ولأن عملة الدراخما كانت تُصنَع مِن الفضة (silver) كما قالت موسوعة (Encyclopædia Britannica)[5309]، توهَّم أصحابُ القرآن أن يوسف بِيعَ بدراخما (دراهم)، فقالوا: "وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ" (يوسف 20).

لكن يبقى سؤال: لماذا قال أصحابُ القرآن إن عِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ "ثَمَنٍ بَخْسٍ (أي: أقل مِن قيمة مثله)" (يوسف 20)؟

الإجابة: ربما احتراماً وتوقيراً ليوسف، فهو بالتأكيد يستحق أكثر من عِشْرِين مِنَ الْفِضَّةِ. و/أو لأن أصحاب القرآن قد تأثروا بالتراث اليهودي/المسيحي الذي يقول إن ثمن العبد ثلاثون مِن الفضة:

- نجد ثمنَ العبد في التوراة: "إِنْ نَطَحَ الثَّوْرُ عَبْدًا أَوْ أَمَةً، يُعْطِي [صَاحِبُ الثَّوْر] سَيِّدَهُ [تعويضاً] ثَلاَثِينَ شَاقِلَ فِضَّةٍ (حوالي: 340 جرام أو ¾ رطل مِن الفضة[5310])" (الخروج 32:21). اقرأ أيضاً: "فَقُلْتُ لَهُمْ: «إِنْ حَسُنَ فِي أَعْيُنِكُمْ فَأَعْطُونِي أُجْرَتِي وَإِلاَّ فَامْتَنِعُوا». فَوَزَنُوا (they weighed) أُجْرَتِي ثَلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ" (زكريا 12:11).
- ونجد ثمنَ العبد أيضاً في الإنجيل الذي يقول إن يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيّ باع يسوعَ المسيح بـ "ثَلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ" (متى 15:26). بعبارة أخرى: سَلَّمْ يهوذا اليهودي أستاذَه يسوع المسيح بثلاثين من الفضة،

وهو ثمن العبد. أما يهوذا الإسرائيلي فباع أخاه يوسف البار بعشرين من الفضة (التكوين 37:28)، فهو بالفعل أقل من ثمن العبد. ولذلك قال القرآنُ: "وَشَرَوْهُ (أي: باعوا يوسفَ) بِثَمَنٍ بَخْسٍ (أي: أقل مِن ثمن مثله مِن العبيد؛ قليل ناقص عن مثله من الرقيق)" (يوسف 20).

إذن: "وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ" (يوسف 20) صح. أما "دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ" (يوسف 20) غلط. وإلا فأعطونا دليلاً مادياً واحداً يثبت أن عملة الدرهم كانتْ معروفة ومتداولة في الزمان والمكان الذي دارتْ فيه قصة يوسف. إنْ لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فليس أمامكم سوى الاعتراف بأن "دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ" (يوسف 20) مفارقة تاريخية، بل خطأ تاريخي كبير يثبت أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله.

ألم يكن مِن الأفضل أن يأخذ أصحابُ القرآن قصةَ يوسف وإخوته كما هي مِن التوراة دون أي تغييرات أو إضافات حتى لا يقعوا في مثل هذه المفارقات التاريخية الجسيمة؟!

إن كلمة "دَرَاهِمَ" (يوسف 20) تكفي وحدها كدليل قاطع يثبت أن أصحاب القرآن قد قاموا – كعادتهم – بأسلمة وتعريب القصص التوراتية التي تلقفوها من أهل الكتاب. فكما كان التجار العرب والمسلمون في القرن السابع الميلادي يتعاملون بالدراهم في عمليات البيع والشراء، وضع أصحابُ القرآن عملة "الدراهم" في عملية بيع يوسف التي تمتْ قبل أكثر من 1600 سنة قبل الميلاد!

وليست كلمة "دَرَاهِمَ" (يوسف 20) فقط، وإنما توجد كلمات أخرى تدل على أن قصة يوسف التوراتية قد تعرضتْ لعمليتي أسلمة وتعريب على أيدي أصحاب القرآن. مثلاً:

- كلمة "مَعْدُودَةٍ" (يوسف 20). "المُرادُ قَليلَةٌ لأنَّ العَرَبَ كانت تَعُدُّ القَليلَ وتَزِنُ الكثيرَ"[5311].
- وعبارة "قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ" (يوسف 19). فلقد كان العرب يستبشرون بالذكر ولا يستبشرون بالأنثى، "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ" (النحل 58-59) "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا (أي: بُشِّرَ بالبنات التي نسبها إلى الله حين زعم أن الملائكة بنات الله) ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ" (الزخرف 17)[5312].

الخلاصة: كلمة "دَرَاهِمَ" (يوسف 20) وكلمات أخرى في قصة يوسف القرآنية تدل على أن القرآن كلام العرب وليس كلام الله. وتدل أيضاً على أن أصحاب القرآن قد أدخلوا ثقافتهم ومفرداتهم العربية/الإسلامية في القصص التي تلقفوها مِن أهل الكتاب اليهود والمسيحيين. وسنرى أمثلة أخرى كثيرة تؤكد ذلك.

4.22.4 تناقضات القرآن: هل إخوة يوسف أنبياء؟!

يقول القرآنُ: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[5313]. فَمِن ضمن الأدلة الداخلية (أي: الموجودة في القرآن) (internal evidence) وتثبت أنه كلام بشر وليس من عند الله هو تضارب الآيات القرآنية واختلافها عن بعضها. ومِن أشهر الأمثلة على ذلك الاختلافات بين القرآن المكي والقرآن المدني. وبعض هذه الاختلافات القرآنية-القرآنية قد تؤثر على العقيدة ...

وفيما يتعلق بقصة يوسف وإخوته، فإن السؤال العقائدي الذي يهمنا هو: هل إخوة يوسف أنبياء؟

حسب الديانتين اليهودية والمسيحية، الإجابة محسومة ومعروفة للجميع، وهي: لا. إخوة يوسف ليسوا أنبياء. بل إن يوسف نفسه ليس نبياً. وكذلك يعقوب ليس نبياً. ومِن ثم، فإن سؤال "هل إخوة يوسف أنبياء؟" سؤال ساذج وعبثي فينبغي ألا يسأله إنسانٌ عاقل أو حتى نصف عاقل. ولذلك لم نجد مرجعاً يهودياً أو مسيحياً يناقش مسألة نبوة إخوة يوسف. فهي غير مطروحة للنقاش أصلاً ولا تستحق الجدال. باختصار: سؤال "هل إخوة يوسف أنبياء؟" مضيعة للوقت والجهد. والإجابة بكل يقين حسب الديانتين اليهودية والمسيحية هي: لا.

أما حسب الديانة الإسلامية، يعقوب نبي وابنه يوسف نبي! ولذلك طُرِحَ سؤالُ "هل إخوة يوسف أنبياء؟"! ولا يزال السؤالُ مطروحاً إلى اليوم! بل مطروحاً بكثرة، فيكفي أن تدخل إلى موقع البحث (Google) وتكتب أول كلمتين فقط "هل إخوة"، وتضغط على زر (Enter) لتظهر لك المواقع والفيديوهات الإسلامية التي تناقش سؤال "هل إخوة يوسف أنبياء؟"! والإجابة – كالعادة – هي: اختلف العلماء[5314]!

فلقد انقسم المفسرون المسلمون إلى فريقين رئيسيين مختلفين ...

قال الفريق الأول إن إخوة يوسف ليسوا أنبياء. ودليلهم الأساسي هو عدم وجود آية قرآنية صريحة أو حديث صحيح مرفوع وواضح يثبت نبوة إخوة يوسف (argument from silence). فاستدلوا مثلاً بالآية القرآنية المكية التي تذكر يوسفَ بينما لا تذكر إخوته مع الأنبياء مِن ذرية إبراهيم (أو: مِن ذرية نوح): "وَوَهَبْنَا لَهُ (أي: لإبراهيم) إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (الأنعام 84)[5315]. واستدلوا أيضاً بالحديث الصحيح المرفوع الذي يثبت نبوة يوسف ولا يذكر شيئاً عن نبوة إخوته. قال محمدٌ: "أَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ"[5316].

كما استدل أعضاءُ الفريق الأول بأفعال إخوة يوسف الشنيعة تجاه أخيهم الطفل الصغير يوسف وأيضاً تجاه أبيهم النبي الشيخ يعقوب. فهي أفعال لا تليق بمقام النبوة الرفيع حسب رأي أعضاء هذا الفريق. ومِن ثم استنتجوا أن إخوة يوسف ليسوا أنبياء. وهذا هو الرأي السائد في تفاسير القرآن وترجمة معانيه، وبخاصة في الكتب والمراجع الحديثة والمواقع الإلكترونية.

لكن الرأي السائد لا يعني بالضرورة أنه الرأي الصحيح ...

فلقد قال الفريق الثاني إن إخوة يوسف أنبياء. وقالوا إن عدم ذِكر أسمائهم في الآية القرآنية (الأنعام 84) أو في الحديث الصحيح لا ينفي نبوتهم؛ فلم تزعم الآية ولا الحديث أنه يذكر أسماء جميع الأنبياء مِن أبناء يعقوب على سبيل الحصر. فكل ما يمكن استنتاجه من الآية والحديث هو أن يوسف أفضل من إخوته، لكن هذا لا ينفي نبوتهم. فَمِن المعلوم أنه حسب العقيدة الإسلامية، الأنبياء متساوون في النبوة وفي ضرورة الإيمان بهم "لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ" (البقرة 285) "لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ" (البقرة 136) (آل عمران 84)؛ واقرأ أيضاً (النساء 150-152). لكن الأنبياء يتفاضلون بأمورٍ أخرى: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ" (البقرة 253) "وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (الإسراء 55). ولا مانع أن يكون النبي يوسف أفضل من إخوته الأنبياء.

ثم إنه بعد قائمة الأنبياء المذكورين في (الأنعام 84-86) ذكر القرآنُ "إخوانهم": "وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ (أي: اخترناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا إلى مَن أرسلناهم إليهم) وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (الأنعام 87). وبما أن يوسف مذكور مع آخرين في (الأنعام 84). إذن: كلمة "إِخْوَانِهِمْ" (الأنعام 87) تشمل إخوة يوسف كلهم أو بعضهم. وهذا يفتح البابَ أمام احتمال كون إخوة يوسف أنبياء. لا سيما أن الآيات التالية تقول: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ" (الأنعام 89).

كما استدل أعضاءُ الفريق الثاني بالآيات القرآنية المدنية الثلاث التي تقول إن الله "أوحى إلى الأسباط (أي: أوحى إلى أولاد يعقوب الاثْنَيْ عَشَرَ؛ أوحى إلى يوسف وإخوته)" و "أنزل عليهم" أو "أنزل إليهم" ما يجب على المسلمين أن يؤمنوا به:

- "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ**الْأَسْبَاطِ** وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (النساء 163).
- "قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ**الْأَسْبَاطِ** وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (آل عمران 84).
- "قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ**الْأَسْبَاطِ** وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة 136).

فيرى أعضاءُ الفريق الثاني أن الأسباط = يوسف وإخوته = أولاد يعقوب الاثْنَيْ عَشَرَ. واعتمدوا على تفاسير القرآن التي تقول ذلك. انظر مثلاً تفاسير (البقرة 136). في تفسير الجلالين: ""إبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ" أولاده"[5317]. وفي العصر الحديث، قال الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي (عضو المجامع الفقهية): "إبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ: (أولاد يعقوب وَهُمْ اثنا عشر ولداً)"[5318].

إلا أن أعضاء الفريق الأول يرفضون ذلك ويقولون إنه حتى لو افترضنا أن الأسباط هُمْ يوسف وإخوته، فإن إضافة التنزيل إليهم "مَا أُنْزِلَ **عَلَى** إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ**الْأَسْبَاطِ**" (آل عمران 84) و "مَا أُنْزِلَ **إِلَى** إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ**الْأَسْبَاطِ**" (البقرة 136) لا يعني بالضرورة أنهم أنبياء، فلقد أضيف التنزيل إلى المسلمين الأوائل "مَا أُنْزِلَ **عَلَيْنَا**" (آل عمران 84) و "مَا أُنْزِلَ **إِلَيْنَا**" (البقرة 136) مع أن القرآن – حسب العقيدة الإسلامية – كان لا ينزل إلا على النبي محمد فقط[5319].

تعليقنا: كل الأسماء المذكورة في هاتين الآيتين (آل عمران 84) (البقرة 136) أسماء أنبياء: إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب ومُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّون، فلماذا يكون الأسباط هُم الاستثناء الوحيد مِن النبوة؟! ثم إن الآية الأولى (النساء 163) تستخدم كلمة "أَوْحَيْنَا" والمقصود هو وحي النبوة بدليل قوله "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ [يا محمد] كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (النساء 163). وأيضاً كل الأسماء المذكورة أسماء أنبياء. إذن: الأسباط (= يوسف وإخوته = أبناء يعقوب الاثْنَيْ عَشَر) أنبياء.

فلجأ أعضاءُ الفريق الأول إلى حيلة دفاعية أخرى أكثر ذكاءً فزعموا أن "الأسباط" في الآيات المدنية الثلاث (النساء 163) (آل عمران 84) (البقرة 136) ليسوا يوسف وإخوته أبناء يعقوب لصلبه، وإنما القبائل مِن ذرية يعقوب. وطبعاً لا يوحي اللهُ إلى القبائل، وإنما يوحي إلى أنبياء معينين يختارهم اللهُ مِن هذه القبائل. فحسب رأي أعضاء الفريق الأول، الأسباط = الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة. يعني: أنبياء بني إسرائيل؛ أي: الأنبياء الذين بعثهم اللهُ إلى قبائل بني إسرائيل. مثلاً: النبي موسى والنبي داود وغيرهما. قال ابنُ كثير عن يوسف وإخوته: "وقد ذهب طائفةٌ من العلماء إلى أنه لم يَكُنْ فيهم نبيٌّ غيره (أي: لم يَكُنْ في أبناء يعقوب نبيٌّ غير يوسف) وباقي إخوته لم يُوحَ إليهم. وظاهِرُ ما ذُكِر من فَعالِهِم ومَقالِهِم في هذه القصة (أي: قصة يوسف وإخوته) يدلُّ على هذا القولِ. ومَن استدَلَّ على نبوتهم بقوله: "**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ**" (البقرة 136) وزعم أن هؤلاء (أي: يوسف وإخوته؛ أبناء يعقوب الاثني عشر) هُمْ الأسباطُ، فليس استدلاله بقويٍّ؛ لأن المرادَ بالأسباطِ شعوبُ بني إسرائيل، وما كان يُوجَد فيهم مِن الأنبياء الذين ينزلُ عليهم الوحي من السماء، والله أعلم"[5320]. وفي العصر الحديث، قال الدكتور شوقي ضيف: "وَالْأَسْبَاطِ: أحفاد يعقوب من أبنائه الاثني عشر"؛ أي: "بطون بني إسرائيل من أولاد يعقوب"[5321]. وقال المفكر الإسلامي محمد فريد وجدي: "**والأسباط:** الأحفاد جمع سِبْط، يريد حَفَدة يعقوب أو أبناءه وذريتهم"[5322]. وقال الشيخ الأزهري محمد محمود حجازي: "**الأسباط:** الأحفاد، والمراد أبناؤه (أي: أبناء يعقوب) وذريته"[5323]. وقال الشيخ الأزهري عبد الجليل عيسى: "**الأسباط:** جمع سِبْط وهو وَلَدُ الوَلَدِ. والمرادُ هنا (أي: النساء 163) ذُرِّيَّةُ أولاد يعقوب، ومعنى الإيحاء إليهم هو الإيحاءُ إلى أنبيائهم الكثيرين، لأنه لم يَكْثُرْ في أُمَّةٍ واحِدَةٍ من الأمم أنبياءُ مِثْلَ ما كثروا في بني إسرائيل"[5324]. وقال د. صلاح الخالدي: "فالأسباطُ المذكورون في القرآن، ليسوا أبناءَ يعقوب [مِن صلبِهِ]،

بل أحفادُه وذريتُه المتفرعون عن أبنائه. [...] (الأسباط) بمعنى قبائل بني إسرائيل [...] والتقدير: وأنبياء الأسباط"[5325].

وكالعادة، توجد تفاسير تقول الرأيين! مثلاً: قال تفسير (البقرة 136) الذي أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَبنيه الأَسْبَاطِ"[5326]. لكن في تفسير (النساء 163) قال: "إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَهُمْ أنبياء الله من ذرية يعقوب"[5327]. هل توجد حيرة وتخبط أكثر من ذلك؟! تفسيران مختلفان لنفس الكلمة في نفس الكتاب! بصراحة ظاهرة عجيبة لا نجدها إلا في الإسلام!

تعليقنا: لم نقتنع بما قاله ابنُ كثير وأتباعه. فلو كان المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل أو أنبيائهم من سلالة يعقوب، فلماذا قال بعدها: "وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ" (البقرة 136)؟! أليس موسى وعيسى وَالنَّبِيُّون من "الأسباط" حسب تفسير ابن كثير لـ (البقرة 136)؟!

ولنقرأ الآية التي تليها بأربع آيات فقط: "أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ**الْأَسْبَاطَ** كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ" (البقرة 140). هدف هذه الآية هو نفي أن "إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ". فمِن المستحيل أن يكون "الأسباط" هُمْ قبائل بني إسرائيل أو أنبيائهم من ذرية يعقوب، وذلك لأن مِنهم مَن كانوا يهوداً أو نصارى. مثلاً: داود كان يهودياً. وإنما معنى "الأسباط" في هذه الآية هو بالتأكيد "أولاد يعقوب الاثْنَا عَشَرَ"، أي: يوسف وإخوته، ولذلك لم يذكر يوسفَ. يقول تفسير القرآن الذي أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "قولوا لهم: أتجادلوننا في إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأبنائه الأسباط زاعمين أنهم كانوا يهوداً أو نصارى مثلكم؟، مع أنه ما أنزلت التوراة والإنجيل اللذان قامت عليهما اليهودية والنصرانية إلا من بعد هؤلاء"[5328]. وَهُمْ بالفعل جميعاً ليسوا يهوداً ولا نصارى. فلقد عاش إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب وَالْأَسْبَاط (أي: أبناء يعقوب الاثْنَا عَشَرَ) وماتوا قبل الديانتين اليهودية والمسيحية بمئات السنين.

بعبارة أخرى: إذا قلتم إن الأسباط هُمْ شعوب بني إسرائيل أو أنبياء بني إسرائيل مِن ذرية أولاد يعقوب، ستصبح (البقرة 140) غلط. وإذا قلتم إن الأسباط هُمْ أولاد يعقوب لصلبه، ستصبح (البقرة 140) صحيحة. لكن الآية التي تسبقها بأربع آيات فقط (البقرة 136) ولها نفس السياق تذكر الأسباط أيضاً. فلا نتصور أن يكون لكلمة "الأسباط" معنى في (البقرة 140) ومعنى آخر في (البقرة 136)! وبخاصة أن الآيتين اللتين تسبقهما بثلاث آيات فقط (البقرة 132-133) تذكر أبناء يعقوب: "وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ (his sons) وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ (my sons) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ. أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ (his sons) مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة 132-133). وجاءت بعدهما جملة "تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا

كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (البقرة 134) وهي نفس الجملة التي جاءت بعد (البقرة 140): "تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (البقرة 141).

ولكي تتضح الفكرة أكثر، سنذكر السياق القرآني كله (البقرة 130-141). فالسياق واحد وهدفه هو محاولة تقديم الإسلام (الحنيفية؛ مِلَّة إِبْرَاهِيم؛ صِبْغَة اللَّهِ؛ التوحيد) باعتباره عقيدة قديمة أقدم من الديانتين اليهودية والمسيحية، إذ يرجع تاريخُ الإسلام – حسب ما يزعمه القرآن – إلى إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب والأسباط (= أبناء يعقوب الاثْنَيْ عَشَر = يوسف وإخوته). والمقصود بالإسلام طبعاً هو الإسلام بمعناه العام، أي: الخضوع والاستسلام لله الواحد الأحد الذي لا شريك له.

(البقرة 130-141): وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ {130} إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {131} وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ (أي: إسماعيل وإسحاق وإخوتهما[5329]) وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ (أي: أبناء يعقوب = يوسف وإخوته) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ {132} أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ (أي: أبناء يعقوب = يوسف وإخوته) مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي (أي: مِن بعد موتي) قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {133} تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {134} وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {135} قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ (أي: أبناء يعقوب = يوسف وإخوته) وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {136} فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {137} صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ {138} قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ {139} أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ (أي: أبناء يعقوب = يوسف وإخوته) كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {140} تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {141}.

إذن: الأسباط (البقرة 140) = الأسباط (البقرة 136) = أبناء يعقوب الاثنا عشر (البقرة 132-133) = يوسف وإخوته. وبما أن (البقرة 136) تدل على أن الأسباط (أبناء يعقوب الاثني عشر) أنبياءٌ ينزل عليهم الوحي الإلهي: "قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ" (البقرة 136). إذن: إخوة يوسف أنبياء. .Q. E. D.

إن تكرار عبارة "إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ" تكراراً حرفياً وبنفس ترتيب الأسماء أربع مرات في القرآن المدني (البقرة 136، 140) (آل عمران 84) (النساء 163) يؤكد أن "الأسباط" هُمْ

أولاد يعقوب الاثْنَا عَشَرَ، أي: يوسف وإخوته. بناء الجملة وتكرارها الحرفي أربع مرات وبنفس ترتيب الأسماء "إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ" هو الدليل: إسماعيل وإسحاق ابنا إبراهيم، ويعقوب ابن إسحاق، ومِن ثم فإن الأسباط هُمْ أبناء يعقوب (أحفاد إسحاق[5330]). وأيضاً بدليل عدم ذِكر اسم يوسف وعدم ذِكر أسماء إخوته. فلو كان الأسباط هُمْ أحفاد يعقوب، فلماذا لم تُذكَر أسماء أبنائه (يوسف وإخوته) في تلك الآيات الأربع؟! ولو كان الأسباط غير أولاد يعقوب لصلبه، لكان ينبغي على الأقل أن يُذكَر اسمُ يوسف بين يعقوب والأسباط. لكن لأن "الأسباط" هُمْ أولاد يعقوب الاثنا عشر، أي: يوسف وإخوته، فلم يُذكَر اسمُ يوسف، لأنه واحد مِن الأسباط، أي: لأنه واحد من أبناء يعقوب (أحفاد إسحاق) الاثني عشر.

إن عدم ذِكر اسم يوسف في الآيات الأربع السابقة (البقرة 136، 140) (آل عمران 84) (النساء 163) هو خير دليل قرآني على أن "الأسباط" = أولاد يعقوب الاثنا عشر = يوسف وإخوته = أحفاد إسحاق. وبما أن الله "أوحى إليهم" (النساء 163) و "أنزل إليهم" (البقرة 136) و "أنزل عليهم" (آل عمران 84). إذن: الأسباط (أولاد يعقوب الاثنا عشر) أنبياء. إذن: إخوة يوسف أنبياء. Q. E. D.

الآية الوحيدة التي نتفق أن كلمة "أسباط" جاءت فيها بمعنى "قبائل بني إسرائيل" أو "شعوب بني إسرائيل" هي: "وَقَطَّعْنَاهُمُ (أي: وَقَطَّعْنَا قومَ موسى؛ وَقَطَّعْنَا بني إسرائيل) اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا" (الأعراف 160). لكن هذه الآية تختلف عن الآيات الأربع السابقة. فهي مكية، وذكرتْ "أسباط" بدون أداة التعريف، ولا تتحدث عن عقيدة وإنما تتحدث عن قصة خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى بعد يعقوب ويوسف بمئات السنين. وسياق الآية يدل بالفعل على أن المقصود هُمْ قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة: "وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ (أي: لتشرب كل قبيلة مِن عينٍ خاصة بهم، ولا تدخل قبيلة على غيرها في شربها)" (الأعراف 160).

ولا توجد آية قرآنية أخرى تذكر "(الـ)أسباط".

فيبدو لنا إذن أن كلمة "أسباط" في القرآن لها معنيان. أحياناً تأتي بمعنى "أولاد يعقوب (أحفاد إسحاق) الاثْنَيْ عَشَرَ"، وأحياناً تأتي بمعنى "قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة". تقول الموسوعة القرآنية المتخصصة التي أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "الأسباط: جمع سِبط، وهو وَلد الولَد؛ كأنه امتداد الفروع، وعلى ذلك فالسِّبط: الجماعة والقبيلة، الراجعون إلى أصل واحد. والأسباط: ولد يعقوب عليه السلام، وَهُمْ اثنا عشر ولداً، وُلِدَ لكل واحد منهم أمة من الناس، واحدهم: سِبط. ومِن هنا: فالسبط في بني إسرائيل. بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل. وسموا الأسباط من السَّبَط، وهو التتابع، فَهُمْ جماعة متتابعون. وقيل: سموا بذلك من السَّبط، وهو: الشجر، أي: هم في الكثرة، بمنزلة الشجر"[5331].

مما سبق يتضح أن غموض كلمة "أسباط" التي تكررت 5 مرات فقط في القرآن (البقرة 136، 140) (آل عمران 84) (النساء 163) (الأعراف 160) هو أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى اختلاف المسلمين

حول نبوة إخوة يوسف. فلقد قال الإمامُ السيوطي بعد أن قدَّم أدلة مَن يثبتون نبوة إخوة يوسف وأدلة مَن ينكرونها: "والحاصل أن الغلط في دعوى نبوتهم حصل من ظن أنهم هم الأسباط. وليس كذلك. إنما الأسباط ذريتهم الذين قُطعوا أسباطاً من عهد موسى، كل سبط أمة عظيمة. ولو كان المراد بالأسباط أبناء يعقوب لقال: ويعقوب وبنيه، فإنه أوجز وأبين. واختير لفظ الأسباط على لفظ بني إسرائيل للإشارة إلى أن النبوة إنما حصلت فيهم من حين تقطيعهم أسباطاً من عهد موسى. هذا كله كلام ابن تيمية، والله أعلم"[5332].

ومِن حُسن الحظ أننا لا نحتاج هذه الكلمة القرآنية الغامضة "أسباط" لإثبات نبوة إخوة يوسف (أولاد يعقوب)، فيكفينا ما جاء في سورة يوسف المكية. قال الزجاج في تفسيره لـ "وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ" (يوسف 6): "فَسَّر له يعقوبُ الرؤيا. والتأويل أنه لمَّا قال له "إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (يوسف 4)؛ فتأَوَّلَ الأحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا أَحَدَ عَشَرَ نَفْساً لَهُمْ فَضْلٌ وأنهم يُسْتَضَاءُ بهم، لأن الكواكب (يقصد: نجوم السماء) لا شَيْءَ أَضْوأُ مِنْهَا وبها يُهْتَدَى. قال الله جل وعز: "وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" (النحل 16). فتأوّل الشمسَ والقمرَ أبَوَيْه. فالقمرُ الأب والشمسُ الأم والأحد عشر كوكباً إِخْوَتُه. فتأوّل له أنه (أي: أن يوسف) يكون نبياً، وأن إخوته يكونون أنبياء، لأنه أعْلَمَهُ أن الله يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عليه (أي: على يوسف) وعلى إخوتِه، كَمَا أَتَمَّهَا على أَبَوَيْهِ إبراهيمَ وإسحاقَ. فإتمام النعمةِ عليهم أن يكونوا أنبياءَ، إذ قال: "كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ" (يوسف 6)"[5333].

وقال الخازن في تفسيره لـ "وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ" (يوسف 6): ""وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ" المراد بآل يعقوب أولاده فإنهم كانوا أنبياء وهو المراد من إتمام النعمة عليهم "كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ" بأن جعلهما نبيين وهو المراد من إتمام النعمة عليهما [...] لأنه لا أعظم من منصب النبوة فهو مِن أعظم النعم على العبد". انتهى كلام الخازن، وكذلك قال البغوي: ""وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ" يعني: بالنبوة، "وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ" أي: على أولاده فإنّ أولاده كلهم كانوا أنبياء، "كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ" فجعلهما نبيين"[5334].

أما فيما يتعلق بأفعال إخوة يوسف تجاه أخيهم وأبيهم، فلقد حدثتْ "قبل النبوة"، ومِن ثم لا تنفي نبوتهم. كما قَتَلَ موسى مصرياً قبل النبوة (القصص 15) بدون أن ينفي ذلك نبوته، حسب العقيدة الإسلامية.

ثم إن إخوة يوسف لم يكونوا كلهم في نفس المستوى من الشر. مثلاً: بنيامين لم يفعل شيئاً سيئاً تجاه يوسف ولا تجاه أبيه. ورأوبين (و/أو: يهوذا) كان حريصاً على إنقاذ حياة يوسف: "قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ" (يوسف 10). وقوله "إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ" يدل على شكه في عزمهم على التخلُّص مِن يوسف، وكأنه أراد أن يثنيهم عن ارتكاب هذا الفعل. "نفهم من هذا أن الإخوة، رغم شرهم وحسدهم، كان في قلوبهم، أو في قلوب بعضهم، بعض خير لم يمت بعد"[5335].

ولفت الشيخُ الشعراوي نظرَنا إلى أمرٍ مهم وهو أن إخوة يوسف "لم يكونوا أشراراً"، وإنما كانوا أخياراً، بل "مِن خيار البشر"، وما فعلوه بيوسف كان "زَلَّة". قال الشعراوي: "وإخوة يوسف وَهُمْ أولاد يعقوب

هُمْ أسباط. ولا نأخذ موقفهم من يوسف ليكون في قلوبنا شيء ضدهم؛ لأن هؤلاء من خيار البشر، ولكنهم لم يكونوا أشراراً؛ لأن الشرير هو مَن يتصاعد عنده السوء. فإذا كان هناك شرير غضب على إنسان فإنه يقول: عندما أقابله سأضربه، ثم يقول: سأحطم عظامه من الضرب، ثم يتصاعد في الشر. ولا يقول: أقتله، ثم يقول: سأضربه، ثم يقول: سأوبخه أو سأعفو عنه. إخوة يوسف قالوا: اقتلوا يوسف، ثم تصاعدوا في الخير فقالوا: اطرحوه أرضاً يعيش في الصحراء بعيداً، ثم تصاعدوا في الخير فقالوا: ألقوه في غياهب الجب يلتقطه بعض السيارة. إذن: فَهُمْ ليسوا أشراراً. [...] والحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفت يوسف إلى أن ما سيفعله به إخوته ليست عداوة بينهم وبينه، بل هي زَلَّة ستنتهي، وسيعود الإخوة متحابين وستعمهم جميعاً نعمة الله"[5336].

فمِن الواضح إذن أن إخوة يوسف تابوا وأصبحوا قوماً صالحين، فلقد كانت نيتهم من البداية أن يتوبوا حسب رأي فريق من المفسرين: "وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ (أي: مِن بعد التخلص مِن يوسف) قَوْمًا صَالِحِينَ" (يوسف 9). قال ابنُ كثير في تفسيره: "فأضمروا التوبة قبل الذنب"[5337]؛ وقال القرطبي: "وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ تَوْبَةَ الْقَاتِلِ مَقْبُولَةٌ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْكِرْ هَذَا الْقَوْلَ مِنْهُمْ"[5338]. وفي نهاية القصة القرآنية، اعترف إخوةُ يوسف بذنبهم. بل اعترفوا بذنبهم ثلاث مرات:

- أولاً: اعترفوا بذنبهم لأنفسهم: "فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ" (يوسف 80).
- ثانياً: اعترفوا بذنبهم لأخيهم يوسف. قَالُوا "إِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ" (يوسف 91). فسامحهم يوسفُ واستغفر اللهَ لهم (أي: دعا اللهَ أن يغفر لهم). "قَالَ [يوسفُ لهم] لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ (أي: لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم) الْيَوْمَ [فقد سامحتكم وعفوت عنكم]ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 92).
- ثالثاً: اعترفوا بذنبهم لأبيهم يعقوب. "قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ" (يوسف 97). فوعدهم يعقوبُ أنه سوف يستغفر اللهَ لهم بناء على طلبهم: "قَالَ [يعقوبُ لهم] سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (يوسف 98).

ولذلك تمت المصالحة (reconciliation) في نهاية القصة. بل اعترف يوسفُ برابطة الأخوة بينه وبين إخوته، وألقى اللومَ على الشيطان وليس عليهم، فقال: "نَّزَغَ الشَّيْطَانُ (أي: أفسد الشَّيْطَانُ) بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي" (يوسف 100). وكأن يوسف أراد أن يؤكد أنه يمكن للإنسان أن يتصالح مع عدوه الإنسان. لكن لا يمكن للإنسان أن يتصالح مع عدوه الشيطان "إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (يوسف 5)[5339].

والقرآن نفسه يقول إنه مَن عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثم تابوا وأصلحوا فإن الله يرحمهم ويغفر لهم. اقرأ مثلاً: "وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (الأنعام 54)؛ "ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ" (النحل 119)؛ "إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" (النساء 17).

وهذه القاعدة القرآنية تنطبق على إخوة يوسف العشرة الكبار، فلقد عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ. يوسف نفسه قال لهم قبيل المصالحة: "هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ" (يوسف 89).

إذن: مما لا شك فيه أن إخوة يوسف العشرة الكبار قد اقترفوا ذنوباً كبيرة تجاه أخيهم يوسف وأبيهم يعقوب، لكن توجد آيات قرآنية يُستدل بها على أنهم اعترفوا بذنوبهم وتابوا واستقاموا وأصلحوا ثم صاروا أنبياء. مثلاً: كل واحد مِنهم نبي إلى قبيلته. "وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا (أي: جاءها) نَذِيرٌ" (فاطر 24) "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا" (النحل 36).

ونختم كلامنا بما قاله القرطبي في تفسيره لـ (يوسف 6): "وَأَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: "وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ" أَنَّهُ سَيُعْطِي بَنِي يَعْقُوبَ كُلَّهُمُ النُّبُوَّةَ؛ قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ". ثم في تفسيره لـ (يوسف 10)، استعرض الآراء المختلفة حول نبوة إخوة يوسف وقال: "وقيل: ما كانوا في ذلك الوقت (أي: أثناء مؤامرتهم على يوسف) أنبياء، ثم نبَّأهم الله؛ وهذا أشبه، والله أعلم"[5340].

وما يهمنا في كل هذا الاختلاف القرآني-القرآني الذي أدى كالعادة إلى خلاف إسلامي-إسلامي هو أنه توجد آيات قرآنية يُستدل بها على إثبات نبوة إخوة يوسف، وتوجد آيات قرآنية أخرى يُستدل بها على نفي نبوة إخوة يوسف! والدليل على ذلك هو اختلاف المفسرين المسلمين. فلو كان القرآنُ واضحاً، لمَا اختلف المفسرون. فكالعادة، المشكلة ليست في المفسرين المسلمين الذين ضيعوا أعمارهم في البحث عن حلول لتناقضات القرآن. وإنما المشكلة في غموض الآيات القرآنية التي استخدمت كلمة "أسباط" بمعنيين مختلفين (equivocal).

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24). فلو كان القرآن مِن عند الله كما يتوهم المسلمون، لكان ينبغي أن يقول "أبناء يعقوب" حين يكون المراد أبناء يعقوب لصلبه (أي: يوسف وإخوته)، ويقول "قبائل بني إسرائيل" حين يكون المراد قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة، ويقول "أنبياء بني إسرائيل" حين يكون المراد الأنبياء مِن ولد يعقوب الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة. بل كان ينبغي أن يعطينا القرآنُ قائمةً (enumerated list) بأسماء كل الأنبياء على سبيل الحصر، حتى نعلم مَن كان نبياً ومَن لم يكن نبياً.

ولذلك فإننا ننصح بعدم استخدام كلمة "أسباط" التي استخدمها القرآنُ. لأنها بالفعل كلمة غامضة ومبهمة وتؤدي إلى الحيرة والاختلاف والخلاف والتشويش. و "الله لَيْسَ إِلهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلهُ سَلاَمٍ" (1 كورنثوس 33:14).

وإنه لمِن المؤسف أن الترجمات العربية للكتاب المقدس تستخدم هذه الكلمة القرآنية "أسباط"!

وإنْ قلتم إن المفرد "سِبْط" أصله عِبري "شبط" (šēbeṭ) وله أكثر مِن معنى: عصا أو صولجان (staff)، أو جماعة أو قبيلة (tribe) يقودها رئيس أو زعيم (leader) بعصا القيادة أو صولجانها[5341][5342]. فسنقول: هذا صحيح[5343]، لكن ترجمات الكتاب المقدس الحديثة إلى الإنجليزية والفرنسية مثلاً لا تستخدم الكلمة العِبرية وإنما تستخدم كلمةً أخرى حسب السياق. فلماذا نستخدم نحن هذه الكلمة العربية العبرية الأصل؟! ثم إن القرآن لم يستخدم كلمة "سِبْط" بصيغة المفرد أبداً، وإنما استخدمها دائماً بصيغة جمع التكسير "أسباط" وبمعنيين مختلفين كما رأينا! فلماذا نستخدمها في الترجمات العربية للكتاب المقدس؟!

ومِن حُسن الحظ أن البدائل موجودة وهي:

- "أبناء يعقوب" (Jacob’s sons) الاثنا عشر = يوسف وإخوته. وَهُمْ: رَأُوبَيْنُ وَشِمْعُونُ وَلاَوِي وَيَهُوذَا وَيَسَّاكَرُ وَزَبُولُونُ وَيُوسُفُ وَبَنْيَامِينُ وَدَانُ وَنَفْتَالِي وَجَادُ وَأَشِيرُ. ونقرأ أسماءهم جميعاً في (التكوين 35:23-26) مثلاً. وَهُمْ جميعاً ليسوا أنبياء حسب العقيدة اليهودية/المسيحية. وإنما يُطلَق عليهم أحياناً "آباء قبائل إسرائيل" (Fathers of the tribes of Israel).
- "قبائل إسرائيل" (Tribes of Israel) الاثنتي عشرة وَهُمْ ذرية أبناء يعقوب. وكان مِنهم أنبياء بعد يعقوب ويوسف بمئات السنين. مثلاً: موسى مِن بني لاوي، ويسوع ابن داود مِن نسل يهوذا، وهكذا.
    - لكن بعد خروج بني إسرائيل مِن مصر متوجهين إلى كنعان، لم يكن لقبيلة لاوي نصيبٌ منفصل مستقل في أرض كنعان (التثنية 18:1-2) (العدد 18:20). فعند تقسيم أرض كنعان، مُنِحَتْ عشائرهم (clans) 48 مدينة منتشرة في أنحاء كنعان (يشوع 21) ليقوموا بواجباتهم الكهنوتية على مستوى الأمة. وحصل يوسفُ على نصيبين بأن أُضيفَ ابناه "مَنَسَّى" (Manasseh) و "أَفْرَايِمَ" (Ephraim) بدلاً مِنه، وذلك تنفيذاً لوصية يعقوب (التكوين 48:5، 48:22). إذن: 12 - لاوي - يوسف + مَنَسَّى + أَفْرَايِم = 12. وهكذا عاد العدد مرة أخرى إلى 12: رَأُوبَيْنُ وَشِمْعُونُ وَيَهُوذَا وَيَسَّاكَرُ وَزَبُولُونُ وَمَنَسَّى وَأَفْرَايِمُ وَبَنْيَامِينُ وَدَانُ وَنَفْتَالِي وَجَادُ وَأَشِيرُ. ونقرأ أسماءهم جميعاً في (العدد 1:5-15) مثلاً.
    - فَمِن الممكن أن ننظر إلى قصة يوسف التوراتية باعتبارها محاولة لتفسير لماذا يوسف بالذات (وليس يَسَّاكَر مثلاً) هو الذي حصل على سهمين (أي: نصيبين؛ a double portion) بعد أن فقد رأوبينُ حَقَّ البكورية (Birthright; Right of The Firstborn)[5344] بسبب اضطجاعه مع امرأة أبيه[5345]. فانتقل حَقُّ البكورية إلى يوسف بالذات لعدة أسباب أهمها: حب يعقوب ليوسف بِكْر راحيل زوجته المحبوبة، أخلاق يوسف الحميدة وبخاصة عفته وطهارته وتميزه في التسامح والعطاء، إنقاذه لإخوته مِن مَجاعة مُهلِكة ... الخ.

- أما إذا كان المقصود حسب سياق الآية هُمْ الأشخاص زعماء قبائل بني إسرائيل في جيلٍ معين مِن الأجيال (مثلاً: أيام موسى؛ أيام داود ... الخ): فيمكن أن نقول "قادة" (leaders) أو "رؤساء" (heads) أو "مشايخ" (chieftains) أو "أُولِي الْأَمْرِ" (commanders) بدلاً مِن "أسباط". انظر مثلاً ترجمات (التثنية 10:29) (2 صموئيل 7:7).

ولقد لاحظنا أن الترجمة العربية المبسطة للكتاب المقدس (|مبسطة|) تتجنب استخدام كلمة "سِبْط (أسباط)" وتستخدم بدلاً منها كلمةً أخرى تناسب السياق؛ مثلاً: "قبيلة (قبائل)"، "رئيس (رؤساء)". وهذا ما ننصح به. وإنْ كنا لا نمانع في استخدام الكلمة العبرية "شبط" (šēbeṭ) (أو تعريبها: سِبْط) بصيغة المفرد. أما الكلمة العربية القرآنية "أسباط" بصيغة جمع التكسير فننصح بتجنبها تماماً وعدم استخدامها نهائياً منعاً للخلط الذي أحدثه القرآنُ في الثقافة العربية/الإسلامية.

4.22.5 الخلاصة

أثبتنا فيما سبق بشرية القرآن بأدلة خارجية (external evidence) (أي: من خارج القرآن) وأدلة داخلية (internal evidence) (أي: من داخل القرآن).

الأدلة الخارجية تضم المصادر البشرية للقرآن في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة).

أما الأدلة الداخلية فتضم (1) الكلام الإسلامي/العربي الذي وضعه أصحابُ القرآن على لسان يعقوب أو يوسف أو غيرهما؛ (2) الأخطاء والمفارقات التاريخية في القرآن؛ (3) تناقضات القرآن وتضارب آياته التي أدت إلى حيرة المفسرين المسلمين وتخبطهم.

والخلاصة: المصادر البشرية للقرآن في التراث اليهودي/المسيحي (external evidence) + الكلام الإسلامي/العربي (internal evidence) + الأخطاء والمفارقات التاريخية في القرآن (internal evidence) + تناقضات القرآن وتضارب آياته (internal evidence) = القرآن كلام بشر.

نحن على يقين 100% أن القرآن كلام بشر 100%.

4.23 هل الأنبياء معصومون؟ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ!

ننتقل الآن إلى الفصل الثاني مِن قصة يوسف والمحن التي مر بها. في الفصل الأول، كانت محنة يوسف في البئر بضعة ساعات أو أيام (قيل: ثلاثة أيام)، ونجا يوسفُ منها. أما في الفصل الثاني، فكانت محنة يوسف أشد وأطول "فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (قيل: سبع سنوات)" (يوسف 42). وسينجو يوسفُ منها أيضاً. أو كما قال العهد الجديد: "وَكَانَ اللهُ مَعَهُ (أي: مع يوسف)، وَأَنْقَذَهُ مِنْ جَمِيعِ ضِيقَاتِهِ" (أعمال الرسل 7:9-10). كالعادة، لا بد أن ينجو البطل من كل محنة حتى تستمر فصول الرواية الممتعة!

تدور أحداث الفصل الثاني في مصر. فلا نرى يعقوبَ وإخوة يوسف. وتظهر شخصيات جديدة على مسرح الأحداث في قصة يوسف القرآنية، مثل:

- "العزيز" (أي: عزيز مصر؛ الوزير؛ الوزير الأول[5346]؛ كبير وزراء[5347]) الذي اشترى يوسفَ،
- وزوجته "امرأة العزيز"،
- ومَلِك مصر،
- وشخصيات أخرى لم يذكر القرآنُ أسماءها أو وظائفها!

بل لم يذكر القرآنُ اسمَ العزيز[5348] ولا اسم امرأته ولا اسم مَلِك مصر! يوسف هو الشخص الوحيد المذكور باسمه! أما العزيز، فقال عنه الطبري: "ذُكِر أن اسمَه قُطْفير. [...] وقيل: إن اسمَه أطفير"[5349]؛ وليس لدينا أدنى شك أن قطفير / أطفير / إطفير مجرد تحريف لاسمه التوراتي: فوطيفار (التكوين 36:37). وقيل إن اسم امرأة العزيز: زَلِيخَا أو زَلِيخَاء أو زُليخة[5350]! وقيل: راعيل! أما مَلِك مصر، فاختلف فيه اليهود والمسيحيون والمسلمون اختلافاً شديداً سواء في اسمه أو في زمان حُكمه، بل اختلفوا أيضاً في جنسيته: هل هو مصري؟ أم مِن الهكسوس؟! وكل هذا الاختلاف يجعلنا نشك في تاريخية قصة يوسف.

يوسف العبد العبراني ينعم بمعاملةٍ حسنة في مصر في بيت العزيز سيده المصري. وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ (أي: أحسني معاملة يوسف واجعلي مُقامه عندنا كريماً) عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا [في قضاء مصالحنا وفي مختلف شئوننا] أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (أي: نعتقه ونَتَبَنَّاه) ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ (أي: تفسير الأحلام تفسيراً سليماً فتحدث في الواقع كما يفسرها) ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {21} وَلَمَّا بَلَغَ [يوسفُ] أَشُدَّهُ (أي: تكاملتْ قوته الجسدية ورُشده العقلي في شبابه؛ قيل: ثماني عشرة سنة؛ وقيل: ما بين العشرين والثلاثين من عمره؛ وقيل: من ثلاثين إلى أربعين؛ وقيل: بلغ الحلم وصار رجلاً قادراً على الجماع ويستطيع أن ينجب إنساناً مثله) آتَيْنَاهُ حُكْمًا (بالعِبرية: ḥokhmah) (wisdom) وَعِلْمًا (knowledge)[5351] ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {22}.

امرأة العزيز تطلب من الشاب يوسف أن يضطجع معها: وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ (أي: حاولتْ أن تغريه جنسياً بنفسها؛ طلبتْ منه برفق ولين أن يُواقِعَها) وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ (أي: هَلُمَّ إليَّ؛ أقبِلْ عليَّ؛ تَهَيَّأتُ لَكَ فعاشِرْني وجامِعْني) ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ (أي: أعوذ بالله أن أخون العزيزَ في امرأته)ۖ إِنَّهُ رَبِّي (أي: سيدي العزيز) أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [الذين يظلمون الناس بالخيانة والغدر ويظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي ومخالفة القانون الإلهي] {23} وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ (أي: مالتْ نفسها لفعل الفاحشة مع يوسف؛ عزمتْ على دعوته إليها وقصدتْ مخالطته وصممتْ على الجماع)ۖ وَهَمَّ بِهَا (أي: حدَّثت يوسفَ نفسُه حديث خطرات للاستجابة؛ نازعته نفسُه إليها فبدأ يلين ويستجيب؛ مال هو أيضاً إليها بمقتضى الطبيعة البشرية فقصد مخالطتها) لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ [لخالطها] (أي: رأى يوسفُ آيةً مِن آيات ربه تزجره عمَّا هَمَّ أن يفعله من الزنا والخيانة، فتراجع وامتنع) ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ (أي: خيانة العزيز في امرأته) وَالْفَحْشَاءَ (أي: الزنا بامرأة العزيز) ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (أي: المطهَّرين من الغواية[5352] والنقائص والدنس؛ المختارين للنبوة والمصطَفين للرسالة؛ الذين أخلصوا في دينهم وعبادتهم لله وحده) {24} وَاسْتَبَقَا الْبَابَ (أي: تسابقا إلى البابِ فأسرع يوسفُ يريد أن يخرج وأسرعتْ تريد أن تمسكه لتمنعه من الفرار؛ وقيل: ولتمنع الفضيحة) وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ (أي: جذبتْ قَمِيصَهُ مِن الخلف فشقَّته) وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا (أي: وجدا وصادفا زوجها[5353]) لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ [للعزيز محاولةً أن تبرئ نفسها وتلصق التهمة بيوسف] مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا (أي: أراد أن يفعل الفاحشة بزوجتك؛ أراد أن يعاشِرني ويعتدي عليَّ) إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (أي: مؤلم مُوجِع؛ مثلاً: الجلد بالسوط) {25} قَالَ [يوسفُ مدافعاً عن سمعته وشرفه] هِيَ [التي] رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا (أي: طفلٌ في المهد مِن أهل امرأة العزيز تكلم بمعجزة! وقيل: بل رجل كبير وكان ابن عمها أو ابن خالها وجاء مع زوجها!) [فقال] إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ (أي: شُقَّ من الأمام من جهة الصدر) فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ [لأنه المُهاجِم المعتدي عليها وهي مُدافِعةٌ تردُّ هجومَه] {26} وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ (أي: شُقَّ من الخلف من جهة الظهر) فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ [لأنها أغوته وهو فرَّ هارباً بريئاً فكانت هي المعتدية تحاول أن تلحق به وتمسكه] {27} فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ (أي: فَلَمَّا رَأَىٰ العزيزُ أن قميص يوسف) قُدَّ مِن دُبُرٍ [علم براءة يوسف و] قَالَ [لزوجته] إِنَّهُ (أي: هذا الكذب الذي اتهمتِ به يوسفَ) مِن كَيْدِكُنَّ (أي: مِن مَكْرِكُنَّ وحيلتكن؛ your guile; your ruse)ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ {28} [وقال العزيزُ ليوسف] يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا[5354] (أي: اتركْ ذِكْرَ ما كان منها واضرب عنه صفحاً واكتمه فلا تذكره لأحد حفاظاً على سمعتي وسمعة زوجتي بين الناس) ۚ وَ[قال لزوجته] اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ [في مراودة يوسف عن نفسه وفي افترائك عليه] {29}.

وعلى الرغم مِن كل ما حدث، لم يطلق العزيزُ امرأتَه الخائنة الكاذبة! بل أبقى يوسفَ في البيت معهما! ولم يطرده! ولا حتى باعه إلى سيدٍ آخر! فلقد "كانت أعصابُ الزوجِ (يقصد: العزيز) باردة، حيثُ فَقَدَ الغيرةَ والحميّة، فقد ثَبتَ له مراودةُ امرأتِه لعبدِه، ومع ذلك لم يَبْطشْ بها ويُعاقبها، ولم تأخذه الغيرة"[5355]! "وهذا يدل على أن زَليخا (يقصد: امرأة العزيز) كانت مالِكَةً لزمامِ زوجها تقوده كما تشاء"[5356]!

فحين تقرأ قصة يوسف تشعر أن المرأة المصرية خائنة كاذبة متجبرة والرجل المصري ديوث ضعيف متخاذل، أما الشاب العبراني/المسلم فهو البطل المحترم الخلوق! هل هذا معقول يا أولي الألباب؟! هل كان المجتمع المصري أيام يوسف بيئةً فاسدة وملوثة وموبوءة إلى هذه الدرجة؟! أم أن حقد العبرانيين الرعاة (ومِن بعدهم: العرب الرعاة) على الحضارات الزراعية، وعلى رأسها الحضارة المصرية القديمة، جعلهم يؤلفون قصصاً وروايات تتعمد تشويه صورة تلك الحضارات العظيمة؟ سؤال للأذكياء فقط[5357].

والمشهد التالي مشهد "النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" يشوّه صورة المجتمع المصري أكثر وأكثر ...

امرأة العزيز تعترف أمام نساء الطبقة الأرستقراطية بمراودة يوسف! وتهدده بالسجن إذا لم يستجب!

وَ[لمَّا شاع خبرُ المراودة في المجتمع] قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ [صاحبة المكانة العالية والمنزلة الرفيعة] تُرَاوِدُ فَتَاهَا [العبراني المملوك] عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا (أي: تمكن حبها له مِن كل قلبها) ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ[5358] (أي: خَطَأٍ بَيِّنٍ؛ أولاً لأنها متزوجة وثانياً لأن عشيقها يوسف مِن طبقة اجتماعية أقل بكثير مِن طبقتها) {30} فَلَمَّا سَمِعَتْ [امرأةُ العزيز] بِمَكْرِهِنَّ (أي: بغيبتهن إياها وسوء كلامهن فيها؛ وقيل: سمي "مكراً" لأن النسوة لم يقصدن الغيرة على الفضيلة، وإنما قصدن رؤية يوسف أو إحراج امرأة العزيز حتى تطرد يوسفَ فيستأثرن به) أَرْسَلَتْ [امرأةُ العزيز] إِلَيْهِنَّ (أي: استضافتهن إلى منزلها؛ قيل: لِتُوقِعَهُنَّ فِيمَا وَقَعَتْ فِيهِ فيَعذِرنَها) وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً (أي: هيَّأتْ لَهُنَّ ما يتكئن عليه من الوسائد وما يأكلنه من الطعام؛ قيل: فاكهة) وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا [لِيُقَطِّعن الفاكهة] وَقَالَتِ [ليوسف] اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ [لتُفاجِئَهنَّ به وهو على أحسن صورة] ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ (أي: أعظمنه وأجللنه وأخَذَهن حسنُه الرائع وجماله البارع) وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [بالسكاكين] (قيل: بسبب افتتانهن بشدة جمال يوسف اضطربتْ أيديهن وَهُنَّ يُقَطِّعن الفاكهة فجَرَحْن أَيْدِيَهُنَّ بدون قصد مِن فرط الدهشة والذهول![5359]) وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ[5360][5361] (أي: لجماله الفائق؛ وقيل إن هذا اعترافٌ منهن ببراءة يوسف فهو مثل الملاك) {31} [وهنا شعرت امرأةُ العزيز بانتصارها على هؤلاء النسوة فـ] قَالَتْ [لهن بدون استحياء أو تلميح] فَذَٰلِكُنَّ (أي: فهذا الشاب الوسيم / المَلَك الكريم) الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ (تقصد: وإذا كان هذا أمركن مع يوسف في لحظةٍ فماذا أفعل وهو معي ليلاً ونهاراً؟ فلا تلوموني إذا وقعتُ في غرامه) ۖ [ولمَّا لم تسمع امرأةُ العزيز لوماً منهن تشجعت وتجرأت واعترفت بالحقيقة مجاهرةً فقالت] وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ (أي: امتنع وأبى) ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (أي: الأذلاء المُهانين بسلب النعمة والتعرض للإهانة والقهر) {32} [وبعد أن سمع يوسفُ مِن امرأة العزيز التهديدَ والوعيد وسمع مِن النسوة النصح بمطاوعتها و/أو دعوتهن إياه إلى أنفسهن[5362]] قَالَ [يوسفُ مناجياً ربه وملتجئاً ومتضرعاً إليه: يا] رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي [جميعاً] إِلَيْهِ (أي: مِن الزنا؛ مِن مؤاتاتهنّ والوقوع في المعصية العظيمة) ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ (أي: إنْ لم تحوِّل عني شر مكرهن واحتيالهن عليّ مِن الترغيب في المطاوعة والترهيب من المخالفة) أَصْبُ إِلَيْهِنَّ (أي: أَمِلْ إليهن وأشتاق إليهن وأقع في هواهن وأوافقهن على مرادهن) وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (أي: السفهاء الذين

يعملون السوء بجهالة فيرتكبون الحرام ويتورطون في المنكرات)[5363] {33} فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ [دُعَاءَهُ] فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {34} ثُمَّ بَدَا لَهُم (أي: ظهر للعزيز وأصحابه – أو: للعزيز وأزواج النسوة – رأيٌ آخرُ) مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ (أي: الأدلة والعلامات signs. قيل: الأدلة على براءة يوسف وعفته ونزاهته؛ وقيل: الأدلة على قوة تأثير جمال يوسف على نسائهم) لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (أي: إلى زمن يقصر أو يطول؛ مدة غير محددة! قيل: حتى يدفع العزيزُ مقالةَ السوء عن امرأته ويُبْعِدها عن يوسف فينقطع كلامُ الناس عنها[5364]؛ وقيل: حتى يظهر للناس ويشيع بينهم أن يوسف هو الذي راودها! فيبرئوا أنفسهم ويحملوا يوسف الإثم[5365]. ولا نرى تعارضاً بين الرأيين) {35}.

قال الشيخ الشعراوي عن فساد بيت عزيز مصر وفساد بيوت النسوة: "وهكذا نعلم أنه قد حدثت مُقدمِّات تدل على أن النسوة نَوَيْنَ له (أي: ليوسف) مثل ما نَوَتْه امرأة العزيز؛ وظَنَنَّ أن امرأة العزيز سوف تطرده؛ فيتلقفنه هُنَّ؛ وهذا دأب البيوت الفاسدة. وهل هناك أفسد من بيت العزيز نفسه، بعد أن حكم الشاهد أنها هي التي راودتْ يوسف عن نفسه؛ فيدمدم العزيز على الحكاية، ويقول: "يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" (يوسف 29). وكان هدف العزيز أن يحفظ مكانته من القيل والقال"[5366].

وقال شيخ الأزهر الأسبق أ. د. محمد سيد طنطاوي: "ولا شك أن الأمر بسجن يوسف – عليه السلام – كان بتأثير من امرأة العزيز، تنفيذاً لتهديداتها بعد أن صمم يوسف على عصيانها فيما تدعوه إليه، فقد سبق أن حكى القرآن عنها قولها: "وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ"، ولا شك – أيضاً – أن هذا القرار بسجن يوسف يدل على أن امرأة العزيز كانت مالكة لقياد زوجها صاحب المنصب الكبير، فهي تقوده حيث تريد كما يقود الرجل دابته"[5367]!

تعليقنا: نحن بصراحة نحزن حين نجد تشويهاً متعمداً للحضارة المصرية القديمة في بعض كتب الديانات الإبراهيمية بصفة عامة، والديانة الإسلامية بصفة خاصة. فحين تقرأ المراجع الأجنبية الفرنسية والإنجليزية مثلاً، تجد كل الاحترام والتعظيم والإجلال للحضارة المصرية القديمة. لكن حين تقرأ بعض المراجع العربية والإسلامية، تجد احتقاراً وازدراءً للحضارة المصرية القديمة. كنا نتساءل لماذا؟ والآن عرفنا السبب. السبب هو أن بعض كتب الديانات الإبراهيمية تعمدت تشويه صورة الحضارات القديمة منذ مئات السنين قبل الميلاد وحتى الآن. والمشكلة هي أن هذا التشويه المتعمد ليس له أي أساس مِن الصحة. فلا يوجد أي دليل علمي يثبت أن قصة "المراودة" قصة حقيقية تاريخية. بل لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن يوسف نفسه شخص حقيقي تاريخي! وحتى لو افترضنا جدلاً أن يوسف شخص حقيقي تاريخي، فلا يوجد اتفاق بين اليهود والمسيحيين والمسلمين على تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته ولا تفاصيل حياته! مثلاً: قصة "النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" ليس لها أي وجود في التوراة ولا في الإنجيل! وسنثبت لاحقاً أنها مِن الإسرائيليات الموجودة في القرآن.

المهم: ماذا حدث بعد أن دخل يوسفُ السجنَ؟ ...

حُلما صاحبيّ يوسف في السجن: [فسجنوا يوسفَ] وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ [مِن فِتيان الخدمة عند مَلِك مصر؛ قيل: غضبَ الملكُ عليهما فسجنَهما]ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا [ليوسف] إِنِّي أَرَانِي [في منامي] أَعْصِرُ خَمْرًا (أي: أَعْصِرُ عنباً ليصير خَمْرًا)ۖ وَقَالَ الْآخَرُ [ليوسف] إِنِّي أَرَانِي [في منامي] أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا [يا يوسف] بِتَأْوِيلِهِۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (أي: تحسن تفسير الأحلام؛ وقيل: من المحسنين بصفة عامة) {36} قَالَ [يوسفُ لهما] لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا (أي: لا يُساق إليكما طعامٌ في السجن إلا أخبرتكما بمآله إليكما وذكرتُ لكما ماهيته وصنعته وكيفيته قبل وصوله إليكما)[5368][5369] ۚ ذَٰلِكُمَا (أي: الإخبار بالغيبيات الذي قلته لكما في الماضي، ورسالة التوحيد التي أقولها لكما الآن، وتأويل الحلمين الذي سأقوله لكما بعد قليل، كل ذلك) مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي [بالوحي و/أو الإلهام، لا من قبيل الكهانة أو الْعِرَافَة أو التنجيم أو السحر كما يفعل غيري] ۚ إِنِّي تَرَكْتُ (قيل أي: ابتعدتُ عن اتباع**!**) مِلَّةَ قَوْمٍ (قيل: أهل كنعان؛ وقيل: الهكسوس**!** وقيل: المشركين في مصر وغيرها**!**) لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (أي: لا يؤمنون بالله على الوجه الصحيح؛ لا يؤمنون بالله الواحد الأحد الذي لا شريك له) وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (أي: جاحدون بالبعث والحساب والجزاء ثواباً في الجنة وعقاباً في النار**!**؛ وَهُم بِالْآخِرَةِ على الوجه الصحيح كَافِرُونَ**!**) {37} وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ (أي: مخلوقٍ سواء كان من الملائكة أو البشر أو الحيوان أو الجماد أو غير ذلك) ۚ ذَٰلِكَ [التوحيد الخالص] مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ [مِن خلالنا؛ حيث أرسلنا اللهُ إليهم] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ [اللهَ على نعمة التوحيد الخالص فيكفرون ويشركون] {38} يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ (أي: آلهة متعددة في ذواتها، مختلفة في صفاتها واختصاصاتها) خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ [المتفرّد في ذاته وصفاته] الْقَهَّارُ [بإرادته وقدرته فلا يغالبه مغالبٌ ولا يعانده معاندٌ] {39} مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم (أي: ألفاظاً فارغة أطلقتموها على أوهام لا وجود لها، فهي مجرد أسماء وضعتموها لمُسمَّيات غير موجودة أصلاً؛ يقصد: جعلتموها آلهة بزعمكم ومِن تلقاء أنفسكم جهلاً منكم وضلالاً) مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ (أي: ما أوجَدَ اللهُ بتسميتها آلهة مِن حُجةٍ تبرهن على صحة عبادتها) ۚ إِنِ الْحُكْمُ (أي: القضاءُ؛ الفصل بين الصواب والخطأ؛ الأوامر والنواهي) إِلَّا لِلَّهِ [وحده لا شريك له] ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ (أي: إفراد الله وحده بالحُكم والعبادة) الدِّينُ الْقَيِّمُ (أي: السليم القويم الحق المستقيم الثابت دون سواه) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {40}.

أخيراً، فسَّر يوسفُ حُلميّ صاحبيّه في السجن! يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا (أي: سيعيش حتى يخرج من السجن ويعود إلى وظيفته فيسقي الخمرَ لسيده الملك)ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ [ويُترَك مصلوباً حتى يموت[5370]] فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (أي: ما قاله يوسفُ سيحدث لا محالة حتى لو كان هذان السجينان مَا رَأَيَا شَيْئًا[5371]) {41} وَقَالَ [يوسفُ] لِلَّذِي ظَنَّ (قيل: أيْقَن؛ وقيل: رجح عنده) أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ (أي: بعد أن تخرج من السجن وتعود إلى وظيفتك كساقي خمر، اشفع لي عند سيدك الملك فأخبِره بصفتي وقصتي ليعلم أنني بريء مظلوم ومحبوس بلا ذنب، عساه أن ينصفني وينقذني مما أعانيه فيطلق سراحي ويخرجني أنا أيضاً من السجن) فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ (قيل:

فشغل الشيطانُ الفتى وأنساه أن يذكر قصةَ يوسف لسيده الملك؛ وقيل تأثراً بالتراث اليهودي/المسيحي: أنسى الشيطانُ يوسفَ أن يذكر اللهَ في الاستغاثة به والتعويل عليه وحده وليس الاعتماد على عبدٍ من عباده[5372]. ويمكن الجمع بين الرأيين بأن نقول إن يوسف أخطأ في اتكاله على بَشر (وثني؟) وليس على الله وحده، ولذلك سمح اللهُ للشيطان أن يجعل ساقي الخمر ينسى أن يذكر قصةَ يوسف لسيده الملك) فَلَبِثَ [يوسفُ] فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (أي: ما بين الثلاث إلى التسع؛ ويَغلِبُ أن يُطلق على السبع[5373]) {42}.

حُلم مَلِك مصر وتفسير يوسف له: وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ [في منامي] سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ (أي: ضعاف نحيلات مهازيل) وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ [تأكل السبع سنبلات الخضر؛ وقيل: اِلْتَوَتْ عَلَى اَلْخُضْر وَعَلَتْ عَلَيْهَا حتى غلبتها]ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ (أي: أشراف القوم وزعماؤهم؛ الوزراء والحاشية والعلماء والكهنة؛ أهل الحَلِّ والعَقدِ) أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (أي: تنتقلون من صورتها المنامية إلى معناها الحقيقي؛ والمقصود: تُفَسِّرون) {43} قَالُوا [لعجزهم جميعاً عن تفسيرها إنها] أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ (أي: أخلاط أحلام لا حقيقة لها؛ خواطر وخيالات كاذبة لا دلالة لها على المستقبل؛ وساوس باطلة تهجس في النفس)ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ [تلك] الْأَحْلَامِ [الباطلة] بِعَالِمِينَ (أي: ليس لها تفسير عندنا، فنحن نفسر المنامات المعقولة المفهومة) {44} وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا (أي: ساقي الخمر الذي كان مع يوسف في السجن ثم خرج) وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ (أي: تَذَكَّر وصيةَ يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة[5374]؛ والمراد: بعد مجموعة من السنين؛ بعد مدة طويلة)[5375] أَنَا أُنَبِّئُكُم[5376] بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (أي: فابعثوني إلى يوسف في السجن لآتيكم بتفسير الحلم) {45} [فذهب ساقي الخمر إلى يوسف في السجن وقال له] يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ (قيل: الكثير الصدق؛ أو: الحريص على الصدق في القول وفي الفعل) أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ [بفتواك] لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (أي: يعرفون تأويل هذه الرؤيا؛ يعرفون فضلك ومنزلتك في العلم فتخرج من السجن) {46} قَالَ [يوسفُ لساقي الخمر] تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا (أي: بتوالي وتتابع وجد ونشاط وتعب ليَكْثُر الإنتاج) فَمَا حَصَدتُّمْ [من الحبوب كالقمح] فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ (أي: ادَّخِروه واتركوه في سنابله؛ وقيل: في سنابله وعِيدانِه) إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (أي: إلا ما لاَ بُدَّ منه لتموين البلاد في تلك السنين السبع الخصبة) {47} ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ (أي: سبع سنين شديدة الجَدْب والقحط) يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ (أي: يأكل الناسُ فيها كُلَّ ما ادَّخرتم لهم مِن الحبوب المودعة في سنابلها وتأكل الحيوانات العيدان) إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (أي: تحفظونه وتدَّخرونه ليكون بذوراً للزراعة) {48} ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ [بالمطر] وَفِيهِ يَعْصِرُونَ [الثمارَ مِن كثرة الخصب والنماء (مثلاً: يعصرون العنبَ فيكون خمراً والزيتونَ فيكون زيتاً)] {49} وَقَالَ الْمَلِكُ [بعد أن سمع تفسيرَ يوسف لرؤياه] ائْتُونِي بِهِ (أي: أخرجوا يوسفَ مِن السجن وأحضروه لي)ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ (أي: فَلَمَّا جاء رسولُ المَلِك يدعو يوسفَ إلى مقابلة المَلِك، أبى يوسفُ أن يخرج من السجن قبل أن تظهر براءته أولاً مِن التهمة التي لُفقتْ له!) قَالَ [يوسفُ لرسول المَلِك] ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ (أي: عُدْ إلى سيدك المَلِك واطلب منه أن يفتح التحقيق

مجدداً في قضيتي[5377]) فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ (أي: ما حقيقة حال النِّسْوَةِ) اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [لمَّا دخلتُ عليهن] ۚ إِنَّ رَبِّي (أي: الله؛ وقيل: العزيز) بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ {50}.

مشهد المحاكمة. مَلِكُ مصر يستجيب لِما طلبه يوسفُ منه ويحقق في قضية يوسف بنفسه! النسوة وامرأة العزيز يظهرن مِن جديد ويعترفن أمام الملك ببراءة يوسف: قَالَ [المَلِكُ لهن] مَا خَطْبُكُنَّ (أي: حالكنَّ؛ شأنكنَّ) إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ [ما سببُ سجنه؟ هل كانت مراودتكن له ناشئة عن مغازلة منه لَكُنَّ؟ هل طاوعكن؟ هَلْ وَجَدْتُنَّ مِنْهُ مَيْلًا إِلَيْكُنَّ؟] ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ (أي: وضح الْحَقُّ وظهر جلياً؛ ثبت واستقر) أَنَا [التي] رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ [فامتنع] وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ {51} [قال يوسفُ] ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ [المَلِكُ] أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ (أي: لم أَخُنْ العزيزَ وهو غائب، فلم ارتكب فاحشة الزنا مع امرأته ولم أبدأ بمراودتها) وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ {52} وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي [مِن الخطأ والزَّلَلِ، فلقد حدَّثتني نفسي أن ارتكب الفاحشة فَهَمَمْتُ بها] ۚ إِنَّ النَّفْسَ [البشرية] لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي (أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف هذا السوء، كما حدث معي فتراجعتُ وامتنعتُ عن الزنا والخيانة[5378]) ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ [للمذنبين المستغفرين] رَّحِيمٌ [بالتائبين الصالحين] {53}.

ملحوظة: احتار المفسرون المسلمون واختلفوا اختلافاً شديداً ومضحكاً حول مَن المتحدث في (يوسف 52-53)! قال الزمخشري وغيره إن يوسف هو المتحدث[5379]؛ سواء عطفاً على كلامه مع الرسول في (يوسف 50)، أو لمَّا عاد إليه الرسول وهو في السجن بعد أن انتهى التحقيق وثبتتْ براءَتُهُ، أو أن يوسف خرج من السجن وحضر التحقيق مع النسوة وامرأة العزيز ولو مِن بعيد. ونحن نميل إلى هذا الرأي لأن الكلام يدل على أن المتحدث مؤمن ومُوحِّد بالله، بدليل قوله "اللَّهَ" (يوسف 52) و "رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (يوسف 53). إلا أن الزمخشري قال إن يوسف في الآية الأولى يقصد العزيز، فيكون تفسير كلامه: "ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ [العزيزُ] أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ" (يوسف 52). ونحن نقول له: العزيز يعلم براءة يوسف منذ اليوم الأول يوم حدوث الواقعة (يوسف 28-29)؛ فلعله يقصد: لَمْ أَخُنْهُ (أي: نفذتُ أمرَه "يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا" فلم أفضحه هو وامرأته طوال هذه السنين، وحتى عندما طلبتُ فتح التحقيق مجدداً في قضيتي لم اتهم أحداً صراحة فلم أذكر العزيزَ وامرأته على وجه التخصيص وإنما ذكرتُ النسوة فقط).

لكن كالعادة يوجد رأي آخر قاله أبو حيان الأندلسي وغيره إن المتحدث في (يوسف 52-53) هي امرأة العزيز[5380]! قيل: ندمتْ وتابتْ وآمنتْ بالله الواحد الأحد الغفور الرحيم! وتفسير كلامها: "ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ [يوسفُ] أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ (أي: لم أستغل غيبته في السجن وأتمادى في الخيانة وأعول على تثبيت اتهامه ومن ثم الإساءة لسمعته وشرفه؛ أو: ما زلتُ أحب يوسفَ وحده دون سائر الرجال حتى وهو غائب بعيد عني[5381]) وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ. وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي [مِن تهمتيّ مراودة يوسف عن نفسه والافتراء عليه] ۚ إِنَّ النَّفْسَ [البشرية] لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (يوسف 52-53). وقيل إنها في الآية الأولى لا تقصد يوسف وإنما تقصد زوجها، فيكون تفسير كلامها: "ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ [العزيزُ] أَنِّي لَمْ

أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ (أي: لَمْ تقع مني فاحشة الزنا في غيابه، فلقد راودتُ يوسفَ فقط، فأبى واستعصم)" (يوسف 52).

ويوجد رأي ثالث يقول إن امرأة العزيز هي المتحدثة في (يوسف 52) فقط، أما المتحدث في (يوسف 53) فهو يوسف. قال د. شوقي ضيف إن الآية (يوسف 53) "مِن كلام يوسف عطفاً على قوله "ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ" الآية (يقصد: يوسف 50)، وبذلك تكون الآيتان بعدها (يقصد: يوسف 51-52) اعتراضاً بين كلام يوسف"[5382]. وقال الشيخ الشعراوي: "ويمكن أن يُنسب هذا القول (يقصد: يوسف 53) إلى يوسف كَلَوْنٍ من الحرص على ألا يلمسه غرور الإيمان، فهو كرسول من الله يعلم أن الله سبحانه هو الذي صرف كيدهُنَّ عنه"[5383]؛ يقصد أن يوسف قال (يوسف 53) على سبيل التواضع.

ويوجد رأي رابع يقول إن العزيز نفسه هو المتحدث في (يوسف 52-53)! فنقرأ في تفسير القرطبي مثلاً: "[...] وَقِيلَ: "ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ" مِنْ قَوْلِ الْعَزِيزِ، أَيْ: ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ يُوسُفُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ، وَأَنِّي لَمْ أَغْفُلْ عَنْ مُجَازَاتِهِ عَلَى أَمَانَتِهِ. "وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ" مَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ بِكَيْدِهِمْ. قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي" [...] وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ الْعَزِيزِ، أَيْ: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِيُوسُفَ (يقصد: قبل أن أكتشف براءته، خطر لي أنه مذنب)"[5384].

وكالعادة، المشكلة ليست في المفسرين المسلمين الذين أضاعوا أعمارهم في حل ألغاز القرآن، وإنما المشكلة في غموض الآيات القرآنية التي لم تحدد بالضبط مَن المتحدث في كل آية. وكالعادة أيضاً، لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن هذه القصة القرآنية حقيقية تاريخية. وذلك على الرغم من أن القصة القرآنية تذكر مَلِك مصر القديمة وتزعم أن يوسف صعد بعد ذلك إلى السلطة في مصر! فإذا رجعنا إلى التاريخ المصري القديم، لن نجد شيئاً يساعدنا في معرفة مَن المتحدث في (يوسف 52-53). فلا يزال الغموض القرآني مستمراً إلى اليوم، بدليل أن المفسرين المسلمين محتارين ومختلفين ومنقسمين حتى الآن.

يوسف يصعد إلى السلطة في مصر! وَقَالَ الْمَلِكُ [حين أيقن براءة يوسف وعرف أمانته وحُسن خلقه] ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي (أي: أجعله خالصاً لنفسي لا يشاركني فيه أحدٌ؛ لا يأخذ أوامر من أحدٍ غيري)ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ [الْمَلِكُ ليوسف] إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (أي: مُمَكَّن ومُتَمَكِّن وعظيم المكانة ومؤتمن على كل شيء؛ أو: في أمانٍ) {54} قَالَ [يوسفُ لمَلِك مصر] اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ (أي: اجْعَلْنِي وزيراً يتولى شئون مستودعات غلات الأرض في مملكتك؛ وقيل: خزائن مملكتك المشتملة على ما يحتاج إليه الناس من طعام وأموال)ۖ إِنِّي حَفِيظٌ [لها] عَلِيمٌ [بوجوه التصرف فيها] {55}.

وبذلك انتقل يوسفُ من الضعف إلى القوة! من غياهب السجن الضيق إلى رحابة القصر الواسع! من ذل الرق إلى عز الحكم! من الهوان إلى السلطان! فصار يوسفُ مثل وزير التموين حالياً أو وزير الاقتصاد أو وزير التخطيط أو رئيس الوزراء. بعبارة أخرى: انتقل يوسفُ من إدارة بيت عزيز مصر إلى إدارة دولة عظمى في حجم مصر آنذاك! بل صار هو عزيز مصر (يوسف 78، 88) بدلاً مِن فوطيفار (العزيز

سابقاً)[5385]! وليس من المبالغة أن نقول إن يوسف صار هو الحاكم الفعلي لمصر! وبقي الملكُ مجرد رمز يملك ولا يحكم. بدليل غياب شخصية الملك عن بقية أحداث القصة القرآنية.

وهكذا انتهت المحن التي مَرَّ بها يوسفُ وبدأت مرحلة جديدة من حياته وهي مرحلة التمكين. وذلك بناء على طلبه بلسانه "قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ" (يوسف 55). ونحن نندهش مِن أن يوسف "النبي المسلم الموحِّد" لم يطلب منصباً دينياً! فلم يقل مثلاً "اجْعَلْنِي عَلَىٰ معابد الْأَرْضِ ليعرف الناس أنه لا إله إلا الله"! يوسف انتهز فرصة السجن الضيق ودعا السجينين الفَتَيَين إلى التوحيد الخالص (يوسف 37-40) بينما لم يستغل فرصة الوزارة ليدعو مَلِكَ مصر وشعب مصر كله إلى التوحيد! هل هذا معقول؟! مستحيل.

فكما نقول دائماً: القصة القرآنية غير محبوكة درامياً. ويبدو أن أصحاب القرآن لم يهتموا بالحبكة الدرامية، وإنما اهتموا أكثر بالعظة والعبرة والدرس الأخلاقي المستفاد[5386].

العظة والعبرة والدرس الأخلاقي المستفاد: وَكَذَٰلِكَ (أي: كما خلَّصنا يوسفَ بنعمتنا من محنة السجن وخلَّصناه قبل ذلك بنعمتنا من محنة البئر) مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ (أي: أرض مصر) يَتَبَوَّأُ مِنْهَا (أي: ينزل ويسكن ويقيم فيها) حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ (أي: نهب نعمتنا لِمَن نختار) ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (أي: لا نهدر ثواب الذين يحسنون الأعمال الصالحة في الدنيا، بل نوفيهم أجورهم كاملة غير منقوصة، كما صنعنا بيوسف) {56} وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ (أي: ثواب الآخرة أعظم وأفضل وأبقى مِن ثواب الدنيا) لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (أي: يخافون عقابَ الله، فيطيعون أوامره ويجتنبون نواهيه) {57}.

4.23.1 مصادر القرآن من التوراة

على الرغم من وجود اختلافات بين قصتي يوسف في التوراة والقرآن، إلا أن العمود الفقري للقصتين واحد. وكذلك الأفكار الأساسية واحدة. وسنرى الرقم 7 يتكرر في القصتين التوراتية والقرآنية. وسنرى الرَّبَّ/اللهَ يظهر بوضوح في هذا الجزء مِن القصة التوراتية ...

يوسف العبد العبراني ينعم بمعاملةٍ حسنة في مصر في بيت فُوطِيفَار سيده المصري. (التكوين 39):

{1} وَأَمَّا يُوسُفُ **[← يوسف]** فَأُنْزِلَ إِلَى مِصْرَ، وَاشْتَرَاهُ فُوطِيفَارُ **[← العزيز "الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ" (يوسف 21)]** خَصِيُّ فِرْعَوْنَ **[← قيل إن العزيز كان عقيماً؛ وقيل: لم يكنْ يأتي النساء. وفي جميع الأحوال، لم يكنْ له ولدٌ، ولذلك قال لامرأته "عَسَىٰ أَن [...] نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (أي: نَتَبَنَّى يوسفَ)" (يوسف 21)]** رَئِيسُ الشُّرَطِ، رَجُلٌ مِصْرِيٌّ، مِنْ يَدِ الإِسْمَاعِيلِيِّينَ الَّذِينَ أَنْزَلُوهُ إِلَى هُنَاكَ. {2} وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ **[← "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ [...] وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" (يوسف 21)]** فَكَانَ [يُوسُفُ] رَجُلاً نَاجِحًا، وَكَانَ فِي بَيْتِ سَيِّدِهِ الْمِصْرِيِّ. {3} وَرَأَى سَيِّدُهُ أَنَّ الرَّبَّ مَعَهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يَصْنَعُ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ بِيَدِهِ. {4} فَوَجَدَ يُوسُفُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ (أي: نال يُوسُفُ حُظوَةً عند سيده وحَظِيَ برضاه) **[← "قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن**

مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ" (يوسف 21)]، وَخَدَمَهُ، فَوَكَّلَهُ [فُوطِيفَارُ] عَلَى بَيْتِهِ وَدَفَعَ [فُوطِيفَارُ] إِلَى يَدِهِ (أي: وَلَّاه؛ جعل في عهدته) كُلَّ مَا كَانَ لَهُ **[← "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا [يوسفُ في قضاء مصالحنا وفي مختلف شئوننا]" (يوسف 21)]**. {5} وَكَانَ مِنْ حِينِ وَكَّلَهُ عَلَى بَيْتِهِ، وَعَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ، أَنَّ الرَّبَّ بَارَكَ بَيْتَ الْمِصْرِيِّ بِسَبَبِ يُوسُفَ. وَكَانَتْ بَرَكَةُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ فِي الْبَيْتِ وَفِي الْحَقْلِ، {6} فَتَرَكَ [فُوطِيفَارُ] كُلَّ مَا كَانَ لَهُ (أي: كل أملاكه) فِي يَدِ يُوسُفَ. وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ يَعْرِفُ شَيْئًا إِلاَّ الْخُبْزَ (أي: الطعام) الَّذِي يَأْكُلُ.

ملحوظة: اتفاق التوراة والقرآن على سرعة اندماج يوسف العبراني في مجتمعه المصري الجديد يدل على أن اختلاف اللغة لم يكن أبداً عائقاً أمام التواصل بين الشعوب المختلفة. وهذا يرد على القرآن حين يقول: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ" (النحل 103). فلم يكن لدى محمد وغيره مِن أصحاب القرآن أي مشكلة تمنعهم مِن أن يتعلموا مِن المثقفين مِن غير العرب، سواء كانوا يهود أو مسيحيين سريان أو روم أو فرس أو غير ذلك.

(التكوين 39): {6} [...] وَكَانَ يُوسُفُ حَسَنَ الصُّورَةِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ (أي: جميل الهيئة ووسيم الوجه)[5387] **[← بالغ القرآنُ مبالغة كبيرة في إبراز جمال يوسف ووسامته الفريدة مِن نوعها، لدرجة أنه قال إن النسوة المصريات "لَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ (أي: أعظمنه وأجللنه وأخَذَهن حسنُه الرائع وجماله البارع) وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [بالسكاكين] وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" (يوسف 31). قيل إنهن جَرَحْن أَيْدِيَهُنَّ بدون قصد! لكن لا يُعقل أن خطأ عفوي وغير مقصود يصدر مِنهن جميعاً وفي نفس الوقت ولنفس السبب! ولذلك فإننا نرى أنهن – أو على الأقل: بعضهن – قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ عن عمد لجذب انتباه الشاب الوسيم يوسف إليهن. ← وفي السُّنَّة الصحيحة روى مسلم أن محمداً رأى يوسفَ ليلة الإسراء والمعراج "وإذا هُوَ (أي: يوسف) قد أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ (أي: نصف الجمال الذي أعطاهُ اللهُ للناس كلهم)"[5388]!]**.

امرأة فُوطِيفَار تطلب مِن الشاب يوسف أن يضطجع معها. (التكوين 39): {7} وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ امْرَأَةَ سَيِّدِهِ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ (cast her eyes upon Joseph)[5389] (أي: نظرتْ إليه برغبة وشهوة[5390]) وَقَالَتِ: «اضْطَجِعْ مَعِي (أي: نَمْ معي)» **[← "رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ (أي: جَهَّزْتُ نفسي لك، فتَعالَ وأقبِلْ عليَّ، وعاشِرْني وضاجِعْني)" (يوسف 23)]**. {8} فَأَبَى **[← "قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ (أي: أعوذ بالله)" (يوسف 23)]** وَقَالَ لامْرَأَةِ سَيِّدِهِ: «هُوَذَا سَيِّدِي لاَ يَعْرِفُ مَعِي مَا فِي الْبَيْتِ، وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَدِي. {9} لَيْسَ هُوَ فِي هذَا الْبَيْتِ أَعْظَمَ مِنِّي **[← "إِنَّهُ رَبِّي (أي: سيدي العزيز/فُوطِيفَار) أَحْسَنَ مَثْوَايَ" (يوسف 23)]**. وَلَمْ يُمْسِكْ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَكِ، لأَنَّكِ امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟ **[← "قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ (أي: أعوذ بالله أن أخون العزيزَ/فُوطِيفَار في امرأته) [...] إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [الذين يظلمون الناس بالخيانة والغدر ويظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي ومخالفة القانون الإلهي]" (يوسف 23)]**».

ملحوظة: اتفق القرآنُ مع التوراة في السببين اللذين جعلا يوسفَ يرفض الزنا بامرأة سيده: (1) إكراماً لسيده المصري الذي أحسن مثواه، (2) إيماناً بوجود الله في حياته. إلا أن القرآن عكس الترتيب، فجعل يوسف يذكر اللهَ أولاً ثم سيده المصري: "قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ (أي: العزيز) رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ" (يوسف 23).

ويتفق القرآنُ مع التوراة في نقطة أخرى أيضاً. حسب التوراة، هذه هي المرة الأولى التي ينطق فيها يوسفُ اسمَ الله: قال لامرأة سيده المصري "فَكَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟" (التكوين 9:39) **[← وكذلك حسب القرآن هذه هي المرة الأولى التي ينطق فيها يوسفُ اسمَ الله: قال لامرأة سيده المصري "مَعَاذَ اللَّهِ" (يوسف 23)؛ بل هذه هي المرة الأولى التي يتكلم فيها يوسفُ منذ أن حكى لأبيه حُلمَه بالسيادة على إخوته (يوسف 4). ولعل هذا ما قصده القرآنُ حين قال في الآية التي تسبقها "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 22). إذن: نرى هنا بوضوح تطور شخصية يوسف (development of character). فلقد كبر يوسفُ ونضج وبدأ يعرف اللهَ ويفهم الحلال والحرام ويقدر أن يفصل بين الصواب والخطأ: "آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا" (يوسف 22). لم يعد طفلاً يحلم بالسيادة على إخوته، وإنما صار شاباً عاقلاً ناضجاً ومتواضعاً يعترف بخضوعه لله ويعترف أيضاً بخضوعه لسيده المصري: "إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ" (يوسف 23). ومِن المهم أن نلاحظ أن القرآن استخدم نفس الكلمة "رَبّ" للإشارة إلى العزيز سيد يوسف (يوسف 23) وأيضاً للإشارة إلى الله إله يوسف (يوسف 24)].**

امرأة فُوطِيفَار تكرر المحاولة. (التكوين 39): {10} وَكَانَ إِذْ كَلَّمَتْ يُوسُفَ يَوْمًا فَيَوْمًا **[← عبَّر القرآنُ عن تكرار محاولاتها بكلمةٍ عربية واحدة تكررت خمس مرات في هذا السياق؛ على لسان الراوي: "رَاوَدَتْهُ (solicited him)"[5391] (يوسف 23)؛ على لسان يوسف: "رَاوَدَتْنِي" (يوسف 26)؛ على لسان النسوة: "تُرَاوِدُ" (يوسف 30)؛ على لسان امرأة العزيز: "رَاوَدتُّهُ" (يوسف 32، 51)]** أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ لَهَا أَنْ يَضْطَجِعَ بِجَانِبِهَا لِيَكُونَ مَعَهَا **[← "رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ" (يوسف 32) "رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ [فَاسْتَعْصَمَ]" (يوسف 51)].** {11} ثُمَّ حَدَثَ نَحْوَ هذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ فِي الْبَيْتِ. {12} فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ (وفي الترجمة القبطية البحيرية: تعلقتْ بثيابه وعرّته منها[5392]) قَائِلَةً: «اضْطَجِعْ مَعِي! (أي: نَمْ معي)» **[← في ضوء القصة التوراتية، يمكن أن نفهم القصة القرآنية. كل المحاولات السابقة التي قامت بها امرأة العزيز/فوطيفار لإغواء يوسف كانت بعينيها ولسانها فقط. أما هذه المرة استخدمتْ يديها فأمسكتْ بثوب يوسف: "هَمَّتْ بِهِ" (يوسف 24). وأضاف القرآنُ أن يوسف فعل نفس الفعل "هَمَّ بِهَا" (يوسف 24)؛ إذن هذا يعني: مال يوسفُ أيضاً إليها وأمسك بثوبها – و/أو تجاوب معها فخلع ثَوْبَهُ – قاصداً مواقعتها. "لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ [لواقعها]" (يوسف 24)[5393]].** فَتَرَكَ [يوسفُ] ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ [عارياً] إِلَى خَارِجٍ[5394] **[← جعل القرآنُ امرأةَ العزيز أكثر عنفاً؛ تجري وراء يوسف وتشق ثَوْبَهُ! "اسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ" (يوسف 25)].** {13} وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ [عارياً] إِلَى خَارِجٍ، {14} أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا (أي: الخدم والعبيد

ونحو ذلك)[5395]، وَكَلَّمَتهُمْ قَائِلَةً: «انْظُرُوا! قَدْ جَاءَ [زوجي] إِلَيْنَا بِرَجُل عِبْرَانِيٍّ (تقصد: يوسف) لِيُدَاعِبَنَا! دَخَلَ إِلَيَّ لِيَضْطَجعَ مَعِي [وخَلَعَ ثَوْبَهُ]، فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ. {15} وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ [عارياً] إِلَى خَارِجٍ».

امرأةُ فُوطِيفَار تتهم يوسف زوراً بأنه حاول الاعتداء عليها. (التكوين 39): {16} فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ [فُوطِيفَارُ] إِلَى بَيْتِهِ **[← "وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا (أي: وجدا زوجها) لَدَى الْبَابِ" (يوسف 25)]**. {17} فَكَلَّمَتْهُ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ قَائِلَةً: «دَخَلَ إِلَيَّ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ (تقصد: يوسفُ) الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُدَاعِبَنِي (وأضافت النسخة الإسكندرية من الترجمة السبعينية وكذلك الترجمة القبطية البحيرية والصعيدية: وقال [يوسفُ] لي اضطجعي معي)[5396] **[← فقالت النسخة العربية القرآنية: "أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا (أي: أراد يوسفُ أن يفعل الفاحشة بي)" (يوسف 25)]**. {18} [وخَلَعَ ثَوْبَهُ] وَكَانَ لَمَّا رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ [عارياً] إِلَى خَارِجٍ». {19} فَكَانَ لَمَّا سَمِعَ سَيِّدُهُ [فُوطِيفَارُ] كَلاَمَ امْرَأَتِهِ الَّذِي كَلَّمَتْهُ بِهِ قَائِلَةً: «بِحَسَبِ هذَا الْكَلاَمِ صَنَعَ بِي عَبْدُكَ»، أَنَّ غَضَبَهُ حَمِيَ. {20} فَأَخَذَ يُوسُفَ سَيِّدُهُ (أي: أَخَذَ فُوطِيفَارُ يُوسُفَ) وَوَضَعَهُ فِي بَيْتِ السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ أَسْرَى الْمَلِكِ (أي: المعتقلون؛ السجناء) مَحْبُوسِينَ فِيهِ. وَكَانَ هُنَاكَ فِي بَيْتِ السِّجْنِ.

ونلاحظ هنا اختلافاً مهماً بين التوراة والقرآن. تؤكد التوراةُ أن ثوب يوسف (أو: قميصه) أُستخدِمَ للمرة الثانية في التآمر على يوسف:

- في الفصل الأول: كان ثوبُ يوسف سبباً جعل يعقوبَ يصدِّق أكاذيب إخوة يوسف أن وحشاً رديئاً افترس يوسف جسدياً (التكوين 37:31-33)، مع أن الحقيقة هي أن إخوة يوسف هُمْ الذين افترسوا يوسفَ وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ (التكوين 37:18-24).
- وكذلك في الفصل الثاني: صار ثوبُ يوسف سبباً جعل فوطيفارَ يصدِّق إدعاءات امرأته واتهاماتها الباطلة وأكاذيبها أن يوسف كان مثل وحش رديء أراد أن يفترسها جنسياً، فغَضَبَ فوطيفارُ غضباً شديداً على يوسف وزجَّ به في المعتقل (التكوين 39:12-20)، مع أن الحقيقة هي أن امرأة فوطيفار هي التي كانت مثل وحش رديء أراد أن يفترس يوسفَ جنسياً (التكوين 39:7-12).

وهكذا رمى فوطيفارُ يوسفَ في السجن بدون ثوبه، كما رماه إخوته مِن قبل في البئر بدون ثوبه.

أما في القرآن، فلقد وجدنا أن قميص يوسف غير الممزق هو الدليل الذي كشف ليعقوب زيف أكاذيب إخوة يوسف (يوسف 17-18) ونجد الآن أيضاً أن قميص يوسف الممزق مِن الخلف وليس من الأمام هو الدليل الذي استخدمه "شاهدٌ من أهل امرأة العزيز" وجعل العزيزَ يكتشف أكاذيب امرأته (يوسف 25-29)[5397]! فنلاحظ أن قميص يوسف في القرآن قام بدورٍ مشابه لثوب يوسف في التوراة. الفرق هو أن ثوب يوسف في التوراة كان دليلاً خدع يعقوبَ (ثم فوطيفارَ) فجعله يصدق أكذوبةَ إخوة يوسف (ثم أكذوبةَ امرأة

فوطيفار). أما في القرآن فكان قميصُ يوسف شاهداً على أكذوبة إخوة يوسف (ثم أكذوبة امرأة العزيز) فجعل يعقوبَ (ثم العزيزَ) لا يصدق الأكذوبة.

لاحظ أيضاً أن القرآن استخدم نفس الفعل "اسْتَبَقَ" عند الحديث عن إخوة يوسف (يوسف 17) وعند الحديث عن امرأة العزيز (يوسف 25)؛ وفي هاتين الآيتين جاء الادعاء الكاذب بعد الاستباق. مما يجعلنا نعتقد أن أصحاب القرآن قد تعمدوا إبراز التشابه بين إخوة يوسف وامرأة العزيز:

- في الفصل الأول: كان إخوةُ يوسف يعيشون معه في نفس البيت وكانوا أكبر من يوسف سناً، فَمِن المفترض أن يرعوه، لكنهم خذلوا يوسفَ وكانوا سبباً في أذيته ظلماً.
- وكذلك في الفصل الثاني: كانت امرأةُ العزيز تعيش مع يوسف في نفس البيت، وأكّد القرآنُ ذلك بقوله "رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا" (يوسف 23)، وكانت امرأةُ العزيز أكبر من يوسف سناً، فَمِن المفترض أن ترعاه كما لو كانت أمه "نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" (يوسف 21)، لكنها خذلته وكانت سبباً في أذيته ظلماً.

وكما وجدنا أن رد فعل يعقوب كان بسيطاً جداً في الفصل الأول من القصة القرآنية: مثلاً لم يخرج من البيت ليبحث عن يوسف. نجد الآن أن رد فعل العزيز كان أيضاً بسيطاً جداً: مثلاً لم يطلق امرأتَه الخائنة الكاذبة! بل أبقى يوسفَ في البيت معهما ولم يسجنه ولم يطرده ولا حتى باعه إلى سيدٍ آخر! مع أن امرأة العزيز اقترحتْ سجن يوسف مرتين: أمام زوجها (يوسف 25) وأمام النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ (يوسف 32)! فحسب القرآن، يوسفُ لم يُسجَن إلا بعد مشهد النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ (يوسف 30-32) وبناء على طلب يوسف "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ [...]. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ [...]. ثُمَّ بَدَا لَهُم (أي: للعزيز وأهل مشورته) مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ" (يوسف 33-35). هل هذا معقول يا أصحاب العقول؟! مستحيل.

وكما سنرى بعد قليل، سبب هذا الاختلاف بين التوراة والقرآن هو أن القرآن ربما اعتمد على تقاليد يهودية أخرى نجدها في المدراش. وفي جميع الأحوال، فإننا نتفق مع العالم الكبير (James L. Kugel) الذي رفض هذا التسلسل الدرامي للأحداث الموجود في المدراش والقرآن[5398]:

> For in dramatic terms, it makes little sense to have the story work up to its crisis, the physical confrontation between Mrs. Potiphar and Joseph ending in the seized garment, and then have the interlude with the ladies (in which Joseph appears tranquilly before the ladies and before Mrs. Potiphar, apparently as if nothing had happened), only to have Joseph subsequently thrown into jail for the alleged crime that occurred two scenes earlier!
>
> […]

[…] in the Qur’an, this is handled very awkwardly […]

وكالعادة، لم يشرح القرآنُ كيف انتشر الخبر في المدينة فعرفته النسوة؟ وكالعادة أيضاً، نجد الإجابة في التوراة: الخدم في بيت فوطيفار عرفوا الخبرَ (التكوين 39:14). وهذا ما اهتدى إليه مفسرو القرآن؛ مثلاً الشيخ الشعراوي يقول: "وقد تلصص البعضُ من خدم القصر؛ إلى أن صارت الحكاية على ألسنة النسوة"[5399].

بصراحة: هذا الجزء مِن قصة يوسف التوراتية منطقي أكثر من الجزء المناظر له في قصة يوسف القرآنية. لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه يروي أحداثاً حقيقية تاريخية. بل مِن الممكن أن نحذف (التكوين 39) كله ونقول إن فوطيفار "رَئِيس الشُّرَط" اشترى يوسفَ كعبدٍ (التكوين 37:36) ثم وضعه في السجن "حَبْسِ بَيْتِ رَئِيسِ الشُّرَطِ" (التكوين 40:3) ظلماً، أي: بدون أن يفعل يوسفُ شيئاً (التكوين 40:15)، أو لأي تهمة غير محاولة الاغتصاب[5400]. بعبارة أخرى: يمكننا أن ننظر إلى (التكوين 39) باعتباره رواية مسلية تشرح لنا لماذا وضع فوطيفارُ يوسفَ في السجن، وتعطينا أيضاً لمحة عن أخلاق يوسف الطيبة ووقوف الله بجانبه. ثم أخذ أصحابُ القرآن هذه الرواية ووضعوها في قرآنهم، وإنْ انحرفوا عنها قليلاً أو كثيراً وبخاصة فيما يتعلق بـ "هَمَّ بها" وهذا "الشاهد" المجهول و "النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ"!

المهم: تقول التوراةُ إن يوسف دخل السجن (المعتقل) "الْمَكَان الَّذِي كَانَ أَسْرَى الْمَلِكِ مَحْبُوسِينَ فِيهِ" (التكوين 39:20) **[⟵ اتفق القرآنُ مع التوراة: "لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (أي: إلى أجلٍ غير مُعَيَّنٍ، وبدون محاكمة عادلة كما يحدث في المعتقلات السياسية!)" (يوسف 35)]**. وإنه لمِن المحزن أن السجن الوحيد المذكور في التوراة والقرآن هو السجن المصري؛ في قصتي يوسف وموسى! أما العجيب فهو أن يوسف البريء قد دخل السجن بينما موسى المذنب (قَتَلَ مصرياً) لم يدخله كما سنرى في قصة موسى!

(التكوين 39): {21} وَلكِنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ [في السِّجنِ]، وَبَسَطَ إِلَيْهِ لُطْفًا (أي: أغْدَقَ عليه رحمَتَه)، وَجَعَلَ نِعْمَةً لَهُ فِي عَيْنَيْ رَئِيسِ بَيْتِ السِّجْنِ[5401]. {22} فَدَفَعَ رَئِيسُ بَيْتِ السِّجْنِ إِلَى يَدِ يُوسُفَ جَمِيعَ الأَسْرَى (أي: المعتقلين؛ السجناء) الَّذِينَ فِي بَيْتِ السِّجْنِ. وَكُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ هُنَاكَ كَانَ هُوَ الْعَامِلَ (أي: مَن يُدَبِّرُه). {23} وَلَمْ يَكُنْ رَئِيسُ بَيْتِ السِّجْنِ يَنْظُرُ شَيْئًا الْبَتَّةَ مِمَّا فِي يَدِهِ، لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ، وَمَهْمَا صَنَعَ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ **[⟵ "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ [...] وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" (يوسف 21)]**.

ونلاحظ هنا مرة أخرى السرد الدائري (circular, cyclical narrative) لقصة يوسف. فلقد انتهى (التكوين 39) بما بدأ به. بدأ بأن الرب كان مع يوسف في بيت سيده: "كَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ [...] كُلَّ مَا يَصْنَعُ [يوسفُ] كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ بِيَدِهِ" (التكوين 39:2-3). وانتهى بأن الرب كان مع يوسف في السجن: "الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ، وَمَهْمَا صَنَعَ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ" (التكوين 39:23)[5402].

وهذا بالضبط ما فعله أصحابُ القرآن في الفصل الثاني من قصة يوسف: بدأوا كلامهم بجملة "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" (يوسف 21) وختموا كلامهم بنفس الجملة "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" (يوسف 56)! بل بدأوا كلامهم بجملتي "**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ** [...]. [...] وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي **الْمُحْسِنِينَ**" (يوسف 21-22) وختموا كلامهم بجملتي "**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ** [...] وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ **الْمُحْسِنِينَ**" (يوسف 56). صدفة؟! ليست صدفة، وإنما وسيلة أدبية مهمة شكلاً وموضوعاً.

شكلاً: تعمل إطاراً شفوياً (oral frame) حول الفصل الثاني من قصة يوسف؛ وهو أهم فصل كما قلنا. وكما رأينا، هذا الأسلوب الأدبي ليس اختراعاً جديداً ابتكره أصحابُ القرآن، وإنما له جذور في التراث اليهودي/المسيحي. بل يُعتقَد أن له جذور أعمق في تراث الشرق الأدنى القديم. وإنما الاختلاف بين القرآن والأعمال الدينية/الأدبية التي سبقته يكمن في اختيار الكلمات المتطابقة (أو المتشابهة) وكذلك اختيار مواضعها. أما الأسلوب الأدبي نفسه فلا يختلف في القرآن عن الأعمال الدينية/الأدبية التي سبقته.

وموضوعاً: عبارة "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" (يوسف 21) (يوسف 56) تؤكد على حضور الله في حياة يوسف، وأن هذا الحضور الإلهي هو الذي يؤدي دائماً إلى نجاح يوسف وتفوقه على الآخرين مهما اعترض سبيله بعضُ المشاق والمحن مثل إلقائه في البئر وبيعه كعبدٍ وسجنه ... الخ. أو كما قال القرآنُ بإيجاز في جملةٍ مِن أربع كلمات انفردت بها سورةُ يوسف، وهي في الواقع تلخص قصةَ يوسف كلها: "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ[5403] (أي: الله قويٌّ قادرٌ على تنفيذ كُلِّ أمرٍ يريده، فينفذ تدبيره رغم تدبير الآخرين، بل قد يجعل اللهُ تدبير الآخرين سبباً في إنفاذ مشيئته؛ ومنه رفعة قَدر يوسفَ على سبيل المثال)" (يوسف 21):

- في بيت أبيه يعقوب: كان يوسف رقم 2، أي: بعد أبيه فقط ومتفوقاً على كل إخوته.
- وفي بيت سيده المصري: كان يوسف رقم 2، أي: بعد العزيز/فوطيفار فقط ومتفوقاً على كل الخدم.
- وفي السجن: كان يوسف رقم 2، أي: بعد رئيس السجن فقط ومتفوقاً على كل السجناء. "الرَّبَّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ [في السِّجْنِ]" (التكوين 39:21). "هكذا تحول السجن في حياة يوسف إلى لقاء جديد مع الرب على مستوى ربما أعمق مما كان عليه وهو في بيت أبيه أو في بيت سيده. على أي الأحوال، ألقت المرأةُ الشريرة (يقصد: امرأةُ فوطيفار) بيوسف في السجن لتحطمه، فإذا به ينال نجاحاً في السجن ونعمة، ويتحول السجن إلى طريق للمجد. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: هكذا هي طرق الله في التدبير، أن الأمور التي تضرنا هي بعينها التي تنفعنا. هذا ما حدث مع يوسف"[5404].

وكل ذلك حتى يصدِّق المستمع (أو القارئ) أن يوسف سيصبح – بفضل الله ونعمته – رقم 2 في مصر كلها، أي: بعد الملك فقط ومتفوقاً على كل المصريين. وموهبته في تفسير الأحلام **[⟵ تأويل الأحاديث؛ تعبير الرؤيا]** التي وهبها اللهُ له – "وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (يوسف 21) – هي التي ساعدته على ذلك. إذن: الفضل لله. أو كما قال القرآن بإيجاز: "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" (يوسف 21)[5405]. وكأن القرآن (القرن السابع

الميلادي) يردد ما كان قد قاله القديس المسيحي "يوحنا ذهبي الفم" (Saint John Chrysostom) (ت. حوالي 407م؛ أي قبل الإسلام بأكثر من 190 سنة). وقال القديس يوحنا ذهبي الفم أيضاً: "لذا كان الأفضل له (أي: ليوسف) أن يُحفَظ في موضعٍ بائس (السجن) وسط خليقة بشرية عن أن يكون في صحبة سيدة مجنونة"[5406] **[← وهذا ما قاله القرآنُ بعد ذلك، وإنْ وضع الكلامَ على لسان يوسف نفسه: "قَالَ [يوسفُ] رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ" (يوسف 33)]**.

فماذا حدث بعد أن دخل يوسفُ السجن؟ ...

حُلما صاحبيّ يوسف في السجن. (التكوين 40): {1} وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ سَاقِيَ مَلِكِ مِصْرَ وَالْخَبَّازَ أَذْنَبَا إِلَى سَيِّدِهِمَا مَلِكِ مِصْرَ. {2} فَسَخَطَ فِرْعَوْنُ عَلَى خَصِيَّيْهِ: رَئِيسِ السُّقَاةِ وَرَئِيسِ الْخَبَّازِينَ، {3} فَوَضَعَهُمَا فِي حَبْسِ بَيْتِ رَئِيسِ الشُّرَطِ، فِي بَيْتِ السِّجْنِ، الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُوسُفُ مَحْبُوسًا فِيهِ **[← "وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ [مِن فِتيان الخدمة عند مَلِك مصر؛ غضبَ عليهما الملكُ فسجنَهما]" (يوسف 36)]**. {4} فَأَقَامَ رَئِيسُ الشُّرَطِ يُوسُفَ عِنْدَهُمَا فَخَدَمَهُمَا. وَكَانَا أَيَّامًا فِي الْحَبْسِ. {5} وَحَلُمَا كِلاَهُمَا حُلْمًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، كُلُّ وَاحِدٍ حُلْمَهُ، كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ تَعْبِيرِ حُلْمِهِ، سَاقِي مَلِكِ مِصْرَ وَخَبَّازُهُ، الْمَحْبُوسَانِ فِي بَيْتِ السِّجْنِ. {6} فَدَخَلَ يُوسُفُ إِلَيْهِمَا فِي الصَّبَاحِ وَنَظَرَهُمَا، وَإِذَا هُمَا مُغْتَمَّانِ. {7} فَسَأَلَ خَصِيَّيْ فِرْعَوْنَ اللَّذَيْنِ مَعَهُ فِي حَبْسِ بَيْتِ سَيِّدِهِ قَائِلاً: «لِمَاذَا وَجْهَاكُمَا مُكَمَّدَانِ (أي: مُكتئبان وحزينان) الْيَوْمَ؟» {8} فَقَالاَ لَهُ: «حَلُمْنَا حُلْمًا وَلَيْسَ مَنْ يُعَبِّرُهُ (أي: يفسره)». فَقَالَ لَهُمَا يُوسُفُ: «أَلَيْسَتْ للهِ التَّعَابِيرُ (أي: أليست تفاسير الأحلام تتم بواسطة الله)؟[5407] **[← "ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي" (يوسف 37) "وَيُعَلِّمُكَ [رَبُّكَ] مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (يوسف 6) "وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (يوسف 21) "وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ (أي: تفسير الأحلام تفسيراً سليماً فتحدث في الواقع كما أفسرها)" (يوسف 101)]** قُصَّا عَلَيَّ».

يوسف يفسر حُلم رئيس السُّقاة (the chief cupbearer). (التكوين 40): {9} فَقَصَّ رَئِيسُ السُّقَاةِ حُلْمَهُ عَلَى يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: «كُنْتُ فِي حُلْمِي وَإِذَا كَرْمَةٌ أَمَامِي. {10} وَفِي الْكَرْمَةِ ثَلاَثَةُ قُضْبَانٍ (أي: فروع)، وَهِيَ إِذْ أَفْرَخَتْ طَلَعَ زَهْرُهَا، وَأَنْضَجَتْ عَنَاقِيدُهَا عِنَبًا. {11} وَكَانَتْ كَأْسُ فِرْعَوْنَ فِي يَدِي، فَأَخَذْتُ الْعِنَبَ وَعَصَرْتُهُ فِي كَأْسِ فِرْعَوْنَ **[← "قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ (بالسريانية: ʿeṣrēt)[5408] خَمْرًا (أي: أَعْصِرُ عنباً ليصير خَمْرًا)" (يوسف 36)]**، وَأَعْطَيْتُ الْكَأْسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ». {12} فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: «هذَا تَعْبِيرُهُ: الثَّلاَثَةُ الْقُضْبَانِ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ. {13} فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ (will lift up your head) (أي: يرضى فِرْعَوْنُ ويعفو عنك فيطلق سراحك ويخرجك مِن السجن) وَيَرُدُّكَ إِلَى مَقَامِكَ، فَتُعْطِي كَأْسَ فِرْعَوْنَ فِي يَدِهِ كَالْعَادَةِ الأُولَى حِينَ كُنْتَ سَاقِيَهُ **[← "أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا (أي: سيخرج من السجن ويعود إلى وظيفته فيسقي الخمرَ لسيده الملك)" (يوسف 41)]**. {14} وَإِنَّمَا إِذَا ذَكَرْتَنِي عِنْدَكَ حِينَمَا يَصِيرُ لَكَ خَيْرٌ، تَصْنَعُ إِلَيَّ إِحْسَانًا وَتَذْكُرُنِي لِفِرْعَوْنَ **[← "وَقَالَ [يوسفُ] لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ (أي: عند سيدك الملك عساه ينصفني)" (يوسف 42)]**، وَتُخْرِجُنِي مِنْ هذَا الْبَيْتِ (أي: من

السجن). {15} لأَنِّي قَدْ سُرِقْتُ (أي: خُطِفْتُ) مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ، وَهُنَا أَيْضًا لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا حَتَّى وَضَعُونِي فِي السِّجْنِ (حرفياً: البئر)».

يوسف يفسر حُلم رئيس الْخَبَّازِين (the chief baker). (التكوين 40): {16} فَلَمَّا رَأَى رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ أَنَّهُ عَبَّرَ جَيِّدًا (أي: فَلَمَّا رَأَى رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ أن يوسف أحسن تفسير حلم رئيس السقاة وأن تفسير الحلم كان خيراً، تشجَّع أن يطلب تفسيراً لحلمه أيضاً)، قَالَ لِيُوسُفَ: «كُنْتُ أَنَا أَيْضًا فِي حُلْمِي وَإِذَا ثَلاَثَةُ سِلاَلِ حُوَّارَى (بالعبرية: ḥori؛ قيل: سِلال بيضاء؛ وقيل: سِلال فيها خبز أبيض) عَلَى رَأْسِي. {17} وَفِي السَّلِّ الأَعْلَى مِنْ جَمِيعِ طَعَامِ فِرْعَوْنَ مِنْ صَنْعَةِ الْخَبَّازِ (أي: كل الخبز الذي يأكله فرعون). وَالطُّيُورُ تَأْكُلُهُ مِنَ السَّلِّ عَنْ رَأْسِي» **[⟵ "وَقَالَ الْآخَرُ [لِيُوسُفَ] إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ (بالسريانية: ṭayrā)[5409] مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا [يا يوسف] بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (أي: تحسن تفسير الأحلام؛ وقيل: من المحسنين بصفة عامة؛ وفي ضوء التوراة نقول إن الرأي الأول أصح)" (يوسف 36)]**. {18} فَأَجَابَ يُوسُفُ وَقَالَ: «هذَا تَعْبِيرُهُ: الثَّلاَثَةُ السِّلاَلِ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ. {19} فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ عَنْكَ (will lift off your head) (أي: يقطع رأسك؛ يشنقك)، وَيُعَلِّقُكَ عَلَى خَشَبَةٍ، وَتَأْكُلُ الطُّيُورُ لَحْمَكَ عَنْكَ» **[⟵ "وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ[5410] [ويُترك مصلوباً حتى يموت!] فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ" (يوسف 41)]**.

وهنا نلاحظ اختلافاً عجيباً بين التوراة والقرآن. حسب التوراة، قال الفتيان حُلميهما ليوسف ليعرفا تفسيرهما، ففسر يوسفُ الحلمين فوراً. أما حسب القرآن، قال الفتيان حُلميهما ليوسف ليعرفا تفسيرهما، لكن يوسف لم يفسر حُلميهما فوراً، وإنما أعطاهما أولاً محاضرةً دينية (يوسف 37-40) في التوحيد الخالص (أي: لا نشرك بالله شيئاً مطلقاً) "مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ" (يوسف 38) والإيمان "بِالْآخِرَةِ" (يوسف 37)! أي: الإيمان بالآخرة على وجهها "الصحيح". وسنناقش هذه المسألة بقدر أكبر من التفصيل في وقتٍ لاحق عند حديثنا عن الأخطاء والمفارقات التاريخية والجغرافية في القرآن.

حُلما صاحبيّ يوسف في السجن يتحققان كما فسرهما يوسفُ. (التكوين 40): {20} فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، يَوْمِ مِيلاَدِ فِرْعَوْنَ، أَنَّهُ صَنَعَ وَلِيمَةً لِجَمِيعِ عَبِيدِهِ (أي: حاشيته)، وَرَفَعَ رَأْسَ (lifted the head of) رَئِيسِ السُّقَاةِ (أي: أطلق سراحه من السجن) وَرَأْسَ رَئِيسِ الْخَبَّازِينَ (أي: قطع رأسه؛ شنقه)[5411] بَيْنَ عَبِيدِهِ. {21} وَرَدَّ [فِرْعَوْنُ] رَئِيسَ السُّقَاةِ إِلَى سَقْيِهِ، فَأَعْطَى الْكَأْسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ. {22} وَأَمَّا رَئِيسُ الْخَبَّازِينَ فَعَلَّقَهُ (أي: عَلَّقَ جثته عَلَى خَشَبَةٍ)، كَمَا عَبَّرَ لَهُمَا يُوسُفُ **[⟵ "[قال يوسفُ لهما] قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ" (يوسف 41)]**. {23} وَلكِنْ لَمْ يَذْكُرْ رَئِيسُ السُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ **[⟵ "فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ[5412] ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ [يوسفُ] فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ" (يوسف 42)]**.

ثم تنتقل الشاشة في التوراة والقرآن مِن ظلام زنزانة يوسف في السجن ... إلى ظلام غرفة نوم المَلِك في القصر ...

حُلم مَلِك مصر. (التكوين 41): {1} وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ **[← جعلها القرآنُ أطول شوية: "بِضْعَ سِنِينَ (أي: ما بين الثلاث إلى التسع)" (يوسف 42)]** أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَى حُلْمًا: وَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ النَّهْرِ (the Nile)، {2} وَهُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ طَالِعَةٍ مِنَ النَّهْرِ حَسَنَةِ الْمَنْظَرِ وَسَمِينَةِ اللَّحْمِ، فَارْتَعَتْ فِي رَوْضَةٍ (أي: أخذتْ ترعى في المرج؛ والمراد: أكلتْ وشربتْ وشبعتْ). {3} ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ أُخْرَى طَالِعَةٍ وَرَاءَهَا مِنَ النَّهْرِ قَبِيحَةِ الْمَنْظَرِ وَرَقِيقَةِ اللَّحْمِ، فَوَقَفَتْ بِجَانِبِ الْبَقَرَاتِ الأُولَى عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ، {4} فَأَكَلَتِ الْبَقَرَاتُ الْقَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ وَالرَّقِيقَةُ اللَّحْمِ الْبَقَرَاتِ السَّبْعَ الْحَسَنَةَ الْمَنْظَرِ وَالسَّمِينَةَ. وَاسْتَيْقَظَ فِرْعَوْنُ **[← "وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ [في منامي] سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ[5413] يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ" (يوسف 43)]**. {5} ثُمَّ نَامَ [فِرْعَوْنُ] فَحَلُمَ ثَانِيَةً: وَهُوَذَا سَبْعُ سَنَابِلَ طَالِعَةٍ فِي سَاق وَاحِدٍ سَمِينَةٍ وَحَسَنَةٍ (أي: زاهية وممتلئة بالحبوب). {6} ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ سَنَابِلَ رَقِيقَةٍ وَمَلْفُوحَةٍ (أي: جافة ومحترقة scorched) بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ (أي: رياح الـ Sirocco الحارة التي تُعرَف في مصر باسم رياح الخماسين والتي تهب من الصحراء الشرقية فتكون ساخنة ومحملة بالأتربة وكثيراً ما تتسبب في ذبول النباتات[5414]) نَابِتَةٍ وَرَاءَهَا. {7} فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الرَّقِيقَةُ السَّنَابِلَ السَّبْعَ السَّمِينَةَ الْمُمْتَلِئَةَ. وَاسْتَيْقَظَ فِرْعَوْنُ، وَإِذَا هُوَ (أي: أدرك أنه) حُلْمٌ **[← "وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ [في منامي] [...] سَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ [تأكل السبع سنبلات الخضر]" (يوسف 43)]**. {8} وَكَانَ فِي الصَّبَاحِ أَنَّ نَفْسَهُ انْزَعَجَتْ، فَأَرْسَلَ وَدَعَا جَمِيعَ سَحَرَةِ مِصْرَ (في الترجمة السبعينية: كُلَّ مُفَسِّري مصر (all the expounders of Egypt)[5415]) وَجَمِيعَ حُكَمَائِهَا. وَقَصَّ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ حُلْمَهُ **[← "وَقَالَ الْمَلِكُ [...] يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (أي: تُفَسِّرون)" (يوسف 43)]**، فَلَمْ يَكُنْ مَنْ يُعَبِّرُهُ لِفِرْعَوْنَ (أي: فشلوا جميعاً في تفسير حلم فرعون) **[← "قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (أي: ليس لها تفسير عندنا)" (يوسف 44)]**.

(التكوين 41): {9} ثُمَّ كَلَّمَ رَئِيسُ السُّقَاةِ فِرْعَوْنَ قَائِلاً **[← "وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا (أي: ساقي الخمر الذي كان مع يوسف في السجن ثم خرج)" (يوسف 45)]**: «أَنَا أَتَذَكَّرُ الْيَوْمَ خَطَايَايَ **[← "وَادَّكَرَ (أي: تذَكَّر) بَعْدَ أُمَّةٍ" (يوسف 45)]**. {10} فِرْعَوْنُ سَخِطَ عَلَى عَبْدَيْهِ، فَجَعَلَنِي فِي حَبْسِ بَيْتِ رَئِيسِ الشُّرَطِ أَنَا وَرَئِيسَ الْخَبَّازِينَ. {11} فَحَلُمْنَا حُلْمًا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ أَنَا وَهُوَ. حَلُمْنَا كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ تَعْبِيرِ حُلْمِهِ. {12} وَكَانَ هُنَاكَ مَعَنَا غُلاَمٌ عِبْرَانِيٌّ عَبْدٌ[5416] لِرَئِيسِ الشُّرَطِ، فَقَصَصْنَا عَلَيْهِ، فَعَبَّرَ لَنَا حُلْمَيْنَا. عَبَّرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ حُلْمِهِ. {13} وَكَمَا عَبَّرَ لَنَا هكَذَا حَدَثَ **[← "[قال يوسفُ لهما] قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ" (يوسف 41)؛ "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ (أي: صَدَقَ يُوسُفُ في تفسيره لحُلْمَيْنَا، فحدث مطابقاً لِمَا قاله لنا)" (يوسف 46)]**. رَدَّنِي [فِرْعَوْنُ] أَنَا إِلَى مَقَامِي، وَأَمَّا هُوَ فَعَلَّقَهُ» **[← "وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (أي: فابعثوني إلى يوسف في السجن لآتيكم بتفسير الحلم)" (يوسف 45)]**.

حسب القرآن، ذهب ساقي الخمر إلى يوسف في السجن، وهو الذي حكى حلمَ الملك ليوسف، ففسره يوسفُ لساقي الخمر من داخل السجن. ولمَّا رجع ساقي الخمر إلى المَلِك وأخبره بتفسير يوسف لرؤياه، أُعجبَ

الملكُ بيوسف فاستدعاه، فعاد ساقي الخمر (أو رسولٌ آخر مِن طرف الملك) إلى السجن مرة أخرى ليبلغ يوسفَ أن الملك يريد أن يراه. إلا أن يوسف رفض أن يخرج من السجن! وأصر على إعادة محاكمته أولاً لإثبات براءته قبل أن يخرج من السجن[5417]! ولمَّا ظهرت براءة يوسف استدعاه الملكُ مرةً أخرى فذهب إليه.

أما حسب التوراة، استدعى فرعونُ يوسفَ مرة واحدة فقط، فجاء يوسفُ فوراً من السجن إلى فرعون وربما كان لا يعلم سبب الاستدعاء، ثم حكى فرعونُ بنفسه حلمَه ليوسف، ففسره يوسفُ فوراً أمام فرعون؛ أي بعد خروجه من السجن. ولا نجد في التوراة أن يوسف رفض أن يخرج من السجن إلا بعد أن يبرأ علناً وأمام الناس جميعاً بِمَن فيهم الملك!

ويبدو أن محمداً شخصياً كان يميل أكثر إلى ما جاء في التوراة، إذ يُروَى في حديثٍ صحيح متفق عليه أخرجه الشيخان البخاري ومسلم أن محمداً قال: "لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ (يقصد: لَأَسْرَعْتُ الْإِجَابَةَ وَمَا ابْتَغَيْتُ الْعُذْرَ؛ لخرجتُ فوراً وبعد ذلك طالبتُ بإعادة التحقيق والمحاكمة)"[5418].

ونحن أيضاً نتفق مع محمد والتوراة في هذه المسألة. ولا نقتنع بما جاء في القرآن.

(التكوين 41): {14} فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَدَعَا يُوسُفَ **[← "وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ" (يوسف 50) "وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ" (يوسف 54)]**، فَأَسْرَعُوا بِهِ مِنَ السِّجْنِ (حرفياً: البئر). فَحَلَقَ (قيل: حَلَقَ يُوسُفُ شعره؛ وقيل: حَلَقَ ذقنه ليبدو مثل المصريين) وَأَبْدَلَ ثِيَابَهُ وَدَخَلَ عَلَى فِرْعَوْنَ. {15} فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «حَلُمْتُ حُلْمًا وَلَيْسَ مَنْ يُعَبِّرُهُ. وَأَنَا سَمِعْتُ عَنْكَ قَوْلاً، إِنَّكَ تَسْمَعُ أَحْلاَمًا لِتُعَبِّرَهَا». {16} فَأَجَابَ يُوسُفُ فِرْعَوْنَ قَائِلاً: «لَيْسَ لِي. اَللهُ يُجِيبُ بِسَلاَمَةِ فِرْعَوْنَ (أي: لا فضلَ لي في ذلك، وإنما الفضل كله لله فقط فهو وحده يُجِيبُ فِرْعَوْنَ الجوابَ السليم)» **[← "ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي" (يوسف 37) "وَيُعَلِّمُكَ [رَبُّكَ] مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (يوسف 6) "وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (يوسف 21) "وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ (أي: تفسير الأحلام تفسيراً سليماً فتحدث في الواقع كما أفسرها)" (يوسف 101)]**.

إذن: يتفق القرآنُ مع التوراة في أن موهبة يوسف في تفسير الأحلام **[← تأويل الأحاديث؛ تعبير الرؤيا]** موهبة "إلهية" (God-given). بدليل أن يوسف استطاع أن يتنبأ تنبؤاً دقيقاً بمستقبل زميليه في السجن، وسيستطيع بعد قليل أن يتنبأ تنبؤاً دقيقاً بمستقبل مصر كلها، لكنه لم يستطع أن يتنبأ بمستقبله هو شخصياً؛ مثلاً: لم يعلم متى وكيف سيخرج من السجن، ولم يعلم متى وكيف سيرى إخوته مرة أخرى لتتحقق رؤياه (يوسف 4)!

ويتفق القرآنُ مع التوراة أيضاً في تسليط الضوء على فشل "جَمِيع سَحَرَةِ/مُفَسِّري مِصْرَ وَجَمِيع حُكَمَائِهَا" **[← "الْمَلَأ" (يوسف 43)]** وعجزهم عن تفسير حلم فرعون **[← تعبير رؤيا مَلِك مصر]**. وفي

المقابل، ينجح يوسفُ في ذلك، والفضل يرجع لله وحده. والرسالة المنشودة في التوراة والقرآن واحدة: الله (إله يوسف) أكبر من كل آلهة المصريين القدماء، فالله وحده يعلم الغيبَ ومن ثم يمكنه أن يفسر الأحلام بطريقة صحيحة تتفق مع ما سيحدث فعلاً في المستقبل. ولقد تكررت هذه الرسالة في مواضع أخرى من الكتاب المقدس. مثلاً: قال دَانِيآلُ لِلْمَلِكِ الوثني: "السِرُّ (أي: تفسير الحلم) الَّذِي طَلَبَهُ الْمَلِكُ لاَ تَقْدِرُ الْحُكَمَاءُ وَلاَ السَّحَرَةُ وَلاَ الْمَجُوسُ وَلاَ الْمُنَجِّمُونَ عَلَى أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلْمَلِكِ. لكِنْ يُوجَدُ إِلهٌ فِي السَّمَاوَاتِ كَاشِفُ الأَسْرَارِ" (دانيال 2:27-28). وقال اللهُ (إله يعقوب) للأوثان ساخراً منهم ومتحدياً إياهم أن يعلموا الغيبَ: "أَعْلِمُونَا الْمُسْتَقْبِلاَتِ. أَخْبِرُوا بِالآتِيَاتِ فِيمَا بَعْدُ فَنَعْرِفَ أَنَّكُمْ آلِهَةٌ" (إشعياء 41:22-23). وفي العهد الجديد، قال بولس الرسول: "لَنَا ثِقَةٌ [عظيمةٌ] مِثْلُ هذِهِ بِالْمَسِيحِ لَدَى اللهِ (through Christ toward God). لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاةٌ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئًا كَأَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا (أي: ليس أننا أصحاب كفاءة ذاتية لِنَدَّعِيَ شيئاً لأنفسنا)، بَلْ كِفَايَتُنَا مِنَ اللهِ" (2 كورنثوس 3:4-5).

الرسالة واحدة في الديانات الإبراهيمية: إعلاء الذات (يمثله: النبي/الشيخ/القسيس) على الآخر (يمثله: العالِم/الفيلسوف). إله البدو الرعاة المتنقلين المتخلفين يتفوق على آلهة المتحضرين الفلاحين المستقرين المتقدمين! فهل نحن أمام دعوة إلى الدين والتوحيد؟ أم انقلاب على العلم والحضارة[5419]؟ أم الاثنين معاً؟

نعود إلى قصة يوسف. **(التكوين 41):** {17} فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «إِنِّي كُنْتُ فِي حُلْمِي وَاقِفًا عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ، {18} وَهُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ طَالِعَةٍ مِنَ النَّهْرِ سَمِينَةِ اللَّحْمِ وَحَسَنَةِ الصُّورَةِ، فَارْتَعَتْ فِي رَوْضَةٍ. {19} ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ أُخْرَى طَالِعَةٍ وَرَاءَهَا مَهْزُولَةً وَقَبِيحَةَ الصُّورَةِ جِدًّا وَرَقِيقَةَ اللَّحْمِ. لَمْ أَنْظُرْ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مِثْلَهَا فِي الْقَبَاحَةِ. {20} فَأَكَلَتِ الْبَقَرَاتُ الرَّقِيقَةُ وَالْقَبِيحَةُ الْبَقَرَاتِ السَّبْعَ الأُولَى السَّمِينَةَ. {21} فَدَخَلَتْ أَجْوَافَهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ [أحدٌ] (أو: وَلَمْ يُعْلَمْ) أَنَّهَا دَخَلَتْ فِي أَجْوَافِهَا (أي: لم يظهر عليها أي تغيير)، فَكَانَ مَنْظَرُهَا قَبِيحًا كَمَا فِي الأَوَّلِ. وَاسْتَيْقَظْتُ. {22} ثُمَّ رَأَيْتُ فِي حُلْمِي وَهُوَذَا سَبْعُ سَنَابِلَ طَالِعَةٌ فِي سَاقٍ وَاحِدٍ مُمْتَلِئَةً وَحَسَنَةً. {23} ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ سَنَابِلَ يَابِسَةً رَقِيقَةً مَلْفُوحَةً بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ نَابِتَةٌ وَرَاءَهَا. {24} فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الرَّقِيقَةُ السَّنَابِلَ السَّبْعَ الْحَسَنَةَ. فَقُلْتُ لِلسَّحَرَةِ (أي: للمُفَسِّرين)، وَلَمْ يَكُنْ مَنْ يُخْبِرُنِي (يقصد: فهل عندك يا يوسف تفسير لحُلْمِي؟)» **[⟵ "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ" (يوسف 46)]**.

يوسف ينجح في تفسير حُلْمُ فِرْعَوْنَ [⟵ تعبير رؤيا مَلِك مصر]. (التكوين 41): {25} فَقَالَ يُوسُفُ لِفِرْعَوْنَ: «حُلْمُ فِرْعَوْنَ وَاحِدٌ. قَدْ أَخْبَرَ اللهُ فِرْعَوْنَ بِمَا هُوَ صَانِعٌ **[⟵ "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 21)]**. {26} اَلْبَقَرَاتُ السَّبْعُ الْحَسَنَةُ هِيَ سَبْعُ سِنِينَ، وَالسَّنَابِلُ السَّبْعُ الْحَسَنَةُ هِيَ سَبْعُ سِنِينَ. هُوَ حُلْمٌ وَاحِدٌ **[⟵ وضع القرآنُ الحلمين في آيةٍ واحدة (يوسف 43) ليؤكد أنهما حُلْمٌ وَاحِدٌ (رؤيا واحدة)]**. {27} وَالْبَقَرَاتُ السَّبْعُ الرَّقِيقَةُ الْقَبِيحَةُ الَّتِي طَلَعَتْ وَرَاءَهَا هِيَ سَبْعُ سِنِينَ، وَالسَّنَابِلُ السَّبْعُ الْفَارِغَةُ الْمَلْفُوحَةُ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ تَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ جُوعًا. {28} هُوَ الأَمْرُ الَّذِي كَلَّمْتُ بِهِ فِرْعَوْنَ. قَدْ أَظْهَرَ

اللهُ لِفِرْعَوْنَ مَا هُوَ صَانِعٌ [← "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 21)]. {29} هُوَذَا سَبْعُ سِنِينَ قَادِمَةٌ شِبَعًا عَظِيمًا (great abundance) فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ [← "تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا (أي: تستغلون سنوات الخصب فتزرعون بنشاط وتوالي وتتابع وجد وتعب لتحصلوا على أكبر كمية ممكنة مِن المحصول)" (يوسف 47)]. {30} ثُمَّ تَقُومُ بَعْدَهَا سَبْعُ سِنِينَ جُوعًا (famine) [← "ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ (أي: سبع سنين شديدة الجَدْب)" (يوسف 48)]، فَيُنْسَى كُلُّ الشِّبَعِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَيُتْلِفُ الْجُوعُ الأَرْضَ. {31} وَلاَ يُعْرَفُ الشِّبَعُ فِي الأَرْضِ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ الْجُوعِ بَعْدَهُ، لأَنَّهُ يَكُونُ شَدِيدًا جِدًّا. {32} وَأَمَّا عَنْ تَكْرَارِ الْحُلْمِ عَلَى فِرْعَوْنَ مَرَّتَيْنِ، فَلأَنَّ الأَمْرَ مُقَرَّرٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ، وَاللهُ مُسْرِعٌ لِيَصْنَعَهُ [← "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 21)]. {33} «فَالآنَ لِيَنْظُرْ فِرْعَوْنُ رَجُلاً بَصِيرًا وَحَكِيمًا وَيَجْعَلْهُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ [← جعل القرآنُ يوسفَ يطلب هذا المنصب بلسانِه لنفسه! "قَالَ [يوسفُ لمَلِك مصر] اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" (يوسف 55)]. {34} يَفْعَلْ فِرْعَوْنُ فَيُوَكِّلْ نُظَّارًا عَلَى الأَرْضِ، وَيَأْخُذْ خُمْسَ غَلَّةِ أَرْضِ مِصْرَ فِي سَبْعِ سِنِي الشِّبَعِ، {35} فَيَجْمَعُونَ جَمِيعَ طَعَامِ هذِهِ السِّنِينَ الْجَيِّدَةِ الْقَادِمَةِ، وَيَخْزِنُونَ قَمْحًا تَحْتَ يَدِ فِرْعَوْنَ (أي: تحت سلطة المَلِك) طَعَامًا فِي الْمُدُنِ وَيَحْفَظُونَهُ [← وكذلك في القرآن، تبرع يوسفُ بوضع خطة لحل أزمة المجاعة القادمة، مع أنهم سألوه عن تفسير الحلم فقط! لكن القرآن جعل يوسفَ يدخل في حل الأزمة مباشرةً وبدون مقدمات. أي: أدمج يوسفُ تفسير الحلم مع حل الأزمة: "قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ (أي: ادَّخِروه واتركوه في سنبله) إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ" (يوسف 47)]. {36} فَيَكُونُ الطَّعَامُ (أي: هذا القمح المخزون) ذَخِيرَةً لِلأَرْضِ لِسَبْعِ سِنِي الْجُوعِ الَّتِي تَكُونُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، فَلاَ تَنْقَرِضُ الأَرْضُ بِالْجُوعِ (أي: حتى لا يهلك الناسُ جوعاً) [← "ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ (أي: يأكل الناسُ فيها كُلَّ ما ادَّخرتم لهم مِن الحبوب المودعة في سنابلها) إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (أي: تحفظونه وتدَّخرونه ليكون بذوراً للزراعة)" (يوسف 48)]».

يوسف يصعد إلى السلطة في مصر! (التكوين 41): {37} فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَفِي عُيُونِ جَمِيعِ عَبِيدِهِ (أي: حاشيته؛ الملأ). {38} فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِعَبِيدِهِ: «هَلْ نَجِدُ مِثْلَ هذَا رَجُلاً فِيهِ رُوحُ اللهِ؟» {39} ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «بَعْدَ مَا أَعْلَمَكَ اللهُ كُلَّ هذَا[5420]، لَيْسَ بَصِيرٌ (discerning) وَحَكِيمٌ (wise) مِثْلَكَ [← قال يوسفُ عن نفسه: "إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" (يوسف 55)؛ وقال القرآنُ عنه مِن قبل: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 22)]. {40} أَنْتَ تَكُونُ عَلَى بَيْتِي، وَعَلَى فَمِكَ يُقَبِّلُ جَمِيعُ شَعْبِي (أي: يُذْعِن شعبي لِكُلِّ أَمْرٍ تُصْدِرُهُ مِن فَمِكَ؛ أنتَ الآمر الناهي) إِلاَّ إِنَّ الْكُرْسِيَّ أَكُونُ فِيهِ أَعْظَمَ مِنْكَ (second only to Pharaoh) [← "أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي (أي: أجعلك خالصاً لنفسي لا يشاركني فيك أحدٌ؛ لا تأخذ أوامر مِن أحدٍ غيري)" (يوسف 54)]». {41} ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «انْظُرْ، قَدْ جَعَلْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ [← "إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (أي: عظيم المكانة ومؤتمن على كل شيء)" (يوسف 54) "قَالَ [يوسفُ للملك] اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ" (يوسف 55)]». {42} وَخَلَعَ فِرْعَوْنُ خَاتِمَهُ مِنْ

يَدِهِ وَجَعَلَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ، وَأَلْبَسَهُ ثِيَابَ بُوصٍ (أي: كِتّانِيَّة ممتازة؛ من الكتان الأبيض الفاخر)، وَوَضَعَ طَوْقَ ذَهَبٍ فِي عُنُقِهِ، {43} وَأَرْكَبَهُ فِي مَرْكَبَتِهِ الثَّانِيَةِ، وَنَادَوْا أَمَامَهُ «ارْكَعُوا» (في النص العبري: أبريخا Abrek؛ قيل إنها على الأرجح كلمة مصرية قديمة بمعنى «انتبهوا»[5421]). وَجَعَلَهُ (أي: جعل فِرْعَوْنُ يُوسُفَ) عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. {44} وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «أَنَا فِرْعَوْنُ. فَبِدُونِكَ لاَ يَرْفَعُ إِنْسَانٌ يَدَهُ وَلاَ رِجْلَهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ» [← "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" (يوسف 56)]. {45} وَدَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ «صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ» (Zaphenath-Paneah)، وَأَعْطَاهُ أَسْنَاتَ (Asenath) بِنْتَ فُوطِي فَارَعَ (Potipherah؛ أي: هبةرَع؛ ومِن المعلوم أن رع هو إله الشمس) كَاهِنِ أُونَ (On؛ في الترجمة السبعينية: هليوبوليس، أي: مدينة الشمس؛ حالياً: نواحي عين شمس والمطرية[5422] شمال شرق القاهرة) زَوْجَةً[5423]. فَخَرَجَ يُوسُفُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ [← "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" (يوسف 56)]. {46} وَكَانَ يُوسُفُ ابْنَ ثَلاَثِينَ سَنَةً لَمَّا وَقَفَ قُدَّامَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ[5424]. فَخَرَجَ يُوسُفُ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ وَاجْتَازَ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ [← "يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ" (يوسف 56)].

حُلم ملك مصر يتحقق كما فسره يوسفُ؛ سبع سنين رخاء. (التكوين 41): {47} وَأَثْمَرَتِ الأَرْضُ فِي سَبْعِ سِنِي الشِّبَعِ بِحُزَمٍ (أي: خيراً كثيراً بوفرة). {48} فَجَمَعَ [يوسفُ] كُلَّ طَعَامِ السَّبْعِ سِنِينَ الَّتِي كَانَتْ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَجَعَلَ طَعَامًا (أي: خَزَنَهُ) فِي الْمُدُنِ. طَعَامَ حَقْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِي حَوَالَيْهَا جَعَلَهُ فِيهَا (أي: اخْتَزَنَ في كل مدينة غلات ما حولها مِن حقول). {49} وَخَزَنَ يُوسُفُ قَمْحًا كَرَمْلِ الْبَحْرِ، كَثِيرًا جِدًّا حَتَّى تَرَكَ الْعَدَدَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَدَدٌ.

أَسْنَات ويوسف ينجبان ولدين. (التكوين 41): {50} وَوُلِدَ لِيُوسُفَ ابْنَانِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ سَنَةُ الْجُوعِ، وَلَدَتْهُمَا لَهُ أَسْنَاتُ بِنْتُ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ. {51} وَدَعَا يُوسُفُ اسْمَ الْبِكْرِ «مَنَسَّى» (Manasseh) قَائِلاً: «لأَنَّ اللهَ أَنْسَانِي كُلَّ تَعَبِي وَكُلَّ بَيْتِ أَبِي». {52} وَدَعَا اسْمَ الثَّانِي «أَفْرَايِمَ» (Ephraim) قَائِلاً: «لأَنَّ اللهَ جَعَلَنِي مُثْمِرًا فِي أَرْضِ مَذَلَّتِي». {53} ثُمَّ كَمِلَتْ سَبْعُ سِنِي الشِّبَعِ الَّذِي كَانَ فِي أَرْضِ مِصْرَ.

وَنَسِيَ يوسفُ أباه يعقوب وإخوته طوال سنوات الرخاء! سبع سنين لا يعلم يوسفُ شيئاً عن أبيه الذي يحبه! سبع سنين يوسفُ يحكم مصر ولم يفكر أن يتواصل بأي طريقة مع أبيه في كنعان!

حُلم ملك مصر يتحقق كما فسره يوسفُ؛ سبع سنين مجاعة. وخطة يوسف تنجح في مواجهة المجاعة. (التكوين 41): {54} وَابْتَدَأَتْ سَبْعُ سِنِي الْجُوعِ تَأْتِي كَمَا قَالَ يُوسُفُ، فَكَانَ جُوعٌ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ (أي: الأقطار المجاورة مثل كنعان). وَأَمَّا جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ فَكَانَ فِيهَا خُبْزٌ (أي: غلات مخزونة، طعام مخزون). {55} وَلَمَّا جَاعَتْ جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ وَصَرَخَ الشَّعْبُ إِلَى فِرْعَوْنَ لأَجْلِ الْخُبْزِ، قَالَ فِرْعَوْنُ لِكُلِّ الْمِصْرِيِّينَ: «اذْهَبُوا إِلَى يُوسُفَ، وَالَّذِي يَقُولُ لَكُمُ افْعَلُوا». {56} وَكَانَ الْجُوعُ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ، وَفَتَحَ يُوسُفُ جَمِيعَ مَا فِيهِ طَعَامٌ (أي: فَتَحَ مخازن القمح) وَبَاعَ لِلْمِصْرِيِّينَ. وَاشْتَدَّ الْجُوعُ فِي أَرْضِ مِصْرَ. {57}

وَجَاءَتْ كُلُّ الأَرْضِ (أي: أهل البلدان الأخرى؛ سكان الشرق الأوسط) إِلَى مِصْرَ إِلَى يُوسُفَ لِتَشْتَرِيَ قَمْحًا، لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا فِي كُلِّ الأَرْضِ.

إنها بالفعل قصة بديعة. لكن – كالعادة – لا يوجد أي دليل علمي يثبت أنها قصة حقيقية تاريخية. فلم يقل التاريخ المصري القديم إن شخصاً اسمه "يوسف" أو "صَفْنَات فَعْنِيح" أنقذ مصرَ من مجاعةٍ مُهلِكة كما تزعم التوراة والقرآن! بل احتار اليهود والمسيحيون في معنى اسم "صَفْنَات فَعْنِيح"[5425]. اسم مصري قديم قيل إن معناه: طعام الحياة! أو: قوت الحياة! أو: الذي يعطي الطعام للحياة! وقيل إن معناه: حَافِظ الحياة! أو: سَنَد الحياة! أو: وَاهِب الحياة (creator of life)! وقيل إن معناه: قال اللهُ إنه حيٌّ! أو: تكلم اللهُ فعاش [الإنسانُ]! أو: الله يتكلم وهو يعيش (God speaks; he lives)! وقيل إن معناه: الحيُّ مُطعِمُ الأرضَيْن! وقيل: مُخلِّص العالم! وقيل: مُفسِّر الأسرار! أو: مُعلِن الأسرار! أو: المكشوفة له الخفايا! وقيل إن معنى الاسم "صَفْنَات فَعْنِيح" غير مؤكد حتى الآن! يعني: الله أعلم!

وقالت الترجمة اليسوعية عن أسماء "صَفْنَات فَعْنِيح" وزوجته "أَسْنَات" ووالدها "فُوطِي فَارَعَ": "هذه الأسماء لا إثبات لها قبل السلالتين الملكيتين العشرين والإحدى والعشرين"[5426]. يعني: حتى الأسماء تنتمي إلى عصر لاحق، ولا يوجد دليل تاريخي يثبت وجودها أيام يوسف (قبل الأسرة الملكية الثامنة عشرة)!

ولذلك فإننا نتعامل مع قصة يوسف القرآنية باعتبارها قصة أدبية مستوحاة من قصة توراتية أدبية. إنها قصة أدبية تدور أحداثها الخيالية في كنعان ومصر قبل أكثر من 1600 سنة قبل المسيح؛ أي: قبل الأسرة الملكية الثامنة عشرة في مصر.

انتقلتْ قصةُ يوسف التوراتية إلى المسيحيين أولاً. فاهتم بها المسيحيون الأوائل اهتماماً شديداً وشغلت حيزاً كبيراً من تفكيرهم لدرجة أنهم اعتبروا يوسفَ تمهيداً أو رمزاً (prefiguration; typology) ليسوع المسيح كما قلنا: "إخوته (أي: إخوة يوسف) خلعوا قميصه الملون، وغريب الجنس (أي: ملك مصر) يقدم له الثوب الكتاني الأبيض. باعه إخوته كعبد والوثني (أي: ملك مصر) يهبه خاتمه ويضع طوق ذهب في عنقه ويركبه مركبته الثانية. إخوته أذلوه والغريب نادى أن يركع له الجميع. مَن هو يوسف هذا إلا السيد المسيح الذي رفضته أُمَّتُهُ (أي: اليهود) وقبله الأمم كملك يسيطر على قلوبهم ويدبر حياتهم ويتجلى في أعماقهم؟! مَن هو يوسف هذا إلا كل مؤمن حق يثبت في السيد المسيح ليصير مرفوضاً من إخوته، مشهوداً لبره من الذين في الخارج؟! [...] أزوجه فرعونُ أَسْنَاتَ ابنة فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ، وكان [هذا الزواج] في ذلك يرمز لاتحاد السيد المسيح بعروسه (أي: الكنيسة) القادمة من الأمم حيث كان والدها يتعبد ويكهن للأصنام. [...] وفي آخر الأزمنة ترجع إليه خاصته (أي: ترجع إلى المسيح أُمَّتُهُ اليهودية) التي جحدته لتقبل الإيمان به بعد سِنِي الجحود الطويلة (يقصد: كما رجع إخوةُ يوسف إليه في نهاية القصة بعد سنين طويلة)"[5427].

ثم انتقلتْ قصةُ يوسف اليهودية/المسيحية الموروثة مِن يهود ومسيحيي الشرق الأوسط إلى العرب أصحاب القرآن. انتقلتْ بشقيها المقدس وغير المقدس. ولذلك فإن الاختلافات بين القرآن والتوراة ترجع إلى

أن أصحاب القرآن لم يكتفوا بالتوراة فقط، وإنما اعتمدوا أيضاً على مصادر أخرى. مثلاً: التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) ...

4.23.2 مصادر القرآن مِن التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي

نعود مرة أخرى إلى رسالة الدكتوراه التي أعدها الباحث Dr. Joseph Witztum ودافع عنها في جامعة Princeton الأمريكية المرموقة عام 2011[5428]. ولقد قام Dr. Joseph Witztum وغيره بترجمة النصوص السريانية إلى اللغة الإنجليزية، وقمنا نحن بالترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. لكن حرصاً على عدم الإطالة، لن نترجم كل هذه النصوص السريانية وسنكتفي فقط بالأفكار والعبارات والكلمات التي تهمنا. وتسهيلاً على القارئ الكريم، سنستخدم نفس الرموز العلمية (PsN; PsB; Balai) التي استخدمها Dr. Joseph Witztum في بحثه. ونضيف إليها الآن رمزاً جديداً هو (Narsai) الذي يرمز إلى عِظة مسيحية سريانية كتبها المعلِّم والشاعر السرياني الكبير "نَرساي" (Narsai) (حوالي 399 - 502م) أي قبل الإسلام بأكثر من 100 سنة.

وكالعادة، ليس هدفنا أن نثبت أن القرآن العربي والتراث السرياني يتفقان في كل شيء. وإنما هدفنا أن نثبت أن القرآن العربي والتراث السرياني يختلفان عن التوراة بطرق متشابهة كثيراً[5429]، ومتطابقة أحياناً. وبما أن هذا التراث السرياني يسبق القرآن زمنياً، فهذا يدل على أن أصحاب القرآن كانوا على دراية بالتراث السرياني ويدل أيضاً على أن القرآن تطور بشري طبيعي للتراث السرياني.

باختصار، نحن لا نقول: التراث السرياني = القرآن. وإنما نقول: التراث السرياني **[⟵ القرآن]**.

وبما أن التراث السرياني كلام بشر 100%، فهذا يدل على أن القرآن نفسه كلام بشر 100%.

4.23.2.1 قال العزيزُ لامرأته: عَسَىٰ أن نَتَّخِذَ يوسفَ وَلَدًا (يوسف 21)

لم تقل التوراةُ إن فوطيفار تبنى يوسفَ، ولا حتى أراد أن يتبناه. صحيح أن فوطيفار كان يعامل يوسفَ معاملةً جيدة حتى صار يوسفُ خادماً شخصياً (personal attendant) لفوطيفار أو مشرفاً أو مراقباً (overseer) على بيت فوطيفار وممتلكاته (التكوين 39:4)، لكنه يظل مجرد عبد (slave) أو في أحسن الأحوال خادم (servant) (التكوين 39:17، 19) عند فوطيفار وليس ابناً له بالتبني.

أما حسب القرآن، فكر العزيزُ في تبني يوسف: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (أي: نعتقه ونَتَبَنَّاه)" (يوسف 21).

وكما قلنا فيما سبق، قد تكون هذه الفكرة القرآنية مستوحاة من كلمة "خَصِيّ (بالعبرية: saris)" (التكوين 36:37) (التكوين 1:39) التي إذا أُخِذَتْ بمعناها الحرفي "مخصي" (eunuch) قد تعني أن فوطيفار لم يكن له ولدٌ أو لا يستطيع أن يكون له ولدٌ. مثلاً: كان عقيماً أو عاجز جنسياً أو أنجب بنتاً ثم صار خَصِيّاً فلا يستطيع أن ينجب ذكوراً[5430]. يعني كان عنده مشكلة جنسية مِن نوعٍ ما. وهذا يتفق مع الفكرة الأساسية للرواية وهي المراودة. يقول د. محمد شحرور تعليقاً على (يوسف 21): "نرجّح أن سبب عدم الإنجاب هو العُنّة لدى عزيز مصر، التي لعلّها شكّلت بدورها سبباً دفع بالمرأة إلى البحث خارج فراش الزوجية عمّن يعوّضها عن زوجها العِنّين"[5431]. فإذا كان أصحابُ القرآن قد فهموا شخصية فوطيفار بهذه الطريقة، فإنه مِن الطبيعي أن يظنوا أن العزيز أراد أن يتبنى يوسف: "نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (أي: نَتَبَنَّاه)" (يوسف 21).

ويوجد احتمال آخر. قد تكون فكرة "تبني يوسف" مستوحاة من فكرة "تبني موسى" المذكورة في التوراة والإنجيل والقرآن. تقول التوراة إن ابْنَة فِرْعَوْنَ اتخذت موسى ابناً: "وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ (أي: موسى) جَاءَتْ بِهِ [أُمُّه] إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوسَى»" (الخروج 10:2). وكذلك يقول الإنجيل: "وَلَمَّا نُبِذَ [موسى]، اتَّخَذَتْهُ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ وَرَبَّتْهُ لِنَفْسِهَا ابْنًا. فَتَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ" (أعمال الرسل 21:7-22). وكذلك يقول القرآنُ، وإنْ جعل امرأةَ فرعون وليست ابنته هي التي تقترح تبني موسى: "وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ **عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** (أي: نَتَبَنَّاه)" (القصص 9). وهي نفس العبارة التي قالها العزيزُ حين اقترح تبني يوسف: "**عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** (أي: نَتَبَنَّاه)" (يوسف 21)! ولم تتكرر تلك العبارة "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" في القرآن كله إلا في هذين الموضعين، مما يشير إلى وجود علاقة بينهما. وَمِن المعلوم أنه توجد تشابهات كثيرة بين قصتي يوسف وموسى. ومِن أشهر هذه التشابهات أن يوسف غلام عبراني دخل بيت عزيز مصر بالصدفة (أو: بتدبير إلهي) ثم كبر في مصر[5432] حتى قام في النهاية بدورٍ مهم في حياة شعبه العبرانيين، وكذلك موسى رضيع عبراني دخل بيت فرعون ملك مصر بالصدفة (أو: بتدبير إلهي) ثم كبر في مصر[5433] حتى قام في النهاية بدورٍ مهم في حياة شعبه العبرانيين. فَمِن المحتمل جداً أن تكون فكرة تبني المصريين لهذا "البطل" العبراني الدخيل إحدى الأفكار التي انتقلت بسلاسة من قصة موسى الموروثة إلى قصة يوسف القرآنية[5434].

ويوجد احتمال ثالث موجود في أساطير اليهود. حيث نجد في المدراش اليهودي (Genesis Rabbah)، الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[5435] أي قبل الإسلام بأكثر من 100 سنة، إشارات يُفهَم مِنها أن فوطيفار كان عاجز جنسياً أو عقيماً[5436]. وقيل إن فوطيفار كان مثلياً (homosexual)[5437]! وتنوع هذه الآراء يدل على أن المسألة شغلت بالَ اليهود لفترةٍ طويلة. أما الأسطورة اليهودية الأقرب لِمَا قاله القرآنُ بعد ذلك فنجدها في "وصية يوسف" (Testament of Joseph) وهي إحدى "وصايا الآباء الاثْنَيْ عَشَرَ" (Testaments of the Twelve Patriarchs) التي يرجع تاريخها إلى القرن الأول أو الثاني

قبل المسيح، وقيل: القرن الثاني بعد المسيح، وفي جميع الأحوال: قبل الإسلام بمئات السنين. حسب هذه الأسطورة اليهودية، قال يوسف إن امرأة فوطيفار "لم يكن لها ولدٌ ذكر فاعتبرتني ابنها (أو: تظاهرت بأنها تعتبرني ابنها)" (وصية يوسف 7:3)[5438] **[⟵ وضع القرآنُ الجملةَ على لسان العزيز: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (أي: نَتَبَنَّاه)" (يوسف 21)]**.

ومما يقوي هذا الاحتمال وجود أمور كثيرة متشابهة بين القرآن وأساطير اليهود في كتاب وصية يوسف. نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر:

- في كتاب وصية يوسف، قال يوسفُ عن المراودة[5439]: "دعتني [امرأةُ فوطيفار] من جديد وهدّدتني! ولمّا رفضتُ أن أذهب معها، قالت لي: "تملك عليّ وعلى كل ما في بيتي إن استسلمت لي، وتكون مثل سيّدنا". أما أنا (أي: يوسف) فتذكرتُ أقوال أبي يعقوب **[⟵ "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24)؛ قيل: رأى يوسفُ صورةَ أبيه يعقوب؛ وقيل: تَذَكَّرُ عهدَ الله وميثاقه وما أخذه على عباده مِن تحريم الزنا والخيانة، ويُفهَم مِن السياق أنه سمع وصايا الله من أبيه يعقوب]**. فدخلتُ إلى غرفتي وصلّيتُ إلى الربّ باكياً" (وصية يوسف 3:1-3).
- في أساطير اليهود في كتاب وصية يوسف، نرى امرأةَ فوطيفار وهي تراود يوسفَ أكثر عنفاً مما جاء في التوراة. قال يوسفُ: "وأخيراً أمسكت [امرأةُ فوطيفار] بثيابي، وشدّت بعنفٍ لكي أقيم علاقةً معها. فلمّا رأيتها في فورة جنون تمسك بثيابي بقوةٍ، هربتُ عرياناً" (وصية يوسف 8:2-3)[5440] **[⟵ جعل القرآنُ امرأةَ العزيز وهي تراود يوسفَ أكثر عنفاً مما جاء في التوراة. تجري وراء يوسف وتشق ثَوْبَهُ! "اسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ" (يوسف 25)]**.
- قال يوسف عن ما حدث قُبيل دخوله السجن: "فافترت [امرأةُ فوطيفار] عليّ. وجاء زوجها فرماني في السجن الذي في بيته. وفي الغداة، بعد أن جلدني أرسلني إلى سجن فرعون" (وصية يوسف 4:8)[5441] **[⟵ في القرآن، امرأةُ العزيز هي التي حرّضت زوجَها على سجن يوسف أو تعذيبه: "قَالَتْ [امرأةُ العزيز لزوجها] مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (أي: مؤلم مُوجِع؛ مثلاً: الجلد بالسوط)" (يوسف 25)؛ وهدّدته صراحةً بالسجن مرة أخرى أمام النسوة: "وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (أي: المُهانين الأذلاء)" (يوسف 32)]**.
- قال يوسفُ إنه بُعيد دخوله السجن كان سعيداً لأن الله حفظه مِن السقوط في الخطيئة: "كنتُ أشكر الربَّ منشداً في بيت الظلمة (أي: السجن)، معبّراً عن بهجتي بصوت الفرح، وممجداً الله لأنه نجّاني من المصرية (يقصد: امرأة فوطيفار التي كانت تدعوني إلى الزنا)" (وصية يوسف 5:8)[5442] **[⟵ جعل القرآنُ يوسفَ يعتبر السجنَ طريقَ النجاة مِن السقوط في خطيئة الزنا: "قَالَ [يوسفُ] رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ**

لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ" (يوسف 33-35)]. إذن: يتفق القرآنُ مع أساطير اليهود في أن السجن كان مَخْرَجًا ليوسف من كيد النساء، وأن الله هو الذي "نجّا" يوسفَ.

ويوجد احتمال رابع موجود في التراث المسيحي. وتحديداً في مجموعة مشهورة من الأعمال المسيحية اليونانية (Greek) المنسوبة إلى القديس "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (Ephraem)، ولذلك فإنها تُعرَف علمياً باسم (Greek Ephrem) أو (Ephraem Graecus). تقول إحدى الخطب (sermon) التي تنتمي إلى هذه المجموعة القيمة: لمَّا رأى فُوطِيفَارُ شخصية الشاب يوسف الطيبة ومعرفته الكبيرة وأمانته، دَفَعَ إِلَى يَدِهِ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ كما لو كان ابنه (he gave into the care of Joseph the most virtuous, as to his own son, all that he had acquired)[5443] **[← جعل القرآنُ العزيزَ نفسه يقترح أن يتخذ يوسفَ ابناً: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (أي: نَتَبَنَّاه)" (يوسف 21)]**.

ونظراً لأننا غير متأكدين مِن تاريخ هذه الخطبة المنسوبة إلى إفرام السرياني، فإننا نميل إلى أحد الاحتمالات الثلاثة الأولى، وبخاصة الاحتمال الثالث (أساطير اليهود). لكن في جميع الاحتمالات، سواء من التوراة أو من الإنجيل أو من أساطير اليهود أو من التراث المسيحي الشرقي، النتيجة واحدة: لسنا محتاجين نظرية "الوحي" لكي نفهم كيف خرج القرآنُ (يوسف 21) مِن رحم الشرق الأوسط.

نحن لا نقول أبداً إن أصحاب القرآن قد نقلوا حرفياً كلَّ آيات القرآن مِن كتابٍ معين أو اعتمدوا على مصدرٍ واحد فقط أو اقتبسوا حرفياً مِن شخصٍ واحد بعينه (إفرام أو غيره). نحن لا نقول ذلك أبداً. وإنما نقول إنه كانت هناك أفكار شفوية-سمعية (oral-aural) توارثها أبناءُ الشرق الأوسط إما قبل الميلاد أو في القرون الأولى للميلاد، وتطورت بمرور الزمن تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة حتى استقرت في القرآن. وأثناء عملية التطور البشري الطبيعي، وضع أصحابُ القرآن بصمتهم العربية/الإسلامية حتى تتلاءم هذه الأفكار مع بعضها البعض في كتابٍ عربي واحد هو القرآن. أو بالأحرى: هو المصحف.

نظرية "الوحي" انتهت. نظرية "التطور البشري الطبيعي" هي التي تفسر نشأة القرآن (المصحف).

4.23.2.2 "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِۦ" (يوسف 24)

لم تقل التوراةُ إن يوسف هَمَّ بالزنا.

أما القرآن فيقول: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِۦ" (يوسف 24).

وكالعادة، احتار المفسرون المسلمون واختلفوا في تفسير "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِۦ" (يوسف 24). وكان هدف المفسرين المتمسكين بأسطورة "عصمة الأنبياء" هو تبرئة يوسف مِن كل سيئة، بل تبرئته مِن مجرد التفكير في الزنا بامرأة العزيز!

فقيلتْ آراء مضحكة لا تستحق الرد مثل: "هَمَّ بِهَا" يعني ضربها! وقيل: يعني تمنى أن يتزوجها! وقيل: هَمَّتْ بِهِ فعلاً وَهَمَّ بِهَا تركاً! وإذا سألتهم: فلماذا استخدم القرآنُ فعل "هَمَّ" ولم يستخدم فعلاً آخر (ضربها أو تركها مثلاً)؟ فسيقولون: إنما عبّر عنه بالهَمِّ على سبيل المشاكلة[5444]!

وقيل: "هَمَّتْ بِهِ" بعزم وتصميم، "وَهَمَّ بِهَا" بدون عزم ولا تصميم أو هَمَّ بِهَا همّ الطبيعة البشرية مع الامتناع عن الخطية، كما يهمّ الصائمُ بشرب الماء بدون عزم ولا تصميم فلا يشربه! قال سيد قطب: "وأما جمهور المفسرين فسار على أنها "هَمَّتْ بِهِ" هم الفعل، "وَهَمَّ بِهَا" هم النفس"[5445]! قالوا ذلك "لأن الإنسان غير مؤاخذ على ما تشتهيه نفسه أو يميل إليه بطبعه ما لم يعزم على فعل الشيء"[5446].

ونحن نقول لهم جميعاً: القرآن استخدم نفس الفعل "هَمَّ" ليوسف وامرأة العزيز "هَمَّتْ بِهِۖ وَهَمَّ بِهَا". إذن: ما فعله يوسفُ هُو هُو نفسه ما فعلته امرأة العزيز. هَمّ يوسف هُو هُو نفسه هَمّ امرأة العزيز. وليس على سبيل المشاكلة، لأن المشاكلة تقتضي استبعاد المعنى الحقيقي؛ ونحن هنا لا نستبعد أن شاباً أعزباً في خلوته مع امرأةٍ مكتملة الأنوثة قد "هَمَّ بِهَا" كما "هَمَّتْ بِهِ" أولاً وراودته بلهفةٍ وحرارة.

فقيل: "هَمَّت بقتله وهَمَّ هو بقتلها دفاعاً عن نفسه" [...] "هَمَّتْ بالبطش به، وَهَمَّ هو أيضاً بقتلها، ولكنه سرعان ما أدركته العنايةُ فأدرك أن للخلاص طريقاً غير القتل وهو الفرار"[5447]! يعني: أرادوا تبرئة يوسف من تهمة الهَمّ بالزنا فأوقعوه في تهمة الهَمِّ بالقتل! فانطبق عليهم المثل القائل: "جاءوا يكحلوها فعموها".

وبعضهم كان أكثر ذكاءاً فلجأوا إلى حيلة لغوية نحوية فزعموا أن الآية بها تقديم وتأخير وأن جواب "لَوْلَا" دل عليه ما قبله؛ أي: لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا! قالوا ذلك لأن "لَوْلَا" حرف امتناع لوجود، تقرر امتناعَ وقوعِ جواب الشرط لوجود فِعْلِ الشرط. فحسب هذا التفسير الذي يعيد ترتيب كلمات القرآن، امتنع "هَمَّ بِهَا" لوجود "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ"! ومِن أصحاب هذا الرأي الشيخ الشعراوي الذي قال: "ويكون فَهْمُنا للعبارة: ولَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا" أي "ولكنه رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ فلم يهمَّ بِهَا وتنتهي المسألة"[5448]! أي أن "الهَمّ" نفسه لم يحدث من جانب يوسف! ومِنهم مَن استدل بقول القرآن في قصة موسى: "وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا" (القصص 10).

قال ابنُ كثير: "وَفِي هَذَا الْقَوْلِ نَظَرٌ مِنْ حَيْثُ الْعَرَبِيَّةِ"[5449]. مما يدل على أنه لا يؤيده.

ونحن أيضاً نرفض تلك الحيلة لأن أصحابها نسوا – بل تناسوا – أنه يوجد حرف عطف "وَ" بين "هَمَّتْ بِهِ" وَ "هَمَّ بِهَا" فلا يمكن حذف حرف العطف. كما نسوا – بل تناسوا – أن الآية تُكْتَب في المصاحف الأكثر تداولاً (مصحف حفص مثلاً) بعلامة "ۖ" بين "هَمَّتْ بِهِۖ وَهَمَّ بِهَا" مما يدل على أن الوصل أوْلَى مِن الوقف، فَمِن الأوْلَى عدم الفصل بين "هَمَّتْ بِهِۖ وَهَمَّ بِهَا". وأيضاً لأن أصحابها نسوا – بل تناسوا – أن الآية التي استدلوا بها "وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا" (القصص 10) تنفي إظهار أن موسى ابنها ولا تنفي مقاربتها أن تُظهِر أنه ابنها[5450]؛ أي: "كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ" قد تحقق.

وكذلك يقول القرآنُ في موضعٍ آخر: "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ" (النساء 113)؛ فهذه الآية أيضاً تنفي الإضلال ولا تنفي الهمَّ به[5451]. كذلك حتى لو افترضنا جدلاً أن "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24) تقديرها "لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا" فإنها تظل تنفي الزنا فقط ولا تنفي الهمَّ به. وعلى هذا فإن ترتيب الأحداث هو: امرأة العزيز هَمَّتْ بيوسف؛ يوسف هَمَّ بِهَا؛ رَّأَىٰ يوسفُ بُرْهَانَ رَبِّهِ؛ تراجع يوسفُ عن الزنا. وهذا يعني أن يوسف همَّ بالزنا فعلاً. أي: رغب في المضاجعة والمعاشرة وقضاء الشهوة. مما يدل على أن الأنبياء ليسوا معصومين.

ومن الجدير بالذكر في هذا السياق حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ليس له علاقة بقصة يوسف لكن له علاقة بالـ "هَمّ" بفعلِ شيءٍ ما. يقول هذا الحديث الصحيح عن أبي هريرة إن محمد قال: "إنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنّ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ (وفي روايات أخرى: تَفَلَّتَ؛ أي: تَعرَّضَ لي فَجأَةً وفي سُرعةٍ أو في غفلةٍ وخديعة) البارحَةَ، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وإنَّ اللَّهَ أمْكَنَنِي منه فَذَعَتُّهُ (أي: فخنقته!)، فَلَقَدْ هَمَمْتُ (وفي روايات أخرى: فأرَدْتُ) أنْ أرْبِطَهُ إلى جَنْبِ ساريَةٍ مِن سَواري المَسْجِدِ، حتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إلَيْهِ أجْمَعُونَ، أوْ كُلُّكُمْ، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أخِي سُلَيْمانَ: "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي" (ص 35)، فَرَدَّهُ اللَّهُ خاسِئًا"[5452]؛ يقصد: فتركته ولم أربطه لأن تقييد الشياطين لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ بعد سليمان. إذن: محمد "هَمَّ" بربط هذا العفريت علَى سَاريَةٍ مِن سَوَاري المَسْجِدِ؛ لكنه لمَّا تذكَّر أن تقييد الشياطين لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ بعد سليمان، تراجع فوراً وامتنع عمَّا أراد أن يفعله. وكذلك في قصة يوسف القرآنية: يوسف "همَّ" بالزنا فعلاً؛ لكنه لمَّا "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" تراجع فوراً وامتنع عمَّا أراد أن يفعله.

أما استدلالهم بقول القرآن "كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" (يوسف 24). فهذا استدلال ساذج لا يستحق الرد أو التعليق، لأنه حدث **بعد** هَمّ يوسف بالزنا ورؤيته البرهان وتراجعه.

ثم إن القرآن نفسه يقول إنه على الرغم مِن أن الله صرف عَنْ يوسف "السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ" "إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" (يوسف 24)، إلا أن يوسف اعترف بعد ذلك بأنه يكاد أن يقع في الخطيئة، ولذلك استغاث بالله وطلب منه أن يتدخل مرة أخرى لينقذه مِن دعوات النسوة وامرأة العزيز، وإلا سيقع في الخطيئة فيكون "مِّنَ الْجَاهِلِينَ" (يوسف 33): "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ" (يوسف 33)؛ فهذه الآية اعتراف صريح من يوسف بضعفه البشري. قال شيخ الأزهر الأسبق: "ثم اعترف يوسف - عليه السلام - بضعفه البشري، فقال: ويا رب إنْ لم تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ومكرهن، أَصْبُ إِلَيْهِنَّ، أي: أمل إليهن وأستجب لإلحاحهن، وأكن بسبب هذه المطاوعة لهن مِّنَ الْجَاهِلِينَ السفهاء، الذين يخضعون لأهوائهم وشهواتهم فيقعون في القبائح والمنكرات"[5453]. وقال الشيخ الشعراوي: "فيوسف عليه السلام يعرف أنه من البشر؛ وإنْ لم يصرف اللهُ عنه كيدهُنَّ؛ لاستجاب لغوايتهن، ولأصبح من الجاهلين الذين لا يلتفتون إلى عواقب الأمور"[5454]. فإذا كان هذا حال يوسف بعد أن صرف اللهُ عنه "السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ" "إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" (يوسف 24)، فما بالنا بحاله قبل ذلك حين "هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا" (يوسف

24)؟ نعتقد أن الإجابة واضحة. إن عبارة "أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ" (يوسف 33) هي خير دليل على أن "هَمَّ بِهَا" (يوسف 24) يجب أن تُفهَم بمعناها الحرفي الحقيقي وليس على سبيل المشاكلة. اقرأ أيضاً ما قاله يوسفُ حسب رأي فريق من المفسرين المسلمين: "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ [البشرية] لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (يوسف 53).

ولذلك فإننا نؤيد المفسرين المسلمين الذين اعترفوا بأن يوسف "هَمَّ" بالزنا. و "لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" لوقع فيه. أي أن جواب "لَوْلَا" محذوف وتقديره: لوقع في الزنا؛ لخالط امرأة العزيز؛ لواقعها. بعبارة أخرى: "الهَمُّ" حدث مِن يوسف وامرأة العزيز. أما الزنا فامتنع حدوثه لوجود "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ". قيل: رأى يوسفُ صورةَ أبيه يعقوب عاضاً على أنملته يتوعده! وقيل: نودي يا يوسف أنت مكتوبٌ في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء؟! وقيل: رأى جبريل! وقيل إن امرأة العزيز قامت إلى صنمٍ في بيتها فسترته بثوبٍ، فسألها يوسفُ: ما تصنعين؟ فأجابت: أستحي من إلهي هذا (تقصد: هذا الصنم) أن يراني في هذه الصورة، فقال يوسفُ: أنا أَوْلَى أن أستحي من الله، فقام وتركها! وقيل: تَذَكَّر يوسفُ عهدَ الله وميثاقه وما أخذه على عباده مِن تحريم الزنا والخيانة؛ واستدلوا على ذلك بقول القرآن: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ" (الأعراف 201)[5455]؛ وإنْ صح ذلك فإنه يعني أن الشيطان مَسَّ يوسفَ ولو للحظات. وقيل إن "بُرْهَانَ رَبِّهِ" هو عصمة الله له؛ وهكذا ضربوا عصفورين بحجر واحد: أثبتوا عصمة الأنبياء وأراحوا أنفسهم من تفسير هذا "البرهان"! وطبعاً قيل كالعادة: الله أعلم بما كان ذلك البرهان! وأياً كان تفسير "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ"، فالمهم أن هذا "البرهان" المزعوم منع يوسفَ من الزنا ولم يمنعه مِن الهَمِّ به.

وسنكتفي هنا بعرض أمثلة مما قالته كتب تفسير القرآن عن تصرف يوسف حين راودته امرأة العزيز عن نفسه. "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24). ومِن حُسن الحظ أن الطبري إمام المفسرين (ت 310هـ) قد ذكر في تفسيره أمثلة كثيرة. فنقرأ في تفسير الطبري ما يلي[5456]:

> [...] عَنِ السُّدِّيِّ: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا" قَالَ: [...] فَهَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا، فَدَخَلَا الْبَيْتَ، وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ، وَذَهَبَ [يوسفُ] لِيَحِلَّ سَرَاوِيلَهُ، فَإِذَا هُوَ بِصُورَةِ يَعْقُوبَ قَائِمًا فِي الْبَيْتِ، قَدْ عَضَّ عَلَى إِصْبَعِهِ، يَقُولُ: "يَا يُوسُفُ لَا تُوَاقِعْهَا! فَإِنَّمَا مَثَلُكَ مَا لَمْ تُوَاقِعْهَا مَثَلُ الطَّيْرِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ لَا يُطَاقُ، وَمَثَلُكَ إِذَا وَاقَعْتَهَا مَثَلُهُ إِذَا مَاتَ وَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ. وَمَثَلُكَ مَا لَمْ تُوَاقِعْهَا مَثَلُ الثَّوْرِ الصَّعْبِ الَّذِي لَا يُعْمَلُ عَلَيْهِ، وَمَثَلُكَ إِنْ وَاقَعْتَهَا مَثَلُ الثَّوْرِ حِينَ يَمُوتُ فَيَدْخُلُ النَّمْلُ فِي أَصْلِ قَرْنَيْهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ". فَرَبَطَ [يوسفُ] سَرَاوِيلَهُ، وَذَهَبَ لِيَخْرُجَ يَشْتَدُّ (أي: يعدو؛ أسرع العدو) [...].
>
> [...] عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: أَكَبَّتْ عَلَيْهِ - يَعْنِي الْمَرْأَةَ - تُطْمِعُهُ مَرَّةً وَتُخِيفُهُ أُخْرَى، وَتَدْعُوهُ إِلَى لَذَّةٍ مِنْ حَاجَةِ الرِّجَالِ فِي جَمَالِهَا وَحُسْنِهَا وَمُلْكِهَا، وَهُوَ شَابٌّ مُسْتَقْبِلٌ يَجِدُ مِنْ شَبَقِ الرِّجَالِ مَا يَجِدُ الرَّجُلُ، حَتَّى رَقَّ لَهَا مِمَّا يَرَى مِنْ كَلَفِهَا بِهِ، وَلَمْ يَتَخَوَّفْ مِنْهَا حَتَّى هَمَّ بِهَا وَهَمَّتْ بِهِ، حَتَّى خَلَوَا فِي بَعْضِ بُيُوتِهِ.

وَمَعْنَى "الْهَمِّ بِالشَّيْءِ" فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: حَدِيثُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ بِمُوَاقَعَتِهِ، مَا لَمْ يُوَاقِعْ. فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ هَمِّ يُوسُفَ بِالْمَرْأَةِ وَهَمِّهَا بِهِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قَالُوا فِي ذَلِكَ مَا أَنَا ذَاكِرُهُ:

[...] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، سُئِلَ عَنْ هَمِّ يُوسُفَ مَا بَلَغَ؟ قَالَ: حَلَّ الْهِمْيَانَ (أي: حَلَّ يوسفُ سَرَاوِيلَهُ؛ الْهِمْيَان هو المنْطقة والتِّكة وما يُشدّ به السروال)، وَجَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الْخَاتِنِ (أي: جلس يوسفُ بين رِجْلَيْهَا). لَفْظُ الْحَدِيثِ لِأَبِي كُرَيْبٍ.

[...] سَمِعَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ ابْنَ عَبَّاسٍ فِي "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا" قَالَ: جَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الْخَاتِنِ (أي: جلس يوسفُ بين رِجْلَيْهَا)، وَحَلَّ الْهِمْيَانَ (أي: حَلَّ يوسفُ سَرَاوِيلَهُ).

[...]

[...] عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: مَا بَلَغَ مِنْ هَمِّ يُوسُفَ؟ قَالَ: اسْتَلْقَتْ [امرأةُ العزيز] لَهُ، وَجَلَسَ [يوسفُ] بَيْنَ رِجْلَيْهَا.

[...] عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا" قَالَ: اسْتَلْقَتْ لَهُ، وَحَلَّ ثِيَابَهُ .

[...] عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا"، مَا بَلَغَ؟ قَالَ: اسْتَلْقَتْ [امرأةُ العزيز] لَهُ، وَجَلَسَ [يوسفُ] بَيْنَ رِجْلَيْهَا، وَحَلَّ ثِيَابَهُ أَوْ ثِيَابَهَا.

[...] عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: مَا بَلَغَ مِنْ هَمِّ يُوسُفَ؟ قَالَ: اسْتَلْقَتْ [امرأةُ العزيز] عَلَى قَفَاهَا، وَقَعَدَ [يوسفُ] بَيْنَ رِجْلَيْهَا لِيَنْزَعَ ثِيَابَهُ.

[...] عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا" مَا بَلَغَ مِنْ هَمِّ يُوسُفَ؟ قَالَ: حَلَّ الْهِمْيَانَ يَعْنِي السَّرَاوِيلَ.

[...] عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا" قَالَ: حَلَّ [يوسفُ] السَّرَاوِيلَ حَتَّى إِلْيَتَيْهِ (أو: حتى التُّبَّان؛ أي: حتى سراويله القصيرة التي تستر عورته المغلظة) وَاسْتَلْقَتْ [امرأةُ العزيز] لَهُ.

[...] عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا" قَالَ: حَلَّ [يوسفُ] سَرَاوِيلَهُ، حَتَّى وَقَعَ عَلَى إِلْيَتَيْهِ (أو: حَتَّى وَقَعَ عَلَى التُّبَّان؛ أو: حَتَّى وَقَعَ عَلَى المِيتَنَيْن وهي بواطن الأفخاذ).

[...] عَنْ مُجَاهِدٍ: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا" قَالَ: جَلَسَ [يوسفُ] مِنْهَا مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَتِهِ (أي: جلس يوسفُ بين فخذيها).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حُذَيْفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شِبْلٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَزَّةَ: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا" قَالَ: أَمَّا هَمُّهَا بِهِ، فَاسْتَلْقَتْ لَهُ. وَأَمَّا هَمُّهُ بِهَا، فَإِنَّهُ قَعَدَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا وَنَزَعَ ثِيَابَهُ.

[...] عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مَا بَلَغَ مِنْ هَمِّ يُوسُفَ؟ قَالَ: اسْتَلْقَتْ [امرأةُ العزيز] لَهُ، وَجَلَسَ [يوسفُ] بَيْنَ رِجْلَيْهَا يَنْزِعُ ثِيَابَهُ.

[...] عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةَ، قَالَا: حَلَّ [يوسفُ] السَّرَاوِيلَ، وَجَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الْخَاتِنِ.

[...] عَنْ مُجَاهِدٍ: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا" قَالَ: اسْتَلْقَتْ [امرأةُ العزيز]، وَحَلَّ [يوسفُ] ثِيَابَهُ حَتَّى بَلَغَ أَلْيَاتِهِ (أو: حَتَّى بَلَغَ الثُّنَّاتِ، جمع ثُنَّة، وهي أسفل البطن ما دون السرة فوق العانة أو شعر العانة).

[...] عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا" قَالَ: أَطْلَقَ [يوسفُ] تِكَّةَ سَرَاوِيلِهِ.

[...]

وَأَمَّا "الْبُرْهَانُ" الَّذِي رَآهُ يُوسُفُ، فَتَرَكَ مِنْ أَجْلِهِ مُوَاقَعَةَ الْخَطِيئَةِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ مُخْتَلِفُونَ فِيهِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نُودِيَ بِالنَّهْيِ عَنْ مُوَاقَعَةِ الْخَطِيئَةِ. [...] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [...] قَالَ: نُودِيَ: يَا يُوسُفُ، أَتَزْنِي؟ فَتَكُونُ كَالطَّيْرِ [لَهُ رِيشٌ، فَإِذَا زَنَى] وَقَعَ رِيشُهُ، فَذَهَبَ يَطِيرُ فَلَا رِيشَ لَهُ؟ [...] قَالَ: لَمْ يُعْطِ عَلَى النِّدَاءِ (أي: لم يطع يوسفُ النداءَ) حَتَّى رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، قَالَ: تِمْثَالُ صُورَةِ وَجْهِ أَبِيهِ. قَالَ سُفْيَانُ: عَاضًّا عَلَى إِصْبَعِهِ فَقَالَ: يَا يُوسُفُ، تَزْنِي، فَتَكُونُ كَالطَّيْرِ ذَهَبَ رِيشُهُ؟! [...]. [...] عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ يُوسُفَ لَمَّا جَلَسَ بَيْنَ رِجْلَيِ الْمَرْأَةِ فَهُوَ يَحِلُّ هِمْيَانَهُ، نُودِيَ: يَا يُوسُفُ بْنَ يَعْقُوبَ، لَا تَزْنِ، فَإِنَّ الطَّيْرَ إِذَا زَنَى تَنَاثَرَ رِيشُهُ. فَأَعْرَضَ، ثُمَّ نُودِيَ فَأَعْرَضَ، فَتَمَثَّلَ لَهُ يَعْقُوبُ عَاضًّا عَلَى إِصْبَعِهِ، فَقَامَ. [...]. [...] عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: نُودِيَ يُوسُفُ، فَقِيلَ: أَنْتَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَنْبِيَاءِ، تَعْمَلُ عَمَلَ السُّفَهَاءِ؟ [...]

وَقَالَ آخَرُونَ: الْبُرْهَانُ الَّذِي رَأَى يُوسُفُ فَكَفَّ عَنْ مُوَاقَعَةِ الْخَطِيئَةِ مِنْ أَجْلِهِ، صُورَةُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَتَوَعَّدُهُ. [...] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [...] قَالَ: رَأَى صُورَةَ - أَوْ: تِمْثَالَ - وَجْهِ يَعْقُوبَ عَاضًّا عَلَى إِصْبَعِهِ، فَخَرَجَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ أَنَامِلِهِ. [...] قَالَ: مَثَلَ له (أو: مُثِّلَ لَهُ) يَعْقُوبُ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِهِ، فَخَرَجَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ أَنَامِلِهِ. [...]. [...] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [...] قَالَ: رَأَى صُورَةَ يَعْقُوبَ وَاضِعًا أُنْمُلَتَهُ عَلَى فِيهِ، يَتَوَعَّدُهُ، فَفَرَّ. [...] قَالَ: حِينَ رَأَى يَعْقُوبَ فِي سَقْفِ الْبَيْتِ، قَالَ: فَنُزِعَتْ شَهْوَتُهُ الَّتِي كَانَ يَجِدُهَا، حَتَّى خَرَجَ يَسْعَى إِلَى بَابِ الْبَيْتِ، فَتَبِعَتْهُ الْمَرْأَةُ. [...]. [...] عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: جَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَتِهِ، حَتَّى رَأَى صُورَةَ يَعْقُوبَ فِي الْجُدُرِ (أي: الجدار). [...]. [...] عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ قَالَ: نُودِيَ: يَا ابْنَ يَعْقُوبَ، لَا تَكُونَنَّ كَالطَّيْرِ لَهُ رِيشٌ، فَإِذَا زَنَى قَعَدَ لَيْسَ لَهُ رِيشٌ. فَلَمْ يَعْرِضْ لِلنِّدَاءِ وَقَعَدَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَرَأَى وَجْهَ يَعْقُوبَ عَاضًّا عَلَى إِصْبَعِهِ، فَقَامَ مَرْعُوبًا اسْتِحْيَاءً مِنَ اللَّهِ [...]. [...]. [...] عَنْ مُحَمَّدٍ الْخُرَاسَانِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ عَنْ قَوْلِهِ: "لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" قَالَ: مَثَلَ له (أو: مُثِّلَ لَهُ) يَعْقُوبُ عَاضًّا عَلَى أَصَابِعِهِ يَقُولُ: يُوسُفُ بْنَ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، اسْمُكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ، وَتَعْمَلُ عَمَلَ السُّفَهَاءِ؟! [...]. [...] قَالَ قَتَادَةُ: رَأَى صُورَةَ يَعْقُوبَ، فَقَالَ: يَا يُوسُفُ، تَعْمَلُ عَمَلَ الْفُجَّارِ، وَأَنْتَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَنْبِيَاءِ؟!

فَاسْتَحْيَى مِنْهُ. [...] عَنْ قَتَادَةَ: "لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" رَأَى آيَةً مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ، حَجَزَهُ اللَّهُ بِهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ. ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ مَثَلَ له (أو: مُثِّلَ لَهُ) يَعْقُوبُ حَتَّى كَلَّمَهُ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ، وَنَزَعَ كُلَّ شَهْوَةٍ كَانَتْ فِي مَفَاصِلِهِ. [...].

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْبُرْهَانُ الَّذِي رَأَى يُوسُفُ، مَا أَوْعَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الزِّنَا أَهْلَهُ. [...] عَنْ أَبِي مَوْدُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ قَالَ: رَفَعَ [يوسفُ] رَأْسَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ، فَإِذَا كِتَابٌ فِي حَائِطِ الْبَيْتِ: "وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَاۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" (الإِسْرَاء 32). [...]. [...] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ: "لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" قَالَ: لَوْلَا مَا رَأَى فِي الْقُرْآنِ مِنْ تَعْظِيمِ الزِّنَا. [...]. [...] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ : "لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" فَقَالَ: مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الزِّنَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ رَأَى تِمْثَالَ الْمَلِكِ. [...].

وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا هُوَ خَيَالُ إِطْفِيرَ (يقصدون: قُوطِيفَار) سَيِّدِهِ، حِينَ دَنَا مِنَ الْبَابِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا هَرَبَ مِنْهَا وَاتَّبَعَتْهُ، أَلْفَيَاهُ لَدَى الْبَابِ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَمِّ يُوسُفَ وَامْرَأَةِ الْعَزِيزِ، كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ، لَوْلَا أَنْ رَأَى يُوسُفُ بُرْهَانَ رَبِّهِ، وَذَلِكَ آيَةٌ مِنَ [آيات] اللَّهِ، زَجَرَتْهُ عَنْ رُكُوبِ مَا هَمَّ بِهِ يُوسُفُ مِنَ الْفَاحِشَةِ. وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْآيَةُ صُورَةَ يَعْقُوبَ، وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ صُورَةُ الْمَلِكِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْوَعِيدِ فِي الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى الزِّنَا. وَلَا حُجَّة لِلْعُذْرِ قَاطِعَة بِأَيِّ ذَلِكَ [كَانَ] مِنْ أَيٍّ. وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ فِي ذَلِكَ مَا قَالَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَتَرْكُ مَا عَدَا ذَلِكَ إِلَى عَالِمِهِ.

وَقَوْلُهُ : "كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ". يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: كَمَا أَرَيْنَا يُوسُفَ بُرْهَانَنَا عَلَى الزَّجْرِ عَمَّا هَمَّ بِهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ، كَذَلِكَ نُسَبِّبُ لَهُ فِي كُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ مِنْ هَمٍّ يَهُمُّ بِهِ فِيمَا لَا يَرْضَاهُ، مَا يَزْجُرُهُ وَيَدْفَعُهُ عَنْهُ، كَيْ نَصْرِفَ عَنْهُ رُكُوبَ مَا حَرَّمْنَا عَلَيْهِ، وَإِتْيَانَ الزِّنَا، لِنُطَهِّرَهُ مِنْ دَنَسِ ذَلِكَ.

وقال الزجاج في تفسيره: "أكثرُ المفسرين أنه (أي: يوسف) هَمَّ بها حتى رأى صورة يعقوب عليه السلام، وهو يقول له: يا يوسف أَتَهُمّ بفِعْلِ السُّفَهاءِ وأنت مكتوب في ديوانِ الأنبياء، وقيل إنه رأى في البيت مكتوباً: "وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَاۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا". وهذا مذهب أهل التفسير، ولسنا نشك أنه قد رأى برهاناً قطعه عما هَمَّ به". [...] "والذي عليه المفسرون أنه هَمَّ بها وأنه جَلَسَ منها مجلس الرَّجُلِ من المرأة إلا أَنَّ الله تفضل بأن أراه البُرهانَ، ألا تراه قال: "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ"، والمعنى لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لأَمْضَى ما هَمَّ به"[5457].

ويقول تفسيرُ الجلالين: ""وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ" قَصَدَتْ مِنْهُ اَلْجِمَاعَ "وَهَمَّ بِهَا" قَصَدَ ذَلِكَ "لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" قَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ مُثِّلَ لَهُ يَعْقُوبُ فَضَرَبَ صَدْرَهُ فَخَرَجَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ أَنَامِلِهِ. وَجَوَابُ لَوْلَا: لَجَامَعَهَا. "كَذَٰلِكَ" أَرَيْنَاهُ اَلْبُرْهَانَ "لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ" اَلْخِيَانَةَ "وَالْفَحْشَاءَ" اَلزِّنَى"[5458].

وأخرج الحاكمُ في المُستدرَك حديثاً "عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا" (يوسف 24) قَالَ: جَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَتِهِ فَنُودِيَ: يَا ابْنَ يَعْقُوبَ، أَتَزْنِي فَتَكُونَ كَالطَّائِرِ يُنْتَفُ رِيشَهُ فَيَطِيرُ وَلَا رِيشَ لَهُ"[5459]. وتكملة التفسير نجده في حديثٍ آخر أخرجه أيضاً الحاكمُ في المُستدرَك "عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24) قَالَ: مُثِّلَ لَهُ يَعْقُوبُ فَضَرَبَ صَدْرَهُ، فَخَرَجَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ أَنَامِلِهِ"[5460].

إذن: الشهوة كانت موجودة في نَفْسِ يوسف الأَمَّارَة بِالسُّوءِ. فَهَمَّ يوسفُ بفعل السوء. لكنه "رَأَىَ بُرْهَانَ رَبِّهِ" فتراجع ولم يفعل السوء.

وإنْ قلتم إن هذه الأحاديث والتفاسير الإسلامية لم تثبت بسند صحيح عن محمد. فسنقول: قصة يوسف القرآنية نفسها لم تثبت بسند صحيح عن محمد، بل لم تثبت بسند صحيح عن أحد أبطالها، فلا يوجد أي دليل علمي يثبت أنها قصة حقيقية تاريخية. ولذلك فإننا نتعامل معها باعتبارها رواية أدبية بديعة، ونحاول فقط أن نفهمها كما فهمها المسلمون الأوائل.

وإنْ قلتم إن هذه الأحاديث والتفاسير الإسلامية مِن "الإسرائيليات". فسنقول: نحن نعلم أنها مِن الإسرائيليات. لكن القرآن نفسه اعتمد على هذه الإسرائيليات. أو بعبارة أكثر دقة: قصة يوسف القرآنية مجرد تطور بشري طبيعي لهذه الإسرائيليات ...

على سبيل المثال، حسب المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 87:8) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[5461] أي قبل الإسلام بأكثر من 100 سنة: رأى يوسفُ صورةَ (أو: طلعةَ؛ وجهَ) أبيه [يعقوب] **[← "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24)؛ قيل: رأى صورةَ أبيه يعقوب؛ أو كما قال ابنُ عباس وغيره: مُثِّلَ يَعْقُوبُ ليوسف]** فخرجت منه شهوته[5462].

ومِن الجدير بالذكر أن سبب هذه الأسطورة الإسرائيلية التي استقرت في القرآن هو سوء قراءة وسوء فهم لآية توراتية يبارك فيها يعقوبُ يوسفَ، وظنّ بعض مفسري التوراة القدامى أن هذه الآية التوراتية تتعلق بمقاومة يوسف للغواية. تقول هذه الآية التوراتية: "وَلكِنْ ثَبَتَتْ بِمَتَانَةٍ قَوْسُهُ، وَتَشَدَّدَتْ سَوَاعِدُ يَدَيْهِ. مِنْ يَدَيْ عَزِيزِ يَعْقُوبَ، مِنْ هُنَاكَ، مِنَ الرَّاعِي صَخْرِ إِسْرَائِيلَ" (التكوين 24:49). سوء القراءة حدث لأن كلمة "راعِي" (بالعبرية: بحرف العين rōʿeh) قُرئتْ "رأى" (بالعبرية: بحرف الألف rāʾāh)، وهي نفس الكلمة العربية التي استقرت بعد ذلك في القرآن "رَّأَىٰ" (يوسف 24)[5463]. وبما أن "إسرائيل" اسم آخر ليعقوب، وبما أن يعقوب نفسه مذكور صراحةً بالاسم في الآية "مِنْ يَدَيْ عَزِيزِ يَعْقُوبَ"، فُهِمَتْ "صَخْرِ إِسْرَائِيلَ" خطأً

على أنها تعني "صَخْر يعقوب". فقال بعض مفسري التوراة القدامى إن يوسف قاوم الغواية لأنه "رأى صَخْرَ يعقوب" أي: رأى صورةَ يعقوب المصنوعة من الحجر (stone figure or image of Jacob)[5464]، أي: رأى تمثالَ يعقوب، أو: رأى تمثالاً نصفياً (bust) ليعقوب **[⟵ فتسلل هذا الخطأ في القراءة وهذا الخطأ في الفهم إلى القرآن، فقال القرآن: "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24)، التي فسرها المفسرون المسلمون: رأى صورةَ يعقوب أو رأى تمثالَ يعقوب أو مُثِّلَ لَهُ يَعْقُوبُ]**.

لمَّا يكون أصل آية قرآنية هو قراءة خاطئة وفهم خاطئ لآية توراتية، فكيف يكون القرآن كلام الله؟! إن هذا يكفينا كدليل قاطع يثبت أن (يوسف 24) ليست كلام الله. ويثبت أيضاً أن دراسة مصادر القرآن (مثلاً: المدراش اليهودي) تساعدنا على فهم القرآن، ومِن ثم تزيدنا يقيناً أن القرآن كلام بشر 100% ولا يمكن أبداً أن يكون كلام الله. بل ليس من المبالغة أن نقول إنه يمكن أن نضع القرآنَ في نفس الخانة مع المدراش.

ونجد أيضاً في هذا المدراش (Genesis Rabbah 87:5) الأسطورة اليهودية التي تقول إن امرأة فوطيفار قامت إلى صنمٍ تعبده وكان في غرفة نومها فسترته بثوبٍ استحياءً مِن إلهها أن يراها وهي تزني، فقام يوسفُ وتركها لأنه لا يمكن أن يُغطِّي عَيْنَي الرَّبِّ إلهه "لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ تَجُولاَنِ فِي كُلِّ الأَرْضِ" (2 أخبار الأيام 9:16)[5465]. ونلاحظ هنا أيضاً أن المفسرين اليهود كانوا أحياناً يلجأون إلى آية من الكتاب المقدس (هنا: سفر أخبار الأيام الثاني) ليفسروا بها آية كتابية تتعلق بيوسف، مع أن سفر أخبار الأيام الثاني كُتِبَ بعد يوسف بمئات السنين! وهذا نفس ما يفعله المفسرون المسلمون حين يلجأون إلى آيات قرآنية – مثلاً: "وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" (الْإِسْرَاء 32) – ليفسروا بها آية قرآنية تتعلق بيوسف "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24)، مع أن القرآن كُتِبَ بعد يوسف بأكثر من 2000 سنة! فكل فريق (يهود أو مسلمون) يزعم أن كتابه قديم وأن تعاليمه كانت معروفة ليوسف!

مثال آخر يثبت وجود الإسرائيليات في القرآن: خرافات التلمود البابلي (Babylonian Talmud)، الذي جُمِع في القرن الخامس أو السادس الميلادي[5466][5467]، أي قبل ظهور الإسلام. وأيضاً بسبب تفسير خاطئ لآية توراتية! تقول التوراة إن يوسف "دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ فِي الْبَيْتِ" (التكوين 11:39). فيبدو أن بعض اليهود الفضوليين تساءلوا: ما هو هذا العمل الذي سيعمله يوسفُ بمفرده في البيت وبدون أي مساعدة من أي خادم آخر؟! فقيل لهم إن "يَعْمَلَ عَمَلَهُ" مجرد تعبير لطيف أو كناية (euphemism) لها مدلول جنسي: "عَمَلَ" يوسف هو إشباع شهواته وغرائزه مع امرأة فوطيفار! مما يعني أن يوسف وامرأة فوطيفار قد خططا سوياً وتعمدا إرسال الخدم إلى خارج البيت ليستطيعا أن يزنيا. أي أن يوسف كان مشاركاً لها عن عزم وتصميم (a willing participant).

ومِن ثم، قال التلمود البابلي (Sotah 36b)[5468][5469] إن يوسف وامرأة فوطيفار قد اعتزما الخطيئة معاً (the two of them [Joseph and Potiphar's wife] had planned to sin together) **[⟵ "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا" (يوسف 24)]**. ثُمَّ دَخَلَ يوسفُ الْبَيْتَ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ (قيل أي: لِيشبع شهواته

(to satisfy his desires)، وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ فِي الْبَيْتِ. فَأَمْسَكَتْهُ امرأةُ فوطيفار بِثَوْبِهِ قَائِلَةً: «اضْطَجِعْ مَعِي!». وفي هذه اللحظة الحاسمة، رَأى يوسفُ صُورَةَ (أو: طلعةَ؛ وجهَ) أبيه يَعْقُوبَ مِن الشباك **[← "رَّأَىٰ [يوسفُ] بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24)]**[5470] يقول له: "يا يوسف، ستُكتَب أسماءُ إخوتك على أحجار الأفود (أي: الأحجار الاثني عشر (stones of the ephod) (pierres du pectoral) الكريمة التي تزين الصدرية الكهنوتية priestly breastplate، وهي ثوب يشبه الصدرة كان يلبسه رئيس الكهنة العبراني أثناء خدمة الكهنوت (الخروج 28:15-21)) واسمُك معهم. فهل تريد أن يُمسَح اسمُك [مِن الأفود المقدس] ويُكتَب مع العاهرات (أو: وتصبح رفيقاً للزانيات[5471])؟!". فعلى الفور "ثَبَتَتْ بِمَتَانَةٍ قَوْسُهُ" (التكوين 24:49)[5472]، أي: انتصر يوسفُ على شهواته وامتنع عن مُوَاقَعَةِ الْخَطِيئَةِ **[← "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِۦ [لواقعها]" (يوسف 24)]**. فَتَرَكَ يوسفُ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ.

إذن: جميع الأفكار (العزم على الزنا ورؤية صورة/وجه أبيه يعقوب وسماع صوت المنادي يزجره) موجودة في التلمود البابلي[5473]. واكتفى القرآنُ بالإشارة إليها بإيجاز: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِۦ [لارتكب خطيئة الزنا]" (يوسف 24).

ومِن الجدير بالذكر أن الفقرة السابقة من التلمود البابلي لها جذور توراتية كما وضحنا، حتى ولو نشأ بعضُها نتيجة تفاسير خاطئة أو تسبب في مفارقات تاريخية[5474]. ولها جذور في سفر الأمثال كما أشرنا في الحواشي السفلية. ولها أيضاً جذور في سفر المزامير، وتفاصيل أخرى كثيرة[5475] لم نشرحها حرصاً على عدم الإطالة. كل هذه الجذور الكتابية مهمة جداً، لأنها تثبت أن هذه الفقرة التلمودية تسبق الآية القرآنية. فلو كان أصحاب التلمود هُمْ الذين أخذوا فكرة "هَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِۦ" من القرآن، لأخذوها كما هي بدون أن يستطيعوا أن يجدوا لها جذوراً في التوراة وبقية أسفار العهد القديم. بعبارة بسيطة: ماكانوش حيعرفوا يربّطوها مع آيات كتابية أخرى.

إذن: التلمود البابلي هو الأصل الذي شرح القصة بالتفصيل. وبغض النظر عن مدى صحة هذا الشرح التلمودي، أخذه أصحابُ القرآن ووضعوه في القرآن لكن بإيجاز. وسواء كان هذا الإيجاز عن جهل (لأنهم لم يفهموا التلمود) أو عن عمد (لإخفاء جذور القرآن)، فإن النتيجة في كلتا الحالتين واحدة: بما أن التلمود كلام بشر، فإن القرآن أيضاً كلام بشر. ثم جاء المفسرون المسلمون فرجعوا إلى مصادر القرآن الأصلية (التلمود والمدراش وغيرهما) ليفهموا القرآنَ بالتفصيل مرة أخرى. وخير دليل على ذلك هو أننا يمكن أن نفهم التلمود والمدراش بدون الرجوع إلى القرآن. لكننا لا يمكن أن نفهم القرآن بدون الرجوع إلى التلمود والمدراش.

والمثال التالي من الترجوم ...

المثال الثالث: وهذا المثال مهم جداً لأنه يوضح لنا كيف يمكن لكلمةٍ واحدة، بل حرف واحد، أن يحدث تغييراً كبيراً في المعنى. تقول التوراة العبرية: "فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ (his garment) قَائِلَةً: «اضْطَجِعْ مَعِي!».

فَتَرَكَ ثَوْبَهُ (his garment) فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ" (التكوين 12:39). يرى العالم الكبير (Prof. James L. Kugel) أن الكلمة العبرية المستخدمة هنا قد تعني ثوبه الخارجي أو الداخلي؛ فقيل في مدراش يهودي آخر هو مدراش تنحوما (Midrash Tanḥuma) إن يوسف صاحبَ امرأةَ فوطيفار في السرير (he went into bed with her)[5476]، وهذا طبعاً حدث بعد "أَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ" وقبل "تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا" (التكوين 12:39). لكن عند ترجمة هذه الآية إلى الآرامية، حُرّفَت كلمة "ثَوْبه" من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع "ثيابه"! فصارت في الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد[5477]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة: "فَأَمْسَكَتْهُ بثيابه (his clothes) قَائِلَةً: «ضاجعني!». فَتَرَكَ ثيابه (his clothes) معها وَهَرَبَ وَخَرَجَ في السوق"[5478]! صيغة الجمع "ثيابه" توحي أن يوسف خلع ثيابه كلها، الخارجية (كالقميص) والداخلية (كالسروال)، أو كما يُقال اليوم بالعامية "اللباس" وهي قريبة جداً مِن الآرامية (lebush). وبما أننا لا يمكن أن نتخيل أن عضلات امرأة فوطيفار كانت أقوى من عضلات الشاب يوسف (28 عاماً) فأجبرته على خلع جميع ملابسه! إذن: يوسف خلع لباسه بإرادته (Joseph willingly sheds his clothes)، مما يعني أنه كان يتجاوب مع امرأة فوطيفار في نية فعل الزنا **[← "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا" (يوسف 24)].**

إلا أن ترجوم نيوفيتي لم يقل لنا لماذا تراجع يوسف عن ما كان ينويه مِن فعل الزنا؟ الإجابة – أو بالأحرى: الإجابات المقترحة – موجودة في التلمود والمدراش كما رأينا **[← والإجابة القرآنية هي: "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِۦ" (يوسف 24)]**. وموجودة أيضاً في التوراة، مع أنها لم تقل إن يوسف هَمَّ بالزنا. فلقد قال يوسف: "كَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟" (التكوين 9:39). إذن: يوسف تذكّر الوصية الإلهية التي تنهى عن الزنا. لكن كيف عرف يوسفُ أن الزنا حرام، مع أن تحريم الزنا "لاَ تَزْنِ" (الخروج 14:20) جاء على يد موسى بعد يوسف بمئات السنين؟! هل نحن أمام مفارقة تاريخية (anachronism)؟ حاول كتابُ اليوبيلات أن يجيب على هذا السؤال ويحل مشكلة المفارقة التاريخية فقال ما يلي ...

مثال رابع: من كتاب اليوبيلات (Book of Jubilees) أحد كتب سوديبِجرافا العهد القديم ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 700 سنة. ولهذا الكتاب المهم نسخٌ حبشية يعود تاريخها إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد، أي أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة في بدايات القرن السابع الميلادي قد وجدوه هناك. يقول **(اليوبيلات 39)**[5479]**:** {5} كان يوسف جميل المنظر ووسيم جداً. فرفعت امرأةُ سيّده عينيها، فرأت يوسف وعلقت به. وألحّت عليه بأن ينام معها. {6} ولكنه لم يستسلم، بل تذكّر الربَّ وبعضَ أقوال كان يردّدها إبراهيم على يعقوب أبيه وكان يعقوب يعيدها على يوسف: لا يزنِ رجلٌ من الرجال مع امرأة متزوّجة. [وإنْ فعل] فقد حُكم عليه بالموت من السماء أمام الرب العلي، وهذه الخطيئة تُوضع في حسابه (أي: تُكتَب عليه خطيئة) في الكتب الأبديّة (التي هي) دومًا أمام

الربّ. {7} تذكّر يوسفُ هذا التأكيد **[← "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24)؛ قيل: تَذَكَّر عهدَ الله وميثاقه وما أخذه على عباده مِن تحريم الزنا والخيانة، "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ" (الأعراف 201)؛ ويُفهَم مِن السياق أن يوسف تعلّم وصايا الله مِن أبيه يعقوب[5480]]** ورفض أن ينام معها. {8} فألحّت عليه مدّة سنة، ولكنه قاوم وما أراد أن يسمع. {9} فعانقته واحتجزته في بيتها لتكرهه على أن ينام معها، وأغلقت أبواب البيت **[← "وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ" (يوسف 23)]** وأمسكته. فترك لها ثوبه بين يديها، وكسر الباب، وهرب إلى الخارج بعيدًا عنها. إذن: يوسف عرف من يعقوب أن الزنا حرام[5481]، ويعقوب عرف من إبراهيم أن الزنا حرام[5482] ... ونظل نرجع إلى الوراء هكذا حتى نصل إلى نوح الذي تقول الأسطورة اليهودية إنه عرف من الله أن الزنا حرام (اليوبيلات 7:20-25)! أو ما يُعرَف في التراث اليهودي باسم "شرائع نوح" (The Noahide Laws).

سنكتفي بالأمثلة السابقة من الإسرائيليات. وخلاصة القول هي أن بعض كتب التراث اليهودي قبل الإسلام قالت إن يوسف هَمَّ بالزنا. لكن شيئاً ما حدث جعله يتراجع في اللحظة الأخيرة. ويوجد تفسيران رئيسيان لِما حدث. تفسير أسطوري: رأى وجهَ أبيه يعقوب. وتفسير عقلاني: تَذكَّر تعاليم أبيه يعقوب. واحدٌ من هذين التفسيرين، وربما كلاهما، كان يدور في أذهان أصحاب القرآن حين قالوا "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24). وحسب التفسير الثاني، فإن كلمة "رَبِّهِ" (يوسف 24) قد تعني مُعلِّمه أو سيده، أو كما يقول المسلمون: شيخه. وهي تعني ذلك بالفعل في الثقافة اليهودية (الآرامية). يقول الإنجيل: "فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَهُمَا يَتْبَعَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: «مَاذَا تَطْلُبَانِ؟» فَقَالاَ: «رَبِّي (Rabbi)[5483]، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ، أَيْنَ تَمْكُثُ؟»" (يوحنا 1:38). اقرأ أيضاً (مرقس 10:51) (متى 23:7) (يوحنا 20:16). أما كلمة "بُرْهَانَ" (يوسف 24)، فسواء كانت تعني برهان مادي رآه يوسفُ (ظهور أبيه يعقوب أمامه) أو برهان معنوي تَذكَّره يوسفُ وأيقنه (وصايا أبيه يعقوب في عقله)، فإن النتيجة واحدة في الحالتين: (يوسف 24) مِن الإسرائيليات التي في القرآن. وبما أن (يوسف 24) نفسها مِن الإسرائيليات، لكن بإيجاز وتجريد. فَمِن الطبيعي أن تكون الأحاديث والتفاسير التي تشرحها بالتفصيل أيضاً مِن الإسرائيليات. هذا أمر طبيعي جداً. وبصراحة لا يمكننا أن نتصور غير ذلك.

وتوجد طبعاً أمثلة أخرى مما ذكره المفسرون المسلمون في: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24)[5484]، ولم نذكرها حفاظاً على الحياء وحرصاً على عدم الإطالة.

وهذا لا يعني بالضرورة أننا نؤيد هؤلاء المفسرين المسلمين في كل ما قالوه. لكن مجرد أنهم قالوا هذا الكلام، فهذا يدل على أنهم فهموا الآية القرآنية فهماً صحيحاً: يوسف وامرأة العزيز هَمَّا بالمخالطة و "لَوْلَا أَن رَّأَىٰ [يوسفُ] بُرْهَانَ رَبِّهِ" لوقعتْ هذه المخالطة. رؤية البرهان دليل على أن يوسف "هَمَّ بِهَا" كما "هَمَّتْ بِهِ". فلو لم يهم بها لَمَا رأى برهان ربه. بعبارة أخرى: ما فعله يوسفُ هو نفس ما فعلته امرأة العزيز، ولذلك

استخدم القرآنُ نفس الفعل لكليهما: "هَمَّتْ بِهِ" و "هَمَّ بِهَا" (يوسف 24). كلاهما "هَمَّ" أي: كلاهما فعل ما يدل على أنه قصد وعزم وصمم على ارتكاب الفاحشة.

وكل ما سبق يعني أن الأنبياء ليسوا معصومين.

وفي العصر الحديث، اعترف بعض المسلمين المنصفين بأن يوسف هَمَّ بالمعصية، لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة. على سبيل المثال، قال الباحث التونسي محمد يوسف إدريس[5485]:

> إن النبي يوسف جسّم بأفعاله أيضاً الضعف الإنساني، شأنه في ذلك شأن امرأة العزيز، فلقد هَمَّ بها مثلما هَمَّتْ بِهِ، وتحركت في النفس غرائزها، وكادت النفس تطيع صاحبها في المعصية، على أن "البرهان الرباني" قام حاجزاً بين النبي والوقوع في المعصية. [...]
>
> [...]
>
> وكان يوسف ومحمد ﷺ النموذجين الدالين على تمزق الإنسان بين الضعف والقوة، بين الامتثال للشهوة والقدرة على إلجامها، فالأول (أي: يوسف) كاد يقع في شراك النفس الأَمَّارَة بِالسُّوءِ، [...]. أما محمد ﷺ فكادت نفسه تهلكه يوم حاول استدراج قريش للإيمان بذكر آلهتها بخير، [...]، في ما يتعلق بحادثة الغرانيق، [...].
>
> [...]
>
> إن النبي في التصوّر القرآني إنسان يستهويه ما يستهوي سائر البشر، وعبّر عن ذلك النصّ القرآني في أكثر من موضع، أهمها ما تعلّق بيوسف الذي عاش محنة اختزلت ضعف الإنسان، فكان بين النبي وارتكاب المعصية لحظات قليلة، فإذا النبي القرآني يضعف، ويكاد يصغي للنفس الأَمَّارَة بِالسُّوءِ، ولكنه يتدارك أمره في اللحظة الأخيرة، فإذا الإنسان جُبِل على الضعف، وإذا النفس الداء والدواء. [...]
>
> [...]
>
> ورأينا أنّ العصمة (أي: عصمة الأنبياء)، التي أفرطت النصوص الحواف في شرحها، وتحديد دلالاتها، لم تحمل الدلالات نفسها في النصّ القرآني، فلئن نسج خيال الرواة والضمير الإيماني صورة مثالية [للأنبياء] في قطيعة مع الواقع، فإن مثالية الأنبياء في النصّ القرآني تنبع من الثقة بالله، والإيمان به، فالمحنة ابتلاء إلهي ينحت به النبي كيانه ويصقله.

وإنْ قلتم إن النبي يتميز بقدرته على كبح جماح شهواته وتدارك زلاته. فسنقول: ونحن أيضاً استطعنا في مواقف كثيرة أن نكبح جماح شهواتنا ونتدارك زلاتنا. ويوسف نفسه اعترف بأن رحمة الله هي التي ساعدته على كبح جماح شهواته وتدارك زلاته: "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ

إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (يوسف 53). وقال القرآنُ مرتين في نفس السورة إن الله "هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 64، 92)، فرحمة الله "وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" (الأعراف 156) (غافر 7)[5486] أي وَسِعَتْ الأنبياء وغير الأنبياء. إذن: نحن بصراحة لا نجد شيئاً يميز الأنبياء عنا في هذه المسألة.

وإنْ قلتم إن هذه الحادثة حدثتْ قبل نبوة يوسف. فسنقول: لا يهم. فالنبوة لا تعيد برمجة عقل الإنسان. فما دام النبي عرضةً للابتلاءات والمحن قبل النبوة، سيظل عرضةً للابتلاءات والمحن بعد النبوة. وما دام النبي غير معصوم قبل النبوة، سيظل غير معصوم بعد النبوة. سيظل إنساناً مثلنا مِن لحم ودم، قد يصيب وقد يخطئ وقد يتدارك خطأه. النبوة لا تحوّل الإنسان إلى ملاك، ولا تنزع الشهوة مِن نفس النبي الأَمَّارَة بِالسُّوءِ. وإنما يظل النبي إنساناً له مشاعر وأحاسيس وطموحات وأطماع وشهوات وغرائز وضعفات وذنوب وخطايا. تظل نفسُه أَمَّارَة بِالسُّوءِ سواء قبل النبوة أو بعدها.

ويكفينا أن هذه الحادثة وقعتْ بعد أن وَصَفَ القرآنُ يوسفَ بقوله: "آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا" (يوسف 22). قيل إن المقصود: أعطيناه النبوة؛ واستدلوا على ذلك بما قاله القرآنُ في سورة الأنبياء عن النبيين داود وسليمان "وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا" (الأنبياء 79)، وأيضاً ما قاله القرآنُ في سورة الأنبياء عن النبي لوط "وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا" (الأنبياء 74). فقال ابنُ كثير مثلاً في تفسيره لـ "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 22): "وَقَوْلُهُ: "وَلَمَّا بَلَغَ" أَيْ: يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ "أَشُدَّهُ" أَيِ: اسْتُكْمِلَ عَقْلُهُ وَتَمَّ خَلْقُهُ "آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا" يَعْنِي: النُّبُوَّةَ، أَنَّهُ حَبَاهُ بِهَا بَيْنَ أُولَئِكَ الْأَقْوَامِ "وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" أَيْ: إِنَّهُ كَانَ مُحْسِنًا فِي عَمَلِهِ عَامِلًا بِطَاعَةِ رَبِّهِ تَعَالَى"[5487]. وفي العصر الحديث، قال د. محمد شحرور تعليقاً على "آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا" (يوسف 22): "حكمة النُّبُوَّة وعلومها وهو في سِنّ اكتمل فيها جسماً وعقلاً" وهي المرحلة الثالثة مِن نبوة يوسف بعد مرحلتي "الرؤيا وهو طفل" (يوسف 4) و "الوحي وهو غلام" (يوسف 15)[5488].

لكن في المقابل، قيل إن نبوة يوسف لم تبدأ وقتئذٍ، وإنما بدأت بعد دخول أهله مصر، أي: في سن الأربعين أو بعدها. وقيل إن المراد بالحكمة في الآية هو حُسن الحُكم على الأمور كلها والفصل فيها. وقيل إن المراد بالعلم هو علم الدين و/أو تفسير الأحلام **[← تأويل الأحاديث؛ تعبير الرؤيا]**. قال د. محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الأسبق) في تفسيره لـ (يوسف 22): "وحين بلغ يوسف – عليه السلام – منتهى شدته وقوته، أعطيناه بفضلنا وإحساننا حكمةً تجعله موفقاً في قوله وعمله، وعلماً نافعاً، وفهماً سليماً لشئون الدين والدنيا، بمثل ذلك الجزاء الحسن والعطاء الكريم، نعطي ونجازي المحسنين الذين يحسنون أداء ما كلفهم الله - تعالى - به، فكل من أحسن في أقواله وأعماله أحسن الله - سبحانه - جزاءه"[5489].

وفي جميع الأحوال، يكفينا أن القرآن وَصَفَ يوسفَ بصفات الأنبياء ومؤهلاتهم: "حكيماً" و "عالِماً" و "مُحسِناً[5490]" (يوسف 22)، وبعد ذلك - وعلى الرغم من كل ذلك - "هَمَّ" يوسفُ بالزنا (يوسف 24)!

وعندما رجعنا إلى القرآن وجدنا أن إبراهيم (أبو الأنبياء) كان يدعو رَبَّه قائلاً: "رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا" (الشعراء 83)؛ أي أن الله - حسب القرآن - قد أعطى يوسفَ ما كان يتمناه جده إبراهيم أبو الأنبياء. وعلى الرغم مِن ذلك، "هَمَّ" يوسفُ بالزنا!

فهل الأنبياء معصومون؟ الإجابة: لا.

الأنبياء بشر مِن لحم ودم مثلنا يصيبون ويخطئون. ولهذا حِكمة. ومَن حُسن الحظ أن هذه الحكمة مذكورة في الكتب والمراجع الإسلامية منذ مئات السنين! على سبيل المثال، نقرأ في تفسير القرطبي ما يلي[5491]:

[...] وَقِيلَ: إِنَّ هَمَّ يُوسُفَ كَانَ مَعْصِيَةً، وَأَنَّهُ جَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنَ امْرَأَتِهِ. وَإِلَى هَذَا الْقَوْلِ ذَهَبَ مُعْظَمُ الْمُفَسِّرِينَ وَعَامَّتُهُمْ، فِيمَا ذَكَرَ الْقُشَيْرِيُّ أَبُو نَصْرٍ، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَالنَّحَّاسُ وَالْمَاوَرْدِيُّ وَغَيْرُهُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَلَّ [يوسفُ] الْهِمْيَانَ وَجَلَسَ مِنْهَا (أي: مِن امرأة العزيز) مَجْلِسَ الْخَاتِنِ، وَعَنْهُ: اسْتَلْقَتْ عَلَى قَفَاهَا وَقَعَدَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا يَنْزِعُ ثِيَابَهُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَطْلَقَ تِكَّةَ سَرَاوِيلِهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: حَلَّ السَّرَاوِيلَ حَتَّى بَلَغَ الْأَلْيَتَيْنِ، وَجَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنَ امْرَأَتِهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَمَّا قَالَ [يوسفُ]: "ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ" (يوسف 52) قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: وَلَا حِينَ هَمَمْتَ بِهَا يَا يُوسُفُ؟! فَقَالَ [يوسفُ] عِنْدَ ذَلِكَ: "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي" (يوسف 53). [...]. وَجَوَابُ "لَوْلَا" عَلَى هَذَا مَحْذُوفٌ، أَيْ: لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لَأَمْضَى مَا هَمَّ بِهِ. [...].

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: رُوِيَ هَذَا الْقَوْلُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ، وَقَالُوا: الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ [يوسفُ] مَثَلًا لِلْمُذْنِبِينَ لِيَرَوْا أَنَّ تَوْبَتَهُمْ تَرْجِعُ [بهم] إِلَى عَفْوِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا رَجَعَتْ بِمَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُوبِقْهُ الْقُرْبُ مِنَ الذَّنْبِ، وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّ هَمَّ يُوسُفَ بَلَغَ فِيمَا رَوَتْ هَذِهِ الْفِرْقَةُ إِلَى أَنْ جَلَسَ بَيْنَ رِجْلَيْ زَلِيخَاءَ وَأَخَذَ فِي حَلِّ ثِيَابِهِ وَتِكَّتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهِيَ قَدِ اسْتَلْقَتْ لَهُ. حَكَاهُ الطَّبَرِيُّ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ: وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمَنْ دُونَهُ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَنَّهُ هَمَّ بِهَا، وَهُمْ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَبِتَأْوِيلِ كِتَابِهِ، وَأَشَدُّ تَعْظِيمًا لِلْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِيهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَمْ يَذْكُرْ مَعَاصِيَ الْأَنْبِيَاءِ لِيُعَيِّرَهُمْ بِهَا، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَهَا لِكَيْلَا تَيْأَسُوا مِنَ التَّوْبَةِ.

قَالَ الْغَزْنَوِيُّ: مَعَ أَنَّ لِزَلَّةِ الْأَنْبِيَاءِ حِكَمًا: زِيَادَةُ الْوَجَلِ، وَشِدَّةُ الْحَيَاءِ بِالْخَجَلِ، وَالتَّخَلِّي عَنْ عُجْبِ الْعَمَلِ، وَالتَّلَذُّذُ بِنِعْمَةِ الْعَفْوِ بَعْدَ الْأَمَلِ، وَكَوْنُهُمْ أَئِمَّةَ رَجَاءِ أَهْلِ الزَّلَلِ.

4.23.2.3 هل صدَّق فوطيفارُ/العزيزُ روايةَ امرأته؟ تقول التوراة: نعم. بينما يقول القرآنُ: لا!

كما قلنا فيما سبق، مِن أوضح الاختلافات بين الروايتين التوراتية والقرآنية هو رد فعل فوطيفار/العزيز حين سمع روايةَ امرأته وهي تتهم يوسفَ بأنه هو الذي تحرش بها (التكوين 39:16-18) (يوسف 25).

حسب التوراة، فوطيفارُ صدَّق روايةَ امرأته بسرعة وبدون نقاش، فرمى يوسفَ في السجن (التكوين 39:19-20) بدون أن يعطيه فرصةً ليدافع عن نفسه أو يقدِّم رواية بديلة.

أما حسب القرآن، فنجد خلاف ذلك. نجد في القرآن أن المشكلة عُولِجَتْ بالحوار (dialogue). فدافع يوسفُ عن نفسه وقدَّم روايةً أخرى "قَالَ هِيَ [التي] رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي" (يوسف 26)، ثم ظهر شاهدٌ مِن أهل امرأة العزيز واستخدم قميصَ يوسف المقطوع من الخلف ليثبت صحة رواية يوسف وكذب رواية امرأة العزيز (يوسف 26-28)، فاعترف العزيزُ بذنب امرأته وخطأها وكيدها ليوسف كيداً عظيماً مثل بقية النساء "قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ" (يوسف 28)، وانتهى الحوارُ بجملةٍ قالها العزيزُ ليوسف البريء وجملة أخرى قالها العزيزُ لامرأته الخائنة الكاذبة (يوسف 29).

والسؤال الذي يشغل بالنا هو كالعادة: مِن أين أتى أصحابُ القرآن بهذه الأفكار المختلفة عن التوراة؟

والإجابة هي كالعادة أيضاً: هذه الأفكار القرآنية مجرد تطور بشري طبيعي لأفكار قيلت مِن قبل القرآن سواء في التراث اليهودي المتأخر أو في التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة).

على سبيل المثال، تقول العِظة المسيحية السريانية التي كتبها المعلِّم الكبير والشاعر السرياني المعروف "نَرساي" (Narsai) في القرن الخامس الميلادي إن فوطيفار شك في رواية امرأته وقال لها[5492]:

> Who is your witness (*sāhdēk*) that he did this thing / for I do not wish to contend with him unjustly. / His garment is in your hands yet behold you cry that you are vanquished / and I do not wish to believe you since you are not truthful.

ترجمتنا وتعليقنا: قال فوطيفارُ لامرأته: مَن هو شاهدك (بالسريانية: sāhdēk) **[← "شَهِدَ شَاهِدٌ" (يوسف 26)]** على أن يوسف فعل هذا الشيء (أي: ما تزعمين أنه تحرش بك)؟ لأنني لا أريد أن أواجهه (أو: أتعامل معه) ظلماً. ثوبُه **[← "قَمِيصَهُ [...] قَمِيصُهُ [...] قَمِيصُهُ [...] قَمِيصَهُ" (يوسف 25-28)]** بين يديكِ ومع ذلك إذا بك تبكين أنكِ مهزومة. لا أريد أن أصدقك لأنكِ لست صادقة **[← "كَذَبَتْ" (يوسف 27)]. قَالَ [العزيزُ لامرأته] إِنَّهُ (أي: هذا الكذب الذي اتهمتِ به يوسفَ) مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ. [...] وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" (يوسف 28-29)]**. ومع ذلك، جعلت الغيرةُ (jealousy) فوطيفارَ يسجن يوسف [ظلماً] **[← "ثُمَّ بَدَا لَهُم (أي: ظهر لَهُم رأيٌ آخرُ) مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ (أي: الأدلة والعلامات. قيل: الأدلة على قوة تأثير جمال يوسف على نسائهم) لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ" (يوسف 35). قال الفَخْرُ الرازي: "لأن البداء عبارة عن تغير الرأي عما كان عليه في الأول"[5493]]**. وفي ضوء التراث المسيحي السرياني، نستطيع الآن أن نفهم هذا التغير في الرأي الذي أشار إليه الفَخْر الرازي وغيره. في البداية، لم يرد فوطيفارُ/العزيزُ أن يظلم يوسفَ، لكن بعد ذلك ظلمه وسجنه.

إذن: اتفق قرآنُ محمد مع عِظة نَرساي في عدة أمور، أهمها:

(1) فوطيفارُ/العزيزُ لم يصدِّق رواية امرأته وقال لها ذلك بكل وضوح.

(2) الاستدلال بثوب يوسف (أو: قميصه) كقرينة على براءة يوسف وكذب امرأة فوطيفار/العزيز. في القرآن، الدليل هو موضع القطع في قميص يوسف: مِن الخلف وليس مِن الأمام؛ فلو كان يوسف هو الجاني لقُطِعَ قميصُه مِن الأمام. أما في التراث المسيحي السرياني، فالدليل هو موضع القميص نفسه: بجانب امرأة فوطيفار وليس مع يوسف؛ فلو كان يوسف هو الجاني لمَا ترك قميصَه وراءه وَهرب عارياً.

(3) كلمة "شَاهِد" وتقارب نطقها في اللغتين السريانية والعربية.

(4) تغير معاملة فوطيفار/العزيز ليوسف: في البداية لم يسجنه لكن بعد ذلك سجنه ظلماً. وإنْ أخَّر القرآنُ سِجْنَ يوسف إلى ما بعد مشهد النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ (يوسف 30-32).

وهذا كله بخلاف التوراة التي تقول إن فوطيفار صدَّق روايةَ امرأته وسَجَنَ يوسفَ فوراً يوم حدوث الواقعة بدون تأخير أو تردد أو نقاش أو حتى حوار مع امرأته أو مع يوسف. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي نجد فيها القرآن العربي والتراث السرياني يختلفان عن التوراة بطرق متشابهة كثيراً، ومتطابقة أحياناً.

ونجد نفس الأفكار تتكرر كلها أو بعضها في مصادر مسيحية سريانية أخرى. مما يدل على أنه تقليد مسيحي سرياني موروث ومنتشر وليس مرتبطاً بشخصٍ واحدٍ بعينه سواء نَرساي أو غيره، مع كامل احترامنا وتقديرنا لهذا المعلِّم والشاعر السرياني المبدع.

فنجد مثلاً في قصة يوسف السريانية (The Syriac History of Joseph) (PsB) التي يرجع تاريخها أيضاً إلى القرن الخامس الميلادي أنه بعد صعود يوسف إلى السلطة – وليس يوم حدوث الواقعة، قال فوطيفارُ لامرأته[5494]:

I knew from the very first day that Joseph was not a slave, and because of this I made him the ruler of all I had. And Joseph did not commit any offense against you. Instead you in your unseemliness yearned for his beauty, and he like a free man let go of his garment and fled from you: For if he had been assaulting you, you would have left your clothes in his hands. And because I knew this fact about this matter, I did not beat him, nor scourge him.

ترجمتنا وتعليقنا: قال فوطيفارُ لامرأته: كنتُ أعلم منذ اليوم الأول أن يوسف ليس عبداً، ولهذا السبب وكَّلتهُ على كل ما أملك. و[كنتُ أعلم أن] يوسف لم يرتكب أي جريمة ضدك. وإنما أنتِ بسبب قلة أدبك (أو: قلة ذوقك) كنتِ تتطلعين إلى جماله [← "إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ. [...] وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ

الْخَاطِئِينَ" (يوسف 28-29)]، وهو كإنسان حر ترك ثَوبَهُ **[← "قَمِيصَهُ [...] قَمِيصُهُ [...] قَمِيصُهُ [...] قَمِيصَهُ" (يوسف 25-28)]** وهَرَبَ منكِ: لأنه لو كان [يوسفُ] هاجمكِ (أو: حاول الاعتداء عليكِ)، لكنتِ قد تركتِ ثيابَكِ بين يديه (يقصد: لكنتِ أنتِ التي تركتِ ثيابَكِ بين يديه وهربتِ وليس هو الذي يترك ثوبَه بجانبكِ ويهرب). ولأنني عرفتُ هذه الحقيقة حول هذا الأمر، فلم أضربه ولم أعذبه بالسوط **[← "أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (أي: مؤلم مُوجِع؛ مثلاً: الجلد بالسوط)" (يوسف 25)]**.

مثال آخر: نجد في العِظات المسيحية السريانية (PsN) التي يرجع تاريخها أيضاً إلى القرن الخامس الميلادي أنه يوم حدوث الواقعة، نظر فوطيفارُ إلى امرأته وبجانبها ثوب يوسف فقال لها[5495]:

If you are pure why did the slave's garment remain by you? / Had Joseph dared to come to sleep with you / he would have taken your covering, not you his. Behold, your stupidity and offence are revealed / do not shout, be in uproar, or raise your voice. / I shall call him and set you against each other / watching and examining your appearances. / From the look of your faces I will understand and know / the guilty one who did this thing.

ترجمتنا وتعليقنا: قال فوطيفارُ لامرأته: لو كنتِ نقية (أي: صادقة) فلماذا ظل ثوبُ العبد (أي: ثوب يوسف) بجانبكِ؟ لو كان يوسف قد تجرأ وأتى لينام معكِ، لكان هو الذي أخذ غطاءَكِ (أي: خلع ثيابَكِ) ولستِ أنتِ التي تأخذين ثوبَه. هُوَذَا غباؤكِ وجريمتكِ قد ظهرا [...]. سأستدعي يوسفَ وأجلعكما تواجهان بعضكما وسأشاهد وأفحص مظهريكما. مِن شكل وجهيكما سأفهم وأعلم المذنب الذي ارتكب هذا الشيء (أي: مَن منكما راود الآخر عن نفسه) **[← حوّل القرآنُ هذه المواجهة من مجرد فكرة إلى مشهد من مشاهد الرواية، وبحضور يوسف والشاهد المجهول واشتراكهما في الحوار مع العزيز وامرأته (يوسف 25-29)!]**. أما حسب العِظة المسيحية السريانية، فإن الحوار استمر بين فوطيفار وامرأته فقط، ونجحت المرأةُ في حث زوجها وإقناعه بعدم استدعاء يوسف زاعمةً أنها لم تعد تحتمل رؤيته في بيتها، وإنما تريد أن ترميه في السجن **[← "قَالَتْ [لزوجها] مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ" (يوسف 25) "لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ" (يوسف 32)]**. ويُفهَم من سياق العِظة المسيحية السريانية أن فوطيفار – بتحريض مِن زوجته – سَجَنَ يوسفَ وهو يعلم أنه بريء **[← "ثُمَّ بَدَا لَهُم (أي: ظهر لَهُم رأيٌّ آخرُ) مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ (أي: الأدلة والعلامات. قيل: الأدلة على براءة يوسف وعفته ونزاهته) لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ" (يوسف 35)]**. وهذا بخلاف التوراة التي تقول إن فوطيفار سجن يوسفَ وهو يعتقد أنه مذنب.

ونستطيع الآن أن نفهم لماذا جعل المسيحيون السريان فوطيفارَ يعلم براءة يوسف؟ الإجابة: كما قلنا فيما سبق، أراد المسيحيون السريان أن يجعلوا يوسفَ رمزاً ليسوع المسيح. ومِن المعلوم أن يسوع صُلِبَ

وقُتِلَ ظلماً، وكان الْوَالِي الروماني الوثني "بيلاطُس الْبُنْطِيّ" (Pontius Pilate) يعلم أن يسوع بريء. فلقد اتفقت الأناجيل الأربعة على أن بِيلاَطُس "عَرَفَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ [اليهود] كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوهُ (أي: أَسْلَمُوا يسوعَ) حَسَدًا (أي: بسبب شعبيَّة يسوع المتزايدة). [...] فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «وَأَيَّ شَرّ عَمِلَ [يسوعُ]؟»" (مرقس 15:10-14) "خَرَجَ [بِيلاَطُسُ] أَيْضًا إِلَى الْيَهُودِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ (أي: في يسوع) عِلَّةً وَاحِدَةً" (يوحنا 38:18) "فَقَالَ بِيلاَطُسُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْجُمُوعِ: «إِنِّي لاَ أَجِدُ عِلَّةً فِي هذَا الإِنْسَانِ (يقصد: يسوع)». [...] وَقَالَ [بِيلاَطُسُ] لَهُمْ: «قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ هذَا الإِنْسَانَ كَمَنْ يُفْسِدُ الشَّعْبَ. وَهَا أَنَا قَدْ فَحَصْتُ قُدَّامَكُمْ وَلَمْ أَجِدْ فِي هذَا الإِنْسَانِ عِلَّةً مِمَّا تَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. [...]». [...] فَقَالَ [بِيلاَطُسُ] لَهُمْ ثَالِثَةً: «فَأَيَّ شَرّ عَمِلَ هذَا؟ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهِ عِلَّةً لِلْمَوْتِ، فَأَنَا أُؤَدِّبُهُ وَأُطْلِقُهُ». فَكَانُوا يَلِجُّونَ بِأَصْوَاتٍ عَظِيمَةٍ طَالِبِينَ أَنْ يُصْلَبَ. فَقَوِيَتْ أَصْوَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ. فَحَكَمَ بِيلاَطُسُ أَنْ تَكُونَ طِلْبَتُهُمْ. [...] وَأَسْلَمَ يَسُوعَ لِمَشِيئَتِهِمْ" (لوقا 23:4-25) "أَخَذَ [بِيلاَطُسُ] مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلاً: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هذَا الْبَارّ! (أي: بَرِيءٌ مِن دم يسوع)" (متى 24:27).

فَلِكَيْ يكون يوسف رمزاً ليسوع، يجب أن تكتمل الصورة فيكون الوزير المصري الوثني فوطيفار رمزاً للْوَالِي الروماني الوثني بيلاطُس، ولذلك جعل المسيحيون السريان فوطيفارَ يعلم براءة يوسف ومع ذلك يسجنه تحت ضغطٍ مِن امرأته، كما صَلَبَ بِيلاَطُسُ يسوعَ تحت ضغطٍ من اليهود. ومن ثم نستنتج أن امرأة فوطيفار (ومِن قبلها: إخوة يوسف) رمز لليهود الأشرار المتآمرين على يسوع البار (يوسف الحقيقي)[5496].

خلاصة القول: لم يكن أصحابُ القرآن محتاجين أن يسمعوا عِظة نَرساي نفسها، فيكفيهم ما كانوا يسمعونه مِن المسيحيين السريان ونصارى العرب والأحباش الذين توارثوا هذا التقليد المسيحي عبر الأجيال. بل تبنى أصحابُ القرآن هذا التقليد فجعلوا يوسفَ رمزاً (أو: تسليةً) لمحمد. فحسب التقليد الإسلامي الموروث، كان كفار مكة ويهود المدينة يعلمون أن محمداً نبي، لكنهم أنكروا نبوته حسداً وعناداً واستكباراً.

ولذلك تبنى أصحابُ القرآن العربي الفكرَ المسيحي السرياني حتى لو كان مخالفاً للتوراة. ليس لأنه الفكر الصحيح، وإنما لأنه الفكر المفيد الذي يحقق المنفعة (utility) الدينية والدنيوية في ذاك الزمان والمكان. ونحن لا نلوم العرب على ذلك، فهذا من حقهم، ولقد فعلها جيرانُهم السريان مِن قبلهم. لكن السريان لم يزعموا أن عِظاتهم كلام الله. أما العرب فزعموا أن قرآنهم كلام الله. وهذا ما نلومهم عليه.

وبخلاف التوراة أيضاً، يعمم القرآنُ تصرفات امرأة العزيز على جنس النساء كله! "قَالَ [العزيزُ لامرأته] إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ" (يوسف 28). "كَيْدَكُنَّ" مرتان بصيغة جمع المؤنث! كما لو كان هذا الكيد لا يخص امرأة العزيز وحدها، وإنما عادة شريرة من عادات النساء بصفة عامة! وخير دليل قرآني على هذا التعميم المقصود هو قصة "النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" (يوسف 30-35)، فلقد قال يوسف النبي الصِدّيق: "مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" (يوسف 50). ولا تزال المجتمعات

العربية/الإسلامية إلى اليوم تقول "كيد النسا" بصيغة الجمع! ولِم لا؟ أليس كيد النساء أعظم من كيد الشيطان؟! "إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ" (يوسف 28) و "إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا" (النساء 76)!

فَمِن أين أتى القرآنُ بهذه الفكرة السيئة ضد المرأة (Misogyny)؟!

هل مِن الثقافة العربية (الجاهلية)؟ ربما.

لكن يوجد احتمال آخر. مِن التراث المسيحي السرياني، بل مِن نفس العِظات المسيحية السريانية (PsN) حيث نجد هذا "التعميم" لأفعال امرأة فوطيفار السيئة على النساء بصفة عامة. تقول هذه العظات إنه بعد أن اتهمت امرأةُ فوطيفار يوسفَ أمام أهل بيتها (أي: الخدم والعبيد ونحو ذلك) (التكوين 39:14-15)، رفض أهلُ البيت ادعاءَ امرأة فوطيفار فقالوا إن رجلاً فاضلاً مثل يوسف لا يمكن أن يفعل ذلك واتهموا امرأةَ فوطيفار بالفجر والكذب، لكنهم عمموا هذه الاتهامات على النساء بصفة عامة فقالوا: النساء يكتسبن عادة شريرة ضد الرجال. إذا لم يفعل الرجالُ فجرهن (أي: لم ينفذوا طلباتهن الإباحية)، فإنهن يشهدن زوراً [عليهم][5497].

إذن: "كَيْد" النسوة (women's ruse) الذي تكرر بصيغة جمع المؤنث 5 مرات في قصة يوسف القرآنية – مرتين على لسان عزيز مصر "كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ" (يوسف 28) ومرتين على لسان يوسف "كَيْدَهُنَّ" (يوسف 33) "إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" (يوسف 50) ومرة على لسان الراوي (الله حسب العقيدة الإسلامية) "كَيْدَهُنَّ" (يوسف 34) – يحمل بصمة مسيحية سريانية واضحة. ولا غرابة في ذلك، فَأغلب الظن أن هذه العِظات المسيحية السريانية قد كُتِبَت في دير للرهبان الذكور الذين اعتزلوا النساء؛ وهذه العزلة الشديدة أدت إلى كراهيتهم للنساء بصفة عامة[5498]، وربما أدت أيضاً إلى إنتاج عظات تتعمد تحذير الرهبان من الزواج: فقد تخون الزوجةُ زوجَها وتركبه وتتحكم فيه وتجعله يسجن رجلاً بريئاً طاهراً مثل يوسف[5499].

ومِن المعلوم أن يسوع المسيح لم يتزوج. وتوجد آيات في الإنجيل تُفهَم أحياناً على أن العزوبة (celibacy) قد تكون أفضل من الزواج. مثلاً، لمَّا نهي يسوعُ المسيح تلاميذَه عن الطلاق "إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا"، "قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «إِنْ كَانَ هكَذَا أَمْرُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ، فَلاَ يُوافِقُ أَنْ يَتَزَوَّجَ (it is not good to marry; it is better not to marry)!» فَقَالَ [يسوعُ] لَهُمْ: «لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هذَا الْكَلاَمَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُم، لأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ»" (متى 19:10-12).

ومِن المعلوم أيضاً أن التراث المسيحي يلقي اللومَ على المرأة (حواء) لأنها كانت سبباً في سقوط الإنسان (آدم). حسب الكتاب المقدس، حواء هي أول إنسان يتحدث إليه الشيطانُ (التكوين 3:1)، وحواء هي أول إنسان يتحدث إلى الشيطان (التكوين 3:2)، بل تحدثتْ حواءُ إلى الشيطان قبل أن تتحدث إلى آدم زوجها! فكانت النتيجة هي: "خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا" (2 كورنثوس 11:3). أي أن الْحَيَّة (الشيطان) غرَّت حواء

أولاً بالأكل من الشجرة الْمُحَرَّمَة، ثم "أَخَذَتْ [حواءُ] مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا (أي: زوجَها آدم) أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ" (التكوين 3:1-6)[5500] **[← وهذا ما حدث في قصة يوسف القرآنية: خطيئة امرأة العزيز أدت إلى خطيئة أخرى ارتكبها زوجُها الذي رمى يوسفَ في السجن مع أنه يعلم أن يوسف بريء].**

نستطيع إذن أن نقول إن التراث المسيحي السرياني قد جعل امرأةَ فوطيفار رمزاً – ليس فقط لليهود الأشرار المتآمرين على يسوع المسيح (يوسف الحقيقي) – وإنما أيضاً رمزاً للشيطان الشرير نفسه الذي حاول أن يغوي يسوعَ ثلاث مرات – بالخبز وتجربة الله والسجود للشيطان – ورُويت التجربة ثلاث مرات (متى 4:1-11) (مرقس 1:12-13) (لوقا 4:1-13). وهذه العلاقة الرمزية بين امرأة فوطيفار والشيطان تساعد المسيحيين السريان على إبراز العلاقة الرمزية بين يوسف ويسوع. فكما فشلت حواءُ (امرأةُ فوطيفار) في إغواء يوسف الصِدِّيق ثلاث مرات (التكوين 39:7-9) (التكوين 39:10) (التكوين 39:11-12)، كذلك فشل الشيطانُ في إغواء يسوع البار ثلاث مرات.

كل هذه الأفكار المسيحية السريانية (المعادية للمرأة والرافضة للزواج) تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً حتى استقرت في القرآن المكي بالصورة التي نراها الآن في المصحف: زوجة خائنة، وزوجها يعلم أنها مذنبة، ومع ذلك ظل هذا الزوج الضعيف الديوث محتفظاً بزوجته الخائنة الكاذبة ولم يطلقها، بل لم يطرد الرجلَ الذي عشقته! وانتهى به الأمر إلى أن يسجن معشوقَها ظلماً وبهتاناً! فيا ليته ما تزوجها مِن الأساس.

وإنْ قلتم إن القرآن يرفض الرهبانية، فكيف يعمل على تشجيعها؟ فسنقول إن القرآن المدني هو الذي يرفض الرهبانية (الحديد 27). أما في الفترة المكية – التي تنتمي إليها هذه الآيات من سورة يوسف – فلا يوجد دليل على أن المسلمين الأوائل في مكة كانوا يرفضون الرهبانية.

وفي جميع الأحوال، نحن لا نقول إن أصحاب القرآن أرادوا في (يوسف 23-35) أن يشجعوا الرهبانية. لعلهم أرادوا فقط أن يحذروا الرجال مِن "كيد" النسوة، وخصوصاً في أوقات الخلوة. "كيد" النسوة بصفة عامة، وليس "كيد" امرأة العزيز فقط. وهذا التعميم المقصود حدث بسبب تأثر أصحاب القرآن بالتراث المسيحي السرياني الذي خرج مِن أديرة الرهبان. وأُلصقتْ التهمةُ بالنسوة المصريات والرجال المصريين ظلماً وعدواناً، لمجرد أن أحداث قصة يوسف تدور في مصر!

وليس لدينا شك أن هذه الأفكار السريانية←القرآنية لها جذور في التراث اليهودي المتأخر ...

ونبدأ أولاً بالفيلسوف اليهودي المصري الكبير "فيلو" السكندري (Philo of Alexandria) (Philon d'Alexandrie) المعاصر ليسوع المسيح، أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 500 سنة، والمتهم أيضاً بمعاداته للمرأة (Misogyny)[5501]!

قال فيلو في كتابه الشهير "عن يوسف" (De Iosepho)[5502]:

وأظهرت الثوبَ (أي: وأظهرت امرأةُ فوطيفار ثوبَ يوسف) وجعلت الأمرَ يبدو كما لو كان أنها تقدم الدليل على قصتها. فأمر سيد يوسف (أي: فأمر فوطيفارُ)، إذ صدق أن كل هذا صحيح، بحمله (أي: بحمل يوسف) إلى السجن، وبهذا ارتكب خطأين كبيرين؛ أولاً لم يعطه أي فرصة للدفاع، وأدان هذا الشخص البريء تماماً والذي لم يسمع منه (أي: بدون محاكمة عادلة أدانه) كرجلٍ مذنب بأسوأ أنواع السلوك. ثانياً، الثياب التي قدمتها زوجته التي تركها الشاب كانت دليلاً على العنف الذي استخدمته هي بيدها وليس هو. لأنه لو كان استخدم هو القوةَ لكان احتفظ بثوب سيدته، ولكن لو أن القوة استخدمت ضده فسيفقد هو ثوبَه.
And showing his garment (i.e. Joseph's), she (i.e. Potiphar's wife) appeared to give a proof of the truth of what she said; and his master (i.e. Potiphar) thinking that it was true, ordered his officers to conduct the man to prison, erring in two most important points: first, that without giving him any time to defend himself, he, without a trial, condemned one who had done no wrong, as if he had committed the greatest crimes; secondly, because the garment which the woman displayed as having been left behind by the young man, was indeed a proof of violence, but not of that which he had committed, but rather of that which had been offered to (i.e. against) him, and of the fortitude with which he endured it from the woman; for if he had been offering violence, it was probable that he might have laid hold of the garment of his mistress; but it was owing to his having had violence offered to (i.e. against) him that he was deprived of his own.

فنلاحظ هنا أن فيلو في القرن الأول الميلادي قال كلامَه على سبيل التعليق على قصة يوسف التوراتية أو على سبيل النقد لشخصية فوطيفار. ونظّم فيلو كلامَه في نقطتين محددتين:

- كان ينبغي على فوطيفار أن يعطي يوسفَ فرصةً ليدافع عن نفسه **[⟵ تطور كلامُ فيلو تطوراً بشرياً طبيعياً حتى زعم أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي أن هذا ما حدث فعلاً: أعطى العزيزُ يوسفَ فرصةً ليدافع عن نفسه فـ "قَالَ [يوسفُ] هِيَ [التي] رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي" (يوسف 26)**.
- وكان ينبغي أيضاً على فوطيفار أن يتخذ مِن ثوب يوسف دليلاً على كذب امرأته وبراءة يوسف. وقسّم فيلو هذه النقطة الثانية إلى احتمالين يُستدل بهما على صدق امرأة فوطيفار أو كذبها: إنْ كان يوسف اعتدى بالقوة على امرأة فوطيفار، لكان هو الذي أخذ ثوبَها. وإنْ كانت هي التي اعتدت عليه، لأخذتْ هي ثوبَه **[⟵ نجد في القرآن نفس أسلوب التقسيم إلى احتمالين، وإنْ كان الدليل هو موضع القطع في قميص يوسف وليس مَن بحوزته القميص: "إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ**

الْكَاذِبِينَ. وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 26-27)]. وبما أن امرأة فوطيفار أخذت ثوبَ يوسف؛ وليس العكس. إذن: امرأة فوطيفار هي التي مارست العنف (violence)، يقصد: حاولت الاعتداء، على يوسف؛ وليس العكس **[← اتخذ العزيزُ مِن قميص يوسف دليلاً على كذب امرأته وصدق يوسف: "فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ [لامرأته] إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ. [...] وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" (يوسف 28-29)].**

وهكذا تحوّلتْ أفكار الفيلسوف اليهودي المصري فيلو السكندري إلى كلامٍ يُتلَى على أنه كلام الله! والفضل يرجع إلى عملية التطور البشري الطبيعي التي سمحت لِمَا كان ينبغي أن يفعله فوطيفارُ أن يتحول إلى ما فعله العزيزُ.

ننتقل الآن إلى مصدر آخر من مصادر القرآن في التراث اليهودي المتأخر ...

حسب المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 87:9-10) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[5503] أي قبل الإسلام بأكثر من 100 سنة: لم يصدِّق فوطيفارُ روايةَ امرأته، ومع ذلك أَخَذَ يوسفَ ووَضَعَهُ في السجن. وكان فوطيفارُ يقول ليوسف: "إني أعلم أنك بريء، لكن [يجب أن أفعل ذلك] وإلا ستقع وصمة عار على أبنائي"[5504] (يقصد: إنْ لم أسجنك، سيعلم الناسُ أنك بريء وامرأتي خائنة فسيضيع شرف أبنائي) **[← "ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ (أي: الأدلة والعلامات. قيل: الأدلة على براءة يوسف وعفته ونزاهته) لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (قيل: حتى يدفع العزيزُ مقالةَ السوء عن امرأته ويُبْعِدها عن يوسف فينقطع كلامُ الناس عنها)" (يوسف 35)].**

أما أبشع ما قاله التراث اليهودي المتأخر عن المرأة بل عن النساء بصفة عامة، فيبدو لنا أنه ما قاله مؤلف "وصية رأوبين" (Testament of Reuben) إحدى "وصايا الآباء الاثْنَيْ عَشَرَ" (Testaments of the Twelve Patriarchs) التي يرجع تاريخها إلى القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد، وقيل: القرن الثاني الميلادي، أي: قبل الإسلام بمئات السنين. **(وصية رأوبين 4)**[5505]**:** {8} بما أن يوسف حفظ نفسه من كل امرأة، وطهّر أفكاره من كل فجور، وجد حظوةً لدى الله والبشر. {9} فالمصرية (أي: امرأة فوطيفار) قامت بمجهود كبير، وجاءت بالسحَرة، وقدّمت شراب المحبّة، ولكن ميلَ قلبه (= يوسف) ظلّ لا يحسّ بالرغبة الشريرة. {10} لهذا نجّاه إله آبائه (أو: آبائكم) من كل شرٍّ ومن موت الظلمة. {11} فإن كان الفجور لا يُخضع فكرَكم، فبليعار (أي: رئيس الشياطين) أيضاً لا يقدر أن يخضعكم!

ثم ينتقل من امرأة فوطيفار إلى التعميم على كل النساء! **(وصية رأوبين 5):** {1} النساء شرّيرات، يا أبنائي. وبما أن لا سلطة لهن ولا قدرة على الرجل، فهن يلجأن إلى الخديعة في حركاتهن ليجتذبنهم إليهنّ.

{2} فاللواتي لا يستطعن أن يسحرنه بحركاتهن، ينتصرن عليه بالحيلة (wile; stratagem) (ruse) **[← ونجد التعميم في القرآن أيضاً حين استخدم صيغةَ الجمع: "كَيْدِكُنَّ [...] كَيْدَكُنَّ" (يوسف 28) "كَيْدَهُنَّ" (يوسف 33) "كَيْدِهِنَّ" (يوسف 50) "كَيْدَهُنَّ" (يوسف 34)]**. {3} كلّمني ملاك السماء عنهنّ، وعلّمني أن النساء يخضعن لروح الفجور أكثر من الرجل. في قلبهن يحكن المقالب ضد الرجال. بالتبرّج يضلّلن أولاً أفكارهم. بالنظر ينشرن السمّ، ويأسرنهم بالأمر الواقع. {4} لا تستطيع المرأة أن تغلب الرجل وجهاً لوجه، ولكنها تطغيه (أي: تخدعه) بحركات زانية. {5} فاهربوا من الفجور، يا أبنائي، وامنعوا نساءكم وبناتكم من زينة الرأس والوجه من أجل خداع الروح، لأن كل امرأة تستعمل هذه الخديعة، يُحفظ لها العقابُ الأبديّ.

ثم زعم أن النساء هن سبب الشرور التي أدت إلى غضب الله وحدوث طوفان نوح! **(وصية رأوبين 5):** {6} هكذا طغيْنَ (أي: خدعْنَ؛ غويْنَ) الساهرين (Watchers) (Veilleurs) (يقصد: الملائكة "أبناءَ الله" المذكورين في (التكوين 6:1-4)) الذين وُجدوا قبل الطوفان. نظرن إليهم (أو: نظروا إليهن) باستمرار، فولدت رغبة متبادلة، وفكّر الساهرون بالفعل (الجنسي). أخذوا شكلاً بشرياً، وظهروا للنساء وهنّ يتجامعن مع أزواجهنّ. {7} أما هنّ فرغبن بالفكر في هذه الظهورات (الملائكيّة)، وولدن الجبابرة (Nephilim; giants)، لأن قامة الساهرين بدت لهنّ وكأنها تلامس السماء.

ثم يختم كلامَه بالنهي عن خلوة الرجل بالمرأة! **(وصية رأوبين 6):** {1} فاحفظوا نفوسكم من الفجور. وإذا أردتم أن تكونوا أطهاراً في أفكاركم، احفظوا أيضاً حواسكم من كل امرأة. {2} امنعوهن من الانفراد بالرجال، لكي يكنّ هنّ أيضاً طاهرات بالفكر. {3} فاللقاءات المتواصلة، وإن لم يُقترف فيها فعل شرّ، هي لهنّ مرض لا يُشفى منه، ولنا دمارُ بليعار وعار أبديّ. {4} فالفجور لا يملك عقلاً ولا تقوى، بل كل أنواع الحسد (أو: الغيرة jalousie) تُقيم في رغبته.

4.23.2.4 شاهد يوسف: وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا (يوسف 26)

تحدثنا فيما سبق بإيجاز عن هذا "الشاهِد" الذي ظهر في قصة يوسف القرآنية (يوسف 26) ليثبت براءة يوسف. يُعرَف هذا الشاهِد المزعوم في الكتب والمراجع الإسلامية باسم "شاهد يوسف". والأدق أن يُسمَّى "شاهِد يوسف القرآني" لأنه غير موجود في قصة يوسف التوراتية. والأكثر دقة أن يُسمَّى "شاهِد امرأة العزيز" لأن القرآن يصفه بأنه "مِّنْ أَهْلِهَا" (a member of her household).

المهم: مَن هو هذا الشاهِد؟ وهل شَاهَدَ يوسفَ وامرأةَ العزيز فعلاً؟

كالعادة، اختلف المفسرون المسلمون. وكالعادة أيضاً، قيلت آراء مضحكة لا تستحق التعليق. مثل: أَنَّهُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بِإِنْسِيٍّ وَلَا بِجِنِّيٍّ! ومثل: أنه القميص المقدود أو قَدُّ الْقَمِيصِ!

وقيل إنه رجلٌ كبيرٌ حكيمٌ ذو عقل و "ذو لحية" وكان ابن عم امرأة العزيز أو ابن خالها وجاء مع زوجها. لكن هذا يعني أنه كان خارج البيت وقت حدوث الواقعة. يعني: "شَاهِد" ماشفش حاجة!

وقيل إنه طفل أو صبي في المهد من أهل امرأة العزيز "أنطقه اللهُ" أي تكلم في المهد بمعجزة! واستدلوا على ذلك بأحاديث مِن كتب السُّنَّة. فلقد روى أحمد في مسنده حديثاً موقوفاً يقول: "[...] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ"[5506]؛ والحديث الذي يليه مرفوع إلى محمد[5507]. وكذلك أخرج الحاكمُ في المُستدرَك حديثاً مرفوعاً عن ابن عباس قال: "[...]. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: هَذَا (أي: ابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ)، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ""[5508]. وتوجد روايات أخرى ذكرتها الكتب والمراجع الإسلامية بصفة عامة، وكتب السُّنَّة والتفسير وقصص الأنبياء بصفة خاصة.

لكن كالعادة، أنكر فريقٌ من شيوخ الإسلام (مثلاً: الألباني[5509]) هذه الروايات كلها أو بعضها! ونحن نقول لهم: إذا كان القرآنُ قد أيد أسطورةَ "الكلام في المهد" بالنسبة للطفل عِيسَى ابْن مَرْيَمَ (مريم 29-33) (آل عمران 46) (المائدة 110)، فلماذا تستبعدون هذه الأسطورة عن الطفل شاهد يوسف (يوسف 26)؟! هل المشكلة في شخص الطفل أم في موضوع الأسطورة؟!

إنها بالفعل مجرد أسطورة أخرى مِن الأساطير التي تضمها قصة يوسف القرآنية. ولقد اعترف كثير مِن المفسرين قديماً وحديثاً بأن شاهد يوسف كان صبياً في المهد! على سبيل المثال، قال الطبري إمام المفسرين بعد أن عرض الآراء المختلفة في هذه المسألة: "وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: كَانَ صَبِيًّا فِي الْمَهْدِ. لِلْخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ ذَكَرَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ، فَذَكَرَ أَنَّ أَحَدَهُمْ صَاحِبُ يُوسُفَ"[5510]. وفي العصر الحديث، يقول التفسير الميسر الذي أعده نخبةٌ من العلماء تحت إشراف وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية والمشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: "وشهد صبي في المهد مِن أهلها فقال: إن كان قميصه شُقَّ من الأمام فصدقت في اتِّهامها له، وهو من الكاذبين. وإن كان قميصه شُقَّ من الخلف فكذبت في قولها، وهو من الصادقين"[5511]. وكذلك قال د. محمد علي الصابوني (الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة): "شهادة صادقة، وحجة مقنعة، شهد بها طفلٌ من أقربائها، أنطقه اللهُ بها لتكون براءة ليوسف الصديق، وبرهاناً على عفته ونزاهته"[5512].

إذن: كل الأدلة التي أمامنا تجعلنا نقول إن هذه الأسطورة هي التفسير "الصحيح" لـ (يوسف 26). وإنْ تساءلتم: كيف تكون أسطورة وصحيحة؟! فسنقول: نحن لم نقل إنها أسطورة صحيحة، وإنما قلنا إنها هي التفسير "الصحيح" لـ (يوسف 26). أي: هي التي كانت في عقول أصحاب القرآن وَهُمْ يؤلفون القرآن. فلقد أثبتنا كثيراً أن عقول أصحاب القرآن كانت ممتلئة بالأساطير، بدليل أنهم وضعوها في القرآن، لكن بإيجاز، مما أدى إلى حيرة المفسرين، فاضطر المفسرون أن يرجعوا مرة أخرى إلى الأساطير ليفهموا القرآن.

والسؤال الذي يشغل بالنا هو: مِن أين أتى أصحابُ القرآن بهذه الفكرة الأسطورية؟!

هل يوجد أي دليل مادي يثبت أن قصة هذا الشاهِد الطفل حقيقية تاريخية؟ الإجابة: لا.

هل يوجد أي دليل مادي يثبت أن قصة هذا الشاهِد الطفل رواية أدبية أو لوحة فنية؟ الإجابة: نعم.

يوجد كتاب مسيحي مُصوَّر (illustrated Christian manuscript) يرجع زمانه إلى القرن السادس الميلادي[5513]، أي: قبل ظهور الإسلام، ويذكر مقاطع مختصرة من الترجمة اليونانية (السبعينية) لسفر التكوين (Genesis) مصحوبة برسومات توضيحية. أما مكان إنتاجه فأغلب الظن أنه في شرق الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية)؛ قيل: في سوريا (الشام)، وقيل: في أورشليم. إلا أنه يوجد الآن محفوظاً في المكتبة الوطنية النمساوية في فيينا (Vienna) ولذلك فإنه يُعرَف في الكتب والمراجع والأبحاث العلمية باسم (Vienna Genesis) (Wiener Genesis).

توجد لوحة في هذا الكتاب المسيحي الشرقي المصور توضح طفلاً في المهد رأى يوسفَ وهو يخرج هارباً مِن باب حجرة امرأة فوطيفار. انظر الشكل التالي[5514] حيث نرى مشهدين في صورة واحدة. المشهد الأول على اليسار يوضح يوسفَ وهو يهرب مِن امرأة فوطيفار بينما تشد امرأةُ فوطيفار ثوبَه. والمشهد الذي يليه على اليمين يوضح يوسفَ بدون ثوبه بعد أن خرج من الحجرة واقفاً بجوار طفل في المهد (أو: في حوض استحمام) وامرأتين؛ إحداهما تداعب الطفلَ بشخشيخة (rattle) والأخرى عرَّافة أو منجّمة (astrologer) تظهر في أقصى اليمين ناظرةً إلى السماء وهي تتنبأ:

رسم توضيحي 9 – أسطورة "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا" (يوسف 26)!

وإنه لَمِن الطريف أنه قيل إن هذا الطفل هو "أَسْنَات" (Asenath) التي صارت فيما بعد زوجةً ليوسف (التكوين 45:41) وأُم ابنيه مَنَسَّى وأَفْرَايِمَ (التكوين 41:50-52)! لكن ما سبب وجود الطفلة أَسْنَات في بيت امرأة فوطيفار؟! قيل في بعض كتب التراث اليهودي مثل التلمود والمدراش و (اليوبيلات 10:40) إن "فُوطِي فَارَعَ" (Potipherah) أبو أَسْنَات هُو هُو نفسه "فوطيفار" (Potiphar) سيد يوسف[5515]؛ وفي ترجمة التوراة إلى اليونانية (السبعينية) وجدنا أن الاسمين "فُوطِيفَار" (التكوين 1:39) و "فُوطِي فَارَعَ" (التكوين 45:41) متطابقان بالفعل[5516]! وإذا قلتَ لهم إن فُوطِيفَار كان "خَصِيّ (eunuch)" (التكوين 36:37) (التكوين 1:39) بالمعنى الحرفي، فكيف ينجب أَسْنَات؟ سيقولون لك: لا يوجد دليل قاطع أن

فُوطِيفَار كان خَصِيّاً بالمعنى الحرفي. وحتى لو افترضنا ذلك جدلاً، فَمِن المحتمل أنه أنجب أَسْنَات ثم صار خَصِيّاً. وقيل إن أَسْنَات بنت فوطيفار وامرأته بالتبني[5517].

وسواء كانت أَسْنَات الابنة البيولوجية لفوطيفار وامرأته أو ابنتهما بالتبني، فإن هذا يفسر وجودها في بيت امرأة فوطيفار **[← "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا (أي: مِن أهل بيت امرأة العزيز)" (يوسف 26)؛ إنها "شاهِدٌ" بالفعل لأنها شاهَدت يوسفَ وامرأةَ العزيز فعلاً. انظر اللوحة السابقة وسترى وجه الطفلة في المهد يتجه إلى اليسار صوب يوسف وامرأة العزيز/فوطيفار]**. ويبدو لنا أن المنجّمة التي تظهر في أقصى اليمين كانت تتنبأ بزواج يوسف وأَسْنَات، أي تتنبأ بأن يوسف سيكون أباً لنسل فوطيفار وامرأته؛ سواء نسلهما البيولوجي أو عن طريق ابنتهما بالتبني[5518].

[وفي ضوء ما سبق، يمكننا إعادة تفسير العبارة التي قالها العزيزُ/فوطيفارُ لامرأته "نَتَّخِذَهُ (أي: نَتَّخِذَ يوسفَ) وَلَدًا" (يوسف 21) على أنها تعني: نزوّجه ابنتَنا أَسْنَات فيصير مثل ابننا ويكون أباً لأحفادنا.]

ومِن الجدير بالذكر أن كثيراً مِن المفسرين المسلمين وبخاصة القدامى قالوا إنه بعد صعود يوسف إلى السلطة، تابت امرأةُ العزيز، فتزوجها يوسفُ بعد وفاة زوجها - واكتشف أنها عذراء - فَوَلَدَتْ ليوسف وَلَدَيْنِ[5519]! مما يدل على أن هؤلاء المفسرين المسلمين قد خلطوا بين أَسْنَات وامرأة العزيز/فوطيفار. ونحن الآن نستطيع أن نفهم لماذا قالوا ذلك؟ لأنهم وقعوا تحت تأثير التراث اليهودي/المسيحي الذي خلط بين فُوطِي فَارَعَ وفوطيفار إلى درجة الزعم أنهما نفس الشخص، وربط بين أَسْنَات وامرأة فوطيفار إلى درجة الزعم أن امرأة فوطيفار هي أُم أَسْنَات، سواء أمها البيولوجية أو أمها بالتبني.

وهذا كله يثبت أن دراسة التراث اليهودي/المسيحي تساعدنا على فهم القرآن وفهم تفاسيره أيضاً.

وإنْ قلتم إن هذه الطفلة التي في المهد لا تظهر في مشهد المواجهة بين يوسف وامرأة فوطيفار أمام فوطيفار. فسنقول: ملاحظة ذكية وصحيحة. لكن يوجد تقليد مسيحي يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي وربما قبل ذلك يقول إن أَسْنَات هي التي أثبتت براءة يوسف بأن اتهمت أمها (أي: امرأة فوطيفار) أمام أبيها (أي: فوطيفار) بأنها هي التي صنعتْ فخاً ليوسف وليس العكس. فلقد قال المسيحي المصري/القبطي "أوريجانوس" (Origen) – أحد قادة مدرسة الإسكندرية المصرية في القرن الثالث الميلادي – تعليقاً على زواج أَسْنَات ويوسف (التكوين 45:41)[5520]:

Asenath brought charges against her mother (i.e. Potiphar's wife) in the presence of her father (i.e. Potiphar), stating that she had laid a trap for Joseph, and not Joseph for her. For this reason, therefore, Potiphar gave

her in marriage to Joseph, in order to prove to the Egyptians that Joseph had committed no wrong of this kind against his house.

فإذا أضفنا هذا التقليد المسيحي الشرقي إلى اللوحة السابقة من الكتاب المسيحي الشرقي المصور (Vienna Genesis)، سنحصل على ما قاله القرآنُ في القرن السابع الميلادي: "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا (أي: طفلة في المهد كانت في بيت امرأة العزيز)" فأثبتتْ براءة يوسف في مواجهةٍ بين يوسف وامرأة العزيز أمام العزيز (يوسف 26-29).

وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يجمع فيها القرآنُ بين تقليدين شرقيين في سياقٍ واحد، ما دام السياقُ يسمح بذلك ويوجد رابط (link) بين التقليدين. في هذه الحالة: أَسْنَات.

أهمية أسطورة "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا" (يوسف 26) هي أنها تؤكد ما نقوله دائماً لأحبائنا المسلمين حين يزعمون أن أمية محمد هي الدليل على أن القرآن كلام الله! فنقول لهم: لم يكن محمدٌ محتاجاً أن يقرأ أي كتاب. فيكفيه ما كان يسمعه بأذنيه مِن تلاوات وعظات وخطب وميامر وترانيم ... الخ. بل يكفيه ما كان يراه بعينيه مِن لوحات ورسومات ونقوش وجداريات في الكنائس والبيوت والمقابر ... الخ. الرسومات الموجودة في (Vienna Genesis) مجرد مثال واحد. توجد أمثلة أخرى كثيرة موثقة في المتاحف والأبحاث العلمية ورسالات الدكتوراه والكتب والمراجع المعتمدة[5521].

إذن: كل المعلومات والأفكار كانت متاحة لأصحاب القرآن. فلم يكن عليهم سوى أن يعيدوا إنتاجها بلسانٍ عربي مبين "قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (يوسف 2) وبما يحقق مصالحهم الدينية والدنيوية كما شرحنا. والفضل كله يرجع إلى عملية التطور البشري الطبيعي بالحذف و/أو الإضافة. ولذلك نرى أصحاب القرآن أحياناً يهملون تفاصيل، وأحياناً أخرى يضيفون تفاصيل. مثلاً في المثال السابق: لم يحدد أوريجانوس متى حدثت هذه المواجهة التي أظهرت براءة يوسف. هل قبل دخول يوسف إلى السجن؟ أم بعد خروجه من السجن؟ أما أصحاب القرآن فكانوا أكثر تحديداً وقالوا إنها حدثت قبل دخول يوسف إلى السجن. وفي جميع الأحوال، لم يجد أصحابُ القرآن ما يمنعهم مِن أن يُطوِّروا تقليداً مشابهاً لما قاله أوريجانوس ويُغيِّروا موضعَه فينقلوه مِن مرحلة متأخرة إلى مرحلة مبكرة في تسلسل أحداث الرواية[5522]. والهدف كما قلنا فيما سبق هو التأكيد على أن العزيز كان يعلم جيداً براءة يوسف قبل إلقائه بيوسف في السجن.

وحتى في هذه النقطة، لم يأتِ أصحابُ القرآن بشيء جديد يُذكَر. إذ يبدو لنا أن التراث اليهودي هو الذي أسس لفكرة شهادة طفل (أَسْنَات) ببراءة يوسف قبل دخوله السجن[5523]. فلقد حاول الأحبارُ اليهود أن يبرروا لماذا لم يقتل فوطيفارُ يوسفَ واكتفى بسجنه فقط؟ وكالعادة، توجد تفاسير واجتهادات كثيرة للإجابة على هذا السؤال. وإحدى هذه الاجتهادات هي أن فوطيفار كان يعلم براءة يوسف. طفلٌ في المهد أخبره.

ولماذا طفل بالذات؟ لأنه رمز البراءة والنقاء والصدق في جميع الثقافات. ولذلك اكتفى فوطيفارُ بسجن يوسف فقط ولم يقتله. إذن: شهادة هذا الطفل كانت قبل دخول يوسف إلى السجن. وهكذا أنقذ اللهُ يوسفَ مِن القتل.

وربما في وقتٍ لاحق، جعل الأحبارُ اليهود هذا الطفل هو أَسْنَات، حتى يستطيعوا أن يفسروا أيضاً لماذا تزوج يوسفُ امرأةً مصرية وثنية غير عِبرانية، مع أن جده إبراهيم كان حريصاً كل الحرص على أن يتزوج ابنُه إسحاق امرأةً مِن أهله وعشيرته وألا يتزوج امرأةً من بنات الكنعانيين المنغمسين في عبادة الأوثان[5524]. هذا السؤال حَيَّر المفسرين اليهود: لماذا اختار اللهُ امرأةً مصرية بنت كاهن مصري وثني وجعلها زوجةً ليوسف ومِن ثم جعلها والدة قبيلتين مِن أهم قبائل بني إسرائيل: مَنَسَّى وأَفْرَايِمَ؟ سؤال محير فعلاً. لكن لمَّا جعلوا هذا الطفل الشاهد هو أَسْنَات، استطاعوا أن يقولوا إن الله اختار أَسْنَات مكافأةً لها على إنقاذ حياة يوسف بغض النظر عن دينها أو عرقها. أو كما قال القرآنُ بعد صعود يوسف إلى السلطة: "نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ (أي: نهب نعمتنا لِمَن نختار)ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [في الدنيا]" (يوسف 56ب). فهل هذه العبارة القرآنية تشير إلى أَسْنَات المصرية؟ ربما. إنها على الأقل تتفق مع الترتيب التوراتي للأحداث: صعود يوسف إلى السلطة (التكوين 41:41-44) **[← (يوسف 54-56أ)]** ثم بعد ذلك مباشرة زواجه بأَسْنَات (التكوين 41:45) **[← (يوسف 56ب)؟]**.

وحتى لو كانت مكافأةُ أَسْنَات في القرآن دنيويةً فقط[5525]، فإنها على الأقل تنصف المرأةَ المصرية بعد أن أساء إليها القرآنُ إساءةً بالغة في مشهد النسوة اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ أمام يوسف ...

4.23.2.5 اجتماع النِّسْوَة صَوَاحِبُ يُوسُفَ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ أمامه (يوسف 30-32)!

مِن الطبيعي أن بطل أي رواية رومانسية ناجحة توارثتها الأجيالُ عبر مئات السنين، وبخاصة إذا كان هذا البطل شاباً جميلاً وسيماً مثل يوسف، يتحول بسرعة إلى "فتى أحلام" كل بنت و "معبود" كل امرأة. ولذلك لم نكن ننتوي أن نعلق على النِّسْوَةِ اللَّاتِي وقعن في غرام يوسف مِن أول نظرة. فهي إضافة قرآنية بسيطة وسهلة ويستطيع أي واحد من أصحاب القرآن أن يبتكرها. مش محتاجة "وحي" مِن الله.

لكننا اكتشفنا أن نخبة مِن شيوخ الإسلام اعتبروا عدم وجود حديث هؤلاء النسوة في التوراة "فجوة هائلة في نص التوراة"! وزعموا أن القرآن قام بعمل "جليل الشأن" "أنه أورد جديداً لم تعرفه التوراة، ومن أبرز هذا الجديد" "حديث النسوة وموقف المرأة منهن"! بل زادوا على ذلك أن القرآن "يأتي بجديد لم يُذكَر فيما سواه، ويصحح خطأ وقع فيه ما سواه"[5526]! وقال د. صلاح الخالدي المعروف بتعصبه الشديد للقرآن ونقده اللاذع للتوراة: "ووجودُ هذه الفروق بين كلام الأحبار (يقصد: التوراة) وكلام القرآن عن حادثة المراودة، دليلٌ على أن القرآن كلام الله، وليس تأليفَ محمدٍ ﷺ، فلو كان من تأليفِهِ وأخَذَه مِن أهل الكتاب، لنقلَ كلامَ الأحبار (يقصد: التوراة) نقلاً، وما خالَفَه في شيء، ولا أضافَ عليه أيّ شيء"[5527]!

أمام هذه البروباجاندا الإسلامية التي تعتمد على التدليس وغياب الحقائق إما عن جهل أو عن عمد، قررنا أن نكتب عن قصة "اجتماع النسوة" ما يدل على أن هذه الإضافة القرآنية مِن الإسرائيليات التي تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً في القرون الأولى للميلاد حتى استقرت في القرآن في القرن السابع الميلادي. وفي جميع الأحوال، لم يجد محمدٌ ما يمنعه أن يضيف تفاصيل جديدة إلى ما تقوله التوراة.

4.23.2.5.1 مصادر القرآن مِن مدراش تَنْحُوما والتلمود البابلي وكتابات يوسيفوس اليهودي

اكتفتْ التوراة بالإشارة إلى جمال يوسف ووسامته بإيجاز شديد. جملة واحدة فقط في أقل مِن نصف آية: "وَكَانَ يُوسُفُ حَسَنَ الصُّورَةِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ" (التكوين 6:39). وهي جملة عادية جداً وبسيطة بل متواضعة، فضلاً عن كونها متوقعة فهي نفس الجملة التي وصفت أمه رَاحِيل: "وَأَمَّا رَاحِيلُ فَكَانَتْ حَسَنَةَ الصُّورَةِ وَحَسَنَةَ الْمَنْظَرِ" (التكوين 17:29). وكذلك جدته "رِفْقَة" (Rebecca) أم يعقوب كانت "حَسَنَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا" (التكوين 16:24) (التكوين 7:26). وأيضاً جدته "سارة" (Sarah) أم إسحاق كانت "امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ" (التكوين 11:12).

لكن بعد ذلك مباشرةً، تقول التوراة فجأة: "وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُور (بالعبرية: aḥar ha-debārīm ha-ēlleh؛ أي: after these things؛ أو: after these words) أَنَّ امْرَأَةَ سَيِّدِهِ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ وَقَالَتِ: «اضْطَجِعْ مَعِي»" (التكوين 7:39). هكذا قدَّمت التوراةُ لنا شخصيةَ امرأة فوطيفار للمرة الأولى! فجأة وبدون أي مقدمات، رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ وَقَالَتِ: «اضْطَجِعْ مَعِي»!

فما هي "هذِهِ الأُمُور" (these things) التي حدثت قبل المراودة الأولى، أي: قبل أن تقول امرأةُ فوطيفار بلسانها صراحةً ليوسف: «اضْطَجِعْ مَعِي»؟! وما هي هذه الكلمات (these words)؟! ومَن الذين قالوها؟ أو مَن اللاتي قُلنها؟ لا نجد الإجابة في التوراة. لكن لاَ بُدَّ أن أمراً ما حدث أو كلاماً ما قيل فجعل امرأةَ فوطيفار تتجرأ وتقول ليوسف بكل وقاحة وبجاحة وقلة أدب: «اضْطَجِعْ مَعِي» (التكوين 7:39). فما الأمر الذي حدث؟ وما الكلام الذي قيل؟ لا نجد الإجابة في التوراة.

أما في القرآن، فنجد إسهاباً طويلاً ومبالغة كبيرة في إبراز جمال يوسف ووسامته الفريدة مِن نوعها. نرى ذلك بوضوح في مشهد النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ أمام يوسف (يوسف 30-32) غير الموجود في التوراة. يبدأ المشهد بكلمات (words) قالتها النسوة المصريات: "وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (يوسف 30). وقيل إن هؤلاء النسوة لم يَقُلْنَ ذلك تعصباً للفضيلة ولا غضبةً للحق، وإنما قصدن رؤية يوسف أو إحراج امرأة العزيز حتى تطرد يوسفَ فيستأثرن به، أو لعلهن قد أردن النِّكاية بامرأة العزيز وإهانتها وإذلال كبريائها. ومِن الجدير بالذكر أن هؤلاء النسوة يُعرَفن في التراث الإسلامي باسم "صويحبات يوسف" أو "صَوَاحِب يُوسُفَ"[5528]؛ وقيل إن ذلك

بسبب اتفاقهن على ما أردن وكثرة إلحاحهن في طلبه. "فَلَمَّا سَمِعَتْ [امرأةُ العزيز] بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ (أي: استضافتهن إلى منزلها؛ قيل: لتبين لهنَّ أن جمال يوسف لا يُقاوَم فيَعذِرنَها) وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا [ليُقَطِّعن الفاكهة] وَقَالَتِ [ليوسف] اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ [فجأة] أَكْبَرْنَهُ (أي: أعظمنه وأجللنه وسُحِرْنَ بحسنِه الرائع وجماله البارع) وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [بالسكاكين] وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ. قَالَتْ [امرأةُ العزيز للنسوة بعد أن أحَسَّتْ بالانتصار عليهن] فَذَٰلِكُنَّ (أي: فهذا الشاب الوسيم) الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ (تقصد: وإذا كان هذا أمركن مع يوسف في لحظةٍ ومن أول نظرة فماذا أفعل وأنا أراه أمامي طول الوقت في بيتي؟ فلا تلوموني إذا وقعتُ في غرامه وجاهرتُ بحبِّه) ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ (أي: امتنع وأبى) ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ" (يوسف 31-32).

وجاء في كثير من كتب تفسير القرآن، وبخاصة الكتب التراثية القديمة مثل تفسير الطبري، أن الفاكهة التي أحضرتها امرأةُ العزيز للنسوة هي "التُرُنْج" أو "الأُتْرُجّ". وهي فاكهة حمضية مثل النارنج أو الأورنج (البرتقال) أو الليمون. ونستنتج من صحيحي البخاري ومسلم أن المسلمين الأوائل عرفوا فاكهة الأُتْرُجّ[5529]. فهل كانت فاكهة الأُتْرُجّ معروفةً عند المصريين القدماء أيام يوسف، أي: قبل الميلاد بأكثر مِن 1600 سنة؟! أَم أن أصحاب القرآن أخذوها من واقعهم العربي؟ أو ربما أخذوها من التراث اليهودي ...

"أُتْرُجّ" (بالعبرية: ʾetrog) اسم فاكهة (citron; Citrus medica). وذُكِرَ الجمع (بالعبرية: ʾetrogim) في رواية مدراش تنحوما (Midrash Tanḥuma) لمشهد النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين، أو ما يُعرَف في التراث اليهودي باسم مشهد "اجتماع النسوة" (the assembly of the ladies)[5530]:

> The following is from the standard text of *Midrash Tanḥuma*, a medieval midrashic collection extant in various different forms; its approximate time of compilation is unknown (though a guess of seventh-eighth century C.E. might not be far off):
>
> […] [Joseph's] mistress was with him in the house and sought to entice him with words day after day, and she used to change her clothes three times a day, day after day – […] – and to what purpose? Only that he desire her. Said the Rabbis of blessed memory: On one occasion the Egyptian women gathered and went to behold Joseph's beauty. What did Potiphar's wife do? She took citrons [= Heb. ʾ*etrogim*, a citrus fruit] and gave them to each of them (i.e. to the ladies) and gave each a knife and then called to Joseph and stood him before them. When they beheld how

handsome Joseph was, they cut their hands. She said to them: If you do thus (i.e. lose your self-control) after one moment, I who see him at every moment, am I not all the more so [justified in being smitten]? And day after day she sought to entice him with words, but he overcame his desires. How do we know this? From what we read next, “And after these things the wife of his master set her eyes upon Joseph.” (Gen. 39:7).

وإنْ قلتم إنَّ مدراش تنحوما اكتمل بعد القرآن. فسنقول: هذا ليس دليلاً على أن القرآن لم يعتمد على مدراش تنحوما. فنحن لا يهمنا كل كلمة في مدراش تنحوما، وإنما يهمنا فقط الجزء المتعلق بمشهد النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين. قد يكون هذا الجزء في مدراش تنحوما قبل القرآن، ثم أضيفت أجزاء أخرى إلى مدراش تنحوما حتى اكتمل بعد القرآن. بعبارة أخرى: نحن لا يهمنا مدراش تنحوما كله، وإنما يهمنا فقط رواية "اجتماع النسوة". قد تكون هذه الرواية المدراشية تسبق القرآن. وربما يكون القرآن ومدراش تنحوما قد اعتمدا على مصدرٍ بشري آخر أقدم منهما ولم يكتشفه العلماءُ حتى الآن. وربما لن يكتشفه العلماءُ، لأنه مصدر شفوي-سماعي (oral-aural) عاش في هواء الشرق الأوسط القديم ولم يُكتَب في كتاب[5531].

السؤال الآن هو: هل فاكهة الأُتْرُجّ – المذكورة صراحةً بالاسم في المدراش اليهودي وفي صحيحي البخاري ومسلم وفي تفاسير القرآن – هل تساعدنا في الوصول إلى جذور القرآن في التراث اليهودي؟

نعم. يقول التلمود البابلي (Sukkah 31a) إن الأُتْرُجّ هي الفاكهة المشار إليها في طقوس "عيد المظال" (Sukkot) (اللاويين 40:23)[5532]، الذي يُسمَّى أيضاً "عيد الخيام" (Feast of Tabernacles) أو "عِيد الْجَمْعِ" (Festival of Ingathering) ويأتي سنوياً في سبتمبر-أكتوبر لمدة أسبوع بعد يوم الكفَّارة (Yom Kippur) بخمسة أيام فقط (اللاويين 27:23، 34)، وهو واحد مِن أعياد الحج اليهودية الكبيرة الثلاثة (Three Pilgrimage Festivals) التي يحج فيها اليهود إلى الهيكل في أورشليم حسب تعاليم التوراة (الخروج 14:23-19) (الخروج 18:34-23) (التثنية 1:16-17). (بالعبرية: ḥag تعني "عيد" أو "حفل ديني على شكل دائري"[5533].) "وبحسب يوسيفوس فإنَّ هذا العيد كان الأكثر شيوعاً بين الأعياد اليهودية الثلاثة الرئيسية: الفصح والخمسين والمظال"[5534]. فمن المؤكد أن العرب قد سمعوا عن عيد المظال حتى من قبل الإسلام. بل يقول سفر زكريا – وهو السفر قبل الأخير في العهد القديم – إن "جَمِيع الأُمَمِ" ستصعد إلى أورشليم في عيد المظال لتسجد لإله إسرائيل مِن أجل طلب المطر الشتوي؛ والأمة التي لن تصعد إلى أورشليم لتسجد لإله إسرائيل في عيد المظال ستُعاقَب بعدم نزول المطر عليها في الشتاء (زكريا 16:14-17)[5535]. ويعتقد العالِم المغربي المعروف محمد المسيَّح أن "رِحْلَةَ الشِّتَاءِ" المذكورة في القرآن (قريش 2) هي رحلة دينية-تجارية كان العرب يقومون بها سنوياً إلى أورشليم في عِيد المظال (عيد الخيام)[5536]. وعلى الرغم من اختلاف هذا الرأي مع التراث الإسلامي الذي يقول إن رحلة الشتاء

كانت رحلة تجارية فقط إلى اليمن، إلا أنه يكفينا أن نفس هذا التراث الإسلامي يعترف بأن أورشليم (بيت المقدس) كانت قِبلة المسلمين الأوائل في الفترة المكية (13 سنة)؛ أي: كان المسلمون الأوائل يسجدون لإله إسرائيل في اتجاه أورشليم، بل كان محمد شخصياً يسجد لإله إسرائيل في اتجاه أورشليم. ومِن ثم فإننا نستنتج أن العرب كانوا على دراية بالعادات والتقاليد اليهودية المرتبطة بعيد المظال. ومِن الجدير بالذكر أيضاً أن الآيتين التاليتين في سفر زكريا تذكران "مصر" (زكريا 14:18-19)[5537]، وعيد المظال نفسه يخلِّد ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر (اللاويين 23:42-43). ولعل هذا هو السبب الذي جعل العرب (أصحاب القرآن) يخلطون بين عيد المظال اليهودي والمصريين القدماء، فتوهّموا أن المصريين القدماء كانوا يأكلون فاكهة الأُتْرُجّ مثل اليهود! إذن: كل هذه الأدلة التي تُقَوّي بعضُها بعضاً تؤكد أننا أمام عادات وتقاليد يهودية مشهورة تسللت إلى قصة قرآنية عربية (يوسف 30-32) يُتوهَّم أنها حدثت في مصر القديمة قبل التوراة بمئات السنين!

ومما يؤيد ذلك أيضاً عبارة "أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً" (يوسف 31) التي تُترجم عادة إلى "أعدت لَهُنَّ وليمةً" (prepared a banquet for them)[5538]، "جَهَّزَت لَهُنَّ عيداً" (prepared for them a feast)[5539]. والتي تُذكِّرنا على الفور بإعداد [مُتَّكَأ] عيد الفصح اليهودي (Passover Seder)، وتحديداً تقليد شرب كئوس النبيذ الأربعة (ARBA KOSOT)[5540] التي يجب – حسب التراث اليهودي – أن تُشرَب في وضع الاتكاء (reclining, dining and drinking)[5541]، كجزء مِن طقوس "عيد الفصح" (Passover) و"عيد الفطير" (Feast of Unleavened Bread) الذي يليه مباشرةً وهو أيضاً واحد مِن أعياد الحج اليهودية الكبيرة الثلاثة ويأتي سنوياً في مارس-أبريل. وفي العشاء الأخير (Last Supper) حسب الإنجيل، "أَعَدَّ" التلميذان بطرس ويوحنا عشاءَ الفصح ليسوع ولباقي التلاميذ فاجتمعوا سوياً في عِلِّيَّةٍ كَبِيرَة مَفْرُوشَة ليأكلوا ويشربوا وَهُمْ "مُتَّكِئُونَ"[5542]. نحن إذن أمام عادات وتقاليد يهودية مشهورة مارسها الشاب اليهودي يسوع المسيح بنفسه ومع تلاميذه، ثم بعد ذلك تسللت هذه العادات والتقاليد اليهودية إلى قصة قرآنية يُفترَض أنها حدثت في مصر القديمة قبل التوراة بمئات السنين! أما في الإسلام، فلقد رفض محمدٌ أن يأكل مُتَّكِئًا وقال في أحاديث صحيحة: "لَا آكُلُ مُتَّكِئًا" أو "لَا آكُلُ وَأَنَا مُتَّكِئٌ"[5543]. ولم يقل السبب، لكن يمكن استنتاجه: حتى لا يتشبه بيهود المدينة الذين يأكلون ويشربون مُتَّكِئين في الولائم والأعياد والمناسبات. [وإنه لمِن الطريف أن كلمة "الْمَدِينَةِ" لم تُذكَر في سورة يوسف كلها إلا في بداية قصة "اجتماع النسوة" (يوسف 30)!]

باختصار: البصمة اليهودية التي تركها التراث اليهودي على القرآن (يوسف 30-32) بدأت تتضح.

فاكهة الأُتْرُجّ (مِن طقوس عيد المظال اليهودي)

+ إعداد المتكأ (مِن طقوس عيد الفصح اليهودي)

[← "أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا [ليقطعن فاكهة الأُتْرُجّ]" (يوسف 31)].

بعبارة أخرى: لأن القرآن كلام بشر، لم يعرف أصحابُ القرآن كيف كان المصريون القدماء يجهزون ولائمهم ويحتفلون بأعيادهم، فرسموا صورةً وهمية (يوسف 31) لا علاقة لها بالمصريين القدماء، وإنما لها علاقة وثيقة بالعادات والتقاليد اليهودية، وبخاصة عيد الفصح: "أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً" (يوسف 31).

كان خيالُ أصحاب القرآن ضيقاً جداً، فلم يستطعوا أن يتخيلوا شيئاً آخر يختلف عن عادات وتقاليد اليهود. أو لعلهم فعلوا ذلك عن عمد اتفاقاً مع ما قلناه فيما سبق عن التراث المسيحي السرياني: امرأة فوطيفار/العزيز (أو: النسوة بصفة عامة؛ بنات حواء) تحولت إلى رمز لليهود المتآمرين على يسوع المسيح (يوسف الحقيقي). فَلِكَيْ تستقيم هذه العلاقة الرمزية، كان لاَ بُدَّ من تصوير اجتماع النسوة في يوم الوليمة قُبيل دخول يوسف السجن بطريقةٍ تشبه اجتماع اليهود في عيد الفصح قُبيل دخول يسوع القبر.

كل خيوط البحث تصل بنا دائماً إلى نفس النتيجة: القرآن مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي/المسيحي. هي نتيجة واحدة نصل إليها دائماً.

وقال "يوسيفوس" (Flavius Josephus) اليهودي المعاصر لتلاميذ المسيح (حياته: 37-100م تقريباً) في الفقرة (2.4.3) مِن كتابه الشهير (Antiquities of the Jews) إن يوم اجتماع النسوة كان يوم عيد عام (public festival)، إلا أن يوسيفوس جعل اجتماع النسوة في الخارج **[← "فِي الْمَدِينَةِ" (يوسف 30)]**، وجعل امرأةَ فوطيفار تزعم أنها مريضة فلن تستطيع أن تخرج مع النسوة للاحتفال بالعيد. وكل ذلك حتى تنفرد بيوسف في بيتها[5544]:

When, therefore, there was a public festival coming on, in which it was the custom for women to come to the public solemnity (i.e. the general assembly), she (i.e. Potiphar's wife) pretended to her husband that she was sick, as contriving an opportunity for solitude and leisure, that she might entreat Joseph again; […].

وردد التلمود البابلي – الذي يرجع تاريخه إلى القرن الخامس أو السادس الميلادي[5545][5546] – نفسَ الفكرة التي قالها يوسيفوس في القرن الأول الميلادي. قال التلمود البابلي (Sotah 36b)[5547] إن امرأة فوطيفار تظاهرت بالمرض في يوم عيد ليخرج أهل البيت كلهم إلى الاحتفال بالعيد خارج البيت بينما تظل هي وحدها في البيت مع يوسف فتستطيع أن تراوده عن نفسه بدون أن يشعر أحد.

إذن: كل ما فعله أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي هو أنهم أكملوا القصةَ التي بدأها يوسيفوس في القرن الأول الميلادي ورددها التلمود البابلي في القرن الخامس أو السادس الميلادي. اغتابت النسوةُ في

المدينة امرأةَ العزيز في غيبتها يوم العيد (يوسف 30). ثم رجعن من العيد وذهبن لزيارة امرأة العزيز في بيتها بُناء على دعوتها إياهن لزيارتها (يوسف 31-32).

وإنْ قلتم إنَّ يوسيفوس لم يقل شيئاً عن زيارة النسوة لامرأة فوطيفار. فسنقول: هذا صحيح. فما قاله يوسيفوس عن هؤلاء النسوة كان مجرد بداية أو بذرة كبرت بعد ذلك. ونحن نعتبر ما قاله يوسيفوس عن هؤلاء النسوة بمثابة دليل على أن التقليد اليهودي المرتبط بزيارة النسوة لامرأة فوطيفار (سواء في مدراش تنحوما أو في غيره) يسبق القرآن. إذ لا يمكن أن نتصور أن أصحاب القرآن العرب هُمْ أول مَن تنبهوا إلى ما قاله يوسيفوس اليهودي عن نسوة يحتفلن بالعيد في المدينة بينما يوسف وامرأة فوطيفار وحدهما في البيت. القصة بدأت بصورة بسيطة وبدائية في الأوساط اليهودية في القرن الأول الميلادي وربما قبل ذلك، ثم ظلت تتطور تطوراً بشرياً طبيعياً في القرون الأولى للميلاد وتزداد تعقيداً بمرور الزمن حتى استقرت في مشهد النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين أمام الشاب الوسيم يوسف في بيت امرأة العزيز (يوسف 30-32).

نستطيع الآن أن نرسم في أذهاننا صورةً لديكور مشهد النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين (يوسف 30-32). مأدبة عظيمة في يوم عيد. اجتمعت النسوة في غرفة كبيرة في بيت امرأة العزيز وكُنَّ متكئات على أَرَائِكِ ووسائد وأمام كل واحدة منهن سكين وفاكهة (الأُتْرُجّ) وشراب (النبيذ) وربما لحم[5548] وأطعمة وأشربة أخرى. ونستطيع أن نجزم أن هذا ما كان يدور في أذهان أصحاب القرآن وَهُمْ يكتبون هذا المشهد في الرواية، بدليل أنهم رسموا نفس المشهد في مواضع أخرى من القرآن تتحدث عن نعيم أهل الجنة: "مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ" (الكهف 31) (الإنسان 13) "مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ" (ص 51) "عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ" (يس 56-57) "كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا [...]. مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ" (الطور 19-20) "وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ" (الطور 22) "عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ. مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ. لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ" (الواقعة 15-21). لكن هذا بالطبع لا يعني أن أصحاب القرآن أرادوا أن يقولوا إن النسوة من أهل الجنة، وإنما يعني أنهم أرادوا أن يقولوا إن يوسف فَضَّل أن يترك هذه "الجنة" الدنيوية الزائلة ويدخل السجن ليفوز بالجنة الأخروية الدائمة: "قَالَ [يوسفُ بعد اجتماع النسوة] رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ" (يوسف 33).

خلاصة القول: كل جذور مشهد النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين (يوسف 30-32) تشير إلى التراث اليهودي، وبخاصة التقليد اليهودي المذكور في مدراش تنحوما والتلمود البابلي وكتابات يوسيفوس.

فهل اجتماع النسوة وكلامهن هو "هذِهِ الأُمُور" أو "هذه الكلمات" (التكوين 39:7) التي أشارت إليها التوراة باختصار، لكن هذا التقليد اليهودي - ثم بعد ذلك القرآن - شرحها بالتفصيل؟

إذا كانت الإجابة: نعم، فهذا يعني أن أصحاب القرآن نقلوا اجتماع النسوة وكلامهن إلى ما بعد المراودة (يوسف 23-24)، بل إلى ما بعد إخبار العزيز وإعلان براءة يوسف (يوسف 25-29)؛ وذلك لتبرير سجن

يوسف (يوسف 33-35) على الرغم مِن إعلان براءته. يعني: يوسف آثَرَ السجنَ ليُبعِد نفسَه عن كيد النسوة ونجاستهن فاختار السجنَ خوفاً مِن الله ورجاءً في ثوابه؛ والعزيز وزملاؤه سجنوا يوسفَ ليُبعِدوه عن زوجاتهم منعاً للفضيحة و/أو بدافع الغيرة.

بعبارة أخرى: مشهد اجتماع النسوة وكلامهن في مدراش تنحوما يحاول أن يشرح لنا لماذا تجرأت امرأةُ فوطيفار وقالت ليوسف بكل صراحة وبجاحة: «اضْطَجِعْ مَعِي» (التكوين 7:39). فلقد وقعت في غرامه وحاولت معه مراراً وتكراراً قبل ذلك إما تلميحاً بكلمات مبهمة (كأن تقول له مثلاً: يا حبيبي؛ ما أجملك) وإما بتغيير ملابسها ثلاث مرات كل يوم لتلفت انتباهه، لكنه لم يلتفت إليها. لكن بعد زيارة النسوة لها في بيتها وانهيارهن أمام جمال يوسف، لن يستطيع أحدٌ أن يلومها بعد ذلك إذا راودت يوسفَ عن نفسه، فتشجعت "بَعْدَ هذِهِ الأُمُور" وقالت له بكل جرأة وقلة أدب: «اضْطَجِعْ مَعِي» (التكوين 7:39).

أما مشهد اجتماع النسوة وكلامهن في القرآن (يوسف 30-32) فله هدفٌ آخر، إذ يحاول أن يشرح لنا لماذا أراد يوسفُ أن يُسجَن مع أنه بريء. فلقد فَضَّلَ يوسفُ أن يترك هذه "الجنة" الأرضية المؤقتة ويذهب إلى السجن بإرادته حتى يفوز بالجنة السماوية الأبدية[5549]. "قَالَ [يوسفُ] رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ" (يوسف 33-35).

المشهد واحد في مدراش تنحوما والقرآن. لكن الهدف يختلف باختلاف التفاصيل وترتيب الأحداث.

4.23.2.5.2 مصادر القرآن مِن مدراش هاجَدُل وكتابات فيلو اليهودي وإفرام المسيحي السرياني

يوجد مدراش آخر اسمه "مدراش هاجَدُل" (Midrash ha-Gadol) يتفق معه القرآنُ أكثر في التفاصيل وترتيب الأحداث. ربما لأن هذا المدراش يضم تقاليد يهودية يمنية كانت ذات تأثير أكبر على عرب شبه الجزيرة. يضع مدراش هاجَدُل مشهدَ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين بعد المراودة الأولى (التكوين 7:39)، بل بعد المراودة الأخيرة (التكوين 12:39)، لكن قبل إخبار فوطيفار (التكوين 16:39-18). ويبدو لنا أن مدراش هاجَدُل يحاول أن يشرح لنا لماذا استخدمت امرأةُ فوطيفار ضمير الجمع حين "نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتهُمْ قَائِلَةً: «انْظُرُوا! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُل عِبْرَانِيٍّ **لِيُدَاعِبَنَا** (to sport with **us**)!" (التكوين 14:39). فيقول مدراش هاجَدُل تعليقاً على هذه الآية التوراتية المحيرة[5550]:

> *Midrash ha-Gadol* remarks:
>
> She put the righteous one [Joseph] in the mouths of all of them. It is related: When the queens and noble-women returned from worshipping idols (i.e. where they were during the confrontation between Joseph and

Mrs. Potiphar), they all went to visit her [Mrs. Potiphar]. They said to her: Why is it that you look so badly? Have you perchance been fancying that servant of yours? Whereupon she gave them bread and meat and knives, and brought in Joseph and stood him before them. And when they lifted their eyes [from their food] to Joseph, they cut their hands as they ate. She said to them: If you, before whom he has stood for but a moment, were unable to endure it, how much less able am I, who see him each and every day. They said to her: You have no remedy other than to say to his master [Potiphar] to lock him up in prison and he will be entirely yours. She said to them: If I am the only one to speak against him to my husband, he will not believe me. But if each one of you tells her husband, "Joseph seized me," then I will tell my husband that Joseph seized me as well and he will put him in prison.

[…]

[…] And so we can reconstruct the very different sequence of events according to *Midrash ha-Gadol* (i.e. very different from *Midrash Tanḥuma*): Joseph is put in charge of the household; Mrs. Potiphar says "Lie with me" but Joseph refuses; then, one festival day, when the house is empty, she seizes him and he flees; the other ladies come back to the house to visit her; she summons Joseph while they are eating and they cut their hands.

[…] The Qur’an, as in other ways, is in agreement with *Midrash ha-Gadol* here […].

فنلاحظ هنا بالفعل اتفاق القرآن مع مدراش هاجَدُل في نقاط كثيرة. مثلاً:

- بقاء يوسف في بيت العزيز/فوطيفار حتى بعد حدوث المراودة! ومِن الممكن أن نقبل هذه الفكرة في مدراش هاجَدُل على اعتبار أن فوطيفار لم يكن قد علم بأمر المراودة بعد، بدليل أن النسوة طلبن من امرأة فوطيفار أن تخبره. أما في القرآن، فلا يمكن أن نقبلها، لأن مشهد اجتماع النسوة حدث في بيت امرأة العزيز وفي حضور يوسف، بدليل: "أَرْسَلَتْ [امرأةُ العزيز] إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ [ليوسف] اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ" (يوسف 31). وَمِن المستحيل أن نصدق أن يوسف ظل في بيت العزيز بعد أن علم العزيزُ وتأكد أن زوجته وقعت في غرام يوسف وعلم وتأكد أنها

راودته عن نفسه (يوسف 28-29)! مستحيل. على الأقل: مستحيل دراميأً. ولذلك فإننا لا يمكن أن نقبل ما يزعمه القرآنُ.

- تساؤل النسوة عن إعجاب إمرأة فوطيفار بخادمها [← "وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا" (يوسف 30)].
- زيارة النسوة لإمرأة فوطيفار في بيتها [← "أَرْسَلَتْ [امرأةُ العزيز] إِلَيْهِنَّ" (يوسف 31)].
- المأدبة والسكاكين [← "أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا" (يوسف 31)].
- يوسف يقف أمام النسوة [← "قَالَتِ [ليوسف] اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ" (يوسف 31)].
- النِّسْوَةِ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ أمام يوسف [← "فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" (يوسف 31)].
- تعليق امرأة فوطيفار على رد فعل النسوة وانتصارها عليهن [← "قَالَتْ [بعد أن صادتهن وأوقعتهن في شباك غرامه، وصرن كلهن في الهوى سواء[5551]] فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ" (يوسف 32)].
- النسوة يقترحن أن يُسجَن يوسف ليكون تحت يد امرأة فوطيفار وحدها دون غيرها (أي: تحت رحمتها) ولا يستطيع الهروب مرة أخرى، يعني: ورقة ضغط عليه حتى يلين ويستجيب[5552] [← جعل القرآنُ السجنَ تهديداً ليوسف وعقاباً له إذا لم يلين ويستجيب: "وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ" (يوسف 32)].
- انحياز النسوة إلى امرأة فوطيفار. ويُفهَم من سياق مدراش هاجَدُل أن تعاون النسوة مع امرأة فوطيفار كان ضرورياً من أجل سجن يوسف [← لاحظ ضمائر جمع المؤنث: "قَالَ [يوسفُ] رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ" (يوسف 33). وَلَمَّا جَاءَهُ رسولُ الملك في السجن: "قَالَ [يوسفُ] ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" (يوسف 50). فيبدو أن النسوة قد اتهمت يوسفَ[5553]].
- وصول الخبر (أو بالأحرى: تهمة التحرش التي لفقت ليوسف) إلى أزواج النسوة حتى يكونوا كلهم جبهة واحدة مع فوطيفار فيعملون على سجن يوسف [← لاحظ ضمائر جمع المذكر: "ثُمَّ بَدَا لَهُم (أي: للعزيز وأزواج النسوة) مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ" (يوسف 35)].

وعلى الرغم من وجود كل هذه النقاط المشتركة بين مدراش هاجَدُل ومدراش قرآن، إلا أنه يوجد اختلاف جوهري وهو إعلان براءة يوسف الذي نجده في مدراش قرآن (يوسف 28-29) ولا نجده في مدراش هاجَدُل ولا في مدراش تنحوما[5554]. لكننا نجده في مدراش يهودي آخر هو (Genesis Rabbah) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي كما قلنا فيما سبق.

وإنْ قلتم إنَّ مدراش هاجَدُل ينتمي إلى العصور الوسطى، أي: بعد القرآن. فسنقول نفس ما قلناه عن مدراش تنحوما: مدراش هاجَدُل هو عبارة عن تجميع (anthology; compilation) لروايات مدراشية كثيرة تُعلِّق على التوراة، مِنها ما نشأ قبل القرآن ومِنها ما نشأ بعد القرآن. بالضبط كما أن القرآن نفسه ينتمي إلى القرن السابع الميلادي وربما بعد ذلك، لكنه يجمع روايات وقصص وأساطير يرجع تاريخُ نشأتها إلى أكثر مِن ألف سنة قبل القرآن. إذن: تاريخ تدوين الأسطورة أو تاريخ جَمْع عناصرها ليس هو تاريخ نشأتها. فقد يكون تاريخ نشأة أسطورة "النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين أمام يوسف" المذكورة في مدراش هاجَدُل يسبق القرآن.

وفي جميع الأحوال، اطمئنوا. فلم يكن كَتَبةُ (أو: محررو) مدراش هاجَدُل هُمْ أول مَن حاولوا أن يجدوا تفسيراً مقنعاً لضمير الجمع في "لِيُدَاعِبَنَا" (التكوين 14:39). فلقد سبقهم الفيلسوف اليهودي المصري الكبير "فيلو" السكندري (Philo of Alexandria) (Philon d'Alexandrie) المعاصر ليسوع المسيح، أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 500 سنة. إلا أن فيلو جعل هؤلاء النسوة خادمات في بيت فوطيفار؛ أي: زميلات يوسف. أو كما سمَّاهن التراثُ الإسلامي: "صويحبات يوسف" أو "صَوَاحِب يُوسُفَ".

فلقد قال فيلو في كتابه الشهير "عن يوسف" (De Iosepho)[5555]:

فقالت له (أي: فقالت امرأةُ فوطيفار لزوجها): "لقد جلبتَ إلينا صبي عبراني (تقصد: يوسفَ) كعبدٍ، لم يفسد نفسك فقط عندما عهدت ببيتك إليه باستخفاف وبلا تفكير، ولكن كانت لديه الوقاحة أيضاً ليشين جسدي. إذ لم يرض فحسب بأخذ (أي: بإغواء) النساء اللواتي كن إماء مرافقات له، أظهر أنه خليع وفاسق بشدة، فحاول أن يعتدي عليَّ بالقوة؛ أنا سيدته. [...]".
[Mrs. Potiphar told her husband:] “You brought a servant into us, a slave of the Hebrews (i.e. Joseph), who had not only corrupted his soul, since you, in a simple manner without due inquiry, committed your household to him, but has even dared to assault my body. For he was not contented with seducing only his fellow servants (i.e. the women among his fellow slaves), inasmuch as he has become a most lascivious and debauched man, but he has attempted to defile even me, his mistress, and to use force to me; […]”.

ونلاحظ هنا أن ما قاله فيلو يُعتبَر تحريف للتوراة. وذلك لأنه صحيح أن امرأة فوطيفار استخدمت ضمير الجمع حين تحدثت إلى النسوة الخادمات "لِيُدَاعِبَنَا" (التكوين 14:39)، لكنها استخدمت ضمير المفرد حين تحدثت إلى زوجها: "دَخَلَ إِلَيَّ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا **لِيُدَاعِبَنِي** (to sport with **me**)" (التكوين

17:39). فيبدو إذن أن فيلو أخذ كلمة "لِيُدَاعِبَنَا" من (التكوين 14:39) ووضعها مع كلمة "لِيُدَاعِبَنِي" في (التكوين 17:39)، ثم اختلق قصة النسوة الخادمات لتبرير استخدام ضمير الجمع.

وإنْ قلتم إنَّ فيلو لم يقل شيئاً عن تضامن النسوة الخادمات مع سيدتهن امرأة فوطيفار وانحيازهن إليها. فسنقول: هذا صحيح. لكن يبدو أن البذرة التي زرعها فيلو بدهاء في التراث اليهودي قد نمت وترعرعت بمرور الزمن حتى انتقلت إلى التراث المسيحي السرياني. فلقد قال القديس الكبير "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (Ephraem) (القرن الرابع الميلادي) في الفصل الخامس والثلاثين مِن تعليقه الشهير على سفر التكوين (Commentary on Genesis 35:1)[5556]:

> But after she (i.e. Mrs. Potiphar) had caught him (i.e. Joseph) by his clothing, he left it in her hand and fled outside. Because she thought she would become a laughingstock in the eyes of her servants, she cried out in a loud voice and those of her household assembled to be her witnesses, not to that which she wanted to do (i.e. lying with Joseph), but to that which she had prepared to say (i.e. that Joseph had attempted to rape her).

تعليقنا: في بيت فوطيفار، كان يوسفُ خادماً، بل رئيساً للخدم. فَمِن المنطقي أن تكون الخادمات هن أول مَن يعجبن به ويقعن في غرامه ويحاولن مراودته عن نفسه ويتآمرن عليه لأنه لم يستجب لرغباتهن. ثم إن السيطرة على الخادمات وإجبارهن على تنفيذ مخطط سيدتهن امرأة فوطيفار أسهل من إجبار نساء الطبقة الراقية. القصة بالخادمات أبسط وأسهل وبصراحة مقنعة أكثر.

وسواء كانت النسوة هُنَّ صَوَاحِب يُوسُفَ مِن طبقة الخدم وكُنَّ أصلاً في بيت امرأة فوطيفار[5557] (كما قال فيلو اليهودي وإفرام السرياني) أم هُنَّ صَوَاحِب امرأة العزيز/فوطيفار مِن الطبقة الراقية وذهبن لزيارتها في بيتها (كما قال المدراش اليهودي والقرآن العربي)، فإن النتيجة في كلتا الحالتين واحدة: اتهام يوسف بمحاولة الاغتصاب (attempted rape) تحول مِن اتهام امرأةٍ واحدة له (individual accusation) إلى اتهام مجموعة مِن النسوة له (collective accusation). أو بعبارة أخرى: قضية المراودة كبرت وتحولت مِن امرأة واحدة هي امرأة العزيز/فوطيفار إلى مجموعة مِن النسوة هُن إما خادماتها أو صديقاتها. ولذلك خاطبهن المَلِكُ بصيغة الجمع في القرآن: "قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ" (يوسف 51).

فإذا أصر المسلمون على أن مدراش تنحوما ومدراش هاجَدُل جاءا بعد القرآن. فسنقول لهم: يكفينا ما جاء قبل القرآن بمئات السنين في كتابات اليهوديين الشهيرين فيلو ويوسيفوس وإبداعات المفكر المسيحي المعروف إفرام السرياني. فما قاله فيلو ويوسيفوس وإفرام يكفي – بل يكفي جداً – لإنتاج قصة "النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين أمام يوسف" (يوسف 30-32).

ونحن نعتقد – بل نؤمن – أن هذه القصة قد نشأت في الأوساط اليهودية، إذ لا نستطيع أن نتخيل أن أصحاب القرآن هُمْ أول مَن طوّروا ما قاله اليهوديان المعروفان فيلو ويوسيفوس عن يوسف والنسوة. أفكار فيلو ويوسيفوس تُسمَّى أفكار خلّاقة (creative, seminal ideas)، أي: أفكار يتولد منها أفكار أخرى؛ فَمِن المؤكد أن اليهود والمسيحيين الشرقيين قد طوّروا أفكار فيلو ويوسيفوس قبل أصحاب القرآن.

نحن نعتقد أن قصة "اجتماع النسوة" نشأت أولاً في الأوساط اليهودية في القرن الأول الميلادي وربما قبل ذلك. بدأت بصورة بسيطة وبدائية؛ بدون سكاكين وبدون يوسف[5558]. مثلاً: بعد المراودة الأخيرة وهروب يوسف إلى الخارج تاركاً ثوبه في يد امرأة فوطيفار (التكوين 12:39)، استدعت امرأةُ فوطيفار النسوةَ (صديقاتها أو خادماتها؛ لا يهم، وإنْ كنا نعتقد أن القصة نشأت أولاً بالخادمات كما قال فيلو ثم إفرام) – أو: النسوة رجعن مِن العيد وذهبن مِن تلقاء أنفسهن للاطمئنان على صحة امرأة فوطيفار التي لم تشاركهن الاحتفالَ بالعيد في المدينة. وفي هذا الاجتماع الذي لم يحضره يوسف، زعمت امرأةُ فوطيفار أن يوسفَ حاول أن يغتصبها وطلبت من النسوة أن تخبر كل واحدة منهن زوجَها أن يوسف حاول أن يغتصبها أيضاً، ففعلن، فنجحت المؤامرة وتَحالَف فوطيفارُ وأزواج النسوة ضد يوسف وسجنوه.

مِن المحتمل جداً أن تكون قصة "اجتماع النسوة" قد بدأت بصورة بسيطة وبدائية مثل هذه، ثم ظلت تتطور تطوراً بشرياً طبيعياً. فدخل يوسفُ إلى المشهد. ولِمَ لا؟ أليس هو بطل الرواية؟ وألم تقل التوراة إن امرأة فوطيفار "نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتهُمْ قَائِلَةً: «انْظُرُوا! [...] رَجُلٍ عِبْرَانِيٍّ [...]" (التكوين 14:39). فَمِن المحتمل أن كلمة "انْظُرُوا" مع "رَجُلٍ عِبْرَانِيٍّ" في نفس الجملة جعلتنا بعض اليهود يسرحوا بخيالهم ويتصوروا أن امرأة فوطيفار قالت للنسوة: "انْظُرُوا يوسفَ"[5559]. وهذا يعني أن يوسف عاد إلى البيت مرة أخرى؛ عاد فوراً قبل أن يعلم فوطيفار بأمر المراودة. فاقترحت النسوةُ (و/أو: امرأة فوطيفار) أن يُسجَن يوسف، إما كنوع من فرض الحصار الجسدي والحصار النفسي عليه حتى يستجيب لشهوات امرأة فوطيفار (مدراش هاجَدُل) أو كنوع من التهديد بعقابه إذا لم يستجب لشهواتها (مدراش قرآن[5560]).

وبما أن الديكور العام للمشهد هو الاحتفال بالعيد، فلاً بُدَّ أن يكون هناك نبيذ ولحم وفاكهة. وهي أجواء احتفالية مستوحاة من الأعياد اليهودية، وبخاصة عيد المظال وعيد الفصح كما قلنا. البصمة اليهودية واضحة. وبما أن التطور البشري الطبيعي يبدأ عادة بفكرة بسيطة ثم تزداد تعقيداً بمرور الزمن، فربما دخل أولاً الشراب (نبيذ) إلى المشهد ثم دخل الطعام (فاكهة و/أو لحم). دخول الطعام إلى المشهد استلزم وجود سكاكين.

وليس بالضرورة أن يحدث هذا التطور البشري الطبيعي في خط مستقيم على التوالي (in series): أضيف يوسفُ أولاً ثم أضيفت السكاكين إلى نفس التقليد. فَمِن المحتمل أن هذا التطور البشري الطبيعي قد حدث بصورة مستقلة على التوازي (in parallel): يوسف دخل في تقليد؛ والسكاكين دخلت في تقليد آخر موازي، ثم جُمِعَ التقليدان في تقليد واحد يضم يوسف والسكاكين.

وبما أن السكاكين دخلت إلى المشهد، فلماذا لا نستغلها لنجذب مزيداً مِن الناس؟ إنّ قمة الدراما التي ستجذب الجماهير – وبخاصة الشباب – إلى هذا المشهد المثير هي منظر النسوة وَ هُنَّ يقطعن أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين أمام الشاب الوسيم يوسف. لكن هذا يعني أن هؤلاء النسوة رَأَيْنَ يوسفَ للمرة الأولى. فلنجعلهن إذن من صديقات امرأة فوطيفار/العزيز ... ولنجعلهن قد أردن رؤية يوسف[5561] ...

وهكذا ظلت القصة تتطور تطوراً بشرياً طبيعياً في القرون الأولى للميلاد وتزداد تعقيداً بمرور الزمن حتى استقرت في مشهد النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين لمّا وقعنَ في غرام الشاب الوسيم يوسف من أول نظرة في بيت امرأة العزيز (يوسف 30-32). وكل ذلك حتى يقودنا إلى دخول يوسف السجن. فلاَ بُدَّ أن يُسجَن يوسفُ في نهاية هذا الانحراف القرآني عن القصة التوراتية، حتى يمكن للقصة القرآنية أن تستمر بعد ذلك في ركاب القصة التوراتية. بعبارة أخرى: بعد إعلان براءة يوسف مِن تهمة محاولة الاغتصاب الملفقة (يوسف 28-29)، كان لاَ بُدَّ أن يلجأ أصحابُ القرآن إلى قصةٍ أخرى تبرر دخول يوسف السجن. قصة "اجتماع النسوة" (يوسف 30-32) تسعى إلى القيام بهذه الوظيفة. وكأن أصحاب القرآن أرادوا أن يقولوا إن محنة يوسف لم تكن مع امرأة العزيز فقط، وإنما كانت مع النسوة المصريات بصفة عامة[5562]. فدخل يوسفُ السجنَ بإرادته حتى لا يجره هذا المجتمع الفاسد إلى السقوط في الخطيئة في الدنيا فيخسر الآخرة[5563]: "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ" (يوسف 33-35). إلا أن هذا التبرير القرآني غير معقول درامياً، إذ لا يمكن أن نصدق أن يوسف ظل في بيت العزيز بعد أن علم العزيزُ وتأكد أن زوجته وقعت في غرام يوسف وعلم وتأكد أنها راودته عن نفسه! فلا نعتقد أن أصحاب القرآن كانوا موفقين في إقحام قصة "اجتماع النسوة" في قصة يوسف القرآنية. وكان مِن الأفضل أن ينقلوا هذا المشهد إلى خارج بيت امرأة العزيز؛ مثلاً: في بيتِ واحدةٍ مِن النسوة اشترى زوجُها يوسفَ أو بالصدفة في مكانٍ عام يوم العيد. لكن يبدو أن أصحاب القرآن قد التزموا بالتراث اليهودي الذي قال إن قصة "اجتماع النسوة" حدثت في بيت امرأة فوطيفار.

وبما أن فيلو ويوسيفوس أو غيرهما ممن زرعوا بذور قصة "اجتماع النسوة" في التراث اليهودي ليسوا أنبياء، وإبداعاتهم مجرد كلام بشر 100%. فإن القرآن أيضاً مجرد كلام بشر 100%.

ولقد أثبتت هذه الدراسة أننا كنا على صواب حين قررنا أن نضع القرآن (وبخاصة القرآن المكي) في نفس الخانة مع كتب التراث اليهودي، ومِن ضمنها بالطبع: المدراش. وطبعاً توجد روايات أخرى لمشهد "النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين أمام يوسف" في المدراش، ومِنها ما قد يتفق أو يختلف معه القرآنُ[5564]. لكن حرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بهذا القدر عن المدراش. إلا أن الجذور اليهودية لمشهد "النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين أمام يوسف" (يوسف 30-32) لا تتوقف عند هذا الحد ...

4.23.2.5.3 مصادر القرآن مِن القصائد اليهودية الآرامية

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) تعليقاً على مشهد اجتماع النسوة[5565]:

> The Qur'ān's reference to a gathering of women is not found in the Genesis account of Joseph or in most early Jewish and Christian sources. However, James Kugel (*In Potiphar's House*, 32ff.) draws attention to an Aramaic poem that may predate the Qur'ān which describes how Potiphar's wife brought together "the neighboring ladies." Only some versions of this poem include the detail of the ladies cutting their hands (instead of fruit they were given) upon beholding Joseph's beauty, and Kugel suggests (40) that both the Qur'ān and the "bloody" versions of this poem are later developments on an earlier, simpler poem.
>
> All of these midrashic developments seem to be a response to a phrase in Genesis 39:7: the Hebrew *aḥar ha-debārīm ha-ēlleh*, lit. "after these things" or "after these words." The gathering of the ladies, their conversation, and the cutting of their hands upon seeing Joseph, are meant to be the "things" (or the "words") of Genesis 39:7. This story also explains why Potiphar's wife, in Genesis 39:14, calls out "*See*, [Potiphar] has brought among *us* a Hebrew to insult *us*" (Gen 39:14 RSV). The reference to "seeing" led to a story about *seeing* Joseph (Kugel, *In Potiphar's House*, 50ff.) and the reference to "us" – instead of "me" – was the seed sown in the exegetical mind which blossomed into a story about Potiphar's wife *and* her friends (see Kugel, *In Potiphar's House*, 46).

إذن: توجد قصيدة (piyyut) آرامية مِن المحتمل أن تكون مصدراً لقصة "اجتماع النِّسْوَةِ" التي ذكرها القرآن.

وعندما بحثنا في كتاب (In Potiphar's House) الذي كتبه العالم الكبير (James L. Kugel)، لم نندهش حين اكتشفنا أن هذه القصيدة الآرامية كانت تُتلَى في قراءات "عيد الأسابيع" (Shavuot) الذي يُسمَّى أيضاً "عيد الحصاد" (Feast of Harvest) أو "عِيدَ الخمسين" (Pentecost) أو "عِيد العَنْصَرَة"، ويأتي سنوياً في مايو-يونيو، وهو أيضاً واحد مِن أعياد الحج اليهودية الكبيرة الثلاثة. وصار اسمُه في العهد الجديد "عِيد حلول الرُّوحِ الْقُدُسِ [على رسل المسيح]" أو "عيد ميلاد الكنيسة". يقول العهد الجديد في سفر أعمال الرسل: "وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، [...] وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ،

وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا. وَكَانَ يَهُودٌ رِجَالٌ أَتْقِيَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ سَاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ" (أعمال الرسل 2:1-5). ومِن بين هؤلاء اليهود المجتمعين فِي أُورُشَلِيمَ "عَرَبٌ" (أعمال الرسل 2:11) أو: يهود يعيشون بين العرب الأنباط قادمون إلى أُورُشَلِيمَ في القرن الأول الميلادي في موسم الحج[5566]. بل يعتقد العالِم المغربي المعروف محمد المسيَّح أن "رِحْلَةَ الصَّيْفِ" المذكورة في القرآن (قريش 2) هي رحلة دينية-تجارية كان العرب يقومون بها سنوياً إلى أورشليم في عِيد العَنْصَرَة[5567]. وبغض النظر عن مدى صحة هذا الرأي، فإنه يكفينا أن التراث الإسلامي يقول إن رِحْلَةَ الصَّيْفِ كانت إلى الشام حيث أورشليم/القدس. ومِن ثم فإننا نستنتج أن العرب كانوا على دراية بالعادات والتقاليد اليهودية المرتبطة بعيد العَنْصَرَة. فَمِن المحتمل جداً – بل مِن شبه المؤكد – أن العرب قد سمعوا هذه القصيدة الآرامية التي كانت تُتلَى سنوياً في عِيد العَنْصَرَة.

ولم نندهش أيضاً حين اكتشفنا أن هذه القصيدة الآرامية تجعل يوسفَ مثل النادل (waiter) أو الجارسون الذي يطوف على النسوة حاملاً النبيذ[5568] أو ربما حاملاً الماء اللازم لتخفيف النبيذ[5569]:

> Here, after Joseph’s refusal to submit to her advances, Mrs. Potiphar “convene[s] all the neighboring ladies” to tell them of her handsome servant Joseph. She relates his attractions in great detail, and then further recounts her frustrations in seducing him. “Though I ask him to plow in my garden, he does not wish to … .” Although she has threatened Joseph with expulsion, then wheedled and cajoled him, he has remained uninterested. Having related all this to her friends, Mrs. Potiphar then invites them to see for themselves. She brings them to her palace and sits them down, then calls to Joseph to put on his finery and serve the ladies:
>
> With serving-bowls in his hand, he went and mixed their wine;
>
> They held their cups, but took no taste of them;
>
> For when they beheld him, their faces grew quite pale.
>
> Yet though his face was toward his mistress, his heart was to his Heavenly Father.

وإنْ قلتم إنَّ النسوة لم يقطعن أيديهن بالسكاكين في هذه القصيدة الآرامية. فسنقول: هذا صحيح. لكن هذه ميزة وليست عيباً. لأن هذا يعني أن هذه القصيدة الآرامية تنتمي إلى مرحلة مبكرة من مراحل تطور قصة "اجتماع النسوة"؛ مرحلة يوجد فيها يوسف ولا يوجد فيها سكاكين أصلاً. أو كما قال العالم الكبير (Prof. James

(L. Kugel الذي قام بتحليل مراحل تطور قصة "اجتماع النسوة" إلى 7 مراحل، فقال عن المرحلة الثالثة[5570]:

> Stage III came about when this story of the assembly of the ladies was combined with creative exegesis of the word “See!” in Mrs. Potiphar’s cry, which seemed to imply that Joseph was actually present at the time. […] the [Aramaic] poem’s account appears to be the earliest form of the story incorporating the creative exegesis of the word “See!” in Gen. 39:14.

ومِن الجدير بالذكر أن (Prof. James L. Kugel) قد وضع رواية مدراش هاجَدُل لقصة "اجتماع النسوة" في المرحلة الرابعة مِن مراحل تطور القصة، بينما وضع الرواية القرآنية في المرحلة الخامسة، أي: بعد القصيدة الآرامية (المرحلة الثالثة) وبعد مدراش هاجَدُل (المرحلة الرابعة).

وسواء كانت الرواية بدون سكاكين (القصيدة الآرامية – المرحلة الثالثة) أو بسكاكين (الرواية القرآنية – المرحلة الخامسة)، فإن المراد واحد وهو إبراز تأثير جمال يوسف العبراني على النسوة المصريات. في القصيدة الآرامية، لمَّا رأى النسوةُ يوسفَ فجأة سُحِرن بجماله فظللن ينظرن إليه ونسين كئوس النبيذ التي في أيديهن فلم يشربن النبيذَ بل لم يذقنه **[⟵ بالغ أصحابُ القرآن في وصف هذا المشهد، فأعطوه دراما أكثر. كان من الممكن مثلاً أن يجعلوا كئوس النبيذ تسقط من أيدي النسوة بدون قصد مِن شدة انبهارهن بجمال يوسف أو أن يجعلوا النسوةَ يلقين كئوس النبيذ على الأرض عن عمد لجذب انتباه يوسف إليهن. لكن يبدو أن أصحاب القرآن أرادوا دراما أكثر من ذلك، فجعلوا النسوةَ يقطعن أيديهن بسبب عدم تركيزهن في قطع الفاكهة لانشغالهن بتأمل جمال يوسف ومطالعة محاسنه الفاتنة! "قَالَتِ [امرأةُ العزيز ليوسف] اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ [فجأة] أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" (يوسف 31)].**

وتوجد أمور كثيرة أخرى مشتركة بين القصيدة الآرامية والرواية القرآنية، مثل:

- دعوة امرأة فوطيفار/العزيز للنسوة **[⟵ "أَرْسَلَتْ [امرأةُ العزيز] إِلَيْهِنَّ" (يوسف 31)].**
- مجاهرة امرأة فوطيفار/العزيز أمام النسوة بحب يوسف ومراودته **[⟵ "قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ" (يوسف 32)].**
- ذيوع خبر انشغال قلب امرأة فوطيفار/العزيز بيوسف وتحوله مِن أمر خاص وسري بينهما إلى أمر عام تعرفه نسوة الطبقة الأرستقراطية الراقية **[⟵ هذا ما حدث أيضاً في القرآن. بل جعل القرآنُ الخبرَ يصل أيضاً إلى أزواج النسوة (أو: أصحاب العزيز). راجع ضمائر جمع المؤنث وجمع المذكر في (يوسف 33-35)].**

ومِن الجدير بالذكر أنه توجد رواية أخرى لهذه القصيدة الآرامية تذكر النبيذ والسكاكين وفاكهة الأُتْرُجّ (citron) وتقول إن أيدي النسوة امتلأت بالدماء[5571]:

With serving-bowls in his hand, he went and mixed their wine; They held their cups, but took no taste of them, When they beheld him, in their hands were knives and citrons, The citron they did not cut, and their hands were full of blood.

وتوجد رواية ثالثة لهذه القصيدة الآرامية تذكر النبيذ والسكاكين وفاكهة الأُتْرُجّ (citron) وتقول إن النسوة قُمن وقبَّلن رأسَ يوسف ثم امتلأت أيديهن بالدماء[5572]. وامتلاء أيدي النسوة بالدماء قد يعني أنهن قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين سواء بقصد أو بدون قصد؛ وقد يشير مجازياً – حسب التراث اليهودي – إلى شرهن وانحرافهن المُتمادِيَين، اقرأ مثلاً (إشعياء 1:15، 3:59) (حزقيال 23:37، 23:45)[5573].

ومِن الجدير بالذكر أيضاً أن بعض القصائد (piyyutim) اليهودية، سواء بالعبرية أو بالآرامية، كانت تتحول إلى مسرحيات أو اسكتشات قصيرة ويقوم ممثلون بتمثيلها أمام الناس، مما يجعل فهمها سهلاً حتى لو كان المشاهد أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يجيد اللغة التي يتحدث بها الممثلون. وبخاصة إذا كانت القصيدة لا تعتمد أساساً على الأقوال، وإنما تعتمد أساساً على الأفعال وردود الأفعال. مثل القصيدة الآرامية التي نحن بصددها. وأيضاً مثل المشهد القرآني: "أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا [ليُقَطِّعن الفاكهة] وَقَالَتِ [ليوسف] اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ [لتُفاجِئَهنَّ به وهو على أحسن صورة] فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ (أي: أعظمنه وأجللنه وأخَذَهن حسنُه الرائع) وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [بالسكاكين]" (يوسف 31).

ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن مَن كتبوا هذا المشهد القرآني المثير كانوا أصلاً يهود أو على علاقة قوية باليهود، بدليل معرفتهم بالعادات والتقاليد اليهودية المتعلقة بأعياد الحج اليهودية الكبيرة الثلاثة: عيد المظال (بدليل: فاكهة الأتْرُجّ)، عيد الفصح (بدليل: إعداد المتكأ للأكل وشرب النبيذ)، وعيد العَنْصَرَة (بدليل: تلاوة القصيدة الآرامية). وهي كلها أعياد يهودية مهمة ترتبط بخروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى[5574].

إذن: إذا ثبت أن إحدى روايات هذه القصيدة الآرامية تسبق القرآن، أو على الأقل تُسجِّل كتابةً تقليداً يهودياً كان موروثاً شفوياً قبل القرآن، فليس أمامنا سوى أن نقول إن مشهدَ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين (يوسف 30-32) مجرد تطور بشري طبيعي لهذا التقليد اليهودي الموروث.

ومما يؤيد هذا الرأي أن هذا المشهد القرآني فيه وزن شعري؛ أي: فيه بصمة القصيدة. قال الشيخُ الشعراوي: "وأنت تقرأ القرآن، تنتقل من النثر المُرْسَل إلى النثر المسجوع إلى النظم الشعري على وزن بحور الشعر، فلا تكاد تفرق في الأسلوب بين شعر أو نثر. والمثل نجده في الآية التي نحن بصدد خواطرنا

عنها: "فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ .." (يوسف 32). فهي موزونة من بحر البسيط، ولكنك لا تشعر أنك انتقلت من نثر إلى شعر. [...] وأنت لن تشعر بهذا الأمر لو لم يُنبِّهْك أحد لِمَا في بعض الآيات من وزن شعري"(5575).

ومما يؤيد هذا الرأي أيضاً وجود بيت شعر للشاعر العربي المعروف أُمَيَّة بْنِ أَبِي الصَّلْتِ يتحدث عن هذه القصة:

حَتَّى إذَا جِئْنَهَا قَسْرًا   وَمَهَّدَتْ لَهُنَّ أَنْضَادًا وَكَبَابَا(5576)

ونحن نعتقد أن هذا البيت يسبق القرآن، أو على الأقل: يعبر عن تقليد يهودي يسبق القرآن، بدليل كلمة "قَسْرًا" التي تعطي معنى الإكراه والإجبار على الحضور، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت النسوة خادمات في قصر امرأة فوطيفار كما قال فيلو اليهودي (القرن الأول الميلادي) وإفرام السرياني (القرن الرابع الميلادي).

لكن على أي حال، سواء كان أُمَيَّة بْنِ أَبِي الصَّلْتِ أو غيره قد قال هذا البيت فعلاً قبل القرآن أم أنه وُضِعَ على لسانه ونُسِبَ إليه في عصرٍ لاحق، فإن النتيجة في كلتا الحالتين واحدة: العرب تنبهوا إلى الجذور الشعرية لقصة "النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ".

وإنه لمِن الطريف أننا نستطيع أن نُدخِل هذا البيت في القصة القرآنية بدون أدنى مشكلة فنقول مثلاً: فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ حَتَّى إذَا جِئْنَهَا قَسْرًا وَمَهَّدَتْ لَهُنَّ أَنْضَادًا وَكَبَابًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ.

خلاصة القول: مشهدَ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين (يوسف 30-32) ليس له أي علاقة بالتاريخ المصري القديم. ومِن المؤكد أنه مجرد تطور بشري طبيعي لتقليد يهودي موروث سواء شفوياً أو في التراث اليهودي الشعري (مثلاً: القصائد الآرامية) أو في التراث اليهودي النثري (مثلاً: مدراش هاجَدُل). حرص هذا التراث اليهودي على إبراز جمال يوسف، وفي نفس الوقت حرص على إبراز عفته وطهارته لدرجة أنه رفض كل إغراءات النسوة، وحرص كذلك على تفسير بعض الكلمات والعبارات التي قد تبدو غريبة في النص التوراتي. هذا إذا افترضنا حُسْن النية. أما إذا افترضنا سوء النية، فسنقول إن هذا التراث اليهودي ربما حرص أيضاً على تشويه صورة المجتمع المصري القديم.

كل خيوط البحث وصلت بنا إلى نفس النتيجة: قصة "اجتماع النسوة" المذكورة في القرآن (يوسف 30-32) من الإسرائيليات الموجودة في القرآن. وكما نقول دائماً: القرآن هو المصدر الرئيسي للإسرائيليات في الإسلام.

ونحمد الله أننا استطعنا مِن خلال دراستنا لجذور القرآن أن نكشف زيف هذه القصة. فلم تلهث المصريات أبداً وراء الزنا بهذه الصورة المهينة التي ذكرها القرآنُ العربي وتفاسيره. ويجب هنا أن نذكر شهادةَ حق قالها رجلٌ يهودي مُنصِف. نعم، فلقد شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أن هذه القصة "مِن أولها

إلى آخرها" مِن اختلاق اليهود "بلا جدال". هذا الشاهد هو العالم اليهودي الكبير (Prof. James Kugel) الذي قال[5577]:

> It should by now be clear that as Ginzberg noted, the Jewish origin of this story is "beyond dispute" (though he was somewhat off the mark, as we have seen, in saying this specifically about the *Tanḥuma* version). For it is, from start to finish, an *exegetical* creation, one aimed at explaining peculiarities in a particular verse. In that respect, it is indisputable that the Qur'an, which has no interest in biblical exegesis *as such*, has thus simply taken over a bit of traditional exegesis that was also a good story, and woven it into its retelling of the doings of the hero Yusuf. It is certainly not irrelevant to emphasize here the provenance of our *Midrash ha-Gadol*: as noted, it comes from Yemen, that is, the Arabian peninsula. What could better explain the resemblance between its version and that of the Qur'an than that this story had come into the possession of the Arabic-speaking Jews of the peninsula, where it was, eventually, both committed to writing in the form it is in *Midrash ha-Gadol* and, also, passed on orally (in Arabic) until it found its way, along with a good deal more Jewish exegetical material, into the Qur'an. As is so often the case with Qur'anic recycling of biblical stories, there is no indication that that book's (i.e. the Qur'an's) author sought (or was even able) to distinguish biblical text from exegetical elaboration, or to distinguish both of these from later flourishes that had been added for no exegetical reason at all.
>
> […]
>
> A form of the story very similar to that of *Midrash ha-Gadol* must have served as the basis for the Qur'an version, which is Stage V. […]

إن هذه الدراسة القيمة – التي قام بها العالم الكبير (Prof. James L. Kugel) في كتابه الشهير (In Potiphar's House: The Interpretive Life of Biblical Texts) وحاولنا في الصفحات السابقة أن نلخصها ونبسطها، مع إضافات من عندنا نتمنى أن نكون قد وفقنا فيها وبخاصة فيما يتعلق بالأعياد

اليهودية – قد أثبتت قوة عملية التطور البشري الطبيعي بالحذف و/أو الإضافة وقدرتها على إنتاج قصص ممتعة ومشوقة لكن غير حقيقية وغير تاريخية. مثل قصة "اجتماع النسوة" (يوسف 30-32).

4.23.2.5.4 مصادر القرآن مِن الترجوم الآرامي وسوديبِجرافا العهد القديم

وفي نفس السياق نود أن نؤكد على تأثر القرآن بالتراث اليهودي الذي بالغ مبالغة كبيرة في إبراز جمال يوسف ووسامته الفريدة مِن نوعها، وكذلك بالغ في إعجاب النسوة المصريات به ووقوعهن في غرامه. وحرصاً على عدم الإطالة سنكتفي بمثالين فقط.

نبدأ أولاً بالترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي (Targum Neofiti) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والرابع بعد الميلاد[5578]، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة.

(ترجوم نيوفيتي[5579]. التكوين 49): {22} [يقول يعقوب:] يوسف ابني، كبرتَ يا ابني، عظمتَ وصرتَ قديراً، [...]. حين أصعدوك في مركبة فرعون الثانية، ونادوا أمامك: ليحيَ أبو المَلِك الذي هو سيّد بالعلم (أو: بالحكمة) **[← "آتَيْنَاهُ حُكْمًا (أي: حكمةً) وَعِلْمًا" (يوسف 22) "عَلِيمٌ" (يوسف 55)]** وفتى بالسنين (أي: عَلِيمٌ على الرغم من أنه شاب عمره 30 سنة فقط)[5580]، شاهدتكَ بناتُ الملوك والأمراء **[← "نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ" (يوسف 30)]** من فتحات الأبواب، وسمعتك من النوافذ **[← "فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ" (يوسف 31). وعلى الرغم من أن اجتماع النسوة وكلامهن (يوسف 30-32) حدث في القرآن قبل صعود يوسف إلى السلطة في مصر، إلا أن كلمة "أَكْبَرْنَهُ" ربما تحمل في طياتها عناصر العظمة والإجلال مِن ترجوم نيوفيتي الذي يتحدث عن يوم صعود يوسف إلى السلطة]**. رمين أمامك (cast down before you) الأساور والحلق والعقود والمشابك (breast pendants) وكل حلي الذهب، مترجيّات أن ترفع عينيك وتنظر إلى واحدةٍ منهنّ **[← في ضوء ترجوم نيوفيتي، يمكن أن نفسر عبارة "قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" (يوسف 31) تفسيراً مجازياً، فيكون المراد: قَطَّعْنَ حُلِيِّهِن التي في أَيْدِيَهُنَّ. عَنْ مجاهد وقتادة، قَالَا: "قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ حَتَّى أَلْقَيْنَهَا"[5581]. ولا نظن أن امرأةً عاقلة تقطع يدها حتى تلقيها! فلعلهما إذن يقصدان: قَطَّعْنَ حُلِيِّهِن حَتَّى أَلْقَيْنَهَا على الأرض تحت أرجل يوسف عسى أن يرفع يوسفُ عينيه وينظر إلى واحدةٍ منهنّ.**

وحتى إذا التزمنا بالمعنى الحرفي لـ "قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" (يوسف 31)، فلعل المقصود أنهن رمين أمام يوسف دماءهن التي هي أغلى من حُلِيِّهن! "فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" (يوسف 31). قيل إنهن جَرَحْن أَيْدِيَهُنَّ بدون قصد! لكن لا يُعقَل أن خطأ عفوي وغير مقصود يصدر مِنهن جميعاً وفي نفس الوقت ولنفس السبب! وبخاصة أن القرآن لا يقول "قَطَعْنَ" وإنما يقول "قَطَّعْنَ" التي تفيد الشدة و/أو الكثرة. ولذلك فإننا وفي ضوء ترجوم نيوفيتي نرى أنهن – أو على الأقل: بعضهن – قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ عن عمد عسى أن يرفع يوسفُ عينيه وينظر إلى واحدةٍ منهنّ].

ومِن الجدير بالذكر أن بعض العلماء المسلمين قالوا إن النسوة "قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" عن عمد. نذكر منهم على سبيل المثال العالم الباكستاني الأصل "مستنصر مِير" (Prof. Mustansir Mir) الذي يقول[5582]:

> […] According to [Amīn Aḥsan] Iṣlāḥī, the ladies' criticism of Potiphar's wife (v. 30) contains the implicit boast that they themselves would fare much better with Joseph (i.e. they are far better schooled in the art of love and, had they been in her place, would easily have persuaded Joseph to do their wish). Potiphar's wife challenges them to prove it [and that is why she arranges the banquet]. The ladies' scheme is to bring Joseph round by using one of the most potent of feminine weapons – threat of suicide – if he remains adamant. When Joseph appears before them at the banquet (v. 31), they are awestruck at his beauty (أَكْبَرْنَهُ), but, pulling themselves together, try their charms on him, failing which (i.e. becoming desperate because of their failure) some of them cut their hands (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) as a token of their seriousness in carrying out the threat of suicide [if Joseph would not yield], finally acknowledging defeat but not without pleading that their charms did not work with Joseph because he is an angel and not a human being (مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ). […]. All the unsavory details of the episode are thus disposed of in a few words. According to Iṣlāḥī, the Quran itself supports this interpretation: the ladies' performance at the banquet is called كَيْد ("stratagem, intrigue") by Joseph (v. 50). If the ladies had been so overwhelmed by Joseph's beauty that they accidentally cut their hands, it could hardly be termed كَيْد. Moreover, the king, when he questions the ladies, says (v. 51): مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ, "What was the matter with you when you *tried to tempt* Joseph?," a question that would become meaningless if the incident took place [inadvertently] as commonly conceived. Joseph also uses the word [كَيْدَهُنَّ] in vs. 33, another verse that lends support to Iṣlāḥī's contention. […] Furthermore, the significance of the detail وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا has perhaps never been fully appreciated. It seems unlikely that the Quran mentions the fact that Potiphar's wife

> provided knives to her guests just to indicate (sophisticated) Egyptians' use of knives and forks at the table. The knives, in my view, were provided in accordance with the preconceived plan of the ladies mentioned above. And it is too often forgotten that vs. 31 contains the word قَطَّعْنَ, which is intensive and implies تكثير ("frequency") and تكرير ("repetition"), being thus completely unsuitable for an accidental cutting of hands. […]

ومما يميز هذا التفسير أيضاً أنه يرشدنا إلى معنى "مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" (يوسف 31). النسوة – أو على الأقل: بعضهن – قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ عن عمد لجذب انتباه يوسف إليهن. لكن يوسف لم يستجب لهن ولم ينظر إلى واحدةٍ منهنّ. فقالت النسوة إن يوسف ليس بشراً مثل بقية الرجال، وإنما "مَلَكٌ كَرِيمٌ" زاهدٌ في الأمور الجنسية. أي: السبب يرجع إلى شخصية يوسف وتكوينه، وليس أنهن دميمات أو غير جاذبات[5583]!

شاهِد أيضاً ما قاله (Dr Shehzad Saleem) في هذه المسألة[5584].

نعود إلى **(ترجوم نيوفيتي. التكوين 49)**: {22} وقالت بناتُ الملوك والأمراء الواحدة إلى الأخرى: هذا هو يوسف الرجل التقيّ (pious)[5585][5586] **[← بعد صعود يوسف إلى السلطة: "قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ[5587] مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ" (يوسف 51)]**، الذي لا يمضي وراء ما تراه عيناه ولا وراء ما يفكّر فيه قلبُه **[← قبل صعود يوسف إلى السلطة: "قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" (يوسف 31). أي: لجماله الفائق؛ وقيل إن هذا اعترافٌ منهن ببراءة يوسف فهو مثل الملاك. ولا نرى تعارضاً بين الرأيين]**.

وإنْ قلتم إن ترجوم نيوفيتي يتحدث عن وقوع النسوة المصريات في غرام يوسف بعد صعوده إلى السلطة، بينما يتحدث القرآنُ عن وقوع النسوة المصريات في غرام يوسف قبل صعوده إلى السلطة.

فسنقول إن هذا اختلاف بسيط جداً، فلا يمكن أن يكون هو الدليل على أن الترجوم كلام بشر والقرآن كلام الله! والحقيقة هي أن كليهما كلام بشر. الترجوم الآرامي كلام بشر. والقرآن العربي كلام بشر أيضاً.

وعلى أي حال، اطمئنوا. يوجد تقليد يهودي آخر يتحدث عن وقوع النسوة المصريات في غرام يوسف قبل صعوده إلى السلطة. نجد هذا التقليد في كتاب "يوسف وأَسْنَات" (Joseph and Asenath) وهو أحد كتب سوديبِجرافا العهد القديم ويرجع تاريخه إلى ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، أي: قبل الإسلام بأكثر من 400 سنة. ويرى العالم الكبير (Prof. James L. Kugel) إن تاريخ كتابته يرجع إلى القرن الأول الميلادي، أي: قبل ترجوم نيوفيتي[5588]. وطبعاً قبل الإسلام.

صحيح أن كتاب يوسف وأَسْنَات يبدأ بصعود يوسف إلى السلطة في مصر، لكنه يعمل "استرجاع" (فلاش باك) (flashback)، أي: رجوع إلى الماضي، فيقول[5589]:

For all the wives and the daughters of the noblemen and the satraps of the whole land of Egypt used to molest him (wanting) to sleep with him, and all the wives and the daughters of the Egyptians, when they saw Joseph, suffered badly because of his beauty. But Joseph despised them, and the messengers [who would probably be slaves] whom the women sent to him with gold and silver and valuable presents Joseph sent back with threats and insults, because Joseph said, “I will not sin before (the) Lord God of my father Israel nor in the face of my father Jacob.” And the face of his father Jacob, Joseph always had before his eyes, and he remembered his father’s commandments. For Jacob would say to his son Joseph and all his sons, “My children, guard strongly against associating with a strange woman, for association (with) her is destruction and corruption.”

يتفق القرآنُ مع الإسرائيليات المذكورة في النص السابق في عدة أمور أهمها:

- رغبة النسوة في رؤية يوسف ومراودتهن إياه **[← "رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ" (يوسف 51)]**.
- تضحية النسوة بالذهب والفضة والهدايا الثمينة لجذب انتباه يوسف إليهن **[← جعلهن القرآنُ يقطعن أيديهن أمام يوسف! "فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" (يوسف 31)]**.
- رفض يوسف لكل محاولتهن خشيةً مِن الله وتمسكاً بوصايا أبيه يعقوب، فلقد كان يوسفُ يرى أمام عينيه دائماً وجهَ أبيه يعقوب **[← "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ" (يوسف 24) ؛ قيل: رأى صورةَ أبيه يعقوب؛ وقيل: تَذَكُّرُ عهدَ الله وميثاقه وما أخذه على عباده مِن تحريم الزنا والخيانة، ويُفهَم مِن السياق أنه سمع وصايا الله من أبيه يعقوب]**. وقد يكون كتاب يوسف وأَسْنَات هو أقدم كتاب يجمع الرأيين سوياً. الرأي الأسطوري: رأى وجه أبيه يعقوب؛ والرأي العقلاني: تذكُّر تعاليم أبيه يعقوب.

ونحن نعتبر هذه التقاليد اليهودية الموروثة قبل الإسلام بمئات السنين والمسجلة في كتاب "يوسف وأَسْنَات" وترجوم نيوفيتي دليل آخر يؤكد أن قصة "اجتماع النسوة" (يوسف 30-32) أسطورة يهودية أصلاً، إذ لا يمكن أن نتصور أن أصحاب القرآن هُمْ أول مَن طوروا تلك الأساطير اليهودية المتعلقة بإعجاب النسوة المصريات بيوسف وحرصهن على رؤيته وتضحيتهن بكل غالي ونفيس طمعاً في جسده، بل طمعاً في نظرةٍ منه؛ بينما يحافظ يوسفُ على بره وتقواه واستقامته فلا يستجيب لكل إغراءات هؤلاء النسوة.

في ضوء كل سبق، يتضح لكل ذي عقل أن مشهد النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ أمام يوسف (يوسف 30-32) مجرد تطور بشري طبيعي لما جاء في الإسرائيليات التي توارثها أبناءُ الشرق الأوسط قبل الإسلام بمئات السنين. فنتمنى ألا ينزعج أحباؤنا المسلمون حين نقول إن الإسرائيليات موجودة في القرآن.

الإسرائيليات موجودة ومنتشرة بكثرة في القرآن. بل لولا الإسرائيليات لما كان القرآن. القرآن هو المصدر الرئيسي للإسرائيليات في الإسلام.

4.23.2.6 قال ساقي الخمر ليوسف: "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ" (يوسف 46)

قيل إن كلمة "صِدِّيق" تعني: الكثير الصدق؛ أو: الحريص على الصدق في القول وفي الفعل. ولم تُذكَر كلمة "صِدِّيق" بصيغة المفرد في القرآن كله إلا في أربع مواضع فقط. ثلاثة تشير إلى شخصيات كتابية من العهد القديم: إدريس (أخنوخ)[5590] (مريم 56) وإبراهيم العبراني[5591] (مريم 41) ويوسف العبراني[5592] (يوسف 46). والموضع الرابع يشير إلى المرأة اليهودية مريم العذراء[5593] (المائدة 75).

بالنسبة لإدريس وإبراهيم ومريم، جاءت كلمة "صِدِّيق" على لسان الراوي، أي: الله حسب العقيدة الإسلامية، وبدون أداة التعريف "ال". أما بالنسبة ليوسف، فالأمر مختلف ومميز عنهم. فلقد جاءت عبارة "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ" (يوسف 46) بأداة التعريف "ال"، وكصيغة نداء (appellation) أو لقب (title) أكثر منها مجرد وصف، وعلى لسان "الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا (أي: ساقي الخمر الذي كان مع يوسف في السجن ثم خرج)". وأغلب الظن أن هذا الرجل كان مصرياً أو على الأقل لم يكن عِبرانياً. والسؤال: مِن أين عرف هذا الرجل المصري (غير العبراني) أن يوسف العبراني كان يُوصَف ويُنادَى ويُلقَّب بـ "يوسف الصِّدِّيق"؟! بل بالأحرى، مِن أين عرف أصحابُ القرآن هذه المعلومة؟!

نجد الإجابة في الأبحاث التي قام بها العلماءُ الذين درسوا الكلمات الأعجمية في القرآن. ونذكر منهم على سبيل المثال، العالم الكبير (Arthur Jeffery) الذي قال إن جذور كلمة "صِدِّيق" عبرية-آرامية[5594]. وبالفعل، وردت كلمة "صِدِّيق" (بالعبرية: ṣad·dîq) عدة مرات في العهد القديم العبري، وتُترجم عادةً إلى "بار" (just; righteous). مثلاً: "كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا (tzdiq)" (التكوين 6:9)؛ والآية الشهيرة التي يحفظها كل يهودي ومسيحي "فَآمَنَ [أَبْرَامُ/إبراهيمُ] بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا (ṣĕdāqāh)" (التكوين 15:6). وقال الإنجيل إن يوسف "كَانَ بَارًّا (just; righteous)" (متى 1:19)؛ وعلى الرغم من هذه الآية تقصد يوسف النجار رَجُل مريم العذراء وليس يوسف بن يعقوب، إلا أن "الكلمة "بَارًّا" هي تعبير عبري، يفترض أن يوسف كان يؤمن بالله إيماناً حقيقياً، فأُعلِن بذلك أنه بارٌّ، وأنه يطيع الشريعة بكل أمانة"[5595].

وفيما يتعلق بقصة يوسف بن يعقوب القرآنية تحديداً، قال العالم الكبير (David Banon) المتخصص في الدراسات العبرية واليهودية إن وصف "يوسف الصِّدِّيقُ" قد يعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد،

أي قبل الإسلام بأكثر من 700 سنة. وقال تعليقاً على الآية الكتابية "بَاعُوا الْبَارَّ (juste) بِالْفِضَّةِ، وَالْبَائِسَ (pauvre) لأَجْلِ نَعْلَيْنِ" (عاموس 6:2)[5596]:

L'indétermination du verset du prophète : « un juste, un pauvre » ne désigne pas nécessairement Joseph. Cependant, au II^e siècle avant l'ère courante, on a appliqué ce verset à Joseph et c'est peut-être dès cette époque que Joseph a reçu le qualificatif de juste: *Yosef hatsadiq*. Nul doute que nous sommes là à l'origine de la gestation d'une tradition aggadique qui sera véhiculée, reprise et développée par le midrach.

وكذلك قال العالم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds)[5597]:

The Arabic behind "truthful one" in verse 46 is *ṣiddīq* and may come from Hebrew *ṣaddīq*, "pious, righteous" – (see Ambros, 159) a typical description of Joseph in midrash. This could also be behind other uses of this term: for Mary (5:75) and generally (4:69; 57:19).

وكذلك قال العالم الكبير (James L. Kugel). وأضاف أنه مِن المحتمل أن الأصل العبري "يوسف الصِدِّيق" (Yosef ha-ṣaddiq) قد انتقل إلى التراث اليهودي المترجم إلى اليونانية. في سفر المكابيين الرابع (4 Maccabees) (4 مكابيين 2:1-4) الذي يرجع تاريخه إلى فترةٍ ما بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد؛ وقيل: القرن الثاني الميلادي؛ أي: قبل الإسلام بأكثر من 400 سنة[5598]:

Joseph, like so many biblical figures, developed a particular title or appellation that was paired with his name in rabbinic exegesis, comparable to "Abraham our Father," "Moses our Teacher," "Balaam the Wicked," etc.; in his case it was "Joseph the Righteous" or "the Virtuous," *Yosef ha-ṣaddiq*, and there can be little doubt that this name, too, was based on the incident with Potiphar's wife. Among the earliest evidence of the conferral of this title may be the above cited passage from 4 Maccabees, where "the temperate Joseph" may be an attempt to render the Hebrew appellation into Greek.

ونحن نجد في التلمود البابلي (Yoma 35b) الذي جُمِع في القرن الخامس أو السادس الميلادي[5599][5600] أي قبل ظهور الإسلام، أن يوسف موصوف بكلمة "الْبَار" (le Juste)[5601].

كما نجد ملخصاً لحياة يوسف في "سفر الحكمة" (Book of Wisdom) (أو: "حكمة سليمان" (Wisdom of Solomon)) وهو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha)، ويرجع تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد أو الأول بعد الميلاد، أي: قبل الإسلام بأكثر من 500 سنة. يبدأ هذا الملخص بالتأكيد على بر يوسف بدون ذِكر اسمه: "ولمَّا بِيعَ رَجُلٌ بارٌّ (righteous) (هو: يوسف) عبداً، ما خَذَلَتْهُ الحِكمَةُ وإنما خَلّصَتْهُ مِنَ الخطيئةِ. ومعَهُ نَزَلَت [الحِكمَةُ] إلى حُفْرَةٍ عميقَةٍ (pit; dungeon). وفي القُيودِ (أي: في السجن) لم تُفارِقْهُ حتى أعطَتْهُ صَولَجانَ السّيادَةِ على المملَكَةِ [المصرية] وسُلطاناً على الذينَ اضْطَهَدوهُ (أو: على الذين كانوا مُتَسَلِّطينَ عليه). والذينَ اتّهَموهُ زوراً، كَذّبَتْهُمُ الحِكمَةُ. أما هو (أي: يوسف) فَمَنَحَتْهُ [الحِكمَةُ] مجداً أبدياً" (الحكمة 10:13-14)[5602]. وهذا النص بالذات يتميز بعدة أمور مهمة:

- يصف النص يوسفَ وما حدث له بدون ذِكر اسمه صراحةً[5603]! وهذا يدل على وجود أعمال يهودية قبل الإسلام بها عادة وصف الأشخاص بدون ذِكر أسمائهم صراحةً والاعتماد على معرفة المستمع أو القارئ بأحداث القصة ومِن ثم قدرته على استنتاج مَن المقصود. وهذا ما نجده كثيراً في القرآن. مثلاً: "وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 91) "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا [...]" (البقرة 259).
- يشير النص مرتين إلى محنة يوسف مع امرأة فوطيفار/العزيز ووقوف "الحِكمَة (أي: خطة الله the great divine plan؛ أو: الرب الإله نفسه)" بجانب يوسف: (1) "الحِكمَةُ خَلّصَتْهُ مِنَ الخطيئةِ (أي: من الزنا)" **[← "رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" (يوسف 24)؛ "فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (يوسف 34)]**. (2) "والذينَ اتّهَموهُ زوراً [بالزنا]، كَذّبَتْهُمُ الحِكمَةُ (أي: كشف الله كذبهم)" **[← "إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" (يوسف 50). ثم مشهد المحاكمة حيث قالت النسوة: "قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ" (يوسف 51) و "قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 51). "اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ" (يوسف 52)]**.
- ومما يلفت الانتباه أيضاً ضمير الجمع في "الذينَ اتّهَموهُ" (Those who accused him) مما يجعلنا نعتقد أن الكاتب أراد أن يشير إلى "النسوة" وليس إلى امرأة فوطيفار فقط[5604]. ونحن نعتبر ذلك بمثابة دليل آخر يؤكد ما قلناه إن قصة "اجتماع النسوة" وتحالفهن ضد يوسف (يوسف 30-33) قد نشأت أولاً في الأوساط اليهودية في القرن الأول الميلادي وربما قبل ذلك.

- "والذينَ اتّهَموهُ زوراً، كَذّبَتْهُمُ الحِكمَةُ (أي: ظهرت براءةُ يوسف). أما هو فَمَنَحَتْهُ [الحِكمَةُ] مجداً أبدياً (أي: صعود يوسف إلى السلطة)" (الحكمة 10:14) [⟵ ظهور براءة يوسف (يوسف 51-53)، ثم صعوده إلى السلطة (يوسف 54-56)].

وتوجد أمثلة أخرى في التراث اليهودي المتأخر تؤكد على استقامة يوسف وعدم وقوعه في خطيئة الزنا ولو بالنظرة. ولقد رأينا فيما سبق كيف وُصِفَ يوسفُ في ترجوم نيوفيتي الآرامي (التكوين 22:49) بكلمة "التقيّ" (pious) لأنه "لا يمضي وراء ما تراه عيناه ولا وراء ما يفكّر فيه قلبُه"[5605]. بل قيل إن يوسف صعد إلى السلطة في مصر مكافأةً له على هذه الفضيلة! على سبيل المثال، المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 90:3)، الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[5606] أي قبل الإسلام بأكثر من 100 سنة، يقول ما معناه إن فم يوسف امتنع عن تقبيل امرأة فوطيفار، فكانت المكافأة أن فرعون قال له: "عَلَى فَمِكَ يُقَبِّلُ جَمِيعُ شَعْبِي (أي: يُذْعِن شعبي لِكُلِّ أَمْرٍ تُصْدِرُهُ مِن فَمِكَ)" (التكوين 40:41)؛ وعُنُق يوسف امتنعت عن معانقة امرأة فوطيفار، فكانت المكافأة أن فرعون "وَضَعَ طَوْقَ ذَهَبٍ فِي عُنُقِهِ" (التكوين 42:41)؛ وجسد يوسف امتنع عن الزنا بامرأة فوطيفار، فكانت المكافأة أن فرعون "أَلْبَسَهُ ثِيَابَ بُوصٍ (أي: كِتّانِيَّة ممتازة؛ من الكتان الأبيض الفاخر)" (التكوين 42:41)[5607].

مثال آخر مِن سفر المكابيين الأول (1 Maccabees)[5608] أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) / "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) ويرجع تاريخه على الأرجح إلى أواخر القرن الثاني، وربما أوائل القرن الأول، قبل الميلاد؛ أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 600 سنة. يقول هذا السفر الهام: "تَذَكّروا يوسفَ في ضيقه: حافظَ على إيمانه بوصايا اللهِ فجَعَلَهُ اللهُ سيداً على مِصْرَ" (1 مكابيين 53:2). فنجد هنا تلخيصاً لقصة يوسف في جملةٍ واحدةٍ فقط، بينما لا نجد أي ذِكر لقدرة يوسف على تفسير الأحلام! وكأن صعود يوسف إلى السلطة في مصر كان مكافأةً له على حفاظه على الوصية الإلهية، أكثر منه مكافأةً له على عِلمه وقدرته على تفسير الأحلام. ليس لأن كاتب السفر لا يؤمن بقدرة يوسف على تفسير الأحلام، وإنما لأنه يهتم أكثر بالدعوة إلى حفظ وصايا الله [⟵ ونجد أثراً لهذه الفكرة الأخلاقية في القرآن الذي يقول إن يوسف صعد إلى السلطة في مصر (يوسف 54-56) مباشرةً بعد تبرئته من تهمة المراودة (يوسف 51-53) كما لو كانت السلطة مكافأةً له على عفته وطهارته، أكثر منها مكافأةً له على عِلمه وقدرته على تفسير الأحلام (يوسف 47-49). بعد تفسير حلم المَلِك، "قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ" (يوسف 50) فقط. لكن بعد ظهور براءة يوسف، "قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي" (يوسف 54) "فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ" (يوسف 54)]. اقرأ أيضاً (4 مكابيين 2:1-4) الذي يركز أكثر على عقل يوسف الذي مَكَّنه مِن السيطرة على الشهوة الجنسية.

وتوجد أمثلة أخرى كثيرة مِن التراث اليهودي. مثلاً: في "كتاب اليوبيلات" (Book of Jubilees) الذي يُعتبَر مِن أهم كتب الأساطير اليهودية وأكثرها تأثيراً على عقول أصحاب القرآن. ولا عجب في ذلك،

فكما قلنا فيما سبق: على الرغم مِن أن كتاب اليوبيلات كُتِبَ أصلاً باللغة العبرية في القرن الثاني قبل الميلاد، إلا أنه تُرجِمَ إلى اللغة الحبشية فيما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد، واعتبرته الكنيسةُ الحبشية كتاباً قانونياً وهي الكنيسة الوحيدة التي تعترف به! فمِن المؤكد أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة في أوائل القرن السابع الميلادي قد سمعوا عن كتاب اليوبيلات وعرفوا محتواه وربما ظنوا أنه وحيٌ من الله إلى موسى النبي. يقول كتاب اليوبيلات عن يوسف بعد صعوده إلى السلطة: "فكان ليوسف سلطان على كل بلاد مصر. فأحبّه كلُّ مدراء فرعون، كل عبيده، كل الذين يهتمّون بأمور الملك، لأنه كان يسلك في الاستقامة (uprightness)، بدون تعجرف ولا كبرياء، دون أن يحابي الوجوه أو يقبل هدايا، بل كان يحكم باستقامة (uprightly; in a just way) جميع شعوب البلاد" (اليوبيلات 8:40)[5609].

الخلاصة: قبل الإسلام، امتلأ التراث اليهودي بتأملات كثيرة وعميقة لقصة يوسف؛ منها ما ركز على جمال يوسف الخارجي (أي: وسامته) ومنها ما ركز على جمال يوسف الداخلي (أي: أخلاقه) ومنها ما جمع بين الاثنين[5610][5611]. وفيما يتعلق بجذور كلمة "الصِدّيقُ" (يوسف 46)، فإن كل الأدلة التي أمامنا تشير إلى جذور يهودية متأخرة، سواء عِبرية و/أو آرامية إما عن طريق مباشر أو عن طريق غير مباشر (من خلال الحبشية مثلاً). وكلها تحمل معنى: تقي أو بار أو صالح أو مستقيم **[⟵ "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ[5612]" (يوسف 46)]** أو كما يُقال اليوم بالعامية "بيعرف ربنا" أو "بيخاف ربنا". وهي كلها صفات إيجابية تشير إلى نزاهة يوسف وصدقه. ولذلك استعارها أصحابُ القرآن من التراث اليهودي المتأخر لأنها تساعدهم في رسم شخصية يوسف "النبي" الذي صَدَّق الله ورسله اعتقاداً بالقلب وقولاً باللسان وعملاً بالجوارح. "وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ" (الحديد 19) "وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا" (النساء 69).

4.23.2.7 عودة امرأة العزيز واعترافها بالحقيقة: "أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ" (يوسف 51)!

حسب التوراة، انتهى دورُ امرأة فوطيفار مع دخول يوسف إلى السجن، فلم تظهر بعد ذلك في الرواية.

أما حسب الرواية القرآنية، فعادت امرأةُ العزيز إلى الظهور مرة أخرى واعترفتْ بخطيئتها وبرَّأتْ يوسفَ: "قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 51)! وإذا افترضنا أن امرأة العزيز هي أيضاً المتحدثة في (يوسف 52-53) كما قال أبو حيان الأندلسي وغيره، فهذا يعني أنها تابتْ توبةً كاملة وآمنتْ بربٍ واحد هو الله الواحد الأحد الغفور الرحيم. وعلى أي حال، يكفينا ما قالته امرأة العزيز في (يوسف 51) كدليل على عودتها واعترافها بذنبها الذي اقترفته في حق يوسف. وكل هذا حدث قُبيل صعود يوسف إلى السلطة في مصر (يوسف 54-56).

فَمِن أين أتى أصحابُ القرآن بهاتين الفكرتين غير التوراتيتين: (1) عودة امرأة العزيز/فوطيفار إلى الظهور مرة أخرى و (2) اعترافها بخطيئتها ومِن ثم تبرئة يوسف؟ هل بوحي من الله؟! لا. وإنما بوحي من التراث المسيحي السرياني ...

(يوسف 51) ليس كلام الله. وإنما كلام رجال الدين المسيحي السرياني قبل القرآن. وعلى رأسهم بالطبع أيقونة الفكر المسيحي السرياني في القرن الرابع الميلادي، وهو القديس الكبير "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (Ephraem). فلقد قال إفرام السرياني في الفصل الخامس والثلاثين مِن تعليقه الشهير على سفر التكوين (Commentary on Genesis 35.7-9)[5613] إن امرأة فوطيفار عادت إلى الظهور مرة أخرى بُعيد صعود يوسف إلى السلطة في مصر لتطمئن زوجَها ألا يخاف مِن يوسف (تقصد أن يوسف لن ينتقم منه) فهي المسئولة عن الفضيحة التي لحقت بيوسف ظلماً في بيتهما. وهنا قالت امرأةُ فوطيفار لزوجها: "الآن سأقول الحقيقة" (I will now speak the truth) **[← "قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ (أي: وضح الحق وظهر جلياً؛ ثبت واستقر)" (يوسف 51)؛ ونلاحظ أن القرآن يكاد يكون ترجمة حرفية لِمَا قاله إفرامُ المسيحي السرياني!]**؛ "[الحقيقة] التي تتعارض مع كذبي الذي كذبته سابقاً. فلقد كنتُ عاشقةً ليوسف عندما اتهمته كذباً. اعتديتُ على ثوبه (I made assault on his clothing) **[← جعلها القرآنُ تشق قَمِيصَهُ! "قَدَّتْ قَمِيصَهُ" (يوسف 25)]** لأن جماله غلبني (because I was overcome by his beauty)" **[← "أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 51)]**. ثم قالت امرأةُ فوطيفار لتطمئن زوجها: إذا كان يوسف عادلاً (just)، فإنه سيعاقبني أنا وليس أنتَ. وإذا كان عادلاً [حقاً] ([truly] just)، فإنه لن يعاقبني، فلولا أنني ظلمته لمَا سُجِنَ، ولولا أنه سُجِنَ لمَا فسَّر أحلام فرعون ولمَا وصل إلى منصبه الرفيع.

إنهما إذن فكرتان بشريتان ابتكرهما العقل المسيحي المبدع إفرام السرياني في القرن الرابع الميلادي؛ ثم انتقلتا مِن إفرام السرياني إلى القرآن في القرن السابع الميلادي. وبما أن إفرام السرياني بشر لا يُوحَى إليه وليس نبياً وكلامه كلام بشر 100%، فإن القرآن أيضاً كلام بشر 100%. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يأخذ فيها أصحابُ القرآن فكرةً أو أكثر من القديس إفرام السرياني.

ومِن المعلوم أن القديس إفرام السرياني يُعتبر واحداً مِن أهم وأشهر أعلام الفكر المسيحي السرياني قبل الإسلام. فَمِن الواضح أن شهرته ومكانته العالية في الأدب السرياني قد جعلت أفكاره كلها أو بعضها تنتشر بسهولة وسرعة في أعمال سريانية وغير سريانية أخرى.

مثلاً: قصة يوسف السريانية (The Syriac History of Joseph) (PsB) التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي. تقول إن امرأة فوطيفار عادت إلى الظهور مرة أخرى بُعيد صعود يوسف إلى السلطة في مصر واعترفت بخطيئتها ومِن ثم أثبتت براءة يوسف. قالت امرأةُ فوطيفار لزوجها: "حقاً لقد أخطأتُ وظلمتُهُ (أي: ظلمتُ يوسفَ)" (Truly I have sinned and wronged him)[5614] **[←**

"قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 51)]. ثم أضاف مؤلف قصة يوسف السريانية فكرةً جديدة وبديعة، وكنا نتمنى أن نذكرها بالتفصيل لكنها طويلة فسنكتفي بملخصها: كتبتْ امرأةُ فوطيفار رسالةً إلى يوسف تعترف بذنبها بكلمات مؤثرة وتطلب منه بكل أدب واحترام أن يسامحها هي وزوجها. رَدَّ يوسفُ على خطابها مخاطباً إياها بكلمة "أمي" (my own mother) التي شملتني بحبها وتعاطفها، وواصفاً زوجها فوطيفار بكلمة "أبي" (my father)[5615]. وأرسل يوسفُ إليهما ثياباً فخمة ودعاهما إلى منزله. ففرح فوطيفارُ وامرأته فرحاً كبيراً بهذه الدعوة، وذهبا إلى لقاء يوسف، فاستقبلهما يوسفُ أحسن استقبال وأكرمهما وأعطاهما هدايا وفرح وضحك معهما.

مثال آخر: العِظات المسيحية السريانية (PsN) التي يرجع تاريخها أيضاً إلى القرن الخامس الميلادي. تقول إن فوطيفار خاف على حياته بُعيد صعود يوسف إلى السلطة (أي: خاف أن ينتقم يوسفُ منه) فذهب إلى يوسف ليقابله وينحني أمامه ويرجوه أن ينسى ما فعله به، فطمأنه يوسفُ وقال له إن الذنب ليس ذنبه (يقصد إنه ذنب امرأته). فذهب فوطيفارُ إلى البيت ليتشاور مع امرأته التي طمأنته هي أيضاً وقالت له إن يوسف عادل (just) ولن يضايقه. وهنا اعترفتْ امرأةُ فوطيفار لزوجها بأنها هي التي اعتدت على يوسف (She confesses that it was she who assaulted Joseph)[5616] ← **"قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 51)]**. ثم أرسلت امرأةُ فوطيفار التماساً (petition) مكتوباً إلى يوسف ترجوه أن يرحمها. وفي النهاية، تذهب امرأةُ فوطيفار إلى يوسف الذي يقرأ التماسها ويُطْلِقُهَا في سلام بدون أي عقاب.

تعليقنا: نتمنى أن يكون كل ذلك دليلاً كافياً يُقنِع أحباءنا المسلمين أن الفكر الديني والإبداع الأدبي كانا قد وصلا إلى مستوى مرتفع جداً في الشرق قبل ظهور الإسلام. وما القرآن إلا مجرد منتج بشري من منتجات ذاك الزمان والمكان. ولذلك لم يتردد أصحابُ القرآن أن يضيفوا هُمْ أيضاً أفكاراً جديدة. مثلاً: رفض يوسف أن يخرج من السجن قبل أن تظهر براءته، ثم ظهور براءته للجميع وليس فقط لسيده/أبيه العزيز.

وكما نقول دائماً: نحن لا نلوم أصحاب القرآن على أنهم أدخلوا أفكاراً جديدة إلى القصص اليهودية/المسيحية الموروثة مثل قصة يوسف وغيرها. فَمِن حق العرب أن يفعلوا مثل ما فعله جيرانُهم السريان من قبلهم. وإنما نلوم العرب على أنهم زعموا أن كلامهم البشري – أي: القرآن – كلام الله. ونلوم العرب أكثر على أنهم – في الفترة المدنية وما بعدها وإلى اليوم – يقتلون الآخرين ويقتلون أنفسهم من أجل أن يؤمن الناس بكلامٍ بشري منسوب إلى الله! والله بريءٌ مِنهم ومِن قرآنهم.

ويبقى سؤال: ما الذي جعل السريان – ومِن بعدهم العرب – يتذكرون امرأة فوطيفار/العزيز فيعيدوها إلى مسرح الأحداث مرة أخرى، بخلاف التوراة التي أنهتْ دور امرأة فوطيفار بعد دخول يوسف إلى السجن؟

الإجابة: يوجد سببان على الأقل. أحدهما شكلي والآخر موضوعي.

السبب الشكلي: لإدخال انكفاء (Chiasmus)[5617] على نمط أ ب بَ أ (A B B’ A’) في قصة يوسف القرآنية. وتوجد أبحاث كثيرة في هذا الموضوع[5618] إلى درجة أن فريقاً من العلماء يعتقدون أن الانكفاء هو الأساس الذي بُنِيَتْ عليه قصةُ يوسف كلها، فيسمونها (palistrophe)[5619]. بل نستطيع أن نقول إنه يوجد شبه اتفاق بين العلماء الغربيين الذين درسوا قصةَ يوسف القرآنية على وجود الانكفاء فيها، وإنْ اختلف العلماءُ قليلاً أو كثيراً في التفاصيل. أما الأبحاث العربية فما زالت متأخرة في هذا المجال!

وإذا أردنا أن نبسِّط الانكفاء المتعلق بعودة امرأة العزيز واعترافها بذنبها، فسنقول:

الفكرة أ: إخوة يوسف يظلمون يوسفَ، فيُباع يوسفُ كعبدٍ (يوسف 7-20)

الفكرة ب: إمرأة العزيز تظلم يوسفَ، فيُسجَن (يوسف 21-35)

الفكرة بَ: اعتراف امرأة العزيز بذنبها (يوسف 51)

الفكرة أَ: اعتراف إخوة يوسف بذنبهم (يوسف 80) (يوسف 91) (يوسف 97)

فَلِكَيْ يستقيم شكل هذا النمط الأدبي المعروف والمشهور في قصة يوسف القرآنية، كان لاَ بُدَّ من إعادة ظهور امرأة العزيز واعترافها بذنبها (الفكرة بَ).

وخير دليل على أن أصحاب القرآن قد تعمدوا أن يسيروا على هذا المخطط في سرد الأحداث هو أنهم أعادوا النسوةَ إلى الظهور أولاً "قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ [...]" (يوسف 51) ثم بعد ذلك أعادوا امرأةَ العزيز إلى الظهور "قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ [...]" (يوسف 51). لماذا هذا الترتيب في نهاية القصة؟ لأنه عكس ترتيب ظهورهن في بداية القصة؛ فلقد ظهرت امرأةُ العزيز أولاً (يوسف 23-29) ثم بعد ذلك النسوة (يوسف 30-32). بل تعمد أصحابُ القرآن أن يستخدموا أحياناً نفس الكلمات في ظهورهن الأول والثاني. مثلاً: "قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ" التي تكررت حرفياً في ظهور النسوة الأول (يوسف 31) وظهورهن الثاني (يوسف 51). وهذا طبعاً مِن أجل تنبيه السامعين إلى وجود الانكفاء. مثال آخر: "وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 27) في الظهور الأول لإمرأة العزيز، "وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 51) في ظهورها الثاني. مثال ثالث: كلمة "كَيْد" التي تكررت 6 مرات في النصف الأول مِن الانكفاء لتعبر عن كَيْد إخوة يوسف ضده "فَيَكِيدُوا [...] كَيْدًا" (يوسف 5) ثم كَيْد امرأة العزيز "كَيْدِكُنَّ [...] كَيْدَكُنَّ" (يوسف 28) ثم كَيْد النسوة "كَيْدَهُنَّ [...] كَيْدَهُنَّ" (يوسف 33-34)، ثم تكررت 3 مرات في النصف الثاني بعكس الترتيب: كَيْد النسوة "كَيْدِهِنَّ" (يوسف 50) ثم كَيْد امرأة العزيز "كَيْدَ الْخَائِنِينَ" (يوسف 52) ثم كَيْد الله/يوسف ضد إخوته "كِدْنَا لِيُوسُفَ" (يوسف 76).

الصنعة الأدبية واضحة جداً. فنحن أمام رواية أدبية وليست قصة تاريخية حقيقية.

في ضوء ما سبق، يمكننا أن نوضح الانكفاء الموجود هنا بصورة أكثر تفصيلاً هكذا:

أ: كَيْد إخوة يوسف ضده، "إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا" (يوسف 8)

ب: كَيْد إمرأة العزيز ضد يوسفَ، "وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 27)

ج: كَيْد النسوة ضد يوسفَ، "وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ" (يوسف 31)

د: يوسف يدخل السجن هرباً مِن "كَيْدَهُنَّ [...] كَيْدَهُنَّ" (يوسف 33-34)

دَ: يوسف يتذكر "كَيْدَهُنَّ" ليخرج من السجن. "إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" (يوسف 50)

جَ: النسوة يظهرن ويعترفن بفضل يوسف "قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ" (يوسف 51)

بَ: امرأة العزيز تظهر وتعترف بذنبها وبفضل يوسف "وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 51)

أ: إخوة يوسف يعترفون بذنبهم وبفضل يوسف "تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا" (يوسف 91)؛ (يوسف 97)

أهمية هذا الانكفاء هو أنه يثبت أن القرآن كلام بشر. إذ لا يعقل أن قصة يوسف حدثت على أرض الواقع بهذا الترتيب الدقيق للأحداث واختيار الكلمات! فلا يعقل مثلاً أن العزيز المصري عاتب امرأته الكاذبة مستخدماً كلمة "كَيْد" مرتين - "قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ" (يوسف 28) - وهي نفس الكلمة التي استخدمها يعقوبُ العبراني مرتين وهو يحذر يوسفَ حين كان غلاماً صغيراً: "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا" (يوسف 5)! وإنما يعقل أن أصحاب القرآن هُمْ الذين أعادوا إنتاج قصة يوسف فاختاروا كلمات متشابهة أو متطابقة وافتعلوا ترتيباً معيناً للأحداث حتى يخلقوا انكفاءً يعطي القصةَ جمالاً أدبياً يجذب انتباه الناس. ولا غرابة في ذلك. قصة يوسف معروفة وموروثة لمئات السنين قبل الإسلام. فلاَ بُدَّ أن يضيف أصحابُ القرآن شيئاً جديداً ولو شكلياً، وإلا سينصرف الناسُ عنهم.

أما السبب الموضوعي الذي جعل السريان – ومِن بعدهم العرب – يتذكرون امرأةَ فوطيفار/العزيز فيعيدوها إلى مسرح الأحداث مرة أخرى، فيوجد احتمالان. ومِن حُسْن الحظ أنهما غير متناقضين، فيمكن الجمع بينهما.

الاحتمال الأول هو أن فضول الناس الذين توارثوا قصةَ يوسف عبر الأجيال جعلهم يتساءلون عن مصير امرأة فوطيفار/العزيز في النهاية، ولماذا لم ينتقم يوسفُ مِنها؟ ومِن ثم، فإن عودتها للظهور مرة أخرى واعترافها بذنبها كان أمراً ضرورياً مِن أجل الإجابة على تساؤلات الناس المشروعة وأيضاً تبرير عدم انتقام يوسف منها ومن زوجها[5620].

أما الاحتمال الثاني فهو أن عودتها واعترافها بذنبها كان تأثراً بـ "سفر أستير" (Book of Esther). نعم، فَمِن المعلوم أنه توجد تشابهات كثيرة بين قصة يوسف التوراتية وقصة أستير الكتابية سواء على مستوى الأفكار أو العبارات أو حتى الكلمات. تشابهات كثيرة من حيث الكم وكبيرة من حيث الكيف إلى درجة أنه

قيل إن "كتاب أستير صيغ على غرار قصة يوسف [التوراتية]"، "فكلتا الروايتين تقعان في قصرين لملكين أجنبيين عن بني إسرائيل وتصوران أبطال بني إسرائيل الذين يبرزون ليكونوا الوسيلة التي من خلالها يتم إنقاذ (أي: خلاص) شعبهم"[5621]. وبما أن قصة أستير الكتابية قد تأثرث بقصة يوسف التوراتية، فإنه من الطبيعي أن تتأثر قصة يوسف – سواء في التراث المسيحي السرياني أو في القرآن – بقصة أستير الكتابية. انظر الجدول التالي:

جدول 28 – قصة يوسف التوراتية وقصة أستير الكتابية وتأثيرهما على التراث المسيحي السرياني والقرآن

مِن قصص الصراع بين الخير (الحق) والشر (الباطل). وانتصار الخير (الحق) في النهاية.		
	قصة يوسف التوراتية في سفر التكوين	**قصة أستير الكتابية في سفر أستير**
هل قصة حقيقية تاريخية؟	لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن قصة يوسف قصة حقيقية تاريخية. بل لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن يوسف نفسه رجل حقيقي تاريخي.	لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن قصة أستير قصة حقيقية تاريخية. بل لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن أستير نفسها امرأة حقيقية تاريخية[5622].
الخير الضعيف: الأبطال الإسرائيليون (Protagonist)	الشاب العِبراني الوسيم العبد "يوسف" بن إسرائيل (يعقوب)	الفتاة اليهودية الحسناء اليتيمة "أستير" (Esther). وابن عمها اليهودي "مُرْدَخَاي" (Mordecai) "رَجُلٌ يَمِينِيٌّ (أي: مِن نسل بنيامين شقيق يوسف)" (أستير 2:5)
الشر القوي: طبعاً غير الإسرائيليين! (Antagonist)	امرأة فوطيفار. وطبعاً ليست عبرانية! تحرشت جنسياً بيوسف وكانت سبباً في سجنه ظلماً.	"هامان" (Haman). وطبعاً ليس يهودياً! خطط هامانُ لإبادة اليهود ولقتل مُرْدَخَاي.
المَلِك الأجنبي	فرعون (لا نعرف اسمه!) مَلِك الحضارة المصرية القديمة	"أَحَشْوِيرُوش" (Ahasuerus) مَلِك الحضارة الفارسية
الخلاص: انتصار الخير الضعيف على الشر القوي	يوسف يصعد إلى السلطة في مصر فيصير رقم 2 بعد الملك فقط.	مُرْدَخَاي يصعد إلى السلطة في فارس فيصير رقم 2 بعد الملك فقط.
	وقامت امرأةُ فوطيفار بدورٍ غير مباشر. فلولا سجن يوسف لمَا استطاع	وقام هامانُ بدورٍ غير مباشر. فلولا مؤامرة هامان لإبادة اليهود، لمَا ذهب

	يوسفُ أن يصل إلى الملك عن طريق تفسير أحلامه.	مردخايُ إلى قصر الملك وطلب مِن زوجته أستير أن تنقذ شعبَها.
عبارات أو كلمات متشابهة أو متطابقة	"يَفْعَلْ فِرْعَوْنُ فَيُوَكِّلْ نُظَّارًا عَلَى الأَرْضِ، [...]، فَيَجْمَعُونَ جَمِيعَ [...]". "فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ" (التكوين 41:34-37)	"وَلْيُوَكِّلِ الْمَلِكُ وُكَلاَءَ فِي كُلِّ بِلاَدِ مَمْلَكَتِهِ لِيَجْمَعُوا كُلَّ [...]". "فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيِ الْمَلِكِ" (أستير 2:3-4)
خاتم الملك (his signet ring)	"وَخَلَعَ فِرْعَوْنُ خَاتِمَهُ مِنْ يَدِهِ وَجَعَلَهُ فِي يَدِ يُوسُفَ" (التكوين 41:42)	"وَنَزَعَ الْمَلِكُ خَاتَمَهُ [...] وَأَعْطَاهُ لِمُرْدَخَايَ" (أستير 8:2)
اللباس الجديد والذهب والمركبة الملكية ومنادي ينادي أمام البطل الإسرائيلي ليعلن منصبه الرفيع	"وَأَلْبَسَهُ (أي: أَلْبَسَ فرعونُ يوسفَ) ثِيَابَ بُوصٍ (أي: كِتّانِيَّة ممتازة fine linen؛ من الكتان الأبيض الفاخر)[5623]، وَوَضَعَ طَوْقَ ذَهَبٍ فِي عُنُقِهِ، وَأَرْكَبَهُ فِي مَرْكَبَتِهِ الثَّانِيَةِ، وَنَادَوْا أَمَامَهُ «ارْكَعُوا». وَجَعَلَهُ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" (التكوين 41:42-43)	"إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ يَأْتُونَ بِاللِّبَاسِ السُّلْطَانِيِّ (royal apparel)[5624] الَّذِي يَلْبَسُهُ الْمَلِكُ، وَبِالْفَرَسِ الَّذِي يَرْكَبُهُ الْمَلِكُ، وَبِتَاجِ الْمُلْكِ الَّذِي يُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيُدْفَعُ اللِّبَاسُ وَالْفَرَسُ لِرَجُل مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَلِكِ الأَشْرَافِ، وَيُلْبِسُونَ الرَّجُلَ الَّذِي سُرَّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ وَيُرَكِّبُونَهُ عَلَى الْفَرَسِ فِي سَاحَةِ الْمَدِينَةِ، وَيُنَادُونَ قُدَّامَهُ: هكَذَا يُصْنَعُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ" (أستير 6:7-9). "وَخَرَجَ مُرْدَخَايُ مِنْ أَمَامِ الْمَلِكِ بِلِبَاسٍ مَلِكِيٍّ أَسْمَانْجُونِيٍّ (أي: أزرق) وَأَبْيَضَ، وَتَاجٌ عَظِيمٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَحُلَّةٌ مِنْ بَزّ (fine linen)" (أستير 8:15)
ماذا فعل "الشر" بُعيد انتصار "الخير"؟	حسب التوراة، لم تظهر امرأةُ فوطيفار مرة أخرى. بل لم تظهر بعد ذلك في الكتاب المقدس كله!	هامان يخاف من انتقام مُرْدَخَاي، فيعود إلى البيت ليتشاور مع زوجته. "وَأَمَّا هَامَانُ فَأَسْرَعَ إِلَى بَيْتِهِ نَائِحًا وَمُغَطَّى الرَّأْسِ. وَقَصَّ هَامَانُ عَلَى

		زَرَشَ زَوْجَتِهِ وَجَمِيعِ أَحِبَّائِهِ كُلَّ مَا أَصَابَهُ" (أستير 6:12-13) **[← تأثراً بقصة أستير الكتابية، جعل التراثُ المسيحي السرياني امرأةَ فوطيفار تظهر مرة أخرى بُعيد صعود يوسف إلى السلطة لتتشاور مع زوجها فوطيفار الذي خاف مِن انتقام يوسف ← جعل القرآنُ امرأةَ العزيز تظهر مرة أخرى (يوسف 51)، لكن قُبيل صعود يوسف إلى السلطة (يوسف 54-56)]**.
الاختلاف أثناء عملية التطور البشري الطبيعي بالحذف و/أو الإضافة	----------------------------	زوجة هامان أكدت له أنه ضائع لا محالة، وقالت له: "إِذَا كَانَ مُرْدَخَايُ الَّذِي ابْتَدَأْتَ تَسْقُطُ قُدَّامَهُ مِنْ نَسْلِ الْيَهُودِ، فَلاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ، بَلْ تَسْقُطُ قُدَّامَهُ سُقُوطًا" (أستير 6:13). وبالفعل، يُقتَل هامانُ ويُصلَب[5625] **[← بخلاف قصة أستير الكتابية، جعل التراثُ المسيحي السرياني امرأةَ فوطيفار تطمئن زوجَها وتؤكد له أن يوسف لن يؤذيه. وبالفعل، اعترفت امرأةُ فوطيفار بخطيئتها وسامحها يوسفُ هي وزوجها ← جعل القرآنُ امرأةَ العزيز تعترف بخطيئتها ومِن ثم تبرئ يوسفَ أمام الجميع (يوسف 51)؛ ويُفهَم مِن السياق أن يوسف سامحها، بل قيل في كتب التفسير إنه تزوجها بعد وفاة زوجها!]**.

أما فيما يتعلق بأسباب هذا الاختلاف الأخير، فإنه مِن المعلوم أن الغفران (forgiveness) فكرة أساسية ومركزية في قصة يوسف[5626]. ويجب أيضاً علينا ألا ننسى أن السريان أرادوا أن يجعلوا يوسفَ رمزاً للمسيح. وحسب الإنجيل، عفا المسيحُ عن مَن صلبوه وقتلوه ظلماً وقال قُبيل موته على الصليب داعياً اللهَ لهم بالمغفرة: "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا 34:23). فأراد السريانُ أن يؤكدوا على أن يوسف أيضاً غفر لفوطيفار وإمرأته أنهما سجناه ظلماً، ومِن ثم يصير التشابه بين يوسف والمسيح أكثر وضوحاً. ثم استعار العربُ هذه الفكرة مِن السريان لسببٍ آخر، وهو أنها تتفق مع الفترة المكية التي تميزت بالصفح والصبر "إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 90) "قَالَ [يوسفُ لإخوته في نهاية الرواية] لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 92)، وتتفق أيضاً مع أسطورة "اذهبوا فأنتم الطلقاء" التي توارثها العربُ عن محمد بُعيد صعوده إلى السلطة في مكة[5627].

[ملحوظة: كما قلنا فيما سبق، توجد أيضاً تشابهات كثيرة بين قصتي يوسف وموسى. ولذلك فإننا نفضِّل تأجيل الحديث عن هامان بالتفصيل إلى حين نناقش قصة موسى القرآنية حيث يظهر هامان الشرير مع فرعون الطاغية! وسنكتفي هنا بأن نقول بإيجاز إن التشابهات بين هذه القصص الثلاث يوسف وموسى وأستير جعلتْ الأفكار والعبارات والكلمات تنتقل بسهولة وسلاسة مِن قصةٍ إلى أخرى. أما اتجاه هذا الانتقال فنحدده بُناء على تاريخ نشأة كل قصة. التوراة العِبرية (قصتا يوسف وموسى) أقدم من سفر أستير الذي هو أقدم من التراث المسيحي السرياني الذي هو أقدم من القرآن.]

4.23.2.8 "وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" (يوسف 57)

تجاهل القرآنُ – عن عمد وليس عن جهل – المظاهر الاحتفالية المهيبة التي أقامها ملكُ مصر لتنصيب يوسف في منصبه السامي الجديد (التكوين 41:41-44). ولم يذكر القرآنُ صراحةً إن يوسف تزوج وأنجب ولدين في سنوات الرخاء السبع (التكوين 41:50-52).

لكن في المقابل، ركز القرآنُ على ثواب الآخرة الذي لم تقل التوراةُ عنه شيئاً. فقال القرآنُ بعد صعود يوسف إلى السلطة في نهاية الفصل الثاني من قصة يوسف: "وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ (أي: ثواب الآخرة أعظم وأفضل وأبقى مِن ثواب الدنيا المذكور في التوراة) لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" (يوسف 57).

ونرى هنا دليلاً آخر يدل على تأثر القرآن بالتراث المسيحي السرياني الذي أبدعه السريانُ في القرن الخامس الميلادي. إذ تقول السطور الأخيرة مِن العظة الأولى في العِظات المسيحية السريانية (PsN) بعد صعود يوسف إلى السلطة[5628]:

Blessed is He [i.e. God; The Lord] who chose (*da-gbāy[hy]*) righteous Joseph, made him triumph in the land / and set him as a model and

example for all the upright. / So that they be delivered from carnal desires / and inherit the good new life in the kingdom.

ترجمتنا وتعليقنا: تَبَارَكَ [اللَّهُ/الرَّبُّ] الذي اختار (بالسريانية: *da-gbāy[hy]*)[5629] يوسف البار (أي: الصالح)[5630] وجعله ينتصر في الأرض [⟵ "مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" (يوسف 56)] وجعله نموذجاً يُحتذَى به لكل المستقيمين [⟵ "الْمُحْسِنِينَ. [...] لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" (يوسف 56-57)]. حتى يخلصوا (أو: يُنقَذوا) من الشهوات الجسدية ويرثوا الحياة الجديدة الطيبة في المَلَكُوت (أي: مَلَكُوت السَّماوَاتِ؛ الوجود الدائم والأبدي مع الله؛ الجنة) [⟵ "وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ" (يوسف 57)[5631]].

والمدهش أن أصحاب القرآن وضعوا هذه الآية القرآنية (يوسف 57) ذات الطابع الوعظي الديني (homiletic) في نفس الموضع الذي جاءت فيه في العِظة المسيحية السريانية: بُعيد صعود يوسف إلى السلطة في مصر، وقُبيل مجيء إخوته إلى مصر. بعبارة أخرى: لم يكتفِ أصحابُ القرآن بأخذ الآية القرآنية الوعظية من العِظات المسيحية السريانية، وإنما أخذوا أيضاً موضعها بالنسبة لتسلسل أحداث الرواية.

وهذا كله يؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلامَ الله. فلولا الكتاب المقدس وتراثه اليهودي المتأخر والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)، لما استطاع العربُ تأليف القرآن. أو كما نقول دائماً:

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي [⟵ القرآن كلام العرب].

4.23.3 أخطاء ومفارقات تاريخية وجغرافية: هل قصة يوسف قصة حقيقية؟!

يتحدث القرآنُ عن يوسف كما لو كان شخصاً حقيقياً تاريخياً (historical figure)! فلقد ذكر القرآنُ اسمَ يوسف مع كثير من الأنبياء والرسل (الأنعام 83-86) الذين يجب على المسلم أن يؤمن بهم، وإلا يُعتبَر كافراً! وختم سورةَ يوسفَ بقوله: "مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ" (يوسف 111). وقال عن قصة يوسف القرآنية: "ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ (أي: مع إخوة يوسف) إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ" (يوسف 102). فإذا كانت قصة يوسف غير حقيقية، ستصبح عبارة "وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ" بلا معنى ومالهاش لازمة. طبعاً لم يكن معهم. ولم يكن أي شخص معهم. فالقصة لم تحدث أصلاً على أرض الواقع.

فأصبح السؤالُ الأهم الآن هو: هل فعلاً قصة يوسف – كما وردت في القرآن بكل تفاصيلها – قصة حقيقية تاريخية حدثت فعلاً على أرض مصر القديمة؟ هل لها أي أثر في التاريخ والجغرافيا؟

الإجابة باختصار: لا.

وبالتفصيل، توجد أمور كثيرة في قصة يوسف القرآنية تجعلنا نشك في تاريخية هذه القصة. ولقد ذكرنا أمثلة منها فيما سبق. مثلاً: كلمة "الشَّيْطَان" (يوسف 5) وكلمة "دَرَاهِم" (يوسف 20) وكلمة "فَيُصْلَبُ"

(يوسف 41)، وهي كلها مفارقات – بل أخطاء – تاريخية تؤكد أن قصة يوسف القرآنية مجرد قصة أدبية أو عِظة دينية لا تهدف إلى التأريخ (Historiography)، وإنما تهدف في المقام الأول إلى التربية والتعليم (Didacticism)، أو كما يُقال: العظة والعبرة.

وتوجد مشكلات أخرى في قصة يوسف القرآنية (و/أو التوراتية) نذكرها فيما يلي.

4.23.3.1 المشكلة الكبرى والأكثر خطورة: متى حدثت قصة يوسف؟ ومَن هو مَلِك مصر؟!

ذكرت التوراةُ اسمَ عبد إبراهيم بينما لم تذكر اسمَ مَلِك مصر!

ويعاني القرآنُ مِن نفس المشكلة. فلقد ذكر القرآنُ اسمَ زيد في قصة محمد وزيد وامرأته بينما لم يذكر اسمَ مَلِك مصر في قصة يوسف والعزيز وامرأته!

أليس من حقنا أن نستغرب هذه المفارقة العجيبة؟!

ولنبدأ أولاً بالقرآن ...

كالعادة، لم يعطِ القرآنُ أي معلومة عن الزمان الذي دارت فيه قصة يوسف ولا عن اسم مَلِك مصر وقتئذٍ! وبالتالي فإن كل ما قيل عن زمان قصة يوسف مجرد تخمينات أو تكهنات. وبصراحة نحن نندهش مِن جرأة مفسري القرآن قديماً وحديثاً على أن يقولوا أي كلام بدون أي دليل مادي مقنع. الخطأ أنهم يفترضون من البداية صحة القرآن ويفترضون أنه كلام الله! هذا الخطأ الفادح – مع عدم تقديم القرآن لمعلومات عن الزمان – يؤديان حتماً إلى العديد من التناقضات والاختلافات بين تلك التخمينات والتكهنات كما سنرى.

على سبيل المثال، يتضح من تفسير الشيخ الشعراوي أنه يرى أن يوسف عاش في فترة حكم الهكسوس لمصر، ودليله على ذلك قول القرآن كلمة "مَلِك" وليس فرعون! قال الشعراوي: "وهكذا نعرف أن هناك "ملك"، وهناك "عزيز". ونحن نعلم أن حكام مصر القديمة كانوا يُسمَّوْن الفراعنة، وبعد أن اكتُشِفَ "حجر رشيد"، وتم فَكُّ ألغاز اللغة الهيروغليفية؛ عرفنا أن حكم الفراعنة قد اختفى لفترة؛ حين استعمر مصرَ مُلوكُ الرُّعاة، وهم الذين يُسمَّوْنَ الهكسوس. وكانت هذه هي الفترة التي ظهر فيها يوسف، وعمل يوسف وأخوه معهم، فلما استرجع الفراعنة حكم مصر طردوا الهكسوس، وقتلوا مَن كانوا يُوالونهم. وحديث القرآن عن وجود مَلِك (يقصد: وليس فرعون) في مصر أثناء قصة يوسف عليه السلام هو من إعجاز التنبؤ في القرآن"[5632]!

ونحن نقول للشيخ الشعراي وغيره الذين يرددون هذه الفكرة: الملاحظة صحيحة لكن الاستنتاج خطأ (The observation is right, but the conclusion is wrong). صحيح أن القرآن قال في قصة يوسف: "المَلِك" ولم يقل "فرعون". لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه لم يكن مصرياً، ولا يعني إطلاقاً أنه كان من الهكسوس بالتحديد! وإنما يعني أنه لم يكن طاغية. فكلمة "فرعون" لم ترد في القرآن كله إلا للإشارة إلى

مَلِك مصر المستبد الذي كان يضطهد بني إسرائيل في قصة موسى القرآنية. أما مَلِك مصر في قصة يوسف القرآنية فلم يكن طاغية أو مستبداً. بالعكس، كان علمانياً طيباً فلم يمنع يوسفَ مِن الدعوة إلى التوحيد في السجن، ثم انحاز إلى المظلوم بغض النظر عن عقيدته أو عِرقه فأنصف يوسفَ وأخرجه مِن السجن وأعتقه ومكَّنه في الأرض، فصار يوسفُ وزيراً مِن حاشيته ومُعيناً له، ولذلك لم يصفه القرآنُ أبداً بكلمة "فرعون". لأن – كما قلنا – كلمة "فرعون" القرآنية محجوزة ومخصصة للحاكم الطاغية المستبد الذي يقاوم خطة الله ويعارض نبي الله ويضطهد عباد الله في أي زمان ومكان. وهذه المواصفات السيئة لا تنطبق إطلاقاً على مَلِك مصر الصالح في قصة يوسف القرآنية. ولذلك لم يصفه القرآنُ بكلمة "فرعون" التي جعلها القرآنُ كلمةً سيئة السمعة. فما زلنا إلى اليوم نقول على الحاكم الطاغية المستبد "فرعون" ولا نقول عليه "الرئيس"!

ولقد ردد سيد قطب نفس الفكرة الخاطئة التي رددها الشعراوي وأضاف إليها خرافات أخرى. قال: "وإذا اتضح أن ديانة التوحيد – على هذا المستوى – كانت قد عُرِفَتْ قبل تولي يوسف مقاليد الحكم في مصر؛ فلاَ بُدَّ أن تكون قد انتشرت بعد ذلك واستقرت على نطاق واسع في أثناء توليه الحكم، ثم من بعد ذلك في عهد أسر الرعاة. فلمَّا استرد الفراعنة زمام الأمور في الأسرة الثامنة عشرة أخذوا يقاومون ديانة التوحيد ممثلة في ذرية يعقوب التي تكاثرت في مصر، لإعادة الوثنية التي تقوم عليها الفرعونية! وهذا يكشف لنا سبباً أصيلاً من أسباب اضطهاد الفراعنة بعد ذلك لبني إسرائيل – أي يعقوب – إلى جانب السبب السياسي، وهو أنهم جاءوا واستوطنوا وحكموا واستقروا في عهد ملوك الرعاة الوافدين. فلمَّا طرد المصريون ملوك الرعاة طاردوا حلفاءهم من بني إسرائيل أيضاً". [...] "ولعل التوحيد الناقص المشوه الذي عرف به "أخناتون" لم يكن إلا أثراً من الآثار المضطربة التي بقيت من التوحيد الذي نشره يوسف عليه السلام في مصر كما أسلفنا؛ وبخاصة إذا صح ما يقال في التاريخ من أن أم أخناتون كانت آسيوية ولم تكن فرعونية"[5633]!

حتى بعض "المفكرين" المسلمين اللي بيقولوا على أنفسهم "مستنيرين" رددوا نفس الأساطير والبروباجاندا الإسلامية. على سبيل المثال، يقول د. محمد شحرور: "وفي قصة يوسف على وجه التحديد، لنجد أن يوسف وإخوته كانوا رعاة من البدو وليسوا من أبناء المدن، وأنه (أي: يوسف) حكم مصر إلى جانب عزيزها وفرعونها فكان قيّماً على خزائنها وغلاتها، وهذا ما تؤيده الدراسات والبينات التاريخية الحديثة في روايتها عن الهكسوس الرعاة الذين وفدوا إلى مصر وحكموها ردحاً من الزمن". إلا أنه اعترف بعد ذلك بالحقيقة فقال: "فنحن لا ندري – مثلاً – لماذا لا نجد ليوسف وموسى ذكراً في النقوش والآثار الفرعونية على كثرتها؟ هل لأن لهما اسمين فرعونيين عُرفا بهما؟ أم لأن آثارهما في مصر لم تُكتشف بعد؟ خصوصاً ونحن نرى ونسمع في كل عام اكتشاف آثار جديدة ونقوش لم يكن أحد يدري عنها شيئاً". ثم عاد مرة أخرى إلى الأساطير فقال "بكل تأكيد" مع أنه لا يمتلك أي دليل علمي: "ومع ذلك فنحن ندري بكل تأكيد أن الاثنين (يقصد: يوسف وموسى) شخصيتان حقيقيتان سبق وجودهما في التاريخ وأن عدم ورود اسم يوسف أو موسى

فيما بين أيدينا من نقوش لا يبرر إنكار وجودهما كما فعل البعض. وهنا يبرز سؤال يحتاج إلى تمحيص ودراسة عميقة وهو: أين وُجِد يوسف وهو على خزائن الأرض؟؟؟"[5634].

أما نحن، فبعد التمحيص والدراسة العميقة، نستطيع أن نجيب على السؤال الذي طرحه د. محمد شحرور. والإجابة: "وُجِد يوسف وهو على خزائن الأرض" في خيال بني إسرائيل (اليهود) الذين ألّفوا أسطورة يوسف التوراتية التي تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن وانتقلت إلى الإنجيل ثم القرآن. نعم، قصة يوسف – وكذلك قصة موسى – رواية مِن الأدب الإسرائيلي وليست حدثاً من تاريخ مصر القديمة. قصة يوسف – وكذلك قصة موسى – رواية أدبية مستوحاة مِن تاريخ مصر القديمة أثناء وبعد حُكم الهكسوس. ولذلك لم نجد ليوسف وموسى آثار في مصر. ولن نجد لهما آثار في مصر ولا في أي مكان آخر، لأنهما ببساطة لم يتركا آثار في مصر ولا في أي مكان آخر. آثارهما الوحيدة في روايات الديانات الإبراهيمية.

احتمال أن نجد ليوسف وموسى آثار تاريخية في مصر = احتمال أن نجد لهما آثار تاريخية في إسرائيل/فلسطين = احتمال أن نجد لهما آثار تاريخية في كندا أو فنلندا أو البرازيل أو كوريا الجنوبية أو أستراليا أو القطب الشمالي = صفر (ZERO).

ونحن نقول لمحمد شحرور وسيد قطب والشعراوي وغيرهم الذين يرددون هذا الكلام: لدينا مئات الأدلة العلمية التي تثبت أن أخناتون شخص حقيقي تاريخي، بينما لا يوجد لديكم أي دليل علمي واحد يثبت أن يوسف شخص حقيقي تاريخي! فلا داعي لإقحام شخصية يوسف الأسطورية في التاريخ المصري القديم. فما تقولونه عن يوسف ويعقوب وإبراهيم في التوراة والإنجيل والقرآن هو مجرد كلام مُرسَل أو حواديت قديمة، بل مجرد محاولات يائسة تهدف إلى الترويج لخرافة مفادها أن أخناتون أخذ فكرة التوحيد من دين إبراهيم. بينما كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن التوحيد في الديانات الإبراهيمية هو مجرد تطور بشري طبيعي لعقيدة التوحيد التي اهتدى إليها المَلِكُ المصري أخناتون بعقله.

وبغض النظر عن المغالطات التاريخية والبروباجاندا الدينية في كلام الشيخ الشعراوي وسيد قطب ود. محمد شحرور وأمثالهم، فإن ما قالوه يجعل يوسفَ يصعد إلى السلطة في مصر في فترة حكم الهكسوس (Hyksos)؛ أي: في وقتٍ ما بين 1730 ق.م – 1580 ق.م (وقيل: 1650 ق.م – 1550 ق.م).

وقال د. الصابوني إن يوسف بِيعَ كعبدٍ في مصر "على وجه التقريب سنة 1600 قبل الميلاد"[5635]. وهذا يعني أن يوسف صعد إلى السلطة في النصف الثاني أو الربع الأخير من فترة حكم الهكسوس لمصر.

أما الكاتب المصري المعروف أحمد عثمان (Ahmed Osman) فيزعم أن يوسف هو "يويا" (Yuya) (Iouiya) أبو أُم أخناتون (أمنحُتب الرابع) وأحد وزراء أمنحُتب الثالث "الذى حكم مصر حوالى 38 عاماً من 1405 قبل الميلاد"[5636] – أي حوالي 150 سنة أو أكثر بعد الفترة التي أعطاها الشيخ الشعراوي وغيره من المفسرين المسلمين!

وإنه لَمِن الطريف أن المسلسل التليفزيوني الإيراني "يوسف الصديق" قد جعل يوسفَ يدخل السجن في عهد الملك المصري "أمنحُتب الثالث" ثم يخرج مِن السجن ليصعد إلى السلطة في عهد الملك المصري "أمنحُتب الرابع (أخناتون)"! بل جعل صنَّاعُ المسلسل أخناتونَ ينحني ليوسف حين كان كلاهما غلاماً[5637]! وهذا طبعاً دراما وليس تاريخ، بل لا علاقة له بالتاريخ المصري القديم.

أما أطرف ما قيل في هذه المسألة فوجدناه في تفسير الجلالين وتفاسير إسلامية أخرى قالت إن مَلِك مِصْرَ في قصة يوسف هو "اَلرَّيَّانُ بْنُ اَلْوَلِيدِ"[5638]! امنعوا الضحك! وأضاف ابنُ الأثير أسطورةً أخرى فقال: "ولمَّا ولي يوسف عمل مصر دعا الملكَ الريان إلى الإيمان فآمن (وفي مراجع أخرى: دعاه إلى الإسلام فأسلم!)، ثم توفي [المَلِكُ]. ثم ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق، فدعاه يوسفُ إلى الإيمان فلم يؤمن، وتوفي يوسف في ملكه"[5639]!

هل توجد حيرة وتخبط وتيه وخيال غير علمي أكثر من ذلك؟!

والمحزن هو أن هذه الأساطير الإسلامية القديمة ما زالت موجودة إلى يومنا هذا في الكتب والمراجع الإسلامية الحديثة. مثلاً يقول د. صلاح الخالدي إن الهكسوس "كانوا من عدةِ قبائل عربية متحالفة" "وبما أنهم عربٌ فقد أطلقوا على حكامِهم ألفاظاً عربية مثل: الملك والعزيز"[5640]! ويقول أ. د. محمد بكر إسماعيل (من كبار علماء الأزهر في القرن العشرين!) إن الملك هو "اَلرَّيَّانُ بْنُ اَلْوَلِيدِ" "أحد ملوك الهكسوس الذين استعمروا الوجه البحري لمصر وهو من العمالقة" "وأسلم على يديه (أي: أسلم على يدي يوسف)"[5641]!

فإذا كان بعضُ "علماء" الأزهر "الكبار" ما زالوا يرددون هذه الأساطير الإسلامية القديمة، فكيف نثق في حكمهم على أي أمر مِن أمور الحياة؟! بل كيف سيقود الأزهرُ الأمةَ الإسلامية كما يزعمون؟!

هذا عن الاختلاف الشديد في أقوال مفسري القرآن، فماذا عن مفسري الكتاب المقدس؟ ...

"هناك اتفاق عام بين علماء الكتاب المقدَّس أن إقامة يوسف وبني إسرائيل في مصر كانت في النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد. ويعتقد الكثيرون منهم أنه قد صار حاكماً لمصر في عصر أحد ملوك الهكسوس. وكان الهكسوس غزاةً من غرب آسيا، ملكوا على مصر فيما بين 1730 و 1580 ق.م"[5642]. وعلى الرغم من وجود هذا الاتفاق العام بين علماء الكتاب المقدَّس، إلا أنهم اختلفوا اختلافاً شديداً في تحديد الزمان الذي يُفترَض أن يوسف عاش فيه. اختلافاً يصل إلى أكثر من 150 سنة[5643]!

والسبب في هذا الاختلاف الشديد هو أن الكتاب المقدس لم يعطِ معلومةً مؤكدة عن الزمان الذي دارت فيه قصة يوسف. فكل ما نجده في التوراة أن يوسف كان عمره 17 سنة حين دخل مصر (التكوين 2:37) وكان عمره 30 سنة حين صعد إلى السلطة في مصر (التكوين 46:41) وكان عمره 110 سنة حين مات في مصر (التكوين 22:50). ولا نجد معلومة أخرى تدلنا على الزمان الذي دارت فيه قصة يوسف. ولذلك اختلفت المراجع الخاصة بالكتاب المقدس أيضاً في تحديد زمان قصة يوسف.

فنجد مثلاً الأب متى المسكين يقول: "أما تاريخ دخول يعقوب (إسرائيل) مصر فُيحدَّد بالتقريب سنة 1700 ق.م"[5644]. وبما أن دخول يعقوب مصر كان أيام حدوث المجاعة، أي بعد 7 سنوات على الأقل من صعود يوسف إلى السلطة، بل بعد 9 سنوات على الأقل من صعود يوسف إلى السلطة (التكوين 6:45، 11:45)، فهذا يعني أن عمر يوسف وقتئذٍ كان حوالي 39 سنة وربما 40 سنة[5645]. وهذا يعني أن يوسف وُلِدَ سنة 1740 ق.م تقريباً ومات سنة 1630 ق.م تقريباً. إذن: هذا الرأي يضع يوسفَ في القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد.

لكن في المقابل، نجد كتاب جون ماك آرثر (MacArthur Study Bible) يقول إن يوسف صعد إلى السلطة في مصر "حوالي سنة 1884 ق م" أثناء حُكم الملك "سنوسرت الثاني"[5646]. وهذا يعني أن يوسف وُلِدَ سنة 1914 ق.م تقريباً ومات سنة 1804 ق.م تقريباً. إذن: هذا الرأي الآخر يضع يوسفَ في القرنين العشرين والتاسع عشر قبل الميلاد! وهذا يتفق أيضاً مع كتاب (NIV Study Bible) الذي يقول إن يوسف مات في أواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد وتحديداً عام 1805 ق.م – أي أكثر مِن 170 سنة قبل تاريخ وفاته حسب رأي الأب متى المسكين (1630 ق.م)!

فما هو الرأي الصحيح في كل ما سبق؟!

كما نقول دائماً، المشكلة هي أنهم يفترضون من البداية أن كل قصص الأنبياء والآباء الواردة في الكتب المقدسة – بكل ما فيها من تفاصيل – قصص حقيقية تاريخية. فالسؤال بالنسبة لهم هو: متى عاش يوسف؟ أما السؤال بالنسبة لنا فهو: هل قصة يوسف – كما وردت بحذافيرها وبكل تفاصيلها في القرآن و/أو التوراة – قصة حقيقية تاريخية؟

فحتى لو افترضنا جدلاً أن هناك تشابه بين "يويا" (Yuya) (Iouiya) وشخصية "يوسف"، فهذا لا يعني بالضرورة أن قصة يوسف قصة حقيقية تاريخية. فأصحاب التوراة عاشوا فترة طويلة في مصر ومِن الممكن أن يكونوا قد عَلِموا بشخصية يويا هذا وألّفوا قصة يوسف مستوحين بعض صفات يويا، لكن أدخلوا عليها تفاصيل أخري خيالية مثل ما حدث بين يوسف وامرأة فوطيفار (العزيز) وتفسير حلم ملك مصر ... الخ. ثم جاء أصحابُ القرآن وأخذوا قصة يوسف من التوراة والتراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي، وعدَّلوا فيها كما رأينا فصنعوا قصةً جديدة ووضعوها في القرآن في سورة يوسف.

إذن: في أحسن الأحوال، نقول إن قصة يوسف التوراتية←القرآنية ليست قصة حقيقية تاريخية، وإنما هي قصة أدبية مستوحاة من أحداث حقيقية تاريخية، أي: مزيج بين قليل من الحقيقة وكثير من الخيال.

هذا يبدو لنا أقرب إلى العقل والمنطق مِن القول إن يوسف هو يويا أو وضع يوسف في فترة حكم الهكسوس لمجرد أن القرآن قال "مَلِك" ولم يقل "فرعون" بدون إثبات أن كل الأحداث الورادة في قصة يوسف في القرآن أحداث حقيقية تاريخية!

الخلاصة: اليهود والمسيحيون والمسلمون المؤمنون بتاريخية قصة يوسف التوراتية←القرآنية اختلفوا اختلافاً كبيراً في تفاصيلها ولم يتفقوا على زمانٍ واحد لحدوثها، بل وضعوا تواريخ مختلفة تمتد على فترة زمنية طويلة جداً تزيد عن 450 سنة، من أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد حتى أواخر القرن الخامس عشر وربما أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد!

في ظل هذا الخلاف الشديد، نقول بكل ثقة وبكل يقين وبكل طمأنينة وبكل راحة ضمير: إن قصة يوسف التوراتية←القرآنية **ليست** قصة حقيقية تاريخية.

4.23.3.2 الأحلام وتفسيرها [← تأويل الأحاديث؛ تعبير الرؤيا]

تتعلق هذه المشكلة بقدرة يوسف علي تأويل الأحاديث (Oneiromancy) (أي: تفسير الأحلام والرؤى تفسيراً سليماً فتحدث في الواقع كما يفسرها يوسفُ)، والتي كانت بمثابة العمود الفقري الذي يربط أحداث قصة يوسف التوراتية←القرآنية ببعضها البعض.

فإذا نظرنا إلى قصة يوسف القرآنية، فسنجد أنها ضمت ثلاث حلقات مِن الرؤى[5647]:

- الحلقة الأولى: رؤيا يوسف سجودَ الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر له (يوسف 4).
- الحلقة الثانية: رؤيا/حُلْم السجينين في السجن (يوسف 36).
- الحلقة الثالثة: رؤيا المَلِك التى رأى فيها بقرات وسنبلات (يوسف 43).

كما تكررت عبارة "تأويل الأحاديث" ثلاث مرات في ثلاث مراحل مختلفة من قصة يوسف القرآنية[5648]:

- المرة الأولى على لسان يعقوب في الفصل الأول: "وَيُعَلِّمُكَ [رَبُّكَ] مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ" (يوسف 6). في بداية سورة يوسف قبل مجيء يوسف مِن كنعان إلى مصر.
- والمرة الثانية على لسان الراوي (الله حسب العقيدة الإسلامية) في الفصل الثاني: "وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (يوسف 21). أثناء وجود يوسف في مصر، لكن قبل صعوده إلى السلطة. حسب التوراة والقرآن، لعبت قدرةُ يوسف على تفسير الأحلام [← تأويل الأحاديث؛ تعبير الرؤيا] دوراً أساسياً في صعوده إلى السلطة في مصر، وبخاصة قدرته على تفسير حلم مَلِك مصر تفسيراً سليماً بينما عجز عن ذلك كلُّ مفسري الأحلام في مصر حسب زعم التوراة والقرآن (التكوين 40-41) (يوسف 36-56)! وإن ركز القرآنُ أيضاً على عفة يوسف وطهارته، ولذلك حرص يوسفُ القرآني على إثبات براءته (يوسف 50)!

- والمرة الثالثة على لسان يوسف في الفصل الثالث: "وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (يوسف 101). في نهاية القصة القرآنية بعد صعود يوسف إلى السلطة في مصر وبعد مجيء يعقوب مِن كنعان إلى مصر. قال يوسفُ: "رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" (يوسف 101).

ومِن المعلوم تاريخياً أن الأحلام لعبت دوراً مهماً في ثقافات الشرق الأوسط القديم بصفة عامة وفي ثقافة المصريين القدماء بصفة خاصة. تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica)[5649]:

The science of dream interpretation was especially well developed in Egypt and in the rest of the ancient Near East.

وفيما يتعلق بمصر القديمة، فإن الدليل على ذلك مثلاً بردية "كتاب الأحلام" (The Dream Book) التي يرجع تاريخُها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وتعطي مجموعة من الأحلام وتفسير كل منها[5650]. إذن: كان المصريون القدماء يستطيعون تفسير الأحلام، وليس كما زعم التوراة والقرآن أنهم فشلوا!

كما لعبت الأحلام وتفسيرها دوراً مهماً أيضاً في الحياة السياسية في مصر القديمة. وكمثال على ذلك نذكر (The Dream Stele) التي أقامها المَلِك "تحتمُس الرابع" (THUTMOSE IV) في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

يقول "القاموس المصور لمصر القديمة" (Illustrated Dictionary of Ancient Egypt) الذي نشرته في مصر "الجامعة الأمريكية بالقاهرة" (The American University in Cairo) بالتعاون مع "المتحف البريطاني" (The British Museum)[5651]:

Dreams played an important role in Egyptian culture, principally because they were thought to serve as a means of communicating the will of the gods and serving as clues to future events. Papyrus Chester Beatty III in the British Museum, an early Ramesside document found at DEIR EL-MEDINA, describes a number of dreams, each of which is followed by an interpretation and an evaluation as to whether it was good or bad. It is suggested, for instance, that if a man dreamed of drinking warm beer, this was bad and he would inevitably undergo suffering. Although the papyrus itself dates from the early thirteenth century BC, the language of the text

suggests that this dream-list was originally compiled in the MIDDLE KINGDOM (2055-1650 BC).

In royal propaganda (see KINGSHIP), STELAE sometimes recount the pseudo-prophetic dreams of pharaohs as a means of justifying their succession to the throne. The classic example of the royal dream stele was erected by THUTMOSE IV (1400-1390 BC) in front of the Great SPHINX at GIZA, describing how, as a young prince, he fell asleep in the shade of the sphinx and was then told in a dream that if he cleared the sand away from its flanks he would become king of Egypt.

فلو كانت قصة يوسف التوراتية←القرآنية حقيقية، وقدرته على تفسير الأحلام **[← تأويل الأحاديث؛ تعبير الرؤيا]** أيضاً حقيقة وليست خيالاً، فلماذا لم تُسجَّل تاريخياً كما تم تسجيل أحلام أخرى على برديات ومسلات؟! سؤال للعقلاء فقط.

ولو كان فرعونُ (مَلِك مصر) رأى فعلاً حُلماً وهو نائم (التكوين 41:1-7) (يوسف 43)، فلماذا لم يُسجَّل تاريخياً كما سجل لنا التاريخُ المصري القديم حُلمَ المَلِك تحتمُس الرابع وهو نائم؟! سؤال للعقلاء فقط.

وإنْ تحججتم بأن التاريخ لم يُسجِّل كل شيء، أو قلتم (Absence of evidence is not evidence of absence). فسنقول إن قصة يوسف التوراتية←القرآنية لا تتحدث عن ماسح أحذية أو بائع خضروات أو عابر سبيل زار مصرَ لمدة شهر! فحسب القصة التوراتية←القرآنية، كان يوسفُ قريباً جداً مِن مَلِك مصر، بل كان الرجل رقم 2 في مصر، وظل في السلطة لسنوات طويلة، وأنقذ شعبَ مصر وشعوب البلاد المجاورة مِن ويلات سبع سنين شداد مُجْدِبَاتِ، ألم يكن يستحق مسلة تُخلِّد اسمَه؟! ألا يستحق مَن أنقذ الشعب المصري مِن الموت جوعاً ولو بردية واحدة تذكر اسمَه وتعترف بفضله المزعوم؟!

إنَّ عدم وجود أي أثر تاريخي ليوسف هو خير دليل يثبت أن قصة يوسف التوراتية←القرآنية ليست قصة حقيقية تاريخية.

4.23.3.3 حدوث السنين الشداد المُجْدِبَاتِ والمجاعات في مصر القديمة

تعتمد قصة يوسف التوراتية←القرآنية على أن كل حكماء مصر القديمة وجميع مفسري الأحلام فيها فشلوا في تفسير حُلم مَلِك مصر: "قَصَّ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ حُلْمَهُ، فَلَمْ يَكُنْ مَنْ يُعَبِّرُهُ لِفِرْعَوْنَ" (التكوين 41:8) **[← أبرز القرآنُ هذه النقطة أكثر مِن التوراة، إذ ذكر لنا ما قاله "الملأ" للملك! "قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا**

نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ" (يوسف 44)[5652]]. فاستعان المَلِكُ بيوسف العِبراني ليفسر حلمه، فنجح يوسفُ وقال: سبع سنين مُخْصِبَاتٍ ثم سبع سنين مُجْدِبَاتٍ! يعني كما يُقال اليوم بالعامية: يوسف "جاب التايهة"!

وإنه لمِن المدهش أن بعض كتب التراث اليهودي والمسيحي قد تنبهت إلى هذه المشكلة، وهي: هل يُعقَل أن كلّ مفسري الأحلام في حضارة مصر الزراعية يعجزون عن تفسير حلم فرعون المتعلق بالزراعة بينما ينجح في تفسيره يوسفُ العبراني راعي الغنم ابن راعي الغنم حفيد رعاة الغنم[5653]؟!

يقول العالم الكبير (Prof. James L. Kugel) المتخصص في العهد القديم وتفاسيره قبل الميلاد وفي القرون الأولى للميلاد[5654]:

Interpreting dreams was a common enough activity, and, as dreams go, Pharaoh's was not all that challenging. Anyone should have been able to figure it out! As Asenath observes, in seeking to cast aspersions on Joseph and his achievements,

> Is he not a shepherd's son from the land of Canaan, and he himself was caught in the act [when he was] sleeping with his mistress, and his master threw him into the prison of darkness, and Pharaoh brought him out of prison, because he interpreted his dream just as the old women of the Egyptians interpret [dreams]? No, I will not be married [to him].
>
> ----- *Joseph and Asenath* 4:10-11

Interpreting Pharaoh's dreams as Joseph had done was, when one thought about it, really not so special. It seemed strange, then, that this dream should have baffled Pharaoh's own counselors, the greatest sages and wise men of Egypt. An explanation had to be found: […].

لكن للأسف، لجأ اليهود والمسيحيون إلى حلول أسطورية لهذه المشكلة. فزعم بعضُهم أن "الله" هو الذي أخفى تفسيرَ حلم فرعون عن كل مفسري الأحلام ليمهد الطريقَ أمام يوسف! [يعني فعلوا كما يفعل بعضُ شيوخ الإسلام اليوم: اختبأوا وراء الله حتى لا يجرؤ أحدٌ على مناقشتهم.] وزعم فريقٌ آخر أن مفسري الأحلام في مصر فسروا حلمَ فرعون، لكن فرعون لم يقتنع بتفاسيرهم أو لم يرض عنها!

فهل هذا معقول؟! الإجابة: لا.

وذلك لأن حدوث السنين الشداد المُجْدِبَاتِ (lean year) – بل والمجاعات (famine) – كان أمراً معروفاً لدى المصريين القدماء، وبخاصة في ظل اعتماد المصريين على الفيضان السنوي لنهر النيل وعدم وجود الوسائل الحديثة التي تضمن وفرة المحاصيل مثل الأسمدة الكيمائية والمواد القاتلة للآفات وغيرها. باختصار: لم يكن الأمرُ محتاجاً إلى تفسير، بل لم يكن محتاجاً إلى حلم من الأساس. فلقد حدثت السنين الشداد المُجْدِبَاتِ والمجاعات عدة مرات في مصر القديمة، وقام المصريون القدماء بتسجيلها تاريخياً على الآثار المصرية القديمة الخالدة بدءاً من القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد، أي: قبل يوسف بمئات السنين!

يقول "القاموس المصور لمصر القديمة" (Illustrated Dictionary of Ancient Egypt) الذي نشرته في مصر "الجامعة الأمريكية بالقاهرة" (The American University in Cairo) بالتعاون مع "المتحف البريطاني" (The British Museum)[5655]:

> Egypt's agricultural prosperity depended on the annual INUNDATION of the Nile. For crops to flourish it was desirable that the Nile should rise about eight metres above a zero point at the first cataract near ASWAN. A rise of only seven metres would produce a lean year, while six metres would lead to a famine. That such famines actually occurred in ancient Egypt is well documented from a number of sources, both literary and artistic.
>
> [...]
>
> That famines occurred during the OLD KINGDOM is not in doubt, and the surviving visual evidence includes several fragments of relief from the walls of the 5th-Dynasty causeway of the pyramid complex of UNAS (2375-2345 BC) at SAQQARA. These reliefs depict numerous emaciated figures, their rib-cages clearly visible, seated on the ground and apparently weak from hunger.

وتُعتبَر "لوحة المجاعة" (The Famine Stela) من أشهر الآثار المصرية القديمة التي تحدثت عن حدوث مجاعة مدتها "سبع سنين" في مصر في عهد الملك "زوسر" (Djoser)، أي: في القرن السابع والعشرين أو الثامن والعشرين قبل الميلاد، أي: قبل يوسف بمئات السنين! فتقول اللوحة إن الملك زوسر قَدَّم القرابين إلى الآلهة ليساعدوا مصرَ في تلك المحنة، ثم نام الملكُ زوسر وحلم حلماً طمأنه أن الإله "خنوم" (Khnoum) سينقذ مصر من تلك المجاعة الشديدة. فلمَّا قام الملكُ زوسر من نومه، أصدر أمراً ملكياً بأن

يكون ريعُ قطعة أرض كبيرة في جنوب مصر مخصصاً لمعبد الإله خنوم. [وطبعاً اللي حياخدوا هذا الريع هُمْ كهنة المعبد (أي: رجال الدين)!]

ومع أن تاريخ كتابة لوحة المجاعة يرجع إلى الحقبة البطلمية (ربما في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد) ويُعتقَد أن كهنة المعبد هُمْ الذين كتبوها أو فبركوها لمصلحتهم، إلا أن بعض العلماء يعتقدون أن لوحة المجاعة تسجل أحداثاً تاريخية حقيقية حدثت فعلاً في عهد الملك زوسر، أي: قبل يوسف بمئات السنين.

وفي جميع الأحوال، فإن المعلومة المؤكدة هي أن تقليد السبع سنين العجاف كان أمراً معروفاً في مصر القديمة، بل كان معروفاً على نطاق أوسع في الشرق الأوسط القديم، كما سنرى بعد قليل في ملحمة جلجامش الخالدة. تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica)[5656]:

> As for the predicted seven year cycles, this, too, is a very common motif in ancient Near Eastern sources. A special Egyptian twist is given to the famine cycle through a text dealing with the reign of the Third Dynasty king Djoser (c. 28th century B.C.E.), which reports on a severe famine attributed to the failure of the Nile to rise for seven years.

إذن: الموضوع معروف في مصر قبل يوسف بمئات السنين، ومش محتاج واحد عِبراني حتى يفسر حلمَ مَلِك مصر، ولا محتاج واحد عِبراني حتى "ينقذ شعب مصر" من فتنة الجوع. وطبعاً مش محتاج وحي من الله. الموضوع بسيط جداً ويعرفه المصريون القدماء معرفة جيدة قبل يوسف بمئات السنين.

يقول المرجع الشهير (Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament) الذي حرره العالم الجليل (James B. Pritchard)[5657]:

> THE TRADITION OF SEVEN LEAN YEARS IN EGYPT
>
> The prosperity of Egypt depends upon the satisfactory flow of the Nile, particularly upon its annual inundation, and that river is antic and unpredictable. Ancient Egyptian texts have frequent references to hunger, “years of misery,” “a year of low Nile,” and so on. The text which follows (i.e. The Famine Stela) tells of seven years of low Niles and famine. In its present form the text derives from the Ptolemaic period (perhaps around the end of the 2nd century B.C.). However, its stated setting is the reign of Djoser of the Third Dynasty (about 28th century B.C.). It states the reasons

why a stretch of Nile land south of Elephantine had been devoted to Khnum, god of Elephantine. It is a question whether it is a priestly forgery of some late period, justifying their claim to territorial privileges, or whether it correctly recounts an actual grant of land more than 2500 years earlier. This question cannot be answered in final terms. We can only affirm that Egypt had a tradition of seven lean years, which, by a contractual arrangement between pharaoh and a god, were to be followed by years of plenty.

إذن: توجد آثار مصرية قديمة تؤكد حدوث السنين الشداد المُجْدِبَاتِ والمجاعات في مصر القديمة، وأحياناً "سبع سنين" بالعدد. لكن في المقابل، لم نجد حتى الآن مسلة واحدة ولا بردية واحدة ولا حتى قطعة حجر واحدة ولا أي دليل مادي آخر يذكر اسم "يوسف" (أو اسم "صَفْنَات فَعْنِيحَ") الذي يزعم القرآنُ والتوراة أنه تعامل جيداً مع سبع سنين شداد مُجْدِبَات في مصر! أليس هذا أمراً عجيباً يثير الشك والريبة؟!

هل يوجد أصلاً أي دليل علمي يثبت أن اسم "صَفْنَات فَعْنِيحَ" كان مستخدماً في مصر القديمة في الفترة الزمنية التي يُفترَض أن يوسف كان يعيش فيها؟!

يوسف دخل مصر صبياً عمره 17 سنة (التكوين 2:37). وعاش في مصر حتى صعد إلى السلطة وصار الرجل الثاني بعد مَلِك مصر فقط (التكوين 40:41) (يوسف 54)! ثم عاش في مصر طوال حياته وكان يتجول بكل حرية في جميع أنحاء مصر (التكوين 46:41) (يوسف 56). وظل يعيش في مصر حتى مات في مصر وعمره 110 سنة (التكوين 22:50)؛ يعني: عاش 93 عاماً في مصر، منهم 80 عاماً يحكم مصر! عاش أكثر من 1100 شهر في مصر، منهم 960 شهر يحكم مصر! عاش أكثر من 33 ألف يوم في مصر، منهم أكثر من 29 ألف يوم يحكم مصر! وحتى بعد وفاته، ظل مدفوناً في مصر مئات السنين (الخروج 19:13)! فلو كان ما زعمه القرآنُ والتوراة عن يوسف صحيحاً، فكيف بعد كل ذلك لا نجد أي أثر يثبت وجوده التاريخي؟! قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لـ "يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ" (يوسف 56) إن يوسف "جعل لنفسه بيتاً في أكثر من مكان [...] أقام لنفسه بيتاً في أكثر من مكان"[5658]. فأين هي تلك البيوت المزعومة؟! وقال سيد قطب في كتابه الشهير "التصوير الفني في القرآن": "ويدل تصرف يوسف في سنيّ الخصب والجدب على مهارة واضحة في الإدارة والاقتصاد، فقد أشرف على المالية والتموين أربع عشرة سنة، لا على تموين مصر وحدها، بل على تموين البلاد القريبة المجاورة، التي أجدبت كذلك"[5659]. فلو كان ذلك صحيحاً، فكيف لا نجد أي أثر تاريخي ليوسف في مصر ولا في "البلاد القريبة المجاورة"؟!

خلاصة القول: إنّ عدم وجود أي ذِكر ليوسف (صَفْنَات فَعْنِيحَ) في الآثار المصرية القديمة يجعلنا نشك في كل ما زعمه القرآنُ والتوراة عنه. إنّ عدم وجود أي أثر تاريخي ليوسف في الشرق الأوسط القديم يجعلنا نؤكد أن قصة يوسف التوراتية←القرآنية ليست قصة حقيقية تاريخية.

وإنْ قلتم إن التاريخ المصري القديم قد "اضطهد" يوسفَ وأنكر فضلَه الكبير على مصر لأسباب عنصرية على اعتبار أنه أجنبي آسيوي عِبراني وليس مصرياً؛ وإنْ تَذَرَّعتم بـ "لأَنَّ كُلَّ رَاعِي غَنَمٍ رِجْسٌ لِلْمِصْرِيِّينَ" (التكوين 46:34) (التكوين 43:32). فسنقول: وماذا عن التاريخ العبراني/الإسرائيلي القديم؟ وماذا عن التاريخ القديم لدول الشرق الأوسط الأخرى؟ هل يوجد أي أثر تاريخي في أي مكان في الشرق الأوسط في أي زمان في الألفية الثانية قبل الميلاد يذكر يوسفَ وأعماله المزعومة في مصر؟ الإجابة: لا.

إذن: القضية محسومة لصالحنا. لا يوجد على الإطلاق أي دليل علمي يثبت أن يوسف شخص حقيقي تاريخي. وليس أمام العقلاء سوى الاعتراف بأن قصة يوسف التوراتية←القرآنية ليست قصة حقيقية تاريخية.

4.23.3.4 يوسف يتنبأ بالغيب: "ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ [بِالْمَطَرِ]" (يوسف 49)!

هذه المشكلة تخص القرآن وحده. فلقد أضاف أصحابُ القرآن آيةً لا وجود لها في التوراة ووضعوها على لسان يوسف. فلقد فسَّر يوسفُ حلمَ مَلِك مصر، سبع سنين مُخْصِبَاتٍ ثم سبع سنين مُجْدِبَاتٍ، ثم تنبأ يوسفُ بالغيب فأضاف جملةً خارجة عن تفسير حلم مَلِك مصر: "ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" (يوسف 49). هذا العام الذي "فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" لم يرد أصلاً في حلم مَلِك مصر، سواء في القرآن أو في التوراة! بل تستطيع أن تحذف الآيةَ (يوسف 49) تماماً ثم تقرأ قصةَ يوسف القرآنية بدون أن تشعر بأي نقص في أحداث الرواية!

وكالعادة، احتار المفسرون المسلمون في كلمة "يُغَاثُ"! كلمة مِن أربعة حروف احتاروا في معناها! هل هي من الغَيْث أي المطر؟ أم مِن الغَوْث أي الإغاثة والإعانة والنُّصْرة؟ ونحن نرى أن الرأيين غير متناقضين، فالغيث (المطر) نوعٌ من الغوث (الإغاثة)، أو كما قال الشيخ الشعراوي: ""فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ" أي ينزل عليهم الغيث والمطر وهو من الإغاثة والغوث"(5660). إلا أن الرأي الذي وجدناه في كثير مِن كتب تفاسير القرآن، وبخاصة التفاسير التراثية القديمة، هو أن "يُغَاثُ النَّاسُ" بالمطر؛ أي: يُمْطَرُونَ.

قال الطبري: "وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: "فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ": بِالْمَطَرِ وَالْغَيْثِ. وَبِنَحْوِ ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. [...] عَنْ قَتَادَةَ [...] قَالَ: فِيهِ يُغَاثُونَ بِالْمَطَرِ. [...] عَنِ الضَّحَّاكِ [...] قَالَ: بِالْمَطَرِ. [...] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: [...] بِالْمَطَرِ. [...] عَنْ مُجَاهِدٍ: [...] بِالْمَطَرِ"(5661).

وقال القرطبي: ""فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ" مِنَ الْإِغَاثَةِ أَوِ الْغَوْثِ؛ غَوَّثَ الرَّجُلُ، قَالَ: وَاغَوْثَاهُ، وَالِاسْمُ: الْغَوْثُ وَالْغُوَاثُ وَالْغَوَاثُ، وَاسْتَغَاثَنِي فُلَانٌ فَأَغَثْتُهُ، وَالِاسْمُ: الْغِيَاثُ؛ صَارَتِ الْوَاوُ يَاءً لِكَسْرَةِ مَا قَبْلَهَا. وَالْغَيْثُ:

الْمَطَرُ، وَقَدْ غَاثَ الْغَيْثُ الْأَرْضَ، أَيْ: أَصَابَهَا؛ وَغَاثَ اللَّهُ الْبِلَادَ يَغِيثُهَا غَيْثًا، وَغِيثَتِ الْأَرْضُ تُغَاثُ غَيْثًا، فَهِيَ أَرْضٌ مَغِيثَةٌ وَمَغْيُوثَةٌ. فَمَعْنَى: "يُغَاثُ النَّاسُ": يُمْطَرُونَ. "وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْصِرُونَ الْأَعْنَابَ وَالدُّهْنَ؛ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ. وَرَوَى حَجَّاجٌ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: يَعْصِرُونَ الْعِنَبَ خَمْرًا، وَالسِّمْسِمَ دُهْنًا، وَالزَّيْتُونَ زَيْتًا. وَقِيلَ: أَرَادَ حَلْبَ الْأَلْبَانِ لِكَثْرَتِهَا؛ وَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى كَثْرَةِ النَّبَاتِ"[5662].

وقال ابنُ كثير: ""عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ"، أَيْ: يَأْتِيهِمُ الْغَيْثُ، وَهُوَ الْمَطَرُ، وَتُغَلُّ الْبِلَادُ، وَيَعْصِرُ النَّاسُ مَا كَانُوا يَعْصِرُونَ عَلَى عَادَتِهِمْ، مِنْ زَيْتٍ وَنَحْوِهِ، وَسُكَّرٍ وَنَحْوِهُ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: يَدْخُلُ فِيهِ حَلْبُ اللَّبَنِ أَيْضًا"[5663].

وقال تفسير الجلالين: ""ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ" أَيِ: اَلسَّبْعِ اَلْمُجْدِبَاتِ "عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ" بِالْمَطَرِ "وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" اَلْأَعْنَابَ وَغَيْرَهَا لِخِصْبِهِ (أي: لِخِصْبِ هذا العام)"[5664].

وفي العصر الحديث، قال الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الأسبق: "ولفظ "يُغَاثُ" مِن الغوث بمعنى إزالة الهم والكرب عن طريق الأمطار التي يسوقها اللهُ - تعالى - لهم بعد تلك السنوات الشداد التي قل فيها المطر. ولفظ "يَعْصِرُونَ" من العصر وهو الضغط على ما من شأنه أن يعصر، لإخراج ما فيه من مائع سواء أكان هذا المائع زيتاً أم ماء أم غيرهما. أي: ثم يأتي من بعد تلك السنين السبع الشداد، عام فيه تزول الهموم والكروب، بسبب إرسال الله - تعالى - المطر عليهم، فتخضر الأرض وتنبت من كل زوج بهيج، وفيه يَعْصِرُونَ من ثمار مزروعاتهم ما من شأنه أن يعصر كالزيتون وما يشبهه، وهذا كناية عن بدء حلول الرخاء بهم، بعد تلك السنوات الشداد"[5665].

ومما يؤيد أيضاً أن صاحب (يوسف 49) كان يقصد "المَطَر" وجود قراءة أخرى لكلمة "يَعْصِرُونَ" (يوسف 49) تعطي هذا المعنى[5666]. وهي "يُعْصَرُونَ" أي يُمْطَرُون؛ أو "تُعْصَرُونَ" أي تُمْطَرُون. مِن: عَصَرت السحابُ الماءَ عليهم. كما قال القرآنُ في موضعٍ آخر: "وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ (أي: السحب الممطرة) مَاءً (أي: مطراً) ثَجَّاجًا (أي: منصباً بكثرة؛ مندفعاً بقوة)" (النبأ 14).

وطبعاً توجد أمثلة أخرى من تفاسير المسلمين، لكن حرصاً على عدم الإطالة سنكتفي بالأمثلة السابقة.

المشكلة هي أن الزراعة في مصر كانت – وما زالت – تعتمد علي مياه نهر النيل بشكل أساسي، أما المطر فهو مجرد عامل مساعد. فكيف يذكر صاحبُ (يوسف 49) المطرَ ولا يذكر نهر النيل؟!

وإنْ قلتم إنه يُقصَد بالمطر هنا المطر الذي ينزل على أثيوبيا (أو منابع النيل بصفة عامة) والذي يؤدي إلى فيضان النيل في مصر. أو كما قال د. وهبة الزحيلي الذي حاول أن يجمع بين الغَيْث والغَوْث وبين المطر والنيل في جملةٍ واحدة فقال: "يُغاث الناس بالمطر، ويأتي الفرج الإلهي بفيضان النيل لاعتماد زراعتهم عليه، لا على المطر"[5667]! فسنقول إن هذا التبرير غير مقنع، لأن القرآن لم يقل "يُغَاثُ النَّاسُ في أثيوبيا" ولا "يُغَاثُ النَّاسُ في منابع النيل" وإنما قال "يُغَاثُ النَّاسُ" ولم يحدد المكان مما يعني أنه المكان الذي دارت فيه

أحداث القصة أي في مصر. فإذا كان المقصود أثيوبيا أو منابع النيل، كان ينبغي أن يوضحه القرآنُ أو يذكر نهرَ النيل مباشرة على اعتبار أنه ما يهم المصريين.

حاول نخبة من شيوخ الإسلام تبرير ذِكر المطر في هذه الآية فقالوا: "وذلك لأن الأمر كله خارج على المألوف. وبيان خروجه على المألوف: أن المدة خمس عشرة سنة. سبع شداد يأكلن سبعاً سماناً أو: سبع سمان يأكلهن سبع عجاف. والسنة الأخيرة يأتى فيها الخير قليلاً. والمناسب لقلة الخير؛ نزول المطر. وقلة المياه تكفى لرى العنب والفواكه فى أماكن زراعته، وتكفى لإنبات قمح يكون بذره بذرا للسنوات الآتية التى سيكثر فيها ماء النيل. وهذا أمر غير مستبعد فى العقل. فكيف يكون شبهة؟"[5668].

تعليقنا: إذا كان هذا الأمر خارجاً على المألوف كما تزعمون، فلاَ بُدَّ أن المصريين القدماء قد سجَّلوه في آثارهم، كما نسجِّل نحن اليوم الأمور الغريبة وغير المألوفة. السؤال: هل يوجد أي دليل مادي يثبت أنه حدث في أي فترة من تاريخ المصريين القدماء أن مر خمس عشرة سنة بهذا الترتيب: "سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا" (يوسف 47) ثم "سَبْعٌ شِدَادٌ" (يوسف 48) ثم "عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ" (يوسف 49) وأن الذي تنبأ بهذه الخمس عشرة سنة كان شخصاً عِبرانياً اسمه يوسف وكان مسجوناً ثم خرج من السجن بعدما فسَّر حلمَ مَلِك مصر ... الخ ما ورد في قصة يوسف في القرآن؟! في ظل غياب هذا الدليل المادي، يصبح كلام شيوخ الإسلام – كالعادة – مجرد كلام مُرسَل يفتقر إلى أي دليل علمي يُعتمَد عليه.

ونحن بصراحة نندهش أن ثلاث آيات قرآنية (يوسف 47-49) تتحدث عن الزراعة في مصر ولا تذكر نهرَ النيل! ألم يعلم أصحاب القرآن أنه لا زراعة في مصر بدون نهر النيل؟! ألم يعلم أصحاب القرآن أنه لا حياة في مصر بدون نهر النيل؟! ألم يعلم أصحاب القرآن أن "مصر هبة النيل"؟! قالها المؤرخ الإغريقي "هيرودوت" (Herodotus) في القرن الخامس قبل الميلاد، أي: قبل الإسلام بأكثر مِن ألف سنة، ولم يقلها أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي!

قصة قرآنية تدور معظم أحداثها في مصر القديمة، ولا تذكر نهر النيل ولا تذكر الأهرامات ولا تذكر إلهاً واحداً مِن آلهة المصريين القدماء، إيزيس وأوزيريس مثلاً! ولا يوجد أي دليل مادي يثبت حدوثها تاريخياً! ولم يتفق المؤمنون بها على زمانٍ واحد لحدوثها! فكيف يمكن أن نصدق أنها قصة حقيقية تاريخية؟!

فكما قلنا فيما سبق، نحن لدينا أدلة مادية على أن المصريين القدماء عرفوا السنين الشداد والمجاعات، ولدينا أدلة مادية على أن الأحلام وتفسيرها لعبت دوراً مهماً في حياة المصريين القدماء. لكن في المقابل، ليس لدينا أي دليل مادي واحد على أنه كان هناك شخص اسمه "يوسف" تنبأ بخمس عشرة سنة بالترتيب السابق ذكره بعد أن فَسَّر حلماً لملك مصر! وليس لدينا أي دليل مادي على "الدراهم" (يوسف 20)! ولا يوجد اتفاق على الزمان الذي دارت فيه قصة يوسف المزعومة! أليس كل ما سبق يثير الشك والريبة؟! فكيف يمكن أن نصدق أن قصة يوسف القرآنية قصة حقيقية تاريخية؟! بل كيف يمكن أن نصدق أنها كلام الله؟!

النتيجة: "ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" (يوسف 49) كلام بشر.

لكن يبقى سؤال: لماذا أقحم صاحبُ (يوسف 49) هذه الآية البشرية في القصة القرآنية؟!

الإجابة تنقسم إلى شقين. أولاً من الناحية الشكلية. وثانياً من الناحية الموضوعية.

من الناحية الشكلية يبدو لنا أن صاحب (يوسف 49) قد أراد أن يخلق نوعاً من الانكفاء (Chiasmus)[5669] على نمط أ ب ب أ (A B B A) حيث "أ" هي التنبؤ بالغيب و "ب" هي تفسير الأحلام **[← تأويل الأحاديث؛ تعبير الرؤيا]**، كما يلي:

الفكرة أ1: التنبؤ بالغيب فيما يخص طعام السجينين (يوسف 37)

الفكرة ب1: تفسير حُلمي السجينين؛ خبر سار ثم خبر غير سار (يوسف 41)

الفكرة ب2: تفسير حُلم مَلِك مصر؛ خبر سار (يوسف 47) ثم خبر غير سار (يوسف 48)

الفكرة أ2: التنبؤ بالغيب فيما يخص طعام المصريين (يوسف 49)

فَلِكَيْ يستقيم شكل هذا النمط الأدبي المعروف والمشهور في قصة يوسف القرآنية، كان لاَ بُدَّ من التنبؤ بالغيب مرة أخرى (أ2): "ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" (يوسف 49).

أو لعل صاحب (يوسف 49) قد أراد أن يصنع ثلاثية (triology) جديدة تنضم إلى ثلاثيات قصة يوسف القرآنية. فكما ضمت القصةُ ثلاث حلقات مِن الرؤى: رؤيا يوسف (يوسف 4) ورؤيا السجينين (يوسف 36) ورؤيا الملك (يوسف 43)[5670]. وكما تكررت عبارة "تأويل الأحاديث" ثلاث مرات في ثلاث مراحل مختلفة من القصة: على لسان يعقوب في الفصل الأول (يوسف 6) وعلى لسان الراوي في الفصل الثاني (يوسف 21) وعلى لسان يوسف في الفصل الثالث (يوسف 101). كذلك أراد صاحب (يوسف 49) أن يصنع ثلاثية: 7 سنين رخاء (يوسف 47) + 7 سنين قحط (يوسف 48) + سنة مطر (يوسف 49).

هذا من الناحية الشكلية. أما من الناحية الموضوعية فيبدو لنا أن معلومات صاحب (يوسف 49) عن الزراعة في مصر كانت معلومات ضحلة. ... ربما كان مِن أهل شبه الجزيرة العربية، فقال هذه الآية تأثراً بالقرآن الذي يقول إن الْعُسْرَ يتبعه اليسرُ: "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" (الشرح 5-6). ... وربما كان مِن أهل الشام (كنعان)، فظنَّ أن الزراعة في مصر تعتمد على المطر مثل الزراعة في كنعان. وهذا طبعاً ظن خاطئ منه لأن الزراعة في كنعان تختلف عن الزراعة في مصر. الزراعة في كنعان تعتمد على المطر، بينما الزراعة في مصر تعتمد على نهر النيل[5671].

وهذا الاختلاف بين الزراعة في مصر وكنعان مذكورٌ في التوراة بعد خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى وقبل دخولهم إلى كنعان: "«فَاحْفَظُوا كُلَّ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِكَيْ تَتَشَدَّدُوا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا (أي: أرض كنعان)، وَلِكَيْ تُطِيلُوا الأَيَّامَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ (أي: أرض كنعان)، أَرْضٌ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً. لأَنَّ الأَرْضَ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا (أي: أرض كنعان) لَيْسَتْ مِثْلَ أَرْضِ مِصْرَ الَّتِي خَرَجْتَ مِنْهَا، حَيْثُ كُنْتَ تَزْرَعُ زَرْعَكَ وَتَسْقِيهِ بِرِجْلِكَ كَبُسْتَانِ بُقُولٍ (أي: تعمل برِجْلِكَ وبمجهودك قنوات في الأرض لتجري فيها مياه الريّ من نهر النيل إلى كل حقل). بَلْ الأَرْضُ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكُوهَا (أي: أرض كنعان)، هِيَ أَرْضُ جِبَالٍ وَبِقَاعٍ. مِنْ مَطَرِ السَّمَاءِ تَشْرَبُ مَاءً (أي: الله هو الذي يرويها مِن السماء بنعمة المطر الإلهية، وليس أنتم بمجهودكم البشري الأرضي). أَرْضٌ يَعْتَنِي بِهَا الرَّبُّ إِلهُكَ. عَيْنَا الرَّبِّ إِلهِكَ عَلَيْهَا دَائِمًا مِنْ أَوَّلِ السَّنَةِ إِلَى آخِرِهَا. «فَإِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَايَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَتَعْبُدُوهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ، أُعْطِي مَطَرَ أَرْضِكُمْ فِي حِينِهِ: الْمُبَكِّرَ (أي: مطر الخريف) وَالْمُتَأَخِّرَ (أي: مطر الربيع). فَتَجْمَعُ حِنْطَتَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ. وَأُعْطِي لِبَهَائِمِكَ عُشْبًا فِي حَقْلِكَ فَتَأْكُلُ أَنْتَ وَتَشْبَعُ. فَاحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَنْغَوِيَ قُلُوبُكُمْ فَتَزِيغُوا وَتَعْبُدُوا آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُوا لَهَا، فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ، وَيُغْلِقُ السَّمَاءَ فَلاَ يَكُونُ مَطَرٌ، وَلاَ تُعْطِي الأَرْضُ غَلَّتَهَا، فَتَبِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ الَّتِي يُعْطِيكُمُ الرَّبُّ" (التثنية 11:8-17)[5672]. اقرأ أيضاً (المزامير 65:9-13)[5673] و (زكريا 14:16-19)[5674].

ومِن الجدير بالذكر أن الآيات التوراتية السابقة مشهورة جداً ومعروفة على نطاق واسع. بدليل أن الآيات التوراتية التي تليها تقول: "«فَضَعُوا كَلِمَاتِي هذِهِ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَنُفُوسِكُمْ، وَارْبُطُوهَا عَلاَمَةً عَلَى أَيْدِيكُمْ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عُيُونِكُمْ، وَعَلِّمُوهَا أَوْلاَدَكُمْ، مُتَكَلِّمِينَ بِهَا حِينَ تَجْلِسُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، وَحِينَ تَمْشُونَ فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُونَ، وَحِينَ تَقُومُونَ. وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ" (التثنية 11:18-20).

إذن: مِن الواضح أن صاحب (يوسف 49) قد سمع الآيات التوراتية السابقة التي تتحدث عن الري في كنعان، وأعجب بها لأنها تبرز الاعتماد على الله الواحد الأحد الذي لا شريك له والاتكال عليه وحده لأنه هو الذي يمنح المطرَ أو يمنعه[5675][5676]، فنقل صاحبُ (يوسف 49) هذه الآيات التوراتية مِن كنعان إلى مصر. نقلها – عن جهل وليس عن عمد – من قصة موسى التوراتية إلى قصة يوسف القرآنية[5677]. **(التثنية 11:11-14):** مِنْ مَطَرِ السَّمَاءِ تَشْرَبُ مَاءً **[← "فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ [بالمطر] وَفِيهِ تُعْصَرُونَ (أي: تُمْطَرُونَ، حسب إحدى القراءات القرآنية)" (يوسف 49)]**. أَرْضٌ يَعْتَنِي بِهَا الرَّبُّ إِلهُكَ. عَيْنَا الرَّبِّ إِلهِكَ عَلَيْهَا دَائِمًا مِنْ أَوَّلِ السَّنَةِ إِلَى آخِرِهَا **[← "عَامٌ" (يوسف 49)]**. «فَإِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَايَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَتَعْبُدُوهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ، أُعْطِي مَطَرَ أَرْضِكُمْ فِي حِينِهِ: الْمُبَكِّرَ وَالْمُتَأَخِّرَ (أي: مَطَراً يكفي لزراعة السَّنَةِ) **[← "عَامٌ" (يوسف 49)]**. فَتَجْمَعُ حِنْطَتَكَ (your grain) وَخَمْرَكَ (your

(wine) وَزَيْتَكَ (your oil) [← "فِيهِ يَعْصِرُونَ (مثلاً: يعصرون السِّمْسِمَ فيصير دُهْنًا والعنبَ فيصير خمراً والزيتونَ فيصير زيتاً، كما قالت كتب تفاسير القرآن التي ذكرناها)" (يوسف 49)].

وخير دليل على شهرة الآيات التوراتية السابقة هو أن أفكارها الأساسية قد تكررت في مواضع أخرى من العهد القديم؛ وكلها تتحدث عن كنعان (إسرائيل) وليس مصر. اقرأ مثلاً **(يوئيل 2): {23}** وَيَا بَنِي صِهْيَوْنَ، ابْتَهِجُوا وَافْرَحُوا بِالرَّبِّ إِلهِكُمْ، لأَنَّهُ يُعْطِيكُمُ الْمَطَرَ الْمُبَكِّرَ عَلَى حَقِّهِ، وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مَطَرًا مُبَكِّرًا [في الخريف] وَمُتَأَخِّرًا [في الربيع] فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ [← "عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ [بالمطر] وَفِيهِ تُعْصَرُونَ (أي: تُمْطَرُون، حسب إحدى القراءات القرآنية)" (يوسف 49)]، {24} فَتُمْلأُ الْبَيَادِرُ حِنْطَةً، وَتَفِيضُ حِيَاضُ الْمَعَاصِرِ خَمْرًا وَزَيْتًا [← "فِيهِ يَعْصِرُونَ [العنبَ فيصير خمراً والزيتونَ فيصير زيتاً]" (يوسف 49) حسب القراءة القرآنية السائدة]. اقرأ أيضاً: "فَتَمْتَلِئَ خَزَائِنُكَ شِبْعًا، وَتَفِيضَ مَعَاصِرُكَ مِسْطَارًا (أي: خَمْراً)" (الأمثال 3:10).

وختاماً يجب أن نقول إنه يوجد احتمال آخر لا يتعارض مع ما سبق. وهو أن صاحب (يوسف 49) جاء من خلفية مسيحية فأراد – عن عمد وليس عن جهل – أن يضع بصمته المسيحية على قصة يوسف القرآنية بأن يؤكد مرة أخرى على التشابه بين يوسف بن إسرائيل والمسيح ابن إسرائيل فيما يتعلق بدورهما في حل مشكلات الآخرين. فَمِن المعلوم أن المعجزة الأولى التي صنعها يسوع المسيح في العام الأول لخدمته [← "عَامٌ" (يوسف 49)] هي حسب إنجيل يوحنا: تحويل الماء [← الغيث: "يُغَاثُ النَّاسُ [بماء المطر]" (يوسف 49)] إلى خمر [← "يَعْصِرُونَ" (يوسف 49)]. وإنه لمن الطريف أن هذه المعجزة حدثت "فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ" لشهادة يوحنا المعمدان ليسوع المسيح [← كذلك في قصة يوسف القرآنية، جاءت (يوسف 49) في ثلاثية كما قلنا فيما سبق: 7 سنين رخاء (يوسف 47) + 7 سنين قحط (يوسف 48) + سنة مطر وخمر (يوسف 49)]. اقرأ **(يوحنا 2): {1}** وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَا الْجَلِيلِ (Cana of Galilee) [في أرض إسرائيل]، وَكَانَتْ أُمُّ يَسُوعَ هُنَاكَ. {2} وَدُعِيَ أَيْضًا يَسُوعُ وَتَلاَمِيذُهُ إِلَى الْعُرْسِ. {3} وَلَمَّا فَرَغَتِ الْخَمْرُ، [شكَّل ذلك مشكلة وإحراجاً كبيراً للعريس وأقاربه ومقيمي الْعُرْسِ] [...]. [...] {6} وَكَانَتْ سِتَّةُ أَجْرَانٍ مِنْ حِجَارَةٍ مَوْضُوعَةً هُنَاكَ، حَسَبَ تَطْهِيرِ الْيَهُودِ (أي: ستة أجران لستة أيام الأسبوع، فاليوم السابع راحة)، يَسَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِطْرَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً (أي: حوالي 80 أو 120 لتر). {7} قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ [حتى يخلِّصهم من هذه المشكلة المحرجة]: «امْلأُوا الأَجْرَانَ مَاءً». فَمَلأُوهَا إِلَى فَوْقُ. {8} ثُمَّ قَالَ لَهُمُ: «اسْتَقُوا الآنَ وَقَدِّمُوا إِلَى رَئِيسِ الْمُتَّكَإِ». فَقَدَّمُوا. {9} فَلَمَّا ذَاقَ رَئِيسُ الْمُتَّكَإِ الْمَاءَ الْمُتَحَوِّلَ خَمْرًا [جيدة]، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هِيَ، لكِنَّ الْخُدَّامَ الَّذِينَ كَانُوا قَدِ اسْتَقَوُا الْمَاءَ عَلِمُوا، [...]. {11} هذِهِ بِدَايَةُ الآيَاتِ (أي: المعجزات) فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَآمَنَ بِهِ تَلاَمِيذُهُ.

يقول الأب متى المسكين تعليقاً على معجزة "تحويل الماء إلى خمر" (Tansformation of Water into Wine): "فالخمر في العهد الجديد تعبير عن بهجة الخلاص ومنها استقينا كأسها من يديه

وكان بدمه. وهكذا كان مناسباً لافتتاح ملكوت الله عند المسيح تحويل فرح الناس في الأرض إلى بهجة خلاص وفرحة السماء في حدود السر المخفي حتى يأتي زمانه. [...] والمعنى هنا عميق: فانظر وتأمَّل عزيزي القارئ كيف تحوَّل ماء التطهير للجسد والأواني إلى خمر للبهجة والفرح، وكأن الله استجاب للتطهير ودعاهم لدخول ملكوت الله الذي هو بمثابة الْعُرْسِ ... ألم يقل [المسيحُ] إنه جاء ليكمِّل"[5678].

تعليقنا: نحن إذن أمام احتمالين. الاحتمال الأول هو أن (يوسف 49) مستوحاة من التوراة (التثنية 11) عن جهل. الاحتمال الثاني هو أن (يوسف 49) مستوحاة من الإنجيل (يوحنا 2) عن عمد. نحن طبعاً نؤيد الاحتمال الأول لأنه بالفعل الأقرب والأقوى والأرجح، وإن كنا لا نستبعد الاحتمال الثاني. وبما أن الاحتمالين غير متناقضين، فيمكن الجمع بينهما. وفي جميع الأحوال، النتيجة واحدة: "ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" (يوسف 49) كلام بشر، وهي مِن الإسرائيليات التي تسللت إلى القرآن العربي.

فكيف يتخيَّل المسلمون أننا يمكن أن نصدق أن القرآن كلام الله، ونحن نرى كلاماً بشرياً في القرآن يخص مصر ويوسف (يوسف 49) مع أنه أصلاً كلامٌ في التوراة يخص كنعان وموسى (التثنية 11)! و/أو كلامٌ في الإنجيل يخص إسرائيل والمسيح (يوحنا 2)!

إنه خطأ جغرافي كبير في القرآن يجعلنا على يقين 100% أن القرآن كلام بشر، وليس كلام الله. القرآن كلام بشر ليسوا على دراية واسعة بشئون الزراعة في مصر القديمة. بل ليسوا على دراية بتفاصيل الديانة المصرية القديمة، كما سنوضح في الصفحات التالية ...

4.23.3.5 المحاضرة الدينية التي ألقاها الداعية الإسلامي يوسف بن إسرائيل في السجن المصري (يوسف 37-40)!

صدق أو لا تصدق! العبراني يوسف بن إسرائيل ألقى محاضرة دينية "إسلامية" في سجون مصر القديمة مئات السنين قبل الميلاد!

هذه المشكلة أيضاً تخص القرآن وحده. إذ تعاني قصة يوسف القرآنية مِن استطراد (digression) ليس له ما يقابله في قصة يوسف التوراتية[5679].

بعد أن حكى الفَتَيان ليوسف حلميهما وسألاه عن تفسيريهما (يوسف 36)، لم يجبهما يوسفُ فوراً وإنما أعطاهما خطبةً دينية (يوسف 37-40) ليس لها علاقة بحلميهما! ثم بعد ذلك فَسَّر لهما حلميهما (يوسف 41).

نعم، يزعم القرآنُ أن يوسف العبراني أعطى درساً دينياً لزميليه في السجن (يوسف 37-40)! درس خصوصي في التوحيد الخالص (أي: لا نشرك بالله شيئاً مطلقاً) "مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ" (يوسف 38) والإيمان "بِالْآخِرَةِ" (يوسف 37)! أي: الإيمان بالآخرة على وجهها "الصحيح"!

فما علاقة هذا الدرس الديني بحُلمي السجينين؟!

قيل إن يوسف دعاهما إلى التوحيد حرصاً منه على إيمانهما قبل أن يموت أحدهما "وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ" (يوسف 41). لكن القرآن لم يقل إن هذا الرجل المصلوب قد آمن قبل موته. أما الرجل الآخر الذي نجا، فلقد نَسِيَ يوسفَ أصلاً: "أَنسَاهُ الشَّيْطَانُ" (يوسف 42)! إذن: يوسف فشل فشلاً ذريعاً في دعوته إلى التوحيد.

وخير دليل على عدم وجود علاقة بين هذه الخطبة الدينية (يوسف 37-40) وحُلمي السجينين هو أنك تستطيع أن تحذف هذه الخطبة الدينية (يوسف 37-40) حذفاً تاماً، وتقرأ حُلمي السجينين (يوسف 36) ثم تقفز إلى تفسيريهما (يوسف 41) بدون أن تشعر بأي نقص في أحداث الرواية القرآنية. بل يُعتقد أن هذه الخطبة الدينية قد أُضِيفتْ لاحقاً إلى القرآن[5680].

ويُفهَم مِن القصة القرآنية أن خطبة يوسف لم تكن لهذين السجينين فقط، فلقد "قِيلَ: الْخِطَابُ لَهُمَا وَلِأَهْلِ السِّجْنِ، وَكَانَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَصْنَامٌ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى"[5681]، واستدلوا على ذلك بصيغة الجمع في "مَا تَعْبُدُونَ [...] أَنتُمْ" (يوسف 40). يعني: محاضرة دينية! بل خطبة لاهوتية (theological speech) تركز على عبادة الإله الواحد الأحد الذي لا شريك له!

والعجيب هو أن يوسف ألقى هذه الخطبة الدينية الوعظية في السجون المصرية بدون أن يذكر اسمَ أي إله من آلهة المصريين القدماء! فلم يقل مثلاً "رع مجرد وهم"، ولم يقل "آمون لا يستحق العبادة"، ولم يقل "إيزيس لن تنفعكم"، ولم يقل "أوزيريس ليس إلهاً حقيقياً"[5682]، ولم يذكر اسمَ أي إله من آلهة مصر القديمة! مما يجعلنا نشك في مصداقية قصة يوسف القرآنية.

بعبارة أخرى: عندما كان محمدٌ يتحدث مع اليهود، كان يذكر اسم "موسى". وعندما كان محمدٌ يجادل النصارى، كان يذكر "المسيح". وعندما كان محمدٌ يجالس العرب الوثنيين، كان يذكر أسماء آلهتهم "اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ" (النجم 19-20). فهل يُعقَل أن يوسف ألقى محاضرة دينية إلى رجلين مصريين مِن المصريين القدماء بدون أن ينطق اسم "إيزيس" ولا "أوزيريس"؟! مستحيل.

الكلام الذي قاله يوسفُ (يوسف 37-40) – أو بالأحرى: وُضِعَ على لسان يوسف – كلام عام جداً لا يرتبط بمصر القديمة تحديداً. كلام يستطيع أي إنسان مؤمن موحِّد أن يقوله. مستحيل أن يكون كلام الله. ومستحيل أن يكون كلام إنسان مثقف على علم دقيق ودراية واسعة بالديانة المصرية القديمة. إنه كلام عام جداً يقوله إنسانٌ عادي مِن عوام الناس. إنه كلام العرب. إنه كلام أصحاب القرآن الذين ربما كان لديهم بعض المعلومات عن الديانة المصرية القديمة، لكنها تظل معلومات سطحية بدليل أنهم لم يعرفوا أسماء آلهة المصريين القدماء!

وإن زعم المسلمون أن هذه المحاضرة الدينية التي ألقاها يوسفُ (يوسف 37-40) – أو بالأحرى: وُضِعَتْ على لسان يوسف – كانت موجودة في التوراة "الأصلية" لكنها سقطتْ سهواً أو حُذِفَتْ عمداً أثناء

عملية "التحريف" المزعومة! فسنقول: وما مصلحة اليهود أن يحذفوا هذه المحاضرة عمداً؟! وإنْ كانت سقطت سهواً، أعطونا مخطوطة واحدة قديمة للتوراة تذكر هذه المحاضرة المزعومة (يوسف 37-40).

إنْ لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فليس أمامكم وأمامنا سوى أن نقول جميعاً إن أصحاب القرآن هُمْ الذين ألَّفوا هذه المحاضرة الدينية (يوسف 37-40) ووضعوها على لسان يوسف. ودليلنا على ذلك ينقسم إلى شقين:

أولاً مِن حيث الشكل: الصنعة الأدبية العربية واضحة في هذه المحاضرة الدينية (يوسف 37-40)، فهي تبدأ بعبارة "ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ [...]" (يوسف 37) وتنتهي بعبارة مقابلة تضم كلمات مشابهة أو مترادفة "[...] ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 40)، ومِن ثم تصنع إطاراً شفوياً (oral frame) مع العبارة الأولى؛ إطاراً حول كل المحاضرة (يوسف 37-40) يوضح بدايتها ونهايتها. وأيضاً يُلخِّصها: الدعوة إلى ترك "مِلَّةَ" الكفر (يوسف 37) واتباع دين التوحيد "الدِّينُ الْقَيِّمُ" (يوسف 40)[5683]. هذه الصنعة الأدبية لا تنطبق على يوسف الذي لم يُعرَف عنه إجادة فن الخطابة، وإنما تنطبق أكثر على العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة (rhetoric).

ثانياً وهو الأهم مِن حيث المضمون: الكلام الذي وضعه أصحابُ القرآن على لسان يوسف في هذه المحاضرة لا يناسب إطلاقاً عصر يوسف (أكثر من 1600 سنة قبل المسيح)، وإنما يناسب عصر أصحاب القرآن (القرن السابع بعد المسيح). بدليل أن أصحاب القرآن قد استخدموا هذا الكلام في مواضع أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بقصة يوسف التوراتية الأصلية (le récit-source)! كما يوضح الجدول التالي:

جدول 29 – شخصية "يوسف" التي حَرَّفها أصحابُ القرآن: أسلمة للأفكار وتعريب للألفاظ

حَرَّف أصحابُ القرآن شخصية "يوسف"، فوضعوا على لسانه كلاماً غريباً ليس في قصة يوسف التوراتية الأصلية ولا يتفق مع زمانها المبكر	**إنه كلام إسلامي/عربي (stock phrases) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموه في مواضع أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بقصة يوسف التوراتية الأصلية!**
"إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" (يوسف 37)! مَن هُمْ هؤلاء القوم الذين ترك يوسفُ مِلَّتَهم وهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي؟! احتار المفسرون ...	... لا داعي للحيرة. الجملة تنطبق أكثر على محمد الذي لم يكن أبوه ولا جده ولا أبو جده مِن الأنبياء. "إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"؛ أي: أنا محمد تَرَكْتُ مِلَّةَ قومي قريش. مثلاً: "لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ" (الكافرون 2)
"وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ" (يوسف 37). لاحظ تكرار الضمير "هُمْ" مرتين.	"وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ" (هود 19) (فصلت 7). "وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ" (النمل 5). لاحظ تكرار الضمير "هُمْ" مرتين!

"مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ"، وأساسها هو التوحيد الخالص: "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ" (يوسف 38)	"فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 95) "اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (النحل 123) "وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا" (النساء 125) "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا" (الحج 26) "وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ [...]. [...] وَقَالُوا (أي: قال اليهودُ أو النصارى للمسلمين الأوائل) كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (البقرة 130-135) "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا [القرآن]" (الحج 78)(5684)
	بيعة النساء: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا" (الممتحنة 12). "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا" (آل عمران 64) "وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا" (النساء 36) "أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا" (الأنعام 151) "يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا" (النور 55)
"ذَٰلِكَ (أي: التوحيد الخالص) مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" (يوسف 38)	"إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ. ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ" (غافر 61-62) "إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" (البقرة 243) "إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ" (يونس 60) "وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ" (النمل 73)
"أَأَرْبَابٌ (أي: هل أربابٌ) مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (يوسف 39)(5685)	"آللَّهُ (أي: هل اللهُ) [الْوَاحِد] خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ [...] أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ [...] أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [...] أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ [...] أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [...] أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ [...]" (النمل 59-64)(5686)
	"قُلْ [يا محمد] إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (ص 65) "سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (الزمر

	4) "وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (الرعد 16) "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (غافر 16) "لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (إبراهيم 48)[5687]
يزعم القرآنُ أن يوسف قال لزملائه الكافرين/المشركين في السجن: "مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ (أي: مِن دون الله) إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ" (يوسف 40)[5688].	هذا ليس من كلام يوسف، وإنما من كلام محمد. فلقد كان محمدٌ يقول لكفار قريش ومشركيها في مكة: "إِنْ هِيَ (أي: أصنامكم وأوثانكم التي تعبدونها من دون الله) إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ" (النجم 23). "قُلْ [يا محمد] إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ [...] أَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (الأعراف 33). "وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا" (الحج 71)[5689].
"إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" (يوسف 40)[5690]	"قُلْ [يا محمد] [...] إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" (الأنعام 57)
"أَمَرَ [الله] أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"[5691] (يوسف 40)	"وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ" (الإسراء 23) "أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ" (هود 2) "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ [...] وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ" (البينة 5) "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ [...] ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ" (التوبة 31-36) "دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 161) "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا [...] ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (الروم 30) "فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ. فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ" (الروم 42-43)

نحن إذن أمام دليل داخلي (internal evidence) – أي من داخل القرآن نفسه – يثبت أن القرآن كلام بشر. إذ ليس أمامنا سوى أن نقول إن أصحاب القرآن قد وضعوا على لسان يوسف (يوسف 37-40) الكلامَ الذي كان محمدٌ يقوله للكفار والمشركين في عصره. بعبارة أخرى: محمد هو الذي يتحدث في (يوسف 37-40) وليس يوسف.

وهكذا استطاع أصحابُ القرآن أن يستغلوا قصةَ يوسف حتى ينشروا أفكارهم التوحيدية مِن خلال قصة مشوقة، وفي نفس الوقت "تسويق" نبوة محمد. فحين تسمع (يوسف 37-40) تشعر أن كلام يوسف وكلام محمد كلامٌ واحد، وأن رسالتهما واحدة وأن دينهما واحد هو "الدِّينُ الْقَيِّمُ"، بل قد تشعر أن يوسف نسخة

من محمد وأن محمد نسخة من يوسف، فتتماهى أمامك شخصيتا يوسف ومحمد، ومن ثم يسهل عليك أن تصدق أن محمداً هو الوريث الشرعي لدين إبراهيم "الحنيف" ونسله، أي يسهل عليك أن تصدق أن محمداً يستحق أن ينضم إلى الخط النبوي الذي افتتحه إبراهيم الخليل. قال يوسف/محمد: "اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" (يوسف 38).

ولذلك فإننا نتفق تماماً مع الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) حين يقول[5692]:

Many Quranic stories concerning Biblical figures serve a double purpose. On the one hand, they are meant to encourage Muhammad and let him know that final triumph will be his. On the other hand, his people (i.e. the unbelievers) are to take warning from the fate of earlier unbelievers. On yet another level, these stories serve to establish Muhammad as heir to the Biblical tradition.

وبالفعل، سنرى هذه الحيلة تتكرر كثيراً في القرآن (المكي بصفة خاصة): يأخذ أصحابُ القرآن قصةً توراتية أو إنجيلية ثم يضعون كلامَ محمد العربي في وسطها، فتتحول هذه القصة إلى منصة (platform) يستطيع محمدٌ من خلالها نشر أفكاره في المجتمع (المكي بصفة خاصة) وفي نفس الوقت يُوهِم الناسَ أن الأنبياء والرسل السابقين كانوا يقولون نفس أفكاره وعباراته وكلاماته، فهو إذن نبي ورسول مثلهم. إنها إذن عملية أسلمة وتعريب للتراث اليهودي/المسيحي، بل عملية سطو غير مسلح على التراث اليهودي/المسيحي.

وأسهل طريقة لاكتشاف هذه الحيلة هي أن تدرس مصادر القرآن من التراث اليهودي/المسيحي، ومِن ثم تفرز الكلام القرآني غير الموجود في هذا التراث اليهودي/المسيحي. ثم ابحث عن هذا الكلام القرآني في مواضع أخرى من القرآن ليس لها أية علاقة بالقصة اليهودية/المسيحية. في كثير من الحالات، ستجده ومِن ثم تكتشف أن هذا الكلام القرآني مِن وَضْع أصحاب القرآن وضعوه وسط الكلام اليهودي/المسيحي. مثلاً في قصة يوسف القرآنية، هذا الكلام القرآني غير الموجود في التراث اليهودي/المسيحي هو (يوسف 37-40) وهو بالفعل مِن وضع أصحاب القرآن كما وضحنا في الجدول السابق.

ومما يميز قصة يوسف القرآنية أن أصحاب القرآن قد وضعوا هذا الكلام الإسلامي/العربي في منتصف القصة حين يكون انتباهُ السامعين على أشده. وكالعادة، لم يخترع أصحابُ القرآن هنا أسلوباً جديداً في القصص الأدبي الديني، وإنما – كالعادة – ساروا على نهج مَن سبقوهم. فلقد "استخدمت كثيراً هذه الأداة الأدبية (literary device) التي تقتضي وضع سطر محوري في منتصف المزمور"، ومِن ثم "اعتاد الشعراء العبرانيون (Hebrew authors) كتابة الأسطر المحورية في المنتصف"[5693]. وهذا بالضبط ما فعله

أصحابُ القرآن عند تأليف قصة يوسف القرآنية. فكما قلنا فيما سبق، قصة يوسف القرآنية تنقسم إلى ثلاثة فصول (يوسف 4-20) (يوسف 21-57) (يوسف 58-101). والخطبة اللاهوتية التي وُضِعَت على لسان يوسف جاءت في منتصف الفصل الثاني (يوسف 37-40)، أي: في الحلقة المركزية (l'épisode central). وفي السجن. أي: في أسفل نقطة وصل إليها يوسفُ، والتي ستتحول فيما بعد إلى نقطة تحول (turning point)، إذ يصعد يوسفُ منها ويظل يصعد حتى يصل إلى السلطة، أولاً السلطة على مصر ثم السلطة على إخوته الذين رموه في البئر. انظر الشكل التالي[5694] حيث تشير الأرقام إلى آيات سورة يوسف.

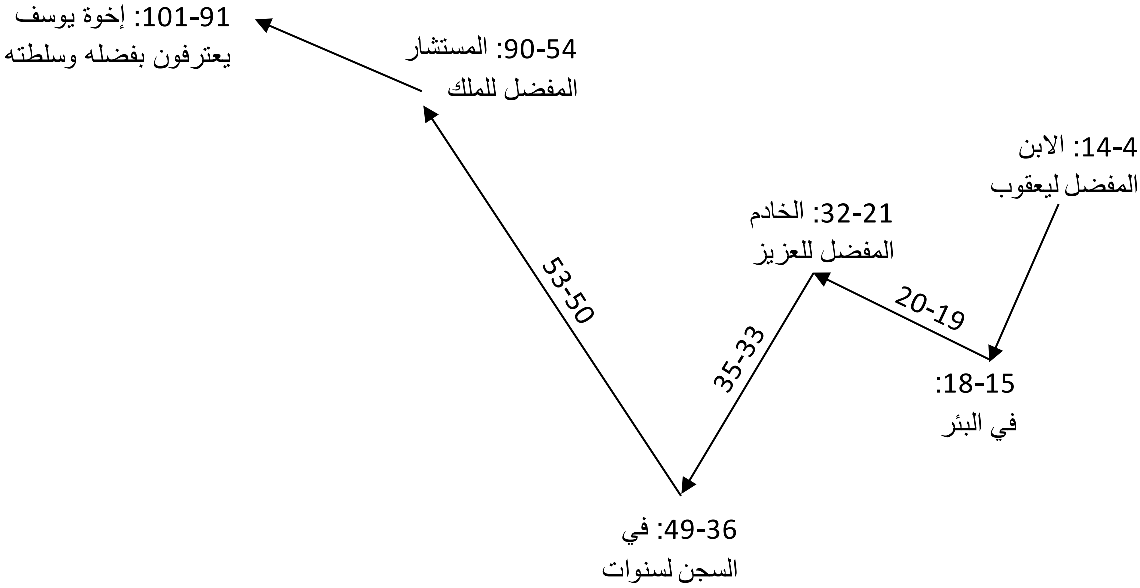

رسم توضيحي 10 – حياة يوسف: السقوط في قاع السجن ثم الصعود إلى قمة السلطة

إنها إذن صورة مِن أسلوب الساندوتش (Sandwich technique) المعروف، وهي أيضاً حالة خاصة مِن الانكفاء (Chiasmus)[5695] على نمط أ ب أ' (A B A'):

أ: منحنى السقوط في حياة يوسف.

ب: أسفل نقطة وهي نقطة السجن (الخطبة الدينية[5696]).

أ: منحنى الصعود في حياة يوسف.

باختصار: المحاضرة الدينية التي وُضِعَت على لسان يوسف (يوسف 37-40) ليست مهمة بالنسبة ليوسف الذي نعرفه جيداً مِن التراث اليهودي/المسيحي، بل يمكن حذفها كما قلنا. لكنها في المقابل مهمة جداً بالنسبة للرسالة التي أراد القرآنُ المكي أن يوصلها إلى العرب: الإيمان بالله الواحد الأحد والآخرة.

وكل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن قصة يوسف القرآنية ليست قصة تاريخية حقيقية، وإنما قصة أدبية مصنوعة بأيادي بشرية عربية مِن أجل تحقيق أهداف دينية وسياسية معينة. ومع ذلك، فإننا لا نلوم أصحاب

القرآن على أنهم وضعوا كلامَ محمد العربي على لسان يوسف العبراني! بالعكس، نحن نشكرهم لأنهم أثروا الثقافة العربية بهذا القرآن العربي، بغض النظر عن كل ما في القرآن من أساطير واقتباسات وأخطاء ومفارقات وتناقضات ... الخ. وإنما نلوم أصحاب القرآن على أنهم زعموا أن قرآنَهم العربي كلامٌ أنزله اللهُ: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا" (يوسف 2). وفي الفترة المدنية، بدأوا يقاتِلون ويسفكون دم مَن لا يؤمن بقرآنهم! فاستمر هذا العنف الدموي (الإرهاب) حتى الآن. هذا ما نلومهم عليه بشدة.

إن كل ما سبق يجعلنا نشك في قصة يوسف. بل نؤكد بكل يقين أن قصة يوسف ليست قصة حقيقية تاريخية. فهل لهذه القصة جذور في أساطير الشرق الأوسط القديم؟ ... الإجابة بكل تأكيد: نعم.

تقول الباحثة كريمة كطيبي في ثنايا حديثها عن الأسباب التي جعلت "من نصوص العهد القديم إبداعاً فنياً أكثر من كونها وثيقة تاريخية": "اعتمد القاص في التوراة على الشكل والمضمون في التعبير عن أفكاره ومشاعره، ولعل ذلك يعود إلى تأثر الأدب الديني العبري عموماً وأدب العهد القديم خصوصاً بالآداب التي كانت سائدة في حضارة الشرق الأدنى القديم، وهذا ما يظهر جلياً في التشابه الكبير الذي يوجد بينهما سواء على مستوى اللغة والأسلوب أو على مستوى الأشكال الشعرية وغيرها، مما يدل على أن العهد القديم استعار نفس الأدوات المشكلة للأدب في حضارة الشرق الأدنى القديم"[5697].

فهل هذا الكلام صحيح؟

الإجابة: نعم، إنه صحيح. لكنه - كما سنرى - ينطبق على القرآن مثل ما ينطبق على التوراة ...

4.23.4 جذور القرآن في أساطير الشرق الأوسط القديم

لاحظنا فيما سبق وجود كلمات مصرية قديمة في قصة يوسف التوراتية؛ مثلاً: "أبريخا" (Abrek) (التكوين 43:41) و "صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ" (التكوين 45:41). وبغض النظر عن معاني تلك الكلمات المصرية القديمة فإنها تشير إلى جذور مصرية قديمة لقصة يوسف. وكذلك وجدنا كلمات متأثرة بشريعة حمورابي (التكوين 7:39)؛ فَمِن المحتمل أيضاً أن نجد جذوراً عراقية قديمة لقصة يوسف.

وبالفعل، حين بحثنا في تراث الشرق الأوسط القديم، وجدنا أن مصادر قصة يوسف التوراتية←القرآنية هي فعلاً الحضارة المصرية القديمة وحضارة بلاد ما بين النهرين (العراق القديم). ولا غرابة في ذلك، فَمِن المعلوم أن حضارة مصر القديمة وحضارة العراق القديم مِن أقدم الحضارات التي عرفتها الإنسانية، قبل جميع الديانات الإبراهيمية. بل ليس من المبالغة أن نقول إن الديانات الإبراهيمية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) قد خرجت مِن رحم تلك الحضارات الشرقية القديمة، وإنْ ثارت عليها وتعمّدت أحياناً أن تشوّه

صورتَها كما رأينا على سبيل المثال في مشهد اجتماع النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين (يوسف 30-32)[5698].

4.23.4.1 جذور قصة يوسف في التراث الأدبي المصري القديم: قصة الأخوين

نعم، إن أحداث قصة يوسف وامرأة العزيز/فوطيفار تشبه إلى حد كبير أحداث أسطورة مصرية قديمة تُسمَّى "قصة الأخوين" (Tale of Two Brothers) (Conte des deux frères)[5699].

وقبل أن ندخل في تفاصيل أسطورة الأخوين، نود أن نشير إلى أن حواديت الصراع بين الإخوة كانت شائعة في الشرق الأوسط القديم، إما لأنها تحدث فعلاً داخل البيوت وبخاصة بين الإخوة غير الأشقاء (مثلاً: يوسف وإخوته الكبار)، وإما لأنها تحدث في الطبيعة حيث نجد ظواهر طبيعية كثيرة تدل على صراع أو اختلاف أو تناقض بين "أخوين" أو "زميلين" مثل الليل والنهار، الصيف والشتاء، الصحراء ووادي النيل، الأحياء والأموات[5700]، الإنسان والحيوان، المثقف والجاهل، البشر والآلهة، الحكام والمحكومين، موسم الزراعة وموسم الحصاد، سنوات الشبع المُخْصِبَات وسنوات الجوع المُجْدِبَات، الظالم والمظلوم، الجاني والمجني عليه، الحقيقة والكذب، العزيز والذليل، الساجد (إخوة يوسف) والمسجود له (يوسف) ... الخ.

ولذلك تتكرر قصص الصراع بين الأخوين. سواء في تراث الديانات غير الإبراهيمية؛ مثلاً: أوزيريس وسِت. أو في تراث الديانات الإبراهيمية؛ مثلاً: قايين (قابيل) وهابيل، إسماعيل وإسحاق (أيهما الذبيح؟!)، الصراع بين الغلام يوسف وإخوته في كنعان الذي تحول إلى صراع بين الشاب يوسف والنسوة في مصر.

ولقد أراد اللهُ أن يثبت لنا أن قصة يوسف التوراتية←القرآنية مجرد أسطورة مِن أساطير الشرق الأوسط القديم، فحفظ لنا أقدم نسخة لأصلها المصري القديم وهو أسطورة الأخوين في بردية شهيرة (The D'Orbiney Papyrus)[5701] يرجع تاريخُها إلى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد[5702] – أي قبل الإسلام بأكثر من 1800 سنة، وقبل المسيحية بأكثر من 1200 سنة، وقبل أقدم نسخة لقصة يوسف التوراتية بأكثر من 800 سنة!

ونظراً لأن أسطورة الأخوين تحتوي على كثير مِن الأحداث والتفاصيل، فإننا حرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي في الصفحات التالية بتلخيص أهم أحداث هذه الأسطورة المصرية البديعة، موضحين التطور البشري الطبيعي في التوراة والقرآن بعلامة [←] بين القوسين كما تعودنا. ولنا هدفان:

- الهدف الأول: إثبات أن أسطورة الأخوين المصرية بالفعل أسطورة وليست حدثاً تاريخياً حقيقياً. بدليل أنها تضم كثيراً مِن الأفكار الأسطورية التي لا يقبلها العقلُ. فلا يمكن أن تكون حقيقة. ولا يمكن أن تكون وحياً من الله الواحد الأحد، لأنها تتحدث عن آلهة متعددة "أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ".

- الهدف الثاني: إثبات أن أسطورة يوسف التوراتية←القرآنية مجرد تطور بشري طبيعي لأسطورة الأخوين المصرية.

تدور أحداث أسطورة الأخوين في مصر أيضاً، مثل أسطورة يوسف التوراتية←القرآنية. وأبطال الأسطورة المصرية ثلاثة أيضاً؛ نفس مثلث الحب (love triangle)؛ رجلان وامرأة في بيتٍ واحد ولا يوجد أطفال. هؤلاء الأبطال الثلاثة هُمْ:

- الشاب الأعزب "باتا" (Bata) **[← يوسف ← يوسف]**. اسمه باتا على اسم الإله الثور (bull god) (dieu taureau) رمز الخصوبة والقوة **[← تُشبِّه التوراةُ يوسفَ بالثور القوي الذي له قرنان هُما ابناه أَفْرَايِم ومَنَسَّى: "بِكْرُ ثَوْرِهِ زِينَةٌ لَهُ (أي: هو في جلاله كالثور البِكر)، وَقَرْنَاهُ قَرْنَا رِئْمٍ (أي: ثورٍ وحشي). بِهِمَا يَنْطَحُ الشُّعُوبَ مَعًا إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. هُمَا رِبْوَاتُ أَفْرَايِمَ وَأُلُوفُ مَنَسَّى (يقصد: نسلهما)" (التثنية 17:33)[5703]. صدفة؟]**.
- وشقيقه الكبير "أنوبيس" (Anubis) (Anoup) **[← فوطيفار ← العزيز]**. اسمه أنوبيس على اسم الإله أنوبيس إله التحنيط والدفن وحراسة المقابر والذي يقوم بدورٍ مهم في محاكمة المتوفى تمهيداً للحياة بعد الموت[5704].
- وزوجة أنوبيس الحسناء **[← امرأة فوطيفار ← امرأة العزيز]** التي لم تذكر الأسطورةُ اسمَها! ولعل هذا هو السبب الذي جعل التوراة والقرآن لا يذكران اسمَ امرأة فوطيفار/العزيز. لأن الأسطورة المصرية الأصلية تجاهلت اسمَها. فيبدو إذن أن المراد واحد وهو التأكيد على أن هذه المرأة الخائنة الكاذبة لا تستحق أن تُذكَر بالاسم ويكفي أنها زوجة فلان (أنوبيس) **[← فوطيفار ← العزيز]** ومع ذلك أرادت أن تخون زوجها مع أقرب الناس إليه وإليها (باتا) **[← يوسف ← يوسف]**.

تقول الأسطورة إن باتا وشقيقه الكبير أنوبيس وزوجة أنوبيس كانوا جميعاً يعيشون في بيتٍ واحدٍ هو بيت أنوبيس **[← "فِي بَيْتِ [فُوطِيفَار] سَيِّدِهِ الْمِصْرِيِّ" (التكوين 2:39) ← "فِي بَيْتِهَا (أي: بيت امرأة العزيز)" (يوسف 23)]**. بيت يسوده السلام والهدوء والسعادة **[← "فَوَجَدَ يُوسُفُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ (أي: نال يُوسُفُ حُظوةً عند سيده فوطيفار وحَظِيَ برضاه)" (التكوين 4:39) ← "وَقَالَ [العزيزُ] الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ" (يوسف 21)]**. وكان أنوبيس بالنسبة لباتا بمثابة الأب فهو الذي ربَّى باتا كابن **[← قال العزيزُ لامرأته "عَسَىٰ أَن [...] نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (أي: نَتَبَنَّى يوسفَ)" (يوسف 21)]**. كان باتا يعمل كل يوم في الحقل **[← "فِي الْحَقْلِ" (التكوين 5:39)]** الذي يعود منه في المساء إلى البيت حاملاً على كتفيه منتجات زراعية وألبان الماشية التي يرعاها وكل ما يلزم لإعداد طعام العشاء لأنوبيس وامرأته. ثم في الصباح الباكر يصحو باتا ليطهو طعامَ الإفطار لأنوبيس وامرأته ثم يتوجه إلى الحقل ومعه الماشية كعادته كل يوم. فتكاثرت ماشية أنوبيس وازدهرت كماً من حيث العدد وكيفاً من حيث الجودة **[← كان يوسفُ يخدم**

فوطيفارَ فباركه الربُّ "عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ فِي الْبَيْتِ وَفِي الْحَقْلِ" (التكوين 39:4-5) ← قال العزيزُ لامرأته "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا [يوسفُ في خدمتنا وقضاء مصالحنا وفي مختلف شئوننا]" (يوسف 21)].

كان باتا باراً وبلا عيب (righteous and blameless) **[← "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ" (يوسف 46)]** ويتمتع بقدرٍ كبير من القوة والجمال **[← "وَكَانَ يُوسُفُ حَسَنَ الصُّورَةِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ" (التكوين 39:6) ← ثم زعم القرآنُ أن النسوة "لَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ (أي: أعظمنه وأجللنه وسُحِرْنَ بحسنِه الرائع وجماله البارع) وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [بالسكاكين]" (يوسف 31)! ← ثم زعمت السُّنَّة الصحيحة أن يوسف "قد أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ"[5705]!]**. جمال باتا ليس له نظير وقوته قوة إله (أي: مثل إله) **[← "فِيهِ رُوحُ اللهِ" (التكوين 41:38)[5706] ← جعله القرآنُ ملاكاً (أي: مثل الملاك)! "مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" (يوسف 31)].**

في يومٍ مِن الأيام كان باتا وأنوبيس يعملان معاً في الحقل بينما كانت زوجة أنوبيس في البيت. طلب أنوبيس من باتا أن يذهب إلى مخزن البيت ليأتي بمزيدٍ من البذور اللازمة للزراعة **[← "قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (أي: تحفظونه وتدَّخرونه ليكون بذوراً للزراعة)" (يوسف 48)]**. [ونلاحظ هنا وجود الزراعة في الأسطورة المصرية القديمة، كما وُضِعَت بعد ذلك في الأسطورتين التوراتية والقرآنية: رؤيا مَلِك مصر وتفسير يوسف لها (التكوين 41:1-36) (يوسف 43-48).]

ذهب الشاب باتا إلى البيت فوجد زوجةَ أخيه أنوبيس تصفف شعرها على شكل ضفائر. أخذ باتا البذور من المخزن **[← "دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ" (التكوين 39:11)]** ثم خرج مِن المخزن حاملاً على كتفه كميةً كبيرة مِن البذور، فلمَّا رأته زوجةُ أنوبيس انبهرت بقوته وصرّحت له بإعجابها بقوته التي تراها أمامها كل يوم، وأرادت زوجةُ أنوبيس أن تعرف الشاب باتا كرجل (أي: تمارس معه الجنس)، فقامت واقتربت منه وأمسكت به **[← "فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ" (التكوين 39:12) ← "هَمَّتْ بِهِ" (يوسف 24)]** وطلبت منه أن ينام معها لمدة ساعة **[← "امْرَأَةَ سَيِّدِهِ (أي: امرأة فوطيفار) رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ وَقَالَتِ: «اضْطَجِعْ مَعِي (أي: نَمْ معي)»" (التكوين 39:7) ← "رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ" (يوسف 23)]**. رفض باتا هذا العرض الشنيع **[← "فَأَبَى [يوسفُ]" (التكوين 39:8) ← "قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ" (يوسف 23) "فَاسْتَعْصَمَ (أي: رفض وامتنع)" (يوسف 32)]** وغضب غضباً شديداً وصار مثل نمر [الصعيد] (comme la panthère [du Sud]) وقال لزوجة أنوبيس إن هذا خطأ كبير (great wrong) أو جريمة عظيمة (grand crime) **[← "هٰذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ" (التكوين 39:9)]** فهي بالنسبة له مثل الأم كما أن أنوبيس بالنسبة له مثل الأب، إذ أن أنوبيس هو الذي ربَّاه **[← (التكوين 39:8-9) ← "إِنَّهُ رَبِّي (أي: سيدي العزيز/فُوطِيفَار) أَحْسَنَ مَثْوَايَ" (يوسف 23)]**. خرج باتا من البيت **[← "هَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ. [...] هَرَبَ إِلَى خَارِجٍ" (التكوين 39:12-13)]** ومعه البذور وذهب ليعمل في الحقل مع أخيه

أنوبيس ولم يُخبر أحداً بما حدث [← "يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا" (يوسف 29)]، لكنه لم يعد إلى البيت مع أخيه، وإنما تأخر قليلاً في الحقل.

في المساء، عاد أنوبيس وحده إلى البيت فوجد زوجته في حالة سيئة جداً. وعندما سألها أنوبيس ما حدث، ادعت زوجة أنوبيس أن باتا هو الذي طلب منها أن تنام معه لمدة ساعة [← اتهمت امرأةُ فوطيفار يوسفَ زوراً فقالت لزوجها: "دَخَلَ إِلَيَّ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ (تقصد: يوسفُ) الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُدَاعِبَنِي" (التكوين 39:17) ← اتهمت امرأةُ العزيز يوسفَ زوراً فقالت لزوجها إنه "أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا (أي: أراد يوسفُ أن يفعل الفاحشة بي)" (يوسف 25)]، وزعمت أنها عندما رفضت قام باتا بضربها حتى لا تخبر أحداً بما حدث! فطلبت زوجة أنوبيس من أنوبيس أن يقتل أخاه باتا [← جعلها القرآنُ تحرض زوجَها على سجن يوسف أو تعذيبه: "قَالَتْ [لزوجها] مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (يوسف 25)] وإلا سوف تنتحر.

صدَّق أنوبيس روايةَ زوجته الكاذبة وغضب غضباً شديداً [← "غَضَبَهُ حَمِيَ" (التكوين 39:19)] وصار مثل نمر [الصعيد] (like a leopard [of Upper Egypt]) وقرر بالفعل أن يقتل باتا بالحربة [← حسب التوراة، صدَّق فوطيفارُ روايةَ زوجته الكاذبة وسَجَنَ يوسفَ (39:19-20) ← حسب القرآن، العزيز اكتشف كذبَ روايةِ امرأته (يوسف 28-29)، ومع ذلك سَجَنَ يوسفَ بعد مشهد اجتماع النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين (يوسف 35)].

وفي نفس الليلة، عاد باتا إلى البيت حاملاً منتجات الحقل كعادته كل يوم ومعه أيضاً الماشية. فشاهدت بقرةٌ أنوبيسَ وهو يحمل الحربة، فأخبرت البقرةُ باتا أن أنوبيس يريد أن يقتله، فيجب عليه أن يهرب! ونلاحظ هنا الفكر الخيالي الأسطوري الذي جعل بقرةً مِن بقر البيت شاهدةً تنطق وتتكلم لتنقذ باتا من القتل[5707]! [← وهو نفس الفكر الخيالي الأسطوري الذي جعل طفلاً (بل: طفلةً) مِن أهل البيت شاهدةً تنطق وتتكلم وهي في المهد! لتثبت براءة يوسف في نفس الليلة: "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا (أي: مِن أهل بيت امرأة العزيز)" (يوسف 26)[5708]]. وحين رأى باتا أخاه أنوبيس، أدرك بالفعل أن أنوبيس يريد أن يقتله، فترك كل ما كان يحمله وفر هارباً [← "فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ. [...] تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ" (التكوين 39:12-13)]، فجرى أنوبيس وراء باتا [← "وَاسْتَبَقَا الْبَابَ" (يوسف 25)] حاملاً الحربة ومصمماً على قتله.

استعان باتا بإله الشمس "رع" (Ra) [← الله] وطلب مِنه أن يساعده، فقال باتا لرع: "رَبِّي الصالح (My good Lord) أنتَ الذي يفصل بين العادل والظالم (judges between the just and the unjust)"[5709] [← استعان يوسفُ بربِّه وطلب منه أن يصرف عنه كيد النسوة: "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ" (يوسف 33)[5710]]. فسمع الإلهُ رع طلبَ باتا واستجاب له [← "فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ [...] إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (يوسف 34)]

وصنع بحيرةً كبيرة مليئة بالتماسيح المفترسة تفصل بين باتا المظلوم وأنوبيس الظالم[5711]! فلم يستطع أنوبيس أن يعبر البحيرة ولم يستطع أن يقتل باتا.

في صباح اليوم التالي، قال باتا لأنوبيس الحقيقة مبرئاً نفسه مِن اتهامات زوجة أنوبيس الكاذبة الخائنة[5712] **[← "قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي" (يوسف 26). وقالت النِّسْوَةُ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين: "حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ" و "قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ (أي: ظهر الحق بعد خفاء) أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 51). وهكذا حرص أصحابُ القرآن على إظهار براءة يوسف المتهم البريء المظلوم، كما ظهرت براءة باتا مع نور الصباح وظهور الشمس (الإله رع)].**

وتقول الأسطورة المصرية إن باتا أمسك سكيناً (a reed knife) **[← "سِكِّينًا" (يوسف 31)]** وقطع عضوه الذكري (cut off his phallus) ورماه في البحيرة! ولا ندري لماذا فعل ذلك! ربما كنوع من القسم أمام الإله رع على صدق كلامه؛ وربما حتى ينزف دماً ويضعف فيشفق أخوه أنوبيس عليه؛ وربما حتى لا يُتهم ظلماً بالزنا مرة أخرى **[← في الأسطورة القرآنية، النِّسْوَةُ هُن اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين (يوسف 31). أما يوسف فلم يقطع عضوه الذكري عن جسده، وإنما قطع جسده كله عن المجتمع فرمى نفسه في السجن حتى لا يقع في الزنا. "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ" (يوسف 33)]**. إذن: في الأسطورتين المصرية والقرآنية، عاقب باتا (يوسفُ) نفسَه على جريمةٍ هو في الواقع لم يرتكبها (self-imposed ordeal)!

بعد ظهور براءة باتا، تراجع أنوبيس عن قتله. لكن باتا لن يستطيع أن يعيش مع أنوبيس وامرأته في نفس البيت بعد اليوم، فيقرر باتا بإرادته أن يذهب إلى منفى اختياري في "وادي الأرز" (Valley of Cedars) (Vallée du Pin) الذي يقع في الشام في (أو: بالقرب مِن) لبنان حالياً[5713].

ونلاحظ في هذه النقطة أن أسطورة الأخوين أقرب إلى القرآن مِنها إلى التوراة!

- أنوبيس عرف الحقيقة من باتا. كما أن العزيز في القرآن عرف الحقيقة من يوسف (يوسف 26) وتأكد منها بفضل شهادة الشاهد (يوسف 26-28) وبعد ذلك ظهر الحق علناً للجميع (يوسف 51) كظهور الشمس (الإله رع) في الصباح.
- باتا هنا هو الذي يُفضِّل المنفى على الحياة في بيت أخيه الكبير أنوبيس. كما أن يوسف في القرآن هو الذي يُفضِّل السجن على الحياة في بيت سيده العزيز: "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ" (يوسف 33).
- وفكرة "المنفى" ليست بعيدة عن القرآن؛ فهي موجودة في قصة يوسف القرآنية، لكن في بداية القصة حين كان يوسفُ مع إخوته: "اطْرَحُوهُ أَرْضًا" (يوسف 9) التى فسرها كثير من المفسرين المسلمين على أنها تعني أن يلقوا بيوسف في أرضٍ بعيدة[5714]، وهو ما يعني: نفيه[5715].

قبل أن يفترق الأخوان، أوصى باتا أنوبيسَ أن يساعده إذا حدث له مكروه. فقال باتا لأنوبيس إنه سيقطع قلبَه (أي: قلبَ باتا) ويضعه فوق شجرة! فإذا قُطِعَت هذه الشجرة ووقع قلبُ باتا على الأرض، سيموت باتا على الفور، وعندئذٍ ينبغي على أنوبيس أن يبحث عن قلب باتا حتى لو ظل يبحث عنه سبع سنين **[⟵ "سَبْعِ سِنِينَ" تكررت 12 مرة في (التكوين 41) ⟵ "سَبْعَ سِنِينَ" (يوسف 47)]** ينبغي أن يظل أنوبيس يبحث عن قلب باتا بلا يأس **[⟵ "دَأَبًا" (يوسف 47)]**[5716] حتى يجده ليعيد باتا إلى الحياة. هذه هي وصية باتا لأخيه أنوبيس قبل أن يتركه! وأخبر باتا أنوبيسَ كيف سيعلم أنه مات، وكيف سيعيده إلى الحياة.

وعندئذٍ افترق الأخوان.

عاد أنوبيس وحيداً إلى بيته وقتل زوجته الخائنة الكاذبة ورمى جثتها للكلاب[5717]! وهذا اختلاف مهم بين الأسطورة المصرية وأسطورة يوسف القرآنية. في الأسطورة القرآنية، طُلِبَ مِن امرأة العزيز أن تستغفر فقط! "اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" (يوسف 29)! بل استمر يوسفُ في الحياة مع العزيز وامرأته في البيت، إذ لم يُسجَن يوسفُ إلا بعد مشهد النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ (يوسف 35)! فيبدو لنا إذن أن أصحاب القرآن قد غيَّروا في الأسطورة عن عمد؛ سواء لتشويه صورة الرجل المصري وجعله ديوثاً، و/أو لأنهم يحتاجون شخصية امرأة العزيز لتثبت براءة يوسف بعد ذلك (يوسف 51) فلا يمكن أن يقتلها زوجُها.

وهاجر باتا وحيداً إلى منفاه الاختياري في وادي الأرز في الشام. فأشفقت آلهة التاسوع (Ennead) (Ennéade)[5718] على باتا لأنه يعيش وحيداً. فطلب الإلهُ رع **[⟵ الرب الإله]** من الإلهِ خنوم (Khnoum) أن يصنع زوجةً لباتا حتى لا يعيش وحيداً[5719]. فصنع الإلهُ خنوم امرأةً جميلة تجري في جسدها دماءُ كل الآلهة **[⟵ جعلت التوراةُ فرعونَ هو الذي يعطي زوجةً ليوسف بُعيد صعوده إلى السلطة. وهذه الزوجة ابنة كاهن. "أَعْطَاهُ [فرعونُ] أَسْنَاتَ بِنْتَ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ زَوْجَةً" (التكوين 45:41). وكما قلنا فيما سبق: "فُوطِي فَارَعَ" يعني: هبة رَع. وهو نفس الإله رَع المذكور كثيراً في أسطورة الأخوين المصرية. صدفة؟!]**.

عاش باتا وزوجته سوياً في وادي الأرز في الشام. إلا أن سَبْع حتحور (Seven Hathors)[5720] (أي: سَبْع بَقَرَات) **[⟵ "سَبْعُ بَقَرَاتٍ" (التكوين 41:2-3، 18-19) ⟵ "سَبْعَ بَقَرَاتٍ" (يوسف 43، 46). فهل هي صدفة أن عدد البقرات سبع في الأساطير الثلاث المصرية والتوراتية والقرآنية؟! مستحيل أن تكون صدفة]** أتت إلى زوجة باتا الجميلة وتنبأن بصوتٍ واحدٍ أنها ستموت بالسكين **[⟵ في الأسطورتين التوراتية والقرآنية، تنبأت السبع بقرات بحدوث مجاعة (قحط وجدب)! أو بالأحرى، كانت علامةً ليوسف فتنبأ بحدوث تلك المجاعة. فهل هي صدفة أنه في الأساطير الثلاث المصرية والتوراتية والقرآنية تنبأت البقرات السبع بحدوث شيء سيئ ومزعج[5721]؟! مستحيل أن تكون صدفة]**. وفي المقابل، قال باتا لزوجته عن سر الشجرة التي ترك قلبَه عليها. وبذلك صار بإمكان زوجة باتا أن تقتله في أي لحظة؛ فقط تقطع تلك الشجرة. فمَن سيموت أولاً؟ باتا بقطع الشجرة أم زوجته بالسكين؟ ...

وهنا تتجه أسطورة الأخوين اتجاهاً آخر؛ فتتحول مِن قصة الأخوين باتا وأنوبيس إلى قصة "الأخوين" الحياة والموت. لكن سيظل موضوع "الزوجة الخائنة" (أو: المراودة) هو المحور الذي ستدور حوله الأحداث. وستظل هناك تشابهات بين أسطورة باتا المصرية وأسطورة يوسف التوراتية←القرآنية.

فالمدهش أن التشابه بين باتا ويوسف لا يقف عند هذا الحد بل يستمر حتى صعود باتا إلى السلطة في مصر! الزوجة التي خلقتها الآلهةُ لباتا لن تكون سبباً في سعادته وإنما ستكون سبباً في دخوله في محنةٍ أخرى، إلا أن تلك المحنة ستكون سبباً في نعمةٍ كبيرة وهي صعود باتا إلى السلطة في مصر **[← كما كانت محنة السجن بالنسبة ليوسف سبباً في نعمةٍ كبيرة وهي صعوده إلى السلطة في مصر]**. لكن التفاصيل كثيرة جداً وطويلة ولا داعي لذكرها بالتفصيل. فسنذكرها بإيجاز لأنها تثبت أن أسطورة الأخوين المصرية مجرد أسطورة مِن العيار الثقيل ولا يمكن أبداً أن تكون حدثاً تاريخياً حقيقياً ولا يمكن إطلاقاً أن تكون وحياً من الله الواحد الأحد الذي لا شريك له.

تقول الأسطورة المصرية إن ضفيرة مِن شعر زوجة باتا وقعت فِي الْيَمِّ (أي: في البحر الأبيض المتوسط)، فنقلتها أمواجُ الْيَمِّ مِن الشام إلى مصر! حتى وصلت الضفيرة إلى قصر فرعون (مَلِك مصر)[5722]! وتحديداً، وصلت الضفيرة إلى الخدم الذين يقومون بغسل ملابس مَلِك مصر. فامتزجت رائحةُ الضفيرة بملابس المَلِك. فبدأ المَلِكُ يتساءل عن سبب هذه الرائحة، ولم يعرف الخدمُ السببَ، فغضب الملكُ مِنهم، وحزن رئيسُ الخدم حزناً شديداً بسبب غضب الملك. وفي يومٍ من الأيام، وجد رئيسُ الخدم الضفيرةَ في الماء، فأرسل واحداً مِن الخدم لينتشلها، فوجد رائحتها طيبة جداً فأخذها وأعطاها للمَلِك. فاستدعى المَلِكُ الكتبةَ والحكماء ليسألهم عن المرأة صاحبة تلك الضفيرة المثيرة **[← في الأسطورتين التوراتية والقرآنية، استدعى المَلِكُ الملأَ أيضاً، لكن ليسألهم عن تفسير رؤياه (التكوين 41:8) (يوسف 43)]**.

لم يستطع الكتبةُ والحكماء أن يحددوا اسمَ المرأة صاحبة تلك الضفيرة **[← في الأسطورتين التوراتية والقرآنية، فشل الملأُ تماماً في تفسير رؤيا المَلِك (التكوين 41:8، 24) (يوسف 44)]**، إلا أنهم قالوا للمَلِك إن المرأةَ صاحبة الضفيرة بنتُ الإلهِ رع **[← جعلتها التوراةُ "بِنْتَ فُوطِي فَارَعَ (أي: بِنْتَ هبة رَع)" (التكوين 41:45)]**، وإنها لا تعيش في مصر، فطلبوا من المَلِك أن يرسل رسلاً إلى البلاد الأخرى ليبحثوا عنها ويحضروها إلى مصر، ونصحوه أن تكون القوة المُرسلة إلى وادي الأرز في الشام أكثر عدداً **[← في الأسطورتين التوراتية والقرآنية، نجح يوسفُ في تفسير رؤيا المَلِك وقدَّم خطةً مفصلة لحل المشكلة (التكوين 41:25-36) (يوسف 47-49)]**. فقال المَلِكُ لهم: "ما قلتموه جيد جداً" **[← "فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ" (التكوين 41:37) "فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيِ الْمَلِكِ، فَعَمِلَ هكَذَا" (أستير 2:4)[5723]]**.

فَعَمِلَ المَلِكُ كما نصحه الملأُ **[← في الأسطورتين التوراتية والقرآنية، عَمِلَ المَلِكُ كما نصحه يوسفُ]**. وبعد أيام كثيرة، عاد جميع الرسل مِن البلاد الأخرى إلى مصر خائبين، ما عدا الرسل الذين ذهبوا إلى وادي الأرز في الشام لم يعودوا لأن باتا قتلهم! وقيل: قتلهم كلهم إلا واحد عاد إلى مصر. وحينئذٍ أدرك

مَلِكُ مصر أن المرأةَ صاحبة الضفيرة تعيش في وادي الأرز في الشام، فأرسل المَلِكُ قوةً كبيرةً إلى وادي الأرز في الشام ليحضروا المرأةَ (هي: زوجة باتا) إلى مصر. وبالفعل، تركت زوجةُ باتا زوجَها باتا وحيداً في بلاد الغربة وانتقلت مِن الشام إلى مصر لتعيش مع فرعون في قصره. فأحبها فرعونُ وأعطاها منصباً رفيعاً وأغدق عليها بالأموال والهدايا. ونلاحظ هنا أن مثلث الحب (love triangle) يتكرر، لكن الرجل (فرعون) هو الذي يراود المرأةَ (زوجة باتا) عن نفسها[5724]، والمرأةُ لا تستطيع أن تقاوم الإغراءات فتستجيب.

ولم تذكر الأسطورةُ المصرية اسمَ زوجة باتا الخائنة، فسنسميها هنا "الزوجة" للسهولة ...

تطلب الزوجةُ الخائنة مِن فرعون طلباً هي تعلم جيداً أنه سيؤدي حتماً إلى موت باتا. طلبت منه أن يقطع الشجرة التي عليها قلب باتا. نفذ فرعونُ طلبها وقطع الشجرة، فمات باتا في نفس اللحظة!

وبطريقة أسطورية لا داعي لشرحها بالتفصيل، عرف أنوبيس أن أخاه باتا مات. فذهب أنوبيسُ مسرعاً إلى الشام وظل يبحث عن قلب باتا ثلاث سنوات (يعني: باتا ظل ميتاً في المنفى ثلاث سنوات) **[← جعلها القرآنُ أطول شوية: "لَبِثَ [يوسفُ] فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (أي: ما بين الثلاث إلى التسع)" (يوسف 42)]**. وفي السنة الرابعة، وجد أنوبيس قلبَ باتا، ومِن ثم استطاع أن يُعيد باتا إلى الحياة مرة أخرى[5725]! وفي ذلك تأكيد على عقيدة الحياة بعد الموت مهما طال الزمن. فهكذا كان المصريون القدماء يضعون عقائدهم في ثنايا أساطير مثيرة ومشوقة حتى ترسخ بسهولة في عقول الناس ووجدانهم. ونلاحظ هنا أن عقيدة القيامة جاءت عند نقطة التحول (turning point) في أحداث الرواية، حيث يتحول البطل باتا من ميت إلى حي **[← كذلك وضع أصحابُ القرآن عقيدة التوحيد الخالص والإيمان بالآخرة في ثنايا أسطورة يوسف القرآنية حين كان يوسف في السجن (يوسف 37-40). هذا السجن الذي يمثل نقطة تحول (turning point) في حياة يوسف بطل الرواية، إذ سيصعد يوسفُ منه ويظل يصعد حتى يصل إلى السلطة]**.

بعد قيامته من الأموات، يدبر باتا خطةً للانتقام مِن زوجته الخائنة التي كانت سبباً في وفاته. فيتحول باتا إلى ثور (bull)[5726] جلده مُلَوَّن (أو: متعدد الألوان) **[← يوسف في الأسطورة التوراتية، كان ثوبه مُلَوَّناً (وقيل: متعدد الألوان) (التكوين 37:3، 23، 32)]**! يذهب هذا الثورُ (باتا) بصحبة أخيه أنوبيس إلى قصر فرعون في مصر! يعني: باتا خرج من المنفى بصحبة أخيه، وأول مكان ذهب إليه هو قصر فرعون (مَلِك مصر) **[← في الأسطورتين التوراتية والقرآنية، يوسف خرج من السجن بصحبة رسول المَلِك، وأول مكان ذهب إليه هو قصر فرعون (مَلِك مصر)[5727]]**. وحين رأى الثورُ (باتا) زوجتَه الخائنة قال لها: "انظري، أنا ما زلت حياً!"، فقالت له: "مَن أنت؟"، فكشف الثورُ عن شخصيته وقال للزوجة: "أنا باتا" **[← وكذلك كشف يوسفُ عن شخصيته لإِخْوَتِهِ الذين أرادوا قتله في يومٍ من الأيام: "قَالَ [...] أَنَا يُوسُفُ [...] أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمُ الَّذِي بِعْتُمُوهُ إِلَى مِصْرَ" (التكوين 45:3-4) ← "قَالَ أَنَا يُوسُفُ [...] إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 90)]**. فلمَّا أدركت الزوجة أن هذا الثور هو باتا، طلبت من

فرعون أن يقضي عليه. ينفذ فرعون طلبها للمرة الثانية، لكن عند ذبح الثور (باتا) تنزل نقطتان من دمه أمام باب القصر وينمو مكانهما شجرتان (Persea). وهذا يعني – حسب الأسطورة – أن باتا قد تحول إلى شجرتين! وفي يومٍ من الأيام، جلست الزوجة تحت شجرةٍ منهما، فكشفت الشجرةُ عن شخصيتها وقالت للزوجة: "أنا باتا" **[⟵ وكذلك كشف يوسفُ عن شخصيته لإِخْوَتِهِ الذين أرادوا قتله في يومٍ من الأيام: "قَالَ [...] أَنَا يُوسُفُ [...] أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمُ الَّذِي بِعْتُمُوهُ إِلَى مِصْرَ" (التكوين 45:3-4) ⟵ "قَالَ أَنَا يُوسُفُ [...] إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 90)]** "أنا حي رغم أنفك". فلمَّا أدركت الزوجة الخائنة أن هاتين الشجرتين هُما باتا، طلبت من فرعون أن يقطعهما. ينفذ فرعون طلبها للمرة الثالثة، لكن عند قطع الشجرتين (باتا)، تقع شظية (splinter) أو قطعة من خشب الشجرتين في فم الزوجة فتبلعها الزوجة وتصبح حامل! وهذا يعني أن باتا قد تحول إلى جنين في بطن الزوجة! بالطبع يظن فرعون أن هذا الجنين ابنه. وبعد انقضاء مدة الحمل، تلد الزوجة ولداً (هو باتا لكنه مولود من جديد "reborn"). فقالوا لفرعون: "وُلِدَ لك ابنٌ". ولم تعلم الزوجةُ أن هذا الولد هو باتا، فلم تحرّض فرعونَ على قتله(5728).

[ونلاحظ هنا إبداع مؤلف هذه الأسطورة المصرية القديمة: فلقد جعل باتا يتحول أولاً إلى حيوان (ثور) ثم إلى نبات (شجرتين) وأخيراً إلى إنسان مولود من جديد(5729). وفي جميع هذه الأحوال الثلاثة، الذي يُحرّك باتا هو دافع الانتقام مِن زوجته الخائنة التي تركته وحيداً في بلاد الغربة ثم تآمرت على قتله ثلاث مرات: المرة الأولى وهو إنسان، والمرة الثانية وهو حيوان (ثور)، والمرة الثالثة وهو نبات (شجرتين). وهذا اختلاف مهم بين شخصيتي باتا ويوسف. كلاهما شخصية أسطورية ولا يوجد - ولن يوجد - أي دليل علمي يثبت أنه شخص تاريخي حقيقي، لكن باتا يُحرّكه الانتقامُ، أما يوسف فدينه هو التسامح والمحبة(5730).]

بعد ذلك، جعل فرعونُ هذا الولد – هو: باتا المولود من جديد – ولياً للعهد. وبعد سنوات كثيرة، رحل فرعونُ إلى السماء (flew up to heaven) (s'envola au ciel) (أي: مات فرعونُ) فأصبح باتا مَلِكَ مصر، فانتهت المحن التي مَرَّ بها باتا وبدأت مرحلة جديدة من حياته وهي مرحلة التمكين **[⟵ وكذلك حسب الأسطورتين التوراتية والقرآنية، انتهت المحن التي مَرَّ بها يوسفُ وبدأت مرحلة جديدة من حياته وهي مرحلة التمكين، فصار يوسف الرجل الثاني في مصر بعد مَلِك مصر فقط (التكوين 40:41) (يوسف 54). وطبعاً لم يجرؤ أصحاب التوراة ولا أصحاب القرآن أن يزعموا أن يوسف العبراني صار مَلِكَ مصر؛ لأنهم لو زعموا ذلك لصارت كذبةً مكشوفةً جداً. إلا أن يوسف صار هو الحاكم الفعلي لمصر، على الأقل عملياً]**!

وهكذا صار مواطنٌ مصري بسيط مَلِكاً على مصر! وانتقل مِن الحقل إلى القصر! وكأن المصري القديم الذي كتب هذه الأسطورة البديعة منذ أكثر من 3200 سنة كان يحلم بالديمقراطية التي لم تتحقق بشكلٍ كامل حتى الآن في كثير من الدول العربية والإسلامية!

مشهد المحاكمة: بعد ذلك بقليل، يأتي المَلِكُ باتا بزوجته الخائنة أمام كبار رجال الدولة **[⟵ "الْمَلَأُ" (يوسف 43)]** ويخبرهم بكل ما مر به من أحداث **[⟵ هذا المشهد الأسطوري يشبه مشهد المحاكمة في**

القرآن حيث اعترفت الزوجة الخائنة - زوجة العزيز - بذنبها بعد أن طلب يوسفُ أن يحقق المَلِكُ مع النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين (يوسف 50-51)]. ثم تقول الأسطورة المصرية: "ووافق الحاضرون". ولم تقل لنا على ماذا وافقوا، لكن يُفهَم مِن السياق أنهم وافقوا على إدانة هذه المرأة الخائنة القاتلة وإعدامها بالسكين كما كانت السبع بقرات (السبع حتحور) قد تنبأت مِن قبل.

ثم جعل المَلِكُ باتا أخاه أنوبيس ولياً للعهد[5731]، وهكذا تصالح الأخوان تماماً وتغلبا على كل الصعاب التي حاولت أن تشق وحدتهما. ظل باتا مَلِكاً على مصر لمدة ثلاثين سنة **[← حسب الأسطورة التوراتية، كان عمر يوسف ثلاثين سنة حين صعد إلى السلطة في مصر (التكوين 46:41)!].** ثم مات باتا فخلفه أخوه أنوبيس على عرش مصر. وهكذا صار باتا – الذي أراد أنوبيس أن يقتله ظلماً وعدواناً في يومٍ من الأيام – سبباً في وصول أنوبيس إلى عرش مصر. ولولا مساندة الإله رع لباتا، لمَا وصلت القصة إلى هذه النهاية الطيبة **[← قال يوسفُ لإخوته في نهاية الأسطورة التوراتية: "لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ اللهُ" (التكوين 8:45) "أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا" (التكوين 20:50) ← "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" (يوسف 21) "إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (يوسف 100)].**

مما سبق يتضح أن أسطورتي يوسف التوراتية والقرآنية مجرد تطور بشري طبيعي لأسطورة الأخوين المصرية القديمة. فهكذا استطاع بنو إسرائيل الرعاة أن يؤلفوا أسطورة يوسف التوراتية. ومِن بعدهم بمئات السنين، جاء العربُ الرعاة فاستطاعوا أن يؤلفوا أسطورة يوسف القرآنية. والفضل كل الفضل يرجع إلى عملية التطور البشري الطبيعي بمرور الزمن، من المصريين القدماء إلى بني إسرائيل (اليهود) إلى المسيحيين الشرقيين (السريان) إلى العرب (أصحاب القرآن). كله كلام بشر 100%.

وختاماً نقول إن أسطورة الأخوين المصرية القديمة ليست القصة الوحيدة التي نجد فيها امرأةً تراود رجلاً عن نفسه. فنحن نجد هذه الفكرة تتكرر في كثير من أساطير الشرق الأوسط القديم (مثلاً: أسطورة Bellerophon الإغريقية).

وإنْ قلتم إن هذه الفكرة (motif) تحدث فعلاً في الحياة، وزعمتم أن وجودها في الأساطير وفي القرآن لا يثبت أن القرآن كلام بشر. سنقول: لو كانت هذه الفكرة فقط هي الفكرة الوحيدة المشتركة بين الأساطير والقرآن، لكان كلامكم صحيحاً. لكن ما وجدناه هو أن هذه الفكرة تتكرر في الأساطير وفي القرآن، وتتكرر معها أفكار (motifs) مشتركة أخرى. مثلاً: بطل الأسطورة يرفض الزنا فتقرر المرأةُ معاقبته وتتهمه ظلماً وزوراً أمام زوجها؛ عقاب بطل الأسطورة لنفسِه بنفسِه على جريمةٍ هو أصلاً لم يرتكبها؛ السبع بقرات والتنبؤ بالمستقبل؛ السبع سنين؛ فرعون (مَلِك مصر) والملأ؛ الشام (كنعان)؛ صعود بطل الأسطورة إلى السلطة في مصر؛ وأفكار مشتركة أخرى. مما يؤكد أن تكرار جميع هذه الأفكار كلها في الأساطير وفي القرآن لا يمكن أبداً أن يكون مجرد صدفة.

فليس أمامنا سوى أن نقول إن القرآن مجرد تطور بشري طبيعي لأساطير الشرق الأوسط القديم، سواء الأساطير الإبراهيمية (أسطورة يوسف التوراتية) أو الأساطير غير الإبراهيمية (أسطورة باتا المصرية).

ولذلك فإننا نتفق مع قالته موسوعة (Encyclopædia of Islam)[5732] عن قصة يوسف القرآنية:

> The Ḳurʾānic Joseph story not only exhibits a close intertextual relationship with the versions represented in the Hebrew Bible and post-biblical Jewish and Christian narrative exegesis, but also finds important parallels with the tale of Bellerophon of the *Iliad* and the pre-biblical Egyptian "Tale of two brothers".

وإذا كنا دائماً نقول إن "الإسرائيليات" موجودة في القرآن نفسه، فإن ما سبق يثبت أن "المصريات" (أي: الأساطير المصرية القديمة) موجودة أيضاً في القرآن نفسه.

وكما تسللت المصريات إلى القرآن، تسللت أيضاً إلى تفاسير القرآن. مثلاً: تقول أسطورة الأخوين إن زوجة أنوبيس الخائنة الكاذبة زعمت أن باتا ضربها **[← "هَمَّ بِهَا" (يوسف 24)؛ قيل: يعني ضربها!]**.

فكما لجأ أصحابُ القرآن إلى التراث الشرق-أوسطي الأسطوري القديم (الإبراهيمي وغير الإبراهيمي) مِن أجل تأليف القرآن، كذلك لجأ المفسرون المسلمون – بوعي أو بدون وعي – إلى نفس هذا التراث مِن أجل تفسير القرآن.

وهذا كله يثبت أن القرآن مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) من منتجات الشرق الأوسط القديم، وليس كلام الله. العقل البشري الذي أنتج أسطورة الأخوين المصرية يستطيع بكل تأكيد أن ينتج أسطورة يوسف القرآنية.

احتمال وجود أدلة علمية تثبت أن يوسف شخص حقيقي تاريخي = احتمال وجود أدلة علمية تثبت أن باتا شخص حقيقي تاريخي = صفر (ZERO).

4.23.4.2 جذور قصة يوسف في التراث الأدبي العراقي القديم: ملحمة جلجامش

ننتقل الآن إلى التراث الأدبي لحضارات بلاد الرافدين (Mesopotamia). وتحديداً "ملحمة جلجامش" الخالدة (Epic of Gilgamesh) (L'Épopée de Gilgamesh) التي وُجِدَت في مكتبة الملك الأشوري "أشوربانيبال" (Ashurbanipal) الذي حكم في القرن السابع قبل الميلاد[5733]، أي قبل الإسلام بأكثر مِن 1200 سنة. وتم العثور على مقاطع مِنها أقدم يعود تاريخها إلى القرن الثامن عشر أو

السابع عشر قبل الميلاد[5734]، أي قبل جميع الديانات الإبراهيمية. يقول العالِم الكبير طه باقر: "نظمت الملحمة شعراً باللغة البابلية والمرجّح أن زمن تدوينها يرقى إلى أواخر الألف الثالث أو أوائل الألف الثاني ق.م.، وأن آخر جمع لها يرجع إلى منتصف الألف الثاني ق.م. [...]. ومع أن الملحمة ترجع في مادتها الأساسية إلى أصول سومرية إلا أنها في شكلها البابلي الذي جاءتنا فيه تعتبر نتاجاً أدبياً بابلياً صرفاً. ولكن رغم أنها جاءت على هيئة وحدة فنية قصصية متكاملة فإنها أقرب ما تكون إلى الجمع الأدبي بين قطع أدبية مختلفة"[5735].

فمِن المعلوم أن ملحمة جلجامش البابلية طويلة جداً وبها أحداث كثيرة وتفاصيل مثيرة، أشهرها أسطورة الطوفان (The Flood Myth) السومرية الأصل والتي تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى تحولت إلى أسطورة طوفان نوح المذكورة في التوراة والإنجيل والقرآن. يقول الأب سهيل قاشا: "ومِن قصة الطوفان في التوراة نرى أن شكلها النهائي قد جاء من مصدرين يهوهي وكهنوتي، والاثنان يعتمدان إلى حدّ بعيد على الأصل البابلي وخاصة النص الكهنوتي"[5736].

ولا نرى ما يدعو إلى ذِكر كل أحداث ملحمة جلجامش بالتفصيل، فسنكتفي هنا بالجزء القصير[5737] الذي له علاقة بأسطورة يوسف التوراتية←القرآنية، وهو الجزء المتعلق بوقوع الإلهة "عشتار" (Ishtar) **[← امرأة فوطيفار ← امرأة العزيز]** في غرام البطل جلجامش **[← يوسف ← يوسف]**. إذ تحكي ملحمة جلجامش أن "جلجامش" كان رجلاً جميلاً ثلثاه إله وثلثه بشر **[← "فِيهِ رُوحُ اللهِ" (التكوين 38:41) ← "مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" (يوسف 31)]**، فرَفَعَتْ عشتار عَيْنَيْهَا إِلَى جلجامش **[← نفس العبارة التي استخدمتها التوراة! "امْرَأَةَ سَيِّدِهِ (أي: امرأة فوطيفار) رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ وَقَالَتِ: «اضْطَجِعْ مَعِي (أي: نَمْ معي)»" (التكوين 7:39) ← "رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ (أي: تعال إليَّ)" (يوسف 23)]**، وطلبت منه أن يتزوجها. يقول العالِم الكبير طه باقر: "ولمّا أن رأته الإلهة عشتار أسرها جماله وتعلّق قلبها بحبه فنادته وخاطبته قائلة: "تعال يا جلجامش وكن عريسي المختار، وامنحني ثمرتك أتمتع بها [...]". ولكن جلجامش رفض عرض عشتار ولم يقتصر على ردّ طلبها بل إنه أهانها وعدّد مثالبها وهناتها وما أحلّته من الويلات والهلاك بعشاقها السابقين"[5738]. إذن: رَفَضَ جلجامش عرض عشتار **[← "فَأَبَى [يوسفُ]" (التكوين 8:39) ← "قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ" (يوسف 23) "فَاسْتَعْصَمَ (أي: رفض وامتنع)" (يوسف 32)]**.

غضبت عشتار وطلبت مِن أبيها الإله "آنو" (Anu) (Anou) **[← "سَيِّدَهَا" (يوسف 25)]** أن يعطيها الثور السماوي (Bull of Heaven) (Taureau céleste) حتى يقتل جلجامش **[← جعلها القرآنُ تحرض سيدها (أي: زوجها) على سجن يوسف أو تعذيبه: "قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (يوسف 25)]**. وهددته أنه إنْ لم ينفذ طلبها فستحطم باب العالم الأسفل (أي: عالم

الموتى؛ القبور) **[← "الْهَاوِيَةِ (Sheol)" (التكوين 35:37)]** وتدع الموتى يقومون مِن موتهم ويأكلون الأحياء (أو: يأكلون كالأحياء)، ويصبحون أكثر عدداً من الأحياء**!**

المفاجأة الكبرى هي أن الإله آنو رد على عشتار قائلاً ما يلي[5739]:

فتح "آنو" فاه وقال:	Anou, [ouvrant la bouche, parle]
قال إلى الجليلة عشتار:	et dit [à la souveraine] Ishtar :
إن طلبتِ مني الثور السماوي (يقصد: إذا لبَّيت طلبكِ)	« Si tu [me] demandes le Taureau céleste,
فستمر على بلاد أوروك[5740] سبع سنين عجاف لا يبقى فيها غير التبن (أي: لا غلَّة فيها)	**[dans le] pays d'Ourouk, il y aura sept années de paille!**
فاعملي سلفاً على جمع الحبوب بوفرة (أي: اجمعي غلَّة تكفي الناس)	**[Auparavant,] rassemble [abondamment] du grain,**
واعملي أيضاً على إنبات الأعشاب بوفرة (يقصد: للماشية)	**[auparavant, fais] croître abondamment de l'herbe ! »**
فتحت عشتار فمها وكلمت أباها:	[Ishtar, ouvrant la bouche], parle [et dit au dieu] Anou, son père:
لقد سبق وجمعت حبوباً (أي: خزَّنت الحبوب للناس) وأنبت العشب بكثرة (تقصد: للماشية)	« [Mon père, j'ai (déjà) accumulé [du grain], et j'ai produit [de l'herbe en abondance] ;
وذلك لتجنيب الناس السبع السنين العجاف	[pour éviter la disette, ces sept] années de paille,
لقد جمعت من الحبوب بما فيه الكفاية (تقصد: للناس)	[j'ai déjà] rassemblé [abondamment du] grain,
وأنبتت العشب بوفرة كبيرة (تقصد: للماشية)	[et j'ai fait croître abondamment] de l'herbe.
أما بالنسبة إلى جلجامش فسأثأر منه	
أعطني يا أبي مقود الثور السماوي	

[Mais,] de lui, [Gilgamesh, je veux tirer vengeance] ! [Donne-moi, mon père, la longe] du Taureau céleste ! »	

إذن: مرة أخرى نجد فكرة "المراودة الفاشلة" موجودة في الأساطير والقرآن. ومرة أخرى، نجد هذه الفكرة تتكرر في الأساطير والقرآن، ولا تنتقل بمفردها من الأساطير إلى القرآن، وإنما تأخذ معها أفكار مشتركة أخرى. هنا: التنبؤ بسبع سنين شداد، والعمل على الزراعة وتخزين الحبوب (grain) والعشب (herbe) بوفرة استعداداً لقدومها [← (التكوين 41:1-36) (يوسف 43-48)]. فها هي ملحمة أسطورية مِن تراث بلاد ما بين النهرين تتحدث عن آلهة متعددة وخيالية "أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ" (عشتار وآنو وغيرهما) لكنها تذكر نفس الأفكار ونفس عدد السنين "سبع"! إذن: الموضوع مش محتاج "وحي" من الله الواحد الأحد!

ولا يمكن أن يكون كل ذلك مجرد صدفة!

قد تحدث الصدفة مرة أو مرتين. لكن لا يمكن أن تتكرر كثيراً بهذه الطريقة إلا إذا كان هناك علاقة عضوية بين الأساطير والقرآن؛ علاقة سببية (causal relationship): الأساطير أثّرت في القرآن. أو كما يُقال اليوم بالعامية: عَلّمتْ عليه.

وهكذا نصل دائماً إلى نفس النتيجة. القرآن مجرد تطور بشري طبيعي لأساطير الشرق الأوسط القديم، سواء الأساطير الإبراهيمية (أسطورة يوسف التوراتية) أو الأساطير غير الإبراهيمية (أسطورة جلجامش البابلية الخالدة).

وإذا كنا دائماً نقول إن "الإسرائيليات" موجودة في القرآن نفسه، فإن ما سبق يثبت أن "البابليات" (أي: الأساطير البابلية القديمة) موجودة أيضاً في القرآن نفسه.

وكما تسللت البابليات إلى القرآن، تسللت أيضاً إلى تفاسير القرآن. مثلاً: تقول ملحمة جلجامش إن آنو وعشتار كانا حريصين على الحفاظ على حياة الإنسان والحيوان في السنين السبع العجاف، فعملا في أيام الوفرة الزراعية على تخزين الحبوب للناس والأعشاب (أي: التبن؛ العلف) للماشية استعداداً للمجاعة القادمة [← "قَالَ [يوسفُ] تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ" (يوسف 47). قال الشيخ عبد الجليل عيسى (مِن كبار شيوخ الأزهر في القرن العشرين الميلادي): "(فِي سُنبُلِهِ): أي في عِيدانِه حتى يَنتَفِعُوا بالحَبِّ ويَنتَفِعَ الحَيوانُ بالتِّبنِ، فهو مِن قَبيلِ إطلاقِ الجُزءِ على الكُلِّ"[(5741)]].

فكما لجأ أصحابُ القرآن إلى التراث الشرق-أوسطي الأسطوري القديم (الإبراهيمي وغير الإبراهيمي) مِن أجل تأليف القرآن، كذلك لجأ المفسرون المسلمون – بوعي أو بدون وعي – إلى نفس هذا التراث مِن أجل تفسير القرآن.

وهذا كله يثبت أن القرآن مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) من منتجات الشرق الأوسط القديم، وليس كلام الله. العقل البشري الذي أنتج أسطورة جلجامش البابلية الخالدة يستطيع بكل تأكيد أن ينتج أسطورة يوسف القرآنية.

احتمال وجود أدلة علمية تثبت أن امرأة العزيز/فوطيفار امرأة حقيقية = احتمال وجود أدلة علمية تثبت أن الإلهة عشتار إلهة حقيقية تستحق العبادة = صفر (ZERO).

4.23.5 الخلاصة

بعد كل هذا التشابه الواضح – الذي يصل أحياناً إلى درجة التطابق – بين قصة يوسف في القرآن مِن ناحية وقصة يوسف في التوراة وقصة يوسف في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي وقصة باتا في التراث المصري القديم وملحمة جلجامش في التراث العراقي القديم مِن ناحيةٍ أخرى، أصبح من حقنا أن نسأل: هل مِن الممكن أن يكون محمدٌ "مِنَ الْغَافِلِينَ" عن هذه القصة كما ادعى القرآن: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ" (يوسف 3) و "ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ" (يوسف 102)؟! بالطبع لم يكن محمدٌ "لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ"، لكن هذا ليس دليلاً أن قصة يوسف "مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ" أو أن محمد كان عنها "مِنَ الْغَافِلِينَ"! فالقصة مشهورة ومعروفة، وأحداثها وأفكارها الأساسية موجودة في الكتاب المقدس وفي التراث اليهودي/المسيحي وفي التراث المصري القديم وكذلك في تراث بلاد ما بين النهرين.

إذن: الأقرب إلى العقل والمنطق أن أصحاب القرآن قد سمعوا قصةَ يوسف بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة الذين توارثوها عبر الأجيال وطوروها تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة حتى استقرت بالصورة التي نراها حالياً في القرآن.

وهذا كله يؤكد أن القرآن كلام بشر 100%، وليس كلام الله.

وهذا كله يؤكد أن نظرية التطور البشري الطبيعي (natural human development) هي التي تفسر نشأة القرآن. أما أسطورة "الوحي" فلقد سقطت إلى غير رجعة.

بل إن هذا كله يؤكد أن قصة يوسف ليست قصة تاريخية حقيقية. وذلك لعدة أسباب أهمها:

- لا يوجد أي أثر تاريخي يثبت أن يوسف نفسه شخص حقيقي تاريخي!

- توجد مفارقات تاريخية وجغرافية في قصة يوسف القرآنية. وكذلك في قصة يوسف التوراتية، احتار اليهود والمسيحيون في تحديد زمانها، بل اختلفوا في تحديد اسم مَلِك مصر!
- وجدنا جذور قصة يوسف التوراتية←القرآنية في تراث أساطير الشرق الأوسط القديم. وهذا يكفينا كدليل على أن قصة يوسف التوراتية←القرآنية مجرد أسطورة مِن أساطير الشرق الأوسط القديم.

نعم. بعد أن وجدنا جذور قصة يوسف التوراتية←القرآنية في تراث أساطير الشرق الأوسط القديم، مِن حقنا – بل مِن واجبنا – أن نشك في تاريخية هذه القصة التوراتية←القرآنية.

مِن حقنا – بل مِن واجبنا – أن نقول بكل يقين وطمأنينة وراحة ضمير إن قصة يوسف ليست حدثاً تاريخياً حقيقياً، وإنما رواية بديعة من الأدب التوراتي←القرآني المتأثر بتراث أساطير الشرق الأوسط القديم.

ونحن نعلم جيداً أن هذه النتيجة قد تكون مزعجة وصادمة لليهود والمسيحيين والمسلمين المؤمنين بتاريخية قصص الآباء والأنبياء وبخاصة أولئك الذين يُفترَض أنهم عاشوا قبل المسيح بأكثر من 1000 أو 1100 سنة، مثل: قصص آدم ونوح وإبراهيم ويوسف وموسى وغيرهم. لكننا ندعوهم إلى إعادة قراءة تلك القصص الكتابية والقرآنية بعقل علمي يدرك أن تلك القصص لا تهدف إلى تسجيل الماضي وإنما تهدف إلى إعطاء دروس مهمة ومُلهِمة في الحاضر؛ أي: حاضر مَن كتبوها ومَن سمعوها للمرة الأولى.

وهذا الحاضر بالنسبة للقرآن ليس عالمنا المتحضر المتقدم في القرن الواحد والعشرين الميلادي، وإنما شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي حيث كان العرب يعيشون كقبائل متنافسة متناحرة يقتلون بعضُهم بعضاً ويتآمرون على بعض (كما تآمر إِخْوَةُ يُوسُفَ عليه وأرادوا أن يقتلوه في بداية القصة) ولا يجمعهم كيانٌ واحد مثل الفرس شرقاً والروم غرباً. ثم صعد العربُ إلى السلطة في الشرق الأوسط (كما صعد يوسف إلى السلطة في مصر)، فصار العربي في فترة وجيزة يحكم الشام والعراق وفارس ومصر ويتحرك فيها بكل حرية "يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ" بعد انهيار الإمبراطورية الفارسية وانحسار الإمبراطورية البيزنطية. فَمِن المعلوم أن الإسلام ارتبط منذ ولادته بالإمبريالية العربية (الفتوحات؛ التمكين).

"وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ" (يوسف 56).

4.24 هل الأنبياء معصومون؟ يُوسُفُ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ!

انتهى الفصل الثاني مِن أسطورة يوسف التوراتية←القرآنية بتمكين يوسف في أرض مصر، ثم "جَاءَتْ كُلُّ الأَرْضِ (أي: أهل البلدان الأخرى؛ سكان الشرق الأوسط) إِلَى مِصْرَ إِلَى يُوسُفَ لِتَشْتَرِيَ قَمْحًا، لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا فِي كُلِّ الأَرْضِ" (التكوين 41:57). إذن: المجاعة امتدت إلى كنعان (الشام)، ومِن ثم جاء كنعانيون إلى مصر لشراء القمح.

فهذا ينقلنا إلى الفصل الثالث والأخير مِن أسطورة يوسف التوراتية←القرآنية. وتدور أحداثه بين كنعان (حيث يوجد يعقوب) ومصر (حيث يوجد يوسف). يبدأ هذا الفصل بمجيء إخوة يوسف مِن كنعان إلى مصر ليشتروا طعاماً مِن يوسف (العزيز عزيز مصر؛ سَيِّد الأَرْضِ) ...

رحلة إخوة يوسف الأولى مِن كنعان إلى مصر. بدون بنيامين: وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ [العشرة الكبار] فَدَخَلُوا عَلَيْهِ [في مجلس حكومته وهو يشرف على بيع الغلال] فَعَرَفَهُمْ [يوسفُ] وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (أي: لم يعرفوه لطول المدة وتغيُّر هيئته ومنصبه الجديد الذي لم يتوقعوه) {58} وَلَمَّا جَهَّزَهُم [يوسفُ] بِجَهَازِهِمْ (أي: وَفَّى لَهُمْ كَيْلَهُمْ وأكرمهم فأجزل لهم ما طلبوه مِن الحبوب وزيادة؛ قيل: وأعطاهم كل ما يحتاجه المسافر مِن طعامٍ) قَالَ ائْتُونِي [في الزيارة القادمة] بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ (يقصد: شقيقه بنيامين)[5742]؛ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ (أَيْ: أُتِمُّهُ وَلَا أَبْخَسُهُ) وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ[5743] (أي: أكرم المضيفين للضيوف) {59} [ثم أتبع يوسفُ هذا الترغيب بالترهيب فقال لهم] فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ (أي: لا تأتوا إليَّ مرة أخرى!) {60} قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ (أي: سنبذل كل جهدنا في طلب بنيامين مِن أبينا برفق ولين ومحايلة وأَخْذ وردّ حتى يرضى أن يرسله معنا) وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ {61} وَقَالَ [يوسفُ] لِفِتْيَانِهِ (أي: لغلمانه؛ لعُمَّاله؛ لمساعديه؛ وفي مصحف ورش وغيره: لِفِتْيَتِهِ[5744]) اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ (أي: ضعوا سراً في أمتعتهم بِضَاعَتَهُمْ التي دفعوها ثمناً لما أخذوه مِن طعام؛ ردوا إليهم الأموال التي دفعوها بدون أن يعرفوا الآن) لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا (أي: عادوا) إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (أي: يعودون إلينا - ومعهم بنيامين - بعد أن عرفوا كَرَمَنا البالغ وحُسن معاملتنا للضيوف؛ أو: يَرْجِعُونَ إلينا مرة أخرى - ومعهم بنيامين - ليدفعوها لنا في مقابل ما أخذوه منا مِن طعامٍ وغيره لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِلُّونَ إِمْسَاكَهَا؛ وقيل إن يوسف خَشِيَ أن لا يكون عند إخوته بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها؛ المهم: أراد يوسفُ إغراءَهم بالمجيء إلى مصر مرة أخرى ومعهم بنيامين) {62}.

عودة إخوة يوسف مِن مصر إلى كنعان: فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ (أي: لن يعطينا عزيزُ مصر حبوباً في المستقبل إلا إذا كان معنا أخونا بنيامين) فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ (أي: نأخذ؛ نحضر الطعام) وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [في الذهاب والإياب][5745] {63} قَالَ [لَهُمْ يَعْقُوبُ] هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ (أي: كيف آمَنُكُمْ على ولدي بنيامين؟! وقد ائتمنتكم عَلَىٰ ولدي يوسف مِن قَبْلُ والتزمتم بحفظه لكن لم تفوا بذلك)[5746] [فلا أثق بالتزامكم وحفظكم، وإنما أثق بحفظ الله ورعايته]ﱠفَاللَّهُ خَيْرٌ

حَافِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [فلا يصيبني في بنيامين كما أصابني في يوسف؛ أو: يَرُدَّ يوسفَ إِلَيَّ وَيَجْمَعَ شَمْلِي بِهِ] {64} وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ (أي: صُرَر أموالهم) رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي (أي: ماذا نريد أكثر وأجمل مِن ذلك؟[5747])ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ [وهذا يدل على كرم عزيز مصر؛ وقيل: فسنتقوّى ونستظهر بها فنحن الآن معنا أموال أكثر؛ وقيل: هذا يزيدنا حرصاً على الرجوع إلى مصر لنرد تلك الأموال إلى العزيز فنثبت صدق أمانتنا ونؤكد حُسن نيتنا] وَنَمِيرُ أَهْلَنَا (أي: نجلب طعاماً لأهلنا) وَنَحْفَظُ أَخَانَا [بنيامين فَكُنْ مطمئناً وأرسِله معنا إلى مصر] وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ (أي: نزداد حِمْلَ بعير لبنيامين، فإن العزيز يكيل لكل واحد حِمْلَ بعير)ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ [عليه و/أو علينا] {65} [وبعد نفاد القمح الذي أحضروه مِن مصر، لم يجد يعقوبُ مهرباً مِن إلحاحهم أن يرسل معهم بنيامينَ إلى مصر ليشتروا قمحاً] قَالَ [يعقوبُ لهم] لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا (أي: عهداً مُوثَّقاً) مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ (أي: يجب أن تتعهدوا أولاً وتحلفوا بالله أنكم ستردوا بنيامين إليَّ) إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ (أي: إلا أن تهلكوا كلكم دونه أو يُحِيط بكم أعداء يغلبونكم عليه فلا تستطيعون تخليصه)ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ (أي: تعهدوا وأقسموا يميناً بالله العظيم) [أعطاهم بنيامينَ وَ] قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ[5748] (أي: شاهد ومُطلع ورقيب) {66}.

رحلة إخوة يوسف الثانية مِن كنعان إلى مصر. ومعهم بنيامين: وَقَالَ [يعقوبُ ناصحاً لبنيه الأحد عشر وهو يودعهم] يَا بَنِيَّ [إذا دخلتم أرضَ مصر] لَا تَدْخُلُوا [كلكم أحد عشر رجلاً] مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ [حتى لا تصيبكم العينُ بالحسد!؛ حتى لا تلفتوا الأنظار إليكم فتترقبكم الأعين وقد يُظن أنكم جواسيس أو قد يكيد لكم كائدٌ ما يسيئكم فيَحِلَّ بكم مكروهٌ أو شر]ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ (أي: ولكن حذري هذا وحرصي عليكم بدخولكم مِن أبوابٍ متفرقةٍ لن يَدْفَع عنكم ضرراً قد قضاه اللهُ عليكم)ۖ إِنِ الْحُكْمُ (أي: الأمرُ والقضاءُ) إِلَّا لِلَّهِ [وحده]ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ (أي: اعتمدتُ ووثقتُ وفوضتُ أمري)ۖ وَعَلَيْهِ [وحده] فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ [بعد الأخذ بالأسباب المشروعة والحذر المطلوب] {67} وَلَمَّا دَخَلُوا (أي: لَمَّا دَخَل إخوةُ يوسف الأحد عشر مصرَ) مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم (أي: مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ كما أوصاهُم أَبُوهُم) مَّا كَانَ [ذلك الدخول] يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ (أي: لم يكن ذلك الدخول لينجيهم أو يمنع عنهم قدراً من أقدار الله، فالأمر كله لله) إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا (أي: ولكن كانت مجرد نصيحة أو شفقة مِن أبٍ يخشى على أبنائه وبخاصة بنيامين على سبيل الاحتياط لحمايته والعودة به سالماً؛ أو: أراد يعقوبُ أن يُعلِّمهم درساً في التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب)ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ [مِن أمور الدين] (أي: ويعقوبُ يعلم جيداً أن كل شيء بقضاء الله وقدره) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [أن الأخذ بالأسباب لن يحول بينهم وبين ما قدَّره اللهُ وأراده لهم فلا راد لقضائه ضرراً أو نفعاً؛ وقيل: لا يَعْلَمُونَ إِلْهَامَ اَللَّهِ لِأَصْفِيَائِهِ] {68} وَلَمَّا دَخَلُوا (أي: وَلَمَّا دَخَل إخوةُ يوسف) عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ (أي: ضَمَّ يوسفُ إليه شقيقَه بنيامين وقرَّبه مِنه؛ أو: اختلى به في منزله[5749] بحجة أن بنيامين هو الوحيد فيهم الذي ليس له أخٌ شقيقٌ)ۖ قَالَ [يوسفُ لبنيامين سراً] إِنِّي أَنَا [يوسف] أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (أي: لا تحزن ولا تغتم بما صنعوه بي وبك فيما مضى) [وأمر يوسفُ بنيامينَ بكتمان ذلك السر[5750]] {69} فَلَمَّا جَهَّزَهُم [يوسفُ] بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ

(أي: أمر يوسفُ واحداً مِن غلمانه أن يدس إناءَ الشرب في متاع شقيقه بنيامين بدون أن يَشعُرَ أحدٌ) ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ (أي: نادَى مُنادٍ وقال بصوتٍ مرتفع) أَيَّتُهَا الْعِيرُ (أي: يا أصحاب هذه القافلة المحمَّلة بالطعام) [قِفوا] إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ[5751] {70} قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم (الصواب: أَقْبَل إخوةُ يوسف عَلَيْهِم وَقَالُوا) مَّاذَا تَفْقِدُونَ {71} قَالُوا (أي: قال المؤذِّنُ وأعوانه) نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ (أي: الصَّاعَ أو المكيالَ الذي يكتال به ويُكال للناس طعامُهم به! والصواب: الإناءَ الذي يشرب فيه العزيزُ[5752]) وَلِمَن جَاءَ بِهِ [مكافأة] حِمْلُ بَعِيرٍ [مِن الغِلالِ] وَأَنَا (أي: المؤذِّنُ) بِهِ زَعِيمٌ (أي: ضامِنٌ وكَفِيلٌ بهذه الجائزة لمن يُحْضِر الإناءَ المسروق أو يدلنا على سارقه) {72} قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (أي: مَا سَرَقْنَا قَطُّ، فليس مِن أخلاقنا أن نسرق وأنتم تعلمون ذلك) {73} قَالُوا (أي: قال المؤذِّنُ وأعوانه لإخوة يوسف) فَمَا جَزَاؤُهُ (أي: ما عقوبة السارق في دينكم؟) إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ [في إنكاركم السرقة] {74} قَالُوا (أي: قال إخوةُ يوسف) جَزَاؤُهُ [في شريعتنا] مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ (أي: يُسَلَّم السارقُ بسرقته ليكون عبداً رقيقاً عند مَن سرقه؛ يُسْتَرَقُّ السارقُ وَيُسْتَعْبَدُ، قيل لمدة سنة) ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {75} فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ (أي: فَتَّشَ يوسفُ – أو أحدُ عماله بأمرٍ منه – أمتعة العشرة الكبار أولاً) قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ [بنيامين] ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ (أي: دَبَّرنا لصالِحِه تدبيراً دقيقاً خَفِياً، فألهمناه هذه الحيلة الماكرة أو أوحينا إليه أن يفعلها ويسَّرناها له حتى يأخذ بنيامينَ منهم!) ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ (أي: ليس في القانون المصري أن يُتَمَلَّكَ السارقُ، ولذلك اقتضى التدبيرُ الإلهي أن يحتكموا إلى دين الله - أي: شريعة آل يعقوب - القاضيةِ برقِّ السارق!) ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ {76} قَالُوا (أي: قال إخوةُ يوسف العشرة الكبار أبناء لَيْئَة وزِلْفَة وبِلْهَة) إِن يَسْرِقْ [بنيامينُ] فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ (يقصدون: يوسف نفسه!) ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ (أي: سمع هذه الإهانات والاتهامات الباطلة له ولبنيامين بالسرقة، لكنه كظم غيظه واكتتمها) وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ (أي: ولم يُظهِرْ لهم شيئاً مِن تأثره بها؛ ولم يُجبهم عنها بِقولٍ أو فِعلٍ) ۚ قَالَ (أي: حدَّث يوسفُ نفسَه سراً) أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا (أي: إنكم أسوأ منزلةً في السرقة حين سرقتموني مِن أبي وشقيقي[5753]) ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ [مِن الكذب والافتراء] {77} قَالُوا (أي: قال إخوةُ يوسف له محاولين استعطافه) يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ (أي: لبنيامين) أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا (أي: كبيراً في السن؛ و/أو: عظيماً في المقام) [يحب بنيامينَ حُبًّا جَمًّا ولا يطيق بُعده، لكنه يطيق بُعد أحدنا] فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ (أي: عبداً بَدَلَ بنيامين؛ وهذا اعتراف صريح مِنهم بأن يعقوب يحب بنيامينَ أكثر مِنهم) ۖ إِنَّا نَرَاكَ [يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ] مِنَ الْمُحْسِنِينَ {78} قَالَ [يوسفُ] مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ [فلو فعلنا ما تطلبون وأخذنا غيره] إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ[5754] {79} فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ (أي: يئسوا يأساً تاماً مِنْ تَخْلِيصِ أَخِيهِمْ بِنْيَامِينَ الَّذِي قَدِ الْتَزَمُوا لِأَبِيهِمْ بِرَدِّهِ إِلَيْهِ وَعَاهَدُوهُ عَلَى ذَٰلِكَ) خَلَصُوا نَجِيًّا[5755] (أي: اختلوا بأنفسهم وانفردوا عن الناس وأخذوا يتشاورون فيما بينهم متناجين سراً) ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ (إذا كان المراد كبيرهم سناً فإنه رأوبين أو شمعون؛ أما إذا كان المراد كبيرهم عقلاً أو مقاماً – مثلاً: رئيس الرحلة – فإنه يهوذا أو لاوي[5756]) أَلَمْ تَعْلَمُوا (أي: ألا تذكروا) أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ (أي: عهداً مُؤَكَّداً بالقَسَمِ وبالأيمان المغلّظة لَنَرُدُّنَّ بنيامين إليه إلا أن نُغْلَب جميعاً) وَمِن قَبْلُ [أَلَمْ تَعْلَمُوا] مَا فَرَّطتُمْ

فِي يُوسُفَ (أي: هل نسيتم تقصيرنا في حفظ يوسف؟)ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ (أي: سأظل في مصر ولن أخرج منها أبداً) حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي [وهو راضٍ عني أن أخرج بدون بنيامين] أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي [أن أخرج ومعي بنيامين أو أموت أَوْ أَعْجز فَأَنْصَرفُ بِعُذْرٍ]ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ[5757] {80} [ثم واصل كَبِيرُهُمْ حديثه معهم فقال] ارْجِعُوا [أنتم وحدكم] إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ [بنيامين] سَرَقَ [فاستُعبِد بحسب شريعتنا] وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا [فلقد رأينا بأعيننا الإناءَ يخرج مِن أمتعة بنيامين، ونحن نشهد حسب الظاهر أمامنا] وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (أي: حين عاهدناك على ردِّ بنيامين لم نكن نعلم أنه سيَسرق ويُحتجَز أسيراً في مصر ويُمنَع مِن مغادرتها؛ أو: حين سُئلنا عن حُكم السرقة في شريعتنا لم نكن نعلم أنه سيُطبق على بنيامين؛ أو: إذا كانت التهمة ملفقة فإنها لُفقت لبنيامين في غيابنا فنحن لا نعلم مَن دس الإناءَ المسروق في أمتعته) {81} وَ[إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا نقول] اسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا (أي: أرسِلْ إلى مصر مَن يأتيك بشهادة أهل المدينة؛ أو: شهادة أهل الموقع الذي حدث فيه التفتيش) وَالْعِيرَ (أي: واسأل أيضاً رفاقنا مِن أهل كنعان في القافلة) الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا [فَقَدْ عَلِمُوا مَا عَلِمْنَا وَشَهِدُوا مَا شَهِدْنَا]ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ [منتهى الصدق] {82}.

عودة إخوة يوسف مِن مصر إلى كنعان. بدون بنيامين وأخيهم "الكبير"[5758]**:** [ولمَّا أخبَروا يعقوبَ كما وصَّاهم أخوهم الكبير، لم يُصدِّقهم يعقوبُ واتهَمَهُمْ] قَالَ [لهم] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا (أي: مكيدةً أخرى دبَّرتموها كما فعلتم مِن قبل مع يوسف؛ قيل: زعمتم أن بنيامين سَرَق وما سَرَق؛ أو: أخبرتم العزيزَ أن لكم أخاً ولقَّنتم عُمَّالَه شريعتنا التي تَحكُم بأخذ السارق رقيقاً عند مَن سرقه)ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ [لا جزع فيه ولا شكوى إلا لله وحده]ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا (أي: يوسف وبنيامين وكبير إخوتهما)ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ [بحالي] الْحَكِيمُ [فِي أَفْعَالِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ] {83} وَتَوَلَّىٰ (أي: أعرض يعقوبُ) عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ [بذهاب سوادهما فضَعُفَ نظرُه أو فَقَدَ بصرَه] مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (أي: يكتم غيظَه ويحبس حزنَه في نفسه لَا يَشْكُو أَمْرَهُ إِلَى مَخْلُوقٍ) {84} قَالُوا [لأبيهم يعقوب] تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ (أي: لا تزال تردد ذِكر يوسف بالذات ويشتدُّ حزنُك عليه) حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا (أي: مريضاً مرضاً مُشْرِفاً بك على الموت) أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (أي: مِنَ الْمَيِّتِينَ فعلاً) {85} قَالَ [يعقوبُ لهم: ما شكوتُ إليكم] إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي (أي: غَمِّي وهَمِّي الذي لا يمكن كتمانه) وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ [وحده] وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ (أي: مِن رحمة اللَّهِ؛ مِن فضل الله) مَا لَا تَعْلَمُونَ (أي: أَعْلَمُ أن يوسف حي وأنني سألقاه بإذن الله؛ أَعْلَمُ أَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ صَادِقَةٌ وَأَنِّي سَوْفَ أَسْجُدُ لَهُ) {86} يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا [مرة ثالثة إلى مصر وانضموا إلى أخيكم الكبير] فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ [بنيامين] (أي: استقصوا أخبارهما وابحثوا عنهما مستخدمين كل حواسكم) وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ (أي: رحمة الله؛ فَرَجِ الله)ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ {87}.

فنلاحظ هنا أن يعقوب قال: "يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ" (يوسف 87)! كيف عرف يعقوبُ أن يوسف مع أخيه بنيامين في مصر؟! قد نقتنع أن حنان الأبوة جعل الأب يعقوب يعيش على أمل أن يرى ابنَه يوسف مرة أخرى، لكن كيف عرف يعقوبُ أن يوسف في مصر تحديداً؟! إنْ قلتم إن يعقوب نبي

يُوحَى إليه مِن الله، بدليل أن يعقوب قال قبلها: "وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (يوسف 86). فسنقول: لا يمكن أن نقتنع بهذا الأسلوب الذي يختبئ دائماً وراء الله! والقرآن نفسه لم يذكر أن الله أخبر يعقوبَ أن يوسف مع أخيه في مصر تحديداً! ثم إن جملة "وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" جملة إسلامية/عربية دخيلة مِن تأليف أصحاب القرآن، بدليل أنهم استخدموها في موضعٍ آخر من القرآن ليس له أية علاقة بقصة يوسف: "[قال نوحُ لقومه] أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (الأعراف 62).

إذن: يظل سؤالنا قائماً يبحث عن إجابة مقنعة. أما عبارة "وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (يوسف 86) فيُعتقد أنها أُضِيفتْ لاحقاً للتأكيد على نبوة يعقوب[5759]. إلا أنها إضافة غير موفقة، فلو كان يعقوبُ نبياً يتلقى الوحي من الله، فلماذا لم يخبره اللهُ أن أبناءه كانوا فعلاً صادقين فيما شهدوا به - حسب الظاهر أمامهم - عن ما حدث لهم في مصر (يوسف 81-82)؟ فنحن نرى يعقوبَ "النبي" يتهم أبناءه بلا أي دليل "قَالَ [لهم] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا" (يوسف 83) مع أن كل ما حدث كان خارجاً عن إرادتهم. فهل أخبر اللهُ يعقوبَ أن يوسف في مصر ولم يخبره أن أبناءه أبرياء مِن هذا الاتهام الظالم؟! هل هذا معقول؟!

نعتقد أن أصحاب القرآن قد فشلوا فشلاً ذريعاً في كتابة رحلة إخوة يوسف الثانية سواء في الذهاب أو في الإياب. مِن "أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" (يوسف 67) مروراً بـ "جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ" (يوسف 70) ووصولاً إلى "فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ" (يوسف 87)، توجد مشكلات قرآنية كثيرة سنناقشها بالتفصيل لاحقاً.

رحلة إخوة يوسف الثالثة مِن كنعان إلى مصر[5760]: فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ (أي: فَلَمَّا دَخَل إخوةُ يوسف التسعة على يوسف) قَالُوا [له بخضوعٍ وانكسار وضعف وبكاء] يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ (أي: أصابنا القَحْطُ والجَدْبُ والجوع وما يتبعهم من ضر الأجسام والنفوس) وَجِئْنَا [نطلبُ غَلَّةً] بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ (أي: بثمنٍ قليلٍ و/أو رَدِيءٍ يستحق أن يُرفَض لرَداءَته، لكننا طامعون في كرمك) فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ[5761] وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا (أي: إذا كانت بضاعتنا البائرة أقل مِن الْكَيْل الوافي، فليكن الباقي صدقةً منك عَلَيْنَا؛ وقيل: تَصَدَّقْ عَلَيْنَا بعتق أخينا[5762]!) ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ[5763] {88} [فَرَقَّ يوسفُ لحالهم و] قَالَ [لهم] هَلْ عَلِمْتُم (أي: هل تَذْكُرون) مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (أي: حين عملتم السُّوءَ بِجَهَالَةٍ؛ حين لم تعلموا عاقبةَ أفعالكم القبيحة؛ كنتم شباباً مندفعون بجهلٍ وطَيْشٍ أنساكم الرحمة والأخوَّة) {89} قَالُوا [له] أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ [لهم: نعم] أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي [بنيامين] ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا [بالسلامة مِن المهالك وجَمَعَ بيننا بعد الفراق الطويل] ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {90} قَالُوا [في ذلةٍ] تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا (أي: اختارَكَ وفَضَّلَكَ عَلَيْنَا[5764]) وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (أي: آثمين مذنبين معتدين؛ مُتعَمِّدين الخطيئة) {91} قَالَ [يوسفُ لهم متلطفاً بهم بعد أن اعترفوا وأقروا بذنبهم] لَا تَثْرِيبَ (أي: لا تأنيبَ؛ لا تعييرَ؛ لا لَوْمَ؛ لا توبيخَ) عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ [فلقد صَفَحتُ عن زلَّتكم] ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [لمَن تاب وأناب] {92} اذْهَبُوا [يا إخوتي] بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا (أي: يرتد إليه بصره أو تعود إليه قوة إبصاره)[5765] وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (أي: كل مَنْ يَمُتُّ بصلة قرابة لكم مِن أي جهة – قيل: حتى خدمكم

وعبيدكم! – فائتوا بهم جميعاً مِن كنعان ليعيشوا معي في مصر! يعني: تحولت مصر إلى مستوطنة إسرائيلية!)[5766] {93}.

عودة إخوة يوسف مِن مصر إلى كنعان. ومعهم قميص يوسف: وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ (أي: لَمَّا تجاوزت قافلتهم أرضَ مصر في طريقهم إلى كنعان ومعهم قميص يوسف) قَالَ أَبُوهُمْ [لِمَن حوله وقتئذٍ[5767]] إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ (أي: لأَشَمُّ رائحةَ يوسف)ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ (أي: لولا أن تَنْسِبُونِي إلى الخَرَف والهرم وضعف العقل لصدقتموني؛ أو: لولا خوفي مِن أن تُسَفِّهُونِي وتسخروا مني لقلتُ لكم إنه قادمٌ إلينا) {94} قَالُوا (أي: قال الحاضرون ليعقوب) تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ [مِن فرط محبتك ليوسف واعتقادك أنه حيٌّ يُرزَق وأنك ستلقاه] {95} [ثم وصل إخوةُ يوسف] فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ [يُبشِّر يعقوبَ بأن يوسف حيٌّ] أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ (أي: طرح قميصَ يوسف على عَيْنَيْ يعقوب) فَارْتَدَّ [يعقوبُ] بَصِيرًاۖ قَالَ [يعقوبُ] أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ (أي: مِن رَّوْحِ اللَّهِ؛ مِن رحمة الله) مَا لَا تَعْلَمُونَ (أي: أَعْلَمُ أن يوسف حي وأنني سألقاه بإذن الله) {96} قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (أي: آثمين مذنبين معتدين؛ مُتعَمِّدين الخطيئة) [ولقد تُبنا وأنبنا] {97} قَالَ [يعقوبُ لهم] سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [لِمَنْ يُحسِنُ التوبةَ] {98}.

رحلة إخوة يوسف الرابعة والأخيرة مِن كنعان إلى مصر. هاجروا إلى مصر ومعهم إسرائيل (يعقوب) وكل أهلهم! فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ (أي: ضمَّ يوسفُ) إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ (أي: عِيشوا واستقروا في مصر وتمتعوا بخيراتها الوفيرة!) إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ [مِن الجوع والهلاك] {99} وَرَفَعَ [يوسفُ] أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ (أي: على سرير مُلْكه بجانبه إكراماً لهما واحتفاءً بهما) وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا (أي: حيَّاه أبواه وإخوته الأحد عشر بوضع جِباههم على الأرض أمامه تحيةً وتكريماً! وقيل: لم يكن سجوداً وإنما انحناء بسيط أو إيماء بالرأس! وأجمعوا على أنه ليس سجود عبادة ولا تقديس؛ وقيل: بل سجدوا لله أو كان يوسفُ مجرد قِبْلَة لهم!)ۖ وَقَالَ [يوسفُ لأبيه] يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ[5768] قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا (أي: حقيقةً واقِعَةً)ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي [وأفاض عليَّ وعليكم مِن نعمه] إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ [إلى الْمُلْكِ] وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ (أي: مِن البادية وشَظَفِ العيش إلى مصر بلد الحضارة ورغد العيش) مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ (أي: أفسد الشيطانُ رابطةَ الأُخوَّة) بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ (subtle) لِّمَا يَشَاءُ (أي: لطيفُ التدبير؛ المُدَبِّرُ للأمور بِدِقَّةٍ ويُسر؛ إِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا قَيَّضَ لَهُ أَسْبَابًا وَقَدَّرَهُ وَيَسَّرَهُ)ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ {100}.

دعاء يوسف (صلاة يوسف): [ثم دعا يوسفُ ربَّه قائلاً] رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[5769] أَنتَ وَلِيِّي (أي: مالِك أموري كلها؛ مُتَوَلِّي جميع شأني؛ ناصري) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا[5770] (أي: اجعلني مؤمناً موحداً منقاداً لك طيلة حياتي) وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ {101}.

وهكذا انتهت الأسطورةُ القرآنية بما بدأت به (circular, cyclical narrative) ...

بدأت برؤيا يوسف (يوسف 4). وانتهت بتحقق هذه الرؤيا (يوسف 100)!

بدأت بيوسف يقول لأبيه "يَا أَبَتِ" (يوسف 4). وانتهت بيوسف يقول لأبيه "يَا أَبَتِ" (يوسف 100)!

بدأت بذِكر عداوة الشيطان للإنسان "إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (يوسف 5). وانتهت بتوضيح هذه العداوة: الشيطان يفسد العلاقات بين الناس، حتى بين الإخوة. "نَّزَغَ الشَّيْطَانُ (أي: أفسد الشيطانُ) بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي" (يوسف 100).

بدأت بذِكر "تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (يوسف 6)، أو بالأحرى "وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (يوسف 6). وانتهت بذِكر "تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (يوسف 101)، أو بالأحرى "وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (يوسف 101)!

بدأت بالتنبؤ بإتمام نعمة الله على يوسف "وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ" (يوسف 6). وانتهت بذِكر مظاهر تلك النعمة، وأولها خروج يوسف من السجن (نقطة التحول في حياة يوسف) "وَقَدْ أَحْسَنَ [اللهُ] بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ" (يوسف 100) ثم صعوده إلى السلطة "رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ" (يوسف 101)[5771].

بدأت بذِكر "آلِ يَعْقُوبَ" (يوسف 6). وانتهت بذِكرهم أيضاً "جَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ" (يوسف 100)[5772].

بدأت بذِكر آباء يوسف: الأنبياء يَعْقُوب وإِسْحَاق وإِبْرَاهِيم (يوسف 6). وانتهت بدعاء يوسف أن يلحقه الله "بِالصَّالِحِينَ" (يوسف 101) ومِنهم – حسب الإسلام – آباؤه الأنبياء يَعْقُوب وإِسْحَاق وإِبْرَاهِيم!

بدأت بذِكر الله "إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (يوسف 6). وانتهت بذِكر الله "الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (يوسف 100).

إذن: كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن أصحاب القرآن قد تعمدوا أن يكون هناك سرد دائري (أو: انكفاء Chiasmus)[5773] في قصة يوسف القرآنية. فهذا السرد الدائري يعطي للقصة جمالاً أدبياً واضحاً.

إنها بالفعل أسطورة قرآنية بديعة شكلاً وموضوعاً. وأجمل ما فيها العبارات العربية/الإسلامية التي جاءت في نهايات الآيات تعليقاً على أحداث الأسطورة. مثلاً: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (يوسف 5)، "إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (يوسف 6)، "وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ" (يوسف 18)، "وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ" (يوسف 19)، "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 21)، "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (يوسف 23)، "إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (يوسف 34)، "اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (يوسف 39)، "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 40)، "وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ" (يوسف 52)، "إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (يوسف 53)، "نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 56)، "وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" (يوسف 57)، "فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[5774]" (يوسف 64)، "اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" (يوسف 66)، "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" (يوسف 67)، "نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" (يوسف 76)، "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ" (يوسف 77)، "وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ" (يوسف 80)، "إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (يوسف 83)، "وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" (يوسف 87)، "إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ" (يوسف 88)، "إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ[5775]" (يوسف 90)،

"وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 92)، "إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (يوسف 98)، "ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ[5776]" (يوسف 99)، "إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (يوسف 100)، "وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (يوسف 109).

ومعظم تلك العبارات جاءت على لسان "الراوي" (الله حسب العقيدة الإسلامية) أو على لسان "النبي" (يعقوب أو يوسف) الذي يلعب هنا دور "الشخصية البديلة" (alter ego) للمؤلف (محمد وأصحابه). فلقد كان أصحابُ القرآن يقولون تلك العبارات الإسلامية/العربية في مجتمعهم المكي، ولذلك وضعوها على لسان الله ويعقوب ويوسف، بل وضعوها على ألسنة أنبياء آخرين في القرآن! مثلاً: "قَالَ [يعقوبُ] [...] فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 64)؛ "قَالَ [يوسفُ لإخوته] لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 92). لكننا نجد في قصة موسى القرآنية: "قَالَ [موسى] رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأعراف 151)؛ وكذلك في قصة أيوب القرآنية: "وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأنبياء 83)[5777].

وكالعادة، حين نقول إن تلك العبارات "إسلامية/عربية" فإننا لا نعني بالضرورة أن أصحاب القرآن هُمْ الذين اخترعوها وابتكروها وقالوها قبل غيرهم، وإنما نعني فقط أنها كانت معروفة ومنتشرة في الشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي فأدخلها أصحابُ القرآن على قصة يوسف التوراتية الأصلية واستخدموها أيضاً في آيات قرآنية أخرى ليس لها أية علاقة بالقصة التوراتية الأصلية. وقد تكون تلك العبارات الإسلامية/العربية مستوحاة من التراث اليهودي المتأخر و/أو التراث المسيحي. وهي بالفعل كذلك. مثلاً: قال يوسفُ "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" (يوسف 40) وقال يعقوبُ "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" (يوسف 67) وقال أخو يوسف "وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ" (يوسف 80). كلها جمل إسلامية/عربية (stock phrases) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموها في آية أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بقصة يوسف التوراتية الأصلية: "قُلْ [يا محمد] [...] إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ [...] وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (أي: الحاكمين)" (الأنعام 57)! لكن عبارة "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" (يوسف 40، 67) (الأنعام 57) مستوحاة – بل تكاد تكون منقولة – مِن رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: "ليس سُلطانٌ إلا مِنَ اللهِ" (رومية 13:1)[5778]! ولا يهم إنْ كان أصحاب القرآن قد أخذوها بقصد أو بدون قصد، عن طريق مباشر أو غير مباشر؛ وإنما المهم أن تسللت بطريقةٍ أو بأخرى مِن التراث اليهودي/المسيحي إلى القرآن. فحين نقول إن أصحاب القرآن "ألَّفوا" تلك العبارات، لا نعني أنهم هُمْ الذين اخترعوها وابتكروها وقالوها قبل غيرهم، وإنما نعني فقط أنهم استوحوها مِن مُجمل التراث اليهودي/المسيحي، أو طوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً مِن مُجمل التراث اليهودي/المسيحي.

إنها إذن عملية أسلمة وتعريب مكتملة الأركان للتراث اليهودي/المسيحي؛ والهدف منها هو كما قلنا فيما سبق: حين يجعل أصحابُ القرآن كلامَ الأنبياء والرسل السابقين مشابهاً لكلام محمد، سيسهل على المستمع (أو القارئ) تصديق أن محمد نبي ورسول مثلهم[5779].

وأهمية تلك العبارات الإسلامية/العربية ترجع إلى ثلاثة أسباب:

- أولاً: إنها تركز على صفات الله (theocentric)؛ مثلاً: غفور، رحيم، عليم، حكيم، لطيف ... الخ. لكنها في الوقت نفسه تركز على صفات الإنسان الذي يبتغي رضا الله (anthropocentric)[5780]؛ مثلاً: "ذُو عِلْمٍ" (يوسف 68، 76)، مُتَوَكِّل، مُحْسِن، تقي، صابر "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ"[5781] (يوسف 18، 83)، مُتَصَدِّق ... الخ.

- ثانياً: صحيح أن كل هذه العبارات جاءت تعليقاً على أحداث قصة يوسف القرآنية؛ ولذلك لا نجد مثلاً أن "الله هو المنتقم الجبار"، لأن هدف يوسف لم يكن أبداً الانتقام ممن ظلموه. لكنها في الوقت نفسه عبارات عامة (universal) ومجردة (abstract)، فيمكن بسهولة انتزاعها من قصة يوسف القرآنية وتطبيقها في مواقف أخرى مشابهة مِن حياة أي إنسان.

- ثالثاً: هذه العبارات تثبت أن الهدف الرئيسي لقصة يوسف القرآنية هدف وعظي دعوي تربوي تعليمي وليس تأريخي. ولا غرابة في ذلك، فإنه يتفق مع ما يقوله المسلمون أنفسهم عن القرآن إن هدفه العظة والعبرة. بل إنه يتفق مع وجود جذور لقصة يوسف القرآنية في العظات المسيحية السريانية كما رأينا وسنرى أكثر بعد قليل.

وأهم عبارة في رأينا هي "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" (يوسف 21) التي لم تُذكر في القرآن كله إلا في سورة يوسف[5782]. وللقرطبي رأي مهم في هذه الآية التي تنفرد بها سورة يوسف. يقول القرطبي: "وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" حَيْثُ أَمَرَهُ يَعْقُوبُ أَلَّا يَقُصَّ رُؤْيَاهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَغَلَبَ أَمْرُ اللَّهِ حَتَّى قَصَّ. ثُمَّ أَرَادَ إِخْوَتُهُ قَتْلَهُ، فَغَلَبَ أَمْرُ اللَّهِ حَتَّى صَارَ مَلِكًا وَسَجَدُوا بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ أَرَادَ الْإِخْوَةُ أَنْ يَخْلُوَ لَهُمْ وَجْهُ أَبِيهِمْ، فَغَلَبَ أَمْرُ اللَّهِ حَتَّى ضَاقَ عَلَيْهِمْ قَلْبُ أَبِيهِمْ، وَافْتَكَرَهُ بَعْدَ سَبْعِينَ سَنَةً أَوْ ثَمَانِينَ سَنَةً، فَقَالَ: "يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ" (يوسف 84). ثُمَّ تَدَبَّرُوا أَنْ يَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ، أَيْ: تَائِبِينَ، فَغَلَبَ أَمْرُ اللَّهِ حَتَّى نَسُوا الذَّنْبَ وَأَصَرُّوا عَلَيْهِ حَتَّى أَقَرُّوا بَيْنَ يَدَيْ يُوسُفَ فِي آخِرِ الْأَمْرِ بَعْدَ سَبْعِينَ سَنَةً، وَقَالُوا لِأَبِيهِمْ: "إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ" (يوسف 97). ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَخْدَعُوا أَبَاهُمْ بِالْبُكَاءِ وَالْقَمِيصِ، فَغَلَبَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَمْ يَنْخَدِعْ، وَقَالَ: "بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا" (يوسف 18). ثُمَّ احْتَالُوا فِي أَنْ تَزُولَ مَحَبَّتُهُ مِنْ قَلْبِ أَبِيهِمْ، فَغَلَبَ أَمْرُ اللَّهِ فَازْدَادَتِ الْمَحَبَّةُ وَالشَّوْقُ فِي قَلْبِهِ. ثُمَّ دَبَّرَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ أَنَّهَا إِنِ ابْتَدَرَتْهُ (أي: سبقته) بِالْكَلَامِ غَلَبَتْهُ، فَغَلَبَ أَمْرُ اللَّهِ حَتَّى قَالَ الْعَزِيزُ: "اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" (يوسف 29). ثُمَّ دَبَّرَ يُوسُفُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ السِّجْنِ بِذِكْرِ السَّاقِي، فَغَلَبَ أَمْرُ اللَّهِ فَنَسِيَ السَّاقِي، وَلَبِثَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ"[5783].

نعم. تلك العبارات القرآنية – وأهمها "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" (يوسف 21) – هي "الحقيقة" التي في قصة يوسف، وليست القصة نفسها. القصة نفسها مجرد أسطورة شرقية.

وكالعادة، هذه الأسطورة القرآنية البديعة هي في الواقع مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي/المسيحي، سواء التراث المقدس أو التراث غير المقدس. وكالعادة، نبدأ أولاً بالتراث المقدس ...

4.24.1 مصادر القرآن من التوراة

رحلة إخوة يوسف الأولى مِن كنعان إلى مصر. بدون بنيامين. (التكوين 42): {1} فَلَمَّا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ، قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: «لِمَاذَا تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ؟» {2} وَقَالَ «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ. انْزِلُوا إِلَى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هُنَاكَ لِنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ». {3} فَنَزَلَ عَشَرَةٌ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِيَشْتَرُوا قَمْحًا مِنْ مِصْرَ. {4} وَأَمَّا بَنْيَامِينُ أَخُو يُوسُفَ [الأصغر] فَلَمْ يُرْسِلْهُ يَعْقُوبُ مَعَ إِخْوَتِهِ، لأَنَّهُ قَالَ: «لَعَلَّهُ تُصِيبُهُ أَذِيَّةٌ [مثل أخيه يوسف]». {5} فَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ [إلى مصر] لِيَشْتَرُوا [طَعَامًا] بَيْنَ الَّذِينَ أَتَوْا (أي: في جُمْلَةِ القادمين من البلاد المحيطة بمصر)، لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ **[⟵ "مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ" (يوسف 88)]**. {6} وَكَانَ يُوسُفُ هُوَ الْمُسَلَّطَ عَلَى الأَرْضِ، وَهُوَ الْبَائِعَ لِكُلِّ شَعْبِ الأَرْضِ. فَأَتَى إِخْوَةُ يُوسُفَ وَسَجَدُوا لَهُ بِوُجُوهِهِمْ إِلَى الأَرْضِ[5784][5785] **[⟵ "وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ" (يوسف 58)؛ "خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا" (يوسف 100)]**. {7} وَلَمَّا نَظَرَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ عَرَفَهُمْ **[⟵ "فَعَرَفَهُمْ [يوسفُ]" (يوسف 58)]**، فَتَنَكَّرَ لَهُمْ (أي: تظاهر بعدم معرفتهم) وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ بِجَفَاءٍ (أي: كغريبٍ عنهم)، وَقَالَ لَهُمْ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟» فَقَالُوا: «مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ لِنَشْتَرِيَ طَعَامًا». {8} وَعَرَفَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ، وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ[5786] [لتغيُّر هيئة يوسف بعد مرور أكثر من 20 سنة] **[⟵ "فَعَرَفَهُمْ [يوسفُ] وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (أي: لم يعرفوه)" (يوسف 58)]**. {9} فَتَذَكَّرَ يُوسُفُ الأَحْلاَمَ الَّتِي حَلُمَ عَنْهُمْ **[⟵ "هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ[5787] قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا" (يوسف 100)]** [وأراد يوسفُ أن يستجوبهم ويستدرجهم في الكلام حتى يطمئن على أبيه يعقوب وشقيقه بنيامين اللذين لم يأتيا معهم]، وَقَالَ لَهُمْ: «جَوَاسِيسُ أَنْتُمْ! لِتَرَوْا عَوْرَةَ الأَرْضِ جِئْتُمْ (أي: لاكتشاف ثُغُورنا غير المَحْمِيَّة مِن أجل تبليغها لأعدائنا فيهاجموننا مِن خلالها)» {10} فَقَالُوا لَهُ: «لاَ يَا سَيِّدِي، بَلْ عَبِيدُكَ جَاءُوا لِيَشْتَرُوا طَعَامًا. {11} نَحْنُ جَمِيعُنَا بَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ. نَحْنُ أُمَنَاءُ، لَيْسَ عَبِيدُكَ جَوَاسِيسَ». {12} فَقَالَ لَهُمْ: «كَلاَّ! بَلْ لِتَرَوْا عَوْرَةَ الأَرْضِ جِئْتُمْ [أما شراء الطعام فهو مجرد ذريعة]». {13} فَقَالُوا: «عَبِيدُكَ اثْنَا عَشَرَ أَخًا. نَحْنُ بَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَهُوَذَا الصَّغِيرُ (يقصدون: بنيامين) عِنْدَ أَبِينَا الْيَوْمَ، وَالْوَاحِدُ (يقصدون: يوسف) مَفْقُودٌ». [وهكذا اطمأن يوسفُ على سلامة يعقوب وبنيامين، فأراد أن يرى شقيقه بنيامين] {14} فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: «ذلِكَ مَا كَلَّمْتُكُمْ بِهِ قَائِلاً: جَوَاسِيسُ أَنْتُمْ! {15} بِهذَا تُمْتَحَنُونَ. وَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ لاَ تَخْرُجُونَ مِنْ هُنَا إِلاَّ بِمَجِيءِ أَخِيكُمُ الصَّغِيرِ (أي: بنيامين) إِلَى هُنَا **[⟵ "قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ" (يوسف 59)]**. {16} أَرْسِلُوا مِنْكُمْ وَاحِدًا [إلى كنعان] لِيَجِيءَ بِأَخِيكُمْ، وَأَنْتُمْ (أي: التسعة الآخرون) تُحْبَسُونَ [في مصر]، فَيُمْتَحَنَ كَلاَمُكُمْ هَلْ عِنْدَكُمْ صِدْقٌ. وَإِلاَّ فَوَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ إِنَّكُمْ لَجَوَاسِيسُ!»[5788]. {17} فَجَمَعَهُمْ إِلَى حَبْسٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ [تضييقاً عليهم حتى يرغمهم على الموافقة؛ وقيل:

حتى يُدخلهم في نفس المحنة التي أدخلوه فيها حين سُجِنَ بسببهم بعد أن رموه في البئر وباعوه كعبدٍ؛ وقيل: حتى يقودهم إلى تذكُّر خطاياهم تجاهه ومِن ثم يقودهم إلى التوبة][5789]. {18} ثُمَّ قَالَ لَهُمْ يُوسُفُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ[اقتراحاً آخر أرحم]: «افْعَلُوا هذَا وَاحْيَوْا. أَنَا خَائِفُ اللهِ (أي: أَتَّقِي اللهَ) **[← "مَن يَتَّقِ" (يوسف 90)]**. {19} إِنْ كُنْتُمْ أُمَنَاءَ فَلْيُحْبَسْ أَخٌ وَاحِدٌ مِنْكُمْ [رَهِينَةً] فِي بَيْتِ حَبْسِكُمْ، وَانْطَلِقُوا أَنْتُمْ (أي: التسعة الآخرون) وَخُذُوا قَمْحًا لِمَجَاعَةِ بُيُوتِكُمْ **[← "جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ" (يوسف 59)]**. {20} وَأَحْضِرُوا أَخَاكُمُ الصَّغِيرَ إِلَيَّ **[← "قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ" (يوسف 59)]**، فَيَتَحَقَّقَ كَلاَمُكُمْ وَلاَ تَمُوتُوا (أي: فتثبتون صدقكم وأعطيكم قمحاً ينقذ حياتكم) **[← "فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ" (يوسف 60)]**». فَفَعَلُوا هكَذَا (أي: وافقوا على هذا الاقتراح الثاني فهو أقل وطأة مِن الاقتراح الأول) **[← "قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ" (يوسف 61)]**. {21} [وكل هذا حدث وإخوة يوسف لا يعرفونه، لكنهم بدأوا يتذكرون خطاياهم تجاهه] وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ **[← "خَلَصُوا نَجِيًّا (أي: تناجوا فيما بينهم)" (يوسف 80)]** [بِلغتهم؛ قيل: بالعبرانية[5790]!]: «حَقًّا إِنَّنَا مُذْنِبُونَ إِلَى أَخِينَا **[← "فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ" (يوسف 80)]** الَّذِي رَأَيْنَا ضِيقَةَ نَفْسِهِ لَمَّا اسْتَرْحَمَنَا وَلَمْ نَسْمَعْ. لِذلِكَ جَاءَتْ عَلَيْنَا هذِهِ الضِّيقَةُ [عقاباً لنا على ما فعلناه بيوسف]». {22} فَأَجَابَهُمْ رَأُوبَيْنُ **[← "قَالَ كَبِيرُهُمْ [سناً]" (يوسف 80)]** قَائِلاً: «أَلَمْ أُكَلِّمْكُمْ قَائِلاً: لاَ تَأْثَمُوا بِالْوَلَدِ، وَأَنْتُمْ لَمْ تَسْمَعُوا؟ فَهُوَذَا دَمُهُ يُطْلَبُ». {23} وَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُوسُفَ فَاهِمٌ [حَدِيثَهُم]؛ لأَنَّ التُّرْجُمَانَ كَانَ بَيْنَهُمْ (أي: لأنهم يجهلون شخصية يوسف، ظنوا أنه مصري يتكلم اللغة المصرية القديمة فقط، لكنه في الواقع سمع حَدِيثَهُم بلغتهم وفهمه بدون مترجم وتأثر به لأنه يدل على أن ضمائرهم استيقظت فبدأوا يندمون ويتوبون). {24} فَتَحَوَّلَ [يوسفُ] عَنْهُمْ وَبَكَى، ثُمَّ [تظاهر بالحزم والشدة و] رَجَعَ إِلَيْهِمْ وَكَلَّمَهُمْ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ شِمْعُونَ [رَهِينَةً] وَقَيَّدَهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ[5791]. {25} ثُمَّ أَمَرَ يُوسُفُ أَنْ تُمْلأَ أَوْعِيَتُهُمْ قَمْحًا **[← "وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ [...] أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ" (يوسف 59)]**، وَتُرَدَّ فِضَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى عِدْلِهِ (أي: تُوضَع الفضةُ التي دفعها كل واحد ثمناً للقمح داخل كِيسِه/جواله بدون أن يشعر!)[5792] **[← "وَقَالَ [يوسفُ] لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" (يوسف 62)]**، وَأَنْ يُعْطَوْا زَادًا لِلطَّرِيقِ **[← "وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ [...] أَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (أي: أكرم المضيفين)" (يوسف 59)]**. فَفُعِلَ لَهُمْ هكَذَا. {26} فَحَمَلُوا قَمْحَهُمْ عَلَى حَمِيرِهِمْ وَمَضَوْا مِنْ هُنَاكَ.

عودة إخوة يوسف مِن مصر إلى كنعان. بدون شِمْعُون. (التكوين 42): {27} فَلَمَّا فَتَحَ أَحَدُهُمْ عِدْلَهُ لِيُعْطِيَ عَلِيقًا لِحِمَارِهِ فِي الْمَنْزِلِ (أي: في الخان؛ في مكان الإقامة على الطريق مِن مصر إلى كنعان)، رَأَى فِضَّتَهُ وَإِذَا هِيَ فِي فَمِ عِدْلِهِ. {28} فَقَالَ لإِخْوَتِهِ: «رُدَّتْ فِضَّتِي وَهَا هِيَ فِي عِدْلِي». فَطَارَتْ قُلُوبُهُمْ (أي: غَاصتْ قُلُوبُهُمْ؛ خانَتهُم قُلُوبُهُمْ؛ والمراد: خافوا) وَارْتَعَدُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ قَائِلِينَ: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعَهُ اللهُ بِنَا؟». {29} فَجَاءُوا إِلَى يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ **[← "رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ" (يوسف 63)]** إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَخْبَرُوهُ بِكُلِّ مَا أَصَابَهُمْ قَائِلِينَ: {30} «تَكَلَّمَ مَعَنَا الرَّجُلُ سَيِّدُ الأَرْضِ **[← "الْعَزِيزُ" (يوسف 78، 88)]** بِجَفَاءٍ، وَحَسِبَنَا جَوَاسِيسَ الأَرْضِ. {31} فَقُلْنَا لَهُ: نَحْنُ أُمَنَاءُ، لَسْنَا جَوَاسِيسَ. {32} نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ أَخًا بَنُو أَبِينَا.

الْوَاحِدُ مَفْقُودٌ وَالصَّغِيرُ الْيَوْمَ عِنْدَ أَبِينَا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. {33} فَقَالَ لَنَا الرَّجُلُ سَيِّدُ الأَرْضِ **[← "الْعَزِيزُ" (يوسف 78، 88)]**: بِهذَا أَعْرِفُ أَنَّكُمْ أُمَنَاءُ. دَعُوا أَخًا وَاحِدًا مِنْكُمْ عِنْدِي [رَهِينَةً]، وَخُذُوا [طعاماً] لِمَجَاعَةِ بُيُوتِكُمْ وَانْطَلِقُوا. {34} وَأَحْضِرُوا أَخَاكُمُ الصَّغِيرَ إِلَيَّ فَأَعْرِفَ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَوَاسِيسَ، بَلْ أَنَّكُمْ أُمَنَاءُ، فَأُعْطِيَكُمْ أَخَاكُمْ (أي: أطلق سراح شِمْعُون) وَتَتَّجِرُونَ (أي: تجولون بِحُرِيةٍ) فِي الأَرْضِ» **[← "قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ [إلا إذا كان معنا أخونا بنيامين] فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ" (يوسف 63)]**. {35} وَإِذْ كَانُوا يُفَرِّغُونَ عِدَالَهُمْ إِذَا صُرَّةُ فِضَّةِ كُلِّ وَاحِدٍ فِي عِدْلِهِ. فَلَمَّا رَأَوْا صُرَرَ فِضَّتِهِمْ هُمْ وَأَبُوهُمْ خَافُوا [أن يُتهموا بالسرقة] **[← جعلهم القرآنُ يفرحوا! "وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ (أي: صُرَر أموالهم) رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي [أكثر وأجمل مِن ذلك؟] ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا" (يوسف 65)]**. {36} فَقَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ: «أَعْدَمْتُمُونِي الأَوْلاَدَ. يُوسُفُ مَفْقُودٌ، وَشِمْعُونُ مَفْقُودٌ، وَبَنْيَامِينُ تَأْخُذُونَهُ. صَارَ كُلُّ هذَا عَلَيَّ» **[← "قَالَ [لَهُمْ يَعْقُوبُ] هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ (أي: كيف آمَنُكُم على بنيامين؟! وقد ائتمنتكم عَلَىٰ يوسفَ مِن قَبْلُ والتزمتم بحفظه لكن لم تفوا بذلك)" (يوسف 64)؛ "عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا" (يوسف 83)]**. {37} وَكَلَّمَ رَأُوبَيْنُ أَبَاهُ قَائِلاً: «اقْتُلِ ابْنَيَّ إِنْ لَمْ أَجِئْ بِهِ (أي: إِنْ لَمْ أرجع ببنيامين) إِلَيْكَ. سَلِّمْهُ بِيَدِي وَأَنَا أَرُدُّهُ إِلَيْكَ». {38} فَقَالَ [يعقوبُ]: «لاَ يَنْزِلُ [بنيامينُ] ابْنِي مَعَكُمْ، لأَنَّ أَخَاهُ (يقصد: يوسف) قَدْ مَاتَ، وَهُوَ (أي: بنيامين) وَحْدَهُ بَاق [مِن راحيل أمهما]. فَإِنْ أَصَابَتْهُ أَذِيَّةٌ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي تَذْهَبُونَ فِيهَا تُنْزِلُونَ شَيْبَتِي بِحُزْنٍ إِلَى الْهَاوِيَةِ (يقصد: أموت)»[5793].

بعد فشل محاولة رَأُوبَيْن، ينجح يهوذا في أن يقنع يعقوب أن يُرسِل بنيامين معهم إلى مصر[5794]**.**

(التكوين 43): {1} وَكَانَ الْجُوعُ شَدِيدًا فِي الأَرْضِ (أي: في كنعان) **[← "مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ" (يوسف 88)]**. {2} وَحَدَثَ [لإخوة يوسف] لَمَّا فَرَغُوا مِنْ أَكْلِ الْقَمْحِ الَّذِي جَاءُوا بِهِ مِنْ مِصْرَ، أَنَّ أَبَاهُمْ قَالَ لَهُمْ: «ارْجِعُوا اشْتَرُوا لَنَا قَلِيلاً مِنَ الطَّعَامِ». {3} فَكَلَّمَهُ يَهُوذَا **[← "كَبِيرُهُمْ [رأياً]" (يوسف 80)]** قَائِلاً: «إِنَّ الرَّجُلَ (يقصد: سيد مصر؛ عزيز مصر) قَدْ أَشْهَدَ عَلَيْنَا قَائِلاً: لاَ تَرَوْنَ وَجْهِي بِدُونِ أَنْ يَكُونَ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ **[← "فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ" (يوسف 60)]**. {4} إِنْ كُنْتَ تُرْسِلُ أَخَانَا (يقصد: بنيامين) مَعَنَا، نَنْزِلُ وَنَشْتَرِي لَكَ طَعَامًا **[← "يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ [إلا إذا كان معنا أخونا بنيامين] فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ" (يوسف 63)]**، {5} وَلكِنْ إِنْ كُنْتَ لاَ تُرْسِلُهُ لاَ نَنْزِلُ. لأَنَّ الرَّجُلَ قَالَ لَنَا: لاَ تَرَوْنَ وَجْهِي بِدُونِ أَنْ يَكُونَ أَخُوكُمْ مَعَكُمْ **[← "فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ" (يوسف 60)]**». {6} فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: «لِمَاذَا أَسَأْتُمْ إِلَيَّ حَتَّى أَخْبَرْتُمُ الرَّجُلَ أَنَّ لَكُمْ أَخًا أَيْضًا؟» {7} فَقَالُوا: «إِنَّ الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَ عَنَّا وَعَنْ عَشِيرَتِنَا، قَائِلاً: هَلْ أَبُوكُمْ حَيٌّ بَعْدُ؟ هَلْ لَكُمْ أَخٌ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ بِحَسَبِ هذَا الْكَلاَمِ. هَلْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ: انْزِلُوا بِأَخِيكُمْ؟ **[← "مَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ" (يوسف 81)]**». {8} وَقَالَ يَهُوذَا لإِسْرَائِيلَ أَبِيهِ: «أَرْسِلِ الْغُلاَمَ [بنيامين] مَعِي لِنَقُومَ وَنَذْهَبَ [إلى مصر فنشتري طعاماً] وَنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ، نَحْنُ وَأَنْتَ وَأَوْلاَدُنَا جَمِيعًا **[← "نَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ" (يوسف 65). وأضاف القرآنُ أن يعقوب طلب مِن أبنائه أن يحلفوا يميناً بالله أنهم سيُعيدوا بنيامين إليه: "قَالَ [يعقوبُ] لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا**

(a solemn pledge) مِّنَ اللَّهِ (أي: عهداً مؤكداً بالقسم) لَتَأْتُنَّنِي بِهِ" (يوسف 66)]. {9} [في التوراة، يهوذا أعطى العهدَ مِن تلقاء نفسه وأكّده بالتكرار وبتحمل المسئولية كاملةً وحده. قَالَ يَهُوذَا ليعقوب] أَنَا أَضْمَنُهُ (أي: أنا أتعهد بعودة بنيامين) (I will be surety for him; I will be his pledge). مِنْ يَدِي تَطْلُبُهُ. إِنْ لَمْ أَجِئْ بِهِ إِلَيْكَ وَأُوقِفْهُ قُدَّامَكَ، أَصِرْ مُذْنِبًا إِلَيْكَ كُلَّ الأَيَّامِ[5795]. {10} لأَنَّنَا لَوْ لَمْ نَتَوَانَ (أي: لولا إضاعة الوقت في الجدل حول أخذ بنيامين) لَكُنَّا قَدْ [نزلنا إلى مصر و] رَجَعْنَا الآنَ مَرَّتَيْنِ». {11} فَقَالَ لَهُمْ إِسْرَائِيلُ أَبُوهُمْ: «إِنْ كَانَ هكَذَا فَافْعَلُوا هذَا **[⟵ "فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ (their solemn pledge) قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" (يوسف 66)]**: خُذُوا مِنْ أَفْخَرِ جَنَى الأَرْضِ (أي: أحسن إنتاج الأرض؛ أفضل محصول الأرض[5796]) فِي أَوْعِيَتِكُمْ، وَأَنْزِلُوا لِلرَّجُلِ هَدِيَّةً. قَلِيلاً مِنَ الْبَلَسَانِ، وَقَلِيلاً مِنَ الْعَسَلِ، وَكَثِيرَاءَ وَلاَذَنًا[5797] وَفُسْتُقًا وَلَوْزًا **[⟵ جعلها القرآنُ في رحلتهم الثالثة: "وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ (أي: قليلة ورديئة!)" (يوسف 88)؛ وقُرِئَتْ: "مُزْجِيَة"[5798]. أما إذا قُرِئَتْ "مُرَجِّيَة" فإنها تعني بالسريانية: مُرَطِّبَة (refreshing)[5799] وحينئذٍ يقترب معناها القرآني مِن معناها التوراتي]**. {12} وَخُذُوا فِضَّةً أُخْرَى فِي أَيَادِيكُمْ. وَالْفِضَّةَ الْمَرْدُودَةَ فِي أَفْوَاهِ عِدَالِكُمْ رُدُّوهَا فِي أَيَادِيكُمْ (أي: أعيدوها للمصريين)، لَعَلَّهُ كَانَ سَهْوًا. {13} وَخُذُوا أَخَاكُمْ [بنيامين] وَقُومُوا ارْجِعُوا إِلَى الرَّجُلِ. {14} وَاللهُ الْقَدِيرُ يُعْطِيكُمْ رَحْمَةً أَمَامَ الرَّجُلِ حَتَّى يُطْلِقَ لَكُمْ أَخَاكُمُ الآخَرَ (يقصد: شمعون) وَبَنْيَامِينَ [أيضاً يذهب معكم إلى مصر ويعود معكم إلى كنعان] **[⟵ "عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا" (يوسف 83) "فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 64)]**. وَأَنَا إِذَا عَدِمْتُ الأَوْلاَدَ عَدِمْتُهُمْ (يقصد: وأنا راضي بإرادة الله وحُكْمِه في جميع الأحوال) **[⟵ "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" (يوسف 67) "إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (يوسف 83)]**».

ونلاحظ في قصة يوسف التوراتية أن بنيامين ظل صامتاً طوال القصة ولم ينطق بكلمةٍ واحدة! لكن وجوده في الرواية مهم وضروري مِن أجل تطور الأحداث. إنه بطل صامت؛ مجرد ظل لشقيقه يوسف الذي يُحرّك الأحداث مِن خلاله **[⟵ كذلك في قصة يوسف القرآنية، لَمْ يَفْتَحْ بنيامينُ فَاهُ أبداً كما قلنا فيما سبق]**.

رحلة إخوة يوسف الثانية مِن كنعان إلى مصر. ومعهم بنيامين. (التكوين 43): {15} فَأَخَذَ الرِّجَالُ هذِهِ الْهَدِيَّةَ، وَأَخَذُوا ضِعْفَ الْفِضَّةِ فِي أَيَادِيهِمْ، وَبَنْيَامِينَ، وَقَامُوا وَنَزَلُوا إِلَى مِصْرَ وَوَقَفُوا أَمَامَ يُوسُفَ **[⟵ "دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ" (يوسف 69)]**. {16} فَلَمَّا رَأَى يُوسُفُ بَنْيَامِينَ مَعَهُمْ، قَالَ لِلَّذِي عَلَى بَيْتِهِ (أي: قال يوسفُ لخادمه): «أَدْخِلِ الرِّجَالَ إِلَى الْبَيْتِ وَاذْبَحْ ذَبِيحَةً وَهَيِّئْ، لأَنَّ الرِّجَالَ يَأْكُلُونَ مَعِي عِنْدَ الظُّهْرِ» **[⟵ ركّز القرآنُ على بنيامين فقط: "آوَىٰ [يوسفُ] إِلَيْهِ أَخَاهُ (أي: ضَمَّ إليه شقيقَه بنيامين وقرّبه منه؛ أو: استضافه وَأَنْزَلَهُ في بيته (took his brother as his guest)" (يوسف 69)]**. {17} فَفَعَلَ الرَّجُلُ (أي: الخادمُ) كَمَا قَالَ يُوسُفُ. وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ الرِّجَالَ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ. {18} فَخَافَ الرِّجَالُ (أي: إخوةُ يوسف) إِذْ أُدْخِلُوا إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ، وَقَالُوا: «لِسَبَبِ الْفِضَّةِ الَّتِي رَجَعَتْ أَوَّلاً فِي عِدَالِنَا نَحْنُ قَدْ أُدْخِلْنَا لِيَهْجِمَ عَلَيْنَا وَيَقَعَ بِنَا وَيَأْخُذَنَا عَبِيدًا وَحَمِيرَنَا». {19} فَتَقَدَّمُوا إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي عَلَى بَيْتِ يُوسُفَ، وَكَلَّمُوهُ فِي بَابِ الْبَيْتِ {20}

وَقَالُوا: «اسْتَمِعْ يَا سَيِّدِي، إِنَّنَا قَدْ نَزَلْنَا أَوَّلاً لِنَشْتَرِيَ طَعَامًا. {21} وَكَانَ لَمَّا أَتَيْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ أَنَّنَا فَتَحْنَا عِدَالَنَا، وَإِذَا فِضَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ فِي فَمِ عِدْلِهِ. فِضَّتُنَا بِوَزْنِهَا. فَقَدْ رَدَدْنَاهَا فِي أَيَادِينَا (أي: أحضرناها معنا لِنَرُدَّهَا). {22} وَأَنْزَلْنَا فِضَّةً أُخْرَى فِي أَيَادِينَا لِنَشْتَرِيَ طَعَامًا. لاَ نَعْلَمُ مَنْ وَضَعَ فِضَّتَنَا فِي عِدَالِنَا». {23} فَقَالَ [خادمُ يوسف لهم]: «سَلاَمٌ لَكُمْ، لاَ تَخَافُوا. إِلهُكُمْ وَإِلهُ أَبِيكُمْ أَعْطَاكُمْ كَنْزًا فِي عِدَالِكُمْ. فِضَّتُكُمْ وَصَلَتْ إِلَيَّ[5800]». ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ شِمْعُونَ [ليطمئنهم أكثر]. {24} وَأَدْخَلَ الرَّجُلُ الرِّجَالَ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ وَأَعْطَاهُمْ مَاءً لِيَغْسِلُوا أَرْجُلَهُمْ، وَأَعْطَى عَلِيقًا لِحَمِيرِهِمْ. {25} وَهَيَّأُوا الْهَدِيَّةَ إِلَى أَنْ يَجِيءَ يُوسُفُ عِنْدَ الظُّهْرِ، لأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُمْ هُنَاكَ يَأْكُلُونَ طَعَامًا.

وليمة يوسف وإخوته. (التكوين 43): {26} فَلَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى الْبَيْتِ أَحْضَرُوا إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ الَّتِي فِي أَيَادِيهِمْ إِلَى الْبَيْتِ، وَسَجَدُوا لَهُ إِلَى الأَرْضِ **[⟵ "خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا" (يوسف 100)]**. {27} فَسَأَلَ عَنْ سَلاَمَتِهِمْ، وَقَالَ: «أَسَالِمٌ أَبُوكُمُ الشَّيْخُ الَّذِي قُلْتُمْ عَنْهُ؟ أَحَيٌّ هُوَ بَعْدُ؟» {28} فَقَالُوا: «عَبْدُكَ أَبُونَا سَالِمٌ. هُوَ حَيٌّ بَعْدُ». وَخَرُّوا وَسَجَدُوا **[⟵ "خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا" (يوسف 100)]**. {29} فَرَفَعَ [يُوسُفُ] عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ بَنْيَامِينَ أَخَاهُ ابْنَ أُمِّهِ، وَقَالَ: «أَهذَا أَخُوكُمُ الصَّغِيرُ الَّذِي قُلْتُمْ لِي عَنْهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «اللهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ يَا ابْنِي» **[⟵ "آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ (أي: ضَمَّ يوسفُ إليه شقيقَه بنيامين وقرَّبه منه؛ أو: اختلى به بحجة أن بنيامين هو الوحيد فيهم الذي ليس له أخٌ شقيقٌ)" (يوسف 69)]**. {30} وَاسْتَعْجَلَ يُوسُفُ (أي: اندفع خارجاً) لأَنَّ أَحْشَاءَهُ (أي: مشاعره؛ عواطفه) حَنَّتْ إِلَى أَخِيهِ وَطَلَبَ مَكَانًا لِيَبْكِيَ [بِمُفْرَدِهِ]، فَدَخَلَ الْمَخْدَعَ (a chamber; a private room) وَبَكَى هُنَاكَ [بِمُفْرَدِهِ] **[⟵ لكن يبدو أن أصحاب القرآن قد ظنوا أن يوسف أخذ شقيقَه بنيامين إلى المَخْدَع، فجعلوا يوسف يكشف شخصيته لبنيامين سراً في مجلسٍ خاص: "قَالَ إِنِّي أَنَا [يوسف] أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (يوسف 69)]**. {31} ثُمَّ غَسَلَ [يوسفُ] وَجْهَهُ وَخَرَجَ [مِن المخدع] وَتَجَلَّدَ، وَقَالَ: «قَدِّمُوا طَعَامًا». {32} فَقَدَّمُوا لَهُ وَحْدَهُ، وَلَهُمْ وَحْدَهُمْ، وَلِلْمِصْرِيِّينَ الآكِلِينَ عِنْدَهُ وَحْدَهُمْ، لأَنَّ الْمِصْرِيِّينَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَأْكُلُوا طَعَامًا مَعَ الْعِبْرَانِيِّينَ [رعاة الأغنام]، لأَنَّهُ رِجْسٌ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ [لأسباب قومية أو سياسية أو دينية أو اجتماعية]. {33} فَجَلَسُوا قُدَّامَهُ: الْبِكْرُ بِحَسَبِ بَكُورِيَّتِهِ، وَالصَّغِيرُ بِحَسَبِ صِغَرِهِ، فَبُهِتَ الرِّجَالُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ (أي: نظر إخوةُ يوسف بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ متعجبين كيف عرف الرجلُ الثاني في مصر ترتيبَ أعمارهم؛ و/أو تعجبوا أنهم مدعوون إلى وليمة مع الرجل الثاني في مصر). {34} وَرَفَعَ [يوسفُ] حِصَصًا [مِن الطعام] مِنْ قُدَّامِهِ (أي: مِن مائدته الخاصة) إِلَيْهِمْ، فَكَانَتْ حِصَّةُ بَنْيَامِينَ أَكْثَرَ مِنْ حِصَصِ جَمِيعِهِمْ خَمْسَةَ أَضْعَافٍ (five times!). وَشَرِبُوا وَرَوُوا مَعَهُ.

وقيل إن يوسف قد أعطى شقيقَه بنيامين هذا الكم الهائل مِن الطعام لأنه أراد أن يختبر إِخْوَتَهُ العشرة الكبار[5801]: هل سينظرون إلى أخيهم بنيامين بحقدٍ أم لا؟

أما الاختبار الحقيقي فحدث بعد ذلك مباشرة في (التكوين 44) حين اختبر يوسفُ إِخْوَتَهُ العشرة الكبار: هل سيتمسكون بأخيهم بنيامين أم سيتركونه كعبدٍ في مصر (كما تركوه هو في البئر وباعوه كعبدٍ)؟ ...

(التكوين 44): {1} ثُمَّ أَمَرَ [يوسفُ الخادمَ] الَّذِي عَلَى بَيْتِهِ قَائِلاً: «امْلأْ عِدَالَ الرِّجَالِ طَعَامًا حَسَبَ مَا يُطِيقُونَ حِمْلَهُ (أي: بلا كيل أو ميزان؛ بدون حساب؛ كمية كبيرة حتى منتهى قدر طاقتهم) **[← "جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ" (يوسف 70) "وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ [...] أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (أي: أكرم المضيفين)" (يوسف 59)]**، وَضَعْ فِضَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ فِي فَمِ عِدْلِهِ. {2} وَطَاسِي (أي: كَأسِي)، طَاسَ الْفِضَّةِ (أي: الكأس الفضية) (silver goblet)، تَضَعُ فِي فَمِ عِدْلِ الصَّغِيرِ [بنيامين] **[← "السِّقَايَةَ" (يوسف 70)]**، **[← "جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ [بنيامين]" (يوسف 70)]**، وَثَمَنَ قَمْحِهِ». فَفَعَلَ [الخادمُ] بِحَسَبِ كَلاَمِ يُوسُفَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ.

ونلاحظ هنا أن يوسف جَعَلَ الكأس مصنوعة من "الْفِضَّةِ" تحديداً ليُذكِّر إِخْوَتَهُ بالفضة التي قبضوها ثمناً له حين باعوه كعبدٍ: "وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ" (التكوين 28:37) **[← لجأ أصحابُ القرآن إلى نفس الفكرة، لكن باستخدام كلمة "بِضَاعَة" التي لم تُذكَر في القرآن كله إلا في سورة يوسف! مرة واحدة في الفصل الأول إشارة إلى يوسف نفسه حين كان غلاماً وأخذه المسافرون (الإسماعيليون) "وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً" (يوسف 19) وأربع مرات في الفصل الثالث إشارة إلى بضاعة إخوته (يوسف 62، 65 مرتان، 88). وكأن يوسف أراد أن يلمح لإخوته أنه هو نفسه (أو: ما فعلوه به حين كان غلاماً) "بِضَاعَتُهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ"]**.

(التكوين 44): {3} فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ انْصَرَفَ الرِّجَالُ (أي: إخوةُ يوسف) هُمْ وَحَمِيرُهُمْ. {4} وَلَمَّا كَانُوا قَدْ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَبْتَعِدُوا، قَالَ يُوسُفُ لِلَّذِي عَلَى بَيْتِهِ (أي: لخادمه): «قُمِ اسْعَ وَرَاءَ الرِّجَالِ، وَمَتَى أَدْرَكْتَهُمْ فَقُلْ لَهُمْ: لِمَاذَا جَازَيْتُمْ شَرًّا عِوَضًا عَنْ خَيْرٍ؟ {5} [أضافت الترجمة السبعينية اليونانية جملةً مهمة وهي: لماذا سَرَقْتُمْ كأسي الفضة؟[5802]] أَلَيْسَ هذَا [الإناء المسروق] هُوَ الَّذِي يَشْرَبُ سَيِّدِي فِيهِ؟ وَهُوَ يَتَفَاءَلُ بِهِ (uses for divination). أَسَأْتُمْ فِي مَا صَنَعْتُمْ». {6} فَأَدْرَكَهُمْ [الخادمُ] وَقَالَ لَهُمْ هذَا الْكَلاَمَ [الذي لقّنه يوسفُ إياه] **[← "أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ" (يوسف 70)]**. {7} فَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ سَيِّدِي مِثْلَ هذَا الْكَلاَمِ؟ حَاشَا لِعَبِيدِكَ أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَ هذَا الأَمْرِ! **[← "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ" (يوسف 73)]** {8} هُوَذَا الْفِضَّةُ الَّتِي وَجَدْنَا فِي أَفْوَاهِ عِدَالِنَا رَدَدْنَاهَا إِلَيْكَ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. فَكَيْفَ نَسْرِقُ مِنْ بَيْتِ سَيِّدِكَ فِضَّةً أَوْ ذَهَبًا؟ **[← "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم [...] مَا كُنَّا سَارِقِينَ (أي: ليس من أخلاقنا أن نسرق وأنتم تعلمون ذلك، بدليل أننا رَدَدْنَا الْفِضَّةَ الَّتِي وَجَدْنَا فِي أَفْوَاهِ عِدَالِنَا)" (يوسف 73)]** {9} الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ [الكأس الفضية المسروقة] مِنْ عَبِيدِكَ يَمُوتُ[5803]، وَنَحْنُ أَيْضًا نَكُونُ عَبِيدًا لِسَيِّدِي»[5804]. {10} [وافق الخادمُ على كلامهم لكنه خَفَّفَ الحكمَ!] فَقَالَ: «نَعَمِ، الآنَ بِحَسَبِ كَلاَمِكُمْ هكَذَا يَكُونُ. الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ يَكُونُ لِي عَبْدًا **[← "جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ (أي: يُسلَّمُ السارقُ بسرقته ليكون عبداً)" (يوسف 75)]**، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ[5805]». {11} فَاسْتَعْجَلُوا وَأَنْزَلُوا كُلُّ وَاحِدٍ عِدْلَهُ إِلَى الأَرْضِ، وَفَتَحُوا كُلُّ وَاحِدٍ عِدْلَهُ. {12} فَفَتَّشَ مُبْتَدِئًا مِنَ الْكَبِيرِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الصَّغِيرِ **[← "فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ**

(أي: فَتَّشَ أمتعة العشرة الكبار أولاً) قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ [بنيامين]" (يوسف 76)]، فَوُجِدَ الطَّاسُ فِي عِدْلِ بَنْيَامِينَ [← "ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا (أي: اسْتَخْرَجَ السِّقَايَةَ) مِن وِعَاءِ أَخِيهِ [بنيامين]" (يوسف 76)]. {13} فَمَزَّقُوا ثِيَابَهُمْ وَحَمَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حِمَارِهِ وَرَجَعُوا [في ذلٍ شديد مقبوضاً عليهم] إِلَى الْمَدِينَةِ.

"ولعل هذا الموقف أيضاً هو الذي أوحى للقديس أمبروسيوس (المتنيح سنة 397م) أن يرى في بنيامين عندما وقع في يدي يوسف وهو في الطريق رمزاً لبولس الرسول عندما ظهر له المسيح وهو في طريقه إلى دمشق لكي يُمسك به رهينةً لحبه ويحوّله إناءً مختاراً للكرازة بخلاصه بين الأمم"[5806]. ومِن المعلوم أن بولس الرسول "مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ" (فيلبي 3:5)[5807].

يهوذا يتذلل ليوسف حتى يُخلِّص بنيامين مِن الأسر. (التكوين 44): {14} فَدَخَلَ يَهُوذَا وَإِخْوَتُهُ إِلَى بَيْتِ يُوسُفَ وَهُوَ بَعْدُ هُنَاكَ، وَوَقَعُوا أَمَامَهُ عَلَى الأَرْضِ [← "خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا" (يوسف 100)]. {15} فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: «مَا هذَا الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلْتُمْ؟ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَجُلاً مِثْلِي يَتَفَاءَلُ (أي: يستخدم كأسَه في معرفة الغيب divination)؟» {16} فَقَالَ يَهُوذَا[5808]: «مَاذَا نَقُولُ لِسَيِّدِي؟ مَاذَا نَتَكَلَّمُ؟ وَبِمَاذَا نَتَبَرَّرُ؟ اللهُ قَدْ وَجَدَ إِثْمَ عَبِيدِكَ. هَا نَحْنُ عَبِيدٌ لِسَيِّدِي، نَحْنُ وَالَّذِي وُجِدَ الطَّاسُ فِي يَدِهِ جَمِيعًا [← "قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ [...] فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ (أي: عبداً بدل بنيامين) ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 78)]». {17} فَقَالَ [يوسفُ]: «حَاشَا لِي أَنْ أَفْعَلَ هذَا! الرَّجُلُ الَّذِي وُجِدَ الطَّاسُ فِي يَدِهِ هُوَ [وحده] يَكُونُ لِي عَبْدًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَاصْعَدُوا بِسَلاَمٍ إِلَى أَبِيكُمْ» [← "قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ" (يوسف 79)].

ونلاحظ أن القرآن حَذَا حذو التوراة في مسألة شكلية وهي أن يوسف لم يقل "مَن سَرَقَ مَتَاعَنَا"، تَحَرُّزًا مِنَ اَلْكَذِبِ، فبنيامين لم يسرق. ولذلك قال "مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ" (يوسف 79)، وهي جملة قرآنية تطور بشري طبيعي للجملة التوراتية "الَّذِي وُجِدَ الطَّاسُ فِي يَدِهِ" (التكوين 17:44). إنها مسألة شكلية جداً، لأن مجرد وضع الكأس/السقاية في رَحْلِ بنيامين ثم استخراجها مِن رَحْلِه أمام الجميع جعل بنيامينَ سارقاً ولصاً مجرماً في نظر إخوته ومرافقيهم. يعني: يوسف كذب بالفعل ولوّث سمعةَ أخيه بنيامين! فهل هذا تصرف يليق بنبي؟! بل هل هذا تصرف يليق بإنسان محترم؟!

والمشكلة التي يعاني منها القرآنُ أكثر خطورة، لأن بنيامين سيُحتجَز في مصر وستظل سمعته ملوثة فترة أطول تصل إلى عدة أيام، بل قد تصل إلى عدة أسابيع، هي المدة اللازمة لعمل رحلة إضافية من مصر إلى كنعان ثم من كنعان إلى مصر! وهذا بخلاف التوراة التي تثبت براءة بنيامين سريعاً، بل في نفس اليوم، فيعود مع إخوته معززاً مكرماً إلى كنعان كما سنرى ...

يهوذا يبذل قصارى جهده ويتذلل مرة أخرى ليوسف حتى يُخلِّص بنيامين مِن الأسر. (التكوين 44):
{18} ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَهُوذَا[5809] وَقَالَ [ليوسف]: «اسْتَمِعْ يَا سَيِّدِي. لِيَتَكَلَّمْ عَبْدُكَ كَلِمَةً فِي أُذُنَيْ سَيِّدِي وَلاَ يَحْمَ غَضَبُكَ عَلَى عَبْدِكَ، لأَنَّكَ مِثْلُ فِرْعَوْنَ (أي: سُلطتك مماثلة لسُلطة الملك). {19} سَيِّدِي سَأَلَ عَبِيدَهُ قَائِلاً: هَلْ لَكُمْ أَبٌ أَوْ أَخٌ؟ {20} فَقُلْنَا لِسَيِّدِي: لَنَا أَبٌ شَيْخٌ، وَابْنُ شَيْخُوخَةٍ صَغِيرٌ، مَاتَ أَخُوهُ وَبَقِيَ هُوَ وَحْدَهُ لأُمِّهِ، وَأَبُوهُ

يُحِبُّهُ [← "قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ (أي: لبنيامين) أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا [يحبه ولا يطيق بُعده]" (يوسف 78)]. {21} فَقُلْتَ لِعَبِيدِكَ: انْزِلُوا بِهِ إِلَيَّ فَأَجْعَلَ نَظَرِي عَلَيْهِ. {22} فَقُلْنَا لِسَيِّدِي: لاَ يَقْدِرُ الْغُلاَمُ أَنْ يَتْرُكَ أَبَاهُ، وَإِنْ تَرَكَ أَبَاهُ يَمُوتُ [أبوه حزناً عليه]. {23} فَقُلْتَ لِعَبِيدِكَ: إِنْ لَمْ يَنْزِلْ أَخُوكُمُ الصَّغِيرُ مَعَكُمْ لاَ تَعُودُوا تَنْظُرُونَ وَجْهِي. {24} فَكَانَ لَمَّا صَعِدْنَا إِلَى عَبْدِكَ أَبِي أَنَّنَا أَخْبَرْنَاهُ بِكَلاَمِ سَيِّدِي. {25} ثُمَّ قَالَ أَبُونَا: ارْجِعُوا اشْتَرُوا لَنَا قَلِيلاً مِنَ الطَّعَامِ. {26} فَقُلْنَا: لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَنْزِلَ، وَإِنَّمَا إِذَا كَانَ أَخُونَا الصَّغِيرُ مَعَنَا نَنْزِلُ، لأَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَنْظُرَ وَجْهَ الرَّجُلِ وَأَخُونَا الصَّغِيرُ لَيْسَ مَعَنَا. {27} فَقَالَ لَنَا عَبْدُكَ أَبِي: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ امْرَأَتِي [راحيل] وَلَدَتْ لِي اثْنَيْنِ، {28} فَخَرَجَ الْوَاحِدُ مِنْ عِنْدِي، وَقُلْتُ: إِنَّمَا هُوَ قَدِ افْتُرِسَ افْتِرَاسًا، وَلَمْ أَنْظُرْهُ إِلَى الآنَ. {29} فَإِذَا أَخَذْتُمْ هذَا أَيْضًا مِنْ أَمَامِ وَجْهِي وَأَصَابَتْهُ أَذِيَّةٌ، تُنْزِلُونَ شَيْبَتِي بِشَرٍّ إِلَى الْهَاوِيَةِ. {30} فَالآنَ مَتَى جِئْتُ إِلَى عَبْدِكَ أَبِي، وَالْغُلاَمُ لَيْسَ مَعَنَا، وَنَفْسُهُ مُرْتَبِطَةٌ بِنَفْسِهِ، {31} يَكُونُ مَتَى رَأَى أَنَّ الْغُلاَمَ مَفْقُودٌ، أَنَّهُ يَمُوتُ، فَيُنْزِلُ عَبِيدُكَ شَيْبَةَ عَبْدِكَ أَبِينَا بِحُزْنٍ إِلَى الْهَاوِيَةِ، {32} لأَنَّ عَبْدَكَ [أنا] ضَمِنَ الْغُلاَمَ لأَبِي قَائِلاً: إِنْ لَمْ أَجِئْ بِهِ إِلَيْكَ أَصِرْ مُذْنِبًا إِلَى أَبِي كُلَّ الأَيَّامِ [← "أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ" (يوسف 80)]. {33} فَالآنَ لِيَمْكُثْ عَبْدُكَ (أي: أرجوك أن تأخذني أنا) عِوَضًا عَنِ الْغُلاَمِ، عَبْدًا لِسَيِّدِي، وَيَصْعَدِ الْغُلاَمُ مَعَ إِخْوَتِهِ [← "قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ [...] فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ (أي: عبداً بدل بنيامين)ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 78)]. {34} لأَنِّي كَيْفَ أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَالْغُلاَمُ لَيْسَ مَعِي؟ لِئَلاَّ أَنْظُرَ الشَّرَّ الَّذِي يُصِيبُ أَبِي».

مما سبق يتضح أن القرآن عرض هذا الموقف المؤثر باعتباره حيلة لجأ إليها يوسفُ "بتدبيرٍ إلهي" لإبقاء بنيامين في مصر! "كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ (أي: يسَّرنا ليوسف هذه الحيلة حتى يأخذ بنيامينَ منهم)ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ" (يوسف 76)! أما في التوراة، فإن هذا الموقف اختبارٌ مِن يوسف لإخوته العشرة الكبار. ولقد نجح إخوةُ يوسف في هذا الاختبار الصعب، وبخاصة يهوذا "كبيرهم" في المقام نجح بامتياز.

يهوذا الذي أبعد أخاه يوسف عن أبيهما يعقوب، وهو غير مهتم بأثر هذه الصدمة على يعقوب وبأنها قد تقتله قتلاً. نراه الآن يعترف بأن يعقوب قد يموت إذا رجعوا إليه بدون بنيامين (التكوين 44:22، 31).

يهوذا الذي حقد على أخيه يوسف لأن أباهما يعقوب يحب يوسفَ أكثر منه، فباع أخاه يوسف كعبدٍ ليتخلص منه (التكوين 37:26-27). نراه الآن يعترف بحقيقة محبة يعقوب لأخيه بنيامين، بل يقبل هذه الحقيقة ولو كأمر واقع، ويبذل كل جهده ليُخلِّص أخاه بنيامين مِن هذه المحنة فيعرض نفسه كعبدٍ لأخيه يوسف فداءً لأخيه بنيامين. وهذا اعتراف صريح مِن يهوذا بأن يعقوب يحب بنيامينَ أكثر مِنه، بدليل أن يعقوب لا يطيق بُعد بنيامين عنه لكنه يطيق بُعد يهوذا عنه.

"وهكذا قدَّم يهوذا نفسه فداءً عن أخيه بنيامين، وهذا إعلان لتحسن يهوذا وإخوته روحياً وخروجهم من الأنانية ووصولهم إلى الحب الباذل على مثال المسيح الفادي. [...] بعد مشاعر الحب التي أظهرها يهوذا

في استعداده لفداء أخيه بنيامين، أي يصير عبداً بدلاً منه، لأن يعقوب لن يحتمل فراق ابنه الصغير، ازدادت مشاعر يوسف اشتعالاً داخله ولم يحتمل أن يخفي نفسه أكثر من هذا ..."[5810].

بعد أن نجح إخوةُ يوسف في الاختبار وأيقن يوسفُ أن أباه يعقوب سيموت لا محالة إذا حُبِسَ بنيامينُ في مصر، قرر يوسفُ أن يكشف لإخوته عن شخصيته (Anagnorisis). (التكوين 45): {1} فَلَمْ يَسْتَطِعْ يُوسُفُ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ لَدَى جَمِيعِ الْوَاقِفِينَ عِنْدَهُ فَصَرَخَ: «أَخْرِجُوا كُلَّ إِنْسَانٍ عَنِّي». فَلَمْ يَقِفْ أَحَدٌ عِنْدَهُ حِينَ عَرَّفَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ بِنَفْسِهِ[5811]. {2} فَأَطْلَقَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ، فَسَمِعَ الْمِصْرِيُّونَ وَسَمِعَ بَيْتُ فِرْعَوْنَ. {3} وَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «أَنَا يُوسُفُ [← **"قَالَ أَنَا يُوسُفُ" (يوسف 90)**[5812]]. أَحَيٌّ أَبِي بَعْدُ؟» فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِخْوَتُهُ أَنْ يُجِيبُوهُ، لأَنَّهُمُ ارْتَاعُوا مِنْهُ. {4} فَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «تَقَدَّمُوا إِلَيَّ». فَتَقَدَّمُوا. فَقَالَ: «أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمُ الَّذِي بِعْتُمُوهُ إِلَى مِصْرَ [← **"قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ" (يوسف 89)**]. {5} وَالآنَ لاَ تَتَأَسَّفُوا وَلاَ تَغْتَاظُوا لأَنَّكُمْ بِعْتُمُونِي إِلَى هُنَا[5813] [← **"قَالَ لَا تَثْرِيبَ (أي: لا لَوْمَ؛ لا توبيخَ؛ لا تقريعَ) عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ [فقد سامحتكم وعفوت عنكم] ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 92)**]، لأَنَّهُ لاسْتِبْقَاءِ حَيَاةٍ أَرْسَلَنِيَ اللهُ قُدَّامَكُمْ (أي: توجد حكمة إلهية وراء ما حدث) [← **"إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ (أي: هو المُدَبِّرُ للأمور بِدِقَّةٍ ويسر) ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (يوسف 100) "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 21)**]. {6} لأَنَّ لِلْجُوعِ فِي الأَرْضِ الآنَ سَنَتَيْنِ. وَخَمْسُ سِنِينَ أَيْضًا لاَ تَكُونُ فِيهَا فَلاَحَةٌ وَلاَ حَصَادٌ. {7} فَقَدْ أَرْسَلَنِي اللهُ قُدَّامَكُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ بَقِيَّةً فِي الأَرْضِ وَلِيَسْتَبْقِيَ لَكُمْ نَجَاةً عَظِيمَةً. {8} فَالآنَ لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ اللهُ (أي: هذا أمرُ الله الذي شاءت إرادته أن يكون ذلك) [← **"إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ (أي: هو المُدَبِّرُ للأمور بِدِقَّةٍ ويسر) ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (يوسف 100) "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 21)**]. وَهُوَ قَدْ جَعَلَنِي أَبًا لِفِرْعَوْنَ (أي: وزيراً ومستشاراً لِفِرْعَوْنَ؛ راعياً لأمور فرعون نفسه؛ الوزير الأول) وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ وَمُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ [← **"رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ" (يوسف 101)**]. {9} أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي [في كنعان] [← **"اذْهَبُوا [إلى كنعان] بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي" (يوسف 93)**] وَقُولُوا لَهُ: هكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِيَ اللهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ. اِنْزِلْ إِلَيَّ [مِن كنعان]. لاَ تَقِفْ. {10} فَتَسْكُنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ (Goshen) [في منطقة شرق الدلتا (حالياً: محافظة الشرقية)] وَتَكُونَ قَرِيبًا مِنِّي، أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ [← **"وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ" (يوسف 93)**]. {11} وَأَعُولُكَ هُنَاكَ، لأَنَّهُ يَكُونُ أَيْضًا خَمْسُ سِنِينَ جُوعًا. لِئَلاَّ تَفْتَقِرَ أَنْتَ وَبَيْتُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ [← **"وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ" (يوسف 93)**]. {12} وَهُوَذَا عُيُونُكُمْ تَرَى، وَعَيْنَا أَخِي بَنْيَامِينَ [← **"هَٰذَا أَخِي" (يوسف 90)**]، أَنَّ فَمِي هُوَ الَّذِي يُكَلِّمُكُمْ (أي: أنا حقاً سيد مصر الذي يخاطبكم). {13} وَتُخْبِرُونَ أَبِي بِكُلِّ مَجْدِي فِي مِصْرَ [← **"قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا" (يوسف 90)؛ "رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ" (يوسف 101)**] وَبِكُلِّ مَا رَأَيْتُمْ، وَتَسْتَعْجِلُونَ وَتَنْزِلُونَ بِأَبِي إِلَى هُنَا». {14} ثُمَّ وَقَعَ [يوسفُ] عَلَى عُنُقِ بَنْيَامِينَ أَخِيهِ [← **"آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ (أي: احتضنه)" (يوسف 69)**]

وَبَكَى، وَبَكَى بَنْيَامِينُ عَلَى عُنُقِهِ. {15} وَقَبَّلَ [يوسفُ] جَمِيعَ إِخْوَتِهِ [إعلاناً عن صفحه وغفرانه] وَبَكَى عَلَيْهِمْ (أي: معهم). وَبَعْدَ ذلِكَ تَكَلَّمَ إِخْوَتُهُ مَعَهُ (أي: اطمأنوا فتشجعوا أن يخاطبوه بعد أن كانوا خائفين).

(التكوين 45): {16} وَسُمِعَ الْخَبَرُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ، وَقِيلَ: «جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ». فَحَسُنَ فِي عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَفِي عُيُونِ عَبِيدِهِ. {17} فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «قُلْ لإِخْوَتِكَ: افْعَلُوا هذَا: حَمِّلُوا دَوَابَّكُمْ وَانْطَلِقُوا، اذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. {18} وَخُذُوا أَبَاكُمْ وَبُيُوتَكُمْ وَتَعَالَوْا إِلَيَّ [في مصر]، فَأُعْطِيَكُمْ خَيْرَاتِ أَرْضِ مِصْرَ وَتَأْكُلُوا دَسَمَ الأَرْضِ. {19} فَأَنْتَ قَدْ أُمِرْتَ، افْعَلُوا هذَا: خُذُوا لَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ عَجَلاَتٍ (أي: عَرَبَاتٍ بعجل؛ wagons) لأَوْلاَدِكُمْ وَنِسَائِكُمْ، وَاحْمِلُوا أَبَاكُمْ وَتَعَالَوْا [سريعاً]. {20} وَلاَ تَحْزَنْ عُيُونُكُمْ عَلَى أَثَاثِكُمْ، لأَنَّ خَيْرَاتِ جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ لَكُمْ». {21} فَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هكَذَا. وَأَعْطَاهُمْ يُوسُفُ عَجَلاَتٍ بِحَسَبِ أَمْرِ فِرْعَوْنَ، وَأَعْطَاهُمْ زَادًا لِلطَّرِيقِ. {22} وَأَعْطَى [يُوسُفُ] كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حُلَلَ ثِيَابٍ **[⟵ حسب القرآن، أعطاهم يوسفُ ثَوْبَهُ الشخصي! "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا" (يوسف 93)]**، وَأَمَّا بَنْيَامِينُ فَأَعْطَاهُ [يُوسُفُ] ثَلاَثَ مِئَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَخَمْسَ حُلَلِ ثِيَابٍ **[⟵ حسب القرآن، أعطاهم يوسفُ ثَوْبَهُ الشخصي! "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا" (يوسف 93)]**. {23} وَأَرْسَلَ [يُوسُفُ] لأَبِيهِ هكَذَا: عَشَرَةَ حَمِيرٍ حَامِلَةً مِنْ خَيْرَاتِ مِصْرَ، وَعَشَرَ أُتُنٍ حَامِلَةً حِنْطَةً (أي: قمحاً)، وَخُبْزًا وَطَعَامًا لأَبِيهِ لأَجْلِ الطَّرِيقِ[5814] **[⟵ حسب القرآن، أعطاهم يوسفُ ثَوْبَهُ الشخصي ليلقوه على وجه أبيه يعقوب! "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا" (يوسف 93)]**. {24} ثُمَّ صَرَفَ إِخْوَتَهُ فَانْطَلَقُوا، وَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تَتَغَاضَبُوا فِي الطَّرِيقِ (أي: أسرعُوا ولا تضيعوا الوقتَ في لوم بعضكم بعضاً على ما مضى)».

عودة إخوة يوسف مِن مصر إلى كنعان. ومعهم بَنْيَامِين وشِمْعُون. (التكوين 45): {25} فَصَعِدُوا مِنْ مِصْرَ **[⟵ "فَصَلَتِ الْعِيرُ" (يوسف 94)]** وَجَاءُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، إِلَى يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. {26} وَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ **[⟵ "جَاءَ الْبَشِيرُ" (يوسف 96)]**: «يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدُ، وَهُوَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». فَجَمَدَ قَلْبُهُ (أي: كاد قلبُ يعقوب يقف عن النبض) لأَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ. {27} ثُمَّ كَلَّمُوهُ بِكُلِّ كَلاَمِ يُوسُفَ الَّذِي كَلَّمَهُمْ بِهِ، وَأَبْصَرَ الْعَجَلاَتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ لِتَحْمِلَهُ [فتأكد مِن صحة ما يقولون[5815]] **[⟵ حسب القرآن، الأمارة التي أكَّدت ليعقوب أن يوسف حَيٌّ بالفعل هي قميص يوسف! جعل يعقوبَ يشم رائحة يوسف "قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ" (يوسف 94)! وأعاد إليه بصره قوياً كما كان "جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ (أي: ألقى قميصَ يوسف على وجه يعقوب) فَارْتَدَّ [يعقوبُ] بَصِيرًا" (يوسف 96)! وهكذا أدخل أصحابُ القرآن أسطورةً (معجزةً) جديدة في أحداث القصة]**. فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ (أي: استرد حياته ثانية؛ استعاد قواه مِن جَديد؛ في الترجمة السبعينية: اشتعلتْ رُوحُ يَعْقُوبَ ناراً أو اضْطَرَمَتْ مِن جَديد[5816]؛ وفي الترجمة اللاتينية: أضاءتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أو استنارتْ[5817]) **[⟵ "فَارْتَدَّ بَصِيرًا (أي: استرد يعقوبُ نورَ عينيه[5818])" (يوسف 96)]**. {28} فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: «كَفَى! (في الترجمة السبعينية: عَظِيمٌ عَلَيَّ هذا؛ أو: إنه لأمرٌ عظيم

عندي؛ بمعنى: صنع اللهُ لي أموراً عظيمة[5819]) [⟵ **"قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ (أي: مِن رَّوْحِ اللَّهِ؛ مِن رحمة الله) مَا لَا تَعْلَمُونَ" (يوسف 96)]** يُوسُفُ ابْنِي حَيٌّ بَعْدُ. أَذْهَبُ [إلى مصر] وَأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ».

إلا أن هذه الزيارة العائلية لم تكن مجرد رحلة أب مِن كنعان إلى مصر ليرى ابنَه "وَهُوَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ"، وإنما كانت هجرة قبيلة بأكملها مِن كنعان إلى مصر ...

رحلة إخوة يوسف الثالثة والأخيرة مِن كنعان إلى مصر. هاجروا إلى مصر ومعهم إسرائيل (يعقوب) وكل أهلهم! (التكوين 46): {1} فَارْتَحَلَ إِسْرَائِيلُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ وَأَتَى إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ، وَذَبَحَ ذَبَائِحَ لإِلهِ أَبِيهِ إِسْحَاقَ. {2} فَكَلَّمَ اللهُ إِسْرَائِيلَ فِي رُؤَى اللَّيْلِ [قبيل نزوله إلى مصر] وَقَالَ: «يَعْقُوبُ، يَعْقُوبُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». {3} فَقَالَ: «أَنَا اللهُ، إِلهُ أَبِيكَ. لاَ تَخَفْ مِنَ النُّزُولِ إِلَى مِصْرَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً (أي: شعباً كثير العدد) هُنَاكَ. {4} أَنَا أَنْزِلُ مَعَكَ إِلَى مِصْرَ، وَأَنَا أُصْعِدُكَ أَيْضًا (أي: أُصْعِدُ نسلَك شعب إسرائيل مِن مصر إلى كنعان[5820]؛ وقيل: أُصْعِدُكَ في الدرجة والمقام[5821]؛ وقيل: أُصْعِدُ جثتك[5822]!). وَيَضَعُ يُوسُفُ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْكَ (أي: فأنت ستظل في مصر حتى تموت بين يَدَيّ ابنك يوسف)»[5823]. {5} فَقَامَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ، وَحَمَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ أَبَاهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ فِي الْعَجَلاَتِ الَّتِي أَرْسَلَ فِرْعَوْنُ لِحَمْلِهِ. {6} وَأَخَذُوا مَوَاشِيَهُمْ وَمُقْتَنَاهُمُ الَّذِي اقْتَنَوْا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَجَاءُوا إِلَى مِصْرَ. يَعْقُوبُ وَكُلُّ نَسْلِهِ مَعَهُ. {7} بَنُوهُ وَبَنُو بَنِيهِ مَعَهُ، وَبَنَاتُهُ وَبَنَاتُ بَنِيهِ وَكُلُّ نَسْلِهِ، جَاءَ بِهِمْ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ. {8} وَهذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مِصْرَ: يَعْقُوبُ وَبَنُوهُ[5824].

- بِكْرُ يَعْقُوبَ رَأُوبَيْنُ. {9} وَبَنُو رَأُوبَيْنَ: حَنُوكُ وَفَلُّو وَحَصْرُونُ وَكَرْمِي. {10} وَبَنُو شِمْعُونَ: يَمُوئِيلُ وَيَامِينُ وَأُوهَدُ وَيَاكِينُ وَصُوحَرُ وَشَأُولُ ابْنُ الْكَنْعَانِيَّةِ. {11} وَبَنُو لاَوِي: جِرْشُونُ وَقَهَاتُ وَمَرَارِي. {12} وَبَنُو يَهُوذَا: عِيرٌ وَأُونَانُ وَشِيلَةُ وَفَارَصُ[5825] وَزَارَحُ. وَأَمَّا عِيرٌ وَأُونَانُ فَمَاتَا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ (أي: فلم يأتيا إلى مصر). وَكَانَ ابْنَا فَارَصَ: حَصْرُونَ وَحَامُولَ. {13} وَبَنُو يَسَّاكَرَ: تُولاَعُ وَفُوَّةُ وَيُوبُ وَشِمْرُونُ. {14} وَبَنُو زَبُولُونَ: سَارَدُ وَإِيلُونُ وَيَاحْلِئِيلُ. {15} هؤُلاَءِ بَنُو لَيْئَةَ الَّذِينَ وَلَدَتْهُمْ لِيَعْقُوبَ فِي فَدَّانَ أَرَامَ مَعَ دِينَةَ ابْنَتِهِ. جَمِيعُ نُفُوسِ بَنِيهِ وَبَنَاتِهِ ثَلاَثٌ وَثَلاَثُونَ.
- {16} وَبَنُو جَادَ: صِفْيُونُ وَحَجِّي وَشُونِي وَأَصْبُونُ وَعِيرِي وَأَرُودِي وَأَرْئِيلِي. {17} وَبَنُو أَشِيرَ: يِمْنَةُ وَيِشْوَةُ وَيِشْوِي وَبَرِيعَةُ، وَسَارَحُ هِيَ أُخْتُهُمْ. وَابْنَا بَرِيعَةَ: حَابِرُ وَمَلْكِيئِيلُ. {18} هؤُلاَءِ بَنُو زِلْفَةَ الَّتِي أَعْطَاهَا لاَبَانُ لِلَيْئَةَ ابْنَتِهِ [جَارِيَةً لَهَا]، فَوَلَدَتْ هؤُلاَءِ لِيَعْقُوبَ، سِتَّ عَشَرَةَ نَفْسًا.
- {19} اِبْنَا رَاحِيلَ امْرَأَةِ يَعْقُوبَ: يُوسُفُ وَبَنْيَامِينُ. {20} وَوُلِدَ لِيُوسُفَ فِي أَرْضِ مِصْرَ: مَنَسَّى وَأَفْرَايِمُ، اللَّذَانِ وَلَدَتْهُمَا لَهُ أَسْنَاتُ بِنْتُ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونٍ. {21} وَبَنُو بَنْيَامِينَ: بَالَعُ وَبَاكَرُ وَأَشْبِيلُ وَجِيرَا وَنَعْمَانُ وَإِيحِي وَرُوشُ وَمُفِّيمُ وَحُفِّيمُ وَأَرْدُ. {22} هؤُلاَءِ بَنُو رَاحِيلَ الَّذِينَ وُلِدُوا لِيَعْقُوبَ. جَمِيعُ النُّفُوسِ أَرْبَعَ عَشَرَةَ.

- {23} وَابْنُ دَانَ: حُوشِيمُ. {24} وَبَنُو نَفْتَالِي: يَاحَصْئِيلُ وَجُونِي وَيِصْرُ وَشِلِّيمُ. {25} هؤُلاَءِ بَنُو بِلْهَةَ الَّتِي أَعْطَاهَا لاَبَانُ لِرَاحِيلَ ابْنَتِهِ [جَارِيَةً لَهَا]. فَوَلَدَتْ هؤُلاَءِ لِيَعْقُوبَ. جَمِيعُ الأَنْفُسِ سَبْعٌ.

{26} جَمِيعُ النُّفُوسِ لِيَعْقُوبَ الَّتِي أَتَتْ [مِن كنعان] إِلَى مِصْرَ، الْخَارِجَةِ مِنْ صُلْبِهِ، مَا عَدَا نِسَاءَ بَنِي يَعْقُوبَ، جَمِيعُ النُّفُوسِ سِتٌّ وَسِتُّونَ نَفْسًا[5826]. {27} وَابْنَا يُوسُفَ اللَّذَانِ وُلِدَا لَهُ فِي مِصْرَ نَفْسَانِ. جَمِيعُ نُفُوسِ بَيْتِ يَعْقُوبَ الَّتِي جَاءَتْ إِلَى مِصْرَ سَبْعُونَ[5827][5828]. {28} فَأَرْسَلَ [إِسْرَائِيلُ] يَهُوذَا[5829] أَمَامَهُ إِلَى يُوسُفَ لِيُرِيَ الطَّرِيقَ أَمَامَهُ إِلَى جَاسَانَ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى أَرْضِ جَاسَانَ.

يوسف يخرج لاستقبال إسرائيل أبيه وأهله. (التكوين 46): {29} فَشَدَّ يُوسُفُ مَرْكَبَتَهُ وَصَعِدَ لاسْتِقْبَالِ إِسْرَائِيلَ أَبِيهِ إِلَى جَاسَانَ. وَلَمَّا ظَهَرَ لَهُ وَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَبَكَى عَلَى عُنُقِهِ زَمَانًا **[← "فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ (أي: ضمَّ يوسفُ) إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ" (يوسف 99)]**. {30} فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «أَمُوتُ الآنَ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ وَجْهَكَ أَنَّكَ حَيٌّ بَعْدُ». {31} ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ وَلِبَيْتِ أَبِيهِ: «أَصْعَدُ وَأُخْبِرُ فِرْعَوْنَ وَأَقُولُ لَهُ: إِخْوَتِي وَبَيْتُ أَبِي الَّذِينَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ جَاءُوا إِلَيَّ. {32} وَالرِّجَالُ رُعَاةُ غَنَمٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ مَوَاشٍ **[← "مِّنَ الْبَدْوِ" (يوسف 100)]**، وَقَدْ جَاءُوا بِغَنَمِهِمْ وَبَقَرِهِمْ وَكُلِّ مَا لَهُمْ. {33} فَيَكُونُ إِذَا دَعَاكُمْ فِرْعَوْنُ وَقَالَ: مَا صِنَاعَتُكُمْ؟ {34} أَنْ تَقُولُوا: عَبِيدُكَ أَهْلُ مَوَاشٍ **[← "مِّنَ الْبَدْوِ" (يوسف 100)]** مُنْذُ صِبَانَا إِلَى الآنَ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا. لِكَيْ تَسْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ (يقصد: منعزلين عن المصريين فلا تتأثروا بأوثانهم و/أو لا تتعرضوا لمضايقاتهم). لأَنَّ كُلَّ رَاعِي غَنَمٍ رِجْسٌ لِلْمِصْرِيِّينَ [لأسباب قومية أو سياسية أو دينية أو اجتماعية]».

إسرائيل يقابل مَلِكَ مصر ويباركه مرتين! (التكوين 47): {1} فَأَتَى يُوسُفُ وَأَخبَرَ فِرْعَوْنَ وَقَالَ: «أَبِي وَإِخْوَتِي وَغَنَمُهُمْ وَبَقَرُهُمْ وَكُلُّ مَا لَهُمْ جَاءُوا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ، وَهُوَذَا هُمْ فِي أَرْضِ جَاسَانَ». {2} وَأَخَذَ مِنْ جُمْلَةِ إِخْوَتِهِ خَمْسَةَ رِجَالٍ وَأَوْقَفَهُمْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. {3} فَقَالَ فِرْعَوْنُ لإِخْوَتِهِ: «مَا صِنَاعَتُكُمْ؟» فَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: «عَبِيدُكَ رُعَاةُ غَنَمٍ **[← "مِّنَ الْبَدْوِ" (يوسف 100)]** نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا». {4} وَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: «جِئْنَا لِنَتَغَرَّبَ فِي الأَرْضِ، إِذْ لَيْسَ لِغَنَمِ عَبِيدِكَ مَرْعًى، لأَنَّ الْجُوعَ شَدِيدٌ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ **[← "مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ" (يوسف 88)]**. فَالآنَ لِيَسْكُنْ عَبِيدُكَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ». {5} فَكَلَّمَ فِرْعَوْنُ يُوسُفَ قَائِلاً: «أَبُوكَ وَإِخْوَتُكَ جَاءُوا إِلَيْكَ. {6} أَرْضُ مِصْرَ قُدَّامَكَ **[← "ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ" (يوسف 99)]**. فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ أَسْكِنْ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ، لِيَسْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ. وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُوجَدُ بَيْنَهُمْ ذَوُو قُدْرَةٍ، فَاجْعَلْهُمْ رُؤَسَاءَ مَوَاشٍ عَلَى الَّتِي لِي[5830]» {7} ثُمَّ أَدْخَلَ يُوسُفُ يَعْقُوبَ أَبَاهُ وَأَوْقَفَهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. وَبَارَكَ يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ (قيل: دعا له بطول العمر والنصر على الأعداء ونحو ذلك؛ وقيل: "غالباً ما انحنى فرعونُ أمام هذا الشيخ (أي: يعقوب) ليضع يديه على رأسه ويباركه"[5831]!). {8} فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيَعْقُوبَ: «كَمْ هِيَ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِكَ؟» {9} فَقَالَ يَعْقُوبُ لِفِرْعَوْنَ: «أَيَّامُ سِنِي غُرْبَتِي (أي: حَيَاتِي[5832]!) مِئَةٌ وَثَلاَثُونَ سَنَةً. قَلِيلَةً وَ رَدِيَّةً **[← "مُّزْجَاةٍ (أي: قليلة و/أو رَدِيئة)" (يوسف 88)؟]** كَانَتْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي، وَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَيَّامِ سِنِي حَيَاةِ آبَائِي فِي أَيَّامِ غُرْبَتِهِمْ». {10} وَبَارَكَ يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ وَخَرَجَ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ.

وهكذا بكل بساطة تحولت مصر إلى مستوطنة إسرائيلية! هل هذا معقول؟! هل يوجد أي دليل علمي يثبت أن إقامة يوسف وبني إسرائيل في مصر كانت في النصف الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد؟!

الإسرائيليون يستوطنون مصر! معززين مكرمين في أفضل الأماكن! بينما يأخذ يوسفُ مِن المصريين كلَّ أموالهم وجميع مواشيهم مقابل الخبز! (التكوين 47): {11} فَأَسْكَنَ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَعْطَاهُمْ مُلْكًا فِي أَرْضِ مِصْرَ، فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ، فِي أَرْضِ رَعَمْسِيسَ (Rameses)[5833] كَمَا أَمَرَ فِرْعَوْنُ. {12} وَعَالَ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَكُلَّ بَيْتِ أَبِيهِ (أي: أَمَدَّهُمْ) بِطَعَامٍ عَلَى حَسَبِ [عدد] الأَوْلاَدِ **[← "آوَىٰ [يوسفُ] إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ [مِن الجوع والهلاك]" (يوسف 99)].** {13} وَلَمْ يَكُنْ خُبْزٌ فِي كُلِّ الأَرْضِ، لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا جِدًّا. فَخَوَّرَتْ (أي: أَقْحَلَتْ؛ ضعفت) أَرْضُ مِصْرَ وَأَرْضُ كَنْعَانَ مِنْ أَجْلِ الْجُوعِ. {14} فَجَمَعَ يُوسُفُ كُلَّ الْفِضَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَفِي أَرْضِ كَنْعَانَ بِالْقَمْحِ الَّذِي اشْتَرُوا، وَجَاءَ يُوسُفُ بِالْفِضَّةِ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ. {15} فَلَمَّا فَرَغَتِ الْفِضَّةُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَمِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ أَتَى جَمِيعُ الْمِصْرِيِّينَ إِلَى يُوسُفَ قَائِلِينَ: «أَعْطِنَا خُبْزًا، فَلِمَاذَا نَمُوتُ قُدَّامَكَ؟ لأَنْ لَيْسَ فِضَّةٌ أَيْضًا». {16} فَقَالَ يُوسُفُ: «هَاتُوا مَوَاشِيَكُمْ فَأُعْطِيَكُمْ (أي: أُقَايِضُكُمْ) بِمَوَاشِيكُمْ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِضَّةٌ أَيْضًا». {17} فَجَاءُوا بِمَوَاشِيهِمْ إِلَى يُوسُفَ، فَأَعْطَاهُمْ يُوسُفُ خُبْزًا بِالْخَيْلِ وَبِمَوَاشِي الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَبِالْحَمِيرِ. فَقَاتَهُمْ بِالْخُبْزِ تِلْكَ السَّنَةَ بَدَلَ جَمِيعِ مَوَاشِيهِمْ (أي: بالمقايضة bartering؛ en troc).

يوسف العبراني يجعل المصريين كلهم عبيداً لفرعون وأراضيهم مِلْكاً لفرعون! فصارت كل أرض مصر وشعبها مِلْكاً لفرعون! يعني: استعباد (State Slavery) وتأميم (Nationalization)! وبعد أن صارت البلادُ والعبادُ مِلْكاً لفرعون، فرض يوسفُ على المصريين ضريبة 20% مِن محاصيلهم لفرعون! والعجيب أن التوراة تقول إن المصريين هُمْ الذين طلبوا أن يُستعبَدوا؛ يعني: باعوا أنفسهم مِن أجل الخبز! وكان المصريون سعداء بتلك العبودية! هل هذا معقول يا أصحاب العقول؟! (التكوين 47): {18} وَلَمَّا تَمَّتْ تِلْكَ السَّنَةُ أَتَوْا إِلَيْهِ (أي: جاء المصريون إلى يوسف) فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ وَقَالُوا لَهُ: «لاَ نُخْفِي عَنْ سَيِّدِي أَنَّهُ إِذْ قَدْ فَرَغَتِ الْفِضَّةُ، وَمَوَاشِي الْبَهَائِمِ عِنْدَ سَيِّدِي، لَمْ يَبْقَ قُدَّامَ سَيِّدِي إِلاَّ أَجْسَادُنَا وَأَرْضُنَا. {19} لِمَاذَا نَمُوتُ أَمَامَ عَيْنَيْكَ نَحْنُ وَأَرْضُنَا جَمِيعًا؟ اِشْتَرِنَا وَأَرْضَنَا بِالْخُبْزِ (أي: نَحْنُ نطلب العبودية! فخذنا عبيداً وخذ أرْضَنَا مقابل الخبز!)، فَنَصِيرَ نَحْنُ وَأَرْضُنَا عَبِيدًا لِفِرْعَوْنَ، وَأَعْطِ بِذَارًا (أي: بذوراً لنزرعها) لِنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ وَلاَ تَصِيرَ أَرْضُنَا قَفْرًا». {20} فَاشْتَرَى يُوسُفُ كُلَّ أَرْضِ مِصْرَ لِفِرْعَوْنَ، إِذْ بَاعَ الْمِصْرِيُّونَ كُلُّ وَاحِدٍ حَقْلَهُ، لأَنَّ الْجُوعَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ. فَصَارَتِ الأَرْضُ لِفِرْعَوْنَ. {21} وَأَمَّا الشَّعْبُ فَنَقَلَهُمْ إِلَى الْمُدُنِ (في الترجمة السبعينية والتوراة السامرية: وَاسْتَعْبَدَ الشَّعْبَ لَهُ كَعَبِيدٍ) مِنْ أَقْصَى حَدِّ مِصْرَ إِلَى أَقْصَاهُ. {22} إِلاَّ إِنَّ أَرْضَ الْكَهَنَةِ لَمْ يَشْتَرِهَا، إِذْ كَانَتْ لِلْكَهَنَةِ فَرِيضَةٌ (أي: كانت تُصرَف لِلْكَهَنَةِ مُخَصَّصَاتٌ مُعَيَّنَةٌ مِن الأطعمة!) مِنْ قِبَلِ فِرْعَوْنَ، فَأَكَلُوا فَرِيضَتَهُمُ الَّتِي أَعْطَاهُمْ فِرْعَوْنُ، لِذلِكَ لَمْ يَبِيعُوا أَرْضَهُمْ (يعني: رجال الدين كانوا يأكلون مجاناً؟!). {23} فَقَالَ يُوسُفُ لِلشَّعْبِ: «إِنِّي قَدِ اشْتَرَيْتُكُمُ الْيَوْمَ [أنتم] وَأَرْضَكُمْ لِفِرْعَوْنَ. هُوَذَا لَكُمْ بِذَارٌ فَتَزْرَعُونَ الأَرْضَ [التي

لا تمتلكونها!]. {24}وَيَكُونُ عِنْدَ الْغَلَّةِ (أي: في موسم الحصاد؛ وقيل: بعد انتهاء المجاعة) أَنَّكُمْ تُعْطُونَ خُمْسًا (أي: 20% مِن المحصول!) لِفِرْعَوْنَ، وَالأَرْبَعَةُ الأَجْزَاءُ تَكُونُ لَكُمْ بِذَارًا لِلْحَقْلِ، وَطَعَامًا لَكُمْ وَلِمَنْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَطَعَامًا لأَوْلاَدِكُمْ». {25} فَقَالُوا: «أَحْيَيْتَنَا. لَيْتَنَا نَجِدُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ سَيِّدِي فَنَكُونَ عَبِيدًا لِفِرْعَوْنَ». {26} فَجَعَلَهَا يُوسُفُ فَرْضًا عَلَى أَرْضِ مِصْرَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ (أي: إلى زمان موسى كاتب التوراة حسب التقليد اليهودي/المسيحي؛ يعني: مئات السنين مِن يوسف إلى موسى!): لِفِرْعَوْنَ الْخُمْسُ. إِلاَّ إِنَّ أَرْضَ الْكَهَنَةِ وَحْدَهُمْ لَمْ تَصِرْ لِفِرْعَوْنَ (يعني: رجال الدين كانوا كل هذه الفترة يأكلون مجاناً؟!).

أما الإسرائيليون فصاروا مِن أصحاب الممتلكات في مصر! وتناسلوا فزاد عددهم زيادة كبيرة! هل هذا معقول يا أصحاب العقول؟! (التكوين 47): {27} وَسَكَنَ إِسْرَائِيلُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، فِي أَرْضِ جَاسَانَ، وَتَمَلَّكُوا فِيهَا (أي: اقْتَنوا فيها أملاكاً[5834]!) وَأَثْمَرُوا وَكَثُرُوا جِدًّا. {28} وَعَاشَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ مِصْرَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً[5835]. فَكَانَتْ أَيَّامُ يَعْقُوبَ، سِنُو حَيَاتِهِ مِئَةً وَسَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً[5836]. {29} وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَمُوتَ دَعَا ابْنَهُ يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَضَعْ يَدَكَ تَحْتَ فَخْذِي (أي: احْلِفْ لِي) وَاصْنَعْ مَعِي مَعْرُوفًا وَأَمَانَةً: لاَ تَدْفِنِّي فِي مِصْرَ، {30} بَلْ أَضْطَجِعُ مَعَ آبَائِي، فَتَحْمِلُنِي مِنْ مِصْرَ [إلى كنعان] وَتَدْفِنُنِي فِي مَقْبَرَتِهِمْ». فَقَالَ [يوسفُ]: «أَنَا أَفْعَلُ بِحَسَبِ قَوْلِكَ». {31} فَقَالَ [إِسْرَائِيلُ]: «احْلِفْ لِي». فَحَلَفَ [يوسفُ] لَهُ. فَسَجَدَ إِسْرَائِيلُ عَلَى رَأْسِ السَّرِير (في الترجمة اليونانية (السبعينية): "عَلَى رَأْسِ عَصَاهُ"[5837]. واحتار المفسرون في تفسير كلمة "عَصَاهُ"؛ قيل: "عصا يعقوب" فيكون السجود شكراً لله، وقيل: "عصا يوسف" فيكون السجود شكراً لله أو تحيةً ليوسف[5838]) [← **يبدو أن أصحاب القرآن قد أرادوا أن يجمعوا بين التوراة العبرية والتوراة اليونانية، فجعلوا يوسفَ يرفع يعقوبَ على العرش (أي: سرير المُلك) وجعلوا يعقوبَ يسجد ليوسف تحقيقاً لرؤياه التي رآها في بداية القصة: "وَرَفَعَ [يوسفُ] أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ [يوسفُ لأبيه] يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ[5839] قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا" (يوسف 100). والعجيب أن القرآن يقول "أَبَوَيْهِ [...] أَبَوَيْهِ" (يوسف 99-100)! مع أن أمه راحيل كانت قد ماتت منذ فترة طويلة! قيل إن المقصود خالته ليئة زوجة أبيه والتي قامت على تربيته ولذلك دُعيتْ أمه[5840]!**].

وهكذا بدأ الاستيطانُ الإسرائيلي لمصر حسب هذه الأسطورة اليهودية←المسيحية←الإسلامية! وتقول الأسطورة إن بني إسرائيل لم يخرجوا مِن مصر متوجهين إلى كنعان إلا بقيادة موسى بعد يوسف بمئات السنين! 66 أو 70 أو 75 شخص تكاثروا في مصر بمرور الزمن حتى صاروا حوالي 600 ألف رجل (الخروج 37:12، 26:38) (العدد 46:1، 32:2، 21:11) غير النساء والأطفال! أي حوالي 2 مليون نسمة! ومع ذلك لا نجد لهم أي أثر تاريخي في مصر في الألفية الثانية قبل الميلاد!

2 مليون نسمة لم يتركوا أي أثر تاريخي في مصر! هل هذا معقول؟! سؤال للأذكياء فقط.

ونحن نرى أن أسطورة يوسف التوراتية قد نشأت – أو على الأقل كُتِبَتْ في صيغتها النهائية – **بعد** استقرار الإسرائيليين/اليهود في كنعان. إنها إذن محاولة لتفسير الواقع، وليست نبوءة عن المستقبل كما تزعم.

نعود إلى سفر التكوين. **إسرائيل (يعقوب) يبارك يوسفَ وَابْنَيْه ويتبناهما ويُذكِّرهم أنهم غرباء في مصر على الرغم من تسلط يوسف عليها وميلاد مَنَسَّى وَأَفْرَايِم فيها. (التكوين 48):** {1} وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّهُ قِيلَ لِيُوسُفَ: «هُوَذَا أَبُوكَ مَرِيضٌ». فَأَخَذَ [يُوسُفُ] مَعَهُ ابْنَيْهِ مَنَسَّى وَأَفْرَايِمَ. {2} فَأُخْبِرَ يَعْقُوبُ وَقِيلَ لَهُ: «هُوَذَا ابْنُكَ يُوسُفُ قَادِمٌ إِلَيْكَ». فَتَشَدَّدَ إِسْرَائِيلُ وَجَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ. {3} وَقَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: «اللهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ لِي فِي لُوزَ (أي: بَيْتِ إيل Bethel[5841])، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَبَارَكَنِي. {4} وَقَالَ لِي: هَا أَنَا أَجْعَلُكَ مُثْمِرًا وَأُكَثِّرُكَ، وَأَجْعَلُكَ جُمْهُورًا مِنَ الأُمَمِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ هذِهِ الأَرْضَ (أي: أرض كنعان؛ حالياً: إسرائيل/فلسطين) مِنْ بَعْدِكَ مُلْكًا أَبَدِيًّا (an everlasting possession). {5} وَالآنَ ابْنَاكَ [أَفْرَايِمُ وَمَنَسَّى] الْمَوْلُودَانِ لَكَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، قَبْلَمَا أَتَيْتُ إِلَيْكَ إِلَى مِصْرَ هُمَا لِي. أَفْرَايِمُ وَمَنَسَّى كَرَأُوبَيْنَ وَشِمْعُونَ يَكُونَانِ لِي (أي: الصغيران أَفْرَايِم وَمَنَسَّى سيرثان أرض كنعان مثل الكبيرين رَأُوبَيْن وَشِمْعُون). [...] {8} وَرَأَى إِسْرَائِيلُ ابْنَيْ يُوسُفَ فَقَالَ: «مَنْ هذَانِ؟». {9} فَقَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ: «هُمَا ابْنَايَ [مَنَسَّى وَأَفْرَايِم] اللَّذَانِ أَعْطَانِيَ اللهُ ههُنَا». فَقَالَ [إِسْرَائِيلُ ليوسف]: «قَدِّمْهُمَا إِلَيَّ لأُبَارِكَهُمَا». {10} وَأَمَّا عَيْنَا إِسْرَائِيلَ فَكَانَتَا قَدْ ثَقُلَتَا (أي: كَلَّتَا) مِنَ الشَّيْخُوخَةِ، لاَ يَقْدُرُ أَنْ يُبْصِرَ[5842] **[← نقل القرآنُ هذه الفكرة إلى موضعٍ مبكر: "وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ [بذهاب سوادهما فضعف نظرُه أو فقد بصرَه]" (يوسف 84)]**، فَقَرَّبَهُمَا إِلَيْهِ فَقَبَّلَهُمَا وَاحْتَضَنَهُمَا. {11} وَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنِّي أَرَى وَجْهَكَ، وَهُوَذَا اللهُ قَدْ أَرَانِي نَسْلَكَ أَيْضًا». {12} ثُمَّ أَخْرَجَهُمَا يُوسُفُ مِنْ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ وَسَجَدَ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. {13} وَأَخَذَ يُوسُفُ الاثْنَيْنِ أَفْرَايِمَ [الصَّغِير] بِيَمِينِهِ عَنْ يَسَارِ إِسْرَائِيلَ، وَمَنَسَّى [الْبِكْر] بِيَسَارِهِ عَنْ يَمِينِ إِسْرَائِيلَ وَقَرَّبَهُمَا إِلَيْهِ. {14} فَمَدَّ إِسْرَائِيلُ يَمِينَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِ أَفْرَايِمَ وَهُوَ الصَّغِيرُ، وَيَسَارَهُ عَلَى رَأْسِ مَنَسَّى [الْبِكْر]. وَضَعَ يَدَيْهِ بِفِطْنَةٍ فَإِنَّ مَنَسَّى كَانَ الْبِكْرَ[5843]. {15} وَبَارَكَ [إِسْرَائِيلُ] يُوسُفَ وَقَالَ: «اللهُ الَّذِي سَارَ أَمَامَهُ أَبَوَايَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقُ، اللهُ الَّذِي رَعَانِي مُنْذُ وُجُودِي إِلَى هذَا الْيَوْمِ، {16} الْمَلاَكُ الَّذِي خَلَّصَنِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ، يُبَارِكُ الْغُلاَمَيْنِ [أَفْرَايِم وَمَنَسَّى]. وَلْيُدْعَ عَلَيْهِمَا اسْمِي (أي: سأتبناهما، فيحلّان محلَّ يوسف) وَاسْمُ أَبَوَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، وَلْيَكْثُرَا كَثِيرًا فِي الأَرْضِ». {17} فَلَمَّا رَأَى يُوسُفُ أَنَّ أَبَاهُ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِ أَفْرَايِمَ [الصَّغِير]، سَاءَ ذلِكَ فِي عَيْنَيْهِ، فَأَمْسَكَ بِيَدِ أَبِيهِ [الْيُمْنَى] لِيَنْقُلَهَا عَنْ رَأْسِ أَفْرَايِمَ [الصَّغِير] إِلَى رَأْسِ مَنَسَّى [الْبِكْر]. {18} وَقَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ: «لَيْسَ هكَذَا يَا أَبِي، لأَنَّ هذَا [مَنَسَّى] هُوَ الْبِكْرُ. ضَعْ يَمِينَكَ عَلَى رَأْسِهِ». {19} فَأَبَى أَبُوهُ وَقَالَ: «عَلِمْتُ يَا ابْنِي، عَلِمْتُ. هُوَ (أي: مَنَسَّى) أَيْضًا يَكُونُ شَعْبًا، وَهُوَ أَيْضًا يَصِيرُ كَبِيرًا. وَلكِنَّ أَخَاهُ الصَّغِيرَ [أَفْرَايِم] يَكُونُ أَكْبَرَ مِنْهُ، وَنَسْلُهُ يَكُونُ جُمْهُورًا مِنَ الأُمَمِ». {20} وَبَارَكَهُمَا [إِسْرَائِيلُ] فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: «بِكَ يُبَارِكُ إِسْرَائِيلُ قَائِلاً: يَجْعَلُكَ اللهُ كَأَفْرَايِمَ وَكَمَنَسَّى». فَقَدَّمَ أَفْرَايِمَ عَلَى مَنَسَّى. {21} وَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «هَا أَنَا

أَمُوتُ، وَلكِنَّ اللهَ سَيَكُونُ مَعَكُمْ وَيَرُدُّكُمْ إِلَى أَرْضِ آبَائِكُمْ (أي: سيُخرجكم اللهُ مِن مصر أرض غربتكم ويُعيدكم إلى كنعان أرض آبائكم). {22} وَأَنَا قَدْ وَهَبْتُ لَكَ [في أرض كنعان] سَهْمًا (بالعبرية: shekhem) وَاحِدًا فَوْقَ إِخْوَتِكَ، أَخَذْتُهُ مِنْ يَدِ الأَمُورِيِّينَ بِسَيْفِي وَقَوْسِي[5844]».

وكما قلنا فيما سبق، هذا هو أحد الأهداف الرئيسية لأسطورة يوسف التوراتية: تفسير لماذا يوسف بالذات (وليس زَبُولُون مثلاً) هو الذي حصل على سهمين (أي: نصيبين؛ a double portion)[5845] بعد أن فقد رأوبينُ **[← "كَبِيرُهُمْ [فِي السِّنِّ]" (يوسف 80)]** حَقَّ البكورية (Birthright; Right of The Firstborn)[5846] بسبب اضطجاعه مع امرأة أبيه[5847]. بعبارة أخرى: خسر رأوبينُ حَقَّ البكورية؛ فلمَّا تبنى يعقوبُ أَفْرَايِمَ وَمَنَسَّى ابني يوسف، انتقل هذا الحق عملياً إلى يوسف ابن راحيل زوجة يعقوب المحبوبة[5848]. ومِن أهداف أسطورة يوسف التوراتية أيضاً تفسير لماذا تقدَّم يهوذا **[← "كَبِيرُهُمْ [فِي الرِّيَاسَةِ وَالسُّؤْدُدِ]" (يوسف 80)]** في الرياسة والمُلك (kingship) على رَأُوبَيْن الذي فقد حق البكورية.

ولعل أفضل ما يُلخِّص أسطورة يوسف التوراتية هو جملة وجدناها في الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي على لسان يعقوب: "هُيِّئت [يا رَأُوبَيْن] لتأخذ ثلاث حصص أكثر مِن إخوتك: كانت البكوريّة (birthright) لكَ، وأعدَّ لك المُلْكُ (kingdom) والكهنوت السامي (high priesthood). وبما أنك خطئت، يا رَأُوبَيْن ابني، أعطيت البكوريّة ليوسف ابني، والمُلْك ليهوذا، والكهنوت السامي لقبيلة لاوي" (ترجوم نيوفيتي[5849]. التكوين 3:49).

إذن: تصالح الإخوة لا يعني أنهم صاروا متساويين في إرث أرض الميعاد (كنعان). وإنما يعني أن ذريتهم قَبِلوا أن يعيشوا مع بعضهم كإخوة في كنعان على الرغم مِن كونهم غير متساويين في الكم والكيف. أراضيهم غير متساوية مِن حيث الموقع والمساحة؛ ومكانتهم في الدين والسياسة أيضاً غير متساوية.

أو كما قال الكتاب الدراسي اليهودي (Jewish Study Bible)[5850]:

> […] This is another indication that one function of the Joseph story is to explain why Joseph (the dominant tribe of the North) and Judah (the royal tribe of the South) became more important than Reuben (the first-born). See 1 Chronicles 5.1-2. […]
>
> […]
>
> […] The fraternal reconciliation does not mean that the old favoritism has come to an end and all the brothers are equal. It means, rather, that all concerned are now at last able to live with and accept the favoritism with grace and good will.

ولم يهمهم إنْ كان يعقوب ويوسف وأَفْرَايِم وَمَنَسَّى ويهوذا ورأوبين شخصيات حقيقية تاريخية، فالمهم هو أن تتحد قبائل إسرائيل كإخوة حول أسطورة واحدة تفسر الواقع في كنعان. أسطورة يوسف التوراتية تفسر لماذا حصلت قبيلتا أَفْرَايِم وَمَنَسَّى (أو بعبارة أكثر دقة: مَن يعتقدون أنهم مِن نسل أَفْرَايِم وَمَنَسَّى) على معظم الأراضي الشمالية في كنعان[5851] بينما حصلت قبيلة يهوذا (أو بعبارة أكثر دقة: الذين يسمون أنفسهم بني يهوذا) على معظم الأراضي الجنوبية وحصلوا أيضاً على شرف الرياسة والمُلْك، ومِن ثم جاءت فكرة أن يأتي المسيحُ (المسيَّا؛ māšîăḥ) (مَلِكُ اليهود) مِن نسل يهوذا. أو بعبارة أكثر دقة: أن يكون المَلِك المسيح مِن نسل المَلِك داود (David) الذي يُقال إنه مِن نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[5852][5853].

بل ليس من المبالغة أن نقول إنه في المسيح اجتمعت معاً وظائف البكوريّة[5854] (يوسف الحقيقي) والمُلْك (يهوذا الحقيقي) والكهنوت السامي (لاوي الحقيقي).

نعود إلى سفر التكوين. **إسرائيلُ (يعقوبُ) يقول نشيداً أو قصيدة شعرية (poem) ليبارك بنيه وذريتهم قبيل وفاته. ونظراً لأن القصيدة طويلة وصعبة التفسير، فسنكتفي بما قاله إسرائيلُ لرأوبين مُوبِّخاً وما قاله ليهوذا مُتنبِّئاً وما قاله ليوسف مُبارِكاً. (التكوين 49):** {1} وَدَعَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ وَقَالَ: «اجْتَمِعُوا لأُنْبِئَكُمْ بِمَا يُصِيبُكُمْ فِي آخِرِ الأَيَّامِ (أي: في مستقبلكم ومستقبل ذريتكم). {2} اجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا يَا بَنِي يَعْقُوبَ، وَاصْغَوْا إِلَى إِسْرَائِيلَ أَبِيكُمْ:

- {3} رَأُوبَيْنُ[5855]، أَنْتَ بِكْرِي، قُوَّتِي وَأَوَّلُ قُدْرَتِي (أي: مظهر رجولتي)، فَضْلُ الرِّفْعَةِ وَفَضْلُ الْعِزِّ. {4} فَائِرًا كَالْمَاءِ (يقصد: لكنك متقلبٌ متردد؛ غير مستقر؛ هائجٌ[5856]) لاَ تَتَفَضَّلُ (أي: لا تتفوق؛ ليس لك الأفضلية على إخوتك)، لأَنَّكَ صَعِدْتَ عَلَى مَضْجَعِ أَبِيكَ. حِينَئِذٍ دَنَّسْتَهُ. عَلَى فِرَاشِي صَعِدَ.
- [...] {8} يَهُوذَا[5857]، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ، يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ[5858]. {9} يَهُوذَا جَرْوُ أَسَدٍ (أي: شِبْلُ أَسَدٍ؛ رمز السيادة والقوة والشجاعة)، مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي (أي: افترستَ أعداءك وقُمْتَ منتصراً)، جَثَا وَرَبَضَ (أي: ثم استقر بعد انتصاره) كَأَسَدٍ وَكَلَبْوَةٍ. مَنْ يُنْهِضُهُ؟ (أي: مَن يجرؤ على إثارته؟) {10} لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ (أي: صَوْلَجَانُ المُلْكِ؛ scepter) مِنْ يَهُوذَا وَ [لاَ يَزُولُ] مُشْتَرِعٌ (lawgiver؛ أو: عصا السلطة staff-of-command) مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ (أي: مِن صُلْبِهِ)[5859][5860] حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ (Shiloh) (أي: حَتَّى يَأْتِيَ الَّذِي لَهُ كل الأمر والإجلال؛ حَتَّى يَأْتِيَ الَّذِي لَهُ حَقُّ المُلْك والحُكْم والسيادة بالفعل؛ حَتَّى يَأْتِيَ المسيَّا[5861])[5862] وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ. {11} رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ (أي: بأفضل شجرة عنب) ابْنَ أَتَانِهِ (ربما يقصد: الإشارة إلى ركوب الحمير في القوافل التجارية وزراعة العنب في أرض يهوذا)[5863]، غَسَلَ بِالْخَمْرِ

لِبَاسَهُ، وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ (أي: غَسَلَ ثَوْبَهُ بعصير العنب الذي يصير نبيذاً؛ ربما يقصد: الإشارة إلى وفرة العنب والنبيذ في أرض يهوذا إلى درجة أن النبيذ يُستخدَم بدلاً مِن الماء في غسل الملابس)[5864]. {12} مُسْوَدُّ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْخَمْرِ، وَمُبْيَضُّ الأَسْنَانِ مِنَ اللَّبَنِ (يقصد: سيتمتع نسلُ يهوذا بحياة مزدهرة وفيها خيرات كثيرة وترف وغنى).

- [...] {22} يُوسُفُ، غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ، غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ عَلَى عَيْنٍ. أَغْصَانٌ قَدِ ارْتَفَعَتْ فَوْقَ حَائِطٍ. {23} فَمَرَّرَتْهُ وَرَمَتْهُ (أي: يُهَاجِمُهُ الرُّمَاةُ بمرارةٍ) وَاضْطَهَدَتْهُ أَرْبَابُ السِّهَامِ (أي: أعداؤه يُطلقون سِهَامَهُمْ عليه بعداوةٍ). {24} وَلكِنْ ثَبَتَتْ بِمَتَانَةٍ قَوْسُهُ، وَتَشَدَّدَتْ سَوَاعِدُ يَدَيْهِ. مِنْ يَدَيْ عَزِيزِ يَعْقُوبَ، مِنْ هُنَاكَ، مِنَ الرَّاعِي صَخْرِ إِسْرَائِيلَ (يقصد: بفضل الرب الإله) **[← "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 21)]**، {25} مِنْ إِلهِ أَبِيكَ الَّذِي يُعِينُكَ، وَمِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي يُبَارِكُكَ، تَأْتِي بَرَكَاتُ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ (أي: الأمطار)، وَبَرَكَاتُ الْغَمْرِ الرَّابِضِ تَحْتُ (أي: الأنهار والينابيع). بَرَكَاتُ الثَّدْيَيْنِ وَالرَّحِمِ (يقصد: كثرة النسل وقوته)[5865]. {26} بَرَكَاتُ أَبِيكَ [لكَ] فَاقَتْ عَلَى بَرَكَاتِ أَبَوَيَّ (أي: أكثر مِن بَرَكَاتِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ) **[← جعلها القرآنُ مثل بَرَكَاتِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ. قال يعقوبُ ليوسف: "وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ" (يوسف 6)]**. إِلَى مُنْيَةِ الآكَامِ الدَّهْرِيَّةِ (أي: إلى أقصى ما يتمناه المرءُ مِن بركات) تَكُونُ عَلَى رَأْسِ يُوسُفَ، وَعَلَى قِمَّةِ نَذِيرِ إِخْوَتِهِ (أي: على جبين الْمُفْرَز والمتميز عن إِخْوَتِهِ؛ المكرَّس لله عن إِخْوَتِهِ) **[← قال يعقوبُ ليوسف: "يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ (أي: يصطفيك ويختارك)" (يوسف 6) و "قَالُوا (أي: قال إخوةُ يوسف له) تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ (أي: اختارَكَ وفَضَّلَكَ) عَلَيْنَا" (يوسف 91)]**.

[...] {28} جَمِيعُ هؤُلاَءِ هُمْ أَسْبَاطُ (أي: قبائل) إِسْرَائِيلَ الاثْنَا عَشَرَ. وَهذَا مَا كَلَّمَهُمْ بِهِ أَبُوهُمْ وَبَارَكَهُمْ. كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ بَرَكَتِهِ بَارَكَهُمْ. {29} وَأَوْصَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا أَنْضَمُّ إِلَى قَوْمِي (أي: أموت). اِدْفِنُونِي عِنْدَ آبَائِي (أي: في كنعان وليس في مصر) [...]». {33} وَلَمَّا فَرَغَ يَعْقُوبُ مِنْ تَوْصِيَةِ بَنِيهِ [أن يدفنوه في كنعان] ضَمَّ رِجْلَيْهِ إِلَى السَّرِيرِ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ (أي: لَحِقَ بآبائه؛ مات)[5866].

تشييع جثمان إسرائيل (يعقوب) في جنازة مهيبة في مصر! ودَفْنه في كنعان تنفيذاً لوصيته. (التكوين 50): {1} فَوَقَعَ يُوسُفُ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِ وَبَكَى عَلَيْهِ وَقَبَّلَهُ. {2} وَأَمَرَ يُوسُفُ عَبِيدَهُ الأَطِبَّاءَ أَنْ يُحَنِّطُوا أَبَاهُ. فَحَنَّطَ الأَطِبَّاءُ إِسْرَائِيلَ. {3} وَكَمِلَ لَهُ أَرْبَعُونَ يَوْمًا (أي: حنطوه في أربعين يوماً)، لأَنَّهُ هكَذَا تَكْمُلُ أَيَّامُ الْمُحَنَّطِينَ. وَبَكَى عَلَيْهِ الْمِصْرِيُّونَ سَبْعِينَ يَوْمًا[5867]. {4} وَبَعْدَ مَا مَضَتْ أَيَّامُ بُكَائِهِ (أي: النواح عليه) كَلَّمَ يُوسُفُ بَيْتَ فِرْعَوْنَ قَائِلاً: «إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عُيُونِكُمْ، فَتَكَلَّمُوا فِي مَسَامِعِ فِرْعَوْنَ قَائِلِينَ: {5} أَبِي اسْتَحْلَفَنِي قَائِلاً: هَا أَنَا أَمُوتُ. فِي قَبْرِيَ الَّذِي حَفَرْتُ لِنَفْسِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ هُنَاكَ تَدْفِنُنِي، فَالآنَ أَصْعَدُ [إلى كنعان] لأَدْفِنَ أَبِي وَأَرْجِعُ». {6} فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «اصْعَدْ وَادْفِنْ أَبَاكَ كَمَا اسْتَحْلَفَكَ». {7} فَصَعِدَ يُوسُفُ [إلى كنعان] لِيَدْفِنَ أَبَاهُ، وَصَعِدَ مَعَهُ جَمِيعُ عَبِيدِ فِرْعَوْنَ، شُيُوخُ بَيْتِهِ وَجَمِيعُ شُيُوخِ أَرْضِ مِصْرَ (أي: الوجهاء

والأعيان وكبار رجال الدولة المصرية!)، {8} وَكُلُّ بَيْتِ يُوسُفَ وَإِخْوَتُهُ وَبَيْتُ أَبِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ تَرَكُوا أَوْلاَدَهُمْ [الصغار] وَغَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ فِي أَرْضِ جَاسَانَ. {9} وَصَعِدَ مَعَهُ مَرْكَبَاتٌ وَفُرْسَانٌ، فَكَانَ الْجَيْشُ كَثِيرًا جِدًّا. [...] {12} وَفَعَلَ لَهُ بَنُوهُ هكَذَا كَمَا أَوْصَاهُمْ: {13} حَمَلَهُ بَنُوهُ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ[5868] وَدَفَنُوهُ [...]. {14} ثُمَّ رَجَعَ يُوسُفُ إِلَى مِصْرَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ وَجَمِيعُ الَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ لِدَفْنِ أَبِيهِ بَعْدَ مَا دَفَنَ أَبَاهُ.

إحسان يوسف لإخوته الذين ظنوا أنه صفح عنهم وَقَبِلَهم إكراماً لوجود أبيهم يعقوب فقط. (التكوين 50): {15} وَلَمَّا رَأَى إِخْوَةُ يُوسُفَ أَنَّ أَبَاهُمْ قَدْ مَاتَ، قَالُوا: «لَعَلَّ يُوسُفَ يَضْطَهِدُنَا [بعد موت أبينا يعقوب] وَيَرُدُّ عَلَيْنَا جَمِيعَ الشَّرِّ الَّذِي صَنَعْنَا بِهِ (أي: لعل وجود أبينا هو السبب الذي جعل يوسف يؤجل عقابنا على ما فعلناه به)». {16} فَأَوْصَوْا إِلَى يُوسُفَ (أي: خافوا أن يقابلوا يوسف وجهاً لوجه فبعثوا إليه رسولاً يسترحمه ويستعطفه) قَائِلِينَ: «أَبُوكَ أَوْصَى قَبْلَ مَوْتِهِ قَائِلاً: {17} هكَذَا تَقُولُونَ لِيُوسُفَ: آهِ! اصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ إِخْوَتِكَ وَخَطِيَّتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ صَنَعُوا بِكَ شَرًّا. فَالآنَ اصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ عَبِيدِ إِلهِ أَبِيكَ» **[← "قَالُوا [لأبيهم يعقوب] يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ. قَالَ [يعقوب لهم] سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (يوسف 97-98)؛ واعترفوا بذنبهم ليوسف: "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ" (يوسف 91)]**. فَبَكَى يُوسُفُ حِينَ كَلَّمُوهُ (أي: حين بلغته رسالتهم؛ أو: سمح لهم أن يقابلوه فجاءوا وكلَّمُوهُ واعتذروا عن ذنبهم). {18} وَأَتَى إِخْوَتُهُ أَيْضًا وَوَقَعُوا أَمَامَهُ (أي: سجدوا له شاكرين محبته وتسامحه) وَقَالُوا: «هَا نَحْنُ عَبِيدُكَ» **[← "وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ [يوسفُ] يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ[5869] قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا" (يوسف 100)]**. {19} فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: «لاَ تَخَافُوا. لأَنَّهُ هَلْ أَنَا مَكَانَ اللهِ؟ (أي: الله هو صاحب الخطط والتدابير) **[← "إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ (أي: هو المُدبِّرُ للأمور بدِقَّةٍ ويُسر) ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (يوسف 100)]** {20} أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا [للجميع][5870] (أي: اللهُ حوَّل الشر إلى خير)، لِكَيْ يَفْعَلَ [اللهُ] كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ [اللهُ] شَعْبًا كَثِيرًا (أي: لينقذكم مِن الموت جوعاً أنتم وأهل كنعان ومصر والبلاد المجاورة) **[← "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 21)[5871]]**. {21} فَالآنَ لاَ تَخَافُوا. أَنَا أَعُولُكُمْ [أنتم] وَأَوْلاَدَكُمْ». فَعَزَّاهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ (أي: طَمْأَنَهُمْ وهَدَّأَ رَوْعَهُم)[5872] **[← "قَالَ [لهم] لَا تَثْرِيبَ (أي: لا تأنيبَ؛ لا لومَ؛ لا مؤاخذة) عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ [فقد صفَحتُ عن زلَّتكم] ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 92)]**.

يوسف يُذكِّر بني إسرائيل قبل وفاته أن أرضهم هي كنعان وليست مصر. (التكوين 50): {22} وَسَكَنَ يُوسُفُ فِي مِصْرَ هُوَ وَبَيْتُ أَبِيهِ (أي: بنو إسرائيل)، وَعَاشَ يُوسُفُ مِئَةً وَعَشَرَ سِنِينَ[5873]. {23} وَرَأَى يُوسُفُ لأَفْرَايِمَ أَوْلاَدَ الْجِيلِ الثَّالِثِ. وَأَوْلاَدُ مَاكِيرَ بْنِ مَنَسَّى أَيْضًا وُلِدُوا عَلَى رُكْبَتَيْ يُوسُفَ. {24} وَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: «أَنَا أَمُوتُ، وَلكِنَّ اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ وَيُصْعِدُكُمْ مِنْ هذِهِ الأَرْضِ (أي: من مصر) إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ (أي: إلى كنعان)[5874]». {25} وَاسْتَحْلَفَ يُوسُفُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: «اللهُ سَيَفْتَقِدُكُمْ فَتُصْعِدُونَ عِظَامِي مِنْ هُنَا (يقصد: حتى إذا دُفِنتُ الآن في مصر، فمهما طال الزمن تذكروا أن

تأخذوا عِظَامِي معكم عند خروجكم من مصر إلى كنعان، لأُدفن في أرضي كنعان. هذا من الناحية القومية. أما من الناحية الدينية، فلعله يقصد: أُدفن مع أهلي المؤمنين الموحدين وليس في أرض غربتي مصر الوثنية) **[← في دعاء يوسف الأخير، ركّز القرآنُ على الناحية الدينية فقط: "رَبِّ [...] تَوَفَّنِي مُسْلِمًا (أي: اجعلني مؤمناً مُوحِّداً خاضعاً لك طيلة حياتي) وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ [مِن الأنبياء مِن آبائي وغيرهم]"[5875] (يوسف 101)]**». {26} ثُمَّ مَاتَ يُوسُفُ وَهُوَ ابْنُ مِئَةٍ وَعَشَرَ سِنِينَ، فَحَنَّطُوهُ وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ فِي مِصْرَ[5876].

وهكذا انتهى سفر التكوين (سفر نشأة الحياة) بموت يوسف. فلقد بدأ السفرُ بتكوين الكون ثم نشأة الإنسان في الشرق الأوسط، وانتهى بموت يوسف فِي مِصْرَ.

وبعد ذلك بمئات السنين، عند خروج بني إسرائيل مِن مصر متوجهين إلى كنعان بقيادة موسى: "أَخَذَ مُوسَى عِظَامَ يُوسُفَ مَعَهُ، لأَنَّهُ (أي: يوسف) كَانَ قَدِ اسْتَحْلَفَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِحَلْفٍ قَائِلاً: «إِنَّ اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ فَتُصْعِدُونَ عِظَامِي مِنْ هُنَا (أي: من مصر) مَعَكُمْ [إلى كنعان]»" (الخروج 19:13) **[← حوَّل التراث الإسلامي هذه الآية التوراتية إلى أسطورة طويلة عريضة تُعرَف باسم "قصة عجوز بني إسرائيل التي دلّت على عظام يوسف" ولقد ذكرها الحاكمُ وغيره، كما ذكرها الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة. قَالَ محمدٌ: "إِنَّ مُوسَى حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ [خارجاً مِن مصر "لَيْلًا" (الدخان 23)] ضَلَّ عَنْهُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى تُنْقَلَ عِظَامُهُ مَعَنَا (أو: نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا). فَقَالَ مُوسَى: أَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُوسُفَ؟ فَقَالَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَكَانَ قَبْرِهِ إِلَّا عَجُوزٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مُوسَى فَقَالَ: دُلِّينَا عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ. قَالَتْ: لَا وَاللهِ حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي. فَقَالَ لَهَا: مَا حُكْمُكِ؟ قَالَتْ: حُكْمِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَكَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ. فَقِيلَ لَهُ: أَعْطِهَا حُكْمَهَا (وفي روايةٍ أخرى: فأَوْحَى اللهُ إليهِ أن أَعْطِهَا حُكْمَهَا!)، فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ مُسْتَنْقِعَةٍ مَاءً، فَقَالَتْ لَهُمْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ. فَلَمَّا أَنْضَبُوا، قَالَتْ لَهُمْ: احْفِرُوا. فَحَفَرُوا فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَنْ أَقَلُّوهُ مِنَ الْأَرْضِ إِذِ الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ (أي: حدثت المعجزة وصار الطريق مضيئاً مع أنهم خرجوا لَيْلًا!)"[5877]]!**

نعود إلى الكتاب المقدس: "وَعِظَامُ يُوسُفَ الَّتِي أَصْعَدَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ دَفَنُوهَا فِي شَكِيمَ" (يشوع 32:24)[5878].

وهكذا انتهت الأسطورةُ التوراتية بما بدأت به (circular, cyclical narrative). انتهت بذهاب عظام يوسف إلى شَكِيمَ، أي: إلى نفس المكان الذي أراد يعقوبُ أن يرسل إليه يوسفَ وهو غلام في بداية الأسطورة (التكوين 12:37-13)!

4.24.2 مصادر القرآن مِن التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي

لاحظنا فيما سبق وجود اختلافات كثيرة بين الأسطورتين التوراتية والقرآنية. ولعل أبرزها وأوضحها هو عدد رحلات إخوة يوسف بين كنعان ومصر ذهاباً وإياباً كما يوضح الجدول التالي، حيث يبين اللونُ **الأخضر** المرحلةَ التي كشف فيها يوسفُ لإخوته عن شخصيته (Anagnorisis) قائلاً "أَنَا يُوسُفُ" "أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمْ" (التكوين 45:3-4) **[← "قَالَ أَنَا يُوسُفُ" (يوسف 90)]**:

جدول 30 – رحلات إخوة يوسف حسب التوراة والقرآن: ذهاباً من كنعان إلى مصر وإياباً من مصر إلى كنعان

الاتجاه	التوراة	القرآن
ذهاب	#1: العشرة الكبار	#1: العشرة الكبار (يوسف 58-62)
إياب	#1: تسعة. بدون شمعون	#1: العشرة الكبار (يوسف 63-66)
ذهاب	[redacted]	#2: الأحد عشر (يوسف 67-82)
إياب	[redacted]	#2: تسعة. بدون بنيامين و "كبيرهم" (يوسف 83-87)
ذهاب	**#2: عشرة. بدون شمعون**	**#3: تسعة. بدون بنيامين و "كبيرهم" (يوسف 88-93)**
إياب	#2: الأحد عشر	#3: الأحد عشر[5879] وقميص يوسف (يوسف 94-98)
ذهاب	#3: كل آل يعقوب (إسرائيل)	#4: كل آل يعقوب (إسرائيل) (يوسف 99-101)
إياب	#3: خروج بني إسرائيل من مصر	#4: خروج بني إسرائيل من مصر

هذا الاختلاف في عدد الرحلات وفي شخصيات مَن قاموا بها ذهاباً وإياباً يرتبط ارتباطاً وثيقاً باختلافات أخرى كثيرة بين الأسطورتين التوراتية والقرآنية. وسبب هذه الاختلافات هو – كما قلنا فيما سبق – إن أصحاب القرآن لم يعتمدوا على التوراة فقط، وإنما اعتمدوا على مصادر بشرية أخرى من التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة).

وهذه الاختلافات أدت بطبيعة الحال إلى مشكلات قرآنية كثيرة؛ معظمها تبدأ من رحلة إخوة يوسف الثانية – أي: مِن أسطورة "أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" (يوسف 67) – حيث بدأت القصة القرآنية تنحرف كثيراً عن القصة التوراتية، وبخاصة فيما يتعلق بمسألة احتجاز بنيامين في مصر! هذه المشكلات القرآنية الكثيرة تثبت بشرية القرآن كما سنرى بالتفصيل فيما يلي.

وهنا يجب علينا أن نعود مرة أخرى إلى رسالة الدكتوراه القيمة والمهمة التي أعدها الباحث الواعد Dr. Joseph Witztum ودافع عنها في جامعة Princeton الأمريكية المرموقة عام 2011[5880].

ولقد قام Dr. Joseph Witztum وغيره بترجمة النصوص السريانية إلى اللغة الإنجليزية، وقمنا نحن بالترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. لكن حرصاً على عدم الإطالة، لن نترجم كل هذه النصوص السريانية وسنكتفي فقط بالأفكار والعبارات والكلمات التي تهمنا. وتسهيلاً على القارئ الكريم، سنستخدم نفس الرموز العلمية (PsN; PsB; Balai; Narsai) التي استخدمها Dr. Joseph Witztum في بحثه.

وكالعادة، ليس هدفنا أن نثبت أن القرآن العربي والتراث السرياني يتفقان في كل شيء. وإنما هدفنا أن نثبت أن القرآن العربي والتراث السرياني يختلفان عن التوراة بطرق متشابهة كثيراً[5881]، ومتطابقة أحياناً. وبما أن هذا التراث السرياني يسبق القرآن زمنياً، فهذا يدل على أن أصحاب القرآن كانوا على دراية بالتراث السرياني ويدل أيضاً على أن القرآن تطور بشري طبيعي للتراث السرياني.

باختصار، نحن لا نقول: التراث السرياني = القرآن. وإنما نقول: التراث السرياني **[← القرآن]**.

وبما أن التراث السرياني كلام بشر 100%، فهذا يدل على أن القرآن نفسه كلام بشر 100%.

4.24.2.1 "قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا" (يوسف 65)

اختلف القرآنُ عن التوراة في رد فعل إخوة يوسف عند عودتهم مِن رحلتهم الأولى حين وجدوا الأموال التي كانوا قد دفعوها لشراء الحبوب قد رُدَّتْ إليهم في أمتعتهم.

حسب التوراة، كان رد فعلهم سلبياً جداً: خوف ورعب. سواء وَهُمْ في الخان على الطريق: "ارْتَعَدُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ قَائِلِينَ: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعَهُ اللهُ بِنَا؟»" (التكوين 42:28). أو بعد عودتهم إلى أبيهم في كنعان: "وَإِذْ كَانُوا يُفَرِّغُونَ عِدَالَهُمْ إِذَا صُرَّةُ فِضَّةِ كُلِّ وَاحِدٍ فِي عِدْلِهِ. فَلَمَّا رَأَوْا صُرَرَ فِضَّتِهِمْ هُمْ وَأَبُوهُمْ خَافُوا" (التكوين 42:35). ثم تقول التوراة إن أباهم يعقوب أوصاهم أن يُعيدوا تلك الأموال إلى أصحابها المصريين "لَعَلَّهُ كَانَ سَهْوًا [منهم]" (التكوين 43:12). ففعل إخوةُ يوسف في رحلتهم الثانية إلى مصر كما أوصاهم أبوهم (التكوين 43:21-22) إلا أن الرَّجُل الَّذِي عَلَى بَيْتِ يُوسُفَ رفض أن يأخذ الأموال منهم وَقَالَ لهم: "سَلاَمٌ لَكُمْ، لاَ تَخَافُوا" (التكوين 43:23). ويُفهَم من السياق أنه فعل ذلك بأوامر وتعليمات مِن يوسف، بدليل أنه ذكر "إِلهُكُمْ [الواحد الأحد] وَإِلهُ أَبِيكُمْ" (التكوين 43:23).

أما أصحاب القرآن فيبدو أنهم سمعوا كلمة هذا الرَّجُل الَّذِي عَلَى بَيْتِ يُوسُفَ "لاَ تَخَافُوا" فجعلوا رد فعل إخوة يوسف إيجابيا جداً: فرح وسرور! "وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ (أي: صُرَر أموالهم) رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي [أكثر وأجمل مِن ذلك؟] ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا" (يوسف 65)! بل قد يُفهَم من تكملة الآية أن إخوة يوسف لم يكن في نيتهم أن يُعيدوا تلك الأموال إلى أصحابها المصريين، وإنما أرادوا أن يشتروا بها مزيداً من الطعام في رحلتهم الثانية إلى مصر! فقالوا لأبيهم يعقوب يشجعونه على أن يسمح لهم باصطحاب بنيامين معهم: "هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ[5882] أَهْلَنَا (أي: نجلب طعاماً لأهلنا) وَنَحْفَظُ أَخَانَا

[بنيامين] وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ (أي: نزداد حِمْلَ بعير لبنيامين)ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ" (يوسف 65)! قال المفكر الإسلامي محمد فريد وجدي: "**(وَنَمِيرُ أَهْلَنَا)** معطوف على محذوف، وتقديره رُدَّتْ إِلَيْنَا فنستظهر بها (أي: فنتقوّى بها) وَنَمِيرُ أَهْلَنَا أي نجلب لهم الميرة وهي ما يؤكل"[5883]. وفي جميع الأحوال، لم يقل القرآنُ إن يعقوب "النبي" أوصاهم أن يُعيدوا تلك الأموال إلى أصحابها المصريين!

وما يهمنا هو فقط اختلاف القرآن عن التوراة في رد فعل إخوة يوسف حين وجدوا الأموال: حسب التوراة، خوف ورعب. وحسب القرآن، فرح وسرور! يقول العالم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على مصدر هذا الاختلاف بين القرآن والتوراة[5884]:

> Witztum (*Syriac Milieu*, 225) points out that a parallel to their reaction is found in the sixth-century Greek work (generally thought to incorporate Syriac elements) of Romanos the Melodist, who in his hymn on Joseph has the brothers say to Jacob: “Father, why do you groan? Behold the joy we have found in the bags, the cost of the grain. Stop wailing!” (Romanus, *De Joseph*, 1:228; cf. Witztum, *Syriac Milieu*, 225).

إذن: إنه تقليد مسيحي شرقي يسبق القرآن ثم تسلل إلى القرآن. والأهم مِن ذلك أن القرآن وترنيمة رومانوس يختلفان عن التوراة بطريقة متطابقة. في كليهما، فرح إخوةُ يوسف لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَوَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ (أي: صُرَر أموالهم) رُدَّتْ إِلَيْهِمْ. بل في كليهما، وَجَّه إخوةُ يوسف سؤالاً لأبيهم يعقوب عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ. في ترنيمة رومانوس، قالوا لأبيهم: لماذا تئن؟ وفي القرآن: "قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي" (يوسف 65). وهذا يؤكد أن "مَا" هنا استفهامية كما قال كثيرٌ من المفسرين المسلمين، وليست نافية كما زعم بعضُهم.

وبما أن ترنيمة رومانوس كلام بشر 100%، فإن القرآن أيضاً كلام بشر 100%.

4.24.2.2 قَالَ يعقوب: "يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" (يوسف 67)!

يزعم القرآنُ أن يعقوب قال لأبنائه الأحد عشر قبل رحلتهم الثانية إلى مصر: "يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" (يوسف 67)! والرأي السائد في الكتب والمراجع الإسلامية هو أن يعقوب نصحهم ألا يدخلوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ حتى لا يلفتوا الأنظار إليهم فيَحِلَّ بهم مكروهٌ إما بالحسد أو بالمكيدة. وقال كثيرٌ من المفسرين المسلمين إن يعقوب خاف على أبنائه من الحسد؛ أي: خاف عليهم مِن العين!

على سبيل المثال، يقول تفسير الشيخ الشعراوي الممتلئ بالأساطير والأوهام: "وقد خاف يعقوب على أبنائه من الحسد، ونعلم أن الحسد موجود. [...] الحسد يأتي من مجهول غير مُدْرَك، فالشعاع الخارج من العين قد يتأجج بالحقد على كل ذي نعمة. وإذا كان عصرنا، وهو عصر الارتقاءات المادية قد توصَّل إلى

استخدام الإشعاع في تفتيت الأشياء. إذن: فمن الممكن أن يكون الحسدُ مثل تلك الإشعاعات؛ والتي قد يجعلها اللهُ في عيون بعض خلقه، وتكون النظرة مثل السهم النافذ، أو الرصاصة الفتاكة"[5885]! وقديماً ذكر القرطبي في تفسيره لـ "يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرّقَةٍ" (يوسف 67) حديثين عن الحسد وتأثيره، ثم قال: "فَفِي هَذَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ أَنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، وَأَنَّهَا تَقْتُلُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ. وَهَذَا قَوْلُ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ، وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَدْ أَنْكَرَتْهُ طَوَائِفُ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ، وَهُمْ مَحْجُوجُونَ بِالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَبِمَا يُشَاهَدُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْوُجُودِ، فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ أَدْخَلَتْهُ الْعَيْنُ الْقَبْرَ، وَكَمْ مِنْ جَمَلٍ ظَهِيرٍ أَدْخَلَتْهُ الْقِدْرَ، لَكِنَّ ذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ: "وَمَا هُمْ بِضَارّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 102)"[5886]! وكذلك قال ابنُ كثير: "فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ والسُّدّيُّ: إِنَّهُ خَشِيَ عَلَيْهِمُ (أي: يعقوب خَشِيَ على أبنائه) الْعَيْنَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا ذَوِي جَمَالٍ وَهَيْئَةٍ حَسَنَةٍ وَمَنْظَرٍ وَبَهَاءٍ، فَخَشِيَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُصِيبَهُمُ النَّاسُ بِعُيُونِهِمْ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ تَسْتَنْزِلُ الْفَارِسَ عَنْ فَرَسِهِ"[5887]!

وكالعادة، المشكلة ليست في الشعراوي والقرطبي وابن كثير وابْن عَبَّاسٍ وَمُحَمَّد بْن كَعْبٍ وَمُجَاهِد وَالضَّحَّاك وَقَتَادَة والسُّدّيّ وغيرهم مِن المسلمين المؤمنين بالحسد وتأثيره، وإنما أصل المشكلة هو الثقافة العربية-الإسلامية التي تعترف بتأثير الحسد كما شرحنا بالتفصيل في وقتٍ سابق[5888]؛ مما يؤكد أن الإسلام دين عربي بشري أرضي 100% تأثر بالأساطير الشرقية القديمة، ومِن بينها: الحسد.

وفي الآية القرآنية (يوسف 67) التي نحن بصددها الآن، نجد مشكلةً أخرى وهي وضع هذه الجملة على لسان يعقوب: "قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرّقَةٍ" (يوسف 67). فلقد لاحظنا أن هذه الجملة غير موجودة في القصة التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage). بل لقد لاحظنا أنه يمكن حذف هذه الجملة، بل يمكن حذف الآية كلها والآية التي تليها (يوسف 67-68)، ونقرأ قصة يوسف القرآنية بدون أدنى مشكلة! يعني: بدلاً مِن "قَالَ [...] (66) وَقَالَ [...] (67) وَلَمَّا دَخَلُوا [...] (68) وَلَمَّا دَخَلُوا [...] (69)"، تبقى "قَالَ [...] (66) وَلَمَّا دَخَلُوا [...] (69)" على طول.

المهم: مِن أين أتى أصحابُ القرآن بهذه الجملة المزعومة "يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرّقَةٍ" (يوسف 67)؟!

الإجابة: من التراث اليهودي المتأخر وتحديداً من المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 91:6) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[5889] أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة. ولا نزعم أننا أول مَن وصل إلى هذه النتيجة، فلقد سبقنا علماء كثيرون درسوا تأثير المدراش اليهودي على القرآن. على سبيل المثال وليس الحصر، يقول العالم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds)[5890]:

12:67 The way the Qur'ān has Jacob tell his sons to enter by separate gates reflects a tradition found in Jewish midrash, notably *Genesis Rabbah*, but not in the Syriac sources:

And Jacob said to his sons: "Why should ye be conspicuous?" "My sons," said he to them: "Ye are all strong and brotherly [friends]: do not enter through one gate and do not all stand in the same place, because of the [evil] eye." (*Genesis Rabbah*, 91:6)

ونلاحظ هنا نقطتين مهمتين:

- النقطة الأولى توضح تأثير المدراش اليهودي على القرآن نفسه: والدليل هو أن فكرة عدم دخولهم من باب واحد فكرة بشرية، فهي موجودة في هذا المدراش اليهودي ثم تسللت إلى القرآن. بل نلاحظ أن هذا المدراش اليهودي كان أكثر دقة من القرآن، لأنه جعل يعقوبَ ينصح أبناءه ألا يدخلوا من بابٍ واحد، وينصحهم أيضاً ألا يقفوا في مكانٍ واحد [بعد دخولهم].
- النقطة الثانية توضح تأثير المدراش اليهودي على تفسير القرآن: حسب هذا المدراش اليهودي، يعقوب خاف على أبنائه مِن العين؛ أي: مِن الحسد[5891]. وهو نفس السبب الذي ذكرته كتب تفسير القرآن.

وجود نفس الفكرة وشرحها في المدراش اليهودي قبل القرآن وتفاسيره يؤكد أن ما قاله المدراش اليهودي هو ما كان يدور في أذهان أصحاب القرآن وَهُمْ يؤلفون (يوسف 67)، مما يعني أن القرآن كلام بشر.

إنها إذن خرافة يهودية تسللت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى القرآن وتفاسيره. بل يبدو أنها خرافة شرقية. فعندما نظرنا إلى ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الإنجليزية التي قام بها (Muhammad Pickthall)، وجدنا أن الحاشية تقول ما يلي[5892]:

There is a prevalent superstition in the East that the members of a large family ought not to appear all together, for fear of the ill luck that comes from envy in the hearts of others.

لكن يبقى سؤال: لماذا أخذ أصحابُ القرآن هذه الفكرة من المدراش اليهودي ووضعوها في القرآن؟

نجد الإجابة في الآية التي تليها: "وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ" (يوسف 68). إذن: أراد أصحابُ القرآن أن يقولوا إن احتياط إخوة يوسف وحذرهم وأخذهم بالأسباب تنفيذاً لنصيحة أبيهم يعقوب لا تستطيع أن تجلب لهم نفعاً لم يكتبه اللهُ لهم ولا تستطيع أن تدفع عنهم ضرراً

كتبه اللهُ عليهم. فكل شيء بيد الله وحده. أو كما قال يعقوبُ نفسه لإخوة يوسف: "وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ (أي: الأخذ بالأسباب والحذر المطلوب لا يُوقِف قَدَرَ الله، لأنَّ ما قدَّرَهُ اللهُ لا بدَّ أن يقع) ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ [وحده] فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" (يوسف 67)[5893]. والدليل على ذلك أن القدر حدث حتى مع الحذر، فلقد حُبِسَ بنيامينُ في مصر ولم يرجع مع إخوته إلى كنعان.

وهذه ليست المرة الأولى التي أكّد فيها أصحابُ القرآن على هذا المعنى. فلقد فعلوا ذلك في الفصل الأول حين جعلوا يوسفَ يقصص رؤياه على أبيه يعقوب فقط، وليس على إخوته أيضاً كما تقول التوراة. فحذَّره أبوه قائلاً: "يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا" (يوسف 5)[5894]. والتزم يوسفُ بهذا الحذر. لكنه لم يمنع القدر. فتآمر عليه إخوتُه ورموه فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ.

أو كما قال أصحابُ القرآن في مواضع أخرى ليس لها أية علاقة بقصة يوسف التوراتية الأصلية: "وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (الأنعام 17) "وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (يونس 107). مما يدل على أن فكرة "الحذر لا يمنع القدر" كانت تلح على أذهان أصحاب القرآن، ربما لمواجهة معتقدات أخرى كانت سائدة في مجتمعهم.

إذن: مِن المحتمل جداً أن هاتين الآيتين (يوسف 67-68) أضيفتا إلى قصة يوسف القرآنية بسبب جدل حول إذا كان الحذر يمنع القدر. انظر مثلاً حديث "لا ينفع حذرٌ مِن قدَرٍ" واختلاف المسلمين حول صحته[5895]. أو ربما أضيفتا تعليقاً على المدراش اليهودي نفسه. بعبارة أخرى: أَخْذُ فكرة مِن المدراش اليهودي – أو مِن أي مصدر بشري آخر – ثم وَضْعها في القرآن لا يعني بالضرورة أن أصحاب القرآن يوافقون على هذه الفكرة بنسبة 100%. فربما وضعوها في القرآن لينكروها أو ينقحوها أو يعلقوا عليها. بدليل أن أصحاب القرآن أكدوا أن النصيحة التي قالها يعقوبُ لأبنائه "يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" (يوسف 67) كانت مجرد "حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنَّهُ (أي: يعقوب) لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ" (يوسف 68). وَنَسِيَ أصحابُ القرآن أو تناسوا أن يعقوب – حسب التوراة – لم يقل هذه النصيحة أصلاً! وإنما الذي قالها هو يعقوب حسب المدراش اليهودي؛ أي: حسب الإسرائيليات.

خلاصة القول: كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن الجملة التي وضعها أصحابُ القرآن على لسان يعقوب "قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" (يوسف 67) جملة بشرية دخيلة من الإسرائيليات الموجودة في القرآن. وأن هذه الجملة والتعليق عليها (يوسف 67-68) أضيفا لأسباب إسلامية/عربية لا علاقة لها بقصة يوسف التوراتية الأصلية. بدليل أننا لم نجد هاتين الآيتين في القصة التوراتية، وأيضاً بدليل أنه يمكن حذف هاتين الآيتين ونقرأ قصة يوسف القرآنية بدون أدنى مشكلة!

4.24.2.3 قال يوسفُ لبنيامين سراً: "إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (يوسف 69)

حسب التوراة، كشف يوسفُ شخصيته مرة واحدة لإخوته الأحد عشر **بعد** أن وجدوا الكأس (السقاية) المفقودة في أمتعة بنيامين. قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: "أَنَا يُوسُفُ" "أَنَا يُوسُفُ أَخُوكُمُ" (التكوين 45:3-4).

بينما جعل أصحابُ القرآن يوسفَ يكشف شخصيته على مرحلتين!

- المرحلة الأولى لبنيامين فقط **قبل** وضع السقاية (الكأس) في أمتعته في الرحلة الثانية. قال يوسفُ لبنيامين بصيغة التأكيد: "إِنِّي أَنَا أَخُوكَ (Verily, I am your brother)" (يوسف 69).
- والمرحلة الثانية لبقية الإخوة في الرحلة الثالثة (يوسف 90). وإذا أردنا أن نكون أكثر دقة، فسنقول إن إخوة يوسف هُمْ الذين اكتشفوا شخصيته ولو على سبيل الاستنتاج المشكوك فيه، أو ما يُسمَّى في اللغة العربية بالاستفهام التقريري الذي أكّده إخوةُ يوسف بـ "إن" و "اللام": "قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ (Are you indeed Joseph?!)[5896] قَالَ [نعم] أَنَا يُوسُفُ" (يوسف 90)! قال ابنُ كثير إن "الِاسْتِفْهَامَ يَدُلُّ عَلَى الِاسْتِعْظَامِ، أَيْ: إِنَّهُمْ تَعَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهِ مِنْ سَنَتَيْنِ وَأَكْثَرَ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، وَهُوَ مَعَ هَذَا يَعْرِفُهُمْ وَيَكْتُمُ نَفْسَهُ"[5897]!

ما يهمنا هو المرحلة الأولى حين كشف يوسفُ شخصيته الحقيقية لبنيامين فقط! فَمِن الواضح أنها فكرة دخيلة. الدليل الخارجي هو عدم وجودها في قصة يوسف التوراتية الأصلية. والدليل الداخلي هو أن يوسف قال لبنيامين: "فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (يوسف 69)؛ وهي تقريباً نفس الجملة التي زعم أصحابُ القرآن أن الله قد قالها لنوح حتى يواسيه ويعزيه: "فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (هود 36). إنها إذن جملة إسلامية/عربية (stock phrase) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموها في موضعٍ آخر مِن القرآن ليس له أية علاقة بقصة يوسف التوراتية الأصلية!

السؤال الذي يشغل بالنا الآن هو: مِن أين أتى أصحابُ القرآن بهذه الفكرة الدخيلة؟ هل مِن التراث اليهودي المتأخر؟ ...

لم نجد في التراث اليهودي المتأخر سوى أن يوسف قَرَّب بنيامين إليه **[⟵ "آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ" (يوسف 69)]**. فإذا نظرنا مثلاً إلى المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 92.5, 93.7) الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[5898] أي قبل الإسلام بأكثر من 100 سنة، فسنجد أنه يوم الوليمة التي أعدها يوسفُ لإخوته (التكوين 43:31-34) أمسك يوسفُ الكأس (السقاية) وتظاهر بالْعِرَافَة ومعرفة الغيب، فأجلس يهوذا أولاً لأنه سيكون مَلِكاً، ثم أجلس رأوبينَ لأنه البكر، وفي النهاية أجلس يوسفُ بنيامينَ بجانبه لأن كليهما يتيم الأم (motherless) **[⟵ "آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ (أي: قرَّبه منه أو اختلى به بحجة أن بنيامين هو الوحيد فيهم الذي ليس له أخٌ شقيقٌ)" (يوسف 69)]**. يقول (Dr. Joseph Witztum)[5899]:

> […] He [i.e. Joseph] said: "I have no mother and this youth [Benjamin] has no mother, for his mother died on giving birth to him; therefore let him come and place his head near me". For that reason, *the men [i.e. Joseph's brothers] looked at one another in amazement*.

وهذا المدراش اليهودي تطور بشري طبيعي للتوراة التي تقول إن يوسف بارك بنيامينَ بالذات وقَالَ له: «اللهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ يَا ابْنِي» (التكوين 29:43) إلا أن يوسف لم يستطع أن يسيطر على عواطفه تجاه شقيقه فخرج إلى مخدعٍ (private room) ليبكي (التكوين 30:43). وأثناء الوليمة، ميَّز يوسفُ بنيامينَ بأن أعطاه كمية أكبر من الطعام "فَكَانَتْ حِصَّةُ بَنْيَامِينَ أَكْثَرَ مِنْ حِصَصِ جَمِيعِهِمْ خَمْسَةَ أَضْعَافٍ" (التكوين 34:43).

إذن: التراث اليهودي بشقيه المقدس (التوراة) وغير المقدس (المدراش) يتفقان على أن يوسف قد عامل بنيامينَ معاملةً خاصة (preferential treatment) تُميّزه عن بقية الإخوة، سواء تمييز مادي (طعام أكثر) أو تمييز معنوي (الجلوس بالقرب من يوسف). لكننا لم نجد في هذا التراث اليهودي ما يدل على أن يوسف قد كشف شخصيته لبنيامين وحده.

ولذلك يجب علينا أن ننتقل إلى التراث المسيحي الشرقي الذي جعل المشهدَ أكثر وضوحاً وأيضاً أكثر دراما. على سبيل المثال، نجد في العِظات المسيحية السريانية (PsN) التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي أنه يوم الوليمة، أجلس يوسفُ إخوته حسب ترتيب أعمارهم (ربما تظاهر بمعرفة ذلك مِن كأسه التي كان يستخدمها في الْعِرَافَة ومعرفة الغيب؛ أو ربما سألهم). ولمَّا وصل يوسفُ إلى شقيقه بنيامين[5900]:

> When he [i.e. Joseph] reaches Benjamin, he takes hold of him (*labkēh*) and says to him:
>
> > And you Benjamin, who are separated from your maternal
> > brother, / do not be sad (*lā tekre lāk*) for I will be in place of
> > a brother for you. / Since your brother Joseph is lost as you
> > said / I shall today comfort you in your brother's place.
>
> Afterwards Benjamin asks Joseph to use his [divining] cup and find out what happened to his lost brother. The brothers try to silence Benjamin, but Joseph informs him that his brother is alive and not far away.
>
> Two elements not found in Jewish sources are parallel to Q 12:69: Joseph referring to himself as Benjamin's (pseudo) brother and his telling him not to be sad. Here again the Quran seems to have gone one step

further by having Joseph reveal his real identity to Benjamin at this early stage in the narrative. Joseph no longer presents himself as a surrogate brother, but rather discloses his true identity to Benjamin.

إذن: حسب هذا التراث المسيحي السرياني، أخذ يوسفُ بنيامينَ ليواسيه ويعزيه **[⟵ "آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ" (يوسف 69)]** وقال له: لا تحزن على انفصالك عن أخيك ابن أمك **[⟵ "لَا تَبْتَئِسْ (أي: لا تحزن) بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (يوسف 69)]**. ثم طلب يوسفُ مِن بنيامين أن يعتبره في مقام أخيه أو بديلاً عن أخيه **[⟵ جعل أصحابُ القرآن يوسفَ يقول لبنيامين إنه أخوه بالفعل: "إِنِّي أَنَا أَخُوكَ" (يوسف 69)]**!

ويبدو أن أصحاب القرآن لم ينتبهوا إلى مشكلة خطيرة وهي: كان بنيامينُ صغيراً حين ترك يوسفُ كنعان، فكيف تأكد بنيامينُ – بعد 20 سنة أو أكثر – أن الشخص المتحدث هو شقيقه يوسف حقاً؟! بل كيف استطاع بنيامينُ أن يكتم هذا السر عن بقية إخوته وأن يُخْفِي فرحتَه بلقاءِ شقيقه يوسف بعد طول الغياب؟!

أما المفسرون المسلمون فَمِن الواضح أنهم انتبهوا إلى هذه المشكلة الخطيرة وكذلك إلى غيرها من المشكلات التي يعاني منها القرآن، بدليل أنهم وجدوا لها حلاً. على سبيل المثال: نجد في تفسير الطبري روايةً تقول إن وَهَبَ بْنَ مُنَبِّهٍ "سُئِلَ عَنْ قَوْلِ يُوسُفَ: "وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ": كَيْفَ أَخَافَهُ حِينَ أُخِذَ بِالصُّوَاعِ، وَقَدْ كَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ أَخُوهُ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَنَكِّرًا لَهُمْ يُكَايِدُهُمْ حَتَّى رَجَعُوا؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَعْتَرِفْ لَهُ بِالنِّسْبَةِ (أي: لم يقل له إنه أخوه شقيقه فعلاً)، وَلَكِنَّهُ قَالَ: "أَنَا أَخُوكَ" مَكَانَ أَخِيكَ الْهَالِكِ"[(5901)(5902)]. إذن: لجأ المفسرون المسلمون إلى التراث المسيحي السرياني البشري مِن أجل حل مشكلات القرآن الذي يتوهم المسلمون أنه كلام الله!

النتيجة: القرآن (يوسف 69) كلام بشر وهو مجرد تطور بشري طبيعي للتراث المسيحي السرياني البشري. بل إن هذا التراث المسيحي السرياني البشري منطقي وعقلاني أكثر من القرآن: يوسف لم يقل لبنيامين إنه أخوه كما يزعم القرآنُ، وإنما قال له أن يعتبره في مقام أخيه، أي: بدل أخيه المفقود.

إنها ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي نجد فيها أن التراث المسيحي السرياني أفضل مِن القرآن ...

4.24.2.4 "قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ. قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ" (يوسف 71-72)!

تعاني التوراة العبرية مِن مشكلة. بعد الوليمة التي أعدها يوسف لإخوته، أمر يوسفُ خادمَه أن يضع كأسه الفضية في أمتعة بنيامين بدون أن يشعر أحد. "فَفَعَلَ [الخادمُ] بِحَسَبِ كَلاَمِ يُوسُفَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ" (التكوين 44:2). وفي صباح اليوم التالي، انصرف إخوةُ يوسف عائدين إلى كنعان. "وَلَمَّا كَانُوا قَدْ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَبْتَعِدُوا، قَالَ يُوسُفُ لِلَّذِي عَلَى بَيْتِهِ (أي: لخادمه): «قُمِ اسْعَ وَرَاءَ الرِّجَالِ، وَمَتَى أَدْرَكْتَهُمْ فَقُلْ لَهُمْ: لِمَاذَا جَازَيْتُمْ شَرًّا عِوَضًا عَنْ خَيْرٍ؟ أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي يَشْرَبُ سَيِّدِي فِيهِ؟ وَهُوَ يَتَفَاءَلُ بِهِ. أَسَأْتُمْ فِي مَا صَنَعْتُمْ».

فَأَدْرَكَهُمْ [الخادمُ] وَقَالَ لَهُمْ هذَا الْكَلاَمَ. فَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ سَيِّدِي مِثْلَ هذَا الْكَلاَمِ؟ حَاشَا لِعَبِيدِكَ أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَ هذَا الأَمْرِ! هُوَذَا الْفِضَّةُ الَّتِي وَجَدْنَا فِي أَفْوَاهِ عِدَالِنَا رَدَدْنَاهَا إِلَيْكَ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. فَكَيْفَ نَسْرِقُ مِنْ بَيْتِ سَيِّدِكَ فِضَّةً أَوْ ذَهَبًا؟" (التكوين 44:4-8). المشكلة هي أنه لا توجد في الرسالة التي أمر يوسفُ الخادمَ أن يقولها (التكوين 44:4-5) أية إشارة إلى شيء فضي أو ذهبي مسروق! فكيف عرف إخوةُ يوسف أنهم متهمون بسرقةِ شيءٍ مصنوع مِن الفضة أو الذهب (التكوين 44:8)؟!

وكالعادة، كل مشكلة في النص المقدس بيكون لها حل، أو بالأحرى عدة حلول ...

على سبيل المثال، يوجد حل معروف ومشهور اقترحه مترجمو التوراة إلى اليونانية (الترجمة السبعينية) التي يرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، أي: قبل الإسلام بأكثر من 800 سنة. هذا الحل اليوناني هو – كما قلنا فيما سبق – إضافة جملة استفهامية في وسط الرسالة التي أمر يوسفُ خادمَه أن يقولها لإخوته (التكوين 44:4-5). هذه الجملة المضافة هي: "لماذا سَرَقْتُمْ كأسي الفضة؟" (Why have you stolen my silver cup?)[5903]. وهي بالفعل جملة تحل المشكلة. يعني: حل بسيط ووقور ومنضبط ويؤدي الغرض. ومِن المحتمل أن هذه الجملة الاستفهامية كانت موجودة في الأصل العبري الذي كان بين أيدي مترجمي التوراة العبرية إلى اليونانية.

وبغض النظر عن مسألة هل هذه الجملة الاستفهامية عِبرية أصلية أم يونانية دخيلة، فإن مجرد وجودها في التوراة اليونانية – التي احتاجها يهودُ المهجر ثم تبناها المسيحيون الأوائل – قد أدى بطبيعة الحال إلى انتقالها إلى أعمال يهودية ومسيحية كثيرة. بل لقد لاحظنا أن كثيراً مِن الكتب المقدسة – وبخاصة الأجنبية – التي تُطبَع في العصر الحديث يضع هذه الجملة إما في المتن[5904] أو في الهامش[5905] حتى يستطيع القارئ أن يتابع تسلسل الأحداث بطريقة منطقية أكثر.

أما إذا نظرنا إلى المصادر اليهودية الأخرى للقرآن، مثلاً: "كتاب اليوبيلات" (Book of Jubilees) الذي كُتِب أصلاً باللغة العبرية في القرن الثاني قبل الميلاد ويُعتبر واحداً مِن أهم وأضخم كتب سوديبِجرافا العهد القديم، لكن الكنيسة الحبشية تعترف بقانونيته، ويعود تاريخ النسخ الحبشية له إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد (أي: قبل ظهور الإسلام)، مما يعني أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة قد وجدوا كتاب اليوبيلات في المجتمع الحبشي وربما ظنوا أنه وحي إلهي. فماذا نجد في كتاب اليوبيلات؟ نجد أن (اليوبيلات 43:2) قد أضاف نفس المعلومة التي أضافتها الترجمة السبعينية، لكن وضعها في صورة جملة خبرية أمر يوسفُ خادمَه أن يقولها لإخوته: "سرقتم كأس الفضة التي فيها يشرب سيدي (أي: يوسفُ)" (Vous avez volé la coupe d’argent dans laquelle boit mon maître)[5906].

أما إذا انتقلنا إلى التراث المسيحي السرياني قبل الإسلام، فسنجد أن العِظات المسيحية السريانية (PsN) التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي – أي: قبل الإسلام – قد أضافت نفس المعلومة، لكن وضعتها في صورة جملة خبرية قالها خادمُ يوسف لإخوته. قال: لقد سرقتم الْكَأْسَ الَّتِي يَتَفَاءَلُ الْمَلِكُ بِها

(you stole the cup by which the king divines). وجاءت هذه الجملة الخبرية في بداية حوار (dialogue) دار بين خادم يوسف وإخوة يوسف؛ وكل طرف في هذا الحوار السرياني تكلم ثلاث مرات (a three-stage dialogue in which each side speaks three times)[5907].

وكذلك أضاف القرآنُ نفس المعلومة، لكن وضعها في صورة حوار (dialogue) قصير يتكون مِن سؤال وجواب. يعني: جملة استفهامية + جملة خبرية. الجملة الاستفهامية قالها إخوةُ يوسف: "قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ" (يوسف 71). ثم تليها الجملة الخبرية التي قالها خادمُ يوسف وأعوانه: "قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ ..." (يوسف 72). وجاءت هاتان الجملتان في بداية حوار دار بين الخادم وأعوانه مِن ناحية وإخوة يوسف مِن ناحية أخرى؛ وكل طرف في هذا الحوار القرآني تكلم ثلاث مرات أيضاً! الخادم وأعوانه تكلموا في الآيات الزوجية (70، 72، 74) بينما تكلم إخوةُ يوسف في الآيات الفردية (71، 73، 75).

- الجولة الأولى. قال الخادمُ (أي: المؤذِّنُ) وأعوانه: "أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ" (يوسف 70). فَرَدَّ إخوة يوسف: "قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ" (يوسف 71).
- الجولة الثانية. الخادم وأعوانه "قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ" (يوسف 72). إخوة يوسف "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ" (يوسف 73).
- الجولة الثالثة. الخادم وأعوانه "قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ" (يوسف 74). إخوة يوسف "قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ" (يوسف 75).

إنها إذن ثلاثية (triology) أخرى مِن ثلاثيات سورة يوسف. بل يبدو لنا أن أصحاب القرآن قد تعمدوا إبراز هذه الثلاثية فبدأوها بعبارة "أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ" (يوسف 70) التي تصنع هي نفسها ثلاثيةً أخرى مع عبارتين إحداهما في الفصل الثاني "شَهِدَ شَاهِدٌ" (يوسف 26) والأخرى في الفصل الأول "قَالَ قَائِلٌ" (يوسف 10). ولم يذكر القرآنُ اسمَ القائل (يوسف 10) ولا اسم الشاهد (يوسف 26) ولا اسم المؤذن (يوسف 70)، لأن ذِكر أسمائهم – على الرغم مِن أهميته – سيضيع جمالَ الثلاثية.

والمدهش حقاً أن القرآن هنا يتطابق مع العِظات المسيحية السريانية مِن ناحية الشكل (الأسلوب الأدبي literary style) وهو الحوار ثلاثي الجولات حيث يتكلم كل طرف ثلاث مرات بالضبط! ويجب هنا أن نؤكد أن أسلوب الحوار ثلاثي الجولات ليس من اختراع المسيحيين السريان، إذ له جذور شرقية قديمة. مثلاً: الحوار بين الله والأبوين الأولين آدم وحواء (التكوين 3:9-13) كان حواراً ثلاثي الجولات. الجولة الأولى: {9} سؤال الله، {10} إجابة آدم. الجولة الثانية: {11} سؤال الله، {12} إجابة آدم. الجولة الثالثة: {13أ} سؤال الله، {13ب} إجابة حواء. إنه بالفعل أسلوب أدبي قديم ومعروف ومُستخدم بكثرة في الحوارات في التوراة والإنجيل وفي التراث اليهودي/المسيحي بصفة عامة. اقرأ أيضاً: حوار مريم والْمَلاَك جِبْرَائِيل في قصة البشارة بميلاد يسوع (لوقا 1:28-38)؛ حوار يسوع المسيح ونِيقُودِيمُوس مُعَلِّم إِسْرَائِيلَ (يوحنا 3:1-

21)؛ حوار يسوع المسيح والشيطان إبليس في قصة التجربة (متى 4:1-10) (لوقا 4:1-12)؛ حوار موسى والرَّبِّ في قصة التجلِّي (الخروج 33:12-23). كل حوار من تلك الحوارات السابقة ثلاثي الجولات ويتكلم فيه كل طرف ثلاث مرات بالضبط! إنها إذن بصمة يهودية/مسيحية على القرآن؛ بل بصمة سريانية على القرآن وتؤكد مصادره الشرقية القديمة، مِن ناحية الشكل الأدبي على الأقل.

ويتشابه القرآنُ مع هذه العِظات المسيحية السريانية مِن ناحية المضمون (الأفكار motifs) أيضاً. بل أحياناً يتطابق القرآنُ مع هذه العِظات المسيحية السريانية في الكلمات (voacbulary) المُستخدَمة! فنحن نرى أن هذا الحوار القرآني قد استخدم كلمة "الْمَلِكِ" (يوسف 72) وهي نفس الكلمة التي استخدمها الحوار في العِظات المسيحية السريانية! مع أنها كلمة خاطئة!

نعم، كلمة "الْمَلِكِ" (يوسف 72) خاطئة لأن الكأس المفقودة كأس يوسف وليست كأس الْمَلِكِ. بالعقل، لا نتصور أن يوسف تجرأ وأخذ كأس الملك لِكَيْ يعمل تمثيلية على إخوته! وبالنقل، قال يوسفُ لخادمه حسب التوراة: "[...] ضَعْ فِضَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ فِي فَمِ عِدْلِهِ. وَطَاسِي (my cup)، طَاسَ الْفِضَّةِ، تَضَعُ فِي فَمِ عِدْلِ الصَّغِيرِ، [...]" (التكوين 44:1-2). إذن: الكأس المفقودة كأس يوسف وليست كأس الْمَلِكِ.

وإنْ زعمتم أن المَلِك كان قد أهدى الصواع إلى يوسف، ولذلك قال القرآنُ "صُوَاعَ الْمَلِكِ" (يوسف 72). فسنقول: أين الدليل؟ اللي عاوز يتكلم، يتكلم بدليل. وهل يُعقَل أن تكون هديةُ مَلِك مصر لمستشاره المفضل مجرد صواع (مكيال)؟! وحتى لو افترضنا جدلاً أن المَلِك كان قد أهدى الصواع إلى يوسف، فكان ينبغي أن يقول القرآن "صواع العزيز" أو "صواعه (أي: صواع يوسف)"، كما قال القرآنُ "قَمِيصِهِ" (يوسف 18) مع أن القميص كان هديةً مِن أبيه يعقوب.

وإنْ قلتم إن يوسف هو "الْمَلِك" (يوسف 72)، فسنقول: هذا أيضاً خطأ. لأن يوسف كان الرجل الثاني وليس الرجل الأول في مصر. ولقد وقعت بعضُ المصادر المسيحية السريانية في هذا الخطأ بالفعل بسبب أخطاء في الترجمة[5908]؛ أو بسبب قراءة حرفية أدت إلى فهم خاطئ لعبارات توراتية تقول إن يوسف "مِثْلُ فِرْعَوْنَ" (التكوين 44:18) وجعله الله "أَبًا لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ وَمُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" (التكوين 45:8)؛ أو ربما تأثراً بسفر أستير. أو لعله خطأ مقصود تعمّده المسيحيون السريان للتأكيد على أن يوسف رمزٌ للمسيح (المسيَّا؛ المَلِك)، وأن المائدة التي أعدها يوسفُ لتجمع أبناءَ يعقوب الاثْنَيْ عَشَرَ (التكوين 43:16-34) رمزٌ للمائدة (العشاء الأخير Last Supper) التي أعدها المسيحُ لِتَلاَمِيذِهِ الاثْنَيْ عَشَرَ (متى 26:17-30) (مرقس 14:12-26) (لوقا 22:7-30) (يوحنا 13:1-35) (1 كورنثوس 11:17-34)[5909][5910]. ومِن ثم فإن كأس يوسف يمكن استخدامها في التراث المسيحي كرمز يشير إلى كأس المَلِك (كأس المسيح؛ كأس التناول[5911]).

بعبارة أخرى: كلمة "الْمَلِك" كإشارة إلى يوسف ربما يكون لها معنى رمزي في التراث المسيحي، لكن في القرآن ما معناها؟! فمِن الواضح إذن أن أصحاب القرآن قد أخذوا كلمةَ "الْمَلِك" مِن تلك المصادر المسيحية

السريانية، وعلى الأرجح مِن العِظات المسيحية السريانية (PsN) أو ربما (Balai)[5912]. أخذوها بخطئها المقصود أو غير المقصود؛ أخذوها كما هي ولم يصححوها! ألا يكفي ذلك كدليل على أن القرآن كلام بشر!

فهل هي مجرد صدفة أن القرآن يعاني من مشكلة في نفس الموضع التي تعاني فيه العِظات المسيحية السريانية من مشكلة، وفي نفس الموضع التي تعاني فيه التوراة العبرية من مشكلة؟ لا يمكن أن تكون صدفة. وإنما هذا يدل على أن القرآن كتاب بشري اعتمد على مصادر دينية تسبقه، فأخذ مِنها بحلوها ومرها.

ومع ذلك، فإن العِظات المسيحية السريانية تظل أفضل مِن القرآن. وذلك لأن الحوار في تلك العظات يتحدث كله عن نفس الشيء المسروق: كأس (cup). تُستخدَم للشرب "يَشْرَبُ سَيِّدِي فِيهِ" (التكوين 5:44) وتُستخدَم أيضاً للعِرَافَة ومعرفة الغيب "وَهُوَ يَتَفَاءَلُ بِهِ" (التكوين 5:44). مِثل ما نُسمّيه اليوم "فنجان". أما الحوار القرآني فنراه مضطرباً وغير منضبط ويبدو أنه أضيف على عجل. بدليل أن الجملة التي تسبقه تتحدث عن "سقاية" مفقودة: "فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ" (يوسف 70). لكن بعد ذلك نكتشف أنه "صُوَاع" مفقود: "قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ" (يوسف 72)! فهل هي سقاية، أي: وعاء يُسقَى به ويُشرَب مِنه[5913]؟ أم صواع، أي: مكيال يُكال للناس طعامهم به؟! ألا يكفي هذا الاختلاف كدليل على أن القرآن ليس كلام الله! "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[5914].

كالعادة، لجأ شيوخ الإسلام إلى حيلة تزعم أن السقاية (يوسف 70) هي الصواع (يوسف 72) والصواع هو السقاية! مثلاً، يقول الشيخ الشعراوي: "السقاية والصواع هو الوعاء الذي كان يشرب فيه الملك، وكان إناء من فضة، وكانوا يكيلون به الطعام"[5915]! ويقول د. صلاح الخالدي: "وكلمةُ "سقاية" توحي بأنها إناء، كان يُستعملُ في السِّقاء، ويوضَعُ فيه الشراب، كما أنها أصبحتْ صواعاً للكيلِ فيما بعد"[5916]!

وإنه لمِن الطريف أن شيوخ الإسلام الذين لجأوا إلى تلك الحيلة المضحكة وقعوا في مشكلةٍ أخرى، وهي أن الضمير الذي يعود على الصواع مُذَكَّر "[...] نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ [...]" (يوسف 72)، بينما الضمير الذي يعود على السقاية مُؤَنَّث "اسْتَخْرَجَهَا" (يوسف 76)! فكيف يكون الصواع هو السقاية؟! وكيف تكون السقاية هي الصواع؟! لحل هذه المشكلة، لجأوا إلى حيل أخرى. فقيل إن الصواع يُذَكَّر ويُؤَنَّث! وقيل إن الصُّوَاع مُذَكَّر والسِّقَايَة مُؤَنَّثَة، لكنهما اسْمَانِ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ، مِثْلَ الثَّوْبِ وَالْمِلْحَفَةِ، مُذَكَّرٌ وَمُؤَنَّثٌ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ! واستدلوا بما قاله القرآنُ في موضعين آخرين: "تِلْكَ (أي: القصة وهي مُؤَنَّثَة) مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ" (هود 49) و "ذَٰلِكَ (أي: النبأ وهو مُذَكَّر) مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ" (هود 100)!

وهكذا نرى كثيراً مِن اللف والدوران والحيل اللغوية في تفاسير القرآن.

أما نحن فكان مِن الممكن أن نقتنع بتلك الحيل المتتالية لو كنا بصدد كتاب حواديت للأطفال! لكن بما أننا بصدد كتاب يزعم المسلمون أنه كتاب الله ويتوهمون أن مَن لا يؤمن به سيدخل نار جهنم خالداً فيها إلى الأبد، فلا يمكن أن نقتنع بتلك الحيل المكشوفة! فهل يُعقَل أن يوسف كان يكيل للناس حبوبَهم بالكوب التي كان يشرب مِنها هو (أو: الملكُ)؟! وهل يقول التاريخ المصري القديم إن المصريين القدماء أو موظفيهم الآسيويين كانوا يكيلون للناس طعامَهم بالآنية والكئوس التي كانوا يشربون مِنها؟! إذا كانت الإجابة هي: لا، فنحن نرى أن الأفضل والأصوب هو إعادة صياغة هاتين الآيتين (يوسف 71-72) هكذا: "أَقْبَلُوا عَلَيْهِم وَقَالُوا مَّاذَا تَفْقِدُونَ. قَالُوا نَفْقِدُ سقايةَ العزيز ...". أو الاكتفاء بنقل ما قاله التراث اليهودي/المسيحي قبل الإسلام؛ إما الترجمة السبعينية أو كتاب اليوبيلات أو العظات المسيحية السريانية (PsN) مع تصويب الخطأ – المقصود أو غير المقصود – في كلمة "الْمَلِكِ" بتعديلها إلى كلمة "العزيز".

إذن: مرة أخرى نجد أن التراث اليهودي/المسيحي – على الرغم مما قد يعانيه مِن مشكلات – أفضل بكثير مِن القرآن الذي يتوهم المسلمون أنه كلام الله!

القرآن ابن الشرق الأوسط.

كل آية في القرآن لها جذور بشرية في تراث الشرق الأوسط. إما في التراث العبري (التوراة مثلاً) أو التراث اليوناني (السبعينية مثلاً) أو التراث الحبشي (كتاب اليوبيلات مثلاً) أو التراث السرياني (العظات المسيحية مثلاً) أو التراث الآرامي (الترجوم مثلاً) أو حتى التراث العربي (شعر أمية بن أبي الصلت مثلاً).

مشكلة أحبائنا المسلمين هي أنهم لا يعرفون تلك الجذور البشرية للقرآن. وكثيرٌ منهم لا يريدون أن يعرفوها! فيفترضون مِن البداية أن القرآن كلام الله الذي نزل مِن السماء!

أما نحن فَمِن حقنا – بل مِن واجبنا – أن نوضح تلك الجذور البشرية للقرآن حتى يفهم المسلمون أن القرآن ليس كلام الله ولم ينزل مِن السماء. القرآن كلام بشر خرج مِن رحم الشرق الأوسط. وتوجد أعمال شرق-أوسطية أخرى تسبق القرآن وأفضل مِن القرآن.

4.24.2.4.1 كأس للشرب والْعِرَافَةِ (التوراة)؟ أم "سِقَايَة" (يوسف 70)؟ أم "صُوَاع" (يوسف 72)؟

يُفهَم مِن التوراة أن يوسف كان يستخدم كأسه الفضية المفقودة مِن أجل الشرب وأيضاً مِن أجل الْعِرَافَةِ واستطلاع المستقبل (divination) أو قراءة البخت (augury) اعتماداً على الفأل! نجد ذلك في موضعين:

- الموضع الأول: الرسالة التي أمرُ يوسف خادمَه أن يقولها لإخوته: "أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي يَشْرَبُ سَيِّدِي فِيهِ؟ وَهُوَ يَتَفَاءَلُ بِهِ (uses for divination)" (التكوين 5:44).
- الموضع الثاني: الجملة التي قالها يوسفُ نفسه لإخوته بعد ذلك: "فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: «مَا هذَا الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلْتُمْ؟ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَجُلاً مِثْلِي يَتَفَاءَلُ (practices divination)؟»" (التكوين 15:44).

وهذا طبعاً أزعج كثيراً مِن المفسرين اليهود**!** فكيف ليوسف أن "يتفاءل" مع أن التوراة تُحرّم ذلك؟**!** تقول التوراة: "لاَ تَتَفَاءَلُوا وَلاَ تَعِيفُوا" (You shall not practice divination or soothsaying) (اللاويين 26:19). بل تقول التوراة إن هذا "التفاؤل" مِن أرجاس الأمم الوثنية التي يجب على اليهودي المؤمن الموحّد أن يتجنبها: "مَتَى دَخَلْتَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لاَ تَتَعَلَّمْ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ رِجْسِ أُولئِكَ الأُمَمِ. لاَ يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ، وَلاَ مَنْ يَعْرُفُ عِرَافَةً، وَلاَ عَائِفٌ وَلاَ مُتَفَائِلٌ وَلاَ سَاحِرٌ، وَلاَ مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً، وَلاَ مَنْ يَسْأَلُ جَانًّا أَوْ تَابِعَةً، وَلاَ مَنْ يَسْتَشِيرُ الْمَوْتَى. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ الرَّبِّ. وَبِسَبَبِ هذِهِ الأَرْجَاسِ، الرَّبُّ إِلهُكَ طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ. تَكُونُ كَامِلاً لَدَى الرَّبِّ إِلهِكَ. إِنَّ هؤُلاَءِ الأُمَمَ الَّذِينَ تَخْلُفُهُمْ يَسْمَعُونَ لِلْعَائِفِينَ وَالْعَرَّافِينَ. وَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ يَسْمَحْ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هكَذَا" (التثنية 18:9-14).

صحيح أن "توراة موسى" لم تكن مكتوبة أيام يوسف، لكن: ألم يكن يوسف بن يعقوب (إسرائيل) يعلم أن الْعِرَافَة خرافة و "رِجْس" مِن "أَرْجَاسِ" الأمم الوثنية التي حَرَّمها الرَّبُّ إلهُ إسرائيل؟**!** هذا السؤال حَيَّر المفسرين اليهود – والمفسرين المسيحيين بعد ذلك. والحل التقليدي هو تفسير الآيتين التوراتيتين السابقتين (التكوين 44:5، 15) على أساس أن يوسف لم يمارس الْعِرَافَة فعلاً، وإنما قال ذلك بلسانه فقط في إطار الامتحان الذي أعده لإخوته العشرة الكبار. يعني: ما قاله يوسفُ كان مجرد كلام فقط.

أما القرآن فلجأ إلى حل جذري؛ فَحذفَ كلَّ إشارة إلى الْعِرَافَة ليُبرئ يوسفَ تماماً مِن تلك التهمة الشنيعة. إلا أن الحل القرآني جاء مضطرباً كما رأينا. مرة يقول "سِقَايَةَ" (أي: كأس أو كوب يُشرَب منه): "فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ" (يوسف 70). ومرة يقول "صُوَاع" (أي: مكيال يُكال به)؛ بل "صُوَاع الْمَلِكِ"**!** "قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ" (يوسف 72)**!**

المهم: هل القرآن هو أول كتاب يحذف كلَّ إشارة إلى الْعِرَافَة في هذا الموضع مِن الرواية؟

والإجابة هي كما تعودنا: لا. فلقد سبقه كتابُ اليوبيلات بأكثر مِن 700 سنة**!**

في الموضع الذي يقابل (التكوين 44:5)، وجدنا أن (اليوبيلات 43:2) قد حذف ذِكر استخدام الكأس للعِرَافَة واكتفى بذِكر استخدام الكأس للشرب فقط. حسب كتاب اليوبيلات، أمر يوسفُ خادمَه أن يقول لإخوته: "سرقتم كأس الفضة التي فيها يشرب سيدي (أي: يوسفُ)" (Vous avez volé la coupe d’argent dans laquelle boit mon maître)[5917].

أما في الموضع الذي يقابل (التكوين 44:15)، فلقد وجدنا أن (اليوبيلات 43:10) قد جعل يوسفَ يقول إنه "يستمتع" بكأسه (takes pleasure in his cup) أو "متعلّق" بها (attaché à sa coupe) فقط؛ وليس إنه "يَتَفَاءَلُ" بها كما تقول التوراة. حسب كتاب اليوبيلات، قال يوسفُ لإخوته: "أما تعلمون أن الإنسان يتعلّق بكأسه؟ فأنا متعلّق بها وأنتم سرقتموها مني**!**"[5918].

وبعد ذلك لجأ الفيلسوف اليهودي "فيلو" (Philo) (المعاصر للمسيح) والمؤرخ اليهودي "يوسيفوس" (Josephus) (المعاصر لتلاميذ المسيح) إلى نفس الحل. فلم يستخدما كلمةَ "يَتَفَاءَل" التوراتية، وإنما استخدما كلمةَ "يشرب" أو "يشرب نخب" حتى يُبْعِدا عن يوسف شُبهةَ الْعِرَافَة. يقول العالم الكبير (Prof. James L. Kugel) المتخصص في العهد القديم وتفاسيره قبل الميلاد وفي القرون الأولى للميلاد[5919]:

> Similarly, Philo and Josephus both assimilate the phrase “he uses it for divination” to the Greek custom of toasting and pledging over wine (Greek *propinō*) and so avoid the implication that Joseph was a diviner.

إذن: مرة أخرى نجد أن حل "أهل الكتاب" أفضل وأكثر انضباطاً مِن الحل القرآني. مما يؤكد أن القرآن كلام بشر. إذ لا يُعقَل أن كتاب اليوبيلات وفيلو ويوسيفوس يتفوقون جميعاً على كلام الله! بينما يُعقَل جداً أن كلام اليهود (كتاب اليوبيلات وفيلو ويوسيفوس) يتفوق على كلام العرب (كتاب القرآن).

4.24.2.4.2 "كَيْلَ بَعِيرٍ" (يوسف 65) و "حِمْلُ بَعِيرٍ" (يوسف 72)! هل مفارقة تاريخية في القرآن؟

قبل أن نترك (يوسف 72)، نريد أن نتوقف أمام كلمة "بَعِير" التي نستخدمها كثيراً اليوم، ومع ذلك لا نجدها في القرآن إلا في موضعين اثنين فقط لا ثالث لهما! وكلاهما في سورة يوسف! المرة الأولى على لسان إخوة يوسف العبرانيين: "وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ" (يوسف 65). والمرة الثانية على لسان خادم يوسف الذي نفترض أنه كان مصرياً: "نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ" (يوسف 72). وكلاهما يشير إلى البعير كَدَابة حمل (beast of burden) يحمل الطعام مع إخوة يوسف مِن مصر إلى كنعان.

والمعنى المشهور لكلمة "بَعِير" اليوم هو – حسب المعجم الوسيط [ب ع ر]: "ما صلح للرُّكوب والحَمْل مِن الإبل، وذلك إذا استكمل أربع سنوات، ويُقال للجَمَل والناقة". وعندما نظرنا في ترجمات معاني القرآن، وجدنا أن كلمة "بَعِير" تُترجم عادةً بالفعل إلى (camel) (chameau). ومما يؤيد ذلك أيضاً الكتب والمراجع الإسلامية التي ذكرت الإبل والجِمَال في قصة يوسف. على سبيل المثال، يقول الشيخ الشعراوي عن رحلة إخوة يوسف الأولى: "بعد أن أحس إخوة يوسف أن أباهم سيرسل معهم ابنه الصغير، نزلوا وبدأوا ينزلون ما فوق الإبل، [...]"[5920]؛ ويقول عن رحلة إخوة يوسف الثانية: "بعد أن ركب إخوة يوسف جِمالهم استعداداً للعودة إلى الشام [...]"[5921]؛ ويقول عن رحلة إخوة يوسف الأخيرة: "الْبَدْو [...] يحملون رِحَالهم إلى ظهر الجِمَال متنقلين من مكان لآخر"[5922]. وكذلك يقول د. محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق) عن رحلة إخوة يوسف الثالثة: "وكانوا قد أخذوا معهم "بِضَاعَة مُّزْجَاة" وهي البضاعة التي يزجونها أي يسوقونها أمامهم من الإبل والغنم ونحوهما، وهذه البضاعة هي ثمن ما يحتاجونه. [...] أحضروا الأنعام

التي تقوم عليها حياتهم، وتتوقف عليها معيشتهم"[5923]. وقال رئيس مؤسسة الدكتور أحمد شوقي إبراهيم للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة ج.م.ع عن رحلة إخوة يوسف الثالثة: "قميص يوسف لو كان فيه عرق؛ لجف ذلك العرق بعد الرحلة الطويلة على الإبل والتي استغرقت أسبوعين من مصر إلى أرض فلسطين"[5924]. وقديماً قال القرطبي: ""وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ" (يوسف 72). الْبَعِيرُ هُنَا الْجَمَلُ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ"[5925].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن بقوة هو: هل كانت الإبل أو الجِمَال (camels) تُستخدَم كدَواب حمل (beasts of burden) في كنعان و/أو مصر أيام يوسف (قبل المسيح بأكثر من 1600 سنة)؟!

إذا كانت الإجابة: لا، فهذا يعني أن القرآن يعاني مِن مفارقة تاريخية أخرى.

وإنْ قلتم إن التوراة ذكرت "الجِمَال" مِن أيام إبراهيم العبراني الذي "صَارَ لَهُ [في مصر] غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ" (التكوين 16:12)، كما ذكرت الجِمَال عند وصف قافلة التجار العرب الذين اشتروا يوسفَ كعبدٍ وباعوه في مصر: "[...] قَافِلَةُ إِسْمَاعِيلِيِّينَ مُقْبِلَةٌ مِنْ جِلْعَادَ، وَجِمَالُهُمْ حَامِلَةٌ كَثِيرَاءَ وَبَلَسَانًا وَلاَذَنًا [...]" (التكوين 25:37).

فسنقول: ومَن قال إن التوراة صحيحة تاريخياً بنسبة 100%؟! كما رأينا فيما سبق وكما سنرى لاحقاً، التوراة تعاني مِن نفس نوعية المشكلات التي يعاني منها القرآن؛ ومِن بينها وعلى رأسها: المفارقات والأخطاء التاريخية. بل إن هاتين الآيتين التوراتيتين (التكوين 16:12) (التكوين 25:37) وغيرها تُستخدَم مِن أجل نقد التوراة ورفض الأسطورة التقليدية الموروثة التي تزعم أن زمان تدوين قصص الآباء في سفر التكوين هو الألفيَّة الثانية قبل الميلاد (القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) وفي المقابل تأييد النظرية العلمية التي تؤكد أن زمان تجميعها وتدوينها هو الألفيَّة الأولى قبل الميلاد (أي: القرن العاشر قبل الميلاد وما بعده). فكما قلنا عند دراستنا للفصل الأول مِن قصة يوسف التوراتية: (التكوين 25:37) تنتمي إلى المصدر اليهوي (Jahwist; Yahwist) الذي يرجع تاريخه إلى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد. وكذلك (التكوين 16:12) يبدو لنا أنها أيضاً تنتمي إلى المصدر اليهوي، بدليل أن الأصحاح (التكوين 12) كله يذكر دائماً كلمة "الربّ/يهوه" ولا يذكر أبداً كلمة "الله/الإله/إلوهيم".

إذن: كل الأدلة التي أمامنا تدل على أن زمان كتابة هاتين الآيتين التوراتيتين (التكوين 16:12) (التكوين 25:37) لا يرجع أبداً إلى زمان يوسف (قبل المسيح بأكثر من 1600 سنة) ولا حتى إلى زمان موسى (القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) وإنما يرجع إلى حوالي 1000 ق.م وربما بعد ذلك.

هذا رأينا. فماذا عن رأي العلماء المتخصصين؟ ...

تقول دائرة المعارف الكتابية: "استئناس الجمل واستخدامه في القوافل، قبل عصر سليمان بنحو قرنين أو أكثر"[5926]. أي: في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر قبل المسيح؛ وليس قبل المسيح بأكثر من 1600 سنة.

ويقول العالِمان الكبيران (Israel Finkelstein) و (Neil Asher Silberman) في كتابهما الشهير (The Bible Unearthed) الذي ذاع صيته وتُرجم إلى عدة لغات، ومِن بينها العربية بعنوان "التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها"[5927]:

> لكن؛ متى حَدَثَ ذلك التجميع والتدوين؟ يكشف النَّصُّ التوراتي عن بعض المؤشرات الواضحة التي يُمكن أن تُضيّق الفترة الزمنية لوقت تأليفها النهائي. خُذْ مثلاً الذِّكْر المتكرر للجِمَال. إن قصص الآباء مُكتظَّة بذِكْر الجِمَال. وعادةً؛ تَذْكُر قطعان الجِمَال؛ لكن؛ كما في قصة بَيْع إخوة يوسف إيَّاه عبداً (التكوين 25:37)، وُصفت الجِمَالُ - أيضاً - كَدَواب تُستخدَم لحَمْل الأثقال (beasts of burden) في تجارة القوافل. ونحن نعرف - الآن - من خلال الأبحاث الأثريَّة أنَّ الجِمَال لم يبتدئ استخدامها كَدَواب لحَمْل الأثقال قبل أواخر الألفيَّة الثانية، ولم ينتشر استعمالها إلى ذلك الحدِّ الكبير في الشرق الأدنى [القديم] إلا بعد فترة لا بأس بها من سنة 1000 ق.م. والتفصيل الأكثر دلالة في قصة يوسف هو ما ذُكر فيها من أنَّ قافلة الجِمَال كانت تحمل "كَثِيرَاءَ وَبَلَسَانًا وَلاَذَنًا"، الأمر الذي يكشف أُلفة واضحة بالمنتجات الرئيسية للتجارة العربية المربحة، التي ازدهرت تحت إشراف الإمبراطورية الآشورية في القرنين الثامن والسابع ق.م.

إذن: كما توقعنا، لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن الجِمَال كانت تُستخدَم كَدَواب حمل في كنعان أيام يوسف (قبل المسيح بأكثر من 1600 سنة).

هذا عن كنعان. فماذا عن مصر القديمة؟

يقول "القاموس المصور لمصر القديمة" (Illustrated Dictionary of Ancient Egypt) الذي نشرته في مصر "الجامعة الأمريكية بالقاهرة" (The American University in Cairo) بالتعاون مع "المتحف البريطاني" (The British Museum)[5928]:

> It used to be thought that domesticated camels did not appear in the Nile valley until the Ptolemaic period, but the earliest date is now considered to be the late ninth century BC, […].

الخلاصة: لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن الجِمَال كانت تُستخدَم كَدَواب حمل في كنعان و/أو مصر أيام يوسف (قبل المسيح بأكثر من 1600 سنة). إنها مفارقة تاريخية كبيرة تعاني منها التوراةُ وتؤكد أن التوراة كلام بشر يرجع تاريخه إلى الألفية الأولى – وليس الألفية الثانية – قبل الميلاد.

ويعاني القرآنُ أيضاً مِن نفس المفارقة التاريخية إذا كان المقصود بكلمة "بَعِير" (يوسف 65، 72) هو الجَمَل (camel). ونكاد نجزم أن أصحاب القرآن حين قالوا "بَعِير" (يوسف 65، 72) كانوا يقصدون بالفعل "الجَمَل". وأدلتنا على ذلك هي:

- أولاً: ذِكر الجِمَال في قصة يوسف التوراتية الأصلية (التكوين 25:37).
- وثانياً: التفاسير الإسلامية وترجمات معاني القرآن (يوسف 65، 72) كما رأينا. وحسب "قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ"[5929] للقرآن فإن "بَعِير" يُقصَد بها: جَمَل (camel).
- وثالثاً: النقوش المتعلقة بقصة يوسف والمنحوتة على "كرسي ماكسيميان" ("عرش ماكسيميان") (Throne of Maximian) الذي صُنِعَ في القرن السادس الميلادي في الشرق المسيحي البيزنطي (سوريا أو مصر أو القسطنطينية)، فهي تعرض الجِمَال بكل وضوح. انظر الشكل التالي[5930] حيث نرى الجِمَال على أقصى اليسار.

وإنه لمِن المدهش أن نفس مشكلة الجِمَال (البعير) موجودة في التوراة وهذا الفن المسيحي الشرقي والقرآن في نفس القصة: قصة يوسف! وإنْ اختلف الموضع قليلاً. في التوراة وهذا الفن المسيحي الشرقي، كانت الجِمَالُ مع التجار العرب الذين اشتروا يوسفَ مِن إخوته في كنعان ثم باعوه في مصر. بينما في القرآن، كانت البعيرُ (الجِمَالُ) مع إخوة يوسف أنفسهم في رحلاتهم بين كنعان ومصر ذهاباً وإياباً.

رسم توضيحي 11 – الجِمَال في قصة يوسف حسب الفن المسيحي الشرقي [← "بَعِير" حسب القرآن (يوسف 65، 72)]

ويبدو لنا أنه منذ القرون الأولى للإسلام، انتبه فريقٌ مِن المسلمين لهذه المفارقة التاريخية في القرآن. وكالعادة، اخترعوا حلاً لهذه المشكلة. اخترعوا تفسيراً آخر لكلمة "بَعِير" القرآنية. فنقرأ مثلاً في لسان العرب [ب ع ر] ما يلي: "البعير في القرآن الحمار، وذلك أن يعقوب وإخوة يوسف، عليهم الصلاة والسلام، كانوا

بأرض كنعان وليس هناك إبل وإنما كانوا يمتارون على الحمير. قال الله تعالى: "وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ" (يوسف 72)، أي حِمْلُ حمار، وكذلك ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره". ومِن قبل لسان العرب، ذكر الطبري في تفسيره لـ "وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ" (يوسف 65) روايةً تقول: "وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ مُجَاهِدٌ: "كَيْلَ بَعِيرٍ": حِمْلَ حِمَارٍ. قَالَ: وَهِيَ لُغَةٌ. قَالَ الْقَاسِمُ: يَعْنِي مُجَاهِدٌ أَنَّ الْحِمَارَ يُقَالُ لَهُ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ: "بَعِيرٌ""[5931]. ولم نجد ما يدل على أن الطبري نفسه يؤيد ما قاله مُجَاهِدٌ، بدليل أنه ذكر في نفس الصفحة روايةً أخرى "عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: "وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ": نَعُدُّ بِهِ بَعِيرًا مَعَ إِبِلِنَا". وَلم يحدد الطبري الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: الحمير؟ أم الإبل (الجِمَال)؟ بل قال الطبري في تفسيره لـ "فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ" (يوسف 70): "يَقُولُ: وَلَمَّا حَمَّلَ يُوسُفُ إِبِلَ إِخْوَتِهِ [...]"[5932]. إلا أنه بعد ذلك ذكر رأي مجاهد مرة أخرى: "عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: "أَيَّتُهَا الْعِيرُ"، قَالَ: كَانَتْ حَمِيرًا"[5933].

ومن الجدير بالذكر أن كلمة "الْعِير" لم تُذكر في القرآن كله إلا في ثلاث مواضع فقط، كلها في سورة يوسف، وكلها تشير إلى القافلة التي تضم إخوة يوسف: أولاً في (يوسف 70) ثم بعدها بـ 12 آية في (يوسف 82) ثم بعدها بـ 12 آية في (يوسف 94)! وأعطاها علماءُ الإسلام واللغة معنى عام لا يقتصر على الإبل (الجِمَال). حسب المعجم الوسيط [ع ا ر]: "(الْعِيرُ): ما جُلِبَ عليه الطعامُ من قوافل الإبلِ والبغالِ والحمير". إلا أن تفسير الإمام الأكبر أ. د. محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر) المطبوع بمجمع مطابع الأزهر يقول: ""وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ" (يوسف 94) أي: وحين خرجت الإبل التي كانت تحمل إخوة يوسف من مصر إلى بلاد الشام"[5934]. فحسب هذا التفسير الأزهري: "العير" – على الأقل في (يوسف 94) – كانت قافلة من الإبل (الجِمَال) وليست حَمِيرًا كما زعم مجاهدٌ في (يوسف 70).

ولو كان مُجَاهِدٌ على صواب حين زعم أن البعير في القرآن هو الحمار ولو كانت الْعِير هي قافلة مِن الحمير، فلماذا لم يقل القرآنُ "حمار" و "حمير"؟!

ثم إن البصمة اليهودية واضحة جداً على تفسير مُجَاهِد الذي يقول إن البعير في القرآن هو الحمار. وذلك لأن التوراة العبرية تصف الحيوانات التي كانت مع إخوة يوسف بكلمة "حمار" أو "حمير" 7 مرات (التكوين 42:26-27) (التكوين 43:18، 24) (التكوين 44:3، 13) (التكوين 45:23). أما كلمة "بعير" (بالعبرية: be῾ir) فلم تُستخدَم إلا مرة واحدة فقط (التكوين 45:17) **ولا** تُترجَم إلى "جِمَال" ولا إلى "حمير"، وإنما تُترجَم إلى "دواب": "فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «قُلْ لإِخْوَتِكَ: افْعَلُوا هذَا: حَمِّلُوا دَوَابَّكُمْ (your beasts) وَانْطَلِقُوا، اذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ" (التكوين 45:17). وهذا أيضاً ما وجدناه في الترجوم الآرامي الفلسطيني نيوفيتي. وهذا أيضاً ما وجدناه في التوراة السامرية. وهذا أيضاً ما وجدناه في التوراة اليونانية (السبعينية)؛ إلا أن الكلمة اليونانية المُستخدَمة في (التكوين 45:17 حسب السبعينية) تعني وسائل النقل أو الحمل، فتُرجمت إلى الإنجليزية (your transport animals) وتُرجمت أيضاً إلى (your wagons)[5935]! والترجمة

الأولى أصح لأنها أقرب إلى التوراة العبرية وأقرب أيضاً إلى السياق، فلم يُذكَر أن إخوة يوسف كانوا يمتلكون عَجَلاَت أو مركبات، وهذه الآية (التكوين 17:45) جاءت قبل أن يعطيهم يوسفُ الْعَجَلاَت/الْعِجْلاَت حسب أمر فرعون (التكوين 19:45، 21).

أما إذا نظرنا في التوراة السريانية (البشيطا) فسنجدها تصف الحيوانات التي كانت مع إخوة يوسف بكلمة "بعير" (بالسريانية: bʿirā؛ والجمع: bʿirē) مرتين (التكوين 24:43) (التكوين 17:45)[5936] ومرة ثالثة في إحدى مخطوطات (التكوين 3:44)[5937]. وتُترجَم إلى "دواب" أو "بهائم" (beasts) **ولا** تُترجَم إلى "جِمَال" ولا إلى "حمير". إنها إذن كلمة عامة لا تقصد نوعاً محدداً مِن الأنعام.

وكذلك في أعمال سريانية أخرى، نجد كلمةَ "بعير" (beast) مُستخدَمة لوصف الحيوانات التي كانت مع إخوة يوسف. مثلاً: الفصل السابع والثلاثين مِن تعليق القديس المسيحي "إفرام السرياني" (Ephraem) على سفر التكوين (Commentary on Genesis 37.4)[5938]. وفي العِظات المسيحية السريانية (PsN)[5939]. وفي قصة يوسف السريانية (PsB) وغيرها.

إذن: كلمة "بَعِير" (beast) لا تعني نوعاً معيناً مِن الدواب، ومُستخدَمة في قصة يوسف في التراث المسيحي السرياني أكثر مِن التراث اليهودي. مما يدل على أن تأثير التراث المسيحي السرياني على قصة يوسف القرآنية لا يقتصر على الأفكار (motifs) فقط وإنما قد يشمل الكلمات (vocabulary) أيضاً.

ومما يُقوي هذا الاحتمال كلمة "كَيْل" (بالسريانية: kaylā) المذكورة 6 مرات في سورة يوسف، أي: أكثر مِن أي سورة قرآنية أخرى! ومِنهما مرتان جاءت كلمة "كَيْل" مع كلمة "بَعِير" في نفس الآية: "وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ" (يوسف 65). كلمة "كَيْل" أصلها سرياني له نفس المعنى العربي: "قياس" (measure)[5940]؛ أي: قياس بالحجم وليس بالوزن. مِثل حجم "صُوَاع" المذكور في القرآن مع كلمة "بَعِير" في نفس الآية القرآنية (يوسف 72)[5941] وحجم اللتر في عصرنا الحالي. والكلمة السريانية (kaylā) مُستخدَمة في التوراة السريانية (البشيطا) في الآيات التوراتية التي تدعو إلى الأمانة وعدم الغش في الميزان والمِكْيَال (أي: ما يُكال به) سواء المكيال الجاف (dry measure) أو المكيال السائل (liquid measure) (اللاويين 19:35-36) (التثنية 25:14-15)[5942]. ومُستخدَمة أيضاً في العِظات المسيحية السريانية (Balai) التي تتحدث عن قصة يوسف[5943].

مما سبق نستنتج ما يلي:

- كلمة "بَعِير" (يوسف 65، 72) ليست كلمة عربية أصلاً. وتعني "دابة" (beast) أو "دابة حمل" (beast of burden) بصفة عامة (toute bête de somme). قد يكون حمار أو أَتَان أو بغل. لكن حسب "قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ"[5944] للقرآن فإن "بَعِير" يُقصَد بها: جَمَل (camel)! وبما أن لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن الجِمَال كانت تُستخدَم كَدَواب حمل في كنعان و/أو مصر أيام يوسف

(قبل المسيح بأكثر من 1600 سنة)، فإن هذا يعني أن القرآن يعاني مِن مفارقة تاريخية كبيرة نتجت بسبب سوء فهم (تخصيص) لمعنى كلمة "بَعِير" في المصادر اليهودية والمسيحية[5945]. وهذا مثال آخر لعملية "تخصيص لكلمة عامة" (specification of a general term) وهي نوع من أنواع التطور البشري الطبيعي (natural human development)[5946].

- كلمة "بَعِير" (يوسف 65، 72) تدل على وجود مصادر للقرآن في التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة). وفي قضية البعير، فإن الصلة بالمصادر المسيحية السريانية أقوى وأكثر احتمالاً. وهذا يتفق مع كَوْن (يوسف 72) تطور بشري طبيعي للعِظات المسيحية السريانية (PsN) كما رأينا فيما سبق. ويتفق أيضاً مع ذِكر كلمة "كَيْل" السريانية الأصل مرتين مع كلمة "بَعِير" في نفس الآية القرآنية: "وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ" (يوسف 65). ويتفق أيضاً مع ذِكر كلمة "صُوَاع (أي: مِكيال يُكال به)" مع كلمة "بَعِير" في نفس الآية القرآنية: "نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ" (يوسف 72). وكل ذلك في نفس القصة القرآنية: قصة يوسف؛ القصة القرآنية الوحيدة التي تذكر "بَعِير"! فلا يمكن أن يكون كل ذلك مجرد صدفة.

إن قصة يوسف القرآنية تثبت وجود علاقة عضوية بين التراث المسيحي السرياني والقرآن. هذه العلاقة العضوية هي التطور البشري الطبيعي (natural human development) مِن التراث المسيحي السرياني إلى القرآن. ونحن نرى هذه العلاقة العضوية بكل وضوح على جميع المستويات: الوظيفة الرمزية (typological function)[5947] والأسلوب (style) والأفكار (motifs) والعبارات (phrases) والكلمات (vocabulary). كلها تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً مِن التراث المسيحي السرياني إلى القرآن.

وبما أن التراث المسيحي السرياني كلام بشر 100%، فإن كل ما سبق يؤكد أن القرآن أيضاً كلام بشر 100%، ومِن المستحيل أن يكون كلام الله.

وكما نقول دائماً: نظرية الوحي انتهت. نظرية التطور البشري الطبيعي هي التي تفسر نشأة القرآن.

4.24.2.5 "قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ [...]. قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ" (يوسف 74-75)

تعاني التوراة مِن مشكلة أخرى. بعد اتهام إخوة يوسف بسرقة الكأس الفضية، كان إخوة يوسف واثقين مِن براءتهم، فاقترحوا – مِن تلقاء أنفسهم وعلى سبيل التحدي – أن يُعدَم السارقُ ويُستعبَد الباقون. فقالوا لخادم يوسف: "الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ [الكأس الفضية المسروقة] مِنْ عَبِيدِكَ يَمُوتُ، وَنَحْنُ أَيْضًا نَكُونُ عَبِيدًا لِسَيِّدِي" (التكوين 44:9). فماذا كان رد الخادم؟ "فَقَالَ: «نَعَمِ، الآنَ بِحَسَبِ كَلاَمِكُمْ هكَذَا يَكُونُ. الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ يَكُونُ لِي عَبْدًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ»" (التكوين 44:10). المشكلة هي أن رد الخادم متناقض. في نصف الآية

الأول، وافقهم على اقتراحهم "نَعَمِ، الآنَ بِحَسَبِ كَلاَمِكُمْ هكَذَا يَكُونُ". أما في نصف الآية الثاني، اقترح اقتراحاً آخر: أن يُستعبَد السارقُ ويطلق سراح الباقون "الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ يَكُونُ لِي عَبْدًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ"!

إذن: المشكلة تكمن في (التكوين 10:44). وكالعادة، كل مشكلة في النص المقدس بيكون لها حل، أو بالأحرى عدة حلول. نذكر منها حلين على سبيل المثال. الحل الأول ترك الآية كما هي ولم يُحرّفها وإنما فسَّرها على أن المقصود هو أن الخادم قد خَفَّفَ الحكمَ مِن إعدام السارق إلى استرقاقه ومِن استرقاق الباقين إلى إطلاق سراحهم. ولقد لاحظنا أن المراجع العربية بصفة عامة تلجأ إلى هذا الحل حفاظاً على نَص الآية وربما خوفاً مِن أن تُقذَف بتهمة "التحريف" الرائجة في المجتمعات العربية/الإسلامية. أما المراجع الأجنبية، فبعضها لجأ إلى ذلك الحل، والبعض الآخر لجأ إلى حل آخر أكثر جرأة فأعاد صياغة نصف الآية الأول بحيث يزول أي تناقض، فصار يُكتَب مثلاً (Although what you are proposing is right)[5948]؛ أي: على الرغم مِن أن ما تقترحونه صحيح "الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ يَكُونُ لِي عَبْدًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ". وفي الواقع، فإن هذا التحريف له جذور في التراث اليهودي. على سبيل المثال، لجأ كتابُ اليوبيلات إلى تحريف نصف الآية التوراتية الأول، فصار: "لن يكون هكذا" (It will not be so) (اليوبيلات 6:43)[5949]؛ أي: لن يكون كما تقترحون وإنما "الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ يَكُونُ لِي عَبْدًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ".

كذلك لجأ أصحابُ القرآن إلى تحريف نصف الآية التوراتية الأول. وإنه لمِن الطريف أنهم طبَّقوا نفس الأسلوب الذي طبَّقوه في (يوسف 71-72) لحل مشكلة (التكوين 44:4-5، 8) كما قلنا فيما سبق: وضعوا حواراً (dialogue) قصيراً يتكون مِن سؤال وجواب. السؤال هنا مُوجه مِن خادم يوسف وأعوانه إلى إخوته: "قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ (أي: ما عقوبة السارق في دينكم؟) إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ [في إنكاركم السرقة]" (يوسف 74). والإجابة التي قالها إخوةُ يوسف هي مجرد تطور بشري طبيعي لنصف الآية التوراتية الثاني[5950]، وإن وضعها أصحابُ القرآن على لسان إخوة يوسف وليس على لسان خادمه: "قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ (أي: يُسلَّم السارقُ الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ الكأس المفقودة ليكون عبداً رقيقاً عند الشخص المسروق منه)" (يوسف 75)؛ وهي أيضاً مجرد تطور بشري طبيعي لعقوبة السارق حسب توراة موسى التي تُلزِم السارقَ بتعويض الشخص المسروق منه بالضعف إنْ كانت السرقة في يده (كما هي الحالة هنا) حتى ولو باع السارقُ كل ممتلكاته أو باع نفسه عبداً للشخص المسروق منه أو لغيره (الخروج 22:3-4)[5951].

ولم يذكر القرآنُ حُكمَ (أو بالأحرى: اقتراحَ) إعدام السارق المذكور في التوراة على لسان إخوة يوسف "الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ [الكأس الفضية المسروقة] مِنْ عَبِيدِكَ يَمُوتُ" (التكوين 9:44) وهو بالفعل حُكم قاسي إلا إذا كانت هذه الكأس الفضية مقدسةً ومِن ثم يستحق سارقها الإعدام حسب اقتراحهم المتهور.

إذن: الحل القرآني يتلخص في نقطتين: حذف حُكم الإعدام + إضافة حوار قصير يتكون مِن سؤال عن العقوبة وجوابه.

فهل أصحاب القرآن هُمْ أول مَن اخترعوا هذا الحل: حذف حُكم الإعدام + إضافة حوار قصير يتكون مِن سؤال عن العقوبة وجوابه؟

الإجابة كالعادة هي: لا. فلقد سبقهم اليهود والمسيحيون الذين توارثوا التوراة مِن جيلٍ إلى جيل وعكفوا على دراستها وحل مشكلاتها وتناقضاتها بشتى الطرق والحيل قبل الإسلام بمئات السنين.

على سبيل المثال: المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" (Flavius Josephus) (القرن الأول الميلادي) المعروف في كتاباته بجرأته على حذف ما لا يعجبه مِن التوراة. فلقد حذف يوسيفوس حُكمَ الإعدام المذكور في القصة التوراتية، وقال في الفقرة (2.6.7) مِن كتابه الشهير (Antiquities of the Jews)[5952] إن إخوة يوسف اقترحوا على الخادم أن يُعاقَبوا جميعاً إذا ثبتت تهمة السرقة على أحدهم (if any of them had been guilty of the theft to punish them all). بدون أن يذكر عقوبة الإعدام.

وكذلك فعلت العظات المسيحية السريانية (Balai)[5953] التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي، أي: قبل الإسلام. قال يهوذا لخادم يوسف (القيّم على بيت يوسف): "نضعُ الأحمال قدَّامك فتفتِّشها كلَّها معاً" (We shall place the loads before you / and you will examine them equally). "فإن وُجدَتْ كأسك معنا نَكُنْ عبيداً بسببها" (If your cup is with us / we shall be slaves on its account). بدون أن يذكر عقوبة الإعدام.

أما العِظات المسيحية السريانية (PsN)[5954] التي يرجع تاريخها أيضاً إلى القرن الخامس الميلادي فأضافت الحوار القصير الذي يتكون مِن سؤال عن العقوبة وجوابه. السؤال مُوجه مِن خادم يوسف إلى إخوته: "وإذا وجدتها (أي: الكأس) فماذا سيحدث؟" (And if I do find it what shall happen?) **[⟵ "فَمَا جَزَاؤُهُ (أي: ما عقوبة السارق؟) إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ [في إنكاركم السرقة]" (يوسف 74)]**. والإجابة التي قالها إخوةُ يوسف هي: "سنصبح كلنا عبيداً عند سيدك" (We shall all be slaves to your lord)[5955] **[⟵ جعل القرآنُ عقوبةَ العبودية على السارق فقط حتى يتفق مع نصف الآية التوراتية الثاني[5956] كما قلنا فيما سبق: "قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ (أي: يُسلَّم السارقُ الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ الكأس المفقودة ليكون عبداً رقيقاً عند الشخص المسروق منه) ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ" (يوسف 75)]**.

مما سبق يتضح أن الحل الذي قدّمه القرآنُ (يوسف 74-75) ليس وحياً مِن عند الله، بل ليس حلاً جديداً، فهو مجرد تطور بشري طبيعي لحلول قديمة مقترحة قبل الإسلام سواء في التراث اليهودي المتأخر أو في التراث المسيحي السرياني. وكل ذلك يؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

وفي ضوء كل ما سبق، فإننا نتفق تماماً مع الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) حين يقول تعليقاً على هذا الحوار القرآني كله (يوسف 70-75)[5957]:

[…] A comparison of the Biblical and Quranic accounts demonstrates that the Quran expands simple Biblical dialogues into more elaborate ones and even adds dialogue to episodes where the Bible had none. Often a similar dialogue is [already] found in the Syriac sources. […]. […] […] Not only do PsN and the Quran add more stages to the dialogue, they also include, as we have seen, a question to the brothers regarding the suitable punishment for the thief. Interestingly, the brothers' reply in both texts contradicts the Bible; whereas in Genesis the brothers suggest death for the thief and slavery for the rest, in PsN and the Quran it is slavery (for all, or only for the thief, respectively).

ومِن الجدير بالذكر أن الفيلسوف اليهودي السكندري "فيلو" (Philo of Alexandria) (المعاصر للمسيح) لجأ إلى حلٍ آخر. أبقى فيلو على حُكم إعدام السارق الذي اقترحه إخوةُ يوسف حسب شريعتهم (دينهم): "الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ [الكأس الفضية المسروقة] مِنْ عَبِيدِكَ يَمُوتُ" (التكوين 9:44)[5958]. لكن فيلو حَذفَ رد الخادم سبب المشكلة (التكوين 10:44)، وجعل يوسفَ هو الذي يخفف حُكمَ إعدام السارق إلى استرقاقه فقط رحمةً به. حسب فيلو، قال يوسفُ لإخوته بعد أن خرجت الكأس المسروقة مِن أمتعة بنيامين[5959]:

قيل لي إنه قبل أن تدخلوا المدينة كان الموت هو العقوبة التي وافقتم عليها أنتم أيضاً بالنسبة للشخص المذنب، ولكن لأنني أميل دائماً للطريق المعتدل والأكثر إنسانية فسوف أقلص العقوبة وأحكم عليه بالعبودية بدلاً من الموت.
I know therefore that by your laws you condemn the man who has been found guilty of theft to be put to death in front of the city; but I, wishing to act in all respects in a gentle and most merciful manner, will mitigate the punishment, and adjudge him to slavery instead of to death.

فيبدو لنا إذن أن فيلو اليهودي هو صاحب فكرة الشريعتين المختلفتين، حيث نجد "شريعة إخوة يوسف" في مقابل شريعة أو قاعدة أخرى؛ عند فيلو: "رحمة يوسف" **[← عند أصحاب القرآن: الشريعة الأخرى هي "دِينِ الْمَلِكِ (أي: القانون المصري)" (يوسف 76)]**.

بعبارة أكثر وضوحاً: حسب فيلو، شريعة إخوة يوسف (آل يعقوب) هي إعدام السارق بينما الشريعة الأخرى (رحمة يوسف) هي استرقاق السارق، أي: استرقاق بنيامين **[← تطورت هذه المقابلة بين الشريعتين تطوراً بشرياً طبيعياً. فصارت حسب القرآن، شريعة إخوة يوسف (آل يعقوب) هي استرقاق السارق "جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ" (يوسف 75) بينما الشريعة الأخرى (دِينِ الْمَلِكِ؛ القانون المصري) شَيْءٌ آخر "مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ" (يوسف 76)؛ قيل لأن شريعة الْمَلِكِ تقضي بضرب السارق و/أو تغريمه ولا تقضي باحتجازه. فطبَّق يوسفُ شريعةَ إخوته، أي: استرقاق بنيامين]**.

على جميع المسلمين أن يشكروا فيلو اليهودي المصري لأنه ألهم أصحابَ القرآن تلك الفكرة الخلّاقة (creative, seminal idea).

وكنا نتمنى أن يكتفي أصحابُ القرآن بتطوير ما قاله فيلو اليهودي، لكنهم للأسف ورّطوا اللهَ في التمثيلية التي صنعها يوسفُ على إخوته من أجل احتجاز بنيامين! "كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ (أي: ألهمناه هذه الحيلة الماكرة أو أوحينا إليه أن يفعلها ويسَّرناها له حتى يأخذ بنيامينَ مِنهم!) ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ (أي: ليس في القانون المصري أن يُتَمَلَّكَ السارقُ، ولذلك اقتضى التدبيرُ الإلهي أن يحتكموا إلى شريعة آل يعقوب القاضيةِ برقِّ السارق!)" (يوسف 76).

ونحن نرى أن أصحاب القرآن لم يوفقوا حين ورّطوا اللهَ في تلك التمثيلية.

وإنْ قلتم إن كلمة "كِدْنَا" (يوسف 76) تهدف إلى عمل مقارنة (أو: انكفاء Chiasmus) بين "كَيْد" الله/يوسف (أو: كَيْد الله لصالح يوسف) مِن ناحية و "كَيْد" إخوة يوسف (يوسف 5) و "كَيْد" النسوة وإمرأة العزيز (يوسف 28، 33-34، 50، 52) مِن ناحيةٍ أخرى[5960].

فسنقول: قد يكون هذا مقبولاً مِن حيث الشكل، لكنه غير مقبول مِن حيث المضمون. لأن هذا "الكيد الإلهي" هو في الواقع تهمة باطلة ألصقها يوسفُ بأخيه بنيامين! فكيف يكون الكذب "تدبيراً إلهياً"؟! وكيف يكون تلويث السمعة "تدبيراً إلهياً"؟! فلقد أصبح بنيامينُ سارقاً في نظر كل مَن يجهل أمر هذه التمثيلية: كل أهل "الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا" (يوسف 82) "وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا" (يوسف 82)، وعلى رأسهم إخوته، وبعد ذلك يعقوب وأهل كنعان[5961]! فجأة صار بنيامينُ لصاً مجرماً في نظر كل هؤلاء!

بل كيف يحجز يوسفُ بنيامينَ في مصر وهو يعلم جيداً حب يعقوب لبنيامين وأن يعقوب قد يموت في كنعان بسبب احتجاز بنيامين في مصر؟! فضلاً عن قلق يعقوب على أبنائه إذا تأخروا في العودة. وما الفائدة أصلاً مِن احتجاز بنيامين في مصر؟! إنْ قلتم إن الله أراد أن يكون ذلك ابتلاءً ليعقوب. فسنقول: هناك أناس

أبرياء أُضيروا بسبب هذا الابتلاء المزعوم. مثلاً: أهل يعقوب. إذ كيف يتسبب يوسفُ في تأخير عودة إخوته إلى كنعان - ولو لساعة واحدة - وهو يعلم جيداً أن يعقوب وأهله ينتظرون رجوعهم بالطعام في أسرع وقت وإلا قد يموتوا مِن الجوع؟! بل يُفهَم من القرآن أن إخوة يوسف لم يكونوا وحدهم، وإنما كانوا مع قافلة أو وفد مِن كنعان، بدليل "وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا" (يوسف 82). ولا نتصور أن أفراد القافلة سيغادرون مصر تاركين وراءهم أبناء "النبي" يعقوب نبي كنعان. إذن: تأخير إخوة يوسف سيؤدي حتماً إلى تأخير كل القافلة التي ينتظر أهلُ كنعان رجوعها مُحمَّلة بالطعام. فكيف يكون اللهُ/يوسفُ سبباً في كل هذا الضرر بأناس أبرياء لا ذنب لهم؟! والأخطر من كل ذلك هو رد فعل أهل كنعان حين يعلمون أن بنيامين "ابن النبي" يعقوب حرامي؟! حرامي كاسات فضة! ألن تفقدهم تلك الفضيحة الثقةَ في جدوى النبوة؟ أسئلة كثيرة تجعلنا على يقين أن (يوسف 76) ليست كلام الله، بل ليس لها أي علاقة بالله. لأن "اللهَ صَادِقٌ" (يوحنا 33:3).

وإنه لمِن العجيب أننا نرى إخوة يوسف يتجهون نحو طاعة أوامر أبيهم (يوسف 67-68) والصدق مع أبيهم ومع أنفسهم (يوسف 80-82)، بينما يتجه يوسفُ "الصِدّيقُ" (يوسف 46) نحو الكذب والخداع وإلحاق الضرر بأبيه وأهله وعشيرته! كيف يكون يوسفُ صِدّيقًا نَّبِيًّا ويكذب؟! ألا يكفي ذلك كدليل قاطع يثبت أن "عصمة الأنبياء" مجرد أسطورة لا أساس لها حتى في القرآن نفسه.

أما الأعجب والأغرب فهو أن يوسف "النبي" نَسِيَ الدعوةَ إلى دين الله وترك الجهادَ في سبيل الله، وصار شغله الشاغل هو أن يضع كوباية في شنطة أخيه الصغير ليأخذه مِن إخوته بتهمة سرقة باطلة! هل هذا يليق بنبي؟! بل هل هذا يليق بإنسان محترم؟!

مما لا شك فيه أن يوسف "النبي" قد أخطأ خطأً كبيراً حين "جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ" (يوسف 70). "وَقَدْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: إنْ ذَلِكَ كَانَ خَطَأً مِنْ فِعْلِ يُوسُفَ، فَعَاقَبَهُ اللَّهُ بِإِجَابَةِ الْقَوْمِ إِيَّاهُ: "إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ" (يوسف 77)"[5962]. وهذا الخطأ الكبير الذي ارتكبه يوسفُ "النبي" يكفي كدليل قرآني على أن الأنبياء غير معصومين. أما الله فهو بريء تماماً مِن هذا الخطأ الكبير الذي ارتكبه يوسفُ "النبي".

مِن كل ما سبق يتضح أن هذا الحوار القرآني كله (يوسف 70-75) وكذلك نتيجته والتعليق عليه (يوسف 76) يعاني مِن مشكلات كثيرة تثبت أنه ليس كلام الله، وإنما هو مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي/المسيحي، سواء التراث المقدس (التوراة وترجماتها المختلفة) أو التراث غير المقدس (اليوبيلات، فيلو، يوسيفوس، إفرام السرياني، العظات المسيحية السريانية). وكالعادة، التراث المقدس يفسر لنا الأمور المشتركة بين التوراة والقرآن. والتراث غير المقدس يفسر لنا الأمور المختلفة بين التوراة والقرآن.

أو كما قال (Prof. Holger Zellentin)[5963]:

[...] the Qurʾān as a "rewritten Bible" […], or perhaps even more precisely as a "retold Bible," can rely on the Biblical and post-Biblical traditions about Joseph […] at the same time as generating a message by retelling the familiar story in an unfamiliar way.

فإذا سُمِحَ لنا أن نقدِّم نصيحةً إلى الأجيال القادمة مِن الباحثين فسنقول: عند دراسة مصادر أي قصة قرآنية، ابحثوا أولاً عن مصادرها المحتملة في الكتاب المقدس، ثم ابحثوا عن الاختلافات بين القرآن والكتاب المقدس في التراث اليهودي المتأخر (post-Biblical) والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة). وهذا التراث الشرق-أوسطي الضخم يشمل التوراة اليونانية (السبعينية)، التوراة السامرية، التوراة السريانية (البشيطا)، الترجوم الآرامي نيوفيتي، الأبوكريفا والسوديبيجرافا (وبخاصة كتاب اليوبيلات)، المشنا والتلمود البابلي، كتابات اليهوديين فيلو ويوسيفوس والمسيحي السرياني إفرام ... الخ.

هذا التراث اليهودي المتأخر وهذا التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) هُما حلقة الوصل أو الكوبري (bridge) مِن الكتاب المقدس إلى القرآن. ومِن حُسن حظنا أن هذا التراث الشرق-أوسطي الضخم أو معظمه قد تُرجِم في السنوات الأخيرة إلى اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، فصار في متناول الجميع بعد أن ظل لعقود طويلة حِكراً على مَن يجيدون اللغات العبرية واليونانية والآرامية/السريانية فقط.

4.24.2.6 "قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ" (يوسف 77)

في رحلتهم الثانية إلى مصر، رأى إخوةُ يوسف السقايةَ "المسروقة" تخرج مِن أمتعة بنيامين، مما جعلهم يعتقدون أن بنيامين هو "السارق" فعلاً. فماذا كان رد فعلهم؟ "قَالُوا (أي: قال إخوة يوسف العشرة الكبار أبناء لَيْئَة وزِلْفَة وبِلْهَة) إِن يَسْرِقْ [بنيامينُ] فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ (يقصدون: يوسفُ!)" (يوسف 77).

كالعادة، احتار المفسرون المسلمون في تفسير (يوسف 77). متى سَرَقَ يوسفُ أو أُتهم بالسرقة؟! وماذا سَرَقَ؟! وكالعادة أيضاً، لجأ المفسرون المسلمون إلى أساطير ما أنزل اللهُ بها مِن سلطان ...

تقول أسطورة مشهورة رددها الشيخ الشعراوي كعادته في ترويج الأساطير وإلصاقها بالله؛ واللهُ بَرِيءٌ مِمَّا قاله الشعراوي: "وكان المعروف أن مَنْ يُضبَط بسرقة في شريعة آل يعقوب أن يُسترقَّ أو يظل في خدمة مَنْ سرقهم، كما فعلت عمة يوسف التي أحبته وعاش معها بعد وفاة أمه؛ وحين أراد والده أن يسترده أخفَتْ في ثياب يوسف شيئاً عزيزاً ورثته عن أبيها إسحاق (هو: مِنْطَقَة إسحاق كان ينتطق بها، أي: يشدها على وسطه)، وبذلك استبقتْ [عمَّةُ يوسف] يوسفَ معها، ولم يأخذه أبوه إلا بعد أن ماتت عمَّته"[(5964)]!

أما الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الأسبق) فقال: "وقد ذكر المفسرون هنا روايات متعددة في مراد إخوة يوسف بقولهم هذا، ومنها: أن يوسف وهو صغير سرق صنماً من ذهب وفضة، ثم كسره وألقاه في عرض الطريق، فعيره إخوته بذلك"[5965]! وقديماً قال تفسيرُ الجلالين: ""قَالُوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ" أَيْ: يُوسُفُ وَكَانَ سَرَقَ لِأَبِي أُمّه صَنَمًا مِنْ ذَهَب فَكَسَرَهُ لِئَلَّا يَعْبُدَهُ"[5966]! وهكذا ضربوا عصفورين بحجر واحد: فسّروا سببَ اتهام يوسف بالسرقة، وجعلوها سرقة ذات هدف نبيل! سرق صنمَ جده ليكسره! والصنم كان من ذهب، لكن يوسف زهد فيه ولم يبعه وإنما حطمه! وجعلوا يوسفَ طفلاً صغيراً حتى لا يلومه أحدٌ على هذه السرقة النبيلة! إنها حقاً أسطورة جميلة جداً!

ويوجد فريق ثالث لم يقبل أن يوسفَ سَرَقَ وهو صغير، لأن هذا مِن "الإسرائيليات" ويتعارض مع عصمة الأنبياء التي – حسب زعمهم – تبدأ منذ الطفولة! يقول د. صلاح الخالدي: "وإثباتُ سرقةٍ ليوسفَ وهو صغيرٌ يتعارضُ مع عصمتِه، ومن المعلوم أنَّ اللهَ يرعى النبيَّ رعايةً خاصةً منذُ ولادتِه وطفولتِه، ولا يجعلُ للشيطانِ سلطاناً عليه، ويحفظُه من المعاصي والذنوب! وهذا معناهُ أنَّ يوسفَ عليه السلام لم يسرقْ في طفولتِه أو شبابِه!"[5967]! وحسب هذا الرأي، فإن الأَوْلى هو تكذيب إخوة يوسف العشرة الكبار فيما زعموه.

أما نحن فما يهمنا هو (1) أن نفهم مراد إخوة يوسف العشرة الكبار حين "قَالُوا إِن يَسْرِقْ [بنيامينُ] فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ (يقصدون: يوسفُ!)" (يوسف 77)؛ و (2) ندرس جذور هذه الآية القرآنية في التراث اليهودي/المسيحي قبل القرآن، فكما نقول دائما: الإسرائيليات موجودة في القرآن نفسه ...

نحن نرى أن إخوة يوسف العشرة الكبار أرادوا أن يلمّحوا إلى راحيل أُم يوسف وبنيامين التي سَرَقَتْ أَصْنَامَ أَبِيهَا لأَبَان (التكوين 31:19، 31:30-35). يعني: مَن سرق أصنام جد يوسف هي راحيل وليس يوسف. راحيل سرقت فعلاً؛ أما بنيامين فأُتهم زوراً بسرقة الكأس/السقاية، لكن إخوة يوسف العشرة الكبار صدَّقوا هذا الاتهام، فعايروه هو ويوسف بأمهما راحيل السارقة. وكأن إخوة يوسف العشرة الكبار أرادوا أن يقولوا: بنيامين سرق السقاية من العزيز، ومِن قبله سرق يوسفُ حب أبينا منا[5968]، ومِن قبلهما سرقت أمهما راحيلُ أَصْنَامَ أَبِيهَا، فالسرقة ليست غريبة عليهما.

ودليلنا على أن هذا هو مرادهم موجود في التوراة نفسها. فعندما تقرأ قصة سرقة راحيل (التكوين 31) وقصة اتهام بنيامين بالسرقة (التكوين 44) تجد تشابهات كثيرة بين القصتين. على سبيل المثال وكما قلنا فيما سبق، الجملة التي قالها إخوة يوسف المتهمون بالسرقة والواثقون مِن براءتهم: "اَلَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ [الكأس الفضية المسروقة] مِنْ عَبِيدِكَ يَمُوتُ" (التكوين 44:9) هي تقريباً نفس الجملة التي قالها أبوهم يعقوبُ وهو واثقٌ مِن براءته حين اتهمه لابانُ بسرقة أصنامه: "اَلَّذِي تَجِدُ آلِهَتَكَ مَعَهُ لاَ يَعِيشُ" (التكوين 31:32) "وَلَمْ يَكُنْ يَعْقُوبُ يَعْلَمُ أَنَّ رَاحِيلَ سَرَقَتْهَا" (التكوين 31:32). وفي كلتا القصتين، حدثت عملية تفتيش انتهت عند راحيل (التكوين 31:33-35) وعند بنيامين (التكوين 44:11-12). الفرق هو أن خادم يوسف وجد الكأس المسروقة عند بنيامين، بينما لم ينجح لابانُ في العثور على الأصنام المسروقة عند راحيل لأن راحيل

كَانَتْ "قَدْ أَخَذَتِ الأَصْنَامَ وَوَضَعَتْهَا فِي حِدَاجَةِ الْجَمَلِ (أي: رَحْلِ الجمل؛ الهودج) وَجَلَسَتْ عَلَيْهَا. فَجَسَّ لاَبَانُ كُلَّ الْخِبَاءِ (أي: كل الخيمة) وَلَمْ يَجِدْ. وَقَالَتْ لأَبِيهَا: «لاَ يَغْتَظْ سَيِّدِي أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُومَ أَمَامَكَ لأَنَّ عَلَيَّ عَادَةَ النِّسَاءِ». فَفَتَّشَ [لابانُ] وَلَمْ يَجِدِ الأَصْنَامَ" (التكوين 31:34-35). فاستطاعت راحيلُ المذنبة أن تنجو مِن العقاب، بينما قُبِضَ على بنيامين البريء! وكأن التوراة أرادت أن تقول إن بنيامين الآن يدفع ثمن الجريمة التي ارتكبتها أمه راحيل التي ماتت وهي تلده قبل أكثر مِن 20 سنة[5969].

في ضوء ما سبق، فإننا لن نندهش إذا اكتشفنا يوماً مخطوطة قديمة للقرآن تقول "إن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَت أُمُّهُ مِن قَبْلُ". لكن حتى إذا تعاملنا مع الآية القرآنية كما هي الآن في المصحف الحالي: "إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ" (يوسف 77)، فإن إخوة يوسف العشرة الكبار قد أرادوا بقولهم هذا أن يقولوا: وما جريمة السرقة إلا مِن عِرقِ أمِّهما راحيل وخُلُقِها، وليست مِن أخلاق أبينا يعقوب الذي نجتمع معهما فيه. أو كما قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لـ "إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ" (يوسف 77): "أي: لا تعجب يا عزيز مصر؛ لأن هذه [السرقة] خصلة في أولاد راحيل، قالوا ذلك وَهُمْ يجهلون أنهم يتحدثون إلى يوسف ابن راحيل!!"[5970]. وكذلك قال أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر) إن إخوة يوسف "قالوا ذلك سبة لأمهما "راحيل" إذ أنجبت ولدين كلاهما سارق، يريدون أن يتنصلوا بذلك من هذا العار الذي ظنوا أنه لاحق بهم جميعاً وَهُمْ على قمة الشرف والطهر"[5971]. وكذلك قال الشيخ عبد الجليل عيسى (مِن علماء الأزهر في القرن العشرين): "وعندما ظَهَرَت هذه الفضيحة (أي: العثور على السقاية المسروقة في أمتعة بنيامين) حاول بَعضُهم، وَهُمْ أَشَدُّهم كراهةً ليوسفَ وأخيه أن يُبعِدُوها عنهم بالكَذِبِ والزُّور، فقالوا: إن يَسرقْ اليومَ بنيامينُ فقد سَرَقَ أَخٌ له مِن قبلُ – يُرِيدُونَ يُوسُفَ – لأنَّهما مِن أُمٍّ غير أُمِّنا وَرِثُوا السَّرِقَةَ عنها، فهذا عيبٌ قاصِرٌ عليهما لا يَمَسُّنا بسُوءٍ"[5972]. وقديماً قال القرطبي: ""قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ" الْمَعْنَى: أَيِ اقْتَدَى بِأَخِيهِ، وَلَوِ اقْتَدَى بِنَا مَا سَرَقَ. وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِيَبْرَءُوا مِنْ فِعْلِهِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أُمِّهِمْ؛ وَأَنَّهُ إِنْ سَرَقَ فَقَدْ جَذَبَهُ عِرْقُ أَخِيهِ السَّارِقِ؛ لِأَنَّ الِاشْتِرَاكَ فِي الْأَنْسَابِ يُشَاكِلُ فِي الْأَخْلَاقِ"[5973]! وتوجد رواية طريفة ذكرها الطبري في تفسيره تجمع بين السرقة التي ارتكبتها راحيل أم يوسف وبنيامين والسرقة (المزعومة) التي ارتكبها يوسفُ: "عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ: "إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ"، قَالَ: كَانَتْ أُمُّ يُوسُفَ أَمَرَتْ يُوسُفَ يَسْرِقُ صَنَمًا لِخَالِهِ يَعْبُدُهُ، وَكَانَتْ مُسْلِمَةً"[5974]. وبغض النظر عن مدى صحة تلك الرواية الأخيرة، فإنها تدل على أن صاحبها قد أدرك علاقة الآية (يوسف 77) براحيل أُم يوسف وبنيامين.

مما سبق يتضح أنه: صحيح أن الآية (يوسف 77) لم تذكر راحيل صراحةً، لكن راحيل لها علاقة قوية بتلك الآية (يوسف 77).

وبناء على كل ما سبق، فإن تفسير "فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ" (يوسف 77) هو: أضمر يوسفُ هذه المعايرة بأُمِّه راحيل المتوفاة (التي سرقت فعلاً) وهذه الاتهامات الباطلة له ولبنيامين بالسرقة. إنها

اتهامات باطلة، لأن بنيامين لم يسرق السِّقَايَةَ ويوسف لم يسرق حب يعقوب. ولذلك قال يوسفُ بعدها "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ [مِن الكذب والافتراء]" (يوسف 77).

لكن يبقى سؤال: لماذا جعل أصحابُ القرآن إخوةَ يوسف يقولون هذه الجملة "إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ" (يوسف 77) وفي هذا التوقيت بالذات مِن أحداث الرواية؟

والإجابة كما توقعتم هي: لأن أصحاب القرآن قد وقعوا – بوعي أو بدون وعي – تحت تأثير التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني ...

تقول القصيدة اليهودية الآرامية – التي ذكرت قصة "اجتماع النِّسْوَةِ" – عن يوسف إنه لص ابن لصة (thief son of a thief)[5975]. وكذلك يقول المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 92.8)، الذي جُمِع في القرن الخامس الميلادي[5976] أي قبل الإسلام بأكثر من 100 سنة، تعليقاً على "فَوُجِدَ الطَّاسُ فِي عِدْلِ بَنْيَامِينَ" (التكوين 12:44) إنه لمَّا عُثِرَ على الكأس المسروقة في أمتعة بنيامين، قال إخوةُ يوسف لبنيامين: يا لك مِن لصٍ ابن لصة (What a thief son of a thief)[5977]! **[← فيبدو أن أصحاب القرآن قد جمعوا بين هذين التقليدين اليهوديين في آية قرآنية واحدة تزعم أن إخوة يوسف "قَالُوا إِن يَسْرِقْ [اللص بنيامين ابن اللصة راحيل] فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ (أي: اللص يوسف ابن اللصة راحيل) مِن قَبْلُ" (يوسف 77)].**

فماذا كان رد بنيامين عليهم حسب هذا المدراش؟ أراد بنيامينُ أن يُذكِّرهم بأكاذيبهم وجرائمهم السابقة تجاه أخيهم يوسف، فقال لهم: هل يوجد هنا تَيْس مِنَ الْمِعْزَى؟[5978] (Have we a he-goat here?) هل يوجد هنا إخوة باعوا أخاهم؟[5979] (Have we here brothers who sold their brother?) **[← جعل القرآنُ يوسفَ هو الذي يُذكِّرهم – أو بالأحرى: يُذكِّر المستمع – بأكاذيبهم وجرائمهم السابقة: "قَالَ (أي: حدَّث يوسفُ نفسَه سراً في خواطر غير مسموعة) أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا (أي: إنكم أسوأ منزلةً في السرقة حين سرقتموني مِن أبي وشقيقي[5980]) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ[5981] [مِن الكذب والافتراء]" (يوسف 77)].**

وإذا نظرنا إلى التراث المسيحي السرياني، فسنكتشف أن أصحاب القرآن ليسوا أول مَن يجمع بين بنيامين ويوسف وراحيل في جملةٍ واحدة على لسان إخوة يوسف في نفس هذا الموضع مِن الرواية. فلقد سبقهم المسيحيون السريان.

تقول العظة الثامنة (أو: القصيدة الثامنة) مِن العظات المسيحية السريانية (Balai) التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي - أي: قبل الإسلام - إن إخوة يوسف اتهموا بنيامين أنه ورث فَنَّ السرقةِ عن أمه

راحيل التي سرقت أصنام أبيها لابان، وتعجبوا مِن حب أبيهم يعقوب ليوسف وبنيامين ابني راحيل، متساءلين: ما هي الأعمال الصالحة التي رآها يعقوبُ في "والدة اللصوص (بالسريانية: yāldat gannābē)" (What worthy good deeds did he see in the mother of thieves)؟[5982] وفي النهاية قالوا لبنيامين – ربما على سبيل السخرية: لو كان أخوك [يوسف] معنا، لَكُنَّا أتينا بكأسٍ آخر! (Were your brother with us / we would have brought another cup [with us])؛ يقصدون: لو كان يوسف معنا، لسرق هو أيضاً كأساً مثلك! وكل هذا يدل على أنهم يتهمون يوسف بداء السرقة مثل أخيه بنيامين ويقصدون أنهما ورثا داء السرقة عن أمهما راحيل "والدة اللصوص" **[← "قَالُوا إِن يَسْرِقْ [اللص بنيامين ابن اللصة راحيل] فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ (أي: اللص يوسف ابن اللصة راحيل) مِن قَبْلُ" (يوسف 77)].**

هذا باختصار شديد ما حدث. ولمَّا رجعنا إلى الترجمة العربية الكاملة لهذه القصيدة الثامنة (أو: العظة الثامنة) لمعرفة الأحداث بالتفصيل، وجدنا أن إخوة يوسف الكبار قد قالوا لبنيامين كلاماً مهيناً كثيراً. ونظراً لأهمية هذا الكلام ولتأثيره الواضح على القرآن، فإننا سنذكره. لكن حرصاً على عدم الإطالة سنكتفي بالجمل المهمة فقط. قال الإخوةُ لبنيامين: "نحن نعجب بأبيك لأنَّه أحبَّ وَلَدَي راحيل / رأى في والدة السارقين (أي: راحيل) (سيّدة) الجميلات، الفاضلات. / ومن يعرف أيَّ عذاب حمَّلنا أخوك يوسف، / وكم سحقَنا لأجله أبونا يعقوب وما زال! / هو عذَّبنا عند الغنم، وها أنت اليوم في مصر (تُعَذّبَنَا). / بينك وبين أمِّك وأخيك تربينا في الضيقات، / واليوم دلَّ عليك الكأس الذي خرج من كيسك. / ها كُلّنا لأجلك ندخل (مصر) فنكون عبيداً / فما كان أسعد أبانا يعقوب لو أنَّه ما قابل أمَّك! / فهي أيضاً بسرقاتها قدر طاقتها، سحقَتْ أباك سحقاً. / أمُّك سرقت أصنام أبيها لابان الأراميّ (التكوين 31:19) / وها أنت أخذت فنَّها بعد أن تركتْ لابنها ميراثاً"[5983].

ثم تقول القصيدة السريانية: كثُرت الأقوالُ على بنيامين، وخاصموه وماحكوه. / فالكأس كمَّ شفتيه، فما استطاع أن يُخرج عذراً. / ففكَّر في ضميره: "السكوت أفضل لي في هذا الأمر، / لأنَّ الكأس الذي خرج من الكيس لا يتركهم يصدّقونني. / أخي يوسف ليس بينهم، وأبي يعقوب ليس قريباً [ليدافعا عني]"[5984].

إذن: احتمل بنيامينُ كل هذه الإهانات والمعايرات بأمه وأخيه، ولم يرد عليهم مفضلاً السكوت، واكتفى بجملةٍ قالها لنفسه سراً (تقول القصيدة: "ففكَّر في ضميره") **[← يقول القرآن: "فَأَسَرَّهَا فِي نَفْسِهِ"! إلا أن القرآن جعل يوسفَ هو الذي يفضل السكوت: "فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ (أي: سمع هذه الإهانات لكنه كظم غيظه واكتتمها) وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ (أي: ولم يُظهِرْ لهم شيئاً مِن تأثره بها؛ ولم يُجبهم عنها بقولٍ أو فِعلٍ)" (يوسف 77)، فاكتفى يوسفُ بجملةٍ قالها لنفسه سراً: "قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ [مِن الكذب والافتراء]" (يوسف 77)].**

سكوت بنيامين شجَّع إخوته على أن يواصلوا توبيخه لأنه جلب عليهم عار السرقة، وحاولوا أن يجعلوه يعترف: "[...] قل لنا في أي وقت أخذتَ الكأس وسرقتَه؟ [...]". فردَّ بنيامينُ عليهم مُبَرّئاً نفسه من تهمة

السرقة، وقال لهم: "[...] فالذي وضع الفضَّة في أحمالكم، وضع لي الكأس داخل كيسي. [...]". إلا أن إخوته لم يقتنعوا بذلك، وقالوا له: "[...] لا نقدر أن نضيّق على أخينا يهوذا الذي كفلك لأبينا، وَإلاَّ نعود كلُّنا ونتركك في مصر. فتُستعبَد أنت بسرقتك، ولا يتضايق مَن لم يسرقوا"(5985) **[⟵ زعم القرآنُ أن هذا ما حدث فعلاً! اسْتُعْبِدَ بنيامينُ في مصر ورجع إخوته إلى كنعان إلا "كبيرهم" (يوسف 78-82) الذي قيل إنه يهوذا. ولماذا يهوذا بالذات؟ لأنه كفيل بنيامين وضامنه كما تقول القصيدة/العظة المسيحية السريانية وأيضاً كما تقول التوراة (التكوين 43:8-10)]**.

وأخيراً ردَّ بنيامينُ عليهم رداً مطولاً. ذكَّرهم أولاً بجريمتهم السابقة فقال: "كيف أتكلَّم معكم بعد أن حرمتموني أخي؟" **[⟵ جعل القرآنُ يوسفَ هو الذي يُذكِّرهم – أو بالأحرى: يُذكِّر المستمع – بجريمتهم السابقة: "قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا (أي: إنكم أسوأ منزلةً في السرقة حين سرقتموني مِن أبي يعقوب وشقيقي بنيامين)" (يوسف 77)]**. ثم شرح بنيامينُ لماذا يفضل العبودية في مصر على الرجوع مع إخوته إلى كنعان! قال لهم: "[...] لو كانت آذانكم صافية لتصغي إلى أقوالي، / لاكتمل (الخبر) وعُرف أنَّ ابن راحيل مُبغَض. / لماذا أتعب في الكلام وأُكثر لأناس يبغضوني مجاناً (أي: بلا سبب) (المزمور 19:35)؟/ ها نحن داخلون قدَّام الرجل (يقصد: العزيز)، وهو يكون لنا قاضياً. / خير لي أن أكون عبده فأتحرر من زمرتكم! / لا مجال لأدافع عن نفسي، لأن الناس أبطلوا كلَّ صنعة. / فلو كنتم أبراراً لما كنتم تثبِّتون عليَّ هذا، / ولا تكونون عبيداً في مصر بسبب كلمتي وبسبب سرقتي. / ويكفيني أن أرى عبوديَّتي ولا أرى عبوديَّة إخوتي. / سأُحزنُ أبانا يعقوب، وأياماً قليلة ويتعزَّى. / وإذا أفلتُّ من مصر فأنا مائت في أيديكم. / فأنفع لي أن أكون عبداً، وخيرٌ لي أن أبقى (بعيداً) عنكم، / فتنجوا من السارق الذي جلب العار لكم. / عيَّرتموني بأخي يوسف، ووبَّختموني بابن راحيل، / [...] / وها أنا داخل إلى العبوديَّة بسبب سرقة أحاطت اليوم بي"(5986) **[⟵ حقق القرآنُ لبنيامين أمنيته فجعله يُستعبَد في مصر ولا يرجع مع إخوته إلى كنعان (يوسف 78-82)!]**.

ثم تقول العظة/القصيدة بعد ذلك إن خادم يوسف أخبره بما قاله إخوته لبنيامين: "دخل قيِّمُ البيت إلى سيِّده (أي: يوسف) وروى له الكلام الذي قيل"(5987) **[⟵ جعل القرآنُ يوسفَ يسمع كلامهم بنفسه، أو لعلهم وجهوا كلامَهم مباشرةً إلى يوسف (العزيز) ليُبعِدُوا عن أنفسهم عار السرقة. وفي جميع الأحوال، "فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ" (يوسف 77)]**.

مما سبق يتضح أن صاحب (يوسف 77) كان على دراية جيدة جداً بقصيدة بالاي المسيحية السريانية، فاختصرها وطوّرها ووضعها في القرآن. ولعله كان حفيدَ واحدٍ من تلاميذ بالاي.

وبما أن قصيدة بالاي كلام بشر 100%، إذن: قرآن (يوسف 77) كلام بشر 100%.

ننتقل الآن إلى "قصة يوسف السريانية" (The Syriac History of Joseph) ورمزها العلمي (PsB) ويرجع تاريخها أيضاً إلى القرن الخامس الميلادي، أي: قبل الإسلام، حيث نجد أن إخوة يوسف لاموا بنيامين بعد أن عُثِرَ على الكأس الفضية المسروقة في أمتعته وعايروه بأنه ابن لصة (هي: راحيل التي سَرَقَتْ أَصْنَامَ أَبِيهَا لابان) وأخو كذاب (هو: يوسف؛ أي: كذاب في أحلامه بالسيادة عليهم). فنقرأ في (قصة يوسف السريانية 41:1-9) ما يلي[5988]:

And while they were going along they were accusing Benjamin, saying to him, "Indeed **you are the son of a thief, and the brother of that liar!** What is this you have done to us? The man honored you more than all of us and he sat you down on his right hand at his table and he had you eat from all the good things of his kingdom. Why have you subjected us to mockery and this very hour you will have us killed in the midst of Egypt? Why was this cup sought by you now? **You and your mother and your brother are a scandal to the sons of Jacob. Your mother stole the idols that her father worshipped, and your brother used to say, 'I shall be a king over you!'** and you have caused us to perish among the Egyptians." And the steward was listening to their words so that he might relate them to Joseph.

ولمَّا وقف إخوةُ يوسف أمامه، قال أولادُ الجاريتين زِلْفَة وبِلْهَة له إن راحيل أُم بنيامين ويوسف أخاه كانوا أيضاً غير أمناء (His mother and his brother also used to behave dishonestly) (قصة يوسف السريانية 3:43) **[← "قَالُوا إِن يَسْرِقْ [بنيامين ابن راحيل] فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ (أي: يوسف ابن راحيل) مِن قَبْلُ" (يوسف 77)]**. وهنا نرى إخوة يوسف – أو بعضهم على الأقل – يوجهون كلامهم مباشرةً إلى يوسف (العزيز) وَهُمْ لا يعلمون شخصيته الحقيقية.

وكذلك في العِظات المسيحية السريانية (PsN) التي يرجع تاريخها أيضاً إلى القرن الخامس الميلادي، نجد أن إخوة يوسف وجهوا كلامهم مباشرةً إلى يوسف (العزيز) وَهُمْ لا يعلمون شخصيته الحقيقية، فقالوا إن بنيامين يشبه أمه [راحيل] التي سَرَقَتْ أَصْنَامَ أَبِيهَا لأَبَان وإن أخاه يوسف كان يشبههه [في السرقة أو في الخصال السيئة بصفة عامة] [بل] كان أسوأ منه (He [i.e. Benjamin] resembles his mother who stole the idols of her father Laban / and his brother Joseph resembled him and was worse than him)[5989] **[← "قَالُوا إِن يَسْرِقْ [بنيامين ابن اللصة راحيل] فَقَدْ سَرَقَ**

أَخٌ لَّهُ (أي: يوسف ابن اللصة راحيل) مِن قَبْلُ" (يوسف 77)]. المدهش أن يوسف رد عليهم بخطبةٍ طويلة يُذكِّرهم بخطاياهم، ومِنها بالطبع أنهم باعوا أخاهم[5990] **[← اكتفى أصحابُ القرآن بجملةٍ واحدة فقط، وقالها يوسفُ لنفسه سراً: "أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا (أي: إنكم أسوأ منزلةً في السرقة حين سرقتموني مِن أبي وشقيقي) ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ [مِن الكذب والافتراء]" (يوسف 77). لكن في رحلتهم الثالثة إلى مصر، قال يوسفُ لهم صراحةً جملةً أخرى أكثر حدة: "قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ" (يوسف 89)]**.

هذا من حيث المضمون.

أما من حيث الشكل، فنلاحظ أن (يوسف 77) تتفق مع ما سبق ذِكره مِن التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني في عمل عملية "استرجاع" (فلاش باك) (flashback) لذكريات ماضية، سواء للسرقة التي ارتكبتها راحيلُ أم يوسف وبنيامين، أو للسرقة (المزعومة) التي ارتكبها يوسفُ، أو للسرقة التي ارتكبها إخوةُ يوسف حين سرقوه مِن أبيه يعقوب ومِن شقيقه بنيامين.

هذا بالإضافة إلى أن (يوسف 77) تتفق أيضاً في بنائها اللغوي العربي مع آيات قرآنية عربية أخرى، مما يدل على أنها من تأليف العرب بعد أن استوحوا مضمونَها مِن التراث اليهودي/المسيحي. قارن مثلاً بين:

- "إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ" (يوسف 77)،
- "وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ" (فاطر 4)،
- "وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ" (فاطر 25)،
- "وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ" (الحج 42).

كلها تتبع صيغة أو معادلة (formula) معينة = "إن" + فعل مضارع سيئ (سرقة/تكذيب) + "فَقَدْ" + نفس الفعل لكن ماضي + "[مِن] قَبْل". اقرأ أيضاً "فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ" (آل عمران 184).

الخلاصة: كل الأدلة التي أمامنا تجبرنا – وتجبر كل إنسان عاقل – على أن يعترف بأن (يوسف 77) كلام العرب وليست كلام الله، وإنما مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني. وبما أن هذا التراث اليهودي/المسيحي كلام بشر 100%، فإن القرآن أيضاً كلام بشر 100%.

وختاماً نقول إننا نرى أن (يوسف 77) آية أخرى مِن الآيات التي يمكن حذفها ونظل نقرأ القصة القرآنية بدون أدنى مشكلة. فنحن لا نرى أي فائدة لِمَا قاله إخوةُ يوسف العشرة الكبار: "قَالُوا إِن يَسْرِقْ [بنيامينُ] فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ (يقصدون: يوسفُ!)" (يوسف 77) سوى أنه عقابٌ مِن الله ليوسف على الخطأ الذي ارتكبه حين "جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ" (يوسف 70). يعني: لفَّق يوسفُ لأخيه بنيامين تهمةَ

السرقة ظلماً، فعقابه العادل هو أن إخوته العشرة الكبار يتهمونه بالسرقة ظلماً و/أو يعايرونه بأمه راحيل السارقة. أما إذا أنكرتم ذلك وزعمتم أن أهمية (يوسف 77) هي أنها تدل على أن إخوة يوسف العشرة الكبار لم يتخلصوا بعد مِن حقدهم وكراهيتهم ليوسف وبنيامين ابني راحيل زوجة أبيهم المفضلة. فسنقول إن هذا يتناقض مع الآية التي تليها مباشرةً والتي تدل على أن إخوة يوسف العشرة الكبار قد اعترفوا أخيراً بحقيقة محبة أبيهم يعقوب لأخيهم بنيامين، بل صاروا مستعدين أن يقدِّموا أنفسهم فداءً لأخيهم بنيامين: "قَالُوا [ليوسف يسترحمونه] يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ (أي: لبنيامين) أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا [يحبه ولا يطيق بُعده] فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ (أي: عبداً بَدَلَ بنيامين) إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 78).

وإذا لجأ شيوخ الإسلام إلى الحيلة الشهيرة التي تحل كثيراً مِن تناقضات القرآن: بعضهم قال (يوسف 77) والبعض الآخر قال (يوسف 78)! فسنقول لهم: هذه الحيلة لن تنفع هنا لأن القرآن لم يميز بين مَن "قَالُوا [...]" (يوسف 77) ومَن "قَالُوا [...]" (يوسف 78). فكان ينبغي أن يقول مثلاً "قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ" أو "قَالَ كَبِيرُهُمْ" كما فعل في مواضع أخرى مِن نفس القصة (يوسف 10) و (يوسف 80) على الترتيب.

باختصار: (يوسف 77) تعاني من مشكلتين:

- المشكلة الأولى هي أنها آية دخيلة وغير ضرورية، إذ يمكن حذفها، بل ينبغي حذفها حتى لا تُحدث تناقضاً مع الآية التي تليها مباشرةً (يوسف 78). إلا إذا وافقتم على أن يوسف "النبي" غير معصوم وأن اتهامه بالسرقة ظلماً و/أو معايرته بأمه راحيل السارقة (يوسف 77) كان عقاباً إلهياً يستحقه جزاء الأفعال الصبيانية التي ارتكبها حين "جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ" (يوسف 70).
- والمشكلة الثانية هي أن (يوسف 77) مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني؛ أي: مجرد تطور بشري طبيعي لأساطير الإسرائيليات والسريانيات.

وبما أن الله لا يمكن أن يقول كلاماً متناقضاً ولا يمكن أن يلجأ إلى الأساطير البشرية، فإن إحدى المشكلتين تكفي وحدها كدليل قاطع يثبت أن (يوسف 77) مِن كلام العرب البشري 100% وليست مِن كلام الله.

4.24.2.7 "وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ" (يوسف 84)

تقول التوراة إنه في أواخر أيام يعقوب (إسرائيل) بعد هجرته وبنيه إلى مصر: "وَأَمَّا عَيْنَا إِسْرَائِيلَ فَكَانَتَا قَدْ ثَقُلَتَا (أي: كَلَّتَا؛ صارتا معتمتين) مِنَ الشَّيْخُوخَةِ، لاَ يَقْدُرُ أَنْ يُبْصِرَ" (التكوين 10:48). ومِن الجدير بالذكر أن هذه الفكرة مشهورة وتتكرر كثيراً في المصادر اليهودية. فهذا ما حدث مثلاً لإسحاق أبي يعقوب في شيخوخته: "شَاخَ إِسْحَاقُ وَكَلَّتْ عَيْنَاهُ عَنِ النَّظَرِ" (التكوين 1:27). فضلاً عن كونها ظاهرة شائعة عند كبار السن، إذ يبدو لنا أنها كانت مياه بيضاء (Cataract) التي تسبب ضعف النظر وقد تؤدي إلى العمى. ويقال إن المصريين القدماء هُمْ أول مَن قاموا بعملية لعلاج المياه البيضاء منذ أكثر مِن 4000 سنة[5991].

أما أصحاب القرآن فيبدو أنهم كانوا حريصين على أن تنتهي قصةُ يوسف نهايةً سعيدة، ولذلك لم يضعوا ضعفَ نظر يعقوب (أو: فقدان بصره تماماً؛ أي: إصابته بالعمى) في نهاية الرواية، وإنما وضعوه في مرحلة مبكرة حين كان يعقوبُ في كنعان بعد عودة إخوة يوسف مِن رحلتهم الثانية بدون بنيامين و "كبيرهم". وجعله القرآنُ ليس بسبب الشيخوخة وإنما بسبب الحزن الشديد؛ قيل: مِن كثرة البكاء حزناً على فراق أبنائه الثلاثة وبخاصة يوسف: "قَالَ [يعقوبُ] يَا أَسَفَى عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ" (يوسف 84)؛ وقيل أيضاً إن يعقوب لم يكن يبكي أمام أحد حتى تكون دموعُه الكبيرة شكوى إلى الله وحده لا يعلمها إلا الله فقط. على سبيل المثال، يقول تفسير الجلالين: ""وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ" اِنْمَحَقَ سَوَادُهُمَا وَبُدِّلَ بَيَاضًا مِنْ بُكَائِهِ "مِنَ الْحُزْنِ" عَلَيْهِ "فَهُوَ كَظِيمٌ" مَغْمُومٌ مَكْرُوبٌ لَا يُظْهِرُ كَرْبَهُ"[5992]. ثم بعد ذلك أضاف القرآنُ أسطورةً (معجزةً) تزعم أنه عند عودة إخوة يوسف مِن رحلتهم الثالثة، خرج معهم "قميصُ يوسف" مِن مصر إلى كنعان، وهذا القميص هو الذي أعاد بصرَ يعقوب قوياً كما كان! "فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ [إلى يعقوب] أَلْقَاهُ (أي: ألقى قميصَ يوسف) عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا" (يوسف 96)! يعني عملية علاج الكَتارَكت اللي كان الأطباء المصريون القدماء بيعملوها، عملها الشاب العبراني يوسفُ بقميصه بكل سهولة ومِن على بُعد مئات الأميال!

وكالعادة، كل أسطورة قرآنية تؤدي إلى أسطورة – بل أساطير – أخرى أكبر منها في الكتب والمراجع الإسلامية. فلقد أطال المسلمون قديماً وحديثاً في وصف قميص يوسف وربطه بأساطير قرآنية أخرى. مثلاً: قال واحدٌ مِن المروِّجين لأساطير الإعجاز العلمي في القرآن إن ما حدث للنبي يعقوب لم يكن مياه بيضاء التي يمكن علاجها، وإنما حالة أخرى "لا شفاء منها، وإذا شفي منها النبي يعقوب فلا يكون ذلك إلا معجزة جعلها الله تعالى له. [...] وهكذا جعل الله تعالى من قميص يوسف عليه السلام أداة لمعجزات أجراها له، كما جعل الله تعالى من عصا موسى عليه السلام أداة لمعجزات أجراها الله له"[5993]! وقديماً قال تفسيرُ الجلالين إن قميص يوسف "هُوَ قَمِيصُ إبْرَاهِيمَ اَلَّذِي لَبِسَهُ حِينَ أُلْقِيَ فِي اَلنَّار، كَانَ فِي عُنُقِهِ (أي: عُنُقِ يوسف) فِي اَلْجُبِّ، وَهُوَ مِنَ اَلْجَنَّةِ أَمَرَهُ [الملاكُ] جِبْرِيلُ بِإِرْسَالِهِ وَقَالَ إنَّ فِيهِ رِيحَهَا وَلَا يُلْقَى عَلَى مُبْتَلًى إلَّا عُوفِيَ"[5994]! وإنْ قلتم إن هذا التفسير من الإسرائيليات. فسنقول: هذا أمر طبيعي، فالقرآن نفسه مِن الإسرائيليات.

نعم، القرآن نفسه مِن الإسرائيليات. بدليل أن القرآن يقترب هنا مِن أسطورة يهودية أخرى نجدها في أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) وهو "سفر طوبيَّا" (Book of Tobias)[5995] الموجود في الترجمة السبعينية (اليونانية) ويعود تاريخه إلى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد (حوالى 200 ق.م)، أي قبل الإسلام بأكثر مِن 700 سنة. يحكي لنا هذا السفر اليهودي قصةً بديعة هي قصة الأب "طوبيت" (Tobit) **[← الأب يعقوب]** وابنه طوبيَّا (Tobias)[5996] **[← ابنه يوسف]**. ولا داعي لِذِكر كل أحداث هذه القصة الجميلة بالتفصيل فسنكتفي بالأجزاء التي تهمنا فقط مِن هذا السفر الذي لا يعلم أحدٌ مَن كتبه!

يقول هذا السفر اليهودي إن طوبيَّا وجد واحداً مِن بني قومه مقتولاً ومُلقًى في السوق في عِيد العَنْصَرَة[5997]! فذهب طوبيًا ليخبر أباه طوبيت. "فنَهضَ طوبيتُ قَبلَ أن يذوقَ طعاماً وأتى بالجثةِ وخبّأها في غرفةٍ ليدفنَها بَعدَ مَغيبِ الشمس. وبعد أن خبّأها رجعَ إلى بيتِهِ واغتسلَ (أي: تطهّر لأنه قد لمس ميتاً) وأكلَ طعامَه مُكتئِباً، وتذكّرَ ما تنبّأ به عاموسُ فقال: "أعيادُكُم تتحوّل إلى نحيبٍ، وأفراحُكُم إلى نُواحٍ"[5998]. فبكى **[⟵ "مِنَ الْحُزْنِ" (يوسف 84)]**. وبعد أن غابت الشمسُ ذهبَ [طوبيتُ] وحفَرَ قبراً ودفَنَ فيه الجثةَ. [...]. وفي تلك الليلةِ التي دفَنَ [طوبيتُ] فيها الجثةَ رَجعَ إلى بيتِهِ واستلقى لِينامَ إلى جانب حائط الدار، لكن بقيتْ عيناهُ مَفتوحتَين (أو: وجهُه مكشوفاً). ولم يكُن يَعلم أنَّ في الحائطِ عُشّ طائر دُوريٍّ، فوقع مِنهُ برازٌ طَريٌّ في عينيه فغطّى بصرَه بالبياضِ (produced white films) **[⟵ "وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ" (يوسف 84)]** وعَبَثاً عالجه الأطباءُ (أي: فشل الأطباءُ في علاج طوبيت مِن العمى)" (طوبيا 2:4-10).

ونلاحظ هنا أن القرآن يتفق مع سفر طوبيا في مسألة وضع إصابة الأب طوبيت **[⟵ يعقوب]** بالعمى (أو: ضعف النظر) في مرحلة مبكرة من الرواية.

ثم حدث بعد ذلك أن الابن طوبيًّا **[⟵ يوسف]** سافر في رحلةٍ طويلة بصحبة الملاك "رافائيل" (Raphael) الذي يعني اسمُه "الله يشفي" **[⟵ يتحول في المصادر الإسلامية عادةً إلى: الملاك جبريل، الذي يُقال إنه ظهر ليوسف "فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ" (يوسف 15)]**.

"وبينما كان طوبيا والملاكُ رافائيلُ في الطريق أدركَهُما المساءُ بجانبِ نهر دِجلَة فباتا ليلتَهُما هُناكَ. ونزَلَ طوبيّا ليغتسِلَ في النهر فخرَجَ حوتٌ (a large fish) لِيفترسَه. فقال له الملاكُ: "أمسِك الحوتَ"، فأمسَكهُ طوبيّا وسحبَه إلى الشاطئ. ثم قال له الملاكُ: "شُقّ الحوتَ وانتزعْ قلبَه وكبدَه ومرارتَه (gall bladder) واحتفِظْ بها كُلّها سالِمةً". ففعَلَ طوبيا كما أمرَهُ الملاكُ" (طوبيا 6:1-5). ولمَّا سأل طوبيا الملاكَ عن سبب الاحتفاظ بمرارة الحوت، أجابه الملاكُ قائلاً: "أما المرارةُ فتنفع لِمَسحِ العيونِ التي عليها بياضٌ (أو: بُقَع بيضاء) فتُشفَى" (طوبيا 6:9) **[⟵ إذن: مرارةُ الحوت في أسطورة طوبيا اليهودية لعبت نفس الدور الذي لعبه قميصُ يوسف في أسطورة يوسف القرآنية: شفاء طوبيت/يعقوب مِن العمى]**.

غاب طوبيًّا في سفره غياباً طويلاً حتى ظنت أُمُّه "حَنَّةُ" (Anna) أنه مات، كما حزن أبوه طوبيت عليه حزناً شديداً **[⟵ "قَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ" (يوسف 84)]**. فقالت له حَنَّةُ زوجتُهُ: "ابني ماتَ وإلا لما طالَ غيابُه". وأخذت تُناديه وتقولُ: "أواهِ يا ابني، يا نور عيني، لماذا تركتُكَ ترحل!" (طوبيّا 10:4-5). إلا أن طوبيت كان على يقين أن ابنه طوبيا حي، فكان يقول لحَنَّةَ: "اسكتي، لا تقلقي، لأن ابننا سالِمٌ" (طوبيا 10:6) **[⟵ "إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (أي: أَعْلَمُ أن يوسف حي وأنني سألقاه بإذن الله)" (يوسف 96) (يوسف 86)[5999]]**. فتُجيبُه حَنَّةُ: "بل اسكتْ أنتَ ولا تخدَعْني، إنّهُ مَيت" (طوبيا 10:7) **[⟵ "تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ" (يوسف 95)]**. ومع ذلك، كانت حَنَّةُ تخرج كل يوم إلى الطريق تترقب عودة ابنها الغائب طوبيا لعلها تراه عائداً في يومٍ من الأيام.

بعد ذلك، قرر طوبيّا العودة ومعه الملاك رافائيل ومرارة الحوت. فلمّا رأته حَنَّةُ مِن بعيد، "أسرعت وقالت لطوبيت: "ها ابنُكَ قادِمٌ معَ الرجلِ الذي ذَهَبَ معَهُ"" (طوبيا 6:11) **[⟵ "جَاءَ الْبَشِيرُ [يُبشِّر يعقوب بأن يوسف حيٌّ]" (يوسف 96)]**. "وقال رافائيلُ لِطوبيّا: "أنا مُتأكّدٌ يا طوبيّا أنّ أباكَ سيُبصرُ. فما عليكَ إلا أنْ تَدهَنَ عينَيه بِمرارةِ الحوتِ فيَفرُكُهما، وتسقُط عنهُما غشاوةُ البياضِ (أو: البُقَع البيضاء) فيراكَ"" (طوبيا 7:11-8) **[⟵ كما قلنا فيما سبق، لعب قميصُ يوسف نفس الدور الأسطوري الذي لعبته مرارةُ الحوت: "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا" (يوسف 93)]**. "وركضَت حنّةُ إلى ابنِها وضمّته إليها وقالَت لَه: "بَعدَ أنْ رأيتُكَ يا ابني سأموتُ راضيةً مرضيةً". وبكيا معاً. وأسرَعَ طوبيتُ إلى البابِ وهوَ يتعثَّرُ ولكنّ ابنَهُ أسرعَ إليهِ وأمسَكَهُ وأخَذَ مَرارةَ الحوتِ ودهَنَ عينَيهِ بها وقالَ لَه: "تشجّعْ يا أبي". فلمّا شعرَ الأبُ بالحُكاكِ في عينَيهِ أخذَ يَفرُكُهما فتساقَطت مِنهُما غشاوةُ البياضِ **[⟵ "أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ (أي: ألقى قميصَ يوسف على عَيْنَيْ يعقوب) فَارْتَدَّ بَصِيرًا" (يوسف 96)]**. حتى إذا رأى ولدَهُ ضمّهُ إليه وبكى" (طوبيا 9:11-13) **[⟵ "فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ (أي: ضمَّ يوسفُ) إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ" (يوسف 99). ولعل كلمة "أَبَوَيْهِ" هنا تشير إلى طوبيت وحنّة أكثر من يعقوب وراحيل التي كانت قد ماتت منذ زمنٍ طويل!]**.

مما سبق يتضح أن أصحاب القرآن قد أعادوا إنتاج قصة طوبيا وأبيه طوبيت فأدمجوها في قصة يوسف وأبيه يعقوب. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يدمج فيها أصحابُ القرآن قصتين موروثتين (أو أكثر) في قصة قرآنية واحدة. ويساعدهم على ذلك وجود تشابهات كثيرة بين تلك القصص الموروثة. على سبيل المثال، تدور أحداث سفر طوبيت في بلاد الغربة (العراق) حيث سُبيَ اليهودُ مثل طوبيت وأسرته، وعلى الرغم مِن ذلك استطاع طوبيتُ اليهودي أن يصعد إلى السلطة فعيّنهُ المَلِكُ الوثني مديراً للتموين (أي: كان يتسوَّق له كُلَّ ما يحتاجُ إليه) (طوبيا 13:1). وكذلك تدور أحداث قصة يوسف التوراتية⟵القرآنية في بلاد الغربة (مصر) حيث استطاع العبد العبراني يوسف أن يصعد إلى السلطة أولاً في بيت العزيز الوثني فوطيفار ثم بعد ذلك عيّنهُ المَلِكُ الوثني وزيراً للتموين أو رئيس وزراء.

وإنه لمِن الطريف أننا سنعود مرة أخرى إلى سفر طوبيّا عند حديثنا عن قصة موسى القرآنية. ولا غرابةَ في ذلك لأنه مِن المعلوم عند الباحثين والعلماء المتخصصين أنه توجد تشابهات كثيرة بين قصص موسى ويوسف وطوبيّا[6000] مما يسمح بانتقال الأفكار بسهولة وسلاسة مِن قصةٍ إلى أخرى.

هذا ما وجدناه في التراث اليهودي المتأخر، فماذا عن التراث المسيحي الشرقي؟ ...

نذكر على سبيل المثال وليس الحصر "قصة يوسف السريانية" (The Syriac History of Joseph) ورمزها العلمي (PsB) ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي، أي: قبل الإسلام.

تقول (قصة يوسف السريانية 8:9) إنه لمَّا عاد رأوبينُ إلى البئر ولم يجد أخاه يوسف (التكوين 29:37) وعرف أن يوسف قد بيع كعبدٍ، بكى رأوبينُ ونَاحَ وقال إشْفَاقًا على أبيه: وَيْلٌ لَكَ يَا أَيُّهَا الشيخ

يعقوب كل أيام حياتك، فلقد كَسَرَ أبناؤك عُكّاز شيخوختك (the staff of your old age) وَأَطْفَأُوا سراجَ نورك (the lamp of your light) (بالسريانية: šrāgā d-nuhrāk)[6001].

ولمَّا رأى يعقوبُ قميصَ يوسف الملطخ بالدماء (قصة يوسف السريانية 1:12)، اعتم نور عينيه (the light of his eyes dimmed) (بالسريانية: ḥšek nuhrā d-ʿaynaw)[6002] **[⟵ "وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ" (يوسف 84)]**. وهذى يعقوبُ بسبب الحزن (قصة يوسف السريانية 2:12). وتقول إحدى المخطوطات إن يعقوب صار أعمى بسبب الحزن[6003] **[⟵ "وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ" (يوسف 84)]**؛ ويبدو لنا أن صاحب تلك المخطوطة قد فهم القصة بمعناها الحرفي، فالقصة تصف يوسفَ بأنه نور عَيْنَيْ أبيه يعقوب (قصة يوسف السريانية 4:12). إذن: موت يوسف يعني ضياع نور عَيْنَيْ يعقوب؛ أي: إصابته بالعمى. لكن في المقابل، يمكننا أن نفهم القصة بمعنى أقل حَرفية، فيكون المقصود: ضعف نظره[6004].

ونلاحظ هنا أن قصة يوسف السريانية قد وضعت ضعفَ نظر يعقوب (أو: إصابته بالعمى) في مرحلة مبكرة جداً مِن الرواية: في الفصل الأول حين ظن يعقوبُ أن يوسف قد مات! وهذا بخلاف التوراة التي تضع إصابةَ يعقوب بالعمى أو ضعف النظر في أواخر الفصل الثالث؛ أي: في أواخر أيام يعقوب بعد هجرته وبنيه مِن كنعان إلى مصر (التكوين 10:48) **[⟵ كذلك وضع أصحابُ القرآن إصابةَ يعقوب بالعمى أو ضعف النظر في مرحلة مبكرة بالنسبة للتوراة، لكن أيضاً في الفصل الثالث حين تذكر يعقوبُ وهو لا يزال في كنعان ما كان قد حدث ليوسف في الفصل الأول: "قَالَ [يعقوبُ] يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ" (يوسف 84)[6005]]**.

بل نلاحظ أن قصة يوسف السريانية قد جعلت قميصَ يوسف الملطخ بالدماء سبباً في إصابة يعقوب بالعمى أو ضعف النظر **[⟵ أكمل القرآنُ هذه الدراما فجعل الداءَ هو الدواء؛ أي: جعل قميصَ يوسف المعطر بريح يوسف "إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ" (يوسف 94) سبباً في شفاء يعقوب: "فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ [إلى يعقوب] أَلْقَاهُ (أي: ألقى قميصَ يوسف) عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ [يعقوبُ] بَصِيرًا" (يوسف 96)]**.

وفي نهاية القصة (قصة يوسف السريانية 2:51)، لمَّا قابل يعقوبُ يوسفَ قال له: استنارت عيناي برؤيتك (My eyes were enlightened by seeing you) (بالسريانية: nhar ʿaynay ba-ḥzātāk)[6006] **[⟵ "فَارْتَدَّ بَصِيرًا" (يوسف 96)]**.

وتوجد عبارات مشابهة في أعمال سريانية أخرى – مثلاً: PsN و Balai و Narsai[6007] – مما يجعلنا على يقين أن هذه الأفكار تعبر عن تقاليد مسيحية شرقية اشتهرت وانتشرت على نطاق واسع في الشرق الأوسط حتى وصلت إلى أصحاب القرآن، ومِن ثم وضعوها في قرآنهم. على سبيل المثال وليس الحصر، تقول إحدى قصائد العظات المسيحية السريانية (Balai) إن يعقوب قال لبنيامين لمَّا رجع من مصر: "تعالَ بسلام، يا نورَ عينيَّ" (Come in peace, light of my eyes)[6008].

بل تقول إحدى الترانيم اليونانية للمرنم المسيحي الشهير "رومانوس" (Romanos the Melodist) (Romain le Mélode) في القرن السادس الميلادي، أي: قبيل ظهور الإسلام، إن يوسف وبنيامين (ابني راحيل زوجة يعقوب المحبوبة) هما عينا يعقوب (Jacob's two eyes)[6009] بالمعنى المجازي طبعاً **[← نستطيع الآن أن نفهم لماذا وضع أصحابُ القرآن ضعفَ نظر يعقوب (أو: إصابته بالعمى) بعد عودة إخوة يوسف مِن رحلتهم الثانية بدون بنيامين (يوسف 84). لأنه إذا فقد يعقوبُ يوسفَ وبنيامينَ ابني راحيل، فكأنه قد فقد عينيه. وكذلك نستطيع أن نفهم لماذا وضع أصحابُ القرآن شفاءَ يعقوب بعد عودة إخوة يوسف مِن رحلتهم الثالثة ومعهم قميص يوسف: "فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ [بنيامينُ إلى يعقوب] أَلْقَاهُ (أي: ألقى قميصَ يوسف) عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا" (يوسف 96). إذن: البشيرُ بنيامينُ حضر بنفسه؛ أما يوسف فحضر حضوراً معنوياً بقميصه فقط. قال د. محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق) في تفسيره لـ (يوسف 96): "وهكذا كانت فرحة يعقوب بولديه يوسف وبنيامين سبباً في رجوع النور إلى عينيه. فإنهم بمجرد أن ألقوا قميص يوسف على وجه أبيهم رجع من فوره بصيراً بعد ما كان ضريراً"[6010]].**

وبما أن كل هذه الأعمال المسيحية الشرقية كلام بشر 100%، فإن القرآن أيضاً كلام بشر 100%.

ومِن كل ما سبق، تتضح لنا عملية التطور البشري الطبيعي في أزهى صورها. فكما قلنا فيما سبق، توجد تشابهات كثيرة بين قصة طوبيا اليونانية وقصة يوسف العبرية. لكن قصة طوبيا استخدمت تعبيرات أدبية جديدة مثل "يا ابني، يا نور عيني، لماذا تركتُكَ ترحل!" (طوبيّا 5:10). فنظراً لوجود تشابهات كثيرة بين قصة طوبيا وقصة يوسف، كان مِن الطبيعي أن تتسلل هذه التعبيرات الأدبية إلى الروايات المتأخرة لقصة يوسف، مثلاً: التراث المسيحي الشرقي سواء اليوناني أو السرياني ربما بتأثير مِن الآرامية[6011]. وبمرور الوقت، تسللت هذه الأفكار المسيحية الشرقية إلى القرآن العربي حيث نجد يعقوب يفقد نورَ عينيه حين يفقد ابنيه يوسف وبنيامين (يوسف 84) ثم بعد ذلك يسترد نورَ عينيه حين يسترد ابنيه يوسف وبنيامين (يوسف 96): بنيامين حضر بنفسه؛ أما يوسف فحضر حضوراً معنوياً بقميصه فقط.

وفي ضوء ما سبق، فإننا نرى أن أصحاب القرآن حين قالوا "وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ" (يوسف 84) قصدوا أن يعقوب فقد بصرَه بالفعل، أي: أصيب بالعمى. فهذا يتفق أكثر مع التراث اليهودي/المسيحي، وبخاصة سفر طوبيا. وأيضاً يتفق أكثر مع قصة يوسف القرآنية نفسها. فلقد ظنَّ إخوةُ يوسف في بداية القصة أن إبعاد يوسف عن عَيْنَيْ يعقوب سيبعده عن قلبه[6012]، فأرادوا أن يتخلصوا من يوسف حتى لا يرى يعقوبُ سواهم ولا يحب غيرهم: "اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ" (يوسف 9). لكن خاب ظنُّهم تماماً. يعقوب لم ينسَ يوسفَ "قَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ" (يوسف 84)، أي: أصيب بالعمى فلم يعد يراهم أصلاً! بل "تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ (أي: أعرض عنهم بوجهه وابتعد عنهم بجسده) وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ (أي: أصيب بالعمى) مِنَ الْحُزْنِ" (يوسف 84). ثم إن إصابة يعقوب بالعمى - وليس مجرد

ضعف النظر - تجعل معجزة شفائه المزعومة بفضل "قميص يوسف" أقوى وأكثر ابهاراً. وأخيراً وليس آخراً، الكلمة التي استخدمها القرآن ليعبر عن عودة بصر يعقوب قوياً كما كان هي كلمة "بَصِيرًا" (يوسف 93) (يوسف 96) وهي نفس الكلمة التي استخدمها القرآن في مواضع أخرى - سواء بمعناها الحرفي أو المجازي - كمضاد كلمة "أعمى"، مثلاً: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ" (الأنعام 50) (الرعد 16)؛ "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ" (فاطر 19) (غافر 58)؛ "مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا" (هود 24)؛ "قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا" (طه 125).

إذن: يعقوب "ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ" (يوسف 84)؛ أي: صار أعمى بالمعنى الحرفي. وبفضل قميص يوسف، صار "بَصِيرًا" بالمعنى الحرفي (يوسف 93) (يوسف 96).

ويبقى سؤال: لماذا اختار أصحابُ القرآن "قميصَ يوسف" بالذات ليصنع معجزةَ شفاء الأعمى يعقوب، ولم يختاروا مثلاً مرارةَ الحوت كما جاء في سفر طوبيا أو أي شيء آخر؟

الإجابة: في بداية بحثنا، ظَنَنَّا أن فكرة "قميص الشاب العبراني يوسف" الذي يصنع معجزة شفاء الأعمى مستوحاة مِن "ثوب الشاب اليهودي يسوع المسيح (يوسف الحقيقي)" الذي يصنع معجزات الشفاء. سواء معجزات شفاء العميان التي صنعها يسوعُ المسيحُ بلمس يديه (متى 9:27-31) (متى 20:29-34) (مرقس 8:22-26) (يوحنا 9)[6013]. أو معجزات شفاء أخرى صنعها يسوعُ المسيحُ بلمس ثوبه. حسب الإنجيل: "أَحْضَرُوا إِلَيْهِ (أي: إلى يسوع المسيح) جَمِيعَ الْمَرْضَى، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا هُدْبَ ثَوْبِهِ فَقَطْ. فَجَمِيعُ الَّذِينَ لَمَسُوهُ نَالُوا الشِّفَاءَ" (متى 14:35-36) "وَحَيْثُمَا دَخَلَ [يسوعُ المسيحُ] إِلَى قُرىً أَوْ مُدُنٍ أَوْ ضِيَاعٍ، وَضَعُوا الْمَرْضَى فِي الأَسْوَاقِ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا وَلَوْ هُدْبَ ثَوْبِهِ. وَكُلُّ مَنْ لَمَسَهُ شُفِيَ" (مرقس 6:56). "وَإِذَا امْرَأَةٌ نَازِفَةُ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً قَدْ جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَمَسَّتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ، لأَنَّهَا قَالَتْ فِي نَفْسِهَا: «إِنْ مَسَسْتُ ثَوْبَهُ فَقَطْ شُفِيتُ». فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَأَبْصَرَهَا، فَقَالَ: «ثِقِي يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ». فَشُفِيَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ" (متى 9:20-22) (مرقس 5:25-34) (لوقا 8:43-48). فهذه الأمثلة الواضحة مِن الإنجيل الذي يرجع تاريخه إلى القرن الأول الميلادي – وبخاصة الجملة التي قالتها المرأةُ النازفةُ "إِنْ مَسَسْتُ ثَوْبَهُ فَقَطْ شُفِيتُ" – تدل على وجود اعتقاد سائد وقتئذٍ عند سكان الشرق الأوسط أن ثياب الأنبياء (أو الْقِدِّيسِين بصفة عامة) تشفي وتصنع المعجزات بفضل "بركةٍ" أو "قُوَّةٍ" إلهية معينة. والمسيح نفسه قال في هذا الموقف: "مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي؟" (مرقس 5:30) "قَدْ لَمَسَنِي وَاحِدٌ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ قُوَّةً قَدْ خَرَجَتْ مِنِّي" (لوقا 8:46). "معنى هذا أن من جسم المسيح تسرَّبت قوةٌ فعلاً ودخلت جسم المرأة وشفتها في الحال!"[6014]! ويقول سفر أعمال الرسل إن مناديل ومآزر بولس الرسول (أو تلك التي يحضرونها إليه لتلمس جسدَه) كان لها أيضاً قوة شفاء الأمراض (أعمال الرسل 19:11-12)، بل كان يُعتقد أن مجرد ظل بطرس الرسول (أو ظل ثوبه) له قوة شفاء إلهية حتى دون أن يلمس المرضى (أعمال الرسل 5:12-16)! **[← جعل أصحابُ القرآن هذه**

"القوة" أكثر قوة! تشفي حتى لو كان صاحبُ الثوب على بُعد مئات الأميال! قال يوسفُ لإخوته وهو في مصر: "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا [إلى كنعان] فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا" (يوسف 93)!].

لكن لمَّا تعمقنا أكثر في دراسة قصة يوسف القرآنية، وجدنا أن ظهور "قميص يوسف" للمرة الثالثة في الرواية القرآنية له أسباب مهمة شكلاً وموضوعاً. فهذا ما سنناقشه في الصفحات التالية ...

4.24.2.8 "قميص يوسف" يظهر مِن جديد للمرة الثالثة والأخيرة (يوسف 93، 96)!

مِن حيث الشكل، يبدو أن أصحاب القرآن قد أرادوا أن يختموا سورةَ يوسف بثلاثية (triology) جديدة تُضاف إلى ثلاثيات هذه السورة، وهي السورة الوحيدة في القرآن كله التي ذكرت كلمة "قَمِيص" (يوسف 18، 25، 26، 27، 28، 93).

بطل هذه الثلاثية الأخيرة[6015] ليس إنساناً، وإنما قميص يحل محل إنسان! نعم، إنه "قميص يوسف" الذي ظهر في ثلاث مراحل مختلفة مِن قصة يوسف القرآنية:

- في الفصل الأول: جاء قميصُ يوسف على لسان الراوي (الله حسب العقيدة الإسلامية) ليثبت كذب إخوة يوسف في ادعائهم أن يوسف مات: "وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ" (يوسف 18). وعلى الرغم مِن أن يعقوب لم يصدق إخوة يوسف "قَالَ [لهم] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا" (يوسف 18)، إلا أن معاناته قد بدأت في تلك اللحظة: "[قال] فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ" (يوسف 18). بل بالأحرى، بدأت معاناةُ يعقوب بسبب الحزن والخوف منذ اللحظة التي فارقه يوسفُ، بدليل أنه قال لإخوته: "إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ (أي: بيوسف) وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13).
- في الفصل الثاني: جاء قميصُ يوسف أولاً على لسان الراوي: "قَدَّتْ [امرأةُ العزيز] قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ" (يوسف 25). ثم على لسان الشاهد (الطفلة أسْنَات) لتثبت كذب امرأة العزيز: "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 26-27). وأخيراً على لسان الرواي: "فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ" (يوسف 28).
- في الفصل الثالث: جاء قميصُ يوسف على لسان يوسف ليصنع "معجزة" إعادة بصر أبيه يعقوب قوياً كما كان: "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا" (يوسف 93)! وتوجد "معجزة" أخرى، فلقد جعل قميصُ يوسف يعقوبَ يشم رائحة يوسف مِن على مسافة بعيدة: "قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ" (يوسف 94)؛ قيل: مِنْ مَسِيرِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ ثَمَانِيَةٍ أَوْ أَكْثَرَ! "فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ [يُبشِّر يعقوبَ بأن يوسف حيٌّ] أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ (أي: ألقى قميصَ يوسف على عَيْنَيْ يعقوب) فَارْتَدَّ [يعقوبُ] بَصِيرًا" (يوسف 96). وبهاتين المعجزتين المزعومتين، أثبت قميصُ

يوسف صدقَ إخوة يوسف (أو: صدقَ البشير) أن يوسف حي: "قَالَ [يعقوبُ] أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (يوسف 96). وبذلك انتهت معاناة يعقوب.

فعلى الرغم مِن أن قميص يوسف لم يكن بالضرورة هو هو نفس القميص في الفصول الثلاثة، إلا أن أصحاب القرآن كانوا حريصين على أن يستخدموا نفس الكلمة "قميص" في الفصول الثلاثة. فضلاً عن عبارة "قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ" التي تكررت حرفياً على لسان يعقوب بعد القميص في الفصل الأول (يوسف 18) وقبل القميص في الفصل الثالث (يوسف 83).

فنحن إذن أمام انكفاء (Chiasmus)[6016] على نمط أ ب ج د ج بَ أ (A B C D C B' A') واضح جداً كما يلي:

أ: بدأت معاناةُ يعقوب: "قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13)

ب: خبر محزن = يوسف مات. وقميص يوسف يثبت كذب هذا الخبر (يوسف 18)

ج: "قَالَ [يعقوبُ] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ" (يوسف 18)

د: تهمة لفَّقتها امرأةُ العزيز ليوسف. وقميص يوسف يثبت كذبها (يوسف 25-28)

ج: "قَالَ [يعقوبُ] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ" (يوسف 83)

بَ: خبر سار = يوسف حي. وقميص يوسف يثبت صدق هذا الخبر (يوسف 93-94، 96)

أَ: انتهت معاناةُ يعقوب: "فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (يوسف 96)[6017]

فَلِكَيْ يستقيم شكل هذا النمط الأدبي المعروف والمشهور في قصة يوسف القرآنية، كان لاَ بُدَّ مِن عودة قميص يوسف إلى الظهور (بَ). يجب أن قميص يوسف – وليس أي شيء آخر – هو الذي يصنع المعجزة.

أما مِن حيث المضمون، فإنه مِن الواضح أن أصحاب القرآن قد تأثروا – كالعادة – بالتراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة).

فنحن نلاحظ في القصة القرآنية اختلافين واضحين عن القصة التوراتية العبرية:

الاختلاف الأول: يوسف أرسل مع إخوته قَمِيصَهُ إلى أبيه يعقوب. "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي" (يوسف 93). وحرص أصحابُ القرآن على استخدام كلمة "قَمِيص" – أي نفس الكلمة التي استخدموها في الفصلين الأول والثاني – لإبراز الثلاثية (triology) والانكفاء (Chiasmus).

<u>الاختلاف الثاني:</u> قميص يوسف كان دليلاً أو أمارة على أن يوسف حي بالفعل. فساعد يعقوبَ على تصديق هذا الخبر السار. جعل يعقوبَ يشم رائحة يوسف "قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ" (يوسف 94)؛ وأعاد إلى يعقوب بصرَه قوياً كما كان "جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ [يعقوبُ] بَصِيرًا ۖ قَالَ [يعقوبُ] أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (يوسف 96). ولقد ناقشنا مسألة شفاء يعقوب مِن العمى (أو: ضعف النظر) فيما سبق، فلا داعي لتكرار ما قلناه. ولذلك فإننا سنركز هنا على مسألة كيف أقنع قميصُ يوسف يعقوبَ أن يوسف حي بالفعل.

هذان الاختلافان قد نتجا مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي لأفكار يهودية/مسيحية أقدم مِنهما وموجودة في التراث اليهودي المتأخر و/أو التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) كما سنرى.

وقبل أن نبدأ بحثنا، يجب علينا أن نكرر أن الكلمة المحورية "قميص" – التي وضعها أصحابُ القرآن على لسان يوسف في مصر "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا [...]" (يوسف 93) – لم تُذكَر في القرآن كله إلا في سورة يوسف فقط (يوسف 18، 25-28، 93). وإنه لمِن الطريف أنها كلمة يونانية أصلاً! يعني: مثل كلمة "دراهم" لم نجد دليلاً علمياً يثبت أنها كانت مُستخدَمة في مصر أيام يوسف (قبل المسيح بأكثر من 1600 سنة)! المهم: يُعتقَد أنها انتقلت إلى العربية عن طريق السريانية و/أو الحبشية[6018]. إذن: علينا أن نبحث عن مصادر القرآن (يوسف 93) في التراث اليوناني (السبعينية مثلاً) والسرياني (البشيطا مثلاً) والحبشي (اليوبيلات مثلاً).

بالنسبة للاختلاف الأول، لم تقل التوراة العبرية إن يوسف أرسل مع إخوته ثياباً إلى أبيه يعقوب. الثياب التي أرسلها يوسفُ كانت لإخوته فقط. أما يعقوب، فأرسل يوسفُ إليه طعاماً. تقول التوراة العبرية: "وَأَعْطَى [يُوسُفُ] كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حُلَلَ ثِيَابٍ، وَأَمَّا بَنْيَامِينُ فَأَعْطَاهُ [يُوسُفُ] ثَلاَثَ مِئَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَخَمْسَ حُلَلِ ثِيَابٍ. وَأَرْسَلَ [يُوسُفُ] لأَبِيهِ **هكَذَا: عَشَرَةَ حَمِيرٍ** حَامِلَةً مِنْ خَيْرَاتِ مِصْرَ، وَعَشَرَ أُتُنٍ حَامِلَةً حِنْطَةً (أي: قمحاً)، وَخُبْزًا وَطَعَامًا لأَبِيهِ لأَجْلِ الطَّرِيقِ" (التكوين 45:22-23).

أما التوراة السريانية (البشيطا) ففسرت كلمة "هكَذَا" على أنها تعني "مِثْلَه"؛ أي: مِثْلَ بنيامين؛ أو: مِثْلَ ما سبق. كما أضافت حرف العطف "و" قبل "عَشَرَةَ حَمِيرٍ". فصارت الآيتان (التكوين 45:22-23) في التوراة السريانية كما يلي: "[...] ولبنيامينَ وَهَبَ ثلاثمئة فِضَّةٍ وخَمسةَ أثواب. وأرسلَ إلى أبيه مِثْلَه، وعَشَرَةَ حَمِيرٍ [...]"[6019]. مما يعني أن يوسف أرسل إلى أبيه يعقوب ثياباً مِثْلَ بنيامين أو مِثْلَ إخوته. وهذا مثال جيد يلفت انتباهنا إلى كيف يمكن لكلمة واحدة وحرف واحد أن يغيرا معنى الجملة. ويبدو لنا أن مترجمي التوراة إلى السريانية تأثروا هنا بمصادر يهودية أخرى. مثل الترجمة اليونانية (السبعينية) التي تقول: "[...] وَأَمَّا بنيامينَ فَمَنَحَهُ ثَلاَثَ مِئَةٍ مِنَ الذَّهَبِ وَخَمْسَ حُلَلٍ مُتَمَيِّزَةٍ. وَأَرْسَلَ لأَبِيهِ (هَدَايَا) مِثْلَ هَذِهِ، وعَشَرَةَ حَمِيرٍ [...]"[6020]. أو كتاب اليوبيلات الذي يقول بكل وضوح: "[...] وأعطى كل واحد منهم ثياباً ملوّنة وفضّة. وأرسل إلى أبيهم ثياباً وفضّة وعشرة حمير [...]" (اليوبيلات 43:21-22)[6021]. وكما قلنا فيما سبق: يُعتبر

كتاب اليوبيلات واحداً مِن أهم وأضخم كتب سوديبِجرافا العهد القديم، لكن الكنيسة الحبشية هي الكنيسة الوحيدة التي تعترف بقانونية (canonicity) هذا الكتاب، ويعود تاريخ النسخ الحبشية لكتاب اليوبيلات إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد (أي: قبل ظهور الإسلام)، مما يعني أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة قد وجدوا كتاب اليوبيلات في المجتمع الحبشي وربما ظنوا أنه وحي إلهي ولذلك توهموا أن يوسف قد أرسل مع إخوته ثياباً إلى أبيه يعقوب **[⟵ جعل أصحابُ القرآن يوسفَ يرسل مع إخوته ثَوْبَهُ الشخصي إلى أبيه يعقوب: "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي" (يوسف 93). بعبارة أخرى: جعل أصحابُ القرآن هذا المشهد الدرامي أكثر وضوحاً. فاختزلوا الثياب الكثيرة في ثوبٍ واحد فقط هو ثوب يوسف بطل الرواية. واستخدموا كلمة "قميص" لإبراز الثلاثية والانكفاء كما قلنا]**.

ولن نناقش هنا أيهما أصح؟ القرآن؟ أم التوراة العبرية؟ أم غيرهما؟ فكما نقول دائماً: لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت أن قصة يوسف قصة حقيقية تاريخية. ولا يوجد – ولن يوجد – نسخة أصلية كاملة للتوراة يرجع تاريخها إلى زمان موسى (القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد). بل لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت أن موسى نفسه شخص حقيقي تاريخي. ولا يوجد – ولن يوجد – نسخة أصلية كاملة للقرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد (الثلث الأول مِن القرن السابع الميلادي). ومِن ثم فإنه مِن العبث أن نتساءل أيهم أصح؟ التوراة العبرية؟ أم اليونانية (السبعينية)؟ أم السريانية (البشيطا)؟ أم الحبشية (اليوبيلات)؟ أم العربية (القرآن)؟ لا يوجد عمل واحد مِنهم (ترجمة أو غيره) يُقدِّم الحقيقة المطلقة الصحيحة 100%. وإنما كل عمل مِنهم هو مجرد تطور بشري طبيعي للأعمال المكتوبة التي تسبقه وللتقاليد الشفوية التي توارثها سكان الشرق الأوسط عبر الأجيال قبل تدوين ذلك العمل.

وما يهمنا هنا هو التقليد اليهودي الذي يقول إن يوسف أرسل مع إخوته ثياباً إلى أبيه يعقوب. وجود هذا التقليد اليهودي في التوراة السريانية (البشيطا) أدى بطبيعة الحال إلى تطور هذه الفكرة في أعمال سريانية أخرى. هذا التطور يسمح لنا أن ندرس الاختلاف الثاني بين التوراة والقرآن ...

حسب التوراة، لمَّا قال إخوةُ يوسف ليعقوب "يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدُ، وَهُوَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" "لَمْ يُصَدِّقْهُمْ [يعقوبُ]" (التكوين 45:26). لكن لمَّا "كَلَّمُوهُ بِكُلِّ كَلاَمِ يُوسُفَ الَّذِي كَلَّمَهُمْ بِهِ، وَأَبْصَرَ الْعَجَلاَتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ لِتَحْمِلَهُ" صدَّقهم: "فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ" (التكوين 45:27). ولم تقل التوراةُ إن الثياب التي أرسلها يوسف لإخوته لعبت أي دور في إقناع يعقوب أن يوسف حي بالفعل. وإنما الْعَجَلاَتِ (wagons) التي أرسلها فرعون[6022] هي التي لعبت هذا الدور[6023]. ثم شرح المدراش اليهودي كيف كانت هذه الْعَجَلاَت – أو الْعِجْلاَت (heifers)! – دليلاً وأمارة على أن يوسف حي بالفعل[6024] **[⟵ حَذفَ أصحابُ القرآن "عجلات فرعون" ليسلطوا الضوءَ (close-up) على أهمية "قميص يوسف". قميصُ يوسف يكفي كدليل وأمارة على أن يوسف حي بالفعل: جعل يعقوبَ يشم رائحة يوسف وأعاد إلى يعقوب بصرَه قوياً كما كان. بعبارة أخرى: "قميص يوسف" في القصة القرآنية يناظر "عجلات فرعون" في**

القصة التوراتية]. وهكذا تطورت جملة "فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ" (التكوين 27:45) إلى **[← "فَارْتَدَّ [يعقوبُ] بَصِيرًا" (يوسف 96)]**. ولا غرابة في ذلك. فحسب التراث اليهودي، نور الْعَيْنَيْنِ يعبر أحياناً عن عودة الروح (الحياة، القوة، السعادة، الابن الغائب ... الخ). مثلاً: "انْظُرْ وَاسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ إِلهِي. أَنِرْ عَيْنَيَّ لِئَلاَّ أَنَامَ نَوْمَ الْمَوْتِ" (المزامير 13:3)؛ "قَلْبِي خَافِقٌ. قُوَّتِي فَارَقَتْنِي، وَنُورُ عَيْنِي أَيْضًا لَيْسَ مَعِي" (المزامير 10:38)؛ "نُورُ الْعَيْنَيْنِ يُفَرِّحُ الْقَلْبَ. اَلْخَبَرُ الطَّيِّبُ يُسَمِّنُ الْعِظَامَ" (الأمثال 30:15)؛ "أواهِ يا ابني، يا نور عيني، لماذا تركتُكَ ترحل!" (طوبيّا 5:10).

هذا عن التراث اليهودي. فماذا عن التراث المسيحي السرياني؟ ...

كما قلنا فيما سبق، تقول قصةُ يوسف السريانية (The Syriac History of Joseph) (PsB) – التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي، أي: قبل الإسلام – إنه في أحداث الفصل الأول مِن الرواية الذي يناظر (يوسف 18)[6025]، كان قميصُ يوسف الملطخ بالدماء سبباً في إصابة يعقوب بالعمى (أو: ضعف النظر) (قصة يوسف السريانية 12:1-2) **[← فَمِن الطبيعي أن يكمل القرآنُ هذه الدراما فيجعل قميصَ يوسف – في الفصل الثالث مِن الرواية – سبباً في شفاء يعقوب: "فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ [إلى يعقوب] أَلْقَاهُ (أي: ألقى قميصَ يوسف) عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا" (يوسف 96)]**. وإذا انتقلنا إلى أحداث الفصل الثالث من الرواية، فسنجد أن قصة يوسف السريانية[6026] تقول إن يوسف ألبسَ بنيامينَ ثياباً ملكية رائعة وأرسل إلى أبيه يعقوب عَشَرَ حُلَل مِن الثيَاب الرائعة (قصة يوسف السريانية 1:48)، كما أرسل يوسفُ إلى يعقوب نفس المركبة التي ركبها يوسفُ في مصر[6027] (the same chariot upon which Joseph rode) ليركبها يعقوبُ ويأتي بها إلى مصر (قصة يوسف السريانية 2:48) **[← جعل أصحابُ القرآن يوسفَ يرسل قَمِيصَهُ – وليس مركبته – إلى يعقوب: "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي" (يوسف 93)]**. ولمَّا وصل إخوةُ يوسف إلى كنعان، أخبر بنيامينُ **[← "الْبَشِيرُ" (يوسف 96)]** يعقوبَ أن يوسف حيٌّ، وحكى بنيامينُ ليعقوب كل ما فعله يوسفُ معهم، وَأَرَاهُ الثياب الملكية التي جعله يوسفُ يرتديها. ويُفهَم مِن السياق أن هذه الثياب الملكية مع العجلات والمركبات [الملكية] قد أقنعت يعقوبَ بصدق هذا الخبر السار؛ أقنعته أن يوسف حي بالفعل **[← كما قلنا فيما سبق، حذف أصحابُ القرآن هذه العجلات والمركبات واختزلوا هذه الثياب الكثيرة في ثوبٍ واحدٍ فقط هو قميص يوسف الذي أقنع يعقوبَ أن يوسف حي بالفعل]**، بدليل أن يعقوب قال بعدها مباشرةً: المجد لك أنتَ يا إله آبائي، الآن أنا أعرف أن الله يحبني حقاً وأن أحلام ابني يوسف[6028] كانت مِن الله (قصة يوسف السريانية 12:48-13) **[← "قَالَ [يعقوبُ] أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ [رَّوْحِ] اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (أي: أَعْلَمُ أن يوسف حي وأنني سألقاه وسأسجد له لتتحقق رؤياه)" (يوسف 96)]**. ثم ألبسَ بنيامينُ يعقوبَ الثياب الرائعة التي أرسلها يوسفُ (قصة يوسف السريانية 14:48) **[← "جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ (أي: ألقى قميصَ يوسف على عَيْنَيْ يعقوب)" (يوسف 96)]**.

مثال آخر مِن التراث المسيحي السرياني: العظات المسيحية السريانية (Balai) التي يرجع تاريخها أيضاً إلى القرن الخامس الميلادي، أي: قبل الإسلام. نجد فيها أن يوسف أرسل إخوته مِن مصر إلى أبيه يعقوب في كنعان وهو يقول لهم: أدخلتم إليه من الْبَرّيَّةِ القميصَ الملطَّخ بالدم[6029]، / فتقرّبون له، بدل القميص، الثيابَ المجيدة من مصر[6030] **[← جعلهم القرآنُ يأخذون القميص (قميص يوسف): "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي" (يوسف 93). وحرص القرآنُ على استخدام نفس الكلمة "قميص" التي استخدمها في (يوسف 18)، وذلك لإبراز الثلاثية والانكفاء كما قلنا]**. ولمَّا وصل إخوةُ يوسف إلى أبيهم في كنعان، أخبروه أن يوسف حي. في البداية، لَمْ يُصَدِّقْهُمْ يعقوبُ وقال لهم: "شُبِّهَ لَكُمْ مثل يوسف"[6031]! لكن لمَّا تذكَّر يعقوبُ أحلام يوسف ورأى العجلات، بدأ يقتنع تدريجياً. أما الثياب [التي لا تليق إلا بالملوك] التي أظهرها بنيامينُ له فهي التي أقنعته تماماً[6032] **[← قام قميصُ يوسف بنفس هذا الدور: أثبت ليعقوب صدق البشارة أن يوسف حي بالفعل. جعل يعقوبَ يشم رائحة يوسف وصنع معجزةَ إعادة بصر يعقوب قوياً كما كان]**. إذ تقول القصيدة العاشرة من العظات السريانية (Balai): "وقرَّبوا له (أي: قرَّب إخوةُ يوسف ليعقوب) بعد ذلك الثلاثمئة من الفضَّة التي أرسل [يوسفُ] إليه، / وخمسةَ أزواج الملابس التي وهبها (أو: سلّمها) له أخوه بنيامين. / وأمَّن لنا (بل: لهم) يعقوبُ، وصدَّق أنَّ يوسف ابن راحيل حيّ (and then Jacob believed and was convinced / that Joseph the son of Rachel is alive)"[6033]. "ارتاحت روحه (أي: روح يعقوب) التي تألَّمت، وشكر [يعقوبُ] اللهَ وسبَّحه" **[← "قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ [رَّوْحِ] اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (أي: أعْلَمُ أن يوسف حي وأنني سألقاه وسأسجد له لتتحقق رؤياه)" (يوسف 96)]**. "وقام الشيخُ (أي: يعقوبُ) مثل [رجلٍ] جبّار و (هَبَّ) العتيقُ مثل فتى أمرد"[6034] **[← "فَارْتَدَّ بَصِيرًا (أي: رجع إليه بصرُه قوياً كما كان في شبابه)" (يوسف 96)]**.

مثال ثالث مِن التراث المسيحي السرياني: قصيدة حوارية (dialogue poem) لا نعرف تاريخ تدوينها، ومع ذلك نذكرها هنا لعلها تضم تقاليد نشأت (شفوياً) قبل القرآن. تقول هذه القصيدة إن يوسف أرسل ملابسه مع بنيامين إلى أبيه يعقوب حتى يشم يعقوبُ رائحة مَن مات ثم عاد مرة أخرى إلى الحياة[6035] **[← قام قميصُ يوسف بنفس هذا الدور: "قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ (أي: لأَشَمُّ رائحةَ يوسف)" (يوسف 94)]**. وبغض النظر عن تاريخ هذه القصيدة الحوارية، فإنه مِن المحتمل أن تكون فكرة "شم رائحة الابن" مستوحاة مِن التوراة نفسها. لكن مِن قصة إسْحَاق حين "شَاخَ" "وَكَلَّتْ عَيْنَاهُ عَنِ النَّظَر" (التكوين 1:27) وأراد أن يبارك ابنَه الأكبر "عيسو" (Esau)، لكن يعقوب – بتحريض ومساعدة مِن أُمِّه رِفْقَة! – خدع أباه إسْحَاق وجعله يباركه هو بدلاً مِن عيسو! فلقد "أَخَذَتْ رِفْقَةُ ثِيَابَ عِيسُو ابْنِهَا الأَكْبَرِ الْفَاخِرَةَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا فِي الْبَيْتِ وَأَلْبَسَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الأَصْغَرَ" (التكوين 15:27) "فَتَقَدَّمَ [يَعْقُوبُ] وَقَبَّلَهُ (أي: قَبَّلَ أباه إسْحَاق)، فَشَمَّ [إسْحَاقُ] رَائِحَةَ ثِيَابِهِ [فظنَّ أنه عيسو] وَبَارَكَهُ، وَقَالَ: «انْظُرْ! رَائِحَةُ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْل قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ" (التكوين 27:27)[6036]؛ فلمَّا عاد عيسو اكتشف إسْحَاقُ الخدعة "فَقَالَ [إسْحَاقُ لعيسو]: «قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ»" (التكوين 35:27). إنها بالفعل قصة توراتية طريفة ونجد فيها فكرتي "ثياب (قميص) الابن"

و "شم رائحة الابن عن طريق ثيابه" **[← وهما فكرتان موجودتان في قصة يوسف القرآنية: "[قال يوسفُ لإخوته] اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا [...]. وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ [يعقوبُ] إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ" (يوسف 93-94). الفرق هو أن إسْحَاق (حسب التوراة) خُدِعَ فأخطأ، لأن رائحة الثياب تدل على ابنه عيسو بينما الشخص الذي يرتديها هو في الواقع ابنه يعقوب. أما حسب القرآن، فلا توجد خدعة أصلاً: القميصُ قميصُ يوسف والشخص الذي كان يرتديه في مصر هو أيضاً يوسف. فأصاب يعقوبُ حين قال "إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ" (يوسف 94)، فحدثت المعجزة الأسطورية: "فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ [إلى يعقوب] أَلْقَاهُ (أي: ألقى قميصَ يوسف) عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا" (يوسف 96)!].**

وتقول مراجع إسلامية[6037] – بدون دليل مِن القرآن أو مِن السُّنَّة الصحيحة المرفوعة – أن "الْبَشِير" (يوسف 96) المذكور في القرآن هو "كَبِيرُهُمْ" (يوسف 80) أو هو الذي حمل قميصَ يوسف الملَطَّخ بالدم الكذب (يوسف 18). قيل: يهوذا. وقيل: شمعون. مثلاً: قال أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن - جامعة الأزهر): "جاء البشير - وهو ابنه يهوذا - الذي يحمل القميص من يوسف - وهو الذي حمل إليه قميصه الملَطَّخ بالدَّم الكذب؛ ليمحوَ السيئة بالحسنة"[6038]. أو: أَحَبَّ يهوذا أَنْ يُفْرِحَ يعقوبَ كَمَا أَحْزَنَهُ[6039].

ومِن الجدير بالذكر أن (يوسف 96) هي الآية الوحيدة في القرآن كله التي جاءت فيها كلمة "الْبَشِير" بأداة التعريف – الألف واللام، وهي أيضاً الآية الوحيدة في القرآن كله التي جاءت فيها كلمة "بشير" بدون كلمة "نذير". توجد آية أخرى جاءت فيها كلمة "مُبَشِّر" بدون كلمة "نذير" وهي الآية الشهيرة التي وضعها أصحابُ القرآن على لسان مسيحهم عيسى ابن مريم: "وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ" (الصف 6). ومِن المعلوم أن اسم "أَحْمَدُ (أي: أَحْمَدُ اللهَ)" العربي يناظر الاسم العبري "يهوذا"[6040]. بدليل أن سبب تسميته "يهوذا" هو أن أمه لَيْئَة حمدت الرَّبَّ (أي: شكرت الله) حين ولدته: "وَوَلَدَتِ [لَيْئَةُ] ابْنًا وَقَالَتْ: «هذِهِ الْمَرَّةَ أَحْمَدُ الرَّبَّ». لِذلِكَ دَعَتِ اسْمَهُ «يَهُوذَا»" (التكوين 35:29). فهل هذا هو السبب الذي جعل كثيراً من المفسرين المسلمين يقولون إن "الْبَشِير" (يوسف 96) هو يهوذا؟ ربما. لكن السبب الأكثر احتمالاً هو أن هؤلاء المفسرين المسلمين قد وقعوا – بوعي أو بدون وعي – تحت تأثير قصة يوسف التوراتية التي تبرز الدور الإيجابي الذي لعبه يهوذا في الفصل الثالث كما شرحنا فيما سبق، وبخاصة فيما يتعلق بتعهده أن يكون كفيلاً وضامناً لبنيامين (التكوين 43:8-10). وفي كلتا الحالتين، النتيجة واحدة: قال كثيرٌ من المفسرين المسلمين إن "الْبَشِير" (يوسف 96) هو يهوذا لأنهم تأثروا بالتوراة.

أما نحن فنستنتج مِن التراث المسيحي السرياني بصفة عامة أن هذا "الْبَشِير" (يوسف 96) ليس كَبِيرهُمْ سناً ولا كبيرهم رأياً أو مقاماً، وإنما صغيرهم سناً وأقربهم إلى قلب يعقوب بعد يوسف طبعاً؛ أي: هو بنيامين شقيق يوسف وابن راحيل زوجة يعقوب المحبوبة. وإنه لمِن الطريف أن القرآن جعل بنيامينَ صامتاً تماماً لَمْ

يَفْتَحْ فَاهُ حتى في هذا المشهد الدرامي البديع! فلقد اكتفى الْبَشِيرُ (بنيامينُ) بأن ألقى قميصَ يوسف على عَيْنَيْ يعقوب: "فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (يوسف 96). وهذا يؤكد لنا أن أصحاب القرآن قد تعمدوا أن يجعلوا "قميصَ يوسف" هو بطل هذا المشهد الختامي. بعبارة أخرى: كان يوسفُ حاضراً في هذا المشهد، لكنه كان حضوراً معنوياً بقميصه فقط.

ويوجد دليل آخر على أن "الْبَشِير" (يوسف 96) هو بنيامين. وهذا الدليل داخلي، مِن القرآن، مِن سورة يوسف نفسها، وبتطبيق نظرية الانكفاء (Chiasmus) كما يلي:

"إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" (يوسف 8)

"إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (يوسف 8)

"قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ" (يوسف 95)

"فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ (أي: طرح قميصَ يوسف على عَيْنَيْ يعقوب)" (يوسف 96)

الرابط بين (يوسف 8) و (يوسف 95-96) هو كلمة "ضَلَال"؛ أي: ضَلَال أبيهم يعقوب[6041]. لكن في (يوسف 8)، نجد "يُوسُف" أولاً، ثم "أَخُوهُ". أما في (يوسف 96)، فنجد الترتيب معكوس: "الْبَشِير" أولاً، ثم يوسف (أي: قميصه). إذن: عملاً بنظرية الانكفاء (Chiasmus) (اللف والنشر على عكس الترتيب)، فإن "الْبَشِير" (يوسف 96) هو "أَخُوهُ" (يوسف 8)؛ أي: بنيامين. وهذا يدل على أن نظرية الانكفاء – أو منهج "التحليل البلاغي" (Rhetorical Analysis) بصفة عامة – يساعدنا على فهم القرآن وحل ألغازه[6042]. والمدهش هنا هو أننا وصلنا إلى نفس النتائج التي وصلنا إليها بدراسة المصادر المسيحية السريانية: البشير هو بنيامين؛ ويوسف كان حاضراً في هذا المشهد الختامي المثير – لكنه حضور معنوي بقميصه فقط.

وفي جميع الأحوال، فإن هذين الرأيين – الرأي الأول: البشير هو يهوذا، والرأي الثاني: البشير هو بنيامين – غير متناقضين. فيمكن الجمع بينهما بأن نقول إن يهوذا هو الذي تولَّى أمر البشارة باعتباره المتحدث الرسمي عن الإخوة، لكنه قدَّم بنيامين أولاً كدليل على التزامه بتعهده أن يكون كفيلاً وضامناً لبنيامين (التكوين 43:8-10). وهذا ما نجده في القصيدة العاشرة من قصائد العظات المسيحية السريانية (Balai) التي يرجع تاريخُها إلى القرن الخامس الميلادي، إذ تقول بلغة أدبية بديعة: "دخلوا كلُّهم وسجدوا له (أي: دخل كلُّ الإخوة وسجدوا ليعقوب)، ويهوذا في رأس زمرتهم. / وقرَّب [يهوذا] إلى أبيه بنيامين كقربان الأفراح: / "يا أبي يعقوب، اقبلْ من كفيلك ما استعار منك (يقصد: بنيامين): فالربا (يقصد: يوسف، الذي يعني اسمه: يزيد) الذي جئتُك به يغلبُ رأس المال (يقصد: أخذتُ منك بنيامين فهو رأس المال، وعدتُ إليك ببنيامين ويوسف، فالزيادة (يوسف) أكثر من رأس المال (بنيامين)). / كفلتُ لك واحداً من ابنَي راحيل لينزل معنا إلى مصر، / وعادت مصر فوهبت لنا ابن راحيل، الأخ الآخر (يقصد: يوسف). / فالله ما (أراد أن) يضايقك بعد أن اتَّكلتَ عليه،

/ وها نحن أتينا بالصغير عزاء لشيخوختك هذه". / فترك الشيخُ (أي: يعقوبُ) أبناءه وأمسك بنيامين وعانقه [وقال له]: / "تعالَ بسلام، يا نورَ عينيَّ، رأيتُك فجبرتَ خاطر أبيك. / [...]""[6043]. وبعد أن صدَّق يعقوبُ أن يوسف حيّ وسمع كلامَ بنيامين، قال له: "مبارك من جاءني بالخبر، فبعثني من الموت بواسطة أبنائي. / أمُّك راحيل، يا بنيامين، قامت اليوم من القبر. / [...]"[6044].

ونختم كلامنا بما قاله (Dr. Joseph Witztum) عن تأثير المصادر المسيحية السريانية على القرآن فيما يتعلق بظهور "قميص يوسف" مرة أخرى في نهاية الرواية[6045]:

[…] both the Syriac sources and the Quran tighten the chiastic structure of the Biblical narrative by assigning garments a role in announcing the good news to Jacob. […] […] By having the garments convince Jacob that Joseph is alive, these Syriac sources create an attractive symmetry with the beginning of the story, where a garment had played a central part in the attempt to persuade Jacob that his son was dead. The Quran then sharpens this symmetry in three ways: it refers to one garment only and does not mention wagons, it identifies the garment as Joseph's, and it employs the same word for it (قميص) as that which describes the garment used in the attempt to deceive Jacob at the beginning of the story (Q 12:18). Scholars have noted the enhanced symmetry in the Quranic version, but have not been aware that in this the Quran develops a trend already found in the Syriac tradition.
[…] Several studies have revealed the careful chiastic structure of Q 12 [يقصد: سورة يوسف], but did not notice that in presenting the story in this manner the Quran follows and further develops an earlier trend attested in the Syriac sources.

وهكذا نصل دائماً بكل يقين وطمأنينة إلى نفس الحقيقة. القرآن مجرد تطور بشري طبيعي للتراث الديني الشرقي، سواء التراث اليهودي (المتأخر) أو التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة). وبما أن هذا التراث الديني الشرقي كلام بشر 100%، فإن القرآن أيضاً كلام بشر 100%. القرآن كلام العرب، وليس كلام الله. بل لا توجد علاقة بين الله والقرآن.

4.24.2.9 "قَالُوا [...] إِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ. قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ" (يوسف 91-92)

حسب التوراة، عندما كشف يوسفُ عن شخصيته لإخوته "لَمْ يَسْتَطِعْ إِخْوَتُهُ أَنْ يُجِيبُوهُ، لأَنَّهُمُ ارْتَاعُوا مِنْهُ" (التكوين 45:3). فأعطاهم يوسفُ خطبةً طويلة أو مونولوج (monologue) (التكوين 45:4-14). "وَبَعْدَ ذلِكَ تَكَلَّمَ إِخْوَتُهُ مَعَهُ" (التكوين 45:15). ولم تقل لنا التوراةُ ماذا قال إخوةُ يوسف! بل لا نجد في هذا المشهد التوراتي اعترافَ إخوة يوسف بذنوبهم وخطاياهم[6046]!

لكن في المشهد القرآني المقابل، لا نجد مونولوج وإنما نجد حواراً (dialogue) بين يوسف وإخوته يتضمن اعتراف إخوة يوسف بذنوبهم وخطاياهم (يوسف 91). وكما صنع أصحابُ القرآن في (يوسف 70-75) حواراً تكلم فيه كل طرف ثلاث مرات، في هذا الحوار أيضاً (يوسف 88-93) تكلم كل طرف ثلاث مرات (a three-stage dialogue in which each side speaks three times)!

- الجولة الأولى. إخوة يوسف "قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ" (يوسف 88). يوسف "قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ" (يوسف 89).
- الجولة الثانية. إخوة يوسف "قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ" (يوسف 90). يوسف "قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 90).
- الجولة الثالثة. إخوة يوسف "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ" (يوسف 91). يوسف "قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ" (يوسف 92-93).

إنها إذن ثلاثية (triology) أخرى مِن ثلاثيات سورة يوسف!

وما يهمنا في هذا الحوار المثلث الجولات هو الجولة الثالثة. إخوة يوسف اعترفوا بذنوبهم وخطاياهم "قَالُوا [...] إِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ" (يوسف 91). ويوسف سامحهم "قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ" (يوسف 92) ودعا الله أن يغفر لهم "[قَالَ] يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 92).

هاتان الآيتان القرآنيتان (يوسف 91-92) مجرد تطور بشري طبيعي للتراث المسيحي السرياني ...

تقول العظة التاسعة مِن العظات المسيحية السريانية (Balai)[6047] التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي - أي: قبل الإسلام - إن يوسف كشف عن شخصيته لإخوته **[← "قَالَ أَنَا يُوسُفُ" (يوسف 90)]**. في البداية، لم يكن إخوةُ يوسف متأكدين أنه يوسف بالفعل. فصرخ بنيامينُ بصوتٍ شديد مرتاباً في قلبه: "هل هو حَقًّا؟". وقال إخْوَتُهُ: "لا نقدر أن نصدِّق أن هذا هو يوسف ابن يعقوب" **[← "قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ (Are you really Joseph?!)" (يوسف 90)]**. لكن بكاء يوسف بغزارة أمامهم جعلهم يقتنعوا أنه هو يوسف حَقًّا: "تحقَّقوا أنَّه يوسف من بكائه وزفراته". فسألهم يوسفُ عن أبيه يعقوب وأعطاهم المونولج أو خطبةً قريبة مما قاله لهم في (التكوين 45:4-14) (التكوين 50:15-21) مؤكداً أن كل ما حدث كان بترتيب أو خطة من الله (planned by God). وفي نهاية كلامه، قال لهم: "كونوا كلكم في سلام لأنكم بعتم لمصر سَيِّدًا، / وأنا أعرف أن ما حصل لي من أمر عجيب هو عظيم جداً. / فامضوا وبيّنوا باعتناء هذه الرفعة لأبي الشيخ. / وبسبب هذه القدرة الكبيرة لا يصدِّق يعقوب الشيخ. / ها عيناي أخي بنيامين تريانى في مصر سَيِّدًا" **[← "وَهَٰذَا أَخِي [بنيامين] قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا" (يوسف 90)]**.

فسجد إخْوَتُهُ له **[← "خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا" (يوسف 100)]**. وأخيراً تَكَلَّمَ إخْوَتُهُ مَعَهُ وَهُمْ يبكون ويلتمسون الرحمة والغفران. قالوا له كلاماً كثيراً، ولا داعي لذِكر كل ما قالوه، فسنكتفي بالجمل المهمة فقط. قالوا ليوسف: لا توبِّخنا على أننا قد أخطأنا (Do not reproach us for having sinned) (بالسريانية: da-ḥṭaynan lā teʿdol lan) **[← "قَالُوا [...] إِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ"[6048] (يوسف 91)]** [...] جريمتنا التي ارتكبناها ليست صغيرة (Our crime that we have committed is not small) **[← "قَالُوا [...] إِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (أي: آثمين مذنبين معتدين؛ مُتعَمِّدين الخطيئة)" (يوسف 91)]** [...]. فأجابهم يوسفُ ألا يخافوا (بالسريانية: lā tetrahbun)[6049] **[← "قَالَ لَا تَثْرِيبَ (أي: لا توبيخ؛ No reproach؛ لا مذمَّة؛ لا لوم) عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ" (يوسف 92)]**. ودعا يوسفُ اللهَ أن يغفر لإخوته منوهاً إلى أن الله عادل لكنه أيضاً رحيم[6050]، فقال يوسفُ لإخوته: العدل (يقصد: الله) الذي لم يُطاع هو الذي سيرحم الذين لم يطيعوه **[← "يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ (أي: يعاملكم برحمته) وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 92)]**. وبعد أن وضّح الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) هذا التشابه الكبير بين التراث المسيحي السرياني والقرآن، قال:

> Like Q 12:92 and in contrast to Genesis, Balai has Joseph stress that God will forgive the brothers:
>
> > “Justice that was not obeyed / it is she that will have compassion upon those that did not obey her.”[6051]
>
> […] Syriac literature again supplies us with an antecedent for a phenomenon found in the Quran.

النتيجة: دائماً نصل إلى نفس النتيجة. نظرية "الوحي" ماتت. النظرية التي تفسر نشأة القرآن هي نظرية التطور البشري الطبيعي. القرآن كتاب بشري وهو مجرد تطور بشري طبيعي للتراث الشرق-أوسطي البشري. في هذه الدراسة، القرآن (يوسف 91-92) مجرد تطور بشري طبيعي للتراث المسيحي السرياني.

4.24.2.10 "قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا [...]. قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي" (يوسف 97-98)

تعاني التوراة مِن مشكلة. بعد وفاة يعقوب ودفنه، خاف إِخْوَةُ يُوسُفَ أن ينفرد يوسفُ بهم وينتقم مِنهم بسبب كل ما فعلوه به حين كان غلاماً. "قَالُوا: «لَعَلَّ يُوسُفَ يَضْطَهِدُنَا [بعد موت أبينا] وَيَرُدُّ عَلَيْنَا جَمِيعَ الشَّرِّ الَّذِي صَنَعْنَا بِهِ" (التكوين 50:15). فأرسلوا إلى يوسف "قَائِلِينَ: «أَبُوكَ أَوْصَى قَبْلَ مَوْتِهِ قَائِلاً: هكَذَا تَقُولُونَ لِيُوسُفَ: آهِ! اصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ إِخْوَتِكَ وَخَطِيَّتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ صَنَعُوا بِكَ شَرًّا. فَالآنَ اصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ عَبِيدِ إِلهِ أَبِيكَ»" (التكوين 50:16-17). المشكلة هي أن التوراة لم تقل قبل ذلك إن يعقوب أوصى هذه الوصية قبيل وفاته. بل لا توجد آية واحدة في التوراة كلها تقول إن يعقوب عرف كل ما فعله إِخْوَةُ يُوسُفَ به حين كان غلاماً! فهل كان إخوةُ يوسف يكذبون ويحتالون عليه حين زعموا أن يعقوب أوصى هذه الوصية قبيل وفاته؟ ربما. أم أن التوراة تعاني مِن فجوة (gap) في تسلسل أحداث الرواية؟ ربما أيضاً.

يبدو أن أصحاب القرآن حاولوا أن يملأوا هذه الفجوة التوراتية. فلجأوا إلى نفس الأسلوب الذي طبَّقوه في (يوسف 71-72) لحل مشكلة (التكوين 44:4-5، 8)، وطبَّقوه في (يوسف 74-75) لحل مشكلة (التكوين 44:9-10). أضافوا حواراً (dialogue) قصيراً يزعم أن إخوة يوسف "قَالُوا [ليعقوب] يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ. قَالَ [يعقوبُ لهم] سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (يوسف 97-98). وهذا الحوار حدث في كنعان بعد أن أخبر إخوةُ يوسف يعقوبَ أن يوسف حي (يوسف 96) وقبل هجرتهم جميعاً إلى مصر (يوسف 99)؛ أي قبل وفاة يعقوب بفترة طويلة جداً قد تصل إلى 17 سنة أو أكثر[6052]!

فنلاحظ هنا اختلافين مهمين بين القرآن والتوراة. (1) إخوة يوسف اعترفوا ليعقوب بذنوبهم وطلبوا المغفرة (يوسف 97). (2) وَعَدَهُمْ يعقوبُ أن يستغفر لهم (يوسف 98). وقيل إن يعقوب لم يَقُلْ "سَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي"، وإنما قال "سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي" (يوسف 98) التي تفيد التسويف والتأجيل والإبطاء وعدم الإسراع، لأنه أراد أن يعطي إخوةَ يوسف مدةً أطول يعالجون فيها نفوسهم ويندمون فيها على ذنوبهم الكبيرة ويطهرون قلوبهم تماماً حتى تكون توبتهم توبةً حقيقية لا رجعة عنها. وقيل إنه لم يبادر بالدعاء، للتنبيه إلى سوء فعلهم الذي كان سبباً في الأوجاع والآلام له وليوسف ولبنيامين لفترةٍ طويلة. وقيل: للتحقق مِن استجابة دعائه في وقت السَّحَر! وقيل: أَخَّرَ دُعَاءَهُ حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الْجُمْعَةِ لأن الدُّعَاء فِيهَا مُسْتَجَابٌ! وقيل: انتظر اللَّيَالِي الْبِيض! وعلى أي حال، يكفينا وعده بالاستغفار لهم كدليل على أنه سامحهم وصفح عنهم ولن يعاقبهم.

وكالعادة، تحاول البروباجاندا الإسلامية استغلال كل اختلاف بين التوراة والقرآن لتزعم أن القرآن كلام الله! على سبيل المثال، يقول د. صلاح الخالدي بعد هاتين الآيتين القرآنيتين (يوسف 97-98): "هذه اللقطات النهائية من قصة يوسف عليه السلام لم يذكُرْها الأحبارُ (يقصد: كَتبة التوراة) نهائياً، وقد انفرد القرآنُ بذكْرِها، وهذا دليلٌ على أنَّ القرآنَ مِن عند الله، وليس مِن كلام البشر"[6053]!

ونحن سنكشف كذب وزيف هذه البروباجاندا الإسلامية بأن نجيب على السؤال التالي: هل أصحاب القرآن هُمْ أول مَن حاولوا أن يملأوا هذه الفجوة التوراتية بإضافة حوار بين يعقوب وإخوة يوسف بعد أن عرف يعقوبُ أن يوسف حي وقبل هجرتهم جميعاً من كنعان إلى مصر؟

الإجابة: لا. فلقد سبقهم المسيحيون السريان ... كالعادة ...

ونبدأ كلامنا بما قاله واحدٌ مِن أهم وأشهر أعلام الفكر المسيحي السرياني قبل الإسلام. إنه الأب الروحي لأصحاب القرآن، والذي لولاه لمَا ظهر القرآنُ. إنه بالطبع القديس الكبير "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (Ephraem) (القرن الرابع الميلادي) الذي قال في الفصل الأربعين مِن تعليقه الشهير على سفر التكوين (Commentary on Genesis 40.4)[6054]:

When they [i.e. Joseph’s brothers] told Jacob about the honor of Joseph [in Egypt], […], their father asked them and said, “Did you not ask Joseph how or why he went down to Egypt?” Then, when they all looked at each other and did not know what to say, Judah opened his mouth and said to his father, “We are recalling our crime today before our father.” […] “[…] Forgive us then for having humiliated Joseph, for it is on account of our humiliating him that he has come to this exalted state.” Their father then accepted their apology and said to them, “Because of the good news about Joseph by which you have brought me joy, this offence, which caused me great suffering when I heard it, is forgiven [to] you.”

فليس مِن المبالغة أن نقول إن ما قاله إفرام السرياني هو القرآن قبل القرآن. قبل القرآن بأكثر مِن 200 سنة! بل إن كلام إفرام السرياني أفضل مِن القرآن. لأنه على الأقل شرح لنا لماذا اعترف إخوةُ يوسف ليعقوب بذنوبهم تجاه يوسف؟ والإجابة: لأن يعقوب سألهم كيف ولماذا ذهب يوسفُ إلى مصر؟ فلم يجد إخوةُ يوسف أمامهم سوى أن يعترفوا بالحقيقة. أي يعترفوا لأبيهم بذنوبهم وخطاياهم تجاه يوسف ويطلبوا المغفرة [← **"قَالُوا [ليعقوب] يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ" (يوسف 97)**]. ليس هذا فحسب، بل شرح لنا إفرام السرياني لماذا سامحهم يعقوبُ؟ والإجابة: لأنهم قالوا ليعقوب إنه لولا الشر الذي صنعوه بيوسف لمَا ذهب يوسفُ إلى مصر ولمَا وصل إلى تلك المكانة الرفيعة التي وصل اليها الآن في مصر؛ وأيضاً مكافأةً

لهم لأنهم أخبروه هذا الخبر السار عن يوسف. فقَبِلَ يعقوبُ اعتذارهم وسامحهم **[← "قَالَ [يعقوبُ لهم] سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (يوسف 98)]**. وكل هذا حدث في كنعان بعد أن أخبر إخوةُ يوسف يعقوبَ أن يوسف حي وقبل هجرتهم جميعاً إلى مصر **[← وضع أصحابُ القرآن هذا الحوار بين يعقوب وإخوة يوسف (يوسف 97-98) في نفس الموضع الذي حدده القديس المسيحي العظيم إفرام السرياني: بعد أن أخبر إخوةُ يوسف يعقوبَ أن يوسف حي (يوسف 96) وقبل هجرتهم جميعاً إلى مصر (يوسف 99)]**.

وبما أن تعليق المعلم إفرام السرياني على سفر التكوين كلام بشر 100%، فإن كلام تلاميذه أصحاب القرآن (يوسف 97-98) كلام بشر 100% أيضاً. وهذا يكشف كذب وزيف البروباجاندا الإسلامية التي تملأ حياتنا بالأوهام فتزعم نهاراً وليلاً أن القرآن كلام الله!

ووجود هذه الأفكار الخلّاقة (creative, seminal ideas) في كتابات مفكر كبير ورجل مهم مثل القديس إفرام السرياني أدى بطبيعة الحال إلى شهرتها وانتشارها وتطورها تطوراً بشرياً طبيعياً في أعمال سريانية أخرى[6055] ...

على سبيل المثال، تقول العظات المسيحية السريانية (Balai)[6056] التي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي، أي: قبل الإسلام، إن يعقوب سأل إخوة يوسف بعد أن أخبروه أن يوسف حي في مصر: "هل أخبركم يوسف كيف دخل إلى مصر / وهل كشف لكم (سرَّ) قميصه، ولأيِّ علَّة نُزِعَ عنه؟". فلم يجد إخوةُ يوسف أمامهم سوى أن يعترفوا بالحقيقة. أي يعترفوا لأبيهم بذنوبهم وخطاياهم تجاه يوسف، وختموا كلامَهم بأن قالوا ليعقوب إن يوسف قد سامحهم وطلبوا من يعقوب أن يحذو حذوه. فوافق يعقوبُ وقال جملةً قريبة جداً مما ردده القرآنُ بعد ذلك. قال يعقوبُ في هذه الجملة: "إلهي" (my God) **[← "رَبِّي" (يوسف 98)]**. والجملة التي قالها يعقوبُ هي: فأدعو إلهي أن لا يدينكم كما فعلتم (أي: حسب ما فعلتم) (But I also call my God / not to judge you according to what you did) **[← "قَالَ [يعقوبُ لهم] سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي" (يوسف 98)]**، وأن لا يجعل [إلهي/ربي] بين أيديكم الضيقات التي تحملتها شيخوختي (Let him not avenge through you / the afflictions that my old age endured) **[← "إِنَّهُ (أي: إلهي/ربي) هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (يوسف 98)]**. وهذا الحوار التصالحي بين يعقوب وإخوة يوسف حدث في كنعان بعد أن أخبر إخوةُ يوسف يعقوبَ أن يوسف حي وقبل هجرتهم جميعاً إلى مصر **[← وضع أصحابُ القرآن هذا الحوار التصالحي بين يعقوب وإخوة يوسف (يوسف 97-98) في نفس الموضع الذي حدده التراث المسيحي السرياني! بعد أن أخبر إخوةُ يوسف يعقوبَ أن يوسف حي (يوسف 96) وقبل هجرتهم جميعاً من كنعان إلى مصر (يوسف 99)]**. ليس هذا فحسب، بل جاء هذا الحوار التصالحي بعد أن سامح يوسفُ إِخْوَتَهُ كما قلنا **[← وكذلك في القرآن، جاء هذا الحوار التصالحي بعد أن**

سامح يوسفُ إخوته: "قَالَ [يوسفُ لهم] لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 92)]. والهدف الأساسي لهذين الحوارين (يوسف 91-92) و (يوسف 97-98)، سواء في القرآن أو مِن قبله في التراث المسيحي السرياني، هدفٌ واحد وهو ألا يعامل اللهُ إخوةَ يوسف بعدله فيعاقبهم وينتقم منهم، وإنما يعاملهم برحمته فيغفر لهم ويعفو عنهم "إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (يوسف 98) "وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 92). بصمة مسيحية واضحة جداً على القرآن[6057].

نعم، إنَّ وجود نفس الأفكار (motifs) وصياغتها بنفس الأسلوب الأدبي (literary style) أسلوب الحوار (dialogue)[6058] "قَالُوا [...]. قَالَ [...]" (يوسف 97-98) مع وضعها في نفس الموضع مِن الرواية واستخدام تقريباً نفس الكلمات (vocabulary) والعبارات (phrases) يثبت أن القرآن (يوسف 97-98) مجرد تطور بشري طبيعي للتراث المسيحي السرياني، وليس كلام الله[6059].

النتيجة: إن (يوسف 97-98) تكفي وحدها كدليل قاطع يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن 100% كلام البشر المخلوقين، وليس كلام الله الخالق.

بل إن كل ما كتبناه عن قصة يوسف (أكثر مِن 333 صفحة[6060]!) يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن 100% كلام البشر المخلوقين، وليس كلام الله الخالق. فسنكتفي بهذا القدر عن أسطورة يوسف القرآنية.

4.24.3 كلمة ختامية عن أسطورة يوسف التوراتية←القرآنية

أفضل ما نختم به كلامنا عن أسطورة يوسف القرآنية هو النتيجة النهائية التي وصل إليها الباحث المحترم (Dr. Joseph Witztum) في رسالة الدكتوراه التي أعدها ودافع عنها في جامعة (Princeton) الأمريكية المرموقة عام 2011[6061]:

> […] the evidence suggests that the Quran was aware of Christian Syriac traditions concerning Joseph. This seems a simpler explanation for the extent of the parallels than to assume, as Näf did, that the Quran reflects lost Jewish sources which included similar material. There are of course elements in Q 12 which [are found in the Jewish sources but] are not found in the Syriac sources. [Also of interest are elements for which we know of no parallel.] My argument, therefore, is not that the Syriac tradition provides the entire background for the Quranic Joseph story, but that it played a major role in its formation.

فإن قلتم إنه لا يوجد حتى الآن نص أقدم مِن القرآن ويتطابق 100% مع القرآن.

فسنقول: هذا أمر طبيعي ومتوقع، فلا يوجد كتاب في العالم يتطابق 100% مع كتاب آخر إلا إذا كان هُو هُو نفس الكتاب؛ أي: نسخة طبق الأصل. حتى الترجمة تختلف أحياناً عن الأصل. إذن: وجود اختلافات بين القرآن ومصادره البشرية أمر طبيعي، بل طبيعي جداً.

ثم إن عبارة "لا يوجد حتى الآن نص أقدم مِن ... ويتطابق 100% معه" تنطبق أيضاً على النصوص المسيحية السريانية (PsN; PsB; Balai; Narsai؛ إفرام السرياني ... الخ). على سبيل المثال، لا يوجد حتى الآن نص أقدم مِن العظات المسيحية السريانية (PsN) ويتطابق 100% مع هذه العظات. فلماذا تكون هذه النصوص السريانية كلام بشر، بينما النص العربي (القرآن) كلام الله؟! وإنما الحقيقة هي أن كل هذه النصوص السريانية والعربية **بما فيها القرآن نفسه** كلام بشر 100% وليس كلام الله.

لا يوجد تلميذ يتطابق مع أستاذه في كل شيء. كذلك، فإنه مِن الطبيعي ألا يتطابق القرآنُ مع مصادره البشرية في كل شيء.

وفي جميع الأحوال، نحن لم نقل أبداً – ولن نقول أبداً – إن أصحاب القرآن نقلوا حرفياً مِن مصادرهم اليهودية والمسيحية. وإنما نحن نقول دائماً وبكل يقين وطمأنينة وراحة ضمير إن القرآن مجرد تطور بشري طبيعي لهذه المصادر اليهودية والمسيحية الشرقية (السريانية بصفة خاصة) التي سبقته زمنياً.

أما أفضل ما نختم به كلامنا عن أسطورة يوسف التوراتية←القرآنية فهو ما قاله واحدٌ مِن أكبر علماء الاجيبتولوجي (علم المصريات) والأركيولوجي في العالم وهو العالِم الكبير (Donald B. Redford) في كتابه الحائز على جائزة (Best Scholarly Book in Archaeology Award, Biblical Archaeological Society) لعام 1993. قال إن قصة يوسف (novella) – أي: نوع من الأعمال الأدبية أقصر مِن الرواية وأطول مِن القصة القصيرة. طبعاً في هذا الكتاب المهم، تحدث العالِم الكبير (Donald B. Redford) عن قصة يوسف التوراتية، لكن نعتقد – بعد أن وضحنا التشابه الكبير بين قصة يوسف في التوراة وقصته في القرآن – أن النتيجة التي وصل إليها تنطبق أيضاً على قصة يوسف كما جاءت في القرآن. وتلك النتيجة هي كما يلي(6062):

> We conclude that, on a judicious appraisal of the evidence, the Biblical Joseph story was a novella created sometime during the seventh or sixth century B.C. (the end of the Judaean monarchy or the Exile). [...] There is no reason to believe it has any basis in fact–the absence of the story from

> the earlier tradition in the prophets speaks against such a belief–and to read it as history is quite wrongheaded.

ومَن يعترض على كلام العالِم الكبير (Donald B. Redford)، فما عليه إلا أن يعطينا مخطوطة واحدة للتوراة تذكر قصةَ يوسف ويرجع تاريخها إلى ما قبل القرن السابع قبل الميلاد. لا يوجد. ولن يوجد.

وبكلمات أكثر بساطة، تقول موسوعة (Encyclopædia Britannica)(6063):

> The story of Joseph, often called a novella, is a carefully wrought piece of literary craftsmanship. Though it features the personality of Joseph, it is introduced (Genesis 37:2) as the “history of the family of Jacob.” Authorities agree that parts of the story show dependence upon the ancient Egyptian “Tale of Two Brothers,” but in characteristically Hebraic fashion, the narrator in Genesis has ignored the mythical and magical motifs in the Egyptian tale, and the focus of the outcome is placed on its meaning for the whole house of Israel.
>
> The purpose of the story is to relate the preservation of Israel. Its people survive despite their own foolishness and wickedness, indeed, ironically, in part because of these. The story is told as a testimony to the operation of divine providence: “. . . you meant evil against me; but God meant it for good . . .” (Genesis 50:20) sums up its moral.

فليس معنى أن نقول إن قصة يوسف خيالية أو (novella) أن نهملها أو لا نقرأها. بالطبع لا. فكما نقرأ روايات نجيب محفوظ ومسرحيات شكسبير، علينا أيضاً أن نقرأ أسطورة يوسف التوراتية←القرآنية ونتعلم منها الكثير مِن الدروس مثل: التمسك بالمبادئ وعدم الخضوع للاغراءات، التسامح، قوة التحمل والصبر على المحن، الثقة في العناية الإلهية، قدرة الإنسان البسيط أن يصعد إلى السلطة إذا أحسن استخدام مواهبه وقدراته ... الخ.

في هذا الإطار، يمكن أن نعتبر قصة يوسف (apologue)، أي: أسطورة أخلاقية. ولا يمكن أبداً أن نعتبرها تاريخاً. فلقد رأينا فيما سبق أن قصة يوسف التوراتية هي مجرد رواية أدبية بديعة مستوحاة مِن قليل مِن الأحداث التاريخية وكثير مِن الخيال والروايات الأدبية السابقة (قصة الأخوين مثلاً). أما قصة يوسف القرآنية فهي مجرد تطور بشرى طبيعي للتراث اليهودي/المسيحي، سواء التراث المقدس (مثلاً: التوراة

وترجماتها المختلفة) أو التراث غير المقدس (مثلاً: المدراش والتلمود والسوديبِجرافا وفيلو ويوسيفوس والعظات المسيحية السريانية وأعمال إفرام السرياني).

فلا تقولوا لنا إن أسطورة يوسف التوراتية←القرآنية قصة حقيقية تاريخية بكل ما فيها مِن تفاصيل إلا إذا كان لديكم دليل مادي! وليس لديكم دليل مادي. ولن يكن أبداً لديكم أي دليل مادي. لأنها بكل بساطة ليست قصة حقيقية تاريخية، ولم تحدث أبداً في التاريخ كما حكتها التوراةُ ولا كما رواها القرآنُ.

وتلك النتائج التي وصلنا إليها من خلال دراستنا لأسطورة يوسف التوراتية←القرآنية هي نفس النتائج التي وصلنا إليها من خلال دراستنا لشقيقتها ... أسطورة موسى التوراتية←القرآنية ... إنها شقيقتها الصغرى حسب الترتيب الزمني لأنبياء الديانات الإبراهيمية، فَمِن المعلوم أن يوسف يسبق موسى زمنياً حسب تقليد الديانات الإبراهيمية الموروث. لكنها شقيقتها الكبرى من حيث الحجم، فَمِن المعلوم أن قصة موسى هي أكبر وأطول قصة قرآنية!

4.25 مدخل لقصة موسى وفرعون (قصة خروج بنى إسرائيل من مصر)

موسى هو أكثر نبى مذكور فى التوراة. وهذا أمر طبيعى ومتوقع.

موسى هو أكثر نبى مذكور فى القرآن! هل هذا أمر طبيعى ومتوقع؟!

الاسم "موسى" (Moses) (Moïse) له أصل مصرى قديم (msi) يعطى معنى الحمل والولادة (to bear, to give birth). ومِن ثم فإن اسم "موسى":

- يعنى "مولود" (is born) أو "وَلِيد" (الشعراء 18)؛
- أو يعنى "ابن" ((son (of)) (الخروج 10:2) أو "وَلَد" (القصص 9).

ويُقال إنه توجد علاقة بين الاسم "موسى" (بالعبرية: Moshe؛ فى التوراة السامرية: Mooshe) والفعل "انتشل" (draw out) (بالعبرية: mashah). وبذلك فإن اسم "موسى":

- يعنى "مُنْتَشَل" (drawn out): "وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ (أمه) إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ (drew him out) (بالعبرية: meshitihu) مِنَ الْمَاءِ»" (الخروج 10:2) "فَالْتَقَطَهُ (أى: انتشله) آلُ فِرْعَوْنَ" (القصص 8)؛
- أو يعنى "مُنْتَشِل" (one that draws out) بمعنى أنه انتشل قومَه (بنى إسرائيل) مِن ماء البحر أثناء خروجهم مِن مصر أو انتشلهم مِن الاضطهاد والعبودية فى مصر[6064].

ولقد وجدنا ما يمكن أن نعتبره محاولة للجمع بين هذين المعنيين، وهى أن موسى سُمِّى بهذا الاسم "لأنه انتُشل مِن الماء" "أى ابن الماء، مثل رع مسيس = ابن الشمس"[6065].

اهتم أصحابُ القرآن بموسى اهتماماً كبيراً، فلقد ذكر القرآنُ اسمَ موسى 136 مرة[6066]، أى أن موسى هو أكثر نبى مذكور بالاسم فى القرآن، أكثر حتى مِن رسول الإسلام محمد! وتعتبر قصة موسى هى أطول قصة فى القرآن، وكثيراً ما ترتبط بـ "فرعون" (Pharaoh) الذى ذكره القرآنُ 74 مرة[6067]، أى أكثر مِن إبراهيم أبي الأنبياء! و "فرعون" أصلاً كلمة مصرية قديمة وهي كلمة مُركَّبة "بِر عَا" (Per-aa) ويرجع تاريخُها إلى أكثر مِن 2200 سنة قبل الميلاد، أي: قبل جميع الديانات الإبراهيمية، وتعني "البيت الكبير" أو "القصر العظيم" (Great House). ثم صارت تُستخدَم كناية (metonymy) عن مَلِك مصر الذى يسكن هذا القصر الملكي العظيم. كما يُقال اليوم "البيت الأبيض" كناية عن الرئيس الأمريكي نفسه، أو كما يُقال "قصر الإليزيه" كناية عن منصب رئيس الجمهورية في فرنسا أو مَن يشغل هذا المنصب أو مؤسسة الرئاسة نفسها بكل مَن فيها مِن موظفين إداريين. إنها إذن كناية عن ملوك مصر القديمة بصفة عامة منذ مئات السنين قبل الميلاد، في المراسلات الدبلوماسية الرسمية (مثلاً: رسائل تل العمارنة (Amarna letters) التي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر ق.م) وفي الدعاء لجلالة المَلِك بالصحة وطول العمر والرخاء. وبمرور

الزمن، تحولتْ أحياناً هذه الكناية إلى لقب (title; epithet) يتبعه اسم المَلِك، فصار يُقال مثلاً "فرعون شِيشَقَ" (Pharaoh Shoshenq) في القرن العاشر ق.م.

المهم: "فرعون" – أو: "بِر عَا" (Per-aa) – لقب أو كناية مطلقة الدلالة لمَلِك مصر القديمة بصفة عامة، وليس اسماً شخصياً لمَلِك مصري واحد بعينه ولا حتى لقباً لمَلِك مصري واحد بعينه. انتقلتْ كلمة "بِر عَا" المصرية القديمة إلى المصادر اليهودية، ثم إلى المصادر المسيحية: أولاً اليونانية ثم السريانية والحبشية (الأثيوبية)[6068]، وهكذا تطورتْ تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى صارت "فِرْعَوْن" في القرآن العربي. ولقد قال العالِم المغربي المعروف "محمد المسيَّح" الخبير في مخطوطات القرآن إن اليهود ينطقونها "فِرْعُو" ثُم أضاف السريان حرف النون في آخرها ومِنهم انتقلت إلى اللسان العربي "فِرْعَوْن"[6069].

لكن يبدو لنا أن أصحاب القرآن كانوا يظنون أن "فِرْعَوْن" اسم عَلَم (proper name) لمَلِك معين[6070]، بدليل أنهم استخدموه في قصة موسى فقط ولم يستخدموه في قصة يوسف ولا في قصة إبراهيم مثلاً، وأيضاً بدليل أنهم استخدموا عبارةَ "يا فرعون" مرتين: (الأعراف 104) (الإسراء 102)؛ وعبارةَ "امرأة فرعون" مرتين: (القصص 9) (التحريم 11)؛ وعبارة "آل فرعون" 14 مرة: (البقرة 49-50) (آل عمران 11) (الأعراف 130، 141) (الأنفال 52، 54 مرتان) (إبراهيم 6) (القصص 8) (غافر 28، 45-46) (القمر 41)! ومِن المعلوم أن القرآن لم يستخدم عبارة "آل فلان" إلا مع أسماء الأشخاص ذوي الاعتبار والمكانة العالية، مثل "آل إبراهيم" (النساء 54)، "آل لوط" (الحجر 59، 61) (النمل 56) (القمر 34)، "آل يعقوب" (يوسف 6) (مريم 6)، "آل موسى" و "آل هارون" (البقرة 248)، "آل داود" (سبأ 13) و "آل عمران".

وإن قلتم إن "آل فرعون" تعنى أهل بيته، أى أسرته أو عائلته أو حاشيته فقط، فسنقول: ربما يكون هذا الكلام صحيح فى بعض الآيات القرآنية مثل "فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ" (القصص 8)، لكنه غير صحيح فى آيات قرآنية أخرى، بدليل أن أصحاب القرآن قد استخدموا عبارة "آل فرعون" بمعنى "المصريين"، أى الشعب المصرى بصفة عامة، وليس أهل فرعون فقط: "وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ (أى: الجدب والقحط) وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ [...] فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ" (الأعراف 130-133). ومِن المعلوم أن الجدب والقحط ونقص الثمرات والطُّوفَان وَالْجَرَاد وَالْقُمَّل وَالضَّفَادِع وَالدَّم وغيرها مِن هذه الآيات (الضربات) لم تصب أهلَ فرعون أو جنودَه فقط، وإنما أصابت المصريين بصفة عامة. ولذلك فإن عبارة "آل فِرْعَوْن" تُترجَم إلى (Pharaoh's people)[6071]، أى: قوم فرعون أو شعب فرعون أو مَن هُمْ على دين فرعون، أو: أهل مصر بصفة عامة[6072]! وكالعادة، الغلطة ليست غلطة المفسرين والمترجمين، وإنما غلطة أصحاب القرآن أنفسهم.

وما زال هذا الخطأ القرآنى/العربى مستمراً إلى اليوم. فنسمع مَن يقول "الفراعنة" (آل_فرعون) (Pharaohs)؛ والصواب أن يقول "المصريون القدماء" (Ancient Egyptians) إذا كان يقصد الشعب،

أو يقول "ملوك مصر القديمة" (Kings of Ancient Egypt) إذا كان يقصد الملوك فقط. ونقرأ لِمَن يكتب مثلاً "التاريخ الفرعوني" و "الفن الفرعوني"؛ والصواب أن يكتب "تاريخ مصر القديمة" (History of Ancient Egypt) و "الفن المصرى القديم" (Ancient Egyptian art) وهكذا.

سنتحدث فى هذا الفصل عن قصة "موسى وفرعون" التى تُعرَف أيضاً باسم آخر هو قصة "الخروج" (Exodus)، نظراً لأنها تحكي قصة رحيل أو خروج بنى إسرائيل مِن مصر. فإذا كانت قصة يوسف وإخوته هي التي نقلتْ بني إسرائيل من كنعان إلى مصر، فإن قصة موسى وفرعون هي التي أعادتْ بني إسرائيل من مصر إلى كنعان، أو بعبارة أكثر دقة: خرج بنو إسرائيل مِن مصر متوجهين إلى كنعان.

قصة الخروج مشهورة جداً ومعروفة قبل الإسلام بمئات السنين، إذ تحتل أربعة أسفار كاملة، أى 80%، مِن التوراة؛ وأشير إليها فى مواضع أخرى كثيرة مِن الكتاب المقدس بعهديه والتراث اليهودى/المسيحى بصفة عامة.

إذن: مِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا قصة الخروج بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مِن يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة (أثيوبيا).

ونحن سنذكر قصة "الخروج" القرآنية، وسنثبت بالأدلة أنها مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "الخروج" التوراتية والتراث اليهودى/المسيحى – بل تراث الشرق القديم – بصفة عامة، مع قدر مِن "الأسلمة" و "التعريب" جعلا القصة القرآنية تبدو وكأنها قصة جديدة منحولة مِن قصة قديمة. أو بالأحرى: قصة عربية/إسلامية جديدة منحولة مِن قصص يهودية/مسيحية وشرق-أوسطية قديمة.

نستطيع أن نستخلص أهم أحداث قصة الخروج القرآنية مِن الروايات القرآنية التالية:

قال صاحب رواية سورة المزمل: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ (يا أهل مكة) رَسُولًا (هو: محمد) شَاهِدًا عَلَيْكُمْ **كَمَا** أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (هو: موسى) {15} فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (أى: شديداً) {16}. ونلاحظ هنا أن أول رواية لقصة "موسى وفرعون" لا تذكر بنى إسرائيل إطلاقاً! وإنما تُقدِّم موسى كما لو كان رسولاً إلى فرعون، وليس رسولاً إلى بنى إسرائيل[6073]! بل تعترف هذه الرواية الأولى بأن الهدف مِن هذه القصة القرآنية هو تشبيه حال محمد فى مكة حيث كان رسولاً إلى قريش بحال موسى فى مصر حيث كان رسولاً إلى فرعون (حسب هذه الرواية)!

وقال صاحب رواية سورة مريم: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا {51} وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا[6074] {52} وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا {53}.

وقال صاحب رواية سورة الفرقان: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ (أى: التوراة) وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا {35} فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا (أى: إلى فرعون وقومه) فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا {36}. ملحوظة: الترتيب الأكثر دقة لأحداث القصة هو: وَجَعَلْنَا مَعَ موسى أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا؛ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى فرعون وقومه فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا؛ ثم آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ (أى: التوراة). بصفة عامة وكالعادة، لا يمكن الاعتماد على القرآن لمعرفة ترتيب أحداث القصة، ولا بد من الرجوع إلى القصة الأصلية فى التوراة لمعرفة التفاصيل وترتيب الأحداث.

وقال صاحب رواية سورة المؤمنون: ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ (أى: برهان) مُبِينٍ {45} إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ (أى: كبار رجال دولته)[6075] فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ {46} فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا (بنو إسرائيل) لَنَا عَابِدُونَ (أى: خاضعون لنا ومطيعون كالعبيد) {47} فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (بالغرق فى البحر) {48} وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ (أى: التوراة) لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ {49}. ونلاحظ أن صاحب هذه الرواية يزعم أن فرعون وملئه رفضوا أن "يؤمنوا" بموسى وهارون "فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا" (المؤمنون 47)! وهذا طبعاً كلام ليس له أى دليل تاريخى ولا حتى دليل كتابى، إذ أنه لا ينطبق على قصة الخروج التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage)، وإنما ينطبق أكثر على حياة محمد الذى رفض قومُه أن يؤمنوا به لنفس السبب (الأنعام 91) (الأنبياء 3) (الإسراء 94). إذن: قصة الخروج القرآنية هى مجرد قصة أدبية تهدف إلى العِظة والعِبرة، وليس التأريخ. وسنثبت ذلك بالأدلة القرآنية وغير القرآنية.

وقال صاحب رواية سورة الزخرف: وَاسْأَلْ [يا محمد] مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ {45} وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {46} فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ {47} وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {48} وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ (أن يكشف عنا العذاب) إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ {49} فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (أى: ينقضون عهدهم) {50} وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ {51} أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا (أى: بل أنا أفضل مِن موسى) الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ {52} فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ {53} فَاسْتَخَفَّ (فرعونُ) قَوْمَهُ (أى: استهان بعقولهم؛ احتقر شخصياتهم وأفكارهم) فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ {54} فَلَمَّا آسَفُونَا (أى: أغضبونا) انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {55} فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا (أى: سابقين) وَمَثَلًا (أى: عِبرةً متقدمةً) لِلْآخِرِينَ (أى: لغيرهم؛ لمَن يأتون بعدهم مِن المتأخرين) {56}.

وقال صاحب رواية سورة الذاريات: وَ (جعلنا) فِي (قصة) مُوسَى (آية) إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (أى: حُجة واضحة) {38} فَتَوَلَّى (فرعونُ) بِرُكْنِهِ (أى: بقوته، بجنوده) وَقَالَ (إن موسى) سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ {39} فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ (أى: البحر) وَهُوَ مُلِيمٌ (أى: مقترف ما يُلام عليه) {40}.

صاحب رواية سورة الدخان تحدث عن محمد وكفار مكة (الدخان 10-16) ثم انتقل بكل سلاسة وسهولة إلى الحديث عن موسى وفرعون (الدخان 17-33): فَارْتَقِبْ (أي: فانتظر يا محمد) يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ {10} يَغْشَى النَّاسَ [فيقولون] هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ {11} رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ (أي: إنْ كشفته عنا) إِنَّا مُؤْمِنُونَ {12} أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (هو: محمد) {13} ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ (أيْ: يُعَلِّمهُ بَشَرٌ) مَجْنُونٌ {14} إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا [ولكن بعد كشفه عنكم] إِنَّكُمْ عَائِدُونَ [إِلَى كُفْرِكُمْ، فَعَادُوا إِلَيْهِ] {15} [فانتظروا] يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى (قيل: يوم بدر؛ وقيل: يوم القيامة) إِنَّا مُنْتَقِمُونَ {16} وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ (أى: قبل كفار مكة) قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (هو: موسى) {17} أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ (هُمْ: بنى إسرائيل) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {18} وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ {19} وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (أي: تقتلوني رجماً بالحجارة؛ وقيل: تطردوني[6076]) {20} وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ {21} فَدَعَا (موسى) رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ {22} فَأَسْرِ (يا موسى) بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ {23} وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا (أى: ساكناً مفتوحاً، على هيئته بعد ضربه بالعصا) إِنَّهُمْ (أى: فرعون وجيشه) جُنْدٌ مُغْرَقُونَ {24} كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {25} وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {26} وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ {27} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ {28} فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (أى: مؤخَّرين عن العقوبة) {29} وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ {30} مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ {31} وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ {32} وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ {33}.

وفى قراءة أخرى لـ (الدخان 31)[6077]: "مَنْ فِرْعَوْنُ"، بمعنى: هل تعرفون مَن هو فرعون؟ والإجابة فى نفس الآية: "إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ" (الدخان 31). وفى رواية أخرى: "إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ" (يونس 83). أى: جعل القرآنُ "فرعونَ" مرادفاً للاستعلاء والاستكبار والإسراف فى الشر والظلم والطغيان.

"ونلاحظ أن ما جاء فى سورة الدخان جاء منسجماً تماماً مع الحديث عن أهل مكة؛ فهو يحمل فى ثناياه التهديد والوعيد كما يطمئن فى ثناياه الرسول ﷺ والمؤمنين"[6078].

ونلاحظ أيضاً أن صاحب رواية سورة الدخان قد وضع على لسان موسى جملة "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" (الدخان 18). وهى نفس الجملة التى قالها نوح لقومه (الشعراء 107)! وقالها هود لقومه (الشعراء 125)! وقالها صالح لقومه (الشعراء 143)! وقالها لوط لقومه (الشعراء 162)! وقالها شعيب لأصحاب الأيكة (الشعراء 178)! صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا كتابة (rewrote) هذه القصص المتوارثة مستخدمين عبارات تلائم بيئتهم العربية فى القرن السابع الميلادى، بدليل أنهم استخدموا نفس العبارات الـ (formulaic) فى قصص مختلفة ولشخصيات مختلفة لغوياً وثقافياً وزمانياً ومكانياً. وكان أحد أهدافهم أن يجعلوا قصص الأنبياء والرسل السابقين مشابهة لحياة محمد، حتى يسهل عليهم إقناع أهل مكة بأن محمد نبي ورسول مثل الأنبياء والرسل السابقين. ولذلك نصح أصحابُ القرآن محمداً "قُلْ

مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ (أي: لست أول رسول من الرسل ولا تختلف رسالتي عن رسالتهم)" (الأحقاف 9) "هَٰذَا (أي: محمد؛ القرآن) نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ (أي: من جنس الأنبياء السابقين)" (النجم 56).

وقال صاحب رواية سورة هود: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ {96} إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ {97} (وكما قاد فرعونُ قومَه فى الدنيا إلى الهلاك بالغرق فى البحر) يَقْدُمُ (فرعونُ) قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ (أى: أدخلهم النارَ) وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (أى: قبُح المدخل الذى يدخلونه) {98} وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ (الدنيا) لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ (كذلك لعنة أخرى) بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (أى: قبُح العطاء المُعطَى لهم) {99}.

وقال صاحب رواية سورة النازعات: هَلْ أَتَاكَ (أى: قَدْ جَاءَك وَبَلَغَك) حَدِيثُ مُوسَى {15} إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى {16} اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (أى: تجاوز الحد فى الظلم والعدوان) {17} فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (أى: تتطهر) {18} وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى {19} فَأَرَاهُ (أى: فأرى موسى فرعونَ) الْآيَةَ الْكُبْرَى (قيل: العصا أو اليد أو كلتاهما) {20} فَكَذَّبَ (فرعونُ) وَعَصَى {21} ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (أى: يجتهد فى معارضة موسى) {22} فَحَشَرَ (فرعونُ السَّحَرَةَ) فَنَادَى {23} فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى {24} فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (أى: انتقم اللهُ مِن فرعون بعذاب الآخرة والدنيا)[6079] {25} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى {26}. لاحظ أن صاحب هذه الرواية يعترف مِن أول آية (النازعات 15) أن قصة "موسى وفرعون" قصة معروفة، لكنه لم يذكر اسمَ البطل "موسى" إلا مرة واحدة فقط (النازعات 15)، ولم يذكر الخصمَ "فرعون" إلا مرة واحدة فقط (النازعات 17)، ولم يذكر مهمةَ موسى الأصلية المذكورة فى التوراة وهى تحرير بنى إسرائيل مِن الاضطهاد فى مصر، بل لم يذكر بنى إسرائيل إطلاقاً! ليس هذا فحسب، بل جعل مهمةَ موسى هى "هداية" فرعون (النازعات 19) ودعوته إِلَى أَنْ "يَتَزَكَّى" (أى: يتطهر) (النازعات 18)! وهذا طبعاً لا ينطبق على موسى وإنما ينطبق أكثر على محمد الذى كانت مهمته هى هداية قريش فى مكة ودعوة الإنسان إلى أن "يَتَزَكَّى (أى: يتطهر)" (الليل 18) (عبس 3) (الأعلى 14).

نستطيع إذن أن نقول إن صاحب رواية سورة النازعات قد حَوَّل البطلَ "موسى" وخصمَه "فرعون" إلى مجرد رمزين أو فكرتين يحلقان فى الهواء (dans un milieu arien) ولا يرتبطان بزمان أو مكان معين. البطل يرمز إلى الخير فى أى زمان ومكان (موسى فى مصر / محمد فى مكة / ...) بينما الخصم يرمز إلى الشر فى أى زمان ومكان (فرعون فى مصر / قريش فى مكة / ...). وهدف الرواية هو التركيز على شرور الخصم (النازعات 21-24) وعقاب الله له فى الدنيا والآخرة (النازعات 25) وتقديم هذه القصة المعروفة – أو بعبارة أكثر دقة: إعادة تقديمها – باعتبارها "عِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى" (النازعات 26). إنها إذن قصة أدبية تهدف إلى العظة والعِبرة، وليست قصة تاريخية تسرد أحداثاً حقيقية.

حاول بعض الكتاب المسلمين المعاصرين أن يدافعوا عن القرآن. فقال د. حسن الباش إن "دعوة فرعون للتوحيد هى الهدف الأول الذى أرسل موسى لأجله. أما دعوة موسى فرعون لرفع الظلم عن بنى

إسرائيل فهو هدف لاحق. أو أنه يأتي في المقام الثاني مِن مهمة هذا النبي"[6080]؛ واستدل د. صلاح الخالدي بالقرآن لكي يثبت أن "خلاصة دعوة موسى إلى فرعون أن يؤمنَ بالله، [...]"، وأن الله أخبر موسى "أنه مبعوث إلى فرعون وقومه" (أي: إلى جميع الشعب المصرى!)، وأن الله بعث موسى "رسولاً إلى فرعون وملئه قبل أن يبعثه رسولاً إلى قومه بنى إسرائيل، وبدأ موسى بدعوة فرعون وقومه قبل أن يدعو بنى إسرائيل"[6081]! أو كما قالت موسوعة بيان الإسلام إن موسى "طلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون فيكون كل منهما رسولاً يتعاونان فى دعوة فرعون وقومه إلى الله، وإصلاح حال بنى إسرائيل"، وقالت الموسوعة أيضاً إن القرآن "يقدم لنا موسى وهارون – عليهما السلام – رسولين من رب العالمين جاءا برسالة تهدى الناس إلى الحق والخير، هذا هو الهدف الأول، والهدف الثانى هو: إنقاذ بنى إسرائيل من ذل وعبودية فرعون"[6082]. وطبعاً هذا الكلام فى المراجع الإسلامية الحديثة مُستمَد مِن المراجع الإسلامية التراثية القديمة. بل إننا فى المراجع القديمة نجد ما هو أعجب وأكثر غرابة. على سبيل المثال، قال ابن كثير إن الله بعث موسى إلى فرعون وقومه "نذيراً، يدعوهم إلى الله عز وجل، أن يعبدوه وحده لا شريك له"[6083]! وقال الطبرى إن موسى "كان يدعو إلى دين إبراهيم"[6084]!

ونحن نقول للطبرى ولابن كثير ولغيره من المسلمين المعاصرين: موسى لم يكن صاحب دعوة عامة (universal) للناس جميعاً، وإنما كانت دعوته إلى التوحيد خاصة ببنى إسرائيل فقط. هذا ما يقوله الكتاب المقدس وأيضاً ما يُفهَم مِن كتب السُّنَّة[6085]. ومِن ثم، فإن القرآن قد أخطأ حين زعم أن موسى دعا فرعونَ وقومَه المصريين إلى عبادة الإله الواحد. والأقرب إلى العقل والمنطق هو ما جاء فى التوراة، وهو أن مهمة موسى هى تخليص بنى إسرائيل. ونحن لا نقول ذلك دفاعاً عن التوراة، فنحن لا ندافع ولا نهاجم، وإنما نقرأ هذه النصوص الدينية قراءة عقلانية. وعلى أى حال، اعطونا دليلاً تاريخياً واحداً على أنه فى يوم مِن الأيام كان يوجد شخص اسمه "موسى" دعا إلى دين إبراهيم أو دعا فرعون مصر للتوحيد. أو اعطونا مخطوطة واحدة للتوراة تقول إن هدف "موسى" الأول هو دعوة فرعون وقومه إلى الإيمان بالله الواحد. ولا تقولوا لنا إن التوراة "مُحرَّفة". فليس مِن المعقول تحريف كل المخطوطات القديمة بكل اللغات. ومَا مصلحة اليهود أن يحذفوا مِن التوراة أن موسى دعا المصريين القدماء إلى الإيمان بالإله الواحد؟! إن لم تعطونا هذه الأدلة – ولن تعطونا إياها – فليس أمامكم سوى الاعتراف بأن أصحاب القرآن قد قاموا بـ "أسلمة" قصة خروج بنى إسرائيل مِن مصر، واستعانوا على ذلك بأحداث مِن حياة محمد الذى دعا قريش وكبراء مكة للتوحيد ونَبْذ الشرك والوثنية.

بعبارة أخرى: أراد أصحاب القرآن أن يجعلوا محمداً "موسى ثاني" (a second Moses)[6086]، أو "موسى الجديد" (New Moses)، "موسى العرب" (the Moses of the Arabs)[6087]، الذى سيخلِّص المسلمين الأوائل مِن الاضطهاد فى مكة[6088]، كما خلَّص "موسى الأول" بنى إسرائيل من الاضطهاد فى مصر. ولكى ينجحوا فى ذلك، كان لا بد مِن تحريف القصة اليهودية/المسيحية المعروفة (قصة الخروج)

– أو بالأحرى: أسلمتها وتعريبها – بحيث تصبح قريبة مِن قصة حياة النبى العربى محمد، فجعلوا موسى يدعو فرعون للتوحيد كما كان محمد يدعو قريش وكبراء مكة للتوحيد.

أو كما قالت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) عن العلاقة الرمزية (typological) بين "موسى" القرآني (the qurʾānic Moses) ومحمد[6089]:

> The topics in the qurʾānic account of Moses go back to biblical and post-biblical narratives. […] This does not mean, however, that the qurʾānic Moses fully corresponds to the Moses of the Jewish tradition. The Qurʾān has its own point of view and its own interpretation of the older narrative material. The essential feature of the allusions to the past is a typological interpretation of the earlier narratives, by which the biography of Moses is seen in the light of the biography of Muḥammad.

وقالت موسوعة (Encyclopædia of Islam) إن "موسى" فى القرآن يُعتبَر "النموذج" (the model) لمحمد، فلقد تم تصوير "موسى" بحيث يكون فى صورة محمد (conceived in Muḥammad's image)، بمعنى أن التهم التى وُجِّهَت إلى "موسى" القرآنى مِن معاصريه تشبه التهم التى وُجِّهَت إلى محمد مِن معاصريه. ثم أضافت الموسوعةُ أن صورة "موسى" فى القرآن مُكوَّنة من عناصر كتابية (Biblical) وأجادية (Haggadic) (أى: القصص والأساطير اليهودية) وعناصر جديدة[6090].

نحن إذن على حق إذا قلنا إن قصة "موسى" فى القرآن هى مجرد رؤية عربية/إسلامية لقصة "موسى" فى التراث اليهودى/المسيحى. وكما نقول دائماً: القرآن – بل الإسلام بصفة عامة – هو مجرد منتج ثقافي (cultural artifact) يُدخِل التراث اليهودى/المسيحى فى التراث العربى.

باختصار: أراد أصحابُ القرآن أن يجعلوا محمداً نبياً "مِثْل مُوسَى" (التثنية 15:18) (التثنية 10:34). لكن المشكلة هي أن موسى التوراتي مختلف عن محمد، ولا يستطيع أصحابُ القرآن أن يغيروا موسى التوراتي. فلجأوا إلى حيلة ذكية: خلقوا موسى القرآني وجعلوه نبياً ورسولاً يشبه محمدا!

نعود إلى الروايات القرآنية المختلفة ...

قال صاحب رواية سورة الصافات: وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ {114} وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {115} وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ {116} وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (وهو التوراة) {117} وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ[6091] {118} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا (ثناءً حسناً) فِي الْآخِرِينَ (الذين جاءوا

مِن بعدهم) {119} سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ {120} إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {121} إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {122}.

وقال صاحب رواية سورة القمر: وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ {41} كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ {42} أَكُفَّارُكُمْ (يا معشر قريش) خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ (مِن عقاب الله) فِي الزُّبُرِ (أى: فى الكتب "السماوية") {43}.

أما تفاصيل قصة الخروج القرآنية فنجدها فى روايات قرآنية كثيرة، كما سنشرح فى الفصول التالية التى ستوضح كل النقاط التى ذكرناها فى هذا المدخل الوجيز.

ويجب هنا أن نؤكد على أن الحديث عن قصة "خروج بنى إسرائيل من مصر" – أو أى قصة قرآنية أخرى – يستلزم الإجابة على ثلاثة أسئلة مهمة:

السؤال الأول يتعلق بالتراث الأدبي. ما علاقة هذه القصة القرآنية بتراث الشرق الأوسط القديم: ما هى جذور هذه القصة القرآنية فى تراث الشرق الأوسط القديم، سواء تراث الديانات الإبراهيمية أو تراث الديانات غير الإبراهيمية؟ وكيف تطور هذا التراث الشرقي تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى وصل إلى الصورة التى نراها الآن فى القرآن؟

السؤال الثانى يتعلق بالعلم والتاريخ. ما علاقة هذه القصة القرآنية بالتاريخ: هل هذه القصة القرآنية قصة حقيقية؟ أم هى مجرد خيال؟ أم هى مزيجٌ من الحقيقة والخيال؟ مزيجٌ من التاريخ والأسطورة.

السؤال الثالث يتعلق بالبشر. ما السبب الذي جعل أصحاب القرآن يهتمون بهذه القصة ويضعونها في القرآن؟ وبخاصة إذا كانت تلك القصة القرآنية قصة طويلة ومتكررة في أكثر من سورة؛ أو إذا كانت القصة الأصلية قصة هامشية وثانوية لكن القرآن ضخّمها وسلّط عليها الضوء أكثر من اللازم.

أصحاب القرآن بشر لهم طموحات وتطلعات ومشاعر، ومِن المؤكد أنهم وظّفوا مشروعهم الفكري (القرآن) من أجل تحقيق مصالحهم الدنيوية.

حسب التقليد الإسلامي، عملية إنتاج القرآن استغرقت 23 عاماً، وهي فترة طويلة جداً، ونحن نقول: ربما أكثر من 23 عاماً. ومع ذلك، نجد أن القرآن – بكل ما فيه من تكرار – كتاب صغير نسبياً، في حجم رواية من روايات الجيب! إذن: من المؤكد أن أصحاب القرآن كانوا ينتقوا ويختاروا ما يدونوه في القرآن. فلماذا اختاروا قصةً معينة وتركوا قصةً أخرى؟ وما هي الجذور الأدبية لتلك القصة؟ وما علاقتها بالتاريخ، إنْ كان لها علاقة؟

الأسئلة الثلاثة مهمة. ولا يصح أن نجيب على أحدهم وننسى الآخر. وإذا لم نستطع أن نجيب على واحدٍ مِن هذه الأسئلة الثلاثة، فسنتركه للأجيال القادمة من الباحثين والدارسين.

4.26 أُمّ سارجون تقذف ابنَها في النهر! فيأخذه النهرُ إلى قصر المَلِك!

نبدأ حديثنا عن موسى وفرعون بقصة ميلاد موسى التى ذكرها القرآن فى روايتين هما حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن(6092):

تحدث صاحب رواية سورة طه عن مولد موسى حديثاً مجملاً: وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ (يا موسى) مَرَّةً أُخْرَى {37} إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى {38} أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ (أى: الصندوق) فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ (أى: نهر النيل) فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ (فِرْعَوْنُ) عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ (يا موسى) مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي {39} إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ (لآل فرعون) هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ (ترضعك وَ) تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ [...] {40}.

أما صاحب رواية سورة القصص فتحدث عن مولد موسى حديثاً مفصلاً: نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ(6093) لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {3} إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا (أى: فرقاً أو طوائف) يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ (هُمْ بنو إسرائيل) يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ (أى: يقتل الذكور ويترك الإناث أحياء) إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ {4} وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ {5} وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ {6} وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ {7} فَالْتَقَطَهُ (أى: انتشله) آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ {8} وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (son) وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {9} وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا (مِن كل شىء مِن أمور الدنيا إلا مِن موسى؛ وقيل: فارغاً مِن الوحى الذى أُوحى إليها) إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ (أى: قاربت أن تُخْبِر الناسَ بفعلتِها؛ قاربت أن تُظهِر أنه ابنها) لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا (أى: ثبَّتناها؛ صبَّرناها) لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (بوعد الله الموقنين بتحقيقه) {10} وَقَالَتْ (أُمّ مُوسَى) لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ (أى: تتبعي أثره لتعلمي خبره) فَبَصُرَتْ (أخْتُ موسى) بِهِ عَنْ جُنُبٍ (أى: مِنْ بَعِيدٍ) وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {11} وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ (أخْتُ موسى لآل فرعون) هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ {12} فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ (ترضعه وَ) تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {13}.

وما يلفت نظرنا فى هذه القصة القرآنية هو كثرة الشخصيات النسائية التى تعمل فى سبيل الله وضد خطط فرعون. ورغم ذلك، لم يذكر القرآن أسماءهن! هذه الشخصيات النسائية هى:

- **الأم المجهولة:** أم موسى. لا نعرف اسمها! قيل إن اسمها "محيانة"، وقيل "يوخابذ" أو "يوخابد" أو "يوكابد"، وقيل "يارخا" أو "أيارخا"، وقيل "يارخت"، وقيل "أياذخت"، وقيل "باختة"، وقيل غير ذلك(6094)!

- **<u>الأخت المجهولة:</u>** أخت موسى الكُبرى. لا نعرف اسمها! قيل إن اسمها "مريم بنت عمران"، وقيل: "كلثم بنت عمران"[6095]!

- **<u>الزوجة المجهولة:</u>** "امرأة فرعون"؛ سيدة مصر الأولى. لا نعرف اسمها! ولم يذكر القرآنُ "امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ" بعد ذلك إلا حين جعلها مثلاً فى الإيمان: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (التحريم 11)! الرأى السائد فى المراجع الإسلامية هو أن اسمها "آسِيَة"، واستدلوا على ذلك بما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن "امرأة فرعون" اسمها "آسِيَة"، وروى أحمد فى مسنده أن اسمها "آسِيَة بنت مُزَاحِم"[6096]! وهو اسم عربى! وطبعاً لم نجد امرأة بهذا الاسم العربى فى الآثار المصرية القديمة. فلجأوا إلى حيلة "تقريب الأسماء" فقال أحدهم إنها "إيست نفرت"[6097] (Isetnofret) زوجة رمسيس الثانى (Rameses II) وأم ابنه "مِرنبتاح (منفتاح)" (Merneptah)! لكن الآثار المصرية القديمة لم تذكر أن زوجة رمسيس الثانى كانت مؤمنة بالإله الواحد والآخرة و "الجَنَّة" (التحريم 11)! إنها إذن مجرد عملية "تعريب" و "أسلمة" أدخلها أصحابُ القرآن ورواة الأحاديث والمفسرون على القصة التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage)، فقاموا بتعريب الاسم وأسلمة صاحبة الاسم. وعلى الجانب الآخر، وجدنا كاتباً عربياً مسلماً يشكك فى كون "آسِيَة بنت مُزَاحِم" هى "امرأة فرعون" التى تبنَّت موسى، إذ يتساءل تحت عنوان "أسئلة بشأن امرأة فرعون ليس عليها جواب يقينى"، ويقول: "وهل آسِيَة بنت مُزَاحِم هى التى استقبلت موسى الوليد، وأحبته وتبنَّته؟ لا نملكُ تحديدَ ذلك"[6098]! ونحن بصراحة لا نلومه على هذه الأسئلة المشروعة، وإنما نلوم أصحاب القرآن الذين لم يحددوا اسم "امرأة فرعون" ولم يحددوا هل "امرأة فرعون" المذكورة فى القرآن المكى (القصص 9) هى هى نفسها "امرأة فرعون" المذكورة فى القرآن المدنى (التحريم 11). والأهم من كل ذلك: هل يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن المصريين القدماء كانوا يشيرون إلى زوجة ملك مصر بقولهم "امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ" (القصص 9) (التحريم 11)؟!

4.26.1 جذور القرآن فى التوراة والتراث اليهودى

كالعادة، لم يأتِ أصحابُ القرآن بشيء جديد يُذكَر. إذ أن قصة ميلاد موسى معروفة ومذكورة فى التوراة قبل القرآن بمئات السنين. وتحديداً فى سفر الخروج (Exodus) الذى يبدأ بموت يوسف وَكُل إِخْوَتِهِ، وقيام ملك جديد على أرض مصر.

(الخروج 1): {6} وَمَاتَ يُوسُفُ وَكُلُّ إِخْوَتِهِ وَجَمِيعُ ذلِكَ الْجِيلِ. {7} وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَأَثْمَرُوا وَتَوَالَدُوا وَنَمَوْا وَكَثُرُوا كَثِيرًا جِدًّا، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْهُمْ. {8} ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ **[⟵ "إِنَّ فِرْعَوْنَ**

عَلَا فِي الْأَرْضِ" (القصص 4)] لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. {9} فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا. {10} هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا، فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ». {11} فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ **[← "يَسْتَضْعِفُ (فرعونُ) طَائِفَةً مِنْهُمْ (هُمْ بنو إسرائيل)" (القصص 4)]**، فَبَنَوْا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْ مَخَازِنَ: فِيثُومَ (Pithom)، وَرَعَمْسِيسَ (Raamses). {12} وَلكِنْ بِحَسْبِمَا أَذَلُّوهُمْ هكَذَا نَمَوْا وَامْتَدُّوا. فَاخْتَشَوْا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. {13} فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ، {14} وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَل فِي الْحَقْلِ. كُلِّ عَمَلِهِمِ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا **[← "(بنو إسرائيل) لَنَا عَابِدُونَ" (أى: خاضعون لفرعون ومطيعون كالعبيد) (المؤمنون 47) "عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (أى: جعلتهم عبيداً) (الشعراء 22)]**.

(الخروج 1): {15} وَكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قَابِلَتَيِ الْعِبْرَانِيَّاتِ (Hebrew midwives) اللَّتَيْنِ اسْمُ إِحْدَاهُمَا شِفْرَةُ وَاسْمُ الأُخْرَى فُوعَةُ، {16} وَقَالَ: «حِينَمَا تُوَلِّدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكَرَاسِيِّ، إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلاَهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَا **[← "يُذَبِّحُ (فرعونُ) أَبْنَاءَهُمْ (أى: ذكور بنى إسرائيل) وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ (أى: يترك الإناث أحياء)" (القصص 4)]**». {17} وَلكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ خَافَتَا اللهَ وَلَمْ تَفْعَلاَ كَمَا كَلَّمَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ، بَلِ اسْتَحْيَتَا الأَوْلاَدَ. {18} فَدَعَا مَلِكُ مِصْرَ الْقَابِلَتَيْنِ وَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا فَعَلْتُمَا هذَا الأَمْرَ وَاسْتَحْيَيْتُمَا الأَوْلاَدَ؟» {19} فَقَالَتِ الْقَابِلَتَانِ لِفِرْعَوْنَ: «إِنَّ النِّسَاءَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لَسْنَ كَالْمِصْرِيَّاتِ، فَإِنَّهُنَّ قَوِيَّاتٌ يَلِدْنَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَهُنَّ الْقَابِلَةُ». {20} فَأَحْسَنَ اللهُ إِلَى الْقَابِلَتَيْنِ، وَنَمَا الشَّعْبُ وَكَثُرَ جِدًّا. {21} وَكَانَ إِذْ خَافَتِ الْقَابِلَتَانِ اللهَ أَنَّهُ صَنَعَ لَهُمَا بُيُوتًا **[← "رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (التحريم 11)]**. {22} ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَوْنُ جَمِيعَ شَعْبِهِ قَائِلاً: «كُلُّ ابْنٍ يُولَدُ تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ، لكِنَّ كُلَّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا **[← "يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ" (القصص 4)]**».

إذن: تحدثنا هذه القصة التوراتية←القرآنية عن قتل الأطفال الذكور من بنى إسرائيل. سؤال: لو كانت هذه المذبحة قصة حقيقية، فكيف استطاع هارون (أخو موسى الأكبر) أن يفلت منها؟! للإجابة على هذا السؤال، لجأ غير واحد من المفسرين المسلمين إلى أسطورة تقول إن فرعون قرر أن يقلل من قتل الأطفال الذكور، فيعفو عن أطفال سنة ويقتل أطفال سنة. فوُلِد هارون فى سنة لا قتل فيها! تعليقنا: لو الحكاية كده، كان المفروض أم موسى تعمل "تنظيم نسل" وتلد موسى أيضاً فى سنة لا قتل فيها.

ويجب هنا أن نقول إنه لا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن هذه المذبحة المزعومة قد حدثت فعلاً، فهى إذن مجرد فكرة خيالية أو أسطورة لا تصمد أمام العقل. ولذلك يضطر المسلمون إلى اختراع أساطير أخرى للدفاع عنها. وهكذا نرى دائماً أن كل أسطورة تؤدى إلى أسطورة أخرى أكبر منها.

ميلاد موسى. **(الخروج 2):** {1} وَذَهَبَ رَجُلٌ (هو: أبو موسى) مِنْ بَيْتِ لاَوِي وَأَخَذَ (أى: تزوج) بِنْتَ لاَوِي (هى: أم موسى)، {2} فَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتِ ابْنًا (son) (هو: موسى). وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، خَبَّأَتْهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ **[← "وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ" (القصص 7)]**. {3} وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ **[← "فَإِذَا**

خِفْتِ عَلَيْهِ (لأنه مولود إسرائيلى ذكر فسيقتله فرعونُ إذا وجده)" (القصص 7)]، أَخَذَتْ (أم موسى) لَهُ سَفَطًا (أي: سلةً basket) **[⟵ "التَّابُوتِ"[6099] (طه 39)]** مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحُمَرِ وَالزِّفْتِ، وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ (موسى) فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ **[⟵ "إِذْ أَوْحَيْنَا (يا موسى) إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ (أى: النهر) فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ" (طه 38-39) "فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي" (القصص 7)]**.

ونلاحظ هنا اختلافاً خطيراً بين القصة التوراتية الأصلية والقصة القرآنية العربية. يقول القرآنُ إن الله هو الذى "أوحى" إلى أُم موسى أن تقذف ابنها فى النيل!

وكالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فى كيفية هذا "الوحي" إلى أم موسى (طه 38) (القصص 7)[6100]. وكالعادة أيضاً، كل فريق يؤيد كلامَه بآيات أخرى من القرآن!

- قيل إنه ليس بوحي نبوة، لأن النبوة خاصة بالرجال فقط (يوسف 109) (النحل 43). وإنما هو وحي إلهام وإرشاد، كما قال القرآن فى موضع آخر: "وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ [...]" (النحل 68). اقرأ أيضاً: "وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا (أي: خَلَق ورتَّب ما أراده فيها)" (فصلت 12)؛ "بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (أي: أمر الْأَرْضَ)" (الزلزلة 5).
- وقيل إنه وحي جاءها على لسان نبى فى زمانها، أى: وحى غير مباشر. واستدلوا على ذلك بقول القرآن: "وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ (أى: مِن خلال المسيح) [...]" (المائدة 111). وقيل إن هذا النبى هو "مؤمن آل فرعون" وقيل إنه هو الذى صنع "التَّابُوت" (طه 39)!
- وقيل إنه وحي عن طريق إرسال مَلَك (قيل: جبريل؛ وقيل غيره) تمثل لها بشراً وأخبرها بذلك، كما حدث لمريم العذراء أم عيسى (مريم 17-21) (آل عمران 42، 45)، أو كما حدث لسارة أُم إسحاق فى حضور إبراهيم (هود 71) (الذاريات 28-30). لكن هذا لا يعنى أن أُم موسى نبية. قال القرطبى: "وأجمعَ الكلُّ على أنها لم تكن نبيَّة"[6101].
- وقيل إنه وحي عن طريق المنام (الرؤيا).

تعليقنا: كالعادة، المشكلة ليست فى المفسرين المجتهدين، وإنما فى أصحاب القرآن الذين لم يحددوا كيفية هذا الوحي الإلهي المزعوم، ولم يحددوا كيف تأكدت أم موسى أن هذا وحي مِن الله وليس وساوس مِن الشيطان؟!

(الخروج 2): {4} وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ (أى: أخت موسى) مِنْ بَعِيدٍ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ **[⟵ "وَقَالَتْ (أُمّ مُوسَى) لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ (أى: تتبعى خط سيره لتعلمى خبره) فَبَصُرَتْ (أخت موسى) بِهِ عَنْ جُنُبٍ (أى: مِنْ بَعِيدٍ) وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (القصص 11)]**. {5} فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ **[⟵ "امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ" (القصص 9)]** إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ **[⟵ "فَالْتَقَطَهُ (أى: انتشله) آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا" (القصص 8) "يَأْخُذْهُ (فِرْعَوْنُ) عَدُوٌّ لِي**

وَعَدُوٌّ لَهُ" (طه 39)]. {6} وَلَمَّا فَتَحَتْهُ (أى: وَلَمَّا فتحت ابنةُ فرعون التابوتَ) رَأَتِ الْوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ يَبْكِي. فَرَقَّتْ لَهُ **[← "وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي" (القصص 9) "وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ (يا موسى) مَحَبَّةً مِنِّي" (طه 39)]** وَقَالَتْ: «هذَا مِنْ أَوْلاَدِ الْعِبْرَانِيِّينَ».

لاحظنا فى الفقرة السابقة أن التوراة تقول إن إحدى الجوارى (دون تحديد اسمها) التقطت التابوت ثم أعطته إلى "ابنة فرعون". وفى العهد الجديد أيضاً أنها "ابنة فرعون": "وَلَمَّا نُبِذَ [موسى]، اتَّخَذَتْهُ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ وَرَبَّتْهُ لِنَفْسِهَا ابْنًا" (أعمال الرسل 21:7) "بِالإِيمَانِ مُوسَى لَمَّا كَبِرَ أَبَى أَنْ يُدْعَى ابْنَ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ" (العبرانيين 24:11). كذلك هى "ابنة فرعون" فى التوراة العبرية والتوراة السامرية والترجمة السبعينية ومخطوطات البحر الميت والبشيطا. إذن: تؤكد جميع المخطوطات القديمة للكتاب المقدس أن موسى قد وصل فى النهاية إلى "ابنة فرعون" وأنها أرادت أن تتخذ موسى "ابْنًا" (أى: تتبناه).

أما إذا نظرنا فى كتاب القرآن العربى فسنجد أن صاحب رواية سورة طه لم يذكر ابنة فرعون ولا امرأة فرعون، وإنما قال: "يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ" (طه 39)، أى: يَأْخُذْهُ فِرْعَوْنُ! أما صاحب رواية سورة القصص فقال: "فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ (دون تحديد اسم مَن التقطه) [...] وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ (لفرعون) قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (أي: نَتَبَنَّاه)" (القصص 8-9). إذن: رواية سورة القصص هى الأقرب لما جاء فى الكتاب المقدس، إذ يُفهَم مِن السياق أن موسى قد وصل فى النهاية إلى "امرأة فرعون"، وأنها أرادت أن تتخذ موسى "وَلَدًا" (أى: تتبناه).

لكن لا نعلم على وجه اليقين لماذا غيّر صاحبُ (القصص 8-9) هذه الشخصيةَ النسائية مِن "ابنة فرعون" إلى "امرأة فرعون"؟ ربما كانت مجرد غلطة غير مقصودة. وربما أراد عمداً أن يجعلها أكبر سناً حتى تصلح لكى تتبنى موسى وتصير له أماً بالتبني (القصص 9) أو حتى تستطيع أن تواجه فرعونَ وجنوده وتمنعهم مِن قتل موسى "لَا تَقْتُلُوهُ" (القصص 9) أو حتى تصلح لكى يُضرَب بها المثل فى الإيمان (التحريم 11). وربما أيضاً أراد أن يجعلها متزوجةً، لأنه مِن الصعب على المجتمع العربي أن يقبل فكرةَ أن فتاة غير متزوجة تتبنى طفلاً ذكراً. وربما عرف أن "ابنة فرعون" لمَّا كبرت تزوجت من "فرعون" آخر، فصارت بذلك "امرأة فرعون"، أى أنها "ابنة فرعون" وأيضاً "امرأة فرعون". وربما تأثراً بقصة يوسف؛ حيث نجد أن الشخصية المقابلة كانت "امرأة" العزيز (فوطيفار) وليست ابنة العزيز[6102]. وربما لأكثر مِن سبب مما سبق. أما العالِم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds)، فنفهم من تحليله لقصة موسى القرآنية أن صاحب (القصص 9) قد جعل موسى ابنَ "امرأة فرعون" بالتبني ليكون موسى ابنَ فرعون بالتبني أيضاً "وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ [لفرعون] قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ" (القصص 9)، ومِن ثم يشجع المسلمين الأوائل على دعوة آبائهم إلى التوحيد (كما فعل موسى القرآني مع أبيه فرعون) والتبرؤ من آبائهم إذا أصروا على الكفر (كما فعل موسى القرآني مع أبيه فرعون). بعبارة أخرى: أراد صاحبُ (القصص 9) أن يؤكد على أن الإيمان يعلو فوق العلاقات الأسرية (faith over family)، وهي فكرة قرآنية تكررت في قصص قرآنية أخرى مثل

قصتي إبراهيم ونوح[6103]. وهذا يعني أن تغيير هذه الشخصيةَ النسائيةِ مِن "ابنة فرعون" إلى "امرأة فرعون" حدث لأسباب دينية واجتماعية تتعلق بالمسلمين الأوائل (قصة محمد) ولا تتعلق بقصة موسى نفسها.

ثم أضاف صاحبُ رواية سورة القصص معلومةً لا وجود لها فى الكتاب المقدس، بل لا وجود لها فى أى موضع آخر مِن القرآن، وهى أن امرأة فرعون قالت لملأ فرعون (أو: جنود فرعون): "لَا تَقْتُلُوهُ (أى: لَا تَقْتُلُوا موسى)" (القصص 9). السؤال: مِن أين أتى صاحب هذه الرواية القرآنية بهذه الجملة؟ هل بوحى من الله؟ الإجابة: لا، وإنما بوحى مِن "يوسيفوس" (Josephus) اليهودى (حياته: 37-100م تقريباً). فلقد زعم يوسيفوس[6104] أن ابنة فرعون أخذت الطفلَ موسى ووضعته بين ذراعى فرعون **[⟵ "وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ (يا فرعون)" (القصص 9)]**، فأخذ فرعونُ تاجَه الملكى (his diadem) ووضعه على رأس موسى، إلا أن موسى رمى التاجَ الملكى على الأرض وداس عليه بقدميه! فأراد واحدٌ مِن رجال فرعون أن يقتل موسى، وقال لفرعون إن هذا الطفل العِبرانى هو الذى سيهدم مُلْك فرعون[6105] ولذلك يجب قتله الآن حفاظاً على أمن مصر. فأسرعت ابنة فرعون وانتزعت الطفلَ موسى مِن أيديهم لتمنعهم مِن قتله **[⟵ "وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ [...] لَا تَقْتُلُوهُ" (القصص 9)]**.

وهكذا نرى كيف استطاع اليهود أن يؤلفوا أساطير شيقة ومسلية. وبمرور الزمن تطورت هذه الأساطير اليهودية تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة إلى أن استقرت فى رواية سورة القصص التى يبدو أن صاحبها كان على دراية جيدة بالتراث اليهودى. ولعل هذا هو السبب الذى جعله يقول فى بداية روايته أنه سيتلو علينا "مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ" (القصص 3). ومِن حق اليهود أن يفتخروا بأن أساطير هم القديمة قد تحولت إلى قرآن يُتلَى ويُصلَّى به، وكمان وُصِفَت بأنها "الْحَقِّ"!

كما أضاف صاحبُ رواية سورة القصص معلومةً أخرى لا وجود لها فى الكتاب المقدس، بل لا وجود لها فى أى موضع آخر مِن القرآن، وهى: "وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ (أى: على موسى) الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ (أن نردَّه إلى أمه)" (القصص 12)، أى: مَنَعْنَا الطفلَ موسى مِنْ قَبُول ثَدْي أية مُرْضِعَة غَيْر أُمّه فَلَمْ يَقْبَل ثَدْي وَاحِدَة مِنْ الْمَرَاضِع الْمُحْضَرَة لَهُ. وهنا يجب أن نسأل سؤالين هامين:

- <u>السؤال الأول:</u> هل يُعقَل أن يكون ذلك قد حدث فعلاً؟! الإجابة: مستحيل. فلو كان هذا الوليد موسى قد رفض أثداء جميع الْمَرَاضِع الْمُحْضَرَة لَهُ، لكان ذلك أمراً غريباً جداً على طفل حديث الولادة، مما كان سيؤدى حتماً إلى أن يشك فرعونُ فى أمر هذا الرضيع المُضرب عن الرضاعة، ويشك أيضاً فى أمر هذه الفتاة الغريبة (أى: أخت موسى) التى استطاعت أن تتنبأ بأن موسى سيقبل ثدى المُرْضِعَة التى ستدلهم عليها: "هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ" (القصص 12) "هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ" (طه 40)، ويشك كذلك فى أمر هذه المُرضِعة (أى: أم موسى) التى استطاعت فى النهاية أن تقنع موسى بأن يُنهى إضرابَه! إنها إذن مجرد قصة خيالية، بل أسطورة، لا يقبلها العقل.

- السؤال الثانى: مِن أين أتى صاحب هذه الرواية القرآنية بهذه الأسطورة؟ هل بوحى من الله؟ الإجابة: لا، وإنما بوحى مِن التلمود البابلى (Sotah 12b)[6106] الذى يقول إن الجوارى حاولن أن يجعلن الطفل موسى يرضع مِن ثدى مُرْضِعَة مصرية، إلا أن موسى رفض جميع المُرْضِعَات المصريات ولم يقبل ثدى واحدة مِنهن. ولذلك اقترحت أُخْتُهُ أن تذهب وتدعو امْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ (الخروج 2:7)، وهكذا عاد موسى إلى أمه. ونفس الأسطورة موجودة عند يوسيفوس اليهودى (القرن الأول الميلادى)[6107]. وكما نقول دائماً: الأساطير اليهودية والإسرائيليات تسللت إلى القرآن، كما تسللت إلى كتب الأحاديث والتفاسير أيضاً.

أما مسألة إيمان "امرأة فرعون" بالله الواحد الأحد (التحريم 11)، فيبدو لنا أنها مجرد تطور بشرى طبيعى لِما قاله التلمود البابلى فى نفس الموضع السابق (Sotah 12b)[6108] تعليقاً على: "فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ" (الخروج 5:2). قال التلمود إن ابْنَة فِرْعَوْنَ **[⟵ "امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ" (التحريم 11)]** نَزَلَتِ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ لكى تزيل مِن على جسدها رجس أوثان أبيها فرعون (to wash off her body the filth of her father's idols) **[⟵ "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (التحريم 11)]**. وهكذا نجد دائماً أن كل آية قرآنية لها جذور فى تراث الشرق الأدنى القديم، مما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن هو مجرد تطور بشرى طبيعى لهذا التراث الدينى-الشعبى الذى توارثته الأجيال قبل ظهور الإسلام.

نعود إلى **(الخروج 2):** {7} فَقَالَتْ أُخْتُهُ (أى: أخت موسى) لابْنَةِ فِرْعَوْنَ: «هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكِ امْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتُرْضِعَ لَكِ الْوَلَدَ؟» **[⟵ "فَقَالَتْ (أُخْتُ موسى لآل فرعون) هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ" (القصص 12) "إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ (لآل فرعون) هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ" (طه 40)[6109]]** {8} فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «اذْهَبِي». فَذَهَبَتِ الْفَتَاةُ وَدَعَتْ أُمَّ الْوَلَدِ (أى: أمَّ موسى). {9} فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «اذْهَبِي بِهذَا الْوَلَدِ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أُجْرَتَكِ». فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الْوَلَدَ وَأَرْضَعَتْهُ **[⟵ "إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ" (القصص 7) "فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ (ترضعه وَ) تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ" (القصص 13) "فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ (ترضعك وَ) تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ" (طه 40)]**. {10} وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا **[⟵ "وَقَالَتِ (امرأة فرعون) [...] عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" (القصص 9)]**، وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ **[⟵ "فَالْتَقَطَهُ (أى: انتشله) آلُ فِرْعَوْنَ" (القصص 8)]**».

ونلاحظ هنا أن موسى العِبرانى قد دخل بيوت المصريين بنفس الطريقة التى دخل بها يوسف العِبرانى إلى بيوتهم وهى: التبنى. بل إن امرأة فرعون قالت نفس العبارة "عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" (القصص 9) التى قالها العزيزُ لامرأته فى قصة يوسف: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" (يوسف 21). صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا

كتابة (rewrote) هذه القصص المتوارثة مستخدمين عبارات تلائم بيئتهم العربية فى القرن السابع الميلادى، بدليل أنهم استخدموا نفس العبارات الـ (formulaic) فى مواقف مختلفة وقصص مختلفة.

ونلاحظ أيضاً فى هذه القصة التوراتية كثرة الشخصيات النسائية التى تعمل فى سبيل الله وضد خطط فرعون. هذه الشخصيات النسائية هى:

- أم موسى، واسمها يُوكَابَدَ (Jochebed) (الخروج 20:6) (العدد 59:26).
- القابلتان (أى: المولِّدتان) العبرانيتان شِفْرَةُ (Shiphrah) وَفُوعَةُ (Puah) (الخروج 15:1).
- ابنة فرعون، ولا نعرف اسمها! وربما أرادت التوراة عدم ذكر اسمها لأنها ليست عبرانية. أو ربما أرادت التوراة أن تخفى شخصية فرعون، ومِن ثم يجب عدم ذِكر اسم ابنته. وقيل إنها الأميرة "حتشبسوت" (Hatshepsut) ابنة الملك "تحتمُس الأول" (Thutmose I) التى صارت فيما بعد زوجة ابنِه الملك "تحتمُس الثانى" (Thutmose II) ومَلِكة مصر. أى أنها "ابنة فرعون" وأيضاً "امرأة فرعون". وقال يوسيفوس إن ابنة فرعون اسمها "ثرموسيس" (Thermuthis)[6110]! ولا ندرى مِن أين جاء بهذا الاسم العجيب!
- أخت موسى الكُبرى، وهي "مريم" حسب كتاب اليوبيلات: "كانت أمك [يا موسى] تأتي وترضعك في الليل، وأختك مريم تحميك في النهار من العصافير" (اليوبيلات 4:47)[6111]. إنها إذن: مريم النبيَّة (Miriam the prophetess) "أُخْت هَارُونَ" "ابْنَت عَمْرَام" (Amram) (بالميم وليس بالنون) (الخروج 20:15) (العدد 59:26) (1 أخبار الأيام 3:6). ونلاحظ هنا أن النبوة فى اليهودية والمسيحية ليست خاصة بالرجال فقط، وإنما النبوة للرجال والنساء. وهذا نوعٌ مِن التكريم للمرأة لا يعرفه الإسلامُ الذى يمنع المرأةَ أن تكون حتى قاضية[6112]!

ونحن نقول ذلك لنرد على ماكينة البروباجاندا الإسلامية التى تزعم أن الإسلام أنصف المرأةَ! نقول: المرأة قبل الإسلام كانت مَلِكة (المَلِكة حتشبسوت مثلاً). والمرأة قبل الإسلام كانت نبيَّة (مريم النبيَّة مثلاً). والمرأة قبل الإسلام كانت إلهة (الإلهة عشتار مثلاً). والمرأة "مريم العذراء" قبل الإسلام كانت "والدة الإله" (Theotokos) حسب العقيدة المسيحية المثلِّثة. أما الإسلام فيمنع المرأةَ أن تكون حتى قاضية ويمنعها أيضاً من وظائف أخرى "للرجال فقط"[6113]! مع أن التراث الإسلامي يقول إن أول شهيد في الإسلام لم يكن رجلاً وإنما كانت امرأة هي "سُمَيَّة" أُم "عَمَّار بن ياسر"[6114]! ومع أن "أقرب الناس" إلى محمد كانت امرأة هي "أم أيمن"[6115] التي استشهد زوجُها "زيد بن حارثة" وابنُها "أيمن" في نفس السنة (8هـ)! يعني: المرأة تعطي الإسلامَ كل شيء وأغلى شيء وهو: حياتَها وزوجَها وأولادَها، لكن الإسلام لا يعطي المرأةَ أقل شيء في العالم المتحضر وهو: المساواة بالرجل في جميع الحقوق والواجبات! ولا غرابة في ذلك. فالإسلام دينٌ صنعه

العربُ – أو على الأقل: بدأه العربُ – في الصحراء منذ أكثر من 1400 سنة، فلا نتوقع مِن هؤلاء البدو أن يعطوا المرأةَ كلَّ حقوقها على الرغم من كل تضحياتها.

علينا أن نعترف بأننا قد خسرنا كثيراً حين نسينا ماضينا العريق وحضاراتنا المجيدة وسرنا وراء هذا الدين العربي الذي يعيق طاقات نصف المجتمع، بل يعيق طاقات أكثر من نصف المجتمع، لأن الإسلام يمنع أيضاً غير المسلمين من تقلد بعض المناصب الهامة.

4.26.2 جذور القرآن فى التراث الأدبي لحضارات بلاد ما بين النهرين

مما سبق يتضح التشابه الكبير بين القصة التوراتية الأصلية والقصة القرآنية العربية. وكالعادة، توجد اختلافات بين القصتين. وكالعادة أيضاً، لا يمكن أن تكون هذه الاختلافات دليلاً على أن القرآن كلام الله. وذلك لأنها اختلافات بسيطة ويستطيع أى إنسان أن يبتكرها، مثل تغيير شخصية ابنة فرعون إلى امرأة فرعون. ثم إننا إذا بحثنا فى تراث الشرق الأدنى القديم، ربما وجدنا جذور هذه الاختلافات.

على سبيل المثال: يوجد اختلاف مهم بين القصة الأصلية والقصة القرآنية. تقول التوراة إن أم موسى وضعته فى تابوت بَيْنَ الْحَلْفَاءِ (reeds) (roseaux) (وهو نبات مائى) على حافة نهر النيل، ثم جاءت ابنة فرعون فأرسلت إحدى جواريها لتأخذ موسى مِن نفس المكان بين الْحَلْفَاءِ (الخروج 2:3-5). الكلام واضح. أما على الجانب الآخر، نجد أن القرآن يستخدم مفردات مختلفة مثل "أَلْقِيهِ" (القصص 7) و "اقْذِفِيهِ [...] فَاقْذِفِيهِ" (طه 39)، وهى كلمات تعطى معنى الرمى أو الالقاء وليس الوضع، وأيضاً نجد "فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ" (طه 39) مما يعنى أن ماء النهر قد نقل الطفل موسى من مكان إلى مكان آخر حتى وصل فى النهاية إلى فرعون: "فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ [...]. فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا" (القصص 7-8) "اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ (فِرْعَوْنُ) عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ" (طه 39).

وسنذكر أمثلة مما قاله المفسرون المسلمون فى تفسير هذه الآيات. قال د. محمد الطيب النجار: "وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى، حتى أدخله بين الأشجار عند دار فرعون [...] فجرف اليم الصندوق وذهب مع النيل ليلتقطه آل فرعون"[6116]. وقال الشيخ الغزالى: "وعندما انطلق الصندوق (أى: التابوت) بوديعته الثمينة (أى: بالطفل موسى) رمت به الأمواج أمام قصر فرعون"[6117]. وقال د. صلاح الخالدى: "سارَ التابوتُ به (أى: بالطفل موسى) إلى قصر فرعون [...] فالتابوتُ يسيرُ على وجه الماء [...] وهكذا سارَ التابوتُ على وجه الماء [...] توقَّفَ تابوتُ موسى أمام قصر فرعون"[6118]. وفى تفسير الطبرى: "فَصَنَعَتْ (أم موسى) به مَا أَمَرَهَا اللَّهُ تبارك وتَعَالَى، جَعَلَتْهُ في تَابُوتٍ صَغيرٍ، وَمَهَّدَتْ لَهُ فيه، ثُمَّ عَمَدَتْ إلَى النّيل فَقَذَفَتْهُ فيه، فَأَصْبَحَ فِرْعَوْنُ في مَجْلسٍ لَهُ كَانَ يَجْلِسهُ عَلَى شَفير النّيل كُلّ غَدَاةٍ، فَبَيْنَا هُوَ جَالسٌ، إذْ مَرَّ

النّيلُ بالتَّابُوتِ فَقَذَفَ به وَآسيَة ابْنَة مُزَاحم امْرَأته جَالسَة إلَى جَنْبه، فَقَالَ: إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ في الْبَحْر، فَأْتُوني به. فَخَرَجَ إلَيْه أَعْوَانه حَتَّى جَاءُوا به، فَفَتَحَ التَّابُوتَ فَإذَا فيه صَبيٌّ في مَهْده"[6119].

إذن: فَهِمَ المسلمون على مر العصور هذه الآيات القرآنية بالمعنى الذى قلناه: ماءُ النهر نقل الطفلَ موسى من مكان إلى مكان آخر حتى وصل فى النهاية إلى فرعون. وهذا مخالف لما قالته التوراة.

ونحن نرى أن ما قالته التوراة أكثر منطقية وعقلانية، إذ لا يُعقَل أن تلقى أم بابنها فى نهر، وإنما يُعقَل أن تخبئه على ضفاف هذا النهر. على أى حال، نحن لا يهمنا أيهما أصح: القرآن أو التوراة؟ فهذا ليس هدفنا. وإنما هدفنا هو إثبات أن القصة القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى للقصة التوراتية والتراث اليهودى/المسيحى – بل تراث الشرق القديم – بصفة عامة.

إن ما يهمنا تحديداً هو السؤال التالى: هل هذا الاختلاف بين القرآن والتوراة له جذور فى تراث الشرق الأدنى القديم؟

الإجابة: نعم. وهنا يجب أن نذكر الجذور العميقة لقصة ميلاد موسى. نقصد: جذورها فى "الأدب الميزوبوتاميان" (Mesopotamian literature)، أى التراث الأدبى لحضارات بلاد ما بين النهرين، وتحديداً فى أسطورة سارجون (The Legend of Sargon) (La légende de Sargon)[6120].

كانت فترة حكم الملك الأكادى "سارجون" حوالى 55 سنة (تقريباً من 2334 إلى 2279 قبل الميلاد)، لكن الأسطورة نفسها يعود تاريخها إلى القرن السابع (وربما الثامن) قبل الميلاد[6121] – أى مئات السنين قبل أقدم مخطوطات لسفر الخروج وأكثر مِن 1200 سنة قبل الإسلام. وسنعرض هنا جزءاً من هذه الأسطورة القديمة وسنوضح باللون الأحمر الجملَ التى تبرز هذا الاختلاف بين القصتين التوراتية والقرآنية[6122]. ومِن ثم يتضح تأثر القرآن بهذه الأسطورة غير الإبراهيمية:

« Ma mère, la grande prêtresse, me conçut et me mit au monde en secret. Elle me déposa dans une corbeille de jonc, dont elle ferma l'ouverture avec du bitume. Elle me jeta dans le fleuve, sans que j'en puisse sortir.

« Le fleuve me porta; il m'emporta jusque chez Aqqi, le puiseur d'eau. Aqqi, le puiseur d'eau, en plongeant son seau, me retira (du fleuve). Aqqi, le puiseur d'eau, m'adopta comme son fils et m'éleva. Aqqi, le puiseur d'eau, me mit à son métier de jardinier.

« Alors que j'étais ainsi jardinier, la déese Ishtar se prit d'amour pour moi, et c'est ainsi que pendant [cinquante]-six ans, j'ai exercé la royauté.

أنجبتني أمي الكاهنة الكبيرة سراً. ووضعتني في سلة من الأسل وأغلقتها بالقار. ثم رمتني في النهر دون أن أتمكن من الخروج من السلة.

فأخذني النهر حتى حطّ بي عند آكي الغراف الذي وهو يغرف الماء بدلوه انتشلني من النهر. و آكي الغراف هذا تبناني وكأني ابنه وأنشأني. وما كان منه إلا أن دربني على مهنته كبستاني.

بعد أن أصبحت بستانياً، أشفقت علي الإلهة عشتار و ها أنا أقوم بأعباء المُلْك مدة ستة وخمسين سنة.

ويُفهَم مِن أسطورة سارجون أن آكى الذى انتشل سارجون من النهر كان يعمل بستانياً فى القصر الملكى.

إذن: أهم أوجه التشابه بين سارجون وموسى هى:

- كلاهما وُلِد فى الخفاء.
- كلاهما نُبِذ بعد ولادته.
- كلاهما وضعته أمه فى سلة ثم قذفته فى النهر.
- كلاهما انتُشِل مِن ماء النهر بعد أن حمله النهرُ وسار به حتى وصل إلى قصر المَلِك.
- كلاهما دخل القصر الملكى عن طريق التبنى: تبناه شخصٌ غريب عنه؛ وهذا الشخص الغريب يسكن (أو يعمل) بالقصر الملكى.
- كلاهما تلقى محبة إلهية منذ طفولته فى القصر الملكى (طه 39).
- كلاهما صار فيما بعد قائداً لقومه: سارجون صار مَلِكاً، وموسى صار زعيماً ونبياً ومُشرّعاً. وكذلك جعلوا محمداً (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) رئيساً وزعيماً ونبياً ومُشرّعاً.
- ونلاحظ أيضاً فى قصة سارجون شخصيتين نسائيتين: أم سارجون والإلهة عشتار.

وطبعاً هذا يعنى أيضاً أن أسطورة سارجون الأكادى هى الجذور العميقة لقصة ميلاد موسى المذكورة فى الكتاب المقدس. تقول الترجمة اليسوعية: "تُشبّه قصة موسى المنتشَل من الماء بالأساطير المتعلقة بطفولة بعض المشاهير، وخاصةً سرجون أكد، ملك الدولة الأكدية فى ما بين النهرين فى الألف الثالث (قبل الميلاد)، وكانت أمه قد وضعته فى النهر ضمن سلة خيزران"[6123].

أو كما قال العالِمُ الكبير (Prof. Thomas Römer) فى محاضرته الافتتاحية فى (Collège de France)[6124]:

Un autre empire est aussi important que l’Égypte pour comprendre la naissance de la Bible : l’Assyrie. [...] C’est aussi le cas pour la première mise par écrit de l’histoire de Moïse, qui reprend également un certain

nombre de motifs assyriens. Ceci est particulièrement évident pour le récit de sa naissance et de son exposition, dont le parallèle le plus proche se trouve dans la légende de Sargon.

[…]

[…] Il doit rappeler que la Bible n’est pas tombée du ciel, que ces textes ont été rédigés dans des circonstances historiques bien différentes de celles de notre époque.

وتوجد أساطير شرق-أوسطية أخرى تذكر أمهات ألقين أبناءهن فى النهر أو أخفوهن وسط النباتات خوفاً عليهم(6125)، مثل الأسطورة المصرية القديمة التي تقول إن "إيزيس" (Isis) **[← أم موسى]** أخفت ابنها الطفل "حورس" (Horus) **[← موسى]** بين نباتات البردى لتحميه مِن عدوه "ست" (يُكتَب أيضاً: "شيث") (Set; Seth) **[← فرعون]**(6126). أما حركة التابوت مع مياه النهر فهي موجودة أيضاً في نفس الأسطورة (أو بالأحرى: في إحدى رواياتها المشهورة)، لكن التابوت لم يكن يحمل الطفل حورس وإنما كان يحمل "أوزيريس" (Osiris) زوج إيزيس.

فمِن الواضح إذن أن كل هذه الأفكار الأسطورية كانت منتشرة انتشاراً واسعاً فى الشرق الأدنى القديم قبل جميع الديانات الإبراهيمية (أو على الأقل: قبل الإسلام)، فمِن الطبيعي أن تتسلل هذه الأفكار الأسطورية إلى القرآن. ونحن سنكتفى بأسطورة ميلاد سارجون لأنها الأشهر والأقرب إلى أسطورة ميلاد موسى، لا سيما فى نسختها القرآنية.

الخلاصة: لا يوجد أى دليل علمى وتاريخى يثبت أن قصة ميلاد موسى المذكورة فى القرآن قصة حقيقية. وهى بالتأكيد ليست قصة أصلية (not original, not genuine)، فهى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة ميلاد موسى المذكورة فى التوراة وأسطورة ميلاد سارجون المذكورة فى التراث الأدبى لحضارات بلاد ما بين النهرين وربما أساطير شرق-أوسطية أخرى.

4.27 هل الأنبياء معصومون؟ موسى الإسرائيلى قتل مصرياً!

قال صاحبُ رواية سورة القصص الذى كان على دراية جيدة بالتراث اليهودى: وَلَمَّا بَلَغَ (موسى) أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {14} وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ (أى: عِبرانى) وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ (أى: مصرى) فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى (أى: ضربه بقبضة يده) فَقَضَى عَلَيْهِ (أى: قَتَلَه!) قَالَ (موسى) هَذَا (القتل) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ {15} قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي (بقتل هذا المصرى) فَاغْفِرْ لِي (ذنبى) فَغَفَرَ (الربُّ) لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {16} قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ {17} فَأَصْبَحَ (موسى) فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ (أى: كثير الغَواية؛ صاحب إشكالات) مُبِينٌ {18} فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ (موسى) أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ {19}.

قبل أن ندخل فى تفاصيل هذه القصة القرآنية، نريد أن نتأمل جملتين جاءتا فيها:

- الجملة الأولى هى: "وَلَمَّا بَلَغَ (موسى) أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (القصص 14). وهى تقريباً نفس العبارة التى وُصِف بها يوسفُ: "وَلَمَّا بَلَغَ (يوسف) أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 22). صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا كتابة (rewrote) هذه القصص المتوارثة مستخدمين عبارات تلائم بيئتهم العربية فى القرن السابع الميلادى، بدليل أنهم استخدموا نفس العبارات الـ (formulaic) فى قصص مختلفة. وهذه ليست المرة الأولى - ولا الأخيرة - التى نجد فيها تشابهاً بين العبارات الواردة فى قصة موسى وقصة يوسف القرآنيتين[6127].
- الجملة الثانية هى: "قَالَ (موسى) هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ" (القصص 15). هل يمكن أن يكون موسى قد قال هذه الجملة؟! ونحن نسأل هذا السؤال، لأن التوراة لم تستخدم أبداً كلمة "الشيطان". ولا تقولوا لنا إن التوراة مُحرَّفة، فَمَا هى مصلحة اليهود أن يحذفوا كلمة "الشيطان" مِن كل مخطوطات التوراة بجميع اللغات؟ السؤال: هل يوجد أى دليل علمى وتاريخى يثبت أن كلمة "الشيطان" كانت معروفة ومستخدمة فى مصر فى زمان موسى؟ إذا كانت الإجابة "نعم"، فنريد أن نعرف هذا الدليل. أما إذا كانت الإجابة "لا"، فليس أمامكم سوى الاعتراف بأن موسى لم يقل هذه الجملة، وإنما هى جملة موضوعة وضعها أصحابُ القرآن بالعافية على لسان موسى. كما وضعوها فى موضع آخر على لسان جده الأكبر يعقوب (إسرائيل) الذى قال لابنه يوسف: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (يوسف 5).

4.27.1 هل توجد علاقة بين "عصمة الأنبياء" والإرهاب الإسلامى؟

الحديث عن هذه القصة القرآنية يجبرنا أن نتحدث مرة أخرى عن عقيدة "عصمة الأنبياء" التى لا يؤمن بها إلا المسلمون فقط! ويجعلنا نسأل أسئلة هامة مثل: هل يصلح النبى كقدوة وأسوة ومثل أعلى؟ هل توجد علاقة بين عقيدة "عصمة الأنبياء" والإرهاب الإسلامى الذى يعانى منه العالمُ اليوم؟

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن كل خطايا جميع الأنبياء، ولذلك فإننا سنتحدث فقط عن خطايا موسى، أكثر نبى مذكور فى القرآن وأحد أولى العزم مِن الرسل. فلقد اعترف القرآنُ بأن موسى قد قَتَلَ إنساناً: "فَوَكَزَهُ مُوسَى (أى: ضربه بقبضة يده) فَقَضَى عَلَيْهِ (أى: قَتَلَه)" (القصص 15). ليس دفاعاً شرعياً عن النفس، وإنما فى مشاجرة (يعنى: خناقة) بين رَجُل إسرائيلى وافد ورَجُل مصرى صاحب الأرض.

العجيب أن موسى الإسرائيلى قتل هذا المواطن المصرى دون أن يحاوره أولاً أو حتى يفهم سبب الخناقة ويعرف مَن المخطىء! فحين تقرأ القصة القرآنية تجد أن موسى قد تسرع وقتل المصرى دون أن يحقق فى الأمر: "فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ" (القصص 15)! ونلاحظ استخدام حرف الفاء (4 مرات) الذى يدل على الترتيب والتعقيب والسرعة.

والأعجب مِن ذلك هو أن القرآن يزعم أن الله غفر لموسى هذه الخطيئة فى نفس اليوم لمجرد أنه قال: "رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي" (القصص 16)! وكأن موسى ذبح دجاجة أو قتل حشرةً أو حيواناً وليس إنساناً.

والأعجب والأغرب هو تصرف موسى بعد ارتكاب جريمته. هل سلَّم نفسه إلى الشرطة؟ الإجابة: لا! وإنما ارتكب جريمة أخرى! ففى صباح اليوم التالى، كاد موسى أن يقتل مصرياً آخر – فى خناقة أيضاً مع نفس الرجل الإسرائيلي صاحب خناقة اليوم السابق! – لولا أن هذا المصرى قال له: "يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ" (القصص 19)! وقيل إن قائل هذه العبارة هو الإسرائيلى، لأنه ظن أن موسى يريد قتله! وفى كلتا الحالتين، يُفهَم أن خبر جريمة القتل التى ارتكبها موسى بِالْأَمْسِ قد انتشر.

فماذا فعل موسى بعد أن انفضح أمره وانكشف سره؟ هل سلَّم نفسه إلى الشرطة؟ الإجابة: لا! وإنما هرب مِن الشرطة وَفرَّ إلى الصحراء وظل فاراً هارباً خارج مصر لعدة سنوات!

إذن: ارتكب موسى ثلاث خطايا على الأقل: القتل؛ الشروع فى القتل؛ الهروب من الشرطة.

أليس كل ذلك يتعارض مع "عصمة الأنبياء"؟!

هل موسى – القاتل الفار الهارب مِن العدالة – يصلح كقدوة أو أسوة أو مثل أعلى؟!

الأمر الخطير هو أن المراجع الإسلامية تسعى جاهدة لتبرير ارتكاب موسى جريمتى القتل والشروع فى القتل، وأحياناً تسعى لتبرئة موسى تماماً مِن هاتين الجريمتين! على سبيل المثال، قال د. محمد الطيب النجار إنها "خطيئة ارتكبها (موسى) فى مصر قبل أن يختاره الله نبياً ورسولاً [...] ما ارتكبه (موسى) من خطأ إنما كان قبل أن يكلفه الله بالرسالة"(6128)! وقال د. الصابونى: "لم يرد موسى قتله إنما أراد إبعاده فكانت (الضربة) القاضية"(6129)! وقال الأستاذ أحمد بهجت إن موسى "لم يفعل شيئاً أكثر من أنه مد يده وأزاح رجلاً فقتله خطأ"(6130)! وقال الشيخ الشعراوى: "فجاء قدر القبطى (أى: المصرى) مع الوكزة، فلم يمت من الوكزة، ولكنه مات عندها لا بها فجاء أجله [...] مع أنه (أى: موسى) لم يكن يقصد قتله"(6131)! وقال الواحدى النيسابورى: ""فَوَكَزَهُ مُوسَى" ضربه بجميع كفِّه "فَقَضَى عَلَيْهِ" فقَتَلَه ولم يتعمَّد قتله، فندم على ذلك لأنَّه لم يُؤمر بقتله"(6132)! أما د. محمد بكر إسماعيل فقال: "والتصريح فى الآية بأن الرجل الذى وكزه من عدوه يدل على أن القبط كانوا فى عداوة شديدة بينهم وبين بنى إسرائيل، فلو قتله موسى عمداً ما كان عليه إثم، ولكنه لم يقتله عمداً بل ولا خطأ، ولكن مات الرجل قضاء وقدراً"(6133)! وقال د. حسن الباش: "الوكز ليس بالضرب القاتل، ولكن إرادة الله نفذت الأمر"، "الحكمة الإلهية أرادت أن يموت الرجل (المصرى) بسبب وكزة ليكون ذلك مقدمة لما أراده الله لموسى من هروب إلى مديان ومن ثم تلقى الرسالة فى سيناء"(6134)! وقال د. صلاح الخالدى إن موسى "لم يكن مخطئاً ولا مذنباً ولا جانياً فى قتْلِه للقبطى"، "لقد كان قتْلُه له صواباً، ولم يكن فى ذلك مذنباً ولا مخطئاً ولا معتدياً"، وكل ما فى الأمر أن موسى "فعَلَ خلافَ ما هو أوْلى"(6135)! وقال واحدٌ مِن علماء الأزهر إن قَتْل موسى للمصرى "مِن الصغائر غير الخسيسة وغير المتعمدة؛ لأنها خطأ فى الاجتهاد ومخالفة للأَوْلَى، وقد حدثت فهى لا تتنافى مع عصمة الأنبياء عليهم السلام"(6136)!

تعليقنا على هذه المبررات الواهية ...

لم يُؤمَر موسى بقتل المصرى؟! وكأن المشكلة ليست فى أن موسى قد ارتكب جريمة قتل، وإنما فى أنه ارتكب هذه الجريمة بدون أن يأخذ تصريحاً من الله! يعني لو كان الله أمر موسى بأن يقتل المصري، ما كانش هيبقى فيها مشكلة؟!

قضاء وقدر؟! إرادة الله؟! حكمة إلهية؟! أى أنهم أقحموا اللهَ فى جريمة القتل التى ارتكبها موسى! وكأن عصمة موسى أهم عندهم مِن قداسة الله! وكأن الله لا يستطيع أن يجعل موسى يهرب مِن مصر لسبب آخر غير القتل! بل ذهب بعضهم إلى أبعد مِن ذلك، فقال إن الله عفا عن موسى (القاتل، الجانى) لأن الرجل المصرى (القتيل، المجنى عليه) لم يقر ساعة واحدة إن الله هو الخالق الرازق(6137)، أى لأن المصرى كان كافراً! وكأن الله يغفر للمؤمن إذا قتل كافراً! ألا يعلمون أن هذا الكلام هو نفس الكلام الذى يقوله المسلمون الإرهابيون اليوم لتبرير جرائمهم الإرهابية الإسلامية ضد الإنسانية وضد الحضارة؟

والحقيقة أنه لا يهم إن كان موسى قد قتل هذا المصرىَ عن عمد أو عن غير قصد. المهم أنه ارتكب جريمة قتل واعترف أنه مذنب ارتكب ذنباً تجاه الشعب المصرى، بدليل أنه قال: "لَهُمْ (أى: للمصريين) عَلَيَّ ذَنْبٌ" (الشعراء 14) "هَذَا (القتل) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ[6138]" (القصص 15)، وقال لفرعون: "فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (وقُرِئَت: وَأَنَا مِنَ الجاهلين[6139]). فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ (أى: لَمَّا خفت أن تقتلونى قصاصاً)" (الشعراء 20-21). وبدليل أنه نَدِمَ وتاب وطلب المغفرة مِن الربِّ: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي (بقتل هذا المصرى) فَاغْفِرْ لِي (ذنبى)" (القصص 16)، واعترف بأن الرب سامحه بالنعمة (by Grace)، ووعد الربَّ ألا يكون معاوناً للمعتدين: "فَغَفَرَ (الربُّ) لَهُ (ذنبَه) إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ" (القصص 16-17). وبدليل أنه خاف على نفسه إذ أيقن أنه لا بد مِن القصاص منه: "إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ (أى: مِن المصريين) نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (قصاصاً)" (القصص 33) "لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (قصاصاً)" (الشعراء 14) "فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ" (القصص 18). وبدليل أن الله قال له: "إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ (أى: ذنبٍ evil[6140]) فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ" (النمل 10-11). وكالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فى تفسير (النمل 10-11). قيل إن الاستثناء فى "إِلَّا مَنْ ظَلَمَ" منقطع لا ينطبق على موسى[6141]. وقيل إن الاستثناء متصل وينطبق على موسى، "وفيه عتاب خفى لموسى لقتله القبطى (أى: المصرى)"، "وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى"[6142]. ونحن نرى أن الاستثناء متصل وينطبق على "المرسلين" (النمل 10)، وموسى منهم. ولقد قيل إن الأصل فى الاستثناء الاتصال لا الانقطاع[6143]. وما يُقوِّى هذا الرأى هو أن موسى نفسه قد اعترف بأنه قد "ظلم" واستغفر رَبَّه: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي" (القصص 16).

ولو كان موسى قتل هذا المصرىَ خطأ أو عن غير قصد كما تدعى المراجع الإسلامية، فلماذا كرر هذا "الخطأ" فى اليوم التالى بشروعه فى قتل مصرياً آخر؟! للإجابة على هذا السؤال، لجأوا إلى حيلة مُضحِكة، فقالوا إن موسى لم يستثن فى قوله "فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ" (القصص 17)، أى: لم يقل "إن شاء الله"، ولهذا ابتلى بنفس الابتلاء فى اليوم التالى[6144]! وهى حيلة إسلامية شهيرة لا علاقة لها بموسى، وإنما لها علاقة بمحمد (موسى العرب، موسى الثاني، موسى الجديد): "وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ" (الكهف 23-24). وهكذا نجد دائماً أن لديهم حل لكل مشكلة، أو بالأحرى: لديهم حيلة للإجابة على أى سؤال والخروج مِن أى مأزق. وما يؤكد ضعف هذه الحيلة هو أنه فى قصة أخرى، وهى قصة "موسى والْخَضِر"، المذكورة أيضاً فى سورة الكهف، نجد أن موسى قال للخَضِر "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا" (الكهف 69) ومع ذلك لم يصبر! إذن: عبارة "إِنْ شَاءَ اللَّهُ" ليست الحل. ابحثوا عن حيلة أخرى.

أما فيما يتعلق بقولهم إن موسى قد ارتكب جريمتي القتل والشروع فى القتل قبل النبوة وليس بعدها، فنقول لهم: لا يهم إنْ كانت خطايا موسى حدثت قبل النبوة أو بعدها. فتلك النبوة لا تلغي الخطايا والمعاصي التي قبلها، بدليل أن موسى ظل يتذكر خطيئته حتى بعد النبوة، بل حتى يوم القيامة، وخطيئته تمنعه أن يشفع

للآخرين يوم القيامة. يقول "حديث الشفاعة"[6145] إن الله يجمع الناس يوم القيامة فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ [ليشفع لنا]. فَيَأْتُونَ آدَمَ [ليشفع لهم]. فيعجز آدم عن الشفاعة ويقول لهم: "نَفْسِي، نَفْسِي (I myself [want to be saved]) (أي: أنا نَفْسِي أحتاج مَن يُخلِّصني؛ خطيئتي تمنعني أن أشفع لكم)، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ". فيذهب الناسُ إلى نوح ليشفع لهم، فيعجز نوح عن الشفاعة ويقول لهم نفس الجملة التي قالها آدم. فيذهبون إلى إبراهيم، فيفشل هو أيضاً. فيذهبون إلى موسى ليشفع لهم، فيقول لهم موسى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي، نَفْسِي (I myself [want to be saved]) (أي: أنا نَفْسِي أحتاج مَن يُخلِّصني؛ خطيئتي تمنعني أن أشفع لكم)، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. [...].

إذن: لا يهم إنْ كان موسى قد ارتكب جريمتي القتل والشروع في القتل قبل النبوة أو بعدها. النبوة لا تُحوّل الإنسانَ إلى كائنٍ آخر. يظل بشراً كما هو، يصيب ويخطئ، به فضائل وبه أيضاً نواقص، له مزايا وله أيضاً عيوب.

والمهم أن موسى قتل مصرياً وشرع فى قتل مصرياً آخر **بعد** أن وصفه القرآنُ بقوله: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا (بالعِبرية: ḥokhmah) (wisdom) وَعِلْمًا (knowledge)[6146] وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (القصص 14). وهى نفس العبارة التى وُصِف بها يوسفُ: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 22). وعندما رجعنا إلى المراجع الإسلامية[6147] وجدنا أن "حُكْمًا" يعنى حكمةً وسداداً فى القول والفعل – وقيل: النبوة (Prophethood) واستدلوا على ذلك بما قاله القرآنُ في سورة الأنبياء عن النبيين داود وسليمان "وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا" (الأنبياء 79)؛ وأن "عِلْمًا" يعنى فِقْهاً فى الدين والشريعة وأمور الحياة؛ وأن "المُحْسِن" هو مَن يزيد فى طاعة الله وعبادته. أى أن القرآن يقول إن موسى كان "حكيماً" و "عالِماً" و "مُحسِناً" ثم بعد ذلك ارتكب جريمتى قتل وشروع فى قتل!

وعندما رجعنا إلى القرآن وجدنا أن إبراهيم (أبو الأنبياء) كان يدعو رَبَّه قائلاً: "رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا" (الشعراء 83)؛ أى أن الله - حسب القرآن - قد أعطى موسى ما كان يتمناه جده إبراهيم. ورغم ذلك، ارتكب موسى جريمتى قتل وشروع فى قتل!

وعندما تحدث القرآنُ عن تربية القاتل موسى فى طفولته، قال: "وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (أى: عين الله)" (طه 39)، والمقصود: لتتربى تحت رعاية الله وعنايته وحفظه. وهذه هى الآية الوحيدة فى القرآن كله التى ذكرت كلمة "مَحَبَّة"! أى أن هذا القاتل موسى هو الشخص الوحيد فى القرآن الذى تلقى "مَحَبَّةً" مِن الله منذ طفولته! أو بعبارة أخرى: الشخص الوحيد فى القرآن الذى تلقى "مَحَبَّةً" مِن الله منذ طفولته وتربى تحت "عين الله" (طه 39) ارتكب جريمتين: جريمة قتل (القصص 15) وجريمة شروع فى قتل (القصص 19) (مكية)[6148]! ثم بعد ذلك نتساءل: مِن أين يأتى الإرهاب الإسلامى؟!

أسئلة مشروعة: هل جرائم القتل والشروع فى القتل والهروب مِن الشرطة تليق بشخص "مُحْسِن" آتاه اللهُ "حُكْماً وعِلماً"؟! هل جرائم القتل والشروع فى القتل والهروب مِن العدالة تليق بشخص أحبه اللهُ وتربى تحت رعاية الله وعنايته؟! كيف يمكن أن نُوفِّق بين "عصمة الأنبياء" المزعومة والجرائم التى ارتكبها موسى؟!

الحل الوحيد هو أن نعترف بأن النبى (سواء قبل النبوة أو بعدها) هو مجرد إنسان به فضائل وبه أيضاً عيوب، يصيب أحياناً ويخطىء أحياناً أخرى، يرتكب ذنوباً وخطايا مثلنا وربما أفظع مننا. وفى جميع الأحوال فإنه ليس معصوماً وليس قدوة وليس أسوة وليس مثلاً أعلى، أى أن نرفض مبالغة القرآن فى وصف موسى (القصص 14) (طه 39) ونرفض أسطورة "عصمة الأنبياء" التى لا يؤمن بها إلا المسلمون فقط.

أما عبارة "خلاف الأَوْلى" التى يرددها شيوخ الإسلام كثيراً لتبرير خطايا الأنبياء بل لإنكارها، فهى حجة واهية لا تستحق الرد. لأن كل خطأ فى الدنيا هو فعل "خلاف الأَوْلى". السارق حين يسرق، يفعل "خلاف الأَوْلى"، فالأَوْلى ألا يسرق؛ الأَوْلى أن يعمل ويكسب مالاً حلالاً. والزانى حين يزنى، يفعل "خلاف الأَوْلى"، فالأَوْلى ألا يزنى؛ الأَوْلى أن يتزوج. والإرهابى حين يفجر نفسَه، يفعل "خلاف الأَوْلى"، فالأَوْلى ألا يفجر نفسَه؛ الأَوْلى أن يعرض أفكارَه ويشرحها بأسلوب سلمي. وهكذا. إنها إذن حيلة مضحكة تدل على إفلاسهم. بل يمكن تطبيق حيلة "فعل خلاف الأَوْلى" لتبرير رفض إبليس السجود لآدم: الأَوْلى أن يطيع أمرَ الله حتى لو أدى ذلك إلى أن يسجد لمخلوقٍ مثله! فهل سيقبل المسلمون هذا التبرير؟! إنها بالفعل حيلة مضحكة.

وفي قصة موسى، كان الأَوْلى ألا يقتل المصريَ، حتى وإن كان عدوه. فنحن كنا نتمنى ألا يقتل موسى "العدوَ"، وإنما يقتل "العداوة"، أى ينهيها بأسلوب سلمي بدون قتل أو شروع فى قتل. أو كما يقول المثل الشهير: "ما محبة إلا بعد عداوة". الحل السلمي هو ما كنا نتوقعه مِن أى شخص عاقل يستطيع أن يتحكم فى أعصابه. أما اللجوء إلى العنف ثم الهروب (يعنى: اضرب واجري)، فهو دليل تهور وليس دليل حكمة، بل إنه دليل ضعف وليس دليل قوة.

إن القتل ليس دليلاً على ضعف المقتول أمام القاتل، وإنما دليل على ضعف القاتل أمام الشيطان.

إن التخلى عن أسطورة "عصمة الأنبياء" خطوة هامة فى معركتنا الفكرية والثقافية ضد الإرهاب الإسلامى، لأن رفض هذه الأسطورة سيجعل موسى – وأى نبى آخر – مجرد إنسان قد يخطىء وقد يصيب، وليس قدوة وليس أسوة وليس مثلاً أعلى وليس نموذجاً يُحتذَى. ومِن حُسن حظ المسلمين أن أسطورة "عصمة الأنبياء" غير مذكورة صراحةً فى القرآن، ومِن حُسن حظهم أيضاً أن القرآن لا يقول صراحةً إن الأنبياء قدوة فى كل شيء، فحتى الآيات التى قد تُفهَم على أنها تُقدِّم الأنبياء كقدوة - مثل (الأنعام 89-90) (الأحزاب 21) (الأعراف 158) - لا تقول إنهم قدوة فى كل شيء. ومِن ثم، فإن التخلص مِن أسطورة "عصمة الأنبياء" وأسطورة "الأنبياء قدوة" خطوة بسيطة وسهلة جداً. فهل سيتخذ المسلمون هذه الخطوة البسيطة؟ أَم أن الحِبر الذى تُكتَب به الكتب الإسلامية أغلى عندهم مِن دماء أبنائهم وبناتهم التى تُسفَك فى كل عملية إرهابية؟

العِصمة لله وحده، وليست لأى إنسان بشر، حتى لو كان نبياً.

إذا كنا جادين فى مواجهة الإرهاب الإسلامى، فعلينا أولاً أن ننزع القداسة عن كل بشر آدمي، حتى لو كان نبياً.

القداسة لله وحده. ولا قداسة أو عصمة لنبى(6149).

لا قداسة ولا عصمة لأى إنسان بشر مهما علا منصبه الديني أو السياسي.

4.27.2 جذور القرآن فى التوراة

كالعادة، هذه القصة القرآنية ليست جديدة، فهى معروفة ومذكورة فى التوراة قبل القرآن بمئات السنين. وكما ذكرتها سورة القصص مباشرةً بعد قصة ميلاد موسى، كذلك ذكرها سفر الخروج مباشرةً بعد قصة ميلاد موسى. بعبارة أخرى: لم تحدثنا التوراة ولا القرآن عن تفاصيل حياة موسى كابن بالتبنى لابنة (أو: امرأة) فرعون.

تقول التوراة: "وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى **[← "لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى" (القصص 14)]** أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ (أى مَشَقَّتهم)" (الخروج 2:11). لم تذكر التوراةُ عُمرَ موسى فى ذلك الوقت. لكن نعرف من العهد الجديد أنه بلغ 40 سنة: "فَتَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ **[← "آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا" (القصص 14)]**، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ. وَلَمَّا كَمِلَتْ لَهُ مُدَّةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، خَطَرَ عَلَى بَالِهِ أَنْ يَفْتَقِدَ إِخْوَتَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (أعمال الرسل 7:22-23). ومن المؤكد أن هذه المعلومة قد وصلت إلى أصحاب القرآن، بدليل أنهم استخدموا عبارات مثل "بَلَغَ أَشُدَّهُ" (القصص 14) و "قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ" (القصص 17) وهى نفس العبارات التى استخدمها أصحاب القرآن لبلوغ الإنسان 40 سنة: "بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ" (الأحقاف 15).

(الخروج 2): {11} [...] فَرَأَى (موسى) رَجُلاً مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلاً عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ **[← "وَدَخَلَ (موسى) الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ (أى: عِبرانى) وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ (أى: مصرى)" (القصص 15)]**. وفى العهد الجديد: "رَأَى (موسى) وَاحِدًا مَظْلُومًا حَامَى عَنْهُ، وَأَنْصَفَ الْمَغْلُوبَ" (أعمال الرسل 7:24) **[← "فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ" (القصص 15) "اسْتَنْصَرَهُ" (القصص 18)]**.

ونلاحظ هنا اختلافاً هاماً بين الكتاب المقدس والقرآن العربى. فى الكتاب المقدس، الرجل المصرى كان يضرب الرجل العِبرانى، وأن المصرى هو الظالم المعتدى بينما العِبرانى هو المظلوم المغلوب، ثم تدخَّل موسى لإنصاف المظلوم. أما القرآن العربى فاستخدم كلمة "يَقْتَتِلَانِ" (القصص 15)، أى لا يوجد ظالم ولا مظلوم، ولم يكن تدخُّل موسى لإنصاف المظلوم، وإنما كان تعصباً لبنى قومه، بدليل أن القرآن العربى يقول

"رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ"، ثم كررها مرة أخرى "فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ" (القصص 15). ونحن نقول ذلك رداً على المراجع الإسلامية التى حاولت تبرير قتل المصرىَ لأنه كان ظالماً و/أو معتدياً[6150]. نقول لهم: كلامكم مأخوذ مِن الكتاب المقدس وليس القرآن العربى. أما موسوعة بيان الإسلام فلم تكتفِ بالدفاع عن الجانى (موسى)، وإنما لفقت للمجنى عليه (الرجل المصرى) تهمتين لا وجود لهما فى القرآن ولا فى الكتاب المقدس! التهمة الأولى هى أن المصرى هو الذى تعدى "أولاً" على الإسرائيلى! والتهمة الثانية هى أن المصرى أغضب موسى وقال له: "لقد هممت أن أحمل الحطب عليك"[6151]! وكالعادة، يقولون هذه التبريرات الواهية بدون أى دليل من التاريخ ولا حتى أى دليل من التوراة أو الإنجيل أو القرآن. ولعل هذه البروباجاندا الإسلامية الدفاعية قد اعتمدت على البروباجاندا اليهودية الدفاعية، مثل أكاذيب الكاتب اليهودى "أرتابانوس" (Artapanus) (القرن الثانى قبل الميلاد) الذى زعم أن المصرى أراد قتل موسى فدافع موسى دفاعاً شرعياً عن نفسه فقتل المصرىَ[6152]! وتقول أسطورة يهودية أخرى إن الملائكة أمروا موسى أن يقتل المصرىَ عقاباً له لأن هذا المصرى اغتصب امرأةً (أو: زنا معها) ثم أراد أن يقتل زوجَها اليهودى[6153]! وهذا طبعاً كلام باطل لا أساس له. والحق هو أن موسى ارتكب جريمة القتل بسبب التعصب القومى. أو كما قال سيد قطب فى تفسيره لما قاله موسى عن هذه الواقعة "فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ" (الشعراء 20): "فعلت تلك الفعلة وأنا بعد جاهل، أندفع اندفاع العصبية لقومى"[6154].

نعود إلى التوراة. **(الخروج 2):** {12} فَالْتَفَتَ (موسى) إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ (أى: لم يَرَ أحداً) **[← "عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا (أى: عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أهل المدينة)" (القصص 15)]**، فَقَتَلَ (موسى) الْمِصْرِيَّ **[← "فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ" (القصص 15)]** وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ.

(الخروج 2): {13} ثُمَّ خَرَجَ (موسى) فِي الْيَوْمِ الثَّانِي **[← "فَأَصْبَحَ (موسى) فِي الْمَدِينَةِ" (القصص 18)]** وَإِذَا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصَمَانِ، فَقَالَ (موسى) لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟» **[← "قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ" (القصص 18)]**.

ونلاحظ أن القصة الكتابية تقول إن هذه المشاجرة الثانية كانت بين رَجُلين عِبرانيين؛ وهذا يدل على أن تدخل موسى – حسب القصة الكتابية – كان لإنصاف المظلوم بغض النظر عن عِرقه أو قوميته. أما القصة القرآنية (القصص 18-19) فتقول إنها كانت بين رَجُل عِبرانى ورَجُل مصرى "عَدُو لَهُمَا"، أى عدو لموسى وللعِبرانى؛ وهذا دليل آخر على أن تدخل موسى – حسب القصة القرآنية – كان تعصباً لبنى قومه. وفى جميع الأحوال، يستطيع أى إنسان أن يبتكر هذا الاختلاف البسيط بين القصتين الكتابية والقرآنية. الموضوع مش محتاج وحى من الله. وفى رواية سفر أعمال الرسل أن موسى وَجَّه كلامه إلى جماعة مِن الرجال وليس لرَجُل واحد: "وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي ظَهَرَ (موسى) لَهُمْ وَهُمْ يَتَخَاصَمُونَ، فَسَاقَهُمْ إِلَى السَّلاَمَةِ قَائِلاً: أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَنْتُمْ إِخْوَةٌ. لِمَاذَا تَظْلِمُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا؟" (أعمال الرسل 26:7). وهذا يؤكد لنا أنه بمرور

الزمن، تطورت هذه القصة تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة حتى وصلت فى النهاية إلى صورتها الموجودة فى القرآن العربى: سفر الخروج أولاً ثم سفر أعمال الرسل ثم سورة القصص.

(الخروج 2): {14} فَقَالَ (المُذنِب لموسى): «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا (ruler) وَقَاضِيًا (judge)[6155] عَلَيْنَا؟ **[← "مَنْ أَقَامَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟" (أعمال الرسل 27:7) ← "إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ" (القصص 19)]** أَمُفْتَكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟ **[← "أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ أَمْسَ الْمِصْرِيَّ؟" (أعمال الرسل 28:7) ← "أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ" (القصص 19)]**».

النتيجة: القصة القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى للقصة الكتابية، وليست وحياً مِن عند الله.

4.28 سِنوحى يهرب إلى آسيا ثم يعود إلى مصر بعد سنين من الغياب

بعد انتشار خبر جريمة القتل التى ارتكبها موسى، خاف موسى على حياته وقرر أن يهرب شرقاً إلى مَدْيَن (Midian)، وهي منطقة تقع في قارة آسيا حول خليج العقبة بين جنوب كنعان (إسرائيل/فلسطين) وشمال الحجاز، أي تقع في أقصى الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية. ويُفهَم مِن القصة أن مَدْيَن لم تكن تحت نفوذ فرعون وجنوده، أى كانت خارج حدود مصر.

أسئلة مشروعة: كيف استطاع موسى أن يقوم بهذه الرحلة الطويلة الشاقة؟! هل كان معه طعام يكفيه؟! هل كان مع شراب يكفيه؟! هل هرب عن طريق البحر؟! أَم عن طريق الجو (البُراق مثلاً)؟! أَم عن طريق البر؟! كيف استطاع أن يقطع كل هذه المسافة الطويلة فى الصحراء بمفرده؟! هل كان يعرف الطريق؟! كيف استطاع هذا القاتل الفار الهارب أن يفلت مِن نقاط الحراسة والتفتيش وأبراج المراقبة التابعة للجيش المصرى؟! لا تسألهم هذه الأسئلة الصعبة، لأنهم إما سيقولون "الله أعلم" أو سيقولون إن الله استجاب لدعاء موسى حين قال "عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ" (القصص 22)! أى أنهم كالعادة سيقحمون "الله" فى أى موضوع للإجابة على أى سؤال أو الخروج مِن أى مأزق.

سؤال آخر: هل يوجد أى دليل علمى وتاريخى يثبت أن جملة "رَبِّي [...] يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ" (القصص 22) كانت معروفة ومستخدمة فى مصر فى زمان موسى؟! إذا كانت الإجابة "نعم"، فنريد أن نعرف هذا الدليل. أما إذا كانت الإجابة "لا"، فليس أمامكم سوى الاعتراف بأن موسى لم يقل هذه الجملة، وإنما هى جملة عربية/إسلامية وضعها أصحابُ القرآن بالعافية على لسان موسى.

وبعد هروبه مِن مصر، عاش موسى فى مَدْيَن، وتزوج ابنة شيخ كبير. ولأن القرآن – كعادته – لم يذكر اسمَ هذا الشيخ الكبير، ولا يوجد حديث واحد صحيح مرفوع يبين اسمَه، فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هى – كالعادة أيضاً – اختلاف المفسرين المسلمين فى اسمه[6156].

- قال ابن كثير: "وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل (يقصد: الشيخ الكبير والد زوجة موسى): مَن هو؟ على أقوال؛ أحدها: أنه شعيب النبي – عليه السلام – الذي أُرسِل إلى أهل مدين. وهذا هو المشهور عند كثيرين، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد"[6157]. وقيل إن هذا الرأي "هو الأرجح نظراً لورود قصة موسى بعد قصة شعيب [مع قومه أصحاب مدين] في كل سرد تاريخي للقصتين في القرآن. مما يوحي بأنهما كانا متعاصرين أو متواليين"[6158].
- لكن في المقابل، قيل إنه ليس شعيب النبي، أو على الأقل: لا يوجد دليل حاسم يثبت أنه شعيب النبي. إذ "ليس في الخبر القرآنيّ تصريحٌ أو دلالة قويّة أن شعيباً -عليه السلام- الذي مِنْ مَدْيَن، قد عاش في الزمن الذي كان فيه موسى -عليه السلام- في مَدْيَن. ولا يوجد في الخبر النبويّ ما يُؤيّد اتحاد زمن هذَيْن النَّبِيَّيْن. ولذلك قال ابن تيمية: "ولم يُذْكَرْ عن هذا الشيخ أنه كان شعيبًا، ولا أنه كان نبيًّا، ولا عند أهل الكتابين أنه كان نبيًّا، ولا نُقِلَ عن أحدٍ من الصحابة أن هذا الشيخ الذي صاهَرَ موسى

كان شعيبًا النبي؛ لا عن ابن عباس ولا غيره، بل المنقول عن الصحابة أنه لم يكن هو شعيب". وهذا هو الأَوْلَى؛ إذ الحُجَّةُ على المثبِتِ للمطابقة، ولا حجّة له"[6159].

- فقيل إنه رجل مؤمن مِن قوم شعيب النبى أو شيخ صالح مِن أهل مَدْيَن، لكنه ليس شعيب النبى. وقيل إن شعيباً كان قبل موسى بفترة زمنية طويلة تمتد لعدة قرون. ويبدو أنهم استدلوا على إيمانه وصلاحه بقوله لموسى: "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" (القصص 27).
- وقيل إن اسمه شعيب، لكنه ليس شعيب النبى.
- وقيل إن اسمه "يثرون". (وهو الاسم التوراتى لأبى زوجة موسى.) وقيل إنه ابن أخى شُعيب النبى.
- وقيل إن اسم هذا الشيخ الكبير هو مُبْهَمٌ مِن "مبهمات القرآن" التى يجب أن نتجاوزها إلى ما هو أنفع! وطبعاً قيل "الله أعلم"! ونحن نتساءل: "مبهمات القرآن" أم "ألغاز القرآن"؟ ولا نريد أن نقول "فوازير القرآن".

وعلى أى حال، فنحن سنشير إلى هذا الشيخ الكبير باسم "شعيب"، ليس لأنه الرأى الصحيح، ولكن لأنه الرأى المشهور عند كثير مِن المفسرين المسلمين كما قلنا.

وبعد سنين من الغياب، عاد موسى إلى مصر: "وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا (أى: ابتليناك ابتلاء) فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى" (طه 40)، أى: ثم عدت إلى مصر.

قال صاحب رواية سورة القصص: (بعد انتشار خبر جريمة القتل التى ارتكبها موسى) جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ (أى: الكبراء والأشراف مِن قوم فرعون) يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ {20} فَخَرَجَ (موسى) مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (بأن تخلصني مِن كيدهم[6160]) {21} وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ {22} وَلَمَّا وَرَدَ (أى: بلغ، وصل) مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً (أى: جماعة) مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ (غنمَهم) وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ (أى: تدفعان غنمَهما بعيداً عن الماء) قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي (غنمَنا) حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ (أى: حتى ينتهى الرعاة الرجال مِن سقى غنمهم وينصرفوا)[6161] وَأَبُونَا (شُعيب) شَيْخٌ كَبِيرٌ (ولا يوجد عندنا رجالٌ للرعى) {23} فَسَقَى (موسى) لَهُمَا (غنمَهما) ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ {24} فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ (شُعيب لموسى) لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {25} قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ[6162] {26} قَالَ (شُعيب لموسى) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ (أى: تعمل عندنا 8 سنوات) فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا (أى: 2+8=10 سنين) فَمِنْ عِنْدِكَ (أى: فهذا كرمٌ منك؛ على سبيل التفضُّل وليس الإلزام) وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ {27} (وَافَقَ موسى و) قَالَ (لشعيب) ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ

(أى: ثمانياً أو عشراً) فَلاَ عُدْوَانَ (أى: لا إثم؛ لا ظلم؛ لا حرج) عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (أي: شاهد ومطلع ورقيب) {28} فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ (فى مَدْيَن) وَسَارَ بِأَهْلِهِ (عائداً إلى مصر) [...] {29}.

ويقول القرآن لمحمد فى نفس السورة: "وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا (أى: مقيماً) فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ" (القصص 45)، أى أن معرفة محمد لهذه القصة تُستخدَم كدليل على أنه رسول مِن عند الله! بهذه البساطة؟!

بكل تأكيد لم يكن محمد مقيماً فى مَدْيَن أثناء حدوث هذه القصة – بفرض صحتها، لكن هذا لا يعنى أنه عرفها عن طريق الوحى الإلهى. وذلك لأن قصة هروب موسى مِن مصر إلى مدين ثم عودته إلى مصر بعد سنين من الغياب ليست قصة جديدة، فهى معروفة ومذكورة فى التوراة قبل القرآن بمئات السنين. والقصة أصلاً مستوحاة مِن قصة مصرية شهيرة هى قصة "سِنوحى" (Sinuhe) الذى هرب من مصر إلى آسيا ثم عاد إلى مصر بعد سنين من الغياب.

وسنبدأ حديثنا أولاً بالجذور التوراتية لهذه القصة المشهورة.

4.28.1 جذور القرآن فى التوراة

يحدثنا سفر الخروج عن ما حدث بعد انتشار خبر جريمة القتل التى ارتكبها موسى.

(الخروج 2): {14} [...] فَخَافَ مُوسَى **[← "خَائِفًا يَتَرَقَّبُ" (القصص 18) (القصص 21)]** وَقَالَ: «حَقًّا قَدْ عُرِفَ الأَمْرُ».

(الخروج 2): {15} فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ هذَا الأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى **[← اخترع أصحابُ القرآن شخصية رَجُل جَاءَ "مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ (مِن مصر)" (القصص 20)]**. وطبعاً لم يذكر القرآنُ اسمَ هذا الرجل الغامض الذى جَاءَ فجأة مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى؛ قيل إنه "مؤمن آل فرعون" (غافر 28-45) الذى لم يذكر القرآنُ اسمَه أيضاً! ولم يذكر القرآنُ كيف عرف هذا الرجل أن ملأ فرعون يَأْتَمِرُونَ بموسى لِيَقْتُلُوه، وكيف استطاع هذا الرجل المجهول الذى "جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ (أى: مِن آخرها أو مِن أبعد مكان فيها)" أن يصل إلى موسى بهذه السرعة الفائقة قبل جنود فرعون، وكأنه (superman)! إنه إذن مجرد شخصية أسطورية خارقة، شخصية وهمية خيالية مجهولة. ويبدو لنا أن هذه الشخصية القرآنية المجهولة مستوحاة مِن "الأجاداه" (Aggadah) (أى: القصص، الأساطير، النوادر والحكايات الدينية، الخرافات) اليهودية التى تقول إن واحداً من المؤمنين فى بلاط فرعون حاول أن ينقذ موسى[6163]!

وكذلك فى قصة قرآنية أخرى، هى قصة "أصحاب القرية" (يس 13-30)، اخترع أصحابُ القرآنِ شخصيةَ "رَجُل جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى" (يس 20). وفى كلتا الحالتين، تظهر الشخصية فجأة. صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا كتابة (rewrote) هذه القصص المتوارثة مستخدمين أحداث وهمية وعبارات خيالية، بدليل أنهم استخدموا نفس الأفكار والأحداث والعبارات الـ (formulaic) فى قصص مختلفة زمانياً ومكانياً.

(الخروج 2): {15} [...] فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ **[← "فَخَرَجَ مِنْهَا (أى: خَرَج موسى مِن مصر) خَائِفًا يَتَرَقَّبُ" (القصص 21)]** وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ **[← "تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ" (القصص 22)]**، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبِئْرِ **[← "وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ" (القصص 23)]**.

(الخروج 2): {16} وَكَانَ لِكَاهِنِ مِدْيَانَ (هو: الكاهِن رَعُوئِيل Reuel واسمه/لقبه أيضاً يَثرون Jethro) **[← النبى شُعيب]** سَبْعُ بَنَاتٍ **[← ابنتان (القصص 27)]**، فَأَتَيْنَ وَاسْتَقَيْنَ وَمَلأْنَ الأَجْرَانَ لِيَسْقِينَ غَنَمَ أَبِيهِنَّ. {17} فَأَتَى الرُّعَاةُ وَطَرَدُوهُنَّ. فَنَهَضَ مُوسَى وَأَنْجَدَهُنَّ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ **[← "وَجَدَ" موسى عند البئر "أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ (غنمهم) وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ (أى: تدفعان غنمهما بعيداً عن الماء) قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ (أى: حتى ينتهى الرعاة الرجال مِن سقى غنمهم وينصرفوا) وَأَبُونَا (شُعيب) شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى (موسى) لَهُمَا (غنمهما)" (القصص 23-24)]**.

أضاف أصحابُ القرآن دعاءَ موسى: "ثُمَّ تَوَلَّى (موسى) إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" (القصص 24). ونلاحظ هنا أن أصحاب القرآن قد جعلوا موسى الإسرائيلى يقول تقريباً نفس الجملة العربية/الإسلامية التى قالوها فى مواضع أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بقصة موسى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" (فاطر 15)، "وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ (إِلَيْهِ)" (محمد 38).

(الخروج 2): {18} فَلَمَّا أَتَيْنَ (أى: أتى البناتُ) إِلَى رَعُوئِيلَ أَبِيهِنَّ قَالَ: «مَا بَالُكُنَّ أَسْرَعْتُنَّ فِي الْمَجِيءِ الْيَوْمَ؟» {19} فَقُلْنَ: «رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَنْقَذَنَا مِنْ أَيْدِي الرُّعَاةِ، وَإِنَّهُ اسْتَقَى لَنَا أَيْضًا وَسَقَى الْغَنَمَ». {20} فَقَالَ (رَعُوئِيل) لِبَنَاتِهِ: «وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذَا تَرَكْتُنَّ الرَّجُلَ؟ ادْعُونَهُ لِيَأْكُلَ طَعَامًا» **[← استجاب اللهُ لدعاء موسى: "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ (شُعيب لموسى) لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (القصص 25)]**.

ونلاحظ هنا اختلافاً خطيراً بين التوراة والقرآن. لم تقل التوراة إن موسى حكى لرَعُوئيل ما حدث له فى مصر. أما القرآن فيقول إن موسى حكى لشعيب: "قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ" (القصص 25). ويُفهَم من ذلك أن شعيب عرف أن موسى قتل مصرياً ثم هرب مِن مصر[6164]. وخطورة هذا الاختلاف تكمن فى أنه يجعل شعيب (الرجل المؤمن الصالح؛ والنبى حسب الرأى المشهور) يتستر على قاتل هارب مِن الشرطة! أى: يجعل نبياً يتستر على مذنب! ليس هذا فحسب، بل يجعل هذا النبى يعرض عملاً (job offer) على هذا القاتل الهارب ويعرض أيضاً ابنتيه على هذا القاتل الهارب ليتزوج من إحداهما! فإذا كان شعيب نبياً – حسب الرأى

المشهور – ألا يتعارض تصرفه هذا مع "عصمة الأنبياء" المزعومة؟! وإذا كان مؤمناً صالحاً، ألا يتعارض تصرفه هذا مع إيمانه وصلاحه؟!

ونلاحظ أيضاً أن أصحاب القرآن قد جعلوا شُعيبَ المِديانى يقول نفس العبارة "نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (القصص 25) التى قالها موسى العِبرانى "قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (القصص 21)، وهى أيضاً نفس العبارة التى قالتها امرأة فرعون "قَالَتْ رَبِّ [...] نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (التحريم 11)، ونفس العبارة التى زعم القرآن أن الله قالها لنوح "فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (المؤمنون 28). صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا كتابة (rewrote) هذه القصص المتوارثة مستخدمين عبارات خيالية تلائم بيئتهم العربية فى القرن السابع الميلادى، بدليل أنهم استخدموا نفس الكلمات الـ (formulaic) فى مواقف مختلفة ولشخصيات مختلفة ثقافياً ولغوياً واجتماعياً. إنها إذن عبارات إسلامية/عربية من تأليف أصحاب القرآن، فوضعوها مرة على لسان شُعيبَ المِديانى، ووضعوها مرة أخرى على لسان موسى العِبرانى، ووضعوها مرة ثالثة على لسان امرأة فرعون.

(الخروج 2): {21} فَارْتَضَى مُوسَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَ الرَّجُلِ (رَعُوئِيل)، فَأَعْطَى مُوسَى صَفُّورَةَ ابْنَتَهُ (ليتزوجها) **[← "قَالَ (شُعيب لموسى) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ (أى: تعمل عندنا 8 سنوات) فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا (أى: 2+8=10 سنين) فَمِنْ عِنْدِكَ (أى: فهذا كرم منك؛ على سبيل التفضُّل وليس الإلزام) وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. (وَافَقَ موسى و) قَالَ (لشعيب) ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ (أى: ثمانياً أو عشراً) فَلَا عُدْوَانَ (أى: لا إثم؛ لا ظلم) عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" (القصص 27-28)]**. ونلاحظ هنا أن أصحاب القرآن قد جعلوا موسى يقول نفس العبارة "اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" (القصص 28) التى قالها جده الأكبر يعقوب (إسرائيل) الذى قال لإخوة يوسف: "اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" (يوسف 66)! كما قلنا فيما سبق، توجد تشابهات كثيرة بين قصتي موسى ويوسف، مما يجعل الأفكار والعبارات والكلمات تنتقل بسهولة وسلاسة مِن قصةٍ إلى أخرى.

كالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فى مدة عمل موسى كأجير عند شعيب. قال الشيخ عبد الوهاب النجار: "والمفسرون للقرآن الكريم على أنه (أى: موسى) قضى أكبر الأجلين أى أنه خدم صهره عشر سنين"[6165]. واستدلوا على ذلك بحديث صحيح موقوف يقول إن ابن عباس سُئِل: أي الأجلين قضى موسى؟ فقال ابن عباس: "قضى أكثرهما وأطيبهما"[6166]، أى: أتمهما وأكملهما وأكثرهما كرماً. ونحن لا يهمنا المدة بالضبط، وإنما يهمنا فقط أنها زادت عن المدة المتفق عليها فى البداية وهى 8 سنوات.

إذن: حَرَّفَ أصحابُ القرآنِ هذا الجزء مِن القصة التوراتية وجعلوا موسى يصاهر شُعيبَ مقابل عمله كأجير عند شعيب 8 سنوات (القصص 26-28) ثم زاد موسى سنتين فصارت المدة كلها 10 سنين (القصص 29). وهذه الفكرة ليست جديدة، إذ هى مستوحاة - بل تكاد تكون منقولة - مِن قصة جده الأكبر يعقوب

(إسرائيل) الذى صاهر "لابانَ" (Laban) مقابل عمله كأجير عند لابان 7 سنوات ثم زاد يعقوب 7 سنوات فصارت المدة كلها 14 سنة (التكوين 29:1-30)[6167].

بعبارة أخرى: أخذ صاحبُ رواية سورة القصص أفكاراً وأحداثاً مِن قصة يعقوب وصهره لابان وأدخلها فى قصة موسى وصهره شعيب، فأنتج قصة قرآنية واحدة (القصص 20-28) هى فى الواقع مزيج مِن قصتين توراتيتين: قصة موسى وصهره (الخروج 2:14-21) التى ذكرناها، وقصة يعقوب وصهره (التكوين 29:1-30) التى نذكرها الآن.

(التكوين 29): {1} ثُمَّ رَفَعَ يَعْقُوبُ **[⟵ موسى]** رِجْلَيْهِ وَذَهَبَ إِلَى أَرْضِ بَنِي الْمَشْرِقِ **[⟵ "تَوَجَّهَ (شرقاً) تِلْقَاءَ مَدْيَنَ" (القصص 22)]**. {2} وَنَظَرَ وَإِذَا فِي الْحَقْلِ بِئْرٌ **[⟵ "وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ" (القصص 23)]** وَهُنَاكَ ثَلاَثَةُ قُطْعَانِ غَنَمٍ رَابِضَةٌ عِنْدَهَا، لأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ تِلْكَ الْبِئْرِ يَسْقُونَ الْقُطْعَانَ **[⟵ "وَجَدَ" موسى عند البئر "أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ (غنمهم)" (القصص 23)]**، وَالْحَجَرُ عَلَى فَمِ الْبِئْرِ كَانَ كَبِيرًا. {3} فَكَانَ يَجْتَمِعُ إِلَى هُنَاكَ جَمِيعُ الْقُطْعَانِ فَيُدَحْرِجُونَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ وَيَسْقُونَ الْغَنَمَ، ثُمَّ يَرُدُّونَ الْحَجَرَ عَلَى فَمِ الْبِئْرِ إِلَى مَكَانِهِ. {4} فَقَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ: «يَا إِخْوَتِي، مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ؟» فَقَالُوا: «نَحْنُ مِنْ حَارَانَ». {5} فَقَالَ لَهُمْ: «هَلْ تَعْرِفُونَ لاَبَانَ **[⟵ شُعيب]** ابْنَ نَاحُورَ؟» فَقَالُوا: «نَعْرِفُهُ». {6} فَقَالَ لَهُمْ: «هَلْ لَهُ سَلاَمَةٌ؟ (أى: هل هُوَ بِخَيْرٍ؟)» فَقَالُوا: «لَهُ سَلاَمَةٌ. وَهُوَذَا رَاحِيلُ (Rachel) ابْنَتُهُ (الصُّغْرَى) آتِيَةٌ مَعَ الْغَنَمِ». {7} فَقَالَ: «هُوَذَا النَّهَارُ بَعْدُ طَوِيلٌ. لَيْسَ وَقْتَ اجْتِمَاعِ الْمَوَاشِي. اِسْقُوا الْغَنَمَ وَاذْهَبُوا ارْعَوْا». {8} فَقَالُوا: «لاَ نَقْدِرُ حَتَّى تَجْتَمِعَ جَمِيعُ الْقُطْعَانِ وَيُدَحْرِجُوا الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ، ثُمَّ نَسْقِي الْغَنَمَ».

{9} وَإِذْ هُوَ بَعْدُ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ أَتَتْ رَاحِيلُ مَعَ غَنَمِ أَبِيهَا **[⟵ "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ" (القصص 25)]**، لأَنَّهَا كَانَتْ تَرْعَى. {10} فَكَانَ لَمَّا أَبْصَرَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ بِنْتَ لاَبَانَ خَالِهِ، وَغَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ، أَنَّ يَعْقُوبَ تَقَدَّمَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ **[⟵ "الْقَوِيُّ" (القصص 26)]** وَسَقَى غَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ **[⟵ "فَسَقَى (موسى) لَهُمَا (غنمَ شُعيب)" (القصص 24)]**. [...] {12} وَأَخْبَرَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ أَنَّهُ أَخُو أَبِيهَا (أى: قريب والدها)، وَأَنَّهُ ابْنُ رِفْقَةَ، فَرَكَضَتْ (رَاحِيلُ) وَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا. {13} فَكَانَ حِينَ سَمِعَ لاَبَانُ خَبَرَ يَعْقُوبَ ابْنِ أُخْتِهِ أَنَّهُ رَكَضَ لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَقَبَّلَهُ وَأَتَى بِهِ إِلَى بَيْتِهِ. فَحَدَّثَ لاَبَانَ بِجَمِيعِ هذِهِ الأُمُورِ. {14} فَقَالَ لَهُ لاَبَانُ: «إِنَّمَا أَنْتَ عَظْمِي وَلَحْمِي». فَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ.

{15} ثُمَّ قَالَ لاَبَانُ لِيَعْقُوبَ: «أَلأَنَّكَ أَخِي (أى: قريبى) تَخْدِمُنِي مَجَّانًا؟ أَخْبِرْنِي مَا أُجْرَتُكَ **[⟵ "قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ" (القصص 26)]**». {16} وَكَانَ لِلاَبَانَ ابْنَتَانِ **[⟵ وكان لشعيب ابنتان (القصص 27)]**، اسْمُ الْكُبْرَى لَيْئَةُ (Leah) وَاسْمُ الصُّغْرَى رَاحِيلُ. [...] {18} وَأَحَبَّ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ، فَقَالَ: «أَخْدِمُكَ سَبْعَ سِنِينٍ بِرَاحِيلَ ابْنَتِكَ الصُّغْرَى». {19} فَقَالَ لاَبَانُ (ليعقوب): «أَنْ أُعْطِيَكَ إِيَّاهَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ أُعْطِيَهَا لِرَجُلٍ آخَرَ. أَقِمْ عِنْدِي **[⟵ "قَالَ (شُعيب لموسى) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي**

ثَمَانِيَ حِجَجٍ (أى: تعمل عندنا 8 سنوات)" (القصص 27)]». {20} فَخَدَمَ يَعْقُوبُ بِرَاحِيلَ سَبْعَ سِنِينٍ، وَكَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لَهَا. {21} ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ لِلاَبَانَ: «أَعْطِنِي امْرَأَتِي لأَنَّ أَيَّامِي قَدْ كَمُلَتْ، فَأَدْخُلَ عَلَيْهَا». {22} فَجَمَعَ لاَبَانُ جَمِيعَ أَهْلِ الْمَكَانِ وَصَنَعَ وَلِيمَةً. {23} وَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّهُ أَخَذَ لَيْئَةَ ابْنَتَهُ (وليس راحيل حسب الاتفاق) وَأَتَى بِهَا إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا. [...] {25} وَفِي الصَّبَاحِ إِذَا هِيَ لَيْئَةُ، فَقَالَ (يعقوبُ) لِلاَبَانَ: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ أَلَيْسَ بِرَاحِيلَ خَدَمْتُ عِنْدَكَ؟ فَلِمَاذَا خَدَعْتَنِي؟». {26} فَقَالَ لاَبَانُ: «لاَ يُفْعَلُ هكَذَا فِي مَكَانِنَا أَنْ تُعْطَى الصَّغِيرَةُ قَبْلَ الْبِكْرِ. {27} أَكْمِلْ أُسْبُوعَ هذِهِ، فَنُعْطِيَكَ تِلْكَ أَيْضًا، بِالْخِدْمَةِ الَّتِي تَخْدِمُنِي أَيْضًا سَبْعَ سِنِينٍ أُخَرَ **[⟵ "إِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا (أى: 2+8=10 سنين)" (القصص 27)]**». {28} فَفَعَلَ يَعْقُوبُ هكَذَا. فَأَكْمَلَ أُسْبُوعَ هذِهِ، فَأَعْطَاهُ رَاحِيلَ ابْنَتَهُ زَوْجَةً لَهُ. [...] {29} فَدَخَلَ (يعقوبُ) عَلَى رَاحِيلَ أَيْضًا، وَأَحَبَّ أَيْضًا رَاحِيلَ أَكْثَرَ مِنْ لَيْئَةَ. وَعَادَ فَخَدَمَ عِنْدَهُ سَبْعَ سِنِينٍ أُخَرَ **[⟵ "قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ (فى مَدْيَن)" (القصص 29)]**.

مما سبق يتضح أن صاحب رواية سورة القصص قد استغل معرفته الجيدة بالتراث اليهودى، فَحرَّف قصة موسى، واستعان على ذلك بعناصر مِن قصة جده الأكبر يعقوب (إسرائيل)، مثل: عدد البنات (ابنتان)، والمصاهرة مقابل العمل كأجير، وزيادة المدة المتفق عليها. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التى يدمج فيها أصحابُ القرآن قصتين كتابيتين فى أسطورة قرآنية واحدة.

ومِن الجدير بالذكر أنه توجد آراء أخرى[6168] حول لماذا صار عدد بنات الشيخ/الكاهن المدياني اثنتين في القصة القرآنية (القصص 27) وليس سبعة كما جاء في القصة التوراتية (الخروج 2:16)؟ ومِن أطرف هذه الآراء أن صاحب رواية سورة القصص جعل عدد البنات "اثنتين" (a pair) حتى يتماشى ذلك مع "ثنائيات" (pairs) أخرى في قصة موسى القرآنية؛ مثلاً: موسى وهارون، أم موسى وأخته، فرعون وهامان، رجلان يقتتلان ... الخ. إلا أننا نرى أن السبب الأرجح هو – كما قلنا – أن صاحب رواية سورة القصص أدمج عناصر من قصة يعقوب الكتابية في أسطورة موسى القرآنية.

وكالعادة، كل أسطورة قرآنية تؤدى إلى أساطير أخرى أكبر منها فى كتب الأحاديث والتفسير وقصص الأنبياء. وسنعطى ثلاثة أمثلة على ذلك وهي أيضاً تُقوي الرأي الذي نؤيده.

- <u>المثال الأول مِن كتب الأحاديث.</u> فإنه لمِن الطريف أننا وجدنا حديثاً[6169] يقول إن موسى تزوَّج الأخت الصغرى وإنه رفع حَجَرَاً ثقيلاً (أو: صخرة) مِن فوق البئر؛ واتخذوا ذلك دليلاً على قوة موسى (القصص 26). ونحن لا يهمنا مدى صحة هذا الحديث[6170] بقدر ما يهمنا الإجابة على السؤال التالى: مِن أين أتى مؤلف هذا الحديث بهذا الكلام؟ الإجابة: يعنى حيكون جابه منين؟ طبعاً مِن نفس المصدر التوراتى، مِن قصة يعقوب وصهره لابان (التكوين 29:1-30). يعقوب هو الذى أراد أن يتزوج الأخت الصغرى (التكوين 29:18) وهو الذى دَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ (التكوين 29:10). إذن:

كما استعان أصحابُ القرآن بعناصر من قصة يعقوب وصهره لابان، كذلك استعان واضعو الأحاديث بعناصر من نفس القصة التوراتية وأدخلوها فى قصة موسى وصهره شعيب!

- المثال الثانى مِن كتب التفسير. فلقد قيل إن هذه القصة القرآنية تتحدث عن "بئرين"، "وإن البئر التى رفع موسى غطاءها كانت غير البئر التى يسقى منها الرعاة". قال تفسير الجلالين: ""فَسَقَى (موسى) لَهُمَا" مِنْ بِئْر أُخْرَى بِقُرْبِهِمَا، رَفَعَ حَجَرًا عَنْهَا لَا يَرْفَعهُ إلَّا عَشَرَة أَنْفُس"[6171]. وقال البيضاوى: "قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعة رجال أو أكثر، فأقله (موسى) وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم؛ وقيل كانت بئراً أخرى عليها صخرة فرفعها (موسى) واستقى منها"[6172]. ونحن نرى أن هؤلاء المفسرين المسلمين قد أدركوا – أو على الأقل: أحسوا – شيئاً ما فى القصة القرآنية (القصص 20-29) يدل على أنها فى الواقع مجرد دمج وخلط لقصتين وبئرين: البئر التى رفع يعقوب غطاءها (التكوين 29:10) والبئر التى سَقَى منها موسى (الخروج 2:17).
- المثال الثالث مِن كتب قصص الأنبياء. فلقد قيل إن اسم الأخت الصغرى "صفورًا" واسم الأخت الكبرى "ليَّا"[6173]. وقال الفخر الرازى: "وقال محمد بن اسحاق فى البنتين اسم الكبرى صفورا، والصغرى ليا"[6174]. تعليقنا: هذا الاسم الأول هو اسم "صَفُّورَة" (Zipporah) التى تزوجها موسى (الخروج 2:21)، وذاك الاسم الثانى هو اسم "لَيْئَة" (Leah) التى تزوجها يعقوب (التكوين 29:16). إذن: كما جمع أصحابُ القرآن بين القصتين التوراتيتين – موسى (الخروج 2:14-22) ويعقوب (التكوين 29:1-30) – فى قصة قرآنية واحدة (القصص 20-29)، كذلك جمع الكتاب المسلمين بين نفس القصتين التوراتيتين.

ونلاحظ أيضاً أن أصحاب القرآن قد جعلوا شعيب المِديانى يقول لموسى الإسرائيلى: "إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ" (القصص 27). وما يهمنا هنا هو كلمة "حِجَجٍ" التى وضعها أصحابُ القرآن على لسان شعيب المِديانى. "حِجَجٍ" جَمْع "حِجَّة" التى تُستخدَم فى اللغة العربية لتدل على "الحِج" الذى يُعقَد مرة كل سنة عند الكعبة فى مكة. وبالتالى فإن "ثَمَانِيَ حِجَجٍ" تعنى 8 سنوات.

سؤال: هل يوجد أى دليل تاريخى واحد يثبت أن المِديانيين أيام موسى كانوا يتحدثون اللغة العربية أو كانوا يستخدمون كلمة "حِجَجٍ" بمعنى "سنوات" أو للإشارة إلى عدد السنين؟ إذا كانت الإجابة هى "لا"، فليس أمامنا سوى أن نقول إن أصحاب القرآن قد أدخلوا عاداتهم وتقاليدهم ومفرداتهم العربية على قصة موسى التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage).

وبذلك فإن هذا الجزء من القصة القرآنية هو عبارة عن خليط من ثلاثة عناصر على الأقل، وهى: (1) قصة موسى فى سفر الخروج، (2) قصة يعقوب فى سفر التكوين، (3) عادات وتقاليد العرب فى القرن السابع الميلادى. وكما نقول دائماً: القرآن – بل: الإسلام بصفة عامة – هو مجرد محاولة بشرية شرق-

أوسطية لدمج التراث الشعبي القومي (العربي) مع التراث الشعبي الديني (اليهودي والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)) في كيانٍ واحد نتج مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي (natural human development) للثقافة العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian). وكل الأدلة في هذه المذكرات ستؤكد هذه النتيجة التي لا نزعم أننا أول مَن وصل إليها.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[⟵ القرآن كلام العرب]**.

نعود إلى قصة موسى فى الكتاب المقدس: "فَوَلَدَتِ (زوجةُ موسى) ابْنًا فَدَعَا (موسى) اسْمَهُ «جَرْشُومَ»، لأَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلاً فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ»" (الخروج 2:22). "وَصَارَ (موسى) غَرِيبًا فِي أَرْضِ مَدْيَانَ، حَيْثُ وَلَدَ ابْنَيْنِ" (أعمال الرسل 7:29). أى أن موسى أنجب وكَوَّن أسرة فى غربته. وهذا أيضاً ما يُفهَم مِن ظاهر القصة القرآنية، بدليل كلمة "أَهْلِهِ" (القصص 29) (طه 10) (النمل 7)، وبدليل أنه خاطب أهلَه بالجمع: "قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ [...] سَآتِيكُمْ [...] أَوْ آتِيكُمْ [...] لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" (النمل 7) "قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا [...] لَعَلِّي آتِيكُمْ [...] لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" (القصص 29) "قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا [...] لَعَلِّي آتِيكُمْ" (طه 10).

"وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ مَاتَ (وتولى فرعون جديد زمامَ السلطة فى مصر). وَتَنَهَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَصَرَخُوا، فَصَعِدَ صُرَاخُهُمْ إِلَى اللهِ مِنْ أَجْلِ الْعُبُودِيَّةِ" (الخروج 2:23).

ونلاحظ هنا أن هذه الآية التوراتية تُميّز بين "فرعونين":

- فرعون الأول هو "فرعون التسخير" أو "فرعون الاضطهاد" (Pharaoh of the oppression) الذى كان يستعبد بنى إسرائيل وأراد أن يقتل موسى لكن موسى هرب منه إلى مدين (الخروج 2:15)؛
- وفرعون الثانى هو "فرعون الخروج" (Pharaoh of the Exodus) الذى حدث فى عهده أن خرج بنو إسرائيل من مصر بقيادة موسى، وبالتالى تحرروا مِن العبودية.

أما القرآن، فنجده دائماً يستخدم كلمة "فرعون" دون أى تمييز واضح! نجد دائماً كلمة "فرعون" فى هذه القصة القرآنية مِن أول ميلاد موسى حتى غرق فرعون، أى: مِن أول القصة إلى آخرها! ولا ندرى ماذا كان يدور فى أذهان أصحاب القرآن حين أعادوا كتابة (rewrote) هذه القصة اليهودية/المسيحية فى كتابهم العربى: هل كانوا يقصدون فرعون واحد أم فرعونين؟ ولذلك كانت النتيجة الطبيعية والحتمية هى - كالعادة - اختلاف المفسرين المسلمين:

- يرى الشيخ عبد الوهاب النجار أنهما "فرعونان" كما تقول التوراة، إذ يقول: "رعمسيس (أى: رمسيس) الثانى قد يُعتبَر الفرعون الذى اضطهد بنى إسرائيل وولد موسى فى زمنه، [...]. ويكون منفتاح (أى: مِرنبتاح ابن رمسيس الثانى) هو فرعون الخروج، الذى أرسل إليه موسى وهارون

عليهما السلام لإخراج بنى إسرائيل من مصر، وتكون التوراة على صواب عندما قالت: وفى هذه الأثناء كان ملك مصر قد مات"[6175].

- أما أ. د. عمر سليمان عبدالله الأشقر (كلية الشريعة - الجامعة الأردنية) فيرى أنه فرعون واحد، إذ يقول إن "سياق النصوص القرآنية يدلُّ على أن موسى عندما رجع إلى مصر، وجد الفرعون الذى كان موجوداً قبل مغادرته مصر لا يزال هو حاكم البلاد"، وطبعاً ختم كلامَه بالعبارة الإسلامية الشهيرة: "والله أعلم بالصواب"[6176].
- أما د. صلاح الخالدى فكان أكثر ذكاءاً، إذ ترك الباب مفتوحاً لكلا الاحتمالين وقال: "قد يكون هو فرعونُ نفسه، امتد به الحكمُ والعمرُ هذه السنين الطويلة، وبقى حاكماً على مصر منذ ولادة موسى إلى أن عاد إليه نبياً، وكان هلاكه غرقاً فى البحر لما لحقَ ببنى إسرائيل. وقد يكون فرعوناً آخر حكمَ بعد الأول. لا تتحدث آياتُ القرآن عن ذلك، [...]. ولهذا لا تحدد الآياتُ اسمَ فرعون، فهو من "مبهمات القرآن". أما المؤرخون فيذهبون إلى أنهما فرعونان، الأب والابن"[6177].

وبما أنه لا يوجد أى دليل علمى قاطع يثبت أن قصة موسى وفرعون قصة تاريخية حقيقية، فإنه مِن العبث أن نناقش هل هما "فرعونان" (كما تقول التوراة) أو "فرعون واحد" (كما يُفهَم مِن القرآن). وكما سبق وقلنا، إن كل الأدلة تؤكد أن قصة الخروج القرآنية هى مجرد قصة أدبية: موسى يرمز للخير، وعدوه فرعون يرمز للشر. ومِن ثم، لم يهتم أصحابُ القرآن بتحديد هل هو فرعون واحد أو فرعونان، ولم يهتموا بتحديد اسم "فرعون". فليس المهم اسم فرعون، وإنما أفعاله. المهم ليس الشخص (person)، وإنما الشخصية (character).

4.28.2 الخلاص [⟵ النجاة، الفرقان]

ولكى ينتصر الخير (موسى) على الشر (فرعون)، انتهى هذا الجزء مِن قصة "الخروج" (Exodus) القرآنية بنفس نهاية الجزء المناظر له فى قصة "الخروج" (Exodus) التوراتية وهى عودة موسى إلى مصر ليحرر قومَه بنى إسرائيل مِن قبضة فرعون الذى كان يستعبدهم، أى مِن أجل نعمة "الخَلاص"[6178] (Salvation)، أو بالتعبير القرآنى نعمة "النجاة" (Salvation)[6179] (غافر 41): "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ [...] وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ[6180] مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ [...] وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ" (البقرة 47-50)، "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ" (إبراهيم 6)، "نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الدخان 30)، "وَلَقَدْ مَنَنَّا (أى: أنعمنا) عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا" (الصافات 114-115)، "نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (التحريم 11)، "يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ [...]. فَخَرَجَ مِنْهَا [...] قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (القصص 20-21)، "نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (القصص 25)، "فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ

الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا (أى: اخْتَبَرْنَاك بِالْإِيقَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ وَخَلَّصْنَاك مِنْهُ[6181])" (طه 40)، "قَالَ (موسى) رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ" (القصص 17)، "نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ (أى: خَلِّصْنَا بنعمتك[6182]) مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (يونس 86)، "النَّجَاةِ" (غافر 41)، "وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ" (الشعراء 65)، "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ" (المائدة 20)، "أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ" (الأعراف 141)، "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ" (طه 80).

وقال أ. د. محمد عثمان الخشت (أستاذ فلسفة الدين والفلسفة الحديثة والمعاصرة - كلية الآداب - جامعة القاهرة): "خلاص (Salvation) فى الدين أنه النجاة فى الأساس من الأوضاع السلبية (negative conditions) كالمعاناة، والشر، والموت"[6183]. وهذا يؤكد أن "النجاة" فى الديانة الإسلامية تناظر "الخلاص" فى الديانتين اليهودية والمسيحية، وإنْ اختلفت كيفية تحقيقه.

ويعبّر القرآنُ أحياناً عن الخلاص **[← النجاة]** بكلمة "الفرقان". اقرأ مثلاً: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا (يفرق بَيْنَكُمْ وَبَيْن مَا تَخَافُونَ - أو: مَن تَخَافُونَ - فَتَنْجُونَ[6184]) وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (الأنفال 29)[6185]. وهل يوجد فَضْل مِن الله أعظم مِن نعمة الخلاص وغفران الخطايا والتكفير عن الإنسان من جميع ذنوبه؟ أو كما قال الإنجيل قبل القرآن بمئات السنين: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ (أي: فَضْل ونعمة مِن الله الرحيم ولَيْسَ بسبب بِرّكم الذاتي ولا على أساس أعمالكم الصالحة)" (أفسس 2:8). وكذلك في العهد القديم أيضاً: "لأَنَّهُ لا لأجلِ برّنا نَطرَحُ تضَرُّعاتِنا أمامَ وجهِكَ، بل لأجلِ مَراحِمِكَ العظيمَةِ" (دانيال 9:18).

ولقد ذكر ابن الجوزى فى تفسير كلمة "فُرْقَانًا" (الأنفال 29) أربعة أقوال، ثانيها "النجاة"[6186].

وقال العالِم المغربي محمد المسيَّح إن كلمة "فُرْقَان" القرآنية أصلها سرياني "فُرْقَانا" بمعنى "تخليص"[6187]. وكذلك قال العالِم الكبير "غبريال ساوما" (Gabriel Sawma) إن كلمة "فُرْقَان" القرآنية أصلها آرامى (سريانى) يعنى "خَلاص"[6188]. وهى معلومة ليست جديدة، إذ هى مذكورة فى كتاب العالم الكبير (Arthur Jeffery) الذى قال إن الكلمة قد انتقلت إلى القرآن عن طريق المسيحيين الذى يتحدثون الآرامية (Aramaic-speaking Christians)[6189].

وقالت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) إن "فُرْقَانًا" (الأنفال 29) يمكن أن تعنى "نجاة" (deliverance)، وإن محمد تبنى فكرة نجاة بنى إسرائيل، وطَبَّقها على انتصار المسلمين في الحرب يوم بدر (2هـ)[6190]، "يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ" (الأنفال 41)، أى اليوم الذى "فَرَق" بين المؤمنين وأعدائهم الكافرين؛ أو: "فَرَق" بين الحق والباطل، من وجهة نظرهم. وهكذا صار يوم بدر هو "يَوْمَ الْفُرْقَانِ" (الأنفال 41) يوم كانت دماءُ الشهداء المسلمين الأوائل فداءً (redemption) وخلاصاً (salvation) لإخوانهم المسلمين الأوائل الذين ظلوا على قيد الحياة بعد موقعة بدر. فكان انتصار المسلمين الأوائل على كفار مكة "فرقاناً" مثل انتصار بنى إسرائيل (اليهود الأوائل) على فرعون الكافر وجنوده. أو

كما قال القرآنُ فى نفس السورة: "كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ. [...]. كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ" (الأنفال 52-54).

وفى قصة الخروج القرآنية: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ [...] وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ [...] وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ [...] وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ (أى: التوراة) وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (البقرة 47-53)، "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ" (الأنبياء 48).

قال الماوردى وغيره فى تفسير (البقرة 53): "وفى الفرقان أربعةُ أقاويل: أحدها: أن الفرقان هو الكتاب فذكره باسمين تأكيداً [...]. والثانى: أن الفرقان: ما فى التوراة مِن فَرْقٍ بين الحق والباطل [...]. والثالث: أن الفرقان النصر، الذى فرَّق الله به بين موسى وفرعون، حتى أنجى موسى وقومَه، وأغرق فرعونَ وقومَه [...]. والرابع: أن الفرقان: انفراق البحر لبنى إسرائيل، حتى عبروا فيه"[6191].

تعليقنا: المعنى الثالث هو الأقرب إلى معنى الخلاص (النجاة)، ولا يتعارض مع المعانى الأخرى، بل يكملها ويتممها. ويجب هنا أن نقول إن كلمة "خلاص" تأتي أحياناً في الكتاب المقدس بمعنى النصر في الحرب: "نَتَرَنَّمُ بِخَلاَصِكَ، وَبِاسْمِ إِلهِنَا نَرْفَعُ رَايَتَنَا" (المزامير 5:20)[6192]. فنحن لا نرى تعارضاً بين الفُرقان (بمعنى التوراة) والفُرقان (بمعنى الخلاص مِن أي شيء سيء كالهزيمة مثلاً)[6193]، إذ أن هدف الكتاب المقدس كله هو إعلان "خطة الخلاص" (Salvation Plan): 80% مِن التوراة تتحدث عن قصة الخروج، التي هي قصة خلاص بني إسرائيل وانتصار الخير/الإيمان (موسى) على الشر/الكفر (فرعون). وإذا نظرنا إلى سفر التكوين، فسنجد قصة خَلاص نوح، وقصة خَلاص لوط، وقصة خَلاص الذبيح إسحاق، وقصص خَلاص أخرى. أما الإنجيل، فإنه البشارة بمجيء الفادى والمُخلِّص يسوع المسيح الذى مات على الصليب ليُكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنا وَيَغْفِرْ لَنا ثم قام من الأموات، أي انتصر على الموت نفسه؛ وكل ذلك مِن أجل خلاصنا نحن. وحتى فى القرآن، نجد خَلاص نوح[6194]؛ خَلاص هود[6195]؛ خَلاص صالح[6196]؛ خلاص إبراهيم[6197]؛ خلاص لوط[6198]؛ فِداء وخلاص الذبيح (إسحاق وليس إسماعيل)[6199]؛ خَلاص شعيب[6200]؛ خَلاص يونس[6201] ... الخ.

بل إن القرآن أحياناً يستخدم كلمة "الفُرقان" بمعنى "القرآن" (الفرقان 1). ولا عجب فى ذلك، فلقد نظر أصحابُ القرآن إلى كتابهم باعتباره الخلاص مِن الوثنية والشرك، أو باعتباره الحق الذى سيُخلِّصهم مِن الباطل، أو اللحظة الفارقة التى تفصل بين الماضى والمستقبل.

وكما ارتبط الخلاصُ الذى حققه موسى (كليم الله) بإعطائه التوراة وانتصاره على فرعون وعلى العبودية فى مصر، وارتبط الخلاصُ الذى حققه المسيحُ (كلمة الله) بالمسيح نفسه وانتصاره على الخطية وعلى الموت، جعلوا الخلاصَ الذى حققه محمدٌ (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) مرتبطاً

بإعطائه القرآن (كلام الله حسب العقيدة الإسلامية)، بل هو القرآن نفسه وانتصاره على كفار مكة[6202]. هذا الانتصار الذى رأوه بأعينهم للمرة الأولى يوم معركة بدر (يوم الفرقان) – البداية الحقيقية والفعلية للإسلام المسلح المستمر إلى اليوم – يوم كانت دماءُ الشهداء المسلمين فداءً وخلاصاً لإخوانهم المسلمين الذين ظلوا على قيد الحياة بعد المعركة. وكأن المسلمين الأوائل لم يروا الخلاص (الفرقان) إلا فى القرآن والسيف؛ الإيمان والجهاد "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ (deal) تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" (الصف 10-13)! والآن: المصحف والمسدس ... الشيخ واللواء ... العِمَّة والكاب ... البروباجاندا والعنف (الإرهاب بكل درجاته وأنواعه وأشكاله).

البروباجاندا تقوم بها الحكومات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية الرسمية والأفراد. أما العنف – بكل درجاته وأنواعه وأشكاله بما فيها الإرهاب الفكري والتحريض والكراهية – فتقوم به الجماعات الإسلامية المسلحة والمؤسسات الإسلامية غير الرسمية، وأحياناً بعض الحكومات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية الرسمية والأفراد أيضاً! وهذا هو حال الإسلام اليوم فى كلمتين: بروباجاندا + عنف.

البروباجاندا الإسلامية ليس لها مستقبل، ومعظم ضحاياها الآن مِن المسلمين البسطاء والمخدوعين. والعنف الإسلامى ليس له مستقبل، ومعظم ضحاياه الآن مِن المسلمين المقتولين سواء من الإرهابيين أو مِن الجيش والشرطة والمدنيين. لا فرق بين شيطان (اسمه: العنف) يَقتل وشيطان (اسمه: البروباجاندا) يَكذب[6203]. كلاهما شيطان. لا فرق بين شيطان (اسمه: العنف) يَقتل الإنسانَ وشيطان (اسمه: البروباجاندا) يدمر عقلَ الإنسان. كلاهما شيطان. فإذا اعتمد المسلمون على البروباجاندا والعنف فقط، فإن الإسلام نفسه سيكون بلا مستقبل. عليكم أيها المسلمون أن تعتمدوا على العقل وأن تعترفوا بالمشكلات التى يعانى منها القرآنُ والمصحفُ والبخارى ومسلم ... الخ. عليكم أن تُطوّروا الإسلامَ إنْ أردتم أن تحافظوا عليه. الدين الذى لا يتطور سينقرض حتماً. وأول خطوة فى هذا التطور هو أن تعترفوا ببَشرية القرآن.

4.28.3 جذور القرآن فى التراث الأدبى المصرى

بعد أن تحدثنا عن الجذور التوراتية لقصة هروب موسى إلى مدين ثم عودته إلى مصر بعد سنين من الغياب، لم يتبق لنا سوى أن نذكر الجذور العميقة لهذه القصة. نقصد: جذورها فى الأدب المصرى القديم، وتحديداً فى قصة سِنوحى (Story of Sinuhe) التى توارثتها الأجيال منذ 1800 ق.م[6204]، أى قبل جميع الديانات الإبراهيمية بمئات السنين وقبل الإسلام بأكثر من 2400 سنة.

أولاً نوضِّح أهم أوجه التشابه بين سنوحى وموسى:

- كلاهما وُلِد فى مصر، والأصل المصرى لاسمهما يعنى "ابن".
- كلاهما ارتبطت حياتُه فى مصر بـ "ابنة فرعون" (حسب الكتاب المقدس) التى هى أيضاً "امرأة فرعون" (حسب القرآن).
- كلاهما بدأت المشكلات تطارده مع قيام ملك جديد على مصر.
- كلاهما هرب من مصر خوفاً على حياته بعد جريمة قتل.
- كلاهما توجه شرقاً إلى آسيا.
- كلاهما تزوج فى الغربة من ابنة رجل غريب.
- كلاهما كَوَّن أسرة فى غربته.
- كلاهما عاد إلى مصر بعد أن تولى فرعون جديد زمام السلطة.
- كلاهما ذهب بعد ذلك إلى فرعون وملئه.

تدور أحداث هذه القصة المصرية الشهيرة فى القرن العشرين قبل الميلاد وتتحدث عن انتماء الموظف المصرى (Egyptian official) وحبه لبلده مصر مهما طال غيابه عنها. هذا الموظف هو "سنوحى" الذى يعنى اسمه "ابن الجميز" (Son of the Sycamore). وإنه لمِن الطريف أننا وجدنا فى لسان العرب أن موسى اسم "عربىٌّ مُعَرَّبٌ، وهو "مُو" أى ماء، و "سا" أى شجر لأن التابوت الذى كان فيه وُجِدَ بين الماء والشجر، فسمى به"[6205]! وبغض النظر عن صحة هذا الكلام، فإنه يشير إلى أن العلاقة بين سنوحى (النيل وشجرة الجميز) وموسى (الماء والشجر) قد وصلت إلى العرب.

كان سنوحى يعمل فى القصر الملكى لدى الأميرة "نِفرو" (Neferu) ابنة الملك "أمنمحات الأول" (Amenemhet I) وزوجة ابنه الملك "سنوسرت (سيزوستريس) الأول" (Senusret I) **[← "ابنة فرعون" (الكتاب المقدس) ← "امرأة فرعون" (القرآن)]**.

تبدأ قصة سنوحى بعملية اغتيال أمنمحات الأول بينما كان سنوسرت الأول غائباً فى الصحراء الغربية يحارب الليبيين. مع انتقال السلطة إلى ملك جديد، بدأت المشكلات تطارد سنوحى **[← مع انتقال السلطة إلى ملك جديد، بدأت المشكلات تطارد موسى – حتى من قبل ميلاده: "ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ" (الخروج 1:8) ← "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ" (القصص 4)]**.

يعلم سنوحى بمؤامرة فى القصر ضد الملك، فيخاف سنوحى على حياته إذ ربما يقتله المتآمرون أو ربما يتهمه الملكُ الجديد – الذى لم يكن يعرفه جيداً – بالاشتراك فى هذه المؤامرة. فيقرر سنوحى أن يهرب مِن مصر ويتوجه شرقاً إلى كنعان (حالياً: إسرائيل/فلسطين وأجزاء مِن الشام) فى آسيا، أى خارج حدود مصر **[← كذلك فى التوراة والقرآن، يهرب موسى من مصر خوفاً على حياته بعد جريمة قتل ويتوجه شرقاً إلى مدين فى آسيا، أى خارج حدود مصر]**.

أثناء رحلته إلى الشرق، رأى سنوحى مجموعة من البدو الرعاة مع غنمهم **[← رأى موسى مجموعة من البدو الرعاة مع غنمهم (الخروج 2:16-17) ← (القصص 23)]**. وكان مع البدو شيخهم الكبير **[← الكاهِن رَعُوئِيل/يَثْرون ← النبى شُعيب]**. أدرك الشيخُ أن سنوحى غريب، فأعطاه ماءً ليشرب **[← فى التوراة والقرآن، سنوحى (موسى) هو الذى أعطى الماءَ إلى غنم الشيخ: "فَنَهَضَ مُوسَى وَأَنْجَدَهُنَّ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ" (الخروج 2:17) ← "فَسَقَى (موسى) لَهُمَا (غنمَهما)" (القصص 24)]**.

عاش سنوحى فى الغربة مع "آمى-انشى" (Ammunenshi)، حاكم سوريا-فلسطين، وتزوج ابنته الكُبرى **[← تزوج موسى ابنة رَعُوئِيل/يَثْرون (الخروج 2:21) ← تزوج موسى ابنة شُعيب (القصص 27)]**. وهكذا استطاع سنوحى أن ينجب أولاداً فصار له أسرة، كما صار رجلاً ناجحاً وغنياً فى غربته. أى صار له المال والبنون زينة الحياة الدنيا.

وبعد أن تولى سنوسرت الأول زمام السلطة فى مصر، وجَّه دعوة ملكية رسمية إلى سنوحى لكى يعود إلى مصر. وتنتهى هذه القصة المصرية الشهيرة بعودة سنوحى إلى مصر **[← بالضبط كما انتهت القصتان التوراتية والقرآنية بعودة موسى إلى مصر]**. الفرق هو أن سنوحى تلقى دعوة ملكية من المَلِك. أما موسى فتلقى دعوة إلهية (vocation) – أو بالأحرى: مهمة (mission) – من الله (مَلِك الملوك). وهذا ما سنتحدث عنه فى الفصل القادم. وفى القصص الثلاث (المصرية والتوراتية والقرآنية)، يذهب سنوحى (موسى) إلى فرعون وملئه. وهذا ما سنتحدث عنه فى الفصل بعد القادم.

أعتقد أنه من حقنا الآن أن نسأل: هل موسى شخص تاريخى حقيقى؟ أم هو مجرد شخصية خيالية مستوحاة مِن أسطورة سارجون وقصة سنوحى والتقاليد اليهودية/المسيحية المُتوارَثة التى وصلت إلى العرب؟

4.29 يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ النعلين ... إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ مرتين

فى طريق عودة موسى مِن مَدْيَن إلى مصر، دعاه اللهُ ليقوم بمهمة الذهاب إلى فرعون وإخراج بنى إسرائيل مِن مصر.

تكررت هذه القصة القرآنية فى أربع روايات هى حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن[6206]:

قال صاحب رواية سورة طه (الجزء الأول): وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى {9} إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ (أى: شعلة نار) أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى {10} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى {11} إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى {12} وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى {13} إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي {14} إِنَّ السَّاعَةَ (أى: ساعة البعث، القيامة) آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (أى: لتُحاسَب كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عملت فى الدنيا[6207]) {15} فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (أى: فتهلك) {16} وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى {17} قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى {18} قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى {19} فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (أى: صارت حَيَّة حقيقية، فيها روح، وتتحرك!) {20} قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (أى: عصاً كما كانت) {21} وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ (أى: إلى جانبك؛ والمقصود: أَدْخِلْ يدك فى جيب ثوبك – أى فى فتحة صدره – واجعلها تحت عضدك) تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ (أى: مِنْ غَيْرِ برص) آيَةً أُخْرَى {22} لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى {23} اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {24} قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي {25} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي {26} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي {27} يَفْقَهُوا قَوْلِي {28} وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي {29} هَارُونَ أَخِي {30} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي {31} وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي {32} كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا {33} وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا {34} إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا {35} قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى {36}.

ونلاحظ هنا الارتباط الوثيق بين (طه 9-24) و (النازعات 15-26). نفس السجع. نفس الكلمات. بل انفرادهما بنفس العبارات التى لم تُذكَر فى القرآن كله إلا فى هاتين الروايتين. مثل: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى" (طه 9) (النازعات 15)؛ "بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى" (طه 12) (النازعات 16)؛ "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" (طه 24) (النازعات 17). وكلاهما لم يذكر مهمةَ موسى الأصلية وهى تحرير بنى إسرائيل مِن العبودية فى مصر، بل لم يذكر بنى إسرائيل إطلاقاً! ولا ندرى على وجه اليقين أى الروايتين قد قيلت أولاً. ولعل صاحب (طه 9-24) قد أراد أن يضيف بعض التفاصيل لما قاله صاحب (النازعات 15-26)، لا سيما فيما يتعلق بالعبادة والصلاة (طه 14) وقيام الساعة (طه 15-16) ومعجزتى العصا واليد (طه 17-22) ودعاء موسى ذى العبارات الشعرية القصيرة (طه 25-35)[6208]. ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن صاحب (النازعات 15-26) هُو هُو نفسه صاحب (طه 9-24).

وقال صاحب رواية سورة طه (الجزء الثانى): وَاصْطَنَعْتُكَ (يا موسى) لِنَفْسِي[6209] {41} اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا (أى: لا تَضْعُفا أو تتراخيا؛ لا تكسلا أو تُبْطِئا) فِي ذِكْرِي {42} اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ

إِنَّهُ طَغَى {43} فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى {44} قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا (أى: يُعاجِلنا بالأذى؛ يبادِرُنا بالعقوبة) أَوْ أَنْ يَطْغَى {45} قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى {46} فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى[6210] {47} إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى {48}.

ونلاحظ هنا أيضاً أن "اذْهَبَا (يا موسى وهارون) إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" (طه 43-44) تشير إلى ما جاء فى رواية سورة النازعات التى وضحت المقصود بهذا "القول اللين" الذى سيقوله موسى لفرعون: "اذْهَبْ (يا موسى) إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى. وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى" (النازعات 17-19). مما يؤكد لنا مرة أخرى العلاقة القوية بين روايتى طه والنازعات. وإن كان صاحب رواية سورة طه قد تنبه أخيراً إلى مهمة موسى وهارون الأصلية: "فَقُولَا (لفرعون) إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ" (طه 47).

وقال صاحب رواية سورة الشعراء: وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {10} قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ {11} قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ {12} وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ {13} وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (قصاصاً) {14} قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ {15} فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {16} أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ {17}.

ونلاحظ هنا أن صاحب رواية سورة الشعراء قد ذكر مهمة موسى وهارون الأصلية: "فَقُولَا (لفرعون) إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الشعراء 16-17). لكن لماذا جاء خبرُ "إِنَّا" مفرداً: "فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ" (الشعراء 16)، وليس مثنى كما جاء فى "فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا" (طه 47)؟ قيل إن هذا المفرد بمعنى المثنى، كما جاء المفرد بمعنى الجمع فى "نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا" (الحج 5). وقيل إن التثنية تتلائم مع رواية سورة طه التى تتحدث كثيراً عن موسى وهارون سوياً بينما تتحدث رواية سورة الشعراء كثيراً عن موسى وحده فجاء "إِنَّا رَسُولُ" (الشعراء 16) بالإفراد على إرادة الجنس. ونحن نقول: ربما يكون هذا خطأً نحوي غير مقصود. وربما كان عن قصد ومتأثر بالتراث المسيحي المثلِّث، فتكون "إِنَّا رَسُولُ" (الشعراء 16) تركز على الجوهر (Ousia) أو الطبيعة (Physis)؛ وطبيعة الرسالة فى جوهرها حقيقة واحدة ومهمة واحدة. بينما "إِنَّا رَسُولَا" (طه 47) تركز على الأقنوم (Hypostasis) أو الشخص (Person)؛ وموسى وهارون رسولان شخصان متمايزان (distinct). والقياس مع الفارق، لأن الأشخاص البشرية منفصلة، أما الأقانيم الإلهية - حسب قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني - فهى غير منفصلة بل لا يمكن أن تنفصل (inseparable).[6211]

وقال صاحب رواية سورة النمل: إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ (يدلنا على الطريق) أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ (أى: شعلة نار) لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (أى: تستدفئون) {7} فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {8} يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {9} وَأَلْقِ

عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ (أى: كأنها حَيَّة خفيفة سريعة) وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ (أي: لم يرجع إليها) يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ {10} إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ {11} وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ (أى: مِنْ غَيْر برص) [...] {12}.

وقال صاحب رواية سورة القصص: فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ (فى مَدْيَن) وَسَارَ بِأَهْلِهِ (إلى مصر) آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ (أى: شعلة مِن النار؛ قطعة مِن الجمر الملتهب) لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {29} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي (أى: جانب الوادى) الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {30} وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ (أى: كأنها حَيَّة خفيفة سريعة) وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ {31} اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ (أى: مِنْ غَيْر برص) وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ (أى: اضْمُمْ إليك يدك لتأمن) مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ {32} قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (قصاصاً) {33} وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا (أى: عوناً) يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ {34} قَالَ (اللهُ) سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ {35}.

ويقول القرآنُ لمحمد: "وَمَا كُنْتَ (يا محمد) بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا (موسى) وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (القصص 46). مرة ثانية: تُستخدَم معرفة محمد لهذه القصة كدليل على أنه رسول مِن عند الله!

وطبعاً لم يكن محمد عند الطور حين نادى اللهُ موسى، لكن هذا ليس دليلاً على أنه عرف هذه القصة عن طريق الوحى الإلهى. وذلك لأن هذه القصة معروفة ومشهورة جداً ومذكورة فى التوراة قبل القرآن بمئات السنين.

4.29.1 جذور القرآن فى التوراة

تُعرَف هذه القصة الشهيرة فى التراث اليهودى/المسيحى باسم "العُلّيقة المشتعلة" (The Burning Bush) (Le Buisson ardent)، ونجدها مذكورة بالتفصيل فى التوراة (الخروج 3-4)، كما ذكرها المسيح فى الإنجيل (لوقا 20:37-38) (متى 22:31-32) (مرقس 12:26-27). إن شُهرة هذه القصة وأهميتها فى الديانة اليهودية/المسيحية تكفى كدليل قاطع على أن أصحاب القرآن قد سمعوها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة. إذن: نصل دائماً إلى نفس النتيجة، وهى أن

القصة القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى للقصة اليهودية/المسيحية الموروثة. ولإثبات ذلك، سنذكر ما قاله الكتاب المقدس وما قاله القرآن العربى.

(الخروج 3): {1} وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مِدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ (Horeb) **[⟵ "الطُّورِ" (القصص 29) (القصص 46) (مريم 52)]**.

وهنا نريد أن نتوقف قليلاً عند هذا الجبل. يقول التقليد الموروث إن جَبَل اللهِ حُوريب هو اسم آخر لـ "جبل سيناء" (Mount Sinai) (الخروج 11:19) (أعمال الرسل 38،7:30) فى جنوب سيناء حيث أعطى اللهُ شعبَه الوصايا العشر (The Ten Commandments) (الخروج 19-20). ولذا يُعرَف هذا الجبل حالياً باسم "جبل موسى" (Mountain of Moses) ويقع عند دير سانت كاترين (Saint Catherine's Monastery) فى محافظة جنوب سيناء، إحدى محافظات مصر[6212]. لكن هذا مجرد تقليد موروث ولا يوجد دليل قاطع يثبت صحته، ولذلك فإنه توجد آراء أخرى حول مكان جبل سيناء. قيل إنه يقع فى شمال سيناء؛ وقيل إنه يقع فى مَدْيَن (Midian)؛ بل قيل إنه جبل "حلا البدر" (Hala al Badr) الذى يقع فى غرب المملكة العربية السعودية[6213]! باختصار: لا يوجد أحد يعلم على وجه اليقين أين يقع جبل سيناء **[⟵ الطُّور]**. بل لا نعلم إن كان "الطور" اسم جبل بعينه، أم هو مجرد كلمة عامة قد تُطلَق على أى جبل. ويُقال إن "طور" تعنى "جبل" بالسريانية[6214]، أو إن "الطور" اسم لكل جبل[6215]. ونحن نميل إلى هذا الرأى، بدليل أن القرآن يقول عن بنى إسرائيل: "رَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ" (النساء 154) (البقرة 63) (البقرة 93) بمعنى "نَتَقْنَا (أى: رفعنا؛ اقتلعنا) الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ" (الأعراف 171)، ويقول أيضاً: "طُور سِينِينَ" (التين 2) "طُور سَيْنَاءَ" (المؤمنون 20) بمعنى "جبل سيناء" (Mount Sinai). ويوجد دليل آخر من خارج القرآن، وهو أن الكلمة المستخدمة فى الترجمات الآرامية (Targumim) لـ (الخروج 18:19) هى (Ṭūrā)[6216].

وعلى أى حال، نحن لا نقول إن "الطُّور" القرآنى هُو هُو نفسه جبل "سيناء" التوراتى، وإنما نقول إن "الطُّور" القرآنى هو مجرد تطور بشرى طبيعى لجبل "سيناء" التوراتى. أى أننا لا نقول: جبل سيناء = الطُّور؛ وإنما نقول: جبل سيناء **[⟵ الطُّور]**.

وإنه لَمِن الطريف أن ترتبط الديانات الإبراهيمية الثلاث بجبال! ويبدو لنا أن أصحاب القرآن قد أشاروا إلى هذه الجبال في سورة التين: "وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (أي: جبل الزيتون Mount of Olives في المسيحية). وَطُور سِينِينَ (أي: جبل سيناء Mount Sinai في اليهودية). وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (أي: مكة حيث جبل النور وبالقرب منه جبل عرفة Mount Arafat في الإسلام[6217])" (التين 1-3). أما "التِّينِ" (التين 1)، فقيل إنه يشير إلى شجرة التين (Ficus Religiosa) المقدسة فى الديانات غير الإبراهيمية، مثل البوذية والهندوسية[6218]! ونحن نرى أن هذا احتمال بعيد جداً. ويوجد احتمال آخر وهو أنها تشير إلى شجرة التين التي تُستَخدَم في الكتاب المقدس عادةً كرمز لإسرائيل (هوشع 10:9) (يوئيل 7:1) وهكذا استخدمها يسوعُ

المسيح حين رأى شجرةَ تين على الطريق إلى أورشليم في الصباح (متى 21:18-22) (مرقس 11:11-14، 20-24). أو ربما تشير إلى قرية "بَيْتِ فَاجِي" (Bethphage) التي يعنى اسمها بالآرامية "بيت التين" (house of figs) وهى أيضاً تقع بالقرب من جبل الزيتون (متى 21:1) (مرقس 11:1)، بدليل قول القرآن بعدها "وَالزَّيْتُونِ". أما نحن فنرى أن ذِكر "التِّينِ" (التين 1) في أول سورة التين يشير إلى التراث الديني المشترك للديانات الإبراهيمية الثلاث، إذ يقول سفر التكوين إن آدم وحواء بعد أن أكلا مِن الشجرة الْمُحَرَّمَة "انْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ (fig leaves) وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ" (التكوين 3:7) **[← "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا (أى: عوراتهما) وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ" (الأعراف 22) "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ" (طه 121)]**. ويُقوّي هذا الرأي الأخير أن سورة التين تحدثت بعد ذلك عن خلق الإنسان (آدم): "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" (التين 4)[6219]؛ ثم خروجه مِن الجنة الذي يؤدي إلى التعب والشقاء والهَرَمِ والموت وربما يؤدى إلى النار: "ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ" (التين 5)؛ ثم "خطة الخلاص" (Salvation Plan) التى أعدها الله للإنسان: "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (أى: غير مقطوع ولا منقوص)" (التين 6) فأولئك يعودون إلى الجنة (جنة الخلد حسب رأي الجمهور) التى طُرد آدم منها. فيبدو لنا إذن أن أصحاب سورة التين القرآنية قد أرادوا أن يضعوا محمداً (الإسلام) في سياق خطة الخلاص التى أعدها الله للإنسان بدءاً مِن آدم (الخلق / التين) حتى المسيح (الإنجيل / الزيتون) مروراً بموسى (التوراة / طُورِ سِينِينَ).

وإنه لمِن الطريف أيضاً أن يقول التقليد الإسلامى الموروث إن محمد قد بُلِّغ بأول نداء إلهى حين كان وحيداً بمفرده فى غار حراء عند جبل النور ثم جاءه "جبريل". بالضبط كما يقول التقليد اليهودى/المسيحى الموروث إن موسى قد بُلِّغ بأول نداء إلهى حين كان وحيداً بمفرده عند جبل سيناء ثم جاءه "ملاك الرب".

صدفة؟! قطعاً ليست صدفة. وإنما هذان دليلان على أن القرآن – بل الإسلام بصفة عامة – أراد أن يصنع "موسى جديد" أو "موسى عربى"، فاستعان على ذلك بعناصر مِن التراث اليهودى/المسيحى وجعل "محمد" العربى (موسى الثاني) يقوم بنفس الدور الذى قام به موسى الأول: موسى الأول خَلَّص بنى إسرائيل من الاضطهاد فى مصر. و "محمد" (موسى الثاني) خَلَّص المسلمين الأوائل مِن الاضطهاد فى مكة.

ولا يهمنا هنا إن كان "محمد" شخصاً تاريخياً أم لا، فالمهم هو "محمد" الموجود فى الوجدان والتراث الإسلامى/العربى. وحتى لو افترضنا جدلاً أن "محمد" شخص تاريخى، فإنه مِن المؤكد أن كثير مِن الأساطير قد نُسِجَت حوله وأُضيفت إليه لاحقاً، مثل أسطورة "غار حراء" اللى ماحدش شافها وأسطورة "اقرأ ... ما أنا بقارئ" اللى ماحدش شافها وأسطورة "الإسراء والمعراج" اللى ماحدش شافها ... الخ.

وكما نقول دائماً: القرآن – بل: الإسلام بصفة عامة – هو مجرد محاولة بشرية شرق-أوسطية لدمج التراث الشعبي القومي (العربي) مع التراث الشعبي الديني (اليهودي والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)) في كيانٍ واحد نتج مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي (natural human development)

للثقافة العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian). وكل الأدلة في هذه المذكرات ستؤكد هذه النتيجة التي لا نزعم أننا أول مَن وصل إليها.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[⟵ القرآن كلام العرب]**.

نعود إلى **(الخروج 3):** {2} وَظَهَرَ لَهُ (أي: لموسى) مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ **[⟵ "بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا (مِن الملائكة[6220])" (النمل 8)]** مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ[6221] **[⟵ "الشَّجَرَةِ" (القصص 30)]**. فَنَظَرَ (موسى) وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ **[⟵ "رَأى (موسى) نَارًا" (طه 10) "آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا" (القصص 29) (النمل 7)]**، وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ (أي أن النار لا تُحرق اخضرارَ الشجرة) **[⟵ "سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل 8)]**. {3} فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الآنَ لأَنْظُرَ هذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ **[⟵ "الْآيَةَ الْكُبْرَى" (النازعات 20) (طه 23)]**. لِمَاذَا لاَ تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟[6222] **[⟵ "فَقَالَ (موسى) لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى" (طه 10) "قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" (النمل 7) "قَالَ (موسى) لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" (القصص 29)]**».

وهنا مِن حقنا أن نسأل سؤالين:

السؤال الأول: ماذا قال موسى لأهله؟

- هل كما قال صاحب رواية سورة طه: "امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى" (طه 10)؟
- أم كما قال صاحب رواية سورة النمل: "إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" (النمل 7)؟
- أم كما قال صاحب رواية سورة القصص: "امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" (القصص 29)؟

إن تعدد هذه الروايات القرآنية واختلافها فيما بينها يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن عمل بشرى جماعى اشترك فيه أكثر مِن شخص. ويبدو لنا أن صاحب (القصص 29) قد أخذ الجزءَ الأول مِن "امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا [...]" (طه 10) والجزء الأخير مِن "آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ [...] لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" (النمل 7)، ثم أضاف مِن عنده كلمة جديدة لم تُستخدَم أبداً فى القرآن إلا هنا وهى "جَذْوَةٍ"، فأخرج جملته كما يلى: "امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" (القصص 29).

السؤال الثاني: ماذا يعني "مَلاَكُ الرَّبِّ" (The angel of the Lord) (الخروج 2:3)؟ الإجابة: يعني "الرَّبُّ" (The Lord) (الخروج 4:3) "يَهْوَهْ" (Yahweh) (YHWH) (الخروج 15:3)، أي "الله"

(الإله) (God) (الخروج 4:3) (مرقس 26:12) "السَّاكِنِ فِي الْعُلَّيْقَةِ" (التثنية 16:33)[6223]. ومِن المؤكد أن هذا الفِكر اليهودى/المسيحى قد وصل إلى أصحاب القرآن بدليل أنهم جعلوا المتحدث هو الرَّب وهو أيضاً الله (الإله): "إِنِّي أَنَا رَبُّكَ" (طه 12) "إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا" (طه 14) "إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ" (النمل 9) "إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (القصص 30) "كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا" (النساء 164) (البقرة 253) "كَلَّمَهُ رَبُّهُ" (الأعراف 143)؛ وبدليل أنهم جعلوا اللهَ/الإلهَ يُعرّف نفسَه لموسى كما يتضح من الآيات القرآنية السابقة، وهو أيضاً ما حدث فى القصة التوراتية (الخروج 6:3، 13:3-15).

نعود إلى **(الخروج 3):** {4} فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ (أي: أن موسى) مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!» **[← "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى" (طه 11) "فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ [...] يَا مُوسَى" (النمل 8-9) "وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا" (مريم 52) "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي[6224] الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى" (القصص 30) "نَادَى رَبُّكَ مُوسَى" (الشعراء 10) "نَادَاهُ رَبُّهُ" (النازعات 16) "نَادَيْنَا (موسى)" (القصص 46)]**. فَقَالَ (موسى لربّه): «هأَنَذَا».

(الخروج 3): {5} فَقَالَ (الرَّبُّ/اللهُ لموسى): «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ **[← "اخْلَعْ نَعْلَ رِجْلَيْكَ" (أعمال الرسل 33:7) ← "اخْلَعْ نَعْلَيْكَ" (طه 12)]**، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ **[← "لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ" (أعمال الرسل 33:7) ← "إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى" (طه 12)؛ (النازعات 16)]**»[6225].

كالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فى تفسير كلمة "طُوى". الرأى الذى نجده عادةً فى المراجع الإسلامية هو أن "طُوى" اسم عَلَم (proper name)، أى اسم هذا الوادى المقدس. لكن لا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن هذا الوادى كان يُعرَف بهذا الاسم فى ذلك الزمان. ويوجد رأى إسلامى آخر يقول إن "طوى" ليس اسماً للوادى وإنما كناية عن قدرة الله؛ وبذلك فإن "الْوَادِي الْمُقَدَّسِ طوًى" يعنى الوادى المقدس الذى سيصير مطوياً بقدرة الله[6226]. أما العالم (Uri Rubin) فيرى أن "طوى" تعنى "ضعف" أو "مرتين" (twice). وبذلك فإن "الْوَادِي الْمُقَدَّسِ طوًى" يعنى "الْوَادِي الْمُقَدَّسِ قداسة مضاعفة" (the twice hallowed valley)[6227]. ومِن حُسن الحظ أن هذا الرأى ليس غريباً على التراث الإسلامى، فلقد قال الثعلبى: "وقال مجاهد وعكرمة: إنما قال: فاخلع نعليك كى تمس راحة قدميه الأرض الطيبة فتناله بركتها لأنها قدست مرتين"[6228]. وقال البيضاوى ومحمد فريد وجدى: "وقيل: طُوًى بمعنى ثُنى، أى أنه نودى نداءين أو قدس الوادى مرتين"[6229]. وجاء فى تفسير ابن الجوزى أن أحد معانى "طُوًى" هو "المقدَّس مَرَّة بعد مَرَّة" و "أنه قُدِّس مرتين"[6230]. وربما أراد أصحابُ القرآن أن يقولوا إن هذا الوادى مُقَدَّس مرتين فى القرآن: (طه 12) و (النازعات 16)، و/أو مُقَدَّس مرتين فى الكتاب المقدس: (الخروج 5:3) و (أعمال الرسل 33:7).

(الخروج 3): {6} ثُمَّ قَالَ (الرَّبُّ/اللهُ لموسى): «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ **[← "صَارَ إِلَيْهِ صَوْتُ الرَّبِّ: أَنَا إِلهُ آبَائِكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ" (أعمال الرسل 7:31-32) ← "إِنِّي أَنَا رَبُّكَ" (طه 12) "إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا" (طه 14) "إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ" (النمل 9) "إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (القصص 30)]**».

إذن: سفر أعمال الرسل قد عكس ترتيبَ ما قاله اللهُ لموسى. حسب التوراة، أمر اللهُ موسى أن يخلع حذاءه (الخروج 3:5) ثم قال له إنه إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب (الخروج 3:6). بينما في سفر أعمال الرسل، قال اللهُ لموسى إنه إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب (أعمال الرسل 7:32) ثم أمره أن يخلع حذاءه (أعمال الرسل 7:33). أما صاحب رواية سورة طه، فيبدو أنه أراد أن يجمع (conflate) بين العهد القديم (سفر الخروج) والعهد الجديد (سفر أعمال الرسل)، فجعل اللهَ يُعرّف نفسه مرتين، مرة قبل الأمر بخلع الحذاء ومرة ثانية بعده: "إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ[...]. [...]. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا" (طه 12-14)!

فماذا كان رد فعل موسى لمَّا كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا؟ **(الخروج 3):** {6} [...] فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ[6231]. {7} فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، {8} فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، إِلَى مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ[6232]. {9} وَالآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ، {10} فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ[6233] **[← "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" (طه 24) (النازعات 17) (طه 43) "(اذهب) مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" (القصص 32) "أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ" (الشعراء 10-11)]**، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ **[← "فَاذْهَبَا [...] فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (أى: أَخْرِجْ معنا بنى إسرائيل مِن مصر)" (الشعراء 15-17) "فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ" (طه 47) (الأعراف 105)]**».

خاف موسى وتردد، لكن الله شجَّعه. **(الخروج 3):** {11} فَقَالَ مُوسَى للهِ: «مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَحَتَّى أُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟ **[← "إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ (فرعونُ) عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى" (طه 45)]**» {12} فَقَالَ (اللهُ): «إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ **[← "لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" (طه 46) "إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ" (الشعراء 15)]**، وَهذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلاَمَةُ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ اللهَ عَلَى هذَا الْجَبَلِ[6234]». {13} فَقَالَ مُوسَى لِلهِ: «هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟» {14} فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ (أى: أكون الذى أكون (I Am Who I Am)؛ أو: سأكون ما سأكون (I Will Be What I Will Be)؛ أو: أنا هُوَ الكائن (I Am The Being)[6235]؛ بمعنى: طبيعتي ستظهر مِن خلال أعمالي (My Nature will become

(evident from My Actions فأنا الرب الإله القادر على عمل كل شيء كائن في الوجود[6236])». وَقَالَ: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ».

(الخروج 3): {15} وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهذَا ذِكْرِي (بالعبرية: zikhri) **[⟵ "ذِكْرِي" (طه 14) "ذِكْرِي" (طه 42)]** إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ (أى: فى جميع الأجيال). [...] {19} وَلكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لاَ يَدَعُكُمْ تَمْضُونَ وَلاَ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ، {20} فَأَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي **[⟵ "آيَاتِي" (طه 42) "آيَاتِنَا" (الشعراء 15) "آيَاتِنَا الْكُبْرَى" (طه 23)]** الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا[6237]. وَبَعْدَ ذلِكَ يُطْلِقُكُمْ (فرعونُ) **[⟵ "فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ" (القصص 35)]**.

ما زال موسى خائفاً ومتردداً، أو كما قال الشيخ عبد الوهاب النجار: "فأراد موسى أن يفر مِن هذه الرسالة"[6238]. لكن الله ظل يشجّع موسى. **(الخروج 4):** {1} فَأَجَابَ مُوسَى وَقَالَ (لله): «وَلكِنْ هَا هُمْ لاَ يُصَدِّقُونَنِي وَلاَ يَسْمَعُونَ لِقَوْلِي **[⟵ "إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ" (الشعراء 12) (القصص 34)]**، بَلْ يَقُولُونَ: لَمْ يَظْهَرْ لَكَ الرَّبُّ». {2} فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هذِهِ فِي يَدِكَ؟ **[⟵ "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى" (طه 17)]**» فَقَالَ: «عَصًا **[⟵ "هِيَ عَصَايَ" (طه 18)]**». {3} فَقَالَ (الرَّبُّ): «اطْرَحْهَا إِلَى الأَرْضِ **[⟵ "أَلْقِهَا يَا مُوسَى" (طه 19) "أَلْقِ عَصَاكَ" (النمل 10) (القصص 31)]**». فَطَرَحَهَا (موسى) إِلَى الأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً **[⟵ "فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (أى: صارت حَيَّة حقيقية، فيها روح، وتتحرك!)" (طه 20)]**، فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا (خوفاً) **[⟵ "فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ (أى: كأنها حَيَّة خفيفة سريعة) وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ" (النمل 10) (القصص 31)]**. {4} ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنَبِهَا **[⟵ "خُذْهَا وَلَا تَخَفْ" (طه 21) "يَا مُوسَى لَا تَخَفْ" (النمل 10) "يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ" (القصص 31)]**». فَمَدَّ (موسى) يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ، فَصَارَتْ عَصًا فِي يَدِهِ **[⟵ "سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (أى: عصاً كما كانت)" (طه 21)]**. {5} «لِكَيْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِهِمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ».

(الخروج 4): {6} ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَيْضًا: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُبِّكَ **[⟵ "أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ[6239]" (النمل 12) "اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ" (القصص 32) "اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ (أى: إلى جانبك؛ والمقصود: أَدْخِلْ يدك فى جيب ثوبك – أى فى فتحة صدره – واجعلها تحت عضدك)" (طه 22)]**». فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُبِّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا، وَإِذَا يَدُهُ بَرْصَاءُ مِثْلَ الثَّلْجِ (أى: ناصعة البياض) **[⟵ "تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ (أى: مِنْ غَيْرِ برص)" (النمل 12) (القصص 32) (طه 22) (الأعراف 108) (الشعراء 33)]**. {7} ثُمَّ قَالَ (الربُّ) لَهُ: «رُدَّ يَدَكَ إِلَى عُبِّكَ **[⟵ "اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ (أى: أَدْخِلْ يدك تحت عضدك[6240] لتأمن) مِنَ الرَّهْبِ" (القصص 32)]**». فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى عُبِّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنْ عُبِّهِ، وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ.

وقال الدكتور محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق) وغيره إن الله أمر موسى "بأن يُدخِل يده فى جيبه ويخرجها، وكان موسى أسمر اللون، فإذا باليد السمراء تخرج بيضاء من غير سوء، أى من غير

برص، ثم أرجعها مرة ثانية إلى جيبه وأخرجها فرجعت إلى اللون الطبيعى لسائر الجسم"[6241]. ولو سألتهم: كيف عرفتم أن موسى كان أسمرَ اللون؟! فسيستدلوا بحديث أخرجه البخارى ومسلم يزعم أن محمداً قد رأى موسى ليلة الإسراء فوجده "رجلاً آدمَ"[6242]، أى: أسمر اللون!

وهنا مِن حقنا أن نسأل سؤالاً. ماذا قال الله لموسى؟

- هل كما قال صاحب رواية سورة طه؟ يَا مُوسَى {11} إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى {12} وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى {13} إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي {14} إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى {15} فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى {16} وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى {17} [...] {18} قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى {19} [...] {20} قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى {21} وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ [...] {22}.
- أم كما قال صاحب رواية سورة النمل؟ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {9} وَأَلْقِ عَصَاكَ [...] يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ {10} إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ {11} وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ [...] {12}.
- أم كما قال صاحب رواية سورة القصص؟ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {30} وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ [...] يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ {31} اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ [...] {32}.

إن هذه الاختلافات (discrepancies) بين الروايات القرآنية هى دليل داخلى (internal evidence) – أى مِن داخل القرآن نفسه – يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن عمل بشرى اشترك فيه أكثر من شخص. "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[6243].

نعود إلى **(الخروج 4):** (ثم قال الربُّ لموسى:) {8} «فَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوكَ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ الآيَةِ الأُولَى، أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ صَوْتَ الآيَةِ الأَخِيرَةِ **[← "آيَةً أُخْرَى" (طه 22) "فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ" (القصص 32)]**. {9} وَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِكَ، أَنَّكَ تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ وَتَسْكُبُ عَلَى الْيَابِسَةِ، فَيَصِيرُ الْمَاءُ الَّذِي تَأْخُذُهُ مِنَ النَّهْرِ دَمًا عَلَى الْيَابِسَةِ **[← "الدَّمَ" (الأعراف 133) "لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى" (طه 23) "آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ" (الأعراف 133)]**»[6244].

ما زال موسى خائفاً ومتردداً. **(الخروج 4):** {10} فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ، وَلاَ مِنْ حِينِ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ[6245] **[← قَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: "رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ. وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي" (الشعراء 12-13)؛ "عُقْدَةً**

مِنْ لِسَانِي" (طه 27) "لَا يَكَادُ يُبِينُ (أى: لا يكاد يظهر كلامه لعقدة فى لسانه)" (الزخرف 52) "وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا" (القصص 34)]».

وفى هذا السياق، يجب أن نشير إلى الجذور المصرية لهذه الآيات التوراتية←القرآنية. فلقد كانت الفصاحة أمراً مهما عند المصريين القدماء. ومِن ثم، كانت عدم الفصاحة مشكلة كبيرة. وخير دليل على ذلك هو قصة "الفلاح الفصيح" (The Eloquent Peasant) (Le Paysan éloquent) التى يعود تاريخها إلى المملكة الوسطى (Middle Kingdom) (حوالى 2055-1650 ق.م) – أى قبل جميع الديانات الإبراهيمية. تحكى هذه القصة المصرية الشهيرة عن فلاح فصيح ذهب إلى فرعون ليطالب بحقه، وبعد تسع خطب فصيحة استطاع الفلاح أن يحصل على هذا الحق. بالضبط كما ذهب موسى إلى فرعون ليطالب بحقه فى تحرير بنى إسرائيل، وبعد عشر ضربات حسب القصة التوراتية (أو تسع آيات حسب القصة القرآنية) استطاع موسى أن يحصل على هذا الحق[6246].

سؤال: هل موسى وهارون (الإسرائيلى الفصيح) شخصيات حقيقية؟ أم هما مجرد شخصيات خيالية مستوحاة مِن أسطورة سارجون وقصة سنوحى وقصة الفلاح الفصيح والتقاليد اليهودية/المسيحية المُتوارَثة التى وصلت إلى العرب؟

أما عن سبب "عقدة لسان" موسى، فتقول الأساطير الإسلامية التى ما زالت تعيش وسطنا إلى اليوم: "مرة كان فرعون يداعب موسى وهو صغير فجذبه موسى من لحيته، فغضب فرعون وكاد أن يقتله وتوجس فيه شراً، فأخذته منه امرأته وضمته إلى صدرها وقالت له: إنه طفل صغير لا يعقل ولا يعرف التمرة من الجمرة، فلم يقتنع فرعون وجاء لموسى بجمرة وتمرة فجعل الله يد موسى تمتد إلى الجمرة؛ حتى يصرف فرعون عن مراده، فأخذ موسى الجمرة ووضعها على لسانه فأصابته بلثغة فيه تسببت فى عقدة لسانه"[6247]! وهكذا نرى دائماً أن كل أسطورة تؤدى إلى أسطورة أخرى أكبر منها. وكالعادة، يوجد على الجانب الآخر مسلمون يرفضون هذه الأسطورة و/أو يقدمون سبباً آخر لـ "عقدة لسان" موسى[6248].

نعود إلى التوراة حيث ما زال الله يشجّع موسى. **(الخروج 4):** {11} فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَمًا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ {12} فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ **[← "إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" (طه 46) "إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ" (الشعراء 15)]**». {13} فَقَالَ (موسى للرب): «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ **[← قَالَ موسى للرب: "فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (ليكون معى)" (الشعراء 13) "وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي" (طه 29-32) "أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا (أى: عوناً) يُصَدِّقُنِي" (القصص 34)]**».

ونلاحظ هنا أن أصحاب القرآن قد جعلوا موسى هو الذى يطلب مِن الله أن يكون أخوه هارونُ معيناً له: "اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي" (طه 29-30). وما زال هذا الفكر موجوداً إلى اليوم في

المجتمعات المنكوبة بالثقافة العربية/الإسلامية، وهو ما يُسمَّى "أهل الثقة وليس أهل الخبرة". وإنْ قلتم إن موسى اقترح ذلك لأن هارون كان فصيحاً، سنقول: الفصاحة لا تدل على الخبرة فى مسائل النبوة والرسالة، ومِن المؤكد أنه كان يوجد أشخاص فصحاء كثيرين غير هارون، وربما أفصح من هارون، فلماذا هارون بالذات؟ السبب الوحيد هو أنه أخو موسى، أى محل ثقته. ثم إن القرآن لم يُقدِّم لنا دليلاً واحداً على فصاحة هارون المزعومة. بالعكس، الجمل التى قالها هارون فى القرآن جمل قليلة جداً وهى جمل عادية ولا تدل على أى فصاحة. بل إن الجمل التى قالها "مؤمن آل فرعون" – هذا المصرى الفصيح الذى لا نعرف حتى اسمَه – أكثر وأفصح مِن الجمل التى قالها هارون.

نعود إلى التوراة حيث نجد أن الله هو الذى ذَكَرَ اسم هارون. **(الخروج 4):** {14} فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَارُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ، وَأَيْضًا هَا هُوَ خَارِجٌ لاسْتِقْبَالِكَ **[← "قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى" (طه 36) "سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ" (القصص 35) "وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا" (الفرقان 35)]**. فَحِينَمَا يَرَاكَ (هارونُ) يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ، {15} فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ **[← "إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" (طه 46) "إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ" (الشعراء 15)]**، وَأُعَلِّمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ **[← "وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا" (القصص 35)]**. {16} وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلهًا **[← "وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا" (مريم 53)]**. {17} وَتَأْخُذُ فِي يَدِكَ هذِهِ الْعَصَا الَّتِي تَصْنَعُ بِهَا الآيَاتِ **[← "بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ" (القصص 35)]**».

(الخروج 4): {18} فَمَضَى مُوسَى وَرَجَعَ إِلَى يَثْرُونَ حَمِيهِ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا أَذْهَبُ وَأَرْجعُ إِلَى إِخْوَتِي الَّذِينَ فِي مِصْرَ لأَرَى هَلْ هُمْ بَعْدُ أَحْيَاءٌ». فَقَالَ يَثْرُونُ لِمُوسَى: «اذْهَبْ بِسَلاَمٍ». {19} وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى فِي مِدْيَانَ: «اذْهَبْ ارْجِعْ إِلَى مِصْرَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ جَمِيعُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَكَ **[← "قَالَ (موسى) رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا (أى: قتلت مصرياً) فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ" (القصص 33) "لَهُمْ (أى: للمصريين) عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ. قَالَ (اللهُ) كَلَّا (لا تخف، لن يقتلوك)" (الشعراء 14-15) "فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا" (القصص 35)]**».

(الخروج 4): {20} فَأَخَذَ مُوسَى امْرَأَتَهُ وَبَنِيهِ وَأَرْكَبَهُمْ عَلَى الْحَمِيرِ وَرَجَعَ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ **[← "فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ (فى مَدْيَن) وَسَارَ بِأَهْلِهِ (إلى مصر)" (القصص 29)]**. وَأَخَذَ مُوسَى عَصَا اللهِ فِي يَدِهِ. {21} وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «عِنْدَمَا تَذْهَبُ لِتَرْجعَ إِلَى مِصْرَ، انْظُرْ جَمِيعَ الْعَجَائِبِ الَّتِي جَعَلْتُهَا فِي يَدِكَ وَاصْنَعْهَا قُدَّامَ فِرْعَوْنَ **[← "فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ" (طه 47)]**. وَلكِنِّي أُشَدِّدُ قَلْبَهُ **[← "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه)" (يونس 88)]** حَتَّى لاَ يُطْلِقَ الشَّعْبَ (أى: شعب بنى إسرائيل). {22} فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ (My Firstborn Son). {23} فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي، فَأَبَيْتَ أَنْ تُطْلِقَهُ. هَا أَنَا أَقْتُلُ ابْنَكَ الْبِكْرَ **[←**

"إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى" (طه 48) "فَلَا يُؤْمِنُوا (أى: فلا يؤمن فرعون وملؤه) حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)]».

(الخروج 4): {27} وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: «اذْهَبْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لاسْتِقْبَالِ مُوسَى». فَذَهَبَ وَالْتَقَاهُ فِي جَبَلِ اللهِ وَقَبَّلَهُ. {28} فَأَخْبَرَ مُوسَى هَارُونَ بِجَمِيعِ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي أَرْسَلَهُ، وَبِكُلِّ الآيَاتِ الَّتِي أَوْصَاهُ بِهَا **[← "أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي" (طه 32)]**. {29} ثُمَّ مَضَى مُوسَى وَهَارُونُ وَجَمَعَا جَمِيعَ شُيُوخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. {30} فَتَكَلَّمَ هَارُونُ بِجَمِيعِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى بِهِ **[← "يُصَدِّقُنِي (أى: هارون يُصَدِّق موسى)" (القصص 34)]**، وَصَنَعَ الآيَاتِ أَمَامَ عُيُونِ الشَّعْبِ. {31} فَآمَنَ الشَّعْبُ. وَلَمَّا سَمِعُوا أَنَّ الرَّبَّ افْتَقَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّهُ نَظَرَ مَذَلَّتَهُمْ، خَرُّوا وَسَجَدُوا.

4.29.2 جذور القرآن في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني

لاحظنا فيما سبق وجود بعض الاختلافات بين القصة التوراتية الأصلية والقصة القرآنية العربية. ونود الآن أن نعلِّق تعليقاً مجملاً على تلك الاختلافات. وتعليقنا يتكون من شقين:

أولاً: الاختلافات بين القصة التوراتية الأصلية والقصة القرآنية العربية اختلافات بسيطة، بل بسيطة جداً. ومِن حُسن الحظ أن المفسرين المسلمين قد اعترفوا بذلك. على سبيل المثال، قال الشيخ عبد الوهاب النجار: "ذكرنا عود موسى إلى مصر عن القرآن والتوراة، وأن موسى أخبر هارون بأنه شريك له فى الرسالة ومعين له على تبليغ حجة الله فامتثل أمر الله تعالى. فأنتم ترون أنه ليس بين ما جاء فى القرآن وما جاء فى التوراة خاصاً بمواقف موسى المذكورة سوى فروق ليست بذات بال"[6249]. وقال د. حسن الباش: "هذا ما ورد فى التوراة وما ورد فى القرآن الكريم ولا كثير اختلاف بينهما"[6250].

ثانياً: لو بحثنا في جذور تلك الاختلافات البسيطة، فسنجد جذورها – كالعادة – إما في التراث المسيحي (السرياني بصفة خاصة) أو في التراث اليهودي المتأخر قبل الإسلام. يعني: كلام بشر سمعه أصحابُ القرآن وطوروه تطوراً بشرياً طبيعياً، ومع قدر قليل من الخيال استطاعوا أن ينتجوا القصة القرآنية العربية التي نراها الآن في المصحف.

ولتوضيح وجهة نظرنا، سندرس واحداً مِن تلك الاختلافات بين القصة التوراتية الأصلية والقصة القرآنية العربية. على سبيل المثال، تقول التوراة إن آيتي "عصا موسى" و "إخراج يده بيضاء" هُما آيتان (معجزتان) سيصنعهما موسى أمام شعب بني إسرائيل حتى يُصَدِّقوا أنه رسول الله (الخروج 4:1-8)؛ وهذا ما حدث بالفعل بعد ذلك حسب تكملة القصة التوراتية (الخروج 4:28-31). بينما يقول القرآن إن موسى سيصنع هاتين الآيتين (المعجزتين) أمام فرعون وقومه (النمل 10، 12) (القصص 31-32)؛ وهذا ما حدث بالفعل بعد ذلك حسب تكملة القصة القرآنية (الأعراف 107-108) (الشعراء 32-33).

كما نرى: الاختلاف بسيط، بل بسيط جداً. حسب التوراة، سيصنع موسى هاتين المعجزتين أمام قومِه الإسرائيليين. بينما حسب القرآن، سيصنع موسى هاتين المعجزتين أمام المصريين.

لكن حتى هذا الاختلاف البسيط ليس وحياً من عند الله. وإنما هو وحي من التراث البشري الذي انتشر في الشرق الأوسط القديم قبل الإسلام. إذ يوجد مفكرون يهود ومسيحيون قبل الإسلام فهموا أن النص التوراتي يقصد أن موسى سيصنع هاتين المعجزتين أمام فرعون أيضاً.

من ضمن المفكرين اليهود قبل الإسلام، نذكر "يوسيفوس" (Flavius Josephus) اليهودى (القرن الأول الميلادى) الذي قال في الفقرة (2.13.3) مِن كتابه الشهير (Antiquities of the Jews) إن موسى صنع أمام فرعون المعجزات التي صنعها عند جبل سيناء[6251]؛ أي: معجزتي "العصا" و "إخراج اليد بيضاء".

ومِن ضمن المفكرين المسيحيين قبل الإسلام، نذكر القديس إفرام السريانى (Ephrem the Syrian) (Ephraem) (القرن الرابع الميلادي) الذي قال في تعليقه على سفر الخروج (Commentary on Exodus) إن موسى سيصنع هاتين المعجزتين أمام المصريين (أي: فرعون وأيضاً أمام أبناء قومه (أي: شعب بني إسرائيل)[6252].

يبدو إذن أن أصحاب القرآن قد تأثروا بما قاله يوسيفوس اليهودي وإفرام المسيحي السرياني.

وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التى يتأثر فيها أصحاب القرآن بآراء المفكرين اليهود والمسيحيين الموجودة في التراث اليهودي المتأخر والتراث المسيحي السرياني قبل الإسلام.

ولعل هؤلاء المفكرين اليهود والمسيحيين قد استدلوا على صحة آرائهم بالآية التوراتية التي تقول: "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «عِنْدَمَا تَذْهَبُ لِتَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ، انْظُرْ جَمِيعَ الْعَجَائِبِ الَّتِي جَعَلْتُهَا فِي يَدِكَ وَاصْنَعْهَا قُدَّامَ فِرْعَوْنَ" (الخروج 21:4). لكن نحن نرى أن هذا الاستدلال ضعيف، لأن التوراة تقول إن هارون – وليس موسى – هو الذي صنع معجزة العصا أمام فرعون (الخروج 8:7-13). ولم تذكر التوراة أن موسى ولا هارون صنع معجزة إخراج اليد بيضاء أمام فرعون.

وسواء كانت هذه "الْعَجَائِبِ [...] قُدَّامَ فِرْعَوْنَ" (الخروج 21:4) تشمل معجزتي العصا وإخراج اليد بيضاء أم هي فقط "الضربات العشر" (The Ten Plagues of Egypt) التي سيصنعها موسى/هارون أمام فرعون، فإن النتيجة النهائية في جميع الأحوال واحدة: القصة القرآنية ليست وحياً من عند الله، وإنما هي مجرد تطور بشري طبيعي للقصة التوراتية، سواء مَرَّتْ من خلال التراث اليهودي/المسيحي أم لا.

4.30 الحوار بين السلطة والثورة: فرعونُ يحاور موسى

فرعون – الذي يقولون عنه طاغية (النازعات 17) (طه 24، 43، 45) ومتكبر (غافر 27) – وافق أن يحاور معارضيه الثائرين عليه. وهارون – اللي بيقولوا عليه فصيح (القصص 34) – لم ينطق بكلمة واحدة أمام فرعون! بل يكاد هارون أن يكون غائباً تماماً مِن المشهد لولا الإشارة إليه فى بضعة آيات. أى أن هارون (الإسرائيلى الفصيح) حضر هذا اللقاء بجسده فقط، أما لسانه فكان غائباً! وإنْ قلتم إنَّ الله قد استجاب دعاءَ موسى وأصلح لسانَه، فسنقول: فلماذا إذن وصفه فرعون حين حاوره بأنه "مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (أى: ليس عنده بيان ولا فصاحة)" (الزخرف 52)؟

إذن: القصة القرآنية قصة بشرية وكمان مش محبوكة كويس. وما يهمنا فى هذا الفصل هو إثبات أن القرآن هو مجرد تطور بشرى طبيعى للتوراة والتراث المسيحى واليهودى المتأخر والتراث العربي (الشعر الجاهلى).

ذكر القرآنُ هذا الحوار بين السلطة الحاكمة والمعارضة الثائرة فى خمس روايات هى حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن[6253]:

قال صاحب رواية سورة الأعراف: ثُمَّ بَعَثْنَا [...] مُوسَى بِآَيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ {103} وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ[6254] إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ {104} حَقِيقٌ عَلَى (أى: إِنِّي حريصٌ على) أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ {105} قَالَ (فرعونُ) إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآَيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {106} فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ {107} وَنَزَعَ يَدَهُ (مِن جيبه) فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ {108} قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {109} يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ {110} قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ (أى: أجِّل البت فى أمرهما) وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ {111} يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ {112} وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ {113} قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (أى: وعدهم المالَ والمنصبَ) {114} قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ {115} قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ {116} وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ [تحولت إلى حية حقيقية] تَلْقَفُ (أى: تبتلع) مَا يَأْفِكُونَ {117} فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {118} فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ {119} وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ {120} قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {121} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ {122} قَالَ فِرْعَوْنُ آَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ (أى: فى مصر) لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ {123} لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ {124} قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (أى: راجعون) {125} وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا (أى: ما تكره مِنَّا؛ ما تعيب علينا) إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِآَيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا (patience) وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ {126}.

وقال صاحب رواية سورة طه: قَالَ (فرعونُ) فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى {49} قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى {50} قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (أى: الأمم السابقة) {51} قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (أى قال: الله أعلم!)[6255] {52} الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى {53} كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (أى: أصحاب العقول) {54} مِنْهَا (أي: مِنَ الْأَرْضِ) خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى {55} وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى {56} قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى {57} فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (أى: مستوياً سهلاً معتدلاً واسعاً ممتداً؛ كلُّ ما فيه ظاهرٌ بارزٌ للناس؛ أو فى وسط المدينة بحيث يستطيع جميع سكانها أن يحضروا إليه) {58} قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ (أى: يوم العيد[6256]) وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى {59}.

قال ابن كثير تعليقاً على هذه الآية (طه 59): ""ضُحًى" أى: ضحوة من النهار؛ ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح. وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح بَيِّنٌ ليس فيه خفاء ولا ترويج، ولهذا لم يقل: "لَيْلاً". ولكن نهاراً ضُحًى"[6257]. وقال كاتب مسلم معاصر: "إنَّ أصحابَ الحق حريصون على توصيل الحقّ لأكبر عدد ممكن من الناس، وحريصون على أن يكون عملهم ظاهراً معروفاً، وليس خفياً مجهولاً. [...] أما أصحاب الباطل فهم الذين يختارون الاستخفاء عن الناس، والعمل فى الظلام، لأنهم يريدون التمويه والخداع، ويساعدهم الظلام فى ذلك، ولو عملوا فى العلن والجهر والنور أمام أبصار الآخرين فإنهم سيفتضحون وينكشفون"[6258]. ونحن نقول لكل مسلم عاقل: عليك أن تقارن بين معجزة موسى التى حدثت جهاراً نهاراً يوم العيد (أى: يوم الاجازة مِن الأعمال) فى وضح النهار "ضُحًى" (طه 59) على مرأى ومسمع مِن كل الناس "وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ" (الشعراء 39)، وبين معجزة محمد المزعومة (الإسراء والمعراج) التى حدثت فى الظلام "لَيْلاً" (الإسراء 1) والناس نايمة فما حدش شافها أبداً!

نعود إلى ما قاله صاحب رواية سورة طه: فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (ومعه السَّحَرَة) {60} قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ (أى: يستأصلكم، يهلككم) بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى {61} فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (أى: تناظروا، اختلفوا، تشاوروا سراً فيما بينهم) {62} قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ[6259] يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى[6260] {63} فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى {64} قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى {65} قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا [صارت حيات] تَسْعَى (أى: تتحرك وتسير!) {66} فَأَوْجَسَ (أى: أخفى؛ أضمر) فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى {67} قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى {68} وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا (أي: تحولت عصا موسى إلى حية حقيقية تبتلع حبالهم وعصيهم التي ظلت كما هي وإنْ كان قد خُيِّل إلى الناس أنها تحولت إلى حيات!) إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ (أى: لا يفوز؛ لا ينجح) السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (أى: أينما كان) {69} فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى

{70} قَالَ (فرعونُ) آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ (أى: رئيسكم؛ أستاذكم؛ شيخكم؛ إمامكم) الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى {71} قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ (أى: لن نختارك، لن نفضّلك) عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {72} إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى {73} إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا (أي: كافراً به) فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا (فيستريح مِن العذاب) وَلَا يَحْيَا (حياة مستقرة فيها راحة) {74} وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا {75} جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى {76}.

وقال صاحب رواية سورة الشعراء: قَالَ (فرعونُ لموسى) أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا (أى: طفلاً صغيراً) وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ {18} وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ (أى: قتلت مصرياً) وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (أى: مِن الجاحدين نعمتى) {19} قَالَ (موسى) فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ {20} فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ (إلى مَدْيَن) لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ {21} وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ {22} قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ {23} قَالَ (موسى) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ {24} قَالَ (فرعونُ) لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ {25} قَالَ (موسى) رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ {26} قَالَ (فرعونُ) إِنَّ رَسُولَكُمُ (أى: موسى) الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ {27} قَالَ (موسى) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ {28} قَالَ (فرعونُ) لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ[6261] {29} قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ {30} قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {31} فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ {32} وَنَزَعَ يَدَهُ (مِن جيبه) فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ {33} قَالَ (فرعونُ) لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {34} يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ[6262] {35} قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ {36} يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ {37} فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (هو يوم الزينة، أى: يوم العيد) {38} وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ {39} لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ {40} فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ {41} قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (أى: وعدهم الثروة والسلطة) {42} قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ {43} فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ {44} فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ {45} فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ {46} قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {47} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ {48} قَالَ (فرعونُ) آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ (أى: رئيسكم؛ أستاذكم؛ شيخكم؛ إمامكم) الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ {49} قَالُوا لَا ضَيْرَ (أى: لا ضرر؛ أو: لا ضرر على أرواحِنا ونفوسِنا فهى لن تتأثر بالضرر المادى الواقع على أجسادنا) إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ {50} إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ {51}.

وقبل أن نترك رواية سورة الشعراء وننتقل إلى رواية سورة القصص، نريد أن نذكر ملاحظتين:

- يقول صاحب رواية سورة الشعراء إن موسى قتل المصرىَ وهو "مِنَ الضَّالِّينَ" (الشعراء 20)، مع أن صاحب رواية سورة القصص قد وصف موسى قبل ارتكابه جريمة القتل بأن الله قد آتاه "حُكْمًا وَعِلْمًا" (القصص 14)! فكيف يكون موسى "ضالاً" وفى نفس الوقت "حكيماً" و "عالِماً"؟! أليس هذا تناقضاً بين الروايتين؟!
- يقول صاحب رواية سورة الشعراء إن الله وهب لموسى "حُكْمًا" بعد أن قتل المصرىَ (الشعراء 21). أما صاحب رواية سورة القصص فيرى أن الله أعطى موسى "حُكْمًا" (القصص 14) قبل أن يقتل المصرىَ! أليس هذا تناقضاً بين الروايتين؟!

قال المدافعون عن الإسلام إن "الضَّالِّين" تعنى الناسين، وهذا لا يتعارض مع الحُكْم والعِلم! وقالوا إن "حُكْمًا" (القصص 14) هو الحكمة قبل النبوة، أما "حُكْمًا" (الشعراء 21) فهو النبوة! تعليقنا: هكذا يتلاعبون بالألفاظ ومعانى الكلمات فى اللغة العربية لإنكار تناقضات القرآن، فحوَّلوا تفسير القرآن إلى "حرفة" أو "صنعة" تتطلب "فهلوة" ومهارات سحرية مِن أجل اختراع الحيل بسرعة. ونسوا – أو تناسوا – أن اللغة العربية لم تنشأ فجأة أو مِن فراغ فى القرن السابع الميلادى، وإنما نشأت تدريجياً بمرور الزمن كتطور عضوى طبيعى (natural organic evolution) للغات واللهجات الساميَّة (Semitic) التى سبقتها. ونسوا – أو تناسوا – أن ألفاظ القرآن لها جذور فى اللغات الشرقية التى سبقت اللغة العربية، لا سيما اللغات الكتابية مثل العِبرية واليونانية، واللغات التى تُرجِم إليها الكتاب المقدس قبل الإسلام مثل السريانية (الآرامية) والحبشية (الأثيوبية). مثلاً: كلمة "حُكْمًا" (الشعراء 21) (القصص 14) كلمة عِبرية (ḥokhmah) وتعنى "حكمة" (wisdom).

إنه إذن اختلاف واضح بين روايتى الشعراء والقصص. وهذه الاختلافات (discrepancies) بين الروايات القرآنية هى دليل داخلى (internal evidence) – أى مِن داخل القرآن نفسه – يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن عمل بشرى اشترك فيه أكثر من شخص. "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[6263].

وقال صاحب رواية سورة القصص: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ {36} وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {37} وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي [...] {38}.

وقال صاحب رواية سورة يونس: ثُمَّ بَعَثْنَا [...] مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ {75} فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ {76} قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ (أى: لا يفوز؛ لا ينجح) السَّاحِرُونَ {77} قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا (أى: لتصرفنا) عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ {78} وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ {79} فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ {80} فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ {81} وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ

{82} فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ {83}.

ومِن الجدير بالذِكر أن (يونس 83) هى الآية الوحيدة فى القرآن كله التى تقول "فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ". كل الآيات الأخرى تقول "فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ" (الأعراف 103) (يونس 75) (هود 97) (المؤمنون 46) (القصص 32) (الزخرف 46)، "فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ" (يونس 88). سؤال: هل فعلاً (يونس 83) تقول "فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ"؟ أم أنه مجرد خطأ مِن كاتب هذه الآية القرآنية فى مصحف عثمان؟ وإنه لمن الطريف أن كثير من المفسرين والمترجمين قد صححوا هذا الخطأ، فقالوا إن المقصود هو "فرعون وملئه (his notables)" أو "فرعون وحاشيته" أو "فرعون ومَن معه" أو "فرعون وأشراف قومه" أو "آل فرعون وملئهم"[6264]. وقيل إن "مَلَئِهِمْ" تعنى "أشراف بنى إسرائيل (their chiefs; their leaders)"[6265]! إذن: وكالعادة، غموض القرآن وأخطاء المصحف تؤدى إلى حيرة المُفسرين والمترجمين وتخبطهم.

4.30.1 جذور القرآن في التوراة

كالعادة، هذه القصة القرآنية ليست جديدة، وليست وحياً من الله، وإنما هى مجرد تطور بشرى طبيعى للقصة التوراتية المذكورة فى سفر الخروج قبل الإسلام بمئات السنين.

(الخروج 5): {1} وَبَعْدَ ذلِكَ دَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ (إلى فرعون) **[← "ثُمَّ بَعَثْنَا [...] مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا" (يونس 75) "ثُمَّ بَعَثْنَا [...] مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ" (الأعراف 103) (المؤمنون 45-46) (الزخرف 46)]** وَقَالاَ لِفِرْعَوْنَ: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيُعَيِّدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ **[← "وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الأعراف 104-105) "أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ (بنى إسرائيل)[6266]" (الدخان 18) (الشعراء 15-17) (طه 47)]**». {2} فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ **[← "فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى" (طه 49)]** حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لاَ أَعْرِفُ الرَّبَّ **[← "وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 23)]**، وَإِسْرَائِيلَ لاَ أُطْلِقُهُ **[← "أَبَى (أى: رفض)" (طه 56)]**». {3} فَقَالاَ: «إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ **[← "رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" (طه 50) "رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا [...] رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ [...] رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ[6267] وَمَا بَيْنَهُمَا" (الشعراء 24-28)]** [...]».
{4} فَقَالَ لَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ: «لِمَاذَا يَا مُوسَى وَهَارُونُ تُبَطِّلاَنِ الشَّعْبَ مِنْ أَعْمَالِهِ؟ اِذْهَبَا إِلَى أَثْقَالِكُمَا» **[← "أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا (بنو إسرائيل) لَنَا عَابِدُونَ" (أى: خاضعون لنا ومطيعون كالعبيد) (المؤمنون 47)]**.

ثم يقول سفر الخروج إن فرعون أمر بزيادة معاناة شعب بنى إسرائيل **[← "الْعَذَابِ الْمُهِينِ" (الدخان 30) "الْكَرْبِ الْعَظِيمِ" (الصافات 115)]**، مما أدى إلى تذمُّرهم وغضبهم على موسى وهارون (الخروج 5:5-23) **[← "قَالُوا (أى: قال بنو إسرائيل لموسى) أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا" (الأعراف 129)]**.

(الخروج 6): {2} ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ. {3} وَأَنَا ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا بِاسْمِي «يَهْوَهْ» فَلَمْ أُعْرَفْ عِنْدَهُمْ. {4} وَأَيْضًا أَقَمْتُ مَعَهُمْ عَهْدِي: أَنْ أُعْطِيَهُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ أَرْضَ غُرْبَتِهِمِ الَّتِي تَغَرَّبُوا فِيهَا. {5} وَأَنَا أَيْضًا قَدْ سَمِعْتُ أَنِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَسْتَعْبِدُهُمُ الْمِصْرِيُّونَ، وَتَذَكَّرْتُ عَهْدِي. {6} لِذلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ، {7} وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا[6268]، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ. {8} وَأُدْخِلُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَأُعْطِيَكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا. أَنَا الرَّبُّ». {9} فَكَلَّمَ مُوسَى هكَذَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلكِنْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى مِنْ صِغَرِ النَّفْسِ، وَمِنَ الْعُبُودِيَّةِ الْقَاسِيَةِ. {10} ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: {11} «اُدْخُلْ قُلْ لِفِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ أَنْ يُطْلِقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِهِ». {12} فَتَكَلَّمَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ قَائِلاً: «هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَسْمَعُوا لِي، فَكَيْفَ يَسْمَعُنِي فِرْعَوْنُ وَأَنَا أَغْلَفُ الشَّفَتَيْنِ (أى: ثقيل اللسان؛ لا أُحسِن الكلام)؟» {13} فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ، وَأَوْصَى مَعَهُمَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ فِي إِخْرَاجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.

(الخروج 7): {1} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ **[← "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ" (هود 96-97)]**. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ **[← "وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا" (مريم 53)]**. {2} أَنْتَ تَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ، وَهَارُونُ أَخُوكَ يُكَلِّمُ فِرْعَوْنَ لِيُطْلِقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِهِ. {3} وَلكِنِّي أُقَسِّي قَلْبَ فِرْعَوْنَ **[← "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه)" (يونس 88)]** وَأُكَثِّرُ آيَاتِي وَعَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ **[← "آيَاتِي" (طه 42) "آيَاتِنَا الْكُبْرَى" (طه 23) "آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ" (الأعراف 133) "آيَاتِنَا" (الفرقان 36) (المؤمنون 45) (الزخرف 46-47) (القمر 42) (الشعراء 15) (القصص 35-36) (الأعراف 103) (يونس 75)[6269]]**. {4} وَلاَ يَسْمَعُ لَكُمَا فِرْعَوْنُ **[← "وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى" (طه 56)]** حَتَّى أَجْعَلَ يَدِي عَلَى مِصْرَ، فَأُخْرِجَ أَجْنَادِي، شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ. {5} فَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَمَا أَمُدُّ يَدِي عَلَى مِصْرَ وَأُخْرِجُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِهِمْ **[← "فَلَا يُؤْمِنُوا (أى: فلا يؤمن فرعون وملؤه) حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)]**». {6} فَفَعَلَ مُوسَى وَهَارُونُ كَمَا أَمَرَهُمَا الرَّبُّ. هكَذَا فَعَلاَ.

(الخروج 7): {8} وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً: {9} «إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلاً: هَاتِيَا عَجِيبَةً **[← "إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الأعراف 106) "فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الشعراء 31)]**، تَقُولُ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَاطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرَ ثُعْبَانًا».

ونلاحظ هنا أن أصحاب القرآن قد جعلوا فرعون يقول لموسى: "إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الأعراف 106)، أو حسب رواية سورة الشعراء: "فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الشعراء 31). وهى عبارات قرآنية محفوظة، بدليل أنها تكررت فى قصص أخرى. قال قومُ صالح له: "فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الشعراء 154). وقال قومُ نوح له: "فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (هود 32). وقال قومُ هود له: "فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الأعراف 70) (الأحقاف 22). وقال قومُ لوط له: "ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (العنكبوت 29). وقال أصحاب الأيكة لشعيب: "فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الشعراء 187). وقال قوم محمد له: "لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (الحجر 7). صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا كتابة (rewrote) هذه القصة المتوارثة مستخدمين عبارات تلائم بيئتهم العربية فى القرن السابع الميلادى، بدليل أنهم استخدموا نفس العبارات الـ (formulaic) فى قصص مختلفة ولشخصيات مختلفة لغوياً وثقافياً وزمانياً ومكانياً.

(الخروج 7): {10} فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفَعَلاَ هكَذَا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. طَرَحَ هَارُونُ عَصَاهُ (staff of Aaron) أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عَبِيدِهِ فَصَارَتْ ثُعْبَانًا **[← "فَأَلْقَى (موسى) عَصَاهُ (staff of Moses) فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ" (أى: "ثعبان ظاهر بيّن يسعى من مكان إلى آخر، فى قوة تدل على تمام حياته"**[6270]**!) (الأعراف 107) (الشعراء 32) (النازعات 20)]**. {11} فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَيْضًا الْحُكَمَاءَ وَالسَّحَرَةَ **[← "وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ" (يونس 79) "فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (السَّحَرَة)" (طه 60) "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ [...] أَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ. وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ" (الأعراف 109-113) "ابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ. فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ" (الشعراء 36-38) (النازعات 23)]**، فَفَعَلَ عَرَّافُو مِصْرَ أَيْضًا بِسِحْرِهِمْ كَذلِكَ **[← "صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ" (طه 69)]**. {12} طَرَحُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ فَصَارَتِ الْعِصِيُّ ثَعَابِينَ **[← "فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ" (الشعراء 44) "فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ" (الأعراف 116) "فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا (صارت ثعابين) تَسْعَى (أى: تتحرك وتسير!)" (طه 66)]**. وَلكِنْ عَصَا هَارُونَ (staff of Aaron) ابْتَلَعَتْ عِصِيَّهُمْ **[← "وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ (staff of Moses) فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ (أى: تبتلع) مَا يَأْفِكُونَ" (الأعراف 117) "أَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى" (طه 69) "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (القصص 37) "فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**

(أى: يكذبون؛ يفترون؛ يُمَوِّهون)" (الشعراء 45) "فَوَقَعَ الْحَقُّ (أى: ثبت واستقر وظهر فى جانب موسى) وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (مِن سحر وتخييل وخداع)" (الأعراف 118) "قَالَ مُوسَى (للسحرة) مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ" (يونس 81-82)]. ونلاحظ هنا أن كتاب القرآن العربى قد أطال فى وصف هذا المشهد، وبالغ فى وَصْفِه لدرجة أنه وَصَفَ ما فعله السحرةُ بـ"الباطل" ووَصَفَ ما فعله موسى بـ"الحق"! مع أن المشهد نفسه أقرب إلى الأسطورة منه إلى الحقيقة.

(الخروج 7): {13} فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ **[← "وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى" (طه 56)].** {14} ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قَلْبُ فِرْعَوْنَ غَلِيظٌ. قَدْ أَبَى أَنْ يُطْلِقَ الشَّعْبَ **[← "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه)" (يونس 88)]** [...]».

وبعد الحديث عن قسوة قلب فرعون، ينتقل الحديث إلى "الضربات العشر" على مصر (مِن الخروج 14:7 إلى الخروج 10:11)، وهو ما عبَّر عنه صاحب رواية سورة يونس بقوله: "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)[6271].

4.30.2 جذور القرآن فى التراث المسيحى واليهودى المتأخر

لاحظنا فيما سبق بعض الاختلافات البسيطة بين القصة التوراتية الأصلية والقصة القرآنية العربية. والآن ندرس جذور هذه الاختلافات فى التراث المسيحى واليهودى المتأخر.

4.30.2.1 عصا هارون؟ أم: عصا موسى؟!

تقول التوراة إن هارون هو الذى ألقى العصا أمام فرعون. ولقد راجعنا التوراة العبرية والتوراة السامرية والترجمة السبعينية (اليونانية) ومخطوطات البحر الميت والبشيطا (السريانية) ووجدناها جميعاً تقول إن هارون – وليس موسى – هو الذى ألقى العصا أمام فرعون.

ومع ذلك، يقول كتاب القرآن العربى إن "موسى" هو الذى ألقى العصا. لماذا؟ ربما فعل أصحابُ القرآن ذلك عن عمد لتهميش دور هارون الذى جعلوه ساكتاً صامتاً رغم فصاحته المزعومة. أو ربما لأن هذه العصا هى التى كانت مع موسى مِن البداية. أو ربما لأن موسى صنع بها معجزات أخرى كما سنرى فيما بعد. أو ربما سمع أصحابُ القرآن أن موسى هو الذى ألقى العصا أمام فرعون وأن عصا موسى (staff of Moses) – وليس عصا هارون (staff of Aaron) – هى التى ابتلعت عِصِيَّ السحرة. وهذا بالفعل ما وجدناه فى تعليق القديس إفرام السريانى (القرن الرابع الميلادى) على سفر الخروج (Commentary

(on Exodus[6272]. يبدو إذن أن أصحاب القرآن قد تأثروا بما قاله إفرام السرياني. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يتأثر فيها أصحاب القرآن بالتراث المسيحي السرياني.

وسواء كانت عصا هارون (staff of Aaron) (حسب التوراة) أو عصا موسى (staff of Moses) (حسب إفرام السرياني والقرآن العربي)، فنحن نرى أن أحسن وصف لهذه العصا هو "عصا الله" (staff of God) كما قالت التوراة (الخروج 20:4) (الخروج 9:17)، وكما حكى القرآنُ على لسان موسى أن "الله" هو الذي أبطل عَمَلَ السَّحَرَةِ: "فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ. فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ" (يونس 80-82). كذلك في موضع آخر، يقول القرآن عن آل فرعون: "فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ (أي: نحن نستحقها) وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا (أي: يتشاءموا) بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ (أي أن الله هو الذي أصابهم وابتلاهم، وليس موسى أو غيره) وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (الأعراف 131).

4.30.2.2 إيمان سحرة فرعون!

أدخل أصحابُ القرآن تغييرات أخرى على القصة التوراتية الأصلية. لعل أبرزها هو أن سحرة فرعون قد آمنوا وسجدوا و "قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ" حسب روايتي (الأعراف 120-122) و (الشعراء 46-48) أو "قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى" حسب رواية (طه 70)!

وهنا يجب أن نسأل سؤالاً: هل يوجد أي دليل تاريخي وعلمي يثبت أن سحرة فرعون قد آمنوا بإله العِبرانيين؟!

ثم إن موسى لم يكن صاحب دعوة عامة (universal) للناس جميعاً، وإنما كانت دعوته إلى التوحيد خاصة ببني إسرائيل فقط. فكيف يؤمن سحرة فرعون بالإله الواحد؟! وإن قلتم إن هؤلاء السحرة كانوا مِن بني إسرائيل، فسنقول: لو كان هؤلاء السحرة مِن بني إسرائيل، لكان القرآن قد قال ذلك صراحةً. ويكفي أن كل الآيات التوراتية والقرآنية تشير إلى أن هؤلاء السحرة كانوا مصريين. قال د. حسن الباش: "فهل كان السحرة من بني إسرائيل أم من المصريين؟ واقع الأمر يقول إنهم من المصريين حيث جمعهم فرعون من كافة بلاده، وهذا حسب نص التوراة وحسب نص القرآن الكريم"[6273].

إذن السؤال الذي يبحث عن جواب هو: هَل يوجد أي دليل تاريخي وعلمي يثبت أن سحرة مصريين قد آمنوا بإله بني إسرائيل؟!

إذا كانت الإجابة "لا" – وهي بالتأكيد كذلك، فهذا يدل على أن إيمان سحرة فرعون هو مجرد فكرة دخيلة أدخلها أصحابُ القرآن (تحديداً: روايات سور الأعراف والشعراء وطه) على القصة التوراتية الأصلية. وما يؤيد ذلك هو أن صاحب رواية سورة القصص لم يذكر شيئاً عن إيمان سحرة فرعون. أما صاحب رواية

سورة يونس فقال جملة غامضة جداً: "فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ" (يونس 83). فاحتار المفسرون فى تفسير "قَوْمِهِ" (يونس 83). قيل إن المقصود هُمْ قوم فرعون (أى: المصريين)؛ وقيل إنهم قوم موسى (أى: بنى إسرائيل)، أو: عدد قليل مِن شبابهم أو غلمانهم، واستدلوا على ذلك بكلمة "ذُرِّيَّةٌ". وتقول حيلة توافقية مضحكة إنهم قومٌ أمهاتهم من بنى إسرائيل وآباؤهم مِن المصريين[6274]! ونحن نرى أن كلمة "ذُرِّيَّةٌ" (يونس 83) التى تشير إلى إيمان الشباب أكثر مِن الشيوخ ليس لها علاقة بقصة موسى وإنما لها علاقة بقصة محمد (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) الذى كان أكثر أتباعه مِن الشباب. قال ابن كثير: "كَانَ أَكْثَر الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ شَبَابًا. وَأَمَّا الْمَشَايِخ مِنْ قُرَيْش، فَعَامَّتهمْ بَقُوا عَلَى دِينهمْ، وَلَمْ يُسْلِم مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيل"[6275]. بعبارة أخرى: أخذ صاحبُ (يونس 83) عنصراً مِن حياة موسى الثاني (محمد) وأدخله فى حياة موسى الأول.

وخير دليل قرآنى على أن إيمان سحرة فرعون هو مجرد فكرة دخيلة أدخلها أصحابُ القرآن (تحديداً: روايات سور الأعراف والشعراء وطه) على القصة التوراتية الأصلية هو أن أصحاب هذه الروايات القرآنية قد جعلوا هؤلاء السحرة المؤمنين يقولون كلمات لا تناسب عصرهم وإنما تناسب عصر أصحاب القرآن. أى أن أصحاب القرآن قد أوقعوا أنفسهم فى مفارقات تاريخية (anachronisms). مثل: قول السحرة "رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ" (الأعراف 126) "إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا. وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا. جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى" (طه 74-76).

وكالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فى تحديد شخصية المتحدث فى هذه الآيات الثلاث (طه 74-76)! قال القرطبى: "قِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْل السَّحَرَة لَمَّا آمَنُوا. وَقِيلَ: اِبْتِدَاء كَلَام مِنْ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ"[6276]. يؤيد النسفى الرأىَ الثانى. أما ابن كثير وآخرون فيؤيدون الرأىَ الأول، إذ يقول ابنُ كثير: "الظَّاهِر مِنْ السِّيَاق أَنَّ هَذَا مِنْ تَمَام مَا وَعَظَ بِهِ السَّحَرَة لِفِرْعَوْن يُحَذِّرُونَهُ مِنْ نِقْمَة اللَّه وَعَذَابه الدَّائِم السَّرْمَدِيّ وَيُرَغِّبُونَهُ فِي ثَوَابه الْأَبَدِيّ الْمُخَلَّد"[6277]. ومما يؤيد هذا الرأى أيضاً هو التحول المفاجئ فى شخصية السحرة. هذا التحول الذى ركز عليه صاحبُ رواية سورة طه تركيزاً شديداً. فبعد أن كان السحرة يحلفون "بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ" (الشعراء 44) جعلهم صاحب هذه الرواية يحلفون بالله "وَالَّذِي فَطَرَنَا" (طه 72)؛ وبعد أن كان همهم متاع الدنيا والمال والسلطة (الأعراف 113-114) (الشعراء 41-42) جعلهم صاحبُ هذه الرواية يهتمون بالآخرة وغفران الخطايا ونعيم الجنة (طه 73-76). نستطيع إذن أن نقول إن صاحب رواية سورة طه قد حوَّل سحرةَ فرعون فجأة إلى "دعاة" بمجرد إيمانهم[6278]!

ونحن نرى أن (طه 74-76) ليست كلام الله وليست كلام سحرة فرعون، وإنما كلام أصحاب القرآن، أى: كلام أدخله عربُ شبه الجزيرة فى القرن السابع الميلادى على القصة التوراتية الأصلية. بدليل أنهم استخدموا عبارة "جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا" (طه 74) فى موضع آخر مِن القرآن لا علاقة له بقصة

موسى وفرعون: "النَّارَ الْكُبْرَى (أى: جهنم). ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا" (الأعلى 12-13)[6279]، واستخدموا عبارة "وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" (طه 73) فى مواضع أخرى مِن القرآن لا علاقة لها بقصة موسى وفرعون: "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى" (القصص 60) (الشورى 36) "وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى" (طه 131) "وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" (الأعلى 17). إنها إذن مجرد عبارات إسلامية/عربية أقحمها أصحابُ القرآن على القصة التوراتية الأصلية، ثم زعموا أنها موجودة فى التوراة (أو ما يُسمَّى بـ "صحف موسى"): "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى. إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" (الأعلى 16-19). ويا ليتهم يعطونا نسخة واحدة مِن هذه "الصُّحُفِ الْأُولَى" (الأعلى 18) (طه 133) المزعومة!

وحين نقول إن تلك العبارات "إسلامية/عربية" فإننا لا نعني بالضرورة أن أصحاب القرآن هُمْ الذين اخترعوها وابتكروها وقالوها قبل غيرهم، وإنما نعني فقط أنها كانت معروفة ومنتشرة في الشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي فأدخلها أصحابُ القرآن على القصة التوراتية الأصلية واستخدموها أيضاً في آيات قرآنية أخرى ليس لها علاقة بالقصة التوراتية الأصلية. وقد تكون تلك العبارات الإسلامية/العربية مستوحاة من مُجمل التراث اليهودي المتأخر و/أو التراث المسيحي. وهي بالفعل كذلك. اقرأ مثلاً زيارة يسوع المسيح للأختين مريم ومَرثا في بيتهما (لوقا 10:38-42)، حيث اهتمت مَرثا اهتماماً كبيراً بإعداد الطعام ليسوع وأجهدت نفسها كثيراً في ذلك، بينما جلست مريم في هدوءٍ وسكينة عند قَدَمَيْ يسوع تسمع كلامَه عن الحياة الأبدية ولم تساعد أختها مَرثا في أعمال المطبخ، مما أغضب مَرثا غضباً شديداً فجاءت تعاتب مَريمَ بل تعاتب يسوع! "فأجابَ يَسوعُ وقالَ لها: «مَرثا، مَرثا، أنتِ تهتَمِّينَ وتضطَربينَ لأجلِ أمورٍ [دنيوية] كثيرةٍ **[← "تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا" (الأعلى 16) "هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا" (طه 72) "مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" (الشورى 36) "مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا" (القصص 60) "زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" (طه 131)]**، ولكنَّ الحاجَةَ إلى واحدٍ (أي: الله؛ الحياة الأبدية) **[← "اللَّهُ" (طه 73) "وَالْآخِرَةُ" (الأعلى 17) "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ" (الشورى 36) (القصص 60) "وَرِزْقُ رَبِّكَ" (طه 131)]**. فاختارَتْ مَريَمُ النَّصيبَ الصالِحَ **[← "خَيْرٌ" (طه 73) (الأعلى 17) (الشورى 36) (القصص 60) (طه 131)]** الذي لن يُنزَعَ مِنها **[← "وَأَبْقَىٰ" (طه 73) (الأعلى 17) (الشورى 36) (القصص 60) (طه 131)]**»" (لوقا 10:41-42).

فكما نقول دائماً: لولا التراث اليهودي/المسيحي بصفة عامة، لمَا ظهر القرآنُ.

وهنا نسأل سؤالاً لكل مسلم عاقل: هل يوجد أى دليل علمى وتاريخى يثبت أن سحرة فرعون قد نطقوا كلمة "مُسْلِمِين" (الأعراف 126) وعرفوا جهنم (طه 74) وجنة الخلود (طه 76)؟!

إن هذه الأفكار والعقائد المتقدمة جداً تشير إلى جذور مسيحية أو يهودية متأخرة لهذه الإضافات.

بالفعل، فلقد وجدنا أن بولس الرسول – اليهودى الفَرّيسى الذى آمن بالمسيح فى القرن الأول الميلادى – قد ذَكَرَ اثنين مِن سحرة فرعون، وهما "يَنِّيس" (Jannes) و "يَمْبِريس" (Jambres) (2 تيموثاوس 3:8). ونعرف مِن "وثيقة دمشق" (Damascus Document) – وهى إحدى مخطوطات البحر الميت

– أن يَنِّيس وأخاه قد قاوما موسى وأخاه فى المرة الأولى[6280]، أى تلك المذكورة فى (الخروج 7). صحيح أن بولس الرسول لم يقل إن يَنِّيس ويَمْبِريس قد آمنا برب موسى وهارون، لكن التقليد اليهودى يقول إنهما اعتنقا اليهودية أو على الأقل تظاهرا بذلك[6281]. وربما تكون فكرة إيمان السحرة المصريين الأُمَمِيّين (أى: الذين ليسوا مِن بنى إسرائيل) مستوحاة مِن قصة إيمان يثرون (Jethro) المديانى الأممى (الخروج 18:8-12). وقيل فى التراث اليهودى إن يثرون كان واحداً مِن سحرة فرعون أو مِن ملئه، ثم اعتنق اليهودية فصار يهودياً[6282]! ومِن المعلوم أن التقليد اليهودى المُتوارَث ليس مصدراً موثوقاً للمعرفة ولا يمكن الإقرار بصحته التاريخية فى كل شىء. ويبدو أن هذه الأقاويل والروايات الشعبية التى ليست محل ثقة قد وصلت إلى أصحاب القرآن فوضعوها فى سور الأعراف وطه والشعراء، ثم بالغوا كعادتهم فى الأسلمة فأضافوا كلمات من عندهم مثل كلمة "مُسْلِمِينَ" (الأعراف 126)!

إنها إذن عملية أسلمة للتراث اليهودى/المسيحى قام بها أصحابُ القرآن.

لكن لماذا أدخل أصحابُ القرآن فكرةَ إيمان هؤلاء السحرة الأُمَمِيّين على القصة التوراتية الأصلية؟ نظن أن هذه الفكرة الدخيلة تخدم المشروع الإسلامى الذى أسسه أصحابُ القرآن والذى يُقدِّم الإسلامَ باعتباره رسالة عالمية (universal) لكل البشر سواء أهل الكتاب أو غيرهم (الأعراف 157-158)؛ بل رسالة عامة لكل الإنس والجن (القلم 52) (ص 87) (التكوير 27) (الفرقان 1)! ولعل أصحاب القرآن قد أرادوا أيضاً أن يبرزوا التناقض الشديد بين موقف هؤلاء السحرة الأُمَمِيّين الذين آمنوا بسرعة وثبتوا على التوحيد على الرغم من تهديد فرعون لهم وبين موقف بنى إسرائيل (أى: بنى يعقوب النبى) الذين لم تثبت عقيدتهم فأتعبوا موسى النبى كثيراً سواء داخل مصر أو بعد الخروج مِن مصر.

أما الطريقة التى عَبَّر بها القرآنُ عن إيمان السحرة – الذين كانوا يؤيدون فرعون – ثم آمنوا بالله الواحد بعد أن رأوا معجزة موسى النبى، فيبدو لنا أنها مستوحاة مِن الطريقة التى عَبَّر بها الكتابُ المقدس عن إيمان شعب بنى إسرائيل بعد أن رأوا معجزة موسى النبى لأول مرة في بداية القصة التوراتية: "خَرُّوا وَسَجَدُوا" (الخروج 31:4) **[⟵ "وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ" (الأعراف 120) "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ" (الشعراء 46) "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا" (طه 70)]**. أو لعلها مستوحاة مِن الطريقة التى عَبَّر بها الكتابُ المقدس عن إيمان شعب بنى إسرائيل – الذين كانوا يعبدون البعلَ (Baal) – ثم آمنوا بالله الواحد بعد أن رأوا معجزة إيليا (Elijah) النبى: "فَلَمَّا رَأَى جَمِيعُ الشَّعْبِ ذلِكَ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ **[⟵ "وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ" (الأعراف 120) "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ" (الشعراء 46) "فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا" (طه 70)]** وَقَالُوا: «الرَّبُّ هُوَ اللهُ! الرَّبُّ هُوَ اللهُ!» **[⟵ "قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ" (الأعراف 121-122) (الشعراء 47-48) "قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى" (طه 70)]**" (1 ملوك 39:18)[6283].

وبعد القرآن، استمر تأليف الأساطير فى كتب الأحاديث والتفاسير، وطبعاً استمرت عملية الأسلمة. فتقول أسطورة إسلامية شهيرة: "لما سجد السحرة، رأوا منازلهم وقصورهم فى الجنة، تُهيَّأ لهم، وتُزَخْرَف

لقدومهم"[6284]. وتقول أسطورة إسلامية أخرى إن فرعون أخذ امرأته المؤمنة "آسية" ليعذبها لتدخل فى دينه، "فقالت وهى فى العذاب "رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي [...]" (التحريم 11)، فأوحى الله إليها أن ارفعى رأسك، ففعلت، فرأت البيت فى الجنة مِن درّ فضحكت" إلى أن ماتت فى عذاب فرعون[6285]! ويقول حديث أخرجه أبو يعلى وصححه الألبانى وغيره: "إنَّ فرعون أَوْتَدَ لامرأته أربعة أوتاد فى يَديها ورجْليها، فكان إذا تفرَّقوا عنها ظَلَّلَتها الملائكةُ، فقالت: "رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"، فكشف لها عن بيتها فى الجنة"[6286]!

إنها بكل تأكيد أساطير إسلامية مستوحاة مِن التراث المسيحى، وتحديداً مِن قصة القديس "استفانوس" (Saint Stephen) - أول شهيد فى التاريخ المسيحى - الذى رأى السماوات مفتوحة قبيل استشهاده بلحظات: "وَأَمَّا هُوَ (أى: الشهيد استفانوس) فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ. فَقَالَ: «هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً، وَابْنَ الإِنْسَانِ (أى: يسوع المسيح) قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ»" (أعمال الرسل 7:55-56).

4.30.2.3 فرعون يعاقب سحرته المؤمنين!

وتوجد مفارقات تاريخية أخرى في كلام فرعون، حيث جعل أصحابُ القرآن فرعونَ يقول كلمات لا تناسب عصر موسى وإنما تناسب عصر محمد!

فَمِن المعلوم أن أصحاب القرآن عرفوا عقوبتي الصلب (crucifixion) وتقطيع الأيدى والأرجل مِن خلاف، بدليل وجود هاتين العقوبتين في حد الحرابة الذي شَرَّعه أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ **يُصَلَّبُوا** (crucified) أَوْ **تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ** أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ" (المائدة 33). ولا توجد مشكلة تاريخية في هذه الآية التي قيلت في القرن السابع الميلادي حين كانت عقوبة تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف معروفة ومعناها مفهوم، أي: قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس؛ وكذلك كانت عقوبة الصلب لها معهود ذهني معروف وسائد في أذهان الناس بفضل انتشار الديانة المسيحية التي اتخذت من صليب المسيح رمزاً وشعاراً لها.

أما المشكلة التاريخية فنجدها في قصة موسى القرآنية، حيث زعم القرآنُ أن المصريين القدماء عرفوا هاتين العقوبتين أيام موسى! أي: في القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد! واستخدم القرآنُ نفس الكلمات التي استخدمها في آية حد الحرابة، ومِن ثم قصد نفس المعنى ونفس المعهود الذهني:

- فلقد قال فرعون لسحرته المؤمنين الموحّدين: "آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ **لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ** أَجْمَعِينَ (I will surely crucify you all)" حسب رواية (الشعراء 49).

- وفى رواية سورة الأعراف أنه قال لهم: "آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (I will surely crucify you all)" حسب رواية (الأعراف 123-124)، ولم يقل "إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ"!
- أما فى رواية سورة طه فنجد أن فرعون قال لهم: "آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ (I will surely crucify you) فِي جُذُوعِ النَّخْلِ" حسب رواية (طه 71)، ولم يقل "أَجْمَعِينَ" ولا "إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا"!

ونلاحظ هنا أن كتاب القرآن العربى قد استمر فى مبالغته فى وصف هذا المشهد المهيب، لدرجة أنه وَصَفَ الصلب على جذوع النخل بأنه صلب "فِي" جُذُوعِ النَّخْلِ (طه 71)، فكأن فرعون سيُدخِل هؤلاء السحرة فى جذوع النخل ليتخلص منهم نهائياً عقاباً لهم على إيمانهم برب موسى وهارون!

ونلاحظ أيضاً الاختلافات (discrepancies) بين هذه الروايات القرآنية الثلاث. لكن لا نريد هنا أن نتوقف كثيراً عند هذه الاختلافات، فلقد صارت أمراً عادياً يؤكد لنا فى كل مرة أن كتاب القرآن العربى هو ثمرة عمل جماعى اشترك فيه أكثر مِن شخصٍ عربى، ولذلك حكى كل واحد الحكايةَ بطريقته، ومِن ثم ظهرت هذه الاختلافات فى الأقوال و/أو الأفعال.

انظر أيضاً الاختلافات بين ما قاله السحرة رداً على فرعون فى الروايات القرآنية الثلاث:

- حسب رواية سورة الشعراء: "قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ. إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ" (الشعراء 50-51).
- حسب رواية سورة الأعراف: "قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ. وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ" (الأعراف 125-126).
- حسب رواية سورة طه: "قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ" (طه 72-73).

حقاً إنَّ القرآن كلام مجموعة مِن البشر المخلوقين وليس كلام الله الخالق. "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[6287].

وإنما نريد أن نتوقف عند هاتين العقوبتين المذكورتين فى هذه الروايات القرآنية الثلاث، وَهُمَا عقوبة تقطيع الأيدى والأرجل مِن خلاف وعقوبة الصلب (crucifixion)!

لم يقل القرآنُ صراحةً إن فرعون قد نَفَّذ هاتين العقوبتين على سحرته المؤمنين الموحِّدين، لكن مراجع عربية وأجنبية كثيرة قالت إنه نفذهما. على سبيل المثال، تقول موسوعة بيان الإسلام: "قال سعيد بن جبير: لمَّا سجد السحرة، رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة، تُهيَّأُ لهم، وتُزَخْرَفُ لقدومهم، ولهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون وتهديده ووعيده، بل صَدَعوا بالحق في وجهه، ولقد نفذ فرعون ما هددهم به، فصلبهم، وقطع أيديهم وأرجلهم، وقتلهم شر قتله، ومع ذلك لم يثنهم ذلك عن الإيمان بالله، فماتوا شهداء أبراراً رضوان الله عليهم أجمعين، قال ابنُ عباس –رَضِيَ اللَّهُ عنهما –: كانوا أول النهار سحرة، فصاروا من آخره شهداء بررة"[6288].

وحسب الترتيب القرآني: قطَّع فرعونُ أيديهم وأرجلهم أولاً ثم صلبهم (الأعراف 124) (طه 71) (الشعراء 49). صلبهم أحياء وماتوا على الصليب، بدليل أنه لم يقل لهم "لأقتلنكم" أولاً؛ وكان يستطيع أن يقتلهم إنْ أراد فَهُمْ تحت يديه، لكنه لم يقتلهم قبل الصلب. يعني: عذبهم ثم صلبهم أحياء حتى ماتوا على الصليب فصاروا شهداء. وَهُمْ أنفسهم أيقنوا أنهم سيموتوا بدليل أنهم "قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ" (الشعراء 50) "قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ. [...] رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ" (الأعراف 125-126). نحن إذن أمام عملية إعدام بالصلب تشبه ما حدث ليسوع المسيح: عُذِّبَ أولاً ثم صُلِبَ حياً حتى مات على الصليب فصار أعظم شهيد في التاريخ. ونحن نتعجب أن يؤمن المسلمون بأن هؤلاء السحرة المجهولين الذين لا نعرف حتى أسماءهم قد قُتِلوا صلباً، بينما لا يؤمنون بأن المسيح – أشهر شهيد مصلوب فى التاريخ – قد قُتِلَ صلباً! فحسب ما زعمه القرآن: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157)!

وهنا نسأل المسلمين سؤالاً صعباً: هل يوجد أى دليل أثرى واحد يثبت أن فرعون قد نفذ عقوبتي تقطيع الأيدى والأرجل مِن خلاف والصلب (crucifixion) على سحرته المؤمنين الموحِّدين "أَجْمَعِينَ" (الشعراء 49) (الأعراف 124) أو حتى بدون "أَجْمَعِينَ" (طه 71)؟!

وفى الواقع، نحن لا يهمنا إذا كان فرعون قد نَفَّذ هاتين العقوبتين على سحرته أم لا. المهم: الفكرة نفسها، الجملة نفسها التى وضعها أصحابُ القرآن على لسان مَلِك مصر.

وهنا نسأل المسلمين سؤالاً أقل صعوبة: هل يوجد أي دليل أثري واحد يثبت أن عقوبة تقطيع الأيدى والأرجل مِن خلاف وعقوبة الصلب (crucifixion) كانتا معروفتين عند المصريين القدماء أيام موسى (أى: فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد)؟!

وإذا قال المسلمون إن الصلب كان معروفاً مِن أيام يوسف (أي: قبل موسى بمئات السنين)، واستدلوا على ذلك بقول يوسف لزميله في السجن: "فَيُصْلَبُ (he will be crucified)[6289]" (يوسف 41).

فسنقول لهم أولاً: لا يمكن أن نأخذ آيةً من القرآن لنثبت بها تاريخية آية أخرى من القرآن! فلو كنا نصدق القرآن في (يوسف 41)، لصدقناه في (الشعراء 49) (الأعراف 124) (طه 71) وانتهت المشكلة!

ثانياً: مَن قال إن قصة يوسف قصة حقيقية تاريخية؟! فلقد أثبتنا أن قصة يوسف هي أصلاً مجرد أسطورة من أساطير الشرق الأوسط القديم، ثم تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً حتى انتقلت إلى التوراة والتراث اليهودي/المسيحي بصفة عامة، ومِن ثم انتقلت إلى القرآن. إذن: الاستدلال بـ(يوسف 41) هو والعدم سواء. فلاً بُدَّ أن يكون الدليل من خارج القرآن (external) ومستقلاً عن القرآن (independent). وينبغي أن يكون دليلاً علمياً (scientific)؛ من الآثار المصرية القديمة مثلاً.

ثالثاً: كلمة "فَيُصْلَبُ" (يوسف 41) في قصة يوسف القرآنية هي أيضاً غير دقيقة. بل إنها مفارقة تاريخية تعاني منها قصة يوسف القرآنية أيضاً. وذلك لأن كلمة "فَيُصْلَبُ" (يوسف 41) في قصة يوسف القرآنية تعني أيضاً الإعدام بالصلب؛ أي: الصلب حياً حتى الموت. والدليل على ذلك هو أنها جاءت في سياق تفسير يوسف لرؤيا صاحبه في السجن. وإذا رجعنا إلى الرؤيا نفسها فسنجد أن صاحبها قد قال: "إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا" (يوسف 36). والكلمتان "أَحْمِلُ" و "فَوْقَ" تدلان على أن صاحبها حي. فلو كان ميتاً، لقال: إِنِّي أَرَانِي على رَأْسِي خُبْزًا. وعبارة "فَوْقَ رَأْسِي" (يوسف 36) تكاد تكون منقولة مِن سرد أحداث صلب المسيح كما جاءت في الإنجيل: "وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: «هذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ»" (متى 37:27). وإذا راجعنا قصةَ يوسف جيداً، فسنجد أن يوسف البريء دخل السجن "وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ (two young men)" (يوسف 36)؛ أحدهما عاش والآخر مات "أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ" (يوسف 41). وكذلك يسوع البريء صُلِبَ و "صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ (two robbers)" (متى 38:27) (مرقس 27:15) (لوقا 32:23) (يوحنا 18:19)؛ أحدهما تاب فعاش حياةً أبدية والآخر لم يتب فمات موتاً أبدياً (لوقا 39:23-43). وكل هذه التشابهات والمتوازيات تجعلنا على يقين أن صاحب (يوسف 41) حين قال "يُصْلَبُ" كان يقصد: يُصْلَبُ كما صُلِبَ المسيحُ؛ أي: يُصْلَبُ حياً حتى الموت؛ أي: يُعدَم بالصلب. [وإنْ قلتم إن القرآن ينكر صلب المسيح. فسنقول: القرآن المدني (النساء 157) هو الذي يُقال إنه ينكر صلب المسيح. أما في الفترة المكية – التي تنتمي إليها الآيات الأربع (يوسف 41) (الشعراء 49) (الأعراف 124) (طه 71) – فلا يوجد أي دليل على أن المسلمين الأوائل في مكة كانوا ينكرون صلب المسيح. ثم إن مسألة صلب المسيح مسألة عقائدية وليست موضوعنا الآن. وإنما موضوعنا هو معنى كلمتي "يُصْلَبُ" (يوسف 41) و "لَأُصَلِّبَنَّكُمْ" (الشعراء 49) (الأعراف 124) (طه 71). وكل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن المعنى هو: الإعدام بالصلب؛ أي: الصلب حياً حتى الموت.]

مما سبق يتضح أن كلمة "فَيُصْلَبُ" (يوسف 41) نفسها مفارقة تاريخية أخرى يعاني منها القرآنُ.

ويقول العالِم (Prof. Gabriel Said Reynolds) عن هذه المفارقة التاريخية[6290]:

> The Qur'ān has the baker crucified (v. 41), whereas Genesis has him hanged (Gen 40:22), although crucifixion was first practiced long after the traditional dates of Joseph's life.

إذن: الكلمة الأكثر دقة جاءت في قصة يوسف التوراتية التي لم تقل "يُصْلَب" (crucified)، وإنما قالت "يُعَلِّقُكَ عَلَى خَشَبَةٍ" (hang you on a tree; impale you upon a pole) (التكوين 19:40). ومِن الواضح أن هذا "التعليق على خشبة" المذكور في التوراة لم يكن تعليقاً حتى الموت كما هو الحال في الإعدام بالصلب المذكور في القرآن. وإنما كان تعليقاً بعد الموت (أي: بعد الإعدام) بوسيلةٍ أخرى، بدليل أن الآية التوراتية تقول "يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ عَنْكَ، وَيُعَلِّقُكَ عَلَى خَشَبَةٍ" (التكوين 19:40). ويقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم": "كان التعليق (hanging) هو وسيلة لإهانة جثة الشخص (executed person) (انظر يشوع 29:8؛ 2 صموئيل 12:4). ويمكن أن يتضمن التعليق بحَبْل من الرقبة أو التعليق على خشبة (impalement on a stake). أما الشكل الفعلي للإعدام فقد يكون هو الرجم (stoning) أو قطع الرأس (beheading)"[6291].

ولذلك حاول بعضُ مفسري القرآن أن يحلوا مشكلة المفارقة التاريخية في كلمة "فَيُصْلَبُ" (يوسف 41)، فوقعوا – بوعي أو بدون وعي – تحت تأثير التوراة وفسروا كلمةَ "فَيُصْلَبُ" (يوسف 41) على أنها تعني "فيُقتَل ثم يُصلَب"[6292]! أما نحن فنرى أن أصحاب القرآن قد قصدوا أن يُصْلَب حياً ويُترَك مصلوباً حتى يموت. قال أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر): "سيُصلَب ويُتْرَك مصلوباً حتى يموت"[6293]. وقالت الباحثة كريمة كطيبي إنه "لقي حتفه مصلوباً كما فسر يوسف رؤياه"[6294]. بدليل أن أصحاب القرآن استخدموا نفس لفظة الصلب في قصة المسيح (النساء 157)، ومِن المعلوم أن المسيح صُلِبَ حياً ومات على الصليب. كما استخدموا نفس لفظة الصلب في حد الحرابة (المائدة 33) التي يُقال إنها نزلت بعد قصة الْعُرَنِيِّين الذين عذّبهم محمدٌ أولاً بقطع أيديهم وأرجلهم وفقأ أعينهم ثم تركهم أحياء على هذه الحالة حتى ماتوا[6295]! صحيح لم يصلبهم، لكن المهم أنه تركهم حتى ماتوا.

إذن: ينبغي أن نكون حريصين وأكثر دقة. نحن نتحدث عن الصلب (crucifixion) كعقوبة إعدام (execution; capital punishment) فهي العقوبة المذكورة في قصة موسى القرآنية (الشعراء 49) (الأعراف 124) (طه 71) وقصة يوسف القرآنية (يوسف 41). ولا نتحدث عن الخوزقة أو التعليق (impalement) الذي هو أقدم مِن الصلب. وبالطبع لا نتحدث عن الصليب كرمز من رموز اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية)، الذي نراه في اسم "نفرتيتي" (Nefertiti) مثلاً.

فلا يزال سؤالنا قائماً: هل يوجد أى دليل أثرى واحد يثبت أن عقوبة تقطيع الأيدى والأرجل مِن خلاف وعقوبة الصلب (crucifixion) كانتا معروفتين عند المصريين القدماء أيام موسى (أى: فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل المسيح)؟! وهل كانت عقوبة الصلب (crucifixion) معروفة عند المصريين القدماء أيام يوسف (أي: أكثر من 1600 سنة قبل المسيح)؟!

لا نرى أمامنا أي دليل تاريخي يثبت صحة القرآن. بالعكس، كل الأدلة التي أمامنا تقول إن استخدام الصليب كوسيلة للإعدام عقوبة حديثة نسبياً ...

إن جذور عقوبة الصلب تشير إلى فارس فى منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد، وليس إلى مصر فى منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد.

تقول دائرة المعارف الكتابية: "وقد بدأ استخدام الصليب وسيلة للإعدام فى الشرق، فقد استخدمه الاسكندر الأكبر نقلاً عن الفرس، الذين يغلب أنهم أخذوه عن الخازوق الذى كان يستخدمه الأشوريون. واستعار الرومان الفكرة من قرطاجنة التى أخذته عن الفينيقيين"[6296].

"ويحتمل أن يكون الفرس مخترعى الصلب"[6297].

وسنعرف فى الفصل القادم أن هذه الآيات القرآنية الثلاث التى تتحدث عن الصلب أيام موسى (الشعراء 49) (الأعراف 124) (طه 71) مستوحاة مِن سفر أستير الذى تدور أحداثه فى فارس فى القرن الخامس قبل الميلاد، وليس من سفر الخروج الذى تدور أحداثه فى مصر فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد. وحين نقول "مستوحاة مِن سفر أستير" فإننا نقصد: تطور بشري طبيعي لسفر أستير الذي تتشابه فكرته الأساسية مع قصتي يوسف وموسى كما وضحنا فيما سبق وسنوضح أكثر لاحقاً.

ولا توجد آية قرآنية أخرى تذكر "الصلب" (crucifixion). 6 آيات فقط، وهي حسب الترتيب الزمني للأحداث التي تشير إليها:

- أكثر من 1600 سنة قبل الميلاد: قصة يوسف (يوسف 41) (مكية).
- أكثر من 1200 سنة قبل الميلاد: قصة موسى (الشعراء 49) (الأعراف 124) (طه 71) (مكية).
- القرن الأول الميلادي: صلب المسيح (النساء 157) (مدنية).
- القرن السابع الميلادي: حد الحرابة (المائدة 33) (مدنية).

المشكلة التاريخية في القصتين اللتين في الألفية الثانية قبل الميلاد: قصتي يوسف وموسى. لا يوجد أي دليل تاريخي يثبت أن الصلب (crucifixion) كان معروفاً في هذا الماضي البعيد.

فليس أمامنا سوى أن نقول إن أصحاب القرآن قد حرَّفوا قصتي يوسف وموسى فأدخلوا عليهما عناصر مستوحاة من أسفار أخرى (سفر أستير) وأيضاً عناصر مِن الواقع العربي الذي كان يعيشه أصحاب القرآن فى القرن السابع الميلادى. نقصد: حد الحرابة (المائدة 33).

ولقد لفت النسفى نظرَنا إلى نقطة أخرى، وهى عبارة "إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ" (طه 71) (الشعراء 49): أى "لعظيمكم، أو: لمعلمكم. يقول أهل مكة للمعلم: أمرنى كبيرى"[6298]. إذن: كلمة "كَبِيرُكُمُ" كلمة عربية مِن لغة أهل مكة، ووضعها أصحاب القرآن على لسان فرعون! وقال الواحدى النيسابورى: "قال الكسائى: الصبى بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال: جئت من عند كبيرى. وقال محمد بن إسحاق إنه لعظيم السحار، والكبير فى اللغة (العربية) الرئيس، ولهذا يقال للمعلم الكبير"[6299]. وقال الأستاذُ عبد السلام بدوى:

"أى معلمكم .. وهذه لغة مكة .. يقولون: طلب منى كبيرى كذا وكذا .. أى معلمى فى القرآن وفى كل ما يقرأ .. يقصد فرعون رئيس السحرة ومعلمهم الأكبر"[(6300].

إذن: كلمة "كَبِيرُكُمُ" (طه 71) (الشعراء 49) هى دليل آخر على أن أصحاب القرآن – أو أجدادهم العرب – قد أعادوا انتاج (reproduced) هذه القصة اليهودية/المسيحية الموروثة، فوضعوا على لسان فرعون عبارات وكلمات عربية تنتمى لزمانهم (القرن السابع الميلادى) ومكانهم (شبه الجزيرة العربية) ولا تنتمى لزمان ومكان فرعون (القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد فى مصر).

إنها إذن عملية تعريب للتراث اليهودي-المسيحي قام بها أصحابُ القرآن أو مَن سبقوهم مِن العرب المتصلين بأهل الكتاب. وكما نقول دائماً: القرآن – بل: الإسلام بصفة عامة – هو مجرد محاولة بشرية شرق-أوسطية لدمج التراث الشعبي القومي (العربي) مع التراث الشعبي الديني (اليهودي والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)) في كيانٍ واحد نتج مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي (natural human development) للثقافة العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian). وكل الأدلة في هذه المذكرات ستؤكد هذه النتيجة التي لا نزعم أننا أول مَن وصل إليها.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

مما سبق يتضح أن القصة القرآنية العربية ليست وحياً من الله، وإنما هى – كالعادة – مجرد تطور بشرى طبيعى للقصة التوراتية والتراث المسيحى واليهودى المتأخر. ولا يوجد أى دليل تاريخى وعلمى يثبت أن هذه القصة القرآنية قد حدثت فعلاً فى يوم من الأيام. وحتى لو افترضنا جدلاً أنها قصة حقيقية، فلا يوجد أى دليل أنها حدثت بالضبط كما رواها القرآن. وإنما الذى حدث هو أن أصحاب القرآن قد أعادوا كتابة (rewrote) هذه القصص المتوارثة مستخدمين أفكار وعبارات تلائم بيئتهم العربية فى القرن السابع الميلادى، وأدخلوا عليها أيضاً بعض التغييرات بالحذف و/أو الإضافة، وهو ما نسميه "التطور البشرى الطبيعى" (natural human development).

القرآن مجرد تطور بشري طبيعي، وليس وحياً إلهياً من وراء الطبيعة.

وفى جميع الأحوال، ما زال سؤالنا مطروحاً: هل يوجد أى دليل تاريخى وعلمى يثبت أن المصريين القدماء فى زمان موسى عرفوا عقوبة تقطيع الأيدى والأرجل مِن خلاف وعقوبة الصلب (crucifixion)؟!

4.30.3 جذور القرآن فى الشعر الجاهلى

قبل أن نترك مواجهة موسى وفرعون، يهمنا أن نشير إلى احتواء بعض أبيات الشعر الجاهلى على أفكار تتشابه إلى حد كبير مع ما جاء فى القرآن بصفة عامة، وما جاء فى قصة موسى وفرعون بصفة خاصة.

يقول شعر زيد بن عمرو بن نفيل، ويُروَى لأُمَيَّة بن أبي الصَّلت[6301]:

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلِ مَنٍّ وَرَحْمَة **[← "رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ" (القصص 46)]**	بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا **[← "نَادَيْنَا (موسى)" (القصص 46) "نُودِيَ يَا مُوسَى" (طه 11) "نُودِيَ [...] يَا مُوسَى" (النمل 8-9) "وَنَادَيْنَاهُ" (مريم 52) "نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ" (القصص 30) "نَادَى رَبُّكَ مُوسَى" (الشعراء 10) "نَادَاهُ رَبُّهُ" (النازعات 16)]**
فَقُلْتَ لَهُ فَاذْهَبْ وَهَارُون **[← "وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا" (الفرقان 35) "سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ" (القصص 35)]** فَادْعُوَا	إِلَى اللهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ بَاغِيَا (أو: طاغيا) **[← "اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي [...] اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" (طه 42-43) (النازعات 17) (طه 24)]**
فَقُولَا لَهُ: هَلْ أَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ (الأرض) **[← "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (أى: بسطها)" (النازعات 30)]**	بِلَا وَتِدٍ حَتَّى اِسْتَقَلَّتْ كَمَا هِيَا؟ **[← "جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا" (طه 53)]**
وَقُولَا لَهُ: آَأَنْتَ (أو: هَلْ أَنْتَ) رَفَعْتَ هَذِهِ (السماء)	بِلَا عَمَدٍ؟ **[← "رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا" (الرعد 2) "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ[6302] تَرَوْنَهَا" (لقمان 10) "وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ (أي: حتى لا تقع!) عَلَى الْأَرْضِ" (الحج 65)!]** أَرْفِقْ إِذَنْ بِكَ بَانِيَا
وَقُولَا لَهُ: آَأَنْتَ (أو: هَلْ أَنْتَ) سَوَّيْتَ وَسْطَهَا	مُنِيرًا إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا؟
وَقُولَا لَهُ: مَنْ يُخْرِجِ الشَّمْسَ بُكْرَةً **[← "قَالَ إِبْرَاهِيمُ (لنمرود[6303]) فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ" (البقرة 258)]**	فَيُصْبِحَ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَاحِيَا؟

وَقُولَا لَهُ: مَنْ يُنْبِتِ الْحَبَّ فِي الثَّرَى	فَيُصْبِح مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزّ رَابِيَا؟ **[← "أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى" (طه 53)]**
وَيَخْرُجُ مِنْهُ حَبّه فِي رُءُوسه	فَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا **[← "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (أى: أصحاب العقول)" (طه 54)]**

طبعاً حالة الإنكار (state of denial) التي عند معظم المسلمين ستجعلهم يقولون إن هذه الأبيات مِن الشعر "الجاهلي" منحولة؛ أي: كُتِبت بعد ظهور الإسلام، وليس قبله، ثم نُسِبَت إلى شعراء جاهليين!

إذن نحن أمام احتمالين:

- الاحتمال الأول: هذا الشعر الجاهلى كُتِب قبل ظهور الإسلام. وهذا يؤكد أن العرب قبل الإسلام كانوا يعرفون هذه الأفكار. وفى هذه الحالة يصبح القرآن هو الذى أخذ مما كان قبله، أى أن نظرية الوحى قد انهارت تماماً، والقرآن إذن ليس كلام الله.
- الاحتمال الثاني: هذا الشعر الجاهلى كُتِب بعد ظهور الإسلام. وفى هذه الحالة يصبح لدينا كلام بشرى مِثْل القرآن، مما يعنى انهيار التحدى الذى وضعه إلهُ الإسلام أن يأتى البشرُ بآيةٍ أو سورةٍ مِثْل القرآن: "أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور 33-34)، "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 38) و (البقرة 23) و (هود 13) و (الإسراء 88). وطبقاً لما جاء فى هذه الآيات يصبح مَن يقولون إن القرآن ليس كلام الله "صادقين".

إذن، فى كلتا الحالتين: القرآن ليس كلام الله الخالق، وإنما كلام بشر مخلوق.

لكن علينا أن نعترف أن ما يميز القرآن عن الشعر الجاهلي هو اعتماد القرآن على أسلوب الحوار (dialogue): "قال موسى ... قال فرعون ..."، "قال إبراهيم ... قال [نمرود] ..."، " قَالَ اللهُ ... قَالَ إبليسُ ...". وهذا الأسلوب الأدبي يجذب آذان السامعين (الأميين) ويجعلهم يتخيلون المشهدَ حاضراً حياً أمام عيونهم. إلا أن أسلوب الحوار لا يمكن أن يكون هو الدليل على أن القرآن كلام الله! ثم إنه ليس أسلوباً جديداً أبدعه أصحابُ القرآن، إذ له جذور قوية في التراث اليهودي والتراث المسيحي (السرياني) قبل ظهور الإسلام[6304].

4.31 وَقَارُون وَفِرْعَوْن وَهَامَان اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ ... فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ

بعد مواجهة موسى وفرعون، وإيمان سحرة فرعون برب موسى وهارون، حرض المَلأُ فرعونَ على اضطهاد بنى إسرائيل. "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ (فرعونُ) سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ. قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا (Be patient) إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. قَالُوا (لموسى) أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ (موسى) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ" (الأعراف 127-129). "وَقَالَ مُوسَى (لقومِه) يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ. فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (أى: لا تجعلنا فى واقعٍ سيء سواء بعذابك لنا أو بتسليط الكفار علينا، فنشك فى إيماننا ونشك فى أن ديننا هو الحق، أو يُعجَب الكفارُ بنصرهم وبتفوقهم علينا فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق لما عُذِّبوا ولا سُلِّطنا عليهم ولا كان واقعهم سيئاً). وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ (أى: خَلِّصْنَا بنعمتك[6305]) مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (يونس 84-86).

شارك فى هذا الاضطهاد شخصية قرآنية هى شخصية "هامان" الذى ذكره القرآنُ 6 مرات فقط: (القصص 6، 8، 38) (غافر 24، 36) (العنكبوت 39). وفى كل مرة، يتحدث السياق عن فرعون وموسى. وفى 4 مرات جاء "هامان" معطوفاً عطفاً مباشراً على "فرعون"، مما يدل على العلاقة القوية بين هاتين الشخصيتين، كما لو كانا توأماً ملتصقاً فى جسد واحد. بل إنهما يكادا يكونا شخصية واحدة: فرعون/هامان (Pharaoh/Haman) أو هامان/فرعون (Haman/Pharaoh). باختصار: إذا حذفنا هامان واكتفينا بفرعون (وملئه)، لاستطعنا قراءة هذه الآيات القرآنية الست دون أدنى مشكلة. وخير دليل قرآنى على ذلك هو أن هامان لم ينطق فى القرآن كله إلا كلمتين فقط: "سَاحِرٌ كَذَّابٌ" (غافر 24). وحتى هاتين الكلمتين اليتميتين نطقهما هامانُ مع توأمه فرعون: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ" (غافر 23-24). وإنه لمن العجيب أن يذكر القرآنُ هامانَ مرافقاً لفرعون حين كان موسى طفلاً وليداً (القصص 6، 8) ويذكره أيضاً مرافقاً لفرعون حين كان موسى رجلاً كبيراً ورسولاً إلى فرعون (القصص 38) (غافر 24، 36) (العنكبوت 39)، أى بعد حوالى 80 سنة! ولا يُعقَل أن يكون هامان قد ظل مرافقاً لفرعون طوال هذه المدة الطويلة. والأعجب مِن ذلك هو أن القرآن لم يذكر قومَ هامان – بينما ذكر قومَ قارون (القصص 76) وقومَ مؤمن آل فرعون (غافر 28) – فلا نعلم هل كان هامان مصرياً؟ أم إسرائيلياً؟ أم مِن قوم آخرين؟ والأعجب والأغرب هو أن القرآن لم يذكر كيف كانت نهاية هامان – بينما ذكر كيف كانت نهاية قارون السيئة (القصص 81) وكيف كانت نهاية مؤمن آل فرعون الطيبة (غافر 45) – فلا نعلم هل مات هامان غرقاً؟ أم حرقاً؟ أم قتلاً؟ أم بطريقةٍ أخرى؟[6306] كل هذا يُشعِرنا بأن "هامان" شخصية دخيلة على قصة الخروج، وسنعطى بعد قليل أدلة دامغة تثبت أن هامان ليس جزءاً من قصة الخروج الأصلية، وإنما هو مجرد شخصية أدبية أقحمها أصحابُ القرآن فى قصة الخروج القرآنية.

وتوجد شخصية قرآنية ثالثة هى شخصية "قارون" الذى ذكره القرآنُ 4 مرات فقط: (القصص 76، 79) (غافر 24) (العنكبوت 39). وفى كل مرة، يتحدث السياق عن فرعون و/أو موسى. وفى مرتين نجد الشخصيات الثلاث – أو: الأشرار الثلاثة – "فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ" (غافر 24) "قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ" (العنكبوت 39)، كما لو كانوا ثالوثاً فى واحد لا ينقسم أو واحداً فى ثالوث لا ينفصل. ونفهم من الروايات القرآنية أن قارون كان رجلاً ثرياً "مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ" (القصص 76) وأنه استكبر مثل فرعون وهامان (العنكبوت 39) وكذَّب موسى (غافر 24) واشترك مع فرعون وهامان فى اضطهاد بنى إسرائيل (غافر 25)، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ (القصص 81).

إلا أن المفسرين المسلمين قد احتاروا فى زمان ومكان حدوث ذلك. قال ابن كثير: "وقصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم (أى: قبل خروج بنى إسرائيل) من مصر [...] وقد تكون بعد ذلك فى التيه [...] والله أعلم"[6307]. وكالعادة، نجد فى المراجع الإسلامية الرأىَ وعكسه، وأحياناً يناقض الكاتبُ نفسَه. على سبيل المثال، قال د. صلاح الخالدى فى أحد كتبه: "كان هلاك قارون فى مصر قبل الخروج"؛ "الخسف به وبداره كان فى مصر، فهلك قبل هلاك فرعون". إلا أنه قال فى كتاب آخر له: "ويبدو مِن آيات قصة قارون، أنه كان مع بنى إسرائيل بعدما خرجوا من مصر". يعنى مرة يقول: قبل الخروج**!** ومرة يقول: بعد الخروج[6308]**!** وكان الله فى عون المسلمين الذين يبحثون عن الحقيقة.

وسنعلم بعد قليل أن قصة قارون – حسب التوراة – قد حدثت **بعد** خروج بنى إسرائيل من مصر. لكن أصحاب القرآن وضعوها فى نفس السياق مع قصة موسى وفرعون/هامان، أى قبل خروج بنى إسرائيل من مصر**!** وكما نقول دائماً: المشكلة ليست فى المفسرين المسلمين، وإنما المشكلة في غموض الآيات القرآنية التي لم تحدد تفاصيل القصة كالزمان والمكان مثلاً. متى وأين بالضبط حدثت قصة قارون**؟!**

ولذلك فنحن سنضع قصة هامان وقارون قبل خروج بنى إسرائيل مِن مصر، ليس لأن هذا هو موضعها الصحيح، وإنما لأن هذا ما يُفهَم مِن قصة الخروج القرآنية التى تسلط الضوء على أركان نظام الديكتاتور الظالم المستبد "فرعون":

- "هامان" يمثل السلطة العسكرية أو الأمنية، مثل: وزير الدفاع أو وزير الداخلية، بدليل أن القرآن قال إن له "جنوداً" هُمْ جنود فرعون (القصص 6) (القصص 8). وهو أيضاً مَن يقوم بأعمال التشييد والبناء والمشروعات القومية الكبرى التي تصل إلى السماء (القصص 38) (غافر 36)**!**
- "قارون" يمثل السلطة المالية أو الاقتصادية، مثل: وزير المالية أو وزير الاقتصاد أو مدير البنك المركزى أو واحد مِن كبار رجال الأعمال المؤيدين للديكتاتور.
- "السحرة" يمثلون السلطة الإعلامية أو ماكينة البروباجاندا (Propaganda Machine)، مثل: وزير الإعلام أو الإعلاميين أو الفنانين أو الرياضيين المنافقين "المطبلاتية" المؤيدين

للديكتاتور[6309]، أو الذين كانوا يؤيدون الديكتاتور – طمعاً في المال أو السلطة (الأعراف 113-114) (الشعراء 41-42) – ثم انحازوا فجأة للثورة التى قامت ضده!

وبما أننا قد تحدثنا عن السحرة فيما سبق، فسنتحدث فى هذا الفصل عن القصة القرآنية التى ذكرت فرعون وهامان وقارون. لدينا ثلاث روايات قرآنية لهذه القصة. هذه الروايات القرآنية الثلاث حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن[6310]:

صاحب رواية سورة القصص قدَّم لنا هامان أولاً: وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ (يعنى موسى) مِنَ الْكَاذِبِينَ {38} وَاسْتَكْبَرَ هُوَ (أى: فرعونُ) وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ {39}.

ثم قدَّم لنا قارون: إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ (أى: الأموال) مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ (أى: يثقل حملها على الأقوياء) إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ {76} وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ[6311] وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ {77} قَالَ (قارونُ) إِنَّمَا أُوتِيتُهُ (أى: اكتسبت هذا المال) عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي (بوجوه كسبه؛ فمالى هو ثمرة علمى وعملى؛ أى: أنا استحقه) أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا (للأموال) وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (لعِلم الله بها و/أو لكثرتها، وإنما يُسألون سؤال تقرير وتوبيخ) {78} فَخَرَجَ (قارونُ) عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ {79} وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ (الدائم الباقى) خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ {80} فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ {81} وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ (أى: إنَّ؛ ألم تَرَ أَنَّ؛ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ؛ اعلمْ أَنَّ) اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ {82} تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ {83} مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {84}.

وصاحب رواية سورة غافر ألقى مزيداً من الضوء على شخصيتي هامان وقارون. وعكسهما تماماً نجد شخصية رجل مجهول لا نعرف اسمه، وكل ما نعرف عنه أنه مؤمن مِن قوم فرعون أو حاشيته، ولذلك يُعرَف بـ "مؤمن آل فرعون" (an unidentified voice from Pharaoh's inner circle) (a local, unnamed believer). وفرعون – الذي يقولون عنه طاغية (النازعات 17) (طه 24، 43، 45) ومتكبر (غافر 27) – ترك هذا الرجل المؤمن يعرض أفكارَه المتقدمة جداً بكل حرية ثلاث مرات!

أَوَلَمْ يَسِيرُوا (هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِرِسَالَتِك يَا مُحَمَّد) فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ {21} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ {22} وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ {23} إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ {24} فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ {25} وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي (أى: اتركونى) أَقْتُلْ مُوسَى[6312] وَلْيَدْعُ رَبَّهُ (حتى يخلصه منى) إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ[6313] {26} وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ[6314] {27} وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ {28} يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا (أى: ينجينا، ينقذنا) (save us) مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ {29} وَقَالَ الَّذِي آمَنَ (أى: قال مؤمن آل فرعون) يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ {30} مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ[6315] وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ (كقوم لوط) وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ {31} وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (أى: يوم القيامة!) {32} يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ {33} وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ (أى: مات) قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا[6316] كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ {34} الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا (أى: كرهاً وسخطاً) عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ {35} وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ {36} أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ (يعنى موسى) كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (أى: خسار، هلاك) {37} وَقَالَ الَّذِي آمَنَ (أى: قال مؤمن آل فرعون) يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ {38} يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ {39} مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ {40} وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ (أى: الْجَنَّة؛ الخلاص) وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (أى: الهلاك) {41} تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ {42} لَا جَرَمَ أَنَّمَا (أى: حَقًّا أَنَّ الَّذِي) تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ (يستجيبها) فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ (أى: لا ينفع ولا يُلجَأ إليه فى الدنيا ولا فى الآخرة) وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ {43} فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ[6317] {44} فَوَقَاهُ اللَّهُ (أى: فَوَقَى الله مؤمنَ آل فرعون) سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ (أى: أحاط) بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ {45} النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا (أى: صباحاً ومساء) (وَهُمْ فى قبورهم؛ فى عالم البرزخ بانتظار يوم البعث!)[6318][6319] وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ {46}.

أما صاحب رواية سورة العنكبوت فَوَضعَ قارون وفرعون وهامان مع الأقوام الأشرار الذين لم يؤمنوا فهلكوا فى الدنيا، وإن اختلفت طرق إهلاكهم: وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (أي: ما كانوا فَائِتِينَ عَذَابَنا؛ وَقِيلَ: ما كانوا سَابِقِينَ فِي الْكُفْر) {39} فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ (أى: كَانَتْ عُقُوبَته بِمَا يُنَاسِبهُ[6320]) فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا (أى: ريحاً شديدة أو عاصفة تحمل التراب والحصى وصغار الحجارة) (مثل: قوم لوط) وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ (مثل: قوم صالح وقوم شعيب) وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ (مثل: قارون) وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا (مثل: فرعون وجنوده وقوم نوح)[6321] وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {40}[6322].

وإنه لمِن العجيب أن القرآن لم يذكر كيف هلك هامانُ؟ وكالعادة، للإجابة على هذا السؤال وغيره من الأسئلة، لا بد أن نرجع إلى القصة الأصلية. أو بالأحرى: إلى القصص الأصلية ...

ومع أن هذه القصة القرآنية ليس لها وجود فى الكتاب المقدس، إلا أن عناصرها موجودة فى مقاطع متفرقة مِن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، والتراث الشعبى اليهودى/المسيحى، وأساطير الشرق الأدنى القديم. وكل ما فعله أصحاب القرآن هو أنهم سمعوا هذه العناصر من مصادرها المتعددة وألَّفوا قصة خيالية واحدة بها أربع شخصيات، هى: شخصية "فرعون" وشخصية "هامان" وشخصية "قارون" وعكسهم تماماً شخصية "مؤمن آل فرعون".

وسندرس فيما يلى كل شخصية من هذه الشخصيات الأربع، وسنوضح كيف ولماذا تم تجميعهم فى قصة قرآنية واحدة ...

4.31.1 شخصية "فرعون"

"وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ" (غافر 36). الصَرْح - مِن صرح الشىء إذا ظهر - هو برج أو قصر أو بناء شاهق مرتفع لا يخفى على الناظر وإن بعد، بدليل أن فرعون أراد أن يصل به إلى السماوات: "ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا" (غافر 36-37)، و "أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ" هى طرقها وأبوابها وما يؤدى إليها. قال الزمخشرى والنسفى: "كل ما أداك إلى شىء فهو سبب إليه، كالرشاء ونحوه"[6323]. ويبدو أن أصحاب القرآن كانوا يتخيلون أن السماء لها "أبواب" (الأعراف 40) و (القمر 11)! ومِن ثم توجد "أسباب" (أى: وسائل؛ مسالك) للوصول إليها! هل هذا هو الإعجاز العلمى المزعوم؟!

وأخبرنا صاحب رواية سورة القصص أن هذا البناء العالى سيكون من الطين المشوي على النار! "وَقَالَ فِرْعَوْنُ [...] فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ" (القصص 38). أى: أشْعِل النارَ على الطين (clay) حتى يصير اللبن (أي: الطوب الطيني) آجراً؛ والمعنى: اطبخ لى الآجر[6324]. والآجر هو اللبن إذا طبخ

(baked mud bricks). يقول د. صلاح الخالدي: "لقد كان الصرحُ مصنوعاً من "اللَّبِن" أو الطوب، وهو المصنوعُ من الطين، وبعدما يجفُّ الطينُ وييبسُ يُحرَقُ بالنار ليزدادَ متانة وتماسكاً"؛ "ليكون آجراً"[6325].

ونلاحظ أن هذا الصرح المزمع بناؤه من الآجر – أي: الطوب الطيني المحروق – يختلف عن الأبنية المصرية القديمة التي كانت تُبنَى مِن الطوب الطيني غير المحروق (unbaked mud bricks)[6326]! فنحن لا نشكك في استخدام المصريين القدماء للطوب الطيني، وإنما نشكك في أمرين: (1) حرق هذا الطوب الطيني بالنار "أَوْقِدْ [...] عَلَى الطِّينِ" (القصص 38)؛ (2) رغبة فرعون (ملك مصر) في بناء صرح ليصل به إلى السماء "لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا" (غافر 36-37).

أسئلة كثيرة: هل يُعقَل أن فرعون الذى بنى أجداده الأهرامات بالحجارة يريد أن يبنى برجاً بالآجر ليصل به إلى السماء؟! هل يوجد أى دليل علمى وتاريخى يثبت أن المصريين القدماء كانوا يستخدمون الطين المحروق لبناء الأبراج الشاهقة؟! هل يوجد أى دليل علمى وتاريخى يثبت أن فرعون – أى فرعون – أراد أن يبنى صَرْحاً بالطوب المشوي ليصل به إلى السماء؟! ما اسم هذا الفرعون المزعوم؟ ومتى عاش؟ ...

فى حالة عدم وجود إجابات مقنعة لهذه الأسئلة، يجب أن نقول إن هذه القصة القرآنية ليست قصة حقيقية، وإنما هى مجرد قصة خيالية. إنها بالفعل قصة خيالية مستوحاة من قصة "برج بابل" (Tower of Babel)، أول وأشهر برج مذكور فى الكتاب المقدس (التكوين 11)[6327]. ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه القصة الشهيرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة.

وليكن كلامنا واضحاً. نحن لا نقول إن "صَرْح فرعون" هُو هُو نفسه "برج بابل". وإنما نقول إن قصة "صَرْح فرعون" (غافر 36-37) (القصص 38) هى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "برج بابل" (التكوين 11). أى أننا لا نقول: برج بابل = صَرْح فرعون؛ وإنما نقول: برج بابل **[⟵ صَرْح فرعون]**.

وإنه لمِن الطريف أنه يُروَى عن عمر بن الخطاب "أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر، فقال: ما علمت أن أحداً بنى بالآجر غير فرعون"[6328]. ونحن نقول له: لا تندهش يا عمر. الحقيقة دايماً مرة. سكان بلاد ما بين النهرين – وليس المصريين القدماء – هُمْ الذين كانوا يبنون بالآجر. وأشهر مثال على ذلك هو: قصة برج بابل (التكوين 11) ....

قصة برج بابل (التكوين 11): {1} وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا (أى: الناجون من طوفان نوح ونسلهم) لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. {2} وَحَدَثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ (Shinar) (فى بلاد ما بين النهرين) وَسَكَنُوا هُنَاكَ. {3} وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنًا (أى: طوباً طينياً) (mud brick) وَنَشْوِيهِ شَيًّا (burn them thoroughly) **[⟵ "فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ" (القصص 38)]**». فَكَانَ لَهُمُ اللِّبْنُ (kiln-fired bricks, baked bricks) مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ (أى: الزفت، القار)

(tar, slime) مَكَانَ الطِّينِ. {4} وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ **[← "يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى" (غافر 36-37) "فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى" (القصص 38)]**. وَنَصْنَعُ (أى: نُخَلِّد) لأَنْفُسِنَا اسْمًا (make a name for ourselves) لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ».

ولفهم الآيات السابقة، يجب أن نوضح بعض الأمور[6329]: كانت الحجارة نادرة فى بلاد ما بين النهرين. لذا استخدموا الطوب الطينى (الطوب اللبن) أى صبُّوا الطين فى قوالب وأحرقوا القوالب بالنار حتى لا تتأثر بالماء. واستعملوا الحُمَر (أى: الزفت، القار) بدل الطين. والحُمَر هو المزيج اللزج أو المادة الأسفلتية التى عندما تيبس تثبت القوالب.

ومِن الجدير بالذكر أن اسم "بابل" (باب إيل) نفسه يعني "باب الله" أو "الطريق إلى إله" (gateway to a god). ولذلك قال أصحاب القرآن إن فرعون أراد هذا البناء العالى لكى يصل إلى السماء وينظر إلى إله موسى: "ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى" (غافر 36-37) "فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى" (القصص 38).

بمرور الزمن، تطورت قصة برج بابل فى التراث الشعبى اليهودى/المسيحى تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة. على سبيل المثال، يقول كتاب اليوبيلات (Book of Jubilees) إنهم بنوا المدينة والبرج وقالوا "هَلُمَّ نصعد فيه إلى السماء" (اليوبيلات 19:10)[6330] **[← "لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ" (غافر 36-37)]**. وتقول حدوتة شعبية أخرى مذكورة فى كتاب "الأقوال السيبليَّة" أو "نبوءات سيبيل" (Sibylline Oracles) إنهم "أرادوا أن يرتفعوا إلى السماء المنجَّمة (أي: ذات النجوم)" (الأقوال السيبليَّة 3:99-100)[6331] **[← "لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ" (غافر 36-37)]**. أما فى رؤيا باروك اليونانية (Greek Apocalypse of Baruch) الذي يُسمَّى أيضاً سفر باروخ الثالث (3 Baruch)، والترجوم الآرامي الفلسطيني (Targum Neofiti)، والتلمود البابلي (Sanhedrīn 109a)، وميامر إفرام السرياني (Ephraem)، فنجد أن القصة قد أصبحت أكثر عنفاً، لدرجة أن الذين أرادوا بناء البرج وُصِفُوا بأنهم قد أرادوا أن يثقبوا السماء، بل أرادوا أن يعلنوا الحرب على الله نفسه[6332]. كذلك فى القرآن، نجد أن فرعون وُصِف بأنه "عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ" (طه 39)، أى: عدو الله ورسوله.

مما سبق يتضح تأثر القَصص القرآنى بِقَصص التوراة والتلمود والحواديت اليهودية/المسيحية الشعبية، أى تأثر القرآن بالتراث اليهودى/المسيحى بصفة عامة.

ومما يؤكد هذا التأثر أكثر هو أن فى التراث اليهودى/المسيحى، يرتبط بناء برج بابل بأفكار سيئة كلها ضد الله، مثل: استكبار الإنسان وغروره وتمرده على الله، تأليه الذات، تخليد الذات ... الخ[6333]، كما هو واضح من الأمثلة السابقة. وبدليل أن الله قد أفشل هذا المشروع: "فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ

يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ». فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ، لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «بَابِلَ» لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ" (التكوين 11:5-9).

كذلك في القرآن، يرتبط بناء صرح فرعون باستكبار فرعون وجنوده: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَاسْتَكْبَرَ هُوَ (أي: فرعونُ) وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ" (القصص 38-39) "كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ. وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ" (غافر 35-36) "فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ" (يونس 75) (الأعراف 133) "فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ" (المؤمنون 46) "فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ" (العنكبوت 39).

كما نجد في القرآن أيضاً أن الله قد أفشل مشروعَ فرعون، بدليل قول القرآن في نفس الآية: "وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (أي: خسار)" (غافر 37) "وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ (مِن الصروح والقصور) وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (أي: يبنون، يرفعون)" (الأعراف 137) "فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا" (الفرقان 36). كما أفشل اللهُ المشاريع المماثلة لبرج بابل:

- "قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ" (النحل 26). قال ابنُ حجر العسقلاني تعليقاً على هذه الآية المهمة: "ذَكَرَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ وَالْأَخْبَارِ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ النُّمْرُوذَ (أو: النُّمْرُودَ) بْنَ كَنْعَانَ بَنَى بِبَابِلَ بُنْيَانًا عَظِيمًا يُقَالُ إِنَّ ارْتِفَاعَهُ كَانَ خَمْسَةَ آلَافِ ذِرَاعٍ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِمْ"[6334].
- أبنية عاد (الشعراء 128-129) فكان جزاء عاد هو الدمار الشامل "رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا" (الأحقاف 24-25)!
- أبنية ثمود (الشعراء 149) فكان جزاء ثمود هو الفناء التام "فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا" (هود 67-68)!
- "فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ" (الحج 45).

فكما كان عقابُ المتمردين المتكبرين - الذين أرادوا بناء برج بابل - مناسباً لذنبهم. هُمْ أرادوا أن يبنوا مَدِينَةً وَبُرْجًا عالياً رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ ويصنعوا لأنفسهم اسْمًا خالداً "لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ" (التكوين 11:4)، فكان عقابُهم المناسب هو أن الله "بَدَّدَهُمْ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ" (التكوين 11:8-9) **[⟵ كذلك بالنسبة لـ "قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ [...] اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ [...]. فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ (أي: كَانَتْ عُقُوبَته بِمَا يُنَاسِبهُ)" (العنكبوت 39-40) "فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ" (غافر 21) (آل عمران 11) (الأنفال 52) "فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ" (الأنفال 54)].**

لكن فى المقابل، نجد أن فرعون وُصِف مرتين فى القرآن بأنه "فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ" (ص 12) (الفجر 10). وكالعادة، احتار المفسرون فى معنى كلمة "الأوتاد"، ونحن نميل إلى الرأى الذى يقول إنها تعنى "الأبنية العظيمة الراسخة كالجبال"[6335]، مثل المسلات والمعابد والأهرامات ... الخ. ومع أن القرآن يزعم أن: "وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (أى: يبنون، يرفعون)" (الأعراف 137) "فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا" (الفرقان 36)، إلا أن كثيراً مِن الأبنية المصرية القديمة لم تُدمَّر بل موجودة إلى اليوم، ويذهب السياح من جميع أنحاء العالم إلى مصر لمشاهدتها. يعني: المصريون حالياً "بيسترزقوا" مِن آثار فرعون، ومع ذلك فإن بعض المصريين المسلمين يلعنوه ويلعنوا أجدادهم المصريين القدماء (القصص 42) (هود 99) ويقولون عليهم "فَاسِقِينَ" (الزخرف 54) (القصص 32) و "مُجْرِمِينَ" (يونس 75) (الدخان 22) و "ظَّالِمِينَ" (التحريم 11) (القصص 21، 25) (الشعراء 10) و "كَافِرِينَ" (يونس 86) ... الخ. أعتقد أن المصريين يحتاجون إلى إعادة قراءة التاريخ المصرى القديم مِن واقع الآثار المصرية وليس مِن خيال روايات القرآن العربي.

وكما لم يذكر القرآنُ اسمَ هذا الملك المصرى الذى أمر ببناء هذا الصرح المزعوم، كذلك فإن (التكوين 11) لم يذكر اسمَ هذا الملك الذى أمر ببناء برج بابل، لكن التراث الشعبى اليهودى/المسيحى يقول إنه الملك "نِمْرُود" (Nimrod)[6336]، واستدلوا على ذلك بأن ابْتِدَاءُ مَمْلَكَة نمرود كان "بَابِلَ وَأَرَكَ وَأَكَّدَ وَكَلْنَةَ، فِي أَرْضِ شِنْعَارَ" (التكوين 10:10)، أى فى مكان برج بابل. ولقد تحدثنا عن برج بابل والملك نمرود وعدائه للنبى إبراهيم فى ثنايا حديثنا عن قصة تحطيم إبراهيم للأصنام ونجاته من النار، فلا داعى لتكرار ما ذكرناه سابقاً.

وإن قلتم إن فرعون ونمرود شخصيتان مختلفتان من الناحية الزمانية والمكانية، وسألتم: كيف يكون "صَرْح فرعون" مُستوحَى من "برج نمرود"؟

سنقول: صحيح أن فرعون ونمرود شخصيتان مختلفتان من الناحية الزمانية والمكانية، لكنهما متطابقتان من الناحية الأدبية والفكرية[6337]. كلاهما مَلِك جبار متكبر متمرد، تحدى سيادة الله على الكون، وكان عدواً لله ورسوله: نمرود عدو إبراهيم وفرعون عدو موسى. والدليل القرآنى على ذلك هو أنك إذا قرأت (البقرة 258) تستطيع أن تتخيل موسى يجادل فرعون، وليس إبراهيم يجادل نمرود. والدليل الكتابى على ذلك هو أنك إذا قرأت (إشعياء 14:13-15) تستطيع أن تتخيل موسى يتحدث إلى فرعون، وتستطيع أن تتخيل إبراهيم يتحدث إلى نمرود، وتستطيع أن تتخيل أى رجل مؤمن يتحدث إلى أى مَلِك جبار متكبر متمرد غير مؤمن، بل تستطيع أن تتخيل الله يتحدث إلى الشيطان.

موسى/إبراهيم/الله: الأسماء مختلفة، لكن الشخصية (character) واحدة.

فرعون/نمرود/الشيطان: الأسماء مختلفة، لكن الشخصية واحدة.

ومما يؤكد العلاقة بين شخصيتى فرعون ونمرود هو ما جاء فى كتاب (Genesis Rabbah 38:8) – وهو أحد كتب المدراش (Midrash) اليهودية وجُمِع فى القرن الخامس الميلادى أى قبل ظهور الإسلام[6338] – الذى قال فى تفسيره لـ "وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ" (التكوين 3:11) إن "مِصْرَايم" (Mizraim) قال لـ "كُوش" (Cush)[6339]. ومِن المعلوم أن "مِصْرَايم" تعنى "مصرين" (two Egypts)، أى مصر العليا (الجنوبية) ومصر السفلى (الشمالية). أما كُوش، فهو والد نمرود (التكوين 8:10). وكأن المدراش بإشارته إلى تعاون مِصْرَايم وكوش فى بناء برج بابل، يريد أن يشير إلى تعاون فرعون ونمرود فى بناء هذا البرج.

الخلاصة: الصرح الذى أراد فرعون أن يبنيه بالطين المشوى على النار فى مصر (حسب القرآن) هو مجرد تطور بشرى طبيعى للبرج الذى أراد نمرود أن يبنيه بالطين المشوى على النار فى بابل (حسب التوراة والمدراش والتلمود والتراث الشعبى اليهودى/المسيحى).

أما الجذور العميقة لقصتى "برج بابل" (التوراة) و "صَرْح فرعون" (القرآن) فهى تلك الأبراج العالية التى كانت تُعرَف فى معابد بلاد ما بين النهرين باسم "زيجيورات" (ziggurat)[6340]. بعبارة أخرى: زيجيورات **[← برج بابل (التكوين 11:1-9) ← صَرْح فرعون (غافر 36-37) (القصص 38)]**.

كان سكان ما بين النهرين يعتقدون أن هذه الزيجورات كانت سلالم (staircases) تصل مِن الأرض إلى السماء. وهو ما عبَّر عنه أصحاب القرآن بقولهم: "ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ" (غافر 36-37). قال د. محمد سيد طنطاوى: "والأسباب: جمع سبب، وهو كل ما يتوصل به إلى الشىء، والمراد بها هنا: أبواب السماء وطرقها التى يصل منها إلى ما بداخلها"[6341].

ونجد هذه الفكرة بصورة أكثر وضوحاً فى "حلم يعقوب فى بيت إيل" (Jacob's dream at Beth-El) المذكور فى (التكوين 28) قبل قصة يعقوب ولابان التى أخذها أصحاب القرآن: "رَأَى (يعقوبُ) حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ (ladder, stairway) مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا، فَقَالَ (الرَّبُّ): «أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. [...]». فَاسْتَيْقَظَ يَعْقُوبُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ: «حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!». وَخَافَ وَقَالَ: «مَا أَرْهَبَ هذَا الْمَكَانَ! مَا هذَا إِلاَّ بَيْتُ اللهِ (beth-el)[6342]، وَهذَا بَابُ السَّمَاءِ»" (التكوين 12:28-17).

مما سبق يتضح أن أصحاب القرآن حين ألَّفوا قصة "صَرْح فرعون" (غافر 36-37) (القصص 38) كانوا يستحضرون فى أذهانهم ويضعون نصب أعينهم قصة "برج بابل" (التكوين 11:1-9) وقصص أخرى مشابهة مِن التراث الشرقى بصفة عامة والتراث اليهودى/المسيحى بصفة خاصة.

4.31.2 شخصية "هامان"

وكما أخذ أصحابُ القرآن عناصر مِن قصة إبراهيم ونِمرود وعناصر من قصة يعقوب، كذلك أخذوا عناصر مِن قصة "هامان" الفارسى ووضعوها فى قصة فرعون المصرى وموسى العبرانى!

لم يُذكَر "هامان" (Haman) فى الكتاب المقدس كله إلا فى "سفر أستير" (Book of Esther) الذى تدور أحداثه عن حياة اليهود فى فارس أثناء فترة حُكم الْمَلِك الفارسى "أَحَشْوِيرُوش" (Ahasuerus) (عهده: 486-465 ق.م). [وكانت مصر حينئذ خاضعة للاحتلال الفارسى.] كان هامان الرجل رقم 2 فى المملكة. إلا أن هامان – وليس الملك أحشويروش – هو الذى كان يضطهد اليهود.

ونؤكد من البداية أنه من المستحيل تاريخياً وجغرافياً أن يكون هامان معاصراً لموسى النبى، كما زعم أصحاب القرآن. المكان مختلف: موسى كان يعيش فى مصر، أما هامان فكان يعيش فى فارس. والزمان أيضاً مختلف: موسى كان يعيش فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد، أما هامان فكان يعيش فى القرن الخامس قبل الميلاد، أى بعد موسى بحوالى 800-1000 سنة!

باختصار: توجد مئات الأميال ومئات السنين تفصل بين هامان وموسى. فكيف يجمع القرآنُ بينهما؟!

كالعادة، لجأ المسلمون إلى حيل لتبرير هذه المفارقة التاريخية الكبيرة التى وقع أصحابُ القرآن فيها. وياليتهم اتفقوا على حيلة واحدة وأيدوها بأدلة، لكنهم – كالعادة أيضاً – لجأوا إلى حيل متعددة ومتضاربة ومتهافتة. وسنذكر هنا أشهر حيلتين. ومِن الطريف أنهما نفس الحيلتين بتوع "نمرود"! وكأنهم يحتفظون بهذه الحيل فى الثلاجة ويخرجوها عند الطلب!

- الحيلة الأولى هى حيلة "تكرار الاسم": هامان فى مصر وهامان آخر فى فارس. وقالوا "وكَم مِن اسم فى أمة واحدة أو فى أمم كثيرة، يتكرر لأشخاص كثيرين"[6343].
- أما الحيلة الثانية فهى حيلة "اللقب". فقالوا "إن هامان ليس اسم شخص، وإنما هو لقب يدل على نائب الرئيس"، أى "النائب عن فرعون"[6344].

وكالعادة، توجد حيل أخرى وتبريرات أخرى. على سبيل المثال: ذَكَرَ الشيخ عبد الوهاب النجار رأى مَن قال إن "هامان" هو "أمون" معبود المصريين! إلا أن الشيخ النجار رفض هذا الرأى وقال "والذى أفهمه أنه (أى: هامان) وزير العمارات (أى: وزير الإسكان) عند فرعون"[6345]! وقال الشيخ الجزائرى إن هامان هو "أحد وزراء فرعون، لعله وزير الصناعة أو العمل والعمال"[6346]! وقال الأستاذ أحمد بهجت إن هامان كان "كبير وزراء" فرعون، أى "رئيس وزرائه"[6347]!

العجيب أن المفسرين والكُتاب المسلمين يقولون هذه التبريرات الواهية بدون أى دليل. لم يعطونا أى دليل علمى وتاريخى يثبت أن فرعون كان له وزير أو حتى مُساعِد باسم "هامان" فى زمان موسى! ولم يعطونا أى دليل علمى وتاريخى يثبت أن نائب فرعون كان يُلقَّب بلقب "هامان" فى زمان موسى! إنه إذن نفس الكلام المُرسَل الذى يقولونه دائماً لتأييد مزاعم القرآن بأى طريقة وخلاص!

فى حالة عدم وجود أى دليل علمى وتاريخى، يجب أن تعترفوا بأن "هامان" القرآنى ليس شخصاً تاريخياً (historical figure) وإنما هو مجرد شخصية أدبية غير تاريخية (literary, ahistorical character) استوحاها أصحابُ القرآن مِن "هامان" الكتابى المذكور فى سفر أستير[6348].

بعبارة أخرى: هامان (سفر أستير) **[← هامان (القرآن)]**.

ومِن الجدير بالذكر أنه لا يوجد أى دليل علمى على أن "هامان" المذكور فى سفر أستير شخص تاريخى. بل لا يوجد أى دليل علمى على أن سفر أستير يسرد أحداثاً تاريخية[6349]. والفكرة الأساسية فى هذا السفر ليست جديدة، بل هى تقريباً نفس فكرة قصة الخروج: سلطة مستبدة كافرة تضطهد شعباً مؤمناً، ثم يتحقق الخلاص (النجاة، الفرقان) فينتصر المؤمنون ويهلك أعداؤهم الكافرون.

ولا نعلم على وجه اليقين مَن كتب سفر أستير. ولم يوجد هذا السفر ضمن مخطوطات البحر الميت، ويُقال إنه لم يسقط سهواً وإنما أُستُبعِدَ عمداً. وتوجد نسختان لسفر أستير: نسخة قصيرة باللغة العبرية، ونسخة طويلة باللغة اليونانية. ورغم أن تاريخ كلتا النسختين يرجع إلى قبل الميلاد، إلا أنه لا يوجد فى العهد الجديد أى اقتباس من سفر أستير ولا حتى إشارة إليه. هذا بالإضافة إلى أن قانونية سفر أستير كانت مثار جدل عند اليهود والمسيحيين على حد سواء، ولم يُضاف هذا السفر إلى الكتاب المقدس (القانونى) إلا فى أواخر القرن الرابع الميلادى، أى قبل الإسلام بحوالى 200 سنة فقط. ولعل السبب فى ذلك هو خلو النسخة العبرية مِن أية إشارة صريحة إلى الله[6350]. في سفر أستير، الإنسان هو الذى يعمل كل شيء مِن أجل تغيير ظروفه إلى الأفضل، أي مِن أجل خلاصه.

وكما قلنا فى المقدمة: "قانونية" الأسفار لا تهمنا إطلاقاً. وإنما يهمنا أن الأجيال المتعاقبة توارثت هذه القصص لمئات (أو حتى عشرات) السنين قبل الإسلام، بغض النظر عن قانونيتها أو حتى تاريخيتها. فنحن لا نرى فرقاً جوهرياً بين السفر القانوني والسفر غير القانوني. في جميع الأحوال، النتيجة واحدة: القصة القرآنية ليست وحياً من عند الله، وإنما هي مجرد تطور بشري طبيعي للقصة الموروثة.

ولكى نؤيد كلامنا بالأدلة، فسنذكر بإيجاز أهم أحداث سفر أستير، الذى سُمِّىَ على اسم "أستير" (Esther) الفتاة اليهودية اليتيمة التى تُحرّك الأحداث من أجل خلاص شعبها.

نبدأ أولاً بتوضيح العلاقة بين سفر الخروج وسفر أستير التى قد تكون هى السبب الذى جعل أصحاب القرآن (أو أجدادهم العرب) ينتزعوا هامان من قصة أستير ويضعوه فى قصة موسى وفرعون.

يسرد سفرُ أستير قصةَ الصراع بين "مُرْدَخَاي" (Mordecai) **[← موسى[6351]]** و "هَامَان" (Haman) **[← هامان/فرعون[6352]]**، وهو امتداد للصراع بين "شاول" (Saul)[6353] جد مُرْدَخَاى و "أجاج" (Agag) جد هامان، وهو بدوره امتداد للصراع بين بنى إسرائيل وبنى عماليق (العمالقة) (Amalekites) الذى بدأ أثناء خروج بنى إسرائيل من مصر. يقول (NIV Study Bible): "يستدعى [سفر أستير] إلى الذهن، فى مواضع كثيرة، الصراع المستمر بين شعب إسرائيل وعماليق ([...])، وهو صراع بدأ أثناء الخروج ([...]) واستمر طوال تاريخ بنى إسرائيل ([...]). كان يُنظر إلى عماليق باعتبارهم تجسيداً لقوى العالم المتحالفة ضد شعب الله، وهكذا كان [سفر أستير] يراهم، نظراً لأنهم كانوا أول من هاجم شعب بنى إسرائيل بعد تحررهم من مصر ([...]). الآن (أى: فى سفر أستير)، بعد أن تحرر شعب إسرائيل من العبودية (فى مصر) فإن مرسوم هامان (لإبادة اليهود) هو المحاولة الأخيرة البارزة فى العهد القديم لتدميرهم"[6354].

يبدأ سفر أستير بمشكلة بين المَلِك أَحَشْوِيرُوش وامرأته المَلِكة "وَشْتِي" (Vashti)[6355]. فغضب المَلِكُ على امرأته وقرر أن يعطى "مُلْكَهَا لِمَنْ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا" (أستير 1:19). "فَقَالَ غِلْمَانُ الْمَلِكِ الَّذِينَ يَخْدِمُونَهُ: «لِيُطْلَبْ لِلْمَلِكِ فَتَيَاتٌ عَذَارَى حَسَنَاتُ الْمَنْظَرِ، وَلْيُوَكِّلِ الْمَلِكُ وُكَلاَءَ فِي كُلِّ بِلاَدِ مَمْلَكَتِهِ لِيَجْمَعُوا كُلَّ الْفَتَيَاتِ الْعَذَارَى الْحَسَنَاتِ الْمَنْظَرِ إِلَى شُوشَنَ الْقَصْرِ، إِلَى بَيْتِ النِّسَاءِ، [...]. وَالْفَتَاةُ الَّتِي تَحْسُنُ فِي عَيْنَيِ الْمَلِكِ، فَلْتَمْلُكْ مَكَانَ وَشْتِي». فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيِ الْمَلِكِ، فَعَمِلَ هكَذَا" (أستير 2:3-4).

[ملحوظة: في ثنايا حديثنا عن قصة يوسف، ذكرنا أمثلة من التشابهات بين قصة يوسف التوراتية وقصة أستير سواء على مستوى الأفكار أو العبارات أو حتى الكلمات. ونكرر هنا مرة أخرى أن الأسلوب (phraseology) في (أستير 2:3-4) يشبه ما جاء فى قصة يوسف (التكوين 41:34-37). هذا والتشابهات الكثيرة الأخرى (numerous other parallels) "ترجّح أن كتاب أستير صيغ على غرار قصة يوسف [التوراتية]"، "فكلتا الروايتين تقعان في قصرين لملكين أجنبيين عن بني إسرائيل وتصوران أبطال بني إسرائيل الذين يبرزون ليكونوا الوسيلة التي من خلالها يتم إنقاذ (أى: خلاص) شعبهم"[6356].

سؤال: هل هى إذن مجرد صدفة أن المرة الوحيدة التى يُذكر فيها اسم "يوسف" خارج سورة يوسف هى فى سياق قصة هامان/فرعون (غافر 34)[6357] على لسان "رَجُل مُؤْمِن مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ"؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يدل على أن أصحاب القرآن وَهُمْ يكتبون قصة هامان/فرعون كانوا تحت تأثير قصة أستير التى هى بدورها متأثرة بقصة يوسف التوراتية. بل نستطيع أن نقول إن أصحاب القرآن كانوا تحت تأثير الأدب اليهودى بصفة عامة الذى وقَّر يوسف وموسى كثيراً[6358].]

(أستير 2): أُخِذَت الفتاة اليهودية الجميلة "أستير" (Esther) ابنة "أَبِيحَائِلَ" (Abihail) عَمِّ مُرْدَخَاى إلى قصر الملك، وتم اختيار أستير لَتَمْلُكَ مَكَانَ وَشْتِي. "وَلَمْ تُخْبِرْ أَسْتِيرُ عَنْ شَعْبِهَا وَجِنْسِهَا لأَنَّ مُرْدَخَايَ

أَوْصَاهَا أَنْ لاَ تُخْبِرَ" (أستير 2:10). "فَأَحَبَّ الْمَلِكُ أَسْتِيرَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النِّسَاءِ، وَوَجَدَتْ نِعْمَةً وَإِحْسَانًا قُدَّامَهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الْعَذَارَى، فَوَضَعَ تَاجَ الْمُلْكِ عَلَى رَأْسِهَا وَمَلَّكَهَا مَكَانَ وَشْتِي" (أستير 2:17).

وهكذا نجد دائماً أن نفس الأفكار تتكرر. صارت أستير من حريم أَحَشْوِيرُوش ملك فارس بدون أن يعرف شخصيتها الحقيقية، كما صارت سارة (امرأة إبراهيم) من حريم ملك مصر بدون أن يعرف شخصيتها الحقيقية (التكوين 12:11-15). دخلت الفتاة اليهودية اليتيمة (أستير) قصر المَلِك غير اليهودى، كما دخل الطفل الإسرائيلى اللقيط(موسى) قصر المَلِك غير الإسرائيلى، كما دخل الشاب العِبرانى العبد (يوسف) قصر المَلِك غير العِبرانى. فى كل مرة نجد شخصاً يهودياً أو إسرائيلياً أو عِبرانياً يصعد مِن قاع المجتمع إلى قصر المَلِك الأجنبى. وفى كل مرة نجد بطلاً قومياً يهودياً أو إسرائيلياً أو عِبرانياً يبرز ليحقق الخلاص لشعبه. وفى كل مرة لا نجد دليلاً علمياً واحداً يثبت أن هذه القصص قصص حقيقية تاريخية. صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما كل قصة هى تطور بشرى طبيعى للقصص التى تسبقها.

نعود إلى سفر أستير: حدثت مؤامرة فى القصر لاغتيال المَلِك أَحَشْوِيرُوش، ربما انتقاماً لخسارة المَلِكة وَشْتِي. اكتشف مُرْدَخَاى هذه المؤامرة، مما أدى إلى فشلها وإنقاذ حياة المَلِك.

وهكذا نجد دائماً أن نفس الأفكار تتكرر. راجع قصة سنوحى، حيث اكتشف سنوحى مؤامرة فى القصر ضد فرعون.

نعود إلى سفر أستير: أمر الملكُ بصلب المتآمرين "فَصُلِبَا (أي: شُنِقَا؛ عُلِّقَا[6359][6360]) كِلاَهُمَا عَلَى خَشَبَةٍ (أي: على خازوق (pole; stake) أو شجرة (tree))" (أستير 2:23) **[⟵ "لَأُصَلِّبَنَّكُمْ (crucify) فِي جُذُوعِ النَّخْلِ" (طه 71) "لَأُصَلِّبَنَّكُمْ (crucify) أَجْمَعِينَ" (الأعراف 124) (الشعراء 49)]**.

(أستير 3): {1} بَعْدَ هذِهِ الأُمُور عَظَّمَ الْمَلِكُ أَحَشْوِيرُوشُ هَامَانَ بْنَ هَمَدَاثَا الأَجَاجِيَّ وَرَقَّاهُ، وَجَعَلَ كُرْسِيَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ الرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ مَعَهُ. {2} فَكَانَ كُلُّ عَبِيدِ الْمَلِكِ الَّذِينَ بِبَابِ الْمَلِكِ يَجْثُونَ وَيَسْجُدُونَ لِهَامَانَ، لأَنَّهُ هكَذَا أَوْصَى بِهِ الْمَلِكُ **[⟵ فى التلمود البابلى (Megīlla 19a)، حَسَبَ هامانُ نفسَه إلهاً أو جعَلَ نفسَه معبوداً[6361] ⟵ "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي" (القصص 38) "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" (النازعات 24) "قَالَ (فرعونُ لموسى) لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ" (الشعراء 29) "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ" (الزخرف 54)]**. وَأَمَّا مُرْدَخَايُ فَلَمْ يَجْثُ وَلَمْ يَسْجُدْ (لأنه يؤمن بالإله الواحد). {3} فَقَالَ عَبِيدُ الْمَلِكِ الَّذِينَ بِبَابِ الْمَلِكِ لِمُرْدَخَايَ: «لِمَاذَا تَتَعَدَّى أَمْرَ الْمَلِكِ؟» {4} وَإِذْ كَانُوا يُكَلِّمُونَهُ يَوْمًا فَيَوْمًا وَلَمْ يَكُنْ يَسْمَعْ لَهُمْ، أَخْبَرُوا هَامَانَ لِيَرَوْا هَلْ يَقُومُ كَلاَمُ مُرْدَخَايَ (أى: لِيَرَوْا إن كان تصرف مُرْدخاى يُمْكن السكوت عليه)، لأَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُ يَهُودِيٌّ **[⟵ "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ" (الأعراف 127) "قَالَ (فرعونُ لموسى) لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ" (الشعراء 29)]**. إذن: العداء بين مُرْدَخَاى وهامان (سفر أستير) يكاد يكون مطابقاً للعداء بين موسى وفرعون/هامان (القرآن).

(أستير 3): {5} وَلَمَّا رَأَى هَامَانُ أَنَّ مُرْدَخَايَ لاَ يَجْثُو وَلاَ يَسْجُدُ لَهُ، امْتَلأَ هَامَانُ غَضَبًا. {6} وَازْدُرِيَ فِي عَيْنَيْهِ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى مُرْدَخَايَ وَحْدَهُ، لأَنَّهُمْ أَخْبَرُوهُ عَنْ شَعْبِ مُرْدَخَايَ. فَطَلَبَ (أى: عَزَمَ) هَامَانُ أَنْ يُهْلِكَ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي كُلِّ مَمْلَكَةِ أَحَشْوِيرُوشَ، شَعْبَ مُرْدَخَايَ **[← "إِنَّ هَؤُلَاءِ (أى: شعب موسى) لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ" (الشعراء 54-56) "وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ" (الأعراف 127)].**

(أستير 3): {8} فَقَالَ هَامَانُ لِلْمَلِكِ أَحَشْوِيرُوشَ: «إِنَّهُ مَوْجُودٌ شَعْبٌ مَّا (a certain people) مُتَشَتِّتٌ وَمُتَفَرِّقٌ **[← "شِرْذِمَةٌ (أى: طائفة متقطعة متفرقة) قَلِيلُونَ (أى: ليسوا كثيرين)" (الشعراء 54)]** بَيْنَ الشُّعُوبِ فِي كُلِّ بِلاَدِ مَمْلَكَتِكَ، وَسُنَنُهُمْ مُغَايِرَةٌ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ، وَهُمْ لاَ يَعْمَلُونَ سُنَنَ الْمَلِكِ، فَلاَ يَلِيقُ بِالْمَلِكِ تَرْكُهُمْ. {9} فَإِذَا حَسُنَ عِنْدَ الْمَلِكِ فَلْيُكْتَبْ أَنْ يُبَادُوا، وَأَنَا أَزِنُ عَشَرَةَ آلاَفِ وَزْنَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ فِي أَيْدِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْعَمَلَ لِيُؤْتَى بِهَا إِلَى خَزَائِنِ الْمَلِكِ».

ونلاحظ هنا أن هامان لم يُخبِر الملك أحشويروش بأن الشعب المقصود هو شعب اليهود. إذن: هامان – وليس الملك أحشويروش – هو العدو الحقيقى لليهود. ولعل هذا يفسر لنا لماذا تجاهل أصحابُ القرآن المَلِكَ أحشويروش واكتفوا بذِكر أعداء اليهود: فرعون وهامان. أو بعبارة أكثر دقة: أدخل أصحابُ القرآن قصةَ هامان فى قصة فرعون، لأن الفكرة الأساسية فيهما واحدة وهى اضطهاد – بل محاولة تدمير – بنى إسرائيل ثم إنقاذهم (أى: إنجائهم وتخليصهم) مِن عدوهم.

ونلاحظ أيضاً أن التوراة لا تقول إن بنى إسرائيل فى مصر كانوا "شِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (أى: ليسوا كثيرين)". بالعكس، كان عدد بنى إسرائيل كبير جداً: "وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَأَثْمَرُوا وَتَوَالَدُوا وَنَمَوْا وَكَثُرُوا كَثِيرًا جِدًّا، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْهُمْ" (الخروج 1:7). وكذلك فى التفاسير الإسلامية. قال سيد قطب: "ولم يكن (فرعون) يستطيع أن يطردهم منها (أى: يطرد بنى إسرائيل مِن مصر) وَهُمْ جماعة كبيرة أصبحت تعد مئات الألوف"[6362]. هذا كان فى بداية القصة. وكذلك فى نهاية القصة حين خرج بنو إسرائيل من مصر. قال د. الصابونى: "فأوحى الله إلى موسى أن يخرج ببنى إسرائيل من أرض مصر ليلاً ويذهب بهم إلى أرض فلسطين، فتجهز موسى ومَن معه وكانوا يزيدون على 600 ألف مقاتل غير الذرية"[6363].

إذن: هذه الآيات القرآنية (الشعراء 54-56) لا تنطبق على قصة موسى وفرعون فى مصر (سفر الخروج). وإنما تنطبق أكثر على قصة مردخاى وهامان فى فارس (سفر أستير)، بدليل أن الآيات القرآنية التى تأتى بعدها مباشرةً تقول: "فَأَخْرَجْنَاهُمْ (أى: أخرجنا عدوَّ بنى إسرائيل) مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الشعراء 57-59). ومن المعلوم أن مصر كانت – ولا تزال – معظمها صحراء جرداء وليست جنات وعيون كثيرة مثل فارس. ومِن المعلوم أيضاً أن بنى إسرائيل لم يرثوا أرض مصر. لكن كما سنرى بعد قليل فى سفر أستير، ورث اليهودُ عدوَّهم هامان. وهذا دليل قرآنى على أن أصحاب

القرآن قد أدخلوا قصةَ هامان (سفر أستير) فى قصة فرعون (سفر الخروج). أو بعبارة أخرى: خلطوا القصتين فى قصة واحدة هى قصة موسى وفرعون/هامان المذكورة فى كتاب القرآن العربى.

نعود إلى **(أستير 3):** {10} فَنَزَعَ الْمَلِكُ خَاتَمَهُ مِنْ يَدِهِ وَأَعْطَاهُ لِهَامَانَ بْنِ هَمَدَاثَا الأَجَاجِيِّ عَدُوِّ الْيَهُودِ **[← "عَدُوَّكُمْ" (أى: عدو قوم موسى) (الأعراف 129) "عَدُوٌّ لِي (أى: عدو الله) وَعَدُوٌّ لَهُ (أى: عدو موسى)" (طه 39)]**. {11} وَقَالَ الْمَلِكُ لِهَامَانَ: «الْفِضَّةُ قَدْ أُعْطِيَتْ لَكَ، وَالشَّعْبُ أَيْضًا، لِتَفْعَلَ بِهِ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ». {12} فَدُعِيَ كُتَّابُ الْمَلِكِ [...] وَكُتِبَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ هَامَانُ [...] كُتِبَ بِاسْمِ الْمَلِكِ أَحَشْوِيرُوشَ وَخُتِمَ بِخَاتَمِ الْمَلِكِ. {13} وَأُرْسِلَتِ الْكِتَابَاتُ بِيَدِ السُّعَاةِ إِلَى كُلِّ بُلْدَانِ الْمَلِكِ لإِهْلاَكِ وَقَتْلِ وَإِبَادَةِ جَمِيعِ الْيَهُودِ، مِنَ الْغُلاَمِ إِلَى الشَّيْخِ وَالأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فِي الثَّالِثَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي عَشَرَ، أَيْ شَهْرِ أَذَارَ (فبراير-مارس)، وَأَنْ يَسْلِبُوا غَنِيمَتَهُمْ **[← "قَالَ (فرعونُ) سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ" (الأعراف 127) "قَالُوا (أى: قال فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَقَارُونُ) اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ" (غافر 25)]**.

ونلاحظ فى الفقرة السابقة اختلافاً بسيطاً بين القرآن وسفر أستير: جعل أصحاب القرآن هذا الاضطهاد الثانى (لموسى وقومه حين كان موسى رجلاً كبيراً ورسولاً إلى فرعون) مطابقاً للاضطهاد الأول (لبنى إسرائيل قبل ميلاد موسى) (القصص 4). بخلاف سفر أستير الذى جعل الاضطهاد الفارسى (لمردخاى وقومه) مختلفاً عن الاضطهاد المصرى (لبنى إسرائيل قبل ميلاد موسى) (الخروج 1:15-22). ولا ندرى لماذا فعل أصحابُ القرآن ذلك. ربما أرادوا أن يؤكدوا على استحقاق فرعون أن يموت بنفس الطريقة التى أرادها لبنى إسرائيل: أراد فرعونُ أن يُهلِك أبناءَ بنى إسرائيل الذكور بإلقائهم فى مياه النهر، فهَلَكَ هو غرقاً فى مياه البحر. أو كما قال صاحبُ آخر رواية قرآنية: "وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ [...] اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ [...]. فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ (أى: كانَتْ عُقُوبَته بِمَا يُنَاسِبهُ) [...] مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا (مثل: فرعون وجنوده)" (العنكبوت 39-40).

(أستير 4): يحث مردخاىُ الملكةَ أستير على معاونة شعبها اليهودى، لا سيما أنها أصبحت هى شخصياً مهددة بالموت، إذ أن أمر الاضطهاد يشمل قتل النساء اليهوديات (أستير 3:13). قررت أستير أن تساعد شعبها، حتى لو كلفها الأمر حياتها، وقالت جملتها الشهيرة: "فَإِذَا هَلَكْتُ، هَلَكْتُ" (أستير 4:16).

(أستير 5): تضع أستير خطة لإنقاذ شعبها وتدعو الملكَ وهامانَ إلى وليمة. زاد غضب هامان على مردخاى، فحرضته زوجته وأصدقاؤه على قتل مردخاى: "فَلْيَعْمَلُوا خَشَبَةً ارْتِفَاعُهَا خَمْسُونَ ذِرَاعًا، وَفِي الصَّبَاحِ (يا هامان) قُلْ لِلْمَلِكِ أَنْ يَصْلِبُوا (أي: يشنقوا؛ يُعلِّقوا) مُرْدَخَايَ عَلَيْهَا، ثُمَّ ادْخُلْ مَعَ الْمَلِكِ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَرِحًا" (أستير 5:14). "فَحَسُنَ الْكَلاَمُ عِنْدَ هَامَانَ وَعَمِلَ الْخَشَبَةَ" (أستير 5:14) **[← "قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي (أى: اتركونى) أَقْتُلْ مُوسَى" (غافر 26)**[6364]**]**.

(أستير 6): لكن "فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ" (أستير 1:6) طَلَبَ الملكُ من هامان أن يُكرِم مردخايَ مكافأةً له على اكتشاف مؤامرة اغتياله وإنقاذ حياته. وطبعاً لم يستطع هامان أن يرفض هذا الأمر الملكى، فأكرَم هامانُ مردخايَ ثم "أَسْرَعَ إِلَى بَيْتِهِ نَائِحًا وَمُغَطَّى الرَّأْسِ" (أستير 12:6). ثم "وَصَلَ خِصْيَانُ الْمَلِكِ وَأَسْرَعُوا لِلإِتْيَانِ بِهَامَانَ إِلَى الْوَلِيمَةِ الَّتِي عَمِلَتْهَا أَسْتِيرُ" (أستير 14:6).

(أستير 7): فى هذه الوليمة، تُخْبِر أستيرُ الملكَ بمؤامرة هامان لإبادة اليهود. فيغضب الملكُ ويأمر بصلب هامان. "فَصَلَبُوا (أي: شنقوا؛ علّقوا) هَامَانَ عَلَى الْخَشَبَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمُرْدَخَايَ" (أستير 10:7) **[⟵ "وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ [...] اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ [...]. فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ" (العنكبوت 39-40) "فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ" (غافر 21) (آل عمران 11) (الأنفال 52) "فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ" (الأنفال 54)]**.

وإنه لمِن العجيب أن القرآن لم يذكر كيف هلك هامان واكتفى بعبارة "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ" (أى: كَانَتْ عُقُوبَته بِمَا يُنَاسِبهُ)، لكننا حين رجعنا إلى القصة الأصلية فى سفر أستير استطعنا أن نفهم كيف تنطبق هذه العبارة على هامان: قُتِل هامان بنفس الطريقة التى أراد أن يقتل بها مُرْدَخَاىَ، وهى الصلب. بل صُلِب على نفس الخشبة الَّتِي أَعَدَّهَا لِمُرْدَخَايَ! إذن: الدرس الأخلاقى فى القصتين (أستير والقرآن) واحد، وهو: "الجزاء مِن جنس العمل" أو "مَن حفر حفرة لغيره وقع فيها". أو كما يقول الكتاب المقدس: "مَنْ يَحْفِرُ حُفْرَةً يَسْقُطُ فِيهَا، وَمَنْ يُدَحْرِجُ حَجَرًا يَرْجِعُ عَلَيْهِ" (الأمثال 27:26)، "اعْوِجَاجُ الْغَادِرِينَ يُخْرِبُهُمْ" (الأمثال 3:11)، "أَمَّا الشِّرِّيرُ فَيَسْقُطُ بِشَرِّهِ. [...] أَمَّا الْغَادِرُونَ فَيُؤْخَذُونَ بِفَسَادِهِمْ " (الأمثال 11:5-6) و(الأمثال 18:6-7)، "مَنْ يَحْفُرْ هُوَّةً يَقَعُ فِيهَا، وَمَنْ يَنْقُضْ جِدَارًا تَلْدَغْهُ حَيَّةٌ. مَنْ يَقْلَعْ حِجَارَةً يُوجَعْ بِهَا. مَنْ يُشَقِّقْ حَطَبًا يَكُونُ فِي خَطَرٍ مِنْهُ" (الجامعة 10:8-9)، الشرير "تَصْرَعُهُ مَشُورَتُهُ (أي: تُعَثِّره تَدابيرُه)" (أيوب 7:18). ويكرر الكتابُ المقدس نفس الفكرة في آيات كثيرة في سفر المزامير مثل (المزامير 7:14-16، 9:15-16، 35:7-8، 57:6). اقرأ أيضاً "هُمْ (أي: بنو إسرائيل الذين عبدوا أوثاناً) أَغَارُونِي بِمَا لَيْسَ إِلهًا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا (أي: لَيْسَ شَعْبَ الله؛ ليس شعباً يعرف الإلهَ الحقيقي وإنما شعب وثني؛ لَيْسَ شَعْبًا ذا أصل واحد مثل بني إسرائيل وإنما خليط من شعوب مختلفة لها أصول متعددة[6365])، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ" (التثنية 21:32).

ويجب هنا أن نشير إلى أن هذه الفكرة اليهودية⟵القرآنية أكثر دقة وتحديداً من مجرد فكرة القِصاص (lex talionis) (equivalent retribution). وذلك لأن القِصاص هو أن يُعاقَب المجرمُ بنفس الجرم الذي ارتكبه: فإنْ قَتَلَ يُقتَل، وإنْ جَرَحَ يُجرَح، وهكذا. أما هنا فيجب أيضاً أن يُعاقَب بنفس الأداة التي ارتكب بها جريمته: فإنْ قَتَلَ بسيفٍ يُقتَل بسيف، وإنْ قَتَلَ بسكين يُقتَل بسكين، وهكذا. ونحن نجد هذه الفكرة منتشرة في أعمال يهودية ومسيحية أخرى. فنجدها في سفر الحكمة: "لِيَعلَموا أنّ الإنسانَ يُعاقَبُ بِما خَطِئَ بِه" (الحكمة 16:11). ونجدها في كتاب اليوبيلات منطبقة على قايين/قابيل (أول مجرم في تاريخ البشرية): "قُتِلَ قايين. انهدم بيته عليه، فمات في وسط بيته بعد أن قتلته حجارته. بما أنه قَتَلَ [هابيلَ] بحجرٍ، فبحجرٍ قُتِلَ حسب

دينونة عادلة (righteous justice). لهذا ترتّب (هذا) على اللوحات السماويّة: "الإنسان الذي قَتَلَ قريبَه بسلاحٍ يهلك به (أي: يهلك بالسلاح عينه)، وإن جرَحَه يُصنع به كذلك"" (اليوبيلات 4:31-32)[6366]. ونجدها في التلمود البابلي (Sotah 9b) منطبقة على قورح (قارون) وهامان وغيرهما[6367]. ونجدها في سفر صموئيل الأول منطبقة على جُلْيَاتَ، فلقد قَطَعَ دَاوُدُ رأسَ جُلْيَاتَ بنفس السيف الذي أراد جُلْيَاتُ أن يقتل دَاوُدَ به: "وَلَمْ يَكُنْ سَيْفٌ بِيَدِ دَاوُدَ. فَرَكَضَ دَاوُدُ وَوَقَفَ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّ [جليات] وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَاخْتَرَطَهُ (أي: أخْرَجَ دَاوُدُ سَيفَ جُلْيَاتَ) مِنْ غِمْدِهِ وَقَتَلَهُ وَقَطَعَ بِهِ رَأْسَهُ" (1 صموئيل 17:50-51)[6368]. ونجدها في المشنا اليهودية (Sotah 1:7): "يُكال للإنسان بالكيل الذي يكيل به"[6369]. بل قالها يسوعُ المسيح في الإنجيل: "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (متى 26:52)[6370]. **[← ومِن التراث اليهودي/المسيحي، تسللت هذه الفكرة الشهيرة إلى القرآن: "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ (أي: كَانَتْ عُقُوبَته بِمَا يُنَاسِبهُ)" (العنكبوت 40)].**

نعود إلى سفر أستير ... **اليهود ورثوا عدوَّهم:** "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَعْطَى الْمَلِكُ أَحَشْوِيرُوشُ لأَسْتِيرَ الْمَلِكَةِ بَيْتَ هَامَانَ عَدُوِّ الْيَهُودِ. وَأَتَى مُرْدَخَايُ إِلَى أَمَامِ الْمَلِكِ لأَنَّ أَسْتِيرَ أَخْبَرَتْهُ بِمَا هُوَ لَهَا (أى: قالت للملك إن مردخاى ابن عمها). وَنَزَعَ الْمَلِكُ خَاتَمَهُ الَّذِي أَخَذَهُ مِنْ هَامَانَ وَأَعْطَاهُ لِمُرْدَخَايَ. وَأَقَامَتْ أَسْتِيرُ مُرْدَخَايَ عَلَى بَيْتِ هَامَانَ (أى: على ممتلكات هامان)" (أستير 8:1-2). وتم إلغاء أوامر هامان التى كان قد أصدرها لإبادة اليهود. وأعطى الملكُ اليهودَ حق الدفاع عن أنفسهم: أن "يُهْلِكُوا وَيَقْتُلُوا وَيُبِيدُوا قُوَّةَ كُلِّ شَعْبٍ وَكُورَةٍ تُضَادُّهُمْ حَتَّى الأَطْفَالَ وَالنِّسَاءَ، وَأَنْ يَسْلُبُوا غَنِيمَتَهُمْ" (أستير 8:11). "وَخَرَجَ مُرْدَخَايُ مِنْ أَمَامِ الْمَلِكِ بِلِبَاسٍ مَلِكِيٍّ [...] وَتَاجٌ عَظِيمٌ مِنْ ذَهَبٍ [...]. وَكَانَ لِلْيَهُودِ نُورٌ وَفَرَحٌ وَبَهْجَةٌ وَكَرَامَةٌ. وَفِي كُلِّ بِلاَدٍ وَمَدِينَةٍ، كُلِّ مَكَانٍ وَصَلَ إِلَيْهِ كَلاَمُ الْمَلِكِ وَأَمْرُهُ، كَانَ فَرَحٌ وَبَهْجَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ وَوَلاَئِمُ وَيَوْمٌ طَيِّبٌ. وَكَثِيرُونَ مِنْ شُعُوبِ الأَرْضِ تَهَوَّدُوا لأَنَّ رُعْبَ الْيَهُودِ وَقَعَ عَلَيْهِمْ" (أستير 8:15-17). وصار اليهودى مردخاى هو الرجل رقم 2 فى المملكة "لأَنَّ مُرْدَخَايَ كَانَ عَظِيمًا فِي بَيْتِ الْمَلِكِ، وَسَارَ خَبَرُهُ فِي كُلِّ الْبُلْدَانِ، لأَنَّ الرَّجُلَ مُرْدَخَايَ كَانَ يَتَزَايَدُ عَظَمَةً" (أستير 9:4) "لأَنَّ مُرْدَخَايَ الْيَهُودِيَّ كَانَ ثَانِيَ الْمَلِكِ أَحَشْوِيرُوشَ، وَعَظِيمًا بَيْنَ الْيَهُودِ، وَمَقْبُولاً عِنْدَ كَثْرَةِ إِخْوَتِهِ، طَالِبًا الْخَيْرَ لِشَعْبِهِ وَمُتَكَلِّمًا بِالسَّلاَمِ لِكُلِّ نَسْلِهِ" (أستير 10:3) **[← آيات توريث الأرض: "قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا (Be patient) إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. [...] عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ" (الأعراف 128-129) "فَأَخْرَجْنَاهُمْ (أى: أَخْرَجْنا عدوَّ بنى إسرائيل) مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الشعراء 57-59) "كَمْ تَرَكُوا (أى: كم ترك عدوُّ بنى إسرائيل) مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ" (الدخان 25-28) "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً (أى: قادة، ولاة الأمر)[6371] وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ. [...] إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ" (القصص 5-8)].** ونلاحظ أن هذه الآيات القرآنية (التى أسميناها آيات "توريث الأرض"[6372]) لا

تنطبق على قصة الخروج التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage)، لأن بنى إسرائيل لم يرثوا أرض مصر. وإنما تنطبق أكثر على قصة هامان حيث ورث اليهودُ أرضَ فارس، بدليل ذِكر الجنات والعيون والزروع (الشعراء 57) (الدخان 25-26) "وَيَسْتَخْلِفَكُمْ (أى: يَسْتَخْلِف بنى إسرائيل) فِي الْأَرْضِ" (الأعراف 129) "وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ" (القصص 5-6) وبعدها مباشرةً ذِكر اسم "هامان" صراحةً مرتين: "فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ [...] فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ" (القصص 6-8). وهذه أدلة قرآنية أخرى تؤكد أن أصحاب القرآن قد أدخلوا قصةَ هامان (سفر أستير) فى قصة فرعون (سفر الخروج). أو كما قلنا: خلطوا القصتين فى قصة واحدة هى قصة موسى وفرعون/هامان المذكورة فى كتابهم العربى "القرآن"[6373].

"وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي عَشَرَ، أَيْ شَهْرِ أَذَارَ (فبراير-مارس)، فِي الْيَوْمِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْهُ، [...]، فِي الْيَوْمِ الَّذِي انْتَظَرَ فِيهِ أَعْدَاءُ الْيَهُودِ أَنْ يَتَسَلَّطُوا عَلَيْهِمْ، فَتَحَوَّلَ ذلِكَ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودَ تَسَلَّطُوا عَلَى مُبْغِضِيهِمِ" (أستير 1:9). "وَاسْتَرَاحُوا (أى: استراح اليهود) مِنْ أَعْدَائِهِمْ، وَقَتَلُوا مِنْ مُبْغِضِيهِمْ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ أَلْفًا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَمُدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى النَّهْبِ" (أستير 16:9)، رغم أن الملك قد أباح لهم الغنائم (أستير 11:8).

ثم يذكر (أستير 9) تأسيس عيد "الفُوريم" (Purim) احتفالاً بانتصار اليهود على عَدُوِّهم هامان. وما زال اليهود إلى اليوم يحتفلون بهذا العيد الهام "فِي الْيَوْمِ الرَّابعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ أَذَارَ (فبراير-مارس)، وَالْيَوْمِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ، حَسَبَ الأَيَّامِ الَّتِي اسْتَرَاحَ فِيهَا الْيَهُودُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَالشَّهْرِ الَّذِي تَحَوَّلَ عِنْدَهُمْ مِنْ حُزْنٍ إِلَى فَرَحٍ وَمِنْ نَوْحٍ إِلَى يَوْمٍ طَيِّبٍ" (أستير 21:9-22). "أَوْجَبَ الْيَهُودُ وَقَبِلُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى نَسْلِهِمْ وَعَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ يَلْتَصِقُونَ بِهِمْ حَتَّى لاَ يَزُولَ (أى: ليظل تذكاراً لا يزول)، أَنْ يُعَيِّدُوا هذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ حَسَبَ كِتَابَتِهِمَا وَحَسَبَ أَوْقَاتِهِمَا كُلَّ سَنَةٍ، وَأَنْ يُذْكَرَ هذَانِ الْيَوْمَانِ وَيُحْفَظَا فِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ وَعَشِيرَةٍ فَعَشِيرَةٍ وَبِلاَدٍ فَبِلاَدٍ وَمَدِينَةٍ فَمَدِينَةٍ. وَيَوْمَا الْفُورِ هذَانِ (أى: عيد الفُوريم) لاَ يَزُولاَنِ مِنْ وَسَطِ الْيَهُودِ، وَذِكْرُهُمَا لاَ يَفْنَى مِنْ نَسْلِهِمْ" (أستير 27:9-28).

إذن: مِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن عيد الفُوريم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود الشرق الأوسط والحبشة (أثيوبيا). ويبدو أن أصحاب القرآن قد خلطوا بين عيدين يهوديين هامين: عيد الفُوريم الذى يحتفل به اليهود كل سنة تخليداً لذكرى خلاصهم مِن هامان، وعيد "الفصح" (Passover) الذى يحتفل به اليهود كل سنة تخليداً لذكرى خلاصهم مِن فرعون.

الخلاصة: لا يوجد أى دليل علمى على أن "هامان" شخص تاريخى. وكل الأدلة تؤكد أن "هامان" (القرآن) عدو موسى العِبرانى قائد بنى إسرائيل فى مصر هو مجرد شخصية خيالية مستوحاة مِن "هامان" (سفر أستير) عدو مُرْدَخَاى اليهودى قائد اليهود فى فارس.

وكأن أصحاب القرآن حين قالوا "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا (أى: برجاً)" (غافر 36) قد أرادوا – بطريقة أدبية وليس تاريخية – أن يجمعوا (conflate) فى آية واحدة بين ثلاثة مِن أعداء الله: فرعون عدو موسى فى مصر؛ هامان عدو مُرْدَخَاى فى فارس؛ نمرود عدو إبراهيم فى العراق (بابل). وكذلك

فى الآية الأخرى: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا (أى: برجاً)" (القصص 38).

إذن: انتزع أصحابُ القرآن هامانَ مِن سفر أستير ووضعوه مع فرعون فى قصة خروج بنى إسرائيل من مصر، وانتزعوا برجَ بابل من سفر التكوين ووضعوه أيضاً مع فرعون فى قصة خروج بنى إسرائيل من مصر. ولا يهم إن كان أصحاب القرآن قد فعلوا ذلك عن عمد أو عن جهل. فى كلتا الحالتين، النتيجة واحدة: القرآن مُنتَج بشرى وليس كلام الله.

4.31.3 شخصية "قارون"

وكما نقل أصحابُ القرآن "هامانَ" مئات السنين ومئات الأميال من الشرق (فارس) إلى الغرب (مصر)، كذلك نقلوا "قارون" – أو "قُورَح" (Korah) (Coré) – عشرات السنين (أو: الشهور) وعشرات الأميال من الشرق (سيناء) إلى الغرب (مصر).

وقصة قورح هذا مذكورة فى (العدد 16)، وهى قصة مشهورة جداً، فَمِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مِن يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة (أثيوبيا).

وفى الواقع، يوجد "قورح" آخر فى التوراة، وهو "قورح" المذكور فى (التكوين 5:36). ورغم أن "قورح" (التكوين 36) أقل شهرة من "قورح" (العدد 16)، إلا أن أهمية "قورح" (التكوين 36) هى أنه عم "عماليق" (Amalek) (التكوين 12:36) الذى جاء مِن نسله "بنو عماليق" (العمالقة) (Amalekites) الذين حاربوا بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر (الخروج 17:8-16) (التثنية 25:17-19)، كما سبق وقلنا فى بداية حديثنا عن هامان (سفر أستير). ويوجد "قورح" ثالث (التكوين 16:36) هو أخو عماليق. ويبدو أن هذا الارتباط العائلى بين قورح وعماليق هو الذى جعل أصحاب القرآن يضعون قورح (قارون) وهامان فى قصة واحدة، هى قصة خروج بنى إسرائيل من مصر. بعبارة أخرى: جمع أصحابُ القرآن (أو أجدادُهم العرب) بين "قورح" (التكوين 36) و"قورح" (العدد 16) فى شخصية واحدة[6374] أسموها "قارون" الذى وُضِع مع هامان فى قصة موسى وفرعون.

وسنركز حديثنا على "قورح" (العدد 16) فقط، لأنه كما قلنا أكثر شهرة ولأن قصته هى الأقرب إلى قصة "قارون" المذكورة فى القرآن. ويجب هنا أن نؤكد على أننا لا نقول إن "قارون" القرآنى هُو هُو نفسه "قورح" التوراتى، وإنما نقول إن شخصية "قارون" القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لشخصية "قورح" التوراتية. أى أننا لا نقول: قورح = قارون؛ وإنما نقول: قورح **[⟵ قَارُون]**.

<u>**الزمان:**</u> بعد خروج بنى إسرائيل من مصر، وقبل دخولهم كنعان.

المكان: "فِي الْبَرِّيَّةِ" بين مصر وكنعان (العدد 16:13-14). على الأرجح: فى سيناء؛ عند "قَادَش بَرْنِيع" (Kadesh Barnea) بالقرب مِن الحدود الجنوبية لكنعان (حالياً: الحدود المصرية-الإسرائيلية).

الأشخاص: "قُورَحُ بْنُ يِصْهَارَ بْنِ قَهَاتَ بْنِ لاَوِي" (العدد 16:1)، أى أنه ابن "يِصْهَار" (Izhar) أخى "عَمْرَام" أبى موسى وهارون (الخروج 6:18)، وبذلك يكون قُورَح هو ابن عم موسى وهارون **[← "إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى" (القصص 76)]**. إذن: فى التوراة، المسألة واضحة. قُورَح هو ابن عم موسى. أما فى الإسلام، فكالعادة اختلف المفسرون. قالت موسوعة بيان الإسلام إن قارون هو يِصْهَار، أى أن قارون هو عم موسى وأبو قورح[6375]! ونحن لن نلتفت إلى هذا الرأى العجيب؛ ويكفينا أن الموسوعة نفسها قد اعترفت بأن "أكثر المؤرخين وأهل العلم" يقولون إن قارون هو ابن عم موسى. ولقد ذكر الطبرى هذين الرأيين. عن ابن جريج قال: قارون ابن عم موسى. وعن ابن إسحاق قال: قارون عم موسى. ثم قال الطبرى: "وأكثرُ أهل العلم فى ذلك على ما قاله ابن جريج"[6376].

الحدث: قاد قُورَح تمرداً على موسى وهارون **[← "فَبَغَى (قارونُ) عَلَيْهِمْ" (القصص 76)]**. وانضم "دَاثَانُ" (Dathan) وَ "أَبِيرَامُ" (Abiram) و 250 رجل إلى قورح. إنها إذن ثورة على سُلطة موسى وهارون، بل ثورة على الله. أراد هؤلاء الثائرون أن يكونوا "كهنة" (priests)، "فَاجْتَمَعُوا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالُوا لَهُمَا: «كَفَاكُمَا! إِنَّ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ وَفِي وَسَطِهَا الرَّبُّ. فَمَا بَالُكُمَا تَرْتَفِعَانِ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّبِّ؟»" (العدد 16:3). ويبدو أن هذه الثورة كان لها أسباب سياسية واقتصادية أيضاً وليس فقط أسباباً دينية[6377]، بدليل أن دَاثَانُ وَأَبِيرَامُ وَجَّها انتقادات عنيفة لموسى، فقالا له: "أَقَلِيلٌ أَنَّكَ أَصْعَدْتَنَا مِنْ أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً (يقصدان: مصر) لِتُمِيتَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ حَتَّى تَتَرَأَسَ عَلَيْنَا تَرَؤُسًا؟ كَذلِكَ لَمْ تَأْتِ بِنَا إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً (يقصدان: كنعان)، وَلاَ أَعْطَيْتَنَا نَصِيبَ حُقُولٍ وَكُرُومٍ" (العدد 16:13-14). فَاغْتَاظَ مُوسَى جِدًّا وَدافع عن نفسه قائلاً لله: "حِمَارًا وَاحِدًا لَمْ آخُذْ مِنْهُمْ، وَلاَ أَسَأْتُ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ" (العدد 16:15) **[← "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ (أى: وأنتم تعلمون) أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ" (الصف 5) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا" (الأحزاب 69)[6378]]**.

إذن: انقسم بنو إسرائيل إلى فريقين. فريق بقيادة قُورَح (قارون) ودَاثَان وأبِيرَام، وفريق آخر بقيادة موسى وهارون. وكلاهما من بنى إسرائيل. وهو المشهد الذى حاول صاحبُ رواية سورة القصص أن يرسمه فى روايته. إلا أنه جعل الفريقين كما يلى:

- الفريق الأول: ضعاف الإيمان ومفتونون بزينة قارون ويريدون الحياة الدنيا وزينتها مثله. **"فَخَرَجَ (قارونُ) عَلَى قَوْمِهِ (أى: على بنى إسرائيل) فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" (القصص 79)**،

- والفريق الثانى: أقوياء الإيمان فلا يهتمون بهذه الزينة الدنيوية الزائلة ولا يُفْتَنون بها وإنما يهتمون بالنعيم الدائم الباقى فى الآخرة. **"وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (للفريق الأول) وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ (الدائم الباقى) خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ" (القصص 80).**

إذن: يتفق القرآنُ مع التوراة فى أن قارون (قُورَح) كان سبباً فى اندلاع فتنة أدت إلى انقسام بنى إسرائيل إلى فريقين مختلفين.

احتكم الفريقان إلى الله. **(العدد 16):** {5} ثُمَّ كَلَّمَ (موسى) قُورَحَ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ قَائِلاً: «غَدًا يُعْلِنُ الرَّبُّ مَنْ هُوَ لَهُ، وَمَنِ الْمُقَدَّسُ حَتَّى يُقَرِّبَهُ إِلَيْهِ. فَالَّذِي يَخْتَارُهُ يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ. {6} اِفْعَلُوا هذَا: خُذُوا لَكُمْ مَجَامِرَ. قُورَحُ وَكُلُّ جَمَاعَتِهِ. {7} وَاجْعَلُوا فِيهَا نَارًا، وَضَعُوا عَلَيْهَا بَخُورًا أَمَامَ الرَّبِّ غَدًا. فَالرَّجُلُ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ هُوَ الْمُقَدَّسُ. كَفَاكُمْ يَا بَنِي لاَوِي!». [...] {16} وَقَالَ مُوسَى لِقُورَحَ: «كُنْ أَنْتَ وَكُلُّ جَمَاعَتِكَ أَمَامَ الرَّبِّ، أَنْتَ وَهُمْ وَهَارُونُ غَدًا، {17} وَخُذُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِجْمَرَتَهُ، وَاجْعَلُوا فِيهَا بَخُورًا، وَقَدِّمُوا أَمَامَ الرَّبِّ كُلُّ وَاحِدٍ مِجْمَرَتَهُ. مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ مِجْمَرَةً. وَأَنْتَ وَهَارُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِجْمَرَتَهُ». {18} فَأَخَذُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِجْمَرَتَهُ وَجَعَلُوا فِيهَا نَارًا وَوَضَعُوا عَلَيْهَا بَخُورًا، وَوَقَفُوا لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ مَعَ مُوسَى وَهَارُونَ. {19} وَجَمَعَ عَلَيْهِمَا قُورَحُ كُلَّ الْجَمَاعَةِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، فَتَرَاءَى مَجْدُ الرَّبِّ لِكُلِّ الْجَمَاعَةِ[6379] **[← "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً" (البقرة 55) "فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً" (النساء 153)].**

(العدد 16): {20} وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً: {21} «افْتَرِزَا مِنْ بَيْنِ هذِهِ الْجَمَاعَةِ فَإِنِّي أُفْنِيهِمْ فِي لَحْظَةٍ». {22} فَخَرَّا عَلَى وَجْهَيْهِمَا وَقَالاَ: «اللّهُمَّ، إِلهَ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ، هَلْ يُخْطِئُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَتَسْخَطَ عَلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ؟ **[← "أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ" (الأعراف 155)؟]**» {23} فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: {24} «كَلِّمِ الْجَمَاعَةَ قَائِلاً: اطْلَعُوا مِنْ حَوَالَيْ مَسْكَنِ قُورَحَ وَدَاثَانَ وَأَبِيرَامَ». {25} فَقَامَ مُوسَى وَذَهَبَ إِلَى دَاثَانَ وَأَبِيرَامَ، وَذَهَبَ وَرَاءَهُ شُيُوخُ إِسْرَائِيلَ. {26} فَكَلَّمَ الْجَمَاعَةَ قَائِلاً: «اعْتَزِلُوا عَنْ خِيَامِ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ الْبُغَاةِ **[← "إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ" (القصص 76)]**، وَلاَ تَمَسُّوا شَيْئًا مِمَّا لَهُمْ لِئَلاَّ تَهْلِكُوا بِجَمِيعِ خَطَايَاهُمْ **[← "فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ" (الأنفال 54) "فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ" (غافر 21) (آل عمران 11) (الأنفال 52) "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ" (العنكبوت 40)]**». {27} فَطَلَعُوا مِنْ حَوَالَيْ مَسْكَنِ قُورَحَ وَدَاثَانَ وَأَبِيرَامَ، وَخَرَجَ دَاثَانُ وَأَبِيرَامُ وَوَقَفَا فِي بَابِ خَيْمَتَيْهِمَا مَعَ نِسَائِهِمَا وَبَنِيهِمَا وَأَطْفَالِهِمَا.

أصدر اللهُ حُكمَه وعاقب الفريق الأول (قُورَح وجماعته)، وكان ذلك دليلاً على تأييد الله للفريق الثانى (موسى وهارون) **[← "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا" (الأحزاب 69)].** **(العدد 16):** {28} فَقَالَ مُوسَى: «بِهذَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي لأَعْمَلَ كُلَّ هذِهِ الأَعْمَالِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ نَفْسِي **[← "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ (أى: وأنتم تَعْلَمُونَ) أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ" (الصف 5)[6380]].** {29} إِنْ مَاتَ هؤُلاَءِ (المتمردون) كَمَوْتِ كُلِّ إِنْسَانٍ (أى: موتاً

طبيعياً)، وَأَصَابَتْهُمْ مَصِيبَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ، فَلَيْسَ الرَّبُّ قَدْ أَرْسَلَنِي. {30} وَلكِنْ إِنِ ابْتَدَعَ الرَّبُّ بِدْعَةً (أى: طريقة جديدة فى الموت) وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَكُلَّ مَا لَهُمْ، فَهَبَطُوا أَحْيَاءً إِلَى الْهَاوِيَةِ (Sheol)، تَعْلَمُونَ أَنَّ هؤُلاَءِ الْقَوْمَ قَدِ ازْدَرَوْا بِالرَّبِّ». {31} فَلَمَّا فَرَغَ (موسى) مِنَ التَّكَلُّمِ بِكُلِّ هذَا الْكَلاَمِ، انْشَقَّتِ الأَرْضُ الَّتِي تَحْتَهُمْ، {32} وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُلَّ مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ الأَمْوَالِ **[⟵ "فَخَسَفْنَا بِهِ (أى: بقارون) وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ" (القصص 81)]**، {33} فَنَزَلُوا هُمْ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُمْ أَحْيَاءً إِلَى الْهَاوِيَةِ، وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمِ الأَرْضُ، فَبَادُوا مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ. {34} وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ هَرَبُوا مِنْ صَوْتِهِمْ، لأَنَّهُمْ قَالُوا: «لَعَلَّ الأَرْضَ تَبْتَلِعُنَا (كما ابتلعت قورح)» **[⟵ "وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ (أى: مَكَان قارون) بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ [...] لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا (الأرض كما خَسَفَ بقارون)" (القصص 82)]**. {35} وَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتِ الْمِئَتَيْنِ وَالْخَمْسِينَ رَجُلاً الَّذِينَ قَرَّبُوا الْبَخُورَ[6381] **[⟵ "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ" (النساء 153) "فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. [...] وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (البقرة 55-57)]**.

وبذلك كان عقاب هؤلاء المتمردين الثائرين مناسباً لذنبهم. هُمْ أرادوا أن يكونوا كهنة ويحرقوا البخور بالنار ويقدِّموه أمام الرب، فأهلكهم الربُّ بنارٍ من عنده **[⟵ كذلك بالنسبة لقارون فى القرآن، استكبر بكنوزه وأمواله فوق الأرض فصار هو وأمواله تحت الأرض: "فَخَسَفْنَا بِهِ (أى: بقارون) وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ" (القصص 81)؛ "وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ [...] اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ [...]. فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ (أى: كَانَتْ عُقُوبَته بِمَا يُنَاسِبهُ) [...] مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ (مثل: قارون) [...] وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (العنكبوت 39-40) "فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ" (غافر 21) (آل عمران 11) (الأنفال 52) "فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ" (الأنفال 54)]**.

اقرأ أيضاً: (التثنية 11:6) و (المزامير 106:16-18). ولو لم يسمع أصحابُ القرآن سوى هذا النص الشعرى المذكور فى (المزامير 106) فقط، لكان ذلك كافياً، فهو يذكر باختصار أهم أحداث هذه القصة الشهيرة التى توارثها اليهود والمسيحيون لأجيال عديدة وقرون طويلة حتى ظهور الإسلام.

ولقد قدَّمت التوراة هذه القصة الشهيرة باعتبارها عِبْرَة: "دَاثَانُ وَأَبِيرَامُ الْمَدْعُوَّانِ مِنَ الْجَمَاعَةِ اللَّذَانِ خَاصَمَا مُوسَى وَهَارُونَ فِي جَمَاعَةِ قُورَحَ حِينَ خَاصَمُوا الرَّبَّ، فَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمَا مَعَ قُورَحَ حِينَ مَاتَ الْقَوْمُ بِإِحْرَاقِ النَّارِ، مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلاً. فَصَارُوا عِبْرَةً" (العدد 26:9-10).

وأيضاً العهد الجديد استخدم قصة قورح كعِبْرَة، إذ وضع اسمَ "قورح" مع أسماء شخصيات شريرة أخرى مثل "قايين/قابيل" (Cain) و "بَلعام" (Balaam)[6382]، وذلك فى سياق حديثه عن هلاك الأشرار وغير المؤمنين: "فَأُرِيدُ أَنْ أُذَكِّرَكُمْ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ هذَا مَرَّةً، أَنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا خَلَّصَ الشَّعْبَ (أى: شعب بنى إسرائيل) مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، أَهْلَكَ أَيْضًا الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا. [...] كَمَا أَنَّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ (أى: قوم لوط) وَالْمُدُنَ الَّتِي حَوْلَهُمَا [...] جُعِلَتْ عِبْرَةً [...] وَيْلٌ لَهُمْ! لأَنَّهُمْ سَلَكُوا طَرِيقَ قَايِينَ، وَانْصَبُّوا إِلَى ضَلاَلَةِ بَلْعَامَ لأَجْلِ

أُجْرَةٍ، وَهَلَكُوا فِي مُشَاجَرَةِ قُورَحَ" (يهوذا 1:5-11) **[← وهذا بالضبط ما فعله صاحبُ آخر رواية قرآنية (سورة العنكبوت)، إذ استخدم قصة قارون كعِبْرَة ووضع اسم قارون مع الأقوام الأشرار الذين لم يؤمنوا فهلكوا: قوم نوح (العنكبوت 14-15) وقوم لوط (العنكبوت 28-35) وقوم شعيب (العنكبوت 36-37) وعاد وثمود (العنكبوت 38) "وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ" (العنكبوت 39) "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ (أى: كَانَتْ عُقُوبَته بِمَا يُنَاسِبهُ) فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا (مثل: قوم لوط فى سَدُومَ وَعَمُورَةَ) وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ (مثل: قوم صالح وقوم شعيب) وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ (مثل: قارون) وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا (مثل: فرعون وجنوده وقوم نوح)" (العنكبوت 40) "فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ" (غافر 21) (آل عمران 11) (الأنفال 52) "فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ" (الأنفال 54)]**. ونلاحظ أن رواية سورة العنكبوت هى الرواية القرآنية الوحيدة – بل الآية القرآنية الوحيدة (العنكبوت 39) – التى تضع اسم قارون قبل فرعون وهامان. وهذا يدل على تركيز صاحب هذه الرواية على قارون (قورح) ويدل أيضاً على تأثره بالتراث اليهودى/المسيحى الذى قدَّم قصة قورح (قارون) باعتبارها عِبْرَة.

مما سبق يتضح أن قصة "قارون" القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "قورح" التوراتية. أما عن الاختلاف بين القصتين، فيقول د. حسن الباش: "والاختلاف بين الحادثتين (أى: التوراتية والقرآنية) فى الغاية والسبب، ففى التوراة يخرج قورح (قارون) على موسى ومعه عدد من الأتباع وكادوا يشعلون فتنة فى قوم موسى وبسبب تذمرهم خسف الله بهم الأرض. بينما القرآن الكريم يركز على استكبار قارون وغناه حيث كفر بالله وظن أن ماله سيخلد ويملك به الدنيا فخسفت به الأرض بسبب استكباره"[6383].

ونحن نقول له: صحيح أن التوراة لم تقل شيئاً عن ثراء قُورَح وكنوزه، لكنها نهت الإنسانَ عن أن يقول إن قوته وقدرته هي التي صنعت ثروته: "وَلِئَلاَّ تَقُولَ فِي قَلْبِكَ: قُوَّتِي وَقُدْرَةُ يَدِيَ اصْطَنَعَتْ لِي هذِهِ الثَّرْوَةَ. بَلِ اذْكُرِ الرَّبَّ إِلهَكَ، أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُعْطِيكَ قُوَّةً لاصْطِنَاعِ الثَّرْوَةِ" (التثنية 8:17-18) **[← جعل أصحابُ القرآن قارونَ يكسر هذه الوصية: "قَالَ (قارونُ) إِنَّمَا أُوتِيتُهُ (أى: اكتسبت هذا المال) عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي (أى: بما عندى من العلم والقدرة)" (القصص 78)]**.

ثم إننا نجد فى المزمور 49 – وهو أحد المزامير لبنى قُورَح[6384] – نقداً لاذعاً للأموال التى تُلقِى بصاحبها إلى الهلاك: "الَّذِينَ يَتَّكِلُونَ عَلَى ثَرْوَتِهِمْ، وَبِكَثْرَةِ غِنَاهُمْ يَفْتَخِرُونَ **[← "قَالَ (قارونُ) إِنَّمَا أُوتِيتُهُ (أى: اكتسبت هذا المال) عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي (أى: بما عندى من العلم والقدرة) [...] فَخَرَجَ (قارونُ) عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ" (القصص 78-79)]**. الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ **[← "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا" (آل عمران 10) "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ" (الشعراء 88) "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ" (عبس 34)]**. [...] حَتَّى يَحْيَا (الإنسانُ؛ الغنى) إِلَى الأَبَدِ فَلاَ يَرَى الْقَبْرَ. بَلْ يَرَاهُ (أى: بَلْ سيموت وسيرى القَبْرَ)! الْحُكَمَاءُ يَمُوتُونَ. كَذلِكَ الْجَاهِلُ وَالْبَلِيدُ يَهْلِكَانِ، وَيَتْرُكَانِ ثَرْوَتَهُمَا لآخَرِينَ. بَاطِنُهُمْ (أى: يَتوَهَّمون) أَنَّ بُيُوتَهُمْ إِلَى الأَبَدِ، (وأن) مَسَاكِنَهُمْ (باقية) إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ (أى:

من جيل إلى جيل). يُنَادُونَ بِأَسْمَائِهِمْ فِي الأَرَاضِي (أي: يطلقون أسماءهم على أراضيهم تخليداً لِذِكرهم) **[⟵ "الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ" (الهُمَزة 2-3)]**. وَالإِنْسَانُ فِي كَرَامَةٍ لاَ يَبِيتُ (أي: لا يخلد فى ثرائه). يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ **[⟵ "أَوَلَمْ يَعْلَمْ (قارون) أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا (للأموال)" (القصص 78)]**. [...] مِثْلَ الْغَنَمِ لِلْهَاوِيَةِ (Sheol) يُسَاقُونَ **[⟵ "كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ" (الأنفال 6)]**. الْمَوْتُ يَرْعَاهُمْ (أى: يأكلهم، يقودهم إلى القبر)، وَيَسُودُهُمُ الْمُسْتَقِيمُونَ. غَدَاةً وَصُورَتُهُمْ (أى: زينتهم التى كانوا عليها فى الدنيا) تَبْلَى. الْهَاوِيَةُ مَسْكَنٌ لَهُمْ. [...] لاَ تَخْشَ (أى: لا تنبهر) إِذَا اسْتَغْنَى إِنْسَانٌ (أى: صار غنياً)، إِذَا زَادَ مَجْدُ بَيْتِهِ (أى: ممتلكاته) **[⟵ "فَخَرَجَ (قارونُ) عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ. وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ" (القصص 79-80)]**. لأَنَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ كُلَّهُ لاَ يَأْخُذُ (شيئاً معه إلى قبره فى باطن الأرض). لاَ يَنْزِلُ وَرَاءَهُ مَجْدُهُ **[⟵ "فَخَسَفْنَا بِهِ (أى: بقارون) وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ" (القصص 81)]**. [...] إِنْسَانٌ فِي كَرَامَةٍ (فى الدنيا) وَلاَ يَفْهَمُ يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ" (المزامير 49:6-20).

ثم أضاف التلمود البابلى (Babylonian Talmud) - الذى جُمِع فى القرن الخامس أو السادس الميلادى[6385][6386]، أى قبل ظهور الإسلام - مزيداً من التفاصيل عن كنوز قورح (قارون) وثرائه الفاحش. نجد ذلك فى موضعين[6387]:

- “A burden for three hundred white mules were [merely] the keys to Korah’s treasury” (Pesahīm 119a).

- “A load for three hundred white mules were made up by the keys of Korah’s treasury” (Sanhedrīn 110a).

أى: كانت مفاتيح كنوز قورح كثيرة وثقيلة لدرجة أنها كانت توضع على 300 مِن البغال البيضاء **[⟵ "وَآتَيْنَاهُ (أى: آتينا قارونَ) مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ (أى: يثقل حملها على الأقوياء)" (القصص 76)]**. وقيل إن "المَفَاتِح" ليست هى المفاتيح التى تُفتَح بها خزائن الكنوز، وإنما هى الخزائن نفسها التى توضَع فيها الكنوز. وفى جميع الأحوال، فإن (القصص 76) هى مجرد تطور بشرى طبيعى لما قاله التلمود البابلى. أليس هذا وحده يكفى كدليل قاطع على أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله؟ هل يُعقَل أن يردد اللهُ حواديت التلمود البابلي؟! هل يُعقَل أن يؤيد اللهُ خرافات التلمود البابلي؟! مستحيل.

ولقد ذكر الطبرىُّ رأىَ مَن قال: "نجد مكتوباً فى الإنجيل: مَفاتِح قارون وَقْر ستين بغلاً"[6388]. وبغض النظر عن عدد البغال، فإننا نستنتج أن صاحب هذا الرأى كان يعلم أن ما قاله القرآنُ عن قارون كان معروفاً قبل القرآن، إلا أنه أخطأ وقال "مكتوباً فى الإنجيل"، والصواب أن يقول "مكتوباً فى التلمود". ومِن المعلوم أن الإنجيل والتلمود البابلى يسبقان القرآن.

وفى العصر الحديث، قال القاسمى فى تفسير "الْعُصْبَةِ" (القصص 76): "أى الجماعة الكثيرة مِن الرجال أو البغال"[6389]. وهذا يدل على أن ما قاله التلمود البابلى ما زال يُردد إلى الآن فى التفاسير الحديثة والمعاصرة. ولا يهم إنْ كان المقصود بـ "الْعُصْبَةِ" هو جماعة من الرجال أم جماعة مِن البغال. المهم هو أن (القصص 76) هى مجرد تطور بشرى طبيعى للأساطير التلمودية البابلية.

بل إن التلمود البابلى فى نفس الموضع (Sanhedrīn 110a) يقول إن العرب كانوا يعرفون قصة قورح (قارون) وجماعته، ويعرفون (أو بالأحرى: يظنون أنهم يعرفون) المكانَ الذى ابتلعتهم الأرضُ فيه عقاباً لهم على تكذيبهم لموسى والتوراة[6390] **[← "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ" (غافر 23-24)]**.

إنها إذن مجرد قصص دينية وشعبية توارثتها الأجيالُ قبل ظهور الإسلام حتى وصلت إلى أصحاب القرآن الذين طوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً، فوضعوا بصمتهم العربية/الإسلامية على هذه القصص الموروثة إلى أن صارت فى النهاية بالصورة التى نراها الآن فى كتاب "القرآن" العربى.

وخير دليل قرآنى على ذلك هو أن أصحاب القرآن قد وضعوا فى ثنايا قصة قارون كلاماً إسلامياً/عربياً يناسب شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى ولا يناسب مصرَ أو سيناء فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد. والدليل على ذلك هو أن أصحاب القرآن قد استخدموا تقريباً نفس الأفكار والعبارات والكلمات فى مواضع أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بقصة موسى وفرعون التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage). وهذا دليل داخلي (internal evidence) - أي من داخل القرآن نفسه - يثبت أن القرآن كلام بشر. انظر الجدول التالي:

جدول 31 – شخصية "قورح" (قارون) التى حَرَّفها أصحابُ القرآن: أسلمة للأفكار وتعريب للألفاظ

حَرَّف أصحابُ القرآن شخصية "قورح" (قارون)، فوضعوا كلاماً غريباً ليس فى قصة "موسى وفرعون" التوراتية الأصلية	إنه كلام إسلامي/عربي (stock phrases) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموه فى مواضع أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بالقصة التوراتية الأصلية!
الفرح المُحرَّم: "لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (أي: المتكبرين المغرورين البَطِرين)" (القصص 76)	الفرح المُحرَّم: "لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (الحديد 23) "لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا (أى: بِالْخُيَلَاءِ) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (لقمان 18) "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا" (النساء 36)[6391].
"وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" (القصص 77)	"وَيَسْعَوْنَ (أى: اليهود المعاصرون لمحمد) فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" (المائدة 64)
"قَالَ (قارونُ) إِنَّمَا أُوتِيتُهُ (أى: اكتسبت هذا المال) عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا (للأموال)" (القصص 78)	"قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (كقارون) فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (مِن الأموال). فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ (أى: قريش، قوم محمد) سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ" (الزمر 49-51)
"فَخَرَجَ [قارونُ] عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ. وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ" (القصص 79-80).	"وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" (فصلت 35). ولم ترد عبارة "ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" فى القرآن كله إلا فى هذين الموضعين: (القصص 79) و (فصلت 35)! ولم يرد الفعل "يُلَقَّاهَا" فى القرآن كله إلا فى هذين الموضعين: (القصص 80) و (فصلت 35)! صدفة؟!
"فَخَرَجَ [قارونُ] عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ. وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ	"وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (القصص 60). "فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ

وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ" (القصص 79-80)	خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" (الشورى 36)
"وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا" (القصص 80)	"وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ (أي: ثوابٌ) مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (البقرة 103)
قال القرآن عن قارون: "فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ" (القصص 81). هل هذه قصة حقيقية؟	**قال القرآن عن صاحب الجنتين:** "وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا" (الكهف 43). وقال إنها "مثل" (parable) (parabole) (الكهف 32)، ولم يقل إنها قصة حقيقية.
"وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ (أي: مكان قارون) بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ" (القصص 82)	"أَوَلَمْ يَعْلَمُوا (أي: قريش، قوم محمد) أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ" (الزمر 52) "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ" (الروم 37) "قُلْ (يا محمد) إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ [...] قُلْ (يا محمد) إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ" (سبأ 36-39) "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ" (العنكبوت 62) "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا (أي: فرح أهل مكة) بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ" (الرعد 26) "إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ" (الإسراء 30) "لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ" (الشورى 12)
"وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ" (القصص 82)	"إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ" (المؤمنون 117)
يزعم القرآنُ أن فرعون وهامان وقارون اتهموا موسى بالسحر والكذب! "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ" (غافر 23-24) "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا (أي: موسى) لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ" (الأعراف 109) "فَلَمَّا جَاءَهُمُ	**إنهما تهمتان وُجهتا لمحمد:** "وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ (هو محمد) وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ" (ص 4) "قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا (أي: محمد) لَسَاحِرٌ مُبِينٌ" (يونس 2) "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ (أي: على المشركين من أهل مكة) آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ" (الأحقاف 7)؛ (الصافات 15) (سبأ 43) (هود 7) (الأنبياء 5).

الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ" (يونس 76)؛ (النمل 13) (طه 63) (القصص 36).	
وقال القرآن إن فرعون وملأه لا يُكَذِّبُون موسى مِن باب الجهل، وإنما مِن باب الظلم والاستكبار: "وَجَحَدُوا بِهَا (أى: جَحَدُوا بآيات الله) وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" (النمل 14)	**وقال القرآن إن المشركين مِن أهل مكة لا يُكَذِّبُون محمد مِن باب الجهل، وإنما مِن باب الظلم والاستكبار:** "فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ (يا محمد) وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ" (الأنعام 33)[6392]. "الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ (أى: بالقرآن؛ وَهُمْ أهْل مَكَّة) وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. [...] فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (أى: يُوقَدُونَ). [...] ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ. ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ" (غافر 70-76).
يزعم القرآنُ أن فرعون استهزأ بموسى واتهمه بالجنون والسحر: "قَالَ (فرعونُ) إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ" (الشعراء 27) "قَالَ (فرعونُ) لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا (أى: موسى) لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ" (الشعراء 34)؛ (النمل 13). "فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا" (الإسراء 101). "فَتَوَلَّى (فرعونُ) بِرُكْنِهِ (أى: بقوته، بجنوده) وَقَالَ (إن موسى) سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ" (الذاريات 39)	**إنهما تهمتان وُجهتا لمحمد:** "وَقَالُوا (استهزاءً بمحمد) يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ" (الحجر 6)؛ "إِنْ هَذَا (أى: القرآن) إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ" (المدثر 24)؛ (سبأ 8)؛ (الصافات 36)؛ (الدخان 14). وفى سورة الإسراء أيضاً: قال كفار مكة لصحابة محمد: "إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا" (الإسراء 47). اقرأ أيضاً (الفرقان 8). وفى سورة الذاريات أيضاً: "كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَتَوَاصَوْا بِهِ" (الذاريات 52-53)

ونود هنا أن نعلق على هذه الآية القرآنية الأخيرة التى تطرح سؤالاً: "كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَتَوَاصَوْا بِهِ" (الذاريات 52-53).

الإجابة: كلا، لم يتواصوا به. وإنما أصحاب القرآن هُمْ الذين أعادوا كتابة (rewrote) قصص الأنبياء والرسل السابقين (مثل موسى وغيره) بحيث تبدو مشابهة لحياة محمد. وسنكتفى هنا بالأمثلة التالية:

- يزعم القرآن أن قوم نوح قالوا إنه "مَجْنُونٌ" (القمر 9) "إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ (أى: جنون)" (المؤمنون 25).
- ويزعم القرآن أن قوم هود قالوا له "إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ (أى: بجنون)" (هود 54).
- ويزعم القرآن أن قوم صالح قالوا له "إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ" (الشعراء 153)، وقالوا "بَلْ هُوَ (أى: صالح) كَذَّابٌ أَشِرٌ" (القمر 25).
- ويزعم القرآن أن أصحاب الأيكة قالوا لشعيب: "إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ. وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ" (الشعراء 185-186).

صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا انتاج (recreated) قصص الأنبياء والرسل السابقين بحيث تبدو مشابهة لحياة محمد. بعبارة أخرى: أخذ أصحاب القرآن عناصر من حياة محمد (مثل اتهامه بالجنون والسحر) ووضعوا هذه العناصر فى قصص الأنبياء والرسل السابقين. لماذا؟ لأنه إذا قصص الأنبياء والرسل السابقين تشابهت مع حياة محمد، سيسهل على أصحاب القرآن إقناع الناس بأن محمد نبي ورسول مثل الأنبياء والرسل السابقين. ولذلك نصح أصحابُ القرآن محمداً "قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ (أي: لست أول رسول من الرسل ولا تختلف رسالتي عن رسالتهم)" (الأحقاف 9) "هَٰذَا (أي: محمد؛ القرآن) نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ (أي: من جنس الأنبياء السابقين)" (النجم 56).

يبقى سؤال: مع أن قصة قارون (قورح) قصة ثانوية وهامشية فى الكتاب المقدس[6393]، إلا أن أصحاب القرآن المكى قد اهتموا اهتماماً شديداً بهذه القصة، لا سيما فيما يتعلق بثراء قارون وكنوزه، لدرجة أنهم وضعوا اسم قارون قبل اسم فرعون/هامان (العنكبوت 39)! لماذا كل هذا الاهتمام بشخصية "قارون"؟

الإجابة: لأن أصحاب القرآن أرادوا أن يُسقِطوا أحداث هذه القصة الدينية/الشعبية على الواقع الذى كانوا يعيشونه مع أقاربهم الكفار فى مكة؛ ومِن هؤلاء الكفار مَن كان ثرياً مثل قارون.

تقول موسوعة بيان الإسلام – نقلاً عن الدكتور محمد بكر إسماعيل – إن القرآن "يكتفى بذكر أن قارون كان من قوم موسى؛ ليعلم أهل البغى والضلال أن النسب لا يغنى عن صاحبه شيئاً، إن جاءه بأس الله فى الدنيا، وحلَّت به نقمته، [...]. فقد كان قارون من قوم موسى، وكان ممن سمع منه التوراة ولازمه مدة طويلة، ولكنه لم ينتفع بعلمه، ولم تؤثر فيه مواعظه، فنافق قومه وحسد موسى على ما آتاه الله من فضله، وتمنى أن يكون رسولاً مثله، كما تمنى كثير من أثرياء مكة وكبراء الطائف ورؤساء اليهود؛ ظناً من هؤلاء القوارين – جمع قارون – أن النبوة والشرف والعزة تنالُ بالثراء والغنى، "وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ" (الزخرف 31) (مكية)، أى عظيم فى نسبه وجاهه وثروته"[6394].

وقال الطاهر ابن عاشور: "إن مثل قارون صالح لأن يكون مثلاً لأبى لهب ولأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قبل إسلامه فى قرابتهما من النبى ﷺ وأذاهما إياه، وللعاصى بن وائل السهمى فى أذاه لخَبَّاب بن الأرتّ وغيره، وللوليد بن المغيرة من التعاظم بماله وذويه"[6395].

وقال د. نجم الدين خلف الله (Nejmeddine Khalfallah) تعليقاً على سورة العنكبوت التي يركز محتواها (العنكبوت 14-40) على عقاب المكذِّبين السابقين الذين قد يكونوا لفترة معينة أقوياء على الرسل والأنبياء السابقين لكنهم في الواقع ضعفاء أمام الله (مثل بيت العنكبوت[6396]). وآخر هؤلاء المكذِّبين السابقين هُمْ حسب ترتيب آيات السورة "قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ" (العنكبوت 39)[6397]:

D'ores et déjà, je pourrais avancer la thèse suivante : les récits des prophètes des communautés passées jouent des fonctions immanentes : renforcer la position politique du Prophète, l'encourager, l'exhorter à la patience, l'apaiser, lui rappeler un fait, lui donner l'exemple d'un autre prophète ayant vécu la même situation.

ويقول التراث الإسلامي إن سورة الهُمَزَة التي تنتقد خصوم محمد الأثرياء وتنذرهم نار جهنم: "وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ (أي: مغتاب لمحمد؛ أو: عَيَّاب للناس) لُمَزَةٍ (أي: طعَّان في محمد أو في الناس). الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (أي: جعله خالداً). كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (أي: النار الَّتِي تُحَطِّم كُلّ مَا أُلْقِيَ فِيهَا). [...]" (الهُمَزَة 1-9) (مكية) نَزَلَتْ في "أُمَيَّة بْن خَلَف" وهو أحد أثرياء قريش وساداتها وكان يُعذِّب عبدَه "بلال بن رباح". وقيل: نزلت في "الْوَلِيد بْن الْمُغِيرَة" القرشي. وقيل: نَزَلَتْ فِي "الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ" الثقفي. والمقصود طبعاً هو: هؤلاء وأمثالهم.

إذن: قارون ضُربَ مثلاً لهؤلاء "القوارين" المعاصرين لمحمد على سبيل التحذير والإنذار. وكأن أصحاب القرآن قد أرادوا أن يقولوا لأثرياء وكبراء مكة والطائف: لَا يَغُرَّنَّكُمْ أموالكم ونفوذكم، فلقد انهار قارونُ رغم كل أمواله وكنوزه وقرابته من موسى، كما انهار هامانُ رغم كل سلطته ونفوذه.

وحتى فى القرآن المدنى، نجد إشارات وتلميحات للعِبرة المستفادة مِن قصة قارون (قورح). مثلاً: "فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ (فيموتوا) وَهُمْ كَافِرُونَ" (التوبة 55)؛ "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ (أى: نطيل أعمارهم ونمتعهم بنعيم الدنيا) خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ" (آل عمران 178).

ونحن نستنتج من ذلك أن أصحاب القرآن كانوا ينتقون مِن التراث اليهودى/المسيحى القصصَ التى تنفعهم وتساعدهم على تحقيق أهدافهم وطموحاتهم فى مكة. أو بعبارة أخرى: عندما كان أصحاب القرآن

يختارون قصة يهودية/مسيحية معينة، لم يكن معيارهم الأساسى هو قانونية هذه القصة ولا حتى أهميتها فى التراث اليهودى/المسيحى، وإنما كان معيارهم الأساسى هو أهمية هذه القصة بالنسبة لهم فى شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى. ولذلك – على سبيل المثال – لم يتحدثوا فى القرآن المكى عن صلب المسيح، لأنه بالنسبة لهم فى مكة أمر غير مهم، رغم أنه أهم حدث فى التراث المسيحى، بل أهم حدث فى التاريخ الإنسانى. ولم يتحدثوا فى القرآن المكى ولا حتى المدنى عن مجمع خلقيدونية (451م)، رغم أنه أهم حدث وأسوأ حدث فى تاريخ العقيدة المسيحية قبل ظهور الإسلام.

وبعد أصحاب القرآن، جاء رواة الأحاديث، فكتبوا أحاديث أسطورية تتحدث عن مَن خُسِف به الأرض عقاباً له على تبختره فى المشى وإعجابه بشعره وثيابه! يقول حديث صحيح رواه مسلم إن محمد قال: "بينما رجلٌ يمشى، قد أعجبته جُمَّتُه (أى: شعر رأسه الذى يتدلى إلى كتفيه) وبُرْدَاه (أى: ثوباه)، إذ خُسِفَ به الأرضُ، فهو يتجلجل (أى: يغوص) فى الأرض حتى تقوم الساعة"[6398]! ويقول حديث صحيح رواه البخارى إن محمد قال: "بينما رجلٌ يَجُرُّ إزارَه (خيلاء وتكبراً)، إذ خُسِفَ به، فهو يتجلّل فى الأرض (أى: تغطيه الأرض) إلى يوم القيامة"[6399]! وقيل إن الرجل المذكور فى هذه الأحاديث المرفوعة الصحيحة هو قارون؛ وقيل إنه رجلٌ آخر؛ وقيل "الله أعلم"! وفى جميع الأحوال، فإن النتيجة واحدة: هذه الأحاديث الصحيحة المرفوعة هى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "قارون" القرآنية التى هى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "قورح" التوراتية.

ونختم كلامنا عن قارون (قورح) بتوضيح الجذور العميقة لفِكرة أن الأرض تبتلع إنساناً. إنها الأساطير والمعتقدات الكنعانية القديمة التى كانت تُصوِّر الموت أو عالم الموتى (underworld) (أى: الهاوية (Sheol)؛ القبر) كوحش لا يشبع يفتح فمَه ليتغذى على ضحاياه[6400]. يقول (NIV Study Bible) تعليقاً على مزمور بنى قورح (المزامير 14:49): "الصورة مستعارة من الأسطورة الكنعانية التى تصور الإله "موت" Mot بهذا التصوير. نقرأ فى إحدى الوثائق الكنعانية: لا تدن (أى: لا تقترب مِن) الإله موت وإلا سيضعك فى فمه كالحمل". اقرأ أيضاً: (المزامير 15:69) (المزامير 7:141) (الأمثال 12:1) (الأمثال 20:27) (الأمثال 15:30-16) (إشعياء 14:5) (يونان 2:2) (حبقوق 5:2) (أيوب 19:24) (أيوب 18). ونحن نرى أن هذه هى الجذور الكنعانية لفكرة أن الأرض قد ابتلعت قُورَح (قارون) وأمواله **[⟵ "انْشَقَّتِ الأَرْضُ الَّتِي تَحْتَهُمْ، وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُلَّ مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ الأَمْوَالِ" (العدد 31:16-32) "فَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمَا مَعَ قُورَحَ" (العدد 10:26) ⟵ "فَخَسَفْنَا بِهِ (أى: بقارون) وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ" (القصص 81) ⟵ أساطير البخارى ومسلم]**. ومِن الجدير بالذكر أنه يوجد حديث أخرجه

البخارى ومسلم يُصوِّر الموت بالكبش الأملح (أى: الأبيض الخالص؛ أو: بياضه أكثر مِن سواده). قال محمد: "يُجَاءُ بالمَوْتِ يوم القيامة كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ [...]"[6401]. ويُذكَر هذا الحديث عادةً فى تفسير (مريم 39).

وهكذا نصل دائماً إلى نفس النتيجة: كل أسطورة فى كتاب "القرآن" العربى وفى كتب السنة الإسلامية هى مجرد تطور بشرى طبيعى للأساطير الشرقية التى سبقتها، سواء كانت أساطير إبراهيمية أو غير إبراهيمية.

4.31.4 شخصية المؤمن المجهول: "مؤمن آل فرعون"!

إنه مجهول لأننا لا نعرف اسمَه! قيل: اسمُه "حزقيل" أو "حزفيل" أو "حزبيل" أو "خربيل" أو "حربيل"! وقيل: "حبيب"! وقيل: "حَبْرَك"! وقيل: "سمعان" أو "شمعان" أو "شمعون"! وقيل: "خَيْر"! وكالعادة، يلجأون إلى حيل توافقية فقالوا إن "شمعان" كان ابن عم فرعون، وقد سُمّى باسم "خَيْر" بعد أن آمن[6402]! وأطرف ما قيل عن هذا المؤمن المجهول إنه "أخناتون" (Akhenaten) وإنه ذو القرنين[6403]!

والعجيب هو أننا لا نجد هذه الشخصية المجهولة فى القرآن كله إلا فى سورة غافر. ونلاحظ أن سورة غافر قد أغفلت معظم تفصيلات قصة موسى وفرعون (قصة الخروج) ولم تذكر تقريباً إلا هذا المؤمن المجهول الذى ظهر على المسرح فجأة فلا نعلم مِن أين جاء واختفى أيضاً فجأة فلا نعلم إلى أين ذهب بعد أن غادر المسرح. مما يجعلنا نشعر أنه شخصية دخيلة أدخلها صاحبُ رواية سورة غافر على القصة.

والأعجب هو أن صاحب رواية سورة غافر قد أعطى هذا المؤمن المجهول مساحة واسعة جداً، تبدأ من حُكْم الإعدام الذى أصدره فرعونُ على موسى "وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى" (غافر 26)، وتنتهى بالحُكْم الذى أصدره اللهُ "فَوَقَاهُ اللَّهُ (أى: فَوَقَى اللهُ مؤمنَ آل فرعون) سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ (أى: أحاط) بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ" (غافر 45). هذه المساحة الواسعة تساوى 20 آية من القرآن! تساوى صفحتين ونصف مِن مصحف عثمان! بل إن سورة غافر تُسمَّى أيضاً سورة "المؤمن"، لأنها تنفرد بقصة مؤمن آل فرعون! أى أن القرآن أعطى هذا المؤمن المجهول سورةً باسمه!

والأعجب والأغرب هو أن فرعون – الذي يقولون عنه طاغية (النازعات 17) (طه 24، 43، 45) ومتكبر (غافر 27) – ترك هذا الرجل المؤمن يعرض أفكارَه بكل حرية. بل إن مؤمن آل فرعون قاطع كلامَ فرعون ثلاث مرات (أو بالأحرى: عمل ثلاث خطب دفاعية طويلة أمام المحكمة التى يرأسها فرعون):

- وَقَالَ (القاضى) فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ [...] {26} وَقَالَ (المتهم) مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ [...][6404] {27} وَقَالَ (المحامى) رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ [...] {28} [...]؛
- [...] قَالَ (القاضى) فِرْعَوْنُ [...] {29} وَقَالَ (المحامى) الَّذِي آمَنَ (أى: قال مؤمن آل فرعون) [...] {30} [...] {31} [...] {32} [...] {33} [...] {34} [...] {35}؛

- وَقَالَ (القاضى) فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ [...] {36} [...] {37} وَقَالَ (المحامى) الَّذِي آمَنَ (أى: قال مؤمن آل فرعون) [...] {38} [...] {39} [...] {40} [...] {41} [...] {42} [...] {43} [...] وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ {44}.
- الحُكْم الإلهى: فَوَقَاهُ اللَّهُ (أى: فَوَقَى اللهُ مؤمنَ آل فرعون) سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ (أى: أحاط) بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ {45} [...] {46} [...] {47} [...] إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ {48}.

إننا إذن فى مشهد محاكمة بشرية-إلهية، أرضية-سماوية، سياسية-دينية، وكأننا نراه بأعيننا على المسرح. وبطل هذا المشهد ليس المتهم (موسى) ولا القاضى (فرعون) ولا المستشارين (هامان وقارون)، وإنما البطل هو المحامى (مؤمن آل فرعون) الذى استغل المحاكمة لكى يدافع عن الإيمان ويدعو الناس إلى أفكاره الإيمانية مستخدماً أساليب الترغيب والترهيب. أو كما قال الشيخ الغزالى: "والرجل المؤمن من آل فرعون محام من أقدر المحامين عن قضايا الإيمان، [...]. ودفاعه الموفق، وإن كان عن رسالة موسى إلا أنه دفاع عن رسالات الله كلها"[6405].

إنه بالفعل دفاع عن جميع الأديان، بما فيها المسيحية والإسلام، بدليل أن هذا الجزء مِن سورة غافر (سورة مؤمن آل فرعون) يمتلىء بالعديد من الأفكار والعقائد المتقدمة جداً التى لا تلائم زمان موسى إطلاقاً، مثل: "يَوْمِ الْحِسَابِ" (غافر 27)! "يَوْمَ التَّنَادِ (أى: يوم القيامة)" (غافر 32)! "الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (أى: الخلود)" (غافر 39)! "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ" (غافر 40)! "النَّجَاةِ (أى: الخلاص)" (غافر 41)! "النَّار" (غافر 41، 43)! "الْآخِرَة" (غافر 43)!

إن هذه الأفكار والعقائد المتقدمة جداً تشير إلى جذور مسيحية أو يهودية متأخرة لهذه القصة الإسلامية/العربية.

بالفعل، إن "مؤمن آل فرعون" هو مجرد شخصية خيالية اخترعها أصحابُ القرآن واستوحوها مِن شخصية اليهودى الفَرّيسى "غَمَالائِيل" (Gamaliel). يقول التقليد المسيحى إن غمالائيل آمن بالمسيح فى القرن الأول الميلادى وكتم إيمانه **[← "رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ" (غافر 28)]**. ويقول (أعمال الرسل 5) إن غمالائيل قام أمام "السنهدريم" (Sanhedrin) (أى: المحكمة اليهودية العليا) ليدافع عن رسل المسيح حين أراد قضاة هذه المحكمة أن يقتلوهم **[← تقول سورة غافر إن مؤمن آل فرعون قام أمام فرعون وملئه ليدافع عن موسى حين أراد فرعونُ أن يقتله]**. ويقول (أعمال الرسل 5) إن التهمة الموجهة لرسل المسيح هى أنهم يُعلِّمون باسم ربهم (المسيح) **[← كذلك فى القرآن، كانت التهمة الموجهة لموسى هى أنه يُعلِّم باسم ربه (الله): "يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ" (غافر 28)]**.

إذن: انتزع صاحبُ رواية سورة غافر مشهدَ هذه المحاكمة مِن (أعمال الرسل 5) ووضعه فى (غافر 26-45). ولن ندهش إذا اكتشفنا يوماً أن صاحب رواية (غافر 26-45) – أو على الأقل: الشخص الذى كتبها فى صورتها النهائية – كان أصلاً مسيحياً ثم انضم إلى المسلمين الأوائل.

اقرأ مثلاً أول جملة قالها المحامى فى هذه المحاكمة: "وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" (غافر 28). تُذكِّرنا هذه الجملة التى وضعها أصحاب القرآن على لسان "مؤمن آل فرعون" بالخطبة التى ألقاها غمالائيل أمام السنهدريم ليدافع عن رسل المسيح[6406]: "وَالآنَ أَقُولُ لَكُمْ (يا أيها اليهود): تَنَحَّوْا عَنْ هؤُلاَءِ النَّاسِ (أى: تَنَحَّوْا عَنْ رسل المسيح) وَاتْرُكُوهُمْ (أى: لا تقتلوهم) **[← "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ" (غافر 28)]**! لأَنَّهُ إِنْ كَانَ هذَا الرَّأْيُ أَوْ هذَا الْعَمَلُ مِنَ النَّاسِ فَسَوْفَ يَنْتَقِضُ **[← "إِنْ يَكُ كَاذِبًا (فيما يقول) فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ (أى: عليه وحده عاقبة كذبه، وما قاله لن يحدث، فلا داعى إذن لقتله)" (غافر 28)]**، وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ فَلاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنْقُضُوهُ **[← "وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ (به مِن العذاب حتى لو قتلتوه)" (غافر 28)]**، لِئَلاَّ تُوجَدُوا مُحَارِبِينَ للهِ أَيْضًا **[← "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" (غافر 28)]**" (أعمال الرسل 5:38-39).

ونلاحظ فى الفقرة السابقة ثلاث نقاط هامة:

- فى (أعمال الرسل 5)، احتجّ المحامى (غمالائيل) بأسلوب يُعرَف باسم "التقسيم"، فقال إن الأمر لا يخرج عن احتمالين، وكلاهما لا يوجب قتل المتهمين (رسل المسيح) **[← كذلك فى القرآن: احتجّ المحامى (مؤمنُ آل فرعون) بطريق التقسيم، فقال إن الأمر لا يخرج عن احتمالين، وكلاهما لا يوجب قتل المتهم (موسى رسول الله)]**.
- فى (أعمال الرسل 5)، اعتمد المحامى (غمالائيل) على أسلوب يُعرَف باسم "استدراج المُخاطَب" أو "مجاراة الخصم"، فبدأ دفاعَه بما هو أقرب إلى تسليم الخصوم له، فقدَّم احتمالَ كذب المتهمين (رسل المسيح) على احتمال صدقهم[6407] **[← كذلك فى القرآن: اعتمد المحامى (مؤمنُ آل فرعون) على نفس الأسلوب، فبدأ دفاعَه بما هو أقرب إلى تسليم الخصوم له، فقدَّم احتمالَ كذب المتهم (موسى) على احتمال صدقه: "إِنْ يَكُ كَاذِبًا [...] وَإِنْ يَكُ صَادِقًا [...]" (غافر 28)]**[6408].
- فى (أعمال الرسل 5)، رجَّح المحامى (غمالائيل) احتمالَ صدق المتهمين (رسل المسيح) عندما قال لقومه: "لِئَلاَّ تُوجَدُوا مُحَارِبِينَ للهِ أَيْضًا" (أعمال الرسل 5:39) **[← كذلك فى القرآن: رجَّح المحامى (مؤمنُ آل فرعون) احتمالَ صدق المتهم (موسى) حين قال لقومه: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" (غافر 28)، فلو كان موسى كاذباً لما أيده الله بالمعجزات الدالة على صدقه: "وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ" (غافر 28)]**. قال الفخر الرازى: "فهذا يدل على أن موسى عليه السلام ليس من الكاذبين. [...] ويحتمل أيضاً أن يكون المراد أن فرعون مسرف فى عزمه على قتل موسى، كذاب فى إقدامه على ادعاء الإلهية"[6409]. وسواء كان الكلام رمزاً إلى موسى أو تعريضاً بفرعون، فإنه يُفهَم منه أن مؤمن آل فرعون رجَّح احتمالَ صدق موسى.

انتهت محاكمة رسل المسيح بنجاتهم مِن حُكْم الإعدام الذى أصدره السنهدريم: "وَأَمَّا هُمْ (أى: رسل المسيح) فَذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ (السنهدريم)، لأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ (أى: مِنْ أَجْلِ اسم المسيح). وَكَانُوا لاَ يَزَالُونَ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي الْبُيُوتِ مُعَلِّمِينَ وَمُبَشِّرِينَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (أعمال الرسل 5:41-42) **[← كذلك فى القرآن: انتهت محاكمة موسى بنجاته مِن حُكْم الإعدام الذى أصدره فرعون]**.

إذن: كل الأدلة التى أمامنا تشير إلى أن مشهد محاكمة موسى أمام فرعون وملئه (غافر 26-45) هو مجرد تطور بشرى طبيعى لمشهد محاكمة رسل المسيح أمام السنهدريم (أعمال الرسل 5:27-42).

ونستنتج من المراجع الإسلامية أن أبا بكر الصديق (واحد من أصحاب القرآن) قد اشترك – ربما بطريقة غير مباشرة – فى صناعة شخصية "مؤمن آل فرعون"، بدليل أن عبارة "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ" (غافر 28) التى وُضِعَت على لسان هذا المؤمن المجهول هى عبارة قالها أبو بكر الصديق. نجد ذلك فى حديث صحيح أخرجه البخارى. يقول هذا الحديث إن "عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ" أقبل فأخذ بمَنْكِب محمد ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمَنْكِبه ودفع عن محمد وقال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ[6410].

قال د. صلاح الخالدى: "وهذا يدلُّ على أن سورة غافر كانت قد أُنزلت قبل تلك الحادثة، ولذلك استشهد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتلك الآية من آياتها"[6411].

ونحن نقول له: هذا مجرد احتمال. والاحتمال الثانى هو أن تلك الحادثة قد حدثت أولاً وقال أبو بكر هذه الجملة دفاعاً عن محمد، ثم بعد ذلك وُضِعَت هذه الجملة فى القرآن ونُسِبت إلى مؤمن آل فرعون الذى دافع عن موسى. ونحن نؤيد الاحتمال الثانى، ودليلنا على ذلك هو أننا إذا تتبعنا الكلامَ الذى وضعه أصحابُ القرآن على لسان مؤمن آل فرعون، سنجده كله تقريباً كلاماً إسلامياً/عربياً؛ أو: كلاماً مسيحياً/يهودياً متأخراً وأعيدت صياغته بأسلوب إسلامى/عربى. أو كما قال د. محمد عابد الجابرى إن مؤمن آل فرعون قد تحول "إلى رجل يدعو قومَه إلى الله، فتتماهى دعوته مع الدعوة المحمدية، فصار يتكلم باسم النبى محمد"[6412].

لم ينطق المحامى (مؤمنُ آل فرعون) اسمَ المتهم (موسى)، ولم يُوجِّه كلامَه إلى القاضى (فرعون)، وإنما وَجَّهه إلى قومِه: "يَا قَوْمِ [...] يَا قَوْمِ [...] وَيَا قَوْمِ [...] يَا قَوْمِ [...] يَا قَوْمِ [...] وَيَا قَوْمِ [...]" (غافر 29-41)، وكأنه لا يدافع عن موسى الذى يواجه فرعون، وإنما يدافع عن محمد (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) الذى يواجه قومَه قريش.

باختصار: إن هذا الكلام الذى وضعه أصحابُ القرآن على لسان مؤمن آل فرعون يناسب شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى ولا يناسب مصرَ فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد؛ يناسب عصرَ محمد (موسى الثاني) ولا يناسب عصرَ موسى الأول. والدليل على ذلك هو أن أصحاب القرآن

قد استخدموا تقريباً نفس الأفكار والعبارات والكلمات فى مواضع أخرى من القرآن ليس لها أية علاقة بقصة موسى وفرعون التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage). وهذا دليل داخلى (internal evidence)، أى من داخل القرآن نفسه، كما يوضح الجدول التالى:

جدول 32 – شخصية "مؤمن آل فرعون" التى اخترعها أصحابُ القرآن

اخترع أصحابُ القرآن شخصية "مؤمن آل فرعون" وجعلوه يقول كلاماً ليس فى قصة "موسى وفرعون" التوراتية الأصلية	**إنه كلام إسلامي/عربي (stock phrases) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموه فى مواضع أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بالقصة التوراتية الأصلية!**
"وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (أي: الذين تجمَّعوا بالكثرة والقوة ضد رسلهم). مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ" (غافر 30-31)[6413].	أصحاب القرآن هُمْ الذين كانوا يذكِّرون كفارَ مكة بهلاك أمم الكافرين السابقين؛ وَهُمْ الذين أطلقوا لفظةَ "الأحزاب" على المكذبين للأنبياء والرسل السابقين وأيضاً على المكذبين لمحمد. وهذا في سورة غافر أيضاً! "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ (أي: قبل كفار مكة) قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ" (غافر 5). اقرأ أيضاً: "جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ. كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ (أي: قبل كفار مكة) قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ. وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ" (ص 11-13). وقال موسى؛ بل قال محمدٌ: "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ" (إبراهيم 9).
"يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (أى: يوم القيامة)" (غافر 32). هل كان المصريون القدماء يعتقدون أن "يوم القيامة" هو "يَوْمَ التَّنَادِ"؟!	أصحاب القرآن هُمْ الذين كانوا يعتقدون أن "يوم القيامة" هو "يَوْمَ التَّنَادِ" لأنه "يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي (أى: المَلَك) مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ. يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ (أى: صيحة البعث) بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (مِن القبور)" (ق 41-42) "وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ" (الأعراف 44) "وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ" (الأعراف 50). اقرأ أيضاً (الأعراف 46-48). وقيلت أسباب أخرى.

"يَوْمَ (القيامة) تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ" (غافر 33). وقال ابن الجوزى فى تفسير "يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ": "فيه قولان. أحدهما: هرباً من النار. والثانى: أنه انصرافهم إلى النار"[6414].	"مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ [...] أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (يونس 27)
"وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" (غافر 33)	"وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" (الرعد 33) (الزمر 23) (الزمر 36) "مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ" (الأعراف 186)
"الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ" (غافر 35)	"فَاصْبِرْ (يا محمد) إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ [...]. إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ" (غافر 55-56) "أَلَمْ تَرَ (يا محمد) إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ" (غافر 69). بل نستطيع أن نقول إن سورة غافر هى سورة النهى عن الجدال فى "آيات الله" (غافر 4-5).
"يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ" (غافر 39). **وزعم القرآنُ أن هذا الكلام موجود فى التوراة (أو ما يُسمَّى بـ "صحف موسى"):** "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى. إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" (الأعلى 16-19)	"قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى" (النساء 77) "فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ" (التوبة 38) "وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ" (الرعد 26) "وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ" (الأنعام 32) "وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى" (الضحى 4)؛ (يوسف 109) (النحل 30) (الحديد 20) (العنكبوت 64)
"مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ" (غافر 40)	"مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً. وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً" (النساء 123-124)؛ "مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا" (مريم 60)
"تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ" (غافر 42)	"وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا" (العنكبوت 8)

	"وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا" (لقمان 15)
"فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ" (غافر 44)	"فَذَكِّرْ (يا محمد) إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ" (الغاشية 21) "فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ" (آل عمران 20)

إذن: شخصية "مؤمن آل فرعون" شخصية خيالية خلقها أصحابُ القرآن. والكلام الذى وُضِع على لسانه ليس حدثاً تاريخياً، وإنما هو مجرد بيان دعوى أو عظة دينية أو خطبة بليغة ألّفها أصحابُ القرآن وجمعوا فيها الترغيبَ والترهيبَ، بهدف النهى عن الجدال فى القرآن الذى يقوله محمد (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) وينسبه إلى الله. هذه الخطبة القرآنية موجهة لغير المؤمنين بصفة عامة ولأهل مكة بصفة خاصة[6415]. ألّف أصحابُ القرآن هذه الخطبة مستخدمين نفس الأفكار والعبارات والكلمات التى استخدموها فى مواضع أخرى من كتابهم "القرآن".

إن "مؤمن آل فرعون" ليس شخصاً حقيقياً عاش فى مصر فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد، وإنما هو مجرد شخصية أدبية عاشت فى خيال أصحاب القرآن فى مكة فى القرن السابع الميلادى.

يبقى سؤال: لماذا أدخل صاحبُ (غافر 23-46) هذا المؤمن المجهول فى قصة موسى وفرعون؟

الإجابة: ربما أراد أن يبرز التضاد الشديد بين شخصية "مؤمن آل فرعون" من ناحية وشخصيات "فرعون" و "هامان" و "قارون" مِن ناحية أخرى، وبصفة خاصة التضاد الشديد بين شخصية "مؤمن آل فرعون" - الذى كان مِن قوم فرعون ومع ذلك وقف فى صف موسى - وشخصية "قارون" الذى كان مِن قوم موسى ومع ذلك وقف فى صف فرعون. أو ربما أراد أن يُوضِّح الفرقَ بين نهاية هذا المؤمن الطيبة ونهاية فرعون السيئة: "فَوَقَاهُ اللَّهُ (أى: فَوَقَى اللهُ مؤمنَ آل فرعون) سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ" (غافر 45). أو ربما أراد أن يُشجِّع المسلمين الأوائل الذين كانوا يكتمون إيمانهم فى مكة على أن يجهروا بإيمانهم دون خوف. ونحن نميل إلى هذا الرأى الأخير، لا سيما أن الديانة المسيحية لا تبيح كتمان الإيمان أو إنكاره (متى 33:10) (لوقا 9:12).

نستطيع إذن أن نقول إن صاحب (غافر 23-46) قد وضع بصمة إسلامية/عربية على قصة موسى وفرعون، وفى الوقت نفسه وضع بصمة مسيحية على كتاب "القرآن" العربى.

خلاصة كل ما سبق: ما فعله أصحاب القرآن (أو أجدادهم العرب) لتأليف قصة فرعون وهامان وقارون ومؤمن آل فرعون هو ما يلى:

- انتزعوا برجَ بابل من سفر التكوين، ووضعوه مع فرعون وموسى، وأسموه "صَرْحاً".
- انتزعوا هامانَ مِن سفر أستير، ووضعوه مع فرعون وموسى.
- انتزعوا قُورَح من سفر العدد، ووضعوه مع فرعون وموسى، وأسموه "قارون".
- انتزعوا غمالائيل (اليهودى المؤمن الذى يكتم إيمانه) من سفر أعمال الرسل والتقليد المسيحى، ووضعوه مع فرعون وموسى، وأسموه "رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ".

4.31.5 جذور القرآن فى تراث الشرق الأدنى القديم

أشرنا فيما سبق إلى الجذور العميقة لـ "برج بابل" و "صَرْح فرعون" وقصة قارون (قُورَح) الذى ابتلعته الأرضُ. وأوضحنا أن مضمون هذه القصص يضرب بجذوره فى أعماق التراث الدينى للشرق الأدنى القديم، سواء فى معابد بلاد ما بين النهرين أو الأساطير والمعتقدات الكنعانية القديمة.

أما الآن، فنركز على الشكل، أى على أسلوب "القص واللصق" الذى اتبعه أصحابُ القرآن فى تأليف قصة فرعون وهامان وقارون ومؤمن آل فرعون. نقصد: أسلوب الاستعارات الأدبية، ودمج قصتين مستقلتين أو أكثر فى قصة واحدة (conflation of two or more originally independent elements)، حتى لو أدى ذلك إلى مفارقات تاريخية و/أو جغرافية. نقصد أن تأخذ شخصية أو فكرة من قصة معينة وتضعها في قصة أخرى في زمان آخر وفي مكان آخر.

إن ما فعله أصحابُ القرآن لتأليف هذه القصة الخيالية ليس أمراً غريباً ولا حتى جديداً. فلقد كانت المفارقات التاريخية/الجغرافية والاستعارات الأدبية ودمج القصص أمراً عادياً – بل عادياً جداً – فى كثير من أساطير الشرق الأدنى القديم قبل ظهور الإسلام، مما يدل على أن القرآن هو مجرد تطور بشرى طبيعى لهذه الأساطير الشرقية، سواء مِن حيث المضمون أو من حيث الشكل. بعبارة أخرى: لم يخترع أصحابُ القرآن أسلوباً جديداً فى التأليف، وإنما ما صنعوه كان سمة مِن سمات الأدب الدينى فى عصرهم، والعصور التى قبله.

والدليل على ذلك هو أن أصحاب القرآن ليسوا هُمْ أول مَن يجمع أو يخلط (conflate) شخصيات أو أحداث لا علاقة لها ببعضها ويضعها سوياً فى قصة واحدة. والأمثلة على ذلك كثيرة[6416]، لكننا سنكتفى بثلاثة أمثلة فقط. وسيقتصر حديثنا على الأساطير التى لها علاقة بفرعون، وإن كنا سنشير إشارة سريعة إلى أسطورة "لقمان الحكيم" المذكورة فى التراث العربى والقرآن (سورة لقمان).

المثال الأول: الأسطورة الأشورية "قصة أحيقار" (Story of Ahikar)؛ و "سفر طوبيًّا (طوبيت)" (Book of Tobias (Tobit)) وهو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha).

كما قلنا فيما سبق، توجد تشابهات كثيرة بين قصص موسى ويوسف وأستير – ونضم إليهم الآن طوبيت وأحيقار[6417] – مما يسمح بانتقال الأفكار بسهولة وسلاسة من قصةٍ إلى أخرى.

نبدأ بقصة أحيقار الحكيم. وُجِدَت أقدم مخطوطة لقصة أحيقار في جزيرة الفيلة (Elephantine) في صعيد مصر حيث كانت جالية يهودية تعيش. وهى مخطوطة باللغة الآرامية، ويرجع تاريخ المخطوطة إلى القرن الخامس قبل الميلاد[6418]، أى تقريباً فى نفس الفترة التى تدور فيها أحداث سفر أستير (قصة هامان) فى فارس. وكانت مصر حينئذ خاضعة للاحتلال الفارسى.

تدور أحداث قصة أحيقار[6419] فى القرن السابع قبل الميلاد. وتقول هذه القصة إن أحيقار الحكيم كان مُساعِداً للملك الأشورى "سَنْحَاريب" (Sennacherib) (عهده: 705-681 ق.م). ولم يكن لأحيقار أبناء، لكن كان له ابن أخت اسمه "نادِن" (Nadin)، فتبناه أحيقارُ ودرَّبه وعَلَّمه كلَ الحكمة لكى يمسك منصبه فى البلاط الملكى. ولذلك فإن الجزء الأكبر مِن هذه الأسطورة الشهيرة هو عبارة عن مجموعة مِن الحِكم والنصائح التى يقولها أحيقارُ الحكيم لابنه نادِن، وهى تشبه إلى حد كبير أسطورة "لقمان الحكيم" المذكورة فى التراث العربى والقرآن. على سبيل المثال. قال أحيقارُ لابنه وَهُوَ يَعِظُهُ: "يَا بُنَيَّ [...] إذا أردت أن ترتفع فتواضع أمام الله الذى يخفض المرتفع ويرفع المتواضع"[6420] **[⟵ "قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ [...] لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا (أى: بِالْخُيَلَاءِ) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (لقمان 13-18). اقرأ أيضاً: "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (الحديد 23) "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا" (النساء 36)].**

بعد موت سنحاريب، صار ابنه "أَسَرْحَدُّون" (Esarhaddon) مَلِكاً (عهده 681-669 ق.م). ومع قيام هذا الملك الجديد على أشور، بدأت المشكلات فى حياة أحيقار[6421]. أراد نادِن أن يتخلص مِن أحيقار، فاتهمه ظلماً بالخيانة العظمى. فرُمِى أحيقارُ فى السجن وحُكِم عليه بالإعدام. وظَنَّ نادِن أن أحيقار قد مات. لكن فى الحقيقة، أحيقار لم يمت، إذ أن شخصاً آخر قد أُعدِم بدلاً منه[6422]، واختبأ أحيقار بعيداً عن الأنظار.

بعد ذلك، يظهر فرعون ملك مصر فى قصة أحيقار. قال نادِنُ لفرعون إن أحيقار قد مات. فتحدى فرعونُ الملكَ الأشورى إن كان يستطيع أن يرسل إلى مصر رجلاً لبناء برج (أو: قصر) بين الأرض والسماء **[⟵ "قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ" (غافر 36-37)]**. ويبدو أن فرعون كان واثقاً مِن أن ملك أشور سيفشل فى هذا التحدى، لأن الرجل الوحيد الذى يستطيع بناء هذا البرج هو أحيقار الحكيم؛ ونادِن قال إن أحيقار قد مات. لكن لمَّا علم أحيقارُ بهذا التحدى بين ملك مصر وملك أشور، خرج مِن مخبأه وذهب إلى مصر وبنى هذا البرج لفرعون (أو: بدأ بناءه). وبذلك كسب ملكُ أشور التحدىَ، وأكرم أحيقارَ، ورمى نادِنَ فى السجن عقاباً له.

هذا الجزء السابق الخاص بفرعون وبرجه لا يظهر فى مخطوطة فيلة الآرامية، لكنه يظهر فى مخطوطات سريانية يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن الثانى والثالث عشر بعد الميلاد. لكن يتضح مما قاله (Prof. Adam Silverstein) و (Prof. Gabriel Said Reynolds) أن تاريخ هذه الإضافات السريانية يسبق الإسلام[6423]. ولا عجب فى ذلك، إذ أنه مِن المعلوم أن تاريخ أقدم مخطوطة ليس هو بالضرورة تاريخ تأليف الأسطورة، فالأجيال المتعاقبة تتوارث هذه القصص الشعبية (كما توراثوا "ألف ليلة وليلة" و "كليلة ودمنة" وغيرها من الحواديت) شفوياً أولاً ثم بعد ذلك تُكتَب فى مخطوطات. وربما يكون هناك مخطوطات أقدم، لكنها مفقودة أو لم يعثر عليها العلماء حتى الآن.

وفى هذه المخطوطات السريانية، تطور اسم "نادِن" (Nadin) تطوراً بشرياً طبيعياً، فصار "نادان" (Nadan). والجزء الأكبر مِن النص السريانى هو عبارة عن مجموعة من الحِكم والنصائح التى يقولها أحيقار الحكيم لابنه نادان، وهى تشبه إلى حد كبير أسطورة "لقمان الحكيم" المذكورة فى التراث العربى والقرآن. على سبيل المثال، قال أحيقار لابنه وَهُوَ يَعِظُهُ: "يَا بُنَيَّ [...] اخفض صوتك [...] فإنه لو كان المرء يستطيع أن يبنى بيتاً بالصوت العالى المرتفع لكان الحمار يستطيع أن يبنى دارين فى يوم واحد"[6424] **[⟵ "قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ [...] اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" (لقمان 13-19)]**. وكالعادة، احتار المفسرون المسلمون[6425] فى اسم ابن لقمان. قيل: "ثاران"؛ وقيل: "ماثان"؛ وقيل غير ذلك. وليس لدينا أدنى شك أن "ثاران" و "ماثان" هما مجرد تطور بشرى طبيعى لاسم "نادان".

ننتقل الآن إلى سفر طوبيَّا الذى هو بالتأكيد يسبق الإسلام، إذ يعود تاريخه إلى القرن الثالث أو الثانى قبل الميلاد (حوالى 200 ق.م)، أى قبل الإسلام بأكثر من 700 سنة. وهذا السفر هو عبارة عن رواية شعبية (novella) تحكى قصة "طوبيت" (Tobit) وابنه "طوبيَّا" (Tobias)[6426]. ويزعم كاتبُ هذا السفر – الذى لا نعرف مَن هو – أن أحيقار هو ابن أخي طوبيت (طوبيَّا 1:21)! هكذا بكل سهولة وحرية كانوا يُدخِلون قصةً في قصةٍ أخرى.

وفى الإصحاح الرابع مِن هذه الرواية الشعبية، نجد وصايا طوبيت لابنه طوبيَّا، حيث يوصيه بإكرام الوالدين، وبخاصة أمه التى تحملت كثيراً مِن الأخطار أثناء فترة الحمل. يقول طوبيت لابنه: "إذا مُتُّ يا ابنى فادفنى بكرامة، كذلك أكرم والدتك، ولا تتركها فى ضيقٍ كل أيام حياتها. أطِعْها فى كل ما تعمل، ولا تُحزنها، واذكر يا ابنى أنها تعرضت كثيراً للأخطار مِن أجلك وأنت فى أحشائها" (طوبيَّا 4:3-4)[6427] **[⟵ "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ" (لقمان 14) "حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا (أي: على مشقة وتعب) وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا" (الأحقاف 15)]**[6428]. وفى نفس الإصحاح الرابع (طوبيَّا 4:17)، ذَكَرَ الكاتبُ وصيةً يُمكِن أن نعتبرها تطوراً بشرياً طبيعياً لإحدى وصايا أحيقار، إلا أن هذا الكاتب المجهول لم يذكر اسم أحيقار.

أما فى الإصحاح الرابع عشر مِن سفر طوبيَّا، أشار الكاتبُ إلى قصة أحيقار وذَكَرَ "أحيقار" صراحةً باسمه، إلا أنه وَضَعَ اسم "هامان/آمان (Aman)" مكان "نادان"؛ وبعض المخطوطات احتفظت باسم "نادان"، وبعضها جعله "ناداب" (Nadab).

السؤال: لماذا وُضِع اسم "هامان/آمان/ناداب" مكان "نادان"؟ الأسباب المحتملة هى:

- تشابه الأسماء: "(هـ) ا م ا ن" و "ن ا د ا ن/ب".
- هامان ونادان شخصيتان شريرتان. أما "ناداب" – ابن هارون، أى: ابن أخى موسى – فكانت نهايته سيئة للغاية: قتله الربُّ حرقاً بالنار عقاباً له (اللاويين 10:2) (العدد 26:61).
- عُوقِب نادانُ بنفس العقوبة التى أرادها لأحيقار. إذ يقول طوبيت لابنه طوبيَّا: "وتذكر يا ابنى ما فعله آمانُ (نادانُ/ناداب) بأحيقار الذى ربّاه، كيف جازاه شراً بإلقائه حياً فى ظلمة القبر (أى: رَمَى أحيقارَ فى السجن وقال إن أحيقار قد مات)، ولكن أحيقار نجا مِن هذه الظلمة، وفيها سَقَطَ آمانُ (نادانُ/ناداب) وهَلَكَ" (طوبيَّا 14:10)[6429]. وكذلك عُوقِب هامانُ بنفس العقوبة التى أرادها لمُرْدَخَاى: "فَصَلَبُوا (أي: شنقوا؛ عَلَّقوا) هَامَانَ عَلَى الْخَشَبَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمُرْدَخَايَ" (أستير 7:10). وكذلك عُوقِب فرعون بنفس العقوبة التى أرادها لبنى إسرائيل: أراد أن يُهلِك الأبناء الذكور بإلقائهم فى مياه النهر، فهَلَكَ هو غرقاً فى مياه البحر؛ وأراد مِن هامان أن يبنى صرحاً مِن الطين لكى يصعد إلى السماء، فهبط إلى الطين فى قاع البحر. إذن: الدرس الأخلاقى فى جميع هذه القصص الشرقية (أحيقار، أستير، طوبيَّا، القرآن) هو نفس الدرس: "الجزاء مِن جنس العمل" أو "مَن حفر حفرة لغيره وقع فيها". أو كما يقول الكتاب المقدس: "مَنْ يَحْفِرُ حُفْرَةً يَسْقُطُ فِيهَا، وَمَنْ يُدَحْرِجُ حَجَرًا يَرْجِعُ عَلَيْهِ" (الأمثال 26:27)؛ (المزامير 57:6). أو كما قال صاحبُ آخر رواية قرآنية: "وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ [...] اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ [...]. **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ** (أى: كَانَتْ عُقُوبَته بِمَا يُنَاسِبهُ)" (العنكبوت 39-40).
- وإنْ قلتم: ربما كان كاتب سفر طوبيَّا يقصد هامان آخر غير ذلك المذكور فى سفر أستير. سنقول: أولاً: لم نجد فى التراث اليهودى هامان آخر غير ذلك المذكور فى سفر أستير. ثانياً: فى نفس الإصحاح الرابع عشر مِن سفر طوبيَّا، ذَكَرَ الكاتبُ الملكَ "أَحَشْوِيرُوش" (طوبيَّا 14:15). أى أن كاتب هذا السفر ذَكَرَ أحيقار الذى دَرَّب نادان وعَلَّمه لكى يمسك منصباً عظيماً فى القصر الملكى، ثم ذَكَرَ بعد ذلك مباشرةً أَحَشْوِيرُوش الذى عَظَّمَ هَامَانَ وَرَقَّاهُ حتى صار الرجل رقم 2 فى القصر الملكى (أستير 3:1). وهذا يدل على أن كاتب سفر طوبيَّا كان يضع فى ذهنه هامان المذكور فى سفر أستير وليس هامان آخر[6430].

باختصار: أشار سفر طوبيَّا إلى قصة أحيقار، إلا أنه وَضَعَ "هامان" مكان "نادان". وهذه استعارة أدبية، وأيضاً مفارقة تاريخية، لأن زمان هامان (سفر أستير) هو القرن الخامس قبل الميلاد بينما زمان نادان (قصة أحيقار) هو القرن السابع قبل الميلاد. أى توجد حوالى 200 سنة تفصل بين هامان ونادان.

أما النسخة القرآنية (العربية) لهذه الأسطورة الشرقية القديمة، فلم تضع "هامان" مكان "نادان"، وإنما وضعت "هامان" مكان "أحيقار" نفسه[6431]. والأسباب المحتملة لهذه الاستعارة الأدبية هى:

- كان أحيقار الحكيم مُساعِداً لملك أشور، وكذلك كان هامان القرآنى مُساعِداً لملك مصر.
- وظيفة أحيقار الحكيم فى البلاط الملكى هى "ummānu"، وهى كلمة تحمل معانى الحكمة (wisdom) والمهارة فى الصَنعة (craftsmanship)[6432]. ومما لا شك فيه إن بناء برج أو قصر **[← "صَرْحًا" (غافر 36) (القصص 38)]** يتطلب مهارة وحكمة. وإنه لمن الطريف أن "ummānu" يشبه اسم (أو: لقب) "آمانُ/هامانُ".
- حسب الإضافات السريانية، التى نعتقد أنها سبقت الإسلام، أحيقار الحكيم هو الذى كُلِّفَ ببناء البرج لفرعون **[← هامانُ (ummānu) هو الذى كُلِفَ ببناء الصرح لفرعون: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ (ummānu) ابْنِ لِي صَرْحًا" (غافر 36) "وَقَالَ فِرْعَوْنُ [...] فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ (ummānu) عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا" (القصص 38)]**.

مما سبق يتضح أن كاتب سفر طوبيَّا قد انتزع هامان مِن سفر أستير ووضعه فى قصة أخرى، هى قصة أحيقار. وهو بالضبط ما فعله أصحاب القرآن: انتزعوا هامان مِن سفر أستير ووضعوه فى قصة أخرى، هى قصة موسى وفرعون. وكلاهما (طوبيَّا، القرآن) استعارة أدبية، وأيضاً مفارقة تاريخية: زمان هامان وأستير هو القرن الخامس قبل الميلاد؛ زمان نادان وأحيقار هو القرن السابع قبل الميلاد؛ زمان موسى وفرعون هو القرن الثالث عشر أو الخامس عشر قبل الميلاد. والدرس الأخلاقى فى جميع هذه القصص الشرقية (أحيقار، أستير، طوبيَّا، القرآن) هو نفس الدرس: "الجزاء مِن جنس العمل" أو "مَن حفر حفرة لغيره وقع فيها". أو كما يقول الكتاب المقدس: "مَنْ يَحْفِرُ حُفْرَةً يَسْقُطُ فِيهَا، وَمَنْ يُدَحْرِجُ حَجَرًا يَرْجِعُ عَلَيْهِ" (الأمثال 27:26)؛ (المزامير 6:57). أو كما قال صاحبُ آخر رواية قرآنية: "وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ [...] اسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ [...]. **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ** (أى: كَانَتْ عُقُوبَته بِمَا يُنَاسِبهُ)" (العنكبوت 39-40).

هكذا كانت الأمور فى الشرق الأدنى القديم قبل الإسلام. تُؤخَذ شخصية من أسطورة ثم توضع فى أسطورة أخرى، مع تغيير الاسم/اللقب، وأحياناً مع الاحتفاظ بنفس الاسم/اللقب. ولمَّا جاء أصحابُ القرآن، لم يخترعوا شيئاً جديداً، وإنما ساروا على درب مَن سبقوهم، وفعلوا مثل أسلافهم، فأخذوا عنصراً أو أكثر من أسطورة، ووضعوه فى أسطورة أخرى، وحذفوا ما يتعارض مع الإسلام، وأضافوا أفكاراً وعبارات إسلامية/عربية – أو ما نسميه بعمليتي "الأسلمة" و "التعريب"، فاستطاعوا بذلك تأليف أسطورة جديدة ثم وضعوها فى كتابهم العربى المُسمَّى "القرآن". على سبيل المثال، أصحابُ القرآن (أو أسلافُهم المُوحِّدين مثل اليهود) حذفوا مِن أسطورة أحيقار كل ما يتعلق بآلهة أخرى غير الإله الواحد، ووضعوا مكانها عبارات تؤكد عقيدة التوحيد، فصارت فى القرآن العربى: "وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" (لقمان 13). وهكذا صارت الأسطورة الشرقية القديمة ملائمة لبيئتها الإسلامية/العربية الجديدة.

الفرق الوحيد هو أن الذين ألَّفوا هذه الأساطير الشرقية القديمة لم يدعوا أن أساطيرهم من عند الله. أما أصحاب القرآن فلقد ادعوا (أو ظنوا) أن كتابهم كلام الله. ونحن نقول: الله منه براء. إن القرآن كلام بَشر وليس كلام الله. وكل ما حدث هو أن التراث الدينى والأدبى للشرق القديم قد تطور تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة، وتدريجياً بمرور الزمن صار بالصورة التى نراها فى القرآن.

ننتقل الآن إلى المثال الثانى، وهو مِن التلمود البابلى (Sotah 11a; Sanhedrīn 106a)[6433] الذى يقول إن ثلاثة رجال قد اشتركوا مع فرعون فى اضطهاد بنى إسرائيل قبل ميلاد موسى. هؤلاء الرجال الثلاثة هُمْ:

- "بَلعام" (Balaam) اقترح على فرعون أن يطرح الأبناءَ الذكور فى النهر ليُقتَلوا غرقاً ويترك الإناث أحياء. فكان جزاء بلعام بعد ذلك هو القتل.
- "أيوب" (Job) سكت على اضطهاد بنى إسرائيل ولم يقاوِم فرعونَ. فعُوقِب أيوبُ بالمرض والمعاناة.
- "يَثرون" (Jethro) – أى: رَعُوئِيل (Reuel) – حاول أن يمنع هذا الاضطهاد لكنه فشل، فغَضَبَ عليه فرعونُ وطرده مِن مجلسه خائباً، فهرب يَثرون مِن مصر إلى موطنه مِديان.

وتقول أساطير يهودية أخرى إن يَثرون (Jethro) المِديانى كان واحداً مِن سحرة فرعون المصرى أو مِن ملئه، ثم اعتنق اليهودية (became a proselyte to Judaism)[6434]!

وطبعاً كل هذا مستحيل مِن الناحيتين التاريخية والجغرافية، لكنه ممكن مِن الناحيتين الأدبية والخيالية. فَمِن حق المؤلِّف أو الروائى أو الفنان أن يسرح بخياله كيف ما يشاء. وهذا ما فعله أصحابُ القرآن حين جعلوا هامان وقارون يشتركان مع فرعون فى اضطهاد بنى إسرائيل بنفس الطريقة، أى قتل الأبناء الذكور وترك الإناث أحياء، حين كان موسى رجلاً كبيراً ورسولاً إلى فرعون. وهذا – كما شرحنا – مستحيل تاريخياً وجغرافياً، لكنه ممكن أدبياً وفنياً.

ليس هذا فحسب، بل إننا نلاحظ أن جزاء بلعام وأيوب ويثرون كان مناسباً وملائماً لِمَا فعله كلُ واحد منهم. بلعام أراد أن يقتل أبناءَ بنى إسرائيل الذكور، فكانت عقوبته هى القتل. أيوب ترك الأمرَ فى يدى فرعون ليفعل ببنى إسرائيل ما يشاء، فكان جزاؤه هو المرض فقط. أما يثرون الذى أراد أن يُخلِّص بنى إسرائيل ويُريحهم، فكان جزاؤه حسناً، إذ نجا مِن الهلاك وصار يهودياً وتزوجت ابنتُه مِن موسى. إذن: الدرس المستفاد مِن مجموع هذه الإسرائيليات هو "الجزاء مِن جنس العمل" أو "مَن حفر حفرة لغيره وقع فيها". أو كما يقول الكتاب المقدس: "مَنْ يَحْفِرُ حُفْرَةً يَسْقُطُ فِيهَا، وَمَنْ يُدَحْرِجُ حَجَرًا يَرْجِعُ عَلَيْهِ" (الأمثال 26:27)؛ (المزامير 6:57). وهو نفس الدرس المستفاد مِن الأسطورة القرآنية التي تقول آخر رواياتها: "وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ [...] اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ [...]. فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ (أى: كَانَتْ عُقُوبَته بِمَا يُنَاسِبهُ)" (العنكبوت 39-40). وكما

نقول دائماً: الإسرائيليات عنصر أساسي مِن عناصر تكوين القرآن. فلولا الإسرائيليات، لَمَا استطاع العربُ أن ينتجوا القرآن.

ويقول التلمود البابلى فى موضع آخر (Moed Qatan 18a) إن فرعون الذى حَكَمَ مصر فى زمان موسى كان "مجوسياً"[6435]! ومِن المعلوم أن المجوس كانوا يعيشون فى فارس. إذن: هذا يُذكِّرنا بما فعله أصحابُ القرآن حين جعلوا هامان الفارسى مرافقاً لفرعون المصرى!

بل إن بعض الأساطير اليهودية قد ربطت بين هامان وقُورَح (قارون)[6436]! وتقول أسطورة يهودية أخرى إن "دَاثَان" (Dathan) وَ "أَبِيرَام" (Abiram) – صاحبى قُورَح (قارون) – هما اللذان أخبرا فرعونَ أن موسى قتل المصرىَ، ولذلك حكم فرعونُ على موسى بالإعدام[6437]! وهذا أيضاً يُذكِّرنا بما فعله أصحابُ القرآن حين جمعوا بين هامان وقارون وفرعون فى أسطورة قرآنية واحدة!

وكأن أصحاب القرآن حين قالوا "فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ" (غافر 24) "قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ" (العنكبوت 39) قد أرادوا – بطريقة أدبية وليس تاريخية – أن يجمعوا (conflate) فى نفس الآية بين ثلاثة مِن أعداء الله: "فرعون" المصرى؛ "هامان" الفارسى؛ "قارون" الإسرائيلى. وما يهمنا هو أن أصحاب القرآن ليسوا هُمْ أول مَن قام بهذا الجمع والخلط (conflation)، فلقد كان ذلك أمراً عادياً – بل عادياً جداً – فى الأعمال الأدبية التى أنتجها سكان الشرق الأوسط قبل ظهور الإسلام، واستمر أيضاً بعد ظهور الإسلام، وما زال مستمراً إلى اليوم[6438]. وما القرآن إلا تطور بشرى طبيعى لكل الروايات الأدبية الشرقية القديمة التى ظهرت قبله. وما يهمنا أكثر هو التأكيد على أن كل هذه الأعمال الأدبية – بما فيها القرآن نفسه – هى مجرد روايات أدبية فنية، وليست تاريخاً على الإطلاق. نعم، نحن نقول بكل ثقة إن قصة "فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ" المذكورة فى القرآن هى قصة أدبية، ولا يمكن أبداً أن نعتمد عليها لمعرفة الأحداث التاريخية. نعم، نحن على يقين أن قصة "قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ" المذكورة فى القرآن هى قصة أدبية وليست تاريخية. وهذا اليقين لم يأتِ مِن فراغ، وإنما أتى بُناء على كل الأدلة القاطعة التى أمامنا، سواء أدلة داخلية (internal evidence) مِن القرآن نفسه، أو أدلة خارجية (external evidence) مِن تراث الشرق الأدنى القديم. ونعتقد أن أى إنسان مُنصِف سيصل معنا إلى نفس النتيجة: القرآن كلام بشر صنعه العربُ بأيديهم.

أما المثال الثالث والأخير فهو مِن رؤيا باروك اليونانية (Greek Apocalypse of Baruch) الذي يُسمَّى أيضاً سفر باروخ الثالث (3 Baruch) وهو أحد كتب سوديبجرافا العهد القديم ويرجع تاريخه إلى ما بين القرنين الأول والثالث بعد الميلاد على الأرجح. يتحدث هذا السفر عن رحلة صعود (معراج) قام بها باروخ إلى السماء فى صحبة ملاك ثم عاد إلى الأرض[6439]. وفى السماء الثانية، شاهد باروخ مخلوقات غريبة تشبه الكلاب. ولمَّا سأل باروخُ الملاكَ "مَن هؤلاء؟"، قال الملاكُ إنهم الذين أرادوا بناء برج (بابل) ليصلوا إلى السماء فأجبروا رجالاً ونساءً كثيرين على عمل الطوب. وكانت إحدى النساء العاملات حامل

واقترب زمن الولادة، ورغم ذلك لم يتركوها تمضى لتضع مولودها فى بيتها، فوضعته وهى تعمل، واستمرت فى عمل الطوب. فعاقبهم اللهُ وأفشل مشروعَهم وأصابهم بالعمى وبلبلة الألسنة وجعلهم فى الصورة التى رآها باروخ.

وفى القرن الخامس الميلادى، تحدثت أسطورة سريانية عن اضطهاد بنى إسرائيل فى مصر حين كان فرعون يُسخِّر بنى إسرائيل فى أعمال البناء قبل ميلاد موسى. واستخدمت هذه الأسطورة السريانية نفس الفكرة المذكورة فى سفر باروخ الثالث: امرأة حامل تُجبَر على أن تضع مولودها وهى تعمل، ثم تستمر فى عمل الطوب. أى أن مُؤلِّف هذه الأسطورة السريانية أخذ فكرة من أسطورة قديمة عن برج بابل ووضعها فى أسطورته الجديدة المتعلقة بأعمال البناء التى قام بها فرعون[6440]. وهذا ما فعله أصحاب القرآن حين أخذوا عناصر من قصة برج بابل (مثل: الطين المشوى والوصول إلى السماء ... الخ) ووضعوها فى أسطورة جديدة متعلقة بصرح فرعون/هامان (القصص 38) (غافر 36-37).

نعتقد أن الأمثلة الثلاث التى ذكرناها تكفى لتوضيح الحرية الكبيرة التى كان سكان الشرق القديم يتمتعون بها قبل الإسلام. وتوجد أمثلة أخرى، ليس فقط في الآداب، وإنما أيضاً في الفنون. على سبيل المثال، توجد في معبد "دورا أوربوس" (Dura-Europus) (القرن الثالث الميلادي؛ على نهر الفرات في سوريا) لوحات فنية تظهر موسى وهامان، بل تظهر فرعون وهو يرتدي زياً فارسياً[6441]! فَمِن المحتمل أن أصحاب القرآن (أو أجدادهم العرب) قد رأوا هذه اللوحات في رحلاتهم التجارية إلى الشام، ولذلك ظنوا أن هامان كان معاصراً لموسى وتوهموا أن فرعون له علاقة بحُكَّام فارس.

الخلاصة: مِن المؤكد أن سكان الشرق القديم قبل الإسلام كانوا يتمتعون بقدر كبير من الإبداع والحرية الفكرية في آدابهم وفنونهم، وبخاصة في المناطق الشرقية البعيدة عن السلطات المركزية في روما والقسطنطينية. فلقد كانوا ينقلون الشخصيات والأحداث عشرات أو مئات الأميال وعشرات أو مئات السنين مِن أسطورة إلى أخرى بدون أدنى حرج. وكأن كل شخصية هى مجرد فكرة أدبية (topos) تحلق دائماً فى الهواء (dans un milieu arien) ولا ترتبط بزمان أو مكان معين، ولا ترتبط حتى بشعب أو دين معين، وبذلك يمكن استدعاؤها بسهولة – وتغييرها وإعادة بنائها (remodeling) إذا لزم الأمر – لتأليف أسطورة جديدة فى دين جديد.

ولعل هذا يُفسِّر لنا لماذا لا يذكر القرآنُ الزمانَ والمكانَ وأسماءَ الأشخاص. إنه نَص أدبى (literary text)، إنه كتاب أدب وخيال وليس كتاب تاريخ وعِلم. إنه مُنتَج بشرى وليس إلهى. إنه مُنتَج ثقافي

(cultural artifact) أنتجه العربُ فى القرن السابع الميلادى، كما أنتج سكانُ الشرق القديم كل هذه الأساطير الأدبية واللوحات الفنية فى القرون السابقة.

علينا جميعاً أن نقرأ القرآن ككتاب أدب وليس ككتاب تاريخ. إذا قرأنا القرآن ككتاب تاريخ، سنتوقف طويلاً أمام أخطاء تاريخية كبيرة وكثيرة. أما إذا قرأنا القرآن ككتاب أدب، فسنستمتع به.

ونحن لا نلوم العرب على أنهم أنتجوا القرآن. وإنما نلومهم على أنهم زعموا أن القرآن كلام الله، وكَفَّروا وقاتلوا وسفكوا دماء مَن لم يؤمن بهذا الكتاب العربي البشري.

4.32 فَأَرْسَلْنَا الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ على آل فرعون

بعد هذه الرحلة الطويلة التى قضيناها فى بابل (مع نمرود) وفارس (مع هامان) وسيناء (مع قارون)، نعود مرة أخرى إلى مصر (مع موسى وفرعون). لكننا للأسف نكتشف أن الله ضرب مصرَ عشر ضربات (The Ten Plagues of Egypt)!

أشار القرآنُ إلى هذه الضربات العشر، وإن أسماها "الآيات التسع"، فى أربع روايات هى حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن[6442]:

قال صاحب رواية سورة الأعراف: وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ (أى: الجدب والقحط) وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ {130} فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ (فهى ثمرة علمنا وعملنا؛ أى: نحن نستحقها) وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا (أى: يتشاءموا) بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ (أى أن الله هو الذى أصابهم وابتلاهم، وليس موسى أو غيره) وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {131} وَقَالُوا (لموسى) مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ {132} فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ {133} وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ (أى: العذابُ) قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ {134} فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (أى: ينقضون عهدهم) {135}.

وقال صاحب رواية سورة النمل: وَأَلْقِ عَصَاكَ (يا موسى) [...] {10}. وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ {12} فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً (أى: ظاهرة بيّنة) قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ {13} وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ (يا محمد) كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ {14}.

وقال صاحب رواية سورة الإسراء (بني إسرائيل): وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ (يا محمد) بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ (موسى) فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (أي: تتخيل أنك نبيٌّ بسبب السحر الذى سيطر على عقلك) {101} قَالَ (موسى) لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (أي: هالكاً؛ ملعوناً؛ مغلوباً؛ خاسراً)[6443] {102}.

وقال صاحب رواية سورة يونس: وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا (متميزة عن بيوت المصريين، أو منعزلة عنها)[6444] وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ (سراً فى بيوتكم) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ {87} وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ (أى: امحقها؛ أهلكها!) وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (وحينئذ لا ينفعهم إيمانُهم ولا توبتهم) {88} قَالَ (اللهُ لموسى وهارون) قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ {89}.

أى أن القرآن يزعم أن موسى دعا على فرعون وملئه، فاستجاب اللهُ له! كما زعم فى موضع آخر أن نوح دعا على الكافرين، أو بالأحرى: على الذين يعتبرهم نوحٌ كافرين: "رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا" (نوح 26)، فاستجاب اللهُ له!

استدل الشيخ أبو بكر جابر الجزائري (الواعظ بالمسجد النبوي الشريف) بهاتين الآيتين (يونس 88-89) على "مشروعية الدعاء بالهلاك على أهل الظلم"[6445]!

وقال د. محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الأسبق) تعليقاً على هاتين الآيتين (يونس 88-89): "وكان الجواب من الله - تعالى - لموسى وهارون، مع أن الداعى موسى فقط كما صرحت الآيات السابقة، لأن هارون كان يُؤمِّن على دعاء أخيه موسى، والتأمين لون من الدعاء. هذا ... ومن الحكم والعظات التى نأخذها من هاتين الآيتين الكريمتين: أن من علامات الإيمان الصادق، أن يكون الإنسان غيوراً على دين الله، ومن مظاهر هذه الغيرة أن يتمنى زوال النعمة من بين أيدى المُصرين على جحودهم وفسوقهم وبطرهم لأن وجود النعم بين أيديهم كثيراً ما يكون سبباً فى إيذاء المؤمنين، وإدخال القلق والحيرة على نفوس بعضهم"[6446]!

هذا هو الدرس الذي يُدرسِّه شيخُ الأزهر ومفتي الديار المصرية للمسلمين في القرن العشرين! والنتيجة الحتمية هي أننا سمعنا فى خطب الجمعة دعوات يدعوها بعض المسلمين على غير المسلمين، الذين يعتبرهم المسلمون كافرين – فحسب العقيدة الإسلامية كل مَن هو غير مسلم هو كافر. وكل مَن يُؤمِّن على هذا الدعاء هو شريكٌ فيه. وبعد ذلك نتساءل: لماذا تنتشر الكراهية في قلوب المسلمين؟ نعتقد أن الإجابة واضحة.

ثم بعد ذلك يقولون للعالم إن الإسلام دين سلام! أي سلام؟! وهل مِن السلام أن تتمنى زوال النعمة من بين أيدي غيرك لمجرد أنك تعتبره كافر أو فاسق؟!

الإرهاب الإسلامي كله ملة واحدة. لا فرق بين إخواني أو حمساوي أو طالباني أو داعشي أو وهابي. لا فرق بينهم سوى درجة تطبيقهم تعاليم الإسلام على أرض الواقع. لا فرق بين مَن يقتل ومَن يُدرّس النصوص الإسلامية التي تؤدي إلى القتل. الأول إرهابي باليد والثاني إرهابي باللسان. لا فرق بين مَن يقتل الإنسان ومَن ينتهك حقوق الإنسان. حقوق الإنسان صارت تعريفاً للإنسان وليست مجرد وَصْفاً أو امتيازاً، فلا فرق بين مَن ينتهك حقوق الإنسان ومَن يقتل الإنسان. كلاهما قريب جداً من الإسلام وبعيد جداً عن السلام (الله).

الأنبياء الكذبة (أي: غير الحقيقيين false prophets) يقولون "سَلاَمٌ!" وَلَيْسَ سَلاَمٌ (حزقيال 10:13)، ويقولون مرة أخرى "سَلاَمٌ، سَلاَمٌ". وَلاَ سَلاَمَ (إرميا 14:6)، ويقولون كثيراً "سَلاَمٌ، سَلاَمٌ". وَلاَ سَلاَمَ (إرميا 11:8). إذن: الأنبياء الكذبة "الْقَائِلُونَ: وَحْيُ الرَّبِّ (أى: الذين يزعمون أن الله أوحى لهم)، وَالرَّبُّ لَمْ يُرْسِلْهُمْ" (حزقيال 6:13) يزعمون كثيراً أن رسالتهم رسالة سلام ورحمة للعالمين وخُلُق عَظِيم، لكنها فى الواقع رسالة حرب وعنف وإرهاب وقتل، سواء قتل مادى عن طريق سفك الدماء أو قتل معنوى عن طريق السجن وإخراس الألسنة. فعلينا ألا ننخدع بهؤلاء الأنبياء الكذبة وأتباعهم. بل علينا أن نكشف

هؤلاء الأنبياء الكذبة ونفضحهم أمام أتباعهم المخدوعين. "اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ (thornbushes) عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ (thistles) (نبات شائك) تِينًا؟ هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، لاَ تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلاَ شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً. كُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. فَإِذًا مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ" (متى 7:15-20) "لأَنَّهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا رَدِيًّا، وَلاَ شَجَرَةٍ رَدِيَّةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا. لأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا. فَإِنَّهُمْ لاَ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ تِينًا، وَلاَ يَقْطِفُونَ مِنَ الْعُلَّيْقِ (briers) (شجرة أو شجيرة شوكية) عِنَبًا" (لوقا 6:43-44).

"هُمْ رُسُلٌ كَذَبَةٌ، فَعَلَةٌ مَاكِرُونَ، مُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ إِلَى شِبْهِ رُسُلِ الْمَسِيحِ. وَلاَ عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ! فَلَيْسَ عَظِيمًا إِنْ كَانَ خُدَّامُهُ أَيْضًا يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ. الَّذِينَ نِهَايَتُهُمْ تَكُونُ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ" (2 كورنثوس 11:13-15).

لكن يبقى سؤالٌ: مِن أين أتى القرآنُ بفكرة أن موسى دعا على فرعون وملئه (يونس 88)؟ وأن نوح دعا على خصومه الكافرين (نوح 26)؟ الإجابة: كما لاحظنا كثيراً فيما سبق، كان أمراً شائعاً في تأليف الأساطير اليهودية قبل الإسلام أن يضع المؤلف آيات من سفر المزامير تحديداً على ألسنة أبطال الأسطورة، مع أن أبطال الأسطورة مذكورين في التوراة التي تسبق سفر المزامير بمئات السنين (حسب التقليد)[6447]! وهذا ما فعله أصحابُ القرآن هنا، فنحن نجد في سفر المزامير آيات كثيرة تدعو على أعداء بني إسرائيل، بل تدعو على أبناء أعدائهم! اقرأ مثلاً: "تُصِيبُ يَدُكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ. يَمِينُكَ تُصِيبُ كُلَّ مُبْغِضِيكَ. تَجْعَلُهُمْ مِثْلَ تَنُّورِ نَارٍفِي زَمَانِ حُضُورِكَ. الرَّبُّ بِسَخَطِهِ يَبْتَلِعُهُمْ وَتَأْكُلُهُمُ النَّارُ. تُبِيدُ ثَمَرَهُمْ مِنَ الأَرْضِ وَذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَيْنِ بَنِي آدَمَ. لأَنَّهُمْ نَصَبُوا عَلَيْكَ شَرًّا. تَفَكَّرُوا بِمَكِيدَةٍ. لَمْ يَسْتَطِيعُوهَا. لأَنَّكَ تَجْعَلُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ. تُفَوِّقُ السِّهَامَ عَلَى أَوْتَارِكَ تِلْقَاءَ وُجُوهِهِمْ. ارْتَفِعْ يَا رَبُّ بِقُوَّتِكَ. نُرَنِّمْ وَنُنَغِّمْ بِجَبَرُوتِكَ" (المزامير 21:8-13). اقرأ أيضاً (المزامير 55:15، 63:9-10، 68:21-23، 109:6-15) والمزمور 83 كله!

4.32.1 حيرة المفسرين بسبب غموض القرآن

كما سبق وقلنا، جعل أصحابُ القرآن الآيات تسعاً (النمل 12) (الإسراء 101) وليس عشراً. وأدخلوا فيها عصا موسى وإخراج يده بيضاء: "وَأَلْقِ عَصَاكَ [...] وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ (أي: فى جملة تسع معجزات) إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ" (النمل 10-12). ولأن العصا واليد معجزتان وليستا ضربتين، أسماها القرآن "الآيات التسع" وليس "الضربات التسع". وكنا نفضل أن يميز القرآنُ بين المعجزات (الآيات) (miracles) والضربات (الابتلاءات؛ العذابات) (plagues).

إلا أن المفسرين المسلمين – كالعادة – قد اختلفوا اختلافاً شديداً فى تحديد هذه الآيات التسع! أمثلة:

قال كثير من المفسرين (مثل الشيخ الشعراوى ود. الصابونى وتفسير مجمع الملك فهد وغيرهم) إن الآيات التسع هى: "اليد والعصا والسِّنِون وَنَقْص الثَّمَرَات والطُّوفَان وَالْجَرَاد وَالْقُمَّل وَالضَّفَادِع وَالدَّم"[6448]. قال ابن كثير: "وَهَذَا الْقَوْل ظَاهِر جَلِيّ حَسَن قَوِيّ"، إلا أنه قال بعدها: "وَجَعَلَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ السِّنِينَ وَنَقْص الثَّمَرَات وَاحِدَة، وَعِنْده أَنَّ التَّاسِعَة هِيَ: تَلَقُّف الْعَصَا مَا يَأْفِكُونَ"[6449]. وقال الفخر الرازى: "أما هذه التسعة فقد اتفقوا على سبعة منها، وهى: العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وبقى الاثنان ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما"[6450].

إذن: كالعادة، المسألة فيها خلاف ...

قال الواحدى النيسابورى فى تفسيره الوسيط: "قال المفسرون: هى الطُّوفَان وَالْجَرَاد وَالْقُمَّل، وَالضَّفَادِع، وَالدَّم، والعصا ويده والسِّنِون، وَنَقْص من الثَّمَرَات، وقال القرظى بدل السنين والنقص فلق البحر والطمس (على أموال آل فرعون)"؛ ويبدو أنه انحاز لهذا الرأى الأخير فى تفسيره الوجيز[6451].

وقال الزمخشرى: "عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عنهما -: هى العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والحجر (أى: انبجاس الماء مِن الحجر)، والبحر (أى: فلق البحر)، والطور الذى نتقه على بنى إسرائيل. وعن الحسن: الطوفان، والسنون، ونقص الثمرات، مكان: الحجر، والبحر، والطور. وعن عمر بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب، فذكر: اللسان (أى: حل عقدة لسان موسى) والطمس (على أموال آل فرعون)"[6452]!

أما تفسير وزارة الأوقاف المصرية فقال فى تفسير (النمل 12) إن الآيات التسع هى: "فلق البحر والطُّوفَان وَالْجَرَاد وَالْقُمَّل وَالضَّفَادِع وَالدَّم والجدب والعصا وإخراج اليد بيضاء من غير سوء"[6453]. العجيب أن نفس المرجع ذكر فى تفسير (الإسراء 101) تسع آيات أخرى! "1. العصا. 2. اليد البيضاء. 3. الطوفان. 4. الجراد والضفادع والقمل والدم. 5. الجدْب ونقص الثمار. 6. فلق البحر. 7. انبجاس الماء من الحجر. 8. نتق الجبل كأنه ظلة. 9. خطابه (أى: خطاب موسى) لربه"[6454]! يعنى حتى داخل المرجع الواحد نجد اختلافاً فى تحديد هذه الآيات التسع!

كذلك فى تفسير الشيخ الجزائرى. قال فى تفسير (الإسراء 101) إن الآيات التسع هى: "اليد والعصا والدم وانفلاق البحر والطمس على أموال آل فرعون والطوفان والجراد والقمل والضفادع". أما فى تفسير (النمل 12) فقال إن الآيات التسع هى "العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والقحط وانفلاق البحر وهو من أعظمها"[6455]!

أما د. وهبة الزحيلى فقال فى تفسير (الإسراء 101) فى تفسيره المنير: "هى العصا، واليد البيضاء، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، وهذه سبع باتفاق، وأما الثنتان فقيل: انفلاق البحر، والسنون،

وقيل: انفلاق البحر ونتق الطور على بنى إسرائيل، وقيل: انفلاق البحر، وحل عقدة لسان موسى. وهما مرويان عن ابن عباس، وقيل عن مجاهد وآخرين: السنون، ونقص الثمرات. وقيل بغير ذلك كما ذكرنا فى سورة الأعراف"[6456]. لكنه قال فى تفسير نفس الآية (الإسراء 101) فى تفسيره الوجيز: "والأصح غير المشهور جعل الطمس على الأموال، والطبع على القلوب كما تقدم بدلاً من العصا واليد"[6457]. يعنى نفس المُفسِّر ونفس الآية، لكن مرة يقول إن العصا واليد من الآيات "باتفاق"، ومرة يقول إن الأصح هو إخراجهما من جملة الآيات!

أما د. محمد سيد طنطاوى فلجأ إلى حيلة ذكية، فقال: "وتحديد الآيات بالتسع، لا ينفى أن هناك معجزات أخرى، أعطاها الله - تعالى - لموسى - عليه السلام - إذ مِن المعروف عند علماء الأصول أن تحديد العدد بالذكر لا يدل على نفى الزائد عنه"[6458]. ولهذه الحيلة الذكية جذور فى كتب التراث، إذ قال الفخر الرازى إن "تخصيص التسعة بالذكر لا يقدح فيه ثبوت الزائد عليه لأننا بينا فى أصول الفقه أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفى الزائد"[6459]، وقال البيضاوى إن "فِي تِسْعِ آيَاتٍ" (النمل 12) تعنى "فى جملتها أو معها"[6460]، وقال الزمخشرى: "ولقائل أن يقول: كانت الآيات إحدى عشرة: ثنتان منها اليد والعصا، والتسع: الفلق (أى: فلق البحر)، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة (على أموال آل فرعون)، والجدب فى بواديهم (أى: السنون)، والنقصان فى مزارعهم (أى: نقص الثمرات)"[6461]. أى أن القرآن يقول مرتين إن الآيات "تسع" (النمل 12) (الإسراء 101)، ورغم ذلك فإن شيوخ الإسلام قديماً وحديثاً يقولون إنهم تسع أو أكثر! ونلاحظ أن هذا الرأى المذكور فى تفسير الزمخشرى قد فصل العصا واليد عن بقية الآيات التسع. وقال تفسير البيضاوى (النمل 12): "ولمن عد العصا واليد مِن التسع، أن يعد الأخيرين (أى: السنين ونقص الثمرات) واحداً ولا يعد الفلق (أى: فلق البحر) لأنه لم يبعث به إلى فرعون".

أما الشيخ عبد الوهاب النجار ففجر مفاجأة من العيار الثقيل، إذ قال إن الآيات التسع المذكورة فى (النمل 12) غير الآيات التسع المذكورة فى (الإسراء 101). واستدل على ذلك بالنَص القرآنى نفسه الذى يقول إن الآيات التسع المذكورة فى (النمل 12) هى "تِسْعِ آيَاتٍ <u>إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ</u>" (النمل 12) بينما الآيات التسع المذكورة فى (الإسراء 101) هى آيات إلى بنى إسرائيل: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ <u>بَنِي إِسْرَائِيلَ</u> إِذْ جَاءَهُمْ" (الإسراء 101). وقال – نقلاً عن البيضاوى – إن المقصود بهذه الآيات (الإسراء 101) هو "الأحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرائع"[6462]. ولعله يقصد "الوصايا العشر" (The Ten Commandments)[6463] (الخروج 20:1-17) (التثنية 5:6-21)، مثل: لا تشرك بالله، لا تقتل، لا تسرق، لا تَزْنِ ... الخ. ومِن الجدير بالذِكر أن الشيخ عبد الوهاب النجار قد قال عن الآيات إلى فرعون وقومه: "وأنا أعد الآيات هكذا: (1) السنون (2) نقص الأموال (3) نقص الأنفس (4) نقص الثمرات (5) الطوفان (6) الجراد (7) القمل (8) الضفادع (9) الدم". ونلاحظ أنه لم يذكر العصا أو اليد، ربما لأنهما معجزتان وليستا ضربتين أو ابتلاءين أو عذابين مِن الله لفرعون وقومه.

وكالعادة، توجد تخمينات أخرى وأقوال متضاربة أخرى ...

قيل إن الآيات التى أوتيها موسى لفرعون وقومه هى: "العصا، واليد، والطُّوفَان، وَالْجَرَاد، وَالْقُمَّل، وَالضَّفَادِع، وَالدَّم، والسِّنِون، وَنَقْص الثَّمَرَات". وهى بخلاف الآيات التى أوتيها موسى لبنى إسرائيل، وهى: "فلق البحر، وإنزال المَنّ والسلوى، وتظليل الغمام، وتفجير الماء من الحجر، ونتق الجبل؛ أى رفعه فوق رءوسهم، ومسخ الذين عتوا منهم، وإتيان الحيتان يوم سبتهم، والرجفة، والصاعقة، وإحياء الميت القتيل بضربه ببعض البقرة التى أمروا بذبحها"[6464].

أما د. حسن الباش فقال: "أرسل الله سبحانه لموسى تسع آيات بينات منها ما ارتبط بقصة التحدى لفرعون ومنها ما يخص بنى إسرائيل"[6465]. وقال الأستاذ عبد السلام بدوى إن الآيات التسع هى: العصا واليد والطُّوفَان وَالْجَرَاد وَالْقُمَّل وَالضَّفَادِع وَالدَّم وفلق البحر وانبجاس الماء مِن الحجر، "وقد رأى فرعون الثمان آيات الأولى"[6466].

وهكذا دائماً: كل شيء ممكن فى تفاسير القرآن! كل الاحتمالات واردة فى المراجع الإسلامية!

مما سبق يتضح أنه لم يوجد مسلم واحد ولا يوجد مسلم واحد ولن يوجد مسلم واحد فى العالم يستطيع أن يحدد هذه "الآيات التسع" على وجه اليقين. وإنما كلها مجرد تخمينات وحيل متهافتة ومتضاربة. أليس هذا وحده يكفى كدليل على أن القرآن كلام بشر؟ وإذا كان المسلمون لم يتفقوا فى هذا الأمر البسيط، فكيف نظن أنهم سيتفقوا فى أمور أخرى أكثر تعقيداً، مثل إقامة دولة أو تطبيق ما يُسمَّى بـ "الشريعة الإسلامية"؟

وكالعادة، المشكلة ليست فى المفسرين المسلمين، وإنما المشكلة فى غموض القرآن الذى لم يحدد هذه الآيات التسع. والدليل على ذلك أنه يوجد شبه إجماع على خمس آيات فقط (أى بنسبة < 56%)، وهى: الطُّوفَان وَالْجَرَاد وَالْقُمَّل وَالضَّفَادِع وَالدَّم. لماذا؟ لأن القرآن ذكرهم صراحةً: "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ" (الأعراف 133). إذن: أحياناً قليلة يكون القرآن واضحاً، فلا يحتار المفسرون ولا يختلفون. وأحياناً كثيرة يكون القرآن غامضاً، فيحتار المفسرون ويتيهون ويتخبطون ويختلفون، بل يناقضون أنفسهم. ومِن ثم فإننا دائماً نصل إلى نفس النتيجة وهى أن: المشكلة فى غموض القرآن نفسه.

وكالعادة أيضاً، لكى نعرف هذه الآيات/الضربات يجب أن نرجع إلى القصة الأصلية فى التوراة ...

4.32.2 جذور القرآن فى التوراة

لو نزلت أي منطقة شعبية في الشرق الأوسط وسألت أي امرأة مسيحية بسيطة: ما هى "الضربات العشر" (The Ten Plagues of Egypt) التى ضُربت بها مصر فى قصة موسى وفرعون؟ ستفتح التوراة وتقرأ لك مِن (الخروج 14:7) إلى (الخروج 30:12) ما يلى:

- 1. تَحوُّل ماء نهر النيل إلى دم (Water turned into blood) (الخروج 7:14-24)،
- 2. الضفادع (Frogs) (الخروج 7:25–8:15)،
- 3. البعوض (Gnats) أو القمل (Lice) أو العثة (Tick) (الخروج 8:16-19)،
- 4. أسراب ضخمة مِن حشرات متنوعة مثل الذُّبَّان/الذباب (Flies) (الخروج 8:20-32)،
- 5. موت الماشية (Death of livestock/cattle) (الخروج 9:1-7)،
- 6. الدمامل (Boils) (الخروج 9:8-12)،
- 7. إمطار البَرَد (Hail) (الخروج 9:13-35)،
- 8. الجراد (Locusts) (الخروج 10:1-20)،
- 9. الظلام (Darkness) (الخروج 10:21-29)،
- 10. موت الأبكار (Death of firstborn) (الخروج 11:1–12:30).

وإن قال مسلمٌ: وهل يُعقَل أن أصحاب القرآن قد سمعوا كل هذه الإصحاحات الطويلة مِن التوراة؟ سنرد عليه ونقول: ليس بالضرورة أن يكون أصحاب القرآن قد سمعوا القصة التوراتية كلها بكل تفاصيلها. ربما سمعوا ملخصها. على سبيل المثال، ذَكَرَ المزمور 105 معظم الضربات العشر: "أَرْسَلَ ظُلْمَةً فَأَظْلَمَتْ، وَلَمْ يَعْصُوا كَلاَمَهُ. حَوَّلَ مِيَاهَهُمْ إِلَى دَمٍ **[← "الدَّمَ" (الأعراف 133)]** وَقَتَلَ أَسْمَاكَهُمْ. أَفَاضَتْ أَرْضُهُمْ ضَفَادِعَ **[← "الضَّفَادِعَ" (الأعراف 133)]** حَتَّى فِي مَخَادِعِ مُلُوكِهِمْ. أَمَرَ فَجَاءَ الذُّبَّانُ وَالْبَعُوضُ **[← "الْقُمَّلَ" (الأعراف 133)]** فِي كُلِّ تُخُومِهِمْ. جَعَلَ أَمْطَارَهُمْ **[← "الطُّوفَانَ" (الأعراف 133)]** بَرَدًا وَنَارًا مُلْتَهِبَةً فِي أَرْضِهِمْ. ضَرَبَ كُرُومَهُمْ وَتِينَهُمْ، وَكَسَّرَ كُلَّ أَشْجَارِ تُخُومِهِمْ **[← "السِّنِينَ (أى: الجدب والقحط)" (الأعراف 130)]**. أَمَرَ فَجَاءَ الْجَرَادُ **[← "الْجَرَادَ" (الأعراف 133)]** وَغَوْغَاءُ بِلاَ عَدَدٍ، فَأَكَلَ كُلَّ عُشْبٍ فِي بِلاَدِهِمْ، وَأَكَلَ أَثْمَارَ أَرْضِهِمْ **[← "نَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ" (الأعراف 130)]**. قَتَلَ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِهِمْ، أَوَائِلَ كُلِّ قُوَّتِهِمْ" (المزامير 105:28-36). ولو لم يسمع أصحابُ القرآن سوى هذه الترنيمة (تسعة آيات) فقط، لكان ذلك كافياً، فهى تذكر بإيجاز ثمانية مِن الضربات العشر المذكورة في التوراة: الظلام، الدم، الضفادع، الذُّبَّان، الْبَعُوض، المطر، الجراد، موت الأبكار. وتذكر سبعة مِن الآيات التسع المذكورة في القرآن: الدَّم، الضَّفَادِع، الْقُمَّل، الطُّوفَان، السِّنِين، الْجَرَاد، نَقْص مِنَ الثَّمَرَاتِ (الأعراف 130-133). ويبدو لنا أن صاحب رواية سورة الأعراف – أول رواية قرآنية – لم يسمع إلا هذه الترنيمة، ولذلك لم يذكر إلا هذه الآيات السبع. ثم جاء صاحب رواية سورة النمل، فأدخل العصا واليد (النمل 10-12)، فجعلهم بذلك "تِسْعِ آيَاتٍ" (النمل 12) (الإسراء 101).

ونحن نرى أن هذه "الضربات" ليست آيات ولا معجزات ولا وصايا، وإنما هى مجرد قصة أدبية مستوحاة مِن ظواهر طبيعية (natural) كانت تحدث بالفعل فى مصر بدءاً مِن الصيف (حين يحدث الفيضان الشديد لنهر النيل) إلى ربيع العام التالى[6467].

وخير دليل قرآنى على ذلك هو أن هذه الضربات/الآيات قد بدأت بالطوفان: "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ" (الأعراف 133). وكالعادة، اختلف المفسرون فى ذلك الطوفان. فقيل إن "الطوفان" هو المطر. وقيل إنه الفيضان (flood). ونحن لا نرى تعارضاً بين هذين المعنيين، ولعل صاحب (الأعراف 133) قد أراد أن يجمع بينهما فى كلمة واحدة هى "الطوفان"، كما فعل صاحب (العنكبوت 14) حين استخدم نفس الكلمة "الطوفان" للإشارة إلى طوفان نوح الذى حدث عن طريق ماء مِن السماء وماء مِن الأرض (القمر 11-12) (التكوين 7:10-12). وفى لسان العرب [ط و ف]: "الطوفان: الماء الذى يَغشى كل مكان".

وخير دليل توراتى على ذلك هو أن هذه الضربات/الآيات قد بدأت بقول الربِّ لموسى: "اِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ فِي الصَّبَاحِ. إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى الْمَاءِ، وَقِفْ لِلِقَائِهِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَالْعَصَا الَّتِي تَحَوَّلَتْ حَيَّةً تَأْخُذُهَا فِي يَدِكَ" (الخروج 7:15). يقول شرح سفر الخروج: "كان خروج فرعون إلى النهر فى صباح كل يوم من أيام فيضان نهر النيل هو لتقديم فروض العبادة المعتادة لهذا النهر العظيم الذى كانوا يؤلِّهونه كمصدرٍ لخصب مصر وينبوع لخيراتها"[6468]. إذن: بدأت الظواهر بفيضان نهر النيل. بل إن سفر الخروج نفسه يشير إلى ذلك: "ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى مِيَاهِ الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى أَنْهَارِهِمْ وَعَلَى سَوَاقِيهِمْ، وَعَلَى آجَامِهِمْ، وَعَلَى كُلِّ مُجْتَمَعَاتِ مِيَاهِهِمْ لِتَصِيرَ دَمًا" (الخروج 7:19). وهذا يدل على أن الماء كان كثيراً ويَغشى كل مكان **[⟵ "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ" (الأعراف 133)]**.

إنها إذن أمور عادية عرفها المصريون القدماء قبل كتابة التوراة، وليست أمراً غريباً أو خارقاً للطبيعة (supernatural). وكل ما حدث هو أن سفر "الخروج" – ثم بعد ذلك كتاب "القرآن" – قد بالغا فى سرد هذه الأمور الطبيعية، سواء بالمبالغة فى شدتها أو فى حدوثها كلها متتابعة فى سنة واحدة. أو كما قال الأستاذ أحمد بهجت تعليقاً على هذه الآيات/الضربات: "ونلاحظ أن الآيات السابقة كانت آيات من النوع المتوقع فى بيئة زراعية تقوم حياتها على النهر .. فيضاً أو إمساكاً. إن نقص مياه النيل أو زيادته أو هجوم الجراد أو القمل أو الضفادع .. هذه كلها أمور ليست جديدة على المصريين .. الجديد هو وقوعها بهذا العنف المفاجئ واختفاؤها بنفس العنف المفاجئ"[6469].

وبما أن هذه الظواهر طبيعة، فإن لها تفسير علمى (scientific). وسنذكر فيما يلى هذه الظواهر العشر، مع توضيح التفسير العلمى لكل واحدة. ونحن هنا لا نهاجم ولا ندافع، وإنما نحاول أن نفهم النَص التوراتى/القرآنى بطريقة عقلانية بعيدة عن المبالغات والخرافات.

<u>الظاهرة الأولى:</u> تَحوُّل ماء نهر النيل إلى دم (Water turned into blood) (الخروج 7:14-24) **[⟵ "الدَّمَ" (الأعراف 133)]**.

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قَلْبُ فِرْعَوْنَ غَلِيظٌ. قَدْ أَبَى أَنْ يُطْلِقَ الشَّعْبَ. اِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ فِي الصَّبَاحِ. إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى الْمَاءِ، وَقِفْ لِلِقَائِهِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَالْعَصَا الَّتِي تَحَوَّلَتْ حَيَّةً تَأْخُذُهَا فِي يَدِكَ. وَتَقُولُ لَهُ: الرَّبُّ

إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ قَائِلاً: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي فِي الْبَرِّيَّةِ. وَهُوَذَا حَتَّى الآنَ لَمْ تَسْمَعْ. هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: بِهذَا تَعْرِفُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ: هَا أَنَا أَضْرِبُ بِالْعَصَا الَّتِي فِي يَدِي عَلَى الْمَاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَيَتَحَوَّلُ دَمًا. وَيَمُوتُ السَّمَكُ الَّذِي فِي النَّهْرِ وَيَنْتِنُ النَّهْرُ. فَيَعَافُ الْمِصْرِيُّونَ أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنَ النَّهْرِ». ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى مِيَاهِ الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى أَنْهَارِهِمْ وَعَلَى سَوَاقِيهِمْ، وَعَلَى آجَامِهِمْ، وَعَلَى كُلِّ مُجْتَمَعَاتِ مِيَاهِهِمْ لِتَصِيرَ دَمًا. فَيَكُونَ دَمٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ فِي الأَخْشَابِ وَفِي الأَحْجَارِ». فَفَعَلَ هكَذَا مُوسَى وَهَارُونُ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. رَفَعَ الْعَصَا وَضَرَبَ الْمَاءَ الَّذِي فِي النَّهْرِ أَمَامَ عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عُيُونِ عَبِيدِهِ، فَتَحَوَّلَ كُلُّ الْمَاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ دَمًا. وَمَاتَ السَّمَكُ الَّذِي فِي النَّهْرِ وَأَنْتَنَ النَّهْرُ، فَلَمْ يَقْدِرِ الْمِصْرِيُّونَ أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنَ النَّهْرِ. وَكَانَ الدَّمُ (أى: الماءُ الذى تحوَّل إلى دم) فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" (الخروج 7:14-21).

التفسير العلمى: مع الفيضان الشديد لنهر النيل، تزداد المواد الرسوبية الحمراء النازلة من أثيوبيا. وتحدث أيضاً زيادة فى نمو بعض الطحالب (algae) والبكتريا ذات اللون الأحمر. كل ذلك يؤدى إلى صبغ مياه النيل بلون أحمر كلون الدم، ويؤدى فى النهاية إلى موت السمك. إذن: لم يتحول الماء تحولاً كيميائياً إلى دم حقيقى، وإنما صار لون الماء أحمراً مثل الدم. أى أن التغير الذى حدث لماء نهر النيل كان فى اللون فقط، فى الشكل الخارجى فقط، وليس فى التركيبة الكيميائية[6470]. وتُعرَف هذه الظاهرة الطبيعية باسم (Red tide)، وما زالت تحدث بدرجات متفاوتة إلى اليوم. ويُعتقَد أن الظاهرة الأولى كانت مشابهة لما حدث فى أواخر القرن العشرين فى نهر فى ولاية "نورث كارولينا" الأمريكية بسبب كائنات دقيقة تُعرَف باسم (Pfiesteria) وأدى أيضاً إلى موت السمك[6471].

ويجب هنا أن نذكر "بردية إيبوير" (Ipuwer Papyrus)[6472] الموجودة فى متحف (National Museum of Antiquities) فى مدينة ليدن (Leiden) فى هولندا. يرجع تاريخ هذه النسخة إلى 1307-1196 ق.م، لكن تاريخ النسخة الأصلية يرجع إلى فترة زمنية سابقة، ربما 2300-2050 ق.م، أى بضعة قرون **قبل** موسى[6473].

تُعرَف بردية إيبوير أيضاً باسم "معاتبة إيبوير" (Admonitions of Ipuwer) أو "مراثى إيبوير" (Lamentations of Ipuwer) لأنها تحكي حدوتة رجل اسمه "إيبوير" وقف أمام فرعون ليشتكى مِن الفوضى (anarchy) السائدة فى مصر **[← فى التوراة والقرآن: وقف رجل اسمه "موسى" أمام فرعون ليهدده بإحداث فوضى فى مصر]**. ولا يوجد أى دليل على أن "إيبوير" المذكور فى البردية شخصية حقيقية. كذلك، لا يوجد أى دليل على أن "موسى" المذكور فى التوراة والقرآن شخصية حقيقية. ومِن الجدير بالذِكر أن البردية – مثل التوراة والقرآن – لا تذكر اسم فرعون، مما يدل على أن هذا كان أمراً عادياً فى الأدب الدينى/الشعبى.

بدأت قصة إيبوير – مثل قصة موسى فى التوراة والقرآن – بذِكر فيضان النيل ثم ذَكرت أن ماء النهر أصبح دماً ولا يمكن شربه. وهذا يدل على أن المصريين القدماء قد عرفوا فكرة "تَحوُّل ماء نهر النيل إلى

دم" **قبل** موسى بمئات السنين. إذن: الموضوع ليس معجزة وليس له علاقة بموسى تحديداً. والمقصود هنا – وفى التوراة والقرآن أيضاً – هو أن ماء النهر صار أحمراً مثل الدم، وليس أنه تحوَّل إلى دم. أو كما قال الكتاب المقدس فى موضع آخر عن كسوف الشمس وخسوف القمر: "تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ، وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ" (يوئيل 31:2). إذن: المقصود فى كل هذه القصص هو المعنى المجازى وليس المعنى الحرفى.

نعود إلى قصة موسى فى التوراة والقرآن: "وَفَعَلَ عَرَّافُو مِصْرَ كَذلِكَ (أى: مثل موسى وهارون) بِسِحْرِهِمْ. فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ **[← "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)]**. ثُمَّ انْصَرَفَ فِرْعَوْنُ وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَلَمْ يُوَجِّهْ قَلْبَهُ إِلَى هذَا أَيْضًا" (الخروج 7:22-23).

الظاهرة الثانية: الضفادع (Frogs) (الخروج 7:25–8:15) **[← "الضَّفَادِعَ" (الأعراف 133)]**.

"فَمَدَّ هَارُونُ يَدَهُ عَلَى مِيَاهِ مِصْرَ، فَصَعِدَتِ الضَّفَادِعُ وَغَطَّتْ أَرْضَ مِصْرَ. وَفَعَلَ كَذلِكَ الْعَرَّافُونَ بِسِحْرِهِمْ وَأَصْعَدُوا الضَّفَادِعَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. فَدَعَا فِرْعَوْنُ مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ: «صَلِّيَا إِلَى الرَّبِّ لِيَرْفَعَ الضَّفَادِعَ عَنِّي وَعَنْ شَعْبِي فَأُطْلِقَ الشَّعْبَ (أى: شعبَ بنى إسرائيل) لِيَذْبَحُوا لِلرَّبِّ **[← "وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ (أى: العذابُ) قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الأعراف 134) (الزخرف 48-49)]**». فَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: «عَيِّنْ لِي مَتَى أُصَلِّي لأَجْلِكَ وَلأَجْلِ عَبِيدِكَ وَشَعْبِكَ لِقَطْعِ الضَّفَادِعِ عَنْكَ وَعَنْ بُيُوتِكَ. وَلكِنَّهَا تَبْقَى فِي النَّهْرِ». فَقَالَ: «غَدًا». فَقَالَ: «كَقَوْلِكَ. لِكَيْ تَعْرِفَ أَنْ لَيْسَ مِثْلُ الرَّبِّ إِلهِنَا. فَتَرْتَفِعُ الضَّفَادِعُ عَنْكَ وَعَنْ بُيُوتِكَ وَعَبِيدِكَ وَشَعْبِكَ، وَلكِنَّهَا تَبْقَى فِي النَّهْرِ». ثُمَّ خَرَجَ مُوسَى وَهَارُونُ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ، وَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِ الضَّفَادِعِ الَّتِي جَعَلَهَا عَلَى فِرْعَوْنَ، فَفَعَلَ الرَّبُّ كَقَوْلِ مُوسَى. فَمَاتَتِ الضَّفَادِعُ مِنَ الْبُيُوتِ وَالدُّورِ وَالْحُقُولِ. وَجَمَعُوهَا كُومًا كَثِيرَةً حَتَّى أَنْتَنَتِ الأَرْضُ. فَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ الْفَرَجُ أَغْلَظَ قَلْبَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ **[← "فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (أى: ينقضون عهدهم)" (الأعراف 135) (الزخرف 50)[6474] "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)]**" (الخروج 8:6-15).

التفسير العلمى: إذا تلوث ماءُ نهر النيل ومات السمكُ فيه وَأَنْتَنَ النَّهْرُ (الظاهرة الأولى)، فإنه لمِن الطبيعى أن تترك الضفادعُ النهرَ وتذهب إلى الأرض، وقد تموت هى أيضاً[6475].

الظاهرة الثالثة: البعوض (Gnats) أو القمل (Lice) أو العثة (Tick) (الخروج 8:16-19) **[← "الْقُمَّلَ" (الأعراف 133)]**. وقيل فى مراجع إسلامية إنه السوس؛ وقيل: القراض؛ وقيل: البراغيث؛ وقيل: صغار الذباب؛ وقيل: الدبا (أو: الدباء)، وهو أولاد الجراد أو صغار الجراد! وقيل إنه "كان يدخل بين ثوب الرجل وجلده فيمص دمه"[6476]. وقيل إنه "ضرب مِن القراد يمتص دماء الدواب وهو غير القَمْل"[6477].

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: مُدَّ عَصَاكَ وَاضْرِبْ تُرَابَ الأَرْضِ لِيَصِيرَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ». فَفَعَلاَ كَذلِكَ. مَدَّ هَارُونُ يَدَهُ بِعَصَاهُ وَضَرَبَ تُرَابَ الأَرْضِ، فَصَارَ الْبَعُوضُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ. كُلُّ تُرَابِ الأَرْضِ صَارَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ" (الخروج 8:16-17).

التفسير العلمى: مِن المعلوم أن الضفادع تتغذى على الحشرات. فإذا ماتت الضفادع (الظاهرة الثانية)، ستنتشر الحشرات بأنواعها المختلفة، لا سيما البعوض الذى سيتكاثر حول المياه الراكدة التى يُحدِثها الفيضان[6478] والذباب الصغير (biting midges) الذى يمص دم الإنسان والحيوان[6479].

نعود إلى القصة: "وَفَعَلَ كَذلِكَ الْعَرَّافُونَ بِسِحْرِهِمْ لِيُخْرِجُوا الْبَعُوضَ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا [⟵ "وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ" (الأعراف 118-119) "إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى" (طه 69)]. وَكَانَ الْبَعُوضُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ. فَقَالَ الْعَرَّافُونَ لِفِرْعَوْنَ: «هذَا إِصْبَعُ اللهِ [⟵ "وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ" (الأعراف 120-122) (طه 70) (الشعراء 46-48)[6480]]». وَلكِنِ اشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ [⟵ "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)]" (الخروج 8:18-19).

الظاهرة الرابعة: أسراب ضخمة مِن حشرات متنوعة مثل الذُّبَّان/الذباب (Flies) بأنواعه المختلفة لا سيما ذباب الكِلاب (Stable flies) (الخروج 8:20-32) [⟵ "الْقُمَّلَ" (الأعراف 133)، بمعانيه المختلفة التى قلناها فى الظاهرة الثالثة].

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «بَكِّرْ فِي الصَّبَاحِ وَقِفْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى الْمَاءِ. وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ لاَ تُطْلِقُ شَعْبِي، هَا أَنَا أُرْسِلُ عَلَيْكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى بُيُوتِكَ الذُّبَّانَ، فَتَمْتَلِئُ بُيُوتُ الْمِصْرِيِّينَ ذُبَّانًا. وَأَيْضًا الأَرْضُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا. وَلكِنْ أُمَيِّزُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَرْضَ جَاسَانَ (Goshen) (في منطقة شرق الدلتا) حَيْثُ شَعْبِي (بنو إسرائيل) مُقِيمٌ [⟵ "وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا (متميزة عن بيوت المصريين، أو منعزلة عنها)" (يونس 87)] حَتَّى لاَ يَكُونُ هُنَاكَ ذُبَّانٌ (فى بيوت الإسرائيليين). لِكَيْ تَعْلَمَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ فِي الأَرْضِ. وَأَجْعَلُ فَرْقًا (بالعِبرية: peduth؛ أى: فداءً redemption أو تمييزاً division, distinction) [⟵ "فَرَقْنَا" [...] "الْفُرْقَانَ" (البقرة 50-53)] بَيْنَ شَعْبِي وَشَعْبِكَ. غَدًا تَكُونُ هذِهِ الآيَةُ [⟵ "آيَاتِي" (طه 42) "آيَاتِنَا الْكُبْرَى" (طه 23) "آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ" (الأعراف 133) "آيَاتِنَا" (الفرقان 36) (المؤمنون 45) (الزخرف 46-47) (القمر 42) (الشعراء 15) (القصص 35-36) (الأعراف 103) (يونس 75)]». فَفَعَلَ الرَّبُّ هكَذَا، فَدَخَلَتْ ذُبَّانٌ كَثِيرَةٌ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ وَبُيُوتِ عَبِيدِهِ. وَفِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ خَرِبَتِ الأَرْضُ مِنَ الذُّبَّانِ" (الخروج 8:20-24).

التفسير العلمى: مِن المنطقى أن تنتشر الحشرات مثل الذباب وغيره فى هذه الحالات: مياه كثيرة وسمك ميت (الظاهرة الأولى)، وضفادع ميتة (الظاهرة الثانية)، وبعوض حول مياه راكدة (الظاهرة الثالثة)[6481]. لاحظ أن كل ظاهرة تؤدى إلى الظاهرة التى تليها فى سلسلة طبيعية من السبب (cause) والنتيجة (effect). أو كما قال القرآن: "وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا" (الزخرف 48).

أما فيما يتعلق بالتمييز بين بيوت المصريين وبيوت الإسرائيليين، فهو مبالغة (hyperbole) نقبلها من الناحية الأدبية وليس العلمية. أو يمكن أن نقول إنها (myth)، أى قصة ليست بالضرورة حقيقية، لكنها تشير إلى حقيقة أكبر وأسمى، وهى أن الله يُخلِّص (يُنجِّى) عبادَه المؤمنين.

نعود إلى القصة: "فَدَعَا فِرْعَوْنُ مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ: «اذْهَبُوا اذْبَحُوا لإِلهِكُمْ فِي هذِهِ الأَرْضِ». فَقَالَ مُوسَى: «لاَ يَصْلُحُ أَنْ نَفْعَلَ هكَذَا، لأَنَّنَا إِنَّمَا نَذْبَحُ رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ لِلرَّبِّ إِلهِنَا. إِنْ ذَبَحْنَا رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ أَمَامَ عُيُونِهِمْ أَفَلاَ يَرْجُمُونَنَا **[← "وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (أي: تقتلوني رجماً بالحجارة)" (الدخان 20)]**؟ نَذْهَبُ سَفَرَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا كَمَا يَقُولُ لَنَا». فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «أَنَا أُطْلِقُكُمْ لِتَذْبَحُوا لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَلكِنْ لاَ تَذْهَبُوا بَعِيدًا. صَلِّيَا لأَجْلِي **[← "وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ (أى: العذابُ) قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الأعراف 134) (الزخرف 48-49)]**». فَقَالَ مُوسَى: «هَا أَنَا أَخْرُجُ مِنْ لَدُنْكَ وَأُصَلِّي إِلَى الرَّبِّ، فَتَرْتَفِعُ الذُّبَّانُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ وَشَعْبِهِ غَدًا. وَلكِنْ لاَ يَعُدْ فِرْعَوْنُ يُخَاتِلُ (أى: يُخادِع أو يُراوِغ) حَتَّى لاَ يُطْلِقَ الشَّعْبَ لِيَذْبَحَ لِلرَّبِّ». فَخَرَجَ مُوسَى مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. فَفَعَلَ الرَّبُّ كَقَوْلِ مُوسَى، فَارْتَفَعَ الذُّبَّانُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ وَشَعْبِهِ. لَمْ تَبْقَ وَاحِدَةٌ. وَلكِنْ أَغْلَظَ فِرْعَوْنُ قَلْبَهُ هذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا **[← "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)]** فَلَمْ يُطْلِقِ (فرعونُ) الشَّعْبَ **[← "فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (أى: ينقضون عهدهم)" (الأعراف 135) (الزخرف 50)]**" (الخروج 8:25-32).

<u>الظاهرة الخامسة:</u> موت الماشية (Death of livestock/cattle) (الخروج 9:1-7).

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَهُمْ وَكُنْتَ تُمْسِكُهُمْ بَعْدُ، فَهَا يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِي فِي الْحَقْلِ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجِمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَبَأً ثَقِيلاً جِدًّا. وَيُمَيِّزُ الرَّبُّ بَيْنَ مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ وَمَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ. فَلاَ يَمُوتُ مِنْ كُلِّ مَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْءٌ». وَعَيَّنَ الرَّبُّ وَقْتًا قَائِلاً: «غَدًا يَفْعَلُ الرَّبُّ هذَا الأَمْرَ فِي الأَرْضِ». فَفَعَلَ الرَّبُّ هذَا الأَمْرَ فِي الْغَدِ. فَمَاتَتْ جَمِيعُ مَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ **[← "وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ" (يونس 88)]**. وَأَمَّا مَوَاشِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَاحِدٌ" (الخروج 9:1-6).

التفسير العلمى: بسبب موت السمك (الظاهرة الأولى) و/أو موت الضفادع (الظاهرة الثانية)، تنتشر البكتريا. ثم تقوم الحشرات الصغيرة مثل البعوض (الظاهرة الثالثة) والذباب بأنواعه المختلفة لا سيما ذباب الكِلاب (الظاهرة الرابعة) بنقل هذه البكتريا إلى الماشية. ومِن الواضح أن هذه البكتريا تسببت فى مرض يؤدى إلى موت الماشية، ولعله مرض الجمرة الخبيثة (anthrax) أو ما يشبهه[6482].

ونلاحظ المبالغة (hyperbole) فى عبارة "مَاتَتْ **جَمِيعُ** مَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ" (الخروج 9:6) بينما نكتشف بعد ذلك أن بعض مواشى المصريين ما زالت على قيد الحياة (الخروج 9:19-21). ونحن نتفق هنا مع الرأى الذى يقول: "قد تكون "كل" للتكثير والمبالغة دون الإحاطة. فكلمة "كل" هنا تعنى "بعض" فإن المصريين الذين لم يبالوا بإنذارات الرب ماتت مواشيهم، أما الذين صدقوا قول الله وأدخلوا مواشيهم فى بيوتهم فنجت"[6483]. ينبغى إذن ألا نأخذ كل كلمة بمعناها الحرفى. "مَاتَتْ جَمِيعُ مَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ" لا تعنى بالضرورة 100%. كذلك، "وَأَمَّا مَوَاشِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَاحِدٌ" لا تعنى بالضرورة صفر%. ربما ماتت بعض مواشى بنى إسرائيل، لكن عددهم كان أقل بكثير مِن مواشى المصريين. وهذا أمر منطقى، فلقد كان بنو إسرائيل أفقر مِن المصريين، وبالتالى فإن مواشى بنى إسرائيل كانت بالتأكيد أقل بكثير من مواشى المصريين.

نعود إلى القصة: "وَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَإِذَا مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَلاَ وَاحِدٌ. وَلكِنْ غَلُظَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يُطْلِقِ الشَّعْبَ **[← "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)]**" (الخروج 9:7).

الظاهرة السادسة: الدمامل (Boils) (الخروج 9:8-12).

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «خُذَا مِلْءَ أَيْدِيكُمَا مِنْ رَمَادِ الأَتُونِ، وَلْيُذَرِّهِ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ أَمَامَ عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ، لِيَصِيرَ غُبَارًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَيَصِيرَ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ دَمَامِلَ طَالِعَةً بِبُثُورٍ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». فَأَخَذَا رَمَادَ الأَتُونِ وَوَقَفَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ، وَذَرَّاهُ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ، فَصَارَ دَمَامِلَ بُثُورٍ طَالِعَةً فِي النَّاسِ وَفِي الْبَهَائِمِ" (الخروج 9:8-10).

التفسير العلمى: الحشرات الصغيرة مثل البعوض (الظاهرة الثالثة) والذباب بأنواعه المختلفة لا سيما ذباب الكِلاب (الظاهرة الرابعة) نقلوا الأمراض من الماشية (الظاهرة الخامسة) إلى الحيوانات الأخرى والإنسان، فظهرت دمامل جلدية "فِي النَّاسِ وَفِي الْبَهَائِمِ"[6484]. ونلاحظ هنا مرة أخرى "تأثير الدومينو" (Domino effect) حيث تؤدى كل ظاهرة إلى الظاهرة التى تليها فى سلسلة طبيعية من السبب والنتيجة. أو كما قال القرآن: "وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا" (الزخرف 48). أما عبارة "كل أرض مصر" التى تكررت مرتين، فهى مجرد مبالغة (hyperbole) لا نأخذها بمعناها الحرفى.

نعود إلى القصة: "وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعَرَّافُونَ أَنْ يَقِفُوا أَمَامَ مُوسَى مِنْ أَجْلِ الدَّمَامِلِ، لأَنَّ الدَّمَامِلَ كَانَتْ فِي الْعَرَّافِينَ وَفِي كُلِّ الْمِصْرِيِّينَ. وَلكِنْ شَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى **[← "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)]**" (الخروج 9:11-12).

<u>الظاهرة السابعة:</u> إمطار البَرَد (Hail) (الخروج 9:13-35) **[← "الطُّوفَانَ" (الأعراف 133)]**.

كما سبق وقلنا: قيل إن "الطوفان" هو المطر. وقيل إنه الفيضان. ونحن لا نرى تعارضاً بين هذين المعنيين.

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «بَكِّرْ فِي الصَّبَاحِ وَقِفْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. لأَنِّي هذِهِ الْمَرَّةَ أُرْسِلُ جَمِيعَ ضَرَبَاتِي إِلَى قَلْبِكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَشَعْبِكَ، لِكَيْ تَعْرِفَ أَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي كُلِّ الأَرْضِ. فَإِنَّهُ الآنَ لَوْ كُنْتُ أَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُكَ وَشَعْبَكَ بِالْوَبَإِ، لَكُنْتَ تُبَادُ مِنَ الأَرْضِ. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُرِيَكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُخْبَرَ بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ[6485] **[← "لأَنَّهُ يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ: «إِنِّي لِهذَا بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُظْهِرَ فِيكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُنَادَى بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ»" (رومية 9:17) ← "لِتَكُونَ (يا فرعون) لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً (أى: عبرةً لمعاصريك ولمَن بعدك من الناس)" (يونس 92)]**. أَنْتَ مُعَانِدٌ بَعْدُ لِشَعْبِي حَتَّى لاَ تُطْلِقَهُ. هَا أَنَا غَدًا مِثْلَ الآنَ أُمْطِرُ بَرَدًا عَظِيمًا جِدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي مِصْرَ مُنْذُ يَوْمِ تَأْسِيسِهَا إِلَى الآنَ. فَالآنَ أَرْسِلِ احْمِ مَوَاشِيَكَ وَكُلَّ مَا لَكَ فِي الْحَقْلِ. جَمِيعُ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ الَّذِينَ يُوجَدُونَ فِي الْحَقْلِ وَلاَ يُجْمَعُونَ إِلَى الْبُيُوتِ، يَنْزِلُ عَلَيْهِمِ الْبَرَدُ فَيَمُوتُونَ». فَالَّذِي خَافَ كَلِمَةَ الرَّبِّ مِنْ عَبِيدِ فِرْعَوْنَ **[← "فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ (قيل: مِن قوم فرعون)" (يونس 83)]** هَرَبَ بِعَبِيدِهِ وَمَوَاشِيهِ إِلَى الْبُيُوتِ. وَأَمَّا الَّذِي لَمْ يُوَجِّهْ قَلْبَهُ إِلَى كَلِمَةِ الرَّبِّ فَتَرَكَ عَبِيدَهُ وَمَوَاشِيَهُ فِي الْحَقْلِ" (الخروج 9:13-21).

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ لِيَكُونَ بَرَدٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ: عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ عُشْبِ الْحَقْلِ فِي أَرْضِ مِصْرَ». فَمَدَّ مُوسَى عَصَاهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَأَعْطَى الرَّبُّ رُعُودًا وَبَرَدًا، وَجَرَتْ نَارٌ (أى: بَرْق lightning) عَلَى الأَرْضِ، وَأَمْطَرَ الرَّبُّ بَرَدًا عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. فَكَانَ بَرَدٌ، وَنَارٌ مُتَوَاصِلَةٌ فِي وَسَطِ الْبَرَدِ. شَيْءٌ عَظِيمٌ جِدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مُنْذُ صَارَتْ أُمَّةً. فَضَرَبَ الْبَرَدُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ جَمِيعَ مَا فِي الْحَقْلِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَضَرَبَ الْبَرَدُ جَمِيعَ عُشْبِ الْحَقْلِ وَكَسَّرَ جَمِيعَ شَجَرِ الْحَقْلِ **[← "وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ" (يونس 88)]**. إِلاَّ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا بَرَدٌ" (الخروج 9:22-26).

التفسير العلمى: يتضح مِن سياق الآيات أن هذا المَطَر والبَرَد قد حدث فى فصل الشتاء (يناير أو فبراير)، بدليل أن سفر الخروج يقول: "فَالْكَتَّانُ (flax) وَالشَّعِيرُ (barley) ضُرِبَا. لأَنَّ الشَّعِيرَ كَانَ مُسْبِلاً (had headed) وَالْكَتَّانُ مُبْزِرًا (in bloom). وَأَمَّا الْحِنْطَةُ (wheat) وَالْقَطَانِيُّ (rye; spelt) فَلَمْ تُضْرَبْ لأَنَّهَا كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً (grow later)" (الخروج 9:31-32). ومِن المعلوم أن الجو فى مصر (وأيضاً

فى كنعان) كان – ولا يزال – بارداً وممطراً فى فصل الشتاء[6486]. أما عبارات مثل "أُمْطِرُ بَرَدًا عَظِيمًا جِدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي مِصْرَ مُنْذُ يَوْمِ تَأْسِيسِهَا إِلَى الآنَ" وكلمات مثل "كل" و "جميع"، فهى مجرد مبالغات (hyperbole) لا نأخذها بمعناها الحرفى.

نعود إلى القصة: "فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَدَعَا مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ لَهُمَا: «أَخْطَأْتُ هذِهِ الْمَرَّةَ. الرَّبُّ هُوَ الْبَارُّ وَأَنَا وَشَعْبِي الأَشْرَارُ. صَلِّيَا إِلَى الرَّبِّ، وَكَفَى حُدُوثُ رُعُودِ اللهِ وَالْبَرَدُ، فَأُطْلِقَكُمْ وَلاَ تَعُودُوا تَلْبَثُونَ **[← "وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ (أى: العذاب) قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الأعراف 134) (الزخرف 48-49)]**». فَقَالَ لَهُ مُوسَى: «عِنْدَ خُرُوجِي مِنَ الْمَدِينَةِ أَبْسِطُ يَدَيَّ إِلَى الرَّبِّ، فَتَنْقَطِعُ الرُّعُودُ وَلاَ يَكُونُ الْبَرَدُ أَيْضًا، لِكَيْ تَعْرِفَ أَنَّ لِلرَّبِّ الأَرْضَ. وَأَمَّا أَنْتَ وَعَبِيدُكَ فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَمْ تَخْشَوْا بَعْدُ مِنَ الرَّبِّ الإِلهِ». [...] فَخَرَجَ مُوسَى مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ وَبَسَطَ يَدَيْهِ إِلَى الرَّبِّ، فَانْقَطَعَتِ الرُّعُودُ وَالْبَرَدُ وَلَمْ يَنْصَبَّ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ. وَلكِنْ فِرْعَوْنُ لَمَّا رَأَى أَنَّ الْمَطَرَ وَالْبَرَدَ وَالرُّعُودَ انْقَطَعَتْ، عَادَ يُخْطِئُ **[← "فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (أى: ينقضون عهدهم)" (الأعراف 135) (الزخرف 50)]** وَأَغْلَظَ (فرعونُ) قَلْبَهُ هُوَ وَعَبِيدُهُ. فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ **[← "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)]** فَلَمْ يُطْلِقْ (فرعونُ) بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى" (الخروج 9:27-35).

<u>الظاهرة الثامنة:</u> الجراد (Locusts) (الخروج 10:1-20) **[← "الْجَرَادَ" (الأعراف 133)]**.

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ لأَجْلِ الْجَرَادِ، لِيَصْعَدَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ وَيَأْكُلَ كُلَّ عُشْبِ الأَرْضِ، كُلَّ مَا تَرَكَهُ الْبَرَدُ». فَمَدَّ مُوسَى عَصَاهُ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، فَجَلَبَ الرَّبُّ عَلَى الأَرْضِ رِيحًا شَرْقِيَّةً (أو: جنوبية[6487]) كُلَّ ذلِكَ النَّهَارِ وَكُلَّ اللَّيْلِ. وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ، حَمَلَتِ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ (أو: الجنوبية) الْجَرَادَ، فَصَعِدَ الْجَرَادُ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ، وَحَلَّ فِي جَمِيعِ تُخُومِ مِصْرَ. شَيْءٌ ثَقِيلٌ جِدًّا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ جَرَادٌ هكَذَا مِثْلَهُ، وَلاَ يَكُونُ بَعْدَهُ كَذلِكَ، وَغَطَّى وَجْهَ كُلِّ الأَرْضِ حَتَّى أَظْلَمَتِ الأَرْضُ. وَأَكَلَ جَمِيعَ عُشْبِ الأَرْضِ وَجَمِيعَ ثَمَرِ الشَّجَرِ الَّذِي تَرَكَهُ الْبَرَدُ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ أَخْضَرُ فِي الشَّجَرِ وَلاَ فِي عُشْبِ الْحَقْلِ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ **[← "وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ" (يونس 88)]**" (الخروج 10:12-15).

التفسير العلمى: فى شهر مارس أو أبريل، قد تحمل الرياحُ الشرقية أو الجنوبية (الخروج 10:13) أسراباً كبيرة مِن الجراد المُهاجر إلى مصر، وتساعد الأمطارُ الغزيرة (الظاهرة السابعة) على تكاثره. يستطيع هذا الجراد أن يسبب أضراراً بالغة للنباتات والمحاصيل الزراعية[6488]. وما زالت هذه الظاهرة تحدث فى مصر بدرجات متفاوتة من وقت لآخر فى العصر الحالى. أما عبارات مثل "شَيْءٌ ثَقِيلٌ جِدًّا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ جَرَادٌ هكَذَا مِثْلَهُ، وَلاَ يَكُونُ بَعْدَهُ كَذلِكَ" وكلمات مثل "كل" و "جميع" التى تتكرر بصورة ملحوظة فى هذا الجزء، فهى مجرد مبالغات (hyperbole) لا نأخذها بمعناها الحرفى.

نعود إلى القصة: "فَدَعَا فِرْعَوْنُ مُوسَى وَهَارُونَ مُسْرِعًا وَقَالَ: «أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمَا وَإِلَيْكُمَا. وَالآنَ اصْفَحَا عَنْ خَطِيَّتِي هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ، وَصَلِّيَا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمَا لِيَرْفَعَ عَنِّي هذَا الْمَوْتَ فَقَطْ [← "وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ (أى: العذابُ) قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الأعراف 134) (الزخرف 48-49)]». فَخَرَجَ مُوسَى مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ. فَرَدَّ الرَّبُّ رِيحًا غَرْبِيَّةً (أو: ريحاً مِن البحر) شَدِيدَةً جِدًّا، فَحَمَلَتِ الْجَرَادَ وَطَرَحَتْهُ إِلَى بَحْرِ سُوفَ (Sea of Reeds) (La mer des Roseaux)[6489]. لَمْ تَبْقَ جَرَادَةٌ وَاحِدَةٌ فِي كُلِّ تُخُومِ مِصْرَ. وَلكِنْ شَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ [← "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)] فَلَمْ يُطْلِقْ (فرعونُ) بَنِي إِسْرَائِيلَ [← "فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (أى: ينقضون عهدهم)" (الأعراف 135) (الزخرف 50)]" (الخروج 10:16-20).

الظاهرة التاسعة: الظلام (Darkness) (الخروج 10:21-29).

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ لِيَكُونَ ظَلاَمٌ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، حَتَّى يُلْمَسُ الظَّلاَمُ». فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ فَكَانَ ظَلاَمٌ دَامِسٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. لَمْ يُبْصِرْ أَحَدٌ أَخَاهُ، وَلاَ قَامَ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. وَلكِنْ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ لَهُمْ نُورٌ فِي مَسَاكِنِهِمْ" (الخروج 10:21-23).

التفسير العلمى: هذا الظلام هو نتيجة طبيعية لرياح الخماسين التى كانت – ولا تزال – تهب على مصر فى فصل الربيع (مارس-مايو). وعادةً تكون هذه الرياح مُحمَّلَة بالأتربة التى تسبب بالفعل صعوبة شديدة فى الرؤية[6490]. وهى ظاهرة طبيعية تحدث فى دول البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة، وتُعرَف باسم (Sirocco wind). أما عبارات مثل "لَمْ يُبْصِرْ أَحَدٌ أَخَاهُ، وَلاَ قَامَ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ" وكلمات مثل "كل" و "جميع"، فهى مجرد مبالغات (hyperbole) لا نأخذها بمعناها الحرفى.

نعود إلى القصة: "فَدَعَا فِرْعَوْنُ مُوسَى وَقَالَ: «اذْهَبُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ [← "وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ (أى: العذابُ) قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الأعراف 134) (الزخرف 48-49)]. غَيْرَ أَنَّ غَنَمَكُمْ وَبَقَرَكُمْ تَبْقَى. أَوْلاَدُكُمْ أَيْضًا تَذْهَبُ مَعَكُمْ». فَقَالَ مُوسَى: «أَنْتَ تُعْطِي أَيْضًا فِي أَيْدِينَا ذَبَائِحَ وَمُحْرَقَاتٍ لِنَصْنَعَهَا لِلرَّبِّ إِلهِنَا، فَتَذْهَبُ مَوَاشِينَا أَيْضًا مَعَنَا. لاَ يَبْقَى ظِلْفٌ. لأَنَّنَا مِنْهَا نَأْخُذُ لِعِبَادَةِ الرَّبِّ إِلهِنَا. وَنَحْنُ لاَ نَعْرِفُ بِمَاذَا نَعْبُدُ الرَّبَّ حَتَّى نَأْتِيَ إِلَى هُنَاكَ». وَلكِنْ شَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ [← "اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ (أى: قلوب فرعون وملئه) فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)] فَلَمْ يَشَأْ (فرعونُ) أَنْ يُطْلِقَهُمْ [← "فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (أى: ينقضون عهدهم)" (الأعراف 135) (الزخرف 50)]. وَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ (أى: قال فرعونُ لموسى): «اذْهَبْ عَنِّي. اِحْتَرِزْ. لاَ تَرَ وَجْهِي أَيْضًا. إِنَّكَ يَوْمَ تَرَى وَجْهِي تَمُوتُ [← "قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي (أى: اتركونى) أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ" (غافر 26)]». فَقَالَ مُوسَى (لفرعون): «نِعِمَّا قُلْتَ. أَنَا لاَ أَعُودُ أَرَى وَجْهَكَ أَيْضًا»" (الخروج 10:24-29).

<u>الظاهرة العاشرة:</u> موت الأبكار (Death of firstborn) (الخروج 1:11 – 30:12).

فى هذا الجزء من التوراة (الخروج 12:1-14)، نجد تأسيس عيد "الفصح" (Passover) الذى يحتفل به اليهود "فَرِيضَةَ أَبَدِيَّة" كل سنة فى الشهر الأول (أبيب/نيسان) مِن السنة اليهودية الدينية، أى: الشهر السابع مِن السنة اليهودية المدنية، ويقابله: مارس-أبريل فى التقويم الميلادى الحالى. يبدأ الاستعداد لهذا العيد باختيار وشراء حَمَل الفصحِ (Passover Lamb) فى اليوم العاشر مِن هذا الشهر، ثم يُذبَح الحَمَلُ فى يوم العيد اليوم الرابع عشر "مَسَاءً نَحْوَ غُرُوبِ الشَّمْسِ" (التثنية 6:16)، عادةً بعد الظهر قبل الغروب. وبعده مباشرةً عيد "الفطير" (Unleavened Bread) "فَرِيضَةَ أَبَدِيَّة" يبدأ مع وجبة الفصح فى مساء اليوم الرابع عشر ويستمر لمدة سبعة أيام إلى مساء اليوم الحادى والعشرين من نفس الشهر (الخروج 12:15-20).

تقول التوراة: "فَدَعَا مُوسَى جَمِيعَ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمُ: «اسْحَبُوا وَخُذُوا لَكُمْ غَنَمًا بِحَسَبِ عَشَائِرِكُمْ وَاذْبَحُوا الْفِصْحَ (أى: اذبحوا حَمَلَ الفصح). وَخُذُوا بَاقَةَ زُوفَا (hyssop؛ هو: نبات مطهِّر) وَاغْمِسُوهَا فِي الدَّمِ (أى: دم حمل الفصح) [...] وَمُسُّوا الْعَتَبَةَ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ بِالدَّمِ [...]. فَإِنَّ الرَّبَّ يَجْتَازُ لِيَضْرِبَ الْمِصْرِيِّينَ. فَحِينَ يَرَى الدَّمَ عَلَى الْعَتَبَةِ الْعُلْيَا وَالْقَائِمَتَيْنِ يَعْبُرُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ (أى: يحميكم الربُّ؛ يسْتركم الربُّ) وَلاَ يَدَعُ الْمُهْلِكَ يَدْخُلُ بُيُوتَكُمْ لِيَضْرِبَ [← **"وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا (متميزة عن بيوت المصريين، أو منعزلة عنها)" (يونس 87)**]. فَتَحْفَظُونَ هذَا الأَمْرَ فَرِيضَةً لَكَ وَلأَوْلاَدِكَ إِلَى الأَبَدِ (أى: فَرِيضَة أَبَدِيَّة). وَيَكُونُ حِينَ تَدْخُلُونَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكُمُ الرَّبُّ كَمَا تَكَلَّمَ، أَنَّكُمْ تَحْفَظُونَ هذِهِ الْخِدْمَةَ. وَيَكُونُ حِينَ يَقُولُ لَكُمْ أَوْلاَدُكُمْ: مَا هذِهِ الْخِدْمَةُ لَكُمْ؟ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: هِيَ ذَبِيحَةُ فِصْحٍ لِلرَّبِّ الَّذِي عَبَرَ عَنْ بُيُوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ لَمَّا ضَرَبَ الْمِصْرِيِّينَ وَخَلَّصَ بُيُوتَنَا». فَخَرَّ الشَّعْبُ وَسَجَدُوا. وَمَضَى بَنُو إِسْرَائِيلَ وَفَعَلُوا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ. هكَذَا فَعَلُوا. فَحَدَثَ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ أَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ بِكْرِ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بِكْرِ الأَسِيرِ الَّذِي فِي السِّجْنِ، وَكُلَّ بِكْرِ بَهِيمَةٍ. فَقَامَ فِرْعَوْنُ لَيْلاً هُوَ وَكُلُّ عَبِيدِهِ وَجَمِيعُ الْمِصْرِيِّينَ. وَكَانَ صُرَاخٌ عَظِيمٌ فِي مِصْرَ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْتٌ لَيْسَ فِيهِ مَيْتٌ" (الخروج 12:21-30).

التفسير العلمى: يمكن تفسير هذه الظاهرة بالأوبئة التى كانت تحدث قديماً فى مصر وظلت تحدث بدرجات متفاوتة حتى أوائل القرن العشرين بسبب تلوث الماء و/أو فساد الطعام. ولأن مناعة الأطفال أضعف من مناعة الكبار، فَإن الأطفال هُمْ الأكثر تأثراً بهذه الأوبئة والأمراض. ويُعتقَد أن الظاهرة العاشرة كانت مشابهة لوباء "الموت الأسود" (Black Death, Bubonic plague) الذى ضرب أوروبا فى القرن الرابع عشر الميلادى[6491].

لكن لماذا "الابن البِكر" هو الذى مات؟ ربما لأنه يخرج مِن البيت أكثر مِن إخوته الصغار، فهو إذن أكثر عُرضةً منهم للإصابة بالوباء. أو ربما لأنه يأكل (مِن الطعام الذى فسد) ويشرب (مِن الماء الذى تلوث) أكثر مِن إخوته الصغار أو قبل إخوته الصغار.

ولماذا " كُلّ بِكْرٍ" و "كُلّ بِكْر بَهِيمَةٍ"؟! ربما يكون هذا الجزء من القصة مجرد تمهيد لشريعة "تكريس الأبكار" (Consecration of the Firstborn) المذكورة فى الإصحاح التالى: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي»" (الخروج 13:1-2) (الخروج 13:11-16).

أما عبارات مثل "لَمْ يَكُنْ بَيْتٌ لَيْسَ فِيهِ مَيْتٌ" وكلمات مثل "كل" و "جميع"، فهى مجرد مبالغات (hyperbole) لا نأخذها بمعناها الحرفى.

نؤكد مرة أخرى: لا يمكن تفسير "موت الأبكار" تفسيراً حرفياً، لأننا لو فعلنا ذلك سنقف حيارى أمام أسئلة كثيرة، مثل: ما ذنب هؤلاء الأطفال الصغار أن يهلكوا بسبب خطايا آبائهم؟! أين عدل الله؟! وأين رحمته؟! وهل كان كل المصريين مؤيدين لفرعون حتى يُعاقَبوا مثله؟! وما ذنب البهائم؟! ... الخ.

يجب إذن أن نفسر هذا الجزء تفسيراً مجازياً بأن نقول إنه مجرد "مَثَل" (parable) يُعلِّمنا أن أى حاكم جبار سينال جزاءَه حتماً عاجلاً أو آجلاً، وستكون عقوبته بما يُنَاسِبه. تقول التوراة: "قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى (عند عودته مِن مِديان إلى مصر): «عِنْدَمَا تَذْهَبُ لِتَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ، انْظُرْ جَمِيعَ الْعَجَائِبِ الَّتِي جَعَلْتُهَا فِي يَدِكَ وَاصْنَعْهَا قُدَّامَ فِرْعَوْنَ. وَلكِنِّي أُشَدِّدُ قَلْبَهُ حَتَّى لاَ يُطْلِقَ الشَّعْبَ. فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ (My Firstborn Son)[6492]. فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي، فَأَبَيْتَ أَنْ تُطْلِقَهُ. هَا أَنَا أَقْتُلُ ابْنَكَ الْبِكْرَ (your firstborn son)»" (الخروج 4:21-23). وتقول آخر رواية قرآنية مكية لقصة موسى وفرعون: "وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ. فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ (أى: كَانَتْ عُقُوبَته بِمَا يُنَاسِبهُ)" (العنكبوت 39-40).

ويمكن أيضاً أن نفسر هذا الجزء تفسيراً روحانياً بأن نقول إنه مجرد رمز (allegory) ليسوع المسيح الذى يُوصَف منذ فجر المسيحية إلى اليوم بأنه "حَمَل الفصح" (Passover Lamb) (1 كورنثوس 7:5) أو "حَمَل الله" (Lamb of God) (يوحنا 29:1 و 36) أو "حَمَل" (1 بطرس 19:1 وعدة مرات فى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى)؛ وذلك لأن: بدلاً مِن ذبح حَمَل بلا عيب كل سنة فى عيد الفصح، ذُبح "حَمَل الله" الكامل على الصليب، مرة واحدة وإلى الأبد، من أجل مغفرة خطايانا واتحادنا معه[6493]. ومِن المعلوم أن يسوع المسيح هو ابن الله البِكر (God's Firstborn Son) (العبرانيين 1:1-6)[6494] وابن مريم البِكر (Mary's Firstborn Son) (لوقا 7:2) الذى قُدِّمَ للرب بموجب شريعة تكريس الأبكار: "وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ. وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ

تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ" (لوقا 2:21-23).

ومِن المعلوم أيضاً أن الإنجيل يقول إن أحداث صَلْب يسوع المسيح وموته وقيامته (أى: خروجه من القبر حياً) حدثت فى فترة عيد الفصح وعيد الفطير. ومِن ثم يتضح لنا العلاقة الوثيقة بين الخروج والقيامة. ولذلك فإننا لم نندهش حين وجدنا القرآن يستخدم "الخروج" (exodus) للإشارة إلى الخروج مِن القبور أحياء (أى: إحياء الموتى، البعث، القيامة): "يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ" (ق 42)، "وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ" (ق 9-11). اقرأ أيضاً (المؤمنون 35) (النمل 67) (الأعراف 25) (الروم 19) (الأحقاف 17) (مريم 66) (الأنعام 95) (المائدة 110) (الزلزلة 2)[6495].

الخلاصة: يتضح مِن كل ما سبق أن قصة "الآيات التسع" المذكورة فى القرآن هى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "الضربات العشر" المذكورة فى العهد القديم، التى هى بدورها مجرد قصة أدبية مستوحاة مِن ظواهر طبيعية كانت تحدث بالفعل فى مصر (و/أو كنعان) **قبل** التوراة بمئات السنين وبعضها ما زال يحدث فى مصر (و/أو كنعان) بدرجات متفاوتة من حين لآخر حتى عصرنا الحديث.

ونختم كلامَنا بما قالته الترجمة اليسوعية تعليقاً على الضربات التسع الأولى: "ورواية الخروج الوارد ذكرها فى 7:14 – 10:29 هى قطعة أدبية، على غرار سائر الروايات المذكورة أعلاه. [...] لا حاجة إلى محاولة شرح هذه الخوارق [أى: الآيات] باللجوء إلى علم الفلك أو إلى العلوم الطبيعية، فرواية الخوارق تستخدم ظواهر طبيعية معروفة فى مصر وغير معروفة فى فلسطين (النيل الأحمر والضفدع والشلوق الأسود) أو معروفة فى مصر وفلسطين (الجراد) أو أيضاً معروفة فى فلسطين ونادرة فى مصر (البَرَد). المهم هو هدف الرواية، أى ظهور قدرة الرب لعيون بنى إسرائيل وفرعون"[6496].

مِن كل ما سبق يتضح أن قصة الضربات العشر (الآيات التسع) – بل قصة الخروج بصفة عامة – سواء فى التوراة أو القرآن ليست قصة حقيقية، وإنما هى مجرد (myth)، أى قصة لا يهدف كاتبُها إلى سرد أحداث حقيقية، وإنما يهدف إلى تأكيد معانى أكبر وقيم أسمى، مثل: الخلاص (النجاة) (Salvation; Deliverance) والقيامة (Resurrection).

4.33 خروج بني إسرائيل مِن مصر وغرق فرعون وكل جنوده أجمعين!

ذكر القرآنُ هذه القصة فى سبع روايات هى حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن[6497]:

قال صاحب رواية سورة الأعراف: فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ (أى: انتقم اللهُ مِن عدوٍّ بنى إسرائيل) فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ {136} وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ (أى: أَوْرَثْنَا بنى إسرائيل) مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا (for their patience, endurance) وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ (مِن الصروح والقصور) وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (أى: يبنون، يرفعون)[6498] {137} وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ [...] {138}.

وقال صاحب رواية سورة طه: وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا (أى: لا تخاف أن يدركك فرعونُ وجنوده) وَلَا تَخْشَى (فى البحر غرقاً) {77} فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ {78} وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى {79}.

وقال صاحب رواية سورة الشعراء: وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ {52} فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ {53} إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ {54} وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ {55} وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ {56} فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {57} وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {58} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ {59} فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ {60} فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ {61} قَالَ (موسى) كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ {62} فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ (البحرُ) فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ (أى: الجبل) الْعَظِيمِ {63} وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (أى: قَرَّبنا هناك فرعون وجنوده حتى دخلوا البحرَ) {64} وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ {65} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (أى: أغرقنا فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم) {66} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {67} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {68}.

وقال صاحب رواية سورة القصص: وَاسْتَكْبَرَ هُوَ (أى: فرعونُ) وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ {39} فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ (يا محمد وحذر قومك) كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ {40} وَجَعَلْنَاهُمْ (أى: جعلنا فرعونَ وقومَه) أَئِمَّةً (أى: قادة) يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ {41} وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ {42}.

وقال صاحب رواية سورة الإسراء (بنى إسرائيل): فَأَرَادَ (عدوُّ بنى إسرائيل) أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ (أى: يُخرجهم) مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا {103}وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا {104}.

أما صاحب رواية سورة يونس، فانفرد بإضافة هامة وهى أن فرعون قد "آمن" و "أسلم" فى اللحظة الأخيرة! وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (أى: المستسلمين، المنقادين لله!) {90} آلْآنَ

وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ {91} فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ (أى: جثتك؛ جسدك الميت) لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً (أى: عبرةً لمعاصريك ولمَن بعدك مِن الناس) وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ {92} وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ {93} فَإِنْ كُنْتَ (يا محمد) فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ {94} وَلَا تَكُونَنَّ (يا محمد) مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ {95}.

وقال صاحب رواية سورة البقرة: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ {47} وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ (أى: فِدَاء) وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ {48} وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ (أى: يُذيقونكم) سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ[6499] {49} وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ {50}.

4.33.1 جذور القرآن فى التوراة

كالعادة، فإن هذه القصة القرآنية ليست بجديدة، إذ هى معروفة ومذكورة فى التوراة قبل القرآن بمئات السنين. بل إنها أهم وأشهر قصة فى التوراة، ولذلك فإنه مِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة.

(الخروج 12): {31} فَدَعَا (فرعونُ) مُوسَى وَهَارُونَ لَيْلاً وَقَالَ: «قُومُوا اخْرُجُوا مِنْ بَيْنِ شَعْبِي أَنْتُمَا وَبَنُو إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا، وَاذْهَبُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ **[⟵ "فَأَرَادَ (عدوُّ بنى إسرائيل) أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ (أى: يُخرِجهم) مِنَ الْأَرْضِ" (الإسراء 103)]**. {32} خُذُوا غَنَمَكُمْ أَيْضًا وَبَقَرَكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ وَاذْهَبُوا. وَبَارِكُونِي أَيْضًا». {33} وَأَلَحَّ الْمِصْرِيُّونَ عَلَى الشَّعْبِ (أى: عَلَى بنى إسرائيل) لِيُطْلِقُوهُمْ عَاجِلاً مِنَ الأَرْضِ، لأَنَّهُمْ قَالُوا: «جَمِيعُنَا أَمْوَاتٌ».

(الخروج 12): {35} وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا. {36} وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ[6500] **[⟵ "حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ (أى: أثقالاً مِنْ حُلِيِّ المصريين)" (طه 87) "حُلِيِّهِمْ" (الأعراف 148)]**.

وتقول التوراة عن تلك الليلة التى خرج فيها بنو إسرائيل من مصر: "هِيَ لَيْلَةٌ تُحْفَظُ لِلرَّبِّ لإِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ (أى: لإِخْرَاجِهِ بنى إسرائيل) مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. هذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لِلرَّبِّ. تُحْفَظُ مِنْ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَجْيَالِهِمْ" (الخروج 42:12)، "اِحْفَظْ (يا بنو إسرائيل) شَهْرَ أَبِيبَ وَاعْمَلْ فِصْحًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، لأَنَّهُ فِي شَهْرِ

أَبِيبَ أَخْرَجَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ مِصْرَ لَيْلاً" (التثنية 16:1) **[← "وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي (أى: ببنى إسرائيل)[6501]" (الشعراء 52) (طه 77) "فَأَسْرِ (يا موسى) بِعِبَادِي لَيْلًا" (الدخان 23)]**.

(الخروج 13): {17} وَكَانَ لَمَّا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ الشَّعْبَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَهْدِهِمْ فِي طَرِيقِ أَرْضِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ (الترجمة الأكثر دقة: الفِلِسْطِيِّينَ[6502] Philistines) (أي: الطريق المحاذي لشاطىء البحر الأبيض المتوسط شمال سيناء) مَعَ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ، لأَنَّ اللهَ قَالَ: «لِئَلاَّ يَنْدَمَ الشَّعْبُ إِذَا رَأَوْا حَرْبًا [ضد الجيش المصري الذي يحمي هذه الطريق] وَيَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ». {18} فَأَدَارَ اللهُ الشَّعْبَ فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةِ بَحْرِ سُوفٍ. وَصَعِدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُتَجَهِّزِينَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. [...] {20} وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ (Succoth) وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ (Etham) فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ. {21} وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ **[← "وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ (أى: السحاب)" (الأعراف 160) "وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ" (البقرة 57)]** لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً. {22} لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ.

(الخروج 14): {1} وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: {2} «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْجِعُوا وَيَنْزِلُوا أَمَامَ فَمِ الْحِيرُوثِ (Pi Hahiroth) بَيْنَ مَجْدَلَ (Migdol) وَالْبَحْرِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونَ (Baal Zephon). مُقَابِلَهُ تَنْزِلُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ. {3} فَيَقُولُ فِرْعَوْنُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: هُمْ مُرْتَبِكُونَ فِي الأَرْضِ. قَدِ اسْتَغْلَقَ عَلَيْهِمِ الْقَفْرُ. {4} وَأُشَدِّدُ قَلْبَ فِرْعَوْنَ حَتَّى يَسْعَى وَرَاءَهُمْ **[← "إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ" (الشعراء 52) (الدخان 23)]**، فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ جَيْشِهِ، وَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ **[← "لِتَكُونَ (يا فرعون) لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً" (يونس 92)]**». فَفَعَلُوا هكَذَا.

(الخروج 14): {5} فَلَمَّا أُخْبِرَ مَلِكُ مِصْرَ أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ هَرَبَ، تَغَيَّرَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ عَلَى الشَّعْبِ. فَقَالُوا: «مَاذَا فَعَلْنَا حَتَّى أَطْلَقْنَا إِسْرَائِيلَ مِنْ خِدْمَتِنَا؟» {6} فَشَدَّ (فرعونُ) مَرْكَبَتَهُ وَأَخَذَ قَوْمَهُ مَعَهُ. {7} وَأَخَذَ سِتَّ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ مُنْتَخَبَةٍ وَسَائِرَ مَرْكَبَاتِ مِصْرَ وَجُنُودًا مَرْكَبِيَّةً عَلَى جَمِيعِهَا **[← "فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ" (الشعراء 53)]**. {8} وَشَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ حَتَّى سَعَى وَرَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ خَارِجُونَ بِيَدٍ رَفِيعَةٍ. {9} فَسَعَى الْمِصْرِيُّونَ وَرَاءَهُمْ **[← "فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (أى: فى وقت شروق الشمس؛ و/أو: نحو المشرق)" (الشعراء 60)]** وَأَدْرَكُوهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ وَفُرْسَانِهِ وَجَيْشِهِ، وَهُمْ نَازِلُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ عِنْدَ فَمِ الْحِيرُوثِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونَ. {10} فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ رَفَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عُيُونَهُمْ، وَإِذَا الْمِصْرِيُّونَ رَاحِلُونَ وَرَاءَهُمْ. فَفَزِعُوا جِدًّا، وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ **[← "فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ" (الشعراء 61)]**. {11} وَقَالُوا لِمُوسَى: «هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ {12} أَلَيْسَ هذَا هُوَ الْكَلاَمَ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَنَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ؟ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ». {13} فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لاَ تَخَافُوا. قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ الَّذِي يَصْنَعُهُ لَكُمُ الْيَوْمَ **[←**

"قَالَ (موسى) كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (طريقَ النجاة؛ سبيل النجاة[6503])" (الشعراء 62)]. فَإِنَّهُ كَمَا رَأَيْتُمُ الْمِصْرِيِّينَ الْيَوْمَ، لاَ تَعُودُونَ تَرَوْنَهُمْ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ. {14} الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ **[← "وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" (البقرة 50)[6504]]**».

الخطة الإلهية. **(الخروج 14):** {15} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَا لَكَ تَصْرُخُ إِلَيَّ؟ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْحَلُوا. {16} وَارْفَعْ أَنْتَ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ وَشُقَّهُ **[← "فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ" (الشعراء 63)]**، فَيَدْخُلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ **[← "فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا (أى: لا تخاف أن يدركك فرعونُ وجنوده) وَلَا تَخْشَى (فى البحر غرقاً)" (طه 77)]**. {17} وَهَا أَنَا أُشَدِّدُ قُلُوبَ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى يَدْخُلُوا وَرَاءَهُمْ، فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَكُلِّ جَيْشِهِ، بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ **[← "وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا (أى: ساكناً مفتوحاً، كما هو على هيئته حتى ينخدع المصريون ويدخلوا وراءكم) إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ" (الدخان 24)]**. {18} فَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ **[← "لِتَكُونَ (يا فرعون) لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً" (يونس 92)]**».

(الخروج 14): {19} فَانْتَقَلَ مَلاَكُ اللهِ **[← "الرَّسُول (جبريل)" (طه 96)]** السَّائِرُ أَمَامَ عَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ وَسَارَ وَرَاءَهُمْ، وَانْتَقَلَ عَمُودُ السَّحَابِ مِنْ أَمَامِهِمْ وَوَقَفَ وَرَاءَهُمْ (ليحميهم) **[← "وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ (أى: السحاب)" (الأعراف 160) "وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ" (البقرة 57)]**. {20} فَدَخَلَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَعَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ، وَصَارَ السَّحَابُ وَالظَّلاَمُ وَأَضَاءَ اللَّيْلَ. فَلَمْ يَقْتَرِبْ هذَا إِلَى ذَاكَ كُلَّ اللَّيْلِ.

تنفيذ الخطة الإلهية. **(الخروج 14):** {21} وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ. {22} فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ **[← "فَانْفَلَقَ (البحرُ) فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ (أى: الجبل) الْعَظِيمِ" (الشعراء 63) "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ" (الأعراف 138) (يونس 90)[6505]]**. {23} وَتَبِعَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَدَخَلُوا وَرَاءَهُمْ **[← "فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ" (طه 78) "فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا" (يونس 90) "وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (أى: قَرَّبنا هناك فرعون وجنوده حتى دخلوا البحرَ)" (الشعراء 64)]**. جَمِيعُ خَيْلِ فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى وَسَطِ الْبَحْرِ. {24} وَكَانَ فِي هَزِيعِ الصُّبْحِ أَنَّ الرَّبَّ أَشْرَفَ عَلَى عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ فِي عَمُودِ النَّارِ وَالسَّحَابِ، وَأَزْعَجَ عَسْكَرَ الْمِصْرِيِّينَ، {25} وَخَلَعَ بَكَرَ مَرْكَبَاتِهِمْ حَتَّى سَاقُوهَا بِثَقْلَةٍ. فَقَالَ الْمِصْرِيُّونَ: «نَهْرُبُ مِنْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ يُقَاتِلُ الْمِصْرِيِّينَ عَنْهُمْ». {26} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ لِيَرْجِعَ الْمَاءُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ». {27} فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ. فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. {28} فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ **[← "فَأَغْرَقْنَاهُ (أى: أغرقنا فرعونَ) وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا" (الإسراء 103) "انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ (أى: أحللنا بهم النقمة - وهى ضد النعمة) فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ" (الزخرف 55)**

"فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ" (الأعراف 136) "فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ" (القصص 40) "فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ" (الذاريات 40) "فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ" (طه 78) "فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (بالغرق فى البحر)" (المؤمنون 48) "كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ" (القمر 42)]. {29} وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ، وَالْمَاءُ سُورٌ (wall) لَهُمْ **[⟵ "كَالطَّوْدِ (أى: الجبل) الْعَظِيمِ" (الشعراء 63)]** عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ.

ومِن الجدير بالذِكر أن العهد القديم قد أشار فى مواضع أخرى إلى هذا الجزء من قصة الخروج. على سبيل المثال: "وَبِرِيحِ أَنْفِكَ (يا ربُّ) تَرَاكَمَتِ الْمِيَاهُ. انْتَصَبَتِ الْمَجَارِيَ كَرَابِيَةٍ (heap) **[⟵ "كَالطَّوْدِ (أى: الجبل) الْعَظِيمِ" (الشعراء 63)]**" (الخروج 15:8)؛ "شَقَّ الْبَحْرَ فَعَبَّرَهُمْ، وَنَصَبَ الْمِيَاهَ كَنَدٍّ (heap) **[⟵ "كَالطَّوْدِ (أى: الجبل) الْعَظِيمِ" (الشعراء 63)]**" (المزامير 78:13)؛ "فَإِنَّ خَيْلَ فِرْعَوْنَ دَخَلَتْ بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى الْبَحْرِ، وَرَدَّ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ مَاءَ الْبَحْرِ. وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ" (الخروج 15:19). ولو لم يسمع أصحابُ القرآن سوى الترنيمة المذكورة فى (الخروج 15) أو (المزامير 78)، لكان ذلك كافياً، فهى تذكر بإيجاز أهم أحداث هذا الجزء من القصة التوراتية. ويجب هنا أن نقول إن هذه الترانيم كانت - وما زالت - مشهورة جداً ويرددها اليهود والمسيحيون أيضاً. فلقد أشار العهد الجديد إلى ترنيمة "أُرَنِّمُ لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ. [...]" (الخروج 15:1-21) وأسماها "تَرْنِيمَةَ مُوسَى عَبْدِ اللهِ" (الرؤيا 15:3). إذن: مِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه الترانيم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة.

ومِن الجدير بالذِكر أيضاً أن كلمة "الطَّوْد" لم تُذكر في القرآن كله إلا مرة واحدة فقط هي: "فَانْفَلَقَ [البحرُ] فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ (أي: الجبل) الْعَظِيمِ" (الشعراء 63). وقال العالِم المغربي "محمد المسيَّح" الخبير في مخطوطات القرآن إنها كانت أصلاً "كَالطُّور (أي: الجبل) الْعَظِيمِ" لكن "أخطأ الناقِلُ في هذه الكلمة مِن الأصل الآرامي فكتب كلمةَ "كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" [...] فبدلاً مِن كلمة "كَالطُّور الْعَظِيمِ" كتب "كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" [...] أخطأ الناسِخُ الأصلي الذي كتب النَّص القرآني فكتب "كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" بدلاً مِن "كَالطُّور الْعَظِيمِ" [...] طبعاً هذا [الخطأ] واضح بالنسبة لكل شخص سرياني يعرف الأحرف السريانية. واضح هذا الخطأ، و هذا شائع. هذا الخطأ شائع، حتى الشخص المبتدئ في تعلُّم اللغة السريانية يعني خصوصاً في السنة الأولى مِن تدريس الحروف في اللغة السريانية [...] يُشاع [عنده] هذا الخطأ بنقل بدل الدال راء أو بدل الراء دال. إذن: الناسخ نقل كلمة "كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" خطأ [...] سهواً نقلَها سهواً"[6506]. بعبارة أخرى: سبب هذا الخطأ القرآني هو تشابه رسم ونطق الكلمتين "طُّور" و "طَّوْد"، فكانت الكلمة الأصلية هي "طُّور" لكن يبدو أن الناسِخ كان مبتدئاً لِسِنِّه في سنة أولى فأخطأ سهواً بدون قصد وكتبها "طَّوْد" ثم ظلت هكذا بكتابتها الخاطئة إلى اليوم (الشعراء 63). مما يؤكد بَشرية القرآن (المصحف) وفي الوقت نفسه يؤكد جذوره السريانية/الآرامية. ومن الجدير بالذكر هنا أن الخلط بين الدال والراء أمر شائع في العبرية أيضاً وله دليل في التوراة أيضاً. مثلاً

"رَعُوئِيل" أبو أَلِيَاسَاف رئيس جند سبط جَاد (العدد 14:2) هو نفسه المدعو "دَعُوئِيل" (العدد 14:1، 42:7، 47:7، 20:10)! تقول دائرة المعارف الكتابية تعليقاً على ذلك: "وما أسهل الخلط بين الدال والراء في القراءة سواء في العبرية أو العربية"[6507].

نعود إلى (**الخروج 14**): {30} فَخَلَّصَ الرَّبُّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ. وَنَظَرَ إِسْرَائِيلُ الْمِصْرِيِّينَ أَمْوَاتًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ[6508] [← **"وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (أى: أغرقنا فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم)" (الشعراء 65-66) "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ [...] وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ [...] وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" (البقرة 47-50) "وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ" (الصافات 114-116) "فَالْيَوْمَ [يا فرعون] نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ (أى: جثتك، جسدك الميت)" (يونس 92)**]. {31} وَرَأَى إِسْرَائِيلُ الْفِعْلَ الْعَظِيمَ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ بِالْمِصْرِيِّينَ [← **"لِتَكُونَ [يا فرعون] لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً" (يونس 92) "فَجَعَلْنَاهُمْ (أى: جعلنا فرعون وقومه) سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ" (الزخرف 56) "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً" (الشعراء 67) "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى" (النازعات 26)**]، فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَآمَنُوا بِالرَّبِّ وَبِعَبْدِهِ مُوسَى [← **"وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ" (الشعراء 67) "وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ" (يونس 92)**]!.

لاحظنا فى هذه الآية الأخيرة أن الإصحاح الرابع عشر من سفر الخروج انتهى بقوله "فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَآمَنُوا بِالرَّبِّ وَبِعَبْدِهِ مُوسَى" (الخروج 31:14) بينما انتهت رواية سورة الشعراء فى القرآن بقوله "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ" (الشعراء 67). ولا يهمنا إن كان الضمير فى "أَكْثَرُهُمْ" يعود على قوم فرعون أو على بني إسرائيل أو حتى على قوم محمد. المهم هو أن هذه الجملة القرآنية هى بلا شك مجرد جملة دخيلة استخدمها أصحابُ القرآن ليختتموا حديثهم عن قصة موسى وفرعون، بدليل أنها نفس الجملة التى استخدموها فى نفس السورة ليختتموا حديثهم عن قوم محمد (الشعراء 8) وقوم إبراهيم (الشعراء 103) وقوم نوح (الشعراء 121) وقوم هود (الشعراء 139) وقوم صالح (الشعراء 158) وقوم لوط (الشعراء 174) وأصحاب الأيكة (الشعراء 190)[6509]. إنها إذن مجرد عبارة formulaic استخدمها أصحابُ القرآن فى أكثر من قصة[6510].

أما فكرة "نجاة" فرعون ببدنه (أي: جثة هامدة): "فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ" (يونس 92). فهي إما تطور بشري طبيعي لِمَا تقوله التوراةُ عن المصريين بصفة عامة: "وَنَظَرَ إِسْرَائِيلُ الْمِصْرِيِّينَ أَمْوَاتًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ" (الخروج 30:14). وإما مستوحاة من سفر حزقيال الذي يتنبأ ضد فرعون مَلِك مصر شخصياً، فيقول: "[...] كَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: «يَا ابْنَ آدَمَ، اجْعَلْ وَجْهَكَ نَحْوَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ وَتَنَبَّأْ عَلَيْهِ وَعَلَى مِصْرَ كُلِّهَا. تَكَلَّمْ وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكَ يَا فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ، التِّمْسَاحُ الْكَبِيرُ الرَّابِضُ فِي وَسْطِ أَنْهَارِهِ، الَّذِي قَالَ: نَهْرِي لِي، وَأَنَا عَمِلْتُهُ لِنَفْسِي.

فَأَجْعَلُ خَزَائِمَ (أي: كلاليب؛ خطاطيف) فِي فَكَّيْكَ وَأُلْزِقُ سَمَكَ أَنْهَارِكَ بِحَرْشَفِكَ، وَأُطْلِعُكَ [قَسْراً] مِنْ وَسْطِ أَنْهَارِكَ وَكُلُّ سَمَكِ أَنْهَارِكَ مُلْزَقٌ بِحَرْشَفِكَ. وَأَتْرُكُكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَنْتَ وَجَمِيعَ سَمَكِ أَنْهَارِكَ. عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ تَسْقُطُ [⟵ **"فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ (أي: جثتك، جسدك الميت)" (يونس 92)**] فَلاَ تُجْمَعُ وَلاَ تُلَمُّ (أي: لن تُدفن عِظامُك، ومِن ثم ستخيب آمالك العريضة في الحياة بعد الموت). بَذَلْتُكَ طَعَامًا لِوُحُوشِ الْبَرِّ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ. وَيَعْلَمُ كُلُّ سُكَّانِ مِصْرَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ [⟵ **"لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ" (يونس 92)**]، [...]" (حزقيال 29:1-6). إلا أن فرعون المذكور في هذه الآيات من سفر حزقيال هو "حَفْرَع" (Hophra; Apries) مَلِك مصر المعاصر لحزقيال في القرن السادس قبل الميلاد (589 – 570 ق.م تقريباً) والمذكور في (إرميا 44:30). وليس مَلِك مصر المعاصر لموسى في القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد. فهل استبدل أصحابُ القرآن فرعونَ موسى بفرعون حزقيال؟ ربما.

4.33.2 هل عَبَرَ بنو إسرائيل البحر الأحمر؟

تتفق القصتان القرآنية والتوراتية على أن بنى إسرائيل قد عبروا مجرى مائى بعد أن تحول بمعجزة إلهية إلى يابسة، ثم انطبق هذا المجرى المائى على فرعون وجنوده فهلكوا جميعاً!

إلا أن القصة القرآنية لم تحدد اسم هذا المجرى المائى المزعوم ولا حتى موقعه الجغرافى، واكتفت بوصفه "الْيَمّ" (الأعراف 136) (القصص 40) (الذاريات 40) (طه 78) أو "الْبَحْر" (الشعراء 63) (طه 77) (الدخان 24) (الأعراف 138) (يونس 90) (البقرة 50)!

أما القصة التوراتية فكانت أكثر تحديداً، إذ ذكرت بعض المدن أو المحطات التى مر بها بنو إسرائيل. لكننا لا نعلم مكان هذه المدن على وجه اليقين(6511). ولذلك اختلف العلماء فى تحديد مسار بنى إسرائيل مِن مصر إلى كنعان عن طريق سيناء.

وما يهمنا فى هذا الجزء هو فقط تحديد هذا المجرى المائى الذى عبره بنو إسرائيل. قالت التوراة إنه "بَحْر سُوف" (بالعبرية: "يَمّ سُوف" Yam Suph) (الخروج 18:13) (الخروج 4:15) الذى يُترجَم أحياناً إلى "البحر الأحمر" (Red Sea) (La mer Rouge)! وكما سبق وقلنا، نحن لا نفضل هذه الترجمة، لأن كلمة "يَمّ" قد تعنى "نهر" (طه 39) (القصص 7)، وكلمة "سُوف" تعنى "الحَلفاء" أو "القَصَب" أو "الخَيزَران"(6512). والحَلفاء نبات مائى، بدليل أن التوراة تقول: "أَخَذَتْ (أم موسى) لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحُمَرِ وَالزِّفْتِ، وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ (reeds) (roseaux) عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ" (الخروج 3:2). وفى الترجمة السبعينية (اليونانية)، أم موسى وضعته في سَلَّةٍ ثم وضعت السلةَ في بِرْكَة ماء (marsh) أو منحدر طيني (ooze)(6513) ينمو به نباتُ الحَلفاء بجوار نهر النيل.

وبذلك فإن "يَمّ سُوف" تعنى (Sea of Reeds) (La mer des Roseaux)، أى: "بحر الحَلفاء" أو "بحر القَصَب" أو "بحر الخَيْزَران (البوص)" أو ربما "مستنقعات ورق البردى"[6514].

العجيب هو أن الترجمة السبعينية تترجم بعد ذلك "يَمّ سُوف" إلى "البحر الأحمر"!، رغم أن كلمة "سُوف" لا تعنى "أحمر"، ونبات الحَلفَاء ليس لونه أحمر، والأدلة التى أمامنا تشير إلى تجمع مائى صغير وضحل وعذب. وهى صفات لا تنطبق إطلاقاً على البحر الأحمر (بحر القلزم) ولا حتى على خليج السويس (Gulf of Suez) أو خليج العقبة (Gulf of Aqaba).

وإنه لمِن المضحكات المبكيات أن تظل هذه الترجمة الخاطئة مُستخدَمة إلى اليوم، أي أكثر مِن 2000 سنة! بل انتقلت هذه الترجمة الخاطئة مِن التراث المسيحي إلى التراث الإسلامي!

باختصار: ترجمة "يَمّ سُوف" إلى "البحر الأحمر" (Red Sea) ترجمة خاطئة تماماً ويجب التوقف عن استخدامها. والصواب هو أن نترجمها إلى (Sea of Reeds) أو (Reed Sea). والأصوب هو أن نتركها كما هى دون ترجمة (Yam Suph).

والحقيقة هى أننا يجب أن نسأل أنفسنا سؤالاً: ما الذى يجعل بنو إسرائيل يتوجهون إلى البحر الأحمر؟! بل ما الذى يجعلهم يتوجهون أصلاً إلى أى بحر؟! حتى لو أراد بنو إسرائيل أن يتجنبوا الطريق القصير المحاذى لشاطىء البحر الأبيض المتوسط لأنه مُراقَب وشديد الحراسة (الخروج 13:17)، كان يمكنهم أن يتوجهوا براً من مصر إلى كنعان عن طريق سيناء[6515]. كما فر موسى مِن مصر وهرب إلى مَدْيَن ثم عاد إلى مصر، لم يحتاج أن يعبر أى بحر فى هروبه ولا فى رجوعه[6516]! وكما ارتحل إخوة يوسف مِن كنعان إلى مصر ثلاث مرات ذهاباً وإياباً حسب القرآن[6517] بدون أن يعبروا أي بحر في ذهابهم ولا في إيابهم!

كل هذه الأمور تجعلنا نشك فى هذه المعجزة المزعومة، بل نشك فى "يَمّ سوف" نفسه. والسؤال الآن هو: هل "يَمّ سوف" مكان خيالى أم مكان حقيقى؟ وإذا كان "يَمّ سوف" مكان حقيقى، أين يقع؟

الإجابة باختصار: لا توجد أى معلومة مؤكدة، وإنما كلها مجرد تخمينات وافتراضات واقتراحات.

يقول د. حسن الباش: "ليس لدى علماء الآثار أو علماء التاريخ أى دليل على المنطقة التى حدثت فيها المعجزة (أى: معجزة شق البحر)، وفى إطار التخمين نرى أنه من الممكن حدوث هذه المعجزة فى أقصى بقعة من خليج السويس. [...] المنطقة الشمالية من خليج السويس [...] فتمت المعجزة آنذاك فانشق الماء إلى قسمين، وما بين الشاطئين (الشرقى والغربى عند أقصى شمال خليج السويس) ليس بعيداً جداً وليس عميقاً، إذ هو أقرب إلى البر فى شمال الخليج. [...] ومع ذلك فإن ما يُطرَح بهذا الشأن ليس سوى افتراضات قد ترجح بعضها على بعض وقد يرجح غيرنا عكس ترجيحنا، ويبدو من ظاهر الأشياء أن النبى موسى عليه السلام قاد بنى إسرائيل فى طريق يعرفه وهو الطريق الذى سار فيه ليصل إلى مديان"[6518].

وتقول الترجمة اليسوعية تعليقاً على عبارة "يَمّ سوف" (الخروج 18:13): "هذه العبارة إضافة ظاهرة. كان النص القديم يقتصر على معلومات عامة، وهى أن بنى إسرائيل سلكوا طريق البرية نحو الشرق أو نحو الشرق الجنوبى. ومعنى عبارة "يم سوف" وتحديد موقعه أمران غير مؤكّدين، فالفصل الرابع عشر يكتفى بذِكر "البحر". والنص القديم الوحيد الذى يذكر "يم سوف" أو "بحر القَصَب" (بحسب اللغة المصرية) كموقع للمعجزة هو (الخروج 4:15) وهو نص شعرى"[6519].

ويقول (NIV Study Bible) تعليقاً على نفس العبارة: "وهناك عدة اقتراحات بشأن موقع العبور على امتداد قناة السويس المعاصرة بما فى ذلك الطرف الشمالى من خليج السويس (انظر الخريطة رقم 3 فى نهاية هذا الكتاب؛ ولكن انظر أيضاً التعليق على 2:14)" الذى يقول إن ""يَمّ سوف" أى "بحر سوف" [يعنى] "بحر الغاب" (Sea of Reeds) (انظر الخروج 18:13). ولكن نظراً لأن الغاب لا ينمو فى الماء المالح فمِن المستبعد أن تكون الإشارة هنا إلى الطرف الشمالى من خليج السويس. علاوة على أن إحدى البرديات المصرية تصف موقع بعل صفون (Baal Zephon) على أنه منطقة قريبة من تحفنيس (Tahpanhes) (انظر التعليق على إرميا 16:2)، وهو موقع قريب من بحيرة المنزلة (Lake Menzaleh) التى تبعد مسافة (20 ميلاً) 32 كيلو متراً شرق رعمسيس (Rameses)، مما يرجح حدوث [العبور] قرب الطرف الجنوبى من بحيرة المنزلة"[6520].

إذن: حسب هذا الرأى الثانى، نستطيع أن نقول إن قصة العبور – بغض النظر عن صحتها – تشير إلى موقع بالقرب من الطرف الجنوبى من بحيرة المنزلة، ولعله ترعة (canal) أو تجمع مائى عذب ينمو به نبات الحَلفاء (الغاب) فى شرق الدلتا شمال غرب سيناء. ويبدو أن بنى إسرائيل كانوا على الجانب الغربى لهذه الترعة، ولذلك اضطروا أن يعبروها ليذهبوا إلى كنعان عن طريق سيناء.

وطبعاً توجد اجتهادات أخرى وتخمينات أخرى قيلت فى هذا الشأن. نذكر منها على سبيل المثال:

يقول رأى ثالث إن بنى إسرائيل عبروا البحيرات المرة (Bitter Lakes) أو على الأرجح بحيرة التمساح (Lake Timsah) أو بحيرة البلاح (Lake Balah)، وهى بحيرات تقع بين خليج السويس والبحر الأبيض المتوسط[6521]. وهذا الرأى يفترض أن نبات الحَلفاء يمكن أن ينمو فى إحدى هذه البحيرات التى ربما كانت عذبة فى ذلك الزمان. وقيل إن موقع بحيرة البلاح كان يُعرَف عند المصريين القدماء باسم (p3 ṯwfy) أو (pa tufy)، فقيل إن هذا الاسم يناظر (yam suph) عند بنى إسرائيل[6522]!

ويقول رأى رابع إن العبور حدث عند ممر مائى ضحل "يصل بين خليج السويس والبحيرات المرة – على أساس أن عمقه لم يكن يتجاوز بضعة أقدام"[6523]. ويستند هذا الرأى إلى أن "الخليج (أى: خليج السويس) كان ممتداً فى أيام موسى إلى منطقة البحيرات المرة على هيئة مستنقع"[6524]. وقال الشيخ عبد الوهاب النجار: "وأعتقد أن خليج السويس كان يمتد فى تلك الأزمان إلى البحيرة المرة أو يقرب منها، وفى هذا الخليج من تلك الناحية كان عبورهم (أى: عبور بنى إسرائيل)"[6525].

ويقول رأى خامس إن العبور حدث عند خليج العقبة. قيل عند الطرف الجنوبى مِن خليج العقبة، وزعموا أن بركاناً تحت الماء (underwater volcano) قد اندلع فأحدث كوبرى مؤقت مِن اللاڤا (lava) الباردة. عَبَرَ بنو إسرائيل على هذا الكوبرى المؤقت، وعندما أراد فرعون أن يعبر ورائهم، انهار الكوبرى بسرعة فأغرق فرعونَ وجنوده[6526]! وقيل إن العبور حدث عند الطرف الشمالى مِن خليج العقبة[6527]، واستدلوا على ذلك بالآيات الكتابية التى استخدمت "يَمّ سُوف" للإشارة إلى هذه النقطة، مثل: "وَعَمِلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ سُفُنًا فِي عِصْيُونَ جَابَرَ (Ezion Geber) الَّتِي بِجَانِبِ أَيْلَةَ (إيلات؛ Elath) عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ سُوفٍ فِي أَرْضِ أَدُومَ" (1 ملوك 26:9)؛ (الخروج 31:23).

ويقول رأى سادس إن عبور بنى إسرائيل حدث عند "مستنقع سربون" (Lake Sirbonis) وهو بحيرة شاطئية ضحلة (lagoon) فى ساحل شمال سيناء[6528]. وقيل إن الماء انحسر بشدة عن بحيرة شاطئية، مما ساعد بنى إسرائيل على العبور بمحاذاة الساحل الشمالى متجهين إلى كنعان. وعندما أراد فرعون أن يعبر ورائهم، حدث تسونامى (tsunami) قوى أغرق فرعونَ وجنوده! وقيل إن ذلك كان بسبب بركان سانتوريني (Santorini eruption, Thera eruption) الذى اندلع فى القرن السابع عشر أو السادس عشر قبل الميلاد[6529]!

ويقول رأى سابع إن عبارة "يَمّ سوف" (Yam Soph) قد تعنى "بحر النهاية" التى لو فسرناها حرفياً ستعنى "بحر نهاية الأرض" (Sea of land's end)، أى شاطىء حيث تنتهى الأرض ويبدأ الماء. أما لو فسرناها مجازياً فإنها ستعنى "بحر نهاية الوجود" (Sea of Extinction) أى البحر الذى عنده انتهى المصريون وأطاح اللهُ بأعدائه[6530].

أما الدكتور سهيل زكار فيؤكد أن قصة الخروج لم تحدث فى مصر (Egypt)! إلا أنه لم يحدد لنا الموقع بالضبط، وربما ألمح إلى بلاد الرافدين (Mesopotamia)! يقول: "من الصعب القول بأن ما حدث مع النبى موسى عليه السلام وقومه كان فى بقعة محددة من بلاد الرافدين، لكن من المؤكد أن ذلك لم يكن فى أرض الكنانة (أى: لم يكن فى مصر)، ثم إن التيه لم يكن فى سيناء، لأنه لا يوجد بين مصر وسيناء بحر، فضلاً على أنه أثناء احتلال الكيان الصهيونى (يقصد: احتلال إسرائيل) لشبه جزيرة سيناء، لم يترك الصهاينة (يقصد: الإسرائيليون) مكاناً وإلا حفروا به، وبحثوا، ولم يتركوا حجراً إلا وقلبوه وتفحصوه، فلم يجدوا أدنى إشارة تؤكد شيئاً مما ورد فى سفر الخروج"[6531].

قد يبدو كلام د. سهيل زكار غريباً، لكنه سيصبح أقل غرابة إذا نظرنا إلى المصحف الحالي، الذي يُسمَّى: مصحف عثمان. وتحديداً: الآية التي تقول "اهْبِطُوا مِصْرًا" (البقرة 61)، فهي الآية الوحيدة في المصحف التي ذكرت "مِصْرًا" بالتنوين. فقيل إنها لا تعني "مِصر" (Egypt) بعينها وإنما تعني "مِصراً مِن الأمصار"، أي قرية أو مدينة أو بلداً ليست في الصحراء. أو كما قال تفسير مجمع الملك فهد: "اهبطوا مِن هذه البادية إلى أى مدينة"[6532]!

تعليقنا على كل هذه الآراء المختلفة والمتضاربة: مما سبق يتضح أننا لدينا على الأقل سبعة أماكن مختلفة تبعد مئات الكيلومترات عن بعضها! أليس من حقنا إذن أن نشك فى قصة خروج بنى إسرائيل من مصر بالطريقة التى صوَّرها القرآن والتوراة؟ مِن حقنا أن نشك فى هذه القصة التوراتية←القرآنية. ولا يحق لأحد أن يلومنا على هذا الشك. ولو كان القرآن كلام الله كما يتوهم المسلمون، ألم يكن من المفروض أن يرسل الله خريطة توضح مسار طريق الخروج ومكان هذا المجرى المائى الذى عبره بنو إسرائيل؟ أو على الأقل، يحدد هل "مِصر" تعني مِصراً مِن الأمصار التي لا نعرفها؟ أم تعنى مِصر (Egypt) التي نعرفها؟[6533]

ماذا نستنتج مِن كل هذه الآراء المختلفة والمتضاربة؟ الاستنتاج: بإستثناء هذين الرأيين الأخيرين اللذين لم يحددا موقع هذا العبور المزعوم، فإن كل الآراء السابقة – رغم اختلافها الشديد – تتفق على نقطتين هامتين:

أولاً: لم يعبر بنو إسرائيل "البحر الأحمر" (Red Sea). ولذلك يجب علينا جميعاً أن نمتنع عن ترديد الأسطورة التى تقول إن بنى إسرائيل قد عبروا البحر الأحمر.

ثانياً: إذا كان بنو إسرائيل قد عبروا مجرى مائى، فإن هذا المجرى المائى كان ضحلاً، أى ليس عميقاً. أو على الأقل، الجزء الذى عبر منه بنو إسرائيل كان ضحلاً.

وضحالة الماء أمر هام جداً لكى نفهم كيف استطاعت الريح الشديدة أن تحدث أرضاً يابسة ليعبر عليها بنو إسرائيل: "وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ. فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ" (الخروج 14:21-22) **[← "فَاضْرِبْ لَهُمْ (يا موسى) طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا" (طه 77) "فَانْفَلَقَ (البحرُ) فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ (أى: الجبل) الْعَظِيمِ" (الشعراء 63) "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ" (الأعراف 138) (يونس 90)]**. ومِن الجدير بالذِكر أن كلمة "سُوفَة" (Suphah) بالعبرية تعنى "ريح عاصفة"[6534].

طبعاً الصورة التى رسمتها التوراة، ثم بعد ذلك القرآن، بها قدر كبير من المبالغة (hyperbole). فلا يمكن لأى ريح مهما كانت قوية أن تشق بحراً عميقاً نصفين بهذه الطريقة الأسطورية. لكن إذا كان الماء غير عميق وغير عريض، وكانت الريح قوية لمدة زمنية كافية، يُمكن للريح أن تزيح بعض الماء بحيث يسهل العبور. وهى ظاهرة طبيعية تُعرَف باسم (Wind set-down).

بمساعدة هذه الريح، استطاع بنو إسرائيل أن يعبروا مشياً على الأقدام. أما المصريون فلم يستطيعوا أن يعبروا، لأن سيقان نبات القَصَب (الخَيزَران) قد أعاقت حركة عجلات مركباتهم، بدليل أن التوراة تقول: "خَلَعَ (الربُّ) بَكَرَ مَرْكَبَاتِهِمْ (the wheels of their chariots) حَتَّى سَاقُوهَا بِثَقْلَةٍ" (الخروج 14:25). وفى الترجمة السبعينية (اليونانية) والتوراة السامرية والتوراة السريانية، جاء الفعل ليس بمعنى "خَلَعَ عَجلَ مركباتهم" وإنما بمعنى "عطَّل عَجلَ مركباتهم" (jammed, clogged) أو "رَبَطَ معاً (bound

together) محاورَ مركباتهم"[6535]. وهي كلها كلمات تعبر عن المشكلة التى واجهت الجيش المصري فى عبور هذا التجمع المائي، لا سيما إذا كانت الأرض طينية.

الخلاصة: بغض النظر عن صحة قصة العبور، فإنه مِن المؤكد أن بنى إسرائيل لم يعبروا "البحر الأحمر" (Red Sea)، وإنما عبروا "يَمّ سُوف" (Yam Suph) (Reed Sea). وهو تجمع مائى ضحل لا يعرف أحد مكانه على وجه اليقين، ولعله مجرد بحيرة صغيرة أو ترعة ضحلة أو مستنقع فى الجزء الشمالى الشرقى من مصر، ربما: بين مصر وسيناء. وهذا التجمع المائى الضحل لم ينفلق إلى نصفين، وإنما استطاع بنو إسرائيل أن يعبروه مشياً على الأقدام. أما المصريون فلم يستطيعوا أن يعبروه، لأن سيقان النباتات و/أو الطين قد أعاق حركة عجلات مركباتهم. وربما يكون "يَمّ سُوف" مجرد مكان أسطورى (mythological) وكذلك انشقاق هذا "اليَمّ" مجرد أسطورة[6536] لا وجود لها إلا فى خيال بنى إسرائيل الذى انتقل بعد ذلك إلى أصحاب القرآن ثم إلى المسلمين.

لا يوجد أي دليل علمي أو تاريخي على أن هذه القصة التوراتية←القرآنية قد حدثت بالفعل. وحتى لو افترضنا جدلاً أن بها شيء مِن الحقيقة، فإنه مِن المؤكد أن الأساطير قد أضيفت إليها. مثلاً: قالت التوراة والقرآن في هذه القصة الأسطورية إن كل جنود فرعون هلكوا (الخروج 28:14) (المزامير 11:106) (الإسراء 103) (الزخرف 55). ولا يمكن طبعاً أن نصدق أن جيشاً يقوده فرعون يغرق في "شِبر مَيه"!

وزاد أصحابُ القرآن فى تأليف الأساطير ومزجوها – كعادتهم – بالأسلمة لدرجة أنهم جعلوا فرعون يعلن "إسلامَه" فى اللحظة الأخيرة بعد فوات الأوان الذى ينفع فيه الإيمان وتُقبَل فيه التوبة (يونس 90-91)! وليس لدينا أدنى شك أن هذه جزئية دخيلة أدخلها أصحابُ القرآن على قصة "الخروج" الأصلية. وخير دليل على ذلك هو أن موسى لم يكن صاحب دعوة عامة (universal) للناس جميعاً، وإنما كانت دعوته إلى التوحيد خاصة ببنى إسرائيل فقط. فكيف يؤمن فرعونُ بالإله الواحد ويقول: "آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (يونس 90)؟! أم ستقولون إن فرعون مصر كان مِن بنى إسرائيل؟!

ونحن لا نتعجب مِن هذه الأسلمة، إذ أنه مِن المعلوم أن رواية سورة يونس هى واحدة مِن آواخر الروايات المكية لقصة "الخروج" (بعد الأعراف وطه والشعراء والنمل والقصص والإسراء). ومِن المؤكد أنه فى هذه المرحلة المكية المتأخرة نسبياً كان أصحاب القرآن قد وصلوا إلى قدر كبير مِن الخبرة والجرأة، بحيث يستطيعوا أن ينحرفوا كثيراً عن القصة التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage).

ثم جاء البخارى ومسلم وغيرهما وزادوا فى "أسلمة" القصة لدرجة أنهم جعلوا فرعون يهلك فى يوم عاشوراء[6537]! وكأنهم أرادوا أن يجمعوا بين عيد عاشوراء – وهو اليوم العاشر من الشهر الأول مِن السنة العربية (الهجرية) – وعيد الفصح الذى يبدأ الاستعداد له فى اليوم العاشر من الشهر الأول مِن السنة اليهودية

الدينية. وسنعلم فى الفصل القادم أن يوم عاشوراء هو "يوم الكفارة" (The Day of Atonement) (Yom Kippur) الذى يُحتفَل به فى اليوم العاشر مِن الشهر الأول مِن السنة اليهودية المدنية.

كذلك أضاف الترمذى وأحمد وغيرهما أسطورة إسلامية تقول إن محمد قال: لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فرعونَ، قَال (فرعونُ): "آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ" (يونس 90)، فقال جبريلُ: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ مِن حَالِ البحر (أى: مِن طين البحر) فأدُسُّه في فِيهِ (أى: فى فمه) مَخَافَةَ أن تدركه الرحمة (أى: خَشْيَةَ أن يرحمه الله)[6538]! أى تقول هذه الأسطورة إن فرعون مَلِك مصر الشرير – بعد أن رأى المعجزة التى قام بها النبى موسى – اعترف بألوهية إله بنى إسرائيل وقال: "آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ" (يونس 90)، إلا أن الملاك جبريل جاء وأراد أن يسد فم فرعون. وهذه الأسطورة الإسلامية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لأسطورة يهودية تلمودية (Sanhedrīn 92b)[6539] تقول إن "نَبُوخَذْنَصَّر" (Nebuchadnezzar) مَلِك بابل الشرير – بعد أن رأى المعجزة التى قام بها النبى حزقيال (Ezekiel) – اعترف بعظمة الله وقال: "آيَاتُهُ مَا أَعْظَمَهَا، وَعَجَائِبُهُ مَا أَقْوَاهَا! مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ وَسُلْطَانُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ (أى: يدوم على مدى الأجيال)" (دانيال 3:4)، إلا أن ملاكاً جاء وضرب نَبُوخَذْنَصَّر على فمه ليسده (slapped his mouth shut). أما اعتراف نَبُوخَذْنَصَّر بألوهية إله بنى إسرائيل، فنجده فى سفر دانيال نفسه: "حِينَئِذٍ خَرَّ نَبُوخَذْنَصَّرُ عَلَى وَجْهِهِ وَسَجَدَ لِدَانِيآلَ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُقَدِّمُوا لَهُ تَقْدِمَةً وَرَوَائِحَ سُرُورٍ. فَأَجَابَ الْمَلِكُ (نَبُوخَذْنَصَّرُ) دَانِيآلَ وَقَالَ: «حَقًّا إِنَّ إِلهَكُمْ إِلهُ الآلِهَةِ وَرَبُّ الْمُلُوكِ [...]»" (دانيال 2:46-47). إذن: أخذ أصحاب القرآن ورواة الأحاديث عناصر مِن قصة النبى دانيال/حزقيال والمَلِك الشرير نَبُوخَذْنَصَّر، ثم وضعوها فى قصة النبى موسى[6540] والمَلِك الشرير فرعون[6541]. وكالعادة، وضعوا بصمتهم الإسلامية على القصة فجعلوا فرعون يقول: "وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (يونس 90)! وجعلوا جبريل يحكي هذه الحكاية الطريفة إلى محمد (موسى العرب، موسى الثاني، موسى الجديد)!

ثم جاء المفسرون المسلمون واستمروا فى تأليف الأساطير وزادوا فى "أسلمة" القصة لدرجة أنهم جعلوا الله يُكلِّم موسى يوم النحر (أى: عيد الأضحى)! واستدلوا على ذلك بما يلى: "وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً (قالوا: هى شهر ذى القعدة كاملاً!) وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ (قالوا: هى العشر الأوائل مِن شهر ذى الحجة!) فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً [...]. وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ [...]" (الأعراف 142-143)[6542]!

وسواء كان أصحاب القرآن ورواة الأحاديث والمفسرون المسلمون أو أجدادهم العرب قد فعلوا ذلك عن عمد أو عن جهل، النتيجة فى كلتا الحالتين واحدة: إنها مجرد أساطير أدخلها العرب/المسلمون على القصة التوراتية. وإنما القرآن – بل: الإسلام بصفة عامة – هو مجرد محاولة بشرية شرق-أوسطية لدمج التراث الشعبي القومي (العربي) مع التراث الشعبي الديني (اليهودي والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)) في كيانٍ واحد نتج مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي (natural human development)

للثقافة العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian). وكل الأدلة في هذه المذكرات ستؤكد هذه النتيجة التي لا نزعم أننا أول مَن وصل إليها.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[⟵ القرآن كلام العرب]**.

وفي هذه الحالة مثلاً، فإن التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) يتمثل في شخصية موسى النبي وقصته مع الله، وهي قصة معروفة ومشهورة ومذكورة في الكتاب المقدس؛ والتراث العربي يتمثل في الشهور العربية (ذي القعدة وذي الحجة) وعيد الأضحى المرتبط بإسماعيل (أبو العرب).

وسنرى لاحقاً وسنثبت بأدلة مِن القرآن نفسه أن العرب/المسلمين قد قاموا بعمليتي "أسلمة" و "تعريب" واضحتين لقصة "الخروج" التوراتية، سواء فيما يتعلق بالأفعال أو الأقوال، حتى صارت هذه القصة في القرآن وكأنها قصة جديدة منحولة مِن قصة قديمة. أو بالأحرى: قصة عربية/إسلامية جديدة منحولة مِن قصص يهودية/مسيحية وشرق-أوسطية قديمة.

4.33.3 جذور القرآن في التراث المصري القديم

بعد أن وضحنا الجذور التوراتية لأسطورة "انشقاق البحر" (الخروج 14:21-22) **[⟵ (الشعراء 63)]**، سنوضح الآن الجذور المصرية القديمة لهذه الأسطورة التوراتية⟵القرآنية.

إنها بالفعل أسطورة مصرية قديمة موجودة فى "بردية وستكار" (Westcar Papyrus) التى يرجع تاريخها إلى فترة حُكْم الهكسوس (Hyksos)، أى قبل 1550 ق.م، أى قبل الديانات الإبراهيمية الثلاث. تحتوى هذه البردية على خمس قصص. القصة التى تهمنا هى القصة الثالثة التى تُعرَف باسم "حفلة على المركب" (The Boating Party) أو "الماء انطوى إلى اثنين" (L'Eau pliée en deux)[6543]. وتُعرَف أيضاً بأسماء أخرى مثل (Story of the turquoise pendant) و (La Rameuse du lac).

تقول هذه الأسطورة إن المَلِك المصرى "سنفرو" (Snefru) كان يشعر بالملل، فاستدعى الكاهنَ "دچادچا" (Djadjaemankh) الذى اقترح فكرة لتسلية الملك. تتلخص هذه الفكرة فى أن يذهب المَلِكُ إلى بحيرة القصر ويركب مركباً مع كل فتيات القصر الجميلات. وافق المَلِكُ على هذه الفكرة. لكن أثناء تلك النزهة، وقعت قلادة إحدى الفتيات فى البحيرة. فتوقفت صاحبة القلادة عن التجديف. ولمَّا عرض عليها المَلِكُ أن يعطيها قلادة أخرى، رفضت أن تستأنف التجديف حتى تستعيد قلادتها التى وقعت فى الماء وليس قلادة أخرى. فاستدعى سنفرو دچادچا ليحل هذه المشكلة.

قال دجادجا جملة سحرية معينة، فوَضَعَ جانباً من ماء البحيرة فوق الجانب الآخر[6544] **[← "وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ. فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ" (الخروج 14:21-22) ← "فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ (البحرُ) فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ (أى: الجبل) الْعَظِيمِ" (الشعراء 63)]**. فَوَجَدَ دجادجا القلادةَ وأعادها إلى صاحبتها.

ثم قال دجاجا جملة سحرية فعادت ماء البحيرة إلى حالتها الطبيعية **[← "فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ. فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ" (الخروج 14:27-28) ← "فَأَغْرَقْنَاهُ (أى: أغرقنا فرعونَ) وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا" (الإسراء 103) "انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ" (الزخرف 55) "فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ" (الأعراف 136) "فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ" (القصص 40) "فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ" (الذاريات 40) "فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ" (طه 78) "فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (بالغرق فى البحر)" (المؤمنون 48) "كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ" (القمر 42)]**.

إذن: استخدام السحر لشق مياه البحر لفترة مؤقتة ثم عودة المياه إلى حالتها الطبيعية فكرة قديمة جداً وموجودة فى التراث الأدبي الذي أبدعه المصريون القدماء قبل جميع الكتب والديانات الإبراهيمية.

مِن حق أحبائنا المسلمين أن يسألوا: وهل يُعقَل أن موسى قد قرأ أسطورة "الماء انطوى إلى اثنين"؟

ونحن نجيب: مِن حُسن الحظ أن الكتاب المقدس نفسه يعترف بتأثر موسى نبي اليهود وزعيمهم "بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ". حقاً، لقد صدق مَن قال: "فَتَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ" (أعمال الرسل 7:22). وكذلك قال القرآنُ إن موسى أوتي العلم والحكمة في مصر: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا (wisdom) وَعِلْمًا (knowledge)" (القصص 14). أو كما قال د. عبد الحليم محمود: "يُربَّى هذا الوليد (يقصد: موسى) فى القصر الملكى حيث العناية التامة صحياً، وحيث العناية التامة ثقافياً، وحيث الفرصة متاحة فى القصر لمعرفة السياسة وأسرار الحكم وتصريف الأمور وتدبير شئون الدولة وقيادة الأفراد. [...] وما مِن شك فى أنه رُبّى أحسن ما تكون التربية"[6545]. أو كما قال كاتب مسلم آخر: "يلقنونه (أى: يلقنون موسى) علوم الدنيا والدين .. ويؤهلونه لتولى أمور الحكم [...]. فتعلم (موسى فى بيت فرعون) القراءة والكتابة .. والفلسفة .. والصيدلة .. والطب .. وعلوم الفلك .. والحساب والهيئة .. وعلوم الكهنوت"[6546].

وفي الواقع، لم يكن موسى محتاجاً أن يقرأ أسطورة "الماء انطوى إلى اثنين". بل لم يكن محتاجاً أن يسمعها بأذنيه. فيكفي موسى ما كان يشاهده بعينيه مِن لوحات مصرية قديمة تظهر مشهد شق مياه البحر.

نعم، توجد لوحات مصرية قديمة كثيرة تظهر مشهد شق مياه البحر (أو: النهر). نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر اللوحةَ التي في الشكل التالي حيث نرى ثعباناً ضخماً (أو: تنيناً) يرمز إلى "عبب" (أبوفيس) (Apep; Apophis) الذي يمثل الظلام والفوضى والشر **[← فرعون الشرير في التوراة والقرآن]** والذي يُعتبَر أخطر وأكبر عدو للإله "رع" (Ra's archenemy; the eternal adversary of Ra) **[← عدو الله]**.

وإذا أمعنا النظر في اللوحة، فسنرى الثعبان (عبب؛ أبوفيس) مقبوضاً عليه بين شقيّ الماء اللذين كانا فخاً أو مصيدةً له تمهيداً للمرحلة الأخرى وهي محاكمته وهلاكه **[← دخول فرعون بين شقيّ الماء اللذين كانا فخاً أو مصيدةً له تمهيداً لغرقه]**. وليس فقط هلاك أبوفيس وإنما أيضاً مَنْعه بالقوة مِن أن يعطي نسلاً في المستقبل **[← غرق فرعون وحده لا يكفي، فلا بد مِن غرق كل جيشه أيضاً حتى لا يهجم على بني إسرائيل بعد ذلك. "فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ" (الخروج 14:27-28) ← "فَأَغْرَقْنَاهُ (أى: أغرقنا فرعون) وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا" (الإسراء 103) "انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ" (الزخرف 55)]**.

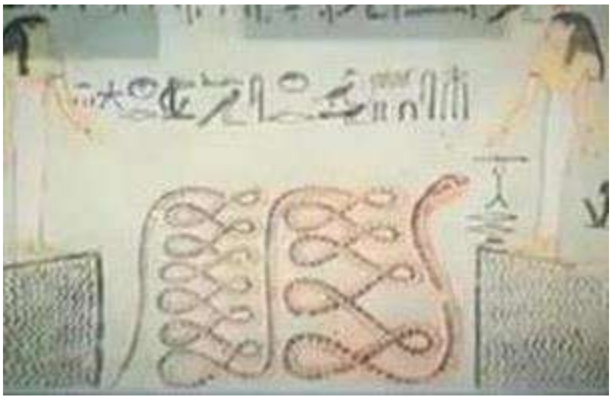

رسم توضيحي 12 – سقوط أبوفيس في فخٍ أو مصيدةٍ بين شقيّ الماء تمهيداً للقضاء عليه [← غرق فرعون]

وطبعاً نحن لا نقول إن هذه اللوحة المصرية القديمة هي هي نفسها أسطورة "انشقاق البحر" التوراتية←القرآنية! وبكل تأكيد، لا نقول إنها تتحدث عن غرق فرعون (مَلِك مصر)! فنحن لا يهمنا سياق هذه اللوحة (دنيا أو آخرة؛ أرض أو سماء؛ ... الخ)، وإنما يهمنا فقط العناصر والأفكار (motifs) الأساسية الموجودة فيها.

نكرر كلامَنا مرة أخرى: نحن ننظر إلى هذه اللوحة المصرية القديمة بمستوى مرتفع جداً من التجريد (at a very high level of abstraction)، فلا يهمنا إلا العناصر والأفكار (motifs) الأساسية فقط

بغض النظر عن السياق والزمان والمكان والأشخاص. وذلك لأن السياق والزمان والمكان والأشخاص يتغيرون كلهم أو بعضهم حين تنتقل الأفكار من ثقافةٍ إلى أخرى أثناء عملية التطور البشري الطبيعي.

تشبيه للتوضيح فقط: العناصر والأفكار الأساسية مِثل الهيكل العظمي (skeleton) الذي يُميِّز الإنسانَ عن الحيوانات والكائنات الأخرى. أما السياق والزمان والمكان والأشخاص فهي مِثل اللحم الذي يكسو هذا الهيكل العظمي فيعطي الإنسانَ هويةً تُميّزه عن أخيه الإنسان.

ونحن نرى أن "الهيكل العظمي"، أي: أهم عناصر أسطورة "انشقاق البحر وغرق فرعون" التوراتية←القرآنية، موجودة في هذه اللوحة المصرية القديمة واللوحات الأخرى المكملة لها (قبل وبعد)[6547] والتي لم نعرضها حرصاً على الإيجاز وعدم الإطالة:

(1) انشقاق الماء، أو شقطه بطريقة معينة بحيث يكون على اليمين وعلى اليسار مثل "السور" (الخروج 14:21-22) "كَالطَّوْدِ (أى: الجبل) الْعَظِيمِ" (الشعراء 63). ولا يهمنا مَن شق هذا الماء (بشر أرضيين أم أرواح إلهية مثل الملائكة) أو كيف شق هذا الماء (بعصا أم بدون عصا). ولا يهمنا إنْ كان هذا الماء بحراً أرضياً أو نهراً سماوياً. المهم هو الفكرة المجردة (abstract idea) وهي أننا نرى أمامنا ماءً مشقوقاً إلى نصفين: على اليمين وعلى اليسار. هذه الفكرة المجردة هي التي انتقلتْ إلى القصة التوراتية←القرآنية. ثم أكملتْ عمليةُ التطور البشري الطبيعي القصةَ، فغيَّرتْ "اللحم"، فصار موسى هو الذي شق "يَمّ سُوف" بعصاه.

(2) اصطياد "رمز الشر" في فخٍ أو مصيدةٍ بين شقيّ الماء تمهيداً لاستبعاده أو طرده أو التخلص منه. في التراث المصري القديم، "رمز الشر" هو أبوفيس الشرير ونسله الأشرار **[← في تراث الديانات الإبراهيمية، "رمز الشر" هو فرعون وجنوده]**. والمهم كالعادة هو الفكرة المجردة وهي: انتصار الخير (رع/الله) على الشر (أبوفيس/الشيطان /فرعون/عدو الله) في النهاية.

(3) المغزى الروحي: أبوفيس لا يستطيع أن يُعطِّل خط سير الإله رع في إكمال رحلته ليشرق بنوره على الصالحين فيتبعوه (أو: ليشرق بنوره على مومياوات الصالحين فيُقيمهم مِن الأموات ويحييهم). كذلك، لا يستطيع فرعونُ/الشيطانُ أن يُعطِّل خطة الخلاص (Salvation Plan) التي أعدها الرب الإله لبني إسرائيل المؤمنين الموحِّدين فيتبعوه ويعبدوه وحده (أو: ليحررهم مِن الذل والعبودية في مصر فيُقيمهم مِن كبوتهم مِن أجل حياة جديدة في أرض الموعد أرض كنعان "الأرض المقدسة").

هذه اللوحة المصرية القديمة أو اللوحات الأخرى المكملة لها موجودة في عدة مقابر ملكية، فهي إذن جزءٌ مشهور ومهم جداً من "حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ" التي تَهَذَّبَ بها موسى: "فَتَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ" (أعمال الرسل 7:22). وكذلك قال القرآنُ إن موسى أوتي العلم والحكمة في مصر: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا (wisdom) وَعِلْمًا (knowledge)" (القصص 14). ولا يهم هنا إنْ كان موسى شخصاً حقيقياً تاريخياً أم لا. أي إنسان مثقف (موسى أو غيره) يرى هذه اللوحة

المصرية القديمة يستطيع، بالاستعانة بأساطير أخرى (مثلاً: أسطورة "الماء انطوى إلى اثنين") وبالاستعانة بلوحات أخرى (مثلاً: لوحات إعدام أبوفيس ذبحاً بالسكين التي تحدثنا عنها عند حديثنا عن أسطورة آدم) وبقدر بسيط من الخيال، يستطيع بكل تأكيد أن يؤلف أسطورة "انشقاق البحر وغرق فرعون" الكتابية.

ومِن أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين الشرقيين)، انتقل هذا التراث الشرقي إلى أصحاب القرآن. فلم يكن أصحابُ القرآن محتاجين أن يقرأوا كتاباً واحداً، فيكفيهم ما كانوا يشاهدونه بأعينهم (لوحات مثلاً) أو يسمعونه بآذانهم (أساطير مثلاً)، فهذا يكفي – بل يكفي جداً – لإنتاج كتاب مثل القرآن.

4.33.4 الخلاصة

يتضح من كل ما سبق أن أسطورة "انشقاق البحر وغرق فرعون" القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لأسطورة "انشقاق البحر وغرق فرعون" التوراتية، وكلتاهما تطور بشرى طبيعى لأساطير شرقية قديمة، سواء من التراث الشرقي المقروء أو التراث الشرقي المسموع أو التراث الشرقي المرئي.

تراث الحضارات الشرق-أوسطية القديمة (مثل: الحضارة المصرية القديمة) كان تراثاً غنياً وثرياً بالأفكار والقصص واللوحات والمعتقدات ... الخ. أخذتْ الأديان الإبراهيمية الثلاثة (اليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام) هذا التراث البشري وطوّرته تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة حتى صار في الصورة التي نراها الآن في الكتب المقدسة الثلاثة (التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن).

إذن: ينبغى **ألا** نقرأ أسطورة "انشقاق البحر وغرق فرعون" التوراتية←القرآنية على أنها قصة حقيقية تاريخية، وإنما يجب أن نقرأها على أنها قصة أدبية لها أهداف روحية. قصة الخروج لا تُقدِّم لنا التاريخَ ولا الجغرافيا، وإنما تُقدِّم لنا شخصَ الله. تُقدِّم لنا عملَ الله: الخلاص (أو بالتعبير القرآنى: النجاة). تُقدِّم لنا الحرية.

ونختم كلامنا بما قاله قاموس الكتاب المقدس عن قصة خروج بنى إسرائيل من مصر: "وللخروج معنى روحى عميق فى حياة الشعب وفى حياة الكنيسة إذ أن فى التحرر من العبودية رمز إلى عمل الله المجيد فى الخلاص من عبودية الخطية والتحرر من سلطانها"[6548].

"إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ. وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ، أَمَّا الابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ. فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الابْنُ (أى: المسيحُ) فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا (أي: تتحولون من عبيد للشيطان إلى أبناء لله)" (يوحنا 8:34-36).

4.34 فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ

بعد خروج بنى إسرائيل مِن مصر وغرق فرعون وكل جنوده أجمعين، يسكت القرآنُ عَمَّا حدث للمصريين، ويلتفت إلى ما حدث لبنى إسرائيل فى سيناء ...

ذكر القرآنُ هذه القصة فى خمس روايات. وللمرة الأولى فى قصة موسى وفرعون، نجد أن الروايات المدنية (3 روايات) أكثر من الروايات المكية (روايتين فقط). هذه الروايات الخمس حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن[6549]:

قال صاحب رواية سورة الأعراف (الجزء الأول): وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ[6550] يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {138} إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ (أى: مُهلَك) مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {139} قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ {140} وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ (أى: يُذيقونكم) سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ[6551] {141} وَوَاعَدْنَا مُوسَى (بالمناجاة وإعطاء التوراة بعد) ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ {142} وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ (الذى هو أقوى منك) فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى (أى: ظهر) رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا (أى: مفتتاً مستوياً بالأرض!) وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا (أى: سقط مغشياً عليه) فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ {143} قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ {144} وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ (أى: ألواح التوراة) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا (كالعفو بدل القصاص[6552]) سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ {145}.

ويقول التقليد الإسلامى إن هذه الآية الأخيرة (الأعراف 145) مكية وإن الخطاب فى "فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا" خطاب لموسى. لكن فى المقابل، ترى الباحثة الألمانية الشهيرة (Angelika Neuwirth) أن (الأعراف 145) آية مدنية أضيفت لاحقاً، وأن الخطاب فى "فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا" خطاب لمحمد، واستدلت على ذلك بأن الآيتين التاليتين (الأعراف 146-147) تتحدث عن المعاصرين لمحمد[6553]. تعليقنا: المشكلة ليست فى المفسرين المسلمين ولا فى العلماء الباحثين، وإنما فى عملية جَمْع القرآن التى تمت بطريقة غير علمية فسمحت بوجود آيات مدنية فى سور مكية وآيات مكية فى سور مدنية! وكنا نتمنى أن يُجمَع القرآن بترتيب زمنى (chronological) أو حتى ترتيب موضوعى (thematic)، وليس بهذا الترتيب الموجود الآن فى المصحف الحالى.

قال صاحب رواية سورة الأعراف (الجزء الثانى): وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ (أى: صوت يُشْبِه صوت البقر!) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ {148} وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ (أى: ندموا على خطيئتهم) وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ

لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {149} وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى (من مناجاة ربه) إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ (هارون) يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ (هارون لموسى) ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {150} قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {151} إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ (إلهاً ومعبوداً) سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ {152} وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ {153} وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ {154} وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ (أى: ابتلاؤك واختبارك) تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ {155} وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ (أى: إنَّا تُبْنَا ورجعنا إليك) قَالَ (اللهُ) عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ (دون أن أظلم أحداً) وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ {156}.

سؤال: مَن المسئول عن خطيئة عبادة العجل؟ يُفهَم مِن رواية سورة الأعراف (الجزء الثانى) أن المسئولية تقع على بنى إسرائيل الذين اتخذوا العِجل إلهاً وتقع أيضاً على هارون الذى لم يستطع أن يمنعهم. ويُفهَم مِن التوراة العبرية والتوراة السامرية والترجمة السبعينية (اليونانية) ومخطوطات البحر الميت والتوراة السريانية وأيضاً العهد الجديد (أعمال الرسل 7:37-41) أن هارون هو الذى صنع العجل لبنى إسرائيل. وسنناقش هذه القضية بقدر أكبر من التفصيل لاحقاً.

تكملة رواية سورة الأعراف: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ {159} وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ (أى: السحاب) وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ (قيل إنه صَمْغٌ حلو؛ يشبه العسل الأبيض) وَالسَّلْوَى (قيل إنه طائر السُّمَانَى أو طائرٌ يشبهه) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {160}. وَإِذْ نَتَقْنَا (أى: رفعنا؛ اقتلعنا) الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ (أى: سحابة تظلهم) وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ (أى: ساقط عليهم) خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (غضبَ الله وعقابه) {171}.

وقال صاحب رواية سورة طه: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ[6554] قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى {80} كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى {81} وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى {82} وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (أى: لماذا سبقتهم؟) {83} قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي (أى: خلفى سيلحقون بى) وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى {84} قَالَ (اللهُ) فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ {85} فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ

غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (أى: تركتم المجىء بعدى وعبدتُم العجلَ؛ خالفتم عهدى) {86} قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا (أى: باختيارنا) وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ (أى: أثقالاً مِنْ حُلِيِّ المصريين) فَقَذَفْنَاهَا (فى حفرة فيها نار) فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ {87} فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ (أى: يخور كما يخور العِجل الحقيقىُّ الحى!) فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ {88} أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا {89} وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ (أن يرجع موسى إليهم) يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي {90} قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ (أي: لن نزال مقيمين على عبادة العجل) حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى {91} قَالَ (موسى) يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا {92} أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي {93} قَالَ (هارونُ لموسى) يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (أى: لم تنتظر عودتى لأقول رأيى؛ لم تحفظ وصيتى) {94} قَالَ (موسى) فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ {95} قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي {96} قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ (الدنيا) أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ (أى: تعيش مطروداً منعزلاً منبوذاً؛ لا تمسَّ أحداً ولا يمسَّكَ أحدٌ) وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ (فى الآخرة) وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ (أى: العِجْل) الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا {97} إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا {98}.

نعود إلى سؤالنا: مَن المسئول عن خطيئة عبادة العجل؟ يبدو أن صاحب (طه 83-98) لم يعجبه أن يكون هارون "النبى" هو الذى صنع العجلَ الذى اتخذه بنو إسرائيل إلهاً، فجعل شخصاً مجهولاً "سامرياً" هو الذى صنعه! إلا أنها مفارقة تاريخية، لأنه فى زمان موسى لم تكن مدينة "السامرة" (Samaria) قد أنشئت، وبالتالى لم يكن هناك شخص "سامرى"! أى أن صاحب (طه 83-98) أراد أن يحل مشكلة، فوقع فى مشكلة أكبر منها. لكن فى المقابل، يُفهَم مِن نفس الرواية (طه 83-98) أن موسى قد عاتب هارون ولامه وقال له ما معناه: "وجودك (يا هارون) فيهم وقد عبدوا غير الله - تعالى - يعتبر تهاوناً معهم فيما لا يصح التهاون فيه. وكأن موسى - عليه السلام - كان يريد من أخيه هارون - عليه السلام - موقفاً يتسم بالحزم والشدة مع هؤلاء الجاهلين، حتى ولو أدى الأمر لمقاتلتهم"[6555]. إذن: ما زال سؤالنا قائماً يبحث عن جواب: مَن المسئول عن خطيئة عبادة العجل؟ هارون النبى؟ أم: هذا السامرى المجهول الذى لم يُذكَر إلا فى رواية (طه 83-98)؟ وسنجيب على هذا السؤال بقدر أكبر مِن التفصيل لاحقاً.

وقال صاحب رواية سورة البقرة: وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ {51} ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {52} وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {53} وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {54} وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً (أى: عِيَانًا، علانيةً) فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ {55} ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

{56} وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {57}. [...] وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا (الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) وَاشْرَبُوا (الماءَ) مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {60} وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ (أي: ثابت لا يتغير؛ وهو الْمَنّ وَالسَّلْوَى) فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا (قيل: البقول؛ وقيل: الخُضَر مثل البقدونس والنعناع والجرجير ... الخ) وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا (الراجح أنه الثوم) وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ[6556] ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ {61}. [...] وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ (أي: عهدكم بالعمل بما فى التوراة) وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (غضبَ الله وعقابه) {63} ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ {64}. [...] وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ {92} وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {93}.

وقال صاحب رواية سورة النساء: يَسْأَلُكَ (يا محمد) أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ (إلهاً ومعبوداً) مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا {153} وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا {154}.

وقال صاحب رواية سورة المائدة: وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ (أي: نصرتموهم) وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ {12}. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ {20} يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ {21} قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ {22} قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ (الله وحده) أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {23} قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ {24} قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ (أي: احكم، اقض؛ افصل) بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ {25} قَالَ (اللهُ) فَإِنَّهَا (أي: الأرض المقدسة) مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ (أي: لا تحزن) عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ {26}.

4.34.1 جذور القرآن فى الكتاب المقدس والتراث اليهودى/المسيحى

كالعادة، لم يأتِ أصحابُ القرآن بشيء جديد يُذكر، إذ أن معظم عناصر القصة القرآنية مستوحاة مِن التراث اليهودى/المسيحى، سواء الأسفار المقدسة أو الكتب غير المقدسة.

وكالعادة أيضاً، لا يمكن أن نعتمد على القرآن لكى نعرف ترتيب أحداث القصة، بل يجب أن نرجع إلى القصة الأصلية فى التوراة. أى أن الكتب السابقة هى التى تهيمن على القرآن، وليس العكس.

4.34.1.1 الخبز (الْمَنّ) ولحم الطير (السَّلْوَى) [⟵ الْمَنّ وَالسَّلْوَى]

(الخروج 16): {1} [...] وَأَتَى كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّيَّةِ سِينٍ (Desert of Sin) (فى جنوبى غرب سيناء)، [...] فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. {2} فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. {3} وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: «لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ». {4} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ **[⟵ "أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ" (البقرة 57) "نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ" (طه 80) "أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ" (الأعراف 160)]**. فَيَخْرُجُ الشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُونَ حَاجَةَ الْيَوْمِ بِيَوْمِهَا **[⟵ "كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ" (طه 81) "كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ" (البقرة 57) (الأعراف 160)]**. لِكَيْ أَمْتَحِنَهُمْ[6557] **[⟵ "وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" (الأعراف 141) (إبراهيم 6) (البقرة 49)]**، أَيَسْلُكُونَ فِي نَامُوسِي أَمْ لاَ **[⟵ "وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى" (طه 81)]**. {5} وَيَكُونُ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ (أى: يوم الجمعة) أَنَّهُمْ يُهَيِّئُونَ مَا يَجِيئُونَ بِهِ فَيَكُونُ ضِعْفَ مَا يَلْتَقِطُونَهُ يَوْمًا فَيَوْمًا». {6} فَقَالَ مُوسَى وَهَارُونُ لِجَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: «فِي الْمَسَاءِ تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. {7} وَفِي الصَّبَاحِ تَرَوْنَ مَجْدَ الرَّبِّ لاسْتِمَاعِهِ تَذَمُّرَكُمْ عَلَى الرَّبِّ. وَأَمَّا نَحْنُ فَمَاذَا حَتَّى تَتَذَمَّرُوا عَلَيْنَا؟». {8} وَقَالَ مُوسَى: «ذلِكَ بِأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِيكُمْ فِي الْمَسَاءِ لَحْمًا **[⟵ "السَّلْوَى" (الأعراف 160) (طه 80) (البقرة 57)]** لِتَأْكُلُوا، وَفِي الصَّبَاحِ خُبْزًا **[⟵ "الْمَنَّ" (الأعراف 160) (طه 80) (البقرة 57)]** لِتَشْبَعُوا، لاسْتِمَاعِ الرَّبِّ تَذَمُّرَكُمُ الَّذِي تَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَمَاذَا؟ لَيْسَ عَلَيْنَا تَذَمُّرُكُمْ بَلْ عَلَى الرَّبِّ». {9} وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «قُلْ لِكُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: اقْتَرِبُوا إِلَى أَمَامِ الرَّبِّ لأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ تَذَمُّرَكُمْ». {10} فَحَدَثَ إِذْ كَانَ هَارُونُ يُكَلِّمُ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمُ الْتَفَتُوا نَحْوَ الْبَرِّيَّةِ، وَإِذَا مَجْدُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي السَّحَابِ **[⟵ "وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ (أى: السحاب)" (الأعراف 160) "وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ" (البقرة 57)]**.

(الخروج 16): {11} فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: {12} «سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. كَلِّمْهُمْ قَائِلاً: فِي الْعَشِيَّةِ تَأْكُلُونَ لَحْمًا، وَفِي الصَّبَاحِ تَشْبَعُونَ خُبْزًا، وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ». {13} فَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّ

السَّلْوَى (quail) (بالعِبرية: selaw) (بالآرامية: salwe; salwai) **[← "السَّلْوَى[6558]" (الأعراف 160) (طه 80) (البقرة 57)]** صَعِدَتْ وَغَطَّتِ الْمَحَلَّةَ. وَفِي الصَّبَاحِ كَانَ سَقِيطُ النَّدَى حَوَالَيِ الْمَحَلَّةِ. {14} وَلَمَّا ارْتَفَعَ سَقِيطُ النَّدَى إِذَا عَلَى وَجْهِ الْبَرِّيَّةِ شَيْءٌ دَقِيقٌ مِثْلُ قُشُورٍ. دَقِيقٌ كَالْجَلِيدِ عَلَى الأَرْضِ. {15} فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ؟[6559] (أى: ما هذا؟)» لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هُوَ الْخُبْزُ **[← "الْمَنَّ" (الأعراف 160) (طه 80) (البقرة 57)]** الَّذِي أَعْطَاكُمُ الرَّبُّ لِتَأْكُلُوا. {16} هذَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ. اِلْتَقِطُوا مِنْهُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ **[← "وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ" (طه 81)]**. [...]». {17} فَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هكَذَا، [...]. {19} وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «لاَ يُبْقِ أَحَدٌ مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ». {20} لكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى، بَلْ أَبْقَى مِنْهُ أُنَاسٌ إِلَى الصَّبَاحِ، فَتَوَلَّدَ فِيهِ دُودٌ وَأَنْتَنَ. فَسَخَطَ عَلَيْهِمْ مُوسَى **[← "فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى" (طه 81) "وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (الأعراف 160) (البقرة 57)]**. {22} ثُمَّ كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ (أى: يوم الجمعة) أَنَّهُمُ الْتَقَطُوا خُبْزًا مُضَاعَفًا، [...]. فَجَاءَ كُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ وَأَخْبَرُوا مُوسَى. {23} فَقَالَ لَهُمْ: «هذَا مَا قَالَ الرَّبُّ: غَدًا عُطْلَةٌ، سَبْتٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. اخْبِزُوا مَا تَخْبِزُونَ وَاطْبُخُوا مَا تَطْبُخُونَ. وَكُلُّ مَا فَضِلَ ضَعُوهُ عِنْدَكُمْ لِيُحْفَظَ إِلَى الْغَدِ». {24} فَوَضَعُوهُ إِلَى الْغَدِ كَمَا أَمَرَ مُوسَى، فَلَمْ يُنْتِنْ وَلاَ صَارَ فِيهِ دُودٌ. {25} فَقَالَ مُوسَى: «كُلُوهُ الْيَوْمَ، لأَنَّ لِلرَّبِّ الْيَوْمَ سَبْتًا. الْيَوْمَ لاَ تَجِدُونَهُ فِي الْحَقْلِ. {26} سِتَّةَ أَيَّامٍ تَلْتَقِطُونَهُ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ، لاَ يُوجَدُ فِيهِ».

(الخروج 16): {27} وَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَنَّ بَعْضَ الشَّعْبِ خَرَجُوا لِيَلْتَقِطُوا فَلَمْ يَجِدُوا. {28} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «إِلَى مَتَى تَأْبَوْنَ أَنْ تَحْفَظُوا وَصَايَايَ وَشَرَائِعِي؟ {29} اُنْظُرُوا! إِنَّ الرَّبَّ أَعْطَاكُمُ السَّبْتَ. لِذلِكَ هُوَ يُعْطِيكُمْ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ خُبْزَ يَوْمَيْنِ. اجْلِسُوا كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَكَانِهِ. لاَ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ **[← "لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ" (النساء 154)]**». {30} فَاسْتَرَاحَ الشَّعْبُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. {31} وَدَعَا بَيْتُ إِسْرَائِيلَ اسْمَهُ «مَنًّا (بالعِبرية: man) (باليونانية: manna)» **[← "الْمَنَّ[6560]" (الأعراف 160) (طه 80) (البقرة 57)]**. وَهُوَ كَبِزْرِ الْكُزْبَرَةِ، أَبْيَضُ، وَطَعْمُهُ كَرُقَاقٍ بِعَسَلٍ. {35} وَأَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَنَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً **[← "أَرْبَعِينَ سَنَةً" (المائدة 26)]** حَتَّى جَاءُوا إِلَى أَرْضٍ عَامِرَةٍ. أَكَلُوا الْمَنَّ حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرَفِ أَرْضِ كَنْعَانَ (Canaan) **[← "الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ" (المائدة 21)]**.

وقال الشيخ الشعراوي إن المَنّ "لا يزال موجوداً إلى الآن فى العراق. فهناك نوع من الأشجار يتساقط عليه المَنّ حتى الآن. [...] والسلوى هى: الطير الذى يسمونه السُّمَان، وهو يأتى من أماكن بعيدة، ثم يتساقط من شدة التعب لطول المسافة التى طارها"[6561]. إنها إذن ظواهر طبيعية لا تزال تحدث إلى اليوم.

4.34.1.2 الماء مِن الصخرة [⟵ الماء مِن الحَجَر]

(الخروج 17): {1} ثُمَّ ارْتَحَلَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينٍ بِحَسَبِ مَرَاحِلِهِمْ عَلَى مُوجِبِ أَمْرِ الرَّبِّ، وَنَزَلُوا فِي رَفِيدِيمَ (Rephidim) (بجنوب سيناء). وَلَمْ يَكُنْ مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ. {2} فَخَاصَمَ الشَّعْبُ مُوسَى وَقَالُوا: «أَعْطُونَا مَاءً لِنَشْرَبَ.» **[⟵ "اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ" (الأعراف 160)]** فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «لِمَاذَا تُخَاصِمُونَنِي؟ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ الرَّبَّ؟». {3} وَعَطِشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: «لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِتُمِيتَنَا وَأَوْلاَدَنَا وَمَوَاشِيَنَا بِالْعَطَشِ؟» {4} فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلاً: «مَاذَا أَفْعَلُ بِهذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيل يَرْجُمُونَنِي **[⟵ "وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (أي: تقتلوني رجماً بالحجارة)" (الدخان 20)]**». {5} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُرَّ قُدَّامَ الشَّعْبِ، وَخُذْ مَعَكَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ. وَعَصَاكَ الَّتِي ضَرَبْتَ بِهَا النَّهْرَ خُذْهَا فِي يَدِكَ وَاذْهَبْ. {6} هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ». فَفَعَلَ مُوسَى هكَذَا أَمَامَ عُيُونِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ[6562] **[⟵ "وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ (أى: ليشرب كل سِبط مِن عينٍ خاصة بهم)" (الأعراف 160) "وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا (الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) وَاشْرَبُوا (الماءَ المتفجر مِن العيون) مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (البقرة 60) "وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ" (البقرة 74)]**.

ولقد حدثت هذه القصة مرة أخرى مع بعض الاختلافات البسيطة فى بَرِّيَّةِ صِينَ (Desert of Zin) (فى شمالى شرق سيناء؛ جنوبى غرب كنعان) فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ من السنة الأربعين (العدد 20:1-13).

لاحظنا فى الفقرة السابقة أن القرآن يذكر 12 عين ماء، بينما (الخروج 17:1-6) و (العدد 20:1-13) لا يذكران ذلك. والحقيقة أن الـ 12 عين ماء موجودة فى قصة ثالثة مشابهة حدثت بعد الخروج بوقت قليل. نجد هذه القصة فى **(الخروج 15):** {22} ثُمَّ ارْتَحَلَ مُوسَى بِإِسْرَائِيلَ مِنْ بَحْرِ سُوفَ وَخَرَجُوا إِلَى بَرِّيَّةِ شُورٍ (Desert of Shur)[6563] (في شمال وشمال غرب سيناء). فَسَارُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً. {23} فَجَاءُوا إِلَى مَارَّةَ (Marah) (في غرب سيناء)، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنْ مَارَّةَ لأَنَّهُ مُرٌّ. لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «مَارَّةَ». {24} فَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «مَاذَا نَشْرَبُ؟» **[⟵ "اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ" (الأعراف 160)]**. {25} فَصَرَخَ (موسى) إِلَى الرَّبِّ **[⟵ "اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ" (البقرة 60)]**. فَأَرَاهُ الرَّبُّ شَجَرَةً فَطَرَحَهَا فِي الْمَاءِ فَصَارَ الْمَاءُ عَذْبًا. هُنَاكَ وَضَعَ لَهُ فَرِيضَةً وَحُكْمًا، وَهُنَاكَ امْتَحَنَهُ **[⟵ "وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" (الأعراف 141) (إبراهيم 6) (البقرة 49)]**. {27} ثُمَّ جَاءُوا إِلَى إِيلِيمَ (Elim) (جنوب مَارَّة) وَهُنَاكَ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ **[⟵ "اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا" (الأعراف 160) (البقرة 60)]**[6564] وَسَبْعُونَ نَخْلَةً. فَنَزَلُوا هُنَاكَ عِنْدَ الْمَاءِ. اقرأ أيضاً: (العدد 33:9).

وتقول إحدى قصص "الأجاداه" (Aggadah) (أى: القصص، الأساطير، النوادر والحكايات الدينية، الخرافات) اليهودية إن أنهار ماء قد تكوَّنت حول كل قبيلة (tribe) مِن قبائل إسرائيل[6565] **[← "وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ (أى: لتشرب كل قبيلة مِن عينٍ خاصة بهم)" (الأعراف 160) (البقرة 60) "وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ" (البقرة 74)]**.

تعليقنا: إنها ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التى يدمج فيها أصحابُ القرآن قصتين (أو أكثر) فى قصة قرآنية واحدة.

وسواء كان أصحاب القرآن أم غيرهم هُمْ أول مَن جمعوا (conflated) هذه القصص اليهودية فى قصة قرآنية واحدة، فإنه من المؤكد أن أصحاب القرآن قد وضعوا بصمتهم الإسلامية/العربية على هذه القصص التى توارثتها الأجيال. بدليل أنهم استخدموا عبارة "وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (البقرة 60) فى قصص قرآنية أخرى: قصة صالح وقومه ثمود (الأعراف 74)؛ قصة شعيب وقومه أصحاب مدين (هود 85) (العنكبوت 36)؛ وقصة شعيب وأصحاب الأيكة (الشعراء 183).

صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا انتاج (reproduced) هذه القصص المتوارثة مستخدمين عبارات عربية تلائم بيئتهم العربية فى القرن السابع الميلادى، بدليل أنهم استخدموا نفس العبارات الـ(formulaic) فى قصص مختلفة زمانياً ومكانياً.

ونختم حديثنا عن الإصحاحين (الخروج 16-17) بسؤال ربما يدور الآن فى أذهان أحبائنا المسلمين، وهو: هل يُعقَل أن أصحاب القرآن قد سمعوا (الخروج 16) الذى يتحدث عن الْمَنّ وَالسَّلْوَى وسمعوا أيضاً (الخروج 17) الذى يتحدث عن الماء مِن الصخرة؟

الإجابة: نعم. وذلك للأسباب التالية.

أولاً: (الخروج 16-17) ليسا إصحاحين طويلين، فَمِن المعقول أن يكون أصحاب القرآن قد سمعوهما.

ثانياً: كانت هذه القصص مشهورة جداً، سواء على المستوى الدينى فى الأسفار المقدسة (مثل التوراة) وغير المقدسة (مثل الأجاداه) أو حتى على المستوى الشعبى فى أحاديث العوام وأعيادهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية. ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه القصص المشهورة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة (أثيوبيا).

ثالثاً: ليس بالضرورة أن يكون أصحاب القرآن قد سمعوا القصة كلها بكل تفاصيلها. يكفيهم أن يسمعوا ملخصها المذكور فى الأسفار الأخرى مِن الكتاب المقدس، وبخاصة سفر المزامير. على سبيل المثال، يقول **(المزامير 105):** {39} بَسَطَ (الرَّبُّ لبنى إسرائيل) سَحَابًا سَجْفًا (أى: غِطَاءً لهم) **[← "وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ (أى: السحاب)" (الأعراف 160) (البقرة 57)]**، وَنَارًا لِتُضِيءَ اللَّيْلَ. {40} سَأَلُوا فَأَتَاهُمْ بِالسَّلْوَى **[←**

"السَّلْوَى" (الأعراف 160) (البقرة 57) (طه 80)]، وَخُبْزَ السَّمَاءِ أَشْبَعَهُمْ **[← "أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ" (الأعراف 160) (البقرة 57) (طه 80)]**. {41} شَقَّ الصَّخْرَةَ فَانْفَجَرَتِ الْمِيَاهُ **[← "فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا" (الأعراف 160) "فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا (الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) وَاشْرَبُوا (الماءَ المتفجر مِن العيون) مِنْ رِزْقِ اللَّهِ" (البقرة 60)]**. جَرَتْ فِي الْيَابِسَةِ نَهْرًا **[← "وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ" (البقرة 74)]**.

إذن: لو لم يسمع أصحابُ القرآن سوى هذه الآيات الكتابية الثلاث (المزامير 105:39-41)، لكان ذلك كافياً – بل كافياً جداً – لاعادة انتاج أحداث هذه القصة فى القرآن.

ومِن الجدير بالذكر أن سفر المزامير كان منتشراً بين يهود شبه الجزيرة العربية، ويحظى باحترام وتوقير. ونحن نتفق مع الرأى الذى يقول إن كثير من الأفكار والأقوال الموجودة فى سورتى البقرة وآل عمران تبدو وكأنها نسخة (replica) من (المزامير 104-108)[6566].

ومِن الجدير بالذكر أيضاً أن التراث اليهودي المتأخر وكذلك التراث المسيحي السرياني قبل الإسلام قد أشار إلى هذه القصة الشهيرة في أعمال دينية وأدبية وفنية كثيرة، بعضها يشبه ما جاء في القرآن بعد ذلك. على سبيل المثال: أشعار الشاعر اليهودي السكندري "حزقيال التراجيدي" (Ezekiel the Tragedian) (القرن الثاني قبل الميلاد)[6567]؛ وترانيم القديس "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (Ephraem) (القرن الرابع الميلادي)[6568]؛ وكذلك عظات الأسقف "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) أسقف سروج بشمال العراق (أواخر القرن الخامس وأوائل السادس الميلادي)[6569]. وتوجد في معبد "دورا أوربوس" (Dura-Europus) (القرن الثالث الميلادي؛ على نهر الفرات في سوريا) لوحة تظهر بئراً يضع موسى عصاه فيه فتنفجر مِنْهُ 12 عَيْنًا إلى 12 خيمة بها ممثلين لقبائل إسرائيل الاثنتى عشرة (the twelve tribes of Israel)[6570] **[← "وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ (أى: ليشرب كل سبط مِن عينٍ خاصة بهم)" (الأعراف 160) "وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا (الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) وَاشْرَبُوا (الماءَ المتفجر مِن العيون) مِنْ رِزْقِ اللَّهِ" (البقرة 60) "وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ" (البقرة 74)]**.

باختصار: مِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه القصص الشهيرة. ولا يهمنا إنْ كانوا سمعوها مِن الأسفار المقدسة أم مِن الكتب غير المقدسة أم مِن الأشعار والترانيم والعظات والأناشيد المسيحية أو اليهودية قبل الإسلام. في جميع الأحوال، النتيجة النهائية واحدة: القرآن كلام بشر 100%، وليس كلام الله.

ولقد أثبتت هذه الدراسة أنه عند بحثنا عن جذور القرآن في التراث اليهودي والمسيحي الشرقي، ينبغي علينا ألا نكتفي بالتوراة والإنجيل فقط، وإنما يجب علينا أن ندرس كل التراث اليهودي والمسيحي الشرقي

قبل الإسلام: أسفار مقدسة، كتب غير مقدسة، أشعار، ترانيم، ميامر، عظات، أناشيد، قناديق (kontakia)، لوحات فنية، نقوش، ... الخ. والتراث المسموع (مثلاً: العظات والترانيم) أهم من التراث المكتوب، لأن المسموع يصل بسهولة لكل الناس حتى الأميين الذين يجهلون القراءة والكتابة. والتراث المرئي (مثلاً: اللوحات والنقوش) أهم من جميع أنواع الآداب والفنون، لأن المرئي يصل بسهولة أكثر لكل الناس مهما كانت لغاتهم الأصلية أو أعمارهم؛ حتى الأطفال الصغار يتأثرون بالصور أكثر من تأثرهم بالكلام.

4.34.1.3 وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى اللهِ: عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ [⟵ على الطُّورِ]

(الخروج 19): {1} فِي الشَّهْرِ الثَّالِثِ بَعْدَ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي ذلِكَ الْيَوْمِ جَاءُوا إِلَى بَرِّيَّةِ سِينَاءَ (Desert of Sinai) (فى جنوب سيناء). {2} ارْتَحَلُوا مِنْ رَفِيدِيمَ وَجَاءُوا إِلَى بَرِّيَّةِ سِينَاءَ فَنَزَلُوا فِي الْبَرِّيَّةِ. هُنَاكَ نَزَلَ إِسْرَائِيلُ مُقَابِلَ الْجَبَلِ. {3} وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى اللهِ. فَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ **[⟵ "وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ (أى: الرسالة؛ إذ كلمه الله)" (القصص 44)]** قَائِلاً: «هكَذَا تَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ، وَتُخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: {4} أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. {5} فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ **[⟵ "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" (البقرة 47) (البقرة 122) "هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" (الأعراف 140) "وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 20) "وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ (أى: اخترنا بنى إسرائيل) عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ" (الدخان 32) (الجاثية 16)]**. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. {6} وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً[6571] **[⟵ "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 20)[6572]]**. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ».

(الخروج 19): {7} فَجَاءَ مُوسَى وَدَعَا شُيُوخَ الشَّعْبِ وَوَضَعَ قُدَّامَهُمْ كُلَّ هذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَوْصَاهُ بِهَا الرَّبُّ. {8} فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ مَعًا وَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ». فَرَدَّ مُوسَى كَلاَمَ الشَّعْبِ إِلَى الرَّبِّ. {9} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَا أَنَا آتٍ إِلَيْكَ فِي ظَلاَمِ السَّحَابِ لِكَيْ يَسْمَعَ الشَّعْبُ حِينَمَا أَتَكَلَّمُ مَعَكَ، فَيُؤْمِنُوا بِكَ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ». وَأَخْبَرَ مُوسَى الرَّبَّ بِكَلاَمِ الشَّعْبِ. {10} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبْ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدِّسْهُمُ الْيَوْمَ وَغَدًا، وَلْيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ، {11} وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ. لأَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَنْزِلُ الرَّبُّ أَمَامَ عُيُونِ جَمِيعِ الشَّعْبِ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ **[⟵ "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ" (طه 80)]**. {12} وَتُقِيمُ لِلشَّعْبِ حُدُودًا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، قَائِلاً: احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى الْجَبَلِ أَوْ تَمَسُّوا طَرَفَهُ. كُلُّ مَنْ يَمَسُّ الْجَبَلَ يُقْتَلُ قَتْلاً. {13} لاَ تَمَسُّهُ يَدٌ بَلْ يُرْجَمُ رَجْمًا أَوْ يُرْمَى رَمْيًا. بَهِيمَةً كَانَ أَمْ إِنْسَانًا لاَ يَعِيشُ. أَمَّا عِنْدَ صَوْتِ الْبُوقِ فَهُمْ يَصْعَدُونَ إِلَى الْجَبَلِ».

(الخروج 19): {14} فَانْحَدَرَ مُوسَى مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الشَّعْبِ، وَقَدَّسَ الشَّعْبَ وَغَسَلُوا ثِيَابَهُمْ. {15} وَقَالَ لِلشَّعْبِ: «كُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ. لاَ تَقْرُبُوا امْرَأَةً». {16} وَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ لَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ أَنَّهُ صَارَتْ رُعُودٌ وَبُرُوقٌ وَسَحَابٌ ثَقِيلٌ عَلَى الْجَبَلِ، وَصَوْتُ بُوقٍ شَدِيدٌ جِدًّا. فَارْتَعَدَ كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي فِي الْمَحَلَّةِ. {17} وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ الْمَحَلَّةِ لِمُلاَقَاةِ اللهِ، فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ[6573].

وتعليقاً على هاتين الآيتين "فَارْتَعَدَ كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي فِي الْمَحَلَّةِ. وَأَخْرَجَ مُوسَى الشَّعْبَ مِنَ الْمَحَلَّةِ لِمُلاَقَاةِ اللهِ، فَوَقَفُوا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ" (الخروج 19:16-17)، يقول التلمود البابلى (Abodah Zarah 2b; Shabbat 88a)[6574] إن الله رفع جبل سيناء فوق بنى إسرائيل **[⟵ "رَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ" (النساء 154) "رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ" (البقرة 63) (البقرة 93) "نَتَقْنَا (أى: رفعنا؛ اقتلعنا) الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ" (الأعراف 171)]** كأنه برميل كبير (cask) **[⟵ "كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ (أى: كَأَنَّهُ سحابة تظلهم)" (الأعراف 171)[6575]]** وهددهم بالموت أسفل الجبل[6576] **[⟵ "وَظَنُّوا (أى: أيقنوا) أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ (أى: ساقط عليهم)" (الأعراف 171)]** إن لم يقبلوا التوراة **[⟵ "خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ (by force?)[6577] وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ" (الأعراف 171)]**!

يعنى باختصار: التوراة أو الموت! أو كما يقول المسلمون الإرهابيون اليوم: الإسلام أو القتل!

تسلل هذا المشهد التلمودى المخيف إلى أربع آيات قرآنية **[⟵ "وَإِذْ نَتَقْنَا (أى: رفعنا؛ اقتلعنا) الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (غضبَ الله وعقابه)" (الأعراف 171) "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ (أى: عهدكم بالعمل بما فى التوراة) وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (غضبَ الله وعقابه)" (البقرة 63) (البقرة 93) "وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ" (النساء 154)]**! أليس هذا وحده يكفى كدليل قاطع على أن القرآن كلام بشر؟ هل يُعقَل أن يردد اللهُ حواديت التلمود وخرافاته؟! وهل يُعقَل أن يلجأ اللهُ إلى أسلوب القوة والتهديد بالموت لكي يؤمن الناس برسالته؟! وما فائدة الإيمان تحت التهديد؟! إنها أسئلة مشروعة نوجهها إلى كل مسلم عاقل لكي يعلم علم اليقين أن القرآن كلام بشر 100% ولا يمكن أن يكون كلام الله.

نعود إلى التوراة. **(الخروج 19):** {18} وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدًّا. {19} فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَادًا جِدًّا، وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللهُ يُجِيبُهُ بِصَوْتٍ[6578] **[⟵ "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ" (الأعراف 143) "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا" (النساء 164)؛ (البقرة 253)]**. {20} وَنَزَلَ الرَّبُّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ، وَدَعَا اللهُ مُوسَى إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَصَعِدَ مُوسَى **[⟵ "وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا" (مريم 52)]**.

ثم تتحدث الإصحاحات (الخروج 19-24) عن "العهد الموسوىّ (عهد سيناء)" (Mosaic/Sinaitic Covenant) **[⟵ "مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ"]**. يشمل هذا العهد (الميثاق) وعد الله

بحماية شعبه بنى إسرائيل والتزام الشعب بالوصايا العشر (The Ten Commandments) (الخروج 20:1-17) (التثنية 5:6-21) – التى تُسمَّى أيضاً "الْكَلِمَات الْعَشَر" (The Decalogue) (الخروج 34:28) (التثنية 10:4) – ويشمل عقائد وتشريعات وأحكام ومواعظ وتفاصيل كثيرة أخرى **[← "وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ (أى: ألواح التوراة) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا" (الأعراف 145) (الأنعام 154)]**. قال الطاهر ابن عاشور: "ولعل الموعظة هى الكلمات العشر والتفصيل ما ذكر بعدها من الأحكام فى الاصحاحات التى ذكرناها (يقصد: الخروج 20-31)"[(6579)]. وقيل إن مضمون هذه الوصايا العشر قد تضمنته (الأنعام 151-153) و (الإسراء 23-39). ونحن نقول بعبارة أكثر دقة: إن (الأنعام 151-153) و (الإسراء 23-39) هى مجرد تطور بشرى طبيعى للوصايا العشر والتراث اليهودى/المسيحى بصفة عامة.

ونلاحظ هنا أن القرآن قد أخذ من التوراة نقطة هامة، وهى أن هذا العهد (الميثاق) مشروط (conditional). قال الرب لموسى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ، وَتُخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي (My Covenant) تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» (الخروج 19:3-6) **[← "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي (My Covenant) أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ" (البقرة 40) "وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [...] وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ (أى: نصرتموهم) وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ" (المائدة 12) "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ" (إبراهيم 7)]**.

4.34.1.4 توثيق العهد [← المِيثَاق] بالدم

(الخروج 24): {1} وَقَالَ (الرَّبُّ) لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَى الرَّبِّ أَنْتَ وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو (ابنا هارون)، وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ[(6580)] **[← "وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا" (الأعراف 155)]**، وَاسْجُدُوا مِنْ بَعِيدٍ. {2} وَيَقْتَرِبُ مُوسَى وَحْدَهُ إِلَى الرَّبِّ، وَهُمْ لاَ يَقْتَرِبُونَ. وَأَمَّا الشَّعْبُ فَلاَ يَصْعَدْ مَعَهُ».

لا نعلم لماذا "سبعين" بالتحديد. ربما يمثلون "جَمِيع نُفُوسِ بَيْتِ يَعْقُوبَ (إسرائيل) الَّتِي جَاءَتْ إِلَى مِصْرَ"، وَهُمْ سبعون (التكوين 46:26-27) (الخروج 1:5) (التثنية 10:22) حسب التوراة العبرية والتوراة السامرية، أو خمسة وسبعون حسب مخطوطات البحر الميت والترجمة السبعينية (اليونانية) والعهد الجديد

(أعمال الرسل 14:7)[6581]. إن صح ذلك، فهو دليل على أن أصحاب القرآن قد تأثروا فى هذا الجزء من القصة بالمصادر اليهودية أكثر مِن تأثرهم بالمصادر المسيحية.

لكن يبدو مِن ظاهر الآيات القرآنية أن أصحاب القرآن قد غَيَّروا ترتيب الأحداث فوضعوا اختيار السبعين رجل (الأعراف 155) بعد قصة "العِجْل الذهبى" (الأعراف 148-154) وليس قبلها. ولقد أيدت مراجعُ إسلامية كثيرة هذا الترتيب القرآنى[6582]؛ وقيل إنهم ذهبوا مع موسى ليعتذروا ويعلنوا توبتهم نيابةً عن قومهم الذين عبدوا العِجل وليعاهدوا الله على الاستقامة والطاعة والالتزام بالميثاق (العهد). إلا أننا وجدنا مراجع إسلامية أخرى تضع قصة السبعين رجل قبل قصة العِجل الذهبى[6583]! ومراجع إسلامية أخرى تركت الباب مفتوحاً لاحتمالات عدة. قال ابن الجوزى فى تفسير "وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا" (الأعراف 155): "وفى هذا الميقات أربعة أقوال. أحدها: أنه الميقات الذى وَقَّتَه الله لموسى ليأخذ التوراة، [...]. والثانى: أنه ميقات وَقَّتَه الله لموسى، وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعو ربهم، [...]. والثالث: أنه ميقات وَقَّتَه الله لموسى، لأن بنى إسرائيل قالوا له: إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك، فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة، [...]. والرابع: أنه ميقات وَقَّتَه الله لموسى ليلقاه فى ناس من بنى إسرائيل، فيعتذر إليه من فِعْل عبدة العجل، [...]"[6584].

وكما نقول دائماً: كل شيء ممكن فى تفاسير القرآن. كل الاحتمالات واردة فى المراجع الإسلامية. والمشكلة ليست فى المفسرين، وإنما في غموض القرآن نفسه الذى لم يحدد بالضبط متى حدثت قصة السبعين رجل. وإن قلتم إن موسى اختار سبعين رجلاً لميقات ربه، لكنه سبقهم إلى الجبل، ثم حدثت قصة "العِجْل الذهبى"، فاختار موسى سبعين رجلاً آخرين أو ربما نفس السبعين. فسنقول: إن القرآن لم يذكر اختيار السبعين رجل إلا مرة واحدة فقط (الأعراف 155)، فَمَتى حدث ذلك؟ قبل قصة العِجْل الذهبى؟! أم بعدها؟!

ثم فاجأنا القرآن بقوله إن هؤلاء الرجال السبعين قد "أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ (أى: الزلزلة، الهزة الأرضية)" (الأعراف 155)! ويجب هنا أن نقول إن فكرة "الرَّجْفَة" مستوحاة مِن التوراة التى تقول: "وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدًّا" (الخروج 18:19). ويُفهَم مِن (الأعراف 155) أن "الرَّجْفَة" كانت عقاباً لهم بدليل قول موسى بعدها مباشرةً "رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا [...]" (الأعراف 155)! إلا أن هذه الآية المكية لم تقل لنا ما هى الخطيئة الكبرى التى ارتكبها هؤلاء الرجال السبعون وجعلتهم يستحقوا أن يُهلَكوا بالرجفة. فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هى حيرة المفسرين وتخبطهم. ذكر ابن الجوزى أربعة أقوال!

قيل إن هؤلاء السبعين – أو مجموعة منهم – هُم الذين قالوا لموسى: "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً (أي: بعيوننا)" (البقرة 55) (النساء 153). قال الفَرَّاء: "ظنّ موسى أنهم أُهلِكوا باتخاذ أصحابهم العجل، [...]، وإنما أُهلِكوا بمسألتهم موسى "أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً""[6585]. ويجب هنا أن نقول إن فكرة طلب رؤية الله جَهْرَةً

مُستوحَاة أيضاً مِن التوراة التى تقول إن هؤلاء الرجال السبعين قد رأوا الله: "ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ" (الخروج 24:9-10).

لكن حسب هاتين الآيتين المدنيتين (البقرة 55) (النساء 153)، لم تأخذهم الرجفة وإنما "أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ (أى: نار مِن السماء تُحرق فتُهلِك؛ ولعلهم يقصدون: البَرْق)" (النساء 153) (البقرة 55)! ويجب هنا أن نقول إن فكرة العقاب الإلهى بـ "الصاعقة" أو بـ "نار مِن عند الرب" موجودة فى مواضع أخرى من الكتاب المقدس، مثل: (العدد 11:1-3) و (العدد 16:35) و (اللاويين 10:1-2) و (الرؤيا 20:9). إلا أن التوراة لم تقل إن الله أهلك السبعين رجلاً الذين رأوه. بالعكس تقول التوراة إن الله "لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ" إليهم (أى: لم يُهْلِكهم) (الخروج 24:11). فربما تكون فكرة إهلاكهم مستوحاة مِن: "وَكَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ (أى: بنى إسرائيل) يَرَوْنَ الرُّعُودَ وَالْبُرُوقَ وَصَوْتَ الْبُوقِ، وَالْجَبَلَ يُدَخِّنُ. وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ ارْتَعَدُوا وَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ، وَقَالُوا لِمُوسَى: «تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ. وَلاَ يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ»" (الخروج 20:18-19).

ولذلك، رفض فريقٌ من المفسرين المسلمين الرأىَ الذى يقول إن هؤلاء الرجال السبعين هُمْ الذين طلبوا رؤية الله جَهْرَةً. فلقد رُوِى عن ابن عباس أنه "قَالَ: وَهُمْ (أى: السبعون رجلاً) غَيْر الَّذِينَ سَأَلُوا الرُّؤْيَةَ وَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ". وقال د. صلاح الخالدى إن الراجح هو أن الذين طلبوا رؤية الله جَهْرَةً غير السبعين رجلاً، وأن الصاعقة التى صعقت الذين طلبوا رؤية الله جَهْرَةً غير الرجفة التى رجفت بالسبعين رجلاً؛ إلا أنه لم يحدد لنا ما هى الخطيئة الكبرى التى ارتكبها السبعون رجلاً وجعلتهم يستحقوا أن تأخذهم الرجفة، واكتفى بزعم أنهم رفضوا التوبة والاعتذار وإعطاء العهد، "وأثاروا إشكالات واعتراضات!! ولم يذكر القرآنُ شيئاً منها"[6586]. ونحن نقول له: إذا القرآن لم يذكر شيئاً منها، فما هو دليلك على أنهم "أثاروا إشكالات واعتراضات" جعلتهم يستحقوا أن تأخذهم الرجفة؟!

وفى المقابل، أيد فريقٌ آخر من المفسرين المسلمين الرأىَ الذى يقول إن هؤلاء الرجال السبعين هُمْ الذين طلبوا رؤية الله جَهْرَةً. قال د. مصطفى البغا: "وقال غير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عنهما: هُمْ أنفسهم، وسياق الآيات فى (البقرة 54-55) يرجح هذا"[6587]. بل إن د. صلاح الخالدى نفسه يقول فى مرجع آخر: "بعدما تاب بنو إسرائيل عن عبادة العجل، أَمَرَ الله موسى عليه السلام أن يأخذ أفضلَ سبعين رجلاً منهم إلى جبل الطور، ليعاهدوا الله نيابةً عن قومهم، ولكنهم رفضوا إعطاءَ العهد، وطلبوا من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة، فرفع الله الطورَ فوقهم، وأخذتهم الصاعقة فصُعقوا، فدعا موسى عليه السلام ربَّه وتضرع إليه من أجلهم". ثم ذكر (الأعراف 155) التى تذكر "الرجفة"، وقال: "والمعنى: لما أخذت الرجفةُ الرجال السبعين [...]"[6588]. يعنى مرة يقول إن الذين طلبوا رؤية الله جَهْرَةً وأخذتهم الصاعقةُ غير السبعين رجلاً، ومرة يقول إن الذين طلبوا رؤية الله جَهْرَةً هم السبعون رجلاً الذين أخذتهم الرجفة! هل يوجد تناقض وحيرة وتخبط أكثر مِن ذلك؟! ونحن نعذره ولا نلومه، فالمشكلة ليست مشكلته، وإنما مشكلة غموض القرآن نفسه.

وتوجد مشكلة أخرى يعانى منها القرآنُ، وهى أنه فى رواية سورة البقرة، جاء طلبهم أن يروا الله جَهْرَةً (البقرة 55) بعد عبادة العجل (البقرة 54). أما فى رواية سورة النساء، فإن طلبهم أن يروا الله جَهْرَةً جاء قبل عبادة العجل: "فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ (إلهاً ومعبوداً)" (النساء 153)! أيهما أصح؟! (البقرة 54-55)؟! أم (النساء 153)؟!

وإن لجأ شيوخ الإسلام إلى حيلهم المملة، وقالوا إن العطف بـ "الواو" أو "ثم" لا يفيد الترتيب الزمنى، أو قالوا إن مجموعتين مختلفتين طلبتا رؤية الله جهرة: واحدة قبل عبادة العجل (النساء 153) وأخرى بعد عبادة العجل (البقرة 54-55)، أو أى حيلة أخرى لتبرير هذا الغموض فى القرآن.

فسنقول لهم: لو كان القرآن كلام الله كما تتوهمون، ألم يكن مِن المفروض أن يذكر القصةَ كاملة مرة واحدة فقط حتى نعرف ترتيب أحداثها بدقة بدون أى غموض أو تناقض؟! وكما نقول دائماً: المشكلة ليست في المفسرين المسلمين، وإنما في الاختلافات بين الروايات القرآنية المتعددة للقصة الواحدة.

إن هذه المشكلات التى يعاني منها القرآن تثبت أنه مِن المستحيل الاعتماد على القرآن وحده لمعرفة ترتيب أحداث القصة ولا حتى معرفة الأحداث نفسها. بل تثبت أن القرآن ليس كلام الله، وإنما كلام البشر. وما يهمنا هنا هو أن القصة التوراتية الأصلية قد تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة إلى أن صارت بالصورة (أو بالأحرى: الصور) التى نجدها فى كتاب "القرآن" العربى.

وخير دليل على هذا التطور البشرى الطبيعى هو أن صاحب رواية سورة البقرة قد أضاف أن الله أحياهم مِن بعد موتهم بالصاعقة: "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (البقرة 55-56)[6589]! ويجب هنا أن نقول إن فكرة أن الله أمات بنى إسرائيل ثم أحياهم من الموت موجودة فى التلمود البابلى (Shabbat 88b) بعد حدوتة رفع الجبل فوق بنى إسرائيل (Shabbat 88a)[6590]. قال الواحدى النيسابورى: "قال الزجاج: والآية (أى: البقرة 56) احتجاج على مشركى العرب الذين كفروا بالبعث، فاحتج النبى ﷺ بإحياء من بعث بعد موته فى الدنيا فيما يوافقه اليهود والنصارى"[6591]. وهذا يدل على أن قصة الإماتة ثم الإحياء كانت معروفة مِن قبل الإسلام.

إذن: كل هذه الأفكار القرآنية ليست جديدة، وإنما هى مستوحاة مِن التراث اليهودى، سواء الأسفار القانونية (مثل التوراة) أو الأسفار غير القانونية (مثل التلمود). وأصحاب القرآن – مثل أصحاب التلمود – قد طوروا هذه القصص اليهودية تطوراً بشرياً طبيعياً. والقرآن العربى – مثل التلمود البابلى – هو مجرد كتاب بشرى ألَّفه مجموعة مِن البشر.

نعود إلى التوراة. **(الخروج 24):** {3} فَجَاءَ مُوسَى وَحَدَّثَ الشَّعْبَ بِجَمِيعِ أَقْوَالِ الرَّبِّ **[← "كَلَامِي (أى: كلام الله)" (الأعراف 144)]** وَجَمِيعِ الأَحْكَامِ، فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ وَقَالُوا: «كُلُّ الأَقْوَالِ

الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ نَفْعَلُ». {4} فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ. وَبَكَّرَ فِي الصَّبَاحِ وَبَنَى مَذْبَحًا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَاثْنَيْ عَشَرَ عَمُودًا لأَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ (the twelve tribes of Israel). {5} وَأَرْسَلَ فِتْيَانَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ، وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ لِلرَّبِّ مِنَ الثِّيرَانِ. {6} فَأَخَذَ مُوسَى نِصْفَ الدَّمِ وَوَضَعَهُ فِي الطُّسُوسِ. وَنِصْفَ الدَّمِ رَشَّهُ عَلَى الْمَذْبَحِ. {7} وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ (Book of the Covenant) **[← "أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ" (البقرة 63) (البقرة 93) "وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (المائدة 12) "وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (لأنه مُوثّق ومُكرَّس بالدم)" (النساء 154)]** وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ **[← "خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا" (البقرة 93) "خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ" (البقرة 63) (الأعراف 171) "فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا" (الأعراف 145)]**، فَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ (أي: نطيع)[6592] **[← حَرَّفها القرآنُ فجعلها: "قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا"[6593] (البقرة 93)! والعجيب أن القرآن بعد ذلك يتهم اليهودَ أنهم يُحَرِّفُونَ! "مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا" (النساء 46)!]**».

(الخروج 24): {8} وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: «هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هذِهِ الأَقْوَالِ **[← "مِيثَاقًا غَلِيظًا (لأنه مُوثّق ومُكرَّس بالدم)" (النساء 154)]**». {9} ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، {10} وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ[6594] **[← "نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً" (البقرة 55) "أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً" (النساء 153)]**، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاوَةِ. {11} وَلكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ (أي: لم يُهْلِكهم) **[← جعلها القرآنُ: "أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ" (الأعراف 155) "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ" (النساء 153) (البقرة 55)!]**. فَرَأَوْا اللهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا **[← "كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ" (البقرة 60)]**.

إذن: "العهد القديم" (Old Covenant) مُوثَّق ومُكرَّس بالدم أمام أشراف بنى إسرائيل الذين رأوا الله وأكلوا وشربوا. كذلك، فإن "العهد الجديد" (New Covenant) مُوثَّق ومُكرَّس بالدم، دم المسيح (العبرانيين 9:11-22)، أمام الحواريين (التلاميذ الاثنى عشر) الذين رأوا الله (المسيح[6595]) وأكلوا وشربوا (متى 26:26-28). اقرأ "عشاء الرب" (Lord's Supper) (متى 26:17-30) (مرقس 14:12-26) (لوقا 22:7-30) (يوحنا 13:1-35) (1 كورنثوس 10:15-22) (1 كورنثوس 11:17-34). ذكر القرآنُ "العهدَ القديم" ولم يذكر "العهدَ الجديد"! ذكر "المَنَّ والسلوى" ولم يذكر "عشاء الرب"[6596]!

نعود إلى التوراة. **(الخروج 24):** {12} وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيَكَ لَوْحَيِ الْحِجَارَةِ (Tablets of Stone)[6597] **[← "الْأَلْوَاحَ" (الأعراف 145)]** وَالشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبْتُهَا **[← "كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ" (الأعراف 145)]** لِتَعْلِيمِهِمْ». {13} فَقَامَ مُوسَى وَيَشُوعُ (Joshua)[6598] خَادِمُهُ. وَصَعِدَ مُوسَى إِلَى جَبَلِ اللهِ. {14} وَأَمَّا الشُّيُوخُ فَقَالَ (موسى) لَهُمُ: «اجْلِسُوا لَنَا

هؤُنَا حَتَّى نَرْجعَ إِلَيْكُمْ. وَهُوَذَا هَارُونُ وَحُورُ (Hur) مَعَكُمْ. فَمَنْ كَانَ صَاحِبَ دَعْوَى فَلْيَتَقَدَّمْ إِلَيْهِمَا» **[⟵ "وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ" (الأعراف 142)]**.

إذن: حَذَفَ القرآنُ شخصيةَ "حُور" وجعل موسى يستخلف هارونَ فقط. ومع ذلك، بعد أن عاد موسى، قال لهم: "بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي" (الأعراف 150). سؤال: لماذا قال "خَلَفْتُمُونِي" بصيغة الجمع، وليس بصيغة المفرد؟ كالعادة، لجأ المفسرون المسلمون إلى حيل للإجابة على هذا السؤال. وكالعادة أيضاً، لم يتفقوا على حيلة واحدة، فجاءت حيلهم مختلفة ومتضاربة. قيل إن الخطاب موجه لعبدة العجل، وقيل إنه موجه لهارون ومَن معه مِن المؤمنين. ونحن لا نقتنع بهذه الحيل، ونقول: ربما تكون "خَلَفْتُمُونِي" مِن بقايا القصة التوراتية الأصلية التى تقول إن موسى قد استخلف هارون وحُور. وإن قلتم: لماذا لم يستخدم القرآنُ صيغة المثنى؟ فسنقول إنه مِن المعلوم أن القرآن أحياناً يستخدم الجمع للإشارة إلى المثنى، مثل: "وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ [...] وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ (والمقصود: لِحُكْمِهِمَا) شَاهِدِينَ" (الأنبياء 78) و "إِنْ تَتُوبَا (يا حفصة وعائشة) إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا (والمقصود: صغى قلباكما)" (التحريم 4).

نعود إلى التوراة. **(الخروج 24):** {15} فَصَعِدَ مُوسَى إِلَى الْجَبَلِ، فَغَطَّى السَّحَابُ الْجَبَلَ، {16} وَحَلَّ مَجْدُ الرَّبِّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، وَغَطَّاهُ السَّحَابُ سِتَّةَ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ دُعِيَ مُوسَى مِنْ وَسَطِ السَّحَابِ. {17} وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عُيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. {18} وَدَخَلَ مُوسَى فِي وَسَطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ. وَكَانَ مُوسَى فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً **[⟵ "وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً" (البقرة 51) "وَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً" (الأعراف 142)]**. ومِن الجدير بالذكر أن تعبير "أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً" تعبير مشهور جداً فى التراث اليهودى/المسيحى، إذ تكرر فى مواضع أخرى مِن الكتاب المقدس، مثل: (الخروج 28:34) (التثنية 9:9) (التثنية 11:9) (التثنية 18:9) (التثنية 25:9) (التثنية 10:10) (1 ملوك 8:19) (متى 2:4). إذن: مِن المؤكد أن هذا التعبير الكتابى الشهير قد وصل إلى أصحاب القرآن، إلا أنهم اختصروه فجعلوه "أَرْبَعِينَ لَيْلَةً" (البقرة 51) (الأعراف 142) بدلاً مِن "أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً"[6599]!

(الخروج 31): {18} ثُمَّ أَعْطَى [الرَّبُّ] مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبعِ اللهِ[6600] **[⟵ "وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ" (الأعراف 145)؛ أى: أسند الكتابة إلى الله. وتقول أحاديث صحيحة إن الله كَتَبَ التوراة بيده[6601]]**. ولا يهمنا هنا إن كان "إصبع الله" أو "يد الله" تُفسَّر بمعناها الحرفى أو المجازى. المهم أن الفكرة القرآنية/الإسلامية هى مجرد تطور بشرى طبيعى للفكرة التوراتية/اليهودية.

4.34.1.5 العِجْل الذهبى [⟵ العِجْل مِن الحُلِيّ]

ننتقل الآن إلى واحدة مِن أهم وأشهر القضايا التى شغلت بال اليهود والمسيحيين والمسلمين، وهى قضية العِجل الذهبى (The Golden Calf) (الخروج 32:1-35). وأهمية هذه القضية بالنسبة لنا هى أنها تثبت بالأدلة الدامغة تأثر القرآن بالتراث اليهودى/المسيحى بصفة عامة، السريانى بصفة خاصة.

(الخروج 32): {1} وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ **[⟵ "أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ (أى: المدة التى غابها موسى عنهم)" (طه 86) "أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ (أى: أستعجلتم عودة موسى إليكم؟ وهذا مقدَّر من الله" (الأعراف 150)]**، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ **[⟵ "السَّامِرِيّ" حسب رواية (طه 85، 87، 95)]** وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا **[⟵ "اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ" (الأعراف 138)]**، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ».

ونريد أن نتوقف قليلاً أمام "اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ" (الأعراف 138). جاء فى تفسير القرطبى أن مجموعة مِن العرب رَأَوْا شَجَرَة لِلْكُفَّارِ تُسَمَّى "ذَات أَنْوَاط" يُعَلِّقُون عليها أسلحتهم، فقالوا لمحمد: "اِجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاط كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاط". فَقَالَ محمد لهم: هذا كَمَا قَالَ قَوْم مُوسَى: "اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ"[6602]. إذن: "اِجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاط ..." أو "اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا ...". الكلام بسيط، ويستطيع أى واحد أعرابى بسيط أن يقوله. الموضوع مش محتاج وحى من الله.

نعود إلى **(الخروج 32):** {2} فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأْتُونِي بِهَا». {3} فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ **[⟵ "حُلِيِّهِمْ" (الأعراف 148) "زِينَةِ الْقَوْمِ" (طه 87)]** الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. {4} فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا **[⟵ "فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ (أى: صوت يُشْبِه صوت البقر!)" (طه 88) (الأعراف 148)]**. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ **[⟵ "فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى" (طه 88)]** الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ **[⟵ "فَنَسِيَ" (طه 88) (أى: نَسِيَ بنو إسرائيل الإلهَ الحقيقى الذى أخرجهم مِن أرض مصر)]**».

كالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فى تفسير الفعل "فَنَسِيَ" (طه 88). الخلاف يدور حول تحديد الفاعل والمفعول به! وكالعادة أيضاً، المشكلة ليست فى المفسرين، وإنما فى غموض القرآن نفسه الذى لم يحدد الفاعل والمفعول به. فقيل: إله موسى قد نَسِيَه. وقيل: موسى نَسِيَ إلهَه هنا أو نَسِيَ موعدَه مع إلهه أو نَسِيَ الطريق إلى إلهه أو نَسِيَ أن يذكر لكم أن هذا إلهه وإلهكم. وقيل: السامرى نَسِيَ إيمانَه أو نَسِيَ ربه أو نَسِيَ الاستدلال على أن العجل لا يجوز أن يكون إلهاً[6603]. وهذا الرأى الأخير هو الأقرب لما قلناه: نَسِيَ بنو إسرائيل (أى: الذين عبدوا العجل) الإلهَ الحقيقى الذى خَلَّصهم مِن العبودية فى مصر. أى: نَسوا شخصَ الله، أو: نَسوا عملَ ربهم الذى خَلَّصهم مِن أعدائهم المصريين. وما يُقوّى هذا الرأى هو أن الفعل الذى قبله

"فَقَالُوا" (طه 88) فاعله هو عَبدة العِجل، والفعل الذى بعده "أَفَلَا يَرَوْنَ" (طه 89) فاعله هو أيضاً عَبدة العِجل.

وسنقول رأياً آخر فى هذه الكلمة "نسي" (طه 88) التى حيرت المفسرين، مع اعترافنا بأن هذا الرأى يحتاج مزيداً مِن البحث والدراسة. ربما تكون كلمة "نسي" غير عربية. وهناك احتمالان على الأقل:

- ربما تكون كلمة عِبرية (nasah) أو (nissah) التي تعني "امتحن" أو "اختبر" (try, test) أو "جَرَّبَ" (tempt)[6604]. إنْ صح ذلك، فنظن أن المقصود هو أن السامرى فتن (أو: ابتلى) بنى إسرائيل بهذا العجل. أو كما قال القرآن فى نفس السورة: "قَالَ (اللهُ لموسى) فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ (بعبادة العِجل) وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ" (طه 85)؛ "وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ (أى: بهذا العِجل؛ أو: بهذا السامرى)" (طه 90).
- وربما تكون كلمة عِبرية "نِسِّي" (nissi) التى نجدها فى (الخروج 15:17) اسماً للمَذْبَح الذى بناه مُوسَى وَدَعَا اسْمَهُ «يَهْوَهْ نِسِّي»، أى: الرب "رايتى" (my banner) أو "عَلَمِى" (my ensign) الذى أرفعه بيدى فى صلاتى، أو: الرب "معيارى" (my standard) الذى يهدينى ويُخلِّصنى مِن أعدائى. إنْ صح ذلك، فنظن أن المقصود هو أن السامرى بَنَى مَذْبَحًا للعِجْل ورفع يديه تضرعاً له؛ أى: توجه بالصلاة والدعاء للعِجْل الذى عبده مِن دون الله. ومِن ثم، نستطيع أن نفهم لماذا قال القرآن بعد "نسي" مباشرةً: "أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا" (طه 89)، أى: أَفَلَا يَرَوْنَ أن هذا العِجْل لا يستجيب دعاءَهم ولا يسمع تضرعاتهم.

والحديث عن هذه الجملة "أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا" (طه 89) يجعلنا نلاحظ أنها تقريباً نفس الجملة التى وضعها أصحابُ القرآن على لسان إبراهيم: "إِذْ قَالَ (إبراهيمُ) لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ" (الشعراء 70-73) "أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ" (الأنبياء 66) "إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا" (العنكبوت 17). وهى تقريباً نفس الجملة التى قالها أصحابُ القرآن لمعاصريهم مِن الكفار: "قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا" (المائدة 76). صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا كتابة (rewrote) هذه القصص المتوارثة مستخدمين عبارات تلائم بيئتهم العربية فى القرن السابع الميلادى، بدليل أنهم استخدموا نفس الكلمات الـ (formulaic) فى مواقف مختلفة ولشخصيات مختلفة ثقافياً ولغوياً واجتماعياً وزمانياً ومكانياً.

نعود إلى **(الخروج 32):** {5} فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». {6} فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ **[← "اتَّخَذُوهُ (أى: اتَّخذُوا العِجْلَ إلهاً معبوداً) وَكَانُوا ظَالِمِينَ" (الأعراف 148) "قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ (أى: سنبقى على عبادة العِجْل حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى" (طه 91)]**. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ.

وقالت التوراة السريانية إن هارون "خاف (منهم)" (الخروج 5:32)، أى كان خائفاً مِن الشعب. وقال كتاب "فيلو المنحول" (Pseudo-Philo) – الذى يرجع تاريخه إلى القرن الأول الميلادى – إن هارون كان خائفاً لأن الشعب كانوا أقوياء جداً[6605] **[← "قَالَ (هارون لموسى) ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي" (الأعراف 150)]**. كما عبَّر صاحب رواية سورة طه عن "خوف" هارون **[← "قَالَ (هارون لموسى) يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (طه 94)]**. لاحظ أن (الأعراف 150) و (طه 94) تعبران عن "خوف" هارون وكلتاهما استخدمتا نفس التعبير "ابْنَ أُمَّ"، مما يدل على العلاقة القوية بينهما لفظياً ومعنوياً. وجذور هذه العلاقة – كما وضحنا – موجودة فى التراث اليهودى/المسيحى، السريانى بصفة خاصة، الذى تسلل إلى القرآن العربى. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التى يتأثر فيها أصحاب القرآن بالتراث اليهودى/المسيحى، السريانى بصفة خاصة.

(الخروج 32): {7} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبِ انْزِلْ. لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ **[← "قَالَ (اللهُ لموسى) فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ" (طه 85)]**. {8} زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ **[← "فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى" (طه 88)]** الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ **[← "فَنَسِيَ" (طه 88) (أى: نَسِيَ بنو إسرائيل الإلهَ الحقيقى الذى حررهم مِن العبودية فى مصر)]**». {9} وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. {10} فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ **[← "إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ (إلهاً ومعبوداً) سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ" (الأعراف 152) "وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى" (طه 81) "عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ" (الأعراف 156)]**، فَأُصَيِّرَكَ (يا موسى) شَعْبًا عَظِيمًا[6606]».

شفاعة موسى الأولى، قبل أن يرى بعينيه خطيئة عبادة العِجل. (الخروج 32): {11} فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: «لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ {12} لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟ **[← "فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ[6607]" (الأعراف 150)]** اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ **[← "رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ" (الأعراف 155-156)]**. {13} اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ». {14} فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ[6608] **[← "وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (البقرة 51-52) "ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ (إلهاً ومعبوداً) مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ" (النساء 153) "ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ**

مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (البقرة 64) "وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ" (الأعراف 153) "وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ" (طه 82) "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ" (الأعراف 156)[6609] "رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ" (غافر 7)].

(الخروج 32): {15} فَانْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. {16} وَاللَّوْحَانِ هُمَا صَنْعَةُ اللهِ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ **[⟵ "وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ" (الأعراف 145)]**. {17} وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ الشَّعْبِ فِي هُتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: «صَوْتُ قِتَالٍ فِي الْمَحَلَّةِ». {18} فَقَالَ: «لَيْسَ صَوْتَ صِيَاحِ النُّصْرَةِ وَلاَ صَوْتَ صِيَاحِ الْكَسْرَةِ، بَلْ صَوْتَ غِنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ». {19} وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ، فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَّرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ **[⟵ "فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا (أى: ممتلئاً غضباً وغيظاً وحزناً)" (طه 86) "وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ (فانكسرت)" (الأعراف 150)]**.

ولقد أخرج أحمد فى مسنده: "ليس الخبر كالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومُه في العجل، فلم يُلقِ الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت"[6610]. إذن: يتفق القرآنُ والسنة الصحيحة أن موسى قد ألقى الألواح التى كتبها الله بيده؛ أى: ألقى كلام الله على الأرض! سؤال: ألا يتعارض تصرف موسى هذا مع عقيدة "عصمة الأنبياء" المزعومة؟! ومِن حُسن حظ موسى أن قانون "ازدراء الأديان" لم يكن موجوداً فى زمانه، وإلا لوجهت إليه تهمة "ازدراء الأديان" لأنه رمى كلامَ الله على الأرض!

نعود إلى **(الخروج 32):** {20} ثُمَّ أَخَذَ (موسى) الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ، وَطَحَنَهُ (جيداً) حَتَّى صَارَ نَاعِمًا (كالغُبار)، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ (أي: النَّهْرِ الْمُنْحَدِرِ مِنَ الْجَبَلِ[6611]) **[⟵ قال موسى للسامرى: "انْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ (أى: العِجْل) الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ (أى: النهر) نَسْفًا" (طه 97)]**، وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (made the Israelites drink of it) **[⟵ "أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ" (البقرة 93) ⟵ وأخرج الحاكم حديثاً يقول: "فعمدَ موسى إلى العجل، فوضَعَ عليه المبارد، فبَرَدَهُ بها، وهو على شفا نهر، فما شربَ أحدٌ من ذلك الماء ممن كان يعبد ذلك العجل إلا اصفرَّ وجْهُه مثل الذهب"[6612]]**. وقيل إن المقصود مِن "أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ" (البقرة 93) هو المعنى المجازى: امتزجت قلوبهم بحب عبادة العجل. ونحن لا نرى تعارضاً بين هذين المعنيين، إذ يمكن الجَمْع بينهما. وعلى أى حال، نحن لا يهمنا إن كان المقصود هو المعنى الحرفى و/أو المعنى المجازى، فالنتيجةواحدة فى جميع الأحوال: (البقرة 93) هى مجرد تطور بشرى طبيعى لـ (الخروج 20:32).

قال د. حسن الباش تعليقاً على حَرْق العِجل بالنار وطحنه ونثره على وجه الماء (الخروج 20:32): "ويرى الباحثون فى التراث الكنعانى أن الجملة التوراتية التى تقول أحرقه بالنار وطحنه وذَرَّاه على وجه

الماء موجودة فى الأساطير الكنعانية التى اكتشفت فى أوغاريت بالمعنى نفسه. ويبدو أن كاتب التوراة الذى اطلع على الحضارة البابلية وأختها الكنعانية استعار مثل هذه الجملة ووضعها فى توراته التى ألَّفها"[6613].

ونحن نقول له ولغيره مِن الكتاب المسلمين الذين ينتقدون التوراة وربما لا يدركون أنهم بذلك ينتقدون القرآن - العمود الأساسى الذى يرتكز عليه الإسلام - وينتقدون أيضاً السُّنَّة الصحيحة - العمود الثانى الذى يرتكز عليه الإسلام. إن ما قاله القرآنُ مُستعَار مما قالته التوراة، بدليل قول القرآن: "انْظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ (أى: العِجْل) الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ (أى: النهر) نَسْفًا" (طه 97)؛ وما قالته السُّنَّة الصحيحة مُستعَار مما قاله القرآن والتوراة. فإذا كانت التوراة مُستعارَة مِن الأساطير الكنعانية، فإن القرآن أيضاً يكون مُستعاراً مِن الأساطير الكنعانية، وتكون السُّنَّة الصحيحة أيضاً مُستعارَة مِن الأساطير الكنعانية. أى حسب التطور البشرى الطبيعى: الأساطير الكنعانية **[← التوراة ← القرآن ← السُّنَّة الصحيحة]**. أو كما يقول المثل الشعبي: "لا تعايرني ولا أعايرك. الهَم (أو بالأحرى: النقد) طايلني وطايلك".

(الخروج 32): {21} وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ هذَا الشَّعْبُ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيْهِ خَطِيَّةً عَظِيمَةً؟» **[← "وَأَخَذَ (موسى) بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ" (الأعراف 150) "قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي" (طه 92-93)]** {22} فَقَالَ هَارُونُ (لموسى): «لاَ يَحْمَ غَضَبُ سَيِّدِي **[← "يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي" (طه 94)]**. أَنْتَ تَعْرِفُ الشَّعْبَ أَنَّهُ فِي شَرّ[6614] **[← "ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (الأعراف 150)]**. {23} فَقَالُوا لِيَ: اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا **[← "اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ" (الأعراف 138)]**، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ **[← "أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ (أى: المدة التى غابها موسى عنهم)" (طه 86) "أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ" (الأعراف 150)]**. {24} فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ذَهَبٌ فَلْيَنْزِعْهُ وَيُعْطِنِي. فَطَرَحْتُهُ فِي النَّارِ **[← "حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ (أى: أثقالاً مِنْ حُلِيِّ المصريين؛ فشعرنا أننا آثمون ومذنبون ما دامت الحُلِيّ بين أيدينا) فَقَذَفْنَاهَا (فى حفرة فيها نار؛ لنتخلص منها) فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ" (طه 87)]** فَخَرَجَ هذَا الْعِجْلُ **[← "فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ (أى: يخور كما يخور العِجل الحقيقى الحى!)" (طه 88) (الأعراف 148)]**».

الآن نترك التوراة قليلاً ونذهب إلى التراث اليهودى/المسيحى. وسنكتفى هنا بعرض سريع لأهم ما جاء فى هذا التراث. وهدفنا هو توضيح العلاقة بين القصص الشعبية الموروثة والقصة القرآنية العربية.

يقول التقليد اليهودى[6615] إن بنى إسرائيل طلبوا أولاً مِن "حُور" (Hur)[6616] أن يصنع لهم العِجل. ولمَّا رفض حُورُ أن يرتكب هذه الخطية هاجوا عليه وقتلوه. فلمَّا طلبوا مِن هارون نفس الطلب، خاف هارون أن يلقى نفس مصير حور **[← "قَالَ (هارون لموسى) ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي" (الأعراف 150)]**. ومِن المؤكد أن هذا التقليد اليهودى يسبق القرآن، بدليل وجوده فى التلمود البابلى (Sanhedrīn 7a)[6617]، وأيضاً بدليل أن القديس إفرام السريانى (القرن الرابع الميلادى) قد ذكره فى

تعليقه على سفر الخروج[6618]. نستطيع الآن أن نفهم لماذا قال صاحب (طه 80-98) إن هارون قال لموسى: "إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (طه 94). لأنه لو قُتِل هارونُ فى نفس اليوم الذى قُتِل فيه حُور، وما زال موسى غائباً، سيصبح بنو إسرائيل بلا قائد، وقد يتفرقوا إلى فرقتين متنازعتين أو أكثر، فتحدث فتنة أو حرب أهلية[6619]. ولذلك آثر هارون تأجيل الموضوع إلى أن يعود موسى. ويُفهَم مِن تعليق القديس إفرام السريانى أن هارون قد تباطأ فى تنفيذ طلب بنى إسرائيل، بدليل أنه قال لهم: "غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ" (الخروج 5:32) ولم يقل "اليوم عِيدٌ لِلرَّبِّ"، أى أن هارون أراد أن يكسب وقتاً إلى أن يعود موسى **[⟵ "قَالَ (هارون لموسى) [...] إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (أى: لم تنتظر عودتى لأقول رأيى؛ لم تحفظ وصيتى)" (طه 94)]**. ووصية موسى لهارون كانت: "اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ" (الأعراف 142). قال البيضاوى: "فإن الإصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة لهم (إلى) أن ترجع إليهم (يا موسى) فتتدارك الأمر برأيك"[6620]. أو كما قال سيد قطب: "خشى (هارون) إنْ هو عالج الأمر بالعنف أن يتفرق بنو إسرائيل شيعاً، بعضها مع العجل، وبعضها مع نصيحة هارون. وقد أمره (موسى) بأن يحافظ على بنى إسرائيل ولا يحدث فيهم أمراً. فهى كذلك طاعة الأمر من ناحية أخرى"[6621].

ويُفهَم مِن القصة القرآنية أن شخصية "موسى" – لا سيما بعد النبوة – كانت شخصية قوية وحادة، بدليل أنه حرق العِجلَ ونسفه نسفاً ولم يخش مِن القتل، بينما كان هارون أكثر هدوءاً وليناً وحِلماً وضعفاً، بدليل أنه هو نفسه اعترف قائلاً: "إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي" (الأعراف 150). وهذا الاختلاف بين شخصيتى موسى وهارون هو أيضاً ما فهمناه مِن التراث اليهودى/المسيحى الذى سبق القرآن[6622].

إذن: مما لا شك فيه أن قضية "العجل الذهبى" قد شغلت بال اليهود والمسيحيين لقرون طويلة قبل ظهور الإسلام. والسمة الغالبة فى التراث اليهودى/المسيحى هى محاولة تبرير اشتراك الكاهن هارون فى خطيئة صناعة العِجل. وهذا أيضاً ما فعله أصحاب القرآن، فلقد جعلوا النبى هارون مجرد "مُشاهِد" (onlooker) وليس "مُشارك رئيسى" (chief participant)[6623]. بل زاد صاحب (طه 80-98) على ذلك بأن جعل هارون يعارض قومه وينصحهم قائلاً: "يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي" (طه 90). واخترع صاحبُ هذه الرواية شخصيةَ رجل "سامرى" وجعل هذا السامرى المجهول هو الذى صنع العِجْل (طه 85، 87، 95)! وبذلك استطاع أن يُبرّئ هارون تماماً مِن هذه الخطيئة الكبرى! ويبدو لنا أن صاحب (طه 80-98) كان مِن الكهنة اليهود أو على الأقل قريباً مِنهم، ولذلك حرص على تبرئة الكاهن هارون مِن تهمة صناعة العجل وألصق هذه التهمة الفظيعة بهذا "السامرى" الذى ظهر فجأة فى رواية (طه 80-98) ولم يظهر فى أى رواية قرآنية أخرى ولا فى أى قصة قرآنية أخرى!

وفى الواقع، إنَّ ما فعله صاحبُ (طه 80-98) ليس جديداً ولا حتى غريباً على التراث اليهودى. فلقد "كانت قصة العجل الذهبى هى الحدث الذى يصيب الربيين (rabbis) اليهود [أى: معلمى الشريعة اليهودية] بالخزى فى التاريخ اليهودى، إذ شعروا أنه كان أكثر أفعال [بنى] إسرائيل إثماً. لكنهم ازدادوا دفاعاً عندما

سألهم الأمم الوثنيون عن ذلك، (وقد حذف يوسيفوس سابقاً ذلك الحدث)، وبعد عدة قرون متأخرة ادعوا أن الشعوب الوثنية التى رافقت شعب إسرائيل هى التى صنعت العجل، وليس [شعب] إسرائيل (عكس ما ورد فى الخروج 32:1-6)"[6624]. إذن: كما لجأ رجال الدين اليهود إلى حيلة ذكية لتبرئة بنى إسرائيل من تهمة صناعة العجل، كذلك لجأ صاحبُ (طه 80-98) إلى حيلة ذكية - بل إنها تقريباً نفس الحيلة - لتبرئة هارون من تهمة صناعة العجل وألصق هذه التهمة المُخزية بهذا "السامرى" المجهول.

ومِن المؤكد أن "يوسيفوس" (Josephus) (حياته: 37 – 100م تقريباً) قد حذف قصة العِجل الذهبى عن عمد وليس عن جهل؛ وكان هدفه هو الدفاع عن اليهودية لأن الإغريق والرومان عابوا على اليهود أنهم عبدوا صنماً على شكل حيوان! وبما أن يوسيفوس قد حذف قصة العِجل الذهبى، فإنه لم يذكر أن موسى قد ألقى الألواح[6625]! [وإنه لمِن المدهش أن ما فعله يوسيفوس اليهودى منذ حوالى 2000 سنة يشبه ما يفعله الآن المسلمون الذين يجرون وراء سراب "تنقية كتب التراث" مِن أجل الدفاع عن الإسلام. نفس الهدف: الدفاع (apologia) عن الدين الذى تُوجَّه إليه الانتقادات مِن الغرب. ونفس الأسلوب: الرواية التي لا تعجبك لأنها تسبب انتقادات للدين، احذفها خالص وقل عليها "ضعيفة" وتخلص منها حتى تلمّع صورة الدين! ونحن نقول لكل واحد من هؤلاء المسلمين الذين يقولون على أنفسهم "مصلحين": الإسلام دين لا يمكن إصلاحه (incorrigible). الإصرار التام على أن كل جملة وكل كلمة وكل حرف وكل نقطة فى القرآن هو كلام الله الحرفى والمطلق بشكل صحيح 100% وكامل 100% (perfectly correct and complete) جعل الإسلامَ ديناً منقوشاً على حجر (set in stone) غير قابل للتطور. الإصرار التام على أن الإسلام كله (قرآن + سنة صحيحة) صالح للتطبيق فى كل زمان وكل مكان جعل الإسلامَ ديناً غير قابل للإصلاح؛ فلماذا نصلح ما يُعتقَد أنه صالح 100%؟ ولذلك فشلت كل محاولات الإصلاح الدينى فى الإسلام. وستفشل كل محاولات الإصلاح الدينى فى الإسلام. وكل الشواهد التى نراها الآن على الفضائيات تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنه لا يمكن إصلاح الإسلام. لكن فى المقابل، يمكن إصلاح عقول أحبائنا المسلمين. وهذا أيضاً لن يحدث إلا بالاعتراف بأن القرآن كلام بشر. ومِن حُسْن الحظ أن الأدلة على بشرية القرآن كثيرة والحمد لله.]

نعود إلى (طه 80-98) حيث نلاحظ أن صاحب هذه الرواية القرآنية لم يذكر أن موسى قد ألقى الألواح (الأعراف 150)! أى أنه حذف قصة إلقاء الألواح، كما حذفها يوسيفوس مِن قبله بمئات السنين. وكأن صاحب (طه 80-98) لم يكتفِ بتبرئة هارون النبى مِن تهمة صناعة العِجل، وإنما أراد أيضاً تبرئة موسى النبى مِن تهمة إلقاء الألواح. وهذا يكشف لنا بوضوح نوايا صاحب (طه 80-98) ويؤكد لنا أنه قد اخترع شخصية "السامرى" عن عمد وليس عن جهل؛ اخترعها عامداً متعمداً لغرضٍ فى نفسه وهو تبرئة هارون مِن هذه التهمة الشنيعة.

وإذا قرأنا آخر جملة قالها هارون لموسى: "فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ذَهَبٌ فَلْيَنْزِعْهُ وَيُعْطِنِي. فَطَرَحْتُهُ فِي النَّارِ فَخَرَجَ هذَا الْعِجْلُ" (الخروج 24:32)، فسنجد أن هارون لم يقل لموسى كيف "خَرَجَ هذَا الْعِجْلُ" بعد أن طُرِح الذهبُ فى النار؟ أجاب صاحبُ (طه 80-98) على هذا السؤال باختراع شخصية أخرى، هى شخصية "الرسول" (طه 96) الذى ظهر أيضاً فجأة فى هذه الرواية القرآنية ولم يظهر فى أى رواية قرآنية أخرى: "قَالَ (السامرىُّ) بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي" (طه 96).

إذن: انفرد صاحبُ (طه 80-98) باختراع شخصيتين لا وجود لهما فى أية رواية قرآنية أخرى! هاتان الشخصيتان هما "السامرى" و "الرسول". وسنشرح الآن العلاقة بينهما وبين صناعة العجل الذهبى.

مَن هو هذا "الرسول" (طه 96)؟ كالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فى تحديد شخصية "الرسول" وتفسير "فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا" (طه 96):

- قيل إن الرسول هو "موسى"، والمراد بأثره: دينه وسنته وعلمه، وإن السامرى "نبذها" أى نَسِيَ أو تناسى ما تعلمه مِن موسى. تعليقنا: نحن لا نقتنع بأن الرسول هو موسى، فذلك يتعارض مع القرآن نفسه. فلو كان صحيحاً، لكان السامرى قال لموسى "فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِك" وليس "فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ" (طه 96).
- وقال جمهور المفسرين إن الرسول هو الملاك جبريل! وإن السامرى قبض قَبْضَةً مِن تراب أثر حافر فرس جبريل، فنبذها أى ألقاها على الحُلِيّ[6626]! ومِن الجدير بالذِكر أن ابن مسعود قرأ (طه 96) كما يلى: "فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ فرسِ الرَّسُولِ"[6627].

وليس لدينا أدنى شك أن شخصية "الرسول (جبريل)" (طه 96) هى مجرد تطور بشرى طبيعى لـ "ملاك الله" (الخروج 19:14) أو "ملاك الرب" (الخروج 23:20-23) (الخروج 34:32) (الخروج 2:33) الذى كان يسير أمام بنى إسرائيل حسب التوراة. وفى سفر إشعياء: "ثُمَّ ذَكَرَ الأَيَّامَ الْقَدِيمَةَ، مُوسَى وَشَعْبَهُ: «أَيْنَ الَّذِي أَصْعَدَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ مَعَ رَاعِي غَنَمِهِ؟ أَيْنَ الَّذِي جَعَلَ فِي وَسَطِهِمْ رُوحَ قُدْسِهِ" (إشعياء 11:63). ومِن المعلوم أن أصحاب القرآن – أو المسلمين بصفة عامة – فهموا "الروح القدس" خطأ وظنوا أنه "جبريل". ولذلك لم نندهش حين عرفنا أن جمهور المفسرين المسلمين قد قالوا إن هذا "الرسول" هو الملاك جبريل بالذات. وإذا أكملنا ما قاله سفر إشعياء فسنجده يقول: "الَّذِي سَيَّرَ لِيَمِينِ مُوسَى ذِرَاعَ مَجْدِهِ، الَّذِي شَقَّ الْمِيَاهَ قُدَّامَهُمْ لِيَصْنَعَ لِنَفْسِهِ اسْمًا أَبَدِيًّا، الَّذِي سَيَّرَهُمْ فِي اللُّجَجِ، كَفَرَسٍ (horse) فِي الْبَرِّيَّةِ فَلَمْ يَعْثُرُوا؟" (إشعياء 12:63-13). ويبدو أن صاحب (طه 96) قد سمع الآيات السابقة من سفر إشعياء وفهمها خطأ فظنَّ أن جبريل كان يركب فرساً حين عبر بنو إسرائيل وسط المياه!

لكن فى التوراة لا يوجد "سامرى" ولا توجد علاقة بين "ملاك الله/الرب" والعجل الذهبى. أما فى القرآن، فتوجد علاقة بين "السامرى" و "(فرس) الرسول (جبريل)" والعجل الذهبى: "قَالَ (السامرىُّ لموسى)

بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ (تراب) أَثَرِ (حافر فرس) الرَّسُولِ (جبريل) فَنَبَذْتُهَا (أى: ألقيتها على الحُلِيِّ)" (طه 96). قال جمهور المفسرين المسلمين إن السامرى قبض قبضة مِن تراب أثر حافر الفرس التى كان جبريلُ يركبها، ثم ألقى هذه القَبْضَة على الحُلِيِّ الذى صنع منه العجل! وقال كثير مِن المفسرين المسلمين إن خوار هذا العِجل يُفسَّر "على الحقيقة" بمعنى أنه "خوار حقيقى اكتسبه السامرى بالقبضة التى قبضها من أثر فرس جبريل - عليه الصلاة والسلام -، وكان من خاصيتها أنها لا تمس شيئاً إلا ويوجد الله فيه الحياة"[6628]! أى أن هذه "القَبْضَة مِنْ أَثَرِ (فرس) الرَّسُولِ (جبريل)" التى ألقاها السامرىُّ على الحُلِيِّ الذى صنع منه العجل هى التى أخرجته "عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ (أى: خارَ كما يَخُورُ العِجْلُ الحقيقىُّ الحى!)" (طه 88) (الأعراف 148)!

ونذكر فيما يلى أمثلة مما قاله عامة المفسرين.

- قال تفسير الجلالين: ""فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا" صَاغَهُ مِنْ الْحُلِيّ "جَسَدًا" لَحْمًا وَدَمًا "لَهُ خُوَار" أَيْ: صَوْت يُسْمَع، أَيْ: انْقَلَبَ كَذَلِكَ بِسَبَبِ التُّرَاب الَّذِي أَثَرُهُ الْحَيَاةُ فِيمَا يُوضَع فِيهِ، وَوَضَعَهُ بَعْد صَوْغِه فِي فَمِهِ"، فصار "لَهُ رُوح"[6629]!
- وقال البيضاوى إن السامرى رأى أن الرسول جبريل "روحانى محض لا يمس أثره شيئاً إلا أحياه" وأنه جاء "على فرس الحياة"، فقبض السامرىُّ قبضة "من تربة موطئه" ثم نبذها "فى الحلى المذاب أو فى جوف العجل حتى حيى"[6630]!
- وقال الواحدى النيسابورى والنسفى إن السامرى قال: "رأيت جبريل عليه السلام على فرس الحياة، فأُلقى فى نفسى أن أقبض من أثرها (أو: أثره)، فما ألقيته على شىءٍ إلا صار له روحٌ ولحمٌ ودمٌ"[6631]!
- وقال الزمخشرى: ""جَسَدًا": بدناً ذا لحم ودم كسائر الأجساد، و "الخوار": صوت البقر، قال الحسن: إن السامرى قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل - عليه السلام - يوم قطع البحر، فقذفه فى العجل، فكان عجلاً له خوار، وقرأ علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: "جؤار"، بالجيم والهمزة، من جأر إذا صاح"[6632]!
- وقال ابن الجوزى: "قال ابن عباس: صار لحماً ودماً وجسداً"؛ "وجاء فى التفسير: أن موسى أخذ العجل فذبحه، فسال منه دم، لأنه كان قد صار لحماً ودماً، ثم أحرقه بالنار، ثم ذراه فى البحر"[6633]!
- وقال الثعلبى: "وقال السدىّ: كان (العِجل) يخور ويمشى"[6634]!
- وفى تفاسير حديثة[6635]: "فتحرك العجل، وصار له خوار وصوت"؛ "سرت فيه الحياة وصَوّت"!

لكن كالعادة، يوجد فريقٌ آخر من المفسرين المسلمين رفضوا هذه الآراء، وزعموا أن العجل كان تمثالاً جامداً لا حياةَ ولا روحَ فيه! واستدلوا على ذلك بأن القرآن استخدم كلمة "جَسَدًا"، فقالوا إن "الجسد: هو الذى لا يعقل ولا يميز، إنما هو بمعنى الجثة فقط" وفى ذلك "دلالة على عدم الروح منه، وأن شخصه شخص مثال وصورة، غير منضم إليهما روح ولا نفس"[6636]. لكن المشكلة التى واجهت هذا الفريق هى: كيف

يكون العِجل مجرد تمثال بلا حياة ومع ذلك "لَهُ خُوَارٌ (أى: يخور كما يخور العِجل الحقيقى الحى!)" (طه 88) (الأعراف 148)؟! للإجابة على هذا السؤال الصعب، اخترعوا أساطير وخرافات وتبريرات وحيل، بعضها ما زال يعيش وسطنا إلى اليوم. وأشهر هذه الحيل ذكرها ابن كثير ونقلها عنه كثيرون: "كانت الريحُ إذا دَخَلت مِن دُبُره، خَرجَت مِن فمه، فَيَخُورُ كما تَخُورُ البقرةُ"(6637)! ولا يخفى على أحد أن هذه الحيلة الشهيرة تفترض أن بنى إسرائيل كانوا على قدر كبير مِن البلاهة لدرجة أنهم خُدِعوا بهذه الخدعة الساذجة. وقيل: "جعل صانع العجل فى باطنه تجويفاً على تقدير من الضيق مخصوص، واتخذ له آلة نافخة خفية، فإذا حركت آلة النفخ انضغط الهواء فى باطنه وخرج من المضيق، فكان له صوت كالخوار، وهذه صنعة كصنعة الصفارة والمزمار" أما العجل فلا روح فيه ولا دم(6638)! وقيل "إنما هو عجل حقيقى وجسد ذو روح يحس ويتحرك وله خوار حقيقى، وقد اشتراه السامرى دون أن يشعر به أحد"(6639)! وقيل "إن الله - تعالى - خلق الحياة فى ذلك العجل على سبيل الاختبار والامتحان لهم"(6640)! وقيل غير ذلك.

تعليقنا: لو كان هذا العجل مجرد تمثال، فما فائدة هذه "القَبْضَةَ" التى قبضها السامرىُّ "مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ (جبريل)" (طه 96)؟ فَمِن المعلوم أن أى صانع تماثيل يستطيع أن يصنع تمثالاً بدون هذه "القَبْضَةَ". ولو كان هذا العجل مجرد وثن أو صنم، فما دور هذا "الرَّسُولِ (جبريل)" (طه 96) فى صناعة العجل؟ ولماذا جبريل بالذات؟ وإِنْ قلتم إِنَّ ما جاء فى "قَالَ (السامرىُّ) بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا" (طه 96) كان قول السامرى أراد به أن يلتمس لنفسه عذراً أو يتنصل مِن المسئولية، وإنما حكاه القرآنُ مجرد حكاية دون أن يقره. فسنقول: إذن كان يجب على القرآن أن يُكذِّب السامرى فيما قاله أو يبطل كلامَه ويُبين لنا الحقيقة. ونحن لم نجد آية قرآنية واحدة تُكذِّب السامرى فيما قاله، ولم نجد حديثاً صحيحاً واحداً يبطل كلامَ السامرى ويُبين لنا كيف صار العِجلُ "عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ (أى: يخور كما يخور العِجل الحقيقى الحى!)" (طه 88) (الأعراف 148). النص الوحيد الذى أمامنا هو ما قاله السامرى: "قَالَ (السامرىُّ) بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا" (طه 96).

وفى جميع الأحوال، لو كان هذا العِجل مجرد تمثال، كان يجب على القرآن ألا يقول "فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا" (طه 88)، وإنما يقول مثلاً "فَأَخْرَجَ لَهُمْ تمثالاً كَهَيْئَةِ العِجل". ولو كان هذا العِجل مجرد وثن أو صنم، كان يجب على القرآن ألا يقول "اتَّخَذُوا الْعِجْلَ" (الأعراف 152) (النساء 153)، وإنما يقول مثلاً "اتَّخَذُوا وثناً" أو "اتَّخَذُوا صنماً". ولو كان خوار هذا العِجل مجرد تخييل وخداع، كان يجب على القرآن ألا يقول "لَهُ خُوَارٌ" (طه 88) (الأعراف 148)، وإنما يقول مثلاً "يُخَيَّلُ إِلَيْهِم أَنَّه يخور".

إذن: مهما اخترعتم مِن حيل، فلن تستطيعوا أن تنفوا أن جذور هذه الأسطورة المذكورة فى كتب التفسير موجودة فى القرآن نفسه، وبخاصة فى سورة طه: "قَالَ (السامرىُّ) بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا" (طه 96) "فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ" (طه 88) (الأعراف 148). أي أن القرآن هو الأساس الذي بنى عليه المفسرون أقوالهم.

إذن: لم يكن عِجْل السامرى مجرد تمثال جامد بلا حياة. وإنما كان له مظاهر الحياة، بدليل قول القرآن: "عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ (أى: يخور كما يخور العِجل الحقيقى الحى!)" (طه 88) (الأعراف 148).

ونحن ليس لدينا أدنى شك أن هذه الأسطورة القرآنية-الإسلامية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لعناصر مختلفة مِن التراث اليهودى/المسيحى. نذكر منها على سبيل المثال:

- مِن التراث اليهودى، نذكر ما يلى على سبيل المثال:
  - اخترع التراث اليهودى شخصية "ميخا" (Micah) الذى ظهر أيضاً فجأة وألقى "شظية" (splinter) **[← "قَبْضَةً" (طه 96)]** فى النار فخرج العِجلُ حياً[6641]! وربما تكون شخصية "ميخا" هذا مستوحاة مِن "ميخا" (القضاة 17-18) الذى كان يعبد الأصنام.
  - وتقول أسطورة يهودية إن "يَنِّيس" (Jannes) و "يَمْبِريس" (Jambres) (اثنان مِن سحرة فرعون) خرجا مع بنى إسرائيل وهما اللذان جعلا العِجْل يتحرك كما لو كان حياً[6642] **[← "عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ (أى: يخور كما يخور العِجل الحقيقى الحى!)" (طه 88) (الأعراف 148)]!**
  - ويقول التلمود البابلى (Shabbat 89a)[6643] إن الشيطان هو الذى أضلَّ بنى إسرائيل وقال لهم إن موسى أَبطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ لأنه مات ولن يرجع إليهم أبداً، ولذلك قَالُ بنو إسرائيل لهارون: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ» (الخروج 32:1)، ثم انتهى بهم الأمر إلى عبادة العِجلَ الذهبى. ومِن المعروف أن كلمة "الشيطان" أصلها عِبرى "شطن" (śāṭān)، ومعناها "العدو" أو "الخصم" (adversary) أو "المُعانِد" أو "المُعارِض" أو "المُقاوِم" (opposer)[6644]. وهى صفات تنطبق كلها على شخصية "السامرى" القرآنية؛ ولذلك خلط صاحبُ (طه 80-98) بين السامرى والشيطان، ووضع على لسان هذا السامرى جملة "بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ (يقصد: الملاكَ جبريل)" (طه 96)، وهى تقريباً نفس الجملة التى وضعها أصحابُ القرآن يوم بدر (يوم الفرقان) على لسان الشيطان: قال "إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ (يقصد: جبريل و/أو الملائكة)" (الأنفال 48). وإنه لمِن الطريف أن المفسرين المسلمين قالوا فى تفسير (الأنفال 48) إن جبريل قال لمحمد يوم بدر "خُذْ قَبْضَةً مِنْ التُّرَاب"، فأخذ محمدٌ هذه "القَبْضَة" وألقاها على وجوه المشركين[6645]. وكذلك نجد هذه "القَبْضَة" فيما قاله السامرى: "قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ (تراب) أَثَرِ (حافر فرس) الرَّسُولِ (جبريل) فَنَبَذْتُهَا (أى: ألقيتها على الحُلِيّ)" (طه 96)! ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن الرواية القرآنية (طه 80-98) كانت أصلاً تقول "الشيطان" – سواء بالمعنى الحرفى أو المجازى – ثم حُذِفَت كلمة "الشيطان" ووُضِعَ مكانها كلمة "السامرى".

- ومِن التراث المسيحى، نذكر ما يلى على سبيل المثال:
  - حسب العقيدة المسيحية المنصوص عليها في قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني، "الروح القدس" الأقنوم الثالث هو الرب المُحيي، أى هو مصدر كل حياة فى الكون. ومِن المعلوم أن أصحاب القرآن – أو المسلمين بصفة عامة – فهموا "الروح القدس" خطأً وظنوا أنه الملاك "جبريل"! ولذلك جعلوا جبريل بالذات هو مصدر الحياة لهذا العِجل الذى أخرجه السامرىُّ "جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ (أى: يخور كما يخور العِجل الحقيقىُّ الحى!)" (طه 88) (الأعراف 148).
  - قال القديس إفرام السريانى إن "العجل الذى صنعوه فى البرية رَعَى (كالماشية) على كلأ حياتهم مثلما يرعى على العشب فى البرية"[6646] **[← "عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ (أى: يخور كما يخور العِجل الحقيقى الحى!)" (طه 88) (الأعراف 148)]!**

وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التى يتأثر فيها أصحابُ القرآن – أو المسلمون بصفة عامة – بالتراث اليهودى/المسيحى، السريانى بصفة خاصة.

أعتقد أن هذه الرحلة القصيرة فى الحواديت الشعبية والكتابات اليهودية والمسيحية تكفى لاثبات أنه قبل ظهور الإسلام كانت توجد آراء متنوعة واجتهادات مختلفة فى قضية "العِجل الذهبى". وما قدَّمه أصحابُ القرآن لنا هو مجرد تطور بشرى طبيعى لهذه الأساطير الشعبية والاجتهادات الدينية أو ربما مجرد تعليق عربى عليها. ويبدو لنا أن صاحب (طه 80-98) كان مِن الكهنة اليهود أو على الأقل قريباً مِنهم، ولذلك حرص على تبرئة الكاهن هارون مِن تهمة صناعة العجل وألصق هذه التهمة بهذا "السامرى" المكروه.

وهكذا نرى دائماً أن كل أسطورة قرآنية تؤدي إلى أساطير أخرى أكبر منها. والمشكلة هي أن هذه الأساطير ما زالت تعيش حتى الآن في القرن الحادي والعشرين! وكما نقول دائماً: المشكلة ليست في المفسرين ولا في المسلمين، وإنما في أصحاب القرآن الذين أسسوا لهذه الأساطير وغرسوها في الثقافة الإسلامية-العربية، ونسبوا هذه الأساطير إلى الله فأعطوها قداسةً لا تستحقها.

وفى نهاية هذا الفصل، سنتحدث عن المفارقات والأخطاء التاريخية فى القرآن، وسنعلم كيف تسلل هذا "السامرى" إلى القرآن ولماذا "سامرى" بالذات ولماذا وُضِع وضعاً فى قصة العِجل الذهبى بالذات.

نعود إلى التوراة. **(الخروج 32):** {25} وَلَمَّا رَأَى مُوسَى الشَّعْبَ أَنَّهُ مُعَرًّى لأَنَّ هَارُونَ كَانَ قَدْ عَرَّاهُ (أى: أن الشعب تشتتوا وخرجوا عن سيطرة هارون الذى تركهم يمعنون فى انحلالهم وانحرافهم) لِلْهُزْءِ بَيْنَ مُقَاوِمِيهِ (أى: "لعلهم يفيقون إذ يرون أنفسهم قد صاروا هُزءاً وسط البعض من إخوتهم الذين كانوا يقاومونهم فى ارتدادهم عن عبادة الإله الحى"[6647])، {26} وَقَفَ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: «مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ». فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لاَوِي (أى: جميع اللاويين). [ويقول التلمود البابلى (Yoma 66b)[6648] تعليقاً على (الخروج 26:32) إن اللاويين لم يعبدوا العِجلَ الذهبى.]

(الخروج 32): {27} فَقَالَ (موسى) لَهُمْ (أى: لجميع اللاويين): «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ» **[← "قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ (إلهاً ومعبوداً) فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة 54)]**. {28} فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. {29} وَقَالَ مُوسَى (لجميع اللاويين): «امْلأُوا أَيْدِيَكُمُ (أو: كرَّستم نفوسكم) الْيَوْمَ لِلرَّبِّ، حَتَّى كُلُّ وَاحِدٍ بِابْنِهِ وَبِأَخِيهِ، فَيُعْطِيَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً». أى أن موسى جعل كل واحد مِن اللاويين يقتل مَن عَبَدَ العجلَ ولم يخجل مِن خطيئته ولم يتب، حتى لو كان هذا المرتد ابنه أو أخَاه أو قَريبَه أو صَاحِبَه!

أما صاحب (البقرة 54)، فذَكَرَ القتلَ أيضاً، لكنه اكتفى بقوله: "فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ". وكالعادة، احتار المفسرون المسلمون فى معنى هذه العبارة الغامضة. وكالعادة أيضاً، المشكلة ليست فى المفسرين، وإنما فى غموض القرآن نفسه الذى لم يحدد ماذا حدث بالضبط:

- قال النسفى وغيره فى تفسير "فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ": "قيل: هو على الظاهر، وهو البخع (أى: قتل النفس غيظاً وغمّاً)، وقيل: معناه: قتل بعضهم بعضاً، وقيل: أمر مَن لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة"[6649]. وقال الشيخ الجزائرى: ""فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ": أمرهم أن يقتل مَن لم يعبد العِجل مَن عبدَه منهم (لأنه فى حكم المرتد)، وجعل ذلك توبتهم. ففعلوا فتاب عليهم بقبول توبتهم"[6650]. وقال د. صلاح الخالدى إن "فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" "خطابٌ للفريق الذين لم يعبدوا العجل. والمراد بكلمة "أَنْفُسَكُمْ": إخوانكم. أى: قوموا بقتْلِ إخوانكم الذين عبدوا العجل، الراغبين الآن فى التوبة"[6651]. وهى كلها تفسيرات حرفية تعنى أن الله لم يقبل توبتهم إلا بالقتل وسفك الدماء! ولتبرير ذلك، قالوا: "كانت شهادة للمقتول وتوبة للحى"[6652]! أو: "غُفِر لمَن قُتِل، وتيبَ على مَن بقى"[6653]!
- لكن فى المقابل، يوجد تفسير مجازى فَسَّر "اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" بمعنى "تغضبوا على أنفسكم الشريرة الآمرة بالسوء وتذلوها"[6654]، أو بمعنى "اكْسِرُوا حدتها، واكْبِتوا شهوتها، وطهروها من الشر والإثم، وجَرّدُوها عن كل مشتهى مرغوب، وأقصوها عن كل مَرْجُوّ مطلوب، حتى يَصغُرَ شأن النفس الآثمة، ويهون خَطبُهَا، ويحقر أمرها"[6655]. أى فَسَّر "فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" (البقرة 54) بمعنى "تُذَلِّلونَ أَنْفُسَكُمْ" (العدد 7:29) أو "تُذَلِّلونَ نُفُوسَكُمْ" (afflict your souls; practice self-denial) الذى تكرر 4 مرات فى تأسيس "يوم الكفَّارة" (The Day of Atonement) (بالعبرية: Yom ha-Kippurim) (اللاويين 29:16) (اللاويين 31:16) (اللاويين 27:23) (اللاويين 32:23) الذى له علاقة قوية بهذه القصة كما سنشرح بعد قليل.

باختصار: جذور "فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" (البقرة 54) موجودة فى مَا فعله اللاويون (الخروج 27:32) وموجودة أيضاً فى تأسيس يوم الكفَّارة المذكور فى سفر اللاويين.

وتوجد آية قرآنية أخرى عَبَّرت عن توبة عابدى العِجل، وهى: "وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ (أى: ندموا على خطيئتهم) وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (أي: مِن الهالكين)" (الأعراف 149). إلا أننا نرى أن هذه الآية (الأعراف 149) قد وُضِعَت فى غير موضعها، لأن هذا الندم وطلب المغفرة لم يحدث إلا بعد رجوع موسى إليهم فى الآية التالية (الأعراف 150). وربما تكون (الأعراف 149) واحدة مِن الآيات التى أضيفت لاحقاً. بدليل أن الجملة التى قالها مَن عبدوا العجل: "قَالُوا **لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**" (الأعراف 149) هى تقريباً نفس الجملة التى قالها آدم وحواء فى نفس السورة: "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا **وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**" (الأعراف 23). بل إنها تقريباً نفس الجملة التى قالها "النبي" نوح حسب ما جاء في سورة هود: "قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ **وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي [ذنبي[6656]] وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**" (هود 47)! صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا كتابة (rewrote) هذه القصص المتوارثة مستخدمين عبارات تلائم بيئتهم العربية فى القرن السابع الميلادى، بدليل أنهم استخدموا نفس الكلمات الـ(formulaic) فى مواقف مختلفة ولشخصيات مختلفة ثقافياً ولغوياً واجتماعياً وزمانياً ومكانياً.

نعود إلى القصة التوراتية التى يُفهَم مِن سياقها "أن كثيرين أخطأوا وسجدوا للعجل ولكنهم تابوا بمناداة موسى ودخلوا خيامهم ولم يقتلهم اللاويون"[6657]. ويُفهَم من التوراة أيضاً أن التوبة (repentance) والاعتراف بالخطيئة أمر مهم وضرورى (necessary) للتكفير عن الإنسان الخاطي من أى ذنب مهما كان كبيراً، حتى لو كان عبادة عِجْل. إلا أن التوبة وحدها لا تكفى (not sufficient) لهذا التكفير، ولذلك قرر موسى أن يشفع لهؤلاء الخُطاة عند الله.

شفاعة موسى الثانية، بعد أن رأى بعينيه خطيئة عبادة العِجل[6658]. **(الخروج 32):** {30} وَكَانَ فِي الْغَدِ أَنَّ مُوسَى قَالَ لِلشَّعْبِ: «أَنْتُمْ قَدْ أَخْطَأْتُمْ خَطِيَّةً عَظِيمَةً، فَأَصْعَدُ الآنَ إِلَى الرَّبِّ لَعَلِّي أُكَفِّرُ خَطِيَّتَكُمْ». {31} فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ، وَقَالَ: «آهِ، قَدْ أَخْطَأَ هذَا الشَّعْبُ خَطِيَّةً عَظِيمَةً وَصَنَعُوا لأَنْفُسِهِمْ آلِهَةً مِنْ ذَهَبٍ. {32} وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ، وَإِلاَّ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ (أي: أهلكنى نيابة عنهم[6659]؛ أو: أهلكنى معهم[6660]) **[← "رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ (أى: أهلكنى معهم) أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ" (الأعراف 155-156)]**». أى أن موسى فَضَّل أن يفدى الخطاة بنفسه أو يَهلك معهم على أن يَخلص بمفرده (ينجو وحده) بدونهم.

وهنا نرى شخصية "موسى" الكتابية فى أوضح صورها. إنها شخصية قوية وحادة تأمر بالقتل وتباركه (الخروج 32:27-29)، لكنها فى الوقت نفسه شخصية رقيقة تطلب الرحمة والمغفرة (الخروج 32:30-32). فلقد مَيَّز موسى بين عَمل الله (God’s work) وعَمل الشيطان (the devil’s work). عَمل الله هو الإنسان، أما عَمل الشيطان فهو الخطيئة. موسى يكره الخطيئةَ (عَمل الشيطان) لكنه يحب الإنسانَ (عَمل الله)

رغم خطيئته[6661]. وكذلك فى التراث الإسلامى نجد أن شخصية "موسى" القرآنية تجمع بين القوة والحدة مِن ناحية وأيضاً الرحمة مِن ناحية أخرى[6662].

ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا (الخروج 32:31-32) لأنها آيات مشهورة جداً وتُتلَى عادةً فى يوم الكفَّارة (Yom Kippur) (The Day of Atonement)[6663] الذى تنص التوراة على أنه "فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً (أى: أبدية) [...] تُذَلِّلونَ نُفُوسَكُمْ (تُفسَّر عادةً بمعنى: صوموا[6664]) [...] لأَنَّهُ فِي هذَا الْيَوْمِ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ لِتَطْهِيرِكُمْ. مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ تَطْهُرُونَ [...] وَتُذَلِّلونَ نُفُوسَكُمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً [...] فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً لِلتَّكْفِيرِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُمْ مَرَّةً فِي السَّنَةِ" (اللاويين 16:29-34) "تُذَلِّلونَ نُفُوسَكُمْ [...] لأَنَّهُ يَوْمُ كَفَّارَةٍ لِلتَّكْفِيرِ عَنْكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ [...] فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ [...] فتُذَلِّلونَ نُفُوسَكُمْ" (اللاويين 23:27-32) "تُذَلِّلونَ أَنْفُسَكُمْ" (العدد 29:7). ويُحتفَل بيوم الكفَّارة كل سنة فى اليوم العاشر مِن الشهر السابع (أيثانيم/تِشرى) مِن السنة اليهودية الدينية، الذى هو أيضاً الشهر الأول مِن السنة اليهودية المدنية، ويقابله: سبتمبر-أكتوبر فى التقويم الميلادى الحالى. إنه يومٌ للاعتكاف والصوم (بالعبرية: tzom؛ أو: ẓom) والصلاة والاعتراف بالخطايا والندم عليها والتوبة عنها (penitence).

يوم الكفَّارة هو يوم عاشوراء. وهذا ليس رأينا، وإنما هو رأى موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) وموسوعة (Encyclopædia of Islam) وموسوعة (Encyclopædia Judaica)[6665]. ونحن نتفق مع هذا الرأى للأسباب التالية:

- أولاً: كلمة "كفارة" بالآرامية هى "عاسورا" (ᶜāsōrā) وهى تشبه إلى حد كبير كلمة "عاشوراء"[6666].
- ثانياً: يوم الكفارة هو اليوم العاشر مِن الشهر الأول مِن السنة اليهودية المدنية، ويوم عاشوراء هو اليوم العاشر من الشهر الأول مِن السنة الهجرية (العربية).
- ثالثاً: يوم الكفارة هو يوم الصوم الوحيد الذى ورد فى توراة موسى، وهو أهم أيام الصيام عند اليهود، لدرجة أنه أحياناً كان يُشار إليه بكلمة "الصوم" فقط (أعمال الرسل 27:9).

ومِن حُسن الحظ أن رواة الأحاديث الصحيحة قد اعترفوا بأن محمد شخصياً قد سمع عن صيام يوم عاشوراء (الكفَّارة) حين دخل المدينة (يثرب). يقول حديث صحيح أخرجه الشيخان البخارى ومسلم إن محمد قدم المدينة، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم: "ما هذا اليوم الذي تصومونه؟"[6667]. فأجاب اليهود على سؤال محمد: هذا يومٌ عظيمٌ أنجى اللهُ فيه موسى وقومَه وغرَّق فرعونَ وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه. فقال محمد: "فنحن أحقُّ وأولى بموسى منكم"، فصامه محمد وقال لأصحابه: "أنتم أحقُّ بموسى منهم فصوموا"، أى: أمر المسلمين بصيامه[6668]. وهكذا أصبح صومُ عاشوراء سُنَّةً للمسلمين إلى اليوم!

وبما أن هذه القصة مذكورة فى حديث صحيح – بل فى أعلى درجات الصحة – مِن وجهة نظر أهل السُنَّة، فإن كل المسلمين السُنَّة يؤمنون أنها قصة حقيقية. ونحن نستنتج مِن هذه القصة ثلاث نقاط هامة:

- محمد كان يسأل اليهود فى الأمور الدينية، واليهود كانوا يجيبونه على أسئلته. وهنا مِن حقنا أن نتعجب. لو كان محمدٌ رسولاً مِن عند الله كما يتوهم المسلمون، فلماذا سأل اليهودَ ولم يسأل اللهَ؟! لماذا لم يستعن محمدٌ بالله حتى يعرف الإجابة الصحيحة؟ قصة أول إنسان (آدم) تقول إنه كان يتعلم من الله: "وَعَلَّمَ [اللهُ] آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا" (البقرة 31). والملائكة أيضاً كانت تتعلم من الله: "قَالُوا (أي: قالت الملائكةُ لله) سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (البقرة 32). بل تقول أول سورة قرآنية إن الله "عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق 5). وتقول أول صفحة من المصحف الحالي: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ (أي: نخصك وحدك بالعبادة) وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (أي: لا نطلب المعونة إلا منك)" (الفاتحة 5). فلماذا لم يقتدي محمدٌ بآدم والملائكة ويطلب العلمَ والمعونة من الله وحده؟!
- محمد صَدَّق اليهود بمنتهى السرعة والسهولة! بل صَدَّقهم بدون أى نقاش! رغم أن إجابتهم خاطئة. فاليهود لا يصومون يوم الكفَّارة (عاشوراء) تعظيماً لذِكرى نجاتهم وهلاك فرعون، وإنما يصومونه للتكفير عنهم من جميع خطاياهم. ولم نجد يوماً يصومه اليهود احتفالاً بنجاتهم وغرق فرعون وقومه. بالعكس، كانت معظم الأصوام اليهودية المنصوص عليها فى العهد القديم مرتبطة بذكريات سيئة أو أوقات شدة وضيق أو كوارث قومية، مثل: حصار أورشليم (2 ملوك 25:1-2) (إرميا 52:4-5)، وسقوط أورشليم (2 ملوك 25:3-4) (إرميا 52:6-7)، وخراب هيكل أورشليم (2 ملوك 25:8-10) (إرميا 52:12-14)، ومقتل الحاكم اليهودى "جَدَليا" واليهود الذين كانوا معه (2 ملوك 25:25). ويوجد أيضاً صوم أستير ومردخاى واليهود بعد أن تآمر هامانُ لإبادتهم (أستير 4:15-17). ولم نجد يومَ صومٍ له علاقة بقصة الخروج إلا صوم الابن البكر (Fast of the Firstborn) الذى أسسه أحبارُ اليهود (rabbis) ولا وجود له فى التوراة ولا يقع فى اليوم العاشر مِن الشهر[6669]. ولا يوجد دليل على أن صوم عاشوراء هو صوم الابن البكر؛ وإنما كل الأدلة تشير إلى أن صوم يوم عاشوراء هو صوم يوم الكفارة، الذى هو صوم "فَرِيضَة دَهْرِيَّة لِلتَّكْفِيرِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُمْ مَرَّةً فِي السَّنَةِ" (اللاويين 16:34) وليس احتفالاً بنجاة بنى إسرائيل وهلاك فرعون وقومه. ولو كان لليهود يومٌ يصومونه احتفالاً بنجاة موسى وقومه وغرق فرعون وقومه، لكان يسوع المسيح – وهو يهودى ملتزم – قد صامه، ولكان الإنجيل ذكر ذلك. لكننا لم نجد فى الإنجيل أية إشارة إلى أن المسيح قد صام يوماً احتفالاً بنجاة بنى إسرائيل وهلاك فرعون وقومه. وإنْ قلتم إن التوراة محرفة والإنجيل محرف، فسنقول: وما مصلحة اليهود والمسيحيين فى حذف هذا الصوم المزعوم مِن التوراة والإنجيل؟! ليس لهم مصلحة. إذن: مِن المؤكد أن يهود المدينة (يثرب) قد أعطوا محمداً إجابة خاطئة، ومحمد صَدَّقهم بسرعة وبدون نقاش[6670]! ويوجد احتمالين:
  - <u>الاحتمال الأول:</u> أن هؤلاء اليهود كانوا يتبعون بدعة يهودية متأخرة جعلتهم يعتقدون أن يوم عاشوراء هو احتفال بنجاة بنى إسرائيل وهلاك فرعون وقومه. ومحمد قلّدهم فى هذه البدعة

بسرعة وبدون جدال! بل أمر المسلمين باتباع هذه البدعة اليهودية! وهذا يدل على أن محمد ليس رسولاً مِن عند الله، فلا يُعقَل أن يتبع رسولٌ حقيقي بدعةً يهودية.

- الاحتمال الثانى: أن هؤلاء اليهود تَعمَّدوا أن يعطوا محمداً هذه الإجابة الخاطئة امتحاناً له أو سخريةً منه لعدم معرفته بالأصوام اليهودية. ومحمد رسب فى هذا الامتحان. وهذا أيضاً يدل على أن محمد ليس رسولاً مِن عند الله. ويبدو أن رواة الأحاديث قد تنبهوا لهذه المسألة، فقالوا فى حديث آخر إن محمد قال إن صيام يوم عاشوراء "يُكَفِّر السَّنَةَ التى قبله"[6671]، أى أنه صوم للتكفير عن الذنوب. [وهذا دليل آخر على أن يوم عاشوراء هو يوم الكفَّارة.]

وفى كلتا الحالتين، النتيجة واحدة: لا يمكن أن يكون محمدٌ رسولاً مِن عند الله. وبما أن هذا الحديث يعتمد على بدعة يهودية أو معلومة خاطئة قالها اليهود لمحمد، فإن مِن حقنا أن نقول إن هذا الحديث مِن "الإسرائيليات" التي أدخلها محمدٌ إلى السُّنَّة "الصحيحة". وكما نقول دائماً: الإسرائيليات موجودة بقوة وكثرة في القرآن والسُّنَّة "الصحيحة"، بل إنها عنصر أساسي في تكوين الإسلام. فلولا انتشار الثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian) بين أبناء الثقافة العربية، لمَا ظهر الإسلامُ.

- تأسيس صوم يوم عاشوراء فى الإسلام جاء زمنياً **قبل** تأسيس صوم شهر رمضان. بل إن الأحاديث الصحيحة نفسها تدل على أن صوم يوم عاشوراء كان واجباً **قبل** أن يُفرَض صوم رمضان[6672]. وفى جميع الأحوال، فإن الصوم ليس فكرة جديدة، وإنما مأخوذة مِن الأمم السابقة. والقرآن نفسه يعترف بذلك: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ" (البقرة 183). وما زال كثير مِن المسلمين السُنَّة إلى اليوم يصومون يوم عاشوراء (و/أو اليوم السابق له: "تاسوعاء"). وما زال اليهود المتدينون إلى اليوم يصومون يوم الكفارة المنصوص عليه "فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً (أى: أبدية)" فى سفر اللاويين.

وإن لم يقتنع المسلمون بأدلتنا، فعليهم أن يعطونا أدلة تاريخية تثبت أن موسى شخصية حقيقية وأن بنى إسرائيل خرجوا مِن مصر بالطريقة الأسطورية التى صوَّرها القرآنُ وأن موسى واليهود مِن بعده كانوا يصومون يوم عاشوراء (الكفَّارة) تعظيماً لنجاتهم وغرق فرعون وقومه. إن لم يعطنا المسلمون أدلة تاريخية، فعليهم أن يعترفوا بأن محمد قد رسب فى الامتحان الذى وضعه له يهودُ المدينة (يثرب)، أو يعترفوا بأن هذا الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم ليس صحيحاً وإنما هو مِن تأليف البخارى ومسلم.

نعود إلى سفر الخروج. كنا قد توقفنا عند شفاعة موسى الثانية. رفض الربُّ أن يغفر خطيئة بنى إسرائيل، كما رفض أن يُهلِك موسى معهم أو فداءاً لهم **[⟵ "وَاتَّقُوا (يا بنى إسرائيل) يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ (أى: فِدَاء)" (البقرة 48)]**، لكن قَبِلَ اللهُ أن يخفف العقابَ ويؤجله. **(الخروج 32):** {33} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَنْ أَخْطَأَ إِلَيَّ (هو فقط الذى) أَمْحُوهُ مِنْ كِتَابِي

[⟵ "مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى" (طه 81) "عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ (دون أن أظلم أحداً)" (الأعراف 156)]. {34} وَالآنَ اذْهَبِ اهْدِ الشَّعْبَ إِلَى حَيْثُ كَلَّمْتُكَ (أى: اكملوا الرحلة إلى أرض كنعان، فأنا لن أعاقبهم الآن)[6673] **[⟵ "وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى" (طه 82) "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ" (الأعراف 156) "رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ" (غافر 7)]**. هُوَذَا مَلاَكِي **[⟵ "الرَّسُولِ (جبريل)" (طه 96)]** (وليس أنا الرب) يَسِيرُ أَمَامَكَ[6674]. وَلكِنْ فِي يَوْمِ افْتِقَادِي أَفْتَقِدُ فِيهِمْ خَطِيَّتَهُمْ (أى: ولكنى سأعاقبهم فى الوقت المناسب) **[⟵ "إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ (إلهاً ومعبوداً) سَيَنَالُهُمْ (فى المستقبل) غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" (الأعراف 152)]**[6675]». {35} فَضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ (عقاباً وتأديباً لهم)، لأَنَّهُمْ صَنَعُوا الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعَهُ هَارُونُ.

"ويلاحظ أن قبوله لشفاعة موسى ليس معناه رفع العقاب تماماً عنهم ولكن تخفيفه، أما رفع العقاب تماماً فهذا ما يتم بدم المسيح. وهذا يؤكد خطورة الخطية وآثارها التى تستحق عقوبات كثيرة وبالتالى تظهر محبة المسيح التى ترفع عنا كل هذه العقوبات"[6676]، وتعبر بنا إلى كنعان (أورشليم) السمائية[6677].

وهذا يؤكد مرة أخرى أن التوبة (repentance) ضرورية (necessary) لمغفرة الخطايا، لكن التوبة وحدها ليست كافية (not sufficient) لمغفرة الخطايا. نحتاج شفاعة المسيح: "لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا" (1 يوحنا 2:1-2) "لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (1 تيموثاوس 2:5-6).

ولقد علَّق التلمود البابلى على قصة العجل الذهبى فى أكثر من موضع، وربط بين المصائب الكثيرة التى حلت على بنى إسرائيل وبين ارتكابهم هذه الخطيئة الشنيعة[6678]. وهذا دليل قاطع على أن اليهود ظلوا يتوارثون هذه القصة الشهيرة حتى ظهور الإسلام.

ولقد ذكر الكتابُ المقدس قصةَ العجل الذهبى فى مواضع أخرى، مثل: (التثنية 9:7-21) (المزامير 106:19-23) (نحميا 9:16-21). ولا داعى لذِكر كل هذه المواضع مرة أخرى، فسنكتفى فقط بتوضيح نقطتين هامتين:

- الآية الوحيدة فى التوراة التى تقول صراحةً إن موسى صَلّى مِنْ أَجْلِ هَارُونَ. قَالَ موسى: "وَعَلَى هَارُونَ غَضِبَ الرَّبُّ جِدًّا لِيُبِيدَهُ. فَصَلَّيْتُ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ هَارُونَ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ" (التثنية 9:20) **[⟵"قَالَ (موسى) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي (هارون) وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأعراف 151)]**.
- لو لم يسمع أصحابُ القرآن سوى النص الشعرى المذكور فى (المزامير 106) فقط، لكان ذلك كافياً، فهو يذكر باختصار أهم أحداث هذه القصة الشهيرة التى توارثها اليهود والمسيحيون لأجيال عديدة

وقرون طويلة حتى ظهور الإسلام[6679]. **(المزامير 106):** {19} صَنَعُوا عِجْلاً فِي حُورِيبَ، وَسَجَدُوا لِتِمْثَالٍ مَسْبُوكٍ **[⟵ "اتَّخَذُوا الْعِجْلَ (إلهاً)" (الأعراف 152) (البقرة 51) (البقرة 54) (البقرة 92) (النساء 153)]**، {20} وَأَبْدَلُوا مَجْدَهُمْ بِمِثَالِ ثَوْرٍ آكِلِ عُشْبٍ **[⟵ "عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ (أى: صوت يُشْبِه صوت البقر!)" (طه 88) (الأعراف 148)]**. {21} نَسُوا اللهَ مُخَلِّصَهُمْ، الصَّانِعَ عَظَائِمَ فِي مِصْرَ **[⟵ "فَنَسِيَ" (طه 88) (أى: نَسِيَ بنو إسرائيل الإلهَ الحقيقى الذى خلَّصهم مِن العبودية فى مصر)]**، [...] {23} فَقَالَ (اللهُ) بِإِهْلاَكِهِمْ **[⟵ (الأعراف 152) (طه 81) (الأعراف 156)]**. لَوْلاَ مُوسَى مُخْتَارُهُ (God's chosen one) **[⟵ "قَالَ (اللهُ) يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ" (الأعراف 144) "أَنَا اخْتَرْتُكَ" (طه 13)]** وَقَفَ فِي الثَّغْرِ قُدَّامَهُ **[⟵ (الأعراف 155-156)]** لِيَصْرِفَ غَضَبَهُ عَنْ إِتْلاَفِهِمْ **[⟵ (البقرة 51-52) (النساء 153) (البقرة 64) (الأعراف 153) (طه 82)]**. ومِن الجدير بالذكر أن سفر المزامير كان منتشراً بين يهود شبه الجزيرة العربية، ويحظى باحترام وتوقير. ونحن نتفق مع الرأى الذى يقول إن كثير من الأفكار والأقوال الموجودة فى سورتى البقرة وآل عمران تبدو وكأنها نسخة (replica) من (المزامير 104-108)[6680]. اقرأ أيضاً (المزامير 78) الذى يُلخِّص أهم أحداث قصة خروج بنى إسرائيل من مصر والدروس المستفادة مِن هذه القصة الشهيرة. واقرأ كذلك (المزامير 136).

وفى نهاية قصة "العِجل الذهبى"، أكَّد الربُّ لموسى أنه إله رحيم وحَنَّان يغفر الخطيئة، لكنه فى الوقت نفسه إله عادل وقدوس يرفض الخطيئة. وهذه هى إحدى الشهادات الشخصية التى قالها الربُّ عن نفسه (The Lord's self-proclamation)، وهى موجودة فى التوراة (الخروج 34:6-7) (العدد 14:18) ومذكورة كلها أو بعضها فى مواضع أخرى من الكتاب المقدس، مثل (يوئيل 2:13) (يونان 4:2) (نحميا 9، 1) (المزامير 86، 103، 145). ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه الآيات الكتابية، لأنها آيات مشهورة جداً، لا سيما (الخروج 34:6-7) التى تُعرَف فى الفكر اليهودى باسم "صفات الرحمة الإلهية الثلاثة عشر" (The Thirteen Attributes of Mercy) وتُتلَى عادةً فى صلوات التوبة (penitential prayers) وفى يوم الكفَّارة (عاشوراء) الذى تحدثنا عنه منذ قليل.

وبمرور الزمن، تطور هذا الفكر اليهودى تطوراً بشرياً طبيعياً إلى أن وُضِعَ بعد ذلك فى مواضع كثيرة مِن القرآن: الله "غفور رحيم" (البقرة 173، 182، 192، 199، ...) لكنه فى الوقت نفسه "شديد العقاب" (البقرة 196، 211؛ آل عمران 11؛ المائدة 2، 98؛ ...). اقرأ أيضاً: "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ. [...] وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ. [...] هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ. فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ" (البروج 12-18)؛ "وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا [من الذنوب والآثام] لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل [يُمْهلهم لعلهم يتوبوا وإلا] لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا (أي: لن يجدوا ملجأ يحفظهم منه)" (الكهف 58)؛ "فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ[6681]" (القمر 16-17) (القمر 21-22) (القمر 30، 32) "فَذُوقُوا

عَذَابِي وَنُذُرِ [...] فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ [...] وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ" (القمر 37-40). وسنكتفي هنا بأمثلة مِن الآيات المذكورة فى هذا الجزء مِن قصة الخروج القرآنية: (الأعراف 151-153)، (الأعراف 155-156)، (طه 81-82)[6682].

(الخروج 34): {1} ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ الأَوَّلَيْنِ، فَأَكْتُبَ أَنَا عَلَى اللَّوْحَيْنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْنِ الأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا. [...]». {4} فَنَحَتَ (موسى) لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ كَالأَوَّلَيْنِ. وَبَكَّرَ مُوسَى فِي الصَّبَاحِ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلِ سِينَاءَ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ، وَأَخَذَ فِي يَدِهِ لَوْحَيِ الْحَجَرِ. {5} فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ (أى: عِنْدَ موسى) هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. {6} فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: «الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ (ADONAI, EL RAḤUM VE-ḤANNUN)، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. {7} حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ[6683] **[⟵ "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ" (الأعراف 156)[6684] "وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى" (طه 82) "وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ" (الأعراف 153) "رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ" (غافر 7) "وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ. ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم (وقبلْنا توبتكم) مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (البقرة 51-52)]**. وَلكِنَّهُ (أى: وَلكِنَّ الرَّب) لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ[6685] **[⟵ "عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ" (الأعراف 156) "وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى" (طه 81) "إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ (إلهاً ومعبوداً) سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ" (الأعراف 152)]**». {8} فَأَسْرَعَ مُوسَى وَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ. {9} وَقَالَ: «إِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَيُّهَا السَّيِّدُ فَلْيَسِرِ السَّيِّدُ فِي وَسَطِنَا، فَإِنَّهُ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. وَاغْفِرْ إِثْمَنَا وَخَطِيَّتَنَا وَاتَّخِذْنَا مُلْكًا **[⟵ قال موسى لله: "أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ" (الأعراف 155-156) "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي (هارون) وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأعراف 151)]**».

لاحظ أيضاً الفكر المسيحي فى قول القرآن "تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا" الذى تكرر 4 مرات فى القرآن (طه 82) (مريم 60) (القصص 67) (الفرقان 70) بهذا الترتيب الدقيق: التوبة أولاً ثم الإيمان ثم الأعمال الصالحة. اقرأ أيضاً ما قاله أصحابُ القرآن في قصة العجل الذهبي: "وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ" (الأعراف 153) حيث يُفْهَم ضمنياً من السياق أنهم بعد التوبة والإيمان عَمِلُوا الصالحات وليس "السَّيِّئَاتِ". هذا الترتيب القرآني الدقيق (التوبة أولاً ثم الإيمان ثم الأعمال الصالحة) يكاد يكون منقولاً مِن الإنجيل. "فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ" (مرقس 1:15) "لأَعْمَال صَالِحَةٍ" (أفسس 2:10)، أى أن الأعمال الصالحة هى نتيجة وثمرة الإيمان الذى هو نتيجة وثمرة التوبة (repentance). أو كما قال يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا): "فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ" (متى 3:8) (لوقا 3:8)، وقال بولس

الرسول: "أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى اللهِ عَامِلِينَ أَعْمَالاً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ" (أعمال الرسل 20:26)، وقال يعقوب الرسول: "مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ (صالحة)، هَلْ يَقْدِرُ الإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟" (يعقوب 14:2). إن كل هذه الآيات الكتابية – على سبيل المثال وليس الحصر – تؤكد على أهمية التوبة أولاً.

ومِن ثم نستطيع أن نفهم لماذا استخدم صاحبُ (البقرة 54) "التوبة" (بالعبرية: teshuvah) ثلاث مرات للتكفير عن خطيئة عبادة العِجل: "قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ (إلهاً ومعبوداً) فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة 54). ونلاحظ أن الأمر "اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" (البقرة 54) يكاد يكون منقولاً مِن الأمر "تُذَلِّلونَ أَنْفُسَكُمْ" (العدد 7:29) أو "تُذَلِّلونَ نُفُوسَكُمْ" (afflict your souls; practice self-denial) الذى تكرر أربع مرات فى تأسيس يوم الكفَّارة (اللاويين 29:16) (اللاويين 31:16) (اللاويين 27:23) (اللاويين 32:23). وذلك لأن الأصل العِبرى لهذا الأمر يشبه كلمة "طعن" بالعربية[6686]. أى أن الأمر "تُذَلِّلونَ أَنْفُسَكُمْ" بالعِبرية تطور تطوراً بشرياً طبيعياً إلى "اطعنوا أَنْفُسَكُمْ" أو "اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" (البقرة 54) بالعربية.

وما زال المسلمون الشيعة إلى اليوم يجرحون أنفسهم ويسيلون دماءهم فى يوم عاشوراء (يوم الكفَّارة). أى أن المسلمين الشيعة احتفظوا بهذا اليوم كيوم للكفَّارة والتوبة الجماعية والتضحية بالنفس، وإن بالغوا فى أهميته والاحتفال به؛ بينما اكتفى المسلمون السُنَّة بالتفسير اليهودى/المسيحى التقليدى لعبارة "تُذَلِّلونَ نُفُوسَكُمْ" التى تُفسَّر عادةً بمعنى "صوموا"[6687]، وقللوا مِن أهمية يوم عاشوراء فجعلوه يوم صوم اختيارى تطوعى، أى ليس "فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً" وإنما سُنَّة مستحبة، وإن قالوا إن صيام هذا اليوم يُكفِّر ذنوب العام الذى قبله.

إذن: مما سبق يتبيَّن أن أصحاب القرآن بصفة خاصة ورواة الأحاديث والمسلمين الأوائل بصفة عامة (سُنَّة وشيعة) كانوا متأثرين بهذا التراث اليهودى/المسيحى الذى يؤكد على غضب الله (wrath) ورحمته (mercy) والتوبة (repentance) والكفَّارة (atonement; penance) والصوم (fasting).

نعود إلى **(الخروج 34):** {28} وَكَانَ (موسى) هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً (أى: كان صائماً). فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ **[← "وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا (الثانية) هُدًى وَرَحْمَةٌ[6688]" (الأعراف 154)]**. ويقول التقليد اليهودى إن هذا حدث فى يوم الكفَّارة (عاشوراء)[6689]. وما زالت بعض الكنائس المسيحية إلى اليوم تصوم أربعين يوماً قبل عيد الفصح[6690]. ومِن ثم يتضح لنا العلاقة بين يوم الكفَّارة (اليهودى) وعيد الفصح (اليهودى/المسيحى) ويوم عاشوراء (الإسلامى). وربما يكون ذلك هو ما جعل البخارى ومسلم يزعمان أن يوم عاشوراء هو يوم خروج بنى إسرائيل من مصر وهلاك فرعون.

النتيجة النهائية: قصة "العجل الذهبى" فى القرآن هى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "العجل الذهبى" فى الكتاب المقدس والتراث اليهودى/المسيحى.

وقبل أن ننتقل إلى موضوع آخر، نسأل سؤالاً لكل مسلم عاقل: أين هذه التوراة التى كتب اللهُ فيها "مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ" (الأعراف 145) "وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ" (الأعراف 154) "بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً" (القصص 43) "وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً" (الأنعام 154)؟ لا تقل لنا إنها حُرّفَت، لأن هذا اتهام خطير لله أنه ترك كتابه يُحرَّف. ولا تقل لنا إنها ضاعت، لأن هذا اتهام خطير لله أنه أضاع كتاباً فيه هُدًى وَرَحْمَة وبَصَائِر لِلنَّاس ومِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ!

4.34.1.6 التَجلِّي [⟵ التَجلِّي]

نتوقف الآن عند الآية القرآنية الطويلة التى تقول: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" (الأعراف 143).

ونؤكد مِن البداية أن فكرة التَجلِّي فكرة معروفة جداً ومشهورة فى التراث اليهودى/المسيحى قبل الإسلام، وتُعرَف أحياناً باسم (Theophany)، أى: "الظهور الإلهى" (Divine Manifestation).

(الخروج 33): {9} وَكَانَ عَمُودُ السَّحَابِ إِذَا دَخَلَ مُوسَى الْخَيْمَةَ، يَنْزِلُ وَيَقِفُ عِنْدَ بَابِ الْخَيْمَةِ. وَيَتَكَلَّمُ الرَّبُّ مَعَ مُوسَى **[⟵ "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ" (الأعراف 143)]**. {11} وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لِوَجْهٍ، كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ[6691] **[⟵ "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا" (النساء 164) "وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا" (مريم 52)؛ (البقرة 253)]**. [...].

ثم ذكرت التوراةُ حواراً (dialogue) دار بين موسى والرَّبّ؛ وكل طرف في هذا الحوار تكلم ثلاث مرات (a three-stage dialogue in which each side speaks three times). **(الخروج 33):**

- {12} وَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «انْظُرْ. أَنْتَ قَائِلٌ لِي: أَصْعِدْ هذَا الشَّعْبَ، وَأَنْتَ لَمْ تُعَرِّفْنِي مَنْ تُرْسِلُ مَعِي. وَأَنْتَ قَدْ قُلْتَ: عَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ، وَوَجَدْتَ أَيْضًا نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ. {13} فَالآنَ إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَعَلِّمْنِي طَرِيقَكَ (أي: طريقة تعاملك مع الإنسان ومع خطاياه) حَتَّى أَعْرِفَكَ لِكَيْ أَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ. وَانْظُرْ أَنَّ هذِهِ الأُمَّةَ شَعْبُكَ».
- {14} فَقَالَ [الربُّ لموسى]: «وَجْهِي يَسِيرُ (يقصد: ملاكي يَسِيرُ أمامكَ[6692] وهذا يكفي ليضيء وَجْهِي عليكَ) فَأُرِيحُكَ».
- {15} فَقَالَ لَهُ [موسى]: «إِنْ لَمْ يَسِرْ وَجْهُكَ (أي: إِنْ لَمْ تَسِرْ بنفسك وبشخصك في وسطنا) فَلاَ تُصْعِدْنَا مِنْ ههُنَا، {16} فَإِنَّهُ بِمَاذَا يُعْلَمُ أَنِّي وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَنَا وَشَعْبُكَ (أي: ليس أنا فقط،

وإنما أَنَا وَشَعْبُكَ)؟ أَلَيْسَ بِمَسِيرِكَ مَعَنَا (أي: بنفسك وبشخصك في وسطنا وليس مجرد ملاك يفصل بينكَ وبيننا)؟ فَنَمْتَازَ أَنَا وَشَعْبُكَ عَنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ».

- {17} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى [في لطفٍ ورأفةٍ]: «هذَا الأَمْرُ أَيْضًا الَّذِي تَكَلَّمْتَ عَنْهُ أَفْعَلُهُ، لأَنَّكَ وَجَدْتَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ، وَعَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ».
- {18} فَقَالَ [مُوسَى لِلرَّبِّ في جرأةٍ كبيرة]: «أَرِنِي مَجْدَكَ (Your Presence؛ أي: شَخْصَكَ) **[← "رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ" (الأعراف 143)]**».
- {19} فَقَالَ [الرَّبُّ لِمُوسَى]: «أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي (أي: جميع إحساناتي، وهي مَجْدِي وشَخْصِي وطبيعتي) قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ (YHWH؛ LORD) قُدَّامَكَ. وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ[6693]». {20} وَقَالَ: «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي **[← "لَنْ تَرَانِي" (الأعراف 143)]**، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ». {21} وَقَالَ الرَّبُّ [لموسى]: «هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ، فَتَقِفُ عَلَى الصَّخْرَةِ (on the top of Mount Sinai)[6694] **[← "انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ" (الأعراف 143)]**. {22} وَيَكُونُ مَتَى اجْتَازَ مَجْدِي (My Presence؛ أي: شَخْصِي) **[← "فَلَمَّا تَجَلَّى (أي: ظهر) رَبُّهُ لِلْجَبَلِ" (الأعراف 143)]**، أَنِّي أَضَعُكَ فِي نُقْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُرُكَ بِيَدِي (My hand) حَتَّى أَجْتَازَ. {23} ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي (My back)، وَأَمَّا وَجْهِي (My face) فَلاَ يُرَى **[← "لَنْ تَرَانِي" (الأعراف 143)]**».

كالعادة، اختلف المسلمون فى تفسير "لَنْ تَرَانِي" (الأعراف 143). وكالعادة أيضاً، كل فريق يؤيد رأيه بأدلة مِن القرآن و/أو السُّنَّة[6695]:

- تأثر أهل السُّنَّة بالتوراة حين قالت "لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي" (الخروج 20:33)، فقالوا إن موسى لا يقوى على رؤية الله ولا يتحملها، أو إن تلك الرؤية غير ممكنة فى هذه الدنيا، لكنها ممكنة فى الآخرة، واستدلوا على ذلك بأحاديث صحيحة تقول إن المؤمنين يرون ربهم فى الجنة، وبقول القرآن: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" (القيامة 22-23) و "لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ" (يونس 26) فقالوا إن هذه "الزيادة" هى النظر إلى وجه الله فى الجنة.
- بينما قال المعتزلة إن صيغة النفى فى "لَنْ تَرَانِي" تنفى المستقبل نفياً مؤبداً، كقوله "لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ" (الحج 73)، وبالتالى فإن رؤية الله غير ممكنة أصلاً، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، واستدلوا على ذلك بآيات قرآنية مثل: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشورى 11) و "لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ" (الأنعام 103).

تعليقنا: المشكلة ليست في المسلمين (سنة ومعتزلة)، وإنما في غموض القرآن نفسه الذي لم يحدد المعنى المقصود في قوله "لَنْ تَرَانِي" (الأعراف 143).

وفى سفر التثنية، نقرأ ما يلى. **(التثنية 4):** {11} فَتَقَدَّمْتُمْ وَوَقَفْتُمْ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَالْجَبَلُ يَضْطَرِمُ بِالنَّارِ إِلَى كَبِدِ السَّمَاءِ، بِظَلاَمٍ وَسَحَابٍ وَضَبَابٍ. {12} فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلاَمٍ، وَلكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً بَلْ صَوْتًا (أى: صوت فقط وليس صوت وصورة) **[⟵ "لَنْ تَرَانِي [..] يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي (أى: صوت فقط وليس صوت وصورة)" (الأعراف 143-144)].**

أما مسألة انهيار الجبل المذكورة فى القرآن "جَعَلَهُ دَكًّا (أى: مفتتاً مستوياً بالأرض!)" (الأعراف 143)، فلا يوجد أى دليل علمى يثبت أنها حادثة تاريخية حقيقية، لا سيما إذا افترضنا أن هذا الجبل هو جبل سيناء (الطور) المشهور والمعروف آنذاك. ونحن نرى أن مسألة انهيار الجبل هى مجرد مبالغة قرآنية لارتجاف الجبل المذكور فى التوراة: "وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جِدًّا" (الخروج 19:18) **[⟵ "فَلَمَّا تَجَلَّى (أى: ظهر) رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا (أى: مفتتاً مستوياً بالأرض!)" (الأعراف 143). أو كما قال أصحابُ القرآن فى مواضع أخرى: "لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" (الحشر 21)؛ "وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ [...] لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" (البقرة 74)].**

ثم اختتم صاحبُ (الأعراف 143) آيته بقوله: "فَلَمَّا تَجَلَّى (أى: ظهر) رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" (الأعراف 143). ونحن نرى أن هذه الفكرة مستوحاة مِن قصة "تجلِّي المسيح" (The Transfiguration of Jesus) التى ظهر فيها موسى وتحدث مع المسيح عَنْ خُرُوجِهِ (exodus)، أى: موته الفدائى وقيامته التى خَلَّصتنا مِن عبودية الخطية وحررتنا من الموت. هذه القصة (متى 17:1-13) (مرقس 9:2-13) (لوقا 9:28-36) (2 بطرس 1:16-18) تقول باختصار إن يسوع أَخَذَ ثلاثة من تلاميذه وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى الْجَبَلِ **[⟵ "الْجَبَلِ" (الأعراف 143)]**. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تلمعُ بَيْضَاءَ جداً كَالنُّور. وَإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ بمَجدٍ وَتَكَلَّمَا مَعَ يسوع عَنْ خُرُوجِهِ (باليونانية: exodus)[6696] الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يُكَمِّلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ. وَأَمَّا التلاميذ فَكَانُوا قَدْ تَثَقَّلُوا بِالنَّوْمِ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظُوا رَأَوْا مَجْدَهُ **[⟵ "رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ" (الأعراف 143)]**، وَالرَّجُلَيْنِ الْوَاقِفَيْنِ مَعَهُ. وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ[6697]. لَهُ اسْمَعُوا». وَلَمَّا سَمِعَ التَّلاَمِيذُ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَخَافُوا جِدًّا[6698] **[⟵ "خَرَّ مُوسَى صَعِقًا (أى: سقط مغشياً عليه)" (الأعراف 143)]**. فَجَاءَ يَسُوعُ وَلَمَسَهُمْ وَقَالَ: «قُومُوا، وَلاَ تَخَافُوا». فَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا إِلاَّ يَسُوعَ وَحْدَهُ[6699] **[⟵ "فَلَمَّا أَفَاقَ (موسى) قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" (الأعراف 143)]**. وإنه لمِن الطريف أن صاحب (الأعراف 143) لم ينس أن يذكر توبة موسى "تُبْتُ إِلَيْكَ" ثم إيمانه "وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ"، بهذا الترتيب (التوبة ثم الإيمان) الذى يكاد يكون

منقولاً من الإنجيل، فلقد قال يسوع المسيح ("أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ") فى بداية خدمته: "فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ" (مرقس 1:15). ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن صاحب (الأعراف 143) كان أصلاً مسيحياً أو يهودياً ثم انضم إلى المسلمين الأوائل ("أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" فى مكة).

ومِن الممكن أن نَفهم قصة "تجلّى المسيح" الإنجيلية على أنها قصة رمزية: "موسى" يرمز إلى التوراة (Law) و "إيليَّا" يرمز إلى الأنبياء (Prophets)[6700].

وسواء كانت قصة "تجلّى المسيح" قصة حقيقية أم قصة رمزية، فإنه مِن الواضح أن صاحب (الأعراف 143) قد جَمَعَ (conflated) القصتين التوراتية والإنجيلية فى آية قرآنية طويلة واحدة.

4.34.1.7 الْقِثَّاءَ وَالْبَطِّيخَ وَالْكُرَّاثَ وَالْبَصَلَ وَالثُّومَ [⟵ "بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا"]

ننتقل الآن إلى سفر العدد.

(العدد 11): {1} وَكَانَ الشَّعْبُ كَأَنَّهُمْ يَشْتَكُونَ شَرًّا فِي أُذُنَيِ الرَّبِّ. وَسَمِعَ الرَّبُّ فَحَمِيَ غَضَبُهُ، فَاشْتَعَلَتْ فِيهِمْ نَارُ الرَّبِّ **[⟵ "فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ" (النساء 153) "فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" (البقرة 55)]** وَأَحْرَقَتْ فِي طَرَفِ الْمَحَلَّةِ. {2} فَصَرَخَ الشَّعْبُ إِلَى مُوسَى، فَصَلَّى مُوسَى إِلَى الرَّبِّ فَخَمَدَتِ النَّارُ. {3} فَدُعِيَ اسْمُ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «تَبْعِيرَةَ» لأَنَّ نَارَ الرَّبِّ اشْتَعَلَتْ فِيهِمْ.

(العدد 11): {4} وَاللَّفِيفُ الَّذِي فِي وَسَطِهِمِ اشْتَهَى شَهْوَةً. فَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَيْضًا وَبَكَوْا وَقَالُوا: «مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟ {5} قَدْ تَذَكَّرْنَا السَّمَكَ الَّذِي كُنَّا نَأْكُلُهُ فِي مِصْرَ مَجَّانًا، وَالْقِثَّاءَ وَالْبَطِّيخَ وَالْكُرَّاثَ وَالْبَصَلَ وَالثُّومَ **[⟵ "مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا (قيل: البقول؛ وقيل: الخُضَر مثل البقدونس والنعناع والجرجير ... الخ) وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا (الراجح أنه الثوم) وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا" (البقرة 61)؛ أى: أرادوا وجبة نباتية!]**. {6} وَالآنَ قَدْ يَبِسَتْ أَنْفُسُنَا. لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ أَنَّ أَعْيُنَنَا إِلَى هذَا الْمَنِّ![6701] **[⟵ "لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ (أى: ثابت لا يتغير؛ وهو الْمَنّ وَالسَّلْوَى)" (البقرة 61)]**». {10} فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى الشَّعْبَ يَبْكُونَ بِعَشَائِرِهِمْ، كُلَّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خَيْمَتِهِ، وَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ جِدًّا، سَاءَ ذلِكَ فِي عَيْنَيْ مُوسَى **[⟵ "قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ" (البقرة 61)]**.

إذن: حسب القرآن، قال بنو إسرائيل لموسى: "يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا" (البقرة 61). ونلاحظ هنا أن بنى إسرائيل الذين يُفترَض أنهم كانوا فى سيناء فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد:

- "وصفوا الطعامَ بالواحدِ مع أنه نوعان – الْمَنّ والسلوى – لأنهما طعام كل يوم. والعربُ تقول لمن يأكل كل يوم عدة ألوان لا تتغير: إنه يأكل من طعام واحد"[6702]. إنها إذن مجرد جملة عربية وضعها أصحابُ القرآن على لسان بنى إسرائيل.

- قالوا "فُومِهَا" بدلاً من "ثومها"، أى أنهم أبدلوا الثاءَ فاءً. "وإبدالُ الثاءِ فاءً شائعٌ فى كلام العرب"[6703]. إنها إذن مجرد كلمة عربية وضعها أصحابُ القرآن على لسان بنى إسرائيل.
- فماذا كان رد موسى على ما قاله بنو إسرائيل؟ قال لهم: "أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا [...]" (البقرة 61). وهذه هى الآية الوحيدة فى مصحف عثمان التى ذكرت "مِصْرًا" بالتنوين. فقيل إنها ربما لا تعنى "مِصر" (Egypt) بعينها وإنما تعنى "مِصراً مِن الأمصار"، أى قرية أو مدينة أو بلداً ليست فى الصحراء. إنْ صح هذا التفسير، فهذا يعنى أن موسى قد استخدم كلمة "مِصر" بمعناها فى اللغة العربية. وهذا طبعاً مستحيل، لأن موسى لم يكن يتحدث العربية. إنها إذن مجرد كلمة عربية وضعها أصحابُ القرآن على لسان موسى. وإنْ قلتم إنَّ القرآن هنا يعطينا كلام موسى بالمعنى أو بعد الترجمة إلى اللغة العربية، فسنقول: إذن كان يجب على القرآن أن يقول "اهْبِطُوا مِن هذه الصحراء إلى أى مدينة" حتى لا يحدث خلط بين المعانى المختلفة لكلمة "مِصر" فى اللغة العربية. بل كان يجب على القرآن أن يقول اسمَ المدينة المقصودة.

باختصار: قام أصحابُ القرآن بتعريب هذا الجزء من القصة التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage)، فأدخلوا كلمات وعبارات لا تلائم موسى وبنى إسرائيل فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد، وإنما تلائم عرب شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى!

4.34.1.8 اثنا عشر تجسسوا على أرض كنعان [⟵ اثنا عشر تجسسوا على الْأَرْض الْمُقَدَّسَة]

(العدد 13): {1} ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: {2} «أَرْسِلْ رِجَالاً لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ[6704] **[⟵ "الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ" (المائدة 21)]**. رَجُلاً وَاحِدًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ آبَائِهِ تُرْسِلُونَ[6705] **[⟵ "بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا (أى: نَقِيبًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ)"[6706] (المائدة 12)]**. كُلُّ وَاحِدٍ رَئِيسٌ فِيهِمْ». {3} فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى مِنْ بَرِّيَّةِ فَارَانَ (Desert of Paran) حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ.

(العدد 13): {21} فَصَعِدُوا وَتَجَسَّسُوا الأَرْضَ [...]. {25} ثُمَّ رَجَعُوا مِنْ تَجَسُّسِ الأَرْضِ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. {26} فَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَى بَرِّيَّةِ فَارَانَ، إِلَى قَادَشَ، وَرَدُّوا إِلَيْهِمَا خَبَرًا وَإِلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ وَأَرَوْهُمْ ثَمَرَ الأَرْضِ. {27} وَأَخْبَرُوهُ وَقَالُوا: «قَدْ ذَهَبْنَا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرْسَلْتَنَا إِلَيْهَا، وَحَقًّا إِنَّهَا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، وَهذَا ثَمَرُهَا. {28} غَيْرَ أَنَّ الشَّعْبَ السَّاكِنَ فِي الأَرْضِ مُعْتَزٌّ (powerful)، وَالْمُدُنُ حَصِينَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا. وَأَيْضًا قَدْ رَأَيْنَا بَنِي عَنَاقَ (Anakites) هُنَاكَ. {29} الْعَمَالِقَةُ (Amalekites) سَاكِنُونَ فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ، وَالْحِثِّيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ وَالأَمُورِيُّونَ سَاكِنُونَ فِي الْجَبَلِ، وَالْكَنْعَانِيُّونَ سَاكِنُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ وَعَلَى جَانِبِ الأُرْدُنِّ» **[⟵ "قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ (مِن العَمَالِقة وغيرهم)" (المائدة 22)]**. {30} لكِنْ كَالِبُ (Caleb) أَنْصَتَ الشَّعْبَ إِلَى مُوسَى وَقَالَ: «إِنَّنَا نَصْعَدُ

وَنَمْتَلِكُهَا لأَنَّنَا قَادِرُونَ عَلَيْهَا» **[← "قَالَ رَجُلَانِ (أحدهما هو كَالِب) [...] ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ" (المائدة 23)]**. {31} وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ فَقَالُوا: «لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَصْعَدَ إِلَى الشَّعْبِ، لأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنَّا». {32} فَأَشَاعُوا مَذَمَّةَ الأَرْضِ الَّتِي تَجَسَّسُوهَا، فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ: «الأَرْضُ الَّتِي مَرَرْنَا فِيهَا لِنَتَجَسَّسَهَا هِيَ أَرْضٌ تَأْكُلُ سُكَّانَهَا، وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي رَأَيْنَا فِيهَا أُنَاسٌ طِوَالُ الْقَامَةِ(6707). {33} وَقَدْ رَأَيْنَا هُنَاكَ الْجَبَابِرَةَ (Nephilim)، بَنِي عَنَاقٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ. فَكُنَّا فِي أَعْيُنِنَا كَالْجَرَادِ، وَهكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ» **[← "قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ (مِن العَمَالِقة والْجَبَابِرَةِ وغيرهم) وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ" (المائدة 22) "قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ" (المائدة 24)]**.

(العدد 14): {1} فَرَفَعَتْ كُلُّ الْجَمَاعَةِ صَوْتَهَا وَصَرَخَتْ، وَبَكَى الشَّعْبُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. {2} وَتَذَمَّرَ عَلَى مُوسَى وَعَلَى هَارُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لَهُمَا كُلُّ الْجَمَاعَةِ: «لَيْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مُتْنَا فِي هذَا الْقَفْرِ! {3} وَلِمَاذَا أَتَى بِنَا الرَّبُّ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ لِنَسْقُطَ بِالسَّيْفِ؟ تَصِيرُ نِسَاؤُنَا وَأَطْفَالُنَا غَنِيمَةً. أَلَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ؟» {4} فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «نُقِيمُ رَئِيسًا (بدلاً مِن موسى وهارون) وَنَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ **[← "اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ"(6708) (البقرة 61)]**».

(العدد 14): {5} فَسَقَطَ مُوسَى وَهَارُونُ عَلَى وَجْهَيْهِمَا أَمَامَ كُلِّ مَعْشَرِ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. {6} وَيَشُوعُ بْنُ نُونَ (Joshua son of Nun) وَكَالِبُ بْنُ يَفُنَّةَ (Caleb son of Jephunneh) **[← "رَجُلَانِ" (المائدة 23)]**، مِنَ الَّذِينَ تَجَسَّسُوا الأَرْضَ، مَزَّقَا ثِيَابَهُمَا {7} وَكَلَّمَا كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلَيْنِ: «الأَرْضُ الَّتِي مَرَرْنَا فِيهَا لِنَتَجَسَّسَهَا جَيِّدَةٌ جِدًّا جِدًّا. {8} إِنْ سُرَّ بِنَا الرَّبُّ يُدْخِلْنَا إِلَى هذِهِ الأَرْضِ وَيُعْطِينَا إِيَّاهَا، أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً. {9} إِنَّمَا لاَ تَتَمَرَّدُوا عَلَى الرَّبِّ، وَلاَ تَخَافُوا مِنْ شَعْبِ الأَرْضِ لأَنَّهُمْ خُبْزُنَا. قَدْ زَالَ عَنْهُمْ ظِلُّهُمْ، وَالرَّبُّ مَعَنَا. لاَ تَخَافُوهُمْ»(6709) **[← "قَالَ رَجُلَانِ (هما يَشُوع وكَالِب) مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ (اللَّهَ وحده) أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (المائدة 23)]**. {10} وَلكِنْ قَالَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ أَنْ يُرْجَمَا بِالْحِجَارَةِ.

(العدد 14): {10} [...] ثُمَّ ظَهَرَ مَجْدُ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِكُلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ. {11} وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ؟ {12} إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَبَإِ وَأُبِيدُهُمْ **[← "وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ (أى: استحقوا غضب الله عليهم)" (البقرة 61) (آل عمران 112)]**، وَأُصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ».

شفاعة موسى. **(العدد 14):** {13} فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: « [...] {15} فَإِنْ قَتَلْتَ (يَا رَبُّ) هذَا الشَّعْبَ كَرَجُل وَاحِدٍ، يَتَكَلَّمُ الشُّعُوبُ الَّذِينَ سَمِعُوا بِخَبَرِكَ قَائِلِينَ: {16} لأَنَّ الرَّبَّ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُدْخِلَ هذَا الشَّعْبَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لَهُمْ، قَتَلَهُمْ فِي الْقَفْرِ. {17} فَالآنَ لِتَعْظُمْ قُدْرَةُ سَيِّدِي كَمَا تَكَلَّمْتَ قَائِلاً: {18} الرَّبُّ طَوِيلُ

الرُّوحِ كَثِيرُ الإِحْسَانِ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ، لكِنَّهُ لاَ يُبْرِئُ. بَلْ يَجْعَلُ ذَنْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ. {19} اِصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ هذَا الشَّعْبِ كَعَظَمَةِ نِعْمَتِكَ، وَكَمَا غَفَرْتَ لِهذَا الشَّعْبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى ههُنَا».

حوَّل أصحابُ القرآن شفاعة موسى إلى الجملة التالية: "قَالَ [موسى] رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ (أي: احكم، اقض؛ افصل) بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (المائدة 25). لكنهم نسوا الرجلين (يشوع وكالب)! فكان ينبغي أن يقول موسى: "رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي وهذين الرجلين فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ". وكالعادة، اخترع المفسرون حيل لتبرير عدم ذِكر موسى للرجلين (يشوع وكالب). قيل: "لعدم ثقته الكاملة فى دخولهما معه أرض الجبارين"[6710]! وقيل: "ويجوز أن يراد بأخى مَن يواخينى فى الدين فيدخلان (أي: يدخل يشوع وكالب) فيه"[6711]. وبعض المفسرين حاول أن يذكر ما نسيه أصحاب القرآن، فقال إن موسى أخبر الله "أنه لا يملك إلا نفسَه وأخاه وبعضَ الصالحين القلائل من قومه"[6712]!

ولعل صاحب (المائدة 25) قد أراد أن يسلط الضوء على الأخوين هارون وموسى فقط تمهيداً لقصة الأخوين قابيل وهابيل "ابني آدم" (المائدة 27-31) التي تليها مباشرةً في سورة المائدة. وأيضاً لإبراز التضاد بين القصتين: هارون يقف في صف أخيه الأصغر، بينما قابيل يقتل أخاه الأصغر. موسى "يملك نفسه" (المائدة 25) ويسيطر عليها، بينما قايين يفقد السيطرة على نفسه "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ (أي: فَزَيَّنتْ لقابيل نَفْسُهُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ وشجَّعته وَسَهَّلَت عليه) قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ" (المائدة 30)[6713]. باختصار: (المائدة 25) موضوعة لأسباب قرآنية بحتة، وليست جزءاً مِن قصة "خروج بني إسرائيل من مصر" التوراتية الأصلية.

وما يهمنا فى هذه الجملة العربية التى وضعها أصحابُ القرآن على لسان موسى فى آخر رواية قرآنية لهذه القصة: "قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (المائدة 25) هو:

- الجزء الأول منها "قَالَ [موسى] رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي" يبرز فشل موسى مع قومه بني إسرائيل على الرغم مِن كل ما فعله اللهُ وموسى مِن أجلهم، فلم يتبق في نهاية القصة إلا موسى وهارون (والرجلان المؤمنان) في جانب، وبقية بني إسرائيل في جانبٍ آخر.
- الجزء الثاني منها "قَالَ [موسى] رَبِّ [...] افْرُقْ (أي: احْكُم؛ افصل) بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" يدل على أنها ليست جملة أصلية، وإنما هي جملة موضوعة على لسان موسى في نهاية القصة، فهي جملة عربية/إسلامية قالها محمدٌ (موسى العرب، موسى الثاني، موسى الجديد) لقومه المكذبين في نهاية سورة الأنبياء: "قَالَ [محمدٌ] رَبِّ احْكُم (أي: افصل) بِالْحَقِّ [بيننا وبين قومنا المكذبين]" (الأنبياء 112).

الحُكْم الإلهي. **(العدد 14):** {20} فَقَالَ الرَّبُّ (لموسى): «قَدْ صَفَحْتُ حَسَبَ قَوْلِكَ. {21} وَلكِنْ حَيٌّ أَنَا فَتُمْلأُ كُلُّ الأَرْضِ مِنْ مَجْدِ الرَّبِّ، {22} إِنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الَّذِينَ رَأَوْا مَجْدِي وَآيَاتِي الَّتِي عَمِلْتُهَا فِي مِصْرَ وَفِي الْبَرِّيَّةِ، وَجَرَّبُونِي الآنَ عَشَرَ مَرَّاتٍ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِي، {23} لَنْ يَرَوْا الأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لآبَائِهِمْ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ أَهَانُونِي لاَ يَرَوْنَهَا **[← "فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ" (المائدة 26)]**. [...] {29} فِي هذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ

جُثَثُكُمْ [← "فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ" (البقرة 61)][6714]، جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَذَمَّرُوا عَلَيَّ. {30} لَنْ تَدْخُلُوا الأَرْضَ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لأُسْكِنَنَّكُمْ فِيهَا [← "فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ" (المائدة 26)]، مَا عَدَا كَالِبَ بْنَ يَفُنَّةَ وَيَشُوعَ بْنَ نُونٍ [← "رَجُلَانِ [...] أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا (بالإيمان ودخول كنعان)" (المائدة 23)]. {31} وَأَمَّا أَطْفَالُكُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ يَكُونُونَ غَنِيمَةً فَإِنِّي سَأُدْخِلُهُمْ، فَيَعْرِفُونَ الأَرْضَ الَّتِي احْتَقَرْتُمُوهَا. {32} فَجُثَثُكُمْ أَنْتُمْ تَسْقُطُ فِي هذَا الْقَفْرِ [← "فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ" (البقرة 61)]، {33} وَبَنُوكُمْ يَكُونُونَ رُعَاةً فِي الْقَفْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً[6715] [← "أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ" (المائدة 26)]، وَيَحْمِلُونَ فُجُورَكُمْ حَتَّى تَفْنَى جُثَثُكُمْ فِي الْقَفْرِ. {34} كَعَدَدِ الأَيَّامِ الَّتِي تَجَسَّسْتُمْ فِيهَا الأَرْضَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، لِلسَّنَةِ يَوْمٌ. تَحْمِلُونَ ذُنُوبَكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً[6716] [← "أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ" (المائدة 26)] فَتَعْرِفُونَ ابْتِعَادِي. {35} أَنَا الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمْتُ. لأَفْعَلَنَّ هذَا بِكُلِّ هذِهِ الْجَمَاعَةِ الشِّرِّيرَةِ الْمُتَّفِقَةِ عَلَيَّ. فِي هذَا الْقَفْرِ يَفْنَوْنَ، وَفِيهِ يَمُوتُونَ».

إذن: رد الله على موسى: "قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ (أي: لا تحزن) عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (المائدة 26) ينقسم إلى جزءين. الجزء الأول "فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ" ينتمي إلى قصة "خروج بني إسرائيل من مصر" التوراتية الأصلية. أما الجزء الثاني "فَلَا تَأْسَ (أي: لا تحزن) [يا موسى] عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" فلا ينتمي إلى القصة التوراتية الأصلية. وإنما هي جملة إسلامية/عربية قالها أصحابُ القرآن لمحمد (موسى العرب، موسى الثاني، موسى الجديد) في نفس السورة: "فَلَا تَأْسَ (أي: لا تحزن) [يا محمد] عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (المائدة 68)[6717]. وفي نفس السورة أيضاً، قالوا له بنفس المعنى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ (أي: المنافقين) وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا (أي: اليهود) [...]" (المائدة 41).

وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يأخذ فيها أصحابُ القرآن قصةً من التوراة، ثم يطورونها تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة. وأحياناً – كما نرى هنا – تكون الإضافة مستوحاة من البيئة العربية/الإسلامية التي نشأ فيها القرآنُ في القرن السابع الميلادي في شبه الجزيرة العربية، وليس لها علاقة بالقصة التوراتية الأصلية التي يُفترَض أنها حدثت قبل الميلاد بمئات السنين على حدود كنعان.

بل نحن نرى أن الجمل الإضافية هنا جمل (formulaic) بدليل أن أصحاب القرآن استخدموها في قصة قرآنية أخرى. قال شُعيب لقومه: "فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. [...]. [...] رَبَّنَا افْتَحْ (أي: احكُم) بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا [المكذبين] بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ" (الأعراف 87-89)[6718]. ثم قال: "فَكَيْفَ آسَىٰ (أي: كيف أحزن) عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ" (الأعراف 93). إنها إذن أفكار عربية/إسلامية وضعها أصحابُ القرآن على ألسنة الأنبياء والرسل السابقين ليُوهِموا محمداً أن تجربته تشبه تجربتهم، ومِن ثم يشجعونه على الصبر والثبات "حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ" بينه وبين قومِه المكذبين / الكافرين / الفاسقين.

قصص شعيب وموسى ومحمد في القرآن تبدو 3 قصص مختلفة: الأولى من التراث القومي العربي، والثانية من التراث الديني اليهودي/المسيحي، والثالثة مِن الواقع الإسلامي الذي يعيشه محمد. لكنهم في الحقيقة قصة واحدة، هي قصة محمد. وهذه القصة الواحدة هي باختصار: يتوجه النبي إلى قومه فيكذبوه فيعاقبهم اللهُ. إنها عملية أسلمة للتراث القومي العربي والتراث الديني اليهودي/المسيحي سوياً في كتابٍ واحد هو القرآن.

تكملة القصة التوراتية الأصلية. **(العدد 14):** {36} أَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ مُوسَى لِيَتَجَسَّسُوا الأَرْضَ، وَرَجَعُوا وَسَجَّسُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِإِشَاعَةِ الْمَذَمَّةِ عَلَى الأَرْضِ، {37} فَمَاتَ الرِّجَالُ (العشرة) الَّذِينَ أَشَاعُوا الْمَذَمَّةَ الرَّدِيئَةَ عَلَى الأَرْضِ بِالْوَبَإِ أَمَامَ الرَّبِّ **[⟵ "وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ (أى: استحقوا غضب الله عليهم)" (البقرة 61) (آل عمران 112)]**. {38} وَأَمَّا يَشُوعُ بْنُ نُونَ وَكَالِبُ بْنُ يَفُنَّةَ **[⟵ "رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ (الله وحده)" (المائدة 23)]**، مِنْ أُولئِكَ الرِّجَالِ الَّذِينَ ذَهَبُوا لِيَتَجَسَّسُوا الأَرْضَ، فَعَاشَا **[⟵ "أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا (بالحياة ودخول كنعان)" (المائدة 23)]**.

(العدد 14): {39} وَلَمَّا تَكَلَّمَ مُوسَى بِهذَا الْكَلاَمِ إِلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَكَى الشَّعْبُ جِدًّا. {40} ثُمَّ بَكَّرُوا صَبَاحًا وَصَعِدُوا إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ قَائِلِينَ: «هُوَذَا نَحْنُ! نَصْعَدُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ الرَّبُّ عَنْهُ، فَإِنَّنَا قَدْ أَخْطَأْنَا» **[⟵ "وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ (أى: ندموا على خطيئتهم) وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 149)]**. {41} فَقَالَ مُوسَى: «لِمَاذَا تَتَجَاوَزُونَ قَوْلَ الرَّبِّ؟ (أى: لماذا تحاولون دخول كنعان الآن رغم أن الرب قد حَرَّمَها عليكم؟) فَهذَا لاَ يَنْجَحُ. {42} لاَ تَصْعَدُوا، لأَنَّ الرَّبَّ لَيْسَ فِي وَسَطِكُمْ لِئَلاَّ تَنْهَزِمُوا أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ. {43} لأَنَّ الْعَمَالِقَةَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ هُنَاكَ قُدَّامَكُمْ تَسْقُطُونَ بِالسَّيْفِ. إِنَّكُمْ قَدِ ارْتَدَدْتُمْ عَنِ الرَّبِّ، فَالرَّبُّ لاَ يَكُونُ مَعَكُمْ». {44} لكِنَّهُمْ تَجَبَّرُوا وَصَعِدُوا إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. [...]. {45} فَنَزَلَ الْعَمَالِقَةُ وَالْكَنْعَانِيُّونَ السَّاكِنُونَ فِي ذلِكَ الْجَبَلِ وَضَرَبُوهُمْ وَكَسَّرُوهُمْ [...].

نعتقد أن الصفحات السابقة أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن القصة القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى للقصة التوراتية.

4.34.1.9 غزو أرض كنعان [⟵ فتح بيت المقدس]

لم يذكر القرآنُ قصة دخول بنى إسرائيل إلى أرض كنعان، لكن الثابت فى التراث الإسلامى هو أنهم دخلوها بقيادة "يَشُوع بْن نُونَ" (Joshua son of Nun)، الذى يُعرَف فى التراث الإسلامى باسم "يُوشَع بن نون" أو "فتى موسى" (الكهف 60، 62) أو "غلام موسى". ويجب هنا أن نقول إننا لاحظنا أن المراجع الإسلامية بصفة عامة تتجنب تسمية الأرض المقدسة بـ "كنعان" أو "إسرائيل" أو "أورشليم"، ويستخدمون أسماء أخرى مقبولة لدى القارئ المسلم العربى مثل "الشام" و "فلسطين" و "بيت المقدس". وهذا ليس غريباً،

فما هو إلا حلقة مِن حلقات مسلسل "التعريب والأسلمة" الذى بدأه أصحابُ القرآن ثم أكمله رواة الأحاديث والمفسرون المسلمون القدامى والمحدثون والكُتَّاب المسلمون المعاصرون.

الأحاديث النبوية التى ذكرت غزو كنعان (فتح بيت المقدس): أخرج الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحيهما إن محمد قد قال: "غزا نَبىٌّ مِن الأنبياء [...] فَدَنَا مِن القرية حين صلاة العصر، أو قريباً مِن ذلك، فقال للشمس: أنتِ مأمورةٌ (بالغروب) وأنا مأمورٌ (بالقتال). اللهم احْبِسْهَا عَلَيَّ شيئاً. فَحُبِسَت عليه حتى فَتَحَ اللهُ عليه [...]"[6719]. فَمَن هو هذا النبى الذى حُبِسَت له الشمس حين غزا؟ ومتى حدث ذلك؟ وأين؟ نجد الإجابة فى مسند أحمد الذى يقول إن محمد قد قال: "إنَّ الشمسَ لم تُحْبَس لبَشَرٍ (أو: على بَشَرٍ) إلا ليُوشَعَ ليالى سار إلى بيت المقدس"[6720]. ولقد ذَكَرَ الشيخُ الألبانى هذه الروايات وقال: "هذا حديث صحيح جليل مما حفظه لنا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"[6721].

السؤال: مِن أين جاءت قصة "حَبْس الشمس" ليشوع المذكورة فى هذه الأحاديث النبوية الصحيحة؟

الإجابة: مِن سفر يشوع الذى يروى لنا قصة "غزو واستيطان كنعان" (Conquest and Settlement of Canaan)، وتحديداً مِن الإصحاح العاشر (يشوع 10) الذى يروى لنا تحالف خمسة ملوك أَمُوريّين (مِن شعوب كنعان) ضد سكان مدينة جِبْعُون (Gibeon) (بالقرب مِن أورشليم) لأنهم عقدوا صلحاً مع يشوع. فاستنجد أهل جِبْعُون بيشوع، فقام يشوع بغزوة عسكرية لنصرتهم. وفى أثناء هذه الغزوة، طلب يشوعُ مِن الله أن يُوقِف الشمسَ **[⟵ "اللهم احْبِسْهَا عَلَيَّ شيئاً" (البخارى 2956) (مسلم 1747) (أحمد 318/2)]** حتى يُنهِى المعركة بنجاح. فاستجاب اللهُ ليشوع **[⟵ "فَحُبِسَت (الشمسُ) عليه حتى فَتَحَ اللهُ عليه" (البخارى 2956) (مسلم 1747) (أحمد 318/2)]!**.

الآيات الكتابية فى **(يشوع 10):** {12} حِينَئِذٍ كَلَّمَ يَشُوعُ الرَّبَّ، يَوْمَ أَسْلَمَ الرَّبُّ الأَمُورِيِّينَ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ أَمَامَ عُيُونِ إِسْرَائِيلَ: «يَا شَمْسُ دُومِي (أو: اسكتى، اهدئى) (stand still) عَلَى جِبْعُونَ، وَيَا قَمَرُ عَلَى وَادِي أَيَّلُونَ». {13} فَدَامَتِ الشَّمْسُ وَوَقَفَ الْقَمَرُ حَتَّى انْتَقَمَ الشَّعْبُ (أى: جيش بنى إسرائيل) مِنْ أَعْدَائِهِ. أَلَيْسَ هذَا مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ يَاشَرَ (Book of Jashar)؟ فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَعْجَلْ لِلْغُرُوبِ نَحْوَ يَوْمٍ كَامِل. {14} وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذلِكَ الْيَوْمِ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ سَمِعَ فِيهِ الرَّبُّ صَوْتَ إِنْسَانٍ **[⟵ "إنَّ الشمسَ لم تُحْبَس لبَشَرٍ إلا ليُوشَعَ ليالى سار إلى بيت المقدس" (أحمد 325/2)]**.

سؤال: ما المقصود بوقف الشمس (أو: حبسها)؟ الإجابة: لا توجد معلومة مؤكدة. قيل: تأخر غروبها حتى يتم الفتح قبل الغروب "وقد يكون ذلك اليوم يوم الجمعة، وعليه أن يوقف القتال إذا غربت الشمس، لأن دخول الليل يعنى دخول يوم السبت، والقتال محرم على بنى إسرائيل فى يوم السبت"[6722]؛ وقيل إن دوران الأرض حول نفسها قد تباطأ فطال النهار! وقيل إن الأرض توقفت عن الدوران، فصار الشمس والقمر كما لو كانا ثابتين بالنسبة للأرض! وقيل: وُضِعَ الشمس والقمر فى وضع معين بحيث يكون فأل خير (good omen) لجنود يشوع و/أو فأل شر على أعدائه. وقيل: حُجِبَت حرارة الشمس عن جنود يشوع. وقيل إن

النَص الكتابى هو وصف شعرى فضفاض وليس واقعاً يُؤخَذ بمعناه الحرفى[6723]. "وهناك بعض المفسرين ممن يعتقدون أن المعركة كانت حامية الوطيس لدرجة أنه خيل لبنى إسرائيل أن النهار كان أطول من المعتاد. [...] ويؤخذ مِن الإشارة إلى سفر يَاشَرَ (يشوع 13:10) أن مؤلف سفر يشوع اعتمد فى وضعه على كتب سابقة"[6724]. وقيل إن (يشوع 12:10) التى تبدأ بقوله "حِينَئِذٍ [...]" تُمثل مصدراً آخر (marks a different source)[6725].

فى المقابل، إنه لمِن المؤكد وجود اختلافات بين نسخ وترجمات سفر يشوع. فنحن لم نجد الإشارة إلى سفر يَاشَرَ فى الترجمة السبعينية (اليونانية)، ولم نجد الإشارة إلى قصة وقف الشمس (أو: حبسها) فى ما وُجِد مِن سفر يشوع ضمن مخطوطات البحر الميت. بل يُوجَد مَن يشكك فى غزو واحتلال كنعان بالطريقة التى صَوَّرها سفرُ يشوع، ومَن ينكر غزو كنعان تماماً، ومَن يرى أن يشوع نفسه ليس شخصاً تاريخياً وإنما بطل أسطورى (legendary hero)، ومَن يرى أنه ربما يكون شخصاً تاريخياً لكن تراكمت حوله القصص والأساطير التى أُضيفت إليه لاحقاً[6726]! وقال قاموس الكتاب المقدس إن كاتب سفر يشوع "مجهول"!

وفى الواقع، نحن لا يهمنا إن كان غزو كنعان (فتح بيت المقدس) حدثاً تاريخياً أم مجرد قصة أدبية، ولا يهمنا إن كان يشوع (يُوشَع) شخصاً حقيقياً أم مجرد أسطورة خيالية أم مزيج مِن الحقيقة والخيال، وإنما يهمنا أن هذه الرواية الكتابية الشهيرة (يشوع 10) قد تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن، وانتقلت إلى كثير مِن أمهات الكتب الإسلامية، فتسللت مثلاً كما وَضَّحنا إلى صحيح البخارى وصحيح مسلم وهما أصح كتابين بعد القرآن مِن وجهة نظر المسلمين السُّنَّة، ونجدها عادةً فى تفاسير (المائدة 26) وأيضاً فى كتب التاريخ الإسلامى مثل "تاريخ الرسل والملوك" للطبرى و "الكامل فى التاريخ" لابن الأثير[6727].

يقول د. حسن الباش تعليقاً على هذه الرواية: "فما هذه الأسطورة وهذه الخرافة؟ الشمس بحجمها وقوة حرارتها تتوقف عن المسير لمدة ساعة. ماذا حل بالكون بسبب هذا التوقف؟ ماذا حل بالأرض، بالكواكب، بالنجوم؟ هل ظلت على مسارها؟ ألم تصطدم بالشمس، ألم تصطدم مع بعضها، ماذا حل بالنبات بالإنسان بالحيوان بكل المخلوقات؟ إن تلك الرواية ما هى إلا مِن الأساطير المسروقة من أساطير الشعوب الأخرى. أراد كاتب التوراة (يقصد: سفر يشوع) ورواة الإسرائيليات أن يضخموا الأحداث ويضفوا عليها حساً أسطورياً معجزاً خارقاً لنواميس البشر"[6728].

ونحن نقول له ولغيره مِن الكتاب المسلمين الذين يشككون فى الكتاب المقدس وربما لا يدركون أنهم بذلك يشككون فى السُّنَّة الصحيحة، العمود الثانى الذى يرتكز عليه الإسلام. إن ما قاله صحيح البخارى وصحيح مسلم ومسند أحمد وغيرهم مُستعَار مما قاله سفر يشوع. فإذا كانت تلك الرواية مسروقة مِن أساطير الشعوب الأخرى، فإن صحيح البخارى وصحيح مسلم ومسند أحمد وغيرهم مِن الكتب الإسلامية يكون أيضاً مسروقاً مِن أساطير الشعوب الأخرى. أى حسب التطور البشرى الطبيعى: أساطير الشعوب الأخرى [←

سفر يشوع ← صحيح البخارى وصحيح مسلم ومسند أحمد وغيرهم مِن كتب التراث الإسلامى]. أو كما يقول المثل الشعبي: "لا تعايرني ولا أعايرك. الهَم (أو بالأحرى: التشكيك) طايلني وطايلك".

وبغض النظر عن كل ما أثير حول هذا الموضوع، فإننا نرى أن الآيات الكتابية، وكذلك الأحاديث النبوية الإسلامية التى ذكرت غزو كنعان (فتح بيت المقدس)، تُبرز استجابة الله لفكرة بشرية، أى استجابة السماء لاقتراح أرضى: "وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذلِكَ الْيَوْمِ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ سَمِعَ فِيهِ الرَّبُّ صَوْتَ إِنْسَانٍ" (يشوع 14:10) **[← "إنَّ الشمسَ لم تُحْبَس لبَشَرٍ إلا ليُوشَعَ" (أحمد 325/2)]**.

4.34.2 المفارقات والأخطاء التاريخية فى القرآن

كما قلنا سابقاً، يحتوى القرآن على العديد من المفارقات والأخطاء التاريخية. وسنتحدث الآن عن مفارقتين تاريخيتين فى القصة القرآنية التى بين أيدينا. تكفى هاتان المفارقتان كدليل على أن القرآن ليس كلام الله الخالق، وإنما كلام بشر مخلوق يصيبون أحياناً ويخطئون أحياناً أخرى.

4.34.2.1 قال موسى لقومه: اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ اللّهُ مُلُوكًا!

انفرد صاحب رواية سورة المائدة بادعاء أن موسى النبي قال لبني إسرائيل: "يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا" (المائدة 20)! لكن مستحيل أن يكون موسى قد قال لقومه "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا". وذلك لأن مرحلة الملوك (Kings) فى تاريخ بنى إسرائيل لم تبدأ إلا بعد خروجهم مِن مصر ودخولهم أرض كنعان واستقرارهم فيها، أى بعد وفاة موسى بمئات السنين!

إنها إذن مفارقة تاريخية كبيرة في القرآن!

كالعادة، لجأ شيوخ الإسلام إلى حيل لتبرير هذه المفارقة التاريخية. وكالعادة أيضاً، لم يتفقوا على حيلة واحدة، فجاءت حيلهم متعددة ومختلفة، لكن يمكن تلخيصها فى محاولة الترويج للمعنى المجازى، أى "جَعَلَكُمْ مثل الملوك"، سواء كان ذلك يعنى: جَعَلَكُمْ أحراراً أو جَعَلَكُمْ أعزة أو جَعَلَكُمْ مِن أصحاب الممتلكات أو أصحاب خدم وحَشَمٍ أو شيئاً آخر. واستدلوا على ذلك بأن القرآن يقول "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" ولم يقل "جَعَلَ فِيكُمْ مُلُوكًا". وسنذكر فيما يلى أمثلة من حيل وتبريرات المفسرين المسلمين لـ "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" (المائدة 20):

قيل إن "جَعَلَكُمْ مُلُوكاً" تعنى "جعلكم أحراراً تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه، الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب. أى: جعلكم تملكون المساكن وتستعملون الخدم، بعد أن كنتم لا تملكون شيئاً من ذلك وأنتم تحت سيطرة فرعون وقومه"[6729]!

أو كما جاء فى تاريخ الطبرى: "يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله"[6730].

وقيل إن "المَلِك" هو "مَن كانت له دار وزوجة وخادم"[6731]! واستدلوا على ذلك بحديث رواه مسلم يقول إن رجلاً سأل عبد الله بن عمرو بن العاص: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً. قال: فأنت من الملوك[6732]. أى أنهم استدلوا بأحد معانى كلمة "مَلِك" فى اللغة العربية فى القرن السابع الميلادى لتفسير كلمة يُفترَض أن موسى قالها باللغة المصرية القديمة أو العِبرية فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد!

وقيل إن بنى إسرائيل "جُعِلُوا ملوكاً بالمَنّ والسَّلْوَى والحَجَر، وهذا قول ابن عباس"[6733]!

ونحن بصراحة لم نقتنع بمثل هذه التبريرات الواهية والحجج الهزيلة. فلو كان المقصود هو المعنى المجازى، لكان القرآن قال "جَعَلَكُمْ كالملوك" أو "جَعَلَكُمْ أحراراً" أو "جَعَلَكُمْ أعزة" أو "جَعَلَكُمْ مِن أصحاب الممتلكات". أما استدلالهم بأن القرآن يقول "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" ولم يقل "جَعَلَ فِيكُمْ مُلُوكًا"، فهذا استدلال ضعيف جداً، لأنه مِن المعلوم أن كتاب القرآن العربي يحذف حرفَ الجر في آيات كثيرة. مثلاً:

- "وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ (أي: مِن قَوْمِه) سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا" (الأعراف 155).
- "كَفَرُوا رَبَّهُمْ" (هود 60، 68) يعني "كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ" (الأنعام 1) (الرعد 5) (إبراهيم 18) (الملك 6).
- "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ" (الأعلى 1) يعني "سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ" (الواقعة 74، 96) (الحاقة 52).
- "تَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا" (الأعراف 74) يعني "تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا" (الشعراء 149) "يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا" (الحجر 82).
- "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ" (الأنبياء 7) يعني "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ" (يوسف 109) (النحل 43).
- "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (النمل 90) يعني "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ" (يونس 52).
- "وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا (أي: مِنْ تَحْتِهَا) الْأَنْهَارُ" (التوبة 100).
- "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ (أي: مِن شياطين) الْإِنْسِ وَالْجِنِّ" (الأنعام 112).
- "وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا (أي: وَجَعَلْنَا مِنها[6734]) رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ" (الملك 5).
- "أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ (أي: فِي الْكِتَابِ)" (الأعراف 169)[6735].
- "وَاسْتَبَقَا الْبَابَ (أي: إلى البابِ)" (يوسف 25).
- "فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا (أي: إلى قَوْمِهَا؛ أو: فأقبلتْ بِهِ على قَوْمِهَا) تَحْمِلُهُ" (مريم 27).

وكذلك في اللغة العربية: "ضُرِبَ زَيْدٌ الظَّهْرَ والْبَطْنَ" أي: على الظَّهْرِ والْبَطْنِ؛ وقال الشاعر العربي: "اخْتَرْتُكَ الناسَ" أي: اخْتَرْتُكَ مِن الناسِ[6736]. وأيضاً "أتى القومَ" أي: انتسبَ إليهم وليس منهم[6737]. وفي نفس السياق، نذكر أن القرآن أحياناً يستخدم حرف جر بدلاً مِن حرف جر آخر، فيقول مثلاً "قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ [...]" (البقرة 136) بدلاً مِن "قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

[...]" (آل عمران 84). مثال آخر: "قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ" (الشعراء 71) و "عَلَيْهِ (أي: على العجل الذهبي) عَاكِفِينَ" (طه 91). وكذلك: "وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (أي: وألقاه على الجبين)" (الصافات 103). وكذلك: "وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ (أي: وَنَصَرْنَاهُ على الْقَوْمِ) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا" (الأنبياء 77). فَمِن كل هذه الأمثلة وغيرها يتضح مدى الحرية اللغوية التي كان يتمتع بها أصحابُ القرآن في حذف حروف الجر أو استبدالها.

إذن: "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" (المائدة 20) تعنى "جَعَلَ مِنكم مُلُوكًا" أو "جَعَلَ فِيكُمْ مُلُوكًا"[6738]، بالمعنى الحرفي وليس المجازي، وهى مفارقة تاريخية كما وضحنا. وهذا المعنى الحرفي جاء فى كثير مِن ترجمات معاني القرآن (made you kings)[6739]. وكان عبد الحليم أكثر تحديداً ووضوحاً فترجمها بكل وضوح إلى (appointed kings for you)[6740].

ومِن الجدير بالذِكر أن بعض المفسرين المسلمين الذين التزموا بهذا المعنى الحرفى قد وجدوا حلاً ذكياً لهذه الإشكالية، لكنهم – كالعادة – لجأوا إلى حيل أخرى، فقالوا إن "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" (المائدة 20) تعنى: جعل "فى نسلهم" الملوك[6741]. أى أنهم أضافوا كلمتين مِن عندهم حتى يجعلوا الآية القرآنية تتحدث عن المستقبل! وقال د. شوقى ضيف: "ويمكن أن يكون "وَجَعَلَكُمْ" ماضياً فى معنى الاستقبال، أى: ويجعلكم ملوكاً مثل داود وسليمان"[6742]. وقال د. صلاح الخالدى إن معنى "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" هو "جعلكم مُهَيَّئين للملك، وأعدَّكم ليكون فيكم ملوكٌ منكم، فى المراحل التالية من تاريخكم. وهذا ما حصل عندما دخلوا الأرض المقدسة، وأقاموا فيها مملكتهم، حيث كان فيهم ملوكٌ كداود وسليمان عليهما الصلاة والسلام"[6743].

ونحن نرى أن هذه الحيل الذكية مستوحاة مِن التوراة التى تقول إن الرَّب قال لموسى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ، وَتُخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. [...]» (الخروج 19:3-6). اقرأ أيضاً (التكوين 17:6) (التكوين 17:16) (التكوين 35:11). ونلاحظ أن هذه الآيات التوراتية تتحدث بالفعل عن المستقبل. أما الآية القرآنية المناظرة (المائدة 20) فتتحدث عن الماضى، بدليل أن موسى يقول لبنى إسرائيل: "اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ [...]" (المائدة 20).

إنها إذن مفارقة تاريخية – بل خطأ تاريخى – أن يضع صاحبُ (المائدة 20) عبارة "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" على لسان موسى.

ولتوضيح هذه المفارقة التاريخية، يجب أن نعطى نبذة قصيرة عن ملوك بنى إسرائيل ....

حسب التقليد، قام النبي "صموئيل" (Samuel) بمَسْح (أى: تعيين، تكريس) "شاول" (Saul) مَلِكاً في النصف الثاني من القرن الحادي عشر قبل الميلاد (حوالي 1050 أو 1030 ق.م). قال الربُّ لصموئيل: "غَدًا فِي مِثْلِ الآنَ أُرْسِلُ إِلَيْكَ رَجُلاً (هو شاول) [...]، فَامْسَحْهُ (anoint him) رَئِيسًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ،

فَيُخَلِّصَ شَعْبِي مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ (الترجمة الأكثر دقة: الفِلِسْطِيِّين[6744] Philistines)" (1 صموئيل 16:9). وبذلك، صار شاول هو أول ملك على بنى إسرائيل، وبدأ عصر "المملكة المتحدة" (United Kingdom).

بعد انتحار شاول ومقتل ثلاثة مِن أبنائه فى الحرب ضد الفِلِسْطِيِّين (1 صموئيل 31:1-7) ثم اغتيال ابنه الرابع (2 صموئيل 4)، صار الشاب "داود" (David) مَلِكاً (2 صموئيل 5:1-5) (حوالى 1010 أو 1000 ق.م) ثم جعل "أورشليم" (Jerusalem) عاصمة مملكته. استمرت المملكة المتحدة حتى نهاية مُلْك ابنه "سليمان" (Solomon) (حوالى 930 أو 922 ق.م)، أى أكثر مِن 100 سنة.

بعد سليمان، انقسمت المملكة إلى مملكتين (Divided Kingdom):

- المملكة الشمالية: مملكة إسرائيل (Kingdom of Israel) وعاصمتها "شكيم" (Shechem) (1 ملوك 1:12) ثم بعد ذلك "السامرة" (Samaria) (1 ملوك 24:16). استمرت مملكة الشمال حوالى 200 أو 210 سنة، ثم سقطت على يد الأشوريين (Assyrians) حوالى 722-721 ق.م.
- المملكة الجنوبية: مملكة يهوذا (Kingdom of Judah) وعاصمتها "أورشليم" (Jerusalem). استمرت مملكة الجنوب حوالى 340 سنة، ثم سقطت على يد البابليين (Babylonians) حوالى 587-586 ق.م[6745].

مما سبق يتضح أنه مِن المستحيل أن يكون موسى قد قال لقومه "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" (المائدة 20). وإنما هى عبارة وضعها أصحابُ القرآن على لسان موسى، مِن واقع معرفتهم البسيطة بملوك بنى إسرائيل:

- مِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن شاول، بدليل أنهم ذكروه فى قرآنهم، وإن أطلقوا عليه اسم "طالوت" (البقرة 246-249).
- ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن المملكة المتحدة، بدليل أنهم ذكروا داود وابنه سليمان: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ [...] وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ [...] يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ" (ص 17-26) "وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (فى المُلْك والنبوة)" (النمل 16).
- ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن المملكة المنقسمة. بدليل أنهم ذكروا "السَّامِرِيّ" (طه 85، 87، 95)، أى المنسوب إلى السامرة. وبدليل أنهم ذكروا "إيليا (إلياهو)" (Elijah) النبى الذى قاوم عبادة البعل فى عهد المَلِك "أَخْآبُ بْنُ عُمْرِي" (Ahab the son of Omri) ملك المملكة الشمالية (إسرائيل) (1 ملوك 16-17). وهذا النبى إيليا (إلياهو) اسمه فى القرآن "إلياس": "وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ. أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ (أى: تتركون) أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 123-126).

يبقى سؤال: كيف استطاع صاحبُ (المائدة 20) تأليف هذه الآية القرآنية؟

الإجابة: توجد عدة احتمالات نذكر منها على سبيل المثال:

الاحتمال الأول: يبدو أن صاحب (المائدة 20) قد سمع آية أو بضعة آيات مِن أسفار أنبياء إسرائيل (السامرة) و/أو أسفار أنبياء يهوذا (أورشليم)، فأعاد انتاج هذه الآيات ونسبها – عن عمد أو عن جهل – إلى موسى. فمن المحتمل مثلاً أن يكون قد سمع الآيات التالية مِن سفر "عاموس" (Amos) النبي الذي أرسله اللهُ مِن يهوذا إلى إسرائيل: "أَقْوَالُ عَامُوسَ [...] فِي أَيَّامِ عُزِّيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، وَفِي أَيَّامِ يَرُبْعَامَ بْنِ يُوآشَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ **[← "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" (المائدة 20)]**" (عاموس 1:1). "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: [...] وَأَنَا أَصْعَدْتُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَسِرْتُ بِكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً لِتَرِثُوا أَرْضَ الأَمُورِيِّ (أي: أرضَ كنعان) **[← "اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ" (المائدة 20)]**. وَأَقَمْتُ مِنْ بَنِيكُمْ أَنْبِيَاءَ **[← "جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ" (المائدة 20)]**، وَمِنْ فِتْيَانِكُمْ نَذِيرِينَ. أَلَيْسَ هكَذَا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟" (عاموس 2:6-11). "اِسْمَعُوا هذَا الْقَوْلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، عَلَى كُلِّ الْقَبِيلَةِ الَّتِي أَصْعَدْتُهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ قَائِلاً: «إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ (chosen, singled out) مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ **[← "آتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 20)]**" (عاموس 1:3-2). فلَمَّا سمع صاحبُ (المائدة 20) هذه الجمل ونسبها إلى موسى، صارت: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 20).

الاحتمال الثاني: ربما سمع صاحبُ (المائدة 20) آيةً مِن توراةٍ (مُحرَّفةٍ؟) تذكر ملوك بني إسرائيل. على سبيل المثال، التوراة الحالية التي بين أيدينا الآن تقول في سفر التكوين: "وَهؤُلاَءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا فِي أَرْضِ أَدُومَ، قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ" (التكوين 31:36). وهنا نجد إشارة إلى ملوك بني إسرائيل في سفر التكوين الذي يُفترَض أن موسى كتبه في القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد قبل مرحلة الملوك (Kings) بمئات السنين! مما جعل بعض المراجع تقول إنها تعديل أدخله محرر التوراة في وقتٍ لاحق (a later editorial updating)[6746] أو ما يُسميه المسلمون "تحريف". ويقال إن سبينوزا (Spinoza) استدل بهذه الآية على أن موسى ليس هو كاتب كل التوراة[6747]. وطبعاً يوجد في التيار اليهودي/المسيحي التقليدي مَن ينكرون وجود أي تحريف[6748]. أما نحن، فكما نقول دائماً: نحن لا يهمنا إنْ كانت التوراة الحالية مُحرَّفة أم غير مُحرَّفة. المهم أنها تسبق القرآن. فحتى لو كانت مُحرَّفة، بما أن هذا التحريف يسبق القرآن، إذن: نحن نقبله كمصدر من مصادر القرآن. أو بعبارة أكثر دقة: كمصدر من مصادر الثقافة الدينية/الشعبية السائدة في الشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي والتي أدت إلى ظهور القرآن بكل ما فيه مِن أخطاء ومفارقات تاريخية. وفي الآية القرآنية (المائدة 20) التي نحن بصددها، مِن المحتمل أن صاحبها سمع هذه الآية التوراتية (التكوين 31:36) أو آية أخرى تشبهها، فظن أنها من "توراة موسى

الأصلية" وأنه كان هناك ملوك على بني إسرائيل أيام موسى، فزعم أن موسى قال لقومه "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" (المائدة 20).

الاحتمال الثالث: من المعلوم أن العهد القديم العبري (التناخ) (TANAKH; Hebrew Bible) ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: نَامُوس مُوسَى (Torah) وَالأَنْبِيَاء (Nevi'im) والكتابات الأخرى (Kethuvim) وعلى رأسها المزامير التي كَتَبَ داودُ جزءاً كبيراً منها. هكذا قال السيد يسوع المسيح: "لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ" (لوقا 24:44). وهكذا قال الفيلسوف اليهودي الشهير "فيلو" السكندري (Philo of Alexandria) المعاصر ليسوع المسيح (20 ق.م - 45م)[6749]. وهكذا قال قبلهما سفرُ "يشوع بن سيراخ" (Sirach) (Wisdom of Sirach) وهو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد: "أُعطيَ شعبُنا كَنزًا عظيمًا يتَمثَّلُ بالشريعةِ وكُتُبِ الأنبياءِ والكِتاباتِ المُتأَخّرةِ. [...] الشريعةِ وَالأَنْبِيَاءِ وبَقيّةِ كِتاباتِ أسلافِنا [...] الشريعةِ وَالأَنْبِيَاءِ وبَقيّةِ الكِتاباتِ" (يشوع بن سيراخ مقدمة:1-25)[6750]. لكن في المقابل، وجدنا أن بعض كتب التراث اليهودي/المسيحي تتحدث بطرق أخرى عن العهد القديم كله أو معظمه. فمثلاً سفر المكابيين الثاني (2 Maccabees) وهو أيضاً أحد الأسفار القانونية الثانية / أبوكريفا العهد القديم ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد – أي قبل الإسلام بأكثر من 700 سنة – قال: "الأَسْفارَ المُختَصَّةَ بِالمُلوكِ والأَنْبِياءِ وداوُد (أي: المزامير)" (2 مكابيين 13:2). وسواء كان صاحب (2 مكابيين 13:2) يقصد أن يضع "الأَسْفارَ المُختَصَّةَ بِالمُلوكِ" بدلاً من أسفار موسى أو أنه كان يقصد شيئاً آخر (سفري صموئيل وسفري الملوك مثلاً)، فإنه من المحتمل أن صاحب (المائدة 20) سمع هذه الآية (2 مكابيين 13:2) أو آية أخرى تشبهها، فظن أن موسى تحدث عن أَخْبَار الْمُلُوكِ، ومن ثم زعم أن موسى قال لقومه "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" (المائدة 20).

الاحتمال الرابع: قد تكون "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" (المائدة 20) ليست كما يزعم القرآن جملةً قالها موسى النبي إلى بني إسرائيل في القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد قبل مرحلة الملوك (Kings) بمئات السنين، وإنما هي جملة قالها محمدٌ (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) إلى اليهود العرب في القرن السابع الميلادي بعد مرحلة الملوك بمئات السنين: "اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ". والدليل على ذلك أن الآية السابقة لها (المائدة 19) تتحدث عن محمد وتوجّه الخطابَ إلى أهل الكتاب المعاصرين لمحمد: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا (أي: محمدٌ) يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ (أي: بعد مُدَّة من الزمن بلا رسل بين عيسى ومحمد) [...]" (المائدة 19). إذن: أراد صاحب (المائدة 20) – سواء كان محمدٌ أو غيره من أصحاب القرآن – أن يستكمل حديثه إلى اليهود المعاصرين له، لكنه وضع الكلام على لسان نبيهم وزعيمهم موسى عن عمد وليس عن جهل: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى

لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ [...]" (المائدة 20). وذلك إمعاناً في تقريع اليهود، وكأن رائدهم وكبيرهم موسى الذي يوقرونه ويؤمنون به هو الذي يلومهم.

وفي جميع الأحوال، نقول بكل ثقة ويقين إن (المائدة 20) كلام بشر مخلوق (محمد أو غيره من أصحاب القرآن)، ولا يمكن أبداً أن تكون كلام الله الخالق.

4.34.2.2 قَالَ موسى: فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ!

انفرد صاحبُ (طه 80-98) بادعاء أن "السامرى" هو الذى صنع العجل الذهبى! وذكر كلمة "سامرى" ثلاث مرات فى روايته:

- المرة الأولى: وضع كلمة "سامرى" على لسان الله! "قَالَ (اللهُ لموسى) فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ" (طه 85).
- المرة الثانية: وضع كلمة "سامرى" على لسان بنى إسرائيل. "قَالُوا (لموسى) مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا (أى: بإرادتنا) وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ" (طه 87).
- المرة الثالثة: وضع كلمة "سامرى" على لسان موسى. "قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ" (طه 95).

إنها أيضاً مفارقة تاريخية – بل خطأ تاريخى. وذلك لأن المملكة الشمالية بدأت فى القرن العاشر قبل الميلاد؛ وعاصمتها مدينة "السامرة" (Samaria) أنشئت فى القرن التاسع قبل الميلاد، أى بعد وفاة موسى بمئات السنين. فلا يمكن أن يكون موسى قد نطق كلمة "سامرى"، ولا يمكن أن يكون بنو إسرائيل المعاصرون لموسى قد نطقوا كلمة "السامرى"، ولا يمكن أن يكون الله قد قال لموسى كلمة "السامرى".

كالعادة، لجأ شيوخ الإسلام إلى حيل لتبرير هذه المفارقة التاريخية. وكالعادة أيضاً، لم يتفقوا على حيلة واحدة، وإنما جاءت حيلهم مختلفة ومتضاربة. نذكر منها ما يلى على سبيل المثال:

قال ابن الجوزى: "واختلفوا فى اسم السامرى على قولين. أحدهما: موسى أيضاً، قاله وهب بن مُنَبِّه، وقال: كان ابن عم موسى بن عمران. والثانى: ميخا، قاله ابن السائب. وهل كان مِن بنى إسرائيل، أم لا؟ فيه قولان. أحدهما: لم يكن منهم، قاله ابن عباس. والثانى: كان من عظمائهم، وكان من قبيلة تسمى "سامرة"، قاله قتادة. وفى بلده قولان. أحدهما: كرمان، قاله سعيد بن جبير. والثانى: باجرما، قاله وهب"[(6751)]! أى أن المسلمين اختلفوا فى اسم السامرى وفى قومه وفى بلده! ولسه مصدقين حكاية "السامرى"؟!

وقال أحد شيوخ الإسلام المعاصرين إن "السامرى" (طه 85، 87) ليس اسم شخص، وإنما "لقب للذم" يعنى "المضل". وهكذا زعموا أن "يا سامرى" (طه 95) تعنى "يا مضل". واستدلوا على ذلك بقول اليهود للمسيح: "أَلَسْنَا نَقُولُ حَسَنًا: إِنَّكَ سَامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْطَانٌ؟" (يوحنا 8:48)[(6752)]!

تعليقنا: كنا نتمنى أن يستدل شيوخ الإسلام بآية مِن التوراة (أو بأى كتاب يهودى أو تاريخى آخر) تثبت أن اليهود المعاصرين لموسى استخدموا كلمة "سامرى" بمعنى "مضل". لكن هؤلاء الشيوخ المسلمين لمَّا لم يجدوا آية توراتية تؤيد زعمهم، لجأوا إلى الإنجيل ليثبتوا أن اليهود المعاصرين للمسيح استخدموا كلمة "سامرى" بمعنى "مضل"! فصاروا بذلك كمَن ضاع خاتمه فى الشارع، فذهب ليبحث عنه فى المنزل! استخدام اليهود المعاصرين للمسيح كلمة "سامرى" بمعنى "مضل" لا يعني بالضرورة أن اليهود المعاصرين لموسى استخدموا كلمة "سامرى" بنفس المعنى. إذن: استدلالهم فى غير محله، بل لا علاقة له بموضوعنا. ويبدو لنا أن شيوخ الإسلام قد استوحوا هذه الحيلة مِن إحدى قراءات "وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ" (طه 85)، إذ أنها قُرئت "وَأَضَلُّهُمُ السَّامِرِيُّ"، أى: وهو أشدهم ضلالاً[6753].

وقال الدكتور محمد بكر إسماعيل إن "السامرى معناه اليهودى، ولم يعرف أحد اسمه ولا نسبته على وجه التحديد، وقيل اسمه موسى"[6754]! تعليقنا: يعنى شخص مجهول ظهر كده فجأة؟!

وقالت موسوعة بيان الإسلام إن السامرى "هو رجل من السَّامِرة كان يرافقهم أو واحد منهم [...] السَّامِرة: قوم يشتركون مع اليهود فى بعض العقائد، ويخالفونهم فى بعضها"[6755]. تعليقنا: هل يوجد أى دليل تاريخى يثبت أنه أيام موسى كان يوجد قوم اسمهم "السَّامِرة"؟! وما هى تلك العقائد التى يشتركون فيها مع اليهود وتلك التى يخالفونهم فيها؟! واحنا عايزين إجابات مُؤيَّدة بأدلة تاريخية، مش أى كلام وخلاص.

وذَكَرَ الزمخشرى بعض الآراء السابقة، ثم أضاف رأياً آخر: "وقيل: كان (السامرى) من أهل باجرما، وقيل: كان علجاً من كرمان، واسمه: موسى بن ظفر، وكان منافقاً قد أظهر الإسلام (يقصد: الإيمان)، وكان من قوم يعبدون البقر"[6756]! ولا ندرى مِن أين يأتى هؤلاء المفسرون بهذا الكلام الغريب!

وكالعادة نجد فى المراجع الإسلامية الرأىَ وعكسه. قال الشيخ أبو بكر الجزائرى إن "السامرى هو موسى بن ظفر من قبيلة سامرة الإسرائيلية"، وذَكَرَ فى نفس الصفحة رأياً آخر يقول: "وبما أن السامرى كان فى مصر جائز أن يكون من قرية بمصر تسمى سامرة، والمراد من هذا أن السامرى لم يكن من بنى إسرائيل أصلاً"[6757]! تعليقنا: يعنى قيل: مِن قبيلة إسرائيلية؛ وقيل: لم يكن من بنى إسرائيل أصلاً! وهل يوجد أى دليل تاريخى يثبت أنه أيام موسى كانت توجد قبيلة إسرائيلية أو قرية مصرية اسمها "سامرة" أو "السامرة"؟!

أما الدكتور سهيل زكار فلجأ إلى فرضية أكثر غرابة تفترض "أن السامرى كان من الشعب السومرى"[6758]، أى من بلاد الرافدين (Mesopotamia)! ولم نكن نريد أن نُعلِّق على هذه الفرضية العجيبة، فنحن لا نُعلِّق إلا على ما يستحق التعليق، لكننا وَجدنا أنها تسللت – بقصد أو بدون قصد – إلى الترجمة الفرنسية لمعانى القرآن الصادرة من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية التى ترجمت كلمة "السامرى" إلى (le Sumérien)، مع أن التفسير العربى يقول "السامرى" وليس "السومرى"! ونرجو من وزارة الأوقاف المصرية تصحيح هذا الخطأ فى الترجمة الذى تكرر ثلاث

مرات[6759]. والترجمة الصحيحة هى (le Samaritain)، أو اكتبوه كما لو كان اسم عَلَم (le Samiri) بدون ترجمة.

ويبدو لنا أن بعض المفسرين ورواة الأحاديث حاولوا أن يُوفِّقوا بين القصة التوراتية (بدون السامرى) والقصة القرآنية (التى بها السامرى). فلجأوا إلى حيل. وكالعادة، لا يتفقون على حيلة واحدة، فجاءت حيلهم مختلفة ومتضاربة. نذكر منها على سبيل المثال ما يلى:

الحيلة الأولى حيلة بسيطة وشهيرة يلجأ إليها المفسرون كثيراً فى مثل هذه المواقف الصعبة، وهى حيلة: تكرار الاسم. قالوا إن الرجل الذى صنع العِجْل هو "هارون السامرى"[6760]. أى أنه هارون (كما جاء فى التوراة) لكنه ليس هارون أخو موسى، وإنما هارون آخر يُقال له "السامرى" (كما جاء فى القرآن)!

الحيلة الثانية موجودة فى تاريخ الطبرى وتزعم أن هارون قال لبنى إسرائيل: "إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حُلِيّ القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعاً فاحفروا لها حفرة فادفنوها فيها، فإن جاء موسى فأحلَّها أخذتموها". فجمع بنو إسرائيل ذلك الحُلِى فى تلك الحفرة. ثم جاء السامرى بـ "قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ" (طه 96)، فقذفها، فأخرج الله مِن الحُلِيّ "عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ"، "وكان يخور ويمشى"[6761]! أى أن هارون جَمَع الحُلِيَّ مِن بنى إسرائيل (كما جاء فى التوراة)، لكن السامرى هو الذى ألقى "القَبضة" على هذا الحُلِيّ، فخرج العجل، ثم حرَّض السامرىُّ بنى إسرائيل على عبادة العجل (كما جاء فى القرآن). وإنه لمِن المضحك أن بقية هذه الرواية تقول إن موسى سأل الله: "يا رب هذا السامرى أمرهم أن يتخذوا العجل (إلهاً معبوداً)، أرأيت الروحَ مَن نفخها فيه؟". قال الربُّ: "أنا". قال موسى: "رَب أنت إذاً أضللتهم"! ومع أن هذه الرواية غير موجودة صراحةً فى القرآن، إلا أنها تعتمد على قول الله لموسى: "فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ" (طه 85) حيث أُسنِدَت الفتنةُ إلى الله بينما أُسنِدَ الإضلالُ إلى السامرى، وتعتمد أكثر على قول موسى لله: "إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ" (الأعراف 155) حيث أُسنِدَ الفتنةُ والإضلالُ إلى الله! إذن: القرآن هو - كالعادة – الأساس الذي بنى عليه المفسرون أقوالهم.

الحيلة الثالثة كانت أكثر تعقيداً وأكثر ذكاءً، بل فى منتهى الذكاء، وهى مذكورة فى حديث يُعرَف باسم "حديث الفتون"[6762]. يقول هذا الحديث إن هارون (أخو موسى) أخذ الحُلِيّ مِن بنى إسرائيل ووضعه فى حفرة وأوقد عليه النار فأحرقه، كما جاء فى (الخروج 32:24). ثم مر به رجلٌ يُقال له "السامرىُّ"، وكان مع السامرى "قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ (الذى جاوزَ ببنى إسرائيل البحرَ)" (طه 96). فقال هارونُ للسامرى: "يا سامرىُّ. ألا تلقى ما فى يدك؟". فوافق السامرىُّ أن يلقى القبضة فى الحفرة، بشرط أن يدعو هارونُ له أنه إذا ألقاها يكون ما يريد. لكن السامرى لم يُخبر هارونَ ماذا يريد. فلمَّا ألقاها السامرىُّ، ودعا هارونُ له، قال السامرىُّ: "أريد أن تكون عِجلاً"، فصار عجلاً! يعنى باختصار: جعلوا هارون يشترك فى صناعة العجل (كما جاء فى التوراة) وبصورة أكثر من الحيلة الثانية. لكن فى نفس الوقت جعلوا هارون بريئاً، لأنه لم يكن يعلم نوايا السامرى. المسئولية تقع على السامرى (كما جاء فى القرآن). السامرىُّ خدع هارونَ!

كالعادة، اختلف المسلمون فى صحة ما جاء فى حديث الفتون، ربما لأنه حديث طويل جداً وبه كثير مِن التفاصيل. قال ابن كثير: "والأشبه – والله أعلم – أنه موقوفٌ، وكونه مرفوعاً فيه نظر. وغالبه متلقى من الإسرائيليات، وفيه شىءٌ يسيرٌ مُصَرَّحٌ برفعه فى أثناء الكلام. وفى بعض ما فيه نَظَرٌ ونَكارَةٌ، والأغلب أنه مِن كلام كعب الأحبار، وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المِزّى يقول ذلك"، وكالعادة خَتم كلامَه بالعبارة الإسلامية الشهيرة "والله أعلم"(6763).

تعليقنا: نحن لا نتعامل مع حديث الفتون باعتباره حديثاً صحيحاً عن محمد، وإنما باعتباره حيلة قديمة اخترعها رواة الأحاديث لتبرير القرآن بأى طريقة مهما كانت ملتوية. ونحن نقول لأصحاب القرآن ورواة الأحاديث والمفسرين وشيوخ الإسلام: حيلكم الواهية لم تعد تنفع، وإنما تدل على الحيرة والتيه الذى تتخبطون فيه، وتجعلنا نشك فى قصة عبادة العِجل الذهبى الذى صنعه "السامرى" كما يزعم القرآنُ.

وما زالت أسئلتنا تبحث عن إجابات. وأهمها سؤالان:

السؤال الأول سؤال تاريخى: هل يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن قصة هذا العِجل قصة حقيقية وأن اليهود المعاصرين لموسى (فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) عرفوا كلمة "سامرى"؟

السؤال الثانى سؤال أدبى: ما الذى جعل أصحابُ القرآن يضعون هذا "السامرى" فى قصة العِجْل الذهبى بالذات، ولم يذكروه إطلاقاً فى أية قصة أخرى، ولا حتى فى أى جزء آخر من قصة الخروج؟

حاول الشيخ عبد الوهاب النجار أن يعطينا دليلاً كتابياً –وليس تاريخياً– يجيب به على السؤال الأول، فقال إن "السامرى ليس منسوباً إلى "سامرة" بل إلى "شامر" بالشين فى اللغة العبرية. ويغلب أن تكون "الشين" فى العبرية "سينا" فى العربية فهو سامر [...]. ومعنى شامر أو سامر [...] "حارس"؛ فالسامرى نسبة إلى سامر، ونطقها فى العبرية "شومير" من مادة: شمر؛ أى حرس". واستدل الشيخُ أيضاً بقول قايين (قابيل) "هشومير أحى أنوخى؟" وترجمتها "أحارس أنا لأخى؟" (التكوين 9:4)(6764).

تعليقنا: لو كانت كلمة "السامرى" تعنى "الحارس"، فهذا يعنى أن هارون هو الذى صنع العِجل. وذلك لأن موسى استخلف هارون: "وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ" (الأعراف 142). إذن: لم يكن هناك "حارس" أو "مراقب" على بنى إسرائيل سوى هارون، فيكون إذن هارون هو الحارس (= السامرى) الذى صنع العِجل الذى عبده بنو إسرائيل. فهل سيقبل المسلمون ذلك؟!

على أى حال، إن ما قاله الشيخ عبد الوهاب النجار ليس إجابة للسؤال الأول، وإنما هو فى أحسن الأحوال مجرد شرح للأصل اللغوى لاسم "السامرة" (المدينة أو المملكة). وذلك لأن السامرة اسم عبرانى معناه "مركز الحارس"، وقد بُنيت مدينة السامرة أو أصلح بناؤها أيام "عُمْرى" (Omri) ملك إسرائيل (فى القرن التاسع قبل الميلاد) على تل اشتراه مِن شخص اسمه "شَامِر" (Shemer) الذى يعنى "مراقب" أو

"حارس"[6765]. "وَاشْتَرَى (عُمْرِى) جَبَلَ السَّامِرَةِ مِنْ شَامِرَ بِوَزْنَتَيْنِ مِنَ الْفِضَّةِ، وَبَنَى عَلَى الْجَبَلِ. وَدَعَا اسْمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي بَنَاهَا بِاسْمِ شَامِرَ صَاحِبِ الْجَبَلِ «السَّامِرَةَ»" (1 ملوك 24:16).

ثم إن التوراة – التى يستدل بها الشيخُ عبد الوهاب النجار – لا تزعم أن بنى إسرائيل المعاصرين لموسى (فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) كانوا يتحدثون اللغة العبرية. ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن بنى إسرائيل المعاصرين لموسى كانوا يتحدثون اللغة العبرية. وعندما بحثنا فى هذا الأمر، وجدنا أن أقدم نَص عبرى عثر عليه العلماء هو "تقويم جازر" (Gezer Calendar) الذى يرجع تاريخه إلى النصف الثانى من القرن العاشر قبل الميلاد (حوالى 925 ق.م)[6766]، أى **بعد** موسى بأكثر مِن 250 سنة**!** والقرن العاشر قبل الميلاد هو أيضاً التاريخ الراجح لترنيمة (الخروج 15:1-21) التى تُعتبَر مِن أقدم مقاطع التوراة[6767]. ومِن ثم، فإن سؤالنا الأول ما زال يبحث عن إجابة: هل يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن قصة عبادة العِجل الذهبى الذى صنعه "السامرى" قصة حقيقية وأن بنى إسرائيل المعاصرين لموسى (فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) عرفوا كلمة "سامرى"؟

حاولت حاشية ترجمة "عبد الله يوسف علي" لمعاني القرآن أن تبحث عن جذور مصرية قديمة لكلمة "سامرى"، فقالت إن جذور كلمة "سامرى" لها أصل مصرى قديم، وهو (Shemer) يعنى: غريب (stranger) أو أجنبى (foreigner). واستدلت على ذلك بكتاب (Egyptian Hieroglyphic Dictionary) للعالم الإنجليزى (E. A. W. Budge)[6768]. ونحن نرى أن هذا احتمال بعيد جداً. ولم تقل التوراة إن الله كان يخاطب موسى باللغة المصرية القديمة، ولا القرآن قال ذلك. ويبدو لنا أن صاحب هذا الرأي نفسه غير متأكد مِن هذا الاحتمال، بدليل أنه فى الصفحة التالية قال: إذا لم يُقبَل هذا الأصل المصرى (If the Egyptian origin of the root is not accepted)، فإن لدينا الأصل العبرى (Shomer) الذى يعنى حارس أو مراقب (guard, watchman, sentinel). إذن: هو نفسه غير متأكد مما يقول. وفى جميع الأحوال، فإن هذا الرأي هو مجرد اجتهاد فى معنى كلمة "سامرى" وليس دليلاً تاريخياً يثبت أن قصة عبادة العِجل الذهبى الذى صنعه "السامرى" قصة حقيقية وأن بنى إسرائيل المعاصرين لموسى عرفوا كلمة "سامرى". نريد مخطوطة أو نقشاً أو لوحة جدارية أو أى دليل مادى آخر يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد يثبت ما يزعمه القرآن.

ننتقل إلى السؤال الثانى: ما الذى جعل أصحابُ القرآن يضعون هذا "السامرى" بالذات فى قصة العِجْل الذهبى بالذات، ولم يذكروه إطلاقاً فى أية قصة أخرى، ولا حتى فى أى جزء آخر من قصة الخروج؟

للإجابة على هذا السؤال، يجب أن نتوقف قليلاً عند قصة أخرى مشابهة فى (1 ملوك 12). تتحدث هذه القصة عن "عِجْلَى ذهب" (two golden calves) أقامهما "يَرُبْعَام الأول" (Jeroboam I) أول ملوك مملكة إسرائيل (فى الشمال)، وذلك فى سياق صراعه مع "رَحُبْعَام" (Rehoboam) أول ملوك مملكة يهوذا (فى الجنوب). واللافت للانتباه هو أن هذه القصة (1 ملوك 12:25-33) قد استخدمت تقريباً نفس

الأفكار والألفاظ التى استخدمتها قصة العجل الذهبى (الخروج 32) (التثنية 9:7-21)[6769]. ولا يهمنا أى القصتين (الخروج 32) أو (1 ملوك 12) قد كُتِبَت أولاً[6770]، فَمِن المؤكد أن كلتاهما تسبق الإسلام. والنتيجة إذن هى: صاحب (طه 80-98) قد جَمَعَ أو خَلَطَ (conflate) بين القصتين. أى أدمج القصتين الكتابيتين (الخروج 32) (التثنية 9:7-21) و (1 ملوك 12:25-33) فى قصة قرآنية واحدة هى (طه 80-98).

يقول الكتاب المقدس فى **(1 ملوك 12):** {26} وَقَالَ يَرُبْعَامُ **[← "السَّامِرِيّ" (طه 85، 87، 95)]** فِي قَلْبِهِ: «[...]. {27} إِنْ صَعِدَ هذَا الشَّعْبُ (أى: شعب مملكة الشمال) لِيُقَرِّبُوا ذَبَائِحَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ (فى الجنوب)، يَرْجِعْ قَلْبُ هذَا الشَّعْبِ إِلَى سَيِّدِهِمْ، إِلَى رَحُبْعَامَ مَلِكِ يَهُوذَا وَيَقْتُلُونِي، وَيَرْجِعُوا إِلَى رَحُبْعَامَ مَلِكِ يَهُوذَا». {28} فَاسْتَشَارَ الْمَلِكُ وَعَمِلَ عِجْلَيْ ذَهَبٍ **[← "فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا" (طه 88)]**، وَقَالَ لَهُمْ: «كَثِيرٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ **[← "هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى" (طه 88)]** الَّذِينَ أَصْعَدُوكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ **[← "فَنَسِيَ" (طه 88) (أى: نَسِيَ بنو إسرائيل الإلهَ الحقيقى الذى حررهم مِن العبودية فى مصر)]**». {29} وَوَضَعَ وَاحِدًا فِي بَيْتِ إِيلَ (Beth-El)، وَجَعَلَ الآخَرَ فِي دَانَ (Dan). {30} وَكَانَ هذَا الأَمْرُ خَطِيَّةً **[← "قَالَ (اللهُ لموسى) فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ" (طه 85)]**.

ومِن الجدير بالذِكر أن الكتاب المقدس قد أشار لجريمة يَرُبْعَام وهاجمها وأدانها فى مواضع أخرى، مثل: (2 ملوك 10:29) (2 ملوك 17:16). ولعل أوضحها وأبرزها هو ما قاله النبى هوشع (Hosea) (Osée) الذى عاصر سقوط السامرة فى القرن الثامن قبل الميلاد.

(هوشع 8): {5} قَدْ زَنِخَ (أى: فسد) عِجْلُكِ يَا سَامِرَةُ. حَمِيَ غَضَبِي عَلَيْهِمْ. إِلَى مَتَى لاَ يَسْتَطِيعُونَ النَّقَاوَةَ! {6} إِنَّهُ هُوَ أَيْضًا مِنْ إِسْرَائِيلَ. صَنَعَهُ الصَّانِعُ **[← "السَّامِرِيّ" (طه 85، 87، 95)]** وَلَيْسَ هُوَ إِلهًا **[← "إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" (طه 98) "أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" (الأعراف 140) "إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ" (طه 90)]**. إِنَّ عِجْلَ السَّامِرَةِ يَصِيرُ كِسَرًا **[← قال موسى للسامرى: "انْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ (أى: العِجْل) الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا" (طه 98)]**. اقرأ أيضاً: (هوشع 10:5) و (هوشع 13:2).

ومِن الجدير بالذِكر أن سفر هوشع قد ذكر قصة خروج بنى إسرائيل من مصر: "وَبِنَبِيٍّ (هو موسى) أَصْعَدَ الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ" (هوشع 12:13)؛ وهى آية معروفة ومشهورة لأنها واحدة من الآيات القليلة فى العهد القديم التى تصف موسى صراحةً بكلمة "نبى" (prophet)[6771]. ومِن الجدير بالذِكر أيضاً أن "يشوع بن نون" (فتى موسى) كان أصلاً اسمه "هُوشَع" (Hosea). "وَدَعَا مُوسَى هُوشَعَ بْنَ نُونَ «يَشُوعَ»" (العدد 13:16)، ولذلك فإنه يُعرَف فى التراث الإسلامى باسم "يُوشَع". إذن: لدينا اثنان "هُوشَع":

- هُوشَع الأول هو هُوشَع (يُوشَع) بْنَ نُونَ الذى عاصر عبادة العجل الذهبى فى سيناء فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد. وسفره "سفر يشوع" هو أول سفر من أسفار "الأنبياء" (Nevi'im; Prophets) فى العهد القديم العبري (TANAKH; Hebrew Bible).
- هُوشَع الثانى هو هُوشَع النبى الذى عاصر عبادة العجل الذهبى فى السامرة فى القرن الثامن قبل الميلاد. وسفره "سفر هوشع" هو أول سفر مِن أسفار "الأنبياء الصغار الاثنى عشر" (Twelve Minor Prophets)[6772].

وقد يكون هذا هو أحد الأسباب التى جعلت صاحب (طه 80-98) يخلط بين القصتين: قصة عِجل سيناء التى عاصرها هُوشَع الأول، وقصة عِجل السامرة التى عاصرها هُوشَع الثانى.

وربما توجد أسباب أخرى. ربما يكون صاحب (طه 80-98) قد سمع الآيات الكتابية المتعلقة بالنبى إيليا (إِلْيَاس) التى تذكر اسم "السَّامِرَة" (1 ملوك 32:16) وتذكر بعده اسم "يَشُوع بْنِ نُونٍ" (فتى موسى) (1 ملوك 34:16)، فظن أن السَّامِرَة كانت موجودة أيام موسى وفتاه، أو أن إيليا كان معاصراً لموسى وفتاه. وطبعاً هذا فَهْم خاطئ، والصواب هو أن إيليا (إِلْيَاس) جاء بعد وفاة موسى بمئات السنين. وقد يكون هذا الفَهْم الخاطئ سبباً آخر مِن الأسباب التى جعلت صاحب (طه 80-98) يخلط بين القصتين (قصة عِجل سيناء، وقصة عِجل السامرة).

ويظل طبعاً السبب الرئيسى فى هذا الخلط القرآنى بين القصتين الكتابيتين هو التشابه الشديد بين قصة العِجل الذى صنعه هارون **[← "السَّامِرِيّ"]** وقصة العِجل الذى صنعه يَرُبْعَامُ **[← "السَّامِرِيّ"]**.

كل ذلك يؤكد أن صاحب (طه 80-98) قد سمع قصة عِجل يَرُبْعَامُ (عِجل السامرة)، فكان هو الوحيد الذى وضع "السامرى" فى روايته (طه 85-98). وليس بالضرورة أن يكون قد سمع القصةَ كلها. يكفيه أن يكون قد سمع عن العداء الشديد والكراهية بين اليهود المتدينين (الكهنة اللاويين بالذات) والسامريين فى القرون الأولى للميلاد[6773].

وبما أن اليهود كانوا يعتبرون السامريين نجسين (unclean)[6774]، نستطيع أن نفهم لماذا كانت عقوبة هذا "السامرى" فى القرآن هى نفس عقوبة الأبرص النَجِس المنصوص عليها فى سفر اللاويين: "وَالأَبْرَصُ الَّذِي فِيهِ الضَّرْبَةُ [...] يُنَادِي: نَجِسٌ، نَجِسٌ **[← "تَقُولَ لَا مِسَاسَ (أى: تقول لا أَمسُّ ولا أُمَسُّ؛ فتعيش مطروداً منعزلاً منبوذاً؛ لا تقترب مِن أحد ولا يقترب منك أحدٌ)" (طه 97)]**. كُلَّ الأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ الضَّرْبَةُ فِيهِ يَكُونُ نَجِسًا. إِنَّهُ نَجِسٌ. يُقِيمُ وَحْدَهُ. خَارِجَ الْمَحَلَّةِ يَكُونُ مُقَامُهُ" (اللاويين 13:45-46). قال سيد قطب تعليقاً على "تَقُولَ لَا مِسَاسَ" (طه 97): "اذهب مطروداً لا يمسَّك أحدٌ لا بسوء ولا بخير ولا تمسّ أحداً - وكانت هذه إحدى العقوبات فى ديانة موسى. عقوبة العزل، وإعلان دَنَس المُدنَّس، فلا يَقْرَبه أحد ولا يَقْرَب أحداً"[6775].

وكما قلنا: يبدو لنا أن صاحب (طه 80-98) كان مِن الكهنة اليهود أو على الأقل قريباً مِنهم، ولذلك حرص على تبرئة الكاهن هارون مِن تهمة صناعة العجل وألصق هذه التهمة بهذا "السامرى" المكروه ثم عاقبه بنفس عقوبة الأبرص النَجِس المنصوص عليها فى سفر اللاويين. نستطيع إذن أن نقول إن (طه 80-98) هى مِن الإسرائيليات الموجودة فى القرآن. وكما نقول دائماً: الإسرائيليات ليست فى كتب التفاسير والأحاديث فقط، وإنما أيضاً فى القرآن نفسه.

الخلاصة: إنها ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التى يدمج فيها أصحابُ القرآن قصتين فى قصة واحدة. وسواء كان أصحاب القرآن قد فعلوا ذلك عن عمد أو عن جهل، النتائج فى كلتا الحالتين واحدة:

- انتزع أصحاب القرآن قصة "عِجْل السامرى" من فترة ملوك إسرائيل ووضعوها فى فترة وجود بنى إسرائيل فى سيناء[6776].
- القصة القرآنية ليست قصة حقيقية، وإنما هى قصة أدبية نتجت عن عملية دمج لقصص دينية وشعبية.
- الله لم يقل لموسى: "فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ". إذن: (طه 85) كلام بشر.
- بنو إسرائيل لم يقولوا لموسى: "مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ". إذن: (طه 87) كلام بشر.
- موسى لم يقل: "فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ". إذن: (طه 95) كلام بشر.
- موسى لم يقل لقومه: "اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا". إذن: (المائدة 20) كلام بشر.
- القرآن ليس منتجاً إلهياً، وإنما هو منتج بشرى صنعه العرب، وهو مجرد تطور بشرى طبيعي للأسفار المقدسة وغير المقدسة التي ظهرت في التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) وانتشرت في منطقة الشرق الأوسط قبل ظهور الإسلام.

4.35 هل قصة خروج بني إسرائيل مِن مصر قصة تاريخية حقيقية؟

مما لا شك فيه أن قصة خروج بنى إسرائيل مِن مصر هى أهم قصة فى التوراة. مِن حيث الكم، تحتل هذه القصة أربعة أسفار كاملة، أى 80%، مِن التوراة. ومن حيث الكيف، تسجل هذه القصة كيف تحول بنو إسرائيل مِن عائلة (family) – هى عائلة إبراهيم وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) – إلى شعب (people) أو أمة (nation) واحدة صارت فيما بعد دولة (state). أمة واحدة لها دين واحد وتعبد رباً واحداً: "اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (التثنية 6:4)، "أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ [...] شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ" (التثنية 14:1-2)، "قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ" (1 بطرس 10:2). وهذا التحول حدث بقيادة "موسى" في قصة خروج بني إسرائيل مِن مصر: "لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ" (التثنية 6:7-8).

كذلك فى القرآن، تُعتبَر قصة خروج بنى إسرائيل مِن مصر هى أطول قصة فى القرآن، فهى مِن أكثر القصص وروداً فى القرآن، ويكفى أن بطلها "موسى" هو أكثر شخصية مذكورة فى القرآن. هذا الكتاب العربى الذى حَوَّل العرب (أولاد إسماعيل بن إبراهيم) مِن قبائل متفرقة إلى أمة واحدة (nation) صارت فيما بعد دولة (state). أمة واحدة لها دين واحد وتعبد رباً واحداً: "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً (أى: دين واحد، هو الإسلام) وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" (الأنبياء 92) (المؤمنون 52)[6777]. "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" (آل عمران 110). وهذا التحول حدث بقيادة "محمد" (موسى العرب، موسى الثاني، موسى الجديد). نستطيع إذن أن نقول إن العرب قد اعتبروا ما حققه موسى لبنى إسرائيل نموذجاً (model) يمكن تطبيقه على الواقع العربى.

لكن القصة فى القرآن - وأيضاً شقيقتها الكبرى فى التوراة - تعانى مِن مشكلة كبيرة وهى: هل يوجد دليل تاريخى على أن قصة خروج بني إسرائيل من مصر قد حدثت فعلاً بالطريقة التى صوَّرها القرآن والتوراة؟ لا سيما فيما يتعلق بانفلاق البحر وغرق فرعون وكل جنوده أجمعين!

الإجابة: لا.

مرة أخرى. الإجابة: لا. لا يوجد أى دليل تاريخى يثبت ما يُسمَّى بقصة "الخروج" (Exodus).

مرة ثالثة. الإجابة: لا. لا يوجد أى دليل تاريخى يثبت صحة كل ما يقوله القرآن والتوراة.

بل لا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن المصريين القدماء كانوا يَستعبدون بنى إسرائيل[6778].

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن بنى إسرائيل مكثوا سنين طويلة فى سيناء[6779]. ولا يوجد حتى أى دليل عقلى. هل يُعقَل أن يتيه شعبٌ بأكمله لمدة "أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ" (المائدة 26) فى منطقة كانت – وما زالت – مِن أهم مناطق الشرق الأوسط؟! دا احنا لو شفناها فى فيلم مش حانصدقها! ألم تمر على بنى إسرائيل طوال هذه المدة أى قافلة تجارية فتُبيِّن لهم الطريقَ إلى كنعان؟! ألم يجتمع بنو إسرائيل طوال هذه المدة بأى مجموعة من المهاجرين أو الجنود أو البدو فيسألوهم الطريقَ إلى كنعان؟! القرآن نفسه يقول إن بنى إسرائيل بعد أن خرجوا من مصر مروا على قومٍ يعبدون الأصنام: "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ" (الأعراف 138). من حقنا إذن أن نسأل: هل يُعقَل أن بنى إسرائيل طوال الأربعين سنة لم يمروا على قومٍ آخرين فيسألوهم الطريق إلى كنعان؟!

أما المشكلة الكبرى فهى أنه لا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن موسى نفسه شخصية حقيقية[6780]، وكل معلوماتنا عن موسى مأخوذة أساساً مِن التوراة، ومِن الكتب التى كُتِبَت بعدها، بما فيها كتاب "القرآن" العربى.

ويكفى أن موسوعة (Encyclopædia Judaica) قالت بكل وضوح إن العلماء حالياً متفقون على أن التقاليد اليهودية الموروثة التى تتحدث عن استعباد بنى إسرائيل فى مصر وعن خروجهم من مصر ليست تاريخية (unhistorical)[6781]:

Current scholarly consensus based on archaeology holds the enslavement and exodus traditions to be unhistorical.

وإن قلتم إن التوراة والقرآن دليلان كافيان.

سنقول: التوراة والقرآن كتب دين وليس كتب تاريخ. ثم إن أقدم نسخة لسفر الخروج هى تلك الموجودة ضمن مخطوطات البحر الميت التى يعود تاريخها إلى حوالى 200-300 سنة قبل الميلاد، أى بعد التاريخ المُفترَض لقصة الخروج بمئات السنين. وبالتالى فإن التوراة الموجودة بين أيدينا الآن ليست معاصرة لقصة الخروج. أما كتاب القرآن العربى فيعود تاريخه إلى القرن السابع الميلادى، أى أنه كُتِبَ بعد التاريخ المُفترَض لقصة الخروج بأكثر مِن 1800 سنة. وبالتالى فإن القرآن ليس حُجة أصلاً. ولا داعى لادعاء أن القرآن كلام الله، لأن هذا الادعاء لا أساس له مِن الصحة. وكل الأدلة تؤكد أن القرآن كلام بشر.

أضف إلى ذلك أنه توجد اختلافات بين التوراة والقرآن كما وضحنا، وطبعاً سيقول اليهود والمسيحيون إن التوراة أصح، وسيقول المسلمون إن القرآن أصح. إذن المسألة تخضع للتعصب الديني العاطفي وليس للتفكير العلمي العقلاني.

وما يزيد مِن شكوكنا فى قصة "الخروج" هو أن المؤمنين بها قد اختلفوا فى عدة أمور هامة: اختلفوا حول زمان حدوث الخروج! واختلفوا حول اسم فرعون الخروج! واختلفوا فى تحديد مسار طريق الخروج وفى تحديد مكان "العبور" كما سبق وقلنا!

بالنسبة لتاريخ الخروج واسم فرعون الخروج، توجد نظريتان أساسيتان[6782]. وكل نظرية تعطى تاريخين مختلفين يعانى كلاهما مِن مشكلة أو عدة مشكلات!

النظرية الأولى تُعرَف باسم "نظرية التاريخ المبكر" (Early Exodus Theory). وتعطى هذه النظرية تاريخين مختلفين كلاهما فى الأسرة الثامنة عشرة (18th Dynasty):

- التاريخ المبكر الأول يقول إن الخروج حدث فى القرن السادس عشر قبل الميلاد، وإن بنى إسرائيل طُردوا مِن مصر إلى كنعان مع الهكسوس (Hyksos) (حوالي 1580 أو 1570 أو 1550 ق.م) أو بعد طرد الهكسوس بقليل. ربما فى أثناء حُكْم "أحمس" (Ahmose I)[6783] أو "تحتمُس الأول" (Thutmose I)[6784]. [ومِن المعلوم أن الهكسوس شعوب أجنبية (foreign) ساميَّة (Semitic) آسيوية (Asiatic) مثل بنى إسرائيل، وأنهم استقروا فى منطقة شرق الدلتا، كما تقول التوراة عن بنى إسرائيل! ومِن المعلوم أيضاً أن المصريين القدماء كانوا يحتقرون البدو/الرعاة الأجانب. والتوراة نفسها تعترف بذلك (التكوين 46:31-34) (التكوين 43:32). ولعل مشهد قتل المصرى على يد موسى الإسرائيلى هو خير دليل كتابى/قرآنى على هذه العداوة والكراهية بين المصريين أصحاب البلد الأصليين والأجانب الآسيويين الساميين (سواء كانوا هكسوس أو إسرائيليين).].
    - <u>المشكلة:</u> مع أن هذه الرواية تبدو للوهلة الأولى أنها الأقرب إلى العقل والمنطق، إلا أنه لا يوجد أى دليل قاطع يثبت صحة هذا التاريخ المبكر جداً. ثم إن الهكسوس غير مذكورين فى التوراة ولا فى القرآن. وهنا مِن حقنا أن تعجب. يذكر القرآنُ أحداثاً مشكوك فيها، مثل انفلاق البحر وغرق فرعون وكل جنوده أجمعين، بينما لا يذكر أحداثاً تاريخية حقيقية، مثل احتلال الهكسوس لشمال مصر! ونحن ندعو مَن يؤيد هذا التاريخ المبكر الأول أن يعطينا أدلة **تاريخية وعلمية** تثبته، وليس مجرد روايات درامية وحواديت محبوكة لا تصلح إلا لتكون فيلماً أو مسلسلاً.
- التاريخ المبكر الثانى يقول إن الخروج قد حدث فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد (حوالى 1446 ق.م). وهذا هو التاريخ الذى يؤيده التيار المسيحي التقليدي، أي: معظم المسيحيين المؤمنين بتاريخية كل حرف مِن قصة "الخروج" الكتابية، إذ يعتمد هذا التاريخ على دليلين كتابيين:
    - <u>الدليل الكتابى الأول:</u> "وَكَانَ فِي سَنَةِ الأَرْبَعِ مِئَةٍ وَالثَّمَانِينَ لِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فِي شَهْرِ زِيُو وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّانِي، أَنَّهُ بَنَى الْبَيْتَ لِلرَّبِّ" (1 ملوك 6:1). قالوا: إذا بدأ مُلْكُ سُلَيْمَانَ عام 970 ق.م، فإن بدء بناء

هذا البيت (هيكل سليمان) كان عام 970 - 4 = 966 ق.م، ومن ثم فإن الخروج قد حدث عام 966 + 480 = 1446 ق.م.

- الدليل الكتابي الثاني: قال يَفْتَاحُ (Jephthah) فى رسالته إلى مَلِكِ بَنِي عَمُّونَ (Ammon): "حِينَ أَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي حَشْبُونَ وَقُرَاهَا، وَعَرُوعِيرَ وَقُرَاهَا وَكُلِّ الْمُدُنِ الَّتِي عَلَى جَانِبِ أَرْنُونَ ثَلاَثَ مِئَةِ سَنَةٍ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَسْتَرِدَّهَا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ؟" (القضاة 26:11). قالوا: إذا كان يفتاح عاش حوالى 1100 ق.م، يكون دخول بنى إسرائيل إلى هذه المدن حوالى عام 1100 + 300 = 1400 ق.م. وإذا أضفنا 40 سنة فى البرية (الخروج 35:16) (العدد 33:14)، يكون الخروج قد حدث عام 1440 ق.م.
- وقالوا إن يوسف – وليس موسى – هو الذى كان معاصراً لحُكْم الهكسوس، وإن المَلِك الجَدِيد الذى قَامَ عَلَى مِصْرَ و "لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ" (الخروج 8:1) هو ربما "أحمس" الذى طرد الهكسوس مِن مصر ثم بدأ اضطهاد بنى إسرائيل "لكونهم ذوى قرابة ونسب للهكسوس من حيث السلالة وطبيعة العمل كرعاة أغنام، كما كانوا على علاقة طيبة بهم"[6785][6786]. أما الخروج فربما حدث فى أثناء حُكْم "تحتمُس الثالث" (Thutmose III) أو ابنه "أمنحوتب (أمينوفيس) الثاني" (Amunhotep II). أو أن تحتمُس الثالث هو فرعون الاضطهاد وابنه أمنحوتب الثاني هو فرعون الخروج. تقول دائرة المعارف الكتابية: "ويتفق مع هذا ما سجله مانيثون المؤرخ من أن "البرص" (ويقصد بهم الإسرائيليين) قد طردهم الملك أمينوفيس"[6787]. كما استغلوا أن "تحتمُس الرابع" (Thutmose IV) خليفة أمينوفيس (أمنحوتب) الثاني لم يكن ابنه البِكر، فزعموا أيضاً أن الابن البِكر لأمنحوتب الثاني قد مات في الضربة العاشرة والأخيرة (الخروج 5:11)!
- المشكلة: يعتمد مؤيدو هذا التاريخ المبكر الثانى على تفسير حرفى جداً للأرقام 480 (1 ملوك 1:6) و 300 (القضاة 26:11) و 40 (الخروج 35:16) (العدد 33:14). ولا نرى أمامنا ما يجبرنا على أن نفسر هذه الأرقام تفسيراً حرفياً. فمثلاً الرقم الأول 480 (1 ملوك 1:6)، قال عنه التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "أغلب الظن أن هذا التاريخ هو من وضع الكهنة في تاريخ متأخر، وقد توصلوا له بحساب أجيال الكهنة من هارون حتى صَادُوقَ، فوجدوها اثني عشر (12)، وضربوا بعدد سني الجيل، وهو تقليدياً أربعون (40) سنة، فيكون الحاصل 480 سنة"[6788]. ومن الجدير بالذكر أن هذه الآية في الترجمة اليونانية (السبعينية) لا تقول 480 سنة وإنما تقول 440 سنة[6789]؛ أي: 11 * 40. أما الآيات الموازية في سفر أخبار الأيام الثاني (2 أخبار الأيام 3:1-2) فلا تذكر الرقم 480 سنة نهائياً! هذا بالإضافة إلى عدم وجود أى دليل تاريخى قاطع يثبت صحة الدليلين الكتابيين اللذين يعتمد عليهما مؤيدو التاريخ المبكر الثانى. بل لا يوجد أصلاً أى دليل تاريخى قاطع

يثبت أن "يوسف" و "موسى" شخصيات حقيقية، وبالتالى فإنه مِن العبث أن نناقش أيهما كان معاصراً لحُكْم الهكسوس. أما مسألة أن تحتمُس الرابع خليفة أمنحوتب الثانى لم يكن ابنه البِكر، فهذا لا يثبت أن قصة الخروج قصة حقيقية، بل لا يثبت أى شىء. فنحن اليوم نستطيع أن نؤلِّف قصة خيالية عن فرعون ونزعم فيها ما نريد ونقول أيضاً إن ابنه البِكر قد مات، فهل هذا يعني أن قصتنا قصة حقيقية أو أن هذا الفرعون هو أمنحوتب الثاني؟! طبعاً لا.

- ونحن نرى أن مَن يؤيدون هذا التاريخ المبكر الثانى يؤيدونه لكى يضعوا موسى – بالعافية – قبل المَلِك المصرى "أخناتون" (Akhenaten)[6790] (عهده: مِن 1353 – 1336 ق.م تقريباً) أول مَن ترك الشِرك ونبذ عبادة الآلهة المتعددة وآمن بإله واحد أحد، أى أول مَن آمن بالوحدانية المطلقة. ومِن الجدير بالذكر أننا لدينا أدلة علمية كثيرة تثبت أن أخناتون شخص حقيقى تاريخى، لكن فى المقابل ليس لدينا أى دليل علمى واحد يثبت أن موسى شخص حقيقى تاريخى! وإنْ قلتم إن التوحيد المطلق (التوحيد الخالص) قائم مِنذ أيام "إبراهيم" قبل أخناتون بمئات السنين، فسنقول: بعد بحث وتنقيب استمر أكثر مِن 100 سنة، فَقَدَ علماءُ الآثار الأملَ فى العثور على أى دليل مادى يثبت أن إبراهيم شخص حقيقى تاريخى[6791]! وحتى لو افترضنا جدلاً أن إبراهيم وموسى شخصان حقيقيان، فلا يوجد دليل تاريخى يثبت أن كل ما رُوِىَ عنهما في التوراة و/أو القرآن قد حدث فعلاً. وهذه هى أكبر مشكلة يعانى منها القرآن والتوراة.
- أما عالم النفس اليهودى "فرويد" (Sigmund Freud) فيرى أن موسى كان معاصراً لأخناتون! ومِن حُسْن الحظ أن معظم العلماء رفضوا رأي فرويد[6792]. إلا أن بعض الباحثين يعتقدون أن موسى عرف عقيدة أخناتون وتأثر بها فدعا إلى التوحيد المطلق (التوحيد الخالص)؛ لكن بعد موت أخناتون، رجع ملوكُ مصر إلى الوثنية والشرك، فتمرد موسى عليهم وخرج مِن مصر ومعه بنو إسرائيل وبعض المضطهدين دينياً مِن المصريين إلى سيناء[6793]! وفى المقابل، يوجد رأى آخر يقول إن موسى وأخناتون كانا صديقين، وإن أخناتون هو الذى تأثر كثيراً بموسى ودافع عنه ضد أبيه "أمنحوتب الثالث" (Amenhotep III)[6794]! أما الكاتب المصرى "أحمد عثمان" (Ahmed Osman) فذهب إلى ما هو أبعد مِن ذلك وقال إن موسى وأخناتون شخصٌ واحد، أى أن موسى = أخناتون[6795]! ونلاحظ أن كل واحد يريد أن "يحشر" موسى فى حياة أخناتون بأية طريقة. وكما نقول دائماً: المشكلة ليست فى أحبائنا المسلمين، وإنما فى غموض القرآن نفسه الذى لم يحدد مَن هو موسى ومتى عاش، بل لم يحدد القرآنُ اسمَ فرعون!

النظرية الثانية تُعرَف باسم "نظرية التاريخ المتأخر" (Late Exodus Theory). وتعطى هذه النظرية تاريخين مختلفين كلاهما فى الأسرة التاسعة عشرة (19^{th} Dynasty):

- التاريخ المتأخر الأول يقول إن الخروج حدث فى أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد (حوالى 1270 ق.م أو قبلها)، وإنه حدث فى أثناء حُكْم "سيتى الأول" (Seti I) أو ابنه "رمسيس (رعمسيس) الثانى" (Rameses II). أو أن سيتى الأول هو فرعون الاضطهاد وابنه رمسيس الثانى هو فرعون الخروج.
  - o المشكلة: كانت مصر قوة عظمى فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومن ثم فإن هروب مجموعة كبيرة مِن قبضة فرعون قوى مثل رمسيس الثانى أمر صعب جداً ويكاد يكون مستحيلاً. ثم إن القرآن يقول عن فرعون: "وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ (مِن الصروح والقصور) وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (أى: يبنون، يرفعون)" (الأعراف 137) "فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا" (الفرقان 36). وهذا طبعاً لا ينطبق على رمسيس الثانى الذى ما زالت آثاره قائمة إلى اليوم. باختصار: إن بقاء معبد "أبو سمبل" (the Great Temple of Abu Simbel) شامخاً إلى اليوم هو خير دليل على أن رمسيس الثانى ليس هو فرعون الخروج.
- التاريخ المتأخر الثانى يقول إن الخروج حدث فى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد (حوالى 1230 ق.م أو بعدها)، وإنه حدث فى أثناء حُكْم "مِرنبتاح (منفتاح)" (Merneptah) ابن رمسيس الثانى. أو أن رمسيس الثانى هو فرعون الاضطهاد وابنه مِرنبتاح هو فرعون الخروج. وهذا هو التاريخ الذى يؤيده التيار الإسلامي التقليدي، أي: معظم المسلمين المؤمنين بتاريخية كل حرف مِن قصة "الخروج" القرآنية، فلقد لاحظنا أن مراجع إسلامية كثيرة تؤيد هذا التاريخ المتأخر الثانى. يقول تفسير وزارة الأوقاف المصرية: "ويلاحظ أن خروج بنى إسرائيل من مصر قد وقع فى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد فى عهد أحد فراعنة الأسرة التاسعة عشرة وهو منفتاح بن رمسيس الثانى الذى سخر بنى إسرائيل فى بناء عاصمة ملكه"[(6796)].
  - o المشكلة: "نُصُب مِرنبتاح" (Merneptah Stele) الذى يعود تاريخه إلى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد (حوالي 1208 ق.م) يذكر الانتصار الساحق الذى حققه مِرنبتاح على شعب (people) باسم "إسرائيل" (Israel) فى كنعان بغرب آسيا قائلاً: "لقد سُحِقَ بنو إسرائيل ولم يبق لهم بذر" (Israel is laid waste, his seed is not)[(6797)]. فظَنَّ العلماء المؤيدون للتاريخ المتأخر الثانى "أن فى ذِكر إسرائيل إشارة إلى الخروج، مع أنه يستدل من هذه الإشارة إلى أن بنى إسرائيل كانوا فى ذلك الحين قد خرجوا من مصر، وقضوا زمن التيه فى البَرِيَّة ودخلوا فلسطين واستقروا فى البلاد زمناً طويلاً قبل انتصار منفتاح عليهم وهذا ما يناقض رأى هؤلاء العلماء"[(6798)]. [ملحوظة: بما أن تاريخ نُصُب مِرنبتاح هو تقريباً 1208 ق.م كما قلنا، فإنه إذن يدل على أن شعب إسرائيل كانوا في كنعان عند هذا التاريخ أو قبله. وإذا افترضنا صحة الـ 40 سنة تيه فى البرية (المائدة 26)، يكون الخروج قد حدث عام 1248 ق.م أو قبله. مستحيل بعد 1248 ق.م]

- ومِن اللافت للنظر أن نُصُب مِرنبتاح هو الأثر المصري الوحيد الذي يذكر اسم "إسرائيل" في تلك الحقبة التاريخية، بل إنه أقدم أثر في العالم يذكر اسم "إسرائيل" خارج الكتاب المقدس. وهو بكل تأكيد أقدم بمئات السنين من أقدم نسخة للتوراة. ومع ذلك، فإن نُصُب مِرنبتاح لا يذكر موسى! ولا يذكر أن العبرانيين (بني إسرائيل) مكثوا فترة طويلة في مصر! ولا يذكر أنهم "خرجوا" من مصر! ولا يذكر أنهم مكثوا 40 سنة في برية سيناء! فلو كان موسى شخصاً حقيقياً والخروج قصة حقيقية بما فيها من تفاصيل عجيبة (وبخاصة: غرق فرعون وكل جيشه!)، فلماذا لم يذكرهما مِرنبتاح في نُصُبه وهو يحتفل بانتصاراته الساحقة؟!

طبعاً توجد آراء أخرى عجيبة، وأحياناً مضحكة، مثل ذلك الرأى العجيب المذكور فى لسان العرب والذى يقول إن "فرعون لقب الوليد بن مُصْعَب ملك مصر"[(6799)]! وقيل: "الوليد بن الريان"[(6800)]! وقال الطبرى إن فرعون الاضطهاد هو "قابوس بن مُصْعَب بن معاوية" وفرعون الخروج هو أخوه "الوليد بن مُصْعَب"[(6801)]! ونلاحظ أن هذه الآراء تحاول أن تعطى فرعونَ اسماً عربياً (آسيوياً). بل قيل إن جبل سيناء **[← الطُّور]** لا يقع فى سيناء، وإنما يقع فى شبه الجزيرة العربية[(6802)]! وقال بعض الدارسين والباحثين العرب إن مسرح الأحداث بين موسى وفرعون لم يكن فى مصر وإنما كان فى شبه الجزيرة العربية فى الحجاز أو اليمن[(6803)]! ومِن جهة أخرى، قال د. مصطفى محمود إن "فرعون الخروج هو ملك الهكسوس السادس [...] لم يكن رمسيس أبداً. فرعون الخروج كان سادس ملوك الهكسوس"[(6804)]، أي ليس مصرياً وإنما مِن أصل كنعاني (آسيوي)! ولا ندرى السبب الذى جعل هؤلاء الكتاب العرب يزعمون أن "فرعون" كان ذا اسم آسيوى أو ذا أصل آسيوى. ربما لأن التراث الإسلامى يزعم أن امرأته كان اسمها "آسِيَة". وربما لأن القرآن يزعم أن "هامان" الفارسى (الآسيوى) كان وزيراً لفرعون أو مِن ملئه. وربما لأنهم أرادوا أن ينفوا تهمة الظلم والطغيان عن المصريين القدماء. وفى جميع الأحوال، أياً كان السبب أو الأسباب، فإنها بالتأكيد أسباب غير علمية. وما يهمنا هو أن نؤكد على أن سبب هذه الحيرة وهذا التخبط هو القرآن نفسه الذى - كعادته - لم يحدد الزمان ولا المكان ولا أسماء الأشخاص. ونحن طبعاً سنتجاهل هذه الآراء، ليس بالضرورة لأنها خاطئة، ولكن لأنها آراء شاذة لم تلقَ قبولاً واسعاً فى الأوساط العلمية الأكاديمية ولا حتى فى الأوساط الدينية التقليدية.

لكن حتى إذا تجاهلنا هذه الآراء الشاذة، فإن لدينا أربعة تواريخ مختلفة، وهى تواريخ تقريبية، بل تقريبية جداً، وتمتد على فترة زمنية طويلة جداً، مِن منتصف القرن السادس عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أى على فترة زمنية تزيد عن 350 سنة! ولا يوجد تاريخ واحد ولا نظرية واحدة تستطيع أن تُوفِّق بشكل كامل بين الأدلة التاريخية الأثرية والادعاءات التوراتية/القرآنية[(6805)]. ولو كان لليهود

والمسيحيين والمسلمين المؤمنين بهذه القصة أى سند تاريخى أو أثرى ما وقعوا فى هذا الخلاف الشديد. أليس من حقنا إذن أن نشك فى قصة خروج بنى إسرائيل من مصر بالطريقة التى صوَّرها القرآن والتوراة؟

وفي الواقع فإن التقليد اليهودي-المسيحي نفسه يعاني من اختلاف في مسألة طول المدة التي قضاها بنو إسرائيل في مصر!

- الرأي السائد يقول إن بني إسرائيل أقاموا في مصر 430 سنة.
- لكن يوجد رأي ثاني يقول: نصف تلك المدة؛ أي: 215 سنة فقط! تقول دائرة المعارف الكتابية: "وطبقاً لما جاء في (التكوين 13:15) [وأيضاً (أعمال الرسل 6:7)] نرى أن مدة تغرُّب الإسرائيليين في مصر كانت بالتقريب حوالي 400 سنة، وبتحديد أكثر حسب (الخروج 12:40-41) كانت 430 سنة. ولكن هذا النص الأخير جاء في السبعينية كما يلي "مدة تغرُّب أبناء يعقوب التي عاشوها في مصر وفي أرض كنعان" (وتوجد نفس القراءة في النسخة السامرية مع ذكر كنعان قبل مصر [وإضافة كلمة "وآبائهم" بعد "بني إسرائيل"]). وحيث أن الآباء عاشوا 215 سنة في كنعان [انظر (التكوين 12:4، 21:5، 25:26، 47:9)]، فتكون مدة تغرُّبهم في مصر 215 سنة أيضاً. وهذا يتفق مع التقليد اليهودي الذي ذكره الرسول بولس (غلاطية 3:17) وكذلك مع ما ذكره يوسيفوس"[6806].
<u>ملحوظة:</u> حسب هذا الرأي الثاني، فإن الرقم 430 سنة الذي ذكره بولس الرسول (غلاطية 3:17) يُحْسَب بدءاً من وعد الله لإبراهيم (التكوين 12:1-3)، وليس بدءاً من وعد الله لإسرائيل (يعقوب) قُبَيل هجرته وهجرة بنيه إلى مصر (التكوين 46:2-4)!
- بل يوجد رأي ثالث يقول: "أقام بنو إسرائيل في مصر 210 سنوات"[6807]! وأصحاب هذا الرأي الثالث يضيفون 5 سنوات من دعوة إبراهيم (التكوين 12:1-3) إلى خروجه من حاران (التكوين 12:5) حتى يبرروا الاختلافَ بين 400 سنة (التكوين 15:13) و 430 سنة (الخروج 12:40-41) بتبريرٍ آخر غير أن 400 رقم تقريبي و 430 رقم محدد ودقيق، فصارت مدة إقامة بني إسرائيل وآبائهم في كنعان = 5 + 215 = 220 سنة ومدة إقامة بني إسرائيل في مصر = 430- 220 = 210 سنة!

فى ظل اختلاف اليهود والمسيحيين والمسلمين اختلافاً كبيراً فى تحديد تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر، واختلافهم أيضاً فى اسم فرعون الخروج، واختلافهم أيضاً فى تحديد مسار طريق الخروج، واختلافهم أيضاً فى تحديد مكان "العبور"، واختلافهم أيضاً في طول المدة التي قضاها بنو إسرائيل في مصر، علينا أن نحتكم إلى مصدر آخر وهو التاريخ ...

لكن المشكلة هى أن التاريخ المصرى القديم لم يذكر قصة خروج بنى إسرائيل من مصر!

وإنْ قلتم إن التاريخ المصرى القديم لم يذكر قصة خروج بنى إسرائيل من مصر لأنها "هزيمة" بالنسبة للمصريين؛ والمصريين القدماء لم يسجلوا هزائمهم.

سنقول: يحاول هذا التبرير أن يوهِمنا أن قصة خروج بنى إسرائيل من مصر تتحدث عن هزيمة للمصريين فى معركة أو حرب! وهذا طبعاً غير صحيح، لأن القصة لا تتحدث عن حرب بين موسى وفرعون، ولا عن معركة بين الشعب المصرى والشعب الإسرائيلى. وإنما القصة تتحدث عن ثورة. نعم، ثورة. ثورة قام بها بنو إسرائيل تمرداً على عبوديتهم فى مصر. أدت هذه الثورة التى قادها موسى إلى خروج شعب بأكمله من مصر، حوالى 600 ألف رجل (الخروج 37:12) (الخروج 26:38) (العدد 46:1) (العدد 32:2) (العدد 21:11) غير النساء والأطفال، أى حوالى 2 مليون نسمة! وخرج معهم "لَفِيفٌ كَثِيرٌ أَيْضًا" (a mixed multitude) (الخروج 38:12) مِن شعوب ساميّة أخرى وربما أيضاً مِن المصريين مِمَن "خَافَ كَلِمَةَ الرَّبِّ مِنْ عَبِيدِ فِرْعَوْنَ" (الخروج 20:9)!

كذلك فى المراجع الإسلامية، نجد أن عدد بنى إسرائيل الذين خرجوا من مصر كان يُقدَّر بمئات الآلاف. فلقد أخرج الحاكمُ في المُستدرَك حديثاً عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ [بن مسعود] قَالَ: "وَاللَّهِ مَا خَرَجُوا مَعَ مُوسَى حَتَّى بَلَغُوا سِتَّمِائَةَ أَلْفٍ وَسَبْعِينَ أَلْفًا"[(6808)]. وقال الماوردى: "واختلف فى عدد بنى إسرائيل حين قال فرعون فيهم: إنهم لشرذمة قليلون، على أربعة أقاويل: أحدها: ستمائة وتسعين ألفاً [...]. الثانى: ستمائة وعشرون ألفاً، قال مقاتل: لا يعد ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين لكبره [...]. الثالث: كانوا ستمائة ألف مقاتل [...]. الرابع: كانوا خمسمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة [...]"[(6809)]! وفي العصر الحديث، قال الشيخ عبد الجليل عيسى (ت 1981م) في تفسيره الذي أعاد الأزهرُ ومجلس حكماء المسلمين طباعته عام 2019: "وقد رُوِيَ أنهم (أي: بني إسرائيل) عند دُخولِهم مِصرَ [أيام يوسف] كانوا سَبعينَ رجلاً وامرأةً، وخرجوا مع موسى في نَحوِ سبعمائةِ ألفٍ"[(6810)]! وقال د. الصابونى: "فأوحى الله إلى موسى أن يخرج ببنى إسرائيل من أرض مصر ليلاً ويذهب بهم إلى أرض فلسطين، فتجهز موسى ومَن معه وكانوا يزيدون على 600 ألف مقاتل غير الذرية"[(6811)].

هل هذا معقول؟! ... مستحيل. ولا تسألهم كيف استطاعت هذه الأعداد الهائلة مِن بنى إسرائيل أن يفلتوا مِن مذبحتى قتل الأطفال الذكور الأولى (القصص 4) والثانية (غافر 25) (الأعراف 127)؟! لا تسألهم هذا السؤال الصعب، لأنك لو سألتهم إما سيقولون لك "الله أعلم" أو سيلجأون إلى أسطورة "كان بيقتلهم سنة ويسيبهم سنة"!

ولو تحججتم بأن التاريخ لم يسجل كل شيء، أو قلتم (Absence of evidence is not evidence of absence)، أو زعمتم أننا ربما نكتشف أدلة علمية فى المستقبل، فسنقول إن قصة الخروج التوراتية←القرآنية ليست قصة عادية. قصة الخروج تقدم إدعاءات كبيرة جداً. والإدعاءات الكبيرة تحتاج إلى أدلة كبيرة (Big claims need big evidence). أما في قصة الخروج سواء في التوراة أو في القرآن، فنحن نرى الإدعاءات الكبيرة فقط، ولا نرى أي أدلة كبيرة ولا حتى صغيرة.

إن قصة الخروج لا تتحدث عن خناقة فى حارة، وإنما تتحدث عن ثورة كاملة. وليست ثورة فى جزيرة منعزلة أو دويلة صغيرة، وإنما ثورة كبيرة فى مصر التى كانت واحدة مِن أكبر وأهم حضارات الشرق الأوسط آنذاك وما زالت واحدة مِن أكبر وأهم دول الشرق الأوسط حتى الآن. ليس هذا فحسب، بل تتحدث القصة أيضاً عن موت ملك مصر وَ**كل** جنوده غرقاً، كما قالت التوراة: "**فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ** **جَمِيعِ** جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ (أى: وراء بنى إسرائيل) فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ" (الخروج 28:14) "وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمْ يَبْقَ" (المزامير 11:106)، وكما قال القرآن: "**فَأَغْرَقْنَاهُ** (أى: أغرقنا فرعونَ) وَمَنْ مَعَهُ **جَمِيعًا**" (الإسراء 103) "**فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**" (الزخرف 55). قال ابن كثير: "هلك الملك وحاشيته وأمراؤه وجنوده، ولم يبق ببلد مصر سوى العامة والرعايا"[6812]. وقالت موسوعة بيان الإسلام: "كانت الآية الكبرى التى لم ينج منها أحد من فرعون الطاغية وجميع جنوده، ألا وهى غرقهم – جميعاً – فى البحر"[6813].

أما نحن فنقول: مِن المستحيل ... مِن المستحيل ... مِن المستحيل ... مِن المستحيل (للمرة الرابعة) أن يغرق فرعون وكل جيشه أجمعين بالطريقة التي تصورها التوراة و/أو القرآن. وهذا ليس رأينا وحدنا؛ وإنما هذا رأي معظم العلماء والباحثين الذين درسوا قصة الخروج بموضوعية وحيادية، وبخاصة القصة التوراتية الأصلية التي حظيت بقدر أكبر من البحث والدرس نظراً لقدمها ولكثرة تفاصيلها ونظراً أيضاً للحرية الأكاديمية التي تسمح بنقد التوراة سواء في الغرب العلماني أو في العالم الإسلامي. على سبيل المثال، قال د. سيد القمني في عام 2018: "الحقيقة ... مسألة غرق الجيش المصري ... هذه مسألة هائلة وموضوع عظيم لا يمر بسهولة. هو عند المؤمن مُصدَّق به، لكن عند الباحث في التاريخ وعلماء التاريخ لا نجد أي وثيقة تشير إلى غرق جيش أكبر دولة في العالم (يقصد: مصر آنذاك) في لحظة. خُدْ بالك أن مصر في الوقت ده كانت تحيط بها مجموعة حضارات كبيرة. ولا شيء يحدث في مصر إلا تتردد أخباره وصداه في كل هذه الحضارات: في بابل، في آشور، في بلاد الحيثيين في تركيا، في فلسطين ... في موآب، في عمّون، في أدوم. في كل هذه المناطق صدى أي شيء يحصل في مصر يتم الحديث عنه في هذه البلاد باعتبار هذه البلد (يقصد: مصر آنذاك) هُمْ يتقربوا إلى فرعونها (أي: ملك مصر) بالهدايا يرسلوها له طلباً للرضى. فلمَّا يغرق أكبر جيش في العالم (يقصد: الجيش المصري) لازم واحدة من دول تقول. لو المصريين ما حكوهش من باب يعني مستعيبين يعني يحكوا أن جيشهم غرق، هتحكيه الدول التانية"[6814]. ونحن نضيف: بما أننا لا نجد أي ذِكر لغرق الجيش المصري في آثار مصر القديمة ولا في آثار الشرق الأوسط القديم، وبما أن القرآن يتفق مع التوراة في إدعاء غرق فرعون وكل جيشه أجمعين. إذن: مِن المستحيل ... مِن المستحيل ... مِن المستحيل (للمرة السابعة) أن نصدق التوراة والقرآن في إدعاء غرق فرعون وكل جيشه أجمعين.

لكن كما توقعنا، بعضُ المسيحيين الشرقيين الذين يدافعون عن التوراة أكثر مِن كثير مِن اليهود، بل يدافعون عن التوراة أكثر مما يدافعون عن أبنائهم وبناتهم، حاولوا أن يعيدوا تفسير التوراة بطريقة أكثر عقلانية، فلجأوا إلى الحيل وأساليب اللف والدوران التي تشبه حيل المسلمين في الدفاع عن القرآن. زعموا

أن المقصود بكلمة "جيش" في القصة التوراتية ليس كل الجيش المصري وإنما جزء بسيط مِنه: قسم واحد فقط أو فرقة واحدة فقط أو مجموعة واحدة فقط! "الفيلق أو أحد أقسام الفيلق المتواجد في المكان"! "حوالي 1200 محارب على الأكثر"! "مش كل جيش مصر غرق"! وخلاصة كلامهم أن "الكتاب المقدس لم يتكلم عن غرق كل جيش مصر" وإنما غرق "فئة [قليلة] مِنه" فقط[6815]!

تعليقنا: أولاً: مِن المستحيل أن نصدق أن عدد جيش فرعون كان 1200 محارب على الأكثر! فليس من المعقول أن يخرج 1200 محارب فقط ليقبضوا على 2 مليون نسمة[6816]! يعني: الجندي المصري الواحد سيقبض على 1667 إسرائيلي؟! مستحيل. لا سيما أن التوراة تقول "فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ رَفَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عُيُونَهُمْ، وَإِذَا الْمِصْرِيُّونَ رَاحِلُونَ وَرَاءَهُمْ. فَفَزِعُوا جِدًّا" (الخروج 14:10). فهل من المعقول أن يفزع 2 مليون نسمة عند رؤية 1200 محارب فقط؟! مستحيل. احترموا عقولنا. إذا افترضنا أن كل جندي مصري سيقبض على خمسة إسرائيليين، فلا بد أن جيش فرعون كان حوالي 400 ألف جندي على الأقل.

ثانياً: لا يمكن إعادة تفسير قصة الخروج التوراتية—القرآنية بطريقة عقلانية. فالآيات واضحة، ووضوحها يجعل الإنسان العاقل يرفضها، لا أن يلف ويدور مِن أجل الدفاع عنها. تقول التوراة: "فَلَمَّا أُخْبِرَ مَلِكُ مِصْرَ أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ هَرَبَ، تَغَيَّرَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ عَلَى الشَّعْبِ. فَقَالُوا: «مَاذَا فَعَلْنَا حَتَّى أَطْلَقْنَا إِسْرَائِيلَ مِنْ خِدْمَتِنَا؟». فَشَدَّ مَرْكَبَتَهُ (أي: فرعون شخصياً خرج) وَأَخَذَ قَوْمَهُ مَعَهُ. وَأَخَذَ سِتَّ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ مُنْتَخَبَةٍ **وَسَائِرَ مَرْكَبَاتِ مِصْرَ** (أي: أخذ كل مركبات مصر، وليس فيلق أو فرقة واحدة فقط!) وَجُنُودًا مَرْكَبِيَّةً عَلَى جَمِيعِهَا. وَشَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ حَتَّى سَعَى وَرَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الخروج 14:5-8). إذن: حسب التوراة، فرعون شخصياً خرج بنفسه مع جيشه وراء بني إسرائيل **[← وكذلك حسب القرآن: "فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ" (طه 78) "فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا" (يونس 90)]**. والآيات التوراتية التالية تدل على غرق فرعون وغرق كل جيشه بمركباته وفرسانه، وليس فيلق أو فرقة واحدة فقط! بل "**جَمِيعُ** خَيْلِ مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ وَفُرْسَانِهِ وَجَيْشِهِ" (الخروج 14:9)؛ "فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَ**كُلِّ** جَيْشِهِ، بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ. فَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ" (الخروج 14:17-18)؛ "وَتَبِعَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ (أي: وَتَبِعَ الْمِصْرِيُّونَ بني إسرائيل) وَدَخَلُوا وَرَاءَهُمْ. **جَمِيعُ** خَيْلِ فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى وَسَطِ الْبَحْرِ" (الخروج 14:23). ومِن الطبيعي أن يحاول المصريون الهرب، لكن محاولتهم جاءت متأخرة جداً فباءت بالفشل "فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ **جَمِيعِ** جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي[6817] دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. **لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ**" (الخروج 14:27-28) "وَنَظَرَ إِسْرَائِيلُ الْمِصْرِيِّينَ أَمْوَاتًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ" (الخروج 14:30). ولم تذكر التوراة ولا القرآن أن فرعون نجا من الموت. ولم تقل التوراة ولا القرآن إن جندياً مصرياً واحداً مِن جيش فرعون نجا من الغرق.

إذن: يتفق التوراة والقرآن في أربعة أمور مهمة وهي:

- التوراة والقرآن يتفقان أن فرعون شخصياً خرج بنفسه مع جيشه وراء بني إسرائيل.

- التوراة والقرآن يتفقان أن جيش فرعون كان كبيراً جداً من حيث الكم وقوياً جداً من حيث الكيف، بدليل أن فرعون "أَخَذَ سِتَّ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ مُنْتَخَبَةٍ وَسَائِرَ مَرْكَبَاتِ مِصْرَ (أي: أخذ كل مركبات مصر، المنتخبة وغير المنتخبة، وليس قسم أو كتيبة واحدة فقط!) وَجُنُودًا مَرْكَبِيَّةً عَلَى جَمِيعِهَا" (الخروج 7:14) **[← "فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ" (الشعراء 53)]**. ولقد لاحظنا وجود تفاسير تحاول أن تفسر "سِتَّ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ" تفسيراً رمزياً. قال القمص تادرس يعقوب ملطي: "قلنا إن رقم 6 يشير إلى كمال العمل البشري، والمائة تشير إلى كمال عدد الجماعة. كأنه خرج بكل طاقاته البشرية وبكل رجاله"[6818]. وفي تفسير آخر: "أخذ فرعون معه 600 مركبة حربية والجنود المدربين على قيادتها وجيش عظيم تميز عن جيوش البلاد المحيطة في العالم كله. عدد (6) يشير إلى كل كمال العمل الإنساني وعدد (100) يشير إلى كمال عمل الجماعة، أي أن (600) تعني أقصى قوة الإنسان خاصة أن فرعون هو أقوى ملوك الأرض وقتذاك"[6819]. إذن: إذا قرأنا الرقم 600 قراءة رمزية، سنصل أيضاً إلى نفس النتيجة: كل الجيش المصري أو جزء كبير جداً وقوي جداً منه.
- التوراة والقرآن يتفقان أن فرعون مات في هذا اليوم. قال البابا شنوده الثالث إن "فرعون، لمَّا رأى البحر قد انشق، دخل فيه هو أيضاً" "دخل فرعون ومركباته إلى البحر" "فأنطبقت عليهم الماء وهلكوا"[6820].
- التوراة والقرآن يتفقان أن كل الجنود الذين كانوا مع فرعون ماتوا: "فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ" (الخروج 28:14) "وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمْ يَبْقَ" (المزامير 11:106) **[← "فَأَغْرَقْنَاهُ (أى: أغرقنا فرعونَ) وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا" (الإسراء 103) "فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ" (الزخرف 55)]**.

حتى لو افترضنا أن الكلمات "جَمِيعِ" (الخروج 28:14) و "جَمِيعًا" (الإسراء 103) و "أَجْمَعِينَ" (الزخرف 55) استُخدمتْ للمبالغة (hyperbole)، وأن المعنى المقصود هو "كثير" أو "معظم" الجيش المصري أو القوات البرية فقط وليس "كل" الجيش المصري، فإننا سنظل أمام نفس المشكلة: إن قصة خروج بنى إسرائيل من مصر تتحدث عن تغيير جوهرى – بل زلزال كبير – للتركيبة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية لمصر. أو كما قال د. صلاح الخالدى: موسى "يريد أن يَخرجَ ببنى إسرائيل من مصر، ولهذا الخروج آثارٌ خطيرةٌ مدمرةٌ على مصر"[6821]. أو كما قالت التوراة نفسها عن ضربة موت الأبناء الأبكار (الضربة العاشرة والأخيرة قبيل الخروج): "وَيَكُونُ صُرَاخٌ عَظِيمٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ (أي: لم يحدث مثله في الماضي) وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهُ أَيْضًا (أي: ولن يحدث مثله في المستقبل)" (الخروج 6:11) "فَقَامَ فِرْعَوْنُ لَيْلاً هُوَ وَكُلُّ عَبِيدِهِ وَجَمِيعُ الْمِصْرِيِّينَ. وَكَانَ صُرَاخٌ عَظِيمٌ فِي مِصْرَ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْتٌ لَيْسَ فِيهِ مَيْتٌ" (الخروج 30:12)! إذن: لم نكن مبالغين حين قلنا "زلزال". إنه بالفعل زلزال اجتماعي واقتصادي وسياسي وعسكري! فكيف لا يذكر التاريخ المصري القديم هذا الزلزال؟! كيف استطاعت مقابر المصريين أن تستوعب هذا الكم الهائل من الشباب والأطفال الأبكار الموتى في نفس الليلة؟! والجنود غير

الأبناء الأبكار ماتوا غرقاً مع فرعون! لو كانت قصة الخروج حدثت فعلاً كما تقول التوراة و/أو القرآن، فكيف استطاع المصريون أن يتحملوا كل هذه المصائب المتتالية؟!

علامات تعجب كثيرة. وعلامات استفهام أكبر منها تبحث عن إجابات مقنعة.

لو كان هذا الخروج قد حدث فعلاً، لكان له آثار سلبية كثيرة على جميع نواحى الحياة فى مصر كلها: عسكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ... الخ. أليس غريباً ألا يذكر التاريخ المصرى القديم شيئاً مِن ذلك، ولا حتى يشير إليه فى بردية أو نقش أو مخطوطة أو حجر أو حتى حتة زلطة واحدة؟! ألم تحزن أُمٌّ مصرية على ابنها البكر الذي خطفه الموتُ فجأة "فِي نِصْفِ اللَّيْلِ" (الخروج 12:29)؟! ألم تحزن زوجةٌ مصرية على زوجها الذي غرق مع فرعون؟! ألم يحزن طفلٌ مصري على أبيه الذي لم يرجع إليه؟! ألم تحزن فتاةٌ مصرية على خطيبها الذي لم يحضر حفل الزفاف؟! لو كانت قصة الخروج حدثت فعلاً كما تقول التوراة و/أو القرآن، فَمِن المتوقع أن يعم الحزن الشديد كل بيوت المصريين، فكيف حبس المصريون كل هذا الحزن في نفوسهم ولم يذكروه في قصصهم وأشعارهم وأحاديثهم مع الشعوب الأخرى المجاورة؟!

علامات تعجب كثيرة. وعلامات استفهام أكبر منها تبحث عن إجابات مقنعة.

باختصار: تخيل لو دولة مات رئيسها غرقاً اليوم وهلك كل (أو: معظم) جيشها غرقاً وهاجر 2 مليون نسمة مِن سكانها – أو حتى 200 ألف نسمة، أو طائفة دينية كاملة تتكون مِن 20 ألف فرد – هاجروا كلهم هجرة جماعية كلهم مرة واحدة فى نفس اليوم. ألن يُذكَر هذا الحدث الفريد مِن نوعه فى كتابات المعاصرين له، سواء مِن المؤرخين أو حتى مِن الناس العاديين؟ أعتقد أن الإجابة واضحة.

إذن: عدم وجود أى دليل علمي ولا حتى دليل أدبي على قصة "خروج" بنى إسرائيل من مصر بالطريقة التى صوَّرها القرآن والتوراة يجعلنا نشك فى تاريخية هذه القصة. قصة مش عارفين حصلت امتى، ومش عارفين حصلت فين، ومش عارفين اسم "فرعون"، ومش متأكدين إذا كان "موسى" و "هارون" شخصيات حقيقية، وكثير مِن أحداث القصة مستوحاة مِن أساطير شرقية قديمة (سارجون، سنوحى، الفلاح الفصيح، ... الخ). فلماذا نصدِّق أنها قصة حقيقية تاريخية؟!

مِن حقنا – بل مِن واجبنا – أن نشك فى قصة الخروج. ولا يحق لأحد أن يلومنا على هذا الشك.

وهذا الشك يجعلنا نسأل أسئلة كثيرة، أهمها ما يلى: كيف نشأت هذه القصة التوراتية←القرآنية؟ متى كُتِبَت هذه القصة التى تُعتبَر أطول قصة فى التوراة؟ ولماذا كُتِبَت؟ ولماذا اهتم أصحابُ القرآن بهذه القصة الكتابية اهتماماً ملحوظاً لدرجة أنهم جعلوها أطول قصة فى كتابهم العربى "القرآن"؟

4.35.1 قصة "الخروج" الكتابية: كيف نشأت؟ ومتى كُتِبَت؟ ولماذا كُتِبَت؟

كيف نشأت قصة "الخروج" الكتابية؟ طبعاً توجد نظريات كثيرة ومختلفة لنشأة قصة "الخروج". على سبيل المثال: تقول نظريةٌ إن مجموعات مختلفة مِن البدو/الرعاة الرُحَّل (nomads) هاجروا تدريجياً من أماكن مختلفة إلى كنعان واندمجوا معاً فى قصة أسطورية واحدة تضم عناصر مختلفة مِن عدة أساطير. هذه القصة الأسطورية الواحدة هى قصة "الخروج" بكل ما فيها مِن معجزات. بينما تقول نظريةٌ أخرى إن قصة "الخروج" نتجت عن عملية دمج لتقليدين مختلفين يتعلقان بمجموعتين مختلفتين من العبرانيين: مجموعة خرجت "هاربة" مِن مصر ومجموعة أخرى خرجت "مطرودة"[6822].

ونحن نميل إلى النظرية الأولى، وإنْ كنا لا نستبعد كل النظرية الثانية. لكن نحن لا نقول إن الذين خرجوا كانوا عبرانيين (بني إسرائيل) حيث أنه لا يوجد أي دليل علمي على ذلك؛ وإنما كانوا آسيويين أو ساميين (غربيين) أو كنعانيين أو بدو/رعاة رُحَّل. كما أننا نستنتج من النظرتين السابقتين أنهم لم يخرجوا دفعة واحدة؛ وإنما خرجوا على دفعتين أو أكثر. خرجوا هاربين و/أو مطرودين من مصر – ومِن أماكن أخرى – وتجمعوا جميعاً في كنعان التي صارت بعد ذلك بمئات السنين تُعرَف باسم أرض إسرائيل (العبرانيين).

وسواء كانت قصة "الخروج" التوراتية←القرآنية قد نتجت عن دمج أسطورتين أو أكثر، فالنتيجة فى كلتا الحالتين واحدة: إنها قصة أدبية وليست قصة حقيقية. ولعل هذا يُفسِّر لنا لماذا اختلف العلماء والباحثون والمفسرون فى تحديد اسم فرعون (مصرى؟ عربى (آسيوى)؟) واختلفوا فى تحديد مكان العبور (خليج العقبة؟ خليج السويس؟ البحيرات المرة؟ ترعة ضحلة؟ مستنقع؟ بِركة؟) واختلفوا فى تحديد زمان الخروج (القرن السادس عشر ق.م؟ القرن الخامس عشر ق.م؟ القرن الثالث عشر ق.م؟).

المشكلة يا أحبائى هى أن معظم الدارسين الذين درسوا قصة "الخروج" افترضوا مِن البداية أنها قصة حقيقية واحدة حدثت في مكانٍ واحد محدد وزمانٍ واحد معين، فكانت النتيجة الطبيعية والحتمية هي أنهم احتاروا واختلفوا في تحديد هذا الزمان الواحد وهذا المكان الواحد وهذا "الفرعون" الذي حدثت في عهده. وسبب حيرتهم واختلافهم هو أنهم نسوا – بل تناسوا – احتمال أن تكون قصة الخروج مجرد قصة أدبية جُمِعَت من عدة قصص مختلفة وأساطير متعددة نشأت فى أماكن متفرقة وأزمنة متباعدة أو متقاربة. فإذا وجدنا عنصراً من عناصر القصة يتطابق مع عهد أمنحوتب الثاني مثلاً، فهذا لا يعني أن القصة كلها حدثت في عهد أمنحوتب الثاني، وإنما يعني فقط أن هذا العنصر وحده مستوحى من عهد أمنحوتب الثاني، وهذا لا يمنع وجود عناصر أخرى في نفس القصة مستوحاة من عهد رمسيس الثاني أو مرنبتاح مثلاً.

نعم، إن قصة الخروج قصة أدبية جُمِعَت من عدة قصص مختلفة وأساطير متعددة نشأت فى أماكن متفرقة وأزمنة متباعدة أو متقاربة.

الثوار المشتاقون إلى الحرية والخلاص مِن الاضطهاد موجودون في أي زمان ومكان. والحكام المستبدون الذين يقمعون المحكومين وينتهكون حقوق الإنسان موجودون أيضاً في أي زمان ومكان. "موسى" هو مجرد رمز للإنسان الثائر الواثق بنفسه وبمؤيديه. كذلك "فرعون" هو مجرد رمز للحاكم الظالِم المستبد المغرور بجيشه وبشرطته. والثورة حتماً ستنتصر على الظلم والاستبداد. وقصة "الخروج" هى مجرد قصة أدبية تعطى هذا الأمل: الخلاص (أو بالتعبير القرآنى: النجاة) من الظلم والاستبداد.

لكن هذا لا يعنى أن قصة الخروج قصة خيالية 100%. بل علينا أن نعترف أن بعض عناصرها تاريخية حقيقية، مثل حركة المُهاجِرين (migrants) والتجار (merchants, traders) الساميين مِن آسيا إلى مصر، وحركتهم فى الاتجاه الآخر مِن مصر إلى آسيا[6823]. بعض هؤلاء الآسيويين وصل إلى قمة المجتمع المصري فصاروا حُكام (rulers) مثل الهكسوس؛ وبعضهم سقط فى قاع المجتمع المصري فصاروا خدم (servants) فى البيوت أو أقنان (serfs) فى الحقول أو أسرى (captives, prisoners of war) أو عبيد (slaves)[6824]. وتوجد أدلة تاريخية على ذلك ولا نجرؤ أن ننكرها. فلا نستطيع أن ننكر وجود عبيد آسيويين في مصر القديمة. لكن العبودية كانت شائعة في ذلك الوقت ولم تكن تعني بالضرورة "الاضطهاد"؛ فَمِن الممكن جداً أن يعامل السيد المصري عبدَه الآسيوي معاملةً جيدة. ومِن حُسن الحظ أن التوراة نفسها تعترف بحُسن معاملة السيد المصري لعبده الآسيوي يوسف: "فَوَجَدَ يُوسُفُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ، وَخَدَمَهُ، فَوَكَّلَهُ [سَيِّدُهُ الْمِصْري] عَلَى بَيْتِهِوَدَفَعَ إِلَى يَدِهِ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ" (التكوين 4:39). وكذلك يقول القرآن: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ (أي: أحسني معاملته واجعلي مقامه عندنا كريماً) عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" (يوسف 21). إذن: العبودية لا تعني بالضرورة الاضطهاد. وإنما كل عبد آسيوي وحظه؛ قد يقع في يد سيد مصري رحيم، وقد يقع في يد سيد مصري قاسي.

وما يهمنا هو أنه <u>لا</u> يوجد أي دليل علمي يثبت اضطهاد ممنهج تدعمه السلطة الحاكمة في مصر ضد كل العبيد العبرانيين كما تزعم التوراة والقرآن. هذا الاضطهاد الممنهج ضد العبرانيين هو ما ننكره. فهناك فرقٌ كبير بين أن يقوم أفراد بتعذيب خُدامهم الآسيويين وبين أن يكون هذا التعذيب تقره الحكومة (government-sanctioned) تجاه فئة معينة تحديداً من هؤلاء الآسيويين. فرق كبير جداً.

ويجب هنا أن نقول إنه فيما يتعلق بوجود آسيويين في مصر في الفترة الزمنية الطويلة الممتدة مِن منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فإن كل الآثار المصرية القديمة والأدلة التاريخية <u>لا</u> تتحدث بصفة خاصة عن "العبرانيين" أو "بني إسرائيل" تحديداً، وإنما إما تتحدث تصريحاً أو تلميحاً عن أقوام آخرين (مثلاً: الأدوميين Edomites) وإما تتحدث بصفة عامة عن آسيويين أو ساميين أو كنعانيين (Canaanites) أو بدو/رعاة رُحَّل (Shasu) بدون تحديد.

س: وهل يوجد فرق بين "الكنعانيين" و "العبرانيين"؟ ج: طبعاً. حسب التراث اليهودي/المسيحي، "العبرانيون" لقب اكتسبه أبرام (إبراهيم) ونسله بعد أن هاجر مِن العراق إلى أرض كنعان (إسرائيل/فلسطين

حالياً) (التكوين 13:14)، "وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ [سَاكِنِينَ] فِي الأَرْضِ" (التكوين 6:12) (التكوين 7:13)؛ ولقد ذكرتْ التوراة – على لسان الله – أسماء 10 قبائل كنعانية كانت تسكن أرض كنعان قبل وصول إبراهيم؛ مثل: "الأَمُورِيِّين" (Amorites) و "الْفَرِزِّيِّين" (Perizzites) و "الرَّفَائِيِّين" (Rephaim) و "الْيَبُوسِيِّين" (Jebusites) وغيرهم (التكوين 15:19-21)[6825].

ومِن الجدير بالذكر أن كنعان كانت تختلف سياسياً وإدارياً عن مصر. مصر كانت في معظم الأوقات دولة شديدة المركزية؛ فتخضع أرضُ مصر كلها لمَلِكٍ واحدٍ أحد لا شريك له، هو مَلِك مصر ("فرعون"). أما كنعان فكانت عبارة عن مجموعة من المدن المحصنة، وبخاصة على ساحل البحر الأبيض المتوسط أو بالقرب من مصادر المياه في الداخل. وكل مدينة محصنة مع قراها وأراضيها المجاورة تكاد تكون دولة مستقلة (city-state) أو دويلة شبه مستقلة ويحكمها مَلِكٌ أو رئيس المدينة أو شيخ القبيلة.

إذن: الكنعانيون (أو: القبائل الكنعانية بصفة عامة) هُمْ السكان الأصليون لكنعان؛ أو على الأقل: السكان الأساسيون للمدن المحصنة في كنعان، وكانوا وثنيين مشركين، يقول قاموس الكتاب المقدس: "كان الكنعانيون يعبدون آلهة كثيرة ومن بينها إيل وبعل وعشيرة وعشتاروث وعنات وغيرها"[6826]. أما العبرانيون فَهُمْ مجرد دخلاء مهاجرون إلى كنعان؛ وكانوا موحدين مثل إبراهيم وإنْ سقطوا أحياناً بعد ذلك في وثنية الكنعانيين. ويُقال إن إبراهيم لُقِّبَ بـ "العبراني" لأنه من نسل "عابر" (Eber) مِن نسل "سام" (Shem) بن نوح! إلا أن هذا لا يشرح لماذا إبراهيم بالذات هو أول عبراني؟! وفي جميع الأحوال، لم يكن إبراهيم هو وحده الذي هاجر إلى كنعان، فلقد هاجر إلى كنعان أقوامٌ آخرون غير العبرانيين. مثلاً: هَاجَر زوجة إبراهيم في كنعان كانت مصرية (التكوين 16:1-3)؛ وأَلِيعَازَر خادم إبراهيم في كنعان كان دمشقياً (التكوين 15:2).

إذن: كنعان كان فيها سكان أصليون ومهاجرون. وهؤلاء المهاجرون كانوا عبرانيين وغير عبرانيين.

إذن: كنعاني ≠ عبراني. مهاجر ≠ عبراني. سامي ≠ عبراني. آسيوي ≠ عبراني.

نكرر مرة أخرى: كنعاني ≠ عبراني. مهاجر ≠ عبراني. سامي ≠ عبراني. آسيوي ≠ عبراني.

ونحن نقول ذلك ونكرره ولا نمل من تكراره لأننا لاحظنا أن بعض المسيحيين السلفيين يزعمون أن الآسيويين أو الساميين أو الكنعانيين أو المهاجرين المذكورين في الآثار المصرية القديمة هُمْ هُمْ أنفسهم = "العبرانيون" أو "بنو إسرائيل" المذكورين في التوراة! ثم يستدلون بذلك على تاريخية قصة "خروج بني إسرائيل من مصر"! وهذه طبعاً قفزة إيمانية (leap of faith) كبيرة جداً وليس لها أي أساس علمي. وسنكتفي هنا بثلاثة أمثلة من هذه البروباجاندا المسيحية التي – للأسف – قام بها الأخ وحيد في برنامجه الشهير "الدليل" وضيفه عالم المصريات د. أشرف صادق وهو مسيحي مصري صعيدي:

<u>**المثال الأول: بروباجاندا تحاول أن تثبت وجود العبرانيين فترة طويلة في مصر قبل خروجهم منها!**</u>

مقبرة الوزير "عابر-إيل" (أو: عبريا Aperia) (The Vizier Aper-El) (وزير أو رئيس وزراء مصر؛

القرن الخامس عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد) التي اكتشفها عالم الآثار الفرنسي "آلان زيڤي" (Alain Zivie) وسجَّل اكتشافه في كتابٍ عنوانه "Découverte à Saqqarah : Le vizir oublié".

زعم د. أشرف صادق والأخ وحيد أن عابر-إيل كان عبرانياً[6827]! وكعادتهم، يقفزون من استنتاج خاطئ إلى استنتاج خاطئ أكبر منه، فزعموا أن وصول هذا الرجل "العبراني" – حسب زعمهم – إلى هذا المنصب الرفيع يدل على أن العبرانيين كانوا قد مكثوا فترة طويلة في مصر!

ونحن نقول لهم: اسمه "عابر" لا يعني بالضرورة أنه عبراني. فلا يمكن أن نحكم على جنسية الشخص أو عِرقه بناء على اسمه فقط؛ وإلا صار كل شخص اسمه "Alexander" يونانياً! أما "إيل" (El) فهو إله مِن آلهة الكنعانيين الوثنيين المشركين كما قلنا، ولا يخص العبرانيين وحدهم. قال عنه د. سيد القمني: "والإله "إيل" كان معبوداً عند الساميين والبدو بشكلٍ عام، وكل منطقة كانت تتعبد له بطريقة، لكنه هو ذات الإله "إيل""[6828]. وخير دليل كتابي على ذلك هو وجود اسم الإله "إيل" في أسماء أشخاص غير عبرانيين؛ مثلاً: "بَتُوئِيل الأَرَامِيّ" (Bethuel the Syrian) (التكوين 20:25) (التكوين 5:28)؛ و "أَبِيمَايِل" (Abimael) حفيد عابر من نسل سام (التكوين 10:25-29) (1 أخبار الأيام 1:19-23) وليس من نسل إبراهيم؛ أي: ليس من العبرانيين.

إذن: بفرض وجود اسم الإله "إيل" في اسم الوزير "عابر-إيل"، فهذا ليس دليلاً على أنه عبراني. قد يكون سامياً أو كنعانياً أو أرامياً أو مِن أصل بدوي. لكن عبراني بالتحديد، لا يوجد أي دليل. بعبارة أخرى: نحن لا نستبعد احتمال أن يكون "عابر-إيل" آسيوياً[6829]، وإنما لا نرى أمامنا أي دليل على أنه كان عبرانياً.

ولو كان عابر-إيل عبرانياً كما تزعمون، فهل وجدتم في الرسوم الجدارية في مقبرته الفخمة أي ذِكر لإبراهيم أو أي إشارة لإسحاق أو يعقوب مثلاً؟ هل وجدتم نقشاً يفتخر فيه عابر-إيل بكونه مُوحِّداً حسب العقيدة الإبراهيمية أو مختوناً "اِبْن ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ" حسب العهد (The Covenant of Circumcision)[6830]؟ إذا كانت الإجابة هي لا، فمن حقنا أن نقول إننا لا نجد دليلاً واحداً مقنعاً يثبت أن عابر-إيل كان عبرانياً بالتحديد. ربما كان آسيوياً أو سامياً أو كنعانياً أو أرامياً أو مِن أصل بدوي. احتمالات كثيرة واردة. بل ربما كان مصرياً. فلماذا تنحازون إلى كونه عبرانياً بالتحديد؟! لا يوجد أي دليل على كونه عبرانياً. ومِن ثم، لا يمكن استخدام عابر-إيل (عبريا) كدليل على وجود العبرانيين فترة طويلة في مصر قبل خروجهم المزعوم.

ومِن الجدير بالذكر أن كتاب آلان زيڤي تُرجم إلى اللغة العربية بعنوان "مقبرة عبريا"، وقام عالم الآثار المصري المعروف د. زاهي حواس بكتابة مقدمته. يقول د. زاهي حواس عن عبريا (عابر-إيل)[6831]:

> وقد أكد المؤلف أن "عبريا" هو مصري الأصل، ولكنه حاول أيضاً أن يشير إلى أن هذا الاسم ليس مصرياً ولكن أصلاً من بلاد سام أو أنه عبراني. وفي الحقيقة أن الاعتماد على الأسماء فقط لتأكيد أن الشخص أجنبياً ليس كافياً لأن هناك العديد من الأسماء أطلقها الآباء على الأبناء لظروف معينة. ويوجد

أب مصري أطلق على ابنه اسم "توت عنخ آمون" في وقت اكتشاف المقبرة عام 1922. ويوجد في مصر البعض الذي يسمي "هتلر" وخلافه. لذلك فإن الاسم الأجنبي لا ينبغي بالضرورة أن يكون صاحبه أجنبي. أما "عبريا" فهو بلا شك مصري، وخاصة لأنه احتل أهم منصب بعد فرعون أو بعد كبير الوزراء في "طيبة" أو تل العمارنه، بالإضافة إلى طريقة دفنه والمقتنيات الأثرية التي عُثر عليها تؤكد مما لا يدع مجالاً للشك بأن "عبريا" مصري. وكما أشار المؤلف أيضاً إلى أن شكل "عبريا" وذلك من خلال أحد أغطية الأواني الكانوبية لا يشير هذا الشكل إلى أنه أجنبي بل يؤكد تشابهه التام مع ملامح وشكل المصريين في ذلك الوقت.

إذن: لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن عابر-إيل (عبريا) كان عبرانياً. وكنا نتمنى أن يعرض د. أشرف صادق والأخ وحيد كلامَ د. زاهي حواس. لكن يبدو أنهم نسوه عن جهل أو تناسوه عن عمد.

ونفس الكلام ينطبق على كل الأمثلة الأخرى التي ذكرها د. أشرف صادق. مثلاً: عمال ضرب الطوب الذين نراهم في لوحات مقبرة "رخميرع" (Rekhmire) وزير "تحتمُس الثالث" (Thutmose III) وابنه "أمنحوتب (أمينوفيس) الثانى" (Amenhotep II) في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ليسوا بالضرورة عمال عبرانيين. ربما كانوا آسيويين أو ساميين أو كنعانيين. لكن عبرانيين بالتحديد، لا يوجد دليل. ربما كانوا يَبُوسِيِّين مثلاً. ومِن حُسن الحظ أن الأخ وحيد نفسه اعترف في حلقةٍ أخرى (الدليل 513، دقيقة رقم 31) بأن "مِن قَبل إبراهيم الْيَبُوسِيّون موجودون في أورشليم وعندهم مَلِك [...] يعني شعب عنده مَلِك"[6832]. ونحن نقول: مِن المحتمل أن يكون عمال ضرب الطوب مِن اليَبُوسِيِّين أو مِن شعب كنعاني آخر غير العبرانيين.

وكذلك مثال آخر: الوافدون الذين نراهم في اللوحات الأثرية (حوالي 1900 ق.م) لمقبرة "خنوم حوتب الثاني" (Khnumhotep II) في مقابر بني حسن (في محافظة المنيا حالياً). زعم د. أشرف صادق أنهم عبرانيون! لكن عندما بحثنا في المصادر والمراجع، وجدنا أنهم إما آسيويون (Asiatics) أو ساميون (Semites)[6833]. بل إن المرجع الذي لجأ إليه د. أشرف صادق في حلقةٍ أخرى (الدليل 531، دقيقة رقم 17)[6834] يقول إنهم ساميون غربيون، ربما كنعانيون أو أموريون (West Semitic traders or artisans, probably Canaanites or Amorites)! فكيف يزعم د. أشرف صادق أنهم عبرانيون؟! إذا كان المرجع الذي لجأ إليه هو نفسه لم يجرؤ أن يزعم أنهم عبرانيون! فكيف يزعم د. أشرف صادق أنهم عبرانيون؟! كالعادة، لا يوجد أي دليل يثبت أنهم عبرانيون تحديداً.

حاول د. أشرف صادق أن يستدل بأشكالهم أو ملابسهم أو حُلِيِّهِمْ أو صنادلهم أو تسريحة شعرهم أو وسائل تنقلهم ... الخ. وهي حيلة ذكية يلجأ إليها كثيراً الباحثون الذين يفترضون من البداية صحة ودقة كل كلمة في التوراة. فبما أن أوصاف هؤلاء الآسيويين في الآثار المصرية القديمة "تشبه" أوصاف العبرانيين الأوائل (إبراهيم ونسله) كما وصفتهم التوراة (like the biblical Patriarchs of Genesis)، إذن: هؤلاء الآسيويون عبرانيون! كده على طول؟!

ونحن نقول لـ د. أشرف صادق وغيره: استدلالكم باطل. فلا يوجد لديكم أي نقش أو لوحة معاصرة لإبراهيم ونسله تبين أوصافهم. بل ليس لديكم أي نسخة للتوراة معاصرة لموسى النبي. فكيف يمكن أن نتحقق من وصف التوراة للعبرانيين؟! أقدم نسخة للتوراة جاءت بعد مقبرة "خنوم حوتب الثاني" بأكثر من 1400 سنة! فَمِن المحتمل جداً – بل مِن شبه المؤكد – أن مَن كتبوا التوراة تعمدوا أن يتخيلوا العبرانيين بطريقة تشبه هؤلاء الآسيويين. بعبارة أخرى: أوصاف الآسيويين في الآثار المصرية القديمة هي الحقيقة أو تقترب منها. أما أوصاف العبرانيين في التوراة فهي الخيال الذي كَتَبَهُ كتبةُ التوراة بطريقة تشبه الحقيقة؛ وكتبوه في عصور متأخرة جداً، وكتبوه بُناء على ما شاهدوه من آثار و/أو ما سمعوه من حكايات وروايات، ومِن ثم لا يمكن أن نثق في كل كلمة قالوها.

باختصار: كل الأمثلة التي ذكرها د. أشرف صادق تعاني من نفس المشكلة. هو يزعم أنهم عبرانيون، بينما لا يوجد أي دليل علمي يثبت أنهم عبرانيون! والأخ وحيد يصدقه بدون نقاش! ليس لأن د. أشرف صادق يقول الحق، وإنما لأن الأخ وحيد يريد أن يصدقه (wishful thinking).

باختصار: لا يوجد أي دليل علمي في كلام د. أشرف صادق. وإنما توجد بروباجاندا غير علمية. ونحن نتمنى أن يعتذر الأخ وحيد والدكتور أشرف صادق ويتراجعا عن تلك الحلقات. فنحن نختلف معهما، وإِنْ كنا قد اتفقنا معهما في أمور أخرى نُوقشت في حلقات أخرى.

المثال الثاني: بروباجاندا تحاول أن تثبت خروج العبرانيين من مصر ودخولهم كنعان عسكرياً! ما زلنا نقرأ ونسمع مَن يزعم أن "الخاپيرو" أو "العابيرو" (Ḫabiru, Ḫapiru, 'Apiru) المذكورين في الآثار المصرية والكنعانية في الألفية الثانية قبل الميلاد هُمْ العبرانيون (Hebrews) أو أن العبرانيين جزء مِن العابيرو! أشهر مثال: رسائل تل العمارنة (Amarna letters) التي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد حين كانت كنعان تحت الإدارة المصرية، ومِنها رسائل كتبها حكام مدن كنعان إلى أسيادهم ملوك مصر يستغيثون بالجيش المصري ليساعدهم في صد هجوم العابيرو على مدن كنعانية. فنجد الآن مَن يزعم أن هؤلاء العابيرو هُمْ العبرانيون (بنو إسرائيل) الذين خرجوا من مصر ثم غزوا كنعان عسكرياً[6835]!

ونحن نقول لهم ما قالته (Encyclopædia Judaica) عن هذا الخطأ الشائع[6836]:

> The Ḫabiru were of varied origin. […] The ease with which they absorbed everyone who wished “to be a Ḫabiru” (in the language of the documents) indicates that they were not distinguished by ethnic unity.
>
> All those called Ḫabiru shared a common inferior status. […] without consideration of ethnic origin. […]

One cannot simply equate Ḫabiru with the “Hebrews” because it is clear that the Ḫabiru are always a social element, while “Hebrew” is at least sometimes equivalent to the ethnicon “Israel” (Gen. 40:15; 43:32; Ex. 1:18; 2:11; 3:18; 5:3) if not always (I Sam. 14:21; Na’aman 1986).

عابيرو ≠ عبراني. العبرانيون قوم. أما العابيرو فكانوا فئة أو طبقة اجتماعية متدنية تضم أفراداً من أقوام مختلفة وإنْ اشتركوا في كونهم مماليك أو مرتزقة أو وافدين أو مُعالين (dependents) أو قتلة أو متمردين ... الخ. كما نقول نحن اليوم: "مجرمون" أو "بلطجية" أو "إرهابيون" أو "قطاع طرق" أو "مسجلين خطر" أو "رد سجون" أو "أشقياء"، بدون أن نقصد جنسية معينة أو عِرق معين. أو كما كان العرب أيام محمد يقولون: "صعاليك" أو "مفسدون في الأرض" أو "خُلَعاء"، بدون أن يقصدوا قبيلة معينة. كذلك العابيرو كلمة عامة وسلبية جداً، ولا تعني العبرانيين تحديداً أو غيرهم. وإصراركم على أن العبرانيين هُمْ العابيرو أو جزء منهم يضركم أكثر مما ينفعكم، لأنه يعني أن إبراهيم (أول العبرانيين وجد المسيح) كان مِن العابيرو، أي: كان مجرماً أو مرتزقة! فهل ترضون بذلك؟ وأخيراً، لا يوجد أي دليل تاريخي على أن العابيرو كانوا موحدين.

وإنه لمن العجيب أن الأخ وحيد لمَّا سأل د. أشرف صادق عن مَن هو فرعون الخروج؟ أجاب د. أشرف صادق: "دلوقتي لا يوجد إلا مجموعة يعني قليلة، مِن هذه المجموعة عدد قليل جداً مِنهم أثريين، يعني اللي بيعتبروا أن فرعون الخروج إما قبل أو بعد تحتمس الثالث مباشرةً، يعني في القرن الخامس عشر [ق.م]، يعني إما أحمس اللي هو بنسميه طارد الهكسوس أو أمنحوتب الثاني ابن تحتمس الثالث. أما آخر الأبحاث فهي بتثبت لينا بدون شك أن فرعون الخروج هو رمسيس الثاني. طبعاً آخر الأبحاث دي استفادت مِن كل ما تم مِن اكتشافات". فعلَّق الأخ وحيد على كلامه قائلاً: "طيب. ممتاز". (مع أنه مِن المفترض أن الأخ وحيد ينتمي إلى التيار المسيحي التقليدي الذي يقول إن تاريخ الخروج في القرن الخامس عشر ق.م!) ونحن نلاحظ تناقضاً شديداً في كلام د. أشرف صادق لأنه يضع تاريخ خروج العبرانيين مِن مصر في عهد الملك رمسيس الثاني، أي: القرن الثالث عشر ق.م؛ وفي نفس الوقت يزعم أن العابيرو المذكورين في رسائل تل العمارنة هُمْ العبرانيون! وهذا طبعاً غير ممكن، لأن تاريخ رسائل تل العمارنة يرجع إلى القرن الرابع عشر ق.م، أي: قبل رمسيس الثاني، فَمِن المستحيل أن يغزو العبرانيون كنعان قبل أن يخرجوا من مصر! إصراركم على أن العابيرو هُمْ العبرانيون يجبركم أن تضعوا الخروج في القرن الخامس عشر قبل الميلاد[6837].

والأعجب والأغرب هو أن الأخ وحيد لمَّا سأل د. أشرف صادق: "هل فرعون الخروج خرج مع جيشه وغرق مع جيش مصر؟" أجاب د. أشرف صادق: "الفرعون الكبير لا يمكن أنه ينزل وراء شعب أعزل. يعني هو بيعرف جيداً أن الفيلق بتاعه، أحد فيالق الجيش يعني، سيعيد بني إسرائيل ويؤدي المهمة تماماً. فَليه يخرج وراهم يعني؟ لأن خروجه وراء هذا الشعب الأعزل لا يتناسب مع مركزه". فعلَّق الأخ وحيد على كلامه قائلاً: "طيب". ويبدو لنا أن الأخ وحيد كان يتجنب معارضة ضيفه د. أشرف صادق، إما

مجاملةً مِن باب حُسن الضيافة أو حتى لا يفسد الحلقة (الطبخة). فما قاله د. أشرف صادق يتناقض تماماً مع ما تقوله التوراة (الخروج 14) التي يسعى الأخ وحيد جاهداً إلى اثبات صحتها! ولقد أثبتنا فيما سبق أن التوراة والقرآن يتفقان في أن فرعون شخصياً خرج بنفسه مع جيشه وراء بني إسرائيل ويتفقان أيضاً في أن فرعون مات في تلك الحادثة. وسنكتفي هنا بأن نُذكِّر الأخ وحيد أن التوراة تقول على لسان الرب: "فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ جَيْشِهِ" (الخروج 4:14) "فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَكُلِّ جَيْشِهِ، بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ" (الخروج 17:14) "أَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ" (الخروج 18:14). إذن: إنكار غرق فرعون في هذا اليوم يعني إنكار أن الرب قد تَمَجَّد كما وَعَدَ. فهل يقبل الأخ وحيد ذلك؟!

باختصار: ما قاله د. أشرف صادق عن العابيرو يناقض بعضُه بعضاً، وكلامه يناقض التوراة والقرآن!

والأهم مِن كل ما سبق هو أن رسائل تل العمارنة لا تذكر أصلاً أن العابيرو كانوا قد خرجوا من مصر بقيادة "موسى" ولا تذكر اسم "يشوع"! فما الدليل على أن العابيرو هُمْ العبرانيون (بنو إسرائيل) الذين خرجوا من مصر بقيادة موسى ثم غزوا كنعان عسكرياً بقيادة يشوع؟! كالعادة، لا يوجد أي دليل. بل ما الدليل على أن رسائل تل العمارنة لها أي علاقة تاريخية بدراما خروج العبرانيين (بني إسرائيل) من مصر؟!

باختصار: لا يوجد أي دليل علمي في كلام د. أشرف صادق. وإنما توجد بروباجاندا غير علمية.

أما نحن فكل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن عابيرو ≠ عبرانيين. عابيرو ≠ إسرائيليين.

لكن نستطيع أن نقول إنه مِن المحتمل في كنعان: أن بعض العبرانيين (بني إسرائيل) ربما انضموا إلى ميليشيا العابيرو. أو أن بعض العبرانيين (بني إسرائيل) ربما كان لهم أحياناً تصرفات أو أسلوب حياة يشبه العابيرو. أو أن بعض العابيرو أو أشباههم "رِجَالاً بَطَّالِين طَائِشِين" "غِلْمَان مُتَمَرِّنِين" ربما تعاونوا مع بعض العبرانيين (بني إسرائيل)، مثلاً: صحابة داود (1 صموئيل 22:1-2)؛ جماعة يَفْتَاح (Jephthah) (القضاة 11:1-3)[6838]؛ عصابة أبِيمَالِك (Abimelech) (القضاة 9:1-4)؛ وقبلهم جميعاً: عبيد إبراهيم الـ **318** المسلحين المُدَرَّبِين (التكوين 14:13-16)[6839].

وكما بدأنا كلامنا بما قالته موسوعة (Encyclopædia Judaica) عن العابيرو، نختم كلامنا بما قالته دائرة المعارف الكتابية عن الإشارة إلى العابيرو في رسائل تل العمارنة والنقوش المصرية القديمة: "ومما يستلفت النظر أنه لا توجد في رسائل تل العمارنة أي رسائل من المدن التي وقعت في يد بني إسرائيل في بداية دخولهم الأرض [...]، بل جاءت معظم الرسائل من المدن التي لم يستولِ عليها بنو إسرائيل إلا مؤخراً [...]. [...] ولا يمكن فهم هذه الإشارات [إلى العابيرو] الواردة في النقوش المصرية إلا على أساس أنها تشير إلى أقوام مهاجرين في كنعان، أكثر مما تشير إلى العبرانيين (بني إسرائيل) بصورة خاصة"[6840].

المثال الثالث: بروباجاندا تحاول أن تثبت أن "يَهْوَهْ" إله العبرانيين مذكور في الآثار المصرية القديمة! استكمالاً لمسلسل البروباجاندا الدينية التي ترتدي ثوب العلم، مسلسل قصة وسيناريو وحوار وإخراج

وبطولة الأخ وحيد والدكتور أشرف صادق، وفي حلقةٍ بعنوان "بنو إسرائيل في الوثائق القديمة"[6841] وتحت عنوان فرعي "بدو ينتمون للإله يَهْوَهْ"، سأل الأخ وحيد ضيفَه د. أشرف صادق: "هل اسم يَهْوَهْ ... هذا الإله ... يعني الذي ... يعني ... عرفه العبرانيون ومن خلالهم عرفه بعض الشعوب ... هل هو مكتوب في الهيروغليفية ومعروف أنه إله العبرانيين؟". فأجاب د. أشرف صادق بكل جرأة: "طبعاً مكتوب بالهيروغليفية وعندنا وثائق كتير بتتكلم عن تواجد بدو عبرانيين ينتمون ليَهْوَهْ"!

وعلى الرغم من أن د. أشرف صادق قال "عندنا وثائق كتير"، إلا أنه لم يقدم إلا نسختين مِن وثيقة واحدة فقط! وثيقة واحدة يتيمة فقط في الفترة الزمنية التي تهمنا وهي فترة زمنية طويلة جداً، إذ تزيد عن 350 سنة، تمتد مِن منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

هذه الوثيقة اليتيمة هي عبارة عن نقوش يرجع تاريخها إلى أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وعليها عبارة "t3 š3 sw w y h [w3]" التي قرأها د. أشرف صادق "ta sashu yahwa" وترجمها إلى "بدو ينتمون ليَهْوَهْ"! ثم قفز الأخ وحيد قفزة إيمانية أخرى فقال إنها "آثار حية تتكلم عن تواجد عبراني [...] وهنا نجد حتى اسم يَهْوَهْ ... اسم يَهْوَهْ الإله"! يقصد: يَهْوَهْ (YHWH) إله العبرانيين (إله بني إسرائيل)!

وقال الأخ وحيد: "أنا بشوف أنه الهيروغليفية تشرفت بأن تضع اسم يَهْوَهْ فيها"!

ونحن نرد على هذه البروباجاندا الدينية بأربع نقاط مهمة:

أولاً: التوراة هي التي تشرفت بذكر اسم "مصر". وكذلك فعل الإنجيل حين ذكر اسم مصر. وكذلك فعل القرآن حين ذكر اسم مصر. الكتب الدينية/المقدسة هي التي تتشرف بذكر اسم مصر وليس العكس. بل اعترف الكتاب المقدس بفضل مصر على موسى شخصياً: "فَتَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ" (أعمال الرسل 7:22). وكذلك قال القرآنُ إن موسى أوتي العلم والحكمة في مصر: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا (wisdom) وَعِلْمًا (knowledge)" (القصص 14). ولا يهم هنا إنْ كان موسى شخصاً حقيقياً أم خيالياً أم مزيجاً من الحقيقة والخيال؛ فمجرد وجود هذه الآيات الكتابية والقرآنية بهذه الصيغ الواضحة هو بمثابة اعتراف صريح بفضل مصر على الديانات الإبراهيمية. أو كما قال العالِمُ الكبير (Prof. Thomas Römer): "لولا مصر لما كان الكتاب المقدس" (Sans l'Égypte, il n'y aurait pas de Bible)[6842]. نعم، مصر – بل الشرق الأدنى القديم بصفة عامة – هو الرحم الذي تكونتْ فيه الديانات الإبراهيمية الثلاث: اليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام.

ثانياً: كلمة "شاسو" (Shasu) تعني بدو (باعتراف د. أشرف صادق نفسه) أو رعاة رُحَّل. فليسوا بالضرورة عبرانيين (بني إسرائيل). قد يكونوا بدو من أَدُوم (Edom) أو بدو من موآب (Moab) أو بدو من مِدْيَانَ (Midian) أو بدو من أي منطقة أخرى من الأراضي التي تضم حالياً الأردن وشمال غرب شبه الجزيرة العربية. فكالعادة، لا يوجد أي دليل على أنهم عبرانيون أو من بني إسرائيل بالتحديد.

ثالثاً: ترجمة د. أشرف صادق خاطئة، أو على الأقل: مختلفٌ عليها. إذ توجد ترجمات أخرى. مثلاً: "ياهو في أرض الشاسو" (*Yhw* in the land of the Shasu) "وكان الشاسو بدواً يرتبطون في نفس النقوش بمنطقة سَعِير"[6843]. ونحن نستنتج من هذه الترجمة أن "يَهْوُ (أو: ياهو)" هنا اسم مكان (toponym) في منطقة سَعِير (Seir) أو هو منطقة سعير نفسها. وعلى الرغم من وجود أكثر من موضع جغرافي اسمه سَعِير[6844]، إلا أن أشهرهم وأقدمهم وأولهم ذِكراً في التوراة يشير إلى أرض أَدُوم جنوب البحر الميت وشمال خليج العقبة وشرق وادي عربة (حالياً: جنوب غرب الأردن). بل إن التوراة وبقية أسفار العهد القديم تستخدم اسمَ سعير كثيراً كمرادف لأَدُوم؛ مثلاً: "أَرْضِ سَعِيرَ بِلاَدِ أَدُومَ" (التكوين 32:3)، و (التكوين 36:30) (العدد 24:18) (إشعياء 21:11) (حزقيال 35). وكذلك في الآثار المصرية القديمة[6845]. بل يُعتقَد أن اسم "سعير" أقدم تاريخياً مِن اسم "أَدُوم"[6846]، وهذا يتفق مع التوراة التي تقول إن الحوريين (Horites) استوطنوا منطقة سعير قبل الأدوميين (Edomites) الذين تسميهم التوراة "بنو عيسو" (التثنية 2:12)[6847]. ومِن ثم فإننا نظن أن الشاسو (البدو) المذكورين في هذه النقوش المصرية القديمة كانوا إما أدوميين أو حوريين **وليسوا** عبرانيين (بني إسرائيل). لكن يبدو أن البروباجاندا الدينية لا ترى إلا العبرانيين (بني إسرائيل) وإلههم يَهْوَهْ! أما نحن فلا نجد أمامنا أي دليل على أن يَهْو/ياهو المذكور في هذه النقوش المصرية القديمة اسم إله.

رابعاً: وحتى لو افترضنا جدلاً أن الاسم يَهْو/ياهو المذكور في هذه النقوش المصرية القديمة هو اسم الإله يَهْوَهْ، فهذا ليس دليلاً على أن هؤلاء البدو كانوا عبرانيين بالتحديد. وذلك لأن اسم الإله يَهْوَهْ لا يخص العبرانيين وحدهم دون غيرهم. بالضبط كما كان اسم الإله "الله" لا يخص المسلمين وحدهم دون غيرهم. فكما كان اسم الإله "الله" معروفاً في الجاهلية (قبل الإسلام) بدليل اسم "عبد الله" أبي محمد، كذلك كان اسم الإله يَهْوَهْ شائعاً في الديانات السامية القديمة قبل اليهودية.

تقول دائرة المعارف الكتابية: "أ. كان هذا الاسم (أي: يَهْوَهْ) شائعاً في الديانات غير الإسرائيلية كما يقول البعض ([...]) على أساس أنه قد وجد في النقوش البابلية. ويبدو أن بعض الأسماء العمونية والعربية والمصرية تحتوي على هذا الاسم مركباً فيها ([...]) لكن رغم أن الاسم كان شائعاً في الديانات السامية البدائية كما كان "إلوهيم"، إلا أنه أصبح الاسم الإسرائيلي المميز للدلالة على "الله". ب. وعليه فإنه لم يُعرَف لأول مرة عند دعوة موسى ([...])، ولكنه في ذلك الوقت أصبحت له دلالة خاصة أوضح، فسيعرف الله لإسرائيل بهذا الاسم "يَهْوَهْ" كالله "الواحد" الذي أرسل موسى ليخلص إسرائيل"[6848].

إذن: مِن المحتمل أن يكون أصل الإله يَهْوَهْ جاء مِن منطقة سعير (يَهْو/ياهو). هذا ما ألمحتْ إليه موسوعة (Encyclopædia Judaica) بعد أن رفضتْ أن يكون الاسم يَهْو/ياهو المذكور في هذه النقوش المصرية القديمة هُو هُو نفسه اسم الإله يَهْوَهْ إله إسرائيل[6849]:

Apparently there was an early connection between the religion of the men of Seir and the early religion of Israel, a connection deduced from an Egyptian list from the time of Ramses II (13th century B.C.E.) from a statement in which there is the unusual juxtaposition "the land of the Shasu of JHW" ([...]). In the same list there is the equivalent juxtaposition "the land of the Shasu of Seir." (The connection between YHWH and Seir can be learned from a number of early biblical verses, e.g., Deut. 33:2; Judg. 5:4.) Of course, one cannot speak of the identification in this period of this name with YHWH but rather about the origin of YHWH from the same area and ancient contacts between the people of Israel in its early period and the sons of Seir. In this way the biblical tradition is confirmed.

وحسب تفسير "جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ" (التثنية 33:2) لمتى هنري، فإن الترجوم (Jerusalem Targum) يقول إن الله نزل أولاً على **جبل سعير (Mount Seir)** ليعطي الشريعةَ إلى الأدوميين، إلا أنهم رفضوها لأنهم وجدوا فيها النهي عن القتل "لا تقتل". ثم على **جَبَلِ فَارَانَ (Mount Paran)**، عرض اللهُ الشريعةَ على الإسماعيليين، إلا أنهم أيضاً رفضوها لأنهم وجدوا فيها النهي عن السرقة "لا تسرق". وفي النهاية، عرض اللهُ الشريعةَ على شعب إسرائيل عند **جبل سيناء (Mount Sinai)** فقبلوها[6850]. وطبعاً يرفض متى هنري هذه الرواية. لكن لماذا "الأدوميين" بالذات أولاً قبل العبرانيين (بني إسرائيل)؟! إذن: بغض النظر عن مدى صحة هذه الرواية، فإنها تدل على أن التراث اليهودي نفسه – سواء الرسمي (التوراة) أو غير الرسمي (الترجوم) – به إشارات قد يُستدل بها على أن الأدوميين (أو: سُكان سَعِير) عرفوا الإلهَ يَهْوَهْ قبل العبرانيين (بني إسرائيل).

إذن: حتى لو افترضنا جدلاً أن الاسم يَهْو/ياهو المذكور في هذه النقوش المصرية القديمة هو اسم الإله يَهْوَهْ، فهذا ليس دليلاً على أن هؤلاء البدو كانوا عبرانيين بالتحديد. قد يكونوا أدوميين (أو: حوريين) أو أي بدو (Shasu) آخرين سكنوا أرض سَعِير التي عرفها المصريون القدماء جيداً.

وكل ما سبق يؤكد ما قلناه في بداية حديثنا: فيما يتعلق بوجود آسيويين في مصر في الفترة الزمنية الطويلة الممتدة مِن منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فإن كل الآثار المصرية القديمة والأدلة التاريخية لا تشير بصفة خاصة إلى "العبرانيين" أو "بني إسرائيل" تحديداً،

وإنما إما تشير تصريحاً أو تلميحاً إلى أقوام آخرين (مثلاً: الأدوميين Edomites) وإما تشير بصفة عامة إلى آسيويين أو ساميين أو كنعانيين أو بدو/رعاة رُحَّل (Shasu) بدون تحديد.

وفي الواقع، حتى لو افترضنا جدلاً أن هذه الأدلة التاريخية تشير إلى "العبرانيين" أو "بني إسرائيل" بصورة خاصة، فهذا **لا يعنى** إطلاقاً أن بقية أحداث قصة الخروج التوراتية←القرآنية أحداث حقيقية.

فلا يوجد أى دليل تاريخى يثبت قتل أطفال بنى إسرائيل الذكور.

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت ميلاد موسى وإلقائه فى النهر.

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت هروب موسى إلى مدين.

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت دعوة موسى والنداء الإلهى عند الجبل.

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت مواجهة موسى لفرعون ومعجزتي العصا واليد.

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت انفلاق البحر وغرق فرعون وكل جنوده أجمعين. وهذا إدعاء كبير جداً. وكما قلنا: الإدعاءات الكبيرة تحتاج إلى أدلة كبيرة (Big claims need big evidence).

بل لا توجد نسخة أصلية كاملة للتوراة (أو حتى لسفر الخروج فقط) يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد!

فلا يوجد إذن أى دليل يثبت كل هذه التفاصيل الهامة المذكورة فى هذه القصة التوراتية←القرآنية.

وفى القرآن نجد تفاصيل أخرى مشكوك فيها أكثر، مثل: هامان، والصَرْح من الطين المشوي، وإيمان سحرة فرعون وصَلْبهم، ومؤمن آل فرعون، والسامري ... الخ.

كل هذه التفاصيل المهمة تبحث عن أدلة تاريخية. وحتى الآن لا توجد أدلة. واحتمال اكتشاف أدلة في المستقبل احتمال ضعيف جداً ويكاد يكون صفر، وبخاصة فيما يتعلق بالآباء (البطاركة Patriarchs) ومَن سبقوهم: يعقوب (إسرائيل)، إسحاق، إبراهيم، عابر، سام، نوح.

بعبارة أخرى: حتى لو استطعتم أن تثبتوا أن 10% مثلاً مِن أحداث قصة الخروج التوراتية←القرآنية أحداث حقيقية، فهذا **لا يعنى** إطلاقاً أن الـ 90% المتبقية أحداث حقيقية.

بعبارة أكثر وضوحاً: إثبات تاريخية بضعة "لقطات" مِن قصة الخروج التوراتية←القرآنية **لا يعنى** على الإطلاق أن جميع أحداث القصة تاريخية حقيقية. وإلا صارت دراما المسلسلات الاجتماعية تاريخاً لمجرد أن بها "مشاهد" لأحداث وشخصيات تاريخية حقيقية!

وكما قلنا فيما سبق: لا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن المصريين القدماء كانوا يستعبدون بني إسرائيل بهذه الطريقة البشعة المذكورة في التوراة و/أو القرآن! ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن بني إسرائيل قد مكثوا سنين طويلة فى سيناء!

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن نوح شخص حقيقي!

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن سام شخص حقيقي!

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن عابر شخص حقيقي!

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن إبراهيم شخص حقيقي!

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن إسحاق شخص حقيقي!

ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن يعقوب (إسرائيل) شخص حقيقي!

بل لا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن موسى نفسه شخص حقيقي! وحتى لو افترضنا جدلاً أن موسى شخص حقيقي، فلا يوجد أي دليل تاريخي يثبت أن "بني إسرائيل" خرجوا من مصر بهذه الطريقة الأسطورية المهيبة المذكورة في التوراة و/أو القرآن. باختصار: لا يوجد دليل تاريخى يثبت أن كل ما رُوِيَ عن موسى فى التوراة و/أو القرآن حدث فعلاً. وهذه هى أكبر مشكلة يعانى منها القرآن والتوراة، وبخاصة في ظل وجود اختلافات مهمة بين القصة التوراتية والقصة القرآنية كما وضحنا فيما سبق.

نستطيع إذن أن نقول إن قصة الخروج هى مزيج مِن قليل مِن الحقيقة وكثير مِن الخيال.

نعم، نقول بكل ثقة ويقين وطمأنينة وراحة ضمير إن قصة الخروج التوراتية←القرآنية هي مزيج مِن قليل مِن الحقيقة وكثير مِن الخيال.

ونحن نرى أن هذه القصة التوراتية←القرآنية (أو على الأقل: بعض عناصرها) مستوحاة من قصة طرد الهكسوس من مصر إلى كنعان (Expulsion of the Hyksos from Egypt). هذا الطرد الذى بدأ فى عهد "كاموس" (Kamose) وتم فى عهد أخيه الشاب "أحمس" (Ahmose I) (عهده: حوالى 1550-1525 ق.م أو 1539-1514 ق.م). و/أو مستوحاة مِن القصص الأخرى المشابهة مثل قصة طرد الأشوريين مِن مصر الذى تم فى عهد "بسامتيك" (Psamtik I) (عهده: حوالى 664-610 ق.م).

ولعل هذا يفسر لنا الآية القرآنية التى تقول: "فَأَرَادَ (عدوُّ بنى إسرائيل) أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ (أى: يُخرجهم، يطردهم) مِنَ الْأَرْضِ" (الإسراء 103). فهذه الآية القرآنية، وإن كانت مستوحاة من آيات توراتية مثل (الخروج 1:11) و (الخروج 12:31-33)، إلا أنها تنطبق أكثر على قصة طرد الهكسوس مِن مصر، وكذلك قصة طرد الأشوريين مِن مصر.

وفى المقابل، توجد آيات قرآنية أخرى تزعم أن فرعون وملأه قالوا إن بنى إسرائيل أرادوا أن يُخْرجوا فرعون مِن أرضه:

- مرة الملأ يتحدث: "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا (أى: موسى) لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ" (الأعراف 109-110)؛
- ومرة فرعون هو الذى يتحدث: "قَالَ (فرعونُ) لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا (أى: موسى) لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ[6851]" (الشعراء 34-35).
- مرة الملأ يتحدث عن موسى وهارون: "قَالُوا إِنْ هَذَانِ (أى: موسى وهارون) لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا" (طه 63)؛
- ومرة فرعون هو الذى يتحدث عن موسى فقط: "قَالَ (فرعونُ) أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى[6852]" (طه 57).
- ومرة فرعون وملؤه يتحدثون: "قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ[6853]" (يونس 78).
- وبعد أن آمن السَّحَرَةُ وانحازوا إلى موسى، قال لهم فرعونُ: "إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ (أى: فى مصر) لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا (أى: أصحابها الشرعيين)" (الأعراف 123). ولعل فرعون قد أراد أن يُذكِّر السحرةَ بأنهم مصريون وأن موسى آسيوى أجنبى، ومِن ثم فإن اصطفاف السحرة خلف موسى ضد مَلِك مصر قد جعلهم خائنين لوطنهم مصر وعملاء للعدو الأجنبى ومتآمرين معه على أهل مصر.

وطبعاً هذه الآيات القرآنية لا تنطبق على قصة خروج بنى إسرائيل من مصر، وإنما تنطبق أكثر على قصة طرد الهكسوس من مصر، وكذلك قصة طرد الأشوريين من مصر. فلقد كان الهكسوس (ثم: الأشوريون) يسيطرون على شمال مصر، وهى أرض كان فرعون يعتبرها أرضه. أى أن الهكسوس (ثم: الأشوريين) – وليس بنى إسرائيل – هُم الذين أرادوا أن يُخْرجوا فرعون من أرضه.

بعبارة أخرى: النزاع بين فرعون والهكسوس (ثم: الأشوريين) كان على شمال مصر، وكل طرف أراد أن يُخْرِج الطرف الآخر من هذه الأرض، لكى يُفرض سيطرته ورياسته عليها.

إذن: الآيات القرآنية السابقة هى مِن بقايا القصة المصرية الأصلية: قصة النزاع بين فرعون والهكسوس (ثم: الأشوريين) على شمال مصر الذى انتهى بطرد الهكسوس (ثم: الأشوريين) مِن مصر. أو بصفة عامة قصص النزاع بين المصريين وأعدائهم الأجانب، الذين جاءوا مِن الشرق (آسيا)، مثل: الهكسوس والأشوريين والبابليين والفرس.

ومِن حسن الحظ أن التاريخ المصري القديم سجّل لنا في (The Second Stela of Kamose) أن الملك المصري كاموس قال: انظروا، أنا لي سيطرة على مصر، سلطاني ليس له منافس (Behold I

have control of Egypt. My power is uncontested). وذلك رداً على ملك الهكسوس الذي قال: أنا السيد، لَيْسَ كَمِثْلِي شَيْءٌ (I am the lord, I have no peer)[6854]. [6855]. وبغض النظر عن مدى دقة هذه الترجمة، فإنه مِن المؤكد أنه كان هناك نزاع بين الملك المصري والملك الآسيوي الأجنبي.

ونرى هذا النزاع واضحاً فى تأكيد فرعون على أنه "الإله" **الوحيد** فى مصر: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ **غَيْرِي**" (القصص 38)، "قَالَ (فرعونُ لموسى) لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا **غَيْرِي** لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ" (الشعراء 29). وكلمة "إله" هنا تُفسَّر عادةً على أنها تعنى "معبود" أو "رب". لكن التاريخ المصرى القديم يؤكد أن المصريين القدماء فى زمان موسى كانوا يعبدون آلهة متعددة ولم يكن لهم إله وحيد. والقرآن نفسه يؤكد ذلك: "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ (بصيغة الجمع)" (الأعراف 127). بل إن قول فرعون "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (أى: لا رب فوقى[6856])" (النازعات 24) لو أخذناه بمعناه الحرفى فإنه يدل على أنه كان هناك "أرباب" أخرى أدنى وأقل منزلةً. أو كما قال النسفى: "وكانت لهم أصنام يعبدونها"[6857]. وقال ابن الجوزى: "أى: لا ربَّ فوقى. وقيل: أراد أن الأصنام أرباب، وأنا ربُّها وربُّكم. وقيل: أراد: أنا ربُّ السادة والقادة"[6858].

إذن: نحن نرى أن كلمة "إله" (القصص 38) (الشعراء 29) أو كلمة "رب" (النازعات 24) لا تعنى "معبود" وحيد، وإنما تعنى "مَلِك" وحيد أو "سيد" بلا منازع أو "قائد" بلا معارض أو "حاكم" بلا مخالف. أو كما قال البيضاوى: ولعل فرعون "اعتقد أن مَن ملك قطراً أو تولى أمره بقوة طالعه استحق العبادة مِن أهله"، "فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" أى: "أعلى كل مَن يلى أمركم"[6859]؛ أو كما قال سيد قطب: "إن فرعون لم يكن يدعى الألوهية بمعنى أنه هو خالق هذا الكون ومدبره؛ أو أن له سلطاناً فى عالم الأسباب الكونية. إنما كان يدعى الألوهية على شعبه المستَذَل! بمعنى أنه هو حاكم هذا الشعب بشريعته وقانونه؛ وأنه بإرادته وأمره تمضى الشئون وتقضى الأمور. [...] وما قصد (فرعون) بقوله: "مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي" إلا أنه هو الحاكم المسيطر الذى يسيرهم كما يشاء؛ والذى يتبعون كلمته بلا معارض"[6860].

ومِن حسن الحظ أن استخدام كلمة "إله" أو "رب" بمعنى "مَلِك" أو "سيد" ليس غريباً على القرآن، فَمِن المعلوم أن القرآن قد استخدم كلمة "رب" بمعنى "سيد" أو "مَلِك" فى قصة يوسف: "وَقَالَ الْمَلِكُ (أى: مَلِك مصر) ائْتُونِي بِهِ (أى: بيوسف) فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ (أى: رسول المَلِك) قَالَ (يوسفُ له) ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ (أى: سيدك المَلِك)" (يوسف 50)، واستخدم كلمة "إله" بمعنى مَن يُطاع كطاعة الله: "اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ" (الفرقان 43) (الجاثية 23). اقرأ أيضاً (آل عمران 64) حيث جاءت كلمة "أَرْبَابًا"، جمع "رَب"، بمعنى سيد يُطاع أو قائد يُنقاد له. وكذلك: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" (التوبة 31). أى اتبعوا كلامَ الأحبار والرهبان كأنه تشريع: تحليل وتحريم.

إذن: نحن لا نميل إلى التفسير الحرفي "إله/رب معبود" (apotheosis) وإنما نميل أكثر إلى التفسير المجازي "مَلِك" أو "حاكم مسيطر" أو "ولى الأمر". ومن ثم، فإن تأكيد فرعون على أنه "الإله" الوحيد فى

مصر (القصص 38) (الشعراء 29) لا يعنى أنه "المعبود" الوحيد، وإنما يعنى أنه "المَلِك" الوحيد، أى: بدون أى منازع أجنبي.

بدليل قول فرعون وملئه لموسى وهارون: "أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ" (يونس 78)، وبدليل قول فرعون لقومه: "يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي" (الزخرف 51)[6861]. وقال د. محمد سيد طنطاوى تعليقاً على هذه الآية: "أى: أن فرعون جمع عظماء قومه، وقال لهم - بعد أن خشى إيمانهم بموسى: "يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ" بحيث لا ينازعنى فى ذلك منازع، ولا يخالفنى فى ذلك مخالف، فالاستفهام للتقرير"[6862]. أو كما قال تفسير وزارة الأوقاف المصرية إن فرعون نادى قائلاً: "أليس لى – لا لغيرى – مُلْك مصر"[6863].

كذلك فى أول إصحاح مِن القصة التوراتية، نجد أن أول جملة قالها فرعون هى أنه يخشى انضمام بنى إسرائيل إلى "أعداء المصريين": "فَقَالَ (فرعونُ) لِشَعْبِهِ: «هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا. هَلُمَّ نَحْتَالُ لَهُمْ لِئَلاَّ يَنْمُوا، فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ»" (الخروج 1:9-10).

إذن: رغم أن قصة الخروج لا تتحدث مباشرةً عن حرب بين المصريين والإسرائيليين، إلا أنها كُتِبَت فى أجواء حرب أو نزاع بين طرفين، أحدهما مصرى والآخر آسيوى.

وهذا يقودنا إلى السؤالين التاليين: متى كُتِبَت قصة "الخروج" الكتابية؟ ولماذا كُتِبَت؟

يقول التقليد اليهودى-المسيحى إن موسى هو الذى كتب قصة "الخروج" الكتابية بشكلها النهائى فى القرن الخامس عشر (أو الثالث عشر) قبل الميلاد؛ بل يقول التقليد إن موسى هو الذى كتب التوراة كلها بأسفارها الخمسة (Pentateuch)، ولذلك يُعرَف هذا التقليد باسم "موسى كاتب التوراة" (Mosaic authorship). لكن لا يوجد أى دليل علمى يثبت صحة هذا التقليد الموروث. فليس لدينا مخطوطة واحدة للتوراة يعود تاريخها إلى القرن الخامس عشر (أو الثالث عشر) قبل الميلاد، وليس لدينا أى دليل علمى يثبت أن "موسى" نفسه شخصية تاريخية حقيقية. إنه إذن مجرد تقليد (tradition) وليس علماً (science). وكما نقول دائماً: التقليد (أو: التواتر) ليس دليلاً علمياً. لو كان التواتر دليلاً علمياً، لكان "طرزان" و "سندريلا" و "Snow White" شخصيات تاريخية حقيقية!

وإنه لمِن المدهش أن سفر الخروج نفسه لا يقول صراحةً إن موسى هو الذى كتبه، فكل ما وجدناه فى هذا السفر هو آيات غامضة مثل "فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ" (الخروج 24:4) التى لا يمكن أن تعنى سفر الخروج كله، ومِن المستحيل أن تعنى التوراة كلها بصورتها الحالية. أما الآيات التوراتية التى يُفهَم منها أن موسى هو كاتب "التَّوْرَاة"، فهى موجودة فى السفر الأخير "سفر التثنية" وبخاصة فى الإصحاحات الأخيرة (التثنية 31:9 وما بعدها) ويُعتقَد أنها آيات أضيفت لاحقاً وتعنى سفر التثنية فقط أو معظمه[6864]، مما جعل

العلماء والباحثين يشكون فى أن موسى – بفرض أنه شخصاً حقيقياً – هو الذى كتب قصة "الخروج" الكتابية بشكلها النهائى فى القرن الخامس عشر (أو الثالث عشر) قبل الميلاد.

ونستطيع أن نقول بكل ثقة إن كثير مِن العلماء والباحثين لا يقتنعون بأن قصة الخروج كُتِبَت بشكلها النهائى فى هذا الوقت المبكر جداً. تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica) إن سفر الخروج هو "المنتج النهائى لقرون مِن التأليف" (the end-product of centuries of composition)[6865]. وقال العلماء نفس الكلام على التوراة كلها. وهذا الاتجاه العلمى فى التفكير النقدى أدى إلى ظهور نظريات أخرى حول نشأة التوراة مثل "نظرية الوثائق" (Documentary Hypothesis) التى تقول إن عملية كتابة وجَمْع التوراة اعتمدت على وثائق متأخرة ومصادر مختلفة (وأحياناً متناقضة) يرجع تاريخها إلى الفترة من القرن العاشر وحتى القرن الرابع قبل الميلاد. وتوجد نظريات وتواريخ أخرى[6866].

ولا توجد حتى الآن نظرية واحدة يتفق عليها العلماء مع التقليديين. وعلى الرغم مِن ميلنا إلى الاتجاه العلمى النقدى، إلا أننا ندرك أهمية قراءة التوراة ككتاب واحد (holistic reading): كتاب واحد له روح واحدة وله موضوع واحد هو الخلاص (Salvation) كما يقول التقليد اليهودى-المسيحى. فهذه الوحدة (unity) الروحية هى التى تعطى التوراة معنى، بغض النظر عن كونها كتاباً إلهياً أم مِن صُنع البشر.

أما فيما يتعلق بقصة "الخروج" تحديداً، فلقد توصل عالم الأركيولوجى (Israel Finkelstein) والمؤرخ (Neil Asher Silberman) وعالم المصريات الشهير (Donald B. Redford) إلى نتيجة مفادها أن قصة الخروج كُتِبَت فى القرن السابع قبل الميلاد. واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة: كتابية وتاريخية وجغرافية. ولا داعى لشرح كل هذه الأدلة بالتفصيل[6867]، ولذا فسنكتفى بتلخيص أهم نتيجة توصلوا إليها:

جُمِعَت قصة "الخروج" الكتابية مِن تقاليد قديمة مِن مصادر متفرقة ومتعددة، وأيضاً مِن تفاصيل وطموحات معاصرة. جُمِعَت كل هذه العناصر فى ملحمة (saga) قومية وحدوية واحدة هى قصة "الخروج" التى كُتِبَت فى القرن السابع قبل الميلاد. وذلك لأغراض سياسية تتعلق بالنزاع المباشر بين طرفين متصارعين، أحدهما مصرى والآخر آسيوى. هذان الطرفان المتنافسان هُما:

- مصر بقيادة الملك "بسامتيك" (Psamtik I) (عهده: حوالى 664-610 ق.م) الذى طرد الأشوريين مِن مصر، ثم الملك الطموح "نَخْوُ" (Necho II) (عهده: حوالى 610-595 ق.م) الذى أراد أن يستغل انهيار الإمبراطورية الأشورية لكى يُوسِّع نفوذ مصر.
- يهوذا (المملكة الجنوبية) بقيادة الملك الشاب الطموح "يُوشِيَّا" (Josiah) (عهده: حوالى 640-609 ق.م) الذى وجد (أو: اكتشف) "سِفْرَ الشَّرِيعَةِ" (2 ملوك 22:8) "سِفْرَ شَرِيعَةِ الرَّبِّ بِيَدِ مُوسَى" (2 أخبار الأيام 34:14). وجاء هذا "الاكتشاف" فى سياق حركة إصلاح دينى (religious reform) قام بها يُوشِيَّا حوالى عام 622 قبل الميلاد[6868]؛ ولذلك نسب هذا السفر "المُكتشَف" إلى موسى، حتى يؤكد لأتباعه أن برنامجه الدينى الإصلاحى ليس بدعة جديدة (innovation) وإنما مجرد

تجديد أو إعادة إحياء لدين قديم (restoration)[6869]. أما على المستوى السياسى، فإن طموح المَلِك الشاب يُوشِيَّا جعله يريد أن يستغل انهيار الإمبراطورية الأشورية لكى يستعيد السيطرة على إسرائيل (المملكة الشمالية سابقاً) وبالتالى يُوحِّد كل الإسرائيليين تحت حُكمه فى دولة مستقلة متحدة[6870]: مملكة واحدة، شعب واحد، أمة واحدة، دين واحد، شريعة واحدة، رب واحد، مُخلِّص واحد، مركز واحد للعبادة.

باختصار: أراد المَلِك "يُوشِيَّا" أن يكون كل اليهود على قلب رجلٍ واحد فى مواجهة فرعون ("بسامتيك" ثم "نَخْوُ"). وقصة "الخروج" هى مجرد وسيلة دينية/شعبية لتحقيق هذا الهدف السياسى. وهذا يعنى أن قصة الخروج هى مجرد قصة أدبية وليست قصة حقيقية.

إذن: لم يكن الصراع بين موسى وفرعون. لم يكن الصراع بين موسى (الذى لا نعرف إن كان شخصية حقيقية) وفرعون (الذى لا نعرف حتى اسمه!). وإنما كان الصراع بين يوشيا وفرعون (بسامتيك ثم نَخْوُ).

وإن قلتم إن هذه النتائج تخص التوراة وحدها ولا علاقة لها بالقرآن. سنقول: إن القصة القرآنية تكاد تكون مطابقة للقصة التوراتية، كما أثبتنا فى الفصول السابقة. فبما أن: القصة التوراتية مجرد قصة أدبية وليست حقيقية. إذن: القصة القرآنية أيضاً قصة أدبية وليست حقيقية. أو كما يقول المثل الشعبي: "لا تعايرني ولا أعايرك. الهَم (أو بالأحرى: النقد والتشكيك) طايلني وطايلك".

إنها بالتأكيد نتيجة صادمة لكل مَن يؤمن بأن قصة الخروج قصة تاريخية حقيقية. وعلى المعترضين أن يعطونا دليلاً واحداً – دليلاً واحداً فقط – يثبت أن هذه القصة التوراتية←القرآنية قد حدثت فعلاً بالطريقة التى صوَّرها القرآن و/أو التوراة، لا سيما فيما يتعلق بانفلاق البحر وغرق فرعون وكل جنوده أجمعين!

أو على الأقل، اعطونا مخطوطة واحدة – مخطوطة واحدة فقط – للتوراة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر أو حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

إن لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فليس أمامكم سوى الاعتراف بأن هذه القصة التوراتية←القرآنية هى مجرد قصة أدبية وليست قصة حقيقية.

الخلاصة في بضعة أسطر: "خروج بني إسرائيل من مصر" ليس حدثاً مِن التاريخ المصري، وإنما قصة مِن الأدب الإسرائيلي تخلط بعض أحداث مِن التاريخ مع كثير مِن التقاليد والأساطير الموروثة. كل ذلك جُمِعَ لأغراض سياسية فى ملحمة (epic) قومية وحدوية واحدة هى مزيج مِن قليل مِن الحقيقة وكثير مِن الخيال. وهذا ليس عيباً أو ذماً في التوراة؛ فليس هدف التوراة أن تكون كتاب تاريخ. وإنما هدف التوراة هو أن تخلق هوية (identity) لشعبٍ مُوحَّد (united) ومُوحِّد (monotheist) يتميز بدينه وقوميته عن بقية الشعوب الوثنية آنذاك، بل يستطيع أن يقاوم الشرك السائد آنذاك. ولقد نجحت التوراةُ بامتياز في تحقيق هذا الهدف، على الرغم من سقوط بعض اليهود أحياناً في الوثنية والشرك.

التوراة نقطة انطلاق (point de départ) دينية، وليست مرجعية تاريخية.

السؤال الآن هو: لماذا اهتم أصحابُ القرآن بهذه الملحمة الإسرائيلية/الكنعانية الشهيرة اهتماماً ملحوظاً لدرجة أنهم جعلوها أطول قصة فى كتابهم العربى "القرآن"؟! هذا ما سنجيب عليه الآن ...

4.35.2 قصة "الخروج" القرآنية: كيف نشأت؟ ومتى كُتِبَت؟ ولماذا كُتِبَت؟

كيف نشأت قصة "الخروج" القرآنية؟ كما أثبتنا فى الفصول السابقة، قصة "الخروج" القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لتراث الشرق القديم بصفة عامة، والتراث اليهودى/المسيحى بصفة خاصة. وسنتحدث فى هذا الجزء بقدر أكبر مِن التفصيل عن "الأسلمة" و "التعريب" اللذين جعلا القصة القرآنية تبدو وكأنها قصة جديدة منحولة مِن قصة قديمة. أو بالأحرى: قصة عربية/إسلامية جديدة منحولة مِن قصص يهودية/مسيحية وشرق-أوسطية قديمة.

متى كُتِبَت قصة "الخروج" القرآنية؟ يقول التقليد الإسلامى إن قصة "الخروج" القرآنية كُتِبَت بشكلها النهائى قبل منتصف القرن السابع الميلادى. لكن لا يوجد أى دليل علمى يثبت صحة هذا التقليد الموروث. وكما نقول دائماً: التواتر ليس دليلاً علمياً. لو كان التواتر دليلاً علمياً، لكان لزاماً على جميع المسلمين أن يعترفوا بصلب المسيح، فهو أشهر حقيقة متواترة فى التاريخ.

وبغض النظر عن تاريخ كتابة قصة "الخروج" القرآنية بشكلها النهائى، فإنه مِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد اهتموا بقصة الخروج اهتماماً ملحوظاً لدرجة أنهم جعلوها أطول قصة فى كتابهم العربى "القرآن". السؤال إذن هو: لماذا اهتم أصحابُ القرآن بقصة الخروج كل هذا الاهتمام؟

الإجابة باختصار: كما كُتِبَت قصة الخروج الكتابية لأغراض سياسية، كذلك اهتم أصحابُ القرآن بها لأغراض سياسية أيضاً.

للإجابة بالتفصيل، يجب أن نتوقف عند بضعة آيات قرآنية جاءت فى ثنايا قصة الخروج، وهى كلها آيات مكية. نستطيع أن نُسمِّيها آيات "توريث الأرض" وهى حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن:

- "قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا (Be patient) إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ[6871]. [...] عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ [...] فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ (أى: انتقم اللهُ مِن عدوّ بنى إسرائيل) فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ [...] وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ (أى: أوْرَثْنَا بنى إسرائيل) مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى

بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ" (الأعراف 128-137) (مكية).

- "قَالَ (اللهُ) يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ (وفى قراءة أخرى: سَأُورِثُكُمْ[6872]) دَارَ الْفَاسِقِينَ" (الأعراف 144-145) (مكية).
- "(قال فرعونُ) إِنَّ هَؤُلَاءِ (أى: بنى إسرائيل) لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ. فَأَخْرَجْنَاهُمْ (أى: أَخْرَجَ اللهُ عدوَّ بنى إسرائيل) مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الشعراء 54-59) (مكية).
- "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ" (القصص 5-6) (مكية).
- "كَمْ تَرَكُوا (أى: كم ترك عدوُّ بنى إسرائيل) مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ" (الدخان 25-28) (مكية).

لو تجولت فى أى شارع شعبى فى مدينة بيروت أو دمشق أو القاهرة وسألت أى طفلة مسيحية تأكل شوكولا: ما هى الأرض التى ورثها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر؟ ستقول لك فى أقل مِن لحظة وبلا أى تردد: أرض كنعان (حالياً: إسرائيل/فلسطين وأجزاء من الشام). وستستدل على ذلك بآيات كتابية كثيرة، مثل: وعد الله لإبراهيم فى (التكوين 15): "أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا [← **"نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ[6873] وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ" (القصص 5)**]. [...] اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ (هى: مصر)، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. ثُمَّ الأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا، وَبَعْدَ ذلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاَكٍ جَزِيلَةٍ. [...] لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ" (التكوين 15:7-18)؛ (الخروج 3:8)؛ (الخروج 6:4)؛ (الخروج 6:8)؛ (الخروج 23:31)؛ (التثنية 11:24)؛ (يشوع 1:1-4)؛ وآيات كتابية أخرى كثيرة.

إذن: إجابة السؤال معروفة ومحسومة. أَرْضِ الْمَوْعِدِ (the Promised Land) التى ورثها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر هى أرض كنعان (Canaan).

أما المفسرون المسلمون فلقد احتاروا – كالعادة – فى الإجابة على هذا السؤال البسيط! وما زالوا محتارين إلى اليوم! وسبب هذه الحيرة هو – كالعادة أيضاً – القرآن نفسه الذى لم يحدد الأرض التى ورثها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر!

قال فريقٌ مِن المفسرين المسلمين إن الأرض التى ورثها بنو إسرائيل هى أرض مصر! واستدلوا على ذلك بظاهر الآيات القرآنية السابقة التى تقول صراحةً إن الأرض التى ورثها بنو إسرائيل هى نفس الأرض التى "اسْتُضْعِفُوا" فيها (القصص 5-6)، أرض عدوهم (الأعراف 129)، أى: أرض مصر. قال الشيخ الشعراوى: "وليسوا أئمة فى مكان آخر غير الذى كانوا مستضعفين فيه، ولكن فى نفس المكان بعد أن أورثهم من كان يظلمهم فرفع عنهم العذاب وجعلهم أئمة على الذين ظلموهم"[6874].

لكن المشكلة هى أن التاريخ لم يذكر أن بنى إسرائيل حكموا مصر. لحل هذه المشكلة، لجأ المفسرون المسلمون – كالعادة – إلى حيل، مثل ما يلى:

<u>الحيلة الأولى هى مجرد فبركة جغرافية:</u> قالوا إن "حدود مصر تبدأ من "رفح" وَهُمْ (أى: بنو إسرائيل) يقولون إن المواعيد هى مِن النيل إلى الفرات. فيكون الجزء من رفح إلى النيل داخلاً فى الإرث"[6875].

ونحن نقول لهم: أخطأتم خطأ شائعاً فى تفسير وعد الله لإبراهيم "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ" (التكوين 18:15). ليس النيل هو المقصود بـ "نهر مصر"، وإنما "وادى العريش" (Wadi el-Arish) فى أقصى الشمال الشرقى لسيناء. ومِن حُسن الحظ أننا وجدنا مراجع إسلامية أخرى تُفسِّر وعد الله لإبراهيم تفسيراً صحيحاً. قال د. محمد سيد طنطاوى: "قال ابن جرير: وهى (أى: الأرض المقدسة) لا تخرج عن أن تكون مِن الأرض التى ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع أهل التأويل والسير والعلماء بالإخبار على ذلك"[6876]. ورُوِى عن معاذ بن جبل أنه قال: "الأرضُ المقدسة هى ما بين العريش والفرات"[6877].

<u>الحيلة الثانية هى مجرد فبركة تاريخية:</u> قالوا إن موسى عاد إلى مصر واستولى عليها! واستدلوا على ذلك بجملة قالها مؤلف اسمه "لينج" نقلاً عن يوسيفوس نقلاً عن "مانيثون" (Manetho) ملخصها "أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر – الذى فر إلى بلاد الحبشة – حكم مصر 13 سنة وبعد ذلك عاد إليه فرعون هو وابنه ومعهما جيش عظيم فقهروه وأخرجوه منها إلى بلاد الشام"[6878]!

ونحن نقول لهم: استدلالكم يتعارض مع القرآن الذى يتحدث عن توريث الأرض بعد غرق فرعون وجنوده وليس بعد هروب فرعون إلى الحبشة! وحتى لو افترضنا جدلاً أن يوسيفوس كان أميناً فى نقله عن مانيثون، فإن الحدوتة التى نقلها لا تتحدث عن موسى، وإنما تتحدث عن شخص اسمه "أوسارسِف" (Osarsiph) تغير اسمه فى نهاية الحدوتة إلى "موسى"[6879]! ولا يوجد لدينا أى دليل تاريخى ولا دليل كتابى ولا حتى دليل قرآنى على أن موسى النبى كان اسمه الأصلى "أوسارسِف"! هذا بالإضافة إلى وجود اختلافات كبيرة بين حدوتة "أوسارسِف" هذا وقصة موسى النبي التوراتي←القرآني. ولأن حدوتة "أوسارسِف" تصف اليهود بصفات مسيئة وجارحة، فنحن نرى أنها مجرد أسطورة تنتمي إلى البروباجاندا الوثنية المعادية لليهود (anti-Jewish propaganda)[6880]. ثم إن مانيثون لم يكن معاصراً لموسى. مانيثون كان يعيش فى القرن الثالث قبل الميلاد. أما موسى – بفرض أنه شخص حقيقي – فكان يعيش فى

القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد. أى يوجد أكثر من 900 سنة تفصل بين موسى ومانيثون! ويوجد أكثر من 1200 سنة تفصل بين موسى ويوسيفوس! باختصار: استدلالكم باطل مِن أساسه.

وقال فريقٌ آخر مِن المفسرين المسلمين إن الأرض التى ورثها بنو إسرائيل هى الشام/فلسطين؛ ونحن سنفترض أنهم يقصدون: كنعان. قال د. محمد بكر إسماعيل: "والأرجح عندى ما قاله الحسن البصرى وقتادة وزيد بن أسلم من أن الأرض التى ورثوها بعد هلاك فرعون هى الشام"[(6881)]. واستدلوا على ذلك بأن القرآن وصف هذه الأرض بالبركة "الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا" (الأعراف 137)، وهى نفس العبارة التى استخدمها القرآن لوصف الشام/كنعان فى مواضع أخرى مِن القرآن المكى، مثل: (الأنبياء 71) (الأنبياء 81) (الإسراء 1) (سبأ 18). واستدلوا على ذلك أيضاً بأن الأرض التى دخلها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر هى "الأرض المقدسة": "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ [...] يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ" (المائدة 20-21)، وأن هذه الأرض المقدسة هى الشام/كنعان.

كالعادة، لجأ بعض المفسرين المسلمين إلى حيلة توافقية، فحاولوا أن يجمعوا بين الرأيين السابقين وقالوا إن الأرض التى ورثها بنو إسرائيل هى مصر والشام[(6882)]! وبذلك كان هذا الفريق أكثر "كَرَمَاً" مِن الفريقين السابقين، إذ أعطى الشام ومصر – بنَصِّ القرآن – إلى بنى إسرائيل!

وكالعادة أيضاً، نجد أحياناً اختلافاً داخل المرجع الواحد! على سبيل المثال، فَسَّر مجمع الملك فهد "عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ" (الأعراف 129) بما يلى: "لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويستخلفكم فى أرضهم"، أى فى مصر. إلا أن نفس التفسير فَسَّر "وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا" (الأعراف 137) بما يلى: "وهى بلاد الشام". أى أننا نجد تفسيراً فى صفحة وتفسيراً آخر فى الصفحة المقابلة داخل نفس المرجع! وفى (يونس 93) قال: "الشام ومصر"؛ وفى (الشعراء 57-59) قال: "مصر"[(6883)]! وحدث هذا الاختلاف داخل المرجع الواحد فى مراجع إسلامية قديمة وحديثة أخرى، مثل تفسير الجلالين[(6884)] وغيره[(6885)]! هل توجد حيرة وتخبط أكثر من ذلك؟! وكما نقول دائماً: المشكلة ليست فى المفسرين المسلمين، وإنما فى غموض القصة القرآنية وتعدد رواياتها. بعبارة أخرى: المشكلة هي أن القرآن لم يذكر أبداً أين تقع هذه الأرض التى ورثها بنو إسرائيل بعد خروجهم مِن مصر، مما أدى إلى حيرة المفسرين، بل حيرة المفسر الواحد بين آية قرآنية وأخرى!

وقال فريقٌ رابع إن "الإرث ليس لاستغلال خيرات الأرض وتسخير أهلها فى مصالح اليهود. ولكنه "إرث شريعة" [...] ولما ظهر موسى – عليه السلام – وسلمه الله التوراة. أمره بنشرها بين الأمم. وإذا نشرها بين أمة فإنه يكون وارثاً لهذه الأمة "إرث شريعة""[(6886)].

تعليقنا: لم يقل القرآن إن الإرث "إرث شريعة". بالعكس، آيات توريث الأرض واضحة وتدل صراحةً على إرث الأرض بدليل ذِكر الجنات والعيون والزروع (الشعراء 57) (الدخان 25-26) "وَيَسْتَخْلِفَكُمْ (أى:

يَسْتَخْلِف بنى إسرائيل) فِي الْأَرْضِ" (الأعراف 129) "وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ" (القصص 5-6).

حاول فريقٌ خامس أن يُفسِّر هذه الآيات تفسيراً مجازياً، فقالوا إن المقصود هو أن بنى إسرائيل قد ورثوا "الحياة". أى أن فرعون وكل جنوده قد هلكوا وماتوا غرقاً بينما ظل كل بنى إسرائيل على قيد الحياة: "وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ" (الشعراء 65-66) "فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ" (الزخرف 55) "فَأَغْرَقْنَاهُ (أى: أغرقنا فرعونَ) وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا" (الإسراء 103). ويبدو لنا أن هذا الفريق يعتمد على الحيلة التى يلجأ إليها المفسرون أحياناً وهى حيلة "اسم الجنس"، فيزعموا أن المقصود هو الأرض بصفة عامة، وليست أرضاً بعينها. أو كما قال البيضاوى فى تفسير (الإسراء 103): "فَأَرَادَ" فرعونُ "أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ" أن يستخف موسى وقومه وينفيهم "مِنَ الْأَرْضِ" أرض مصر أو الأرض مطلقاً بالقتل والاستئصال. "فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا" فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالإغراق[6887].

وكالعادة، توجد تفاسير أخرى وحيل أخرى متهافتة ومتضاربة. قيل إن بنى إسرائيل "ورثوا مثل ما كان لفرعون وملئه، فهى وراثة لنوع ما كانوا فيه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم. وقيل: المراد بالوراثة هنا: وراثة ما استعاره بنو إسرائيل من حُليِّ آل فرعون عند خروجهم من مصر"[6888]!

وكالعادة أيضاً، المشكلة ليست في المفسرين المسلمين، وإنما في أصحاب القرآن أنفسهم الذين لم يحددوا الأرضَ التي ورثها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر.

ونحن نرى أن آيات توريث الأرض مستوحاة مِن قصة هامان (سفر أستير) التى وضعها أصحابُ القرآن فى قصة خروج بنى إسرائيل مِن مصر. ويبدو لنا أن أصحاب القرآن قد فعلوا ذلك عن عمد وليس عن جهل. راجع ما قلناه عن "هامان"، فلا داعى لتكراره هنا.

أهمية آيات توريث الأرض هى أنها تشرح لنا لماذا اهتم أصحابُ القرآن بقصة خروج بنى إسرائيل مِن مصر اهتماماً كبيراً لدرجة أنهم جعلوها أطول قصة فى القرآن. لأنهم أرادوا أن يُسقِطوا أحداث هذه القصة على واقع المسلمين فى مكة. فلقد كان المسلمون الأوائل فى مكة مستضعفين ومضطهدين كما كان بنو إسرائيل فى مصر. فأراد أصحاب القرآن أن يُشجّعوا هؤلاء المسلمين على الصبر (patience) حتى "يرثوا" مكة، فجعلوا بنى إسرائيل يصبروا حتى "يرثوا" مصرَ. بعبارة أخرى: كان لا بد من تعديل قصة الخروج – أو بالأحرى: "أسلَمَتِها" – لتحقيق غرض سياسى، وهو تشجيع المسلمين الأوائل فى مكة على الصبر حتى يتحقق الأمل (hope) و "يرثوا" مكة، كما صبر بنو إسرائيل و "ورثوا" مصرَ.

وخير دليل إسلامى على ذلك هو ما قاله القرآن: "فَأَرَادَ (عدوُّ بنى إسرائيل) أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ (أى: يُخرجهم) مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا. وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا" (الإسراء 103-104). قال الواحدى النيسابورى: أراد فرعونُ إخراج موسى وبنى إسرائيل مِن

أرض مصر "بالقتل أو بالتنحية، فأغرقه اللهُ وقومَه، وأورث بنى إسرائيل مساكنهم وديارهم. وفى هذا تسلية للنبى ﷺ وأنه يفعل به وبالمشركين ما فعل بموسى وعدوه، ثم فعل ذلك، أظهر نبيه على المشركين ورده إلى مكة ظاهراً عليها"[6889]. وقال ابن كثير: "وَفِي هَذَا بِشَارَة لِمُحَمَّدٍ ﷺ بِفَتْحِ مَكَّة مَعَ أَنَّ هذه السُّورَة مَكِّيَّة نَزَلَتْ قَبْل الْهِجْرَة، وَكَذَلِكَ وَقَعَ؛ فَإِنَّ أَهْل مَكَّة هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُول مِنْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى "وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض لِيُخْرِجُوك مِنْهَا" الْآيَتَيْنِ؛ وَلِهَذَا أَوْرَثَ الله رَسُوله مَكَّة فَدَخَلَهَا عُنْوَة، عَلَى أَشْهَر الْقَوْلَيْنِ، وَقَهَرَ أَهْلهَا، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ حِلْمًا وَكَرَمًا، كَمَا أَوْرَثَ الله الْقَوْم الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل مَشَارِق الْأَرْض وَمَغَارِبهَا، وَأَوْرَثَهُمْ بِلَاد فِرْعَوْن وَأَمْوَالهمْ وَزُرُوعهمْ وَثِمَارهمْ وَكُنُوزهمْ، كَمَا قَالَ: "كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيل""[6890]. وقال د. محمد سيد طنطاوى تعليقاً على (الإسراء 103-104) إنها "تحكى سنة مِن سنن الله - تعالى - فى إهلاك الظالمين، وفى توريث المستضعفين الصابرين أرضهم وديارهم"[6891]. ثم نقل ما ذكره ابن كثير فى تفسيره.

أو كما قال الشيخ الغزالى فى بداية حديثه عن سورة القصص: "بدأت سورة القصص بطمأنة المؤمنين على مستقبلهم مؤكدة أن عاقبة الظلم مظلمة، وأن عاقبة الصبر (patience) جميلة، وأن المستضعفين فى الأرض ستتكسر قيودهم ويستردّون حرياتهم. وقد ساقت ما وقع لموسى وقومه مثالاً على أن التاريخ يعيد نفسه". ثم قال الشيخ الغزالى تعليقاً على واحدة مِن أهم آيات توريث الأرض وهى "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ" (القصص 5): "وهذا الكلام وإن كان حكاية للماضى إلا أنه يلقى سكينة فى نفوس المسلمين الذين يعانون من بطش المشركين وأذاهم، ويعلق قلوبهم بغدٍ أفضل (أى: يعطيهم الأمل hope) لاسيما وقد جاء فى آخر السورة أن المطاردة التى أكرهت المسلمين على التفكير فى ترك مكة سوف تتلاشى، "إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ (يا محمد) لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ (أى: إلى الموضع الذى أُخرجت منه، وهو مكة) قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (القصص 85). قال المفسرون: نزلت فى طريق الهجرة من مكة إلى المدينة! وقد عاد المهاجرون فاتحين بعد أن خرجوا مكسورين مقهورين"[6892].

وقال د. صلاح الخالدى تعليقاً على "قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا (Be patient) إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (الأعراف 128) إن موسى يقدم "بشرى وأملاً (hope) لأتباعه المؤمنين، بأنَّ اللهَ سيورثهم ملكَ الأرض، وهذا معناه أنَّ مرحلة الاضطهاد والتعذيب ستنتهى، وستعقبها مرحلةُ الإنعام والرخاء من الله، حيث سيملكهم الأرضَ ويورثها لهم"[6893].

نستطيع الآن أن نفهم لماذا زعم أصحابُ القرآن أن بنى إسرائيل فى مصر كانوا "شِرْذِمَة قَلِيلُونَ" (الشعراء 54) (مكية)؟ الإجابة: لأنهم أرادوا أسلمة قصة الخروج، فجعلوا بنى إسرائيل فى مصر "شِرْذِمَة قَلِيلُونَ" كما كان المسلمون الأوائل فى مكة "شِرْذِمَة قَلِيلُونَ". القرآن نفسه يعترف بأن المسلمين الأوائل كانوا أقلية مُستضعَفة فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة: "وَاذْكُرُوا (أيها المسلمون) إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي

الْأَرْضِ (أى: فى مكة) تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ (إلى المدينة) وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ (يوم بدر؛ يوم الفرقان) وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ (أى: الغنائم!) لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (الأنفال 26). أو كما قال سيد قطب تعليقاً على "وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا" (الأعراف 137) إن هذا "مثل يضربه الله للقلة المؤمنة فى مكة، المطاردة من الشرك وأهله"[6894]. وقال د. فضل حسن عباس إن (المزمل 15-16) "تهديد لأهل مكة وإيناس للنبى - عليه وعلى آله الصلاة والسلام -، والقلة المؤمنة معه"[6895]. وقال واحدٌ مِن علماء الأزهر نقلاً عن الطباطبائى إن غرض سورة القصص هو "الوعد الجميل للمؤمنين – وَهُمْ بمكة قبل الهجرة شرذمة قليلون، يستضعفهم فراعنة قريش وطغاتها ... – بأن الله سيمن عليهم ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين ويمكن لهم [...]، وفيه وعد لهم بالملك والعزة والسلطان ووعد للنبى ﷺ برده إلى معاد"[6896].

إذن: أخذ أصحابُ القرآن عنصراً هاماً مِن واقعهم الاجتماعى والسياسى والدينى فى مكة وأدخلوه على قصة الخروج التوراتية الأصلية. وطبعاً استعانوا على ذلك بقصة هامان (سفر أستير). وكل ذلك يأتى فى إطار أسلمة قصة الخروج حتى تصبح مشابهة لحال المسلمين الأوائل فى مكة، ومِن ثم تصبح قريبة من وجدانهم، فتستطيع أن تؤثر فيهم وتشجعهم على الصبر على الاضطهاد وتعطيهم الأمل فى الخلاص.

والحقيقة أن أصحاب القرآن لم يكتفوا بأسلمة قصة الخروج، بأن أدخلوا عليها فكرة "توريث الأرض"، وإنما أدخلوا هذه الفكرة أيضاً فى قصص الأنبياء السابقين: "وَقَالَ مُوسَى [لقومه] إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ. أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ. [...] وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ" (إبراهيم 8-14) (مكية). فنلاحظ هنا أيضاً الدمج والخلط بين فكرة الخروج "لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا" (إبراهيم 13) وفكرة توريث الأرض "وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ" (إبراهيم 14). ومن الجدير بالذكر أن المفسرين المسلمين قد احتاروا في "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ [...]" (إبراهيم 9)؛ فمنهم مَن قال إن هذا خطاب مِن موسى لقومه بدليل أن الآية التي تسبقها تقول "وَقَالَ مُوسَىٰ [لقومه] إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ" (إبراهيم 8)؛ ومنهم مَن قال إن هذا خطاب لقوم محمد تحذيراً لهم عن مخالفته، على سبيل الاستطراد. أما نحن فنستطيع الآن أن نحل هذا اللغز: فكرة "توريث الأرض" كانت طموحاً من طموحات المسلمين الأوائل في مكة فأدخلوها بالقوة في قصة موسى القرآنية حتى صارت تبدو كما لو كان موسى هو قائلها، مع أن قائلها في الواقع هو محمد (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب). فمَن قال إن هذا خطاب من موسى إلى قومه التزم بالنص القرآني بينما مَن قال إن هذا خطاب من محمد (أو: من الله) إلى قوم محمد كان أكثر ذكاءً لأنه استطاع أن يصل إلى ما وراء النص القرآني (metatext).

كما حرص أصحابُ القرآن على وضع فكرة "توريث الأرض" فى خاتمة سورة الأنبياء التى تحدثت عن الأنبياء السابقين مثل موسى وهارون وإبراهيم ولوط ونوح وسليمان وداود وغيرهم: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ[6897] (قيل: كتاب داود؛ وقيل: الكتب السماوية[6898]) مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ (قيل: التوراة؛ وقيل: اللوح المحفوظ) أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (الأنبياء 105). وكالعادة، اختلف المفسرون فى تحديد معنى الأرض التى يرثها العباد الصالحون: "قيل أرض من الدنيا وهى أرض مكة وُعِدَ المسلمون بإرثها منهم قبل هجرتهم إلى المدينة، وقيل هى أرض من الجنة"[6899]. واستدل أصحاب الرأى الأول بـ (النور 55) بينما استدل أصحاب الرأى الثانى بـ (الزمر 73-74). ولا تناقض بين الرأيين، إذ يمكن الجَمْع بينهما. ويبدو لنا أن أصحاب الرأى الأول قد تأثروا بالفِكر اليهودى الذى يركز على وراثة أرض كنعان؛ أما أصحاب الرأى الثانى فتأثروا بالفِكر المسيحى الذى يركز على وراثة الحياة الأبدية فى "ملكوت السماوات" ويقول إن مملكة المسيح "لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ" (يوحنا 36:18)، أى: ليست من هذا العالم الأرضى. اقرأ أيضاً: "وَشَعْبُكِ كُلُّهُمْ أَبْرَارٌ. إِلَى الأَبَدِ يَرِثُونَ الأَرْضَ" (إشعياء 21:60)، "لأَنَّ الْمُسْتَقِيمِينَ يَسْكُنُونَ الأَرْضَ، وَالْكَامِلِينَ يَبْقَوْنَ فِيهَا. أَمَّا الأَشْرَارُ فَيَنْقَرِضُونَ مِنَ الأَرْضِ، وَالْغَادِرُونَ يُسْتَأْصَلُونَ مِنْهَا" (الأمثال 2:21-22)، وآيات كثيرة في سفر المزامير تحديداً (الذي يُسمَّى في نفس الآية القرآنية: "الزَّبُور" (الأنبياء 105)!) مثل: "لأَنَّ عَامِلِي الشَّرّ يُقْطَعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ يَكُونُ الشِّرّيرُ. تَطَّلِعُ فِي مَكَانِهِ فَلاَ يَكُونُ. أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلاَمَةِ" (المزامير 37:9-11)[6900]؛ "الصِّدِّيقُونَ (أى: الصالحون؛ الأبرار) (righteous; upright) يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ" (المزامير 29:37) **[← "الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (الأنبياء 105)]**. ولو لم يسمع أصحابُ القرآن سوى المزمور (الزَّبُور) 37 لداود، لكان ذلك كافياً – بل كافياً جداً – لانتاج (الأنبياء 105).

واسمحوا لنا أن نتوقف قليلاً أمام آية قرآنية أخرى عن آل فرعون: "فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا (أى: يتشاءموا) بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (الأعراف 131).

نحن نعلم أن العرب قديماً كانوا يتشاءمون (ويتفاءلون أيضاً) بالطير[6901]. ولذلك قالت الآية العربية: "يَطَّيَّرُوا". واستخدم القرآنُ نفسَ التعبير فى مواضع أخرى كثيرة. على سبيل المثال، يزعم القرآن أن قوم ثمود قالوا لنبيهم العربى "صالح" نفس الجملة تقريباً ورد عليهم صالح نفس الرد تقريباً! "قَالُوا اطَّيَّرْنَا (أى: تشاءمنا) بِكَ (يا صالح) وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ (صالح) طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ" (النمل 47).

لكن (الأعراف 131) لا تتحدث عن العرب، وإنما تتحدث عن آل فرعون، أى المصريين القدماء.

السؤال: هل يوجد أى دليل تاريخى أو حتى كتابى على أن المصريين القدماء فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد كانوا يتشاءمون (أو يتفاءلون) بالطير؟

إذا كانت الإجابة هى "لا"، فمِن حقنا أن نقول إن أصحاب القرآن لم يكتفوا بـ "أسلمة" قصة الخروج، وإنما قاموا أيضاً بـ "تعريبها"، أى أدخلوا عليها كلمات وعادات وتقاليد وأساطير عربية.

وخير دليل قرآني يثبت أن أصحاب القرآن قد قاموا بعمليتي "أسلمة" و "تعريب" لقصة خروج بني إسرائيل مِن مصر هو أنهم قد استخدموا فى هذه القصة القرآنية تقريباً نفس الأفكار والعبارات والكلمات الإسلامية/العربية التى استخدموها فى قصة خروج المسلمين المهاجرين مِن مكة واستخدموها كذلك فى مواضع أخرى من القرآن ليست جزءاً من قصة الخروج التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage). وهذا دليل داخلى (internal evidence)، أى من داخل القرآن نفسه، يشهد بعمليتي "الأسلمة" و "التعريب"، كما يوضح الجدول التالى:

جدول 33 – أسلمة وتعريب قصة الخروج: قصة الصبر على الاضطهاد والأمل فى الخلاص

خطة الخلاص (النجاة، الفرقان) (Salvation Plan) الخروج (Exodus): قصة الصبر (Patience) على الاضطهاد والأمل (Hope) في الخلاص (النجاة، الفرقان) (Salvation)			
	الهجرة الإسرائيلية: خروج بنى إسرائيل مِن مصر إلى كنعان	**توريث الأرض: قصة هامان (سفر أستير)**	**الهجرة الإسلامية/العربية + توريث الأرض: خروج المسلمين الأوائل مِن مكة إلى المدينة ثم رجوعهم إلى مكة فاتحين**
الأرض	مصر	فارس	شبه الجزيرة العربية (مكة، المدينة، مكة)
الزمان	القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد	القرن الخامس قبل الميلاد	القرن السابع الميلادى
السلطة الكافرة المُضطهِدة	فرعون وملؤه وجنوده	هامان وجنوده	قريش؛ كبراء مكة وأشرافها؛ وأشهرهم أبو جهل (أبو الحكم)
الثوار المؤمنون المُستضعفون المُضطهَدون	بنو إسرائيل (اليهود الأوائل): شعب الله المُختَار (التثنية 14:1-2)	اليهود: "شَعْب مُرْدَخَايَ" (أستير 6:3)؛ شعب أستير (أستير 8:4)	المسلمون الأوائل: "خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" (آل عمران 110)[6902]
المُخلِّص: قائد الثورة	موسى وهارون	مُردخاى وأستير	محمد (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) وأصحابه
وسيلة الخلاص	وسيلة دينية + وسيلة دنيوية[6903]: "قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ [...] الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ" (الخروج 13:14-14). موسى يصلى ويشوع يحارب عماليق، "فَهَزَمَ يَشُوعُ عَمَالِيقَ وَقَوْمَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ" (الخروج 13:17)	وسيلة دنيوية: سفر أستير هو السفر الوحيد فى الكتاب المقدس الذى لم يذكر اسمَ الله!	وسيلة دينية + وسيلة دنيوية[6904]: "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى" (الأنفال 17) "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ" (آل عمران 142). آية السيف (التوبة 5) وحديث السيف: "أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..."[6905]
نهاية القصة	موسى نجح فى إخراج قومه مِن مصر، لكنه فشل	مردخاى نجح فى قيادة قومه إلى	محمد نجح فى إخراج قومه من مكة، ونجح أيضاً فى قيادتهم إلى القتال، فدخلوا مكة

	في قيادتهم إلى القتال، فمات موسى ولم يدخلوا كنعان. ثم جاء يشوع ونجح فيما فشل فيه موسى[6906]	القتال، فسيطروا على فارس	فاتحين ثم سيطروا على شبه الجزيرة العربية. أي أن "موسى الثاني" نجح فيما فشل فيه "موسى الأول"[6907]
الأفكار والعبارات والكلمات الإسلامية/العربية التي استخدمها أصحاب القرآن في قصة خروج بني إسرائيل من مصر	**الإخراج:** "فَأَرَادَ (عدوُّ بني إسرائيل) أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ (أي: يُخرجهم) مِنَ الْأَرْضِ" (الإسراء 103)		**الإخراج:** "وَإِنْ كَادُوا (يا محمد) لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ (أي: لا يبقون فيها بعد خروجك منها) إِلَّا قَلِيلًا. سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا" (الإسراء 76-77)[6908]
	فكَّر فرعون في سجن موسى (الشعراء 29) **أو قتله** (غافر 26) **أو إخراجه من مصر** (الإسراء 103).		**هذه الأفكار الثلاثة هي أفكار قريش:** "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا (أي: خلاصاً) وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ [يا محمد] الَّذِينَ كَفَرُوا **لِيُثْبِتُوكَ** (أي: يحبسوك؛ يسجنوك) أَوْ **يَقْتُلُوكَ** أَوْ **يُخْرِجُوكَ** [من مكة] وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (الأنفال 29-30). **وأبو جهل (فرعون قريش) هو الذي اقترح قَتْل محمد (موسى الثاني).**
	توريث الأرض (التمكين في الأرض؛ التمكين بعد الاستضعاف): "قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا (Be patient) إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [...] عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ" (الأعراف 128-129) "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ		**توريث الأرض (التمكين في الأرض؛ التمكين بعد الاستضعاف):** "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا" (النور 55)[6909]. وشجع القرآنُ المسلمين على الهجرة إلى المدينة قائلاً: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ

	الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ" (القصص 5-6)	الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ (بقعودهم في مكة) قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا" (النساء 97). "فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ" (هود 49).
	"فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا (أي: قال آل فرعون) لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا (أي: يتشاءموا) بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ (أي أن الله هو الذي أصابهم وابتلاهم، وليس موسى أو غيره) وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (الأعراف 131)	"وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ (يا محمد) قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا" (النساء 78)
	"وَقَالُوا (أي: قال آل فرعون لموسى) مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ" (الأعراف 132)	"إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ (يا محمد) لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ" (يونس 96-97)
	أثناء الهجرة الإسرائيلية من مصر إلى كنعان، قال موسى لله: "اكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ" (الأعراف 156)	"وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا (في مكة) لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (النحل 41)
	وَضَعَ القرآنُ على لسان موسى كلاماً لم نجده في التوراة: "قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي" (طه 25-26)	**إنه كلام إسلامي/عربي:** "أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (يا محمد). [...] فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" (الشرح 1-6)؛ "فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ" (الأنعام 125)
	يزعم القرآنُ أن الله ذَكَّرَ موسى بنعمه عليه منذ أن كان طفلاً لقيطاً إلى أن صار نبياً: "قَالَ (الله) قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى. وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى	**إنها فكرة إسلامية/عربية. يزعم القرآنُ أن الله ذَكَّرَ محمداً بنعمه عليه منذ أن كان طفلاً يتيماً إلى أن صار نبياً:** "مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ (يا محمد) وَمَا قَلَى. وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى. فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ.

	مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى. وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي" (طه 36-41)	وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" (الضحى 3-11) "أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ"(الشرح 1-4)[6910]
	أمر القرآنُ المكى موسى وهارون أن يذكرا الله عند مواجهة عدوهما فرعون: "اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا (أى: لا تتراخيا؛ لا تكسلا) فِي ذِكْرِي. اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ [...] لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" (طه 42-44)	**أمر القرآنُ المدنى المسلمين أن يذكروا الله عند مواجهة أعدائهم الكفار:** "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (الأنفال 45)
	وَضَعَ القرآنُ على لسان موسى كلاماً لم نجده فى التوراة: "قَالَ (موسى) رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" (طه 50)	**إنه كلام إسلامى/عربى:** "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى. وَالَّذِي أَخْرَجَ (من الأرض) الْمَرْعَى (أى: الْعُشْب الأخضر)" (الأعلى 1-4)
	ولاحِظ استخدامَ المطر وإخراج النبات (الحى) مِن الأرض (الميتة) كوسيلة لتقديم عقيدة إحياء الموتى (أى: الخروج "exodus" مِن القبور أحياء): "(قَالَ موسى لفرعون: رَبِّي) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (أى: أصحاب العقول). مِنْهَا (أى: مِنَ طين الْأَرْضِ) خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ (مقبورين بعد الموت) وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ (أحياء) تَارَةً أُخْرَى (أى: مرة أخرى بالبعث يوم القيامة للحساب والجزاء)" (طه 53-55)[6911]	**إنها وسيلة إسلامية/عربية استخدمها أصحابُ القرآن كثيراً:** "وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ (إلى البعث) إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (أحياء مِن قبوركم). [...] وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ (حياً مرة أخرى بالبعث يوم القيامة للحساب والجزاء)" (الروم 24-27)؛ (الروم 11) (الأعراف 57) (الحج 5-7) (فاطر 9) (فصلت 39) (نوح 11-20) (يونس 31) (النبأ 14-18)
	وَضَعَ القرآنُ على لسان موسى كلاماً لم نجده فى التوراة: "(قَالَ موسى لفرعون: رَبِّي) الَّذِي جَعَلَ	**إنه كلام إسلامى/عربى:** "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ (يا محمد) مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

	لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (أى: أصحاب العقول). مِنْهَا (أى: مِنَ طين الْأَرْضِ) خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى" (طه 53-55)	خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ. وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ" (الزخرف 9-12)
	وَضَعَ القرآنُ على لسان موسى كلاماً لم نجده فى التوراة: "(قَالَ موسى: رَبِّي) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (أى: أصحاب العقول)" (طه 53-54)	**إنه كلام إسلامى/عربى:** "(رَبُّكُمُ) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ" (البقرة 22) "أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ [...] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (أى: أصحاب العقول)" (الزمر 21)
	وَضَعَ القرآنُ على لسان موسى كلاماً لم نجده فى التوراة: "(قَالَ موسى: رَبِّي) الَّذِي [...] أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى" (طه 53-54)	**إنه كلام إسلامى/عربى:** "وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ [...] إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الأنعام 99)
	وَضَعَ القرآنُ على لسان موسى كلاماً لم نجده فى التوراة: "قَالَ [موسى لفرعون] لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ [الآيات] إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (أي: هالكاً؛ ملعوناً؛ مغلوباً؛ خاسراً)" (الإسراء 102).	**إنه كلام قاله محمد (موسى الثاني) لأبي جهل (فرعون قريش) عندما سخر من آية (المدثر 30):** "أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (أي: هلاك لك فهلاك). ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى" (القيامة 34-35). أسلوب للتهديد والوعيد معروف عند العرب، ومعناه: قَرُبَ منك مَا تَكْرَهُ.
	وَضَعَ القرآنُ على لسان موسى وفرعون كلاماً لم نجده فى التوراة: "قَالَ (فرعونُ) فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (أى: الذين كانوا قبلنا). قَالَ (موسى) عِلْمُهَا	**إنه كلام إسلامى/عربى تكرر فى نفس السورة:** "أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ (أى: لكفار مكة؛ لقومك يا محمد) كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ

	عِنْدَ رَبِّي [...] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى" (طه 51-54)	يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى" (طه 128)
	ولم يرد تعبير "أُولِي النُّهَى" فى القرآن كله إلا فى هذين الموضعين فقط: قصة موسى وفرعون (طه 54) وقصة محمد - موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب - وقومِه (طه 128)	
	هل يمكن أن نصدق أن هذا الحوار قد دار بين ناس تعيش فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد؟! "فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (السَّحَرَة). قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ (أى: يستأصلكم، يهلككم) بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى" (طه 60-61)	"أَمْ يَقُولُونَ (إن محمد) افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" (الشورى 24) "أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ (أى: مجنون) بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ" (سبأ 8) "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (الأنعام 21) "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ" (يونس 17)
	"فَتَنَازَعُوا (أى: فتنازع السَّحرة) أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (أى: تحاوروا سراً فيما بينهم)" (طه 62)	"لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا (أى: محمد) إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ" (الأنبياء 3)
	وَضَعَ القرآنُ على لسان فرعون كلاماً لم نجده فى التوراة: "فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ" (طه 71) (الأعراف 124) (الشعراء 49)	**إنه كلام إسلامى/عربى:** "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ" (المائدة 33)
	وَضَعَ القرآنُ على لسان سحرة فرعون كلاماً لم نجده فى التوراة: "وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى. إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا" (طه 73-74)	**إنه كلام إسلامى/عربى:** "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى" (القصص 60) (الشورى 36) "وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى" (طه 131) "وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" (الأعلى 17). "الْأَشْقَى. الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (أى: جهنم). ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا" (الأعلى 11-13)

	وَضَعَ القرآنُ على لسان سحرة فرعون كلاماً لم نجده فى التوراة: "وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا (يا فرعون) إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا" (الأعراف 126)	**إنه كلام إسلامى/عربى مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموه فى قصة أصحاب الأخدود:** "وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" (البروج 8)
	"وَقَالَ مُوسَى (لقومه) يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ" (يونس 84)	"وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ" (الأنفال 41)
	"فَقَالُوا (أى: فقال المؤمنون بموسى) عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (يونس 85-86)	(يَا أَيُّهَا المؤمنون قولوا كما قال المؤمنون بإبراهيم) "رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا [...] رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا" (الممتحنة 4-5)
	يزعم القرآنُ أن الله قال لموسى قبل الخروج مِن مصر: "اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ (سراً فى بيوتكم) وَبَشِّرِ (يا موسى) الْمُؤْمِنِينَ (بالنصر والاستخلاف فى الأرض)" (يونس 87) (رواية مكية متأخرة نسبياً).	لم تُذكَر كلمة "قِبْلَةً" فى آيات قرآنية أخرى إلا (البقرة 142-145) التى تتحدث عن مسألة تحويل القِبلة إلى الكعبة سنة 2هـ. "وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ (لكم على مشركى قريش) وَفَتْحٌ قَرِيبٌ (هو فتح مكة[6912]) وَبَشِّرِ (يا محمد) الْمُؤْمِنِينَ" (الصف 13).

قال النسفى وغيره: ""اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً" أى: مساجد متوجهة نحو القبلة، وهى الكعبة. وكان موسى ومَن معه يصلون إلى الكعبة، وكانوا فى أوّل الأمر مأمورين بأن يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة؛ لئلا يظهروا عليهم، فيؤذوهم، ويفتنوهم عن دينهم، كما كان المسلمون على ذلك فى أول الإسلام بمكة"[6913]. وقال سيد قطب إن القرآن يعرض تجربة بنى إسرائيل على المؤمنين المُطارَدين فى أى مجتمع جاهلى ليكون لهم فيها "أسوة"[6914].

إذن: أراد صاحب (يونس 87) أن يُقدِّم المؤمنين المُضطهَدين (بنى إسرائيل فى مصر) كقدوة ومثل أعلى للمؤمنين المُضطهَدين (المسلمين الأوائل فى مكة): "اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ" انتظاراً للخلاص (الهجرة + توريث الأرض) الذى سيحدث قريباً "وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ"[6915].

ونلاحظ أن صاحب رواية سورة يونس هو أكثر واحد تكلم عن بنى إسرائيل بطريقة إيجابية. لم يذكر تذمرهم على موسى، ولم يذكر اتخاذهم العِجل الذهبى إلهاً معبوداً، ولم يذكر رفضهم دخول

	كنعان ... الخ. ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن صاحب هذه الرواية كان أصلاً مِن أهل الكتاب (يهودياً أو مسيحياً) ثم انضم إلى المسلمين الأوائل.	
	بل إن رواية سورة يونس قد خُتِمت بجَعْل أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين) مرجعية لمحمد: "فَإِنْ كُنْتَ (يا محمد) فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ" (يونس 94-95). وقيل إن (يونس 94-95) مدنية.	وهذه العبارة الأخيرة هى نفس العبارة التى قيلت فى مسألة تحويل القبلة: "الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ" (البقرة 147) (مدنية)، مما يؤكد العلاقة الوثيقة بين رواية سورة يونس ومسألة تحويل القِبلة إلى الكعبة سنة 2هـ.
	يزعم القرآنُ أن موسى دعا على فرعون وملئه قائلاً: "رَبَّنَا [...] وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88).	**إنه كلام إسلامى/عربى:** "إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ (يا محمد) لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 96-97)؛ "وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ (أى: هذا القرآن) عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ. فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ (أى: على كفار مكة) مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ. كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ (أى: أدخلنا التكذيب به) فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ. لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (الشعراء 198-201).
	يزعم القرآنُ أن فرعون قد أعلن "إيمانه" و "إسلامه" فى اللحظة الأخيرة! وطبعاً لم يقبل الله توبتَه لأنه تاب بعد أن أيقن أنه ميت لا محالة: "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ (أى: جثتك؛ جسدك الميت)" (يونس 90-92)	**إنها فكرة إسلامية/عربية:** "فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ" (غافر 84-85) "وَلَوْ رُدُّوا (إلى الدنيا) لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" (الأنعام 28) "وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ" (النساء 18)؛ (المؤمنون 99-100) (المنافقون 10-11) (الأنعام 158) (غافر 11) (فاطر 36-37) (السجدة 12-14)[6916]

	أضاف القرآن هذا الكلام الذى لم نجده فى التوراة: "قَالَ فِرْعَوْنُ (لموسى) وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ (موسى) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ. [...] رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الشعراء 23-26)	**إنه كلام إسلامى/عربى:** "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ (أى: أنزلنا القرآن) [...] رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ [...] رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ. [...] رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الدخان 3-8)
	"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ" (إبراهيم 5)	وتقول الآية الأولى من هذه السورة: "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ (يا محمد) لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ" (إبراهيم 1)
	"وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ" (الدخان 17)	"إِنَّهُ (أى: القرآن) لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ" (الحاقة 40) (التكوير 19)
	"فَلَمَّا جَاءَهُمْ (موسى) بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ" (الزخرف 47)	"إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا (كأبى جهل وغيره من كبراء مكة) كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ" (المطففين 29)
	وَضعَ القرآنُ على لسان فرعون كلاماً لم نجده فى التوراة: "وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ [...]. فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ (أى: على موسى) أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ" (الزخرف 51-53).	**إنه كلام عربي قاله كفار قريش لمحمد:** "وَقَالُوا [...] لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ (أى: إلى محمد) مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا. أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا" (الفرقان 7-8).
	قال قوم موسى له: "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً (أي: عِيَانًا، علانيةً)" (البقرة 55) "فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً" (النساء 153)	**هذا كلامٌ عربي قاله قوم محمد له:** "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى [...] تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (أي: عِيَانًا فَنَرَاهُمْ بأعيننا ظاهرين أمامنا)" (الإسراء 90-92)
	الإسراء: "فَأَسْرِ (يا موسى) بِعِبَادِي لَيْلًا" (الدخان 23) (الشعراء 52) (طه 77)	**الإسراء:** "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا[6917]" (الإسراء 1)
	"لِنُرِيَكَ (يا موسى) مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى" (طه 23)	"لَقَدْ رَأَى (محمد) مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى" (النجم 18). قيل: هذا حدث ليلة المعراج!
	"وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (أى: مباشرةً بلا واسطة وبدون سفير)" (النساء 164)؛ (الأعراف 143) (مريم 52) (البقرة 253)	وقيل إن الله كَلَّمَ محمداً بغير واسطة ليلة الإسراء والمعراج[6918]! وهكذا جعلوا

		محمداً (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) كليم الله أيضاً مثل موسى!
	وتقول أحاديث صحيحة أخرجها الشيخان البخارى ومسلم إن محمداً التقى موسى "فى السماء السادسة" وتحدث معه حين عُرِج به إلى السماء[6919]! وطبعاً أساطير البخارى ومسلم لم تنشأ مِن فراغ، فهى تعتمد على القرآن نفسه الذى يقول: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ (يا محمد) فِي مِرْيَةٍ (أى: فى شك) مِنْ لِقَائِهِ" (السجدة 23). فقيل إن محمداً التقى موسى يوم الإسراء والمعراج! وقيل: سيلتقيه يوم القيامة (أى: فى الأخرويات)! وقيل غير ذلك.	
	يا موسى خذ هذه الآية الكبرى (أى: العصا و/أو اليد) واذهب بها إلى فرعون وملئه: "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" (طه 24) (النازعات 17)[6920] "فَأَرَاهُ (أى: فأرى موسى فرعونَ) الْآيَةَ الْكُبْرَى" (النازعات 20)[6921].	يا محمد خذ هذه الآية الكبرى (أى: الإسراء و/أو المعراج) واذهب بها إلى كفار مكة الذين يعبدون الأصنام: "أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى" (النجم 19-20).
	فكان رد فعل فرعون هو أنه "كَذَّبَ" (النازعات 21) "ثُمَّ أَدْبَرَ (أى: أعرض، تَوَلَّى)" (النازعات 22) "وَاسْتَكْبَرَ" (القصص 39).	فكان رد فعل الكفار هو أنهم "يُكَذِّبُونَ" (الانشقاق 22) (المطففين 11) (الانفطار 9)، فكل واحد منهم "كَذَّبَ وَتَوَلَّى" (القيامة 32) (الليل 16) (الماعون 1) "ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ" (المدثر 23) (المعارج 17).
	"فَحَشَرَ (فرعونُ السَّحَرَةَ) فَنَادَى" (النازعات 23)	"أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى. [...] فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (أى: أهل مجلسه، أنصاره)" (العلق 13-17). تتحدث هذه الآيات عن أبي جهل (فرعون قريش).
	الجهاد؛ القتال؛ الحرب المقدسة (Holy War): "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ [...] يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. [...] قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا	**الجهاد؛ القتال؛ الحرب المقدسة (Holy War):** "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا [...]. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ (أى: من مكة) بِغَيْرِ حَقٍّ" (الحج 39-40)؛ "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ (أى: مكة) الظَّالِمِ

لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ" (المائدة 20-24).	أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (يتولى أمورنا) وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (ينصرنا على الظالمين)" (النساء 75). فلعب محمدٌ دور هذا الولى والنصير الذى أراده المسلمون المُضطهَدون لكى يساعدهم على الهجرة مِن مكة إلى المدينة.
لم يَرِدْ الفعل "تَرَاءَى" إلا فى موضعين فى القرآن، والموضعان فى سياق المواجهة بين المؤمنين وأعدائهم الكافرين[6922]:	
المرة الأولى: يوم الخروج (يوم الفرقان). المواجهة بين أصحاب موسى وجيش فرعون: "فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ" (الشعراء 61)	**المرة الثانية:** يوم بدر (يوم الفرقان) (2هـ). المواجهة بين أصحاب محمد وكفار مكة: "فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ" (الأنفال 48)
ولم تَرِدْ كلمة "الْجَمْعَانِ" إلا فى 4 مواضع فى القرآن، وجميعها فى سياق المواجهة بين المؤمنين وأعدائهم الكافرين[6923]:	
المرة الأولى: يوم الخروج (يوم الفرقان). المواجهة بين أصحاب موسى وجيش فرعون: "فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ" (الشعراء 61)	**المرة الثانية:** يوم بدر (يوم الفرقان) (2هـ). المواجهة بين أصحاب محمد وكفار مكة "يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ" (الأنفال 41). **المرتان الثالثة والرابعة:** يوم أحد (3هـ) "يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ" (آل عمران 155) "يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ" (آل عمران 166)
يقول القرآنُ عن غزو كنعان: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ [...]. يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ" (المائدة 20-21)	**يقول القرآنُ عن غزوة الخندق (5هـ):** "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ [...]" (الأحزاب 9) "وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا" (الأحزاب 15)
موقف الفارين من غزو كنعان: "قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ" (المائدة 22)	**موقف الفارين من غزوة الخندق (5هـ):** "وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا

	"قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ" (المائدة 24)	(أى: بَاطِلًا). وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ (أى: غير محصنة) وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا" (الأحزاب 12-13)
	موقف المؤمنين من غزو كنعان: "قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ (اللهَ وحده) أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا (بالإيمان والحياة ودخول كنعان) ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (المائدة 23)	**موقف المؤمنين من غزوة الخندق (5هـ):** "وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ (أى: مِن الابتلاء والنصر) وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا. مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" (الأحزاب 22-23)
	توريث الأرض بعد غزو كنعان: " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ [...] يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ (أى: كنعان/الشام)" (المائدة 20-21)	**توريث الأرض بعد غزوة الخندق (5هـ):** "وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (أى: يهود بنى قُرَيْظَة) مِنْ صَيَاصِيهِمْ (أى: حُصُونهمْ) وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ (هُمْ الرجال الْمُقَاتِلَة) وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (هُمْ النساء والذَّرَارِيّ). وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا (وَهِيَ خَيْبَر أُخِذَتْ بَعْد قُرَيْظَة) وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا" (الأحزاب 26-27)
	آخر جملة قالها موسى في نهاية قصة الخروج: "قَالَ [موسى] رَبِّ [...] افْرُقْ (أي: احْكُم؛ افصل) بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (المائدة 25)	**إنها جملة إسلامية/عربية قالها محمدٌ في نهاية سورة الأنبياء:** "قَالَ [محمدٌ] رَبِّ احْكُم (أي: افصل) بِالْحَقِّ [بيننا وبين قومنا المكذبين]" (الأنبياء 112)

يتضح مِن الجدول السابق أن الموضوع ليس مجرد بضعة آيات "توريث"، وإنما نحن أمام عمليتي "أسلمة" و "تعريب" كاملتين لقصة خروج بني إسرائيل مِن مصر.

إن الجدول السابق يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن أصحاب القرآن قد أعادوا بناء (remodeled) قصة "خروج بنى إسرائيل مِن مصر" مستخدمين أفكار وعبارات وكلمات لا تلائم قصة "الخروج" الأصلية وإنما تلائم بيئتهم الإسلامية/العربية فى القرن السابع الميلادى، لا سيما فيما يتعلق بهجرة المسلمين الأوائل مِن مكة إلى المدينة ثم رجوعهم إلى مكة فاتحين.

أو بعبارة أخرى: حين كتب أصحابُ القرآن قصةَ "الخروج"، كانوا يضعون فى أذهانهم الواقع الذى كان يعيشه المسلمون الأوائل فى شبه الجزيرة العربية (مكة والمدينة) فى القرن السابع الميلادى[6924]. فاستعانوا بعناصر مِن واقعهم العربى وأدخلوها فى قصة "الخروج" حتى تصبح قريبة جداً مِن واقعهم.

أو إن شئت فقل إن أصحاب القرآن قد أعادوا تقديم شخصية النبى الإسرائيلى "موسى" بحيث يكون رمزاً وقدوةً ومَثلاً أعلى للنبى العربى محمد[6925]. وخير دليل قرآنى على ذلك هو ما قاله صاحب رواية سورة القصص لمحمد: "وَمَا كُنْتَ (يا محمد) بِجَانِبِ الطُّور إِذْ نَادَيْنَا (موسى) وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا (هُمْ: أهل مكة) مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا (أى: فَلَمَّا جَاءَهُمُ محمدٌ بالقرآن) قَالُوا **لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى** أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ (أى: التوراة والقرآن؛ وقُرِئت "ساحران" أى موسى ومحمد) تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ (منهما) كَافِرُونَ. قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا (أى: مِن التوراة والقرآن) أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (القصص 46-49).

لكن بعد أن فشل موسى فى قيادة بنى إسرائيل إلى القتال (المائدة 20-26) وأعلن بكل صراحة ووضوح فشلَه الذريع و "قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (المائدة 25)، لم يعد موسى يصلح كقدوة لمحمد. ولذلك كانت (المائدة 20-26) هى آخر رواية قرآنية لقصة خروج بنى إسرائيل مِن مصر، بل هى آخر رواية قرآنية لقصة حياة موسى؛ وكأن موسى مات بعدها مباشرةً. وكأن أصحاب القرآن أرادوا أن يقولوا إن رسالة موسى بدأت به هو وهارون فقط (الشعراء 13) (طه 29-32) (القصص 34) وانتهت أيضاً به هو وهارون فقط (المائدة 25). باختصار: انتهى دور "موسى" فى هذه القصة الأدبية فاختفى مِن المشهد تاركاً خشبة المسرح لشخصية أخرى تُكمِل الرواية.

بعد موسى، جاء يشوع (يُوشَع)، فصار هو القدوة لمحمد. أو كما قال الْمِقْدَادُ بْن الْأَسْوَد لمحمد يوم بدر (يوم الفرقان) (2هـ): إِنَّا لَا نَقُول لك كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيل لموسى: "فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ"، وَلَكِنْ نَقُول: "اِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبّك فَقَاتِلَا، إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ".

كذلك، أعاد أصحابُ القرآن تقديمَ شخصية "فرعون/هامان" بحيث يكون عظة وعِبرة لقريش وكفار مكة. والهدف هو التأكيد على أنه كما انتصر اللهُ على فرعون وخَلَّص المؤمنين المستضعفين فى الأرض (بنى إسرائيل) وانتصر اللهُ على هامان وخَلَّص المؤمنين المستضعفين فى الأرض (اليهود) وجعلهم الوارثين، سينتصر اللهُ أيضاً على قريش وكفار مكة وسيُخلِّص المؤمنين المستضعفين فى الأرض (المسلمين الأوائل) وسيجعلهم الوراثين. أو كما قال د. مصطفى البغا تعليقاً على "هَلْ أَتَاكَ (يا محمد) حَدِيثُ مُوسَىٰ" (النازعات 15): "والحكمة من إخباره ﷺ بذلك تسليته وتحذير قومه من مخالفته، فيحصل لهم ما حصل لفرعون، لأنهم (أى: قوم محمد؛ قريش؛ كفار مكة) مهما بلغوا فى الكفر والعناد لم يبلغوا ما بلغه فرعون، وقد انتقم الله تعالى منه مع شدة بأسه وكثرة جنوده"[6926]. أو كما قال القرآن نفسه فى نفس السورة: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ" (النازعات 26). وبالفعل، كانت هزيمة قريش في يوم بدر (2هـ) هزيمة ساحقة تشبه إلى حد كبير نهاية فرعون وجنوده. فكان يوم بدر هو البداية الحقيقية لعملية توريث الأرض التي اكتملت يوم فتح مكة (8هـ).

سؤال: كان المعاصرون لمحمد يسألونه فى كل شيء[6927]، فلماذا لم يسألوه عن اسم "فرعون"؟

الإجابة: لأنهم فهموا المعنى المقصود مِن هذه القصة القرآنية فهماً صحيحاً. عرفوا أن "فرعون" فى القرآن ليس شخصاً تاريخياً (historical figure, person)، وإنما هو شخصية أدبية (character, personnage). شخصية "فرعون" القرآنية هى مجرد رمز لقريش (أو: أى حاكم طاغية مستبد آخر)؛ ولذلك لم يهتم أصحابُ القرآن بذِكر اسم فرعون ولا بتاريخ الخروج ولا بأية تفاصيل تاريخية أو جغرافية أخرى. وخير دليل قرآنى على ذلك هو أن "فرعون" ذُكِرَ فى القرآن 74 مرة. مِنهم 66 مرة فى القرآن المكي، أي: بنسبة 89% فى قرآن ما قبل الهجرة إلى يثرب (المدينة). لماذا؟ لأن "فرعون" القرآني ليس شخصاً تاريخياً وإنما هو مجرد رمز لقريش أو لسادات قريش مثل أبي جهل الذي قال عنه محمدٌ يوم بدر (يوم الفرقان) (2هـ): "هَذَا فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ" أو "هَذَا فِرْعَوْنُ أُمَّتِي"[6928]. وقريش كانت تضطهد المسلمين الأوائل فى مكة وليس فى المدينة. ولذلك ركز أصحابُ القرآن تركيزاً شديداً على "فرعون" قبل الهجرة إلى يثرب (المدينة) ولم يهتموا به كثيراً بعد تأسيس الدولة الإسلامية فى المدينة وبعد مقتل أبي جهل (2هـ).

كل مَن قالوا إن "فرعون" القرآني هو أحمس أو تحتمُس أو أمنحوتب أو رمسيس أو غيرهم مِن ملوك مصر القديمة، كل مَن قالوا ذلك لم يفهموا قصة "موسى وفرعون" القرآنية. لم يفهموا القصة القرآنية لأنهم تعاملوا معها باعتبارها قصة تاريخية، فبحثوا عن فرعون في مصر في الألفية الثانية قبل الميلاد، وطبعاً لم يجدوه ولن يجدوه. لم يفهموا القصة القرآنية لأنهم نزعوها مِن زمان مَن كتبوها (القرن السابع الميلادي وليس قبل الميلاد) ونزعوها مِن مكان مَن كتبوها (شبه الجزيرة العربية وليس مصر). لم يفهموا القصة القرآنية لأنهم ظنوا أنها قصة تاريخية، وإنما هي في الواقع مجرد قصة أدبية.

"فرعون" القرآني هو مجرد رمز لأبي جهل وأمثاله.

وكذلك بالنسبة لموسى: شخصية "موسى" القرآنية هي مجرد رمز لمحمد (أو: أى ثائر مُخلِّص مُحرّر آخر). ولم يهتم أصحابُ القرآن باثبات أن موسى شخص تاريخي؛ فهذا أمر لا يعنيهم على الإطلاق، لأن البطولة الحقيقية ليست لهذا الشخص التاريخي إنْ وُجِد، وإنما البطولة الحقيقية هي لِمَا رُوِى عنه في التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) ولِما حققه موسى (الأول) لبني إسرائيل – حسب القصة اليهودية/المسيحية الموروثة – وأراد أصحابُ القرآن أن يحققه موسى الثاني (أي: محمدٌ) للعرب.

وكذلك بالنسبة لـ "الْيَمّ"! أين هذا "الْيَمّ" الذي لم يُذكَر في القرآن كله إلا 8 مرات فقط وكلهم في قصة موسى وفرعون! وفي ثلاث مراحل مختلفة مِن حياة موسى:

- حين كان موسى طفلاً حديث الولادة مهدد بالقتل مِن قِبَل فرعون وجنوده. جاءت كلمة "الْيَمّ" 3 مرات بمعنى النهر؛ أي: نهر النيل أو ترعة متفرعة منه. "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ" (القصص 7) "فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ" (طه 39). ونرى هنا الصراع بين إرادة فرعون أن يموت موسى وإرادة الله أن يعيش موسى. أي: صراع بين الكفر والإيمان.
- حين كان موسى نبياً ورسولاً يقود بني إسرائيل وَهُمْ يخرجون من مصر، جاءت كلمة "الْيَمّ" 4 مرات (الأعراف 136) (طه 78) (القصص 40) (الذاريات 40) بمعنى "الْبَحْر" (الشعراء 63) (طه 77) (الدخان 24) (الأعراف 138) (يونس 90) (البقرة 50). وقد تكون بحيرةً كما قيل. ونرى هنا مرة أخرى الصراع بين الكفر (فرعون) والإيمان (الله؛ موسى؛ بني إسرائيل).
- بعد خروج بني إسرائيل من مصر، جاءت كلمة "الْيَمّ" مرة واحدة فقط في قصة "العجل الذهبي" الذي صنعه السامري فاتخذه بنو إسرائيل إلهاً يُعبَد مِن دون الله، فحرقه موسى وقال للسامري: "وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا" (طه 97). وكلمة "الْيَمّ" هنا جاءت بمعنى النَّهْر الْمُنْحَدِر مِنَ الْجَبَلِ[6929]. ونرى هنا أيضاً الصراع بين الكفر (السامري؛ العجل الذهبي؛ عِباد العجل) والإيمان (موسى؛ الله؛ عِباد الله).

إذن: كلمة "الْيَمّ" تأتي في القرآن دائماً في سياق صراع بين الكفر والإيمان. وهذا "الْيَمّ" هو الذي يحسم هذا الصراع لصالح الإيمان[6930]، فينتصر المؤمنون (الأبرار) على الكفار (الأشرار).

نستطيع الآن أن نفهم لماذا لم يسأل الصحابةُ محمداً عن مكان هذا "الْيَمّ"؟ هل هو بحيرة المنزلة؟ أم بحيرة التمساح؟ أم ترعة؟ ... الإجابة: لم يسألوا عن مكان هذا "الْيَمّ" لأنهم فهموا هذه القصة القرآنية فهماً صحيحاً. فهموا أن هذا "الْيَمّ" ليس بحراً ولا نهراً، وإنما هو مجرد رمز لمعركة فاصلة وحاسمة بين المؤمنين والكافرين. معركة يحرص المؤمنون على دخولها رغم صعوبتها الشديدة، لينتصروا فيها على الكافرين. وهذه المعركة الفاصلة هي يوم بدر (يوم الفرقان) وانتهت بمقتل أبي جهل (فرعون قريش) ومقتل عدد كبير مِن أشراف قريش وساداتها. وحسب ما جاء في المراجع الإسلامية، كان المسلمون يوم بدر حريصين على قتل أبي جهل، لدرجة أنه اشترك في قتله ثلاثة: أنصاريان ومهاجر!

إذن: ليس من المبالغة أن نقول إن قصة "موسى وفرعون" القرآنية هي في الواقع ليست قصة "موسى وفرعون" التوراتية، وإنما هي قصة "موسى الثاني وفرعون قريش"، أي: قصة "محمد وأبي جهل". وليس من المبالغة أن نقول إن قصة "خروج بني إسرائيل (اليهود الأوائل) من مصر" القرآنية هي في الواقع ليست قصة "الخروج" التوراتية، وإنما هي قصة "خروج المسلمين الأوائل من مكة" ثم عودتهم إليها فاتحين. إلا أن القصة القرآنية مستوحاة من القصة التوراتية وقصة هامان (سفر أستير) كما شرحنا.

باختصار: فى القرآن، ليس المهم هو التاريخ، وليس المهم هو الجغرافيا، وليس المهم هو قصة "الخروج" اليهودية/المسيحية الأصلية، وإنما المهم هو ما تمثله هذه القصة المعروفة بالنسبة للمسلمين الأوائل فى شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى. فلقد وَضَعَ أصحابُ القرآن بصمتهم الإسلامية/العربية على قصة "الخروج" اليهودية/المسيحية. وكما كُتِبَت قصة "الخروج" الكتابية لأسباب سياسية تتعلق بطموحات مَن كتبوها باللغة العِبرية، كذلك فإن قصة "الخروج" القرآنية كُتِبَت - أو بالأحرى: أُعيد كتابتها (rewritten) - أيضاً لأسباب سياسية تتعلق بطموحات مَن كتبوها باللغة العربية.

بعبارة أخرى: كما أثرت الأجندة السياسية الإسرائيلية/اليهودية على قصة "الخروج" الكتابية، كذلك فإن الأجندة السياسية العربية/الإسلامية قد أثرت على قصة "الخروج" القرآنية.

وختاماً نقول إن العالم الكبير (Volker Popp) يرى أن آيات توريث الأرض تشير إلى المسيحيين العرب فى فارس الذين "ورثوا" الأرض (فارس) بعد انهيار الإمبراطورية الساسانية الفارسية فى القرن السابع الميلادى[6931].

وسواء كانت آيات توريث الأرض تشير إلى المسلمين الأوائل فى شبه الجزيرة العربية أو إلى المسيحيين العرب فى فارس، وسواء كان فرعون/هامان هو مجرد رمز لقريش وكفار مكة أو رمز لإمبراطور فارس أو رمز لأى حاكم مستبد آخر، فإن النتيجة واحدة فى جميع الأحوال: آيات توريث الأرض ليست جزءاً مِن قصة "الخروج" التوراتية الأصلية (Biblical Vorlage)، وإنما هى مجرد إضافة إسلامية/عربية أضافها أصحابُ القرآن لتحقيق أهداف سياسية: الاضطهاد امتحان إلهى "وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" (الأعراف 141) (إبراهيم 6) (البقرة 49)، ويجب تشجيع المؤمنين المُستضعَفين المُضطهَدين على الصبر (patience) وإعطائهم الأمل (hope) حتى "يرثوا" الأرض، كما صبر بنو إسرائيل و "ورثوا" الأرض: "قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا (Be patient) إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (الأعراف 128). هذا الصبر وهذا الأمل تَجسَّدا في شخصية "موسى" القرآنية التي هي – في القرآن – مجرد رمز لشخصية "محمد" (موسى العرب، موسى الثاني، موسى الجديد).

إذن: كما كُتِبَت قصةُ الخروج فى التوراة لأغراض سياسية، كذلك كُتِبَت فى كتاب القرآن العربى لأغراض سياسية أيضاً. ولم يكن المهم هو التاريخ (history)، وإنما الأيديولوجية (ideology).

الخلاصة: مما لا شك فيه أن قصة "خروج بنى إسرائيل مِن مصر" هى واحدة مِن أروع القصص الدينية/الشعبية. بل إنها أكبر وأهم قصة فى التوراة والقرآن. لكن للأسف لا يوجد أى دليل تاريخى وعلمى يثبت أنها قصة حقيقية. وكل الأدلة التي أمامنا تجبرنا على الاعتراف بأنها قصة أدبية كُتِبَت لأغراض سياسية.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن هذه القصة التوراتية←القرآنية بها شيء مِن الحقيقة (مثلاً 10%)، فإننا لا يمكن أبداً أن نعتمد على كتاب القرآن العربى لمعرفة أحداثها. بعبارة أخرى: القصة القرآنية ليس لها أى قيمة تاريخية تُذكَر. فلقد كُتِبَت بعد الزمان المُفترَض لحدوثها بأكثر مِن 1800 سنة!، وخضعت لعمليتى "أسلمة" و "تعريب" واضحتين تماماً فى القرآن، سواء فيما يتعلق بالأقوال أو الأفعال، حتى صارت فى القرآن وكأنها قصة جديدة منحولة مِن قصة قديمة. أو بالأحرى: قصة عربية/إسلامية جديدة منحولة مِن قصص يهودية/مسيحية وشرق-أوسطية قديمة.

وهكذا نصل دائماً إلى نفس النتيجة: القرآن ليس كلام الله، وإنما هو مجرد تطور بشرى طبيعى لتراث الشرق القديم بصفة عامة، والتراث اليهودى والتراث المسيحى والتراث العربى بصفة خاصة.

ونختم حديثنا بما قاله كاتب مسلم معاصر – هو د. صلاح الخالدى – تعليقاً على قول القرآن "قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (المائدة 23)، فيقول تحت عنوان "ادخلوا عليهم الباب والحرب الهجومية" إن قولهم "ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ" "يشير إلى نظرية جهادية هامة، هى نظرية "الحرب الهجومية"، [...]. ومما يصدِّق هذه النظرية القرآنية الجهادية الهجومية، قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ (أى: الأقرب فالأقرب منهم) وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً" (التوبة 123). [...] وقد كانت مواقف الرسول الجهادية - عليه الصلاة والسلام - وفق هذه النظرية القرآنية الهجومية، نظرية "ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ". فكان - غالباً - هو الذى يهاجم الأعداء ويغزو بلادهم، ويدخل عليهم الباب، ويباغتهم بالهجوم. وبخاصة جهاده لليهود فى المدينة وحولها. هذا ما فعله عندما غزا يهود بنى قَيْنُقَاع (بعد غزوة بدر)، ويهود بني النضير (بعد غزوة أحد)، ويهود بنى قريظة (بعد غزوة الخندق)، ويهود خيبر (بعد عهد الحديبية)، وهذا ما فعله عندما فتح مكة، وحارب هوزان وتوجه إلى تبوك، وأرسل الجيش إلى مؤتة، وجَهَّز جيش أسامة. وقد وعى الصحابةُ الكرام من القرآن هذه الإشارة، وحفظوا من رسول الله ﷺ هذا الدرس، وكانت مواقفهم الجهادية وفق هذه النظرية القرآنية الهجومية، قال علي بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ما غُزِىَ قومٌ فى عُقر دارهم إلا ذُلّوا""[6932].

تعليقنا: وشهد شاهدٌ من الكتاب المسلمين المعروفين بأن القرآن يؤيد نظرية "الحرب الهجومية"، واعترف أيضاً بأن محمداً وصحابته قد شنوا حروباً هجومية. وإنْ زعمتم أن الكاتب يقصد مواجهة مَن هُمْ معتدون فعلاً، فسنقول: وهل اعتدى سكانُ الأرض المقدسة (كنعان) على بني إسرائيل حتى يقول الكاتب هذا الكلام تعليقاً على (المائدة 23)؟!

إذن: المقصود هو الحرب الهجومية التى يشنها "المؤمنون" على "الكفار". والدرس المستفاد هو أن الإرهاب الإسلامى الذى يعانى منه العالم اليوم لا يحدث بسبب "أفكار خاطئة" أو "مفاهيم مغلوطة" لدى الإرهابيين المسلمين، وإنما يحدث لأسباب كثيرة مِن بينها أن الثقافة الإسلامية-العربية (قرآن، سُنَّة، تفاسير، سيرة، قصص أنبياء، تاريخ، والكتب الإسلامية/العربية الأخرى) تُقدِّم محمداً وأصحابه باعتبارهم قدوة للمسلمين، بل تُقدِّمهم أحياناً في صورة ملائكية أو شبه ملائكية. وكل الغزوات التي قام بها محمدٌ وأصحابه – باستثناء غزوتي أُحُد والخندق – كانت غزوات هجومية، أو على الأقل: انتقامية[6933]. ولذلك نرى الإرهابيين المسلمين اليوم يهجمون على خصومهم، وأحياناً يبررون هجماتهم بالانتقام لِما تعرضوا له مِن ظلم واضطهاد وقتل وسجن واحتلال أراضي واستيلاء على ممتلكات ... إلى آخر تلك الحجج الواهية.

هذه هي المشكلة. والحل هو مواجهة الإرهاب الإسلامي مواجهة ثقافية، وإحدى خطوات هذه المواجهة الثقافية هي التأكيد على أن محمد وصحابته لا يصلحون كقدوة في كل شيء للمسلمين اليوم.

4.36 قصتا يوسف وموسى القرآنيتان: قصتان؟ أم قصة واحدة؟

قلنا كثيراً فيما سبق إنه توجد تشابهات (similarities) ومتوازيات (parallels) كثيرة بين قصتي يوسف وموسى القرآنيتين، مما يؤكد وجود ارتباط وثيق بين هاتين القصتين القرآنيتين ويجعل الأفكار والعبارات والكلمات تنتقل بسهولة وسلاسة مِن قصةٍ إلى أخرى. وأعطينا أمثلة كثيرة على ذلك، لكنها جاءت متفرقة ومبعثرة سواء في ثنايا حديثنا عن مصادر قصة يوسف القرآنية أو في ثنايا حديثنا عن جذور قصة موسى القرآنية.

في هذا الفصل، نقوم بتجميع هذه الأمثلة المتفرقة في مكانٍ واحد، مع إضافة أمثلة جديدة لم نذكرها مِن قبل. ولا نزعم أننا أول مَن اكتشف هذه التشابهات والمتوازيات. فلقد استفدنا كثيراً مِن المقارنة بين سورة يوسف (Q 12) وسورة القصص (Q 28) التي قام بها الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) في رسالة الدكتوراه التي أعدها ودافع عنها في جامعة (Princeton) الأمريكية المرموقة عام 2011[6934].

انظر الجدول التالي. ويجب التنويه إلى أننا لم نضع قصةَ يوسف على اليمين وقصة موسى على اليسار لأن اتجاه انتقال الأفكار كان دائماً مِن قصة يوسف إلى قصة موسى؛ فكما سنرى توجد أفكار نعتقد أنها انتقلت على الأرجح في الاتجاه المعاكس: مِن قصة موسى إلى قصة يوسف. وإنما وضعنا قصةَ يوسف على اليمين وقصة موسى على اليسار لأن يوسف يسبق موسى زمنياً حسب تقليد الديانات الإبراهيمية الموروث؛ وأيضاً لأن قصة يوسف موجودة كلها في سورة قرآنية واحدة (سورة يوسف) فَمِن الأسهل ترتيب صفوف الجدول على أساس ترتيب أحداث قصة يوسف (و/أو ترتيب آيات سورة يوسف).

جدول 34 – التشابهات والمتوازيات بين قصتي يوسف وموسى القرآنيتين

قصة يوسف: سورة يوسف	قصة موسى: سورة الْقَصَصِ وسور قرآنية أخرى
بطل الرواية: يوسف بن يعقوب (إسرائيل)	بطل الرواية: موسى مِن ذرية يعقوب (إسرائيل)
أعداء البطل مِن قومه: إخوته. وأعداؤه مِن خارج قومه: النسوة وامرأة العزيز.	أعداء البطل مِن قومه: قارون. وأعداؤه مِن خارج قومه: فِرْعَوْن وَهَامَان وَجُنُودهُمَا.
تدور أحداث الرواية في مصر ومناطق مجاورة في آسيا (كنعان)	تدور أحداث الرواية في مصر ومناطق مجاورة في آسيا (مَدْيَن وسيناء وحدود كنعان)
"الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ" (يوسف 1). ثم يذكر القرآنُ قصةَ يوسف.	"طسم. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ" (القصص 1-2) (الشعراء 1-2). ثم يذكر القرآنُ قصةَ موسى[6935].
"نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ [...]. إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ [...]" (يوسف 3-4)	"[نَحْنُ] نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ [...]" (القصص 3)

"نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ" (يوسف 3). "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ" (يوسف 111)	سورة الْقَصَصِ أو معظمها (الْقَصَص 3-46) (الْقَصَص 76-84). وجاء فيها: "وَقَصَّ [موسى] عَلَيْهِ الْقَصَصَ" (القصص 25)
"يَا أَبَتِ" في بداية القصة (يوسف 4) وفي نهايتها (يوسف 100)	"يَا أَبَتِ" في منتصف القصة (القصص 26)
"كَيْد" أعداء البطل ضده	
"كَيْد" إخوة يوسف: " قَالَ [يعقوبُ ليوسف] يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا" (يوسف 5). "كَيْد" النسوة وإمرأة العزيز (يوسف 28، 33-34، 50، 52).	"فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ" (طه 60) "فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا" (طه 64) "إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ" (طه 69) "وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ" (غافر 25) "وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (أي: خسار)" (غافر 37)
مفارقة تاريخية (anachronism): "الشيطان"!	
قال والدُ بطل الرواية: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (يوسف 5)[6936]. أما الله "عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (يوسف 6).	قال بطلُ الرواية: "هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ" (القصص 15). أما الله "هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (القصص 16).
قال يعقوبُ ليوسف: "[...] رَبُّكَ [...] يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ" (يوسف 6)	"قَالَ [موسى:] رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ [...][...]" (القصص 17)
إنقاذ حياة بطل الرواية: النهي عن قتله	
"لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ" (يوسف 10)[6937]	"لَا تَقْتُلُوهُ" (القصص 9)[6938]
الأمر بإلقاء بطل الرواية في الماء	
"وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ (أي: البئر؛ وقيل: كان فيها ماء[6939])" (يوسف 10)	"فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ (أي: نهر النيل)" (القصص 7). ولم تذكر سورةُ القصص "التَّابُوت (أي: الصندوق box)" المذكور في (طه 39)! وكأن موسى أُلقِيَ في النهر بدون صندوق يحميه كما أُلقِيَ يوسفُ في البئر[6940]!
بطل الرواية ينفصل عن أهله ويتحول إلى لقيط "يُلْتقَط" مِن الماء!	
"يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ" (يوسف 10)	"فَالْتَقَطَهُ[6941] آلُ فِرْعَوْنَ" (القصص 8)

قال إخوةُ يوسف لكي يأخذوه: "وَإِنَّا لَهُ (أي: ليوسف) لَنَاصِحُونَ" (يوسف 11)	قالت أختُ موسى لكي تأخذه: "وَهُمْ لَهُ (أي: لموسى) نَاصِحُونَ" (القصص 12)[6942]
خوف والد/والدة البطل عليه والحزن لفراقه	
"قَالَ [يعقوبُ أبو يوسف] إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13)	"وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي" (القصص 7)
موقف إخوة البطل الكبار: إبعاده عن والده؟ أم إعادته إلى والدته؟	
إخوة يوسف العشرة الكبار الذكور يجمعون على التخلص منه ويعرضون حياته للخطر: "ذْهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ [...]" (يوسف 15)	بينما تحرص أُخت موسى الكبيرة على سلامته وإعادته إلى أُمِّهِ: "وَقَالَتْ [أمُّ موسى] لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ [...]. [...] فَقَالَتْ [لآل فرعون] هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ [...]" (القصص 11-13)؛ (طه 40)
الوحي الإلـهي يُطمئن ويُنبئ بأن بطل الرواية سيعيش	
يوسف سيخرج مِن الْجُبِّ حياً وسيرى إخوته: "[...] فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا[6943] إِلَيْهِ (أي: إلى يوسف) لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (يوسف 15)	موسى سيخرج مِن الْيَمّ حياً وسيرى أُمَّه: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (القصص 7)[6944][6945]
"وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" جاءت في نهاية الآية مرتين: (يوسف 15) (يوسف 107)	"وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" جاءت في نهاية الآية مرتين: (القصص 9) (القصص 11)
بطل الرواية يتحول إلى مهاجر ويتزوج في أرض الغربة ابنةَ كاهن/شيخ	
يوسف يهاجر رغماً عنه إلى مصر: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ [...]" (يوسف 21)[6946]	موسى يهاجر بإرادته إلى مَدْيَن: "تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ" (القصص 22)؛ "قَالَ [الشيخ الْمِدْيَانِيُّ لموسى] إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ" (القصص 27)
الصدفة (أو: التدبير الإلـهي) يجعل بطلَ الرواية يدخل بيتاً مصرياً فيه رجل وامرأته	
رجل البيت هو العزيز. يريد أن يتبنى يوسف: "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" (يوسف 21)	امرأة البيت هي امرأة فرعون. تريد أن تتبنى موسى: "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" (القصص 9)[6947]

امرأة البيت هي امرأة العزيز. تضايق يوسف وتطلب منه الزنا الجسدي (أن يجامعها) وتهدده بالسجن إذا لم يفعل: "وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ" (يوسف 32). والتهديد مؤكد بالنون ومتصل باللام "لَيُسْجَنَنَّ".	رجل البيت هو فرعون. يضايق موسى ويطلب منه الزنا الروحي (العبادة و/أو الطاعة لغير الله) ويهدده بالسجن إذا لم يفعل: "قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ" (الشعراء 29). والتهديد مؤكد بالنون ومتصل باللام "لَأَجْعَلَنَّكَ".
وكما قلنا: السجن الوحيد المذكور في القرآن هو السجن المصري! في قصتي يوسف وموسى! يوسف البريء دخله؛ أما موسى المذنب (قَتَلَ مصرياً) فلم يدخله!	
تمكين يوسف فِي الْأَرْضِ: "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" (يوسف 21) "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" (يوسف 56)	تمكين موسى وقومه فِي الْأَرْضِ: "وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ" (القصص 5-6). واقرأ أيضاً آيات "توريث الأرض"[6948].
"وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 21) (يوسف 40) (يوسف 68)	"وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (القصص 13)
"وَلَمَّا بَلَغَ [يوسفُ] أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 22)	"وَلَمَّا بَلَغَ [موسى] أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (القصص 14)[6949]
قال يوسف لعدوه (امرأة العزيز): "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (يوسف 23)	قال موسى لعدوه (فرعون وَمَلَئِهِ): "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (القصص 37)[6950]
بطل الرواية متهم بارتكاب جريمة في مصر	
يوسف بريء. "قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي" (يوسف 26)[6951]؛ "قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 51)	موسى مذنب. "فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ" (القصص 15) "قَتَلْتَ نَفْسًا [يا موسى]" (طه 40)
شخص مجهول الاسم يظهر فجأة ليساعد بطل الرواية ثم يختفي فجأة!	
"وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا (أي: من أهل امرأة العزيز) إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ	"وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ" (القصص 20).

مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ" (يوسف 26-28)[6952]	واقرأ أيضاً قصة "مؤمن آل فرعون" الذي نطق اسم "يوسف"! "وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا (يقصد: موسى) أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ [...]" (غافر 28) "وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ [...]" (غافر 34)[6953]
أعداء بطل الرواية خاطئون	
امرأة العزيز: "إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" (يوسف 29). وإخوة يوسف: "وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ" (يوسف 91) "إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ" (يوسف 97)	"إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ" (القصص 8)
أعداء البطل يتآمرون عليه، فيستغيث البطلُ بالله ليُخلِّصه من هذا المأزق	
اجتماع النسوة (يوسف 30-32). فـ "قَالَ [يوسفُ] رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي [جميعاً] إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ" (يوسف 33)	اجتماع ملأ فرعون: "يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ" (القصص 20). "فَخَرَجَ [موسى] مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (القصص 21).
"قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" (يوسف 31) (يوسف 50)	"لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ" (الشعراء 49) "لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ" (الأعراف 124) "فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ" (طه 71)
دور النساء في حياة بطل الرواية	
دور سلبي تحول إلى دور إيجابي: النسوة وامرأة العزيز كُنَّ سبباً في دخول يوسف السجن (يوسف 35). إلا أن شرهن تحول إلى خير؛ إذ استطاع يوسفُ مِن خلال السجن أن يصعد إلى السلطة (يوسف 54-56).	دور إيجابي طوال أحداث الرواية: أمُّ موسى وأخته وامرأة فرعون أنقذن موسى من الموت (القصص 7-13) (طه 38-40). والمرأتان المديانيتان ساعدتا موسى الفقير على أن يجد عملاً وزوجةً في غربته (القصص 25-28).
يوسف يقابل رجلين في السجن: "وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ [...]" (يوسف 36). "يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا" (يوسف 41)	موسى يقابل امْرَأَتَيْنِ في مَدْيَنَ: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ [...] ۖ قَالَتَا [له] لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ [...]. فَسَقَىٰ [موسى] لَهُمَا [...]. فَجَاءَتْهُ

	إِحْدَاهُمَا [...] قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا **سَقَيْتَ** لَنَا [...]" (القصص 23-25)
مفارقة تاريخية (anachronism): الصلب (crucifixion)!	
"**فَيُصْلَبُ**" (يوسف 41)	"**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ**" (الشعراء 49) "**ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ**" (الأعراف 124) "**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ**" (طه 71)
يوسف يطلب العونَ مِن إنسان، فلا يحصل عليه فوراً: "وَقَالَ [يوسفُ] لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ [يوسفُ] فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ" (يوسف 42)	موسى يطلب العونَ من الله، فيحصل عليه فوراً: "فَقَالَ [موسى] رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا [...] قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا" (القصص 24-25)
"الفتى" زميلَ يوسف في السجن "**أَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ** رَبِّهِ" (يوسف 42)[6954]	"الفتى" رفيقَ موسى في رحلته "أَنسَاهُ الشَّيْطَانُ": "قَالَ [فتى موسى] [...] فَإِنِّي **نَسِيتُ** الْحُوتَ وَمَا **أَنسَانِيهُ** إِلَّا **الشَّيْطَانُ** أَنْ **أَذْكُرَهُ**" (الكهف 63). ويقول التراث الإسلامي إن فتى موسى هو يُوشَع (يشوع) بن نون؛ ومِن المعلوم أن يشوع مِن نسل أَفْرَايِم بن يوسف[6955]!
"**فَلَبِثَ** [يوسفُ] فِي السِّجْنِ بِضْعَ **سِنِينَ**" (يوسف 42)	"**وَلَبِثْتَ** فِينَا (أي: في قصر فرعون) مِنْ عُمُرِكَ **سِنِينَ**" (الشعراء 18) "**فَلَبِثْتَ سِنِينَ** فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ" (طه 40)
موقف بطل الرواية مِن التهمة الموجهة إليه	
يوسف يحرص على إثبات براءته قبل أن يخرج مِن السجن: "قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ [يوسفُ له] ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ (أي: إلى سيدك المَلِك) فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" (يوسف 50)	موسى يحرص على الهروب مِن العدالة! "فَخَرَجَ مِنْهَا (أي: هرب مِن مصر) خَائِفًا يَتَرَقَّبُ" (القصص 21). بل خاف موسى أن يعود إلى مصر لئلا ينال جزاءه على جريمته! "قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ (أي: مِن المصريين) نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ [قصاصاً]" (القصص 33) "وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ [قصاصاً]" (الشعراء 14)
"مَا خَطْبُكُنَّ" (يوسف 51)	"مَا خَطْبُكُمَا" (القصص 23) "فَمَا خَطْبُكَ" (طه 95)

<table>
<tr><th colspan="2">بطل الرواية يتوب (أو: يعترف بذنبه) ويطلب المغفرة مِن رَبِّه الله الغفور الرحيم</th></tr>
<tr><td>قال يوسفُ: "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (يوسف 53)</td><td>"قَالَ [موسى:] رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (القصص 16)</td></tr>
<tr><th colspan="2">بطل الرواية العبراني/الإسرائيلي يقابل مَلِك مصر وجهاً لوجه ويتحاور معه في القصر الملكي!</th></tr>
<tr><td>في حالة يوسف، كان اللقاءُ لطيفاً وهادئاً. "وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ [الْمَلِكُ ليوسف] إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ. قَالَ [يوسفُ للمَلِك] اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" (يوسف 54-55).</td><td>في حالة موسى، كان اللقاءُ تصادمياً. "فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ. وَقَالَ مُوسَى [...]. وَقَالَ فِرْعَوْنُ [...]" (القصص 36-38). واقرأ أيضاً (الأعراف 103-126) (طه 49-76) (الشعراء 18-51) (يونس 75-83).</td></tr>
<tr><th colspan="2">شقيق البطل يظل صامتاً تماماً لا ينطق بكلمةٍ واحدة!</th></tr>
<tr><td>طوال أحداث قصة يوسف مِن أولها إلى آخرها، ظل بنيامينُ صامتاً تماماً لم يفتح فاه ولم ينطق بكلمةٍ واحدة! أي: كان بنيامينُ موجوداً بجسده فقط، أما لسانه فكان غائباً!</td><td>في مشهد المواجهة بين فرعون وموسى، ظل هارونُ – اللي بيقولوا عليه فصيح (القصص 34) – صامتاً تماماً لم يفتح فاه ولم ينطق بكلمةٍ واحدة أمام فرعون! أي أن هارون (الإسرائيلي الفصيح) حضر هذه المواجهة بجسده فقط، أما لسانه فكان غائباً![6956]</td></tr>
<tr><th colspan="2">مؤهلات البطل تجلب له وظيفةً في أرض الغربة!</th></tr>
<tr><td>يوسف "حَفِيظٌ عَلِيمٌ" (يوسف 55) فيعمل موظفاً عند المَلِك المصري.</td><td>موسى "الْقَوِيُّ الْأَمِينُ" (القصص 26) فيعمل أجيراً عند الشيخ/الكاهن الْمِدْيَانِيّ.</td></tr>
<tr><th colspan="2">الله وَكِيل (أي: شاهد ومطلع ورقيب) على الاتفاق</th></tr>
<tr><td>والد بطل الرواية يقول: "اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" (يوسف 66)</td><td>بطل الرواية يقول: "اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" (القصص 28)[6957]</td></tr>
<tr><td>وُصِفَ والدُ البطل بعبارة: "أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا" (يوسف 78)</td><td>وُصِفَ والدُ زوجة البطل بعبارة: "أَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ" (القصص 23)[6958]</td></tr>
<tr><th colspan="2">فعل جمع + "نَجِيًّا"!</th></tr>
</table>

"خَلَصُوا نَجِيًّا[6959]" (يوسف 80)	"قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا" (مريم 52)
"قَالَ كَبِيرُهُمْ" (يوسف 80)	"إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ" (الشعراء 49) "إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ" (طه 71)
عين والد/والدة البطل تتأثر بغياب البطل وعودته	
الغياب[6960]: "قَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ" (يوسف 84) "قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ" (يوسف 86). العودة: "فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ (أي: ألقى قميصَ يوسف على عَيْنَيْ يعقوب) فَارْتَدَّ [يعقوبُ] بَصِيرًا" (يوسف 96)[6961]	الغياب: أُمُّه حزينة وعينها غير مستقرة، دليلاً على القلق وعدم الراحة. "وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (القصص 10). العودة: "فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ" (القصص 13) "فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ" (طه 40)[6962]
"قَالَ [يوسفُ لإخوته الكبار] لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (يوسف 92)	"قَالَ [موسى] رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي [الكبير] وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأعراف 151)
أداة لصنع المعجزات. ويجب أن يصدر الأمر بـ "إلقائها" ثم "تُلقَى" لتصنع المعجزة المزعومة!	
قميص يوسف: "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا" (يوسف 93) "فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ [يُبشّر يعقوبَ بأن يوسف حيٌّ] أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ (أي: ألقى الْبَشِيرُ قميصَ يوسف على عَيْنَيْ يعقوب) فَارْتَدَّ [يعقوبُ] بَصِيرًا" (يوسف 96)	**عصا موسى:** "قَالَ [اللهُ] أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ" (طه 19-20)؛ "قَالُوا (أي: قال سحرةُ فرعون) يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ. وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ" (الأعراف 115-117)؛ "قَالُوا (أي: قال سحرةُ فرعون) يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ. قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ. قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ. وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا" (طه 65-69)؛ "[...] أَلْقُوا [...]. فَأَلْقَوْا [...]. فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ" (الشعراء

	43-45). وآيات أخرى تستخدم الفعل "ألقى" مع عصا موسى (وهو نفس الفعل المُستخدَم مع قميص يوسف!)، على الرغم من ثراء اللغة العربية ووجود أفعال أخرى مرادفة مثل "رمى" و "طرح" و "قذف".
"وَقَالَ [يوسفُ لأهله] ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ" (يوسف 99)	"وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ [يَا مُوسَىٰ]ۖ فَلَمَّا رَآهَا [موسى] تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ" (القصص 31)[6963]
كالعادة، تنتهي الرواية بانتصار الخير (يوسف) على الشر (النسوة وامرأة العزيز وإخوة يوسف) وتوبة إخوة يوسف	كالعادة، تنتهي الرواية بانتصار الخير (موسى) على الشر (فرعون وهامان وجنودهما وقارون) وإيمان سحرة فرعون. وإيمان فرعون لكن في النَّفَس الأخير، فلم يقبله اللهُ لأنه متأخر جداً (يونس 90-92).
دعاء يوسف: "رَبِّ [...] تَوَفَّنِي مُسْلِمًا" (يوسف 101)	دعاء سحرة فرعون: "رَبَّنَا [...] تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ" (الأعراف 126)
"وَمَا كُنتَ [يا محمد] لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ" (يوسف 102)	"وَمَا كُنتَ [يا محمد] بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ. [...] ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ [...]. وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا [...]" (القصص 44-46)

طبعاً لم يكن محمدٌ مع يوسف وموسى. بل لم يكن أي إنسان معهما. فالقصة نفسها لم تحدث أصلاً!

لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت أن قصة يوسف القرآنية قصة حقيقية تاريخية.	لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت أن قصة موسى القرآنية قصة حقيقية تاريخية.
بل لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت أن يوسف نفسه شخص حقيقي تاريخي.	بل لا يوجد – ولن يوجد – أي دليل علمي يثبت أن موسى نفسه شخص حقيقي تاريخي.

احتمال أن نجد ليوسف وموسى آثار تاريخية في مصر = احتمال أن نجد ليوسف وموسى آثار تاريخية على كوكب المريخ = صفر (ZERO)!

قصتا يوسف وموسى من الإسرائيليات التي في القرآن.

فنقول بكل يقين وطمأنينة وراحة ضمير: القرآن هو المصدر الرئيسي للإسرائيليات في الإسلام.

وإن قلتم إن العلماء اكتشفوا 30% فقط من الآثار المصرية القديمة، ولا يزال 70% لم يُكْتَشف بعد. فسنقول: وما علاقة يوسف وموسى أصلاً بالآثار المصرية القديمة؟! يوسف وموسى شخصيتان من روايات الأدب الإسرائيلي، وليسا من أحداث التاريخ المصري. فحتى في هذا الـ 70% الذي لم يُكتشف بعد، لن تجدوا يوسف وموسى. إن ما يربط يوسف وموسى بالتاريخ المصري القديم هو نفس ما يربط سندريلا أو روبين هود أو سانتا كلاوز بالتاريخ الأوروبي القديم. أي: لا شيء (NOTHING)! لا شيء حقيقي. لا شيء سوى الخيال وقدرة العقل البشري على الإبداع وتأليف القصص.	
الآية الأخيرة في سورة يوسف: "مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (يوسف 111)	"ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ" (الأنعام 154) "وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" (الأعراف 145)

أهمية الجدول السابق هي أنه يحقق فائدتين على الأقل:

الفائدة الأولى: الجدول السابق يساعدنا على دراسة الاختلافات بين القرآن والتوراة فيما يتعلق بقصتي يوسف وموسى. بعبارة أخرى: إذا وجدنا فكرةً معينة في قصة يوسف القرآنية تختلف عن الفكرة المقابلة لها في قصة يوسف التوراتية، فعلينا أن نبحث عن جذور تلك الفكرة في قصة موسى سواء في تراثها المقدس (التوراة مثلاً) أو في تراثها غير المقدس (التراث المسيحي السرياني مثلاً) لعلنا نكتشف جذورها، ومِن ثم نثبت أن تلك الفكرة قد انتقلت من قصة موسى إلى قصة يوسف. وكذلك إذا وجدنا فكرةً معينة في قصة موسى القرآنية تختلف عن الفكرة المقابلة لها في قصة موسى التوراتية، فقد نكتشف جذوراً لتلك الفكرة في قصة يوسف سواء في تراثها المقدس أو في تراثها غير المقدس، ومِن ثم نثبت أن تلك الفكرة قد انتقلت في الاتجاه المعاكس، أي: من قصة يوسف إلى قصة موسى.

وينبغي تعميم هذه الفائدة على كل القصص الموروثة المتشابهة، مثل: يوسف وموسى ودانيال وأستير وطوبيّا (طوبيت) وأحيقار ... الخ.

الفائدة الثانية: الجدول السابق يثبت أن القرآن كلام بشر. إذ لا يمكن أن نصدق أن حياة يوسف وحياة موسى كانتا متشابهتين إلى هذه الدرجة الكبيرة التي تصل أحياناً إلى درجة التطابق! فهل يُعقَل مثلاً أن عزيز مصر قال "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" (يوسف 21) وبعده بمئات السنين قالت امرأةُ فرعون نفس الجملة بالضبط: "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" (القصص 9)؟! لا يُعقَل. وهل يُعقَل أن يوسف قال "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (يوسف 23) ثم جاء موسى بعده بمئات السنين وقال نفس الجملة بالضبط: "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ"

(القصص 37)؟! ثم جاء محمدٌ بعد موسى ويوسف بأكثر مِن 1800 سنة وقال نفس الجملة بالضبط أو أُمِرَ أن يقولها: "قُلْ [...] إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (الأنعام 135)؟! طبعاً لا يُعقَل.

وإنما الأقرب إلى العقل هو أن أصحاب القرآن قد أعادوا إنتاج (reproduced) قصتي يوسف وموسى المشهورتين[6964] وتعمّدوا أن تكون القصتان متشابهتين[6965]. بل تعمّدوا أن تكون قصتا يوسف وموسى متشابهتين مع حياة محمد. وكل ذلك مِن أجل التأكيد على معاني دينية/سياسية معينة. أهمها: الترويج لنبوة محمد وإيهام السامعين أن محمد نبي ورسول مثل يوسف وموسى وغيرهما؛ وفي نفس الوقت زرع الثقة بالله والأمل في نفوس المسلمين الأوائل، فالنصرُ (التمكينُ في الأرض) قادمٌ لا محالة كما انتصر يوسف وموسى في نهاية الرواية. "حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ. لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ" (يوسف 110-111) "أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ" (البقرة 214).

إلا أن النصر (التمكين في الأرض) في حالة محمد لم يأتِ بفضل الله، وإنما أتى بفضل السيف. فلقد فشل محمدٌ فشلاً ذريعاً في مكة، ولم ينتصر ويتمكن إلا في الفترة المدنية حين لجأ محمدٌ وأصحابه إلى العنف. فلولا السيف، لانتهى الإسلامُ.

أو كما قال الشاعر العربي المسلم:

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يُجَب — وقد لان منه جانبٌ وخطابُ

فلمَّـا دعـا والسيـف صلْـتٌ بكفـه — له أسلموا واستسلموا وأنابوا

4.37 السمع والطاعة ... فلا تسأل كثيراً كالذين أمرهم اللهُ أن يذبحوا بَقَرَةً!

"السمع والطاعة" هو المبدأ الأساسي عند كل الدول الإرهابية والمنظمات الإرهابية، ومنها جماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس الإرهابيتين. السؤال: هل هذا المبدأ له جذور في القرآن؟ الإجابة: نعم. وللإجابة بالتفصيل، سنبدأ حديثنا بسورة البقرة، أطول سورة فى القرآن.

تحدثت سورة البقرة عن أمور كثيرة، إلا أنها سُمِّيَت بهذا الاسم لأنها انفردت بقصة قرآنية قصيرة نستطيع أن نسميها قصة "البقرة وجريمة القتل" (البقرة 67-73). وكالعادة، لم يذكر القرآنُ الزمان ولا المكان. فلا نعلم متى حدثت هذه القصة وأين؟! قيل إنها حدثت فى سيناء؛ أى: بعد خروج بنى إسرائيل مِن مصر. ونحن نرى أنها مجرد أسطورة خيالية لم تحدث أصلاً.

تُحدثنا هذه الأسطورة القرآنية عن جماعة مِن بنى إسرائيل قُتِل فيهم قتيلٌ ولم يعرفوا مَن قتله واختلفوا فيه، فاقترح موسى عليهم أن يذبحوا بقرة كحل لهذا اللغز! وكان لهم حرية اختيار أية بقرة، فلا يهم عمرها ولا لونها ولا عملها، إلا أنهم سألوا أسئلة كثيرة عنها، فشددوا على أنفسهم وضيَّقوا على أنفسهم.

سورة البقرة: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا (لموسى) أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ {67}

- سؤالهم عن عمر البقرة: قَالُوا (لموسى) ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ (أى: ليست كبيرة سناً ولا صغيرة) عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ (أى: وسط؛ دون المُسِنَّة وفوق الصغيرة) فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ {68}
- سؤالهم عن لون البقرة: قَالُوا (لموسى) ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا (أى: شديدة الصُّفْرة) تَسُرُّ النَّاظِرِينَ {69}
- سؤالهم عن عمل البقرة: قَالُوا (لموسى) ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ[6966] {70} قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ (أى: معززة مكرمة غير مرهقة بالعمل فى الزراعة) مُسَلَّمَةٌ (مِن العيوب) لَا شِيَةَ فِيهَا (أى: لا لون فيها يخالف سائر جسدها) قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (لكثرة أسئلتهم ولجاجتهم) {71}

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا (أى: تخاصمتم؛ اتَّهم بعضكم بعضاً بارتكاب جريمة القتل؛ كل واحد ينفى تهمة القتل عن نفسه) وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ {72} فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا (أى: اضربوا جسدَ هذا القتيل الميت بجزء مِن هذه البقرة المذبوحة الميتة[6967]!) (فَضُرِبَ القتيلُ فحيى؛ أى: فأحيا اللهُ القتيلَ[6968]!) كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {73}.

ونلاحظ مما سبق أن صاحب (البقرة 67-73) قد حكى القصةَ بطريقة مقلوبة، أى: فيها تقديم وتأخير، إذ ذَكَر الحل أولاً وهو ذبح البقرة (البقرة 67-71)، ثم بعد ذلك ذَكَر المشكلة وهى جريمة القتل وتنازعهم بسببها (البقرة 72). ثم ختم كلامَه بتعليق مقتضب حَيَّر المفسرين (البقرة 73).

وسنتحدث عن حيرة المفسرين بسبب غموض (البقرة 73) فى ثنايا شرحنا لجذور (البقرة 67-73) فى التوراة ...

4.37.1 جذور القرآن فى التوراة

كالعادة، جذور القصة القرآنية موجودة فى التوراة، مع بعض الاختلافات البسيطة كما تعودنا. أو بعبارة أكثر دقة: هذه القصة القرآنية هى مجرد محاولة عربية لدمج أو خلط (conflation) قصتين توراتيتين. الأولى هى "البقرة الحمراء" (Purification with the Ashes of a Red Cow) (العدد 19:1-22). والثانية هى "ذبيحة القاتل المجهول" (Atonement for an Unsolved Murder) (التثنية 21:1-9). وهاتان القصتان جزء من الشريعة اليهودية وليستا مجرد قصص. ولذلك أشار التلمود إليهما[6969]، وكذلك فعلت "المشنا" (Mishnah)[6970]، أي: الشريعة الشفهية (Oral Law) والمصدر الثاني للتشريع اليهودي. بل وجدنا شريعة ذبيحة القاتل المجهول في مدراش (Genesis Rabba) عن يوسف[6971]! إنهما إذن شريعتان مشهورتان جداً، فَمِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عنهما.

وسنبدأ أولاً بـ "ذبيحة القاتل المجهول" (التثنية 21:1-9).

(التثنية 21): {1} «إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَمْتَلِكَهَا وَاقِعًا فِي الْحَقْلِ، لاَ يُعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ **[← "إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا" (البقرة 72)]**، {2} يَخْرُجُ شُيُوخُكَ وَقُضَاتُكَ وَيَقِيسُونَ (المسافة) إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَ الْقَتِيلِ. {3} فَالْمَدِينَةُ الْقُرْبَى مِنَ الْقَتِيلِ، يَأْخُذُ شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ عِجْلَةً مِنَ الْبَقَرِ (heifer) **[← "بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ (أى: ليست كبيرة ولا صغيرة) عَوَانٌ (أى: وسط) بَيْنَ ذَلِكَ" (البقرة 68)]** لَمْ يُحْرَثْ عَلَيْهَا، لَمْ تَجُرَّ بِالنِّيرِ **[← "بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ" (البقرة 71)]**. {4} وَيَنْحَدِرُ شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِالْعِجْلَةِ إِلَى وَادٍ دَائِمِ السَّيَلاَنِ (أى: فيه ماءٌ دائم الجَرَيَان) لَمْ يُحْرَثْ فِيهِ وَلَمْ يُزْرَعْ، وَيَكْسِرُونَ عُنُقَ الْعِجْلَةِ فِي الْوَادِي **[← "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً" (البقرة 67)]**. {5} ثُمَّ يَتَقَدَّمُ الْكَهَنَةُ بَنُو لاَوِي، لأَنَّهُ إِيَّاهُمُ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِيَخْدِمُوهُ وَيُبَارِكُوا بِاسْمِ الرَّبِّ، وَحَسَبَ قَوْلِهِمْ تَكُونُ كُلُّ خُصُومَةٍ وَكُلُّ ضَرْبَةٍ، {6} وَيَغْسِلُ جَمِيعُ شُيُوخِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْقَرِيبِينَ مِنَ الْقَتِيلِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْعِجْلَةِ الْمَكْسُورَةِ الْعُنُقِ فِي الْوَادِي، {7} وَيُصَرِّحُونَ وَيَقُولُونَ: أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هذَا الدَّمَ **[← "ادَّارَأْتُمْ (أى: كل واحد ينفى تهمة القتل عن نفسه)" (البقرة 72)]**، وَأَعْيُنُنَا لَمْ تُبْصِرْ. {8} اِغْفِرْ لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي فَدَيْتَ يَا رَبُّ، وَلاَ تَجْعَلْ دَمَ بَرِيءٍ

فِي وَسَطِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ. فَيُغْفَرُ لَهُمُ الدَّمُ. {9} فَتَنْزِعُ الدَّمَ الْبَرِيءَ مِنْ وَسَطِكَ إِذَا عَمِلْتَ الصَّالِحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.

إذن: فى التوراة، الهدف هو التبرؤ مِن دم القتيل الذى لا يُعرَف مَن قتله، مع ضرورة أن يتحمل المجتمع مسئولية التكفير عن هذه الجريمة التي فعلها شخص مجهول. ويتحقق هذا الهدف عن طريق كسر عُنُق عِجْلَة من البقر ثم غسل الأيدى عليها.

بمرور الزمن، حَدَثَ تطور بشرى طبيعى لهذا الهدف حتى صار فى القرآن هو إحياء القتيل! وذلك تم عن طريق ذبح بقرة ثم ضرب القتيل بجزء مِن البقرة المذبوحة، فأحيا اللهُ القتيلَ! أى أن الحياة عادت لميت (هذا القتيل) عن طريق مَسِّه لميت آخر (هذه البقرة). وهنا يجب أن نسأل سؤالين.

<u>السؤال الأول:</u> مِن أين أتى أصحاب القرآن بفكرة أن الحياة يمكن أن تعود لميت عن طريق مَسِّه لميت آخر؟ الإجابة: هذه الفكرة ليست جديدة، وإذا تتبعنا جذورها لوجدناها بالتأكيد فى التراث اليهودى/المسيحى. على سبيل المثال، يقول العهد القديم إن رجلاً ميتاً عاد إلى الحياة مرة أخرى بعد أن مَسَّت جثته عظام "أَلِيشَع" (Elisha) النبى المتوفى فى قبره: "وَمَاتَ أَلِيشَعُ فَدَفَنُوهُ. وَكَانَ غُزَاةُ مُوآبَ تَدْخُلُ عَلَى الأَرْضِ عِنْدَ دُخُولِ السَّنَةِ. وَفِيمَا كَانُوا يَدْفِنُونَ رَجُلاً إِذَا بِهِمْ قَدْ رَأَوْا الْغُزَاةَ، فَطَرَحُوا الرَّجُلَ فِي قَبْرِ أَلِيشَعَ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّجُلُ وَمَسَّ عِظَامَ أَلِيشَعَ عَاشَ وَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ" (2 ملوك 13:20-21). أى أن الحياة عادت لميت (هذا الرجل) عن طريق مَسِّه لميت آخر (أَلِيشَع).

<u>السؤال الثانى:</u> لماذا غَيَّر أصحابُ القرآن الهدفَ الأصلى لـ "ذبيحة القاتل المجهول"؟ الإجابة: لأنهم أرادوا أن يجعلوا هذه القصة مَثَلاً (parable) لعقيدة إحياء الموتى التى ركز عليها القرآنُ تركيزاً شديداً وذكرها فى مواضع كثيرة. بدليل أن آخر آية فى هذه القصة القرآنية القصيرة تقول صراحةً: "<u>كَذَٰلِكَ</u> (أى: كهذا الإحياء العجيب الخارق للعادة) يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى (يوم القيامة) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (البقرة 73). أو كما قال القرآن فى موضع آخر: "مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ" (لقمان 28)، أى أن إحياء نفس واحدة بعد موتها يكفى كدليل على قدرة الله أن يُحيى جميع النفوس يوم القيامة ويُخرجهم مِن قبورهم.

وقيل إن الخطاب فى "كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى" (البقرة 73) لقوم موسى. ولقد ختم الشيخُ الشعراوى كلامَه عن قصة البقرة بقوله: "هكذا يلفت الحق سبحانه قوم موسى إلى القضية الأساسية التى يشكُّون فيها .. وهى اليوم الآخر، وقدرة الحق على البعث"[6972]. وقيل إن الخطاب ليس لقوم موسى، وإنما لمشركى قريش الذين أنكروا البعث. وفى كلتا الحالتين، النتيجة واحدة: هذا المَثَل القرآنى هو مجرد تطور بشرى طبيعى للشريعة اليهودية. ويبقى العامل المشترك فى التوراة والقرآن هو وسيلة الخلاص، أى وسيلة حل المشكلة، وهى قتل بقرة سواء كان ذلك عن طريق كسر عنقها أو ذبحها.

استمر التطور البشرى الطبيعى إلى أن جاء المفسرون المسلمون فقال كثيرٌ مِنهم إن هذا القتيل بعد أن قام مِن الموت ذَكَرَ اسمَ قاتله! إذن: أعطى المفسرون هدفاً ثالثاً لهذه القصة القرآنية وهو معرفة القاتل الحقيقى. ويبدو لنا أنهم فعلوا ذلك حتى يُعيدوا المعنى التشريعى مرة أخرى إلى هذه القصة/المَثَل، إذ أن معرفة القاتل الحقيقى تقتضى الاقتصاص منه وإقامة الحد عليه. ولعل هذا الهدف التشريعى كان موجوداً مِن الأصل فى أذهان أصحاب القرآن، بدليل أنهم بدءوا هذه القصة/المَثَل بقولهم: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ [...]" (البقرة 67). إنه إذن أمر إلهى واجب التنفيذ. لكن القرآن لم يقل إن هذا القتيل بعد أن قام مِن الموت ذَكَرَ اسمَ قاتله. هذا كلام مفسرين. وسنعرض أمثلة مما قاله المفسرون قديماً وحديثاً.

قال ابن الجوزى: "وفى الكلام اختصار تقديره: فقلنا: اضربوه ببعضها ليحيا، فضربوه فحيى، فقام فأخبر بقاتله"[6973]! وقال د. محمد سيد طنطاوى: "والذى عليه جمهور المفسرين أن أمرهم بذبح البقرة كان بعد تنازعهم فى شأن القاتل مَن هو؟ وذلك ليُعرَف القاتل الحقيقى إذا ضُرب القتيل ببعضها، [...]. [...]. [...] فعادت إليه الحياة - بإذن الله - وأخبر عن قاتله"[6974]! وقال البيضاوى: "فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه (أى: يضربوا القتيلَ) ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله"[6975]! وقالت موسوعة بيان الإسلام: "فأمرهم نبيهم أن يذبحوا بقرة، فذبحوها بعد أن تعنَّتوا في طلب صفاتها، ثم أمرهم بعد ذبحها أن يضربوا القتيلَ بجزءٍ منها، فأحياه الله وَهُمْ ينظرون فأخبر عمَّن قتله"[6976]! وقال د. صلاح الخالدي: "وبهذا عَرفوا القاتل، حيث أخذوه وأقاموا عليه الحد"[6977]. وقال د. محمد بكر إسماعيل إن "القوم قد سألوا موسى عليه السلام أن يدعو ربه مِن أجلهم ليبين لهم مَن قتل القتيل؛ حتى لا يشتد النزاع وتتفاقم بينهم الخصومة، فيؤدى ذلك إلى مزيد من سفك الدماء"[6978]. وقال الشيخ رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده إن معنى إحياء الموتى هو "حفظ الدماء التى كانت عرضة لأن تُسفَك بسبب الخلاف فى قتل تلك النفس، أى يحييها بمثل هذه الأحكام. وهذا الإحياء على حد قوله تعالى "وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا" (المائدة 32) وقوله "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" (البقرة 179) فالإحياء هنا معناه الاستبقاء (على الحياة) كما هو المعنى فى الآيتين"[6979].

تعليقنا: هذا الكلام لا وجود له فى القرآن ولا وجود له فى التوراة. ولا نرى فائدة قانونية مِن أن ينطق القتيلُ باسم قاتله. فإذا كان مِن المستحيل أن يحكم القضاة بالسجن بضعة أشهر أو بضعة سنوات على متهم فى جريمة سرقة اعتماداً فقط على شهادة المجنى عليه، فهل يمكن أن يحكموا بالإعدام على متهم فى جريمة قتل اعتماداً فقط على شهادة المجنى عليه؟! مستحيل أيضاً. وربما يكون القاتل قد ارتكب جريمته عن بُعْد، بحيث أن القتيل لم يره أصلاً.

ومِن الجدير بالذِكر أن الشيخ شلتوت قد اعترض على كلام الشيخ رشيد رضا فقال: ""كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى" يدل على الإحياء المشبه به – وهو الإحياء فى هذا المقام – إحياء حقيقى بعد موت تسلب فيه الروح، وليس إحياء حكمياً يحصل بمعرفة القاتل والاقتصاص منه حتى يكون بمثابة "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" كما يريد الشيخان (محمد عبده ورشيد رضا)"[6980].

وكما هى العادة فى القصص القرآنية، لا يوجد أى دليل تاريخى على أن (البقرة 67-73) تتحدث عن قصة حقيقية. وبالتالى، فإنه مِن العبث أن نسأل إذا كان القتيل قد نطق باسم قاتله أم لا. وفى جميع الأحوال، فإن فكرة إحياء الميت (سواء لكى يقول مَن قتله أو لكى يُبرئ المتهمَ بقتله) فكرة بسيطة ويستطيع أى إنسان أن يخترعها. ولذلك فإننا لم نندهش حين وجدناها فى أحد الأناجيل الأبوكريفية التى سبقت القرآن. فى إنجيل الطفولة لتوما (The Infancy Gospel of Thomas)، نجد أسطورة قصيرة تقول إن طفلاً اسمه زينون (Zeno) سقط مِن أعلى السطح ومات. فجاء أهل زينون واتهموا الطفل يسوع أنه قتل ابنهم. فأقام يسوعُ زينونَ مِن الموت. ولَمَّا قام زينونُ، أعلن براءة يسوع مِن تهمة قتله[6981]!

إذن: القرآن - مثل هذا الإنجيل غير القانونى - يحتوى على قصص بشرية أَلَّفها بشر، وليست وحياً مِن الله. وكل قصة هى تطور بشرى طبيعى للقصص التى قبلها.

ننتقل الآن إلى شريعة "البقرة الحمراء" (العدد 19:1-22) التى كانت تُذبَح خارج المحلة (أى: خارج المجتمع اليهودى)، ثم تُحرَق كلها لحماً ودماً وعظاماً، ويُحفَظ رمادُها فى مكانٍ طاهرٍ ويُؤخَذ منه عند اللزوم وحسب الحاجة لكى يُخلَط بالماء ويُستخدَم فى تطهير كل مَن يَتَنَجَّس بسبب لَمس جثة ميت (العدد 19:11) أو قتيل (العدد 19:16).

(العدد 19): {1} وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً: {2} «هذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا إِلَيْكَ بَقَرَةً حَمْرَاءَ[6982] **[⟵ "بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ" (البقرة 69)]** صَحِيحَةً لاَ عَيْبَ فِيهَا **[⟵ "فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ [...] مُسَلَّمَةٌ (مِن العيوب) لَا شِيَةَ فِيهَا (أى: لا لون فيها يخالف سائر جسدها)" (البقرة 69-71)]**، وَلَمْ يَعْلُ عَلَيْهَا نِيرٌ **[⟵ "بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ" (البقرة 71)]**، {3} فَتُعْطُونَهَا لأَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ (ابن هارون)، فَتُخْرَجُ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ وَتُذْبَحُ قُدَّامَهُ **[⟵ "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً" (البقرة 67)]**. {4} وَيَأْخُذُ أَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ مِنْ دَمِهَا بِإِصْبِعِهِ وَيَنْضِحُ مِنْ دَمِهَا إِلَى جِهَةِ وَجْهِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ (The Tent of Meeting) سَبْعَ مَرَّاتٍ. {5} وَتُحْرَقُ الْبَقَرَةُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ. يُحْرَقُ جِلْدُهَا وَلَحْمُهَا وَدَمُهَا مَعَ فَرْثِهَا. [...]

وعن لون هذه البقرة، يقول شرح سفر العدد: "يأتى الشعب ببقرة حمراء، ليس فيها أى أثر للون آخر. وقد تمادى علماء اليهود فى التدقيق فى خلوّها من أى لون آخر حتى ولو كان شعرة واحدة بيضاء أو سوداء، إلى أبعد الحدود"[6983].

ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن شريعة "البقرة الحمراء" بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود الشرق الأوسط والحبشة. وذلك لأن التوراة تصف هذه الشريعة بأنها "فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً (أى: أبدية)" (العدد 19:10) (العدد 19:21) ليس فقط لبنى إسرائيل وإنما أيضاً "لِلْغَرِيبِ النَّازِلِ فِي وَسَطِهِمْ" (العدد

10:19). و "يُقال إنه على مرّ تاريخ بنى إسرائيل، ذُبِحَت فقط سِتُّ عِجلات، واستُعمِلَ رمادُها. فكان مِن شأن رماد عِجلة واحدة أن يكفى بضعة قرون، ما دامت كمية ضئيلة فقط من الرماد مطلوبة"[6984].

أما عن العلاقة بين "البقرة الحمراء" المذكورة فى التوراة و "البقرة الصفراء" المذكورة فى القرآن، فيقول اليعقوبى: "وأمر الله، عز وجل، موسى أن يقول لبنى إسرائيل أن يذبحوا بقرة صفراء مُسَلَّمَةٌ لَا عيب فِيهَا، ثم يأخذ دمها فيرشه على حبال قبة الزمان[6985]، ثم يحرقها وجلدها، ثم ليأتِ رجل آخر، فليجمع الرماد، وليصيّره فى موضع، فإذا أراد أحد أن يطهر، فليجعل فى الماء من ذلك الرماد، فيكون طهوراً"[6986]. ونحن نرى اليعقوبى هنا يجمع بين الشريعة التوراتية والقصة القرآنية فى سياق واحد، وكأنه يراهما قصة واحدة. والصواب هو أن قصة "البقرة" القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لشريعة "البقرة" التوراتية. إذن: لسنا أول مَن يلاحظ هذا التشابه الواضح بين التوراة والقرآن فيما يتعلق بموضوع "البقرة"، سواء كانت حمراء (كما تقول التوراة) أو صفراء (كما يقول القرآن).

أما عن سبب الخلط بين شريعة "البقرة الحمراء" (العدد 19:1-22) و "ذبيحة القاتل المجهول" (التثنية 21:1-9) في قصة قرآنية واحدة (البقرة 67-73)، فيبدو أنه يرجع إلى اشتراك هاتين الشريعتين اليهوديتين في أمرين مهمين: (1) وجود جثة ميت أو قتيل، (2) ذبح بقرة (cow) أو كسر عنق عِجْلَة مِنَ الْبَقَر (heifer). أو ربما لأن التراث اليهودي نفسه قد خلط بينهما قبل القرآن[6987]. وبخاصة فيما يتعلق بالجدال حول عمر البقرة/العجلة. تقول المشنا اليهودية – قسم طهاروت (الطهارات) – مبحث باراه (Parah) (البقرة): "يقول رابي إليعيزر: إن العجلة (التي يكسر عنقها) يجب أن تكون في السنة الأولى من عمرها، والبقرة [الحمراء] في السنة الثانية. [لكن] يقول الحاخامات: إن العجلة يجب (في الترجمة الإنجليزية: يمكن may) أن تكون في السنة الثانية والبقرة [الحمراء] في السنة الثالثة أو الرابعة. يقول رابي مئير: حتى التي في السنة الخامسة تعد صالحة (وكذلك) العجوز (التي تتجاوز الخمس سنوات) شريطة ألا يتركوها فترة طويلة حتى لا يسود (بعض شعرها) فتبطل. [...]"[6988]. ويستمر هذا الجدال الشديد في المشنا.

الخطأ الذي ارتكبه أصحابُ القرآن هو أنهم نقلوا هذا الجدال الذي حدث بين أحبار اليهود في القرون الأولى للميلاد وربما قبل الميلاد بقرنٍ أو قرنين أو بضعة قرون، ووضعوه في أيام موسى، أي: قبل الميلاد بأكثر من 1200 سنة! "قَالُوا [لموسى] ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ (أى: ليست كبيرة سناً ولا صغيرة) عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ (أى: وسط؛ دون المُسِنَّة وفوق الصغيرة)" (البقرة 68).

وقبل أن نترك (البقرة 67-73)، نود أن نشير إلى رأى الشيخ عبد الوهاب النجار فيها. يرى الشيخ أنه مِن المحتمل أن تكون (البقرة 67-73) ليست قصة واحدة كما قال جمهور المفسرين، وإنما قصتين مستقلتين، كلتاهما تبدأ بقوله ""وَإِذْ [...]" (البقرة 67) و (البقرة 72):

- القصة الأولى (البقرة 67-71) هى شريعة "ذبيحة القاتل المجهول" (التثنية 21:1-9)، لكن حكاها القرآن بطريقة تبرز "تعنت بنى إسرائيل فى ابطائهم عن امتثال أمر الله ومطاولتهم ومماطلتهم فى تنفيذ ما يأمرهم به، دون استيفاء القصة استيفاء كاملاً يشتمل على بيان الحكمة الباعثة على أمرهم بذبح البقرة بل هو يقص علينا نمطاً من تعنتهم وصلابة أعناقهم".
- أما القصة الثانية (البقرة 72-73) "فهى فى شأن قتيل وُجِدَ قتيلاً فى بيته أو محلة قومه أو سقط فى معركة فيها جماعة، وقد دفع كل واحد القتل عن نفسه ولم يتعين قاتله تماماً وكل واحد يتهم سواه بالقتل، وحينئذ يكون المتهمون محصورين (فى مجموعة معينة)، والقاتل لا يخرج عنهم".

وعلى ذلك فإن الشيخ يرى أن تفسير "اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا" (البقرة 73) هو "أن يأتوا بالمتهم ثم يضربونه بجزء من تلك النفس (أقرب مذكور يمكن أن يعود الضمير عليه مؤنثاً)، أى (يضربوا المتهم بجزء) مِن (جثة) القتيل، وهو متصل ببقية الجسم"، أى "يأتى واحد ويضرب المتهم بيد القتيل أو رجله، فإذا كان المتهم بريئاً لم يحدث له شيء، وإذا كان قاتلاً ظهر عليه انفعال نفسى ورعدة يعلم بسببها أنه القاتل دون سواه، أو هو على اتصال به". ويكون تفسير "كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ" (البقرة 73) – حسب كلام الشيخ عبد الوهاب النجار – هو أن الله "شاء أن يدل بنى إسرائيل على طريقة تبين لهم الفاعل (أى: القاتل) [...] بلا لبس ويقتص منه، ويحيا مَن كانوا مظنة للاتهام وهم برآء". واستدل الشيخُ على ذلك بنفس الآية التى استدل بها الشيخ رشيد رضا وهى "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ" (البقرة 179) "لأن الحياة التى فى القصاص ليست للقتيل ولا للقاتل ولكن لمَن كانوا على طريق القتل مِن الأحياء"[6989].

تعليقنا: لا نعلم مِن أين أتى الشيخ عبد الوهاب النجار بفكرة ضرب المتهم بجزء مِن جثة القتيل. ولعله استوحاها مِن شريعة "البقرة الحمراء" (العدد 19:1-22) التى تتحدث عن لَمس جثة ميت أو قتيل.

ولا نعلم لماذا قال الشيخ عبد الوهاب النجار إنه مِن المحتمل أن تكون (البقرة 67-73) ليست قصة واحدة، وإنما قصتين مستقلتين. ولعله استوحى هذا الرأى مما قاله الزمخشرى وغيره: "هاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين"، ودليل اتحادهما هو "الضمير الراجع إلى البقرة" فى "اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا" (البقرة 73)، أى "أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج (القصة) الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة"[6990]. أو ربما أدرك الشيخُ أن هذه القصة القرآنية (البقرة 67-73) هى مجرد محاولة لدمج أو خلط قصتين توراتيتين. ولذلك قال إنها قصتان. أو ربما تأثر بما قيل عن (البقرة 72-73) إنها تشير إلى استشهاد المسيح[6991]؛ ولعل المقصود: قَتْل المسيح ثم قيامته؛ مما يعنى عملياً فَصْل (البقرة 72-73) عن (البقرة 67-71).

وعلى أى حال، كما نقول دائماً: المشكلة ليست فى المفسرين، وإنما فى أصحاب القرآن الذين أنتجوا لنا كتاباً غامضاً هو كتاب "القرآن" العربى الذى لم يحدد هل (البقرة 67-73) قصة واحدة أو قصتين؟ ولم يحدد هل هى شريعة يهودية أَم قصة حقيقية أَم قصة أدبية أَم مجرد مَثَل افتراضى؟ ولم يحدد مرجع الضمير

فى "اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا" (البقرة 73). هل يعني: ضرب القتيل بجزء من البقرة المذبوحة (كما قال جمهور المفسرين)؟ أم يعني: ضرب المتهم بجزء مِن جثة القتيل (كما قال الشيخ عبد الوهاب النجار وربما أيده قليلون)؟ أم يعني: ضرب المسيح بالأيدى وبالقَصَبَة قبيل صلبه (كما قال الإنجيل: متى 67:26؛ لوقا 64:22؛ يوحنا 22:18؛ يوحنا 3:19؛ متى 30:27؛ مرقس 19:15)؟

وسواء كانت (البقرة 67-73) وحدة واحدة أو وحدتين منفصلتين أو متصلتين متحدتين بضمير، فإن النتيجة فى جميع الأحوال واحدة، وهى: إن كل الأدلة تؤكد أن أصحاب القرآن (أو أجدادهم العرب) قد سمعوا عن شريعة "ذبيحة القاتل المجهول" (التثنية 1:21-9) وشريعة "البقرة الحمراء" (العدد 1:19-22)، فاستطاعوا مما سمعوه أن يؤلفوا قصة/مَثَل "البقرة وجريمة القتل" (البقرة 67-73).

هذه هى الشريعة اليهودية. وهذه هى القصص/الأمثال الإسلامية.

أما فى العقيدة المسيحية، فإن دم المسيح هو الذى حقق لنا فِداءً أبدياً يُطهِّرنا مِن كل خطية: "لَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ (المسيحُ) مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ (أى: الأعمال المميتة؛ الأعمال التى تؤدى إلى الموت؛ الخطايا)" (العبرانيين 12:9-14)؛ (العبرانيين 11:13-12)[6992].

4.37.2 لماذا ألَّف أصحابُ القرآن أسطورة "البقرة وجريمة القتل"؟

قلنا فيما سبق إن أصحاب القرآن أرادوا أن يجعلوا هذه القصة (البقرة 67-73) مَثَلاً (parable) لعقيدة إحياء الموتى التى ركز عليها القرآنُ تركيزاً شديداً (Tendenz). ولذلك ختموا هذه القصة القصيرة بقولهم: "كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (البقرة 73).

ونريد الآن أن نذكر سبباً آخر جعل أصحاب القرآن يؤلفون هذه القصة القصيرة. هذا السبب يرتبط بسياق هذه القصة القرآنية. كل الآيات التي تسبقها (البقرة 40-66) تنتقد اليهود في أمور كثيرة، وبخاصة اتخاذهم العجل إلهاً معبوداً! وكأن أصحاب سورة البقرة أرادوا أن يلوموا اليهود على عدم ترددهم في عبادة العجل مِن دون الله بينما ترددوا في ذبح البقرة/العجلة تنفيذاً لأوامر الله!

إذن: السبب الآخر الذي جعل أصحاب القرآن يؤلفون هذه القصة القرآنية القصيرة (البقرة 67-73) هو نهي المسلمين عن التشبه باليهود فى كثرة السؤال والجَدَل، ونهيهم أيضاً عن التشبه باليهود فى التباطؤ والتلكؤ فى تنفيذ أوامر الله ورسوله (موسى). أو كما قال أصحاب القرآن فى نفس السورة: "أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ (محمداً) كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ" (البقرة 108). وقالوا كذلك فى مواضع أخرى كثيرة، مثل:

- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ (أى: إنْ تظهر) لَكُمْ تَسُؤْكُمْ (لِمَا فِيهَا مِنْ الْمَشَقَّة أو تشديدات فى الشرع) وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ (وقد تُكلِّفونها فتعجزون عنها) [...]. (إن مثل تلك الأسئلة) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ" (المائدة 101-102).
- "فَلَا تَسْأَلْنِي (يا موسى) عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا" (الكهف 70).
- "فَلَا تَسْأَلْنِي (يا نوح) مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (هود 46)[6993].
- "وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا. [...] وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا" (الكهف 54-56)[6994].
- "مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا (مِنْ أَهْلِ مَكَّة) فَلَا يَغْرُرْكَ (يا محمد) تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (بأنواع التجارات والمكاسب). كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ" (غافر 4-5).
- "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ" (الحج 3) "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ" (الحج 8) (لقمان 20).

كذلك فى كتب السُّنَّة الصحيحة، نجد أحاديث كثيرة تنهى عن الجَدَل وكثرة السؤال وتدعو إلى تنفيذ الأمر فور سماعه مباشرةً وبدون أسئلة! نذكر منها على سبيل المثال:

- خَطَبَ محمدٌ قائلاً: "أيها الناس! قد فَرَضَ اللهُ عليكم الحجَّ فَحُجُّوا". فسأله رجلٌ: أكُلَّ عامٍ؟ (أى: هل فُرِضَ علينا أن نحج كل سنة؟) فسكت محمدٌ. فكرر الرجل سؤاله ثلاثاً. فقال محمد: "لو قلت: نَعَمْ. لَوَجَبَتْ. وَلَما استطعتم". ثم قال: "ذَرُونى ما تَرَكْتُكُم. فإنما هَلَكَ مَن كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشىءٍ، فأتوا منه ما استطعتم. وإذا نهيتكم عن شىءٍ فَدَعُوه"[6995].
- قال محمدٌ: "إن أعظم المسلمين فى المسلمين جُرْماً، مَن سأل عن شىءٍ لم يُحَرَّم على المسلمين، فَحُرِّمَ عليهم، مِن أجل مَسْأَلَتِه (أى: بسبب سؤاله)"[6996]. وفى رواية: "إن أعظم المسلمين فى المسلمين جُرْماً، رجلٌ سأل عن شىءٍ وَنَقَّرَ عنه (أى: بالغ فى البحث عنه والاستقصاء) [...]".
- وفى صحيح البخارى، تحت عنوان "ما يُكرَه مِن كثرة السؤال وتَكلُّف ما لا يعنيه" أن محمداً كان ينهى عن كثرة السؤال والتكلُّف. وكالعادة، اختلف المسلمون فى المراد بكثرة السؤال، هل هو خاص بالمال أو بالأحكام أو لأعم من ذلك. قال ابن حجر: "والأولى حمله على العموم، لكن فيما ليس للسائل به احتياج". أما "التكلُّف" فقيل إنه "كثرة السؤال، والبحث عن الأشياء الغامضة التى لا يجب البحث عنها"[6997].

مما سبق يتضح أن أصحاب القرآن ألَّفوا قصة "البقرة وجريمة القتل" (البقرة 67-73) لأنهم كانوا لا يحبون الجَدَل وكثرة السؤال، وإنما يحبون "السمع والطاعة" والسرعة فى تنفيذ أوامر الله (أو بالأحرى: تنفيذ أوامر محمد (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب)) بغير تنطع ولا جدال[6998]. أصحاب القرآن

أنفسهم افتخروا بذلك فى نفس السورة: بنو إسرائيل "قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا" (البقرة 93) بينما أصحاب القرآن "قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا" (البقرة 285). وقالوا كذلك فى مواضع أخرى كثيرة، مثل:

- "يَقُولُونَ (أى: جماعةٌ مِن اليهود) سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا [...] وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا [...] لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (النساء 46).
- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [...] اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (المائدة 6-7).
- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ (أى: لا تُعْرِضُوا عَنْهُ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ!) وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (فكانوا كغير السامعين)" (الأنفال 20-21) "وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ [...]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ" (الأنفال 23-24).
- "إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ" (النور 51-52).
- "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا" (التغابن 16).
- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" (النساء 59)؛ "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [...] وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" (النور 54-56)؛ "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" (المائدة 92) (محمد 33) (التغابن 12)؛ "أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ" (آل عمران 32، 132)؛ "أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ" (الأنفال 1، 20، 46) (المجادلة 13) "مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ" (النساء 80)!
- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (أي: اتَّبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ في جميع أموركم؛ لا تُقْدِموا على شيء قبل أن يأذن به اللهُ وَرَسُولُهُ أو يأمرا به)" (الحجرات 1)(6999)!

باختصار: أسطورة "البقرة وجريمة القتل" (البقرة 67-73) تبرز لجاجة اليهود وكثرة أسئلتهم وتكاسلهم فى تنفيذ أوامر الله ورسوله بطريقة فيها قدر كبير مِن المبالغة أو الكاريكاتير (caricature). ولقد ألَّف أصحابُ القرآن هذه الأسطورة لكى يدعوا المسلمين إلى عدم التشبه باليهود فى ذلك. إنها إذن عظة دينية (homily) مِن أصحاب القرآن إلى المسلمين.

الخلاصة: (البقرة 67-73) أسطورة قرآنية تتكون مِن سبع آيات مِن الإسرائيليات الموجودة في القرآن. ألَّف أصحابُ القرآن هذه الأسطورة انطلاقاً من شريعة "ذبيحة القاتل المجهول" (التثنية 21:1-9) وشريعة "البقرة الحمراء" (العدد 19:1-22) وعناصر أخرى من التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) الذي يسبق الإسلام. وكان هدفهم هو تأليف قصة تصلح كمَثَل (parable) لعقيدة إحياء الموتى وَتصلح فى الوقت نفسه كعظة دينية (homily) تدعو المسلمين إلى السمع والطاعة وعدم التشبه باليهود فى لجاجتهم وكثرة أسئلتهم وتباطؤهم فى تنفيذ أوامر الله ورسوله.

4.38 القرآن ينتقد مَن لا يؤمنون به: قلوبُهم غُلْفٌ قاسية وَفِي آذانهم وقرٌ!

نستطيع الآن أن نفهم لماذا وَجَّه أصحابُ القرآن نقداً لاذعاً لليهود بعد قصة "البقرة وجريمة القتل" (البقرة 67-73) مباشرةً، إذ قالوا لليهود: "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" (البقرة 74).

وهذه ليست المرة الوحيدة التى تحدث فيها أصحابُ القرآن بطريقة سلبية عن "قلوب" اليهود مِن أجل توجيه النقد لهم. بل إنها ليست المرة الوحيدة التى وجَّه فيها أصحابُ القرآن نقداً لغير المسلمين من خلال الحديث بطريقة سلبية عن "قلوبهم"، إذ نجد ذلك فى آيات قرآنية أخرى نستطيع أن نقسمها إلى أربعة أقسام؛ وسنعطى أمثلة لكل قسم منها:

<u>القسم الأول (Anti-Jewish Polemic): آيات تنتقد اليهود بصفة خاصة:</u>

- "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" (البقرة 74).
- "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ (أى: بسبب نقضهم عهدهم مع الله) لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً" (المائدة 13).
- "فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ (أى: ختم) اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (النساء 155).
- "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة 87-88).

<u>القسم الثانى (Anti-Jewish, Anti-Christian Polemic): آيات تنتقد أهل الكتاب (يهود ومسيحيين):</u>

- "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ (بَيْنهمْ وبين أَنْبِيَائِهِمْ) فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" (الحديد 16).

<u>القسم الثالث (Anti-Non-Muslim Polemic): آيات تنتقد المشركين والكفار وغير المسلمين بصفة عامة:</u>

- "فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ (أى: أعرضت عَنْ قبول الْقُرْآن)" (الزمر 22).
- "فَلَوْلَا (أى: فَهَلَّا) إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (الأنعام 43) "قُلْ (لهم) أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ (أى: طَبَعَ) عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ (أى: يرد لكم ما أخذه اللهُ منكم)" (الأنعام 46).

- "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ (يا محمد) مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى (أى: قَرَأَ) أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ (أى: تلاوته) فَيَنْسَخُ (أى: يزيل؛ يبطل) اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ (أى: يثبت) اللَّهُ آيَاتِهِ [...]. لِيَجْعَلَ (اللهُ) مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً (أى: اختباراً) لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ" (الحج 52-53).
- "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ (أى: غطاء؛ ظُلْمَة)" (البقرة 6-7).
- "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ (أى: فَمَنْ يَهْدِيهِ بَعْدَ إضلال الله إياه!؛ وقيل: فَمَنْ يَهْدِيهِ سوى الله)" (الجاثية 23).
- "أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" (النحل 108).
- "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ. وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ" (الأعراف 101-102). "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ" (غافر 35). "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (الروم 59). "كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ" (يونس 74).
- "وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ (يا محمد حين تتلو القرآن) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً (أى: أغطية) أَنْ يَفْقَهُوهُ (أى: لئلا يفهموه!) وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا (أى: ثِقَلاً وصمماً) وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأنعام 25).
- "وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا. وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً (جمع كِنان، وهو: الغطاء الذى يستر الشىء) أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا" (الإسراء 45-46).
- "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا" (الكهف 57).
- "وَقَالُوا (لمحمد) قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ" (فصلت 5).
- "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا" (لقمان 7).
- "وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (بالقرآن) فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى (فلا يهتدون به)" (فصلت 44).

<u>القسم الرابع (Anti-Hypocrite Polemic): آيات تنتقد المنافقين:</u>

- "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ (أى: المنافقون) آمَنُوا (باللسان؛ فى الظاهر) ثُمَّ كَفَرُوا (بالقلب؛ فى الحقيقة) فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" (المنافقون 3).
- "رَضُوا (أى: المنافقون) بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ (أى: مع النساء والأطفال وأصحاب الأعذار الذين لا يقاتلون) وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" (التوبة 87) "رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (التوبة 93).
- "أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ" (محمد 16) "أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ. أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 23-24).

وإذا كانت "قسوة" القلوب واضحة فى معناها ولم يختلف فيها المفسرون، فإن معنى "قُلُوبُنَا غُلْفٌ" (النساء 155) (البقرة 88) غير واضح ولذلك اختلف المفسرون والمترجمون.

ولقد ذكر الطبرى وغيره آراءً كثيرة فى معنى "قُلُوبُنَا غُلْفٌ"[7000]. قيل: فى أَكِنَّةٍ وأغطيةٍ وأغشية وأوعية؛ وغُلْف جمع أغلَف، وهو الذى فى غِلافٍ وغطاءٍ، كما يقال للرجل الذى لم يَخْتَتِنْ: أغلف، وكما يقال للسيف إذا كان فى غلافِه: أغلف. وقيل: لا يَخْلُصُ إليها ما تقول. وقيل: لا تَفْقَهُ ما تقول ولا تَعْقِله. وقيل: هى القلوب المطبوع عليها. وقُرِئَت: "غُلُفٌ" (بضم اللام)؛ جمع غِلاف؛ بمعنى: قلوبنا أوعيةٌ للعلم أو للذكر؛ والمقصود: مملوءة عِلماً لا يُحتاجُ إلى عِلْمِ محمدٍ ولا غيره. إلا أن الطبرى يرفض هذه القراءة. وقال ابن الجوزى: "قرأ الجمهور بإسكان اللام"[7001]، أى: "غُلْفٌ".

وقال الزمخشرى والنسفى[7002] إن "غُلْفٌ" جمع أغلَف، وهو مستعار من الأغلف الذى لم يُختَن. والمقصود: قلوبنا لا يتوصل إليها ما جاء به محمد ولا تفقهه. وقيل: قلوبنا أوعيةٌ للعلم فنحن مستغنون بما عندنا (أى: التوراة) عن غيره (أى: القرآن).

وفى لسان العرب [غ ل ف]: "قُلُوبُنَا غُلْفٌ". قيل: معناه صُمٌّ. وفى حديث: القلوبُ أربعةٌ، فقلبٌ أغلف، أى: عليه غِشاء عن سماع الحق وقبوله، وهو قلب الكافر. وقيل: الأغلف هو الذى عليه لِبْسَة لم يخرج منها، كما يقال غلام أغلف إذا لم تُقطع غُرْلَتُه، أى: لم يختتن.

وذكر ابن كثير كل الآراء السابقة تقريباً، وأضاف رأياً آخر "عن قتادة عن الحسن فى قوله "قُلُوبُنَا غُلْفٌ" قال: لم تختتن. وهذا القول يرجع معناه إلى ما تقدّم من عدم طهارة قلوبهم وأنها بعيدة من الخير". وقال المحققون: "ذكر المفسر (أى: ابن كثير) – كما ترى – وجوها مختلفة فى معنى قوله "غُلْف"، وأرجحها أن قلوبهم مغلقة، أى محاطة بما يحول بينها وبين وصول نصائح محمد"[7003]. والعلاقة بين الختان والطهارة لا تخفى على أحد، إذ أن عادة الختان لا تزال تُعرَف عند العامة فى المجتمعات العربية باسم "الطُهُور" أو "التطهير".

ونظراً للارتباط الوثيق بين كلمة "غُلْف" وعدم الختان، فلقد لاحظنا أن بعض ترجمات معانى القرآن[7004] تترجم كلمة "غُلْف" إلى (uncircumcised) (incirconcis)، أى: غير مختونة.

ونحن نرى أن معنى "قُلُوبُنَا غُلْفٌ" موجود فى القرآن نفسه، فلا داعى للحيرة، إذ لم تُذكَر هذه العبارة إلا فى موضعين فقط، وكلاهما مسبوق بعبارة تحمل معنى تكذيب الأنبياء و/أو قتلهم، وكلاهما متبوع بعبارة تحمل معنى الكفر وعدم الإيمان:

- "وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (النساء 155).

- "أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة 87-88).

وبما أن الإيمان بالله ورسله يستوجب طاعة أوامره وأوامر رسله والالتزام بالميثاق (العهد) (النساء 155)، فإن "قُلُوبُنَا غُلْفٌ" تحمل أيضاً معانى العصيان والعناد والاستكبار (البقرة 87).

مما سبق يتضح أن المعنى الحرفى لكلمة "غُلْف" جمع "أغلَف" هو الذى فى غِلافٍ. ولا يمكن طبعاً أن تكون القلوب "غُلْف" بالمعنى الحرفى: فى غطاءٍ؛ غير مختونة. إذن: أصحاب القرآن استخدموا كلمة "غُلْفٌ" مع "قلوب" اليهود بمعناها المجازى (trope; metaphor) الذى يرمز إلى وجود غطاء يغلق قلوبهم أو حجاب حاجز يفصل بينهم وبين ما يقوله الرسول، فَهُمْ لا يسمعوه، أو يسمعوه لكن لا يصل إلى قلوبهم فلا يفقهوه ولا يقتنعوا به، أو يعتقدون أنهم ليسوا محتاجين إليه أصلاً. ونفهم مِن سياق الآيات القرآنية أنه يجب التخلص مِن هذا الحاجز، كما يتخلص الذكر أثناء عملية الختان (circumcision) مِن لَحْم غُرْلَتِه (foreskin) فيتطهر.

بعبارة أخرى: استخدم أصحابُ القرآن "غُلْفَة القلب" كوسيلة أدبية للتعبير عن عدم الإيمان بالله ورسله أو عدم تنفيذ أوامر الله ورسله، ومِن ثم فإن "ختانَ القلب" يعبر بأسلوب أدبى عن الإيمان بالله ورسله وتنفيذ أوامر الله ورسله.

والسؤال الذى يهمنا هو: مِن أين أتى أصحابُ القرآن بهذه الوسيلة الأدبية فى التعبير؟

الإجابة: مِن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ومِن التراث اليهودى والمسيحى الذى يسبق الإسلام. والأمثلة على ذلك كثيرة، لكننا سنكتفى بالأمثلة التالية[7005].

4.38.1 جذور القرآن فى العهد القديم

نبدأ أولاً بتوضيح "عهد الختان" (Covenant of Circumcision) (بالعبرية: berit milah) الذى قطعه الربُّ مع إبراهيم (التكوين 17:1-14): "كان الختان "علامة العهد" التى اختارها الله (التكوين 17:11)، وهو يرمز إلى تعهد إبراهيم بالتزامه نحو الرب، بأن يكون الرب وحده إلهه، الذى يؤمن به ويخدمه". وكأن اليهودى حين يُخْتَن يقول قَسَماً يحمل لعنة على الذات (a self-maledictory oath): "إذا لم أكن مخلصاً فى الإيمان (faith) والطاعة (obedience) للرب، فليت سيف الرب يقطعنى أنا ونسلى (التكوين 17:14) كما قطعت غُلْفَتى (أو: غُرْلَتِى (foreskin) (بالعبرية: 'orlah))"[7006].

وهذا يؤكد ما قلناه سابقاً وهو أن الختان يحمل معانى الإيمان بالله وطاعة أوامره بينما الغُلْفَة (أى: عدم الختان) تحمل معانى الكفر بالله وعصيان أوامره.

ننتقل الآن إلى (اللاويين 26) الذى يتحدث عن مكافأة السمع والطاعة وعقوبة عصيان أوامر الله. فيقول الربُّ لبنى إسرائيل: "إِذَا سَلَكْتُمْ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمْ بِهَا، [...]" (اللاويين 3:26) فستكون المكافأة هى الانتصار على أعدائكم والحياة فى سلام ورخاء وازدهار وكثرة البنين ... الخ (اللاويين 3:26-13).

أما عقوبة العصيان فيقولها الربُّ لبنى إسرائيل بعد ذلك مباشرةً. **(اللاويين 26):** {14} «لكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي (أى: عَصَيْتُمُونِى) وَلَمْ تَعْمَلُوا كُلَّ هذِهِ الْوَصَايَا **[← "يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا" (النساء 46) "قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا" (البقرة 93)]**، {15} وَإِنْ رَفَضْتُمْ فَرَائِضِي وَكَرِهَتْ أَنْفُسُكُمْ أَحْكَامِي، فَمَا عَمِلْتُمْ كُلَّ وَصَايَايَ، بَلْ نَكَثْتُمْ مِيثَاقِي **[← "نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ" (المائدة 13) (النساء 155)]**، {16} فَإِنِّي أَعْمَلُ هذِهِ بِكُمْ: أُسَلِّطُ عَلَيْكُمْ رُعْبًا وَسِلاًّ (نوع مِن الأمراض. قيل: السل؛ وقيل: البرص) وَحُمَّى تُفْنِي الْعَيْنَيْنِ وَتُتْلِفُ النَّفْسَ. وَتَزْرَعُونَ بَاطِلاً زَرْعَكُمْ فَيَأْكُلُهُ أَعْدَاؤُكُمْ. {17} وَأَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّكُمْ فَتَنْهَزِمُونَ أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْكُمْ مُبْغِضُوكُمْ، وَتَهْرُبُونَ وَلَيْسَ مَنْ يَطْرُدُكُمْ.

وفى حالة المواظبة على عصيان الله، سيزداد العقاب الإلهى. **(اللاويين 26):** {18} «وَإِنْ كُنْتُمْ مَعَ ذلِكَ لاَ تَسْمَعُونَ لِي، أَزِيدُ عَلَى تَأْدِيبِكُمْ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ، [...] {21} «وَإِنْ سَلَكْتُمْ مَعِي بِالْخِلاَفِ (أى: المخالفة؛ المعارضة)، وَلَمْ تَشَاءُوا أَنْ تَسْمَعُوا لِي، أَزِيدُ عَلَيْكُمْ ضَرَبَاتٍ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ. [...] **[← "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [...] لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (فكانوا كغير السامعين)" (الأنفال 20-21)]** {23} «وَإِنْ لَمْ تَتَأَدَّبُوا مِنِّي بِذلِكَ، بَلْ سَلَكْتُمْ مَعِي بِالْخِلاَفِ، {24} فَإِنِّي أَنَا أَسْلُكُ مَعَكُمْ بِالْخِلاَفِ، وَأَضْرِبُكُمْ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ. [...] {27} «وَإِنْ كُنْتُمْ بِذلِكَ لاَ تَسْمَعُونَ لِي بَلْ سَلَكْتُمْ مَعِي بِالْخِلاَفِ، {28} فَأَنَا أَسْلُكُ مَعَكُمْ بِالْخِلاَفِ سَاخِطًا، وَأُؤَدِّبُكُمْ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ، [...] {38} فَتَهْلِكُونَ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَتَأْكُلُكُمْ أَرْضُ أَعْدَائِكُمْ. {39} وَالْبَاقُونَ مِنْكُمْ يَفْنَوْنَ بِذُنُوبِهِمْ فِي أَرَاضِي أَعْدَائِكُمْ.

لكن الرب يعطيهم الأملَ إنْ اعترفوا بخطاياهم. **(اللاويين 26):** {40} لكِنْ إِنْ أَقَرُّوا بِذُنُوبِهِمْ وَذُنُوبِ آبَائِهِمْ فِي خِيَانَتِهِمِ الَّتِي خَانُونِي بِهَا، وَسُلُوكِهِمْ مَعِيَ الَّذِي سَلَكُوا بِالْخِلاَفِ، {41} وَإِنِّي أَيْضًا سَلَكْتُ مَعَهُمْ بِالْخِلاَفِ وَأَتَيْتُ بِهِمْ إِلَى أَرْضِ أَعْدَائِهِمْ. إِلاَّ أَنْ تَخْضَعَ حِينَئِذٍ قُلُوبُهُمُ الْغُلْفُ (أى: الكافرة؛ العنيدة؛ النَّجِسة) **[← "قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة 88) "وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (النساء 155) "وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ" (فصلت 5) (الأنعام 25) (الإسراء 46) (الكهف 57) "عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)]**، وَيَسْتَوْفُوا حِينَئِذٍ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، {42} أَذْكُرُ مِيثَاقِي مَعَ يَعْقُوبَ، وَأَذْكُرُ أَيْضًا مِيثَاقِي مَعَ إِسْحَاقَ، وَمِيثَاقِي مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَذْكُرُ الأَرْضَ. [...]

ننتقل الآن إلى (التثنية 10) حيث يتحدث موسى النبى إلى بنى إسرائيل يحثهم على الإيمان بالربِّ وطاعته. **(التثنية 10):** {12} «فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ، مَاذَا يَطْلُبُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلاَّ أَنْ تَتَّقِيَ(أو: تخاف) الرَّبَّ إِلهَكَ **[← "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا" (التغابن 16) "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ" (النور 52) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [...] اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ" (المائدة 6-7)]** لِتَسْلُكَ فِي كُلِّ طُرُقِهِ، وَتُحِبَّهُ، وَتَعْبُدَ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، {13} وَتَحْفَظَ وَصَايَا الرَّبِّ وَفَرَائِضَهُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ لِخَيْرِكَ **[← "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ" (الأنفال 20) "إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (النور 51) "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" (النساء 59) (النور 54) (المائدة 92) (محمد 33) (التغابن 12) "أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ" (آل عمران 32، 132) "أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ" (الأنفال 1، 20، 46) (المجادلة 13) "اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ" (الأنفال 24)]**. {14} هُوَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكَ السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضُ وَكُلُّ مَا فِيهَا. {15} وَلكِنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا الْتَصَقَ بِآبَائِكَ لِيُحِبَّهُمْ، فَاخْتَارَ مِنْ بَعْدِهِمْ نَسْلَهُمُ الَّذِي هُوَ أَنْتُمْ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ. {16} فَاخْتِنُوا غُرْلَةَ قُلُوبِكُمْ (أو: فَطَهِّروا قلوبَكم الأثيمة) **[← "قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة 88) "وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (النساء 155) "وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ" (فصلت 5) (الأنعام 25) (الإسراء 46) (الكهف 57) "عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)]**، وَلاَ تُصَلِّبُوا رِقَابَكُمْ بَعْدُ (أو: أقلِعُوا عن عِنَادِكم) **[← "أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ" (البقرة 87)]**. والمقصود بقوله "فَاخْتِنُوا غُرْلَةَ قُلُوبِكُمْ" (التثنية 16:10) هو دعوة "بنى إسرائيل إلى استئصال كل خطية فى قلوبهم، مثلما تَستأصِل الغُرْلَةَ عمليةُ الختان"[7007].

وفى موضع آخر من سفر التثنية، يتحدث موسى عن التوبة (بالعبرية: teshuvah) ويقول لبنى إسرائيل إن الرب هو الذى سيَخْتِن قلوبهم إنْ تابوا وسمِعوا لصوت الرب وأطاعوه. **(التثنية 30):** {2} وَ(إِنْ) رَجَعْتَ (أى: تُبت) إِلَى الرَّبِّ إِلهِكَ، وَسَمِعْتَ لِصَوْتِهِ حَسَبَ كُلِّ مَا أَنَا أُوصِيكَ بِهِ الْيَوْمَ، أَنْتَ وَبَنُوكَ، بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ، {3} يَرُدُّ الرَّبُّ إِلهُكَ سَبْيَكَ وَيَرْحَمُكَ، وَيَعُودُ فَيَجْمَعُكَ (أو: يلم شتاتك) مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ بَدَّدَكَ إِلَيْهِمِ الرَّبُّ إِلهُكَ. [...] {5} وَيَأْتِي بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي امْتَلَكَهَا آبَاؤُكَ فَتَمْتَلِكُهَا، وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ وَيُكَثِّرُكَ أَكْثَرَ مِنْ آبَائِكَ. {6} وَيَخْتِنُ (أى: يُطَهِّر) الرَّبُّ إِلهُكَ قَلْبَكَ وَقَلْبَ نَسْلِكَ، لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ لِتَحْيَا. {7} وَيَجْعَلُ الرَّبُّ إِلهُكَ كُلَّ هذِهِ اللَّعَنَاتِ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَعَلَى مُبْغِضِيكَ الَّذِينَ طَرَدُوكَ. {8} وَأَمَّا أَنْتَ فَتَعُودُ تَسْمَعُ لِصَوْتِ الرَّبِّ (أى: تطيعه)، وَتَعْمَلُ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، {9} فَيَزِيدُكَ الرَّبُّ إِلهُكَ خَيْرًا فِي كُلِّ عَمَلِ يَدِكَ، فِي ثَمَرَةِ بَطْنِكَ وَثَمَرَةِ بَهَائِمِكَ وَثَمَرَةِ أَرْضِكَ. لأَنَّ

الرَّبَّ يَرْجعُ لِيَفْرَحَ لَكَ بِالْخَيْرِ كَمَا فَرِحَ لآبَائِكَ، {10} إِذَا سَمِعْتَ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ الْمَكْتُوبَةَ فِي سِفْرِ الشَّرِيعَةِ هذَا. إِذَا رَجَعْتَ إِلَى الرَّبِّ إِلهِكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ. ويُفهَم مِن ذلك أن عملية "ختان القلب" عملية ليست صعبة، ومفتاحها هو الإيمان بالله الذى سيقوم بها، وهو ما تحقق بصورة كاملة فى العهد الجديد عن طريق الصلب والفداء والقيامة والخلاص.

وبعد ذلك أيضاً، أُستخدِمَت كلمة "أغلف" (uncircumcised) مجازياً لترمز إلى القلب المتمرد أو الأذن الصماء العنيدة[7008]. فلقد كرر النبيُّ إرميا الدعوةَ إلى التوبة والإيمان بالله و "ختان القلب". **(إرميا 4):** {1} «إِنْ رَجَعْتَ (أى: تُبت) يَا إِسْرَائِيلُ، يَقُولُ الرَّبُّ، إِنْ رَجَعْتَ إِلَيَّ وَإِنْ نَزَعْتَ مَكْرُهَاتِكَ (أى: أَزَلْتَ أصنامَك الرجسة) مِنْ أَمَامِي، فَلاَ تَتِيهُ. {2} وَإِنْ حَلَفْتَ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْبِرِّ، فَتَتَبَرَّكُ الشُّعُوبُ بِهِ، وَبِهِ يَفْتَخِرُونَ. {3} « لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ لِرِجَالِ يَهُوذَا (أى: المملكة الجنوبية) وَلأُورُشَلِيمَ (عاصمتها): [...] {4} اِخْتَتِنُوا لِلرَّبِّ وَانْزِعُوا غُرَلَ قُلُوبِكُمْ (أى: طَهِّروا عقولكم وقلوبكم مِن الخطية وليس أجسادكم فقط) يَا رِجَالَ يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، لِئَلاَّ يَخْرُجَ كَنَارٍ غَيْظِي، فَيُحْرِقَ وَلَيْسَ مَنْ يُطْفِئُ، بِسَبَبِ شَرِّ أَعْمَالِكُمْ.

إلا أن سكان أورشليم لم يسمعوا كلام إرميا، فانتقدهم إرميا قائلاً **(إرميا 6):** {10} مَنْ أُكَلِّمُهُمْ وَأُنْذِرُهُمْ فَيَسْمَعُوا؟ هَا إِنَّ أُذْنَهُمْ غَلْفَاءُ (uncircumcised) (أى: صَمَّاء؛ إنهم يُغلِقُون آذانهم) **[⟵ "فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا (أى: ثِقَلاً وصمماً)" (الأنعام 25) (الإسراء 46) (الكهف 57) (فصلت 5) (فصلت 44)]** فَلاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَصْغَوْا **[⟵ "لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا" (الكهف 101) "خَتَمَ اللَّهُ عَلَى [...] سَمْعِهِمْ" (البقرة 7) "طَبَعَ اللَّهُ عَلَى [...] سَمْعِهِمْ" (النحل 108) (الأنعام 46) (الجاثية 23) "لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ" (محمد 23) "لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا" (الأعراف 179) "وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ" (الأنفال 23)]**. هَا إِنَّ كَلِمَةَ الرَّبِّ صَارَتْ لَهُمْ عَارًا. لاَ يُسَرُّونَ بِهَا **[⟵ "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا" (لقمان 7)]**.

ثم انتقدهم إرميا مرة أخرى قائلاً **(إرميا 9):** {25} «هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُعَاقِبُ كُلَّ مَخْتُونٍ وَأَغْلَفَ (أى: غير مختون). {26} [...]، لأَنَّ كُلَّ الأُمَمِ (أى: غير اليهود) غُلْفٌ (بالمعنى الحرفى؛ أى: غير مختونين جسدياً)، وَكُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ غُلْفُ الْقُلُوبِ (بالمعنى المجازى؛ قلوبهم غير طاهرة) **[⟵ "قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة 88) "وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (النساء 155) "وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ" (فصلت 5) (الأنعام 25) (الإسراء 46) (الكهف 57) "عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)]**».

ننتقل الآن إلى **(حزقيال 3)** الذى ينتقد أصحابَ القلوب القاسية: {4} فَقَالَ لِي (الربُّ): «يَا ابْنَ آدَمَ، اذْهَبِ امْضِ إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَكَلِّمْهُمْ بِكَلاَمِي. {5} لأَنَّكَ غَيْرُ مُرْسَل إِلَى شَعْبٍ غَامِضِ اللُّغَةِ وَثَقِيلِ اللِّسَانِ، بَلْ إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. {6} لاَ إِلَى شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ غَامِضَةِ اللُّغَةِ وَثَقِيلَةِ اللِّسَانِ لَسْتَ تَفْهَمُ كَلاَمَهُمْ. فَلَوْ أَرْسَلْتُكَ إِلَى هؤُلاَءِ لَسَمِعُوا لَكَ. {7} لكِنَّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَسْمَعَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لاَ يَشَاؤُونَ أَنْ يَسْمَعُوا لِي **[← "يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا" (النساء 46) "قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا" (البقرة 93) "قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (فكانوا كغير السامعين)" (الأنفال 21)]**. لأَنَّ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ صِلاَبُ الْجِبَاهِ (أى: مُعَانِدون) وَقُسَاةُ الْقُلُوبِ **[← "قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً" (المائدة 13) "فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" (الحديد 16) "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" (البقرة 74) (الزمر 22) (الأنعام 43) (الحج 53)]**.

ثم ينتقد أصحابَ القلوب المتحجرة. **(حزقيال 11):** {17} لِذلِكَ قُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: إِنِّي أَجْمَعُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَأَحْشُرُكُمْ مِنَ الأَرَاضِي الَّتِي تَبَدَّدْتُمْ فِيهَا، وَأُعْطِيكُمْ أَرْضَ إِسْرَائِيلَ. {18} فَيَأْتُونَ إِلَى هُنَاكَ وَيُزِيلُونَ جَمِيعَ مَكْرُهَاتِهَا، وَجَمِيعَ رَجَاسَاتِهَا مِنْهَا. {19} وَأُعْطِيهِمْ قَلْبًا وَاحِدًا (undivided)، وَأَجْعَلُ فِي دَاخِلِكُمْ رُوحًا جَدِيدًا، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ (heart of stone) **[← "قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً" (المائدة 13) "فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ" (الحديد 16) "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" (البقرة 74) (الزمر 22) (الأنعام 43) (الحج 53)]** مِنْ لَحْمِهِمْ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبَ لَحْمٍ، [...]. وكذلك يعطيهم الأملَ فى (حزقيال 36:24-26).

وبعد أن انتقد أصحابَ القلوب القاسية والقلوب المتحجرة، نجده الآن ينتقد أصحابَ القلوب الغُلْف ويمنعهم من دخول الهيكل المقدس. **(حزقيال 44):** {6} [...] هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: يَكْفِيكُمْ كُلُّ رَجَاسَاتِكُمْ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، {7} بِإِدْخَالِكُمْ أَبْنَاءَ الْغَرِيبِ الْغُلْفَ الْقُلُوبِ (أى: غير المؤهلين روحياً) **[← "قُلُوبُنَا غُلْفٌ" (البقرة 88) (النساء 155) "قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ" (فصلت 5) (الأنعام 25) (الإسراء 46) (الكهف 57) "عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)]** الْغُلْفَ اللَّحْمِ (أى: غير المؤهلين جسدياً) لِيَكُونُوا فِي مَقْدِسِي، فَيُنَجِّسُوا بَيْتِي بِتَقْرِيبِكُمْ خُبْزِي الشَّحْمَ وَالدَّمَ. فَنَقَضُوا (أى: فَنَقَضْتُم) عَهْدِي **[← "نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ" (المائدة 13) (النساء 155)]** فَوْقَ كُلِّ رَجَاسَاتِكُمْ. {8} وَلَمْ تَحْرُسُوا حِرَاسَةَ أَقْدَاسِي، بَلْ أَقَمْتُمْ حُرَّاسًا يَحْرُسُونَ عَنْكُمْ فِي مَقْدِسِي. {9} «هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: ابْنُ الْغَرِيبِ أَغْلَفُ الْقَلْبِ (uncircumcised in spirit) وَأَغْلَفُ اللَّحْمِ (uncircumcised in flesh) لاَ يَدْخُلُ مَقْدِسِي، مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ الَّذِي مِنْ وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

ونختم حديثَنا عن جذور القرآن فى العهد القديم بما قاله **(زكريا 7):** {8} وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى زَكَرِيَّا قَائِلاً: {9} «هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلاً: اقْضُوا قَضَاءَ الْحَقِّ (أى: بالعَدْلِ)، وَاعْمَلُوا إِحْسَانًا وَرَحْمَةً، كُلُّ إِنْسَانٍ مَعَ أَخِيهِ. {10} وَلاَ تَظْلِمُوا الأَرْمَلَةَ وَلاَ الْيَتِيمَ وَلاَ الْغَرِيبَ وَلاَ الْفَقِيرَ، وَلاَ يُفَكِّرْ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَرًّا عَلَى أَخِيهِ فِي قَلْبِكُمْ. {11} فَأَبَوْا أَنْ يُصْغُوا وَأَعْطَوْا كَتِفًا مُعَانِدَةً، وَثَقَّلُوا آذَانَهُمْ عَنِ السَّمْعِ **[← "فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا (أى: ثِقْلاً**

وصمماً" (الأنعام 25) (الإسراء 46) (الكهف 57) (فصلت 5) (فصلت 44) "لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا" (الأعراف 179)]. {12} بَلْ جَعَلُوا قَلْبَهُمْ مَاسًا (أى: قَسُّوا قلوبَهم كالصَّوَانِ flint أو كحجَر المَاس adamant stone) **[← "قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً" (المائدة 13) "فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ" (الحديد 16) "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" (البقرة 74) (الزمر 22) (الأنعام 43) (الحج 53)]** لِئَلاَّ يَسْمَعُوا الشَّرِيعَةَ وَالْكَلاَمَ الَّذِي أَرْسَلَهُ رَبُّ الْجُنُودِ بِرُوحِهِ عَنْ يَدِ الأَنْبِيَاءِ الأَوَّلِينَ. فَجَاءَ غَضَبٌ عَظِيمٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْجُنُودِ.

ونلاحظ أن الآيات الكتابية السابقة مُوجَّهة مِن أنبياء بنى إسرائيل (أو: مِن الله/الرب) إلى بنى إسرائيل كلهم أو بعضهم، فهى إذن تُعتبَر بمثابة "نقد ذاتى" أو "نقد داخلى" لبنى إسرائيل؛ وليس مِن المبالغة أن نقول إن هذه الآيات الكتابية تكشف عورات بنى إسرائيل أمام أنفسهم وأمام الآخرين. ومِن ثم نستطيع أن نفهم لماذا وضع أصحابُ القرآن الكلمتين "قُلُوبُنَا غُلْفٌ" على لسان اليهود (البقرة 88) (النساء 155)؛ لأنهم أرادوا فقط أن يُذكِّروا اليهودَ بهذه الآيات المذكورة فى كتابهم (العهد القديم). ونستطيع أيضاً أن نفهم لماذا لم يشرح أصحابُ القرآن معنى "قُلُوبُنَا غُلْفٌ"؛ لأن السامعين (أى: اليهود المعاصرين لهم) كانوا يعرفون المعنى جيداً.

4.38.2 جذور القرآن فى العهد الجديد

ننتقل الآن إلى العهد الجديد الذى يقول إن الختان الحقيقى هو الختان الداخلى (ختان القلب؛ الختان حسب الروح؛ الختان بِعَمَلِ الله فينا بالإيمان) (Spiritual Circumcision) وليس الختان الخارجى (ختان لحم الجسد؛ الختان حسب شريعة موسى؛ الختان بيد البشر) (Physical Circumcision). أى أن علامة العهد الجديد التى تُميِّز المؤمن البار ليست تطهير جسده مِن لَحْم الغُرْلة، وإنما تطهير قلبه مِن شر الخطيئة. وهذا لا يتعارض مع العهد القديم، بدليل أن إبراهيم آمَنَ بِالربِّ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا (التكوين 15:6) <u>قبل</u> أن يُخْتَن فى لحم غُرْلَتِهِ (التكوين 17:24)، ثم "أَخَذَ عَلاَمَةَ الْخِتَانِ خَتْمًا (أى: برهاناً) لِبِرّ الإيمَانِ الَّذِي كَانَ فِي الْغُرْلَةِ" (رومية 4:11). إذن: "فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الإيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ" (غلاطية 5:6)؛ "لَيْسَ الْخِتَانُ شَيْئًا (مهماً)، وَلَيْسَتِ الْغُرْلَةُ شَيْئًا (مهماً)، بَلْ (ما يَهُمُّ هو) حِفْظُ وَصَايَا اللهِ (أى: الإيمان والطاعة؛ ختان القلب)" (1 كورنثوس 7:19).

وهذا التجديد فى الفكر الدينى ساعد المسيحيةَ كثيراً على الانتشار بين الأمم (أى: غير اليهود؛ غير المختونين). ونجده واضحاً فى رسائل القديس بولس الرسول (Paul the Apostle) الذى وصف نفسَه صراحةً بأنه "رَسُولٌ لِلأُمَمِ (أى: لغير اليهود)" (رومية 11:13) (the apostle to the Gentiles). بل إنها "ثورة دينية" ساعدت الملايين مِن الكفار والمشركين على الإيمان بالله الواحد وترك الوثنية واعتناق

المسيحية. حدثت هذه الثورة الدينية السلمية منذ حوالى 2000 سنة، ونجحت نجاحاً ساحقاً، وبوسائل بسيطة جداً، إذ لم يكن هناك انترنت ولا تليفونات ولا فضائيات ولا حتى مطبعة.

وسنعطى أمثلة من الآيات الكتابية التى تهمنا، أى تلك التى تحدثت عن القلوب المختونة/الغُلْف أو الآذان المختونة/الغُلْف فى سياق توجيه النقد لليهود (Anti-Jewish Polemic)، لأنها تدل على أن هذه الأساليب الأدبية ظلت مستخدمة فى هذا السياق حتى القرن الأول الميلادى.

(رومية 2): {17} هُوَذَا أَنْتَ تُسَمَّى يَهُودِيًّا (أى: يا مَن تُسمِّى نفسك يهودياً)، وَتَتَّكِلُ عَلَى النَّامُوسِ (أى: شريعة موسى)، وَتَفْتَخِرُ بِاللهِ، {18} وَتَعْرِفُ مَشِيئَتَهُ، وَتُمَيِّزُ الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، مُتَعَلِّمًا مِنَ النَّامُوسِ. {19} وَتَثِقُ (أى: تعتقد؛ تظن) أَنَّكَ قَائِدٌ لِلْعُمْيَانِ، وَنُورٌ لِلَّذِينَ فِي الظُّلْمَةِ، {20} وَمُهَذِّبٌ لِلأَغْبِيَاءِ، وَمُعَلِّمٌ لِلأَطْفَالِ، وَلَكَ صُورَةُ الْعِلْمِ وَالْحَقِّ فِي النَّامُوسِ. {21} فَأَنْتَ إِذًا الَّذِي تُعَلِّمُ غَيْرَكَ، أَلَسْتَ تُعَلِّمُ نَفْسَكَ؟ الَّذِي تَكْرِزُ (أى: تنادى): أَنْ لاَ يُسْرَقَ، أَتَسْرِقُ؟ {22} الَّذِي تَقُولُ: أَنْ لاَ يُزْنَى، أَتَزْنِي؟ الَّذِي تَسْتَكْرِهُ الأَوْثَانَ، أَتَسْرِقُ الْهَيَاكِلَ؟ {23} الَّذِي تَفْتَخِرُ بِالنَّامُوسِ، أَبِتَعَدِّي النَّامُوسِ تُهِينُ اللهَ؟ {24} لأَنَّ اسْمَ اللهِ يُجَدَّفُ عَلَيْهِ بِسَبَبِكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ. {25} فَإِنَّ الْخِتَانَ يَنْفَعُ (أى: له قيمة) إِنْ عَمِلْتَ بِالنَّامُوسِ. وَلكِنْ إِنْ كُنْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ، فَقَدْ صَارَ خِتَانُكَ غُرْلَةً (أى: كأنه عدم ختان)! {26} إِذًا إِنْ كَانَ الأَغْرَلُ (أى: غير المختون مِن الأمم) يَحْفَظُ أَحْكَامَ النَّامُوسِ، أَفَمَا تُحْسَبُ غُرْلَتُهُ خِتَانًا؟ {27} وَتَكُونُ الْغُرْلَةُ الَّتِي مِنَ الطَّبِيعَةِ، وَهِيَ تُكَمِّلُ النَّامُوسَ، تَدِينُكَ أَنْتَ (اليهودى) الَّذِي فِي الْكِتَابِ وَالْخِتَانِ تَتَعَدَّى النَّامُوسَ؟ {28} لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ (أى: فى المظهر الخارجى؛ outwardly) لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا، وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَانًا، {29} بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ (أى: فى الباطن؛ مِن الداخل؛ inwardly؛ بِالرُّوحِ) هُوَ الْيَهُودِيُّ (الحقيقى)، وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ (أى: الْخِتَان الحقيقى هو تغيير الْقَلْبِ بِالرُّوحِ وليس بحروف شريعة موسى)، الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ.

(فيلبي 3): {1} أَخِيرًا يَا إِخْوَتِي (المسيحيون) افْرَحُوا فِي الرَّبِّ. كِتَابَةُ هذِهِ الأُمُور إِلَيْكُمْ لَيْسَتْ عَلَيَّ ثَقِيلَةً، وَأَمَّا لَكُمْ فَهِيَ مُؤَمِّنَةٌ (أى: تجعلكم فى مأمن). {2} اُنْظُرُوا الْكِلاَبَ (يقصد خصومه – اليهود (Jews) أو المهوِّدين (Judaizers) وَهُمْ فريقٌ من اليهود المتنصرين (Jewish Christians) – الذين زعموا أن الختان الجسدى حسب شريعة موسى ضرورىٌ للخلاص[7009]!). انْظُرُوا فَعَلَةَ الشَّرِّ. انْظُرُوا الْقَطْعَ (الذين يُشوِّهون الجسد بالختان). {3} لأَنَّنَا نَحْنُ الْخِتَانَ (الحقيقى؛ بالقلب)، الَّذِينَ نَعْبُدُ اللهَ بِالرُّوحِ، وَنَفْتَخِرُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ (كمخلِّص لنا)، وَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى الْجَسَدِ (البشرى الضعيف ولا على جهودنا البشرية).

ويقول للمسيحيين أيضاً. **(كولوسي 2):** {11} وَبِهِ (أى: بالمسيح؛ فى المسيح) أَيْضًا خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ (أى: ختاناً غير جسدى؛ ختاناً روحياً؛ ختان القلب)، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ (أى: بالتطهير الكُلى مِن الخطيَّة)، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ (أى: الختان الذى يُجريه المسيح؛ done by Christ) (أو: الختان حسب المسيح؛ according to Christ). {12} مَدْفُونِينَ مَعَهُ (أى: مع المسيح) فِي الْمَعْمُودِيَّةِ (Baptism)، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. {13} وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ (أى: عدم ختانكم الجسدى؛ عدم تطهركم)، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ (بالمعمودية؛ بختان القلب)، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا (أى: متمماً الخلاص). ويُفهَم مِن ذلك أن المعمودية فى العهد الجديد لها "نفس المكانة التى كانت للختان فى العهد القديم"[(7010)]. فكلاهما مجرد علامة خارجية للتغيير الداخلي الذي يجب أن يحدث للإنسان المؤمن البار "لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ (أى: حياة الإيمان والطاعة)" (غلاطية 15:6). إلا أن الختان فى العهد القديم ينزع جزءاً صغيراً جداً مِن الجسد، أما المعمودية فتنزع الجسد كله – بل تُميته مع المسيح يسوع – ثم تُقِيمه وتُحييه مرة أخرى أيضاً مع المسيح يسوع. إذن: المعمودية تحمل معنى الانتصار على كل مظاهر الطبيعة البشرية الساقطة؛ انتصار على الخطية؛ وانتصار على الموت. إنها بداية حياة روحية جديدة فى المسيح يسوع؛ حياة لا تهدف إلى إرضاء شهوات الجسد، وإنما حياة روحية تهدف إلى طاعة الله. ومِن المعلوم أن معمودية المؤمنين بالتغطيس في الماء ترمز إلى الاتحاد مع المسيح والتشبُّه به في موته ودفنه وقيامته، لكن المعمودية الحقيقية بالروح القدس والإيمان بالفداء والخلاص الذي حققه يسوعُ المسيح ابنُ الله بدمه وموته على الصليب وقيامته من الأموات. فنحن إذن لا نعتقد أن المعمودية بالتغطيس في الماء ضرورية من أجل الخلاص. لأنها لو كانت ضرورية، لكان هذا يعني أن المعمودية بالروح القدس لا تكفي لإتمام الخلاص! وأن نعمة الله غير المحدودة لا تكفي لإتمام الخلاص! وأن الإيمان بصليب الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الذي أقامه اللهُ من الأموات لا يكفي لإتمام الخلاص! وأن الخلاص بالأعمال وليس بالنعمة الإلهية بواسطة الإيمان! وحاشا أن نقول ذلك. هذا بالإضافة إلى أن بعض المؤمنين لديهم ظروف خاصة تمنعهم من المعمودية بالتغطيس في الماء، فمثلهم مثل اللص التائب (لوقا 23:42-43)، يكفيهم المعمودية بالروح القدس والنعمة الإلهية غير المحدودة وإيمانهم بصليب الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الذي أقامه اللهُ من الأموات. يقول قاموس الكتاب المقدس: "أي أن المعمودية تختم وتشهد على اتحاد المؤمنين بالله بالإيمان والبنوة وغفران خطاياه بموت المسيح وقيامته. إلا أن المعمودية ليست في حد ذاتها سبباً للتجديد والولادة الثانية والخلاص. فكرنيليوس مثلاً، حل عليه الروح القدس وقَبِلَ الإيمانَ من قَبْل أن يعتمد (أعمال الرسل 10:44-48). وسيمون الساحر اعتمد ومع هذا ظل إنساناً عتيقاً وأخطأ في عيني الرب (أعمال الرسل 8:13، 8:21-23). ولم يعمد المسيحُ أحداً (يوحنا 4:2). وكانت أول معمودية مسيحية في يوم الخمسين، بعد أن قَبِلَ التلاميذُ معموديةَ الروح القدس والنار (متى 3:11) (لوقا 3:16) (أعمال الرسل 2). وقد قَبِلَ يسوعُ المعموديةَ ليظهر موافقته على عمل يوحنا المعمدان، وليكرس نفسه للخدمة المقدسة، ويعبر عن تحمله خطايا البشر"[(7011)].

وكذلك في الأسفار الأخرى مِن العهد الجديد، نجد نقداً لاذعاً لليهود الذين رفضوا الإيمان بالمسيح. فنجد ذلك على سبيل المثال في الخطبة الطويلة التي ألقاها القديس استفانوس (Saint Stephen) – أول شهيد في التاريخ المسيحي – قبيل استشهاده على أيدي اليهود (أعمال الرسل 7). والجدول التالي يوضح ما يهمنا فقط مِن تلك الخطبة الطويلة وما يناظره في القرآن.

جدول 35 – الجذور المسيحية لآيات قرآنية نكرت ما قاله المسلمون الأوائل لليهود وغيرهم

ما قاله استفانوس لليهود (أعمال الرسل 7)	[← ما قاله أصحابُ القرآن لليهود وغيرهم (أهل كتاب، مشركين، كفار، منافقين، ... الخ)]
{51} «يَا قُسَاةَ الرِّقَابِ (أي: أيها الشعب العَنِيد)،	[← "قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً" (المائدة 13) "فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" (الحديد 16) "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" (البقرة 74) (الزمر 22) (الأنعام 43) (الحج 53)]
وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ (with uncircumcised hearts)	[← "قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة 88) "وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (النساء 155) "وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ" (فصلت 5) (الأنعام 25) (الإسراء 46) (الكهف 57) "عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)]
وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالآذَانِ (with uncircumcised ears) (أي: يا صُمَّ الآذان)!	[← "فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا (أي: ثِقْلاً وصمماً)" (الأنعام 25) (الإسراء 46) (الكهف 57) (فصلت 5) (فصلت 44) "خَتَمَ اللَّهُ عَلَى [...] سَمْعِهِمْ" (البقرة 7) "طَبَعَ اللَّهُ عَلَى [...] سَمْعِهِمْ" (النحل 108) (الأنعام 46) (الجاثية 23) "لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ" (محمد 23) "لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا" (الكهف 101) "لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا" (الأعراف 179) "وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا" (لقمان 7)]
أَنْتُمْ دَائِمًا تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذلِكَ أَنْتُمْ! {52} أَيُّ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهِدْهُ آبَاؤُكُمْ؟ وَقَدْ قَتَلُوا (الأنبياءَ) الَّذِينَ سَبَقُوا(7012) [...]	[← "وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ" (البقرة 87) "فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ" (البقرة 91) "كُلَّمَا جَاءَهُمْ (أي: جاء اليهود) رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ" (المائدة 70) "وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ" (النساء 155) "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ" (البقرة 61) "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ" (آل عمران

	112) "يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ" (آل عمران 21) "وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ [...] فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ" (آل عمران 181-183)]
[...] الَّذِينَ سَبَقُوا فَأَنْبَأُوا بِمَجِيءِ الْبَارِّ (أى: المسيح)، الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ صِرْتُمْ مُسَلِّمِيهِ وَقَاتِلِيهِ،	[← "وَمَكَرُوا[7013] وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا" (آل عمران 54-55) "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ [...] وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" (النساء 157-158)!]
{53} الَّذِينَ أَخَذْتُمُ النَّامُوسَ (أى: شريعة موسى) بِتَرْتِيبِ مَلاَئِكَةٍ وَلَمْ تَحْفَظُوهُ»	[← "نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ" (المائدة 13) (النساء 155) "يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ" (البقرة 27) "يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ" (الرعد 25)]

ومِن الجدير بالذِكر أن هذه الخطبة الطويلة التى ألقاها القديس استفانوس (أعمال الرسل 7) تُلخِّص أهم أحداث الكتاب المقدس مِن أول إبراهيم حتى المسيح مروراً بإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان. فَلو لم يسمع أصحابُ القرآن سوى تلك الخطبة الشهيرة فقط، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مِن مسيحيى الشرق الأوسط والحبشة (أثيوبيا)، لكان ذلك كافياً لإعادة انتاج هذه الأحداث فى قصص القرآن.

وكالعادة، فإن القرآن لا ينقل حرفياً من الكتاب المقدس وإنما يعيد صياغة الأفكار بأسلوب عربى/إسلامى. وكثيراً ما يكتفى القرآنُ بالتعليق فقط بدون ذِكر التفاصيل أو شرح الكلمات، معتمداً على معرفة السامعين بتفاصيل هذه القصص وبمعانى الكلمات. وهذا أيضاً ما لاحظناه فى الأدب اليهودى والمسيحى الذى انتشر فى القرون الأولى للميلاد قبل ظهور الإسلام ....

4.38.3 جذور القرآن فى التراث اليهودى والمسيحى

بمرور الزمن، ظل تعبير "غُلْفَة القلب" يرمز إلى عدم الإيمان بالله ورسله أو عدم تنفيذ أوامرهم، وتعبير "ختان القلب" يرمز إلى الإيمان بالله ورسله وتنفيذ أوامرهم. وسنكتفى ببضعة أمثلة مِن الأعمال اليهودية والمسيحية التى تحدثت عن ختان القلوب أو غُلْفَة القلوب.

نبدأ أولاً بما قاله الفيلسوف اليهودى الشهير فيلو السكندرى (Philo of Alexandria) (Philon d'Alexandrie) (20ق.م - 45م؛ أى كان معاصراً للمسيح). تحدث فيلو عن الفوائد الصحية والطبية لختان العضو الذكرى (ختان الجسد)، ثم قال إنه يوجد تشابه بين العضو الذكرى والقلب، إذ أن كلاهما مهيأ للإنتاج والخلق (generation). العضو الذكرى ينتج كائنات حية، والقلب ينتج أفكاراً. ويُفهَم مِن كلام فيلو أن ختان القلب أهم مِن ختان العضو الذكري، بدليل أنه يقول إن السابقين قد أرادوا بالختان أن يجعلوا العضو الذكري المنظور مشابهاً للعضو الأعلى والأسمى (superior) غير المنظور (يقصد: القلب)[7014]:

بناءً عليه رأى الرجالُ الأوائل أن العنصر غير المرئي والأسمى، الذي تدين له مفاهيم العقل بوجودها، يجب أن يُشَبَّه به الجزء المرئي والظاهر، لأن ما هو غير مرئي هو الأصل الطبيعي للأشياء المدركة بالحس.
Therefore, the men of old thought it right to make the evident and visible organ, by which the objects of the outward senses are generated, resemble that invisible and superior part, by means of which ideas are formed.

ثم ننتقل إلى كتاب (Genesis Rabbah) (Genèse Rabba) الذى جُمِع فى القرن الخامس الميلادى[7015] – أى قبل ظهور الإسلام بأكثر من 100 سنة. يقول الفصل 5:46 مِن هذا الكتاب المدراشى[7016] إنه يوجد أربعة أنواع مِن الغُرْلَة (بالعبرية: orlah‘): (1) غُرْلَة القلب (إرميا 26:9)؛ (2) غُرْلَة الأذن (إرميا 10:6)؛ (3) غُرْلَة الفم أو غُرْلَة الشفتين (الخروج 12:6) (الخروج 30:6)؛ (4) غُرْلَة الجسد أو غُرْلَة اللحم (التكوين 24:17). ونلاحظ أن النوع الأخير هو غُرْلَة بالمعنى الحرفى (literal). أما الأنواع الثلاثة الأولى فهى غُرْلَة بالمعنى المجازى (trope; metaphor)، وجميعها يتعلق بالإنسان، وجميعها مذكور فى القرآن، كما يوضح الجدول التالى:

جدول 36 – الغُرْلَة بالمعنى المجازي: التطور البشري الطبيعي من العهد القديم إلى القرآن

الغُرْلَة	العهد القديم	[⟵ القرآن كلام العرب]
غُرْلَة القلب	(اللاويين 41:26) (التثنية 16:10) (التثنية 6:30) (إرميا 4:4) (إرميا 26:9) (حزقيال 7:44)	[⟵ "قُلُوبُنَا غُلْفٌ" (البقرة 88) (النساء 155) "قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ" (فصلت 5) (الأنعام 25) (الإسراء 46) (الكهف 57) "عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24) "خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ" (البقرة 7) "خَتَمَ (اللهُ) عَلَى قُلُوبِكُمْ" (الأنعام 46) "خَتَمَ (اللهُ) عَلَى [...] قَلْبِهِ" (الجاثية 23) "يَخْتِمْ (اللهُ) عَلَى قَلْبِكَ" (الشورى 24) "طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ" (النحل 108) (التوبة 93) (محمد 16) "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ" (الأعراف 101) "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (الروم 59) "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ" (غافر 35) "كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ" (يونس 74) "نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ" (الأعراف 100) "طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" (التوبة 87) (المنافقون 3) "لَـهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا" (الأعراف 179)]
غُرْلَة الأذن	(إرميا 10:6)	[⟵ "خَتَمَ اللَّهُ [...] عَلَى سَمْعِهِمْ" (البقرة 7) "خَتَمَ (اللهُ) عَلَى سَمْعِهِ" (الجاثية 23) "طَبَعَ اللَّهُ عَلَى [...] سَمْعِهِمْ" (النحل 108) "فِي آذَانِـهِمْ وَقْرًا (أي: ثِقَلاً وصمماً)" (الأنعام 25) (الإسراء 46) (الكهف 57) (فصلت 5) (فصلت 44) "لَـهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِـهَا" (الأعراف 179) "وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ" (الأنفال 23)]
غُرْلَة الفم أو غُرْلَة الشفتين	(الخروج 12:6) (الخروج 30:6)	[⟵ "عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي" (طه 27) "لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي" (الشعراء 13)؛ "لَا يَكَادُ يُبِينُ (أي: لا يكاد يظهر كلامه لعقدة فى لسانه)" (الزخرف 52)؛ "الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ" (يس 65)][7017]

ننتقل الآن إلى إحدى عظات القديس "أفراهاط" السريانى (Aphrahat) (Aphraates) (ت. حوالى 345م؛ أى فى القرن الرابع الميلادى)، المعروف بأنه "فى اقتباساته من الكتاب المقدس لم يلتزم بالنص، إنما غالباً ما كان يكتب النص من ذاكرته"[7018]. وتحديداً فى العظة الحادية عشرة عن الختان (Homily 11 on Circumcision)، نجده يقول: "فَمِن المعلوم أن مَن لم يَخْتِن غُرْلَة قلبه، فإنَّ ختانَه فى لَحْم غُرْلَته ليس له قيمة"[7019]. ويقول أيضاً فى نفس العظة: "المختونون فى قلوبهم هم أحياء، ويختنون مرة ثانية على الأردن

الحقيقى، من أجل معمودية غفران الخطايا"، "ختن يسوعُ مخلِّصُنا الشعوبَ الذين آمنوا به بختان القلب"، "ووعد يسوعُ مخلِّصُنا بأرض الحياة كل الذين يعبرون الأردن الحقيقى ويؤمنون، ويختنون غُرْلَةَ قلوبهم"[7020].

أما القديس إفرام السريانى (Ephrem the Syrian) (ت. حوالى 373م؛ أى فى أواخر القرن الرابع الميلادى)، الذى استفاد أصحابُ القرآن كثيراً مِن كتاباته وأفكاره، فقارن فى واحدٍ مِن ميامره الشهيرة – ميمر "توبة نينوى" (The Repentance of Nineveh) – بين إيمان أهل نينوى (أهل الْغُرْلَة) وقسوة قلوب بنى إسرائيل (أهل الختان)[7021]؛ أى أن شعباً مِن الأمم غير المختونين جسدياً كانوا مختونى القلوب فتابوا وآمنوا، أما بنو إسرائيل المختونون جسدياً كانت قلوبهم قاسية.

وفى إحدى عظاته الشهيرة – "عظة عن ربنا" (Homily on Our Lord) – قال إفرام إن الرب جعل "ختان القلب" علامته (لعله يقصد: علامة العهد الجديد)، والتى عن طريقها عُرف المختونون (جسدياً فقط؛ أى: اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح) بأنهم ليسوا للرب (لعله يقصد: لا يؤمنوا بالرب؛ أو: ليس لهم خلاص)[7022]. ويبدو لنا أن إفرام أراد أن يقارن بين ختان الجسد (علامة العهد القديم؛ علامة اليهود) وختان القلب (علامة العهد الجديد؛ علامة المسيحيين) وكان هدفه من ذلك هو توجيه النقد لليهود (غير المسيحيين) (Anti-Jewish Polemic).

وهو نفس هدف أصحاب القرآن فى أوائل القرن السابع الميلادى؛ بل إنها نفس التعبيرات الأدبية التى انتقلت بعد ذلك إلى القرآن الذى تحدث أيضاً عن قسوة قلوب بنى إسرائيل: "فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً" (المائدة 13) "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" (البقرة 74)؛ وتحدث كذلك عن غُلْفة قلوبهم وكفرهم وعدم إيمانهم: "وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة 88) "وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (النساء 155). وهذا وحده يكفى كدليل قاطع على تأثر أصحاب القرآن بالتراث المسيحى بصفة عامة والمسيحى السريانى بصفة خاصة. وهذا التأثر يظهر بصورة واضحة فى المضمون والمحتوى، ويظهر أيضاً فى الشكل ووسائل التعبير، مما يؤكد أن القرآن عمل بشرى تأثر بأعمال بشرية تسبقه.

ثم تكرر تعبير "ختان قلوب" المؤمنين (المسيحيين) وتعبير "غُلْفَة قلوب" غير المؤمنين (اليهود) فى مواضع أخرى مِن التراث المسيحى بصفة عامة والمسيحى الشرقى بصفة خاصة. نجد ذلك فى أعمال "يوحنا ذهبى الفم" (John Chrysostom) (ت. حوالى 407م؛ أى فى أوائل القرن الخامس الميلادى) وفى أعمال "إسحاق الأنطاكى" (Isaac of Antioch) (ت. فى النصف الثانى مِن القرن الخامس

الميلادى)[7023]. ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه التعبيرات الشهيرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مِن مسيحيى الشرق الأوسط والحبشة (أثيوبيا).

فى ضوء ما سبق، نستطيع بكل ثقة أن نقول إنه لولا التراث المسيحى الشرقى، لتأخر ظهور القرآن كثيراً، وربما ما ظهر القرآن.

وعلى جميع المسلمين المنصفين أن يعترفوا بفضل المسيحية الشرقية على الإسلام. ومِن حُسن الحظ أن شيخ الأزهر د. أحمد الطيب - فى سياق حديثه عن هجرة المسلمين الأوائل مِن مكة إلى الحبشة (أثيوبيا) - قد اعترف بأن "المسيحية كانت حاضنة للإسلام الحاضنة الأولى للإسلام، لأن لولا الحبشة ولولا هؤلاء (يقصد: المسلمون الأوائل) الذين حماهم الملكُ المسيحي (يقصد: النجاشي) ربما كان قُضِيَ على هذا الدين (أي: الإسلام) في مهده"[7024]. وهو هنا يعترف بفضل المسيحية الشرقية على الإسلام سياسياً واجتماعياً. ونحن نطالبه بالاعتراف بفضل المسيحية الشرقية على الإسلام دينياً وفكرياً وثقافياً. ونطالبه أيضاً بالاعتذار عن كل آية قرآنية وكل حديث نبوي أساء للمسيحيين بالقول أو أدى إلى إيذائهم بالفعل. ونطالبه كذلك بالاعتذار عن كل الألم والمعاناة التى سببها الإسلامُ للمسيحيين الشرقيين مِن أول الغزو العربى/الإسلامى للشام والعراق وفارس ومصر وشمال أفريقيا حتى الآن.

4.39 وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ!

وإذا كانت قصة "البقرة وجريمة القتل" (البقرة 67-73) قد انتهت بنقد اليهودَ نقداً لاذعاً (البقرة 74)، فإنها ليست القصة القرآنية الوحيدة التى تنتقد اليهود، إذ توجد قصص قرآنية أخرى فعلت نفس الشيء. وسنتوقف الآن عند قصة أخرى من هذه القصص القرآنية. تُعرَف هذه القصة فى التراث الإسلامى بقصة "أصحاب السبت" (People of the Sabbath) أو قصة "الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ (أى: قريبة مِن البحر؛ أو: على ساحل البحر)". ونظراً لارتباط هذه القصة القصيرة بـ "البحر" و بـ "السبت" (اليوم السابع)، فنحن نُفضِّل أن نُسمِّيها قصة "بحر اليوم السابع".

ملخص القصة: جماعة من اليهود كانوا يسكنون قَرْيَة بقرب الْبَحْر. لم يلتزم أهلُ هذه القرية بتعظيم يوم السبت (اليوم المقدس؛ يوم الانقطاع عن العمل) كيوم راحة والعمل مُحرَّم فيه، فاصطادوا السمك يوم السبت، و/أو احتالوا بوضع الشباك وحفر البِرَك يوم السبت (وقيل: عشية الجمعة، قبل يوم السبت) ثم اصطادوا السمك يوم الأحد. ولمَّا لم يستجيبوا لنصح الناصحين، عذبهم اللهُ عذاباً شديداً. ولمَّا استمروا فى معصية الله ولم يردعهم هذا العذاب الشديد، قال اللهُ لهم "كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ"! ولم يكتفِ اللهُ بذلك، وإنما قرر أن يُرسِل "عَلَيْهِمْ" (أى: على اليهود) مَن يذيقهم "سُوءَ الْعَذَابِ" "إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"! [أسئلة بين قوسين: "إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"؟! يعنى على اليهود الذين جاءوا بعدهم؟! ألا يتعارض ذلك مع مبدأ "لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى"؟! وهل قيام بعض اليهود باصطياد سمك يوم السبت يبرر كُلَّ هذا العذاب؟!]

ورغم أن القصة قصيرة ويمكن تلخيصها فى ست كلمات (الأمر الإلهى، العصيان البشرى، العقاب الإلهى)، إلا أن القرآن ذكر هذه القصة فى ثلاث روايات هى حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن[7025]:

قال صاحب رواية سورة الأعراف: وَاسْأَلْهُمْ (أى: يا محمد اسأل اليهود) عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ (بالعِبرية: Shabbat؛ وتعني: راحة) (بالآرامية: Shabtā) إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا (أى: ظاهرة بوضوح على وجه الماء) وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ (أى: نمتحنهم، نختبرهم) بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {163} وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ (أى: جماعة؛ فريق) مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ (أى: لنؤدى واجبنا؛ لئلا نكون مُقصِّرين أمام الله) وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {164} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ (أى: شديد، أليم) بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {165} فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ (أى: تمردوا وتجاوزوا ما نهاهم اللهُ عنه) قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (أى: منبوذين، مطرودين، مُبعَدين مِن كل خير؛ أذلاء، صاغرين) {166} وَإِذْ تَأَذَّنَ (أى: أعلم؛ أعلن) رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ (أى: على اليهود) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (أى: إلى قيام الساعة!) مَنْ يَسُومُهُمْ (أى: يُذِيقهُمْ) سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ {167}.

اختلف المسلمون فى الآيات السابقة مِن سورة الأعراف. قيل إنها مكية (أى: قبل الهجرة). وقيل إنها مدنية (أى: بعد الهجرة)، واستدلوا على ذلك بأن المواجهة بين اليهود ومحمد حدثت بعد هجرته إلى المدينة.

إذا كانت (الأعراف 163-167) مكية، فإنها الرواية الأولى لقصة "أصحاب السبت". وإذا كانت مدنية وكانت الرواية الأولى هى رواية سورة البقرة التى تبدأ بعبارة "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" (البقرة 65)، فإن ذلك يُعتبَر دليل قرآنى على أن هذه القصة – أو على الأقل عناصرها الأساسية – كانت معروفة قبل الإسلام. وسواء كانت القصة معروفة أو أصحاب القرآن (أو أجدادهم العرب) هُمْ الذين ألَّفوها، فإن النتيجة فى جميع الحالات واحدة، وهى أن القصة القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى للقصص الدينية/الشعبية الموروثة، كما سنثبت بالأدلة القاطعة فى هذا الفصل.

وقال صاحب رواية سورة البقرة (مدنية): وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ {65} فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا (أى: عقوبة شديدة لهم وعبرة وتحذيراً) لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا (أى: لمعاصريهم ومَن يأتى بعدهم؛ أو: لأهل القرية ولِمَا حولها مِن القرى) وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ {66}.

وقال صاحب رواية سورة النساء (مدنية): مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ (أى: يُميلون الكلام عن معناه) وَيَقُولُونَ (لمحمد) سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ (كلامَنا) غَيْرَ مُسْمَعٍ (أى: لا سمعت؛ يريدون بذلك الدعاء على محمد بألا يسمع) وَرَاعِنَا (أى: انظرنا؛ انتظرنا؛ راقِبنا) لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ (فيظهرون لمحمد أنهم يطلبون منه أن يراعيهم لكنهم فى الحقيقة يبطنون سَبّه ووصفه بالرعونة) وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا (بدل "عَصَيْنَا") وَاسْمَعْ (بدون "غَيْرَ مُسْمَعٍ") وَانْظُرْنَا (بدل "رَاعِنَا") لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا {46} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا (أى: نمحو معالم وجوهكم فتصير كأقفيتها!) أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا {47}.

كالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فى تفسير قصة "أصحاب السبت". وأكبر سؤال حيَّرهم وشغل بالهم هو: هل نفسر الآيات تفسيراً حرفياً فنقول إنهم مُسِخُوا إلى قِرَدَة فعلاً؟ أم نفسرها تفسيراً مجازياً فنقول إنهم صاروا مثل القردة؟ وكالعادة أيضاً، كل فريق يستدل بآيات أخرى مِن القرآن ليؤيد وجهة نظره.

قال الماوردى إن المسألة فيها قولان: "أحدهما: مُسِخُوا قردةً، فصاروا – لأجل اعتدائهم فى السبت – فى صورة القردة المخلوقين من قبل [...]. والثانى: وهو قول مجاهد: أنهم لم يمسخوا قردة، وإنما هو مَثَل ضربه الله لهم، كما قال تعالى: "كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا" (الجمعة 5)"[7026]. أو كما قال القرآن فى مواضع أخرى: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" (الأعراف 179)؛ "قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا" (الإسراء 50). وقال تفسير وزارة الأوقاف المصرية: "فمسخ الله قلوب المخالفين، وصاروا كالقردة فى نزواتها وشهواتها"، "جعلناهم كالقردة فى مسخ قلوبهم وعدم توفيقهم لفهم الحق"[7027].

أما د. محمد بكر إسماعيل فيقول: "والأصح أن المسخ على الحقيقة كما يرى جمهور المفسرين"[7028]. وقال ابن الجوزى: "وعلى هذا القول العلماء، غير ما رُوِى عن مجاهد أنه قال: مُسِخَت قلوبهم ولم تُمسَخ

أبدانهم، وهو قول بعيد"[7029]. واستدلوا على ذلك بظاهر الآيات القرآنية، وبأن الأمر "كُونُوا قِرَدَةً" (الأعراف 166) (البقرة 65) أمر تكوين عبارة عن تحويلهم إلى قردة فعلاً، كقوله "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (يس 82)، وهو غير "كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا" (الإسراء 50) الذى يُقال على سبيل التعجيز بمعنى: كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا إِنْ قَدَرْتُمْ. وقال الواحدى النيسابورى: ""كُونُوا قِرَدَةً" أى: كونوا بتكويننا إياكم وتغييرنا خلقكم"[7030]. واستدل الجمهور أيضاً بآية فى سورة المائدة تستخدم الفعل "جَعَلَ" لوصف أسلاف اليهود المعاصرين لمحمد الذين مسخهم اللهُ قِرَدَة وخنازير: "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً (أي: جزاءً) عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ (أي: كُلَّ ما عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ كالشيطان مثلاً) أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ" (المائدة 60) (مدنية). وقيل إنهم "صاروا قردة لها أذناب، تعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء"[7031]! قال النسفى: "قيل: صار الشبّان قردة، والشيوخ خنازير. وكانوا يعرفون أقاربهم، ويبكون، ولا يتكلمون. والجمهور على أنها ماتت بعد ثلاث. وقيل: بقيت وتناسلت"[7032]!

وكالعادة، يوجد فريق ثالث مِن المفسرين أيَّد التفسير الحرفى (المسخ الحقيقى) وفى الوقت نفسه أيَّد التفسير المجازى (المسخ المعنوى)، أو ترك الباب مفتوحاً لكلا الاحتمالين. قال د. شوقى ضيف فى تفسير (البقرة 65): "فاستحال الصائدون قردة، أى على الاستعارة، إذ استحالت عقولهم كعقول القردة"، إلا أنه فى تفسير (النساء 47) قال إن الله "مسخهم قردة وخنازير حقيقة أو مجازاً"[7033]!

وكالعادة أيضاً، يوجد فريق رابع مِن المفسرين ربما حاول أن يُوفِّق بين التفسيرين الحرفى والمجازى، فقال إن المسخ الحقيقى كان نتيجة للمسخ المعنوى. قال د. صلاح الخالدى: "لقد كان المعتدون المتمردون من أصحاب القرية، قردة من الناحية المعنوية والشعورية، كانوا قردة بنفوسهم وتصوراتهم وأخلاقهم، وليس لهم من البشرية إلا الملامح الخارجية فى الأجساد والحواس والأصوات! فجاء مسخ الله لهم قردة تنسيقاً بين الحقيقة والصورة! - والله أعلم -". ثم يقول تحت عنوان "كان المسخ حقيقياً": "ظاهر القرآن على أن المعتدين فى السبت، مسخهم الله قردة، وأن المسخ كان مسخاً حقيقياً [...] والأصل أن نأخذ الآية على ظاهرها، وأن لا نعْدل عن الظاهر إلا لضرورة ملجئة"[7034]. أى أنهم اعتدوا على شريعة الله وتمردوا على أحكامه، فصاروا بذلك مثل القردة، أى انحطوا بعقولهم وقلوبهم وأرواحهم وأفكارهم مِن المنزلة الإنسانية السامية إلى المنزلة الحيوانية الهابطة، فمسخهم اللهُ قِرَدَةً فعلاً حتى تتفق صورتهم الخارجية مع حقيقتهم الداخلية! أو كما قال سيد قطب فى تفسيره لـ "عَذَابٍ بَئِيسٍ" (الأعراف 165): "كان ذلك العذاب البئيس هو المسخ عن الصورة الآدمية إلى الصورة القردية! لقد تنازلوا هُمْ عن آدميتهم، حين تنازلوا عن أخص خصائصها – وهو الإرادة التى تسيطر على الرغبة – وانتكسوا إلى عالم "الحيوان" حين تخلوا عن خصائص "الإنسان". فقيل لهم أن يكونوا حيث أرادوا لأنفسهم من الانتكاس والهوان"[7035].

ونحن نعترف بأن أدلة الفريق الذى يؤيد التفسير الحرفى (المسخ الحقيقى) أقوى مِن أدلة الفريق الذى يؤيد التفسير المجازى (المسخ المعنوى). لكن هذا لا يعنى أن القصة حقيقية، وإنما يعنى فقط أن المسخ الحقيقى هو الذى كان يدور فى أذهان أصحاب القرآن حين كانوا يؤلفون هذه القصة الخيالية. وإنه لمن المضحك أن يؤمن المسلمون بالقرآن الذى يقول إن قرداً كان أصله إنسان، بينما لا يؤمنون بنظرية التطور التى تقول – حسب فهمهم الخاطئ – إن "الإنسان أصله قرد"!

ونحن طبعاً لا يمكن أن نصدق أن إنساناً قد تحول فعلاً إلى قرد أو خنزير! وما يزيد مِن شكوكنا فى هذه القصة القرآنية هو أنها ليست موجودة فى الكتاب المقدس بعهديه، رغم أن الكتاب المقدس قد أشار فى مواضع كثيرة إلى عصيان بنى إسرائيل وعقاب الله لهم، كما رأينا فى الفصول السابقة.

يبدو لنا إذن أنها مجرد مَثَل (parable) أو قصة خيالية أو مجرد أسطورة مِن أساطير الـ (shapeshifting). وما يهمنا هو: كيف استطاع أصحابُ القرآن أن يُؤَلِّفوا هذه الأسطورة؟ ولماذا ألَّفوها؟ وللإجابة على هذين السؤالين يجب أن نشرح جذور هذه الأسطورة القرآنية فى التراث اليهودى والمسيحى.

4.39.1 كيف استطاع أصحابُ القرآن أن يُؤَلِّفوا أسطورة "أصحاب السبت"؟

الإجابة: العناصر الأساسية لهذه القصة القرآنية القصيرة موجودة فى التراث اليهودى والمسيحى. وكلها مرتبطة أيضاً بفكرة العقاب الإلهى والقِرَدَة والخنازير والسبت والسمك والبحر.

4.39.1.1 العلاقة بين العقاب الإلهى والقِرَدَة

حسب الديانة اليهودية/المسيحية، الإنسان مخلوق على صورة الله (التكوين 1:26-27). إذن: أكبر عقاب للإنسان العاصى هو أن يخسر الصورة الإلهية التى خُلِق عليها، فيتحول إلى قرد (ape) أو يصير مثل القرد (ape-like).

نبدأ بالتلمود البابلى (Babylonian Talmud) الذى يقول فى (Sanhedrīn 109a) إن ثلث الذين أرادوا بناء برج بابل تحولوا إلى قِرَدَة (apes) عقاباً [من الله] لهم على إعلانهم الحرب [ضد الله][7036] **[← "قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" (الأعراف 166) (البقرة 65) "مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ" (المائدة 60)]!**

وقال كتاب "فيلو المنحول" (Pseudo-Philo) – الذى يرجع تاريخه إلى القرن الأول الميلادى – إن الله غَيَّر وجوههم (changed their faces) حتى أن أحداً لم يستطع أن يعرف زميله[7037] **[← "نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا (أى: نمحو معالمَ الوجوه فتصير كالأقفية!) أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ**

السَّبْتِ" (النساء 47)]! <u>ملحوظة توضيحية:</u> فى التراث اليهودى/المسيحى، أى عند "الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ" (النساء 47)، "الوجه" مرتبط بـ "المجد"، بدليل أن موسى قال للرب "أَرِنِي مَجْدَكَ (Glory, Presence)" (الخروج 18:33)، فقال له الربُّ "لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي (Face)" (الخروج 20:33). وبدليل أن القرآن قد وصف موسى بأنه "وجيه" (الأحزاب 69)، ووصف المسيح أيضاً بأنه "وجيه" (آل عمران 45). إذن: فى التراث اليهودى/المسيحى، تَغيُّر معالم الوجه يعنى خسران الوجاهة والمجد، بل يعنى خسران الصورة الإلهية التى خُلِق عليها الإنسان.

أما كتاب (Genesis Rabbah 23:6) – وهو أحد كتب المدراش (Midrash) اليهودية وجُمِع فى القرن الخامس الميلادى[7038] أى قبل ظهور الإسلام – فقال إنه فى زمن أنوش (Enosh) (حفيد آدم) تغيرت أربعة أشياء: أحدهم هو أن وجوه الناس تغيرت فأصبحت مثل القِرَدَة (ape-like)[7039] **[⟵ "قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" (الأعراف 166) (البقرة 65) "مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ" (المائدة 60)]**!

هذا عن القِرَدَة، فماذا عن الخنازير (المائدة 60)؟ ...

4.39.1.2 العلاقة بين العقاب الإلهى والخنازير

مِن المعلوم أن الديانة اليهودية تعتبر الخنزير حيواناً نجساً (unclean): "وَالْخِنْزِيرُ [...] نَجِسٌ لَكُمْ. فَمِنْ لَحْمِهَا لاَ تَأْكُلُوا وَجُثَثَهَا لاَ تَلْمِسُوا" (التثنية 8:14) (اللاويين 7:11)، بل أن الخنزير هو أكثر الحيوانات نجاسة. وحتى فى العهد الجديد، نجد أن "الخنزير" رمز للانحطاط. اقرأ مثلاً "مَثَل الابن الضال" (The Parable of the Lost Son) (لوقا 11:15-32). وفي قصة طرد الشياطين (الأرواح النجسة) مِن مجنون كُورَةِ الْجِرْجَسِيِّينَ (Exorcism of the Gerasene demoniac) (متى 28:8-34) (مرقس 1:5-17) (لوقا 26:8-39)، نجد أن "الشَّيَاطِينُ طَلَبُوا إِلَيْهِ (أى: إلى يسوع) قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ تُخْرِجُنَا، فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِير». فَقَالَ (يسوعُ) لَهُمُ: «امْضُوا». فَخَرَجُوا وَمَضَوْا إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِير، وَإِذَا قَطِيعُ الْخَنَازِير كُلُّهُ قَدِ انْدَفَعَ مِنْ عَلَى الْجُرُفِ إِلَى الْبَحْر، وَمَاتَ فِي الْمِيَاهِ" (متى 31:8-32)! وهنا نجد أيضاً فكرة العقاب الإلهي لهؤلاء الشياطين[7040].

ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه الآيات الشهيرة أو بعضها على الأقل، بدليل أنهم حرَّموا أكل لحم الخنزير (البقرة 173) (المائدة 3) (الأنعام 145) (النحل 115). ليس غريباً إذن أن يذكر صاحب (المائدة 60) مَن عاقبهم الله فمسخهم خنازير: "مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ" (المائدة 60).

4.39.1.3 العلاقة بين العقاب الإلهى والسبت

أما فكرة العقاب الإلهى لِمَن لا يُعظِّم يوم السبت، فهى فكرة قديمة جداً، إذ ترجع جذورها إلى التوراة فى قصة الْمَنّ وَالسَّلْوَى **[← الْمَنّ وَالسَّلْوَى]** التى ذكرناها فيما سبق. ومِن حسن الحظ أن التوراة نفسها تعترف أن هذه القصة كانت "امتحاناً" أو "ابتلاء" مِن الله لبنى إسرائيل: "لِكَيْ أَمْتَحِنَهُمْ، أَيَسْلُكُونَ فِي نَامُوسِي أَمْ لاَ" (الخروج 16:4) **[← "كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ (أى: نمتحنهم، نختبرهم)" (الأعراف 163)]**؛ "أَطْعَمَكَ (الربُّ) فِي الْبَرِّيَّةِ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْهُ آبَاؤُكَ، لِكَيْ يُذِلَّكَ وَيُجَرِّبَكَ" (التثنية 16:8) **[← "كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ" (الأعراف 163)]**. الفرق هو أن فى قصة الْمَنّ وَالسَّلْوَى كان الْمَنّ يأتيهم ستة أيام فى الأسبوع ولا يأتيهم يوم السبت فقط: "سِتَّةَ أَيَّامٍ تَلْتَقِطُونَهُ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ، لاَ يُوجَدُ فِيهِ" (الخروج 26:16). العكس فى قصة "أصحاب السبت": السمك لا يأتيهم ستة أيام فى الأسبوع ويأتيهم يوم السبت فقط **[← "تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا (أى: ظاهرة بوضوح على وجه الماء) وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ" (الأعراف 163)]**.

إذن: قصة أصحاب السبت هى (inverted parallel) لقصة الْمَنّ وَالسَّلْوَى. والأفكار الأساسية فى القصتين واحدة، وهى تعظيم يوم السبت، وأن الله يمتحن بنى إسرائيل فى هذا اليوم المقدس عن طريق الطعام (المَنّ أو السمك): "وَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ (أى: يوم السبت) أَنَّ بَعْضَ الشَّعْبِ خَرَجُوا لِيَلْتَقِطُوا (المَنَّ) فَلَمْ يَجِدُوا. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «إِلَى مَتَى تَأْبَوْنَ أَنْ تَحْفَظُوا وَصَايَايَ وَشَرَائِعِي؟ **[← "فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى" (طه 81) "وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (الأعراف 160) (البقرة 57)]** اُنْظُرُوا! إِنَّ الرَّبَّ أَعْطَاكُمُ السَّبْتَ. لِذلِكَ هُوَ يُعْطِيكُمْ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ (أى: يوم الجمعة) خُبْزَ يَوْمَيْنِ. اِجْلِسُوا كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَكَانِهِ. لاَ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ»" (الخروج 27:16-29). وأن غضب الله وعقابه سيحل على مَن يرسب فى هذا الامتحان، وهذا ما حدث فعلاً فى البَرِّيَّة: "وَلَمَّا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَجَدُوا رَجُلاً يَحْتَطِبُ حَطَبًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ. فَقَدَّمَهُ الَّذِينَ وَجَدُوهُ يَحْتَطِبُ حَطَبًا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ الْجَمَاعَةِ. فَوَضَعُوهُ فِي الْمَحْرَسِ (أى: السجن) لأَنَّهُ لَمْ يُعْلَنْ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قَتْلاً يُقْتَلُ الرَّجُلُ. يَرْجُمُهُ بِحِجَارَةٍ كُلُّ الْجَمَاعَةِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ». فَأَخْرَجَهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ وَرَجَمُوهُ بِحِجَارَةٍ، فَمَاتَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى" (العدد 32:15-36) **[← "اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا" (الأعراف 164) "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ (أى: شديد، أليم) بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ" (الأعراف 165) "فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ" (البقرة 66)]**. إذ كانت عقوبة العمل يوم السبت هى القتل (الخروج 12:31-17) (الخروج 1:35-3)[7041].

4.39.1.4 العلاقة بين السبت والسمك

سؤال: لماذا ربط أصحابُ القرآن فى قصتهم هذه بين يوم السبت و "السمك" تحديداً؟

الإجابة: لأنهم تأثروا بقصص وحواديت من التلمود البابلى ربطت بين يوم السبت و "السمك". مثل:

- فى (Shabbat 118b): رجل دين يهودى ينصح أتباعه بأكل السمك الكبير (large fish) **[← "حِيتَانُهُمْ" (الأعراف 163)]** يوم السبت[7042].
- وفى (Shabbat 119a): حدوتة طريفة تقول إن رجل يهودى معروف باسم "يوسف محب السبت" (Joseph the Sabbath Lover) اشترى سمكة فى اللحظة الأخيرة قبل غروب شمس يوم الجمعة، أى فى اللحظة الأخيرة قبل بدء السبت اليهودى. ولَمَّا فتح السمكةَ وجد فيها جوهرة[7043]!
- وفى (Qiddushin 72a): حدوتة أخرى تدور أحداثها على الأرجح أثناء فترة السبى البابلى (Babylonian exile). تقول هذه الحدوتة إن يهود يعيشون فى مدينة صغيرة (town) **[← "الْقَرْيَةِ" (الأعراف 163)]** اصطادوا سمكاً يوم السبت **[← "يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا" (الأعراف 163) (البقرة 65)]** فصاروا بذلك مرتدين عن الله[7044] **[← "اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا" (الأعراف 164) "أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ (أى: شديد، أليم)" (الأعراف 165) "فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ" (البقرة 66)]**!

ومِن الواضح أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه القصة التلمودية، لأنها بالفعل أقرب قصة يهودية لِمَا ذكره القرآنُ. وكما نقول دائماً: "الإسرائيليات" ليست فى كتب التفاسير والأحاديث فقط، وإنما أيضاً فى القرآن نفسه.

ومِن الواضح أيضاً أن اليهود قد ألَّفوا هذه الأساطير الشعبية أثناء فترة السبى البابلى (حوالى 50-70 سنة، مِن 605-587 ق.م إلى 538 ق.م) أو بعد السبى بفترة وجيزة. وكان ذلك محاولة منهم لإعادة إحياء فريضة "حفظ السبت" التى تراجعت فى فترة السبى. يقول قاموس الكتاب المقدس: "وفى فترة السبى التى قضاها اليهود فى بابل نسوا حفظ السبت، فبدأ رجال الله يشددون على حفظه بعد العودة إلى كنعان، وجاهد نحميا جهاد الأبطال ليعيد إلى يوم السبت مكانته القديمة (نحميا 31:10 و 15:13-22)"[7045].

وإذا نظرنا إلى سفر نحميا، فسنجد أنه أيضاً قد ربط بين يوم السبت والسمك والعقاب الإلهى: "فِي تِلْكَ الأَيَّامِ رَأَيْتُ فِي يَهُوذَا قَوْمًا يَدُوسُونَ مَعَاصِرَ فِي السَّبْتِ **[← "يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ" (الأعراف 163) (البقرة 65)]**، وَيَأْتُونَ بِحُزَمٍ وَيُحَمِّلُونَ حَمِيرًا، وَأَيْضًا يَدْخُلُونَ أُورُشَلِيمَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ بِخَمْرٍ وَعِنَبٍ وَتِينٍ وَكُلِّ مَا يُحْمَلُ، فَأَشْهَدْتُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَيْعِهِمِ الطَّعَامَ. وَالصُّورِيُّونَ السَّاكِنُونَ بِهَا كَانُوا يَأْتُونَ بِسَمَكٍ **[← "حِيتَانُهُمْ" (الأعراف 163)]** وَكُلِّ بِضَاعَةٍ، وَيَبِيعُونَ فِي السَّبْتِ لِبَنِي يَهُوذَا فِي أُورُشَلِيمَ. فَخَاصَمْتُ عُظَمَاءَ يَهُوذَا وَقُلْتُ لَهُمْ: «مَا هذَا الأَمْرُ الْقَبِيحُ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ وَتُدَنِّسُونَ يَوْمَ السَّبْتِ؟ أَلَمْ يَفْعَلْ آبَاؤُكُمْ هكَذَا فَجَلَبَ إِلهُنَا عَلَيْنَا كُلَّ هذَا الشَّرِّ **[← "اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا" (الأعراف 164) "أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ (أى: شديد، أليم)" (الأعراف 165) "فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ" (البقرة 66)]**، وَعَلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ؟ وَأَنْتُمْ تَزِيدُونَ غَضَبًا عَلَى إِسْرَائِيلَ إِذْ تُدَنِّسُونَ السَّبْتَ»" (نحميا 15:13-18).

وإنه لمِن الطريف أن مراجع إسلامية كثيرة[7046] قد زعمت أن قصة "أصحاب السبت" قد حدثت فى قرية "أَيْلَة" (التى تسمى الآن: "إيلات" الإسرائيلية؛ وقيل: "العقبة" الأردنية) على شاطىء البحر الأحمر؛ وقيل: مدين؛ وقيل: طبرية! وزاد بعضهم على ذلك فزعم أنها حدثت فى زمن النبى "داود" (حوالى 40 سنة مِن 1010-1000 ق.م إلى 970-961 ق.م)! ولا نعلم مِن أين أتوا بهذا الكلام العجيب، الذى لم يجرؤ أصحابُ القرآن أنفسهم أن يقولوه. ربما يكونوا قد خلطوا بين هذه القصة القرآنية وآية أخرى فى القرآن تقول إن داود قد لعن الذين كفروا مِن بنى إسرائيل: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78). إلا أن هذه الآية القرآنية لا تنطبق على قصة "أصحاب السبت"، بدليل أن الآية التى تليها مباشرةً تقول: "كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ" (المائدة 79). أما فى قصة "أصحاب السبت"، فلقد كان اليهود يَتَنَاهَوْنَ (الأعراف 164-165): "أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ" (الأعراف 165). إذن: أغلب الظن أن هذه المراجع الإسلامية قد زعمت ذلك عن عمد حتى يضعوا قصة "أصحاب السبت" قبل فترة السبى البابلى، وبعيداً عن بابل (العراق)، وبالتالى يستطيعوا بسهولة أن ينكروا تأثر القرآن بالتلمود البابلى. إنها إذن مجرد حيلة مِن الحيل الإسلامية التى تعودنا عليها.

وعلى أى حال، فنحن نقول لجميع المسلمين: اعطونا دليلاً واحداً يثبت أن هذه القصة القرآنية قصة حقيقية، وأنها حدثت فعلاً فى زمن داود أو فى زمن أى نبى آخر، فى إيلات أو فى بابل أو فى أى مكان آخر. إن لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فليس أمامكم سوى الاعتراف بأن هذه القصة القرآنية هى واحدة مِن "الإسرائيليات" الموجودة فى كتاب "القرآن" العربى.

وكما نقول دائماً: الإسرائيليات فى كتب الحديث والتفسير، وفى القرآن أيضاً.

الإسرائيليات عنصر أساسى مِن عناصر نشأة الإسلام وتكوينه.

ولولا الإسرائيليات، لما ظهر القرآنُ، أو على الأقل: لتأخر ظهورُ القرآن. وعلى جميع المسلمين أن يعترفوا بفضل الإسرائيليات على الإسلام.

4.39.1.5 العلاقة بين السبت والبحر

الحديث عن العلاقة بين السبت والسمك يجعلنا نتحدث عن نقطة أخرى، وهى: العلاقة بين السبت و "البحر" (الأعراف 163). قد يقال إنه بما أن السمك يعيش فى البحر، فلا بد أن توجد علاقة مع "البحر". هذا صحيح، لكن "البحر" المذكور فى (الأعراف 163) ليس بحراً عادياً، وإنما بحر يرتبط بحدث معين لا يحدث إلا يوم السبت فقط. أو بعبارة أكثر دقة: يحدث هذا الحدث يوم السبت فقط "تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا (أى: ظاهرة بوضوح على وجه الماء)" ويحدث عكسه بقية أيام الأسبوع "وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ" (الأعراف 163).

السؤال: مِن أين أتى أصحاب القرآن بهذه الفكرة العجيبة؟

الإجابة: يعنى حيكونوا جابوها منين؟! مِن نفس المصدر طبعاً. أى: مِن التراث اليهودى قبل الإسلام، إذ نجد فى هذا التراث أنهاراً ارتبطت بحدث معين لا يحدث إلا فى اليوم السابع فقط، أى أن هذا الحدث يحدث فى اليوم السابع فقط ويحدث عكسه فى بقية أيام الأسبوع. نستطيع أن نُسمِّيها "أنهار اليوم السابع". مثل:

- تحدث يوسيفوس (القرن الأول الميلادى) فى الفصل الخامس من الكتاب السابع من كتابه الشهير "حروب اليهود" (The Wars of the Jews) عن نهر أسماه (the Sabbatic River). وقال إن هذا النهر يظل جافاً ستة أيام فى الأسبوع ولا تجرى فيه ماء إلا فى اليوم السابع فقط[7047]!
- وقال "بلينى الكبير" (Pliny the Elder) (القرن الأول الميلادى) عكس ما قاله يوسيفوس؛ ربما يتحدث عن نهر آخر. قال إن النهر تجرى فيه الماء ستة أيام فى الأسبوع ولا يجف إلا فى اليوم السابع فقط[7048]! أى أن نهر بلينى (inverted parallel) لنهر يوسيفوس.
- أما كتاب المدراش (Genesis Rabbah 11:5) فيتحدث عن نهر اسمه (Sambatyon)، ويقول إن هذا النهر يحمل الحجارة ستة أيام فى الأسبوع ويجعلها تسكن فى يوم السبت فقط، أى: تصعب الملاحة فيه ستة أيام فى الأسبوع وليس صالحاً للملاحة إلا فى يوم السبت فقط[7049]!
- وأضاف التلمود البابلى (Sanhedrīn 65b) أنك تستطيع أن تستدل بهذا النهر (Sambatyon) – أو (Sabbation) – على أن اليهود يحتفلون بيوم السبت فى اليوم الصحيح[7050]! ولعل المقصود هو: إذا كان النهر صالحاً للملاحة فهذا يوم السبت، وإذا كان غير صالح للملاحة فهذا ليس يوم السبت!

وسواء كانت هذه الأنهار الأسطورية تشير إلى أنهار مختلفة أو نهر واحد، فإن النتيجة فى كلتا الحالتين واحدة: "بحر" اليوم السابع المذكور فى القرآن (الأعراف 163) هو مجرد تطور بشرى طبيعى لـ "نهر" اليوم السابع المذكور فى التراث اليهودى قبل الإسلام، الذى هو بدوره مجرد تطور بشرى طبيعى لقصص التوراة وبخاصة قصة الخَلْق (التكوين) وقصة المَنّ والسلوى، كما يوضح الجدول التالى:

جدول 37 – نهر اليوم السابع فى التراث اليهودى وبحر اليوم السابع فى القرآن (الأعراف 163)

القرن	الكتاب	حدث معين يستمر ستة أيام ...	يحدث عكسه فى اليوم السابع ...
قبل الميلاد	التوراة: الشريعة (الخروج 20:9-10)	"سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ،"	"وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا"
	التوراة: الخَلْق (الخروج 20:11)	"فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا"	"وَاسْتَرَاحَ (الربُّ) فِي الْيَوْمِ السَّابعِ"
	التوراة: المَنّ (الخروج 16:26)	"سِتَّةَ أَيَّامٍ تَلْتَقِطُونَهُ (أى: تلتقطون المَنَّ)"	"وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ سَبْتٌ، لاَ يُوجَدُ فِيهِ (مَنٌّ)"
الأول بعد الميلاد	يوسيفوس	نهر يظل جافاً	النهر تجرى فيه ماء
	بلينى الكبير	نهر تجرى فيه ماء	النهر يظل جافاً
الخامس والسادس بعد الميلاد	المدراش والتلمود	نهر غير صالح للملاحة	النهر صالح للملاحة
السابع بعد الميلاد	القرآن (الأعراف 163)	بحر غير صالح لصيد السمك: "يَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ (حِيتَانُهُمْ)"	البحر صالح لصيد السمك: "تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا"

إذن النتيجة هى: "بحر" اليوم السابع المذكور فى القرآن (الأعراف 163) هو مجرد تطور بشرى طبيعى للتراث اليهودى سواء فى الأسفار المقدسة أو الكتب غير المقدسة[7051].

وبذلك نكون قد أجبنا على السؤال الأول وهو: كيف استطاع أصحابُ القرآن أن يُؤلِّفوا قصة "أصحاب السبت"؟

ننتقل الآن إلى السؤال الثانى وهو: لماذا ألَّف أصحابُ القرآن هذه القصة القصيرة؟

4.39.2 لماذا ألَّف أصحابُ القرآن أسطورة "أصحاب السبت"؟

كما نقول دائماً: الأسطورة لا تنشأ من العدم. مُؤلِّف الأسطورة يأخذ آية مِن هنا وجملة مِن هناك، ومع قدر بسيط من الخيال، يصنع بذلك أسطورته من أجل تحقيق هدف معين. وفيما يتعلق بأسطورة "أصحاب السبت" تحديداً، فإن أصحاب القرآن قد ألّفوها لسببين على الأقل.

4.39.2.1 السبب الأول: تبرير تعظيم يوم الجمعة عِوَضًا عَنِ يوم السبت

نقطة البداية فى قصة "أصحاب السبت" هى تحريم العمل يوم السبت (Sabbath). وهذا بالطبع مذكور فى التوراة كإحدى الوصايا العشر – التى تُسمَّى أيضاً الْكَلِمَات الْعَشَر – وهي أساس الشريعة اليهودية: "اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ (أى: يوم السبت) فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ" (الخروج 20:8-11) (التثنية 5:12-15)[7052]. ولقد تكرر هذا الأمر مرة أخرى في سفر الخروج (الخروج 31:12-18) قُبيل قصة عبادة بني إسرائيل للعجل الذهبي (الخروج 32:1-35).

ولقد أشار القرآنُ نفسه إلى أهمية يوم السبت عند اليهود فقال: "وَقُلْنَا لَهُمْ (أي: لبني إسرائيل) لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (أي: عهدًا مؤكدًا شديدًا)" (النساء 154) (مدنية).

إلا أن القرآن يقول فى موضع آخر: "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ [يا محمد] أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (النحل 123-124) (قيل: مكية؛ وقيل: مدنية).

كالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فى تفسير "إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ" (النحل 124)، بل اختلفوا فى مرجع الضمير فى "فِيهِ". قيل: يعود على السبت؛ وقيل: يعود على إبراهيم، ربما لأنه موضوع سياق الآيات الخمس (النحل 120-124): "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (النحل 120-124). سياق هذه الآيات الخمس يتحدث بالفعل عن "إبراهيم" و "مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا". فما علاقة إبراهيم وملته بالسبت؟!

قال تفسير مجمع الملك فهد: "إنما جَعَلَ اللهُ تعظيم يوم السبت بالتفرغ للعبادة فيه على اليهود الذين اختلفوا فيه على نبيهم، واختاروه بدل يوم الجمعة الذى أُمِروا بتعظيمه"[7053]! وهذا الكلام موجود أيضاً فى كتب التراث الإسلامى، مثل تفسير ابن كثير: "عَنْ عِكْرِمَة قَالَ: قَالَ اِبْن عَبَّاس: إِنَّ اللهَ إِنَّمَا اِفْتَرَضَ عَلَى بَنِي

إِسْرَائِيل الْيَوْم الَّذِيْ اِفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فِي عِيدكُمْ - يَوْم الْجُمْعَة - فَخَالَفُوا إِلَى السَّبْت فَعَظَّمُوهُ، وَتَرَكُوا مَا أُمِرُوا بِهِ، فَلَمَّا أَبَوْا إِلَّا لُزُوم السَّبْت اِبْتَلَاهُمْ اللَّه فِيهِ فَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ لَهُمْ فِي غَيْره"[7054]. وفى صحيح مسلم أن محمد قال: "أَضَلَّ اللهُ عن الجمعة مَن كان قبلنا"[7055]! وفى صحيح البخارى أن محمد قال: "نحن الآخِرُون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا (أى: يوم الجمعة) يومهم الذي فُرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا اللهُ (له)"[7056]!

تعليقنا: هذا كلام عجيب لا نجده فى التوراة، ولا حتى فى القرآن! بل إنه يتعارض مع القرآن (النساء 154): "وَقُلْنَا لَهُمْ (أى: لبنى إسرائيل) لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ (وليس الجمعة) وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا". ثم إن هذا التفسير لا يساعدنا على فهم العلاقة بين السبت وإبراهيم وملته!

وكما هي العادة في المراجع الإسلامية، نجد الرأيَ ونقضه ....

قال ابن بطال تعليقاً على الحديث المذكور فى صحيح البخارى: "ليس فيه دليل أن يوم الجمعة فُرض عليهم بعينه فتركوه؛ لأنه لا يجوز لأحد أن يترك فرض الله عليه وهو مؤمن، وإنما يدل - والله أعلم - أنه فرض عليهم يوم من الجمعة وُكِلَ إلى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم، فاختلفوا فى أى الأيام يكون ذلك اليوم، ولم يهدهم الله إلى الجمعة"[7057].

وقال النسفى وغيره: "رُوى: أنّ موسى - عليه السلام - أمرهم أن يجعلوا فى الأسبوع يوماً للعبادة، وأن يكون يوم الجمعة، فأبوا عليه، وقالوا: نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض، وهو السبت، إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة. فهذا اختلافهم فى السبت؛ لأن بعضهم اختاروه، وبعضهم اختاروا عليه الجمعة، فأذن الله لهم فى السبت، وابتلاهم بتحريم الصيد [فيه]، فأطاع أمرَ الله الراضون بالجمعة، فكانوا لا يصيدون [فيه]، وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد، فمسخهم الله دون أولئك"[7058].

يعنى: مرجع إسلامى يقول إن الله أمرهم بتعظيم يوم الجمعة؛ ومرجع إسلامى آخر يقول إن الله ترك لهم حرية اختيار اليوم، فاختلفوا ولم يختاروا الجمعة! ومرجع إسلامى ثالث يقول إن مجموعة قليلة اختاروا الجمعة ومجموعة أكبر اختاروا السبت! هل يوجد حيرة وتيه وتخبط أكثر مما هو موجود فى المراجع الإسلامية؟! وكالعادة، المشكلة ليست فى المفسرين المسلمين، وإنما فى غموض القرآن، مما جعل كل مفسر يسرح بخياله ويقول ما يشاء. ولم يساعدنا أحدُهم على فهم علاقة إبراهيم وملته بالسبت!

أما تفسير وزارة الأوقاف المصرية فاستطاع أن يربط ربطاً منطقياً ومقنعاً بين "السبت" و "إبراهيم"، فقال: "وليس تعظيم يوم الجمعة، وترك تعظيم يوم السبت فى الإسلام مخالفاً لما كان عليه إبراهيم كما يدعى اليهود، فإن تحريم الصيد يوم السبت احتراماً له لم يكن من شريعة إبراهيم، وإنما فرض على اليهود فقط، ومع ذلك لم يحترموه بل خرج بعضهم على هذا التعظيم، وخالفوا أمر ربهم. فكيف يعيبون على غيرهم ممن لم يكلف بتعظيمه عدم تعظيمه، مع أنهم – وَهُمْ المكلفون بذلك – خرجوا عليه؟"[7059].

إذن: اليهود عابوا على أصحاب القرآن عدم تعظيم يوم السبت. فاستخدم أصحابُ القرآن قصةَ "أصحاب السبت" للرد على اليهود. ونستطيع الآن أن نفهم ما علاقة "إبراهيم" بالموضوع "إِبْرَاهِيمَ" (النحل 120) "إِبْرَاهِيمَ" (النحل 123)؟ فلقد لجأ أصحابُ القرآن – كالعادة – إلى إبراهيم الذي لم يكن يهودياً ولا مسيحياً (آل عمران 67) ولم يكن عنده التوراة ولا الإنجيل (آل عمران 65) ومِن ثم لم يكن يعظِّم يوم السبت (ولا يوم الأحد)، ومع ذلك كان باراً "صِدِّيقًا نَّبِيًّا" (مريم 41) "خَلِيلًا" لله (النساء 125) "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ [اللهُ] وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" (النحل 120-122). فيجب على المسلمين الحنفاء ألا يتبعوا اليهود في تقديس يوم السبت (وألا يتبعوا المسيحيين في تقديس يوم الأحد) وإنما يتبعوا "مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ" في عدم تقديس يوم السبت (ولا يوم الأحد): "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (النحل 123-124). هذه هي "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ" (الحج 78). فكما نقول دائماً، كلمة السر هي: إبراهيم. كل مَن يريد أن ينفصل عن الديانة التي قبله، يرجع إلى إبراهيم. فكلما أراد المسلمون أن يختلفوا وينفصلوا ويستقلوا عن اليهود (والمسيحيين) يلجأون إلى إبراهيم الذي لم يكن يهودياً ولا مسيحياً (آل عمران 67) ولم يكن عنده التوراة ولا الإنجيل (آل عمران 65). ونجد ذلك بصفة خاصة في القرآن المدني بعد تحويل قِبْلة المسلمين مِن أورشليم/الشام (قِبْلة اليهود والمسيحيين) إلى مكة (قِبْلة العرب) (البقرة 142-150)، وذلك حتى يصير للإسلام هوية (identity) عربية تميزه عن الديانتين غير العربيتين اليهودية والمسيحية[7060].

وبما أن يهود شبه الجزيرة العربية كانوا يتمركزون فى المدينة (يثرب)، فنحن نميل إلى الرأي القائل إن (الأعراف 163-167) مدنية. وبذلك فإن كل روايات قصة "أصحاب السبت" قيلت فى المدينة (يثرب) التى كانت مركزاً لليهود فى شبه الجزيرة العربية. وحتى (النحل 123-124) قيل إنها مدنية. وقال د. محمد عابد الجابرى إن سورة النحل "نزلت فى أواخر السنة الحادية عشرة (للنبوة)"[7061]. أى أننا حتى لو افترضنا جدلاً أنها مكية، فإنها ستكون مكية متأخرة جداً.

باختصار: كل الأدلة تشير إلى أن أصحاب القرآن قد ألّفوا قصةَ "أصحاب السبت" لتبرير تعظيمهم يوم الجمعة (يوم العروبة، حسب التقليد العربي) بدل يوم السبت (حسب الدين اليهودي). وهذا يعني أن يوم السبت عند المسلمين يوم عمل عادي وليس يوماً مقدساً للعبادة والراحة والانقطاع عن الأعمال.

وفي الواقع، لم يكن أصحابُ القرآن هُمْ أوَّل مَن يتركون تقديس يوم السبت، فلقد بدأت "قضية" السبت في القرن الأول الميلادي حين كان يسوع المسيح وتلاميذه يعملون يوم السبت، فعاب اليهودُ عليهم ذلك، فَرَدَّ المسيحُ عليهم مبيناً لهم خطأهم (متى 12:1-15) (مرقس 2:23-28، 3:1-6) (لوقا 6:1-11، 13:10-17، 14:1-6) (يوحنا 7:21-24). والفكر السائد في الإنجيل وفي التراث المسيحي بصفة عامة هو أن

اليهود أخطأوا لأنهم فهموا وصيةَ تقديس يوم السبت (الخروج 20:8-11) (التثنية 5:12-15) فهماً حرفياً فحرَّموا كلَّ الأعمال تقريباً، مما أدى أحياناً إلى وقوعهم في تناقض حين تضطرهم الظروف القاهِرة إلى عمل بعض الأعمال الضرورية يوم السبت. بينما الفهم المسيحي الصحيح هو الفهم الروحي الذي لا يمنع إلا الأعمال الدنيوية التي تهدف إلى تحقيق مكاسب مادية أو لهو وتسلية عابثة. أما الأعمال الروحية كالخدمة والعبادة في الكنيسة مثلاً وكذلك أعمال الخير الدنيوية أو الضرورية كشفاء المرضى وإطعام الفقراء والمساكين والجوعى رحمةً بهم وإحساناً فمسموحٌ عملها يوم الراحة المقدس، بل ينبغي عملها إكراماً للإنسان. باختصار: تقديس يوم السبت (بل الشريعة/الناموس بصفة عامة) وُضِعَ مِن أجل مصلحة الإنسان وليس العكس. أو كما قال يسوع المسيح لليهود: "السَّبْتُ[7062] إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ، لاَ الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ. إِذًا ابْنُ الإِنْسَانِ (أي: يسوعُ المسيح بصفته إنسان نائب عن البشرية يمثل كل البشر[7063][7064]؛ أو: الإنسان بصفة عامة[7065][7066]) هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا" (مرقس 2:27-28). أو كما نقول نحن اليوم بالتعبير المعاصر: القيم الإنسانية (كقيمة الحياة مثلاً) أعلى بكثير مِن القيم الدينية (كقتل المرتد طبقاً لأحكام الشريعة). وإنه لَمِن المحزن أن أصحاب القرآن والمسلمين الأوائل أخذوا فكرةَ عدم تقديس يوم السبت من الإنجيل والتراث المسيحي، لكنهم للأسف لم يفهموا معناها الحقيقي. فما زال المسلمون يتوهمون أن القيم الإسلامية أعلى بكثير من القيم الإنسانية! مع أن أباهم إبراهيم كان قبل الأديان "الإبراهيمية" بمئات السنين، والإنسان الأول (آدم) كان قبل الإسلام بآلاف السنين. إذن: القيم الإنسانية أعلى بكثير وأقدم بكثير مِن القيم الإسلامية[7067]. فما حدث سنة 1948 كان مجرد تدويناً وإعلاناً للقيم الإنسانية: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (The Universal Declaration of Human Rights)، ولم يكن اختراعاً لها.

وبعد يسوع المسيح، حل يومُ الأحد تدريجياً محل يوم السبت، لأن يوم الأحد هو يوم قيامة المسيح مِن الأموات وهي أساس عقيدة الفداء والخلاص المسيحية التي حررت الإنسانَ المسيحي مِن عبء الشريعة اليهودية وفي الوقت نفسه أكملت مشيئةَ الله التي هي أساس الشريعة اليهودية. تقول دائرة المعارف الكتابية[7068]:

> **(د) السبت في العهد الجديد:**
>
> **(1) يسوع والسبت:** [...].
>
> **(2) الرسول بولس والسبت:** [...]. وظل المسيحيون من اليهود (أي: من أصل يهودي) يحفظون السبت. وعندما دخل الأمم (أي: الوثنيون؛ غير اليهود) إلى المجتمع المسيحي، نشأت مشكلة فيما يتعلق بصلتهم بالناموس اليهودي. فكان هناك مَن يتمسكون بضرورة خضوعهم لطقس الختان وحفظ ناموس موسى بما فيه وصية السبت (أعمال الرسل 15:1، 5) (غلاطية 2:3-5). وكان هناك آخرون – على رأسهم بولس [الرسول] – يؤكدون أنه لا يلزم المتجددين من الأمم أن يتهودوا أولاً. وكان بولس يرى أنهم

حيث قبلوا الروح القدس بدون حفظ الناموس اليهودي، فلا يلزمهم أن يخضعوا للطقوس اليهودية ليحيوا حياة البر (غلاطية 2:3، انظر أيضاً 3:15-27).

لقد كان الرسول بولس يعتبر الناموس نير عبودية تحرر منه المؤمن (غلاطية 5:1). وفي حديثه عن الناموس، لم يفرق الرسول بولس بين الناموس الأدبي والناموس الطقسي، فكلاهما جزء من العهد العتيق الذي أُبطل في المسيح (2 كورنثوس 3:14). ولا شك في أن "السبت" كان جزءاً من الصَّكِّ الَّذِي "كَانَ عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ [الله] مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ" (كولوسي 2:14). [...].

ولا يجد الرسول بولس سبباً لفرض السبت اليهودي على المسيحيين، فقد تحرر المسيحي من عبء الناموس. وروح المسيح يمنحه القوة لإتمام مشيئة الله بدون حاجة إلى هذا الحفظ الخارجي لمطالب الناموس. [...].

(هـ) السبت فيما بعد العهد الجديد: يُجمع آباء الكنيسة الأوائل من القرنين الثاني والثالث على أن المسيحيين غير مقيدين بالسبت اليهودي. ويجزم البعض بأنه قد أُبطل تماماً، ويبرز البعضُ الآخر صفته الرمزية.

[...]

ويشرح يوستينوس الشهيد – من أوائل المدافعين عن المسيحية – في منتصف القرن الثاني، في حواره مع تريفون – لماذا لا يحفظ المسيحيون ناموس موسى، ولا يمارسون الختان، ولا يحفظون السبت. ويؤكد:

(1) أن حفظ السبت الحقيقي في العهد الجديد هو حفظ سبت دائم من الابتعاد عن الخطية.

(2) أن الأبرار القدماء، آدم وهابيل وأخنوخ ونوح وأمثالهم أرضوا الله بدون أن يحفظوا السبت.

(3) أن الله فرض السبت على الإسرائيليين بسبب شرهم وصلابة قلوبهم.

[...]

ويقول ترتليانوس، في بداية القرن الثالث: "لا علاقة لنا بالسبت أو بالأعياد اليهودية الأخرى، وبالأحرى مع الأعياد الوثنية". ويقول في موضع آخر إن الذين يناضلون من أجل استمرار الالتزام بحفظ السبت، عليهم إثبات أن آدم وهابيل وأخنوخ ونوح وملكي صادق أيضاً قد حفظوا هذه الأشياء. [...].

وما زال اليهود غير المسيحيين يحفظون السبت إلى الآن. وفي العصور الأولى حفظ بعضُ المسيحيين اليهود اليومَ السابع (أي: يوم السبت) مع الاجتماع للعبادة في اليوم الأول من الأسبوع (أي: يوم الأحد)، ولكن تأثيرهم على المسيحية سرعان ما تضاءل بعد خراب أورشليم في 70م. إن شهادة آباء الكنيسة قبل مجمع نيقية [325م] هي أن "السبت" كان فريضة يهودية غير ملزمة للمؤمنين المسيحيين، ففي أول الأسبوع (أي: يوم الأحد) قام الرب [يسوع المسيح] من بين الأموات، وأظهر نفسه لتلاميذه (يوحنا 20:26)، وأرسل الروح القدس في يوم الخمسين (أعمال الرسل 2:1). وهكذا أصبح [يومُ الأحد] منذ

البداية أعظم الأيام، فهو "يَوْم الرَّبِّ" (الرؤيا 10:1) الذي كان يجتمع فيه المسيحيون للعبادة (أعمال الرسل 7:20) (1 كورنثوس 2:16).

ثم ظهر الإسلامُ في القرن السابع الميلادي، فأراد أصحابُ القرآن والمسلمون الأوائل – وبخاصة في الفترة المدنية – أن يختلفوا وينفصلوا ويستقلوا عن الديانتين غير العربيتين اليهودية والمسيحية، فاختاروا يومَ الجمعة (يوم العروبة) عوضاً عن يوم السبت يوم اليهود (ويوم الأحد يوم المسيحيين). فكما اختار المسيحيون يومَ الأحد لينفصلوا ويتميزوا عن اليهود وليؤكدوا على قيامة المسيح وليتحرروا من أحكام الشريعة اليهودية مع إيمانهم بلفظها، كذلك اختار المسلمون يومَ الجمعة لينفصلوا ويتميزوا عن اليهود والمسيحيين وليؤكدوا على عروبة الإسلام وليتحرروا من الكتاب المقدس كله لفظاً وحُكْماً. وهذه ليست المرة الأولى التي يتأثر فيها أصحابُ القرآن والمسلمون الأوائل بأفكار بولس الرسول والمسيحيين الأوائل[7069]. واستعان أصحابُ القرآن بقصة "أصحاب السبت" و "ملة إبراهيم حنيفاً" لتبرير ذلك الاختلاف عن اليهودية (والمسيحية). فكما استدل المسيحيون الأوائل (كيوستينوس الشهيد وترتليانوس وغيرهما) بأن الأبرار القدماء كآدم وهابيل وأخنوخ (إدريس) ونوح وأمثالهم أرضوا اللهَ بدون أن يحفظوا السبت، كذلك استدل أصحابُ القرآن بأن إبراهيم البار أرضى اللهَ بدون أن يحفظ السبت؛ فهذا هو التفسير المنطقي لوجود "إبراهيم" و "مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا" مع "السبت" في نفس السياق القرآني: "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ [...]" (النحل 123-124).

ليس هذا فحسب، فلقد لاحظنا فيما سبق أن المفكر المسيحي "يوستينوس الشهيد" (Justin Martyr) (القرن الثاني الميلادي) قال إن الله فرض السبت على الإسرائيليين بسبب شرهم وصلابة قلوبهم. ولقد قال ذلك في الفصول 18-20 مِن كتابه الشهير "الحوار مع تريفون اليهودي" (Dialogue with Trypho): "ونحن [المسيحيون] أيضاً من الممكن أن نمارس ختان الغرلة ونحفظ السبت وكل أعيادكم [اليهودية] لو لم نكن على علم بالسبب الذي من أجله فُرِضَت هذه عليكم، ألا وهو خطاياكم وقساوة قلوبكم. [...] فالختان ضروري لكم أنتم فقط أيها اليهود [...]. وكل هؤلاء الرجال (يقصد: آدم وهابيل وأخنوخ ونوح وأمثالهم) كانوا أبراراً في عيني الرب مع أنهم لم يحفظوا السبوت. وهذا أيضاً يمكن أن يُقال عن إبراهيم ونسله حتى زمن موسى عندما أظهر الشعب شرَّه وعصيانه أمام الله عندما صنعوا صنماً في البرية على شكل عجل من ذهب. وحينئذ طبَّق اللهُ ناموسه على هذا الشعب الضعيف وأَمَرَكم أن تُقدِّموا ذبائح لاسمه لكي ينقذكم من عبادتكم للأصنام، ولم تطيعوا بل وقدَّمتم أطفالكم ذبائح للشيطان. ومن جهة أخرى، فرض اللهُ عليكم حفظ السبت ليدرّبكم على أن تذكروا الله فقال "لِتَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الله مخلِّصكم" (حزقيال 20:20). وقد حرَّم اللهُ عليكم أكل بعض أنواع اللحوم، كي تضعوا اللهَ نُصب أعينكم دائماً عندما تأكلون وتشربون، لأنكم في الأصل تميلون إلى نسيانه كما يشهد موسى بذلك [في قصة العجل الذهبي]: "أكل الشَّعْبُ وشرب ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ" (الخروج

6:32). وأيضاً: "أكل يعقوبُ وشبع وسمن والحبيب رَفَسَ (أي: رَفَضَ؛ تمرَّد؛ ثار). سمن وغلظ واكتسب شَحْمًا. وترك الإلهَ الَّذِي عَمِلَهُ" (التثنية 15:32)"[7070][7071]. **[← وهذا النقد اللاذع لخطايا اليهود (بني إسرائيل) تطوَّر تطوراً بشرياً طبيعياً إلى أن ردده أصحابُ القرآن بعد ذلك – بوعي أو بدون وعي – حين وضعوا فريضةَ السبت "وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا" (النساء 154) مباشرةً بعد أمثلة مِن خطايا اليهود (بني إسرائيل) وخصوصاً خطيئة عبادة العجل الذهبي: "قَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً" "ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ [إلهاً معبوداً] مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ" (النساء 153) "وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا [فلم ينفذوا الأمرَ ودخلوا يزحفون على أستاهم]" (النساء 154)]**! وفي الواقع، فإنه مِن خلال دراستنا للتراث المسيحي (السرياني) قبل الإسلام، لاحظنا أن المسيحيين (السريان) كانوا كثيراً يعايرون اليهود بعبادة أجدادهم للأصنام (أو: عبادة العجل الذهبي تحديداً) ثم يقولون إن الله أعطى بني إسرائيل ناموسَ موسى (أو جُزْءًا مِنه) عقاباً لهم على عبادتهم هذه الأوثان. **[← وهذا ما فعله أصحابُ القرآن هنا بقصد أو بدون قصد: فلقد ذكروا عبادةَ بني إسرائيل للعجل "اتَّخَذُوا الْعِجْلَ [إلهاً معبوداً] مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ" (النساء 153)، وبعدها ذكروا فريضةَ السبت "وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا" (النساء 154). وبعد ذلك ببضعة آيات، يؤكد القرآنُ هذه الفكرة بوضوح أكثر: "فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا (أي: فبسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة) حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ [مِن المآكل] أُحِلَّتْ لَهُمْ (أي: كانت حلالاً لهم مِن قبل) وَبِصَدِّهِمْ (أي: وبسبب صَدِّهِمْ) عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا" (النساء 160)[7072]]**. وعلى الرغم من عدم وجود هذه الفكرة المسيحية(السريانية)←القرآنية فيما يتعلق بتقديس السبت حسب التوراة، إلا أنها قد تكون مستوحاة من آيات كتابية أخرى يُفهَم منها أن الله قد "يعطي" (أي: قد يسمح بوجود) فرائض سيئة وغير مفيدة عقاباً لِمَن يترك فرائضه الجيدة والمفيدة! اقرأ مثلاً: "لأَنَّهُمْ لَمْ يَصْنَعُوا أَحْكَامِي [الَّتِي إِنْ عَمِلَهَا إِنْسَانٌ يَحْيَا بِهَا]، بَلْ رَفَضُوا فَرَائِضِي [الصالحة]، وَنَجَّسُوا سُبُوتِي، وَكَانَتْ عُيُونُهُمْ وَرَاءَ أَصْنَامِ آبَائِهِمْ. وَأَعْطَيْتُهُمْ أَيْضًا فَرَائِضَ غَيْرَ صَالِحَةٍ، وَأَحْكَامًا لاَ يَحْيَوْنَ بِهَا" (حزقيال 20:24-25)؛ "فَلَمْ يَسْمَعْ شَعْبِي لِصَوْتِي، وَإِسْرَائِيلُ لَمْ يَرْضَ بِي. فَسَلَّمْتُهُمْ إِلَى قَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ، لِيَسْلُكُوا فِي مُؤَامَرَاتِ أَنْفُسِهِمْ" (المزامير 81:11-12)؛ "فَإِذَا ضَلَّ النَّبِيُّ [الكذاب] وَتَكَلَّمَ كَلاَمًا، فَأَنَا الرَّبَّ قَدْ أَضْلَلْتُ ذلِكَ النَّبِيَّ" (حزقيال 14:9)[7073]! وكذلك توجد آيات في العهد الجديد يُفهَم منها أن الشريعة/الناموس سجن تأديب وعقاب أو حِمْل ثقيل بل نير عبودية (yoke of bondage) يجب التخلص منه أو تخفيفه: "قَبْلَمَا جَاءَ الإِيمَانُ [بالمسيح] كُنَّا مَحْرُوسِينَ (يقصد: مسجونين) تَحْتَ النَّامُوسِ، مُغْلَقًا عَلَيْنَا إِلَى الإِيمَانِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ. إِذًا قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ. وَلكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الإِيمَانُ، لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ" (غلاطية 3:23-25)؛ "فَاثْبُتُوا إِذًا فِي الْحُرِّيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلاَ تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ" (غلاطية 5:1)؛ "فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ (يقصد: أحكام الشريعة) عَلَى عُنُقِ التَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا [اليهود] وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟" (أعمال الرسل 15:10)؛ وقال يسوعُ المسيح نفسه: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي

خَفِيفٌ" (متى 11:28-30). وكما لاحظنا فيما سبق أن الكُتَّاب المسيحيين استدلوا بهذه الآيات أو غيرها من أجل الوصول إلى نتيجة مفادها أن حِفْظ السبت كان فرضاً على اليهود (ذرية إبراهيم بالجسد) لكنه لم يعد فرضاً على المسيحيين (أبناء إبراهيم بالإيمان). باختصار: ليس حِفظ السبت مِن "إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ" (رومية 4:12) "إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا" (رومية 4:16) **[⟵ "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (الحج 78)]**.

يقول الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) عن "قضية" السبت في الأعمال المسيحية (السريانية) الكثيرة التي أثَّرت على القرآن بعد ذلك[7074]:

Similar [anti-Jewish] polemics are aimed at the Sabbath [observance] which, the Quran stresses, was not included in the *milla* of Abraham. After mentioning the dietary restrictions imposed on the Jews as punishment [النحل) "وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ[7075]ۖ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (118], the Quran proceeds to discuss Abraham, saying ["ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (النحل 123]. The next verse then adds that ["إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (النحل 124)], implying that the Abrahamic religion contained neither dietary restrictions nor Sabbath observance.

Polemics against the Sabbath of course abound among Christian writers [before Islam]. That Abraham and all the generations before Moses knew nothing of the Sabbath is stressed by Justin Martyr (*Dialogue with Trypho* 19.5), Tertullian (*Against the Jews* 2.10-3.1), Aphrahat (*Demonstrations* 13.8), and Jacob of Serugh (*Homilies against the Jews* 3, lines 186-232), to name but a few. It therefore appears that in arguing that the Sabbath is not part of Abraham's religion the Quran is repeating a classic Christian argument.

Though the arguments concerning Abraham and the [Jewish] law are common to Christian literature in many languages, Syriac transmission [into the Quranic community] is more than likely. Many more examples of the Quran's adoption of Christian arguments against the Jews could be adduced, but I leave that for a separate study.

ونحن نتفق مع الباحث (Dr. Joseph Witztum) فيما قاله عن تأثر القرآن بالكُتَّاب المسيحيين قبل الإسلام – مثل "يوستينوس الشهيد" (Justin Martyr) (القرن الثاني الميلادي) و "ترتليانوس" (Tertullian) (القرن الثالث الميلادي) – عن "قضية" السبت. ونتفق معه أيضاً أن الاحتمال الأرجح هو أن هذه الأفكار المسيحية ضد اليهود (Christian anti-Jewish polemics) قد انتقلت إلى أصحاب القرآن عن طريق التراث المسيحي السرياني بالتحديد. ولذلك نعطي مثالاً مِن التراث المسيحي السرياني قبل الإسلام، وذلك لأنه قريب جداً لِمَا قاله القرآنُ بعد ذلك، وبخاصة فيما يتعلق بالاستدلال بعدم تعظيم إبراهيم ليوم السبت! وهذا المثال مِن أعمال المفكر السرياني المبدع يعقوب السروجي (Jacob of Serugh) أسقف سروج بشمال العراق (ت. 521م) وواحد مِن الآباء الروحيين لأصحاب القرآن. إنه مِن المقابلة الثالثة من المقابلات مع الشعب اليهودي (Homilies against the Jews 3) وهي مقابلات مع شخص يهودي يتخيله يعقوب السروجي أمامه فيتوجّه إليه في صيغة المنادى قائلاً[7076]: {185} فالله لا يحفظه (= السبت) ولا (يحفظ) الناموس، {186} ولا أبرارُ بيت إبراهيم الذين خُتنوا. {187} ولا إسحاق، ولا يعقوب، ولا يوسف، {188} حفظوا السبت. أنظر، أما كانوا أبراراً؟ {189} لكن موسى وهبه لشعبٍ أحبّ الأصنام (يقصد: لشعبٍ عَبدَ العجلَ وأحبّ ذلك[7077]) وأكثر، {190} لكي يتذكّروا وجودَ الله حين يتوقفون عن العمل. {191} البطالة (أي: الراحة يوم السبت) خير من الأعمال الفارغة، [...]. {195} ولأنه رأى أن مصر أفسَدتْه بتعليمها (أي: ولأن الله رأى أن شعب إسرائيل فسد بعبادة العجل كالمصريين)، {196} وهبَ له السبت، ووهب له الكتاب لكي يقرأه. {197} اعتبر موسى أنه من الخير أن يبطّل الشعب قليلاً، {198} وأن يجلس مع الناموس ويقرأ وهكذا يُصلَح. {199} ولهذا وهب له السبوت، ووهب له الأعياد، {200} ووهب رأس الشهور لكي يقرأوا في الكتب، حين يبطّلون. {201} [وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ.] وأتى المسيح فتعلمتْ منه الأرضُ كلها، {202} مَن هو ربّها: وها هي كلها ترتل له التسبيح. {203} لا حاجة إلى السبت لكي تكرز بالخالق، {204} ولا إلى اليوم السابع لتذكر متقناته. [...]. {225} لماذا يُطلب حفظُ السبت، من الذي يعرف {226} أنه يسير في طريق الحقّ، بدون ممارسات؟ {227} أنظر إلى إبراهيم الذي ما حفظ السبت. إذن {228} حسب قولك [أيها اليهودي]، ما كان [إبراهيمُ] حبيبَ (الله) ولا باراً! {229} هذا الصدّيق[7078] ما نسي الربَّ ربَّه، {230} ولا أخضعه الربُّ للممارسات. {231} وضع فيه رسماً، أحبّه مع أنه ما حفظ السبت، {232} لأنه عرف كم يحبّه ولا ينساه.

فنلاحظ هنا ثلاث نقاط مهمة فيما كتبه يعقوبُ السروجي، وقد انتقلت هذه النقاط الثلاث إلى القرآن!

- توجيه الخطاب إلى شخص يهودي **[⟵ روايات قصة "أصحاب السبت" توجّه الخطابَ إلى اليهود بصفة خاصة: "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ [...]" (البقرة 65) "وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ [...]" (الأعراف 163)؛ أو توجّه الخطابَ إلى اليهود**

والمسيحيين بصفة عامة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ [...]" (النساء 47)].

- ذِكر عبادة بني إسرائيل للأصنام (العجل) ثم فَرْض تقديس يوم السبت عليهم **[← "ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ" (النساء 153) "وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا" (النساء 154)]**. ونكرر مرة أخرى أن هذا الترتيب، سواء عند يعقوب السروجي أو عند القرآن العربي، يخالف التوراةَ التي وضعتْ تقديس يوم السبت أولاً (الخروج 20:8-11، 12:31-18) ثم قصة عبادة بني إسرائيل للعجل الذهبي (الخروج 32:1-35).
- الاستدلال بعدم تعظيم إبراهيم للسبت للتأكيد على أن هذا التعظيم لم يعد فرضاً على المسيحيين (أبناء إبراهيم بالإيمان[7079]) **[← "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ (أي: على اليهود وليس على المسلمين)" (النحل 123-124)].**

الخلاصة: كل الأدلة التي أمامنا تجبر أي إنسان عاقل على الاعتراف بأن أصحاب القرآن قد ألّفوا قصة "أصحاب السبت" لتبرير تعظيمهم يوم الجمعة عِوَضًا عَنِ يوم السبت اليهودي (وعِوَضًا عَن يوم الأحد المسيحي). واستعان أصحابُ القرآن بأفكار مسيحية (سريانية) لتبرير عدم تقديس يوم السبت، مما يؤكد أن القرآن كلام بشر وليس وحياً من عند الله. فلسنا نحتاج نظريةَ "الوحي" لنفهم لماذا وكيف ألّف أصحابُ القرآن قصةَ "أصحاب السبت".

ونظراً لأهمية التجارة عند العرب، لم يكن ممكناً أن يُحرّم الإسلامُ العملَ يوم الجمعة، فاضطر أصحابُ القرآن أن يبيحوا العملَ يوم الجمعة فى غير وقت الصلاة (الجمعة 9-11) (مدنية). نجد ذلك فى سورة "الجمعة"، وهى سورة مدنية بدأت بالتأكيد على عروبة محمد (الجمعة 2-4)، ثم وَجَّهت نقداً لاذعاً لليهود لدرجة أنها شبَّهتهم بالحمير! "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ (أى: كُلِّفُوا الْعَمَل بِهَا) ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا (أى: لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا) كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا" (الجمعة 5).

نستطيع إذن أن نقول إن أصحاب القرآن قد حوَّلوا اليومَ المقدس مِن يوم راحة (day of rest) إلى يوم اجتماع (day of assembly) مِن أجل الصلاة، ولا مانع مِن العمل بعد أداء صلاة الجمعة. أو بعبارة أخرى: حوَّلوا فترة الانقطاع (السبت) عن الأعمال مِن يوم كامل إلى ساعة صلاة الجمعة فقط.

وإذا كان يوم السبت (اليوم السابع) يرتبط في التوراة بحدث مهم وهو استراحة الله الخالِق "مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ" (التكوين 2:2-3)، وإذا كان يوم الأحد (اليوم الأول) يرتبط في الإنجيل بحدث مهم وهو قيامة المسيح المخلِّص من بين الأموات (يوحنا 20:1-18)، فإن المشكلة التي واجهت المسلمين الأوائل هي أنه لا يوجد أي حدث مهم يرتبط بيوم الجمعة في القرآن! فكيف حلَّ المسلمون الأوائل هذه المشكلة؟ الإجابة:

بعد أصحاب القرآن، جاء مسلم والترمذى وغيرهما مِن رواة الأحاديث فاخترعوا أحاديث كثيرة تُعظِّم يوم الجمعة، وبالغوا فى هذا التعظيم لدرجة أنهم جعلوا يوم الجمعة هو "خير يوم طلعت عليه الشمس"! وجعلوا يوم الجمعة هو أول يوم فى تاريخ البشرية: "فيه خُلِق آدم، وفيه أُدخِل الجنة، وفيه أُخرِج منها"! وجعلوا يوم الجمعة هو آخر يوم فى تاريخ البشرية: "ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة"[(7080)]!

4.39.2.2 السبب الثاني: دعوة المسلمين إلى طاعة أوامر الله وعدم التشبه باليهود فى عصيانهم

كما قلنا فيما سبق، يوجد سبب آخر لتأليف قصة "أصحاب السبت" ...

قال مقاتل فى تفسيره لـ "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ. فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ" (البقرة 65-66): "يعنى تعظهم يا محمد أن يركبوا ما ركبت بنو إسرائيل من المعاصى فيستحلوا محرماً أو صيداً فى حرم الله (أى: الحرم المكى) أو تستحلوا أنتم حراماً لا ينبغى فينزل بكم من العقوبة مثل ما نزل بالذين استحلوا صيد السمك يوم السبت"[(7081)].

ومِن المعلوم أن القرآن يذكر تشريعاً يشبه قصة أصحاب السبت، وهو تحريم صيد البَرّ فى الحج أو العمرة: "وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا (أى: مُحْرِمِينَ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ)" (المائدة 96). والجدول التالى يوضح أهم وجوه الشبه بين قصة أصحاب السبت التى تتحدث عن تحريم صيد السمك على اليهود يوم السبت (الأعراف 163-167) والتشريع الإسلامى الذى يُحرّم صيدَ البَرّ على المسلمين فى الحج والعمرة (المائدة 94-96)[(7082)]:

جدول 38 – القرآن بين الإسرائيليات (الأعراف 163-167) والتشريعات (المائدة 94-96)

أهم وجوه الشبه بين القصة الإسرائيلية والتشريع الإسلامى	القصة الإسرائيلية: قصة أصحاب السبت (الأعراف 163-167)	التشريع الإسلامى: تحريم صيد البَرّ على المسلمين فى الحج والعمرة (المائدة 94-96)
كلاهما ابتلاء (أى: امتحان واختبار) مِن الله.	بالنسبة لليهود: "كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ" (الأعراف 163).	وبالنسبة للمسلمين: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ" (المائدة 94).
موضوع الامتحان هو تحريم الصيد.	بالنسبة لليهود: تحريم صيد البحر (السمك).	وبالنسبة للمسلمين: تحريم صيد البَرّ.

فترة الامتحان هى فترة الانقطاع عن الأعمال مِن أجل التقرب إلى الله.	بالنسبة لليهود: "يَوْمَ سَبْتِهِمْ" (الأعراف 163).	وبالنسبة للمسلمين: "وَأَنْتُمْ حُرُمٌ [...] مَا دُمْتُمْ حُرُمًا (أى: مُحْرِمِينَ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ)" (المائدة 95-96)[7083].
صعوبة الامتحان هو أن الشيء المُحرَّم ظاهرٌ وواضحٌ جداً للعيون، فهو يُغرى الإنسانَ بشدة على المعصية والمخالفة.	بالنسبة لليهود: "تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا (أى: ظاهرة بوضوح كأنها أشرعة سفن تسير على وجه الماء)" (الأعراف 163).	وبالنسبة للمسلمين: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ (أى: قريب جداً منكم، يسهل عليكم اصطياده)" (المائدة 94).
هدف الامتحان هو أن يتقى الإنسانُ اللهَ ويخافه؛ أى: ينجح فى الامتحان.	بالنسبة لليهود: "لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" (الأعراف 164).	وبالنسبة للمسلمين: "لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ" (المائدة 94) "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (المائدة 96).
عقوبة المُخالِف الذى يرسب فى الامتحان هى العذاب.	بالنسبة لليهود: "اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا [...] أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ (أى: شديد، أليم) [...] لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ" (الأعراف 164-167).	وبالنسبة للمسلمين: "فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ (أى: بعد الابتلاء؛ أو: بعد بيان التحريم) فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (المائدة 94).
ويوجد عقاب مشدد لمَن يستمر فى المعصية.	بالنسبة لليهود: "قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" (الأعراف 166).	وبالنسبة للمسلمين: "مَنْ عَادَ (إلى المخالفة متعمداً بعد العلم بالتحريم) فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ" (المائدة 95).
ومع ذلك، فإن الله يغفر الذنوب السابقة التى ارتكبها الإنسان.	بالنسبة لليهود: "إِنَّ رَبَّكَ [...] لَغَفُورٌ رَحِيمٌ" (الأعراف 167).	وبالنسبة للمسلمين: "عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ (مِن المخالفة قبل التحريم)" (المائدة 95).

إذن: يوجد سبب آخر لتأليف قصة "أصحاب السبت" وهو تقديمها – أو بالأحرى: إعادة تقديمها – فى صورة "خُطبة" أو "عِظة دينية" (homily) تهدف إلى دعوة المسلمين إلى طاعة أوامر الله ومحمد، وعدم التشبه باليهود فى عصيانهم وتمردهم، مهما كانت الإغراءات قوية. ومِن حُسن الحظ أن القرآن نفسه يعترف

بأن هذه القصة "مَوْعِظَة": "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ. فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ" (البقرة 65-66).

إنَّ قصة "أصحاب السبت" قصة إسرائيلية ألّفها أصحابُ القرآن، معتمدين على عناصر مُختارَة مِن التراث اليهودى والمسيحى، مِن أجل تشجيع المسلمين على الالتزام بأوامر الله ومحمد.

وهذا يؤكد ما قلناه سابقاً: عندما كان أصحاب القرآن يختارون قصص يهودية/مسيحية معينة، لم يكن معيارهم الأساسى هو قانونية هذه القصص ولا حتى أهميتها فى التراث اليهودى/المسيحى، وإنما كان معيارهم الأساسى هو أهمية هذه القصص بالنسبة لهم فى شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى. وفيما يتعلق بقصة "أصحاب السبت" تحديداً، فإن أهميتها بالنسبة لأصحاب القرآن هى: (1) تبرير تعظيم يوم الجمعة بدل يوم السبت؛ (2) دعوة المسلمين إلى طاعة أوامر الله ومحمد، وعدم التشبه باليهود الذين ضعفوا أمام الإغراءات فارتكبوا المحظورات وسقطوا فى الابتلاءات.

4.39.3 الخلاصة ... وملاحظات ختامية

صحيح أن قصة "أصحاب السبت" أو "بحر اليوم السابع" غير موجودة فى الكتاب المقدس، لكن عناصرها الأساسية – بل تقريباً كل عناصرها – موجودة فى التراث اليهودى والمسيحى بوجه عام. ويستطيع أى إنسان لديه قدر بسيط من الخيال أن يؤلف هذه القصة القرآنية القصيرة، لا سيما إذا كان هناك دافع قوى وراء ذلك، وهو تبرير تعظيم يوم الجمعة (يوم العروبة، حسب التقليد العربى) بدل يوم السبت (حسب الدين اليهودى).

قصة "أصحاب السبت" أو "بحر اليوم السابع" قصة قصيرة حجماً، لكنها مهمة جداً، بل فى غاية الأهمية. وأهميتها ترجع إلى سببين:

أولاً: تُوضِّح لنا هذه القصة كيف تُولَد الأسطورة القرآنية مِن رحم بعض الآيات الكتابية وكثير مِن القصص والحواديت الشعبية. تطور ثقافي طبيعي (natural cultural evolution).

ثانياً: تثبت هذه القصة أننا يُمكِن أن ننظر إلى القصة فى القرآن باعتبارها مجرد "خُطبة" أو "عِظة دينية" (homily) (البقرة 66) (الأعراف 164) تُعلِّق على القصة المناظرة لها فى الكتاب المقدس أو فى التراث اليهودى/المسيحى بصفة عامة. ومِن ثم يجب ألا نندهش حين تحذف القصة القرآنية بعض التفاصيل مِن القصة الأصلية لأنها معروفة. ويجب أيضاً ألا نندهش حين نجد اختلافات بين القصة القرآنية والقصة الأصلية، فمِن الطبيعى أن ينحرف الواعظ قليلاً أو كثيراً عن القصة الأصلية، ومِن الطبيعى أيضاً أن يقوم الواعظ بإعادة تقديم القصة الأصلية بلغة تناسب بيئته، وربما لا تناسب بيئة القصة الأصلية. باختصار: مِن الطبيعى أن يضع الواعظُ بصمته الإسلامية/العربية على القصة اليهودية/المسيحية الأصلية.

وخير دليل على هذه "البصمة" الإسلامية/العربية هو هذا العنف اللفظى الموجود فى قصة "أصحاب السبت". وهو عنف مُوجَّه إلى أهل الكتاب بصفة عامة، واليهود بصفة خاصة.

على سيل المثال، يقول القرآن: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا (أى: القرآن) مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا" (النساء 47) (مدنية). سؤال: ما معنى "نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا"؟ أجاب صحيح البخاري فقال: "نُسَوِّيَهَا حَتَّى تَعُودَ كَأَقْفَائِهِمْ، طَمَسَ الْكِتَابَ مَحَاهُ"[7084]! وكذلك أجاب تفسير وزارة الأوقاف المصرية فقال: "ننزل بكم عقاباً تنمحى به معالم وجوهكم فتصير كأقفيتها. لا أنف فيها ولا عين ولا حاجب"[7085]! وفى تفاسير إسلامية أخرى[7086]: "نجعلها كخفِّ البعير، أو كَحَافِرِ الدَّابة (أو: الفرس) [...] نُحوِّل وجوههم قبل ظهورهم (أى: فى أقفائهم)"؛ "ردها على أدبارها، بأن تجعل فى أقفائهم، وهذا أشنع ما يكون"؛ "نغيّر وجوهكم فنسلبها وجاهتها ونكسوها الصغار والإدبار"! ولقد لخَّص البيضاوى والنسفى وابن الجوزى والرازى[7087] أهم ما قيل فى تفسير هذه الآية، وذَكَروا معانى أخرى، مثل: "نطمس وجوهاً بأن نعمى الأبصار عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإصغاء إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية إلى الضلالة"؛ أو "نردها إلى حيث جاءت منه [...] يعنى إجلاء بني النضير (مِن شبه الجزيرة العربية إلى الشام)"؛ وقيل: "المراد بالطمس: القلب والتغيير، كما طمس أموال القبط (يقصد: فرعون وملئه) فقلبها حجارة، وبالوجوه: رؤوسهم (أو: رؤساؤهم) ووجهاؤهم، أى: من قبل أن نغير أحوال وجهائهم، فنسلبهم إقبالهم، ووجاهتهم، ونكسوهم صَغارهم، وإدبارهم"؛ وقيل: "نجعل الوجه منبتاً للشعر، كالقرود"؛ وقيل: "تقبيح صورتهم"!

إذن: يوجد - كالعادة - مَن فسر "الوجه" تفسيراً حرفياً (face)؛ ومَن فسر "الوجه" تفسيراً مجازياً فقال إن المقصود هو الوجاهة أو البصيرة أو غير ذلك. وسواء كان المقصود هو المعنى الحرفى أو المعنى المجازى، فإن الآية فيها تهديد واضح، بدليل قوله بعدها: "أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ"، ونحن نعلم ماذا حدث لأصحاب السبت. وتعليقنا هو: هذه الآية القرآنية المدنية تدعو أهلَ الكتاب إلى أن يؤمنوا بالقرآن. لكن هل يصح أن تقول للناس: آمِنُوا بالقرآن، وإلا أخلى وشكم زى قفاكم أو أذلكم أو ألعنكم وأسخطكم قرود أو أطردكم مِن الأرض أو ... إلى آخر تلك التهديدات البشعة المذكورة فى التفاسير الإسلامية؟! هل الإيمان يكون تحت التهديد؟! هل الحوار يكون بهذا الأسلوب العربى البدوى الفظ؟!

مثال آخر: "وَإِذْ تَأَذَّنَ (أى: أعلم؛ أعلن) رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ (أى: على اليهود؛ وقيل: على اليهود والنصارى) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ (أى: يُذِيقهُمْ) سُوءَ الْعَذَابِ" (الأعراف 167).

قال ابن الجوزى: "وفى المبعوث عليهم قولان. أحدهما: أنه محمد ﷺ وأُمته، [...]. والثانى: العرب، [...]. وقال السدى: بعث الله عليهم العرب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم. وفى سوء العذاب أربعة أقوال.

أحدها: أخذ الجزية، [...]. والثانى: المسكنة والجزية، [...]. والثالث: الخراج، [...]. والرابع: أنه القتال حتى يُسلموا، أو يُعطوا الجزية"[7088]!

وقال الماوردى: "والمبعوثون هُمْ العرب، وسوء العذاب هو الذلة وأخذ الجزية، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة"[7089]!

وقال الزمخشرى وغيره: "فكانوا (أى: كان اليهود) يؤدون الجزية إلى المجوس، إلى أن بعث الله محمداً – ﷺ – فضربها عليهم، فلا تزال (الجزية) مضروبة عليهم إلى آخر الدهر"[7090]!

وقال الواحدى النيسابورى: ""لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ" على اليهود "إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ" قال المفسرون: هُم العرب محمد – ﷺ – وأمته بعثهم اللهُ على اليهود إلى يوم القيامة يقاتلونهم حتى يُسلموا أو يُعطوا الجزية"[7091]!

وقال د. الصابونى: "اذكر يا محمد حين أعلم ربك ليسلطنَّ على اليهود إلى قيام الساعة مَن يذيقهم أسوأ العذاب [...]، وقد سلّط الله عليهم بختنصّر فقتلهم وسباهم، وسلّط عليهم النصارى فأذلوهم وضربوا عليهم الجزية، وسلّط عليهم محمداً ﷺ فطهّر الأرض من رجسهم وأجلاهم عن الجزيرة العربية، وسلّط عليهم أخيراً "هتلر" فاستباح حماهم وكاد أن يبيدهم ويفنيهم بالقتل والتشريد فى الأرض، ولا يزال وعد الله بتسليط العذاب عليهم سارياً إلى أن يقتلهم المسلمون فى المعركة الفاصلة إن شاء الله [...]، وما اجتمعوا (أى: اليهود) فى الأرض المقدسة فى هذه الأيام إلا ليُذبَحوا بأيدى المؤمنين إن شاء الله كما وعد بذلك رسول الله ﷺ حيث قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ..." الحديث أخرجه مسلم"[7092]!

<u>تعليقنا:</u> كل هذا العقاب لأن بعض اليهود اصطادوا بعض الأسماك يوم السبت؟! هل هذا معقول؟! ولماذا كل هذا الحقد والغل والكراهية فى قلوب المفسرين المسلمين؟! ولم نكن نتصور أن تصل الكراهية إلى درجة أن يشمت المسلمون فى اليهود لِما فعله هتلر بهم! يعنى هتلر "مبعوث" أو "رسول" مِن الله؟!

ونلاحظ أن هؤلاء المفسرين القدامى والمحدثين قد اعتبروا الجزية نوعاً مِن "سُوء الْعَذَابِ"، وهذا يرد على ماكينة البروباجاندا الإسلامية التي تزعم أن الجزية على أهل الكتاب تناظر الزكاة على المسلمين!

ونشكر الله أن هذه النبوة القرآنية قد فشلت، فمع أن الآية القرآنية تقول "إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، إلا أن اليهود اليوم لا يؤدون الجزية إلى العرب. بالعكس، الرجل الفلسطيني المسلم العربي هو الآن الذى يعمل كأجير عند الرجل الإسرائيلي اليهودي العبري. وهذا يكفى كدليل قاطع على أن (الأعراف 167) ليست كلام الله.

وإن قلتم إن المقصود بـ "سُوءَ الْعَذَابِ" (الأعراف 167) شيء آخر غير الجزية، فسنقول: هذا لا يهم. المهم هو أن القرآن يتوعد اليهودَ بـ "سُوءَ الْعَذَابِ" "إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (الأعراف 167)، أى إلى الأبد! وهذا لا يحدث الآن. إسرائيل الحديثة هي أكثر دولة ديمقراطية ومستقرة في الشرق الأوسط على الرغم من أنها تخوض حروباً منذ نشأتها (1948) حتى الآن (2025)، بل تكاد تكون إسرائيل الآن هي الدولة الوحيدة في

الشرق الأوسط التي استطاعت أن تحقق إلى حد كبير العلمانية والديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان والتعددية والاستقرار والتقدم. إذن: (الأعراف 167) ليست كلام الله.

ومِن المعلوم أن كلمة "الجزية" وردت فى القرآن مرة واحدة فقط: "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ (أى: المسيحيين واليهود) حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" (التوبة 29). وهى أيضاً آية مدنية، والعنف فيها أيضاً مُوجَّه إلى أهل الكتاب كلهم أو بعضهم، إلا أنه ليس عنفاً لفظياً فقط، وإنما يشمل الأمر بالقتال: "قَاتِلُوا"! وأسباب هذا القتال كلها أسباب دينية: "لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ" "وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ (أى: محمد)" "وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ (أى: الإسلام)". وكذلك فى الحديث الشهير الذى يقول محمدٌ فيه: "أُمِرت أن أقاتل الناس [...]"، نجد أن أهداف هذا القتال أهداف دينية: "أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءَهم وأموالَهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله"[7093]! إنها إذن حرب هجومية لأسباب دينية ومِن أجل أهداف دينية، وليست حرباً دفاعية كما تزعم ماكينة البروباجاندا الإسلامية.

إن (التوبة 29) تجعل الإسلام هو الديانة الوحيدة فى العالم التى تقاتل المسيحيين واليهود بنصوص دينية مقدسة! لا توجد ديانة أخرى فى العالم تقاتل المسيحيين – بنصوص دينية مقدسة – غير الإسلام! مع أن القرآن يعترف بأن المسيحيين يحبون المسلمين: "وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" (المائدة 82). فإذا كان الإسلام يقاتل أقرب الناس إليه "حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" (التوبة 29)، فما هو موقف الإسلام مِن اليهود والبوذيين والهندوسيين والملحدين ... الخ؟! نعتقد أن الإجابة واضحة.

ثم بعد ذلك نسمع مسلماً يقول إن الإسلام دين سلام! عن أي سلام يتحدثون؟!

الإرهاب الإسلامي كله ملة واحدة. لا فرق بين إخواني أو حمساوي أو طالباني أو داعشي أو وهابي. لا فرق بينهم سوى درجة تطبيقهم تعاليم الإسلام على أرض الواقع. لا فرق بين مَن يقتل ومَن يُدرّس النصوص الإسلامية التي تؤدي إلى القتل. الأول إرهابي باليد والثاني إرهابي باللسان. لا فرق بين مَن يقتل الإنسان ومَن ينتهك حقوق الإنسان. حقوق الإنسان صارت تعريفاً للإنسان وليست مجرد وَصْفاً أو امتيازاً، فلا فرق بين مَن ينتهك حقوق الإنسان ومَن يقتل الإنسان. كلاهما قريب جداً من الإسلام وبعيد جداً عن السلام (الله).

الأنبياء الكذبة (أي: غير الحقيقيين false prophets) يقولون "سَلاَمٌ!" وَلَيْسَ سَلاَمٌ (حزقيال 10:13)، ويقولون مرة أخرى "سَلاَمٌ، سَلاَمٌ". وَلاَ سَلاَمَ (إرميا 14:6)، ويقولون كثيراً "سَلاَمٌ، سَلاَمٌ". وَلاَ سَلاَمَ (إرميا 11:8). إذن: الأنبياء الكذبة "الْقَائِلُونَ: وَحْيُ الرَّبِّ (أى: الذين يزعمون أن الله أوحى لهم)،

وَالرَّبُّ لَمْ يُرْسِلْهُمْ" (حزقيال 6:13) يزعمون كثيراً أن رسالتهم رسالة سلام ورحمة للعالمين وخُلُق عَظِيم، لكنها في الواقع رسالة حرب وعنف وإرهاب وقتل، سواء قتل مادي عن طريق سفك الدماء أو قتل معنوي عن طريق السجن وتكميم الأفواه. فعلينا ألا ننخدع بهؤلاء الأنبياء الكذبة وأتباعهم. بل علينا أن نكشف هؤلاء الأنبياء الكذبة ونفضحهم أمام أتباعهم المخدوعين. "اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ (thornbushes) عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ (thistles) (نبات شائك) تِينًا؟ هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، لاَ تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلاَ شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً. كُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. فَإِذًا مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ" (متى 15:7-20) "لأَنَّهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا رَدِيًّا، وَلاَ شَجَرَةٍ رَدِيَّةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا. لأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا. فَإِنَّهُمْ لاَ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ تِينًا، وَلاَ يَقْطِفُونَ مِنَ الْعُلَّيْقِ (briers) (شجرة أو شجيرة شوكية) عِنَبًا" (لوقا 6:43-44).

"هُمْ رُسُلٌ كَذَبَةٌ، فَعَلَةٌ مَاكِرُونَ، مُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ إِلَى شِبْهِ رُسُلِ الْمَسِيحِ. وَلاَ عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ! فَلَيْسَ عَظِيمًا إِنْ كَانَ خُدَّامُهُ أَيْضًا يُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ كَخُدَّامٍ لِلْبِرِّ. الَّذِينَ نِهَايَتُهُمْ تَكُونُ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ" (2 كورنثوس 11:13-15).

وما زلنا نسمع مَن يتساءل: مِن أين يأتي الإرهابُ الإسلامي؟!

الإجابة: يأتي الإرهابُ الإسلامي مِن الثقافة الإسلامية-العربية التي تضم كتباً مثل كتاب القرآن العربي، لا سيما القرآن المدني وتفاسيره السائدة. إذن: إذا كنا جادين في مواجهة الإرهاب الإسلامي، فعلينا أن نقرأ القرآنَ قراءة نقدية. والخطوة الأولى في هذه المواجهة هي التأكيد على أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله. وهذا ما نثبته بالأدلة والبراهين.

ومِن حُسن الحظ أن الأدلة والبراهين على بشرية القرآن كثيرة جداً والحمد لله. ما نقوله مجرد أمثلة. إذن: المادة العلمية موجودة والحمد لله، وأدوات البحث العلمي والتفكير النقدي (critical thinking) موجودة والحمد لله. نستطيع بإذن الله وبعونه أن ننتصر في معركتنا الفكرية والثقافية ضد الإرهاب الإسلامي. لدينا القدرة، فهل لديكم الإرادة؟

4.40 مدخل لقصص سورة الكهف

مما لا شك فيه أن سورة الكهف واحدة مِن أهم سور القرآن. وتتميز هذه السورة بأنها تضم ثلاث قصص لم تُذكَر فى أى موضع آخر من القرآن ولم تُذكَر فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

القصة الأولى تتحدث عن الإيمان (faith)، وهى قصة "أصحاب الكهف" (الكهف 9-26). وأبطال هذه القصة هُمْ مجموعة من الفتية آتاهم اللهُ الإيمانَ والهُدى والثبات على الحق. ومع ذلك، لا يوجد أى دليل علمى يثبت أن هؤلاء الفتية شخصيات تاريخية حقيقية!

القصة الثانية تتحدث عن العِلم (knowledge)، وهى قصة "موسى والْخَضِر" (الكهف 60-82). وبطل هذه القصة هو الخَضِر الذى آتاه اللهُ العِلمَ والرحمة. ومع ذلك، لا يوجد أى دليل علمى يثبت أن الخَضِر شخصية تاريخية حقيقية!

القصة الثالثة تتحدث عن السُلطة (power)، وهى قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108). وبطل هذه القصة هو ذو القرنين الذى آتاه اللهُ المُلْكَ والتمكين فى الأرض ودعمه بكل الوسائل والأسباب. ومع ذلك، لا يوجد أى دليل علمى يثبت أن ذا القرنين شخصية تاريخية حقيقية!

أما جمهور المسلمين فيعتقدون أن هذه القصص الثلاث قصص تاريخية حقيقية، وأبطالها شخصيات حقيقية! وكالعادة، يقولون هذا الكلام المُرسَل بدون أى دليل مادى يثبت ذلك. وكالعادة أيضاً، يستخدمون هذه القصص القرآنية الثلاث كدليل على أن القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله!

لكن فى الواقع إنها مجرد أساطير شرقية قديمة تطورت بمرور الزمن تطوراً بشرياً طبيعياً إلى أن استقرت فى سورة الكهف التى تستحق أن تُسمَّى "سورة الأساطير الشرقية"، مما يدل على أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله ولا يمكن أن يكون كلام الله.

وهذا ما سنثبته فى الصفحات التالية ...

4.41 أَصْحَابُ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ وَكَلْبُهُمْ: حقيقة أم خيال؟

منذ عدة أعوام، ثار جدل حول قصة "أصحاب الكهف" (Companions of the Cave) المذكورة فى القرآن (الكهف 9-26) (مكية)[7094] والتى تُعرَف أيضاً باسم "النيام السبعة" (The Seven Sleepers) (Les Sept Dormants)[7095]. السؤال الأساسى الذي كان يدور حوله هذا الجدل هو: هل قصة "أصحاب الكهف" قصة تاريخية حقيقية أم مجرد قصة خيالية؟

قبل الإجابة على هذا السؤال، نقول إننا نرى أن هذه القصة القرآنية قد كُتِبَت على ثلاث مراحل[7096]:

المرحلة الأولى (الكهف 9-12): حكى الراوى القصةَ لكن بطريقة مختصرة وبدون أن يُوضِّح الهدف منها، فقال: "أَمْ حَسِبْتَ (يا محمد) أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا. إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ (أى: مِن عندك) رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا" (الكهف 9-12). إذن: ملخص القصة هو أن أصحاب الكهف هُمْ فتية مؤمنون لجأوا إلى كهف وطلبوا مِن الله الرحمةَ والهداية وتيسير أمورهم، فأنامهم اللهُ نوماً عميقاً سنين كثيرة فى الكهف، ثم أيقظهم اللهُ من غيبوبتهم، فحدث اختلافٌ بينهم (و/أو بين الناس) فى تحديد مدة نومهم.

المرحلة الثانية (الكهف 13-21): قام الراوى (ربما يكون شخص آخر غير رواى المرحلة الأولى) بشرح القصة وأعطاها سبباً وهدفاً واضحين:

- بدأ أولاً بالسبب الذى جعل الفتية يلجأون إلى الكهف، فقال: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (لو قلنا بغير التوحيد). هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا" (الكهف 13-16). أى أن أصحاب الكهف هُمْ فتية صدَّقوا بوحدانية ربهم وسط قوم مشركين، وثبَّت اللهُ قلوبَهم على الإيمان، فرفضوا علانيةً عبادة آلهة أخرى وصبروا على الشدائد والاضطهاد. فالسبب الذى جعل هؤلاء الفتية يلجأون إلى الكهف هو أنهم خشوا فتنة قومهم لهم فأرادوا أن يفروا بدينهم مِن الشرك والمشركين. ونلاحظ هنا أن الراوى لم يلتزم بنفس الكلمات المُستخدَمة فى المرحلة الأولى، فقال "يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ" (الكهف 16) بدلاً مِن "رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً" (الكهف 10)، وقال "وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا" (الكهف 16) بدلاً مِن "وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا" (الكهف 10).
- ثم أضاف الراوى معلومة لم تُذكَر فى المرحلة الأولى، وهى أن كلب الفتية كان يصاحبهم وكان ماداً ذراعيه "بِالْوَصِيدِ" – أى بفناء الكهف أو على بابه – كأنه يحرسهم أثناء فترة نومهم العميق فى الكهف: "وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ (أى: تميل) عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ

(أى: تتجاوزهم وتتركهم؛ تبتعد عنهم) ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ (أى: فتحة متسعة) مِنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا. وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا (قيل إن عيونهم كانت مفتوحة!) وَهُمْ رُقُودٌ (نائمون) وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا" (الكهف 17-18). لكن الراوى لم يذكر إذا كان الله قد أنام الكلبَ أيضاً أم أنام الفتية فقط، ولم يذكر مدة نوم الفتية فى الكهف ولم يقل "سِنِينَ عَدَدًا" (الكهف 11) كما قيل فى المرحلة الأولى!

- ثم تحدث الراوى عن استيقاظ الفتية مِن نومهم العميق وخروج أحدهم إلى المدينة ليشترى طعاماً: "وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ (يعنى: الله أعلم!) بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا" (الكهف 19). أى أنهم استيقظوا على الحالة التى ناموا عليها، فظنوا أنهم لبثوا فى الكهف مدة قصيرة وأن قومهم المشركين ما زالوا فى المدينة. ولذلك يجب الحذر مِن قومِهم: "وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا. إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ (أي: يقتلوكم رمياً بالحجارة؛ وقيل: يطردوكم[7097]) أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا" (الكهف 19-20).
- ثم ختم الراوى القصةَ بمعلومة أخرى لم تُذكَر فى المرحلة الأولى وهى أن أهل هذه المدينة ذهبوا إلى الكهف وعثروا على الفتية وعرفوا قصتهم؛ وهنا أعطى الرواى هدفاً واضحاً لهذه القصة، فقال: "وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا" (الكهف 21)، أى ليعلم أهل هذه المدينة أن وعد الله بالبعث وإحياء الموتى حق وأن القيامة آتية لا شك فيها. ويُفهَم مِن هذا السياق أن الفتية ماتوا، فقال أصحاب الكلمة والنفوذ فى القوم: لنتخذن على مكان هؤلاء الفتية مسجداً للعبادة: "قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا" (الكهف 21). [سؤال: وماذا حدث للكلب؟ هل قام هو أيضاً؟ هل هو "كلب" (dog) فعلاً أم كائن آخر؟ اختلف المفسرون فى أمر هذا "الكلب"، ومِنهم مَن قال إنه نام وقام مثل الفتية، وقيل إنه كان يتقلب ذات اليمين وذات الشمال مثلهم! تعليقنا: لم يقل القرآن شيئاً مِن ذلك، وسوف نعود لهذه النقطة بعد قليل.]

وبذلك تنتهى أحداث قصة أصحاب الكهف. إلا أن القرآن يستمر فى الحديث عنهم ...!

المرحلة الثالثة (الكهف 22-26): يبدو أن قصة أصحاب الكهف قد أثارت جدلاً بين المسلمين وغيرهم. لذلك نهى أصحابُ القرآن عن الخوض فى تفاصيل القصة أكثر من ذلك ووجَّهوا الخطاب لمحمد (وبالتالى لكل مسلم[7098]) قائلين: "سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ (أي: كلمة تخمين أو ظن تم قذفها من الفم من غير دليل) وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ (أى: لا تجادل) فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا (أى: سهلاً هيناً ليناً) وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا. وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي

لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا. وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا. قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا" (الكهف 22-26).

بهذه الكلمات الحاسمة الصارمة، أراد أصحاب القرآن أن "يغلقوا باب الاجتهاد" فى وجه كل مَن يخوض فى تفاصيل قصة أصحاب الكهف!

ولذلك أعلن بعض المفسرين المسلمين عجزهم وفشلهم التام فى تحديد تفاصيل هذه القصة القرآنية. قال د. صلاح الخالدى: "لا نعرف شيئاً عن أسمائهم (أى: أسماء الفتية) أو أعمالهم، أو المدينة التى كانوا فيها، أو الملك الذى كانوا فى عهده، أو الدين الذى كانوا عليه، أو الكهف الذى أووا إليه"[7099]!

4.41.1 غموض القرآن الذى أدى إلى حيرة المفسرين والمترجمين

إن عدم الخوض فى تفاصيل القصة هو المشكلة. فَلِكَيْ نتحقق من تاريخية قصة أصحاب الكهف (أو أى قصة) علينا أن نعرف على الأقل الزمان والمكان وأسماء الأشخاص. لكن للأسف وكالعادة، لم يذكر أصحابُ القرآن هذه المعلومات الهامة. وحتى عندما ذكروا معلومات أخرى مثل "فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ" (الكهف 19) لم يذكروا اسم هذه المدينة!، مما أدى – كالعادة – إلى حيرة المفسرين وتخبطهم، فمِنهم مَن قال إنها مدينة "أفسوس"؛ ومِنهم مَن قال إنها مدينة "طَرَسُوس"؛ ومنهم مَن حاول أن يُوفق بين هذين الرأيين فقال بذكاء يُحسَد عليه إن المدينة كَانَ اِسْمهَا فِي الْجَاهِلِيَّة أُفْسُوس، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَام سَمَّوْهَا طَرَسُوس! والحق هو أن مدينة أفسوس (Ephesus) تقع فى غرب آسيا الصغرى، أما طرسوس (Tarsus) – التى جاء منها بولس الرسول – فهى مدينة أخرى فى جنوب آسيا الصغرى.

هذا عن المدينة، فماذا عن أصحاب الكهف أنفسهم؟ عندما تحدث القرآنُ عنهم قال: "سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ" (الكهف 22)، دون أن يذكر لنا بعد كل هذا أسماءَهم أو حتى عددهم!

الخلاصة: إذا اعتمدنا فقط على المعلومات الواردة فى القرآن عن قصة أصحاب الكهف، فلا يمكن أبداً أن نتحقق مِن تاريخية هذه القصة؛ ولذلك فإنه من الطبيعى أن يُثار الجدلُ حولها إلى اليوم!

وكما اختلف المفسرون فى تفاصيل قصة أصحاب الكهف، كذلك اختلفوا أيضاً فى معانى الكلمات! لا سيما الكلمات المُستخدَمة فى المرحلة الأولى مثل "الرَّقِيم" (الكهف 9) التى حيَّرت المفسرين[7100] لدرجة أنه رُوِى عن ابن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن أنه قال: "كُلّ الْقُرْآن أَعْلَمهُ إِلَّا حَنَانًا، وَالْأَوَّاه، وَالرَّقِيم"[7101]! قيل إن "الرَّقِيم" هو اسم وادى أو قرية أو مدينة بالقرب من الكهف؛ وقيل إنه اسم الجبل الذى كان فيه الكهف؛ وقيل إنه الكلب الذى كان مع الفتية!؛ بل قيل إن "أصحاب الرقيم" هُمْ فتية آخرون جرى لهم ما جرى لـ "أصحاب الكهف"! وقيل إن "الرَّقِيم" كلمة يونانية (إغريقية) الأصل تعني "شق" (crevasse) أو "فتحة"

(gouffre) أو "تصدع" (déchirure) في الأرض[7102]؛ وإنْ صح ذلك، فإنه يتفق مع قول القرآن "وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ (أى: فتحة متسعة) مِنْهُ" (الكهف 17) وقد يعني أن الكهف كان رأسياً (vertical cave; shaft cave) تحت الأرض مثل القبر أو البئر (pit cave) أو على الأقل: الجزء الذي كان الفتيةُ فيه كان رأسياً أو منحدراً إلى أسفل تحت مستوى سطح الأرض. وبغض النظر عن مدى صحة هذا الرأي فإنه يساعدنا على فَهْم كيف استطاع هؤلاء الفتية أن يختبأوا في الكهف (البئر؛ القبر) مدة طويلة جداً بدون أن يكتشفهم أحدٌ.

لكن الرأى السائد فى المراجع الإسلامية هو أن "الرَّقِيم" لَوْح أَوْ حَجَر أَوْ نحوه رُقِم عليه (أى: نُقِشَ عليه؛ كُتِبَ فِيهِ) أَسْمَاءُ الفتية وقصتُهم ووُضِع على باب الْكَهْف؛ فيكون "الرَّقِيم" بمعنى "المرقوم" أى "المكتوب"، واستدلوا على ذلك بقول القرآن فى (المطففين 9) و (المطففين 20): "كِتَابٌ مَرْقُومٌ" أى: مكتوب، مسطور، لا يُزاد فيه ولا يُنقَص منه. ولذلك فإن "الرَّقِيم" (الكهف 9) يُترجَم عادةً إلى (Inscription)[7103] أو (tablette)[7104]. لكن ترجمات أخرى تتعامل مع "الرَّقِيم" باعتباره اسم عَلَم فلا تترجمه بل تكتبه بحروف أجنبية (al-Raqim) (Ar-Raqīm) وأحياناً تذكر فى الهوامش معانيه المختلفة التى ذكرناها[7105]، مما يدل على أن حيرة المفسرين القدامى قد أدت إلى حيرة المترجمين المحدثين.

إذا أضفنا إلى كل ما سبق أن أحداث قصة "أصحاب الكهف" القرآنية أقرب إلى الخيال، خاصةً فيما يتعلق ببقاء الفتية فى الكهف "ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا" (الكهف 25)، فليس أمامنا سوى أن نقول إن هذه القصة ليست قصة حقيقية، وإنما هى مجرد قصة أدبية خيالية تهدف إلى التأكيد على أمور دينية، مثل: الإيمان بالإله الواحد، ونبذ الشرك، وتَرْك عبادة الأصنام، والثقة بالله أثناء الشدائد والاضطهاد، والإقرار بالبعث والقيامة. وهى كلها عقائد هامة ركَّز عليها المسلمون الأوائل فى مكة تركيزاً شديداً فى آيات مكية كثيرة مثل (الإسراء 49) (الكهف 48) (الأنبياء 104) وغيرها، فأراد أصحاب القرآن أن يصيغوا هذه الأمور الدينية الهامة فى صورة قصة قصيرة شيقة حتى يتناقلها الناسُ (لا سيما "الْفِتْيَةُ" الشباب) بسهولة، فتنتشر هذه العقائد الدينية مع انتشار القصة بين أغلبية المسلمين الأوائل، وَهُمْ الشباب. قال ابن كثير: "كَانَ أَكْثَر الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ شَبَابًا. وَأَمَّا الْمَشَايِخ مِنْ قُرَيْش، فَعَامَّتهمْ بَقُوا عَلَى دِينهمْ، وَلَمْ يُسْلِم مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيل"[7106].

وتهدف قصة "أصحاب الكهف" (الكهف 9-26) (مكية) أيضاً إلى هدف سياسى هام، وهو تشجيع المسلمين الأوائل على الهجرة مِن مكة، أو كما قال القرطبى تعليقاً على (الكهف 10): "هَذِهِ الْآيَة صَرِيحَة فِي الْفِرَار بِالدِّينِ وَهِجْرَة الْأَهْل وَالْبَنِينَ وَالْقَرَابَات وَالْأَصْدِقَاء وَالْأَوْطَان وَالْأَمْوَال خَوْف الْفِتْنَة وَمَا يَلْقَاهُ الْإِنْسَانُ مِنْ الْمِحْنَة. وَقَدْ خَرَجَ النَّبِيّ ﷺ فَارًّا بِدِينِهِ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابه، [...]. وَهَجَرُوا أَوْطَانهمْ وَتَرَكُوا أَرْضهمْ وَدِيَارهمْ وَأَهَالِيهمْ وَأَوْلَادهمْ وَقَرَابَاتهمْ وَإِخْوَانهمْ، رَجَاء السَّلَامَة بِالدِّينِ وَالنَّجَاة مِنْ فِتْنَة الْكَافِرِينَ"[7107].

إذن: كما كُتِبت قصة "خروج بنى إسرائيل مِن مصر" فى التوراة وفى القرآن لأغراض سياسية، كذلك كُتِبت قصة "أصحاب الكهف" فى القرآن لأغراض سياسية أيضاً. وكما نقول دائماً: إن القرآن مُنتَج ثقافي

(cultural artifact) دينى-سياسى يعبر عن طموحات وآمال وتطلعات وتوجهات مَن كتبوه فى الزمان والمكان الذى كُتِب فيه.

وفى جميع الأحوال، فإن كل الأدلة تؤكد أن قصة أصحاب الكهف لا يقبلها العقل ولا يمكن تصديقها.

يقول د. إبراهيم عافية تعليقاً على قصة أصحاب الكهف: "لولا ورود هذه القصة الكريمة فى القرآن الكريم ما قبلها العقل أو صدق بها"[7108].

تعليقنا: إن هذه الجملة تُلخِّص محنة الإنسان المسلم المعاصر. إنه يعترف بأن قصة "أصحاب الكهف" لا يقبلها العقل ولا يصدقها، لكنه مضطر أن يلغى عقله ويصدق هذه القصة لمجرد أنها موجودة فى القرآن! أى أنه يفترض مِن البداية صحة القرآن؛ وهذا خطأ علمى ومنهجى فادح. يفترض مِن البداية أن القرآن كلام الله، على الرغم مِن أن كل الأدلة تؤكد أن القرآن كلام بشر. نعم، إن كل الأدلة تصل بنا دائماً إلى نفس النتيجة: القرآن كلام العرب، وهو مجرد تطور بشرى طبيعى لتراث الشرق القديم. وسنثبت فيما يلى الجذور السريانية والجذور الإغريقية (اليونانية) لقصة أصحاب الكهف.

4.41.2 الجذور المسيحية السريانية لقصة أصحاب الكهف

نعم، يجب أن نؤكد على أن قصة أصحاب الكهف التى صاغها أصحابُ القرآن ليست قصة جديدة، فلقد كانت معروفة فى بلاد العرب والسريان **قبل** ظهور الإسلام: سبب القصة معروف وليس جديداً، أحداث القصة معروفة وليست جديدة، هدف القصة معروف وليس جديداً[7109].

والدليل مِن المراجع الإسلامية على أن سكان شبه الجزيرة العربية المعاصرين لرسول الإسلام كانوا قد سمعوا عن قصة أصحاب الكهف هو أنهم سألوا محمداً عنها امتحاناً واختباراً مِنهم له. المثير للدهشة هو أن محمد تأخر فى الرد عليهم لمدة 15 يوماً! حاول أصحابُ القرآن أن يبرروا هذا التأخير فقالوا: "وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ" (الكهف 23-24)، أى أن محمداً قال لِمَن سألوه "سأُجِيبكُمْ غَدًا" ولم يقل "إن شاء الله"! وهذا طبعاً تبرير ضعيف جداً. ونحن نرى أن 15 يوماً فترة كافية جداً لكى يعرف أصحاب القرآن هذه القصة الدينية/الشعبية مِن أهل الكتاب (العرب و/أو السريان). والمضحك هو أنه حتى بعد هذه المدة الطويلة، لم يستطع أصحابُ القرآن أن يحددوا زمان القصة ولا مكانها ولا أسماء الفتية ولا حتى عددهم! أو ربما لم يهتموا بذِكر هذه التفاصيل، لأنها كانت معروفة ومشهورة، وإنْ أثير حولها جدل وخلاف كما سنرى بعد قليل.

وما يؤكد معرفة أهل الكتاب (لا سيما المسيحيين) بقصة أصحاب الكهف هو أنها مذكورة فى تراث الكنائس الشرقية والغربية. فلقد قام الأسقف السريانى "يعقوب السروجى" (جيمس الساروغى) (Jacob of Serugh) (حياته: حوالى 451-521م) أسقف سروج بشمال العراق فى أواخر القرن الخامس أو أوائل

القرن السادس الميلادى بكتابة "ميمر" (mêmrâ) – أى مقال أو قصيدة وعظية تُقرَأ ولا تُنشَد (homily) – تَذكُر قصة أصحاب الكهف. وتوجد روايتان (two recensions) لهذا الميمر الذى كتبه يعقوب السروجى. وتوجد قصتان سريانيتان أخريتان لـ "أصحاب الكهف" وكلتاهما قبل الإسلام، كما نجد قصة "أصحاب الكهف" عند الواعظ النسطورى "باباى الكبير" (Babai the Great) (551-628م) الذي كان محمدٌ معاصراً له[7110]. وتوجد روايات أخرى مختلفة لهذه القصة الشهيرة. ومِن الجدير بالذكر أن حاشية ترجمة "عبد الله يوسف علي" لمعاني القرآن قد قالت عن قصة أصحاب الكهف إنها قصة شعبية شائعة (popular) انتشرت انتشاراً شفوياً، واختلفت رواياتها فى التفاصيل، إلى أن كتبها – أو بالأحرى: جمعها – كاتب سريانى فى القرن السادس الميلادى[7111]. وطبعاً هذا الكاتب المسيحى السريانى هو يعقوب السروجى. ولقد اعترفت بذلك إحدى ترجمات القرآن إلى اللغة الفرنسية[7112]. وأضافت فى نفس الصفحة أن "غريغورى" أسقف مدينة تور فى فرنسا (Gregory of Tours) (Grégoire de Tours) قد ترجم قصة أصحاب الكهف (إلى اللغة اللاتينية) فى أواخر القرن السادس الميلادى – أى قبل ظهور الإسلام أيضاً[7113]. وبذلك انتقلت قصة أصحاب الكهف مِن المسيحيين الشرقيين إلى المسيحيين الغربيين وانتشرت فى جميع أنحاء العالم المسيحى.

وهذا كله يدل على انتشار قصة أصحاب الكهف انتشاراً واسعاً **قبل** ظهور الإسلام. ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عنها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مِن أهل الكتاب. قال د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر) إن محمد "قد سمع بهذه القصة من أفواه بعض المشركين الذين التقوا بأحبار اليهود ورهبان النصارى"[7114]. وقال د. إبراهيم عافية إن "قصة أصحاب الكهف قد حدثت فى فجر النصرانية، وهى قصة تمثل الاستشهاد والتضحية فى سبيل الدين؛ لذا كانت هذه القصة منتشرة بين أهل الكتاب انتشاراً واسعاً، [...]، ومنهم ذهبت إلى العرب، وقد يكون انتقالها إلى العرب كان بعد سؤال المشركين عنها، والله أعلم"[7115]. ونحن نقول له إن انتقالها إلى العرب كان **قبل** سؤال المشركين عنها، بدليل أن أصحاب القرآن أنفسهم قد اعترفوا أن القصة كانت معروفة لديهم، فلقد قالوا: "سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا" (الكهف 22). إذن: كانت قصة أصحاب الكهف معروفة ومنتشرة بين الناس **قبل** الإسلام، لكن الجدل كان حول تفاصيلها الدقيقة (مثل عدد الفتية). وللأسف لم يحدد القرآنُ هذه التفاصيل، وبالتالى لم يحسم هذا الجدل.

لمعرفة المزيد من المعلومات عن كيف انتشرت قصة "أصحاب الكهف" فى منطقة الشرق الأدنى القديم، يمكن الرجوع إلى المرجع (|كهف|) الذى يؤيد أن القصة حقيقية ويُقدِّمها حسب عدة مصادر دينية مختلفة: سريانية وكاثوليكية وقبطية وأخيراً إسلامية. والواقع أن القصص السابقة للإسلام متشابهة إلى حد كبير (وهذا فى حد ذاته دليل آخر على شيوع القصة فى منطقة الشرق الأوسط قبل ظهور الإسلام)، ولذا

فسوف نكتفى هنا بتلخيص أهم ما جاء فى قصة "أصحاب الكهف" السريانية[7116] وسنوضِّح التطور البشرى الطبيعى فى قصة "أصحاب الكهف" القرآنية بعلامة ← بين القوسين **[]**.

تبدأ أحداث القصة السريانية لأصحاب الكهف فى مدينة "أفسس" (Ephesus) بغرب آسيا الصغرى (تركيا حالياً) فى منتصف القرن الثالث الميلادى أثناء فترة حكم الإمبراطور الرومانى "داقيوس" (دِسيوس) (Decius) (249-251م) الذى كان وثنياً وكان يضطهد المسيحيين ويُعذبهم ويقتلهم. حاول داقيوس بالترغيب والترهيب إقناع ثمانية فتية مسيحيين أن ينكروا إيمانهم المسيحى وأن يُقدِّموا الذبائح أو البخور للأوثان. ملحوظة: الكلمة السريانية التى استخدمها الميمر الذى كتبه يعقوب السروجى لوصف هؤلاء الفتية هى: (ṭlāyê) (طلائع؟)، وقالت الرواية الأولى للميمر إن واحد منهم كان عمره 12 سنة، وقالت الرواية الثانية إن عمره كان 15 سنة. ومن ثم وصفتهم القصة القرآنية بكلمة "فتية" (الكهف 10، 13) جمع "فتى" وهو "وصف للإنسان عندما يكون فى مطلع شبابه"[7117]. أما فيما يتعلق بعدد الفتية: فى الميمر الذى كتبه يعقوب السروجى، كان عددهم ثمانية. لكن فى قصة سريانية أخرى، كان عددهم سبعة[7118]. بل إننا أحياناً نجد العددين سبعة وثمانية فى نفس النَص! مما يدل على أنه قبل ظهور الإسلام كان يوجد خلاف حول عدد الفتية **[← "سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ [...] وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ [...] وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ" (الكهف 22)]**. وكالعادة، لم يذكر القرآنُ عددَ الفتية. إلا أن فريقاً مِن المفسرين قال إنَّ عددهم سبعة؛ واستدلوا على ذلك بأن القرآن أبطل الرأيين الأولين "سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ [...] وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ" بقوله بعدهما مباشرةً "رَجْمًا بِالْغَيْبِ" (الكهف 22) وسكت عن الرأى الثالث "وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ". لكن فى المقابل، قال فريقٌ آخر مِن المفسرين إن القرآن لم يسكت عن الرأى الثالث، وإنما قال بعده مباشرةً: "قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا" (الكهف 22). إذن: لم يحسم القرآنُ هذا الخلاف. وإنْ كان الرأى السائد فى الكتب المسيحية والإسلامية إن الفتية كانوا سبعة. ولذلك فإن قصة "أصحاب الكهف" تُعرَف أحياناً باسم "النيام السبعة" (The Seven Sleepers).

رفض الفتيةُ عبادةَ الأوثان وتمسكوا بدينهم المسيحى وإيمانهم بالمسيح تمسكاً قوياً **[← "إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" (الكهف 13-15)]**. أعطاهم داقيوس مهلة لكى ينفذوا أوامره، ثم ترك أفسس على أن يعود إليها مرة أخرى حتى يستمر في اضطهاد المسيحيين.

أوى الفتيةُ إلى كهف فى جبل فى ضواحى أفسس، وسجدوا وتضرعوا إلى الرب لكى يحميهم **[← "إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا" (الكهف 10) "وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا" (الكهف 16)]**. استجاب الله لهؤلاء الفتية المؤمنين فقبض أرواحهم ورفعها إلى السماء، فرقد الفتية بهدوء

رقاد الموت فى الكهف [⟵ "فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ" (الكهف 11) "وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ" (الكهف 18)]. ثم أرسل الله "رقيباً" أو "ساهراً" (watcher) – المقصود: "مَلاكاً" (angel)[7119] – ليحرس أجساد الفتية [⟵ "وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ (كحارس guard)" (الكهف 18)].

وهنا نسأل سؤالاً: لماذا اختار أصحابُ القرآن كلمة "كلب" للتعبير عن هذا الملاك الحارس؟ الإجابة: لأنهم وقعوا تحت تأثير الأساليب الأدبية البلاغية التى استخدمتها القصة السريانية. فلقد عبَّرت القصة السريانية عن الفتية بكلمة "الخراف" (lambs)، وعبَّرت عن داقيوس بكلمة "الذئب" (wolf)، وعبَّرت عن الله بكلمة "الراعى الصالح" (Good Shepherd). فكان مِن الطبيعى أن يستخدم أصحاب القرآن كلمة "كلب" للتعبير عن الملاك الحارس. فكما أن الكلب (sheepdog) هو الذى يحرس الخراف من الذئب، كذلك فإن الملاك هو الذى يحرس الفتية من داقيوس. كل هذا يوضح إلى أى مدى تأثر أصحاب القرآن بالقصة السريانية[7120]. ولعل القصة السريانية تحل لغز هذا "الكلب" الذى حيَّر المفسرين المسلمين الذين اختلفوا فى أمره. طبعاً رأى الجمهور أنه كلب (dog) فعلاً، لكن قيلت آراء أخرى مثل: قيل إن هذا "الكلب" "رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاء كَالدَّاعِي فَأَنْطَقَهُ اللَّه"[7121]!، وقيل إنه "كَانَ إِنْسَانًا مِنْ النَّاس طَبَّاخًا لَهُمْ تَبِعَهُمْ"[7122]!، "ورُوِىَ عن ابن جريج: أنه كان أسد أو سُمِّى الأسد كلباً"[7123]! ونحن نقول للمفسرين: لم يكن كلباً ينبح ولا كلباً ينطق ولا إنساناً ولا أسداً، وإنما كان ملاكاً يسهر لحراسة الفتية. وخير دليل قرآنى على ذلك هو أن أصحاب القرآن لم يذكروا إذا كان هذا "الكلب" قد نام وقام مثل الفتية، أو إذا كان يأكل ويشرب طوال المدة التى لبثها الفتية فى الكهف. فلأنه ملاك فهو لا ينام ولا يقوم ولا يأكل ولا يشرب ولا يموت ولا يُبعَث. ومِن الجدير بالذِكر أن "كَلْبُهُمْ" (الكهف 18) قد قرئت "كالِئُهُم" أى حافظهم[7124]، ووجدنا فى مرجع إسلامى رأياً يقول إن هذا الكلب "ليس كلباً حقيقياً على صورته التى نعلمها" وإنما هو "كبيرهم ودليلهم وسيدهم الذى يأخذ على أيديهم [...] ويرشدهم، ويقوى أمر دينهم داخل نفوسهم"[7125]، وقيل إنه قال للفتية: "ما تريدون منى؟ لا تخشوا جانبى. أنا أحب أولياء الله، فناموا حتى أحرسكم"[7126]. وهذه هى المعانى الأقرب للملاك (angel) الحارس المذكور فى القصة السريانية الأصلية.

نعود إلى قصة "أصحاب الكهف" السريانية: عاد داقيوس إلى أفسس، ولمَّا علم أن الفتية قد هربوا إلى هذا الكهف، أمر بأن يُغلَق باب الكهف عليهم بالحجارة حتى يصير الكهف قبراً لهم.

كان لداقيوس خادمان مسيحيان، لكنهما أخفيا إيمانهما بالمسيح خوفاً من بطش داقيوس. اجتمع هذان الخادمان وقررا كتابة أسماء هؤلاء الفتية وملخص قصتهم على لوحين [⟵ "الرَّقِيم" (الكهف 9)]، ثم وضعا هذين اللوحين عند مدخل الكهف. <u>ملحوظة:</u> يوجد رأى آخر يخص الرقيم. يقول هذا الرأى إن "الرقيب" (بالباء) – أى الملاك الذى ذكرناه آنفاً – قد تطور لغوياً فصار "الرَّقِيم" (بالميم)[7127]. ونحن نرى أنه سواء كان "الرقيم" يعنى النقش على اللوح عند مدخل الكهف أو الملاك الرقيب الحارس على باب الكهف، فإن النتيجة فى كلتا الحالتين واحدة: "رقيم" القرآن هو مجرد تطور بشرى طبيعى لما قاله السريان.

ثم مات داقيوس عام 251م. ومرت بعد ذلك سنوات طويلة تحولت فيها المسيحية تدريجياً من ديانة مُضطهَدة إلى ديانة مُعترَف بها إلى أن أصبحت هى الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية فى القرن الرابع بعد الميلاد(7128).

لكن في القرن الخامس الميلادى أثناء فترة حكم الإمبراطور المسيحى "ثيؤدوسيوس الثانى (الصغير)" (Theodosius II) (عهده: 408 – 450م)، ظهرت عدة تيارات فكرية وهرطقات دينية، وكان مِن بينهم مَن أنكروا قيامة الأجساد مِن الأموات. فطلب الإمبراطور من الرب أن يُظهِر عقيدة القيامة لكل الناس.

فى هذه الفترة (نحو 447م)، تم اكتشاف الكهف بالصدفة وعندما فُتِح باب الكهف، بعث الربُ الفتيةَ الراقدين أحياءً، فعادت أرواحهم إلى أجسادهم وقاموا مِن الأموات **[← "ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ" (الكهف 12)]**. قام الفتية مِن رقادهم فوجدوا أنفسهم وهيئتهم وملابسهم كما هى لم تتغير، فظنوا أنهم كانوا نياماً لمدة ليلة ثم استيقظوا فى الصباح **[← "وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ" (الكهف 19)]**. تشاور الفتية فيما بينهم وقرروا أن يرسلوا أحدَهم إلى المدينة (أفسس) لكى يشترى لهم طعاماً **[← "فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ" (الكهف 19)]**. بالفعل، خرج أحد الفتية – اسمه "يمليخا" (Yamlîkâ) – وذهب إلى أفسس ومعه عملات فضية ليشترى الطعام. اندهش يمليخا لِمَا رآه فى أفسس فلقد تغيرت المدينة تماماً: الصلبان منحوتة فوق البوابات! وهذا كان مستحيلاً أيام داقيوس. وعندما أراد يمليخا أن يشترى طعاماً بالعملات التى كانت معه، اندهش البائع، فعملات القرن الثالث التى مع يمليخا يختلف شكلها وحجمها عن العملات المتداولة فى القرن الخامس. تجمع الناس حول يمليخا وظنوا أنه وجد كنزاً من العملات الأثرية، ثم أخذوا يمليخا إلى أسقف أفسس، وكان يزوره وقتئذ والى أفسس. دعاهم يمليخا أن يذهبوا معه إلى الكهف حتى يعرفوا القصة كلها. فلمَّا وصلوا إلى الكهف، قرأ الأسقفُ ما كان مكتوباً على اللوحين، فعرف الناسُ أسماءَ الفتية وقصتهم.

وصل نبأ الفتية إلى الإمبراطور ثيؤدسيوس الصغير، ففرح وشكر الرب، ثم ذهب إلى الكهف وتحدث مع الفتية. فَفَهِم الإمبراطور أن الرب قد بعث هؤلاء الفتية أحياء حتى يعطى دليلاً عملياً يثبت عقيدة القيامة مِن الأموات **[← "وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ (بالبعث وإحياء الموتى) حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ (أى: القيامة) لَا رَيْبَ فِيهَا" (الكهف 21)]**.

ثم مات الفتيةُ، فأراد الإمبراطور أن يصنع لهم توابيت مِن ذهب - وفى رواية أخرى أراد أن يبنى "هيكلاً" (بالسريانية: haykla̅) فوق أجسادهم - إلا أن الفتية ظهروا له ليلاً فى رؤية ورفضوا ذلك وفضَّلوا أن يظلوا فى الكهف **[← "إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا" (الكهف 21)]**. ورُوِىَ أن الإمبراطور قد بنى "كنيسة" أو "بيت صلاة" (بالسريانية: bayt ṣlūtâ)(7129) عند الكهف تخليداً لذكرى الفتية بعد موتهم(7130) **[← "قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ (أى: الحكام؛ السلطة التنفيذية) لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا" (الكهف 21)]**.

ويوجد الآن موقع فى مدينة أفسس يعتقد المسيحيون المؤمنون بهذه القصة أنه موقع هذا الكهف! ومِن الطريف أنه يوجد موقع آخر نواحى الأردن/فلسطين يعتقد المسلمون المؤمنون بهذه القصة أنه موقع هذا الكهف! تقول موسوعة بيان الإسلام: "وقد أشار د. عبد الله العمرانى فى مقال له بعنوان "النيام السبعة وأهل الكهف" إلى أن دائرة الآثار الأردنية قد اكتشفت فى عام 1962 موقع كهف أهل الرقيم فى قرية أردنية تسمى الرميم على بعد سبع كيلو مترات جنوب العاصمة الأردنية عمان؛ إذ تم العثور داخل الكهف على نقوش وحلي ونقود بيزنطية تعود للقرن الثالث الميلادى [...]. كما تم العثور على سبع جماجم بشرية فى سبعة قبور بداخل الكهف، وعلى جمجمة كلب، وتم العثور أيضاً على أعمدة المسجد الذى أقيم فوق الكهف [...]"[7131]!

تعليقنا: يوجد كتاب وباحثون مسلمون آخرون يرفضون أن يكون كهف الأردن هو كهف أصحاب الكهف[7132]. ونحن أيضاً نشك فى هذا الاكتشاف المزعوم، ولا نعتقد أنه نُشِر فى بحث علمى دولى محترم. وحتى لو افترضنا أنه صحيح، فَمَا الدليل على أن هؤلاء الفتية السبعة قد ناموا "ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا" ثم استيقظوا؟! أغلب الظن أنهم قد خرجوا من قريتهم ربما بسبب الاضطهاد أو لأى سبب آخر، ثم ماتوا فى الكهف. ولمَّا غابوا عن قريتهم لفترة طويلة، ولم يعرف أقاربهم ماذا حدث لهم، نسج الناسُ حولهم هذه الأسطورة التى تقول إنهم ماتوا (أو: ناموا نوماً عميقاً) ثم قاموا بعد سنوات طويلة ... الخ. وبمرور الزمن، تطورت هذه الأسطورة تطوراً بشرياً طبيعياً إلى أن وُضِعَت فى كتاب "القرآن" العربى. وخير دليل على أن قصة أصحاب الكهف هى مجرد أسطورة هو أنه حتى الآن لم يستطع أحد تحديد موقع هذا الكهف المزعوم على وجه اليقين[7133]، وإنما كل ما قيل فى هذا الشأن هو مجرد تكهنات وتخمينات بلا أى سند تاريخى أو أثرى.

ونحن نقول للمسلمين والمسيحيين المؤمنين بقصة "أصحاب الكهف": إذا كانت هذه القصة حقيقية كما تدعون، فلماذا لا تتكرر اليوم حتى يثبت اللهُ عقيدةَ البعث والقيامة للملحدين ولمَن ينكرون وجود الروح وَهُمْ كثيرون جداً فى القرن الحادى والعشرين؟! ونشكر الله أنه يوجد مسيحيون – مثل الدكتور "رأفت عماري" (رحمه الله) – رفضوا قصة أصحاب الكهف واعتبروها "خرافة"[7134]. وقال الباحث المغربى "محمد المسيَّح" (الخبير فى مخطوطات القرآن) إنها قصة "رمزية" "غير حقيقية"[7135]. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن موسوعة (Encyclopædia Britannica) قد وصفت هذه القصة بأنها "legend" وبأنها "a pious romance of Christian apologetics"، مما يدل على أنها ليست قصة حقيقية تاريخية. وحتى لو افترضنا جدلاً أن قصة "أصحاب الكهف" قصة حقيقية، فإن كل الأدلة التى أمامنا تؤكد أن العرب قد عرفوها مِن السريان، وكل ما فعله العرب هو أنهم أعادوا انتاج (reproduced) هذه القصة المعروفة بأسلوب عربى/إسلامى حتى تصلح لأن تُوضَع فى كتابهم العربى المُسمَّى "القرآن".

والدليل على ذلك هو التشابه – بل التطابق – بين أسطورة "أصحاب الكهف" القرآنية وأسطورة "أصحاب الكهف" السريانية، مما يؤكد تأثر أصحاب القرآن بالتراث المسيحى السريانى. كل ما فعله أصحاب

القرآن هو أنهم كالعادة أدخلوا على هذه الأسطورة المتوارثة بعض التغييرات بالحذف و/أو الإضافة. والهدف مِن هذه التغييرات – لا سيما فى المرحلة الثانية (الكهف 13-21) – هو أن يجعلوا القصة تلائم الإسلام بصفة عامة وتلائم الواقع الذى يعيشه المسلمون الأوائل فى مكة بصفة خاصة. على سبيل المثال:

- المثال الأول: تقول القصة المسيحية السريانية إن يمليخا وجد الصليب منحوتاً على بوابات أفسس. طبعاً حذف أصحابُ القرآن ذِكرَ الصليب.
- المثال الثانى: تقول إحدى روايات القصة المسيحية السريانية إن الفتية قالوا لداقيوس وأعوانه: "رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ ... مَلِكُنا هو الآب والابن والروح القدس". طبعاً لم يمكن ممكناً أن يذكر أصحابُ القرآن ثالوثَ "الآب والابن والروح القدس"، فكان لا بد من تغيير هذه الجملة لتصبح فى القصة القرآنية: "إِذْ قَامُوا (أمام المَلِك الكافر) فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (أى: توحيد الربوبية) لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا (أى: توحيد الألوهية)" (الكهف 14). إنها إذن عملية "أسلمة" للقصة المسيحية السريانية[7136]. والدليل القرآنى على ذلك هو العبارة التالية: "لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا" (الكهف 14)؛ أى: لو قلنا بغير التوحيد لكُنَّا قد قلنا قولاً جائراً بعيداً عن الحق والصواب. وهى تقريباً نفس العبارة التى وضعها أصحابُ القرآن على لسان الجن المؤمن: "لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (أى: نؤمن بالتوحيد). وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (أى: نرفض ثالوث الله والزوجة والوَلَد[7137]). وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا" (الجن 2-4). ولم ترد كلمة "شَطَطًا" فى القرآن كله إلا فى هذين الموضعين (الكهف 14) و (الجن 4). إنها إذن عبارات إسلامية/عربية من تأليف أصحاب القرآن، فوضعوها تارة على لسان الجن المؤمن، ووضعوها تارة أخرى على لسان أصحاب الكهف المؤمنين.

وبصراحة نحن نلاحظ تشابهاً كبيراً بين الكلمات والعبارات والسجع فى سورتى الكهف والجن، كما يوضح الجدول التالى. ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن المجموعة التى شاركت فى تأليف سورة الكهف هى تقريباً نفس المجموعة التى شاركت فى تأليف سورة الجن[7138].

جدول 39 – هل الذين ألّفوا سورةَ الكهف هُمْ أنفسهم الذين ألّفوا سورةَ الجن؟!

سورة الكهف	سورة الجن
"وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا" (الكهف 4)	"تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا" (الجن 3)
"كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا" (الكهف 5)	"وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" (الجن 5)
"أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا" (الكهف 9)	"اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا" (الجن 1)
"سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ" (الكهف 22)	"اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ [...]" (الجن 1). و "النَّفَر": مِن ثلاثة إلى عشرة.
"لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا" (الكهف 14)	"كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا" (الجن 4)
ولم ترد كلمة "شَطَطًا" في القرآن كله إلا في سورتي الكهف والجن!	
"هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا" (الكهف 10) "عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا" (الكهف 24)	"أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا" (الجن 10) "فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا" (الجن 14) "قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا" (الجن 21)
ولم ترد كلمة "رَشَدًا" في القرآن كله إلا في سورتي الكهف والجن!	
"وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا" (الكهف 27)	"وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا" (الجن 22)
ولم ترد كلمة "مُلْتَحَدًا" في القرآن كله إلا في سورتي الكهف والجن!	
يقول الإنسان المؤمن المُوحِّد: "هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا" (الكهف 38)	يقول الإنسان المؤمن المُوحِّد: "إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا" (الجن 20)
يقول الإنسان الكافر/المشرك: "يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا" (الكهف 42)	يقول الجن المؤمن المُوحِّد: "فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا" (الجن 2)

- المثال الثالث: أضاف أصحابُ القرآن فى الآية التالية أن الفتية قالوا: "هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ [...]" (الكهف 15-16). وما يهمنا هو عبارة "مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" التى لا يمكن أن يكون الفتية قد

قالوها، ذلك لأنها ليست عبارة مسيحية، وإنما هى عبارة إسلامية إذ تكررت 8 مرات أخرى فى القرآن: (الأنعام 21، 93، 144) (الأعراف 37) (يونس 17) (هود 18) (العنكبوت 68) (الصف 7). أى أن أصحاب القرآن قد وضعوا على لسان الفتية كلمات تناسب عصر أصحاب القرآن ولا تناسب عصر الفتية!

نستطيع إذن - وبكل ثقة ويقين - أن نقول إنه فى هذه المرحلة الثانية (الكهف 13-21) قام أصحابُ القرآن بـ "أسلمة" (Islamicization) وتعريب القصة المسيحية السريانية[7139].

وفى المرحلة الثالثة (الكهف 22-26)، قال أصحاب القرآن: "وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ" (الكهف 23-24). وهى عبارة قرآنية تكاد تكون منقولة مِن العهد الجديد الذى يقول: "هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: «نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا إِلَى هذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ **[⟵ "إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا" (الكهف 23)]**، [...]». [...] عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا (أى: بدلاً مِن ذلك، كان يجب أن تقولوا): «إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هذَا أَوْ ذَاكَ **[⟵ "وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ" (الكهف 23-24)]**»" (يعقوب 4:13-15). وكذلك فى مواضع أخرى كثيرة مِن العهد الجديد، مثل: "إِنْ شَاءَ اللهُ" (أعمال الرسل 18:21)، "إِنْ شَاءَ الرَّبُّ" (1 كورنثوس 4:19)، "إِنْ أَذِنَ الرَّبُّ" (1 كورنثوس 16:7)، "إِنْ أَذِنَ اللهُ" (العبرانيين 6:3)، "بِمَشِيئَةِ اللهِ" (رومية 1:10)، "بِإِرَادَةِ اللهِ" (رومية 15:32). وهذا دليل آخر على الجذور المسيحية لقصة "أصحاب الكهف" (الكهف 9-26). [ويبدو أن هذه العبارة "إِنْ شَاءَ اللهُ" أو "إِنْ شَاءَ الرَّبُّ" لها جذور فى التراث الإغريقى (اليونانى)[7140]. وكما سنعلم بعد قليل، إن الجذور العميقة لأسطورة "أصحاب الكهف" (الكهف 9-26) هى جذور إغريقية (يونانية).]

ثم قال أصحابُ القرآن آيةً غامضة: "وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا" (الكهف 25). وبما أن الآية القرآنية غامضة، إذن: النتيجة الطبيعية والحتمية هي – كالعادة – اختلاف المفسرين المسلمين. وفي هذه الآية القرآنية الغامضة، يوجد على الأقل رأيان. الرأى الأول: أنها تخبرنا بالمدة التى لبثها الفتية فى كهفهم. والرأى الثانى: أنها تذكر قولاً مِن الأقاويل التى قيلت فى هذا الشأن، بدليل أنها قُرِئَت "وَقالوا لَبِثُوا"[7141] وبدليل أن القرآن يقول بعدها مباشرةً "قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا" (الكهف 26) بدون أن يقر مدة لبثهم. ونحن نؤيد الرأى الثانى، لكن لو اتفقنا مع الرأى الأول – وهو رأى الجمهور – فسيكون هذا هو أهم اختلاف بين القصة السريانية والمرحلة الثالثة من القصة القرآنية. لكن هذا الاختلاف أمر طبيعى، وهو يشبه إلى حد كبير الاختلافات بين الروايات المسيحية السابقة للإسلام. ففى الرواية الأولى للميمر الذى كتبه يعقوب السروجى: لبث الفتية فى الكهف 372 سنة بينما قالت الرواية الثانية 350 سنة!؛ وفى سنكسار الطائفة المارونية (الكاثوليكية): لَبِثُوا 100 سنة؛ وفى السنكسار العربى اليعقوبى: 372 سنة؛ وفى قصة سريانية أخرى: 370 سنة؛ والأصح مِن الناحية الحسابية هو حوالى 200 سنة ميلادية (مِن 250م إلى 447م) كما جاء فى السنكسار القبطى الأرثوذكسى وفى قصة سريانية أخرى[7142]. إذن: القرآن يُقدِّم رأياً من بين آراء

أخرى متعددة، وليس بالضرورة هو الرأى "الصحيح"، بل لا يمكن أن يكون هو الرأى الصحيح لأن الفترة مِن حُكم داقيوس إلى أواخر حُكم ثيؤدسيوس الصغير هى حوالى 200 سنة ميلادية. كل ما فعله أصحاب القرآن هو أنهم أضافوا 100 سنة، فأصبحت المدة تقريباً 200 + 100 = 300 سنة شمسية (ميلادية / مسيحية / سريانية) = 309 سنة قمرية (هجرية / إسلامية / عربية)، فقالوا: "وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا" (الكهف 25). وهذا حسب أشهر التفاسير الإسلامية؛ وهو تفسير غير دقيق حسابياً، لأن 300 سنة شمسية أكثر قليلاً مِن 309 سنة قمرية[7143]. ويجب علينا أن ننتبه إلى أن القرآن لم يقل "شمسية" ولا "قمرية"، وإنما قال فقط: "وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا" (الكهف 25). وهى آية غامضة كما قلنا. فربما يكون المقصود: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ، ثم استيقظوا، وَازْدَادُوا تِسْعًا؛ أى: عاشوا تسع سنين أو تسعة شهور أو تسعة أيام بعد استيقاظهم. وربما يكون المقصود: وقال فريقٌ مِن أهل الكتاب إن الفتية لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ 300 سنة، وقال فريقٌ آخر إنهم لبثوا 309 سنة.

وحتى لو اتفقنا جدلاً مع رأي الجمهور المسجَّل في أشهر التفاسير الإسلامية، فإننا لا نعلم على وجه اليقين لماذا جعل أصحابُ القرآن المدةَ 309 سنة قمرية (300 سنة شمسية). ربما أرادوا أن يخترعوا رأياً مخالفاً لآراء أهل الكتاب. أو ربما أرادوا أن يكون تاريخ استيقاظ الفتية (تقريباً 250م + 300م = 550م) بعد وفاة يعقوب السروجى (521م) حتى ينكروا تأثر القرآن بميامر يعقوب السروجى. أو ربما فقط على سبيل المبالغة (hyperbole). وفى جميع الأحوال، لا يوجد أى دليل علمي مادي أثري يثبت أن قصة أصحاب الكهف قصة حقيقية، وبالتالي لا يوجد أصلاً رأي واحد صحيح مِن الناحية التاريخية، وإنما كل مؤلف يسرح بخياله ويقول ما يحلو له.

باختصار: بغض النظر عما إذا كانت قصة "أصحاب الكهف" قصة حقيقية أم قصة خيالية أم مزيج مِن الحقيقة والخيال، فإن كل الأدلة تؤكد أن (الكهف 9-26) ليست كلام الله، وإنما كلام المسيحيين السريان ثم تم تعريبه وأسلمته حتى يُوضَع فى كتاب "القرآن" العربى.

قبل أن ننهى حديثنا عن الجذور المسيحية السريانية لقصة أصحاب الكهف، علينا أن نقول إن كثير مِن المفسرين القدامى والمحدثين ذكروا تفاصيل القصة المسيحية السريانية فى ثنايا تفسيرهم للقصة القرآنية[7144]. على سبيل المثال، الطبرى شيخ المفسرين وإمامهم ذَكر معظم أحداث القصة السريانية، بل ذَكر صراحةً أسماء "يمليخا" و "أفسُوس" والملك الكافر "دَقْيَنوس" (يقصد: "داقيوس") والملك الصالح المُسلم[7145] "تيذوسيس" (يقصد: "ثيؤدسيوس") ... الخ. وكذلك بدرجات متفاوتة فى تفاسير القرطبى والزمخشرى والنسفى وابن الجوزى والخازن والبغوى والواحدى النيسابورى والدكتور عبد الله شحاته والدكتور الصابونى وغيرهم. حتى ابن كثير، على الرغم مِن أنه ذكر الرأى القائل إن قصة أصحاب الكهف حدثت قبل ظهور المسيحية وإن الفتية كانوا يهوداً[7146]، نجده يذكر اسمَ الملك الجبار العنيد "دَقْيانوس" (يقصد "داقيوس"). ومِن المعلوم

تاريخياً أن فترة حُكم داقيوس كانت مِن 249م إلى 251م، أى بعد ظهور المسيحية، وأن داقيوس كان يضطهد المسيحيين وليس اليهود.

لكن فى المقابل، يتجاهل كثير مِن الشيوخ والدعاة المسلمين المحدثين القصةَ المسيحية السريانية! ومِنهم مَن يتحجج بأن أغلب ما قاله المفسرون فى هذه القصة هو مِن "الإسرائيليات" المأخوذة مِن أهل الكتاب! على سبيل المثال، يقول د. محمد أبو شَهبة تعليقاً على ما ذكره المفسرون مثل الطبرى والسيوطى وغيرهم: "وفى هذه الأخبار: الحق والباطل، والصدق والكذب، وفيها: ما هو محتمل للصدق والكذب، ولكن فيما عندنا غنية عنه، ولا فائدة مِن الاشتغال بمعرفته وتفسير القرآن به، كما أسلفنا عن ابن تيمية، بل الأولى والأحسن: أن نضرب عنه صفحاً، [...]. وغالب ذلك ما أشرنا إليه وغيره متلقى عن أهل الكتاب الذين أسلموا، وحمله عنهم بعض الصحابة والتابعين لغرابته والعجب منه"[7147].

تعليقنا على ما قاله د. أبو شَهبة ينقسم إلى ثلاث نقاط:

- قد نتفق أن المفسرين قد بالغوا فى اختلافهم حول التفاصيل الهامشية للقصة مثل اسم كلب الفتية ولونه! لكن هذا ليس مبرراً لأن نضرب بما قالوه عرض الحائط. فإن التفاصيل الأساسية الأخرى - وبخاصة: هروب الفتية ثم سباتهم ثم استيقاظهم - التى ذكرها المفسرون تكاد تكون مطابقة لتفاصيل القصة المسيحية السريانية: فتية مؤمنون بالله عاشوا فى زمان ملك كافر مشرك ظالم، رفض الفتية أن يعبدوا ما يعبده قومُهم مِن دون الله فعانوا مِن الاضطهاد، اعتزلوا قومَهم خوفاً على دينهم وأنفسهم، لجأوا إلى كهف، ماتوا (أو: ناموا نوماً عميقاً) مدة طويلة فى هذا الكهف، ثم بعثهم (أو: أيقظهم) اللهُ ليثبت عقيدة البعث والقيامة وإحياء الموتى والحياة الأخروية ... الخ.
- إذا كان أصحاب القرآن أنفسهم قد أخذوا القصة مِن أهل الكتاب، فمِن الطبيعى أن يأخذ المفسرون تفاصيل القصة مِن أهل الكتاب أيضاً. بعبارة أخرى: "الإسرائيليات" – أو بالأحرى "السريانيات" – ليست فى كتب التفسير فقط، وإنما فى القرآن نفسه. وكما نقول دائماً: "الإسرائيليات" هى عنصر أساسى فى تكوين الإسلام (قرآن وسنة وتفسير ... الخ). لولا "الإسرائيليات" ما كان الإسلام. وبما أننا نركز على القرآن، فنحن نركز على "الإسرائيليات" الموجودة فى القرآن. وقصة "أصحاب الكهف" (الكهف 9-26) هى واحدة مِن هذه "الإسرائيليات" – أو بالأحرى "السريانيات" – الموجودة فى القرآن.
- للأسف، لم يحدد د. أبو شَهبة ما هو الحق والصدق! ولم يحدد ما هو الباطل والكذب! إذن كلامه مجرد كلام مُرسَل عام ولا يقدم أى رواية بديلة يستطيع بها أن يُفسِّر القصة القرآنية أو يحدد تفاصيلها، وبالتالى لا يستطيع أن يثبت أنها قصة حقيقية تاريخية. وكأنكم تقولون كعادتكم: "الله أعلم، أما نحن المسلمون فلا نعلم، وليس ضرورياً أن نعلم"!

باختصار نقول للدكتور أبو شَهبة وتلاميذه الذين ما زالوا يرددون كلامه: باستثناء المعلومات التاريخية المؤكدة عن فترتي حُكم داقيوس وثيؤدسيوس، فإن أحداث قصة أصحاب الكهف خيالية، وبالتالي لا يوجد بها "حق" ولا "باطل" بالمعنى الحرفي، وإنما كل مؤلف يسرح بخياله ويقول ما يشاء. إنها قصة أدبية وليست قصة تاريخية. لا يوجد "حق" ولا "باطل" في الأدب. فلا يوجد أي دليل علمي يثبت أن قصة "أصحاب الكهف" قصة حقيقية تاريخية أصلاً. وإلى أن يعطينا المسلمون دليلاً علمياً واحداً، فليس أمامنا سوى التعامل مع قصة "أصحاب الكهف" باعتبارها قصة أدبية، فَمِن حق كل مؤلف أن يرويها كيفما يشاء.

ونحن لا نلوم أصحابَ القرآن على أنهم أدلوا بدلوهم في موضوع قصة "أصحاب الكهف". بالعكس، نحن نشكرهم على ذلك، فلقد ساهموا في إثراء الأدب العربي. وإنما نلوم أصحابَ القرآن على أنهم نسبوا كلامَهم البشري إلى الله، ونلومهم أكثر على أنهم كَفَّروا مَن لا يؤمن بهذا الكتاب العربي الأدبي (القرآن).

4.41.3 هل توجد جذور يهودية لقصة أصحاب الكهف أَم لقصة قرآنية أخرى تشبهها؟

ومِن الشيوخ والدعاة المسلمين المحدثين مَن لجأ إلى حيلة أخرى لإنكار الجذور المسيحية السريانية لقصة أصحاب الكهف. تتلخص هذه الحيلة في أن يدعي – عن عمد وليس عن جهل – أن قصة أصحاب الكهف تشير إلى اضطهاد ديني آخر غير الاضطهاد الذى تعرض له المسيحيون فى عهد داقيوس! على سبيل المثال، ذكر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية اضطهادين هما:

- الاضطهاد الذى تعرض له اليهود فى عهد الملك أنتيوخوس الرابع فى القرن الثانى قبل الميلاد.
- الاضطهاد الذى تعرض له اليهود فى عهد الإمبراطور الرومانى هادريانوس فى القرن الثانى الميلادى.

وختموا كلامهم بعبارة: "ويبدو أن الاضطهاد الأول أكثر تلاؤماً مع أصحاب الكهف، لأنه كان أشد قوة، أما الاضطهادات المسيحية فلا تتلاءم مع مولد النبى ﷺ"[(7148)]!

إذن: زعموا أن قصة أصحاب الكهف تشير إلى فتية يهود، وذلك لإخفاء الارتباط الواضح بين القصة القرآنية والقصة المسيحية السريانية التى كُتِبَت **قبل** ظهور الإسلام!

العجيب هو أنهم فى الترجمات الإنجليزية والفرنسية – الصادرة أيضاً من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية – قالوا إن أصحاب الكهف كانوا مسيحيين (christian) (chrétiens)[(7149)]! يعنى مرة يقولوا يهود ومرة يقولوا مسيحيين!

تعليقنا على هذين الاضطهادين اللذين تعرض لهما اليهود: الاضطهاد الأول يشير إلى أحداث الثورة المكابية (Maccabean revolt) (Révolte des Maccabées) ضد المحتل اليوناني (الإغريقي) الوثني، والاضطهاد الثانى يشير إلي ثورة باركوكبا (Bar Kokhba revolt) (Révolte de Bar

Kokhba) ضد المحتل الروماني الوثني[7150]. وكما قد يحدث فى أى ثورة دينية و/أو وطنية، قد يهرب مجموعة مِن الثوار (الشباب) إلى الجبال أو الكهوف ثم يخرجون بعد ذلك لمواجهة السلطة الحاكمة والموالين لها، وقد تأخذ المواجهات شكل حرب العصابات فى الجبال. ومِن المؤكد أن كثير من اليهود المؤمنين قد ماتوا فى هاتين الثورتين سواء داخل الكهوف أو خارجها. لكننا لم نجد أى مرجع يذكر أنه خلال إحدى هاتين الثورتين لجأ فتية يهود إلى كهف وأُغلِق عليهم بابه فماتوا (أو: ناموا نوماً عميقاً) مئات أو حتى عشرات السنين داخل الكهف ثم ظهروا بعد ذلك أحياءً من جديد!

إذن: ليس لهذين الحدثين التاريخيين أية علاقة بقصة أصحاب الكهف، مما يعنى أن القصة المسيحية السريانية الموجودة فى التراث المسيحى (وليس اليهودى) ما زالت هى أقرب القصص إلى ما جاء فى القرآن، بل نستطيع أن نقول إنها المصدر الرئيسى للقصة المذكورة فى القرآن (الكهف 9-26).

أما الباحثُ الأزهري الشاب د. إبراهيم عافية فتحدث عن دراسة "للدكتور أحمد على المجدوب، ويذهب فيها إلى أن الفتية (أي: أصحاب الكهف) هم فرقة يهودية متأخرة، عاصرت المسيح عليه السلام وآمنت به، وتعرف باسم الأسينيين، وكان لهم شرائعهم المنسوخة، وهى [...] المعنية بالرقيم فى الآية الكريمة، وهذه المخطوطات هى التى تم اكتشافها حديثاً وعرفت باسم مخطوطات البحر الميت"[7151]!

تعليقنا: لا يمكن أن يكون الأسينيون (Essenes) هُمْ أصحاب الكهف المذكورين فى القرآن. وذلك لأسباب كثيرة، أهمها ما يلى:

- لم يكن الأسينيون بضعة فتية، وإنما كانوا طائفة يهودية كاملة – قيل: حوالى 4000 شخص[7152] – اعتزلوا الحياة السياسية والدينية لأسباب تختلف عن تلك المذكورة فى قصة "أصحاب الكهف" القرآنية. ولم يكن الأسينيون متفقين ومتجانسين فى جميع أفكارهم الدينية، فبعضهم على سبيل المثال رفضوا الزواج وعاشوا حياة تكاد تكون حياة الرهبنة التى يرفضها الإسلامُ.
- ولم تكن مخطوطات البحر الميت (Dead Sea Scrolls) مجرد "رقيم" مرتبط بكهف واحد، وإنما هى مكتبة ضخمة مِن مئات الكتب والمخطوطات التى عُثِر عليها فى أحد عشر كهفاً. وربما توجد كتب أخرى ومخطوطات أخرى لم يعثر عليها العلماء حتى الآن.
- وإنْ قلتم إن الفتية "أصحاب الكهف" ربما كانوا مجموعة مِن الفتية الأسينيين وليس كل الأسينيين. فسنقول: إن هذا الاحتمال أيضاً مستحيل. وذلك لأن كثير من مخطوطات البحر الميت يتعارض صراحةً مع القرآن. على سبيل المثال: يُفهَم مِن سفر الخروج الموجود ضمن مخطوطات البحر الميت أن هارون النبى هو الذى صنع العِجل الذهبى، وهذا طبعاً يتعارض مع سورة طه التى تزعم أن السامرى هو الذى صنعه. ومِن ثم لا يمكن أن يصف القرآنُ الأسينيين بقوله "إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" (الكهف 13).

- والأهم مِن كل ذلك هو أن التاريخ لم يقل إن الأسينيين – أو: مجموعة منهم – ماتوا (أو: ناموا نوماً عميقاً) "فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا" ثم بعثهم اللهُ مِن موتهم (أو: نومهم) وأيقظهم "لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا".

إذن: الربط بين الأسينيين وقصة "أصحاب الكهف" ليس له أى سند تاريخى أو أثرى، بل ليس له أى سند قرآنى أو إسلامى. وإنما هى مجرد حيلة سخيفة مِن الحيل الإسلامية الدفاعية (apologetic) التى تعودنا عليها، بل إنها نوع مِن أنواع الخيال غير العلمى. وفى أحسن الأحوال، يمكن فقط أن نقول إن قصة "أصحاب الكهف" التى ألّفها المسيحيون السريان ثم تسللت إلى القرآن هى مجرد أسطورة خيالية مستوحاة – ربما بطريقة جزئية – مِن قصة اليهود الأسينيين الذين اعتزلوا قومَهم ولجأوا إلى الكهوف قُبيل الميلاد.

ونحن نندهش أن يبحث الباحثون المسلمون عن أي شيء في التاريخ ويلصقونه بالقرآن بهذه الطريقة غير العلمية! فتكون النتيجة الحتمية والطبيعية هي أنهم لا يتفقون في نتائجهم: مرة يقولوا الثورة المكابية، ومرة يقولوا ثورة باركوكبا ومرة يقولوا الأسينيين!

ونحن ندعوهم ألا يبحثوا عن جذور قصة "أصحاب الكهف" (الكهف 9-26) في التاريخ اليهودي. فَمِن الأفضل أن يبحثوا عن جذورها في التراث اليهودي الديني/الأدبي ...

لم نجد في التراث اليهودي الديني/الأدبي ما قد يدل على جذور يهودية لقصة "أصحاب الكهف" (الكهف 9-26) إلا قصتين فقط: قصة في التلمود البابلي وقصة أخرى في كُتب سوديبِجرافا العهد القديم:

القصة الأولى في التلمود البابلي (Ta'anit 23a)[(7153] تحكي عن الرجل الصالح (righteous man) "هُوني راسم الدائرة" (Ḥoni HaMa'agel) (Honi the Circle-Drawer) وهو صانع معجزات مشهور (renowned miracle worker) في القرن الأول قبل الميلاد.

حسب القصة التلمودية، كان هوني يقرأ ترنيمة المصاعد (Song of Ascents): "عِنْدَمَا رَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ صِهْيَوْنَ (أي: أعاد الرَّبُّ اليهودَ من السبي البابلي إلى أورشليم بعد حوالي 70 سنة)، صِرْنَا مِثْلَ الْحَالِمِينَ" (المزامير 126:1)، فكان هُوني يتساءل: "هل يوجد إنسان ينام ويحلم لمدة 70 سنة"؟!

ويُفهَم مِن السياق أن الله أراد أن يثبت لهوني أن الترنيمة (المزامير 126:1) صحيحة ومعقولة.

فمرَّ هُوني على شيخٍ يزرع شجرة خروب (carob)، فسأله هُوني: متى ستثمر هذه الشجرة؟ فقال الشيخ: بعد 70 سنة. فسأله هُوني: وهل تضمن أنك ستعيش 70 سنة أخرى [لتجني ثمارها]؟ فأجابه الشيخُ: أنا أزرع لأبنائي، كما زرع آبائي لي.

ثم جلس هُوني ليأكل خبزاً، فغلبه النعاس، فنام، فتكونت حوله مجموعة من الصخور حجبته عن الأنظار. فظل هُوني نائماً لمدة 70 سنة (أو: 68 سنة إذا لم نحسب السنتين الأولى والأخيرة) أمام شجرة الخروب، ثم استيقظ فوجد حفيد هذا الشيخ يجمع الثمار مِن شجرة الخروب! ونظر هُوني إلى حماره **[⟵ "وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ" (البقرة 259)]**، فوجده قد أنجب أجيالاً مِن البغال! عندئذٍ عرف هُوني أنه نام 70 سنة ثم استيقظ فصار مِثْلَ الْحَالِمِينَ، مِصداقاً لقول الترنيمة (المزامير 1:126).

والقصة الثانية في سفر "باروخ الرابع" (4 Baruch) وهو أحد كُتب سوديبِجرافا العهد القديم ويرجع تاريخه إلى القرن الأول أو الثاني الميلادي. وجدنا قصة الرجل الصالح "أَبِيمَالِك الحبشي" (Abimelech the Ethiopian) الذي أنامهُ اللهُ قُبيل خراب أورشليم على يد البابليين ثم أيقظه بعد 66 سنة[7154]!

ونحن لم نجد أَبِيمَالِك هذا في الكتاب المقدس، وإنما وجدنا الخصيّ المؤمن "عَبْد مَلِك الْكُوشِيّ" (Ebedmelech the Ethiopian) الذي أقدم على إنقاذ النبي إرميا من القتل (إرميا 38:7-13) فكافأهُ اللهُ وأنقذهُ مِن السبي يوم سقوط أورشليم في قبضة البابليين (إرميا 39:15-18). ويحاول سفر باروخ الرابع أن يشرح كيف نجا أَبِيمَالِك (عَبْد مَلِك) من السبي البابلي، وكيف ساهم هو وباروخ (كاتِب إرميا) في عودة اليهود من السبي البابلي إلى أورشليم. ولذلك فإن سفر باروخ الرابع يُعرَف أيضاً باسم "المحذوف مِن سفر إرميا" (Paralipomena of Jeremiah)، لأن كاتبه أضاف بعض التفاصيل الخيالية ليملأ بعض الفراغات التي تركها سفر إرميا. فماذا قال سفر باروخ الرابع عن أَبِيمَالِك وباروخ وإرميا؟ ...

في (4 باروخ 1)، قال اللهُ لإرميا إنه سيسمح بخراب أورشليم وسَبْيَ شعبها اليهود إلى بابل عقاباً لهم على خطاياهم الكثيرة. وفي (4 باروخ 3)، طلب إرميا من الله أن يلهمه ماذا يفعل حتى لا يَرى أَبِيمَالِكُ خرابَ أورشليم، فأخبره اللهُ أن يُرسِل أَبِيمَالِك خارج أورشليم وسيرعاه اللهُ حتى يعود الشعب من بابل إلى أورشليم. وفي (4 باروخ 5)، خرج أَبِيمَالِكُ من أورشليم ومعه تين ولبن (أو: تين يقطر لبناً figs dripping milk)، فجلس تحت ظل شجرة ونام 66 سنة! ثم استيقظ أَبِيمَالِكُ فوجد طعامه (التين) كما هو لم يتغير ووجد شرابه (اللبن) كما هو لم يفسد، فظن أنه نام فترة قصيرة. لكن لمَّا رجع أَبِيمَالِكُ إلى أورشليم وجد كل شيء قد تغير، لم يجد بيته ولا الحي الذي كان يسكن فيه، ولم يجد عائلته ولا جيرانه، ولم يجد حتى إرميا ولا كاتبه باروخ، فظن أنه تاه وضل الطريق إلى أورشليم! فحاول مرة أخرى بل مرتين، لكنه لم يجد أحداً من شعب أورشليم، فظن أنها مدينة أخرى غير أورشليم! ثم عرف أَبِيمَالِكُ مِن شيخٍ كبير أن هذه المدينة الخربة هي بالفعل أورشليم وأن إرميا سُبِي إلى بابل بعد خراب أورشليم على يد المَلِك البابلي الوثني "نَبُوخَذْنَصَّر" (King Nebuchadnezzar). فحينئذٍ أدرك أَبِيمَالِكُ أن الله هو الذي أنامه قُبيل خراب أورشليم ولمدة 66 سنة حتى لا يَرى بعينيه خرابَ المدينة المقدسة المحببة إلى قلبه. ثم بعد ذلك (4 باروخ 6)، ظهر مَلَكٌ فجأة لأَبِيمَالِك وأخذه إلى باروخ فوجداه جالساً يبكي على الأطلال في قبرٍ خارج أورشليم. لكن لمَّا سمع باروخ ما حدث لأَبِيمَالِك ورأى التين كما هو لم يفسد ولم يتغير بعد 66 سنة، فرح واعتبر ذلك دليلاً على البعث وقيامة

الجسد[7155]. ثم صلّى باروخ لله ودعاه أن يلهمه كيف يرسل إلى إرميا في بابل خبرَ نجاة أَبِيمَالِك من السبي. فجاءه مَلَكٌ بالبشارة أن اليهود سيعودون قريباً من بابل إلى أورشليم، وطلب المَلَكُ من باروخ أن يكتب هذه البشارة في رسالة، وسيأتيه نسرٌ في اليوم التالي ليحمل الرسالة إلى إرميا! وبالفعل، كتب باروخ الرسالةَ وجاءه النسرُ وحملها إلى إرميا في بابل (4 باروخ 7). ولمَّا وصل النسرُ إلى إرميا، وجده خارج المدينة يدفن رجلاً يهودياً ميتاً لا نعرف اسمه. فطلب النسرُ من إرميا أن يجمع الشعب ليسمعوا خطاب باروخ. ففعل إرميا ذلك، فنزل النسرُ على جثة الرجل اليهودي الميت، فعاد هذا الرجلُ المجهول إلى الحياة! ويُفهَم من السياق أن هذه المعجزة كانت ضرورية حتى يصدِّق الشعبُ ما سيقوله الخطاب الذي يحمله النسرُ. قرأ إرميا الخطابَ، فعرف الشعبُ أن الله سيُخلِّصهم مِن العبودية والاضطهاد في بابل كما خلّص أجدادهم من العبودية والاضطهاد في مصر أيام موسى. وفي (4 باروخ 8) يعود اليهود من بابل إلى أورشليم. أما الفصل الأخير (4 باروخ 9) فيذكر "يسوع المسيح" ويصفه بأنه "ابن الله"! مما يدل على أن محرر هذا الفصل الأخير كان مسيحياً وليس يهودياً. ويدل أيضاً على أن سفر باروخ الرابع قد وصل إلى المسيحيين، فصار جزءاً من التراث الديني/الأدبي المشترك بين اليهود والمسيحيين، مثل كثير من كتب سوديبِجرافا العهد القديم.

<u>تعليقنا على هاتين القصتين في التلمود البابلي وسوديبِجرافا العهد القديم:</u> إنهما تتحدثان عن رجلٍ واحد فقط نام تحت شجرة وليس مجموعة من الفتية في كهف. فلا يمكن أن تكون هي نفسها قصة أصحاب الكهف التي ذكرها القرآن المكي (الكهف 9-26). وإنما مِن الواضح أنها جذور يهودية لأسطورة قرآنية أخرى مذكورة في القرآن المدني (البقرة 259). إنها أسطورة الرجل الصالح "الَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ (هي: أورشليم، حسب سفر باروخ الرابع؛ أي: بيت المقدس، حسب أقوال مفسرين مسلمين) وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا (أي: سقوفها؛ والمقصود: دمار مباني أورشليم؛ وقيل: المباني قائمة لكنها خالية من السكان. وفي سفر باروخ الرابع، نجد المعنيين destruction and desolation) قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا (أي: كيف أو متى يعيد اللَّهُ الحياةَ لأورشليم بعد دمارها؟) فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ (في الأساطير اليهودية: 68 سنة؛ أو: 66 سنة؛ أي: حوالي 70 سنة وهي مدة السبي البابلي حسب أشهر الأقوال) ثُمَّ بَعَثَهُ [اللَّهُ] قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ (قال أَبِيمَالِكُ: استمتعت بالنوم فترة قصيرة I slept pleasantly a little) قَالَ [اللهُ له] بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ (هو: التين، حسب سفر باروخ الرابع) وَشَرَابِكَ (هو: اللبن، حسب سفر باروخ الرابع) لَمْ يَتَسَنَّهْ (أي: لم يفسد) وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ (هو: حِمار هُوني راسم الدائرة) وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ (قيل إنها عظام هذا الحمار الميت! بينما في سفر باروخ الرابع كانت جثة رجل يهودي ميت لا نعرف اسمه) كَيْفَ نُنْشِزُهَا (أي: كَيْفَ نرفع الْعِظَام من الأرض ونضع بعضها فوق بعض ونردها إلى أماكنها من الجسد) ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا [ثم ننفخ الروح في الإنسان (أو: الحمار) فتدب فيه الحياةُ فيتحرك] فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ (أي: رأى إحياء الموتى عياناً) قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (البقرة 259)[7156].

إن وجود مثل هاتين الأسطورتين في التراث اليهودي المتأخر (سواء التلمود البابلي أو سوديبِجرافا العهد القديم) لا يدل على أن أصحاب الكهف كانوا يهود، وإنما يدل على أن أسطورة "النوم/الموت لسنين طويلة ثم الاستيقاظ/البعث بمعجزة إلهية" كانت أسطورة مشهورة جداً ومعروفة على نطاق واسع عند اليهود والمسيحيين في القرون الأولى للميلاد، فَمِن الطبيعي أن تتطور هذه الأسطورة الشرقية تطوراً بشرياً طبيعياً وتتسلل إلى القرآن في أسطورتين: إحداهما في القرآن المدني تتحدث عن رجل واحد فقط ولها جذور يهودية (البقرة 259)؛ والأسطورة القرآنية الأخرى في القرآن المكي تتحدث عن مجموعة من الفتية "أصحاب الكهف" ولها جذور مسيحية (الكهف 9-26). وهدف الأسطورتين القرآنيتين واحد: التأكيد على عقيدة البعث والقيامة من الأموات وأن الله وحده هو صاحب القدرة والسلطان على الحياة والموت والبعث. سواء قيامة فرد واحد (البقرة 259) أو قيامة مجموعة مِن الأفراد (الكهف 9-26)[7157].

بعبارة أخرى: (البقرة 259) و (الكهف 9-26) مِن "الإسرائيليات" الموجودة فى القرآن. (البقرة 259) مِن "اليهوديات"؛ و (الكهف 9-26) مِن "المسيحيات السريانيات".

وإنه لمن الطريف أن بطل أسطورة (البقرة 259) كان معه حمار، وأبطال أسطورة (الكهف 9-26) كان معهم كلب! ونحن نعلم أن "كلب" أصحاب الكهف كان رمزاً إلى ملاك حارس. لكن لا نعلم إلى ماذا يرمز هذا الحمار "وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ" (البقرة 259). قيل إن الله أمات الحمارَ ثم أحياه ليكون دليلاً على قدرة الله على إحياء الموتى! ونحن لم نقتنع بهذا الرأي. وحتى لو افترضنا أنه الرأي الصحيح، فلماذا "حمار" بالذات وليس حيواناً آخر؛ جمل مثلاً أو حصان؟ يوجد احتمالان على الأقل:

- ربما أراد أصحابُ القرآن أن يدمجوا الأسطورتين اليهودتين (أسطورة هُوني مِن التلمود البابلي + أسطورة أَبِيمَالِك من سفر باروخ الرابع) في أسطورة قرآنية واحدة (البقرة 259)، فأخذوا من أسطورة هُوني أنه كان معه حمار. وساعدهم على ذلك أن كلتا الأسطورتين اليهودتين تشير – إما تلميحاً أو تصريحاً – إلى السبي البابلي. بدليل أن مدة النوم في كلتيهما كانت حوالي 70 سنة وهي مدة السبي البابلي حسب أشهر الأقوال. جعلها القرآنُ 100 سنة (البقرة 259)!
- وربما تعمد أصحابُ القرآن أن يحذفوا شخصية الرجل اليهودي المجهول الذي مات في السبي البابلي (حسب سفر باروخ الرابع) ويضعوا مكانه حماراً حتى يُشبِّهوا هذا الرجل اليهودي المجهول بالحمار؟ كما فعلوا في موضعٍ آخر: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ (أى: كُلِّفُوا الْعَمَل بِهَا) ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا (أى: لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا) كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا" (الجمعة 5). وكما قلنا: حسب سفر باروخ الرابع، كان السبي البابلي عقاباً من الله لليهود على خطاياهم وعدم التزامهم بتعاليم التوراة. وحسب سفر إرميا، يعبر عن شدة الإهانة التي يمكن حدوثها للإنسان بتشبيه موته بموت الحمار (إرميا 22:19).

والاحتمالان غير متناقضين، فيمكن الجمع بينهما. فنستطيع أن نقول إن (البقرة 259) نتجت عن عملية دمج أو خلط (conflation) لأسطورة هُوني مِن التلمود البابلي وأسطورة أَبِيمَالِك من سفر باروخ الرابع.

ومن الجدير بالذكر أن كتب تفسير القرآن تقول إن هذا الرجل الصالح المشار إليه في (البقرة 259) هو "عُزَيْر" (عَزْرا أو عِزْرا Ezra) الكاهن والكاتب اليهودي الذي لعب دوراً مهماً في عودة اليهود من السبي البابلي إلى أورشليم في القرن الخامس قبل الميلاد (عزرا 7-10) (نحميا 8-12).

"ويعتقد اليهود أنه (أي: عزرا) هو الذي جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها"، و "يعتبرونه زعيماً لهم، بعد موسى الذي أخرجهم من مصر، ويعتبرونه أيضاً مؤسس نظم اليهودية المتأخرة (أي التي وُضِعت في القرن الخامس قبل الميلاد). ولقبوه بالكاهن وبالكاتب، لأنه كان دارساً مجتهداً، ومفسراً عميقاً لوصايا الله وعهده لبني إسرائيل (عزرا 7:11)"[7158].

ولعل أهمية عزرا (عُزَيْر) وشهرته في الفكر اليهودي هي التي جعلت المفسرين المسلمين يتوهمون أن الأسطورة المذكورة في (البقرة 259) تشير إليه. مع أن الأساطير اليهودية الأصلية تشير إلى هُوني (التلمود البابلي) وأبِيمَالِك (سفر باروخ الرابع). وربما توجد أساطير يهودية أخرى بأسماء أخرى.

وكالعادة، قد تكون تلك الأساطير اليهودية مستوحاة من أساطير شرق-أوسطية أقدم منها. ربما ملحمة جلجامش[7159] المعجزة البابلية الخالدة التي تظهر لنا كثيراً عند دراستنا لجذور القرآن في تراث الشرق الأوسط القديم. فلقد نام جلجامش أكثر مِن ستة أيام متواصلة! ثم استيقظ مِن نومه وقال لـ "أوتو-نبشتم": "لم تكد تأخذني سنة من النوم حتى لمستني فأيقظتني"[7160] **[⟵ "قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ" (البقرة 259)]**. فقال له أوتو-نبشتم: "يا كلكامش عد أرغفتك" **[⟵ "فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ" (البقرة 259)]**.

ونظراً لأن (البقرة 259) أسطورة غير حقيقية وغير تاريخية، فلا يهم إنْ كان بطلها اسمه "عُزَيْر" أو "عزرا" أو "هُوني" أو "أبِيمَالِك" أو حتى "جلجامش". المهم هو أن (البقرة 259) أسطورة قرآنية مستوحاة من أساطير يهودية، كما أن (الكهف 9-26) أسطورة قرآنية مستوحاة من أسطورة مسيحية سريانية.

وقبل أن نترك أسطورة عُزَيْر (البقرة 259)، نريد أن نتوقف قليلاً عند جملة "لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ" التي قالها عُزَيْر بعد بعثه رداً على سؤال "كَمْ لَبِثْتَ". إنها نفس الجملة التى قالها الفتية "أصحاب الكهف" (أو: مجموعة منهم) بعد بعثهم: "قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ" (الكهف 19) رداً على سؤال "كَمْ لَبِثْتُمْ"! بل إنها نفس الجملة التي سيقولها الأشقياءُ في النار بعد بعثهم: "قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ" (المؤمنون 113) رداً على سؤال "كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ (أي: في قبوركم؛ وقيل: في دنياكم؛ والأول أوضح)" (المؤمنون 112)[7161]! يعني: (البقرة 259) يُفترَض أنها حدثت قبل الميلاد بقرنٍ أو قرون؛ و (الكهف 9-26) يُفترَض أنها حدثت بعد الميلاد بقرون؛ و (المؤمنون 112-113) يُفترَض أنها ستحدث يوم القيامة؛ ومع ذلك نجد نفس الجملة تتكرر في هذه القصص القرآنية! هل هذا معقول؟! مستحيل. وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن

قد أعادوا كتابة (rewrote) هذه الأساطير القديمة الموروثة، بدليل أنهم وضعوا نفس العبارات الـ (formulaic) على ألسنة أبطال هذه الأساطير القرآنية على الرغم من اختلافها في الزمان والمكان.

<u>استطراد:</u> عُزَيْر/عزرا/هُوني (البقرة 259) ينقلنا إلى عُزَيْر والمسيح (التوبة 30)

انظر إلى عبارة "وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ" التي قالها صاحبُ (البقرة 259) في قصة الرجل الصالح (عُزَيْر)، وقالها صاحبُ (مريم 21) في قصة المسيح عيسى ابن مريم (الراعي الصالح يسوع المسيح) "وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ"! هل أرادا أن يشيرا إلى التشابه بين عُزَيْر (عزرا) والمسيح عيسى (يسوع)؟

- عُزَيْر رأى إحياء الموتى (البقرة 259)؛ وعيسى أحيا الموتى (آل عمران 49) (المائدة 110).
- عُزَيْر كان معه حمار (البقرة 259)؛ ويسوع دخل أورشليم راكباً حمار (متى 5:21).
- عزرا أعاد اليهود مِن السبي البابلي إلى أورشليم (الأرضية)؛ ويسوع المسيح سيعيد المؤمنين الأبرار مِن أَسْر هذا العالم المادي إلى جنة الخلد الروحية (أورشليم السمائية).
- بعض كتب التراث اليهودي/المسيحي غير القانونية (أي: غير المُعترَف بها) وصفت عزرا بعبارة "مختار الله" (elect of God) (مثلاً: رؤيا عزرا اليونانية 8:1)[7162]. وكذلك وُصِفَ يسوعُ المسيح في الإنجيل (لوقا 35:23؛ لوقا 35:9 حسب ترجمات كثيرة[7163]؛ 1 بطرس 4:2).

أما عن التشابه بين يسوع المسيح وهُوني راسم الدائرة (الذي يُسمَّى "عُزَيْر" في تفاسير (البقرة 259)) فهو أيضاً واضح. فكما قلنا فيما سبق: هُوني كان صانع معجزات مشهور وسط اليهود في القرن الأول قبل الميلاد، كما كان يسوع مِن بعده صانع معجزات مشهور وسط اليهود في القرن الأول الميلادي. معجزات هُوني مذكورة في التلمود، ومعجزات يسوع مذكورة في الإنجيل. وكلاهما قُتِلَ؛ بل كلاهما قَتَلَهُ اليهود، أو: قَتَلَهُ فرقةٌ مِن اليهود الأشرار في زمانه. هُوني رُجِمَ حتى الموت، حسب ما قاله المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" (Flavius Josephus) وإنْ أعطاه اسماً يونانياً "أونياس" (Onias)[7164]. ويسوع صُلِب حتى الموت، حسب ما قاله الإنجيل. وإذا كان يسوع قد مات ثم قام مِن بين الأموات حسب القصة الإنجيلية المعروفة، فإن هُوني قد نام 70 سنة ثم قام من هذا النوم الطويل حسب القصة التلمودية التي ذكرناها.

ولعل هذا التشابه الواضح بين عُزَيْر/عزرا والمسيح من ناحية وبين عُزَيْر/هُوني والمسيح من ناحيةٍ أخرى يفسر لنا لماذا كان صاحب (التوبة 30) أكثر جرأة ووَضَعَ عُزَيْر والمسيح جنباً إلى جنب في آية قرآنية واحدة: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ (أي: مجرد كلام بدون حجة أو برهان) يُضَاهِئُونَ (أي: يشابهون) قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (أي: يكذبون؛ يضلون؛ يصرفون عن الحق ويميلون إلى الباطل)"!

وإذا كانت عقيدة "الْمَسِيح ابْن اللَّهِ" – المذكورة في الإنجيل والمذكورة أيضاً في سفر باروخ الرابع – يجب أن تُفهَم بالمعنى المجازي وليس بالمعنى الحرفي الذي زعمه القرآن، فإننا لم نجد حتى الآن يهودياً واحداً يؤمن ويُعلِّم أبناءه أن "عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ" أو "عزرا ابن الله" أو "هُوني ابن الله" لا بالمعنى الحرفي ولا بالمعنى المجازي! وإنْ قلتم إن يهود المدينة كانوا يقولون ذلك. فسنقول: يهود المدينة لا يمثلون كل اليهود؛ بل لا يمثلون أي فرقة يهودية لها ثقل. فَمِن المعلوم أن اليهود المؤثرين في الفكر اليهودي قبل الإسلام كانوا إما في الغرب (أورشليم إسرائيل/فلسطين وما حولها) وإما في الشرق (بابل العراق وما حولها). أما يهود شبه جزيرة العرب فَمِن المؤكد أنهم كانوا يعرفون الديانة اليهودية والعهد القديم، لكنها معرفة مشوشة ومختلطة بالأساطير والتفكير غير العلمي[7165]. ولعل يهود المدينة قالوا "عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ" ليس عن اقتناع وإنما امتحاناً لمحمد؛ كما امتحنوه قبل ذلك في قصة "أصحاب الكهف" ورسب محمدٌ في الامتحان: لم يرد عليهم إلا بعد 15 يوم! ولم يُعلنْ أنها أسطورة! وإنما عرضها كما لو كانت حادثة حقيقية، ومع ذلك لم يحدد عدد الفتية ولا أسماءهم ولا زمانهم ولا مكانهم! ولم يحدد حتى دينهم: هل كانوا يهوداً أَم مسيحيين؟

فهل "عُزَيْر" (التوبة 30) يشير إلى عزرا؟ أَم هُوني؟ أَم كليهما؟ أَم إنسان آخر؟ أَم كائن آخر[7166]؟!

وختاماً نقول لجميع أحبائنا المسلمين الذين يحاولون بشتى الطرق أن يزعموا أن أصحاب الكهف كانوا يهوداً حتى ينكروا تأثُرَ القرآن بالقصة المسيحية السريانية. نقول لهم: اطمئنوا فإن الجذور القديمة والعميقة لقصة "أصحاب الكهف" (الكهف 9-26) ليست سريانية ولا مسيحية ولا يهودية، وإنما إغريقية وثنية ....

4.41.4 الجذور الإغريقية (اليونانية) الوثنية لقصة أصحاب الكهف

نعم، الجذور العميقة لقصة "أصحاب الكهف" (الكهف 9-26) إغريقية وثنية ويعود تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد. وسُنقسِّم حديثنا إلى ثلاث نقاط تُوضِّح التطور البشرى الطبيعى لهذه الأسطورة الشرقية.

أولاً: تقول أسطورة إغريقية شهيرة إن النبى والشاعر الكريتى "إبيمنيدس" (Epimenides) ذهب بعيداً لكى يبحث عن خروف ضال، ثم نام فى كهف لمدة 57 سنة، ثم استيقظ وظن أنه كان نائماً لمدة قصيرة[7167] **[← "وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ" (الكهف 19)]**. ولما رجع إبيمنيدس إلى قريته وَجَدَ كل شيء قد تغير.

ومِن الجدير بالذكر أن بولس الرسول قد اقتبس عن هذا الشاعر الإغريقى المشهور "إبيمنيدس" دون ذكر اسمه صراحةً حين قال: "قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ نَبِيٌّ لَهُمْ خَاصٌّ: «الْكِرِيتِيُّونَ دَائِمًا كَذَّابُونَ. وُحُوشٌ رَدِيَّةٌ. بُطُونٌ بَطَّالَةٌ»." (تيطس 1:12)، وحين قال: "لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ" (أعمال الرسل 17:28)[7168].

وهذا يدل على أن شهرة "إبيمنيدس" قد وصلت إلى أهل الكتاب (لا سيما المسيحيين). نستطيع إذن أن نقول إن قصة "أصحاب الكهف" قد انتقلت مِن الإغريق إلى أصحاب القرآن عن طريق المسيحيين السريان[7169]. بل يوجد فريقٌ من العلماء يعتقدون أن قصة "أصحاب الكهف" قد كُتِبَت أولاً باللغة اليونانية فى القرن الخامس الميلادى قبل كتابتها باللغة السريانية فى القرن السادس الميلادى[7170]. ونحن لا يهمنا إن كانت قصة أصحاب الكهف قد كُتِبَت أولاً باليونانية أو السريانية، ففى كلتا الحالتين النتيجة واحدة: القصة القرآنية العربية (الكهف 9-26) هى مجرد تطور بشرى طبيعى لهذه الأسطورة الشرقية القديمة.

ثانياً: فى القرن الرابع قبل الميلاد (حوالى عام 380 ق.م)، قام الفيلسوف الإغريقى المعروف أفلاطون (Plato) (427/428 – 347/348 ق.م) بكتابة حكاية رمزية (allegory) تُعرَف باسم (The Allegory of the Cave) (L'allégorie de la caverne)، أى "حكاية الكهف الرمزية"[7171]. ولا داعى هنا لشرح الحكاية بالتفصيل وتوضيح ما بها مِن رموز ودلالات وإشارات لمفاهيم فلسفية. فمَا يهمنا هنا هو أنها تحكى عن مجموعة مِن الأشخاص محبوسين داخل كهف منذ طفولتهم، ثم تتطرق الحكاية إلى ما قد يحدث لو خرج واحد منهم خارج الكهف ورأى أشياء لم يرها مِن قبل ثم عاد إلى أصحابه داخل الكهف. وهذا يشبه إلى حد كبير الفكرة الأساسية في قصة أصحاب الكهف: مجموعة من الأشخاص محبوسين داخل كهف لمدة طويلة ثم يخرج واحد منهم خارج الكهف (ليشترى لهم طعاماً) فيرى أشياء لم يرها من قبل (الصلبان منحوتة فوق البوابات ... الخ) ثم يعود إلى أصحابه داخل الكهف.

ثالثاً: بعد أفلاطون، جاء تلميذه الفيلسوف الإغريقى المعروف أرسطو (Aristotle) (384 – 322 ق.م)، فكتب فى الفصل الحادى عشر مِن الجزء الرابع لكتابه الشهير "الفيزيقا" (Physics) – والمترجم إلى الإنجليزية فى مراجع كثيرة – ما يلى[7172]:

> On the other hand, time cannot be disconnected from change; for when we experience no changes of consciousness, or, if we do, are not aware of them, no time seems to have passed, any more than it did to the men in the fable who 'slept with the heroes' in Sardinia, when they awoke; for under such circumstances we fit the former 'now' on to the later, making them one and the same and eliminating the interval between them, because we did not perceive it.

أى: الرجال الذين ناموا مع الأبطال فى سردينيا كما تقول الأسطورة (أو الخرافة). وأرسطو هنا يشير إلى أسطورة إغريقية تحدثت عن "Sons of Herakles and of the daughters of Thespius, who were said to have colonized Sardinia".

ونلاحظ هنا أن الأسطورة التى تحدث عنها أرسطو حدثت فى سردينيا (Sardinia). ثم جاء السريان ووضعوا أسطورتهم فى أفسس. ثم جاء أصحاب القرآن ولم يحددوا أين حدثت أسطورتهم (الكهف 9-26). وهذا عادةً ما يحدث أثناء عملية التطور البشرى الطبيعى بالحذف و/أو الإضافة. قد تتغير الأسماء وقد يتغير الزمان والمكان، لكن فى النهاية الأسطورة واحدة.

ونلاحظ أيضاً أن أرسطو لم يقل إن الرجال قد "ماتوا" كما جاء فى القصة المسيحية السريانية، وإنما قال "ناموا" وهو نفس المعنى الذى جاء فى القصة القرآنية "فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا" (الكهف 11). أى أن الفتية – حسب القصة القرآنية – قد ناموا وعطل الله حاسة السمع عندهم بأن "ضرب على آذانهم"، وبذلك استطاع الفتية أن يناموا نوماً عميقاً كل هذه المدة الطويلة. إذن: فيما يتعلق بهذه النقطة نجد أن الأسطورة القرآنية أقرب إلى الأسطورة الإغريقية (اليونانية). ويتضح ذلك أيضاً مِن أن أرسطو يتحدث عن أشخاص ناموا لمدة طويلة لكنهم حين استيقظوا لم يدركوا أى تغيير ولذلك لم يشعروا بمرور الزمن؛ فالزمن عند أرسطو مرتبط بالتغيير: إذا لم تدرك أى تغيير، لن تدرك مرور الزمن. وهذا أيضاً ما جاء فى قصة "أصحاب الكهف" القرآنية **[← "وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ" (الكهف 19)]**. فلقد قال الشيخ الشعراوى فى تفسيره: "(بَعَثْنَاهُمْ) أى: أيقظناهم من نومهم الطويل، وما داموا قد ناموا فالأمر إذن ليس موتاً إلا أنهم لما طالت مدة نومهم شبهها بالموت. [...] وقد أخذ العلماء من هذا القول (أى: "قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ") أنهم حين تساءلوا هذا السؤال لم يجدوا فى ذواتهم شيئاً يدلُّ على مرور زمن طويل، حيث وجدوا أنفسهم على الحال التى ناموا عليها، فلم يتغير مثلاً حالهم من الشباب إلى الشيخوخة، ولم يتغير شعرهم مثلاً إلى البياض؛ لذلك قالوا: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، ولو وجدوا أنفسهم شيباً لقدَّروا الزمن المناسب لهذا الشيب"[7173]. أو كما قالت موسوعة بيان الإسلام "إن الله أوقف الزمن على أهل الكهف حوالى ثلاثمائة عام، وأطلق الزمن على الأرض كلها"[7174]!

الخلاصة: مما لا شك فيه أن قصة أصحاب الكهف المذكورة فى القرآن (الكهف 9-26) قصة أدبية بديعة وجميلة. لكن كل الأدلة التى أمامنا تجبرنا على الاعتراف بأنها ليست قصة حقيقية، وإنما هى مجرد أسطورة إغريقية قديمة انتقلت أولاً إلى المسيحيين السريان ثم انتقلت عن طريقهم إلى المسلمين العرب.

ومِن الجدير بالذكر أنه يوجد رأى آخر يقول إن قصة "أصحاب الكهف" القرآنية (الكهف 9-26) لها جذور فى الديانة الهندوسية، وتحديداً فى قصة "نهاية الباندافا" (The end of the Pandavas) المذكورة فى الملحمة الهندوسية الضخمة "مهابهاراتا" (Mahabharata) التي يرجع تاريخ اكتمالها إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادي، أي قبل الإسلام بأكثر من 100 سنة. ويُعتقَد أن هذه القصة الهندوسية الأصلية قد انتقلت إلى العرب عن طريق الفرس[7175].

ونحن لا نرى تناقضاً بين هذا الرأى والرأى الذى قلناه إن القصة قد انتقلت من الإغريق إلى العرب عن طريق السريان. إذ يمكن الجَمْع بين هذين الرأيين: التراث الشرقى القديم (إغريقى و/أو هندوسى) انتقل إلى العرب بطريقة غير مباشرة (عن طريق السريان و/أو الفرس). وفى كل مرة تنتقل هذه الأسطورة الشرقية من ثقافة إلى أخرى، يحدث لها تطور بشرى طبيعى (natural human development) بالحذف و/أو الإضافة حتى تتكيف مع بيئتها الجديدة إلى أن وصلت في النهاية إلى الصورة التي نراها الآن في كتاب القرآن العربي (الكهف 9-26).

النتيجة النهائية: سواء كانت الجذور العميقة لقصة "أصحاب الكهف" القرآنية (الكهف 9-26) هى جذور إغريقية وثنية و/أو هندوسية وثنية، فإن النتيجة فى جميع الأحوال واحدة: إن قصة أصحاب الكهف المذكورة فى القرآن (الكهف 9-26) تكفى وحدها كدليل قاطع على أن القرآن ليس كلام الله. وذلك لأنه مِن المستحيل أن يردد اللهُ خرافات هندوسية أو أساطير إغريقية (يونانية) أو ميامر سريانية. وإنها دليل أيضاً على أن "الإسرائيليات" و "السريانيات" و "الإغريقيات (اليونانيات)" وبصفة عامة "الشرقيات" موجودة فى القرآن نفسه، وفى كتب التفسير أيضاً. مما يدل على أن الإسلام كله ليس ديناً مِن عند الله، وإنما هو دين صنعه العرب كتطور بشرى طبيعى للتراث الشرقى القديم.

إن سورة الكهف تستحق أن تُسمَّى "سورة الأساطير الشرقية"، والفصلان القادمان سيثبتان أكثر أن هذه السورة تستحق فعلاً هذا الوصف ...

4.42 هل الأنبياء معصومون؟ الخَضِر قتل طفلاً بريئاً أعزلاً أمام موسى!

ننتقل الآن إلى أسطورة أخرى مِن الأساطير التى لا نجدها إلا فى كهف القرآن (الكهف 60-82) (مكية). تُعرَف هذه الأسطورة القرآنية فى التراث الإسلامى بقصة "موسى والعبد الصالح" أو قصة "موسى والْخَضِر". ويقول حديث صحيح أخرجه البخارى (أصح كتاب إسلامى بعد القرآن!) إن محمد قد قال: "إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ"[7176]! وبغض النظر عن الطبيعة الأسطورية لهذا الحديث، فإننا نفهم منه أن "الخَضِر" لقب وليس اسماً؛ كما نستنتج منه أنه توجد علاقة بين الخَضِر والحياة (Life)، فالفَرْوَة كانت بيضاء (أي: يابسة ليس فيها نبات)، لكن لَمَّا جلس الخَضِر عليها اهتزت (أي: دبَّت فيها الحياة وتحركت)[7177] وصارت خضراء لِما نبت فيها مِن عشب أخضر! ومِن المعلوم أن اللون الأخضر يدل على الحياة في جميع الثقافات. وسنعلم بعد قليل الجذور الشرقية القديمة لهذه العلاقة الأسطورية بين الخَضِر والحياة.

ويمكن أن نُسمِّيها أيضاً قصة "موسى والقاتل المجهول". إن "الخَضِر" قاتل لأنه قتل طفلاً صغيراً بريئاً أعزلاً لا يستطيع أن يدافع عن نفسه (الكهف 74)، وإنه مجهول لأن القرآن والسُّنَّة الصحيحة لم يذكرا اسمَه. ويجب هنا أن نقول إن جريمة القتل التي ارتكبها الخَضِر تتناقض مع ارتباطه بالحياة. فكيف يعيد الحياة إلى فَرْوَة بيضاء يابسة لكن يقتل طفلاً صغيراً بريئاً أعزلاً لا يستطيع أن يدافع عن نفسه؟! ويقتله أمام نبي! ومش أي نبي، ده موسى ... موسى أكثر نبي مذكور في القرآن وواحد مِن أولي العزم مِن الرسل! إن هذا التناقض الصارخ بين الحياة والقتل يجعلنا نشك في قصة "موسى والْخَضِر" (الكهف 60-82). وسنثبت بالأدلة في الصفحات القادمة إنها مجرد أسطورة مِن الأساطير الشرقية القديمة التي تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً حتى تسللت إلى القرآن.

كما يمكن أن نُسمِّيها قصة "التلميذ (موسى) والمعلم (الْخَضِر)" أو "المنصوح والناصح" أو "الرحلة فى سبيل العِلم اللَّدُنِّى" أو بالأحرى: "رحلة مع المعلم اللَّدُنِّى".

هذا عن الخَضِر (المعلم). أما عن موسى (التلميذ)، فقيل إنه ليس موسى النبى وإنما شخص آخر من بنى إسرائيل اسمه "موسى"! قيل: موسى بن ميشا (يقصدون: مَنَسَّى) بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. لكن فى المقابل، تقول الأحاديث التى أخرجها البخارى وغيره إن المقصود هو "موسى بنى إسرائيل"، أى النبى موسى بن عمران (عَمْرَام). ونحن سنعتمد على هذا الرأى الأخير، ليس لأنه الرأى الصحيح، ولكن لأنه رأى جمهور المسلمين.

وقبل أن نذكر هذه الأسطورة القرآنية القصيرة، يجب أن نذكر الأحاديث التى رواها البخارى ومسلم وغيرهما عنها[7178]. وهى أحاديث كثيرة وطويلة ولها روايات مختلفة، ولذلك فسنكتفى بأهم ما جاء فيها.

قام موسى خطيباً فى بنى إسرائيل، فَسُئِلَ: أىُّ الناس أعلم؟ فقال موسى: أنا. فعتب اللهُ عليه، إذ لم يَرُدَّ العِلمَ إليه. فقال اللهُ لموسى: بلى، لى عبدٌ (خَضِرٌ) بمَجْمَع البحرين (أى: ملتقى البحرين) هو أعلم منك. قال

موسى: أىْ رَبِّ ومَن لى به؟ أو: وكيف لى به؟ قال اللهُ: تأخذ حوتاً (أى: سمكة كبيرة)، فتجعله فى مِكْتَلٍ (أى: قُفَّة، سلة)، فحيثما فقدت الحوتَ فهو ثَمَّ (أى: إذا فقدت الحوتَ فارجع فإنك ستلقى الخَضِر). وفى (البخارى 4449): "خذ نوناً (أى: حوتاً) ميتاً، حيث يُنْفَخ فيه الروحُ (فهو ثَمَّ)". وفى إحدى روايات (مسلم 2380): "تَزَوَّد حُوتاً مَالِحاً (أى: مملحاً)". قال ابن حجر: "ويستفاد من هذه الرواية أن الحوت كان ميتاً، لأنه لا يملح وهو حى"(7179). [لاحظ أن الله لم يقل لموسى: خذ خريطة أو GPS، وإنما قال له: خذ سمكة وستكون لك علامة على مكان الخَضِر! هل هذه البساطة الشديدة هى الدليل على أن الإسلام دين الفطرة؟]

نفذ موسى أمرَ الله، فأخذ حوتاً، فجعله فى مِكْتَلٍ، ثم انطلق هو وفتاه يُوشَع (يشوع) بن نون، حتى إذا أتيا صخرة وَضَعَا رؤوسهما ليستريحا، فرقد موسى، واضطرب الحوتُ فَخَرَجَ مِن المِكْتَل (أى: دبَّتْ الحياةُ فى الحوت الميت!)، فسقط الحوتُ فى البحر فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (أى: طريقاً مفتوحاً؛ لا يلتئم بعده!). [ملحوظة: مسألة عودة الحياة إلى هذا الحوت الميت مسألة مهمة، ولقد اعتمدنا فيها على كثير من كتب التفسير وقصص القرآن وغيرها(7180). ونستطيع بكل ثقة أن نقول إنه يوجد شبه إجماع بين المفسرين على ذلك.]

ثم انطلق موسى وفتاه يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان مِن الغَدِ قال موسى لفتاه: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (أى: تعباً). فقال له فَتَاهُ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا (أى: أتذكر حين لجأنا) إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ هناك، وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. فقال له موسى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ (أى: نطلب؛ إن هذا دليلٌ لنا على أن مجمع البحرين هو حيث عادت الحياةُ إلى الحوت؛ إنها علامة لنا على أن الخَضِر الذى نبحث عنه موجود عند تلك الصخرة التى فقدنا الحوت عندها)، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (أى: رجعا يقتفيان آثارَ أقدامهما حتى انتهيا إلى الصخرة، إلى مجمع البحرين). فوجدا الخَضِر هناك!

أما الأسطورة القرآنية نفسها فسنذكرها كلها (الكهف 60-82)، وهى تتكون مِن ثلاثة فصول:

فصل (البحث عن المعلم اللَّدُنِّى): وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ (أى: لن أتوقف عن الرحلة) حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (أى: زمناً طويلاً) {60} فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا (عند الصخرة) فَاتَّخَذَ (الحوتُ) سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا {61} فَلَمَّا جَاوَزَا (أى: فارقا هذا المكان) قَالَ (موسى) لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا {62} قَالَ (يُوشَع لموسى) أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا {63} قَالَ (موسى) ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (أى: رجعا إلى الصخرة، إلى مَجْمَع البحرين) {64}.

فصل (رحلة التلميذ والمعلم): فَوَجَدَا (هناك) عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا (هُوَ الْخَضِر) آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا (أى: مِن عندنا) عِلْمًا (knowledge)(7181){65}قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا {66} قَالَ (الْخَضِر) إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {67} وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

خُبْرًا {68} قَالَ (موسى) سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا {69} قَالَ (الْخَضِر) فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا {70}.

- **مشهد (السفينة):** فَانْطَلَقَا (أى: موسى والخَضِر) حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا (الْخَضِر) قَالَ (موسى له) أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (أى: كبيراً شنيعاً فظيعاً؛ عجيباً غريباً) {71} قَالَ (الْخَضِر لموسى) أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {72} قَالَ (موسى للخَضِر) لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا {73}.
- **مشهد (الغلام وأبويه):** فَانْطَلَقَا (أى: موسى والخَضِر) حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ (الْخَضِرُ) قَالَ (موسى له) أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً (أى: طَاهِرَة بريئة مِن الذنوب، لَمْ تَبْلُغ حَدّ التَّكْلِيف) بِغَيْرِ نَفْسٍ (أى: هذا الغلام لم يقتل أحداً) لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (أى: منكراً؛ يستحق الإنكار؛ غاية فى الشر) {74} قَالَ (الْخَضِرُ لموسى) أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {75} قَالَ (موسى له) إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا {76}.
- **مشهد (الجدار):** فَانْطَلَقَا (أى: موسى والخَضِر) حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا (مائلاً) يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ (أى: يكاد ينهدم ويسقط) فَأَقَامَهُ (الْخَضِرُ) قَالَ (موسى له) لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا {77}.

الفصل الأخير (التأويل والفِرَاق): قَالَ (الْخَضِرُ لموسى) هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا {78}.

- **تأويل مشهد (السفينة):** أَمَّا السَّفِينَةُ (التى خرقتها) فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ (أي: أمامهم) مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صالحة[7182]) غَصْبًا {79}.
- **تأويل مشهد (الغلام وأبويه):** وَأَمَّا الْغُلَامُ (الذى قتلته) فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا (إن عاش) أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا {80} فَأَرَدْنَا (بقتله) أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً (أى: ديناً؛ صلاحاً) وَأَقْرَبَ رُحْمًا (أى: أعظم براً بهما وعطفاً عليهما) {81}.
- **تأويل مشهد (الجدار):** وَأَمَّا الْجِدَارُ (الذى أقمته دون أجر) فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي (قيل أي: ما فعلته مِن تلقاء نفسى ولا باجتهادى؛ وإنما فعلته بتوجيه مِن الله، بأمر الله، بوحى إلهى!) ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا {82}.

سؤال: هل اقتنع موسى النبى بهذه التبريرات والتأويلات؟! لم نجد الإجابة فى القرآن والسُّنَّة الصحيحة!

وكنا نتمنى أن يكون ترتيب أحداث هذه القصة القرآنية مغايراً لما هو عليه الآن فى القرآن. كان مِن الأفضل أن يكون الترتيب تصاعدياً حسب خطورة وبشاعة أفعال الخَضِر، فتبدأ الرواية أولاً بمشهد (الجدار)

الذى لم يكن فيه أى إيذاء، ثم مشهد (السفينة) الذى كان فيه إيذاء لممتلكات الآخرين فقط، وأخيراً مشهد (الغلام وأبويه) الذى قُتِل فيه طفلٌ لم يرتكب ذنباً يستحق القتل.

4.42.1 غموض القرآن الذى أدى إلى حيرة المسلمين وخلافهم

كالعادة، لم يذكر القرآنُ الزمانَ والمكانَ وأسماءَ الأشخاص. ولم تكمل السُّنَّة كل ما لم يذكره القرآنُ. فكانت النتيجة الطبيعة هى حيرة المسلمين وخلافهم حول كثير مِن الأسئلة ...

أول سؤال حيَّر المفسرين: متى حدثت قصة "موسى والخَضِر"؟ وأين حدثت؟ ...

- قيل إنها حدثت أثناء هروب موسى مِن مصر إلى مدين بعد أن قَتَلَ المصرىَ[7183]، أى قبل النبوة.
- وقيل إنها حدثت بعد أن كان موسى نبياً ورسولاً، واستدلوا على ذلك بأن الخَضِر قال لموسى: "أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحي يأتيك يا موسى؟" (البخارى 4449). وهنا يوجد رأيان:
  - قيل إنها حدثت فى مرحلة متأخرة مِن إقامة بنى إسرائيل فى سيناء[7184]؛ أى: فى صحراء التيه.
  - وقيل إنها حدثت فى مصر! "لمّا ظهر موسى - عليه السلام - على مصر مع بنى إسرائيل، واستقروا بها بعد هلاك القبط (أى: المصريين)"[7185]!

باختصار، لا يعلم أحدٌ - ولن يعلم أحدٌ - متى حدثت هذه القصة بالضبط؛ مثلاً: هل قبل عبادة العِجل أم بعده؟ ولا يعلم أحدٌ - ولن يعلم أحدٌ - أين حدثت. وطبعاً لا يعلم أحدٌ - ولن يعلم أحدٌ - اسمَ هذه "القرية" (الكهف 77) أو "المدينة" (الكهف 82) المزعومة التى أبى أَهْلُها أَنْ يُضَيِّفُوا موسى والخضر؟! قيل: هى أنطاكية؛ وقيل: أيلة؛ وقيل: هى أبعد أرض الله من السماء! وطبعاً قيل: الله أعلم!

ونحن نسأل المسلمين: لماذا تفترضون من البداية أن قصة "موسى والخَضِر" قد حدثت فعلاً فى زمان معين ومكان معين؟ لماذا لا تكون مجرد قصة خيالية لم تحدث إلا فى خيال أصحاب القرآن؟

سؤال آخر حيَّر المفسرين: أين يقع مجمع البحرين؟ كالعادة، لا توجد إجابة واحدة فى المراجع الإسلامية[7186]، وإنما توجد إجابات كثيرة ومختلفة ومتضاربة. على سبيل المثال:

- قيل إن "مجمع البحرين" هو ملتقى بحر القلزم (البحر الأحمر) ببحر الأردن (ولعل المقصود: البحر الميت).
- وقيل: هو ملتقى بحر فارس (الخليج العربى) وبحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) مما يلى المشرق.
- وقيل: هو ملتقى الخليج الفارسى بالمحيط الهندى.
- وقيل: هو ملتقى البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلنطى عند مضيق جبل طارق.
- وقيل: هو ملتقى البحر الأحمر بالمحيط الهندى (أو: بحر العرب) عند مضيق باب المندب.

- وقيل: هو ملتقى البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط فى منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح.
- وقيل: فى أقصى جنوب سيناء عند التقاء خليج العقبة بخليج السويس.
- وقيل: التقاء أحد فروع نهر النيل القديمة بالبحر الأبيض المتوسط.
- وقيل: فى صعيد مصر بالقرب من الخرطوم!
- وقيل إن "مجمع البحرين" كناية عن لقاء موسى والخَضِر، فَهُمَا بحرا علم!
- وطبعاً قيل: "الله أعلم" و "لا يضرنا الجهل بمكانه" و "ليس فى معرفته فائدة" و "البحث عنه تعب لا طائل تحته" ... إلى آخر هذه الأقوال الانهزامية التى تخشى معرفة الحقيقة.

ونحن نسأل المسلمين: لماذا تبحثون عن مجمع البحرين على الخريطة الجغرافية ولا تبحثون عنه فى الخيال الأدبى لأصحاب القرآن؟ لماذا لا يكون مجمع البحرين مجرد مكان أسطورى خيالى، أو على الأقل له جذور فى ديانات وثقافات الشرق القديم؟ لماذا حين تبحثون عن معنى كلمة فى القرآن تلجأون إلى الأقوال التى قيلت بعد القرآن فى أماكن بعيدة عن شبه الجزيرة العربية؟ فكنتم كمَن يقرأ مسرحية لشكسبير ويستخدم قاموس إنجليزى حديث طُبِعَ اليوم فى واشنطن أو نيويورك! الأصح والأقرب إلى العقل والمنطق هو أن تلجأوا إلى الأقوال التى قيلت **قبل** القرآن (أو معاصرة له) فى أماكن **قريبة** مِن شبه الجزيرة العربية. لو كنتم فعلتم ذلك، لكنتم اهتديتم وعرفتم ما هو "مجمع البحرين".

سؤال ثالث حيَّر المفسرين: مَن هو هذا الرجل "العالِم" جداً "الرحيم" جداً لدرجة أنه قتل طفلاً صغيراً بريئاً أعزلاً لا يستطيع أن يدافع عن نفسه؟! مَن هو هذا القاتل الذى وصفه القرآنُ بأنه عَبْدًا مِنْ عِبَادِ الله آتاه اللهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ وَعَلَّمه مِنْ لَدُنّه عِلْمًا (الكهف 65)؟! مَن هو هذا القاتل الذى أراد موسى النبى أن يتعلم مِمَّا عُلِّمَ رُشْدًا (الكهف 66)؟! هل الرحمة والعِلم والرُشْد يؤدوا إلى قتل غلام لم يقترف ذنباً ولم يفعل خطيئة؟!

حاول أصحابُ القرآن أن يقدّموا تبريراً لهذا القتل، فقالوا: "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا (لو بقى الغلامُ حتى يكبر) أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا" (الكهف 80)، التى قرأها ابن عباس: "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كافِراً وَكانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ"[7187]!

وبما أن أصحاب القرآن قد لجأوا إلى تبرير قتل الغلام، لجأ رواة الأحاديث أيضاً إلى تبريره، فقال حديث صحيح رواه مسلم: "وأما الغلام فطُبِعَ يوم طُبِعَ كافراً"[7188]!

ثم جاء المفسرون المسلمون، فقدَّموا تبريرات كثيرة، نذكر منها ما يلى على سبيل المثال. قيل إن الغلام "طُبِعَ على الكفر وقد يرهق أبويه بسبب حبهما له طغياناً وكفراً"[7189]! وقيل إن "الله أمر العبدَ الصالح (أى: الخَضِر) وحياً بقتل الغلام لما علم سبحانه من مستقبله الذى يمتلئ بالكفر والعصيان"[7190]! "ولذلك كان قتله صواباً صحيحاً"[7191]! وقيل: "كان عند الخضر العلم الجلي بكفر الغلام واستحقاقه القتل"[7192]! وقال شيخ الأزهر الأسبق: "إن قتل الغلام شر، ولكنه أقل من الشر الذى يترتب على بقائه، وهو إرهاقه لأبويه، وحملهما على الكفر"[7193]! وقال ابن كثير: "ففى قَتْلِه مصلحة عظيمة تربو على بقاء مُهْجَتِه، صيانةً لأبويه

عن الوقوع فى الكفر وعقوبته"[7194]! أما الشيخ الشعراوى فيرى أن قتل الغلام كان "رحمة"! ويقول: "هذا القتل كان رحمة بالأب والأم بأن جنبهما الله شقاء كان سيأتى على يد هذا الغلام [...] فرزقهما غلاماً صالحاً خيراً منه زكاة [...] ورحمة بالغلام بأن توفاه قبل أن يدخل سن التكليف ليدخل الجنة"[7195]!

تعليقنا: كل هذه التبريرات – التى قدَّمها أصحاب القرآن ورواة الأحاديث والمفسرون – تبريرات ضعيفة وغير مقنعة وتثير الغثيان. بل إنها تشبه ما يقوله المسلمون الإرهابيون اليوم لتبرير قتل غير المسلمين، حتى وإن كانوا أطفالاً! وهنا نسأل سؤالاً لكل مسلم عاقل: هل قَتْل طفل عمداً أهون عند الله مِن مجرد احتمال أن يُرْهِقَ أبويه عندما يكبر؟! وهل يمكن لأى إنسان آتاه اللهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ وَعَلَّمَه مِنْ لَدُنْه عِلْمًا أن يقتل طفلاً صغيراً بريئاً أعزلاً لا يستطيع أن يدافع عن نفسه؟! هل الرحمة تؤدى إلى قتل الأطفال بهذه الطريقة الوحشية التى ذكرها البخارى: "فأخذ الخَضِرُ برأسه (أى: برأس الغلام) فَقَلَعَه بيده هكذا، وأَوْمَأَ سُفيانُ بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً" (البخارى 3220)؟! وفى رواية أخرى أن الخَضِر "وَجَدَ غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ، فَأَخَذَ غُلَامًا كَافِرًا ظَرِيفًا فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسِّكِّينِ" (البخارى 4449)! "وقيل: ضرب برأسه الحائط، وقيل أضجعه فذبحه، والفاء (فى: "فَقَتَلَهُ") للدلالة على أنه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال"[7196]! وقال القرطبى: "ولا اختلافَ بين هذه الأحوال الثلاثة، فإنه يحتمل أن يكون (الخَضِر) دَمَغه أولاً بالحجر، ثم أضجعه فذبحه، ثم اقتلع رأسه؛ والله أعلم بما كان من ذلك، وحسبُك بما جاء فى "الصحيح""[7197]!

هل هذه "الرحمة" التى يقول القرآنُ إن الله أعطاها للخضر هى نفس "الرحمة" المذكورة فى الآية التى يرددها المسلمون اليوم للدفاع عن الإسلام المتهم بالعنف والإرهاب: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ [يا محمد] إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 107)؟ أم أن تعريفكم للرحمة يختلف عن تعريف الإنسانية لها[7198]؟

ونحن نتساءل: هل اقتنع أبو الغلام وأمه بهذا التبرير الذى قاله الخَضِر (الكهف 80-81)؟! هل اقتنع موسى النبى بهذا التبرير الذى قاله الخَضِر؟! هل اقتنع أولو الأمر والذين رأوا الخَضِر يقتل الغلام بهذا التبرير الذى قاله الخَضِر؟! إن التفكير فى هذه الأسئلة يجعلنا نوقِن بأن قصة موسى والخَضِر (الكهف 60-82) مجرد أسطورة ولا يمكن أن تكون قد حدثت فى يومٍ من الأيام.

وحتى لو افترضنا جدلاً أن هذا الغلام كان كافراً أو أنه سيُرْهِقَ أبويه طُغْيَانًا وَكُفْرًا عندما يكبر، فإن قتله ليس الحل، وإنما الحل هو هدايته وإصلاحه. القتل ليس دليل قوة، وإنما دليل عجز. القتل ليس دليل نجاح، وإنما دليل فشل. القتل ليس دليل حكمة، وإنما دليل تهور. القتل لا يحل المشكلة، وإنما يؤدى إلى مزيد من القتل. أو كما قال يسوع المسيح: "كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (متى 52:26).

إن ما فعله الخضر مع هذا الغلام حسب ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة يثبت خطأ مَن يزعم أن مشكلة العنف في الإسلام سببها ابن تيمية أو غيره مِن الشيوخ المتأخرين. وإنما المشكلة في الثقافة الإسلامية-العربية التي ضمَّت كتباً مثل القرآن وتفاسيره ... ثم بعد ذلك ضمَّت كتباً مثل كتب ابن تيمية ومَن مثله.

الدساتير والقوانين الإنسانية الوضعية منعت إعدامَ الطفل حتى إذا ارتكب جريمةً. أما في القرآن، فنجد إعدامَ طفلٍ بدون محاكمة مع أنه لم يرتكب جريمةً أصلاً! فأيهما أفضل؟ القيم الإنسانية أَم القيم الدينية؟! القيم الإنسانية طبعاً.

أسئلة أخرى حَيَّرت المسلمين وأدت إلى خلافهم: ما اسم هذا المَلِك المزعوم الذى يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صالحةٍ غَصْبًا؟ وما اسم هذا الغلام الذى قتله الخَضِرُ؟ وما اسم أبويه؟ ...

ومِن أكبر المشكلات التى واجهت المفسرين هى: هل يُعقَل أن يتعلم النبى موسى مِن رجل آخر؟!

كالعادة، لجأوا إلى حيل لحل هذ المشكلة. ولعل أشهر حيلة هى تلك التى تقول إن الْخَضِر نبى؛ وبذلك فإنه لا عيب أن يتعلم نبى (هو موسى) مِن نبى آخر (هو الْخَضِر). قال الشيخ عبد الوهاب النجار: "والجمهور على أنه (أى: العبد الصالح) بليا بن ملكان، وأن الخَضِر لقب له، وعلى أنه نبى. وقال غير الجمهور: إنه رسول. وقال آخرون: إنه ولىّ، وعليه الكثير"[(7199)]. وهذا يتفق مع رأى القرطبى: "الْخَضِرُ نَبِيٌّ عِنْد الْجُمْهُور"[(7200)]. وقال الرازى: "قال الأكثرون إن ذلك العبد (أى: الخضر) كان نبياً واحتجوا عليه بوجوه"[(7201)]. وقال البيضاوى: "الخَضِر عليه السلام [...] "آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدنَا" هى الوحى والنُبُوَّة"[(7202)]! وقال د. عائض القرنى: "الخضر صلى الله عليه وسلم"[(7203)]! ومَن قال إن الخَضِر نبى، استدل على ذلك بأدلة أهمها قوله "وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي" (الكهف 82)، وفَسَّرها: إنما فعلته بأمر مِن الله، بوحى مِن الله، بوحى إلهى[(7204)]! ومَن قال إنه رسول، استدل على ذلك بأنه قام بتبليغ الرسالة إلى موسى (الكهف 78-82)[(7205)]!

لكن كالعادة، نجد فى المراجع الإسلامية الرأىَ ونقيضَه! تقول الموسوعة الإسلامية العامة الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "ولم يكن (الخَضِر) نبياً عند أكثر أهل العلم"[(7206)]. وقال الشيخ عبد الرحمن السعدى إن الخَضِر "كان عبداً صالحاً، لا نبياً على الصحيح"، وكررها مرة أخرى: "ذلك العبد الذى لقياه (أى: الخَضِر)، ليس نبياً، بل عبداً صالحاً"[(7207)].

ولجأ د. صلاح الخالدى إلى حل وسط، فقال: "والراجحُ أنَّ الخضر عليه السلام نبى، [...]. لكنَّ نبوتَه بالاجتهاد لا بالنص، ولذلك لا يَكْفُرُ منكرُ نبوته، لعدم وجود نصٍّ صريحٍ بذلك"[(7208)].

وقال تفسير الجلالين عن الخَضِر: ""آتَيْنَاهُ رَحْمَة مِنْ عِنْدنَا" نُبُوَّة فِي قَوْل، وَوَلَايَة فِي آخَر، وَعَلَيْهِ أَكْثَر الْعُلَمَاء"[(7209)].

ونحن طبعاً لا نؤمن أن الخَضِر نبى. وبالتالى، فإنه ليس رسولاً. وسنعلم بعد قليل أنه ليس وليّاً، ولا حتى عبداً صالحاً، بدليل أنه قتل طفلاً صغيراً بريئاً أعزلاً لا يستطيع أن يدافع عن نفسه.

وما يدل على أن الخَضِر ليس نبياً هو أن (الكهف 82) التى يستدلون بها على نبوته لا تذكر أبداً كلمة "وحى". وحتى لو كانت تذكر الوحى، فإنه مِن المعلوم أن الوحى فى القرآن لا يعنى بالضرورة النبوة، مثلاً: "أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى [...]" (القصص 7) (طه 38)؛ "أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ [...]" (النحل 68)؛ "أَوْحَيْتُ

إِلَى الْحَوَارِيِّينَ [...]" (المائدة 111)؛ "وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا (أي: خَلَق ورتَّب ما أراده فيها)" (فصلت 12)؛ "بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (أي: أمر الأَرْضَ)" (الزلزلة 5)؛ "قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ [...]" (الكهف 86). وإن قالوا إن الإقدام على قتل الغلام يستلزم أمراً إلهياً مِن الله ويدل على أن الخَضِر نبى معصوم يُوحَى إليه وليس مجرد ولىّ قد يخطىء[7210]، أو كما قال الشيخ الغزالى إن الخضر "استمدّ مشروعية ما فعل" مِن الله[7211]! فسنقول:

- الخَضِر نفسه حين برر قتل الغلام لم يقل إن الله قد أمره بذلك، وإنما نسب الفعل لنفسه فقط: "فَخَشِينَا (لم يقل: فَخَشِي اللهُ) [...] فَأَرَدْنَا (لم يقل: فَأَرَادَ اللهُ) [...]" (الكهف 80-81). وإن قلتم إن صيغة الجمع تشير إلى الله والخَضِر معاً، فسنقول: هذا غير صحيح، بدليل أن الخضر قال: "فَخَشِينَا [...] فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا [...]" (الكهف 81) ولم يقل: "فَخَشِيت أنا والله [...] فَأَرَدْت أنا والله أَنْ نُبْدِلَهُمَا". ولقد قال الفخر الرازى إنَّ الخضر "عبر عن نفسه بلفظ الجمع"[7212]. وفى جميع الأحوال، فإن الله القدوس لا يمكن أن يأمر إنساناً أن يقتل طفلاً صغيراً بريئاً أعزلاً لا يستطيع أن يدافع عن نفسه. [سيبوا الله فى حاله؛ هو انتو كل حاجة وحشة تلزقوها فى الله؟! وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ (أى: يستأصلكم، يهلككم) بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى.]
- الخَضِر نفسه لم يقل أبداً إن "الله" هو الذى أمره بقتل الغلام. بل إن الخَضِر لم ينطق أبداً اسم "الله" ولم يقل أبداً "ربى"! وإنما دائماً يقول "رَبُّهُمَا" (الكهف 81)، "رَبُّكَ" (الكهف 82)، "رَبِّكَ" (الكهف 82)! وكأنه غير مؤمن بالله. كل ما قاله الخَضِر هو "وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي" (الكهف 82). ونحن نرى أن الشيطان هو الذى أمر الخَضِرَ بقتل الغلام. وذلك لأن القتل مِن عَمَل الشيطان. ودليلنا القرآنى على ذلك هو ما قاله موسى بعد أن قتل المصرىَ: "هَذَا (القتل) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ" (القصص 15). ودليلنا الكتابى على ذلك هو أن الله هو الحياة (يوحنا 6:14)، أما الشيطان (إبليس) فهو "قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ" (يوحنا 44:8).
- عبارة "وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي" (الكهف 82) لم تُذكَر أصلاً فى سياق حديث الخَضِر عن قتل الغلام، وإنما فى سياق حديثه عن الجدار وكنز اليتيمين.
- وربما تكون "مَا" فى قوله "وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي" هى "مَا" الموصولة وليست النافية، فيكون المعنى: وَالذى فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي.
- أما "عصمة الأنبياء" التى لا يؤمن بها إلا المسلمون وحدهم فلقد ناقشناها فى ثنايا حديثنا عن قتل موسى للمصرى وَوَضَّحنا أنها مجرد أسطورة غير قرآنية. والحق هو أن النبي مجرد إنسان (merely human) مثلنا قد يخطىء مثلنا وقد يصيب مثلنا. وبصراحة نحن نتعجب من لجوء المسلمين إلى أسطورة "عصمة الأنبياء" للدفاع عن الخَضِر الذى قتل طفلاً صغيراً بريئاً أعزلاً لا يستطيع أن يدافع عن نفسه. وكأن عصمة الخَضِر أهم عندهم مِن قداسة الله! يعنى لِكَيْ تطلعوا الخَضِرَ براءة، تتهموا اللهَ اتهاماً بشعاً أنه أمر الخَضِرَ بقتل طفلاً صغيراً بريئاً أعزلاً لا يستطيع أن يدافع عن

نفسه؟! هل هذا يصح؟! إن قصة الخَضِر هى خير دليل على أنه لا يمكن التوفيق بين "عصمة الأنبياء" و "قداسة الله". فعليكم أن تختاروا: إما "عصمة الأنبياء" أو "قداسة الله". نحن نختار "قداسة الله". فماذا ستختارون أنتم؟

وأطرف ما قيل عن الخَضِر هو إنه ليس بشراً، وإنما مَلَكاً مِن الملائكة! قال الماوردى: "واختلفوا فى الخضر هل كان مَلَكاً أو بشراً على قولين: أحدهما: أنه كان مَلَكاً أمر اللهُ تعالى موسى أن يأخذ عنه مما حمّله إياه مِن علم الباطن. الثانى: أنه كان بشراً من الإنس"[7213].

وأغرب ما قيل عن الخَضِر هو إنه كائن غير مرئى "لا تراه إلا عين مَن أراد اللهُ له أن يريه". وحسب هذا الرأى[7214]: "لم ير الخَضِرَ حين خرق السفينة غير موسى [...] ولو رآه القوم (أى: ركاب السفينة) لمنعوه مِن خرق السفينة"؛ "فى قتل الغلام: لم يره إلا موسى، ولو رأوه (آخرون) لحالوا بينه وبين الغلام .. لا شك أنه لم يكن ظاهراً إلا لموسى فقط"؛ "ولم يظهر مع موسى أمام الناس إلا فى استطعام أهل القرية .. وكان يطلب الطعام من أجل موسى"! وذهب صاحب هذا الرأى إلى أبعد مِن ذلك، إذ يعتقد أن العبد الصالح الذى التقى موسى وصاحبه فى هذه الرحلة هو "محمد" رسول الإسلام! ولو سألته: كيف التقى موسى بمحمد .. مع أن محمداً لم يولد بعد؟ فسيقول إن اسم "محمد" هو اسم الجسد، الصورة، فى الأرض. أما اسم "أحمد" (الصف 6) فهو اسم الروح، الحقيقة، فى السماء. والروح "أحمد" موجود قبل الجسد "محمد" لأن "الله تعالى أوجد الأرواح قبل خلق الأجساد". وبذلك فإن "تلك الحقيقة الأحمدية هى التى التقى بها موسى وتعلم منها". "ولا مانع أن يكون اسم الخَضِر (المذكور فى البخارى) مِن أسماء حقيقته (أى: حقيقة أحمد/محمد) الروحية"! وطبعاً ختم كلامه بقوله: "والله تعالى أعلم بحقيقته".

وكما نقول دائماً: المشكلة ليست في أحبائنا المسلمين، وإنما في غموض القرآن نفسه الذي لم يحدد مَن هو "الخَضِر". ونحن نتساءل: إذا كان "الخَضِر" روحاً أو كائناً لا يُرَى إلا لمَن أراد اللهُ له أن يراه، فلماذا يكون رسول الإسلام بالذات؟ لماذا لا يكون مثلاً مِن الجن المؤمن؟!

ويظل سؤالنا يبحث عن جواب: ما هو "الخَضِر"؟ هل هو: كائن غير مرئى؟ ملاك؟ جِن؟ أو كائن مرئى؟ رسول (messenger)؟ نبي (prophet) (كما يعتقد أهل السُّنَّة بصفة عامة)؟ وَليّ (saint) (كما تعتقد الفرق الصوفية بصفة عامة)؟ أو هو مجرد أسطورة؟ ... وسنعلم بعد قليل أن "الخَضِر" هو مجرد أسطورة شرقية قديمة (ancient, oriental legend) تطورت بمرور الزمن إلى أن دخلت سورة الكهف القرآنية (سورة الأساطير الشرقية).

وتوجد حيلة إسلامية أخرى أكثر ذكاءً، ملخصها أنه لا يُعقَل أن يطلب موسى مِن الخَضِر أن يُعلمه شيئاً مِن العقائد الدينية أو مِن الشريعة، وإنما يُعقَل أن يطلب منه أن يُعلمه شيئاً مِن العِلم اللَّدُنِّي الباطنى. أى أن موسى أعلم مِن الخضر فى الأمور الشرعية المبنية على الظواهر (exoteric)؛ بينما الخَضِر أعلم مِن موسى فى الأسرار الكونية المبنية على البواطن (esoteric). باختصار: كلاهما نبى وكلاهما أعلم مِن

الآخر فيما يعلمه، ولا غَضاضة فى ذلك. أو كما قال د. محمد بكر إسماعيل: "كل منهما أستاذ وتلميذ [...] وإن كان الظاهر على الساحة وفى هذه الفترة أن موسى هو التلميذ والخضر هو الأستاذ"[7215].

ونحن نقول لهم: إذا كان لا يُعقَل أن يسأل النبيُّ فى العقائد الدينية والشريعة، فلماذا سأل محمدٌ اليهودَ عن سبب صومهم يوم عاشوراء؟!

ومِن سوء حظ أصحاب هذه الحيلة أن القرآن نفسه لم يقل إن الخَضِر نبي، وكتب السُّنَّة الصحيحة لم تقل إنه نبي. فلماذ كل هذا الإصرار على جعله نبياً رغم أنفه؟ ربما تكون الأسباب دينية. مثل: تبرير تعلُّم موسى النبى منه أو تبرير أفعال الخَضِر التى تخالف الشريعة وخاصة قتل الغلام. وربما تكون الأسباب سياسية. مثل: قطع الطريق على الفرق الصوفية الذين قالوا إن الخَضِر وليّ وإن الوليّ (الخَضِر، المعلم) أسمى وأعلى قدراً مِن النبى (موسى، التلميذ)؛ أو سد الباب أمام كل مَن يخالف الشريعة بحجة عِلمه بأمور باطنية مثل الخَضِر!

والأسباب الدينية أضعف بكثير مِن الأسباب السياسية. فلو كان السبب هو تبرير تعلُّم موسى النبى منه، فنحن نقول لهم إن هذا لا يحتاج إلى تبرير أو دفاع، فالقرآن نفسه يقول إن سليمان النبى أخذ معلومة جديدة مِن حيوان (هدهد)! "فَمَكَثَ [الهدهد] غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ [لسليمان] أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ" (النمل 22)! إذن: لا يعيب موسى النبى أن يأخذ معلومة أو حتى معلومات جديدة من إنسان. ولو كان السبب هو تبرير أفعال الخَضِر التى تخالف الشريعة وخاصة قتل الغلام، فنحن نقول لهم إن أفعال الخَضِر لا يمكن تبريرها بأى حال مِن الأحوال، حتى لو كان نبياً.

ولو كان هذا الخَضِر نبياً كما تزعمون، فلماذا لم يُذكَر فى أى موضع آخر مِن القرآن؟! وما اسمه؟ وما قومه؟ هل كان مصرياً أم إسرائيلياً أم مِن قوم آخرين؟ وأين عاش؟ وأين مات، إن كان قد مات؟ ومتى عاش؟ وهل هذا النبى "الحكيم" الذى عَلَّمه اللهُ مِنْ لَدُنْه عِلْمًا (الكهف 65) كان عايش كده لوحده عند مجمع البحرين وماحدش سمع عنه؟! ألم يكن له أتباع أو تلاميذ أو صحابة يسجلون أقواله وأفعاله؟! بصراحة لا نستطيع أن نقتنع بأن كل الدور الذى لعبه الخَضِر فى تاريخ تطور البشرية هو أنه ظهر فجأة لكى يعطى موسى درساً خصوصياً ثم اختفى فجأة، كما لو كان مجرد شبح، أو مجرد سحابة أسقطت بعض المطر ثم انتهى دورها! أو كما قال د. صلاح الخالدى: "لقد جاء الخضر فى القصة من المجهول، وبعد القصة ذهب الخضر إلى المجهول، فلا نعرف من أين جاء، ولا ندرى أين ذهب، ولا كلام عن الخضر - فى القرآن والحديث - غير ما ورد هنا. إن قصة الخضر مع موسى هى قصة المجهول، وقصة الغموض، وقصة المفاجآت، وقصة الدهش والاستغراب"[7216]. وإن قلتم إن القرآن قد سجَّل أقوال الخضر وأفعاله، فسنقول إن كل ما سجَّله القرآن لا يتجاوز صفحتين مِن مصحف عثمان! وحتى هذا القدر الضئيل البسيط لا يفيدنا فى القرن الواحد والعشرين، وذلك لسببين على الأقل:

- لا يمكن أن نقتنع بأن يشترط المعلم على تلميذه ألا يسأله: "فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا" (الكهف 70). إنَّ نظم التعليم الحديثة لا تقوم على الطاعة وعدم السؤال "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا" (الكهف 69) "إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي" (الكهف 76)، وإنما تقوم على الشك والسؤال (question)، تقوم على الفضول وحب الاستطلاع (curiosity)، تقوم على التفكير النقدى (critical thinking). إنَّ نظم التعليم الحديثة لا تعتمد على أن يصبر التلميذُ ويظل ساكتاً خاملاً منتظراً حتى يفيض المعلمُ عليه بالعلم مرةً واحدة، وإنما تعتمد على أن يبحث التلميذُ بنفسه عن المعلومة ويظل باحثاً نشيطاً حتى يصل إلى العلم بنفسه.
- لا يمكن أن نقتنع بأن الله قد أمر بقتل طفل صغير أعزل لا يستطيع أن يدافع عن نفسه! ولا يمكن أن نحكم على الأمور ببواطنها المزعومة. كل مؤسسات القضاء فى العالم تحكم على الأمور بظواهرها. مَن قتل طفلاً يجب أن يُعاقَب، حتى وإن ألصق التهمة بالله وقال "مَا قتلته عَنْ أَمْرِي وإنما بأمر مِن الله" أو زَعَمَ أنه عليم "ببواطن الأمور والأسرار الكونية".

وخير دليل على عدم نبوة الخَضِر هو أن القرآن نفسه يقول: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا" (المائدة 32). وبما أن الخَضِر قَتَلَ "نَفْسًا زَكِيَّةً (أى: طَاهِرَة بريئة مِن الذنوب، لَمْ تَبْلُغ حَدّ التَّكْلِيف) بِغَيْرِ نَفْسٍ (أى: هذا الغلام لم يقتل أحداً)" (الكهف 74)، وبما أن هذا الطفل الذى قتله الخَضِرُ لم يقتل شخصاً آخر ولم يفسد فى الأرض. إذن: هذا الطفل البرئ لا يستحق القتل، والخَضِر قاتل وكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا. فكيف يمكن التوفيق بين هذه النتيجة وبين إدعاء أن الخَضِر نبى؟! بل كيف يمكن التوفيق بين هذه النتيجة وإدعاء القرآن أن الخَضِر عَبْدًا مِنْ عِبَادِ الله آتاه اللهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِه وَعَلَّمْه مِنْ لَدُنّه عِلْمًا (الكهف 65)؟! إذن: لا يمكن أن يكون الخَضِر نبياً، ولا يمكن أن يكون الله قد آتاه رحمةً وعلماً. والأهم مِن ذلك هو أنه لا يمكن أن يكون القرآن كلام الله: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82)[7217]. ونحن وجدنا "اخْتِلَافًا كَثِيرًا" بين (المائدة 32) و (الكهف 65، 74).

ونحن نرى أن هذه القصة القرآنية – التى يقرأها كثير من المسلمين كل يوم جمعة – تضرنا وتضر المجتمعات المنكوبة بالثقافة العربية-الإسلامية. إنها تهدف إلى إلغاء العقل. أو كما قال النووى: "وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع، وإن كان بعضه لا تظهر حكمته للعقول ولا يفهمه أكثر الناس، وقد لا يفهمونه كلهم كالقدر. وموضع الدلالة قتل الغلام وخرق السفينة"[7218]! فهل هي مؤامرة ضد عقولنا؟ مؤامرة ضد شبابنا؟ أليست أخطر مِن مسلسلات العنف وأفلام البلطجة التي تجعل البلطجي بطلاً؟ فهذه المسلسلات والأفلام لا تزعم أن البلطجى قدوة، وتجعل البلطجى ينال عقابه فى النهاية. أما قصة "موسى والخَضِر" (الكهف 60-82) فتُقدِّم الخَضِرَ باعتباره إنساناً صالحاً (وقيل: وَلِيّ؛ بل قيل: نبي (عند الجمهور)؛ وقيل: رسول!). ليس هذا فحسب، بل تزعم هذه القصة القرآنية أن الله قد أعطى الخَضِرَ رحمةً وعلماً (الكهف 65)، ثم تقول إن

الخَضِر قتل طفلاً بريئاً (الكهف 74)، ولم تقل إنه عُوقِب على ذلك فى النهاية! ألا تساهم هذه القصة القرآنية وتفاسيرها فى صناعة الإرهاب الإسلامي الذي نعاني منه اليوم؟

نعتقد أنه مِن مصلحة المسلمين أن يعترفوا بأن قصة "موسى والخَضِر" (الكهف 60-82) مجرد أسطورة، وإلا سيضطروا أن يجيبوا على كل الأسئلة التى ذكرناها، بالإضافة إلى الأسئلة التالية: لو كان الخَضِر التقى بموسى، فبأى لغة تحدثا؟ ولماذا لم يساعد موسى على التعامل مع بنى إسرائيل؟ ولماذا لم تذكره التوراة؟ وإن قلتم إن التوراة مُحرَّفة، فسنقول: وما مصلحة اليهود أن ينكروا هذه القصة إن كانت قد حدثت لموسى؟ أنبياء العهد القديم ليسوا معصومين وليسوا قدوة وليسوا مثل أعلى، ومِن ثم فإنه لا يعيب موسى النبى أن يتعلم مِن غيره. ثم إن التوراة لا تذكر "الخَضِر" إطلاقاً، ولا يُعقَل أن يكون اليهود قد حذفوا هذه الشخصية مِن كل مخطوطات التوراة وكل ترجماتها بكل اللغات. اعطونا أى مخطوطة قديمة للتوراة تذكر هذه القصة. إن لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فليس أمامكم سوى الاعتراف بأن قصة "موسى والخَضِر" (الكهف 60-82) هى مجرد أسطورة خيالية ألّفها أصحابُ القرآن اعتماداً على التراث اليهودى والمسيحى بصفة خاصة، وتراث الشرق القديم بصفة عامة. وهذا ما سنثبته بالأدلة فى الصفحات التالية.

4.42.2 جذور القرآن فى الكتاب المقدس

الأسطورة القرآنية لا تنشأ مِن العدم، وإنما تنطلق مِن آية كتابية أو جملة أو قصة أو حدوتة شعبية أو أسطورة أخرى، وكثيراً ما تنطلق مِن مجموعة قصص وأساطير أخرى.

ونحن نرى أن أسطورة "موسى والْخَضِر" (الكهف 60-82)، التى وضعت موسى النبى فى موضع التلميذ الذى يتلقى العِلمَ والحكمة مِن إنسان آخر، تنطلق مِن الآية الكتابية الشهيرة التى تقول: "فَتَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ" (أعمال الرسل 22:7). وكان ذلك قبل أن يتم موسى 40 سنة، أى فى طفولته وشبابه. وكذلك قال القرآنُ إن موسى أوتي العلم والحكمة في مصر: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا (wisdom) وَعِلْمًا (knowledge)" (القصص 14).

وتوجد قصة أخرى فى التوراة (الخروج 18:14-27) تقول صراحةً إن موسى النبى قد تلقى النصيحة مِن حَمِيه (أى: والد زوجته) وعمل بها: "فَسَمِعَ مُوسَى لِصَوْتِ حَمِيهِ وَفَعَلَ كُلَّ مَا قَالَ" (الخروج 18:24). وكان ذلك بعد أن أتم موسى 80 سنة، بعد خروج بنى إسرائيل مِن مصر، أى: بعد نبوة موسى. وهذا دليل كتابى واضح على أنه لا يعيب موسى النبى (أو أى نبى آخر) أن يتعلم مِن غيره.

أما مسألة عودة الحياة إلى الحوت الميت المملح (أى: السمكة الميتة المملحة) عند مَجمع البحرين (الكهف 61، 63)، فيبدو لنا أنها تطور بشرى طبيعى لـ "نهر الحياة" أو "النبع الذى يعطى الحياة" (Life-giving Stream) المذكور فى (حزقيال 47) حيث نجد الرؤيا (vision) الأخيرة التى رآها حزقيال النبى عندما ظهر له ملاكٌ بهيئة إنسان ثم أخذه فى رحلة عند الهيكل فى أورشليم (Jerusalem) **[← كذلك تقول**

قصة "موسى والخضر" (الكهف 60-82) إن الخَضِر (قيل إنه إنسان؛ وقيل إنه ملاك) قد أخذ موسى النبى فى رحلة عند مَجمع البحرين].

(حزقيال 47): {6} وَقَالَ (الملاكُ) لِي: «أَرَأَيْتَ يَا ابْنَ آدَمَ (أى: يا إنسان هالِك mortal)؟». ثُمَّ ذَهَبَ بِي وَأَرْجَعَنِي إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ (أى: نهر الحياة). {7} وَعِنْدَ رُجُوعِي إِذَا عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ أَشْجَارٌ (خضراء) كَثِيرَةٌ جِدًّا مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ **[← يقول حديث صحيح إن الخَضِر سُمِّيَ الخَضِر لأنه "جلس على فَرْوَةٍ بيضاء (أى: يابسة؛ ليس فيها نبات)، فإذا هي تهتز مِن خلفه خضراء (أى: دبَّت فيها الحياة فاهتزت، واستعادت نضارتها فنَبَتَ عليها العشبُ الأخضرُ)"[7219]!].**

ونلاحظ هنا أن عناصر هذا المشهد (مثل: الأشجار الخضراء والنهر والحياة) تعيد إلى الأذهان مشهد "جَنَّة عَدْن" حيث دبَّت الحياةُ فى الإنسان "آدم" (التكوين 1:20-22) (التكوين 2:7-16).

(حزقيال 47): {8} وَقَالَ (الملاكُ) لِي: «هذِهِ الْمِيَاهُ خَارِجَةٌ (مِنْ تَحْتِ عَتَبَةِ الهيكل) إِلَى الدَّائِرَةِ الشَّرْقِيَّةِ (أى: المنطقة الشرقية) وَتَنْزِلُ (شرقاً) إِلَى الْعَرَبَةِ (أى: الأردن؛ أو: منطقة جافة بين أورشليم والبحر الميت) وَتَذْهَبُ (جنوباً) إِلَى الْبَحْرِ (الميت) (Dead Sea). إِلَى الْبَحْرِ (الميت) هِيَ خَارِجَةٌ فَتُشْفَى الْمِيَاهُ (أى: نهر الحياة يجعل مياهَ البحر الميت عذبة؛ فيتحول البحرُ "الميت" ذى المياه شديدة الملوحة التى لا تصلح لحياة الأسماك إلى بحرٍ "حيّ" ذى مياه صالحة لحياة الأسماك). {9} وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ حَيَّةٍ تَدِبُّ حَيْثُمَا يَأْتِي النَّهْرَانِ **[← "مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ (أى: مُلتقى البحرين)" (الكهف 60)]** (هُما: نهر "الحياة" والبحر الميت الذى صار نهراً عذباً "حياً") تَحْيَا. وَيَكُونُ السَّمَكُ كَثِيرًا جِدًّا لأَنَّ هذِهِ الْمِيَاهَ تَأْتِي إِلَى هُنَاكَ فَتُشْفَى، وَيَحْيَا كُلُّ مَا يَأْتِي النَّهْرُ إِلَيْهِ (أى: تسرى الحياةُ فيه) **[← عادت الحياةُ إلى السمكة الميتة المملحة عند مجمع البحرين (الكهف 61، 63)].**

وكذلك فى الآخرة، ستعود الحياةُ إلى الإنسان الميت فيحيا حياة أبدية فى الجنة.

اقرأ أيضاً رؤيا أخرويّة (eschatological, apocalyptic) فى الإصحاح الأخير من سفر زكريا (زكريا 14) تدل على أن أورشليم فى آخر الزمان ستخرج منها مياهٌ حَيَّة تربط البحر الميت بالبحر الأبيض المتوسط **[← "مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ (أى: مُلتقى البحرين)" (الكهف 60)]. (زكريا 14):** {8} وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ مِيَاهًا حَيَّةً (fresh water; living water) تَخْرُجُ مِنْ أُورُشَلِيمَ نِصْفُهَا إِلَى الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ (أى: البحر الميت)، وَنِصْفُهَا إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ (أى: البحر الأبيض المتوسط). فِي الصَّيْفِ وَفِي الْخَرِيفِ تَكُونُ (أى: طوال الصيف والشتاء). {9} وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلِكًا عَلَى كُلِّ الأَرْضِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ الرَّبُّ وَحْدَهُ وَاسْمُهُ وَحْدَهُ. ولعل المقصود أن أورشليم ستصبح "نبع الحياة" (Spring of Life) أو "يَنْبُوعِ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ" (Fountain of Living Water) كما وُصِفَ الربُّ نفسه (إرميا 2:13، 17:13). اقرأ أيضاً: (زكريا 1:13) (يوئيل 3:18) (المزامير 36:8-9، 46:4-5، 87:7) (الأمثال 10:11، 13:14، 14:27، 16:22) (يوحنا 4:10-14، 7:38)؛ وأخيراً (الرؤيا 22) حيث نجد "نهر الحياة" (River of Life)

مذكوراً للمرة الأخيرة فى الإصحاح الأخير من الكتاب المقدس، أيضاً في رؤيا رآها يوحنا الرسول بصحبة ملاك: "وَأَرَانِي نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لاَمِعًا كَبَلُّورٍ، [...] وَعَلَى النَّهْرِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ، شَجَرَةُ حَيَاةٍ تَصْنَعُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ثَمَرَةً، وَتُعْطِي كُلَّ شَهْرٍ ثَمَرَهَا، وَوَرَقُ الشَّجَرَةِ لِشِفَاءِ الأُمَمِ" (الرؤيا 22:1-2).

في ضوء ما سبق، نستطيع أن نقول إن "مَجمع البحرين" يقع عند "أورشليم" الأرضية (Earthly Jerusalem) أو بالقرب مِنها، لكنه في الواقع يرمز إلى "أُورُشَلِيم الْجَدِيدَة" (New Jerusalem) – أي: "أورشليم السمائية" (Heavenly Jerusalem)[7220] – التي يناظرها "جنة الخلد" في الإسلام.

إذن: "مَجمع البحرين" مكان خارج حدود هذا العالم الأرضي[7221]، وأيضاً خارج حدود الزمان لأن الإنسان سيخلد فيه ويحيا مع الله والمسيح حياة أبدية ليس لها نهاية.

وطبعاً نحن لا نقصد أن "مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ" (الكهف 60-61) هُو هُو نفسه "جنة الخلد"، وإنما نقصد أن الذين ألّفوا أسطورةَ "موسى والخَضِر" القرآنية (الكهف 60-82) جعلوا الخَضِرَ يعيش خارج حدود المكان والزمان. وسنعلم فى نهاية هذا الفصل أن الجذور الشرقية القديمة (غير الإبراهيمية) لهذه الأسطورة القرآنية ستصل بنا إلى نفس النتيجة: "مَجمع البحرين" خارج حدود المكان والزمان. فلا داعي إذن للبحث عن "مَجمع البحرين" على خريطة الكرة الأرضية، ولا داعي كذلك أن نقول "ليس في معرفته فائدة".

4.42.3 جذور القرآن في التراث اليهودي: الرّابي والنبي

أما إذا أردنا أن نعرف جذور أسطورة "موسى والْخَضِر" (الكهف 60-82) في التراث اليهودي، فيجب أن نتوقف عند أسطورة يهودية وردت فى "الأجاداه" (Aggadah) (أى: القصص، الأساطير، النوادر والحكايات الدينية، الخرافات) اليهودية. تُعرَف هذه الأسطورة الأجادية اليهودية بقصة "يُوشَع (يشوع) وإيليا (إلياهو)". وبطلاها هما:

- الرّابي "يُوشَع (يشوع أو يهُوشُوَع أو يُوحَنان) بن لاوى" (Joshua ben Levi) (Josué ben Levi) الذي يقوم بدور التلميذ المنصوح.
- النبي "إيليا (إلياهو)" (Elijah) (Élie) الذي يقوم بدور المعلم الناصح. ويجب هنا أن نقول إن "إيليا" اسم عبرى معناه "إلهى يهوه". والصيغة اليونانية لهذا الاسم هى "إلياس" (Elias)، وهى المستعملة فى العربية[7222]، وهى المستعملة فى كتاب "القرآن" العربى (الصافات 123) (الأنعام 85). وزمان إيليا (إلياس) النبى هو القرن التاسع قبل الميلاد، أى بعد موسى النبى بمئات السنين.

لا نعلم على وجه اليقين تاريخ تأليف أسطورة "يُوشَع (يشوع) وإيليا (إلياهو)"، فلقد جُمِعَت مع أساطير يهودية أخرى فى كتاب (Ḥibbur Yafeh) الذى قام بجَمْعِه الرّابى "نسيم بن يعقوب" (Nissim ben Jacob) فى القرن الحادى عشر الميلادى[7223]. لكن الرّابى يُوشَع بن لاوى نفسه كان يعيش فى القرن الثالث الميلادى، ولقد وجدنا هذه الأسطورة اليهودية فى التلمود[7224]، وأشارت إليها أبحاث ومراجع كثيرة

عن الإسلام[7225]. ووجدنا أساطير تلمودية (Sanhedrīn 98a) ومدراشية (Genesis Rabbah 35:2)[7226] أخرى تجمع بين الرابى يُوشَع بن لاوى والنبى إيليا. ولذلك فإننا نعتقد أن تاريخ تأليف أسطورة "يُوشَع (يشوع) وإيليا (إلياهو)" يقع بين القرن الثالث الميلادى والقرن السادس الميلادى، أى قبل ظهور الإسلام.

ويُفهَم مِن الدراسة التى أعدها د. إبراهيم عافية عن قصص سورة الكهف أن تاريخ تأليف هذه القصة الأجادية يسبق الإسلام، بل إنه اعتبرها "خير دليل على حدوث القصة القرآنية"! يقول د. عافية: "ولو كانت هذه القصة الأجادية من الأساطير كما يعتقدون، أو أن مَفَادها هو ما ورد آنفاً، لما سَلِمَ النبى محمد ﷺ عندما جاءهم بالقصة القرآنية الشبيهة، ولقاموا على الطعن فيه وفى صدق القرآن؛ ولسجله التاريخ كما سجل أقوالهم الأخرى التى زعموا فيها أنه ساحر أو شاعر أو غير ذلك، حاشاه ﷺ". إلا أنه بعد ذلك بثلاثين صفحة، يقول إن "العرب لم يكونوا على علم بها (أى: بهذه القصة)؛ لذا أتت الأسئلة الكثيرة للنبى (محمد) حول هذه القصة"[7227].

تعليقنا: ربما يقصد أن العرب لم يكونوا على علم بالتفاصيل الدقيقة لهذه القصة، لكن مِن المؤكد أنهم قد سمعوا عنها، بدليل أنهم سألوا محمداً عنها. فلا يمكن أن تسأل عن شىء إلا إذا كنت قد سمعت عنه. وهذا يدل على أن تاريخ تأليف هذه القصة الأجادية اليهودية يسبق الإسلام، ثم انتقلت القصة مِن اليهود إلى العرب، فطوَّرها العربُ تطوراً بشرياً طبيعياً، ثم وضعوها فى كتابهم العربى المُسمَّى "القرآن".

ونحن نقول له ولغيره مِن الكتاب المسلمين الذى يفترضون مِن البداية صحة القرآن فى كل شىء وأى شىء: إن القرآن نفسه قد سجَّل أن المعاصرين لمحمد رفضوا قصص القرآن واعتبروها "أساطير الأولين" (الأنفال 31) (الفرقان 5) (النحل 24) (الأنعام 25) (المؤمنون 83) (النمل 68) (القلم 15) (المطففين 13) (الأحقاف 17)، وهى كلها آيات مكية، أى قيلت فى بداية الدعوة الإسلامية. بل قالوا لمحمد صراحةً "إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ" (النحل 101) "هَذَا (أي: القرآن) إِفْكٌ قَدِيمٌ" (الأحقاف 11). "إِفْكٌ" يعنى: كذب، أى: غير حقيقى. و "قَدِيمٌ" يعنى: سمعناه قبل كده. وهذه أدلة مِن القرآن نفسه (internal evidence) تثبت أن المعاصرين لمحمد كانوا يعرفون قصص القرآن قبل القرآن، أو على الأقل يعرفون جذور القرآن فى تراث الشرق القديم. وما نقوم به نحن هو أننا نثبت بأدلة أخرى مِن خارج القرآن (external evidence) أن المعاصرين لمحمد كانوا على حق حين أنكروا نبوته المزعومة وشكُّوا في لاهوت القرآن. قالوا عن قصص القرآن "أساطير الأولين"، وقالوا عن القرآن "إِفْكٌ قَدِيمٌ"، وقالوا "إِنْ هَذَا [القرآن] إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ [محمدٌ] وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ (أي: ثمرة عمل جماعي)" (الفرقان 4). وإذا كانت كلمة "إِفْكٌ" كلمة قاسية وعاطفية وغير مقبولة الآن، فيمكن استبدالها بعبارة: أساطير تطورت "تطوراً بشرياً طبيعياً" (natural human development) أو بنفس المعنى "تطوراً ثقافياً طبيعياً" (natural cultural evolution).

وقال الطاهر بن عاشور: "والمحقق أن قصة الخضر وموسى يهودية الأصل ولكنها غير مسطورة فى كتب اليهود المعبر عنها بالتوراة والعهد القديم"[7228].

ونحن نتفق تماماً مع هذا الرأى، ونضيف إليه أن هذه القصة مسطورة فى كتب الأساطير اليهودية.

إذن: كل الأدلة التى أمامنا تشير إلى أن أسطورة "يُوشَع (يشوع) وإيليا (إلياهو)" الأجادية اليهودية أقدم مِن أسطورة "موسى والخَضِر" القرآنية العربية (الكهف 60-82).

هذا مِن حيث تاريخ التأليف، فماذا عن المحتوى والأفكار الرئيسية؟ ...

قبل أن نجيب على هذا السؤال، نود أن ننوه إلى وجود بعض الاختلافات بين الأسطورة الأجادية اليهودية الأصلية والأسطورة القرآنية العربية. لكن هذا أمر طبيعى تعودنا عليه، بل إن هذا هو تعريف التطور البشرى الطبيعى بالحذف و/أو الإضافة. وأحياناً تصب هذه الاختلافات فى صالح الأسطورة اليهودية الأصلية وليس فى صالح الأسطورة القرآنية. على سبيل المثال، نجد هنا أن الأسطورة الأصلية منطقية أكثر مِن الأسطورة القرآنية، لأننا نجد النبى يقوم بدور المعلم وليس بدور التلميذ. أو حسب التطور البشرى الطبيعى: التلميذ "يُوشَع (يشوع)" **[⟵ التلميذ "موسى" النبى]**؛ المعلم "إيليا (إلياهو)" النبى **[⟵ المعلم "الْخَضِر"]**. نستطيع إذن أن نقول إن قصة "موسى والْخَضِر" هى (inverted parallel) لقصة "يُوشَع وإيليا". وفى جميع الأحوال، نحن لا نقول إن قصة "موسى والْخَضِر" هى هى نفسها قصة "يُوشَع وإيليا". وإنما نقول إن قصة "موسى والْخَضِر" هى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "يُوشَع وإيليا". أى أننا لا نقول: قصة "يُوشَع وإيليا" = قصة "موسى والْخَضِر"؛ وإنما نقول: قصة "يُوشَع وإيليا" **[⟵ قصة "موسى والْخَضِر"]**. ثم إن الفكرة الأساسية فى القصتين الأجادية والقرآنية واحدة.

يقول د. إبراهيم عافية: "وتتفق القصة الأجادية فى الفكرة الأساسية مع القصة القرآنية، وهى الفكرة التى تقوم على الصبر والتأنى؛ وتتفق كذلك فى أبطال القصتين؛ وهما الناصح والمنصوح، وأيضاً من ناحية أن كل الأحداث الأساسية قد تمت أثناء رحلة قام بها بطلى القصة، على الرغم من أن ميدان وأرضية الرحلة فى القصتين مجهولة تماماً، والقصتان - القرآنية والأجادية - تختلفان فى أسماء أبطالها، وفى مضمون الحكايات الواردة فى كل منهما، وإن كانت الفكرة الرئيسة فيهما واحدة. يقول د. سعيد عطية: "تذكر الأجاداه اليهودية رحلة لإلياهو مع يشوع بن لاوى، أتى فيها إلياهو بمثل ما عمل العبد الصالح الوارد ذكره فى القرآن الكريم، وفى هذه القصة أظهر إلياهو ليوشع الذى سخط على أفعاله، أنه تعجل وأخطأ فى الحكم عليه، والتشابه بين القصتين كبير؛ حتى إنه لا يدع مجالاً للشك فى أن القصة الواردة فى القرآن، والقصة الواردة فى الأجاداه اليهودية، تتشابهان فى المصدر""[7229].

وسنذكر باختصار أهم أحداث القصة الأجادية اليهودية معتمدين بصفة أساسية على الترجمة العربية التى قام بها د. إبراهيم عافية[7230]. وسنضيف أدلة التطور البشرى الطبيعى بعلامة **[⟵]** كما تعودنا.

التلميذ المنصوح يُوشَع (يشوع) [⟵ موسى]. المعلم الناصح إيليا (إلياهو) [⟵ الْخَضِر].

فصل (رحلة التلميذ والمعلم): قال يشوع لإلياهو: "إننى مشتاق للذهاب معك؛ لكى أرى الأشياء العجيبة التى تفعلها فى العالم" [⟵ قَالَ مُوسَى للخَضِر: "هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا" (الكهف 66)]. قال إلياهو ليشوع: "لن تقدر على السير معى، فلن يمكنك تحمل ما ستراه من أعمالى، وسوف تضطر أن تُلح علىَّ فى السؤال؛ لتعرف ما الذى دفعنى إلى القيام بهذه الأعمال" [⟵ قَالَ الْخَضِر لمُوسَى: "إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا" (الكهف 67-68)]. فقال يشوع: "لن أثقل عليك كثيراً ولن أزعجك بالأسئلة، فإن هدفى هو رؤية ماذا تفعل لا غير" [⟵ فقَالَ مُوسَى: "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا" (الكهف 69)]. فاشترط إلياهو على يشوع ألاَّ يسأل عن شىء، وإلا سيضطر إلى فراقه والسير وحده [⟵ "قَالَ (الْخَضِر لموسى) فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا" (الكهف 70)].

مشهد (البقرة وصاحبيها) [⟵ مشهد (الغلام وأبويه)]: وسار الاثنان سويًّا [⟵ "فَانْطَلَقَا" (الكهف 74)] حتى وصلا إلى منزل رجل فقير ليس لديه شىء إلا بقرة واحدة [⟵ "غُلَامًا" (الكهف 74)] كانت تقف بجوار باب البيت. وكان الرجل وزوجته يجلسان على عتبة الباب، وعندما رأياهما قادمين؛ خرجا لمقابلتهما، واستقبلاهما ببشاشة، ثم قدما لهما أحلى الأطعمة، فشربا وأكلا، وباتا هذه الليلة هناك، وفى الصباح قاما لاستئناف المسير، فدعا إلياهو على البقرة فماتت على الفور [⟵ "لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ (الْخَضِر)" (الكهف 74)]. فاندهش يشوع وقال لإلياهو: "سيدى لماذا أمت بقرة هذا الرجل وقد أكرمنا؟" [⟵ اندهش موسى و "قَالَ (للخَضِر) أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا" (الكهف 74)]. فأجابه إلياهو: "تذكر الشرط الذى بينى وبينك، وهو أن تسكت، وتصغى" [⟵ "قَالَ (الْخَضِر لموسى) أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا" (الكهف 75) (الكهف 72)]. وأضاف إلياهو: "وإذا أردت الانفصال عنى (يا يشوع) فإنى أخبرك!". فصمت يشوع عن أسئلته [⟵ "قَالَ (موسى للخَضِر) لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا" (الكهف 73) "إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا" (الكهف 76)]، ولم يجبه إلياهو [⟵ ولم يجبه الخَضِر].

ونلاحظ هنا أن الأسطورة اليهودية إنسانية ورحيمة أكثر مِن الأسطورة القرآنية. فى الأسطورة القرآنية، قتل الْخَضِرُ غلاماً صغيراً بريئاً أعزلاً لا يستطيع أن يدافع عن نفسه. أما فى الأسطورة اليهودية، فنجد أن إيليا (إلياهو) قتل بقرة. ولم يقتلها بيديه، وإنما دعا عليها فماتت. وهذا مثال آخر للاختلافات التى تصب فى صالح الأسطورة اليهودية الأصلية وليس فى صالح الأسطورة القرآنية. إلا أن هذا الاختلاف البسيط قد جعل المفسرين المسلمين يضيعون أوقاتاً طويلة مِن حياتهم فى تبرير قتل الغلام لدرجة أنهم اتهموه بالكُفر، مع أنه غلام صغير! ويا ليت أصحاب القرآن تركوا البقرة كما هى بقرة ولم يجعلوها غلاماً.

مشهد (الحائط والكنز) [← مشهد (الجدار والكنز)]: ثم واصل الاثنان المسير **[← "فَانْطَلَقَا" (الكهف 77)]** طوال النهار، وفى المساء ذهبا إلى منزل أحد الأغنياء، فلم يكرمهما أو يحترمهما، وجلسا فى بيته بدون طعام أو شراب **[← "أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا" (الكهف 77)]**. وكان فى منزل هذا الرجل الغنى حائط منهدم **[← "فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ" (الكهف 77)]**، وكان عليه ترميمه. وفى الصباح قام إلياهو فصلى لربه وأعاد بناء الحائط **[← "فَأَقَامَهُ (أى: أقام الْخَضِرُ الجدارَ)" (الكهف 77)]**. أما يشوع فزاد حزنه ودهشته مما فعل إلياهو، ولكنه صمت **[← فى القرآن، موسى لم يصمت وإنما "قَالَ (للخَضِر) لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ (أى: على عملك) أَجْرًا" (الكهف 77)]**. ثم ذهب الاثنان من هناك.

سؤال: كيف أقام الخَضِرُ الجدارَ؟ لا نجد الإجابة فى القرآن، لكن نجدها فى البخارى: "أَوْمَأَ بيده هكذا، وأشار سفيان كأنه يمسح شيئاً إلى فوق" (البخارى 3220)! وفى رواية أخرى: "قال سعيدٌ بيده هكذا ورفع يديه فاستقام. قال يعلى: حَسِبْتُ أن سعيدا قال: فمسحه بيده فاستقام" (البخارى 2147)! لاحظ الطريقة الأسطورية فى إقامة الجدار. أما فى القصة اليهودية الأصلية، فنجد أن طريقة إقامة الجدار كانت أكثر عقلانية: إلياهو صلى لربه وأعاد بناء الحائط. وهذا مثال ثالث للاختلافات التى تصب فى صالح الأسطورة اليهودية الأصلية وليس فى صالح الأسطورة القرآنية/البخارية.

مشهد (المضيفة): وواصل الاثنان مسيرتهما **[← "فَانْطَلَقَا" (الكهف 71) (الكهف 74) (الكهف 77)]** طوال النهار حتى وصلا مساءً إلى مضيفة عظيمة [...].

مشهد (المدينة): ثم تابعا المسير **[← "فَانْطَلَقَا" (الكهف 71) (الكهف 74) (الكهف 77)]** طوال النهار، [...]، وعندما أخذت الشمس تغرب كانا قد وصلا إلى إحدى المدن [...].

حذف أصحابُ القرآن مشهدى المضيفة والمدينة، ووضعوا مكانهما مشهدَ السفينة (الكهف 71-73). وسنعلم بعد قليل أن مشهد السفينة مُستوحَى مِن التراث البابلى، وتحديداً مِن "ملحمة جلجامش".

الفصل الأخير (التأويل والفِرَاق): لم يستطع يشوع السكوت على أعمال إلياهو، فقال لإلياهو: "الآن يا سيدى أعلن لى عن كل أسرار هذه الأعمال التى قمت بها". فقال له إلياهو: "الشرط أن تنفصل عنى بعد ذلك **[← "قَالَ (الْخَضِر لموسى) هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ" (الكهف 78)]**، أى: بعد تفسير هذه الأمور وإخبارك بسرها" **[← "سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" (الكهف 78)]**.

تأويل مشهد (البقرة وصاحبيها) [← تأويل مشهد (الغلام وأبويه)]: قال إلياهو ليشوع: "اعلم أن الرجل الذى قتلت بقرته قد صدر فى نفس اليوم قرار الرب بموت زوجته، وقد صليت للرب ودعوته بأن تكون بقرته فداءً لزوجته [...] الطيبة" **[← فى القصة القرآنية، أراد الخَضِر أن يكون الغلام فداءً لبقاء أبويه**

على الإيمان: "وَأَمَّا الْغُلَامُ (الذى قتلته) فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا (لو بقى الغلام حياً) أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا. فَأَرَدْنَا (بقتله) أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا" (الكهف 80-81)].

تأويل مشهد (الحائط والكنز) [← تأويل مشهد (الجدار والكنز)]: قال إلياهو ليشوع: "أما الرجل الغنى الذى بنيت له الحائط، فلو أننى تركته يبنيه لاكتشَف سره، ووجد فيه كنزاً عظيماً من الذهب والفضة؛ ولذلك بنيت له، وعندئذٍ لن يسقط الحائط سريعاً، ولن يبنيه مرة أخرى". أى أن إلياهو أراد أن يُخفِى الكنزَ عن الرجل الغنى **[← فى القصة القرآنية، أراد الخَضِر أن يُخفِى الكنزَ عن أهل المدينة: "وَأَمَّا الْجِدَارُ (الذى أقمته دون أجر) فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا" (الكهف 82)].**

تأويل مشهدى (المضيفة) و (المدينة): [...] [← تأويل مشهد (السفينة) (الكهف 79)]. ورغم الاختلاف بين الأسطورة اليهودية والأسطورة القرآنية فى هذين المشهدين، إلا أن الفكرة الأساسية فى الأسطورتين واحدة، وهى أن أعمال المعلم (إيليا/الخَضِر) تبدو للتلميذ (يُوشَع/موسى) أنها أعمال شريرة، لكن المعلم يُوضِّح للتلميذ أن الهدف مِن ورائها هو الخير وليس الشر. إنها أعمال مرفوضة وغير مبررة فى صورتها الظاهرية، لكنها مقبولة ومبررة إذا عُرِفَت حقيقتها الأصلية! إنها أفعال ظاهرها الفساد والمنكر، لكن باطنها الرحمة والمعروف!

إذن: هذا الاختلاف بين الأسطورتين لا ينفى نظرية التطور البشرى الطبيعى، وإنما يثبتها.

وأخيراً تنتهى القصة اليهودية الأصلية بمجموعة مِن الوصايا التى يقولها إيليا ليُوشَع موضحاً له الدروس المستفادة مِن رحلتهما. حذف أصحابُ القرآن (أو أجدادهم العرب) هذه الوصايا رغم أهميتها. وهذا مثال رابع للاختلافات التى تصب فى صالح القصة اليهودية الأصلية وليس فى صالح القصة القرآنية.

مما سبق يتضح أن قصة "موسى والْخَضِر" القرآنية العربية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "يشوع (يُوشَع) وإيليا (إلياهو)" الأجادية اليهودية.

4.42.4 جذور القرآن فى تراث الشرق الأدنى القديم

لاحظنا فى الجزء السابق أن الفصل الأول مِن الأسطورة القرآنية العربية، فصل (البحث عن المعلم اللَّدُنِّى) (الكهف 60-64)، غير موجود فى الأسطورة الأجادية اليهودية الأصلية. ولاحظنا أيضاً أن فتى موسى الذى ظهر فى هذا الفصل الأول (الكهف 60، 62) قد اختفى فجأة، بل اختفى تماماً مِن بقية القصة القرآنية! كذلك بالنسبة لهذا الحوت العجيب الذى ظهر فجأة كحوت ميت مملح ثم اختفى فجأة بعد أن دبَّتْ فيه الحياة (الكهف 61)!

كل هذا يجعلنا نتساءل عدة أسئلة: لماذا ظهر فتى موسى فى هذه القصة القرآنية؟ ما الدور الذى لعبه؟ ولماذا اختفى فجأة؟ ماذا حدث له؟ هل مات؟ وما السبب فى تسمية مكان الخَضِر بـ "مَجْمَع (أى: ملتقى) الْبَحْرَيْنِ" (الكهف 60)؟ ولماذا كانت عودة الحياة إلى هذا الحوت الميت عند مَجْمَع الْبَحْرَيْنِ علامة لموسى على أن هذا هو مكان الخَضِر (الكهف 64)؟ ...

والسؤال الأهم هو: هل هذا الفصل الأول (البحث عن المعلم اللَّدُنِّى) (الكهف 60-64) جزء أصلى مِن القصة أم هو جزء دخيل عليها؟ والإجابة: إنه بالفعل جزء دخيل على القصة، مأخوذ مِن أسطورة شهيرة أخرى، هى "ملحمة جلجامش" (Epic of Gilgamesh) (L'Épopée de Gilgamesh)[7231]، وهى واحدة مِن أشهر أساطير بلاد ما بين النهرين، بل إنها الأشهر. كَتَبَ البابليون القدماء هذه الملحمة الكبيرة اعتماداً على عدة نصوص سومرية أقدم منها بكثير. ووُجِدَت هذه الملحمة الشهيرة فى مكتبة الملك الأشورى "أشوربانيبال" (Ashurbanipal) (القرن السابع قبل الميلاد؛ عهده: 668-627 ق.م تقريباً) – أى قبل الإسلام بأكثر مِن 1200 عام. وتم العثور على مقاطع أقدم يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر أو الثامن عشر قبل الميلاد[7232] – أى قبل الإسلام بأكثر مِن 2200 عام – بل قبل جميع الديانات الإبراهيمية.

لكن هل يُعقَل أن ملحمة جلجامش قد انتقلت مِن بلاد الرافدين إلى الصحراء العربية؟!

الاجابة: بكل تأكيد. الحقيقة التى لا يستطيع أحد أن ينكرها هى أن ملحمة جلجامش قد انتشرت انتشاراً واسعاً فى الشرق الأدنى القديم، فلقد "ازدهرت على مدى أكثر من ألف سنة سواء فى آشور أو بابل، كما أنها اجتازت بشكل واسع حدود هذين البلدين فعُرفت و نُسخت أو تُرجمت، بدءاً من فلسطين حتى قلب الأناضول فى بلاط ملوك الحثيين"[7233]. ونقرأ على موقع المتحف البريطانى أن مقاطع مِن ملحمة جلجامش قد وجدت فى مجدو (Megiddo) (فى إسرائيل حالياً)[7234]. وقال العالِمُ الكبير (Prof. Thomas Römer) نفس الكلام وأضاف في محاضرة له على موقع (Collège de France)[7235] أنه قد ورد ذِكر جلجامش فى كتاب "الجبابرة" (The Book of Giants) (Livre des Géants) الذى عُثِر عليه فى قمران (Qumran) (شمال البحر الميت)[7236]. ومِن المعروف أيضاً أن اليهود قد عاشوا عقوداً طويلة فى بلاد ما بين النهرين، أثناء فترة السبى البابلى وما بعدها. إذن: مِن المؤكد أن ملحمة جلجامش قد وصلت إلى اليهود. ثم انتقلت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى العرب. وخير دليل على هذا الانتشار الواسع هو أن ملحمة جلجامش تذكر أسطورة "الطوفان" (Gilgamesh Flood Myth) التى انتقلت إلى كل الديانات الإبراهيمية وسُمِّيت "طوفان نوح" (Flood of Noah). يوضِّح الجدول التالى أهم شخصيات وأحداث أسطورة جلجامش البابلية، وما يناظرها فى أسطورة "موسى والْخَضِر" القرآنية (الكهف 60-82):

جدول 40 – أهم شخصيات وأحداث أسطورة جلجامش البابلية وما يناظرها فى أسطورة "موسى والْخَضِر" القرآنية

أسطورة جلجامش البابلية	أسطورة "موسى والْخَضِر" القرآنية
الشخصية الأولى: جلجامش المَلِك جلجامش يمثل الحضارة (civilisation)، الثقافة (culture)[7237]. إنه قريب مِن الآلهة، فهو ثلثا إله (two-thirds god) وثلث إنسان (one-third human).	موسى النبى والرسول المُخْلَص (مريم 51) موسى هو أعظم أنبياء بنى إسرائيل، وأكثر نبى مذكور فى القرآن، وأحد أولى العزم مِن الرسل. أُلقِيَت عليه محبةٌ مِن الله وصُنِعَ على عين الله (طه 39). اصْطَنَعْه اللهُ لِنَفْسِه (طه 41) وكَلَّمه مباشرةً دون واسطة (النساء 164) (الأعراف 143) (مريم 52).
الشخصية الثانية: صاحب جلجامش الذى يُعرَف فى التراث البابلى باسم "أنكيدو" (Enkidu)[7238]. أنكيدو يمثل الفطرة، الطبيعة (nature). إنه قريب مِن الحيوان، فهو يحيا مع الحيوانات المتوحشة!	فتى موسى (الكهف 60، 62) الذى يُعرَف فى تراث الديانات الإبراهيمية باسم "يشوع (يُوشَع) بن نون". يُوشَع (يشوع) المُحارب المُقاتِل يمثل الطبيعة البشرية. إنه يغزو الأرض ويسرق الغنائم ويسفك الدماء[7239]!
الشخصية الثالثة: "أوتنابيشتيم (أوتا-نابيشتى)" (Utnapishtim) الذى منحه الإلهُ "أنليل" (Enlil) الخلودَ (immortality) وجعله يسكن عند "فم الأنهار" (the mouth of the rivers)، حيث يحيا حياة أبدية (eternal life). أوتنابيشتيم إنسان لا يختلف عن جلجامش، إلا أنه يحيا حياة أبدية مثل الآلهة.	الخَضِر الذى منحه اللهُ العِلمَ اللَّدُنِّى "آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا (أى: مِن عندنا) عِلْمًا" (الكهف 65) وجعله يسكن عند "مَجْمَع (أى: ملتقى) الْبَحْرَيْنِ" (الكهف 60) حيث دبَّتْ الحياةُ فى الحوت الميت (الكهف 61، 63). الخَضِر إنسان لا يختلف عن موسى، إلا أنه تعلَّم عِلماً لَّدُنِّياً مِن عند الله (الكهف 65).
فى الأسطورة البابلية، أنكيدو يموت.	فى الأسطورة القرآنية، يختفى يُوشَع تماماً وكأنه مات.

يبحث جلجامش عن الخلود (immortality)، يبحث عن الحياة الأبدية (eternal life)، أى يبحث عن ما يمتلكه أوتنابيشتيم. أراد جلجامش أن يعرف مِن أوتنابيشتيم سرَ الحياة الأبدية، ولذلك ظل يبحث عنه فى رحلة طويلة ومُتعِبة حتى وصل إليه.	يبحث موسى عن العِلم اللَّدُنِّى، أى يبحث عن ما يمتلكه الخَضِر، بدليل أنه قال للخَضِر: "هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا" (الكهف 66). أراد موسى أن يتعلم مِن الخَضِر العِلمَ اللَّدُنِّى، ولذلك ظل يبحث عنه فى رحلة طويلة ومتعبة حتى وصل إليه (الكهف 65). إنها رحلة طويلة بدليل "أَمْضِيَ حُقُبًا (أى: زمناً طويلاً)" (الكهف 60)، ورحلة مُتعِبة بدليل "لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (أى: تعباً) (الكهف 62).
مات أنكيدو. وهذا يدل على أنه ليس خالداً، أى أنه يفتقد ما يمتلكه أوتنابيشتيم.	فَشَلَ يُوشَع فى مهمة بسيطة جداً، فلقد نَسِيَ الحوتَ "فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ" (الكهف 63). وهذا يدل على أن يُوشَع ليس عَالِماً حكيماً، أى أنه يفتقد ما يمتلكه الخَضِر.
جلجامش يريد أن يكون خالداً أبدياً مثل أوتنابيشتيم الذى منحه الإلهُ الخلودَ، ولا يريد أن يكون مائتاً (mortal) مثل أنكيدو.	موسى يريد أن يكون عَالِماً حكيماً مثل الخَضِر الذى منحه اللهُ العِلمَ اللَّدُنِّى، ولا يريد أن يكون مثل يُوشَع الذى أنساه الشيطانُ الحوتَ.
فى نهاية الرحلة الطويلة، تنتهى الأسطورة البابلية بفشل جلجامش فى أن يكون خالداً أبدياً مثل أوتنابيشتيم. بل فشله فى أن يظل مستيقظاً لفترة قصيرة (بضعة أيام)، فكيف يستطيع أن يظل حياً إلى الأبد مثل أوتنابيشتيم؟! وتؤكد الأسطورة البابلية أن جلجامش سيموت مثل أنكيدو.	فى نهاية الرحلة الطويلة، تنتهى الأسطورة القرآنية بفشل موسى فى أن يكون عَالِماً حكيماً مثل الخَضِر. بل فشله فى أن يلتزم بما قاله منذ فترة قصيرة (وعده بالصبر والطاعة وعدم السؤال (الكهف 69-70))، فكيف يستطيع أن يتعلم عِلماً لَّدُنِّياً مثل الخَضِر؟! وتؤكد الأسطورة القرآنية أن موسى ينسى مثل يُوشَع، "قَالَ (موسى للخَضِر) لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ" (الكهف 73)[7240].
يُفهَم مِن الأسطورة البابلية أن الحياة الأبدية التى منحها الإلهُ لأوتنابيشتيم هى مما اختص الإلهُ به أوتنابيشتيم دون غيره مِن البشر، حتى وإن كان مَلِكاً (جلجامش).	يُفهَم مِن القرآن والسُّنَّة أن العِلم اللَّدُنِّى الباطنى الذى منحه اللهُ للخَضِر هو مما اختص اللهُ به الخَضِر دون غيره مِن البشر[7241]، حتى وإن كان نبياً ورسولاً (موسى).

ويستطيع المَلِك جلجامش أن يستمر فى حياته كمَلِك، دون أن يحتاج هذه الحياة الأبدية التى كان يسعى وراءها.	ويستطيع النبى موسى أن يستمر فى حياته كرسول صاحب شريعة تعتمد على الظاهر، دون أن يحتاج هذا العِلم اللَّدُنِّى الباطنى الذى كان يسعى وراءه.

يتضح مِن الجدول السابق أن الدور الذى لعبه يُوشَع (يشوع) بن نون فى الأسطورة القرآنية العربية هو نفس الدور الذى لعبه أنكيدو فى الأسطورة البابلية: أن يبرز التضاد الشديد بين شخصيتى أنكيدو **[← يُوشَع (يشوع) بن نون]** وأوتنابيشتيم **[← الخَضِر]**، كما يُوضِّح الشكل التالى. ظهر يُوشَع ليقوم بهذا الدور ثم اختفى بعد أن قام به.

الحياة (Life)	**العِلم (Knowledge)**
الله: حى لا يموت أبداً. بلا بداية ولا نهاية.	الله: علمه بلا حدود.
أوتنابيشتيم: حى خالد لن يموت. له بداية لكن ليس له نهاية.	الخَضِر (المعلم): عِلم لَّدُنِّى باطنى.
جلجامش: حى وسيموت. له بداية وسيكون له نهاية.	موسى (التلميذ): علم ظاهرى.
أنكيدو: مات. انتهت حياته بالفعل!	يُوشَع (يشوع) بن نون: نسيان وإهمال بسبب الشيطان. اختفى وانتهى دوره.
الإنسان حياته محدودة	**الإنسان علمه محدود**

رسم توضيحي 13 – شخصيات أسطورة جلجامش البابلية وما يناظرها فى أسطورة "موسى والْخَضِر" القرآنية

وكالعادة، اضطر أصحاب القرآن إلى "أسلمة" هذا الجزء مِن أسطورة جلجامش حتى يصبح متوافقاً مع الإسلام بصفة عامة ومع القرآن بصفة خاصة الذى يقول: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" (آل عمران 185) (الأنبياء 35) (العنكبوت 57) "وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ" (الأنبياء 34). فبينما تقول الأسطورة البابلية إن أوتنابيشتيم يحيا حياة أبدية مثل الآلهة، نجد أن القرآن يؤكد على أن الخَضِر كان "عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا" (الكهف 65)، أى ليس أبدياً مثل الله، وإنما مجرد عَبْد مِنْ عِبَادِ الله.

ومع ذلك، فإننا نرى بقايا الأسطورة البابلية ما زالت موجودة فى الأسطورة القرآنية، بدليل هذا الحوت الميت الذى دبَّتْ فيه الحياةُ عند مجمع البحرين (فم الأنهار) (الكهف 61)، أى نفس المكان الذى يحيا فيه الخَضِر (أوتنابيشتيم). بعبارة أخرى: حَوَّل أصحابُ القرآن الحياةَ الأبدية (eternal life) التى ينعم بها أوتنابيشتيم عند فم الأنهار إلى حياة بعد الموت (afterlife) ينعم بها الحوتُ عند مجمع البحرين. وكذلك فى الآخرة، ستعود الحياةُ إلى الإنسان الميت فيحيا حياة أبدية فى جنة الخلد[7242]. وإنه لمِن الطريف أن أصحاب القرآن عندما وصفوا "جنة الخلد" قالوا إن "الأنهار" تجرى من تحتها (البقرة 25) (آل عمران 15، 136، 195، 198) (النساء 13، 57، 122) (المائدة 12، 85، 119) (التوبة 72، 89، 100) (يونس 9) (الرعد 35) (إبراهيم 23) (النحل 31) (الكهف 31) (طه 76) (الحج 14، 23) (العنكبوت 58) (محمد 12) (الفتح 5، 17) (الحديد 12) (المجادلة 22) (الصف 12) (التغابن 9) (الطلاق 11) (التحريم 8) (البروج 11) (البينة 8). وهذا دليل آخر على أن فكرة "فم الأنهار" حيث الحياة الأبدية (حسب الأساطير غير الإبراهيمية) قد تسللت إلى مواضع كثيرة فى القرآن[7243]، مما يدل على أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله، لأن الله لا يمكن أن يردد أساطير الشرق الأدنى القديم.

وكالعادة أيضاً، توجد بعض الاختلافات بين الأسطورة البابلية والأسطورة القرآنية. وهذه الاختلافات أمر طبيعى تعودنا عليه، بل إنها تثبت نظرية التطور البشرى الطبيعى. على سبيل المثال:

- فى الأسطورة البابلية يركب جلجامش سفينة مع "أورشنابو" (Urshanabi) ملَّاح أوتنابيشتيم **[⟵ حذف أصحابُ القرآن شخصية الملاح أورشنابو، فجعلوا جلجامش (موسى) يركب السفينة مع أوتنابيشتيم (الخَضِر) نفسه (الكهف 71)]**. إلا أننا وجدنا بقايا شخصية الملاح أورشنابو موجودة فى البخارى ومسلم اللذين قالا إن ركاب السفينة كانوا يعرفون الخَضِر: "فانطلق الخضر وموسى يمشيان على ساحل البحر. فمرت بهما سفينة. فكلّماهم أن يحملوهما. فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نَوْلٍ (أى: مجاناً؛ بغير أجر)" (مسلم 2380) (البخارى 3220). وكان الطبرى أكثر وضوحاً من البخارى ومسلم، فذكر الملاح وإن لم يذكر اسمَه: "فانطلقا يمشيان على الساحل، فإذا بملاح فى سفينة، فعرف الخضر، فحمله بغير نَوْلٍ"[7244].
- فى الأسطورة البابلية يكسر جلجامش تماثيل الحجر (Stone Charms) التى تساعد السفينة على العبور، فيتساءل أوتنابيشتيم متعجباً لماذا حدث ذلك **[⟵ فى الأسطورة القرآنية العربية نجد العكس:**

الذى خرق السفينة هو أوتنابيشتيم (الخَضِر)، والذى تساءل متعجباً هو جلجامش (موسى) (الكهف 71) ← وفى أساطير البخارى ومسلم، نعرف كيف خُرِقت السفينة: "عَمَدَ الخَضِرُ إلى لوحٍ مِن ألواح السفينة فَنَزَعَهُ" (مسلم 2380) "أخذ الفأسَ فنزع لوحاً [...] قَلَعَ لوحاً بالقَدُّوم" (البخارى 3220)].

إذن: لم ينتقل مشهد السفينة مِن الأساطير البابلية إلى الأساطير الإسلامية (فى القرآن والبخارى ومسلم) كما هُوَ بدون تغيير، وإنما حدث له تطور بشرى طبيعى بالحذف و/أو الإضافة مع مرور الزمن.

وخير دليل قرآنى على أن مشهد السفينة مِن كلام البشر وليس من كلام الله هو أنه غير منطقى. موسى نجا من الغرق مرتين: مرة وهو طفل صغير فى التابوت، ومرة أخرى وهو نبى مرسل حين فلق البحر فعبر هو وبنو إسرائيل. ومع ذلك، نراه الآن يخشى على أصحاب السفينة مِن الغرق لمجرد أن لوح قد انكسر! هل هذا معقول؟! ثم إن التبرير الذى قاله الخَضِر غير معقول: "فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" (الكهف 79). إذا كان هؤلاء المساكين البسطاء يستطيعون أن يصلحوا السفينة - وقيل إنهم أصلحوها بخشبة - أفلا يستطيع هذا المَلِك أن يأخذ السفينة ويأمر قومَه وجنودَه بإصلاحها؟! وهل خرق سفينة واحدة سيمنع هذا الملك مِن اغتصاب السفن الأخرى؟ وما ذنب هؤلاء المساكين أن تُخرَق سفينتهم؟ ألم يكن من المفروض مواجهة الظالم (المَلِك) بدلاً من إلحاق الضرر بالمظلوم (المساكين)؟ إن خرق سفينة بحجة حمايتها من السرقة يشبه تشويه وجه إمرأة جميلة بحجة حمايتها من الاغتصاب[7245]. لا يمكن أن يفكر اللهُ بهذه الطريقة. إن هذا تفكير بشرى وليس تفكير إلهى. ويعانى مشهد السفينة فى الأسطورة القرآنية مِن مشكلة أخرى، وهى مشكلة لغوية، إذ يذكر "السَّفِينَةِ" (الكهف 71) بأداة التعريف، بالرغم مِن أنها لم تُذكَر مِن قبل!

باختصار: إن آثار البصمة البشرية واضحة على مشهد السفينة فى الأسطورة القرآنية.

4.42.5 تعددت الأسماء ... والأسطورة واحدة

لكن يبقى سؤال: ما الذى جعل الأسطورة القرآنية تتحدث عن "موسى والخَضِر" وليس "جلجامش وأوتنابيشتيم" كما جاء فى الأسطورة البابلية أو "يُوشَع وإيليا" كما جاء فى الأسطورة اليهودية؟

نقول مِن البداية إننا لسنا محتاجين أن نجيب على هذا السؤال، فلقد تعودنا أن يحدث تغيير للأسماء أثناء عملية التطور البشرى الطبيعى التى قد تأخذ سنوات، بل قرون مِن الزمان. المهم هو المضمون، وليس الأسماء. المهم هو محتوى القصة وعناصرها الأساسية، وليس أسماء أبطالها.

لكننا سنحاول أن نقدم إجابة توضح أوجه العلاقة بين أوتنابيشتيم والخَضِر وإيليا وموسى ومحمد.

الوجه الأول هو التشابه بين أوتنابيشتيم والخَضِر. كلاهما شخصية خيالية خارج حدود المكان (عند "فم الأنهار" **[← "مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ" (الكهف 60)]**)، وأيضاً خارج حدود الزمان، بدليل أن المفسرين

المسلمين قد تساءلوا إن كان الخَضِر حياً اليوم أو ميتاً. قال الشنقيطى: "اعلم أن العلماء اختلفوا فى الخضر: هل هو حى إلى الآن، أو هو غير حى، بل ممن مات فيما مضى من الزمان؟ فذهب كثير من أهل العلم إلى أنه حى، وأنه شرب من عين تسمى عين الحياة. وممن نصر القول بحياته القرطبى فى تفسيره، والنووى فى شرح مسلم وغيره، وابن الصلاح، والنقاش وغيرهم"[7246]. ويُفهَم مِن الدراسة التى أعدها د. إبراهيم عافية أن أهل السُّنَّة بصفة عامة يقولون إن الخَضِر قد مات، بينما يقول الصوفية إنه ما زال حياً[7247]. لكن فى المقابل نجد أن الموسوعة الإسلامية العامة الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية تقول: "وقال الأكثرون من العلماء إنه (أى: الخَضِر) حىٌّ الآن. وهذا متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، واستشهد الجمهور على ذلك بأخبار عديدة"[7248]! وفى لسان العرب [خ ض ر]: "والخَضِرُ: نَبيٌّ مُعَمَّرٌ محجوب عن الأبصار"! وقال الشيخ الشعراوى: "هل هذا الخضر موجود الآن أم أنه مات؟ قالوا: لكل زمان خِضْره .. ففى كل زمان يعطى الحق سبحانه أحداً من عباده بعض الفيوضات من عنده"[7249]! وقال ابن كثير: "قال ابن جرير (الطبرى): والصحيح أنه (أى: الخضر) كان فى زمن أفريدون (يقصد: Fereydun، أحد ملوك فارس فى الأساطير الفارسية)، واستمر حياً إلى أن أدركه موسى عليه السلام"[7250]. وقال النسفى فى تفسيره لـ "آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا" (الكهف 65): "هى: الوحى والنبوة، أو: العلم، أو: طول الحياة"[7251]. وقال د. بكر إسماعيل: "وقد عمّر الخضر طويلاً - كما قال الطبرى - حتى أدرك موسى عليهما السلام ومات بعد ذلك [...] فإن كان قد حدث أن رجلاً رأى رجلاً وجيهاً وسيماً فخيل إليه أنه الخضر بدليل أنه اختفى عنه فجأة فهو من الجن، كما قال كثير من أهل العلم"[7252]! ونلاحظ هنا أنهم يلجأون إلى حيلة أن الخَضِر قد عمّر طويلاً ثم مات، لِئَلاً يصطدموا بالقرآن الذى يقول: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" (آل عمران 185) (الأنبياء 35) (العنكبوت 57) "وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ" (الأنبياء 34).

ونحن لن ندخل فى هذا الخلاف الإسلامى-الإسلامى. فبالنسبة لنا "الخَضِر" ليس مِن الإنس ولا من الجن، وإنما هو مجرد أسطورة قرآنية، مجرد شخصية أدبية لا توجد إلا على الورق، مجرد شخصية خيالية لا تعيش إلا فى خيال مَن صنعوها. ومِن ثم فإنه مِن العبث أن نناقش هل مات الخضر أو ما زال حياً. وما يهمنا فقط هو أن ملحمة جلجامش - التى تقول إن الإله قد منح أوتنابيشتيم الخلود - قد أثّرت (وما زالت تؤثر) على كثير من المسلمين فجعلتهم يعتقدون أن الخَضِر ما زال حياً أو أن الله قد أطال عمره أو أن لكل زمان خِضْره! ليس هذا فحسب، بل إن ملحمة جلجامش تقول إن أوتنابيشتيم قد حصل على الخلود بعد نجاته مِن الطوفان. كذلك فى التراث الإسلامى[7253]، وجدنا مَن قال إن الخَضِر قد عاصر طوفان نوح وعاش بعده، أى: ظل حياً مِن زمان نوح إلى زمان موسى! نعترف بأن هذه مجرد أساطير إسلامية/شعبية وليست موجودة فى القرآن، لكنها تدل على أن الفِكر الإسلامى قد ربط بين الخَضِر والطوفان. ونحن نرى أن السبب فى ذلك هو أن شخصية "الخَضِر" القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لشخصية "أوتنابيشتيم" البابلية التى ارتبطت بالطوفان. أو بعبارة أخرى: السبب فى ذلك هو أن أسطورة "موسى والخَضِر" القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لأسطورة "جلجامش وأوتنابيشتيم" البابلية التى تقول إن أوتنابيشتيم قد حصل على الخلود بعد

نجاته مِن الطوفان. إذن: ما قاله التراثُ الإسلامي عن الخَضِر لم يأتِ من فراغ، وإنما أتى من علاقة وثيقة تربط بين الخَضِر وأوتنابيشتيم. هذه العلاقة هي: التطور البشري الطبيعي. أوتنابيشتيم [⟵ "الخَضِر"].

الوجه الثاني هو التشابه والارتباط بين الخَضِر وإيليا (إلياس). نبدأ أولاً بإيليا.

يقول العهد القديم إن إيليا النبى قد "صَعِدَ [حياً] إِلَى السَّمَاءِ" (2 ملوك 11:2). أى أن إيليا (إلياس) قد صار هو أيضاً خارج حدود المكان والزمان. بدليل أنه كان يُنتظَر مجيئه ثانية (ملاخى 5:4)؛ وبدليل أن "يوحنا المعمدان" (John the Baptist) - الذى يُعرَف فى القرآن باسم "يحيى بن زكريا" - "هُوَ إِيلِيَّا الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ" (متى 14:11) (متى 11:17-13)، أى أن يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) جاء قبل المسيح "بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ" (لوقا 17:1)؛ وبدليل أنه يُعتقَد أن إيليا سيأتي بشخصه في الأخرويات (Eschatology) قبل المجيء الثاني للمسيح قبل يوم القيامة حسب تفسير لـ (الرؤيا 1:11-14).

هذا أهم ما قاله التراث اليهودى/المسيحى عن إيليا. فماذا يقول التراث الإسلامى عنه وعن الخَضِر؟

مِن المعروف أن "الخَضِر" لقب وليس اسماً. وتوجد مراجع إسلامية تذكر رأى مَن قال إن "الخَضِر" اسمه "إلياس (إيليا)"، بل قيل إنه هو "إلياس (إيليا)" النبى أو أخوه أو أنهما يلتقيان! ولقد لاحظنا أن ابن كثير فى كتابه "البداية والنهاية" قد تناول قصة الخضر مرتين! مرة تحت عنوان "قصة موسى والخضر عليهما السلام" ومرة أخرى تحت عنوان "ذكر قصتى الخضر وإلياس عليهما السلام" حيث تحدث عن خلاف المسلمين حول اسم الخَضِر، قيل: "بليا" أو "إيليا بن ملكان"؛ وقيل إن الخضر وإلياس كانا أخوين وكان أبوهما مَلِكاً؛ وقيل غير ذلك[7254]! وقال ابن حجر: "إلياس نبى الله عليه السلام. سيأتى فى ترجمة الخَضِر أشياءُ من خبره، ويلزَمُ مَن ذكَر الخَضِرَ فى الصحابة أن يذكره. ومِن أغرب ما رُوِى فيه أنه هو الخَضِرُ" ثم ذكر حديثاً يقول: "الخَضِرُ هو إلياس"[7255]! وقيل إن الخضر اسمه "اليسع" أو "إلياس"؛ وقيل غير ذلك[7256]! وقيل: "أَرْبَعَةٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أَحْيَاءٌ أَمَانٌ لِأَهْلِ الأَرْضِ: اثْنَانِ فِي الأَرْضِ الْخَضِرُ وَإِلْيَاسُ، وَاثْنَانِ فِي السَّمَاءِ إِدْرِيسُ وَعِيسَى"[7257]! وتوجد أساطير إسلامية أخرى عن التقاء الخَضِر بإلياس (إيليا) ومحمد وغيرهما وعن بقاء الخَضِر حياً إلى يوم القيامة[7258]! وطبعاً فى المقابل توجد مراجع إسلامية أخرى ترفض هذه الآراء - كلها أو معظمها - أو تقول إنها مَحْض اجتهاد أو لا يجب التعرض لها ولا ذكرها أو إن اسم الخَضِر "فى عِلم الله"[7259]!

ونحن لا يهمنا صحة هذه الآراء، بل نحن نعترف بأنها مجرد أساطير إسلامية/شعبية وليست موجودة فى القرآن. لكنها تدل على أن الفِكر الإسلامى قد ربط بين الخَضِر وإلياس (إيليا). وما يهمنا هو لماذا وكيف نشأت هذه الأساطير؟ الإجابة: نشأت بسبب التشابه بين الخَضِر وإيليا (إلياس). فكلاهما خارج حدود المكان والزمان.

ثم إن هذه الأساطير الإسلامية/الشعبية لها جذور فى القرآن والسُّنَّة الصحيحة. على سبيل المثال: فى القرآن (الأنعام 85)، نجد إلياس (إيليا) مذكوراً مباشرةً بعد زكريا وابنه يحيى (يوحنا المعمدان) والمسيح عيسى (يسوع)، رغم أنه قبلهم زمنياً، وكأن صاحب هذه الآية أراد أن يقول إن إلياس (إيليا) حياته ممتدة مِن قبل المسيح إلى بعد المسيح. وفى صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فى صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه، وجدنا حديثاً يقول إن "[...] الدَّجَّال [...] يأتي [...] فيخرج إليه يومئذ رجل (مؤمن) هو خير الناس، أو من خير الناس. [...] قال أبو إسحق: يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام". قال النووى: "(أبو إسحق) هذا هو إبراهيم بن سفيان راوى الكتاب عن مسلم، وكذا قال معمر فى جامعه فى إثر هذا الحديث كما ذكره ابن سفيان، وهذا تصريح منه بحياة الخضر عليه السلام، وهو الصحيح"[7260]. ونلاحظ فى هذا الحديث الصحيح أن الخَضِر سيظهر مرة أخرى فى آخر الزمان، كما سيظهر إيليا مرة أخرى فى آخر الزمان حسب العقيدة المسيحية.

وتعليقنا الوحيد هو أن "الخَضِر" أسطورة قرآنية، ولذلك فإنه مِن الطبيعى أن تُنسَج حوله أساطير إسلامية أخرى فى كتب السُّنَّة والتفسير. ومِن الطبيعى أيضاً أن تكون هذه الأساطير الإسلامية مستوحاة من شخصيات شبيهة بالخَضِر، مثل إيليا (إلياس). لا سيما إذا عرفنا أن التراث اليهودى به أساطير كثيرة تتحدث عن ظهورات إيليا لأشخاص على الأرض. وأسطورة "يُوشَع (يشوع) وإيليا (إلياهو)" التى ذكرناها هى مجرد واحدة مِن هذه الأساطير اليهودية.

ومِن ثم تتضح لنا العلاقة القوية بين هذه الشخصيات الشرقية الثلاث: أوتنابيشتيم (التراث البابلى) وإيليا (إلياس) (تراث الديانات الإبراهيمية) والخَضِر (التراث الإسلامى/العربى). كلهم خارج حدود المكان والزمان. ولذلك فإنهم قد يظهروا وقت اللزوم لمَن يحتاجهم.

الوجه الثالث هو التشابه والارتباط بين إيليا وموسى في التراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian):

- كلاهما قَتَلَ (الخروج 12:2) (1 ملوك 40:18)، ثم هرب إلى الصحراء خوفاً مِن انتقام السلطة الكافرة الحاكمة (الخروج 15:2) (1 ملوك 3:19).
- كلاهما نَادَاهُ اللهُ عند جَبَلِ اللهِ حُوريبَ (Mount Horeb) (الخروج 1:3-4) (1 ملوك 8:19-9).
- كلاهما شق الماء إلى نصفين (الخروج 21:14-22) (2 ملوك 8:2).
- كلاهما صام "أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً" (الخروج 28:34) (1 ملوك 8:19).
- كلاهما متعصب (zealot) وذو شخصية قوية وحادة، ويغضب غضباً شديداً إذا عَبَدَ قومُه إلهاً آخر غير الله. يظهر ذلك بوضوح فى رد فعل موسى عندما عَبَدَ قومُه العِجلَ (الخروج 32) ورد فعل إيليا عندما عَبَدَ قومُه البَعلَ (1 ملوك 18-19). ولقد اعترف إيليا صراحةً بغيرته على الله، فَقَالَ: «قَدْ

غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ إِلهِ الْجُنُودِ، لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا» (1 ملوك 10:19).

- كلاهما هزم أعداءه الكافرين: موسى هزم سحرة فرعون فى مشهد درامى انتهى بموت الأبكار (الخروج 8:7 – الخروج 30:12)، وإيليا هزم أنبياء البَعلَ فى مشهد درامى انتهى بذبح هؤلاء الأنبياء الكذبة (1 ملوك 17:18-40).
- كلاهما تمنى الموت وطلب مِن الربِّ أن يميته (العدد 15:11) (1 ملوك 4:19).
- كلاهما صار محجوباً عن الأبصار: إيليا "صَعِدَ (حياً) إِلَى السَّمَاءِ" (2 ملوك 11:2)؛ وموسى صَعِدَ إِلَى جَبَلِ نَبُو (Mount Nebo) الذى فى أرض موآب (Moab) (شرق البحر الميت) فَمَاتَ هُنَاكَ وَدُفِنَ (أو: دَفَنَهُ الربُّ! وقيل: دَفَنَهُ مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلاَئِكَةِ[7261]) "وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ" (التثنية 1:34-6)[7262]. وقال أحدهم فى التراث اليهودى إن موسى لم يمت[7263]!
- كلاهما كان له فتى يصاحبه ثم صار خليفته: يشوع خليفة موسى؛ و "أَلِيشَع" (Elisha) خليفة إيليا.
- كلاهما رافق يسوع المسيح فى "التجلِّي" (متى 1:17-13) (مرقس 2:9-13) (لوقا 28:9-36).
- الآيات الأخيرة مِن أسفار أنبياء العهد القديم تذكر موسى وإيليا صراحةً بالاسم دون غيرهما (ملاخى 4:4-6).
- السفر الأخير مِن العهد الجديد يشير إلى أعمال موسى وإيليا وإن لم يذكر اسميهما (الرؤيا 6:11-7).

وتوجد أساطير يهودية كثيرة تربط بين إيليا وموسى[7264]. على سبيل المثال، تقول أسطورة يهودية إن إيليا دخل نفس المغارة (1 ملوك 9:19) التى دخلها موسى مِن قبله!

كذلك فى القرآن، نجد أن قصة إلياس (إيليا) (الصافات 123-129) مذكورة مباشرةً بعد السلام على موسى وهارون (الصافات 120-122). بل إن الجملة التى قالها إلياس لقومه "اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 126) هى نفس الجملة التى قالها موسى لفرعون وقومه "رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الشعراء 26)! صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد تأثروا بالتراث الدينى/الشعبى الذى ربط ربطاً واضحاً بين إلياس (إيليا) وموسى.

الوجه الرابع هو التشابه والارتباط بين موسى ومحمد فى الإسلام. كما قلنا فيما سبق: محمد هو موسى العرب، موسى الثاني، موسى الجديد. ومن ثم نستطيع أن نفهم لماذا جعل أصحاب القرآن موسى هو التلميذ. لأنهم أرادوا أن يردوا على اليهود الذى كانوا يمتحنون محمد، ويساعدون المشركين العرب فى مكة على اختبار محمد وإحراجه بالأسئلة على سبيل التعجيز. فجعل أصحابُ القرآن موسى النبى هو التلميذ، ليقولوا لليهود إن موسى نبيهم الأعظم ورسولهم الأشهر كان ينقصه بعض العلم والمعرفة ولم يتكبر فى أن يسعى جاهداً إلى طلب هذا العلم وهذه المعرفة مِن عبدٍ مِن عباد الله (الكهف 65). بعبارة أخرى: أراد أصحابُ القرآن أن يقولوا لليهود إن النبوة والرسالة لا تستلزم العلم والمعرفة بكل صغيرة وكبيرة.

ولقد تحدثنا فيما سبق عن العلاقة الوثيقة بين محمد وموسى فى القرآن والسُّنَّة. وذلك فى ثنايا حديثنا عن قصة خروج بنى إسرائيل من مصر. فلا داعى لتكرار ما قلناه.

ملخص الوجوه الأربعة: تغيير الأسماء أثناء عملية التطور البشرى الطبيعى للأساطير أمر طبيعى ومتوقع وغير مهم. لا يهم إن كان المعلم هو الخَضِر (الأسطورة القرآنية) أو إيليا (الأسطورة اليهودية) أو أوتنابيشتيم (الأسطورة البابلية)، فكلهم خارج حدود المكان والزمان، فيستطيعوا أن يظهروا فجأة لأى شخص فى أى زمان وأى مكان ثم يختفوا أيضاً فجأة. ونستطيع أن نفهم لماذا كان التلميذ فى الأسطورة القرآنية هو موسى. لأنه مرتبط بمحمد (موسى العرب) ولأنه مرتبط بإيليا (إلياس) الذى يرتبط بالخَضِر ارتباطاً وثيقاً لا سيما فيما يتعلق بأحداث الأيام الأخيرة قبل نهاية العالم (Eschatology).

ونحن نقول لكل المسلمين إن "الخَضِر" ليس له علاقة تاريخية حقيقية بموسى النبى، وليس له علاقة تاريخية حقيقية بإيليا (إلياس) النبى، بل ليس له علاقة تاريخية حقيقية بأى إنسان؛ إنه مجرد شخصية قرآنية **أسطورية** مستوحاة مِن أساطير الشرق القديم، وقصته مع موسى (الكهف 60-82) التى يُعتقَد أنها وحدة واحدة هى فى الواقع تنقسم إلى قسمين:

- القسم الأول (الكهف 60-64) هو مجرد تطور بشرى طبيعى لأسطورة "جلجامش وأوتنابيشتيم" البابلية،
- والقسم الثانى (الكهف 65-82) هو مجرد تطور بشرى طبيعى لأسطورة "يُوشَع (يشوع) وإيليا (إلياهو)" اليهودية. أى أن هذا القسم هو مِن الإسرائيليات (اليهوديات) الموجودة فى القرآن. وكما نقول دائماً: الإسرائيليات فى القرآن نفسه، وفى كتب السُّنَّة والتفسير أيضاً.

أو بعبارة أخرى نقول إن أسطورة "موسى والخَضِر" (الكهف 60-82) قد نتجت عن عملية خلط أو دَمْج (conflation) لأسطورتين على الأقل، هما أسطورة "جلجامش وأوتنابيشتيم" البابلية وأسطورة "يُوشَع (يشوع) وإيليا (إلياهو)" اليهودية.

ونحن نقول "أسطورتين على الأقل"، لأنه مِن المحتمل أن أصحاب القرآن قد تأثروا بأساطير شرقية أخرى، لا سيما الأساطير اليونانية القديمة مثل أسطورة (Glaucus)؛ والأساطير اليهودية المتأخرة المتأثرة بالأدب الإغريقى (Hellenistic Literature) مثل أساطير الكاتب اليهودى "أرتابانوس" (Artapanus) الذى عاش فى مصر فى القرن الثانى قبل الميلاد – أى أثناء الاحتلال الإغريقى (اليونانى) لمصر – وزعم أن موسى (Moses) النبى هو (Musaeus) البطل الإغريقى الأسطورى! وأنه كان معلماً لـ (Orpheus) بطل إغريقى أسطورى آخر[7265]! وبمرور الزمن، صار موسى النبى – البطل القرآنى (الأسطورى؟) – هو التلميذ فى أسطورة "موسى والخَضِر" القرآنية (الكهف 60-82)!

ونحن نعتقد أن أصحاب القرآن قد تأثروا بـ "قصة الإسكندر"[7266][7267] (Alexander Romance) (Roman d'Alexandre) اليونانية التى "ظهرت فى الأدب العالمى فى القرن الثالث الميلادى أيام حكم قياصرة الروم الشرقيين منسوبة إلى اسم مستعار هو "كلستينس" (Callisthenes)"[7268]، ولذلك فإنها تُعرَف أيضاً باسم (Pseudo-Callisthenes) (Pseudo-Callisthène)، أى: المزوِّر لـ "كلستينس" أو المنتحِل لـ "كلستينس" لأن كاتبها انتحل شخصية المؤرخ اليونانى المعروف "كلستينس" (Callisthenes of Olynthus) الذى رافق "الإسكندر الأكبر (المقدوني)" (Alexander the Great) فى رحلته إلى آسيا فى القرن الرابع قبل الميلاد. إنه إذن كتاب أسطوري خرافي منسوب كذباً وزوراً إلى كلستينس.

انتشرت قصة الإسكندر انتشاراً واسعاً فى العالم شرقاً وغرباً، بدليل ترجمتها إلى اللغة اللاتينية فى القرن الرابع الميلادى على يد (Julius Valerius)، ثم ترجمتها إلى اللغة الأرمينية فى القرن الخامس الميلادى، ثم ترجمتها إلى اللغة السريانية (Syriac Alexander Legend) فى القرن السابع الميلادى. وأيضاً بدليل وجود روايات مختلفة لهذه القصة (القصص) العالمية التي تتحدث عن شخصية "الإسكندر" التي كانت – وما زالت – مِن أهم وأشهر الشخصيات الشرقية[7269]. ونحن لا يهمنا هنا الاختلافات بين هذه الروايات، وإنما يهمنا أكثر تأثير قصة (قصص) الإسكندر بصفة عامة على العرب الذين أنتجوا القرآن.

فلقد قالت موسوعة (Encyclopædia of Islam) إن العرب قد عرفوا قصة الإسكندر مِن عصور مبكرة، بدليل أن ما قيل عن موسى فى (الكهف 60-82) مُشتق مِن هذه القصة (is in fact derived from this romance). ثم أضافت الموسوعة نقلاً عن العالم الألمانى الكبير "نولدكه" (Nöldeke) وغيره أن هذه القصة اليونانية قد انتقلت إلى السريانية والعربية عن طريق البهلوية (Pahlavi) (الفارسية)، ربما عن طريق كاتب مسيحى سريانى يكتب بالفارسية (a Syriac Christian who wrote in Persian)[7270]. ومِن المعلوم أن المسيحيين الذين كانوا يعيشون فى الإمبراطورية الساسانية الفارسية (Sassanian Empire) قبل الإسلام كانوا نشطاء فى مجال الترجمة مِن اليونانية والفارسية إلى السريانية وأيضاً مِن السريانية إلى الفارسية[7271].

ولعل أبرز أوجه التشابه بين بعض روايات قصص الإسكندر والفصل الأول مِن قصة "موسى والخَضِر" (الكهف 60-64) هو سفر البطل مع خادمه: في قصص الإسكندر، يسافر الإسكندر مع طباخه "أندرياس" **[← في القرآن، يسافر موسى مع فتاه يُوْشَع (الكهف 60-64)]**. وكذلك مسألة "نبع الشباب" (Fountain of Youth) أو "نبع الحياة" (Water of Life; Spring of Life) الذى يقابله فى القصة القرآنية "مجمع البحرين" حيث عادت الحياة إلى الحوت الميت عند الصخرة (الكهف 61، 63)[7272]!

قال العالم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) تعليقاً على (الكهف 60-64)[7273]:

18:60-64 Although the Qur'ān names the protagonist of this account "Moses," it is developing a tradition known from the stories told about Alexander and his cook Andrew (*andreas*) and their quest for the fountain of life (itself a development of older tales – beginning with ancient Near Eastern literature). This [Q 18:60-64] account is part of a tradition that includes the Greek *Alexander Romance* (fourth of fifth century AD), the Babylonian Talmud, and the Syriac Christian *Song of Alexander* (ca. AD 630-635; the *Song* is falsely attributed to Jacob of Serugh).

وقال تعليقاً على اسم "إِدْرِيسَ" في "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ [...]" (مريم 56)(7274):

[مريم 56-57] The name Idrīs (mentioned only here and [الأنبياء 85]; in both places his name follows that of Ishmael) is often thought to be connected to Syriac *andraws* or *andrīs* (see Jeffery, *FV*, 52), from Greek *andreas*. It is possible that the Qur'ān has in mind here the cook of Alexander by that name who in the Syriac Christian Alexander Legend discovers the fountain of life (see commentary on 18:60-64) and thereby gains eternal life.

ومِن المعلوم أنه يوجد خلط في التراث العربي-الإسلامي بين "إدريس" و "إلياس" (إيليا) الذي تحدثنا عنه منذ قليل موضحين العلاقة بينه وبين الخَضِر(7275). وأشهر دليل على هذا الخلط هو الآية القرآنية "سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ" (الصافات 130) التي حيَّرت القرَّاء والمفسرين المسلمين، فقيل إن "إِلْ يَاسِينَ" هو إلياس، لكن "فِي مُصْحَفِ اِبْنِ مَسْعُود: "وَإِنَّ إِدْرِيسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ" ثُمَّ قَالَ: "سَلَامٌ عَلَى إِدْرَاسِينَ""(7276).

وقال الباحث الواعد (Dr. Joseph Witztum) في رسالة الدكتوراه التي أعدها ودافع عنها في جامعة (Princeton) الأمريكية المرموقة عام 2011(7277):

Turning to retellings of evidently Christian narratives […] one may add the episode of Moses and the fish (Q 18:60-64), which has been demonstrated to derive from a Syriac version of a legend concerning Alexander. Already in the late nineteenth century scholars had noted that this episode is dependent on a similar scene found in the *Alexander Romance* (in Greek, but not in the Syriac translation) and its derivatives. A fish scene features in some Greek recensions of the *Alexander Romance*, in the Babylonian

Talmud (*Tamid* 32b), and in a homily attributed to Jacob of Serugh but now agreed to be later (henceforth the *Alexander Homily*). […] [The *Alexander Homily*] shares several features with the Quran: the hero seeks a source of water; he emphasizes that he will not be diverted from his goal; the body of water is identified by the means of a fish belonging to the hero which swims away after being introduced into the water by a servant; the hero tries to trace his way back to the water source. […] Recent scholarship believes the *Alexander Homily* to have been written between 630 and 640; […]. This makes it difficult to treat it as the direct source of the fish episode in the Quran, but does not negate the Quran's dependence on an earlier Syriac source similar to the *Alexander Homily*.

وكما قال هذان العالِمان المعروفان، يوجد بالفعل في التلمود البابلي (Tamid 32b)[7278] أسطورة تقول إنه في إحدى رحلات الإسكندر **[← "سَفَرِنَا (أي: رحلة موسى)" (الكهف 62)]**، جلس الإسكندر ليأكل **[← "آتِنَا غَدَاءَنَا" (الكهف 62)]** بجانب بئر **[← "مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ" (الكهف 60) عند "الصَّخْرَةِ" (الكهف 63)]** وكان الإسكندر يمسك في يده سمكةً مملحة (salted fish) **[← "الْحُوتَ" (الكهف 61، 63)؛ وفى إحدى روايات (مسلم 2380): "حُوتاً مَالِحاً (أى: مملحاً)"]**. فغسل الإسكندر السمكةَ بماء البئر ليزيل الملحَ من عليها، فخرجت رائحة طيبة، فقال الإسكندر: "نستطيع أن نستنتج من ذلك أن هذا البئر ينبع مِن جنة عدن (Garden of Eden)" **[← جنة الخلد والحياة الأبدية في الإسلام؛ تجري من تحتها الأنـهار]**.

وبعد أن تسللت هذه الأساطير الشرقية القديمة إلى القرآن، تسللت إلى كتب التراث الإسلامي ...

في كتب السُّنَّة الصحيحة، نقرأ في صحيح البخاري: "وفي أصل الصخرة عَيْنٌ يُقالُ لها الحياةُ، لا يُصيب مِن مائها شيءٌ إلا حَيِيَ، فأصابَ الحوت مِن ماء تلك العين، قال: فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر"[7279]! وفى مراجع إسلامية أخرى قديمة وحديثة[7280] وجدنا "عين الحياة" أو "ماء الحياة" أو "نـهر الحياة" مرتبطاً بقصة "موسى والخضر" و/أو قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) التى تليها مباشرةً[7281]. والفكرة مشابهة لما جاء فى أساطير البخارى: عَيْنٌ "لا يصيب ماؤها ميتاً إلا عاش"؛ ماءٌ "مَن شرب مِنه خُلِّد ولا يقاربه شيءٌ ميتٌ إلا حَيِيَ"؛ الخَضِر ما زال حياً "لأنه شرب من عين الحياة"؛ الخَضِر "باقى إلى يوم القيامة، لشربه من ماء الحياة"؛ "توضأ يوشع بن نون من عين الحياة، فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو فى المِكْتَل، فعاش ووثب فى الماء"؛ "جاءته (أى: جاءت الحوتَ) نقطةُ ماء من

عين الحياة، فدبَّت فيه الحياة، وأعاد الله له الروح، فخرج من المكتل، وذهب إلى البحر"؛ ... إلى آخر هذه الأساطير الإسلامية!

فإنْ قلتم إن "عين الحياة" المذكورة فى البخارى وغيره هى مِن "الإسرائيليات" الموجودة فى كتب السُّنَّة والتفسير. فسنقول: بل إنها مِن الإسرائيليات الموجودة فى القرآن نفسه، بدليل "مجمع البحرين" حيث عادت الحياة إلى الحوت الميت المملح عند الصخرة (الكهف 61، 63). والصواب هو أنها مِن "اليونانيات" أو "السريانيات" (قصص الإسكندر). والأصوب والأكثر دقة هو أنها مِن "البابليات". نعم، إنها مِن البابليات لأنها مستوحاة مِن ملحمة جلجامش التى تتحدث عن نبتة (plant) موجودة فى أعماق البحر، إذا مسكتها فى يديك فستجد الحياة (find new life; restore life)، أو ستستعيد الشباب (regain youth)! ولعل هذه الأسطورة البابلية تدلنا أيضاً على جذور الحديث الصحيح الذى يقول إن الخَضِر سُمِّيَ الخَضِر لأنه "جلس على فَرْوَةٍ بيضاء (أى: يابسة؛ ليس فيها نبات)، فإذا هي تهتز مِن خلفه خضراء (أى: دبَّت فيها الحياة فاهتزت، واستعادت نضارتها فنَبَتَ عليها العشبُ الأخضرُ)"[7282].

مما سبق يتضح العلاقة الوثيقة بين كل هذه الأساطير الشرقية:

- أولاً الأساطير البابلية (نبتة بحر الحياة في ملحمة جلجامش)؛
- ثم الأساطير اليونانية/السريانية (ماء نبع الحياة في قصص الإسكندر) والأساطير اليهودية (بئر جنة عدن في التلمود البابلي)؛
- ثم الأساطير الإسلامية/العربية فى القرآن والسُّنَّة والتفسير (مجمع البحرين حيث عادت الحياة إلى الحوت الميت؛ والفروة التى جلس عليها الخضر فعادت إليها الحياةُ فاهتزت واخضرت!).

وهذا يثبت نظرية التطور البشرى الطبيعى: الأساطير الإسلامية/العربية فى القرآن والسُّنَّة والتفسير هى مجرد تطور بشرى طبيعى للأساطير الشرقية التى تسبق الإسلام. والحقيقة هى أن الإسلام كله (قرآن، سُنَّة، تفسير، ... الخ) هو مجرد تطور بشرى طبيعى للديانات والثقافات الشرقية التى سبقته، لكن نحن نركز على القرآن.

ومع ذلك، فإننا نرى أن تشابه قصص الإسكندر مع قصة "موسى والخَضِر" القرآنية أقل مِن تشابهها مع قصة "ذى القرنين" التي تليها في سورة الكهف. ولذلك فنحن نُفضِّل تأجيل الحديث عن قصة "الإسكندر" السريانية إلى أن نتحدث عن قصة "ذى القرنين" فى الفصل القادم.

وسنكتفى هنا بأن نقول إن "الإسكندر الأكبر (المقدوني)" كان تلميذ "أرسطو" (Aristotle) الذى كان تلميذ "أفلاطون" (Plato) الذى كان تلميذ "سقراط" (Socrates). وفكرة البحث عن أكثر الرجال حكمة (the wisest man) فكرة قديمة جداً، وهى موجودة بالفعل فى التراث اليونانى (الإغريقى)، فى "دفاع سقراط" (Apology of Socrates) الذى كتبه تلميذه أفلاطون فى القرن الرابع قبل الميلاد[7283]. [ومِن

المعروف عن الإغريق (اليونان) بصفة عامة أنهم يحبون الحكمة؛ وخير دليل على ذلك هو كلمة "فلسفة" وهى كلمة يونانية أصلاً (philosophia) وتعنى حرفياً "حب الحكمة" (love of wisdom).]

ونحن طبعاً لا نقول إن أصحاب القرآن قد نقلوا مِن الكتب البابلية أو اليونانية مباشرةً، وإنما هى فكرة كانت شائعة فى تراث الشرق القديم، بدليل وجودها فى أعمال شرقية أخرى مثل التلمود البابلى (Tamid 31b-32a)[7284] حيث نجد قصة تتحدث عن بحث الإسكندر الأكبر عن الحكمة. بل نحن نجد في التلمود البابلي (Menahot 29b)[7285] ما يفيد أن الله قد أخبر النبي موسى عن رجلٍ اسمه "كعب بن يوسف" (Aqiba b. Joseph) يفسر التوراة ويستخرج منها تشريعات كثيرة، فأراد موسى أن يقابل هذا الرجل العلّامة! وهكذا ظلت الفكرة منتشرة ومُتوارَثة وتتطور تطوراً بشرياً طبيعياً حتى ظهرت فى القرآن: النبي موسى يبحث عن الخضر ليتعلم منه (الكهف 60-64)، وظهرت أيضاً في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما: الله يخبر النبي موسى عن رجلٍ أكثر مِنه عِلماً، فيريد موسى أن يقابل هذا الرجل (الخضر)[7286]!

إن الأفكار لها أجنحة وتنتقل بسهولة مِن ثقافة إلى أخرى:

- أولاً الملك جلجامش يبحث عن مَن أكثر مِنه حياة؛
- ثم الفيلسوف سقراط يبحث عن مَن أكثر مِنه حكمة؛
- ثم أصحاب القرآن يزعمون أن النبي موسى يبحث عن مَن أكثر مِنه عِلماً (الكهف 60-64).

وهكذا نصل دائماً إلى نفس النتيجة النهائية: القرآن ليس كلام الله، وإنما هو مجرد تطور بشرى طبيعي لتراث الشرق القديم بصفة عامة (بابلى، يونانى، فارسى، مصرى ... الخ)، والتراث اليهودى والتراث المسيحى (السريانى) والتراث العربى بصفة خاصة.

4.42.6 مناقشات وردود ...

يُنهي د. إبراهيم عافية كلامَه عن قصة "موسى والخَضِر" بانتقاد الأبحاث العلمية التى تبحث فى جذور القرآن ومصادره، فيقول إن هذه "الأبحاث التى يقوم بها هؤلاء الأشرار الخبثاء" أو أسلوبها "تدفع الإنسان إلى النفور والاشمئزاز كرهاً وقسراً، وتجبره على أن يقول: إذا كان هذا هو البحث العلمى فاللعنة على هذا البحث وعلى هذا العلم!!!"[7287].

تعليقنا: إننا نحزن أن يقوم باحث دكتوراه أزهري بلعن البحث العلمي! وإذا كان هذا هو أسلوبه في الحوار، فماذا نتوقع مِن المسلم البسيط؟!

ونحن نقول له ولغيره من المسلمين الذين ينفرون مِن الأبحاث العلمية التى تكشف القرآن على حقيقته. لا تلعنوا هذه الأبحاث العلمية ولا تلوموا مَن قاموا بها، وإنما لوموا أنفسكم على أنكم ما زلتم مخدوعين بما قاله العرب فى كتابهم المُسمَّى بـ "القرآن". إن كتاب "القرآن" العربى يحتل عقولكم؛ واحتلال العقل أسوأ مِن

احتلال الأرض. إن هدف هذه الأبحاث العلمية التى نقوم بها هو تحرير عقولكم، وتخليصكم من هذا الاحتلال العربى/الإسلامى الذى دمر حياتكم وحياة آبائكم وأجدادكم، ويريد الآن أن يدمر الإنسانية، وسيدمر حياة أبنائكم وأحفادكم إن لم تتحرروا منه. إن تحرير العقل أسمى وأعلى قدراً من تحرير الأرض. أو كما قال يسوع المسيح: "تَعْرِفُونَ الْحَقَّ (أي: الحقيقةَ؛ اللهَ)، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ (أي: يُحَرِّرُكُمْ مِن الباطل؛ يُحَرِّرُكُمْ مِن الشيطان والخطية والموت؛ يُحَرِّرُكُمْ مِن الدنيا الزائلة ومِن العالم الفاني؛ يُحَرِّرُكُمْ مِن الجهل بالله الذي يؤدِّي إلى كل المعاصي وجميع الخطايا)" (يوحنا 32:8).

ثم نرد باختصار على الأمور الأربعة التى ذكرها د. عافية.

<u>الأمر الأول:</u> لقد وجدنا أدلة كثيرة مِن تراث الشرق القديم يشبه مضامين القرآن. ولا يمكن أن يكون كل هذا التشابه – الذى يصل أحياناً إلى درجة التطابق – مجرد صدفة. الصدفة قد تحدث مرة وقد تتكرر مرتين أو ثلاث. أما نحن وغيرنا فلقد وجدنا عشرات - بل مئات - الأدلة مِن الكتاب المقدس بعهديه، وكتب الأبوكريفا والسوديبِجرافا والمدراش اليهودى والتلمود البابلى والميامر السريانية والأساطير البابلية والأساطير المصرية ... الخ. لا يمكن أن يكون كل ذلك مجرد صدفة.

<u>الأمر الثانى:</u> نحن لا نقول إن محمد كان مدير مكتبة كبرى فى مكة وكان لديه كل هذه الكتب وكان يقرأها باللغة العربية. بل نحن نحاول قدر الإمكان أن نبتعد عن محمد وأن نركز حديثنا على القرآن. وذلك لسببين على الأقل.

أولاً: لا يوجد دليل قاطع يثبت أن محمد شخصية حقيقية، أما كتاب "القرآن" العربى فهو حقيقة مادية ملموسة بدليل أنه بين أيدينا ونقرأه؛ لكن نقرأه بأسلوب العلم والبحث والتفكير النقدى وليس بأسلوب السمع والطاعة والحفظ والتلقين. وحتى لو افترضنا جدلاً أن محمد شخص حقيقى تاريخى، فلا يوجد دليل قاطع يثبت أنه كان لا يعرف القراءة والكتابة، وإنما كل ما قيل فى هذا الموضوع هو مجرد روايات وتأويلات لا ترتقي إلى مرتبة الدليل ناهيك أن تكون إثباتاً. وحتى لو افترضنا جدلاً أن محمد كان لا يعرف القراءة والكتابة، فإنه لم يكن محتاجاً أن يقرأ هذه الكتب. يكفيه ما كان يسمعه بأذنيه فى المجتمع العربى الذى وُلِد ونشأ وكبر فيه.

ثانياً: نحن لا نقول إن القرآن كلام محمد، وإنما نقول إن القرآن كلام العرب. القرآن هو الملحمة القومية للعرب. إنه مُنتَج بشرى اشترك فيه أكثر مِن شخص، أى: صنعه فريق أو مجموعة من الأشخاص الذين نُسمِّيهم "أصحاب القرآن". بعبارة أخرى: القرآن "ثمرة عمل جماعى" (fruit d'un travail collectif)[7288]. هذا الفريق يضم زوجات محمد وملك يمينه وصحابته ... الخ. أعضاء الفريق (مثل: بلال الحبشى، سلمان الفارسى، صهيب الرومى، مارية القبطية، ... الخ) وغيرهم من العرب (الشعراء مثلاً) ارتبطوا بالثقافات المحيطة بشبه الجزيرة العربية، وَهُمْ الذين نقلوا تراث الديانات والثقافات السابقة إلى شبه الجزيرة العربية بالطرق التى ذكرناها فى المقدمة (التجارة، الهجرة، الرقيق، ... الخ). وهكذا تسلل تراث

الشرق القديم إلى القرآن. لم يكن أصحاب القرآن محتاجين أن يقرأوا كتاباً، فيكفيهم ما كانوا يسمعونه بآذانهم مِن أجدادهم وآبائهم ومعاصريهم. هذا يكفي – بل يكفي جداً – لصناعة كتاب مثل القرآن.

الأمر الثالث: كفار مكة واليهود والنصارى المعاصرين لمحمد (أو بالأحرى: لفترة تكوين القرآن) كانوا يعلمون جيداً أن القرآن هو مجرد أساطير. ولقد اتهموا محمداً صراحةً بالكذب والافتراء، فقالوا لمحمد "إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ" (النحل 101) "هَذَا (أي: محمد) سَاحِرٌ كَذَّابٌ" (ص 4) "هَذَا (أي: القرآن) إِفْكٌ قَدِيمٌ (أي: كذب مأثور عن الناس الأقدمين)" (الأحقاف 11) "مَا هَذَا [القرآن] إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى (أي: كذب مختلق)" (سبأ 43) "إِنْ هَذَا [القرآن] إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ [محمدٌ] وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ (أي: ثمرة عمل جماعي)" (الفرقان 4) "إِنْ هَذَا [القرآن] إِلَّا اخْتِلَاقٌ" (ص 7) "إِنْ هَذَا [القرآن] إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (أى: يُنقَل عن الأولين). إِنْ هَذَا [القرآن] إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ" (المدثر 24-25)، واتهموا محمداً صراحةً بأنه يردد أساطير الأولين (الأنفال 31) (الفرقان 5) (النحل 24) (الأنعام 25) (المؤمنون 83) (النمل 68) (القلم 15) (المطففين 13) (الأحقاف 17). وهى كلها آيات مكية، أى قيلت فى بداية الدعوة الإسلامية. ولا يهم إن كانت هذه الاتهامات قد جاءت مِن حنفاء أو يهود أو نصارى أو مشركين. المهم أن المعاصرين لمحمد كانوا يعلمون منذ اللحظة الأولى أن محمد لم يأتِ بجديد، وأن أفكاره هى مجرد تجميع أو تطور بشرى طبيعى لأفكار وأساطير قديمة قيلت مِن قبل، ولذلك قالوا له صراحةً: "هَذَا (أي: القرآن) إِفْكٌ قَدِيمٌ" (الأحقاف 11). "إِفْكٌ" يعنى: كذب، أى: غير حقيقى. و "قَدِيمٌ" يعنى: سمعناه قبل كده. مش حاجة جديدة. "وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ (أي: ثمرة عمل جماعي)" (الفرقان 4).

أما فيما يتعلق بأسطورة "التحدي"، أي أن القرآن تحدى البشر أن يأتوا بمثله، فاقرأ كتاب "الفرقان الحق" الموجود على شبكة الانترنت (http://www.alkalema.net/furqan) وسترى بنفسك أنه مثل القرآن، بل أفضل من القرآن. واقرأ أيضاً أمثلة كثيرة من إبداعات البشر في مسابقة "سورة مثله" عام 2019[7289]. أو اقرأ الـ "شاهنامه" (Shahnameh) الفارسية، التي تُسمَّى "قرآن الفرس"، والتي لم يستطع إنسانٌ أن يكتب مثلها بالرغم مِن مرور أكثر مِن 1000 سنة على كتابتها!

ولقد أشرنا فى ختام حديثنا عن مواجهة موسى وفرعون إلى احتواء بعض أبيات الشعر الجاهلى على أفكار تتشابه إلى حد كبير مع ما جاء فى القرآن بصفة عامة، وما جاء فى قصة موسى وفرعون بصفة خاصة. وأثبتنا أنه سواء كان هذا الشعر قد كُتِب قبل القرآن أو بعده، فإن النتيجة فى جميع الأحوال واحدة، وهى أن القرآن ليس كلام الله. راجع ما قلناه ولا داعى لتكراره هنا.

أما فيما يتعلق بتأخر هذه الأبحاث العلمية لمدة أربعة عشر قرناً، فهذا يرجع إلى عدم اكتشاف تراث الشرق القديم وعدم قدرتنا على قرائته إلا حديثاً. والسبب هو أن العلماء الغربيين (إنجليز وفرنسيين وألمان وغيرهم) المتأثرين بالحضارة الأوروبية الحديثة القائمة على البحث والعلم والتفكير النقدى لم يأتوا إلى الشرق الأوسط (مصر والعراق وسوريا وفلسطين وغيرها) إلا مع الاستعمار الغربى الذى بدأ فى أواخر القرن

الثامن عشر الميلادى مع قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر واستمر إلى منتصف القرن العشرين أو بعد ذلك بقليل. فاستطاع العالم الفرنسى "شمبليون" (Champollion) وغيره أن يعلمونا كيف نقرأ اللغة المصرية القديمة، فاستطعنا أن نقرأ قصة سنوحى وقصة الفلاح الفصيح وغيرها من التراث المصرى القديم. واستطاع غيرهم أن يعلمونا كيف نقرأ اللغة المسمارية (Cuneiform)، فاستطعنا أن نقرأ ملحمة جلجامش وأسطورة سارجون وغيرها مِن تراث بلاد ما بين النهرين. كل ذلك لم يحدث إلا مِن حوالى 200 سنة فقط أو أقل. ثم جاء اكتشاف مخطوطات قمران (البحر الميت) (Dead Sea Scrolls) فى منتصف القرن العشرين، أى مِن حوالى 80 سنة فقط، وتعثر هذا المشروع طويلاً لأسباب سياسية وأكاديمية يطول شرحها. كل ذلك أدى إلى تأخر الأبحاث العلمية التى تنتقد الديانات الإبراهيمية، ومِن بينها الإسلام.

أضف إلى ذلك أن بعض الدول الإسلامية ما زالت تعيش فى العصور الوسطى، وما زالت تتبع سياسات القمع والإرهاب الفكرى وتكميم الأفواه التى جعلت تداول الكتب الأجنبية والعربية المُعتمِدة على هذه الأبحاث العلمية أمراً صعباً أو شبه مستحيل. مما جعل الكثيرين من الباحثين والمترجمين يجدوا صعوبة شديدة فى توزيع كتبهم، أو جعلهم يتراجعوا عن الكتابة فى هذا الموضوع خوفاً من القتل أو التعذيب أو السجن بتهم وهمية مثل "ازدراء الأديان" أو "إهانة الرموز"! بينما شيوخ الإسلام وأئمة الإرهاب وسماسرة الأوهام ينشرون كتبهم فى كل مكان، ويتحدثون فى البرامج التليفزيونية فى كل زمان، ويصدعون رؤوسنا بأساطيرهم وخرافاتهم فى كل أوان!

ونحمد الله على ظهور الإنترنت، فإن هذا المارد الإلكتروني هو الذي استطاع أن يحطم كل القيود الموجودة في المجتمعات العربية والإسلامية. وإذا كان القرآن يقول: "إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ" (العنكبوت 41)، فنحن نقول إن الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) هى أقوى البيوت. الإنترنت ستفعل في الإسلام ما فعلته المطبعة في المسيحية: التفكيك ثم التحييد ثم التطوير. وكما ظهرت المطبعة بعد حوالي 1400 سنة مِن ظهور المسيحية، كذلك ظهرت الإنترنت بعد حوالي 1400 سنة من ظهور الإسلام لتقوم بنفس الدور: التنوير. التاريخ يعيد نفسه. وكما جاء المسيح فى القرن الأول الميلادى ليواجه اليهودية المتطرفة والوثنية، فإن ظهور الإنترنت فى أواخر القرن العشرين هو المجيء الثاني للمسيح الذى سيواجه العنف الإسلامي والبروباجاندا الإسلامية. أو نقول: إن ظهور الإنترنت هو تمهيد للمجيء الثاني للمسيح.

الأمر الرابع: لا يمكن أن نفترض من البداية أن القرآن "يأتى بالخبر الصحيح عن أحداث التاريخ". بل علينا أولاً أن نقارن القرآن بالتاريخ. وحين فعلنا ذلك كانت الصدمة الكبرى. فلا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن موسى شخص حقيقى. ولا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن الخَضِر شخص حقيقى، بل إن كل الأدلة تؤكد أنه مجرد أسطورة شرقية قديمة كانت - وما زالت - تطير فى سماء الشرق الأوسط. ووجدنا تضارباً كبيراً حول تاريخ خروج بنى إسرائيل مِن مصر لدرجة أن التواريخ المُقترَحة تمتد على فترة زمنية طويلة جداً، مِن منتصف القرن السادس عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أى على فترة زمنية تزيد

عن 350 سنة! ووجدنا كثيراً مِن المفارقات - بل الأخطاء - التاريخية فى القرآن، مثل السامرى وهامان وصلب سحرة فرعون.

باختصار: الأدلة التاريخية ضد القرآن، وتؤكد أن القرآن كلام بشر يصيبون أحياناً ويخطئون أحياناً أخرى. أو فى أحسن الأحوال، نقول إن القرآن منتج أدبى لا يُستدَل به على أحداث التاريخ. ومِن ثم، تنهار نظرية الوحى التى كنتم تقدموها لنا على أنها "دوجما" (dogma) غير قابلة للنقاش، بينما تنتصر نظرية التطور البشرى الطبيعى التى تقبل النقاش.

4.42.7 الخلاصة

القرآن ليس كلام الله، وإنما هو مجرد كلام بشر. العناصر والأفكار (motifs) الأساسية لأساطير القرآن كانت معروفة ومشهورة قبل القرآن. وكل ما فعله أصحاب القرآن هو أنهم أخذوا أسطورة مِن هنا وقصة مِن هناك، ومع قدر بسيط مِن الخيال وقدر كبير مِن التعريب والأسلمة، استطاعوا تأليف أساطير قرآنية تبدو للوهلة الأولى وكأنها جديدة، لكنها فى الواقع مجرد أساطير منحولة مِن أساطير شرقية قديمة. ثم وضعوا هذه الأساطير القديمة-الجديدة فى كتابهم العربى المُسمَّى "القرآن".

وإذا أراد أحباؤنا المسلمون أن يؤمنوا بهذه الأساطير القرآنية الموجودة فى سورة الكهف (سورة الأساطير الشرقية)، فهذا شأنهم واختيارهم. لكن ليس مِن حقهم أن يلومونا على عدم إيماننا بهذه الأساطير القرآنية.

وفى جميع الأحوال، فإننا ننصح أحباءنا المسلمين أن يقرؤوا تراث الشرق القديم حتى يستطيعوا أن يفهموا كتاب "القرآن" العربى فهماً مستنيراً، متأثراً بالحضارة والثقافة، أكثر مِن تأثره بالفطرة والطبيعة. فلقد أثبتت هذه الدراسة أنه لا يمكن فَهْم أسطورة "موسى والخَضِر" العربية (الكهف 60-82) إلا بالعودة إلى جذورها العميقة فى أسطورة "جلجامش وأوتنابيشتيم" البابلية، وأسطورة "يُوشَع (يشوع) وإلياهو (إيليا)" اليهودية.

إن العقل البشرى الذى استطاع فى الألفية الثانية قبل الميلاد أن ينتج ملحمة عظيمة مثل ملحمة جلجامش يستطيع بكل تأكيد فى القرن السابع الميلادى أن ينتج قصة قصيرة مثل "موسى والخَضِر" (الكهف 60-82).

4.43 قصة ذي القرنين: مِن المَلِك الصالح إلى الراعي الصالح

لم يُذكَر "ذو القرنين" (The Two-Horned One) فى القرآن كله إلا فى سورة الكهف (سورة الأساطير الشرقية). وتتحدث قصة "ذي القرنين" (الكهف 83-108) عن ثلاث رحلات (أو: غزوات، فتوحات) قام بها بطل القصة "ذو القرنين"، ثم تنتهى بالحديث عن يوم القيامة:

مقدمة عن هذا المَلِك الصالح: وَيَسْأَلُونَكَ (يا محمد) عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا {83} إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (أى: طَريقًا يُوصِلهُ إِلَى مُرَاده) {84}.

رحلة ذى القرنين إلى مَغْرِب الشَّمْسِ: فَأَتْبَعَ سَبَبًا (أى: سَلَكَ ذو القرنين طَرِيقًا) {85} حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ (أى: ذَات حَمْأَة وَهِيَ الطِّين الْأَسْوَد**!**) وَوَجَدَ عِنْدَهَا (أى: عند تلك العين) قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (أى: **لك حرية التصرف معهم!**) {86} قَالَ (ذو القرنين) أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ (فى الدنيا**!**) ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (فى الآخرة) {87} وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى (فى الآخرة) وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (فى الدنيا) {88}.

رحلة ذى القرنين إلى مَشْرِق الشَّمْسِ: ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (آخذاً بالأسباب والطرق التى أعطاه الرَّبُّ إياها) {89} حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ (أى: الْمَشْرق) وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (أى: ليس لهم ما يسترهم أو يظلهم مِن الشمس) {90} كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (قيل أي: علمنا بكل ما عنده؛ وقيل أي: فعل ذو القرنين بأهل المَشرق مثل ما فعل بأهل المغرب؛ وقيل غير ذلك) {91}.

رحلة ذى القرنين إلى "بَيْن السَّدَّيْنِ": ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (مستعيناً بما هيأ الرَّبُّ له مِن أسباب التمكين والنجاح) {92} حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ (أى: بين الجبلين المرتفعين) وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا {93} قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا (أى: أجراً، مالاً، خراجاً أو ضريبة ندفعها) عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (أى: حاجزاً يحول بيننا وبين يَأْجُوج وَمَأْجُوج) {94} قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي (أى: ما منحنى رَبِّي مِن المُلْك والثروة وغيرهما) خَيْرٌ (لى مِن مالكم) فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (أى: حَاجِزًا حَصِينًا) {95} آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ (أى: قطع الحديد) حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ (أى: أقام سداً/ردماً عالياً ساوى به بين قمتى الجبلين المرتفعين) قَالَ انْفُخُوا (أى: أجِّجوا النار، أوقدوا النار) حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا (أى: صار الحديد كالنَّار) قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (أى: أصب عليه النُّحَاس الْمُذَاب) (فَدَخَلَ النُّحَاس الْمُذَاب بَيْن قطع الْحَدِيد الْمَحْمِيّ فَاختلطا وصَارَا شَيْئًا وَاحِدًا، سداً صلباً متيناً منيعاً مرتفعاً أملساً) {96} فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ (أى: ما استطاع يَأْجُوج وَمَأْجُوج أن يتسلقوا السدَ لارتفاعه وملاسته) وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (أى: ما استطاعوا أن ينقضوه أو يثقبوه لمتانته وسُمْكه) {97} قَالَ (ذُو الْقَرْنَيْنِ) هَذَا (السد) رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي (بخروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان قبيل يوم القيامة) جَعَلَهُ دَكَّاءَ[7290] (أى: سيصير السدُّ منهدماً مستوياً بالأرض) وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي

حَقًّا {98} وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ[7291] يَمُوجُ فِي بَعْضٍ (أى: مختلطين، مضطربين مثل موج البحر) وَنُفِخَ فِي الصُّور فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا {99}.

أحداث يوم القيامة: وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا {100} الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا {101} أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا {102} قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا {103} الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا {104} أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا {105} ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا {106} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا {107} خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا {108}.

إذن: قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) هى رؤيا أخرويّة (eschatological, apocalyptic) تبدأ أولاً بالحديث عن ذى القرنين ورحلاته (أو: غزواته، فتوحاته) فى الأرض ثم تنطلق إلى الحديث عن الأخرويات (Eschatology)، أى: ما سيحدث فى آخر الزمان ويوم القيامة. ونقطة الانتقال مِن الأمور الأرضية إلى الأمور الأخرويّة هى (الكهف 98) حيث نجد ذا القرنين يتنبأ بانهيار سد يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان: "قَالَ (ذُو الْقَرْنَيْنِ) هَذَا (السد) رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي (بخروج يأجوج ومأجوج قبل نهاية العالم) جَعَلَهُ دَكَّاءَ (أى: سيصير السدُّ مثل الأرض الدَّكَّاء)" (الكهف 98).

ويُفهَم مِن هذه القصة القرآنية أن قوم يأجوج ومأجوج ما زالوا محبوسين إلى اليوم وراء هذا السد المصنوع مِن حديد ونحاس! وسيظلوا محجوزين خلفه إلى أن يخرجوا فى آخر الزمان قبيل قيام الساعة! أو كما قال القرآنُ فى سورة الأنبياء: "حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ (أى: فُتِحَ سَدّهمَا) وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (أى: مِن كل مكان مُرْتَفَع يُسْرِعُونَ). وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (أى: اقترب يومُ القيامة) فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ" (الأنبياء 96-97)! هذا ما يُفهَم مِن ظاهر القرآن وما قاله "كثير مِن العلماء القدامى والمحدثين"، بل "جل العلماء والباحثين القدامى والمعاصرين".

تعليقنا: إنها حقاً أساطير مِن العيار الثقيل. ولا تسألهم أين يقع هذا السد الذى بناه ذو القرنين؟! ولا تسألهم كم سنة استغرق بناء هذا السد المرتفع الحديدى-النحاسى؟! ولا تسألهم كيف سيستطيع شعب يأجوج ومأجوج، وَهُمْ مِن البشر الآدميين، أن يظلوا أحياء وراء هذا السد المزعوم إلى يوم القيامة؟! لا تسألهم هذه الأسئلة الصعبة، لأنهم إما سيقولون لك "الله أعلم" أو "لا تسأل" أو "لا تجادل ولا تناقش"!

وربما تكون هذه الأسئلة الصعبة، أو أسباب أخرى، هى التى جعلت قلة مِن المفسرين المسلمين يرفضون رأى أغلبية المفسرين المسلمين. على سبيل المثال، يعتقد د. إبراهيم عافية أن "ما ورد فى سورة الأنبياء لا يمت بصلة إلى ما ورد فى سورة الكهف"! أى "أن يأجوج ومأجوج (الأنبياء) غير يأجوج ومأجوج (الكهف)"[7292]! ولجأ د. صلاح الخالدى إلى حيلة أخرى أقل حدة وأكثر ذكاءً، فقال إن "الفتح" المذكور فى (الأنبياء 96) ليس فتحاً مادياً حسياً ولا يعنى أن السد ما زال موجوداً حتى الآن، وإنما هو فتح "معنوى،

ويَعنى إذْن الله لهم بالخروج من موطنهم، واجتياحهم الأرض والبلدان. وهذا هو خروجهم الكبير الأخير قبيل قيام الساعة - والله أعلم -."، ثم رجَّح أن يأجوج ومأجوج يقيمون فى منطقة "منغوليا" و "تركستان الصينية والروسية"! وأنهم خرجوا عدة مرات مِن موطنهم! وَقَسَّم خروجهم إلى سبعة أدوار: الدور الأول كان من قبل حوالى 5000 سنة! والدور السابع كان فى القرن الثانى عشر الميلادى عندما دمَّر المغول/التتار الخلافةَ العباسية! وقال: "فلقوم يأجوج ومأجوج عدةُ مرات يخرجون فيها، فقد خرجوا حتى الآن أكثر من سبع مرات، نجحوا فيها فى نقض سد ذى القرنين وتدميره"[7293]! أما الباحث المصري إسلام بحيري الذي ينكر وجود الأساطير في القرآن ويحاول أن يفسر القرآنَ كما لو كان ظهر منذ 14 يوم وليس منذ أكثر من 1400 سنة، فلجأ إلى حيلة أكثر غرابة فزعم أن قوم يأجوج ومأجوج ماتوا وانتهوا! أما الضمير في "وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ" (الأنبياء 96) فلا يعود إلى "يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ" (الأنبياء 96) وإنما يعود إلى الناس بصفة عامة "احنا يا بَهوات" وليس قوم يأجوج ومأجوج الذين "ماتوا طبعاً الله يرحمهم" حسب زعمه[7294]!

ونحن نقول لهم جميعاً ولغيرهم: يأجوج ومأجوج (الأنبياء 96-97) أسطورة، ويأجوج ومأجوج (الكهف 92-99) أيضاً أسطورة. ومع أننا نرى أنهما أسطورة واحدة، إلا أنه لا يهم إذا كانتا أسطورة واحدة أو أسطورتين. ولو كان يأجوج ومأجوج قد خرجوا حتى الآن أكثر من سبع مرات، نجحوا فيها فى نقض سد ذى القرنين وتدميره، فهذا يعنى أن سد ذى القرنين مشروع فاشل، ويجعل ما قاله القرآنُ عن ذى القرنين: "آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا" (الكهف 84) كلاماً بلا معنى. ثم إن القرآن يقول إن هذا السد الحديدى-النحاسى سينهدم مرة واحدة: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ" (الكهف 98). فإنْ كان ذلك قد حدث فيما مضى، فما هى الأدلة التاريخية على انهيار هذا السد المزعوم؟! وإذا كان الضمير في "وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ" (الأنبياء 96) لا يعود إلى قوم يأجوج ومأجوج، فلماذا ذكرهم القرآنُ في نفس الآية (الأنبياء 96)؟! ثم إن القاعدة العامة هي أن الضمير يعود إلى أقرب اسم قبله (closest antecedent) ويتوافق معه في العدد والنوع. وسياق الآية (الأنبياء 96) يقول: "وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ" (الأنبياء 95-97). وأقرب اسم قبل "هُم" هو: "يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ" (الأنبياء 96)؛ أي: قوم يَأْجُوج وَمَأْجُوج[7295]. ولا نرى سبباً واحداً يدعونا إلى الاستثناء من القاعدة العامة. ولو كان المقصود "الناس"، لكان ينبغي أن يقول: "وَالناسُ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ" أو "وأنتم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ".

للأسف، التفسير الإسلامي التقليدي أقوى وأكثر تماسكاً (more coherent) من التفسير العقلاني الذي يحاول بعضُ المسلمين العقلاء نسبياً الترويج له في السنوات الأخيرة.

ومِن حُسن الحظ أن د. إبراهيم عافية نفسه قد اعترف بأن معظم العلماء المسلمين يعتقدون أن سد ذى القرنين ما زال قائماً إلى اليوم، وأن يأجوج ومأجوج ما زالوا محبوسين خلفه، إذ يقول: "ذهبت أكثر الدراسات القديمة والحديثة إلى أن يأجوج ومأجوج الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم فى سورة الكهف هم الذين كانوا

وراء السد أو الردم الذى بناه ذو القرنين، وأنهم سيظلون هكذا حتى يأذن الله سبحانه وتعالى لهم بالخروج حسب ما ورد فى سورة الأنبياء، فما ورد فيها هو نبوءة خروجهم وانتشار فسادهم آخر الزمان"[7296].

هذا هو التفسير الإسلامي التقليدي الموروث، وهو التفسير "الصحيح"، بمعنى أنه هو ما كان يدور في أذهان أصحاب القرآن حين كانوا يؤلفون قصة ذي القرنين القرآنية (الكهف 83-108). أسطوري؟ أم عقلاني؟ مش مشكلتنا.

حتى الدكتور أحمد صبحي منصور الذي يُعتبَر مِن المسلمين العقلاء نسبياً اعترف بأنه يؤمن أن يأجوج ومأجوج "موجودين لحد دلوقتي"! "أُقفِل عليهم في باطن الأرض، وبعد ذلك ... يعني قُبيل قيام الساعة سيخرجون. وده من علامات الساعة"! ويعتقد في "دليل على وجود هؤلاء وسيخرجون قُبيل قيام الساعة"[7297]!

لا تعليق على هذا الخلاف الإسلامي-الإسلامي إلا أن المشكلة ليست في المسلمين، وإنما في أصحاب القرآن الذين أنتجوا كتاباً متأثراً بالأساطير الشرقية الغامضة التي حَيَّرت المفسرين على مر العصور.

4.43.1 غموض القرآن الذى أدى إلى حيرة المفسرين

كالعادة، لم يذكر القرآنُ الزمانَ والمكانَ وأسماءَ الأشخاص. وإن قلتم إن هذه التفاصيل ليست مهمة وإنما المهم هو العظة والعبرة، فسنقول: وما هى العظة والعبرة فى أن يُحبَس قومٌ إلى يوم القيامة خلف سد مصنوع مِن حديد ونحاس بين جبلين مرتفعين؟! إنها أسطورة لم ولن تحدث؛ فما هى العظة والعبرة؟!

وكالعادة أيضاً، أدى غموض القرآن إلى حيرة المفسرين وتخبطهم.

نبدأ أولاً بالآية الشهيرة التى تقول: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ" (الكهف 86). واجه المفسرون مشكلة صعبة، وهى أن القرآن يقول "وَجَدَهَا" تَغْرُبُ "فِي" عَيْنٍ حَمِئَةٍ، وهذا طبعاً خطأ، لأن أحداً لا يستطيع أن يصل إلى مغرب الشمس، ولأن الشمس لا تغرب "فِي" عَيْنٍ ذات طِّين أَسْوَد! فلجأ شيوخ الإسلام كالعادة إلى حيل مختلفة لحل هذه المشكلة، فعمدوا إلى تحريف الآية القرآنية بتبديل كلمة أو أكثر حتى يستطيعوا أن يفسروا الآية تفسيراً لا يتناقض مع العقل:

- فقالوا مثلاً إن "وَجَدَ" هنا تعنى "رأى" وإن المقصود هو "الرؤية البصرية [...] وذلك مثل مَن يجلس منا على شاطئ البحر عند غروب الشمس، فإن أفق بصره يجعله يرى قرص الشمس يغوص – رويداً رويداً – فى قلب ماء البحر. [...] أو فى البحر المحيط"[7298].
  - تعليقنا: هذا تبرير ضعيف جداً لأن القرآن يقول "وَجَدَهَا تَغْرُبُ" ولم يقل "رآها كأنها تَغْرُبُ" أو "شاهَدها تَغْرُبُ" أو "تراءى له أنها تَغْرُبُ"، ويقول القرآنُ "عَيْن" - أى: بئر أو نبع أو ينبوع ماء صغير نسبياً - وليس "محيط" أو "بحر" كبير.

- وتوجد حيلة أخرى تزعم أن "العين اسم من أسماء الأرض، وعلى ذلك يكون المعنى: وجدها تغرب فى أرض طينية". وأن ذا القرنين "لما انتهى إلى تلك الأرض غربت عليه الشمس فيها، لا أنها غربت فى ذات العين، وهذا كَمَن يقول: غربت علىَّ الشمس فى القاهرة"[7299].
   - تعليقنا: هذه الحيلة أيضاً لن تنفع لأن القرآن يقول إن الشمس غربت فى العَيْن الحَمِئَة، وليس فى الأرض التى وصل إليها ذو القرنين. ولم نجد آية واحدة فى القرآن استخدمت كلمة "عَيْن" بمعنى "أرض".

إنها إذن مجرد محاولات يائسة للوصول إلى صياغة أفضل مِن تلك التى قالها أصحاب القرآن. وسنرى بعد قليل أن قصة "الإسكندر" السريانية – التى تشبه قصة "ذى القرنين" القرآنية – قد أرشدتنا فعلاً إلى صياغة أفضل مِن (الكهف 86). ولو كان القرآن كلام الله كما تتوهمون، ألم يكن مِن المفروض أن يصيغ هذه الجملة بطريقة تمنع اللبس؟

أما فيما يتعلق بـ "بَيْنَ السَّدَّيْنِ" (الكهف 93)[7300]، فكالعادة لم يذكر القرآن أين يقع هذا المكان، مما أدى إلى حيرة المفسرين واختلافهم. لكن جاء فى كثير مِن كتب التفسير والتاريخ الإسلامية أن رحلة ذى القرنين إلى "بَيْنَ السَّدَّيْنِ" كانت إلى الشمال (north)، أى: شمال العراق (بابل) وفارس (إيران). وبعض المراجع الإسلامية كانت أكثر تحديداً:

- قيل: جبلا أذربيجان وأرمينيا؛ أى جبال القوقاز (Caucasus) التى تقع بين البحر الأسود (Black Sea) وبحر قزوين (بحر الخزر) (Caspian Sea; Khazar Sea)؛ أى غرب بحر قزوين.
- وقيل: جبلان فى أواخر الشمال منقطع أرض التركستان؛ أى جبال آسيا الوسطى (Central Asia) التى تقع شرق بحر قزوين (بحر الخزر).

ومِن ثم نجد فى المراجع الإسلامية موقعين محتملين لسد ذى القرنين (أى: سد يأجوج ومأجوج):

- الاحتمال الأول: غرب بحر قزوين. ربما عند "مضيق داريال" (Darial Gorge) وسط جبال القوقاز أو عند مدينة "دربند" (Derbent) على الساحل الغربى لبحر قزوين.
- الاحتمال الثانى: شرق قزوين. ربما عند مدينة أخرى تُعرَف أيضاً باسم "دربند" (Derbent) تقع فى آسيا الوسطى على الطريق الرئيسى بين التركستان والهند.

باختصار: كالعادة، لا توجد معلومة مؤكدة ودقيقة عن موقع "بَيْنَ السَّدَّيْنِ" (الكهف 93) ولا عن هذا السَدّ (الكهف 94) أو الرَدْم (الكهف 95) الذى يزعم القرآنُ أن ذا القرنين قد بناه. وإنما كل ما قاله المسلمون هو مجرد احتمالات وتخمينات.

وسنعلم بعد قليل أن هذه الاحتمالات والتخمينات الإسلامية تعتمد على التراث الدينى والشعبى الذى سبق الإسلام. وذلك لأن الأدلة التى تسبق القرآن - سواء الأدلة الكتابية أو غير الكتابية - تشير فعلاً إلى هذه المناطق الجبلية، سواء غرب بحر قزوين (أى: القوقاز) أو شرق بحر قزوين (أى: آسيا الوسطى).

وكما اختلف المفسرون المسلمون فى نبوّة الخَضِر، اختلفوا أيضاً فى نبوّة ذى القرنين. قال د. سيد طنطاوى: "الرأى الراجح أنه كان عبداً صالحاً، ولم يكن نبياً"[7301]. أما د. محمد بكر إسماعيل فيقول: "وفى قوله تعالى: "قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ" ما يدل على أنه نبى يُوحَى إليه، وهو الراجح عندى والله أعلم"[7302]. وقال ابن كثير إن ذا القرنين كان "عبداً مؤمناً صالحاً، ومَلِكاً عادلاً، وكان وزيرُه الخَضِر، وقد كان نبياً"[7303]. وقال د. شوقى ضيف إنه "كان مَلِكاً صالحاً يُوحَى إليه"[7304]. أما البيضاوى فقال إن "نداء الله إياه (أى: "قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ") إن كان نبياً فبوحى، وإن كان غيره (أى: ليس نبياً) فبإلهام أو على لسان نبى"[7305]. "وذهب فريقٌ من العلماء إلى التوقف فى شأن نبوته (أى: عدم إثباتها وعدم نفيها)"[7306]! وأطرف ما قيل عن ذى القرنين هو قول منسوب إلى عمر بن الخطاب إن ذا القرنين كان مَلَكاً مِن الملائكة[7307]!

ونحن نرى أن ذا القرنين ليس نبياً ولا مَلَكاً ولا حتى بشراً، وإنما هو مجرد أسطورة قرآنية. نعم، إن قصة ذى القرنين - مثل قصة الخَضِر - هى مجرد أسطورة (بل أساطير) شرقية قديمة ظلت تتطور تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن إلى أن استقرت فى كهف القرآن مع غيرها مِن الأساطير الشرقية القديمة.

وبما أن "ذا القرنين" شخصية أسطورية قرآنية، فكان مِن الطبيعى أن يُنسَج حوله المزيد من الأساطير الإسلامية. على سبيل المثال: تقول موسوعة بيان الإسلام إن الله قد أعطى ذا القرنين "القدرة على السير فى الأرض شرقاً وغرباً لنشر الإسلام فى ربوعها"؛ وقيل إن "ذا القرنين أسلم على يد إبراهيم الخليل، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل"؛ ورُوى أن "ذا القرنين حج ماشياً"[7308]! وقيل إن "ذا القرنين الذى كان على عهد إبراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على مقدمته هو أفريدون الملك"[7309] (يقصد: Fereydun، أحد ملوك فارس فى الأساطير الفارسية) ... إلى آخر هذه الأساطير الإسلامية التى نُسِجَت حول ذى القرنين، وما زالت المراجع الإسلامية الحديثة تردد هذه الأساطير والخرافات بدون أى دليل علمى يؤيدها. وكما نقول دائماً: إن كل أسطورة تؤدى إلى أساطير أخرى أكبر منها.

ويبدو لنا أن السبب الرئيسى فى ظهور هذه الأساطير الإسلامية التى جعلت ذا القرنين معاصراً لإبراهيم الخليل هو الإمام البخارى الذى وضع قصة يأجوج ومأجوج **قبل** قصة إبراهيم فى ترتيب أبواب "كتاب الأنبياء" فى صحيح البخارى (أصح كتاب بعد القرآن!). فظن فريقٌ مِن العلماء المسلمين أن البخارى يرى أن ذا القرنين كان قبل إبراهيم أو معاصراً له. وهذا طبعاً ظنٌ خاطئ، لأن ترتيب الأبواب هو مجرد اجتهاد مِن البخارى[7310]. ثم إن البخارى نفسه لم يقل إن ذا القرنين كان قبل إبراهيم أو معاصراً له.

ولعل أكبر قضية حيَّرت المفسرين المسلمين هى شخصية "ذى القرنين" المذكور فى القرآن. مَن هو؟ ومتى عاش؟ وأين؟ وما سبب تسميته بـ "ذى القرنين"؟

الرأى السائد عند غالبية المفسرين المسلمين هو أن "ذا القرنين" القرآنى هو "الإسكندر الأكبر (المقدونى)" (Alexander the Great) مَلِك الإغريق (اليونان) فى القرن الرابع قبل الميلاد. ولقد تزعم الفخر الرازى هذا القول[7311]. ووجدنا مراجع إسلامية كثيرة تؤيده، وحجتهم الرئيسية هى أن الإسكندر الأكبر كان يُلقَّب بذى القرنين وأنه فتح مشارق الأرض ومغاربها، فهو أكثر مَلِك تنطبق عليه الأوصاف المذكورة فى قصة "ذى القرنين" القرآنية.

لكن فى المقابل، وجدنا مراجع إسلامية أخرى ترفض هذا الرأى أو تقول إنه مَحْض اجتهاد، وحجتهم الرئيسية هى أن الإسكندر الأكبر كان كافراً وثنياً مشركاً، بينما "ذو القرنين" القرآنى كان مؤمناً مُوحِّداً يؤمن بالآخرة والحساب والجزاء (الكهف 87-88). وقالوا إن الإسكندر الأكبر كان مثلياً جنسياً (gay) أو (bisexual)، فلا يمكن أن يكون هو "ذو القرنين" الذي عَظّمه القرآنُ!

وكما يحدث كثيراً فى زماننا الحالى، انحدر مستوى هذا الخلاف الإسلامى-الإسلامى إلى السباب والشتائم. قال ابن كثير: "قد كان بين زَمَانَيْهما (أى: زمان ذى القرنين وزمان الإسكندر الأكبر) أزيد مِن ألفى سنةٍ. فأين هذا مِن هذا؟! لا يستويان، ولا يشتبهان، إلا على غَبِيٍّ لا يعرف حقائق الأمور"[7312]!

ونحن نقول لابن كثير ولغيره: أنتم لم تقدِّموا حلاً لهذا الإشكال، بدليل أنكم لم تقولوا لنا مَن هو "ذو القرنين" المذكور فى القرآن.

يوجد رأى آخر يقول إن "ذا القرنين" هو "كورش" (Cyrus the Great) مَلِك الفرس في القرن السادس قبل الميلاد. ولقد تزعم هذا الرأى فى العصر الحديث الزعيمُ المسلم المعروف والمفكر الإسلامى الشهير "أبو الكلام آزاد" (Abul Kalam Azad) وزير التعليم الهندى فى منتصف القرن العشرين. ورَجَّح د. صلاح الخالدى هذا الرأى وقال – نقلاً عن أبى الكلام آزاد أو تعليقاً على ما قاله – إن كورش (ذا القرنين) كان مؤمناً بالله مُوحِّداً له وكان يدين بدين "زرادشت" (Zoroaster) الذي تأسَّس في فارس في القرن السادس قبل الميلاد، وهو "دين التوحيد"، وإن "الإسلام يعترف بأن الدين الزرادشتى له أصل سماوى"! وإن "زرادشت كان نبياً من الأنبياء للفرس"! وإن "كورش كان على دينه، قبل أن يحرفه الفرس فيما بعد"[7313]! وقيل فى مراجع أخرى تؤيد هذا الرأى إن دين زرادشت هو "دين التوحيد والأخلاق الفاضلة" و "الإيمان بالله واليوم الآخر" و "الحرب الكونية بين الخير والشر" أو بالأحرى بين "أهورامزدا" (Ahura Mazda) (يقصد: الله الواحد الأحد) أصل الخير و "أهريمان" (Ahriman) (يقصد: الشيطان إبليس) أصل الشر[7314]!

الخلاصة: هذان هما الرأيان الأكثر شهرة فيما يتعلق بتحديد شخصية "ذى القرنين": (1) ذو القرنين يونانى وهو الإسكندر الأكبر (المقدونى)؛ (2) ذو القرنين فارسى وهو كورش.

لكن كالعادة، توجد آراء أخرى أقل شُهرة وأكثر غرابة[7315]:

- ذو القرنين مصرى! قيل إن "ذا القرنين" هو "أخناتون" (Akhenaten) مَلِك مصر فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد!
- ذو القرنين صينى! قيل إن "ذا القرنين" هو "تْسِينْشِى هْوَانْقتى" أو "تْسِينْ شِى هْوَ انْقْ تِى" (Qin Shi Huang) مَلِك الصين فى القرن الثالث قبل الميلاد! وحسب هذا الرأى، فإن سد ذى القرنين هو سور الصين العظيم أو جزء منه!
- ذو القرنين عربى! قيل إن "ذا القرنين" مِن كُنى ملوك اليمن العرب المعروفين بالأذواء – أى مَن يُقال عنهم: ذو كذا، مثل "ذى نواس" الحِمْيَرى! واستدلوا على ذلك بالشاعر العربى الذى أنشد شعراً يفتخر بكون ذى القرنين أحد أجداده:

قد كان ذو القرنين جَدى (أو: قبلى) مُسْلِماً	مَلِكاً تدين له الملوكُ وتحشِدُ (أو: تسجد)
بلغ المشارق والمغارب يبتغى	أسبابَ أمرٍ من حكيمٍ مُرشِدِ
فرأى مغيبَ الشمس عند غروبها	فى عَيْنٍ ذى خُلبٍ وثَأطٍ حرْمدِ (أى: طين أسود!)

وقيل إن ذا القرنين هو "الصعب بن الحارث" أحد ملوك حِمْيَر. وقيل إن "الذى يقوى أن ذا القرنين مِن العرب (هُوَ) كثرة ما ذكروه فى أشعارهم" واستدلوا على ذلك بشعر الأعشى بن ثعلبة وامرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة بن العبد وغيرهم[7316]. ومِن الواضح أن هذا الرأى الذى جعل ذا القرنين عربياً "لا دليل عليه إلا مجرد العاطفة، والتعصب للعرب"[7317]. وقيل إن الملك "المنذر الثالث بن النعمان" ملك اللخميين (المناذرة) فى القرن السادس الميلادى كان يُعرَف باسم "ذى القرنين"[7318]. ويبدو لنا أن غير واحد مِن الملوك العرب قبل الإسلام قد أطلق على نفسه لقب "ذى القرنين" تيمناً أن يكون مثل ذى القرنين فى القوة والتمكين. مما يدل على أن قصة "ذى القرنين" كانت معروفة قبل الإسلام وكان بطلها "ذو القرنين" نموذجاً (model; paragon) أو مثلاً أعلى للحاكم العربى قبل الإسلام.

ونحن نقول لجميع المسلمين: نلاحظ أن الآراء السابقة متضاربة ومختلفة فى كل شيء (الزمان والمكان والاسم) باستثناء اتفاقها على أن ذا القرنين كان مَلِكاً مِن ملوك الشرق قبل الإسلام. ونلاحظ أيضاً أنكم فشلتم فى تحديد شخصية "ذى القرنين". بل إنكم أعلنتم عجزَكم وفشلكم بكل صراحة ووضوح لدرجة أن الباحث المسلم الأزهرى د. إبراهيم عافية الذى أعد رسالة ماجستير فى قصص سورة الكهف قال: "ليس لأحد أن يسهم فى هذا الأمر، ويحاول أن يقوم على تحديد هذه الشخصية (أى: ذى القرنين) [...] لذا يمكن القول: إن ذا القرنين المذكور فى القرآن الكريم هو ذو القرنين القرآنى الذى ما زال ستار التاريخ مسدولاً على كثير من

معالمه. والله أعلم"[7319]! أى أنه فَسَّر الماءَ بعد الجهد بالماء! أو كما قال د. صلاح الخالدى: "إذا طرحنا هذا التساؤل: هل يمكن الجزم بتحديد شخصية ذى القرنين؟ فإن الجواب النفى"[7320]!

ونحن نقول لهما ولغيرهما: عليكم أن تحددوا لنا مَن هو "ذو القرنين" الذى قال القرآن عنه: "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (أى: سبيلاً يوصله إلى هدفه)" (الكهف 84). مَن هو هذا المَلِك الذى مَكَّن اللهُ له فى الأرض؟! مَن هو هذا المَلِك الذى آتاه اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا؟!

وإن تحججتم بأن التاريخ لم يسجل كل شيء، أو قلتم (Absence of evidence is not evidence of absence). فسنقول إن قصة ذى القرنين لا تتحدث عن تاجر مواشي أو رجل عادي أو مَلِك عادي، وإنما تتحدث عن مَلِكٍ مَكَّن اللهُ له فى الأرض وآتاه اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (الكهف 84). ونلاحظ أن القرآن يقول "مِنْ كُلِّ شَيْءٍ"، أى: سخَّر اللهُ له كل الوسائل فى جميع المجالات، عسكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً وأدبياً وحضارياً وهندسياً ودينياً ... الخ. قال ابن كثير: ""إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ" أَيْ: أَعْطَيْنَاهُ مُلْكًا عَظِيمًا مُمَكَّنًا فِيهِ مِنْ جَمِيع مَا يُؤْتَى الْمُلُوك مِنْ التَّمْكِين وَالْجُنُود وَآلَات الْحَرْب وَالْحِصَارَات؛ وَلِهَذَا مَلَكَ الْمَشَارِق وَالْمَغَارِب مِنْ الْأَرْض، وَدَانَتْ لَهُ الْبِلَاد، وَخَضَعَتْ لَهُ مُلُوك الْعِبَاد وَخَدَمَتْهُ الْأُمَم مِنْ الْعَرَب وَالْعَجَم"[7321]. سؤالنا: كيف يتمتع مَلِكٌ بكل هذه الصفات الفريدة ولا يذكره التاريخ؟! أليس هذا وحده دليلاً كافياً على أن "ذا القرنين" القرآني مجرد شخصية أسطورية؟

إن عدم وجود ولو كتاب تاريخ واحد **مُعاصِر** لذي القرنين يدل على أن ذا القرنين شخصية قرآنية أسطورية.

ثم إن لجوء ذي القرنين إلى معدن "الْحَدِيدِ" (الكهف 96) لبناء السد بسرعة وبدون تردد أو تفكير يدل على أن استخدام معدن الحديد كان أمراً عادياً وطبيعياً وبديهياً وشائعاً في زمان ذي القرنين، مما يدل على أن ذا القرنين – بفرض أنه شخص تاريخي حقيقي – كان ينتمي إلى العصر الحديدي (Iron Age) أو ما بعده. ومِن المعلوم أن العصر الحديدي بدأ من عام 1200 ق.م تقريباً، أي **بعد** اختراع الكتابة (حوالي 3000 ق.م) بقرون طويلة جداً. يقول الكتاب المقدس الدراسي: "لم يكن استخدام الحديد شائعاً في الشرق الأوسط القديم حتى القرن الثاني عشر ق.م. ولكن يُذْكَر شيء عن استخدامات محدودة له في وقت مبكر يقارب عام 2000 ق.م. تقريباً"[7322]. ويقول قاموس الكتاب المقدس: "وقد حدث أول صهر الحديد نحو 1400 ق.م.، وربما كان ذلك في هضاب آسيا الصغرى الحثية"، "وكان الحديد قد بدأ يعم استعماله في القرن الحادي عشر قبل الميلاد"[7323]. وتقول موسوعة (Encyclopædia Judaica) إن الحديد لم يُنْتَج بكميات كبيرة إلا في القرن العاشر قبل الميلاد[7324]؛ أي: في أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد. إذن: لجوء ذي القرنين إلى معدن "الْحَدِيدِ" (الكهف 96) لبناء السد المزعوم يؤكد أن زمانه بعد 2000 ق.م.، أي: **بعد** اختراع الكتابة. فمن المستحيل أن يكون زمانه قبل الألفية الثانية قبل الميلاد. وفي الألفية الأولى قبل الميلاد، كان الحديد يُستخدم (مع النحاس) في صناعة البوابات والعوارض، كما نقرأ في المزمور 107 الذي كُتِبَ على الأرجح بعد

السبي البابلي (أي: بعد 538 ق م): "مَصَارِيعَ نُحَاسٍ [...] عَوَارِضَ حَدِيدٍ" (المزامير 107:16)، وكما نقرأ أيضاً في سفر إرميا (أواخر القرن السابع أو أوائل القرن السادس قبل الميلاد): "هَلْ يَكْسِرُ الْحَدِيدُ الْحَدِيدَ الَّذِي مِنَ الشِّمَالِ وَالنُّحَاسَ؟" (إرميا 15:12)[7325].

إذن: نحن على يقين 100% أن ذا القرنين – بفرض أنه شخص تاريخي حقيقي – كان يعيش **بعد** اختراع الكتابة. فالسؤال المنطقي الآن هو: كيف يمتلك المَلِكُ ذو القرنين كُلَّ هذه الإمكانيات التي أعطاها اللهُ إياه كما يزعم القرآن "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا" (الكهف 84) ثم يقوم بثلاث رحلات طويلة إلى الغرب والشرق والشمال كما يزعم القرآن (الكهف 85-98) ولا نجد مَن كَتَبَ عنه ولو سطراً واحداً بأي لغة وفي أي مكان مِن الأماكن التي رحل إليها؟! إن عدم وجود ولو سطر واحد **مكتوب مُعاصِر** لذي القرنين يدل على أن ذا القرنين شخصية قرآنية أسطورية.

وحتى إنْ قلتم إن زمان ذي القرنين كان قبل اختراع الكتابة. فسنقول: وكيف لا نجد مَن رَسَمَ ولو لوحة واحدة عن ذي القرنين وإنجازاته الكبيرة في أي مكان مِن الأماكن التي رحل إليها؟! إن عدم وجود ولو لوحة واحدة **مرسومة مُعاصِرة** لذي القرنين يدل على أن ذا القرنين شخصية قرآنية أسطورية.

إذن مِن الناحية التاريخية: المسألة محسومة تماماً. فلا يوجد أي دليل علمي يثبت أن ذا القرنين شخص تاريخي حقيقي. بل إن كل الأدلة العقلية تؤكد أن "ذا القرنين" القرآني هو مجرد شخصية أسطورية.

وكذلك مِن الناحية الجغرافية: المسألة محسومة أيضاً، لأن قصة ذى القرنين لا تتحدث عن ملائكة أو جن أو عفاريت لا يمكن رصدهم، وإنما تتحدث عن بشر (يأجوج ومأجوج) مِن لحم ودم وتتحدث عن معادن مادية مرئية مِن حديد ونحاس! مِن حقنا إذن أن نسأل: مَن هُمْ يأجوج ومأجوج؟ وأين هُمْ الآن؟ لقد اكتشف العلماءُ كل الأماكن على سطح الأرض، ولم يعد مِن الممكن أن نصدق أن قوماً مِن لحم ودم يعيشون الآن محبوسين وراء سد مصنوع مِن حديد ونحاس! أين هذا السد المزعوم؟! ولماذا لم يرصده أى قمر صناعى حتى الآن؟! وإذا أقحمتم اللهَ فى أساطيركم كالعادة وقلتم إن الله "أراد" أن يُخفِى هذا السد عن عيون العلماء وإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فسنقول: لو ألّف أى شخص الآن أية أسطورة تتحدث عن بشر أو حيوانات محبوسة وراء سد معدنى خفى وزعم أن هذه "إرادة الله" فهل ستصدقونه؟!

يا أيها المسلمون، ليس أمامكم سوى الاعتراف بالحقيقة. إن كل ما سبق يؤكد أن "ذا القرنين" القرآنى ليس شخصاً تاريخياً حقيقياً وإنما هو مجرد شخصية **أسطورية** خيالية أراد أصحابُ القرآن أن يجعلوها مثالية (idealized; idealistic) حتى تكون نموذجاً (model; paragon) للمَلِك الصالح. أو على الأقل، يمكنكم كخطوة أولى أن تقولوا إن قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) لا تتحدث عن أحداث حدثت فى الماضى، وإنما تُقدِّم نموذجاً مُلهِماً ليُطبَّق فى المستقبل.

ومع ذلك، فإن شخصية "ذى القرنين" (مَلِك سورة الكهف) مستوحاة مِن شخصيات تاريخية حقيقية، هى ملوك الأمم والحضارات (بابليين وفرس وإغريق ورومان) التى تعاقبت على حُكم منطقة الشرق الأوسط قبل الغزو العربى/الإسلامى فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن السابع الميلادى، وبخاصة: "كورش" (ملك الفرس فى القرن السادس قبل الميلاد) و "الإسكندر الأكبر" (ملك الإغريق فى القرن الرابع قبل الميلاد) وأيضاً "هرقل" (Heraclius) (ملك الروم فى القرن السابع الميلادى، والذى كان معاصراً لظهور الإسلام).

ولكى يكون كلامنا واضحاً، نحن لا نقول إن "ذو القرنين" القرآنى هو كورش ولا نقول إنه الإسكندر الأكبر ولا نقول إنه هرقل، وإنما نقول إن "ذو القرنين" القرآنى هو مجرد شخصية أسطورية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لشخصيات كورش والإسكندر الأكبر وهرقل.

أى أننا لا نقول إن كورش = ذو القرنين، ولا نقول إن الإسكندر الأكبر = ذو القرنين، ولا نقول إن هرقل = ذو القرنين، وإنما نقول إن كورش **[⟵ ذو القرنين]**، الإسكندر الأكبر **[⟵ ذو القرنين]**، هرقل **[⟵ ذو القرنين]**. بعبارة أخرى: نحن نقول إن ذا القرنين (مَلِك سورة الأساطير الشرقية) قد نتج عن عملية خلط أو دمج (conflation) لمَلِك الفرس (كورش) ومَلِك الإغريق (الإسكندر الأكبر) ومَلِك الروم (هرقل). وسنثبت ذلك فى الصفحات التالية.

وكأن أصحاب القرآن قد أرادوا أن يصنعوا نموذجاً مثالياً رومانتيكياً (romantic) للمَلِك الصالح، فأخذوا أفضل صفات موجودة فى ملوك الشرق قبل الإسلام وأيضاً الملوك الشرقيين المعاصرين للإسلام، ثم أعطوا كل هذه الصفات النموذجية المثالية إلى مَلِك سورة الأساطير الشرقية (ذى القرنين). قال الشيخ محمد الغزالى إن ذا القرنين "رجل ملهم أوتى الملك والعلم، فكان تدينه نموذجاً حسناً للصلاح والإصلاح، أو للتقوى والتمكين فى الأرض [...] وكان له ملك عظيم التقى فيه العلم والإيمان والحكمة والإنصاف"[7326].

إذن: قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) تشبه "السيروبيديا" (القيروبيديا) (Cyropaedia) التى كتبها الكاتب اليونانى الشهير "زينوفون" (أكسنوفون) (Xenophon) - تلميذ سقراط - فى القرن الرابع قبل الميلاد لكى يُعلِّم الإغريق كيف يكون المَلِك مثالياً. ومِن الجدير بالذِكر أن السيروبيديا اليونانية - مثل القرآن العربى - ليست كتاب تاريخ وإنما مزيج مِن الأسطورة والتاريخ (fabulous, fictive history)، وأن زينوفون قَدَّم "كورش" كنموذج يُستفاد مِنه. ثم جاء أصحابُ القرآن بعد زينوفون بأكثر مِن 900 سنة وقَدَّموا "ذا القرنين" كنموذج يُستفاد مِنه وتُقرأ سيرتُه القرآنية (الكهف 83-108) كل يوم جمعة!

وتوجد جذور عميقة لقصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) فى ملحمة جلجامش البابلية[7327][7328]. لكن حرصاً على عدم الإطالة، فإننا لن نتحدث عن هذه الجذور غير الإبراهيمية (البابلية واليونانية والزرادشتية) وسنكتفى فقط بتوضيح الجذور الإبراهيمية (الكتابية واليهودية المتأخرة والمسيحية السريانية) لقصة "ذى القرنين" القرآنية العربية (الكهف 83-108). وسنتحدث أيضاً عن "يأجوج ومأجوج" اللذين

أقحمهما أصحابُ القرآن فى قصة "ذى القرنين"! وطبعاً سنناقش هل هذه القصة القرآنية قصة تاريخية حقيقية أم مجرد أسطورة؟

4.43.2 جذور القرآن فى الكتاب المقدس

نود أولاً أن نؤكد على أن "القرون" (horns) فى التراث اليهودى/المسيحى تحمل معانى إيجابية وليست سلبية[7329]. فلقد قالت التوراة عن موسى النبى: "وَكَانَ لَمَّا نَزَلَ مُوسَى مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِ مُوسَى، عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ الْجَبَلِ، أَنَّ مُوسَى لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ جِلْدَ وَجْهِهِ صَارَ يَلْمَعُ فِي كَلاَمِهِ مَعَهُ. فَنَظَرَ هَارُونُ وَجَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى وَإِذَا جِلْدُ وَجْهِهِ يَلْمَعُ" (الخروج 34:29-30). وهذا الفعل "يَلْمَعُ" جاء فى النص العبرى "قَرَن" (karan) بمعنى "يشع" أو "يرسل أشعة" (sent forth beams) أو "صار مُشِعًّا" (was radiant) (حبقوق 4:3). لكنه يُترجَم أيضاً: "يُظهِر قروناً" أو "ذِي قُرُونٍ" (with horns) (المزامير 31:69)، وهكذا جاء الفعلُ "يَلْمَعُ" (الخروج 35:34) مترجماً بهذا المعنى الثانى (the horned face of Moses) فى الترجمة اللاتينية "الفولجاتا" (Vulgate) التى يرجع تاريخها إلى القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس الميلادي. وجاء فى الترجمة اليونانية (السبعينية) والترجمة القبطية البحيرية بمعنى "تمجَّد" أو "نال مجداً" أو "امتلأ مجداً".

ويُستعمَل القرنُ أيضاً فى الكتاب المقدس كرمز إلى القوة والقدرة (التثنية 17:33) والانتصار (1 ملوك 11:22) (ميخا 13:4) والمُلْك (دانيال 7-8).

إذن: "القرون" (horns) فى التراث الدينى السابق للإسلام تحمل معانى النور والمجد والقوة والقدرة والانتصار والمُلْك، وهى كلها معانى إيجابية تمثل جذوراً لشخصية "ذى القرنين" المَلِك الصالح المذكور فى سورة الكهف.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن سفرين هامين مِن العهد القديم، وهما سفر دانيال (Daniel) وسفر حزقيال (Ezekiel)، وكلاهما يتحدث عن فترة السبى البابلى (Babylonian exile) التى استمرت حوالى 50-70 سنة (مِن 605-587 ق.م إلى 538 ق.م) حيث كان اليهود مضطهَدين وكانت حياتهم فى بابل (العراق) لا تختلف كثيراً عن حياة العبودية فى مصر أيام موسى وفرعون (حسب التوراة). ومِن ثم، تطلع اليهود إلى انتصارهم على أعدائهم، أى تطلعوا إلى انتصار الإيمان (الله) على الكفر (أعداء الله). بالضبط كما كان أصحاب القرآن قبل فتح مكة (8هـ - حوالى 629م[7330]) يتطلعون إلى انتصارهم على أعدائهم، أى تطلعوا إلى انتصار الإيمان (المسلمين الأوائل) على الكفر (قريش وكفار مكة).

ومِن الجدير بالذكر أن سفر حزقيال هو واحد مِن أكبر أسفار العهد القديم، وسفر دانيال هو واحد مِن أشهرها. فَمِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن هذين السفرين الهامين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة (أثيوبيا). لا سيما إذا عرفنا أن جزءاً هاماً مِن سفر دانيال (مِن دانيال 2:4ب إلى دانيال 7:28) مكتوب باللغة الآرامية؛ بل يُعتقَد أن السفر كله كان أصلاً باللغة الآرامية. فَمِن المؤكد أن المسيحيين السريان – أى الناطقين بالسريانية أشهر لهجات اللغة الآرامية فى القرون الأولى للميلاد – قد تأثروا بسفر دانيال الذى يتحدث عن أربع ممالك عالمية (إمبراطوريات) تعاقبت على حُكْم الشرق الأدنى: الأولى هى مملكة البابليين (دانيال 2:37-38)؛ والثانية هى مملكة الفرس (دانيال 5:28، 8:20)؛ والثالثة هى مملكة الْيُونَان (الإغريق) (دانيال 8:21)؛ أما المملكة الرابعة فيقول التفسير المسيحى التقليدى – وكذلك التاريخ – إنها مملكة الرومان[7331]. إنهم إذن نفس الممالك والحضارات الأربع التى تأثر بها أصحابُ القرآن أثناء تأليف قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108)؛ وَهُمْ بنفس الترتيب: أولاً الحضارة البابلية ومَلِكها "جلجامش"؛ ثم الحضارة الفارسية ومَلِكها "كورش"؛ ثم الحضارة الإغريقية (اليونانية) ومَلِكها "الإسكندر الأكبر"؛ وأخيراً الحضارة الرومانية ومَلِكها "هرقل" الذى كان معاصراً لظهور الإسلام فى الربع الأول مِن القرن السابع الميلادى[7332]. وفى كِلا الكتابين – دانيال الآرامى والقرآن العربى – ينتقل الكاتبُ (أو: الكُتَّاب) فى النهاية إلى الحديث عن الأخرويات (دانيال 2:44، 7:13-14، 7:18، 7:27) (الكهف 98-108).

4.43.2.1 ذو القرنين: كورش؟ الإسكندر الأكبر؟ تطور بشرى طبيعي لكليهما

يقول د. إبراهيم عافية إن الأستاذ محمد خير رمضان قد توصل إلى نتيجة مفادها "أن كورش لا يصح أن يكون (هُو) ذا القرنين، فإن كانت هناك صفات مشتركة؛ كالتمكين فى الأرض، والفتوحات؛ إلا أن هناك صفات مختلفة بينهما، من ذلك: عقيدة كورش [...] ليست الإيمان والإخلاص"[7333].

ونحن نتفق تماماً مع هذا الرأى، وإن كنا نرى أن الصفات المشتركة أكثر وأهم مِن الصفات المختلفة. وإنه لَمِن الطبيعى أن يجعل أصحابُ القرآن "ذا القرنين" مؤمناً مُوحِّداً مخلصاً العبادة لله وحده حتى يصلح كقدوة للمسلمين. هذا هو التطور البشرى الطبيعى بالحذف و/أو الإضافة. وهذه هى عملية الأسلمة فى أوضح صورها. ولكى يكون كلامنا مؤيداً بالأدلة، فيجب أن نتحدث عن لقب "ذى القرنين" ....

لم نجد لقبَ "ذى القرنين" فى الكتاب المقدس إلا فى سفر دانيال، وتحديداً فى "رؤيا دانيال للكبش والتيس" (Daniel’s vision of a ram and a goat) (دانيال 8:1-14).

(دانيال 8): {3} فَرَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَرَأَيْتُ وَإِذَا بِكَبْشٍ وَاقِفٍ عِنْدَ النَّهْرِ وَلَهُ قَرْنَانِ **[← "ذِي الْقَرْنَيْنِ" (الكهف 83) "ذَا الْقَرْنَيْنِ" (الكهف 86، 94)]** وَالْقَرْنَانِ عَالِيَانِ، وَالْوَاحِدُ أَعْلَى مِنَ الآخَرِ، وَالأَعْلَى طَالِعٌ أَخِيرًا. {4} رَأَيْتُ الْكَبْشَ يَنْطَحُ غَرْبًا وَشِمَالاً وَجَنُوبًا **[← "بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ" (الكهف 86) "بَلَغَ مَطْلِعَ**

الشَّمْسِ (أى: الْمَشْرِقِ)" (الكهف 90) "بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ (فى الشمال)" (الكهف 93)] فَلَمْ يَقِفْ حَيَوَانٌ قُدَّامَهُ وَلاَ مُنْقِذٌ مِنْ يَدِهِ، وَفَعَلَ كَمَرْضَاتِهِ (أى: فَعَلَ كما يحلو له) وَعَظُمَ (شأنُه) **[← "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا" (الكهف 84) "قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" (الكهف 95)]**. {5} وَبَيْنَمَا كُنْتُ مُتَأَمِّلاً إِذَا بِتَيْسٍ مِنَ الْمَعْزِ جَاءَ مِنَ الْمَغْرِبِ **[← "مَغْرِبَ الشَّمْسِ" (الكهف 86)]** عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ وَلَمْ يَمَسَّ الأَرْضَ، وَلِلتَّيْسِ قَرْنٌ مُعْتَبَرٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ. {6} وَجَاءَ إِلَى الْكَبْشِ صَاحِبِ الْقَرْنَيْنِ (two-horned) **[← "ذِي الْقَرْنَيْنِ" (الكهف 83) "ذَا الْقَرْنَيْنِ" (الكهف 86، 94)]** الَّذِي رَأَيْتُهُ وَاقِفًا عِنْدَ النَّهْرِ وَرَكَضَ إِلَيْهِ بِشِدَّةِ قُوَّتِهِ. {7} وَرَأَيْتُهُ قَدْ وَصَلَ إِلَى جَانِبِ الْكَبْشِ، فَاسْتَشَاطَ عَلَيْهِ وَضَرَبَ الْكَبْشَ وَكَسَرَ قَرْنَيْهِ، فَلَمْ تَكُنْ لِلْكَبْشِ قُوَّةٌ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَهُ، وَطَرَحَهُ عَلَى الأَرْضِ وَدَاسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْكَبْشِ مُنْقِذٌ مِنْ يَدِهِ. {8} فتَعَظَّمَ تَيْسُ المَعْزِ جِدًّا **[← "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا" (الكهف 84) "قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" (الكهف 95)]**.

قد تبدو هذه الرؤيا غامضة، لكن مِن حُسن الحظ أن تفسيرها مذكور فى نفس الإصحاح مِن سفر دانيال: "أَمَّا الْكَبْشُ الَّذِي رَأَيْتَهُ ذَا الْقَرْنَيْنِ فَهُوَ مُلُوكُ مَادِي (Media) وَفَارِسَ (Persia). وَالتَّيْسُ الْعَافِي مَلِكُ الْيُونَانِ (Greece)، وَالْقَرْنُ الْعَظِيمُ الَّذِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ هُوَ الْمَلِكُ الأَوَّلُ" (دانيال 8:20-21).

إذن: الْكَبْشُ ذَو الْقَرْنَيْنِ هو ملوك إمبراطورية مَادِي وَفَارِس (Medo-Persian empire)، أى: الإمبراطورية الأخمينية (الأكمينية) الفارسية (Achaemenid Empire) التى أسسها المَلِك "كورش" (Cyrus the Great) بعد توحيد مملكتى مَادِي وَفَارِس فى القرن السادس قبل الميلاد. أما الْقَرْنُ الْعَظِيمُ الَّذِي بَيْنَ عَيْنَيْ التَّيْسُ فيمثل أول ملوك اليونان (الإغريق)، أى: المَلِك الإسكندر الأكبر (المقدونى) (Alexander the Great) الذى هزم الفرسَ فى القرن الرابع قبل الميلاد.

صحيح أن الكتاب المقدس لم يذكر الإسكندر الأكبر صراحةً بالاسم، لكن مِن المعروف أنه كان يُصوَّر منذ القرن الرابع قبل الميلاد على العملات المعدنية وغيرها بقرنين على رأسه **[← "ذِي الْقَرْنَيْنِ" (الكهف 83) "ذَا الْقَرْنَيْنِ" (الكهف 86، 94)]**. ربما تأثراً بشكل الإله المصرى "آمون" (Amun)[7334] الذى كان يُصوَّر بريشتين كبيرتين على رأسه وأحياناً يُصوَّر فى شكل كبش بقرنين. وربما لأنه فتح مشارق الأرض ومغاربها، فامتدت مملكته الواسعة على ثلاث قارات: مِن أوروبا وأفريقيا غرباً **[← "بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ" (الكهف 86)]** إلى آسيا شرقاً **[← "بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ (أى: الْمَشْرِقِ)" (الكهف 90)]**.

أما "كورش" فلقد تحدث العهدُ القديم عنه بطريقة إيجابية جداً لدرجة أنه وصفه بـ "مسيح الرب" (إشعياء 45:1). ليس لأن كورش كان يهودياً مُوحِّداً، ولكن لأنه كان متسامحاً تجاه اليهود إذ سمح لهم بالعودة مِن السبى البابلى إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل (عزرا 1:1-4). أى لأن الله اختاره وعَيَّنه (anointed him) مَلِكاً لتحقيق أهداف إلهية، رغم كونه غير مؤمن بإله بنى إسرائيل الذى قال "عَنْ كُورَشَ: (هُوَ) رَاعِيَّ (my shepherd)، فَكُلَّ مَسَرَّتِي يُتَمِّمُ (أى: الذى يُلَبِّى كل رغباتى) **[← "فَأَتْبَعَ سَبَبًا" (الكهف 85) "ثُمَّ**

أَتْبَعَ سَبَبًا" (الكهف 89، 92)] (إشعياء 28:44). إذن: فى الكتاب المقدس، كُورَش (مسيح الرب؛ راعى الرب) يعمل بإرادة الله الواحد لكنه غير مؤمن بالله الواحد. ومع التطور البشرى الطبيعى فى القرآن، صار "ذو القرنين" يعمل بإرادة الله الواحد وأيضاً يؤمن بالله الواحد[7335]. إذن: إيمان كورش **[⟵ ذى القرنين]** ليس هو المهم؛ وإنما المهم هو أن الله قد اختاره وعَيَّنه مَلِكاً واستخدمه كأداة (instrument) لتحقيق مهمة إلهية.

(إشعياء 45): {1} هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ (his anointed)، لِكُورَشَ **[⟵ "قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ" (الكهف 86)]** الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَمًا، وَأَحْقَاءَ مُلُوكٍ أَحُلُّ (أى: أكسِر شوكة ملوكٍ) **[⟵ "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ" (الكهف 84) "قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" (الكهف 95)]**، لأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْمِصْرَاعَيْنِ، وَالأَبْوَابُ لاَ تُغْلَقُ: {2} «أَنَا أَسِيرُ قُدَّامَكَ وَالْهِضَابَ أُمَهِّدُ **[⟵ "وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (أى: وسيلة تُوصِلهُ إِلَى مُرَاده)" (الكهف 84)]**. أُكَسِّرُ مِصْرَاعَيِ النُّحَاسِ (brass) **[⟵ "قِطْرًا (أى: نُحَاس مُذَاب)" (الكهف 96)]**، وَمَغَالِيقَ الْحَدِيدِ (iron) **[⟵ "زُبَرَ الْحَدِيدِ" (الكهف 96)]** أَقْصِفُ. {3} وَأُعْطِيكَ (يا كُورَش) ذَخَائِرَ الظُّلْمَةِ وَكُنُوزَ الْمَخَابِئِ[7336]، لِكَيْ تَعْرِفَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي يَدْعُوكَ بِاسْمِكَ، إِلهُ إِسْرَائِيلَ. {4} لأَجْلِ عَبْدِي يَعْقُوبَ، وَإِسْرَائِيلَ مُخْتَارِي، دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. لَقَّبْتُكَ وَأَنْتَ لَسْتَ تَعْرِفُنِي. {5} أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ **[⟵ "أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ" (الكهف 110)]**. لاَ إِلهَ سِوَايَ. نَطَّقْتُكَ (أى: قويتك) وَأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْنِي. {6} لِكَيْ يَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ **[⟵ "مَطْلِعَ الشَّمْسِ (أى: الْمَشْرِق)" (الكهف 90)]** وَمِنْ مَغْرِبِهَا **[⟵ "مَغْرِبَ الشَّمْسِ" (الكهف 86)]** أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ **[⟵ "أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ" (الكهف 110)]**.

"هكَذَا قَالَ كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ: إِنَّ الرَّبَّ إِلهَ السَّمَاءِ قَدْ أَعْطَانِي جَمِيعَ مَمَالِكِ الأَرْضِ" (2 أخبار الأيام 23:36)؛ "هكَذَا قَالَ كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ: جَمِيعُ مَمَالِكِ الأَرْضِ دَفَعَهَا لِي الرَّبُّ إِلهُ السَّمَاءِ" (عزرا 2:1) **[⟵ "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ" (الكهف 84) "قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" (الكهف 95)]**. ومِن المعروف أن غزوات كورش قد امتدت غرباً إلى "ليديا" (Lydia) (فى تركيا حالياً) **[⟵ "بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ" (الكهف 86)]**، وامتدت شرقاً إلى نهر السند (Indus River) (فى باكستان حالياً) **[⟵ "بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ (أى: الْمَشْرِق)" (الكهف 90)]**، وامتدت شمالاً إلى القوقاز (Caucasus) وآسيا الوسطى (Central Asia) **[⟵ "بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ (فى الشمال)" (الكهف 93)]** حيث يعيش الرعاة/البدو (nomads) مثل قبائل "الماساجيت" (Massagetai) **[⟵ "يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ" (الكهف 94) (الأنبياء 96)]** وغيرهم مِن أقوام البدو/الرعاة الذين سكنوا هذه المناطق الجبلية الشمالية **[⟵ "قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا" (الكهف 93) لبطء فهمهم و/أو غرابة لغتهم[7337]، ولا يعلمون كيف يبنون سداً بالرغم مِن امتلاكهم الأدوات اللازمة (المال والرجال والحديد والنحاس والنار والأخشاب ... الخ)، فاستعانوا بذى القرنين. وهذا يدل على أنهم بدو/رعاة متخلفين وليسوا أصحاب حضارة، ويدل على أن ذا القرنين صاحب حضارة]**.

ولقد لاحظنا أن الكتاب المسلمين الذين يعتقدون أن "ذا القرنين" هو "كورش" يزعمون أن السد الذى بناه قد أغلق الممرَ الجبلى الشهير المعروف باسم "مضيق داريال" (Darial Gorge) وسط جبال القوقاز. ونحن نقول لهم: اعطونا دليلاً تاريخياً واحداً يثبت أن كورش هو الشخص الوحيد الذى بنى سداً فى هذه المنطقة الجبلية الشهيرة قبل ظهور الإسلام، ويثبت أيضاً أن شخصية "كورش" التاريخية تتفق وتتطابق مع شخصية "ذى القرنين" القرآنية فى كل شىء. إنْ لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فليس أمامكم سوى الاعتراف بأنه لا يوجد أى دليل تاريخى يثبت أن كورش هُو ذو القرنين. ومِن ثم، فإن كل ما تقولوه هو مجرد تخمينات وأقوال مرسلة تعتمد على التشابه الكبير بين شخصية "كورش" التاريخية الحقيقية وشخصية "ذى القرنين" القرآنية الخيالية.

ويتضح مِن العهد القديم أن كورش قد تعامل بعدل وتسامح مع اليهود، لدرجة أنه أعاد إليهم آنية الهيكل المقدسة التى كان الملك البابلى "نَبُوخَذْنَصَّرُ" (Nebuchadnezzar) قد نهبها (عزرا 1:7-11) (عزرا 5:14-15) (عزرا 6:5). وتقول السيروبيديا اليونانية إن كورش كان متسامحاً (tolerant) مع شعوب الأراضى التى غزاها[7338]. ومع أن السيروبيديا تُعتبَر مزيجاً مِن الخيال والحقيقة، إلا أنها فى هذه النقطة تحديداً تقدم لنا ما يمكن أن نعتبره حقيقة تاريخية، بدليل "أسطوانة كورش" (Cyrus Cylinder)[7339][7340] - المحفوظة بالمتحف البريطانى - التى تؤكد أن سياسة كورش كانت تتصف إلى حد كبير بالتسامح الدينى، لدرجة أن بعض الكتاب العرب قد اعتبروا ما جاء فى هذه الأسطوانة "إعلان لحرية الشعوب" و "إعلان حقوق الإنسان"[7341]. ويبدو أن اليونان بصفة عامة - والإسكندر الأكبر بصفة خاصة - قد تأثروا بِمَا سمعوه عن كورش[7342]. ثم تأثر أصحابُ القرآن بكل هذا التراث الشرقى القديم، فجعلوا ذا القرنين يتعامل بعدل ورحمة مع سكان الأراضى التى وصل إليها فى رحلاته (غزواته، فتوحاته)، فهو لم يعاقب الأبرياء ولم يبطش بالمذنبين [← **"قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا. قَالَ (ذو القرنين) أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا" (الكهف 86-88)]**.

باختصار: "ذو القرنين" المذكور فى القرآن ليس شخصاً تاريخياً حقيقياً. ومِن ثم فإنه لا يوجد أى شخص فى التاريخ هُو "ذو القرنين". كورش ≠ ذو القرنين. الإسكندر الأكبر ≠ ذو القرنين. وإنما شخصية "ذى القرنين" هى مجرد شخصية **أسطورية** اخترعها العرب كتطور بشرى طبيعى لِمَا سمعوه عن ملوك الشرق، مثل كورش (مَلِك الفرس) والإسكندر الأكبر (ملك اليونان).

فى سطر واحد: كورش **[← ذو القرنين]**. الإسكندر الأكبر **[← ذو القرنين]**.

4.43.2.2 جوج وماجوج [← يأجوج ومأجوج]

سؤال: كيف تحوَّل اسما "جوج وماجوج" فى الكتاب المقدس إلى "يأجوج ومأجوج" فى القرآن؟

الإجابة: توجد قراءات قرآنية أخرى لهذين الاسمين المشهورين(7343). "مأجوج" قُرِئَت أيضاً "ماجوج" مطابقة لنفس الاسم فى الكتاب المقدس. و "يأجوج" قُرِئَت أيضاً "ياجوج" و "آجوج"، وهما قراءتان قرآنيتان قريبتان جداً مِن "جوج". ويبدو أن أصحاب القرآن قد سمعوا اسم "آجوج" (Agôg) مِن المسيحيين السريان(7344)، ثم تطور تطوراً بشرياً طبيعياً إلى أن كُتِب "يأجوج" فى مصحف عثمان.

وعملية التطور البشرى الطبيعى لم تقتصر على اسمى "جوج وماجوج" فقط، وإنما شملت أيضاً الأفكار الأخرويّة (eschatological) المرتبطة بهذين الاسمين.

مَن هو ماجوج؟ نعرف مِن (التكوين 2:10) و (1 أخبار الأيام 5:1) أن "مَاجُوج" (Magog) هو أحد أبناء "يَافَث" (Japheth) ابن نوح(7345). وبما أن اسم ماجوج قد ورد للمرة الأولى فى سجل الأمم مِن نسل نوح، فيُعتقَد أنه اسم شعب متسلسل منه (حزقيال 6:39) أو اسم بلاد سكنوها (حزقيال 2:38). نستطيع إذن أن نقول إن اسم "ماجوج" – مثل اسم "إسرائيل" – قد يشير إلى شخص أو شعب أو أرض. ولا نعلم على وجه الدقة أين تقع أرض ماجوج، لكن بما أن نسل يَافَث عاشوا بصفة عامة فى شمال وغرب كنعان، فيُحتمَل أن يكون ماجوج هو أبو قومٍ مِن قبائل "السكيثيين" (Scythians)(7346) المتوحشة الذين استوطنوا شمال البحر الأسود (Black Sea) والأقاليم المجاورة فى منطقة القوقاز (Caucasus) الجبلية، أى فى الأرض الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين (بحر الخزر) (Caspian Sea; Khazar Sea). وفى القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد، أى قبل ظهور الإسلام بقليل، أُعتُقِد أن جوج وماجوج هُمْ شعب "الهون" (Huns)(7347) الرعاة المتوحشين. و "الهون" اسم عام (generic term) لرعاة آسيا الوسطى (Central Asia) الذين بدوا لسكان الشرق الأوسط متوحشين. باختصار: الأدلة الكتابية وغير الكتابية تشير فعلاً إلى منطقة "بَيْنَ السَّدَّيْنِ" (الكهف 93) الجبلية، سواء غرب بحر قزوين (أى: القوقاز) أو شرق بحر قزوين (أى: آسيا الوسطى).

مَن هو جوج؟ نعرف مِن (حزقيال 38-39) أن "جوج" (Gog) هو مَلِك أو حاكم كبير مِن أرض ماجوج وسيغزو أرض إسرائيل "بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ [...] فِي السِّنِينَ الأَخِيرَةِ" (حزقيال 8:38) "فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ" (حزقيال 16:38)، أى: فى آخر الزمان. وبما أن اسم جوج يرتبط برؤيا مستقبلية، فلا نعلم على وجه الدقة مَن هُو، بل لا نعلم إن كان جوج شخصاً محدداً بعينه أم مجرد رمز لِمَن يعادى شعب الله (اليهود). وربما يكون اسم جوج مأخوذ مِن "جيجس" (Gyges) - الذى يُعرَف أيضاً باسم "جوجو" (Gogo) - مَلِك ليديا فى القرن السابع قبل الميلاد(7348). "وقد ورد أن شخصية جوج التى وصفت فى سفر حزقيال مستوحاة من شخصية جيجس". وفى المقابل، قيل إن "جوج ليس له أساس تاريخى، وما هو إلا أحد شخصيات آخر الأيام الوهمية"(7349).

وبغض النظر عن هل جوج وماجوج هُمْ "السكيثيين" (Scythians) أو "الهون" (Huns) أو "الماساجيت" (Massagetai) أو "الآلان" (Alans) أو غيرهم مِن أمم البدو/الرعاة الذين سكنوا القوقاز و/أو آسيا الوسطى، وبغض النظر عن تحديد شخصية وهويّة جوج وماجوج، فإنهم بالتأكيد شخصيات سيئة جداً تتصف بصفات سلبية جداً مثل: الوحشية والهمجية وعدم التحضر والبربرية والعداوة لله والعداوة للمؤمنين بالله **[⟵ "إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ" (الكهف 94)]**.

ويقول سفر حزقيال إن هذا الغزو الذى سيقوده جوج على إسرائيل سينطلق أساساً "مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ (north)" (حزقيال 6:38) (حزقيال 15:38) (حزقيال 2:39)، وسيشمل تحالفاً كبيراً مِن الأمم التى ستهجم على إسرائيل مِن الجهات الأخرى أيضاً. إنه إذن تحالف دولى ضخم يضم قوى عالمية بغرض تدمير ملكوت الله. إنها إذن حرب ضد الله وشعبه إسرائيل.

(حزقيال 38): {10} هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ **[⟵ "يَوْمَئِذٍ [...] يَوْمَئِذٍ" (الكهف 99-100)]** أَنَّ أُمُورًا تَخْطُرُ بِبَالِكَ (يا جوج) فَتُفَكِّرُ فِكْرًا رَدِيئًا، {11} وَتَقُولُ: إِنِّي أَصْعَدُ (أى: أهجم) عَلَى أَرْضٍ أَعْرَاءٍ (أى: بدون أسوار؛ هى أرض إسرائيل). آتِي الْهَادِئِينَ السَّاكِنِينَ فِي أَمْنٍ، كُلُّهُمْ سَاكِنُونَ بِغَيْرِ سُورٍ (wall) وَلَيْسَ لَهُمْ عَارِضَةٌ (bars) وَلاَ مَصَارِيعُ (gates) **[⟵ جعل القرآنُ ذا القرنين يبنى سوراً أو "سَدًّا" (الكهف 94) "رَدْمًا" (الكهف 95) ليصد يأجوج ومأجوج]**، {12} (وَتَقُولُ: أنا جُوج أهجم عليهم) لِسَلْبِ السَّلْبِ وَلِغُنْمِ الْغَنِيمَةِ **[⟵ "إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ" (الكهف 94)]**، [...]. {13} شَبَا (Sheba) (حالياً: اليمن) وَدَدَانُ (Dedan) (شعب عربى آخر، جنوب إسرائيل عن طريق البر) وَتُجَّارُ تَرْشِيشَ (Tarshish) (غرب إسرائيل عن طريق البحر) وَكُلُّ أَشْبَالِهَا (أى: هذا التحالف العالمى ضد إسرائيل) يَقُولُونَ لَكَ (يا جُوج): هَلْ لِسَلْبِ سَلْبٍ أَنْتَ جَاءٍ؟ هَلْ لِغُنْمِ غَنِيمَةٍ جَمَعْتَ جَمَاعَتَكَ **[⟵ "فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (للحرب)" (الكهف 99)]**، لِحَمْلِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، لأَخْذِ الْمَاشِيَةِ وَالْقُنْيَةِ، لِنَهْبِ نَهْبٍ عَظِيمٍ؟ **[⟵ "إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ" (الكهف 94)]**.

(حزقيال 38): {14} «لِذلِكَ تَنَبَّأْ يَا ابْنَ آدَمَ (أى: يا حزقيال) **[⟵ جعل القرآنُ ذا القرنين هو الذى يتنبأ بما سيحدث فى آخر الزمان (الكهف 98)!]**، وَقُلْ لِجُوجٍ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: فِي ذلِكَ الْيَوْمِ **[⟵ "يَوْمَئِذٍ [...] يَوْمَئِذٍ" (الكهف 99-100)]** عِنْدَ سُكْنَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ آمِنِينَ، أَفَلاَ تَعْلَمُ؟ {15} وَتَأْتِي مِنْ مَوْضِعِكَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ **[⟵ "بَيْنَ السَّدَّيْنِ" (الكهف 93)]** أَنْتَ وَشُعُوبٌ كَثِيرُونَ مَعَكَ، كُلُّهُمْ رَاكِبُونَ خَيْلاً، جَمَاعَةٌ عَظِيمَةٌ وَجَيْشٌ كَثِيرٌ **[⟵ "فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (للحرب)" (الكهف 99)]**. {16} وَتَصْعَدُ عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ كَسَحَابَةٍ تُغَشِّي الأَرْضَ. فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ يَكُونُ **[⟵ "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي (بخروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان)" (الكهف 98)]**. وَآتِي بِكَ عَلَى أَرْضِي لِكَيْ تَعْرِفَنِي الأُمَمُ، حِينَ أَتَقَدَّسُ فِيكَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ يَا جُوجُ.

ونلاحظ هنا أن الجملة التى قالها الربُّ لجُوج "أَتَقَدَّسُ فِيكَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ يَا جُوجُ" (حزقيال 16:38) تحمل نفس معنى الجملة التى قالها الربُّ لفرعون حسب التوراة "لأَجْلِ هذَا أَقَمْتُكَ (يا فرعون)، لِكَيْ أُرِيَكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُخْبَرَ بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ" (الخروج 16:9)، وحسب الإنجيل "لأَنَّهُ يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ: «إِنِّي لِهذَا بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُظْهِرَ فِيكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُنَادَى بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ»" (رومية 17:9)[7350]، وحسب القرآن "لِتَكُونَ (يا فرعون) لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً" (يونس 92). مما يدل على أن جُوج – مثل فرعون – يمثل عدو الله، أو: عدو شعب الله.

ملاحظة أخرى عن لقب "ابْنَ آدَمَ" (Son of Man) (حزقيال 14:38): "استخدم هذا اللقب 93 مرة فى كتاب حزقيال، مؤكداً على آدمية النبى كما كان يناديه الله المتعالى [...]. ولم تُستخدَم هذه العبارة فى العهد القديم سوى فى (دانيال 13:7) و (دانيال 17:8) وقد استخدمت كلقب"[7351]. ويناظرها فى القرآن "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ (آدمى) مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ" (الكهف 110)، وهى آخر آية فى سورة الكهف بعد قصة "ذى القرنين". وهذا دليل آخر على العلاقة القوية بين قصة "ذى القرنين" القرآنية (الكهف 83-108) وجذورها الكتابية فى سفر حزقيال وأيضاً فى سفر دانيال.

نعود إلى (**حزقيال 38**): {17} « هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ (لجُوج): هَلْ أَنْتَ (أى: أَلَسْتَ أنت) هُوَ الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ فِي الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ عَنْ يَدِ عَبِيدِي أَنْبِيَاءِ إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ سِنِينًا أَنْ آتِيَ بِكَ عَلَيْهِمْ؟ **[← "وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي (بخروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان) حَقًّا" (الكهف 98) "لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ" (الروم 6)]**. {18} وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ **[← "يَوْمَئِذٍ [...] يَوْمَئِذٍ" (الكهف 99-100)]**، يَوْمَ مَجِيءِ جُوجٍ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، أَنَّ غَضَبِي يَصْعَدُ فِي أَنْفِي. {19} وَفِي غَيْرَتِي، فِي نَارِ سَخَطِي تَكَلَّمْتُ، أَنَّهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ **[← "يَوْمَئِذٍ [...] يَوْمَئِذٍ" (الكهف 99-100)]** يَكُونُ رَعْشٌ عَظِيمٌ (great earthquake) فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. {20} فَتَرْعَشُ أَمَامِي سَمَكُ الْبَحْرِ وَطُيُورُ السَّمَاءِ وَوُحُوشُ الْحَقْلِ وَالدَّبَّابَاتُ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، وَكُلُّ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَتَنْدَكُّ الْجِبَالُ وَتَسْقُطُ الْمَعَاقِلُ وَتَسْقُطُ كُلُّ الأَسْوَارِ إِلَى الأَرْضِ **[← "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي (بخروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان) جَعَلَهُ دَكَّاءَ (أى: سيصير السدُّ منهدماً مستوياً بالأرض)" (الكهف 98)]**. {21} وَأَسْتَدْعِي السَّيْفَ عَلَيْهِ (أى: على جُوج) فِي كُلِّ جِبَالِي (mountains) **[← "حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ (أى: فُتِحَ سدّهما) وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (أى: مِن كل مكان مُرْتَفَع يُسْرِعُونَ). وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (أى: اقترب يومُ القيامة)" (الأنبياء 96-97)]**، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَيَكُونُ سَيْفُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى أَخِيهِ (أى أن المتحالفين ضد إسرائيل سينقلبوا بعضهم على بعض[7352]) **[← "وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ[7353] (أى: مختلطين، مضطربين مثل موج البحر)" (الكهف 99)]**. {22} وَأُعَاقِبُهُ بِالْوَبَإِ وَبِالدَّمِ، وَأُمْطِرُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَيْشِهِ وَعَلَى الشُّعُوبِ الْكَثِيرَةِ الَّذِينَ مَعَهُ مَطَرًا جَارِفًا وَحِجَارَةَ بَرَدٍ عَظِيمَةً وَنَارًا وَكِبْرِيتًا **[← "جَهَنَّمَ [...] جَهَنَّمَ [...] جَهَنَّمُ" (الكهف 100-**

106)]. {23} فَأَتَعَظَّمُ وَأَتَقَدَّسُ وَأُعْرَفُ فِي عُيُونِ أُمَمٍ كَثِيرَةٍ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ [← "أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ" (الكهف 110)].

(حزقيال 39): {1} «وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، تَنَبَّأْ عَلَى جُوجٍ وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ [← "وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" (الكهف 98) "لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ" (الروم 6)]: [...] {4} فَتَسْقُطُ (يَا جُوجُ) عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ أَنْتَ وَكُلُّ جَيْشِكَ وَالشُّعُوبُ الَّذِينَ مَعَكَ. أَبْذُلُكَ مَأْكَلاً لِلطُّيُورِ الْكَاسِرَةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ وَلِوُحُوشِ الْحَقْلِ. {5} عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ تَسْقُطُ، لأَنِّي تَكَلَّمْتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ [← "وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" (الكهف 98) "لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ" (الروم 6)]. {6} وَأُرْسِلُ نَارًا [← "جَهَنَّمَ [...] جَهَنَّمَ [...] جَهَنَّمُ" (الكهف 100-106)] عَلَى مَاجُوجَ وَعَلَى السَّاكِنِينَ فِي الْجَزَائِرِ آمِنِينَ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ [← "أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ" (الكهف 110)]. {7} وَأُعَرِّفُ بِاسْمِي الْمُقَدَّسِ فِي وَسْطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ أَدَعُ اسْمِي الْمُقَدَّسَ يُنَجَّسُ بَعْدُ، فَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ [← "أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ" (الكهف 110)] قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ. {8} «هَا هُوَ قَدْ أَتَى وَصَارَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. هذَا هُوَ الْيَوْمُ [← "يَوْمَئِذٍ [...] يَوْمَئِذٍ" (الكهف 99-100)] الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ [← "وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" (الكهف 98) "لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ" (الروم 6)]. [...] {11} وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ [← "يَوْمَئِذٍ [...] يَوْمَئِذٍ" (الكهف 99-100)]، أَنِّي أُعْطِي جُوجًا مَوْضِعًا هُنَاكَ لِلْقَبْرِ فِي إِسْرَائِيلَ (أى أن جُوج سيُهزَم وسيُقتَل فى هذه الحرب)، [...].

إذن: يؤكد حزقيال أن الرب سينتصر على كل هذه الجيوش والشعوب التى تهدد عباده المؤمنين، أى أن الإيمان (الله) سيهزم الكفرَ (أعداءَ الله) فى هذه الحرب الأخرويّة. وهذا أيضاً ما يُفهَم مِن قصة "ذى القرنين" القرآنية ويتضح مِن الأحاديث الصحيحة التى ذكرت نهاية يأجوج ومأجوج بطريقة أسطورية جداً: "فيرسل اللهُ عليهم (أى: على يأجوج ومأجوج) النَّغَفَ (هو نوع مِن الدود!) في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى (أى: قتلى) كموتِ نفسٍ واحدةٍ. [...] فيرسل اللهُ طيراً كأعناق البُخْتِ (هو نوع مِن الإبل!) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله [...]" (مسلم 2937)!

ولم يُذكَر جوج وماجوج بعد ذلك إطلاقاً فى الكتاب المقدس إلا فى آخر سفر مِنه، وهو سفر الرؤيا (Revelation; Apocalypse) الذى كتبه يوحنا الرسول (John the Apostle) حسب التقليد المسيحى.

يتحدث (الرؤيا 20) عن جوج وماجوج باعتبارهما رمز لقوى الشر العالمية التى ستُعادى المؤمنين (المسيحيين)، أى رمز لأعداء الكنيسة أو أعداء الله. فى آخر الزمان، سيتحد جوج وماجوج مع الشيطان ضد المسيح فى حرب أخرويّة، وسينتصر المسيحُ عليهم. وسواء كانت هذه الحرب الأخرويّة مادية و/أو روحية، فإننا نلاحظ أن نفس الفكرة المذكورة فى سفر حزقيال تتكرر فى سفر الرؤيا، وهى انتصار الإيمان على الكفر، أى أن الله فى النهاية سينتصر حتماً على أعدائه[7354].

(الرؤيا 20): {1} وَرَأَيْتُ مَلاَكًا نَازِلاً مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ مِفْتَاحُ الْهَاوِيَةِ، وَسِلْسِلَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ. {2} فَقَبَضَ عَلَى التِّنِّينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَيَّدَهُ أَلْفَ سَنَةٍ (أي: فترة زمنية طويلة)، {3} وَطَرَحَهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ لِكَيْ لاَ يُضِلَّ الأُمَمَ فِي مَا بَعْدُ **[⟵ جعل القرآنُ ذا القرنين يبنى "سَدًّا" (الكهف 94) "رَدْمًا" (الكهف 95) لكى يغلق على يأجوج ومأجوج ويختم عليهم، ومِن ثم يحمى الناس مِن فسادهم]**، حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ. وَبَعْدَ ذلِكَ لاَ بُدَّ أَنْ يُحَلَّ (أي: يُطْلَقَ؛ يُحَرَّرَ) زَمَانًا يَسِيرًا (أي: يُسْمَح له أن يقوم بحربه الأخيرة اليائسة ضد المؤمنين لِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ قبل دينونته النهائية). [...] {7} ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ (أي: قرب نهاية زمن الحياة الأرضي وقبل المجيء الثاني للسيد المسيح بفترةٍ وجيزة ولفترةٍ قصيرة) يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، {8} وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ **[⟵ "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي (بخروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان)" (الكهف 98)]**، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ **[⟵ "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ (أى: نُفِخَ فِي الْقَرْن أو البوق لإعلان القتال) فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (للحرب)" (الكهف 99)]**، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ. {9} فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ (أي: الكنيسة) وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ (أي: أورشليم Jerusalem) **[⟵ "حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ (أى: فُتِحَ سَدّهمَا) وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (أى: مِن كل مكان مُرْتَفَع يُسْرِعُونَ). وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (أى: اقترب يومُ القيامة)" (الأنبياء 96-97)]**، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ. {10} وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ **[⟵ "جَهَنَّمَ [...] جَهَنَّمَ [...] جَهَنَّمُ" (الكهف 100-106)]**، حَيْثُ الْوَحْشُ (أي: ضد المسيح) وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلًا (أي: دائماً) إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ.

ملحوظة: التفسير الإسلامى التقليدى لـ "وَنُفِخَ فِي الصُّور فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا" (الكهف 99) هو: فإذا اقترب يومُ القيامة، وَنُفِخَ فِي الصُّور (أى: نُفِخَ فِي الْقَرْن لِلْبَعْثِ) فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (أى: جمعنا الخلق جميعاً للحساب والجزاء). لكن فى ضوء (الرؤيا 20) وأيضاً (حزقيال 38-39)، نكتشف تفسيراً آخر وهو: فإذا اقترب يومُ القيامة، وَنُفِخَ فِي الصُّور (أى: نُفِخَ فِي الْقَرْن أو البوق لإعلان القتال) فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (للحرب)[7355]. وهذان التفسيران ليسا متناقضين، إذ يمكن الجَمْع بينهما، بل يجب أن نجمع بينهما بنفس ترتيب الأحداث المذكور فى سفر الرؤيا: سيجمعهم أولاً للقتال والحرب (الرؤيا 20:7-9) ثم للبعث والحساب والجزاء (الرؤيا 20:10-15؛ الرؤيا 21:1-8). أى أن ترتيب أحداث آخر الزمان حسب ما فهمنا هو:

- الحرب الأخروية: يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ[7356].
- المجيء الثانى للمسيح (الراعى الصالح) مِن السماء إلى الأرض[7357].
- انتصار الله على أعدائه: يهزم المسيحُ الشيطانَ وكل أتباعه فى جميع أنحاء الأرض (جُوجَ وَمَاجُوجَ). هذا الانتصار يعنى انتصار الخير على الشر، بل انتصار الحياة على الموت.

- البعث: القيامة العامة (Resurrection) لجميع الأموات (المؤمنين وغير المؤمنين، الأبرار والأشرار)، أى عودة الروح إلى الجسد ليقوم.
- الحساب: الدينونة العامة (Judgment) لكل الناس.
- الجزاء (Retribution): إما عذاب أبدى فى النار أو نعيم أبدى فى الجنة. "فَيَمْضِي هؤُلاَءِ (أى: الأشرار وغير المؤمنين) إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ (فى جهنم (Gehenna)) وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (متى 46:25)[7358].

(الرؤيا 21): {2} وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ (New Jerusalem)[7359] **[← "جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ" (الكهف 107)]** نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا (أى: يسوع المسيح). {3} وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً:«هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ. {4} وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ **[← "خَالِدِينَ فِيهَا" (الكهف 108)]**، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ» **[← "وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا" (الكهف 88) "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا" (الكهف 107-108)]**. [...] {8} وَأَمَّا الْخَائِفُونَ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجِسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعَبَدَةُ الأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذَبَةِ، فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ **[← "أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (فى نار جهنم)" (الكهف 87) "وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا. أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا" (الكهف 100-102)]**، [...].

ومن الجدير بالذكر أن أحداث آخر الزمان (Eschatology)، كما وُصِفَت فى تراث الديانات الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية والإسلام)، لها جذور فى الديانة الزرادشتية. وإن كان بعض العلماء يعتقدون أن الزرادشتية هى التى تأثرت باليهودية[7360]. أما فيما يتعلق بموضوعنا – وهو الإسلام الذى ظهر متأخراً فى الشرق فى القرن السابع الميلادى وما بعده – فإنه لَمِن المؤكد أن الإسلام بمصدريه الأساسيين (القرآن فى القرن السابع والسنة الصحيحة فى القرن التاسع) قد تأثر بتراث الديانات الإبراهيمية (اليهودية والمسيحية) وتأثر أيضاً بتراث الديانات غير الإبراهيمية (مثل الزرادشتية).

4.43.2.3 هل توجد علاقة بين ذى القرنين وجوج وماجوج؟

مما سبق يتضح أنه فى الكتاب المقدس: قصة ذى القرنين (كورش أو غيره) مستقلة عن قصة جوج وماجوج. ولا توجد علاقة كتابية مباشرة بين "ذى القرنين" و "جوج وماجوج". إلا أنه توجد علاقة غير مباشرة، كما يوضح الجدول التالى:

جدول 41 – "ذو القرنين" و "جوج وماجوج" في العهد القديم والعهد الجديد

العهد القديم	العهد الجديد
بعد هزيمة البابليين (أعداء المؤمنين اليهود) فى القرن السادس قبل الميلاد، جعل كورش (مسيح الرب؛ راعى الرب) المؤمنين (اليهود) يذهبون مِن السبى البابلى إلى أورشليم الأرضية ليبنوا الهيكل "بَيْتَ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ" (عزرا 1:3).	بعد هزيمة جوج وماجوج (أعداء المؤمنين المسيحيين) فى آخر الزمان، سيجعل يسوعُ (المسيحُ الحقيقى؛ الراعى الصالح) المؤمنين (المسيحيين) يذهبون مِن هذا العالم الأرضى إلى أورشليم السمائية (أورشليم الجديدة) "مَسْكَنُ اللهِ (أى: بَيْت الله) مَعَ النَّاسِ" (الرؤيا 3:21).
آيات العهد القديم التى تحدثت عن جوج وماجوج موجودة فى (حزقيال 38-39)، أى فى سفر حزقيال النبى الذى سُبِىَ إلى بابل وعاصر خراب أورشليم الأول على يد البابليين (حوالى 587-586 ق.م) حسب التقليد اليهودى/المسيحى[7361]. ومِن الجدير بالذكر أن (حزقيال 39) ينتهى بنبوءة عن عودة اليهود مِن السبى البابلى إلى أرضهم (أى: إلى أورشليم) (حزقيال 39:21-29)[7362]. وهو ما تحقق بفضل كورش [← ذى القرنين] كما شرحنا.	آيات العهد الجديد التى تحدثت عن جوج وماجوج موجودة فى (الرؤيا 20). ويقول التقليد المسيحى إن يوحنا الرسول الذى عاصر خراب أورشليم الثانى على يد الرومان[7363] (70م) هو الذى كتب سفر الرؤيا فى النصف الثانى مِن القرن الأول الميلادى حين كان الأباطرة الرومان الوثنيون يضطهدون المسيحيين المؤمنين.

أى أن سفر الرؤيا كُتِب فى ظروف سياسية-دينية تشبه حال اليهود المضطَهدين فى بابل – قبل فتح بابل بقيادة كورش – فى القرن السادس قبل الميلاد، وتشبه أيضاً حال المسلمين المضطَهدين فى مكة – قبل فتح مكة بقيادة محمد – فى القرن السابع الميلادى. وقد يكون هذا هو السبب الذى جعل أصحاب القرآن يتأثرون بسفر الرؤيا، على الرغم مِن أنه واحد مِن الأسفار التى أثارت جدلاً بين المسيحيين سواء حول تفسيره أو حول قانونيته.

ومع التطور البشرى الطبيعى فى القرآن، صنع أصحابُ القرآن علاقة مباشرة واضحة بين "ذى القرنين" و "يأجوج ومأجوج" حين وضعوا يأجوج ومأجوج فى نهاية قصة ذى القرنين (الكهف 92-99)، بغرض الانتقال مِن الحديث عن الأمور الأرضية إلى الحديث عن الأمور الأخرويّة وما سيحدث فى آخر الزمان ويوم القيامة. انظر الشكل التالى:

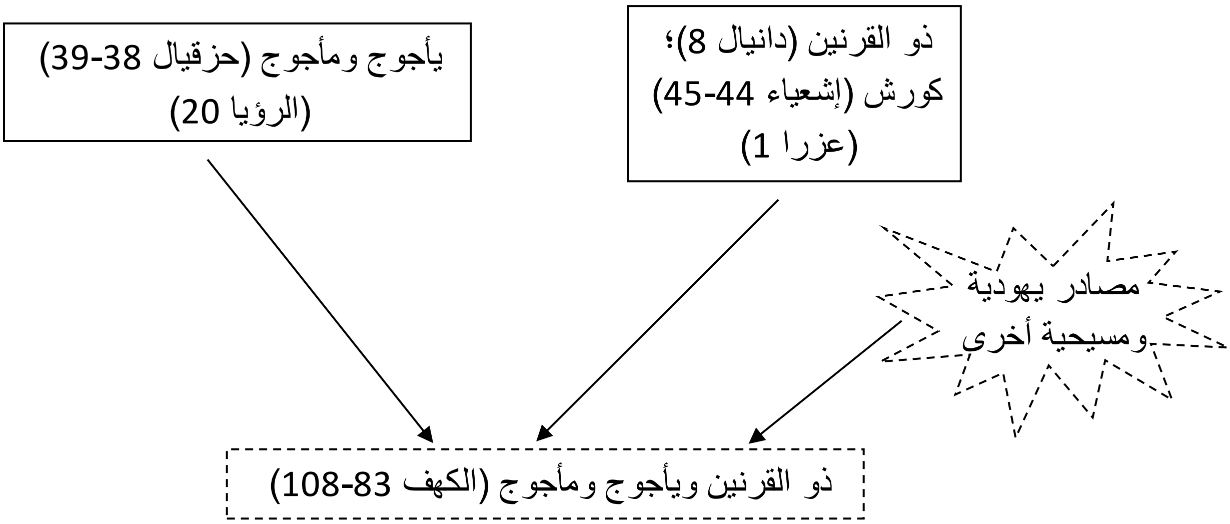

رسم توضيحي 14 – دمج وخلط قصة "ذى القرنين" مع قصة "يأجوج ومأجوج" فى قصة قرآنية واحدة

نستطيع إذن أن نقول إن أصحاب القرآن قد أقحموا يأجوج ومأجوج فى قصة ذى القرنين لسببين:

- أولاً: لكى يبرزوا التضاد الشديد بين شخصية ذى القرنين (المَلِك الصالح الذى مَكَّن اللهُ له فى الأرض) وشخصيتى يأجوج ومأجوج (المفسدين فى الأرض). وهذا أسلوب أدبي قديم ومعروف يُسمَّى الـ (foil)، ويُستخدم كثيراً في الأدب من أجل إبراز الاختلاف الشديد بين بطل الرواية الرئيسي (protagonist) وعدوه (antagonist).
- وثانياً: حتى يعطوا ذا القرنين فرصة مناسبة لكى يتنبأ بما سيحدث فى آخر الزمان.

مِن حق أحبائنا المسلمين أن يتساءلوا: وهل يُعقَل أن أصحاب القرآن - العرب البسطاء الذين كانوا يعيشون على الفطرة - قد فهموا كل هذه الأمور اليهودية/المسيحية المعقدة فاستطاعوا أن يؤلفوا قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108)؟

الإجابة مِن وجهين. أولاً: لم يكن أصحابُ القرآن بسطاء يعيشون على الفطرة كما يتوهم كثير من المسلمين، فلقد كان للعرب احتكاك وثيق بالحضارات والثقافات التى كانت حولهم. والأدلة على ذلك كثيرة، ولا داعى لتكرار ما قلناه. ثانياً: ليس الهدف مِن العرض السابق هو شرح كيف استطاع أصحابُ القرآن أن يؤلفوا قصة "ذى القرنين". وإنما الهدف هو توضيح الأسباب الدينية والسياسية التى جعلت عناصر القصة تتطور تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى وصلت إلى الصورة التى نراها الآن فى القرآن. أما القصة نفسها، فليس أصحاب القرآن هُمْ أول مَن ألفها. وليس أصحاب القرآن هُمْ أول مَن يربط بين "يأجوج ومأجوج" وأحداث آخر الزمان، فلقد سبقهم اليهود والمسيحيون فى أسفارهم المقدسة وغير المقدسة[7364]. وليس أصحاب القرآن هُمْ أول مَن يخلط (conflate) بين "ذى القرنين" و "يأجوج ومأجوج"، فلقد سبقهم المسيحيون السريان[7365].

باختصار: لم يكن أصحاب القرآن محتاجين أن يفهموا أى شيء فهماً عميقاً. كل المعلومات كانت معروفة ومتاحة ومنتشرة قبل ظهور الإسلام. ويكفى أصحاب القرآن ما كانوا يسمعوه بآذانهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مِن يهود ومسيحيى الشرق الأوسط والحبشة (أثيوبيا). هذا يكفى - بل يكفى جداً - لإنتاج قصة قصيرة مثل قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108).

وقبل أن نتحدث عن الجذور المسيحية السريانية لقصة "ذى القرنين" القرآنية، نريد أولاً أن نتحدث عن جذورها اليهودية المتأخرة ...

4.43.3 جذور القرآن فى التراث اليهودى المتأخر

نبدأ أولاً بسفر أخنوخ الأول (1 Enoch)[7366] الذي يُسمَّى أيضاً بأسماء أخرى مثل "مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) و "النسخة الحبشية (الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch) والذي يضم مجموعة ضخمة من التقاليد والكتابات التي دُوِّنت بين القرن الثاني ق.م. وبداية القرن الأول المسيحي. إنه واحد مِن أهم وأشهر وأضخم كُتب سودبيجرافا العهد القديم، ويُعتقَد أنه دُوِّن في الأصل باللغة الآرامية بدليل وجود أجزاء منه مكتوبة بالآرامية ضمن مخطوطات البحر الميت، ثم نُقِل إلى اللغة اليونانية، ومِن اليونانية انتقل إلى الحبشية (الأثيوبية) على يد العلماء السريان، وهذا كله يدل على انتشاره الواسع في الشرق الأوسط القديم قبل الإسلام. وتعترف به الكنيسةُ الحبشية ككتاب قانوني[7367]؛ ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس. فنستطيع إذن أن نقول إن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) فى أوائل القرن السابع الميلادى قد سمعوا عن هذا السفر المهم (1 أخنوخ) وعرفوا محتواه وربما ظنوا أنه مُوحَى به مِن الله.

يتحدث (1 أخنوخ 17-36) عن الرحلات التى قام بها أخنوخ إلى زوايا الأرض الأربعة: الغرب والشرق والشمال والجنوب. وهذا يذكرنا بالقرآن الذى تحدث عن رحلات ذى القرنين إلى زوايا الأرض الثلاث: الغرب (الكهف 85-88) والشرق (الكهف 89-91) والشمال (بين السدين) (الكهف 92-98).

وفى رحلته إلى الغرب (1 أخنوخ 4:17)، يصل أخنوخ إلى "نار الغرب" (fire of the west) **[⟵ "عَيْنٍ حَمِئَةٍ" (الكهف 86)؛ وقُرِئَت أيضاً "عَيْنٍ حَامِيَةٍ (أى: حَارَّة)" a spring of black muddy (or hot) water**[7368]**]** حيث تغرب الشمسُ كل يوم **[⟵ "حَتَّى إِذَا بَلَغَ (ذو القرنين) مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ (أو: حَامِيَةٍ)" (الكهف 86)]**. ثم بعد ذلك يرى سجناً (prison) للملائكة الساقطين (fallen angels) ومكان عقاب أنفس الخطاة (sinners) **[⟵ "وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا. قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا" (الكهف 86-87)]**.

ننتقل الآن إلى ما قاله سفر المكابيين الأول (1 Maccabees) عن الإسكندر الأكبر (المقدونى)[7369]. وهذا السفر الهام هو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha)، ويرجع تاريخه على الأرجح إلى أواخر القرن الثانى، وربما أوائل القرن الأول، قبل الميلاد - أى قبل ظهور الإسلام بأكثر من 600 سنة.

(1 مكابيين 1): {1} كان الإسكندر بن فيلبُّس (Alexander son of Philip II) المقدونى من بلاد كِتّيم (Kittim) أول مَلِك على اليونان، هاجم (الإسكندرُ) داريوسَ (الثالث) (Darius III) مَلِك فارس ومَادِي، فقهره ومَلَكَ مكانه. {2} ثم شَنَّ حروباً كثيرة، واستولى على حصون متعددة، وقتل الكثيرَ من الملوك {3} واجتاز إلى أقاصى الأرض، واجتاح أمةً بعد أمةٍ، حتى إن الجميع استسلموا إليه **[⟵ "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا" (الكهف 84) "قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" (الكهف 95)]**.

ونختم كلامنا بأسطورة "سد يأجوج ومأجوج" التى تُعرَف أيضاً باسم "بوابات الإسكندر" (Gates of Alexander) أو "بوابات قزوين" (Caspian Gates). تقول هذه الأسطورة الشرقية إن الإسكندر الأكبر (المقدونى) قد بنى بوابات (gates) مِن حديد (iron) ليصد بها الغزاة والمفسدين **[⟵ "إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا (أى: مالاً) (يا ذا القرنين) عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (يحمينا منهم). قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (أى: حَاجِزًا حَصِينًا). آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ (أى: قطع الحديد)" (الكهف 94-96)]**.

عند دراستنا لهذه الأسطورة الشرقية، وجدنا أن تاريخ نشأتها يرجع على الأقل إلى القرن الأول الميلادى، أى قبل ظهور الإسلام بأكثر مِن 500 سنة، وتحديداً عند يوسيفوس[7370] (Josephus) فى سياق حديثه عن قوم مِن "الآلان" (Alans) أو "السكيثيين" (Scythians) - مِن نسل ماجوج - الذين خططوا لغزو مَادِي (Media) وما ورائها لكى يقوموا بأعمال النهب **[⟵ "إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ" (الكهف 94)]**، وحديثه عن الممر (الجبلى) **[⟵ "بَيْنَ السَّدَّيْنِ (أى: بين الجبلين المرتفعين)" (الكهف 93) "بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ (أى: بين حافتى الجبلين المرتفعين)" (الكهف 96)]** الذى أغلقه الإسكندر (الأكبر) **[⟵ ذو القرنين]** ببوابات (gates) **[⟵ "سَدًّا" (الكهف 94) أو "رَدْمًا" (الكهف 95)]** مِن حديد (iron) **[⟵ "زُبَرَ الْحَدِيدِ" (الكهف 96)]**. وحسب هذه الأسطورة الشرقية، فإن هذا الممر (الجبلى) يقع تحت سلطة مَلِك "هيركانيا" (Hyrcania)، أى: جنوب شرق بحر قزوين (بحر الخزر) (Caspian Sea; Khazar Sea). ولذلك فإن هذه الأسطورة الشرقية تُعرَف أيضاً باسم "بوابات قزوين"

(Caspian Gates). وبعد يوسيفوس، ظهرت هذه الأسطورة الشرقية فى كتابات أخرى[7371]، وظلت تتطور تطوراً بشرياً طبيعياً إلى أن ظهرت فى سورة الكهف (سورة الأساطير الشرقية).

ولا نعلم سبب نشأة هذه الأسطورة. ربما يكون السبب هو أن المَلِك "فيلبُّس الثانى" (Philip II) هو الذى قتل "آتياس" (Ateas) مَلِك السكيثيين عن عمر يناهز التسعين عاماً فى المعركة[7372]. وبما أن: فيلبُّس الثانى هو والد الإسكندر الأكبر، وبما أن: السكيثيين قومٌ مِن نسل ماجوج كما يُعتقَد. إذن: ربما يكون ذلك هو السبب الذى جعل هذه الأسطورة تزعم أن الإسكندر الأكبر **[⟵ ذو القرنين]** قد بنى بوابة **[⟵ "سَدًّا" (الكهف 94) أو "رَدْمًا" (الكهف 95)]** مِن أجل درئ مفاسد السكيثيين **[⟵ "إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ" (الكهف 94)]**.

وإن قلتم إن يوسيفوس كان مؤرخاً وكلامه حُجة ودليل على صحة هذه القصة القرآنية، فسنقول إن يوسيفوس جاء بعد الإسكندر الأكبر بأكثر مِن 350 سنة، فكلامه عن الإسكندر الأكبر ليس تاريخاً بالمعنى العلمى، وإنما مجرد تقليد موروث (tradition). ولو كانت قصة "سد يأجوج ومأجوج" قصة تاريخية حقيقية، لكان المؤرخون المعاصرون للإسكندر الأكبر - مثل كلستينس (Callisthenes of Olynthus) وغيره من المؤرخين اليونانيين - قد ذكروها باعتبارها إحدى إنجازات الإسكندر الأكبر، وهذا لم يحدث إطلاقاً. إنها إذن أسطورة (legend) وليست تاريخاً. وما قصة "سد يأجوج ومأجوج" المذكورة فى قصة "ذى القرنين" القرآنية إلا مجرد تطور بشرى طبيعى لهذه الأساطير الشرقية التي نُسِجَت حول رحلة الإسكندر الأكبر إلى آسيا فى القرن الرابع قبل الميلاد.

ولقد ذكر يوسيفوس أسطورة أخرى عن الإسكندر الأكبر[7373]. تقول هذه الأسطورة إن الإسكندر الأكبر وَقَّر (adored) اسمَ الله أو سَجَدَ (prostrated) أمام اسم الله، ثم ذهب إلى الهيكل فى أورشليم وقدَّم ذبيحة (sacrifice) لله! أى أنه تصرف كما لو كان مؤمناً بالإله الواحد. ومع التطور البشرى الطبيعى فى القرآن، جعل أصحابُ القرآن ذا القرنين مؤمناً بالإله الواحد **[⟵ "قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" (الكهف 95) "قَالَ (ذُو الْقَرْنَيْنِ) [...] رَبِّي [...] رَبِّي [...] رَبِّي" (الكهف 98)]**. وتقول هذه الأسطورة أيضاً أن الإسكندر الأكبر قرأ ما قاله سفر دانيال عن انتصار مَلِك اليونان على الفرس، ففرح بهذه البشارة وأعطى اليهود امتيازات واسعة. ومع التطور البشرى الطبيعى فى القرآن، جعل أصحابُ القرآن ذا القرنين يتعامل بعدل ورأفة مع سكان الأراضى التى وصل إليها فى رحلاته (غزواته، فتوحاته) **[⟵ "قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا. قَالَ (ذو القرنين) أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا" (الكهف 86-88)]**.

وتوجد أساطير شرقية أخرى فى التلمود البابلى (Tamid 31b-32b) (Yoma 69a)[7374][7375] عن الإسكندر الأكبر (المقدونى) تشبه ما جاء فى أسطورة القرآن عن ذى القرنين (الكهف 83-108)، مما يدل على أن هذه الأساطير الشرقية المتعلقة بالإسكندر الأكبر **[⟵ ذى القرنين]** ورحلاته (فتوحاته، غزواته) ظلت تشغل بال سكان الشرق الأوسط حتى ظهور الإسلام. إنه إذن لَمِن الطبيعى أن يتأثر أصحاب القرآن بهذا التراث الشرقى القديم ويصنعوا لنا قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) ويضعوها فى مكانها المناسب: سورة الكهف (سورة الأساطير الشرقية).

4.43.4 جذور القرآن فى التراث المسيحى السريانى

أشرنا فى الفصل السابق إلى "قصة الإسكندر" (Alexander Romance) اليونانية أو (Pseudo-Callisthenes) التى ظهرت فى القرن الثالث الميلادى ثم تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً إلى أن وصلت إلى المسيحيين السريان فصارت تُسمَّى "قصة الإسكندر" المسيحية (A Christian Legend Concerning Alexander) أو "قصة الإسكندر" السريانية (Syriac Alexander Legend). وإنه لَمِن الطريف أن هؤلاء المسيحيين السريان قد أضافوا على القصة اليونانية الأصلية مسحة مسيحية واضحة، لا سيما فيما يتعلق بإيمان بطل القصة "الإسكندر" بالله وأنه يعمل بإرادة الله وبعونه لتحقيق أهداف إلهية. وهذا أمر طبيعى، بل إنه يشبه تلك المسحة الإسلامية/العربية التى أضافها أصحابُ القرآن على القصص والأساطير الشرقية التى وصلتهم، أو ما نسمِّيه بعمليتى "الأسلمة" و "التعريب". فنحن نجد فى القرآن أيضاً أن "ذا القرنين" مؤمن بالله ويعمل بإرادة الله وبعونه لتحقيق أهداف إلهية.

سؤال هام: متى كُتِبَت قصة الإسكندر السريانية؟ قيل فى القرن الخامس الميلادى، وقيل فى القرن السادس، وقيل فى الفترة بين القرنين السابع والتاسع، وقيل بعد ذلك. أما الرأى الراجح عندنا فَهُو: القرن السابع الميلادى، أو بعد الترجمة اللاتينية (القرن الرابع) والترجمة الأرمينية[7376] (القرن الخامس) بفترة غير طويلة. ودليلنا على ذلك هو ما جاء فى كتاب "تاريخ الأدب السريانى" الذى يقول إن "الترجمة السريانية القديمة لهذه القصة لم تنقل عن اليونانية مباشرة، وكان المعروف أولاً أنها نقلت عن العربية، وأنها لهذا يجب أن تكون قد وضعت حوالى القرنين العاشر والحادى عشر. ولكن نولدكه (Nöldeke) أثبت – بعد دراسة لغة الكتاب، وبخاصة صيغ أسماء الأعلام – أن النص السريانى يجب أن يكون مأخوذاً عن البهلوية (الفارسية)، ويظهر أنه نشأ أولاً فى وسط (مسيحى) نسطورى فى وقت لا يعدو القرن السابع بحال من الأحوال"[7377]. ونجد رأى العالم الألمانى الكبير "نولدكه" مذكوراً أيضاً فى الموسوعة الإيرانية[7378]. ونعرف مِن مصادر أخرى[7379] أن قصة الإسكندر السريانية قد تطورت فصارت قصيدة شعرية أو عِظة عن الإسكندر (Syrian Alexander Poem; Song of Alexander; Alexander Homily)[7380]؛ وهذه القصيدة كُتِبَت فى شمال بلاد ما بين النهرين حوالى عام 630م أو بعد ذلك بقليل،

أى: فى ثلاثينيات القرن السابع الميلادى. وبما أن قصة الإسكندر السريانية تشير إلى انتصار الروم على الفرس ومعاهدة السلام التى أنهت الحرب بينهما (628م)، فإن قصة الإسكندر السريانية قد كُتِبَت بين عامى 628م و 630م، ربما عام 629م.

وإنْ قلتم إنَّ 629م أو 630م هي تقريباً سنة فتح مكة (8هـ)، أي: بعد ظهور الإسلام وليس قبله. فسنقول:

- تاريخ نشأة الأسطورة عادةً يكون أقدم مِن تاريخ كتابتها، لأن الأساطير كانت تنتشر شفوياً أولاً لسنوات طويلة قبل تدوينها. أو بالأحرى: عناصر الأسطورة كانت أولاً تنتقل شفوياً مِن جيل إلى جيل إلى أن تُجمَع فى كتاب. وخير دليل إسلامى على ذلك هو أحاديث البخارى ومسلم التى لم تُجمَع فى كتب إلا بعد وفاة محمد بأكثر مِن 200 سنة، ومع ذلك يؤمن المسلمون بأنها كلها أحاديث صحيحة قالها محمد! والقرآن نفسه جُمِع مِن مواد شفهية ومكتوبة مختلفة جُمِعَت معاً (compiled from different oral and written materials collected together)[7381] فى كتاب (مصحف) بعد وفاة محمد بسنوات، أى بعد 629م. وبما أنه لا توجد مخطوطة لسورة الكهف يرجع تاريخها إلى ما قبل 629م، فإنه مِن المحتمل أن تكون قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) قد وُضِعَت فى القرآن فى السنوات الأخيرة مِن حياة محمد، وربما بعد وفاته، أى فى ثلاثينيات وربما أربعينيات القرن السابع الميلادى. وما يجعلنا نؤيد هذا الاحتمال هو أننا لم نجد آية قرآنية واحدة خارج سورة الكهف تذكر "ذا القرنين"! حتى الآية القرآنية الوحيدة (الأنبياء 96) التى تذكر يأجوج ومأجوج خارج سورة الكهف لا تذكر "ذا القرنين"! ولم نجد حديثاً صحيحاً مرفوعاً واحداً يذكر "ذا القرنين"! حتى الأحاديث الصحيحة المرفوعة التى تذكر يأجوج ومأجوج لا تذكر "ذا القرنين"! كل ذلك يجعلنا نعتقد أن قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) قصة دخيلة مَزيدَة على القرآن وليست من القرآن الأصلى.
- مِن المؤكد أن قصة الإسكندر السريانية هى مجرد تطور بشرى طبيعى للقصة اليونانية الأصلية التى نُسِبَت زوراً إلى كلستينس (Pseudo-Callisthenes) والتى يرجع تاريخها إلى القرن الثالث الميلادى، أى قبل ظهور الإسلام بمئات السنين. ومِن الواضح أن العناصر الأساسية لهذه القصة كانت معروفة وموروثة سواء فى القصة اليونانية أو الفارسية (البهلوية) أو الأرمينية (القرن الخامس الميلادى)[7382]، وبمرور الزمن تطورت الأسطورة تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة إلى أن كتبها السريان فى قصة "الإسكندر" السريانية وكتبها العرب فى قصة "ذى القرنين" القرآنية. وخير دليل على ذلك هو أسطورة "سد يأجوج ومأجوج" التى يرجع تاريخ نشأتها على الأقل إلى القرن الأول الميلادى[7383]. وإن سألتم: ولماذا ظهر "سد يأجوج ومأجوج" مرة أخرى فى أساطير السريان وأساطير القرآن فى القرن السابع الميلادى؟ فسنجيب:

- ربما يكون السبب هو الأسوار الحصينة التى بناها كِسرَى "خسرو الأول" (Khosrau I) فى القرن السادس الميلادى (عهده: 531-579م) لحماية الفرس مِن الغزاة والمفسدين. ربما تكون هذه السدود المنيعة هى التى أعادت أسطورة سد يأجوج ومأجوج إلى الأذهان.
- وربما يكون السبب هو الحروب البربرية الفظيعة التى شنها "أتيلا" ملك الهون (Attila the Hun) على أوروبا فى القرن الخامس الميلادى. ولقد ذكرنا الاعتقادَ السائد فى ذلك الوقت أن جوج وماجوج هُمْ شعب "الهون" (Huns) الرعاة المتوحشين.

وربما توجد أسباب أخرى. لكن فى جميع الأحوال، فإن قصة "الإسكندر" السريانية وقصة "ذى القرنين" القرآنية هى مجرد أساطير خيالية مستوحاة مِن أحداث وشخصيات تاريخية حقيقية.

- قصة "الإسكندر" السريانية قصة مستقلة (independent) ونستطيع أن نفهمها فى سياقها الدينى (المسيحى)، وأيضاً فى سياقها السياسى وهو نهاية الحرب العالمية بين الروم والفرس التى استمرت أكثر مِن 25 سنة وجعلت المسيحيين السريان يظنون أن نهاية العالم قد اقتربت وأن المجىء الثانى للمسيح (الراعى الصالح) صار وشيكاً[7384]. والأهم مِن ذلك هو أننا نستطيع أن نفهمها بدون الحاجة إلى الرجوع إلى القرآن. أما قصة "ذى القرنين" القرآنية فلا يمكن أن نفهمها إلا فى ضوء قصة "الإسكندر" السريانية. مَن هو "ذو القرنين"؟ مَن هُمْ يأجوج ومأجوج؟ ما العلاقة بين ذى القرنين ويأجوج ومأجوج ونهاية العالم؟ أين تقع منطقة "بين السدين"؟ كيف استطاع ذو القرنين أن يبنى "السد"؟ ما أهمية هذه القصة؟ إجابات هذه الأسئلة وغيرها موجودة فى قصة "الإسكندر" السريانية، وفى التراث المسيحى الشرقى بصفة عامة. وهذا يدل على أن القصة الإسلامية القرآنية هى التى اعتمدت على القصة المسيحية السريانية وليس العكس. والقصة القرآنية نفسها تشير إلى ذلك. وسنكتفى بالأدلة التالية:
  - <u>الدليل الأول:</u> بدأت القصة القرآنية بسؤال: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ [...]" (الكهف 83)، وهذا يدل على أن القصة المسيحية السريانية كانت قد انتشرت بين اليهود والعرب وشغلت بالَهم وربما جعلتهم أيضاً يظنون أن نهاية العالم قد اقتربت، ولذلك سألوا عنها. ويجب هنا أن نذكر حديثاً صحيحاً متفق عليه يقول إن محمد دخل على إحدى زوجاته فَزِعاً وقال: "وَيْلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب، فُتِح اليوم مِن ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وَحلَّق بإصبعه الإبهام والتي تليها (أى: بالإبهام والسبابة)[7385]. ونذكر حديثاً صحيحاً آخر أخرجه مسلم يقول إن محمد كان يَقُولُ "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ" وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[7386]. وهذا يدل على أن محمد نفسه كان يتوهم أن يوم القيامة قد اقترب[7387]. ويبدو لنا أن أصحاب القرآن بصفة عامة كانوا يشعرون أن يوم القيامة قد اقترب. وهذا يظهر فى بداية سورة الأنبياء التى ذكرت يأجوج ومأجوج: "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ (عَلَى أَعْمَالِهِمْ)" (الأنبياء 1)،

ويظهر أيضاً فى مواضع أخرى مثل: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ (أى: قَرُبَتْ الْقِيَامَة)" (القمر 1)، "أَزِفَتِ الْآزِفَةُ" (النجم 57)، "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ" (الشورى 17). كما يؤكد القرآنُ أن المعاصرين لمحمد كانوا يسألونه كثيراً عن الساعة: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا" (الأعراف 187)، "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا" (النازعات 42)، "يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا" (الأحزاب 63)، مما يدل على أن مسألة اقتراب نهاية العالم كانت تشغل بال العرب، بدليل أنهم تساءلوا عنها كثيراً. وهذه المسألة مهمة جداً، لأنها تشرح لنا لماذا لم يستغرب أصحابُ القرآن خروجَ يأجوج ومأجوج مِن حبسهم خلف السد: "وَهُم (أي: يأجوج ومأجوج) مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ" (الأنبياء 96)؟ الإجابة: لأن مسألة اقتراب نهاية العالم شغلت بالهم فتساءلوا عنها أكثر من أي مسألة فرعية أخرى. أما نحن الآن فنستغرب ذلك، لأنه مر أكثر من 1400 سنة ولم يخرجوا! بعبارة أخرى: قصة ذي القرنين القرآنية (الكهف 83-108) كانت قصة عادية ومألوفة بالنسبة للعرب في القرن السابع الميلادي. أما بالنسبة لنا نحن الآن في القرن الواحد والعشرين، فهي مجرد أسطورة من العيار الثقيل.

- الدليل الثاني: القصة القرآنية استخدمت عبارات وأفكار مسيحية مثل: "آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" (الكهف 107)؛ و "مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى" (الكهف 88) "جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ [...] خَالِدِينَ فِيهَا[7388]" (الكهف 107-108)؛ و "جَهَنَّمَ" (الكهف 100، 102، 106). وكذلك استخدمت القصةُ القرآنية دائماً كلمةَ "رب" (Lord) (الكهف 87، 95، 98، 105) وهو الاسم الشخصى اليهودى/المسيحى لله، ولم تستخدم أبداً اسمَه العام "الله" (God). لاحِظ أيضاً الانكفاء (Chiasmus) الذي يُسمَّى في مراجع علوم القرآن "اللَّف والنَّشر على عكس الترتيب" على نمط أ ب بَ أَ (A B B' A'): "قَالَ [ذو القرنين] أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ **[في الدنيا]** ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا **[في الآخرة]**. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى **[في الآخرة]** وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا **[في الدنيا]**" (الكهف 87-88). وكما وضحنا كثيراً فيما سبق أن الانكفاء (Chiasmus) موجود بكثرة في التوراة والإنجيل وفي التراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة. فمن الطبيعي أن نجده في القرآن الذي هو في الأصل كتاب عربي من كتب التراث اليهودي-المسيحي الشرقي[7389].
- الدليل الثالث: القصة القرآنية جعلت ذا القرنين ينطق اسمَ رَبِّه ثلاث مرات فى جملة واحدة: "رَبِّي [...] رَبِّي [...] رَبِّي" (الكهف 98)، وكأنه يذكر الثالوث النيقاوي-القسطنطيني (الإله الواحد حسب قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني): الآب والابن والروح القدس. ومِن الجدير بالذكر أن (الكهف 98) هى إحدى الآيات القرآنية الست التى ذكرت كلمة "رب" ثلاث مرات[7390]. إلا أن ذا القرنين هو الشخص الوحيد فى القرآن الذى قال "رَبِّي (My Lord)"

ثلاث مرات فى جملة واحدة، وكأنه يتلو البنود الثلاثة الأولى مِن قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني. لكن طبعاً فى إطار عملية الأسلمة، حذف صاحبُ (الكهف 98) الآب والابن والروح القدس، واكتفى بـ "رَبِّي [...] رَبِّي [...] رَبِّي". ونحن نرى أن تكرار نفس الكلمة ثلاث مرات فى نفس الآية يدل على بصمة مسيحية، وأشهر مثال على ذلك هو: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ" (يوحنا 1:1). اقرأ أيضاً (المزامير 118:10-12) (دانيال 1:10). كما يبدو لنا أن الجزء الثالث من الجملة التي وضعها صاحبُ (الكهف 98) على لسان ذي القرنين - "وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" - مستوحاة من المزمور الثامن عشر "لِعَبْدِ الرَّبِّ دَاوُدَ الَّذِي كَلَّمَ الرَّبَّ بِكَلاَمِ هذَا النَّشِيدِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَنْقَذَهُ فِيهِ الرَّبُّ مِنْ أَيْدِي كُلِّ أَعْدَائِهِ وَمِنْ يَدِ شَاوُلَ. فَقَالَ:" "قَوْلُ الرَّبِّ نَقِيٌّ (أي: مُمَحَّصٌ، كالذهب الخالص اجْتَازَ كُلَّ امتِحَانٍ)" (المزامير 30:18) (2 صموئيل 31:22)؛ "رغم أن الإشارة عامة، إلا أنها تنطبق بشكلٍ خاص على وعد الله لداود (انظر 2 صموئيل 7:8-16)"[7391].

- ○ الدليل الرابع: القصة القرآنية نقلت رحلات الإسكندر (ذى القرنين) كما جاءت فى القصة المسيحية السريانية: إلى أقصى الغرب (مغرب الشمس) ثم إلى أقصى الشرق (مطلع الشمس) ثم إلى أقصى الشمال (بين السدين)، ويُفهَم مِن السياق أنه عاد إلى الجنوب، وكأنه يريد أن يرسم علامةَ الصليب † (رمز المسيحية) فوق كل العالم[7392]. أو يريد أن يُبشِّر بالإنجيل فى جميع أنحاء العالم تمهيداً لنهاية الزمان: "يَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلاً بِالإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ" (مرقس 10:13) "وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى" (متى 14:24). ولقد ذكر ابن حجر روايةً تقول إن الله بعث ذا القرنين "إلى أربع أمم: أمتين بينهما طول الأرض، وأمتين بينهما عرض الأرض"[7393]. وقال البيضاوى إن ذا القرنين اتبع طريقاً "بين المشرق والمغرب آخذاً مِن الجنوب إلى الشمال"[7394]. ومِن الواضح أن المسلمين أصحاب هذه الآراء قد استحضروا صورةَ الصليب "+" مرسومة على العالم.
- ○ باختصار: قصة "ذى القرنين" القرآنية والأحاديث الصحيحة والتفاسير الإسلامية تحتوى على إشارات تعترف بالجذور المسيحية لهذه القصة القرآنية.

- مِن المؤكد أن عرب شبه الجزيرة العربية فى أوائل القرن السابع الميلادى كانوا يتابعون باهتمام الحربَ بين الروم والفرس. وخير دليل قرآنى على ذلك هو: "غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ" (الروم 2-3)[7395]. لكن فى المقابل، لا يوجد أى دليل على أن السريان كانوا يتابعون الحربَ بين المسلمين الأوائل وكفار مكة. باختصار: لم يكن السريان فى العراق وفارس مهتمين بما يحدث للعرب فى مكة والمدينة. لم يكن المسيحيون فى العراق وفارس مهتمين بما يحدث للمسلمين فى مكة والمدينة. ومِن ثم، لا نستطيع أن نتصور أن يكون السريان هُمْ الذين أخذوا قصة

ذي القرنين (الإسكندر) مِن أصحاب القرآن. لا سيما إذا عرفنا أن مراجع إسلامية معتمدة تقول إن آيات قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-101) مدنية[7396]؛ أي: قيلت بعد الهجرة. ونحن نتفق مع هذا الرأى لأنه مِن المنطقى أن يُعجَب أصحاب القرآن بسيرة هذا المَلِك والقائد الفاتح "ذى القرنين" بعد تأسيسهم للدولة الإسلامية الأولى فى المدينة عام 622م، وليس قبل ذلك. فلا نستطيع أن نتخيل أن تكون قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-101) قد قيلت فى الفترة المكية، لأنها ببساطة لن تكون قصة ذات معنى لأقلية مُستضعَفة ومُضطهَدة تُجاهِد فقط مِن أجل البقاء أحياء وإثبات الوجود، فلقد كانت تلك هى أقصى طموحات المسلمين الأوائل فى مكة قبل الهجرة. بينما كانت طموحاتهم بعد الهجرة إلى يثرب (المدينة) هى المُلْك والغزوات، وبعد فتح مكة (8هـ - حوالى 629م[7397]) صارت طموحاتهم هى التوسع غرباً وشرقاً وشمالاً مثل "ذى القرنين". إذن: قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-101) تلائم الفترة المدنية، ومِن المؤكد أنها قيلت بعد الهجرة. يعنى حتى لو افترضنا جدلاً أنها قيلت عام 622م، فلا يمكن أن تكون هذه القصة قد انتقلت مِن العرب إلى السريان بهذه السرعة الفائقة فى الفترة القصيرة مِن 622م إلى 629م، فلا يوجد أى دليل على تأثر الأدب السريانى بالقرآن قبل الغزو العربى للعراق وفارس. لكن فى المقابل، كل الأدلة تؤكد أن أصحاب القرآن قد أخذوا قصصاً كثيرة مِن السريان، ولعل قصة أصحاب الكهف (الكهف 9-26) المذكورة فى نفس السورة هى خير دليل على ذلك. نستطيع إذن أن نؤكد أن أصحاب القرآن هُمْ الذين أخذوا قصة الإسكندر (ذي القرنين) مِن السريان.

- وهذا ليس رأينا وحدنا، وإنما هو رأى كثير مِن العلماء والباحثين الأجانب - بدءاً مِن العالم الألمانى الكبير "نولدكه" (Nöldeke) إلى اليوم - الذين أثبتوا أن قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-102) هى إعادة قصّ (retelling) أو إعادة صياغة لفظية (rewording) أو إعادة تفسير (reinterpreting) للقصة السريانية[7398]، مما يدل على أن تاريخ القصة السريانية يسبق الإسلام.
- ويُفهَم مِن الدراسة التى أعدها الباحث المسلم الأزهرى د. إبراهيم عافية أن تاريخ القصة السريانية يسبق الإسلام، بدليل أنه يقول: "ولا يوجد فى المصادر السريانية قاطبة شيئاً عن ذلك (أى: عن ذى القرنين) غير ما ورد فى إحدى عظات يعقوب السروجى مؤرخ القرن الخامس الميلادى، ولم تستطع الدراسة التوصل إلى مخطوط هذه العظة؛ إذ تبين من خلال البحث وما توفر من معلومات أنها محفوظة بالمتحف البريطانى؛ غير أن العالم الإنجليزى (E. W. Budge) (إرنست ألفريد واليس بادج) نقل هذه المخطوطة السريانية فى كتاب له بعنوان (The History of Alexander the Great) إلى الإنجليزية، مع الاحتفاظ بالهامش بخطه السريانى. وعلى الرغم من صعوبة التوصل إلى هذا الكتاب؛ إذ يرجع تاريخ طبعته إلى قرنين من الزمان؛ إلا أن الدراسة أمكنها التوصل إلى بعض صحائف منه تخص موضوع الدراسة، ولعل أهم ما جاء فى هذه الصحف ما يتشابه إلى حد

كبير مع ما جاء فى القرآن الكريم، من أن ذا القرنين بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأيضاً بين السدين"[7399].

لكن يبدو أن د. إبراهيم عافية وغيره مِن الكتاب العرب والأجانب قد تخيلوا أن "الإسكندر" المذكور فى هذه القصة السريانية هو الإسكندر الأكبر (المقدونى). ونحن نقول لهم: ليس المقصود هو الإسكندر الأكبر الذى كان كافراً وثنياً مشركاً، وإنما الإسكندر **الجديد** (**New** Alexander)، الإسكندر **الرومى** (**Byzantine** Alexander)، الذى كان مؤمناً بالإله الواحد. وهذا الإسكندر الرومى هو فى القرن السابع الميلادى: الإمبراطور البيزنطى المسيحى "هرقل" (عهده: 610-641م)[7400][7401]. أو بعبارة أكثر دقة: "الإسكندر" المذكور فى هذه القصة السريانية يُمَثِل هرقل، أو يرمز إلى هرقل. فلقد أراد هرقل أن يكسب تأييد المسيحيين السريان الذين كانوا يعيشون كأقلية دينية فى الإمبراطورية الفارسية، فقدَّم نفسَه لهم باعتباره "الإسكندر الجديد" الذى سيهزم الفرسَ (الكفار) فى القرن السابع الميلادى كما هزم "الإسكندر الأكبر" الفرسَ فى القرن الرابع قبل الميلاد. أو أن أنصار هرقل والمتعاطفين معه (pro-Byzantine) هُمْ الذين قدَّموه باعتباره "الإسكندر البيزنطى" (المسيحى المؤمن) الذى سيهزم الفرسَ (الكفار).

ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن لم يتعاطفوا مع الفرس الكفار، وإنما تعاطفوا مع الروم المؤمنين ومع هؤلاء المسيحيين السريان (الروم 2-5)، فَهُمْ مؤمنون مثلهم (الروم 4) وأقلية دينية مثلهم، ولذلك رددوا نفس الأساطير السريانية، وإن أطلقوا على هذا المَلِك المؤمن المُنقِذ المُخلِّص لقبَ "ذِي الْقَرْنَيْنِ" (الكهف 83، 86، 94) وهو نفس لقب الإسكندر الأكبر (المقدونى).

إذن: انتشار هذه الأساطير والحواديت الشعبية بين السريان والعرب فى أوائل القرن السابع الميلادى يرجع إلى أن كلاهما أراد أن يتذكر إنجازات الإسكندر القديم (المقدونى) الذى هزم الفرسَ، ومِن ثم يتطلع إلى إنجازات الإسكندر الجديد (هرقل) الذى سيهزم الفرسَ. أى أن كلاهما أراد أن يتطلع إلى انتصار الإيمان (الروم) على الكفر (الفرس)، بل يتطلع إلى أن يحل الإيمان محل الكفر، وهو ما بدأ يحدث يوم أن استرد هرقلُ أراضى كانت خاضعة لحُكْم الفرس (629م). وفى الوقت نفسه، تطلع أصحابُ القرآن إلى انتصار الإيمان (المسلمين الأوائل) على الكفر (قريش وكفار مكة)، بل تطلعوا إلى أن يحل الإيمان محل الكفر، وهو ما بدأ يحدث يوم فتح مكة (8هـ - حوالى 629م[7402]). إنها إذن نفس فكرة "توريث الأرض" التى وضعها أصحابُ القرآن فى قصة "خروج بنى إسرائيل من مصر".

باختصار: قصة "الإسكندر" السريانية وقصة "ذى القرنين" القرآنية ليست قصص تاريخية حقيقية، وإنما هى مجرد دعايا دينية وسياسية (religious, political propaganda)، سواء فيما يتعلق بانتصار الروم المسيحيين المؤمنين على الفرس الكفار أو انتصار المسلمين المؤمنين على قريش وكفار مكة. وكما كُتِبت قصة "خروج بنى إسرائيل مِن مصر" فى التوراة وفى القرآن لأغراض سياسية، كذلك كُتِبت قصة "الإسكندر" السريانية لأغراض سياسية وكُتِبت قصة "ذى القرنين" القرآنية لأغراض سياسية أيضاً. وكما

نقول دائماً: إن القرآن مُنتَج ثقافي (cultural artifact) دينى-سياسى يعبر عن طموحات وآمال وتطلعات وتوجهات مَن كتبوه فى الزمان والمكان الذى كُتِب فيه.

وما يهمنا هو أن قصة "الإسكندر" المسيحية السريانية تحل لغز شخصية "ذى القرنين" التى حَيَّرت المفسرين المسلمين. صحيح أن الإسكندر الأكبر (المقدونى) كان كافراً وثنياً مشركاً، لكن الإسكندر الجديد (هرقل المسيحى) كان مؤمناً بالإله الواحد. هذا هو حل هذا الإشكال، والفضل يرجع لقصة "الإسكندر" المسيحية السريانية، وهذا يؤكد أهمية دراسة جذور القرآن حتى نفهم القرآن فهماً صحيحاً.

ومِن حُسن الحظ أن هذا الحل المسيحى-السريانى ليس غريباً على التراث الإسلامى-العربى:

- فلقد وجدنا فى تفسير الألوسى رأياً يميز بين "اسكندران" (Two Alexanders): الإسكندر الرومى والإسكندر اليونانى. وقيل إن الإسكندر الرومى متقدم على اليونانى بكثير[7403]. والحقيقة هى أن الإسكندر الرومى (هرقل) جاء بعد الإسكندر اليونانى (المقدونى) بأكثر مِن 900 سنة.
- ووجدنا حديثاً منسوباً إلى محمد يقول "فارسُ نَطْحَةٌ أو نَطْحَتان (أى: فارس تقاتل المسلمين مرتين)، ثم لا فارس بعدها أبداً (أى: يبطل ملكها ويزول)، والرومُ ذات القرون أصحابُ بحرٍ وصخرٍ، كلما ذهب قرنٌ خَلَفه قرنٌ مكانه، هيهات إلى آخر الدهر، هُمْ أصحابكم ما كان فى العَيْشِ خَيْرٌ"[7404]. تقول المراجع الإسلامية إن هذا الحديث ضعيف. ونحن نقول: لا يهمنا إن كان قائل هذه الجمل هو محمد أم شخصٌ عربىٌ آخر، وإنما المهم هو أن العرب قد استخدموا تعبير "ذات القرون" للإشارة إلى الإمبراطورية الرومانية، وطبعاً المقصود هُمْ الروم الشرقيون (البيزنطيون).

فليس غريباً إذن أن نقول إن شخصية "ذى القرنين" القرآنية مُستوحَاة مِن الإمبراطور البيزنطى (الرومانى الشرقى) الذى عاصر ظهور الإسلام، وهو هرقل (عهده: 610-641م). أى نقول: هرقل ≠ ذو القرنين. هرقل **[← ذو القرنين]**.

وفى جميع الأحوال، سواء كان "ذو القرنين" القرآنى مُستوحَى مِن الإسكندر القديم (المقدونى) أو الإسكندر الجديد (الرومى)، فإن "ذا القرنين" القرآنى هو مجرد أسطورة، والعلاقة بينه وبين الإسكندر ليست علاقة التطابق فى كل شيء (identity) وإنما هى علاقة التطور البشرى الطبيعى بالحذف و/أو الإضافة (natural human development): قصة "ذى القرنين" القرآنية العربية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "الإسكندر" المسيحية السريانية التى هى بدورها مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "الإسكندر" اليونانية المنسوبة زوراً إلى كلستينس (Pseudo-Callisthenes).

وسنذكر فيما يلى باختصار أهمَ ما جاء فى قصة "الإسكندر" المسيحية السريانية. ولقد اعتمدنا بشكل أساسى على الترجمات العربية الحديثة[7405] والترجمة الإنجليزية التى قام بها العالم الكبير (E. W. Budge) فى القرن التاسع عشر[7406] ومراجع أخرى أحدث[7407]. وأعطينا لكل فقرة **عنواناً** يُوضِّح أفكارها

الرئيسية. وكالعادة، سنوضِّح التطور البشرى الطبيعى فى قصة "ذى القرنين" القرآنية بعلامة ⟵ بين القوسين **[]**.

الإسكندر (ذو القرنين) يبدأ رحلاته مستعيناً بالله على الصعوبات والمخاطر: استدعى الإسكندر حاشية قصره ليسألهم عن أطراف العالم الخارجية، لأنه يتمنى أن يذهب ليرى ما يُحيط به، فحذَّره مستشاروه أن هناك بحراً مُنتِناً (fetid sea; foul-smelling ocean) **[⟵ "عَيْنٍ حَمِئَةٍ" (muddy spring) (هى: عين الماء ذات الحمأ، أى ذات الطين الأسود المُنتِن[7408]) (الكهف 86)]** مثل القيح (pus)، وأن هذا البحر النتِن يُمِيت كلَ مَن يلمس مياهَه. ومع ذلك، أصر الإسكندر على الذهاب إلى هناك، فصلى إلى الله بعبارات مسيحية واضحة، مما يدل على إيمانه بالإله الواحد. وخاطب الإسكندرُ اللهَ بوصفه مَن وضع قروناً على رأسه **[⟵ "ذِي الْقَرْنَيْنِ" (الكهف 83) "ذَا الْقَرْنَيْنِ" (الكهف 86، 94)]** مِن أجل أن يقوى على كل الأرض **[⟵ "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ" (الكهف 84) "قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" (الكهف 95)]**. وفى الطريق، توقَّف الإسكندر فى مصر حيث أعطاه مَلِكُ مصر 7000 حداداً (blacksmiths; workers of brass and iron) ليرافقوه فى رحلته.

رحلة الإسكندر (ذى القرنين) إلى الغرب: قام الإسكندر برحلة بحرية استغرقت أربعة أشهر واثنى عشر يوماً **[⟵ "فَأَتْبَعَ سَبَبًا (أى: سلَكَ ذو القرنين طَرِيقًا)" (الكهف 85)]** حتى وصل إلى أرض عند البحر المُنتِن **[⟵ "عَيْنٍ حَمِئَةٍ" (الكهف 86)]** ووجد هناك قوماً **[⟵ "حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا" (الكهف 86)]**. فطَلَب الإسكندر مِنهم أن يأتوا إليه بالمساجين الأشرار **[⟵ "مَنْ ظَلَمَ" (الكهف 87)]** المحكوم عليهم بالإعدام. فأخذ الإسكندر هؤلاء الأشرار وأرسلهم إلى البحر المُنتِن ليتأكد إنْ كانت مياهه تُمِيت حقاً كما قال المستشارون. فلمَّا مات هؤلاء الأشرار جميعاً، تحقق الإسكندر مما سمعه مِن مستشاريه **[⟵ "كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (أى: أثبتت التجربة والمعاينة صدق الخبر المسموع؛ لأن الخُبر هو: علم الشىء عن تجربة[7409])" (الكهف 91)]** فأحجم الإسكندر عن محاولة عبور هذا الماء المُميت.

ويُفهَم مِن القصة السريانية أن الإسكندر قد تعامل بعدل ورحمة مع هؤلاء القوم، بدليل أنه لم يقتلهم كلهم، ولم يقتل كل المساجين، وإنما قتل فقط أولئك المحكوم عليهم بالإعدام، أى أن كل ما فعله هو أنه نفَّذ حُكم الإعدام **[⟵ وهذا ما حاول القرآن أن يعبر عنه بقوله: "قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا. قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ (فى الدنيا) ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (فى الآخرة). وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى (فى الآخرة) وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (فى الدنيا)" (الكهف 86-88)]**. لكن التفسير الإسلامى التقليدى لـ(الكهف 86-88) يقول إن "مَنْ ظَلَمَ" تعنى مَنْ ظَلَمَ نفسَه بالكفر / بالشرك أو بالبقاء على الكفر / الشرك، واستدلوا على ذلك بقوله بعدها "وَأَمَّا مَنْ آمَنَ (بالله) [...]". أما القصة السريانية فتعطينا تفسيراً آخر وهو أن "أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ" (الكهف 87) تشير إلى إرسال

هؤلاء المساجين الأشرار المحكوم عليهم بالإعدام إلى العَيْن الحَمِئَة (البحر المُنتِن). ونحن نرى أن هذين التفسيرين ليسا متناقضين، إذ يمكن الجَمْع بينهما. وفى جميع الأحوال، فإن القصة القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى للقصة السريانية.

إلا أننا نفضل التفسير المسيحى السريانى، لأن التفسير الإسلامى العربى قد يعطى انطباعاً أن مِن حق الحاكم المؤمن / المسلم أن "يُعذِّب" المواطن المشرك / الكافر فى دنياه! وهذا ما تنادي به الحركات الإسلامية الإرهابية. أو كما قال تفسير وزارة الأوقاف المصرية: "وجد ذو القرنين قوماً كافرين، فألهمه الله أن يتخذ فيهم أحد أمرين: إما أن يدعُوهم إلى الإيمان، وهذا أمر حسن فى ذاته، وإما أن يقاتلهم إن لم يجيبوا داعى الإيمان. فأعلن ذو القرنين فيهم: أن مَن ظلم مِنهم نفسه بالبقاء على الشرك، استحق العذاب الدنيوى على يديه"[7410]! وقال الواحدى النيسابورى: ""أَمَّا مَنْ ظَلَمَ" قال ابن عباس: أشرك "فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ" نقتله إذا لم يرجع عن الشرك"[7411]! وقال د. الصابونى: "قال المفسرون: كانوا كفاراً فخيَّره اللهُ بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الإسلام فيُحسن إليهم"[7412]! وقال النسفى: "أمّا مَن دعوته إلى الإسلام فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم، وهو الشرك، فذاك هو المعذّب فى الدارين (أى: المعذّب بالقتل فى الدنيا وبالنار فى الآخرة)"[7413]! أما ابن كثير فكان أكثر تطرفاً وقال إن ذا القرنين "كَانَ كُلَّمَا مَرَّ بِأُمَّةٍ قَهَرَهُمْ وَغَلَبَهُمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنْ أَطَاعُوهُ وَإِلَّا أَذَلَّهُمْ وَأَرْغَمَ آنَافهمْ وَاسْتَبَاحَ أَمْوَالهمْ وَأَمْتِعَتهمْ وَاسْتَخْدَمَ مِنْ كُلّ أُمَّة مَا يَسْتَعِين بِهِ مع جُيُوشه عَلَى أهل (أو: على قِتَال) الْإِقْلِيم الْمُتَاخِم لَهُمْ"[7414]! أو كما قال د. محمد أبو شَهبَة (مِن كبار علماء الأزهر) إن "الله يسر له (أي: لذي القرنين) الأسباب أي الطرق، والوسائل إلى فتح الأقاليم والبلاد، وكسر الأعداء، وكبت الملوك، وإذلال أهل الشرك"[7415]!

<u>تعليقنا:</u> هذا الكلام الموجود في الكتب الإسلامية يكاد يكون مطابقاً لِمَا تقوله الحركات الإسلامية الإرهابية: إما الإيمان والإسلام والعزة، وإما العذاب والقتل والذل! والمشكلة هي أن هذا الكلام يتوافق مع آيات قرآنية أخرى تتحدث عن عذاب الكفار في الدنيا، ليس عن طريق الزلازل أو المجاعات أو الأوبئة التي قد تحدث للمسلمين وغير المسلمين، وإنما عن طريق القتل والسبي وأخذ الأموال واحتلال الأراضي، يعني: تعذيب غير المسلمين بأيدي المسلمين! اقرأ مثلاً "وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا (أي: للمشركين؛ للكفار) عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ (أي: عذاباً يلقونه في الدنيا مِن القتل والسبي وعذاب البرزخ وغير ذلك مِن أنواع العذاب قبل عذاب يوم القيامة)" (الطور 47)! وهذه الآية مكية! "وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ [في الدنيا] مَعِيشَةً ضَنْكًا (أي: ضيقة شاقة) وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى" (طه 124)! وهذه الآية أيضاً مكية! وتوجد آيات مدنية تحمل نفس المعنى، مثلاً: "فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (آل عمران 56)! قال ابنُ كثير وغيره: "وَكَذَٰلِكَ فَعَلَ تَعَالَى بِمَنْ كَفَرَ بِالْمَسِيحِ مِنَ الْيَهُودِ، أَوْ غَلَا فِيهِ وَأَطْرَاهُ مِنَ النَّصَارَى، عَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَإِزَالَةِ الْأَيْدِي عَنِ الْمَمَالِكِ"[7416]!

حينما يقرأ المسلمون هذه الآيات القرآنية وتفاسيرها، يسعون إلى تطبيقها في الدنيا على غير المسلمين بصفة عامة وعلى اليهود والمسيحيين بصفة خاصة، فيحولون حياة غير المسلمين إلى جحيم "مَعِيشَةً ضَنْكًا" (طه 124). فيُقال عن هؤلاء المسلمين "إرهابيين"! مع أنهم في الواقع يسعون إلى تطبيق القرآن وتفاسيره! يريدون تحويل كلام القرآن النظري إلى حقيقة ملموسة أمام عيونهم. إذن: المشكلة في الثقافة الإسلامية-العربية التي تضم كتباً مثل القرآن وتفاسيره.

والمشكلة في قصة ذي القرنين هي نفس مشكلة قصة الخَضِر، وهى تقديم بطل القصة باعتباره قدوة ونموذج (model; paragon)؛ قيل: مَلِك صالح؛ وقيل: نبى. أو كما قال د. صلاح الخالدى تعليقاً على هذا الجزء من قصة ذى القرنين: "تعامُل ذى القرنين مع القوم يصلح أن يكون دستوراً لكل حاكم أو مسؤول يتعامل مع الآخرين، وذو القرنين يصلح أن يكون أسوة وقدوة لكل حاكم أو مسؤول"[7417]! وقال سيد قطب إن سيرة ذى القرنين تُقدِّم "النموذج الطيب للحاكم الصالح"[7418]!

ونحن نرفض أن يكون ذو القرنين قدوة أو نموذجاً فى كل قراراته، كما رفضنا أن يكون الخَضِر قدوة أو نموذجاً فى جميع أفعاله. ونحن نرى أن التفسير المسيحى السريانى هنا أفضل مِن التفسير الإسلامى العربى. وهذا يؤكد أهمية دراسة التراث الشرقى الذى سبق ظهور الإسلام أو كان معاصراً له، حتى نستلهم بعض الأفكار التى تساعدنا على تفسير القرآن تفسيراً أفضل مِن التفسير التقليدى الموروث الذى أدى إلى ظهور الإرهاب الإسلامى.

ويُفهَم مِن القصة السريانية أن الإسكندر لم يصل إلى مَغْرب الشمس، وإنما وصل إلى أرض عند البحر المُنتِن (العَيْن الحَمِئَة) الذى يقع بالقرب مِن مَغْربِ الشَّمْسِ. وهذا يحل المشكلة التى وقع فيها أصحاب القرآن حين قالوا: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ <u>وَجَدَهَا</u> تَغْرُبُ <u>فِي</u> عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا" (الكهف 86). والصواب أن يقول القرآن: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ عَيْناً حَمِئَةً <u>بالقرب مِن</u> مَغْربِ الشَّمْسِ وَوَجَدَ عِنْدَ العَيْن قَوْمًا". والأصوب والأفضل أن يقول: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ عَيْناً حَمِئَةً وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا" بدون أن يذكر مَغْربَ الشَّمْسِ، وهذا ما فعلته القصة السريانية، وإن كان يُفهَم مِن سياقها أن هذه الرحلة كانت إلى الغرب[7419]. إذن: القصة السريانية - على الرغم من غموضها - تبدو أكثر وضوحاً وأكثر دقة وأفضل صياغة مِن القصة القرآنية.

رحلة الإسكندر (ذى القرنين) إلى الشرق: ثم ذهب الإسكندر **[← "ثُمَّ أَتْبَعَ (ذو القرنين) سَبَبًا (أى: سَلَكَ طَرِيقًا)" (الكهف 89)]** إلى البحر اللامع (a place of bright water) صعوداً إلى نافذة السماء (Window of the Heavens)[7420] التي تدخل فيها الشمسُ حين تغيب، حيث يوجد أنبوب (conduit) من نوعٍ ما يقود عبر السموات إلى موضع شروق الشمس في المشرق. وعلى الرغم من غموض النص السرياني هنا، إلا أنه يبدو لنا أن الإسكندر يتبع الشمس طوال الليل خلال مسارها نحو الشرق **[← "حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ (أى: الْمَشْرِق)" (الكهف 90)]**؛ لأن الشمس خادمة الرب، ولا تتوقف عن سيرها نهاراً أو ليلاً، وتطلع مباشرة فوق البحر. وحينما تقترب الشمسُ من طلوعها يهرب الناس مِن أشعتها، ويختبئون

فى البحر أو الكهوف خوفاً مِن أن يحترقوا بأشعة الشمس (لأن ليس لهم أبنية تحميهم مِن حرارة الشمس) **[⟵ "وَجَدَهَا (أى: وَجَدَ الشمسَ) تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (أى: ليس لهم ما يسترهم أو يظلهم مِن الشمس)" (الكهف 90)، "وكانوا إذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء"**[7421]**]**. وقيل إن ضمير الغائب في القصة السريانية يعود على الإسكندر وليس على الشمس! أي أن الإسكندر طلع فهرب الناسُ واختبئوا في البحر لأنهم خافوا مِن أن يحترقوا بأشعة الإسكندر! إنْ صح ذلك، فلعله يفسر لماذا وضع أصحابُ القرآن هذه الآية الغامضة "كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا" (الكهف 91) في رحلة ذي القرنين إلى الشرق.

قبل أن نكمل قصة "الإسكندر" السريانية **[⟵ قصة "ذي القرنين" القرآنية]**، نريد أن نتوقف أمام نقطتين هامتين.

أولاً: عبَّر القرآنُ عن رحلات الإسكندر الثلاث بعبارة "أَتْبَعَ سَبَبًا" التي تكررت ثلاث مرات (الكهف 85، 89، 92). ولقد استخدم القرآنُ نفس الكلمة "سبب" (أو جمعها: أسباب) في مواضع أخرى ثلاث مرات حين تحدث عن الصعود إلى السماء: "أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ" (غافر 36-37) و "سَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ" (الحج 15) و "فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ" (ص 10). فهل كانت رحلة ذي القرنين رحلة فضائية؟! هذا ما يمكن أن نفهمه من القصة السريانية، وهذا أيضاً ما يمكن أن نستنتجه من القصة القرآنية والقرآن بصفة عامة. وهذا أيضاً ما توصل إليه بعضُ العلماء والباحثين الذين درسوا هاتين القصتين مثل (Kevin van Bladel) و (Joseph Witztum)[7422]. أما نحن فلا نريد أن نتوقف طويلاً أمام هذه النقطة، فيكفينا أوجه التشابه الكثيرة الأخرى بين قصة "الإسكندر" السريانية وشقيقتها الصغرى قصة "ذي القرنين" القرآنية.

ثانياً: إذا جمعنا ما قالته قصة "الإسكندر" السريانية مع ما قالته قصة "ذى القرنين" القرآنية، فسنصل إلى ما يلى: كما تغرب الشمسُ فى عَيْنٍ حَمِئَةٍ (بحر مُنتِن) فى أقصى الغرب، فإنها تطلع (تشرق) مِن بحر آخر فى أقصى الشرق. فنلاحظ هنا أن هذه الأسطورة السريانية⟵القرآنية تشير إلى الخرافة الشرقية القديمة التي تقول إن الماء (البحر) يحيط بالأرض المسكونة، ويوجد محيط لا نهائي مِن الماء يحيط بالكون مِن جميع الجهات[7423]. وهذا المحيط الكوني (Cosmic Ocean) يُعرَف أحياناً باسم "أوقيانوس" (Oceanus) (Ôqyānôs)، وهو مذكور صراحةً بهذا الاسم فى قصة "الإسكندر" السريانية، وباسم "البحر المحيط" في مراجع إسلامية تفسر قصة "ذي القرنين" القرآنية[7424]. ومِن الواضح أن كلمة "محيط" (ocean) التى نستخدمها اليوم مأخوذة مِن هذه الأساطير والخرافات الشرقية القديمة.

نعود إلى قصة "الإسكندر" السريانية **[⟵ قصة "ذى القرنين" القرآنية]** ...

رحلة الإسكندر (ذى القرنين) إلى الشمال (بَيْنَ السَّدَّيْنِ): ثم تابع الإسكندر رحلته **[⟵ "ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (أى: سَلَكَ ذو القرنين طَرِيقًا)" (الكهف 92)]** إلى منابع نهرى دجلة والفرات، ثم اتجه نحو الشمال (north) فى الجبال فى أرمينيا وأذربيجان (أى: جبال القوقاز (Caucasus)). وأقام الإسكندر معسكراً لجيشه عند

ممر جبلى ضيق **[← "حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ" (أى: بين الجبلين المرتفعين) (الكهف 93)]**، وأرسل رسلَ سلامٍ ليُحضِروا إليه 300 مِن شيوخ البلد (300 elders of the country) **[← "حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا" (الكهف 93)]**. فأخبروه عن المَلِك الفارسى الذى يحكم هذه الأرض، وعن المواقع الجغرافية للجبال المرتفعة، وعن العادات الهمجية البربرية المتوحشة لشعب "الهون" (Huns) وملوكهم جوج وماجوج الذين يُغيرون على جيرانهم ولا يشعرون بوخز من ضمير حين يقتلون الأطفال الصغار والنساء الحوامل **[← "قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ" (الكهف 94)]**. ملحوظة: "الهون" (Huns) "هو اسم عام (generic term) لرعاة آسيا الوسطى (Central Asia) الذين بدوا لسكان الشرق الأوسط متوحشين"[(7425)].

الإسكندر (ذو القرنين) يبنى سد يأجوج ومأجوج: فاستعان الإسكندر بمجموعة مِن الـ 7000 حداداً **[← "فَأَعِينُونِي (أى: ساعدونى) بِقُوَّةٍ [...] آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ (أى: قطع الحديد)" (الكهف 95-96)]** وبنى سوراً (wall) أو بوابة (gate) **[← "سَدًّا" (الكهف 94) أو "رَدْمًا" (الكهف 95)]** مِن نحاس (brass) **[← "قِطْرًا (أى: نُحَاس مُذَاب)" (الكهف 96)]** وحديد (iron) **[← "زُبَرَ الْحَدِيدِ" (الكهف 96)]** فى الممر الجبلى **[← "سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ (أى: أقام سداً عالياً ساوى به بين جانبى الجبلين المرتفعين)" (الكهف 96)]** ليمنع الهون مِن الهرب **[← "فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا" (الكهف 97)]**. إذن: فى القصتين السريانية والقرآنية، نجد أن السور (السد) الذى بناه الإسكندر (ذو القرنين) كان بهدف درئ مفاسد الهون (يأجوج ومأجوج) الذين كانوا يغيرون على جيرانهم بالسلب والحرب والعدوان **[← "قَالَ (ذُو الْقَرْنَيْنِ) هَذَا (السد) رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي" (الكهف 98)]**.

الأخرويات (Eschatology): كتب الإسكندر على البوابة التى بناها إنه بعد 826 سنة سيخترق الهون هذه البوابة وسيغزوا أراضى الروم والفرس وسيقوموا بأعمال النهب والأسر وقطع الطرق **[← "قَالَ (ذُو الْقَرْنَيْنِ) [...] فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي (بخروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان) جَعَلَهُ دَكَّاءَ (أى: سيصير السدُّ منهدماً مستوياً بالأرض)" (الكهف 98) "إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ (أى: فُتِحَ سَدّهمَا) وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (أى: مِن كل مكان مُرْتَفَع يُسْرِعُونَ). وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (أى: اقترب يومُ القيامة)" (الأنبياء 96-97)]**. إذن: فى القصتين السريانية والقرآنية، نجد أن الإسكندر (ذا القرنين) هو الذى يتنبأ بأحداث آخر الزمان، كما لو كان نبياً أو يتلقى وحياً (إلهاماً) مِن الله!

ثم يكمل الإسكندر نبوءاته الأخرويّة قائلاً: وبعد 940 سنة، سيأتى زمن خطيئة وحرب عالمية غير مسبوقة ستمهد لنهاية العالم بأمرٍ مِن الله. سيجمع الربُّ الملوك وجيوشهم (أو: حشودهم) (hosts) معاً **[← "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ (أى: نُفِخَ فِي الْقَرْن لإعلان القتال) فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (للحرب)" (الكهف 99)]**، وسيعطى الربُّ أمراً (أو: إشارة، علامة) بسقوط هذا السور (البوابة) **[← "جَعَلَهُ دَكَّاءَ (أى: منهدماً مستوياً بالأرض)" (الكهف 98)]**. وهكذا ستعبر جيوش كثيرة مِن خلال هذه الثغرة **[← "إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ (أى: فُتِحَ**

سَدّهمَا) وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (أى: مِن كل مكان مُرْتَفَع يُسْرِعُونَ)" (الأنبياء 96)]. إذن: فى القصتين السريانية والقرآنية، نجد أن الرب هو الذى سيجمع الملوك والجيوش التى ستقاتل فى هذه الحرب الأخرويّة[7426]، على عكس ما جاء فى (الرؤيا 20:7-9) أن الشيطان هو الذى سيجمع جوج وماجوج للقتال فى هذه الحرب الأخرويّة. وربما يكون السبب هو أن أصحاب القرآن لم يأخذوا هذه الفكرة مباشرة مِن مصدرها الأصلى (الكتاب المقدس)، وإنما أخذوها مِن المسيحيين السريان. ليس هذا فحسب، بل إن القصة السريانية تقول إن جيوش الهون والفرس والعرب سيقع بعضها على بعض (بالسريانية: ḥdā ʻal ḥdā)[7427] **[⟵ "وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ (surge <u>against each other</u> like waves)[7428]" (الكهف 99)]**.

ثم يقتبس الإسكندر نبوءة إرميا: "فَقَالَ الرَّبُّ لِي: مِنَ الشِّمَالِ (north) يَنْفَتِحُ الشَّرُّ عَلَى كُلِّ سُكَّانِ الأَرْضِ" (إرميا 1:14)[7429] **[⟵ "وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" (الكهف 98) "لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ" (الروم 6)]**. وسيُهزَم الهون والفرس بينما تنتصر الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية) وتصبح إمبراطورية مسيحية عالمية، أى: سينتصر الإيمان على الكفر فى هذه الحرب الأخرويّة. وبذلك يتحقق الحلم الذى طالما راود سكان الشرق الأوسط القديم: حُكْم عالمى (universal rule) + إيمان عالمى (universal faith). إنه حلم البابليين ثم حلم الفرس ثم حلم الإغريق ثم حلم الرومان الذين ظهرت المسيحيةُ في بدايات حُكمهم للشام وفلسطين ومصر ثم ظهر الإسلامُ في أواخر حُكم الرومان لبلاد الشرق وأعطاهم القرآنُ سورةً تحمل اسمَهم إلى اليوم هي سورة الروم. إنه حلم كورش ثم حلم الإسكندر الأكبر (المقدوني) ثم حلم هرقل الذي تَمثَّل في شخصية "ذي القرنين" (الكهف 83-108) والذي كان معاصراً لظهور الإسلام في الثلث الأول من القرن السابع الميلادي حسب الرواية الإسلامية التقليدية.

وبينما ركزت القصة السريانية على انتصار المؤمنين (الروم) والمجىء الثانى للمسيح (الراعى الصالح) فى آخر الزمان، حذف أصحابُ القرآن انتصارَ المسيحية[7430] وركزوا على جزاء الكافرين والمؤمنين يوم القيامة **[⟵ "فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ" (الأنبياء 97) "وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا. أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا. قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا" (الكهف 100-108)]**.

وفى ختام القصة السريانية، نعرف سبب تسمية الإسكندر بذى القرنين، وتأييد الله له: يقول الرب للإسكندر: انظر لقد رفعتك فوق كل الممالك، وأعطيتك قرون مِن حديد ينموان فوق رأسك **[⟵ "ذِي الْقَرْنَيْنِ"**

(الكهف 83) "ذَا الْقَرْنَيْنِ" (الكهف 86، 94)]؛ لتطعن بهما ممالك الأرض [← "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ" (الكهف 84) "قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" (الكهف 95)].

مما سبق يتضح التشابه - الذى يصل أحياناً إلى درجة التطابق - بين قصة "الإسكندر" السريانية وقصة "ذى القرنين" العربية (الكهف 83-108). وكلتاهما رؤيا أخرويّة (eschatological, apocalyptic) تبدأ بالحديث عن الإسكندر (ذى القرنين) المَلِك المؤمن؛ ثم تتحدث عن رحلاته (فتوحاته، غزواته): أولاً إلى الغرب، ثم إلى الشرق، وأخيراً إلى الشمال (بين السدين) بنفس الترتيب!؛ ثم تنطلق إلى الحديث عن ما سيحدث فى آخر الزمان. وفى كلتا القصتين: حلقة الوصل بين الأمور الأرضية والأمور الأخرويّة هى النبوءة المتعلقة بانهيار سد يأجوج ومأجوج قبل يوم القيامة. كل ذلك يدل على أن قصة "ذى القرنين" القرآنية العربية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة "الإسكندر" المسيحية السريانية. ولو حكينا القصتين السريانية والقرآنية لأى طفل صغير قبل النوم، فسيستطيع أن يلاحظ أنهما يكادا أن يكونا نفس القصة، وربما اشتكى مِن ذلك وطلب منا أن نحكى له قصة أخرى مختلفة حتى ينام!

ومما ورد عن الإسكندر فى النصوص السريانية أيضاً ما يلى:

هل أخذ الإسكندر (ذو القرنين) أجراً على بناء السور؟[7431] قال الإسكندر للمصريين: أتعجب كيف استطعتم أن تعيشوا فى هذا البلد دون أن تفنوا على أيدى أعدائكم؟! فإن سور مدينتكم ضعيف جداً، وليس لكم أماكن حصينة قوية، [...]، والآن كل الخراج (tribute) الذى كنتم تدفعونه لدارا (Darius) مَلِك الفرس أعطوه لى، ليس لاستخدامى الشخصى، ولكن لمدينة الإسكندرية، وكذلك لحمايتكم. **[← أما فى كتاب القرآن العربى فنجد أن ذا القرنين رفض أن يأخذ الخراج وبنى السد مجاناً تبرعاً بدون مقابل مالى: "قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا (أى: أجراً، مالاً، خراجاً أو ضريبة ندفعها) عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (يحمينا منهم). قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ (أى: ما منحنى الله مِن المُلْك والثروة خَيْرٌ لى مِن مالكم) فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (أى: حَاجِزًا حَصِينًا)" (الكهف 94-95)].**

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا جعل أصحابُ القرآن ذا القرنين يرفض أن يأخذ أجراً مقابل خدماته ويبرر ذلك بأن عطاء الله أفضل: "قَالَ [ذو القرنين] مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" (الكهف 95)؟

الإجابة: إنها عملية "أسلمة" و "تعريب" لقصص الإسكندر المسيحية السريانية. فنحن نجد هذه الفكرة الإسلامية تتكرر كثيراً في كتاب القرآن العربي: وهي أن المرسلين بصفة عامة، ومحمد بصفة خاصة، لا يأخذون أجراً مقابل خدماتهم. لأن أجرهم الكبير وثوابهم العظيم عند الله وليس من البشر. نجد هذه الفكرة تتكرر كثيراً في القرآن (المكي بصفة خاصة)، وأحياناً بنفس الكلمات! على سبيل المثال:

- قصة نوح: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 109)، "فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (يونس 72)، "وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (هود 29).
- قصة هود: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 127)، "وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ. يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (هود 50-51).
- قصة صالح: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 145).
- قصة لوط: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 164).
- قصة شعيب: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 180).
- قصة سليمان: "فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ (أي: فَلَمَّا جَاءَ رسولُ ملكة سبأ بالهدية إلى سليمان) قَالَ [سليمانُ] أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ" (النمل 36).
- قصة أصحاب القرية: "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (يس 20-22).
- قصة محمد وكفار مكة قبل الهجرة: "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ" (ص 86) (مكية)، "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا" (الفرقان 57) (مكية)، "قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (سبأ 47) (مكية)، "أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ" (الأنعام 90) (مكية).

وإنه لمِن الطريف أن كلمة "خَرْجًا" لم تُذكَر في القرآن كله إلا مرتين فقط[7432]. مرة في قصة ذي القرنين: "قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ [...] فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا [...]. قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" (الكهف 94-95). والمرة الأخرى في قصة محمد: "أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا (أي: أنت يا محمد لا تَسْأَلُهُمْ أجراً) فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ" (المؤمنون 72). صدفة؟! مستحيل أن تكون صدفة. وإنما هذا دليل على أن أصحاب القرآن قد أخذوا عناصر من حياة محمد العربي ووضعوها في قصة الإسكندر (ذي القرنين) غير العربي. إنها عملية "أسلمة" و "تعريب" للتراث المسيحي السرياني. أسلمة للأفكار وتعريب للألفاظ. وهذا دليل آخر على أن قصة ذي القرنين (الكهف 83-108) غير حقيقية وغير تاريخية، فلا نستطيع أن نصدق أن ذا القرنين ومعاصريه كانوا يفكرون نفس الأفكار ويقولون نفس الكلمات التي كان محمد العربي ومعاصروه يقولونها في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي!

تعامل الإسكندر (ذى القرنين) بتسامح وعدل مع شعوب الأراضى التى فتحها[7433]: حينئذٍ تقدم الإسكندر واستولى على الأرض، وخافه الناس وهربوا بعيداً عنه، بسبب شهرته الكبيرة. لكن حينما رأى

الإسكندر أن سكان الأرض يرتعدون لرؤيته، أرسل أمامه سفراء ينادون بالسلام قائلين: ليبقَ الناس بمنازلهم، ولا يهرب أحد أمام الجنود. وأعطى الإسكندر وعده، وأقسم عبر المناديين الرسميين؛ قائلاً: لن أقتل، ولن أقوم بأسر أحد، ولن أدمر **[← "وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا" (الكهف 88)]**. فقالوا صارخين: الإسكندر الملك العظيم أتى لهذه الأرض فى سلام، لن يقتل، ولن يأسر، ولن يحمل غنائماً، ليبقَ كل رجل بمسكنه فى سلام بدون خوف.

النبوءة الأخرويّة المتعلقة بانهيار سد يأجوج ومأجوج[7434]**:** تحدث الربُّ بواسطة الملاك قائلاً للإسكندر: سأرفعك فوق كل ملوك وحكام العالم **[← "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا" (الكهف 84) "قَالَ (ذو القرنين) مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ" (الكهف 95)]**. هذه البوابة العظيمة (أى: سد يأجوج ومأجوج) التى بنيتها فى هذه الأرض ستُغلَق حتى تأتى نهاية الأزمنة. فقد تنبأ إرميا بهذا، وسمعت الأرض ذلك. سوف تُفتَح بوابة الشمال (أى: سد يأجوج ومأجوج) بنهاية العالم **[← "قَالَ (ذُو الْقَرْنَيْنِ) [...] فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي (بخروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان) جَعَلَهُ دَكَّاءَ (أى: سيصير السدُّ منهدماً مستوياً بالأرض)" (الكهف 98) "إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ (أى: فُتِحَ سَدّهمَا) وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (أى: مِن كل مكان مُرْتَفَع يُسْرِعُونَ). وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (أى: اقترب يومُ القيامة)" (الأنبياء 96-97)]**، وفى هذا اليوم **[← "يَوْمَئِذٍ [...] يَوْمَئِذٍ" (الكهف 99-100)]** سيأتى على الأشرار شرهم **[← "فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ" (الأنبياء 97) "وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا. أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا. قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا" (الكهف 100-106)]**. ونلاحظ هنا أن هذه الأسطورة السريانية تبدو أكثر منطقية مِن الأسطورة القرآنية، لأنها وضعت هذه النبوءة الأخرويّة المتعلقة بانهيار السور (السد) على لسان الربِّ (أو: ملاك الربِّ)، وليس على لسان ذى القرنين كما جاء فى الأسطورة القرآنية!

هجوم يأجوج ومأجوج على العالم فى نهاية الزمان بعد أن يُدك السور الذى بناه الإسكندر (ذو القرنين)[7435]**:** لن تمنعهم الجبالُ ولا الوديان ولا الممرات الضيقة (gorges). سيقوموا وينطلقوا ويملؤوا الأرض بتجمعاتهم، وبالحرب والأسر والشقاق، والدم والمذابح العظيمة. حين يحمى غضب الرب على الأشرار، سيرسل على الأرض شعب يأجوج وشعب مأجوج. قبل نهاية العالم، سينطلقوا لتدمير الأرض وسيضطرب البشر وترتعد الجبال **[← "قَالَ (ذُو الْقَرْنَيْنِ) [...] فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي (بخروج يأجوج ومأجوج**

فى آخر الزمان) جَعَلَهُ دَكَّاءَ (أى: سيصير السدُّ منهدماً مستوياً بالأرض)" (الكهف 98) "إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ (أى: فُتِحَ سَدّهمَا) وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (أى: مِن كل مكان مُرْتَفَع يُسْرِعُونَ). وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ (أى: اقترب يومُ القيامة)" (الأنبياء 96-97)].

وهكذا نصل دائماً إلى نفس النتيجة النهائية: القرآن ليس كلام الله، وإنما كلام العرب، وهو مجرد تطور بشرى طبيعى لتراث الشرق القديم، لا سيما تراث الديانتين اليهودية والمسيحية (السريانية).

إن قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) التى يقرأها المسلم كل يوم جمعة تكفى وحدها كدليل قاطع على أن القرآن كلام بشر، وليس كلام الله، ولا يمكن أن يكون كلام الله. وذلك لسببين على الأقل.

- أولاً: إن قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) تردد الأسطورة المتعلقة بأمة يأجوج ومأجوج المحبوسين وراء سد مصنوع مِن حديد ونحاس! ولا يمكن أن يردد اللهُ هذه الأساطير الشرقية.
- ثانياً: إن معظم عناصر قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) تكاد تكون منقولة من التراث اليهودى/المسيحى بصفة عامة، والتراث السريانى بصفة خاصة. إذن: يستطيع أى إنسان أن يؤلف هذه القصة بدون أن يحتاج إلى وحى إلهى.

إن قصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108) مجرد أسطورة مِن أساطير القرآن. إنها واحدة مِن الإسرائيليات والسريانيات واليونانيات والبابليات والفارسيات الموجودة فى القرآن. ومَن يعترض على ذلك فَما عليه إلا أن يعطينا دليلاً تاريخياً واحداً - دليلاً واحداً فقط - يثبت أن قصة "ذى القرنين" حدثت فى يومٍ من الأيام كما رواها كتاب العرب (القرآن) وأن يقول لنا: مَن هو ذو القرنين؟ متى عاش؟ أين؟ مَن هُمْ يأجوج ومأجوج؟ أين هُمْ الآن؟ وكيف حالهم اليوم؟! وأين سدهم المصنوع مِن حديد ونحاس؟!

إن لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فليس أمامكم سوى الاعتراف بالحقيقة: القرآن ليس كلام الله الخالق، وإنما كلام البشر المخلوقين.

القرآن كلام بشر مِن لحم ودم.

مرارة الحقيقة أفضل مِن حلاوة الوَهْم.

4.44 هل اشترك دَاوُدُ وَشَاوُلُ وَجِدْعُونُ في تأليف قرآن غزوة بدر (2هـ)؟!

تحكي سورةُ البقرة قصةً قصيرة (البقرة 246-252) (مدنية) تبدأ بحوارٍ (dialogue) دار بين "الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ" و "نَبِيٍّ لَّهُمُ" لم يُذكَر اسمُه! وكل طرف في هذا الحوار تكلم ثلاث مرات (a three-stage dialogue in which each side speaks three times)[7436]:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ

قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ

قَالَ [لَهُمْ نَبِيُّهُمْ] هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا (أي: ألن تجبنوا عن القتال إذا فُرِضَ عليكم؟؛ يقصد: أنا أتوقَّع جُبْنكم وفراركم من القتال) ۖ

قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ (أي: وكيف لا نقاتل) فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا (أي: وأبْعَدَنَا عدوُّنا عن أولادنا بالقتل والأسر) ۖ

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا (أي: جَبُنوا وفرُّوا عن القتال كما توقَّع نَبِيُّهُمْ) إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (أي: الناكثين عهودهم؛ الذين ظلموا أنفسهم ونبيهم ودينهم) {246}

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ

قَالُوا أَنَّىٰ (أي: كيف) يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ

قَالَ [لَهُمْ نَبِيُّهُمْ] إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {247} وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ (أي: العلامة التي تدل على أن طالوت هو المَلِك المختار من الله) أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ (أي: يعود إليكم الصندوقُ الذي فيه التوراة والذي كان أعداؤكم قد انتزعوه منكم) فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ (أي: ما تبقى من الأشياء التي تركها) آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {248}

فَلَمَّا فَصَلَ (أي: خَرَجَ) طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم (أي: مُخْتَبِرِكُم) بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي (أي: ليسَ من أصحابي وأتباعي) وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ (أي: وَمَن لم يذق منه إلَّا غُرْفَةً واحدةً فقط فَإِنَّهُ من أصحابي وأتباعي) ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ (أي: فلمَّا وصلوا إلى النهر انكبوا على الماء وأفرطوا في الشرب) إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ [أطاعوا أمرَ طالوت واكتفوا بغُرْفة اليد وواصلوا الجهاد] ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [ورأوا كثرةَ عدد عدوهم جَالُوتَ وَجُنُودِهِ] قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ [لكثرتهم وقلتنا] ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ (أي: يوقنون بلقاء الله بعد الموت! يؤمنون بيوم القيامة!) كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ [مؤمنة وصابرة] غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً [كافرة وباغية] بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ {249} وَلَمَّا بَرَزُوا (أي: ظَهَرُوا) لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا (أي: املأنا بالصبر) وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ {250} فَهَزَمُوهُم (أي: فَهَزَم طالوتُ وجنودُه المؤمنون جَالُوتَ وَجُنُودَه الْكَافِرِينَ) بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ

دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ [بعد طالوت] وَالْحِكْمَةَ (أي: الفهم والعقل والفطنة؛ وقيل: النبوة) وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ (أي: وَلَوْلَا أن الله يدفع بجنوده المؤمنين على أعدائه الكافرين) لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ [بغلبة الكفر وتمكُّن الطغيان وانتشار المعاصي] وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ {251} تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ {252}.

على الرغم من أن صاحب هذه القصة القرآنية القصيرة (البقرة 246-252) قد زعم أنه يتلوها "بِالْحَقِّ" (البقرة 252)، إلا أنها في الواقع ليست قصة حقيقية، وإنما هي مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لقصة كتابية، بل تطور بشري طبيعي لقصص كتابية!

نعم، فهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يدمج فيها أصحابُ القرآن قصصاً من التراث اليهودي-المسيحي في قصةٍ قرآنية واحدة. وساعدهم على ذلك أن هذه القصص الكتابية مذكورة في سفر القضاة (Judges) وسفر صموئيل الأول (1 Samuel)، أي: بعد توراة موسى **[⟵ "بَعْدِ مُوسَىٰ" (البقرة 246)]**. علماً بأن كلمة "قضاة" هنا لا تعني "قضاة" بالمعنى المتعارف عليه حالياً، وإنما تعني: قادة محاربون أو محررون أو منقذون أو مخلِّصون محليون بل أبطال شعبيون (charismatic deliverers) "يقيمهم اللهُ على القيادة حين تتردّى حالة الشعب في المحلَّة، فتستدعي تدخُّل الله لإنقاذهم"[7437]. وأهم ما يميز عصر القضاة هو عدم وجود دولة إسرائيلية محكومة مركزياً، أي: عدم وجود سلطة مركزية واحدة على جميع قبائل بني إسرائيل: "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمْ يَكُنْ مَلِكٌ فِي إِسْرَائِيلَ. كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ" (القضاة 6:17). فلقد كان كُلُّ سِبْط أو عشيرة يمثِّل كياناً مستقلاً أو شبه مستقل عن بقية الأسباط والعشائر الأخرى: "فَسَارَ مِنْ هُنَاكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى سِبْطِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَخَرَجُوا مِنْ هُنَاكَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مُلْكِهِ. فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمْ يَكُنْ مَلِكٌ فِي إِسْرَائِيلَ. كُلُّ وَاحِدٍ عَمِلَ مَا حَسُنَ فِي عَيْنَيْهِ" (القضاة 21:24-25).

وساعدهم على ذلك أيضاً أن سفر القضاة وسفر صموئيل الأول يتحدثان عن المرحلة الانتقالية التي بدأت باحتلال العبرانيين لأرض كنعان في عهد "يشوع" (Joshua) خليفة موسى **[⟵ "بَعْدِ مُوسَىٰ" (البقرة 246)]** وانتهت بآخر القضاة وأول نبي بعد موسى **[⟵ "بَعْدِ مُوسَىٰ" (البقرة 246)]** وهو النبي والقاضي "صَمُوئِيل" (Samuel) (بالعبرية: שְׁמוּאֵל Shemuel) **[⟵ "نَبِيُّهُمْ" (البقرة 247، 248) "نَبِيٍّ لَّهُمُ" (البقرة 246)؛ وتقول كتب تفسير القرآن وقصص الأنبياء إن اسمه صمويل أو شمويل[7438]؛ وقيل: يوشع (يقصدون: يشوع) أو شمعون أو شمويل[7439]]** الذي تأسست في عهده المملكةُ الأولى (السلطة المركزية الأولى) في تاريخ إسرائيل التي كان مَلِكُها الأول هو "شَاوُل" (Saul) (Saül) **[⟵ "طَالُوت" (البقرة 247، 249)]**، ثم "داود" (David) الذي بدأ حياته غلاماً يخدم الملكَ شَاوُل ثم قَتَلَ الفِلِسْطِيَّ "جُلْيَات" (جوليات) (Goliath) بطل الفِلِسْطِيِّين (Philistines) أعداء إسرائيل، وبعد ذلك صار داودُ مَلِكاً على كل بني إسرائيل **[⟵ "وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ" (البقرة 251) "يَا دَاوُودُ**

إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (ص 26)] ويُعتبَر عصره العصر الذهبي لبني إسرائيل حسب التقليد اليهودي-المسيحي.

إذن: قصة صموئيل وشاول وداود وجُليات هي القصة الأساسية التي حاول صاحبُ هذه القصة القرآنية القصيرة (البقرة 246-252) أن يطوِّرها تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development).

أما القصة الكتابية الأخرى فهي قصة البطل القومي "جدعون" (Gideon) (Gédéon) وهو أحد قضاة بني إسرائيل؛ أي: في المرحلة الانتقالية التي بدأت في عهد يشوع وانتهت في عهد صَمُوئِيل.

وهذه المرحلة الانتقالية من المجتمع القبلي اللامركزي (decentralized, tribal) إلى الحكم الملكي المركزي (centralized, royal) كانت ممتلئة بالحروب بين بني إسرائيل المؤمنين وأعدائهم الوثنيين كالفِلِسْطِيِّين (Philistines) في الغرب على ساحل البحر المتوسط، وكالمديانيين (Midianites) والْعَمُّونِيِّينَ (Ammonites) والْمُوآبِيِّينَ (Moabites) في الشرق شرقي نهر الأردن (Jordan River). وهذه المرحلة الانتقالية في التراث اليهودي-المسيحي تناظر المرحلة الانتقالية التي تعبر عنها سورة البقرة في التراث الإسلامي حيث انتقل المسلمون الأوائل من مكة إلى يثرب (المدينة) ليؤسسوا الدولة الأولى (السلطة المركزية الأولى) في تاريخ الإسلام، ومن ثم بدأوا الجهاد (القتال المسلح) في سبيل الله ضد كفار مكة الوثنيين، وأيضاً ضد يهود المدينة الذين تنتقدهم هذه القصة القرآنية وتلمِّح إلى جُبْنهم: "فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا (أي: جَبُنوا وفرُّوا عن القتال كما توقَّع نَبِيُّهُمْ) إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ" (البقرة 246)! كما أن الآيات التي تسبق هذه القصة القرآنية تحرّض صراحةً على القتال في سبيل الله بالنفس والمال وعدم الخوف من الموت لأن الفرار من الموت لا يُنجِّي من الموت إن أراده الله: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ (أي: كثيرون) حَذَرَ الْمَوْتِ (أي: خشية الموت من القتال أو الطاعون) فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا (أي: قضى الله عليهم بالموت عقاباً لهم على فرارهم من قدر الله فماتوا؛ فرُّوا من الموت إلى الموت) ثُمَّ أَحْيَاهُمْ [اللهُ] ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ. وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا (أي: ينفق من ماله الحلال في طرق الخيرات، خصوصاً في الجهاد، بإخلاصٍ وطيبِ نَفْسٍ بلا مَنٍّ ولا أذى) فَيُضَاعِفَهُ لَهُ [اللهُ] أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (البقرة 243-245).

إنَّ تشابه المرحلة الانتقالية التي يعبر عنها سفرا القضاة وصموئيل الأول مع المرحلة الانتقالية التي كان يعيشها المسلمون الأوائل في المدينة هو الذي ساعد أصحابَ القرآن على التأثر بهاتين القصتين الكتابيتين: قصة جدعون في سفر القضاة وقصة صموئيل وشاول وداود وجُليات في سفر صموئيل الأول.

إذن: تطور شخصيات الرواية من الكتاب المقدس إلى القرآن كان كما يلي:

صَمُوئِيل **[← "نَبِيُّهُمْ" (البقرة 247، 248) "نَبِيٍّ لَّهُمُ" (البقرة 246)]**.

شَاوُل + جدعون **[← "طَالُوت" (البقرة 247، 249)]**.

داود **[← "دَاوُودُ" (البقرة 251)].**

جُلْيَات **[← "جَالُوت" (البقرة 249، 250، 251)].**

كما ساعدهم أيضاً الهدف من وراء هذه القصص وهو تثبيت قلوب المؤمنين قليلي العدد وتشجيعهم على قتال الكافرين كثيري العدد والانتصار عليهم بإذن الله وأمره. وخير دليل على ذلك هو أن تلك الفكرة التي تتكرر في سفري القضاة وصموئيل الأول مذكورة صراحةً في هذه القصة القرآنية: "كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 249) "فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 251). ويوجد دليل آخر من كتب السنة الصحيحة، فلقد روى البخاري وغيره أحاديثاً صحيحة تقول إن المسلمين في غزوة بدر (2هـ) "كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ، الَّذِينَ جَازُوا مَعَهُ النَّهَرَ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَمِائَةٍ"[7440]. فهذه الأحاديث الصحيحة تؤكد أن المسلمين الأوائل قد ربطوا بين هذه القصة القرآنية القصيرة (البقرة 246-252) وغزوة بدر، بل ربطوا بين قصص جدعون وصموئيل وشاول وداود وجُليات الكتابية ويوم بدر (يوم الفرقان)، أول معركة فاصلة في تاريخ الإسلام المسلح المستمر إلى اليوم. وحسب التراث الإسلامي، كان المسلمون في غزوة بدر قليلي العدد بينما كان الكافرون كثيري العدد: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ (أي: قليلو العدد والعدة)" (آل عمران 123) "وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ (أي: في مكة) تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ [إلى المدينة] وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ [يوم بدر؛ يوم الفرقان]" (الأنفال 26).

ونبدأ أولاً بقصة تنصيب شاول **[← "طَالُوتُ" (البقرة 247، 249)]** مَلِكاً على بني إسرائيل ...

4.44.1 شيوخ إسرائيل يطلبون مَلِكاً ليحارب أعداءهم ...

حسب التقليد، قام النبي "صموئيل" (Samuel) بمَسْح (أي: تعيين، تكريس) "شاول" (Saul) مَلِكاً في النصف الثاني من القرن الحادي عشر قبل الميلاد (حوالي 1050 أو 1030 ق.م) ...

شيوخ إسرائيل يطلبون تغيير نظام الحكم من اللامركزي (القضاة) إلى المركزي (الملوك). **(1 صموئيل 8):** {1} وَكَانَ لَمَّا شَاخَ صَمُوئِيلُ (Samuel) **[← "نَبِيُّهُمْ" (البقرة 247، 248) "نَبِيٍّ لَّهُمُ" (البقرة 246)؛ وكما قلنا فيما سبق: قيل في كتب تفسير القرآن وقصص الأنبياء إن اسمه صمويل أو شمويل]** أَنَّهُ جَعَلَ بَنِيهِ قُضَاةً لإِسْرَائِيلَ. {2} وَكَانَ اسْمُ ابْنِهِ الْبِكْرِ يُوئِيلَ، وَاسْمُ ثَانِيهِ أَبِيَّا. كَانَا قَاضِيَيْنِ فِي بِئْرِ سَبْعٍ (Beersheba) (حالياً: في صحراء النقب Negev في جنوب إسرائيل). {3} وَلَمْ يَسْلُكِ ابْنَاهُ فِي طَرِيقِهِ، بَلْ مَالاَ وَرَاءَ الْمَكْسَبِ، وَأَخَذَا رَشْوَةً وَعَوَّجَا الْقَضَاءَ. {4} فَاجْتَمَعَ كُلُّ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ **[← "الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ" (البقرة 246)]** وَجَاءُوا إِلَى صَمُوئِيلَ إِلَى الرَّامَةِ (Ramah) (هي: مسقط رأس صموئيل؛ تبعد حوالي 10 أو 15 كم شمال أورشليم "وربما كانت هي رام الله الحالية"[7441]). {5} وَقَالُوا لَهُ: «هُوَذَا أَنْتَ قَدْ شِخْتَ، وَابْنَاكَ لَمْ يَسِيرَا فِي طَرِيقِكَ. فَالآنَ اجْعَلْ لَنَا مَلِكًا **[← "ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا" (البقرة 246)]** يَقْضِي

لَنَا (أي: يقيم العدلَ بيننا ويحميه) كَسَائِرِ الشُّعُوبِ (أي: مثل الأمم الوثنية في كنعان)». {6} فَسَاءَ الأَمْرُ فِي عَيْنَيْ صَمُوئِيلَ [لأن بني إسرائيل أرادوا أن يتشبهوا بالممالك الوثنية الكنعانية أو لأنهم رفضوا أن يكون النبيُّ صَمُوئِيلُ هو قاضيهم] إِذْ قَالُوا: «أَعْطِنَا مَلِكًا (أي: شخصاً آخر) **[⟵ "ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا" (البقرة 246)]** يَقْضِي لَنَا». وَصَلَّى صَمُوئِيلُ إِلَى الرَّبِّ. {7} فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «اسْمَعْ لِصَوْتِ الشَّعْبِ (أي: استجبْ لهم) فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا حَتَّى لاَ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ (أي: وضعوا ثقتهم في مَلِكٍ بشري منظور بدلاً من أن يثقوا في الرب الإله المَلِك غير المنظور). {8} حَسَبَ كُلِّ أَعْمَالِهِمِ الَّتِي عَمِلُوا مِنْ يَوْمِ أَصْعَدْتُهُمْ مِنْ مِصْرَ **[⟵ "مِن بَعْدِ مُوسَىٰ" (البقرة 246)]** إِلَى هذَا الْيَوْمِ وَتَرَكُونِي وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى، هكَذَا هُمْ عَامِلُونَ بِكَ أَيْضًا. {9} فَالآنَ اسْمَعْ لِصَوْتِهِمْ. وَلكِنْ أَشْهِدَنَّ عَلَيْهِمْ (أي: أنذِرْهُم وحَذِّرْهُمْ) وَأَخْبِرْهُمْ بِقَضَاءِ الْمَلِكِ الَّذِي يَمْلِكُ عَلَيْهِمْ (أي: أَخْبِرْهُمْ بنظام حُكْم هذا المَلِك الذي من البشر؛ اشرح لهم عيوب هذا الحكم الملكي حتى لا يكون لهم عذرٌ إذا ندموا بعد ذلك على طلبهم هذا)».

(1 صموئيل 8): {10} فَكَلَّمَ صَمُوئِيلُ الشَّعْبَ الَّذِينَ طَلَبُوا مِنْهُ مَلِكًا بِجَمِيعِ كَلاَمِ الرَّبِّ، {11} وَقَالَ: «هذَا يَكُونُ قَضَاءُ الْمَلِكِ الَّذِي يَمْلِكُ عَلَيْكُمْ: يَأْخُذُ بَنِيكُمْ وَيَجْعَلُهُمْ لِنَفْسِهِ، لِمَرَاكِبِهِ وَفُرْسَانِهِ، فَيَرْكُضُونَ أَمَامَ مَرَاكِبِهِ. {12} وَيَجْعَلُ لِنَفْسِهِ رُؤَسَاءَ أُلُوفٍ وَرُؤَسَاءَ خَمَاسِينَ، فَيَحْرُثُونَ حَرَاثَتَهُ وَيَحْصُدُونَ حَصَادَهُ، وَيَعْمَلُونَ عُدَّةَ حَرْبِهِ وَأَدَوَاتِ مَرَاكِبِهِ. {13} وَيَأْخُذُ بَنَاتِكُمْ عَطَّارَاتٍ وَطَبَّاخَاتٍ وَخَبَّازَاتٍ. (أي: هذا المَلِك سيسخِّر بَنِيكُمْ وبَنَاتِكُمْ لخدمته في أوقات السلم والحرب.) {14} وَيَأْخُذُ حُقُولَكُمْ وَكُرُومَكُمْ وَزَيْتُونَكُمْ، أَجْوَدَهَا وَيُعْطِيهَا لِعَبِيدِهِ. {15} وَيُعَشِّرُ زُرُوعَكُمْ وَكُرُومَكُمْ، وَيُعْطِي لِخِصْيَانِهِ وَعَبِيدِهِ. (أي: وسيفرض ضرائب على محاصيلكم.) {16} وَيَأْخُذُ عَبِيدَكُمْ وَجَوَارِيَكُمْ وَشُبَّانَكُمُ الْحِسَانَ وَحَمِيرَكُمْ وَيَسْتَعْمِلُهُمْ لِشُغْلِهِ. {17} وَيُعَشِّرُ غَنَمَكُمْ (أي: وسيفرض ضرائب على مواشيكم) وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لَهُ عَبِيدًا (أي: وسيضع قيوداً على حريتكم الشخصية؛ وسيأمركم فتطيعونه في كل ما يريد؛ وسيورّث المُلْكَ حتى لو كان الوريثُ غير مناسب لهذا المنصب؛ يقصد: سينتهي بكم الأمر إلى أن تصيروا عبيداً للمَلِك بدلاً من أن تكونوا عبيداً للربّ). {18} فَتَصْرُخُونَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مِنْ وَجْهِ مَلِكِكُمُ الَّذِي اخْتَرْتُمُوهُ لأَنْفُسِكُمْ (أي: بما أن الملوك لا تعرف سوى الأخذ فستندمون على طلبكم هذا وستصرخون بسبب مَلِكِكُم بدلاً من أن تصرخوا بسبب أعدائكم)، فَلاَ يَسْتَجِيبُ لَكُمُ الرَّبُّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ [لأنكم أنتم الذين اخترتم هذا المَلِك عوضًا عن الرَّبّ]». {19} فَأَبَى الشَّعْبُ أَنْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ صَمُوئِيلَ (أي: أصرُّوا على طلب مَلِك!)، وَقَالُوا: «لاَ بَلْ يَكُونُ عَلَيْنَا مَلِكٌ **[⟵ "ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا" (البقرة 246)]**، {20} فَنَكُونُ نَحْنُ أَيْضًا مِثْلَ سَائِرِ الشُّعُوبِ، وَيَقْضِي لَنَا مَلِكُنَا وَيَخْرُجُ أَمَامَنَا وَيُحَارِبُ حُرُوبَنَا **[⟵ "ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [...] نُّقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (البقرة 246)]**». {21} فَسَمِعَ صَمُوئِيلُ كُلَّ كَلاَمِ الشَّعْبِ وَتَكَلَّمَ بِهِ فِي أُذُنَيِ الرَّبِّ. {22} فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «اسْمَعْ لِصَوْتِهِمْ وَمَلِّكْ عَلَيْهِمْ مَلِكًا». فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِرِجَالِ إِسْرَائِيلَ: «اذْهَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ».

ونلاحظ من الآيات الكتابية السابقة أن الرب لم يوافق على تنصيب مَلِك، وإنما سمح بذلك فقط. أما صموئيل فكان متردداً جداً إلى درجة أنه لم يُخْبِر الشعبَ بقرار الرب النهائي! واكتفى بدعوتهم إلى الانصراف!

ونلاحظ أيضاً أن صاحب هذه القصة القرآنية القصيرة (البقرة 246-252) قد تجاهل الجدال الذي دار بين النبي صموئيل وشعب بني إسرائيل حول مزايا وعيوب الحكم الملكي (1 صموئيل 8:5-20) تجاهلاً تاماً (سوف نعرف السبب بعد قليل)، لكن حوّله إلى جدالٍ حول مزايا وعيوب فرض الجهاد في سبيل الله: "قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا (أي: ألن تجبنوا عن القتال إذا فُرِضَ عليكم؟؛ يقصد: أنا أتوقَّع جُبْنكم وفراركم من القتال) ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ (أي: وكيف لا نقاتل) فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا (أي: وأَبْعَدَنا عدوُّنا عن أولادنا بالقتل والأسر) ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا (أي: جَبُنوا وفرُّوا عن القتال كما توقَّع نَبِيُّهُمْ) إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" (البقرة 246). فمزايا فرض القتال هي استرداد أرضهم المحتلة والأخذ بثأر قتلاهم وتحرير أسراهم، لكن عيوبه هي أنهم إذا جبنوا وفرُّوا ولم يلتزموا بهذا الفرض فسيكونون من "الظَّالِمِينَ" (البقرة 246) أي: من الناكثين عهودهم الذين ظلموا أنفسهم ونبيهم ودينهم فغضب الله عليهم.

(1 صموئيل 9): {1} وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ [سِبْطِ] بَنْيَامِينَ اسْمُهُ قَيْسُ بْنُ أَبِيئِيلَ بْنِ صَرُورَ بْنِ بَكُورَةَ بْنِ أَفِيحَ، ابْنُ رَجُلٍ بَنْيَامِينِيٍّ جَبَّارَ بَأْسٍ (أي: صاحب نفوذ و/أو ثروة). {2} وَكَانَ لَهُ ابْنٌ اسْمُهُ شَاوُلُ (Saul) **[← "طَالُوتُ" (البقرة 247، 249)]**، شَابٌّ [عمره 30 أو 35 عاماً] وَحَسَنٌ، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَحْسَنَ مِنْهُ. مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقُ كَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ (taller than any of the people)[7442] **[← "إِنَّ اللَّهَ [...] زَادَهُ بَسْطَةً فِي [...] الْجِسْمِ" (البقرة 247). ولأن شاول كان طويل القامة جداً، أعطاه أصحابُ القرآن اسمَ "طَالُوت"! قال البيضاوي: "طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول"[7443]. و/أو ليُحدث اسمُ "طَالُوت" سجعاً جميلاً مع كلمة "التَّابُوت" أو اسم "جَالُوت"![7444]. إذن: اسم "طَالُوت" اخترعه أصحابُ القرآن لأسباب أدبية محضة (purely literary)، وليس لهذا الاسم القرآني أية علاقة باسم أول مَلِك في تاريخ بني إسرائيل].**

يقول (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على اسم "طَالُوت" (البقرة 247، 249)[7445]:

> […] That the name Ṭālūt is purely literary seems apparent. On the one hand it provides assonance with Goliath's name (Jālūt). On the other hand, being related to the Arabic root for "height" (*ṭ.w.l.*), Ṭālūt is also a reflection of the Biblical reference to the stature of Saul, who was "head and shoulders" taller than his people (1 Samuel 10.23).

وكذلك تقول موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam)[7446]:

ṬĀLŪT, the Islamic equivalent to the biblical Saul based on a familiar form in the Arabic reproduction of ancient names (often in assonant pairs) [فاعول] ([طالوت-جالوت], [ياجوج-ماجوج], [هاروت-ماروت], [هارون], [قارون], [داوود], [تابوت], etc.).

وكذلك تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica)[7447]:

[Saul] In Islam The name Ṭālūt, which is given to Saul in the Koran [البقرة 247، 249], is an allusion to his exceptional height (cf. 1 Samuel 9:2; 10:23). The form of this name was probably influenced by that of Jālūt (given to Goliath) or *tābūt* [...] (Ethiopian *tābōt*; Aramaic *tebuta*; “the Holy Ark”) [...].

نعود إلى **(1 صموئيل 9):** {3} فَضَلَّتْ أُتُنُ قَيْسٍ أَبِي شَاوُلَ. فَقَالَ قَيْسٌ لِشَاوُلَ ابْنِهِ: «خُذْ مَعَكَ وَاحِدًا مِنَ الْغِلْمَانِ وَقُمِ اذْهَبْ فَتِّشْ عَلَى الأُتُنِ (جمع أَتَان؛ وهي أنثى الحمار)».

التدبير الإلهي؟ أو الصدفة المحضة (بَحْث شاول وغلامه عن الحمير الضائعة لمدة طويلة دون جدوى) تقود شاول في النهاية إلى النبي صموئيل! **(1 صموئيل 9):** {6} فَقَالَ لَهُ (أي: فقال الْغُلاَمُ لشاول): «هُوَذَا رَجُلُ اللهِ (يقصد: النَّبِيُّ صموئيل) فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ (أي: الرَّامَةِ)، وَالرَّجُلُ مُكَرَّمٌ، كُلُّ مَا يَقُولُهُ يَصِيرُ. لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى هُنَاكَ لَعَلَّهُ يُخْبِرُنَا عَنْ طَرِيقِنَا الَّتِي نَسْلُكُ فِيهَا». {7} فَقَالَ شَاوُلُ لِلْغُلاَمِ: «هُوَذَا نَذْهَبُ، فَمَاذَا نُقَدِّمُ لِلرَّجُلِ؟ لأَنَّ الْخُبْزَ قَدْ نَفَدَ مِنْ أَوْعِيَتِنَا وَلَيْسَ مِنْ هَدِيَّةٍ نُقَدِّمُهَا لِرَجُلِ اللهِ. مَاذَا مَعَنَا؟» {8} فَعَادَ الْغُلاَمُ وَأَجَابَ شَاوُلَ وَقَالَ: «هُوَذَا يُوجَدُ بِيَدِي رُبْعُ شَاقِلِ فِضَّةٍ (أي: حوالي 2.5 جرام أو 3 جرام فضة فقط؛ مال قليل جداً وهو مال الغلام وليس مال شاول)[7448] **[⟵ "لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ" (البقرة 247)]** فَأُعْطِيهِ لِرَجُلِ اللهِ فَيُخْبِرُنَا عَنْ طَرِيقِنَا». [...] {10} فَقَالَ شَاوُلُ لِغُلاَمِهِ: «كَلاَمُكَ حَسَنٌ. هَلُمَّ نَذْهَبْ». فَذَهَبَا إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي فِيهَا رَجُلُ اللهِ (أي: النَّبِيُّ صموئيل).

الرَّبُّ كان قد أخبر صموئيلَ بمَجِيءِ شَاوُلَ (المَلِك المختار). **(1 صموئيل 9):** {14} فَصَعِدَا (أي: شَاوُلُ وغُلاَمُه) إِلَى الْمَدِينَةِ. وَفِيمَا هُمَا آتِيَانِ فِي وَسَطِ الْمَدِينَةِ إِذَا بِصَمُوئِيلَ خَارِجٌ لِلِقَائِهِمَا لِيَصْعَدَ إِلَى الْمُرْتَفَعَةِ. {15} وَالرَّبُّ كَشَفَ أُذُنَ صَمُوئِيلَ (أي: كان قد أعلنَ لصَمُوئِيلَ) قَبْلَ مَجِيءِ شَاوُلَ بِيَوْمٍ قَائِلًا: {16} «غَدًا فِي مِثْلِ الآنَ أُرْسِلُ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ أَرْضِ بَنْيَامِينَ، فَامْسَحْهُ رَئِيسًا (anoint him ruler) لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ **[⟵**

"إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا (king)" (البقرة 247)]، فَيُخَلِّصَ شَعْبِي مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، لأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى شَعْبِي لأَنَّ صُرَاخَهُمْ قَدْ جَاءَ إِلَيَّ».

تعليق على "فَامْسَحْهُ رَئِيسًا (anoint him ruler) لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ" (1 صموئيل 16:9): "كان الكهنة أيضاً يُمسحون [...]، ولكن بداية من هذا الموضع فصاعداً في العهد القديم أصبحت الإشارة إلى المَلِك بصفته "مسيح الرب" (the LORD's anointed) أمراً معتاداً [...]. وتعني المسحة (Anointing) إلى الفرز للرب أو التكريس أو التخصيص للرب من أجل القيام بمهمة معينة وإعداد إلهي للقيام بتلك المهمة"[7449].

ويُفْهَم من كلام الرب إلى صموئيل "أُرْسِلُ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ أَرْضِ بَنْيَامِينَ، فَامْسَحْهُ رَئِيسًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ، فَيُخَلِّصَ شَعْبِي مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ" (1 صموئيل 16:9) أن تهديد الْفِلِسْطِينِيِّينَ (Philistines) لإسرائيل هو الذي جعل إسرائيل يطلب مَلِكاً بشرياً. اقرأ أيضاً: "وَكَانَتْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ كُلَّ أَيَّامِ شَاوُلَ. وَإِذَا رَأَى شَاوُلُ رَجُلًا جَبَّارًا أَوْ ذَا بَأْسٍ ضَمَّهُ إِلَى نَفْسِهِ (أي: إلى جيشِهِ)" (1 صموئيل 52:14). لكن يُفْهَم من آية أخرى قالها صموئيل إن تهديد العمونيين (Ammonites) لإسرائيل هو الذي جعل إسرائيل يطلب مَلِكاً بشرياً: "وَلَمَّا رَأَيْتُمْ نَاحَاشَ مَلِكَ بَنِي عَمُّونَ (Nahash king of the Ammonites) آتِيًا عَلَيْكُمْ، قُلْتُمْ لِي: لاَ بَلْ يَمْلِكُ عَلَيْنَا مَلِكٌ. وَالرَّبُّ إِلهُكُمْ مَلِكُكُمْ" (1 صموئيل 12:12). وعلى الرغم من عدم وجود تناقض بين هاتين الآيتين المختلفتين، إذ يمكن الجمع بينهما، فأعداء إسرائيل كانوا كثيرين ومن جبهات متعددة[7450]. إلا أنه يوجد رأي آخر يفسر هذا الاختلاف بوجود تقليدين يهوديين أو أكثر في مسألة تنصيب شاول مَلِكاً[7451]. يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "يوجد تقليدان في (1 صموئيل 1:8 – 35:15) بخصوص إقامة الحكم المَلَكي. تقليد ينظر إلى النظام الجديد كأمر إيجابي ويؤيد الحكم المَلَكي (1 صموئيل 1:9 – 16:10؛ 27:10ب – 15:11؛ وفصل 13 و 14) وتقليد آخر سلبي ورافض للنظام المَلَكي (1 صموئيل 8؛ 17:10-27أ؛ 1:12-25؛ وفصل 15)"[7452]. فحسب هذا الرأي، تنتمي (1 صموئيل 16:9) إلى التقليد اليهودي المؤيد للحكم المَلَكي (pro-monarchical) بينما تنتمي (1 صموئيل 12:12) إلى التقليد اليهودي الرافض للحكم المَلَكي (anti-monarchical)، فهذا هو سبب اختلاف الآيتين.

وسنلاحظ أثناء دراستنا لجذور القصة القرآنية (البقرة 246-252) في سفر صموئيل الأول أن القرآن قد تأثَّر أكثر بالتقليد اليهودي المؤيد للحكم المَلَكي، بدليل أن القصة القرآنية قد تجاهلت الجدال الذي دار بين النبي صموئيل وشعب بني إسرائيل حول مزايا وعيوب الحكم المَلَكي (1 صموئيل 5:8-20) تجاهلاً تاماً لأن معظمه أو كله تقريباً يركز على عيوب الحكم المَلَكي. وأيضاً بدليل أن القصة القرآنية تحدثت بأسلوب إيجابي جداً عن طالوت فهو أكثر اسم مذكور فيها من المؤمنين، بل هو بطل القصة المؤمن الشجاع المجاهِد في سبيل الله. ولعل هذا يفسّر عدم ذِكر صموئيل صراحةً بالاسم في القصة القرآنية، لأنها أرادت أن تسلِّط الضوءَ على المَلِك (طالوت) وليس على النبي (صموئيل). كما ذكرت القصةُ القرآنية انتصارَ طالوت على

الفلسطيين (جالوت وجنوده)، ولم تذكر شيئاً عن هزيمته في معركة أخرى ضد الفلسطيين ولا عن نهايته المأساوية هو وأبنائه الأربعة! وأيضاً بدليل أن القصة القرآنية كررت كلمةَ "مَلِك" أو "مُلْك" 7 مرات: "مَلِكًا [...] مَلِكًا [...] الْمُلْكُ [...] بِالْمُلْكِ [...] مُلْكَهُ [...] مُلْكِهِ [...] الْمُلْكَ"، ومن المعلوم أن رقم 7 يرمز إلى الكمال والتمام[7453]. وهذا لا يعني أن القرآن يؤيد المُلْك الوراثي، وإنما يعني أنه في هذه الفترة المدنية المبكرة – التي تنتمي إليها القصة القرآنية (البقرة 246-252) – وهي فترة تأسيس دولة المدينة (يثرب)، رأى أصحابُ القرآن أن مزايا وجود سلطة مركزية قوية تقود المؤمنين في الجهاد (القتال المسلح) في سبيل الله ضد أعداء الله أكثر من مزايا عدم وجودها. أو يمكن القول إن أصحاب القرآن لم يعجبوا بالحكم المَلَكي بصفة عامة، وإنما أعجبوا بشخصية المَلِك شاول تحديداً. ولعل القصة الكتابية قد وصلت إليهم، ليس عن طريق سفر صموئيل الأول الذي ينتقد المَلِكَ شاول في مواضع كثيرة كما سنرى لاحقاً، وإنما عن طريق كتب التراث اليهودي التي حاولت أن تقدم صورةً إيجابية جداً للمَلِك شاول تركز على صفاته الحميدة وأفعاله المجيدة[7454].

فنظراً لأن القصة القرآنية (البقرة 246-252) قد تأثرت أكثر بالتقليد اليهودي المؤيد للحكم المَلَكي، فإن معظم الآيات الكتابية التي سنذكرها تنتمي إلى ذلك التقليد اليهودي ...

لقاء شاول وصموئيل. **(1 صموئيل 9):** {17} فَلَمَّا رَأَى صَمُوئِيلُ شَاوُلَ أَجَابَهُ الرَّبُّ: «هُوَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَلَّمْتُكَ عَنْهُ. هذَا يَضْبِطُ شَعْبِي (أي يصير عَلَيْكُمْ مَلِكًا) **[← "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ" (البقرة 247)]**». {18} فَتَقَدَّمَ شَاوُلُ إِلَى صَمُوئِيلَ فِي وَسَطِ الْبَابِ (أي: باب المدينة) وَقَالَ: «أَطْلُبُ إِلَيْكَ: أَخْبِرْنِي أَيْنَ بَيْتُ الرَّائِي (the seer) (أي: النبي[7455]، لَعَلَّهُ يُخْبِرُنَا عَنْ طَرِيقِنَا الَّتِي نَسْلُكُ فِيهَا لنجد الأُتن)؟[7456]» {19} فَأَجَابَ صَمُوئِيلُ شَاوُلَ وَقَالَ: «أَنَا الرَّائِي. اِصْعَدَا أَمَامِي إِلَى الْمُرْتَفَعَةِ فَتَأْكُلاَ مَعِيَ الْيَوْمَ، ثُمَّ أُطْلِقَكَ صَبَاحًا وَأُخْبِرَكَ بِكُلِّ مَا فِي قَلْبِكَ. {20} وَأَمَّا الأُتُنُ الضَّالَّةُ لَكَ مُنْذُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فَلاَ تَضَعْ قَلْبَكَ عَلَيْهَا (أي: لا تشغل بالَك بها) لأَنَّهَا قَدْ وُجِدَتْ (أي: أبوكَ قد وجدها؛ أنتَ ستجد ما هو أعظم منها؛ يلّمح إلى المُلْكِ). وَلِمَنْ كُلُّ شَهِيِّ إِسْرَائِيلَ؟ أَلَيْسَ لَكَ وَلِكُلِّ بَيْتِ أَبِيكَ؟ (أي: أَلَيْسَ كُلُّ نَفِيسٍ وَمَرْغُوبٍ فِي إِسْرَائِيلَ، هُوَ لَكَ وَلِكُلِّ بَيْتِ أَبِيكَ؟؛ يلّمح مرة أخرى إلى رغبة بني إسرائيل في تنصيب مَلِك عليهم)» {21} فَأَجَابَ شَاوُلُ وَقَالَ: «أَمَا أَنَا بَنْيَامِينِيٌّ مِنْ أَصْغَرِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ (أي: من السبط الأقل عددًا وشأنًا وهو سبط بنيامين أصغر أبناء يعقوب والذي تناقص أفراده بشدة في زمن القضاة[7457])، وَعَشِيرَتِي أَصْغَرُ كُلِّ عَشَائِرِ أَسْبَاطِ بَنْيَامِينَ؟ فَلِمَاذَا تُكَلِّمُنِي بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ؟» [...] [وأعدَّ صموئيلُ وليمةً كبيرةً لشاول وغلامِه وأكرمهما كرماً كثيراً.] [...] {24} [...]. فَأَكَلَ شَاوُلُ مَعَ صَمُوئِيلَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ. [...] {27} [وفي صباح اليوم التالي] وَفِيمَا هُمَا نَازِلاَنِ بِطَرَفِ الْمَدِينَةِ قَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «قُلْ لِلْغُلاَمِ أَنْ يَعْبُرَ قُدَّامَنَا (أي: يسبقنا ويتقدمنا؛ صموئيل يلّمح إلى رغبته في الحديث مع شاول على انفراد)». فَعَبَرَ [الْغُلاَمُ]. «وَأَمَّا أَنْتَ فَقِفِ الآنَ فَأُسْمِعَكَ كَلاَمَ اللهِ».

صموئيل يمسح شاول مَلِكاً على انفراد (أي: بلا شاهد، ربما لئلا يعرف أعداءُ إسرائيل أن شعب إسرائيل يتحد تحت قيادة مَلِك لأول مرّة في تاريخه). **(1 صموئيل 10):** {1} فَأَخَذَ صَمُوئِيلُ قِنِّينَةَ الدُّهْنِ

(أي: قارورة الزيت المقدَّس) وَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ (أي: على رأس شاول) وَقَبَّلَهُ وَقَالَ: «أَلَيْسَ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ مَسَحَكَ عَلَى مِيرَاثِهِ رَئِيسًا (ruler) (أي: الرَّبّ قد عيَّنكَ على إسرائيل مَلِكاً[7458]) **[⟵ "إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا (king) [...] إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ [...] وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ [حتى لو كان مِنْ أَصْغَرِ عَشَائِرِ سِبْطِ بَنْيَامِينَ أَصْغَرِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ عددًا وشأنًا]" (البقرة 247)]**؟

وهكذا صار شاولُ/ طَالُوتُ أول مَلِك ممسوح (أول مسيح) في تاريخ بني إسرائيل!

(1 صموئيل 10): {2} [وَقَالَ النبي صَمُوئِيلُ للمَلِك شاول] فِي ذَهَابِكَ الْيَوْمَ مِنْ عِنْدِي تُصَادِفُ رَجُلَيْنِ [...] فَيَقُولاَنِ لَكَ: قَدْ وُجِدَتِ الأُتُنُ، الَّتِي ذَهَبْتَ تُفَتِّشُ عَلَيْهَا، [...] {5} بَعْدَ ذلِكَ تَأْتِي إِلَى جِبْعَةِ اللهِ (Gibeah of God)[7459] (أي: تل الله؛ على بُعد بضعة كيلومترات شمال أورشليم) حَيْثُ أَنْصَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ (أي: مُعسكرُهم؛ مَركزٌ أماميٌّ لهم؛ آثار أو أعمدة لهم). وَيَكُونُ عِنْدَ مَجِيئِكَ إِلَى هُنَاكَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَنَّكَ تُصَادِفُ زُمْرَةً مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَازِلِينَ مِنَ الْمُرْتَفَعَةِ وَأَمَامَهُمْ رَبَابٌ وَدُفٌّ وَنَايٌ وَعُودٌ وَهُمْ يَتَنَبَّأُونَ (speaking in ecstasy) (أي: يسبِّحون؛ يرنِّمون). {6} فَيَحِلُّ عَلَيْكَ رُوحُ الرَّبِّ (أي: الروحُ القدس) فَتَتَنَبَّأُ مَعَهُمْ (أي: تصلي وتسبح الله مَعَهُمْ بالرغم من أنه لا خبرة سابقة لكَ بهذه الأمور الروحية) وَتَتَحَوَّلُ إِلَى رَجُل آخَرَ (أي: تَصِيرُ إِنْسَانًا جَدِيدًا قريباً من الله بعد أن كنتَ بعيداً عنه). {7} وَإِذَا أَتَتْ هذِهِ الآيَاتُ (أي: العلامات) عَلَيْكَ **[⟵ "آيَةَ مُلْكِهِ (أي: العلامة التي تدل على أن طالوت هو المَلِك المختار من الله)" (البقرة 248)]**، فَافْعَلْ مَا وَجَدَتْهُ يَدُكَ (أي: مَا تَرَاهُ مناسِباً؛ ما في قُدرَتِكَ)، لأَنَّ اللهَ مَعَكَ. {8} وَتَنْزِلُ قُدَّامِي (أي: تَسْبِقني) إِلَى الْجِلْجَالِ (Gilgal) (هي: مدينة تقع شرق أريحا وغرب نهر الأردن، وكانت مركزًا روحيًا وسياسيًا لشعب إسرائيل)، وَهُوَذَا أَنَا أَنْزِلُ إِلَيْكَ لأُصْعِدَ مُحْرَقَاتٍ وَأَذْبَحَ ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَلْبَثُ حَتَّى آتِيَ إِلَيْكَ وَأُعَلِّمَكَ مَاذَا تَفْعَلُ (يقصد: صحيح أنك المَلِك لكنك خاضعٌ لي أنا النبي!)». {9} وَكَانَ عِنْدَمَا أَدَارَ [شاولُ] كَتِفَهُ لِكَيْ يَذْهَبَ مِنْ عِنْدِ صَمُوئِيلَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ قَلْبًا آخَرَ (أي: تَغَيَّرَ قَلْبُ شَاوُلَ وَصَارَ إِنْسَانًا جَدِيدًا مستعداً ومتحمساً للقيام بمهام الملك)، وَأَتَتْ جَمِيعُ هذِهِ الآيَاتِ (أي: العلامات) **[⟵ "آيَةَ مُلْكِهِ (أي: علامة مُلْك طالوت)" (البقرة 248)]** فِي ذلِكَ الْيَوْمِ. {10} وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى هُنَاكَ إِلَى جِبْعَةَ (أي: جِبْعَةِ اللهِ)، إِذَا بِزُمْرَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ لَقِيَتْهُ، فَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ اللهِ (أي: الروحُ القدس) فَتَنَبَّأَ (went into an ecstatic trance) فِي وَسَطِهِمْ (أي: صار شاولُ مرافقاً للأنبياء بعد أن كان بعيداً عنهم؛ ليس بالضرورة معناه أنه صار نبياً) **[⟵ "إِنَّ اللَّهَ [...] زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ" (البقرة 247)؛ وكذلك لم يقل القرآنُ إن طالوت نبي]**. {11} وَلَمَّا رَآهُ جَمِيعُ الَّذِينَ عَرَفُوهُ مُنْذُ أَمْسِ وَمَا قَبْلَهُ أَنَّهُ يَتَنَبَّأُ مَعَ الأَنْبِيَاءِ، قَالَ الشَّعْبُ، الْوَاحِدُ لِصَاحِبِهِ: «مَاذَا صَارَ لابْنِ قَيْسٍ؟ أَشَاوُلُ أَيْضًا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ؟ (أي: اندهشوا لمَّا رأوا شَاوُلَ يصلي ويسبِّح مع الأنبياء كواحدٍ منهم للمرة الأولى في حياته!)» {12} [...] وَلِذلِكَ ذَهَبَ مَثَلًا (أي: صار قولاً مأثوراً يُقال عند حدوث شيء غريب): «أَشَاوُلُ أَيْضًا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ؟».

اختيار شاول المَلِك الجديد علانيةً أمام الشعب. **(1 صموئيل 10):** {17} وَاسْتَدْعَى صَمُوئِيلُ الشَّعْبَ إِلَى الرَّبِّ إِلَى الْمِصْفَاةِ (Mizpah) (هي: مكان متوسط بين أراضي الأسباط؛ شمال أورشليم بنحو 13 كم)،

{18} وَقَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: إِنِّي أَصْعَدْتُ إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ وَأَنْقَذْتُكُمْ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ وَمِنْ يَدِ جَمِيعِ الْمَمَالِكِ الَّتِي ضَايَقَتْكُمْ. {19} وَأَنْتُمْ قَدْ رَفَضْتُمُ الْيَوْمَ إِلهَكُمُ الَّذِي هُوَ مُخَلِّصُكُمْ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيُضَايِقُونَكُمْ، وَقُلْتُمْ لَهُ: بَلْ تَجْعَلُ عَلَيْنَا مَلِكًا (أي: طلبتم مُخَلِّصاً بشرياً منظوراً بدلاً من رَّبِّكُمْ إلهكم مُخَلِّصِكُمْ غير المنظور). فَالآنَ امْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ (بالعبرية: Yahweh) (أي: أمام النبي والقاضي صموئيلَ[7460]) حَسَبَ أَسْبَاطِكُمْ وَأُلُوفِكُمْ (أي: عَشَائِرِكُمْ)». {20} فَقَدَّمَ صَمُوئِيلُ جَمِيعَ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ، فَأُخِذَ (أي: اختير بالقرعة الإلهية) سِبْطُ بَنْيَامِينَ. {21} ثُمَّ قَدَّمَ سِبْطَ بَنْيَامِينَ حَسَبَ عَشَائِرِهِ، فَأُخِذَتْ (أي: اختير بالقرعة الإلهية) عَشِيرَةُ مَطْرِي [التي ينتمي شَاوُلُ إليها]، وَأُخِذَ (أي: اختير بالقرعة الإلهية) شَاوُلُ بْنُ قَيْسَ [← **"وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ [صَمُوئِيلُ] إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا [...] قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ (أي: اختاره منكم بالقرعة الإلهية) [...] وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ" (البقرة 247). إذن: يتفق القرآنُ بكل وضوح مع سفر صموئيل الأول في أن الله هو الذي اختار طالوت/شاولَ مَلِكاً وليس لبني إسرائيل أي دور في اختياره على الإطلاق!**[7461][7462]]. فَفَتَّشُوا عَلَيْهِ (أي: فبحث بنو إسرائيل عن شاول) فَلَمْ يُوجَدْ. {22} فَسَأَلُوا أَيْضًا مِنَ الرَّبِّ (أي: سَأَلوا صموئيل): «هَلْ يَأْتِي الرَّجُلُ أَيْضًا إِلَى هُنَا؟» فَقَالَ الرَّبُّ (أي: فَقَالَ صموئيلُ): «هُوَذَا قَدِ اخْتَبَأَ بَيْنَ الأَمْتِعَةِ» (أي: اختفى شاولُ، ربما بسبب اتضاعه أو خوفه من المسئولية أو شعوره بعدم الاستحقاق أو خجله من مواجهة بني إسرائيل أو إحساسه بأنهم سيرفضوه[7463]، أو ربما بسبب خضوعه للنبي صموئيل الذي حتى الآن لم يأمره أن يحضر!). {23} فَرَكَضُوا وَأَخَذُوهُ (أي: أخذوا شاولَ) مِنْ هُنَاكَ، فَوَقَفَ بَيْنَ الشَّعْبِ، فَكَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقُ [← **"إِنَّ اللَّهَ [...] زَادَهُ بَسْطَةً فِي [...] الْجِسْمِ" (البقرة 247)]**. {24} فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: «أَرَأَيْتُمُ الَّذِي اخْتَارَهُ الرَّبُّ [← **"وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ [صَمُوئِيلُ] إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ (أي: شاول) مَلِكًا [...] قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ [...] وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ" (البقرة 247)]**، أَنَّهُ (أي: شاول) لَيْسَ مِثْلُهُ فِي جَمِيعِ الشَّعْبِ [← **"زَادَهُ [اللَّهُ] بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ" (البقرة 247)]**؟» فَهَتَفَ كُلُّ الشَّعْبِ وَقَالُوا: «لِيَحْيَ الْمَلِكُ!» (أي: هتفوا للعطية (المَلِك) ولم يهتفوا للعاطي (الله)!). {25} فَكَلَّمَ صَمُوئِيلُ الشَّعْبَ بِقَضَاءِ الْمَمْلَكَةِ (أي: ما يقتضيه النظام الملكي الجديد من حقوق وواجبات الحاكمِ والمحكومين)، وَكَتَبَهُ فِي السِّفْرِ (أي: كَتَبَهُ في كتابٍ يعتبر أول دستور مدني يحدد العلاقة بين مَلِك إسرائيل وشعب إسرائيل) وَوَضَعَهُ أَمَامَ الرَّبِّ (بالعبرية: Yahweh) (أي: في مكان العبادة؛ "في المَقْدِس sanctuary (أي: في الخيمة tabernacle ثم في الهيكل temple بعد ذلك)"[7464]). ثُمَّ أَطْلَقَ صَمُوئِيلُ جَمِيعَ الشَّعْبِ كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى بَيْتِهِ[7465]. {26} وَشَاوُلُ أَيْضًا ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ إِلَى جِبْعَةَ (Gibeah) (هي: Gibeah of Saul) (Gibeah of Benjamin) مكان إقامة شاول وأوّل عاصمة للمملكة على بُعد بضعة كيلومترات شمال أورشليم)، وَذَهَبَ مَعَهُ الْجَمَاعَةُ الَّتِي مَسَّ اللهُ قَلْبَهَا (أي: الذين أيَّدوا اختيارَ الله فقبِلوا شاولَ مَلِكاً). {27} وَأَمَّا بَنُو بَلِيَّعَالَ (بالعبرية: belial؛ أي: عديم الفائدة؛ لا نفع فيه) (يقصد: صانعو الشر؛ اللئام؛ السفهاء؛ أشر الناس وأفسقهم؛ أتباع الشيطان؛ المقاوِمون المعارضون الذين رفضوا اختيارَ الله فلم يقبلوا شاولَ مَلِكاً) فَقَالُوا: «كَيْفَ يُخَلِّصُنَا هذَا؟» [← **"قَالُوا أَنَّىٰ (أي: كَيْفَ) يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ**

عَلَيْنَا" (البقرة 247)] فَاحْتَقَرُوهُ ["ربما لأن سبطه أصغر الأسباط ولأن عشيرته هي الدنيا بين عشائر بنيامين"[7466]] **[← "قَالُوا [...] نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ" (البقرة 247) "لأننا من سِبْط الملوك ومن بيت النبوة"[7467]]** وَلَمْ يُقَدِّمُوا لَهُ هَدِيَّةً **[← "وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ" (البقرة 247)؛ أي: "ولم يُعْطَ كثرة في الأموال يستعين بها في مُلْكِه"[7468]]**. فَكَانَ كَأَصَمَّ (أي: تصرَّف شاولُ بحكمةٍ فقابل الرفض بالصمت وتظاهر بعدم السمع واحتمل تعييراتهم ليحقن الدماء ويمنع قيام ثورة أو حرب أهلية؛ وقيل إن النبي صموئيل هو الذي أمر المَلِك شاولَ - أو على الأقل نصحه - بعدم قمع أي معارضة).

أول انتصار عسكري يحققه المَلِكُ شاول بعد تنصيبه مَلِكاً مباشرة ("ويذكر في الترجمة السبعينية أنه بعد شهر"[7469]): شاول يهزم الْعَمُّونِيِّينَ (Ammonites) الذين سكنوا شرقيَّ نهر الأردن (Jordan River) (1 صموئيل 11) **[← وكذلك في القرآن بدأ طالوتُ مُلْكَه بانتصارٍ عسكري، لكن على "جَالُوتَ وَجُنُودِهِ" (أي: على الفلسطيين الذين سكنوا ساحل البحر المتوسط!) (البقرة 249-251)![7470]]**.

(1 صموئيل 11): {1} وَصَعِدَ نَاحَاشُ الْعَمُّونِيُّ (Nahash the Ammonite) وَنَزَلَ عَلَى يَابِيشِ جِلْعَادَ (Jabesh-gilead) (هي: مدينة مشهورة على جبال جِلْعَادَ شرقي نهر الأردن). فَقَالَ جَمِيعُ أَهْلِ يَابِيشَ لِنَاحَاشَ: «اقْطَعْ لَنَا عَهْدًا فَنُسْتَعْبَدَ لَكَ» (أي: أعطِنا الأمانَ فنَخضعَ لكَ؛ نحن مستعدون لإبرام معاهدة سلام، بل استسلام بدون قتال!) **[← "فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا" (البقرة 246)، أي: جَبُنوا وفرُّوا عن القتال كما توقع نَبِيُّهُمْ الذي كان قد "قَالَ [لهم] هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا" (البقرة 246)[7471]]**. {2} فَقَالَ لَهُمْ نَاحَاشُ الْعَمُّونِيُّ: «بِهذَا أَقْطَعُ لَكُمْ. بِتَقْوِير كُلِّ عَيْنٍ يُمْنَى لَكُمْ (أي: طَلَبَ الخضوعَ المطلق والعبودية الكاملة لأن تَقْوِير الأعين اليمنى يجعل الرجال عاجزين عن الحرب وراضين بالذل والمهانة) وَجَعْلِ ذلِكَ عَارًا عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ». {3} فَقَالَ لَهُ شُيُوخُ يَابِيشَ: «اتْرُكْنَا (أي: اعطنا مهلة) سَبْعَةَ أَيَّامٍ فَنُرْسِلَ رُسُلًا إِلَى جَمِيعِ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ. فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ مَنْ يُخَلِّصُنَا نَخْرُجْ إِلَيْكَ (أي: نَسْتَسْلِمَ لَكَ؛ نُذْعِنْ لِشَرْطِكَ)». {4} فَجَاءَ الرُّسُلُ إِلَى جِبْعَةِ شَاوُلَ (Gibeah of Saul) (Gibeah of Benjamin) (هي: عاصمة مُلْك شاول على بُعد بضعة كيلومترات شمال أورشليم، أي غرب نهر الأردن) وَتَكَلَّمُوا بِهذَا الْكَلاَمِ فِي آذَانِ الشَّعْبِ، فَرَفَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوْا. {5} وَإِذَا بِشَاوُلَ آتٍ وَرَاءَ الْبَقَرِ مِنَ الْحَقْلِ، فَقَالَ شَاوُلُ: «مَا بَالُ الشَّعْبِ يَبْكُونَ؟» فَقَصُّوا عَلَيْهِ كَلاَمَ أَهْلِ يَابِيشَ. {6} فَحَلَّ رُوحُ اللهِ عَلَى شَاوُلَ عِنْدَمَا سَمِعَ هذَا الْكَلاَمَ وَحَمِيَ غَضَبُهُ جِدًّا. {7} فَأَخَذَ فَدَّانَ بَقَرٍ (أي: ثَوْرَيْنِ) وَقَطَّعَهُ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ بِيَدِ الرُّسُلِ قَائِلًا: «مَنْ لاَ يَخْرُجُ وَرَاءَ شَاوُلَ [المَلِك القائد السياسي والعسكري] وَوَرَاءَ صَمُوئِيلَ [النبي القائد الديني والروحي][7472]، فَهكَذَا يُفْعَلُ بِبَقَرِهِ (أي: ستكون عقوبة المتخلف عن الجهاد هي تمزيق بَقَرِه!)». فَوَقَعَ رُعْبُ الرَّبِّ عَلَى الشَّعْبِ، فَخَرَجُوا كَرَجُلٍ وَاحِدٍ [إلى الجهاد]. {8} وَعَدَّهُمْ [شَاوُلُ] فِي بَازَقَ (Bezek) (هي: مدينة تقع شمال شكيم غرب نهر الأردن، واختاروا بَازَقَ كنقطة تجمع وانطلاق لأنها على مسافة قريبة من يَابِيش جِلْعَاد شرق نهر الأردن)، فَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ (Israel) ثَلاَثَ مِئَةِ أَلْفٍ، وَرِجَالُ يَهُوذَا (Judah)[7473][7474]

ثَلاَثِينَ أَلْفًا (أي: كان عدد يهود الشمال (إِسْرَائِيل) عشرة أضعاف عدد يهود الجنوب (يَهُوذَا)) **[← وكذلك عندما كتب المسلمون الأوائل قصةَ غزوة بدر (2هـ) – أول انتصار عسكري كبير لمحمد – قالوا إن عدد مسلمي الشمال (المدينة)، أي: الأنصار، كان تقريباً ثلاثة أو أربعة أضعاف عدد مسلمي الجنوب (مكة)، أي: المُهاجِرين[7475]!]**. ["وذكر عدد سبط يهوذا أنه ثلاثون ألفًا لأنه عدد أصغر مما يتوقع من سبط يهوذا الذي كان من أكبر الأسباط عددًا في هذا الوقت ولعل هذا بسبب كبرياء سبط يهوذا وضيقهم لأن المَلِك لم يُؤخذ من سبطهم بل من سبط بنيامين"[7476]. **[← "قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ" (البقرة 247)!]** {9} وَقَالُوا (أي: وَقَالَ شَاوُلُ وَجَيْشُهُ) لِلرُّسُلِ الَّذِينَ جَاءُوا: «هكَذَا تَقُولُونَ لأَهْلِ يَابِيشَ جِلْعَادَ: غَدًا عِنْدَمَا تَحْمَى الشَّمْسُ (أي: عند انتصاف النهار) يَكُونُ لَكُمْ خَلاَصٌ (أي: نَصرٌ)». فَأَتَى الرُّسُلُ [إلى يَابِيشَ جِلْعَادَ] وَأَخْبَرُوا أَهْلَ يَابِيشَ [ببشرى النصر القريب] فَفَرِحُوا. {10} وَقَالَ أَهْلُ يَابِيشَ [للعمونيين]: «غَدًا نَخْرُجُ إِلَيْكُمْ فَتَفْعَلُونَ بِنَا حَسَبَ كُلِّ مَا يَحْسُنُ فِي أَعْيُنِكُمْ» (أي: تظاهر أَهْلُ يَابِيشَ بالاستسلام للعمونيين كنوع من التمويه والخداع وقالوا "غَدًا" حتى لا يستعد العمونيون للحرب قبل هجوم شاول وجيشه في الصباح الباكر جداً). {11} وَكَانَ فِي الْغَدِ أَنَّ شَاوُلَ جَعَلَ الشَّعْبَ ثَلاَثَ فِرَق، وَدَخَلُوا فِي وَسَطِ الْمَحَلَّةِ (أي: عبر شاولُ وجنوده نهرَ الأردن[7477] **[← "جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ" (البقرة 249)]** وَهَجَمُوا عَلَى مُعَسْكَرِ الْعَمُّونِيِّينَ من ثلاث جهات مختلفة في نفس الوقت) عِنْدَ سَحَرِ الصُّبْحِ (أي: من الثانية حتى السادسة صباحاً) وَضَرَبُوا الْعَمُّونِيِّينَ حَتَّى حَمِيَ النَّهَارُ (أي: حَتَّى اشتداد الشمس وهو الوقت ما بين الظهر حتى الثالثة عصرًا). وَالَّذِينَ بَقُوا تَشَتَّتُوا حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ اثْنَانِ مَعًا.

هذا الانتصار العسكري كان سبباً في تثبيت شاول مَلِكاً مختاراً من الله (God's chosen king) رغم معارضة البعض في بادئ الأمر. **(1 صموئيل 11):** {12} وَقَالَ الشَّعْبُ لِصَمُوئِيلَ: «مَنْ هُمُ [المعارضون] الَّذِينَ يَقُولُونَ: هَلْ شَاوُلُ يَمْلِكُ عَلَيْنَا؟ **[← "قَالُوا أَنَّىٰ (أي: كَيفَ) يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا" (البقرة 247)]** اِيْتُوا بِالرِّجَالِ فَنَقْتُلَهُمْ». {13} فَقَالَ شَاوُلُ: «لاَ يُقْتَلْ أَحَدٌ فِي هذَا الْيَوْمِ[7478]، لأَنَّهُ فِي هذَا الْيَوْمِ صَنَعَ الرَّبُّ (أي: يهوه؛ the LORD) خَلاَصًا (أي: نَصرًا) فِي إِسْرَائِيلَ» **[← وكذلك في القصة القرآنية، نُسِبَ النَّصْرُ إلى الله وليس إلى المَلِك: "فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 251) "بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 249). وعندما كتب المسلمون الأوائل قصةَ غزوة بدر (2هـ) في قرآنهم قالوا: "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (آل عمران 126) "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (الأنفال 10) "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ" (الأنفال 17)]**. {14} وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِلشَّعْبِ: «هَلُمُّوا نَذْهَبْ إِلَى الْجِلْجَالِ وَنُجَدِّدْ هُنَاكَ الْمَمْلَكَةَ (أي: نُثبِّت مُلْكَ شاول على كل إسرائيل دون معارضة؛ أو: نُدشِّن مُلْكَ شاول بطريقةٍ تؤكد على استمرارية مُلْك الله المَلِك الأعلى[7479]، فلقد اعترف شاول بأن الرب هو الذي صنع الخلاص)» **[← وكذلك أكَّدت القصةُ القرآنية على أن المُلْك هو مُلْك الله "وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ (أي: مُلْكَ الله) مَن يَشَاءُ" (البقرة 247)]**. {15} فَذَهَبَ كُلُّ الشَّعْبِ إِلَى الْجِلْجَالِ وَمَلَّكُوا هُنَاكَ شَاوُلَ أَمَامَ الرَّبِّ

فِي الْجِلْجَالِ، وَذَبَحُوا هُنَاكَ ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ أَمَامَ الرَّبِّ. وَفَرِحَ هُنَاكَ شَاوُلُ وَجَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ جِدًّا (أي: اتحد كُلُّ شعب إسرائيل تحت قيادة المَلِك شاول ولم يعارضه أحدٌ).

ومع أن هذا الانتصار العسكري الذي حققه المَلِكُ شاول بعد تنصيبه مَلِكاً مباشرة أكَّد لجميع بني إسرائيل أن عصر القضاة قد انتهى إلى الأبد وعصر الملوك قد بدأ، إلا أن النبي والقاضي صموئيل وبَّخ كُلَّ إِسْرَائِيلَ على أنهم وضعوا ثقتَهم في مَلِكٍ بشري بدلاً من الرب الإله، "وهي مسألة يراها صموئيلُ ارتداداً روحياً (a serious apostasy) وخطيئة عظيمة (a covenant-breaking act)"[7480]. اقرأ خطاب صموئيل الوداعي (Samuel's Farewell Speech). **(1 صموئيل 12):** {1} وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِكُلِّ إِسْرَائِيلَ: «هأَنَذَا قَدْ سَمِعْتُ لِصَوْتِكُمْ فِي كُلِّ مَا قُلْتُمْ لِي وَمَلَّكْتُ عَلَيْكُمْ مَلِكًا. {2} وَالآنَ هُوَذَا الْمَلِكُ يَمْشِي أَمَامَكُمْ. وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ شِخْتُ وَشِبْتُ، وَهُوَذَا أَبْنَائِي مَعَكُمْ. وَأَنَا قَدْ سِرْتُ أَمَامَكُمْ مُنْذُ صِبَايَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. {3} هأَنَذَا فَاشْهَدُوا عَلَيَّ قُدَّامَ الرَّبِّ وَقُدَّامَ مَسِيحِهِ (YHWH's Anointed) (أي: مَلِكِهُ المَمْسُوح؛ يقصد: الْمَلِكِ شاول): ثَوْرَ مَنْ أَخَذْتُ؟ وَحِمَارَ مَنْ أَخَذْتُ؟ وَمَنْ ظَلَمْتُ؟ وَمَنْ سَحَقْتُ؟ وَمِنْ يَدِ مَنْ أَخَذْتُ فِدْيَةً لأُغْضِيَ عَيْنَيَّ (أي: لأغْمِض عَيْنَيَّ) عَنْهُ، فَأَرُدَّ لَكُمْ؟» {4} فَقَالُوا: «لَمْ تَظْلِمْنَا وَلاَ سَحَقْتَنَا وَلاَ أَخَذْتَ مِنْ يَدِ أَحَدٍ شَيْئًا». {5} فَقَالَ لَهُمْ: «شَاهِدٌ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ وَشَاهِدٌ مَسِيحُهُ (YHWH's Anointed) (أي: مَلِكِهُ المَمْسُوح؛ يقصد: الْمَلِكُ شاول) الْيَوْمَ هذَا، أَنَّكُمْ لَمْ تَجِدُوا بِيَدِي شَيْئًا». فَقَالُوا: «شَاهِدٌ». {6} وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِلشَّعْبِ: «[شَاهِدٌ] الرَّبُّ الَّذِي أَقَامَ مُوسَى وَهَارُونَ، وَأَصْعَدَ آبَاءَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. {7} فَالآنَ امْثُلُوا فأُحَاكِمَكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ بِجَمِيعِ حُقُوقِ (أو: مُعَامَلاتِ؛ مَبَرَّاتِ) الرَّبِّ الَّتِي صَنَعَهَا مَعَكُمْ وَمَعَ آبَائِكُمْ. {8} لَمَّا جَاءَ يَعْقُوبُ إِلَى مِصْرَ وَصَرَخَ آبَاؤُكُمْ إِلَى الرَّبِّ، أَرْسَلَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ فَأَخْرَجَا آبَاءَكُمْ مِنْ مِصْرَ وَأَسْكَنَاهُمْ فِي هذَا الْمَكَانِ (أي: أرض كنعان). {9} فَلَمَّا نَسُوا الرَّبَّ إِلهَهُمْ، بَاعَهُمْ لِيَدِ سِيسَرَا رَئِيسِ جَيْشِ حَاصُورَ[7481]، وَلِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَلِيَدِ مَلِكِ مُوآبَ فَحَارَبُوهُمْ. {10} فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ وَقَالُوا: أَخْطَأْنَا لأَنَّنَا تَرَكْنَا الرَّبَّ وَعَبَدْنَا الْبَعْلِيمَ (Baals) وَالْعَشْتَارُوثَ (Ashtoreths) (أي: عَبَدْنَا الأوثان). فَالآنَ أَنْقِذْنَا مِنْ يَدِ أَعْدَائِنَا فَنَعْبُدَكَ. {11} فَأَرْسَلَ الرَّبُّ [قُضَاةً مثل] يَرُبَّعَلَ (أي: جدعون) وَبَدَانَ[7482] وَيَفْتَاحَ وَصَمُوئِيلَ، وَأَنْقَذَكُمْ مِنْ يَدِ أَعْدَائِكُمُ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ فَسَكَنْتُمْ آمِنِينَ. {12} وَلَمَّا رَأَيْتُمْ نَاحَاشَ مَلِكَ بَنِي عَمُّونَ آتِيًا عَلَيْكُمْ، [بدلًا من أن تصرخوا إلى الرَّبِّ إِلَهِكُمْ ليُخلِّصكم كما خلَّص آباءكم أيام الخروج من مصر وغزو كنعان وعصر القضاة] قُلْتُمْ لِي: لاَ بَلْ يَمْلِكُ عَلَيْنَا مَلِكٌ. وَالرَّبُّ إِلهُكُمْ مَلِكُكُمْ (أي: مَعَ أَنَّ الرَّبَّ إِلَهكُمْ هُوَ مَلِكُكُمْ!). {13} فَالآنَ هُوَذَا [شاول] الْمَلِكُ الَّذِي اخْتَرْتُمُوهُ، الَّذِي طَلَبْتُمُوهُ، وَهُوَذَا قَدْ جَعَلَ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ مَلِكًا **[← "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ [صَمُوئِيلُ] إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا" (البقرة 247)].** {14} إِنِ اتَّقَيْتُمُ الرَّبَّ وَعَبَدْتُمُوهُ وَسَمِعْتُمْ صَوْتَهُ وَلَمْ تَعْصُوا قَوْلَ الرَّبِّ، وَكُنْتُمْ أَنْتُمْ وَالْمَلِكُ أَيْضًا الَّذِي يَمْلِكُ عَلَيْكُمْ وَرَاءَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ [تَكُنْ يَدُ الرَّبِّ معكم]. {15} وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَ الرَّبِّ بَلْ عَصَيْتُمْ قَوْلَ الرَّبِّ، تَكُنْ يَدُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ كَمَا [كانت] عَلَى آبَائِكُمْ [عندما زاغوا عن الرَّبِّ]. (يقصد: سيظل الرَّبُّ هو المَلِك السماوي Heavenly King الأعلى من المَلِك الأرضي) {16} فَالآنَ امْثُلُوا أَيْضًا وَانْظُرُوا هذَا الأَمْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي يَفْعَلُهُ الرَّبُّ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ (يقصد: معجزةً تثبت وجود المَلِك السماوي وقدرته وعجز

المَلِك الأرضي أن يفعل مثها). {17} أَمَا هُوَ حَصَادُ الْحِنْطَةِ الْيَوْمَ؟ (يقصد: نحن الآن في أواخر الربيع وأوائل الصيف والمطرُ لا ينزل في هذا الموسم الجاف) فَإِنِّي أَدْعُو الرَّبَّ فَيُعْطِي رُعُودًا وَمَطَرًا فَتَعْلَمُونَ وَتَرَوْنَ أَنَّهُ عَظِيمٌ شَرُّكُمُ الَّذِي عَمِلْتُمُوهُ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ بِطَلَبِكُمْ لأَنْفُسِكُمْ مَلِكًا». {18} فَدَعَا صَمُوئِيلُ الرَّبَّ فَأَعْطَى رُعُودًا وَمَطَرًا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ. وَخَافَ جَمِيعُ الشَّعْبِ الرَّبَّ وَصَمُوئِيلَ جِدًّا. {19} وَقَالَ جَمِيعُ الشَّعْبِ لِصَمُوئِيلَ: «صَلِّ عَنْ عَبِيدِكَ (أي: اشفع لنا) إِلَى الرَّبِّ إِلهِكَ حَتَّى لاَ نَمُوتَ، لأَنَّنَا قَدْ أَضَفْنَا إِلَى جَمِيعِ خَطَايَانَا شَرًّا بِطَلَبِنَا لأَنْفُسِنَا مَلِكًا». {20} فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِلشَّعْبِ: «لاَ تَخَافُوا. إِنَّكُمْ قَدْ فَعَلْتُمْ كُلَّ هذَا الشَّرِّ، وَلكِنْ لاَ تَحِيدُوا عَنِ الرَّبِّ، بَلِ اعْبُدُوا الرَّبَّ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ، {21} وَلاَ تَحِيدُوا. لأَنَّ ذلِكَ وَرَاءَ الأَبَاطِيلِ (يقصد: لا تعبدوا الأوثانَ) الَّتِي لاَ تُفِيدُ وَلاَ تُنْقِذُ، لأَنَّهَا بَاطِلَةٌ. {22} لأَنَّهُ لاَ يَتْرُكُ الرَّبُّ شَعْبَهُ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ الْعَظِيمِ (أي: لأن الرب يريد أن يعلن اسمَه القدير بين الأمم عن طريق إنقاذ شعبه). لأَنَّهُ قَدْ شَاءَ الرَّبُّ أَنْ يَجْعَلَكُمْ لَهُ شَعْبًا. {23} وَأَمَّا أَنَا فَحَاشَا لِي أَنْ أُخْطِئَ إِلَى الرَّبِّ فَأَكُفَّ عَنِ الصَّلاَةِ (أي: الدعاء؛ الشفاعة) مِنْ أَجْلِكُمْ، بَلْ أُعَلِّمُكُمُ الطَّرِيقَ الصَّالِحَ الْمُسْتَقِيمَ (أي: دور صموئيل كنبي له سلطة دينية أعلى من سلطة المَلِك سيستمر ولم ينتهِ؛ إذن: خطاب صموئيل ليس وداعاً ولا استقالةً)[7483]. {24} إِنَّمَا اتَّقُوا الرَّبَّ وَاعْبُدُوهُ[7484] بِالأَمَانَةِ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، بَلِ انْظُرُوا فِعْلَهُ الَّذِي عَظَّمَهُ مَعَكُمْ. {25} وَإِنْ فَعَلْتُمْ شَرًّا فَإِنَّكُمْ تَهْلِكُونَ أَنْتُمْ وَمَلِكُكُمْ جَمِيعًا». (يقصد: سيظل الرَّبُّ هو المَلِك الإلهي Divine King الأعلى من المَلِك البشري؛ فلسنا نؤسس عهداً جديداً بعيداً عن الله وإنما نحن نجدد العهدَ مع الله).

وبعد أن استقر الأمرُ للمَلِك شاول بدأ يتجهَّز لمحاربة الفلسطيين (Philistines) الذين كانوا قد استولوا على "تابوت العهد" (The Ark of the Covenant) **[⟵ "التَّابُوت" (البقرة 248)]** في عهد صموئيل النبي قاضي إسرائيل، أي: **<u>قبل</u>** تنصيب شاول ملكاً. فيجب أن نرجع بالزمن إلى الوراء لنسأل مَن هُمْ الفِلِسْطِيّون (أو: الفِلِسْتِيّون) الذين تُسمِّيهم المراجع المسيحية العربية خطأً "الفلسطينيون"؟! ...

4.44.2 مَن هُمْ الفِلِسْطِيّون (أو: الفِلِسْتِيّون)؟ وهَل هُم أجداد الفلسطينيين الحاليين؟!

كان "الفِلِسْطِيّون" أو "الفِلِسْتِيّون" (Philistines) (ومفردها: فِلِسْطِيٌّ؛ أو: فِلِسْتِيٌّ) أعداء تقليديين لبني إسرائيل، بل أعداء الله، في القرن الثاني عشر قبل الميلاد وما بعده حتى اختفوا تماماً من على الساحة قبل الميلاد. ونؤكد من البداية على أنه **<u>لا</u>** يوجد أي دليل علمي يثبت وجود أية علاقة تاريخية بين "الفِلِسْطِيّين" القدماء و "الفلسطينيين" (Palestinians) العرب الحاليين. وحتى إن وُجدت علاقةٌ، فهي لن تُشرّف الفلسطينيين الحاليين لأن هؤلاء الفلسطيين القدماء كانوا مجموعة من الْمُخَرّبين الذين جاءوا من منطقة بحر إيجة (Aegean region) - أو جاءوا عبرها - وهجموا على المدن، وبخاصة المدن الساحلية على ساحل البحر المتوسط في شمال مصر وشرق البحر المتوسط، وبالتأكيد كانوا وثنيين ومشركين وليسوا مثل بني إسرائيل المؤمنين الموحدين بالله الذين كانوا يعيشون بين البحر المتوسط غرباً ونهر الأردن شرقاً (أي: من

النهر إلى البحر)! ثم إن الفلسطيين انتهى أمرهم قبل الميلاد؛ أي: منذ أكثر من 2000 سنة! قال قاموس الكتاب المقدس: "أما في العهد الجديد فليس لهم أي ذكر. والظاهر أنهم كانوا قد اندمجوا في النهاية في الأمة اليهودية"[7485].

فلا نرى أمامنا أي احتمال لوجود أية علاقة تاريخية بين الفِلِسْطِيّين القدماء والفلسطينيين الحاليين. العلاقة الوحيدة هي تشابه الاسمين فقط، وهي علاقة مصطنعة وغير حقيقية ولم تنشأ إلا متأخراً جداً في الحقبة الإغريقية-الرومانية (Hellenistic-Roman)[7486]؛ ولا غرابة في ذلك فلقد جاء الإغريق من نفس المنطقة التي جاء منها الفلسطيون. وأثناء الاحتلال الروماني للأراضي اليهودية المقدسة (أرض إسرائيل (Ereẓ Israel) التاريخية) وتحديداً في القرن الثاني الميلادي، اشتق المحتل الروماني الوثني المشرك اسمَ "فلسطين" (Palestine) من اسم الفِلِسْطِيّين (Philistines) الوثنيين المشركين الذين كانوا قديماً أعداء بني إسرائيل المؤمنين الموحدين، وأطلق هذا الاسم على أرض إسرائيل التي تقع بين البحر المتوسط غرباً ونهر الأردن شرقاً (أي: من البحر إلى النهر!) ربما بهدف قتل الروح الدينية والقومية في نفوس اليهود أصحاب الأرض[7487]. يقول قاموس الكتاب المقدس: "وفي الرسالة إلى العبرانيين (9:11) تدعى البلاد أرض الموعد. وبعد الميلاد دعاها الكتّاب اليونانيون واللاتينيون فلسطينة"[7488]. وكان قبل ذلك اسمها أرض إسرائيل (Ereẓ Israel) وقبل ذلك كنعان (Canaan)[7489].

ويجب أن نتنبَّه إلى أن الرومان أطلقوا اسمَ فلسطين على الأرض وليس على الشعب، إذ لم يكن آنذاك شعبٌ اسمه "الشعب الفلسطيني" أو "الفلسطينيون". إذن: فلسطين = أرض إسرائيل المحتلة. وبعد الرومان، احتلها العرب (المسلمون؟) في القرن السابع الميلادي، ثم الأتراك المسلمون ثم البريطانيون المسيحيون، وأخيراً حررها أصحابُها الإسرائيليون اليهود في القرن العشرين الميلادي. أما البروباجاندا الإسلامية/العربية الضالة المضللة فتناقض التاريخَ وتحاول أن توهمنا أن إسرائيل هي أرض فلسطين المحتلة! لكن العكس هو الصحيح: فلسطين هي أرض إسرائيل المحتلة. لمَّا كانت هذه الأرض محتلة، كان اسمها فلسطين. ولقد حررها أصحابُها الإسرائيليون اليهود في القرن العشرين الميلادي وأعادوا قيامَ دولة إسرائيل العبرية 1948م[7490]. ولذلك فنحن اليوم نفضل عدم استخدام كلمة "فلسطين" نهائياً؛ ومن حُسن الحظ أن الكلمات البديلة موجودة: إسرائيل وغزة ويهودا والسامرة (الضفة الغربية).

أما الفلسطينيون الحاليون فَهُمْ بقايا الاحتلال العربي-الإسلامي البغيض لأرض إسرائيل الذي انتهى بانتهاء الخلافة الإسلامية في القرن العشرين الميلادي، وليس لهم أية علاقة تاريخية بالفِلِسْطِيّين القدماء. ولذلك فنحن اليوم نفضل عدم استخدام كلمة "الفلسطينيين" نهائياً؛ ومن حُسن الحظ أن الكلمات البديلة موجودة: عرب إسرائيل وعرب غزة وعرب يهودا والسامرة (عرب الضفة الغربية).

وما يهمنا في هذه المسألة هو أن نقول إنه من الخطأ الشديد ترجمة كلمة "الفِلِسْطِيّين" (Philistines) إلى "الفلسطينيين" كما هو الحال في الترجمة العربية للكتاب المقدس "ڤاندايك"! ومن الخطأ الشديد أيضاً

ترجمة كلمة "فِلِسطيَّة" (Philistia) إلى "فلسطين"! علماً بأنه توجد ترجمات وتفاسير مسيحية عربية أخرى تستخدم الكلمات الصحيحة، مثل الترجمة العربية المشتركة والترجمة العربية المُبَسَّطَة والتفسير العربي المعاصر. (بل توجد مراجع إسلامية، نعم إسلامية، تستخدم أحياناً الكلمات الصحيحة، فتقول "الفلستيون" و "الفلستي"[7491].) لكن بما أننا قررنا من البداية الاعتماد بشكل أساسي على ترجمة ڤانديك لأنها الأوسع انتشاراً في العالم العربي، فإننا سنلتزم بهذه الترجمة حين ننقل من المراجع المسيحية العربية. وسنكتفي بالتنويه إلى خطأ ترجمة ڤانديك في هذه الكلمات. وننوه أيضاً إلى أننا لاحظنا أن المراجع العربية بصفة عامة تستخدم كلمة "فلسطين" حتى لو كانت كلمة "إسرائيل" أو "كنعان" هي الأصح تاريخياً والأكثر دقة في السياق! وهذا طبعاً بسبب كراهية العرب لإسرائيل؛ أي: لأسباب سياسية وعاطفية غير تاريخية وغير علمية.

يقول قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان "فلسطينيون"[7492]:

> [...] وفي سنة 1194 ق.م (أي: في القرن الثاني عشر قبل الميلاد) هزم رعمسيس الثالث [مَلِكُ مصر] "شعوبَ البحر" (Sea Peoples) في حملة حربية قاموا بها عليه في الدلتا. وفي سنة 1190 [ق.م] رد حملة أخرى في سوريا قام بها هؤلاء الغزاة براً وبحراً. وكان من بينهم الفليساتي (الفلسطينيون) وغيرهم من كاريين وليكيين واخائيين وجماعات أخرى ذات صلة قرابة باليونانيين. والفلسطينيون على الأرجح من حوض البحر المتوسط من أصل ليكي – كارى (في جنوب غربي آسيا الصغرى) وقد غزوا جزيرة كريت واستقروا في القسم الشرقي منها برهة من الزمان. ثم اشتركوا في الحملة الكبرى التي هزمهم فيها رعمسيس الثالث كما سبق ذكره. إلا أن بعض الغزاة بقوا في سوريا وبالتالي وصلوا فلسطين (أرض الفلسطينيين). أو ربما قام الكريتيون والفلسطينيون بهجرة سلمية إلى فلسطين.
>
> ومهما يكن من أمر فإن الفلسطينيين في أيام خروج بني إسرائيل كانوا شعباً عظيماً ذا بأس. وكانت مدنهم الحصينة غَزَّة (Gaza) وَأَشْقَلُون (Ashkelon) وَأَشْدُود (Ashdod) وَعَقْرُون (Ekron) تتاخم الطريق الساحلية المؤدية من مصر إلى كنعان من بعد اجتياز الصحراء. ولمَّا لم يكن العبرانيون المهاجرون من مصر مع نسائهم وأطفالهم وماشيتهم مستعدين للقيام بأعمال حربية يشقون بها طريقهم إلى أرض الكنعانيين فقد أرشدوا إلى اتخاذ طريق أخرى (الخروج 13:17-18). ولم يهاجم يشوع بعد ذلك المدن التي على الساحل ولا مدينة جَتّ (Gath) في الهضاب السفلى (يشوع 13:2-3) (القضاة 3:3). وإنما بعد موت يشوع أخذ يهوذا غزة وأشقلون وعقرون (القضاة 1:18). وضرب شَمْجَرُ (هو: أحد قضاة بني إسرائيل) 600 رجل مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ بِمِنْسَاسِ الْبَقَرِ (أي: عصا طويلة في طرفها حديدة حادة لِنَخْسِ البقر) (القضاة 3:31). إلا أن الفلسطينيين استردوا هذه المدن وسقط العبرانيون في قبضتهم (القضاة 10:6-7). ثم أنقذوا [(القضاة 10:11)]. ثم عادوا فذلوا للفلسطينيين أربعين سنة [(القضاة 13:1)]، أنقذهم بعدها شمشون. إلا أن الفلسطينيين كانوا في النهاية سبب هلاكه (القضاة 14–16). ثم هزموا العبرانيين في أول عهد صموئيل وأخذوا تابوت الله (1 صموئيل 4–6). [...]

أما الأب متى المسكين فيبدو لنا أنه يؤيد الرَّأْيَ الآخر الذي يقول إن الفلسطيين (الفلسطينيين) غزوا أرضَ كنعان بعد أن غزاها العبرانيون (الإسرائيليون). يقول الأب متى المسكين[7493]:

الفلسطينيون:

موطنهم الأصلي جزر بحر إيجه في خليج اليونان، غزوا لبنان والساحل الشرقي لفلسطين وتركَّزوا في الجنوب وتمركزوا في خمس مدن حصينة: أَشْدُود وعسقلان (أَشْقَلُون) وغَزَّة وعَقْرُون وجَتّ بالقرب من الساحل. ويرى بعض المؤرّخين، وعلى رأسهم العالِم برايت، أنهم غزوا أرض فلسطين ربما بعد غزو إسرائيل بقليل وعاشوا مع إسرائيل جنباً إلى جنب، ولكن في احتكاك من حين إلى حين في البداية، ولكن هذا الاحتكاك احتدم جداً طول عصر القضاة، ووصل بهم الأمر لمهاجمة إسرائيل بتخطيط منظَّم بغرض الإبادة، وألحقوا بها خسائر فادحة.

لم يكن عددهم كبيراً، ولكنهم كانوا متمرسين في الحرب واستظهروا على الكنعانيين وحكموهم. ولكن إذ لم تكن هناك اختلافات جوهرية بين الشعبين الكنعاني والفلسطيني فقد تصاهروا والتحموا وعبدوا نفس الآلهة. والفلسطينيون ظلوا محتفظين بطابعهم العسكري المدرَّب والمؤهَّل بدرجة عالية جداً في القتال. وكان الفلسطينيون دائماً متحفزين للقتال، وعلى حذر شديد من إسرائيل، خوفاً على أمنهم وسلامة طرق تجارتهم التي كانت ممتدة من داخل البلاد حتى الساحل والحدود الغربية التي احتفظوا بها تحت قيادتهم وسيطرتهم.

وهكذا شكَّل الفلسطينيون منذ البدء عنصر تهديد لكيان شعب إسرائيل، خاصة وأن كيان الفلسطينيين لم يكن محصوراً في قبيلة حتى يمكن مواجهتها، بل كانوا جماعةً متهيّئة دائماً للحرب، جنوداً هواةَ تسلُّحٍ وأسلحةٍ – وجُلْيَات الجبَّار مَثَل واضح – وقد ساعدهم على ذلك احتكارهم لصناعة الحديد في كل الأرض [(1 صموئيل 13:19-22)] حتى اضطر شعب إسرائيل أن يشتري منهم السلاح.

وقد تفنَّنوا في تطوير صناعة الرمح والدرع (1 صموئيل 17:4-7) والعجلات الحربية ذات الجوانب الثلاثة. وبالرغم من أنه لم تكن لهم حكومة [مركزية] أو مَلِك [واحد]، إلا أنهم كانوا شعباً مؤتلفاً متضامناً بنظام لم يعرفه لا الكنعانيون ولا إسرائيل.

ويوجد رأي ثالث يقول إن الفلسطيين غزوا أرضَ كنعان من الغرب في نفس الوقت تقريباً الذي غزاها الإسرائيليون من الشرق. يقول "الكتاب اليهودي الدراسي" (Jewish Study Bible)[7494]:

Sea Peoples remnants of the Mycenean or Aegean civilizations, which collapsed towards the end of the second millennium BCE. Some of these

people sailed eastward on the Mediterranean and attacked those living along the **littoral** [i.e. the region lying along the shore of the sea]; they were repulsed from Egypt (ca. 1190 [BCE]) and settled along the coast of Canaan at about the same time the Israelites were entering the land from the other direction. The biblical **Philistines** are among the Sea Peoples.
Philistines a group from the **Sea Peoples**, who invaded and settled on the coastal region of Canaan. They had been repulsed from an invasion of Egypt (ca. 1190 BCE). The five major Philistine cities (the **Pentapolis**) were Ashdod, Ashkelon, Ekron, Gath, and Gaza.
The *Philistines* – from which the name Palestine was derived in the Hellenistic-Roman period – came from the area of the Aegean Sea and settled on the eastern Mediterranean coast about 1200 BCE. According to the Bible their origin was from Caphtor (Jeremiah 47.4; Amos 9.7), which is identified with Crete.

وفي جميع الأحوال، ما يهمنا هنا هو أن الفلسطينيين (الفلسطيين) كانوا أجانب غرباء وافدين دخلاء على المنطقة التي تُعْرَف حالياً باسم "العالم العربي" أو "الوطن العربي"[7495]. تقول دائرة المعارف الكتابية: "الفلسطينيين الذين قدموا من غربي الأناضول وجنوبي بلاد اليونان وكريت وقبرص"[7496]؛ أي: من خارج المنطقة التي تُعْرَف حالياً باسم "العالم العربي" أو "الوطن العربي". فلقد كان الفلسطينيون (الفلسطيون) شعباً آخر غير الكنعانيين وغير العبرانيين (الإسرائيليين)، وإن اتفقوا مع الكنعانيين في كونهم وثنيين مشركين لا "يستطيعون التفكير إلا من منطلق تعدد الآلهة"[7497] وغير ساميّين. "فمن زمن حُكم القضاة، حتى نهاية مُلْكِ داود، كان الفلسطينيون "شعوب البَحْر" العدو الدائم لإسرائيل. فَهُمْ كانوا مهاجرين غير ساميّين (راجع التكوين 14:10؛ 1 أخبار الأيام 12:1؛ إرميا 47:4-5؛ عاموس 7:9) استوطنوا المناطق الساحليَّة الجنوبيَّة [الغربيَّة] من أرض كنعان، وقد ركَّزوا سلطتهم في خمس مدن رئيسيَّة: أَشْدُود وأَشْقَلُون وعَقْرُون وجَتّ وغَزَّة (1 صموئيل 17:6؛ القضاة 3:3)"[7498]. وتقول دائرة المعارف الكتابية أيضاً[7499]:

فلسطينيون: أولاً: كان الفلسطينيون شعباً مولعاً بالحرب، ويظن أنهم جاءوا أصلاً من منطقة بحر إيجة، واستوطنوا الجزء الجنوبي الغربي من أرض كنعان، على ساحل البحر المتوسط، والذي يُعْرَف في الكتاب المقدس

بأرض الفلسطينيين. وقد بلغوا أوج عظمتهم فيما بين 1200، 1000 ق.م. وكانوا في ذلك العهد أعدى الأعداء لإسرائيل.

(1) – الاسم: جاء الاسم "فلسطينيون" في العبرية من اسم "فلسطيا" وهي المنطقة التي استوطنها أولئك القوم، كما ورد الاسم "فلسط" في السجلات المصرية منذ السنة الثامنة لرمسيس الثالث (نحو 1188 ق.م.). وجاء في النصوص الأشورية "فلسطى" و "فالاسطو" وحيث أن الاسم لا يبدو سامياً، فالأرجح أنه من أصل "هندى أوربي" (آري).

إذن: فلسطيا (Philistia) أو أرض الفلسطيين (Philistines) هي فقط تلك المنطقة الصغيرة الواقعة في جنوب غرب كنعان/إسرائيل على شاطئ البحر المتوسط، ومدنها الرئيسية خمس فقط هي: غَزَّة وأَشْقَلُون وجَتّ وأَشْدُود وعَقْرُون. هذه المنطقة الساحلية الصغيرة الضيقة فقط هي فلسطين/فلسطيا أو أرض الفلسطينيين/الفلسطيين. فأورشليم (القدس) مثلاً **لا** تقع في فلسطين، بل إنها بعيدة جداً عن فلسطين. وكذلك بيت لحم والخليل (حَبْرُون) ونابلس (شكيم) وكل مدن ما تُسمَّى حالياً "الضفة الغربية" (واسمها التاريخي الصحيح: اليهودية والسامرة) (Judea and Samaria) (Yehudah ve-Shomron) كلها **لا** تقع في فلسطين، بل إنها بعيدة جداً عن فلسطين. بل إن حتى مدن فلسطين الخمس غَزَّة وأَشْقَلُون وجَتّ وأَشْدُود وعَقْرُون، لم تكن للفلسطينيين فيها سلطة مركزية واحدة دائماً، فلقد "كانت كلّ مدينة [من تلك المدن الخمس] يحكمها مَلِك أو حاكم يعاونه الرؤساء. يجتمع هؤلاء معاً كلّما دعت الحاجة للقتال"[7500]. أما الآيات التوراتية - مثل (التكوين 32:21، 34:21، 1:26، 8:26، 14:26-15، 18:26) (الخروج 17:13، 14:15، 31:23) - التي تستخدم كلمةَ فلسطيا أو الفلسطيين للإشارة إلى هذه المنطقة الساحلية الصغيرة الضيقة وساكنيها، فإنها إما مفارقة تاريخية (anachronism)[7501] وإما المقصود هُمْ "التجّار الإيجيين، المهاجرين الأوائل الذين سكنوا على الشاطئ الجنوبيّ الغربيّ من أرض كنعان. هؤلاء كانوا أسلاف الوافدين الفلسطينيين في القرن الثاني عشر ق م"[7502]. ونحن نؤيد الرأي الأول: إنها مفارقة تاريخية كبيرة في التوراة فلا يمكن الاعتماد عليها أبداً في أي بحث علمي جاد.

وفي بداية عهد صموئيل النبي، أي: **قبل** تنصيب شاول ملكاً، هزم الفلسطيون إسرائيلَ واستولوا على "تابوت العهد" (The Ark of the Covenant) **[← "التَّابُوت" (البقرة 248)]** ...

"وَكَبِرَ [الصَّبِيُّ] صَمُوئِيلُ وَكَانَ الرَّبُّ مَعَهُ، وَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا مِنْ جَمِيعِ كَلاَمِهِ يَسْقُطُ إِلَى الأَرْضِ. وَعَرَفَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ مِنْ دَانَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ (أي: من أقصى شمال إسرائيل إلى أقصى جنوبها؛ والمقصود: في كل مكان في إِسْرَائِيلَ) أَنَّهُ قَدِ اؤْتُمِنَ صَمُوئِيلُ نَبِيًّا لِلرَّبِّ (a prophet of YHWH). وَعَادَ الرَّبُّ يَتَرَاءَى فِي شِيلُوهَ (Shiloh) (هي: مدينة قديمة مِن مدن أَفْرَايِم - بين أورشليم جنوباً وشكيم شمالاً - وكانت مركزاً للعبادة

لبني إسرائيل لمدة قرون طويلة قبل أورشليم)، لأَنَّ الرَّبَّ اسْتَعْلَنَ (أي: أعلَنَ ذَاتَهُ؛ تَجَلَّى) لِصَمُوئِيلَ فِي شِيلُوهَ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ" (1 صموئيل 3:19-21).

هذه القصة حدثت **قبل** تنصيب شاول ملكاً، وفي أواخر أيام حياة "عَالِي" (Eli) الْكَاهِنِ والقاضي الذي كان يعتني بصموئيل في طفولته وصباه. **(1 صموئيل 4):** {1} وَكَانَ كَلاَمُ [النبي] صَمُوئِيلَ إِلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ. وَخَرَجَ إِسْرَائِيلُ لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِلْحَرْبِ، وَنَزَلُوا عِنْدَ حَجَرِ الْمَعُونَةِ (Eben-ezer) (هو: موقع يُرجح أنه كان على مقربة من شرقي أفيق)، وَأَمَّا الْفِلِسْطِينِيُّونَ فَنَزَلُوا فِي أَفِيقَ (Aphek) (هي: مدينة في سهل شارون الذي يقع في الجزء الأوسط من ساحل البحر المتوسط في إسرائيل؛ تبعد حوالي 12 ميلاً شمال شرقي مدينة يافا الساحلية)[7503]. {2} وَاصْطَفَّ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لِلِقَاءِ إِسْرَائِيلَ، وَاشْتَبَكَتِ الْحَرْبُ فَانْكَسَرَ إِسْرَائِيلُ أَمَامَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَضَرَبُوا مِنَ الصَّفِّ فِي الْحَقْلِ (أي: في أرض المعركة) نَحْوَ أَرْبَعَةِ آلاَفِ رَجُل. {3} فَجَاءَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَحَلَّةِ (أي: معسكر الجيش). وَقَالَ شُيُوخُ إِسْرَائِيلَ: «لِمَاذَا كَسَّرَنَا الْيَوْمَ الرَّبُّ أَمَامَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ؟ لِنَأْخُذْ لأَنْفُسِنَا مِنْ شِيلُوهَ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ **[← "التَّابُوت" (البقرة 248)]** فَيَدْخُلَ [الرَّبُّ] فِي وَسَطِنَا (thus He will be present among us) وَيُخَلِّصَنَا مِنْ يَدِ أَعْدَائِنَا»[7504]. {4} فَأَرْسَلَ الشَّعْبُ إِلَى شِيلُوهَ وَحَمَلُوا مِنْ هُنَاكَ تَابُوتَ عَهْدِ رَبِّ الْجُنُودِ **[← "التَّابُوت" (البقرة 248)]** الْجَالِسِ عَلَى الْكَرُوبِيمِ (cherubim؛ مجموعة من الملائكة أو حَمَلة العرش الإلهي[7505][7506]) **[← "تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ" (البقرة 248)]**. وَكَانَ هُنَاكَ ابْنَا عَالِي (Eli) [الْكَاهِنِ] حُفْنِي وَفِينَحَاسُ مَعَ تَابُوتِ عَهْدِ اللهِ **[← "التَّابُوت" (البقرة 248)]**.

"إنّ تابوت العهد علامة على حضور ربّ الجنود الذي كان يسير أمامهم لمقاتلة الأعداء. [...] والتابوت صورة تُمثِّل عرش يهوه المَلِك الذي يجلس عليه، وعلامة الحضور الإلهي، كما تشير خِراطة الكروبَين اللذين على غطاء التابوت (الخروج 25:18-21). والكاروبَين شبيهَة بالحيوانات المجنّحة التي تحيط بالعروش المَلَكيّة (الإلهيّة) كما في آثار سوريّا القديمة. هذه "الأيقونة" علامة ظاهرة على حضور يهوه أمام شعبه ليقودهم كما في البريّة [...] أو يقودهم أمام الجيوش في المعارك المقدّسة [...]"[7507]. "وقد كانوا محقين في الاعتقاد بأن هناك ارتباطاً بين حضور الرب في وسط الشعب ووجود التابوت [...]، ولا شك أنهم تذكروا تواجد التابوت في بعض الانتصارات المهمة في تاريخ بني إسرائيل [...]. إلا أنهم أخطأوا في ظنهم بأن حضور الرب مع التابوت أمر مفروغ منه وليس خاضعاً لرغبة الرب نفسه. وَهُمْ في هذا يعبرون عن الاعتقاد الوثني بأن الإله يتحد برمز حضوره (the pagan notion that the deity is identified with the symbol of his presence)، وبأنه يمكن نوال بركات الله تلقائياً بالتحكم في هذا الرمز"[7508]. "لقد انحدر فهمهم الروحي إلى حد ظنهم بوجود علاقة مادية بين الله والتابوت، وأن الله لن يترك نفسه يُسْبَى أو يُغْلَب، بل لاَ بُدَّ أن يتدخل ويمنحهم النصرة"[7509]. فبدلاً من أن يلجأوا إلى الحل الإلهي وهو التوبة والرجوع إلى الرب، لجأوا إلى الحل الوثني وهو إحضار التابوت (الرب) إلى أرض المعركة!

الْفِلِسْطِينِيُّون ينتصرون على الْعِبْرَانِيِّينَ! **(1 صموئيل 4):** {5} وَكَانَ عِنْدَ دُخُولِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ هَتَفُوا هُتَافًا عَظِيمًا حَتَّى ارْتَجَّتِ الأَرْضُ. {6} فَسَمِعَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ صَوْتَ الْهُتَافِ فَقَالُوا: «مَا هُوَ صَوْتُ هذَا الْهُتَافِ الْعَظِيمِ فِي مَحَلَّةِ الْعِبْرَانِيِّينَ؟» وَعَلِمُوا أَنَّ تَابُوتَ الرَّبِّ **[⟵ "التَّابُوت" (البقرة 248)]** جَاءَ إِلَى الْمَحَلَّةِ. {7} فَخَافَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لأَنَّهُمْ قَالُوا: «قَدْ جَاءَ اللهُ إِلَى الْمَحَلَّةِ» (أي: استنتج الفلسطيون أن حضور تَابُوت الرَّبِّ يعني حضور الرَّبِّ إله إسرائيل) **[⟵ "التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ (أي: يسكن فيه ربُّ إسرائيل)" (البقرة 248)].** وَقَالُوا: «وَيْلٌ لَنَا لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُ هذَا مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ مَا قَبْلَهُ! {8} وَيْلٌ لَنَا! مَنْ يُنْقِذُنَا مِنْ يَدِ هؤُلاَءِ الآلِهَةِ (gods) الْقَادِرِينَ؟ هؤُلاَءِ هُمُ الآلِهَةُ الَّذِينَ ضَرَبُوا مِصْرَ بِجَمِيعِ الضَّرَبَاتِ فِي الْبَرِّيَّةِ[7510]. {9} تَشَدَّدُوا وَكُونُوا رِجَالًا (يقصد: شجعاناً) أَيُّهَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ لِئَلاَّ تُسْتَعْبَدُوا لِلْعِبْرَانِيِّينَ كَمَا اسْتُعْبِدُوا هُمْ لَكُمْ. فَكُونُوا رِجَالًا وَحَارِبُوا». {10} فَحَارَبَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ، وَانْكَسَرَ إِسْرَائِيلُ وَهَرَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَتِهِ. وَكَانَتِ الضَّرْبَةُ عَظِيمَةً جِدًّا، وَسَقَطَ مِنْ إِسْرَائِيلَ ثَلاَثُونَ أَلْفَ رَاجِل. {11} وَأُخِذَ تَابُوتُ اللهِ **[⟵ "التَّابُوت" (البقرة 248)]**، وَمَاتَ ابْنَا عَالِي حُفْنِي وَفِينَحَاسُ.

استيلاء الفلسطيين على التابوت يسبب صدمةً كبيرة وحزناً شديداً لشعب إسرائيل. **(1 صموئيل 4):** {12} فَرَكَضَ رَجُلٌ مِنْ [سبط] بَنْيَامِينَ مِنَ الصَّفِّ (أي: من جبهة القتال) وَجَاءَ إِلَى شِيلُوهَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَثِيَابُهُ مُمَزَّقَةٌ وَتُرَابٌ عَلَى رَأْسِهِ. {13} وَلَمَّا جَاءَ، فَإِذَا عَالِي [الْكَاهِنُ] جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بِجَانِبِ الطَّرِيقِ يُرَاقِبُ، لأَنَّ قَلْبَهُ كَانَ مُضْطَرِبًا لأَجْلِ تَابُوتِ اللهِ **[⟵ "التَّابُوت" (البقرة 248)]** (أي: كان قلقه على التابوت أكثر من قلقه على ابنيه الاثنين). وَلَمَّا جَاءَ الرَّجُلُ لِيُخْبِرَ فِي الْمَدِينَةِ صَرَخَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا. {14} فَسَمِعَ عَالِي صَوْتَ الصُّرَاخِ فَقَالَ: «مَا هُوَ صَوْتُ الضَّجِيجِ هذَا؟» فَأَسْرَعَ الرَّجُلُ وَأَخْبَرَ عَالِيَ. {15} وَكَانَ عَالِي ابْنَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَقَامَتْ عَيْنَاهُ (أي: كَلَّتَا جِدّاً؛ جَمَدَتا) وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُبْصِرَ. {16} فَقَالَ الرَّجُلُ لِعَالِي: «أَنَا جِئْتُ مِنَ الصَّفِّ، وَأَنَا هَرَبْتُ الْيَوْمَ مِنَ الصَّفِّ». فَقَالَ: «كَيْفَ كَانَ الأَمْرُ يَا ابْنِي؟». {17} فَأَجَابَ الْمُخَبِّرُ وَقَالَ: «هَرَبَ إِسْرَائِيلُ أَمَامَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَكَانَتْ أَيْضًا كَسْرَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الشَّعْبِ، وَمَاتَ أَيْضًا ابْنَاكَ حُفْنِي وَفِينَحَاسُ، وَأُخِذَ تَابُوتُ اللهِ **[⟵ "التَّابُوت" (البقرة 248)]**» (أي: خسارة وطنية وخسارة شخصية وخسارة دينية!). {18} وَكَانَ لَمَّا ذَكَرَ تَابُوتَ اللهِ **[⟵ "التَّابُوت" (البقرة 248)]**، أَنَّهُ سَقَطَ [عَالِي الْكَاهِنُ] عَنِ الْكُرْسِيِّ إِلَى الْوَرَاءِ إِلَى جَانِبِ الْبَابِ، فَانْكَسَرَتْ رَقَبَتُهُ وَمَاتَ (أي: كانت صدمة عَالِي وحزنه بسبب ضياع التابوت أكبر من صدمته وحزنه بسبب هزيمة جيش إسرائيل ومقتل ابنيه الاثنين!)، لأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا شَيْخًا وَثَقِيلًا. وَقَدْ قَضَى لإِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. {19} وَكَنَّتُهُ امْرَأَةُ فِينَحَاسَ كَانَتْ حُبْلَى تَكَادُ تَلِدُ. فَلَمَّا سَمِعَتْ خَبَرَ أَخْذِ تَابُوتِ اللهِ **[⟵ "التَّابُوت" (البقرة 248)]** وَمَوْتَ حَمِيهَا وَرَجُلِهَا، رَكَعَتْ وَوَلَدَتْ [قبل أوانها]، لأَنَّ مَخَاضَهَا انْقَلَبَ عَلَيْهَا. {20} وَعِنْدَ احْتِضَارِهَا قَالَتْ لَهَا الْوَاقِفَاتُ عِنْدَهَا: «لاَ تَخَافِي لأَنَّكِ قَدْ وَلَدْتِ ابْنًا». فَلَمْ تُجِبْ وَلَمْ يُبَالِ قَلْبُهَا. {21} فَدَعَتِ الصَّبِيَّ «إِيخَابُودَ» (Ichabod) (أي: زَالَ الْمَجْدُ؛ أين الْمَجْدُ؟؛ تقصد: سُبِيَ اللهُ؛ نُفِيَ اللهُ؛ أين اللهُ؟)» قَائِلَةً: «قَدْ زَالَ الْمَجْدُ (بالعبرية: kavod) (glory) مِنْ إِسْرَائِيلَ». لأَنَّ تَابُوتَ اللهِ **[⟵ "التَّابُوت" (البقرة 248)]** قَدْ أُخِذَ وَلأَجْلِ حَمِيهَا وَرَجُلِهَا. {22} فَقَالَتْ: «زَالَ الْمَجْدُ مِنْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّ تَابُوتَ اللهِ **[⟵**

"التَّابُوت" (البقرة 248)] قَدْ أُخِذَ» (أي: كانت صدمة امْرَأَة فِينَحَاسَ وحزنها بسبب ضياع التابوت أكبر من صدمتها وحزنها بسبب هزيمة جيش إسرائيل ومقتل زوجها ووفاة حَمِيهَا).

"فالكلمة "الْمَجْدُ" [بالعبرية: kavod] بالنسبة إلى الرجُل العبرانيّ كانت تُستعمَل دائماً للإشارة إلى حضور الله؛ ولذا يعني النصّ "أين الله"؟ والكلمة "زال" تحمل فكرة الذهاب إلى السبي. وهكذا، فإنّ الاستيلاء على التابوت كان بالنسبة إلى بني إسرائيل بمثابة رمزٍ إلى كون الله قد ذهب إلى السبي أو المنفى"[7511].

"قَدْ زَالَ الْمَجْدُ من وجهة نظرهم لأنه كان مجد بني إسرائيل هو إلههم وليس التابوت [...]، وفقدان التابوت لم يعن أن الرب قد ترك شعبه، فالله لم يكن مقيداً بالتابوت (God was not inseparably bound to the ark) [...]. ومع ذلك فقد كان حرمان بني إسرائيل من التابوت علامة على الاغتراب في العلاقة بين الله والشعب، كما أوضح جسامةَ الخطأ الذي ارتكبوه بظنهم أنهم يستطيعون رغم شرهم إجبار الله على عمل ما يريدونه بمجرد احتفاظهم بتابوت العهد"[7512]. فلقد كانوا "ظانين أن وجود التابوت [في وسطهم] سيعطيهم النصرة، غير عالمين أن انكسارهم كان بسبب شرهم وعدم توبتهم وسوء كهنتهم، فبركة الرب للإنسان مرتبطة بجهاده وتوبته وليس مجرد الاحتفاظ بأشياء مباركة"[7513]. ولذلك هُزموا في الحرب رغم حضور التابوت في وسطهم. "والأرجح أن الفلسطينيين دمَّروا مدينة شيلوه في ذلك الوقت، إذ لا يُذْكَر لها وجود بعد ذلك (انظر إرميا 12:7 و 14، 6:26 و 9، المزمور 60:78)"[7514].

في ضوء ما سبق، نريد أن نتوقف عند قول القرآن "يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" (البقرة 248). وتحديداً كلمة "سَكِينَة" التي لم تُذْكَر في القرآن كله إلا 6 مرات فقط، وكلها في آيات مدنية هي (البقرة 248) (الفتح 4، 18، 26) (التوبة 26، 40). فلقد لاحظنا أن تفاسير القرآن تفسّر كلمة "سَكِينَة" بمعنى: طمأنينة؛ سكون؛ ثبات النفس عند لقاء الأعداء. ومِن ثم فإن كلمة "سَكِينَة" تُترجم عادةً إلى (tranquility) أو (assurance of security) أو (peace of reassurance) أو (paix et réconfort).

لكننا لم نقتنع بهذا التفسير ولا بهذه الترجمة. وذلك لأن كلمة "سَكِينَة" في القرآن تأتي دائماً مقترنة بلفظ الجلالة "الله" (God) أو "الرب" (Lord) وأحياناً مقترنة بالملائكة:

- "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ" (البقرة 248).
- "ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ (أي: سَكِينَةَ الله) عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا (أي: ملائكة!)" (التوبة 26).
- "إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا (بالعبرية: عِمَّانُوئِيل؛ immanuel) فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ (أي: سَكِينَةَ الله) عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا (أي: بملائكة!)" (التوبة 40).

- "وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا. هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ [كالملائكة مثلاً] وَالْأَرْضِ" (الفتح 3-4).
- "لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ" (الفتح 18).
- "فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ (أي: سَكِينَةَ الله) عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ" (الفتح 26).

اقتران كلمة "سَكِينَة" في القرآن بلفظ الجلالة "الله" أو "الرب" أو الملائكة يدل على أن لها معنى أكبر من مجرد طمأنينة القلوب أو ثبات النفس أو السلام الداخلي. يقول العالِم الكبير (Arthur Jeffery) في كتابه الشهير "The foreign vocabulary of the Qur'ān"[7515]:

> **سَكِينَة** (*Sakīna*).
>
> [(البقرة 248)]; [(التوبة 26، 40)]; [(الفتح 4، 18، 26)].
>
> The Shekinah.
>
> […]
>
> The word occurs only in late Madinan passages and appears to have been a technical term learned by Muḥammad at a relatively late period. In [(البقرة 248)], it refers to the sign whereby the Israelites were to recognize Saul [i.e. Ṭālūt] as their king, but in all the other passages it is some kind of assistance sent down [by God] to believers from Heaven.
>
> Now there is a genuine Arabic word سكينة meaning *tranquility*, from سَكن *to rest*, *be quiet*, and the common theory of the exegetes is that this is the word used here. This, however, will hardly fit [(البقرة 248)], and even in the other passages it is obvious that something more than merely tranquility was meant, so that many thought it had the special meaning of نصر. [...] There can be little doubt, however, that we have here the Hebrew […], though possibly through the Syriac […]. Muḥammad would have learned the word from the People of the Book, and not quite understanding its significance, have associated it with the genuine Arabic word [سكينة] meaning *tranquility*, and this gives us the curiously mixed sense of the word in the Qur'ān.

بالفعل، كلمة "سكينة" عِبرية أصلاً "شكينة" (Shekinah) أي "مَسْكَن" (dwelling) أو "حضور" (presence)، والمقصود هنا "مَسْكَن الله" (Dwelling of God) أو "مجد الله" (God's Glory) أو "الحضور الإلهي" (Divine Presence) بل الله نفسه (God). وهذا ما نفهمه من الآيات التوراتية ذات الصلة، مثل: قال الربُّ لموسى: "فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ (dwell among them). بِحَسَبِ جَمِيعِ مَا أَنَا أُرِيكَ مِنْ مِثَالِ الْمَسْكَنِ، وَمِثَالِ جَمِيعِ آنِيَتِهِ هكَذَا تَصْنَعُونَ. «فَيَصْنَعُونَ تَابُوتًا (ark) مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ، طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ، وَعَرْضُهُ [...]" (الخروج 25:8-10). ولذلك قال الْفِلِسْطِينِيُّون "قَدْ جَاءَ اللهُ إِلَى الْمَحَلَّةِ" (1 صموئيل 7:4) لأنهم فهموا أن حضور تابوت الله يعني حضور الله نفسه، فأصابهم الرعب "فَخَافَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ" (1 صموئيل 7:4) "وَقَالُوا: «وَيْلٌ لَنَا [...] وَيْلٌ لَنَا!" (1 صموئيل 4:7-8). **[⟵ وهذا أيضاً ما فهمه صاحبُ (البقرة 248) فقال: "التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" (البقرة 248)؛ أي: التَّابُوتُ الذي يسكن فِيهِ رَّبُّكُمْ (bearing your Lord's presence). أو بعبارة أخرى: بما أن عودة حضور التابوت لا تعني تلقائياً وأتوماتيكياً عودة حضور الله. إذن: "يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ" (البقرة 248) فقط لا تكفي، وإنما يجب التأكيد على حضور الله بقوله "فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" (البقرة 248)].**

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على "يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" (البقرة 248)[7516]:

> Our translator relates that the ark will come "bearing tranquility [Ar. سكينة] from your Lord" (cf. [(التوبة 26، 40)]; [(الفتح 4، 18، 26)]). The Arabic root of [سكينة] means "to dwell" or "to be peaceful, calm" (and in other passages – [(التوبة 26، 40)]; [(الفتح 4، 18، 26)] – it may have a meaning of "tranquility"). Yet the Qur'ān states clearly here that this [سكينة] is *in* the ark [فِيهِ]. This follows the usage of Aramaic texts which speak of God's *shekīntā* (i.e., his dwelling or presence) residing in the ark (see *FV*, 174). *Targum Onqelos* on Exodus 25:8 has God declare "Let them make before Me a sanctuary and I will let my presence [*shekīntā*] rest among them" (see also b. *Sotah*, 13a). The Arabic phrase "bearing a *sakīna* from your Lord" thus seems to be a locution expressing "bearing your Lord's presence" (in the ark).

ولذلك فإن الترجمة الصحيحة لكلمة "سَكِينَةٌ" (البقرة 248) هي معناها في التراث اليهودي-المسيحي: (Divine Presence) (La présence divine)[7517] أو (Glorious Presence of God).

والأفضل والأصح هو عدم ترجمة كلمة "سَكِينَةٌ" (البقرة 248) وإنما الاكتفاء بنقحرتها إلى (Shechina)[7518] أو (sakina)[7519]. وهذا ما فعلته مثلاً المستشرقة الفرنسية المعروفة (Denise Masson) حين ترجمت (البقرة 248): (l'arche [...] contient une sakina de votre Seigneur)، ثم قالت تعليقاً على كلمة "سَكِينَةٌ" (البقرة 248)[7520]:

Ce mot qui marque une certaine présence de Dieu en un lieu, provient de la racine *s-k-n* qui signifie *habiter* ou se tenir dans un lieu, se reposer, comme l'hébreu : *š-k-n*. Il s'agit ici du Tabernacle (*miškan* en *Exode* 25:8). Dieu demeure « au milieu des fils d'Israël » (*Exode* 29:45-46; cf. *Nombres* 35:34; *1 Rois* 6:13; *Zacharie* 2:[10-11], etc.); dans un lieu déterminé comme le « buisson » où Yahvé parla pour la première fois à Moïse (cf. *Deutéronome* 33:16 qui rappelle : *Exode* 3:1-3); le Mont Sinaï où se posa « la gloire de Yahvé » lors de la promulgation de la Loi (*Exode* 24:16). Yahvé sera considéré plus tard comme résidant d'une certaine façon « au milieu de Jérusalem » (*Zacharie* 8:3); sur le Mont Sion (*Isaïe* 8:18; *Psaumes* 15:1; 74:2); à l'intérieur du Temple (*Ézéchiel* 43:7). – Le mot *šèkina* est ignoré de la Bible; mais, dans le Nouveau Testament, il semble parfois que le mot « gloire » revêt une signification approchante. (Cf. *Romains* 9:4; *Hébreux* 9:5.) Cette « gloire du Seigneur » apparaît au moment de la naissance du Christ (*Luc* 2:9), de sa transfiguration (*Matthieu* 17:5; *2 Pierre* 1:17). Enfin Jean 1:14 exprime l'idée de présence glorieuse (*šèkina*) quand il dit : « Le Verbe a *demeuré* parmi nous et nous avons vu sa gloire ». On peut supposer que l'évangéliste a choisi intentionnellement le verbe grec : *skènoun* (habiter) dont la forme se rapproche de l'hébreu. (Cf. *demeure de Dieu* : *Apocalypse* 21:3.) – Dans la Tradition juive : Targums, Mishna, Talmud, le mot *šèkina* désigne l'immanence de Dieu, sa présence glorieuse en un lieu, ou Dieu lui-même (de la même façon que les expressions : Nom, Parole, Esprit, Sagesse). De plus, les Rabbins associent les anges à la présence constante de la *šèkina* auprès d'Israël et à l'aide qu'elle lui apporte en cas d'épreuve ou

de danger. ([…]) – Deux fois, dans le Coran ([التوبة 26، 40]) la *sakīna* est associée à l'aide envoyée par Dieu aux croyants par l'intermédiaire des « anges combattants »; une autre fois, elle assure la victoire des Musulmans ([الفتح 18]) et dans cette même Sourate ([الفتح 4، 26]) elle apparaît comme un élément propre à affermir la foi des croyants.

اقرأ أيضاً ما قالته موسوعة (Encyclopædia Judaica) تعليقاً على "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ (أي: مُلْكِ طالوت/شاول) أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" (البقرة 248)[7521]:

[Saul] In Islam

[…] However, when Ṭālūt was designated as king, the people of Israel refused to accept him. The prophet [نَبِيُّهُمْ] then gave them a sign, that the *tābūt* (Ethiopian *tābōt*; Aramaic *tebuta*; "the Holy Ark") would come to them and in it would be *Sakīna* (Heb. *shekhinah*, "Divine Presence"). This would be the sign for believers (cf. Sot. 13a).

وكان موسى النبي قد صنع هذا التابوت بأمرٍ من الرب (الخروج 25:10-22). وما كان يُوضَع داخل التابوت (أو: يُوضَع أمامه أو يُوضَع بجواره) مذكور بالتفصيل في توراة موسى في آيات توراتية كثيرة مثل (الخروج 16:33، 25:16، 25:21، 40:20) (العدد 17:3-4، 17:10) (التثنية 10:1-5)، ومذكور باختصار في العهد الجديد أيضاً. اقرأ مثلاً: "وَتَابُوتُ الْعَهْدِ مُغَشًّى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بِالذَّهَبِ، الَّذِي فِيهِ قِسْطٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ الْمَنُّ (the gold jar of manna)، وَعَصَا هَارُونَ (Aaron's staff) الَّتِي أَفْرَخَتْ، وَلَوْحَا الْعَهْدِ (the two tablets of the covenant) (أي: لَوْحَا الْحَجَر the two tablets of stone؛ لَوْحَا الشَّرِيعَةِ / الناموس the two tablets of the law اللذان أعطاهما اللهُ لموسى النبي؛ لَوْحَا الشَّهَادَةِ the two tablets of the testimony)" (العبرانيين 9:4)[7522]. لكن نفهم من (1 ملوك 8) و (2 أخبار الأيام 5) أن التابوت الذي نُقِلَ بعد ذلك إلى الهيكل الذي بناه المَلِكُ "سليمان" (Solomon) بن داود لم يكن فيه إلا اللوحان المحفورة عليهما الوصايا العشر: "لَمْ يَكُنْ فِي التَّابُوتِ إِلاَّ لَوْحَا الْحَجَرِ اللَّذَانِ وَضَعَهُمَا مُوسَى هُنَاكَ فِي حُورِيبَ حِينَ عَاهَدَ الرَّبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ" (1 ملوك 8:9)؛ (2 أخبار الأيام 5:10). أما قِسْط الْمَنِّ وعَصَا هَارُونَ فلم يكونا داخل التابوت. فقيل إنهما وُضِعا داخل التابوت في أزمنة لاحقة، أي: بعد سليمان، ولذلك قال صاحبُ (العبرانيين 9:4) إنهما في التابوت. ويوجد رأي آخر يقول إن قِسْط الْمَنِّ وعَصَا هَارُونَ كانا يُوضعان داخل التابوت أثناء فترة تجواله وارتحاله فقط، بينما يُوضعان

في صندوقٍ خاص أمام التابوت أو بجواره في حالة استقراره كما هو في الهيكل مثلاً. **[⟵ ولذلك قال صاحب (البقرة 248): "التَّابُوتُ فِيهِ [...] بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ (أي: ما تبقى من الأشياء التي تركها) آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ" (البقرة 248)].**

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على "بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ" (البقرة 248)[7523]:

> The "relics left behind" ["بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ" (البقرة 248)] are the items that God commanded Moses to put in the ark: the tablets of the Law [لَوْحَا الْعَهْدِ؛ لَوْحَا الشَّهَادَةِ] (Exodus 25:16, 21; 40:20; cf. Deuteronomy 10:2, 5; 1 Kings 8:9), manna [قِسْطُ الْمَنِّ] (Exodus 16:33), and Aaron's rod [عَصَا هَارُونَ] (Numbers 17:[4, 10]; cf. Hebrews 9:4). The reference to angels seems to reflect the design of the ark, which had an angelic figure [i.e. a cherub] on either side with outstretched wings (Exodus 25:18-20, 22; cf. Numbers 7:89; 1 Kings 8:6-7; 1 Chronicles 28:18; 2 Chronicles 5:7-8).

ويوجد سبب آخر جعل أصحاب القرآن يضعون صموئيل وموسى وهارون في نفس القصة القرآنية القصيرة (البقرة 246-248) وهو أن صموئيل كان من سبط لاوي مثل موسى وهارون (1 أخبار الأيام 6:1-28)، وكان كاهناً مثل هارون، وكان نبياً مثل موسى، فهو أول نبي بعد موسى، بل "إن صموئيل يعتبر عند بني إسرائيل في المرتبة الثانية بعد موسى"[7524] **[⟵ وكذلك في القرآن، جاء ذِكْرُ صموئيل بَعْدِ مُوسَىٰ: "بَعْدِ مُوسَىٰ [...] نَبِيٍّ لَّهُمُ (هو: صموئيل)" (البقرة 246)!]**. ولطالما ربط التراثُ اليهودي بين صموئيل وموسى وهارون باعتبارهم ثلاثة من أبطال إسرائيل المشهورين. اقرأ مثلاً: "وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِلشَّعْبِ: «الرَّبُّ الَّذِي أَقَامَ مُوسَى وَهَارُونَ، وَأَصْعَدَ آبَاءَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ" (1 صموئيل 12:6)؛ "عَلُّوا الرَّبَّ إِلهَنَا، وَاسْجُدُوا عِنْدَ مَوْطِئِ قَدَمَيْهِ. قُدُّوسٌ هُوَ. مُوسَى وَهَارُونُ بَيْنَ كَهَنَتِهِ، وَصَمُوئِيلُ بَيْنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِهِ. دَعَوْا الرَّبَّ وَهُوَ اسْتَجَابَ لَهُمْ" (المزامير 99:5-6)؛ "ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِي: «وَإِنْ وَقَفَ مُوسَى وَصَمُوئِيلُ [المشهوران بالشفاعة] أَمَامِي لاَ تَكُونُ نَفْسِي نَحْوَ هذَا الشَّعْبِ" (إرميا 15:1). **[⟵ ثم سار أصحابُ القرآن على نفس النهج فوضعوا صموئيل وموسى وهارون في نفس الآية القرآنية! "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ [صموئيلُ] إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ" (البقرة 248)]**. وفي العهد الجديد، لاحظنا أن اسم صموئيل جاء بعد موسى: "فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ تَسْمَعُ لِذلِكَ النَّبِيِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ. وَجَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَيْضًا مِنْ صَمُوئِيلَ فَمَا بَعْدَهُ، جَمِيعُ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا، سَبَقُوا وَأَنْبَأُوا بِهذِهِ الأَيَّامِ" (أعمال الرسل 3:22-

24) **[← وكذلك في القرآن، جاء ذِكْرُ صموئيل بَعْدِ مُوسَىٰ: "بَعْدِ مُوسَىٰ [...] نَبِيّ لَّهُمُ (هو: صموئيل)" (البقرة 246)!]**. أو جاء اسمُ صموئيل بعد قصة موسى: "فَقَامَ بُولُسُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ، اسْمَعُوا! إِلهُ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ هذَا اخْتَارَ آبَاءَنَا، وَرَفَعَ الشَّعْبَ فِي الْغُرْبَةِ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَبِذِرَاعٍ مُرْتَفِعَةٍ أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا [بقيادة موسى]. وَنَحْوَ مُدَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، احْتَمَلَ عَوَائِدَهُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ. ثُمَّ أَهْلَكَ سَبْعَ أُمَمٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَقَسَمَ لَهُمْ أَرْضَهُمْ بِالْقُرْعَةِ. وَبَعْدَ ذلِكَ فِي نَحْوِ أَرْبَعمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً أَعْطَاهُمْ قُضَاةً حَتَّى صَمُوئِيلَ النَّبِيِّ. وَمِنْ ثَمَّ طَلَبُوا مَلِكًا، فَأَعْطَاهُمُ اللهُ شَاوُلَ بْنَ قَيْسٍ، رَجُلًا مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، أَرْبَعِينَ سَنَةً. ثُمَّ عَزَلَهُ وَأَقَامَ لَهُمْ دَاوُدَ مَلِكًا، الَّذِي شَهِدَ لَهُ أَيْضًا، إِذْ قَالَ: وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِي، الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي. مِنْ نَسْلِ هذَا، حَسَبَ الْوَعْدِ، أَقَامَ اللهُ لإِسْرَائِيلَ مُخَلِّصًا، يَسُوعَ" (أعمال الرسل 13:16-23) **[← ذَكر أصحابُ القرآن موسى وصموئيل وشاول (طالوت) وداود ويسوع (عيسى) بنفس الترتيب الذي قاله بولس الرسول! "بَعْدِ مُوسَىٰ [...] نَبِي لَّهُمُ (هو: صموئيل)" (البقرة 246) ثم "طَالُوت" (البقرة 247، 249) ثم "دَاوُود" (البقرة 251) ثم "عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ" (البقرة 253)!]**.

مما سبق يتضح أن أصحاب القرآن قد فهموا هذا الجزء من القصة الكتابية الأصلية فهماً جيداً – ليس فهماً كاملاً ولا صحيحاً بنسبة 100% لكنه مقبول – وأدخلوا بعض التغييرات التي تعودنا عليها أثناء عملية التطور البشري الطبيعي (natural human development) من الكتاب المقدس إلى القرآن، لكن المفسرين المسلمين فسروا القرآنَ تفسيراً خاطئاً، وكذلك المترجمون ترجموا كلمةَ "سَكِينَةٌ" (البقرة 248) مع أن الأصح هو عدم ترجمتها. وهذا يثبت صحة ما نقوله دائماً: الرجوع إلى جذور القرآن في التراث اليهودي-المسيحي يساعدنا على تفسير القرآن تفسيراً صحيحاً وترجمة القرآن ترجمة صحيحة.

وأهم تغيير أدخله صاحبُ (البقرة 248) على القصة الكتابية الأصلية هو أنه اعتبر عودةَ التابوت إلى بني إسرائيل دليلاً أو علامةً (sign) على أن طالوت/شاول هو الذي يستحق المُلْك: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ (أي: العلامة التي تدل على أن طالوت/شاول هو المَلِك المختار من الله) أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" (البقرة 248). ولقد عاد التابوتُ إلى بني إسرائيل فعلاً، لكن ليس بفضل شاول ولا بفضل صموئيل ولا بفضل أي إنسان آخر وإنما بفضل التابوت (الرب) نفسه! نعم، فلقد أزعج التابوتُ الفلسطيين وضربهم بأمراض كثيرة فظلوا ينقلونه من مكانٍ إلى آخر حتى استقر في "بَعَلَةِ يَهُوذَا" (Baalah of Judah) التي تُسمَّى أيضاً "قَرْيَة يَعَارِيمَ" (Kiriath-Jearim) وتقع على الحدود بين سبطي يهوذا وبنيامين شمال غرب أورشليم بنحو 15 كم[7525]: "وَأَرْسَلُوا رُسُلًا إِلَى سُكَّانِ قَرْيَةِ يَعَارِيمَ قَائِلِينَ: «قَدْ رَدَّ الْفِلِسْطِينِيُّونَ تَابُوتَ الرَّبِّ، فَانْزِلُوا وَأَصْعِدُوهُ إِلَيْكُمْ»" (1 صموئيل 6:21) "فَجَاءَ أَهْلُ قَرْيَةِ يَعَارِيمَ وَأَصْعَدُوا تَابُوتَ الرَّبِّ" (1 صموئيل 7:1). لكن هذا كله حدث أيضاً **قبل** مُلْك شاول، بل **قبل** أن يطلب بنو إسرائيل من صموئيل أن يولِّي عليهم مَلِكاً، وليس بعده كما زعم القرآنُ[7526]. ولقد ظل التابوتُ في قَرْيَةِ يَعَارِيمَ طوال فترة مُلْك شاول حتى مَاتَ صَمُوئِيلُ ومَاتَ شَاوُلُ ثم صار داودُ مَلِكاً. وهذا يعني أن التابوت ظل في قَرْيَةِ يَعَارِيمَ فترة طويلة جداً قد

تصل إلى 70 سنة أو 75 سنة وربما "قرن تقريباً"[7527]. ولمَّا اقترح المَلِكُ داودُ استردادَ التابوت قائلاً: "فَنُرْجِعَ تَابُوتَ إِلهِنَا إِلَيْنَا لأَنَّنَا لَمْ نَسْأَلْ بِهِ فِي أَيَّامِ شَاوُلَ" (1 أخبار الأيام 13:3) وقُوبِلَ اقتراحُه بالموافقة والاستحسان، نَقَلَ المَلِكُ داودُ التابوتَ من قَرْيَةِ يَعَارِيمَ إلى عاصمته الجديدة أورشليم مركز العبادة الجديد (2 صموئيل 6:1-17) لأن وجود التابوت في أورشليم مقر مُلْك داود سيجعل أورشليم مركزًا دينيًا وسياسيًا كبيراً. فكان يوم فرح وسرور للشعب، "وَكَانَ [المَلِكُ] دَاوُدُ يَرْقُصُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَمَامَ الرَّبِّ (بالعبرية: Yahweh) (أي: أمام التابوت؛ فِي حَضْرَةِ يهوه)" (2 صموئيل 6:14)[7528] **[← "التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ (أي: يسكن فيه يهوه ربُّ إسرائيل)" (البقرة 248)]**. اقرأ أيضاً (1 أخبار الأيام 13-16) (2 أخبار الأيام 1:4).

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على ذلك[7529]:

> [(البقرة 248)] The Qur'ān seems to imply that Saul [i.e. Ṭālūt] will bring forth the ark [of the Covenant] as a sign of his kingship. In the Biblical account the ark is lost to the Philistines before Saul becomes king, and then – after it brings all sorts of woes on the Philistines – installed at Kiriath-Jearim (1 Samuel 7:2). It is [King] David, not Saul, who eventually brings the ark to Jerusalem (2 Samuel 6; 1 Chronicles 13:5-6; see *BEQ*, 367).

في المقابل، حاولت بعض المراجع الإسلامية الدفاع عن هذه الآية القرآنية "إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ (أي: العلامة التي تدل على أن طالوت/شاول هو المَلِك المختار من الله) أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ" (البقرة 248). إما برفض ما قاله سفر صموئيل الأول عن عودة التابوت إلى بني إسرائيل قبل مُلْك شاول، بل قبل أن يطلب بنو إسرائيل من صموئيل أن يولِّي عليهم مَلِكاً. وإما بإدعاء أن الآية القرآنية لا تعطي ترتيباً زمنياً مفصلاً للأحداث، ولا تقول صراحةً إن التابوت عاد إلى بني إسرائيل بعد مُلْك طالوت/شاول، وإنه يمكن فَهْم الآية بمعنى أن التابوت عاد إلى بني إسرائيل في عهد القاضي صموئيل قبل مُلْك طالوت/شاول (كما يقول سفر صموئيل الأول) وأن صموئيل استدل بعودة التابوت ليثبت صدق نبوته أن الله سيبعث لهم طالوت/شاول ملكاً[7530]!

لكننا لم نقتنع بتلك الحيل الدفاعية. وذلك بسبب ما يلي:

- صحيح "أن بعض الأحداث في سفر صموئيل غير مرتبة ترتيباً زمنياً، وليس من السهل الجزم بأيهما يسبق الآخر"، و "لا يشكل سفرا صموئيل الأول والثاني تاريخاً متصلاً متتابعاً زمنياً بالمعنى الدقيق للترتيب الزمني"[7531]. لكننا إذا رفضنا ترتيبَ الأحداث حسب سفر صموئيل الأول، فليس أمامنا سوى أن نلجأ إلى مصدر ثالث محايد وهو كتب التاريخ. وللأسف، كتب التاريخ لم تقل شيئاً عن عودة التابوت إلى بني إسرائيل قبل أو بعد مُلْك طالوت/شاول! وإذا كان ترتيب الأحداث في سفر صموئيل غير واضح، فإن ترتيبها في سفر أخبار الأيام الأول أكثر وضوحاً وهو يؤكد ما قلناه: المَلِكُ

شاول تجاهل التابوتَ تماماً، والمَلِكُ داود هو الذي نقل التابوتَ إلى أورشليم عاصمة المملكة. قال المَلِكُ داودُ: "فَنُرْجِعَ تَابُوتَ إِلهِنَا إِلَيْنَا **لأَنَّنَا لَمْ نَسْأَلْ بِهِ فِي أَيَّامِ شَاوُلَ**" (1 أخبار الأيام 3:13).

- لو كان القرآن يقصد أن التابوت عاد إلى بني إسرائيل قبل مُلْك طالوت/شاول وأن صموئيل استدل بعودة التابوت ليثبت صدق نبوته، لما قال صموئيل "إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ" (البقرة 248) وإنما كان ينبغي أن يقول "إِنَّ آيَةَ صدقي أَن آتاكم التَّابُوتُ". فقوله "آيَةَ مُلْكِهِ" (البقرة 248) واستخدام الفعل المضارع "يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ" (البقرة 248) يدلان على أن أصحاب القرآن قصدوا أن التابوت عاد إلى بني إسرائيل بعد مُلْك طالوت/شاول، أو على الأقل ربطوا بين طالوت/شاول والتابوت ...

بعبارة أخرى: في مسألة عودة التابوت تحديداً، ليس هدفنا أن نثبت أن القرآن خطأ والكتاب المقدس صح. وإنما هدفنا أن نثبت أن ما قاله القرآن – سواء صح أو خطأ – هو مجرد تطور بشري طبيعي لِمَا قاله الكتاب المقدس والتراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة في نفس المسألة.

وفي إطار عملية التطور البشري الطبيعي من الكتاب المقدس والتراث اليهودي-المسيحي إلى القرآن، يمكن لنا أن نفهم لماذا ربط أصحابُ القرآن بين طالوت/شاول والتابوت: "إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ (أي: العلامة التي تدل على أن طالوت/شاول هو المَلِك المختار من الله) أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ" (البقرة 248)، فهذا الربط يرجع إلى واحد أو أكثر من الأسباب التالية:

أولاً: هذا الربط بين شاول والتابوت موجود في التفاسير اليهودية لـ (1 صموئيل 4)، فلقد "اعتقد المفسّرون اليهود أن المُخبر البنياميني (1 صموئيل 4:12-18) الذي هرب من جَبهة القتال (1 صموئيل 4:12) وأتى بخبر خسارة الحرب وخبر موت أبناء عَالي وخسارة التابوت هو شاول"[7532].

ثانياً: بعد انتقال التابوت إلى قَرْيَةِ يَعَارِيمَ، وُضِعَ التابوتُ في بيت رجلٍ اسمه "أَبِينَادَابَ" (Abinadab): "فَجَاءَ أَهْلُ قَرْيَةِ يَعَارِيمَ وَأَصْعَدُوا تَابُوتَ الرَّبِّ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى بَيْتِ أَبِينَادَابَ (Abinadab) فِي الأَكَمَةِ (أي: التل)" (1 صموئيل 1:7). لكن شاول كان له ابن يحمل نفس الاسم: "يُونَاثَانَ وَأَبِينَادَابَ (Abinadab) وَمَلْكِيشُوعَ أَبْنَاءَ شَاوُلَ" (1 صموئيل 2:31). فربما سمع أصحابُ القرآن هاتين الآيتين، فظنوا أن أَبِينَادَاب الذي استضاف التابوتَ في بيته (1 صموئيل 1:7) هُو هُو نفسه أَبِينَادَاب بن شَاوُلَ (1 صموئيل 2:31)، ولذلك توهَّموا أن شاول/طالوت هو مَن أعاد التابوتَ، فقالوا: "إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ (أي: العلامة التي تدل على أن طالوت/شاول هو المَلِك المختار من الله) أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ (أي: يعود إليكم التَّابُوتُ المقدَّس)" (البقرة 248). وطبعاً ظنهم كان ظناً خاطئاً، لأن أَبِينَادَاب الذي استضاف التابوتَ في بيته (1 صموئيل 1:7) غير أَبِينَادَاب بن شَاوُلَ (1 صموئيل 2:31)؛ وإنما الأمر مجرد صدفة أن لهما نفس الاسم.

ثالثاً: كما قلنا فيما سبق، القصة القرآنية (البقرة 246-252) تأثرت أكثر بالتقليد اليهودي الذي ينظر إلى النظام المَلَكي الجديد كأمر إيجابي (pro-monarchical)، بل يؤيد المَلِك شاول (pro-Saul). وطالوت/شاول هو بطل القصة القرآنية المؤمن المجاهِد الشجاع وأكثر اسم مذكور فيها من المؤمنين، فَمِن

الطبيعي أن تنسب القصةُ القرآنية عودةَ التابوت إلى البطل طالوت/شاول: "إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ (أي: العلامة التي تدل على أن طالوت/شاول هو المَلِك المختار من الله) أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ (أي: يعود إليكم التَّابُوتُ المقدَّس)" (البقرة 248).

رابعاً: في سفر صموئيل الأول، وتحديداً في (1 صموئيل 14) الذي ينتمي أيضاً إلى التقليد اليهودي الذي يؤيد النظام المَلَكي الجديد وينظر إليه كأمر إيجابي، توجد آية محيرة تزعم أنه أثناء معركة بين إسرائيل والفلسطيين طلب المَلِكُ شاولُ من الكاهن إحضار التابوت! "فَقَالَ شَاوُلُ لأَخِيَّا [الكاهن]: «قَدِّمْ تَابُوتَ اللهِ». لأَنَّ تَابُوتَ اللهِ كَانَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (1 صموئيل 18:14). المشكلة هي أن هذه المعركة حدثت في مواقع تقع بين جبعة بنيامين (شمال أورشليم) ومِخْمَاسَ (Michmash) (شمال شرق أورشليم)؛ بينما يوجد التابوت في قَرْيَةِ يَعَارِيمَ (شمال غرب أورشليم)، فالمسافة طويلة فعلاً[7533]! ولا يُعْقَل أن يطلب المَلِكُ شاولُ من الكاهن (أو مساعديه) أن يقطعوا هذه المسافة الطويلة أثناء المعركة لإحضار التابوت! لحل هذه المشكلة، قيل: "وكان التابوت قد نُقِلَ من "يَعَارِيمَ" إلى جبعة بنيامين حيث معسكر شاول ورجاله"[7534]! لكننا لم نقتنع بهذا الحل (بل هذه الحيلة) لأنه لا توجد آية واحدة في الكتاب المقدس بعهديه تقول إن التابوت نُقِلَ من قَرْيَةِ يَعَارِيمَ إلى جبعة بنيامين! لحل هذه المشكلة، قيل إن "الأَكَمَة (أي: التل)" (1 صموئيل 1:7) بالعبرية (ج ب ع ا) و "يُفضَّل أن تبقى الكلمة "جِبْعَة" كاسم علم، ولا يُترجَم معناها: "التل" أو "الأَكَمَة". وعلى الأرجح هي نفسها "جِبْعَة شاول" أو "جِبْعَة بنيامين" حيث بيت شاول"[7535]! لكننا لم نقتنع بهذه الحيلة أيضاً، لأن (1 صموئيل 7) يقول: "فَجَاءَ أَهْلُ قَرْيَةِ يَعَارِيمَ وَأَصْعَدُوا تَابُوتَ الرَّبِّ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى بَيْتِ أَبِينَادَابَ فِي الأَكَمَةِ، وَقَدَّسُوا أَلِعَازَارَ ابْنَهُ لأَجْلِ حِرَاسَةِ تَابُوتِ الرَّبِّ. وَكَانَ مِنْ يَوْمِ جُلُوسِ التَّابُوتِ فِي قَرْيَةِ يَعَارِيمَ أَنَّ الْمُدَّةَ طَالَتْ وَكَانَتْ عِشْرِينَ سَنَةً. وَنَاحَ كُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَرَاءَ الرَّبِّ" (1 صموئيل 7:1-2). إذن: استقر التابوتُ فِي قَرْيَةِ يَعَارِيمَ وهي بعيدة عن جِبْعَة شاول/بنيامين. بل إن جِبْعَة شاول/بنيامين تقع في أرض بنيامين بينما تقع قَرْيَةُ يَعَارِيمَ في أرض يهوذا بدليل تسميتها أيضاً "بَعَلَة يَهُوذَا": "وَقَامَ دَاوُدُ وَذَهَبَ هُوَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي مَعَهُ مِنْ بَعَلَةِ يَهُوذَا (هي نفسها: قَرْيَةِ يَعَارِيمَ)، لِيُصْعِدُوا مِنْ هُنَاكَ تَابُوتَ اللهِ" (2 صموئيل 2:6). فـ "جِبْعَة" (1 صموئيل 1:7) ليست اسم علم، وإنما كلمة عبرية تعني بالفعل "التل" أو "الأَكَمَة" كما جاءت في الترجمات.

فيبدو لنا أن مَن يرددون هذه الحيل الواهية لا يريدون أن يعترفوا بخطأ النص العبري الماسوري (Masoretic Text) في (1 صموئيل 18:14). والصواب هو ما جاء في الترجمة اليونانية (السبعينية (Septuagint) (LXX): "فَقَالَ شَاوُلُ لأَخِيَّا: «قَرِّبْ الإِفُودَ (ephod)». لأَنَّهُ هُوَ قَدْ حَمَلَ الإِفُودَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قُدَّامَ إِسْرَائِيلَ" (1 صموئيل 18:14 حسب LXX)[7536]. فلقد أراد شاولُ الإِفُودَ ليعرف مشيئةَ الله؛ والإِفُود كان مع أَخِيَّا الكاهن: "وَأَخِيَّا [...] كَانَ لاَبِسًا أَفُودًا" (1 صموئيل 3:14). هذا هو الصواب. ولذلك فإننا قد لاحظنا أن بعض الترجمات الحديثة تأخذ (1 صموئيل 18:14) من الترجمة السبعينية الصحيحة

وليس من النص العبري الخاطئ. فمثلاً تقول الترجمة العربية المشتركة: "فقالَ شاوُلُ لأخيَّا الكاهِنِ «جِئني بالأفودِ». وكانَ أخيَّا هوَ الّذي يَحمِلُ الأفودَ أمامَ بَني إسرائيلَ في ذلِكَ اليومِ"[7537]. وتوجد ترجمات حديثة أخرى تضع الترجمةَ السبعينية في الحاشية أو التعليق. فمثلاً يقول الكتاب اليهودي الدراسي (Jewish Study Bible) تعليقاً على "تَابُوتَ اللهِ" (1 صموئيل 18:14):

"The *Ark [of God]* has a divinatory role in Judges 20.27-28, though the reading of "ephod" in some LXX manuscripts may make more sense in context (see v. 1 Samuel 14:3)"[7538].

ويجب هنا أن نوضح أنه بالنسبة لسفري 1 و 2 صموئيل، فإن الترجمة السبعينية تُعتبَر في كثير من المواضع أكثر دقة من النص العبري الماسوري. تقول دائرة المعارف الكتابية تحت عنوان "صموئيل – سفرا صموئيل": "**أولاً – النص:** هناك بعض الاختلافات بين النص العبري الماسوري والترجمة السبعينية، التي يرى بعض العلماء أنها تُرجمت عن نص عبري أدق، وبخاصة أن المخطوطات العبرية التي اكتشفت في كهوف البحر الميت، تتفق في كثير من المواضع مع الترجمة السبعينية، مما جعل العلماء ينظرون إلى الترجمة السبعينية نظرة أرفع مما كانوا ينظرون بها إليها من قبل"[7539].

وكذلك تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica)[7540]:

The text of Samuel has been badly preserved in the Masoretic Text, apparently because the book fell into neglect in some circles once a more idealized version of the same period was provided by Chronicles. Fortunately the Masoretic Text of Samuel can be frequently corrected with the help of Chronicles and of the Septuagint. The discovery at Qumran of portions of Samuel in a Hebrew text that closely corresponds to the Septuagint enhances the value of the Greek version for textual criticism of Samuel, in that the Septuagint now appears to have relied upon a generally more accurate Hebrew text tradition than has been preserved in the Masoretic Text.

وكذلك يقول الكتاب اليهودي الدراسي (Jewish Study Bible)[7541]:

A considerable number of corruptions are found in the traditional Hebrew text of Samuel, generally resulting from scribal errors. […] In some cases

it is possible to correct the Masoretic Text of Samuel with the help of alternative texts. Parallel passages to Samuel, containing partly divergent readings, are found in the book of Psalms and the book of Chronicles. Among the Dead Sea Scrolls fragments of four different manuscripts of Samuel have been discovered, which contain pre-Masoretic texts. The LXX and other ancient translations also testify to different readings. In some cases even *Antiquities of the Jews* by Josephus, whose readings are often similar to those of the LXX and one of the Dead Sea manuscripts, may be helpful. […] whenever the text seems corrupt, attention will be paid to alternative readings.

ونحن نرى أن ما قالته الترجمة اليونانية (السبعينية LXX) في (1 صموئيل 18:14) هو الأصوب والأقرب إلى النص العبري الأصلي(7542) ويتفق مع جاء في بداية الإصحاح: "وَأَخِيَّا [...] كَانَ لاَبِسًا أَفُودًا" (1 صموئيل 3:14) ويتفق أيضاً مع ما جاء في الآية التي تلي (1 صموئيل 18:14). لكن يبدو أن أصحاب القرآن قد سمعوا (1 صموئيل 18:14) من النص العبري الخاطئ (أو من التراث اليهودي الذي نقل منه بلا فحص ولا تفكير)، فتوهَّموا أن التابوت عاد إلى جبعة بنيامين عاصمة المَلِك شاول، ولذلك نسبوا عودةَ التابوت إلى المَلِك طالوت: "إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ (أي: العلامة التي تدل على أن طالوت/شاول هو المَلِك المختار من الله) أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ (أي: يعود إليكم التَّابُوتُ المقدَّس)" (البقرة 248). وهذا يؤكد أهمية دراسة التراث اليهودي-المسيحي في اللغات الشرقية القديمة (عبري، يوناني، سرياني، حبشي ... الخ) حتى نعرف كيف نشأ القرآنُ العربي.

خامساً: صحيح أن المَلِك داود هو الذي نقل التابوتَ إلى عاصمته أورشليم في النهاية، إلا أن داود بدأ حياته غلاماً يخدم المَلِكَ شاول ثم انضم إلى جيش المَلِكِ شاول الذي حارب الفلسطيين وقتل بطلَهم جُليات ...

4.44.3 الغلام داود ينضم إلى جيش المَلِك شاول ويقتل جليات (جالوت) الفلسطي

كما قلنا فيما سبق، لم يكن المَلِكُ شاول نبياً. فعلى الرغم من أن الله هو الذي اختار شاولَ ملكاً، وعلى الرغم من الإنجازات الحربية والانتصارات الكبيرة التي حققها الملكُ شاول على أعداء إسرائيل والتي وسَّعت حدود إسرائيل في كلِّ الاتجاهات: "وَأَخَذَ شَاوُلُ الْمُلْكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَحَارَبَ جَمِيعَ أَعْدَائِهِ حَوَالَيْهِ: مُوآبَ وَبَنِي عَمُّونَ [شرق إسرائيل] وَأَدُومَ (Edomites) [جنوب شرق إسرائيل] وَمُلُوكَ صُوبَةَ (Zobah) [شمال إسرائيل] وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ [غرب إسرائيل]. وَحَيْثُمَا تَوَجَّهَ غَلَبَ. وَفَعَلَ بِبَأْسٍ وَضَرَبَ عَمَالِيقَ (هُمْ: شعب وثني

من نسل عيسو شقيق يعقوب عاشوا في منطقتي النقب وشمال شرق سيناء) [جنوب وجنوب غرب إسرائيل]، وَأَنْقَذَ [الملكُ شاولُ] إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ نَاهِبِيهِ" (1 صموئيل 14:47-48)[7543]، إلا أن المَلِك شاول - حسب سفر صموئيل الأول - ارتكب خطايا أهمها خطيئتين أظهرتا كبرياءَه وعدم التزامه بأوامر الله حرفياً:

الخطيئة الأولى دينية وحدثت في الحرب ضد الفلسطيين. فلقد تعدَّى المَلِكُ شاولُ على وظائف النبي والكاهن صموئيل فقدَّم الذبائح والمحرقات بدلاً منه متذرعاً بتأخر صموئيل عن الحضور بعد سبعة أيام "وَلَمْ يَأْتِ صَمُوئِيلُ" "وَالشَّعْبُ تَفَرَّقَ عَنْهُ (أي: بدأ الجنود يتفرَّقون عن المَلِك شاول بسبب خوفهم وقلقهم)" (1 صموئيل 13:8-14)!

والخطيئة الثانية عسكرية وحدثت في الحرب ضد عماليق (Amalek) الذين كانوا قديماً قد هاجموا إسرائيلَ في البرية حين خرجوا من مصر إلى كنعان (الخروج 17:8-16)، فوعد الربُّ بمحو ذِكرهم: "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ»" (الخروج 17:14)، ثم تحوَّل الوعد إلى أمر: "«اُذْكُرْ مَا فَعَلَهُ بِكَ عَمَالِيقُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ. كَيْفَ لاَقَاكَ فِي الطَّرِيقِ وَقَطَعَ مِنْ مُؤَخَّرِكَ كُلَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَرَاءَكَ (أي: حاربوا بني إسرائيل بكل خسة ونذالة إلى درجة أنهم هاجموا الضعفاءَ منهم كالشيوخ والنساء والأطفال والمرضى الذين يبطئون في السير ويتخلفون عن الجماعة!)، وَأَنْتَ كَلِيلٌ وَمُتْعَبٌ، وَلَمْ يَخَفِ [عَمَالِيقُ] اللهَ. فَمَتَى أَرَاحَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكَ حَوْلَكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا، تَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لاَ تَنْسَ" (التثنية 25:17-19). والآن بعد مرور مئات السنين على خروج بني إسرائيل من مصر، مطلوب من المَلِك شاول أن ينفذ هذا الأمر في نسل عَمَالِيقَ الوثنيين المعاصرين له! "وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ (يقصد: صحيح أنكَ المَلِك لكن عليكَ أن تطيع اللهَ ورسولَه!). هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ (أي: الحرب مقدَّسة Holy War ويهوه إلهُ إسرائيل يشارك فيها ويأمركَ قائلاً): إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ (أي: إِنِّي مُزْمِعٌ أَنْ أُعَاقِبَ عَمَالِيقَ جَزَاءَ مَا ارْتَكَبَهُ فِي حَقِّ إِسْرَائِيلَ) حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا (أي: أهلِكوا[7544]) (proscribe) (totally destroy)[7545] كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا»" (1 صموئيل 15:1-3)! إلا أن شاول لم ينفذ أمرَ الرب بحذافيره، فأخذ الغنمَ والبقرَ الممتاز غنيمةً ولم يذبحهم، واكتفى بأسر أجاج (Agag) مَلِك عماليق حياً ولم يقتله كما أمره الربُّ (1 صموئيل 15:8-29). فأُعتبِر تصرفُه هذا خطيئة[7546]! "وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ قَائِلًا: «نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي». فَاغْتَاظَ صَمُوئِيلُ وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ اللَّيْلَ كُلَّهُ. فَبَكَّرَ صَمُوئِيلُ لِلِقَاءِ شَاوُلَ صَبَاحًا" (1 صموئيل 15:10-12). فوبَّخ النبيُّ صموئيلُ المَلِكَ شَاوُلَ توبيخاً لاذعاً، ثم "قَالَ [القاضي] صَمُوئِيلُ: «قَدِّمُوا إِلَيَّ أَجَاجَ مَلِكَ عَمَالِيقَ». [...] فَقَالَ صَمُوئِيلُ [لأَجَاجَ]: «كَمَا أَثْكَلَ سَيْفُكَ النِّسَاءَ (أي: كما حَرَمَ سَيفُكَ

النِّسَاءَ مِنْ أولادِهِنَّ)، كَذلِكَ تُثْكَلُ أُمُّكَ بَيْنَ النِّسَاءِ». فَقَطَعَ صَمُوئِيلُ أَجَاجَ (أي: قَتَلَهُ؛ أعدمه) أَمَامَ الرَّبِّ" (1 صموئيل 15:32-33)!

[استطراد: لاحظنا أن البروباجاندا الإسلامية-العربية توجّه نقداً لاذعاً لـ (1 صموئيل 15) وتتهمه بالتحريض على الإبادة الجماعية، وبخاصة بعد أن استدل به بعضُ اليهود المتطرفين من أجل التحريض على قتل الفلسطينيين في حرب غزة 2023-2025! ولذلك نريد أن نتوقف قليلاً للرد باختصار على هذا الإدعاء. نعم، النبي والكاهن والقاضي صموئيل "رجل الله" و "بطل الإيمان" قَتَلَ أسيرَ حرب (prisoner of war). لكن صموئيل ليس قدوة[7547]. أما شاول، فلقد اعتبر التلمودُ البابليُّ (Yoma 22b) تصرفَه تصرفاً سليماً لأن النساء والأطفال والماشية لا تستحق القتل[7548]. ثم إن شاول كان غنياً آنذاك، فهو لم يأخذ الغنمَ والبقرَ الممتاز غنيمةً بسبب الطمع أو الأنانية، وإنما أخذها لتقديمها ذبائح للرب (1 صموئيل 15:15، 21). كما يجب هنا أن نتنبَّه إلى أن (1 صموئيل 15 كله) ينتمي إلى التقليد اليهودي الذي يرفض الحكمَ الملكي ويركز على عيوبه (anti-monarchical)، فليس الهدف منه هو التشجيع على الإبادة الجماعية، بل العكس هو الصحيح: الهدف هو التنفير من الإبادة الجماعية. بدليل أن العمالقة (Amalekites) لم يُبادوا تماماً (1 صموئيل 27:8، 30:1، 30:18) (2 صموئيل 1:8، 1:13، 8:12) (1 أخبار الأيام 4:43) وظل نسلُ أجاجَ مستمراً لمئات السنين بعد ذلك وجاء هامانُ منه (أستير 3:1). فإذا كان بنو إسرائيل - الذين كان اللهُ يتعامل معهم عن قرب وكأنه يعيش في وسطهم - قد فشلوا في تنفيذ أوامر الله، فهل يُعْقَل أن يتم استدعاء أوامر الله من هذا الماضي البعيد وإسقاطها على الحاضر الآن من أجل تطبيقها؟! طبعاً لا يمكن[7549]. فكأن (1 صموئيل 15) يريد أن يقول: أخطأ بنو إسرائيل حين وضعوا ثقتَهم في مَلِكٍ بشري[7550]، وها هو المَلِك البشري قد فشل في القضاء على عماليق؛ فلو كانوا وضعوا ثقتَهم في الله (المَلِك الحقيقي) لخلَّصهم من عماليق. وأسفار الأنبياء تؤكد ذلك: "أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَإِلهًا سِوَايَ لَسْتَ تَعْرِفُ، وَلاَ مُخَلِّصَ غَيْرِي. [...] فَأَيْنَ هُوَ مَلِكُكَ حَتَّى يُخَلِّصَكَ فِي جَمِيعِ مُدُنِكَ؟ وَقُضَاتُكَ حَيْثُ قُلْتَ: أَعْطِنِي مَلِكًا وَرُؤَسَاءَ؟ أَنَا أَعْطَيْتُكَ مَلِكًا بِغَضَبِي وَأَخَذْتُهُ بِسَخَطِي" (هوشع 13:4-11). إذن: هدف (1 صموئيل 15) هو أن نضع ثقتنا في الله فهو وحده القادر أن يهلك أعداءنا في الزمان والمكان المناسبين وبيديه وليس بأيدينا. بل ليس من المبالغة أن نقول إن الأمر الإلهي بإبادة عماليق في (1 صموئيل 15) لا يهدف إلى التنفيذ، وإنما يهدف إلى إثبات استحالة التنفيذ بأيادي البشر. ولذلك رفض الكتابُ المقدَّس القتلَ وسفكَ الدماء لاحقاً: "اجْعَلْ سَيْفَكَ فِي الْغِمْدِ!" (يوحنا 18:11) "رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!" (متى 26:52).

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن التراث اليهودي-المسيحي المستنير قد قدَّم تفسيراً جيداً لمسألة القضاء على عماليق، ويتلخص هذا التفسير في أن الله (أو: المسيح ابن الله) هو مَن سينفِّذ بنفسه القضاءَ على عماليق في نهاية العالم، أي: في الآخرة وليس في الدنيا. واستدلوا على ذلك بنبوءة "بَلعَامَ" (Balaam) الأخيرة: "أَرَاهُ وَلكِنْ لَيْسَ الآنَ. أُبْصِرُهُ وَلكِنْ لَيْسَ قَرِيبًا. يَبْرُزُ كَوْكَبٌ مِنْ يَعْقُوبَ وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ [...]». ثُمَّ

رَأَى [بَلْعَامُ] عَمَالِيقَ فَنَطَقَ بِمَثَلِهِ وَقَالَ: «عَمَالِيقُ أَوَّلُ الشُّعُوبِ [التي حاربت إسْرَائِيلَ] وَأَمَّا آخِرَتُهُ فَإِلى الْهَلاَكِ (its fate is to perish forever)»" (العدد 24:17-20)، فقالوا إن "آخِرَتُهُ" تعني آخر الأيام (end of days)[7551]، ومِن ثم فإن "الهَلاك" هو الهلاك الأبدي في الأيام الأخيرة.

وتوجد شواهد أخرى في التراث اليهودي-المسيحي تؤيد هذا التفسير. وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بمثالين فقط:

- المثال الأول من "وصية شمعون" (Testament of Simeon) إحدى "وصايا الآباء الاثْنَيْ عَشَرَ" (Testaments of the Twelve Patriarchs) التي يرجع تاريخُها إلى القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد، وقيل: القرن الثاني الميلادي. تقول الوصية تحت عنوان "مواعيد اسكاتولوجيّة (أي: أخرويّة)" (Promesses eschatologiques): "حينئذ يهلك نسلُ كنعان (يقصد: أعداءُ إسرائيل)، ولن تكون بقيّة لعماليق (there will not be a remnant to Amalek). جميع الفلسطيين يهلكون، [...] حينئذ يرتاح العالم كله من اضطرابه، وترتاح من الحرب الأرضُ كلها التي تحت السماء. [...] حينئذ أقوم (أي: أُبعَث حياً يوم القيامة) في الفرح وأبارك العليَّ (أي: أبارك اللهَ) لمعجزاته" (وصية شمعون 6:3-7)[7552].
- والمثال الثاني من إحدى كتابات الآباء الرسوليين (Apostolic Fathers) وهي "رسالة برنابا" (Letter of Barnabas) التي يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الأول أو الثاني المسيحي: "قال موسى ليشوع بن نون بعدما أعطاه هذا الاسم عندما أرسله لاستكشاف الأرض: "فلتأخذ كتاباً في يديك واكتب ما يقوله الرب: في الأيام الأخيرة (in the end of days; in the last days)، سيُهلك ابنُ الله (أي: المسيحُ يسوع (يشوع)) جذرَ عماليق وكُلَّ بيته (أي: ابن الله سوف ينتزع كُلَّ جذور بيت عماليق)"" (رسالة برنابا 9:12)[7553]. انتهى الاستطراد.]

نعود إلى سفر صموئيل الأول: ارتكب المَلِكُ شاولُ خطيئتين (أو أكثر) جعلت اللهَ يغضب عليه غضباً شديداً وينزع المُلْكَ منه ومن أبنائه! وحدث صدامٌ بين السلطة الدينية (النبي صَمُوئِيل) والسلطة السياسية (المَلِك شَاوُل): "فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «قَدِ انْحَمَقْتَ! لَمْ تَحْفَظْ وَصِيَّةَ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا، لأَنَّهُ الآنَ كَانَ الرَّبُّ قَدْ ثَبَّتَ مَمْلَكَتَكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ. وَأَمَّا الآنَ فَمَمْلَكَتُكَ لاَ تَقُومُ (أي: لَنْ تَدُومَ!). قَدِ انْتَخَبَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِهِ (أي: يُطيع اللهَ؛ أفعاله تُرضي اللهَ)، وَأَمَرَهُ الرَّبُّ أَنْ يَتَرَأَّسَ عَلَى شَعْبِهِ. لأَنَّكَ لَمْ تَحْفَظْ مَا أَمَرَكَ بِهِ الرَّبُّ»" (1 صموئيل 13:13-14) "لأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ رَفَضَكَ [الرَّبُّ] مِنَ الْمُلْكِ" (1 صموئيل 15:23). "فَقَالَ شَاوُلُ لِصَمُوئِيلَ: «أَخْطَأْتُ لأَنِّي تَعَدَّيْتُ قَوْلَ الرَّبِّ وَكَلاَمَكَ، لأَنِّي خِفْتُ مِنَ الشَّعْبِ وَسَمِعْتُ لِصَوْتِهِمْ. وَالآنَ فَاغْفِرْ خَطِيَّتِي وَارْجعْ مَعِي فَأَسْجُدَ لِلرَّبِّ». فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «لاَ أَرْجعُ مَعَكَ لأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ، فَرَفَضَكَ الرَّبُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ». وَدَارَ صَمُوئِيلُ لِيَمْضِيَ، فَأَمْسَكَ

[شاولُ] بِذَيْلِ جُبَّتِهِ فَانْمَزَقَ. فَقَالَ لَهُ صَمُوئِيلُ: «يُمَزِّقُ الرَّبُّ مَمْلَكَةَ إِسْرَائِيلَ عَنْكَ الْيَوْمَ وَيُعْطِيهَا لِصَاحِبِكَ (أو: لِقَرِيبِكَ) الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ" (1 صموئيل 15:24-28).

ومِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا، حدثت قطيعة بين السلطة الدينية (النبي صَمُوئِيل) والسلطة السياسية (المَلِك شَاوُل): "وَذَهَبَ صَمُوئِيلُ إِلَى الرَّامَةِ، وَأَمَّا شَاوُلُ فَصَعِدَ إِلَى بَيْتِهِ فِي جِبْعَةِ شَاوُلَ. وَلَمْ يَعُدْ صَمُوئِيلُ لِرُؤْيَةِ شَاوُلَ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ (أي: مَوْتِ صَمُوئِيلَ)، لأَنَّ صَمُوئِيلَ نَاحَ عَلَى شَاوُلَ (أي: بَكَى كَثِيرًا بِسَبَبِ مَا فَعَلَهُ شَاوُلُ؛ أو: حَزِنَ عَلَى شَاوُلَ أول مَلِك على إسرائيل؛ نَاحَ عَلَى شَاوُلَ وكأنه قد مات!). وَالرَّبُّ نَدِمَ لأَنَّهُ مَلَّكَ شَاوُلَ عَلَى إِسْرَائِيلَ (أي: لم يعد اللهُ راضياً على شاول مَلِك إسرائيل)" (1 صموئيل 15:34-35)!

مما سبق يتضح أن هدف (1 صموئيل 15) ليس قصة عماليق، وإنما الهدف هو التمهيد لاضمحلال المَلِك شاول وسطوع شخصية جديدة في الرواية وهي شخصية "داود" (David) بن يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيّ (Jesse the Bethlehemite) (أي: في بَيْتِ لَحْمِ يَهُوذَا التي تقع جنوب أورشليم بأقل من 10 كم[7554]). فهذا الرجل الذي اختاره الرَّبُّ "حَسَبَ قَلْبِهِ" ليكون مَلِكاً بعد شاول هو داود الذي كان آنذاك غلاماً "يَرْعَى الْغَنَمَ" (1 صموئيل 16:11)؛ وذلك تنفيذاً لنبوة يعقوب (إسرائيل) أن المُلك يكون لسبط يهوذا (التكوين 49:8-12) الذي منه داود. فأمر اللهُ صموئيلَ أن يذهب إلى بَيْتِ لَحْمِ ويمسح الغلامَ داود مَلِكاً في السر بدون عِلم المَلِك شاول (1 صموئيل 16:1-13): "وَكَانَ [داوُدُ] أَشْقَرَ مَعَ حَلاَوَةِ الْعَيْنَيْنِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ. فَقَالَ الرَّبُّ [لصموئيلَ]: «قُمِ امْسَحْهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ [مَلِك إسرائيل مُخْتَار الله؛ مَسِيح الرَّبِّ]». فَأَخَذَ صَمُوئِيلُ قَرْنَ الدُّهْنِ وَمَسَحَهُ فِي وَسَطِ إِخْوَتِهِ (أي: في بيته سراً بدون أن يعلم أحدٌ). **وَحَلَّ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى دَاوُدَ** مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا" (1 صموئيل 16:12-13)[7555]. إذن: أفول شاول وصعود داود تم بترتيب إلهي وتحت رعاية يهوه، وليس صراعاً عسكرياً ولا سياسياً على السلطة بينهما.

الغلام داود يبدأ حياتَه العملية خادماً للمَلِك شاول الذي يعاني من مرض نفسي أو اضطراب عصبي. **(1 صموئيل 16):** {14} **وَذَهَبَ رُوحُ الرَّبِّ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ** (أي: فارقه الرُّوحُ القدس تمامًا)، وَبَغَتَهُ (أي: أزعجَهُ؛ عذَّبَهُ) رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ (أي: بسماحٍ مِنْ الرَّبِّ). {15} فَقَالَ عَبِيدُ شَاوُلَ لَهُ: «هُوَذَا رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ يَبْغَتُكَ. {16} فَلْيَأْمُرْ سَيِّدُنَا عَبِيدَهُ قُدَّامَهُ أَنْ يُفَتِّشُوا عَلَى رَجُل يُحْسِنُ الضَّرْبَ بِالْعُودِ. وَيَكُونُ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ الرُّوحُ الرَّدِيءُ مِنْ قِبَلِ اللهِ، أَنَّهُ يَضْرِبُ بِيَدِهِ فَتَطِيبُ (أي: يهدئ من روعكَ بموسيقاه عندما تضطرب حالُكَ)». {17} فَقَالَ شَاوُلُ لِعَبِيدِهِ: «انْظُرُوا لِي رَجُلًا يُحْسِنُ الضَّرْبَ [بِالْعُودِ] وَأْتُوا بِهِ إِلَيَّ». {18} فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ الْغِلْمَانِ وَقَالَ: «هُوَذَا قَدْ رَأَيْتُ ابْنًا لِيَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ يُحْسِنُ الضَّرْبَ [بِالْعُودِ]، وَهُوَ جَبَّارُ بَأْسٍ (أي: بَطَلٌ شُجَاعٌ) وَرَجُلُ حَرْبٍ **[⟵ "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ (أي: صاحب القوة على أعداء الله[7556])" (ص 17)]**، وَفَصِيحٌ (أي: له لسان الحكماء) **[⟵ "وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (أي: بيان الكلام؛ حسم الخلافات بين الناس؛ conclusive speech)" (ص 20) "وَآتَاهُ اللَّهُ [...] الْحِكْمَةَ (أي: الفهم والعقل والفطنة؛ وقيل: النبوة بعد صموئيل) وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ" (البقرة 251)]** وَرَجُلٌ جَمِيلٌ، وَالرَّبُّ

مَعَهُ [← "وَآتَاهُ اللَّهُ [...]" (البقرة 251) "وَآتَيْنَاهُ [...]" (ص 20)]». {19} فَأَرْسَلَ شَاوُلُ رُسُلًا إِلَى يَسَّى يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ دَاوُدَ ابْنَكَ الَّذِي مَعَ الْغَنَمِ (أي: رَاعِي الغَنَمِ)». {20} فَأَخَذَ يَسَّى حِمَارًا حَامِلًا خُبْزًا وَزِقَّ خَمْرٍ وَجَدْيَ مِعْزًى، وَأَرْسَلَهَا [هَدِيَّةً] بِيَدِ دَاوُدَ ابْنِهِ إِلَى شَاوُلَ. {21} فَجَاءَ دَاوُدُ إِلَى شَاوُلَ وَوَقَفَ أَمَامَهُ، فَأَحَبَّهُ [شَاوُلُ] جِدًّا وَكَانَ لَهُ حَامِلَ سِلاَحٍ (أي: صار دَاوُدُ ملاصقًا لشاول على الدوام). {22} فَأَرْسَلَ شَاوُلُ إِلَى يَسَّى يَقُولُ: «لِيَقِفْ دَاوُدُ أَمَامِي لأَنَّهُ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ (أي: دَعْ دَاوُدَ يَبْقَى في القصر الملكي فِي خِدْمَتِي لأَنَّهُ يَنعَمُ برضاي)». {23} وَكَانَ عِنْدَمَا جَاءَ الرُّوحُ مِنْ قِبَلِ اللهِ عَلَى شَاوُلَ أَنَّ دَاوُدَ أَخَذَ الْعُودَ وَضَرَبَ بِيَدِهِ، فَكَانَ يَرْتَاحُ شَاوُلُ وَيَطِيبُ وَيَذْهَبُ عَنْهُ الرُّوحُ الرَّدِيءُ.

"وقد كانت خدمة داود لشاول خير مدرسة تدرَّب فيها داودُ، فقد تعلم أساليب الحرب والسياسة والحكم. وقد اتصل بحكم عمله بعدد من أقدر الرجال في ذلك الحين ورأى جوانب الملك المنيرة والمظلمة. ولكن لم يقم داودُ مع شاول باستمرار، إذ يبدو أن حالة المَلِك تحسنت. وقد أتيحت الفرصة لداود مراراً كثيرة أن يعود ليشرف على غنم أبيه ["كَانَ يَذْهَبُ وَيَرْجِعُ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ لِيَرْعَى غَنَمَ أَبِيهِ فِي بَيْتِ لَحْمٍ"] (1 صموئيل 15:17). وبينما كان يقوم بزيارة قريته ويشرف على الغنم إذ نشبت الحرب بين العبرانيين والفلسطينيين"[7557].

حرب جديدة بين الإسرائيليين والفلسطيين في منطقة تقع جنوب غرب عاصمة الإسرائيليين المؤمنين (جِبْعَةِ شَاوُلَ) [← ويقول التراث الإسلامي إن غزوة بدر (2هـ) وقعت في منطقة تقع جنوب غرب عاصمة المسلمين المؤمنين (المدينة/يثرب)!]. **(1 صموئيل 17):** {1} وَجَمَعَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ جُيُوشَهُمْ لِلْحَرْبِ، فَاجْتَمَعُوا فِي سُوكُوهَ (Socoh) الَّتِي لِيَهُوذَا (هي: مدينة تبعد حوالي 14 ميلًا جنوب غرب أورشليم أو 15 ميلاً غرب بيت لحم في سهل يهوذا بالقرب من الحدود مع الفلسطيين)[7558]، وَنَزَلُوا بَيْنَ سُوكُوهَ وَعَزِيقَةَ (Azekah) (هي: مدينة تبعد مسافة تقل قليلاً عن كيلومترين تقريباً شمالي غرب سُوكُوهَ) فِي أَفَسِ دَمِّيمَ (Ephes-dammim) (هي: منطقة تقع بَيْنَ سُوكُوهَ وَعَزِيقَةَ، ربما كانت تقع على بُعد حوالي كيلومتر ونصف جنوب عَزِيقَةَ). {2} وَاجْتَمَعَ شَاوُلُ وَرِجَالُ إِسْرَائِيلَ وَنَزَلُوا فِي وَادِي الْبُطْمِ (Valley of Elah) (أي: وادي أشجار السنط بَيْنَ سُوكُوهَ وَعَزِيقَةَ، حوالي 5 كم شرقي أو شمالي شرقي أَفَسِ دَمِّيمَ)، وَاصْطَفُّوا لِلْحَرْبِ لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. {3} وَكَانَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وُقُوفًا عَلَى جَبَل مِنْ هُنَا [جنوب وَادِي الْبُطْمِ أو غربه] (أي: على جانب الوادي الأبعد عن جِبْعَةِ شَاوُلَ)، وَإِسْرَائِيلُ وُقُوفًا عَلَى جَبَل مِنْ هُنَاكَ [شمال وَادِي الْبُطْمِ أو شرقه] (أي: على جانب الوادي الأقرب إلى جِبْعَةِ شَاوُلَ)، وَالْوَادِي بَيْنَهُمْ [← وعندما كتب المسلمون الأوائل قصة غزوة بدر (2هـ) في قرآنهم قالوا: "إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا (أي: المؤمنون على جانب الوادي الأقرب إلى المدينة) وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ (أي: والوثنيون على جانب الوادي الأبعد عن المدينة)" (الأنفال 42)!]. {4} فَخَرَجَ رَجُلٌ مُبَارِزٌ[7559] (أي: مُقَاتِلٌ جَبَّارٌ) مِنْ جُيُوشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ اسْمُهُ جُلْيَاتُ [← "جَالُوت" (البقرة 249، 250، 251)]، مِنْ جَتَّ (Gath) (هي مدينة فلسطية داخلية على بُعد حوالي 12 ميلاً جنوب شرق

أشدود)، طُولُهُ سِتُّ أَذْرُعٍ وَشِبْرٌ (أي: نحو 3 أمتار أو أكثر!؛ المقصود: كان جُلْيَاتُ عملاقاً)، {5} وَعَلَى رَأْسِهِ خُوذَةٌ مِنْ نُحَاسٍ، وَكَانَ [جُلْيَاتُ] لاَبِسًا [على صدره] دِرْعًا حَرْشَفِيًّا (a coat of scale armor) (une cuirasse d'écailles) (a breastplate of scale armour) (أي: عليه قطعًا نحاسية كقشور السمك)، وَوَزْنَ الْدِّرْعِ خَمْسَةُ آلاَفِ شَاقِلِ (أي: حوالي 55 كيلو جرام أو أكثر!) نُحَاسٍ، {6} وَجُرْمُوقَا نُحَاسٍ (أي: صَفَائِح نُحَاسِيَّة واقية) عَلَى رِجْلَيْهِ، وَمِزْرَاقُ نُحَاسٍ (أي: رُمْحٌ نُحَاسِيٌّ) بَيْنَ كَتِفَيْهِ (أي: مَربُوطًا عَلَى ظَهرهِ بين الكتفين)، {7} وَقَنَاةُ رُمْحِهِ (أي: عَصَا رُمحِهِ؛ ساق رُمحِهِ) [طَوِيلَةٌ وغليظَةٌ؛ كبيرة وعريضة] كَنَوْلِ النَّسَّاجِينَ، وَسِنَانُ رُمْحِهِ سِتُّ مِئَةِ شَاقِلِ (أي: حوالي 7 كيلو جرام!) حَدِيدٍ، وَحَامِلُ التُّرْسِ (shield) كَانَ يَمْشِي قُدَّامَهُ (أي: لحين وجود قتال فيحمله جُلْيَاتُ بنفسه).

ونريد هنا أن نتوقف قليلاً عند "جُلْيَات". ما أصله؟ وما معنى اسمه؟ يقول قاموس الكتاب المقدس: "**جُلْيَاتُ:** ربما كان اسماً كنعانياً معناه "سبي" أو "نفي" رجل من جَتَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. كان من جبابرتهم [...] وربما كان أحد بني عناق [الذين بَقوا في جَتَّ] (العدد 22:13) (يشوع 22:11)"[(7560)]. وتقول دائرة المعارف الكتابية: "**جُلْيَاتُ:** قد يكون الاسم مشتقاً من الجلاء بمعنى السبي أو النفي، وقد يكون بمعنى "يعرّي أو يكشف". [...] والأرجع أن جُلْيَات لم يكن فلسطيني الأصل، بل كان من سلالة الجبابرة أو القبائل البدائية مثل العناقيين والعويين والرفائيين وغيرهم. وقد عاش العويون في أرض فلسطين، والأرجح أن جليات كان من تلك القبيلة"[(7561)]. وبما أن الجلاء أو السبي (exile) يُعرف في العبرية بكلمة (gālūt)، فإن هذا يساعدنا على معرفة أصل اسم "جَالُوت" (البقرة 249-251)! تقول موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam)[(7562)]:

in assonance with Ṭālūt and perhaps also under the influence of the Hebrew word *gālūt*, "exile, Diaspora", which must have been frequently on the lips of the Jews in Arabia as elsewhere.

وبما أن العناقيين (بني عناق) (Anakites) "كانوا ذوي قربى مع العمالقة [Amalekites]"[(7563)]، وبما أن جُليات (أو أخاه أو ابنه) وُصِفَ بأنه "وُلِدَ لِرَافَا (Raphah)" (2 صموئيل 19:21-22) (1 أخبار الأيام 5:20-8) أي: من أبناء جبابرة أو عمالقة (giants) (التثنية 10:2-11)[(7564)]، فإن هذا يساعدنا على فَهْم لماذا وَصفتْ المراجعُ الإسلامية "جَالُوتَ وجنوده" بـ "العمالقة" أو "الجبابرة". فتفسير القرطبي مثلاً قال: "وكان جالوت أمير العمالقة ومَلِكهم، ظلُّه مِيل"[(7565)]! وفي العصر الحديث، يقول التفسير الميسر الذي أعده نخبةٌ من العلماء تحت إشراف وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية والمشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: "جالوت قائد الجبابرة"[(7566)].

(1 صموئيل 17): {8} فَوَقَفَ [جُلْيَاتُ] وَنَادَى صُفُوفَ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تَخْرُجُونَ لِتَصْطَفُّوا لِلْحَرْبِ؟ أَمَا أَنَا الْفِلِسْطِينِيُّ، وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ لِشَاوُلَ؟ اخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمْ رَجُلًا وَلْيَنْزِلْ إِلَيَّ. {9} فَإِنْ قَدَرَ أَنْ يُحَارِبَنِي وَيَقْتُلَنِي نَصِيرُ لَكُمْ عَبِيدًا، وَإِنْ قَدَرْتُ أَنَا عَلَيْهِ وَقَتَلْتُهُ تَصِيرُونَ أَنْتُمْ لَنَا عَبِيدًا وَتَخْدِمُونَنَا». {10} وَقَالَ الْفِلِسْطِينِيُّ: «أَنَا عَيَّرْتُ (أو: أَنَا أتحدَّى؛ أنا أحتقر) صُفُوفَ إِسْرَائِيلَ هذَا الْيَوْمَ. أَعْطُونِي رَجُلًا فَنَتَحَارَبَ مَعًا». {11} وَلَمَّا سَمِعَ شَاوُلُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ كَلاَمَ الْفِلِسْطِينِيِّ هذَا ارْتَاعُوا وَخَافُوا جِدًّا **[⟵ "قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ" (البقرة 249) "فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا" (البقرة 246)]**. [...] {16} وَكَانَ [جُلْيَاتُ] الْفِلِسْطِينِيُّ يَتَقَدَّمُ وَيَقِفُ صَبَاحًا وَمَسَاءً أَرْبَعِينَ يَوْمًا [ولم يجرؤ أحدٌ من جيش إسرائيل على مبارزته!].

"وكان إخوة داود الثلاثة الكبار مع الجيش [الإسرائيلي]. ثم بعد قضائهم مدة تقرب من ستة أسابيع بعيدين عن أهلهم وذويهم أرسل [أبوهم] يَسَّى [ابنَه الأصغر] دَاوُدَ لكي يسأل عن سلامتهم"[(7567)]. "وَكَانَ شَاوُلُ وَهُمْ (أي: وإخوة داود الثلاثة) وَجَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ فِي وَادِي الْبُطْمِ يُحَارِبُونَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ (أي: في حالة استعداد للحرب دون قتال حقيقي؛ أو: كان يَسَّى يظن أنهم يُحَارِبُونَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ)" (1 صموئيل 19:17).

إذن: كما قاد التدبيرُ الإلهي شاولَ إلى مقابلة صموئيل (1 صموئيل 9:3-19)، تدخَّل التدبيرُ الإلهي مرَّة أخرى ليقود داودَ المؤمن إلى مواجهة جُليات الكافر (1 صموئيل 17:12-23)[(7568)]! **[⟵ وعندما كتب المسلمون الأوائل قصةَ غزوة بدر (2هـ) في قرآنهم قالوا: "وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ [أنتم والمشركون] لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن [الله هو الذي جمعكم في مكانٍ واحد على غير ميعاد] لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا (أي: مقدَّراً في الأزل، لا بد من وقوعه) لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ (أي: عن حجة لله ثبتت له فعاينها وقطعت عذره) وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ (أي: عن حجة لله ثبتت له فعاينها وزادته إيماناً ويقيناً)" (الأنفال 42)]!**.

(1 صموئيل 17): {20} فَبَكَّرَ دَاوُدُ صَبَاحًا وَتَرَكَ الْغَنَمَ مَعَ حَارِسٍ، وَحَمَّلَ (أي: أخَذَ المُؤَنَ والأَمْتِعَةَ) وَذَهَبَ كَمَا أَمَرَهُ يَسَّى، وَأَتَى إِلَى الْمِتْرَاسِ (أي: المُعَسكر الأمامي؛ الجبهة)، وَالْجَيْشُ خَارِجٌ إِلَى الاصْطِفَافِ وَهَتَفُوا لِلْحَرْبِ. {21} وَاصْطَفَّ إِسْرَائِيلُ وَالْفِلِسْطِينِيُّونَ صَفًّا مُقَابِلَ صَفٍّ. {22} فَتَرَكَ دَاوُدُ الأَمْتِعَةَ الَّتِي مَعَهُ بِيَدِ حَافِظِ الأَمْتِعَةِ، وَرَكَضَ إِلَى الصَّفِّ وَأَتَى وَسَأَلَ عَنْ سَلاَمَةِ إِخْوَتِهِ. {23} وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ إِذَا بِرَجُلٍ مُبَارِزٍ اسْمُهُ جُلْيَاتُ الْفِلِسْطِينِيُّ مِنْ جَتَّ، صَاعِدٌ مِنْ صُفُوفِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَتَكَلَّمَ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ (أي: وَتَكَلَّمَ كعادَتِهِ مُوَجِّهاً تَحَدِّيَاتِهِ إِلَى الإسْرَائيليّين)، فَسَمِعَ دَاوُدُ. {24} وَجَمِيعُ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ لَمَّا رَأَوْا الرَّجُلَ [الفلسطيَّ] هَرَبُوا مِنْهُ وَخَافُوا جِدًّا **[⟵ "قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ" (البقرة 249) "فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا" (البقرة 246)]**. {25} فَقَالَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ: «أَرَأَيْتُمْ هذَا الرَّجُلَ الصَّاعِدَ؟ لِيُعَيِّرَ (أي: لِيتحدَّى) إِسْرَائِيلَ هُوَ صَاعِدٌ! فَيَكُونُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَقْتُلُهُ يُغْنِيهِ الْمَلِكُ غِنًى جَزِيلًا، وَيُعْطِيهِ بِنْتَهُ [زوجة]، وَيَجْعَلُ بَيْتَ أَبِيهِ حُرًّا (أي: يَعْفِي بَيْتَ أَبِيهِ مِنْ دَفْعِ الضَّرَائِبِ وَمِنَ التَّسْخِير) فِي إِسْرَائِيلَ». {26} فَكَلَّمَ دَاوُدُ الرِّجَالَ الْوَاقِفِينَ مَعَهُ قَائِلًا: «مَاذَا يُفْعَلُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَقْتُلُ ذلِكَ الْفِلِسْطِينِيَّ، وَيُزِيلُ الْعَارَ عَنْ إِسْرَائِيلَ؟ لأَنَّهُ مَنْ هُوَ هذَا الْفِلِسْطِينِيُّ الأَغْلَفُ (أي: غيرُ المَختونِ؛ يقصد: الوثني) حَتَّى يُعَيِّرَ صُفُوفَ اللهِ الْحَيِّ (أي: يَتحدَّى جيشَ إله إسرائيل)؟»

(إذن: أدرك داودُ أن الفلسطينيين الوثنيين أعداء الله.) {27} فَكَلَّمَهُ الشَّعْبُ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ قَائِلِينَ: «كَذَا يُفْعَلُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَقْتُلُهُ». {28} وَسَمِعَ أَخُوهُ الأَكْبَرُ أَلِيآبُ (Eliab) كَلاَمَهُ مَعَ الرِّجَالِ، فَحَمِيَ غَضَبُ أَلِيآبَ عَلَى دَاوُدَ وَقَالَ: «لِمَاذَا نَزَلْتَ؟ وَعَلَى مَنْ تَرَكْتَ تِلْكَ الْغُنَيْمَاتِ الْقَلِيلَةَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ أَنَا عَلِمْتُ كِبْرِيَاءَكَ وَشَرَّ قَلْبِكَ، لأَنَّكَ إِنَّمَا نَزَلْتَ لِكَيْ تَرَى الْحَرْبَ». {29} فَقَالَ دَاوُدُ: «مَاذَا عَمِلْتُ الآنَ؟ أَمَا هُوَ كَلاَمٌ؟ (أي: أَلَيسَ ذٰلك مُجَرَّدَ كَلام؟ كُنْتُ أسأل فَحَسْبُ)» {30} وَتَحَوَّلَ [دَاوُدُ] مِنْ عِنْدِهِ نَحْوَ آخَرَ، وَتَكَلَّمَ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ، فَرَدَّ لَهُ الشَّعْبُ جَوَابًا كَالْجَوَابِ الأَوَّلِ. {31} وَسُمِعَ الْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ دَاوُدُ وَأَخْبَرُوا بِهِ أَمَامَ شَاوُلَ، فَاسْتَحْضَرَهُ. {32} فَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «لاَ يَسْقُطْ قَلْبُ أَحَدٍ بِسَبَبِهِ (أي: لا تَخُرْ عَزيمةُ أَحَدٍ بِسَبَبِ جُلْيات). عَبْدُكَ يَذْهَبُ وَيُحَارِبُ هذَا الْفِلِسْطِينِيَّ». {33} فَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ: «لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى هذَا الْفِلِسْطِينِيِّ لِتُحَارِبَهُ لأَنَّكَ غُلاَمٌ (boy; lad) وَهُوَ رَجُلُ حَرْبٍ مُنْذُ صِبَاهُ» **[← وضع أصحابُ القرآن هذه الجملة الانهزامية على لسان مجموعة من جنود شاول/طالوت: "قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ" (البقرة 249)]**. {34} فَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «كَانَ عَبْدُكَ يَرْعَى لأَبِيهِ غَنَمًا، فَجَاءَ أَسَدٌ مَعَ دُبٍّ وَأَخَذَ شَاةً مِنَ الْقَطِيعِ، {35} فَخَرَجْتُ وَرَاءَهُ وَقَتَلْتُهُ وَأَنْقَذْتُهَا مِنْ فِيهِ، وَلَمَّا قَامَ عَلَيَّ أَمْسَكْتُهُ مِنْ ذَقْنِهِ وَضَرَبْتُهُ فَقَتَلْتُهُ. {36} قَتَلَ عَبْدُكَ الأَسَدَ وَالدُّبَّ جَمِيعًا. وَهذَا الْفِلِسْطِينِيُّ الأَغْلَفُ (أي: غيرُ المَختونِ؛ يقصد: الوثني) يَكُونُ كَوَاحِدٍ مِنْهُمَا، لأَنَّهُ قَدْ عَيَّرَ صُفُوفَ اللهِ الْحَيِّ (أي: تحدَّى جيشَ إله إسرائيل)». {37} وَقَالَ دَاوُدُ: «الرَّبُّ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ يَدِ الأَسَدِ وَمِنْ يَدِ الدُّبِّ هُوَ يُنْقِذُنِي مِنْ يَدِ هذَا الْفِلِسْطِينِيِّ». فَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ: «اذْهَبْ وَلْيَكُنِ الرَّبُّ مَعَكَ».

الغلام داود ينضم إلى جيش إسرائيل ويقتل جُليات الفلسطي**! (1 صموئيل 17):** {38} وَأَلْبَسَ شَاوُلُ دَاوُدَ ثِيَابَهُ (أي: خلع شَاوُلُ ثِيَابَهُ الحَرْبِيَّة وألبسها لداود)، وَجَعَلَ خُوذَةً مِنْ نُحَاسٍ عَلَى رَأْسِهِ، وَأَلْبَسَهُ دِرْعًا. {39} فَتَقَلَّدَ دَاوُدُ بِسَيْفِهِ (أي: وَتَقَلَّدَ دَاوُدُ سَيْفَ شَاوُلَ أيضاً) فَوْقَ ثِيَابِهِ وَعَزَمَ أَنْ يَمْشِيَ [فلم يقدِرْ]، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَرَّبَ (أي: كانت هذه أول مرة في حياته يتحرك بلباس الحرب). فَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَمْشِيَ بِهذِهِ (أي: عُدَّة الْحَرْبِ هَذِهِ ثقيلة جدًا وتعوقني عن الحركة)، لأَنِّي لَمْ أُجَرِّبْهَا (أي: لأَنَّنِي لَسْتُ مُعْتَاداً عَلَيْهَا؛ يقصد: أنا أضع ثقتي في الرَّبِّ وليس في الخوذة والدرع والسيف)». وَنَزَعَهَا دَاوُدُ عَنْهُ (أي: خَلَعَهَا تماماً فصار خفيف الحركة). {40} وَأَخَذَ عَصَاهُ بِيَدِهِ، وَانْتَخَبَ لَهُ خَمْسَةَ حِجَارَةٍ مُلْسٍ (أي: حِجَارَةٍ مَلْسَاءَ؛ زلط) مِنَ الْوَادِي وَجَعَلَهَا فِي كِنْفِ الرُّعَاةِ الَّذِي لَهُ، أَيْ فِي الْجِرَابِ [الّذي يَحمِلُهُ الرّاعي على كتفه أو حول عنقه ويضع فيه أي شيء يلزمه]، وَمِقْلاَعَهُ (sling) (أي: شريط من الجلد أو القماش تُوضَع الحجارة في وسطه تمهيدًا لقذفها بقوةٍ) بِيَدِهِ وَتَقَدَّمَ نَحْوَ الْفِلِسْطِينِيِّ. {41} وَذَهَبَ الْفِلِسْطِينِيُّ ذَاهِبًا وَاقْتَرَبَ إِلَى دَاوُدَ وَالرَّجُلُ حَامِلُ التُّرْسِ أَمَامَهُ. {42} وَلَمَّا نَظَرَ الْفِلِسْطِينِيُّ وَرَأَى دَاوُدَ اسْتَحْقَرَهُ لأَنَّهُ كَانَ غُلاَمًا وَأَشْقَرَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ. {43} فَقَالَ الْفِلِسْطِينِيُّ لِدَاوُدَ: «أَلَعَلِّي أَنَا كَلْبٌ حَتَّى أَنَّكَ تَأْتِي إِلَيَّ بِعِصِيٍّ؟» وَلَعَنَ الْفِلِسْطِينِيُّ دَاوُدَ بِآلِهَتِهِ (أي: سبَّ جلياتُ إلهَ إسرائيل). {44} وَقَالَ الْفِلِسْطِينِيُّ لِدَاوُدَ: «تَعَالَ إِلَيَّ فَأُعْطِيَ لَحْمَكَ لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَوُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ (أي: أقتلكَ ولن يكون لكَ قبرٌ؛ أمحو وجودَكَ وأثرَكَ وذِكْرَكَ تماماً!)». {45} فَقَالَ دَاوُدُ لِلْفِلِسْطِينِيِّ: «أَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِسَيْفٍ وَبِرُمْحٍ وَبِتُرْسٍ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِ صُفُوفِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ عَيَّرْتَهُمْ. {46}

هذَا الْيَوْمَ يَحْبِسُكَ الرَّبُّ فِي يَدِي، فَأَقْتُلُكَ وَأَقْطَعُ رَأْسَكَ. وَأُعْطِي جُثَثَ جَيْشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ هذَا الْيَوْمَ لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَحَيَوَانَاتِ الأَرْضِ، فَتَعْلَمُ كُلُّ الأَرْضِ أَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ لإِسْرَائِيلَ. {47} وَتَعْلَمُ هذِهِ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفٍ وَلاَ بِرُمْحٍ يُخَلِّصُ الرَّبُّ، لأَنَّ الْحَرْبَ لِلرَّبِّ (the battle is the LORD's) (أي: المَعرَكَةُ مَعرَكَةُ اللهِ؛ الحرب بين يهوه وآلهة الفلسطيين؛ إنها حرب مقدَّسة Holy War) **[⟵ "قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (البقرة 244) "نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [...] نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (البقرة 246)]** وَهُوَ يَدْفَعُكُمْ لِيَدِنَا (أي: وَاللهُ هو الذي يَنْصُرُنَا عَلَيْكُمْ)[7569][7570] **[⟵ وعندما كتب المسلمون الأوائل قصةَ غزوة بدر (2هـ) في قرآنهم قالوا: "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (آل عمران 126) "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (الأنفال 10) "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ" (الأنفال 17)]**». {48} وَكَانَ لَمَّا قَامَ الْفِلِسْطِينِيُّ وَذَهَبَ وَتَقَدَّمَ لِلِقَاءِ دَاوِدَ أَنَّ دَاوُدَ أَسْرَعَ وَرَكَضَ نَحْوَ الصَّفِّ لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّ. {49} وَمَدَّ دَاوُدُ يَدَهُ إِلَى الْكِنْفِ (أي: إِلَى الْجِرَابِ الذي فيه الحجارة) وَأَخَذَ مِنْهُ حَجَرًا [واحداً فقط!] وَرَمَاهُ بِالْمِقْلاَعِ، وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيَّ فِي جِبْهَتِهِ، فَارْتَزَّ (أي: انغَرَزَ) الْحَجَرُ فِي جِبْهَتِهِ، وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ. ["هذه ليست ضربة حظ بل ضربة يد الرب"[7571]] **[⟵ "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ" (الأنفال 17)[7572]]** {50} فَتَمَكَّنَ دَاوُدُ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّ بِالْمِقْلاَعِ وَالْحَجَرِ، وَضَرَبَ الْفِلِسْطِينِيَّ وَقَتَلَهُ **[⟵ "وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ" (البقرة 251)]**. وَلَمْ يَكُنْ سَيْفٌ بِيَدِ دَاوُدَ. {51} فَرَكَضَ دَاوُدُ وَوَقَفَ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّ وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَاخْتَرَطَهُ (أي: أَخْرَجَ دَاوُدُ سَيفَ جُلْيَاتَ) مِنْ غِمْدِهِ وَقَتَلَهُ وَقَطَعَ بِهِ رَأْسَهُ **[⟵ جعل القرآنُ القصةَ أقل عنفاً، فاكتفى بالقتل "وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ" (البقرة 251) ولم يذكر التنكيلَ بالجسد عن طريق قطع الرأس!]**. [إذن: داود أصغر المؤمنين قتل جُلْيَاتَ أضخم الكافرين. **[⟵ "كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 249) "بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 251)]**] فَلَمَّا رَأَى الْفِلِسْطِينِيُّونَ أَنَّ جَبَّارَهُمْ (أي: بَطَلَهم) قَدْ مَاتَ هَرَبُوا (أي: تراجعوا إِلَى مدنهم جَتَّ في الغرب وَعَقْرُونَ في الشمال الغربي). {52} فَقَامَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا وَهَتَفُوا [هُتافَ الحربِ] وَلَحِقُوا الْفِلِسْطِينِيِّينَ حَتَّى مَجِيئِكَ إِلَى الْوَادِي، وَحَتَّى أَبْوَابِ عَقْرُونَ (Ekron). فَسَقَطَتْ [جُثَثُ] قَتْلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ فِي طَرِيقِ شَعَرَايِمَ (Shaarim) (أي: الطريق المؤدي إلى مدينة شَعَرَايِمَ في سهول يهوذا، وهو طريق بَيْنَ سُوكُوه وَعَزِيقَةَ) [فطَارَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ] إِلَى جَتَّ وَإِلَى عَقْرُونَ. {53} ثُمَّ رَجَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الاحْتِمَاءِ (أي: المطَارَدَةِ) وَرَاءَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَنَهَبُوا مَحَلَّتَهُمْ (أي: استولوا على كل ما تركه الفلسطينيون في المكان الذي كانوا يعسكرون فيه) **[⟵ "فَهَزَمُوهُم (أي: فَهَزَمَ طالوتُ/شاولُ وجنودُه المؤمنون جَالُوتَ وَجُنُودَه الْكَافِرِينَ) بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 251) "بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 249)]**. {54} وَأَخَذَ دَاوُدُ رَأْسَ الْفِلِسْطِينِيِّ وَأَتَى بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَوَضَعَ أَدَوَاتِهِ فِي خَيْمَتِهِ[7573].

هذا الإنجاز الذي حققه داودُ جعله يقترب أكثر من المَلِك شاول وابنه الْبِكْرِ يُونَاثَان (Jonathan):

"وَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ دَاوُدَ خَارِجًا لِلِقَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّ قَالَ لأَبْنَيْرَ (Abner) رَئِيسِ الْجَيْشِ: «ابْنُ مَنْ هذَا الْغُلاَمُ يَا أَبْنَيْرُ؟» فَقَالَ أَبْنَيْرُ: «وَحَيَاتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَسْتُ أَعْلَمُ». فَقَالَ الْمَلِكُ: «اسْأَلِ ابْنُ مَنْ هذَا الْغُلاَمُ». وَلَمَّا رَجَعَ دَاوُدُ مِنْ قَتْلِ الْفِلِسْطِينِيِّ أَخَذَهُ أَبْنَيْرُ وَأَحْضَرَهُ أَمَامَ شَاوُلَ وَرَأْسُ الْفِلِسْطِينِيِّ بِيَدِهِ. فَقَالَ لَهُ شَاوُلُ: «ابْنُ مَنْ أَنْتَ

يَا غُلاَمُ؟» فَقَالَ دَاوُدُ: «ابْنُ عَبْدِكَ يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ»" (1 صموئيل 17:55-58)؛ "وَكَانَ لَمَّا فَرَغَ [دَاوُدُ] مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ شَاوُلَ أَنَّ نَفْسَ يُونَاثَانَ [بن شاول الْبِكْر] تَعَلَّقَتْ بِنَفْسِ دَاوُدَ، وَأَحَبَّهُ يُونَاثَانُ كَنَفْسِهِ. فَأَخَذَهُ شَاوُلُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَلَمْ يَدَعْهُ يَرْجعُ إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ. وَقَطَعَ يُونَاثَانُ وَدَاوُدُ عَهْدًا لأَنَّهُ أَحَبَّهُ كَنَفْسِهِ. وَخَلَعَ يُونَاثَانُ الْجُبَّةَ (أي: الرّداءَ؛ المِعطَفَ) الَّتِي عَلَيْهِ وَأَعْطَاهَا لِدَاوُدَ مَعَ ثِيَابِهِ وَسَيْفِهِ وَقَوْسِهِ وَمِنْطَقَتِهِ (أي: تخلّى يُونَاثَانُ عن جميع ما يدل على مقامه الرفيع كأمير إسرائيل ووريث العرش المَلِكي وَوَهَبَهُ لِدَاوُدَ بكلِّ طيبة خاطر ورضًى). وَكَانَ دَاوُدُ يَخْرُجُ إِلَى حَيْثُمَا أَرْسَلَهُ شَاوُلُ. كَانَ يُفْلِحُ. فَجَعَلَهُ شَاوُلُ عَلَى رِجَالِ الْحَرْبِ. وَحَسُنَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ الشَّعْبِ وَفِي أَعْيُنِ عَبِيدِ شَاوُلَ أَيْضًا" (1 صموئيل 18:1-5).

مما سبق نلاحظ ما يلي: "يسجّل الكاتبُ انتصارات داود في (1 صموئيل 17) بعد مسحه في (1 صموئيل 16)، مع أنّ النص (1 صموئيل 17) لا يبدو أنه يَعرف مسحه، ولا يبدو أنه يعرف خدمته كموسيقي، ولا كونه جبَّار بأس أو رجل قتال أو حاملاً سلاح شاول. وبالتالي (1 صموئيل 17) على الأرجح ينتمي إلى تقليد مختلف وقد وُضِع النَّصَّان جنباً إلى جنب. [...] ["وَأَمَّا دَاوُدُ فَكَانَ يَذْهَبُ وَيَرْجِعُ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ لِيَرْعَى غَنَمَ أَبِيهِ فِي بَيْتِ لَحْمٍ"] (1 صموئيل 17:15) على الأغلب إضافة من الكاتب للتوفيق بين التقليدين المذكورين آنفاً"[7574]. ولعل وجود هذين التقليدين اليهوديين يفسر أن آيات كثيرة في (1 صموئيل 17) لم تنتقل إلى القصة القرآنية (البقرة 246-252)، لا سيما الآيات التي تقدم شاولَ كشخصٍ جبان يخاف ويرتعد من الْفِلِسْطِينِيّين، مثل: "وَلَمَّا سَمِعَ شَاوُلُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ كَلاَمَ الْفِلِسْطِينِيِّ هذَا ارْتَاعُوا وَخَافُوا جِدًّا" (1 صموئيل 17:11)، على الرغم من كونه "أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ" (1 صموئيل 9:2، 10:23) ومن بني بنيامين المعروفين بمهارتهم في القتال والرمي "يَرْمُونَ الْحَجَرَ بِالْمِقْلاَعِ عَلَى الشَّعْرَةِ وَلاَ يُخْطِئُونَ" (القضاة 20:16)! فيبدو لنا أن الآيات مثل (1 صموئيل 17:11) تنتمي إلى التقليد اليهودي الرافض للحكم الملكي (أو الرافض لشاول تحديداً anti-Saul) ولذلك قدَّم شاولَ كشخصٍ جبان. ولم تنتقل هذه الفكرة إلى القرآن، لأن القرآن قد تأثر أكثر بالتقليد اليهودي المؤيد للحكم الملكي (أو المؤيد لشاول pro-Saul). أو بعبارة أكثر دقة: جعل أصحابُ القرآن مجموعةً من جنود شاول/طالوت فقط – وليس شاول/طالوت نفسه – هُمْ الذين يخافون من لقاء العدو الكافر: "قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ" (البقرة 249).

"ونشير إلى أمر آخر وهو أنّ الأعداد (1 صموئيل 17:12-31) غير واردة في السبعينية ولا في النص اليوناني الفاتيكاني للكتاب المقدس (LXX^B) وكذلك بعض الأعداد الأخرى (ع. 41، 48ب، [50]، 55-58، [...]) لكنها موجودة في النص اليوناني السكندري (LXX^A). إن غياب هذه الأعداد قد لا يؤثر على سرد القصة كثيراً، وقد يكون النص الأقصر أكثر قدماً، لكن النص المطوَّل يضيف تفاصيل هامة"[7575]. ولقد رأينا أن هذه الأعداد أيضاً لم تنتقل إلى القصة القرآنية (البقرة 246-252).

وما يهمنا هنا هو أن وجود اختلافات بين القصة الكتابية والقصة القرآنية يرجع – ولو جزئياً – إلى وجود تقليدين يهوديين (أو أكثر) مختلفين، حيث تأثرت القصة القرآنية بتقليدٍ يهودي دون غيره أو أكثر من غيره. وليس لأن القرآن "أصح" من الكتاب المقدس كما يتوهَّم المسلمون.

أما فيما يتعلق بجملة "كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 249) التي يزعم أصحابُ القرآن أن مجموعة من جنود طالوت قالوها وهي مجموعة "الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ (أي: يوقنون بلقاء الله بعد الموت! يؤمنون بيوم القيامة!)" (البقرة 249)! فنحن نطالب المسلمين أن يعطونا دليلاً علمياً واحداً يثبت أن مجموعة من بني إسرائيل كانوا يؤمنون بالقيامة (البعث) في القرن الحادي عشر قبل الميلاد!

أما دعاء طالوت وجنوده "لَمَّا بَرَزُوا (أي: ظَهَرُوا) لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ" (البقرة 250) "قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا (أي: املأنا بالصبر) وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (البقرة 250)، فهو دعاء عربي/إسلامي من تأليف أصحاب القرآن في المدينة (يثرب) في القرن السابع الميلادي ووضعوه على لسان طالوت وجنوده في إسرائيل في القرن الحادي عشر قبل الميلاد! بدليل أن أصحاب القرآن استخدموا هذا الدعاء في مواضع أخرى من القرآن ليست لها أية علاقة بقصة طالوت وداود وجالوت. فالجزء الأول منه "رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا" (البقرة 250) وضعه أصحابُ القرآن على لسان سحرة فرعون الذين آمنوا في قصة موسى وفرعون القرآنية التي يُفْتَرَض أنها حدثت في مصر في القرن الخامس عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد: "رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا" (الأعراف 126)! إنها إذن عبارة (formulaic) استخدمها أصحابُ القرآن في قصتين مختلفتين ولشخصيات مختلفة لغوياً وثقافياً وزمانياً ومكانياً. والجزء الثاني منه "قَالُوا رَبَّنَا [...] ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (البقرة 250) هو أيضاً دعاء عربي/إسلامي يلائم البيئة العربية والإسلامية التي كانت تحيط بأصحاب القرآن في المدينة (يثرب) في القرن السابع الميلادي، بدليل أنهم استخدموه في تعليقهم على هزيمة المسلمين في غزوة أُحد (3هـ) وزعموا أن الصابرين الذين قاتلوا مع كثير من الأنبياء السابقين "قَالُوا رَبَّنَا [...] ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (آل عمران 147)!

أما الآية القرآنية التي تدعو إلى إنفاق المال في طرق الخير بصفة عامة، وفي الجهاد بصفة خاصة، وتشبه ذلك بإعطاء الله قرضاً: "مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ [اللهُ] أَضْعَافًا كَثِيرَةً" (البقرة 245)؛ وهي فكرة تكررت في آيات قرآنية أخرى مثل: "مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ" (الحديد 11)؛ "إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ" (الحديد 18)؛ "إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ" (التغابن 17)؛ "وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا" (المزمل 20)؛ (المائدة 12). فهي كلها مستوحاة من آيات كتابية مثل: "مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ، وَعَنْ مَعْرُوفِهِ يُجَازِيهِ" (الأمثال 17:19)، أو من ترنيمة كتبها واحدٌ من الآباء الروحيين لأصحاب القرآن وهو المفكر المسيحي المبدع القديس "إفرام السرياني" (Ephrem the Syrian) (Ephraem) (القرن الرابع الميلادي)[7576]:

Your alms and prayers / are everywhere given as loans / which enrich those who received them / while you possess the capital and the gain. / What you have loaned out will be returned to you. / The alms of the giver / are like the loan which a righteous one gives. / For it is entirely possessed by the one who borrows / and by the one who lends / for it is returned to him with its gain. (Ephrem, *Hymns to Abraham Kidunaya*, 1:7-8).

وبهذا نكون قد سلَّطنا الضوءَ على أهم النقاط في قصة صموئيل وشاول (طالوت) وداود وجُليات (جالوت) الكتابية التي نحتاجها من أجل دراسة نشأة القصة القرآنية القصيرة (البقرة 246-252) ومن أجل إثبات تأثير القصة الكتابية على الآيات القرآنية التي تتحدث عن غزوة بدر (2هـ)؛ أو بعبارة أكثر دقة: الآيات القرآنية التي قال المفسرون المسلمون إنها تتحدث عن غزوة اسمها غزوة "بدر".

فلا يتبقى إلا مسألة واحدة فقط وهي: اختبار عدم الشرب من ماء النهر (البقرة 249) ...

4.44.4 القرآن يتسبب في مشكلة زمانية (تاريخية) ومشكلة مكانية (جغرافية)!

لم نتطرق إلى اختبار عدم الشرب من ماء النهر (البقرة 249) لأنه فكرة دخيلة. وفي الواقع، فإن الآية القرآنية محل الدراسة (البقرة 249) فيها ما يدل على ذلك. إنها أطول آية في هذه القصة القرآنية القصيرة (البقرة 246-252). وبالفعل يمكن حذف اختبار عدم الشرب من ماء النهر حذفاً كُلياً من الآية (البقرة 249) وقراءة الآية دون أدنى مشكلة كما يلي: "فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" (البقرة 249 بعد حذف اختبار عدم الشرب من ماء النهر).

اختبار عدم الشرب من ماء النهر (البقرة 249) لم يحدث بعد تأسيس المملكة كما زعم القرآنُ (البقرة 246-248)، وإنما حدث **قبل** تأسيس المملكة بفترة طويلة – عشرات السنين أو ربما 100 سنة أو أكثر – في عهد قاضي من قضاة بني إسرائيل اسمه "جِدْعُون" (Gideon) حسب سفر القضاة الذي تُنْسَب كتابتُه أيضاً إلى النبي صموئيل مع أن اسم صموئيل غير مذكور فيه على الإطلاق!

ليس هذا فحسب، بل إن اختبار عدم الشرب من ماء النهر (البقرة 249) لم يحدث في الحرب بين الإسرائيليين وأعدائهم الفِلِسْطِيِّين (Philistines) "جَالُوتَ وَجُنُودِهِ" كما زعم القرآنُ (البقرة 249-251)، وإنما حدث في الحرب بين الإسرائيليين وأعدائهم المديانيين (Midianites) (القضاة 7)!

بعبارة أخرى: خلط أصحابُ القرآن قصةَ جدعون مع قصة صموئيل وشاول (طالوت) وداود وجُليات (جالوت) في قصةٍ قرآنية واحدة هي (البقرة 246-252)! فنستطيع أن نقول إن شخصية "طالوت" القرآنية هي مجرد تطور بشري طبيعي لشخصيتي المَلِك شاول والبطل جدعون الكتابيتين. أو بعبارة أخرى: أدمج أصحابُ القرآن شخصيتي المَلِك شاول والبطل جدعون الكتابيتين في شخصيةٍ قرآنية واحدة هي "طَالُوت".

المَلِك شاول + البطل جِدْعُون **[⟵ المَلِك البطل "طَالُوت" (البقرة 247، 249)]**.

تقول موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)[7577]:

The qurʾānic account conflates the biblical story of Gideon's conflict with the Midianites (see MIDIAN) — in particular the episode wherein God instructed Gideon to select only those men who drank from the river by scooping water with their hand (Judges 7:1-7) — with the account of the wars of Saul and David against the Philistines (1 Sam 17).

وكذلك تقول موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam)[7578]:

[…] The passage of the Ḳurʾān […] combines the biblical account of the wars waged by Saul and David (1 Sam 17) with some traces of Gideon's expedition against the Midianites (Judges 7, particularly the episode of the water drinking test to select warriors).

وبالإضافة إلى هذه المشكلة الزمانية (التاريخية) التي تسبب فيها القرآنُ نتيجة الخلط بين هاتين القصتين الكتابيتين، توجد مشكلة أخرى مكانية (جغرافية). فالنهر الذي عبره جيشُ إسرائيل بقيادة طالوت "جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ" (البقرة 249) حسب تفاسير القصة القرآنية هو نهر الأردن (Jordan River) الذي يقع شرق إسرائيل بين الأردن وإسرائيل. قال تفسير ابن كثير لـ (البقرة 249): "قال ابن عباس وغيره: وهو نهر بين الأردن وفلسطين (أي: نهر الأردن). يعني: نهر الشريعة المشهور"[7579]. وقال تفسير القرطبي: "قال قتادة: النهر الذي ابتلاهم اللهُ به هو نهرٌ بين الأردن وفلسطين"[7580]. وقال تفسير الجلالين: "وهو بين الأردن وفلسطين"[7581]. وفي عصرنا الحديث، قال د. حسن الباش: "والواقع أن النهر هو نهر الأردن وقد أكد ذلك الرواة الإسلاميون والمفسرون"[7582]. وقالت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān):

Ṭālūt's "soldiers were asked not to drink from the river, which is identified as the river Jordan"[7583].

لكن من المعلوم أن الفِلِسْطِيّين كانوا يهجمون على إسرائيل من الغرب (أي: من ساحل البحر المتوسط). فلا يحتاج جيش إسرائيل أن يعبر نهر الأردن الذي في الشرق لمطاردة الفِلِسْطِيّين! إذن: القصة القرآنية غير منطقية. أما القصة الكتابية، أي: قصة جدعون، فتبدو لنا أكثر منطقية. وذلك لأن الأعداء الذين اضطر جيشُ إسرائيل بقيادة جدعون إلى أن يعبر نهر الأردن لمطاردتهم هُمْ المديانيون الذين هجموا على إسرائيل من الشرق (أي: من الصحراء الشرقية) (القضاة 7).

فكيف حل المفسرون المسلمون هذه المشكلة الجغرافية؟! كالعادة، لجأوا إلى حيل. وكالعادة أيضاً، جاءت حيلهم مختلفة ومتضاربة وبائسة ومضحكة ...

فقيل مثلاً إنه نهر آخر غير نهر الأردن! قال تفسير الماوردي: "اختلفوا في النهر، فَحُكِيَ عن ابن عباس والربيع أنه نَهر بين الأرْدُنِّ وفِلَسْطينَ (أي: نهر الأردن)، وقيل إنه نَهر فِلَسْطينَ"(7584)! وقال تفسير الطبري: "قيل: هو نَهرٌ بين الأرْدُنِّ وفِلَسْطينَ (أي: نهر الأردن). [...] وقال آخرون: بل هو نَهرُ فِلَسْطينَ"(7585)! وقال تفسير النسفي: "هو نَهرُ فِلَسْطينَ"(7586). أما الواحديّ النيسابوريّ فقال في تفسيره الوسيط: "هو نهر بين الأردن وفلسطين"(7587)، لكنه قال في تفسيره الوجيز إنه "نَهرُ فِلَسْطينَ"(7588)! يعني نفس المفسر لكنه يقول رأياً في كتابٍ ويقول رأياً آخر مختلفاً في كتابٍ آخر! فهل توجد حيرة وتخبط أكثر من ذلك؟! بصراحة، نحن لا نرى تلك المتاهات العجيبة إلا في الكتب والمراجع الإسلامية!

وتوجد حيلة إسلامية أخرى أكثر تعقيداً تقول إن النهر هو "نهر الشريعة (نهر الأردن)"، والمواجهة حدثت في مكانٍ قريبٍ منه "على الأرجح في سهول أريحا". لكن يبدو أن أصحاب هذه الحيلة قد تنبَّهوا إلى أن أريحا في الشرق بعيدة جداً عن مدن الفِلِسْطِيّين في الغرب! فقالوا إن جالوت كان "مَلِك الكنعانيين في يبوس"، أي: قائد الكنعانيين في أورشليم (القدس)(7589)!

وتوجد حيلة ثالثة لجأت إلى الأساطير فقالت إن هذا النهر كان معجزة صنعها اللهُ لهم! قال الزمخشري: "فسألوا أن يجري اللهُ لهم نهراً، فـ "قَالَ [طَالُوتُ] إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم" بما اقترحتموه من النهر"(7590)!

وطبعاً نحن لم نقتنع بهذه الحيل الإسلامية المختلفة المتضاربة البائسة المضحكة. ونرى أنه كان من الأفضل ألا يقحم أصحابُ (البقرة 249) قصةَ جدعون في قصة شاول/طالوت. فالفكرة الأساسية في الآية ليست طاعة الجنود لقائدهم مهما كانت أوامره عجيبة وغريبة وشاذة ومؤذية لهم مثل عدم شرب الماء! وإنما الفكرة الأساسية في الآية هي صبر المؤمنين وثباتهم في الحرب ضد الكافرين على الرغم من قلة عدد المؤمنين وكثرة عدد الكافرين: "كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" (البقرة 249). بدليل أن الآية التي تلي (البقرة 249) تضيف مزيداً من التركيز على هذه الفكرة: "رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (البقرة 250). علماً بأن انتصار المؤمنين على الكافرين على الرغم من قلة عدد المؤمنين وكثرة عدد الكافرين هو أيضاً ما حدث في قصة حرب جدعون ضد المديانيين الوثنيين الذين كانوا "كَالْجَرَادِ فِي الْكَثْرَةِ وَلَيْسَ لَهُمْ وَلِجِمَالِهِمْ عَدَدٌ" (القضاة 5:6) "كَالْجَرَادِ فِي الْكَثْرَةِ،

وَجِمَالُهُمْ لاَ عَدَدَ لَهَا كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي الْكَثْرَةِ" (القضاة 12:7). فهل يستطيع جيش إسرائيل الذي يتكوَّن من 300 رجل مؤمن فقط (القضاة 7:6-8) أن ينتصر على جيش المديانيين وحلفائهم الذي يتكوَّن من 135 ألف رجل وثني (القضاة 8:10)؟! ...

4.44.5 جدعون يعبر نهر الأردن ليخلِّص بني إسرائيل من أعدائهم المديانيين

نفهم من (القضاة 6) أن المديانيين وحلفائهم من الشرق والجنوب كانوا عصابة من الحرامية المجرمين المفسدين في الأرض. **(القضاة 6):** {1} وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِ مِدْيَانَ سَبْعَ سِنِينَ. {2} فَاعْتَزَّتْ يَدُ مِدْيَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ. بِسَبَبِ الْمِدْيَانِيِّينَ عَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنْفُسِهِمِ الْكُهُوفَ الَّتِي فِي الْجِبَالِ وَالْمَغَايِرَ وَالْحُصُونَ. {3} وَإِذَا زَرَعَ إِسْرَائِيلُ، كَانَ يَصْعَدُ الْمِدْيَانِيُّونَ (Midianites) وَالْعَمَالِقَةُ (Amalekites) وَبَنُو الْمَشْرِقِ (other eastern peoples) (أي: المتحالفون معهما من الشعوب القاطنة شرقي نهر الأردن وشرقي البحر الأحمر)، يَصْعَدُونَ عَلَيْهِمْ، {4} وَيَنْزِلُونَ عَلَيْهِمْ وَيُتْلِفُونَ غَلَّةَ الأَرْضِ إِلَى مَجِيئِكَ إِلَى غَزَّةَ، وَلاَ يَتْرُكُونَ لإِسْرَائِيلَ قُوتَ الْحَيَاةِ، وَلاَ غَنَمًا وَلاَ بَقَرًا وَلاَ حَمِيرًا. {5} لأَنَّهُمْ كَانُوا يَصْعَدُونَ بِمَوَاشِيهِمْ وَخِيَامِهِمْ وَيَجِيئُونَ كَالْجَرَادِ فِي الْكَثْرَةِ وَلَيْسَ لَهُمْ وَلِجِمَالِهِمْ عَدَدٌ، وَدَخَلُوا الأَرْضَ لِكَيْ يُخْرِبُوهَا. {6} فَذَلَّ إِسْرَائِيلُ جِدًّا مِنْ قِبَلِ الْمِدْيَانِيِّينَ. وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ.

فاستجاب الرَّبُّ لصراخ بني إسرائيل وأقام لهم قائداً ومنقذاً ومخلِّصاً هو البطل القومي "جِدْعُون" (Gideon) (Gédéon) – الذي صار يُسمَّى أيضاً "يَرُبَّعْل" (Jerub-Baal) (القضاة 32:6) و "يَرُبُّوشَث" (Jerubbesheth) (2 صموئيل 21:11) – ليحارب المديانيين ويُخلِّص بني إسرائيل. "فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الرَّبُّ وَقَالَ: «اذْهَبْ بِقُوَّتِكَ هذِهِ وَخَلِّصْ إِسْرَائِيلَ مِنْ كَفِّ مِدْيَانَ. [...] إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَسَتَضْرِبُ الْمِدْيَانِيِّينَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ»" (القضاة 14:6-16). "فلا شك إطلاقاً في أن دعوة جدعون كانت من الله، وأن الصوت الذي كلمه هو صوت الله"[7591]. "وَلَبِسَ رُوحُ الرَّبِّ جِدْعُونَ فَضَرَبَ بِالْبُوقِ (أي: أعطى الأمرَ لجيش بني إسرائيل بالتقدم)" (القضاة 34:6). فاستطاع جدعون أن يجمع جيشاً كبيراً يضم 32 ألف محارب (القضاة 3:7)! فأراد الربُّ أن يقلل هذا العدد حتى يعلم بنو إسرائيل أن النصر من عند الله وبقوته وليس بكثرة العدد؛ "ليكون مجد الانتصار للرب وليس لإنسان"[7592]. ومن ثم حدث اختبار عدم الشرب من الماء ...

اختبار عدم الشرب من نبع الماء. **(القضاة 7):** {1} فَبَكَّرَ يَرُبَّعْلُ، أَيْ جِدْعُونُ، وَكُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي مَعَهُ [⟵ **"فَصَلَ (أي: خَرَجَ) طَالُوتُ بِالْجُنُودِ" (البقرة 249)**] وَنَزَلُوا عَلَى عَيْنِ حَرُودَ[7593] (En-harod) (Spring of Harod). وَكَانَ جَيْشُ الْمِدْيَانِيِّينَ شِمَالِيَّهُمْ عِنْدَ تَلِّ مُورَةَ (Hill of Moreh) (Gibeath-moreh) (هو: تل بين جبل جِلْبُوعَ Mount Gilboa (جبل جِلْعَادَ Mount Gilead) جنوباً وجبل تَابُورَ Tabor شمالاً ويبعد حوالي 4 أميال شمال عَيْنِ حَرُودَ) فِي الْوَادِي (أي: في وادي يِزْرَعِيلَ Jezreel).

{2} وَقَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ: «إِنَّ الشَّعْبَ الَّذِي مَعَكَ كَثِيرٌ عَلَيَّ لأَدْفَعَ الْمِدْيَانِيِّينَ بِيَدِهِمْ، لِئَلاَّ يَفْتَخِرَ عَلَيَّ إِسْرَائِيلُ قَائِلًا: يَدِي خَلَّصَتْنِي (أي: لِئَلاَّ يتكبَّر شعبُ إسرائيل وينسبون النَّصرَ إلى كثرة عددهم؛ يقصد: ليعلم إِسْرَائِيلُ أن النصر بقوة الله وليس بقوة الجنود وكثرة عددهم)[7594] **[← "كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 249) "بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 251). وعندما كتب المسلمون الأوائل قصةَ غزوة بدر (2هـ) في قرآنهم قالوا: "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (آل عمران 126) "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (الأنفال 10) "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ" (الأنفال 17)]**. {3} وَالآنَ نَادِ فِي آذَانِ الشَّعْبِ قَائِلًا: مَنْ كَانَ خَائِفًا وَمُرْتَعِدًا فَلْيَرْجعْ وَيَنْصَرِفْ مِنْ جَبَلِ جِلْعَادَ (Mount Gilead) (هو: جَبَلِ جِلْبُوعَ Mount Gilboa بالقرب من عَيْنِ حَرُودَ غرب نهر الأردن)[7595]». فَرَجَعَ مِنَ الشَّعْبِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ أَلْفًا[7596] (أي: أكثر من الثلثين! معظم الجيش كَانَ خَائِفًا وَمُرْتَعِدًا) **[← "فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا" (البقرة 246) "قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ" (البقرة 249)]**. وَبَقِيَ عَشَرَةُ آلاَفٍ (أي: أقل من الثلث!) **[← "إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ" (البقرة 246)]**. {4} وَقَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ: «لَمْ يَزَلِ الشَّعْبُ كَثِيرًا. اِنْزِلْ بِهِمْ إِلَى الْمَاءِ (أي: مَاءِ عَيْنِ حَرُودَ) فَأُنَقِّيَهُمْ (أي: فأُجَرّبُهُم؛ فأُمَحِّصُهم؛ فأُغَرْبِلُهُمْ) لَكَ هُنَاكَ **[← "إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم (أي: مُخْتَبِركُم) بِنَهَرٍ" (البقرة 249)]**. وَيَكُونُ أَنَّ الَّذِي أَقُولُ لَكَ عَنْهُ: هذَا يَذْهَبُ مَعَكَ **[← "فَإِنَّهُ مِنِّي" (البقرة 249)]**، فَهُوَ يَذْهَبُ مَعَكَ. وَكُلُّ مَنْ أَقُولُ لَكَ عَنْهُ: هذَا لاَ يَذْهَبُ مَعَكَ **[← "فَلَيْسَ مِنِّي" (البقرة 249)]** فَهُوَ لاَ يَذْهَبُ». {5} فَنَزَلَ [جِدْعُونُ] بِالشَّعْبِ إِلَى الْمَاءِ. وَقَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ: «كُلُّ مَنْ يَلَغُ بِلِسَانِهِ مِنَ الْمَاءِ كَمَا يَلَغُ الْكَلْبُ (أي: كُلُّ مَنْ يَلْعَقُ بِلِسَانِهِ مِنَ الْمَاءِ كَمَا يَلْعَقُ الْكَلْبُ؛ يقصد: كُلُّ مَنْ يشرب كميةً قليلةً جداً من الماء بفمه مباشرة أو بكفه بسرعةٍ وانتباه وهو واقف) **[← "مَن لَّمْ يَطْعَمْهُ [...] إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ (أي: مَن لم يذق منه إِلَّا غُرْفَةً واحدةً فقط)" (البقرة 249)]** فَأَوْقِفْهُ وَحْدَهُ. وَكَذَا كُلُّ مَنْ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ لِلشُّرْبِ (يقصد: كُلُّ مَنْ يشرب كميةً كبيرةً من الماء بهدوءٍ واسترخاء وهو جالس أو راكع) **[← "مَن شَرِبَ مِنْهُ" (البقرة 249)]**». {6} وَكَانَ عَدَدُ الَّذِينَ وَلَغُوا بِيَدِهِمْ **[← "مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ" (البقرة 249)]** إِلَى فَمِهِمْ ثَلاَثَ مِئَةِ رَجُل (أي: 3% فقط! عدد قليل جداً) **[← "قَلِيلًا مِّنْهُمْ" (البقرة 249) "عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ، الَّذِينَ جَازُوا مَعَهُ النَّهَرَ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَمِائَةٍ" (البخاري 3740-3742)]**. وَأَمَّا بَاقِي الشَّعْبِ جَمِيعًا فَجَثَوْا عَلَى رُكَبِهِمْ لِشُرْبِ الْمَاءِ **[← "فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ" (البقرة 249)[7597]]**. {7} فَقَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ: «بِالثَّلاَثِ مِئَةِ الرَّجُلِ **[← "بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَمِائَةٍ" (البخاري 3740-3742)]** الَّذِينَ وَلَغُوا أُخَلِّصُكُمْ وَأَدْفَعُ الْمِدْيَانِيِّينَ لِيَدِكَ. وَأَمَّا سَائِرُ الشَّعْبِ فَلْيَذْهَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَكَانِهِ». {8} فَأَخَذَ الشَّعْبُ زَادًا بِيَدِهِمْ مَعَ أَبْوَاقِهِمْ. وَأَرْسَلَ [جِدْعُونُ] سَائِرَ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَتِهِ، وَأَمْسَكَ الثَّلاَثَ مِئَةِ الرَّجُلِ. وَكَانَتْ مَحَلَّةُ الْمِدْيَانِيِّينَ تَحْتَهُ فِي الْوَادِي.

نصح الرَّبُّ جِدْعُونَ بالتجسس على معسكر المديانيين لِيُسْمِعه بشائر النصر بلسانِ رجلٍ مدياني وثني.

(القضاة 7): [...] {12} وَكَانَ الْمِدْيَانِيُّونَ وَالْعَمَالِقَةُ وَكُلُّ بَنِي الْمَشْرِقِ حَالِّينَ فِي الْوَادِي كَالْجَرَادِ فِي الْكَثْرَةِ، وَجِمَالُهُمْ لاَ عَدَدَ لَهَا كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي الْكَثْرَةِ. {13} وَجَاءَ جِدْعُونُ [متسللاً إلى مؤخرة

معسكر المديانيين] فَإِذَا رَجُلٌ [مدياني وثني] يُخَبِّرُ صَاحِبَهُ بِحُلْمٍ وَيَقُولُ: «هُوَذَا قَدْ حَلُمْتُ حُلْمًا، وَإِذَا رَغِيفُ خُبْزِ شَعِيرٍ يَتَدَحْرَجُ فِي مَحَلَّةِ الْمِدْيَانِيِّينَ، وَجَاءَ إِلَى الْخَيْمَةِ وَضَرَبَهَا فَسَقَطَتْ، وَقَلَبَهَا إِلَى فَوْقٍ فَسَقَطَتِ الْخَيْمَةُ». {14} فَأَجَابَ صَاحِبُهُ [المدياني الوثني] وَقَالَ [له تفسيرَ الْحُلْمِ]: «لَيْسَ ذلِكَ [الرغيف] إِلاَّ سَيْفَ جِدْعُونَ بْنِ يُوآشَ رَجُلِ إِسْرَائِيلَ. قَدْ دَفَعَ اللهُ (God) إِلَى يَدِهِ الْمِدْيَانِيِّينَ وَكُلَّ الْجَيْشِ (أي: قَدْ نَصرَهُ اللهُ على الْمِدْيَانِيِّينَ وَكُلِّ الْجَيْشِ)»[7598]. {15} وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ جِدْعُونُ خَبَرَ الْحُلْمِ وَتَفْسِيرَهُ، أَنَّهُ سَجَدَ [للرب في معسكر المديانيين لأنه تيقّن أن الرب قد سبقه إلى أرض المعركة] وَرَجَعَ [جِدْعُونُ] إِلَى مَحَلَّةِ إِسْرَائِيلَ وَقَالَ: «قُومُوا لأَنَّ الرَّبَّ (The LORD) قَدْ دَفَعَ إِلَى يَدِكُمْ جَيْشَ الْمِدْيَانِيِّينَ (أي: قَدْ نَصرَكُم الرَّبُّ على جَيْشِ الْمِدْيَانِيِّينَ)» **[⟵ "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (آل عمران 126) "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (الأنفال 10) "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ" (الأنفال 17)].**

وبالفعل، انتهت الحرب بانتصار ساحق حققه الإسرائيليون رغم قلتهم على المديانيين رغم كثرتهم[7599] **[⟵ "كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 249) "فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 251)]**، "وَأَمْسَكُوا أَمِيرَيِ الْمِدْيَانِيِّينَ غُرَابًا (Oreb) وَذِئْبًا (Zeeb)، وَقَتَلُوا غُرَابًا عَلَى صَخْرَةِ غُرَابٍ، وَأَمَّا ذِئْبٌ فَقَتَلُوهُ فِي مِعْصَرَةِ ذِئْبٍ. وَتَبِعُوا الْمِدْيَانِيِّينَ وَأَتَوْا بِرَأْسَيْ غُرَابٍ وَذِئْبٍ إِلَى جِدْعُونَ مِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ" (القضاة 7:25). وبعد انسحاب المديانيين وتراجعهم إلى جنوب شرق نهر الأردن، عَبَرَ جِدْعُونُ ورجاله الأبطال نهرَ الأردن إلى الضفة الشرقية ليطاردوا المديانيين الهاربين: "وَجَاءَ جِدْعُونُ إِلَى [نهر] الأُرْدُنِّ وَعَبَرَ هُوَ وَالثَّلاَثُ مِئَةِ الرَّجُلِ الَّذِينَ مَعَهُ **[⟵ "جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ" (البقرة 249)!]** مُعْيِينَ وَمُطَارِدِينَ (أي: وَهُمْ يُطاردونَ المديانيين رُغمَ ما بِهِمِ مِنْ تعبٍ)" (القضاة 8:4). ليس هذا فحسب، بل "واصل جدعون ورجاله مطاردة المديانيين إلى حدود الصحراء وأسر ملكي مديان وقتلهما (القضاة 8:4-21). كانت هذه النصرة يوماً مشهوراً وأصبح يُسمَّى يوم مديان (إشعياء 9:4، 10:26) (مزمور 83:11)"[7600]. **[⟵ وكذلك صار انتصار المسلمين الأوائل في غزوة بدر (2هـ) يوماً مشهوراً وأصبح يُسمَّى "يوم بدر" أو "يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ" (الأنفال 41)؛ وما زال المسلمون إلى اليوم يحتفلون به يوم 17 رمضان من كل عام! فهو أول معركة حاسمة في تاريخ الإسلام المسلح المستمر إلى اليوم. "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ (أي: قليلو العدد والعدة)" (آل عمران 123) "وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ (أي: في مكة) تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ [إلى المدينة] وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ [يوم بدر؛ يوم الفرقان]" (الأنفال 26). "وكان عدد المقاتلين من المسلمين في هذه الغزوة ثلاثمائة رجل أو يزيدون قليلاً، وعدد المشركين ثلاثة أمثالهم. وقد أنجز الله في هذه الغزوة وعده وكان النصر ما لا تفعله القوة المادية"[7601]. وكل هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد كتبوا قصةً يوم بدر في قرآنهم بحيث تكون مشابهة لقصة يوم مديان. ولا يهمنا هنا إن كان يوم بدر أو حتى يوم مديان حدثاً تاريخياً حقيقياً. وإنما يهمنا فقط: (1) أن اختبار عدم الشرب من الماء (البقرة 249) تطور بشري طبيعي لـ (القضاة 7:4-7)؛ (2) وأن ما قاله القرآن والسنة**

الصحيحة عن يوم بدر هو مجرد تطور بشري طبيعي لما قاله الكتاب المقدس والتراث اليهودي-المسيحي عن يوم مديان].

"وهكذا تحطمت قوة المديانيين وجحافلهم البدوية، واستمتع إسرائيل بالسلام لمدة أربعين سنة"[7602].
"وَذَلَّ مِدْيَانُ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ يَعُودُوا يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ. وَاسْتَرَاحَتِ الأَرْضُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي أَيَّامِ جِدْعُونَ" (القضاة 8:28).

وحسب التقليد، حدث انتصارُ جدعون على المديانيين في القرن الثاني عشر أو الحادي عشر قبل الميلاد[7603]. فنكرر مرة أخرى ما قلناه فيما سبق: قصة القاضي جدعون حدثت **قبل** قصة المَلِك شاول بفترة طويلة – عشرات السنين أو ربما 100 سنة أو أكثر!

وبعد هذا الانتصار الحاسم على المديانيين، قامت حركةٌ لجعل جدعون ملكاً وجعل بيته بيتاً ملكياً وراثياً من الأب لابنه لأول مرة في تاريخ إسرائيل. **(القضاة 8):** {22} وَقَالَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ **[← "الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ" (البقرة 246)]** لِجِدْعُونَ: «تَسَلَّطْ عَلَيْنَا **[← "ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا" (البقرة 246)]** أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنُ ابْنِكَ (أي: سلطة وراثية؛ مملكة؛ خلافة؛ a royal dynasty)، لأَنَّكَ قَدْ خَلَّصْتَنَا مِنْ يَدِ مِدْيَانَ». {23} فَقَالَ لَهُمْ جِدْعُونُ: «لاَ أَتَسَلَّطُ أَنَا عَلَيْكُمْ وَلاَ يَتَسَلَّطُ ابْنِي عَلَيْكُمْ. اَلرَّبُّ يَتَسَلَّطُ عَلَيْكُمْ». أي: رفض جِدْعُونُ تأسيس مملكة لأنه اعتبرها بديلاً عن مُلْك الرب.

تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica) تعليقاً على الآيات الكتابية السابقة[7604]:

There can be no doubt about the outstanding position Gideon occupied prior to the founding of the monarchy. Not only are his exploits recorded with unwonted detail, but also, and most exceptionally, the narrative is concerned with his post-military activities. Clearly, he enjoyed some special leadership status, though its precise nature is unclear. It is in Gideon's time that we encounter a desire for change from tribal, charismatic rule to a more comprehensive, hereditary type when the "men of Israel" offer to make Gideon the founder of a dynasty (Judg. 8:22). However, it should be noted that the verb employed is "rule" (*mshl*) rather than "reign" (*mlkh*), the word usually employed for kingship. Apparently, the incident represents an intermediary stage in the movement toward the establishment of a permanent monarchy.

وعلى الرغم من أن جِدْعُون رفض أن يكون مَلِكاً، إلا أن سفر القضاة وصفه بعد ذلك كما لو كان مَلِكاً (أو على الأقل: سلك سلوك الملوك) فصار له نساء كثيرات وأولاد كثيرون! "وَكَانَ لِجِدْعُونَ سَبْعُونَ وَلَدًا خَارِجُونَ مِنْ صُلْبِهِ، لأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ. وَسُرِّيَّتُهُ الَّتِي فِي شَكِيمَ وَلَدَتْ لَهُ هِيَ أَيْضًا ابْنًا فَسَمَّاهُ أَبِيمَالِكَ (Abimelech)" (القضاة 8:30-31). "ويعني اسم ابنه أَبِيمَالِك (بالعبريّة، أ ب ي مِ لِ ك)، أي "أبي هو ملك". ولسنا نعلم بالضبط من الذي سمّى الولد. فإن كان جدعون هو الذي سمَّاه، فهذا يعني أنّه كان متعطشاً للمُلك مع أنّه لم يرضَ أن يُمْسَح ملكاً على إسرَإيل. وما تكثيره النساء والأولاد إلا دليل على هذا الأمر"[7605].

وعلى الرغم من أن جِدْعُون لا يُعْتبَر نبياً من أنبياء بني إسرائيل، إلا أن سفر القضاة قد حكى قصته مستخدماً كلمات تُستخدَم عادةً في قصص الأنبياء والرسل، مثل: "فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَالَ لَهُ: «الرَّبُّ مَعَكَ يَا جَبَّارَ الْبَأْسِ»" (القضاة 6:12)، "فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الرَّبُّ وَقَالَ: «اذْهَبْ بِقُوَّتِكَ هذِهِ وَخَلِّصْ إِسْرَائِيلَ مِنْ كَفِّ مِدْيَانَ. أَمَا أَرْسَلْتُكَ؟»" (القضاة 6:14)، "فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَسَتَضْرِبُ الْمِدْيَانِيِّينَ كَرَجُل وَاحِدٍ»" (القضاة 6:16)، "فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: [...]" (القضاة 6:23)، "الرَّبَّ قَالَ لَهُ: [...]" (القضاة 6:25، 7:9)، "كَلَّمَهُ الرَّبُّ" (القضاة 6:27)، "وَلَبِسَ رُوحُ الرَّبِّ جِدْعُونَ" (القضاة 6:34)[7606]، "قَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ: [...]" (القضاة 7:2، 7:4، 7:5، 7:7). ثم إن دعوة جدعون ومهمته الأولى كانت هدم مذبح الوثن البعل الذي أقامه أبوه الكافر وبناء مذبحاً للرب في نفس المكان، "وكانت هذه بداية خدمته، وهي ذات دلالة عميقة على دقة القصة، فهي تسير على نفس خطة الله في دعوته للأنبياء والمصلحين، بأن يبدأوا العمل من البيت"[7607]. وفي الواقع، فإن عدد جنود جدعون "ثَلاَثَ مِئَةِ رَجُل" (القضاة 7:6) الذين خلَّصوا شعبَ إسرائيل من أعدائهم المديانيين الذين هجموا من الشرق يُذكِّرنا بعدد غلمان (عبيد) إبراهيم المسلحين "ثَلاَثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ" الذين خلَّصوا لوطاً من الأسر عند أعدائهم الشرقيين (التكوين 14:13-16). ونلاحظ أيضاً أن الكلمات التي استخدمها سفرُ القضاة حين ذكر موتَ جدعون ودفنه – "وَمَاتَ جِدْعُونُ [...] بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ، وَدُفِنَ فِي قَبْرِ [...] أَبِيهِ" (القضاة 8:32) – تشبه تلك الكلمات التي استخدمها سفرُ التكوين حين ذكر موتَ إبراهيم ودفنه: "وَأَسْلَمَ إِبْرَاهِيمُ رُوحَهُ وَمَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ، [...]، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ" (التكوين 25:8)؛ (التكوين 15:15).

إذن: على الرغم من أن جِدْعُون لم يكن مَلِكاً مثل شاول وداود ولا نبياً مثل صموئيل، إلا أن الكتاب المقدس حكى قصته كما لو كان مَلِكاً أو نبياً. وهذا يؤكد على أهمية شخصية جِدْعُون.

ولقد ذُكِرَ اسمُ جدعون مع النبي والقاضي "صموئيل" (Samuel) في سفر صموئيل الأول، فلقد قال صموئيلُ في خطابه الوداعي: "فَأَرْسَلَ الرَّبُّ يَرُبَّعَلَ (أي: جِدْعُونَ) وَبَدَانَ وَيَفْتَاحَ وَصَمُوئِيلَ، وَأَنْقَذَكُمْ مِنْ يَدِ أَعْدَائِكُمُ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ فَسَكَنْتُمْ آمِنِينَ" (1 صموئيل 12:11)؛ وذُكِرَ اسمُه أيضاً في رسالة العبرانيين في العهد الجديد في قائمة أبطال الإيمان مع أنبياء آخرين مثل صموئيل و "داود" (David): "وَمَاذَا أَقُولُ أَيْضًا؟ لأَنَّهُ يُعْوِزُنِي الْوَقْتُ إِنْ أَخْبَرْتُ عَنْ جِدْعُونَ، وَبَارَاقَ، وَشَمْشُونَ، وَيَفْتَاحَ، وَدَاوُدَ، وَصَمُوئِيلَ، وَالأَنْبِيَاءِ، الَّذِينَ

بالإيمَانِ: قَهَرُوا مَمَالِكَ، صَنَعُوا بِرًّا، نَالُوا مَوَاعِيدَ، سَدُّوا أَفْوَاهَ أُسُودٍ، أَطْفَأُوا قُوَّةَ النَّارِ، نَجَوْا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ، تَقَوَّوْا مِنْ ضُعْفٍ، صَارُوا أَشِدَّاءَ فِي الْحَرْبِ، هَزَمُوا جُيُوشَ غُرَبَاءَ" (العبرانيين 11:32-34).

ونحن نرى أن محاولة بني إسرائيل تأسيس سلطة وراثية (أي: مملكة؛ خلافة) بجدعون ونسله (القضاة 22:8)، بالإضافة إلى ذِكر اسم جدعون صراحةً في نفس الآية مع صموئيل (1 صموئيل 11:12) ومع صموئيل وداود (العبرانيين 32:11)، هما سببان آخران جعلا أصحاب القرآن يخلطون قصةَ جدعون مع قصة صموئيل وشاول (طالوت) وداود وجُليات (جالوت) في قصةٍ قرآنية واحدة هي (البقرة 246-252). فكما رفض القاضي جدعونُ اقتراحَ تأسيس مملكة (القضاة 23:8)، كذلك تردد القاضي والنبي صموئيل طويلاً في قبول هذا الاقتراح حين كرره بنو إسرائيل مرَّة ثانية (1 صموئيل 8:4-22) حتى اضطر صموئيل في النهاية إلى تنصيب شَاوُل **[⟵ طَالُوت]** مَلِكاً ليكون أول مَلِك في تاريخ بني إسرائيل، ثم جاء بعده المَلِكُ داود **[⟵ دَاوُودُ]**.

وتوجد طبعاً تشابهات ومتوازيات أخرى بين قصة جدعون وقصة شاول الكتابيتين[7608]. نذكر منها ما يلي على سبيل المثال وليس الحصر:

- جدعونُ اختبر جنودَه بعدم الشرب من نبع الماء في حربه ضد المديانيين (القضاة 7:4-7). وشاولُ اختبر جنودَه بعدم أكل الخبز في معركةٍ ضد الفلسطيين، "لأَنَّ شَاوُلَ حَلَّفَ الشَّعْبَ قَائِلًا: «مَلْعُونٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَأْكُلُ خُبْزًا إِلَى الْمَسَاءِ حَتَّى أَنْتَقِمَ مِنْ أَعْدَائِي». فَلَمْ يَذُقْ جَمِيعُ الشَّعْبِ خُبْزًا" (1 صموئيل 24:14). **[⟵ خلط أصحابُ القرآن بين قصة جدعون وقصة شاول الكتابيتين، فزعموا أن طالوت اختبر جنودَه بعدم الشرب من ماء النهر في معركةٍ ضد الفلسطيين (جالوت وجنوده) (البقرة 249)[7609]!]**.

- تطبيق استراتيجية تقسيم الجيش إلى فرقتين أو ثلاث: جيش جدعون في حربه ضد المديانيين، أي في أول انتصار كبير له، كان يتكون من ثلاث فرق: "وَقَسَمَ [جِدْعُونُ] الثَّلاَثَ مِئَةِ الرَّجُلِ إِلَى ثَلاَثِ فِرَق، [...]" (القضاة 16:7). وكذلك جيش شاول في حربه ضد العمونيين، أي في أول انتصار كبير له، كان أيضاً يتكون من ثَلاَث فِرَق: "شَاوُل جَعَلَ الشَّعْبَ ثَلاَثَ فِرَق، [...]" (1 صموئيل 11:11). وفي معركةٍ ضد الفلسطيين كان جيشُ شاول يتكون من فرقتين: "وَاخْتَارَ شَاوُلُ لِنَفْسِهِ ثَلاَثَةَ آلاَفٍ مِنْ إِسْرَائِيلَ، فَكَانَ أَلْفَانِ مَعَ شَاوُلَ [...]، وَأَلْفٌ كَانَ مَعَ [ابنِه] يُونَاثَانَ [...]. وَأَمَّا بَقِيَّةُ الشَّعْبِ فَأَرْسَلَهُمْ كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَتِهِ" (1 صموئيل 2:13). **[⟵ لاحظنا أن بعض ترجمات معاني القرآن تفهم عبارة "فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ" (البقرة 249) ليس بمعنى "خَرَجَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ" وإنما بمعنى "قَسَمَ طالوتُ الجنودَ" (Saul divided the troops)[7610]. وكذلك جيش محمد في حربه ضد المكيين في غزوة بدر (2هـ)، أي في أول انتصار كبير له، كان أيضاً يتكون من فرقتين أو ثَلاَث[7611]! وهذا يدل على أن محمد كان يقلِّد قادة وأنبياء بني إسرائيل، تنفيذاً لنصيحة أصحاب**

القرآن له: "وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ" (الجاثية 16) "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ [...]. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ" (الأنعام 89-90)].

- في حربه ضد المديانيين، كان جيش جدعون يتكوّن من عدد قليل جداً (300 رجل فقط!) (القضاة 7:6-8) بينما كان جيش المديانيين وحلفائهم كبيراً جداً "كَالْجَرَادِ فِي الْكَثْرَةِ وَلَيْسَ لَهُمْ وَلِجِمَالِهِمْ عَدَدٌ" (القضاة 6:5) "كَالْجَرَادِ فِي الْكَثْرَةِ، وَجِمَالُهُمْ لاَ عَدَدَ لَهَا كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي الْكَثْرَةِ" (القضاة 7:12) 135 ألف رجل وثني (القضاة 8:10)، ومع ذلك انتصر جدعونُ عليهم. وكذلك في معركةٍ بين الفلسطيين وإسرائيل بقيادة شاول، "اخْتَارَ شَاوُلُ لِنَفْسِهِ ثَلاَثَةَ آلاَفٍ مِنْ إِسْرَائِيلَ" (1 صموئيل 13:2) بينما "تَجَمَّعَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لِمُحَارَبَةِ إِسْرَائِيلَ، ثَلاَثُونَ أَلْفَ مَرْكَبَةٍ، وَسِتَّةُ آلاَفِ فَارِسٍ، وَشَعْبٌ كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي الْكَثْرَةِ" (1 صموئيل 13:5)، ومع ذلك انتصر شاولُ عليهم! فتقول دائرة المعارف الكتابية إن شاول "كان يتصف بالشجاعة حتى استطاع أن يواجه جميع الفلسطينيين وسائر الأعداء بالعدد القليل من الرجال (1 صموئيل 14:47-48)"[7612]. **[⟵ "فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 251) "كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ" (البقرة 249)؛ "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ (أي: قليلو العدد والعدة)" (آل عمران 123) "وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ (أي: في مكة) تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ [إلى المدينة] وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ [يوم بدر؛ يوم الفرقان]" (الأنفال 26)].**

- في الحرب بين جدعون والمديانيين، حدث ذعرٌ واضطرابٌ شديد في صفوف المديانيين إلى درجة أنهم قتلوا بعضُهم بعضاً "سَيْفَ كُلِّ وَاحِدٍ بِصَاحِبِهِ" (القضاة 7:22) وهرب مَنْ بقيَ منهم. وكذلك في معركةٍ بين شاول والفلسطيين، حدث ذعرٌ واضطرابٌ شديد في صفوف الفلسطيين إلى درجة أنهم قتلوا بعضُهم بعضاً "وَإِذَا بِسَيْفِ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى صَاحِبِهِ" (1 صموئيل 14:20) وهرب مَنْ بقيَ منهم!

- عندما أمر الربُّ جدعونَ أن يكون مُخلِّص إسرائيل، تواضع جدعونُ واندهش جداً لأنه إنسان عادي بل أقل من عادي، وعبَّر عن عدم ثقته في نفسه وفي عشيرته، فَقَالَ للرب: "«أَسْأَلُكَ يَا سَيِّدِي، بِمَاذَا أُخَلِّصُ إِسْرَائِيلَ؟ هَا عَشِيرَتِي هِيَ الذُّلَّى (أي: الأضْعَفُ) فِي مَنَسَّى، وَأَنَا الأَصْغَرُ فِي بَيْتِ أَبِي»" (القضاة 6:15). وكذلك عندما ألمح صموئيلُ لشاول أنه سوف يكون المَلِكَ الذي تشتهيه إسرائيل، تواضع شاولُ واندهش جداً لأنه إنسان عادي بل أقل من عادي، وعبَّر عن عدم ثقته في نفسه وفي عشيرته، "فَأَجَابَ شَاوُلُ وَقَالَ: «أَمَا أَنَا بَنْيَامِينِيٌّ مِنْ أَصْغَرِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ، وَعَشِيرَتِي أَصْغَرُ كُلِّ عَشَائِرِ أَسْبَاطِ بَنْيَامِينَ؟ فَلِمَاذَا تُكَلِّمُنِي بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ؟»" (1 صموئيل 9:21)[7613]. **[⟵ الإجابة: "اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ [حتى لو كان إنساناً عادياً بل أقل من عادي]" (البقرة 247) "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ [...] وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ" (آل عمران 26)].**

- "أبِيمَالِكُ" (Abimelech) بن جدعون (يَرُبُّوشَث) جعل نفسه مَلِكاً بعد موت جدعون، إلا أنه اغتيل (القضاة 9) (2 صموئيل 21:11)! وكذلك "إيشبوشث" (Ish-Bosheth) بن شاول جعل نفسه مَلِكاً بعد موت شاول، إلا أنه اغتيل (2 صموئيل 2-4)! **[← "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ [...] تَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ [...] وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ" (آل عمران 26)].**

- في حربه ضد المديانيين، نزل جِدْعُونُ وجنوده بجوار "عَيْنِ حَرُودَ (En-harod)" (القضاة 1:7). تقول دائرة المعارف الكتابية: "ولعل هذه العين – عين حرود – هي ذاتها "الْعَيْنِ الَّتِي فِي يَزْرَعِيلَ [Jezreel Valley]" التي عسكر بجانبها شاول قبل معركته الأخيرة مع الفلسطينيين في جلبوع [Mount Gilboa]، والتي قُتِلَ فيها (1 صموئيل 29:1، 31:1)"[7614]. **[← إذا صح أن العين التي نزل عندها البطلُ جدعون لمَّا حارب المديانيين هي نفسها العين التي نزل عندها المَلِكُ شاول لمَّا حارب الفلسطيين، فقد يكون هذا سبباً آخر يفسِّر لماذا خلط أصحابُ القرآن بين قصة البطل جدعون وقصة المَلِك شاول الكتابيتين].** وتقول دائرة المعارف الكتابية أيضاً: "ليس ثمة ما يدعو إلى الشك في صحة الرأي الشائع من أن "عَيْن حَرُودَ" هي بعينها "عين جَلود" [ʿAyn Jālūt] على حافة وادي يِزْرَعِيلَ [Jezreel]"[7615]. **[← إذا صح أن عَيْن حَرُودَ هي نفسها "عين جَالود" أو "عين جَالوت"، وإذا افترضنا أن هذا الرأي الشائع قد ظهر قبل الإسلام، فقد يكون هذا سبباً آخر يفسِّر لماذا ظنَّ أصحابُ القرآن أن اختبار عدم الشرب من ماء عين حَرُودَ له علاقة بقصة جالوت، ومن ثم خلطوا بين قصة جدعون وقصة جالوت وداود وطالوت (شاول)].**

أما السبب الرئيسي الذي جعل صاحبَ هذه القصة القرآنية القصيرة (البقرة 246-252) يأخذ عناصر من قصة جدعون (القضاة 7)، مثل اختبار عدم الشرب من الماء **[← "إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم (أي: مُخْتَبِرِكُم) بِنَهَرٍ [...]" (البقرة 249)]** وعبور جدعون وجنوده نهر الأردن **[← "جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ" (البقرة 249)]** لمطاردة المديانيين، ويضع تلك العناصر في قصة أول انتصار عسكري يحققه طالوتُ (شاولُ) بعد تنصيبه مَلِكاً مباشرة (البقرة 249-251) هو – كما شرحنا فيما سبق بالتفصيل: شاولُ عبر نهرَ الأردن فعلاً في أول انتصار عسكري يحققه بعد تنصيبه مَلِكاً مباشرة، لكن هذا حدث عندما حارب الْعَمُّونِيِّينَ كما رأينا (1 صموئيل 11)، وليس عندما حارب الفِلِسْطِيِّين (جليات/جالوت وجنوده) (1 صموئيل 17).

فنستطيع إذن أن نقول إن شخصية "طالوت" القرآنية هي مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لشخصيتي شاول وجدعون الكتابيتين. أو بعبارة أخرى: أدمج أصحابُ القرآن شخصيتي شَاوُل وجِدْعُون الكتابيتين في شخصيةٍ قرآنية واحدة هي "طَالُوت". المَلِك شاول + البطل جِدْعُون **[← المَلِك البطل "طَالُوت" (البقرة 247، 249)].**

وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يدمج فيها أصحابُ القرآن – عن عمد أو عن جهل – قصتين كتابيتين (أو أكثر) في قصةٍ قرآنية واحدة. يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على (البقرة 249)[7616]:

[(البقرة 249)] This passage is close to a Biblical account that does not involve Saul at all, but rather Gideon (cf. *BEQ*, 368; Bell 1:52):

[…] (Judges 7:5-7)

This is not the only case of the Qur'ān transferring (or mixing) Biblical traditions. One might compare the presentation of Mary the mother of Jesus as the sister of Aaron (hence Moses) and daughter of ʿImrān (see commentary on [(آل عمران 33)], with further references) or the appearance of Haman in Egypt instead of Persia (see commentary on [(القصص 38)], with further references).

وكما قلنا فيما سبق: هذا الخلط بين هاتين القصتين الكتابيتين (قصة جدعون الذي حارب المديانيين أعداء إسرائيل من الشرق وقصة شاول الذي حارب الفِلِسْطِيِّين أعداء إسرائيل من الغرب) أدى إلى مشكلتين كبيرتين تسبب فيهما القرآنُ: إحداهما زمانية (تاريخية) والأخرى مكانية (جغرافية). مما أدى كالعادة إلى حيرة المفسرين المسلمين وتخبطهم في الظلام.

وخير ما نختتم به كلامنا هو جدول يلخِّص أهم النقاط التي تثبت تأثير قصص جدعون وشاول وداود الكتابية على الآيات القرآنية التي قال المفسرون المسلمون إنها تتحدث عن غزوة بدر (2هـ) وكذلك على الأحاديث الصحيحة التي تتحدث عن غزوة بدر (2هـ). فهذا الجدول يؤكد ما نقوله دائماً: لَوْلَا الكتاب المقدس وَلَوْلَا التراث اليهودي-المسيحي الشرقي بصفة عامة، لمَا استطاع العربُ أن يؤلفوا القرآنَ ولمَا ظهر دينٌ اسمه الإسلام. أو بعبارة أخرى: القرآن مجرد كتاب عربي من كتب التراث اليهودي-المسيحي الشرقي قبل أن يكون النص المؤسس (le texte fondateur) لدين العرب الجديد (الإسلام).

جدول 42 – تأثير قصص جدعون وشاول وداود الكتابية على قرآن وأحاديث غزوة بدر (2هـ)

قصص جدعون وشاول وداود الكتابية	[← قرآن وأحاديث غزوة بدر (2هـ)]
بنو إسرائيل بقيادة جدعون أو شاول	[← المسلمون بقيادة محمد]
أعداؤهم هُمْ الوثنيون مثل المديانيين والعمونيين والفلسطيين والعمالقة	[← أعداؤهم هُمْ كفار مكة الوثنيون]
"وَجَاءَ جِدْعُونُ إِلَى [نهر] الأُرْدُنِّ وَعَبَرَ هُوَ وَالثَّلاَثُ مِئَةِ الرَّجُلِ الَّذِينَ مَعَهُ" (القضاة 8:4).	[← المسلمون في غزوة بدر "كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ، الَّذِينَ جَازُوا مَعَهُ النَّهَرَ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاثَمِائَةٍ"[7617]]
انتصر جدعونُ على المديانيين مع أن جيشه (القضاة 6:7-8) أقل عدداً من جيشهم (القضاة 6:5؛ 12:7؛ 10:8). وانتصر شاولُ على الفلسطيين في إحدى المعارك مع أن جيشه (1 صموئيل 2:13) أقل عدداً من جيشهم (1 صموئيل 5:13). اقرأ أيضاً (1 صموئيل 47:14-48).	[← "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ (أي: قليلو العدد والعدة)" (آل عمران 123) "وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ (أي: في مكة) تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ [إلى المدينة] وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ [يوم بدر]" (الأنفال 26). اقرأ أيضاً (الأنفال 65-66)]
في أول انتصار عسكري كبير لشاول وهو حربه ضد العمونيين، كان عدد يهود الشمال (إِسْرَائِيل) في الجيش أضعاف عدد يهود الجنوب (يَهُوذَا) (1 صموئيل 8:11). وكذلك في معركةٍ بين شاول وعماليق (1 صموئيل 4:15).	[← في أول انتصار عسكري كبير لمحمد وهو غزوة بدر، كان عدد مسلمي الشمال (الأنصار من المدينة) في الجيش أضعاف عدد مسلمي الجنوب (المُهاجِرين من مكة)[7618]!].
جيش جدعون في حربه ضد المديانيين، أي في أول انتصار كبير له، كان يتكون من ثَلاَثِ فِرَق (القضاة 16:7). وكذلك جيش شاول في حربه ضد العمونيين، أي في أول انتصار كبير له، كان أيضاً يتكون من ثَلاَثِ فِرَق (1 صموئيل 11:11). وفي معركةٍ ضد الفلسطيين كان جيشُ شاول يتكون من فرقتين (1 صموئيل 2:13).	[← جيش محمد في حربه ضد المكيين في غزوة بدر، أي في أول انتصار كبير له، كان أيضاً يتكون من فرقتين أو ثَلاَث!]

في أول انتصار عسكري كبير لجدعون وهو حربه ضد المديانيين، قال جدعونُ إن الربَّ هو مَن حقق النصر (القضاة 15:7). وكذلك في أول انتصار عسكري كبير لشاول وهو حربه ضد العمونيين، قال شاولُ إن الرَّبُّ هو من حقق النصر (1 صموئيل 13:11). وكذلك قال داود المنتصر في أول معركةٍ يدخلها في حياته (1 صموئيل 17:45-47).	[⟵ "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (آل عمران 126) "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (الأنفال 10) "فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ" (الأنفال 17)]
صار انتصار جدعونُ وجنوده على المديانيين يوماً مشهوراً يُسمَّى "يَوْمِ مِدْيَانَ" (إشعياء 9:4) أو "ضَرْبَةِ مِدْيَانَ" (إشعياء 26:10). اقرا أيضاً (المزامير 83:9-11)(حبقوق 7:3) (1 صموئيل 11:12) (العبرانيين 32:11).	[⟵ وكذلك صار انتصار المسلمين الأوائل في غزوة بدر يوماً مشهوراً يُسمَّى "يوم بدر" أو "يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ" (الأنفال 41)]
في حربه ضد العمالقة، اكتفى شاولُ بأسر أجاج مَلِك عماليق حياً ولم يقتله كما كان الربُّ قد أمره (1 صموئيل 1:15-35). فأُعتبِر تصرفُه هذا خطيئة!	[⟵ "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى [أحياء] حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ (أي: يكثر القتل والقهر فيهم!) تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا [بأخذكم الفِداءَ مِنهم] وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ [بكثرة القتل والقهر]" (الأنفال 67)!]
المعركة الشهيرة التي قَتَلَ فيها داودُ جُليات حدثت في منطقةٍ تقع جنوب غرب عاصمة الإسرائيليين المؤمنين (جِبْعَةِ شَاوُلَ) (1 صموئيل 1:17-2).	[⟵ غزوة بدر التي قَتَلَ فيها المسلمون أبا جهل وغيره حدثت في منطقةٍ تقع جنوب غرب عاصمة المسلمين المؤمنين (المدينة/يثرب)!]
في المعركة الشهيرة التي قَتَلَ فيها داودُ جُليات، "كَانَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وُقُوفًا عَلَى جَبَل مِنْ هُنَا (أي: على جانب الوادي الأبعد عن جِبْعَةِ شَاوُلَ)، وَإِسْرَائِيلُ وُقُوفًا عَلَى جَبَل مِنْ هُنَاكَ (أي: على جانب الوادي الأقرب إلى جِبْعَةِ شَاوُلَ)، وَالْوَادِي بَيْنَهُمْ" (1 صموئيل 3:17).	[⟵ "إِذْ أَنتُم [أيها المسلمون] بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا (أي: على جانب الوادي الأقرب إلى المدينة/يثرب) وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ (أي: وأعداؤكم الوثنيون على جانب الوادي الأبعد عن المدينة/يثرب)" (الأنفال 42)!]
كما قاد التدبيرُ الإلهي شاولَ إلى مقابلة صموئيل (1 صموئيل 3:9-19)، تدخَّل التدبيرُ الإلهي مرَّة	[⟵ "وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ [أنتم والمشركون] لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن [الله هو الذي جمعكم في مكانٍ واحد

أخرى ليقود داودَ المؤمن إلى مواجهة جُليات الكافر (1 صموئيل 17:12-23)!	**على غير ميعاد] لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا (أي: مقدَّراً في الأزل، لا بد من وقوعه)" (الأنفال 42)!]**
المعركة الشهيرة التي قَتَلَ فيها داودُ جُليات بدأت بمبارزة بينهما (1 صموئيل 17:48-51).	**[← وكذلك المعركة في غزوة بدر بدأت بمبارزة أيضاً!]**

4.45 داود المَلِك والنبي: رَجُلُ دِمَاءٍ! زعيم عصابة! كاذِب خدع رئيسَ الكهنة! وهرب إلى أعداء إسرائيل!

4.45.1 داود المَلِك: "وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ [بعد طالوت/شاول]" (البقرة 251)

بعد أن قَتَلَ داودُ جُليات وانتصر إسرائيلُ على الفلسطيين، حدثت أحداث كثيرة أهمها ما يلي ...

تدهورت العلاقةُ بين داود والمَلِك شاول بسبب غيرة شاول من تزايد شعبية داود وإعجاب النساء به أكثر من إعجابهن بشاول! **(1 صموئيل 18):** {6} وَكَانَ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ حِينَ رَجَعَ دَاوُدُ مِنْ قَتْلِ الْفِلِسْطِينِيِّ، أَنَّ النِّسَاءَ خَرَجَتْ مِنْ جَمِيعِ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ بِالْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ لِلِقَاءِ شَاوُلَ الْمَلِكِ بِدُفُوفٍ وَبِفَرَحٍ وَبِمُثَلَّثَاتٍ (هي: آلاتِ طَرَبٍ رنانة). {7} فَأَجَابَتِ النِّسَاءُ اللاَّعِبَاتُ وَقُلْنَ: «ضَرَبَ شَاوُلُ أُلُوفَهُ وَدَاوُدُ رِبْوَاتِهِ (أي: عشرات الألوف). {8} فَاحْتَمَى شَاوُلُ جِدًّا وَسَاءَ هذَا الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: «أَعْطَيْنَ دَاوُدَ رِبْوَاتٍ (أي: عشرات الألوف) وَأَمَّا أَنَا فَأَعْطَيْنَنِي الأُلُوفَ! وَبَعْدُ فَقَطْ تَبْقَى لَهُ الْمَمْلَكَةُ». {9} فَكَانَ شَاوُلُ يُعَايِنُ دَاوُدَ مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا. {10} وَكَانَ فِي الْغَدِ أَنَّ الرُّوحَ الرَّدِيءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ اقْتَحَمَ شَاوُلَ وَجُنَّ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ. وَكَانَ دَاوُدُ يَضْرِبُ بِيَدِهِ [بِالْعُودِ] كَمَا فِي يَوْمٍ فَيَوْمٍ، وَكَانَ الرُّمْحُ بِيَدِ شَاوُلَ. {11} فَأَشْرَعَ شَاوُلُ الرُّمْحَ وَقَالَ: «أَضْرِبُ دَاوُدَ حَتَّى إِلَى الْحَائِطِ (أي: سَأُسَمِّرُ دَاوُدَ فِي الحَائِطِ بِهَذَا الرُّمْحِ؛ يقصد: سأقتل دَاوُدَ)». فَتَحَوَّلَ دَاوُدُ مِنْ أَمَامِهِ مَرَّتَيْنِ. {12} وَكَانَ شَاوُلُ يَخَافُ دَاوُدَ لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ، وَقَدْ فَارَقَ شَاوُلَ. {13} فَأَبْعَدَهُ شَاوُلُ عَنْهُ وَجَعَلَهُ لَهُ رَئِيسَ أَلْفٍ، فَكَانَ يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ أَمَامَ الشَّعْبِ (أي: جعل شاولُ داودَ يقود الجنود في الحرب لعله يُقْتَل[7619]). {14} وَكَانَ دَاوُدُ مُفْلِحًا فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ وَالرَّبُّ مَعَهُ. {15} فَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ أَنَّهُ مُفْلِحٌ جِدًّا فَزِعَ مِنْهُ. {16} وَكَانَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا يُحِبُّونَ دَاوُدَ لأَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ (أي: كان داودُ يقودهم في المعارك؛ المقصود: خطة المَلِك شاول في التخلص من داود فشلت تماماً بل أدت إلى نتيجة عكسية، فلقد ازدادت شعبية داود!).

إذن: تحوَّلت هذه الغيرة إلى كراهية شديدة إلى درجة أن "صَارَ شَاوُلُ عَدُوًّا لِدَاوُدَ كُلَّ الأَيَّامِ" (1 صموئيل 29:18)، بل حاول المَلِكُ شاول قتل دَاوُدَ أكثر من مَرَّةٍ (1 صموئيل 18-19) حتى بعد أن تزوج داودُ "مِيكَال" (Michal) ابنةَ شاول التي "أَحَبَّتْ دَاوُدَ" (1 صموئيل 20:18)؛ (1 صموئيل 25:18-28)! وفي كل مَرَّةٍ، كان داودُ ينجو من مكائد شاول!

بعد ذلك، لم يَعُدْ شَاوُلُ يُخفي نواياه الشريرة نحو داود: "كَلَّمَ شَاوُلُ يُونَاثَانَ ابْنَهُ وَجَمِيعَ عَبِيدِهِ أَنْ يَقْتُلُوا دَاوُدَ" (1 صموئيل 1:19)! "وَأَمَّا يُونَاثَانُ بْنُ شَاوُلَ [الْبِكْرُ] فَسُرَّ بِدَاوُدَ جِدًّا" (1 صموئيل 2:19)! "بِمَحَبَّتِهِ لَهُ لأَنَّهُ أَحَبَّهُ مَحَبَّةَ نَفْسِهِ" (1 صموئيل 17:20)! "فَأَخْبَرَ يُونَاثَانُ دَاوُدَ قَائِلًا: «شَاوُلُ أَبِي مُلْتَمِسٌ قَتْلَكَ، وَالآنَ فَاحْتَفِظْ عَلَى نَفْسِكَ إِلَى الصَّبَاحِ، وَأَقِمْ فِي خُفْيَةٍ وَاخْتَبِئْ" (1 صموئيل 2:19). "فَأَرْسَلَ شَاوُلُ رُسُلًا إِلَى بَيْتِ دَاوُدَ لِيُرَاقِبُوهُ وَيَقْتُلُوهُ فِي الصَّبَاحِ" (1 صموئيل 11:19). "فَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ مِيكَالُ امْرَأَتُهُ قَائِلَةً: «إِنْ كُنْتَ لاَ تَنْجُو بِنَفْسِكَ هذِهِ اللَّيْلَةَ فَإِنَّكَ تُقْتَلُ غَدًا (أي: فِي الصَّبَاحِ)»" (1 صموئيل 11:19). فساعدت مِيكَالُ زوجها

داودَ على الهرب مِنَ النَّافِذَةِ، "فَهَرَبَ دَاوُدُ وَنَجَا وَجَاءَ إِلَى صَمُوئِيلَ فِي الرَّامَةِ وَأَخْبَرَهُ بِكُلِّ مَا عَمِلَ بِهِ شَاوُلُ" (1 صموئيل 18:19). "فَأَرْسَلَ شَاوُلُ رُسُلًا لأَخْذِ دَاوُدَ (أي: للقبض عليه)" (1 صموئيل 20:19)، إلا أن المهمة فشلت على الرغم من تكرارها 4 مرات (1 صموئيل 19:20-24)! فَهَرَبَ داودُ إلى صديقه وحبيبه يُونَاثَان بْن شَاوُلَ الْبِكْر، "وَقَالَ [دَاوُدُ] قُدَّامَ يُونَاثَانَ: «مَاذَا عَمِلْتُ؟ وَمَا هُوَ إِثْمِي؟ وَمَا هِيَ خَطِيَّتِي أَمَامَ أَبِيكَ حَتَّى يَطْلُبَ نَفْسِي؟» فَقَالَ لَهُ [يُونَاثَانُ]: «حَاشَا. لاَ تَمُوتُ!" (1 صموئيل 20:1-2).

ولمَّا أيقن المَلِكُ شاولُ أن خصمَه داود وَجدَ "نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ" ابنه الْبِكْر يوناثان (1 صموئيل 20:3، 20:29) وأن يوناثان يساعد داودَ ويعمل لصالحه، "حَمِيَ غَضَبُ شَاوُلَ عَلَى [ابنِه] يُونَاثَانَ وَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ الْمُتَعَوِّجَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ (أي: يا ابنَ الفاجرةِ العاصيةِ!)، أَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ قَدِ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَّى (أي: تَحَزَّبتَ لداود) لِخِزْيِكَ وَخِزْيِ عَوْرَةِ أُمِّكَ (أي: سَتَجْلِبُ العَارَ عَلَيْكَ وَعَلَى أسرتك كلها؛ أو يقصد: إذا صار داودُ مَلِكاً سيأخذ أُمَّكَ سرية فيضطجع معها)؟ لأَنَّهُ مَا دَامَ ابْنُ يَسَّى حَيًّا عَلَى الأَرْضِ لاَ تُثْبَتُ أَنْتَ وَلاَ مَمْلَكَتُكَ (أي: لن ترث أنتَ ولا أولادُك المُلْكَ من بعدي، وإنما داودُ وأولادُه هُمْ الذين سيرثون مملكتنا). وَالآنَ أَرْسِلْ وَأْتِ بِهِ إِلَيَّ (أي: وَأحْضِرْ لِي دَاوُدَ) لأَنَّهُ ابْنُ الْمَوْتِ هُوَ (أي: يجب أن يُقْتَل)». فَأَجَابَ يُونَاثَانُ شَاوُلَ أَبَاهُ وَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا يُقْتَلُ؟ مَاذَا عَمِلَ؟» فَصَابَى شَاوُلُ الرُّمْحَ نَحْوَهُ (أي: فَصَوَّبَ شَاوُلُ الرُّمْحَ نَحْوَ يُونَاثَانَ ابنه!) لِيَطْعَنَهُ، فَعَلِمَ يُونَاثَانُ أَنَّ أَبَاهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى قَتْلِ دَاوُدَ. فَقَامَ يُونَاثَانُ عَنِ الْمَائِدَةِ بِحُمُوِّ غَضَبٍ وَلَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنَ الشَّهْرِ، لأَنَّهُ اغْتَمَّ عَلَى دَاوُدَ، لأَنَّ أَبَاهُ قَدْ أَخْزَاهُ" (1 صموئيل 20:30-34)! وفي صباح اليوم التالي، قابل يُونَاثَانُ دَاوُدَ ونصحه بالهرب حفاظاً على حياته، "وَسَقَطَ [دَاوُدُ] عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ [أمام يُونَاثَانَ!]. وَقَبَّلَ كُلٌّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَبَكَى كُلٌّ مِنْهُمَا مَعَ صَاحِبِهِ حَتَّى زَادَ دَاوُدُ. فَقَالَ يُونَاثَانُ لِدَاوُدَ: «اذْهَبْ بِسَلاَمٍ" (1 صموئيل 20:41-42)! فهرب داودُ بسرعة بدون أن يأخذ معه سلاحاً ولا حتى طعاماً!

ذهب داودُ إِلَى "أَخِيمَالِكَ" (Ahimelech) رئيس الكهنة في "نُوب" (Nob) مدينة الكهنة شمال شرق أورشليم (1 صموئيل 21:1)، لكنه لم يُخْبِر أَخِيمَالِكَ بأنه هارب من المَلِك شاول، بل كذب عليه وأوهمه أن المَلِك شاول أرسله في مهمَّة سريَّة وعاجلة! "فَقَالَ دَاوُدُ لأَخِيمَالِكَ الْكَاهِنِ: «إِنَّ الْمَلِكَ أَمَرَنِي بِشَيْءٍ وَقَالَ لِي: لاَ يَعْلَمْ أَحَدٌ شَيْئًا مِنَ الأَمْرِ الَّذِي أَرْسَلْتُكَ فِيهِ وَأَمَرْتُكَ بِهِ" (1 صموئيل 21:2). "وَقَالَ دَاوُدُ لأَخِيمَالِكَ: «أَفَمَا يُوجَدُ هُنَا تَحْتَ يَدِكَ رُمْحٌ أَوْ سَيْفٌ، لأَنِّي لَمْ آخُذْ بِيَدِي سَيْفِي وَلاَ سِلاَحِي لأَنَّ أَمْرَ الْمَلِكِ كَانَ مُعَجِّلًا؟»" (1 صموئيل 21:8). وهكذا بالغش والخداع، تمكَّن داودُ من الحصول على طعام وسيف من أَخِيمَالِكَ. وشاهدهما بالصدفة "رَجُلٌ مِنْ عَبِيدِ شَاوُلَ [...] اسْمُهُ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ (Doeg the Edomite) رَئِيسُ رُعَاةِ شَاوُلَ" (1 صموئيل 21:7) "الَّذِي كَانَ مُوَكَّلًا عَلَى عَبِيدِ شَاوُلَ" (1 صموئيل 22:9). ويبدو أن دُوَاغ ظنَّ أن أَخِيمَالِك يمد داودَ بالسلاح ليساعده ضد المَلِك شاول، فأخبر دُوَاغُ شَاوُلَ بما رآه (1 صموئيل 22:9-10). فثارت ثائرةُ المَلِك شاول واستدعى أَخِيمَالِكَ وكُلَّ الكهنة. فدافع أَخِيمَالِكُ عن نفسه قائلاً إنه "لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا مِنْ كُلِّ هذَا [الخلاف بين داود وشاول] صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا" (1 صموئيل 22:15) وإنه كان يتصرَّف بحُسن نية

معتقداً أن داود لا يزال مقرَّباً من المَلِك شاول وزوج ابنته، "فَأَجَابَ أَخِيمَالِكُ الْمَلِكَ وَقَالَ: «وَمَنْ مِنْ جَمِيعِ عَبِيدِكَ مِثْلُ دَاوُدَ، أَمِينٌ وَصِهْرُ الْمَلِكِ وَصَاحِبُ سِرِّكَ وَمُكَرَّمٌ فِي بَيْتِكَ؟" (1 صموئيل 14:22). وعلى الرغم من صدق أَخِيمَالِك الكاهن، إلا أن المَلِك شاول لم يصدقه وأمر بقتله هو وكُلِّ الكهنة! "فَقَالَ الْمَلِكُ: «مَوْتًا تَمُوتُ يَا أَخِيمَالِكُ أَنْتَ وَكُلُّ بَيْتِ أَبِيكَ». وَقَالَ الْمَلِكُ لِلسُّعَاةِ الْوَاقِفِينَ لَدَيْهِ: «دُورُوا وَاقْتُلُوا كَهَنَةَ الرَّبِّ، لأَنَّ يَدَهُمْ أَيْضًا مَعَ دَاوُدَ، وَلأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُ هَارِبٌ وَلَمْ يُخْبِرُونِي». فَلَمْ يَرْضَ عَبِيدُ الْمَلِكِ أَنْ يَمُدُّوا أَيْدِيَهُمْ لِيَقَعُوا بِكَهَنَةِ الرَّبِّ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِدُوَاغَ: «دُرْ أَنْتَ وَقَعْ بِالْكَهَنَةِ». فَدَارَ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ وَوَقَعَ هُوَ بِالْكَهَنَةِ، وَقَتَلَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ خَمْسَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا لاَبِسِي أَفُودِ كَتَّانٍ. وَضَرَبَ نُوبَ مَدِينَةَ الْكَهَنَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ. الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ وَالرِّضْعَانَ وَالثِّيرَانَ وَالْحَمِيرَ وَالْغَنَمَ بِحَدِّ السَّيْفِ" (1 صموئيل 16:22-19)! "ومع أن الأمر صدر من شاول الملك، إلا أن ما قام به دُوَاغُ يدل على تعطشه لسفك الدماء"[7620]. ولم ينجُ من هذه المذبحة البشعة إلا وَلَدٌ وَاحِدٌ لأَخِيمَالِكَ "اسْمُهُ أَبِيَاثَارُ (Abiathar) وَهَرَبَ إِلَى دَاوُدَ. وَأَخْبَرَ أَبِيَاثَارُ دَاوُدَ بِأَنَّ شَاوُلَ قَدْ قَتَلَ كَهَنَةَ الرَّبِّ. فَقَالَ دَاوُدُ لأَبِيَاثَارَ: «عَلِمْتُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ كَانَ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ هُنَاكَ، أَنَّهُ يُخْبِرُ شَاوُلَ. أَنَا سَبَّبْتُ [الموتَ] لِجَمِيعِ أَنْفُسِ بَيْتِ أَبِيكَ" (1 صموئيل 20:22-22). واعتراف داود بهذه المجزرة الكارثيَّة التي سبَّبتها كِذبَتُه على أخيمالك الكاهن يدل أيضاً على خبرته السابقة بهذا السفاح الأَدُومِيّ الشرير دُوَاغ.

ويُفْهَم من سفر صموئيل الأول أن داود صار في تلك الفترة "زعيم عصابة قوية"[7621] من المطرودين أو الهاربين من المجتمع أو من العدالة، فلقد "اجْتَمَعَ إِلَيْهِ كُلُّ رَجُلٍ مُتَضَايِقٍ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَكُلُّ رَجُلٍ مُرِّ النَّفْسِ، فَكَانَ عَلَيْهِمْ رَئِيسًا. وَكَانَ مَعَهُ نَحْوُ أَرْبَعِ مِئَةِ رَجُلٍ" (1 صموئيل 2:22). وفي وقتٍ قصير، ارتفع عدد أفراد عصابة داود إلى "نَحْو سِتِّ مِئَةِ رَجُلٍ" (1 صموئيل 13:23)! "كُلُّ رَجُلٍ شِرِّيرٍ وَلَئِيمٍ (بالعبرية: بَلِيَّعَال؛ beliyyaal) مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ سَارُوا مَعَ دَاوُدَ" (1 صموئيل 22:30)!

وظل المَلِكُ شاولُ يلاحق داودَ حتى يقتله، "وَكَانَ شَاوُلُ يَطْلُبُهُ كُلَّ الأَيَّامِ، وَلكِنْ لَمْ يَدْفَعْهُ اللهُ لِيَدِهِ" (1 صموئيل 14:23) "وَكَانَ دَاوُدُ يَفِرُّ فِي الذَّهَابِ مِنْ أَمَامِ شَاوُلَ" (1 صموئيل 26:23). وأثناء تلك المطاردة الطويلة، أُتيحت لداود وعصابته فرص مواتية لأن يقتلوا المَلِكَ شاولَ (1 صموئيل 24، 26)، لكن داود لم يقتله لأَنَّهُ "مَسِيحُ الرَّبِّ"! "فَقَالَ [دَاوُدُ] لِرِجَالِهِ: «حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ بِسَيِّدِي [المَلِك]، بِمَسِيحِ الرَّبِّ، فَأَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ، لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ». فَوَبَّخَ دَاوُدُ رِجَالَهُ بِالْكَلاَمِ، وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَقُومُونَ عَلَى شَاوُلَ" (1 صموئيل 6:24-7) "وَقَالَ دَاوُدُ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، إِنَّ الرَّبَّ سَوْفَ يَضْرِبُهُ، أَوْ يَأْتِي يَوْمُهُ فَيَمُوتُ، أَوْ يَنْزِلُ إِلَى الْحَرْبِ وَيَهْلِكُ. حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ!" (1 صموئيل 10:26-11) "وَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: «[...] لاَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى سَيِّدِي [المَلِك]، لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ. [...] يَقْضِي الرَّبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَيَنْتَقِمُ لِي الرَّبُّ مِنْكَ، وَلكِنْ يَدِي لاَ تَكُونُ عَلَيْكَ. [...] فَيَكُونُ الرَّبُّ الدَّيَّانَ وَيَقْضِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَيَرَى وَيُحَاكِمُ مُحَاكَمَتِي، وَيُنْقِذُنِي مِنْ يَدِكَ»" (1 صموئيل 9:24-15) "وَالرَّبُّ يَرُدُّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ بِرَّهُ وَأَمَانَتَهُ، لأَنَّهُ قَدْ

دَفَعَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ لِيَدِي وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ. وَهُوَذَا كَمَا كَانَتْ نَفْسُكَ عَظِيمَةً الْيَوْمَ فِي عَيْنَيَّ، كَذلِكَ لِتَعْظُمْ نَفْسِي فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ فَيُنْقِذْنِي مِنْ كُلِّ ضِيق" (1 صموئيل 26:23-24).

وأثناء تلك المطاردة، "مَاتَ صَمُوئِيلُ، فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَنَدَبُوهُ وَدَفَنُوهُ فِي بَيْتِهِ فِي الرَّامَةِ" (1 صموئيل 25:1) "فِي مَدِينَتِهِ" (1 صموئيل 28:3). مَاتَ النبي صَمُوئِيلُ وهو غير راضٍ عن المَلِك شاول.

وأخيراً لم يجد داودُ مكاناً آمناً يلجأ إليه إلا أرض الفلسطيين الوثنيين لأنها لا تخضع لسيطرة المَلِك شاول وجنوده! "وَقَالَ دَاوُدُ فِي قَلْبِهِ (أي: اتخذ قراره منفرداً بدون أن يطلب مشورةَ الرَّبِّ): «إِنِّي سَأَهْلِكُ يَوْمًا بِيَدِ شَاوُلَ، فَلاَ شَيْءَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَنْ أُفْلِتَ (أي: أهرب) إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ [أعداء إسرائيل!]، فَيَيْأَسُ شَاوُلُ مِنِّي فَلاَ يُفَتِّشُ عَلَيَّ بَعْدُ فِي جَمِيعِ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ، فَأَنْجُو مِنْ يَدِهِ»" (1 صموئيل 27:1)! وبالفعل، هَرَبَ دَاوُدُ وَالسِّتُّ مِئَةِ الرَّجُلِ الَّذِينَ مَعَهُ إِلَى جَتٍّ، "فَأُخْبِرَ شَاوُلُ أَنَّ دَاوُدَ قَدْ هَرَبَ إِلَى جَتٍّ فَلَمْ يَعُدْ أَيْضًا يُفَتِّشُ عَلَيْهِ" (1 صموئيل 27:4). "وَكَانَ عَدَدُ الأَيَّامِ الَّتِي سَكَنَ فِيهَا دَاوُدُ فِي بِلاَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ" (1 صموئيل 27:7). "وبناء على ما جاء في سفر أخبار الأيام، نجد أن داود تقوَّى بالعديد من الرجال جبابرة البأس من إسرائيل، الذين انضموا إليه (1 أخبار الأيام 12). ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أنه في تلك الفترة، نجح داود في إقناع أَخِيش [مَلِك جَتٍّ] بأنه في الغزوات التي كان يقوم بها بين الحين والآخر، إنما كان يحارب أعداء الفلسطينيين، بينما كان في الواقع وبصورة أساسية – يمهد الطريق لحكمه هو كمَلِكٍ عن طريق استئصال أعداء إسرائيل. ولعل داود – في كل هذه الأعمال – لجأ إلى أساليب المكر والخداع (1 صموئيل 27:8-12) فقد كان يحارب أعداء يهوذا طوال الوقت متظاهراً أمام أخيش بأنه يحارب يهوذا. وحتى يحفظ الأمر سراً، لم يحتفظ بأي أسرى"[7622]. "وَهكَذَا عَادَتُهُ كُلَّ أَيَّامِ إِقَامَتِهِ فِي بِلاَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ" (1 صموئيل 27:11).

حارب شاولُ الفلسطيين مَرَّةً أخرى، لكن بمفرده لأن صموئيل مات وداود هرب إلى أرض الفلسطيين كما قلنا؛ علماً بأن داود **لم** يحارب مع الفلسطيين ضد شاول، أو: حفظت العنايةُ الإلهية داودَ من المحاربة ضد مسيح الرب وضد أبناء شعبه (1 صموئيل 29). "وَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ جَيْشَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ خَافَ وَاضْطَرَبَ قَلْبُهُ جِدًّا. فَسَأَلَ شَاوُلُ مِنَ الرَّبِّ (أي: طلب علامةً تطمئنه وتشجعه؛ أو: سأل الرَّبَّ ماذا يفعل؛ طلب إعلاناً إلهياً مسبقاً عن نتيجة المعركة)، فَلَمْ يُجِبْهُ الرَّبُّ لاَ بِالأَحْلاَمِ وَلاَ بِالأُورِيمِ (أي: وَلاَ بالكهنة) وَلاَ بِالأَنْبِيَاءِ" (1 صموئيل 28:5-6)! فذهب شاولُ متنكراً إلى "امْرَأَةٍ صَاحِبَةِ جَانٍّ (بالعبرية: بَعْلَتْ أُوبْ) (أي: رفيقة الروح[7623]؛ يقصد: عَرَّافَة تَستَحضِر أرواح الموتى وتستشيرهم؛ necromancer)" (1 صموئيل 28:7-8)! وطلب شاولُ من العرافَّة أن تستدعي له روحَ صموئيل ليخبره بالمستقبل! "فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ صَمُوئِيلَ صَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَكَلَّمَتِ الْمَرْأَةُ شَاوُلُ قَائِلَةً: «لِمَاذَا خَدَعْتَنِي وَأَنْتَ شَاوُلُ؟». فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: «لاَ تَخَافِي. فَمَاذَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِشَاوُلَ: «رَأَيْتُ آلِهَةً (بالعبرية: elohim) (تقصد: كائن إلهي؛ أو: روح قديس) يَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ». فَقَالَ لَهَا [شاولُ]: «مَا هِيَ صُورَتُهُ؟» فَقَالَتْ: «رَجُلٌ شَيْخٌ صَاعِدٌ وَهُوَ مُغَطًّى بِجُبَّةٍ». فَعَلِمَ شَاوُلُ أَنَّهُ صَمُوئِيلُ، فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ [خوفاً من صموئيل أو احتراماً له]. فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ:

«لِمَاذَا أَقْلَقْتَنِي بِإِصْعَادِكَ إِيَّايَ؟» فَقَالَ شَاوُلُ: «قَدْ ضَاقَ بِي الأَمْرُ جِدًّا. اَلْفِلِسْطِينِيُّونَ يُحَارِبُونَنِي، وَالرَّبُّ فَارَقَنِي وَلَمْ يَعُدْ يُجِيبُنِي لاَ بِالأَنْبِيَاءِ وَلاَ بِالأَحْلاَمِ. فَدَعَوْتُكَ لِكَيْ تُعْلِمَنِي مَاذَا أَصْنَعُ». فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «وَلِمَاذَا تَسْأَلُنِي وَالرَّبُّ قَدْ فَارَقَكَ وَصَارَ عَدُوَّكَ؟ وَقَدْ فَعَلَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ كَمَا تَكَلَّمَ عَنْ يَدِي، وَقَدْ شَقَّ الرَّبُّ الْمَمْلَكَةَ مِنْ يَدِكَ وَأَعْطَاهَا لِقَرِيبِكَ دَاوُدَ (أي: الذي كان قريباً منكَ؛ أو: زوج ابنتك). لأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ وَلَمْ تَفْعَلْ حُمُوَّ غَضَبِهِ فِي عَمَالِيقَ، لِذلِكَ قَدْ فَعَلَ الرَّبُّ بِكَ هذَا الأَمْرَ الْيَوْمَ. وَيَدْفَعُ الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ أَيْضًا مَعَكَ لِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَغَدًا أَنْتَ وَبَنُوكَ تَكُونُونَ مَعِي (أي: في عالم الأموات السفلي Sheol, the underworld[7624]؛ يقصد: وَغَدًا أَنْتَ وَبَنُوكَ ستموتون حتماً!)، وَيَدْفَعُ الرَّبُّ جَيْشَ إِسْرَائِيلَ أَيْضًا لِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ». فَأَسْرَعَ شَاوُلُ وَسَقَطَ عَلَى طُولِهِ إِلَى الأَرْضِ وَخَافَ جِدًّا مِنْ كَلاَمِ صَمُوئِيلَ، وَأَيْضًا لَمْ تَكُنْ فِيهِ قُوَّةٌ، لأَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ طَعَامًا النَّهَارَ كُلَّهُ وَاللَّيْلَ" (1 صموئيل 28:12-20).

يتضح من الفقرة السابقة أن العرَّافة أحضرتْ روحَ النبي صموئيل فعلاً! بدليل أن النص يقول: "رَأَتِ الْمَرْأَةُ صَمُوئِيلَ" "فَعَلِمَ شَاوُلُ أَنَّهُ صَمُوئِيلُ" "فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ [...] فَقَالَ صَمُوئِيلُ [...] وَخَافَ [شَاوُلُ] جِدًّا مِنْ كَلاَمِ صَمُوئِيلَ". وأيضاً بدليل ما قاله سفرُ يشوع بن سيراخ عن صموئيل النبي بكل وضوح: "صَموئيلُ حَبيبُ رَبِّه ونَبِيُّ الرَّبِّ أَقامَ المَلَكِيَّة، ومَسَحَ الرُّؤَساءَ على شَعبِه. [...] ومِن بَعدِ رُقادِه تَنَبَّأَ وأَخبَرَ المَلِكَ بِوَفاتِه، ورَفَعَ مِنَ الأَرضِ (أو: مِنَ الْقَبْرَ) صَوتَه بِالنُّبوءَةِ لِيَمحُوَ إِثمَ الشَّعْب" (يشوع بن سيراخ 46:13-20)! فهل هذا معقول؟! قيل إن "ظهور صموئيل كان بسماح من الله وليس بقوة العرَّافة"[7625]، "الرب سمح بطريقة معجزية – لم يكن للعرَّافة دخل فيها – أن تتحدث إليه روحُ صموئيل، وتخبره بمصيره الفاجع مما ملأ نفسه هلعاً ويأساً"[7626]! وكالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن الروح الذي ظهر ليس روح صموئيل، وإنما "روح شرير" والعرَّافة "حبكت الحيلة" فكانت "تدّعي أنها رأت صموئيل"[7627]! أو كان "روح شرير يشبه صموئيل تمكَّن من خداعها (أي: خداع العرَّافة) والسيطرة عليها"[7628]! واستدلوا على ذلك بما قاله بولس الرسول: "وَلاَ عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ!" (2 كورنثوس 11:14) فقالوا إن الشَّيْطَانَ يستطيع أيضاً أن يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ النبي صموئيل[7629]! واستدلوا أيضاً بأن كل كلام هذا الشيطان (الروح الشرير) كان يدعو إلى اليأس من رحمة الله ولم ينصح شاولَ بالصلاة والتوبة والرجوع إلى الله. لكن كيف عرف هذا الشيطان (الروح الشرير) أن جيش إسرائيل سيُهْزَم في اليوم التالي وأن شاول وثلاثة من أبنائه سيموتوا جميعاً؟! لا توجد إجابة مقنعة على هذا السؤال. ولذلك فإننا نرى أن الرأي الأول أقوى وأقرب إلى النص: الروح الذي ظهر للعرَّافة هو روح النبي صموئيل فعلاً (posthumous appearance)[7630]! ومن المؤكد أن قصة ظهور صموئيل بعد موته مستوحاة من الأساطير الشرق-أوسطية القديمة. قال العالِمُ الأمريكي الكبير (Prof. Samuel Noah Kramer): "كان من الممكن لأشباح الموتى (shades of the dead) في مناسبات وأحوال خاصة أن "تقوم" فتصعد (raised) إلى الأرض لأمد محدود. فيخبرنا مثلاً سفرُ "صموئيل" الأول (الاصحاح 28) استحضار شبح ذلك النبي (أي صموئيل) من "شيئول" (Sheol) عندما أصر على ذلك المَلِكُ شاوُل. ويضاهي هذا ما ورد في القصيدة السومرية "جلجامش وانكيدو والأرض

السفلى" (Gilgamesh, Enkidu, and the Nether World) [...] إذ تقص علينا قيام شبح "انكيدو" من "كور" (Kur) (أي: من المكان الذي تذهب إليه أشباحُ الموتى جميعها) إلى سيده "جلجامش" الذي كان ينتظره لمعانقته، وتروي لنا الحديثَ الذي جرى ما بينهما أيضاً"[7631].

نهاية شاول المأساوية: هُزِمَ! وقُتِلَ ثلاثة من أبنائه! وانْجَرَحَ جِدًّا مِنَ الرُّمَاةِ! فانتحر! وظل جسده ساقطاً في الجبل إلى اليوم التالي! ثم قُطِعَت رأسه! وعُلِّقَ جسده على سور المدينة! وأُحْرِقَت جثته! ولم يُدْفَن في مسقط رأسه ولا في عاصمة مُلْكِهِ! فكما تنبَّأ النبي صموئيلُ في ظهوره القصير بعد الموت، انهزم شاولُ هزيمةً نكراء في الحرب ضد الفلسطيين: "حَارَبَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ إِسْرَائِيلَ، فَهَرَبَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَمَامِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَسَقَطُوا قَتْلَى فِي جَبَلِ جِلْبُوعَ (Mount Gilboa) (هو: سلسلة من الجبال في الطرف الجنوبي الشرقي لوادي يِزْرَعِيلَ بين السامرة والجليل[7632]). فَشَدَّ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَرَاءَ شَاوُلَ وَبَنِيهِ، وَضَرَبَ (أي: قَتَلَ) الْفِلِسْطِينِيُّونَ يُونَاثَانَ وَأَبِينَادَابَ وَمَلْكِيشُوعَ أَبْنَاءَ شَاوُلَ" (1 صموئيل 31:1-2). "وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ عَلَى شَاوُلَ فَأَصَابَهُ الرُّمَاةُ رِجَالُ الْقِسِيِّ، فَانْجَرَحَ جِدًّا مِنَ الرُّمَاةِ. فَقَالَ شَاوُلُ لِحَامِلِ سِلاَحِهِ: «اسْتَلَّ سَيْفَكَ وَاطْعَنِّي بِهِ لِئَلاَّ يَأْتِيَ هؤُلاَءِ الْغُلْفُ وَيَطْعَنُونِي وَيُقَبِّحُونِي». فَلَمْ يَشَأْ حَامِلُ سِلاَحِهِ لأَنَّهُ خَافَ جِدًّا. فَأَخَذَ شَاوُلُ السَّيْفَ وَسَقَطَ عَلَيْهِ (أي: انتحر شاولُ بسبب فشله الذريع في الحرب). وَلَمَّا رَأَى حَامِلُ سِلاَحِهِ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ شَاوُلُ، سَقَطَ هُوَ أَيْضًا عَلَى سَيْفِهِ وَمَاتَ مَعَهُ. فَمَاتَ شَاوُلُ وَبَنُوهُ الثَّلاَثَةُ وَحَامِلُ سِلاَحِهِ وَجَمِيعُ رِجَالِهِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مَعًا. وَلَمَّا رَأَى رِجَالُ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ فِي عَبْرِ الْوَادِي (أي: وادي يِزْرَعِيلَ) وَالَّذِينَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ أَنَّ رِجَالَ إِسْرَائِيلَ قَدْ هَرَبُوا، وَأَنَّ شَاوُلَ وَبَنِيهِ قَدْ مَاتُوا، تَرَكُوا الْمُدُنَ وَهَرَبُوا. فَأَتَى الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَسَكَنُوا بِهَا" (1 صموئيل 31:3-7). "وَفِي الْغَدِ لَمَّا جَاءَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لِيُعَرُّوا الْقَتْلَى، وَجَدُوا شَاوُلَ وَبَنِيهِ الثَّلاَثَةَ سَاقِطِينَ فِي جَبَلِ جِلْبُوعَ. فَقَطَعُوا رَأْسَهُ (أي: رَأْسَ شَاوُلَ) وَنَزَعُوا سِلاَحَهُ، وَأَرْسَلُوا إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ فِي كُلِّ جِهَةٍ لأَجْلِ التَّبْشِيرِ فِي بَيْتِ أَصْنَامِهِمْ وَفِي الشَّعْبِ. وَوَضَعُوا سِلاَحَهُ فِي بَيْتِ عَشْتَارُوثَ (أي: في هيكل وثني)، وَسَمَّرُوا جَسَدَهُ [وَأَجْسَادَ بَنِيهِ] عَلَى سُورِ بَيْتِ شَانَ (Beth Shan) (هي: مدينة عريقة تقع غرب نهر الأردن بنحو 8 كم وحوالي 26 كم جنوبيّ بحر الجليل وهي حالياً "بيسان" أو بالقرب منها). وَلَمَّا سَمِعَ سُكَّانُ يَابِيشِ جِلْعَادَ بِمَا فَعَلَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ بِشَاوُلَ [تذكَّروا إحسانَ شاول إليهم حين أنقذهم من العمونيين]، قَامَ كُلُّ ذِي بَأْسٍ وَسَارُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ، وَأَخَذُوا جَسَدَ شَاوُلَ وَأَجْسَادَ بَنِيهِ عَنْ سُورِ بَيْتِ شَانَ، وَجَاءُوا بِهَا إِلَى يَابِيشَ وَأَحْرَقُوهَا هُنَاكَ[7633]. وَأَخَذُوا عِظَامَهُمْ وَدَفَنُوهَا تَحْتَ الأَثْلَةِ (أي: تَحْتَ شجرة كبيرة أو معروفة) فِي يَابِيشَ، وَصَامُوا سَبْعَةَ أَيَّامٍ [حِدادًا عَلَيْهِمْ]" (1 صموئيل 31:8-13)! "فَمَاتَ شَاوُلُ بِخِيَانَتِهِ الَّتِي بِهَا خَانَ الرَّبَّ مِنْ أَجْلِ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي لَمْ يَحْفَظْهُ. وَأَيْضًا لأَجْلِ طَلَبِهِ إِلَى الْجَانِّ لِلسُّؤَالِ، وَلَمْ يَسْأَلْ مِنَ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ وَحَوَّلَ الْمَمْلَكَةَ إِلَى دَاوُدَ بْنِ يَسَّى" (1 أخبار الأيام 10:13-14) "حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ عَنْ يَدِ صَمُوئِيلَ" (1 أخبار الأيام 11:3). وهكذا "ضاع [شاولُ] في حياته وضاع في وفاته وضاع في أبديته"[7634]!

ومما يدل على تسامح داود تجاه شاول أنه لمَّا سمع خبرَ موته، حزن حزناً شديداً: "أَمْسَكَ دَاوُدُ ثِيَابَهُ وَمَزَّقَهَا، وَكَذَا جَمِيعُ الرِّجَالِ الَّذِينَ مَعَهُ. وَنَدَبُوا وَبَكَوْا وَصَامُوا إِلَى الْمَسَاءِ عَلَى شَاوُلَ وَعَلَى يُونَاثَانَ ابْنِهِ، وَعَلَى شَعْبِ الرَّبِّ وَعَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُمْ سَقَطُوا بِالسَّيْفِ" (2 صموئيل 1:11-12). ثم رثا داودُ شاولَ بمرثاةٍ (dirge) طيبة، كما رَثَا يُونَاثَانَ بكلماتٍ مؤثرة في نفس المرثاة تدل على قدر كبير من الحب بينهما وقال فيها: "يُونَاثَانُ عَلَى شَوَامِخِكَ مَقْتُولٌ. قَدْ تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانُ. كُنْتَ حُلْوًا لِي جِدًّا. مَحَبَّتُكَ لِي أَعْجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ" (2 صموئيل 1:25-26)[7635]!

"وَكَانَ بَعْدَ ذلِكَ (أي: بعد موت شاول وثلاثة من أبنائه) أَنَّ دَاوُدَ سَأَلَ الرَّبَّ قَائِلًا: «أَأَصْعَدُ إِلَى إِحْدَى مَدَائِنِ يَهُوذَا؟» فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اصْعَدْ». فَقَالَ دَاوُدُ: «إِلَى أَيْنَ أَصْعَدُ؟» فَقَالَ: «إِلَى حَبْرُونَ (Hebron) (حالياً: الخليل في اليهودية)». فَصَعِدَ دَاوُدُ إِلَى هُنَاكَ [...]. وَأَتَى رِجَالُ يَهُوذَا وَمَسَحُوا هُنَاكَ دَاوُدَ مَلِكًا عَلَى بَيْتِ يَهُوذَا" (2 صموئيل 2:1-4). وهكذا صار الشاب داود (عُمره 30 سَنَةً) مَلِكاً على يهوذا. ثم اشتعلت حرب أهلية بين رجال داود ورجال شاول لمدة سنتين وربما أكثر (قيل: 7 سنوات): "وَكَانَتِ الْحَرْبُ طَوِيلَةً بَيْنَ بَيْتِ شَاوُلَ وَبَيْتِ دَاوُدَ، وَكَانَ دَاوُدُ يَذْهَبُ يَتَقَوَّى، وَبَيْتُ شَاوُلَ يَذْهَبُ يَضْعُفُ" (2 صموئيل 3:1)، وانتهت هذه الحرب الأهلية بمقتل أَبْنَيْرَ رَئِيسِ جَيْشِ شاول غدراً (2 صموئيل 3:22-39) ثم اغتيال الابن الرابع لشاول "وَهُوَ نَائِمٌ نَوْمَةَ الظَّهِيرَةِ" "عَلَى سَرِيرِهِ فِي مِخْدَعِ نَوْمِهِ" في بيته (2 صموئيل 4)! "أما سائر أحفاد شاول الأحياء فكانوا إمَّا صغار السن أو أضعف من أن يقاوموا"[7636]، فصار داودُ مَلِكاً على كل إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا (حوالي 1010 أو 1000 ق.م): "وَجَاءَ جَمِيعُ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ إِلَى الْمَلِكِ، إِلَى حَبْرُونَ، فَقَطَعَ الْمَلِكُ دَاوُدُ مَعَهُمْ عَهْدًا فِي حَبْرُونَ أَمَامَ الرَّبِّ. وَمَسَحُوا دَاوُدَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ. كَانَ دَاوُدُ ابْنَ ثَلاَثِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فِي حَبْرُونَ مَلَكَ عَلَى يَهُوذَا سَبْعَ سِنِينٍ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ. وَفِي أُورُشَلِيمَ مَلَكَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ سَنَةً عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا" (2 صموئيل 5:3-5)؛ (1 ملوك 2:11) **[← "وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ [بعد موت طالوت/شاول وأبنائه] وَالْحِكْمَةَ (أي: الفهم والعقل والفطنة؛ وقيل: النبوة بعد موت صموئيل)" (البقرة 251) "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً (God's vicegerent) (lieutenant, vicaire de Dieu) فِي الْأَرْضِ" (ص 26)].**

ولقد ابتدأ المَلِكُ داود مُلْكه بالاستيلاء على أورشليم (يَبُوسَ) من الْيَبُوسِيِّينَ (Jebusites) (2 صموئيل 5:6-16). "وَعَلِمَ دَاوُدُ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَثْبَتَهُ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّهُ قَدْ رَفَّعَ مُلْكَهُ مِنْ أَجْلِ شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ" (2 صموئيل 5:12) **[← "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ (أي: قَوَّيناه بالهيبة والقوة والنصر حتى ثبت)" (ص 20)]**. وبحكمةٍ جعل داودُ أورشليمَ عاصمةً لمملكته الموحَّدة (United Kingdom). وأصبحت أورشليم تُعْرَف بعد ذلك باسم "مَدِينَة دَاوُدَ" (2 صموئيل 5:9) (1 أخبار الأيام 11:7). "وكانت العاصمة الجديدة تقع على الحدود بين الأسباط التي في الشمال ويهوذا، وكان موقعها عاملاً على إزالة الحسد بين الشمال والجنوب"[7637]. "ولا يمكن المبالغة في أهمية هذا الأمر فالموقع المتوسط لأورشليم وموقعها المنيع الذي يصعب اقتحامه، ويسهل

الدفاع عنه، وكونها على الحدود بين يهوذا وبنيامين، وعلاقتها القديمة بالملك الكاهن ملكي صادق، كل ذلك جعل منها أحكم الاختيارات الممكنة كعاصمة للمملكة الموحَّدة"[7638]. إذن: اختيار أورشليم عاصمة يدل بالفعل على حكمة المَلِك داود. وتوجد آيات كتابية أخرى تتحدث عن حكمة الْمَلِك داود وعِلمه. مثل: "وَسَيِّدِي [الْمَلِكُ دَاوُدُ] حَكِيمٌ كَحِكْمَةِ (بالعبرية: ḥokmā) مَلاَكِ اللهِ لِيَعْلَمَ كُلَّ مَا فِي الأَرْضِ" (2 صموئيل 20:14)[7639] **[← "وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ [بعد موت طالوت/شاول] وَالْحِكْمَةَ (أي: الفهم والعقل والفطنة؛ وقيل: النبوة بعد موت صموئيل) وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ" (البقرة 251) "وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ" (ص 20) "وَكُلًّا (أي: دَاوُودَ وسُلَيْمَانَ) آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا" (الأنبياء 79) "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا" (النمل 15)]**.

ثم انتصر المَلِكُ داود على الفلسطيين (2 صموئيل 5:17-25) وأصعد التابوتَ مِنْ قَرْيَةِ يَعَارِيمَ إلى عاصمته الجديدة أورشليم مركز العبادة الجديد. **(2 صموئيل 6):** {1} وَجَمَعَ [المَلِكُ] دَاوُدُ أَيْضًا جَمِيعَ الْمُنْتَخَبِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، ثَلاَثِينَ أَلْفًا. {2} وَقَامَ دَاوُدُ وَذَهَبَ هُوَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي مَعَهُ مِنْ بَعَلَةِ يَهُوذَا (هي نفسها: قَرْيَةِ يَعَارِيمَ)، لِيُصْعِدُوا مِنْ هُنَاكَ تَابُوتَ اللهِ **[← "يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ" (البقرة 248)]**، الَّذِي يُدْعَى عَلَيْهِ (أي: المَدْعُو) بِالاسْمِ، اسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ **[← "فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ (أي: يسكن فيه ربُّ إسرائيل)" (البقرة 248)]**، الْجَالِسِ عَلَى الْكَرُوبِيمِ (cherubim؛ مجموعة مِن الملائكة أو حَمَلَة العرش) **[← "تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ" (البقرة 248)]**. {3} فَأَرْكَبُوا تَابُوتَ اللهِ عَلَى عَجَلَةٍ جَدِيدَةٍ، [...]. [...] {5} وَدَاوُدُ وَكُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَلْعَبُونَ (أي: يعزفون على الآلاتِ الموسيقية) أَمَامَ الرَّبِّ (بالعبرية: Yahweh) (أي: أمام التابوت؛ فِي حَضْرَةِ يهوه) **[← "التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ (أي: يسكن فيه ربُّ إسرائيل)" (البقرة 248)]** بِكُلِّ أَنْوَاعِ الآلاَتِ [...]. [...] {12} [...] فَذَهَبَ دَاوُدُ وَأَصْعَدَ تَابُوتَ اللهِ **[← "يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ" (البقرة 248)]** [...] إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ (أي: أورشليم) بِفَرَحٍ. {13} وَكَانَ كُلَّمَا خَطَا حَامِلُو تَابُوتِ الرَّبِّ **[← "يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ" (البقرة 248)]** سِتَّ خَطَوَاتٍ يَذْبَحُ [دَاوُدُ؛ أو: الشعبُ] ثَوْرًا وَعِجْلًا مَعْلُوفًا. {14} وَكَانَ دَاوُدُ يَرْقُصُ (أي: يعبِّر عن سعادته بحركاتٍ جسديَّة منتظمة وهو يسبّح الله) بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَمَامَ الرَّبِّ (بالعبرية: Yahweh) (أي: أمام التابوت؛ فِي حَضْرَةِ يهوه) **[← "التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ (أي: يسكن فيه ربُّ إسرائيل)" (البقرة 248)]**. وَكَانَ دَاوُدُ مُتَنَطِّقًا بِأَفُودٍ مِنْ كَتَّانٍ. {15} فَأَصْعَدَ دَاوُدُ وَجَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ تَابُوتَ الرَّبِّ **[← "يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ" (البقرة 248)]** بِالْهُتَافِ وَبِصَوْتِ الْبُوقِ. [...] {17} فَأَدْخَلُوا تَابُوتَ الرَّبِّ وَأَوْقَفُوهُ فِي مَكَانِهِ فِي وَسَطِ الْخَيْمَةِ الَّتِي نَصَبَهَا لَهُ دَاوُدُ [لأن هيكل أورشليم لم يكن قد بُنِيَ بعد في ذلك الوقت]. وَأَصْعَدَ دَاوُدُ مُحْرَقَاتٍ أَمَامَ الرَّبِّ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. {18} وَلَمَّا انْتَهَى دَاوُدُ مِنْ إِصْعَادِ الْمُحْرَقَاتِ وَذَبَائِحِ السَّلاَمَةِ بَارَكَ الشَّعْبَ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ. {19} وَقَسَمَ عَلَى جَمِيعِ الشَّعْبِ، عَلَى كُلِّ جُمْهُورِ إِسْرَائِيلَ رِجَالًا وَنِسَاءً، عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ رَغِيفَ خُبْزٍ وَكَأْسَ خَمْرٍ وَقُرْصَ زَبِيبٍ. ثُمَّ ذَهَبَ كُلُّ الشَّعْبِ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى بَيْتِهِ، {20} وَرَجَعَ دَاوُدُ لِيُبَارِكَ بَيْتَهُ. اقرأ أيضاً (1 أخبار الأيام 13-16) (2 أخبار الأيام 4:1). "وبوجود التابوت في أورشليم، أصبحت "المدينة المقدسة" وكان ذلك اليوم أعظم الأيام في حياة داود، ونقطة تحول في تاريخ إسرائيل"[7640].

"وقد ضعفت شوكة الفلسطينيين جداً في أيام داود، وليس أدل على ذلك من أن فلسطين والفلسطينيين يُذكرون 149 مرة في سفري صموئيل، ولا يُذكرون سوى ست مرات فقط في سفري الملوك"[7641]. فلقد "ضَرَبَ دَاوُدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَذَلَّلَهُمْ (أي: هزمهم وأخضعهم وأذلَّهم)" (2 صموئيل 8:1). فنستطيع إذن أن نقول إن المَلِك داود قد تمكَّن من إخضاع الفلسطينيين تماماً، "فكفوا عن اقلاق المملكة التي أسسها مدة عدة قرون"؛ "ولكي يضمن أمن مملكته ويحرص على أن لا تأتيها العدوى الوثنية من الأمم المجاورة ولكي ينتقم لأجل هجمات وقعت على مُلْكِه، قام داود بحرب ضد الأمم [الوثنية] المحيطة [ببني إسرائيل] فأخضع الموآبيين والآراميين في صوبة ودمشق والعمونيين والأدوميين والعمالقة (2 صموئيل 8، 10، 12:26-31). وبهذا امتدت مملكته إلى أقصى حدود وصلت إليها في كل تاريخها"[7642]! فلقد "خضعت له كل البلاد المجاورة من البحر المتوسط إلى حماة (2 صموئيل 8:9) ومن حدود لبنان – وقد وقف شعبه من داود موقف المودة – إلى حدود مصر التي اعترفت أيضاً بنظام الحكم الجديد"[7643]! "وبالإيجاز "كَانَ الرَّبُّ يُخَلِّصُ دَاوُدَ حَيْثُمَا تَوَجَّه" (2 صموئيل 8:6، 14)، وهكذا أصبحت إسرائيل بفضل قيادة داود وبراعته العسكرية، خلال سنوات قليلة – أبرز الشعوب وأهمها في غربي آسيا"[7644]! "وَمَلَكَ دَاوُدُ عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ. وَكَانَ دَاوُدُ يُجْرِي قَضَاءً وَعَدْلًا لِكُلِّ شَعْبِهِ" (2 صموئيل 8:15) **[← "آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ" (البقرة 251) "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ (أي: قوَّيناه بالهيبة والقوة والنصر حتى ثبت)" (ص 20) "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً (God's vicegerent) (lieutenant, vicaire de Dieu) فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ" (ص 26)[7645]].**

فَمَن يقرأ ما قاله الكتاب المقدس عن المَلِك داود ويرى الخرائط التي توضح اتساع مملكته في المراجع اليهودية والمسيحية يعتقد أن داود قد أسس إمبراطورية تشمل إسرائيل وأجزاء من الأردن وسوريا ولبنان الحاليين! وإنه لمِن المدهش – أو المضحك – أن هذا التقليد اليهودي-المسيحي انتقل إلى المراجع العربية والإسلامية! انظر الشكل التالي[7646]!

رسم توضيحي 15 – خريطة في مرجع عربي-إسلامي توضح مملكة داود الواسعة التي تشمل إسرائيل ودمشق وعمَّان!

الخلاصة: شاولُ يمثل المَلِك الفاشل الذي غضب اللهُ عليه ورفضه. حتى "مِيكَال" (Michal) بنت شاول التي تزوجها داودُ لم تلد له ابناً "وَلَمْ يَكُنْ لِمِيكَالَ بِنْتِ شَاوُلَ وَلَدٌ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهَا" (2 صموئيل 23:6) – قيل إن عُقمها كان عقاباً من الله لها لأنها "احْتَقَرَتْ" داودَ حين رأته "يَطْفُرُ (أي: يَقْفِزُ) وَيَرْقُصُ" مثل "السُّفَهَاءِ" أمام التابوت (2 صموئيل 6:16-20) وقيل إن داود هو الذي هجر فراشَها – حتى لا يأتي وريثٌ لعرش داود من عائلة شاول! وعلى العكس تماماً، فإن داود – رغم كل المعاصي والذنوب والآثام والخطايا بل الجرائم التي ارتكبها – يمثِّل المَلِك الناجح الذي اختاره اللهُ ليأتي المسيحُ (المسيَّا) من نسله كما جاء في الآية الأولى في إنجيل "يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ" (متى 1:1) ...

4.45.1.1 العهد الداودي: وَعْدُ اللهِ للمَلِك داود

العهد الداودي (Davidic Covenant) أو وَعْدُ اللهِ لداود (God's Promise to David) هو وعد من الله إلى داود بصفته مَلِك إسرائيل وليس بصفته نبي. وهو عهد (أي: ميثاق؛ قَسَم oath) غير مشروط (unconditional)؛ أي: مبنيّ على نعمة الله، وليس استحقاق المَلِك داود ونسله الملكي. بعبارة أخرى: المَلِكُ داود لم يفعل شيئاً ليستحق هذا الوعد الإلهي، وإنما الله هو الذي أنعم على المَلِك داود بهذا الوعد.

(2 صموئيل 7): {1} وَكَانَ لَمَّا سَكَنَ الْمَلِكُ [داودُ] فِي بَيْتِهِ، وَأَرَاحَهُ الرَّبُّ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ **[← "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ (أي: قَوَّيناه وثبَّتناه بالنصر على أعدائه)" (ص 20)]**، {2} أَنَّ الْمَلِكَ قَالَ لِنَاثَانَ (Nathan) النَّبِيِّ: «انْظُرْ. إِنِّي سَاكِنٌ فِي بَيْتٍ مِنْ أَرْزٍ، وَتَابُوتُ اللهِ سَاكِنٌ دَاخِلَ الشُّقَقِ (أي: فِي خَيْمَةٍ من القماش)». {3} فَقَالَ نَاثَانُ لِلْمَلِكِ: «اذْهَبِ افْعَلْ كُلَّ مَا بِقَلْبِكَ، لأَنَّ الرَّبَّ مَعَكَ».

(2 صموئيل 7): {4} وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى نَاثَانَ قَائِلًا: {5} «اذْهَبْ وَقُلْ لِعَبْدِي دَاوُدَ[7647] **[← "عَبْدَنَا دَاوُودَ" (ص 17)]**: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَأَنْتَ تَبْنِي لِي بَيْتًا (يقصد: هيكلاً؛ Temple) لِسُكْنَايَ؟ {6} لأَنِّي لَمْ أَسْكُنْ فِي بَيْتٍ مُنْذُ يَوْمَ أَصْعَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، بَلْ كُنْتُ أَسِيرُ فِي خَيْمَةٍ وَفِي مَسْكَنٍ (أي: كُنْتُ أَتَنَقَّلُ بِحُريةٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ فِي خَيْمَةٍ هِيَ مَسْكَنٌ لِي ولستُ محصوراً دائماً فِي بَيْتٍ ثابتٍ). {7} فِي كُلِّ مَا سِرْتُ مَعَ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ إِلَى أَحَدِ قُضَاةِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَرْعَوْا شَعْبِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: لِمَاذَا لَمْ تَبْنُوا لِي بَيْتًا مِنَ الأَرْزِ؟ {8} وَالآنَ فَهكَذَا تَقُولُ لِعَبْدِي دَاوُدَ **[← "عَبْدَنَا دَاوُودَ" (ص 17)]**: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: أَنَا أَخَذْتُكَ مِنَ الْمَرْبَضِ (أي: المَرْعَى) مِنْ وَرَاءِ الْغَنَمِ لِتَكُونَ رَئِيسًا عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. {9} وَكُنْتُ مَعَكَ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ، وَقَرَضْتُ (أي: أَهْلَكْتُ؛ أَبَدْتُ) جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مِنْ أَمَامِكَ، وَعَمِلْتُ لَكَ اسْمًا عَظِيمًا كَاسْمِ الْعُظَمَاءِ الَّذِينَ فِي الأَرْضِ. {10} وَعَيَّنْتُ مَكَانًا (هو: أرض كنعان؛ The Promised Land) لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ وَغَرَسْتُهُ، فَسَكَنَ فِي مَكَانِهِ (أي: أرض إسرائيل =

أرض كنعان)، وَلاَ يَضْطَرِبُ بَعْدُ، وَلاَ يَعُودُ بَنُو الإِثْمِ (أي: الشعوب الوثنية الشريرة؛ الظالمون) يُذَلِّلُونَهُ كَمَا فِي الأَوَّلِ، {11}وَمُنْذُ يَوْمَ أَقَمْتُ فِيهِ قُضَاةً عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. وَقَدْ أَرَحْتُكَ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكَ. وَالرَّبُّ يُخْبِرُكَ أَنَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ لَكَ بَيْتًا (يقصد: ذُرِّيَّةً؛ مُلْكاً وراثياً في نَسْلِكَ؛ royal dynasty). {12} مَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ. {13} هُوَ (نعرف بعد ذلك أن المقصود: ابنُكَ المَلِكُ سُلَيْمَانُ Solomon)[7648] يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي (أي: لِي؛ لحضرتي ومسكني)، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ (everlasting forever)[7649]. {14} أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا [بالتبني][7650] (the Davidic king is God's adopted son) (أي: ممثلاً رسمياً لمُلْكِ الله على شعبه[7651]). إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ (أي: أُسلِّطُ عَلَيْهِ الشُّعُوبَ الأُخْرَى لأُقَوِّمَهُ بِضَرَبَاتِهِمْ) وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ (أي: الويلات التي تصيب الإنسانَ كالأمراض والأزمات وغيرهما). {15} وَلكِنَّ رَحْمَتِي لاَ تُنْزَعُ مِنْهُ كَمَا نَزَعْتُهَا مِنْ شَاوُلَ الَّذِي أَزَلْتُهُ مِنْ أَمَامِكَ (يقصد: وَلكِنَّ التأديب سيكون محدوداً ولن يؤدي إلى تدمير مُلْك داود إلى الأبد). {16} وَيَأْمَنُ بَيْتُكَ وَمَمْلَكَتُكَ إِلَى الأَبَدِ أَمَامَكَ. كُرْسِيُّكَ يَكُونُ ثَابِتًا إِلَى الأَبَدِ» **[← "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ (أي: قَوَّيناه حتى ثبت)" (ص 20)]**. {17} فَحَسَبَ جَمِيعِ هذَا الْكَلاَمِ وَحَسَبَ كُلِّ هذِهِ الرُّؤْيَا كَذلِكَ كَلَّمَ نَاثَانُ دَاوُدَ.

لكن لماذا رفض الربُّ أن يبني المَلِكُ داود له بيتاً دائماً؟ نجد الإجابة في أسفار العهد القديم: "وَوَقَفَ دَاوُدُ الْمَلِكُ عَلَى رِجْلَيْهِ وَقَالَ: «اِسْمَعُونِي يَا إِخْوَتِي وَشَعْبِي. كَانَ فِي قَلْبِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتَ قَرَارٍ لِتَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ وَلِمَوْطِئِ قَدَمَيْ إِلهِنَا (the footstool of our God)، وَقَدْ هَيَّأْتُ لِلْبِنَاءِ. وَلكِنَّ اللهَ قَالَ لِي: لاَ تَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي لأَنَّكَ أَنْتَ رَجُلُ حُرُوبٍ وَقَدْ سَفَكْتَ دَمًا" (1 أخبار الأيام 28:2-3). ولقد وُصِفَ داودُ بأنه "جَبَّارُ بَأْسٍ وَرَجُلُ حَرْبٍ" (1 صموئيل 16:18) قَتَلَ "رِبْوَاتِ (أي: عشرات الألوف)" (1 صموئيل 18:7-8، 21:11، 29:5)؛ وفي يومٍ واحدٍ "قَامَ دَاوُدُ وَذَهَبَ هُوَ وَرِجَالُهُ وَقَتَلَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ مِئَتَيْ رَجُل، وَأَتَى دَاوُدُ بِغُلَفِهِمْ (أي: قَتَلهم دَاوُدُ ثم نكَّل بأجسادهم عن طريق تشويه أعضائهم التناسلية!) فَأَكْمَلُوهَا لِلْمَلِكِ [شاول] لِمُصَاهَرَةِ الْمَلِكِ (أي: قَدَّمَ داودُ الـ 200 غُلْفَة كَامِلَةً لِتَكُونَ مَهْراً لابنة الْمَلِكِ شاول! مع أن شاول كان قد طلب 100 غُلْفَة فقط مَهْراً لابنته!). فَأَعْطَاهُ شَاوُلُ مِيكَالَ ابْنَتَهُ امْرَأَةً" (1 صموئيل 18:27)! داود قَتَلَ 200 إنسان في يومٍ واحدٍ! يعني: بمعدل أكثر من 8 قتلى كل ساعة! ثم نكَّل بجثثهم! وهذه ليست المرة الوحيدة التي ينكِّل داودُ فيها بجثث مَن يقتلهم. اقرأ أيضاً: "وَأَمَرَ دَاوُدُ الْغِلْمَانَ فَقَتَلُوهُمَا، وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمَا وَأَرْجُلَهُمَا، وَعَلَّقُوهُمَا عَلَى الْبِرْكَةِ فِي حَبْرُونَ" (2 صموئيل 4:12)! ولقد سبَّ رجلٌ من أقرباء شاول داودَ قائلاً له: "«اخْرُجِ! اخْرُجْ يَا رَجُلَ الدِّمَاءِ وَرَجُلَ بَلِيَّعَالَ! قَدْ رَدَّ الرَّبُّ عَلَيْكَ كُلَّ دِمَاءِ بَيْتِ شَاوُلَ الَّذِي مَلَكْتَ عِوَضًا عَنْهُ، وَقَدْ دَفَعَ الرَّبُّ الْمَمْلَكَةَ لِيَدِ أَبْشَالُومَ ابْنِكَ، وَهَا أَنْتَ وَاقِعٌ بِشَرّكَ لأَنَّكَ رَجُلُ دِمَاءٍ (a man of blood)»" (2 صموئيل 16:7-8)! وفي الواقع، فإن داود يستحق بالفعل هذا اللقب: "رَجُلُ دِمَاءٍ"، فلقد سَفَكَ دِمَاءً كَثِيرَةً عَلَى الأَرْضِ. ولقد اعترف داودُ نفسه بأن هذا هو السبب الذي جعل الربَّ يرفض أن يبني داود له بيتاً دائماً: "وَقَالَ دَاوُدُ لِسُلَيْمَانَ [ابنه]: «يَا ابْنِي، قَدْ كَانَ فِي قَلْبِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتًا لاسْمِ الرَّبِّ إِلهِي. فَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: قَدْ سَفَكْتَ

دَمًا كَثِيرًا وَعَمِلْتَ حُرُوبًا عَظِيمَةً، فَلاَ تَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي لأَنَّكَ سَفَكْتَ دِمَاءً كَثِيرَةً عَلَى الأَرْضِ أَمَامِي. هُوَذَا يُولَدُ لَكَ ابْنٌ يَكُونُ صَاحِبَ رَاحَةٍ، وَأُرِيحُهُ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ حَوَالَيْهِ، لأَنَّ اسْمَهُ يَكُونُ سُلَيْمَانَ (بالعبرية: Shelomoh). فَأَجْعَلُ سَلاَمًا (بالعبرية: shalom) وَسَكِينَةً (أي: هُدوء) فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِهِ. هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا، وَأَنَا لَهُ أَبًا وَأُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مُلْكِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ" (1 أخبار الأيام 22:7-10). اقرأ أيضاً (1 ملوك 2:5-5؛ 12:8-21) (2 أخبار الأيام 1:6-11).

نكرر: العهد الداودي وعد من الله إلى داود بصفته مَلِك إسرائيل وليس بصفته نبي. وهذا بدليل أن الله لم يقله للمَلِك داود مباشرةً، وإنما أعلنه بواسطة النبي نَاثَان. وأيضاً بدليل أن العهد الداودي سيُورَّث من المَلِك داود إلى نسله الملكي من سليمان إلى يسوع المسيح؛ ومن المعلوم أن المُلْك يُورَّث لكن النبوة لا تُورَّث. بل إن داود لا يُعتبَر أصلاً نبياً بالمعنى الحرفي للكلمة حسب العهد القديم العبري[7652]. ونحن نقول ذلك ونكرره حتى نرد على البروباجاندا العربية-الإسلامية التي تزعم كذباً أن المسيح عيسى ابن مريم (يسوع المسيح) كان فلسطينياً! وللأسف، اكتشفنا أن بعض المسيحيين العرب يرددون تلك الأكذوبة، ربما بحُسْن نية. فنقول لهم: لو كان يسوعُ المسيحُ فلسطينياً، لصار غير مؤهل لتحقيق النبوات المهمة المذكورة في العهد الداودي. وإنما الصواب هو أن يسوع المسيح لم يكن فلسطينياً[7653]، وإنما كان إسرائيلياً يهودياً من نسل داود، بل كان "مَلِك الْيَهُود" (متى 2:2، 11:27) (مرقس 2:15) (لوقا 3:23) (يوحنا 33:18). ولذلك استطاع يسوع المسيح أن يحقق النبوات المذكورة في العهد الداودي، لا سيما وعد الله: "وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ" (2 صموئيل 13:7) (1 أخبار الأيام 10:22) (المزامير 3:89-4) التي حققها بشكلٍ كامل يَسُوعُ الْمَسِيح ابن الله وابْن دَاوُدَ (متى 1:1-6) (لوقا 23:3-32). فلقد قَالَ الْمَلاَكُ لمريم العذراء: "لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ (أي: ابن الله) يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ (أي: عرش دَاوُدَ) أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ (أي: إسرائيل) إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ (أي: لا نهاية لِمُلْكِ المسيح على قلوب المؤمنين به)" (لوقا 1:30-33). وقال بولس الرسول إن الله "أَقَامَ لَهُمْ (أي: لبني إسرائيل) دَاوُدَ مَلِكًا، الَّذِي شَهِدَ لَهُ أَيْضًا، إِذْ قَالَ: وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِي، الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي. **<u>مِنْ نَسْلِ هذَا، حَسَبَ الْوَعْدِ، أَقَامَ اللهُ لإِسْرَائِيلَ مُخَلِّصًا، يَسُوعَ</u>**" (أعمال الرسل 22:13-23). بعبارة أخرى: مملكة داود – التي تأسست في أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل القرن العاشر قبل الميلاد – بلغت ذروةَ كمالها في ابنه الشاب الإسرائيلي اليهودي يسوع المسيح (المسيا) مَلِك اليهود في القرن الأول الميلادي حيث أصبحت بالفعل مملكة دائمة وأبدية (2 صموئيل 13:7) (1 أخبار الأيام 10:22) (المزامير 3:89-4).

يقول الكتابُ المقدس الدراسي: "بوصفه المَلِك العظيم على الأرض كلها، اختار اللهُ بني إسرائيل في القديم ليكونوا شعباً خادماً له. لقد خلَّصهم بأعمال قديرة من بين براثن القوى التي أحاطت بهم، واتحد معهم في عهدٍ يمثل تجسيداً مبدئياً لملكوته المفتدى. [...]. بوصف الله المَلِك العظيم ورب العهد مع شعب إسرائيل،

فقد اختار داودَ ليكون ممثل مُلْكِه على الأرض. كان داود بدوره "خادم" الرب، أي كان عضواً في إدارة المَلِك العظيم. لقد مسحه الربُّ وتبناه كابن ملكي يملك باسم الله نفسه. واستخدمه اللهُ لقيادة شعب إسرائيل وأخضع جميع القوى التي هددتهم حينذاك. والأهم من ذلك أنه تعهد بأن يحفظ نسل داود. [...]. بوصف الله المَلِك العظيم رب العهد مع بني إسرائيل (وهو من اختار داودَ ونسله ليكونوا ممثلين ملكيين له)، فقد اختار أورشليم مدينة ملكية له، وكأنها الموضع الأرضي لعرشه. وهناك في قصره (أي الهيكل) جلس على عرشه بين شعبه. [...]. [...] وفي السبي (the exile) (أي: 586-538 ق م) وما بعد السبي (the postexilic era) (أي: بعد 538 ق م)، حيث لم يكن هناك مَلِك، تتحدث المزامير لبني إسرائيل فقط عن الابن العظيم الذي سيأتي من نسل داود (the great Son of David)، وهو مَن تنبَّأ عنه الأنبياء بوصفه الشخص الذي سيتحقق فيه عهد الله مع داود. لهذا، يقتبس العهد الجديد من هذه المزامير باعتبارها شهادات عن المسيح، وهي شهادات بالفعل متفردة بطريقتها، فهي تتحقق في المسيح بالفعل"[7654].

ملحوظة: تكرر الوعد الداودي (2 صموئيل 7:1-17) في مواضع أخرى من العهد القديم. وأحياناً يأتي غير مشروط، مثل: "«قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَ مُخْتَارِي (My chosen one)، حَلَفْتُ (I have sworn) لِدَاوُدَ عَبْدِي: إِلَى الدَّهْرِ أُثَبِّتُ نَسْلَكَ، وَأَبْنِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ كُرْسِيَّكَ»" (المزامير 89:3-4). وأحياناً أخرى يأتي مشروطاً في أيِّ جيلٍ من الأجيال أو أكثر كما حدث حين انقسمت المملكة إلى مملكتين ثم سقوطهما وسبيهما، لكن مع ذلك يظل عهدُ اللهِ مع داود غيرَ مشروط في حصيلته النهائية (أي: في المسيح ابن داود الذي يملك إلى الأبد على قلوب المؤمنين به): "هُوَ (أي: داود؛ و/أو: المسيح)[7655] يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي. أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ. إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظُ لَهُ رَحْمَتِي. وَعَهْدِي يُثَبَّتُ لَهُ. وَأَجْعَلُ إِلَى الأَبَدِ نَسْلَهُ، وَكُرْسِيَّهُ مِثْلَ أَيَّامِ السَّمَاوَاتِ. إِنْ تَرَكَ بَنُوهُ شَرِيعَتِي وَلَمْ يَسْلُكُوا بِأَحْكَامِي، إِنْ نَقَضُوا فَرَائِضِي وَلَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَايَ، أَفْتَقِدُ بِعَصًا مَعْصِيَتَهُمْ، وَبِضَرَبَاتٍ إِثْمَهُمْ. أَمَّا رَحْمَتِي فَلاَ أَنْزِعُهَا عَنْهُ، وَلاَ أَكْذِبُ مِنْ جِهَةِ أَمَانَتِي. لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي، وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ. مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي، أَنِّي لاَ أَكْذِبُ لِدَاوُدَ: نَسْلُهُ إِلَى الدَّهْرِ يَكُونُ، وَكُرْسِيُّهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي. مِثْلَ الْقَمَرِ يُثَبَّتُ إِلَى الدَّهْرِ. وَالشَّاهِدُ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ" (المزامير 89:26-37)؛ "أَقْسَمَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ بِالْحَقِّ (The LORD swore to David a firm oath) لاَ يَرْجِعُ عَنْهُ: «مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ. إِنْ حَفِظَ بَنُوكَ عَهْدِي وَشَهَادَاتِي الَّتِي أُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا، فَبَنُوهُمْ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ يَجْلِسُونَ عَلَى كُرْسِيِّكَ»" (المزامير 132:11-12)؛ (1 ملوك 9:1-9).

إذن: "كان عهد الرب مع داود ونسله [...] أبدياً (eternal; everlasting) [...] وغير مشروط (unconditional; unbreakable)، وإن كان قد نص على أنه إذا خان أحدٌ من نسله العهدَ فإنه سيعاني كشخصٍ بمفرده تحت تأديب عصا الله (مما سيؤذي الأمةَ بأكملها)"[7656]. لكن مهما حصل، فإنَّ الرب "لن ينزع عهدَه أبداً من هذه العائلة (أي: مُلْك داود ونسله لن ينتهي إلى الأبد will never come to an end؛ قد ينقطع لفترةٍ لكن لأنه أبدي سيعود حتماً eternal and therefore destined to be

restored)"[7657]. بعبارة أخرى: "هذه الناحية الشَّرطيَّة يمكن أن تُسبِّب الانقطاع في المكوث على العرش، غير أنَّها ما كانت لتُبطِل وعدَ اللهِ بأن يُجْلِس ذات يومٍ المسيحَ [ابن داود] مَلِكاً إلى الأبد"[7658].

4.45.1.2 "لَبُوسٍ" (الأنبياء 80) "سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ" (سبأ 11): هل مفارقة تاريخية؟!

كان المَلِكُ داود يستخدم الحديدَ (iron) في شؤون الدين والدنيا ...

على الرغم من أن المَلِك داود عَلِم أنه لن ينال شرف بناء هيكل أورشليم، إلا أنه بدأ الإعداد لبنائه. فاشترى داودُ أرضاً وكرَّسها لبناء هيكل أورشليم (2 صموئيل 24:16-25) (1 أخبار الأيام 21:18-30) وهي الأرض التي أصبحت فيما بعد موقع هيكل سليمان (2 أخبار الأيام 3:1). "ويُقال اليوم" إنها "الأرض الصخريَّة المُنبسطة تحت قبَّة الصخرة في القدس"[7659]. "فَقَالَ دَاوُدُ: «هذَا هُوَ بَيْتُ الرَّبِّ الإِلهِ (أي: المكانُ المخصص للهيكل)، وَهذَا هُوَ مَذْبَحُ الْمُحْرَقَةِ لإِسْرَائِيلَ». وَأَمَرَ دَاوُدُ بِجَمْعِ الأَجْنَبِيِّينَ الَّذِينَ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، وَأَقَامَ نَحَّاتِينَ لِنَحْتِ حِجَارَةٍ مُرَبَّعَةٍ لِبِنَاءِ بَيْتِ اللهِ. وَهَيَّأَ دَاوُدُ حَدِيدًا (iron) كَثِيرًا لِلْمَسَامِيرِ لِمَصَارِيعِ الأَبْوَابِ وَلِلْوُصَلِ، [...]" (1 أخبار الأيام 22:1-3).

ونظراً للمعارك الكثيرة التي خاضها المَلِكُ داود ضد أعداء إسرائيل، فإنه احتاج معدن الحديد في شؤون الحرب أيضاً. ففي حربه الناجحة ضد العمونيين مثلاً، استولى المَلِكُ داودُ على عاصمتهم "ربَّة" (Rabbah) (حالياً: عَمَّان عاصمة المملكة الأردنية) "وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِينَ بِهَا وَنَشَرَهُمْ بِمَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ (هي: آلات زراعية) حَدِيدٍ (iron) وَفُؤُوسٍ" (1 أخبار الأيام 20:3)! "وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ مَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَّهُمْ فِي أَتُونِ الآجُرِّ (أي: أَفْرَانِ الطُّوبِ اللِّبْنِ)" (2 صموئيل 12:31)! أي: "قتلهم بمرور النوارج والمناشير على أجسادهم بعد أن طرحهم على الأرض وقتلهم بالفئوس وقتل البعض منهم في أفران الطوب ليحترقوا ويتعذبوا بالنار الملتهبة لعل هذا يجعل باقي الشعوب الوثنية تخاف الله وتبتعد عن عبادة الأوثان وتخشى محاربة شعب الله"[7660]!

تقول دائرة المعارف الكتابية تعليقاً على الآيات الكتابية السابقة وآيات أخرى تتعلق بالحديد[7661]:

> [...] وقد استعمل الحديد بكثرة في بناء الهيكل.
>
> وقد نجح داود في الاحتفاظ بوحدة بني إسرائيل مع انحدار قوة مصر بعد موت رمسيس الحادي عشر في عام 1085 ق.م. وأمكنه أن يتقدم جنوباً إلى أدوم (2 صموئيل 8:14) ليسيطر على مناجم الحديد (الهيماتيت)، وكذلك مناجم النحاس جنوبي البحر الميت، وكانت هذه المناجم من أكبر مستودعات المعادن في الشرق الأوسط، في ذلك الوقت، ومن ثم كان امتلاكها واستغلالها نقطة تحول في تاريخ إسرائيل، فإذ صارت هذه المصادر الطبيعية في حوزتهم، تقدموا في التكنولوجيا (انظر 1 أخبار الأيام 22:3). وكانت هذه العوامل أساس الانتصارات (1 أخبار الأيام 18:10) وتقدم الصناعة (2 صموئيل 12:31)، [...].

و "ربَّما أخذ داود تقنيَّة الحديد عن الْفِلِسْطِينِيِّينَ"[7662] أثناء إقامته وسطهم 16 شهراً هرباً من شاول كما قلنا فيما سبق (1 صموئيل 27:1-7). فحسب سفر صموئيل، كان الفلسطينيون ماهرين وحاذقين في صناعة الحديد، بل كانوا يحتكرونها ويمنعون الإسرائيليين منها في عهد المَلِك شاول (1 صموئيل 13:19-22) لأنها كانت تُعتبَر آنذاك مثل الأسرار العسكرية في عصرنا الحالي التي تضمن تفوق شعبٍ على أعدائه. لكن تواجد داود وسط الفلسطينيين 16 شهراً أثناء هروبه من شاول ربما أعطاه فرصةً جيدة ليتعلَّم صناعةَ الحديد منهم، لا سيما أن داود ظل يحارب أعداء إسرائيل "كُلَّ أَيَّامِ إِقَامَتِهِ فِي بِلاَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ" (1 صموئيل 27:11).

[← زعم أصحابُ القرآن أن داوودَ تعلَّم صناعةَ الحديد من الله (معجزة إلهية) "دون تعلُّم [من بَشَرٍ] وإنما بإلهام خارق"[7663]! وزعموا أيضاً أن دَاوُود استخدم الحديدَ في صناعة الدروع المسرودة (اللبوس المزرود) (coats of chain mail) (cottes de mailles)! "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا[...] وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (أي: جعلنا الْحَدِيدَ فِي يَدِهِ "كَالطِّينِ الْمَبْلُولِ وَالْعَجِينِ وَالشَّمْعِ، يُصَرِّفهُ كَيْفَ شَاءَ، مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِ نَارٍ وَلَا ضَرْبٍ بِمِطْرَقَةٍ [...]؛ وَقِيلَ: أُعْطِيَ قُوَّةً يَثْنِي بِهَا الْحَدِيدَ"[7664]!). أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ (أي: دروعًا واسعة طويلة لتوفِّر أقصى حماية ممكنة للبدن) وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ (أي: "أحكم نسْجَها بتداخل حلقاتها"[7665]؛ "قَدِّرْ المسامير في حِلَق الدروع، فلا تعمل الحلقة صغيرة فتَضْعُف، فلا تقوى الدروع على الدفاع، ولا تجعلها كبيرة فتثقُل على لابسها"[7666]) وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (سبأ 10-11)؛ "وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ (أي: وَعَلَّمْنَا دَاوُودَ صناعة الدروع المسرودة يعملها حِلَقًا متشابكة لتكون لبساً) لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ (أي: لتحمي أجسامكم مِن السهام والرماح أو أية آلة حربية أخرى، فهي إذن من الأسلحة الدفاعية)" (الأنبياء 80)].

يقول المعجم الوسيط: "سَرَدَ الدِّرْعَ: نَسَجَها فشَكَّ طرفَيْ كلِّ حَلْقَتَيْنِ وسَمَّرهما. وفي التنزيل العزيز: "أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ"". ويقول: "زَرَدَ الدِّرْعَ: سَرَدَها" و "(الزَّرَدُ): حِلَقُ المِغْفَر والدِّرْع".

وتقول دائرة المعارف الكتابية[7667]:

درع: هو القميص من حلقات من الحديد متشابكة يلبس وقاية من السلاح، فهو من الأسلحة الدفاعية. وكان يُستخدَم في البداية لحماية الرقبة والكتفين، ثم استطال ليحمي الصدر والبطن بل والفخذين حتى الركبتين. وكان جُليات الجبار الفلسطيني يلبس دِرْعًا حَرْشَفِيًّا [(a coat of scale armor) (une cuirasse à écailles) أي: ليس مسروداً] وَزْنه خَمْسَةُ آلاَفِ شَاقِلِ من نُحَاسٍ (أي نحو 125 رطلاً) (1 صموئيل 17:5). ويبدو أنه كان قميصاً من جلد تكسوه حراشف من نحاس [أي: ليس درعاً مسروداً ولا مصنوعاً

من حديد]. وقد وُجِدَ درعٌ من هذا القبيل في أطلال "نوزي" يرجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وقد وَجَد داودُ درعَ شاول أثقل من أن يمشي به (1 صموئيل 38:17).

وكان أَخْآبُ المَلِكُ [في القرن التاسع قبل الميلاد] يلبس درعاً في المعركة الحاسمة فِي رَامُوتَ جِلْعَادَ، ولكن سهماً أصابه بَيْنَ أَوْصَالِ الدِّرْعِ إصابة قاتلة (1 ملوك 34:22). وقد هيأ عُزِّيَّا المَلِكُ [في القرن الثامن قبل الميلاد] لكل جيشه "أَتْرَاسًا وَرِمَاحًا وَخُوَذًا وَدُرُوعًا ..." (2 أخبار الأيام 14:26). كما كان نصف العاملين مع نحميا [في القرن الخامس قبل الميلاد] – في بناء سور أورشليم بعد العودة من السبي – "يُمْسِكُونَ الرِّمَاحَ وَالأَتْرَاسَ وَالْقِسِيَّ وَالدُّرُوعَ" (نحميا 16:4) خشية الهجمات المفاجئة من جانب الأعداء.

وفي معركة بَيْتِ صُور في أيام المكابيين، جمع المَلِكُ أَنْطِيُوكُسُ [في القرن الثاني قبل الميلاد] جيوشاً جرارة وَاثْنَيْنِ وَثَلاَثِينَ فِيلاً مدرَّبة عَلَى الْحَرْبِ، وجعل عِنْدَ كُلِّ فِيلٍ أَلْفَ رَجُلٍ لاَبِسِينَ الدُّرُوعَ الْمَسْرُودَةَ [(أي: الزُّرود) (coats of mail) (cuirasses à mailles)]، بل وجعل على الْفِيَلَةِ أيضاً دروعاً (1 مكابيين 6:29-43).

وهنا نسأل أحباءنا المسلمين سؤالاً مهماً: هل يوجد أي دليل علمي يثبت أن الدروع المسرودة (اللبوس المزرود) (coats of chain mail) (cottes de mailles)[7668] المصنوعة من حِلَق حديدية (سبأ 10-11) (الأنبياء 80) كانت تُستخدَم في إسرائيل أيام المَلِك داود؛ أي: أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل القرن العاشر قبل الميلاد؟! في حالة عدم وجود أي دليل علمي، فمن حقنا أن نقول إنها مفارقة تاريخية (anachronism) يعاني منها القرآنُ تثبت أنه كلام بشر وليس كلام الله.

بل ربما تكون هذه الآيات القرآنية (سبأ 10-11) (الأنبياء 80) مستوحاة من الشعر الجاهلي (أي: قبل الإسلام) الذي أشار إلى داود (و/أو ابنه سليمان) صانع الدروع المسرودة! تقول موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam)[7669]:

There is proof of the name of Dāwūd (or Dāwud) in pre-Islamic times. There are poems which mention a Dāwūd, or his son, as a maker of coats of chain mail. Perhaps this refers to a Jewish armourer. In any case, presumably even in pre-Muḥammadan times, he was identified with King David (Horovitz, […]).

4.45.1.3 مَن كَتب سِفرَي صموئيل الأول والثاني؟ ومتى؟

لاحظنا فيما سبق أن معظم معلوماتنا عن شاول مَلِك إسرائيل الأول وداود مَلِك إسرائيل الثاني جاءت في سِفرَي صموئيل الأول والثاني (اللذين كانا في الأصل سفراً واحداً)، مع معلومات تكميلية وتوضيحية في سفر أخبار الأيام الأول. فهل صموئيل النبي الذي مسح شاولَ ثم داودَ مَلِكَين في القرن الحادي عشر قبل الميلاد هو الذي كتب قصتهما في 1 و 2 صموئيل؟! ...

بما أن صموئيل مات قبل نهاية مُلْك شاول (1 صموئيل 25:1). إذن: لا يمكن أن نصدِّق أن صموئيل هو مَن كتب (1 صموئيل 25-31) (2 صموئيل كله) في القرن الحادي عشر قبل الميلاد! ولا نرى أمامنا دليلاً قاطعاً يثبت أن صموئيل هو مَن كتب (1 صموئيل 1-24)! فَمَن كتب 1 و 2 صموئيل؟! تقول دائرة المعارف الكتابية: "ومع أننا لا نعرف كاتب هذين السفرين، إلا أن هناك دلائل في الكتاب المقدس على أن صموئيل النبي وناثان النبي وجاد الرائي هُم الذين كتبوهما. فنجد في (1 صموئيل 25:10) أن صموئيل كتب سفراً "وَوَضَعَهُ أَمَامَ الرَّبِّ"، بينما نقرأ في (1 أخبار الأيام 29:29) أن "أُمُور دَاوُدَ الْمَلِكِ الأُولَى وَالأَخِيرَةُ هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَار صَمُوئِيلَ الرَّائِي، وَأَخْبَار نَاثَانَ النَّبِيِّ، وَأَخْبَار جَادَ الرَّائِي". ولا يمكن أن يكون صموئيل قد كتب سوى الجزء الأول من سفر صموئيل الأول حيث أن موته يُذْكَر في (1 صموئيل 1:25)، كما أن (2 صموئيل 5:5) يذكر كل حكم داود بصيغة الماضي، فلا بد أن شخصاً عاش بعد داود كتب هذا الجزء"[7670]. "وينسب كثيرون من العلماء إلى عصر سليمان (أي: القرن العاشر قبل الميلاد وليس الحادي عشر قبل الميلاد) جمع بعض الأسفار التاريخية مثل يشوع والقضاة وراعوث وسفري صموئيل الأول والثاني"[7671].

تعليقنا: ما الدليل على أن السفر الذي كتبه صموئيل "وَوَضَعَهُ أَمَامَ الرَّبِّ" (1 صموئيل 25:10) هو الجزء الأول من سفر صموئيل الأول (1 صموئيل 1-24)؟! كالعادة، لا يوجد أي دليل! وما الدليل على أن أَخْبَار نَاثَانَ النَّبِيِّ وَأَخْبَار جَادَ الرَّائِي هُمَا (1 صموئيل 25-31) (2 صموئيل كله)؟! كالعادة أيضاً، لا يوجد أي دليل. "وعلى الرغم من أنَّ السجلات المدوَّنة عن هؤلاء الأنبياء الثلاثة (أي: صَمُوئِيل وَنَاثَان وَجَاد) ربّما استُخدمت مصدراً للمعلومات إبّانَ كتابة 1 و 2 صموئيل، فإنّ كاتب هذين السفرين غير معروف. [...] لا إشارة واضحة في سفرَي صموئيل إلى تاريخ الكتابة. [...] يُرَجَّح أن يكون قد كُتِب قبل السبي إبّانَ فترة المملكة المنقسمة (حوالي 931-722 ق م)، وقد أصبح في ما بعد جزءًا رئيسيًّا من مجموعة الأنبياء الأوائل"[7672]. أما موسوعة (Encyclopædia Judaica) فتقول إن سفر صموئيل اشترك في كتابته أكثرُ من شخص وجُمِعَ في القرن السادس قبل الميلاد[7673]:

The title of the book (or books) in the Hebrew canon is Samuel, no doubt because Samuel is the first major personality to appear in it rather than because of any theories of authorship such as we encounter in 1

Chronicles 29:29 and *Bava Batra* 14b–15a (cf. 1 Samuel 10:25). In fact, the title of the book has no serious bearing on authorship. It is now generally agreed that the finished form of the book comes from the hand of a Deuteronomic compiler in the sixth century B.C.E. It has often been surmised that one or more of the sources in Samuel were written by a high official(s) in the court of David or Solomon, such as Abiathar the priest, or Jehoshaphat the *mazkir*, or Ahimaaz son of Zadok the priest (for Ahimaaz was himself one of Solomon's provincial governors; 1 Kings 4:15). That a royal official was responsible for the archival materials is certain, and it is plausible that such an official wrote some of the extended narrative sources; but no exact identification is compelling.

[…]

[The book of] Samuel is not a simple homogeneous composition by a single author, although a single hand shaped its final form. […]

4.45.2 داود النبي: "وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (النساء 163) (الإسراء 55)

تقول دائرة المعارف الكتابية إن "أقل ما يمكن قوله في مدح داود هو أنه خلَّص بلاده من الأعداء، ووحَّد الأمةَ، وجعل أورشليم عاصمة للمملكة، وأقام العبادة، وهيأ لبناء الهيكل، وأصبح – كحاكم وطني غيور – مثلاً أعلى للأجيال التالية، ورمزاً للمسيا، وقال عنه الله: "وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِي" (أعمال الرسل 13:22، انظر 1 صموئيل 13:14)"؛ ومع ذلك "فلم يكن عمل داود الرئيسي هو الحرب ولا الانهماك في شئون الدولة، بل في كتابة المزامير تعبيراً عن تمجيده وشكره العميق للرب"[7674].

4.45.2.1 مَن كَتب المزامير؟ ومتى؟

اسم سفر المزامير (Book of Psalms; Psalter) بحسب النص العبري هو (tehillim)، أي: تهاليل. ويُسمَّى أيضاً "كتاب التسابيح". والكلمة العبرية "مِزْمُورْ" (mizmor) وردتْ في عناوين مزامير كثيرة، ومِن ثم انتقلتْ إلى الترجمات العربية. وهي بالسريانية (mazmūrā)[7675] **[← في القرآن العربي: "زَبُورًا" (النساء 163) (الإسراء 55)؛ "الزَّبُورِ" (الأنبياء 105)]**. ويوجد رأي آخر يقول إن كلمة "الزَّبُور" أصلها عربي جنوبي. تقول موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam)[7676]:

[…] The poetic and linguistic evidence therefore suggest that *zabūr* referred to text and perhaps even sacred text among some pre-Islamic Arabian communities, whether Jewish, Christian, or practitioners of indigenous Arabian religious traditions. By the time of the Ḳurʾānic revelation, the term was already known to refer to, among other things, a written text of scripture.

وهكذا نصل دائماً إلى نفس النتيجة: كل شيء في القرآن له جذور في التراث اليهودي أو في التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) أو في التراث العربي الوثني (الجاهلي) قبل الإسلام.

أما اسم سفر المزامير بالإنجليزية (Psalms) فلقد اشتق بطريق مباشر أو غير مباشر من الترجمة السبعينية (LXX) (Septuagint) – وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم في فترة ما قبل المسيحية – "حيث قُصد بها أصلاً الآلات الوترية (مثل الهارب harp، والقيثارة lyre، والعود lute)، ثم أطلق المعنى على مجموعة من الأغاني (أي: الأناشيد) التي تغنى بمصاحبة تلك الآلات [الموسيقية]"[7677].

"وتُشكِّل المزامير كلُها أكبرَ سِفر في الكتاب المقدَّس، وسفرَ العهد القديم الأكثرَ اقتباسًا في العهد الجديد". إذ يضم سفرُ المزامير 150 مزموراً تُقسَّم إلى خمسة كتب. "وقد لجأ التقليد اليهوديُّ إلى العدد "5"، مُعتبِرًا أنَّ هذه الأقسام [الخمسة] صدًى للتوراة، أي أسفار موسى الخمسة"[7678]. وينتهي كُلُّ كتاب من كتب المزامير الخمسة بآيات مُباركة (blessing) أو تسبيح (praise) أو تمجيد (glorification) (doxology) للرب "يهوه" (YHWH) إله إسرائيل لأنه المَلِك العظيم (Great King) فوق الجميع والذي تخضع له كُلُّ الأشياء:

- الكتاب الأول (المزامير 1–41) الذي ينتهي بقوله: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ. آمِينَ فَآمِينَ (Amen and Amen)" (المزامير 13:41).
- الكتاب الثاني (المزامير 42–72) الذي ينتهي بقوله: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ اللهُ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، الصَّانِعُ الْعَجَائِبَ وَحْدَهُ. وَمُبَارَكٌ اسْمُ مَجْدِهِ إِلَى الدَّهْرِ، وَلْتَمْتَلِئِ الأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ. آمِينَ ثُمَّ آمِينَ (Amen and Amen)" (المزامير 18:72-19). "تَمَّتْ صَلَوَاتُ (بالعبرية: tefillot) دَاوُدَ بْنِ يَسَّى".
- الكتاب الثالث (المزامير 73–89) الذي ينتهي بقوله: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَى الدَّهْرِ. آمِينَ فَآمِينَ (Amen and Amen)" (المزامير 52:89).
- الكتاب الرابع (المزامير 90–106) الذي ينتهي بقوله: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ. وَيَقُولُ كُلُّ الشَّعْبِ: «آمِينَ (Amen)». هَلِّلُويَا (Hallelujah)" (المزامير 48:106). علماً بأن "هَلِّلُويَا" تعني: سَبِّحُوا يهوه؛ أي: سَبِّحُوا الرَّبَّ (Praise the LORD). "وهي صيحة فرح وتهليل، للتعبير بقوة وبفرح عن الحمد والشكر والتعظيم للرب"[7679].

- الكتاب الخامس والأخير (المزامير 107–150) الذي ينتهي بقوله: "سَبِّحُوهُ (أي: سَبِّحُوا اللهَ) بِدُفٍّ وَرَقْصٍ. سَبِّحُوهُ بِأَوْتَارٍ وَمِزْمَارٍ. سَبِّحُوهُ بِصُنُوجِ التَّصْوِيتِ (أي: عَلَى وَقْعِ الصُّنُوجِ). سَبِّحُوهُ بِصُنُوجِ الْهُتَافِ (أي: بالصُّنُوجِ الْمُدَوِّيَةِ الأكبر حجماً). كُلُّ نَسَمَةٍ فَلْتُسَبِّحِ الرَّبَّ. هَلِّلُويَا (Hallelujah)" (المزامير 150:4-5). وهذه الآيات التي تختم سفر المزامير تدل على أن آلات موسيقية غير وترية (كالدُّفِّ وَالْمِزْمَار والصُّنُوجِ) كانت أيضاً تصاحب المزامير. وكذلك الرقص التعبدي حتى يشترك جسدُ الإنسان في تمجيد خالقه أو كَشَكْلٍ من أشكال التفاعل الجسدي مع المزمور.

كما توجد مزامير كثيرة تبدأ بتسبيح الله وتمجيد صفاته (وخصوصاً رحمته وأمانته) وأعماله (وخصوصاً الخلق والخلاص). نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر:

- "أَيُّهَا الرَّبُّ (Yahweh) سَيِّدُنَا (بالعبرية: ʾăḏōnênū)، مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ (How majestic) فِي كُلِّ الأَرْضِ! حَيْثُ جَعَلْتَ جَلاَلَكَ (Your splendor) فَوْقَ السَّمَاوَاتِ" (المزامير 8:1).
- "أَحْمَدُ (praise) الرَّبَّ بِكُلِّ قَلْبِي. أُحَدِّثُ بِجَمِيعِ عَجَائِبِكَ. أَفْرَحُ وَأَبْتَهِجُ بِكَ. أُرَنِّمُ لاسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ" (المزامير 9:1-2).
- "أُحِبُّكَ يَا رَبُّ، يَا قُوَّتِي. الرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي. إِلهِي صَخْرَتِي بِهِ أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلاَصِي وَمَلْجَإِي. أَدْعُو الرَّبَّ الْحَمِيدَ (worthy of praise)، فَأَتَخَلَّصُ مِنْ أَعْدَائِي" (المزامير 18:1-3).
- "اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ (the glory of God)، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (المزامير 19:1).
- "قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ اللهِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدًا (بالعبرية: kbud) (glory) وَعِزًّا (بالعبرية: oz) (strength). قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ (the glory of His name). اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ" (المزامير 29:1-2).
- "أُعَظِّمُكَ (extol) (exalt) يَا رَبُّ لأَنَّكَ نَشَلْتَنِي وَلَمْ تُشْمِتْ بِي أَعْدَائِي" (المزامير 30:1).
- "أُبَارِكُ الرَّبَّ فِي كُلِّ حِينٍ. دَائِمًا تَسْبِيحُهُ فِي فَمِي" (المزامير 34:1).
- "عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدًّا (to be praised greatly) (much worthy of praise) فِي مَدِينَةِ إِلهِنَا (أي: أورشليم)، جَبَلِ قُدْسِهِ (أي: جَبَلِ صِهْيَون Mount Zion)" (المزامير 48:1).
- "اِهْتِفِي للهِ يَا كُلَّ الأَرْضِ! رَنِّمُوا بِمَجْدِ اسْمِهِ (the glory of His name). اجْعَلُوا تَسْبِيحَهُ مُمَجَّدًا (Make His praise glorious)" (المزامير 66:1-2).
- "حَسَنٌ هُوَ الْحَمْدُ (praise) لِلرَّبِّ وَالتَّرَنُّمُ لاسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ. أَنْ يُخْبَرَ بِرَحْمَتِكَ (بالعبرية: ḥesed؛ أي: نِعْمَتِكَ وَمَحَبَّتِكَ؛ God's merciful kindness؛ God's steadfast love)[7680] فِي الْغَدَاةِ، وَأَمَانَتِكَ (faithfulness) كُلَّ لَيْلَةٍ" (المزامير 92:1-2).

- "هَلُمَّ نُرَنِّمُ لِلرَّبِّ، نَهْتِفُ لِصَخْرَةِ خَلاَصِنَا. نَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِحَمْدٍ (thanksgiving)، وَبِتَرْنِيمَاتٍ نَهْتِفُ لَهُ" (المزامير 95:1-2).
- "اِهْتِفِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. اعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ. ادْخُلُوا إِلَى حَضْرَتِهِ بِتَرَنُّمٍ. اعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ. هُوَ صَنَعَنَا (أي: خلقنا؛ جعلنا أُمّةً واحدةً)، وَلَهُ نَحْنُ شَعْبُهُ" (المزامير 100:1-3).
- "اِحْمَدُوا (thank) الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ" (المزامير 106:1، 107:1، 118:1).
- "سَبِّحُوا الرَّبَّ يَا كُلَّ الأُمَمِ. حَمِّدُوهُ (extol) يَا كُلَّ الشُّعُوبِ. لأَنَّ رَحْمَتَهُ قَدْ قَوِيَتْ عَلَيْنَا (أي: عظيمةٌ نَحوَنا)، وَأَمَانَةُ (faithfulness) الرَّبِّ إِلَى الدَّهْرِ. هَلِّلُويَا" (المزامير 117:1-2)[7681].
- "هَلِّلُويَا. سَبِّحِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ. أُسَبِّحُ الرَّبَّ فِي حَيَاتِي، وَأُرَنِّمُ لإِلهِي مَا دُمْتُ مَوْجُودًا" (المزامير 146:1-2).
- "سَبِّحُوا الرَّبَّ، لأَنَّ التَّرَنُّمَ لإِلهِنَا صَالِحٌ. لأَنَّهُ مُلِذٌّ. التَّسْبِيحُ لاَئِقٌ. الرَّبُّ يَبْنِي أُورُشَلِيمَ. يَجْمَعُ مَنْفِيِّي إِسْرَائِيلَ" (المزامير 147:1-2).
- "هَلِّلُويَا. غَنُّوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَتَهُ فِي جَمَاعَةِ الأَتْقِيَاءِ" (المزامير 149:1).
- "هَلِّلُويَا. سَبِّحُوا اللهَ فِي قُدْسِهِ. سَبِّحُوهُ فِي فَلَكِ قُوَّتِهِ" (المزامير 150:1).

وبالإضافة إلى تسبيح الله وتمجيده، توجد أشكال أو أنواع أدبية (genres) أخرى في المزامير. مثل: مزامير صلاة، ومزامير توبة، ومزامير شكوى أمام الله أو تضرع إليه من أجل الخلاص، ومزامير شكر وحمد لله على الخلاص[7682]، ومزامير حكمة، ومزامير كانت تُرنَّم في مناسبات دينية أو وطنية، بل وحتى مزامير لعن **[← "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78)]**، وغير ذلك من أشكال أو أنواع أدبية. علماً بأن المزمور الواحد قد يحتوي على نوعين أو أكثر مما سبق، مما يوضح أن أنواع المزامير تتباين في أساسها وتتداخل أيضاً.

ويوجد في الترجمة السبعينية (اليونانية) مزمور إضافي هو المزمور 151 غير موجود في النص العبري الماسوري (Masoretic Text). لكنه موجود في إحدى مخطوطات قمران (مخطوطات البحر الميت) (Dead Sea Scrolls)[7683]، وهي أقدم المخطوطات المتوفرة حالياً عن المزامير[7684]. ولذلك فإن بعض الكنائس تعتبره قانونياً (canonical) أو قانوني ثاني (deuterocanonical) فتضعه في نهاية سفر المزامير أسوةً بالترجمة السبعينية. أما الكنائس الأخرى فتعتبره مزموراً أبوكريفياً (apocryphal) (أي: غير قانوني) ولذلك تستبعده أسوةً بالنص العبري الماسوري المعتمد عند اليهود. كما يوجد اختلاف في ترقيم المزامير بين النص العبري الماسوري والترجمة السبعينية بسبب تقسيم مزمور واحد إلى مزمورين أو دمج مزمورين في مزمور واحد، لكن معظم المراجع تعتمد على الترقيم العبري أو على الأقل تضعه بين قوسين. ونحن أيضاً نعتمد على الترقيم العبري للمزامير لأنه المستخدم في الترجمات العربية التي أخذنا منها أيضاً ترقيمَ الآيات في كل مزمور.

حسب التقليد اليهودي-المسيحي، فإن داود هو مَن كَتب معظم المزامير في القرن العاشر قبل الميلاد! أو بعبارة أكثر دقة: داود هو الشخص الأكثر إنتاجاً للمزامير أو الكاتب الأساسي (the principal author) للمزامير في القرن العاشر قبل الميلاد! وهذا التقليد اليهودي-المسيحي يعتمد أساساً على أن 73 مزمور من أصل 150 يزعم في العنوان (superscription) أنه "لِدَاوُدَ" (of David).

لكن كالعادة لا يوجد أي دليل علمي يحسم الخلافَ حول مَن كَتب المزامير المعنونة بتلك العبارة الغامضة "لِدَاوُدَ"[7685] (of David) التي قد تعني المنسوبة لِدَاوُدَ (by David) **[⟵ "عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78)]**، أو المهداة إليه أو الموجَّهة له أو المكتوبة من أجله (to David) في فترة حياته أو بعدها، أو المكتوبة عنه (concerning David) في فترة حياته أو بعدها، أو المكتوبة بأسلوبه في الترنيم أو الغناء المقدس (in David’s style or tune) في فترة حياته أو بعدها. ونحن نتفق مع الرأي الذي يقول إن "اسم "دَاوُدَ" قد لا يشير إليه شخصياً بل إلى كل مَلِك من سلالته أو أي ملك"[7686] (a David). كما يجب التنويه إلى وجود اختلافات بين النص العبري الماسوري (Masoretic Text) والترجمة اليونانية (السبعينية (LXX) (Septuagint) في هذه مسألة العناوين (superscriptions) أيضاً[7687].

فالشيء الوحيد المؤكد هو أن هذه العبارة الغامضة "لِدَاوُدَ" قد فُهِمَت بمعنى أن داود هو الكاتب أو المتحدِّث. وعنوان المزمور 18 يقول ذلك صراحةً: "لِعَبْدِ الرَّبِّ دَاوُدَ الَّذِي كَلَّمَ الرَّبَّ بِكَلاَمِ هذَا النَّشِيدِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَنْقَذَهُ فِيهِ الرَّبُّ مِنْ أَيْدِي كُلِّ أَعْدَائِهِ وَمِنْ يَدِ شَاوُلَ. فَقَالَ: [...]" **[⟵ "عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78) "عَبْدَنَا دَاوُودَ" (ص 17)]**. وكذلك المزمور 72 "لِسُلَيْمَانَ (أي: لابن داود)"[7688] الذي ينتهي بقوله "تَمَّتْ صَلَوَاتُ (tefillot) دَاوُدَ بْنِ يَسَّى" **[⟵ "عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78) "عَبْدَنَا دَاوُودَ" (ص 17)]**، على الرغم من وجود مزامير "لِدَاوُدَ" بعد ذلك (المزمور 86 مثلاً)، مما يؤكد أن سفر المزامير بصورته الحالية قد جُمِعَ مِن أكثر مِن مصدر (كتاب) انتهى أحدها عند المزمور 72. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن معظم المزامير "لِدَاوُدَ" موجودة في الكتاب الأول (المزامير 1–41) والكتاب الثاني (المزامير 42–72)؛ وفيها أفكار وعبارات وكلمات لا يمكن أن تكون وحياً مباشراً من الله. مثلاً يقول المزمور 35 "لِدَاوُدَ": "اسْتَيْقِظْ وَانْتَبِهْ إِلَى حُكْمِي (أي: إحْقَاقِ حَقِّي)، يَا إِلهِي وَسَيِّدِي إِلَى دَعْوَايَ" (المزامير 23:35)! فلا يمكن أن نصدِّق أن الله أوحى إلى داود أن يقول له (أي: لله): اسْتَيْقِظْ وَانْتَبِهْ يَا إِلهِي وَسَيِّدِي! وإنما الأقرب إلى العقل هو أن هذا كلام مؤلِّف المزمور (داود أو غيره) لأنه شعر في لحظة ضعف أن الله يبدو له كما لو كان نائماً.

يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "إنَّ سفر المزامير بفصوله المئة والخمسين ليس من إخراج شخص واحد وزمن واحد، لكنه عبارة عن مجموعات صغيرة وكبيرة أتت من عدة مصادر، وتشكَّلت في مراحل زمنية مختلفة، وجُمِعَت ورُتبت بشكلها الحالي في مرحلة متأخرة"[7689].

ويقول الكتاب المقدس الدراسي: "المزامير مجموعة مكونة من مجموعات تمثل المرحلة الختامية لعملية استغرقت قروناً"؛ "تجميع المزامير يرجع إلى أوائل أيام الهيكل الأول (هيكل سليمان)، أو ربما إلى عهد داود، حينما بدأ فريق العبادة في الهيكل يتشكل، وقد لقيت صلوات داود احتراماً وتوقيراً"؛ "وقد وُضِعتْ [المزاميرُ] في صورتها النهائية بواسطة طاقم الهيكل في فترة ما بعد السبي (the postexilic era) (أي: بعد 538 ق م)، وقد أكملوها قرب نهاية القرن الثالث قبل الميلاد. ومن هذا المنطلق يطلق عليها كثيراً كتاب صلاة الهيكل الثاني (Second Temple) (الهيكل الذي شيد بواسطة زربابل وهيرودس)، وقد استخدمت أيضاً في المجامع"[7690].

وبالفعل يوجد 27 مزمور – معظمها في الكتاب الثالث (المزامير 73–89) – منسوبة لأشخاص آخرين غير داود؛ أو بعبارة أكثر دقة: مزامير مُعنونة بعبارات غامضة مثل "لِمُوسَى" (مزمور واحد)، "لِسُلَيْمَانَ (أي: لابن داود)" (مزموران)، "لِبَنِي قُورَحَ" (11 مزمور أحدهما معنون أيضاً بأنه "قَصِيدَةٌ لِهَيْمَانَ الأَزْرَاحِيِّ"!)، "لِآسَافَ" (12 مزمور)، "لِأَيْثَانَ الأَزْرَاحِيِّ" (مزمور واحد). أي لدينا على الأقل 6 أشخاص غير داود اشتركوا بطريقةٍ أو بأخرى في تأليف المزامير، مع أن معظمهم ليسوا أنبياء! وفي مزاميرهم أفكار وعبارات وكلمات لا يمكن أن تكون وحياً مباشراً من الله. مثلاً يقول المزمور 44 "لِبَني قورَح": "اِسْتَيْقِظْ! لِمَاذَا تَتَغَافَى (أو: تَنَامُ) يَا رَبُّ؟ انْتَبِهْ!" (المزامير 44:23)! فلا يمكن أن نصدِّق أن الله أوحى إلى بَني قورَح أن يقولوا له (أي: لله): اِسْتَيْقِظْ! لِمَاذَا تَنَامُ يَا رَبُّ؟ انْتَبِهْ! وإنما الأقرب إلى العقل هو أن هذا كلام مؤلِّفي المزمور (بَني قورَح أو غيرهم) لأنهم شعروا في لحظة ضعف أن الله يبدو لهم كما لو كان نائماً.

ويوجد 50 مزمور لا نعلم على الإطلاق مَن كتبوها ولا متى كتبوها! فتُسمَّى "المزامير مجهولة الكاتب" (anonymous psalms) أو "المزامير اليتيمة" (orphan psalms)! ومعظم هذه المزامير اليتيمة موجودة في الكتاب الرابع (المزامير 90–106) والكتاب الخامس (المزامير 107–150). وعلى الرغم من كونها مزامير يتيمة مجهولة الكاتب ومجهولة التاريخ حسب النص العبري الماسوري، إلا أن بعض كتب التراث اليهودي-المسيحي لا تجد حرجاً في أن تنسب مزموراً معيناً (أو على الأقل: آيةً منه) إلى داود، حتى لو كان المزمورُ المشار إليه (أو المقتبَس منه) مزموراً يتيماً؛ أي: كاتبه مجهول حسب النص العبري الماسوري! فإذا نظرنا مثلاً في "المشنا" (Mishnah) اليهودية، أي: الشريعة الشفهية (Oral Law) والمصدر الثاني للتشريع اليهودي، التي يرجع تاريخ جمعها إلى سنة 220م تقريباً[7691]، أي: قبل الإسلام بأكثر من 350 سنة، فسنجد أنها تقول في (آفوت – الآباء 9:6) (Aboth 6:9): "يرد في كتاب المزامير عن داود مَلِك إسرائيل: "شَرِيعَةُ فَمِكَ خَيْرٌ لِي مِنْ كل ذهب العالم وفضته" (المزامير 119:72)"[7692]. فعلى الرغم من أن المزمور 119 (وهو أطول مزمور بل أطول أصحاح في الكتاب المقدس كله) يتيم لا نعرف مَن كتبه ولا متى، إلا أن المشنا اليهودية تنسب آيةً منه إلى داود مَلِك إسرائيل!

[← ردد أصحابُ القرآن التقليدَ اليهودي-المسيحي بدون أن يقدِّموا دليلاً واحداً يثبت صحتَه! فلم يكترثوا أيضاً بمشكلة المزامير اليتيمة، بل ربطوا الزبورَ بداوود دون غيره: "وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (النساء 163) "وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (الإسراء 55)! وهذا خطأ قرآني كبير لأن بعض المزامير (مثلاً: المزمور 137 اليتيم) تتطرَّق بوضوحٍ إلى السبي البابليّ الذي حدث بعد داوود بمئات السنين، فمِن المستحيل تاريخياً أن يكون داوود هو مَن كتبها!].

فما هي الآيات الكتابية التي فُهِمَ منها أن داود كتَب المزامير (أو على الأقل: مزامير معينة) بوحي من الله (الروح القدس)، مما يعني أن داود نبي؟! ...

يقول المزمور 18 "لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِعَبْدِ الرَّبِّ دَاوُدَ الَّذِي كَلَّمَ الرَّبَّ بِكَلاَمِ هذَا النَّشِيدِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَنْقَذَهُ فِيهِ الرَّبُّ مِنْ أَيْدِي كُلِّ أَعْدَائِهِ وَمِنْ يَدِ شَاوُلَ. فَقَالَ": "أُحِبُّكَ يَا رَبُّ، يَا قُوَّتِي. الرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي. إِلهِي صَخْرَتِي بِهِ أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلاَصِي [...]" (المزامير 18:1-50). وهذا المزمور 18 يشبه إلى حد كبير ما جاء في سفر صموئيل الثاني: "وَكَلَّمَ دَاوُدُ الرَّبَّ بِكَلاَمِ هذَا النَّشِيدِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَنْقَذَهُ فِيهِ الرَّبُّ مِنْ أَيْدِي كُلِّ أَعْدَائِهِ وَمِنْ يَدِ شَاوُلَ، فَقَالَ: «اَلرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي، إِلهُ صَخْرَتِي بِهِ أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلاَصِي. [...]" (2 صموئيل 22:1-51).

ثم يقول سفر صموئيل الثاني: "فَهذِهِ هِيَ كَلِمَاتُ دَاوُدَ الأَخِيرَةُ: «وَحْيُ (أو: كلامُ؛ utterance) دَاوُدَ بْنِ يَسَّى، وَوَحْيُ (أو: كلامُ؛ utterance) الرَّجُلِ الْقَائِمِ فِي الْعُلاَ (أو: الرَّجُلِ الَّذِي عَظَّمَهُ الْعَلِيُّ)، مَسِيحِ (بالعبرية: mə-šî-aḥ) إِلهِ يَعْقُوبَ، وَمُرَنِّمِ إِسْرَائِيلَ الْحُلْوِ: رُوحُ الرَّبِّ (The Spirit of the LORD) تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَى لِسَانِي. قَالَ إِلهُ إِسْرَائِيلَ. إِلَيَّ تَكَلَّمَ صَخْرَةُ إِسْرَائِيلَ: [...]" (2 صموئيل 23:1-7).

وتوجد طبعاً آيات أخرى في العهد القديم العبري تقول إن داود كان يُحْسِنُ الضَّرْبَ بِالْعُودِ (1 صموئيل 16:16-23) والإنشاد الديني والأغاني الوطنية والعزف على الآلات الموسيقية المختلفة (2 صموئيل 6:5) والرقص التعبدي في الأفراح الدينية عندما يسبّح الله (2 صموئيل 6:14)؛ كما ألَّف داودُ مراثي جنائزية شعرية (2 صموئيل 1:17-27؛ 3:33-34)، واخترع (أو: أمر بصناعة) آلات موسيقيَّة ورتَّب المسبِّحين كجزءٍ من نشاطه الموسيقي لأجل الهيكل (1 أخبار الأيام 23:5-6) (2 أخبار الأيام 7:6، 8:14-15، 23:18، 29:25-27) (عزرا 3:10) (نحميا 12:24، 12:36، 12:45-46)[7693] (عاموس 6:5)! بل توجد آيات تذكر أسماء "الَّذِينَ أَقَامَهُمْ دَاوُدُ عَلَى يَدِ الْغِنَاءِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ بَعْدَمَا اسْتَقَرَّ التَّابُوتُ. وَكَانُوا يَخْدِمُونَ أَمَامَ مَسْكَنِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ بِالْغِنَاءِ إِلَى أَنْ بَنَى سُلَيْمَانُ بَيْتَ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، فَقَامُوا عَلَى خِدْمَتِهِمْ حَسَبَ تَرْتِيبِهِمْ. [...]" (1 أخبار الأيام 6:31-48). اقرأ أيضاً (1 أخبار الأيام 16؛ 25).

لكن كل الآيات الكتابية المذكورة في الفقرات السابقة لا تعني بالضرورة أن داود كتب سفرَ المزامير[7694]. بل لا تعني بالضرورة أن داود نبي. فنحن لا نجد في العهد القديم العبري ما يدل بوضوح على أن داود نبي بالمعنى الحرفي للكلمة كموسى مثلاً، وإنما ربما نبي بالمعنى المجازي مثل مَرْيَم "النَّبِيَّة" أُخْت هَارُونَ وموسى التي أَخَذَتْ الدُّفَّ بِيَدِهَا وَخَرَجَتْ جَمِيعُ النِّسَاءِ وَرَاءَهَا بِدُفُوفٍ وَرَقْصٍ (الخروج 15:20-21)[7695]، أو بمعنى الإعلان والوعظ الديني من خلال قصائد مُغنَّاة. "فالتنبُّؤ ليس بالضرورة الإنباءَ بالمستقبل مُسبَّقاً ولا حتَّى النُّطق بوحي مباشر، بل إعلان الحق [...] للشعب [راجِع "وَأَمَّا مَنْ يَتَنَبَّأُ، فَيُكَلِّمُ النَّاسَ بِبُنْيَانٍ وَوَعْظٍ وَتَسْلِيَةٍ (أي: تعْزِيَةٍ)" (1 كورنثوس 14:3)]، وقد كانت الموسيقى وسيلةَ إعلانٍ كهذا مقترنٍ بالتسبيح [...]. وقد اختار داودُ وقادتُه أناسًا ذوي خبرة لكي يتقدّموا الشعب في عبادة الله من خلال موسيقاهم"[7696].

بمرور الزمن، تطوَّر الربط بين داود وسفر المزامير حتى صار أكثر وضوحاً في التراث اليهودي اليوناني. فعلى الرغم من أن الترجمة اليونانية (السبعينية LXX) (Septuagint) قد حذفتْ عبارةَ "لِدَاوُدَ" من أربع مزامير، إلا أنها أضافتها إلى 13 مزمور يتيم حسب النص العبري الماسوري! أحدهم هو المزمور 137 الذي يتطرَّق بوضوحٍ إلى السبي البابليّ الذي حدث بعد داود بمئات السنين، فمِن المستحيل تاريخياً أن يكون داود هو مَن كتبه! ومع ذلك، قالتْ الترجمةُ السبعينية إنه "لِدَاوُدَ"! وبما أن المزمور الإضافي 151 أيضاً "لِدَاوُدَ"، إذن: جعلت الترجمةُ السبعينية داودَ كاتب معظم المزامير! بل أمعنت الترجمةُ السبعينية في الربط بين مزامير وأحداث معينة من حياة داود. فمثلاً بينما يكتفي النص العبري الماسوري بأن يقول عن المزمور 144 إنه "لِدَاوُدَ" فقط، زعمتْ الترجمةُ السبعينية أنه "لِدَاوُدَ عَنْ جُولْيَاتَ"! وكذلك المزمور الإضافي 151، زعمتْ الترجمةُ السبعينية أنه "مَكْتُوبٌ بِيَدِ دَاوُدَ" "لَمَّا بَارَزَ جُولْيَاتَ"! مثال آخر من التراث اليهودي اليوناني: سفر المكابيين الثاني (2 Maccabees) وهو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) / "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد – أي قبل الإسلام بأكثر من 700 سنة – قال: "الأَسْفَارَ المُخْتَصَّةَ بِالمُلوكِ والأَنْبِياءِ وداوُد (أي: سفر المزامير)" (2 مكابيين 13:2).

تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica) عن هذا التطور في الفكر اليهودي[7697]:

> In the course of time, the claim for Davidic composition was extended to the entire Psalter. II Maccabees 2:13 mentions “the writings of David,” apparently in reference to the Book of Psalms. The Greek version [i.e. the Septuagint] extends the Davidic heading to psalms not so marked in the received Hebrew text (viz., 33, 43, 71, 91, 93–99, 104, 137). How the idea of Davidic authorship could be applied to the entire collection can now be

illustrated by the epilogue of the large Qumran scroll (11QPs[a], 27:4–5, 9–10) which ascribes to David a library of 3,600 “psalms” (*tehillim*) and 450 “songs” (*shirim*), although its use of the Davidic superscription does not differ greatly from that of the standard Hebrew text. The first explicit claim to the Davidic origin of the entire Psalter is to be found in rabbinic literature which draws a comparison between the five books of Davidic psalms and the Pentateuch of Moses and was not perturbed by the incidence of other names in the headings (Mid. Ps. to 1:2; BB 14b, 15a; cf. Pes. 117a).
DAVID AS A POET. [...] The Talmud discusses the question of whether the psalms are to be regarded as entirely David’s work or as a collection of compositions by various poets, including David, who edited them. R. Meir’s view is: “All the praises stated in the Book of Psalms were uttered by David” (Pes. 117a). The statement (BB 14b) that “David wrote the Book of Psalms, including in it the work of 10 elders” is understood in the light of the Midrash (Eccl. R. 7:19 no. 4): “Although 10 men composed the Book of Psalms, it is named after none of them but after David.” The rabbis perceived something of a contradiction between David’s preoccupation with poetry and his involvement with Torah, saying, “This is what David meant: ‘Midnight never found me asleep.’ Until midnight he studied the Torah; thereafter he recited songs and praises” (Ber. 3b).
[There is also a] rabbinic tradition that David collected psalms composed from the time of Abraham onward.

ومع ظهور المسيحية في القرن الأول الميلادي، صار الربط بين داود وسفر المزامير أكثر وضوحاً من التراث اليهودي اليوناني. فلقد قال الإنجيل المكتوب باللغة اليونانية إن يسوع المسيح قال: "وَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَقُولُ فِي كِتَابِ الْمَزَامِيرِ: قَالَ الرَّبُّ (باليونانية: Kyrios) لِرَبِّي (باليونانية: Kyrios): اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ" (لوقا 20:42-43)؛ "لأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ: قَالَ الرَّبُّ (باليونانية: Kyrios) لِرَبِّي (باليونانية: Kyrios): اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي، حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ" (مرقس 12:36)؛ "فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ (أي: بِالرُّوحِ الْقُدُسِ) رَبًّا؟ قَائِلًا: قَالَ الرَّبُّ (باليونانية: Kyrios) لِرَبِّي

(باليونانية: Kyrios): اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ" (متى 22:43-44). اقرأ أيضاً: "لأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى السَّمَاوَاتِ. وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ: قَالَ الرَّبُّ (باليونانية: Kyrios) لِرَبِّي (باليونانية: Kyrios): اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ" (أعمال الرسل 2:34-35).

فنلاحظ هنا اختلافاً مهماً بين العهد القديم العبري الذي لا يقول صراحةً وبوضوح إن داود قال مزامير بوحي من الروح القدس، والعهد الجديد اليوناني الذي يقول بكل صراحة وبوضوح شديد إن "دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ" (مرقس 12:36) "بِالرُّوحِ (أي: بِالرُّوحِ الْقُدُسِ)" (متى 22:43) "فِي كِتَابِ الْمَزَامِيرِ" (لوقا 20:42). وهذا يؤكد أن هذا الاعتقاد قد تطوَّر بالفعل مع الزمن من العهد القديم العبري (2 صموئيل 23:1-3) إلى العهد الجديد اليوناني مروراً بالترجمة اليونانية (السبعينية) وكتب التراث اليهودي اليوناني الأخرى.

[ويجب هنا أيضاً أن نوضِّح أن العهد الجديد اليوناني قد أخطأ حين استخدم نفس الكلمة اليونانية (Kyrios) مرتين: "قَالَ الرَّبُّ (Kyrios) لِرَبِّي (Kyrios)" (متى 22:44) (مرقس 12:36) (لوقا 20:42) (أعمال الرسل 2:34). ومن الواضح أنه كان ينقل من الترجمة اليونانية (السبعينية) التي حرَّفت النصَّ العبريَّ. لأن الآية المقتبسة من المزمور 110 "لِدَاوُدَ" (of David) تستخدم كلمتين عِبريتين مختلفتين: "قَالَ الرَّبُّ (بالعبرية: Yahweh؛ أي: The LORD؛ يقصد: اللهُ God) لِرَبِّي (بالعبرية: laḏōnî؛ يقصد: لسيِّدي المَلِكِ my lord)[7698]: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ»" (المزامير 110:1)! ومِن حُسن الحظ أن بعض الترجمات العربية الحديثة قد صححت هذا الخطأ، فمثلاً تقول الترجمة العربية المبسطة: "قَالَ الرَّبُّ لِسَيِّدِي" (متى 22:44) (مرقس 12:36) (لوقا 20:42) (أعمال الرسل 2:34)[7699]. فالآية <u>لا</u> تدل على أن يسوع المسيح هو الله كما يزعم المسيحيون المثلِّثون، وإنما تدل فقط على أن يسوع الناصري هو المسيح (المسيَّا) "مَلِكُ الْيَهُودِ" (متى 2:2، 27:11) (مرقس 15:2) (لوقا 23:3) (يوحنا 18:33) وأنه أعظم من المَلِك داود بدليل أن المَلِك داود ينادي المَلِكَ يسوع المسيحَ قائلاً "سَيِّدِي".]

وفي سفر أعمال الرسل، قال بُطرُسُ الرسول: "«أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ الَّذِي سَبَقَ الرُّوحُ الْقُدُسُ فَقَالَهُ بِفَمِ دَاوُدَ **[⟵ "عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78)]**، عَنْ يَهُوذَا [الإِسْخَرْيُوطِيِّ] الَّذِي صَارَ دَلِيلًا لِلَّذِينَ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ، [...] لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ الْمَزَامِيرِ: لِتَصِرْ دَارُهُ خَرَابًا وَلاَ يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ. وَلْيَأْخُذْ وَظِيفَتَهُ آخَرُ" (أعمال الرسل 1:16-20). فهنا أيضاً نجد بطرس الرسول يقول إن الروح القدس تكلَّم بِفَمِ دَاوُدَ فِي سِفْرِ الْمَزَامِيرِ. والآيتان اللتان اقتبسهما بطرس الرسول من سِفْرِ الْمَزَامِيرِ هما: "لِتَصِرْ دَارُهُمْ خَرَابًا، وَفِي خِيَامِهِمْ لاَ يَكُنْ سَاكِنٌ" (المزامير 69:25) و "لِتَكُنْ أَيَّامُهُ قَلِيلَةً، وَوَظِيفَتُهُ لِيَأْخُذْهَا آخَرُ" (المزامير 109:8). والآيتان "لِدَاوُدَ" (of David) من مزامير اللَّعن (Imprecatory Psalms) **[⟵ "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ [...] ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**. ولقد اقتبس بُطرُسُ الآيةَ الثانية تسويغاً لتعيين رسولٍ آخر بدلاً من يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيِّ الخائن بعد انتحاره:

"وَلْيَأْخُذْ وَظِيفَتَهُ آخَرُ" (أعمال الرسل 20:1). "ثُمَّ أَلْقَوْا قُرْعَتَهُمْ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى مَتِّيَاسَ (Matthias)، فَحُسِبَ مَعَ الأَحَدَ عَشَرَ رَسُولًا [بدلاً من يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيِّ الخائن]" (أعمال الرسل 26:1).

وقال بُطْرُسُ الرسول أيضاً بكل صراحة وبوضوح شديد إن داود "كَانَ نَبِيًّا (prophet)" (أعمال الرسل 30:2)[7700] و "سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ: أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا (يقصد: وَلَنْ يَتَعَفَّنَ جَسَدُهُ في قبره). فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ [من الأموات]، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذلِكَ" (أعمال الرسل 2:31-32). والآية التي اقتبسها بطرس من المزمور 16 "لِدَاوُدَ" (of David) هي: "لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا" (المزامير 10:16). بمعنى أن نبوة القيامة من الأموات انطبقت بشكلٍ كامل على يسوع المسيح ابن داود، وليس على داود نفسه. وهذا يؤكد أن يسوع المسيح هو الذي تتم فيه جميع عهود الله ومواعيده لداود، ليس فقط فيما يتعلق بمملكة داود الدائمة إلى الأبد، ولكن أيضاً فيما يتعلق بالقيامة من الأموات، وهي أساس العقيدة المسيحية. ولقد أكَّد بولس الرسول أيضاً هذه الحقيقة حين اقتبس نفس الآية: "وَلِذلِكَ قَالَ [دَاوُدُ] أَيْضًا فِي مَزْمُورٍ آخَرَ: لَنْ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا. لأَنَّ دَاوُدَ بَعْدَ مَا خَدَمَ جِيلَهُ بِمَشُورَةِ اللهِ، رَقَدَ وَانْضَمَّ إِلَى آبَائِهِ، وَرَأَى فَسَادًا. وَأَمَّا [يسوع المسيح] الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ فَلَمْ يَرَ فَسَادًا" (أعمال الرسل 13:35-37).

وقال الرسولان بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا والمؤمنون الذين رافقوهُمَا في الصلاة إلى الله: "أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنْتَ هُوَ الإِلهُ الصَّانِعُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، الْقَائِلُ بِفَمِ دَاوُدَ **[← "عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78)]** فَتَاكَ (باليونانية: paidos؛ أي: عَبدِكَ؛ خادمِكَ) **[← "عَبْدَنَا دَاوُودَ" (ص 17)]**: لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ بِالْبَاطِلِ؟ قَامَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَاجْتَمَعَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ. لأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ (باليونانية: paidos؛ أي: عَبدِكَ؛ خادمِكَ) الْقُدُّوسِ يَسُوعَ، الَّذِي مَسَحْتَهُ، هِيرُودُسُ وَبِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَ أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ، لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ" (أعمال الرسل 4:24-28). والآيتان المقتبستان من سفر المزامير هُمَا: "لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟ قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ" (المزامير 2:1-2). فعلى الرغم من أن المزمور 2 من المزامير اليتيمة مجهولة الكاتب والتاريخ حسب النص العبري بل أيضاً حسب الترجمة اليونانية (السبعينية)، إلا أن كاتب سفر أعمال الرسل لم يجد حرجاً في أن ينسبه إلى داود! "ولعل هذا ينسجم مع اعتياد اليهود على إكرام داود باعتباره الكاتب الأساسي (the primary author) للمزامير"[7701]. ووجود مؤمنين يرافقون الرسولين بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا في الصلاة ويرددون نفس الكلام "بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ" (أعمال الرسل 24:4) يدل على أن هذا الربط الشديد بين داود وسفر المزامير كان اعتقاداً شائعاً بين المسيحيين الأوائل.

وتقول دائرة المعارف الكتابية: "ويصف يوسيفوس عبقرية داود في صنع الآلات الموسيقية قائلاً: "كان يصنع الآلات الموسيقية ويعلِّم اللاويين ترتيل الأناشيد لله. [...] وفي الواقع كان داود هو "أرفيوس" (Orpheus) العبراني "الذي كانت تردد الطيور والجبال موسيقاه""[7702].

[← بمرور الزمن، تطوَّر هذا التقليد اليهودي-المسيحي تطوراً بشرياً طبيعياً حتى وصل إلى العرب أصحاب القرآن في القرن السابع الميلادي فجعلوا داوود نبياً بالمعنى الحرفي للكلمة مثل موسى وعيسى، بدليل أنهم ذكروا اسمَ دَاوُودَ (الأنعام 84) في قائمة أنبياء تضم موسى (الأنعام 84) وعيسى (الأنعام 85)! وكذلك قال أصحابُ القرآن إن الزبور وحي من الله، ولم يكترثوا أيضاً بحل مشكلة المزامير اليتيمة: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ [...] ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (النساء 163)؛ "وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (الإسراء 55)].

وكالعادة، هذا التقليد اليهودي-المسيحي الذي تسلل إلى القرآن العربي ليس له أي أساس تاريخي ولا أي أساس علمي. يقول الكتاب اليهودي الدراسي (Jewish Study Bible)[7703]:

> An ancient and pervasive tradition, going back to the Bible itself, attributes the authorship of Psalms to David. […] Davidic authorship, however, on the basis of linguistic and contextual evidence, is not accepted as historical fact by modern scholars, but is viewed as a way the ancients linked biblical writings with the appropriate inspired well-known biblical figure, thereby confirming the divine inspiration and the authority of those writings (as is the case in the ascription of Proverbs to Solomon, Lamentations to Jeremiah, and so forth). […]
>
> Dating the psalms is notoriously difficult, partly because they contain few explicit references to specific historical events or personages (as noted above, the superscriptions [(e.g., "of David")] are not useful in this regard). While many modern scholars believe that at least some, perhaps even many, of the psalms are from the preexilic period (before 586 BCE), none can be dated on linguistic grounds to the 10th century BCE, the period of David. There is little consensus on the dating of preexilic psalms, or even on which psalms are preexilic. […] Some psalms clearly date from exilic [586-538 BCE] or postexilic [after 538 BCE] times, as we know from their references to events or their linguistic usages (e.g., Psalms 137; 145). It is also likely that some psalms have an ancient core that was reshaped after the exile into a new psalm. Nevertheless, linguistic and other evidence

suggests that most of the psalms in Books I-III are preexilic, and those in Books IV-V are exilic or postexilic. […]

4.45.2.2 مِن مزامير الكتاب المقدس إلى زَبُور القرآن

من حيث الشكل: يضم سفرُ المزامير أشكالاً أو أنواعاً أدبية (genres) مختلفة قد تتداخل حتى في المزمور الواحد. وكذلك القرآن. تقول موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān)[7704]:

The mixing of genres to be found in the [Hebrew] Psalms is paralleled in the [Arabic] Qurʾān, which is not a homogeneous collection but a combination of many genres whose sūras are often mixed compositions [...]. A comparison of the two holy books — the Hebrew Psalms and the Arabic Qurʾān — makes us aware of the complex composition of these sacred scriptures: individual genres such as hymns, wisdom sentences, prophecies and poetry are combined, each genre having its own style, vocabulary and formal language [...]. Some sense of this similarity is captured in the Qurʾān, where the *zabūr*, "the book of Psalms granted by God to David" (Q 4:163; 17:55), is recognized as a holy scripture preceding the Qurʾān ([...]).

وكما قلنا فيما سبق، كل كتاب من كُتب سفر المزامير الخمسة ينتهي بآيات تسبّح اللهَ وتمجّد صفاته أو أعماله: (المزامير 41:13) (المزامير 72:18-19) (المزامير 89:52) (المزامير 106:48) (المزامير 150:4-5) **[← وكذلك القرآن. إذ توجد سور قرآنية تنتهي بآيات تسبّح اللهَ وتمجّد صفاته أو أعماله. ولعل سورة الحشر هي خير دليل على ذلك: "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (الحشر 22-24)[7705]. اقرأ أيضاً: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ (glorify your Lord's praise) (glorify your Lord with praise) وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ[7706]. وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" (الحجر 98-99)؛ "إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ [من الملائكة المقربين وحملة العرش] لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ**

عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩" (الأعراف 206)؛ "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (يس 83)؛ (الزمر 74-75) (الجاثية 36-37) (الإسراء 110-111) (الطور 48-49)[7707]].

وكما قلنا أيضاً فيما سبق، توجد مزامير كثيرة تبدأ بتسبيح الله وتمجيد صفاته أو أعماله. مثلاً: (المزامير 1:8، 1:9-2، 1:18-3، 1:19، 1:29-2، 1:30، 1:34، 1:48، 1:66-2، 1:92-2، 1:95-2، 1:100-3، 1:106، 1:107، 1:117-2، 1:118، 1:146-2، 1:147-2، 1:149، 1:150). **[← وكذلك القرآن! إذ توجد سور قرآنية تبدأ بتسبيح الله وتمجيد صفاته أو أعماله. مثلاً: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ [...]" (الحديد 1-4)؛ "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (التغابن 1-4)؛ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ. يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ" (سبأ 1-2)؛ "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (الملك 1)؛ "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (الجمعة 1)؛ "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (الصف 1)؛ "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (الحشر 1)].**

إذن: سورة الحشر تبدأ وتنتهي بتسبيح الله. وهذا الأسلوب الأدبي له جذور في سفر المزامير أيضاً، حيث توجد بعض المزامير التي تبدأ وتنتهي بتسبيح الله أيضاً، لا سيما مزامير التهليل الخمسة الختامية (المزامير 146–150) التي تبدأ وتنتهي بكلمة "هَلِّلُويَا" (Hallelujah) التي تعني: سَبِّحُوا يهوه؛ سَبِّحُوا الرَّبَّ (Praise the LORD). وله جذور في الإنجيل أيضاً. الصلاة الربَّانيَّة (The Lord's Prayer) مثلاً تبدأ بتقديس الله: "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ" (متى 9:6)، وتنتهي بتمجيده: "لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ" (متى 13:6).

فَمِن حيث الشكل، لم يأتِ أصحابُ القرآن بشيء جديد يُذْكَر.

وكذلك من حيث المضمون: فلقد اقتبس أصحابُ القرآن أفكاراً وعبارات وكلمات كثيرة من سفر المزامير ثم طوَّروها تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development) ووضعوها على ألسنة الأنبياء والرسل السابقين مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم. وكما قلنا كثيراً فيما سبق، هذا الأسلوب الأدبي في تأليف القصص والأساطير ليس من اختراع أصحاب القرآن، وإنما هو أسلوب قديم ومعروف في

التراث اليهودي-المسيحي البشري قبل الإسلام[7708]. ثم جاء أصحاب القرآن ففعلوا كما فعل مَن سبقوهم وساروا على درب أسلافهم.

وحرصاً على الاختصار وعدم الإطالة، سنكتفي هنا بخمسة أمثلة متنوعة كما يوضح الجدولُ التالي على سبيل المثال فقط وليس الحصر:

جدول 43 – أمثلة متنوعة من المزامير التي تأثر بها أصحابُ القرآن على سبيل المثال وليس الحصر

	حسب العهد القديم العبري	حسب الترجمة اليونانية (السبعينية)
المزمور 37	"لِدَاوُدَ"	"لِدَاوُدَ"
المزمور 104	يتيم مجهول الكاتب! بدون عنوان!	"لِدَاوُدَ"
المزمور 121	يتيم مجهول الكاتب! "تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ"	يتيم مجهول الكاتب! "تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ"
المزمور 136	يتيم مجهول الكاتب! بدون عنوان!	يتيم مجهول الكاتب! "هَلِّلُويَا"!
المزمور 148	يتيم مجهول الكاتب! بدون عنوان!	"لِحَجَّايَ وَزَكَرِيَّا"!

4.45.2.2.1 المزمور 37 و (الأنبياء 105)

المثال الأول مشهور ومعروف منذ زمن طويل وهو من المزمور 37. **(المزامير 37) لِدَاوُدَ:** [...] {9} [...]، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. [...] {11} أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلاَمَةِ. [...] {29} الصِّدِّيقُونَ (أي: الصالحون؛ الأبرار) (righteous; upright) يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ. **[← "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ (قيل: كتاب داود؛ وقيل: الكتب السماوية[7709]) مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ (قيل: التوراة؛ وقيل: اللوح المحفوظ) أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (الأنبياء 105)]**.

4.45.2.2.2 المزمور 104 و (النحل 1-18) (يس 71-83) وجذورهم المصرية القديمة!

والمثال الثاني من المزمور 104، وهو ليس "لِدَاوُدَ" ولا لأي شخص آخر حسب العهد القديم العبري. لكنه "لِدَاوُدَ" حسب الترجمة اليونانية (السبعينية)[7710]. وهو من المزامير الهامة جداً. "هذا المزمور ليتورجي كان اليهود يرددونه في صباح يوم الكفارة العظيم، حيث يسمح الله لرئيس الكهنة بدخول قدس الأقداس؛ لأن هذا اليوم يرمز لتجديد الخليقة كما يذكر المزمور (العدد 30)"[7711]. وتأثير هذا المزمور المهم واضح جداً على مقدمة سورة النحل (النحل 1-18)[7712] وخاتمة سورة يس (يس 71-83) وآيات قرآنية كثيرة أخرى تردد نفس المعاني. فكلهم – أي: (المزمور 104) ثم (النحل 1-18) (يس 71-83) والآيات القرآنية الأخرى

التي تردد نفس المعاني – أعادوا إنتاجَ (reproduced) قصة الخلق (التكوين 1) لكن بطريقة تأملية ترى الله الخالق غير المنظور وغير المحدود في مخلوقاته المنظورة والمحدودة. وسنكتفي هنا بآيات مقدمة سورة النحل (النحل 1-18) وخاتمة سورة يس (يس 71-83). أما الآيات القرآنية الأخرى التي تردد نفس المعاني فهي كثيرة جداً، وأحياناً تستخدم نفس الكلمات! ولذلك سنذكر بعضها على سبيل المثال وليس الحصر[7713].

تسبيح الله خالق كل شيء. **(المزامير 104):** {1} بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ. يَا رَبُّ إِلهِي، قَدْ عَظُمْتَ جِدًّا. مَجْدًا وَجَلاَلاً لَبِسْتَ **[⟵ "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (Glorified and Exalted is He)" (النحل 1) "تَعَالَى" (النحل 3) "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ" (يس 83)]**. {2} اللاَّبِسُ النُّورَ كَثَوْبٍ، الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ كَشُقَّةٍ (أي: كَخَيْمَةٍ)[7714] **[⟵ "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ" (النحل 3) (يس 81) "السَّمَاء" (النحل 10)]**. {3} الْمُسَقِّفُ عَلاَلِيَهُ بِالْمِيَاهِ (أي: الْمُقِيمُ بَيْتَهُ - أو قَصْرَهُ - فَوْقَ الْمِيَاهِ الْعُلْيَا![7715]) **[⟵ "وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" (هود 7)[7716]]**. الْجَاعِلُ السَّحَابَ مَرْكَبَتَهُ، الْمَاشِي عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيحِ. {4} الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا (أو: الجاعِلُ مِنَ الرّياحِ رُسُلَه) **[⟵ "يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ" (النحل 2). وقيل إن المقصود بـ "الْرُّوحِ" هو الوحي. ونحن نضيف أن الوحي في هذا السياق القرآني يحذِّر ويخوِّف من العقاب الإلهي الذي كان يحدث أحياناً بالرياح والعواصف أو بصيحة الملاك جبريل[7717]، بدليل قوله في نفس الآية: "أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ" (النحل 2)]**، وَخُدَّامَهُ نَارًا مُلْتَهِبَةً (أي: الجاعِلُ مِنَ لَهيبِ النَّار خُدَّامَه ينفذون أمْرَهُ ويحققون مقاصده؛ وقيل إن المقصود هو الصواعق التي تصاحب رياح العواصف الرعدية) **[⟵ "أَتَى أَمْرُ اللّهِ (أي: قضاءُ الله بعذابكم (بالصاعقة)؛ أو: يوم القيامة)" (النحل 1)]**. {5} الْمُؤَسِّسُ الأَرْضَ **[⟵ "خَلَقَ [...] الأَرْضَ" (النحل 3) (يس 81) "الأَرْض" (النحل 13، 15)]** عَلَى قَوَاعِدِهَا فَلاَ تَتَزَعْزَعُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ **[⟵ "وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ (أي: جبالاً ثابتة) أَن تَمِيدَ (أي: حتى لا تَتَزَعْزَع الأَرْضُ) بِكُمْ" (النحل 15)[7718]]**. {6} كَسَوْتَهَا الْغَمْرَ (أي: المياه الأصلية primordial waters أو المياه الفوضوية chaotic waters التي كانت في بدء الخليقة تغطي كُلَّ شيء) كَثَوْبٍ. فَوْقَ الْجِبَالِ **[⟵ "رَوَاسِيَ" (النحل 15)]** تَقِفُ الْمِيَاهُ. {7} مِنِ انْتِهَارِكَ (أي: زَجْرِكَ؛ يقصد: أمركَ الخالِق "لِيَكُنْ"[7719]) تَهْرُبُ [الْمِيَاهُ] **[⟵ "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (يس 82)]**، مِنْ صَوْتِ رَعْدِكَ (يقصد: صوتِك وكلمتِك) تَفِرُّ [الْمِيَاهُ]. [فظهرت الأرضُ اليابسة بأمر الله الخالِق الذي سيطر على الفوضى[7720].] {8} تَصْعَدُ إِلَى الْجِبَالِ (أو: ارْتَفَعَتِ الْجِبَالُ) **[⟵ "رَوَاسِيَ" (النحل 15)]**. تَنْزِلُ إِلَى الْبِقَاعِ (أو: نَزَلَت الأَوْدِيَةُ) **[⟵ "سُبُلاً (أي: طرقاً)" (النحل 15)]** (يقصد: تشكّل سطحُ الأرض اليابسة من مرتفعات وسهول)، [أما المياه فذهبت] إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَسَّسْتَهُ لَهَا (أي: البحار والأنهار) **[⟵ "الْبَحْرَ" (النحل 14) "وَأَنْهَارًا" (النحل 15)]**. {9} وَضَعْتَ لَهَا تَخْمًا (أي: حَدًّا) لاَ تَتَعَدَّاهُ. لاَ تَرْجعُ [الْمِيَاهُ] لِتُغَطِّيَ الأَرْضَ **[⟵ "الأَرْض" (النحل 3، 13، 15) (يس 81)]**. {10} اَلْمُفَجِّرُ عُيُونًا (أي: يَنَابِيعَ ماء) فِي الأَوْدِيَةِ. بَيْنَ الْجِبَالِ **[⟵ "رَوَاسِيَ" (النحل 15)]** تَجْرِي **[⟵ "وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ (أي: جبالاً ثابتة) [...] وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً (أي: طرقاً) لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [بما على وجه الأرض من مرتفعات وسهول ومياه في الوصول إلى الأماكن التي تقصدونها]" (النحل 15)]**. {11}

تَسْقِي [المياهُ] [⟵ "مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ" (النحل 10)] كُلَّ حَيَوَانِ الْبَرِّ (أي: حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ) [⟵ "وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (أي: تَرْعَوْن فيه دوابَّكم)" (النحل 10)]. تَكْسِرُ الْفِرَاءُ (أي: الحَمِيرُ الْوَحْشيَّة) [⟵ "وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا (أي: الحَمِير المستأنسة)" (النحل 8)] ظَمْأَهَا. {12} فَوْقَهَا طُيُورُ السَّمَاءِ [⟵ "السَّمَاوَاتِ" (النحل 3) (يس 81) "السَّمَاء" (النحل 10)] تَسْكُنُ. مِنْ بَيْنِ الأَغْصَانِ تُسَمِّعُ صَوْتًا (أي: تُغَرِّدُ؛ وقيل: تُسبّح). {13} السَّاقِي الْجِبَالَ [⟵ "رَوَاسِيَ" (النحل 15)] مِنْ عَلاَلِيهِ (أي: تَسْقِي الْجِبَالَ مِنْ أمْطَار سَمَائِكَ) [⟵ "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ" (النحل 10)]. مِنْ ثَمَرِ أَعْمَالِكَ تَشْبَعُ الأَرْضُ (أي: يَشْبَعُ كُلُّ مَن على الأرْضِ مِن إنسان وحيوان) [⟵ "وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (أي: تَرْعَوْن فيه دوابَّكم). يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ" (النحل 10-11)]. {14} الْمُنْبِتُ عُشْبًا لِلْبَهَائِمِ[7721] [⟵ "وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ" (النحل 10) "الأَنْعَامَ" (النحل 5) "أَنْعَامًا" (يس 71)]، وَخُضْرَةً [⟵ "الزَّرْعَ [...] وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ" (النحل 11) "مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ" (يس 80)] لِخِدْمَةِ الإِنْسَانِ [⟵ "الإِنسَانَ" (النحل 4) (يس 77)]، لإِخْرَاجِ خُبْزٍ مِنَ الأَرْضِ (أي: الحبوب التي يُنْتَج منها الخبز مثل القمح والشعير) (وفي ترجمات أخرى: "لإِخْرَاجِ قُوتٍ (food)[7722] مِنَ الأَرْضِ") [⟵ "يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ" (النحل 11)]، {15} وَخَمْرٍ [⟵ "وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ" (النحل 11)[7723]] تُفَرِّحُ قَلْبَ الإِنْسَانِ [⟵ "الإِنسَانَ" (النحل 4) (يس 77)]، لإِلْمَاعِ وَجْهِهِ أَكْثَرَ مِنَ الزَّيْتِ [⟵ "الزَّيْتُونَ" (النحل 11)]، وَخُبْزٍ يُسْنِدُ قَلْبَ الإِنْسَانِ [⟵ "الإِنسَانَ" (النحل 4) (يس 77)]. {16} تَشْبَعُ أَشْجَارُ الرَّبِّ (أي: تشبعُ مطراً؛ تَرْتَوِي) [⟵ "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء" (النحل 10)[7724]]، [...]. [...] {18} الْجِبَالُ الْعَالِيَةُ [⟵ "رَوَاسِيَ" (النحل 15)] لِلْوُعُولِ (أي: تسكن فيها الْمَعْز الجبلية)، [...]. {19} صَنَعَ الْقَمَرَ [⟵ "وَسَخَّرَ لَكُمُ [...] الْقَمَرَ" (النحل 12)] لِلْمَوَاقِيتِ (أي: مَواعيدِ الشُّهُور والأعياد). الشَّمْسُ [⟵ "وَسَخَّرَ لَكُمُ [...] الشَّمْسَ" (النحل 12)] تَعْرِفُ مَغْرِبَهَا. {20} تَجْعَلُ ظُلْمَةً فَيَصِيرُ لَيْلٌ [⟵ "وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ" (النحل 12)]. [....]. {22} [ثُمَّ] تُشْرِقُ الشَّمْسُ [⟵ "وَسَخَّرَ لَكُمُ [...] الشَّمْسَ" (النحل 12)][7725] [...]. {23} الإِنْسَانُ يَخْرُجُ إِلَى عَمَلِهِ [⟵ "وَسَخَّرَ لَكُمُ [...] النَّهَارَ" (النحل 12)]، وَإِلَى شُغْلِهِ إِلَى الْمَسَاءِ (أي: ليقوم بعمَلِهِ حَتَّى المَسَاءِ)[7726]. {24} مَا أَعْظَمَ (أو: مَا أَكْثَرَ) أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ [⟵ "وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا" (النحل 18)؛ "وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا" (إبراهيم 34)]! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ [⟵ "بِالْحَقِّ (أي: ليس عبثاً[7727])" (النحل 3) "بِالْحَقِّ [...] وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ" (الأنعام 73)] صَنَعْتَ [⟵ "إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (النحل 11) "إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (النحل 12) "إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ" (النحل 13)]. مَلآنَةٌ الأَرْضُ [⟵ "الأَرْضَ" (النحل 3، 13، 15) (يس 81)] مِنْ غِنَاكَ. {25} هذَا الْبَحْرُ الْكَبِيرُ الْوَاسِعُ الأَطْرَافِ [⟵ "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ" (النحل 14)]. هُنَاكَ دَبَّابَاتٌ (أي: مخلوقات حيَّة متحركة في قاع البحر أو على الشاطئ) بِلاَ عَدَدٍ [⟵ "وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا" (النحل 18)؛ "وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا" (إبراهيم 34)]. صِغَارُ حَيَوَانٍ مَعَ كِبَارٍ [⟵ "لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا (أي: السَّمَكَ)" (النحل 14)]. {26} هُنَاكَ تَجْرِي السُّفُنُ[7728] [⟵ "وَتَرَى

الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ (أي: تشق وجهَ ماء البحر تذهب وتجيء)" (النحل 14)[7729]]. لِوِيَاثَانُ (Leviathan)[7730] هذَا خَلَقْتَهُ لِيَلْعَبَ فِيهِ **[← "وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ" (النحل 8) "وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ" (يس 79) "وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ" (يس 81)]**. {27} كُلُّهَا (أي: كل الكائنات الحية) إِيَّاكَ تَتَرَجَّى لِتَرْزُقَهَا قُوتَهَا (food) **[← "وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ" (يس 72) "وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" (النحل 5)]** فِي حِينِهِ. {28} تُعْطِيهَا فَتَلْتَقِطُ. تَفْتَحُ يَدَكَ فَتَشْبَعُ خَيْرًا **[← "مِن فَضْلِهِ" (النحل 14)]**. {29} تَحْجُبُ وَجْهَكَ فَتَرْتَاعُ [كُلُّ الكائنات الحية]. تَنْزِعُ أَرْوَاحَهَا فَتَمُوتُ، وَإِلَى تُرَابِهَا تَعُودُ. {30} تُرْسِلُ رُوحَكَ فَتُخْلَقُ (أي: تهبها الحياة؛ تخلق مخلوقات جديدة كل يوم) **[← ونلاحظ أيضاً أن مقدمة سورة النحل تذكر خَلْقَ (تكوين) الكائنات الحية بصفة عامة وليس الإنسان فقط: "خَلَقَ الإِنسَانَ [...]. وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا [...] وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ [...] وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ. [...] أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ. [...] وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ" (النحل 4-20). بل إن خاتمة سورة يس تذكر الأنعامَ قبل الإنسان: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا [...] أَنْعَامًا [...]. [...] أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ [...]. [...] وَهُوَ (أي: الله) بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. [...] وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (يس 71-82)]**، وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الأَرْضِ[7731] **[← "الأَرْضِ" (النحل 3، 13، 15) (يس 81)]**. {31} يَكُونُ مَجْدُ الرَّبِّ **[← "سُبْحَانَهُ" (النحل 1) "فَسُبْحَانَ [الله]" (يس 83)]** إِلَى الدَّهْرِ. يَفْرَحُ الرَّبُّ بِأَعْمَالِهِ (أي: مَجْدُ الرَّبِّ يظهر في خَلِيقَتِهِ)[7732][7733] **[← خاتمة سورة يس (يس 71-83) لم تذكر اسمَ "الله" إلا مرة واحدة فقط (يس 74)، فالتركيز على أعمال الله وخصوصاً الخلق. وكذلك مقدمة سورة النحل (النحل 1-18) وإنْ ذكرت اسمَ "الله" 4 مرات (النحل 1، 9، 18 مرتين)]**. {32} النَّاظِرُ إِلَى الأَرْضِ **[← "الأَرْضِ" (النحل 3، 13، 15) (يس 81)]** فَتَرْتَعِدُ. يَمَسُّ الْجِبَالَ **[← "رَوَاسِيَ" (النحل 15)]** فَتُدَخِّنُ (يقصد: الرَّبُّ أعظم بكثير من مخلوقاته لأنه يستطيع أن يبطلها بمجرد نظرة أو لمسة منه) **[← "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" (النحل 1) "تَعَالَى" (النحل 3) "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ" (يس 83)]**. {33} [ولذلك قررتُ:] أُغَنِّي (أي: أُنشِدُ) لِلرَّبِّ فِي حَيَاتِي. أُرَنِّمُ لإِلهِي مَا دُمْتُ مَوْجُودًا. {34} فَيَلَذُّ لَهُ نَشِيدِي، وَأَنَا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. {35} لِتُبَدِ الْخُطَاةُ مِنَ الأَرْضِ **[← "الأَرْضِ" (النحل 3، 13، 15) (يس 81)]** وَالأَشْرَارُ لاَ يَكُونُوا بَعْدُ **[← بينما تخيَّل كاتبُ المزمور 104 عالَماً مثالياً لا مكان فيه للخطاة والأشرار، جاءت مقدمة سورة النحل وخاتمة سورة يس أكثر واقعية فذكرتْ خطايا الإنسان "فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (أي: شديد الخصومة والجدال لربه)" (النحل 4) (يس 77) "وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (أي: أنكرَ البعثَ)" (يس 78) وسقط في الوثنية والشرك: "وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً" (يس 74) "يُشْرِكُونَ" (النحل 1، 3). ومع ذلك، فإن صاحب مقدمة سورة النحل ما زال يرى العالَم جميلاً، حتى الأَنْعَامَ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ يراها جميلة: "وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ (أي: عندما تَرُدُّونها إلى منازلها في المساء) وَحِينَ تَسْرَحُونَ (أي: وعندما تُخْرِجونها للمرعى في الصباح)" (النحل 6) "لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً" (النحل 8)]**. بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ. هَلِّلُويَا (أي: سَبِّحُوا الرَّبَّ؛ Praise the LORD) **[← "سُبْحَانَهُ"**

وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (النحل 1) "تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (النحل 3) "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [يوم القيامة للحساب والجزاء]" (يس 83)[7734]].

فنستطيع إذن أن نقول إن أصحاب القرآن – كعادتهم – لم يكتفوا بتعريب المزمور 104، وإنما قاموا بأسلمته أيضاً، من أجل التأكيد على عقائد إسلامية مهمة مثل التوحيد والبعث والقيامة والحساب والجزاء. وكالعادة أيضاً، استعان أصحابُ القرآن بأفكار مسيحية. مثلاً: الآية المركزية (central) في مقدمة سورة النحل ليس لها أية علاقة بالمزمور 104: "وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ (أي: الطريق المستقيم الذي يُوصل إلى الحق؛ يقصد: الإسلام) وَمِنْهَا جَائِرٌ (أي: من الطرق ما هو مائل منحرف لا يُوصل إلى الحق؛ يقصد: كل ما خالف الإسلام من الملل والنحل)ۚ وَلَوْ شَاءَ [اللهُ] لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ [ولكن تركَكم لاختياركم]" (النحل 9). فهذه الفكرة مستوحاة (بل مسروقة) مما قاله المسيحُ ابنُ الله الفريد: "«أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ (أي: الطريق الوحيد الذي يُوصل إلى الحق) وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ (أي: الله) إِلاَّ بِي" (يوحنا 6:14). ولذلك فإن المسيحية في بدايتها كانت تُسمَّى "الطَّرِيق" (The Way) (أعمال الرسل 2:9، 9:19، 23:19، 4:22، 14:24، 22:24) أي "طَرِيقِ الْحَقِّ" (2 بطرس 2:2) "طَرِيقِ الْخَلاَصِ" (أعمال الرسل 17:16) "طَرِيق الرَّبِّ" (أعمال الرسل 25:18) "طَرِيقِ اللهِ" (أعمال الرسل 26:18) الطريق إلى قدس الأقداس (العبرانيين 10:19-20). وكلمة "طَرِيق" باليونانية: (Hodos) **[← بالعربية: هُدى. "هَدَاكُمْ" (النحل 9). وفي الصفحة الأولى في المصحف: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ (أي: الطَّرِيقَ) الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ [بالهداية إلى طريق الخلاص]" (الفاتحة 6-7)؛ وفي الصفحة الثانية في المصحف: "ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ" (البقرة 2)!]**. وهكذا نصل دائماً إلى نفس النتيجة:

التراث اليهودي + التراث المسيحي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

في ضوء هذا التشابه الكبير بين (المزمور 104) ومقدمة سورة النحل (النحل 1-18) وخاتمة سورة يس (يس 71-83)، قد يلجأ فريقٌ من المسلمين إلى أسطورة "المصدر الواحد" أو "المشكاة الواحدة" زاعمين أن (المزمور 104) كلام الله، فلا توجد مشكلة – حسب زعمهم – أن نجد أفكاره وعباراته وكلماته في القرآن الذي هو – حسب زعمهم أيضاً – كلام نفس الإله! ونحن نرد عليهم قائلين: إن (المزمور 104) ومقدمة سورة النحل (النحل 1-18) وخاتمة سورة يس (يس 71-83) لهم جذور أقدم وأعمق في التراث البشري لسكان الشرق الأوسط القديم. وتحديداً التراث المصري القديم (الفرعوني) الموحِّد في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 1900 سنة! يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "نلاحظ بعض التشابه (لا التطابق) بين هذا المزمور [104] ونصوص فرعونية تعود للقرن الرابع عشر قبل الميلاد، مثل "ترنيمة آتون" في نشيد قرص الشمس (Aten Hymn) لأخناتون. لكن الله هنا لا يعادل الشمس بل هو خلقها وهي التي تنظّم دورة الحياة. وواضح تشديد المرنم على أنَّ كل الخلائق تعتمد على الرب في بقائها"[7735]. ويقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم" تحت عنوان **"مقارنة المزمور**

[104] وترنيمة أتون": "يوجد مؤلَّف شهير للملك المصري أخناتون يرجع إلى القرن 14 ق.م وبه عدد من التشابهات لمزمور 104، وغالباً في الكلمات والمضمون. تحمد الترنيمةُ الإلهَ أتون، إله الشمس، من أجل كل ما بذله من عناية بالخليقة. ويمكن أن نجد بعضاً من نفس الصوَر (motifs) والقياسات (analogies) في ترانيم أخرى لآلهة الشمس. وفي حالةٍ ما يقرّر المرنِّم (يقصد: كاتب المزمور 104) استخدامَ صور المجموعة الشمسية (solar motifs) في ترنيمة يهوه (يقصد: المزمور 104)، فمن المستحيل ألا يحدث هذا التشابه (أي: لا يمكن تجنب حدوث هذا التشابه) (it was inevitable that parallels would occur). كانت عبادة الشمس من العبادات التوفيقية (أي: الانحرافات التوفيقية؛ syncretistic deviations) التي ميَّزت إسرائيل قبل السبي (انظر التعليق على 2 ملوك 11:23؛ حزقيال 16:8)، وتبنِّي صوَر الشمس (sun motifs) (حرفيًّا وتصويريًّا) شوهد في العهد القديم (انظر مزمور 11:84؛ حبقوق 4:3؛ ملاخي 2:4). إلا أنه لا توجد معتقدات توفيقية ترد في هذا المزمور. هي فقط تخيُّل يهوه في عبارات من المجموعة الشمسية (solar terms) التي كانت سبباً في التشابه"[7736]. أي أن التشابه بين ترنيمة أتون والمزمور 104 يوجد في العبارات الأدبية المستخدَمة وليس في العقيدة. ونحن نتفق مع ذلك. فنحن طبعاً لا نقول إن المزمور 104 يسبّح الإلهَ أتون إله أخناتون! وإنما نقول إن المزمور 104 يسبّح الإلهَ يهوه إله إسرائيل – وكذلك مقدمة سورة النحل (النحل 1-18) وخاتمة سورة يس (يس 71-83) تسبِّحان اللهَ إله العرب – لكن باستخدام أفكاراً وعبارات وكلمات كانت تُستخدَم قديماً في تسبيح آلهة الشمس مثل الإله أتون أو غيره[7737].

وسنكتفي هنا بأمثلة من العبارات التي وردت في ترنيمة أتون (نشيد قرص الشمس)[7738] والتي تطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development) في (المزمور 104) ثم في مقدمة سورة النحل (النحل 1-18) وخاتمة سورة يس (يس 71-83).

تقول ترنيمة أتون إله أخناتون: والأرض زاهية حينما تشرق في الأفق / وعندما تضيء بالنهار مثل "آتون" / فإنك تقصي الظلمة إلى بعيد / وحينما ترسل أشعتك / تصير الأراضي (أي: مصر العليا ومصر السفلى؛ الوجه القبلي والوجه البحري) في عيد / والناس يستيقظون / ويقفون على أقدامهم عند إيقاظك لهم / وبعد غسلهم لأجسامهم يلبسون ثيابهم / ثم يرفعون أذرعتهم تعبداً لطلعتك / ثم بعد ذلك يقومون إلى أعمالهم في كل العالم (أو: في كل الأرض). **[← تقول ترنيمة يهوه إله إسرائيل: "تُشْرِقُ الشَّمْسُ [...]. الإِنْسَانُ يَخْرُجُ إِلَى عَمَلِهِ، وَإِلَى شُغْلِهِ إِلَى الْمَسَاءِ (أي: حَتَّى المَسَاءِ)" (المزامير 104:22-23) ← تقول ترنيمة الله إله العرب: "وَسَخَّرَ لَكُمُ [...] النَّهَارَ وَالشَّمْسَ" (النحل 12)].**

تقول ترنيمة أتون إله أخناتون: والسفن تقلع في النهر صاعدة أو منحدرة فيه (up and down) (north and south) على السواء / وكل فج (أو: طريق؛ قناة) مفتوح لشروقك / والسمك يسبح في النهر أمامك / وأشعتك تنفذ إلى أعماق البحر "الأخضر العظيم" (أو: المظلم). **[← تقول ترنيمة يهوه إله إسرائيل: "هذَا الْبَحْرُ الْكَبِيرُ الْوَاسِعُ الأَطْرَافِ. هُنَاكَ دَبَّابَاتٌ بِلاَ عَدَدٍ. صِغَارُ حَيَوَانٍ مَعَ كِبَارٍ. هُنَاكَ تَجْرِي السُّفُنُ"**

(المزامير 104:25-26) ← **تقول ترنيمة الله إله العرب: "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا (أي: السَّمَكَ) [...] وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ (أي: تشق وجه ماء البحر مقبلة أو مدبرة) وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ" (النحل 14)]** / أنت خالق الجرثومة (seed) في المرأة / والذي يذرأ من البذرة (fluid) أناساً **[← "خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ (أي: المنيّ الذي يقذفه الرجل في رحم المرأة)" (النحل 4)! "أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ" (يس 77)! "أَلَمْ يَكُ [الْإِنسَانُ] نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ" (القيامة 37)]**.

تقول ترنيمة أتون إله أخناتون: ما أكثر تعدد أعمالك **[← "مَا أَعْظَمَ (أو: مَا أَكْثَرَ) أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ" (المزامير 104:24) ← "وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا" (النحل 18)؛ "وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا" (إبراهيم 34)]** / وهي على الناس خافية **[← "وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ" (النحل 8) "وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ" (يس 79) "وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ" (يس 81)]** / يأيها الإله الأحد (sole god) **[← "لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ" (النحل 2)]** / الذي لا يوجد بجانبه شأن (لأحد) (like whom there is no other) **[← "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (النحل 1) "تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (النحل 3) "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ" (يس 83)]** / لقد خلقتَ الأرْضَ حسب رغبتكَ (أو: حسب خطتكَ) **[← "كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. مَلآنَةٌ الأَرْضُ مِنْ غِنَاكَ" (المزامير 104:24) ← "خَلَقَ [...] الأَرْضَ بِالْحَقِّ[7739]" (النحل 3)]** / وحينما كنتَ وحيداً (لا شيء غيرك) **[← "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ. [...] لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا [...]. [...] تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (النحل 1-3) "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ" (يس 83)]** / خلقتَ الناس **[← "خَلَقَ الإِنسَانَ" (النحل 4) "أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ" (يس 77)]** وجميعَ الماشية **[← "وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا [...] وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ" (النحل 5-8) "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا" (يس 71)]** والغزلان / وجميعَ ما على الأرض **[← "وَمَا ذَرَأَ (أي: خلق) لَكُمْ فِي الأَرْضِ" (النحل 13)]** / مما يمشي على رجليه / وما في عليين **[← "السَّمَاوَاتِ" (النحل 3) (يس 81) "السَّمَاءِ" (النحل 10)]** مما يطير بأجنحته / وفي الأقطار العالية سوريا وكوش وأرض مصر / وإنك تضع كُلَّ إنسان في موضعه / وتمدهم بحاجاتهم (needs) **[← "لَكُمْ فِيهَا (أي: في الأَنْعَامِ) دِفْءٌ وَمَنَافِعُ" (النحل 5) "وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ" (النحل 6-7) "لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً" (النحل 8) "وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ [...]. وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ" (يس 72-73)]** / وكل إنسان لديه قُوته (food) **[← "قُوتٍ" أو "خُبْزٍ" (المزامير 104:14)؛ "قُوتَهَا" (المزامير 104:27) ← "وَمِنْهَا (أي: من الأَنْعَامِ) يَأْكُلُونَ. وَلَهُمْ فِيهَا [...] مَشَارِبُ" (يس 72-73) "وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" (النحل 5) "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ [...]. يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ" (النحل 10-11) "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا (أي: السَّمَكَ)" (النحل 14)]** / وأيامه معدودات **[← فأضافت خاتمة سورة يس: "وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (يس 83)!]** / والألسنة في الكلام مختلفة / وكذلك تختلف أشكالهم وجلودهم **[← "مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ" (النحل 13)]** / لأنك تخلق الأجانب مختلفين.

كما نرى تأثير ترنيمة أتون واضحاً أيضاً في "تَفْتَحُ يَدَكَ (Your Hand) فَتَشْبَعُ [الكائناتُ الحية] خَيْرًا" (المزامير 28:104). يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم": "توضح الرسوم المصرية عبادةَ أتون، قرص الشمس المؤلَّه، مرسوماً بالكثير من الأذرع تمتد من قرص الشمس. وكل واحد في نهايته يد ترمز للبَرَكات الممنوحة والتأييد"[7740]. انظر الشكل[7741]. **[← نجد "يَدَ" الله في خاتمة سورة يس: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا" (يس 71) "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (يس 83). ونجدها أيضاً في آيات قرآنية أخرى مثل: "بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (آل عمران 26)؛ "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ" (المائدة 64)؛ "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" (الفتح 10)؛ "قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ" (آل عمران 73)؛ "وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ" (الحديد 29)؛ "قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ [...]. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ" (المؤمنون 88-89)؛ "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (الملك 1)؛ "خَلَقْتُ [آدمَ] بِيَدَيَّ" (ص 75)].**

حقاً، لقد صدق العالِمُ الكبير (Prof. Thomas Römer) حين قال: "لولا مصر لما كان الكتاب المقدس" (Sans l'Égypte, il n'y aurait pas de Bible)[7742]. ونحن نضيف إلى هذه الجملة: "ولولا الكتاب المقدس وتراثه اليهودي-المسيحي لما كان القرآن".

4.45.2.2.3 المزمور 121 وآية الكرسي (البقرة 255)!

أما المثال الثالث فهو من المزامير اليتيمة مجهولة الكاتب في العهد القديم العبري وأيضاً في الترجمة اليونانية (السبعينية). وإنه لمن الطريف أن هذه المزامير اليتيمة مجهولة الكاتب تضم أفكاراً وعبارات وكلمات تسللت إلى القرآن! بل إن أعظم آية في القرآن، وهي آية الكرسي (البقرة 255) (Throne verse) (verset du Trône)، تكاد تكون منقولة من المزامير اليتيمة مجهولة الكاتب ومن التراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة.

(المزامير 121): "تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ (Ascents)"؛ أي: "كان الحُجَّاج اليهود يُرتِّلونها وَهُمْ صاعدون إلى أورشليم (أكثر من 800 م ارتفاعاً) في 3 مناسبات [حج] سنويَّة محدَّدة"[7743]: {1} أَرْفَعُ عَيْنَيَّ إِلَى الْجِبَالِ، مِنْ حَيْثُ يَأْتِي عَوْنِي! {2} مَعُونَتِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. {3} لاَ يَدَعُ رِجْلَكَ تَزِلُّ. لاَ يَنْعَسُ حَافِظُكَ. {4} إِنَّهُ لاَ يَنْعَسُ (بالعبرية: *lō yānūm*) وَلاَ يَنَامُ (بالعبرية: *lō yīshān*) حَافِظُ إِسْرَائِيلَ. {5} الرَّبُّ حَافِظُكَ. [...]. **[← آية الكرسي: "لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ (أي: نعاس) وَلَا نَوْمٌ[7744] [...] وَسِعَ كُرْسِيُّهُ (أي: عرشه؛ سلطانه؛ موضعُ قدميه!) السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ (أي: وَلَا يصعب عليه؛ وَلَا يثقله) حِفْظُهُمَا" (البقرة 255)! "وهذه الآية أعظم آية في القرآن، وتسمى: (آية الكرسي)"[7745]!].**

ويجب علينا هنا أن نوضح معلومات إضافية عن مصادر آية الكرسي (البقرة 255) من سفر المزامير ومن التراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة. نقصد: "التحليل البلاغي" أو "التحليل البلاغي الساميّ" (L’Analyse Rhétorique Sémitique) (Semitic Rhetorical Analysis) لهذه الآية القرآنية المهمة. لكن يجب أولاً أن نعطي نبذة قصيرة عن الشعر العبري في المزامير. يقول تفسير الكتاب المقدَّس لجون ماك آرثر[7746]:

> أمَّا الميزة الأدبيَّة الشاملة في المزامير فهي أنَّها جميعها شعريَّة بامتياز. وعلى خلاف الشعر العربيِّ القائم على الوزن والقافية [اللفظية]، يتميَّز الشعر العبريُّ جوهريًّا بالتوازي المنطقيّ (أي: قافية الأفكار وليس القافية اللفظية). ومن أهم أنواع التوازي:
>
> 1) التماثُل [أو: التوازي بالترادف parallélisme synonymique]: فكرة السطر أو الشطر الأوَّل تُكرَّر في الثاني بمفاهيم مماثلة، مثلاً: ["عِنْدَ خُرُوجِ إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، وَبَيْتِ يَعْقُوبَ مِنْ شَعْبٍ أَعْجَمَ" (المزامير 1:114)؛ "يَا رَبُّ، لاَ تُوَبِّخْنِي بِسَخَطِكَ، وَلاَ تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ" (المزامير 1:38).]
>
> 2) التقابُل [أو: التوازي بالتضاد parallélisme antithétique]: فكرة السطر أو الشطر الثاني تُعاكِس ما في الأوَّل، مثلاً: ["هؤُلاَءِ بِالْمَرْكَبَاتِ وَهؤُلاَءِ بِالْخَيْلِ، أَمَّا نَحْنُ فَاسْمَ الرَّبِّ إِلهِنَا نَذْكُرُ. هُمْ جَثَوْا وَسَقَطُوا، أَمَّا نَحْنُ فَقُمْنَا وَانْتَصَبْنَا" (المزامير 20:7-8).]
>
> 3) ابتغاء الذروة [parallélisme complémentaire]: السطر أو الشطر الثاني وما بعده ينتقي كلمةً أو عبارة أو فكرةً مهمَّة ويتوسَّع فيها بأسلوب تصاعُديّ، مثلاً: ["قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ اللهِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدًا وَعِزًّا. قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ. اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ"] (المزامير 29:1-2). [أمثلة أخرى: "اعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ. هُوَ صَنَعَنَا، وَلَهُ نَحْنُ شَعْبُهُ وَغَنَمُ مَرْعَاهُ" (المزامير 3:100)؛ "إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ، فَبَاطِلًا يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ. إِنْ لَمْ يَحْفَظِ الرَّبُّ الْمَدِينَةَ، فَبَاطِلًا يَسْهَرُ الْحَارِسُ" (المزامير 1:127).]
>
> 4) الانكفاء [chiasme]: الوحدات المنطقيَّة تُوسَّع في نموذج أ ... ب ... ب ... أ ...، مثلاً: ["انْفَلَتَتْ أَنْفُسُنَا مِثْلَ الْعُصْفُورِ مِنْ فَخِّ الصَّيَّادِينَ. الْفَخُّ انْكَسَرَ، وَنَحْنُ انْفَلَتْنَا" (المزامير 7:124)].

علماً بأن الانكفاء قد يكون عكسياً (inversé) في نموذج أ ... ب ... بَ ... أ، مثلاً: "لَعنَةُ الرَّبِّ في بَيتِ الشِرّير، أمَّا مَنزِلُ الأبْرار فهو يُباركُه" (الأمثال 33:3)[7747]. كما يوجد نوع آخر من الانكفاء هو الانكفاء المركزي (concentrique) في نموذج أ ... ب ... س ... ب ... أ – أو نموذج أ ... ب ...س ... بَ ... أ، وحينئذٍ تكون س هي الفكرة المركزية (centrale) التي يريد الشاعر أن يركز عليها، مثلاً:

أ: بِعَدْلِكَ نَجِّنِي وَأَنْقِذْنِي. ب: أَمِلْ إِلَيَّ أُذْنَكَ وَخَلِّصْنِي. س: كُنْ لِي صَخْرَةَ مَلْجَأٍ أَدْخُلُهُ دَائِمًا. ب: أَمَرْتَ بِخَلاَصِي لأَنَّكَ صَخْرَتِي وَحِصْنِي. أ: يَا إِلهِي، نَجِّنِي مِنْ يَدِ الشِّرِّير، مِنْ كَفِّ فَاعِلِ الشَّرِّ وَالظَّالِمِ (المزامير 71:2-4).

مثال آخر:

أ: مُبَارَكٌ الرَّبُّ، لأَنَّهُ سَمِعَ صَوْتَ تَضَرُّعِي. ب: الرَّبُّ عِزِّي وَتُرْسِي. ج: عَلَيْهِ اتَّكَلَ قَلْبِي، س: فَانْتَصَرْتُ. ج: وَيَبْتَهِجُ قَلْبِي وَبِأُغْنِيَتِي أَحْمَدُهُ. ب: الرَّبُّ عِزٌّ لَهُمْ، وَحِصْنُ خَلاَصِ مَسِيحِهِ هُوَ. أ: خَلِّصْ شَعْبَكَ، وَبَارِكْ مِيرَاثَكَ، وَارْعَهُم وَاحْمِلْهُم إِلَى الأَبَدِ (المزامير 28:6-9).

ونحن نجد الانكفاء المركزي في المزمور 121 الذي أشرنا إليه:

أ: مَعُونَتِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. ب: لاَ يَدَعُ رِجْلَكَ تَزِلُّ. ج: لاَ يَنْعَسُ حَافِظُكَ. س: إِنَّهُ لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ حَافِظُ إِسْرَائِيلَ. ج: الرَّبُّ حَافِظُكَ. ب: الرَّبُّ ظِلٌّ لَكَ عَنْ يَدِكَ الْيُمْنَى. أ: لاَ تَضْرِبُكَ الشَّمْسُ فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ فِي اللَّيْلِ (المزامير 121:2-6).

وكذلك نجد الانكفاء المركزي في آية الكرسي (البقرة 255)[7748] كما يوضِّح الجدول التالي:

جدول 44 – تأثير التراث اليهودي-المسيحي على آية الكرسي (البقرة 255) أعظم آية في القرآن!

المزامير والتراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة	[← آية الكرسي (البقرة 255)]
التوحيد المطلق: "لأَنَّهُ مَنْ هُوَ إِلهٌ [حقيقي يستحق الألوهية والعبادة] غَيْرُ الرَّبِّ؟ وَمَنْ هُوَ صَخْرَةٌ سِوَى إِلهِنَا؟" (المزامير 31:18)؛ "أَنَا هُوَ. قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ. أَنَا أَنَا الرَّبُّ، وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ" (إشعياء 43:10-11)	[← التوحيد المطلق: "اللَّهُ لاَ إِلَهَ [حقيقي يستحق الألوهية والعبادة] إِلاَّ هُوَ"]
"لأَنَّهُ هُوَ الإِلهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (بالآرامية: *elāhā ḥayyā w-qayyām*) (أي: الثابت والراسخ والقائم بذاته منذ الأزل) إِلَى الأَبَدِ (بالآرامية: *l-ʿālmīn*)، وَمَلَكُوتُهُ لَنْ يَزُولَ وَسُلْطَانُهُ إِلَى الْمُنْتَهَى. هُوَ يُنَجِّي وَيُنْقِذُ وَيَعْمَلُ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ" (دانيال 6:26-27)	أ: [← صفتان من صفات الله: "الْحَيُّ الْقَيُّومُ (Self-Sustaining)"[(7749)]]
"إِنَّهُ لاَ يَنْعَسُ (بالعبرية: *lō yānūm*) وَلاَ يَنَامُ (بالعبرية: *lō yīshān*) حَافِظُ إِسْرَائِيلَ" (المزامير 121:4)	ب: [← الله الحافظ دائماً: "لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ (أي: نعاس) وَلاَ نَوْمٌ"]
"اَلرَّبُّ فِي السَّمَاوَاتِ ثَبَّتَ كُرْسِيَّهُ (أي: عرشه)، وَمَمْلَكَتُهُ عَلَى الْكُلِّ تَسُودُ" (المزامير 103:19)؛ "لَكَ يَا رَبُّ الْعَظَمَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْجَلاَلُ وَالْبَهَاءُ وَالْمَجْدُ، لأَنَّ لَكَ كُلَّ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ" (1 أخبار الأيام 29:11)	ج: [← الله مَلِك كل شيء فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ: "لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ"]
"إِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ" (1 يوحنا 2:1)؛ "لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (1 تيموثاوس	د: [← إرادة الله: "مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (أي: إلا إذا أراد الله)"[(7750)]]

5:2) "الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا" (رومية 34:8)؛ "أَيْ إِنَّ اللهَ [بإرادته وقصده] كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (2 كورنثوس 19:5)	
"يَا رَبُّ، قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي. أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي ذَرَّيْتَ (أو: قَدَّرتَ حَرَكاتي وسَكَناتي)، وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةٌ فِي لِسَانِي، إِلاَّ وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهَا كُلَّهَا. مِنْ خَلْفٍ (behind) وَمِنْ قُدَّامٍ (before) حَاصَرْتَنِي (أي: طَوَّقْتَنِي بِعِلْمِكَ)، وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ [لتحميني]" (المزامير 139:1-5)[7751]	س (الفكرة المركزية): [⟵ الله العليم بكل شيء: "يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ (before) وَمَا خَلْفَهُمْ (behind)"]. ونلاحظ أيضاً "الثنائيات" (merisms)؛ أي: استخدام كلمتين متضادتين بمعنى الكل!
"عَجِيبَةٌ هذِهِ الْمَعْرِفَةُ، فَوْقِي ارْتَفَعَتْ، لاَ أَسْتَطِيعُهَا" (المزامير 6:139). "اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ (أي: المسيح)، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ" (العبرانيين 1:1-2) "وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ (أي: نهاية العالم) فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ" (مرقس 32:13)؛ (متى 36:24)؛ "لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ" (أعمال الرسل 7:1)	د: [⟵ إرادة الله: "وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ (أي: إلا إذا أراد الله)"[7752]]
"هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «السَّمَاوَاتُ كُرْسِيِّي (أي: عرشي)، وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ" (إشعياء 1:66)؛ "لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ (بالسريانية: kūrsyā)[7753] اللهِ، وَلاَ بِالأَرْض لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ" (متى 34:5-35) "وَمَنْ حَلَفَ بِالسَّمَاءِ فَقَدْ حَلَفَ بِعَرْشِ اللهِ وَبِالْجَالِسِ عَلَيْهِ" (متى 22:23). اقرأ أيضاً	ج: [⟵ الله مَلِك كل شيء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: "وَسِعَ كُرْسِيُّهُ (أي: عرشه؛ سلطانه؛ موضعُ قدميه!) السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ (أي: غير محدود)"]

"عرشُك فوق القياس (أي: غير محدود)، ومجدك يعلو الادراك" (4 عزرا 21:8)[7754].	
"حَافِظُكَ [...] حَافِظُ إِسْرَائِيلَ [...] حَافِظُكَ" (المزامير 121:3-5) "إِلهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا" (إشعياء 40:28)	ب: [← الله الحافظ دائماً: "وَلاَ يَؤُودُهُ (أي: وَلاَ يصعب عليه؛ وَلاَ يثقله) حِفْظُهُمَا"]
"اَلرَّبُّ فِي السَّمَاوَاتِ ثَبَّتَ كُرْسِيَّهُ (أي: عرشه)، وَمَمْلَكَتُهُ عَلَى الْكُلِّ تَسُودُ" (المزامير 103:19)؛ "أَرْعَدَ الرَّبُّ مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَالْعَلِيُّ أَعْطَى صَوْتَهُ" (المزامير 18:13)؛ "اسْمُكَ يَهْوَهُ وَحْدَكَ، الْعَلِيُّ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ" (المزامير 83:18)؛ "عَظِيمٌ (بالعبرية: gadol) هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدًّا" (المزامير 48:1) "اسْمُهُ عَظِيمٌ فِي إِسْرَائِيلَ" (المزامير 76:1) "لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وَصَانِعٌ عَجَائِبَ. أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ" (المزامير 86:10) "لأَنَّ الرَّبَّ إِلهٌ عَظِيمٌ، مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الآلِهَةِ" (المزامير 95:3) "لأَنَّ مَجْدَ الرَّبِّ عَظِيمٌ" (المزامير 138:5)	أ: [← صفتان من صفات الله: "وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"]

و "هذا يدفعنا إلى الظن أن [آية الكرسي] ترجمة عربية لترنيمة يهودية أو مسيحية"[7755]. ولذلك نحن نتفق مع العالِم الكبير (Prof. Guillaume Dye) حين يقول تعليقاً على آية الكرسي (البقرة 255)[7756]:

Par son genre littéraire, [le verset du Trône] n'a que peu de rapport avec les versets qui le précèdent et qui le suivent, même s'il s'intègre assez bien au propos des vv. 254–257. J'y vois un texte ayant une unité forte, et qui était sans doute récité dans des cérémonies liturgiques avant même la compilation du Coran.

4.45.2.2.4 المزمور 136 "لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ" وسورة الرحمن

درسنا فيما سبق في الباب الخاص بالمعتقدات المزمورَ 135 وأثبتنا تأثيرَه الواضح على القرآن (الحجر 16-25) على الرغم من كونه من المزامير اليتيمة مجهولة الكاتب في العهد القديم العبري وأيضاً في الترجمة اليونانية (السبعينية)! أما الآن فندرس زميلَه - بل شقيقَه - الذي يليه وهو المزمور 136 وهو أيضاً من المزامير اليتيمة مجهولة الكاتب في العهد القديم العبري وفي الترجمة اليونانية (السبعينية)! وهذا كله يؤكد أهمية المزامير اليتيمة مجهولة الكاتب.

"هذا المزمور (أي: المزمور 136) من أهم مزامير الشكر لله ويسمى الهليل الكبير، أي التهليل العظيم [The Great Hallel] مع زميله المزمور السابق (أي: المزمور 135). هذا المزمور ليتورجي كان يرنم يوميًا في تسبيح الله بالإضافة لرأس السنة الجديدة وعيد الفصح"[7757].

يتميز المزمورُ 136 بأنه المزمور الوحيد الذي تتكرر فيه عبارة مهمة 26 مرة وهي "لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ" (Indeed the LORD's steadfast love is eternal)! **[⟵ تأثيره واضح على سورة الرحمن، وهي السورة القرآنية الوحيدة التي تتكرر فيها عبارة "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" 31 مرة[7758]!]**!

(المزامير 136): {1} اِحْمَدُوا الرَّبَّ (بالعبرية: Yahweh؛ أي: اسم رب إسرائيل) **[⟵ "الرَّحْمَنُ" (الرحمن 1) "اسْمُ رَبِّكَ" (الرحمن 78)]** لأَنَّهُ صَالِحٌ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. {2} احْمَدُوا إِلهَ الآلِهَةِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. {3} احْمَدُوا رَبَّ الأَرْبَابِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. {4} الصَّانِعَ الْعَجَائِبَ الْعِظَامَ وَحْدَهُ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. {5} الصَّانِعَ السَّمَاوَاتِ **[⟵ "وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا" (الرحمن 7)]** بِفَهْمٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. {6} الْبَاسِطَ الأَرْضَ عَلَى الْمِيَاهِ **[⟵ "وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ" (الرحمن 10)]**، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. {7} الصَّانِعَ أَنْوَارًا عَظِيمَةً، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. {8} الشَّمْسَ **[⟵ "الشَّمْسُ" (الرحمن 5)]** لِحُكْمِ النَّهَارِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. {9} الْقَمَرَ **[⟵ "وَالْقَمَرُ" (الرحمن 5)]** وَالْكَوَاكِبَ (أي: والنُّجوم) **[⟵ "وَالنَّجْمُ" (الرحمن 6)]** لِحُكْمِ اللَّيْلِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. [...] {25} الَّذِي يُعْطِي خُبْزًا **[⟵ "فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ [...] وَالْحَبُّ [...] وَالرَّيْحَانُ" (الرحمن 11-12)]** لِكُلِّ بَشَرٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. {26} احْمَدُوا إِلهَ السَّمَاوَاتِ **[⟵ "تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" (الرحمن 78)]**، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ.

4.45.2.2.5 المزمور 148: "وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ" (الأنبياء 79)! "يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ" (سبإ 10)!

المثال الخامس من المزمور 148، وهو ليس "لِدَاوُدَ" ولا لأي شخص آخر حسب العهد القديم العبري. لكنه "لِحَجَّايَ (أي: النَّبِيِّ حَجَّي؛ Haggai) وَزَخَريَّا (أي: النَّبِيِّ زَكَرِيَّا؛ Zechariah)" حسب الترجمة اليونانية (السبعينية)[7759]! وهو من المزامير الهامة جداً. "هذا المزمور يبدأ وينتهي بكلمة هَلِّلُويَا، فهو من

مزامير التهليل الخمسة [الختامية] (مز 146–150). هذا المزمور ليتورجي عند اليهود، وكان يصلى في العبادة الجماعية. هذا المزمور من المزامير الليتورجية الهامة في الكنيسة. فهو الجزء الأول من الهوس الرابع؛ أي التسبيح الرابع الذي يصلى قبل صلاة عشية، أو في أواخر تسبحة نصف الليل. يعتبر هذا المزمور من أعظم مزامير التسبيح؛ لأنه يضم الخليقة كلها في تسبيح واحد لله. يناسب هذا المزمور كل مصلى يحب الله، ويريد التعبير عن مشاعره له، وكقائد للخليقة في تسبيح الله"[7760]. "وفي التراث العبري يُقرأ هذا المزمور كل صباح"[7761]! ونظراً لأهمية المزمور 148 في التراث اليهودي-المسيحي، فإن كثيراً من أفكاره قد تسللت إلى 3 سور قرآنية هي ص وسبأ والأنبياء في سياق حديثها عن داود، وتسللت أيضاً إلى آيات قرآنية أخرى ...

(المزامير 148): {1} هَلِّلُويَا (أي: سَبِّحُوا يهوه؛ Praise the LORD). سَبِّحُوا الرَّبَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ. سَبِّحُوهُ فِي الأَعَالِي. {2} سَبِّحُوهُ يَا جَمِيعَ مَلاَئِكَتِهِ. سَبِّحُوهُ يَا كُلَّ جُنُودِهِ[7762] **[← "وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ" (الشورى 5) "وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ" (الرعد 13)؛ (الأعراف 206) (الأنبياء 19-20) (غافر 7) (فصلت 38)]**. {3} سَبِّحِيهِ يَا أَيَّتُهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. سَبِّحِيهِ يَا جَمِيعَ كَوَاكِبِ النُّورِ (أي: النُّجُومِ المُتَلأْلِئَةِ). {4} سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ[7763]. **[← "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ" (الحشر 1) (الصف 1) (الحديد 1) "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ" (الجمعة 1) (التغابن 1) "يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ" (الحشر 24) "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ (أي: ينزّه الله عن كل نقصٍ) (glorify) (praise) مَن فِي السَّمَاوَاتِ [...] ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ (praise) (glorification)" (النور 41) "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ [...] وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ (glorifies His praise) (glorifies Him with praise)" (الإسراء 44)]** {5} لِتُسَبِّحِ اسْمَ الرَّبِّ لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ، {6} وَثَبَّتَهَا إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ، وَضَعَ لَهَا حَدًّا فَلَنْ تَتَعَدَّاهُ. {7} سَبِّحِي الرَّبَّ مِنَ الأَرْضِ، يَا أَيَّتُهَا التَّنَانِينُ (أي: وُحُوش الْبَحْر الضخمة[7764]؛ مثل الحيتان والتماسيح) وَكُلَّ اللُّجَجِ (أي: أعماق البحار والمحيطات وما فيها من مخلوقات). {8} النَّارُ وَالْبَرَدُ، الثَّلْجُ وَالضَّبَابُ، الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ الصَّانِعَةُ كَلِمَتَهُ (أي: الْمُنَفِّذَةُ لأَمْرِهِ)، {9} الْجِبَالُ[7765] **[← "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ (أي: سبّحي مَعَهُ) (echo God's praises)" (سبأ 10) "وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ" (الأنبياء 79) "إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (أي: آخر النهار وأوله؛ أو: في كل الأوقات)" (ص 18)]** وَكُلُّ الآكَامِ (أي: التِّلال)، الشَّجَرُ الْمُثْمِرُ وَكُلُّ الأَرْزِ، {10} الْوُحُوشُ (أي: الْحَيْوَانَاتُ الْبَرِّيَّةُ أو المفترسة) وَكُلُّ الْبَهَائِمِ (أي: الْمَوَاشِي أو الحيوانات الأليفة)، الدَّبَّابَاتُ (أي: كُلُّ ما يَدِبُّ على الأرض كالزواحف والحشرات) وَالطُّيُورُ ذَوَاتُ الأَجْنِحَةِ[7766] **[← "وَالطَّيْرَ" (سبأ 10) "وَالطَّيْرَ" (الأنبياء 79) "وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً (أي: مجموعةً إلى دَاوُودَ) ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ (أي: مسبِّحٌ لله مَعَهُ؛ رجَّاع إلى طاعته بالتسبيح)" (ص 19) "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ [...] الطَّيْرُ صَافَّاتٍ (أي: باسطات أجنحتها في الهواء) ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ" (النور 41)[7767]]**، {11} مُلُوكُ الأَرْضِ وَكُلُّ الشُّعُوبِ، الرُّؤَسَاءُ وَكُلُّ قُضَاةِ الأَرْضِ[7768]،

{12} الأَحْدَاثُ (أي: الشَّبَّانُ) وَالْعَذَارَى أَيْضًا، الشُّيُوخُ مَعَ الْفِتْيَانِ[7769]، [← "سَبَّحَ لِلَّهِ [...] مَا فِي الْأَرْضِ" (الحشر 1) (الصف 1) "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي [...] الْأَرْضِ" (الحديد 1) "يُسَبِّحُ لِلَّهِ [...] مَا فِي الْأَرْضِ" (الجمعة 1) "يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي [...] الْأَرْضِ" (الحشر 24) "يُسَبِّحُ لِلَّهِ [...] مَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ (praise)" (التغابن 1) "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي [...] الْأَرْضِ [...]ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ" (النور 41) "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ" (الإسراء 44) "فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (أي: في كل زمان). وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (أي: في كل مكان) وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (أي: في كل زمان)" (الروم 17-18) "لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ (أي: في كل زمان)" (القصص 70)] {13} لِيُسَبِّحُوا اسْمَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ قَدْ تَعَالَى اسْمُهُ وَحْدَهُ [← "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" (الأعلى 1) "فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ" (الواقعة 74، 96) (الحاقة 52)]. مَجْدُهُ فَوْقَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ[7770]. {14} وَيَنْصِبُ قَرْنًا لِشَعْبِهِ (أي: يُعَظِّمُ قُوَّةَ شعبِه؛ يَرْفَعُ رَأْسَ شَعْبِهِ؛ يَمسحُ مَلِكاً لِشَعْبِهِ؛ يختارُ ويعيّنُ مُخلِّصاً لِشَعْبِهِ)، فَخْرًا لِجَمِيعِ أَتْقِيَائِهِ، لِبَنِي إِسْرَائِيلَ الشَّعْبِ الْقَرِيبِ إِلَيْهِ (أي: الشَّعْب المفضَّل عند الله)[7771] [← "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" (البقرة 47) (البقرة 122) "وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" (الجاثية 16) "هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" (الأعراف 140) "اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 20) "وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ (أي: اصطفينا بَنِي إِسْرَائِيلَ) عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ" (الدخان 32) "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًاۖ وَقَالَا الْحَمْدُ (praise) (thanks) لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ" (النمل 15)]. هَلِّلُويَا.

4.46 هل الأنبياء معصومون؟ دَاوُودُ "اسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩"!

أشرنا فيما سبق إلى الكذبة التي كذبها داودُ على أَخِيمَالِكَ رئيس الكهنة (1 صموئيل 21:1-9) وكانت سبباً في مقتل 85 رجلاً ومقتل النِّسَاء وَالأَطْفَال وَالرِّضْعَان وَالثِّيرَان وَالْحَمِير وَالْغَنَم بِحَدِّ السَّيْفِ (1 صموئيل 22:9-23)! فهل هذه هي الخطيئة الوحيدة التي ارتكبها داودُ؟ بالطبع لا. إذ توجد خطايا أخرى أكبر من ذلك نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر ما يلي ...

قال صاحبُ رواية سورة ص: اصْبِرْ [يا محمد] عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ (أي: مَا يقوله فيكَ المشركون) وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ (أي: صاحب القوة على أعداء الله أو في طاعة الله)ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (أي: توّاب كثير الرجوع إلى طاعة الله) {17} إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (أي: آخر النهار وأوله؛ أو: في كل الأوقات) {18} وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً (أي: مجموعةً إليه)ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ (أي: مسبِّحٌ لله مَعَهُ؛ رجَّاع إلى طاعته بالتسبيح) {19} وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ (أي: قَوَّينا مُلْكَ دَاوُودَ حتى ثبت) وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ (أي: الفهم والعقل والفطنة؛ وقيل: النبوة) وَفَصْلَ الْخِطَابِ (أي: بيان الكلام؛ حسم الخلافات بين الناس بتمييز الحق عن الباطل؛ decisive speech) {20} وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ (أي: خبرُ الرَّجُلَيْنِ المتخاصِمَين؛ وقيل: كانا مَلَكَيْن في صورة إنْسِيَّيْن!) إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (أي: اللذَين تسلَّقا أو صعدا على سور المكان الذي كان داودُ يعبد اللهَ فيه!) {21} إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ [فجأة بغير إذنه ومن فوق سور المحراب لا من بابه!] فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُوا لَا تَخَفْۖ [فنحن] خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ (أي: ظلم أحدُنا الآخرَ) فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ (أي: بالعدل) وَلَا تُشْطِطْ (أي: ولا تتجاوز الْحَقَّ؛ ولا تَجُرْ علينا في الحكم) وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (أي: طريق الصواب والعدل؛ الطريق المستقيم إلى الحق) {22} [فقال أحدُ الخصمين] إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً (هي: الأنثى من الضأن، وقد يكنى بها عن المرأة) وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا (أي: اجعلني كافلها كما أكفل ما تحت يدي؛ يقصد: أَخِي طمع في نعجتي الوحيدة وقال لي أعطني إياها) وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (أي: غَلَبَني بكلامه؛ قَهَرَني بقوته) {23} قَالَ [دَاوُدُ] لَقَدْ ظَلَمَكَ [أخوك] بِسُؤَالِ (أي: بطلبِ ضم) نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ (أي: الشركاءِ في المال ونحو ذلك) لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ (أي: وَهُمْ قلة نادرة)ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ (أي: وأيقنَ دَاوُودُ أننا اختبرناه وأنه أخطأ) فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ (أي: فسأل دَاوُودُ رَبَّهُ غفرانَ ذنبِه) وَخَرَّ رَاكِعًا (أي: وسجد تقرباً لله) وَأَنَابَ ۩ (أي: وتابَ؛ ورجعَ خاشعاً إلى الله بالتوبة من خطيئته) {24} فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ (أي: وجعلناه من الْمُقَرَّبِينَ عندنا والمكرَّمين) وَحُسْنَ مَآبٍ (أي: وأعددنا له حُسْنَ المصير في الآخرة وهو الجنة) {25} يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً [عنا] (God's vicegerent) (lieutenant, vicaire de Dieu) فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ [في النار] بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (أي: بغفلتهم عن يوم الجزاء؛ بسبب تركهم العمل لذلك اليوم) {26}.

فما هي الخطيئة الفظيعة التي ارتكبها المَلِكُ والنبيُّ داوودُ "فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩" (ص 24)؟! كالعادة، لجأت كثير من الكتب والمراجع الإسلامية القديمة والحديثة إلى حيل من أجل التقليل من شأن خطيئة نبيّ الله داوود حتى تصير هينة وبسيطة ولا تنفي عصمة الأنبياء حسب زعمهم! وكالعادة أيضاً، كانت حيل المفسرين المسلمين مختلفةً ومتضاربة بل مضحكة! على سبيل المثال:

- في تعليقه على "قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ" (ص 24)، ذكر النحاس الرأي الذي يقول "إن هذه خَطِيَّة داود ﷺ لأنه قال "لَقَدْ ظَلَمَكَ" من غير تثبيت بَيِّنَةٍ، ولا إقرار من الخَصْمِ ولا سؤال لِخَصمِه على كان هذا كذا أم لم يكن؟"[7772]. وفي نفس الاتجاه، قال تفسير المنتخب الذي أصدره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية إن داوود سمع كلامَ خصم واحد فقط (ص 23) وتعجَّل في الحكم (ص 24) "قبل أن يسمع كلامَ الخصم الآخر" "فطلب من الله المغفرة" "فغفرنا له تعجّله في الحكم" (ص 25)[7773]! تعليقنا: لو كان هذا صحيحاً، فإنه يعني أن داوود كان قاضياً ظالماً، وهذا أيضاً يتنافى مع عصمة الأنبياء، بل يتنافى مع القرآن نفسه الذي يقول في نفس السورة إن الله أعطى داوودَ "الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ" (ص 20)!
- وقال الرازي إن داوود هَمَّ بالانتقام من الخصم لمَّا تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ودَخَلُوا عليه فجأة يريدان قتلَه، "فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ" "مما هَمَّ به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك الهم وأناب، فغفر له ذلك القدر من الهم والعزم"[7774]! لكن الرازي أعطى آراء بل احتمالات أخرى في مسألة فتنة داود واستغفاره. وقالت موسوعة بيان الإسلام بعد أن عرضت الآراء المختلفة حول هذه المسألة: "وأرجح هذه الأقوال: أنَّ داود عليه السلام كان منفرداً في محرابه للعبادة، وأن وقته هذا لا يدخل فيه عليه أحدٌ، فلمَّا دخل عليه الخصمان من غير المدخل - حيث تسوَّرا المحراب - وفي غير وقت جلوسه للحكم، فزع منهما ظانًّا أنهما جاءا لقتله. فلمَّا اتضح له أنهما جاءا في خصومة [حقيقية بينهما في أغنام لهما] ولم يقع ما كان ظنه، استغفر من ذلك الظن [الخاطئ]، وخرَّ ساجداً؛ فغفر الله له ذلك الظن، وهذا هو أرجح الأقوال؛ لأنه ينزه نبي الله داود عليه السلام عن كل ما لا يتلاءم مع النبوَّة، كما أنه يتفق مع ما وصفه اللهُ به، قبل ذكر نبأ الخصم من الصفات الحميدة"[7775]. تعليقنا: هذا قول ضعيف، لأنه لا يوجد في القصة القرآنية أي شيء يدل على أن الرَّجُلَيْنِ المتخاصِمَين أرادا اغتيال داوود! وحتى لو افترضنا جدلاً أن داوود ظنَّ أنهما أرادا قتله، فهذا ليس خطأ يستوجب توبته، لأنهما هُمَا اللذان وضعا نفسيهما موضع الشبهات لمَّا تسلَّقا سور المحراب واقتحما خلوةَ المَلِك داوود بهذه الطريقة المريبة.
- وقال أ. د. محمد بكر إسماعيل (من كبار علماء الأزهر في القرن العشرين!) إن "داود عليه السلام قد اجتهد في تقسيم أوقاته فجعل للناس وقتاً ولأزواجه وقتاً ولعبادته وقتاً، وجعل الأوقات الثلاثة متساوية، وفاتَه أنه خليفة في الأرض، وأن الخلافة تتطلب وقتاً أكبر، فسخَّر اللهُ له هؤلاء الأعراب، فتسوَّرا عليه المحراب، وكان من أمرهم ما يشعره بخطئه في هذا الاجتهاد"، "وقدَّر [داودُ] في نفسه أن هذين الخصمين لو أدركهما الحرس لقتلوهما، فيكون هو السبب في قتلهم، وأنه لولا اعتزاله ما

اضطرا إلى تسور المحراب عليه، فكان من الأَوْلَى أن يجعل للناس وقتاً كافياً لقضاء حوائجهم؛ لأنه قد ولي أمرهم، وكل راع مسئول عن رعيته، فبادر إلى الاستغفار والتوبة من ذلك الاجتهاد الذي أدى إلى هذا الخطأ فأنزله عن رتبة من له أجران إلى رتبة من له أجر واحد"[7776]! تعليقنا: خيال واسع جداً، ولا يوجد في القرآن ولا في السُّنَّة الصحيحة أي شيء يؤيده. ثم إننا لا نصدق أن الرَّجُلَيْنِ المتخاصِمَين ذهبا إلى المَلِك داوود في خصومة حقيقية بينهما، فلقد جرت العادة أن الجاني يهرب من القضاء، لا أن يذهب بنفسه إلى القاضي/المَلِك/النبي وكمان يتسلَّق السورَ حرصاً على مقابلته مع المجني عليه! هذا غير معقول! فأغلب الظن أن القصة كلها مجرد مَثَل (parable).

فللأسباب التي وضحناها، لم نقتنع بتلك البروباجاندا الإسلامية-العربية. ومِن حُسن الحظ أن بعض الكتب والمراجع الإسلامية القديمة والحديثة قد اعترفتْ بالخطايا الفظيعة التي ارتكبها نبيُّ اللهِ داوودُ وتطلبت توبته. أو على الأقل ذكرتْ خطايا داوود ثم ذكرتْ رأي مَن أنكروها. على سبيل المثال:

- قال تفسير الطبري: "وهذا مَثَلٌ ضربَه الخَصْمُ المُتَسَوِّرون على داودَ مِحْرابَه له، وذلك أن داودَ كانت له - فيما قِيل - تسعٌ وتسعون امرأةً، وكانت للرجلِ [أوريا] الذي أغْزاه حتى قُتِل امرأةٌ واحدةٌ، فلمَّا قُتِل نكَح - فيما ذُكر - داودُ امرأتَه"، ثم ذكر الطبري أحاديث عن ابن عباس وغيره نفهم منها أن داود كان قد رأى تلك المرأة زوجة أوريا وهي تغتسل فأعْجَبَه حُسْنُها ولذلك حرص على أن يُعرّض زوجَها أوريا للقتل في ميدان المعركة حتى يُقْتَل فعلاً ومن ثم يستطيع داودُ أن يتزوجها[7777]!
- وكذلك قال تفسيرُ الجلالين: "وَالْخَصْمُ يُطْلَقُ عَلَى اَلْوَاحِدِ وَأَكْثَر، وَهُمَا مَلَكَانِ جَاءَا فِي صُورَةِ خَصْمَيْنِ وَقَعَ لَهُمَا مَا ذُكِرَ عَلَى سَبِيلِ اَلْفَرْضِ لِتَنْبِيهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ وَكَانَ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ اِمْرَأَةً وَطَلَبَ اِمْرَأَةَ شَخْصٍ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهَا وَتَزَوَّجَهَا [دَاوُدُ] وَدَخَلَ بِهَا"[7778]!
- وفي العصر الحديث، قال د. محمد سليمان عبدالله الأشقر: "عن ابن عباس أن داود رأى امرأة أوريا تغتسل، فأعجبته فقدّم زوجها في الحرب حتى قُتِل. فلمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُها خَطَبها داودُ وتزوجها. فتسوَّر عليه الملكان المحراب، وكان شأنهما ما قصّه الله في كتابه، وخرّ داود ساجداً فغفر اللهُ له وتاب عليه". وعلى هذا، فإن تفسير "وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ" (ص 24) هو "أيقن أننا ابتليناه، علم [دَاوُدُ] عند ذلك أنه هو المراد، وأن مقصودهما التعريض به إذ استغلّ سلطته على صاحبه حتى يتزوّج امرأتَه"[7779]!

وكل هذا يؤكد أن النبي داوود لم يكن معصوماً من الخطأ. وكما نقول دائماً: لا توجد آية واحدة في القرآن تقول إن الأنبياء معصومون من الخطأ؛ مما يعني أن عقيدة "عصمة الأنبياء" (infallibility of prophets) ظهرت بعد القرآن (post-Quranic dogma) في القرنين الثاني والثالث الهجريين (القرنين الثامن والتاسع الميلاديين)[7780]. والحقيقة هي أنه توجد آيات قرآنية كثيرة تؤكد خطايا الأنبياء. داوود مجرد مثال.

ولكي نعرف بالتفصيل الخطيئةَ التي ارتكبها المَلِكُ والنبيُّ داوودُ، علينا أن نرجع إلى القصة الكتابية الأصلية في سفر صموئيل الثاني ...

4.46.1 المَلِكُ والنبيُّ داود مسيح الرب ارتكب خطيئتي الزنا والقتل!

تقول دائرة المعارف الكتابية تحت عنوان "نكبات داود في أواخر أيامه": "يسجل الأصحاحان الحادي عشر والثاني عشر من سفر صموئيل الثاني أشد مأساة في حياة داود، إذ أنه ما أن وصل إلى أوج قوته حتى سقط. وبعد أن انتصر على جميع الأمم من حوله، فشل في الانتصار على نفسه، فارتكب جريمة مزدوجة، زرعت بذور الشر في بقية حياته، وكانت الوصمة الكبرى في حياته الناجحة"[7781] ...

الخطيئة الأولى: المَلِكُ والنبيُّ داود مسيح الرب يشتهي امرأةً متزوجة هي بَثْشَبَعَ (Bathsheba) زوجة رجلٍ مؤمن مجاهِد يقاتِل في سبيل إله إسرائيل؛ ثم يزني داودُ معها أثناء الحرب! **(2 صموئيل 11):** {1} وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ، فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ [إلى الحرب] (أي: في الربيع؛ وقيل: الصيف)، أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوآبَ (Joab) (هو: ابْنُ أخت داود ورئيسُ جيشه[7782]) وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرَبُوا بَنِي عَمُّونَ وَحَاصَرُوا رِبَّةَ (Rabbah) (هي: عاصمة العمونيين شرق نهر الأردن؛ حالياً: عَمَّان عاصمة المملكة الأردنية). وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ (أي: لم يشترك بنفسه في القتال! مع أن هذا هو "وَقْت خُرُوجِ الْمُلُوكِ [إلى الحربِ]"!). {2} وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا. {3} فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ (Uriah the Hittite) (هو: أحد الأبطال أو القادة في جيش داود[7783]، ويُفْهَم من اسمه الذي قد يعني بالعبرية "يهوه نوري" أو "لهيب يهوه" أنه كان يعبد الربَّ إله إسرائيل على الرغم من أصله الْحِثِّيِّ، مما يعني أنه كان مؤمناً موحِّداً مجاهداً؛ ويُفْهَم من النص أن بيت أوريا كان قريباً من قصر داود الملكي أو على الأقل كان في نفس المدينة وهي أورشليم[7784])؟» {4} فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا (أي: زنا بها) وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا (أي: وَكَانَتْ قَدِ اغْتَسَلَتْ لِلتَّوِّ مِنْ حَيْضِهَا، مما يؤكد أنها لم تكن حُبْلَى من زوجها حين زنا داودُ بها). ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. {5} وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى».

ويُفْهَم من النص "فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا" (2 صموئيل 4:11) أن بَثْشَبَع لم تقاوم داودَ، فهي إذن مشتركةٌ معه في الخطيئة. بعبارة أخرى: المَلِك والنبي داود مسيح الرب زنا مع بَثْشَبَع ولم يغتصبها. "ممّا يُبيّن أنّ كُلًّا من بَثْشَبَع وداود كانا مشتركَين في خطيَّة الزنا"[7785]. بل قيل إن بَثْشَبَع كانت تعلم أن المَلِك داود اعتاد "فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ" أَنَّ "تَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ" (2 صموئيل 2:11) وإن بَثْشَبَع كانت تستحم على مرأى منه عن قصد حتى تغويه وتُوقِعه في الفخ[7786]. ومما يُقوّي هذا الرأي أن بَثْشَبَع لم تفعل شيئاً لتتخلص من الجنين (ابن الخطية)! وفي جميع الأحوال، فإن عقوبة داود وبَثْشَبَع هي الموت حسب الشريعة: "وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ امْرَأَةِ صَاحِبِكَ مَضْجَعَكَ لِزَرْعٍ، فَتَتَنَجَّسَ بِهَا" (اللاويين 20:18)؛ "وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى

مَعَ امْرَأَةِ قَرِيبِهِ (أو: جاره)، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ" (اللاويين 10:20). ومِن المؤكد أن المَلِك والنبيّ داود مسيح الرب كان يعلم ذلك جيداً، لكنه رفع نفسه الأَمَّارَةَ بالسُّوءِ فوق شريعة الرب!

الخطيئة الثانية: بدلاً من أن يعترف بخطيئته ويتوب، لجأ المَلِكُ والنبيُّ داود مسيح الرب إلى حيل ليخفي خطيئتَه ويهرب من العدالة حتى لو أدى ذلك إلى اختلاط الأنساب! **(2 صموئيل 11):** {6} فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ». فَأَرْسَلَ يُوآبُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ. {7} فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدُ عَنْ سَلاَمَةِ يُوآبَ وَسَلاَمَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ [ضد بَنِي عَمُّونَ]. {8} وَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ (يقصد: اخلع لباسَ الحرب وَاسْتَرِحْ هذه الليلة في فراشك مع زوجتك)». فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ (أي: كميةٌ من الطعام الشهي) مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ [إلى بيت أوريا]. [ويُفْهَم من النص أن المَلِك داود أراد أن يبيت أُورِيَّا مع زوجته بَثْشَبَع ويمارس الجنس معها حتى يظن الناس أن أوريا هو والد الجنين الذي في بطن بثشبع، بل حتى يظن أوريا نفسه أنه هو والد هذا الجنين.] {9} وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ (أي: مع الحراس)، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. {10} فأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟» {11} فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ التَّابُوتَ (يقصد: الربَّ) وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ (أي: مُعَسْكِرُونَ في ميدان المعركة)، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ (أي: مُخَيِّمُونَ فِي الْعَرَاءِ على جبهة القتال)، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لاَ أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ». {12} فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا، وَغَدًا أُطْلِقُكَ [لتعود إلى ميدان القتال]». فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. {13} وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ [دَاوُدُ آملاً أن حالة السُّكْر تجعله يشتاق إلى امرأته]. وَخَرَجَ [أُورِيَّا] عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ.

الخطيئة الثالثة: المَلِكُ والنبيُّ داود مسيح الرب يسيء استغلال سلطته كمَلِكٍ ويقتل رجلاً بريئاً هو البطل المؤمن المجاهِد أُورِيَّا الْحِثِّيّ زوج بَثْشَبَعَ! **(2 صموئيل 11):** {14} وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا [سرياً] إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. {15} وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ (أي: في مقدمة الجيش عندما تشتد المعركة)، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». {16} وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوآبَ الْمَدِينَةَ (أي: ربَّةَ عاصمة بَنِي عَمُّونَ) أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَأْسِ فِيهِ (أي: جَعَلَ أُورِيَّا في الصفوف الأمامية الخطرة الأكثر عرضة للموت لأنها تواجه أقوى رجال العدو). {17} فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوآبَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ (أي: مات رجال آخرون أبرياء!)، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا. {18} فَأَرْسَلَ يُوآبُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. {19} وَأَوْصَى [يُوآبُ] الرَّسُولَ قَائِلًا: «[...] {21} [...] فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا». {22} فَذَهَبَ الرَّسُولُ [من ميدان المعركة إلى أورشليم] وَدَخَلَ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِكُلِّ مَا أَرْسَلَهُ فِيهِ يُوآبُ. {23} وَقَالَ الرَّسُولُ لِدَاوُدَ: «[...]، {24} [...] فَمَاتَ الْبَعْضُ مِنْ عَبِيدِ الْمَلِكِ (أي: مات رجال آخرون أبرياء!)، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا».

{25} فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ: «هكَذَا تَقُولُ لِيُوآبَ: لاَ يَسُؤْ فِي عَيْنَيْكَ هذَا الأَمْرُ، لأَنَّ السَّيْفَ يَأْكُلُ هذَا وَذَاكَ. شَدِّدْ قِتَالَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْرِبْهَا. وَشَدِّدْهُ (أي: قُلْ لَه ذلِكَ حتّى يتشجَّعَ)». {26} فَلَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ أُورِيَّا رَجُلُهَا، نَدَبَتْ بَعْلَهَا. {27} وَلَمَّا مَضَتِ الْمَنَاحَةُ (أي: وبَعْدَ أنِ انْقَضَتْ فَتْرَةُ حِدَادِهَا؛ قيل: 7 أيام؛ وقيل: 40 يوماً) أَرْسَلَ دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلَى بَيْتِهِ، وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً (أي: زوجةً) وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا (أي: مرَّت شهورُ الحمل كلها!).

ونعرف من (2 صموئيل 12:26-31) أن جيش إسرائيل انتصر انتصاراً ساحقاً على العمونيين.

"وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ" (2 صموئيل 11:27). وحسب الشريعة، فإن عقوبة داود هي الموت قصاصاً: "وَإِذَا أَمَاتَ أَحَدٌ إِنْسَانًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ" (اللاويين 24:17)؛ "وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلْ" (اللاويين 24:21). ومِن المؤكد أن المَلِك والنبيّ داود مسيح الرب كان يعلم ذلك جيداً، لكنه رفع نفسه الأَمَّارَةَ بالسُّوءِ فوق شريعة الرب!

مما سبق يتضح أن وقتاً طويلاً قد مَرَّ، هو شهورُ الحمل كلها (2 صموئيل 11:27). بل قيل: "بعد جريمته المزدوجة ضد أوريا وبتشبع، ظل داود سنة كاملة أو أكثر، دون أن يعترف بخطيته، إلى أن تجاسر نَاثَانُ النَّبِيُّ على الذهاب إليه وتوبيخه على خطيته"[7787]. وهذا يؤكد على أمرين. أولاً: داودُ لم يعترف بخطاياه ولم يتب طوال هذه المدة الطويلة! ثانياً: يبدو أن داود قد نسي خطاياه وكأنها لم تكن، ولذلك لم يفهم بسرعةٍ المثلَ الذي قاله نَاثَانُ النَّبِيُّ بعد ذلك **[← وكذلك في القرآن، لم يفهم داوودُ المثلَ بسرعةٍ]** ...

نَاثَانُ النَّبِيُّ يستخدم مَثَلاً (parable) ليوبِّخ دَاوُدَ على خطاياه التي لم يعترف بها ولم يتب عنها طوال سنة كاملة أو أكثر! **(2 صموئيل 12):** {1} فَأَرْسَلَ الرَّبُّ نَاثَانَ إِلَى دَاوُدَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ [مَثَلاً]: «كَانَ رَجُلاَنِ **[← "خَصْمَانِ" (ص 22). ونلاحظ أن القرآن حذف شخصية نَاثَان النَّبِيّ وجعل الخصمين يأتيان إلى داوود ليُحكِّمانه في خصومتهما! "الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ [...] قَالُوا [...] [نحن] خَصْمَانِ" (ص 21-22)؛ ربما لأن داوود نبي في القرآن، فلا حاجة لشخصية نَاثَان[7788]. وعلى الرغم من أن القرآن جعل المشهد أكثر حيوية من الناحية الأدبية، إلا أنه أمر مستبعد جداً ولا يمكن تصديقه على أرض الواقع؛ فلقد جرت العادة أن الجاني يهرب من القضاء، لا أن يذهب بنفسه إلى القاضي/المَلِك/النبي وكمان يتسلَّق السورَ حرصاً على مقابلته مع المجني عليه!]** فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاحِدٌ مِنْهُمَا غَنِيٌّ (يقصد: داود) وَالآخَرُ فَقِيرٌ (يقصد: أُوريَّا). {2} وَكَانَ لِلْغَنِيِّ غَنَمٌ وَبَقَرٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا **[← "إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً (يقصد: نساء داود الكثيرات)" (ص 23)]**. {3} وَأَمَّا الْفَقِيرُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ إِلاَّ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ صَغِيرَةٌ **[← "وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ (يقصد: بَتْشَبَع زوجة أوريا الوحيدة)" (ص 23)]** قَدِ اقْتَنَاهَا وَرَبَّاهَا وَكَبِرَتْ مَعَهُ وَمَعَ بَنِيهِ جَمِيعًا. تَأْكُلُ مِنْ لُقْمَتِهِ وَتَشْرَبُ مِنْ كَأْسِهِ وَتَنَامُ فِي حِضْنِهِ، وَكَانَتْ لَهُ كَابْنَةٍ. {4} فَجَاءَ ضَيْفٌ إِلَى الرَّجُلِ الْغَنِيِّ، فَعَفَا (أي: فَامْتَنَعَ) أَنْ يَأْخُذَ مِنْ غَنَمِهِ وَمِنْ بَقَرِهِ لِيُهَيِّئَ لِلضَّيْفِ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ نَعْجَةَ الرَّجُلِ الْفَقِيرِ (أي: سرقها دون علمه) **[← زعم أصحابُ القرآن أن الرجل الغني كشف للرجل الفقير عن نواياه:**

"فَقَالَ [له] أَكْفِلْنِيهَا (أي: أعطني إياها)" (ص 23)، ربما ليؤكدوا على ضعف الرجل الفقير (أُورِيَّا) وتواضعه في مواجهة قوة الرجل الغني "دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ (أي: صاحب القوة)" (ص 17) وكبريائه: "بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ" (ص 22)، "وَعَزَّنِي[7789] فِي الْخِطَابِ" (ص 23)، "لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ" (ص 24)] وَهَيَّأَ لِلرَّجُلِ (أي: ذبح المغتصبُ النَّعْجَةَ وأعدَّ وليمةً لِلضَّيْفِ) الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ» **[← حرص أصحابُ القرآن على أن يكون المَثَلُ أكثرَ مطابقةً لِمَا فعله داوودُ، فالنعجة (بَتْشَبَع) لم تُذْبَح وإنما انضمت إلى نِعَاج (نساء) داوود: "سُؤَالِ (أي: طلبِ ضم) نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ" (ص 24)]**. {5} فَحَمِيَ غَضَبُ دَاوُدَ عَلَى الرَّجُلِ [الْغَنِيِّ] جِدًّا، وَقَالَ لِنَاثَانَ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، إِنَّهُ يُقْتَلُ الرَّجُلُ الْفَاعِلُ ذلِكَ، {6} وَيَرُدُّ النَّعْجَةَ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ[7790] لأَنَّهُ فَعَلَ هذَا الأَمْرَ وَلأَنَّهُ لَمْ يُشْفِقْ» **[← وكذلك في القصة القرآنية، أصدر داوودُ حُكْمَه بسرعة بعد أن سمع المتَّهِمَ المُدَّعِي (the plaintiff) فقط وبدون أن يسمع دفاعَ المتَّهَمِ المُدَّعَى عليه (the defendant; the accused): "قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ" (ص 24)]**. {7} فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ: «أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ [الْغَنِيُّ المغتصبُ]! **[← "وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ (أي: وأيقنَ دَاوُودُ أنه هو المقصود بهذا المَثَل وأننا اختبرناه)" (ص 24)]** هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: أَنَا مَسَحْتُكَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ **[← "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (ص 26)]** وَأَنْقَذْتُكَ مِنْ يَدِ شَاوُلَ، {8} وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ سَيِّدِكَ وَنِسَاءَ سَيِّدِكَ (أي: ميكال ابنة شاول[7791]) فِي حِضْنِكَ، وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا **[← "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (ص 26)]**. وَإِنْ كَانَ ذلِكَ قَلِيلًا، كُنْتُ أَزِيدُ لَكَ كَذَا وَكَذَا. {9} لِمَاذَا احْتَقَرْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ **[← "تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ" (ص 26)]** لِتَعْمَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيْهِ **[← "فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" (ص 26)]**؟ قَدْ قَتَلْتَ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ بِالسَّيْفِ، وَأَخَذْتَ امْرَأَتَهُ لَكَ امْرَأَةً، وَإِيَّاهُ قَتَلْتَ بِسَيْفِ بَنِي عَمُّونَ. {10} وَالآنَ لاَ يُفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى الأَبَدِ، لأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ لِتَكُونَ لَكَ امْرَأَةً. {11} هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هذِهِ الشَّمْسِ. {12} لأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسِّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقُدَّامَ الشَّمْسِ».

دَاوُدُ يعترف بخطاياه ويبدأ التوبة الصادقة. **(2 صموئيل 12):** {13} فَقَالَ دَاوُدُ لِنَاثَانَ: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ (بالعبرية كلمتان فقط للتأكيد على أن التوبة ليست أمراً صعباً: ḥā·ṭā·ṯî l·Yah·weh)» **[← وكذلك في القرآن، اعترف دَاوُودُ بخطيئته فوراً وبإرادته وبصراحة بدون جدال أو تبرير بكلمتين فقط "اسْتَغْفَرَ رَبَّهُ"! "وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ (أي: وأيقنَ دَاوُودُ أننا اختبرناه وأنه أخطأ) فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ [...] وَأَنَابَ ۩ (أي: وتابَ)" (ص 24) "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ [...] إِنَّهُ أَوَّابٌ (أي: توَّاب كثير الرجوع إلى طاعة الله)" (ص 17)]**. فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ [بعد أن تأكد من صدق توبته]: «الرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ (أي: وَضَعَ عَنكَ وِزْرَكَ؛ غَفَرَ لكَ)[7792] **[← وكذلك في القرآن، جاء الرد الفوري من الله: "فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ" (ص 25)؛ "فَإِنَّهُ (أي: الرَّبُّ) كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا" (الإسراء 25)]**. لاَ تَمُوتُ. {14} غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ بِهذَا الأَمْرِ أَعْدَاءَ الرَّبِّ يَشْمَتُونَ (أو: يَفْقِدُونَ احتِرَامَهُمْ لِلرَّبِّ؛ أَهَنتَ الرَّبَّ إهانةً شديدة)، فَالابْنُ الْمَوْلُودُ لَكَ (أي: ابنُ الخطية؛ الْوَلَدُ الَّذِي وَلَدَتْهُ امْرَأَةُ أُورِيَّا لكَ) يَمُوتُ [فداءً لكَ]». {15} وَذَهَبَ نَاثَانُ إِلَى بَيْتِهِ.

وَضَرَبَ الرَّبُّ الْوَلَدَ الَّذِي وَلَدَتْهُ امْرَأَةُ أُورِيَّا لِدَاوُدَ فَثَقِلَ (أي: اشتد عليه المرض؛ وقيل: غاب عن الوعي). {16} فَسَأَلَ دَاوُدُ اللهَ (أي: صلَّى) مِنْ أَجْلِ الصَّبِيِّ، وَصَامَ دَاوُدُ صَوْمًا **[← حديث صحيح متفق عليه: "أَحَبُّ الصلاةِ إلى الله صلاةُ داود عليه السلام، وأَحَبُّ الصيامِ إلى الله صيامُ داود"[7793]]**[7794]، وَدَخَلَ وَبَاتَ مُضْطَجِعًا عَلَى الأَرْضِ. {17} فَقَامَ شُيُوخُ بَيْتِهِ عَلَيْهِ لِيُقِيمُوهُ عَنِ الأَرْضِ فَلَمْ يَشَأْ، وَلَمْ يَأْكُلْ مَعَهُمْ خُبْزًا. {18} وَكَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ [من مرض الْوَلَدِ؛ أو: من ميلاده] أَنَّ الْوَلَدَ مَاتَ، فَخَافَ عَبِيدُ دَاوُدَ أَنْ يُخْبِرُوهُ بِأَنَّ الْوَلَدَ قَدْ مَاتَ لأَنَّهُمْ قَالُوا: «هُوَذَا لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ حَيًّا كَلَّمْنَاهُ فَلَمْ يَسْمَعْ لِصَوْتِنَا. فَكَيْفَ نَقُولُ لَهُ: قَدْ مَاتَ الْوَلَدُ؟ يَعْمَلُ أَشَرَّا!» {19} وَرَأَى دَاوُدُ عَبِيدَهُ يَتَنَاجَوْنَ، فَفَطِنَ دَاوُدُ أَنَّ الْوَلَدَ قَدْ مَاتَ. فَقَالَ دَاوُدُ لِعَبِيدِهِ: «هَلْ مَاتَ الْوَلَدُ؟» فَقَالُوا: «مَاتَ». {20} فَقَامَ دَاوُدُ عَنِ الأَرْضِ وَاغْتَسَلَ وَادَّهَنَ (أي: تَطَيَّبَ؛ أنهى حالةَ التقشف والتذلل التي كان فيها) وَبَدَّلَ ثِيَابَهُ وَدَخَلَ بَيْتَ الرَّبِّ (أي: خيمة الاجتماع حيث تابوت عهد الرب) **[← "الْمِحْرَابَ" (ص 21)[7795]]** وَسَجَدَ **[← "وَخَرَّ رَاكِعًا (أي: وَسَجَدَ تقرباً لله)" (ص 24)]**، ثُمَّ جَاءَ إِلَى بَيْتِهِ وَطَلَبَ [طعاماً] فَوَضَعُوا لَهُ خُبْزًا فَأَكَلَ. {21} فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «مَا هذَا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلْتَ؟ لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ حَيًّا صُمْتَ وَبَكَيْتَ، وَلَمَّا مَاتَ الْوَلَدُ قُمْتَ وَأَكَلْتَ خُبْزًا». {22} فَقَالَ [دَاوُدُ]: «لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ حَيًّا صُمْتُ وَبَكَيْتُ لأَنِّي قُلْتُ: مَنْ يَعْلَمُ؟ رُبَّمَا يَرْحَمُنِي الرَّبُّ وَيَحْيَا الْوَلَدُ. {23} وَالآنَ قَدْ مَاتَ، فَلِمَاذَا أَصُومُ؟ هَلْ أَقْدِرُ أَنْ أَرُدَّهُ بَعْدُ؟ أَنَا ذَاهِبٌ إِلَيْهِ (أي: سأموت حتماً في يومٍ من الأيام وانضم إلى ابني في القبر[7796]؛ لكن تفاسير مسيحية تقول إن داود كان يقصد أنه سيلتقي بابنه في الحياة الأبدية!) **[← "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ (أي: وجعلناه من المقرَّبين عندنا وَحُسْنَ مَآبٍ (أي: وأعددنا له حُسْنَ المصير في الآخرة وهو الجنة) [...] يَوْمَ الْحِسَابِ" (ص 25-26) "هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ" (ق 32)]** وَأَمَّا هُوَ (أي: ابني الميت) فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيَّ [في الحياة الدنيا]». {24} وَعَزَّى دَاوُدُ بَثْشَبَعَ امْرَأَتَهُ، وَدَخَلَ إِلَيْهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا فَوَلَدَتِ ابْنًا، فَدَعَا [دَاوُدُ] اسْمَهُ سُلَيْمَانَ (بالعبرية: Shelomoh؛ أي: صانع سلام أو الله سلام[7797]؛ باليونانية: Solomón) **[← بالعربية: سُلَيْمَان. "وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ" (ص 30)]**، وَالرَّبُّ أَحَبَّهُ **[← "نِعْمَ الْعَبْدُ [سُلَيْمَانُ]" (ص 30)]**، {25} وَأَرْسَلَ [الرَّبُّ رسالةً إلى داود] بِيَدِ نَاثَانَ النَّبِيِّ وَدَعَا [نَاثَانُ] اسْمَهُ «يَدِيدِيَّا» (Jedidiah) (أي: حبيب يهوه؛ مَحْبُوبُ الرَّبِّ) مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ (أي: لأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّهُ) **[← "نِعْمَ الْعَبْدُ [سُلَيْمَانُ]" (ص 30) "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ (أي: وجعلناه من الْمُقَرَّبِينَ عندنا والمكرَّمين) وَحُسْنَ مَآبٍ (أي: وأعددنا له حُسْنَ المصير في الآخرة وهو الجنة)" (ص 40)]**.

"إنّ ولادة سليمان ضمانة لداود لعفو الله. وكذلك الاسم الذي حمله نَاثَانُ للطفل «يَدِيدِيَّا»، محبوب يهوه، مشتق في الأصل من اسم داود [الذي يعني: محبوب (beloved)]، تأكيداً لقبول النبي، وبالتالي ضمانة أخرى لقبول الرب وغفرانه"[7798]. "كان [سليمان] محبوباً، بمعنى أن الربَّ اختاره ليكون وليَّ العهد على عرش داود، وهي ملاحظة جديرة بالاهتمام حول صلاح الله ونعمته حيال الطبيعة الخاطئة لذاك الزواج"[7799].

بعد موت الفادي ابن الخطية ثم ميلاد سليمان (ابن التوبة، ابن القيامة)، أنجبتْ بَثْشَبَعُ لدواد فِي أُورُشَلِيمَ ثلاثة بنين آخرين هُمْ: "شَمُّوعُ" (Shammua) وَ "شُوبَابُ" (Shobab) وَ "نَاثَانُ" (Nathan) (2 صموئيل 5:14) (1 أخبار الأيام 5:3).

ولقد أكَّد سفرُ المزامير – والمزموران 51 و 32 بصفة خاصة – توبةَ داود الصادقة الحقيقية وغفران خطيئته. وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بآيات من المزمورين 51 و 32 على سبيل المثال ...

ونبدأ بالمزمور 51 وهو مزمور اعتراف وتوبة ومن أهم مزامير التوبة (penitential psalms) السبعة (المزامير 6؛ 32؛ 38؛ 51؛ 102؛ 130؛ 143) ويُفْتَرَض أنه كُتِبَ قبل المزمور 32 ...

(المزامير 51) لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ (mizmor) لِدَاوُدَ (of David) عِنْدَمَا جَاءَ إِلَيْهِ نَاثَانُ النَّبِيُّ بَعْدَ مَا دَخَلَ إِلَى بَثْشَبَعَ: {1} اِرْحَمْنِي يَا اَللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ **[⟵ "فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ (أي: طلب المغفرة والرحمة من الله) وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (أي: وتاب)" (ص 24) "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ [...] إِنَّهُ أَوَّابٌ (أي: توَّاب كثير الرجوع إلى طاعة الله)" (ص 17)]**. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ. {2} اغْسِلْنِي كَثِيرًا (أي: كُلِّيًّا) مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي. {3} لأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيَّ (أي: أقِرُّ بذُنُوبِي) **[⟵ "وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ (أي: وأيقنَ دَاوُودُ أننا اختبرناه وأنه أخطأ)" (ص 24)]**، وَخَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِمًا. {4} إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ (يقصد: إذَا قَضَيْتَ وحَكَمْتَ عليَّ فأنا أستحق العقابَ). {5} هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي (يقصد: لكنني وُلدتُ بالطبيعة الخاطئة التي ورثتُها من آدم؛ I am, by nature, a sinful being فالتمس لي العذر لأنني بشر ابن آدم[7800]) **[⟵ وكذلك ألمحتْ القصة القرآنية إلى آدم وخطاياه: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (ص 26) // "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (البقرة 30)[7801]؛ "*الْخَصْمِ* [...] *خَصْمَانِ*" (ص 21-22) // "الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ (أي: الملائكة) إِذْ *يَخْتَصِمُونَ* [في شأن خلق آدم]" (ص 69)]**. {6} هَا قَدْ سُرِرْتَ بِالْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ (أي: في أعْماقِ نَفْسِي؛ "أي أن لمسة الله في الإنسان لم تزل تماماً إثر سقوطه، بل بقي شيء من الله في الإنسان على الرغم من فساده وإثمه"[7802])، فَفِي السَّرِيرَةِ (أي: فِي قَرَارَةِ نَفْسِي) تُعَرِّفُنِي حِكْمَةً. {7} طَهِّرْنِي بِالزُّوفَا (hyssop؛ هو: نبات مطهِّر) فَأَطْهُرَ. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ. {8} أَسْمِعْنِي سُرُورًا وَفَرَحًا (يقصد: كلمةَ الغفران)، فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ سَحَقْتَهَا. {9} اسْتُرْ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ (أي: لَا تَنْظُرْ إليها)، وَامْحُ كُلَّ آثامِي (أي: جميعَ ذُنُوبِي وليس الزنا والقتل فقط). {10} قَلْبًا نَقِيًّا (أي: جديدًا طَاهِرًا) اخْلُقْ فِيَّ يَا اَللهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا (أو: ثابِتًا) جَدِّدْ فِي دَاخِلِي. {11} لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ [الذي يرشدني إلى الْحَقِّ ويُبَكِّتني إنْ أخطأت[7803]] لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي **[⟵ جعل القرآنُ اللهَ هو الذي ينصح داودَ بذلك: "فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" (ص 26)]**. {12} رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ، وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعْضُدْنِي (أي: وَبِرُوحٍ مُطِيعَةٍ ومستعدةٍ للخدمة آزِرْنِي) [لأعيش حسب مشيئتك فلا أضل مرَّة أخرى]. {13} فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ (أي:

سُبُلَكَ) [⟵ "سَبِيلِ اللَّهِ [...] سَبِيلِ اللَّهِ" (ص 26) "سَوَاءِ الصِّرَاطِ" (ص 22)]، وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ (أي: يتوبون) [⟵ " وَأَنَابَ ۩" (ص 24) "إِنَّهُ أَوَّابٌ (أي: توَّاب كثير الرجوع إلى طاعة الله)" (ص 17)].

{14} نَجِّنِي مِنَ الدِّمَاءِ (أي: جريمةِ سَفْكِ دماء أوريا البريء ودماء كل الأبرياء الذين قُتِلوا معه من جيش إسرائيل؛ bloodguilt[7804]) يَا اَللهُ، إِلهَ خَلاَصِي، فَيُسَبِّحَ[7805] لِسَانِي بِرَّكَ. {15} يَا رَبُّ افْتَحْ شَفَتَيَّ، فَيُخْبِرَ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ. {16} لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى. {17} ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ [في صلاةٍ وتوبةٍ صادقةٍ حقيقية]. اَلْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ (أي: لا ترفضه). [...].

ثم ننتقل إلى المزمور 32 مزمور الفرح بالغفران بعد الاعتراف والتوبة الصادقة، وهو أيضاً من مزامير التوبة (penitential psalms) السبعة (المزامير 6؛ 32؛ 38؛ 51؛ 102؛ 130؛ 143) ...

(المزامير 32) لِدَاوُدَ (of David). قَصِيدَةٌ (بالعبرية: maskil؛ وقد تعني: مَزْمُورٌ تَعْلِيمِيٌّ أو تأمُّليٌّ يحث على العمل الحكيم[7806]): {1} طُوبَى (أي: هَنِيئًا) لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ [⟵ "فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ" (ص 25)]. {2} طُوبَى لِرَجُلٍ لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً[7807]، وَلاَ فِي رُوحِهِ غِشٌّ (يقصد: الصادق الأمين مع الله هو الذي ينال الغفران). {3} لَمَّا سَكَتُّ [عَنِ الاعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ لأشهرٍ طويلة] بَلِيَتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي (يقصد: كنتُ أتوجَّع داخياً وخارجياً؛ مرضتُ جسدياً ونفسياً) الْيَوْمَ كُلَّهُ، {4} لأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَارًا وَلَيْلاً. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ (أي: تَبَخَّرَتْ قُوَّتِي ونَضَارَتِي كَمَا تَتَبَخَّرُ رُطُوبَةُ النَّبَاتَاتِ فِي جَفَافِ حَرّ الصَّيفِ). سِلاَهْ (selah) (هي: كلمة غير محددة المعنى تتكرر كثيراً في المزامير؛ قيل إنها تعني "وقفة" أو "مداخلة" (interlude) إما موسيقية وإما للإنحناء إلى الأرض توقيراً وإجلالاً لله[7808] كَشَكْلٍ من أشكال التفاعل الجسدي مع المزمور [⟵ علامة السجدة في "وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩" (ص 24)؟[7809]] أو ربما علامة لرفع صوت المرتِّمين أو الآلات الموسيقية أو اختصار لشيءٍ ما[7810]!). {5} [والآن] أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي [⟵ "وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ (أي: وأيقن دَاوُودُ أننا اختبرناه وأنه أخطأ)" (ص 24)]. قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» [⟵ "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ [...] ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (أي: توَّاب كثير الرجوع إلى الله)" (ص 17) "فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (أي: وتابَ)" (ص 24)] وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي [فوراً] [⟵ "فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ [فوراً] ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ" (ص 25)]. سِلاَهْ. {6} لِهذَا يُصَلِّي لَكَ كُلُّ تَقِيٍّ فِي وَقْتٍ يَجِدُكَ فِيهِ (أي: في أوانِ الضِّيق حين يَجِدُكَ قريباً منه[7811]). عِنْدَ غَمَارَةِ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ[7812] إِيَّاهُ لاَ تُصِيبُ (أي: حَتَّى وَلَوْ جَاءَ طُوفَانٌ هَائِلٌ مِنَ الضِّيقَاتِ، فإنه لا يُصاب بأذى). {7} أَنْتَ سِتْرٌ لِي. مِنَ الضِّيقِ تَحْفَظُنِي. بِتَرَنُّمِ النَّجَاةِ تَكْتَنِفُنِي (أي: تُحيطُني). سِلاَهْ. {8} [فقال اللهُ (الحكمةُ) لدواد؛ أو: قال داودُ لتلاميذه[7813] أو لرفاقه في صلاة الجماعة] «أُعَلِّمُكَ وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ (أي: السبيلَ) الَّتِي تَسْلُكُهَا [⟵ "سَبِيلِ اللَّهِ [...] سَبِيلِ اللَّهِ" (ص 26) "سَوَاءِ الصِّرَاطِ" (ص 22)]. أَنْصَحُكَ. عَيْنِي عَلَيْكَ. {9} لاَ تَكُونُوا كَفَرَسٍ أَوْ بَغْلٍ (أي: كالأنعام؛ كالبهائم) بِلاَ فَهْمٍ. بِلِجَامٍ وَزِمَامٍ زِينَتِهِ يُكَمُّ (أي: لاَ تَكُونُوا كالحيوانات التي لاَ تُطِيعُ إلّا إذا ضُبِطَتْ بِاللِّجَامِ وَقُيِّدَتْ بِالْحَبْلِ) لِئَلاَّ يَدْنُوَ إِلَيْكَ (أي: لِكَي لا تقترب

مِنكَ؛ أو: حاشا لكَ أن تكون معانِداً كالفرَس والبَغْلِ)» **[← فقال اللهُ لداود: "لَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" (ص 26)]**. {10} كَثِيرَةٌ هِيَ نَكَبَاتُ الشِّرِّيرِ **[← "لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ" (ص 26)]**، أَمَّا الْمُتَوَكِّلُ عَلَى الرَّبِّ (أي: الْوَاثِقُ بِالرَّبِّ) فَالرَّحْمَةُ (بالعبرية: ḥesed؛ أي: نِعْمَةِ الله وَمَحَبَّتِهِ؛ God's faithful care؛ God's unfailing love) تُحِيطُ بِهِ **[← "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ" (ص 25)]**. {11} افْرَحُوا بِالرَّبِّ وَابْتَهِجُوا يَا أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ، وَاهْتِفُوا يَا جَمِيعَ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ.

وهكذا انتهى هذا المزمور التعليمي (didactic) بتوضيح الطريقين المختلفين: طريق الأشرار غير التائبين "كَثِيرَةٌ هِيَ نَكَبَاتُ الشِّرِّيرِ" (المزامير 32:10أ)؛ وطريق الأبرار التائبين "أَمَّا الْمُتَوَكِّلُ عَلَى الرَّبِّ فَالرَّحْمَةُ تُحِيطُ بِهِ. افْرَحُوا بِالرَّبِّ وَابْتَهِجُوا يَا أَيُّهَا الصِّدِّيقُونَ، وَاهْتِفُوا يَا جَمِيعَ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ" (المزامير 32:10ب-11) **[← وكذلك انتهت القصة القرآنية بتوضيح نفس الطريقين المختلفين: طريق الأبرار التائبين وهو طريق النجاة (الخلاص) "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (أي: حُسْنَ المصير في الآخرة وهو الجنة)" (ص 25)؛ وطريق الأشرار غير التائبين وهو طريق الهلاك (الموت الأبدي) "لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ [في النار] بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ" (ص 26)]!**.

مما سبق يتضح أن داود تاب توبةً صادقةً حقيقية. واللهُ قَبِلَ توبتَه وغفر ذنبَه. فهل تابت بَثْشَبَعُ التي اشتركت مع داود في خطيئة الزنا؟ هذا السؤال المهم يقودنا إلى أسئلة أخرى مهمة. لماذا ذكر أصحابُ القرآنِ عددَ النعاج (النساء): "إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ" (ص 23)؟! قد يُقال: ليؤكدوا على غِنى الخصم القوي (داوود) وفقر الرجل الضعيف (أوريا). لكن لماذا 99 نعجة تحديداً؟! فهذه هي الآية الوحيدة في القرآن كله التي تذكر الرقمَ 99! نحن نعتقد أن أصحاب القرآنِ ذكروا عددَ النعاج واختاروا الرقمَ 99 تحديداً ليلمِّحوا إلى أن بَثْشَبَع (النعجة الواحدة) تابت وأن الله قد قَبِلَ توبتَها أيضاً. وقد اختار أصحابُ القرآنِ الرقمَ 99 تحديداً لأنهم تأثروا بما قاله يسوعُ المسيح ابن داود في الإنجيل: "أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ" (لوقا 15:7). اقرأ "مَثَل الخروف الضال" (The Parable of the Lost Sheep): "وَكَانَ جَمِيعُ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَدْنُونَ مِنْهُ (أي: من يسوع المسيح) لِيَسْمَعُوهُ. فَتَذَمَّرَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ: «هذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ!» فَكَلَّمَهُمْ بِهذَا الْمَثَلِ قِائِلًا: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خَرُوفٍ، وَأَضَاعَ وَاحِدًا مِنْهَا، أَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَيَذْهَبَ لأَجْلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَرِحًا، وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ وَيَدْعُو الأَصْدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائِلًا لَهُمْ: افْرَحُوا مَعِي، لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِي الضَّالَّ! أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ (يقصد: الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ الذين يحسبون أنفسهم أبراراً لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ)" (لوقا 15:1-7)؛ (متى 18:12-14)[7814]. **[← فكما رجع هذا الخروف الوحيد الضال إلى صاحبه، كذلك تابت النعجة الوحيدة الضالة (بَثْشَبَعُ) ورجعت إلى الله[7815]. ومما يدل على أن الله قد قَبِلَ توبةَ بثشبع كما قَبِلَ توبةَ داوود هو أن ابنهما سليمان شكر اللهَ لأنه "أنعم"**

عليهما: "وَقَالَ [سُلَيْمَانُ] رَبِّ أَوْزِعْنِي (أي: أَلْهِمْني؛ وفقني) أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ (أي: بَثْشَبَع وداوود) وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ" (النمل 19). والبصمة المسيحية على (النمل 19) أيضاً واضحة جداً، إذ أنها تؤكد أن الخلاص (النجاة) بالنعمة الإلهية (رحمة الله) وليس بالأعمال الصالحة، فلقد قال "أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ" (النمل 19) وليس بالعمل الصالح المذكور في نفس الآية. قال الشيخ الشعراوي تعليقاً على (النمل 19): "فكأن الفضل والرحمة من الله هُمَا اللذان يفرح بهما الإنسانُ؛ لأنهما اللذان سيدخلانه في عباد الله الصالحين؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: "لن يُدخِل أحداً منكم عملُهُ الجنة". قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة". وذلك قول الله تعالى: "قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ" (يونس 58)، فإياك أن تغتر أو تفرح بعملك ولكن افرح بفضل الله وارج رحمته"[7816]].

ويقول (Prof. Holger Zellentin) تعليقاً على القرآن (ص 17-26)[7817]:

As Gobillot has shown convincingly (2013), the passage once again reads the Torah along with the Gospel ([...]). More specifically, the Qurʾān reads 2 Samuel 12:1–4 (“the rich man had very many flocks and herds; but the poor man had nothing but one little ewe lamb”) along with Matthew 18:12–14 (“if a shepherd has a hundred sheep, and one of them has gone astray, does he not leave the ninety-nine on the mountains and go in search of the one that went astray?”). The number of sheep that appears in the Qurʾān and in the Gospel, ninety-nine plus one, along with the explicit discussion of David in 2 Samuel and in the Qurʾān, makes this a very forceful example to appreciate how suggestive such combined exegesis of the two texts must have been to an audience that was familiar, or was supposed to become familiar, with both scriptural stories, and with their compatibility—the intended audience of the Qurʾān.

والجدول التالي يوضح أوجه تشابه أخرى بين مَثَل الخروف الضال والقرآن (ص 21-26):

جدول 45 – من إنجيل المسيح ابن داود (متى 18:12-14) (لوقا 15:3-7) إلى قرآن قصة النبي داود (ص 21-26)!

الإنجيل: مَثَل الخروف الضال	**[→ القرآن]**
الآيات الوحيدة في الإنجيل التي تذكر الرقم 99 (لوقا 15:4، 7) (متى 18:12-13)	**[→ الآية الوحيدة في القرآن كله التي تذكر الرقم 99 (ص 23)]**
99 خروف vs. 1 خروف	**[→ "تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً" (ص 23) vs. "نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ" (ص 23)]**
الخروف يرمز إلى الإنسان	**[→ النعجة ترمز إلى المرأة]**
"وَضَلَّ [...] الضَّالَّ [...] تَضِلَّ" (متى 18:12-13) "الضَّالَّ [...] الضَّالَّ" (لوقا 15:4-6)	**[→ "فَيُضِلَّكَ [...] يَضِلُّونَ" (ص 26)]**
لا يوجد إنسان بار تماماً لا يحتاج إلى توبة	**[→ حتى داوود النبي أخطأ واحتاج إلى توبة]**
مَثَل (parable) وليس قصة حقيقية.	**[→ أيضاً مَثَل بدليل أن داوود لم يكن عنده 99 امرأة! لكنه يرمز إلى قصة حقيقية وهي قصة داود وبَثْشَبَع]**
المثل لا يركز على ذِكْر الخطيئة بالتفصيل، وإنما يركز على الاعتراف بالخطيئة والتوبة	**[→ المثل لا يركز على ذِكْر الخطيئة بالتفصيل[7818]، وإنما يركز على الاعتراف بالخطيئة والتوبة: "فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (أي: وتاب)" (ص 24)[7819]]**
المثل يؤكد على رحمة الله وسرعة استجابته لتوبة الإنسان	**[→ المثل يؤكد على رحمة الله وسرعة استجابته لتوبة الإنسان: "فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (أي: وتاب). فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ" (ص 24-25)]**
المثل يربط بين الأرض والسماء. الأرض: "الْبَرِّيَّةِ" (لوقا 15:4) "الْجِبَالِ" (متى 18:12). والسماء: "فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ" (لوقا 15:7) "فِي السَّمَاوَاتِ" (متى 18:14)	**[→ المثل يربط بين الدنيا والآخرة. الدنيا: "الْمِحْرَابَ" (ص 21) "آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" (ص 24). والآخرة: "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (أي: حُسْنَ المصير)" (ص 25) "يَوْمَ الْحِسَابِ" (ص 26)]**
المثل يحذر من الهلاك: "يَهْلِكَ" (متى 18:14)	**[→ المثل يحذر من الهلاك: "لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ" (ص 26)]**
"الْجِبَالِ" (متى 18:12)	**[→ "الْجِبَالَ" (ص 18)]**

اقرأ أيضاً قصةَ المرأة الزانية التي تابتْ وَوَقَفَتْ بَاكِيَةً عِنْدَ قَدَمَيْ المسيح، وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ (Jesus Anointed by a Sinful Woman)، فقال المسيحُ لها: «مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ» «إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ» وجعلها المسيحُ مثالاً لسمعان "البار" في التوبة والمحبة (لوقا 7:36-50).

وهكذا استطاع أصحابُ القرآن أن يستفيدوا من العهد القديم (2 صموئيل 11-12) (المزامير 51، 32) ومن العهد الجديد (لوقا 15:3-7) (متى 18:12-14) حتى يؤلِّفوا القرآنَ (ص 21-26). فكما نقول دائماً: لَوْلَا الكتاب المقدس وَلَوْلَا التراث اليهودي-المسيحي الشرقي بصفة عامة، لَمَا استطاع العربُ أن ينتجوا القرآنَ ولمَا ظهر دينٌ اسمه الإسلام. أو كما نقول دائماً أيضاً: القرآن كتاب عربي بشري من كتب التراث اليهودي-المسيحي الشرقي ثم صار النص المؤسس (le texte fondateur) لدين العرب الجديد (الإسلام).

ويجب هنا أن نقول إن أسلوب ضم قصة من التوراة إلى قصة (أو مَثَل) من الإنجيل – حتى تتم كتابة عِظة أو درس تعليمي – ليس أسلوباً اخترعه أصحابُ القرآن. وإنما هذا أسلوب معروف ومشهور في التراث المسيحي. يقول (Prof. Daniel Madigan) تعليقاً على القرآن (ص 17-26)[7820]:

The Uriah and Bathsheba ‘unpleasantness’ is so far in the background here as to be virtually irretrievable. This, of course, raises the question of whether the passage was intended to evoke the memory of the adulterous affair and the murder, or whether long before those aspects may already have become disconnected from the story of David’s repentance provoked by a ‘parable’ involving sheep. It is of the nature of liturgical readings that they are pericopes chosen from within a larger narrative for a particular purpose in preaching. On this subject, see Neuwirth 2006: 90–91. Interestingly this very story from 2 Samuel is used in the Roman Catholic lectionary in precisely this way. There is no recounting of the affair that called for repentance on David’s part, just the moment of repentance itself. This snippet of text (2 Samuel 12:7–10, 13) is paired with the gospel reading about the repentant woman who washes Jesus’ feet with her tears (Luke 7:36–8:3) since it announces the theme of repentance.

4.46.2 خطايا أخرى ارتكبها النبيُّ والمَلِكُ داود مسيح الرب

كما تنبَّأ النبيُّ ناثانُ حين قال للمَلِك داود: "لاَ يُفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى الأَبَدِ، لأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ لِتَكُونَ لَكَ امْرَأَةً. هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، [...]" (2 صموئيل 12:10-11)، عانى المَلِكُ داود بعد ذلك من اضطرابات داخلية وحرب أهلية نذكر أهم أحداثها باختصار ...

"كَانَ لأَبْشَالُومَ (Absalom) بْنِ دَاوُدَ أُخْتٌ [شقيقةٌ] جَمِيلَةٌ اسْمُهَا ثَامَارُ (Tamar)، فَأَحَبَّهَا أَمْنُونُ (Amnon) بْنُ دَاوُدَ [البكر والوريث الشرعي لمُلْك داود] (أي: أَحبَّ أَمْنُونُ ثَامَارَ أُخْتَهُ غير الشقيقة حباً شهوانياً)" (2 صموئيل 13:1)! "فَأَمْسَكَهَا [أَمْنُونُ] وَقَالَ لَهَا: «تَعَالَيِ اضْطَجِعِي مَعِي يَا أُخْتِي». فَقَالَتْ [ثَامَارُ] لَهُ: «لاَ يَا أَخِي" (2 صموئيل 13:11-12). "فَلَمْ يَشَأْ [أَمْنُونُ] أَنْ يَسْمَعَ لِصَوْتِهَا، بَلْ تَمَكَّنَ مِنْهَا وَقَهَرَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا (أي: اغتصبها)!. ثُمَّ أَبْغَضَهَا أَمْنُونُ بُغْضَةً شَدِيدَةً جِدًّا، حَتَّى إِنَّ الْبُغْضَةَ الَّتِي أَبْغَضَهَا إِيَّاهَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَحَبَّهَا إِيَّاهَا. وَقَالَ لَهَا أَمْنُونُ: «قُومِي انْطَلِقِي»" (2 صموئيل 13:14-15)، أي: طردها ذليلةً من أمامه! "وَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ دَاوُدُ بِجَمِيعِ هذِهِ الأُمُورِ اغْتَاظَ جِدًّا" (2 صموئيل 13:21). فقط "اغْتَاظَ جِدًّا"، ولم يُعاقِب الملكُ دَاوُدُ ابنَه أمنونَ على جريمته! إذن: حب المَلِك داود لابنه البكر أمنون جعله يتخلَّى عن مسئوليته كأب يحب ابنتَه التي أُغْتُصِبَتْ ويتقاعس عن أداء واجبه كمَلِكٍ يحكم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ!

[← "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً (God's vicegerent) (lieutenant, vicaire de Dieu) فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ" (ص 26)].

وبالفعل، عدم تحقيق العدل أدى إلى خطايا أخرى أكثر وأكبر ...

"لَمْ يُكَلِّمْ أَبْشَالُومُ [أخاه غير الشقيق] أَمْنُونَ بِشَرٍّ وَلاَ بِخَيْرٍ، لأَنَّ أَبْشَالُومَ أَبْغَضَ أَمْنُونَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ ثَامَارَ أُخْتَهُ (أي: شقيقةَ أَبْشَالُومَ)" (2 صموئيل 13:22). وبعد سنتين، أقام أَبْشَالُومُ وليمةً ودعا إليها جَمِيعَ بَنِي الْمَلِكِ ومن ضمنهم أَمْنُون. "فَأَوْصَى أَبْشَالُومُ غِلْمَانَهُ قَائِلًا: «انْظُرُوا. مَتَى طَابَ قَلْبُ أَمْنُونَ بِالْخَمْرِ وَقُلْتُ لَكُمُ اضْرِبُوا أَمْنُونَ فَاقْتُلُوهُ. لاَ تَخَافُوا. أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا أَمَرْتُكُمْ؟ فَتَشَدَّدُوا وَكُونُوا ذَوِي بَأْسٍ». فَفَعَلَ غِلْمَانُ أَبْشَالُومَ بِأَمْنُونَ كَمَا أَمَرَ أَبْشَالُومُ (أي: اغتالوا أَمْنُونَ)" (2 صموئيل 13:28-29). وهكذا أخذ أَبْشَالُومُ بالثأر وانتقم لأخته ثَامَار، وفي الوقت نفسه أزاح أخاه الأكبر أمنون من الطريق إلى العرش! ولمَّا علم داودُ أن أَبْشَالُوم اغتال أمنونَ، غضب جداً. "وَهَرَبَ أَبْشَالُومُ [من أورشليم] وَذَهَبَ إِلَى جَشُورَ (Geshur) (هي: مملكة آرامية صغيرة تقع شرق بحر الجليل)، وَكَانَ هُنَاكَ ثَلاَثَ سِنِينَ. وَكَانَ دَاوُدُ يَتُوقُ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى أَبْشَالُومَ، لأَنَّهُ تَعَزَّى عَنْ أَمْنُونَ حَيْثُ إِنَّهُ مَاتَ" (2 صموئيل 13:38-39)؛ أي: مرور الزمن جعل داودَ يتغلَّب على محنة اغتيال أمنون ويريد أن يعفو عن أَبْشَالُومَ ويذهب إليه ليعيده إلى بيته، لكنه لم يفعل ذلك بل لم يتخذ أيَّ إجراء لإرجاعه خوفاً من أن يتهمه الناس بالظلم وعدم تطبيق الشريعة على ابنه المجرم أَبْشَالُوم.

أدرك يُوآبُ (Joab) - ابْنُ أخت داود ورئيسُ جيشه - هذا الصراع الذي يدور في نفس داود بين الحُبِّ الأبويِّ والواجب الملكيّ، فلجأ إلى حيلةٍ ذكية ليصلح بين داود وأبْشَالُوم. أحضر يُوآبُ امْرَأَةً حَكِيمَةً ولقّنها قصةً تخيلية تقولها للملك داود لكي تستخدمها مثلًا ينطبق على داود وابنيه أمنون وأبشالوم. "فَقَالَتْ: «إِنِّي امْرَأَةٌ أَرْمَلَةٌ. قَدْ مَاتَ رَجُلِي. وَلِجَارِيَتِكَ ابْنَانِ، فَتَخَاصَمَا [← "خَصْمَانِ" (ص 22)] فِي الْحَقْلِ وَلَيْسَ مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا، فَضَرَبَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ وَقَتَلَهُ. وَهُوَذَا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا قَدْ قَامَتْ عَلَى جَارِيَتِكَ وَقَالُوا: سَلِّمِي ضَارِبَ أَخِيهِ لِنَقْتُلَهُ بِنَفْسِ أَخِيهِ الَّذِي قَتَلَهُ، فَنُهْلِكَ الْوَارِثَ أَيْضًا. فَيُطْفِئُونَ جَمْرَتِي الَّتِي بَقِيَتْ، وَلاَ يَتْرُكُونَ لِرَجُلِي اسْمًا وَلاَ بَقِيَّةً عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ»" (2 صموئيل 14:5-7). أدرك المَلِكُ داود أن المرأة تطلب العفو عن ابنها الحي وأنها في الحقيقة تقصد العفو عن ابنه الحي، أي: أبشالوم. "فَقَالَ الْمَلِكُ لِيُوآبَ: «هأَنَذَا قَدْ فَعَلْتُ هذَا الأَمْرَ، فَاذْهَبْ رُدَّ الْفَتَى أَبْشَالُومَ»" (2 صموئيل 14:21). وبالفعل عاد أَبْشَالُومُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، لكن "قَالَ الْمَلِكُ: «لِيَنْصَرِفْ إِلَى بَيْتِهِ وَلاَ يَرَ وَجْهِي». فَانْصَرَفَ أَبْشَالُومُ إِلَى بَيْتِهِ وَلَمْ يَرَ وَجْهَ الْمَلِكِ" (2 صموئيل 14:24). "وَأَقَامَ أَبْشَالُومُ فِي أُورُشَلِيمَ سَنَتَيْنِ وَلَمْ يَرَ وَجْهَ الْمَلِكِ" (2 صموئيل 14:28). حاول أبشالومُ أن يستدعي يوآبَ ليطلب منه أن يشفع له عند المَلِك حتى يعود إلى القصر الملكي. "فَلَمْ يَشَأْ [يُوآبُ] أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ. ثُمَّ أَرْسَلَ [أَبْشَالُومُ إِلَى يُوآبَ] أَيْضًا ثَانِيَةً، فَلَمْ يَشَأْ [يُوآبُ] أَنْ يَأْتِيَ" (2 صموئيل 14:29). فلجأ أبشالومُ إلى العنف فأمر عبيدَه بحرق محصول الشعير في حقل يوآب (ابن عمته!) حتى يضغط عليه! ونجحت الخطة، "فَجَاءَ يُوآبُ إِلَى الْمَلِكِ وَأَخْبَرَهُ. وَدَعَا أَبْشَالُومَ، فَأَتَى إِلَى الْمَلِكِ وَسَجَدَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ قُدَّامَ الْمَلِكِ، فَقَبَّلَ الْمَلِكُ أَبْشَالُومَ" (2 صموئيل 14:33)؛ أي: عفا عنه. لكن يُفْهَم من النص أن أبشالوم لم يتب، بل صار أكثر عدوانية، وأن المصالحة كانت شكلية بدليل أن داود وأبشالوم لم يتحاورا حين التقيا بعد خمس سنوات من الفراق! فليس من المبالغة أن نقول إن داود وأبشالوم أصبحا غريبين؛ ولعلها كانت مجرد خطة نفّذها أبشالومُ بدهاءٍ ومكر ليعود إلى القصر الملكي ويحقق طموحاته الشريرة ...

مؤامرة أبشالوم ضد أبيه المَلِك داود (2 صموئيل 15:1-12): "وعندما عاد أبشالومُ إلى بيت أبيه، لم يضع أي فرصة لاستعادة مركزه المفقود، وليخلف أباه في المُلْك، فجرفه التيار حتى نسي مركزه كابن، وتصرف بدهاء وبخاصة مع كل صاحب دعوى صادقة أو كاذبة، وكان هدفه واضحاً، وهو استمالة قلوب أكبر عدد من الشعب، بعيداً عن أبيه، فلا يعود له القدرة على اختيار خليفته، لأنه كان من المؤكد أن يؤيد رجالُ البلاط – بتأثير بَثْشَبَعَ – استخلاف سليمان على العرش. وبذلك التملق وتلك المداهنة "اسْتَرَقَّ أَبْشَالُومُ قُلُوبَ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ" (2 صموئيل 15:6). ولا ندري بالتحديد كم من الزمن مضى بين عودته من جَشُور وتمرده على أبيه. بعض الدارسين يرى أن الأصح أن نقرأ (2 صموئيل 15:7) على أنها أربع سنوات كما جاءت في [بعض] النسخ السريانية والسبعينية وليست أربعين سنة. وسواء أكانت أربع أو أربعين، فقد سمح له الملكُ بزيارة حبرون العاصمة القديمة، مدعياً أنه ذاهب ليوفي نذراً قطعه على نفسه عندما كان في جشور إن عاد إلى أورشليم سالماً، فانطلق [أبشالومُ من] أورشليم ومعه مئتا رجل. وقبل العيد أرسل جواسيس إلى جميع أسباط إسرائيل لإثارة السخط، واجتمع الشعب تحت لواء أبشالوم في حبرون. وقد استجابت أعداد كبيرة

للنداء، وكان من بينهم أَخِيتُوفَل (Ahithophel) أحد مشيري داود وأكثرهم دهاء"[7821]. "وَكَانَتْ مَشُورَةُ أَخِيتُوفَلَ الَّتِي كَانَ يُشِيرُ بِهَا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ كَمَنْ يَسْأَلُ بِكَلاَمِ اللهِ. هكَذَا كُلُّ مَشُورَةِ أَخِيتُوفَلَ عَلَى دَاوُدَ وَعَلَى أَبْشَالُومَ جَمِيعًا (أي: كان داود ثم أبشالوم يقدِّران حُنْكَةَ أَخِيتُوفَل ويعتبران ما يقوله كأنه من الله!)" (2 صموئيل 23:16). وقيل بناء على (2 صموئيل 3:11، 34:23) إن أَخِيتُوفَل جد بَثْشَبَعَ؛ أو بعبارة أكثر دقة: قيل إن أَلِيعَامَ أبا بَثْشَبَعَ (2 صموئيل 3:11) هُو هُو نفسه أَلِيعَامُ بْنُ أَخِيتُوفَلَ (2 صموئيل 34:23)، مما يعني أن أَخِيتُوفَل جد بَثْشَبَعَ، فربما خان أَخِيتُوفَلُ داودَ وانضم إلى هذا الانقلاب الذي دبَّره أبشالومُ لينتقم من داود. لكن لا يُعْقَل أن يؤيد أَخِيتُوفَلُ انقلاباً يُمكِّن أبشالوم من السلطة ويحرم سليمانَ ابن حفيدته بَثْشَبَعَ منها! ولذلك يوجد رأي آخر أكثر احتمالاً يقول إن أَلِيعَامَ أبا بَثْشَبَعَ (2 صموئيل 3:11) ليس هُو نفسه أَلِيعَامُ بْنُ أَخِيتُوفَلَ (2 صموئيل 34:23)، وإن أَخِيتُوفَل لم يكن جد بَثْشَبَعَ، وإن "الدافع لأخيتوفل على الثورة كان طموحاً شخصياً للسلطة، كما يحتمل أيضاً أن يكون قد شارك الرأي العام في أنه لم يكن من العدل تنحية الابن الأكبر [أبشالوم] عن العرش ليتولاه الابن الأصغر"[7822].

"وَكَانَتِ الْفِتْنَةُ شَدِيدَةً وَكَانَ الشَّعْبُ لاَ يَزَالُ يَتَزَايَدُ مَعَ أَبْشَالُومَ" (2 صموئيل 12:15). ويُفْهَم من النص أن المَلِك داود كان يشعر بالقلق الشديد لأنه كان يعرف إجرام ابنه أَبْشَالُوم ومكر مشيره أَخِيتُوفَل: "فَأَتَى مُخَبِّرٌ إِلَى دَاوُدَ قَائِلًا: «إِنَّ قُلُوبَ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ صَارَتْ وَرَاءَ أَبْشَالُومَ». فَقَالَ دَاوُدُ لِجَمِيعِ عَبِيدِهِ الَّذِينَ مَعَهُ فِي أُورُشَلِيمَ: «قُومُوا بِنَا نَهْرُبُ، لأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا نَجَاةٌ مِنْ وَجْهِ أَبْشَالُومَ. أَسْرِعُوا لِلذَّهَابِ لِئَلاَّ يُبَادِرَ وَيُدْرِكَنَا وَيُنْزِلَ بِنَا الشَّرَّ وَيَضْرِبَ الْمَدِينَةَ بِحَدِّ السَّيْفِ». فَقَالَ عَبِيدُ الْمَلِكِ لِلْمَلِكِ: «حَسَبَ كُلِّ مَا يَخْتَارُهُ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ نَحْنُ عَبِيدُهُ». فَخَرَجَ الْمَلِكُ وَجَمِيعُ بَيْتِهِ وَرَاءَهُ. وَتَرَكَ الْمَلِكُ عَشَرَ نِسَاءٍ سَرَارِيَّ لِحِفْظِ الْبَيْتِ" (2 صموئيل 13:15-16) "وَكَانَتْ جَمِيعُ الأَرْضِ تَبْكِي بِصَوْتٍ عَظِيمٍ" (2 صموئيل 23:15) "كَانَ [دَاوُدُ] يَصْعَدُ بَاكِيًا وَرَأْسُهُ مُغَطًّى وَيَمْشِي حَافِيًا، وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِينَ مَعَهُ غَطَّوْا كُلُّ وَاحِدٍ رَأْسَهُ، وَكَانُوا يَصْعَدُونَ وَهُمْ يَبْكُونَ. وَأُخْبِرَ دَاوُدُ وَقِيلَ لَهُ: «إِنَّ أَخِيتُوفَلَ بَيْنَ الْفَاتِنِينَ مَعَ أَبْشَالُومَ» فَقَالَ دَاوُدُ: «حَمِّقْ يَا رَبُّ مَشُورَةَ أَخِيتُوفَلَ (أي: اجعل مَشُورَةَ أَخِيتُوفَلَ تبدو حمقاء في عَيْنَيْ أَبْشَالُومَ حتى لا ينفِّذها)»" (2 صموئيل 30:15-31). فكان أول عمل قام به أبشالوم بعد أن دخل أورشليم هو الاستيلاء على قصر أبيه وإقامة علاقات جنسية مع حريم أبيه "أَمَامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ"! "فَنَصَبُوا لأَبْشَالُومَ الْخَيْمَةَ عَلَى السَّطْحِ، وَدَخَلَ أَبْشَالُومُ إِلَى سَرَارِيِّ أَبِيهِ أَمَامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ" (2 صموئيل 22:16)! وبهذا التصرُّف الشائن، صارت أية مصالحة بين أبشالوم وداود مستحيلة.

هروب داود من أبشالوم: "فهرب داودُ وجميعُ المخلصين له من بنيه ومن شعبه، من أورشليم. ولكنه أرسل صَادُوقَ (Zadok) وأَبِيَاثَارَ (Abiathar) الكاهنين إلى أورشليم ثانية مع تابوت العهد، وأرسل أيضاً حُوشَايَ [الأَرْكِيَّ] (Hushai the Archite) أحد مشيريه لكي يعمل هؤلاء [كجواسيس وعملاء لداود] على إبطال مشورة أَخِيتُوفَل (2 صموئيل 13:15-37). فعندما أشار أَخِيتُوفَلُ بأن يهاجم أبشالومُ داودَ مباشرة، أشار حُوشَايُ بتأخير الهجوم ["فَقَالَ أَبْشَالُومُ وَكُلُّ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ: «إِنَّ مَشُورَةَ حُوشَايَ الأَرْكِيِّ أَحْسَنُ مِنْ

مَشُورَةِ أَخِيتُوفَلَ»" (2 صموئيل 17 :14)]. ثم تشاور [حُوشَايُ] مع صَادُوقَ وأَبِيَاثَارَ وأرسلوا إلى داود لكي لا يبيت تلك الليلة في سهول البرية. وبذلك أتاحت [مَشُورَةُ حُوشَايَ] فرصة كافية لداود ليعبر [نهرَ] الأردن ويهرب إلى محنايم (Mahanaim) في جلعاد [شرق نهر الأردن] (2 صموئيل 16 – 17 :24)"[7823].

انتحار الخائن أَخِيتُوفَل: "وَأَمَّا أَخِيتُوفَلُ فَلَمَّا رَأَى أَنَّ مَشُورَتَهُ لَمْ يُعْمَلْ بِهَا، شَدَّ عَلَى الْحِمَارِ وَقَامَ وَانْطَلَقَ إِلَى بَيْتِهِ إِلَى مَدِينَتِهِ، وَأَوْصَى لِبَيْتِهِ، وَخَنَقَ نَفْسَهُ وَمَاتَ وَدُفِنَ فِي قَبْرِ أَبِيهِ" (2 صموئيل 17 :23)! قيل إنه انتحر لأنه شعر بإهانة كرامته بعد عدم تنفيذ مَشُورَتِهُ. وقيل إنه انتحر لأنه أيقن أن تأخير هجوم جيش أبشالوم على جيش داود سيؤدي حتماً إلى فشل انقلاب أبشالوم على داود. وهذا ما حدث فعلاً ...

هزيمة أبشالوم ومقتله المهين: في غابةٍ لا يُعْلَم موقعها بالضبط (قيل: شرق نهر الأردن؛ وقيل: غرب نهر الأردن)، وقعت معركة حاسمة بين جيش المَلِك داود وجيش ابنه المتمرد أبشالوم. انتهت المعركة بهزيمة جيش أبشالوم هزيمة نكراء، إذ "قُتِلَ ما يقرب من عشرين ألف جندي من جيش أبشالوم، وقد هلك بين أشجار الغابة الكثيفة عدد يزيد على هذا العدد ومن ضمن هؤلاء أبشالوم نفسه وقد كان راكباً على بغلٍ فدخل البغل تحت أغصان شجرة بُطْم (أي: شجرة ضخمة متشابكة الأغصان) فَتَعَلَّقَ رَأْسُهُ (أي: شعره الطويل) بغُصْنٍ يرجح أنه كان منخفضاً متشعباً، فَعُلِّقَ [أَبْشَالُومُ] بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَمَرَّ الْبَغْلُ الَّذِي كان تَحْتَهُ (2 صموئيل 18 :6-9) فوجده جُنْدِيٌّ وأخبر يوآبَ فأخذ يوآبُ ثلاثة سهام وصوَّبها إلى قلب أبشالوم [ابن خاله!] وهو لا يزال بعد حياً غير عابئ بوصية داود أن يحترزوا من أن يمسوا أبشالوم بسوء. وللتحقق من موته أحاط به عشرةُ من فتيان يوآب وضربوه وقتلوه (2 صموئيل 18 :10-15) ودفنوه في حفرةٍ عظيمة بالقرب من المكان الذي قُتِلَ فيه وَأَقَامُوا عَلَيْهِ رُجْمَةً عَظِيمَةً مِنَ الْحِجَارَةِ وفقاً لعادة اليهود في تحقير الثوار والمجرمين والتشهير بهم في دفنهم (2 صموئيل 18 :17)"[7824]! ولقد جعل التراثُ اليهودي مصرعَ أَبْشَالُوم - بهذه الطريقة المخزية وهو لا يزال شاباً - عبرةً لكل ابن عاق يكسر الوصية الخامسة التي توصي بإكرام الوالدين: "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ" (الخروج 20 :12)[7825].

وعلى الرغم من كل الجرائم الشنيعة التي ارتكبها الابن العاق أبشالوم تجاه أبيه المَلِك داود، إلا أن داود لم يستطع أن يسيطر على مشاعره كأب فقد ابنَه الشاب، فبكى على أبشالوم بكاءًا شديداً حين سمع خبر مقتله. "وَكَانَ [دَاوُدُ] يَبْكِي وَيَقُولُ وَهُوَ يَتَمَشَّى: «يَا ابْنِي أَبْشَالُومُ، يَا ابْنِي، يَا ابْنِي أَبْشَالُومُ! يَا لَيْتَنِي مُتُّ عِوَضًا عَنْكَ! يَا أَبْشَالُومُ ابْنِي، يَا ابْنِي»" (2 صموئيل 18 :33).

وهكذا فشل انقلابُ المجرم أبشالوم على أبيه المَلِك داود. ورجع المَلِكُ داود معززاً مكرَّماً إلى بيته في أورشليم عاصمة مُلْكِه.

4.46.2.1 "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ" (المائدة 78)

يظهر من عنوان المزمور الثالث أنه "مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ حِينَمَا هَرَبَ مِنْ وَجْهِ أَبْشَالُومَ ابْنِهِ"؛ أي: كُتِبَ أثناء عصيان أبشالوم على أبيه داود. كما قيل إن داود كَتَبَ المزمورَ 109 أثناء تآمر ابنه أبشالوم وخيانة مشيره أَخِيتُوفَل. وهو يُعْتبَر مزمور لعن (Imprecatory Psalm)، أي: يتمنى الشرَّ أو الأذى أو الأسوأ كالهلاك أو الموت أو الزوال لشخصٍ ما ويعبِّر سراً أو علناً عن تلك الرغبة بكلماتٍ لاذعة وأحياناً تحقيرية. وقد يستخدم اللاعنُ كلمةَ "لعن" صراحةً، كما قال داودُ للمَلِك شاول مثلاً: "فَإِنْ كَانَ الرَّبُّ قَدْ أَهَاجَكَ ضِدِّي [بسبب خطيئةٍ ارتكبتُها] فَلْيَشْتَمَّ تَقْدِمَةً (أي: فأنا مستعدٌّ لتقديم ذبيحة كفَّارة). وَإِنْ كَانَ بَنُو النَّاسِ [هُمْ الذين وشوا بي لديكَ] فَلْيَكُونُوا مَلْعُونِينَ أَمَامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُمْ قَدْ طَرَدُونِي الْيَوْمَ مِنَ الانْضِمَامِ إِلَى نَصِيبِ الرَّبِّ (أي: طَرَدُونِي من أرض إسرائيل) قَائِلِينَ: اذْهَبِ اعْبُدْ آلِهَةً أُخْرَى (أي: اذْهَبِ إلى شعبٍ من الشعوب الوثنية التي حولنا حيث لن أستطيع أن أعبد الرَّبّ)" (1 صموئيل 19:26). لكن استخدام كلمة "لعن" صراحةً ليس شرطاً ضرورياً فيكفي مثلاً أن يقول "يُجَازِي الرَّبُّ فَاعِلَ الشَّرِّ كَشَرِّهِ" (2 صموئيل 39:3) أو "يَا رَبُّ انْتَقِمْ مِنْ أَعْدَائِي"[7826]؛ وقد يكون الملعونُ شيئاً جامداً، مثل: "يَا جِبَالَ جِلْبُوعَ لاَ يَكُنْ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ عَلَيْكُنَّ" (2 صموئيل 21:1). يقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "توجد في المزامير بعض التعابير الخاصة تشكل صعوبة لاهوتية وعقبة للمصلي في تردادها. نقول أولاً بأنه لا توجد حلول سهلة وأجوبة جاهزة لتلك التعابير، لكن التوقف عندها ضروري ومفيد. من هذه المزامير مثلاً ["يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ (أو: الْمُحَتَّم خَرَابُهَا)، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!"] (المزامير 137:8-9) حين يُطوَّب مَن يخرّب بَابِلَ وَيَضْرِب أَطْفَالَها على الصَّخْرَةِ. لكن من الضروري التنويه بأن المزامير هي كلام الإنسان عن الله والعالم، وليست هي كلام الله عن نفسه. هي جواب الإنسان لوحي الله، وليست وحي الله عن ذاته. لذلك كلمات تلك المزامير عفوية وطبيعية، وليست دائماً مقبولة العبارة مع كونها صادقة وتعكس صدق علاقة صاحب المزمور بإلهه"[7827].

وعلى الرغم من عدم وجود اتفاق على تصنيف مزمور معيَّن بأنه مزمور لعن ولا على سبب (أو مناسبة) كتابة المزمور 109، إلا أن هذا المزمور يحتوي بالفعل على لعنات قاسية جداً وكثيرة جداً وجَّهها داودُ إلى خصمه (أو خصومه) [← **"لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ [...] ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)**].

يقول تفسير الكتاب المقدس لجون ماك آرثر عن المزمور 109: "هذا المزمور الداوديُّ الحافل باللعن لا يمكن ربطُه حصرًا، من حيث تفاصيله العامَّة بأيِّ حادث أو شخص في حياة الملك كما هي مُوثَّقة في (1 و 2 صموئيل) و (1 ملوك) و (1 أخبار الأيام). ويردُّ داود هنا على أولئك الذين شنُّوا عليه هجومًا كلاميًّا خبيثًا زاخرًا بالاتِّهامات الباطلة (المزامير 109:2، 3، 20). ويُعْتبَر هذا المزمور مسيحانيًّا [Messianic] بطبيعته، إذ في (أعمال الرسل 20:1) يُقْتبَس (المزامير 109:8) بالإشارة إلى عقاب يهوذا [الإِسْخَرْيُوطِيّ]

على خيانته للمسيح (راجع المزامير 9:41؛ 25:69). ويتبادل داودُ الأدوار مع أعدائه بالانتقال من كونه المتَّهَم في محكمة البشر إلى كونه المتَّهِم / المُدَّعي أمام محكمة الله"[7828].

ملحوظة: المزامير المسيحانيَّة (المسيانيَّة) (Messianic) – التي تُسمَّى في التراث اليهودي "المزامير الملكيَّة" أو "المزامير الملوكيَّة" (royal psalms) – هي تلك التي تخصّ المسيَّا (المَلِك الممسوح (المختار) من الله) (the anointed one (Messiah) of God, the earthly king of Israel)، أي: قُدِّمتْ بواسطة المَلِك أو بالنيابة عنه أو ارتبطت به، سواء مُعنونة "لِدَاوُدَ" (of David) أو لا[7829]. "ومن المرجّح أن تعود تلك المزامير بالأصل إلى أفراد من ملوك إسرائيل، لكن دون نفي تأثّرها بمزامير حضارات الشرق القديم وملوكهم"[7830]. ومع ظهور المسيحية وانتشارها، قال الإنجيلُ (أو: التراثُ المسيحي قبل الإسلام) إن تلك المزامير المسيحانيَّة (أو: الأجزاء المسيحانيَّة من مزامير معيَّنة) كانت نبوءات عن يسوع الناصري ابن داود باعتباره المسيح (المسيَّا) "مَلِك الْيَهُود" (متى 2:2، 11:27) (مرقس 2:15) (لوقا 3:23) (يوحنا 33:18) في إسرائيل في القرن الأول الميلادي. إذن: المَلِك الذي يركّز عليه المزمورُ المسيحانيّ (المسيانيّ) أو آيات معينة منه، سواء ذُكِرَ هذا المَلِك صراحةً بالاسم أو لا، رمز (prefiguration; typology) ليسوع المسيح ابن داود الذي حقق العهد الداودي بشكلٍ مثالي (God's ideal representative on earth) (the ideal future Davidic king). ويُعْتبَر المزمور الثاني من أشهر المزامير الملكيَّة (المسيحانيّة) التي تؤكد على فكرة أن المَلِك ابن الله بالتبني، وهي فكرة مذكورة في العهد الداودي: "إِنِّي [المَلِكُ] أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكًا لَكَ" (المزامير 2:7-8). اقرأ أيضاً: "هُوَ (أي: المَلِكُ) يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي. أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا (first-born)[7831]، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ. إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظُ لَهُ رَحْمَتِي. وَعَهْدِي يُثَبَّتُ لَهُ. وَأَجْعَلُ إِلَى الأَبَدِ نَسْلَهُ، وَكُرْسِيَّهُ مِثْلَ أَيَّامِ السَّمَاوَاتِ" (المزامير 89:26-29). يقول الكتاب المقدس الدراسي: "عندما تتحدث المزامير عن المَلِك الجالس على عرش داود، فهي تقصد المَلِك المتوّج (is being crowned) (كما هو الحال في المزامير 2؛ 72؛ 110، رغم أن البعض يعتقد أن المزمور 110 يعد استثناء) أو المَلِك الذي يحكم (is reigning) (كما هو الحال في مزمور 45) آنذاك. إنها تعلن عن مكانته باعتباره الممسوح من الرب وتعلن ما سيحققه الرب بواسطته وبواسطة نسله. ومن ثم فهي تتحدث عن أبناء داود في المستقبل. وفي السبي [البابلي] (the exile) (أي: 586-538 ق م) وما بعد السبي (the postexilic era) (أي: بعد 538 ق م)، حيث لم يكن هناك مَلِك، تتحدث المزامير لبني إسرائيل فقط عن الابن العظيم الذي سيأتي من نسل داود (the great Son of David)، وهو مَن تنبَّأ عنه الأنبياء بوصفه الشخص الذي سيتحقق فيه عهد الله مع داود. لهذا، يقتبس العهد الجديد من هذه المزامير باعتبارها شهادات عن المسيح، وهي شهادات بالفعل متفردة بطريقتها، فهي تتحقق في المسيح بالفعل"[7832].

والمزمور 109 الذي ندرسه الآن ويُصنَّف على أنه مزمور لعن يُصنَّف أيضاً على أنه مزمور مسيحانيّ (مسيانيّ) "لِدَاوُدَ". وتقول عنه الموسوعةُ الكنسية لتفسير العهد القديم التي أصدرتها كنيسة مارمرقص بمصر الجديدة في القاهرة[7833]:

1 – كاتبه: داود النبي كما يذكر عنوان المزمور.
2 – متى كُتِبَ؟ بعد تملك داود على كل أسباط بنى إسرائيل، واتخاذه أخيتوفل مشيرًا، وصديقًا له.
3 – يعبر هذا المزمور عن آلام داود من خيانة المقربين له، ويطلب النجاة من الله ليخلصه من أيديهم. فهو صرخة متألم وفى نفس الوقت بعين النبوة رأى عقاب الله لهم. فهذا طمأنه، وثبت إيمانه بالله العادل، الذي يحفظه ويحميه.
4 – يناسب هذا المزمور كل من يتعرض لإساءات، أو خيانة من المقربين له، فيعطيه رجاء في الله القادر أن يحميه، ويعوضه عما خسره.
5 – هذا المزمور مسياني [Messianic] لأنه يتنبأ عن المسيح الذي تعرض لآلام كثيرة لأجل خلاصنا، ويتحدث بوضوح عن خيانة يهوذا الإسخريوطي له، والعقاب الذي سيحل به.
6 – في عنوان هذا المزمور في الترجمة السبعينية يقول إلى التمام [أو: إلى الْمُنْتَهَى]، ويقصد إتمام الأشرار لشرهم، وإتمام المسيح للخلاص بموته على الصليب، كما أتم داود الذي هو رمز للمسيح احتمال الأشرار، وخيانتهم، وإنقاذ الله له.
7 – اقتبس سفر أعمال الرسل من هذا المزمور، ويؤكد أن كاتبه هو داود وتحقق هذا المزمور في خيانة يهوذا الاسخريوطي (أعمال الرسل 1:15-20).

ولقد ذكرنا فيما سبق هذا الاقتباس من "وَوَظِيفَتُهُ لِيَأْخُذْهَا آخَرُ" (المزامير 109:8) إلى "وَلْيَأْخُذْ وَظِيفَتَهُ آخَرُ" (أعمال الرسل 1:20). ونكرره هنا حتى تكون الفكرة كاملةً. فلقد قال بطرس الرسول: "«أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ الَّذِي سَبَقَ الرُّوحُ الْقُدُسُ فَقَالَهُ بِفَمِ دَاوُدَ **[← "عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78)]**، عَنْ يَهُوذَا [الإِسْخَرْيُوطِيِّ] الَّذِي صَارَ دَلِيلًا لِلَّذِينَ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ، [...] لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ الْمَزَامِيرِ: لِتَصِرْ دَارُهُ خَرَابًا وَلاَ يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ. وَلْيَأْخُذْ وَظِيفَتَهُ آخَرُ" (أعمال الرسل 1:16-20).

وإذا كان بطرس الرسول قد ربط بين المزمور 109 وخيانة يَهُوذَا لسيده المسيح، فإن التراث المسيحي قبل الإسلام قد ربط بين المزمور 109 وكراهية اليهود، خاصةً قياداتهم الدينية، لمَلِكهم المسيح. بعبارة أخرى: تحوَّل المزمور 109 من معاداة يهوذا (anti-Judas) إلى معاداة يهوذا ومعاداة اليهود (anti-Jews)! وطبعاً ربط التراث المسيحي بين يهوذا واليهود والشيطان إبليس. وفي الوقت نفسه، حرص المفكرون المسيحيون على أن يخففوا من وطأة اللعنات الفظيعة الموجودة في المزمور 109، فزعموا أنها ليست دعاءً

ضد أناس بعينهم، وإنما هي نبوة ضد يهوذا الخائن وضد اليهود! بل قيل إنها لصالح اليهود لأنها تعطيهم فرصةً ليعترفوا بخطاياهم ويتوبوا ويؤمنوا بيسوع المسيح (المسيَّا) ابن الله!

- "يقول القديس يوحنا الذهبي الفم [(Saint John Chrysostom) (ت. حوالي 407م)] إن هذا المزمور يُربِك الكثيرين متى أُخِذ حسب معناه الظاهر، فهو بكامله مزمور للعنة، يكشف عن غضب المتكلم، فقد التهب قلبه بالمرارة من جهة مضايقه. لا يقف عند طلب حلول العقوبة عليه، بل يطلب أن يأخذ وظيفته آخر، وألا تحل عليه رحمة الله. يطلب له الموت في سنٍ مُبَكِّر، ويكيل لعائلته النكبات. يصعب على الإنسان أن يرى في قلب داود بن يسى كراهية كهذه ضد أعدائه، مهما كانت عداوتهم له، لكن المزمور في حقيقته وصفًا ونبوة عن ما يحل بيهوذا [الإسْخَرْيُوطِيّ الخائن] الذي سلَّم سيده [المسيح] بخيانة مُرَّة. هذا ما أكده بطرس الرسول في حديثه (أعمال الرسل 20:1)"([7834]).
- وقال القديس جيروم (Saint Jerome) (ت. 420م) تعليقاً على "يَا إِلهَ تَسْبِيحِي لاَ تَسْكُتْ" (المزامير 1:109): "يقول المسيح: "يهوذا خانني، واليهود اضطهدوني وصلبوني، وظنوا أنهم يخلصون مني إلى النهاية". أما أنتَ يا الله فلا تسكت في تسبيحي"؛ وقال تعليقاً على "لأَنَّهُ قَدِ انْفَتَحَ عَلَيَّ فَمُ الشِّرِّيرِ وَفَمُ الْغِشِّ. تَكَلَّمُوا مَعِي بِلِسَانِ كِذْبٍ" (المزامير 2:109): "هذه هي قصة يهوذا [الإسْخَرْيُوطِيّ الخائن]، على وجه الخصوص، وبصفة عامة قصة اليهود. في الوقت الذي صرخوا فيه: «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!» (يوحنا 6:19) كانت شفاههم شفاه خاطئة تسيء إلى ربها"؛ وقال تعليقاً على "لِيَلْبِسْ خُصَمَائِي خَجَلًا، وَلْيَتَعَطَّفُوا بِخِزْيِهِمْ كَالرِّدَاءِ" (المزامير 29:109): "لم يقل هذا ضد اليهود، وإنما لصالحهم. أتريدون برهانًا على ذلك؟ بطرس كان واحدًا منهم، وبولس كان واحدًا منهم، وكل الرسل كانوا منهم"([7835]). يقصد: كانوا من اليهود ثم صاروا مؤمنين بيسوع المسيح ابن الله.
- وقال القديس أغسطينوس (Saint Augustine of Hippo) (ت. 430م) تعليقاً على "وَصَلاَتُهُ فَلْتَكُنْ خَطِيَّةً" (المزامير 7:109): "ماذا ينفعكم إن طلبتم من الله الآب الذي في السماوات موتَ أعدائكم؟ ألم تسمعوا وتقرأوا في المزمور ما تُنبئ به عن نهاية يهوذا الخائن المؤلمة إذ يقول: "وَصَلاَتُهُ فَلْتَكُنْ خَطِيَّةً" (المزامير 7:109)، فإن طلبتم الإثمَ لأعدائكم تكون صلاتكم خطية"؛ وقال تعليقاً على "وَلَمْ يُسَرَّ بِالْبَرَكَةِ فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ" (المزامير 17:109): "هكذا بالحقيقة كان يهوذا، إذ لم يحب المسيحَ، الذي فيه البركة الأبدية. ويقر الشعب اليهودي بالأكثر رفضهم للبركة، الذين قيل لهم بذلك الذي استنار بالرب: "أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصِيرُوا لَهُ تَلاَمِيذَ؟" (يوحنا 27:9)"([7836]).
- وقال القديس برصنوفيوس (Saint Barsanuphius) (ت. حوالي 550م) تعليقاً على "وَأَحَبَّ اللَّعْنَةَ فَأَتَتْهُ، وَلَمْ يُسَرَّ بِالْبَرَكَةِ فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ" (المزامير 17:109): ""لَمْ يُسَرَّ بِالْبَرَكَةِ فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ" (المزامير 17:109). إذن، لا تظنوا أنّ الله هو منشأ الشرور، لأنّ هذا سيكون لدينونتكم. ولكنّ الشيطان هو الذي اختار بنفسه المقدرة الشريرة، واللهُ لم يعرقله. ولهذا أيضًا قيل: "وَأَحَبَّ اللَّعْنَةَ فَأَتَتْهُ" (المزامير 17:109)، وليس أنّ الله هو الذي أعطاها له"([7837]).

وقال القمص أنطونيوس فكري عن المزمور 109: "ربما كَتب داودُ هذا المزمور وهو متألم من خيانة شاول أو أحد رجال شاول (دُوَاغُ [الأَدُومِيُّ]) أو بسبب خيانة أخيتوفل، هذا غير واضح، إنما الواضح أنه بروح النبوة كتبه وعينه على خيانة يهوذا والأمة اليهودية كلها للمسيح، ونبوته عن الخراب الذي سيلحقهم بعد هذه الخيانة. ونفهم أن المزمور عن المسيح، فهكذا طبق بطرس آية (8) من المزمور في (أعمال الرسل 20:1). وكل المصير الصعب الذي قيل عن الخائن كان نبوة ضد يهوذا [الإِسْخَرْيُوطِيّ] واليهود كشعب"[7838].

[← بما أن المزمور 109 من المزامير المسيحانية (المسيانية) (Messianic) – أي التي تتحدث عن المسيا (المَلِك الممسوح من الله) – فيبدو لنا إذن أن هذا الربط بين خيانة أَخِيتُوفَل (أو شاول أو غيرهما) لداود في المزمور 109 وخيانة يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيّ للمسيح، بل خيانة معظم اليهود للمسيح، هو سبب ذِكْر اسم المسيح صراحةً في الآية القرآنية التي ندرسها الآن، وكذلك ذِكْر "بَنِي إِسْرَائِيلَ": "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78). فَمِن الواضح أن صاحب (المائدة 78) قد فهم المزمور 109 كما فهمه التراث المسيحي قبل الإسلام[7839]].

(المزامير 109) لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ (of David) [← "عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78)].
مَزْمُورٌ (mizmor): {1} يَا إِلهَ تَسْبِيحِي لاَ تَسْكُتْ (يقصد: لا تدَعْ الأشرار يُسْكِتوا تَسْبِيحِي فيزيلوا الإيمانَ بكَ[7840])، {2} لأَنَّهُ قَدِ انْفَتَحَ عَلَيَّ فَمُ الشِّرِّيرِ وَفَمُ الْغِشِّ (أي: الخداع؛ النفاق). تَكَلَّمُوا مَعِي بِلِسَانِ كِذْبٍ، {3} بِكَلاَمِ بُغْضٍ أَحَاطُوا بِي، وَقَاتَلُونِي بِلاَ سَبَبٍ. {4} بَدَلَ مَحَبَّتِي يُخَاصِمُونَنِي (بالعبرية: ishtnu·ni) (يقصد: يُبَادِلُونَ مَحَبَّتِي بِخِصَامٍ). أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ (أي: أَمَّا أنا فَأُصَلِّي مِنْ أَجْلِهِمْ لعلهم يتوبوا). {5} وَضَعُوا عَلَيَّ شَرًّا بَدَلَ خَيْرٍ، وَبُغْضًا بَدَلَ حُبِّي.

جزاء الخائن المنافق **[← "الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ [...] عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]. (المزامير 109):** {6} فَأَقِمْ أَنْتَ عَلَيْهِ شِرِّيرًا، وَلْيَقِفْ شَيْطَانٌ (بالعبرية: shtn) (أي: مُتَّهِمٌ؛ خَصْمٌ يَتَّهِمُهُ جَوْراً ويشتكيه زوراً[7841]) عَنْ يَمِينِهِ. {7} إِذَا حُوكِمَ فَلْيَخْرُجْ مُذْنِبًا، وَصَلاَتُهُ فَلْتَكُنْ خَطِيَّةً [لأنه منافق مخادِع يصلي وقلبه قد امتلأ شرًا وخبثًا؛ أو لأنه كافر يصلي إلى الأوثان[7842]]. {8} لِتَكُنْ أَيَّامُهُ قَلِيلَةً (أي: تُقطَع حَيَاتُهُ قَبْلَ أوانِهَا)، وَوَظِيفَتُهُ لِيَأْخُذْهَا آخَرُ.

تقول الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم التي أصدرتها كنيسة مارمرقص بمصر الجديدة في القاهرة تعليقاً على "لِتَكُنْ أَيَّامُهُ قَلِيلَةً، وَوَظِيفَتُهُ لِيَأْخُذْهَا آخَرُ" (المزامير 8:109)[7843]:

1 – يتنبأ داود عن هذا الخائن بأن أيام عمره تصير قصيرة؛ فأخيتوفل ويهوذا كل منهما شنق نفسه (2 صموئيل 23:17) (متى 5:27) والأمة اليهودية دمرها تيطس الروماني عام 70م، إذ خرب أورشليم وقتل من اليهود مليون ونصف.

2 – وظيفة هذا الشرير كانت وظيفة عظيمة يأخذها آخر. فأخيتوفل حل محله حُوشَايُ الأَرْكِيُّ (2 صموئيل 17:14) ويهوذا الإِسْخَرْيُوطِيّ حل محله مَتِّيَاس الرسول (أعمال الرسل 26:1)، والأمة اليهودية حلت محلها كنيسة العهد الجديد التي انتشرت في كل مكان.

تكملة جزاء الخائن المنافق **[⟵ "الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ [...] عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**. **(المزامير 109):** {9} لِيَكُنْ بَنُوهُ أَيْتَامًا وَامْرَأَتُهُ أَرْمَلَةً. {10} لِيَتِهْ بَنُوهُ تَيَهَانًا وَيَسْتَعْطُوا (أي: ويتسوَّلوا)، وَيَلْتَمِسُوا خُبْزًا مِنْ خِرَبِهِمْ (أو: فليُطرَدوا من أخربتِهم)[7844]. {11} لِيَصْطَدِ الْمُرَابِي كُلَّ مَا لَهُ، وَلْيَنْهَبِ الْغُرَبَاءُ تَعَبَهُ. {12} لاَ يَكُنْ لَهُ بَاسِطٌ رَحْمَةً، وَلاَ يَكُنْ مُتَرَأِفٌ عَلَى يَتَامَاهُ. {13} لِتَنْقَرِضْ ذُرِّيَّتُهُ. فِي الْجِيلِ الْقَادِمِ لِيُمْحَ اسْمُهُمْ. {14} لِيُذْكَرْ إِثْمُ آبَائِهِ لَدَى الرَّبِّ، وَلاَ تُمْحَ خَطِيَّةُ أُمِّهِ. {15} لِتَكُنْ [خطايا والديه] أَمَامَ الرَّبِّ دَائِمًا (أي: لا تُغْفَر أبداً!)، وَلْيَقْرِضْ (أي: وَلْيَسْتَأْصِلْ الرَّبُّ) مِنَ الأَرْضِ ذِكْرَهُمْ. {16} مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَنْ يَصْنَعَ رَحْمَةً (أي: لأنَّه لم يُفكِّرْ أنْ يرحَمَ)، بَلْ طَرَدَ إِنْسَانًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا وَالْمُنْسَحِقَ الْقَلْبِ لِيُمِيتَهُ[7845]. {17} وَأَحَبَّ اللَّعْنَةَ فَأَتَتْهُ (أي: أحَبَّ أنْ يَلْعَنَ الآخَرينَ، فَلْتُصِبهُ هُوَ هَذِهِ اللَّعَنَاتُ)[7846] **[⟵ "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78)[7847]]**، وَلَمْ يُسَرَّ بِالْبَرَكَةِ فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ. {18} وَلَبِسَ اللَّعْنَةَ مِثْلَ ثَوْبِهِ، فَدَخَلَتْ كَمِيَاهٍ فِي حَشَاهُ وَكَزَيْتٍ فِي عِظَامِهِ **[⟵ "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78)]**. {19} لِتَكُنْ [اللَّعْنَةُ] لَهُ كَثَوْبٍ يَتَعَطَّفُ (أي: يَلتَفُّ) بِهِ، وَكَمِنْطَقَةٍ يَتَنَطَّقُ بِهَا (أي: كحِزامٍ يَشُدُّهُ حَوْلَ خَصْرِهِ) دَائِمًا **[⟵ "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78)]**. {20} هذِهِ أُجْرَةُ (أي: لِيَكُنْ كل ما سبق هو جزاء) مُبْغِضِيَّ (بالعبرية: shtn·i) (أي: خُصومي؛ مَنْ يَتَّهِمُونَنِي) مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، وَأُجْرَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ شَرًّا عَلَى نَفْسِي **[⟵ "ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**.

صلاة داود وصومه. **(المزامير 109):** {21} أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ السَّيِّدُ، فَاصْنَعْ مَعِي مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ (أي: فَأَحْسِنْ إِلَيَّ ليس لأني مُسْتَحِقٌ ذلك، وإنما إكراماً لاسْمِكَ أو حفاظاً على مجْدِكَ). لأَنَّ رَحْمَتَكَ طَيِّبَةٌ نَجِّنِي. {22} فَإِنِّي فَقِيرٌ وَمِسْكِينٌ أَنَا (يقصد: أَنَا مُتَّكِلٌ على الرب)، وَقَلْبِي مَجْرُوحٌ فِي دَاخِلِي. {23} كَظِلٍّ عِنْدَ مَيْلِهِ (أي: كَظِلٍّ زَائِلٍ) ذَهَبْتُ. انْتَفَضْتُ كَجَرَادَةٍ [في مَهَبِّ الرّيح]. {24} رُكْبَتَايَ ارْتَعَشَتَا مِنَ الصَّوْمِ (هو: علامة من علامات التوبة) **[⟵ حديث صحيح متفق عليه: "أَحَبُّ الصلاةِ إلى الله صلاةُ داود عليه السلام، وأَحَبُّ الصيامِ إلى الله صيامُ داود"[7848]]**[7849]، وَلَحْمِي هُزِلَ عَنْ سِمَنٍ (أي: جسمي أصبح هزيلًا ونحيفًا بعد أن كان ممتلئًا وسمينًا). {25} وَأَنَا صِرْتُ عَارًا عِنْدَهُمْ. يَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَيُنْغِضُونَ رُؤُوسَهُمْ (أي: يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ شَامِتِينَ سَاخِرين). {26} أَعِنِّي يَا رَبُّ إِلهِي. خَلِّصْنِي حَسَبَ رَحْمَتِكَ. {27} وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ هذِهِ هِيَ يَدُكَ (أي: وَلْيَعْلَمْ أعدائي أنَّ قُوَّتَكَ هِيَ الَّتِي خَلَّصَتنِي[7850]). أَنْتَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ هذَا. {28} أَمَّا هُمْ فَيَلْعَنُونَ (أي: يَلْعَنُونَنِي)، وَأَمَّا أَنْتَ فَتُبَارِكُ (أي: فَتُبَارِكُنِي؛ أو: حَوِّلْ لعناتهم إِلَى بَرَكَات[7851]). قَامُوا وَخَزُوا، أَمَّا عَبْدُكَ

(أو: مسيحُك) **[← "عَبْدَنَا دَاوُودَ" (ص 17)]** فَيَفْرَحُ. {29} لِيَلْبِسْ خُصَمَائِي (بالعبرية: shutn·i) خَجَلًا، وَلْيَتَعَطَّفُوا بِخِزْيِهِمْ (أي: ويُغَطِّيهِم عارُهُم) كَالرِّدَاءِ. {30} أَحْمَدُ الرَّبَّ جِدًّا بِفَمِي **[← "عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78)]**، وَفِي وَسَطِ كَثِيرِينَ (أي: بَينَ الجُموعِ) أُسَبِّحُهُ. {31} لأَنَّهُ يَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْمَسْكِينِ (أي: يَقِفُ الرَّبُّ بجانب المَظْلُومِ فيُقَوِّيه) **[← "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ (أي: وجعلنا داوودَ من الْمُقَرَّبِينَ عندنا والمكرَّمين)" (ص 25)]**، لِيُخَلِّصَهُ مِنَ الْقَاضِينَ عَلَى نَفْسِهِ.

وتوجد بالطبع آيات لعن أخرى في سفر المزامير (Imprecatory Psalms) تصب اللعنات على أعداء المرنِّم. وكثيرٌ من هذه المزامير أو معظمها "لِدَاوُدَ" (of David) أي منسوبة له **[← "عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ" (المائدة 78)]** أو مهداة إليه أو مكتوبة عنه أو بأسلوبه. نذكر منها على سبيل المثال آيات من المزامير 35 و 69 و 139 وكلها "لِدَاوُدَ" (of David) حسب العهد القديم العبري وأيضاً حسب الترجمة اليونانية (السبعينية) **[← "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ [...] ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**.

وحرصاً على الاختصار وعدم الإطالة، سنكتفي هنا بأمثلة من آيات اللَّعن في سفر المزامير التي انتقلتْ إلى الإنجيل فقالها (أو اقتبس منها) يسوعُ المسيح نفسه؛ أي: آيات اللَّعن التي قالها داودُ وأيَّدها يسوعُ المسيح قولاً أو فعلاً **[← "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**.

(يوحنا 15): [قال يسوعُ المسيح لتلاميذه:] {18} «إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ. {19} لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ (يقصد: لَوْ كُنْتُمْ تحبون شهوات وماديات هذا العالم الأرضي مثل بقية الْبَشَرِ لأحبكم الْبَشَرُ). وَلكِنْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، لِذلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ. {20} اُذْكُرُوا الْكَلاَمَ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ: لَيْسَ عَبْدٌ (أي: خَادِمٌ) أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ [وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ[7852]] (يقصد: أنتم تلاميذي فلا تتوقَّعوا أن معاملة الْبَشَر لكم ستكون أفضل من معاملتهم لي، فمصيركم هو مصيري). إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كَلاَمِي فَسَيَحْفَظُونَ كَلاَمَكُمْ. {21} لكِنَّهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ بِكُمْ هذَا كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ اسْمِي (أي: يَضْطَهِدُونَكُمْ ليس كراهيةً لشخصكم ولا لأعمالكم وإنما لأنكم أتباعي)، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ [اللهَ] الَّذِي أَرْسَلَنِي (أي: لأنهم رفضوا اللهَ فرفضوني ورفضوكم واضْطَهَدُونِي واضْطَهَدُوكم) **[← "الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ [...] عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**. {22} لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ جِئْتُ وَكَلَّمْتُهُمْ، لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيَّةٌ (يقصد: خطيةُ رفض المسيح ابن الله التي تعني رفض الله الذي أرسله)، وَأَمَّا الآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي خَطِيَّتِهِمْ[7853]. {23} اَلَّذِي يُبْغِضُنِي يُبْغِضُ أَبِي (أي: اللهَ) أَيْضًا **[← "الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ [...] عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**. {24} لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ عَمِلْتُ بَيْنَهُمْ أَعْمَالًا (أي: معجزات) لَمْ يَعْمَلْهَا أَحَدٌ غَيْرِي، لَمْ تَكُنْ لَهُمْ خَطِيَّةٌ (يقصد: خطيةُ رفض

المسيح ابن الله التي تعني رفض الله الذي أيّده بتلك المعجزات)، وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ رَأَوْا [تلك المعجزات التي تثبت أنني المسيَّا المُخلِّص وابن الله] وَأَبْغَضُونِي أَنَا وَأَبِي (أي: أنا والله) **[← "الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ [...] عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**. {25} لكِنْ لِكَيْ تَتِمَّ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ فِي نَامُوسِهِمْ (أي: في كتاب اليهود): إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلاَ سَبَبٍ **[← "الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ [...] عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**.

فالْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ فِي نَامُوسِهِمْ (أي: في كتاب اليهود): "إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلاَ سَبَبٍ" (يوحنا 25:15) هي في الواقع اقتباسٌ اقتبسه يسوعُ المسيح من مزامير اللَّعن "لِدَاوُدَ" (of David): "يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ" (المزامير 19:35)، "يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ" (المزامير 4:69)، "بِكَلاَمِ بُغْضٍ أَحَاطُوا بِي، وَقَاتَلُونِي بِلاَ سَبَبٍ" (المزامير 3:109). "وكأن الروح القدس ينبئ، عن طريق داود، عن حال واضطهاد اليهود للمسيح بلا سبب، حتى إن بيلاطس الروماني صرّح أنه لا توجد علة واحدة لموت المسيح (يوحنا 38:18 – راجع أيضًا لوقا 4:23، 14، 22)، بل إن حقد الرؤساء والكهنة هو الذي أعماهم"[7854] **[← "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**.

مثال آخر. **(يوحنا 2):** {13} وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيبًا، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، {14} وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَرًا وَغَنَمًا وَحَمَامًا، وَالصَّيَارِفَ (أي: الصرَّافينَ) جُلُوسًا. {15} فَصَنَعَ [يَسُوعُ] سَوْطًا مِنْ حِبَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ، اَلْغَنَمَ وَالْبَقَرَ، وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ. {16} وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: «ارْفَعُوا هذِهِ مِنْ ههُنَا! لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ (أي: لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ الله سوقاً للتجارة)!». {17} فَتَذَكَّرَ تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي (أي: الْغَيْرَةُ عَلَى بَيْتِكَ قد التهبتْ في قلبي وآلمتني لأن أعمال اليهود تهين اللهَ؛ أو: غَيْرَتي عَلَى بَيْتِكَ ستجعل اليهودَ الأشرار يُبْغِضُونَنِي ويُهينونني ويضطهدونني)» **[← "الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ [...] عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**. {18} فَأَجَابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «أَيَّةَ آيَةٍ تُرِينَا حَتَّى تَفْعَلَ هذَا؟ (أي: أيَّةَ مُعجِزةٍ سَتُرينا لِتُثْبِتَ حَقَّكَ فِي أنْ تَفْعَلَ مَا فَعَلْتَ؟)» {19} أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». {20} فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هذَا الْهَيْكَلُ، أَفَأَنْتَ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟» {21} وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ. {22} فَلَمَّا [صُلِبَ يسوعُ ومات ثم] قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، تَذَكَّرَ تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هذَا، فَآمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكَلاَمِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ.

فَالآية التي تَذَكَّرَها تَلاَمِيذُ المسيح بعد أن رأوه ينفِّذها بيديه وهو يطهِّر الهيكلَ – أو: بعد أن صُلِبَ المسيحُ ومات وقامَ مِنَ الأَمْوَاتِ – "«غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي»" (يوحنا 17:2) هي في الواقع مقتبسة من مزامير اللَّعن "لِدَاوُدَ" (of David): "لأَنَّ غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي، وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ" (المزامير 9:69) **[← "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)]**. علماً بأن القديس بولس الرسول قد اقتبس جزءَها الثاني "وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ" (المزامير 9:69) حين قال: "لأَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا لَمْ يُرْضِ نَفْسَهُ (أي: كان هدفه الأسمى أن يُرضيَ اللهَ ويُتمَّ

مشيئته وهي خلاص الإنسان بالصليب)، بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «تَعْيِيرَاتُ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ» (أي: كل اللعنات والإهانات التي أراد الذين رفضوا اللهَ أن يقولوها لله قالوها للمسيح الذي أرسله اللهُ كي يُعْلِن ذاته واحتملها المسيحُ المصلوبُ بسببنا ومن أجلنا؛ أو: كلما لُعِنَ اللهُ وأهين تألَّم المسيحُ لأنه أحبَّ اللهَ حُبًّا فائقًا)" (رومية 3:15). وهذا كله يؤكد أن الكنيسة الأولى رأت طبيعةً مسيحانيَّة (Messianic) في هذا المزمور 69 "لِدَاوُدَ" **[⟵ "عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ" (المائدة 78)]**. تقول حاشية الترجمة اليسوعية إن "هذا المزمور [69]، الذي يصف آلام البار المضطهَد، طُبِّق على المسيح منذ القدم. يرى بولس في هذه الآلام، الناتجة عن الغيرة لمجد الله [(المزامير 9:69)]، برهاناً على أن يسوع لم يطلب ما كان يطيب له"[7855].

وفي المقابل، توجد آيات لعنات أو ويلات قالها يسوعُ المسيح لكنها ليست مقتبسة مباشرةً من سفر المزامير أو على الأقل ليست مقتبسة من مزامير اللَّعن أو المزامير المعنونة بالعبارة الغامضة "لِدَاوُدَ". اقرأ مثلاً "لعن شجرة التين" (Symbolic Cursing of the Fig Tree). يقول الإنجيل: "وَكَثِيرُونَ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ (أي: في طريق دخول يسوع المسيح المَلِك الداودي Davidic King إلى أُورُشَلِيمَ). وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. وَالَّذِينَ تَقَدَّمُوا، وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ: «أُوصَنَّا! (Hosanna!) (أي: خَلِّصْ؛ أو: خَلِّصْ الآن) مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ (our Father David) (أي: الملكوت المسيحاني الموعود به ابنُ داود في العهد الداودي) الآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!». فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلَ، وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى، خَرَجَ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا (Bethany) (هي: قرية جنوب شرق أورشليم) مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنْيَا [عائدين إلى أورشليم] جَاعَ [يسوعُ]، فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ [إِلَيْهَا] لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا (أي: ليأكل من ثمرها). فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ [فِيهَا] شَيْئًا إِلاَّ وَرَقًا [فَقَطْ] (أي: ليس عليها شيء من الثمر)، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّينِ (أي: لَمْ يَكُنْ وَقْتَ جَمْعِ التِّينِ المعتاد سنوياً، وهذا ينفي احتمال أن تكون الشجرة قد أثمرت والناس قطفوا كُلَّ ثمارها؛ فكان ينبغي أن يجد المسيحُ ثمراً ولو قليلاً[7856]). فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ! (أي: لاَ يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!)» وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَسْمَعُونَ" (مرقس 8:11-14)؛ (متى 8:21-11). "وَفِي الصَّبَاحِ (أي: وفي صباح اليوم التالي) إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوْا التِّينَةَ قَدْ يَبِسَتْ مِنَ الأُصُولِ (أي: جفت وماتت من الجذور؛ صارت شجرةً عقيمةً تماماً)، فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «يَا سَيِّدِي، انْظُرْ! اَلتِّينَةُ الَّتِي لَعَنْتَهَا قَدْ يَبِسَتْ!»" (مرقس 20:11-21)؛ (متى 18:21-20). وبما أن شجرة التين ترمز لبني إسرائيل (إرميا 1:24) (هوشع 10:9) (يوئيل 7:1، 12) (زكريا 10:3) الذين كان لهم فقط الشكل والمظهر الخارجي من الإيمان (الورق) دون إيمان حقيقي يُرَى في أعمالهم البارة (الثمر) بدليل أن كثيراً منهم سقطوا في الوثنية والشرك في العهد القديم ومعظمهم لم يؤمن بالمسيح في

العهد الجديد؛ وبما أن هلاك شجرة التين يرمز لدينونة الله (إشعياء 4:34) (إرميا 17:5، 13:8، 17:29) (ميخا 1:7) التي تحققت بالفعل في خراب أورشليم وخراب الهيكل عام 70م؛ فنستطيع إذن أن نقول إن يسوع المسيح لَعَن بني إسرائيل غير المؤمنين به. وهذه هي المرَّة الأولى والأخيرة، أي: المرَّة الوحيدة، في الإنجيل التي لجأ المسيحُ فيها إلى اللعن ليعبِّر عن أفكاره. "وقد فعل المسيح هذا ليعلن خطورة السطحية في الحياة الروحية، مثل اليهود الذين لهم مظهر المعرفة بالله، وليس لهم ثمار الحب للآخرين. وكل إنسان له مظهر التقوى وليس له عمقها، فهو مرفوض من الله، ومحكوم عليه بالموت، إذ يُقْبِلُ إليه الناس ليعرفوا الله، فلا يجدون فيه ثمراً روحياً. [...] ونجد أن معجزات المسيح تعلن رحمته، وهذه هي المعجزة الوحيدة التي تعلن عدل الله، حتى تكون نظرتنا كاملة نحوه، فنتذكر رحمته وعدله في آن واحد، لكيما نتوب ونتمتع بمراحمه"[7857]. "وشجرة التين العقيمة ترمز غالباً إلى الدينونة الإلهيَّة على بني إسرائيل بسبب عدم إعطائهم ثمراً روحياً ([...])، على الرغم من وفرة الفوائد الروحيَّة التي أُتيحت لهم ([...]). لذلك فإنَّ عمل يسوع يوضح دينونة الله ضد إسرائيل الأرضيَّة بسبب عُقمهم المخزي المتمثِّل في رفضهم مسيحهم"[7858]. **[← "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ [...] عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)].**

علماً بأن الجملة التي قالها الجمهورُ ترحيباً بالمَلِك الداودي الظافر يسوع المسيح عند دخوله إلى أورشليم آملين أن يحررهم من الاحتلال الروماني "أُوصَنَّا (باليونانية: Ôsanna)! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!" (مرقس 9:11) – أو: "أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ (Son of David)! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!" (متى 9:21) "مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!" (لوقا 38:19) "أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!»" (يوحنا 13:12) – مقتبسة من المزمور المسيحاني اليتيم 118 "آهِ يَا رَبُّ، خَلِّصْ (بالعبرية: Hosha na)! آهِ يَا رَبُّ، أَنْقِذْ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ" (المزامير 118:25-26). ومن الجدير بالذكر أيضاً أن المزمور 118 من المزامير الأكثر اقتباساً في العهد الجديد على الرغم من عدم معرفتنا مَن كتبه ولا تاريخ أو مناسبة كتابته! لكن بعض كتب التراث المسيحي الشرقي قبل الإسلام تنسبه إلى داود. فلقد قال القديس الفارسي الحكيم أفراهاط (Aphraates) (القرن الرابع الميلادي): "وقال داود أيضًا: "هذَا هُوَ بَابُ الرَّبِّ. وَالصِّدِّيقُونَ يَدْخُلُونَ فِيهِ" (المزامير 20:118)"[7859]. وقال القديس المصري السكندري كيرلس الكبير (Saint Cyril) (القرن الخامس الميلادي): "فإن داود أشار إلى وقت مجيء مخلِّصنا بالقول: "هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ، فلنبتهج وَنَفْرَحُ فِيهِ" (المزامير 24:118)"[7860].

اقرأ أيضاً اللعنات (أو بعبارة أكثر دقة: الويلات[7861]) التي قالها يسوعُ المسيح لليهود غير المؤمنين به: "وَيْلٌ لَكُمْ (Woe to you) أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ! [...] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! [...] وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ النَّاسَ أَحْمَالًا عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لاَ تَمَسُّونَ الأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ. وَيْلٌ لَكُمْ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ، وَآبَاؤُكُمْ قَتَلُوهُمْ. إِذًا تَشْهَدُونَ وَتَرْضَوْنَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ، لأَنَّهُمْ هُمْ قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ

قُبُورَهُمْ. لِذلِكَ أَيْضًا قَالَتْ حِكْمَةُ اللهِ: إِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلاً، فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ [...] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِفْتَاحَ الْمَعْرِفَةِ. مَا دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ، وَالدَّاخِلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ»" (لوقا 11:42-52)؛ "وَيْلٌ لَكُمْ (Woe to you) أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ، ولِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا دَخِيلاً وَاحِدًا، وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْنًا لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفًا. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! [...] أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! [...] أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! [...] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! [...] أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! [...] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! [...] أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّ الأَعْمَى! [...] وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُورًا مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِل مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا: مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَارًا، وَلكِنَّكُمْ مِنْ دَاخِل مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْمًا. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! [...] أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، [...] «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي مِنَ الآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!»" (متى 13:23-39) **[⟵ "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ [...] عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" (المائدة 78)].**

علماً بأن الجملة الأخيرة التي قالها يسوعُ المسيح "مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!" (متى 39:23) مقتبسة من المزمور المسيحاني اليتيم 118 "مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ" (المزامير 26:118) الذي تنسبه بعض كتب التراث المسيحي الشرقي قبل الإسلام إلى داود كما قلنا فيما سبق.

وفي ضوء مزامير اللَّعن التي تلعن خصوم المرنِّم (داود أو غيره)، وآيات اللَّعن في الإنجيل التي تلعن اليهودَ غير المؤمنين بيسوع المسيح ابن الله، أنتج أصحابُ القرآن آيات لعن في القرآن تلعن خصوم محمد من اليهود غير المؤمنين بالقرآن. مثل: "وَقَالُواْ (أي: اليهود) قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ (أي: القرآنُ) مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ" (البقرة 88-89)؛ "لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً" (النساء 46)؛ "فَبِمَا (أي: فبسبب) نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ" (المائدة 13)؛ "قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً (أي: جزاءً) عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ (أي: مِن أسلاف اليهود المعاصرين لمحمد) الْقِرَدَةَ

وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ (أي: كُلَّ ما عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ كالشيطان مثلاً) أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ" (المائدة 60)؛ "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ" (المائدة 64).

بل وضع أصحابُ القرآن أقوالاً على ألسنة الأنبياء والرسل السابقين تلعن (أي: تتمنى الشرَّ) لخصومهم. مثل: "وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ (أي: امحقها؛ أهلكها!) وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [وحينئذٍ لا ينفعهم إيمانُهم ولا توبتهم]" (يونس 88)؛ "وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (أي: لا تترك من الكافرين بك أحداً حياً على الأرض!). إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ [دون إهلاك واستئصال] يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا (أي: مُنحرفاً عن الحق معانداً له) كَفَّارًا (أي: شديد الكفر بك والعصيان لك)" (نوح 26-27).

كل ما سبق يؤكد ما نقوله دائماً: القرآن مجرد كتاب عربي بشري من كتب التراث اليهودي-المسيحي الشرقي. فلَوْلَا الكتاب المقدس وَلَوْلَا التراث اليهودي-المسيحي الشرقي بصفة عامة، لمَا استطاع العربُ أن يؤلفوا القرآنَ ولمَا ظهر دينٌ اسمه الإسلام. أو بعبارة أخرى: القرآن مجرد كتاب عربي بشري من كتب التراث اليهودي-المسيحي الشرقي قبل أن يكون النص المؤسس (le texte fondateur) لدين العرب الجديد (الإسلام).

4.47 هل المَلِك شاول والمَلِك والنبي داود شخصان حقيقيان تاريخيان؟!

نبدأ أولاً بالمَلِك شاول **[⟵ "طَالُوت" (البقرة 247، 249)]**. يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم" تحت عنوان "**شاول خارج الكتاب المقدس**": "لم يوجد للآن ذِكْر لشاول في أي من النقوش القديمة في الشرق الأوسط القديم. وهو ذو صلة قليلة (had little contact) مع أشخاص آخرين باستثناء الفلسطينيين، ولا يوجد أي من الأرشيفات التاريخية الفلسطينية ذات الأثر"[7862]!

هذا عن المَلِك شاول. فماذا عن المَلِك والنبي داود **[⟵ "داوود"]**؟ ...

فبعد كل هذا الحديث عن داود المَلِك والنبي، من حقنا أن نسأل: هل داود الذي يُفترَض أنه أسس مملكة موحَّدة (United Monarchy) كبيرة عاصمتها أورشليم في أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل القرن العاشر قبل الميلاد شخص حقيقي تاريخي؟!

يقول سفر الملوك الأول: "وَاضْطَجَعَ دَاوُدُ مَعَ آبَائِهِ (أي: مَاتَ)، وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ (أي: أورشليم)" (1 ملوك 2:10). وتقول دائرة المعارف الكتابية: "ويقول يوسيفوس إن داود مات في السبعين من عمره، وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ (أي: أورشليم) (انظر نحميا 3:16). ويقول الرسول بطرس في يوم الخمسين [في القرن الأول الميلادي] إن "قَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هذَا الْيَوْمِ" (أعمال الرسل 2:29). ويذكر يوسيفوس أن سليمان دفن كنزًا ضخمًا في قبر داود، وأن "هركانوس" سطا على إحدى حجراته وكذلك فعل هيرودس الكبير، ويسعى الأثريون الآن لاكتشاف ذلك القبر"[7863].

فهل اكتشف الأثريون قبرَ داود في أورشليم؟! تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica)[7864]:

TOMB OF DAVID. […] The tomb of David was probably destroyed at the time of the Bar Kokhba revolt (135 C.E.), and afterward the exact location of the site was forgotten. However, various sites were suggested by popular traditions over the ages and the one which became generally accepted was the place now called Mt. Zion. This tradition is about 1,000 years old, first being recorded in Crusader times, and was accepted in Jewish, Muslim, and Christian traditions.

ونحن ندعو جميعَ علماء الآثار إلى استكشاف هذا القبر المزعوم لنتأكد أنه فعلاً قبر المَلِك والنبي داود!

في الواقع، لا يوجد أي دليل علمي يثبت تاريخياً أن نبياً اسمه "داود" ظهر في أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل القرن العاشر قبل الميلاد!

بل لا يوجد أي دليل علمي يرجع تاريخه إلى أوائل القرن العاشر قبل الميلاد يذكر مَلِكاً اسمه "داود"!

4.47.1 نُصب تل دان (Tel Dan Stela) الآرامي

يوجد دليل أثري واحد فقط، لكن تاريخه **لا** يرجع إلى أوائل القرن العاشر قبل الميلاد، وإنما يرجع إلى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد أو أواخره (حوالي 830 ق.م)، أي: بعد قرابة قرن أو قرن ونصف من وفاة داود (حوالي 970 ق.م)! وهو **لا** يأتي من إسرائيل! وإنما يأتي من أعداء إسرائيل! وهذا الدليل الأثري الوحيد هو "نُصب تل دان" (Tell Dan Stela) الذي يذكر "بيت-داود" (byt-dwd) – أو بعبارة أكثر دقة: "بيتدود" (bytdwd)، أي: كلمة واحدة بدون علامة فصل بين "بيت" و "دود" – والتي تُفسَّر على أنها تعني "بَيْت دَاوُدَ" (House of David)! أي: الأسرة الحاكمة التي أسّسها مَلِكٌ اسمه "دَاوُد" (David)!

يقول الباحث التونسي د. سامي عامري عن نُصب تل دان (Tel Dan Stele)[7865]:

> كانت المفاجأة الكبرى الصادمة للقائلين بخرافية شخصية داود - عليه السلام - العثور في 1993–1994 في تل دان شمالي فلسطين على ثلاثِ قطعٍ لنصب آرامي للنصر، وفيه عبارة: "بَيْت دَاوُدَ"؛ حتّى إنّ أحدهم اقترح أنّ النقش مزوّر على يد أحد أنصار التوراة؛ لعلمه بآثار الإقرار بأصالة هذا النقش.
>
> [...]
>
> كُتِبَ هذا النقش لتمجيد مَلِك آرام حزائيل [Hazael] - على الأرجح -، وذلك في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد. وقد افتخر فيه بانتصاره على مَلِك إسرائيل ومن معه؛ مصرحاً أنه قَتَل يهورام (أي: يَهُورَام (يُورَام) بْن أَخْآب Jehoram son of Ahab مَلِك إِسْرَائِيلَ حوالي 852-841 ق.م) وأخزيا (أي: أَخَزْيَا بْن يَهُورَام (يُورَام) Ahaziah son of Jehoram مَلِك بَيْت دَاوُدَ (أي: مَلِك يَهُوذَا) لمدة سنة واحدة حوالي 841 ق.م). ولهذا النقش أربع ميزات عظيمة بالنظر في أهميته عند مناقشة تاريخية شخصية داود -عليه السلام-:
>
> 1. صرَّح هذا النقش باسم داود -عليه السلام- في عبارة "بَيْت دَاوُدَ". وقد كان من عادة الأمم المجاورة لبني إسرائيل تسمية المملكة ببيت أحد ملوكها؛ كـ "بيت أجوشي" اسماً لمملكة أرفاد في الشمال السوري، نسبة إلى جوشي/أجوشي، و "بيت حزائيلي" لمملكة دمشق، نسبة إلى حزائيل. كما اشتهر في النقوش الآشورية تسمية مملكة إسرائيل بـ "بيت [الملك] عُمري".
>
> 2. وردت عبارة "بَيْت دَاوُدَ" في الإشارة إلى قوم داود -عليه السلام- والسلالة الحاكمة بعده، في مواضع كثيرة في العهد القديم، منها:
>
> أ. "فَعَصَى إِسْرَائِيلُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ" (1 ملوك 12:19).
>
> ب. "وَقَالَ يَرُبْعَامُ فِي قَلْبِهِ: «الآنَ تَرْجعُ الْمَمْلَكَةُ إِلَى بَيْتِ دَاوُدَ" (1 ملوك 12:26).
>
> ج. "يَا بَيْتَ دَاوُدَ، هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: اقْضُوا فِي الصَّبَاحِ عَدْلًا، وَأَنْقِذُوا الْمَغْصُوبَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِ، لِئَلاَّ يَخْرُجَ كَنَارٍ غَضَبِي فَيُحْرِقَ وَلَيْسَ مَنْ يُطْفِئُ، مِنْ أَجْلِ شَرِّ أَعْمَالِكُمْ" (إرميا 21:12).

د. "لأَنَّهُ هُنَاكَ اسْتَوَتِ الْكَرَاسِيُّ لِلْقَضَاءِ، كَرَاسِيُّ بَيْتِ دَاوُدَ" (المزامير 5:122).

3. جاء هذا التصريح على لسان عدوٍّ لبني إسرائيل. وذاك يدفع كُلَّ معارضة قائلة إنّ صاحب النقش قد أراد تمجيد سَلَفِه الموهوم الذي اخترعه لغايات دينية أو سياسية.

4. نُقِش النصُّ بعد قرابة قرن أو قرن ونصف فقط من وفاة داود -عليه السلام-.

[...]

[وقال الأركيولوجي المعروف إسرائيل فنكلشتاين:] "باختصار، يُقدِّم نقش تل دان شهادة مستقلة على الوجود التاريخي لسلالة حاكمة أُسّست من طرف حاكم اسمه داود، بعد أجيال قليلة من العصر الذي من المفترض أنّه عاش فيه".

وعلّق الأركيولوجي وليام ديفر على نقش تل دان بقوله إنّ عامة كبار العلماء المتخصصين في النقوش القديمة (وكلّهم ليسوا من أنصار التوراة) على أنّ هذا النقش يتحدّث عن بيت داود؛ بما يشير إلى وجود حاكم اسمه داود.

[...] كَشَفَ نقشُ تل دان وجود دولة قائمة (يقصد: مملكة يهوذا) لها صيت في القرن التاسع قبل الميلاد، تُنْسَب إلى داود -عليه السلام-، وكانت متحالفة مع المملكة الشمالية (يقصد: مملكة إِسْرَائِيل) بعد قرن واحد فقط من وفاة سليمان -عليه السلام-.

لكن الكتاب المقدس (2 ملوك 9:14-29) يقول إن الذي قَتَل يَهُورَام (يُورَام) بْن أَخْآب مَلِك إِسْرَائِيلَ وأَخَزْيَا بْن يَهُورَام (يُورَامَ) مَلِك يَهُوذَا في نفس اليوم (حوالي 841 ق.م) هو أحد قادة جيش إِسْرَائِيلَ اسمه "يَاهُو بْنَ يَهُوشَافَاط بْنَ نِمْشِي" (Jehu son of Jehoshaphat son of Nimshi)، أي: انقلاب عسكري (coup). فمن المحتمل أن حَزَائِيلَ مَلِكِ أَرَامَ – بفرض أنه صاحب نُصب تل دان – قد نسب إلى نفسه عملاً قام به يَاهُو. ومن المحتمل أيضاً أن حَزَائِيلَ هو الذي قتل المَلِكين يَهُورَام وأَخَزْيَا فعلاً، لكن الكتاب المقدس نسب هذا العمل إلى يَاهُو حتى يبرر صعوده إلى مُلْك إسرائيل بعد ذلك وتأسيسه أسرة مالِكة دامت أربعة أجيال (2 ملوك 30:10).

وبغض النظر عن مدى توافق نُصب تل دان مع الكتاب المقدس، فإن إحدى المشكلات الكبيرة التي يعاني منها نُصب تل دان هي أن أهم عبارة فيه ليست "بَيْت دَاوُدَ" وإنما "بيتدود" (bytdwd)، أي: كلمة واحدة بدون علامة فصل بين "بيت" و "دود". مما جعل فريقاً من العلماء يقولون إن "دود" هنا ليس اسماً لشخص، وإنما كلمة تعني "محبوب" (beloved) أو "عم" (uncle). وقيل أيضاً إن "بيتدود" اسم مكان مثل "أشدود". أو حتى لو كانت "بيت داود"، فهي أيضاً اسم مكان مثل "بيت لحم" التي لا تدل على أن "لحم" اسم شخص، و "بيت حسدا" التي لا تدل على أن "حسدا" اسم شخص.

وفي جميع الأحوال، حتى لو افترضنا جدلاً أن "دود" (أو حتى "داود") اسم شخص، فهذا لا يعني بالضرورة أن داود شخص حقيقي تاريخي. وذلك لأن نُصب تل دان **ليس** معاصراً لداود. فمن المحتمل جداً أن يكون داود شخصية خيالية أسطورية اخترعها بنو إسرائيل في القرن العاشر أو أوائل القرن التاسع قبل الميلاد، وزعموا أن ملوكهم من بيته (أي: نسله)، فشاعت هذه الأسطورة في الشرق الأوسط القديم، ولم يهتم أعداءُ بني إسرائيل بالتحقق من صحة تلك الأسطورة لأنها بكل بساطة لا تعنيهم في شيء، ومِن ثم ظهر اسمُ "داود" في نُصب تل دان المكتوب بالآرامية في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد أو أواخره. ومما يؤيد هذا الاحتمال عدم وجود أي دليل علمي معاصر لداود في إسرائيل القديمة يمجّد انتصارات داود المزعومة في الكتاب المقدس والقرآن، لا سيما انتصاره على الفلسطيين بقيادة جليات (جالوت)!

كل هذه المشكلات الكبيرة التي يعاني منها نُصب تل دان أدت إلى خلاف بين العلماء حول ما يمكن استنتاجه من هذا الاكتشاف الأثري فيما يتعلق بتاريخية المَلِك داود و "بَيْت دَاوُدَ". ولذلك فإننا نتفق مع موسوعة (Encyclopædia Judaica) حين تقول عن نُصب تل دان:

“Much controversy has surrounded the interpretation of this find”[7866].

4.47.2 نُصب ميشع (Mesha Stela) الموآبي

وفي الواقع يوجد دليل مزعوم آخر هو "نُصب ميشع" (Mesha Stela) الذي يُسمَّى أيضاً "نقش ميشع" (Mesha Inscription) أو "حجر موآب" أو "الحجر الموآبي" (Moabite Stone) ويرجع تاريخه تقريباً إلى نفس تاريخ نُصب تل دان، أي: منتصف القرن التاسع قبل الميلاد (نحو 850 ق.م) أو أواخره (حوالي 830 ق.م)، فهو أيضاً **ليس** معاصراً لداود، ومن ثم فإنه يعاني من نفس المشكلات التي يعاني منها نُصب تل دان. بل يعاني من مشكلات أكبر وأخطر. وذلك لأن هذا الحجر اكْتُشِفَ عام 1868م في شرق نهر الأردن، ولمَّا درسه العلماءُ لم يزعم أحدٌ منهم أن فيه ذِكر لاسم "داود". والترجمة الإنجليزية لهذا النقش في مرجع (Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament) الذي صدر عام 1969م ليس فيها اسم "داود" على الإطلاق، على الرغم من وجود أسماء كتابية مهمة أخرى مثل "إسرائيل" و "عُمْري" بل واسم "يهوه" إله إسرائيل[7867]، حيث أن هذا النقش الموآبي يروي أحداثاً تاريخية تتشابه – لكن لا تتطابق – مع ما جاء في سفر الملوك الثاني وخصوصاً (2 ملوك 3)، أي: يروي تلك الأحداث التاريخية من وجهة نظر موآب وليس من وجهة نظر إسرائيل.

لكن بعد اكتشاف نُصب تل دان في 1993-1994، زعم عالِمٌ فرنسي اسمه (André Lemaire) أن السطر رقم 31 في نُصب ميشع يذكر "بت[د]ود" (bt[d]wd)! وطبعاً فسَّرها على أنها تعني "بَيْت دَاوُدَ"! وطبعاً زعم أن "داود" اسم شخص وأنه هو المَلِك داود المذكور في الكتاب المقدس! وطبعاً أيَّده فريقٌ من

العلماء والباحثين[7868]! أما موسوعة (Encyclopædia Judaica) فعندما تحدثت عن داود ذكرت نُصبَ ميشع كدليل (محتمل) على تاريخيته[7869]، لكنها عندما تحدثت عن نُصب ميشع لم تقل إن اسم داود مذكور فيه[7870]! وقاموس الكتاب المقدس، حين تحدث عن حجر موآب (نُصب ميشع) لم يقل إن اسم داود مذكور فيه[7871]. وكذلك حين تحدث مرجعُ (The IVP Bible Background Commentary) عن حجر موآب (نُصب ميشع)[7872]، لم يقل إن اسم داود مذكور فيه. وكذلك دائرة المعارف الكتابية التي تضمنت ترجمة للنقش المكتوب على حجر موآب إلى اللغة العربية سطراً بعد سطر، لم تضع اسمَ داود في سطره رقم 31[7873]. وأيضاً المفكر السوري الكبير فراس السواح الذي أعطى نقحرة لنقش ميشع ملك موآب بحروف عربية وترجمته إلى اللغة العربية سطراً بعد سطر، لم يضع اسمَ داود في السطر رقم 31[7874].

في ضوء ما سبق، يقول الكتاب المقدس الدراسي الآثاري (Archaeological Study Bible)[7875]:

Some scholars believe that the [Mesha] stele also has a reference to the house of David, but this interpretation has not won universal acceptance.

فيبدو لنا إذن أن الخلاف بين العلماء والباحثين حول نُصب ميشع أكبر بكثير من خلافهم حول نُصب تل دان. وفي جميع الأحوال وكما قلنا فيما سبق، حتى لو افترضنا جدلاً أن نُصب ميشع يذكر "بت[د]ود"، فهذا <u>لا</u> يعني بالضرورة أن "دود" (أو حتى "داود") اسم شخص، بل <u>لا</u> يعني بالضرورة أن المَلِك داود المذكور في الكتاب المقدس والقرآن شخص حقيقي تاريخي. والأهم من هذا كله، <u>لا</u> يعني بالضرورة أن كل ما قاله الكتاب المقدس أو القرآن عن داود حقيقي وتاريخي.

4.47.3 نقش شيشُنْق (Sheshonq Inscription) المصري

بعد موت المَلِك سليمان بن داود في أواخر القرن العاشر قبل الميلاد (حوالي 930/931 ق.م)، انقسمت مملكته المتحدة إلى مملكتين: المملكة الشمالية (إسرائيل) ومَلِكها "يَرُبْعَام" الأول (Jeroboam I)، والمملكة الجنوبية (يهوذا، وكان أحياناً يُطْلَق عليها "إسرائيل") ومَلِكها "رَحُبْعَام" (Rehoboam) بن سليمان وعاصمتها أورشليم.

مصر تغزو يهوذا وتنهبها! **(2 أخبار الأيام 12):** {1} وَلَمَّا تَثَبَّتَتْ مَمْلَكَةُ رَحُبْعَامَ وَتَشَدَّدَتْ، تَرَكَ شَرِيعَةَ الرَّبِّ هُوَ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ (يقصد: مملكة يهوذا) مَعَهُ. {2} وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْمَلِكِ رَحُبْعَامَ (أي: حوالي 925/926 ق.م) صَعِدَ شِيشَقُ (Shishak) (ويُكْتَب أيضاً: شِيشَنْق أو شِيشُنْق Sheshonq أو Shoshenq) مَلِكُ مِصْرَ عَلَى أُورُشَلِيمَ، لأَنَّهُمْ خَانُوا الرَّبَّ، {3} بِأَلْفٍ وَمِئَتَيْ مَرْكَبَةٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ فَارِسٍ، وَلَمْ

يَكُنْ عَدَدٌ لِلشَّعْبِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنْ مِصْرَ: لُوبِيِّينَ وَسُكِّيِّينَ وَكُوشِيِّينَ. {4} وَأَخَذَ [شِيشَقُ] الْمُدُنَ الْحَصِينَةَ الَّتِي لِيَهُوذَا وَأَتَى إِلَى أُورُشَلِيمَ. {5} فَجَاءَ شَمْعِيَا (Shemaiah) النَّبِيُّ إِلَى رَحُبْعَامَ وَرُؤَسَاءِ يَهُوذَا الَّذِينَ اجْتَمَعُوا فِي أُورُشَلِيمَ [هرباً] مِنْ وَجْهِ شِيشَقَ، وَقَالَ لَهُمْ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَنْتُمْ تَرَكْتُمُونِي وَأَنَا أَيْضًا تَرَكْتُكُمْ لِيَدِ شِيشَقَ». {6} فَتَذَلَّلَ رُؤَسَاءُ إِسْرَائِيلَ (يقصد: رُؤَسَاءُ يَهُوذَا) وَالْمَلِكُ (أي: تَذَلَّلُوا لله طالبين رحمته؛ نَدِموا وتابوا) وَقَالُوا: «بَارٌّ هُوَ الرَّبُّ». {7} فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُمْ تَذَلَّلُوا، كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى شَمْعِيَا قَائِلًا: «قَدْ تَذَلَّلُوا فَلاَ أُهْلِكُهُمْ بَلْ أُعْطِيهِمْ قَلِيلًا مِنَ النَّجَاةِ، وَلاَ يَنْصَبُّ غَضَبِي عَلَى أُورُشَلِيمَ بِيَدِ شِيشَقَ، {8} لكِنَّهُمْ يَكُونُونَ لَهُ عَبِيدًا وَيَعْلَمُونَ [الْفَارِقَ بَيْنَ] خِدْمَتِي وَخِدْمَةَ مَمَالِكِ الأَرَاضِي». {9} فَصَعِدَ شِيشَقُ مَلِكُ مِصْرَ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَأَخَذَ خَزَائِنَ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنَ بَيْتِ الْمَلِكِ، أَخَذَ الْجَمِيعَ (أي: أَخَذَ كُلَّ شَيْءٍ)، وَأَخَذَ أَتْرَاسَ الذَّهَبِ الَّتِي عَمِلَهَا سُلَيْمَانُ. {10} فَعَمِلَ الْمَلِكُ رَحُبْعَامُ عِوَضًا عَنْهَا أَتْرَاسَ نُحَاسٍ وَسَلَّمَهَا إِلَى أَيْدِي رُؤَسَاءِ السُّعَاةِ الْحَافِظِينَ بَابَ بَيْتِ الْمَلِكِ. {11} وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَلِكُ بَيْتَ الرَّبِّ يَأْتِي السُّعَاةُ وَيَحْمِلُونَهَا، ثُمَّ يُرْجِعُونَهَا إِلَى غُرْفَةِ السُّعَاةِ. {12} وَلَمَّا تَذَلَّلَ [الْمَلِكُ رَحُبْعَامُ لله] ارْتَدَّ عَنْهُ غَضَبُ الرَّبِّ فَلَمْ يُهْلِكْهُ تَمَامًا. وَكَذلِكَ كَانَ فِي يَهُوذَا أُمُورٌ حَسَنَةٌ (أي: مَن استجابوا لنداء الله وتابوا). {13} فَتَشَدَّدَ الْمَلِكُ رَحُبْعَامُ فِي أُورُشَلِيمَ وَمَلَكَ (أي: احتفظ بمُلْكِه وبحياة أهل أورشليم، فلقد عاد شِيشَقُ إلى مصر ولم يحتل يهوذا)، [...].

وقيل إن جَمِيع الأتراس الذهبيَّة (2 أخبار الأيام 9:12) دُفِعَت فديةً (ransom) أو جزيةً (tribute) لشيشق حتى لا يدمِّر أورشليم ولا يقتل أهلها[7876]. اقرأ أيضاً (1 ملوك 25:14-28).

تقول دائرة المعارف الكتابية عن نقش شيشُنْق (Sheshonq Inscription) الذي يسجِّل أسماء الأماكن التي غزاها شيشُنْق (شيشق) في حملته: "وقد سجَّل الملكُ شيشق أخبار هذه الحملة على الحائط الجنوبي لمعبد أمون في الكرنك (طيبة) في صعيد مصر، حيث يذكر أسماء أكثر من مئة وخمسين مدينة غزاها في حملته على إسرائيل (ويمكن قراءة نصف هذه الأسماء، أما الباقي فقد شوهته عوادي الزمن). ومن بين هذه المدن، بعض مدن رحبعام الحصينة، مثل سوكوه وأدورايم وأيلون (وهو ما يتفق مع ما جاء في الكتاب المقدس – 2 أخبار الأيام 4:12). كما يذكر أيضاً بعض المدن في إسرائيل (مملكة يَرُبْعَام)، مثل: شكيم وبيت شان ومجدو. وقد اكتشفت في مجدو بقايا عمود حجري عليه اسم "شيشق"، مما يدل على أن غزوته امتدت إلى المملكة الشمالية أيضاً رغم علاقته القديمة [الجيدة] بيربعام [(1 ملوك 40:11)]. ولا شك في أن القائمة كانت تشمل أصلاً اسم أورشليم. كما جاء بها اسم "حقل أبرام" وهي أول إشارة – خارج الكتاب المقدس – يُذْكَر فيها اسم "أبرام". ولم تكن غزوة شيشق فتحاً، بل مجرد غارة للنهب، إذ لم تكن قوة مصر في عصره تكفي لاحتلال البلاد التي غزاها، ولكنه أراد فقط الحصول على كنوزها لتمويل ما كان يريد أن يقيمه من مبان. ولعله كان يريد أيضاً تأمين الطرق التجارية"[7877].

وفي كتابه الشهير "مصداقية العهد القديم" (On the Reliability of the Old Testament)، زعم (Prof. Kenneth Kitchen) أن قائمة الأماكن التي غزاها شيشُنْق والمسجَّلة على نقش شيشُنْق

تضم موقعاً في منطقة النقب (Negev) جنوب يهوذا يُسمَّى "مرتفعات داوت" (the heights of *Dwt*)؛ ولأن "حرف "ت" [في النسخ المصريَّة للأسماء الأجنبيَّة لكلّ من الأماكن والأشخاص] يُمكن أن يحلّ محلّ "د" السامية وقد حدث هذا أحياناً"، زعم سيادته أن "داوت" (*Dwt*) اسم شخص وأنه هو المَلِك "داود" (David) المذكور في الكتاب المقدس[7878]!

لكن معظم المراجع التي بين أيدينا بل كلها تقريباً - مثل (Encyclopædia Judaica) وقاموس الكتاب المقدس ودائرة المعارف الكتابية وغيرها - لم تردد هذا الزعم العجيب حين تحدثت عن شيشق (شِيشُنْق) مَلِك مصر[7879]! وقال الكتاب المقدس الدراسي الآثاري (Archaeological Study Bible)[7880]:

It is possible that the [Sheshonk] inscription also mentions the "highlands of David" in its reference to Israel. If so, it is the earliest extrabiblical reference to David in existence and as such affords powerful evidence that he was in fact the great king the Bible portrays him to be. The interpretation of the relevant line of this text, however, is disputed.

فيبدو لنا إذن أن الخلاف بين العلماء والباحثين حول نقش شيشُنْق أكبر بكثير من خلافهم حول نُصب ميشع ونُصب تل دان. وفي جميع الأحوال وكما قلنا فيما سبق، حتى لو افترضنا جدلاً أن نقش شيشُنْق يذكر "مرتفعات داوت"، فهذا لا يعني بالضرورة أن "داوت" (أو حتى "داود") اسم شخص، بل لا يعني بالضرورة أن المَلِك داود المذكور في الكتاب المقدس والقرآن شخص حقيقي تاريخي. والأهم من هذا كله، لا يعني بالضرورة أن كل ما قاله الكتاب المقدس أو القرآن عن داود حقيقي وتاريخي.

4.47.4 النتيجة

مما سبق يتضح أن الدليل الوحيد الذي يستحق أن يُوصف بكلمة "دليل علمي" يمكن استخدامه لإثبات تاريخية داود هو نُصب تل دان. ومع ذلك، فإنه يعاني من مشكلات كثيرة وكبيرة كما وضحنا فيما سبق.

في ضوء الخلاف الشديد بين العلماء حول نُصب تل دان وغيره، يرفض فريقٌ من العلماء والباحثين والمفكرين الاستدلالَ بتلك الأدلة لإثبات تاريخية المَلِك داود المذكور في الكتب المقدسة، أو على الأقل يضعون تلك الأدلة بعقلانية في حجمها الحقيقي الضئيل دون تضخيم أو إفراط في التفاؤل. على سبيل المثال، يقول المفكر السوري الكبير فراس السواح[7881]:

أما من الناحية التاريخية، فلا يمكن التثبت من قيام المملكة الموحدة، ولا من وجود داود وسليمان، بسبب عدم تقاطع الأخبار التوراتية هنا مع أي نص تاريخي قديم. إلا أنه يمكن استنتاج قيام المملكة الموحدة، ووجود أساس تاريخي لسليمان وداود، وذلك من البينات التاريخية اللاحقة التي تثبت وجود مملكتي يهوذا وإسرائيل، وورود أسماء خلفاء سليمان على هاتين المملكتين في السجلات الآشورية مثل عمري وآخاب وياهو ومنسى ومنحيم. إلا أنه يصعب فرز الملامح التاريخية لداود وسليمان عن الظلال الملحمية التي أحاطت بهما في الرواية التوراتية (يقصد: قصص الحروب الكثيرة وأعداد الجيوش الكبيرة والمبالغة في إنجازات داود وسليمان لأغراض تمجيدية ودعائية سياسية و/أو دينية). أما عن توسع المملكة الموحدة وتكوينها لإمبراطورية مترامية الأرجاء فليس إلا حبكة ملحمية صرفة، لا تتقاطع مع أية معلومة تاريخية أكيدة.

وخلاصة القول في أمر المملكة الموحدة اعتماداً على البينات الأركيولوجية والتاريخية، هو أنها لم تكن سوى مملكة صغيرة لا تزيد رقعة ولا منعة عن ممالك بلاد الشام القائمة في ذلك العصر، قامت خلال فترة قصيرة لا تتجاوز السبعين عاماً ثم آلت إلى الانهيار.

ويقول العالِمان الكبيران (Israel Finkelstein) و (Neil Asher Silberman) في كتابهما الشهير (The Bible Unearthed) الذي ذاع صيته وتُرجم إلى عدة لغات، ومِن بينها العربية بعنوان "التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها"[(7882)]:

تشكيل الدولة في عالم الكتاب المقدَّس العبري:

لقد كان تطوُّر مُرتفعات كَنْعَان إلى حُكُومَتَيْن مُتميِّزَتَيْن (يقصد: المملكة الشمالية "إسرائيل" والمملكة الجنوبية "يهوذا") تطوُّراً طبيعيَّاً. ليس هُناك أيُّ دليل آثاري مُطلقاً بأنَّ هذه الحالة بَيْن الشمال والجنوب نتجت عن وحدة سياسيَّة سابقة – خاصَّة عن وحدة مُتمركزة في الجنوب (يقصد: المملكة الموحَّدة وعاصمتها أورشليم في يهوذا). في القرنَيْن العاشر والتاسع ق.م، كانت يهُوذا ما تزال مسكونة بشَكْل ضعيف جدَّاً، مع عدد محدود من القُرَى الصغيرة، لا يتجاوز في الواقع أكثر من عشرين قرية، أو نحو ذلك. هُناك سبب جيِّد للاعتقاد، استناداً لتركيب العشيرة المُتميِّز والاكتشافات الأثريَّة في يهوذا، أنَّ الشريحة الرعويَّة من السُّكَّان كانت ما تزال هامَّة هُناك. ونحنُ ما زلنا لا نمتلك أيَّ دليل آثاري – على الرغم من الأوصاف الفريدة في الكتاب المُقدَّس عن عَظَمَتها – على أنَّ أورشليم (القُدْس) كانت أكثر من مُجرَّد قرية مُرتفعات بسيطة (a modest highland village) أثناء عهد داود وسُلَيْمَان ورَحُبْعَام. وفي الوقت نفسه، النصف الشمالي للمُرتفات – وبشَكْل خَاصٍّ الأراضي التي انفصلت عن الحُكْم المَلَكي المُتَّحد على ما يقال – كانت مأهولة بشَكْل كثيف بالعشرات من المواقع، وكانت تتمتَّع بنظام استيطان مُتطوِّر - بشَكْل

جيِّد - تضمَّن مراكز إقليميَّة كبيرة، ومُدُن وبلدات من كُلِّ الأحجام، وقُرَى صغيرة جدَّاً. وببساطة؛ بينما كانت يهوذا ماتزال هامشيَّة اقتصاديَّاً ومُتخلِّفةً، كانت إسرائيل تزدهر وتنمو.

في الحقيقة؛ كانت إسرائيل تسير بخُطوات سريعة في طريقها نحو صيرورتها دولة مُتطوِّرة بالكامل خلال بضعة عُقُود بعد النهاية المُفترضة للحُكْم المَلَكي المُتَّحد؛ أي حوالي سنة 900 ق.م. ونقصد بعبارة "مُتطوِّرة بالكامل" أنَّها أصبحت أرضاً محكومة بآليَّات إداريَّة تنظيميَّة (بيرُوقراطيَّة)، التي تتجلَّى بتقسيم طَبَقي اجتماعي كما رأينا في توزيع الموادِّ الثَّريَّة الفاخرة، ومشاريع البناء الكبيرة، والنّشاطات الاقتصاديَّة المُزدهرة، بما في ذلك التِّجارة مع المناطق المُجاورة، ونظام استيطان مُتطوِّر بالكامل.

تطوَّرت في إسرائيل مراكز إداريَّة إقليميَّة مُنْذُ أوائل القرن التاسع ق.م. وكانت تلك المراكز مُحصَّنة ومُجهَّزة بالقُصُور المُتقنة التي بُنيت من الحجر المنحوت، وزُيِّنت برُؤُوس العواميد الحجريَّة؛ تجد أفضل الأمثلة على ذلك في "مَجدُّو" و "يَزْرَعيل" و "السّامرة". أمَّا في الجنوب (أي: في يهوذا)، فلم تظهر الأبنية المبنيَّة من الحجر المنحوت ورُؤُوس العواميد الحجريَّة إلا في القرن السابع ق.م، وتظهر بحُجُومٍ أصغر، وبنَحْو أقلِّ تأثُّراً بتأثيرات أجنبيَّة، ونوعيَّة أضعف في فنِّ البناء. هُناك -أيضاً- اختلاف عظيم في التخطيط وفي تطوُّر المُدُن الكبيرة. تأسَّسَت السامرة، عاصمة المَمْلَكَة الشّماليَّة، كَمَركزٍ حُكُوميٍّ واسعٍ وكبير في حُدُود القرن التاسع [ق.م]؛ في حين أنَّ أورشليم (القُدْس) لم تُصبح مدينة كاملة (fully urbanized) إلا في أواخر القرن الثامن [ق.م].

[...]

[...]. وبمعنى من المعاني، لم تكن يهوذا (Judah) تزيد على منطقة من مناطق إسرائيل الداخليَّة الريفيَّة (Israel’s rural hinterland).

[...] داود وسُلَيْمَان لم يكونا -سياسيَّاً- أكثر من زُعماء (chieftains) ريف المُرتفعات (التلال والهضاب)، بقيت سُلطتهم الإداريَّة محصورة في رُقعة محلِّيَّة مُتواضعة هي ريف المُرتفعات (يقصد: لم يكونا مَلِكين على مملكة واسعة كما يزعم الكتاب المُقدَّس العبري). [...]

إذا لم يكن هُناك أيُّ سبب مُهِمٍّ للشَّكِّ في تاريخيَّة داود وسُلَيْمَان، فإنَّ هُناك الكثير من الأسباب لوَضْع علامات استفهام كبيرة حول مدى وعظمة مَمْلَكَتهما. إذا لم تكن هُناك إمبراطوريَّة كبيرة، ولم تكن هُناك أبنية تذكاريَّة ضخمة، ولم تكن هُناك عاصمة رائعة، فماذا كانت طبيعة مَمْلَكَة داود إذن؟!

التُّراث الداودي: من رئيس عشيرة في العصر الحديدي (Iron Age Chiefdom) إلى أسطورة السُّلالة المَلَكيَّة (Dynastic Myth):

بقيت الحضارة والتَّطوُّر المادِّي في المرتفعات في عهد داود بسيطة. كانت الأرض ريفيَّة بشَكْل شبه تامٍّ، دُون وُجُود أيِّ أثر لوثائق مكتوبة، أو نُقُوش، أو حتَّى دلائل على انتشار واسع لمعرفة القراءة والكتابة، التي لاَ بُدَّ منها لعمل حُكْمٍ مَلَكيٍّ حقيقيٍّ.

من وجهة نَظَر ديموغرافيَّة (سُكَّانيَّة-جَغرافيَّة)، كانت رُقعة التَّوطُّن الإسرائيلي -بالكاد- مُتجانسة. من الصعب رُؤية أيِّ دليل على ثقافة أو نظام مادِّي مُوحَّد، أو دولة محكومة مركزياً. كانت المنطقة من أورشليم (القُدْس) إلى الشمال مأهولة تماماً بشَكْل كثيف، بَيْنما المنطقة من أورشليم إلى الجنوب - محور مَمْلَكَة يهوذا المستقبليَّة - ما تزال مأهولة بشَكْل مُتناثر وضعيف جداً. لم تكن أورشليم نفسها - في أحسن الأحوال - أكثر من قرية مُرتفعات نموذجيَّة (a typical highland village). لا يمكننا أن نقول عنها أي شيء أكثر من ذلك.

[...]. من زاوية علم الآثار لا يُمكننا أنْ نقول عن داود وسُلَيْمَان أكثر من أنَّهما وُجِدا فعلاً، وأنَّ أُسطُورتهما ثُبُتَت وبقيت إلى اليوم.

إلا أنَّ افتنان المؤرِّخ التثنوي (the Deuteronomistic historian) في القرن السابع ق.م بذكريات داود وسُلَيْمَان - وفي الحقيقة استمرار التبجيل اليَهْوَذوي لهاتَيْن الشخصيتَيْن - قد يكون أفضل [دليل]، إنْ لم يكن الدليل الوحيد، على وُجُود نوع من الدولة الإسرائيليَّة الموحَّدة الباكرة. الحقيقة بأنَّ المؤرِّخ التثنوي يستخدم الحُكْم المَلَكي الموحَّد كأداة قويَّة من الدعاية السياسيَّة (يقصد: البروباجاندا السياسيَّة التي ضخَّمت ذكريات هذا الحُكْم المَلَكي الموحَّد لتقدِّمه كنموذج لماضي مجيد ينبغي استعادته / إقامته)، يُوحي بأنَّه في عهده (أي عهد ذلك المؤرِّخ) فإنَّ قصة داود وسُلَيْمَان كحُكَّام أو مُلوك على أراض واسعة نسبياً في المرتفعات الوُسْطَى كانت ما تزال قصة حيَّة ومُعْتَقَدَة من قِبَل الناس على نطاق واسع.

[...].

في الأوقات المَلَكيَّة المتأخِّرة، تطوَّر لاهُوتٌ (عقيدة دينيَّة) مُتقَن في يهوذا وأُورشليم يهدف لتوثيق وتأكيد الارتباط بَيْن وريث داود (the heir of David) وقدر شعب إسرائيل بأكمله. طبقاً للتاريخ التثنوي، كان داودُ التَّقيُّ أوَّلَ مَنْ أَوْقَفَ دورة عبادة الأصنام (من قِبَل شعب إسرائيل) وعقابهم عليها (من قِبَل يَهْوَه). وبفضل طاعته، وإخلاصه، واستقامته، ساعده يَهْوَه على إكمال العمل غير المنهي ليشُوع — أي فتح بقيَّة الأرض الموعودة وتأسيس إمبراطوريَّة مجيدة على كُلِّ الأراضي الواسعة التي كان قد وُعِدَ بها إبراهيمُ. إذنْ كانت تلك آمالاً لاهُوتيَّة (theological hopes)، أكثر من كونها صُوراً تاريخيَّة بالمعنى الدقيق للكلمة (not accurate historical portraits). وكانت تلك الآمال تُمثِّل العُنصُر المركزي في رؤية قويَّة في القرن السابع [ق.م] لعصر نهضة وَطَنيَّة أرادت أن تجمِّع أُناساً مُتفرِّقين، أرهقتهم الحرب، لتُثبت لهم أنَّهم مرُّوا بتاريخهم بتجربة قَويَّة لتدخُّل الله المباشر في مصيرهم وقَدَرهم.

كانت المَلْحَمَة المجيدة للحُكْم المَلَكي المُتَّحد مثلها مثل قصص الآباء (patriarchs) وقصص الخروج الجماعي (Exodus) (من مصر) وقصص غزو كنعان (conquest) تأليفاً رائعاً نُسِجَ من حكايات وأساطير بُطوليَّة قديمة أُدمجت مع نُبُوءات مُتماسكة ومُقنعة لشعب إسرائيل في القرن السابع ق.م.

بالنسبة لشعب يهوذا، في الوقت الذي تمَّ تأليف وتدوين الكتاب المقدَّس العبري فيه، كان قد اعتلى العرش داودٌ جديدٌ (a new David) ينوي إعادة مجد أسلافه القدماء. إنَّه كان المَلِك [الشاب] "يُوشِيَّا" (Josiah) [عهده: حوالى 639-609 ق.م؛ أي: بعد انهيار مملكة إسرائيل الشمالية بأكثر من 80 عاماً]، الموصوف بأنَّه كان أكثر مُلُوك يهوذا تديُّناً. كان يُوشِيَّا قادراً على أن يعود بيومه إلى تاريخ العهد الأسطوري للحُكْم المَلَكي المُتَّحد. بتطهيره ليهوذا من إثم الوَثَنِيَّة - التي أدخلها سُلَيْمَان إلى أورشليم (القُدْس) أوَّل مرَّة عبر حريمه من النساء الأجنبيَّات (اللواتي جَلَبْنَ آلهتهنَّ الأجنبيَّة معهنَّ) (سفر الملوك الأول 1:11-8) - تمكَّن يُوشِيَّا من إزاحة التَّعدِّيات والانحرافات التي أدَّت إلى توقُّف "الإمبراطوريَّة" الداوديَّة. كان الكلام الذي أراد المؤرّخ التثنوي قوله بسيطاً وقوياً: "ما يزال هُناك طريق لاستعادة مجد الماضي".

وبناءً عليه، فقد بدأ يُوشِيَّا بتأسيس حُكْمٍ مَلَكي موحَّد يربط يهوذا بأراضي المملكة الشماليَّة السابقة عبر مؤسسات مَلَكيَّة، وقُوَّات عسكريَّة، وولاء عنيد (single-minded devotion) لأورشليم، التي لها مقام مركزي جداً في قصة داود في الكتاب المقدَّس.

بجُلُوسه على عرش داود في أورشليم (القُدْس)، كان المَلِك يُوشِيَّا الوريث الشَّرْعي الوحيد للإمبراطوريَّة الداوديَّة، وبالتالي، للأراضي الداوديَّة. كان على وشك أن "يستعيد" أراضي المملكة الشماليَّة المدمَّرة في ذلك الحين، تلك المملكة التي وُلِدت من ذُنُوب سُلَيْمَان. وتُلخِّص كلمات سفر الملوك الأوَّل 25:4، "وَسَكَنَ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلُ آمِنِينَ، كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ، مِنْ دَانَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ، كُلَّ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ"، تلك الآمال في التَّوسُّع الإقليمي والبحث عن الأزمنة المزدهرة المشابهة لأزمنة الماضي الأسطوري، عندما كان هنا مَلِك يحكم من أورشليم (القُدْس) على جميع أراضي يهوذا وإسرائيل مُجتمعين.

كما رأينا، كانت الحقيقة التاريخيَّة لمَمْلَكَة داود وسُلَيْمَان مُختلفة تماماً عن الرواية. كانت جُزءاً من تحول ديموغرافيّ (سُكَّانيّ-جَغرافيّ) عظيمٍ، أدَّى إلى ظُهُور مَمْلَكَتَيْ يهوذا وإسرائيل – في تسلسل تاريخي مُختلف بنَحْو قَويّ عن ذلك التسلسل الذي يصفه الكتاب المقدَّس العبري.

من كل ما قيل عن مسألة تاريخية الحُكْم المَلَكي المُتَّحد، نستنتج ما يلي:

- لا يوجد على الإطلاق أي دليل علمي يثبت تاريخياً أن نبياً اسمه "صموئيل" **[← صمويل أو شمويل]** ظهر في إسرائيل في القرن الحادي عشر قبل الميلاد!

- **لا** يوجد على الإطلاق أي دليل علمي يثبت تاريخياً أن مَلِكاً اسمه "شاول" **[⟵ طَالُوت]** ظهر في إسرائيل في القرن الحادي عشر قبل الميلاد**!**
- **لا** يوجد على الإطلاق أي دليل علمي يثبت تاريخياً أن نبياً اسمه "داود" **[⟵ داوود]** ظهر في إسرائيل في أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل القرن العاشر قبل الميلاد**!**
- **لا** يوجد أي دليل علمي يرجع تاريخه إلى أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل القرن العاشر قبل الميلاد يذكر مَلِكاً في إسرائيل اسمه "داود" **[⟵ "داوود"]!**
- الأدلة الأثرية التي تذكر "بَيْت دَاوُدَ" (House of David) **لا** تأتي من إسرائيل و**لا** يرجع تاريخُها إلى أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل القرن العاشر قبل الميلاد، أي أنها **ليست** معاصرة لداود**!**
- حتى لو افترضنا أن تلك الأدلة الأثرية تشير إلى وجود حاكم أو حتى مَلِك اسمه داود، فنحن **لا** نجد فيها أي دليل علمي يشير إلى أن داود هذا كان مَلِكاً على مملكة واسعة - بل إمبراطورية - تشمل إسرائيل وأجزاء من الأردن وسوريا ولبنان الحاليين كما يزعم العهد القديم العبري**!**
- حتى لو افترضنا أن تلك الأدلة الأثرية تشير إلى وجود حاكم أو حتى مَلِك اسمه داود، فهي بكل تأكيد لا تثبت صحة كل ما قيل عن المَلِك داود في العهد القديم العبري. وبنفس المنطق، لا تثبت صحة كل ما قيل عن النبي والمَلِك داود في القرآن العربي. لا سيما في ظل وجود اختلافات بين العهد القديم العبري والقرآن العربي حدثت بسبب الحذف و/أو الإضافة أثناء عملية التطور البشري الطبيعي (natural human development) من العهد القديم العبري الذي كُتِبَ مئات السنين قبل الميلاد إلى القرآن العربي الذي كُتِبَ مئات السنين بعد الميلاد.
- طبعاً يوجد احتمال أن داود الكتابي⟵القرآني شخص حقيقي تاريخي. لكن يوجد أيضاً احتمال أنه مجرد شخصية خيالية أسطورية. ويوجد احتمال ثالث أنه مزيج من الحقيقة والخيال. مزيج من قليل من الحقيقة وكثير من الخيال أضافته البروباجاندا السياسيَّة.

وأخيراً يجب أن نقول إن التشكيك في تاريخية المَلِك داود **لا** يجعل لقب "ابن داود" بلا معنى. فمن المعلوم أن الأصل العبري لكلمة "ابن" يمكن أن يعني: شخص سار على خطى آخر[7883]. وكذلك، فإن التشكيك في تاريخية المَلِك داود **لا** يعني بالضرورة التشكيك في تاريخية "ابنه" يسوع المسيح، بل لا يعني بالضرورة التشكيك في أن يسوع هو المسيح (المسيَّا). وذلك لأننا نؤمن أن يسوع هو المسيح لأسباب كثيرة أخرى. والمسيحيون الأوائل لم يؤمنوا أن يسوع هو المسيح لأنهم آمنوا أنه من بَيْت دَاوُدَ؛ وإنما العكس هو الصحيح: المسيحيون الأوائل آمنوا أن يسوع من بَيْت دَاوُدَ لأنهم آمنوا أنه هو المسيح. بعبارة أخرى: الإيمان أن يسوع من نسل داود هو نتيجة – وليس سبب – الإيمان أنه هو المسيح (المسيَّا). تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica)[7884]:

According to the New Testament, Jesus was of Davidic descent. Two of the Gospels, Matthew (1:1–7) and Luke (3:23–38), include a genealogy tracing him directly to David. The New Testament tells of afflicted people who address Jesus as "Son of David." These sources, which date from not later than the end of the 1st century C.E., reveal that a short time after the death of Jesus there was a current Christian tradition attributing Davidic descent to Jesus. However, no historical validity can be attributed to these New Testament genealogies which are mutually contradictory in their artificiality; they merely reflect the fact that at the end of the period of the Second Temple the belief in a messiah from the House of David (a tradition whose roots are biblical) was strong in Israel, and that consequently those who believed that Jesus was the Messiah concluded that he must be descended from David.

وعلى أي حال، ليس لدينا ما يمنع أن نصدِّق أن داود شخص حقيقي تاريخي. لكن هذا لا يعني أننا نصدِّق كُلَّ ما قاله الكتابُ المقدس ثم القرآنُ عنه. فنحن نرى أن ما قاله الكتابُ المقدس ثم القرآنُ عن داود مزيج من الحقيقة والخيال. مزيج من قليل من الحقيقة وكثير من الخيال والمبالغات.

4.48 هل بَنى الشَّيَاطِينُ والْجِنُّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَ اللهُ حَوْلَهُ؟!

أنهى المَلِكُ داودُ حُكْمَه بتثبيت ابنه سليمان مَلِكاً على العرش وارثاً له (1 ملوك 1). "وَاضْطَجَعَ دَاوُدُ مَعَ آبَائِهِ (أي: مَاتَ)، وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ (أي: أورشليم)" (1 ملوك 10:2). "وَجَلَسَ سُلَيْمَانُ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَتَثَبَّتَ مُلْكُهُ جِدًّا" (1 ملوك 12:2) "وَتَشَدَّدَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ، وَكَانَ الرَّبُّ إِلهُهُ مَعَهُ وَعَظَّمَهُ جِدًّا" (2 أخبار الأيام 1:1) **[← "وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ" (النمل 16)؛ أي: ورثه في المُلْك، بدليل قوله في آيات قرآنية أخرى: "مُلْكِ سُلَيْمَانَ" (البقرة 102) "مُلْكًا" (ص 35)]**. وهكذا صار سليمانُ المَلِك الثالث لإسرائيل والمَلِك الأول الذي يُولَد في أورشليم (القُدْس) عاصمة إسرائيل الموحدة الأبدية وينشأ في قصر أبيه المَلِك وسط الحاشية الملكية ورجال السلطة.

وحسب الكتاب المقدس، كان سليمان "فَتىً صَغِير" حين صار مَلِكاً (1 ملوك 7:3). وقيل إن "سُلَيْمَان كان يبلغ من العمر 20 عاماً تقريباً حين بدأ فترة حكمه"[7885] في النصف الأول من القرن العاشر قبل الميلاد (حوالي 970 ق.م أو 965 ق.م). وقيل إنه كان يبلغ من العمر 12 عاماً[7886]! وهذا الرأي الأخير انتقل إلى التراث الإسلامي. قال تفسيرُ الجلالين: "روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة"[7887]!

ومعظم أخبار المَلِك سليمان أو كلها تقريباً مذكورة في (1 ملوك 1-11) (2 أخبار الأيام 1-9).

4.48.1 مملكة سليمان الكبيرة جداً ونطاق نفوذه الواسع جداً!

"وَكَانَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ مَلِكًا عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ" (1 ملوك 1:4). "وَكَانَ سُلَيْمَانُ مُتَسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ مِنَ النَّهْرِ (أي: نَهْرِ الفُرَاتِ) إِلَى أَرْضِ فِلِسْطِينَ (أي: أَرْضِ الفِلِسْطِيِّينَ الواقعة على السهل الساحلي للبحر المتوسط جنوب غرب إسرائيل؛ حالياً: غَزَّةَ)، وَإِلَى تُخُومِ مِصْرَ (أي: نهر مصر الذي يقع عند حدودها الشمالية الشرقية قرب العريش وليس نهر النيل). كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْهَدَايَا (أي: الْهَدَايَا الإجبارية؛ الجِزيَةَ) وَيَخْدِمُونَ سُلَيْمَانَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ" (1 ملوك 21:4) (1 ملوك 1:5 حسب الترقيم العبري)! "لأَنَّهُ كَانَ مُتَسَلِّطًا عَلَى كُلِّ مَا عَبْرَ النَّهْرِ (أي: غرب نَهْرِ الفُرَاتِ) مِنْ تَفْسَحَ (Tiphsah) (هي: مدينة معروفة قديمًا تقع غرب نهر الفرات) إِلَى غَزَّةَ، عَلَى كُلِّ مُلُوكِ عَبْرِ النَّهْرِ، وَكَانَ لَهُ صُلْحٌ (أي: سلامٌ) مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ حَوَالَيْهِ. وَسَكَنَ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلُ آمِنِينَ، كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ، مِنْ دَانَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ (أي: من أقصى شمال إسرائيل إلى أقصى جنوبها؛ والمقصود: في كل مكان في إِسْرَائِيلَ)، كُلَّ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ (أي: أربعين سنة في سلام بدون حرب)" (1 ملوك 24:4-25) (1 ملوك 4:5-5 حسب الترقيم العبري)! يقول قاموس الكتاب المقدس: "وقد تحقق في حكم سليمان وعدُ الله لإبراهيم إذ ملك سليمان "مِنْ نَهْرِ مِصْرَ (أي: وادي العريش في أقصى شمال شرق سيناء؛ وليس نهر النيل) إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ" (التكوين 18:15)"[7888]. انظر الخرائط التي توضح مملكة سليمان (Solomon’s Kingdom) ونطاق نفوذه (أي: المناطق الخاضعة له) (Solomon’s sphere of influence) كالشكل التالي[7889].

رسم توضيحي 16 – مملكة سليمان الكبيرة جداً ونطاق نفوذه الواسع جداً (أي: المناطق الخاضعة له)!

يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم" تحت عنوان **"حدود مملكة سليمان"**:

"وَصْفُ حدود امتداد مملكة سليمان قُصِد به إيضاح عظمة حكم سليمان حيث تمتد من نهر الفرات في الشرق (إشارة إلى المساحة التي يستدير فيها النهر شمالاً إلى إقليم عمار (Emar) [في سوريا]) إلى وادي العريش على حدود مصر، وبذا ينسبه إلى حدود الأرض الموعودة بها (the covenantal promised land) في سفر التثنية 1 أو يشوع 1. سجلات بلاد الرافدين [من] زمن سرجون الأكادي (Sargon of Akkad) (الألفية الثالثة [ق.م.]) إلى الحكام الأشوريين المتأخرين تشمل إفادات بشأن اتساع ممالكهم. وبوجه عام هي توضح إما غزوات عسكرية أخذت المَلِكَ إلى مناطق أبعد من حدوده الفعلية، أو امتداد سيطرته الاقتصادية مما يمكِّن الحاكم من تحصيل رسوم (tolls) أو هبات (أي: جزية) (tribute) من الممالك المجاورة أو التجار الأغراب. والواقع أن هناك مستويات متنوعة مما يكون "سيطرة" أو "حدود". والنص هنا [1 ملوك 21:4] لا يعطي تفاصيل مستوى السيطرة التي مارسها سليمان على كل منطقة، ولكن كان هناك عدة علاقات مختلفة يمكن تحديدها والتعرف عليها. فبالإضافة إلى التخوم التقليدية مِنْ دَانَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ فقد كان لدى سليمان ولايات (provinces) (دول مهزومة conquered states) مثل مُوآب Moab وَأَدُوم Edom وعَمُّونَ Ammon)، وأتباع (vassals) (دافعو هبات (أي: دافعو جزية) tribute-paying، لكن لديهم حكام محليون (native rulers) مثل ما في حماة Hamath وصُوبَةَ Zobah وفلسطيا Philistia)، وأحلاف (allies) (شركاء مواثيق treaty partners مثل مصر Egypt وصور Tyre)"[7890].

ولعل القارئ الكريم قد لاحظ المبالغة الشديدة في وصف مملكة سليمان الكبيرة جداً ونطاق نفوذه الواسع جداً! ولذلك فإننا نتفق مع الكتاب اليهودي الدراسي (Jewish Study Bible) حين يقول تعليقاً على (1 ملوك 21:4) (1 ملوك 1:5 حسب الترقيم العبري):

“Many scholars consider this expansive description of Solomon’s Israel to be exaggerated”[7891] .

ويقول التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس: "إنه لمن غير المنطقي أن تكون سلطة سليمان قد وصلت إلى منطقة تدمر، ولا حتى إلى دمشق لعدم توفر الأعداد الكبيرة التي تمكنه من ذلك، فمملكته كانت مملكة صغيرة بقياس ممالك الألف الأول ق. م.، فضلاً عن أن علم الآثار لا يذكر شيئاً من هذا"[7892].

أما موسوعة (Encyclopædia Judaica) فقالت ما هو أجرأ، إذ ترى أن (1 ملوك 21:4) (1 ملوك 1:5 حسب الترقيم العبري) أضيفت لاحقاً من أجل تلميع سليمان. وقالت الموسوعة أيضاً إن بعض العلماء لا يشككون فقط في نطاق نفوذ سليمان، بل بعضهم يشككون أيضاً في وجود سليمان نفسه تاريخياً[7893]:

According to the biblical account, it was from David that Solomon inherited a kingdom which extended from “beyond the (Euphrates) river to the border of Egypt” (1 Kings 5:1 [1 Kings 4.21]). The verse is a late gloss, defining Solomon’s territory anachronistically, and attempting to raise Solomon to the status of the great imperialists of the Neo-Assyrian, Neo-Babylonian, and perhaps Persian periods. “Beyond the river” (Heb. *ever ha-nahar* is the equivalent of Akkadian *eber nāri*, first used two centuries after Solomon in Neo-Assyrian sources for the territory west of the Euphrates (Cogan, 213)). Indeed, in the time that has transpired since the appearance of the first edition of the *Encyclopaedia Judaica*, both archaeological evidence and critical study of the biblical texts have undermined the confidence of scholars about the greatness of Solomon. Some scholars despair of recovering the historical Solomon, while others call his very existence into question.

وفي ظل عدم وجود أي أثر أو دليل علمي يثبت وجود "سليمان التاريخي" (the historical Solomon): إذ "لم يرد ذكر سليمان ومملكته في أي وثيقة من وثائق الشرق القديم"[7894]، فإن كل ما قاله عنه التراث اليهودي ثم التراث المسيحي ثم التراث الإسلامي – سواء المقدس أو غير المقدس – يُصنَّف تحت اسم "سليمان الأساطير" (the Solomon of legend) أو "سليمان التقليد" (the traditional

Solomon). والصفحات التالية ستثبت أن ما قاله القرآنُ عن سليمان مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي-المسيحي.

4.48.2 هيكل سليمان: "الْمَسْجِد الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ" (الإسراء 1)

إذا كان عصرُ المَلِك داود قد تميَّز بكثرة الحروب والقتال وسفك الدماء، فإن عصر ابنه المَلِك سليمان قد تميَّز بالسلام والاستقرار والهدوء النسبي الذي أعطى فرصةً جيدةً إلى القيام بأعمال البناء والتشييد الكثيرة والكبيرة، وعلى رأسها بناء الهيكل المقدس (Holy Temple) في أورشليم عاصمة مملكة سليمان المتحدة والذي يُسمَّى أيضاً "هيكل سليمان" (Solomon's Temple) أو "الهيكل الأول" (First Temple). "وكان موقع البناء على جَبَلِ الْمُرِيَّا حيث قدَّم إبراهيمُ ابنَه إسحق"[7895]، "ويُقال اليوم" إنها "الأرض الصخريَّة المُنبسطة تحت قبَّة الصخرة في القدس"[7896]. ويُسمَّى في المراجع الإسلامية "الْمَسْجِد الْأَقْصَى" (الإسراء 1) بـ"بيت المقدس" (من العبرية: Beit Ha-Miqdash) أو اختصاراً "الْمَسْجِد" (الإسراء 7) أو "الهيكل". مثلاً في سنن النسائي تحت عنوان "فَضْلُ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى وَالصَّلاةِ فِيهِ" يوجد حديث صحيح مرفوع عن النَّبيِّ ﷺ قال إن "سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ﷺ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - خِلالاً ثَلاثَةً: سَأَلَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ (أي: حكمة توافق حكمة الله) فَأُوتِيَهُ، وسَأَلَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدِهِ (يقصد: ص 35) فَأُوتِيَهُ، وسَأَلَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حِينَ فَرَغَ من بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لا يَنْهَزُهُ (أي: لا يحرّكه) إِلَّا الصَّلاةُ فِيهِ أن يُخْرِجَهُ من خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"[7897]. وهذا الحديث الصحيح المرفوع مهم جداً لأنه يؤكد أن سليمان بنى بيتَ المقدس (المسجدَ) أي: المسجدَ الأقصى. وكذلك يوجد حديث صحيح في صحيح البخاري يذكر "الْمَسْجِد الْأَقْصَى" وسط أحاديث تتحدث عن سليمان[7898]. إذن: التشكيك في تاريخية هيكل سليمان (الْمَسْجِد الْأَقْصَى) بذريعة محاربة الصهيونية يعني التشكيك في السُّنَّة الصحيحة بل يعني التشكيك في القرآن نفسه (الإسراء 1، 7) (سبأ 12-13) (البقرة 145). وفي العصر الحديث، قال الشيخ عبد الوهاب النجار (أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين): "ونحن نعلم أن سليمان كان رجل عمارة وبناء للمصانع العظيمة ويكفيه فخراً أنه بنى الهيكل"[7899]. وقال الباحث التونسي المسلم د. سامي عامري: "وكان أعظم ما بناه سليمانُ - عليه السلام - الهيكل (المسجد) في أورشليم"[7900].

ونظراً لوجود تفاصيل كثيرة جداً ودقيقة جداً في الكتاب المقدس لا تهمنا هنا، وحرصاً على عدم الإطالة، فإننا سنكتفي بالآيات الكتابية التي ألقت بظلالها على قصة سليمان القرآنية. وعلى الرغم من وجود اختلافات بين رواية سفر الملوك الأول (الرواية المبكرة، أي: قبل السبي preexilic أو أثنائه exilic) ورواية سفر أخبار الأيام الثاني (الرواية المتأخرة، أي: بعد السبي postexilic) التي ربما تأثَّرت بـ"الهيكل الثاني" (Second Temple)، إلا أننا نظن أن أصحاب القرآن لم يهتموا بهذه الاختلافات، ولذلك فإننا لن نعلق عليها. ولن نذكر أيضاً أبعاد الهيكل، وسنكتفي بالقول إنه كان ضخماً جداً وأكبر من خيمة الاجتماع!

سليمان يبني الهيكل (الْبَيْتَ House) الخَلَف الشرعي لخيمة الاجتماع (1 ملوك 6) (2 أخبار الأيام 3): "وَشَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، فِي جَبَلِ الْمُرِيَّا (Mount Moriah) (حالياً: جبل الهيكل Temple Mount) حَيْثُ تَرَاءَى لِدَاوُدَ أَبِيهِ، حَيْثُ هَيَّأَ دَاوُدُ مَكَانًا" (2 أخبار الأيام 3:1). وينقسم هيكل سليمان إلى قسمين أساسيين هُما: القسم الأكبر وهو القسم الشرقي الذي يُسمَّى "الْقُدْسِ" (Holy) (الْمَقْدِس Sanctuary)؛ أما القسم الغربي فهو قسم داخلي أقل مساحة لكن أكثر قداسة فلا يدخله إلا رئيس الكهنة وحده مَرَّةً وَاحِدَةً في السنة في يوم الكفَّارة (اللاويين 16) وهذا القسم الداخلي الأكثر قداسة يُسمَّى "قُدْسِ الأَقْدَاسِ" (Holy of Holies) (الْمَقْدِس الداخلي Inner Sanctuary) أو "الْمِحْرَاب" (Shrine) (1 ملوك 5:6، 16) (2 أخبار الأيام 16:3)[7901] **[← "مَّحَارِيبَ" (سبأ 13)]** "لِيَضَعَ هُنَاكَ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ" (1 ملوك 19:6) الذي يمثل وجود الله وسط شعبه كما قلنا فيما سبق. و "يَفْصِلُ [...] الْحِجَابُ (curtain; veil) بَيْنَ الْقُدْسِ وَقُدْسِ الأَقْدَاسِ" (الخروج 33:26). "وَعَمِلَ [سليمانُ] فِي بَيْتِ قُدْسِ الأَقْدَاسِ كَرُوبَيْنِ (two sculptured cherubim) (أي: تِمْثَالينِ مَنْحُوتين لِمَلاكَيْنِ)[7902] [...]. وَعَمِلَ الْحِجَابَ (أي: السِّتَارَةَ الْفَاصِلَةَ بَيْنَ الْمِحْرَابِ وَبَقِيَّةِ الْهَيْكَلِ] [...]، وَجَعَلَ عَلَيْهِ كَرُوبِيمَ (cherubim) (أي: تَمَاثِيلَ مَنْحُوتَة لِمَلاَئِكَة)" (2 أخبار الأيام 3:10-14)؛ (1 ملوك 6:21-35) **[← "تَمَاثِيلَ" (سبأ 13)[7903]؛ والتماثيل هي الصور المجسمة للأشياء]**. وللهيكل مدخل مسقوف "قُدَّامَ هَيْكَلِ الْبَيْتِ" يُسمَّى "الرِّوَاقُ" (Portico) (1 ملوك 3:6) (2 أخبار الأيام 4:3). "وَالْبَيْتُ فِي بِنَائِهِ بُنِيَ بِحِجَارَةٍ صَحِيحَةٍ مُقْتَلَعَةٍ (cut at the quarry) (أي: منحوتة سلفاً؛ اقْتَلَعَهَا الْعُمَّالُ وَنَحَتُوهَا فِي مَحَاجِرِهَا قبل إحضارها إلى موقع بناء الهيكل)، وَلَمْ يُسْمَعْ فِي الْبَيْتِ عِنْدَ بِنَائِهِ مِنْحَتٌ (أي: مِطرَقَةٌ) وَلاَ مِعْوَلٌ (أي: إزْميلٌ) وَلاَ أَدَاةٌ مِنْ حَدِيدٍ" (1 ملوك 7:6)؛ وكان هذا تنفيذًا لوصية الله في عدم استخدام الآلات الحديدية في بناء مذبحه أو هيكله (الخروج 25:20) (التثنية 5:27) (يشوع 31:8) وأيضاً حتى يتم البناء في هدوء ينسجم مع الطابع المقدَّس للعمل الذي يجري تنفيذه.

"وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى سُلَيْمَانَ قَائِلًا: «هذَا الْبَيْتُ الَّذِي أَنْتَ بَانِيهِ، إِنْ سَلَكْتَ فِي فَرَائِضِي وَعَمِلْتَ أَحْكَامِي وَحَفِظْتَ كُلَّ وَصَايَايَ لِلسُّلُوكِ بِهَا، فَإِنِّي أُقِيمُ مَعَكَ كَلاَمِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ إِلَى دَاوُدَ أَبِيكَ، وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ أَتْرُكُ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ (يقصد: حفظ وصايا الرب أهم من بناء بيتٍ للرب؛ الهيكل لا يضمن حضورَ الله معهم وإنما السير في طاعة الله هو الذي يضمن الحضورَ الإلهي)». فَبَنَى سُلَيْمَانُ الْبَيْتَ وَأَكْمَلَهُ" (1 ملوك 6:11-14) "فَبَنَاهُ فِي سَبْعِ سِنِينِ [وستة أشهر]" (1 ملوك 6:38)! وحسب التقليد، فإن هذه السنوات السبع هي 966-959 ق.م، ولقد ظل هيكل سليمان قائماً حتى عام 586 ق.م حين هدمه البابليون (الكلدانيون)، أي استمر وجوده أكثر من 370 سنة[7904]!

أثاثات الهيكل (1 ملوك 7:13-51) (2 أخبار الأيام 4). ولقد لاحظنا كثرة استخدام معدن النُّحَاسِ (بالعبرية: neḥosheth) (copper) وسبائكه كالبرونز (bronze)[7905] **[← "الْقِطْرِ (أي: النُّحَاسِ؛ أو: النُّحَاسِ الذَّائِبِ) (copper) (brass)[7906]" (سبأ 12)]**. تقول دائرة المعارف الكتابية: "استغل سليمان

مناجم النحاس الغنية القريبة من عِصْيُونَ جَابِرَ، وأنشأ المصاهر والمسابك التي اكتشفت بقاياها. وكان يصدر النحاس والبرونز لكثير من أنحاء العالم"[7907]. ويقول الكتاب المقدس إن الْمَلِك سُلَيْمَان اسْتَدْعَى فريقاً من العمَّال المهرة يرأسهم فنان محترفٌ يُدْعَى "حُورَامَ" (Huram) أو "حِيرَامَ" (Hiram) "وَهُوَ ابْنُ امْرَأَةٍ [إسرائيلية] أَرْمَلَةٍ مِنْ سِبْطِ نَفْتَالِي، وَأَبُوهُ رَجُلٌ صُورِيٌّ (أي: مِنْ صُورَ Tyre) نَحَّاسٌ (coppersmith)، وَكَانَ مُمْتَلِئًا حِكْمَةً وَفَهْمًا وَمَعْرِفَةً لِعَمَلِ كُلِّ عَمَل فِي النُّحَاسِ. فَأَتَى [حِيرَامُ مِنْ صُورَ] إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ وَعَمِلَ كُلَّ عَمَلِهِ. وَصَوَّرَ [حِيرَامُ] الْعَمُودَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ، [...]. وَعَمِلَ تَاجَيْنِ لِيَضَعَهُمَا عَلَى رَأْسَيِ الْعَمُودَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ مَسْبُوكٍ. [...] وَأَوْقَفَ الْعَمُودَيْنِ فِي رِوَاقِ الْهَيْكَلِ" (1 ملوك 7:14-21). "وَعَمِلَ مَذْبَحَ نُحَاسٍ" (2 أخبار الأيام 4:1)، (1 ملوك 8:64)؛ وهذا هو المذبح الأساسيُّ الذي قُدِّمت الذبائح عليه في ساحة أمام الهيكل. وفي هذه الساحة أيضاً، "عَمِلَ الْبَحْرَ (sea) مَسْبُوكًا (أي: حوضاً كبيراً أو خزّاناً مصنوعاً من النحاس يُمْلَأ بالماء الطاهر). [...]، وَكَانَ مُدَوَّرًا مُسْتَدِيرًا" (1 ملوك 7:23) (2 أخبار الأيام 4:2)[7908] **[⟵ "عَيْنَ الْقِطْرِ" (سبأ 12)[7909]]** "لِكَيْ يَغْتَسِلَ فِيهِ الْكَهَنَةُ (أي: يغسلون أيديهم بمائه؛ وقيل: يغطسون فيه ليتطهَّروا طقسياً)" (2 أخبار الأيام 4:6). "وَكَانَ [الْبَحْرُ] قَائِمًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ ثَوْرًا (أي: تماثيل منحوتة على شكل ثيران)" (1 ملوك 7:25) (2 أخبار الأيام 4:4) **[⟵ "تَمَاثِيلَ" (سبأ 13)]**. "وَعَمِلَ عَشَرَ مَرَاحِضَ (basins; lavers) (أي: أحواض أو مَغاسِل على قواعد متحركة[7910]) مِنْ نُحَاسٍ تَسَعُ كُلُّ مِرْحَضَةٍ أَرْبَعِينَ بَثّاً (أي: حوالي 900 لتر أو أكثر من الماء!)" (1 ملوك 7:38) **[⟵ "جِفَانٍ كَالْجَوَابِ (basins as large as reservoirs) (أي: قِصَاع ضخمة كالأحواض الكبيرة الواسعة التي يُجْمَع فيها الماء)" (سبأ 13)]** "مِرْحَضَةٌ وَاحِدَةٌ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْوَاحِدَةِ لِلْعَشَرِ الْقَوَاعِدِ" (1 ملوك 7:38) "وَجَعَلَ خَمْسًا عَنِ الْيَمِينِ وَخَمْسًا عَنِ الْيَسَارِ، لِلاغْتِسَالِ فِيهَا. كَانُوا يَغْسِلُونَ فِيهَا مَا يُقَرِّبُونَهُ مُحْرَقَةً" (2 أخبار الأيام 4:6). وعَمِل أيضاً "الْقُدُورَ (pots; pails) (أي: أواني لطهي اللحوم[7911]) [...] وَكُلَّ آنِيَتِهَا (vessels)" (2 أخبار الأيام 4:16) **[⟵ "قُدُورٍ (pots; cauldrons) رَّاسِيَاتٍ (أي: أوان للطبخ ثابتات)" (سبأ 13). "ذكر المفسرون [المسلمون] أنها كانت قدوراً ضخمة من النحاس"[7912]]** "وَجَمِيعُ هذِهِ الآنِيَةِ الَّتِي عَمِلَهَا حِيرَامُ لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ لِبَيْتِ الرَّبِّ هِيَ مِنْ نُحَاسٍ مَصْقُول (أي: مَجْلِيّ؛ لامع؛ polished)" (1 ملوك 7:45). "وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ كُلَّ هذِهِ الآنِيَةِ كَثِيرَةً جِدًّا لأَنَّهُ لَمْ يُتَحَقَّقْ وَزْنُ النُّحَاسِ (أي: لَمْ يَقْدِرْ أحَدٌ أَنْ يَزِنَ كَمِّيَّةَ النُّحَاسِ الْمُسْتَخْدَمَةِ فِي صُنْعِ هَذِهِ الأَشْيَاءِ لِكَثْرَتِهَا)" (2 أخبار الأيام 4:18) "وَتَرَكَ سُلَيْمَانُ وَزْنَ جَمِيعِ الآنِيَةِ لأَنَّهَا كَثِيرَةٌ جِدًّا جِدًّا. لَمْ يَتَحَقَّقْ وَزْنُ النُّحَاسِ" (1 ملوك 7:47). **[⟵ "وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ (a fountain of molten brass)" (سبأ 12)؛ أي: وأذبْنا لِسُلَيْمَانَ معدن النحاس يجري غزيراً مستمراً كسيلان الماء من الينبوع! قال تفسير القرطبي: "وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ جُعِلَ النُّحَاسُ لِسُلَيْمَانَ فِي مَعْدِنِهِ عَيْنًا تَسِيلُ كَعُيُونِ الْمِيَاهِ، دَلَالَةً عَلَى نُبُوَّتِهِ"[7913]! وفي القرن العشرين الميلادي، قال الشيخ محمد محمود حجازي (من كبار علماء الأزهر): "أجرينا له عيناً تُخرج نُحاساً مُذاباً بلا نار ولا فحم، يستخدمه في أغراضه، وتكون معجزة له أمام بني إسرائيل"[7914]! وقال د. محمد علي الصابوني (الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة**

المكرمة): "أسال اللهُ له عين القطر (وهو النحاس المذاب) فكان النحاس يتدفق له مذاباً من عين خاصة كتدفق الماء فيصنع منه ما شاء"[7915]! امنعوا الضحك! فإذا كان الشيوخ المسلمين الكبار وأساتذة الجامعات في الدول العربية والإسلامية يصدِّقون هذه الأساطير ويرددونها في القرن العشرين الميلادي، فكيف حال المسلمين البسطاء؟! وبغض النظر عن هذه المعجزات الأسطورية، فإن كل هذا يدل على أن أصحاب القرآن قصدوا أن النحاس كان متوفراً لسليمان بكميات كبيرة جداً؛ وهو ما قاله الكتاب المقدس قبل الإسلام بمئات السنين[7916]. فهل أتى القرآنُ بشيءٍ جديد وصحيح؟! الإجابة كالعادة هي: لا!].

ومن الجدير بالذكر أن هيكل سليمان كان يشبه في بنائه وأثاثاته معابد معاصرة له في أماكن أخرى في الشرق الأوسط القديم. والكتاب المقدس نفسه يعترف بأن الذين قاموا بالدور الأكبر في بناء الهيكل هُمْ العمَّال الفينيقيون الحاذقون تحت إشراف الصانع الماهر حُورَامَ/حِيرَامَ الذي اسْتَدْعَاه الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ مِنْ صُورَ (1 ملوك 7:13-51) (2 أخبار الأيام 4)، بالإضافة إلى الكنعانيين الوثنيين الذين سخَّرهم الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ كعبيد (1 ملوك 9:15-23) (2 أخبار الأيام 8:7-10). فلا غرابة أن يشبه هيكلُ سليمان معابد شرق-أوسطية أخرى. على سبيل المثال، "الهيكل المعاصر في عين دارا ('Ain Dara) في سوريا [كان فيه] عدة منحوتات من أبي الهول والأسود"[7917] **[⟵ "تَمَاثِيلَ" (سبأ 13)]**. وكذلك بحر النحاس (1 ملوك 7:23) (2 أخبار الأيام 4:2) **[⟵ "عَيْنَ الْقِطْرِ" (سبأ 12)]**: "في العالم البابليّ، كان لهذا الحوض مفهوم ميتولوجيّ، فيذكِّر المؤمنَ ببداية الكون وما عمله الإله مردوخ لكي يرتِّب الخليقة. أمّا هنا فالحوض يُستعمل، بكل بساطة، للاغتسال [قبل بداية الصلاة]. في هذا المجال، نشير إلى عمل الكاتب الملهم في العهد القديم كلِّه: إن أخذ الصوَر والعادات، فهو ينقِّيها من كُلِّ "شرك" وعبادة أصنام ويجعلها في إطار العبادة للإله الواحد"[7918]. فكما نقول دائماً: لم يكن أصحابُ القرآن محتاجين أن يقرأوا الكتابَ المقدس، بل لم يكونوا محتاجين أن يقرأوا أي كتاب، فيكفيهم ما كانوا يرونه بأعينهم ويسمعونه بآذانهم من سكان الشرق الأوسط المعاصرين لهم، فهذا يكفي – بل يكفي جداً – لإنتاج كتاب مثل القرآن العربي.

"كان سليمان نفسه يقدم الذبائح، ما يعزز الرأي القائل بعدم وجود فصل بين مؤسسة المُلْك ومؤسسة الكهنوت في تلك الأيام"[7919]. "وَكَانَ سُلَيْمَانُ يُصْعِدُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ (أي: كل سنة في أعياد الحج الثلاثة الكبرى وهي: عيد الفصح/الفطير وعيد الخمسين/الأسابيع وعيد المظال/الخيام) مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ عَلَى الْمَذْبَحِ [النحاسي] الَّذِي بَنَاهُ لِلرَّبِّ [في أورشليم]، وَكَانَ يُوقِدُ (أي: يُحْرِقُ البَخُورَ؛ يُحْرِقُ الذَّبِيحَةَ بِالنَّارِ) عَلَى الَّذِي أَمَامَ الرَّبِّ. وَأَكْمَلَ الْبَيْتَ" (1 ملوك 9:25). وبقدر أكبر من التفصيل: "أَصْعَدَ سُلَيْمَانُ مُحْرَقَاتٍ لِلرَّبِّ عَلَى مَذْبَحِ الرَّبِّ الَّذِي بَنَاهُ قُدَّامَ الرّواقِ. أَمْرَ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ مِنَ الْمُحْرَقَاتِ حَسَبَ وَصِيَّةِ مُوسَى فِي السُّبُوتِ وَالأَهِلَّةِ وَالْمَوَاسِمِ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ، فِي عِيدِ الْفَطِيرِ وَعِيدِ الأَسَابِيعِ وَعِيدِ الْمَظَالِّ. وَأَوْقَفَ حَسَبَ قَضَاءِ دَاوُدَ أَبِيهِ فِرَقَ الْكَهَنَةِ عَلَى خِدْمَتِهِمْ وَاللاَّوِيِّينَ عَلَى حِرَاسَاتِهِمْ، لِلتَّسْبِيحِ وَالْخِدْمَةِ أَمَامَ الْكَهَنَةِ، عَمَلِ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ، وَالْبَوَّابِينَ حَسَبَ فِرَقِهِمْ عَلَى كُلِّ بَابٍ. لأَنَّهُ هكَذَا هِيَ وَصِيَّةُ دَاوُدَ رَجُلِ اللهِ. وَلَمْ يَحِيدُوا عَنْ وَصِيَّةِ

الْمَلِكِ عَلَى الْكَهَنَةِ وَاللاَّوِيِّينَ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَفِي الْخَزَائِنِ. فَتَهَيَّأَ كُلُّ عَمَلِ سُلَيْمَانَ إِلَى يَوْمِ تَأْسِيسِ بَيْتِ الرَّبِّ وَإِلَى نِهَايَتِهِ. فَكَمَلَ بَيْتُ الرَّبِّ" (2 أخبار الأيام 8:12-16).

أهمية هيكل سليمان. يقول قاموس الكتاب المقدس: "وكان الهيكل أعظم أعمال سليمان بلا جدال. ودشَّن سليمانُ الهيكلَ بعد يوم الكفارة العظيم وقبل عيد المظال، في احتفال رائع، وامتلأ بيتُ الله بالسحاب وَمَلأَ مَجْدُ اللهِ الْبَيْتَ (2 أخبار الأيام 5) وصلّى سليمانُ صلاةً طويلة للرب إله السماء، نجدها في (1 ملوك 8:23-53). وقدَّم سليمانُ محرقات عظيمة لتدشين هيكله، وفي هذا نرى أن سليمان أخذ مكان هارون ومكان موسى!"[7920]. فإذا سألتم: "لماذا يُشدَّد كثيراً في العهد القديم على الهيكل"؟ فإن الإجابة هي "لأنه: 1) كان مركز العبادة الذي دعا الشعب إلى تصحيح إيمانهم على مرّ الأجيال؛ 2) كان رمز حضور الله وسط شعبه؛ 3) كان رمز الغفران والنعمة، مذكِّراً الشعب بخطورة الخطيَّة وتوافر الرحمة؛ 4) هيَّأ الشعبَ لِحَمَلِ الله الحقيقي، يسوع المسيح [ابن داود]، الذي سوف يرفع الخطيَّة؛ 5) كان مكاناً للصلاة"[7921]. وتقول دائرة المعارف الكتابية: "وكان تدشين الهيكل فرصة رائعة في حياة سليمان وحياة الأمة، حيث "جاء كل شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَكُلَّ رُؤُوسِ الأَسْبَاطِ، رُؤَسَاءَ الآبَاءِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَى أُورُشَلِيمَ" (2 أخبار الأيام 5:2). ونُقِل تابوتُ العهد من خيمة داود إلى الهيكل محمولاً على أكتاف اللاويين، يحف به الكهنة في موكب مهيب. [...] وبينما كانت الذبائح تُقدَّم في أعداد كبيرة، أدخل تابوت العهد إلى قدس الأقداس في الهيكل الجديد. وقد أعلن اللهُ مباركته للعمل، بأن "نَزَلَتِ النَّارُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتِ الْمُحْرَقَةَ وَالذَّبَائِحَ، وَمَلأَ مَجْدُ الرَّبِّ الْبَيْتَ" (2 أخبار الأيام 7:1)"؛ "ولأول مرة أصبح للأمة مركز قومي للعبادة في أورشليم، فكان الهيكل هو مركز الحياة الدينية لبني إسرائيل ومحور تفكيرهم، إلى أن دمره الكلدانيون في 587 / 586 ق.م. وحتى ذلك لم يجعله يغيب عن بالهم، وأُعيد بناؤه بعد العودة من السبي (أي: الهيكل الثاني)، ثم أعاد بناءه ووسَّعه هيرودس الكبير، إلى أن دمره الرومان مرة أخرى في 70م"[7922]. **[← مِن حُسن الحظ أن القرآن نفسه يشير إلى تدمير الهيكل (الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) "مَرَّتَيْنِ" (الإسراء 4) "وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ (أى: يخرِّبوا الهيكلَ) كَمَا دَخَلُوهُ (أي: خرَّبوه) أَوَّلَ مَرَّةٍ" (الإسراء 7). إذن: أثناء ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي، لم يكن "الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى" (الإسراء 1) موجوداً].**

وعلى الرغم من أن سليمان هو أوّل مَن بنى بيتاً كبيراً لله بهدف جمع شمل الأُمَّة وتوحيدها في عبادة الله بالصلاة والحج وتقديم الذبائح وغير ذلك، إلا أن سليمان حسب الكتاب المقدس مَلِك فقط وليس نبياً وليس له معجزة واضحة تُذْكَر. ليس هذا فحسب، بل حتى "صوت الأنبياء الذي كان قوياً في أيام داود أبيه، لا نجد له أثراً واضحاً في عهد سليمان، فلم يظهر النبي القوي (مثل ناثان) الذي يستطيع أن يُلفت نظر الملك إلى أخطائه، وينبهه إلى وجوب السير حسب وصايا الرب وشرائعه"[7923]. لكن في المقابل، توجد آيات كتابية تقول إن الله تكلّم إلى سليمان مثل "وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى سُلَيْمَانَ قَائِلًا" (1 ملوك 6:11) ولعل المقصود أنه كَلَّمه بواسطة كاهن أو نبي غير معروف؛ كما توجد آيات كتابية تقول إن الله "تَرَاءَى" لِسُلَيْمَانَ "مَرَّتَيْنِ" (1

ملوك 9:11) المرة الأولى قبل بناء الهيكل "فِي جِبْعُونَ تَرَاءَى الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ فِي حُلْمٍ لَيْلًا" (1 ملوك 5:3) "فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ تَرَاءَى اللهُ لِسُلَيْمَانَ" (2 أخبار الأيام 7:1) والمرة الثانية بعد بناء الهيكل في أُورُشَلِيمَ "أَنَّ الرَّبَّ تَرَاءَى لِسُلَيْمَانَ ثَانِيَةً كَمَا تَرَاءَى لَهُ فِي جِبْعُونَ" (1 ملوك 2:9) "تَرَاءَى الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ لَيْلًا" (2 أخبار الأيام 12:7) ولعل المقصود أنه تَرَاءَى له لَيْلًا فِي حُلْمٍ. هذا بالإضافة إلى أن التقليد اليهودي-المسيحي ينسب إلى سليمان قسماً كبيراً من سفر الأمثال (Proverbs) (الأمثال 1:1، 1:10، 1:25) وسفر الجامعة (Ecclesiastes) (الجامعة 1:1) وسفر نشيد الأنشاد (Song of Songs) (نشيد الأنشاد 1:1) والمزمورين 72 و 127 "لِسُلَيْمَانَ". "لكنَّ عدداً من الاختصاصيين يعتقدون بأن هذه الكتابات تعود إلى وقت متأخر، بعد سليمان بوقت طويل"[7924]! وتقول دائرة المعارف الكتابية: "كان سليمان بالنسبة لليهود وللمسيحيين الأوائل يعتبر رائداً للتعليم والحكمة، كما كان داود رائداً في كتابة الأناشيد، وموسى في تسجيل الشرائع الدينية، وهكذا نُسِبَت إليهم كتب لا علاقة لهم بها. ونقرأ في العهد القديم عن حكمة سليمان (1 ملوك 7:3-14، سيراخ 47:14-19). ويُسمَّى سفر الأمثال باسمه مع أن المرجح أنه لم يكتب إلا القليل منه"[7925]! ويُنْسَب إلى سليمان أيضاً "سفر الحكمة" (Book of Wisdom) ("حكمة سليمان" (Wisdom of Solomon)) وهو أحد أسفار "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) التي تُسمَّى أيضاً "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books)، لكن في الواقع فإن تاريخه يرجع إلى القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول بعد الميلاد، أي قبل الإسلام بأكثر من 500 سنة. تقول مقدمة الترجمة اليسوعية لسفر الحكمة: "وضعه في اليونانية يهودي من جماعة المؤمنين في الشتات. تاريخ تأليفه غير أكيد. هناك معلومات [...] تدعونا إلى عدم الرجوع إلى ما قبل الخمسينات قبل المسيح"[7926]. أي بعد سليمان بأكثر من 800 سنة!

[← قيام المَلِك سليمان ببناء الهيكل المقدس في أورشليم وأدائه وظائف كهنوتية مثل هارون وكلام الله إليه ووجود كتابات كثيرة منسوبة إليه - خطأً أو كذباً - وعدم وجود أنبياء أقوياء مشهورين في عصره؛ كل هذا جعل أصحاب القرآن يتوهَّمون أن سليمان كان نبياً يُوحي اللهُ إليه، مثل هارون الذي توهَّم أصحابُ القرآن أنه نبي أيضاً! "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ [...] هَارُونَ وَسُلَيْمَانَ" (النساء 163)! اقرأ أيضاً (الأنعام 83-90). ولذلك فإن "وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ" (النمل 16) تُفسَّر أيضاً بمعنى: وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ في المُلْك والنبوة. وهذا يعني أن سليمان هو أول مَلِك نبي، بل المَلِك النبي الوحيد، الذي يُولَد وينشأ في بيت المُلْك والنبوة. لكن أصحاب القرآن لم يذكروا شيئاً محدداً يدل على نبوة سليمان! قال الدكتور محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق): "ولم تذكر في القرآن الكريم دعوته في قومه، ولا موقف قومه من دعوته"[7927]! حتى قصة ملكة سبأ (النمل 20-44) التي انتهت بإسلامها (النمل 44) لا تعتبر دليلاً على نبوة سليمان لأنه من المعلوم أن ملكة سبأ لم تكن من قوم سليمان؛ والقرآنُ نفسه يقول "إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ" (النمل 43)].

التَّسْخِير (أي: الأشغال الشاقة الإجبارية) (forced labor) (corvee)! احتاج المَلِكُ سليمان أيدي عاملة كثيرة لإقامة منشآته العديدة وعلى رأسها الهيكل والقصر المَلكي. حلَّ سليمانُ هذه المشكلة بأن فرض نظامَ تسخير على الأمميين (أي: الأَجْنَبِيِّينَ؛ الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)! **(1 ملوك 9):** {15} وَهذَا هُوَ سَبَبُ التَّسْخِيرِ الَّذِي جَعَلَهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِبِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ (أي: الهيكل) وَبَيْتِهِ (أي: قصر سليمان) وَالْقَلْعَةِ وَسُورِ أُورُشَلِيمَ وَحَاصُورَ (Hazor) (هي: مدينة على بُعد حوالي 16 كلم إلى الشمال من بحر الجليل، وتحمي مدخل إسرائيل الشماليّ الشرقيّ من سوريا ومن بلاد ما بين النهرين) وَمَجِدُّو (Megiddo) (هي: مدينة على بُعد حوالي 20 ميل جنوبي شرق حيفا في شمال غرب إسرائيل، وتحرس ممراً حيوياً يربط بين وادي يزرعيل وطريق الساحل الدوليَّة المؤدية إلى مصر) وَجَازَرَ (Gezer) (هي: مدينة على بُعد حوالي 18 ميل شمال غرب أورشليم، وتحرس طريقين تجاريين مهمين: من مصر إلى الشمال ومن أورشليم إلى البحر المتوسط). [...] {20} جَمِيعُ الشَّعْبِ الْبَاقِينَ مِنَ الأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ الَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، {21} أَبْنَاؤُهُمُ الَّذِينَ بَقُوا بَعْدَهُمْ فِي الأَرْضِ، الَّذِينَ لَمْ يَقْدِرْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْ يُحَرِّمُوهُمْ (أي: يَقضوا عليهم؛ يبيدوهم!)، جَعَلَ عَلَيْهِمْ سُلَيْمَانُ تَسْخِيرَ عَبِيدٍ (slave labor force) [قسراً ودائماً] إِلَى هذَا الْيَوْمِ **[← أخذ أصحابُ القرآن فكرةَ التسخير من الكتاب المقدس لكنهم زعموا أن الْمُسَخَّرِين كانوا شياطين وجن! "فَسَخَّرْنَا لَهُ [...] الشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ (أي: يبنون لسليمان ما يشاء من المباني العظيمة!) [...]. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (bound together in chains) (أي: مربوطين بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل)" (ص 36-38)! "وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ (أي: يخرج ويعدل) مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (أي: نار جهنم في الآخرة؛ أو: النار المستعرة في الدنيا). يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ (أي: مساجد للعبادة؛ وقيل: قصور) وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ" (سبأ 12-13)! "فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ (أي: حكمنا على سليمان) الْمَوْتَ [...] الْجِنُّ [...] لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (أي: حتى بعد أن مات سليمانُ، استمر الْجِنُّ في الأشغال الشاقة الإجبارية التي سخَّرهم فيها كالعبيد)" (سبأ 14)!]**. {22} وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَجْعَلْ سُلَيْمَانُ مِنْهُمْ عَبِيدًا لأَنَّهُمْ رِجَالُ الْقِتَالِ وَخُدَّامُهُ وَأُمَرَاؤُهُ وَثَوَالِثُهُ (أي: ضُبَّاطُهُ الكبار في المركز الثالث بعد المَلِك والأمراء) وَرُؤَسَاءُ مَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانُهُ. {23} هؤُلاَءِ رُؤَسَاءُ الْمُوَكَّلِينَ عَلَى أَعْمَالِ سُلَيْمَانَ خَمْسُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ [رَجُلاً]، الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَلَّطُونَ عَلَى الشَّعْبِ الْعَامِلِينَ الْعَمَلَ.

ويجب هنا أن نتوقف قليلاً عند تلك الأسطورة القرآنية الخطيرة التي تقول إن الجن ساعدوا سليمانَ في بناء مساجد للعبادة! "وَمِنَ الْجِنِّ مَن [...] يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ (أي: مساجد للعبادة؛ temples؛ synagogues؛ sanctuaries[7928])" (سبأ 12-13)! والمقصود بـ "الْجِنّ" هنا الْجِنّ الكافر أي الشياطين بدليل أن سياق الآيات القرآنية يكرر عذابَهم مرتين: "وَمَن يَزِغْ (أي: يخرج ويعدل) مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ" (سبأ 12) و "لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ" (سبأ 14)؛ وأيضاً بدليل أن القرآن استخدم كلمةَ "الشياطين" صراحةً في رواية مبكرة من روايات قصة سليمان القرآنية: "فَسَخَّرْنَا

لَهُ [...] الشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ (أي: يبنون لسليمان)" (ص 36-37)؛ وكذلك "الشَّيَاطِين" في (الأنبياء 82). أما المقصود بـ "مَّحَاريبَ (أي: مساجد للعبادة)" (سبأ 13) فهو بالطبع هيكل الرب في أورشليم (المسجد الأقصى ببَيْت الْمَقْدِسِ) فهو أعظم ما بناه المَلِكُ سليمانُ حسب التقاليد اليهودية والمسيحية والإسلامية[7929]. ولقد قال البغوي في تفسيره لـ "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَاريبَ" (سبأ 13): "أَيْ: مَسَاجِدَ، وَالْأَبْنِيَةِ الْمُرْتَفِعَةِ، وَكَانَ مِمَّا عَمِلُوا في بَيْتِ الْمَقْدِسِ (أو: وَكَانَ مِمَّا عَمِلُوا لَهُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ) ابْتَدَأَهُ دَاوُدُ وَرَفَعَهُ قَدْرَ قَامَةِ رَجُلٍ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنِّي لَمْ أَقْضِ ذَلِكَ عَلَى يَدِكَ وَلَكِنِ ابْنٌ لَكَ أُمَلِّكُهُ بَعْدَكَ اسْمُهُ سُلَيْمَانُ أَقْضِي تَمَامَهُ عَلَى يَدِهِ، فَلَمَّا تَوَفَّاهُ اللَّهُ اسْتَخْلَفَ سُلَيْمَانَ فَأَحَبَّ إِتْمَامَ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَجَمَعَ الْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ وَقَسَّمَ عَلَيْهِمُ الْأَعْمَالَ فَخَصَّ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ بِعَمَلٍ يَسْتَخْلِصُهَا لَهُ (أو: يَسْتَصْلِحُهُ لَهُمْ)"[7930]. وقال الثعلبي في تفسيره لـ "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَاريبَ" (سبأ 13): "مساجد ومساكن وقصور، والمحراب: مُقَدَّمُ كُلِّ مَسْجِدٍ ومَجْلِسٍ وبيت. [...] وكان مما عملوا له من ذلك بَيْت الْمَقْدِسِ"[7931]. وفي عصرنا الحديث، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لـ (سبأ 13): "المحاريب: جمع محراب، ويُطلق على القصر الفخم الواسع، وعلى المكان الذي يتخذه الناس للعبادة، ومنه قوله تعالى: "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا" (آل عمران 37)"[7932]. ونحن نقول للشيخ الشعراوي إن خير دليل قرآني على أن المقصود بكلمة "مَّحَاريبَ" (سبأ 13) هو هيكل سليمان وليس قصر سليمان، هو أن القرآن قد استخدم كلمةً أخرى هي "الصَّرْح" (النمل 44) للإشارة إلى قصر سليمان أو البهو الكبير الذي يجلس فيه المَلِكُ سليمان ليستقبل ضيوفه. وقال الدكتور محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق) إن "المحاريب: هي المساجد"[7933]؛ يقصد: أماكن العبادة. وقال المفكر السوري الكبير فراس السواح في كتابه "أساطير الأولين: القصص القرآني ومتوازياته التوراتية": "وفيما يتعلق بأعمال سليمان المعمارية، نقرأ في سورة سبأ وصفاً ينطبق على ما قام به سليمان من أعمال تزيينية في الهيكل الذي بناه للرب: "... وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ .... يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" (سبأ 12-13)"[7934].

وهنا نسأل أحباءنا المسلمين سؤالاً مهماً: كيف يزعم القرآنُ أن سليمان نبي ومع ذلك يستخدم الجن أو الشياطين لبناء أماكن لعبادة الله (سبأ 12-13) على الرغم من أن شريعة موسى تُحرّم استخدامَ الأرواح الشريرة لأي غرض مهما كان، بل تحكم بالإعدام رجماً بالحجارة على كُلِّ مَن له علاقة بالأرواح الشريرة لأي سبب مهما كان (اللاويين 31:19؛ 6:20؛ 27:20) (التثنية 9:18-14)؟! هذا سؤال للعقلاء فقط.

وإذا عُرفَ السبب بطل العجب. فالقرآن هنا لا ينقل من الكتاب المقدس، وإنما يردد أساطير يهودية أقدم منه – أو بعبارة أكثر دقة: القرآن يطوِّر تطوراً بشرياً طبيعياً أساطير يهودية أقدم منه. وهذه الأساطير اليهودية القديمة موجودة – مع أساطير أخرى كثيرة وكبيرة – في كُتب سوديبِجرافا العهد القديم مثل كتاب "شهادة سليمان" أو "وصية سليمان" أو "ميثاق سليمان" (Testament of Solomon) الذي يرجع تاريخه إلى ما بين القرن الأول والرابع بعد الميلاد – أي قبل الإسلام بأكثر من 200 سنة. وسوف ندرس

هذا الكتاب الخرافي المسمَّى "ميثاق سليمان" بقدر أكبر من التفصيل في وقتٍ لاحق نظراً لاحتوائه على أساطير أخرى كثيرة وكبيرة تسللت إلى القرآن. فسنكتفي هنا بأن نقول إن هذه الأساطير اليهودية القديمة موجودة أيضاً في التلمود البابلي وهو أحد المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها أصحابُ القرآن أثناء تأليف القرآن. إذ توجد أسطورة يهودية تلمودية شهيرة (b. Gittin 68a-b) تقول كذباً وزوراً إن المَلِك سليمان بنى هيكلَ أورشليم بمساعدة مجموعة من الشياطين أو العفاريت (demons) يترأسها شيطانٌ اسمه "أشميداي" (Ashmedai) - الذي يُسمَّى "أسموداوس" أو "أسموديوس" (Asmodeus) في المصادر اليونانية مثل كتاب ميثاق سليمان! يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على تلك الأسطورة التلمودية الشهيرة وعلاقتها بالقرآن (سبأ 12-13)[7935]:

> [سبأ 12-13] The Qurʾān’s description here of Solomon […] reflects the Solomonic legends that developed in part by exegesis of the Book of Wisdom […].
>
> The description of Solomon’s authority over the jinn is part of this larger image of Solomon [in Jewish legends] as a figure on whom God bestowed divine authority. […]
>
> […]
>
> In [سبأ 13] the Qurʾān describes how spirits helped Solomon “build temples” ([مَّحَارِيبَ]). Behind this description is the role of Solomon in building the Jerusalem temple (cf. [آل عمران 37، 39], [مريم 11], where the word for the Jerusalem temple is [مِحْرَاب], singular of [مَّحَاريب]). The [Babylonian] Talmud recounts a legend by which Solomon was able to build the temple only through the aid of demons, the head of whom was Ashmedai (connected to Asmodeus, described as the “worst of demons” in Tobit 3:8), through whom Solomon acquires a magical worm (the *shamir*) which has the ability to cut stones:
>
> > He said to the Rabbis, How shall I manage [without iron tools?] – They replied, There is the *shamir* which Moses brought for the stones of the ephod. … He asked them, Where is it to be found? They replied, Bring a male and a female demon and tie them together; perhaps they know and will tell you. So he brought a

male and a female demon and tied them together. They said to him, We do not know, but perhaps Ashmedai the prince of the demons knows. He said to them, Where is he? – They answered, He is in such-and-such a mountain. … Solomon kept [Ashmedai] with him until he had built the Temple. (b. Gittin 68a-b)

علماً بأن هذه الأساطير اليهودية القديمة قد وصلت إلى العرب قبل الإسلام (أي: في الجاهلية)[7936].
ولقد اعترف الشيخ عبد الوهاب النجار (أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين) أن الشاعر العربي الجاهلي الكبير النابغة الذبياني "قد ذكر تسخير الجن لسليمان في شعره"[7937]! وكذلك قال د. جواد علي في كتابه الشهير "المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام": "ونجد في شعر الشعراء الجاهليين أمثال (أمية بن أبي الصلت) و (الأعشى) إشارات إلى الجن. وَهُم من أهل الجاهلية الذين كان لهم اتصال بأهل الكتاب وبكتبهم، وقد زعم أن بعضاً منهم كان قد قرأ تلك الكتب ووقف على العبرانية أو السريانية. ولهذا ورد في شعرهم شيء من قصص أهل الكتاب. وفي جملته ما ذكرته من اشاراتهم إلى الجن. وتراهم يربطون بينها وبين (سليمان). أخذوا ذلك ولا شك من الأساطير العبرانية، التي صيّرت الجن في خدمة (سليمان)"[7938]! ومن ثم فإن وجود هذه الأساطير في القرآن العربي أمرٌ طبيعي بل طبيعي جداً.

وفي الواقع فإن تلك الأسطورة التلمودية (b. Gittin 68a-b) فيها عناصر أخرى انتقلت إلى أساطير سليمان في القرآن. نذكر منها ما يلي باختصار على سبيل المثال:

تقول تلك الأسطورة التلمودية إن سليمان رَبط شيطاناً ذَكَر مع شيطانةٍ أنثى كنوعٍ من التعذيب **[← "الشَّيَاطِينَ [...] مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (أي: مربوطين بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل)" (ص 37-38). وروى مسلم حديثاً صحيحاً عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قال: "إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ"[7939]!]**. وتقول تلك الأسطورة التلمودية أيضاً إن سليمان بَحث عن أشميداي رئيس الشياطين، ليعرف منهم مكانَ الدودة (worm) **[← "دَابَّةُ الْأَرْضِ (أي: الأَرَضَةُ؛ وقيل: السوس) (worm) (creeping creature of the earth) (termite)" (سبأ 14)]** التي تستطيع أن تقطع الحجارة اللازمة لبناء هيكل سليمان! **[← في الأسطورة القرآنية، الأَرَضَةُ قطعت عصا سليمان! "فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ (أي: حكمنا على سليمان) الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ (أي: مَا دَلَّ الجنَّ) عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ (أي: تأكل عصاه التي كان متكئًا عليها)" (سبأ 14). وقيل إن سليمان مات واقفاً! قال الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الأسبق) إن سليمان "مات وظل واقفاً متكئاً على عصاه"[7940]! وقال أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر): "وبينما هو واقف في بيت المقدس يرقب العمال من الجن حانت منيته، فخرجت روحه الطاهرة من جسده الطاهر وصعدت إلى خالقها وبارئها،**

وهو مستند على منسأته، وهي عصا غليظة كان يصحبها في يمينه دائماً ويتوكأ عليها، وقد ظل ميتاً على عصاه، والجن تعمل بين يديه بجد ونشاط غير عادي، خوفاً منه وفَرَقًا من عقوبته"[7941]! وقال الشيخ الشعراوي: "ولأنـهم يرونه واقفاً لم يستطيعوا الكف عن العمل"[7942]! بل قيل إن سليمان ظل ميتاً متكئاً على عصاه مدة طويلة نحو سنة وهو ميت! قال تفسير الجلالين إن سليمان "مات ومكث قائماً على عصاه حولاً [كاملاً] ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته"[7943] أي بقوا يعملون خوفاً منه ظانين أنه حي! وقال الدكتور محمد علي الصابوني (الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة): "وكان أمر وفاته حدثاً غريباً، لم تعلم به الإنس ولا الجن حتى بعد مرور سنة على الوفاة"[7944]! وقال أ. د. عمر سليمان عبدالله الأشقر (كلية الشريعة - الجامعة الأردنية): "أخفى اللهُ موتَ سليمان عن الإنس والجن، فقد مات واقفاً متكئاً على عصاه، وبقي قائماً، والجن يرونه، ولا يعلمون أنه مات، ولذلك استمروا في عملهم على المعهود منهم، ولم يعلموا أنه مات حتى أكلت دابة الأرض عصاه، وعند ذلك سقط"[7945]! قال القرآن: "فَلَمَّا خَرَّ (أي: فَلَمَّا سقط سليمانُ على الأرض عندما وقعت عصاه التي ظلت الأَرَضَةُ تنخرها من الداخل "فسقط واقعاً بعد أن كان واقفاً"[7946]! وقال الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الأسبق) نقلاً عن ابن كثير إن سليمان "مكث متوكئاً على عصاه، - وهي منسأته - مدة طويلة نحوا من سنة، فلمَّا أكلتها دابة الأرض - وهي الأرضة - ضعف وسقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة"[7947]! وقال الشيخ محمد محمود حجازي (من كبار علماء الأزهر في القرن العشرين الميلادي): "فسقط على الأرض بعد موته بسنة، كما ورد"[7948]!) تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ (أي: لَّوْ كَانَ الْجِنُّ يَعْلَمُونَ أن سليمان قد مات) مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (أي: ما استمروا في الأشغال الشاقة الإجبارية التي سخَّرهم فيها كالعبيد "عندما كان واقفاً وَهُمْ يعملون طيلة هذه المدة"[7949])" (سبأ 14)! <u>أسئلة للعقلاء فقط</u>: كيف تكون دَابَّةُ الْأَرْضِ هي ما "دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ" (سبأ 14)؟! سليمان كان مَلِكاً عظيماً، وأيضاً نبياً كريماً حسب الإسلام، ألم يلاحظ أحدٌ من الجن أن هذا المَلِك الحكيم والنبي المرسل لا يتكلم ولا يتحرك ولا يأكل ولا يشرب ولا يغتسل؟! ألم يتحلل جسده الميت وهو متكئ على عصاه؟! ألم يقم أهله بدفنه؟! ومَن كان يدير شؤون المملكة طيلة هذه المدة؟! ومَن كان يفصل في القضايا الخلافية والأمور الشرعية طيلة هذه المدة؟![7950] إن (سبأ 14) تكفي وحدها كدليل قاطع يثبت أن القرآن كتاب أساطير كلام بشر 100%].

وتقول الأسطورة التلمودية (b. Gittin 68a-b) أيضاً إن سليمان وجد الدودةَ المعجزة "شامير" (shamir) عند الهدهد (hoopoe) – الذي يُسمَّى أيضاً الديك البري (wild rooster)؛ وهذا يتفق مع طبيعة الهدهد كحيوان يلتقط ديدان وحشرات الأرض وتعتبره شريعة موسى حيواناً نجساً (unclean) (اللاويين 19:11) (التثنية 18:14). تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica) عن الهدهد[7951]:

> **HOOPOE** […] Because of its crest, which is no more than an erectile tuft of feathers, the hoopoe is called "the wild cock" in the Talmud (Git. 68b). Smaller than a dove, it feeds on insects, and is distinguished by its beautifully colored plumage. Its flesh exudes an offensive smell which is particularly strong near its nest and repels anyone trying to approach it. This perhaps was the reason for certain legends associated with it, such as that it guards treasures in its nest, and was entrusted with transporting the *shamir*, the miraculous worm that split the stones for the Temple, the use of an iron tool for the purpose having been prohibited (Deut. 27:5 [and Exodus 20:25; Joshua 8:31]; Ḥul. 63a).

[← لم يظهر الْهُدْهُدُ في القرآن كله إلا في قصة سليمان، فلا يمكن أن يكون هذا التشابه بين القرآن والتلمود مجرد صدفة! لكن الدور الذي قام به الْهُدْهُدُ حسب القرآن لا يتفق مع طبيعته كحيوان نجس، بل لا يتفق مع طبيعته كحيوان، إذ يزعم القرآنُ أن سليمان أرسل الْهُدْهُدَ برسالةٍ إلى أهل سبأ! "فَقَالَ [الْهُدْهُدُ لسليمان] أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ (أي: علمتُ ما لم تعلمه!) وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ. [...] قَالَ [سليمانُ للْهُدْهُد] سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا [إلى أهل سبأ] فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (أي: ثُمَّ انصرف عنهم إلى مكان قريب منهم بحيث تسمع كلامهم فتعرف ما يتردد بينهم من الكلام!)" (النمل 22-28)! يعني: الهدهد كان سفيرَ إسرائيل إلى اليمن وجاسوس لإسرائيل في اليمن! مما يعني أن الهدهد كان يفهم لغةَ شعب سبأ! فهل هذا معقول؟! مستحيل!].

وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي نجد فيها أن الأساطير اليهودية التي ألّفها اليهود قبل الإسلام منطقية أكثر من القرآن، على الرغم من كونها مجرد أساطير! فحين نقول "منطقية أكثر"، فإننا نقصد من الناحية الدرامية وليس من الناحية التاريخية. فكلها أساطير لم تحدث أبداً على أرض الواقع. ما قاله التلمود البابلي عن المَلِك سليمان أساطير. وما قاله القرآنُ العربي عن المَلِك والنبي سليمان أساطير أكبر وأخطر لا يقبلها العقل ولا حتى النقل لأنها تتعارض مع شريعة موسى في أكثر من مسألة.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن التلمود البابلي يقول، لكن في موضعٍ آخر (b. Sanhedrin 20b)، إن المَلِك سليمان في أواخر أيامه لم يملك على أي شيء إلا عصاه (Solomon's staff)[7952] **[← "مِنسَأَتَهُ (أي: عصاه)" (سبأ 14). ووضعها أصحابُ القرآن أيضاً في أواخر أيام المَلِك سليمان، أي في نفس الموضع الذي حدده اليهودُ أصحابُ التلمود البابلي! "فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ [...]" (سبأ 14)!].**

إذن: وجود الهدهد (الديك البري) وعصا سليمان والدودة والشياطين المسجونة أو المربوطة في الأساطير التي ألّفها اليهود عن سليمان قبل الإسلام، ثم وجود الهدهد وعصا سليمان ودَابَّة الْأَرْضِ والشياطين المسجونة أو المربوطة في قصة سليمان القرآنية، يؤكد 100% أن قصة سليمان القرآنية مجرد كلام بشر وأنها مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للتراث اليهودي.

ولمزيد من المعلومات والتفاصيل باللغة العربية، يمكن الرجوع إلى الأبحاث القيمة التي قام بها الباحثُ المعروف الدكتور "رأفت عماري" (رحمه الله) في هذا الشأن، فلقد أثار العديد من النقاط المهمة وطرح كثيراً من الأسئلة التي تدعو بالفعل إلى التأمل والتفكير في التناقضات الكبيرة والكثيرة التي يعاني منها القرآن[7953].

4.48.3 استطراد: أمثلة أخرى من التراث اليهودي-المسيحي عن الشياطين المسجونة

وخير ما نختم به دراستنا هذه هو أن نعطي أمثلة أخرى من التراث اليهودي-المسيحي عن الشياطين المسجونة والمربوطة في سلاسل. علماً بأن الأمثلة التالية ليست لها علاقة مباشرة بقصة المَلِك سليمان تحديداً، مما يدل على أنها كانت فكرة مستقلة وحُرَّة ومنتشرة ومُستخدَمة بكثرة في التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام، فليس غريباً أن يختار أصحابُ القرآن إقحامَها في قصة المَلِك والنبي سليمان القرآنية **[⟵ "الشَّيَاطِينَ [...] مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (أي: مربوطين بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل)" (ص 37-38) "الشَّيَاطِين [...] كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (أي: مراقبين حتى لا يهربوا أو يتمنعوا!)" (الأنبياء 82). وروى مسلم حديثاً صحيحاً عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قال: "إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ"[7954]!]**!

وفي الواقع فإن هذه الفكرة لم تنشأ من فراغ، وإنما لها جذور في العهد القديم الذي يقول في **(إشعياء 24)**: {21} وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ (أي: يوم الرب؛ يوم الدينونة؛ يوم الحساب ثواباً أو عقاباً) أَنَّ الرَّبَّ يُطَالِبُ جُنْدَ الْعَلاَءِ (أي: أَجْنَاد الشَّرّ الرُّوحِيَّةِ؛ الشياطين) **[⟵ "الشَّيَاطِينَ" (ص 37)]** فِي الْعَلاَءِ (أي: في السَّمَاوَاتِ)، وَمُلُوكَ الأَرْضِ [الأشرار المتسلطين] عَلَى الأَرْضِ. {22} وَيُجْمَعُونَ جَمْعًا كَأَسَارَى (أي: كأسْرى؛ كسجناء) فِي سِجْنٍ، وَيُغْلَقُ عَلَيْهِمْ فِي حَبْسٍ **[⟵ "مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (أي: مربوطين بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل)" (ص 38)]**، ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ يَتَعَهَّدُونَ (أي: يُفْتَقَدون؛ يُنْظَر في أمرهم فيُعاقَبوا punished أو يُطْلَق سراحهم released. "يأتي فعل "افتقد" (ف ق د) الذي يعني عاقب ونال الجزاء خيراً أم شراً. نستطيع القول: يؤدُّون الحساب في دينونة جماعيَّة، ولكن متأخِّرة لتُمنَح لهم فرصة للتوبة"[7955]) **[⟵ "فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ (أي: لكَ أن تمنّ على مَن تشاء مِن الشياطين فتطلقه أو تقيده؛ قال تفسير القرطبي: "فَيُرْوَى فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ سَخَّرَ لَهُ الشَّيَاطِينَ، فَمَنْ شَاءَ مَنَّ عَلَيْهِ بِالْعِتْقِ وَالتَّخْلِيَةِ، وَمَنْ شَاءَ أَمْسَكَهُ"[7956]!) بِغَيْرِ حِسَابٍ (أي: مهما فعلتَ فهو جائز لكَ احكم بما شئت فهو صواب!)" (ص 39)]**.

وتوجد تفاسير مسيحية تقول إن "ذلِكَ الْيَوْمِ" (إشعياء 21:24) هو "يوم الصليب (أي: صليب المسيح)"؛ "فالشياطين تُقيَّد بالصليب، فلا يكون لها سلطان على أولاد الله، الذين يؤمنون بالمسيح الفادي، فينتقلون بعد

موتهم إلى الفردوس، بالإضافة إلى أن الشيطان لا سلطان له على المؤمنين الأحياء، فيحاربهم، ولا يتسلط عليهم؛ لأن الله يسندهم وينقذهم من يده. أما الأشرار الذين عاشوا حياتهم في الشهوات، فبعد موتهم يلقون في حبس، ويكونون أسرى فيه إلى يوم الدينونة، وهذا الحبس هو الجحيم، مكان انتظار الأشرار. والخلاصة، أن الشيطان يكون كأسير، وفي حبس، أي سلطانه مقيد. أما الأشرار، فيكونون في حبس هو الجحيم لا يخرجون منه إلا يوم الدينونة، للعذاب الأبدي. "ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ يَتَعَهَّدُونَ" (إشعياء 22:24): أي يوم الدينونة، يُواجَهون بخطاياهم، ويُحْكَم عليهم بالعذاب الأبدي في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت"[7957].

بمرور الزمن، تطوَّرت هذه الفكرة تطوراً بشرياً طبيعياً في كتابات ما بين العهدين. وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بمثالين فقط من تلك الكتابات المهمة التي تربط بين العهد القديم والعهد الجديد.

المثال الأول من "كتاب اليوبيلات" (Book of Jubilees) الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني (وقيل: الثالث) قبل الميلاد، وهو أحد كتب سوديبِجرافا العهد القديم، إلا أن الكنيسة الحبشية (الأثيوبية) هي الكنيسة الوحيدة التي تعترف به ككتاب قانوني! ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد. فمِن المؤكد أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة فى أوائل القرن السابع الميلادى قد سمعوا عن كتاب اليوبيلات وعرفوا محتواه وربما توهَّموا أنه وحيٌ من الله إلى موسى النبي. يقول كتاب اليوبيلات: "فدخل (الله) في غضب عنيف على ملائكته (أي: الملائكة الساقطين؛ الشياطين)، أولئك الذين أرسلهم على الأرض [لكنهم أفسدوها]. وأمر [اللهُ] بأن يجرّدهم من كل سلطتهم، وطلب منا [نحن الملائكة الأبرار] أن نقيّدهم (bind; tie) (enchaîner) في أعماق الأرض. وها هُمْ مقيَّدون (bound; tied) (enchaînés) هناك ومعزولون" (اليوبيلات 6:5)[7958] **[← "الشَّيَاطِينَ [...] مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (أي: مربوطين بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل) (bound together in chains)" (ص 37-38)].**

والمثال الثاني من كتاب أخنوخ الأول (1 Enoch) الذي يُسمَّى أيضاً "النسخة الحبشية (الأثيوبية)" (Ethiopic Apocalypse of Enoch) و "مصحف أخنوخ" (maṣḥafa hēnok) ويضم مجموعة ضخمة من التقاليد والكتابات التي دُوِّنت بين القرن الثاني ق.م. وبداية القرن الأول المسيحي. إنه واحد مِن أهم وأشهر وأضخم كُتب سوديبِجرافا العهد القديم، ويُعتقَد أنه دُوِّن في الأصل باللغة الآرامية بدليل وجود أجزاء منه مكتوبة بالآرامية ضمن مخطوطات البحر الميت، ثم نُقِل إلى اللغة اليونانية، ومِن اليونانية انتقل إلى الحبشية (الأثيوبية) على يد العلماء السريان، وهذا كله يدل على انتشاره الواسع في الشرق الأوسط القديم قبل الإسلام. وتعترف به الكنيسةُ الحبشية ككتاب قانوني؛ ويرجع تاريخ الترجمة الحبشية إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد. فنستطيع إذن أن نقول إن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) فى أوائل القرن السابع الميلادى قد سمعوا عن هذا السفر المهم (1 أخنوخ) وعرفوا محتواه وربما ظنوا أنه مُوحَى به مِن الله. يقول **(1 أخنوخ 10)[7959]:** {4} وقال [اللهُ] لرَفائيل (Raphael): "قيّد (bind) [الملاكَ الساقط أي الشيطانَ] عزائيل (أو: عزازيل) برجليه ويديه **[← "الشَّيَاطِينَ [...] مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (أي:**

مربوطين بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل (bound together in chains)" (ص 37-38)]، وارمه في الظلمة وافتح الْبَرّيَّةِ (أي: احفر حفرةً في الصحراء) التي في ددوئيل وارمه فيها. {5} ضع عليه حجارة خشنة وحادة، وغطِّه بالظلمة وليبقَ هناك إلى الأبد. غطِّ وجهه فلا يعود يرى النور. {6} وفي يوم الدين العظيم يُقاد إلى أتون النار (fire) **[← "نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (أي: نار جهنم المستعرة في الآخرة)" (سبأ 12)]**. [...] {11} وقال [اللهُ] لمخائيل (Michael): "اذهب [...] {12} [...] [...] قيّدهم (أي: قيّد الشياطين / الملائكة الساقطين) **[← "الشَّيَاطِينَ [...] مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ" (ص 37-38)]** لسبعين جيلاً في ثنايا الأرض إلى يوم دينونتهم والتتمة التي فيها يُنفَّذ الحكمُ الأبديّ. {13} حينئذ يُقادون إلى هوّة النار، في العذاب **[← "عَذَابِ السَّعِيرِ (أي: عذاب نار جهنم المستعرة في الآخرة)" (سبأ 12)]** وفي سجن الحبس الأبدي. اقرأ أيضاً (1 أخنوخ 13:1-2، 18:16، 21:6).

وفي العهد الجديد، أصبحت فكرة سجن الشياطين أو تقييدهم في سلاسل أكثر وضوحاً. فنحن نجدها في رسالة يهوذا (Jude) وهي السفر القانوني الوحيد الذي يقتبس من كتاب أخنوخ الأول غير القانوني (يهوذا 14)، وهذا دليل قوي جداً يؤكد أنه "كان كتاب أخنوخ كتاباً له وزنه في زمن العهد الجديد"(7960). يقول **(يهوذا 6):** وَالْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ (يقصد: الملائكةُ الساقطون؛ الشياطين)، بَلْ تَرَكُوا مَسْكَنَهُمْ حَفِظَهُمْ [الربُّ] **[← "الشَّيَاطِينَ [...] كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ" (الأنبياء 82)]** إِلَى دَيْنُونَةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِقُيُودٍ (chains) أَبَدِيَّةٍ تَحْتَ الظَّلاَمِ **[← "الشَّيَاطِينَ [...] مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (أي: مربوطين بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل (bound together in chains)" (ص 37-38)]**. علماً بأن ""دَيْنُونَةَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ" إشارة إلى الدينونة الأخيرة حين تُرْسَل جميعُ الأرواح الشريرة والشيطان إلى الأبد إلى "بُحَيْرَةِ النَّار" المُعَدَّةِ لهم (["إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ (أي: جنوده)"] (متى 25:41)؛ ["فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ (أي: ضد المسيح) وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلًا (أي: دائماً) إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ"] (الرؤيا 20:10) وأيضاً [يُرْسَل] جميعُ الأشرار [إِلَى بُحَيْرَةِ النَّارِ] (الرؤيا 20:15))"(7961) **[← "نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (أي: عذاب نار جهنم المستعرة في الآخرة)" (سبأ 12)]**.

ويقول العهد الجديد أيضاً في **(الرؤيا 20):** {1} وَرَأَيْتُ مَلاَكًا نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ مِفْتَاحُ الْهَاوِيَةِ (Abyss) (أي: الجحيم؛ مكان تحت الأرض عميق جداً أو بلا قاع يُحْتجَز فيه الشيطان وأتباعه الأشرار بانتظار الحُكم عليهم أخيراً بالعذاب في النار)، وَسِلْسِلَةٌ (chain) عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ. {2} فَقَبَضَ [الملاكُ] عَلَى التِّنِّينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَيَّدَهُ (bound) أَلْفَ سَنَةٍ (أي: فترة زمنية طويلة)(7962) **[← "الشَّيَاطِينَ [...] مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (bound together in chains)" (ص 37-38)]**، {3} وَطَرَحَهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ لِكَيْ لاَ يُضِلَّ الأُمَمَ فِي مَا بَعْدُ، حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ. وَبَعْدَ ذلِكَ لاَ بُدَّ أَنْ يُحَلَّ (أي: يُطْلَقَ؛ يُحَرَّرَ) زَمَانًا يَسِيرًا (أي: يُسمَح له أن يقوم بحربه الأخيرة اليائسة ضد المؤمنين لِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ قبل دينونته النهائية) **[← "فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ (أي: لكَ أن تمنّ على مَن تشاء من الشياطين فتطلقه**

أو تقيده) بِغَيْرِ حِسَابٍ [عليكَ]" (ص 39)]. [...] {7} ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ (أي: قرب نهاية زمن الحياة الأرضي وقبل المجيء الثاني للسيد المسيح بفترةٍ وجيزة ولفترةٍ قصيرة) يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، {8} وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ (أي: تجمع قوى الشر؛ قوى همجية كبيرة لا رحمة في قلوبها)، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ. {9} فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ (أي: الكنيسة) وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ (أي: أورشليم)، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ. {10} وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ (أي: ضد المسيح) وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلًا (أي: دائماً) إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ **[← "عَذَابِ السَّعِيرِ (أي: عذاب نار جهنم المستعرة في الآخرة)" (سبأ 12)]**.

مما سبق يتضح أن فكرة سجن الشياطين أو تقييدهم في سلاسل فكرة قديمة جداً في التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام بمئات السنين. فكل ما فعله أصحابُ القرآن هو أنهم اقتبسوا هذه الفكرة المشهورة من التراث اليهودي-المسيحي وأدخلوها في قصة سليمان القرآنية، فقالوا: "الشَّيَاطِينَ [...] مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (أي: مربوطين بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل) (bound together in chains)" (ص 37-38). وساعدهم على ذلك وجودُ أساطير يهودية قبل الإسلام تضع الشياطين في القصص الشعبية عن سليمان مثل أسطورة أشميداي التي ذكرناها فيما سبق وأساطير شعبية أخرى سنذكرها في الصفحات التالية ...

4.49 المَلِك النبي الجامعة سُلَيْمَان: موسوعة متحركة ذو قدرات خارقة!

الآن نريد أن نرجع إلى الوراء ... نريد أن نرجع إلى بداية عهد المَلِك الشاب سُلَيْمَان (أي: **قبل** بناء الهيكل). إذا رجعنا إلى بداية عهد المَلِك الشاب سُلَيْمَان (أي: **قبل** بناء الهيكل)، نجد أنه بدأ حُكْمَه بأن طلب الحكمةَ من الله. **(1 ملوك 3):** {4} وَذَهَبَ الْمَلِكُ [سُلَيْمَانُ] إِلَى جِبْعُونَ (Gibeon) (هي: مدينة تبعد حوالي 5 أميال شمال غرب أورشليم) لِيَذْبَحَ هُنَاكَ، لأَنَّهَا هِيَ الْمُرْتَفَعَةُ الْعُظْمَى [لأَنَّهُ هُنَاكَ كَانَتْ خَيْمَةُ الاجْتِمَاعِ، خَيْمَةُ اللهِ الَّتِي عَمِلَهَا مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي الْبَرِّيَّةِ(7963)]، وَأَصْعَدَ سُلَيْمَانُ أَلْفَ مُحْرَقَةٍ عَلَى ذلِكَ الْمَذْبَحِ. {5} فِي جِبْعُونَ تَرَاءَى الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ فِي حُلْمٍ لَيْلًا (أي: فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ)، وَقَالَ اللهُ [لِسُلَيْمَانَ] (أي: كانت المبادرة من جانب الله، إذ سأل اللهُ سليمانَ): «اسْأَلْ مَاذَا أُعْطِيكَ». {6} فَقَالَ سُلَيْمَانُ: «إِنَّكَ قَدْ فَعَلْتَ مَعَ عَبْدِكَ دَاوُدَ أَبِي رَحْمَةً عَظِيمَةً حَسْبَمَا سَارَ أَمَامَكَ بِأَمَانَةٍ وَبِرٍّ وَاسْتِقَامَةِ قَلْبٍ مَعَكَ، فَحَفِظْتَ لَهُ هذِهِ الرَّحْمَةَ الْعَظِيمَةَ وَأَعْطَيْتَهُ ابْنًا يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّهِ كَهذَا الْيَوْمِ. {7} وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي، أَنْتَ مَلَّكْتَ عَبْدَكَ مَكَانَ دَاوُدَ أَبِي، وَأَنَا فَتىً صَغِيرٌ لاَ أَعْلَمُ الْخُرُوجَ وَالدُّخُولَ (أي: غَيْر مُتَمَرّسٍ بِشُؤُونِ الْحُكْمِ الخارجية والداخلية). {8} وَعَبْدُكَ فِي وَسَطِ شَعْبِكَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ، شَعْبٌ كَثِيرٌ لاَ يُحْصَى وَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ. {9} فَأَعْطِ عَبْدَكَ قَلْبًا فَهِيمًا (leb shomeʿa؛ أي: قَلْبًا سَمِيعًا(7964)؛ يقصد: عقلاً مُدركاً؛ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً) لأَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ وَأُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، لأَنَّهُ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ الْعَظِيمِ هذَا؟» **[⟵ يقول حديث صحيح رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن النَّبيِّ ﷺ قال: "لمَّا فرغَ سُلَيْمانُ بنُ داودَ - عليهما السلام - من بناءِ بيتِ المقدِسِ سألَ اللَّهَ ثلاثًا: حُكْمًا يُصادِفُ حُكْمَهُ (أي: حكمة توافق حكمة الله)، ومُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدِهِ (يقصد: ص 35)، وألَّا يأتيَ هذا المسجدَ أحدٌ - لا يريدُ إلَّا الصَّلاةَ فيهِ - إلَّا خرجَ من ذُنوبِهِ كيومِ ولدتْهُ أُمُّهُ". فقالَ النَّبيُّ ﷺ: "أمَّا اثنتانِ (أي: الْحُكْم والمُلْك) فقد أُعْطِيَهُما، وأرجو أن يَكونَ قد أُعطِيَ الثَّالثةَ"(7965)(7966)]** {10} فَحَسُنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، لأَنَّ سُلَيْمَانَ سَأَلَ هذَا الأَمْرَ **[⟵ "نِعْمَ الْعَبْدُ [سُلَيْمَانُ]" (ص 30) "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ (أي: وجعلناه من الْمُقَرَّبِينَ عندنا والمكرَّمين) وَحُسْنَ مَآبٍ (أي: وأعددنا له حُسْنَ المصير في الآخرة وهو الجنة)" (ص 40)]**. {11} فَقَالَ لَهُ اللهُ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ سَأَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَسْأَلْ لِنَفْسِكَ أَيَّامًا كَثِيرَةً (أي: طولَ العمر) وَلاَ سَأَلْتَ لِنَفْسِكَ غِنًى، وَلاَ سَأَلْتَ أَنْفُسَ أَعْدَائِكَ (أي: موتهم)، بَلْ سَأَلْتَ لِنَفْسِكَ تَمْيِيزًا لِتَفْهَمَ الْحُكْمَ (أي: طَلَبْتَ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً لِتَسُوسَ شؤُونَ الْحُكْمِ)، {12} هُوَذَا قَدْ فَعَلْتُ حَسَبَ كَلاَمِكَ. هُوَذَا أَعْطَيْتُكَ قَلْبًا حَكِيمًا وَمُمَيِّزًا (أي: أَعْطَيْتُكَ حِكْمَةً (بالعبرية: chokmah) (wisdom) وَمَعْرِفَةً (بالعبرية: madda)) (knowledge)(7967) **[⟵ أخذ أصحابُ القرآن من الكتاب المقدس أن الله هو مصدر حكمة سليمان: "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا (أي: دَاوُدَ وسُلَيْمَانَ) آتَيْنَا حُكْمًا (wisdom) وَعِلْمًا (knowledge)" (الأنبياء 79) "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا" (النمل 15)(7968)]** حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ وَلاَ يَقُومُ بَعْدَكَ نَظِيرُكَ **[⟵ "لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي" (ص 35)]**. {13} وَقَدْ أَعْطَيْتُكَ أَيْضًا مَا لَمْ تَسْأَلْهُ، غِنًى وَكَرَامَةً (أي: مَجْداً) حَتَّى إِنَّهُ لاَ يَكُونُ رَجُلٌ مِثْلَكَ فِي الْمُلُوكِ كُلَّ أَيَّامِكَ. {14} فَإِنْ سَلَكْتَ فِي طَرِيقِي وَحَفِظْتَ فَرَائِضِي وَوَصَايَايَ، كَمَا سَلَكَ دَاوُدُ أَبُوكَ، فَإِنِّي أُطِيلُ أَيَّامَكَ». **[⟵ جعل أصحابُ القرآن**

سليمانَ يطلب مُلكًا عظيمًا خاصًا لا يكون مثله لأحد من البشر بعده! "قَالَ [سُلَيْمَانُ] رَبِّ [...] هَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" (ص 35)!] {15} فَاسْتَيْقَظَ سُلَيْمَانُ وَإِذَا هُوَ حُلْمٌ. وَجَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَوَقَفَ أَمَامَ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَقَرَّبَ ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ، وَعَمِلَ وَلِيمَةً لِكُلِّ عَبِيدِهِ [علامة الشكر والامتنان لله] **[← "وَقَالَ [سُلَيْمَانُ] يَا أَيُّهَا النَّاسُ [...] أُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ" (النمل 16) "وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي (أي: أَلْهِمْنِي؛ وفقني) أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ" (النمل 19)]**.

ونريد هنا أن نتوقف قليلاً عند الجذور الشرق-أوسطية القديمة لهذه الفكرة الكتابية←القرآنية: قَالَ اللهُ لِسُلَيْمَانَ: "أَعْطَيْتُكَ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً" (2 أخبار الأيام 12:1) "أَعْطَيْتُكَ قَلْبًا حَكِيمًا وَمُمَيِّزًا" (1 ملوك 12:3)[7969] **[← أخذ أصحابُ القرآن من الكتاب المقدس أن الله هو مصدر حكمة سليمان: "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا (أي: المَلِك دَاوُدَ والمَلِك سُلَيْمَان) آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا" (الأنبياء 79) "وَلَقَدْ آتَيْنَا [المَلِكين] دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا" (النمل 15)]**. يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم" تحت عنوان "**ضمان الحكمة**": "كان يُفترَض في ملوك الشرق الأوسط القديم أن يكونوا حكماء، وهذا لم يكن غير معتاد أن ينسبوا للإله إضفاء الحكمة عليهم. والمَلِك الأشوري سَرجون (Sargon) أُعلن كأحكم حاكم في العالم بفضل الآلهة إيا (Ea) وبليت-إيلي (Belet-ili). والإله أشور (Asshur) أكَّد لسنحاريب (Sennacherib) [المَلِك] فِي حُلْمٍ أن حكمته فاقت حكمة الخبراء. [والمَلِك] أشوربانيبال (Ashurbanipal) لا يتفاخر فقط بعلمه الواسع وحكمته ولكن بمعلوماته الفنية وقدرته في مناظرة المتعلمين، وهو يعطي الفضل [للآلهة] شمش (Shamash) وأداد (Adad) في منحه أكثر ثروة من الحكمة (his wealth of wisdom)"[7970].

حكمة المَلِك سُلَيْمَانُ تظهر عملياً في قضائه (The Wise King and Judge). "ففي إسرائيل، كان المَلِك يُعَدُّ "القاضي"، بل كان يشكِّل أعلى مرجعٍ قضائيٍّ في البلاد. وكُلُّ مواطن، حتى لو كان أحطَّ زانية، كان بإمكانه اللجوء إليه لكي يبتَّ المَلِكُ في أمره"[7971]. **(1 ملوك 3):** {16} حِينَئِذٍ أَتَتِ امْرَأَتَانِ زَانِيَتَانِ (أي: عَاهِرَتَانِ) إِلَى الْمَلِكِ [سُلَيْمَان] وَوَقَفَتَا بَيْنَ يَدَيْهِ [لِيَقْضِي بَيْنَهُمَا]. {17} فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ الْوَاحِدَةُ: «اسْتَمِعْ يَا سَيِّدِي. إِنِّي أَنَا وَهذِهِ الْمَرْأَةُ سَاكِنَتَانِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ (أي: في بيت دعارة واحدا!)، وَقَدْ وَلَدْتُ مَعَهَا فِي الْبَيْتِ. {18} وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ بَعْدَ وِلاَدَتِي وَلَدَتْ هذِهِ الْمَرْأَةُ أَيْضًا، وَكُنَّا مَعًا، وَلَمْ يَكُنْ مَعَنَا غَرِيبٌ فِي الْبَيْتِ غَيْرَنَا نَحْنُ كِلْتَيْنَا فِي الْبَيْتِ. {19} فَمَاتَ ابْنُ هذِهِ [الْمَرْأَةِ] فِي اللَّيْلِ، لأَنَّهَا اضْطَجَعَتْ عَلَيْهِ (أي: لأنَّهَا بخطأ غير مقصود انْقَلَبَتْ عَلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ نَوْمِهَا). {20} فَقَامَتْ فِي وَسَطِ اللَّيْلِ وَأَخَذَتِ ابْنِي مِنْ جَانِبِي وَأَمَتُكَ نَائِمَةٌ، وَأَضْجَعَتْهُ فِي حِضْنِهَا، وَأَضْجَعَتِ ابْنَهَا الْمَيْتَ فِي حِضْنِي. {21} فَلَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا لأُرْضِعَ ابْنِي، إِذَا هُوَ مَيْتٌ. وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ فِيهِ فِي الصَّبَاحِ، إِذَا هُوَ لَيْسَ ابْنِيَ الَّذِي وَلَدْتُهُ». {22} وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ الأُخْرَى تَقُولُ: «كَلاَّ، بَلِ ابْنِيَ الْحَيُّ وَابْنُكِ الْمَيْتُ». وَهذِهِ تَقُولُ: «لاَ، بَلِ ابْنُكِ الْمَيْتُ وَابْنِيَ الْحَيُّ». وَتَكَلَّمَتَا أَمَامَ الْمَلِكِ.

{23} فَقَالَ الْمَلِكُ: «هذِهِ تَقُولُ: هذَا ابْنِيَ الْحَيُّ وَابْنُكِ الْمَيْتُ، وَتِلْكَ تَقُولُ: لاَ، بَلِ ابْنُكِ الْمَيْتُ وَابْنِيَ الْحَيُّ». {24} فَقَالَ الْمَلِكُ: «ايِتُونِي بِسَيْفٍ». فَأَتَوْا بِسَيْفٍ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ. {25} فَقَالَ الْمَلِكُ: «اشْطُرُوا الْوَلَدَ الْحَيَّ اثْنَيْنِ، وَأَعْطُوا نِصْفًا لِلْوَاحِدَةِ وَنِصْفًا لِلأُخْرَى». {26} فَتَكَلَّمَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي ابْنُهَا الْحَيُّ لِلْمَلِكِ، لأَنَّ أَحْشَاءَهَا اضْطَرَمَتْ (أي: التهب قلبُها وتحركت مشاعر الأمومة في داخلها) عَلَى ابْنِهَا، وَقَالَتِ: «اسْتَمِعْ يَا سَيِّدِي. أَعْطُوهَا الْوَلَدَ الْحَيَّ وَلاَ تُمِيتُوهُ» (أي: أرادت الحياةَ للولد حتى لو ابتعد عنها فأثبتت بمحبتها له أنها أُمُّهُ الحقيقية). وَأَمَّا تِلْكَ فَقَالَتْ: «لاَ يَكُونُ لِي وَلاَ لَكِ. اُشْطُرُوهُ» (أي: أرادت الموتَ للولد فأثبتت بحسدها أنها تريد فقط أن تحرم أُمَّهُ الحقيقية منه لتتساوى معها في المصيبة). {27} فَأَجَابَ الْمَلِكُ وَقَالَ: «أَعْطُوهَا الْوَلَدَ الْحَيَّ وَلاَ تُمِيتُوهُ فَإِنَّهَا أُمُّهُ» (أي: أَعْطُوا الْوَلَدَ للمرأة التي تحركت عندها عواطف الأمومة فرفضت أن يموت). {28} وَلَمَّا سَمِعَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ بِالْحُكْمِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ الْمَلِكُ خَافُوا الْمَلِكَ (أي: هابوهُ؛ امْتَلأُوا تَوْقِيراً لَهُ وكانوا على استعداد للخضوع لحكمه)، لأَنَّهُمْ رَأَوْا حِكْمَةَ اللهِ فِيهِ (أي: رَأَوْا حِكْمَتَه التي أخذها من اللهِ) لإِجْرَاءِ الْحُكْمِ [العادل]. **[← لم يذكر القرآنُ هذه القضية، لكن كُتب السنة الصحيحة ذكرتها لكن مع تطويرها تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة كما تعودنا! يقول حديثٌ صحيح أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما إن محمد قال: "كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ (أي: تنازعتا في الولد الحي، كل منهما تدعي أنه ولدها)، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى (قيل: لأنها كانت أقوى بالحجة من الصُّغْرَى؛ وقيل إنها استطاعت ببعض القرائن المزيفة أن تثبت الحق لطرفها)، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا [فسكتت الكبرى لأن لا تربطها بالولد رابطة الأمومة فمقتله لا يهمها]، فَقَالَتِ الصُّغْرَى (أي: قالت أمه الحقيقية بعاطفة الأمومة وحنانها): لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، هُوَ ابْنُهَا (أي: ظنت أن سليمان سينفذ الحكم ففضلت أن يعيش الولد مع غيرها على أن يموت)، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى (أي: عرف سليمانُ بحكمته أن الولد ابن الصُّغْرَى لأن خوفها عليه أثبت له أنها أُمّه فأمر بإعطائه لها)"[(7972)]!].**

يقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم" تعليقاً على قضية الزانيتين (1 ملوك 3:16-28): "رغبة سليمان في سماع قضية الزانيتين يوافق صورته كمَلِك عادل (just king) يعوض فشل داود القضائي (2 صموئيل 15:2-4)"[(7973)]. إذن: قضية الزانيتين (1 ملوك 3:16-28) مهمة لأنها تُظهر حكمةَ المَلِك سُلَيْمَان في قضائه كما قلنا، ومهمة أيضاً لأنها توضح أن سليمان كان أكثر حكمةً من أبيه داود. فبينما أصدر سليمانُ الحكمَ الصحيح في هذه القضية، أصدر داودُ حكماً خاطئاً في قضيةٍ أخرى (2 صموئيل 14:1-21) أدى إلى عودة ابنه المجرم أبشالوم إلى أورشليم واستغلاله فشل داود القضائي (2 صموئيل 15:2-4) ليسترق قلوب رجال إسرائيل حتى ينقلب على أبيه المَلِك داود، مما أدى في النهاية إلى مقتل أبشالوم نفسه ومقتل أكثر من 20 ألف إنسان في يومٍ واحد (2 صموئيل 18:1-15)! وفي الواقع، فإن خير دليل كتابي على أن حكمة سليمان تفوقت على حكمة أبيه داود هو أن سليمان بنى بيتاً لله أولاً ثم بنى بيتاً لنفسه، بينما بنى داودُ بيتاً لنفسه أولاً ثم فكَّر في بناء بيت لله. **[← أكَّد القرآنُ أن حكمة سليمان تفوقت على**

حكمة أبيه المَلِك داوود، لكن في قضية نزاع بين فلاحٍ (صاحب حرث) وراعي (صاحب غنم)! "وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ (أي: عَدَت غنمُ الراعي على زرع الفلاح وانتشرت فيه ليلاً بغير راع فأتلفته) وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ. فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا" (الأنبياء 78-79)[7974]. تقول كتب تفسير القرآن وقصص الأنبياء: "حَكم داودُ بأن تكون الغنم لصاحب الزرع مُلْكًا بما أتلفته، فقيمتهما سواء، وكنَّا لحكمهم شاهدين لم يَغِبْ عنا. فَفَهَّمنا سُلَيْمَانَ مراعاة مصلحة الطرفين مع العدل، فحكم على صاحب الغنم بإصلاح الزرع التالف (أي: بأن يزرع الأرض حتى تثمر وتصبح كما كانت قبل اعتداء الغنم عليها) في فترة يستفيد فيها صاحب الزرع بمنافع الغنم من لبن وصوف ونحوهما، ثم تعود الغنم إلى صاحبها والزرع إلى صاحبه؛ لمساواة قيمة ما تلف من الزرع لمنفعة الغنم"[7975]. "فكان حكم سليمان أعظم فائدة وأكثر صواباً وأرفق بالمتخاصمين"[7976]، و "أحسن من" حُكم أبيه المَلِك داوود "فأثنى اللهُ عليهما واستحسن حُكْمَ سليمان وارتضاه، وهو الذي مَنَّ به عليه وفهمه إياه"[7977]. ويُفْهَم من السياق أن سليمان كان آنذاك طفلاً أو غلاماً. قالت موسوعة بيان الإسلام: "الظاهر أن سليمان عليه السلام لم يكن نبيًا وقت هذه الحادثة، وإنما نُبِّئَ بعد ذلك، فقضاؤه كان باجتهاد، وقضاء داود عليه السلام باجتهاد أيضًا (أي: ليس بوحي إلهي)؛ لأنه لا يجوز نقض حكم النص بالاجتهاد"[7978]. وقال تفسيرُ الجلالين: "روي أنه (أي: سليمان) ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة"[7979]! وبما أن (الأنبياء 78-79) حدثت في حياة الملك داوود، إذن: في هذا الوقت كان عمر سليمان أقل من 13 سنة. قال الشيخ الشعراوي: "في هذا الوقت كان عمر سليمان أحد عشر عاماً"[7980]! ولذلك فإننا لا نصدق هذه القصة ونرى أنها من تأليف أصحاب القرآن[7981]. ويبدو أن مسألة الأضرار التي تسببها البهائم كانت تشغل بال أصحاب القرآن، بدليل وجود أحاديث صحيحة أخرجها البخاري ومسلم تقول إن محمد تحدث عن نفس المسألة: "الْعَجْمَاءُ (أي: البهيمة؛ والمراد هنا: الدابة المنفلتة من صاحبها) جَرْحُهَا جُبَارٌ (أي: هدر؛ غير مضمون؛ لا دية فيما أتلفته)"[7982]].

حكمة المَلِك سليمان ومعرفته تزداد بصورة فائقة يصعب تصديقها! **(1 ملوك 4):** {29} وَأَعْطَى اللهُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةً (بالعبرية: ḥokmā) وَفَهْمًا كَثِيرًا جِدًّا **[← أخذ أصحابُ القرآن من الكتاب المقدس أن الله هو مصدر حكمة سليمان: "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا (أي: المَلِك دَاوُودَ والمَلِك سُلَيْمَانَ) آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا" (الأنبياء 79) "وَلَقَدْ آتَيْنَا [المَلِكين] دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا" (النمل 15)]**، وَرَحْبَةَ قَلْبٍ (أي: اتساع فكره؛ غزارة علمه؛ سعة صَدْره وعدم ضيقه من أي مشكلة) كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. {30} وَفَاقَتْ حِكْمَةُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةَ جَمِيعِ بَنِي الْمَشْرِقِ (أي: أهل بلاد الرافدين؛ وقيل: والفرس والعرب أيضاً!) وَكُلَّ حِكْمَةِ مِصْرَ. {31} وَكَانَ أَحْكَمَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ، مِنْ إِيثَانَ الأَزْرَاحِيِّ وَهَيْمَانَ وَكَلْكُولَ وَدَرْدَعَ بَنِي مَاحُولَ (أي: كَانَ سُلَيْمَانُ أَحْكَمَ مِنْ حكماء بني إسرائيل) **[← "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ" (النمل 15)]**. وَكَانَ صِيتُهُ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ حَوَالَيْهِ. {32} وَتَكَلَّمَ بِثَلاَثَةِ آلاَفِ مَثَلٍ (أي: قَولِ حَكِيمٍ يرسّخ قيمةً مشهورة؛ قَولٍ مأثور يلخّص تجربة بشرية تتكرر)، وَكَانَتْ نَشَائِدُهُ (أي: أناشيدُهُ؛

قَصَائِدُهُ) أَلْفًا وَخَمْسًا. {33} وَتَكَلَّمَ عَنِ الأَشْجَارِ، مِنَ الأَرْزِ الَّذِي فِي لُبْنَانَ إِلَى الزُّوفَا النَّابِتِ فِي الْحَائِطِ (أي: من أكبر الأشجار إلى أصغر النباتات فهو خبير في كُلِّ شَيْءٍ!) **[← "وَقَالَ [سُلَيْمَانُ] يَا أَيُّهَا النَّاسُ [...] أُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ" (النمل 16)]**. وَتَكَلَّمَ عَنِ الْبَهَائِمِ وَعَنِ الطَّيْرِ **[← زعم أصحابُ القرآن أن سليمان كان يفهم كلامَ الطير! "وَقَالَ [سُلَيْمَانُ] يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ" (النمل 16)! فكان يتكلم مع الطير وليس فقط عنهم! بل كان الطير يتكلم مع سليمان! "وَتَفَقَّدَ [سُلَيْمَانُ] الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ [...] فَقَالَ [الْهُدْهُدُ لسليمان] [...] قَالَ [سليمانُ للْهُدْهُد] [...]" (النمل 20-28)[7983]! سؤال لكل مسلم عاقل: هل كل الطير يتواصل بنفس الطريقة حتى يقول القرآن "مَنطِقَ الطَّيْرِ" (النمل 16)؟!]** وَعَنِ الدَّبِيبِ (أي: وَتَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ عَنِ الزَّوَاحِفِ creeping things) **[← زعم أصحابُ القرآن أن النمل يتكلم! "قَالَتْ نَمْلَةٌ" (النمل 18)! وزعموا أيضاً أن سليمان الحكيم كان يفهم كلامَ النمل! "قَالَتْ نَمْلَةٌ [...]. فَتَبَسَّمَ [سُلَيْمَانُ] ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا" (النمل 18-19)! كما ذكرت قصة سليمان القرآنية "دَابَّةُ الْأَرْضِ (أي: الأَرَضَة؛ وقيل: السوس) (creeping creature of the earth) (termite) (worm)" (سبأ 14)]** وَعَنِ السَّمَكِ (أي: وَتَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ عَنِ السَّمَكِ). {34} وَكَانُوا يَأْتُونَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ لِيَسْمَعُوا حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ الأَرْضِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِحِكْمَتِهِ.

إذن: حسب (1 ملوك 4:29-34)، تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ عن كل النباتات، كما تَكَلَّمَ عن كل الحيوانات في البر والبحر والجو! "فهذا يفترض أنه استخدم بصيرته ليروي قصصاً (stories) وأمثالاً (parables) وخرافات (fables) عن الحيوانات بقصد تعليم الحكمة"[7984]. ونجد أمثلة على ذلك في أسفار الحكمة التي تُنْسَب (أو يُنْسَب معظمها) إلى سليمان. وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي هنا بمثالين عن حكمة سُلَيْمَان ومعرفته الواسعة جداً التي شملت تقريباً كُلَّ شيء في الكون! وسنترك القارئ الفطن ليلاحظ بنفسه المبالغات الكبيرة في وصف حكمة سُلَيْمَان ومعرفته سواء في التراث اليهودي-المسيحي أو في القرآن بعد ذلك.

المثال الأول من الأسفار القانونية؛ سفر الأمثال الذي يقول عن النمل: "اِذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ. تَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَكُنْ حَكِيمًا. اَلَّتِي لَيْسَ لَهَا قَائِدٌ أَوْ عَرِيفٌ (أي: رَقِيبٌ؛ مُشْرِفٌ) أَوْ مُتَسَلِّطٌ (أي: حَاكِمٌ)، وَتُعِدُّ (أي: تَخْزِنُ) فِي الصَّيْفِ طَعَامَهَا، وَتَجْمَعُ فِي الْحَصَادِ أُكْلَهَا" (الأمثال 6:6-8). اقرأ أيضاً: "أَرْبَعَةٌ هِيَ الأَصْغَرُ فِي الأَرْضِ، وَلكِنَّهَا حَكِيمَةٌ جِدًّا: اَلنَّمْلُ طَائِفَةٌ غَيْرُ قَوِيَّةٍ، وَلكِنَّهُ يُعِدُّ طَعَامَهُ فِي الصَّيْفِ" (الأمثال 30:24-25)[7985] **[← عبَّر أصحابُ القرآن عن ضعف النملة وحكمتها، لكنهم بالغوا مبالغات كبيرة لا يمكن تصديقها فزعموا أن النملة عرفت سليمانَ وجنوده لمَّا اقتربوا من "وادي النمل" فحذرت قومَها النمل بأن يدخلوا مساكنهم لئلا يحطمهم سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ دون أن يشعروا بهم لضآلة أجسامهم! كما زعموا أن سليمان استمع إلى كلام النملة وفهم مرادها! "حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا (أي: سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ) عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (أي: دون قصد!). فَتَبَسَّمَ [سُلَيْمَانُ] ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ [...]" (النمل 18-19)[7986]! أسئلة لكل مسلم عاقل: كيف استطاعت النملة أن**

تميِّز هوية سليمان وجيشه؟!(7987) بعبارة أخرى: كيف عرفت النملة أن هذا الإنسان هو "سُلَيْمَان" بعينه ومعه "جُنُودُهُ"؟! يعني: سليمان عملتوه نبي واخترعتوا له معجزات وهمية، لكن النملة هي كمان لها معجزات؟! بل هل تستطيع النملة أصلاً أن تنتج جملةً طويلة ومركبة مثل: "يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (النمل 18)؟!(7988). أما الجملة التي وضعها صاحبُ (النمل 19) على لسان سليمان بعد أن تبسَّم ضاحكاً من قول النملة "قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي (أي: أَلْهِمْني؛ وفقني) أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ" (النمل 19) - والتي ليس لها أية علاقة بالنمل(7989) - فهي جملة إسلامية/عربية (stock phrase) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموها في آية قرآنية أخرى ليس لها أية علاقة بقصة سليمان الكتابية الأصلية: "قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ" (الأحقاف 15)(7990)!].

والمثال الثاني من "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha): سفر حكمة سليمان الذي يقول عن الطبيعة والرياح: "وهوَ (أي: الله) الذي وَهَبَني عِلماً يَقيناً بِكُلِّ شيءٍ، بِخَلْقِ الكونِ وبأعمالِ عَناصِرِه. بابْتِداءِ الزَّمَنِ باسْتِمرارِهِ بانْتِهائِهِ، بِمَسار الشَّمْسِ وَتَغَيُّر الفُصولِ، بِدَورَةِ السِّنِينَ وأوضاعِ الأفلاكِ، وما بِطَبائِعِ الحيوانِ والوُحوشِ، وبِثَورَةِ الرِّيَاحِ (winds)" (حكمة سليمان 7:17-20)(7991) **[← بالغ أصحابُ القرآن مبالغات كبيرة عن معرفة سليمان بحركة الرياح، فزعموا ثلاث مرات أن الله أعطى سليمانَ سلطاناً على حركة الرياح سواء في قوتها أو في سرعتها! "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ (أي: جعلناها منقادة له!) تَجْرِي بِأَمْرِهِ (أي: حسب مشيئته!) رُخَاءً (أي: رخية هينة طيّعة لينة) حَيْثُ أَصَابَ (أي: حيث قصد وأراد)" (ص 36)! "وَلِسُلَيْمَانَ [سَخَّرْنَا] الرِّيحَ عَاصِفَةً (أي: قوية شديدة الهبوب) تَجْرِي بِأَمْرِهِ [تحمله ومَن معه!] إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا (أي: أورشليم حيث كان مقر سليمان؛ أرض إسرائيل)" (الأنبياء 81)! "وَلِسُلَيْمَانَ [سَخَّرْنَا] الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ (أي: تقطع به من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر بالسير المعتاد!) وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ (أي: وتقطع به من منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد)" (سبأ 12)؛ أي: تقطع به في اليوم الواحد مسيرة شهرين بالسير المعتاد! قال ابنُ كثير تفسيراً لـ (الأنبياء 81): "وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ بِسَاطٌ مِنْ خَشَبٍ، يُوضَعُ عَلَيْهِ كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ، وَالْخَيْلِ وَالْجِمَالِ وَالْخِيَامِ وَالْجُنْدِ، ثُمَّ يَأْمُرُ الرِّيحَ أَنْ تَحْمِلَهُ فَتَدْخُلَ تَحْتَهُ، ثُمَّ تَحْمِلَهُ فَتَرْفَعَهُ وَتَسِيرَ بِهِ، وَتُظِلُّهُ الطَّيْرُ مِنَ الْحَرِّ، إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَنْزِلُ وَتُوضَعُ آلَاتُهُ وَخُشُبُهُ"(7992)! وفي عصرنا الحالي، قال أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر) تحت عنوان "سليمان والريح" إنها "ريح يمتطيها كما يمتطي الخيل فيوجهها الوجهة التي يبتغيها وعليها جنوده من الإنس والجن والطير"(7993)! وقال الشيخ الشعراوي تعليقاً على (الأنبياء 81): "أي أعطاه اللهُ الرّيحَ العاصفة تسير بأمره، وينتقل بها من مكان إلى آخر في الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ اللهُ فِيهَا من صحراء فلسطين حتى العراق، فكانت الريح تمثل مواصلات داخلية له في مملكته"(7994)! "والريح مسخرة له كمواصلات داخلية وخارجية، الداخلية وهي التي تحمله داخل مملكته،**

أما الخارجية فتتمثل في قول الله تعالى: "وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ" (سبأ 12). فهذه الريح للرحلات الخارجية خارج مملكته"[7995]! وما قاله الشيخ الشعراوي مهم جداً لأنه ينفي مزاعم البروباجاندا الإسلامية التي تزعم كذباً وزوراً أن القرآن يقصد الريح التي كانت تحرك سفن سليمان! فهذه الأكذوبة التي تروّجِها البروباجاندا الإسلامية غير صحيحة لأنه لا يمكن الانتقال "من صحراء فلسطين حتى العراق" بالسفن! وقال أ. د. عمر سليمان عبدالله الأشقر (كلية الشريعة - الجامعة الأردنية) تعليقاً على (سبأ 12) إن الريح كانت "تحمل سليمان وجنوده في الصباح مسافة يحتاج الراكب المجدّ السريع إلى شهر ليقطعها، فكانت تحمله الريح هو وجنده من القدس إلى اليمن صباحاً، فيحلُّ في اليمن، ويتغدى بها، ثم يعود هو وجنده إلى بيت المقدس فيتعشى بها"[7996] في نفس اليوم! وقال موقع الإمام الشيرازي: "أما بساط سليمان فهو شيء عجيب، لا تبلغه أكبر الطائرات والصواريخ المكتشفة في زماننا هذا. فكان يجلس أحياناً على بساطه، وعن يمينه ثلاثمائة ألف كرسي عليها الإنس، وعن يساره ثلاثمائة ألف كرسي عليها الجن، وكانت تأتي الطيور فتصفّ بأجنحتها على ذلك البساط الممتد حتى لا يؤذيها حر الشمس، ثم يرتفع هذا البساط المهيب في أجواء السماء. [...] وكان من شأن (البساط) أنه يسير في الفضاء صباحاً مقدار ثلاثين يوماً إذا أراد أن يسير فيها السائر العادي، وكذلك كان البساط يقطع مثل هذه المسافة، في المساء"[7997]! وإذا قلتم إن أساطير بساط سليمان (بساط الريح) مذكورة في التفاسير وليست مذكورة صراحةً في القرآن، فسنقول إن القرآن هو الذي جعل المفسرين القدامى والمحدثين سنة وشيعة يقولون هذه الأساطير، لا سيما فيما يتعلق بأن سليمان كان يستطيع أن يقطع في اليوم الواحد مسيرة شهرين بالسير المعتاد، فهذا مذكور صراحةً في القرآن: "وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ" (سبأ 12)! إذن: القرآن هو أساس كل هذه الأساطير التي تزعم أن الريح كانت تحمل سليمان؛ ولا يهم إن كانت تحمله ببساط أو بدون بساط. أو بعبارة أخرى: القرآن هو "المادة الخام" أو "المادة الفعَّالة" التي صُنِعَت منها كل هذه الأساطير. فهل يمكن لأي إنسان عاقل متحضر اليوم أن يصدِّق هذه الأساطير العجيبة الموجودة في القرآن وتفاسيره؟! مستحيل! إن هذه الأساطير تؤكد أن القرآن مجرد كلام بشر 100% ومن المستحيل أن يكون كلام الله].

ومن الجدير بالذكر أن الكلمة اليونانية التي تُرجمت إلى "الرّيَاحِ (winds)" (حكمة سليمان 20:7) يمكن أيضاً أن تُترجم إلى "الأَرْوَاحِ (spirits)" (حكمة سليمان 20:7)[7998]. "فالكلمة (روح) في العبرانية وكذلك في اليونانية وكذلك في العربية يمكن لها أن تعني إمّا الرُّوح المعروفة كروح الإنسان، وإمّا الريح أي الهواء المتحرك"[7999]. ونحن لا نرى تعارضاً بين الترجمتين لأنه كان يُعْتقَد قديماً أن الأَرْوَاحَ (spirits) أو الأرواح الشريرة (evil spirits) سبب حركة الرّيَاحِ والعواصف[8000]. فالترجمة الأولى "الرّيَاحِ (winds)" صحيحة، والترجمة الثانية "الأَرْوَاحِ (spirits)" صحيحة أيضاً. ومما قد يؤيد هذه الترجمة الثانية أن المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" (Flavius Josephus) (القرن الأول الميلادي) ذكر في الفقرة (8.2.5) مِن كتابه الشهير (Antiquities of the Jews) الأسطورةَ اليهودية التي تقول إن سليمان كان

له سلطان على الأرواح الشريرة، أي: الشياطين (demons)[8001]. ولقد قال العالِمُ الكبير (Prof. Abraham I. Katsh) تعليقاً على هذه الأسطورة اليهودية الشهيرة[8002]:

Flavius Josephus alludes to it in the legend that God endowed Solomon with the ability to turn the vicious power of the demons into a power working to the advantage of man; that he mastered incantations by which diseases were cured and by which demons were exorcised.

بمرور الزمن، صارت هذه الأساطير اليهودية أكثر وضوحاً في التراث الغنوسي وكُتب سوديبِجرافا العهد القديم. على سبيل المثال، يوجد كتاب غنوسي اسمه "رؤيا آدم" (Apocalypse of Adam) ويرجع تاريخه إلى ما بين القرن الأول والرابع بعد الميلاد – أي قبل الإسلام بأكثر من 200 سنة – ويقول إن سليمان أرسل جيشاً من الشياطين أو العفاريت (demons) لكي يفتشوا له على فتاة عذراء قد هربت منه:

“Solomon also sent his army of demons to seek the virgin”[8003] [8004].

وما يهمنا هنا هو أن هذا الكتاب الغنوسي الخرافي يزعم أن سليمان كان له جيش (army) من الشياطين أو العفاريت! **[← وهو ما ردده أصحابُ القرآن بعد ذلك مع ملاحظة أنـهم أيضاً استخدموا كلمات عسكرية مثل "جُنُود" و "يُوزَعُونَ": "وَحُشِرَ (أي: جُمِعَ) لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (أي: يتلاحقون؛ يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحدٌ عن منزلته التي هي مرتبة له؛ والمقصود: ينتظمون جميعًا في صفوف حسب نظام دقيق مثل الجيش في الحرب)" (النمل 17)! قال الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الأسبق): ""فَهُمْ يُوزَعُونَ" أي: فَهُمْ محبوسون ومجموعون بنظام وترتيب، بحيث لا يتجاوز أحدهم مكانه أو منزلته أو وظيفته المسئول عنها. فالتعبير بقوله: "يُوزَعُونَ" يشعر بأن هؤلاء الجنود مع كثرتهم، لهم من يزعهم عن الفوضى والاضطراب، إذ الوازع في الحرب، هو مَن يدير أمور الجيش، وينظم صفوفه، ويرد مَن شذ مِن أفراده إلى جادة الصواب"[8005]! وقال أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر): "جُمِعَ لسليمان جنوده لأمر من الأمور الهامة التي لم يفصح القرآن عنها، ولعله أراد قتال عدو في مكان ما، وهو المتبادر إلى الذهن من كلمة جنود. [...] وَهُمْ يُوزَعُونَ، بمعنى يدفعون دفعاً هنا وهناك لتسوية الصفوف وتحقيق الأمن والنظام"[8006]!]**.

كما يجب أيضاً أن نذكر كتاباً خرافياً آخر، لكنه مهم جداً، اسمه "شهادة سليمان" أو "وصية سليمان" أو "ميثاق سليمان" (Testament of Solomon) وهو واحد من كُتب سوديبِجرافا العهد القديم ويرجع تاريخه إلى ما بين القرن الأول والرابع بعد الميلاد – أي قبل الإسلام بأكثر من 200 سنة. وأهمية هذا الكتاب تكمن في احتوائه على معظم أساطير سليمان والجن التي تطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى

استقرت في القرآن. ونظراً لعلاقته القوية بأساطير سليمان والجن في القرآن، أشار إليه المفكر السوري الكبير فراس السواح في كتابه الشهير "أساطير الأولين: القصص القرآني ومتوازياته التوراتية"، فقال[8007]:

سليمان والجن:

إن سلسلة قصص الملك سليمان في سفر الملوك الأول لا تحتوي على ما أشار إليه القرآن الكريم من سلطته على عالم الجن، وعلى عالم الحيوان ومعرفته لألسنتها. ولكن الأدبيات اليهودية خارج التوراة حافلة بمثل هذه الأخبار.

ففي الفلكلور الشعبي اليهودي هناك حكايا كثيرة عن السلطان الذي وهبه الله لسليمان على عالم الجن والعفاريت وطيور السماء وكل ما يدبّ على الأرض. وهناك ملاك مسخر له يحمل بيده سوطاً نارياً يجلد كُلَّ من تسول له نفسه عصيان أمر سليمان، فيحوله إلى رماد. وقد بنى له الْجِنُّ هيكلَ الرب في أورشليم، وقصوراً وأبنية إدارية ومرافق عامة كثيرة، وحفروا له في أرضه نهراً، وبعضهم كان يغوص في البحر لاستخراج اللؤلؤ والمرجان، والبعض الآخر يحفر في المناجم لاستخراج الياقوت والزمرد وغيرها من الأحجار الكريمة.

[...]

ووصلنا نص في أكثر من نسخة معروف بعنوان ميثاق سليمان (Solomon's Testament)، مكتوب باليونانية الهيلينستية وهي لغة الأناجيل، ويرجع تاريخه إلى الفترة بين القرن الثاني والقرن الرابع الميلاديين، والنص يهودي من حيث الأصل، ولكنه خضع للمسة تحريرية مسيحية تتحدث عن ظهور يسوع المسيح في المستقبل. وهو مكرس لوصف سلطان سليمان على عالم الجن والعفاريت من خلال خاتم سحري يضعه في إصبعه، وتسخيرها في أعماله العمرانية. وهو يذكر بالتفصيل أنواع هؤلاء الجن ووظائفهم ومهاراتهم.

ولا يتسع المجال هنا لأن نذكر كُلَّ أساطير ميثاق سليمان (وصية سليمان)، فهي بالفعل كثيرة جداً وطويلة جداً، ولذلك سنكتفي بالأمثلة التالية على سبيل المثال فقط وليس الحصر:

- استطاع المَلِكُ سليمان بواسطة خاتم سحري – صار يُعْرَف في التراث اليهودي باسم "خاتم سليمان" (Seal of Solomon) (Solomon's ring)[8008] – أن يسيطر على شيطان أو عفريت (demon) اسمه "أورنياس" (Ornias) وآخر اسمه "أسموداوس" أو "أسموديوس" (Asmodeus) ويسخِّرهما من أجل بناء هيكل الرب في أورشليم وعمل أثاثاته كالآنية مثلاً! (ميثاق سليمان 1-5) **[⟵ "فَسَخَّرْنَا لَهُ [...] الشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ (أي: يبنون لسليمان ما يشاء من المباني العظيمة!) [...]" (ص 36-37) "وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ (أي: يخرج**

ويعدل) مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ (أي: مساجد للعبادة؛ وقيل: قصور) وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ" (سبأ 12-13)!].

- استطاع المَلِكُ سليمان أن يتحكم في حركة الريح عن طريق سيطرته على العفريت "ليكس تتراكس" (Lix Tetrax) الذي يثيرها! بل زعم ميثاقُ سليمان أن مَلِكاً عربياً سمع عن سلطان المَلِك سليمان على حركة الريح فأرسل له رسالةً ليساعده من أجل السيطرة على حركة الريح في بلاد العرب! (ميثاق سليمان 7-22) **[← زعم أصحابُ القرآن ثلاث مرات أن الله أعطى سليمانَ سلطاناً على حركة الرياح سواء في قوتها أو في سرعتها! "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ" (ص 36)! "وَلِسُلَيْمَانَ [سَخَّرْنَا] الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا" (الأنبياء 81)! "وَلِسُلَيْمَانَ [سَخَّرْنَا] الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ" (سبأ 12)!].**
- كما زعم ميثاقُ سليمان أن شيطاناً اسمه "إفيباس" (Ephippas) وشيطاناً آخر في البحر الأحمر اسمه "أبيزيثيبو" (Abezethibou) خدما المَلِك سليمانَ وأحضرا له عموداً (pillar; column) من البحر الأحمر! (ميثاق سليمان 23-25) **[← "وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ (أي: يَغُوصُونَ في ماء البحر)" (الأنبياء 82) "وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ (أي: يبنون لسليمان!) وَغَوَّاصٍ (أي: يَغُوصُونَ في ماء البحر![8009])" (ص 37)! وهذا يعني أن أصحاب القرآن قد جعلوا المَلِكَ سليمان يسيطر على الأرض (بَنَّاءٍ) والماء (غَوَّاصٍ) والهواء (الرِّيح)! أو كما يُقال اليوم: القوات البرية والقوات البحرية والقوات الجوية!].**
- كما ذكر ميثاقُ سليمان أيضاً أسطورةَ "ربط" الشياطين[8010] **[← "الشَّيَاطِينَ [...] مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (bound together in chains) (أي: مربوطين بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل)" (ص 37-38). "الشَّيَاطِينَ [...] كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (أي: مراقبين حتى لا يهربوا أو يتمنعوا!)" (الأنبياء 82). وروى مسلم حديثاً صحيحاً عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قال: "إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ"[8011]!].**

وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي بأهم ما جاء في كتاب ميثاق سليمان (وصية سليمان الخرافي[8012]:

> Testament of Solomon, Son of David, who reigned in Jerusalem, and subdued all the spirits of the air, of the earth, and under the earth; through (them) he also accomplished all the magnificent works of the Temple; (this tells) what their authorities are against men, and by what angels these demons are thwarted.
>
> […]

Through the archangel Michael the Lord God grants Solomon the magical ring which gives Solomon power over the demons

[…]

Solomon interrogates the demon, learns his name [Ornias] and his activity, and by the power of the seal ring commands him to work on the Temple

[…]

[…] After I [Solomon] sealed (the demon) with my seal, I ordered him into the stone quarry to cut for the Temple stones which had been transported by way of the Arabian Sea and dumped along the seashore. […]

[…]

Asmodeus required to mold clay for the vessels of the Temple

I [Solomon] said to him, “Is there not something else about you, Asmodeus?” He said to me, “The power of God which binds me with unbreakable bonds by his seal knows that what I have related to you is true. I beg you, King Solomon, do not condemn me to water.” But I smiled and replied(8013), “As the Lord, the God of my fathers lives, you shall have irons to wear and you shall mold clay for all the vessels of the Temple, eliminating the cost of the mold.” […]

[…]

Solomon interrogates Lix Tetrax, the demon of the wind

After I praised God, I, Solomon requested the presence of another demon and he appeared before me. He was bearing his face on the air high above and the remaining part of his body was crawling along like a little snail. Suddenly, he broke through a large contingent of soldiers, raised up a blustering cloud of dust from the earth, transported it upward, and hurled it against me many times (while I watched) in amazement. I exclaimed, “What do we have here?” [But this continued] for a long time.

When I stood up, I spat on the ground at that spot and I sealed (him) with the ring of God. As a result, the moving air stopped. […]

[…]

A letter from Adarkes, king of Arabia, requesting Solomon's help against the wind demon

[…]

Solomon's servant boy entraps the Arabian wind demon in a leather flask with the aid of the ring

[…]

The Arabian wind demon, named Ephippas, is brought to the Temple, where it is interrogated by Solomon and puts the immovable cornerstone in place

[…]

The demon Ephippas and the demon of the Red Sea bring back the pillar and lift it up in the air

[…]

Solomon interrogates the demon from the Red Sea (named Abezethibou), learns of his history and activity, and adjures him to hold up the pillar

[…]

فليس من المبالغة أن نقول إنه لو لم يسمع أصحابُ القرآن إلا محتوى كتاب ميثاق سليمان (وصية سليمان) الخرافي فقط، لكان ذلك كافياً لإنتاج أساطير سليمان الموجودة في القرآن(8014).

ونحن نعتقد أن أساطير سلطان المَلِك سليمان "بن داود" على الشياطين أو العفاريت هي مجرد أساطير يهودية مستوحاة مما قاله الإنجيلُ عن سلطان المسيح يسوع "ابن داود" و "ابن الله" على الشياطين أو الأرواح النجسة (متى 8:16، 8:28-34، 9:32-34، 12:22-32) (مرقس 1:23-27، 1:34، 1:39، 3:20-30، 5:1-20، 7:25-30، 9:14-29، 16:9) (لوقا 4:33-36، 4:41، 8:26-39، 11:14-23، 13:32)، مع الفارق الكبير أن يسوع كان يطرد الشياطين بينما تزعم تلك الأساطير اليهودية أن سليمان كان يستخدم الشياطين لخدمته وهو ما تسلل بعد ذلك إلى القرآن! بعبارة أخرى: المسيح يسوع أبعد الشياطين عن

الإنسان، بينما تلك الأساطير اليهودية←القرآنية تُدْخِل الشياطين في حياة الإنسان، بل تُدْخِلها في حياة المَلِك سليمان الذي يزعم القرآن أنه نبي أيضاً! وهنا السؤال: كيف يزعم القرآنُ أن سليمان نبي ومع ذلك يستخدم الشياطين والجن لخدمته (النمل 17) (الأنبياء 82) (ص 37-39) (سبأ 12-13) على الرغم من أن شريعة موسى تُحرّم استخدامَ الأرواح الشريرة لأي غرض مهما كان، بل تحكم بالإعدام رجماً بالحجارة على كُلِّ مَن له علاقة بالأرواح الشريرة لأي سبب مهما كان (اللاويين 19:31؛ 20:6؛ 20:27) (التثنية 18:9-14)؟!

وكذلك أساطير سيطرة المَلِك سليمان "بن داود" على حركة الريح هي مجرد أساطير يهودية مستوحاة مما قاله الإنجيل عن سيطرة المسيح يسوع "ابن داود" و "ابن الله" على حركة الريح (متى 8:23-27) (مرقس 4:35-41) (لوقا 8:22-25). فإذا كان الإنجيل يؤكد أن يسوع "أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ" (متى 12:42) (لوقا 11:31)، فإن هذه الأساطير اليهودية ترد على الإنجيل عن طريق إدعاء أن سليمان بن داود ليس أقل من يسوع ابن داود. ولذلك حارب آباءُ الكنيسة هذه الأساطير اليهودية، لأنها أولاً مجرد أساطير غير صحيحة، وثانياً لأنها تجعل سليمان ينافس يسوع، وثالثاً وهو الأهم لأنها تتعارض مع شريعة موسى كما قلنا.

[← استمراراً لمسلسل أساطير سليمان العجيبة في القرآن، ردد أصحابُ القرآن هذه الأساطير اليهودية الشهيرة التي تقول إن المَلِك سليمان كان له سلطان على حركة الريح "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ" (ص 36)! "وَلِسُلَيْمَانَ [سَخَّرْنَا] الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا" (الأنبياء 81)! "وَلِسُلَيْمَانَ [سَخَّرْنَا] الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ" (سبأ 12)! وكذلك ردد أصحابُ القرآن هذه الأساطير اليهودية الشهيرة التي تقول إن المَلِك سليمان كان له أيضاً سلطان على الشياطين (devils) (supernatural beings of evil)، بل بالغ أصحابُ القرآن مبالغات كبيرة لا يمكن تصديقها فيما يتعلق بالمهام التي كانت الشياطين والجن تقوم بها خدمةً لسليمان! "وَحُشِرَ (أي: جُمِعَ) لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (أي: يُمْنَعون من عدم الحضور جميعاً[8015]؛ والمراد: ينتظمون جميعًا في صفوف حسب نظام دقيق مثل الجيش في الحرب)" (النمل 17)! "وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ (أي: يَغُوصُونَ في الماء إلى أعماق البحار؛ قيل: ليستخرجوا لسليمان اللآلئ والجواهر!) وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ (أي: غير ذلك؛ أو: أقل من ذلك)ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (أي: مراقبين حتى لا يهربوا أو يتمنعوا! وقيل: يراقبهم فلا ينالون أحداً بسوء؛ وقيل: يحفظ أعمالهم)" (الأنبياء 82) "فَسَخَّرْنَا لَهُ [...] الشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ (أي: يبنون لسليمان ما يشاء من المباني العظيمة!) وَغَوَّاصٍ (أي: يَغُوصُونَ في أعماق البحار!). وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (bound together in chains) (أي: مربوطين بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل؛ قيل: عقاباً لهم على عصيانهم؛ وقيل: حتى لا يتمردوا على سليمان). هَٰذَا عَطَاؤُنَا [لكَ يا سليمان] فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ (أي: فأعطِ مَن شئت واحرمْ مَن شئت؛ أو: لكَ أن تمنّ على مَن تشاء مِن الشياطين فتطلقه أو تقيده) بِغَيْرِ حِسَابٍ (أي: لا حساب عليكَ في الحالتين! فأنتَ المَلِك والنبي فوق المحاسبة وفوق المساءلة وفوق المعارضة[8016]!)" (ص 36-39) "وَمِنَ الْجِنِّ مَن

يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ (أي: يخرج ويعدل) مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (أي: نار جهنم في الآخرة؛ أو: النار المستعرة في الدنيا). يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ (أي: مساجد للعبادة؛ وقيل: قصور) وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ" (سبأ 12-13)!].

وكما قلنا فيما سبق: لم يتحدث القرآنُ عن دعوة "النبي" سليمان في قومه ولا عن موقف قومه من دعوته. لكن في المقابل، تحدث القرآنُ كثيراً عن خدمة الشياطين والجن لسليمان! مما أدى إلى أنك حين تقرأ قصةَ سليمان في القرآن لا تشعر أنه نبي وإنما تشعر أنه رئيس شياطين وزعيم عصابة عفاريت من الجن ومدرّب طيور وخيول بل تشعر أنه سوبرمان يطير فوق الريح في الهواء!

من المستحيل أن نصدِّق ما قاله القرآنُ عن سليمان. بل من المستحيل أن نصدِّق أن القرآن كلام الله.

4.50 قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا!

القصة الوحيدة من قصص المَلِك سليمان التي عالجها أصحابُ القرآن بالتفصيل هي قصة زيارة ملكة سبأ الوثنية للمَلِك المؤمن سليمان (النمل 20-44) (مكية) حيث حاول أصحابُ القرآن أن يقدِّموا سليمانَ في أقوى صورة إسلامية ممكنة تجمع بين الدين والسلطة والثروة والجنس، فهو ذَكر (male) قوي ثري ومَلِك حاكم يسيطر على الإنس والجن والطير وأيضاً نبي يدعو إلى دين محمد وبنفس أسلوب محمد: أَسْلِمْ تَسْلَمْ!

(سورة النمل): وَتَفَقَّدَ [المَلِكُ وَالنَّبِيُّ سليمانُ] الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ {20} لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (أي: بحجة قوية فيها عذر لغيبته) {21} فَمَكَثَ [الْهُدْهُدُ] غَيْرَ بَعِيدٍ (أي: زماناً غير طويل؛ أو: في مكانٍ غير بعيد) فَقَالَ [الْهُدْهُدُ لسليمان] أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ (أي: علمتُ ما لم تعلمه!) وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ [باليمن] بِنَبَإٍ يَقِينٍ {22} إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ (أي: تحكمهم) وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ [من أسباب الدنيا؛ مما يؤتاه أقرانها من الملوك] وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ {23} وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ (أي: طريق الحق؛ يقصد: الإيمان بالله وتوحيده) فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ {24} أَلَّا (أي: زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ الباطلة لئلا) يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (أي: يُخرج المخبوء المستور فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من المطر والنبات وغير ذلك) وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ {25} اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ {26} ۞ قَالَ [سليمانُ للْهُدْهُدِ] سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ {27} اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا [إلى أهل سبأ] فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (أي: ثُمَّ تنحَّ عنهم قريبًا منهم بحيث تسمع كلامهم فتعرف ما يتردد بينهم من الأقوال والأفعال!) {28} [فذهب الهدهدُ وألقى الكتابَ إلى ملكة سبأ فقرأته فجمعت حاشيتها ورجال دولتها وأهل مشورتها الوزراء والأعوان] قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ {29} إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ [مفتتح] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ {30} [ويقول سُلَيْمَانُ لنا] أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ (أي: لا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم إليه) وَأْتُونِي (أي: أقْبِلوا إليَّ) مُسْلِمِينَ (أي: مستسلمين؛ منقادين خاضعين لله بالوحدانية والطاعة) {31} قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (أي: مَا كُنتُ لأتخذ قراراً إلا بعد حضوركم واستشارتكم وسماع رأيكم) {32} قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ (أي: نَحْنُ أصحاب قوة في الأجساد وبلاء شديد في القتال؛ والمراد: نحن جاهزون للحرب دون خوف) وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ {33} قَالَتْ [متريثة مسالمة] إِنَّ الْمُلُوكَ [أمثال المَلِك سليمان] إِذَا دَخَلُوا [عنوة وغلبة بجيوشهم] قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا (أي: دمَّروها وخرَّبوها) وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً [بالقتل والأَسْر والنفي وسلب المُلْك من أصحاب الأرض] ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ[8017] {34} [فأرى ألا نعادي سُلَيْمَانَ وقومَه] وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ [عظيمةٍ] فَنَاظِرَةٌ (أي: منتظرة) بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ {35} فَلَمَّا جَاءَ [رسولُ ملكة سبأ بالهدية الثمينة إلى] سُلَيْمَانَ قَالَ [سُلَيْمَانُ له على سبيل الإنكار والاستخفاف بتلك الهدية] أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ [تَرْضيةً لي؟! كلا لن أقبل هديتكم] فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ [من النبوة والمُلْك الواسع والأموال الكثيرة والنعم الأخرى] خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ {36} ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا (أي: لا طاقة لأهل سبأ بمقاومة جنودنا أو مواجهتهم) وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا (أي:

وَلَنُخْرِجَنَّهُم من بلاد سبأ؛ وَلَنُخْرِجَنَّهُم من أرضهم!) أَذِلَّةً (أي: فاقدي العز) وَهُمْ صَاغِرُونَ (أي: مهزومون مقهورون؛ مدحورون مُهانون؛ مُستعبَدون) {37} قَالَ [سُلَيْمَانُ] يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا (أي: أَيُّكُمْ يسرق عرشَ ملكة سبأ ويحضره لي!) قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (أي: مستسلمين؛ منقادين خاضعين لله بالوحدانية والطاعة) {38} قَالَ عِفْرِيتٌ (أي: مارد قويٌّ شديد جريء!) مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ (أي: قبل أن تقوم من مجلسك هذا! يقصد: في دقائق أو ساعات!)ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ {39} قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ (in the twinkling of an eye) (أي: في طرف عين؛ قَبْلَ أن تضم أجفانك وتفتحها؛ يقصد: في لحظةٍ واحدة وبسرعةٍ خارقة!)ۚ [فأذن له سليمانُ فنفَّذ ما قال وسرق عرشَ ملكة سبأ!] فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ (أي: فَلَمَّا رأى سليمانُ عرشَ ملكة سبأ ثابتاً أمامه!) قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي[8018] لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ (أي: أأعترف بنعمة الله وأشكره عليها؟) أَمْ أَكْفُرُ (أي: أَمْ أجحد بنعمة الله فلا أشكره؟)[8019]ۖ وَمَن شَكَرَ [الله على نعمه] فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ (أي: فَإِنَّمَا نَفْعَ ذلك الشكر يرجع إليه؛ لمصلحة العبد لا المعبود)ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ [عن الشكر] كَرِيمٌ [بالإنعام بغير حساب على الشاكر والكافر في الدنيا وتأخير عقوبة الكافر] {40} قَالَ [سليمانُ لمَن عنده] نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا (أي: غيّروا عَرْشَهَا بزيادة ونقصان في شكله وهيئته بحيث لا تعرفه) نَنظُرْ أَتَهْتَدِي [إلى معرفته] أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ {41} فَلَمَّا جَاءَتْ [ملكةُ سبأ إلى سليمان] قِيلَ [لها] أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ (أي: إنه يشبهه؛ والمقصود: لم تثبت أنه هو ولم تنفِ أنه غيره، فهو هو لولا ما أدخل عليه من تغييرات في معالمه)ۚ [فظهر لسليمان حكمتُها ورجحانُ عقلها وأن لها من الذكاء والفطنة ما تستطيع به التمييز بين الحق والباطل فقال] وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (أي: منقادين لله مخلصين العبادة له وحده)[8020] {42} وَصَدَّهَا (أي: صرفها ومَنَعَها عن عبادة الله وحده) مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (أي: سبب ما كانت عليه من الكفر هو نشأتها بين قَوْمٍ كَافِرِينَ وليس استكبارها ولا انعدام بصيرتها)[8021] {43} [فأراد سليمانُ أن يمتحنها امتحاناً آخر] قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ (أي: قَصرَ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ أو ساحته، وكان صحنُه مفروشاً بزجاج شفَّاف يجري من تحته الماء متموِّجاً)ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً (أي: ظنته بحراً من الماء الغزير تتردد أمواجه) وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا (أي: رَفَعَتْ أذيال ثيابها لتخوض الماء بدون أن تبتل)ۚ قَالَ [سليمانُ لها] إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ (أي: أملس من زجاج نقي صاف كالبللور والماء تحته) (pavé de cristal) (paved with crystal)[8022]ۗ [فانبهرت ملكةُ سبأ وأدركت أن سليمان أعظم منها ومِن ثم فإن إله سليمان أعظم من الشمس التي كانت تعبدها فاستسلمت خاشعة خاضعة] قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي [بما كنتُ عليه من الوثنية والشرك] وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {44}.

مما سبق نلاحظ الدور المهم الذي لعبه عرش ملكة سبأ (النمل 41-42) وصرحُ سليمان ذو الأرضية الزجاجية (the palace with a glass floor)، فلقد جعلا ملكة سبأ ترى ما ينبغي ألا يكون موجوداً عند سليمان (أي: عرشها) ولم تر ما هو موجود فعلاً عند سليمان (أي: الزجاج)[8023] مما جعلها تعيد النظر في معتقداتها الوثنية فأسلمت (النمل 44). أو "إن مثل الأصنام التي كانت تعبدها من دون الله كمثل الصرح،

يظنها عابدوها أنها آلهة والصرح يظن أنه لجة بحر، فلمَّا تبين لها أنه زجاج وليس بحراً، عرفت أن ما تعبده ليس له حقيقة وأسلمت"[8024].

كما نلاحظ أيضاً أن أصحاب القرآن قد قدَّموا ملكةَ سبأ بصورة إيجابية حتى مِن قَبل أن تؤمن. "قال قتادة: رحمها الله ورضي عنها ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها"[8025]. وهذه الصورة الإيجابية التي حظيت بها ملكةُ سبأ في القرآن تعكس صورتها الإيجابية في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ...

4.50.1 مصادر القرآن من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد

ما زعمه القرآنُ عن زيارة مَلِكة سبأ إلى المَلِك سليمان (النمل 20-44) هو مجرد تطور بشري طبيعي للقصة الكتابية الأصلية (The Queen of Sheba visits Solomon) (1 ملوك 1:10-13) (2 أخبار الأيام 1:9-12). فالهدف الأساسي للقصتين الكتابية والقرآنية واحد وهو: اعتراف الملوك الوثنيين بعظمة المَلِك سليمان، ومن خلاله بعظمة إله سليمان "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" (النمل 26). وكالعادة، توجد طبعاً اختلافات بسبب الحذف و/أو الإضافة أثناء عملية التطور البشري الطبيعي ...

"وَبَعْدَ نِهَايَةِ عِشْرِينَ سَنَةً بَعْدَمَا بَنَى سُلَيْمَانُ الْبَيْتَيْنِ، بَيْتَ الرَّبِّ (أي: الهيكل في 7 سنوات) وَبَيْتَ الْمَلِكِ (أي: قصر سليمان في 13 سنة)" (1 ملوك 10:9)؛ (2 أخبار الأيام 1:8). ولذلك يُقال إن زيارة مَلِكة سبأ إلى المَلِك سليمان حدثت "عند منتصف أيام حُكْم المَلِك سليمان"[8026]، وقيل: "في الفترة بين 940-935 ق.م"[8027].

(1 ملوك 10): {1} وَسَمِعَتْ مَلِكَةُ سَبَا (بالعبرية: شبا Sheba) بِخَبَرِ سُلَيْمَانَ (أي: حكمته، غناه، سلطانه، شهرته ... الخ) لِمَجْدِ الرَّبِّ (أو: بِفَضْلِ اسمِ الرَّبِّ؛ المُقَرَّبَ مِنَ الرَّبِّ)، فَأَتَتْ لِتَمْتَحِنَهُ بِمَسَائِلَ (أي: ألغاز وأحجيات مصمَّمة لإرباك سليمان أو امتحانه لترى إن كان حكيماً أم لا) **[← جعل القرآنُ سليمانَ هو الذي يمتحن ملكةَ سبأ بأمور عجيبة محيرة مثل تغيير شكل عرشها (النمل 41-42) والصرح ذي الساحة الزجاجية التي تحتها ماء (النمل 44)!]**. {2} فَأَتَتْ [مَلِكَةُ سَبَا] إِلَى أُورُشَلِيمَ **[← "فَلَمَّا جَاءَتْ" (النمل 42)]** بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ جِدًّا، بِجِمَالٍ حَامِلَةٍ أَطْيَابًا وَذَهَبًا كَثِيرًا جِدًّا وَحِجَارَةً كَرِيمَةً **[← قَالَتْ "إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم (أي: إلى سُلَيْمَانَ وقومه) بِهَدِيَّةٍ [عظيمةٍ]" (النمل 35)؛ وقيل إنها قدَّمت الهدية لسليمان على سبيل الامتحان: إنْ قَبِلها فهو مَلِك من أهل الدنيا، وإذا رفضها فهو نبي لا يأخذ أجراً على نبوته ورسالته]**. وَأَتَتْ [مَلِكَةُ سَبَا] إِلَى سُلَيْمَانَ **[← "فَلَمَّا جَاءَتْ" (النمل 42)]** وَكَلَّمَتْهُ بِكُلِّ مَا كَانَ بِقَلْبِهَا (أي: طَرَحَتْ عَلَيْهِ كُلَّ مَا خَطَرَ بِبَالِهَا مِنْ أسئِلَةٍ). {3} فَأَخْبَرَهَا سُلَيْمَانُ بِكُلِّ كَلاَمِهَا (أي: فَأَجَابَ سُلَيْمَانُ عَنْ كُلِّ أَسْئِلَتِهَا). لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مَخْفِيًّا عَنِ الْمَلِكِ لَمْ يُخْبِرْهَا بِهِ (أي: لَمْ يَصْعُبْ عَلَيْهِ أيُّ سُؤَالٍ مِنْهَا). {4} فَلَمَّا رَأَتْ مَلِكَةُ سَبَا كُلَّ حِكْمَةِ سُلَيْمَانَ، وَالْبَيْتَ (أي: قَصْرَ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ) **[← "قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ (أي: قَصْرَ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ)" (النمل 44)]** الَّذِي

بَنَاهُ، {5} وَطَعَامَ مَائِدَتِهِ، وَمَجْلِسَ عَبِيدِهِ، وَمَوْقِفَ خُدَّامِهِ وَمَلاَبِسَهُمْ، وَسُقَاتَهُ [وَمَلاَبِسَهُمْ]، وَمُحْرَقَاتِهِ الَّتِي كَانَ يُصْعِدُهَا فِي بَيْتِ الرَّبِّ، لَمْ يَبْقَ فِيهَا رُوحٌ بَعْدُ (أي: انحَبَسَتْ أنفَاسُهَا دَهشَةً؛ كادت أن يُغمى عليها من شدَّة الدهشة؛ والمقصود: انبهرتْ وذهلتْ جدًا). {6} فَقَالَتْ لِلْمَلِكِ: «صَحِيحًا كَانَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْتُهُ فِي أَرْضِي عَنْ أُمُورِكَ وَعَنْ حِكْمَتِكَ. {7} وَلَمْ أُصَدِّقِ الأَخْبَارَ حَتَّى جِئْتُ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، فَهُوَذَا النِّصْفُ لَمْ أُخْبَرْ بِهِ (أي: ما سَمِعْتُهُ لا يتجاوز نصف ما أَرَاهُ الآن). زِدْتَ حِكْمَةً وَصَلاَحًا عَلَى الْخَبَرِ الَّذِي سَمِعْتُهُ (أو: فحِكمتُكَ وغِناكَ يفوقانِ ما سَمِعتُهُ). {8} طُوبَى لِرِجَالِكَ وَطُوبَى لِعَبِيدِكَ هؤُلاَءِ الْوَاقِفِينَ أَمَامَكَ دَائِمًا السَّامِعِينَ حِكْمَتَكَ. {9} لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي سُرَّ بِكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ جَعَلَكَ مَلِكًا، لِتُجْرِيَ حُكْمًا وَبِرًّا (أي: لِتُقِيمَ العَدْلَ وَالاِسْتِقَامَةَ justice and righteousness)[8028]» **[⟵ بالغ أصحابُ القرآن في مباركة ملكة سبأ للرب إله سليمان إلى درجة أنهم جعلوها تؤمن به! "قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي [بما كنتُ عليه من الوثنية والشرك] وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل 44)!]**. {10} وَأَعْطَتِ (أي: وَأَهْدَتْ) الْمَلِكَ مِئَةً وَعِشْرِينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ (أي: أكثر من 4 طن ذهب!) وَأَطْيَابًا كَثِيرَةً جِدًّا وَحِجَارَةً كَرِيمَةً. لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِثْلُ ذلِكَ الطِّيبِ فِي الْكَثْرَةِ، الَّذِي أَعْطَتْهُ (أي: أَهْدَتْهُ) مَلِكَةُ سَبَا لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ **[⟵ اتفق القرآنُ مع الكتاب المقدس في أن الهدية التي قدَّمتها ملكة سبأ كانت إلى سليمان وليس إلى الهيكل؛ أي: هدية بهدف شخصي أو سياسي وليس دينياً: قَالَتْ "إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم (أي: إلى سُلَيْمَانَ وقومِه) بِهَدِيَّةٍ [عظيمةٍ]" (النمل 35)]**. [...] {13} وَأَعْطَى الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِمَلِكَةِ سَبَا كُلَّ مُشْتَهَاهَا الَّذِي طَلَبَتْ، عَدَا (أي: فوقَ؛ بالإضافة إلى) مَا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ حَسَبَ كَرَمِ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ **[⟵ اتساقاً مع المبدأ القرآني الذي يقول إن الأنبياء لا يأخذون مالاً مقابل دعوتهم[8029]، جعل أصحابُ القرآن سليمانَ يرفض هديةَ ملكة سبأ، لكنهم اتفقوا مع القصة الكتابية في التأكيد على أن ثراء المَلِك سليمان يفوق ثراء مَلِكة سبأ: "قَالَ [سُلَيْمَانُ] أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ [تَرْضيةً لي؟!] فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ [من النبوة والمُلْك والأموال الكثيرة والنعم الأخرى] خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ" (النمل 36). اقرأ أيضاً: "وَقَالَ [سُلَيْمَانُ] يَا أَيُّهَا النَّاسُ [...] أُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ" (النمل 16)]**. فَانْصَرَفَتْ [مَلِكَةُ سَبَا] وَذَهَبَتْ إِلَى أَرْضِهَا هِيَ وَعَبِيدُهَا.

سليمان تميز بالحكمة الفائقة وبالثراء المذهل أيضاً! **(1 ملوك 10):** {14} وَكَانَ وَزْنُ الذَّهَبِ الَّذِي أَتَى سُلَيْمَانَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ سِتَّ مِئَةٍ وَسِتًّا وَسِتِّينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ (أي: حوالي 23 طن ذهب!). {15} مَا عَدَا الَّذِي مِنْ عِنْدِ التُّجَّارِ وَتِجَارَةِ التُّجَّارِ وَجَمِيعِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَوُلاَةِ الأَرْضِ (أي: بالإضافة إلى الذهب الذي كان سليمان يحصل عليه من الضرائب والرسوم ونحو ذلك). [...] {18} وَعَمِلَ الْمَلِكُ كُرْسِيًّا (أي: عَرْشاً) عَظِيمًا مِنْ عَاجٍ وَغَشَّاهُ بِذَهَبٍ إِبْرِيزٍ. {19} وَلِلْكُرْسِيِّ سِتُّ دَرَجَاتٍ. وَلِلْكُرْسِيِّ رَأْسٌ مُسْتَدِيرٌ مِنْ وَرَائِهِ، وَيَدَانِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ عَلَى مَكَانِ الْجُلُوسِ، وَأَسَدَانِ وَاقِفَانِ بِجَانِبِ الْيَدَيْنِ. {20} وَاثْنَا عَشَرَ أَسَدًا وَاقِفَةً هُنَاكَ عَلَى الدَّرَجَاتِ السِّتِّ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ. لَمْ يُعْمَلْ مِثْلُهُ فِي جَمِيعِ الْمَمَالِكِ. {21} وَجَمِيعُ آنِيَةِ شُرْبِ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ مِنْ ذَهَبٍ، وَجَمِيعُ آنِيَةِ بَيْتِ وَعْرِ لُبْنَانَ (أي: قَصْر غَابَةِ لُبْنَانَ) مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ، لاَ فِضَّةٍ، هِيَ لَمْ تُحْسَبْ شَيْئًا (أي: فَالْفِضَّةُ لَمْ يَكُنْ لَهَا قِيمَةٌ!) فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ. {22} لأَنَّهُ كَانَ لِلْمَلِكِ فِي الْبَحْرِ سُفُنُ تَرْشِيشَ مَعَ سُفُنِ حِيرَامَ (أي:

أساطيل تجارية في البحر الأبيض المتوسط). فَكَانَتْ سُفُنُ تَرْشِيشَ تَأْتِي مَرَّةً فِي كُلِّ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ. أَتَتْ سُفُنُ تَرْشِيشَ حَامِلَةً ذَهَبًا وَفِضَّةً وَعَاجًا وَقُرُودًا وَطَوَاوِيسَ. {23} فَتَعَاظَمَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ عَلَى كُلِّ مُلُوكِ الأَرْضِ فِي الْغِنَى وَالْحِكْمَةِ. {24} وَكَانَتْ كُلُّ الأَرْضِ مُلْتَمِسَةً وَجْهَ سُلَيْمَانَ لِتَسْمَعَ حِكْمَتَهُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ فِي قَلْبِهِ. {25} وَكَانُوا يَأْتُونَ كُلُّ وَاحِدٍ بِهَدِيَّتِهِ، بِآنِيَةِ فِضَّةٍ وَآنِيَةِ ذَهَبٍ وَحُلَلٍ وَسِلاَحٍ وَأَطْيَابٍ وَخَيْلٍ وَبِغَالٍ سَنَةً فَسَنَةً. {26} وَجَمَعَ سُلَيْمَانُ مَرَاكِبَ وَفُرْسَانًا، فَكَانَ لَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ، وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ، فَأَقَامَهُمْ فِي مُدُنِ الْمَرَاكِبِ وَمَعَ الْمَلِكِ فِي أُورُشَلِيمَ. {27} وَجَعَلَ الْمَلِكُ الْفِضَّةَ فِي أُورُشَلِيمَ مِثْلَ الْحِجَارَةِ [لِكَثْرَتِهَا!]، وَجَعَلَ الأَرْزَ مِثْلَ الْجُمَّيْزِ الَّذِي فِي السَّهْلِ فِي الْكَثْرَةِ (أي: صَارَ خَشَبُ الأَرْزِ لِتَوَفُّرِهِ لَا يَزِيدُ قِيمَةً عَنْ خَشَبِ الْجُمَّيْزِ!). اقرأ أيضاً (1 ملوك 9:26-28؛ 11:10)(2 أخبار الأيام 1:14-15؛ 8:17-18؛ 9:10؛ 9:13-27). **[← يُفْهَم من القصة القرآنية أيضاً أن المَلِك سليمان كان ثرياً جداً بدليل: "وَقَالَ [سُلَيْمَانُ] يَا أَيُّهَا النَّاسُ [...] أُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ" (النمل 16). ومما يدل أيضاً على ثراء سليمان أنه رفض هديةَ ملكة سبأ الثمينة: "قَالَ [سُلَيْمَانُ لرسول ملكة سبأ على سبيل الإنكار والاستخفاف بتلك الهدية] أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ [تَرْضيةً لي؟! كلا لن أقبل هديتكم] فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ [من النبوة والمُلْك الواسع والأموال الكثيرة والنعم الأخرى] خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ" (النمل 36)].**

ونريد أن نتوقف عند بعض الأفكار في القصة القرآنية لمعرفة جذورها الكتابية ...

مثلاً: "قَالَ [سُلَيْمَانُ] يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" (النمل 38). والسؤال هو: كيف عرف سليمانُ أن ملكة سبأ سوف تأتي إليه؟! تزعم مراجع إسلامية أن خبراً أو وحياً أو إلهاماً جاء إلى سليمان بأن ملكة سبأ ستأتي إليه؛ وقيل: قدَّر سليمانُ ذلك بسبب معرفته بالحال. لكن إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس فسنكتشف أن سليمان هو الذي كان قد طلب من الله أن تأتي شُعُوبُ الأَرْضِ إلى أورشليم وتتعرَّف على الرب إله إسرائيل وتسأله في بيته. فبعد بناء الهيكل وإحضار تابوت عهد الرب إليه، صلَّى سليمانُ صلاةً مهيبةً ومطوَّلةً يتجلى فيها إيمانُه بوحدانية الله توحيداً مطلقاً. في هذه الصلاة، "بَسَطَ [سُلَيْمَانُ] يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، لَيْسَ إِلهٌ مِثْلَكَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَلاَ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ" (1 ملوك 8:22-23) (2 أخبار الأيام 6:13-14) "لأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ اللهُ حَقًّا عَلَى الأَرْضِ؟ هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ، فَكَمْ بِالأَقَلِّ هذَا الْبَيْتُ (أي: الهيكل) الَّذِي بَنَيْتُ؟" (1 ملوك 8:27) (2 أخبار الأيام 6:18) **[← قال الهدهد: "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩" (النمل 26)[8030]]**، "«إِذَا أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ وَلَمْ يَكُنْ مَطَرٌ، لأَنَّهُمْ (أي: بني إسرائيل) أَخْطَأُوا إِلَيْكَ، ثُمَّ صَلَّوْا فِي هذَا الْمَوْضِعِ وَاعْتَرَفُوا بِاسْمِكَ، وَرَجَعُوا عَنْ خَطِيَّتِهِمْ لأَنَّكَ ضَايَقْتَهُمْ، فَاسْمَعْ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ وَاغْفِرْ خَطِيَّةَ عَبِيدِكَ وَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ، فَتُعَلِّمَهُمُ الطَّرِيقَ الصَّالِحَ الَّذِي يَسْلُكُونَ فِيهِ، وَأَعْطِ مَطَرًا عَلَى أَرْضِكَ الَّتِي أَعْطَيْتَهَا لِشَعْبِكَ مِيرَاثًا" (1 ملوك 8:35-36) (2 أخبار الأيام 6:26-27) **[← "يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (أي: يُخرج المخبوء المستور فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من المطر والنبات وغير ذلك)" (النمل 25)]**. وبعد أن تحدَّث سليمانُ في

صلاته عن شعبه بني إسرائيل، تحدَّث عن الشعوب الأخرى فقال: "وَكَذلِكَ الأَجْنَبِيُّ (أي: الغَريبُ؛ غيرُ الإسرائيلي) الَّذِي لَيْسَ مِنْ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ هُوَ، وَجَاءَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ، لأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ وَبِيَدِكَ الْقَوِيَّةِ وَذِرَاعِكَ الْمَمْدُودَةِ (أي: الْمُقْتَدِرَةِ)، فَمَتَى جَاءَ وَصَلَّى فِي هذَا الْبَيْتِ (أي: الهيكل)، فَاسْمَعْ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ مَكَانِ سُكْنَاكَ، وَافْعَلْ حَسَبَ كُلِّ مَا يَدْعُو بِهِ إِلَيْكَ الأَجْنَبِيُّ، لِكَيْ يَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ الأَرْضِ اسْمَكَ، فَيَخَافُوكَ (أي: فَيَتَّقوكَ) كَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ، وَلِكَيْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ دُعِيَ اسْمُكَ عَلَى هذَا الْبَيْتِ (أي: الهيكل) الَّذِي بَنَيْتُ" (1 ملوك 8:41-43) (2 أخبار الأيام 6:32-33). إذن: "نجد أن من بين أهداف بناء الهيكل، جذب الشعوب الأخرى إلى الصلاة لله الواحد الحقيقي [الذي لا ينحصر وجوده في الهيكل ولا في العالم كله] (1 ملوك 8:42)"[8031].

مثال آخر: أهم اختلاف بين القصة الكتابية والقصة القرآنية هو أن القصة الكتابية اكتفت بمباركة ملكة سبأ لإله إسرائيل على الرغم من كونها وثنية، فلقد قالت لسليمان: "لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ (بالعبرية: Yahweh) إِلهُكَ [...]" (1 ملوك 9:10) (2 أخبار الأيام 8:9)؛ أي: مجدَّت الرَّبَّ (يهوه) الإلهَ الذي أقام سليمانَ ملكًا ووهبه حكمة وبرًّا. "يعكس هذا الاعتراف فهماً عميقاً عند ملكة سبأ لعلاقة العهد بين الرب وبني إسرائيل. ومع ذلك فهو لا يشير [بالضرورة] إلى أي شيء أبعد من مجرد اعترافها بالرب (the Lord) كإله لبني إسرائيل (Israel’s national God)، وهذا في إطار الاعتقاد الوثني بتعدد الآلهة (أي: اعترفت بأن رب إسرائيل إله من الآلهة) [...]. ليس هناك اعتراف بأن إله شعب إسرائيل قد أصبح إلهها لدرجة التخلي عن بقية الآلهة"[8032]. لكن في المقابل، زعم القرآنُ في نهاية القصة أن إله شعب إسرائيل قد أصبح إله ملكة سبأ لدرجة التخلي عن بقية الآلهة، فلقد "قَالَتْ رَبِّ (My Lord) إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي [بما كنتُ عليه من الوثنية والشرك] وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل 44)! فَمِن أين أتى أصحابُ القرآن بهذه الفكرة؟! ...

في الواقع، تأثَّر أصحابُ القرآن هنا باعترافات أخرى مشابهة لاعتراف ملكة سبأ، لكنها اعترافات أقوى وأكثر جرأة. مثل اعتراف حُورَامُ/حيرام مَلِكُ صُورَ (Huram, king of Tyre) الوثني أيضاً: "فَقَالَ حُورَامُ مَلِكُ صُورَ بِكِتَابَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَى سُلَيْمَانَ: «لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَحَبَّ شَعْبَهُ جَعَلَكَ عَلَيْهِمْ مَلِكًا». وَقَالَ حُورَامُ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ (بالعبرية: Yahweh) إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي صَنَعَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، الَّذِي أَعْطَى دَاوُدَ الْمَلِكَ ابْنًا حَكِيمًا صَاحِبَ مَعْرِفَةٍ وَفَهْمٍ، الَّذِي يَبْنِي بَيْتًا لِلرَّبِّ وَبَيْتًا لِمُلْكِهِ" (2 أخبار الأيام 2:11-12)؛ (1 ملوك 5:7). فنلاحظ هنا أن المَلِك حيرام الوثني قد اعترف بأن يهوه إله إسرائيل هو "الَّذِي صَنَعَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ" (2 أخبار الأيام 2:12)! **[← قال الهدهد المؤمن: "يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (النمل 25)]**. "ربّما كان حيرام يعبد الله الحقيقيّ، أو ربّما كان يُقرُّ فقط بيهوه بصفته إله العبرانيّين"[8033].

[← جعل أصحابُ القرآن ملكةَ سبأ تؤمن فعلاً بالله الحقيقي يهوه إله سليمان: "قَالَتْ رَبِّ (My Lord) إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي [بما كنتُ عليه من الوثنية والشرك] وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل 44)].

ومن الجدير بالذكر أن صور تقع شمال إسرائيل بينما تقع سبأ جنوب إسرائيل. إذن: مَلِك صور ومَلِكة سبأ يرمزان إلى اعتراف العالم الوثني بعظمة المَلِك سليمان، ومن خلاله بعظمة الله يهوه الذي جعل سليمانَ مَلِكاً على شعبه الحبيب إسرائيل. يقول الكتاب اليهودي الدراسي (Jewish Study Bible):

Huram and the Queen of Sheba "together symbolize universal recognition of Solomon's importance and, specifically, that the Davidic monarch is a concrete sign of the LORD's love for Israel. This is another expression of Chronicles' messianic aspirations. Chronicles again claims that the Davidic monarchs are the earthly representatives of divine rule"(8034).

ولعل هذا هو السبب الذي جعل صاحب الرواية المبكرة لقصة ملكة سبأ (1 ملوك 10:1-13) وأيضاً صاحب روايتها المتأخرة (2 أخبار الأيام 9:1-12) يذكران حيرام/حُورَام مَلِك صُور في ثنايا قصة ملكة سبأ (1 ملوك 10:11-12) (2 أخبار الأيام 9:10-11) للتأكيد على أوجه التشابه بين هاتين القصتين الكتابيتين. لكن يُحْسَب لمَلِكة سبأ أنها احتملت متاعب كثيرة وتكلفة كبيرة في رحلة طويلة وشاقة لتأتي بنفسها من سبأ إلى أورشليم لتقابل سليمانَ وتكلِّمه وجهاً لوجه، بخلاف مَلِك صور الذي اكتفى فقط بتبادل الرسائل مع سليمان **[← لاحظ أصحابُ القرآن أوجه التشابه بين قصة مَلِك صور وقصة مَلِكة سبأ الكتابيتين، فجمعوا بينهما في قصةٍ قرآنية واحدة، فجعلوا مَلِكةَ سبأ تتبادل الرسائل مع سليمان (النمل 28-37) ثم تأتي بنفسها لتقابله وتكلِّمه وجهاً لوجه (النمل 38-44)]**.

نعود إلى مسألة إيمان مَلِكة سبأ حسب القصة القرآنية (النمل 44). فلقد تأثر أصحابُ القرآن أيضاً بنبوءة في سفر إشعياء النبي تقول: "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «[...] السَّبَئِيُّونَ ذَوُو الْقَامَةِ (أو: بِكُلِّ مَا يَمْلِكُونَهُ مِنْ ثَرْوَاتٍ) إِلَيْكِ يَعْبُرُونَ وَلَكِ يَكُونُونَ (أي: يَصِيرُونَ رَعَايَاكُمْ أو خاضعين لكم). خَلْفَكِ يَمْشُونَ (أي: سَيَتْبَعُونَكَ ويقتدون بِكَ في طريق الله). بِالْقُيُودِ يَمُرُّونَ وَلَكِ يَسْجُدُونَ. إِلَيْكِ يَتَضَرَّعُونَ قَائِلِينَ: فِيكِ (أو: معك) وَحْدَكِ اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ. لَيْسَ إِلهٌ (أي: والآلِهَةُ الأخرى عَدَم)»" (إشعياء 45:14)؛ أي أن السبئيين سيؤمنون بالرب الإله يهوه إله إسرائيل وسيقرون أنه ليس إله آخر سواه يستحق العبادة والطاعة. وهو ما حدث فعلاً بعد ذلك بانتشار الديانة اليهودية ثم انتشار الديانة المسيحية خلال القرون الأولى للميلاد. لكن أصحاب القرآن أرادوا تحقيق نبوءة إشعياء في قصتهم القرآنية (النمل 20-44) التي يُفْتَرَض أنها حدثت في القرن العاشر قبل الميلاد، أي: قبل النبي إشعياء نفسه!

كما تأثر أصحابُ القرآن أيضاً بما قاله المسيحُ يسوع في القرن الأول الميلادي حين استخدم ملكةَ سبأ كمثال ليدين اليهودَ في عصره على عدم الإيمان به، فلقد قال: "مَلِكَةُ التَّيْمَنِ (أي: مَلِكَةُ الْجَنُوبِ) سَتَقُومُ فِي الدِّينِ (أي: يَوْمَ الْحِسَابِ) مَعَ رِجَالِ هذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُمْ، لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ ههُنَا! (أي: أتى بحكمة وأقوال وأعمال ومعجزات أكثر وأكبر من سليمان)" (لوقا

31:11)؛ (متى 42:12). يقصد: إذا كانت ملكة سبأ – على الرغم من كونها أممية (أي: وثنية؛ غير إسرائيلية) – أَتَتْ بإرادتها ومن تلقاء نفسها مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ (أي: رحلة طويلة وشاقة) لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ وأدركت العلاقةَ القوية بين المَلِك سليمان والرب الإله الذي يعبده ومن ثم تجاوبت معه، فكم بالأولى يجب عليكم يا أيها اليهود الإسرائيليون أن تدركوا العلاقةَ القويةَ بين المسيح يسوع - الواقف أمامكم الذي هو أعظم مِن سليمان - والرب الإله الذي أرسله ومن ثم كم بالأولى يجب عليكم أن تتجاوبون معه!

وبمرور الزمن، جعل الفكرُ المسيحي ملكةَ سبأ رمزاً لكنيسة الأمم (أي: المسيحيين من أصل وثني غير إسرائيلي) الذين آمنوا بالمسيح يسوع بينما رفضه اليهود الإسرائيليون بل قتلوه. فلقد قال القديس أمبروسيوس في القرن الرابع الميلادي تعليقاً على ما قاله المسيح: "هنا أيضًا يدين الشعب اليهودي، إذ يعبِّر بقوة عن سرّ الكنيسة في ملكة الجنوب، خلال رغبتها في نوال الحكمة [1 ملوك 1:10]، إذ تأتي من أقاصي الأرض لتسمع كلمات سليمان صانع السلام؛ الملكة التي لها مملكة غير منقسمة تضم أممًا مختلفة ومتباينة في جسدٍ واحدٍ"؛ "كالمسيح والكنيسة (أفسس 32:5)"([8035])([8036]).

وفي القرن السابع الميلادي، أكَّد أصحابُ القرآن على وثنية ملكة سبأ: "وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ" (النمل 24) "وَصَدَّهَا (أي: ومَنَعَها عن عبادة الله وحده) مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ" (النمل 43)، لكنها آمنت بالله الواحد الأحد في نهاية القصة القرآنية: "قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي [بما كُنتُ عليه من الوثنية والشرك] وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل 44). إذن: جعل أصحابُ القرآن ملكةَ سبأ مؤمنةً فعلاً وليست مجرد رمز للمؤمنين الأُمَمِيّين! ومن الواضح أن أحد أهداف القصة القرآنية هو بالفعل تشجيع العرب الأُمَمِيّين (الأميين) الوثنيين على الإيمان بمحمد، ومن خلاله الإيمان بالله الواحد الأحد، بدليل استخدام كلمة "مسلمين" ثلاث مرات (النمل 31، 38، 42) التي قد تُفسَّر بالمعنى السياسي "خاضعين وطائعين لسليمان" (in submission and obedience to Solomon) و/أو تُفسَّر بالمعنى الديني "خاضعين وطائعين لله الواحد" (as Muslims). وكذلك قول ملكة سبأ في الآية الأخيرة من القصة: "وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل 44)! وأيضاً بدليل واستخدام جمل وعبارات إسلامية/عربية (stock phrases) من تأليف أصحاب القرآن. انظر الجدول التالي:

جدول 46 – قصة "زيارة مَلِكة سبأ إلى المَلِك سليمان" التي حَرَّفها أصحابُ القرآن: أسلمة للأفكار وتعريب للألفاظ

قصة "زيارة مَلِكة سبأ إلى المَلِك سليمان" التي حرَّفها أصحابُ القرآن (النمل 20-44) بأن وضعوا فيها كلاماً غريباً ليس في القصة الكتابية الأصلية!	إنه كلام إسلامي/عربي (stock phrases) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموه في آيات قرآنية أخرى ليس لها أية علاقة بالقصة الكتابية الأصلية!
قال الهدهد المؤمن جداً: "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" (النمل 26)!	"اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ [...] وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" (التوبة 129)، "قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ" (المؤمنون 86-87) "فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" (المؤمنون 116)!
قال الهدهد المؤمن جداً عن أهل سبأ الكفّار: "وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ" (النمل 24)!	"وَعَادًا وَثَمُودَ [...] وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ" (العنكبوت 38)؛ "تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ" (النحل 63) "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ [...] وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (الأنعام 42-43) "زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ" (الأنفال 48) "وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ" (غافر 37) "بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ" (الرعد 33)! اقرأ أيضاً: "زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ" (التوبة 37)؛ وفي نفس سورة النمل: "زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (أي: يتيهون؛ يتحيَّرون؛ يترددون)" (النمل 4)!
قال الهدهد المؤمن جداً: "يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (أي: يُخرج المخبوء المستور كالمطر من السَّمَاوَاتِ وَالنبات من الأَرْضِ) وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ" (النمل 25)!	"[الله] خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ [...]. يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ" (التغابن 3-4) "وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ" (النحل 19) "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ [...] ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا [كالنبات] وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ [كالمطر] وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (الحديد 4)!

لمَّا رفض المَلِكُ المؤمنُ الصالحُ سليمانُ أن يأخذ هديةً من الوثنيين "قَالَ [...] فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم" (النمل 36)!	لمَّا رفض المَلِكُ المؤمنُ الصالحُ ذو القرنين أن يأخذ مالاً أو أجراً من القوم الذين لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا "قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ [مِن مالكم]" (الكهف 95)!
بداية رسالة النبي المسلم سليمان: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ" (النمل 30)!	بداية رحلة النبي المسلم نوح: "بِسْمِ اللَّهِ" (هود 41)!
"قَالَ [سليمانُ] رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ" (النمل 19)!	"قَالَ [الإنسَانُ الذي بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً] رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ" (الأحقاف 15)!
قال سليمانُ الحكيم: "وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ" (النمل 40)[8037]!	قال اللهُ للقمان الحكيم: "وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ" (لقمان 12)!
أسلوب التهديد والإرهاب "أَسْلِمْ تَسْلَمْ" الذي يعتمد عليه الإسلامُ منذ غزوة بدر (2هـ) إلى اليوم!	
قال المَلِكُ سليمان لأهل سبأ: "أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" (النمل 31) (مكية)! "فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ" (النمل 37) (مكية)!	"تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ" (الفتح 16) (مدنية)؛ أي: "إما قتلكم لهم، وإما الإسلام منهم"[8038]! وإما الجزية على اليهود والمسيحيين يدفعونها بأيديهم وَهُمْ أذلاء صَاغِرُونَ! "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ (أي: الإسلام) مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" (التوبة 29) (مدنية)!

بل إنك حين تقرأ القصة القرآنية تشعر أن سليمان كان حريصاً على هداية ملكة سبأ إلى الإيمان بالله وتوحيده (الإسلام) بدليل أنه هو الذي بدأ التواصل معها بعد أن أخبره الهدهد أنها كافرة! وهذا يتعارض مع القصة الكتابية الأصلية؛ بل إنه غير صحيح تاريخياً، لأنه من المعلوم أن بني إسرائيل لم يكن لديهم هذا الحرص، فالديانة اليهودية كانت - ولا تزال - ديانة غير تبشيرية ولا دعوية!

إذن: ما فعله أصحابُ القرآن في قصص أخرى – كقصص نوح وموسى ويوسف مثلاً – فعلوه أيضاً في قصة سليمان، وهو إعادة إنتاج (reproducing) القصة الكتابية الأصلية بحيث يكون بطلها مشابهاً لمحمد حتى يصدق النَّاسُ أن محمداً نبي مثل بطل القصة وأن دين محمد (الإسلام) هو دين الأنبياء السابقين! وهذا ما نسمّيه "أسلمة" القصة الكتابية الأصلية، بل "أسلمة" التراث اليهودي-المسيحي الشرقي. قال الدكتور

محمد علي الصابوني (الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة): "قد اتخذ المُلْكَ وسيلة للدعوة إلى الإسلام فلم يترك مَلِكاً كافراً، ولا حاكماً جائراً، ولا سلطاناً ذا بأس وقوة إلا ودعاه إلى الدخول في دين الله، فَمَن لم يجبه كان السيف هو الحكم الفصل، وهكذا انتشر دينه في أقطار المعمورة وعمّ أرجاء الدنيا"[8039]! فحين تقرأ هذه الجملة قد تتخيل أنها تتحدث عن محمد، لكنها في الواقع تتحدث عن سليمان، بدليل أن قائلها قالها تحت عنوان "قصة سليمان مع بلقيس ملكة سبأ"! أو بعبارة أكثر دقة: هذه الجملة تتحدث عن سليمان الذي أعاد أصحابُ القرآن إنتاجَ شخصيته حتى يكون مشابهاً لمحمد أو حتى يكون قدوةً أو نموذجاً (prototype) لمحمد: "وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ" (الجاثية 16) "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ [...]. أُولَٰئِكَ (أي: الأسماء المذكورة في سياق الآيات وكلهم من الكتاب المقدس مثل سليمان وغيره هُمْ) الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ (أي: فاتخذهم قدوةً يا محمد)" (الأنعام 89-90). تقول موسوعة الإسلام (Encyclopædia of Islam)[8040]:

> In the Ḳurʾān itself [Sulaymān] is frequently mentioned, and along with Alexander enjoys the distinction of being designated a true Apostle of God, a divine messenger and prototype of Muhammad.

فبما أن أصحاب القرآن قد حرَّفوا القصةَ الكتابية الأصلية عن عمد وليس عن جهل؛ وبما أنه لا يوجد أي دليل علمي يثبت أن بطل القصة شخص حقيقي تاريخي. إذن: القصة القرآنية مجرد قصة أدبية. وحتى لو افترضنا أن سليمان شخص حقيقي تاريخي، فلا يمكن الاعتماد على القرآن فقط لمعرفة أي شيء موثوق عنه. بعبارة أخرى: سليمان في القرآن مجرد شخصية أدبية غير تاريخية (literary, ahistorical character).

وكذلك اسم "بلقيس" - الذي يلصقه التراثُ العربي-الإسلامي كذباً وزوراً بملكة سبأ التي يزعم القرآنُ أنها زارت سليمان - ليس له أي أساس تاريخي ولا حتى أساس كتابي. تقول دائرة المعارف الكتابية: "ولا يُذْكَر اسم ملكة سبا في الكتاب المقدس. [...] وتسميها الأساطير العربية "بلقيس" ولكن الأرجح أن "بلقيس" اسم ملكة جاءت بعد سليمان بعدة قرون، ولكن اطلق اسمها على ملكة سبا التي زارت سليمان، لأنه كان اسم الملكة الوحيدة المعروفة لديهم"[8041]. ويبدو لنا أن العرب ربما اشتقوا اسمَ "بلقيس" من الكلمة العبرية "pilegesh" التي تعني "سُرِّيَّة" أو "مَحْظِيَّة" (concubine)[8042]. إذا صح ذلك، فإنه قد يدل على أن العرب ربما تأثروا بالأسطورة الشهيرة التي تزعم أن المَلِك سليمان حظي بعلاقة جنسية مع ملكة سبأ. بل تقول الأساطير إن ملكة سبأ حملت من سليمان! قال تفسيرُ الجلالين: "وأراد تزوجها (أي: وأراد المَلِكُ سليمانُ أن يتزوج مَلِكة سبأ) فَكَرِهَ شَعْرَ ساقيها؛ فعملت له الشياطينُ النَّوْرَةَ (أي: مادة يُزال بها الشعر) فأزالته بها؛ فتزوجها وأحبها وأقرها على مُلْكِها"[8043]! وفي عصرنا الحديث، قال الشيخ عبد الوهاب النجار (أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين): "وأهل القصص وأهل التفسير يذكرون أن سليمان تزوج منها (أي: تزوج ملكة سبأ) وأتى منها بولد"[8044]! علماً بأن هذه الأساطير الجنسية تعتمد على تكهنات واستنتاجات

خاطئة من الآية الكتابية: "وَأَعْطَى الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِمَلِكَةِ سَبَا كُلَّ مُشْتَهَاهَا الَّذِي طَلَبَتْ" (1 ملوك 10:13) (2 أخبار الأيام 9:12)! فكما نقول دائماً: الأساطير لا تنشأ من العدم. ويوجد رأي آخر يقول إن اسم مَلِكة سبأ هو "يلمقة"[8045] من اسم الإله "المقه" إله سبأ العظيم؛ أو "جعل الأخباريون "يلمق" اسماً من أسماء الملكة "بلقيس""[8046]. لكن بما أن المقه كان إله القمر وليس إله الشمس، فإن هذا الرأي يجعلنا نشك أكثر فيما زعمه القرآنُ أن ملكة سبأ وقومها كانوا يعبدون الشمس: "وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ" (النمل 24).

ومن الجدير بالذكر أيضاً في هذا السياق أن العهد القديم العبري لم يقل صراحةً إن ملكة شبا (بالعبرية: Sheba) (1 ملوك 10:1) (2 أخبار الأيام 9:1) جاءت من سبأ في اليمن القديم. والمسيح يسوع في الإنجيل يسمِّيها "مَلِكَةُ التَّيْمَنِ (أي: مَلِكَةُ الْجَنُوبِ Queen of the South)" (لوقا 11:31) (متى 12:42) بدون تحديد الموقع. وإنما الرأي السائد في التقليد اليهودي-المسيحي هو الذي قال إن شبا (Sheba) = سبأ (Sabea) وإن ملكة شبا (سبأ) جاءت من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية؛ أي: اليمن. ولقد لاحظنا أن الترجمات العربية أحياناً تترجم الكلمة العبرية "شبا" إلى "سبأ" أو "سَبَا" كما هو الحال في القصة التي ندرسها الآن (1 ملوك 10:1) (2 أخبار الأيام 9:1)؛ وأحياناً أخرى تتركها كما هي "شبا" دون ترجمة وهو الصواب في رأينا لأنها اسم عَلَم وأسماء الأعلام ينبغي ألا تُترجم، مثل: "مُلُوكُ شَبَا (بالعبرية: Sheba) وَسَبَأٍ (بالعبرية: Seba) يُقَدِّمُونَ هَدِيَّةً" (المزامير 72:10). ومع ذلك، قيل إن شبا = سبا "و"واو" العطف بين "شبا وسبا" هنا يمكن أن تعني "أي" فتكون العبارة "شبا" أي "سبا""[8047]. لكن يوجد رأي آخر يقول إن شبا ≠ سبا؛ "أمَّا شبا فكانت مملكة في العربية الجنوبية (اليمن اليوم)، فيما كانت سبا مملكةً في شمال أفريقيا"[8048] "لعلها إشارة إلى منطقة ما في السودان الحديث؛ جنوب مصر"[8049]. بل قيل إن ملكة شبا التي زارت سليمان في أورشليم جاءت من الحبشة (أثيوبيا) أو إن ملوك الحبشة جاءوا من نسلها: "فلدى كلٍ من أثيوبيا واليمن تقليد به يربطون ملكة سبأ بتاريخهم، خاصة وأن وجود ملكة تحكم البلاد كان عامًا في المنطقتين"[8050]. و "تكلم بعضهم عن منطقة أخرى تُدعى "سبا" وتقع في صعيد مصر في منطقة النوبة وتُدعى أحياناً "كوش". ويقول بعضهم إنَّ كوش هي الحبشة (أثيوبيا)، لذلك عُرفت زائرة سليمان بأنها ملكة الحبشة، ويوجد تقليد أثيوبي قديم يقول إن اسمها "ماقدا" [Mākedā] وأنها أتت من أقسوم وأنها حملت من سليمان وتبنت ديانته؛ وفيما بعد، جلس ابنها (من سليمان) على العرش، فأضحت مملكة أثيوبا (أقسوم) تابعة لمملكة داود. وتدّعي كنيسة أثيوبيا الأرثوذكسية امتلاك تابوت العهد. ودرجت العادة أن يوضع مجسم لتابوت العهد في كل كنيسة أثيوبية. لم يذكر [كاتبُ (1 ملوك 10)] اسمَ الملكة، لكن في التراث الإسلامي تُدعى "بلقيس"، وحولها قصص وأساطير، إن كان في التراث الإسلامي أو اليهودي"[8051]؛ ونحن نضيف: وقصص وأساطير في التراث المسيحي الشرقي أيضاً (الحبشي بصفة خاصة)، علماً بأن أسطورة أنها تبنت ديانة سليمان تعتمد على تكهنات واستنتاجات خاطئة مما قالته له حين باركت يهوه إله سليمان: "لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ (Yahweh) إِلهُكَ [...]" (1 ملوك 10:9) (2 أخبار الأيام 9:8)! فكما نقول دائماً: الأساطير لا تنشأ من العدم. **[← وكذلك جعل أصحابُ القرآن ملكةَ سبأ تتبنى ديانةَ سليمان: "قَالَتْ رَبِّ (My Lord) إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ**

سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل 44)]. "وتذكر الأساطير الأثيوبية هذه الملكة بكل تبجيل وبخاصة في "كبراناجست" [Kebra Negast] [Kebra Nagazt] (أي: "مجد الملوك" [La Magnificence des Rois]) باعتبارها ملكة إثيوبيا التي حملت من سليمان بأول ملك لإثيوبيا. وتعكس هذه الأسطورة الارتباط الشديد – منذ أقدم العصور – بين جنوبي بلاد العرب وشرقي أفريقية. وقد نوه به يوسيفوس حتى ليدعوها "ملكة مصر والحبشة" وكذلك فعل غريغوري النيسي"[8052]. "ويقول التقليد الحبشي إن سلسلة ملوك الحبشة يرجع نسبها إلى سليمان عن طريق هذه الملكة، ولذلك يلقب ملك الحبشة نفسه بالأسد الخارج من سبط يهوذا"[8053]! وبمرور الزمن، تطوَّر هذا التقليد اليهودي-المسيحي حتى وصل إلى التراث الإسلامي. قال الشيخ عبد الوهاب النجار (أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين): "وأهل القصص وأهل التفسير يذكرون أن سليمان تزوج منها (أي: ملكة سبأ) وأتى منها بولد، ويزعم بعض ملوك الحبشة أنهم أبناء سليمان من الولد الذي أتى به منها"[8054]!

وتوجد في سفر أعمال الرسل قصة "رَجُل حَبَشِيّ (باليونانية: Aithiops) خَصِيّ، وَزِير لِكَنْدَاكَةَ (Candace) مَلِكَةِ الْحَبَشَةِ، كَانَ عَلَى جَمِيعِ خَزَائِنِهَا (أي: وزير مالية مملكة الحبشة التي كانت آنذاك مملكة واسعة تقع إلى الجنوب من مصر). فَهذَا كَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْجُدَ" (أعمال الرسل 27:8) وانتهت زيارتُه إِلَى أُورُشَلِيمَ بإيمانه بيسوع المسيح ابن الله "فَأَجَابَ وَقَالَ: «أَنَا أُومِنُ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللهِ»" (أعمال الرسل 37:8)[8055]. فمن المحتمل جداً أن المسلمين الأوائل أثناء هجرتهم إلى الحبشة قد سمعوا هذه القصة وذلك التقليد الحبشي الذي ذكرناه فيما سبق، ومِن ثم ظنوا أن ملكة سبأ أيضاً جاءت إلى أورشليم من الجنوب (اليمن أو أفريقيا لا يهم) وانتهت زيارتُها إِلَى أُورُشَلِيمَ بإيمانها بإله سليمان: "قَالَتْ رَبِّ (My Lord) إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي [بما كنتُ عليه من الوثنية والشرك] وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل 44).

ويجب أن ننتبه إلى اختلاف آخر مهم بين القصة الكتابية والقصة القرآنية. تؤكد القصة الكتابية أن المَلِك سليمان لم يكتسب شهرته التي جذبت الملوك الوثنيين بالحروب والعنف، وإنما اكتسب شهرته التي جذبت الملوك الوثنيين بروح الحكمة مع السلام. أما القصة القرآنية فوضعت زيارةَ ملكة سبأ في إطار حرب بل تهديد صريح بالغزو والسبي! فلقد قالت ملكة سبأ لمَّا قرأت رسالة سليمان: "[يقول سُلَيْمَانُ لنا] أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ (أي: لا تتكبروا عَلَيَّ) وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (أي: أقْبِلوا إليَّ مستسلمين)" (النمل 31) ثم "قَالَتْ [متريثة مسالمة] إِنَّ الْمُلُوكَ [أمثال المَلِك سليمان] إِذَا دَخَلُوا [بجيوشهم] قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا (أي: خرَّبوها) وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً [بالقتل والأسر والنفي وسلب المُلْك من أصحاب الأرض]ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ" (النمل 34)! وفي ظل هذا الاختلاف المهم، تقول القصة الكتابية إن المَلِك سليمان قَبِل هديةَ ملكة سبأ بل تبادل معها الهدايا الثمينة في إطار الود والكرم والاحترام المتبادل (1 ملوك 10:10، 13:10) (2 أخبار الأيام 9:9، 12:9). أما القصة القرآنية فتقول إن الملك سليمان رفض هديةَ ملكة سبأ وردَّ عليها بتهديد صريح بالغزو والسبي! "فَلَمَّا

جَاءَ [رسولُ ملكة سبأ بالهدية إلى] سُلَيْمَانَ قَالَ [سُلَيْمَانُ له] أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ. ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا (أي: لا طاقة لأهل سبأ بمقاومة جنودنا) وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا (أي: وَلَنُخْرِجَنَّهُم من أرضهم!) أَذِلَّةً (أي: فاقدي العز) وَهُمْ صَاغِرُونَ (أي: مدحورون؛ مهانون؛ مستعبدون)" (النمل 36-37)! ولمعرفة من أين أتى أصحابُ القرآن بهذه الفكرة، يجب أن نذهب إلى كتاب مهم من كتب التراث اليهودي الآرامي وهو "الترجوم الثاني لأستير" ...

4.50.2 مصادر القرآن من الترجوم الثاني لأستير

"الترجوم الثاني لأستير" (Second Targum of Esther) (Targum Sheni to Esther) هو ترجمة آرامية ثانية لسفر أستير لكن فيها توسعات كثيرة وكبيرة غير مذكورة في سفر أستير ولا في الترجمة الآرامية الأولى التي تسبقه. ومن البداية، نعترف بوجود خلاف كبير بين العلماء والباحثين حول تاريخ الترجوم الثاني لأستير. تقول موسوعة (Encyclopædia Judaica) عنه[8056]:

> Outstanding among the stories interwoven into the *Targum Sheni* is the variegated description of Solomon’s throne (1:2). [...] Some of these motifs are also found in the Koran [النمل 20-40], and it has been suggested that the author also made use of Arabic sources.
>
> […]
>
> **Summary**
>
> […] The *Targum Sheni* contains the most detailed description of the Queen of Sheba found in aggadic literature […].
>
> […]
>
> **Date**
>
> The date of the work cannot be determined exactly. […] It seems that the most acceptable view is that which places its composition at the end of the seventh or the beginning of the eighth century, […]

إذن: الموسوعة رَجَّحَتْ أن زمن كتابة الترجوم الثاني لأستير هو أواخر القرن السابع الميلادي أو أوائل القرن الثامن الميلادي. لكن هذا هو زمن التدوين وليس زمن نشأة الأساطير المذكورة في الترجوم الثاني لأستير. على سبيل المثال، أسطورة نجاة إبراهيم من النار مذكورة في الترجوم الثاني لأستير[8057]، فهل هذا يعني

أن تاريخ نشأة هذه الأسطورة هو أواخر القرن السابع الميلادي أو أوائل القرن الثامن الميلادي؟! بالطبع لا، فنحن نعلم جيداً من خلال دراستنا لهذه الأسطورة اليهودية←القرآنية - "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ" (الأنبياء 69) "فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّار" (العنكبوت 24) و (الصافات 97-98) - أن تاريخ نشأة هذه الأسطورة اليهودية أصلاً يرجع إلى القرن الأول الميلادي (كتاب فيلو المنحول) وربما قبل ذلك، أي قبل القرآن بأكثر من 500 سنة! إذن: القاعدة العامة هي أن تاريخ نشأة الأسطورة قد يسبق تاريخ تدوينها (أو تجميعها مع أساطير أخرى) بعشرات السنين بل بمئات السنين. ونحن نعتقد أن هذا ما حدث مع الأساطير المشتركة بين القرآن والترجوم الثاني لأستير فيما يتعلق بقصة ملكة سبأ تحديداً. وها هي أدلتنا ...

أولاً بدليل أن بعض عناصر قصة زيارة مَلِكة سبأ القرآنية (النمل 20-44)، والموجودة في الترجوم الثاني لأستير، موجودة أيضاً في مصادر يهودية أقدم منهما مثل كتاب رؤيا آدم وكتاب ميثاق سليمان (وصية سليمان) اللذين يسبقان القرآن بأكثر من 200 سنة وأشرنا إليهما من قبل ...

- مثلاً: يقول الترجوم الثاني لأستير إن <u>جيش</u> سليمان يحتوي على شياطين وعفاريت وأرواح. ولقد وضَّحنا فيما سبق أن هذه الأسطورة موجودة في الكتاب الغنوسي الخرافي المسمَّى "رؤيا آدم" قبل القرآن بأكثر من 200 سنة **[← تسللت هذه الأسطورة اليهودية إلى القرآن، بل اتفق القرآن العربي مع الترجوم الآرامي ومع رؤيا آدم في استخدام كلمات عسكرية كما شرحنا بالتفصيل فيما سبق: "وَحُشِرَ (أي: جُمِعَ) لِسُلَيْمَانَ <u>جُنُودُهُ</u> مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ <u>يُوزَعُونَ</u>" (النمل 17)!]**.
- مثال آخر: فكرة الاستيلاء على عرش ملكة سبأ، بل نقله وإحضاره من سبأ إلى أورشليم (النمل 38-40)! فهذه الفكرة القرآنية هي مجرد تطور بشري طبيعي لخرافة مذكورة في ميثاق سليمان تقول إن شيطان الريح العربي "إفيباس" (Ephippas) قادر على أن يحرّك الجبال (move mountains) ويحمل البيوت من مكانٍ إلى آخر (carry houses from one place to another) ويقلب عروش الملوك (overthrow kings)[8058] **[← "قَالَ [سُلَيْمَانُ] يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ. قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ [فأذن له سليمانُ فنفَّذ ما قال!] فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ (أي: فَلَمَّا رأى سليمانُ عرشَ ملكة سبأ ثابتاً أمامه!) قَالَ [...]" (النمل 38-40). وبما أن "الكتاب" المقدس لم يذكر هذه الأساطير العجيبة، فمن حقنا إذن أن نقول إن كلمة "الْكِتَابِ" (النمل 40) هنا ربما تشير إلى كتاب الترجوم الثاني لأستير أو كتاب ميثاق سليمان الذي يسبق القرآن زمنياً أو لعلها تشير إلى الكتب غير القانونية بصفة عامة التي توهَّم أصحابُ القرآن أنها وحي إلهي]**! والهدف من هذه الفكرة التي تتكرر كثيراً في التراث اليهودي-المسيحي - وتتكرر كثيراً أيضاً في القرآن - هو التأكيد على أن عرش الإنسان (المَلِك الأرضي) مؤقت وسوف يزول حتماً عاجلاً أو آجلا بل من الممكن أن يزول في لحظةٍ واحدة في طرف عين "قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ

إِلَيْكَ طَرْفُكَ" (النمل 40) ومن الممكن أن يجلس عليه شخصٌ آخر "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا" (ص 34)، بينما عرش الله (المَلِك السماوي) دائم ولن يزول أبداً ولن يجلس عليه كائنٌ آخر. وهذه الفكرة الجوهرية واضحة جداً في القصة القرآنية: فإذا كان المَلِكُ سليمان أو كتابه "كَرِيمٌ" (النمل 29)، فإن الله الذي يخضع له المَلِكُ سليمان ويشكره على نعمه "غَنِيٌّ كَرِيمٌ" (النمل 40). وإذا كانت ملكةُ سبأ قد "أُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (a great throne) (أي: بالنسبة إلى ملوك الدنيا)" (النمل 23)، فإن "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (The Great Throne) (أي: أعظم من كل العروش؛ لا يدانيه ولا يشبهه شيء مما يطلق عليه هذا اللفظ)" (النمل 26)، ولذلك تنتهي القصة القرآنية باستسلام ملكة سبأ وخضوعها لله "قَالَتْ رَبِّ إِنِّي [...] أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل 44). ولذلك أيضاً أنهى تفسيرُ الجلالين تفسيرَ هذه القصة القرآنية بقوله "فسبحان مَن لا انقضاء لدوام مُلْكه"[8059].

وثانياً بدليل أن نفس الموسوعة (Encyclopædia Judaica) قالت عن ملكة سبأ[8060]:

> The biblical story [of the Queen of Sheba's visit to King Solomon], unattested by any other source, including hundreds of inscriptions from the Kingdom of Sheba, was adopted by the Ethiopic Church claiming that Ethiopian kings were descendants of the kingly couple King Solomon and Queen of Sheba. The Muslim sources, especially the Koran, just copy the Bible and other Jewish sources, although they call this queen Bilqīs and add the tradition that the first Jews arrived in Yemen at the time of King Solomon, following the politico-economic alliance between him and Queen of Sheba. However, this tradition is suspected to be an apologetic fabrication of Jews in Yemen later transferred to Islam, just like many other traditions. The ancient Sabaic Awwām Temple, known in folklore as *Maḥram* (the Sanctuary of) *Bilqīs*, was recently excavated by archaeologists, but no trace of Queen of Sheba has been discovered so far in the many inscriptions found there.

إذن: بالإضافة إلى عدم وجود أي دليل علمي يثبت أن قصة زيارة مَلِكة سبأ إلى المَلِك سليمان قصة حقيقية تاريخية، فإن موسوعة (Encyclopædia Judaica) تقول إن المصادر الإسلامية، وبصفة خاصة القرآن، فقط تنقل من الكتاب المقدس ومن مصادر يهودية أخرى:

(The Muslim sources, especially the Koran, just copy the Bible and other Jewish sources).

ونحن نتفق 100% مع هذه النتيجة: المصادر الإسلامية، وبصفة خاصة القرآن، فقط تنقل (أي: تطوِّر تطوراً بشرياً طبيعياً) من الكتاب المقدس ومن مصادر يهودية أخرى.

مما سبق يتضح أن موقفنا من الترجوم الثاني لأستير هو نفس موقفنا من المصادر اليهودية التي اختلف العلماءُ اختلافاً كبيراً حول تاريخها، ولذلك فإننا لا نلجأ إليها إلا نادراً جداً، مثل مدراش هاجَدُل ومدراش تنحوما[8061]. وكذلك الترجوم الثاني لأستير فهو عبارة عن تجميع (anthology; compilation) لروايات مدراشية كثيرة تُعلِّق على الكتاب المقدس، مِنها ما نشأ قبل القرآن ومِنها ما نشأ بعد القرآن. بالضبط كما أن القرآن نفسه ينتمي إلى القرن السابع الميلادي وربما بعد ذلك، لكنه يجمع روايات وقصص وأساطير يرجع تاريخُ نشأتها إلى أكثر مِن ألف سنة قبل القرآن. إذن: تاريخ تدوين الأسطورة أو تاريخ جَمْع عناصرها قد يكون بعد تاريخ نشأتها بعشرات السنين بل بمئات السنين. ولذلك فإننا نرى أنه حتى لو كان الترجوم الثاني لأستير قد اكتمل بعد القرآن، بل حتى لو كان ينتمي إلى العصور الوسطى، فهذا ليس دليلاً على أن القرآن لم يعتمد على الأساطير الموجودة في الترجوم الثاني لأستير. فنحن لا يهمنا كل كلمة في الترجوم الثاني لأستير، وإنما يهمنا فقط الأفكار المتعلقة بقصة زيارة مَلِكة سبأ إلى المَلِك سليمان. قد تكون هذه الأفكار الموجودة في الترجوم الثاني لأستير موجودة أيضاً في مصادر بشرية أخرى قبل القرآن، كما رأينا في المثالين السابقين؛ ثم أضيفت أجزاء أخرى إلى الترجوم الثاني لأستير حتى اكتمل بعد القرآن. بعبارة أخرى: من المحتمل جداً، بل من شبه المؤكد، أن بعض عناصر القصة في القرآن والعناصر الموازية لها في الترجوم الثاني لأستير قد اعتمدتا على مصادر بشرية أخرى أقدم منهما (مثلاً: كتاب رؤيا آدم وكتاب ميثاق سليمان). أما العناصر الأخرى التي لم نجدها حتى الآن في مصادر بشرية أقدم، فربما لم يكتشف العلماءُ حتى الآن هذه المصادر البشرية المشتركة الأقدم. بل ربما لن يكتشفها العلماءُ أبداً، لأنها مصادر شفوية-سماعية (oral-aural) عاشت في هواء الشرق الأوسط القديم ولم تُكتَب في كتب.

ويرى علماءُ كثيرون أن الترجوم الثاني لأستير مصدر من مصادر القرآن. على سبيل المثال، يرى العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) أن الترجوم الثاني لأستير ربما نشأ أصلاً في القرن الرابع الميلادي – أي: قبل القرآن بأكثر من 200 سنة – وأن ما قاله القرآن عن سليمان "وَقَالَ [سُلَيْمَانُ] يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ" (النمل 16) "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ" (النمل 17) يعكس (reflects) ما جاء من قبله في الترجوم الثاني لأستير[8062]:

> [النمل 16-17] The Qurʾān's declaration that Solomon was taught the "speech of birds" ([النمل 16]) and that his army included "jinn, humans, and birds" ([النمل 17]) reflects the *Second Targum of Esther* (the date of which is disputed, but it may date originally from the fourth century AD; on its relationship with the Qurʾān see *BEQ*, 390-391; 393-398). In a passage

that compares Solomon (favorably) to King Ahasuerus, the *Second Targum of Esther* (on 1:3) gives him the power to understand and subdue all sorts of creatures and spirits:

> Solomon sat upon the throne of his father David. All the kingdoms feared him, nations and languages were obedient to him; devils, demons, and ferocious beasts, evil spirits and accidents, were delivered into his hands. Imps brought him all kinds of fish from the sea, and the fowls of heaven, together with the cattle and wild animals, came of their own accord to his slaughter-house to be slaughtered for his banquet. He was rich and powerful in the possession of much silver and gold. He explained parables, solved hidden problems, and made known mysteries without end. His enemies and adversaries became his friends, and all the kings obeyed him (*Second Targum of Esther*; 1:3, p. 269).

وبالإضافة إلى أساطير القرآن عن قدرة سليمان على فَهْم كلام الطير والتحدث معها (النمل 16-17، 20-28)، يوجد حديثٌ رواه الْإِمَامُ أَحْمَدُ عن أبي هريرة أن محمد قال إن سليمان كان يأمر الطَّيْرَ فتطيعه! فلقد قال محمدٌ إنه لمَّا مات دَاوُدُ وفُرِغَ مِنْ شَأْنِهِ (أي: غسل وكفن وانتهى تجهيزه للدفن)، وَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ: أَظِلِّي عَلَى دَاوُدَ؛ فَأَظَلَّتْهُ الطَّيْرُ [بأجنحتها] حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِم الْأَرْضُ (أي: حَتَّى كان لا ينفذ إليه وإلي مشيعيه شيء من أشعة الشمس)، فَقَالَ لَهَا (أي: للطير) سُلَيْمَانُ: اقْبِضِي جَنَاحًا جَنَاحًا. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يُرينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ فَعَلَتِ الطَّيْرُ (أي: أطاعت الطَّيْرُ أمرَ سليمان وقبضت بأجنحتها). وَقَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَه، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ الْمَضْرَحِيَّةُ (أي: وَغَلَبَتْ الصُّقُورُ الطِّوَالُ الْأَجْنِحَةِ غيرَها من الطيور في التَّظْلِيلِ على داود)(8063)!

وإنه لمن المضحك أن هذه الأساطير اليهودية←الإسلامية قد استمرت حتى عصرنا الحالي ويرددها الشيوخ المسلمين الكبار مثل شيوخ الأزهر في مصر وأساتذة الجامعات في المملكة العربية السعودية؛ بل إن هذه الأساطير قد كبرت وترعرعت حتى شملت طيور أخرى مثل الطاوس والحمامة والعصفور! مثلاً قال الدكتور محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق): "فبينما كان سليمان جالساً ذات يوم إذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه: أتدرون ما يقول هذا الطائر؟ إنه يقول: السلام عليك أيها الملك والنبي، أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك. إني منطلق إلى أفراخي، ثم أرجع إليك. وإنه سيرجع إلينا مرة ثانية، وقد

رجع الطائر فعلاً، واستأذن سليمان في الانصراف. وصاح عنده طاوس فقال: أما تدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: كما تدين تدان. وهدرت عنده حمامة فقال: أما تدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: سبحان ربي الأعلى عدد ما في سماوته وأرضه"[8064]! وقال الدكتور محمد علي الصابوني (الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة) إن سليمان "علّمه اللهُ منطق الطير، وسائر لغات الحيوانات، فكان يفهم عنها ما لا يفهمه سائر الناس، وربما تحدّث معها كما كان الأمر مع الهدهد أو النمل أو غيرها. روى ابن عساكر قال: مرّ سليمانُ بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: وما يقول يا نبيّ الله؟ قال: يخطبها إلى نفسه ويقول زوجينني أسكنك أيّ غرف دمشق شئت. قال سليمان: وغرف دمشق مبنية بالصخر لا يسكنها أحد ولكن كل خاطب كاذب"؛ "وروي عن السدي أنه قال: أصاب الناس قحط على عهد سليمان عليه السلام، فأمر الناس فخرجوا للاستسقاء، فإذا بنملةٍ قائمة على رجليها، باسطة يديها وهي تقول: (اللهم إنّا خلقٌ من خلقك، ولا غنى لنا عن فضلك ...) فقال [سليمانُ]: ارجعوا فقد سقيتم من أجل هذه النملة"[8065]! امنعوا الضحك! فإذا كان الشيوخ المسلمين الكبار وأساتذة الجامعات في الدول العربية والإسلامية يصدِّقون هذه الأساطير ويرددونها في القرن العشرين بعد الميلاد، فكيف حال المسلمين البسطاء؟!

ومن الجدير بالذكر أنه توجد أحاديث أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما تقول إن محمداً فهم كلامَ البقرة! وفهم كلامَ الذئب! وآمن محمدٌ وأبو بكر وعمر بقدرة البقرة والذئب على الكلام[8066]! وكذلك توجد روايات تقول إن أُمَيَّة بن أبي الصَّلت ادعى أنه يفهم كلامَ الطير ويفهم كلامَ الحيوانات[8067][8068]! إذن: أساطير سليمان كانت منتشرة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكل مَن ادعى النبوة – مثل محمد وغيره – ادعى أيضاً أن له مواهب تشبه مواهب سليمان حتى يُوهم النَّاسَ أنه نبي مثل سليمان. وفي نفس الخانة نضع الأحاديث التي تزعم أن الله أعان محمداً على "قرينه" الشيطان/الجن "حَتَّى أَسْلَمَ"[8069]! فكما تقول الأساطير اليهودية - في الترجوم الثاني لأستير وميثاق سليمان (وصية سليمان) - إن سليمان أخضع الشياطين/العفاريت، كذلك زعم التراث الإسلامي أن محمداً أخضع الشياطين/الجن حتى يصدق النَّاسُ أن محمداً نبي مثل سليمان وأن دين محمد (الإسلام) هو دين الأنبياء والرسل السابقين ودين الله! واللهُ طبعاً بريء من تلك الأساطير.

ويرى (Prof. Gabriel Reynolds) أيضاً أن القرآن قد استخدم روايةَ الترجوم الثاني لأستير (The Qurʾān uses this narrative) ليروي قصةَ زيارة مَلِكة سبأ إلى المَلِك سليمان والتي انتهت بإيمانها بالإله الواحد الحقيقي (النمل 44)[8070]:

[النمل 20-28] After an interlude about ants ([النمل 18-19]), the Qurʾān returns to the narrative connected to the *Second Targum of Esther*, which gives Solomon great wealth and power (greater than that of Ahasuerus) and tells the story of how he discovered the realm of the Queen of Sheba

(whose visit to Solomon is recounted in 1 Kings 10). The Qurʾān uses this narrative to describe the conversion of the Queen of Sheba, leader of a people who once worshipped the sun ([النمل 24]; in the *Second Targum of Esther* – see commentary on [النمل 44-29] – she is found worshipping the sea). However, upon witnessing the signs brought forth by Solomon, she recognizes the true God ([النمل 44]):

[…]

[النمل 44-29] The Qurʾānic account of the Queen of Sheba's meeting with Solomon largely follows from the narrative of the *Second Targum of Esther* (see *BEQ*, 396-398). […]

وكذلك العالِمُ الكبير (Prof. Adam Silverstein) يرى أن ما قاله القرآنُ عن قصة زيارة ملكة سبأ إلى سليمان (النمل 23-44) هو صدى لما قاله الكتاب المقدس والترجوم الثاني لأستير عن تلك القصة(8071):

[…] In the Qurʾānic description of their meeting [النمل 44-23], Sulaymān hosts the Queen of Sheba and invites her to embrace Allāh's religion. They challenge each other with various tests, and when she arrives at his court, he tricks her into lifting her dress by building a [صَرْح] that creates the illusion that she was about to step on water. Upon realising that Solomon outsmarted her, she immediately submits to Allāh, [الصَّرْح] playing a direct and pivotal role in her decision to convert.

This Qurʾānic episode loudly echoes both the Biblical account of Solomon's meeting with the Queen of Sheba [(1 ملوك 10:1-13) (2 أخبار الأيام 9:1-12)], as well as midrashic elaborations on the story related in the Targum Sheni to the *Book of Esther*.

وكذلك العالِمُ الكبير (Prof. Guillaume Dye) يرى أن ما قاله الترجوم الثاني لأستير عن قصة زيارة ملكة سبأ إلى سليمان هو جزء من الخلفية (l’arrière-plan) التي عرفها العربُ [شفوياً] قبل القرآن على الرغم من أن تاريخ كتابتها (la mise par écrit du texte) جاء بعد القرآن[8072]:

> On peut rappeler l’arrière-plan biblique (1 Kings 10:1–13; 2 Chronicles 9:1–12), targoumique (Targum Sheni d’Esther, mais la mise par écrit du texte est postérieure au Coran) et surtout midrashique (Mischlé, ha-Hefets, Ma’aseh Malkat Sheba…) de l’épisode coranique. Les données préislamiques restent cependant assez maigres, surtout si on les compare à celles qui sont à notre disposition pour d’autres personnages bibliques. Il est possible que certains aspects de la légende aient été considérés comme tabous, ou en tout cas comme ne relevant pas du genre de récit qu’il convient d’inclure dans la littérature homilétique. Quoi qu’il en soit, on peut penser qu’à la fin de l’Antiquité, et même avant, les récits midrashiques dont le Coran présuppose ici la connaissance étaient fort bien connus hors des communautés juives, notamment en Arabie, où la figure de Salomon jouissait sans doute d’un certain prestige : ainsi, selon le poète al-Nābiġa al-D̲ubyānī (m. 604), Salomon aurait construit Tadmor (Palmyre) avec l’aide des *ğinns*.

وكذلك قال العالِمُ الكبير (Prof. Gerald Hawting)[8073]:

> This [Qurʾānic] version of the meeting between Solomon and the Queen of Sheba is marked by jumps in the narrative, changes of speaker, lack of explanations, etc. Such features suggest that its audience was already familiar with the story, and/or that segments from other, fuller narratives were juxtaposed without much concern to provide connectives.
>
> The links between this version and Jewish midrashic versions of the story, especially that found in the Targum Sheni to Esther, have been explored by scholars like Speyer, (1931) and, recently, Lassner, (1993).

وكذلك قال المستشرق المعروف (D. Sidersky)[8074]:

Toute cette histoire est d'origine juive. Elle est relatée longuement dans le *Targoum Schéni*, seconde paraphrase araméenne du *Livre d'Esther*, où l'on trouve également l'énoncé des problèmes par lesquels la Reine de Saba éprouva la sagesse de Salomon.

وكذلك قال المستشرق المعروف (Rev. W. St. Clair Tisdall)[8075]:

قصة مجيء ملكة سبأ إلى سليمان فيما يتعلق بأصل هذه القصة كما وردت في القرآن ليس هناك أدنى شك. أنها أُخِذَت مع بعض التعديلات الطفيفة جداً من "الترجوم الثاني عن استير" الذي نُشِرَ في "Miqrâôth Gedôlôth" "الكتاب المقدس العظيم، أو رباني الكتاب المقدس". ويبدو أن محمداً اعتقد إنه جزء من الكتاب المقدَّس اليهودي، وكانت سخافات هذا الكتاب (أي: الترجوم الثاني عن استير) كثيرة جداً [ملائمة لذوقه و] للذائقة العربية [إلى درجة أنه أدخلها] في القرآن (السورة السابعة والعشرون، (سورة النمل 17:27 و 20-44) [...]).
Story of the Queen of Sheba's visit to Solomon Regarding the origin of this tale as narrated in the Qur'ân there cannot be the slightest doubt. It is taken with only very slight alterations from the Second Targum on Esther, which is printed in the Miqrâôth Gedôlôth. Muḥammad no doubt believed it to form part of the Jewish Scriptures, and its absurdities were so much to his taste and that of the Arabs that he introduced it into the Qur'ân ([النمل 17، 20-44]), […]

وكذلك الباحثُ المعروف الدكتور "رأفت عماري" (رحمه الله) أعطى أدلة كثيرة تثبت أن الترجوم الثاني لأستير "كُتِبَ في بداية القرن الرابع الميلادي" أي "قبل القرآن" بثلاث قرون[8076]؛ وقال إن "الكتب الخرافية اليهودية مثل الترجوم الثاني لأستير" تأثَّرت بـ "الخرافات الفارسية"، وإن "الترجوم الثاني لأستير هو أساس سرد القرآن عن زيارة مَلِكة سبأ [لسليمان]"[8077]؛ فلقد كان اليهود العرب قبل الإسلام "يتمسكون

بكتب يهودية خرافية ويعتبروها كقانونية كأنها جزء من العهد القديم ... كأنها جزء مهم ... كأنها مُوحَى من الله، بينما هذه الكتب من أصل زرادشتي معظمها ... بتأثير زرادشتي. لذلك انتشرت هذه الخرافات وسط القبائل اليهودية العربية ومنها انتشرت في القرآن"، "فواضح انتشار هذه الخرافات بين اليهود العرب ... يعني العرب الذين تهوّدوا ... ومن هناك انتشارها ووصولها إلى أمية [بن أبي الصلت] وإلى محمد"، ولذلك يوجد "تطابق 100% [بين الترجوم والقرآن] ... بس أنه معروف أن محمد يختصر الخرافات في جمل سجعية"(8078). ومما يدل على صحة هذا الرأي أنه رُوي في تفاسير القرآن: "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ: أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلَ. قَالَ: أَتَسْأَلُنِي وَأَنْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: نَعَمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ: لِمَ تَفَقَّدَ سُلَيْمَانُ الْهُدْهُدَ دُونَ سَائِرِ الطَّيْرِ؟ قَالَ: احْتَاجَ إِلَى الْمَاءِ وَلَمْ يَعْرِفْ عُمْقَهُ - أَوْ قَالَ: مَسَافَتَهُ - وَكَانَ الْهُدْهُدُ يَعْرِفُ ذَلِكَ دُونَ سَائِرِ الطَّيْرِ فَتَفَقَّدَهُ"(8079)! فلجوء ابن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن إلى شخص ذي خلفية يهودية مثل ابن سَلام ليفهم تفاصيل القصة يدل على أن القصة يهودية أصلاً وأن أصحاب القرآن هُمْ الذين سمعوها من اليهود وليس العكس. ولقد أثبتنا عند دراستنا لشخصية عبد الله بن سَلام أنه كان يؤمن بالأساطير ويرددها، وهذا واضح هنا أيضاً من الإجابة الساذجة التي قالها لابن عباس! فهذا كله يؤكد أن القصة مجرد أسطورة غير حقيقية.

وفي الواقع، فإن سورة النمل نفسها فيها آية قد تعني أن الروايات اليهودية لهذه القصة أقدم من القرآن: "إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (النمل 76). فإذا صحَّ أن نطبّق هذه الآية على قصة زيارة ملكة سبأ إلى المَلِك سليمان في أورشليم، فسنصل إلى نتيجة مفادها أن اختلاف بني إسرائيل في تفاصيل روايات هذه القصة هو خير دليل قرآني على أن تلك الروايات أقدم من القرآن.

وفي ضوء تأثر قصة سليمان القرآنية بمصادر يهودية كثيرة مثل التلمود البابلي وكتاب وصية سليمان (ميثاق سليمان) وكتاب رؤيا آدم ومصحف أخنوخ وكتاب اليوبيلات كما شرحنا بالتفصيل فيما سبق، فنحن أيضاً نعتقد أن القرآن هو الذي نقل من المصادر اليهودية مثل الترجوم الثاني لأستير فيما يتعلق بقصة زيارة ملكة سبأ إلى المَلِك سليمان في أورشليم (النمل 20-44). أو بعبارة أكثر دقة: أصحاب القرآن هُمْ الذين طوَّروا الأساطير اليهودية تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development) بالحذف و/أو الإضافة. وفي جميع الأحوال، بما أن القصة القرآنية (النمل 20-44) مجرد أسطورة لم تحدث تاريخياً، إذن: لا يهم إن كان القرآن مقتبساً من الترجوم أم الترجوم مقتبس من القرآن. فكلاهما أساطير.

فماذا قال الترجوم الثاني لأستير عن قصة زيارة ملكة سبأ إلى المَلِك سليمان في أورشليم؟ هذا ما سنوضحه فيما يلي ...

قال الترجوم الثاني لأستير(8080):

And, further merry with wine, [Solomon] commanded the wild beasts, the birds, the reptiles, the devils, demons, and spirits to be brought, that they should dance before him, to show his greatness to the kings who were staying with him. The royal scribes called them all by their names, and they came together without being bound or forced, and without even a man leading them. At that time, the cock of the wood was missed among the fowls, and was not found. Then the king commanded in anger that he should appear before him, or else he would destroy him.

باختصار: أمر المَلِكُ سليمان الوحوش الضارية والطيور والزواحف والشياطين والعفاريت والأرواح أن تأتي لترقص أمامه، فحضروا جميعاً **[← "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ" (النمل 17)]** إلا الديك البري (ديك الغابة) (cock of the wood) أو (ديك الصحراء) (cock of the desert) – وكما قلنا فيما سبق: الديك البري هو اسم آخر للهدهد (hoopoe) (huppe) **[← "الْهُدْهُد" (النمل 20)]**! فغضب المَلِكُ وأمر أن يحضر الْهُدْهُد وإلا فإن المَلِك سيدمِّره **[← "وَتَفَقَّدَ [المَلِكُ سليمانُ] الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ. لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (أي: بحجة ظاهرة فيها عذر لغيبته)" (النمل 20-21)! سؤال للعقلاء فقط: هل يوجد نبي أو مَلِك في العالم يُعذِّب حيواناً "لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا" أو يقتاله "لَأَذْبَحَنَّهُ" بسبب غيابه عن حضور اجتماع؟!]**.

ثم قال الترجوم الثاني لأستير[8081]:

Then the cock of the wood answered and said to King Solomon: “Lord of the earth, incline thine ears and hear my words. Are there not three months since thou hast put counsel in my heart and words of truth upon my tongue? Since then I have not eaten any food, nor drank any water, and have flown all over the world and made an inspection. I thought, is there a country or a kingdom which is not subject to my lord the king? Then I saw a certain country, the name of whose fortified town is Kitor, whose dust is more precious than gold, and where silver lies about like dung in the streets. Trees also are there standing from primeval times, and are watered from the garden of Eden. Great crowds of people are there from the garden of Eden, having crowns upon their heads, who know nothing of warfare, nor can they draw the bow. For, indeed, I have seen one woman

who rules over them all, and her name is Queen of Saba. Now, if it please my lord the king, I shall gird my loins like a mighty man, and shall arise and go to the city of Kitor, in the land of Saba, and shall bind its kings and governor in chains of iron, and shall bring them to my lord the king."

باختصار: قال الهدهدُ للمَلِك سليمان إنه ظل ثلاث شهور [← "فَمَكَثَ [الْهُدْهُدُ] غَيْرَ بَعِيدٍ (أي: لم يغب طويلاً)" (النمل 22)] يطير كاشفاً كل العالم متسائلاً: هل توجد بلد أو مملكة غير خاضعة للمَلِك سليمان؟ ثم رأى بلداً اسم مدينتها المحصنة "كيتور" (قيطور) (ونعرف من بقية القصة أنه يقصد: مملكة سبأ) [← " فَقَالَ [الْهُدْهُدُ لسليمان] أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ (أي: علمتُ ما لم تعلمه!) وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ" (النمل 22)]. وتحدَّث الْهُدْهُدُ عن ثراء مملكة سبأ ذات الأشجار القائمة والذهب والفضة الكثيرة وتحكمها امرأةٌ هي مَلِكة سبأ [← "إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ (أي: تحكمهم) وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ [من أسباب الدنيا] وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ" (النمل 23)]. وأضاف الهدهدُ أن أهل سبأ لا يعرفون شيئاً عن شن الحروب ولا رمي السهام، فاقترح الهدهدُ أن يذهب إلى هناك ويقيّد ملوكها وحُكامها بسلاسل من حديد ويأتي بهم إلى المَلِك سليمان! [← وكذلك وضع القرآنُ القصةَ في إطار حرب بل تهديد صريح بالغزو والسبي! فلقد قال المَلِكُ سليمان لأهل سبأ: "أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ (أي: لا تتكبروا عَلَيَّ) وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (أي: أقْبِلوا إليَّ مستسلمين)" (النمل 31)! "إِنَّ الْمُلُوكَ [أمثال المَلِك سليمان] إِذَا دَخَلُوا [بجيوشهم] قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا (أي: خرَّبوها) وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً [بالقتل والأسر والنفي وسلب المُلْك من أصحاب الأرض]" (النمل 34)! "فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا (أي: لا طاقة لأهل سبأ بمقاومة جنودنا) وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا (أي: من أرضهم!) أَذِلَّةً (أي: فاقدي العز) وَهُمْ صَاغِرُونَ (أي: مدحورون مهانون مستعبدون)" (النمل 37)! "قَالَ [سُلَيْمَانُ] يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ. قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ (أي: قبل أن تغمض عينك وتفتحها؛ يقصد: بسرعةٍ فائقة في لحظةٍ واحدة!)" (النمل 38-40). وكالعادة، احتار المفسرون المسلمون في تحديد مَن "الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ" (النمل 40)؟! قيل إنه سليمان نفسه! وقيل إنه إنسان آخر. وقيل إنه الخضر! وقيل إنه الملاك جبريل! أما نحن فنرى أن التفسير الصحيح (أي: الذي كان يدور في أذهان أصحاب القرآن أثناء تأليف القرآن) هو: الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ هو الهدهد. بدليل أن القرآن لم يقل "مَن" عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ؛ وإنما قال "الَّذِي" عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ، وهذا يشمل الإنسان والكائنات الأخرى. وأيضاً بدليل أن الهدهد هو صاحب اقتراح غزو مملكة سبأ وسبي ملوكها وحُكامها من سبأ إلى أورشليم حسب الترجوم الثاني لأستير. أسئلة للعقلاء فقط: هل يُعْقَل أن الله الذي قال "لاَ تَسْرِقْ" (الخروج 15:20) (التثنية 19:5) يرسل نبياً – هو سليمان – يخطف عرشَ ملكة سبأ بدون رضاها وبدون مقابل، أي: يسرقه؟! بل هل يُعْقَل أن نبياً من أنبياء الله يخطط لعملية سرقة وهو جالس مع "عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ" (النمل 39)؟! والعجيب أن

هذا النبي المزعوم سليمان "لَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ (أي: لَمَّا رأى سليمانُ عرشَ ملكة سبأ ثابتاً أمامه!) قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي" (النمل 40)! وكأن الله يبيح السرقة والتعامل مع العفاريت والجن! حاشا وكلا].

ثم قال الترجوم الثاني لأستير[8082]:

This speech pleased the king, and royal scribes were called, a letter was written and tied to the wings of the cock of the wood, who lifted up his wings and soared up in the air, and compelled other birds to fly with it. Then they came to the city of Kitor, in the land of Saba (*Second Targum of Esther*, 1:3, pp. 276-278).

باختصار: اقتراح الهدهد أعجب المَلِك سليمان، فجُمِعَ كُتَّاب الملك وكتبوا كتاباً وربطوه بجناح الهدهد الذي طار إلى مملكة سبأ **[← "قَالَ [سليمانُ لِلْهُدْهُدِ] [...] اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا [إلى أهل سبأ] فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ" (النمل 27-28). إذن: بخلاف القصة الكتابية العبرية الأصلية التي تقول إن ملكة سبأ هي التي جاءت إلى الملك سليمان بمبادرة منها ومن تلقاء نفسها، اتفق القرآنُ العربي مع الترجوم الآرامي في أن المَلِك سليمان هو الذي بدأ التواصل مع ملكة سبأ بواسطة حيوان طائر "هدهد" ناطق يتكلم مع المَلِك سليمان! قال الشيخ الشعراوي إن "سليمان سمع النملة وفهم كلامها، وسمع الهدهد وكلّمه"[8083]! إلا أن أصحاب القرآن قد بالغوا مبالغة كبيرة في وصف هذا الهدهد الذي يعرف ما لا يعرفه المَلِكُ العظيم والنبي الكريم سليمان "فَقَالَ [لسليمان] أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ (أي: علمتُ ما لم تعلمه!)" (النمل 22) والذي يؤمن بالله الواحد ويستعجب من أمر الذين يعبدون غير الله ويعرف أن الشيطان يزين للإنسان الأعمال السيئة ليصده عن سبيل الله (النمل 24-26)! قال أ. د. عمر سليمان عبدالله الأشقر (كلية الشريعة - الجامعة الأردنية): "لقد كان هذا الهدهد الذي نقل الخبر لسليمان عالِماً فقيهاً، عالِماً بالحق الذي يستحقه ربُّ العزة، منكراً للشرك الذي يقترفه البشر"[8084]! بل زعم أصحاب القرآن أن المَلِك سليمان طلب من الهدهد أن يتجسس على أهل سبأ: "تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (أي: انصرف عنهم قليلاً إلى مكان قريب منهم بحيث تسمع كلامهم فتعرف ما يتردد بينهم من الكلام!)" (النمل 28)! يعني: الهدهد كان رسولَ إسرائيل إلى اليمن وجاسوس لإسرائيل في اليمن مما يعني أن الهدهد كان يفهم لغةَ أهل سبأ! فهل هذا معقول؟! مستحيل! لا يمكن أن نصدّق هذه الأساطير القرآنية]**.

ثم قال الترجوم الثاني لأستير[8085]:

Toward morning the queen went out to worship the sea, when the birds obscured the sunlight, so that the queen out of astonishment took hold of her clothes and tore them in pieces. The cock of the wood now came down,

and she observed that a letter was tied to its wings, which she at once opened and read what was written therein, as follows: "From me. King Solomon, peace to thee and to they princes. Thou must certainly know that the Holy One, blessed be He, made me to rule over the wild beasts, over the fowls of the air, over devils, demons, and spirits, and that all the kings of the East and of the West, of the South and of the North, come to salute me. If thou wilt come and salute me, I shall show thee greater dignity than I shall show to all the kings that are sojourning with me; but if thou wilt not come to salute me, I shall send kings, legions, and riders against thee. But if thou wilt ask. What sort of kings, legions, and riders has King Solomon? So know, that the wild beasts are the kings and the legions, and the riders are the birds in the air. My army consists of devils, demons, and spirits, who will strangle you in your beds, the wild beasts will kill you in your houses, and the fowls of the air will devour your flesh in the field".

باختصار: عند الصباح (أي: بعد شروق الشمس) خرجت ملكةُ سبأ لتعبد البحر (to worship the sea) (أو: لتعبد [إلهَها] عند البحر [by the sea to worship [her god)؛ وعندئذٍ حجبت الطيورُ الشمسَ، فوضعت ملكةُ سبأ يدها على ثيابها ومزقتها ودُهشت واضطربت **[← فجعلها العربُ البدو أصحابُ القرآن تعبد الشمسَ! "وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ" (النمل 24) "وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ" (النمل 43)]**. ونزل الهدهدُ، فلاحظت الملكةُ أن رسالة مربوطة في جناحيه، ففتحتها وقرأت ما كان مكتوباً فيها: "مني أنا المَلِك سليمان **[← "إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ" (النمل 30)]**، سلامٌ لكِ وسلامٌ لأمرائك. أنتِ قطعاً تعرفين أن القدوس الواحد (يقصد: الله) ليكن اسمه مباركاً **[← في إطار عملية الأسلمة التي أجراها أصحابُ القرآن على هذه القصة المشهورة، حوَّل أصحابُ القرآن التحيةَ العبرانية-اليهودية إلى تحية إسلامية-عربية: "وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ" (النمل 30). إلا أن القرآن اتفق مع الترجوم في أن رسالة المَلِك سليمان بدأت بالسلام أو الرحمة لكن محتواها هو دعوة إلى الاستسلام أو الهزيمة الساحقة في الحرب! يعني: أَسْلِمْ تَسْلَمْ!]** قد عيَّنني [الله] لأملك على الوحوش الضارية وطيور الهواء والشياطين والعفاريت والأرواح **[← "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ" (النمل 17)]**. وكُلُّ ملوك الشرق والغرب والجنوب والشمال أتوا لكي يحيّوني. فإذا أنتِ أيضاً أتيتِ لتحييني **[← "أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" (النمل 31)! يعني: أَسْلِمْ تَسْلَمْ!]**، سوف أظهر لكِ كرامة أعظم من جميع الملوك الذين قد أتوا إليَّ من قبل. ولكن إن لم تأتِ وتحييني، سوف أرسل ضدك ملوكاً وجيوشاً وفرساناً. وإذا سألتِ: ما نوع الملوك والجيوش والفرسان

التي للمَلِك سليمان؟ فاعلمي أن الوحوش الضارية هي الملوك والجيوش، والفرسان هُمْ طيور السماء. وجيشي يحتوي على شياطين وعفاريت وأرواح **[← اتفق القرآن العربي مع الترجوم الآرامي في استخدام كلمات عسكرية: "وَحُشِرَ (أي: جُمِعَ) لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ" (النمل 17)]** سوف تخنقكم في أسرّتكم، والوحوش الضارية سوف تقتلكم في بيوتكم، وطيور السماء سوف تلتهم لحمكم في حقولكم **[← "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا [بجيوشهم] قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا (أي: خرّبوها) وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً [بالقتل والأسر والنفي وسلب المُلْك من أصحاب الأرض]ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ" (النمل 34) "فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا (أي: لا طاقة لأهل سبأ بمقاومة جنودنا) وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا (أي: وَلَنُخْرِجَنّهُم من أرضهم!) أَذِلَّةً (أي: فاقدي العز) وَهُمْ صَاغِرُونَ (أي: مدحورون مهانون مستعبدون)" (النمل 37)! إذن: اتفق القرآنُ مع الترجوم في أن المَلِك سليمان هدد ملكةَ سبأ بالحرب – بل هددها صراحةً بالغزو البري الذي سينتهي بانتصار سليمان نصراً مطلقاً (absolute victory)، ولذلك عليها أن تخضع وتستسلم: "أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" (النمل 31)! أو كما قال القرآنُ المدني: "تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ" (الفتح 16)؛ "أي: يكون بينكم وبينهم أمران: إما قتلكم لهم، وإما الإسلام منهم"[8086]!]**.

ونريد هنا أن نتوقف قليلاً أمام رسالة سليمان إلى مَلِكة سبأ التي تتكون من 5 كلمات فقط! "أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" (النمل 31)! يعني: أَسْلِمْ تَسْلَمْ! قال الشيخ الشعراوي تعليقاً على (النمل 31): "مثلما نقول: "هي كلمة واحدة""[8087]! وقال د. حسن الباش إن "سليمان غضب لسماعه أن قوماً على رأسهم مَلِكة يعبدون غير الله. فكان قوله إما أن تؤمنوا بالله وحده وإما الحرب"[8088]! أو كما يقول الإرهابيون المسلمون اليوم: إما أن نحكمكم وإما أن نقتلكم! وقالت موسوعة بيان الإسلام تعليقاً على (النمل 31): "وفي السنة السابعة للهجرة بعث رسولُ الله ﷺ رسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام بعبارات مختصرة مفيدة تشبه إلى حد كبير كتاب سليمان [إلى مَلِكة سبأ]"[8089]. ونحن نقول: العكس هو الصحيح. في إطار عملية الأسلمة التي أجراها أصحابُ القرآن على هذه القصة المشهورة، جعل أصحابُ القرآن سليمانَ يستخدم نفس أسلوب محمد: أَسْلِمْ تَسْلَمْ. أو كما قلنا فيما سبق: جعل أصحابُ القرآن المكي سليمانَ قدوةً أو نموذجاً (prototype) لمحمد: "وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ" (الجاثية 16) "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ [...]. أُولَٰئِكَ (أي: الأسماء المذكورة في سياق الآيات وكلهم من الكتاب المقدس مثل سليمان وغيره هُمْ) الَّذِينَ هَدَى اللَّهُۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ (أي: فاتَّبِعْ سبيلَهم يا محمد)" (الأنعام 89-90)؛ ولقد اتبعه محمدٌ فعلاً في جهاده المسلح (حروبه الدينية) أثناء الفترة المدنية. ونسى أصحابُ القرآن - أو تناسوا - أن المَلِك سليمان حسب الكتاب المقدس اشتهر بالبناء والتعمير ولم يشتهر بالغزو والحروب الدينية ولا حتى تهديد الممالك (الوثنية) الأخرى! ونسى أصحابُ القرآن - أو تناسوا - أن دين سليمان الكتابي وهو الدين الموسوي/اليهودي كان - ولا يزال - ديناً غير تبشيري ولا دعوي! إذن: كما قلنا فيما سبق: أعاد أصحابُ القرآن المكي إنتاجَ (reproduced) شخصية سليمان (بل: حرّفوها) حتى يصبح سليمان القرآني نبياً دينه الإسلام وقدوةً أو نموذجاً لمحمد[8090]. أو كما قال د. رأفت عماري (رحمه الله) إن "محمد استخدمها حتى

يبرر الجهاد [...] يعني هو لازم يحارب [...] لأن الأنبياء في العهد القديم مثل سليمان حارب ومدَّ مملكته في العالم وكل دولة ما خضعت للإسلام حاربها، فهي حجة. استخدامه لخرافة الترجوم حجة لتبرير فكرة الجهاد عنده"؛ "إذن: الذي أخطأ في حكايات مثل سليمان سيخطئ في مصير الإنسان الأبدي، وهذا شيء خطير"[8091]. ونحن نقول ذلك أيضاً لنرد على كثير من المسلمين وغير المسلمين الذين يتوهَّمون أن القرآن المكي خالي تماماً من العنف! فنقول لهم إن العنف موجود في القرآن المكي، لكنه يأتي في صورة قصة (narrative) بينما يأتي في القرآن المدني في صورة أمر (injunction). وسواء في القرآن المكي أو في القرآن المدني، توجد آيات قرآنية كثيرة تؤكد أن القتال في الإسلام **ليس** للدفاع عن النفس فقط كما يزعم كثير من المسلمين اليوم. نعم، توجد آيات قرآنية كثيرة تبيح ما يُسمَّى "جهاد الطلب" (أي: المسلمون هُمْ الذين يطلبون ويريدون القتال) من أجل نشر الإسلام وبسط سيطرته وهيمنته على أراضي الآخرين! وقصة ملكة سبأ (النمل 20-44) تؤكد ذلك[8092]؛ فملكة سبأ لم تهاجم مملكةَ سليمان ولم تهدد أمنَه، ومع ذلك هددها سليمانُ بالهجوم على مملكتها، بل هددها صراحةً بالغزو البري وإخراج أهل سبأ من أرضهم أذلاء صاغرين! فلقد قال سليمانُ لسفير ملكة سبأ: "ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا (أي: لا طاقة لأهل سبأ بمقاومة جنودنا أو مواجهتهم) وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا (أي: وَلَنُخْرِجَنَّهُم من بلاد سبأ؛ وَلَنُخْرِجَنَّهُم من أرضهم!) أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ" (النمل 37)! يعني: سليمان يعترف أن أهل سبأ هُمْ أصحاب أرض سبأ، ومع ذلك يريد أن يُخْرِج أهلَ سبأ من أرضهم! (تماماً كما تعترف الدول والميليشيات والجماعات الإسلامية الإرهابية اليوم أن أورشليم "قِبْلَتهُمْ" (البقرة 145) أي قِبلة "الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ" (البقرة 145)، ومع ذلك يريدون أن يُخْرِجوا اليهودَ من قِبْلَتهُمْ!) فهذه الآية القرآنية المكية (النمل 37) تكشف حقيقةَ الإسلام وتفضح زيف وخداع وأكاذيب البروباجاندا الإسلامية. هذه الآية القرآنية المكية (النمل 37) تكشف المخطط الإمبريالي التوسعي الدموي الذي ينفذه المسلمون الإرهابيون اليوم ضد الإنسانية كلها، ويشترك في تنفيذه كثيرٌ من المسلمين بوعي أو بدون وعي.

نعود إلى الترجوم الثاني لأستير الذي قال[8093]:

> When the queen heard the words of the letter, she again rent her clothes. Then she sent for the elders and prominent men, and said to them, “Do you know what King Solomon has sent to me?” They answered, “We do not know Solomon, nor do we esteem his kingdom.” But she did not trust them, nor listen to their words, but caused all the ships to be collected and loaded with presents of pearls and of precious stones. …

باختصار: جمعت ملكةُ سبأ الشيوخ والأمراء وقالت لهم [← **"قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ" (النمل 29) "قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ" (النمل 32)]**: "هل تعلمون ما أرسل المَلِكُ سليمان إليَّ؟". فأجابوها: "لسنا نعرف الملكَ سليمان ولا نعتبر مملكته" (أي: نرفض

الخضوع لسليمان؛ لا نبالي بقوة سليمان وتهديده؛ لا نعتد بمملكته ولا نحسب له حساباً) **[⟵ "قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ [لا نخاف الحرب]" (النمل 33)]**. لكن ملكة سبأ لم تثق فيهم **[⟵ جعل أصحابُ القرآن المَلِكَ سليمان هو الذي لا يثق في الهدهد: "قَالَ [سليمانُ للْهُدْهُد] سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ" (النمل 27)]**. ولم تسمع ملكةُ سبأ لكلام الشيوخ والرؤساء (أي: لم تعمل بنصيحتهم) **[⟵ وكذلك في القرآن، لم تعمل مَلِكةُ سبأ بنصيحة الملأ، فلقد أظهروا استعدادهم للحرب "قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ [لا نخاف الحرب]" (النمل 33)، إلا أنها أظهرت حكمة وآثرت خيار السلام (النمل 34-35). إذن: اتفق القرآنُ مع الترجوم في أن رأي الملكة (الأنثى) كان أفضل من رأي الملأ (الذكور)!]**. فأمرت ملكةُ سبأ بأن تُجْمَع جميع سفن البحر وتُحمَّل بهدايا من اللآلِئِ والأحجار الكريمة إلى المَلِك سليمان **[⟵ "قَالَتْ [مترَيثة مسالمة] [...] إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ [عظيمةٍ] فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ" (النمل 34-35)]**.

ومن ضمن "الهدايا" التي أرسلتها ملكةُ سبأ إلى المَلِك سليمان: 6000 طفل وُلِدوا جميعاً في نفس السنة وفي نفس الشهر وفي نفس اليوم وفي نفس الساعة ولهم جميعاً نفس الطول ونفس الحجم وكانوا جميعاً يرتدون نفس الملابس الأرجوانية[8094][8095]! وهذا يعني أن ملكة سبأ أرادت أن تمتحن المَلِكَ سليمان إنْ كان يستطيع التمييز بين هؤلاء الأطفال شبه المتطابقين (وقيل: أرادت أن تمتحنه إنْ كان يستطيع التمييز بين الذكور والإناث) **[⟵ جعل أصحابُ القرآن المَلِكَ سليمان هو الذي يمتحن ملكةَ سبأ إنْ كانت تستطيع التمييز بين عرشها الأصلي وعرشها بعد تشويهه: "قَالَ [سليمانُ] نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا (أي: غيّروا بعض ملامحه المميزة) نَنظُرْ أَتَهْتَدِي [إلى معرفته] أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ. فَلَمَّا جَاءَتْ [ملكة سبأ] قِيلَ [لها] أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ (أي: إنه يشبهه؛ فهو هو لولا ما أدخل عليه من تغييرات في معالمه) ۚ [فظهر لسليمان أن لها من الحكمة وسلامة الطبع وسرعة البديهة ما تستطيع به التمييز بين الحق والباطل]" (النمل 41-42)]**. قال العالِمُ الكبير (Prof. Gerald Hawting) تعليقاً على (النمل 38-42)[8096]:

> The meaning of the incident of the bringing and disguising of the Queen's throne [النمل 38-42] is here difficult to grasp. It recalls to some extent the midrash in which the Queen tests Solomon by sending him children who look alike and he has to be able to distinguish between them. Here, though, it is Solomon who tests the Queen, who, it seems, has been granted knowledge, just as David and Solomon had (cf. ["وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا" (النمل 42)] and ["وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا" (النمل 15)]), and so she can pass the test. Note, however, the comments of [Prof. Mehdi] Azaiez regarding the ambiguity concerning who is speaking in [النمل 42] and the apparent disjunction

between it and the following verse if the words, “we have been given knowledge previously and are *muslimīn*,” are understood as the Queen’s.

ثم قال الترجوم الثاني لأستير[8097]:

After three years, the Queen of Saba really came to King Solomon, who, when he heard of her arrival, sent Benayahu, son of Yehayada, to meet her. … Then Benayahu conducted her to the king, who, when he heard that she was coming, went and sat down in an apartment of glass. When the queen saw the king sitting there, she thought in her heart, and in fact said, that he was sitting in water, and she raised her dress to cross the water, when the king noticed that her foot was full of hair. He said to her, “Thy beauty is the beauty of women, and thy hair is the hair of men; hair is becoming to a man, but to a woman it is a shame.” (*Second Targum of Esther*; 1:3, pp. 278-283).

باختصار: بعد ثلاث سنوات، جاءت ملكةُ سبأ إلى المَلِك سليمان. وقادها واحدٌ من الحاشية إلى قصر الملك سليمان **[← "قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ (أي: قَصْرَ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ)" (النمل 44)]**. ولمَّا سمع المَلِكُ سليمان أن ملكة سبأ آتية نحوه، ذهب وجلس في شقة من الزجاج (an apartment of glass) (أو: بيت بلوري؛ بيت من الكريستال a crystal house) **[← "صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ (أي: بلاطه أملس من زجاج نقي صاف كالبللور والماء تحته)" (النمل 44)؛ أو "أن سليمان كان قد بناه [صرحاً] من زجاج مثل الكريستال، ووضع تحته ماء"[8098]]**. فلمَّا رأت ملكةُ سبأ المَلِكَ سليمان جالساً هناك، ظنت أنه يجلس في الماء **[← "فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً (أي: ظنته بحراً من الماء تتردد أمواجه)" (النمل 44)]**، فرفعت ثيابها لكي تعبر الماء **[← "وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا" (النمل 44)]**. وعندئذ لاحظ المَلِكُ سليمان أن قدمها عليها شَعْر كثيف! فقال لها: "جمالك جمال النساء، وشعرك شعر الرجال. الشعر مناسب للرجل، لكنه عار على المرأة"!

ثم يقول الترجوم الثاني لأستير إن مَلِكَة سبأ امتحنت المَلِكَ سليمان بِمَسَائِلَ (أي: ألغاز وأحجيات مصمَّمة لإرباك سليمان أو امتحانه لترى إن كان حكيماً أم لا). فَأَجَابَ سُلَيْمَانُ عَنْ كُلِّ أَسْئِلَتِهَا ولَمْ يَصْعُبْ عَلَيْهِ أيُّ سُؤَالٍ مِنْهَا. وهذا الجزء مقتبس من القصة الكتابية الأصلية (1 ملوك 10:1-3) (2 أخبار الأيام 9:1-2). ونهاية القصة في الترجوم الثاني لأستير مقتبسة أيضاً من القصة الكتابية الأصلية[8099]:

Now, when the Queen of Saba saw [King Solomon's] greatness and glory, she praised the Creator, and said: "Blessed be the Lord thy God, whom it has pleased to set thee upon the throne of the kingdom to do justice and right." (*Second Targum of Esther*, 1:3, p. 285).

باختصار: لمَّا رأت ملكةُ سبأ عظمة المَلِك سليمان ومجده، سبَّحت الخالقَ وقالت للمَلِك سليمان: "لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي سُرَّ بأن يجعلكَ عَلَى كُرْسِيِّ المملكة لِتُجْرِيَ حُكْمًا وَبِرًّا (أي: لِتُقِيمَ العَدْلَ وَالاِسْتِقَامَةَ)" **[← بالغ أصحابُ القرآن في مباركة ملكة سبأ للرب إله سليمان إلى درجة أنهم جعلوها تؤمن به! "قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي [بما كنتُ عليه من الوثنية والشرك] وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (النمل 44)! وخضوع ملكة سبأ لإله سليمان "أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ" (النمل 44) ربما يعني خضوعها لسليمان نفسه، بل قد يعني خضوع الأنثى لِلذَّكَر. لكن يظل خضوعهما سوياً لله هدفاً من أهداف القصة القرآنية: "أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ (with Solomon) لِلَّهِ" (النمل 44). وقال تفسيرُ الجلالين: "وأراد [سليمانُ] تزوجها فَكَرِهَ شَعْرَ ساقيها؛ فعملت له الشياطين النَّوْرَةَ (أي: مادة يُزال بها الشعر) فأزالته بها؛ فتزوجها وأحبها وأقرها على مُلْكِها [...]، وانقضى مُلْكُها بانقضاء مُلْك سليمان [...]. فسبحان مَن لا انقضاء لدوام مُلْكه"[8100]]**.

وخير ما نختم به دراستنا لقصة زيارة ملكة سبأ إلى المَلِك سليمان في القرآن (النمل 20-44) هو تعليق (Dr. Emmanuelle Stefanidis) على هذه القصة القرآنية وعلى آيات أخرى في سورة النمل مثل "إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (النمل 76) التي قد تعني أن الروايات اليهودية لهذه القصة أقدم من القرآن؛ لكن يُفْهَم من تعليقها أنها تقلل من أهمية هذه القضية الخلافية المتعلقة بتاريخ الروايات اليهودية بالنسبة للقرآن[8101]:

Jacob Lassner (1993) convincingly suggests that the main theme of the Solomon/Queen of Sheba narratives in Jewish post-biblical accounts and Muslim exegesis is to emphasize the paramountcy of the divinely established natural order which attributes clearly defined roles to both genders: men are manly and rule; women are feminine and subdued. The theme of gender confusion (the queen is hairy, her men do not know how to fight) does indeed appear to be understood as a threat that needs to be dealt with. Leaving aside the delicate issue of the dating of the Jewish narratives, we may still ask whether the Qurʾānic version fulfills a similar function.

Interestingly, the Qurʾān leaves out the crucial detail of the queen's hairiness – leaving the reader wondering why [النمل 44] mentions that she uncovered her legs – while her counselors ([الْمَلَأُ]) are depicted as proud and strong warriors. Moreover, the queen seems to be endowed with what might be considered feminine traits: she is humble, caring, prudent and seeks to consult. Those traits are further highlighted by the contrast with Solomon who is made to exhibit rather virile attributes: he is authoritarian, violent, prone to anger, and feared. The theme of gender confusion is therefore greatly attenuated in the Qurʾānic account. The Qurʾān seems to construe the queen not as a challenge to the natural order but rather as the ideal believer who recognizes the Signs and immediately submits. Verse 81 – addressed to the Prophet – might be seen as summarizing the lesson to be learnt from the Queen of Sheba's story: ["وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ" (النمل 81)].

If, as Lassner suggests, the story was used in Jewish circles to illustrate the failure of perversion (symbolized by a woman ruling over men) to undo God's work, the Qurʾān appears to redirect the narrative to show that the only fundamental threat to the divine order is the refusal to submit to God, and by extension to the Qurʾān and its proclaimer. Thus, the wise female ruler as well as the hot-tempered and impatient king-prophet, despite their anomalous characters, do not threaten the divinely established order as long as they are able to recognize God's signs and accept his authority.

V. 76 (["إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (النمل 76)]) could indicate that the Queen of Sheba narrative was polemically aimed at Jewish groups familiar with the story: if they failed to recognize the Signs and convert, they were to prove themselves more deviant than the deviant woman who rules over men.

4.50.3 ملاحظات ختامية: هل المَلِك والنبي سليمان شخص حقيقي تاريخي؟

مما سبق يتضح أن قصة زيارة ملكة سبأ إلى المَلِك والنبي سليمان في القرآن (النمل 20-44) مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للقصة الموازية في الترجوم الثاني لأستير، بل تكاد تكون منقولة من الترجوم أو ملخص عربي للترجوم + أسلمة.

ومع ذلك، فإننا نرى أن مسألة تاريخ الترجوم الثاني لأستير بالنسبة للقرآن مسألة غير مهمة؛ لأنه إذا كانت قصة زيارة ملكة سبأ إلى المَلِك سليمان في القرآن (النمل 20-44) مجرد أسطورة لم تحدث تاريخياً، فلا يهم إن كانت هذه الأسطورة قد نشأت قبل الترجوم الثاني لأستير أم بعده.

ولذلك فإننا نقول لأحبائنا المسلمين: قبل أن تضيعوا أعماركم في محاولات بائسة ويائسة لإثبات أن قصة زيارة ملكة سبأ إلى المَلِك سليمان في القرآن (النمل 20-44) أقدم من القصة الموازية في الترجوم الثاني لأستير، اثبتوا لنا أولاً بالأدلة العلمية أن القصة القرآنية قصة حقيقية تاريخية حدثت فعلاً في إسرائيل وسبأ في القرن العاشر قبل الميلاد!

نقول لأحبائنا المسلمين: اثبتوا لنا بالأدلة العلمية أن نبياً ومَلِكاً اسمه "سليمان" ظهر في إسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد ويُقال إن مُلْكه استمر "فِي أُورُشَلِيمَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً" (1 ملوك 42:11) (2 أخبار الأيام 30:9)! أين قبره الذي يُقال إنه في أورشليم (1 ملوك 43:11) (2 أخبار الأيام 31:9)؟! لا أحد يعلم على وجه اليقين. علماً بأنه "لم يرد ذكر سليمان ومملكته في أي وثيقة من وثائق الشرق القديم"[8102]! وكما قلنا فيما سبق، يوجد فريقٌ مِن العلماء والباحثين يشككون في تاريخية المَلِك سليمان. وحتى الذين سلَّموا بوجود سليمان تاريخياً، فبعضهم يشكك في مساحة مملكته ونطاق نفوذه وحجم أعماله وبخاصة الهيكل الضخم جداً. مثلاً: يقول العالِمان الكبيران (Israel Finkelstein) و (Neil Asher Silberman) في كتابهما الشهير (The Bible Unearthed) الذي ذاع صيته وتُرجم إلى عدة لغات، ومِن بينها العربية بعنوان "التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها": "لا آثار تعود للقرن العاشر ق.م.. أكثر التقييمات تفاؤلاً لهذا الفقدان لأيِّ دليل عن آثار تعود للقرن العاشر [ق.م.] هو أن أورشليم (القُدْس) لم تكن في تلك الفترة أكثر من مُجرَّد قرية مرتفعات نَمَطيَّة صغيرة (a typical hill country village). يتطابق هذا التقييم البسيط – بشَكْل جيّد – مع نَمَط الاستيطان الضئيل لبقيَّة يهوذا في نَفْس الفترة الزمنيَّة، والذي كان يتألَّف من حوالي عشرين قرية صغيرة فقط، وبضعة آلاف من السُّكَّان، الكثير منهم عبارة عن رُعاة مُتنقِّلين. في الواقع، من المُستبعد جداً أن تصبح هذه المنطقة – المسكونة بشَكْل مُتناثر، من يهوذا، وقرية أورشليم (القُدْس) الصغيرة – مركزاً لإمبراطُوريَّة عظيمة تمتد من البحر الأحمر في الجنوب إلى سُوريا في الشمال"[8103]. وتضيف دائرة المعارف الكتابية: "وكان يُظن أن الاسطبلات التي كُشِف عنها في مجدو [Megiddo] هي اسطبلات سليمان، ولكن الاكتشافات الأحدث، أثبتت أنها اسطبلات أخآب الذي جاء بعد سليمان بقرن من الزمان. وكذلك الاسطبلات التي اكتشفت في حاصور [Hazor]"[8104]. ويوجد شبه اتفاق

بين العلماء على أن ما قاله العهد القديم العبري عن سليمان فيه مبالغات كثيرة وكبيرة. أما ما قاله القرآنُ عن سليمان، فلا يمكن أن نعتمد عليه في أي بحث علمي جاد لأنه أساساً عبارة عن تطور بشري طبيعي (natural human development) لأساطير يهودية و/أو مسيحية كما رأينا فيما سبق وكما سنرى لاحقاً.

نقول لأحبائنا المسلمين: اثبتوا لنا بالأدلة العلمية أن ملكاً اسمه سليمان كان عنده "صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ" (النمل 44) في إسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد! فنحن بصراحة نندهش أن كثيراً من المسلمين يشككون في هيكل سليمان بينما يصدقون أسطورةَ ما يُسمَّى "صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ" (النمل 44)!

نقول لأحبائنا المسلمين: اثبتوا لنا بالأدلة العلمية أن في عهد هذا المَلِك والنبي المزعوم سليمان، كانت امرأةٌ مَلِكةً في سبأ! ما اسمها الذي لم يذكره الكتابُ المقدَّس ولا القرآن؟! لا أحد يعلم على وجه اليقين. وعلى الرغم من اعترافنا باحتمال وجود شيء ولو بسيط من الحقيقة في القصة الكتابية الأصلية (1 ملوك 10:1-13) (2 أخبار الأيام 9:1-12)[8105]، ولقد قالت دائرة المعارف الكتابية: "وتشهد النقوش الأشورية واليمنية بوجود ملكات في بلاد العرب منذ القرن الثامن قبل الميلاد على الأقل"[8106]، وقيل إن مملكة سبأ "كانت راسخة الأركان في القرن العاشر قبل الميلاد"[8107]! بل قيل إن "مملكة سبأ ظهرت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد"[8108]! إلا أن في المقابل يوجد رأي آخر يقول إن "في عصر سليمان، أي في مطلع القرن العاشر [قبل الميلاد]، لم تكن مملكة سبأ المعروفة تاريخياً قد نشأت بعد"[8109]. وفي جميع الأحوال، نحن لا يهمنا تاريخ مملكة سبأ، وإنما يهمنا أن نعرف مَن هي مَلِكة سبأ التي يُقال إنها زارت المَلِك سليمان! حتى الآن، لا يزال البحثُ مستمراً عن مَلِكة في سبأ زارت إسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد! دون جدوى يستمر البحثُ إلى اليوم!

نقول لأحبائنا المسلمين: اثبتوا لنا بالأدلة العلمية أن زيارة ملكة سبأ المزعومة إلى المَلِك سليمان المزعوم قصة حقيقية تاريخية حدثت فعلاً كما رواها القرآنُ (النمل 20-44)! لا سيما فيما يتعلق بعبادة أهل سبأ للشمس كما زعم القرآنُ على لسان هُدْهُد! "وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ" (النمل 24)!

نقول لأحبائنا المسلمين: اثبتوا لنا بالأدلة العلمية أن "هُدْهُد" ناطق متكلم كان يعرف مَلِكةَ سبأ التي لا يعرفها المَلِكُ العظيم والنبي الكريم سليمان (النمل 22-23) ويؤمن بالله الواحد ويستعجب من أمر الذين يعبدون غير الله ويعرف أن الشيطان يزين للإنسان الأعمال السيئة ليصده عن سبيل الله (النمل 24-26) وكان سفيرَ إسرائيل إلى سبأ وجاسوس لإسرائيل في سبأ على الرغم من عدم ثقة مَلِك إسرائيل فيه (النمل 27-28)! وكيف أصلاً تكون مَلِكة سبأ "أُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ" (النمل 23) ومع ذلك لا يعلم المَلِكُ النبي سليمان عنها إلا من حيوان طائر صغير نجس هو "الهدهد" المسلم (النمل 22)؟! هذه ليست معجزة للهدهد الحيوان النجس وإنما عجز لسليمان النبي المَلِك. فحينما يزعم القرآنُ أن حيواناً نجساً كان يعرف ما لا يعرفه نبيٌّ مَلِك (النمل 22)، فهذه إهانة كبيرة جداً لهذا النبي! بل كيف نصدِّق القرآنَ حين يزعم

أن سليمان النبي المَلِك ابن داود النبي المَلِك "قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ [...] أُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ" (النمل 16) ومع ذلك لا يعلم ما يعلمه حيوان طائر نجس (النمل 22)؟! القرآن يناقض نفسه.

نقول لأحبائنا المسلمين: اثبتوا لنا بالأدلة العلمية أن عبارة "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ" (النمل 30) بهذه الصيغة تحديداً كانت مُستخدَمة في إسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد!

نقول لأحبائنا المسلمين: اثبتوا لنا بالأدلة العلمية أن "عِفْرِيت مِّنَ الْجِنِّ" كان يستطيع أن ينقل – بل يسرق – عرشَ ملكة سبأ من سبأ إلى أورشليم في دقائق أو ساعات (النمل 39)! بل اثبتوا لنا بالأدلة العلمية أن نبياً من أنبياء الله الشرفاء جداً كان يخطط لعملية سرقة وهو جالس مع "عِفْرِيت مِنَ الْجِنِّ" (النمل 39) كما لو كانا جالسين معاً في الصالون! هل هذا النبي المزعوم يصلح كقدوة للمسلمين اليوم؟!

القرآن (النمل 20-44) أقرب إلى الأسطورة أو المسرحية منه إلى التاريخ.

نقول لأحبائنا المسلمين: اثبتوا لنا بالأدلة العلمية أن عرش ملكة سبأ انتقل فعلاً مئات الأميال من اليمن إلى إسرائيل بسرعةٍ خارقة في لحظةٍ واحدة و "رَآهُ [سليمانُ] مُسْتَقِرًّا عِندَهُ" (النمل 40)! بل اثبتوا لنا بالأدلة العلمية أن نبياً من أنبياء الله المحترمين جداً "قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي" (النمل 40) بعد أن سرق ممتلكات غيره! القرآن (النمل 20-44) أقرب إلى الأسطورة أو المسرحية منه إلى التاريخ. وهي أسطورة تتعارض مع العقل وتتعارض أيضاً مع النقل. فالله الذي قال "لاَ تَسْرِقْ" (الخروج 15:20) (التثنية 19:5) لا يمكن أن يرسل نبياً – هو سليمان – يخطف عرشَ ملكة سبأ بدون رضاها وبدون مقابل، أي: يسرقه!

نقول لأحبائنا المسلمين: اثبتوا لنا بالأدلة العلمية أن مَلِكة سبأ في القرن العاشر قبل الميلاد أسلمت وآمنت بالإله الواحد الأحد إله بني إسرائيل (النمل 44)!

نقول لأحبائنا المسلمين: عليكم أن تثبتوا لنا كل ما سبق بالأدلة العلمية. إنْ لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فليس أمامكم سوى الاعتراف بالحقيقة المرة وهي أن القرآن (النمل 20-44) يعاني من مشكلات كثيرة جداً وكبيرة جداً تؤكد أنه مجرد أساطير كلام العرب 100% وليس كلام الله. ولا يهم إذا كان القرآن قد تأثر بالترجوم الثاني لأستير أم لا، فكلاهما مجرد أساطير كلام بشر 100%. كلاهما أساطير تم تأليفها بعد سليمان بل بعد الميلاد بمئات السنين، فهي ليست معاصرة لسليمان ولا يمكن الاعتماد عليها تاريخياً كما قلنا. بل يجب تجاهلها تماماً لأنها تضيّع أوقاتنا وتشتّت أذهاننا عن البحث العلمي الجاد الذي يهدي إلى الحقيقة.

وكما نقول دائماً: القرآن لم يأتِ بشيء واحد جديد وصحيح. كل شيء جديد قاله القرآن غير صحيح. وكل شيء صحيح قاله القرآن ليس جديداً. وفي حالات كثيرة أثبتنا أن ما قاله القرآن قديم وغير صحيح. أو كما قال مَن عاصروا ظهور الإسلام: "هَٰذَا (أي: القرآن) إِفْكٌ قَدِيمٌ" (الأحقاف 11).

4.51 هل الأنبياء معصومون؟ سليمان أَنَابَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي!

على عكس سورة النمل التي تقدِّم المَلِكَ النبيَّ سليمانَ في أقوى صورة إسلامية ممكنة (النمل 15-44)، فإن سورة ص تتحدث عن ضعفات سليمان البشرية وخطاياه وعقابه وتوبته (ص 30-35) ...

(سورة ص): وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (أي: توَّاب كثير الرجوع إلى طاعة الله) {30} [ثم ذكر القرآنُ واقعتين من وقائع خطايا سليمان وعقابه وتوبته ورجوعه إلى الله:]

- إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ (أي: من زوال الشمس إلى آخر النهار، وقيل إلى مطلع الفجر؛ وقيل: من العصر إلى المغرب) الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (أي: الخيل الأصيلة السريعة التي تقف على ثلاث قوائم وترخي الرابعةَ وترفعها حتى تكون على طَرَفِ الحَافِرِ، وهي علامة النشاط والحيوية والاستعداد للعَدْو مع الجمال وحُسْن المنظر) {31} فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ (في مصحف ابن مسعود: "حُبَّ الْخَيْلِ"[8110]؛ وقيل: حب المال عموماً، وفي هذا الموضع المراد الخيل) عَن ذِكْرِ رَبِّي (أي: أَحْبَبْتُ الْخَيْلَ حُباً شغلني عَن ذِكْرِ رَبِّي؛ آثرتُ حُبَّ الْخَيْلِ على طاعة رَبِّي وعبادته؛ وقيل: على الصلاة وهي صلاة العصر!) حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (أي: حتى استترت الشَّمْسُ بما يحجبها عن الأبصار؛ حتى غربت الشَّمْسُ؛ قيل: ففات وقت صلاة العصر!) {32} رُدُّوهَا عَلَيَّ (أي: رُدُّوا عَلَيَّ الخيل التي عُرِضَت من قبل) ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (أي: فشرع يضرب سيقانها ورقابها بالسيف تقرباً إلى الله؛ قيل: لأنها كانت سبب فوات صلاته!) {33}
- وَلَقَدْ فَتَنَّا (أي: ابتلينا؛ اختبرنا) سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ (أي: عرشه) جَسَدًا (أي: شيطاناً؛ وقيل: جَسَدًا لا يستطيع تدبير أمور الحُكْم!) ثُمَّ أَنَابَ (أي: رجع سُلَيْمَانُ إلى ربه وتاب من ذنبه) {34}

قَالَ [سُلَيْمَانُ] رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي (أي: مُلْكًا عظيمًا خاصًا لا مثيل له) لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ {35}.

وكالعادة، توجد تفاسير إسلامية تحاول أن تبرّئ النبيَّ سليمان من أي ذنب أو تقلل من حجم ذنوبه!

فمثلاً، فيما يتعلق بالواقعة الأولى وهي حب سليمان للخيل، قال أ. د. وهبة الزحيلي (رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق): "ولا يصح القول بأن عرضها (أي: عرض الخيل) عليه ألهاه عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، أو أنه قطّع قوائم الخيل بالسيف، فذلك من الإسرائيليات. وإنما المراد: اختباره بمحبة الخيل حباً شديداً، لمعرفة مدى تواضعه والبعد عن الاغترار، واشتغاله بالعرض والندم عليه". أما "فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ" (ص 33) فتفسيرها: "جعل يمسح بيده سيقانها وأعناقها ونواصيها، تشريفاً لها وتكريماً وتدليلاً"[8111]! <u>تعليقنا</u>: هذا التفسير يتعارض مع ما قاله أكثرُ المفسرين. "قال الجمل: "فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ" أي: جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين"[8112]. وقال ابن الجوزي: "وقال الحسن، وقتادة، وابن السائب: قطع أعناقها وسُوقها، وهذا اختيار السدي، ومقاتل، والفراء، وأبي عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة، وأبي سليمان الدمشقي، والجمهور"[8113]. وقالت

موسوعة بيان الإسلام إن سليمان "أحب هذه الخيل معرضاً عن ذكر ربه، فلمَّا ندم أبدله الله تعالي ما هو أسرع منها وهو الريح (يقصد: " فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ [...]" (ص 36))، وهذا ما ذهب إليه الجمهور، وقد اعتذر الجمهور عن ترك سليمان عليه السلام صلاة العصر بأنه كان نسياناً، أو ربما كان هذا سائغاً في شريعة سليمان، فأخَّر الصلاةَ لأجل أسباب الجهاد، وعرضه الخيل، ويستدلون على جواز ذلك بانشغال النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب"[8114]. ومن الجدير بالذكر أن التفسير الميسر الذي أعده نخبةٌ من العلماء تحت إشراف وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية والمشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف يؤيد رأي أكثر المفسرين الذي يقول إن سليمان "شرع يضرب سيقانها ورقابها بالسيف"[8115]. مما يدل على أن هذه الخيل كانت متورطة في خطيئةٍ ما. قيل في كتب تفسير القرآن إن هذه الخيل كانت سبب انشغال سليمان عن صلاة العصر. لكننا سنعلم بعد قليل أن الخطيئة كانت أكبر من ذلك.

وفيما يتعلق بالواقعة الثانية وهي إلقاء "جسد" على عرش سليمان، قال أ. د. وهبة الزحيلي: "هو كما قال الرازي الفتنة في جسده، حيث ابتلاه اللهُ بمرضٍ شديدٍ في جسمه، حتى نحل جسمه، وأصبح هزيلاً (أي: صار لشدة المرض كأنه جسد بلا روح)، ثم أناب، أي رجع إلى حال الصحة، وقَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ما صدر عني من الذنب الذي ابتليتني لأجله، وهذا من باب السمو بتصور الخطيئة، التي لا تَعْدو أن تكون تركاً للأفضل والأَوْلَى"[8116]! <u>تعليقنا:</u> قال المفكر السوري الكبير فراس السواح: "وهذا التفسير للرازي ينطبق على الآية الكريمة لو أنها قالت: "وألقينا على سريره جسداً" لأن المريض لا يجلس على العرش (يقصد: كُرْسِيِّ الحكم) وإنما يأوي إلى السرير. والله أعلم"[8117]. وكما سنرى بعد قليل، فإن التفسير الصحيح (أي: التفسير الذي كان يدور في أذهان أصحاب القرآن أثناء تأليف القرآن) لكلمة "جَسَدًا" (ص 34) هو "شيطاناً". قال ابن الجوزي في تفسيره لـ (ص 34): "(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) أي: ابتليناه وامْتَحَنَّاه بِسَلْبِ مُلْكِه (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ) أي: على سريره (جَسَدًا) فيه قولان. أحدهما: أنه شيطان، قاله ابن عباس، والجمهور"[8118]. وهذا التفسير الصحيح لا يتناقض مع ما زعمه الرازي، إذ يمكن الجمع بينهما: اللهُ ابتلى سليمانَ بمرضٍ شديدٍ، فاستغل شيطانٌ الفرصةَ وخدع سليمانَ ليجلس على عرشه ويسلب مُلْكَه لفترةٍ وجيزة!

وفي جميع الأحوال، نحن لا نلوم المفسرين المسلمين على أنهم سرحوا بخيالهم الواسع من أجل تأليف قصص تفسِّر القرآن (ص 30-35). فكما نقول دائماً، المشكلة ليست في المفسرين المسلمين الذين ضيعوا أعمارهم في حل ألغاز القرآن، وإنما المشكلة في غموض القرآن نفسه. نعم، الآيات القرآنية (ص 30-35) غامضة فعلاً ويمكن تفسيرها بأكثر من تفسير. لكن إذا كان المفسرون المسلمون القدامى مثل الرازي وابن حزم وغيرهما من المفسرين المسلمين المحدثين قد انشغلوا بتبرئة النبي سليمان من الخطايا لأنهم يؤمنون بأسطورة "عصمة الأنبياء" (infallibility of prophets) التي ليس لها أي وجود في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن وإنما هي أسطورة نشأت بعد القرآن (post-Quranic dogma) في القرنين الثاني

والثالث الهجريين (القرنين الثامن والتاسع الميلاديين)[8119]، فنحن قد بدأنا هذه الدراسة منشغلين بأمرٍ آخر وهو البحث عن جذور رواية مبكِّرة من روايات قصة سليمان القرآنية (ص 30-35) في الكتاب المقدس والتراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام. وعندما انشغلنا بهذا الأمر، عرفنا أيضاً خطايا سليمان التي ذكرها القرآنُ وتلك التي لم يذكرها أو لعله ألمح إليها ...

4.51.1 خطيئة المَلِك سليمان الكبرى: سقط في عبادة الأوثان بسبب حريمه الأجنبيات!

"وَصَاهَرَ سُلَيْمَانُ فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ، وَأَخَذَ بِنْتَ فِرْعَوْنَ وَأَتَى بِهَا إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ إِلَى أَنْ أَكْمَلَ بِنَاءَ بَيْتِهِ (أي: قصره الملكي) وَبَيْتِ الرَّبِّ (أي: الهيكل) وَسُور أُورُشَلِيمَ حَوَالَيْهَا" (1 ملوك 3:1). فبزواجه من امرأةٍ وثنية، كسر الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ الشريعةَ التي تُحرّم ذلك على بني إسرائيل (الخروج 34:11-16) (التثنية 7:1-6). وفيما بعد صار للمَلِك سليمان زوجات كثيرات، وبذلك كسر الشريعةَ التي تُحرّم على المَلِك كثرة الزيجات لئلا يَزيغَ قَلبُه (التثنية 17:17). (يقول التراث اليهودي إن الحد الأقصى المسموح به لعدد زوجات المَلِك هو 18 زوجة[8120]!). ويبدو أن المَلِك سليمان ظنَّ أن حكمته الفائقة ستحميه من السقوط في وثنية نسائه!

المَلِك سليمان "الشيخ" "الحكيم" سقط في خطايا الوثنية والشرك بسبب نسائه الأجنبيات الكثيرات! **(1 ملوك 11):** {1} وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ، {2} مِنَ الأُمَمِ [الوثنية] الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ (أي: لا تَتَزَوَّجُوا مِنْهُمْ وَلا هُمْ مِنْكُمْ)، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ. {3} وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ (أي: 700 زَوْجَة wives!)، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ (بالعبرية: pīlaḡšîm) (أي: 300 مَحْظِيَّة concubines!)، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. {4} وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ (قيل: كان عُمره حوالي 50 سنة) أَنَّ نِسَاءَهُ [الأجنبيات الكثيرات] أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلًا (بالعبرية: shalem)[8121] مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ [الذي لم يتورط أبداً في أي عبادات وثنية وكان يتوب عن خطاياه الأخرى]. {5} فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ [الأوثان مِثل] عَشْتُورَثَ (Ashtoreth) إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ (Milcom) (أي: مُولَكَ Molech) رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. {6} وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ (أي: عَبَدَ سليمانُ تلك الأوثان مع عبادة يهوه، فسقط في الوثنية والشرك)، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ. {7} حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً (أي: مَعبَداً أو مذبحاً مرتفعاً) لِكَمُوشَ (Chemosh) رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ (أي: في مواجهة هيكل الله!)، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ. {8} وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ (أي: يُحرِقْنَ البَخُورَ) وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ.

عقاب الله لسليمان عابد الأوثان! **(1 ملوك 11):** {9} فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ **[← "عَن ذِكْرِ رَبِّي" (ص 32)]** الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ [مَرَّة في جِبْعُونَ قبل بناء الهيكل

(1 ملوك 3:5-14) (2 أخبار الأيام 1:3-12) ومَرَّة أخرى في أُورُشَلِيمَ بعد بناء الهيكل (1 ملوك 9:1-9) (2 أخبار الأيام 7:12-22)]، {10} وَأَوْصَاهُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ [سليمانُ] مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ. {11} فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذلِكَ عِنْدَكَ (أي: بما أنكَ ارتكبتَ هذه الجريمة باختيارك وإرادتك)، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِيَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ (يقصد: وَأُعْطِي الجزءَ الأكبر منها لِوَاحِدٍ مِنْ رجالِكَ). {12} إِلاَّ إِنِّي لاَ أَفْعَلُ ذلِكَ فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ (أي: إِكْرَاماً لِدَاوُدَ) أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أُمَزِّقُهَا. {13} عَلَى أَنِّي لاَ أُمَزِّقُ مِنْكَ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا، بَلْ أُعْطِي سِبْطًا وَاحِدًا (أي: سبط يهوذا حيث تقع أورشليم) لابْنِكَ، لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي (أي: تحقيقاً للعهد الداودي)، وَلأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا».

ملاحظات هامة على الآيات الكتابية السابقة (1 ملوك 11:1-13):

- على الرغم من أن سليمان هو أوَّل مَلِك يبني بيتاً كبيراً لله الواحد الأحد في أورشليم، إلا أنه في الوقت نفسه أوَّل مَلِك يُدْخِل الوثنية رسمياً إلى أورشليم!
- ونلاحظ في الآيات الكتابية السابقة معاداة المرأة (misogyny) ومعاداة الأجانب (xenophobia) أيضاً، إذ جعلت سليمانَ يسقط في الوثنية والشرك ويخسر مملكته المتحدة بسبب نسائه الأجنبيات!
- "طبعاً يتكلَّم الكاتبُ هنا [1 ملوك 11:9-13] عن انشقاق المملكة بين الجنوب والشمال، وبحسب التقليد الذي يعتمده الكاتب، سبط واحد، يهوذا، سيبقى مع نسل سليمان المتمثل بابنه "رَحُبْعَام"، والأسباط الأخرى تنشق لتصبح تحت مُلْك عبد سليمان "يَرُبْعَام". بينما تقليد آخر يتكلم عن سبطين (يهوذا وبنيامين) سيكوّنان مملكة الجنوب [يهوذا] تحت مُلْك نسل داود وسليمان، بينما [الأسباط] العشرة الباقية ستكوّن مملكة الشمال [إسرائيل]"[(8122)].
- "لا يذكر سفر أخبار الأيام الأحداث المتعلقة بزوجات سليمان والتمرد في آخر فترة حكمه (1 ملوك 11:1-40)، فَهُمَا سردان ينقصان من شأن الصورة الإيجابية التي رسمها من قبل لسليمان"[(8123)]. "فكما فعل المؤرّخ (يقصد: صاحبُ سفر أخبار الأيام) مع داود يعمل مع سليمان، فيقدّمه لنا كخادم لله المعدَّ لبناء الهيكل، ليجعل مجد المملكة الثيوقراطيَّة مشعًّا، ولينفّذ جميع الفرائض المتعلّقة بشعائر العبادة، بالذبائح والاحتفالات، بامتداح الله وتمجيده. فالملك ابن داود، باني الهيكل، هو وحده يهمُّ القارئ. أمَّا ضعفه وردَّات الفعل البشريَّة عنده والصعوبات السياسيَّة وحياته الخاصَّة في القصر، كلُّ هذا لا يفيد صاحب سفر الأخبار. لهذا اعتبره غير موجود"[(8124)]. وكذلك الإنجيل الذي وضع سليمانَ في سلسلة نسب يسوع المسيح (متى 1:6-7) وتجاهل خطاياه تماماً وركَّز فقط على حكمته (متى 12:42) (لوقا 11:31) ومجده (متى 6:29) (لوقا 12:27) وأنه أوَّل مَن بنى بيتاً كبيراً لله (يوحنا 10:23) (أعمال الرسل 3:11، 5:12، 7:47-48). **[⟵ وهذا بالضبط ما فعله أصحابُ القرآن، وإن ذَكَروا خطايا أخرى ارتكبها داوودُ وسليمانُ أو اكتفوا بالتلميح إليها. ونحن نقول ذلك لنؤكد**

للمسلمين أن عدم ذِكر خطايا نبي (سليمان أو غيره) من الأنبياء في القرآن لا يعني بالضرورة أن هذا النبي لم يرتكب تلك الخطايا، وإنما قد يعني أن أصحاب القرآن أرادوا تلميعَ صورة هذا النبي لأسباب سياسية و/أو دينية. إذن: حتى لو افترضنا أن سليمان شخص حقيقي تاريخي، فلا يمكن الاعتماد على القرآن فقط لمعرفة أي شيء موثوق عنه. ونحن نرى أن سليمان في القرآن هو مجرد شخصية أدبية غير تاريخية (literary, ahistorical character) تأثرت بالتراث اليهودي وتأثرت أيضاً بالتراث المسيحي الذي حاول أن يقدِّم سليمانَ في صورةٍ أفضل[8125]].

4.51.2 حُبُّ المَلِك سليمان للخيل أو حُبُّه لخيرات الدنيا

نقول من البداية إن صفة "حُبّ الْخَيْر" (ص 32) التي اتصف بها النبي والمَلِك سليمان جاءت في آية قرآنية أخرى (العاديات 8) كصفة من صفات الإنسان الجحود! "إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (أي: لَجحود). وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (أي: لَمقر بجحوده). وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ (أي: لِحُبِّ المال) لَشَدِيدٌ" (العاديات 6-8). فهي إذن صفة سلبية، والمراد في قصة النبي والملك سليمان هو حب الخيل، بدليل قوله قبلها "الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ" (ص 31)، علماً بأنه لا يوجد تعارض ولا تناقض بين حب المال وحب الخيل. وبما أنها صفة سلبية، فإن كل محاولات المفسرين المسلمين لتبرئة النبي والملك سليمان ستبوء حتماً بالفشل لأنها تتعارض مع القرآن نفسه. فمن المؤكد أن النبي والملك سليمان قد ارتكب خطيئةً وربما خطايا. لكن ما هي؟ هذا ما سنجيب عليه ...

ما قاله القرآن عن حب النبي والملك سليمان للخيل مجرد تطور بشري طبيعي لما قاله العهد القديم عن المَلِك سليمان[8126]. اقرأ مثلاً: "وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مِذْوَدٍ (أي: مَعلَفٍ) لِخَيْلِ مَرْكَبَاتِهِ" (1 ملوك 26:4)! فإذا افترضنا أن كل ثلاثة خيول (أو كل اثنين) يأكلون من مِذْوَد واحد، فهذا يعني أن المَلِك سليمان كان يمتلك 80 ألف أو 120 ألف خيل! وهذا عدد ضخم جداً بالنسبة لمملكة صغيرة مثل إسرائيل ويدل على حب المَلِك سليمان الشديد للخيل [← **"فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ (في مصحف ابن مسعود: حُبَّ الْخَيْلِ)" (ص 32)]**. وإنْ قُلتم إن سفر أخبار الأيام الثاني يقول "وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعَةُ آلاَفِ مِذْوَدِ خَيْلٍ وَمَرْكَبَاتٍ" (2 أخبار الأيام 25:9)، فسنقول إن هذا العدد القليل (4 آلاف فقط وليس 40 ألف) يتفق مع حرص سفر أخبار الأيام على التقليل من شأن خطايا سليمان بل حذفها تماماً إذا أمكن كما رأينا فيما سبق. وقيل إن العدد الضخم "أَرْبَعُونَ أَلْفَ مِذْوَدٍ" (1 ملوك 26:4) "ناتج، على الأرجح، من خطأ اقترفه الكاتبُ إبَّان عملية النسخ"[8127]! وفي المقابل قيل إن العدد القليل "أَرْبَعَةُ آلاَفِ مِذْوَدِ" (2 أخبار الأيام 25:9) ربما كان في أوائل فترة حُكْم سليمان، ثم زاد العدد إلى "أَرْبَعُونَ أَلْفَ مِذْوَدٍ" (1 ملوك 26:4) في أواخر فترة حُكْمه. وفي جميع الأحوال، فإنه من الواضح أن الخيل والبغال كانت تأتي إلى المَلِك سليمان من مصادر متعددة مثل الهدايا والجزية وليس فقط عن طريق الشراء (1 ملوك 10:23-29) (2 أخبار الأيام 1:16-17، 9:22-28).

لكن ما هي الخطيئة التي ارتكبها المَلِك سليمانُ ثم تاب عنها؟! أو بعبارة أخرى: ما المشكلة في أن يحب المَلِكُ سليمانُ الْخَيْلَ؟! والإجابة نجدها أيضاً في العهد القديم، إذ تحرّم التوراةُ على المَلِك أن يكون له خيل كثير: "مَتَى أَتَيْتَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، وَامْتَلَكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا، فَإِنْ قُلْتَ: أَجْعَلُ عَلَيَّ مَلِكًا كَجَمِيعِ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلِي. فَإِنَّكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا. لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْكَ رَجُلاً أَجْنَبِيًّا لَيْسَ هُوَ أَخَاكَ. وَلكِنْ لاَ يُكَثِّرْ لَهُ الْخَيْلَ، وَلاَ يَرُدُّ الشَّعْبَ إِلَى مِصْرَ لِكَيْ يُكَثِّرَ الْخَيْلَ (أي: لشراء خيل له)، وَالرَّبُّ قَدْ قَالَ لَكُمْ: لاَ تَعُودُوا تَرْجِعُونَ فِي هذِهِ الطَّرِيقِ أَيْضًا" (التثنية 17:14-16). والحكمة من هذا التحريم هي أن كثرة الخيل – التي كانت القوة العسكرية الأساسية آنذاك – قد تجعل المَلِكَ يتكبَّر ويعتمد على قوته العسكرية وليس على الله، أو تجعله يدخل في حروبٍ بلا مبرر ترهق شعبَه بلا داعٍ. هذا بالإضافة إلى أن الخيل – مثل الهدهد – حيوانات نجسة (unclean) مُحرَّم أكل لحومها ومُحرَّم لمس جثثها حسب الشريعة اليهودية لأنها لاَ تَجْتَرُّ ولاَ تَشُقُّ ظِلْفًا (اللاويين 11:3) (التثنية 14:6). وبغض النظر عن الحكمة من هذا التحريم، فإنَّ ما يهمنا هنا هو أن المَلِك سليمان قد خرق هذه الوصية التوراتية، بل "تجاهل هذه الوصية تماماً"[8128]! [⟵ **"فَقَالَ [سليمانُ] إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي (أي: آثرتُ حُبَّ الْخَيْلِ على كتاب الله الذي يحرِّم ذلك)" (ص 32) "رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (أي: فشرع يضرب سيقان الْخَيْلِ ورقابها بالسيف حتى يقلل عدد الخيول التي يمتلكها)" (ص 33) "ثُمَّ أَنَابَ (أي: تاب من ذنبه ورجع إلى ربِّه). قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي" (ص 34-35)]**.

سؤال آخر: ما علاقة الشمس بخطيئة سليمان؟! أو بعبارة أخرى: لماذا قال أصحابُ القرآن "حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (أي: حتى غابت الشَّمْسُ)" (ص 32)؟!

الإجابة: قيل إن الإشارة إلى الشمس تلمّح إلى الآيات الخمس الأولى من سفر الجامعة الذي يُنْسَب تقليدياً إلى سليمان ويُقال إنه كتبه بعد أن تاب من عبادة الأوثان وعاد إلى الله. تقول دائرة المعارف الكتابية: "وإذا كان لنا أن نستنتج شيئاً من سفر الجامعة – باعتبار أن سليمان هو كاتبه – فإننا يمكن أن نرى أن سليمان – بعد أن جاز في فترات من الضعف والانحراف والاحباط – استطاع أن يعود إلى إيمانه بالله الواحد، وبخاصة أن جميع الكتابات المنسوبة إليه تحمل طابع التوحيد الجازم (أي: التوحيد المطلق)"[8129].

تقول الآيات الخمس الأولى من سفر الجامعة: "كَلاَمُ الْجَامِعَةِ (بالعبرية: Koheleth) (أي: الواعظ الحكيم الذي جمع حِكماً كثيرة أو جمع الجماعةَ ليُعلِّمهم؛ وقيل إنه سليمان) ابْنِ دَاوُدَ الْمَلِكِ فِي أُورُشَلِيمَ: بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ، قَالَ الْجَامِعَةُ: بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ، الْكُلُّ بَاطِلٌ (بالعبرية: هـ ب ل) (أي: كل ما في هذا العالم زَائِلٌ وَفَارِغٌ بل بخار أو زفير بلا فائدة دائمة ولا هدف باقي ومن ثم بلا معنى؛ يقصد: الْكُلُّ بَاطِلٌ إذا لم يكن مرتبطاً بطريقة أساسية وصحيحة مع الله). مَا الْفَائِدَةُ لِلإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ الَّذِي يَتْعَبُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ (بالعبرية: hashemesh taḥaṯ) (أي: على الأرض؛ يقصد: تعب الإنسان في هذه الْحَيَاةِ الدُّنْيَا من أجل كسب المال والذهب والفضة وغير ذلك مما يُمجِّد الإنسانَ لكن لا يُمجِّد اللهَ ولا يحقق مقاصده)؟[8130] دَوْرٌ (أي: جِيلٌ)

يَمْضِي وَدَوْرٌ يَجِيءُ، وَالأَرْضُ قَائِمَةٌ إِلَى الأَبَدِ (أي: ليأتى عليها أجيالٌ أخرى، وهكذا الأُمُورُ هِيَ هِيَ تدور في حلقةٍ مفرغة تخلو من التقدم والمعنى!). وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ، وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ، وَتُسْرِعُ إِلَى مَوْضِعِهَا حَيْثُ تُشْرِقُ (يقصد: وهكذا أيضاً التكرار العقيم للنشاط البشري تَحْتَ الشَّمْسِ)" (الجامعة 1:1-5)[8131]. "وقد تكررت كلمة "تَحْتَ الشَّمْسِ" في هذا السفر 28 مرة (أو بعبارة أكثر دقة: 29 مرة في 27 آية)، ولم تُذْكَر في أي سفر آخر من أسفار الكتاب المقدس؛ لأن هذا السفر يهتم بإعلان بطلان العالم، والحاجة إلى التوبة والنظر إلى الأبدية"[8132]. **[← "فَقَالَ [الجامعة سليمانُ معترفاً بخطيئته] إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ (أي: انشغلتُ بحب خيرات هذا العالم الحاضر الزائل كالمال والذهب والفضة والخيل وغير ذلك) عَن ذِكْرِ رَبِّي [الخالد] حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (أي: حتى زوال الشمس فتذكرتُ زوال هذا العالم الأرضي المحدود)" (ص 32). "ثُمَّ أَنَابَ (أي: تاب سليمانُ من ذنبه ورجع إلى رَبِّه). قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي" (ص 34-35). وطبعاً غفر اللهُ له بكل سهولة كالعادة! "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ (أي: وجعلناه من الْمُقَرَّبِينَ عندنا والمكرَّمين) وَحُسْنَ مَآبٍ (أي: وأعددنا له حُسْنَ المصير في الآخرة وهو الجنة)" (ص 40)[8133]! واهتداء سليمان إلى الحق بفضل غروب الشمس يذكِّرنا باهتداء جده إبراهيم إلى الحق بفضل غروب الشمس أيضاً (الأنعام 78)]**. ومن الجدير بالذكر أن الجامعة يؤكد أن الخيل كانت في زمانه رمزاً للمُلْك والرياسة، ولذلك فهو يحزن حين يرى "تَحْتَ الشَّمْسِ" "عَبِيدًا عَلَى الْخَيْلِ، وَرُؤَسَاءَ مَاشِينَ عَلَى الأَرْضِ كَالْعَبِيدِ" (الجامعة 10:7)!

ويوجد رأي آخر يتميز بأنه يوضِّح لنا أكثر العلاقةَ بين الخيل والشمس. ربما ظن أصحابُ القرآن أن خيل سليمان الكثيرة كانت جزءاً من عبادة الشمس مِن شروقها "حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (أي: حتى غروبها)" (ص 32). فلقد "كان القدماء (أي: الوثنيون) يكرسون خيلاً لإله الشمس لتجر مركبته"[8134]، أي: "الخيول المكرَّسة لجر مركبات الشمس، المقام فوقها تمثال الإلهة الشمس، في المراكب والاحتفالات الدينية"[8135]، وذلك لأن الجياد تتميز بالسرعة والرشاقة. وفي أشور، "تكرَّست الأحصنة البيضاء على قدمي معبود معين. والأكثر من ذلك أن عدداً من المعبودات الأشورية ركبوا مركبة يقودها حصان (a horse-drawn chariot) في أيام الاحتفالات. وفي الأسطورة الأشورية، تظهر الشمس الإله محمولاً في السماء على مركبة يقودها سائقة رَكيب إيل"[8136]. إذن: كانت الخيل – أو بالأحرى المركبة التي تجرها الخيلُ – بمثابة كرسي (عرش؛ موطئ قدم) إله الشمس؛ مما يعني أن هذه الخيل كانت مقدسة! فلقد "كان يُظَنُّ أنّ الخيل والمركبات المقدَّمة للشمس، كانت ترمز إلى الشمس وهي تُرسل خيوطاً متوهِّجةً عبر السماء، كما كانت جزءًا من عبادة الشمس. وقد عُثِرَ في الآونة الأخيرة على آثار في أورشليم هي عبارة عن ضريح دينيٍّ متمثِّل بحصان"[8137]. و "كانت الخيول في الشرق مُكرَّسة لعبادة الشمس، وذلك بسبب سرعتها ومنافعها الكثيرة. وُجدتْ حفريات في أورشليم تكشف عن مقدس خاص بعبادة الشمس، يرجع إلى عهد يهوشافاط [مَلِك يهوذا]. وُجدت خيول صغيرة عليها أقراص الشمس على جباهها في أورشليم وفي هازور Hazor. [...] وكان عابدو الشمس أحيانًا يركبون الخيول في كل صباح لاستقبال شروق الشمس. يبدو أن الملوك الذين عبدوا الشمس مثل آحاز

ومنسى أو قادتهم العظماء يركبون الخيول باكرًا كل صباح من الباب الشرقي للهيكل، ويُحَيُّون الشمس ويعبدونها عند ظهورها في الأفق"[8138]!

والعهد القديم نفسه يؤكد أن خطيئة تخصيص الخيل من أجل عبادة الشمس قد وصلت إلى بني إسرائيل، لكن ليس في عهد المَلِك سليمان (القرن العاشر قبل الميلاد)، وإنما في عهد ملوك آخرين جاءوا بعده حتى جاء مَلِكٌ صالحٌ من نسل سليمان هو المَلِك الشاب "يُوشِيَّا" (Josiah)[8139] في القرن السابع قبل الميلاد وقام بحركة إصلاح ديني هدفها عبادة يهوه إله إسرائيل دون سواه. ومن ضمن إصلاحات يُوشِيَّا الشاملة أنه "لاَشَى (أي: عَزَلَ؛ أزالَ؛ أَبَادَ) كَهَنَةَ الأَصْنَامِ (أي: الكَهَنَةَ الوثنيين الزَّائِفِينَ) الَّذِينَ جَعَلَهُمْ مُلُوكُ يَهُوذَا لِيُوقِدُوا [البَخورَ] عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ فِي مُدُنِ يَهُوذَا وَمَا يُحِيطُ بِأُورُشَلِيمَ، وَالَّذِينَ يُوقِدُونَ [البَخورَ]: لِلْبَعْلِ، لِلشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالْمَنَازِلِ (أي: وَلِلأَبْرَاجِ الْفَلَكِيَّةِ)، وَلِكُلِّ أَجْنَادِ السَّمَاءِ" (2 ملوك 5:23) و "أَبَادَ الْخَيْلَ الَّتِي أَعْطَاهَا مُلُوكُ يَهُوذَا لِلشَّمْسِ عِنْدَ مَدْخَلِ بَيْتِ الرَّبِّ [...]، وَمَرْكَبَاتُ الشَّمْسِ أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ" (2 ملوك 11:23). وهذه الخيول التي أعدمها المَلِكُ الصالح يُوشِيَّا حتى لا يفكر الشعب أنها مقدسة هي إما تماثيل للخيول المنحوتة أو خيول حية كانت تقود المركبات الخاصة بعبادة الشمس (chariots of the sun) (solar chariots). "لو كانت تلك الخيول المقصودة خيولاً حية (live horses) فلاَ بُدَّ أنها كانت تُستخدَم لجر أصنام لتمثال إله الشمس في مواكب دينية. عُثِر مؤخراً على صور صغيرة لبعض الخيول في معبد وثني في الناحية الخارجية بالقرب من أحد أسوار أورشليم القديمة"[8140]. **[← وصف أصحابُ القرآن الخيلَ الذي "عُرِضَ" على سليمان بـ "الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ" (ص 31)، فهي خيول حية سريعة وتستعرض رشاقتها وجمالها "بِالْعَشِيِّ" (ص 31) أي "من زوال الشمس إلى آخر النهار، وقيل إلى مطلع الفجر"[8141] وكأنها تستعد لاحتفال أو موكب ديني في الصباح الباكر! لكن أصحاب القرآن لم ينسبوا إبادةَ هذه الخيل إلى المَلِك الصالح يُوشِيَّا ابن سليمان بن داود وإنما نسبوها إلى جده المَلِك النبي سليمان نفسه: "فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (أي: فشرع يضرب سيقان الْخَيْلِ ورقابها بالسيف)" (ص 33). ومشهد تحطيم سليمان للخيل (ص 33) يذكِّرنا بمشهد تحطيم جده إبراهيم للأصنام (الصافات 93) (الأنبياء 58) وتحطيم موسى للعجل الذهبي (طه 97). والهدف في جميع هذه القصص القرآنية هو نفس هدف المَلِك يُوشِيَّا وهو التوحيد المطلق: عبادة الرب يهوه الإله الواحد الأحد وحده دون سواه. ثم اتخذهم محمدٌ قدوةً (الجاثية 16) (الأنعام 89-90) فحطَّم أصنام العرب في مكة وغيرها. <u>ملحوظة:</u> قالت كتب ومراجع إسلامية إن "تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ" (ص 32) تعني "تَوَارَتْ الخيلُ بِالْحِجَابِ"، أي: اختفت الخيلُ؛ ودليلهم على ذلك أن الأنسب في عود الضمير أن يكون إلى أقرب مذكور وهو الخيل (الصافنات الجياد). ونحن نقول: بما أن الخيل كانت تجر المركبة التي يرتكز عليها إلهُ الشمس. إذن: إذا اختفت الخيلُ، فستختفي الشَّمْسُ. فيصح أن تقول "تَوَارَتْ الخيلُ بِالْحِجَابِ"، ويصح أيضاً أن تقول "تَوَارَتْ الشَّمْسُ بِالْحِجَابِ". كلاهما تفسير صحيح ولا يوجد تعارض بين التفسيرين. ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه قيل في كتب تفسير القرآن كالقرطبي والطبري مثلاً إن الصحابي علي بن أبي طالب وغيره قالوا إن هذه الخيل كانت "لها أجنحة"[8142]! بل روى أبو داود وغيره حديثاً صحيحاً عن**

السيدة عَائِشَةَ قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ، وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟ قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟ قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟ قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟! قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟! قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ[8143]! وهذا يدل على أن محمد والصحابة ربطوا بين سليمان والأساطير الإغريقية (أي: الميثولوجيا اليونانية القديمة)! "بيجاسوس (Pegasus) في الأساطير الإغريقية أنه حصان مجنَّح"[8144]!].

ومن ضمن إصلاحات الْمَلِك الصالح يُوشِيَّا أيضاً أنه هدم المذابح الوثنية ومعابد المرتفعات "الَّتِي بَنَاهَا سُلَيْمَانُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ لِعَشْتُورَثَ رَجَاسَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَلِكَمُوشَ رَجَاسَةِ الْمُوآبِيِّينَ، وَلِمَلْكُومَ كَرَاهَةِ بَنِي عَمُّونَ، نَجَّسَهَا الْمَلِكُ [يُوشِيَّا]. وَكَسَّرَ التَّمَاثِيلَ وَقَطَّعَ السَّوَارِيَ وَمَلأَ مَكَانَهَا مِنْ عِظَامِ النَّاسِ" (2 ملوك 23:13-14)؛ أي: لم يكتفِ يُوشِيَّا بإزالتها من الوجود وإنما أيضًا نَجَّسَ أماكنها بوضع عظام الأموات عليها حتى يجعل تلك الأماكن غير صالحة للاستخدام في عبادة الأوثان مستقبلاً (انظر العدد 19:16). إذن: الوَثَنِيَّة التي أدخلها المَلِكُ سُلَيْمَان إلى أُورُشَلِيمَ بسبب نسائه الأجنبيات الكثيرات وظلت فخاً لبني إسرائيل مئات السنين انتهت في عهد حفيده الملك الصالح يُوشِيَّا.

لا يتبقى إلا سؤال واحد في مسألة خيل سليمان: هل ظن أصحابُ القرآن أن سليمان نفسه سقط في هذه العبادة الوثنية في بداية الأمر قبل توبته؟! الإجابة: لا نستطيع أن نجزم. فكما قلنا فيما سبق، الآية "فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ" (ص 32) غامضة فعلاً. فكل ما نستطيع أن نقوله هو: ربما، انزلق سليمانُ نفسه إلى هذه العبادة الوثنية في بداية الأمر قبل توبته. وإن صح ذلك، فهذا يعني أن سليمان انشغل بالخيل المكرَّسة للشمس عن "ذِكْرِ رَبِّي" (ص 32) أي: انشغل عن عبادة يهوه دون سواه، وليس عن صلاة العصر كما تزعم المراجع الإسلامية وهي صلاة لم تكن مفروضة أصلاً أيام سليمان! ثم عاد سليمانُ إلى رشده فأباد هذه الخيل "فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ" (ص 33) "ثُمَّ أَنَابَ (أي: تاب من ذنبه ورجع إلى رَبِّه). قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي" (ص 34-35). وطبعاً غفر اللهُ له بكل سهولة كالعادة! "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ (أي: وجعلناه من الْمُقَرَّبِينَ عندنا والمكرَّمين) وَحُسْنَ مَآبٍ (أي: وأعددنا له حُسْنَ المصير في الآخرة وهو الجنة)" (ص 40).

4.51.3 وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا (أي: أَلْقَيْنَا عَلَىٰ عرشه شيطاناً)!

ننتقل إلى مسألة أخرى وهي: "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ (أي: عرشه) جَسَدًا" (ص 34). ما معنى "جَسَدًا" (ص 34)؟! كالعادة، احتار المفسرون المسلمون وتاهوا في متاهات كثيرة وكبيرة ...

يوجد حديثٌ صحيح أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما يقول عن أبي هريرة إن محمد قال: "قالَ سُلَيْمانُ بنُ داوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ علَى تِسْعِينَ امْرَأَةً (وفي روايات أخرى: ستين امْرَأَةً؛ سبعين امْرَأَةً؛ تسع وتسعين امْرَأَةً؛ مائة امْرَأَةً!) كُلُّهُنَّ تَأْتِي بفَارِسٍ (أي: فتَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ منهن فَتَلِدُ غُلاماً ليصير فَارساً) يُقاتِلُ في سَبيلِ اللهِ، فقالَ له صاحِبُهُ (أو: الملاكُ): قُلْ: إنْ شاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ (أي: ونَسِيَ أن يقول): إنْ شاءَ اللَّهُ، فَطافَ عليهِنَّ جَمِيعًا، فَلَمْ تَحْمِلْ منهنَّ إلَّا امْرَأَةٌ واحِدَةٌ، فَجاءَتْ بشِقِّ رَجُلٍ (وفي روايات أخرى: وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا وَاحِدًا سَاقِطًا أَحَدُ شِقَّيْهِ؛ فَوَلَدَتْ نِصْفَ إِنْسَانٍ؛ أي: فَوَلَدَتْ ذَكراً غير مكتمل الخلقة! قيل: له عين واحدة وأذن واحدة ويد واحدة وساق واحدة؛ والمراد: فَوَلَدَتْ ذَكراً لا يصلح للقتال!)، وايْمُ الذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ لو قالَ "إنْ شاءَ اللَّهُ" لَجاهَدُوا في سَبيلِ اللهِ فُرْسانًا أجْمَعُونَ (أي: لو قالَ "إنْ شاءَ اللَّهُ" لَوَلَدَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ منهن غُلاماً فَارساً يُقاتِلُ في سَبيلِ اللهِ)"[8145]! ولقد لاحظنا أن كثير من كتب تفسير القرآن وقصص الأنبياء تذكر هذا الحديث في تفسير "وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا" (ص 34) زاعمين أن "جَسَدًا" هو نصف الإنسان الذي ولدته امرأةُ سليمان عقاباً له على تَرْكِه تعليق ما طلبه على مشيئة الله! ونحن نقول لهم إن الحديث نفسه بجميع رواياته المختلفة في صحيحي البخاري ومسلم لم يقل إنه يفسِّر هذه الآية القرآنية! ومن الجدير بالذكر أن الشيخ عبد الوهاب النجار (أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين) قد أنكر علاقةَ هذا الحديث بالآية القرآنية (ص 34)[8146]. بل إن حتى مَن أيدوا علاقةَ هذا الحديث بالآية اعترفوا بأن "هذا الحديث ليس فيه ما يدل على أنه تأويل لمعنى هذه الآية، والبخاري ومسلم لم يضعاه في كتاب التفسير"[8147]! وقال الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الأسبق): "ومِن العلماء مَن آثر عدم تعيين الفتنة التي اختبر الله - تعالى - بها سيدنا سليمان - عليه السلام - بتركه المشيئة، فقال بعد أن ذكر الحديث السابق: وجائز أن تكون هذه الفتنة التي تشير إليها الآيات هنا وأن يكون الجسد هو هذا الوليد الشق، ولكن هذا مجرد احتمال"[8148]. ونحن نقول إنه مجرد احتمال بعيد جداً وضعيف جداً. ثم إن الحديث نفسه غير معقول، إذ لا يمكن أن نصدق أن رجلاً نكح ستين امرأة أو أكثر في ليلةٍ واحدةٍ[8149]! هذا طبعاً بالإضافة إلى أن هذا الحديث فيه إهانة للمرأة إذ يجرّدها من إنسانيتها ويجعلها مجرد آلة أو ماكينة لإنجاب الذكور! بل إن هذا الحديث فيه إهانة للرجل أيضاً إذ يجرّده من إنسانيته ويجعله مجرد سيف أو رمح للقتال وسفك الدماء!

فما هو التفسير الصحيح لكلمة "جَسَدًا" (ص 34)؟ ...

في صحيح البخاري أيضاً: ""جَسَدًا" (ص 34): شَيْطَانًا"[8150]! وقال الإمام ابن حجر العسقلاني: "قَوْلُهُ: (جَسَدًا شَيْطَانًا) قَالَ الْفِرْيَابِيُّ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: "وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا" قَالَ: شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ آصِفُ، قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ كَيْفَ تَفْتِنُ النَّاسَ؟ قَالَ [الشيطانُ آصِفُ لسليمان] أَرِنِي خَاتَمَكَ أُخْبِرْكَ، فَأَعْطَاهُ (أي: فأعطى سليمانُ خَاتَمَه للشيطان آصف)، فَنَبَذَهُ آصِفُ (أي: فرمى الشيطانُ آصِفُ خَاتَمَ سليمان) فِي الْبَحْرِ فَسَاخَ، فَذَهَبَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ وَقَعَدَ آصِفُ عَلَى كُرْسِيِّهِ (أي: تمثَّل الشيطانُ آصِفُ صُورَةَ المَلِكَ سُلَيْمَانَ ومن ثم استطاع أن يجلس على عرشه)، وَمَنَعَهُ اللَّهُ نِسَاءَ سُلَيْمَانَ فَلَمْ يَقْرَبْهُنَّ، فَأَنْكَرَتْهُ أُمُّ سُلَيْمَانَ،

وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَسْتَطْعِمُ وَيُعَرِّفُهُمْ بِنَفْسِهِ (أي: يستجدي طعامَه من الناس ويقول لهم: أنا سُلَيْمَانُ المَلِكُ الحقيقي أو "أنا الجامِعَةُ كُنتُ مَلِكاً على إِسْرَائِيلَ في أُورُشَلِيمَ" (الجامعة 12:1) وليس هذا الدعي الجالس على عرشي) فَيُكَذِّبُونَهُ (أي: لم يُصدِّقه أحدٌ) حَتَّى أَعْطَتْهُ امْرَأَةٌ حُوتًا (أي: سمكةً) فَطَيَّبَ بَطْنَهُ فَوَجَدَ خَاتَمَهُ فِي بَطْنِهِ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ مُلْكَهُ، وَفَرَّ آصِفُ فَدَخَلَ الْبَحْرَ. وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ اسْمَهُ آصِرُ آخِرُهُ رَاءٌ، وَمِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ اسْمَ الْجِنِّيِّ صَخْرٌ، وَمِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ كَذَلِكَ وَأَخْرَجَ الْقِصَّةَ مِنْ طَرِيقِهِ مُطَوَّلَةً، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ آصِفَ اسْمُ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ (يقصد: النمل 40) وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[8151]. ثم قال الإمام ابن حجر العسقلاني تعليقاً على جملة "وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا وَاحِدًا سَاقِطًا أَحَدُ شِقَّيْهِ" الواردة في الحديث السابق: "حَكَى النَّقَّاشُ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ الشِّقَّ الْمَذْكُورَ هُوَ الْجَسَدُ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَى كُرْسِيِّهِ (يقصد: ص 34)، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْجَسَدِ الْمَذْكُورِ شَيْطَانٌ وَهُوَ الْمُعْتَمَدُ، وَالنَّقَّاشُ صَاحِبُ مَنَاكِيرَ (يقصد: لا تُصدِّقوا ما قاله النَّقَّاشُ)"[8152].

ثم إن تفسير كلمة "جَسَدًا" (ص 34) على أنها تعني "شَيْطَانًا" يتفق أيضاً مع ما جاء بعدها مباشرةً: "ثُمَّ أَنَابَ (أي: تاب سليمانُ ورجع إلى رَبِّه). قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي" (ص 34-35). وطبعاً قَبِلَ اللهُ توبتَه وغفر له، "فَسَخَّرْنَا لَهُ [...] الشَّيَاطِينَ" (ص 36-37). أي: بعد أن نجح شيطانٌ في السيطرة على عرش سليمان، صار سليمانُ - بعد توبته - هو الذي يسيطر على الشياطين.

وفي الواقع، فإن الحديث الصحيح الذي له علاقة بسياق الآية القرآنية "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ (أي: عرشه) جَسَدًا" (ص 34) هو حديث آخر أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما يقول عن أبي هريرة أيضاً إن محمد قال: "إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فأَمْكَنَنِي اللَّهُ منه فأَخَذْتُهُ (وفي رواية أخرى: فَذَعَتُّهُ؛ أي: فخنقته!)، فأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِن سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ: "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي" (ص 35)، فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا"[8153]؛ يقصد: فتركته ولم أربطه لأن تقييد الشياطين لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ بعد سليمان. علماً بأن إحدى روايات هذا الحديث الصحيح مذكورة في كتاب "تفسير القرآن" في صحيح البخاري. إذن: وجود عفريت من الجن - أي شيطان - في حديث يفسِّر (ص 35) ووجود "الشَّيَاطِينَ" صراحةً في (ص 37) يجعلنا نقول إن (ص 34) لها علاقة بالشياطين أيضاً. وإذا تصدِّقون أن شيطاناً قطع على محمد صلاتَه، فلماذا ترفضون أن شيطاناً قطع على سليمان مُلْكَه؟!

ولذلك فإن تفسير كلمة "جَسَدًا" (ص 34) على أنها تعني "شَيْطَانًا" مذكور في مراجع إسلامية كثيرة. بل هو رأي الجمهور. قال ابن الجوزي في تفسيره لـ (ص 34): "(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) أي: ابتليناه وامْتَحَنَّاه بِسَلْبِ مُلْكِه (وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ) أي: على سريره (جَسَدًا) فيه قولان. أحدهما: أنه شيطان، قاله ابن عباس، والجمهور"[8154]. وقال الطبري: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَقَدِ ابْتَلَيْنَا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدَ شَيْطَانٍ مُمَثَّلٍ بِإِنْسَانٍ، ذَكَرُوا أَنَّ اسْمَهُ صَخْرٌ. وَقِيلَ: إِنَّ اسْمَهُ آصِفُ. وَقِيلَ: إِنَّ اسْمَهُ آصِرُ. وَقِيلَ: إِنَّ اسْمَهُ حِبْقِيقُ

.[...] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ "وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا" قَالَ: هُوَ صَخْرٌ الْجِنِّيُّ تَمَثَّلَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا. [...] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ" قَالَ: الْجَسَدُ: الشَّيْطَانُ الَّذِي كَانَ دَفَعَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ خَاتَمَهُ، فَقَذَفَهُ فِي الْبَحْرِ، وَكَانَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ فِي خَاتَمِهِ، وَكَانَ اسْمُ الْجِنِّيِّ صَخْرًا. [...] عَنِ الْحَسَنِ "وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا" قَالَ: شَيْطَانًا. [...] عَنْ سعيد بن جبير "وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا" قَالَ: شَيْطَانًا. [...] عَنْ مُجَاهِدٍ "وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا" قَالَ: شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ آصِرُ. [...] عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ "عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا" قَالَ: شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ آصِفُ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: كَيْفَ تَفْتِنُونَ النَّاسَ؟ قَالَ: أَرِنِي خَاتَمَكَ أُخْبِرْكَ. [...]"(8155). وقال السعدي في تفسيره: "{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ} أي: ابتليناه واختبرناه بذهاب مُلْكه وانفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية، {وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا} أي: شيطاناً قضى اللهُ وقدَّر أن يجلس على كرسي مُلْكِه، ويتصرف في المُلْك في مدة فتنة سليمان، {ثُمَّ أَنَابَ} سليمانُ إلى الله تعالى وتاب فـ {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} فاستجاب اللهُ له وغفر له، وردَّ عليه مُلْكه، وزاده مُلْكًا لم يحصل لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له"(8156). وقال تفسيرُ الجلالين: ""وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ" اِبْتَلَيْنَاهُ بِسَلْبِ مُلْكِهِ، وَذَلِكَ لِتَزَوُّجِهِ بِامْرَأَةٍ هَوَاهَا (أو: عشقها) وَكَانَتْ تَعْبُدُ اَلصَّنَمَ فِي دَارِهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمِهِ، وَكَانَ مُلْكُهُ فِي خَاتَمِهِ فَنَزَعَهُ مَرَّةً عِنْدَ إِرَادَةِ اَلْخَلَاءِ وَوَضَعَهُ عِنْدَ اِمْرَأَتِهِ اَلْمُسَمَّاةِ بِالْأَمِينَةِ عَلَى عَادَتِهِ، فَجَاءَهَا جِنِّيٌّ فِي صُورَةِ سُلَيْمَانَ فَأَخَذَهُ مِنْهَا "وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا" هُوَ ذَلِكَ اَلْجِنِّيُّ وَهُوَ صَخْرٌ أَوْ غَيْرُهُ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ سُلَيْمَانَ وَعَكَفَتْ عَلَيْهِ اَلطَّيْرُ وَغَيْرُهَا، فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ فِي غَيْرِ هَيْئَتِهِ فَرَآهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ وَقَالَ لِلنَّاسِ: أَنَا سُلَيْمَانُ، فَأَنْكَرُوهُ، "ثُمَّ أَنَابَ" رَجَعَ سُلَيْمَانُ إِلَى مُلْكِهِ بَعْدَ أَيَّامٍ بِأَنْ وَصَلَ إِلَى اَلْخَاتَمِ فَلَبِسَهُ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ"(8157). وقال تفسيرُ الألوسي: "وإنما قال سبحانه: (جسداً) لأنه إنما تمثَّل بصورة غيره وهو سليمان عليه السلام، وتلك الصورة المتمثلة ليس فيها روح صاحبها الحقيقي، وإنما حَلَّ في قالبها ذلك الشيطان، فلذا سميت جسداً. وعبارة القاموس صريحة في أن الجسد يطلق على الجني. وقال أبو حيان وغيره: إن هذه المقالة من أوضاع اليهود وزنادقة السوفسطائية ولا ينبغي لعاقل أن يعتقد صحة ما فيها"(8158)! وقال ابنُ كثير في تفسيره لـ (ص 34): "(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) أَيِ: اخْتَبَرْنَاهُ بِأَنْ سَلَبْنَاهُ الْمُلْكَ مَرَّةً، (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمْ: يَعْنِي شَيْطَانًا. [...] وَقَدْ ذَكَرُوا هَذِهِ الْقِصَّةَ مَبْسُوطَةً وَمُخْتَصَرَةً. [...] وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ [...] إِسْنَادُهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَوِيٌّ وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُ مما تَلَقَّاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ - إِنْ صَحَّ عَنْهُ - مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَفِيهِمْ طَائِفَةٌ لَا يَعْتَقِدُونَ نُبُوَّةَ سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ فِي السِّيَاقِ مُنْكَرَاتٌ مِنْ أَشَدِّهَا ذِكْرُ النِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّ ذَلِكَ الْجِنِّيَّ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَى نِسَاءِ سُلَيْمَانَ، بَلْ عَصَمَهُنَّ اللَّهُ مِنْهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا لِنَبِيِّهِ - ﷺ - وَقَدْ رُوِيَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مُطَوَّلَةً عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ، كَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَجَمَاعَةٍ آخَرِينَ، وَكُلُّهَا مُتَلَقَّاةٌ مِنْ قَصَصِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ"(8159)(8160)! إذن: حتى المفسرون المسلمون الذين رفضوا رأيَ الجمهور ""جَسَدًا" (ص 34) يعني "شَيْطَانًا"" ذكروا هذا الرأي اعترافاً منهم بأنه تفسير مشهور جداً. بل هو التفسير الصحيح في نظرنا.

ونحن نقول للألوسي وابن كثير وأمثالهما من المفسرين الذين يعترضون على وجود الإسرائيليات في كتب تفسير القرآن: نحن نعلم أنها من الإسرائيليات؛ ونعلم أيضاً أنها من الأكاذيب، بدليل عدم وجود أي دليل تاريخي ولا حتى كتابي يثبت صحتها. لكن وجود هذه الأساطير والأكاذيب اليهودية (الإسرائيليات) مختصرة في القرآن هو الذي جعل المفسرين المسلمين يلجأون إلى الإسرائيليات من أجل تفسير القرآن تفسيراً صحيحاً بالتفصيل. وحين نقول "التفسير الصحيح" لا نعني الصحيح تاريخياً ولا الصحيح لاهوتياً، وإنما نعني التفسير الذي كان يدور في أذهان أصحاب القرآن أثناء تأليف القرآن. ولا نستغرب أن بعض أهل الكتاب كانوا يكذبون على ابن عباس وغيره، فلقد كانوا يكذبون على أصحاب القرآن عن عمد أو عن جهل. فتسلل هذه الإسرائيليات إلى القرآن يؤكد أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله؛ بل يؤكد أن القرآن نفسه من الإسرائيليات. ثم إن هروبكم من الأساطير اليهودية لم يهدكم إلى تفسير آخر أكثر اقناعاً، بل هداكم إلى أساطير أخرى مثل أسطورة أن سليمان أراد أن ينكح نساءه الكثيرات لينجب ذكوراً يقاتلون في سبيل الله لكنه نسي أن يقول "إن شاء الله" فلم تلد منهن إلا امرأةٌ واحدةٌ ولدت نصفَ إنسان! أي أنكم هربتم من الأساطير اليهودية إلى الأساطير الإسلامية، فابتعدتم جداً عن التفسير الصحيح لكلمة "جَسَدًا" (ص 34) وهو: شيطاناً.

وإذا قلتم إن تفسير "وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا" (ص 34) على أنها تعني "وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ عرشه شَيْطَانًا" يتعارض مع القرآن. فسنقول: بل يتوافق تماماً مع القرآن الذي يقول إن الله يَنزع الْمُلْكَ مِمَّن يَشَاءُ ويُؤْتِي الْمُلْكَ مَن يَشَاءُ: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (آل عمران 26). ولعل عبارة "بِيَدِكَ الْخَيْرُ" (آل عمران 26) فيها إشارة خفية إلى المَلِك سليمان الذي سقط في خطيئة "حُبّ الْخَيْر (أي: حُبّ الخيل)" (ص 32) فلم تنفعه هذه الخيل ولا أية قوة عسكرية أخرى في الحفاظ على مُلْكِه. لأن الله هو الذي يحمي المَلِكَ إذا حفظ وصاياه، لكن الملك سليمان لم يحفظ وصايا الله كما شرحنا فيما سبق.

كما جاءت كلمة "جَسَدًا" في آيةٍ قرآنية أخرى (الأنبياء 8) بمعنى ملاك أو كائن له طبيعة تخالف طبيعة البشر: "وَمَا جَعَلْنَاهُمْ (أي: الرُّسُلَ) جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ" (الأنبياء 8). وبما أن الشيطان - حسب التراث اليهودي-المسيحي - هو ملاك ساقط (fallen angel) وله طبيعة تخالف طبيعة البشر، إذن: قلوبُنا مطمئنة إلى أن أصحاب القرآن قد قصدوا بالفعل "جَسَدًا (= شَيْطَانًا)" (ص 34) وأن مصدر القرآن (ص 34) هو التراث اليهودي-المسيحي سواء التراث المقدس أو التراث غير المقدس (الإسرائيليات).

السؤال الآن هو: ما هي جذور هذه الأسطورة القرآنية (ص 34) في التراث اليهودي-المسيحي؟ ...

يقول الكتاب المقدس إن الشيطان يستطيع أن يظهر بشكل مَلاَكِ نُورٍ: "وَلاَ عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ!" (2 كورنثوس 14:11). فمن المحتمل جداً أن أصحاب القرآن قد صدَّقوا أن شيطاناً ظهر بشكل سليمان. لكن يجب أن نوضح أن هذه الفكرة ليست جوهرية ولا ضرورية. وذلك لأنه حتى لو لم يظهر هذا الشيطان بشكل سليمان، فإنه يستطيع أن يسحر أَعْيُنَ النَّاسِ ويجعلهم يرونه كأنه سليمان؛ كما

سحر سحرةُ فرعون أَعْيُنَ النَّاسِ وجعلوهم يرون حبالهم وعصيهم كأنها حيات تتحرك، فخُيِّل إلى الأبصار أن ما فعلوه حقيقة، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال: "فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ" (الشعراء 44) "فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ" (الأعراف 116) "فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا [صارت ثعابين] تَسْعَىٰ (أي: تتحرك وتسير!)" (طه 66).

ولذلك فإننا نريد أن نركز على الأفكار الجوهرية في هذه الأسطورة القرآنية، ومن أهمها استيلاء هذا الشيطان على عرش سليمان لفترة محدودة ثم استعادة سليمان لمُلْكِه المغتصب ...

قال المفكر السوري الكبير فراس السواح تعليقاً على "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ. [...]" (ص 34-38): "لا يعطينا النص أي مفتاح لفهم هذه القصة الشديدة الاختزال. ولكننا نجد في الأدبيات اليهودية خارج التوراة ما يلقي الضوء عليها. فقد ورد في إحدى الملاحم اليهودية أن العفريت المدعو أسموديوس تحدى الملك سليمان لأن ينزع خاتم القوة من إصبعه، ولمَّا فعل ذلك ضرب أسموديوس بجناحه سليمانَ فرماه إلى مسافة أربعمئة فرسخاً في الفلاة، ثم اتخذ شبهه وجلس على عرشه [وتقول هذه الرواية إن العفريت أسموديوس رمى خاتمَ سليمان في البحر]. أما سليمان فقد راح يهيم على وجهه شريداً يستجدي طعامه. وكلما كان يقول للناس بأنه الملك كان يلقى الهزء والسخرية منهم، واعتبر مجنوناً وفاقداً للرشد. أخيراً وصل إلى شاطئ البحر واستجدى من أحد الصيادين سمكة، وعندما شقها وجد خاتمه في بطنها فوضعه في إصبعه وعادت إليه قوته. فعاد إلى عاصمته واسترد ملكه"[8161].

إنها بالفعل أسطورة يهودية شهيرة ولها روايات متعددة ومختلفة – وهذا هو سبب وجود روايات متعددة ومختلفة في كتب تفسير القرآن أيضاً – لكن الروايات اليهودية تتفق في أن شيطاناً أو عفريتاً جلس على عرش سليمان لفترة معينة، مما يعني أن سليمان حُرِمَ من عرشه طوال تلك الفترة (قيل في التراث اليهودي: 3 سنوات[8162]). وهذه الأسطورة اليهودية مذكورة في التلمود البابلي (b. Gittin 68a). علماً بأن العفريت أو الشيطان "أسموديوس" (Asmodeus) يُسمَّى "أشميداي" (Ashmedai) في التلمود البابلي. يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على هذه الأسطورة التلمودية (b. Gittin 68a) وعلاقتها بالقرآن "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ. [...]" (ص 34-35)[8163]:

> [ص 34-35] Behind this passage is a midrashic tale found in the Babylonian Talmud according to which the demon Ashmedai, who had been subdued by Solomon, tricks Solomon into removing his chains and handing over his ring. Ashmedai swallows Solomon, casts him far away, takes on Solomon's likeness, and takes his place on the throne (eventually Ashmedai is recognized because of the stockings he wore to cover his

roosterlike feet). Solomon returns to Jerusalem in the guise of a beggar, which may explain the humility ascribed to him in these two Qurʾānic verses:

[…] (b. Gittin 68a)

إذن: القرآن هنا (ص 34) يردد أسطورةً يهوديةً تلمودية – أو بعبارة أكثر دقة: يطوِّرها تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development)، مما يؤكد أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله.

ويبقى سؤال: هل هذه الأسطورة اليهودية التلمودية لها جذور في الكتاب المقدس؟

كما نقول دائماً: الأساطير لا تنشأ من فراغ. وإنما كل أسطورة تعتمد على أساطير أو نصوص أقدم منها وتطوِّرها تطوراً بشرياً طبيعياً (natural human development) بالحذف و/أو الإضافة لتخلق أسطورةً جديدة. هذا ما فعله أصحابُ القرآن. وهذا أيضاً ما فعله أصحابُ التلمود البابلي من قبلهم. فكما رأينا فيما سبق، توجد أساطير يهودية كثيرة تربط بين سليمان والشياطين، فليس غريباً أن يؤلف اليهودُ أسطورةً تقول إن شيطاناً انتزع المُلْكَ من سليمان ولو لفترة قصيرة، لا سيما أن الكتاب المقدس يقول إن المُلْك المتحد أُنْتُزِع من سليمان (أو بالأحرى: من ابنه رَحُبْعَام Rehoboam) عقاباً له من الله على سقوطه في خطيئة الوثنية والشرك: "فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِيَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ. إِلاَّ إِنِّي لاَ أَفْعَلُ ذلِكَ فِي أَيَّامِكَ، مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أُمَزِّقُهَا. عَلَى أَنِّي لاَ أُمَزِّقُ مِنْكَ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا، بَلْ أُعْطِي سِبْطًا وَاحِدًا لابْنِكَ، لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي، وَلأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا»" (1 ملوك 11:11-13).

ويجب هنا أن نقول إن الآية التي تلي الفقرة الكتابية السابقة مباشرة تقول: "وَأَقَامَ الرَّبُّ خَصْمًا (adversary) لِسُلَيْمَانَ: هَدَدَ الأَدُومِيَّ" (1 ملوك 14:11). فبعد أن غضب اللهُ على سليمان بسبب خطاياه (1 ملوك 11:11-13)، سمح اللهُ فوراً بظهور خصم لسليمان يقاومه (1 ملوك 14:11). وما يهمنا هنا أن الكلمة العبرية المترجمة إلى "خَصْمًا" (adversary) (1 ملوك 14:11) هي في الواقع كلمة "شاطان" (shāṭān). فكما قلنا كثيراً فيما سبق، كلمة "شيطان" هي أصلاً كلمة عِبرية تعني "خَصْم" أو "عَدُوّ" أو "مُعارض" أو "مُقاوِم"، وتُستخدَم أحياناً في العهد القديم العبري بمعناها اللغوي هذا وليس بمعنى الشيطان إبليس عَدُوّ الله ولا حتى بمعنى ملاك ساقط. فربما وجود كلمة "شيطان" (1 ملوك 14:11) بعد الحكم الإلهي بانتزاع المُلْك من سليمان (أو بالأحرى: من ابنه رَحُبْعَام) (1 ملوك 11:11-13) هو الذي جعل اليهود أصحاب التلمود البابلي (ثم العرب أصحاب القرآن) يؤلِّفوا أسطورةً تقول إن شيطاناً (أي: ملاك ساقط) انتزع

المُلْكَ من سليمان ولو لفترة قصيرة. لا سيما أن نفس الكلمة العبرية تكررت مرتين بعد ذلك في نفس السياق: "وَأَقَامَ اللهُ لَهُ (أي: لسليمان) خَصْمًا (shāṭān) آخَرَ: رَزُونَ بْنَ أَلِيدَاعَ [...] وَكَانَ خَصْمًا (shāṭān) لإِسْرَائِيلَ [من الشمال] كُلَّ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ، مَعَ شَرِّ هَدَدَ [من الجنوب]" (1 ملوك 11:23-25). إذن: هذا الاصحاح (1 ملوك 11) يريد أن يقول إنَّ تلهي سليمان بنسائه الأجنبيات وعباداتهن الوثنية وبجمع المال والذهب والخيل الكثيرة هي التي أعطت فرصة لهذين العدوين أن يسببا له المضايقات من خارج إسرائيل. ثم بعد ذلك مباشرة يتحدث هذا الاصحاح المهم عن خصم ثالث ظهر لسليمان، لكن من داخل إسرائيل؛ إنه يَرُبْعَام (Jeroboam) الذي سوف ينتزع المُلْكَ بالفعل من رَحُبْعَام بن سليمان: "وَيَرُبْعَامُ بْنُ نَابَاطَ، [...]، عَبْدٌ لِسُلَيْمَانَ. [...]، رَفَعَ يَدَهُ عَلَى الْمَلِكِ (أي: تَمَرَّدَ عَلَى سيده الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ)" (1 ملوك 11:26)[8164] وأرسل الرَّبُّ له نبياً ليقول له: "وَآخُذُ الْمَمْلَكَةَ مِنْ يَدِ ابْنِهِ (أي: مِنْ يَدِ رَحُبْعَام بن سليمان) وَأُعْطِيكَ إِيَّاهَا [يا يَرُبْعَام]، أَيِ الأَسْبَاطَ الْعَشَرَةَ. وَأُعْطِي ابْنَهُ سِبْطًا وَاحِدًا (في السبعينية: سبطين)، لِيَكُونَ سِرَاجٌ لِدَاوُدَ عَبْدِي كُلَّ الأَيَّامِ أَمَامِي فِي أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتُهَا لِنَفْسِي لأَضَعَ اسْمِي فِيهَا" (1 ملوك 11:35-36)[8165] **[⟵ ولذلك قال أصحابُ القرآن بعد "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ" (ص 34): "قَالَ [سُلَيْمَانُ] رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي (after me)" (ص 35). فهذا ما حدث فعلاً، إذ لم ينعم مَلِكٌ بعد وفاة المَلِك سليمان بمملكةٍ متحدة مثله، فلقد انقسمت مملكة سليمان بين عبده يَرُبْعَام الذي استولى على عَشَرَةِ أَسْبَاطٍ هي مملكة إسرائيل في الشمال وابنه رَحُبْعَام الذي لم يسيطر إلا على سبطين فقط (يهوذا وبنيامين) هُمَا مملكة يهوذا في الجنوب. ويوجد رأي آخر يفسِّر "مِّن بَعْدِي" (ص 35) بمعنى "غيري" (other than me)[8166]؛ وهذا يعني أن سليمان طلب من الله ألا يسلب أحدٌ منه مُلْكَه في حياته كما فعل ذلك الجسد/الشيطان الذي قد جلس على كرسيه (ص 34)[8167]. قال ابنُ الجوزي: "وإنما طلب [سليمانُ] هذا المُلك، ليعلم أنه قد غُفِرَ له، ويعرف منزلته بإجابة دعوته، قاله الضحاك"[8168]. ونحن لا نرى تعارضاً بين الرأيين، فلقد تحقق الطلبان بالفعل. وطبعاً غفر اللهُ لسليمان كُلَّ خطاياه بكل سهولة كالعادة! "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ (أي: وجعلناه من الْمُقَرَّبِينَ عندنا والمكرَّمين) وَحُسْنَ مَآبٍ (أي: وأعددنا له حُسْنَ المصير في الآخرة وهو الجنة)" (ص 40)].**

وفي جميع الأحوال، إذا كان سليمان هو أوَّل مَن بنى بيتاً كبيراً لله، فإنه آخر مَن حكم مملكة متحدة كبيرة لبني إسرائيل.

وحسناً فعلت موسوعةُ الإسلام (Encyclopædia of Islam) حين لخَّصت خطايا سليمان وعقابه وتوبته والعفو عنه كما يلي[8169]:

> [...] On a certain occasion [Solomon] failed in the observance of his religious duties, and that was when his admiration for his stud of horses led him to forget his prayers. In atonement he sacrificed them, cutting their

legs and necks ([ص 31-33]). For a time [Solomon] seems to have lapsed into idolatry. As a punishment he lost his kingdom, his throne being occupied by some one in his own likeness. When he had asked forgiveness, he was restored to his place, and promised divine favour in Paradise [ص 34، 35، 40].

من كل ما سبق يتضح أن السبيل الوحيد لفهم كيف خرج القرآنُ العربي إلى الوجود هو دراسة مصادره الأصلية في التراث اليهودي-المسيحي الشرقي سواء التراث المقدس أو التراث غير المقدس الذي يُسمِّيه المسلمون "إسرائيليات". أما نحن فنُسمِّيه "مصادر القرآن". فعلى كل مَن يدرس القرآنَ أن يدرس مصادره الأصلية في التراث اليهودي-المسيحي الشرقي. لا يوجد سبيل آخر.

وكما نقول دائماً بكل يقين وطمأنينة وراحة ضمير: القرآن هو المصدر الرئيسي للإسرائيليات في الإسلام.

4.52 هل الأنبياء معصومون؟ يونس هَربَ مِن الله، فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ!

نبدأ الآن حديثنا عن "يونس بن متى"[8170] النبى الذى خصص له أصحاب القرآن سورة مكية تحمل اسمه. والعجيب أن سورة يونس لم تذكر اسمه إلا فى آية واحدة فقط! لكن توجد ثلاث روايات مكية أخرى لقصة يونس. هذه الروايات الأربع حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن[8171]:

الرواية الأولى: "فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ. لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" (القلم 48-50)[8172].

الرواية الثانية: "فَلَوْلَا كَانَتْ (أى: لم يوجد، ليس هناك، لم يحدث أن) قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ" (يونس 98)[8173]. يوجد شبه إجماع بين المراجع الإسلامية على أن قوم يونس كانوا فى نِينَوَى (Nineveh). ومِن المعلوم أن نِينَوَى تقع فى أرض الموصل على الضفة الشرقية لنهر دجلة فى شمال العراق.

الرواية الثالثة: "وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أَبَقَ (أى: هَرَبَ) إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ. فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ. وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ. وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ" (الصافات 139-148).

الرواية الرابعة: "وَذَا النُّونِ (أى: صاحب الحوت) إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ (أى: خَلّصناه) مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي (أى: نُخلِّص) الْمُؤْمِنِينَ" (الأنبياء 87-88).

ولا ندرى ما الحكمة مِن تناثر أحداث قصة يونس فى أربع روايات قصيرة؟! ألم يكن مِن الأفضل أن تُذكر القصة بكاملها مرة واحدة فقط، فى سورة يونس مثلاً؟ لا سيما أنه يمكن دمج هذه الروايات الأربع فى رواية واحدة كما سنوضح لاحقاً.

4.52.1 حيرة المفسرين بين غموض القرآن وتعدد الروايات القرآنية

نحن نعلم جيداً أن اجتهادات المفسرين مجرد كلام بشر 100% قد يصيب وقد يخطىء. لكننا نؤكد دائماً أن المشكلة ليست في المفسرين، وإنما في أصحاب القرآن أنفسهم، لأن القرآن أيضاً مجرد كلام بشر 100%. وإنما حيرة المفسرين وتخبطهم مجرد نتيجة حتمية وطبيعية للمشكلات التى تسبب فيها القرآن سواء عن طريق تعدد الروايات أو عن طريق غموض الآيات. وكما قلنا فى الفصل الأول مِن هذا الباب: تعدد الروايات سببه هو أن القرآن عمل جماعى اشترك فيه أكثر مِن شخص؛ فكل شخص يروى جزءاً مِن القصة

أو أكثر حسب ما يراه مناسباً. وغموض الآيات سببه هو أن معاصرى القرآن كانوا يعرفون هذه القصص جيداً، ولذلك لم يجد أصحاب القرآن أى داعى لذِكر كل الأحداث بالتفصيل، واكتفوا فقط بتسليط الضوء على أحداث معينة وتوضيح الدروس المستفادة منها سواء لمحمد وأتباعه أو للذين يخالفونهم (هنا: كفار مكة).

وفي قصة يونس القرآنية، المشكلة هى تعدد الروايات وأيضاً غموض الآيات، إذ لم يذكر القرآنُ تفاصيل هامة مثل: أين حدثت هذه القصة؟ ومتى حدثت؟ ولماذا هرب يونس؟ ولماذا ذَهَبَ مُغَاضِبًا؟ وهل غاضب اللهَ أم غاضب قومَه؟ وما هو ترتيب الأحداث؟ هل هرب يونس إلى "الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ" (الصافات 140) قبل "المغاضبة" (الأنبياء 87) أم بعدها؟ وهل إرسال يونس إلى قومه حدث قبل الحوت أو بعده؟ للأسف، لم يحدد القرآن هذه التفاصيل الهامة، مما أدى إلى حيرة المفسرين واختلافهم وتخبطهم[8174].

العجيب أنه حتى عندما تحدث أصحاب القرآن عن عدد القوم الذين أُرسِل إليهم يونس، قالوا "مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ" (الصافات 147)، ولم يحددوا العدد بالضبط! ولعلهم أضافوا "أَوْ يَزِيدُونَ" للمحافظة على الحرف قبل الأخير (penultimate) (ياء أو واو) فى فواصل آيات سورة الصافات. وهذا يجعلنا نتساءل: هل فواصل الآيات أكثر أهمية مِن تفاصيل القصة؟!

4.52.1.1 خطايا يونس تثبت أن "عصمة الأنبياء" مجرد أسطورة

المشكلة الكبرى التى واجهت المفسرين هى الخطايا التى ارتكبها يونس. مِن المؤكد أن يونس قد أخطأ، بدليل أنه هو نفسه اعترف بذنبه قائلاً: "إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنبياء 87)، ووصفه القرآنُ بكلمة "مُلِيمٌ" (الصافات 142)، أى "مستحق للملامة"[8175]، وهى نفس الكلمة التى وُصِف بها فرعون: "فَأَخَذْنَاهُ (أى: أخَذنَا فرعونَ) وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ" (الذاريات 40). ولذلك عاقب اللهُ يونسَ بإلقائه فى البحر والتقام الحوت له. وطبعاً خطايا النبى يونس تتعارض مع أسطورة "عصمة الأنبياء" (prophetic infallibility) التى يؤمن بها المسلمون وحدهم[8176].

كالعادة، لجأ المفسرون المسلمون إلى حيل عجيبة لحل هذه المشكلة. على سبيل المثال:

- قالت موسوعة بيان الإسلام إن يونس "لم يصدر عنه ذنب أو معصية"، وإنما "اجتهد فأخطأ فى الاجتهاد"، فكانت الملامة والعقوبة بإلقائه فى البحر والتقام الحوت له بسبب "ترك الأَوْلَى" إذ الأَوْلَى أن يبقى مع قومه ويصبر على تكذيبهم له وينتظر الإذن مِن الله فى المهاجرة عنهم؛ فالله "يؤاخذ أنبياءه ورسله بما لا يؤاخذ به غيرهم"[8177]! وقيل بنفس المعنى: "الأنبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم" و "حسنات الأبرار سيئات المقربين" و "قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس" ... إلى آخر هذه التبريرات الإسلامية المحفوظة!

- أما الشيخ عبد الوهاب النجار – الذى فَهَمَ قصة يونس بطريقة تختلف تماماً عن معظم المفسرين المسلمين – فلجأ إلى حيلة أخرى. قال إن الله أمر يونس أن يذهب إلى أهل نينوى لهدايتهم وإنذارهم، لكن يونس فَسَّر هذا الأمر على أنه "أمر إرشاد" (مثل الأمر بكتابة الدين (البقرة 282))، فلم ينفذ الأمر وهرب إلى الفلك المشحون؛ ومخالفة أمر الإرشاد ليست ذنباً ولا إثماً[8178]!

تعليقنا: كان مِن الممكن أن نقتنع بهذه التبريرات لو كان يونس أخطأ فى أمر ليس له علاقة بالنبوة أو الرسالة. لكن المشكلة هى أنه أخطأ فى أمر يتعلق بمهمته الأساسية كنبى ورسول، بل هو فى صُلْب مهمته: "فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (النحل 35) "وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (العنكبوت 18) (المائدة 92) (النحل 82) (النور 54) (يس 17) (التغابن 12)؛ البلاغ المبين وليس الهروب المبين! والأمر بتبليغ الرسالة أمر حقيقى واجب النفاذ، وليس أمر إرشاد.

المضحك هو أن موسوعة بيان الإسلام زعمت أن يونس "قد اجتهد فأخطأ فى الاجتهاد، ومَن اجتهد فأصاب فله أجران، ومَن اجتهد فأخطأ فله أجر"! ونسوا أن يقولوا لنا ما هو هذا الأجر الذى أعطاه الله ليونس؟! لم يذكر القرآنُ هذا الأجر المزعوم. بالعكس، يقول القرآن إن يونس التقمه الحوتُ. وَلَوْلَا أَنَّ يونس كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِ الحوت إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (الصافات 143-144)، أى لمات وقُبِرَ فى بطن الحوتِ! يعنى: حُكم بالإعدام. هل هذا هو أجر المجتهد الذى أخطأ؟!

لو كان ما فعله يونس مجرد خطأ فى الاجتهاد، لقال القرآنُ ذلك صراحةً، ولا داعى لهذه الحيل والتبريرات الواهية. لكن القرآن لم يقل ذلك. إذن: ما فعله يونس ليس مجرد خطأ، وإنما معصية وذنب وخطيئة ارتكبها يونس. وسنكتفى بأكثر من 10 أدلة إسلامية على "معاصى" و "ذنوب" و "خطايا" الأنبياء والرسل بصفة عامة ويونس بصفة خاصة:

- قال الطبرى فى تفسيره لـ (الأنبياء 87): "وَقَوْله: "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ". يَقُول: نَادَى يُونُس بِهَذَا الْقَوْل مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ تَائِبًا مِنْ خَطِيئَته: "إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" فِي مَعْصِيَتِي إِيَّاكَ". وقال فى تفسيره للآية التى تليها "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ" (الأنبياء 88): "يَقُول تَعَالَى ذِكْره: فَاسْتَجَبْنَا لِيُونُس دُعَاءَهُ إِيَّانَا، إِذْ دَعَانَا فِي بَطْن الْحُوت، وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمّ الَّذِي كَانَ فِيهِ بِحَبْسِنَاه فِي بَطْن الْحُوت، وَغَمّه بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبه"[8179].
- وقال الواحدى النيسابورى: "وقوله "أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" قال الحسن وقتادة: هذا القول من يونس اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته تاب إلى ربه فى بطن الحوت وراجع نفسه"[8180].
- وقال القرطبى إن "مَعَاصِي الْأَنْبِيَاء مَغْفُورَة، وَلَكِنْ قَدْ يَجْرِي تَمْحِيصٌ (أى: اختبار وتطهير)، وَيَتَضَمَّن ذَلِكَ زَجْرًا عَنْ الْمُعَاوَدَة"[8181].

- وقال الْمَاوَرْدِيّ إن خروج يونس بغير إذن هو "معصيته". وَذَكَرَ أَنَّهُ يَحْتَمِل أَنْ يُعَبَّر بِالظُّلُمَاتِ (الأنبياء 87) عَنْ "ظُلْمَة الْخَطِيئَة، وظُلْمَة الشِّدَّة، وَظُلْمَة الْوَحْدَة". وقال إن "وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ" (الأنبياء 88) يحتمل وجهين: أحدهما: مِن الغم بخطيئته[8182].
- وقال الضحاك: "فكان ذنبه (أى: ذنب يونس) خروجه من بينهم من غير إذن من الله"[8183].
- وقال مقاتل بن سليمان فى تفسيره لـ (الصافات 143): "فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ" قبل أن يلتقمه الحوت "مِنَ الْمُسَبِّحِينَ" يعنى من المصلين قبل المعصية"[8184].
- وقال د. محمد سليمان عبد الله الأشقر إن قول يونس "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" "توحيد لرب العالمين، واعتراف بذنبه، وتوبة من خطيئته"[8185].
- وقال الشيخ عبد الرحمن السعدى فى تفسيره لـ "إِذْ أَبَقَ" (الصافات 140): "أى: من ربه مغاضباً له، ظاناً أنه لا يقدر عليه، ويحبسه فى بطن الحوت، ولم يذكر الله ما غاضب عليه، ولا ذنبه الذى ارتكبه، لعدم فائدتنا بذكره، وإنما فائدتنا بما ذُكِّرنا عنه أنه أذنب، وعاقبه الله مع كونه مِن الرسل الكرام، وأنه نجاه بعد ذلك، وأزال عنه الملام، وقيّض له ما هو سبب صلاحه"[8186].
- وقال الأساتذة محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون إن يونس "أدرك خطيئته، وما كان مِن تركه لقومه قبل أن يُؤْذَن له فى الهجرة، أو يستخير اللهَ فى الرحيل"[8187].
- وقال الشيخ العثيمين: "ومن فوائد الآيات (الصافات 139-148): أن مقام النبوة لا يمنع من فعل بعض ما لا يكون محبوباً إلى الله، أى أن الرسول قد يفعل بعض المعاصى" باستثناء "كل ما يخدش الرسالة وينافى الرسالة مثل: الكذب والخيانة والشرك" و "كل ما يخل بالشرف، كالسرقة". إذن: الرسل قد يفعلون بعض المعاصى، لكنهم "معصومون من الاستمرار فى المعصية، ولا يمكن أن يقروا عليها، بل لا بد أن ينبهوا عليها ويحصل منهم التوبة". "وأما القول بأنه لا ذنوب لهم مطلقاً، فهذا قول يخالف الكتاب والسنة"، فالقرآن يقول لمحمد: "وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" (محمد 19) و "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا" (الفتح 1-2). وكان محمد يقول: "اللهم اغفر لى ذنبى كُلَّه، دِقَّه وجِلَّه (أى: صغيره وكبيره)، علانيته وسره، وأوله وآخره"[8188] و "اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت"[8189]. وختم الشيخ العثيمين كلامه قائلاً: "وكل هذا صريح فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد يقع منه الذنب، ولكن الشأن كل الشأن أنه لا يقر عليه"[8190]. اقرأ أيضاً: "فَاصْبِرْ [يا محمد] إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" (غافر 55).
- قال محمد فى أحاديث صحيحة: "لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ مِن يونس بن متى"[8191] و "مَن قال: أنا خيرٌ مِن يونس بن متى، فقد كذب"[8192] و "لا ينبغى لأحدٍ أن يقول: إنى خيرٌ مِن يونس بن متى – نَسَبَه إلى أبيه – أصاب ذنباً ثم اجتباه ربُّه"[8193]! إذن: على الرغم من كل خطايا يونس ومعاصيه وذنوبه، فإن محمد ليس خيراً منه.

- موسى – أكثر نبى مذكور فى القرآن وأحد أولى العزم من الرسل – قتل مصرياً وكاد أن يقتل مصرياً آخر واعترف بذنبه تجاه الشعب المصرى قائلاً: "لَهُمْ (أى: للمصريين) عَلَيَّ ذَنْبٌ" (الشعراء 14)، وطلب مِن الربِّ أن يغفر له: "رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي" (القصص 16). فسامحه الربُّ بالنعمة (by Grace): "فَغَفَرَ (الربُّ) لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ" (القصص 16-17). بالضبط كما اعترف يونس بذنبه قائلاً: "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنبياء 87). فسامحه الله أيضاً بالنعمة (by Grace): "لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ" (القلم 49).
- إبراهيم أبو الأنبياء وأحد أولى العزم من الرسل وثانى أكثر نبى مذكور فى القرآن قال: "وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ. وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (أي: يوم القيامة، يوم الحساب والجزاء)" (الشعراء 81-82). يعني: خطيئة إبراهيم لم تُغفَر حتى اليوم، وما زال إبراهيم منتظراً - وسيظل منتظراً - إلى يوم القيامة وهو "يطمع" أن يَغْفِرَ اللهُ له خطيئته.
- "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى" (طه 121). آدم – أول نبى حسب العقيدة الإسلامية – وزوجته حواء ارتكبا خطيئة الأكل مِن الشجرة التى حرَّمها اللهُ عليهما. واعترفا بذنبهما وخطيئتهما[8194] وطلبا المغفرة والرحمة: "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (أي: مِن الهالكين)" (الأعراف 23)، وهي تقريباً نفس الجملة التي قالها بنو إسرائيل الذين ارتكبوا الخطيئة الكُبرى – بل ارتكبوا أبشع الكبائر – حين اتخذوا العِجلَ إلهاً يعبدونه مِن دون الله، كما جاء فى نفس السورة: "كَانُوا ظَالِمِينَ [لأنفسهم]. وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ (أى: ندموا على خطيئتهم) وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف 148-149). ثم قَالَ موسى بعدها: "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي (هارون) وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأعراف 151).
- ونوح أيضاً ارتكب ذنباً ثم "قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي [ذنبي[8195]] وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ" (هود 47).
- وكذلك فعل داودُ لمَّا أذنبَ "فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (أي: تابَ؛ رجعَ إلى الله)" (ص 24).
- وسليمان "أَنَابَ" (ص 34)، أى: رجع إلى ربه وتاب، ثم "قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي [ذنبي[8196]]" (ص 35).

مما سبق يتضح أن "عصمة الأنبياء" مجرد أسطورة إسلامية غير قرآنية، إذ لا أساس لها فى القرآن. ونلاحظ أن معظم المراجع السابقة مراجع تراثية. ويبدو أن المفسرين القدامى كانوا أكثر شجاعة من المفسرين المحدثين فى الاعتراف بخطايا الأنبياء ومعاصيهم وذنوبهم. وكانوا أيضاً أكثر عقلانية، لأنه مِن غير المعقول أن ننفى كل الخطايا والمعاصى والذنوب عن إنسان بشر مِن لحم ودم لمجرد أنه نبى! أو بالأحرى: لمجرد أنه قال إنه نبى.

4.52.1.2 تفسير "وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ" (الأنبياء 87)

احتار المفسرون أيضاً فى تفسير "وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ" (الأنبياء 87). مغاضباً مَن؟ ولماذا؟ وما معنى "نَقْدِرَ"؟ سنكتفى هنا بذِكر بعض الأمثلة مما جاء فى المراجع الإسلامية.

أولاً: تفسير "ذَهَبَ مُغَاضِبًا" (الأنبياء 87). لخَّص الرازى المشكلة بقوله: "احتج القائلون بجواز الذنب على الأنبياء عليهم السلام بهذه الآية [...] أن أكثر المفسرين على أنه ذهب يونس مغاضباً لربه"، والجواب من وجهة نظر الرازى هو "أنه ليس فى الآية مَن غاضبه. لكنا نقطع على أنه لا يجوز على نبى الله أن يغاضب ربَّه"[8197]. كالعادة لجأ المفسرون المسلمون إلى حيل لإدعاء أن يونس لم يغاضب رَبَّه.

أول حيلة لجأ إليها المفسرون هى أنهم قالوا إن يونس غَضِبَ عَلَى قَوْمه (أهل نينوى). وقيل إن السبب هو أنهم خالفوه وأصروا على الكفر. وَزَعَمَ الشيخ الشعراوى أن "المغاضبة" على وزن "المُفاعَلة" التى تدل على أن طرفاً آخر يشاركه الغضب، أى أنها مِن جهتين، أى أن قومه أغضبوه فغضب[8198].

ونحن لا نقتنع بهذه الحيلة لسببين على الأقل. السبب الأول: لا نرى دليلاً قاطعاً يثبت أن القراءة الصحيحة هى "مُغَاضِباً"، فلقد قال ابن الجوزى إنها قرئت أيضاً "مُغْضَباً" بإسكان الغين وفتح الضاد من غير ألف، وقال أيضاً إن المُفاعَلة "ربما تكون من واحد، كقولك: سافرت، وشارفت الأمر، وهى هاهنا من هذا الباب"[8199]. وقال البغوى: "والمغاضبة ههنا من المفاعلة التى تكون مِن واحد، كالمسافرة والمعاقبة، فمعنى قوله مغاضباً أى غضبان"[8200]. ومِن المعلوم أن الفعل قد يأتي في القرآن على وزن المفاعلة للمبالغة، مثل: "وَقَاسَمَهُمَا (أي: حَلفَ الشيطانُ لآدم وحواء بأيمانٍ مغلظة) إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" (الأعراف 21). السبب الثانى: لم يقل القرآن إن أهل نينوى صَدُّوا يونس أو أعرضوا عنه أو عاندوه أو آذوه أو أصروا على الكفر! بالعكس، قال القرآنُ صراحةً مرتين إن قوم يونس "آمَنُوا" (يونس 98) (الصافات 148). بل يُفهَم مِن القرآن أن الأمة الوحيدة التى آمنت **<u>بأكملها</u>** هى قوم يونس[8201].

إذن: هذه الحيلة مرفوضة جملة وتفصيلاً.

أما الرأى الذى نؤيده فَهُو رأى الطبرى، وهو أن يونس ذَهَبَ "مُغَاضِبًا لِرَبِّهِ"، أى: مُغَاضِباً ربَّه. يقول الطبرى إن الذين قالوا إن يونس ذَهَبَ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ، "إِنَّمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ اِسْتِنْكَارًا مِنْهُمْ أَنْ يُغَاضِب نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاء رَبَّه، وَاسْتِعْظَامًا لَهُ. وَهُمْ بِقِيلِهِمْ إِنَّهُ ذَهَبَ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ قَدْ دَخَلُوا فِي أَمْر أَعْظَم مَا أَنْكَرُوا"[8202]. وقيل إن سبب ذهاب يونس مُغَاضِباً رَبَّه هو أنه وعد قومَه العذابَ ثم كَشَفَه اللهُ عَنْهُمْ (يونس 98)، فَكَرِهَ يونسُ أن يكون كذاباً فى نظرهم، إذ أنذرهم العذابَ ولم يحدث.

الخلاصة: يوجد رأيان رئيسيان فى تفسير "ذَهَبَ مُغَاضِبًا" (الأنبياء 87). الرأى الأول يقول إن يونس ذهب مغاضباً لقومه. الرأى الثانى يقول إن يونس ذهب مغاضباً لربه.

حاول بعض المفسرين أن يُوفِّقوا بين هذين الرأيين، فلجأوا إلى حيلة لغوية تقول إن "مُغَاضِبًا لِرَبِّهِ" تعنى "مُغَاضِبًا مِن أجل رَبِّهِ"، وأرادوا بذلك أن يونس لم يغضب على الله، وإنما غضب لله أو مِن أجل دين الله، أى "غَضِبَ عَلَى قَوْمه مِنْ أَجْل كُفْرهمْ بِرَبِّهِ"[8203].

إلا أن هذه الحيلة أيضاً لن تنفع، لأنه جاء فى لسان العرب ما يلى: ""وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا" قيل: مغاضباً لربه، وقيل: مغاضباً لقومه. قال ابن سيده: والأَوَّل أَصَحُّ لأن العقوبة لم تَحِلَّ به إلا لمغاضبته رَبَّه"[8204]. إذن: "مُغَاضِبًا لِرَبِّهِ" تعنى "مُغَاضِباً ربَّه" كما قلنا.

لجأ الشيخ عبد الوهاب النجار إلى حيلة أخرى، فقال إن يونس "لم يكن مغاضباً لله حقيقة ولكنه ذهب بهيئة المغاضب"، واعترف بأن غرضه مِن هذه الحيلة هو "صرف لفظ مغاضباً عن معناه لأن مغاضبة الله لا يليق صدورها من نبى"[8205]. وهذه الحيلة التى يلجأ إليها المفسرون المسلمون أحياناً هى حيلة "التمثيل"، بمعنى: كانت حال يونس ممثلة بحال مَن ذهب مُغَاضِباً لله، لكنه فى الحقيقة غير مغاضب!

أما مقاتل بن سليمان فقال: "إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا" "يعنى مراغماً لقومه، لحزقيل بن أجار ومَن معه مِن بنى إسرائيل ففارقهم مِن غير أن يؤمنوا"[8206]. ولعل مقاتل يقصد الملك "حَزَقِيَّا بْنُ آحَازَ" (Hezekiah son of Ahaz) (2 ملوك 1:18). وتقول أسطورة إسلامية إن النبى إشعياء (Isaiah) وَالْمَلِك حزقيا أرادوا أَنْ يَبْعَثُوا يُونُس إِلَى مَلِك نِينَوَى - الذى كَانَ قد غَزَا بَنِي إِسْرَائِيل وَسَبَى الْكَثِير مِنْهُمْ - لِيُكَلِّمهُ حَتَّى يُرْسِل مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيل. فَقَالَ يُونُس لإشعياء: هَلْ أَمَرَك اللَّه بِإِخْرَاجِي؟ قَالَ إشعياء: لَا. قَالَ يونس: فَهَلْ سَمَّانِي لَك؟ قَالَ إشعياء: لَا. قَالَ يونس: فَهَاهُنَا أَنْبِيَاء أُمَنَاء أَقْوِيَاء غيرى. فَأَلَحُّوا عَلَيْهِ فَخَرَجَ مُغَاضِبًا لإشعياء والْمَلِك وَقَوْمه (بنى إسرائيل، وليس أهل نينوى)[8207].

تعليقنا: لاحظ أن هذه الأسطورة الإسلامية جعلت إشعياء – وليس الله – هو الذى اصطفى يونس؛ وجعلت مهمة يونس هى تحرير أسرى بنى إسرائيل وليس تبليغ رسالة الله إلى أهل نينوى (أى: جعلتها مهمة قومية/وطنية وليس مهمة دينية)؛ ووضعت مغاضبة يونس قَبل الرسالة وليس بعدها؛ وجعلت هذه المغاضبة لإشعياء والْمَلِك وَقَوْمه وليس لله. وبذلك قللت هذه الأسطورةُ مِن أهمية هذه المغاضبة وبرأت يونس مِن كل خطيئة! إنها حقاً حيلة فى منتهى الذكاء.

وكما قلنا: نحن نؤيد رأى الطبرى: يونس غَاضَبَ اللهَ (angry with God). ونؤكد على أن المشكلة ليست فى المفسرين، وإنما فى أصحاب القرآن أنفسهم الذين لم يحددوا بالضبط مَن غَاضَب يونسُ؟ ولماذا؟ ومتى؟ قبل الرسالة أم بعدها؟

ثانياً: احتار المفسرون فى قراءة وتفسير كلمة مِن أربعة حروف، هى "نَقْدِرَ" (الأنبياء 87)! والسؤال الذى حيَّر المفسرين هو: كيف يظن يونس – وهو نبى – أن الله لن يَقْدِر عليه؟ ومِن الطريف أن الشيخ الشعراوى قال: ""فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ" لا بد أن نرى لها تصريفاً، لأنه لا يظن أن الله تعالى عاجز عن أن يقدر عليه"[8208]. إذن: إنهم يعترفون بأنه لا بد أن يجدوا "تصريفاً" – أو ما نُسمّيه نحن "حيلةً" – لقراءة وتفسير القرآن كما يريدون.

يقول الرأى السائد إن "فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ" تعنى "فَظَنَّ أَنْ لَنْ نُضيّق عَلَيْهِ" أو "فَظَنَّ أَنْ لَنْ نعاقبه بالتضييق عَلَيْهِ". واستدلوا على ذلك بالقرآن نفسه: "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ" (الرعد 26)، "فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ" (الفجر 16)، "وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ" (الطلاق 7)، (الإسراء 30)، (القصص 82)، (العنكبوت 62)، (الروم 37)، (سبأ 36)، (سبأ 39)، (الزمر 52)، (الشورى 12). ونلاحظ أن كل هذه الآيات تتحدث عن موضوع آخر مختلف وهو "الرزق"! إنها إذن مجرد حيلة. واخترعوا رواية طريفة تقول إن رجلاً – لا نعرف اسمه – سأل ابن عباس: كيف يظن نبى الله يونس أن الله لن يقدر عليه؟ فقال ابن عباس: ليس هذا، ألم تقرأ "فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ" (الفجر 16)[8209].

يقول رأى آخر إن "نَقْدِر" مِن "القَدَر" (preordainment) الذى هو القضاء والحكم، وبذلك يكون المعنى "فَظَنَّ أَنْ لَنْ نقضى عَلَيْهِ بالعقوبة" أو "فَظَنَّ أَنْ لَنْ نعاقبه بالعقوبة التى قَدَّرناها". واستدلوا على ذلك أيضاً بالقرآن نفسه: "وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ" (القمر 12)، أى أمر قَدَّره الله أو قُضِيَ بِهِ فِي الْأَزَل. وقالوا إن العرب تقول "قَدَر" بمعنى "قَدَّر". واخترعوا رواية طريفة تقول إن معاوية بن أبى سفيان سأل ابن عباس: أو ظنَّ نبى الله ألا يقدر الله عليه؟. فقال ابن عباس لمعاوية: هذا مِن القَدَر لا مِن القُدْرَة[8210]. (ابن عباس أيضاً؟! يبدو أن كل مَن كان يريد أن يقول أي شيء كان يلصقه في ابن عباس[8211]!)

يقول رأى ثالث إن معنى "فَظَنَّ" هو الاستفهام وتقديره "أَفَظَنَّ أن لن نَقْدِر عليه؟". قال ابن الجوزى: "فعلى هذا الوجه يكون استفهاماً قد حُذفت ألفه؛ وهذا الوجه يدل على أنه من القُدْرَة، ولا يتصوّر إلا مع تقدير الاستفهام، ولا أعلم له وجهاً إلا أن يكون استفهام إنكار، تقديره: ما ظنَّ عجزنا، فأين يهرب منا؟!"[8212].

يقول رأى رابع إن "نَقْدِر" مِن "القُدْرَة" (power)، وبذلك يكون المعنى "فَظَنَّ أَنَّهُ يُعْجِز رَبَّه فَلَا يَقْدِر عَلَيْهِ"[8213]. ونحن نؤيد هذا الرأى، ونرى أن الآراء الثلاثة السابقة (التضييق؛ القضاء والقَدَر؛ الاستفهام) هى مجرد حيل لجأ إليها المفسرون لأنهم لو اعترفوا بأن المعنى الصحيح هو "القُدْرَة" (power)، سيضطروا إلى الاعتراف بأن يونس قد شك فى قُدْرَة الله عليه. وهذا فى نظرهم يُعتبَر كُفر. وفى نظرنا، ليس كُفراً، وإنما خطيئة مِن خطايا النبى يونس. ومِن الجدير بالذكر أن أشهر ترجمتين إنجليزيتين لمعاني القرآن – وهما "عبد الله يوسف علي" و Muhammad Pickthall – قد ترجما "لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ" (الأنبياء 87) إلى (We had no power over him)[8214]. ونستطيع أن نستدل بالقرآن نفسه على صحة هذا المعنى: "أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ" (البلد 5) و "إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ" (المائدة 34).

النتيجة: يونس غَاضَبَ اللهَ وشك فى قُدْرَة الله عليه. وبذلك تنهار أسطورة "عصمة الأنبياء" مرة أخرى.

4.52.1.3 ترتيب أحداث قصة يونس

واجه المفسرون المسلمون مشكلةً أخرى، وهى ترتيب أحداث قصة يونس، لا سيما فيما يتعلق برسالة يونس. هل كانت رسالة يونس إلى أهل نينوى قبل أن يلتقمه الحوت؟ أم بعدما نبذه الحوت؟

قيل: إِنَّمَا كَانَتْ رِسَالَة يُونُس قَبْل أَنْ يَلْتَقِمهُ الْحُوت. قال ابن الجوزى: "وهو قول الأكثرين، منهم الحسن، ومجاهد، وهو الأصح"[8215]. سؤال: لماذا هو الأصح؟!

وقيل: إِنَّمَا كَانَتْ رِسَالَة يُونُس بَعْدَمَا نَبَذَهُ الْحُوت. وهو مروى عن ابن عباس.

حاول ابن كثير أن يُوفِّق بين هذين الرأيين المتناقضين، فلجأ إلى حيلة ذكية. قال: "وَلَا مَانِع أَنْ يَكُون الَّذِينَ أُرْسِلَ (يونس) إِلَيْهِمْ أَوَّلًا، أُمِرَ بِالْعَوْدِ إِلَيْهِمْ بَعْد خُرُوجه مِنْ الْحُوت، فَصَدَّقُوهُ كُلّهمْ وَآمَنُوا بِهِ"[8216]، أى أن يونس أُرْسِلَ إلى قومه مرتين: مرة قبل أن يلتقمه الحوت، ومرة أخرى بعد أن نبذه الحوت!

"وقيل يجوز أن يكون إرساله إلى قوم آخرين (بعد خروجه مِن بطن الحوت) غير القوم الأولين (قبل دخوله فى بطن الحوت)"[8217]، أى أن يونس أُرْسِلَ إلى قومين مختلفين: قوم قبل أن يلتقمه الحوت، وقوم آخرين بعد أن نبذه الحوت!

وقيل إن جبريل أتى يونسَ وأمره أن يذهب إلى قومه لينذرهم أَنَّ الْعَذَاب قَدْ حَضَرَهُمْ. قَالَ يونس: أَلْتَمِسُ دَابَّة. قَالَ جبريل: الْأَمْر أَعْجَل مِنْ ذَلِكَ. قَالَ يونس: أَلْتَمِسُ حِذَاءً. قَالَ جبريل: الْأَمْر أَعْجَل مِنْ ذَلِكَ. فَغَضِبَ يونس وفرَّ هارباً إِلَى السَّفِينَة فَرَكِبَ. وبعد ذلك، الْتَقَمَهُ الْحُوتُ، فَانْطَلَقَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَان حَتَّى أَلْقَاهُ فى نينوى[8218]، أى أن يونس لم ينفذ الأمرَ الإلهى فى البداية متحججاً بذرائع واهية، فالتقمه الحوت وأخذه بالعافية إلى نينوى!

ونحن نرى أن مشكلة ترتيب أحداث قصة يونس لا تقل خطورة عن مشكلة خطايا يونس وذنوبه ومعاصيه. وسنوضح لاحقاً الترتيب الصحيح لأحداث قصة يونس.

4.52.1.4 المدة التى قضاها يونس فى بطن الحوت

اختلف المفسرون المسلمون فى أمور أخرى كثيرة، منها على سبيل المثال وليس الحصر: المدة التى قضاها يونس فى بطن الحوت. توجد أكثر مِن 10 أقوال!

قيل: لم يلبث يونس فى بطن الحوت إلا قليلاً ثم أخرج من بطنه بُعَيْد الوقت الذى التقمه فيه؛ وقيل: مكث يونس فى بطن الحوت ساعة واحدة؛ وقيل: أربع ساعات؛ وقيل: سبع ساعات؛ وقيل: التقمه ضحى ولفظه عشية أو قبل غروب الشمس؛ وقيل: ثلاثة أيام؛ وقيل: سبعة أيام؛ وقيل: أربعة عشر يوماً؛ وقيل: عشرين يوماً؛ وقيل: أربعين يوماً؛ وقيل: إن الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة؛ وقيل: إن الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الأرض السابعة[8219]!

ولا تسألهم: كيف استطاع يونس أن يبقى على قيد الحياة فى بطن الحوت بدون طعام ولا شراب؟! لأنك لو سألتهم هذا السؤال، سيقولون لك: "الله أعلم" أو قد يخترعون أسطورة تقول إن الملائكة كانت تطعمه وتسقيه! أو كما قال أحدهم: "لم يكن (يونس) يأكل أو يشرب أو يتحرك. كان صائماً طعامه هو التسبيح"[8220]! وقال آخر: "حفظ الله حياته بقدرته التى لا يقيدها قيد من مألوف البشر المحدود"[8221]!

مما سبق يتضح لنا إلى أى مدى احتار المفسرون بسبب تعدد الروايات وغموض الآيات. الأمر الذى يجعلنا نتساءل: هل يوجد حيرة وتيه وتخبط أكثر مِن ذلك؟ لكن كما نقول دائماً، المشكلة ليست فى المفسرين، وإنما المشكلة فى غموض القصة القرآنية برواياتها المتعددة التي لم تحدد كل تفاصيل القصة ولا ترتيب أحداثها! ولو أن هؤلاء المفسرين التائهين استعانوا بقصة يونس كما جاءت فى الكتاب المقدس، لعرفوا التفاصيل وعرفوا أيضاً ترتيب الأحداث. وهذا ما سنشرحه الآن. وسنبدأ أولاً بالعهد القديم: سفر يونان ...

4.52.2 جذور القرآن فى سفر يونان

مِن المؤكد أن قصة يونس كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام. والدليل القرآنى على ذلك هو أن الرواية الأولى فى سورة القلم – وهى مِن أوائل السور المكية[8222] – لم تذكر يونس باسمه، وإنما اكتفت بوصفِه "صاحب الحوت". وهذا يدل على أن معاصرى أصحاب القرآن كانوا يعلمون جيداً مَن هو صاحب الحوت. ونجد فى المراجع الإسلامية (مثل سيرة ابن هشام وتفسير ابن كثير) أن "أُمَيَّة بن أبي الصَّلت" قال قبل الإسلام بيتاً مِن الشعر فى قصة يونس واستخدم كلمة "حوت":

وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْك نَجَّيْت يُونُسَا وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَاف حُوتٍ لَيَالِيَا[8223]

"يونس بن متى" فى الإسلام والجاهلية هو "يُونَان بن أَمِتَّاى" (Jonah son of Amittai) فى المسيحية واليهودية. يونان (يونس) هو النبى الوحيد مِن الأنبياء الصغار الاثنى عشر (Twelve Minor Prophets)[8224] الذى ذكره القرآنُ صراحةً باسمه. وإنه لمِن العجيب أن يتجاهل القرآن كل الأنبياء الأربعة الكبار (Four Major Prophets)[8225] وأحد عشر نبياً مِن الأنبياء الصغار، ويركز على يونان فقط! وهذا يدل على اهتمام أصحاب القرآن بهذا النبى بالذات[8226].

سؤال: ما السبب الذى جعل أصحاب القرآن يهتمون بيونان (يونس) كل هذا الاهتمام المثير للدهشة؟

السبب هو أن يونان مُرسَل إلى نينوى حيث كانت الوثنية شائعة، وكان أهلها أمميين (gentiles)، أى ليسوا يهود. كذلك فإن محمد بدأ دعوته إلى الإسلام مِن مكة حيث كانت الوثنية أيضاً شائعة، وكان أهلها أميين، أى ليسوا أهل كتاب. نستطيع إذن أن نقول – حتى مِن قبل الدخول فى التفاصيل – إن أصحاب القرآن أرادوا أن يستلهموا أحداث قصة يونان ويُسقِطوها على الواقع الذى كان يعيشه محمد وأتباعه فى مكة. والدليل القرآنى على ذلك هو أن كل الآيات التى ذكرت قصة يونس آيات مكية[8227].

4.52.2.1 قصة يونان (يونس) فى العهد القديم

نجد قصة يونان فى العهد القديم فى سفر يحمل اسمه. وهو سفر قصير نسبياً (4 إصحاحات، أقل مِن 50 آية)، إلا أنه يعطى كثير من التفاصيل التى لم يحددها القرآن. على الأقل، ترتيب الأحداث واضح.

تبدأ القصة بأمر مِن الرب إلى يونان: "وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمِتَّايَ قَائِلاً: «قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي»" (يونان 1:1-2) **[← "وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (أى: مِن جملة رسل الله)" (الصافات 139)]**. لكنه لم يذهب إلى نينوى فى بداية القصة.

يونان النبى يهرب مِن الرب: "فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ (Tarshish) مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، فَنَزَلَ إِلَى يَافَا (Joppa) وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشَ، فَدَفَعَ أُجْرَتَهَا وَنَزَلَ فِيهَا، لِيَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ" (يونان 1:3) **[← "إِذْ أَبَقَ (يونس) إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (أى: فرَّ هارباً إلى السفينة المملوءة)" (الصافات 140)]**[8228]. وكلمة "أَبَقَ" تؤكد أن يونس هَرَبَ مِن الله[8229].

ملحوظة: تقع يافا فى إسرائيل. وتقع نينوى فى شمال العراق، أى شرق إسرائيل عن طريق البرّ. أما تَرْشِيش فإنها مدينة بعيدة جداً فى جنوب أسبانيا أو ربما فى شمال أفريقيا، أى غرب إسرائيل عن طريق البحر الأبيض المتوسط. إذن: هرب يونان مِن الله فى الاتجاه المعاكس تماماً. ويبدو أن يونان قد شك فى قُدْرَة الله على البحر وظَنَّ أن قُدْرَة الله على البَرّ فقط[8230]. ونحن نرى أن هذا هو المقصود مِن: "فَظَنَّ (يونسُ) أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ" (الأنبياء 87). ومن ثم فإن "نَقْدِر" مِن "القُدْرَة" (power) كما قلنا.

أثبت الله قدرته على البحر: "فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ، فَحَدَثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تَنْكَسِرُ. فَخَافَ الْمَلاَّحُونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلهِهِ، وَطَرَحُوا الأَمْتِعَةَ الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ. وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلاً. فَجَاءَ إِلَيْهِ رَئِيسُ النُّوتِيَّةِ وَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ نَائِمًا؟ قُمِ اصْرُخْ إِلَى إِلهِكَ عَسَى أَنْ يَفْتَكِرَ الإِلهُ فِينَا فَلاَ نَهْلِكَ»" (يونان 1:4-6).

القُرْعة (casting lots): "وَقَالَ (الْمَلاَّحُون) بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نُلْقِي قُرَعًا لِنَعْرِفَ بِسَبَبِ مَنْ هذِهِ الْبَلِيَّةُ». فَأَلْقَوا قُرَعًا، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونَانَ" (يونان 1:7) **[← "فَسَاهَمَ (أى: قارَع، ألقى قُرَعاً) فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (أى: وَقَعَت الْقُرْعَةُ عليه)" (الصافات 141)]**.

حادث الحوت (fish incident): أَخْبَرَهُمْ يونان بأَنَّهُ عِبْرَانِيٌّ هَاربٌ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ. "فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَصْنَعُ بِكَ لِيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنَّا؟» [...] فَقَالَ لَهُمْ: «خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنْكُمْ، لأَنَّنِي عَالِمٌ أَنَّهُ بِسَبَبِي هذَا النَّوْءُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ». [...] ثُمَّ أَخَذُوا يُونَانَ وَطَرَحُوهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَقَفَ الْبَحْرُ عَنْ هَيَجَانِهِ. [...] وَأَمَّا الرَّبُّ فَأَعَدَّ حُوتًا عَظِيمًا (a great fish) لِيَبْتَلِعَ يُونَانَ. فَكَانَ يُونَانُ فِي جَوْفِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال" (يونان 1:11-17) **[← "فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ" (الصافات 142)]**(8231).

تسبيح (صلاة) يونان فى بطن الحوت: "فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلهِهِ مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ، وَقَالَ: «دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّبَّ، فَاسْتَجَابَنِي. صَرَخْتُ مِنْ جَوْفِ(8232) الْهَاوِيَةِ (Sheol)، فَسَمِعْتَ صَوْتِي. لأَنَّكَ طَرَحْتَنِي فِي الْعُمْقِ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ، فَأَحَاطَ بِي نَهْرٌ (أى: فاكْتَنَفَنِى الغَمْرُ). جَازَتْ فَوْقِي جَمِيعُ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ. فَقُلْتُ: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ. وَلكِنَّنِي أَعُودُ أَنْظُرُ إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ. [...] لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ»"(يونان 2:1-9) **[← "كَانَ (يونس) مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (أى: الْمُصَلِّينَ)" (الصافات 143) "فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ (المتكاثفة فى بطن الحوت) أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنبياء 87)]**.

خروج يونان مِن بطن الحوت: "وَأَمَرَ الرَّبُّ الْحُوتَ فَقَذَفَ يُونَانَ إِلَى الْبَرِّ" (يونان 2:10) **[← "فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ (أى: فى بطن الحوت/الهاوية) إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (الصافات 143-144) "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ" (الأنبياء 88)(8233)]**.

يونان يؤدى المهمة الموكلة إليه مِن الله: "ثُمَّ صَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ ثَانِيَةً قَائِلاً: «قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ، وَنَادِ لَهَا الْمُنَادَاةَ الَّتِي أَنَا مُكَلِّمُكَ بِهَا». فَقَامَ يُونَانُ وَذَهَبَ إِلَى نِينَوَى بِحَسَبِ قَوْلِ الرَّبِّ. أَمَّا نِينَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً للهِ مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ. فَابْتَدَأَ يُونَانُ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَنَادَى وَقَالَ: «بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ نِينَوَى»" (يونان 3:1-4)(8234) **[← "فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ" (القلم 50) "وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى (نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ التى يسكنها) مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ" (الصافات 147)]**.

خلاص أهل نينوى بعد إيمانهم وتوبتهم: "فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللهِ (أى: كل أهل نينوى آمنوا بالله) وَنَادَوْا بِصَوْمٍ وَلَبِسُوا مُسُوحًا مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ. وَبَلَغَ الأَمْرُ مَلِكَ نِينَوَى، فَقَامَ عَنْ كُرْسِيِّهِ وَخَلَعَ رِدَاءَهُ عَنْهُ، وَتَغَطَّى بِمِسْحٍ وَجَلَسَ عَلَى الرَّمَادِ. وَنُودِيَ وَقِيلَ فِي نِينَوَى عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَعُظَمَائِهِ قَائِلاً: «لاَ تَذُقِ النَّاسُ وَلاَ الْبَهَائِمُ وَلاَ الْبَقَرُ وَلاَ الْغَنَمُ شَيْئًا. لاَ تَرْعَ وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً (أى: صوم بلا طعام ولا شراب). وَلْيَتَغَطَّ بِمُسُوحٍ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ، وَيَصْرُخُوا إِلَى اللهِ بِشِدَّةٍ، وَيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ، لَعَلَّ اللهَ يَعُودُ وَيَنْدَمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ فَلاَ نَهْلِكَ». فَلَمَّا رَأَى اللهُ أَعْمَالَهُمْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمِ الرَّدِيئَةِ، نَدِمَ اللهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بِهِمْ، فَلَمْ يَصْنَعْهُ" (يونان 3:5-10)(8235) **[← "فَلَوْلَا كَانَتْ (أى: ما**

كَانَتْ، لم تكن) قَرْيَةٌ آمَنَتْ (قبل نزول العذاب بها) فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا (كلهم) كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ" (يونس 98) "فَآمَنُوا (كلهم) فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ" (الصافات 148)].

غضب يونان لنجاة أهل نينوى من العذاب: "فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ. وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي». فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ؟ (أى: أأنت مُحِقٌّ فى غضبك؟)». وَخَرَجَ يُونَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ" (يونان 4:1-5) **[← "وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ (أى: خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ) مُغَاضِبًا (رَبَّه) (angry with God)" (الأنبياء 87) "فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (أى: مملوء غيظاً وغضباً وغمًّا)[8236]" (القلم 48)].**

إنقاذ يونان من قسوته وكبريائه: "وَخَرَجَ يُونَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَجَلَسَ شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ، وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ هُنَاكَ مَظَلَّةً وَجَلَسَ تَحْتَهَا فِي الظِّلِّ، حَتَّى يَرَى مَاذَا يَحْدُثُ فِي الْمَدِينَةِ. فَأَعَدَّ الرَّبُّ الإِلهُ يَقْطِينَةً فَارْتَفَعَتْ فَوْقَ يُونَانَ لِتَكُونَ ظِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ، لِكَيْ يُخَلِّصَهُ مِنْ غَمِّهِ. فَفَرِحَ يُونَانُ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ فَرَحًا عَظِيمًا" (يونان 4:5-6) **[← "فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ (شَرْقِيَّ الْمَدِينَةِ؛ خارج مدينة نينوى) وَهُوَ سَقِيمٌ (أى: عليل أو ضعيف البدن، ولعل المقصود "مغموم" أو "حاقد"[8237]). وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ" (الصافات 145-146) "لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ" (القلم 49)].** ونلاحظ أن القرآن استخدم تعبير "نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ" لأن يونس لم يبذل أى مجهود فى زرع شجرة اليقطين. وقرئ "رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ"[8238].

"ثُمَّ أَعَدَّ اللهُ دُودَةً عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فِي الْغَدِ، فَضَرَبَتِ الْيَقْطِينَةَ فَيَبِسَتْ. وَحَدَثَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَنَّ اللهَ أَعَدَّ رِيحًا شَرْقِيَّةً حَارَّةً، فَضَرَبَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَأْسِ يُونَانَ فَذَبُلَ. فَطَلَبَ لِنَفْسِهِ الْمَوْتَ، وَقَالَ: «مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي». فَقَالَ اللهُ لِيُونَانَ: «هَلِ اغْتَظْتَ بِالصَّوَابِ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ؟» فَقَالَ: «اغْتَظْتُ بِالصَّوَابِ حَتَّى الْمَوْتِ». فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا، الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ. أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ رِبْوَةً (أى: أكثر من 120 ألف) **[← "مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (أى: بل يَزِيدُونَ)" (الصافات 147)]** مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ، وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ؟»" (يونان 4:7-11)[8239].

ومن الجدير بالذكر أن الترجمة الشائعة لكلمة "يَقْطِين" هى (gourd) سواء فى الكتاب المقدس أو القرآن[8240]. إلا أن المراجع اختلفت فى تحديد نوع شجرة "اليقطين". فى المراجع اليهودية والمسيحية: قيل إنها نبات زيت الخروع (ricinus, castor oil plant) (ricin). وفى المراجع الإسلامية: قيل إنها شجرة لا تقوم على ساقٍ، وإنما تمتد على وجه الأرض، مثل القَرْع (الدُّبَّاء) والبطيخ ونحو ذلك[8241]. وقيل إنها شجرة أظلَّت يونس وليست بالقَرْع. وقيل: بل هى القَرْع كانت تظله بساقٍ – على خلاف العادة فى القرع –

معجزةً له! وقيل: التين. وقيل: الموز، تغطى بورقه وأكل ثمره. وقيل إن اليقطين هو كل شيء ينبت ثم يموت مِن عامِه. وقيل إنها شجرة نبتت ثم يبست، فبكى يونسُ حزناً عليها، فأوحى اللهُ إليه: يا يونس أحزنت على شجرة وبكيت عليها، ولم تحزن على مائة ألف أو يزيدون حيث لم تذهب إليهم ولم تطلب راحتهم؟ تعليقنا: نحن لا يهمنا نوع هذه الشجرة؛ المهم هو الفكرة نفسها وأنها كانت معروفة قبل الإسلام.

أما فيما يتعلق باسم هذه الشجرة، فيبدو أن صاحب الرواية الثالثة (سورة الصافات) قد سمع اسمها باللغة العبرية (qiqayon)، فقالها مِن الذاكرة (yaqṭīn)[8242]. وأغلب الظن أن الكلمة قد انتقلت إلى العرب قبل الإسلام، بدليل أن الطبرى وابن عطية وابن الجوزى وابن كثير وغيرهم قالوا فى تفسيرهم لـ (الصافات 146) إن "أُمَيَّة بن أبي الصَّلت" قال قبل الإسلام بيتاً مِن الشعر فى قصة يونس واستخدم كلمة "يقطين":

فَأَنْبَتَ يَقْطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّه، لَوْلَا اللَّهُ أُلْفِيَ ضَاحِيًا[8243]

ونلاحظ أن أُمَيَّة بن أبي الصَّلت استخدم تعبير "رَحْمَةٍ مِنْ اللَّه" – بنفس معنى التعبير القرآني "نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ" (القلم 49). إذن: أهمية هذا البيت من الشعر الجاهلى هى أنه يؤكد لنا العلاقة الوثيقة بين "اليقطين" (الصافات 146) و "النعمة" (القلم 49).

نستخلص مِن قصة يونان (يونس) دروساً كثيرة، مثل:

- رحمة الله. أو بالأحرى: التقاء عدل الله وقداسته برحمته ومحبته[8244]؛
- أهمية التوبة (repentance) / الاعتراف (confession) والإيمان (faith) الذى يثمر أعمالاً صالحة (good works)؛
- شمولية الخلاص: الخلاص لا يقتصر على بنى إسرائيل (أهل الختان) فقط وإنما يشمل الأمم (أهل الْغُرْلَة؛ غير اليهود) أيضاً؛
- عدم عصمة الأنبياء، إذ أن يونان قد ارتكب ثلاث خطايا على الأقل، هي: هروبه مِن المهمة التى كلّفه الله بها؛ وشكه فى قدرة الله[8245]؛ وغضبه لشفقة الله على أهل نينوى. لكن خطايا يونان لا تعنى أنه شخصية سيئة، وإنما تعنى أنه مجرد إنسان مثل أى إنسان، به عيوب وبه أيضاً فضائل[8246]. ويكفى يونان أنه انطلق مِن إسرائيل إلى قوم أمميين فكان سبباً فى خلاصهم، فصار بذلك مثل المسيح الذى انطلق مِن إسرائيل إلى الأمم فأعطى الخلاص إلى جميع البشر.

4.52.2.2 هل قصة يونس قصة حقيقية تاريخية؟

بصراحة، حين نقارن بين قصة يونان فى الكتاب المقدس وقصة يونس فى القرآن، نحزن ونتألم بسبب الدمار الذى حدث للقصة على أيدى أصحاب القرآن. لم يكتفِ أصحاب القرآن باختصار القصة اختصاراً

مضراً[8247] وتقطيع أوصال القصة على أربع روايات متناثرة بطريقة جعلت مِن الصعب – بل مِن المستحيل – معرفة تفاصيلها وترتيب أحداثها. لم يكتفِ أصحاب القرآن بكل ذلك، وإنما قاموا أيضاً بتحريف القصة. يتضح هذا التحريف فى نقطتين على الأقل:

- جعلوا أهل القرية (نينوى) هُمْ "قوم يونس" (يونس 98). وهذا خطأ، لأن يونس عبرانى مؤمن، أما أهل نينوى فكانوا أمميين وثنيين، بل كانوا أعداء بنى إسرائيل. ونحن نرى أن أصحاب القرآن فعلوا هذا التحريف عن عمد وليس عن جهل، لأنهم أرادوا أن يُسقِطوا أحداث قصة يونس على الواقع الذى كان يعيشه محمد وأتباعه فى مكة. أو بعبارة أخرى: أخذوا عناصر من الواقع الذى كان يعيشه محمد وأتباعه فى مكة وأدمجوها فى قصة يونس. وبما أن أهل مكة هُمْ "قوم محمد"، فكان لا بد مِن جعل أهل نينوى قوماً ليونس. نستطيع إذن أن نقول إن أصحاب القرآن قاموا – كعادتهم – بأسلمة قصة يونان. هذه الأسلمة انعكست بعد ذلك على كثير مِن المراجع الإسلامية التى فسَّرت قصة يونس على أنه نبى دعا قومَه إلى الإيمان بالله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام وأنذرهم العذاب إن لم يتوبوا ويؤمنوا، فكفر به قومُه وعارضوه وأغضبوه، فغضب عليهم وهجرهم لفترة، ثم عاد إليهم (حسب رأى ابن كثير ومَن اتبعه مِن المفسرين)! وطبعاً هذه الأحداث لا تنطبق على يونان (يونس)، وإنما تنطبق أكثر على محمد الذى دعا قومَه فى مكة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام، فكفر به قومُه وعارضوه، فهاجر مِن مكة إلى يثرب (المدينة) ثم عاد إلى مكة[8248]. إنها بالفعل عملية أسلمة بدأها أصحاب القرآن ثم أكملها المفسرون المسلمون؛ بل إنها عملية اختطاف أو سطو غير مسلح على قصص أنبياء بنى إسرائيل.
- حذف أصحابُ القرآن السببَ الذى جعل يونان (يونس) يهرب فى بداية القصة، وهو نفس السبب الذى جعله يغضب فى نهايتها (يونان 1:4-2). العجيب هو أن أصحاب القرآن لم يُقدِّموا سبباً آخر لهروب يونس ولم يُقدِّموا سبباً آخر لغضبه! لم يقل القرآنُ لماذا أَبَقَ (أى: هَرَبَ) يونس إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (الصافات 140)! ولم يقل القرآنُ لماذا ذَهَبَ يونس مُغَاضِبًا (الأنبياء 87)!

وإن زعمتم أن قصة يونس فى القرآن أصح مِن قصة يونان فى الكتاب المقدس، فسنقول: علينا إذن أن نحتكم إلى مصدر ثالث غير القرآن والكتاب المقدس. فلنحتكم مثلاً إلى التاريخ. أعطونا دليلاً تاريخياً واحداً على أنه كان هناك فى يومٍ مِن الأيام نبى اسمه يونس حدث له ما ذكره القرآن، لا سيما فيما يتعلق بحادث الحوت! نريد دليلاً تاريخياً واحداً فقط. إن لم تعطونا هذا الدليل التاريخى، فليس أمامنا سوى أن نقول إن قصة يونس القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى لقصة يونان الكتابية.

بل إنه فى حالة عدم وجود أى دليل تاريخى، فمِن حقنا أن نشك فى القصة كلها، ونقول إنها مجرد قصة خيالية قصيرة (fictional short story) أو حكاية رمزية (allegory) أو مَثَل (parable). لاحظ أننا نتحدث عن القصة، وليس عن الشخص. قد يكون يونان (يونس) شخص حقيقى عاش فى القرن الثامن

قبل الميلاد (2 ملوك 25:14)، ونُسجت حوله بعد ذلك أسطورة إلقائه فى البحر والتقام الحوت له ثم خروجه مِن بطن الحوت ... الخ. وما يُقوّى هذا الاحتمال هو أن (2 ملوك 14) لم يذكر حادث الحوت، وليس لدينا مخطوطة لسفر يونان يرجع تاريخها إلى القرن الثامن قبل الميلاد، بل لا نعلم مَن الذى كتب سفر يونان! كذلك، فإننا لا نعلم مَن هُمْ أصحاب الروايات القرآنية الأربع لقصة يونس! وليس لدينا أى دليل تاريخى على أن أهل نينوى قد تابوا وآمنوا كلهم. وهذا بالطبع أمر يثير الشك والريبة لأن القصة تتحدث عن مدينة "عظيمة" (يونان 1:2 ، 2:3-3 ، 11:4) يسكنها "مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ" (الصافات 147) تابوا وآمنوا كلهم! أليس غريباً ألا يوجد أى دليل تاريخى على هذا الحدث الفريد من نوعه؟!

وما يزيد شكوكنا فى أسطورة يونس هو أنه توجد أساطير مماثلة لها فى التراث الشعبى القديم.

على سبيل المثال، تقول أسطورة (Hesione) الإغريقية إن الآلهة أرسلت وحشاً مائياً **[⟵ "حُوت"]** لكى يبتلع (Hesione) **[⟵ "يونس (يونان)"]** عقاباً لوالدها على خطأ ارتكبه فى حق الآلهة **[⟵ "فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ" (الأنبياء 87) "فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ" (الصافات 142)]**، إلا أن (Heracles) استطاع أن ينقذ (Hesione) **[⟵ "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ" (الأنبياء 88)]**. وما فعله (Heracles) مع (Hesione) فى هذه الأسطورة يشبه ما فعله (Perseus) مع (Andromeda) فى أسطورة إغريقية أخرى[8249].

أما صلاة يونس (أو: تسبيحه) فى البحر وهو فى بطن الحوت "فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنبياء 87)، فهى موجودة فى أسطورة أكادية (عراقية قديمة) تُعرَف باسم "أسطورة أدابا" (Myth of Adapa). يعود تاريخ أقدم وأطول نص لهذه الأسطورة إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد – أى قبل ظهور الإسلام بأكثر مِن 1900 سنة. تقول هذه الأسطورة إن ريحاً جنوبية شديدة أدت إلى غرق مركب أدابا فى البحر **[⟵ "فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ، فَحَدَثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تَنْكَسِرُ" (يونان 4:1)]**. فدعا أدابا – وهو يغرق فى مياه البحر مع السمك – أن يكسر "جناح" هذه الريح. فتحققت دعوته فى الحال ونجا مِن الموت **[⟵ "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ" (الأنبياء 88) "فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ (أى: فى بطن الحوت/الهاوية) إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (الصافات 143-144)، أى لمات وقُبِرَ فى بطن الحوت]**[8250].

نعتقد أن هذه الأمثلة تكفى كدليل قاطع على أن العقل البشرى يستطيع تأليف مثل هذه القصص. الموضوع مش محتاج أى وحى من الله. وإنما قدرة بسيطة على الخيال تكفى.

ولا يزال السؤال مطروحاً يبحث عن إجابة: هل يوجد أى دليل تاريخى علمى على أن قصة يونس القرآنية قصة حقيقية حدثت بالفعل فى زمان معين ومكان معين؟ نريد إجابة واضحة ومحددة ومُؤيَّدة بالأدلة العلمية والتاريخية.

4.52.2.3 دمج الروايات القرآنية الأربع فى رواية واحدة وإعادة ترتيب الآيات

وبغض النظر عن كون قصة يونان (يونس) قصة حقيقية أَم خيالية، فإنه مِن الواضح أن أصحاب القرآن لم يهتموا بذِكر تفاصيل هذه القصة ولا بترتيب أحداثها على وجه الدقة، لأنهم اعتمدوا على أن معاصريهم يعرفون القصة جيداً سواء عن طريق أهل الكتاب أو عن طريق الشعر الجاهلى. ومِن ثم لا يمكننا الاعتماد على القرآن وحده لمعرفة تفاصيل قصة يونس وترتيب أحداثها. وبما أنه لا يوجد دليل علمى يثبت أنها قصة حقيقية تاريخية، إذن: ليس أمامنا سوى الاستعانة بسفر يونان لإعادة ترتيب الآيات والعبارات القرآنية. وبذلك نستطيع أيضاً أن نفهم الخطايا التى ارتكبها يونس. ارتكب يونس ثلاث خطايا على الأقل:

- صاحب الرواية القرآنية الأولى ذَكَرَ خطيئة يونس حين غضب و "نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ" (القلم 48). وسامحه اللهُ بالنعمة (by Grace) – أو "الرحمة" (Mercy) – وليس بالأعمال الصالحة: "لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ" (القلم 49).
- صاحب الرواية القرآنية الثالثة ذَكَرَ خطيئة يونس حين "أَبَقَ (أى: هَرَبَ)" مِن المهمة التى كلفه الله بها (الصافات 140). والله عاقب يونس على هذه الخطيئة بإلقائه فى البحر والتقام الحوت له. ثم سامح اللهُ يونسَ لأنه عمل عملاً صالحاً وهو التسبيح: "فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ (أى: فى بطن الحوت/الهاوية) إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (الصافات 143-144). ويبدو أن صاحب هذه الرواية أراد أن يعلق على غضب يونس، أو بالأحرى أراد أن يعلق على نعمة الله، فذَكَرَ شجرة اليقطين التى أنبتها اللهُ على يونس بالعراء خارج المدينة (الصافات 145-146).
- أما صاحب رواية سورة الأنبياء، وهى آخر رواية حسب الترتيب الزمنى لسور القرآن، فلقد جَمَعَ ببراعة خطايا يونس الثلاث فى آية واحدة (الأنبياء 87). خطيئة غضب يونس: "وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا". وخطيئة شكه فى قُدْرَة الله: "فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ". وخطيئة هروبه إلى السفينة التى أدت إلى إلقائه فى البحر والتقام الحوت له ثم تسبيحه فى بطن الحوت: "فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ (المتكاثفة فى بطن الحوت) أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ". وأضاف صاحب هذه الرواية فى نفس الآية اعترافَ يونس بذنوبه ومعاصيه وخطاياه: "إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنبياء 87). وأخيراً ختم كلامَه بوضع يونس فى سلسلة الأنبياء الذين نادوا الله فاستجاب اللهُ لهم: "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ" (الأنبياء 88)[8251].

فى ضوء كل ما سبق، ندعو المسلمين إلى عدم تناول أسطورة "عصمة الأنبياء"، لأن تاريخ صلاحيتها قد انتهى. فلا يوجد أى دليل قرآنى أو كتابى يؤيد هذه الأسطورة، فضلاً عن كونها لا تتفق مع العقل، إذ لا يمكن أن نقتنع بأن النبى الإنسان له طبيعة أخرى غير طبيعتنا البشرية الخاطئة الساقطة!

ونحن قد عرفنا مِن سفر يونان أن خطيئة غضب يونس قد حدثت **بعد** خطيئة هروبه إلَى السفينة. لكن للأسف، كثير مِن المراجع الإسلامية التى شرحت قصة يونس لم تفهم هذا الترتيب، فوضعوا خطيئة غضب يونس قبل خطيئة هروبه إلَى السفينة! على سبيل المثال، يقول الشيخ الشعراوى: "ولكن لماذا غضب يونس بن متى عليه السلام؟ لأنه حينما دعا قومه إلى الإيمان كفروا به وعارضوه معارضة شديدة فألجئوه بهذا إلى أن يتركهم ويهاجر. [...] عندما غضب يونس عليه السلام غادر القرية واستقل سفينة ليذهب بها إلى بلد آخر، ربما يكون أهله أكثر قبولاً لدعوته"[8252]! ويقول د. محمد بكر إسماعيل: "يونس بن متى رسول من أنبياء بنى إسرائيل، أرسله الله إلى أهل "نينوى" بأرض الموصل، فدعاهم إلى الله عز وجل فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به، فغضب منهم غضباً شديداً، وظن أنهم لن يؤمنوا به أبداً فخرج من نينوى متوجهاً إلى ساحل البحر وركب سفينة"[8253]. وطبعاً هذا كلام مرسل بدون دليل، كما تعودنا مِن المراجع الإسلامية. ثم إن كلام هؤلاء المفسرين غير معقول، لأنهم يقولون إن يونس خرج من نينوى متوجهاً إلى ساحل البحر. إذا كان المراد بـ "البحر" هو البحر الأبيض المتوسط[8254]، فإن المسافة بين نينوى وساحل البحر الأبيض المتوسط تزيد عن 500 ميل، أى أكثر من 800 كيلومتر، ولا يُعقَل أن يكون يونس قد سار كل هذه المسافة لمجرد أن قومه لم يؤمنوا به! أما إذا كان المراد بـ "البحر" هو نهر دجلة[8255]، فعليكم أن تثبتوا لنا أن الحوت الذى التقم يونس كان يعيش فى نهر دجلة!

ولعل هؤلاء المفسرين المسلمين التائهين يريدون دليلاً مِن القرآن على أن خطيئة غضب يونس قد حدثت **بعد** خطيئة هروبه إلى السفينة. ومِن حسن الحظ أن هذا الدليل القرآنى موجود، وهو أن الآيات التى ذكرت خطيئة الغضب وصفت يونس بعبارتى "صَاحِب الحُوت" و "ذَا النُّون": "وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ" (القلم 48) "وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا" (الأنبياء 87). و "ذَا النُّون" "هُوَ لَقَب لِيُونُسَ بْن مَتَّى لِابْتِلَاعِ النُّون إِيَّاهُ. وَالنُّون الْحُوت"[8256]. إذن: خطيئة غضب يونس حدثت بعد ابتلاع الحوت إياه. وبما أن حادث الحوت حدث بعد خطيئة الهروب: "إِذْ أَبَقَ (أى: هَرَبَ) إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ [...] فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ" (الصافات 140-142). إذن: خطيئة الغضب حدثت بعد خطيئة الهروب إلَى السفينة. وبذلك يكون الترتيب هو: هروب يونس إلَى السفينة؛ دخوله فى بطن الحوت؛ خروجه مِن الحوت؛ غضب يونس. وإذا أضفنا رسالة يونس إلى نينوى وإيمان أهلها وتوبتهم وخلاصهم، فإن الترتيب الصحيح لأحداث قصة يونس هو: الأمر الإلهى الأول ليونس بأن يذهب إلى نينوى؛ خطيئة شك يونس فى قدرة الله؛ خطيئة هروب يونس إلَى السفينة؛ إلقاء يونس فى البحر؛ دخول يونس فى بطن الحوت؛ بقاؤه فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ خروج يونس مِن بطن الحوت؛ الأمر الإلهى الثانى ليونس بأن يذهب إلى نينوى؛ ذهاب يونس إلى نينوى؛ إيمان أهل نينوى وتوبتهم وخلاصهم؛ خطيئة غضب يونس.

ولقد اهتدى مفسرون مسلمون إلى هذا الترتيب الصحيح لأحداث قصة يونس. على سبيل المثال:

- قال القرطبى: "وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَالْأَظْهَر أَنَّ هَذِهِ الْمُغَاضَبَة كَانَتْ بَعْد إِرْسَال اللَّه تَعَالَى إِيَّاهُ، وَبَعْد رَفْع الْعَذَاب عَنْ الْقَوْم بَعْدَمَا أَظَلَّهُمْ؛ فَإِنَّهُ (أى: يونس) كَرِهَ رَفْع الْعَذَاب عَنْهُمْ. قُلْت: هَذَا أَحْسَن مَا قِيلَ فِيهِ"(8257).
- وقال الشيخ عبد الوهاب النجار: "لما كان القرآن ينبئ عن إيمانهم عقب الرسالة (يقصد: "وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. فَآَمَنُوا" (الصافات 147-148)) كان حصول ذهابه إلى الفلك والتقام الحوت إياه حاصلاً قبل وصوله إليهم، فهذا هو الذى أملى على أنه ذهب إلى الفلك عقب أمره بالذهاب إليهم"(8258).
- وقال د. محمد عابد الجابرى: "أما يونس فكان قد التحق بسفينة فارّاً، فثقلت بمن فيها فاتفقوا على التخفيف من وزنها بإلقاء واحد منهم فى البحر، وعملوا القرعة فجاءت فى يونس، فألقوا به فى البحر فالتقطه حوت كبير، ثم قذفه فحمله الموج إلى شاطئ البحر. وعاد ربه فكلّفه بتبليغ الرسالة إلى أهل نينوى الذين كانوا يعبدون الأصنام، فلما ذهب إليهم وجدهم قد أسلموا، فغضب (يونس) وقال لربه: لماذا لم تجعلهم مؤمنين فى المرة الأولى"(8259).
- وقال الشيخ القاسمى إن الله أمر يونس "أن ينطلق إلى أهل نينوى [...]. فخشى (يونس) أن لا يتم له الأمر معهم، فأبق من بيت المقدس إلى يافا. ونزل فى سفينة سائرة إلى ترشيش ليقيم فيها. فأرسل الله ريحاً شديدة على البحر، أشرفت السفينة معه على الغرق. فتخفف الركاب من أمتعتهم فلم يفد، فوقع فى أنفسهم أن فى السفينة شخصاً سيهلكون بسببه، فاقترعوا لينظروا مَن هو، فخرجت القرعة على يونس، فقذفوه فى البحر وسكن جيشانه وتموجه. وهيأ الله حوتاً ليونس فابتلعه، فمكث فى جوف الحوت ثلاثة أيام. ثم دعا ربه فاستجاب له، وألقاه الحوت على الساحل. ثم أوحى الله إلى يونس ثانية بالمسير إلى نينوى، ودعوتها إلى الله تعالى، فوصلها ونادى فيهم بالتوحيد والتوبة. وتوعدهم إن لم يؤمنوا أن تنقلب بهم نينوى، فلما تحققوا ذلك آمنوا. فرفع الله عنهم العذاب"(8260).

نستطيع الآن أن ندمج الروايات القرآنية الأربع فى رواية واحدة كما يلى:

"وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. لكنه ظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فأَبَقَ مِنَّا إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ. فأُلقِى فى البحر الأبيض المتوسط فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِ الحوت إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ إِلَى الْبَرّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ. ثم اجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَأَرْسَلْهُ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ التى يسكنها مِائَة أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. يُشركون بالله أوثاناً هُمْ لها عاكفون. فَآَمَنُوا كلهم بالله الذى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ. فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا أهل نينوى لَمَّا آمَنُوا كلهم كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ. فلمَّا رأى ذو النُّونِ رحمةَ ربِّه بأهل نينوى خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَذَهَبَ مُغَاضِبًا رَبَّه وَلَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ. فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ.

وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الفرحين. وَذَلِكَ لنُريه رحمتنا كما رحمنا الأُمِيِّين. فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ".

أليست هذه الرواية الواحدة أفضل مِن الروايات القرآنية الأربع المبعثرة فى أربع سور؟!

4.52.3 جذور القرآن فى الإنجيل والتراث المسيحى

خير دليل على تأثر القرآن بالتراث المسيحى فى هذه القصة هو اسم بطلها: "يونس". إذ أن اسمه فى اللغة العبرية لغة العهد القديم هو "يونا" (Yōnā)، ثم تحول إلى "يُونَس" (Yūnas) فى اللغة اليونانية لغة الترجمة السبعينية والعهد الجديد، ثم تحول إلى "يُونِس" (Yūnis) فى اللغة الآرامية لغة المسيحيين الفلسطينيين، ثم انتقل فى النهاية إلى العرب فصار "يُونُس" (Yūnus)[8261][8262]. كذلك فإن كلمة "النون" فى "ذَا النُّونِ (أى: صاحب الحوت)" (الأنبياء 87) قد انتقلت إلى العرب عن طريق المسيحيين السريان[8263]. نستطيع إذن أن نقول إن قصة يونس قد انتقلت إلى العرب عن طريق المسيحيين، وليس عن طريق اليهود.

ومِن المحتمل أن يكون محمد قد سمع قصة يونس مِن "عدَّاس"، وهو غلام نصرانى مِن نينوى. تقول كتب السيرة النبوية إن محمد ذهب إلى الطائف ليلتمس النصرة مِن قبيلة ثقيف على قومه قبيلة قريش. [لاحظ أن محمد استقوى بقبيلة أخرى على قبيلته!] إلا أن قبيلة ثقيف كان عندهم أخلاق ورفضوا أن يساعدوا واحداً يحارب أهلَه. يعنى: فشلت رحلة محمد التى حاول فيها أن يستقوى بقبيلة ثقيف على قبيلته قبيلة قريش. وفى طريق عودة محمد مِن الطائف بعد رحلته الفاشلة، قابل عدَّاسُ محمداً ودار بينهما حديثٌ عن يونس. ذَكَرَ ابن هشام هذا اللقاء، إلا أنه روى حديث محمد وعدَّاس بطريقة غير معقولة لدرجة أنه قال إن عدَّاس قبَّل رأسَ محمد ويديه وقدميه لمجرد أن محمد عرف أن نينوى هى قرية النبى يونس بن متى؛ وهذا – حسب هذه الرواية الإسلامية – "أمر ما يعلمه إلا نبى"[8264]! مع أنها معلومة مشهورة ويعرفها العوام من الناس.

إن هذه المبالغات فى وصف هذه القصة تجعلنا نقول إنه مِن المحتمل أن يكون عدَّاس هو الذى أخبر محمداً بقصة يونس. لا سيما أنه يُروَى أن الرواية القرآنية الأولى "فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ" (القلم 48) قيلت بعد عودة محمد مِن الطائف إلى مكة[8265].

إذن: مِن المحتمل أن يكون عدَّاس هو الذى أخبر محمداً بقصة يونس (فى ذاك اليوم أو فى يومٍ آخر)، لكن الكتب الإسلامية قلبت الروايةَ وجعلت محمداً هو الذى يخبر عدَّاسَ بقصة يونس[8266]. وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التى يكتسب فيها محمدٌ معلومةً من آخرين، ثم تُقلَب الرواية (renversement de situation) فى المراجع الإسلامية لتجعل محمداً هو الذى يُخبر الآخرين بتلك المعلومة[8267]. ومِن الواضح أن هذه القصة الإسلامية قد كُتِبَت بهذه الطريقة المقلوبة حتى تنفى أن عَدَّاس النصرانى هو مصدر المعلومة

التى اكتسبها محمدٌ، وفى نفس الوقت تُقدِّم عدَّاس النصرانى كشاهد على مصداقية محمد ونبوته[8268]! يعنى: عصفورين بحجر واحد.

ونحن نقول "مِن المحتمل" لأننا نرى أن مزيداً من الأبحاث ضرورى لمعرفة حجم الدور الذى لعبه عدَّاس النصرانى فى تكوين القرآن ونشأة الإسلام. وفى جميع الأحوال، فإن قصة يونس (يونان) كانت قصة معروفة ومشهورة قبل الإسلام، ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من اليهود والمسيحيين الشرقيين. بعبارة أخرى: نحن على يقين أن أصحاب القرآن قد سمعوا قصة يونس (يونان). لكن هل سمعوها مِن عدَّاس تحديداً أم مِن شخصٍ آخر؟ هذا هو الذى يحتاج إلى مزيد مِن البحث والدرس.

الدليل الثانى على تأثر القرآن بالتراث المسيحى فى قصة يونس هو السياق القرآنى الذى ذَكَرَ إيمان قوم يونس وتوبتهم وخلاصهم: "إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ **آيَةٍ** حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا **إِلَّا** قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ" (الرواية الثانية: يونس 96-98). ومِن الواضح أن صاحب هذه الرواية أراد أن يقارن بين إيمان وتوبة قوم يونس (أهل نينوى) مِن ناحية وعناد ومكابرة قوم محمد (أهل مكة) مِن ناحية أخرى، وهدفه بالطبع هو دعوة أهل مكة إلى الإيمان والتوبة[8269]. وهذا بالضبط ما فعله يسوع المسيح مع قومه (يهود فلسطين) حين قال له قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ **آيَةً**» (متى 12:38) (لوقا 11:16). "فَأَجاب (يسوعُ) وَقَالَ لَهُمْ: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ **آيَةً**، وَلاَ تُعْطَى لَهُ **آيَةٌ إِلاَّ** آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال. رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ (judgment) مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ ههُنَا!" (متى 12:39-41) (لوقا 11:29-32)[8270].

ونلاحظ فى الجزء السابق مِن الإنجيل أن دخول يونان فى بطن الحوت ثم خروجه يمثل رمزاً (allegory) لموت المسيح وقيامته، بدليل أن المسيح قال: "كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ (أى: يسوع المسيح) فِي قَلْبِ الأَرْضِ (أى: فى القبر) ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال" (متى 12:40)[8271]. وفى القرون الأولى للميلاد، حرص كُتَّاب مسيحيون سريان على توضيح هذه العلاقة الرمزية بين يونان والمسيح. على سبيل المثال، قال "يعقوب السروجى" (Jacob of Serugh) (حوالى 451-521م) أسقف سروج بشمال العراق: "قُبِرَ يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام ليشرح لنا طريق قبر ربنا (أى: المسيح). ميتان صارا سبب الحياة بأفعالهما: يونان لنينوى وابن الله لجميع الأرض. غطس يونان ومن العمق أنقذ نينوى، وغطس ربنا فانتشل آدم من الهاوية"[8272].

ورغم أن أصحاب القرآن لم يذكروا هذه العلاقة الرمزية بين يونس والمسيح، إلا أنهم بالتأكيد قد فهموا هذا المعنى، بدليل أن صاحب الرواية الثالثة قال: "فَلَوْلَا أَنَّهُ (أى: يونس) كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ (أى: فى بطن الحوت/الهاوية) إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (الصافات 143-144)، أى لمات وقُبِرَ فى بطن الحوتِ.

كذلك فإنه فى القرون الأولى للميلاد، حرص كُتَّاب مسيحيون سريان أيضاً على استخدام قصة يونان كوسيلة لتوجيه النقد لليهود. على سبيل المثال، كتب القديس إفرام السريانى (Ephrem the Syrian) (القرن الرابع الميلادى) حوالى عشرة ميامر عن يونان ونينوى[8273]؛ أشهرهم ميمر يُعرَف باسم "توبة نينوى" (The Repentance of Nineveh). فى هذا الميمر الشهير، قارن إفرام بين إيمان أهل نينوى (أهل الْغُرْلَة) وقسوة قلوب بنى إسرائيل (أهل الختان)[8274]:

Jonah saw this [i.e. the repentance of Nineveh], and wonder seized him; He blushed for the children of his own people. He saw the Ninevites were victorius, And he wept for the seed of Abraham; He saw the seed of Canaan in sound mind, While the seed of Jacob was infatuated; He saw the uncircumcised cut to the heart, While the circumcised had hardened it;

وفى القرن السابع الميلادى، فعل أصحاب القرآن كما فعل إفرام السريانى. وهذا يتضح أيضاً من السياق القرآنى للرواية الثانية، إذ أننا نجد أولاً نقداً لبنى إسرائيل "وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (يونس 93)، ثم نجد توبة أهل نينوى (قوم يونس) "فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ" (يونس 98).

ليس هذا فحسب، بل إن أصحاب القرآن قد استخدموا نفس التعبير الذى استخدمه إفرام السريانى وهو "قسوة قلوب" بنى إسرائيل: "فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً" (المائدة 13) "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" (البقرة 74). وهذا وحده يكفى كدليل قاطع على تأثر القرآن بالتراث المسيحى بصفة عامة والسريانى بصفة خاصة[8275].

وفى الرواية الرابعة، نجد أن قصة يونس (الأنبياء 87-88) موضوعة فى نقطة فاصلة بين شخصيات العهد القديم (موسى وهارون وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل

وإدريس وذى الكفل) (الأنبياء 48-86) وشخصيات العهد الجديد (زكريا وابنه يحيى ومريم وابنها عيسى) (الأنبياء 89-91). وكأن أصحاب القرآن قد فهموا قصة يونس على أنها حلقة الوصل بين العهد القديم (عهد موسى؛ لليهود فقط) والعهد الجديد (عهد عيسى؛ لجميع الأمم). وهذا يعكس الفهم المسيحى لقصة يونس، ويؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه القصة الهامة عن طريق المسيحيين، وليس عن طريق اليهود. والحقيقة أن جذور هذا الفكر موجودة فى سفر يونان نفسه الذى استخدم فى الإصحاحين الأول والثانى الاسمَ الشخصى لله باعتباره إله الخلاص لبنى إسرائيل فقط وهو اسم "الرب" (يَهْوَهْ) (YHWH, The Lord)، بينما استخدم فى الإصحاحين الثالث والرابع اسمَ "الله" العام (Elohim, God) باعتباره إله الخلاص للأمميين جميعاً، ومِن بينهم بالطبع أهل نينوى[8276]. ويكفى أن السفر بدأ بقول "الرب" ليونان عن شر نينوى (يونان 1:1-2) وانتهى بقول "الله" ليونان عن خلاص نينوى (يونان 4:9-11). أضف إلى ذلك أن سفر يونان ذَكَرَ اسم "نينوى" 9 مرات (منهم 8 مرات فى الإصحاحين الثالث والرابع)، بينما لم يذكر اسم "إسرائيل" أبداً.

الخلاصة: لم يأتِ أصحاب القرآن بشىء جديد يُذكَر فى قصة يونس، وإنما القرآن هو تجميع لعناصر القصة وتفسيراتها وعِظاتها التى كانت موجودة بالفعل قبل الإسلام (a compilation of pre-Islamic exegetical and homiletical traditions). وطبعاً كان هذا التجميع مصحوباً بعملية انتقاء وتغيير – أو قل: عملية "تحريف" و "أسلمة"، وهى عملية ضرورية لكى تصبح القصة مُلائِمة لبيئتها الجديدة: مكة فى القرن السابع الميلادى.

إذن: كتاب القرآن العربى ليس وحياً مِن الله، وإنما نشأ نتيجة عملية تطور بشرى طبيعى (natural human development) للكتب السابقة سواء الكتب المقدسة (مثل: سفر يونان) أو الكتب غير المقدسة (مثل: ميامر إفرام السريانى).

4.53 مدخل لقصص الميلاد والطفولة اليهودية: مريم ... عيسى ... يحيى

يحتوي القرآنُ على مجموعة مِن القصص التي يمكن أن نسميها إجمالاً قصص "الميلاد والطفولة اليهودية"، وهي تلك القصص المتعلقة بميلاد مريم العذراء وطفولتها وحياتها إلى أن ولدت مسيح المسلمين "عيسى ابن مريم" ثم طفولة عيسى، وأيضاً القصة التى تحدثت عن ميلاد يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) (John the Baptist). والحقيقة أن القرآن به قصص ميلاد وطفولة (أو صبا) أخرى تحدثنا عنها فى فصول سابقة، مثل: ميلاد موسى الإسرائيلي ("فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ" ...)، وميلاد إسحاق العبراني (قصة ضيف إبراهيم)، وطفولة "الذبيح" ابن إبراهيم العبراني، وقصة الفتى العبراني إبراهيم الذى حطم الأصنام ثم نجَّاه الله مِن النار ... الخ. لكن كما قلنا، سنركز في الصفحات التالية على قصص اليهود الثلاثة: مريم (Mary) وعيسى (يسوع Jesus) ويحيى (يوحنا John).

وأهم ما يميز هذه القصص أنها مكتوبة فى صورة حوار (dialogue) بالكلمات أحياناً ("قَالَ"، "قَالَت"، "قَالُوا"، "نَادَى"، "نَادَتْهُ" ، "نَادَاهَا") وبالإشارة أحياناً أخرى ("أَلَّا تُكَلِّمَ"، "لَنْ أُكَلِّمَ"، "كَيْفَ نُكَلِّمُ"، "أَوْحَى إِلَيْهِمْ"، "أَشَارَتْ إِلَيْهِ"). وأهم ما يميزها أيضاً أنها متأثرة إلى حد كبير بما جاء فى القصص المناظرة لها سواء فى الكتب القانونية وعلى رأسها إنجيل لوقا أو في الكتب الأبوكريفية (أي: غير القانونية) المعروفة باسم أناجيل الطفولة (Infancy Gosepls) وعلى رأسها إنجيل أبوكريفي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي ويُعْرَف باسم "إنجيل الطفولة/البداية ليعقوب" أو (Protevanglium of James)[8277].

إن لهذه القصص الأبوكريفية←القرآنية أهمية كبيرة، لأنها ترد على مَن يستخدمونها كدليل على أن القرآن كلام الله بحجة أن هذه القصص ليست موجودة في الكتاب المقدس وبالتالي فإن محمد – كما يزعمون – قد تلقاها بوحيٍ من الله[8278]! <u>تعليقنا:</u> إنها ليست موجودة في الكتاب المقدس، لكنها موجودة في الكتب الأبوكريفية. إذن: هي ليست وحياً من الله، وإنما هي وحيٌ مِن كتب الأبوكريفا المليئة بالأخطاء والأساطير والخرافات كما سنوضح في الصفحات التالية.

ولأن معظم الآيات القرآنية التي ذكرت قصص الميلاد والطفولة اليهودية جاءت في سورتي مريم (مكية) وآل عمران (مدنية)، فلا بد من الحديث أولاً عن مَن هي "مريم" اليهودية ومَن هو "عمران" الإسرائيلي ....

4.54 هل مريم العذراء هي مريم "أُخْت هَارُونَ" "ابْنَت عِمْرَانَ"؟!

يُقدِّم القرآنُ لنا مريمَ العذراء والدة المسيح على أنها مريم "أُخْت هَارُونَ" (مريم 28) "ابْنَت عِمْرَانَ" (التحريم 12)؛ (آل عمران 35-36). أو بعبارة أكثر دقة: يقول القرآنُ إن مريم العذراء "ابْنَت عِمْرَانَ" (التحريم 12) (آل عمران 35-36) وإن المعاصرين لها نادوها قائلين "يَا أُخْتَ هَارُونَ" (مريم 28).

السؤال: هل مريم العذراء والدة المسيح هي فعلاً مريم "أُخْت هَارُونَ" "ابْنَت عِمْرَانَ"؟!

إذا نظرنا في التوراة فسنجد أن مريم "أُخْت هَارُونَ" هي مريم النبيَّة (Miriam the prophetess) أخت هارون وموسى التي وصفتها التوراةُ صراحةً بأنها "أُخْت هَارُون" ربما لأن هارون هو الأخ الأكبر لموسى: "فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ النَّبِيَّةُ أُخْتُ هَارُونَ الدُّفَّ بِيَدِهَا، وَخَرَجَتْ جَمِيعُ النِّسَاءِ وَرَاءَهَا بِدُفُوفٍ وَرَقْصٍ. وَأَجَابَتْهُمْ مَرْيَمُ: «رَنِّمُوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ»" (الخروج 15:20-21). ومريم النبيَّة أخت هارون وموسى هي أيضاً مريم "ابْنَت عَمْرَام" (Amram) (بالميم وليس بالنون)، أي أن "عمرام" هو والد هارون وموسى ومريم النبيَّة، وجميعهم إسرائيليون من سبط لاوي: "وَاسْمُ امْرَأَةِ عَمْرَامَ يُوكَابَدُ بِنْتُ لاَوِي الَّتِي وُلِدَتْ لِلاَوِي فِي مِصْرَ، فَوَلَدَتْ لِعَمْرَامَ هَارُونَ وَمُوسَى وَمَرْيَمَ أُخْتَهُمَا" (العدد 26:59)؛ (1 أخبار الأيام 6:3). ويتفق التراث المسيحي مع التراث اليهودي على أن مريم النبيَّة هي أخت موسى الكبرى التي وقفت من بعيد تراقب سَفَطَ الْبَرْدِيِّ الذي أخفي فيه الطفل موسى عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ[8279] حتى رأته ابْنَةُ فِرْعَوْنَ (Pharaoh's daughter) وَأَخَذَتْهُ. وَلَمَّا فَتَحَتْهُ ابنةُ فرعون رَأَتِ الطفلَ موسى فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: "هذَا مِنْ أَوْلاَدِ الْعِبْرَانِيِّينَ"، فَقَالَتْ مريم النبية لابْنَةِ فِرْعَوْنَ: "هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكِ امْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتُرْضِعَ لَكِ الْوَلَدَ؟" فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «اذْهَبِي». فَذَهَبَتِ مريم النبية وَدَعَتْ أُمَّ موسى (الخروج 2:1-8).

إذن: توجد أكثر مِن 1000 سنة تفصل بين مريم النبيَّة الإسرائيلية "أخت هارون" "ابنت عمرام" ومريم العذراء اليهودية والدة المسيح يسوع (عيسى)! الأمر الذي جعل الكثير من المراجع الأجنبية والمراجع العربية أيضاً تقول إن القرآن أخطأ أو وقع في مفارقة تاريخية كبيرة (anachronism) عندما خَلط وجَمع (confused and conflated) بين مريم النبيَّة (أول امرأة تحمل اسم "مريم" في التوراة) ومريم العذراء (أول امرأة تحمل اسم "مريم" في الإنجيل)[8280]. وبالطبع ساعد على ذلك الخلط القرآني اشتراكُهما في نفس الاسم العبراني "مريم" (بالعبرية: Miriam؛ باليونانية: Mariam)[8281]، واشتراكهما في كونهما عذراوين[8282]، والأهم من ذلك اشتراكهما في رعاية نبي مهم وهو صغير: مريم النبية قامت برعاية أخيها الطفل موسى الذي صار فيما بعد رسول التوراة، ومريم العذراء قامت برعاية ابنها الجنين ثم الطفل يسوع (عيسى) المسيح الذي صار فيما بعد رسول الإنجيل.

ومما قد يؤكد ذلك الخلط القرآني بين مريم العذراء أم المسيح ومريم أخت هارون وموسى:

- إذا نظرنا إلى سورة مريم المكية، فسنجد أنها كما وصفت مريمَ العذراء بعبارة "أُخْتَ هَارُونَ" (مريم 28)، كذلك وصفت موسى النبي بأنه أخو هارون النبي: "وَوَهَبْنَا لَهُ (أي: لموسى) مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا" (مريم 53).
- وإذا نظرنا في سورة التحريم المدنية، فسنجد أن مريم العذراء "ابْنَتَ عِمْرَانَ" (التحريم 12) ذُكِرَت مباشرةً بعد "امْرَأَت فِرْعَوْنَ (Pharaoh's wife)" (التحريم 11) التي تناظر "ابنة فرعون" حسب قصة موسى في التوراة والإنجيل، مما جعل بعض الباحثين يعتقدون أن صاحب (التحريم 12) - سواء كان محمدٌ أو غيره - قد ظنَّ أن مريم العذراء أم المسيح "مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ" (التحريم 12) هي هي نفسها مريم أخت هارون وموسى التي تحدثت مع امْرَأَت فِرْعَوْنَ أو مع آل فرعون بصفة عامة (طه 37-40) (القصص 3-13)[8283]!

لكن هل من المعقول أن تعيش مريم النبية "أخت هارون" "ابنت عمرام/عمران" أكثر من 1000 سنة حتى تصبح والدة المسيح؟! السؤال بعبارة أخرى: هل من الممكن أن تكون مريم النبية = مريم العذراء؟!

الإجابة: هذا مستحيل في الواقع والتاريخ، لكنه ممكن في الخيال والأساطير. فعلى الرغم من أن التوراة تقول إن مَرْيَم مَاتَتْ وَدُفِنَتْ (العدد 20:1)، إلا أنه توجد أسطورة تلمودية (Baba Bathra 17) تقول إنها لم تمت كباقي البشر عن طريق مَلَك الموت، وإنما ماتت عن طريق **نَفْخَة** (afflation) من الله أو قُبْلَة (kiss) من الله ولم يتحلل جسدُها[8284]! فَمِن المحتمل أن صاحب (التحريم 12) - سواء كان محمدٌ أو غيره - قد وقع تحت تأثير تلك الأسطورة التلمودية بدليل أنه قال "فَنَفَخْنَا فِيهِ (أي: في فَرْج مريم) مِن رُّوحِنَا" (التحريم 12)؛ وفي موضع آخر: "فَنَفَخْنَا فِيهَا (أي: في مريم) مِن رُّوحِنَا" (الأنبياء 91). فكما تقول الأسطورة التلمودية إن "النفخة" الإلهية أماتت مريمَ "أخت هارون" "ابنت عمرام"، وتقول الأسطورة القرآنية إن "النفخة" الإلهية خلقت المسيحَ في بطن مريم "أخت هارون" "ابنت عمران"، لا نستبعد وجود أسطورة ثالثة تقول إن مريم أخت هارون وموسى عاشت طويلاً حتى صارت هي نفسها مريم أم المسيح، أو تقول إن الله أماتها ثم أحياها وأعادها صبية مرة أخرى حتى أنجبت المسيحَ. كل شيء ممكن في عالم الأساطير. وبما أن الله قادر على أي شيء، إذن: مِن الممكن أن يصدِّق المؤمنون به أي شيء، وبخاصة في الشرق حيث تنتشر الأساطير بكل سهولة ويُسر بين المؤمنين سواء في التراث اليهودي/المسيحي أو في التراث الإسلامي:

- مثلاً في العهد القديم: إيلِيَّا النبي (Elijah) لم يمت كباقي البشر وإنما صعد حياً إلى السماء (2 ملوك 2:1-18) وسيرسله اللهُ مرة أخرى "قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ" (ملاخي 4:5-6)؛ أي: قبل مَجِيءِ المسيح. وإلى يومنا هذا "يترك بعض اليهود مقعداً خالياً على مائدة عيد الفصح لإيليا"[8285]!
- وإذا نظرنا إلى الإنجيل، فسنجد أن اليهود المعاصرين للمسيح ظنّوا أن يوحنا المعمدان هو إيلِيَّا عائداً من جديد "فَسَأَلُوهُ: «إِذًا مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟»" (يوحنا 1:21) مع أن إيليا رُفِعَ/مات قبل يوحنا بمئات

السنين! ومع أن هؤلاء اليهود كانوا "مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ" (يوحنا 19:1)، يعني المفروض أنهم متعلمون مثقفون، ومع ذلك فكَّروا هذا التفكير الأسطوري! ويُعتقَد أن إيليا سيأتي بشخصه في الأخرويات (Eschatology) قبل المجيء الثاني للمسيح قبل يوم القيامة حسب تفسير لـ (الرؤيا 11:1-14).

- وكذلك إذا نظرنا إلى القرآن، فسنجد أساطير قرآنية مشابهة، مثل أسطورة "أصحاب الكهف" (الكهف 9-26) التي تقول إن فتيةً ناموا (أو: ماتوا) مئات السنين ثم أيقظهم اللهُ (أو: أحياهم اللهُ)! وأسطورة "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157) التي تُفسَّر بمعنى أن المسيح لم يمت! "بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ [حياً]" (النساء 158) وإنه لا يزال حياً حتى الآن، أي: عاش أكثر من 2000 سنة! في ظل هذه الأساطير القرآنية التي طوَّرها أصحابُ القرآن تطوراً بشرياً طبيعياً مِن التراث اليهودي/المسيحي كما أثبتنا فيما سبق، لا نستبعد أن أصحاب القرآن قد طوَّروا أيضاً تلك الأسطورة التلمودية المتعلقة بمريم النبية "أخت هارون" "ابنت عمرام" حتى وصلوا في النهاية إلى أن مريم النبية = مريم العذراء.

يقول (Rabbi Abraham Geiger) تعليقاً على تأثير تلك الأسطورة التلمودية على القرآن[8286]:

> Miriam [the sister of Aaron and Moses] is praised in the scripture and called a prophetess, but the Rabbis value her still more highly and say of her: "The angel of death had no power over Miriam, but she died from the divine afflation, and therefore worms could not touch her." [Baba Bathra, 17] According to Muḥammad [يقصد: حسب القرآن] Miriam is the mother of Jesus [مريم "ابْنَت عِمْرَانَ" (التحريم 12) (آل عمران 35-36) و "أُخْت هَارُونَ" (مريم 28)]. Although Miriam's name is not mentioned in the passage where she is alluded to in the history of Moses [القصص 11], yet there is not the slightest doubt that Muḥammad [يقصد: القرآن] took both Marys for one and the same person; for the Talmudic utterance already cited, viz., that Miriam did not die through the angel of death, could easily be turned into a statement of a long, if not endless, life for her, especially by Muḥammad [يقصد: القرآن], who treats chronology pretty much according to his own pleasure.

<u>تعليقنا:</u> ليس بالضرورة أن يكون أصحاب القرآن قد ظنّوا أن مريم العذراء = مريم النبية. فمجرد وصفهم لمريم العذراء بصفات مريم النبية "أُخْت هَارُونَ" (مريم 28) "ابْنَت عِمْرَانَ (أي: عمرام)" (التحريم 12) (آل عمران 35-36) يدل على أنهم قد وقعوا في مفارقة تاريخية كبيرة (anachronism)، بل خطأ تاريخي كبير. إلا إذا كان هناك سبب آخر لهذا الوصف ...

لكن ما هو هذا السبب الآخر؟! بدأنا بحثَنا عنه في المراجع الإسلامية ...

بالطبع رفض شيوخُ الإسلام وجود أي خطأ تاريخي في القرآن، وحاولوا تبرير وصف مريم العذراء بـ "أُخْت هَارُونَ" (مريم 28) "ابْنَت عِمْرَانَ" (التحريم 12) (آل عمران 35-36)، فقالوا إن عمران "هو أب مباشر لموسى، وهو أب [غير مباشر] لمريم [العذراء] لأنه رئيس العائلة التى تناسلت هى منها. وهارون ابن عمران. وهى [مريم العذراء] من نسل هارون – عليه السلام – فيكون هو أخوها على معنى أنها من نسله. أما أبوها المباشر [أى: والد مريم العذراء] فاسمه "يهويا قيم" وأمها اسمها "حنة" كما جاء فى إنجيل يعقوب [الأبوكريفى] الذى لا يعترف به النصارى"[8287].

تعليقنا: كان ممكناً أن نقتنع بهذا التبرير لو كُنَّا نتحدث عن كتاب عادي. أما إذا كُنَّا نتحدث عن كتاب يقول المسلمون إنه كلام الله وإننا يجب أن نؤمن به وإلا سنُحْرَق في نار جهنم إلى الأبد، فلا يمكن أن نقتنع بمثل هذه التبريرات الواهية! ثم إنه لا يوجد إجماع بين شيوخ الإسلام على هذا الرأي، فنحن نجد على سبيل المثال أن الإمام الأكبر محمود شلتوت يرى أن "عمران الذى سميت السورة [سورة آل عمران] بآله هو أبو مريم [العذراء] لا أبو موسى وهارون"[8288].

وكالعادة، لجأ بعضُ شيوخ الإسلام إلى الحيلة الشهيرة التي يلجأون إليها كثيراً لتبرير المفارقات والأخطاء التاريخية في القرآن، وهي حيلة تكرار الاسم، سواء اسم عمران و/أو اسم هارون. فقال الشيخ الشعراوي وغيره إنه كان هناك "عمرانين": عمران والد موسى وهارون؛ وعمران آخر هو والد مريم العذراء؛ وإن المقصود فى سورة آل عمران هو عمران والد مريم العذراء وليس عمران والد موسى وهارون[8289]. [ونحن نطالب مَن يؤيد هذا الرأي أن يعطينا دليلاً علمياً واحداً يثبت أن والد مريم العذراء كان اسمه "عمران".] وقال الدكتور شوقى ضيف فى تفسيره لـ "يَا أُخْتَ هَارُونَ" (مريم 28) إن مريم "كانت من سلالة أخت هارون النبيّ وقيل كان لها أخ من الأب اسمه هارون"[8290]! وقال ابن كثير: "مريم بنت عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام. وَأم عيسى عليها السلام وافقتها فى الاسم واسم الأب واسم الأخ"[8291]. [ونحن نطالب مَن يؤيد هذا الرأي أن يعطينا دليلاً علمياً واحداً يثبت أن أخو مريم العذراء كان اسمه "هارون".]

وكالعادة، لجأ بعضُ شيوخ الإسلام إلى حيل لغوية فنقلوا النقاش من أرضية التراث اليهودي/المسيحي إلى أرضية اللغة العربية. فقيل إن "الأخوة تطلق فى لسان العرب على الأخوة الشبيهة، فالمراد [بـ "أُخْت هَارُونَ" (مريم 28)] مَن أشبهت هارون فى الصلاح والتقوى"[8292]. ونحن نرد على هذه الحيلة اللغوية بأن عبارة "أُخْت هَارُونَ" (مريم 28) التي وُصِفَت بها مريم العذراء في سورة مريم جاءت في نفس السورة التي وَصفت موسى بأنه أخو هارون: "وَوَهَبْنَا لَهُ (أي: لموسى) مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا" (مريم 53). ومِن المعلوم أن موسى كان شقيق هارون، فلماذا تكون عبارة "أَخَاهُ هَارُونَ" (مريم 53) لها معنى بينما

عبارة "أُخْت هَارُونَ" (مريم 28) لها معنى آخر؟! ولماذا "هارون" بالذات؟ (سنجد الإجابة في التراث المسيحي.)

أما أطرف ما قيل عن اسم "عمران" (والد مريم العذراء حسب القرآن) فهو أنه ترجمة لاسم "يهويا قيم" (والد مريم العذراء حسب إنجيل الطفولة/البداية ليعقوب)[8293]! وبغض النظر عن ذكاء صاحب هذا الرأي، فإنه اعتراف ضمني بأن أصحاب القرآن كانوا على دراية بمحتوى إنجيل الطفولة/البداية ليعقوب.

وهكذا نجد كالعادة آراء مختلفة ومتضاربة فى كتب المسلمين، فالمُهم عندهم هو إثبات صحة القرآن بأى طريقة وخلاص مهما كانت ملتوية؛ والعجيب أنهم يقولون هذه الآراء بدون أى دليل علمى يؤيدها! والسؤال الذى يفرض نفسه كالعادة هو: أي رأي من هذه الآراء المختلفة هو الرأي الصحيح، إن كان مِن بينها رأياً صحيحاً؟!

وسوف نترك شيوخ الإسلام فى حيرتهم وتخبطهم تائهين، فالذى يهمنا هنا هو توضيح الجذور الدينية والتاريخية لفكرة الربط بين مريم العذراء ("مريم" العهد الجديد) ومريم النبيَّة ("مريم" العهد القديم أخت هارون وابْنَت عَمْرَام)، وإثبات أن فكرة الربط بين المريمتين هي مجرد فكرة **بشرية** ظهرت بالفعل فى القرون الأولى للمسيحية (السريانية بصفة خاصة)، ثم جاء أصحابُ القرآن وساروا - كالعادة - على نهج مَن سبقهم، فقدَّموا لنا مريمَ العذراء على أنها مريم "أُخْت هَارُونَ" (مريم 28) "ابْنَت عِمْرَانَ" (التحريم 12).

4.54.1 مصادر القرآن من التراث المسيحي (السرياني بصفة خاصة)

في بحثه الشهير عن "التأثير اللاهوتي المسيحي على القرآن"، يحدثنا العالِمُ الكبير "سمير خليل سمير" (Prof. Samir Khalil Samir) عن جذور هذه الفكرة عند المسيحيين السريان، لا سيما "أفراهاط (فرحات)" السرياني (Aphrahat) (Aphraates) (القرن الرابع الميلادي)[8294]:

> هل يمكن أن يكون القرآن قد خلط بين مريم أُم يسوع ومريم أخت هارون؟ هذا يبدو مؤكَّداً بالقرآن بسورة مريم 28:19، حيث تُدعى مريم بـ "يَا أُخْتَ هَارُونَ"، وبالقرآن بسورة التحريم 12:66، حيث تُدعى مريم بـ "ابْنَت عِمْرَانَ".
>
> وعلاوة على ذلك، نعرف أن آباء الكنيسة (مثلاً: أفراهاط [القرن الرابع] وغريغوري النيسي [ت. 395]، وكلاهما معروفان [جيداً] من قِبَل السريان المسيحيين) غالباً ما قارنوا بين المَريمَين (مريم العهد الجديد ومريم العهد القديم) وهذا الربط وجد مكاناً في الوعظ المسيحي الشعبي. وهذا يُفسِّر الالتباس (أي: يُفسِّر الخلط بين مريم أُم يسوع ومريم أخت هارون) بحسب جوزيف هينينغر.

> Could the Qur'ān have confused Mary the mother of Jesus with Mary the sister of Aaron? This seems to be confirmed by [مريم 28], where Mary is called "O sister of Aaron," and [التحريم 12], where Mary is called the daughter of 'Imrān.
>
> And yet we know that the fathers of the Church (e.g. Aphraates [fl. fourth century] and Gregory of Nyssa [d. 395], both of whom were well known to Syriac Christians) often compared the two Marys (of the Old and New Testaments) and that this connection found a place in popular Christian preaching. According to Joseph Henninger, this would explain the confusion.

ويرى (Prof. Gabriel Said Reynolds) أن جذور هذه الفكرة أقدم من ذلك، إذ أنها تعود إلى الإنجيل (إنجيل لوقا)، ثم تطورت إلى أن وصلت إلى أفراهاط السرياني وغيره ثم إلى القرآن(8295):

> [T]he Qur'an names Mary the "sister of Aaron" for the same reason that Luke names Elizabeth the descendent of Aaron [Lk 1.5]: she is associated with the priestly office of Israel. That Mary was known as Elizabeth's cousin [or: relative; kinswoman] (Lk 1.36) may have led the Qur'an to extend Aaron's association with Elizabeth to Mary as well.
>
> […]
>
> […] The idea of Miriam [the prophetess] as a type of Mary is detectable already in the Gospel of Luke. The *Magnificat*, Mary's song of joy with Elizabeth after the Annunciation (Lk 1.46-55), is reminiscent of Miriam's song of joy with the Israelite women after the splitting of the Sea (Ex 15.20-21). This is also a prominent topos with some Church fathers, among them the Syriac author Aphrahat.
>
> […] any dispute over the Qur'an's historical accuracy begs the question of whether the Qur'an is attempting to present history in the first place. The

conflation of the two Marys, it seems, is not a historical confusion but rather a literary typology. Of course, […], it is a distinctly Christian typology.

إذن: الفكرة بدأت من إنجيل لوقا الذي قال إن مريم العذراء "نسيبة" أو "قريبة" أَلِيصَابَات (Elisabeth) زوجة زكريا الكاهن ووالدة يوحنا المعمدان (لوقا 1:36)؛ ويجب هنا أن نقول إن اسم أَلِيصَابَات هو "الصيغة اليونانية لاسم لفظه في اللغة العبرية "أَلِيشَابَع" [...]. واسمها في العبرية هو نفس اسم امرأة هارون "أَلِيشَابَع" [الخروج 6:23]"[8296]. وقال إنجيلُ لوقا أيضاً إن أَلِيصَابَات "مِنْ بَنَاتِ هارُونَ (أي: ابنة كاهن؛ مِن سبط الكهنوت)" (لوقا 1:5)، مما قد يدفع إلى الظن بأن قريبتها مريم العذراء كانت أيضاً مِنْ بَنَاتِ هارُونَ **[← "أُخْتَ هَارُونَ" (مريم 28) سواء بالمعنى الحرفي أي أن مريم من نسل هارون، أو بالمعنى المجازي أي لها علاقة قوية بالهيكل مثل هارون الكاهن اللَّاوِيّ]**. وبما أن هارون أخو مريم النبية ابن عَمْرَام (العدد 26:59)، إذن: هذا قد يدفع إلى الظن أيضاً بأن مريم العذراء كانت ابنة عَمْرَام **[← "ابْنَتَ عِمْرَانَ" (التحريم 12) (آل عمران 35-36). وأثناء التطور البشري الطبيعي تحوَّل اسم "عمرام" إلى "عمران" ربما لتتفق نهاية اسمه مع أسماء عربية/مُعرَّبة أخرى مثل: سليمان، لقمان، عثمان، قرآن، حسان، الرحمن ... الخ]**.

لكن هذا الظن الذي تسلل إلى القرآن يتعارض مع الرأي السائد في التراث المسيحي وهو أن مريم العذراء من نسل داود، أي من سبط يهوذا وليست من سبط لاوي؛ واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة من بينها أن سلسلة نسب المسيح المذكورة في (لوقا 3:23-38) هي في الواقع سلسلة نسب مريم والدته. أما المشكلة التي أثارها إنجيل لوقا وهي كيف تكون أَلِيصَابَات بنت لاوي (لوقا 1:5) وفي الوقت نفسه نسيبة مريم بنت يهوذا أو قريبتها (لوقا 1:36)؟! فيمكن حلها بأن التزاوج كان يحدث كثيراً بين الأسباط، بل إن هارون اللَّاوِيّ نفسه قد تزوج "أَلِيشَابَع" (Elisheba) وهي من سبط يهوذا (الخروج 6:23) (1 أخبار الأيام 2:10)[8297].

ولعب إنجيلُ لوقا دوراً آخر في عملية الربط بين مريم العذراء والدة المسيح ومريم النبية "أخت هارون" "ابنة عمرام"، إذ أن تسبحة مريم العذراء (The Magnificat) (Mary's Song) "تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ [...]" (لوقا 1:46) التي تعبر عن فرحها بـ "يسوع" (أي: الرب خلاص؛ يهوه مُخلِّص) ابن الله الذي سيخرج قريباً من رحمها إلى العالم، تشبه ترنيمة مريم النبية (The Song of the Sea) "رَنِّمُوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ [...]" (الخروج 15:21) التي تعبر عن فرحها بخلاص شعب إسرائيل ابن الله الذي خرج من مصر إلى كنعان، والتي ما زالت تُقرأ في الصلوات اليهودية اليومية إلى يومنا هذا[8298]. فَمِن الواضح أن الفتاة اليهودية الملتزمة مريم العذراء كانت تردد في صلواتها اليهودية اليومية كلمات مريم النبية "أخت هارون" "ابنة عمرام". وكل هذا ساعد على اقتراب المريمتين مِن بعضهما في الفكر المسيحي (السرياني).

مما سبق نستطيع أن نفهم لماذا ربط بعضُ آباء الكنيسة - مثل "أفراهاط" السرياني (Aphrahat) (القرن الرابع الميلادي) - بين مريم النبيَّة أخت هارون وابنة عمرام ومريم العذراء والدة المسيح[8299]:

The fourth century Syriac Christian Aphrahat draws a parallel between the two Marys [of the Old and New Testaments]: “Miriam [the sister of Aaron and daughter of Amram] stood on the edge of the river when Moses was floating in the water; and Mary [the mother of Jesus] bare Jesus, after the Angel Gabriel had made the annunciation to her” (*Demonstrations* 21:10).

الترجمة العربية: "وقفت مريم [النبية] على حافة النهر حين طاف موسى فوق الماء، وحملت مريم [العذراء] بيسوع حين بشرها الملاك جبرائيل"[8300].

ويحدثنا أحد المراجع العربية عن كيف صارت مريم النبيَّة أخت هارون ابنة عمرام رمزاً ومثالاً يُحتذَى لعمل النساء، مثل الشمَّاسات والعذارى، في الكنيسة[8301]:

[...] وصارت {مريم النبيَّة أخت هارون} رائدة لجميع النساء المكرَّسات للرب منذ ذلك الحين، حتى إنها أول مَن ذكِرت فى صلاة تكريس الشمَّاسات فى كتاب قوانين الرسل القديسين هكذا:

[يا الله الأبدى أبا ربنا يسوع المسيح، خالق الرجل والمرأة، الذى ملأت بالروح مريم (أخت هارون وموسى)، ودبورة (قض 4:4)، وحنة (1 صم 1 و 2)، وخلدة (2 مل 14:22)، الذى لم تستنكف أن يولد ابنك الوحيد من امرأة {هى مريم العذراء} [...].]

ومنذ القرون الأولى للمسيحية اتخذ آباء الكنيسة مريم أخت هارون مثالاً يُحتذَى لعمل المرأة فى الكنيسة. فهوذا القديس جيروم {أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس بعد الميلاد} يكتب رسالة إرشاد لأرملة تُدعَى فيوريا كرَّست حياتها لخدمة الرب، يقول فيها:

[مثل مريم {النبيَّة أخت هارون} – بعد غرق فرعون – أخذت دفَّها ورنَّمت مع صفوف العذارى «رَنِّمُوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ»، فقد كانت تُعلِّم صاحباتها أن يصرن عازفات موسيقى، ولكن عازفات للمسيح؛ وضاربات على العود، ولكن للمخلِّص. وكانت تقضى الليل والنهار فى هذا العمل، والزيت فى آنيتها مستعد لكى تضعه فى المصابيح استعداداً لمجىء العريس. فهل لك إذاً أن تتمثلى بقريبتك؟]

كما يقول القديس أمبروسيوس أيضاً فى كتابه الموجَّه للعذارى:

[إن مريم {النبيَّة أخت هارون} بأخذها الدف قادت الرقص بتواضع واحتشام، يليق بالعذارى. ولكن فلنتأمَّل الآن إلى مَنْ كانت تشير؟ أليست مثالاً للكنيسة كعذراء عفيفة بلا دنس الروح تشارك فى اجتماعات الشعب الدينية فى إنشاد الترانيم الإلهية؟]

ويجب أن نلاحظ في النص السابق عملية الربط بين مريم العهد القديم (مريم النبيَّة أخت هارون وابنة عمرام) ومريم العهد الجديد (مريم العذراء والدة المسيح) منذ القرون الأولى للمسيحية وقبل الإسلام.

وبمرور الزمن تطورت الفكرة تطوراً بشرياً طبيعياً حتى قال أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي إن مريم العذراء "ابْنَت عِمْرَانَ" (التحريم 12) (آل عمران 35-36) وإن المعاصرين لها نادوها قائلين "يَا أُخْتَ هَارُونَ" (مريم 28). وهذا يؤكد ما نقوله دائماً: التطور البشري الطبيعي هو الذي يشرح كيف نشأ القرآنُ، ولا يمكن فهم القرآن إلا بالرجوع إلى التراث اليهودي والتراث المسيحي (السرياني بصفة خاصة). يقول القرآن: "فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ" (يونس 94). أما نحن فنقول: فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ مِن قَبْلِكَ التراثَ اليهودي/المسيحي بصفة عامة وليس الْكِتَاب المقدس فقط.

ونختم كلامنا بما قاله العالِمُ الكبير (Prof. Guillaume Dye) تعليقاً على (آل عمران 35-36)[8302]:

La mère de Marie est appelée « femme de ʿImrān » au [آل عمران 35], ce qui fait [de Marie], logiquement, la « fille de ʿImrān » [التحريم 12]. Cela rappelle le « Marie, sœur d'Aaron » de [مريم 28]. On a ici un détail très important pour comprendre la mariologie coranique. On a parfois supposé que le Coran confondait Marie, mère de Jésus, et Miryam, sœur de Moïse et d'Aaron (les prénoms en araméen et en grec sont identiques) – hypothèse invraisemblable. On a aussi supposé que le Coran entendait seulement souligner le lignage de Marie, et dire qu'elle était la *descendante* d'Aaron et de ʿImrān, non la sœur du premier et la fille du second. Cette lecture est contredite par les [آل عمران 35-36] (la femme de ʿImrān ne peut pas être sa descendante). La seule solution est une identification *typologique* de Marie et Miryam, qui a sa source dans les traditions liturgiques de l'église du Kathisma, concernant la fête de la « Mémoire de Marie ». L'une des lectures pratiquées lors de cette fête parle d'« Aaron, le frère de Marie », exactement avec le sens typologique du Coran (Dye 2012). La « famille de ʿImrān » au [آل عمران 33] concerne donc aussi bien Moïse et sa fratrie que Marie et Jésus.

الخلاصة: نحن إذن أمام احتمالين.

الاحتمال الأول هو أن أصحاب القرآن قد وقعوا في مفارقة تاريخية فادحة، بل خطأ تاريخي فادح، حينما وصفوا مريمَ العذراء والدة المسيح بأنها مريم "أُخْت هَارُونَ" (مريم 28) "ابْنَت عِمْرَانَ" (التحريم 12) (آل عمران 35-36). مما قد يعني أن أصحاب القرآن توهموا أن مريم العذراء = مريم النبيَّة أخت هارون ابنة عمرام (une identification réelle)، أو ربما خلطوا بين المريمتين.

أما الاحتمال الثاني فهو أن فِكر أصحاب القرآن حينما ربطوا بين مريم النبيَّة (أخت هارون، ابنة عمرام) ومريم العذراء كان مجرد تطور بَشرى طبيعي (natural human development) لفِكر مسيحي انطلق مِن الإنجيل (إنجيل لوقا) ثم تطور بمرور الزمن حتى وصل إلى "أفراهاط" السرياني وغيره ثم استقر في القرآن. وإذا أردنا تلخيص هذا الفكر المسيحي←القرآني في جملة واحدة فسنقول: إن مريم النبيَّة أخت هارون وابنة عمرام "رمز" لمريم العذراء (une identification typologique). أو: مريم العذراء ≠ مريم النبيَّة أخت هارون ابنة عمرام، لكنها تشبهها في روحها وإيمانها وأقوالها وأفعالها، فيمكن أن نناديها بنفس الاسم واللقب: مريم أخت هارون ابنة عمرام/عمران[8303]. وفي هذه الحالة، لم يقع القرآن في مفارقة تاريخية أو خطأ تاريخي، وإنما فقط تأثر بالتراث المسيحي البشري (السرياني بصفة خاصة).

نحن نميل إلى الاحتمال الثاني، مع أننا لا نستبعد الاحتمال الأول. وفي كلتا الحالتين، النتيجة واحدة: القرآن – تحديداً (مريم 28) (التحريم 12) (آل عمران 35-36) – ليس كلام الله، وإنما كلام بشر 100%.

4.54.1.1 لماذا جاءت "مَرْيَم ابْنَت عِمْرَانَ" (التحريم 12) بعد "امْرَأَت فِرْعَوْنَ" (التحريم 11)؟!

وكذلك فيما يتعلق بمسألة لماذا وضع صاحبُ (التحريم 12) - سواء كان محمدٌ أو غيره - مريمَ العذراء "ابْنَت عِمْرَانَ" (التحريم 12) **بعد** "امْرَأَت فِرْعَوْنَ (Pharaoh's wife)" (التحريم 11) التي تناظر "ابنة فرعون" حسب قصة موسى في التوراة والإنجيل؟

الإجابة: نحن أيضاً أمام احتمالين.

الاحتمال الأول هو أن صاحب (التحريم 12) - سواء كان محمدٌ أو غيره - قد وقع في خطأ تاريخي فادح حينما خلط وجَمَع (confused and conflated) بين مريم العذراء أم المسيح ومريم النبية "أُخْت هَارُونَ" "ابْنَت عمرام" التي تحدثت مع امْرَأَت فِرْعَوْنَ أو مع آل فرعون بصفة عامة (طه 37-40) (القصص 3-13)[8304]، ولذلك وضع مريمَ العذراء "ابْنَت عِمْرَانَ" (التحريم 12) بعد "امْرَأَت فِرْعَوْنَ" (التحريم 11).

أما الاحتمال الثاني فهو أن صاحب (التحريم 12) - سواء كان محمدٌ أو غيره – قد وقع بوعي أو بدون وعي تحت تأثير التراث المسيحي السرياني الذي وضع أيضاً مريمَ العذراء (أم يسوع المسيح الحقيقية) [← "مَرْيَمَ [العذراء] ابْنَتَ عِمْرَانَ" (التحريم 12)] **بعد** ابنة فرعون (أم موسى النبي بالتبني) [← "امْرَأَت

فِرْعَوْنَ" (التحريم 11) التي قالت "لَا تَقْتُلُوهُ (أي: لا تقتلوا الطفلَ موسى) عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (أي: بالتبني)" (القصص 9)]. ودليلنا على ذلك مِن المقابلة الأولى من المقابلات مع الشعب اليهودي (Homilies against the Jews 1) التي كتبها بالسريانية الأسقف السرياني المعروف "يعقوب السروجي" (Jacob of Serugh) أسقف سروج بشمال العراق والمتوفي عام 521م، أي قبل الإسلام. فهذا المفكر المسيحي السرياني المبدع الذي نعتبره واحداً من الآباء الروحيين لأصحاب القرآن أراد أن يشرح الآية التوراتية الشهيرة التي تنبأت بالمسيح: "يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي (أي: مثل موسى)" (التثنية 15:18)، فبدأ تشبيهاً بين موسى ويسوع، وانطلق منه إلى تشبيه بين أم موسى بالتبني (أي: ابنة فرعون) وأم يسوع الحقيقية (أي: مريم العذراء)، فقال: {179} أي نبي يشبه موسى سوى ربّنا [يسوع المسيح]: {180} رسمه موسى (Moses prefigured Jesus) في كل طريق افتقاده (أي: رحلته). {181} أخذ موسى لنفسه أماً مستعارة (an adopted mother) وجعلها أمه (يقصد: ابنة فرعون أم موسى بالتبني)، {182} كما أخذ المسيحُ له أماً بنت المساكين. {183} حين وُلِدَ موسى وكمُل في ولادته، {184} اقتنى له أماً فصوَّر (يقصد: فصوَّرت ابنةُ فرعون أمَّ موسى بالتبني) مريمَ أمَّ الابن (أي: مريمَ العذراء أم المسيح)[8305]. **[← فكما وضع الأستاذ السرياني يعقوبُ السروجي مريمَ العذراء (أم يسوع) بعد ابنة فرعون (أم موسى بالتبني) ووجه الشبه بينهما هو أن كلتاهما أم نبي عظيم، جاء بعده التلميذ العربي صاحبُ (التحريم 12) - سواء كان محمدٌ أو غيره - وفعل نفس الشيء فوضع مريمَ العذراء (أم عيسى) بعد امرأة فرعون (أم موسى بالتبني) ووجه الشبه بينهما هو الإيمان: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ [...]. وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ [...]" (التحريم 11-12). وكان ينبغي أن يقول: "وَضَرَبَ أستاذُنا ومعلِّمُنا يعقوبُ السروجي مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا ابنةَ فِرْعَوْنَ [...]. وَمَرْيَمَ أم المسيح [...]"].**

نحن نميل إلى الاحتمال الثاني، مع أننا لا نستبعد الاحتمال الأول. وفي كلتا الحالتين، النتيجة واحدة: القرآن ليس كلام الله، وإنما كلام العرب 100%. ولولا التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)، لَمَا استطاع العربُ أن ينتجوا القرآن. فما كان العرب ليهتدوا إلى هذا القرآن لولا أن هداهم يعقوبُ السروجي وأفراهاط السرياني وإفرام السرياني وغيرهم من المسيحيين السريان المبدعين.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) + التراث العربي **[← القرآن]**.

4.55 طفلة يهودية تأكل الطعامَ في محراب بيت الله في القدس!

يقول قرآنُ العرب: "إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ (أي: أم مريم) رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا (أي: خالصاً لك؛ لخدمة بيت الله) فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى [لأن الأنثى لا تصلح للخدمة في بيت الله[8306]] وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا (أي: أسألكَ يَا رَبِّ أن تحصِّن مريمَ) بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا [في بدنها وخلقها وأخلاقها] وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا (أي: جعل زكريا كافلاً لها وراعياً لشئونها) كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا (أي: طعاماً طيباً) قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (آل عمران 35-37).

وكالعادة، اختلفت القراءات القرآنية والتفاسير. فلقد اختلف القُرَّاء فى قراءة "وضعت" (آل عمران 36)، فمِنهم مَن قال إن هذا كلام الله "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ"، ومِنهم مَن قال إن هذا كلام امْرَأَةُ عِمْرَانَ "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ". وكذلك اختلف المفسرون فى تفسير "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى": فقيل إن هذا كلام الله على سبيل التسلية أو التعزية لأن هذه الأنثى (أي: مريم) سوف يكون لها شأن عظيم، وقيل إن هذا كلام امْرَأَةِ عِمْرَانَ على سبيل التحسر أو الاعتذار لأنه لم يكن يُقبَل فى النذر للخدمة إلا الذكور – وكما سنرى بعد قليل هذا هو التفسير الذي يتفق أكثر مع عادات وتقاليد اليهود – وقيل غير ذلك[8307]. وفى كل الأحوال وأياً كانت القراءة الصحيحة وأياً كان التفسير الصحيح، فإن السؤال الذي يجب أن يشغل بالنا هو: ما الدليل أن هذه القصة المذكورة فى القرآن (آل عمران 35-37) قصة حقيقية حدثت بالفعل تاريخياً؟!

وكالعادة أيضاً، كما لم يذكر القرآنُ اسمَ امرأة آدم ولا اسم امرأة نوح ولا اسم امرأة إبراهيم ولا اسم امرأة لوط ولا اسم امرأة فرعون ولا اسم امرأة العزيز، كذلك فإنه لم يذكر اسم امرأة عمران، أى: اسم والدة مريم العذراء. فما اسمها؟ فى العديد مِن المراجع الإسلامية القديمة والحديثة: اسمها حَنَّة[8308]. ومِن حُسْن الحظ أن نخبة مِن "علماء" المسلمين اعترفوا بذلك وأعطونا – جزاهم الله خيراً – اسمَ الأب **المباشر** لمريم العذراء: "أما أبوها المباشر [أي: والد مريم العذراء] فاسمه "يهويا قيم" وأمها اسمها "حنة" كما جاء في إنجيل يعقوب [الأبوكريفي] الذي لا يعترف به النصارى"[8309]. (ويا ليت هؤلاء "العلماء" يعطونا سبباً مقنعاً لماذا لا يذكر القرآن أسماء النساء! مريم هي الاستثناء الوحيد – ربما لأن ليس لها زوج ينسبها القرآن إليه!)

4.55.1 مصادر القرآن من أساطير الأبوكريفا المسيحية

هذه القصة القرآنية المذكورة فى (آل عمران 35-37) ليس لها أى وجود فى الإنجيل ولا فى العهد الجديد بأكمله! فمِن أين جاءت؟! هل بوحي من الله كما تزعم البروباجاندا الإسلامية؟ الإجابة: لا، وإنما بوحي من إنجيل يعقوب الأبوكريفي الذي لا يعترف به المسيحيون بسبب احتوائه على أخطاء دينية وتاريخية وجغرافية! يُعرَف إنجيل يعقوب الأبوكريفي بعدة أسماء، منها: "إنجيل يعقوب" (Gospel of James) و

"إنجيل الطفولة ليعقوب" (Infancy Gospel of James) و "إنجيل يعقوب التمهيدي" أو "إنجيل يعقوب الأوَّلي" أو "إنجيل البداية ليعقوب" (Proto-Gospel of James) (Protévangile de Jacques) (Protoevangelium of James)، ويُعرَف أيضاً باسم "إنجيل يعقوب الصغير" (Protoevangelium Iacobi Minoris) (Protevangelium of James the Less)[8310]. يعود تاريخ أقدم مخطوطة (Papyrus Bodmer V) لهذا الإنجيل إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادى، ولكن على الأرجح أنه قد كُتِب فى النصف الثانى مِن القرن الثانى الميلادى. فى كل الأحوال، كُتِب إنجيل الطفولة ليعقوب قبل الإسلام بأكثر من 200 سنة.

تُرجِم إنجيل الطفولة ليعقوب إلى اللغة السريانية فى القرن الخامس الميلادى، وتُرجِم أيضاً إلى عدة لغات شرقية أخرى: قبطية وأثيوبية وعربية وغيرها، مما يدل على انتشاره الواسع فى الشرق الأوسط. وقد يكون السبب وراء انتشاره هو احتوائه على أساطير وقصص شعبية كانت تتوارثها الأجيال شفوياً قبل كتابته. تتعلق هذه الأساطير بمواضيع شيقة عن الطفولة والأمومة وهي مواضيع كانت – ولا تزال – تجذب أسماع العامة والنساء بصفة خاصة وتشبع فضول البسطاء الراغبين فى معرفة مزيد من التفاصيل عن ميلاد مريم العذراء وطفولتها وميلاد يسوع وطفولته. أما في الغرب المسيحي فكان الأمر مختلفاً، إذ حرَّم باباوات الكنائس الغربية هذا الإنجيل الأبوكريفى منذ القرن الخامس الميلادى، ولم يُعرَف فى الغرب إلا سنة 1552م حين ترجمه (G. Postel) إلى اللغة اللاتينية.

ولقد اخترنا إنجيلَ يعقوب الأبوكريفي الخرافي المنحول المكذوب المزور المزيف لأنه أقدم مصدر مكتوب للأسطورة القرآنية المذكورة فى (آل عمران 35-37)؛ على الأقل أقدم مصدر استطعنا أن نصل إليه. لكن يجب التنويه إلى أن عناصر هذه الأسطورة القرآنية (آل عمران 35-37) موجودة فى أعمال أبوكريفية أخرى، مثل إنجيل متى المنحول (Gospel of Pseudo-Matthew)[8311] وإنجيل ميلاد مريم[8312] و "سيرة العذراء" (History of the Virgin)[8313]. بالطبع هناك بعض الإضافات و/أو الحذف فى التفاصيل كما تعودنا، لكن تكرار عناصر القصة فى عدة أعمال مختلفة هو فى حد ذاته دليل قاطع يؤكد انتشارها انتشاراً واسعاً كقصة شعبية (folktale) أو كأسطورة (legend) تتوارثها الأجيال عن ميلاد مريم.

سنذكر فيما يلي الأجزاء الهامة مِن هذه الأسطورة الشيقة كما جاءت فى إنجيل الطفولة ليعقوب موضحين التطور البشري الطبيعي من إنجيل يعقوب الأبوكريفي إلى القرآن العربي (آل عمران 35-37) بعلامة ← بين القوسين **[]** كما تعودنا. فى إنجيل الطفولة ليعقوب نجد أن اسم أم مريم العذراء هو حَنَّة (Anna)، واسم أبوها هو يواقيم (Joachim) أى: يهويا قيم. حسب الإصحاح الرابع مِن هذا الإنجيل الأبوكريفي الخرافي المنحول: نَذَرت حَنَّة أن تُقدِّم مولودها – سواء كان ذكراً أم أنثى **[← "مَا (what) (ce qui) فِي بَطْنِي" (آل عمران 35)]** – كعطية للرب حتى يُكرّس كل حياته للخدمة الإلهية **[← "إِذْ**

قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا" (آل عمران 35)]. يقول إنجيل يعقوب الأبوكريفي الخرافي المنحول المكذوب المزور المزيف(8314):

فقالت حَنَّة: "حي هو الرب، إلهي، سواء كان من ألده ذكراً أم أنثى فسوف أُقدّمه للرب، وسوف يكرّس حياتَه للخدمة الإلهية"
[…] Anna replied, "As the Lord God lives, whether my child is a boy or a girl, I will offer it as a gift to the Lord my God, and it will minister to him its entire life."

ثم يتحدث الإصحاح الخامس عن الولادة وما حدث فيها: سألت حَنَّة قابلتها "ماذا ولدت؟"، فأجابت القابلة "بنتاً" **[← "إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى" (آل عمران 36)]**، فوضعت حَنَّة طفلتها، ثم تطهرت وأرضعتها وأسمتها مريم **[← "وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ" (آل عمران 36)]**. يقول إنجيل يعقوب الأبوكريفي الخرافي المنحول المكذوب المزور المزيف(8315):

ولدت [حَنَّة] وقالت لقابلتها: "ماذا ولدت؟" فأجابت الأخرى: "بنتاً". فقالت حَنَّة: "نفسي ابتهجت هذه الساعة". وأرضعت حَنَّة طفلتها وأسمتها مريم.
[Anna] gave birth. She asked the midwife, "What is it?" The midwife replied, "A girl." Anna said, "My soul is exalted today." And she laid the child down. When the days came to completion, Anna washed off the blood of her impurity, gave her breast to the child, and named her Mary.

أما الإصحاح السادس فيذكر دعاءَ الكهنة ورؤساء الكهنة لكي يبارك اللهُ مريمَ إلى الأبد ويعطها اسماً يُعظَّم في جميع الأجيال **[← "وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (آل عمران 36)]**. يقول إنجيل يعقوب الأبوكريفي الخرافي المنحول المكذوب المزور المزيف(8316):

وأحضر [يواقيم] الطفلةَ [مريم] للكهنة، فباركوها قائلين: "يا إله آبائنا، بارك هذه الطفلة وأعطها اسماً يُعظَّم في كل الأجيال". وقال الشعب كله: "آمين، ليكن كذلك". وقدَّمها أبواها للكهنة فباركوها، قائلين: "يا إله المجد، تطلع لهذه الطفلة وامنحها بركةً لا تعرف أي انقطاع".
Joachim brought the child out to the priests and they blessed her, saying, "O God of our fathers, bless this child and give her a name that will be famous forever, to all generations." And all the people replied, "Let it be so! Amen." They brought her to the chief priests, and they blessed her,

saying, "O Most High God, look upon this child and bless her with an ultimate blessing, equal to none."

ويجب هنا أن نقول إن هذا الدعاء منحول من تسبحة مريم (The Magnificat) "فَهُوَذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي" (لوقا 1:48). ثم تطور تطوراً بشرياً طبيعياً في صلاة للقديس المسيحي المبدع العملاق "إفرام" السرياني (Ephraem) (Ephrem the Syrian) (القرن الرابع الميلادي) حتى وصل في القرن السابع الميلادي إلى أصحاب القرآن (آل عمران 36). تتعلق هذه الصلاة المسيحية السريانية بفكرة مفادها أن مريم العذراء وابنها المسيح يسوع تميّزا عن سائر البشر بأنهما بلا خطيئة (free from sin)[8317] [← **دعاء أم مريم: "وَإِنِّي أُعِيذُهَا (أي: أسألكَ يَا رَبِّ أن تحصّن مريمَ) بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا (أي: وابنها المسيح عيسى) مِنَ [غواية] الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (آل عمران 36). كما ميَّز القرآنُ مريمَ والمسيح عن سائر البشر في آيات قرآنية أخرى مثل: "وَجَعَلْنَاهَا (أي: وَجَعَلْنَا مريمَ) وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 91)، "وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ (أي: مكانٍ مرتفع) ذَاتِ قَرَارٍ (أي: مستوٍ مستقر) وَمَعِينٍ (أي: ماء عذب)" (المؤمنون 50)؛ "وَلِنَجْعَلَهُ (أي: وَلِنَجْعَل المسيحَ ابن مريم) آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا" (مريم 21)؛ "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (أي: على جميع نساء العالم إلى يوم القيامة). [...]. إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (آل عمران 42-45)؛ وآيات قرآنية أخرى]**.

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) تعليقاً على إنجيل يعقوب الأبوكريفي وتأثيره على القرآن (آل عمران 35-36)[8318]:

[آل عمران 35-36] The Qurʾān follows closely here the *Protoevangelium of James*, a Greek Christian work written in the late second century and translated into Syriac in the fifth century. In the *Protoevangelium* Mary's mother (Anna; Hb. "Hannah") is barren, but when she laments, God sends an angel from heaven to announce that she will bear a child. In thanksgiving Anna proclaims that she will consecrate the child to the service of God in the Jerusalem temple. The scene recapitulates that of Hannah in 1 Samuel with an important exception: whereas the Old Testament Hannah asks God for a son (as "males belong to the Lord"; Exodus 13:12), Anna (like the wife of ʿImrān in the Qurʾān) declares to God her readiness to accept a son or a daughter (cf. [آل عمران 36]):

And behold an angel of the Lord came to her and said: “Anna, Anna, the Lord has heard your prayer. You shall conceive and bear, and your offspring shall be spoken of in the whole world.” And Anna said, “As the Lord my God lives, if I bear a child, *whether male or female*, I will bring it as a gift to the Lord my God, and it shall serve him all the days of its life.” (*Protoevangelium* 4.1, emphasis added).

The manner in which the Qurʾān has Mary’s mother commend Mary and her “descendants” (i.e., Jesus) to God’s protection from the devil may allude to the Christian doctrine that Mary and Jesus were free from sin.

وقبل أن نترك (آل عمران 35-36)، يجب أن نؤكد أن كلمة "نَذَرْتُ" (vowed) التي وضعها أصحابُ القرآن على لسان حَنَّة أم مريم "إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا" (آل عمران 35) هي أصلاً كلمة عِبرية[8319] وتتعلق بنذر "النذير" (Vow of the Nazirite) حسب التوراة (العدد 1:6-21) التي تحدد الأمور التي يجب أن يمتنع (أي: ينفصل) عنها كل مَن كان "مُكرَّساً" (consecrated) "مُفْرَزاً" (separated) لخدمة الله حسب شريعة النذير[8320]، ومنها على سبيل المثال الامتناع عن شرب الخمر "فَعَنِ الْخَمْرِ وَالْمُسْكِرِ يَفْتَرِزُ" (العدد 3:6)؛ فهي إذن نوع من النسك أو الزهد (asceticism). تقول دائرة المعارف الكتابية: "النذير هو الشخص – رجلاً كان أو امرأة – الذي ارتبط بنذر خاص لينفرز للرب، أي ليكرّس نفسه لخدمة الرب، سواء لمدى الحياة أو لمدة معينة، وسواء كان النذر منه [...] أو من والديه [...] أو بأمر الرب"[8321]. ولقد نَذَرَتْ حَنَّةُ أم صموئيل النبي نذرَ النذير في صلاتها المشار إليها: "فَصَلَّتْ [حَنَّةُ] إِلَى الرَّبِّ، وَبَكَتْ بُكَاءً، وَنَذَرَتْ نَذْرًا (بالعبرية: ndr thdr) **[⟵ بالعربية: "نَذَرْتُ" (آل عمران 35)]** وَقَالَتْ: «يَا رَبَّ الْجُنُودِ **[⟵ "إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ" (آل عمران 35)]**، إِنْ نَظَرْتَ نَظَرًا إِلَى مَذَلَّةِ أَمَتِكَ، وَذَكَرْتَنِي وَلَمْ تَنْسَ أَمَتَكَ بَلْ أَعْطَيْتَ أَمَتَكَ زَرْعَ بَشَرٍ، فَإِنِّي أُعْطِيهِ لِلرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ **[⟵ "إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا (أي: خالصاً لكَ؛ dedicated؛ consecrated؛ separated)" (آل عمران 35)]**، وَلاَ يَعْلُو رَأْسَهُ مُوسَى (razor)»" (1 صموئيل 1:10-11).

فيمكن إذن أن نقول إن أصحاب القرآن أدمجوا (conflated) صلاةَ حَنَّة أم صموئيل النبي حسب سفر صموئيل الأول، مع صلاة حَنَّة أم مريم العذراء حسب إنجيل يعقوب الأبوكريفي في صلاةٍ واحدة هي صلاة امرأة عمران: "إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (آل عمران 35). وساعدهم على هذا الدمج اشتراكُ الامرأتين في نفس الاسم "حَنَّة" (وتعني: نعمة)، واشتراكهما أيضاً في نفس الخلفية اليهودية وهي شريعة "النذير". فبخلاف شريعة "تكريس الأبكار"

اليهودية (Consecration of the Firstborn) التي تشترط أن يكون المكرَّس ذكراً: "أَنَّكَ تُقَدِّمُ لِلرَّبِّ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ، وَكُلَّ بِكْرٍ مِنْ نِتَاجِ الْبَهَائِمِ الَّتِي تَكُونُ لَكَ. الذُّكُورُ لِلرَّبِّ" (الخروج 13:12)، (الخروج 34:19) **[⟵ "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ" (آل عمران 36)]**؛ لا تشترط شريعة النذير اليهودية أن يكون المكرَّس ذكراً: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِذَا انْفَرَزَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ لِيَنْذُرَ نَذْرَ النَّذِيرِ، لِيَنْتَذِرَ لِلرَّبِّ" (العدد 6:1-2) **[⟵ "فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ" (آل عمران 37) حسب شريعة النذير وليس حسب شريعة تكريس الأبكار. قال الفخر الرازي: "فِي تَفْسِيرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَقَبَّلَهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، مَا رُوِيَ أَنَّ حَنَّةَ حِينَ وَلَدَتْ مَرْيَمَ لَفَّتْهَا فِي خِرْقَةٍ وَحَمَلَتْهَا إِلَى الْمَسْجِدِ (يقصد: مسجد اليهود؛ الهيكل) وَوَضَعَتْهَا عِنْدَ الْأَحْبَارِ أَبْنَاءِ هَارُونَ، وَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَالْحَجَبَةِ فِي الْكَعْبَةِ، وَقَالَتْ : خُذُوا هَذِهِ النَّذِيرَةَ"[8322]. وقال الطبري: "يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - تَقَبَّلَ مَرْيَمَ مِنْ أُمِّهَا حَنَّةَ، وَتَحْرِيرَهَا إِيَّاهَا لِلْكَنِيسَةِ (يقصد: للهيكل) وَخِدْمَتَهَا وَخِدْمَةَ رَبِّهَا "بِقَبُولٍ حَسَنٍ""[8323]]**.

لكن لماذا شعرت امرأةُ عمران أن الله لن يتقبَّل مريمَ: "قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ [...] وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ" (آل عمران 36)؟ الإجابة: لأنه على الرغم من أن الشريعة اليهودية تسمح نظرياً للأنثى أن تكون نذيرة (العدد 6:2)، إلا أنه عملياً على أرض الواقع جرت العادة اليهودية أن يكون النذيرُ ذكراً: "وَأَقَمْتُ مِنْ بَنِيكُمْ أَنْبِيَاءَ، وَمِنْ فِتْيَانِكُمْ (your young men) نَذِيرِينَ (Nazarites). أَلَيْسَ هكَذَا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟" (عاموس 2:11). وتوجد ثلاثة أمثلة على ذلك: صموئيل (Samuel) (1 صموئيل 1:11)؛ شمشون (Samson) "الصَّبِيَّ يَكُونُ نَذِيرًا للهِ مِنَ الْبَطْنِ" (القضاة 13:5) **[⟵ "إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا" (آل عمران 35)]**؛ يوحنا المعمدان (John the Baptist) "يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (لوقا 1:15) **[⟵ "إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا" (آل عمران 35)]**. ولم نجد إلا حالة واحدة فقط في التراث اليهودي المتأخر كان النذير فيها امرأةً بالغة وهي الملكة "هيلني" ملكة هدياب (Helena of Adiabene) في القرن الأول الميلادي[8324]، مما يدل على أنه كان أمراً نادراً وصعباً للغاية بل مستحيلاً للفتيات الصغيرات، ولذلك شعرت امرأةُ عمران أن الله لن يتقبَّل مريمَ: "قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ [...] وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ" (آل عمران 36).

نعود إلى إنجيل يعقوب الأبوكريفي الخرافي وتأثيره على القرآن، وكُنَّا قد توقفنا عند ميلاد مريم والدعاء لها. في الإصحاح السابع: كبرت الطفلة مريم وصار عمرها 3 سنوات. وفاءً بالنذر، تأخذ حَنَّة ويواقيم (يهويا قيم) ابنتهما مريم إلى هيكل الرب (Temple of the Lord) **[⟵ "الْمِحْرَابَ (أي: المعبد؛ الْمَقْدِس (Sanctuaire) (sanctuary)[8325]؛ مكان الصلاة في بيت الْمَقْدِس)" (آل عمران 37)]**! استقبل الكاهنُ مريمَ **[⟵ "كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا [النبي/الكاهن]" (آل عمران 37)]** وقبَّلها وباركها ووضعها على الدرجة الثالثة من المذبح (altar) **[⟵ "فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ" (آل عمران 37)]** وسكب الله نعمته عليها **[⟵**

"وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا" (آل عمران 37)]. يقول إنجيل يعقوب الأبوكريفي الخرافي المنحول المكذوب المزور المزيف[8326]:

الفصل السابع: مريم تدخل الهيكل: عندما بلغت مريم الثانية من عمرها، قال يواقيم لحَنَّة زوجته: "لننْقُذْها إلى هيكل الله، ولنتمِّم النذر الذي نذرناه، لئلا يغضب الله ولا يقبل تقدماتنا". فقالت حَنَّة: "لننتظر العام الثالث، خوفاً من أن تعاود إلى أبيها وأمها". فقال يواقيم: "لننتظر". وبلغت الطفلة عامها الثالث، فقال يواقيم: "نادوا عذارى العبرانيين اللواتي بلا عيب، وليحملن مصابيح ويُشعلْنها، وعلى الطفلة ألا تلتفت إلى الوراء وألا يبتعذ ذهنها عن بيت الله". وصنعت العذارى كما أمر به، ودخلن الهيكل. واستقبل الكاهنُ الطفلةَ وقبَّلها وقال: "يا مريم، إن الرب عظَّم اسمَكِ في جميع الأجيال، وفي آخر الآيام، سيُظهر اللهُ فيكِ خلاصَ أبناء إسرائيل". ووضعها على درجة المذبح الثالثة، فسكب اللهُ نعمتَه عليها، فارتعشت فرحاً وهي ترقص برجليها وقد أحبها كل بيت إسرائيل.
Months passed for the child. When she became two, Joachim said, “Now we should take her up to the Temple of the Lord, to fulfill the promise we made; […].” Anna replied, “Let’s wait until she is three; […].” Joachim agreed, “Let us wait.” When the child turned three, […] They did this, until they had gone up to the Lord’s Temple. And the priest of the Lord received her and gave her a kiss, blessing her and saying, “The Lord has made your name great among all generations. Through you will the Lord reveal his redemption to the sons of Israel at the end of time.” He set her on the third step of the altar, and the Lord God cast his grace down upon her. She danced on her feet, and the entire house of Israel loved her.

وأخيراً في الإصحاح الثامن نرى مريم في هيكل الرب تتلقى طعامها من يد ملاك **[← "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا (أي: طعاماً طيباً) قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ" (آل عمران 37)]**! يقول إنجيل يعقوب الأبوكريفي الخرافي المنحول المكذوب المزور المزيف[8327]:

الفصل الثامن: مريم تتلقّى طعامها من يد الملائكة: ونزل أبواها متعجبين، شاكرين الله ومسبحين لأن الطفلة لم تلتفت إليهما. وكانت مريم في هيكل الرب مثل اليمامة **وكانت تتلقى طعامها من يد الملائكة.**

Mary was in the Temple of the Lord, cared for like a dove, receiving her food from the hand of an angel.

أما جملة "إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (آل عمران 37)، فإنها تكملة لكلام مريم كما جاء في كتب تفسير للقرآن وكما نرى نحن أيضاً. إنها مجرد جملة إسلامية/عربية وضعها أصحابُ القرآن على لسان مريم، بدليل أنهم استخدموها في آيات قرآنية أخرى ليس لها علاقة بقصة ميلاد مريم وطفولتها: "وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (البقرة 212)؛ "وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (النور 38).

4.55.2 أين يقع "الْمِحْرَاب" (آل عمران 37)؟

ويجب أن نتوقف هنا أمام كلمة "الْمِحْرَابَ" (آل عمران 37) التي لا يزال المسلمون أنفسهم يستخدمونها إلى اليوم للدلالة على نتوء قِبْلَة الصلاة (prayer niche) الذي يقف أمامه الإمامُ لإمامة صلاة الجماعة في المسجد. فنحن نستنتج من القرآن وتفاسيره وأيضاً من التراث اليهودي/المسيحي أن الْمِحْرَابَ مكانٌ طاهر ومقدَّس للصلاة في هيكل الرب في أورشليم/القدس (Holy Temple in Jerusalem) (بيت الْمَقْدِس؛ بالعبرية: Beit Ha-Miqdash). بدليل أن الآيات التي تلي (آل عمران 37) مباشرةً تقول "هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ [...]. فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي (praying) فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ [...]" (آل عمران 38-39). ومن المعلوم أن زكريا أبو يحيى (يوحنا المعمدان) كان كاهناً في هيكل الرب؛ إذ يقول الإنجيلُ: "كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا [...] أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ وَيُبَخِّرَ (أي: ينال شرفاً عظيماً لا يناله إلا الكهنة، وربما لا يناله الكاهنُ إلا مرة واحدة في العمر حسب حظه في الْقُرْعَة، وهو شرف تقديم البخور على المذبح الذهبي الموجود في وسط الْقُدْسِ (Holy) (الْمَقْدِس Sanctuary) أمام حجاب قُدْسِ الأَقْدَاسِ (Holy of Holies) (الْمَقْدِس الداخلي Inner Sanctuary) الذي كان فيه تَابُوت عَهْدِ الرَّبِّ[8328]). وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجًا (أي: خارج الْقُدْسِ) وَقْتَ الْبَخُورِ. فَظَهَرَ لَهُ (أي: لزكريا) مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفًا عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ. [...] فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ، وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهذَا (أي: بميلاد يُوحَنَّا/يحيى) [...] وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا وَمُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ. فَلَمَّا خَرَجَ [مِن الْهَيْكَلِ] لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، فَفَهِمُوا أَنَّهُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ. فَكَانَ يُومِئُ إِلَيْهِمْ (أي: يشير إليهم) وَبَقِيَ صَامِتًا" (لوقا 1:5-22) **[← "فَخَرَجَ [زكريا] عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ (أي: فأشار إليهم) أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا" (مريم 11)[8329]]**. فمما سبق يتضح أن "الْمِحْرَابَ" (آل عمران 37) لم يكن غرفة عادية أو حضانة أطفال في مكانٍ ما خارج الهيكل أو مُلْحَقة بالهيكل، وإنما كان هو الهيكل نفسه بل كان مكاناً طاهراً ومُقدَّساً ومخصصاً للصلاة داخل هيكل الله

في أورشليم (أي: داخل بيت الله في القدس). القرآن نفسه يقول: "وَهُوَ (أي: زكريا) قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ (praying in the sanctuary)" (آل عمران 39).

وفي الواقع، يوجد دليل قرآني آخر يؤكد أن الْمِحْرَاب هو الهيكل. إذ لم تُذْكَر كلمة "مِحْرَاب" وجمعها "مَّحَاريب" في آيات قرآنية أخرى إلا مرتين فقط. مرة في قصة داود (David): "وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (أي: مكان العبادة). إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ [...]" (ص 21-22). ومرة في قصة سليمان (Solomon): "يَعْمَلُونَ لَهُ (أي: لسليمان) مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ (أي: مساجد للعبادة؛ أو: قصور) وَتَمَاثِيلَ [...]" (سبأ 13). ومِن المعلوم حسب التراث اليهودي/المسيحي أن سليمان هو الذي بنى هيكل الله في أورشليم في نفس الموضع الذي حدده أبوه داود: "وَشَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، فِي جَبَلِ الْمُرِيَّا حَيْثُ تَرَاءَى لِدَاوُدَ أَبِيهِ، حَيْثُ هَيَّأَ دَاوُدُ مَكَانًا [...]" (2 أخبار الأيام 3:1). وهذا يكفينا كدليل قرآني يؤكد أن أصحاب القرآن حين قالوا "الْمِحْرَاب" (آل عمران 37، 39) (مريم 11) كانوا يفكرون في هيكل الله في أورشليم الذي بناه سليمان بناء على تعليمات أبيه داود. وإنْ قلتم إن كلمة "مِحْرَاب" وجمعها "مَّحَاريب" المذكورة في (ص 21-22) (سبأ 13) لا تعني تحديداً هيكل الله في أورشليم لأنه لم يكن قد بُنِيَ بعد. فسنقول: لكنها تعني "هيكل" بمعناه العام، أي: بناء مخصص للعبادة، أو قصر، أو بيت عظيم وضخم. تقول دائرة المعارف الكتابية: "الهيكل بناء مخصص لعبادة الإله. والكلمة في العبرية هي "هيكل" كما هي في العربية، وتعني القصر أو البيت العظيم، وقد ترجمت فعلاً إلى قصر 13 مرة [...]. وهي أصلاً مشتقة من الكلمة الأكادية "إكالو" المستعارة بدورها من الكلمة السومرية "إيجال" أي "البيت العظيم" (وفي المعجم العربي، "الهيكل": الضخم من كل شيء). وعلاوة على استخدام الكلمة للدلالة على "الهيكل في أورشليم"، فإنها استخدمت أيضاً في الإشارة إلى خيمة الشهادة في شيلوه [...] وإلى مسكن الرب في السماء [...] وإلى المعابد الوثنية [...]. كما أنه كثيراً ما تستخدم كلمة "بيت" (في العبرية كما في العربية) في الإشارة إلى الهيكل، سواء كان إلى هيكل وثن [...] أو إلى هيكل الله في أورشليم [...]"(8330).

وبما أن كلمة "الهيكل" في إنجيل لوقا القانوني وفي إنجيل يعقوب الأبوكريفي تعني تحديداً: هيكل الله في أورشليم. إذن: كلمة "الْمِحْرَاب" في القصة القرآنية المناظرة (آل عمران 37، 39) (مريم 11) تعني تحديداً أيضاً: هيكل الله في أورشليم. الهيكل الثاني (Second Temple) طبعاً. "وكان الهيكل [الثاني] مقسماً مِثل سابقه – إلى القدس وقدس الأقداس بنفس النسب بلا شك. ونجد إشارة الى الحجاب الذي كان يفصل بين القسمين في 1 مك 22:1. ولم يكن في قدس الأقداس [في الهيكل الثاني] شيء سوى حجر كان يضع عليه رئيسُ الكهنة المبخرةَ في يوم الكفارة. أما القدس فكانت أدواته: المذبح الذهبي (أي مذبح البخور)، ومائدة واحدة لخبز الوجوه، ومنارة ذات سبع شعب. [...]"(8331).

ويكفينا أيضاً ما قاله الطبري إمامُ المفسرين المسلمين: "وَأَمَّا "الْمِحْرَابُ" فَهُوَ مُقَدَّمُ كُلِّ مَجْلِسٍ وَمُصَلًّى، وَهُوَ سَيِّدُ الْمَجَالِسِ وَأَشْرَفُهَا وَأَكْرَمُهَا، وَكَذَلِكَ هُوَ مِنَ الْمَسَاجِدِ"(8332). وفي العصر الحديث، قال الإمام الأكبر

د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر في تفسيره لـ (آل عمران 37): ""الْمِحْرَابَ": أي: أشرف مكان في المسجد والمقصود به محراب بيت المقدس"[8333]. بل إن حسب هذا التفسير الإسلامي، فإن المحراب هو قُدْس الأَقْدَاسِ (Holy of Holies) (أي: الْمَقْدِس الداخلي Inner Sanctuary) داخل هيكل الله في أورشليم. وهذا التفسير يتفق مع ترجمات أجنبية لمعاني القرآن[8334]. ويتفق أيضاً مع الترجمات العربية للعهد القديم العبري: "وَبَنَى [سُلَيْمَانُ] عِشْرِينَ ذِرَاعًا مِنْ مُؤَخَّرِ الْبَيْتِ بِأَضْلاَعِ أَرْزٍ مِنَ الأَرْضِ إِلَى الْحِيطَانِ. وَبَنَى دَاخِلَهُ لأَجْلِ الْمِحْرَابِ (بالعبرية: debir) (shrine; oracle)، أَيْ قُدْسِ الأَقْدَاسِ (the most holy place)" (1 ملوك 16:6)؛ "وَهَيَّأَ مِحْرَابًا (بالعبرية: debir) فِي وَسَطِ الْبَيْتِ مِنْ دَاخِل لِيَضَعَ هُنَاكَ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ" (1 ملوك 19:6)؛ (1 ملوك 6:20-23، 7:49)؛ "وَأَدْخَلَ الْكَهَنَةُ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَى مَكَانِهِ فِي مِحْرَابِ (بالعبرية: debir) الْبَيْتِ فِي قُدْسِ الأَقْدَاسِ" (1 ملوك 6:8). "وَكَانَ لَمَّا أَكْمَلَ سُلَيْمَانُ بِنَاءَ بَيْتِ الرَّبِّ [...]، أَنَّ الرَّبَّ تَرَاءَى (أي: تجلَّى) لِسُلَيْمَانَ [...]. وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قَدْ سَمِعْتُ صَلاَتَكَ وَتَضَرُّعَكَ الَّذِي تَضَرَّعْتَ بِهِ أَمَامِي. قَدَّسْتُ هذَا الْبَيْتَ الَّذِي بَنَيْتَهُ لأَجْلِ وَضْعِ اسْمِي فِيهِ إِلَى الأَبَدِ، وَتَكُونُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي هُنَاكَ كُلَّ الأَيَّامِ" (1 ملوك 9:1-3).

وسواء كان المحراب هو الْقُدْس (الْمَقْدِس) أم قُدْس الأَقْدَاسِ (الْمَقْدِس الداخلي)، فكلاهما داخل هيكل الله (أي: بيت الله) في أورشليم، ومِن ثم فإن النتيجة في كلتا الحالتين واحدة وتؤكد ما قلناه: "الْمِحْرَاب" (آل عمران 37) هو الهيكل بل مكان طاهر ومُقدَّس ومخصص للصلاة داخل بيت الله في أورشليم/الْقُدْس.

4.55.3 هل (آل عمران 35-37) قصة حقيقية تاريخية؟

ليس مِن المبالغة أن نقول إن المحراب/الهيكل كان آنذاك أقدس مكان على وجه الأرض، على الأقل بالنسبة لليهود قبل الميلاد؛ أي: قبل المسيحية وطبعاً قبل الإسلام. فهل يُعْقَل أن الكهنة اليهود تركوا الطفلة مريم في هذا المكان الطاهر المقدَّس المخصص للصلاة؟! مستحيل. مجرد تخيُّل منظر الطفلة مريم جالسة في المحراب تأكل الطعام "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا (أي: طعاماً)" (آل عمران 37) يجعلنا نضحك (: بل يجعلنا نبكي من كثرة الضحك! مِن المستحيل أن نصدِّق القرآنَ (آل عمران 37). بل مِن المستحيل أن نصدِّق أن القرآن كلام الله. نحن على يقين أن القرآن كلام بشر 100%.

يقول العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) تعليقاً على هذه الكلمة القرآنية المهمة "الْمِحْرَابَ" (آل عمران 37)[8335]:

> [T]he Arabic term *miḥrāb* is associated not with a simple chamber, but with a temple. *Miḥrāb* is related to the Semitic root *ḥ.r.m.* ("forbidden, sanctified"). {footnote: This point is evident from South Arabian, where the

words *mḥrm,* and *mḥrb* are interchangeable.} It is accordingly cognate with Ethiopic *meḥrām*: “sanctuary, shrine, temple, chapel.” Thus *miḥrāb* is etymologically related to the term *ḥaram* used in Islamic law to designate an area where impure activities and people are forbidden, including the areas surrounding Mecca and Medina, and, not coincidentally, the Temple Mount complex (containing the Dome of the Rock and the Aqṣā mosque) in Jerusalem. […]

[…]

[…] {footnote: The consecration of Mary in the Temple also entered into Christian worship. The Byzantine Rite includes a feast day dedicated to this event. In the prayers for that day it is remembered that even before her conception Mary was consecrated to God (cf. [آل عمران 35]): […]}

نكرر سؤالنا: هل يُعْقَل أن الكهنة اليهود تركوا الطفلةَ مريم تعيش وتأكل وتشرب في الْمِحْرَاب الطاهر المقدَّس "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا (أي: طعاماً)" (آل عمران 37)؟! مستحيل. ماذا لو أرادت أن تتبرز؟! ماذا لو أرادت أن تتبول؟! ماذا لو أرادت أن تلعب وتلهو مثل أي طفلة؟! ماذا لو بلغت وحاضت(8336)؟! لا يمكن حتى أن نتخيل أن رجال الدين اليهودي تركوا الطفلةَ مريم تقيم في هذا المكان الطاهر المقدَّس المخصص للصلاة! مما يؤكد أن ما قاله القرآنُ (آل عمران 37) لم يحدث أبداً. وإنما هي مجرد أسطورة مسيحية اخترعها بعضُ المسيحيين في القرون الأولى للميلاد قبل الإسلام، ثم رددها أصحابُ القرآن في القرن السابع الميلادي. وخير دليل على ذلك هو وجود هذه الأسطورة في إنجيل يعقوب الأبوكريفي الخرافي كما رأينا. فإن كل ما سبق يؤكد أن القصة القرآنية (آل عمران 35-37) مستوحاة من الأسطورة المذكورة في إنجيل الطفولة ليعقوب وهو إنجيل أبوكريفي خرافي كما قلنا.

قد يُقال: وما المانع أن يأخذ القرآنُ قصةً مِن إنجيل الطفولة ليعقوب؟ الرد: إنجيل الطفولة ليعقوب يحتوي على أخطاء دينية وتاريخية وجغرافية، وبالتالي لا يمكن الوثوق به ولذلك رفضه المسيحيون. ثم إن هذه القصة تحديداً قصة منحولة وغير حقيقية وغير معقولة. وسنعطي الأدلة على ذلك ...

خير دليل على أن القصة السابقة قصة منحولة هو أنها – كما قلنا فيما سبق – تشبه إلى حد كبير قصة النبي صموئيل (Samuel) المذكورة في سفر صموئيل الأول إلى درجة أن كاتب هذا الإنجيل الأبوكريفي المنحول أعطى أمَّ مريم الاسمَ "حَنَّة" وهو نفس اسم أم النبي صموئيل التى هى أيضاً نذرت ما فى بطنها للرب كل أيام حياته!: "فَقَامَتْ حَنَّةُ بَعْدَمَا أَكَلُوا فِي شِيلُوهَ وَبَعْدَمَا شَرِبُوا، وَعَالِي الْكَاهِنُ جَالِسٌ عَلَى الْكُرْسِيِّ

عِنْدَ قَائِمَةِ هَيْكَلِ الرَّبِّ[8337]، وَهِيَ مُرَّةُ النَّفْسِ. فَصَلَّتْ إِلَى الرَّبِّ، وَبَكَتْ بُكَاءً، وَنَذَرَتْ نَذْرًا **[← بالعربية: "نَذَرْتُ" (آل عمران 35)]** وَقَالَتْ: «يَا رَبَّ الْجُنُودِ **[← "إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ" (آل عمران 35)]**، إِنْ نَظَرْتَ نَظَرًا إِلَى مَذَلَّةِ أَمَتِكَ، وَذَكَرْتَنِي وَلَمْ تَنْسَ أَمَتَكَ بَلْ أَعْطَيْتَ أَمَتَكَ زَرْعَ بَشَرٍ، فَإِنِّي أُعْطِيهِ لِلرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ **[← "إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا (أي: خالصاً لكَ)" (آل عمران 35)]**، وَلاَ يَعْلُو رَأْسَهُ مُوسَى (razor)»" (1 صموئيل 1:9-11). وبالفعل يُولَد صموئيل، وبعد فطمته تأخذه أمه إلى عَالِي الْكَاهِنِ (Priest Eli) وفاءً بالنذر (1 صموئيل 1:24-28)[8338]، "وَكَانَ الصَّبِيُّ يَخْدِمُ الرَّبَّ أَمَامَ عَالِي الْكَاهِنِ" (1 صموئيل 2:11). إذن: كل ما فعله أصحاب إنجيل يعقوب الأبوكريفي هو أنهم وضعوا مريمَ مكان صموئيل ووضعوا كاهناً آخر مكان الكاهن عَالِي. وبالفعل عند قراءة قصة ميلاد صموئيل كما جاءت فى الإصحاحين 1-2 من سفر صموئيل الأول وقصة ميلاد مريم كما جاءت فى الفصول 1-7 مِن إنجيل الطفولة ليعقوب نلاحظ بعض التشابهات الأخرى؛ مثلاً: "حَنَّة" أم صموئيل كانت عاقراً لا تلد وكانت ضَرَّتُها تُغيظها لأن الرب أغلق رحمها (1 صموئيل 1:1-7) و "حَنَّة" أم مريم كانت أيضاً عاقراً لا تلد وكانت خادمتها تُغيظها لأن الرب أغلق رحمها (يعقوب المنحول 2-3). وساعد على ذلك أن تسبحة مريم العذراء (The Magnificat) (Mary's Song) (لوقا 1:46-55) تتضمَّن أصداء مكررة لصلاة حَنَّة أم صموئيل (The Song of Hannah) (1 صموئيل 2:1-10). وهذا كله يؤكد أن قصة ميلاد مريم فى إنجيل الطفولة ليعقوب مستوحاة بل منحولة مِن قصة ميلاد صموئيل فى سفر صموئيل الأول التى تسبقها زمنياً بالطبع[8339]. ثم جاء أصحابُ القرآن وساروا على نفس نهج إنجيل يعقوب الأبوكريفي الخرافي المنحول المزور المزيف؛ وهذا النهج هو: التطور البشري الطبيعي بالحذف و/أو الإضافة[8340]. ثم جاء مِن بعدهم المفسرون المسلمون و "علماء" الإسلام فأضافوا مزيداً من الأساطير التي ما زالت تُحكَى إلى اليوم ويصدِّقها المسلمون! على سبيل المثال، يقول د. محمد علي الصابوني (الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة): "وفي أثناء رعاية (زكريا) عليه السلام لها (أي: لمريم) كان يجد أمراً عجباً .. كان يجد عندها طعاماً وفاكهة لا توجد في السوق، وليس لها وجود في ذلك الأوان، كان يجد فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فيسألها في دهشة واستغراب (أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا؟) استمع إلى قوله تعالى: "وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ""[8341]!

والدليل أيضاً على أن هذه القصة غير حقيقية وغير معقولة هو أنها تتحدث عن **طفلة أنثى** تدخل الهيكل وتنشأ فيه كى تُكرّس كل حياتها لخدمة الرب وفاءً لنذر نذرته أمها قبل ميلادها، وهذا لم يكن مِن عادات اليهود. فكل القصص التى تشبه قصة ميلاد صموئيل تتعلق بإنجاب ذكور كما قلنا فيما سبق: مثل ميلاد شمشون (القضاة 13 و 16:17) وميلاد يوحنا المعمدان بن زكريا (يحيى بن زكريا) (لوقا 1)؛ ولم نجد في الكتاب المقدس بعهديه قصة أخرى مشابهة تتعلق بإنجاب أنثى! وحتى لو سلّمنا بوجود احتمال ضئيل جداً أن الله تقبَّل الطفلةَ مريم كنذيرة (Nazirite) وجعل الكاهنَ زكريا يرعاها "فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا

حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا" (آل عمران 37)، فإنه لا يوجد أي احتمال أن زكريا الكاهن تركها تأكل الطعامَ في المحراب/الهيكل "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا (أي: طعاماً)" (آل عمران 37)! فهذا يتعارض جملةً وتفصيلاً مع العادات والتقاليد اليهودية، مما يؤكد أن (آل عمران 37) خطأ قرآني فادح[8342]! وهذا الخطأ القرآني الفادح يثبت 100% أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله. فمن المستحيل أن يقع الله في أي خطأ؛ ومن المستحيل أن يقع في مثل هذا الخطأ الفادح كاهنٌ يهودي دخل الهيكل ولو مرة واحدة في حياته؛ بل من المستحيل أن يقع في مثل هذا الخطأ الفادح إنسانٌ يهودي معاصر لمريم والمسيح.

لقد طرد يسوعُ المسيح الباعةَ الجائلين وزبائنهم الحجاج لمجرد أنهم كانوا متواجدين بصفة مؤقتة في فترة عيد الفصح اليهودي "يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ" (متى 12:21) (مرقس 15:11) (لوقا 45:19)، أي: في ساحة الأمم (Court of the Gentiles) وهي فناء أو صالة مكشوفة خارج الهيكل المقدس، بدليل قوله بعدها: "أَلَيْسَ مَكْتُوبًا: بَيْتِي بَيْتَ صَلاَةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الأُمَمِ (nations)؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ" (مرقس 17:11). فهل يُعقَل أن الكهنة اليهود سمحوا لطفلةٍ صغيرة أن تعيش وتأكل الطعام بصفة دائمة في الهيكل (حسب إنجيل يعقوب الأبوكريفي) بل في "الْمِحْرَاب" حسب القرآن (آل عمران 37)؟! هذا مستحيل.

يقول القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير (كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد): "ومن دراستنا لنص الكتاب [المسمَّى بإنجيل يعقوب الأبوكريفي] ومحتواه يتضح أن الكاتب الذي جمعه، أو محرره النهائي، من أصل غير يهودي ولا صلة له بفلسطين حيث يوجد في الكتاب أخطاء دينية وتاريخية وجغرافية كثيرة، وهي أخطاء لا تخفى على أي دارس أو يهودي فلسطيني من عصر المسيح، مثل كلامه عن نشأة العذراء وتربيتها في الهيكل، وهذا مستحيل، وطرد يواقيم لكونه عاقر ولم يكن ذلك من عادات اليهود. وربما يكون الكاتب من أصل يوناني أو أنه من اليهود الدخلاء الذين اعتنقوا المسيحية، وكان هدفه وغايته هو تأكيد قداسة العذراء القديسة مريم وتمجيدها والتأكيد على دوام بتوليتها"[8343].

نعم، التشابه بين القرآن وإنجيل يعقوب الأبوكريفي لا يتوقف فقط عند مضمون هذه الأسطورة، بل يمتد أيضاً إلى الهدف. ولا يمكن فهم الهدف الرئيسى لإنجيل الطفولة ليعقوب إلا بعد إعطاء خلفية تاريخية عن الظروف التى كُتِب فيها هذا الإنجيل الأبوكريفى. فى النصف الثانى مِن القرن الثانى الميلادى، شنَّ خصوم المسيحية هجوماً عنيفاً على مريم ويسوع. مِن أشهر هؤلاء الخصوم: الفيلسوف الوثنى "كلسس" (Celsus) الذى قال إنه سمع من يهودى أن يسوع ابن زنا (born out of wedlock) وأن مريم حملت به سفاحاً من جندى رومانى اسمه بانثيرا (Panthera) (Pantera)[8344]. فقام المسيحي المصري/القبطي أوريجانوس (Origen) (حوالى 185 – 254م) بالرد على كلسس فى كتابه الشهير "ضد كلسس" (Contra Celsum)، ويأتى إنجيل الطفولة ليعقوب أيضاً فى إطار الرد على مثل هؤلاء الخصوم. إذن هدف هذا الإنجيل الأبوكريفى هدف دفاعى (apologetic): دفاع عن مريم والتأكيد على طهارتها وقداستها وأنها كانت عذراء **قبل** ميلاد يسوع (ante partum) بل وظلت عذراء أثناء ميلاد يسوع (in partu)

وحتى بعد ميلاد يسوع (post partum)! وهذا الاعتقاد المسيحي في دوام بتولية العذراء مريم (Perpetual virginity of Mary) هو الاعتقاد السائد وبخاصة في الكنائس التقليدية القديمة. فما دام يسوعُ المسيح البار ابنَ الله الوحيد وبلا خطية، كذلك يجب أن يكون الابنَ الوحيد لمريم العذراء البارَّة[8345].

ونلاحظ كذلك أن القرآن يؤكد على طهارة مريم وبتوليتها فى عدة مواضع، أهمها ما جاء في هذه القصة القرآنية: "وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا (أي: أسألكَ يَا رَبِّ أن تحصِّن مريمَ) بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا (أي: وتحصِّن المسيحَ عيسى/يسوع) مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (أي: من الخطايا). فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ" (آل عمران 36-37). وفي نفس السورة: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (أي: على جميع نساء العالم إلى يوم القيامة)" (آل عمران 42). ومن المعلوم أن مريم العذراء هي المرأة الوحيدة التي وصفها القرآنُ بكلمة "صِدِّيقَةٌ (بالعبرية: tzdiq؛ أي: بَارَّة)" (المائدة 75). اقرأ أيضاً: "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ" (التحريم 12)؛ "أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 91).

فمما سبق يتضح أن القرآن يتشابه مع إنجيل الطفولة ليعقوب في المضمون وأيضاً في الهدف.

وبالإضافة إلى التشابه بين القرآن وإنجيل الطفولة ليعقوب في المضمون والهدف، نشير إلى تشابه في الشكل. فنحن نلاحظ أن القرآن ينتقل أحياناً مِن ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم الذى يعود على نفس الشخص، كما نرى في الآية الشهيرة: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الإسراء 1). هذا التغير فى أسلوب الكلام يُسمَّى فى علوم القرآن "الالتفات". للالتفات أنواع، ولكل نوع أمثلة كثيرة فى القرآن، ويقول شيوخ الإسلام إن للالتفات فوائد بلاغية وغير بلاغية[8346]. المشكلة أن بعض المسلمين – وبخاصة على المواقع الإلكترونية والمنتديات على شبكة الانترنت – يعتبرون الالتفات نوعاً مِن الإعجاز اللغوي في القرآن! فكعادتهم، أي حاجة مش عارفين أصلها يقولوا عليها معجزة!

والحقيقة أن ما لا يعلمه كثير مِن المسلمين أننا نجد فى إنجيل الطفولة ليعقوب مثالاً لهذا الالتفات مِن ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم الذى يعود على نفس الشخص (يوسف النَّجَّار) (Joseph). النص كما جاء في الإصحاح الثامن عشر مِن إنجيل يعقوب الأبوكريفي الخرافي المنحول المكذوب المزور المزيف[8347]:

> فوجد [يوسفُ] كهفاً هناك وقادها (أي: قاد مريمَ) إليه وترك ولديه بجانبها وخرج يبحث عن قابلة في نواحي بيت لحم.

وأنا يوسف، كنتُ سائراً ولم أكن أسير وتفرستُ في السماء فرأيتُ السماء متعجبة (أو: جامدة) وتفرستُ في قبة السموات فرأيتُها ساكنة وطيور الهواء بدون حركة. وتفرستُ في الأرض ورأيتُ [...] ورأيتُ [...] وتفرستُ [...] فرأيتُ [...].
He [Joseph] found a cave there and took her [Mary] into it. Then he gave his sons to her and went out to find a Hebrew midwife in the region of Bethlehem. But I, Joseph, was walking, and I was not walking. I looked up to the vault of the sky, and I saw it standing still, and into the air, and I saw that […]. I looked down to the earth and saw […]. I saw […]. […] I looked down at […], and I saw […].

إذن: الالتفات كان معروفاً قبل ظهور الإسلام بمئات السنين وليس إعجازاً لغوياً كما قد يعتقد البعض!

وطبعاً للالتفات (Enallage) جذور في الكتاب المقدس. اقرأ مثلاً المزمور 60 حيث بدأ بضمير المتكلم (الآيات 1-5) ثم انتقل إلى ضمير الغائب (الآيات 6-7) وأخيراً عاد مرة أخرى إلى ضمير المتكلم (الآية 8)! وانظر أيضاً الالتفات من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطَب في "نشيد الأنشاد" (Song of Songs): "لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ، لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ" (نشيد الأنشاد 1:2)! وكذلك الالتفات من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطَب في سفر أيوب (Job): "إِنَّهُ (أي: إنَّ اللهَ) الآنَ ضَجَّرَنِي. [فإنَّكَ يا الله] خَرَّبْتَ كُلَّ جَمَاعَتِي" (أيوب 16:7)[8348]! بل للالتفات جذور أعمق من ذلك في آداب الشرق الأدنى القديم[8349]!

ويُستخدَم الالتفات عادةً كدليل على أن العمل الأدبي اعتمد على أكثر مِن مصدر: أحدهما يستخدم ضمير الغائب والآخر يستخدم ضمير المتكلم ثم جُمِعَ المصدران في سياقٍ واحد. وأحياناً يُجمَع النص من أكثر من مصدرين؛ اقرأ مثلاً في نفس سورة آل عمران: "فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ [...]. وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ [...]. ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ [...]" (آل عمران 56-58)[8350]! وهذا هو ما نقوله ونؤكده دائماً: القرآن عمل بشري جماعي اشترك فيه أكثر من شخص؛ ولولا التراث اليهودي/المسيحي الشرقي لَمَا استطاع العربُ أن ينتجوا هذا القرآن. وإذا قرأ المسلمون التراثَ اليهودي/المسيحي الشرقي، لاكتشفوا حتماً أن القرآن كتاب بشري طبيعي، بل بشري طبيعي جداً سواء فيما يتعلق بالمضمون أو فيما يتعلق بالهدف أو فيما يتعلق بالشكل.

وخير ما نختتم به كلامنا هو ما قاله (Prof. Michael Pregill) الذي لفت نظرنا إلى سببٍ آخر يوضح لماذا تبنى القرآنُ قصةَ نشأة مريم العذراء في الهيكل/المحراب، وعلاقة هذه القصة بأن مريم العذراء والدة المسيح هي "أُخْتَ هَارُونَ" (مريم 28) "ابْنَتَ عِمْرَانَ" (التحريم 12) (آل عمران 35-36)[8351]:

The [آل عمران] (House or People of [عمران]) are clearly prophetic precursors; their chosenness is specifically associated with their priestly status, signaled most of all by their purity. Thus, ["اصْطَفَىٰ" (آل عمران 33)] here seems to mean selection through purification and sanctification, an equation later applied to Muḥammad in hagiographic traditions [يقصد: لقب المصطفى]. Mary is consecrated in the womb ([مُحَرَّرًا], i.e., [مُحَرَّمًا][?]); her [مِحْرَاب] [آل عمران 37] is surely in the Temple, where Zachariah is found when the birth of John is announced ([آل عمران 39]); cf. [الْمِحْرَاب] of David at [ص 21] and [مَّحَارِيب] of Solomon at [سبأ 13]. She is sexually pure, as "none have touched me" (["لَمْ يَمْسَسْنِي" (مريم 20)]), unambiguously signaling her holy/priestly status. Cf. the untouchability of the Qurʾān as a ["كِتَابٍ مَّكْنُونٍ. لَّا يَمَسُّهُ" (الواقعة 77-79)], [...]; also [السَّامِرِيّ] Aaron, commissioned as High Priest, ["لَا مِسَاسَ" (طه 97)]. Thus also the reference to Mary as ["أُخْتَ هَارُونَ"] in the parallel narrative at [مريم 28].

The Qurʾān is overall not particularly interested in the Temple cult, but the *ritual* purity of Israelite priestly precursors seems to have evolved here into *moral* purity, foreshadowing the post-Qurʾānic formulation of the doctrine of [عصمة الأنبياء]. So the eventual emergence of prophetic impeccability – present only in an incipient form in the Qurʾān itself – reflects not only a late antique exegetical trajectory that is largely apologetic in function (especially when applied to Moses as lawgiver or David as messianic forebear) but perhaps also the Qurʾānic attempt to construe priestly purity as a distinct type of divine election.

Attributing priestly descent to Jesus here also seems like a strategy to appropriate and defang the doctrine of Christ's dual priesthood that is commonly found in Syriac tradition, which posits that Jesus is heir both to the spiritual priesthood of Melchizedek (universally asserted in Christian exegesis of Ps 110:4) and the corporeal priesthood of Israel transmitted through the Aaronides down to Zachariah and John and then to Jesus himself. The juxtaposition of an assertion of Jesus' priestly lineage with a

strident denial of his divinity seems to simultaneously acknowledge this larger context while limiting its significance – being priestly *only* means that Jesus is pure, from a pure vessel, descended from a pure lineage, signifying his and his family's special selection as divine messengers.

ونحن نرى أن العبارات التي وصف القرآنُ بها مريمَ العذراء "أُخْت هَارُونَ" (مريم 28) "ابْنَت عِمْرَانَ" (التحريم 12) (آل عمران 35-36) تؤكد أن أصحاب القرآن قد تبنوا أسطورةَ علاقة مريم القوية بالهيكل المقدس والكهنة اليهود وأولهم ورئيسهم هو جدهم الأكبر هارون بن عمرام ابن لاوي (الخروج 1:28). ومِن ثم فإنها تعتبر دليل قرآني آخر يؤكد أن أصحاب القرآن قصدوا بكلمة "الْمِحْرَاب" (آل عمران 37، 39) (مريم 11) هيكل الله في أورشليم. وبما أنه من المستحيل أن طفلة يهودية صغيرة تقيم وتأكل الطعام في المحراب/الهيكل المقدس "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا (أي: طعاماً)" (آل عمران 37). إذن: من المستحيل أن يكون القرآن كلام الله.

4.56 وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ!

أشرنا فيما سبق إلى أن القرآن يقول إن زكريا هو الذى كفل مريم: "وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا" (آل عمران 37). ثم أضافت (آل عمران 44) معلومةً أخرى وهي: "ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ" (آل عمران 44). وهناك شِبه إجماع بين المفسرين القدامى والمعاصرين أن "يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ" تعني أنهم اقترعوا (أى: أجروا قرعة) لاختيار مَن الذى يكفل مريم[8352]، والمَراجع التى ذكرت اسمَ الشخص الذى كسب هذه القرعة قالت هو "زكريا"؛ قالوا ذلك بسبب كلمة "يَكْفُلُ مَرْيَمَ" (آل عمران 44) المشتركة مع "كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا" (آل عمران 37).

ونحن نشك فى هذا التفسير لعدة أسباب. أولاً: إن صح أن زكريا هو الذى كسب هذه القرعة المذكورة فى (آل عمران 44)، فكان ينبغى أن تأتى (آل عمران 44) بعد أو قبل "وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا" (آل عمران 37) مباشرةً لأنها متعلقة بها. ثانياً: لا أدرى ما الهدف مِن عمل قرعة لتحديد مَن يكفل مريم! ممكن أى شخص يكفلها؛ وممكن أكثر مِن شخص يشتركوا فى كفالتها؛ وممكن يكفلها شخص لفترة ما (أسبوع أو شهر مثلاً)، وشخص آخر لفترة أخرى، وشخص ثالث لفترة ثالثة وهكذا!

مشكلة أخرى في (آل عمران 44). يقول كلامُ العرب: "ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ" (آل عمران 44) ثم يقول لمحمد "وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ (أي: وَمَا كُنْتَ حاضراً معهم) إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ" (آل عمران 44). بكل تأكيد محمد لم يكن معهم! ولكن: هل هذه المعلومة فعلاً غيب و"لم يكن يعرفها أحد" كما زعم الشيخ الشعراوي[8353] وغيره؟ أم كانت معروفة قبل ظهور الإسلام؟ ...

4.56.1 مصادر القرآن من أساطير الأبوكريفا المسيحية

الحقيقة أن هذه المعلومة – مثلها مثل قصة ميلاد مريم ودخولها المحراب/الهيكل – ليست غيباً على الإطلاق، وليست من أنباء الغيب ولا من أنباء الوحي. وإنما من أنباء الأبوكريفا المسيحية. فلقد كانت معروفة قبل ظهور الإسلام بأكثر من 200 سنة لأنها هى أيضاً موجودة فى إنجيل الطفولة ليعقوب الأبوكريفي بعد الأجزاء التى ذكرناها فى الفصل السابق مباشرةً. وكل ما حدث أن أصحاب القرآن – كالعادة – طوَّروا القصةَ تطوراً بشرياً طبيعياً، فأدخلوا بعض التغييرات على القصة واختصروها. في هذا الإنجيل الأبوكريفي: زكريا (Zacharias) هو الذى دعا الرجال إلى أن يقترعوا بعصيانهم (rods) **[← "يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ" (آل عمران 44)]**، أما الذى كسب القرعة فهو يوسف (Joseph) أي "يوسف النَّجَّار" (Joseph the Carpenter) (Joseph le Charpentier)[8354] **[← لم يقل القرآنُ مَن الذي كسب القرعة، لكن المفسرين المسلمين هُم الذين قالوا إنه زكريا!]**؛ والقرعة **[← "يَخْتَصِمُونَ" (آل عمران 44)]** كانت بهدف اختيار زوج لمريم كي يحفظها **[← "أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ" (آل عمران 44)]** بعد أن أصبح عمرها 12 سنة.

وقبل أن نقرأ النص الأبوكريفي، يجب أن نقول إن كلمة "قلم" (مفرد "أقلام" التى استخدمها القرآن هنا (آل عمران 44)) كلمة يونانية الأصل (kalamos) التي تعني قَصَبَة (reed) وكانت شائعة الاستخدام قبل الإسلام بمئات السنين بدليل وجودها في الإنجيل في عدة مواضع، مثلاً (متى 29:27)، ثم دخلت إلى اللسان العربي عن طريق اللسان السرياني أو اللسان الحبشي (الأثيوبي)[8355]. ونحن نقول ذلك لأننا لاحظنا أن "أَقْلَامَهُمْ" (آل عمران 44) تُترجم هنا إلى (their pens)! والأصح والأكثر دقة هو أن تُترجم هنا فقط إلى (their reeds)[8356] أو كما جاء في القصة الأصلية في إنجيل يعقوب الأبوكريفي (their rods).

يقول إنجيل يعقوب الأبوكريفي الخرافي المنحول المكذوب المزور المزيف[8357]:

اجتماع الكهنة بخصوص مريم ولما كان عمرها اثني عشر عاماً عُقِد اجتماعٌ للكهنة قائلين: هوذا مريم قد بلغت عمر الاثني عشر عاماً في هيكل الرب. ماذا نفعل حينئذٍ معها لئلا من الممكن أن تدنِّس محراب الرب (أي: إذا حاضت)؟ فقالوا للكاهن الأعظم: "قِفْ أمام مذبح الرب وادْخُل إلى المحراب المقدس وَصَلِّ من أجلها ومهما يظهره الرب لك نفعله أيضاً". فأخذ الكاهن الأعظم الرداء ذو الاثني عشر جرساً ودخل إلى قُدس الأقداس وصلّى من أجلها. فهوذا ملاك الرب واقفاً أمامه قائلاً له: "زكريا، زكريا، اخْرُجْ واجمع أرامل الرجال من الشعب ودع كُلًّا منهم يحضر عصاه وأي مَن يظهر له الرب علامةً، تكون هي زوجةً له". فخرج المنادون في كل دائرة اليهودية وبَوَّقَ بُوقُ الرب، فاندفع الكل. **اختيار يوسف [النجار] للوصاية على مريم** مطوحاً ببلطته خرج يوسفُ [النجار] ليقابلهم. فحينما اجتمعوا انطلقوا للكاهن الأعظم آخذين معهم عِصِيَّهُمْ. وأخذ [الكاهنُ الأعظم] الْعِصِيَّ من كُلًّا منهم ودخل الهيكل وصلّى، فلما أنهى صلاتَه أخذ الْعِصِيَّ وخرج وأعطاها لهم: لكن لم يكن علامة بهم. وتلقّى يوسفُ عصاه أخيراً، فهوذا يمامة تخرج من العصا وتطير على رأس يوسف. فقال الكاهنُ ليوسف: "لقد تم اختيارك بالقرعة لتأخذ عذراء الرب لتحافظ عليها". لكن يوسف رفض قائلاً: "لدي أبناء وأنا إنسان شيخ وهي فتاة صغيرة. إني أخاف لئلا أصبح أضحوكة لأبناء إسرائيل". فقال الكاهن ليوسف: "خاف الرب إلهك وتذكّر ما فعله الرب بدَاثَان وَأَبِيرَام وقُورَح، كيف انفتحت الأرض وابتلعتهم بسبب مخالفتهم. والآن احترس يا يوسف لئلا تحدث نفس الأشياء في منزلك". فخاف يوسف وأخذها لوصايته وقال يوسفُ لمريم: "هوذا أنا استلمتك من هيكل الرب والآن أتركك في منزلي وأمضي لأبني مباني وأعود إليكِ فالرب يحميكِ".
Joseph Becomes Mary's Guardian […] But when she reached her twelfth birthday, the priests held a council and said, "See, Mary has become twelve years old in the Lord's Temple. What then

shall we do with her, to keep her from defiling the sanctuary of the Lord our God?" They said to the chief priest, "You have stood on the Lord's altar. Go in and pray about her, and we will do whatever the Lord God reveals to you." The chief priest went in, taking the robe with twelve bells into the Holy of Holies; and he prayed about her. And behold, an angel of the Lord appeared and said to him, "Zacharias, Zacharias, go out and gather the widowers of the people, and have each of them bring a rod; she will become the wife of the one to whom the Lord God gives a sign. The heralds went out to all the countryside of Judea and the trumpet of the Lord was blown, and see, everyone came running.

Joseph cast aside his carpenter's axe and went to their meeting. When they had gathered together they went to the priest, bringing their rods. When he had received the rods from them he went into the Temple and prayed. When he finished his prayer, he took the rods, went outside, and gave them back. And no sign appeared among them. But Joseph took the last rod, and behold! A dove came out of the rod and flew onto Joseph's head. The priest said to Joseph, "You have been chosen to take the Lord's virgin into your safekeeping." But Joseph refused, saying, "I have sons and am an old man; she is but a child. I do not want to become a laughingstock to the sons of Israel." The priest replied, "Fear the Lord your God, and remember everything that He did to Dathan, Abeira, and Core, how the earth split open and they were all swallowed up because of their dispute. Now, Joseph, you should be afraid of this happening to your house as well."

Joseph was afraid and took her into his safekeeping. He said to her, "Mary, I have received you from the Temple of the Lord. Now I am leaving you in my house, for I am going out to construct some buildings; later I will come back to you. The Lord will watch over you."

ونلاحظ من النص السابق أن القرعة تمت يوم أن بلغت مريم 12 سنة. فمَن كان يرعى شئون مريم طوال 9 سنوات وهى فى الهيكل: مِن سن الثالثة إلى سن الثانية عشر؟ الطعام كان يأتيها مِن يد ملاك، لكن ماذا عن الأمور الأخرى؟ حسب النص السابق، زكريا كان كاهن (priest) ورئيس كهنة (chief priest)، ويدخل هيكل الرب **[⟵ "الْمِحْرَابَ" (آل عمران 37)]** ليصلِّي مِن أجل مريم ويدعو لها، ويقف أمام المذبح، ويدخل قدس الأقداس (Holy of Holies) أيضاً ليصلِّي مِن أجل مريم. يمكن إذن أن نستنتج أن زكريا – بحكم

منصبه على الأقل – كان يرعى شئون مريم أثناء فترة وجودهما في الهيكل[8358]. **[← وهذا يفسر لنا مِن أين أتى أصحابُ القرآن بفكرة أن "كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ" (آل عمران 37)]**.

4.56.2 عصا هارون (التوراة) [← عصا يوسف (الأبوكريفا) ← أَقْلَامَهُمْ (القرآن)]

ويبدو لنا أن النص الأبوكريفي السابق مستوحى مِن قصة توراتية شهيرة توضح كيف اختار اللهُ هارونَ بالذات لرئاسة الكهنوت، ومِن ثم اختار أن يكون الكهنة من نسل هارون ابن لاوي. تقول القصة التوراتية إنه بعد أن تمرَّد قُورَح وَدَاثَان وَأَبِيرَام وأنصارهم على سلطةِ موسى وهارون وأهلك الربُّ هؤلاء المتمردين (العدد 16)[8359]، أمر الربُّ موسى أن يأخذ عصا (rod; staff) من كل سبط من أسباط بني إسرائيل ويكتب اسمَ رئيس السبط على عصاه (العدد 17:1-2)، "وَاسْمُ هَارُونَ تَكْتُبُهُ عَلَى عَصَا لاَوِي، [...]. وَضَعْهَا (أي: الاثْنَتَيْ عَشَرَةَ عصا) فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ أَمَامَ الشَّهَادَةِ (أي: أمام تابوت العهد؛ أو: داخله أمام لَوْحَي الْعَهْدِ) حَيْثُ أَجْتَمِعُ بِكُمْ[8360]. فَالرَّجُلُ الَّذِي أَخْتَارُهُ تُفْرِخُ عَصَاهُ" (العدد 17:3-5). "فَوَضَعَ مُوسَى الْعِصِيَّ أَمَامَ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ. وَفِي الْغَدِ دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ، وَإِذَا عَصَا هَارُونَ لِبَيْتِ لاَوِي قَدْ أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوخًا وَأَزْهَرَتْ زَهْرًا وَأَنْضَجَتْ لَوْزًا. فَأَخْرَجَ مُوسَى جَمِيعَ الْعِصِيِّ مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ إِلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَظَرُوا وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ. وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رُدَّ عَصَا هَارُونَ [فقط] إِلَى أَمَامِ الشَّهَادَةِ لأَجْلِ الْحِفْظِ، عَلاَمَةً لِبَنِي التَّمَرُّدِ (أي: عِبْرةً حتى لا يجرؤ أحدٌ بعد ذلك على التمرد)، فَتَكُفَّ تَذَمُّرَاتُهُمْ عَنِّي لِكَيْ لاَ يَمُوتُوا». فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. كَذلِكَ فَعَلَ" (العدد 17:7-11). وهكذا وُضِعَت عصا هارون في النهاية بالقرب من تابوت العهد أو داخله (within or near the ark of the covenant)[8361]. "الْمَسْكَنُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «قُدْسُ الأَقْدَاسِ». فِيهِ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَتَابُوتُ الْعَهْدِ مُغَشًّى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بِالذَّهَبِ، الَّذِي فِيهِ قِسْطٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ الْمَنُّ، وَعَصَا هَارُونَ الَّتِي أَفْرَخَتْ، وَلَوْحَا الْعَهْدِ (أي: لوحا شريعة موسى)" (العبرانيين 9:3-4). **[← "الْمِحْرَابَ" الذي كانت مريم فيه (آل عمران 37). وهذا سبب آخر يوضح لماذا وصف القرآنُ مريمَ العذراء بعبارة "أُخْتَ هَارُونَ" (مريم 28) "ابْنَتَ عِمْرَانَ" (التحريم 12) (آل عمران 35-36): لأن مريم – حسب الأسطورة الأبوكريفية/القرآنية – نشأت في المكان المقدس الذي كانت فيه عصا هارون بن عمرام أو نشأت بالقرب منها]**. وتقول دائرة المعارف الكتابية إن عصا هارون "ترمز للرب يسوع المقام من بين الأموات ليأتي بالثمر الكثير"[8362]. أما نحن فنرى أنها ترمز أكثر لمريم العذراء التي "أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوخًا وَأَزْهَرَتْ زَهْرًا وَأَنْضَجَتْ لَوْزًا" أي أنجبتْ يسوعَ (عيسى) بمعجزة إلهية بدون زرع بشر[8363].

ووجه الشبه بين المشهدين هو أنه في القصة التوراتية: عصا هارون أفرخت بمعجزة إلهية فاختير هارون دون غيره ليكون رئيس الكهنة في الهيكل (الخيمة)[8364]. وكذلك في القصة الأبوكريفية: عصا يوسف خرجت منها يمامةٌ بمعجزة إلهية فاختير يوسف دون غيره ليتزوج مريم بعد أن خرجت من الهيكل. ومما

يؤكد أن كاتب القصة الأبوكريفية كان يفكر في قصة عصا هارون (العدد 17) هو أنه ذكر أسماء قُورَح وَدَاثَان وَأَبِيرَام الذين تمردوا على سلطة هارون وموسى (العدد 16) **[← "يَخْتَصِمُونَ" (آل عمران 44)]** فكانوا بتمردهم هذا سبباً فيما حدث في (العدد 17). فنرى هنا بكل وضوح قُدرةَ عملية التطور البشري الطبيعي (natural human development) على تأليف القصص في التراث الديني. أولاً التوراة (قبل الميلاد): عصا هارون. ثم الأبوكريفا المسيحية (القرن الثاني الميلادي): عصا يوسف النجار. ثم القرآن كلام العرب (القرن السابع الميلادي): "إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ [...] إِذْ يَخْتَصِمُونَ" (آل عمران 44)[8365]. أو بلغة التطور البشري الطبيعي نقول باختصار: عصا هارون (التوراة) **[← عصا يوسف النجار (الأبوكريفا المسيحية) ← "إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ [...] إِذْ يَخْتَصِمُونَ" (آل عمران 44)]**.

والمشكلة هي أن القصة القرآنية لم تذكر اسمَ الرجل الذي كسب القرعة فصار هو المختار لكفالة مريم! "وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ" (آل عمران 44). فقال المفسرون إن الرجل المختار هو زكريا لأن الآية فيها الفعل "كفل" - "يَكْفُلُ مَرْيَمَ" (آل عمران 44) - وهو نفس الفعل في "وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا" (آل عمران 37). لكن هل كفالة مريم تحتاج إلى قرعة و "يَخْتَصِمُونَ"؟! الإجابة: لا. فمن الممكن أن أي كاهن يكفل مريم، بل من الممكن أن يشترك في كفالتها أكثرُ من كاهن.

إذن: القرعة المذكورة فى إنجيل الطفولة ليعقوب تبدو أكثر اقناعاً مِن القرعة المذكورة فى القرآن (آل عمران 44)، وأكثر اقناعاً بكثير مِن القرعة المذكورة فى كتب تفسير القرآن. وحين نقول إن القصة الأبوكريفية أكثر اقناعاً من القصة القرآنية، فهذا لا يعنى أنها قصة تاريخية حقيقية. وإنما يعنى فقط أنها من الناحية الدرامية أكثر حَبكةً من القصة القرآنية. فى إنجيل الطفولة ليعقوب: مريم بلغت، فلا بد مِن إخراجها مِن الهيكل لئلا تحيض فيه، فلنبحث عن زوج لها، ولا بد مِن اختيار زوج واحد فقط، فيجب إذن عمل قرعة لأنه لا يمكن أن يشترك أكثر من رجل في زواجها! ولعل هذا هو التفسير الصحيح لـ (آل عمران 44): القرعة كانت من أجل اختيار زوج لمريم، ويوسف النجار هو الذى فاز بها وليس زكريا. ونحن هنا نتفق مع ما قاله العالِم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) فى هذا الشأن[8366]:

> [I]t emerges that the Qur'an is not speaking of an ordeal that made Zechariah Mary's guardian, but rather an ordeal that made Joseph her fiancé. This is indeed suggested by the context of the Qur'an, which already names Zechariah her guardian several verses earlier [آل عمران 37]. In other words, in [سورة آل عمران] the Qur'an follows closely the chronology of Mary's life. First Mary is born [آل عمران 36], then Zechariah becomes her guardian [آل عمران 37], then she is engaged to Joseph [آل عمران 44], and finally [آل عمران 45] an angel visits her to announce the conception of Jesus.

Thus in the case of Mary's nativity the Qur'an is closely in conversation with the *Protoevangelium*, a work that was widely read and extremely influential in the Christian Near East.

وهذا المثال يثبت أننا نحتاج معرفة جذور القرآن حتى نُفسِّر القرآن تفسيراً صحيحاً أو على الأقل تفسيراً منطقياً. وحين نقول "التفسير الصحيح للقرآن"، فإننا لا نقصد تفسير الطبري أو القرطبي أو ابن كثير ... الخ، ولا نقصد صحيح البخاري أو مسلم ... الخ، فكلها كتب كُتِبَت بعد أصحاب القرآن بمئات السنين. وإنما نقصد التفسير الذي كان يدور في أذهان أصحاب القرآن والمسلمين الأوائل وَهُمْ يؤلفون القرآن ويسمعونه للمرة الأولى. أو كما قال العالِم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) فى مرجع آخر(8367):

"[T]he principal question at hand is not whether critical research in Qur'anic studies is increasingly prevalent, but whether this research is contributing to a more precise understanding of the Qur'an."

4.56.3 هل توجد قرعة كسبها زكريا؟

أما إذا أصر المسلمون على أن الذى كسب القرعة المذكورة فى (آل عمران 44) هو زكريا، فإن السؤال يصبح كالآتى: هل هناك أى كتاب قبل القرآن ذكر أن زكريا كسب قرعة ليكفل مريم؟ الإجابة: لا نعتقد. نُعدِّل السؤال: هل هناك أى كتاب قبل القرآن ذكر أن زكريا كسب أى قرعة؟ الإجابة: ربما، ولكن عن أى قرعة نبحث وفى أى كتاب نُفتِّش؟! ...

فلننظر إلى الآيات القرآنية التى جاءت فى نفس السياق لعلها تعطينا أى إشارة (clue) تساعدنا فى البحث: "وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا [...]. هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى" (آل عمران 37-39). إذن: ذكر القرآنُ كفالة زكريا لمريم ثم ذكر بعدها مباشرةً دخول زكريا المحراب (أى: هيكل الرب) حيث جاءته البشارة بميلاد ابنه يحيى (يوحنا المعمدان). السؤال الآن أصبح كالآتى: هل هناك أى كتاب قبل القرآن ذكر أن زكريا كسب قرعة ثم دخل هيكل الرب حيث جاءته البشارة بميلاد ابنه يوحنا؟ الإجابة: نعم، إنجيل لوقا الذى يقول: "كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا، وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ. وَكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ، سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ، إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِرًا. وَكَانَا كِلاَهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا. فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْهَنُ فِي نَوْبَةِ فِرْقَتِهِ أَمَامَ اللهِ، حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ، أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ وَيُبَخِّرَ. وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجًا وَقْتَ الْبَخُورِ. فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفًا عَنْ يَمِينِ

مَذْبَحِ الْبَخُورِ. فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ. **فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا**" (لوقا 1:5-13).

الخلاصة: لم يقل القرآن صراحةً مَن الذى فاز بالقرعة المذكورة فى (آل عمران 44)، ولكن التفسير السائد عند المسلمين أنه زكريا. ونحن نرى أن هذا تفسير خاطئ أو على الأقل غير منطقى وغير مُقنِع، ونرى أن التفسير الذى يُقدمه إنجيل الطفولة ليعقوب أكثر اقناعاً: الذى فاز بالقرعة هو يوسف وليس زكريا. أما إذا أصر المسلمون على أن الذى فاز بالقرعة المذكورة فى (آل عمران 44) هو زكريا، فنحن نقول لهم: إن فكرة فوز زكريا بقرعة ثم دخوله الهيكل (المحراب) حيث جاءته البشارة بميلاد ابنه يوحنا (يحيى) موجودة فى إنجيل لوقا، وفكرة كفالة زكريا لمريم أثناء فترة وجودها فى الهيكل (المحراب) وإجراء قرعة من أجلها موجودة فى إنجيل الطفولة ليعقوب. فيمكننا إذن أن نقول إن القصة كما جاءت فى القرآن هى قصة تركيب (synthesis) إذ هى مستوحاة مِن مصدرين مختلفين: الإنجيل الأبوكريفى (إنجيل الطفولة ليعقوب) والإنجيل القانونى (إنجيل لوقا). باختصار: عناصر القصة القرآنية كانت معروفة قبل الإسلام بمئات السنين وليست "مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ" كما قال أصحاب القرآن! وإنما من أنباء التراث المسيحي الذي انتشر في الشرق الأوسط قبل الإسلام، سواء التراث المسيحي القانوني (إنجيل لوقا) أو التراث المسيحي الأبوكريفي (إنجيل الطفولة ليعقوب). وهذا كله يؤكد أننا لسنا محتاجين نظرية "الوحي" لنعرف كيف أنتج العربُ (آل عمران 44)، وإنما نظرية "التطور البشري الطبيعي" وحدها هي التي تفسر كيف استطاع العربُ أن ينتجوا (آل عمران 44)، بل تفسر كيف استطاع العربُ أن ينتجوا القرآنَ.

القرآن كلام العرب، وليس كلام الله. ولا يمكن تفسير القرآن تفسيراً صحيحاً إلا بالرجوع إلى التراث اليهودي/المسيحي الشرقي. القرآن نفسه يعترف في بداية سورة آل عمران بأنه جاء "مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ": "نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ" (آل عمران 3). فماذا كان "بَيْنَ يَدَيْهِ"؟ أنتم تقولون: الكتب السماوية فقط. أما نحن فنقول: بل التراث اليهودي/المسيحي الشرقي بصفة عامة. التراث الذي يشمل أعمالاً كثيرة من بينها إنجيل يعقوب الأبوكريفي المنحول. الأعمال التي توهَّم أصحابُ القرآن أنها منزَّلة من السماء، أو على الأقل توهَّموا أنها تعبر عن الحقيقة "الْحَقّ". "الْحَقّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" (آل عمران 3) (المائدة 48) (فاطر 31). "الْحَقّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ" (البقرة 91).

وليس من المبالغة أن نقول إن القرآن نفسه مجرد كتاب عربي من كتب التراث اليهودي/المسيحي الشرقي قبل أن يكون النص المؤسس لدين العرب الجديد (الإسلام).

4.56.4 ملاحظات ختامية

وختاماً، يجب التأكيد على ثلاثة أمور:

الأمر الأول هو التأكيد على جهل كاتب إنجيل يعقوب الأبوكريفي المنحول بالشريعة اليهودية. فهو يقول إن رئيس الكهنة دخل قدس الأقداس ليصلي من أجل مريم العذراء! وهذا مستحيل. حسب الشريعة اليهودية: لا يدخل رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس إلا مرة واحدة فقط فى السنة، وتحديداً فى يوم الكفارة (Yom Kippur) (The Day of Atonement)[8368]، وهو طقس يرتبط بمراسيم شديدة الدقة لم يذكرها كاتب هذا الإنجيل الأبوكريفي المزور! اقرأ الإصحاح 16 من سفر اللاويين.

الأمر الثاني هو أن عناصر القصة كما جاءت فى إنجيل الطفولة ليعقوب موجودة فى أعمال أبوكريفية أخرى – مثل "سيرة يوسف النجار" (History of Joseph the Carpenter) الذى يُعرَف أيضاً باسم "قصة موت يوسف" أو "حكاية رحلة يوسف" (Story of the Decease of Joseph)[8369]، وإنجيل متى المنحول[8370]، وإنجيل ميلاد مريم[8371] – بالطبع مع بعض الاختلافات فى التفاصيل كما تعودنا. وهذه الاختلافات فى التفاصيل تؤكد أن القصة كما جاءت فى القرآن ما هي إلا رواية (retelling; recasting) مِن بين روايات أخرى كثيرة انتشرت في الشرق الأوسط؛ وليس هناك أي دليل علمي يثبت أن الرواية القرآنية هي الرواية الصحيحة أو أن القصة نفسها قد حدثت بالفعل، فما هذه القصة إلا أسطورة توارثتها الأجيال شفوياً قبل وأثناء ظهور الإسلام.

وسنكتفي هنا بتعليق عن "سيرة يوسف النجار" (History of Joseph the Carpenter) وهو أحد الأعمال الأبوكريفية التى ذكرت هذه القصة ولكن بصورة مختصرة. كُتِب هذا العمل الأبوكريفى على الأرجح فى مصر باللغة القبطية الصعيدية (Sahidic Coptic) فى أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع بعد الميلاد – أى تقريباً فى نفس الفترة الزمنية التى ظهر فيها الإسلام – إن لم يكن قبل ذلك. وصف العالم الكبير (Prof. Bart D. Ehrman) هذا العمل الأبوكريفى بأنه "تجميع لتقاليد مختلفة" (compilation of various traditions) عن مريم و "العائلة المقدسة" (أي: الطفل يسوع ومريم العذراء ويوسف النجار)[8372]:

> In its present form, the History of Joseph the Carpenter is thus a compilation of various traditions concerning Mary and the "holy family," most likely composed in Byzantine Egypt in the late sixth or early seventh century.

أما الأمر الثالث والأخير فهو أن القرعة (casting lots) بصفة عامة كانت عادة مشهورة لدى اليهود وكانوا يلجأون إليها كثيراً لاتخاذ القرارات وللبت فى الأمور الهامة التى لم يشاءوا تحكيم الفرد فيها، إيماناً منهم أن القرعة تعبر عن إرادة الله طبقاً لما جاء فى العهد القديم: "اَلْقُرْعَةُ تُلْقَى فِي الْحِضْنِ، وَمِنَ الرَّبِّ كُلُّ حُكْمِهَا" (الأمثال 33:16)[8373]، "اَلْقُرْعَةُ تُبَطِّلُ الْخُصُومَاتِ وَتَفْصِلُ بَيْنَ الأَقْوِيَاءِ" (الأمثال 18:18).

ولقد ذكر قاموس الكتاب المقدس الغايات التى تُستعمَل القرعة مِن أجلها[8374]، ولا داعي لذكرها كلها، فهي كثيرة وما يهمنا منها هو فقط استخدام القرعة في الحالات المشابهة لما جاء في (لوقا 1:5-13) و (آل عمران 44)، مثل:

- بالقرعة التى أجراها النبي صموئيل (Samuel) تم تعيين شاول (Saul) كأول مَلِك لبني إسرائيل (1 صموئيل 10:19-21)؛
- بالقرعة تم تقسيم خدمات العبادة فى الهيكل بين بَنِي أَلِعَازَارَ (Eleazar) وَبَنِي إِيثَامَارَ (Ithamar) (1 أخبار الأيام 24:4-19)؛
- بالقرعة تم توزيع الوظائف على المغنين والموسيقيين فى الهيكل (1 أخبار الأيام 25:8-31)؛
- بالقرعة تحدد مَن يُقدِّم الحطب للهيكل: "وَأَلْقَيْنَا قُرَعًا عَلَى قُرْبَانِ الْحَطَبِ بَيْنَ الْكَهَنَةِ وَاللاَّوِيِّينَ وَالشَّعْبِ، لإِدْخَالِهِ إِلَى بَيْتِ إِلهِنَا حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِنَا، فِي أَوْقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ سَنَةً فَسَنَةً، لأَجْلِ إِحْرَاقِهِ عَلَى مَذْبَحِ الرَّبِّ إِلهِنَا كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الشَّرِيعَةِ" (نحميا 10:34)؛
- وفي العهد الجديد أيضاً: بالقرعة اختير مَتِّيَاسَ (Matthias) ليحل محل يَهُوذَا (Judas) الخائن: "وَصَلَّوْا قَائِلِينَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ الْعَارِفُ قُلُوبَ الْجَمِيعِ، عَيِّنْ أَنْتَ مِنْ هذَيْنِ الاثْنَيْنِ أَيًّا اخْتَرْتَهُ، لِيَأْخُذَ قُرْعَةَ هذِهِ الْخِدْمَةِ وَالرِّسَالَةِ الَّتِي تَعَدَّاهَا يَهُوذَا لِيَذْهَبَ إِلَى مَكَانِهِ». ثُمَّ أَلْقَوْا قُرْعَتَهُمْ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى مَتِّيَاسَ، فَحُسِبَ مَعَ الأَحَدَ عَشَرَ رَسُولاً" (أعمال الرسل 1:24-26).

كل هذه الأمثلة وغيرها المذكورة فى قاموس الكتاب المقدس تؤكد شيوع استخدام اليهود والمسيحيين للقرعة. وبالتالى، فإن أى انسان عاش مع اليهود و/أو المسيحيين أو سمع عنهم أو عن كُتبهم يستطيع أن يأتي بفكرة إجراء قرعة لتحديد "أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ" (آل عمران 44). الموضوع بسيط جداً ومش محتاج وحي من الله!

نظرية "الوحي" ماتت.

نظرية "التطور البشري الطبيعي" (natural human development) من التراث اليهودي/المسيحي الشرقي هي التي تشرح نشأة القرآن العربي.

4.57 فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى

بعد أن تحدثنا عن مريم العذراء اليهودية الإسرائيلية وعلاقتها بزكريا الكاهن اليهودي الإسرائيلي ويوسف النجار اليهودي الإسرائيلي، ننتقل الآن إلى شخصية يهودية إسرائيلية أخرى وهي شخصية اليهودي الإسرائيلي يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) (John the Baptist) ...

اليهودي الإسرائيلي يحيى ابن الكاهن اليهودي الإسرائيلي زكريا هو النبي الوحيد الذي قال عنه القرآن "وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 15)، وهي نفس العبارة التي قالها القرآنُ لكن على لسان مسيح المسلمين "عيسى ابن مريم": "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 33). وليس هناك أي شخص آخر ذكره القرآنُ بهذه الكلمات الفريدة العظيمة. أليس غريباً إذن ألا يتحدث المسلمون كثيراً عن يحيى، مع أن القرآن وصفه بنفس الكلمات الجليلة التي وصف بها مسيحهم؟**!**

أشرنا فيما سبق إلى بشارة الملائكة لزكريا بميلاد يحيى (يوحنا المعمدان): "فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى" (آل عمران 39). الآن نلقي مزيداً من الضوء على هذه القصة القرآنية التي لها ثلاث روايات في القرآن[8375]:

حكى صاحبُ رواية سورة مريم القصةَ في صورة حوار (dialogue) دار بين زكريا والرَّبِّ؛ وكل طرف في هذا الحوار تكلم ثلاث مرات (a three-stage dialogue in which each side speaks three times)[8376]: ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا {2} إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (أي: دعا رَبَّهُ سراً فِي الْخَفَاءِ[8377]) {3}

- قَالَ [زَكَرِيَّا للرَّبِّ] رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (أي: وَلَمْ أَشْقَ يَا رَبِّ بِدُعَائِكَ لِأَنَّكَ لَمْ تُخَيِّبْ دُعَائِي مِن قَبْل) {4} وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ (أي: أقاربي؛ عصبتي؛ مَن يتولون أموري) مِن وَرَائِي (أي: بعد موتي) وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (أي: معيناً يلي أمري؛ وارثاً؛ والمراد: ابناً صالحاً) {5} يَرِثُنِي[8378] وَيَرِثُ [فقهَ الدين؛ وقيل: النبوةَ و/أو الحبورةَ (الكهنوت)] مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (أي: مرضياً منك ومن عبادك) {6}
- [قَالَ الرَّبُّ لزَكَرِيَّا] يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (أي: لم نُسَمِّ أحداً قبله بهذا الاسم**!**) {7}
- قَالَ [زَكَرِيَّا للرَّبِّ] رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (أي: بَلَغْتُ سن الشيخوخة؛ بَلَغْتُ النهايةَ في الْكِبَر) {8}
- قَالَ [الرَّبُّ (أو: مَلَاكٌ) لزَكَرِيَّا] كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا {9}
- قَالَ [زَكَرِيَّا للرَّبِّ] رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً (أي: علامةً أَعْلَمُ بها تحقُّق هذه الْبُشْرَى؛ علامةً أَعْلَمُ بها أن زوجتي العاقر حامل**!**)ۚ

- قَالَ [الرَّبُّ لزَكَرِيَّا] آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ (أي: ألا تقدر على الكلام مع الناس) ثَلَاثَ لَيَالٍ (three nights) سَوِيًّا (أي: مع أنك صحيح معافى سليم اللسان ليس بك خرس ولا بكم) {10}

فَخَرَجَ [زكريا] عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ [الذي بُشِّر فيه بيَحْيَى] فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ (أي: فأشار إلى قومه؛ فأومأ إليهم بالإشارة) أَن سَبِّحُوا [الرَّبَّ] بُكْرَةً وَعَشِيًّا (أي: صباحاً ومساءً) {11} [ووهبنا له يحيى وقلنا له] يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ (أي: التوراةَ؛ العهدَ القديم) بِقُوَّةٍ (أي: بجدٍّ واجتهاد)ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ (أي: الحكمةَ وحُسْن الفهم؛ وقيل: النبوةَ!) صَبِيًّا {12} وَحَنَانًا (أي: وَآتَيْنَاهُ رحمةً ومحبةً) مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً (أي: نقاوةً وسمو النفس؛ طهارةً من الذنوب)ۖ وَكَانَ تَقِيًّا {13} وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (أي: عاصياً) {14} وَسَلَامٌ [مِن الرَّبِّ] عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا {15}.

حكى صاحبُ روايةِ سورة الأنبياء القصةَ باختصار شديد وبدون حوار! وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا (أي: لا تتركني وحيداً بلا وارثٍ يَرِثُنِي) وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ [فإنك الباقي بعد فناء الخلق[8379]] {89} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ [بأن جعلناها تلد بعد أن كانت لا تلد]ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا (أي: راغبين في الثواب وخائفين من العقاب؛ طمعاً في رحمتنا وخوفاً من عذابنا)ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (أي: خاضعين متواضعين لا يعظِّمون ولا يهابون أحداً غيرنا) {90}.

أعاد صاحبُ روايةِ سورة آل عمران إنتاجَ القصة في صورة حوار (dialogue) لكن بين زكريا والملائكة! وكل طرف في هذا الحوار تكلم ثلاث مرات أيضاً (a three-stage dialogue in which each side speaks three times) لكن بكلمات تختلف عن رواية سورة مريم ومع التأكيد صراحةً على أن يحيى سيكون نبياً ومُصَدِّقًا بالمسيح ابن مريم: هُنَالِكَ (أي: فِي الْمِحْرَابِ لَمَّا رأى زكريا نعمةَ الله على مريم) دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۖ

- قَالَ [زكريا] رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ {38}
- فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ (أي: مؤمناً بالمسيح عيسى ابن مريم[8380]) وَسَيِّدًا وَحَصُورًا (أي: حابساً نفسه على طاعة الله؛ معصوماً من الذنوب؛ ناسكاً زاهداً ascetic؛ عاجزاً أو عازفاً عن العلاقات الجنسية (غير الشرعية) (chaste) وَنَبِيًّا (prophet) مِّنَ الصَّالِحِينَ {39}
- قَالَ [زكريا] رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌۖ
- قَالَ [مَلاَكٌ من الملائكة] كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ {40}
- قَالَ [زكريا] رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً (أي: علامةً أَعْلَمُ بها تحقُّق هذه الْبُشْرَى؛ علامةً أَعْلَمُ بها أن زوجتي العاقر حامل!)ۖ

- قَالَ [مَلاَكٌ من الملائكة] آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ (three days) إِلَّا رَمْزًا (أي: إلا أن تشير إليهم بالإشارة باليد و/أو الرأس)ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَار (أي: في آخر النهار وفي أوله) {41}.

ونلاحظ أن اسم يحيى ذُكِرَ في هذه القصة القرآنية 4 مرات (مريم 7، 12) (الأنبياء 90) (آل عمران 39). ولم يُذكَر اسمُ يحيى في آية قرآنية أخرى إلا في قائمة أنبياء (list of divine messengers) في سورة الأنعام: "وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ" (الأنعام 85).

وإنه لمن الطريف أن يحيى لم ينطق بكلمةٍ واحدة في القرآن كله! ومع ذلك يؤمن المسلمون به كنبي من عند الله! يعني: المسلمون يؤمنون بنبي لا يعلمون ماذا قال! فما معنى هذا الإيمان؟ الإيمان يجب أن يكون له محتوى وموضوع (object of faith). فيجب على المسلمين أن يرجعوا إلى القصة الإنجيلية الأصلية ليعرفوا ماذا قال يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) (John the Baptist) ...

أما اسم امرأة زكريا، أي: اسم أم يحيى، فلم يذكره القرآنُ كعادته في عدم ذِكْرِ أسماء النساء! لكن نعرف من القصة الإنجيلية الأصلية أن اسمها "أَلِيصَابَات" (Elisabeth) ...

4.57.1 مصادر القرآن من الإنجيل، وبخاصة إنجيل لوقا

القصة القرآنية هي - كالعادة - مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لقصة أصلية تسبقها زمنياً. وفي هذه الحالة تحديداً، فإن القصة الأصلية موجودة في الإصحاح الأول مِن إنجيل لوقا الذي انفرد بها. وتُعرَف هذه القصة الإنجيلية في التراث المسيحي باسم "البشارة لزكريا بميلاد يوحنا المعمدان" (The Annunciation of John the Baptist to Zechariah).

تدور أحداث القصة في أواخر القرن الأول قبل الميلاد في الهيكل المقدس **[← "فِي الْمِحْرَابِ" (آل عمران 39) (مريم 11)]** في أورشليم الْيَهُودِيَّةِ (أرضِ اليهود). وأبطال القصة هُمْ عائلة يهودية إسرائيلية وملاك الرَّبِّ كما يوضح الجدول التالي:

جدول 47 – شخصيات قصة البشارة لزكريا بميلاد يوحنا (يحيى) في رواية إنجيل لوقا وروايات القرآن

إنجيل لوقا	[← القرآن]
الشيخ زَكَرِيَّا الكاهن الذي امْتَلأَ "مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَتَنَبَّأَ" (لوقا 1:67)[8381]. واسمُه يعني: "يهوه قد ذَكَرَ (Yahweh has remembered)" أي "الرَّبُّ قد ذَكَرَ (The LORD has remembered)".	[← الشيخ زَكَرِيَّا النبي] [← نلاحظ في القصة القرآنية أن زكريا كان دائماً ينطق اسمَ الرَّبِّ (Lord) ولم ينطق أبداً اسمَ الله (God). أما الفعل "ذَكَرَ" فتكرر مرتين: في الآية الأولى من الرواية الأولى "ذِكْرُ" (مريم 2) وفي الآية الأخيرة من الرواية الأخيرة "اذْكُر" (آل عمران 41) وكأنه يصنع إطاراً (frame) للقصة القرآنية كلها]
أَلِيصَابَات (Elizabeth) زوجة زكريا. واسمها يعني: "إلهي قَسَمٌ" أو "الله قد أَقْسَمَ"[8382]. ولعله "الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا" (لوقا 1:73) بأن تتبارك جميعُ الأمم في نسله؛ أي: في المسيح (المسيَّا) الفادي المخلِّص[8383].	[← امرأة زَكَرِيَّا؛ "زَوْجَهُ" (الأنبياء 90)]
النبي يُوحَنَّا (John) "نَبِيَّ الْعَلِيِّ (أي: نَبِيّ الله)" (لوقا 1:76) "مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ" (يوحنا 1:6) "يُوحَنَّا" صيغة عربية/يونانية للاسم العبري "يُوحَنَان" (Yoḥanan). ويعني: "الرب حَنان" أو "يهوه رحيم" أو "الرب يظهر نعمة (grace)"[8384].	[← النبي يَحْيَىٰ (Yahya). مع ملاحظة أن رسم اسمه بدون تنقيط ولا تشكيل "يحـى" يمكن أن يُقرأ "يَحْيَىٰ" ويمكن أيضاً أن يُقرأ "يُحَنَّىٰ" أي: يُوحَنَّا!] [← "وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا" (مريم 13). وهذه هي المرة الوحيدة التي يذكر القرآنُ فيها كلمةَ "حَنَان"[8385][8386]. صدفة؟! وتبدأ رواية سورة مريم بالتأكيد على أن الرب رحيم: "رَحْمَتِ رَبِّكَ" (مريم 2)؛ ووُصِفَ اللهُ فيها باسمه "الرَّحْمَٰن" 16 مرة، أي: أكثر من أي سورة قرآنية أخرى[8387]]
الملاك جِبْرَائِيل (Gabriel) مَلاَكُ الرَّبِّ "الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ" (لوقا 1:19) والذي بشَّر زكريا بميلاد يوحنا.	[← "الْمَلَائِكَةُ" (آل عمران 39). أما في رواية سورة مريم فلا نرى ملاكاً بوضوح، فقيل إنه حوار بين زَكَرِيَّا والرَّبِّ[8388]. لكن ربما نجد إشارةً خفية

	للملاك جبريل أو للملائكة بصفة عامة كما سنرى بعد قليل]
ويعني اسمُ "جِبْرَائِيل": "رَجُلُ اللهِ" الجبَّار القوي القدير (one mighty in power) أي: "جبَّار الله" (mighty man of God) "أو أظهر الله ذاته جباراً"(8389).	[← على عكس يحيى الذي "لَمْ يَكُن جَبَّارًا" (مريم 14) وَآتَيْنَاهُ "حَنَانًا (أي: رحمةً) مِّن لَّدُنَّا" (مريم 13) ولم يدخل في أي حرب: "سَلَامٌ [مِن الرَّبِّ] عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 15)(8390)]

الاعتراف بالحق فضيلة. مقدمة يعترف فيها كاتبُ الإنجيل (د. لوقا حسب التقليد المسيحي) بأنه لم يكن شاهد عيان (not an eyewitness) لهذه الأحداث المهمة من حياة زكريا الكاهن ويوحنا المعمدان ومريم العذراء ويسوع المسيح، وإنما اعتمد على مصادر شفوية و/أو مكتوبة أقدم من إنجيله. (لوقا 1): {1} إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، {2} كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، {3} رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيق، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ (Theophilus؛ أي: محب الله، أو: حبيب الله؛ ولا نعلم مَن هو! فقيل إنه ليس اسماً وإنما صفة، والمراد: أَكْتُبَ إِلَيْكَ يا مَن تحب اللهَ)، {4} لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ.

شخصيات الرواية والزمان والمكان. (لوقا 1): {5} كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ (Herod the Great) مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ (Judea) (أي: الجزء الجنوبي من أرض اليهود المقدسة وقد كانت آنذاك تحت الاحتلال الروماني؛ حالياً: إسرائيل/فلسطين أرض اليهود) كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا (Abijah)، وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هارُونَ (أي: ابنة كاهن؛ مِن نسل هارون الكهنوتي) وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ. {6} وَكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ، سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ **[← "إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ" (الأنبياء 90) "مِّنَ الصَّالِحِينَ" (الأنعام 85)]**. {7} وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ **[← كان زكريا "فَرْدًا (أي: لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ)" (الأنبياء 89)]**، إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِرًا (بالسريانية: ʿ-q-r)(8391) **[← بالعربية: عَاقِر. "وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا" (مريم 5، 8) "وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ" (آل عمران 40)]**. وَكَانَا كِلاَهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا (أي: مِن كبار السن) **[← "قَالَ [زَكَرِيَّا] رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا" (مريم 4) "وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا" (مريم 8) "وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ" (آل عمران 40)]**.

البشارة لزكريا بميلاد يوحنا المعمدان (حوالي 7-6 ق.م). (لوقا 1): {8} فَبَيْنَمَا هُوَ (أي: زكريا) يَكْهَنُ فِي نَوْبَةِ فِرْقَتِهِ أَمَامَ اللهِ، {9} حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ، أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ **[← "الْمِحْرَابِ" (آل عمران 39) (مريم 11)]** وَيُبَخِّرَ. {10} وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجًا وَقْتَ الْبَخُورِ. {11} فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفًا عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ **[← "وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ" (آل عمران 39)]**. {12} فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ **[← "إِنِّي خِفْتُ" (مريم 5)]**. {13} فَقَالَ

لَهُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ[8392] [⟵ **"فَاسْتَجَبْنَا لَهُ (أي: لِطِلْبَتِه؛ لدعائه)" (الأنبياء 90)**]، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا [⟵ **"فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ" (آل عمران 39) "يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ" (مريم 7) "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ (أي: لطِلْبَته؛ لدعائه) وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ" (الأنبياء 90)**]. {14} وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ [⟵ **"وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ" (مريم 14)**]، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ [⟵ **"وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا" (أي: مرضياً منك ومن عبادك)" (مريم 6)**]، {15} لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ [⟵ **"سَيِّدًا" (آل عمران 39)**]، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ يَشْرَبُ (أي: يكون نذيراً Nazirite[8393]؛ أو: كاهناً priest[8394])، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ (أي: طوال حياته) يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ [⟵ **"حَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ" (آل عمران 39) "وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا. وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 13-15)**]. {16} وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ [⟵ **"مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (أي: مِنْ بني إسْرَائِيلَ)" (مريم 6)**] إِلَى الرَّبِّ إِلهِهِمْ (أي: يجعلهم يتوبون ويرجعون إلى الله). {17} وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا (Elijah) (باليونانية: Elias) [⟵ **وبالعربية أيضاً: إلْيَاس! ولم يُذكَر اسمُ يحيى في القرآن خارج قصة البشارة بميلاده إلا مع إلْيَاس! صدفة؟! "وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ" (الأنعام 85)**] وَقُوَّتِهِ (أي: قوي وثابت وجريء مثل إيليَّا) [⟵ **"يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ (أي: التوراةَ؛ العهدَ القديم) بِقُوَّةٍ (أي: بجدٍّ واجتهاد)" (مريم 12)**]، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ، وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ، لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا».

(لوقا 1): {18} فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ أَعْلَمُ هذَا [⟵ **"قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ (أي: كَيْفَ) يَكُونُ لِي غُلَامٌ" (آل عمران 40) (مريم 8) "قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً (أي: علامةً أعْلَمُ بها هذَا)" (آل عمران 41) (مريم 10)**]، لأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟ [⟵ **بنفس الترتيب: "وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ" (آل عمران 40)؛ وفي رواية أخرى بعكس الترتيب: "وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا" (مريم 8)!**]» {19} فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ، وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهذَا (أي: لأعطيكَ هذا الخبر السار euangélion[8395]) [⟵ **"قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ" (آل عمران 40) "قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا" (مريم 9)**]. {20} وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتًا وَلاَ تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ [⟵ **"قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ (أي: أَلَّا تَقْدِر أَنْ تَتَكَلَّمَ مع الناس)" (مريم 10) (آل عمران 41)**]، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هذَا [⟵ **حددها القرآنُ فقال "ثَلَاثَ لَيَالٍ" (مريم 10)؛ وفي رواية أخرى: "ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ" (آل عمران 41)**]، لأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلاَمِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ».

انتظار اليهود خارج الهيكل لمدة طويلة يدل على أن المجتمع اليهودي آنذاك كان متديناً ومرتبطاً بالهيكل بيت الله في أورشليم. (لوقا 1): {21} وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا وَمُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ. {22} فَلَمَّا خَرَجَ [مِن الْهَيْكَلِ] [⟵ **"فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ [الذي بُشِّرَ فيه بيَحْيَىٰ]" (مريم 11)**] لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، فَفَهِمُوا أَنَّهُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ. فَكَانَ يُومِئُ (في الإنجيل السرياني:

(mermaz rāmez[8396] [⟵ في القرآن العربي: "رَمْزًا" (آل عمران 41)[8397]؛ أي: يُشير بالإشارة] إِلَيْهِمْ [⟵ "فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ (أي: فأشار إليهم بالإشارة)" (مريم 11)] وَبَقِيَ صَامِتًا.

تحقق البشارة الإلهية يبدأ. (لوقا 1): {23} وَلَمَّا كَمِلَتْ أَيَّامُ خِدْمَتِهِ مَضَى [زَكَرِيَّا] إِلَى بَيْتِهِ [في التلال المحيطة بمدينة أورشليم]. {24} وَبَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ حَبِلَتْ أَلِيصَابَاتُ امْرَأَتُهُ [⟵ "وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ" (الأنبياء 90)]، وَأَخْفَتْ نَفْسَهَا (أي: انعزلت عن المجتمع) [⟵ طبَّقها القرآنُ على مريم العذراء! "انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا" (مريم 16-17)] خَمْسَةَ أَشْهُرٍ قَائِلَةً: {25} «هكَذَا قَدْ فَعَلَ بِيَ الرَّبُّ فِي الأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا نَظَرَ إِلَيَّ، لِيَنْزِعَ عَارِي (أي: عار العُقم) بَيْنَ النَّاسِ».

"وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ (Galilee) اسْمُهَا نَاصِرَةُ (Nazareth)، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُل مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ" [...]، "فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: [...]. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. [...]" (لوقا 1:26-38). وسندرس هذه البشارة لمريم العذراء بميلاد يسوع المسيح وتأثيرها على القرآن في الفصل التالي.

مريم العذراء وهِيَ حُبْلَى بيسوع المسيح تزور قريبتها أَلِيصَابَات وهِيَ حُبْلَى بيوحنا المعمدان. (لوقا 1): {39} فَقَامَتْ مَرْيَمُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَذَهَبَتْ بِسُرْعَةٍ [من الناصرة في الجليل شمال اليهودية] إِلَى الْجِبَالِ إِلَى مَدِينَةِ يَهُوذَا [نواحي أورشليم؛ فهي مسافة طويلة جداً][8398]، {40} وَدَخَلَتْ بَيْتَ زَكَرِيَّا وَسَلَّمَتْ عَلَى أَلِيصَابَاتَ. {41} فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ (أي: تَحرَّكَ يوحنا) فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، {42} وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ [لمريم]: «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ (أي: أكثر من جميع النساء) [⟵ "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (أي: على جميع نساء العالم إلى يوم القيامة)" (آل عمران 42)] وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ [⟵ قال المسيحُ عيسى ابن مريم: "وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ (أي: حتى وأنا جنين في بطن أمي)" (مريم 31)]! {43} فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟ {44} فَهُوَذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلاَمِكِ فِي أُذُنَيَّ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ (أي: انتفض يوحنا) بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي[8399] [⟵ أول صفة من صفات يُحَنَّىٰ/يَحْيَىٰ في (آل عمران 39) هي أنه سيكون "مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ (أي: بالمسيّا المنتظر يسوع المسيح ابن مريم)" (آل عمران 39)؛ وكأن المقصود هو أن هذا هو أول شيء سيفعله في حياته حتى مِن قَبْل ميلاده، وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه]. {45} فَطُوبَى لِلَّتِي (تقصد: فَطُوبَى لمريم العذراء التي) آمَنَتْ (أي: صَدَّقَتْ) أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ [⟵ "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ" (التحريم 12)]».

قبل ميلاد يسوع المسيح بستة أَشْهُر، وُلِدَ يوحنا المعمدان[8400]. (لوقا 1): {57} وَأَمَّا أَلِيصَابَاتُ فَتَمَّ زَمَانُهَا لِتَلِدَ، فَوَلَدَتِ ابْنًا [⟵ "وَوَهَبْنَا لَهُ (أي: لزكريا) يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ [بأن جعلناها تلد بعد أن

كانت لا تلد]" (الأنبياء 90)]. {58} وَسَمِعَ جِيرَانُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ [⟵ "رَحْمَتِ رَبِّكَ" (مريم 2)] لَهَا، فَفَرِحُوا مَعَهَا [⟵ "وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (أي: مرضياً منك ومن عبادك)" (مريم 6)].

ختان يوحنا المعمدان في اليوم الثامن يؤكد أنه وُلِدَ في عائلة إسرائيلية يهودية متدينة وملتزمة بعهد الختان الذي قاله الله لإبراهيم حسب توراة موسى[8401]. (لوقا 1): {59} وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءُوا لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ، وَسَمَّوْهُ بِاسْمِ أَبِيهِ زَكَرِيَّا. {60} فَأَجَابَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: «لاَ! بَلْ يُسَمَّى يُوحَنَّا». {61} فَقَالُوا لَهَا: «لَيْسَ أَحَدٌ فِي عَشِيرَتِكِ تَسَمَّى بِهذَا الاسْمِ [⟵ "اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (أي: لم نُسَمِّ أحداً قبله بهذا الاسم!)" (مريم 7)[8402]]». {62} ثُمَّ أَوْمَأُوا إِلَى أَبِيهِ، مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يُسَمَّى. {63} فَطَلَبَ لَوْحًا وَكَتَبَ قِائِلاً: «اسْمُهُ يُوحَنَّا». فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ. {64} وَفِي الْحَالِ انْفَتَحَ فَمُهُ وَلِسَانُهُ وَتَكَلَّمَ وَبَارَكَ اللهَ (أو: سبَّح الله؛ praised God) [⟵ "سَبِّحُوا [الرَّبَّ]" (مريم 11) "وَسَبِّحْ [الرَّبَّ]" (آل عمران 41)]. {65} فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى كُلِّ جِيرَانِهِمْ. وَتُحُدِّثَ بِهذِهِ الأُمُورِ جَمِيعِهَا فِي كُلِّ جِبَالِ الْيَهُودِيَّةِ (Judea) (أي: في كل أورشليم اليهودية والجبال المحيطة بها)، {66} فَأَوْدَعَهَا جَمِيعُ السَّامِعِينَ فِي قُلُوبِهِمْ قَائِلِينَ: «أَتَرَى مَاذَا يَكُونُ هذَا الصَّبِيُّ؟» وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُ[8403] [⟵ "وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ (أي: الحكمة وحُسْن الفهم) صَبِيًّا. وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا (أي: وَآتَيْنَاهُ رحمةً من عندنا) وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا. [...] وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا" (مريم 12-14)].

تسبحة زكريا (The Benedictus) (Zechariah's Song). (لوقا 1): {67} وَامْتَلأَ زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَتَنَبَّأَ [⟵ النَّبِيُّ زَكَرِيَّا] قَائِلاً: {68} «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ [⟵ "سَبِّحُوا [الرَّبَّ] بُكْرَةً وَعَشِيًّا" (مريم 11) "وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" (آل عمران 41)] لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً (redeemed) لِشَعْبِهِ [⟵ "آلِ يَعْقُوبَ (أي: بني إسْرَائيل)" (مريم 6)]، {69} وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ (salvation) فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ (أي: دَاوُدَ خادم الله، عبد الرب؛ يقصد: المسيح الفادي المخلِّص من نسل دَاوُدَ عبد الله) [⟵ "قَالَ [المسيحُ عيسى ابن مريم] إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ" (مريم 30)]. {70} كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ، {71} خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. {72} لِيَصْنَعَ رَحْمَةً [⟵ "ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ" (مريم 2)] مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ، {73} الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا[8404]: {74} أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا، نَعْبُدُهُ [⟵ "عَبْدَهُ زَكَرِيَّا" (مريم 2)] {75} بِقَدَاسَةٍ (أي: بطهارة داخلية في قلوبنا) وَبِرٍّ (أي: بطهارة خارجية تظهر في أعمالنا الصالحة ثمرة خلاصنا) قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا. {76} وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ [يوحنا] نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى [⟵ "نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ" (آل عمران 39)؛ (الأنعام 85)]، لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ [⟵ "مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ (أي: بالسيد المسيح)" (آل عمران 39)]. {77} لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ [⟵ "آلِ يَعْقُوبَ (أي: بني إسْرَائيل)" (مريم 6)] مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ[8405]، {78} بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلهِنَا [⟵ "رَحْمَتِ رَبِّكَ" (مريم 2)] الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ. {79} لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ[8406]، لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ [إلى الأبد] [⟵ "وَسَلَامٌ عَلَيْهِ (أي: على يَحْيَىٰ/يُحَنَّىٰ) يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" (مريم

15)؛ "وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ (أي: على المسيح عيسى ابن مريم) يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 33)]».

كل ما نعرفه عن يوحنا المعمدان من يوم ختانه وهو طفل رضيع (حوالي 5 ق.م) إلى يوم بداية خدمته العلنية وهو شاب (حوالي 25 م) نجده مُلخَّصاً في آية واحدة فقط! (لوقا 1): {80} أَمَّا الصَّبِيُّ [يوحنا] فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ[8407] **[← "يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ (أي: التوراة؛ العهدَ القديم) بِقُوَّةٍ (أي: بجدٍّ واجتهاد) وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ (أي: الحكمةَ وحُسْنَ الفهم) صَبِيًّا" (مريم 12)]**، وَكَانَ فِي الْبَرَارِي (deserts) (a desolate or lonely region)[8408] (أي: منعزلاً عن مجتمع المدينة وعن نساء المدينة) **[← "حَصُورًا (أي: حابساً نفسه على طاعة الله؛ ناسكاً زاهداً ascetic؛ عازفاً عن العلاقات الجنسية chaste)" (آل عمران 39)]** إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإِسْرَائِيلَ **[← "آلِ يَعْقُوبَ (أي: بني إِسْرَائِيلَ)" (مريم 6)]**.

ولمَّا صار عمره حوالي 30 سنة، بدأ يوحنا خدمةً علنية[8409] يعمِّد الناس ليمهِّد الطريقَ للمسيّا المنتظر يسوع المسيح John The Baptist is the forerunner (*prodromus*) of Christ) (Jean-Baptiste, le précurseur de Jésus-Christ) [← "يَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ (أي: مؤمناً بالمسيح عيسى ابن مريم فهو المسيّا المنتظر)" (آل عمران 39)]. (لوقا 3): {2} [...]، كَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ (the word of God) عَلَى يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ (أي: صحراء الْيَهُودِيَّةِ؛ حالياً: غرب البحر الميت[8410])، {3} فَجَاءَ [يوحنا] إِلَى جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنِّ (أي: كُلِّ المِنْطَقَةِ المُحِيطَةِ بِنَهْرِ الأُرْدُنّ) يَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا (أي: التوبة لمغفرة الخطايا، أما المعمودية فهي مجرد إعلان وإشهار للتوبة)[8411][8412]، {4} كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ أَقْوَالِ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً. {5} كُلُّ وَادٍ يَمْتَلِئُ، وَكُلُّ جَبَل وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَتَصِيرُ الْمُعْوَجَّاتُ مُسْتَقِيمَةً، وَالشِّعَابُ طُرُقًا سَهْلَةً، {6} وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ (all mankind) خَلاَصَ اللهِ»[8413]. [...]. اقرأ أيضاً (مرقس 1:1-8) (متى 1:3-12).

ثم ذهب يسوع إلى يوحنا ليعتمد (to be baptized) منه. (متى 3): {13} حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ [نَاصِرَةِ] الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. {14} وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» (يقصد: أنتَ يا يسوع لستَ محتاجاً إلى التوبة التي أدعو أنا إليها) {15} فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. **[← "يَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ (أي: مؤمناً بالمسيح عيسى ابن مريم فهو المسيّا المنتظر)" (آل عمران 39)]**. {16} فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ (أي: الرُّوح الْقُدُس) نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، {17} وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: «هذَا (أي: يسوع المسيح) هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»[8414]. اقرأ أيضاً (مرقس 1:9-11) (لوقا 3:21-22). ورواية إنجيل لوقا مهمة لأنها انفردت بمعلومات هامة: "وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضًا. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ

(أي: على يسوع المسيح) الرُّوحُ الْقُدُسُ (Holy Spirit) بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ (in a bodily shape) مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ»" (لوقا 3:21-22)[8415] **[⟵ "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ (Spirit of the Holy) (بالعبرية: ruaḥ ha-kōdeš)[8416]" (المائدة 110) "وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ" (البقرة 87، 253)]**.

ولقد أكّد إنجيل متى أن رسالة يوحنا المعمدان "تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ" (متى 3:2) هي نفسها نقطة انطلاق رسالة يسوع المسيح: "مِنْ ذلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ»" (متى 4:17). "يشير تعبير "مَلَكُوت السَّمَاوَاتِ / الله" في كرازة الرب يسوع المسيح، كما تقدمها الأناجيل، إلى مُلْك الله الذي يؤسسه اللهُ بواسطة الرب يسوع المسيح، [أي] إرساء مُلْك الله في قلوب شعبه وحياتهم، وانتصاره على جميع قوى الشر، وتخليص العالم من جميع توابع الخطيئة، بما في ذلك الموت وجميع صور إبادة الحياة، وخَلْق نظام جديد من البر والسلام"[8417].

فنلاحظ من كل ما سبق أن العلاقة بين يوحنا المعمدان ويسوع المسيح تشبه العلاقة بين هارون الكاهن وموسى النبي. الفرق هو أن هارون كان مساعداً لموسى الذي نُودِي قبله. أما يوحنا المعمدان فكان سابقاً (forerunner) ومهيئاً الطريق (preparing the way) ليسوع المسيح الذي جاء بعده. ونحن نقول ذلك لنرد على التفاسير المسيحية المثلِّثة التي تزعم أن يسوع المسيح "إله" يوحنا المعمدان! ردنا: قالت التوراة إن موسى "إله" هارون (الخروج 4:16) بالمعنى المجازي طبعاً، أي: قائد أو مشير أو يكلِّمه نيابةً عن الله. ولم نجد يهودياً واحداً عاقلاً أو حتى نصف عاقل عَبَد موسى كإله بسبب هذه الآية التوراتية! كذلك، في حالة وجود آية في الإنجيل تدل من قريب أو من بعيد على أن يسوع "إله" يوحنا، فيجب أيضاً أن نفسِّرها بنفس المعنى المجازي. يسوع المسيح هو المَلِك أو الرب (أي: السيد)؛ أما يوحنا المعمدان فهو الوزير أو المحافظ أو السفير الدبلوماسي (herald) الذي يقوم بالإجراءات التحضيرية التي تسبق زيارةَ جلالة المَلِك وأهمها "تهيئة الطريق" الذي سيسير فيه المَلِكُ ليؤدي مهامه. بل إن مجرد ميلاد يوحنا المعمدان بمعجزة إلهية من امرأة عاقر "يُهَيِّئُ الطَّرِيقَ" لميلاد يسوع المسيح بمعجزة إلهية من فتاة عذراء. ومِن المؤكد أن هذه المعلومات قد وصلت إلى أصحاب القرآن، بدليل أننا نجد قصةَ ميلاد يحيى بن زكريا تسبق دائماً قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم سواء في رواية سورة مريم أو في رواية سورة آل عمران أو حتى في رواية سورة الأنبياء المختصرة. حتى آية سورة الأنعام تضع يحيى قبل عيسى مباشرةً: "وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ" (الأنعام 85).

لم يقل يسوعُ المسيح أبداً إنه "إله" بالمعنى الحرفي. فقط، أكَّد يسوعُ المسيح أن يوحنا المعمدان نبي عظيم جاء قبله لكي يُهَيِّئَ الطَّرِيقَ قُدَّامَه في قلوب شعبه. (لوقا 7): {24} [...] ابْتَدَأَ [يسوعُ] يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يُوحَنَّا [الْمَعْمَدَانِ]:

- «مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟ أَقَصَبَةً (kalamos) تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟ (أي: أإنْسَانًا مهتزاً في أفكاره ومبادئه؟ والمراد بالطبع أن يوحنا ليس كذلك، وإنما كان ثابتاً وقوياً) **[← "يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ (أي: التوراةَ؛ العهدَ القديم) بِقُوَّةٍ (أي: بجدٍ واجتهاد)" (مريم 12)]**
- {25} بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَإِنْسَانًا لاَبِسًا ثِيَابًا نَاعِمَةً؟ (أي: أإنْسَانًا مرفهاً ينعم برغد العيش؟ والمراد بالطبع أن يوحنا ليس كذلك، وإنما كان زاهداً ومتقشفاً[8418]) **[← "حَصُورًا (أي: ناسكاً زاهداً ascetic)" (آل عمران 39)]** هُوَذَا الَّذِينَ فِي اللِّبَاسِ الْفَاخِرِ وَالتَّنَعُّمِ هُمْ فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ.
- {26} بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنَبِيًّا؟ نَعَمْ **[← "نَبِيًّا" (آل عمران 39)]**، أَقُولُ لَكُمْ: وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ **[← "نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ" (آل عمران 39؛ (الأنعام 85)]**! {27} هذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي (أي: رسولي) الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ[8419] **[← "مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ (أي: مؤمناً بالمسيح عيسى ابن مريم فهو المسيّا المنتظر)" (آل عمران 39)]**!

{28} لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ نَبِيٌّ أَعْظَمَ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ **[← أشرف المرسلين!]**، وَلكِنَّ الأَصْغَرَ (أي: الأكثر تواضعاً[8420]) فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْهُ [لأنه مولودٌ من الله؛ لأنه آمن بي دون أن يراني[8421]]». اقرأ أيضاً (متى 7:11-11) وتكملة كلام يسوع في **(متى 11): {13}** لأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ وَالنَّامُوسَ إِلَى يُوحَنَّا تَنَبَّأُوا. {14} وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهذَا (أي: يوحنا المعمدان) هُوَ إِيلِيَّا (Elijah) (اسمه باليونانية: Elias) الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ[8422] **[← واسمه بالعربية أيضاً: إِلْيَاس! ولم يُذكَر اسمُ يحيى في القرآن خارج قصة البشارة بميلاده إلا مع إِلْيَاس. صدفة؟! "وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ" (الأنعام 85)]**. اقرأ أيضاً قصة التجلِّي في الإنجيل (متى 1:17-13) (مرقس 2:9-13) (لوقا 28:9-36).

مقتل يوحنا المعمدان في سجنه: كان يوحنا مثل إيليَّا، بل "هُوَ إِيلِيَّا" (متى 14:11) (متى 11:17-13) لكن ليس بالكيان الجسدي وإنما من جهة روحه النارية التي وبَّخت الملوك وأفزعتهم. فلقد كان يوحنا شجاعاً وجريئاً ولا يخاف في الحق لومةَ لائم، فعارض الْمَلِكَ هِيرُودُسَ (Herod Antipas) لأنه خالف توراةَ موسى وتزوج "هِيرُودِيَّا" (Herodias) ابنةَ أخيه وامرأةَ أخيه (اللاويين 16:18) أي: تزوجها زواج محارم (incestuous marriage)[8423]! فسجن هِيرُودُسُ يُوحَنَّا (لوقا 19:3-20) (متى 3:14-5) (مرقس 17:6-19) ولم يقدر أن يقتله "لأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِمًا أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ (righteous) وَقِدِّيسٌ (holy)" (مرقس 20:6) **[← "وَآتَيْنَاهُ [...] زَكَاةً (أي: نقاوةً وسمو النفس؛ طهارةً من الذنوب) وَكَانَ تَقِيًّا" (مريم 12-13) "مِّنَ الصَّالِحِينَ" (آل عمران 39) (الأنعام 85)]**. لكن بعد ذلك، قطع هِيرُودُسُ رأسَ يُوحَنَّا وأعطاها هديةً للراقصة الشابة المثيرة "سالومي" (Salome) ابنة هِيرُودِيَّا التي كانت قد حرضتها على هذه الجريمة! "فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ [هِيرُودُسُ] سَيَّافًا وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِرَأْسِهِ (أي: برأسِ يوحنا). فَمَضَى وَقَطَعَ رَأْسَهُ فِي السِّجْنِ. وَأَتَى بِرَأْسِهِ عَلَى طَبَق وَأَعْطَاهُ لِلصَّبِيَّةِ [سالومي]، وَالصَّبِيَّةُ أَعْطَتْهُ لأُمِّهَا [هِيرُودِيَّا]. وَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ (أي: وَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُ يوحنا خبرَ استشهاده)، جَاءُوا وَرَفَعُوا جُثَّتَهُ وَوَضَعُوهَا

فِي قَبْرٍ" (مرقس 6:27-29) **[← "وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا [مِن قبره]" (مريم 15)]** "ثُمَّ أَتَوْا وَأَخْبَرُوا يَسُوعَ (أي: تَبِعوا المسيحَ)" (متى 14:12). وبعد ذلك شاع بين الناس أن يسوع المسيح هو يوحنا المعمدان قائماً من الأموات (لوقا 9:7-9)! ويبدو أن هِيرُودُس نفسه قد صدَّق هذه الإشاعات أو على الأقل قد تأثر بها وانزعج واحتار (متى 14:1-2) (مرقس 6:14-16).

مما سبق يتضح أن شخصية يحيى بن زكريا وقصة البشارة بميلاده في القرآن (مريم 2-15) (آل عمران 38-41) (الأنبياء 89-90) (الأنعام 85) مجرد تطور بشري طبيعي لشخصية يوحنا المعمدان وقصة البشارة بميلاده في الإنجيل، وبخاصة الإصحاح الأول مِن إنجيل لوقا.

ولعل أهم وأوضح اختلاف بين القصة الإنجيلية الأصلية والقصة القرآنية هو أن يحيى بن زكريا في القرآن صامِتٌ تماماً ولم يفتح فمه بكلمةٍ واحدة!

ويوجد اختلاف آخر يستحق أن نتوقف عنده قليلاً ...

4.57.1.1 حوارٌ تكلَّم فيه كل طرف ثلاث مرات ... ثم صَمْتٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وثَلَاث لَيَالٍ!

لاحظنا فيما سبق اختلافاً بين الإنجيل والقرآن. حسب الإنجيل، صَمْتُ زكريا كان عقاباً أو توبيخاً لطيفاً له على عدم تصديقه كلام الرب (البشرى الإلهية بميلاد يوحنا المعمدان)، وهي فعلاً بشارة يصعب تصديقها فلا نلومه على شكه (لوقا 1:18-20). أما حسب القرآن، فإن صَمْت زكرياً كان استجابةً لطلبه "آية (أي: علامة)": "قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً (أي: علامةً أَعْلَمُ بها تحقُّق هذه الْبُشْرَى؛ علامةً أَعْلَمُ بها أن زوجتي العاقر حامل!)" (آل عمران 41) (مريم 10)[8424].

ويبدو لنا أن أصحاب القرآن قد تأثروا هنا بقصص أخرى مشابهة طلب فيها الشخصُ المبشَّر آيةً (أي: علامةً) من الرب / ملاك الرب. فهذه هي عادة اليهود أو المؤمنين بصفة عامة يعتمدون على المعجزات وخوارق الطبيعة وليس على التفكير العلمي العقلاني: "لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً (sign)، وَالْيُونَانِيِّينَ (أي: الأمم؛ غير اليهود؛ والمراد: الفلاسفة والعلماء والحكماء) يَطْلُبُونَ حِكْمَةً" (1 كورنثوس 1:22).

اقرأ مثلاً قصةَ النبي المؤمن الشاب "جِدْعُون" (Gideon) الذي بشَّره الربُّ بالانتصار على أعدائه المديانيين الأقوياء "فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الرَّبُّ وَقَالَ: «اذْهَبْ بِقُوَّتِكَ هذِهِ وَخَلِّصْ إِسْرَائِيلَ مِنْ كَفِّ مِدْيَانَ. [...] إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَسَتَضْرِبُ الْمِدْيَانِيِّينَ كَرَجُل وَاحِدٍ»" (القضاة 6:14-16)؛ إلا أن جِدْعُون لم يصدق الربَّ / ملاكَ الرب، "فَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَاصْنَعْ لِي عَلاَمَةً أَنَّكَ أَنْتَ [حقاً الربّ / ملاك الرب] تُكَلِّمُنِي" (القضاة 6:17). انظر أيضاً (التكوين 15:8) (2 ملوك 20:8).

وفي الواقع، فإن الجملة التي قالها جدعونُ للرب "إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ [...]" (القضاة 6:17) تذكِّرنا بالجملة التي قالها موسى للرب "إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ [...]" (الخروج 33:13)

في قصة التجلِّي الشهيرة (قصة موسى ومجد الرب) التي ذكرتها التوراةُ (الخروج 33) في صورة حوار (dialogue) دار بين موسى والرَّبِّ؛ وكل طرف في هذا الحوار تكلم ثلاث مرات (a three-stage dialogue in which each side speaks three times). **(الخروج 33):**

- {12} وَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «انْظُرْ. أَنْتَ قَائِلٌ لِي: أَصْعِدْ هذَا الشَّعْبَ، وَأَنْتَ لَمْ تُعَرِّفْنِي مَنْ تُرْسِلُ مَعِي. وَأَنْتَ قَدْ قُلْتَ: عَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ، وَوَجَدْتَ أَيْضًا نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ. {13} فَالآنَ إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَعَلِّمْنِي طَرِيقَكَ (أي: طريقة تعاملك مع الإنسان ومع خطاياه) حَتَّى أَعْرِفَكَ لِكَيْ أَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ. وَانْظُرْ أَنَّ هذِهِ الأُمَّةَ شَعْبُكَ».
- {14} فَقَالَ [الربُّ لموسى]: «[...]».
- {15} فَقَالَ لَهُ [موسى]: «[...]، {16} [...]».
- {17} فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى [في لطفٍ ورأفةٍ]: «[...]».
- {18} فَقَالَ [مُوسَى لِلرَّبِّ في جراءةٍ كبيرة]: «أَرِنِي مَجْدَكَ (Your Presence؛ أي: شَخْصَك)».
- {19} فَقَالَ [الرَّبُّ لِمُوسَى]: «[...]». {20} وَقَالَ: «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ». {21} وَقَالَ الرَّبُّ: «[...]. {22} [...]. {23} [...]، وَأَمَّا وَجْهِي (My face) فَلاَ يُرَى».

ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه القصة التوراتية الشهيرة، بدليل أنهم ذكروها باختصار في قرآنهم كما شرحنا بالتفصيل في قصة خروج بني إسرائيل من مصر: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي [...]" (الأعراف 143). فلا داعي لتكرار ما قلناه.

وفي نفس السياق نذكر اختلافاً آخر بين رواية إنجيل لوقا وروايات القرآن وهو الفترة التى قضاها زكريا صامتاً لا يُكَلِّمَ النَّاسَ. في إنجيل لوقا: مِن البشارة إلى ختان يوحنا في اليوم الثامن بعد ولادته (لوقا 1:59-64) – أي طوال أشهر الحمل؛ يعني: حوالي 9 أشهر. أما فى القرآن: مِن البشارة ولمدة "ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ" (آل عمران 41) أو "ثَلَاثَ لَيَالٍ" (مريم 10) فقط. قد يُقال إن هناك تعارض بين "ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ" و "ثَلَاثَ لَيَالٍ"، إذ أن "ثَلَاثَ لَيَالٍ" يُمكن أن تعني أربعة أيام. والحقيقة أنه ليس هناك تعارض. تعبير "ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَثَلاَثِ لَيَال" كان طريقة لافتة لقول "ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ" عند اليهود، ولقد ذُكِرَ للمرة الأولى في الكتاب المقدس في سفر صموئيل الأول: "لأَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلاَ شَرِبَ مَاءً فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَثَلاَثِ لَيَال" (1 صموئيل 12:30)، أي: في نفس السفر الذي ذَكر قصةَ أول نذير في الكتاب المقدس! صدفة؟! ثم بعد ذلك تكرر تعبير "ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَثَلاَثِ لَيَال" مرتين في الكتاب المقدس بعهديه: "فَكَانَ يُونَانُ فِي جَوْفِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال" (يونان 1:17)؛ "لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ (أي: يسوعُ المسيح) فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال" (متى 12:40). مما يؤكد أنه كان يُعد الأسلوب اليهودي الشائع في حساب الوقت[8425]. فَمِن الواضح إذن أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذا التعبير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود الشرق الأوسط، فوضعوا "ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ" فى (آل عمران 41) و "ثَلَاثَ لَيَالٍ" فى (مريم 10).

يعنى باختصار: حتى الطريقة التى صيغ بها هذا الاختلاف بين الروايتين القرآنيتين تبدو متأثرة بالثقافة اليهودية!

4.57.2 حل لغز "كهيعص" (مريم 1) في التراث المسيحي السرياني

بدأت رواية سورة مريم المكية بكلمة "ذِكْر": "ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (واسمُه يعني: يهوه قد ذَكَرَ؛ أي: الرَّبُّ قد ذَكَرَ)" (مريم 2). وتدور أحداث الرواية القرآنية في "الْمِحْرَابِ" (مريم 11) (آل عمران 39)، أي: في الهيكل بيت الرَّبِّ في أورشليم أرض اليهود.

ويُعلِّمنا القرآنُ المكي أن نسأل "أَهْلَ الذِّكْرِ": "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (النحل 43)؛ "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (الأنبياء 7). فَمِن هُمْ "أَهْلُ الذِّكْرِ"؟ ...

الإجابة: بما أن المصدر الأساسي لهذه القصة القرآنية هو الإصحاح الأول مِن إنجيل لوقا، فإن "أَهْلَ الذِّكْرِ" هُمْ المسيحيون، الشرقيون طبعاً، الذين يذكرون اسمَ الرب كثيراً في الكنيسة بيت الرب[8426]، "قَبْلِكَ" (النحل 43) (الأنبياء 7)، أي: قبل محمد أو قبل الإسلام.

بالفعل، فإن هذا الإصحاح الأول مِن إنجيل لوقا له أهمية خاصة في التراث المسيحي الشرقي، وذلك لأن المسيحيين الشرقيين (أَهْلُ الذِّكْرِ) كانوا – وما زالوا – يقرأون هذا الإصحاح المهم في الكنيسة في أسابيع المجيء (Advent) التي تسبق عيد الميلاد المجيد (Christmas). تقول الموسوعة الكنسية المصرية: "هذا الإصحاح له أهمية خاصة، لأنه التمهيد لميلاد المسيح، ولذا تقرأه الكنيسة [القبطية الأرثوذكسية] في آحاد شهر كيهك الأربعة قبل عيد الميلاد، فيحدثنا الأحد الأول: عن البشارة بميلاد يوحنا [(لوقا 1:8-17)]. الأحد الثاني: البشارة بميلاد المسيح [(لوقا 1:26-33)]. الأحد الثالث: زيارة العذراء لأليصابات [(لوقا 1:39-45)]. الأحد الرابع: ميلاد يوحنا المعمدان [(لوقا 1:57-66)]"[8427].

وفي الواقع، فإن هذا التقليد الكنسي كان موجوداً أيضاً في التراث المسيحي السرياني كما سنرى بعد قليل، ثم انتقل مِنه إلى "القرآن" (بالسريانية: "قِرْيان" (qeryān)؛ أي: كتاب القراءات الكنسية (lectionary)). لكن القرآن اكتفى بالأحدين الأول والثاني فقط. ونرى ذلك في سورة آل عمران المدنية: البشارة بميلاد يَحْيَىٰ/يُحَنَّىٰ (آل عمران 38-41)، ثم البشارة بميلاد المسيح (آل عمران 45-48). ونراه بوضوح أكثر في سورة مريم المكية: البشارة بميلاد يَحْيَىٰ/يُحَنَّىٰ (مريم 2-15)، ثم البشارة بميلاد المسيح (مريم 16-22)، ثم قفز مباشرةً إلى ميلاد المسيح (Christmas) (مريم 23-33).

وهذا الاتفاق بين القرآن والتقليد الكنسي الشرقي الذي يسبقه يساعدنا على فَهْم معنى "كهيعص" (مريم 1) التي جاءت في بداية سورة مريم وحيَّرت المفسرين المسلمين فاعتبروها معجزة! أي حاجة مش عارفين

أصلها يعتبروها معجزة! ولو رجعوا إلى التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) المرتبط بالأسابيع التي تسبق عيد الميلاد المجيد والتي تبدأ بالبشارة بميلاد يَحْيَىٰ/يُحْنَّىٰ (مريم 2-15)، لفهموا "كهيعص" (مريم 1) بكل سهولة، فهي كلمة تتكون من خمسة حروف "ك ه ي ع ص" كل حرف منها يدل على كلمةٍ معينة (siglum). يقول الباحث والكاتِب المعروف (Christoph Luxenberg)[8428]:

[سورة مريم] begins with a liturgical text that one can ascribe to the Advent season of the Christian Syrian liturgy. The first Sunday of Advent in the Syrian daily office has as its theme, just as we find in the Qur'ān, the announcement to Zechariah of the birth of John the Baptist. This theme corresponds to the Gospel pericope Luke 1:5-23; the Qur'ān summarizes this story in [مريم 2-11] in a free and succinct form. In the Syrian liturgical tradition, the second Sunday of Advent is devoted to the annunciation to Mary [of the birth of Jesus] (Luke 1:27-38). The Qur'ān reproduces this report also, in [مريم 16-21], with a version that summarizes the story (albeit from a Qur'ānic perspective). The report of the birth of Christ found in [مريم 22-33], however, diverges quite a bit from Luke 2:1-20 and suggests a non-canonical Qur'ānic *Vorlage* [model or original].

What is important for our purposes, however, is that the two “annunciation sequences” that precede the Christmas story in the Qur'ān agree exactly with the corresponding Advent Sundays in the Syrian liturgical year. This is relevant for historical studies of liturgy because in this way the Qur'ān follows a West Syrian tradition that can be traced back at least as far as the early sixth century, while the Eastern Syrians had four Advent Sundays (or “Sundays of Annunciation”) long before the middle of the seventh century. By means of its structure, in concert as it is with the Gospel of Luke, [سورة مريم] testifies to a pre-Islamic, Christian Syrian tradition with two Advent Sundays before the Christmas celebration, for which [سورة القدر], as a “Christmas Surah,” has preserved a historical memory.

Because we can now say that [سورة مريم] belongs to the liturgical texts in the Qur'ān, the siglum [كهيعص] that introduces it must naturally have as its content the praise of God, in a way corresponding to the Syrian liturgy. This is also an indicator that [سورة مريم] does not belong to the second Meccan period, which distinguishes itself by texts that present a sermon supported by revelation; rather, it is a liturgical text (at least up to verse 33) that belongs to the earlier portion of the Qur'ān that serves as its foundation as originally a lectionary, that is, as a liturgical book.

This longest siglum [كهيعص] in the Qur'ān can therefore be decoded according to the Syrian liturgy and in the following way: كهيعص / KHYʿS represents the Syro-Aramaic letters […]. These latter stand for the words

"[…] / *kabbīr hū Yah ʿellāyā ṣḇaōṯ*, which corresponds to the Arabic كبير هو الرب العلي الصبأوت / *kabīr(un) huwa r-Rabb al-ʿalī aṣṣaba'ūt*, meaning "Great is [= Praise be] the Lord (*Yah*), the Exalted, the Sabaoth (= the Powerful)."

إذن: "كهيعص" (مريم 1) اختصار أو علامة (siglum) تعني: "كَبيرٌ هو يهوه الْعَلِيّ الصِباؤوت". إنها تدعو السامعين أو الحاضرين في الكنيسة/الجامع (أَهْلَ الذِّكْرِ) الواقفين أمام الهيكل/المذبح/المحراب أن يكبِّروا (magnify) أو يسبِّحوا (praise) الرَّبَّ الْعَلِيِّ القوي.

لكن لماذا جاءت "كهيعص" (مريم 1) بالذات في بداية سورة مريم بالذات، أي: قبل البشارة لزكريا بميلاد يحيى/يُحَنَّىٰ (مريم 2-15) والبشارة لمريم بميلاد عيسى/يسوع (مريم 16-22)؟ ...

الإجابة: لأن موضع "كهيعص" (مريم 1) في بداية سورة مريم موضع متميز وممتاز واختيار موفق جداً. وذلك لأربعة أسباب على الأقل ...

أولاً: لأن "كهيعص" (مريم 1) تدعو أَهْلَ الذِّكْرِ الواقفين أمام المحراب أن يكبِّروا (magnify) أو يسبِّحوا (praise) الرَّبَّ. وهذا ما تدعو إليه الآيةُ (مريم 11) صراحةً: "فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا [الرَّبَّ] بُكْرَةً وَعَشِيًّا" (مريم 11)[8429]. بل نحن نرى أن "كهيعص" (مريم 1) كلمة سريانية عبقرية تجمع بين تسبحة مريم العذراء (The Magnificat) التي تعبر عن فرح مريم بِقُرب ميلاد يسوع وتبدأ بتكبير الرَّبِّ: "تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ (My soul glorifies the Lord)، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي، [...]" (لوقا 1:46-47)، وبين تسبحة زكريا (The Benedictus) التي تعبر عن فرح زكريا بميلاد يوحنا وتبدأ بمباركة الرَّبِّ: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ (Blessed be the Lord) إِلهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ

فِدَاءً لِشَعْبِهِ، [...]" (لوقا 68:1). والتسبيحتان مذكورتان في الإصحاح الأول من إنجيل لوقا الذي "يعتبر أكثر سفر في العهد الجديد أغنى الكنيسة بالتسابيح الإنجيلية التي دخلت في صميم طقس الصلوات في الكنيسة شرقاً وغرباً"[8430]. وإنجيل لوقا هو المصدر الأساسي لهاتين القصتين القرآنيتين: قصة البشارة لزكريا بميلاد يحيى/يُحَنَّىٰ (مريم 2-15) وقصة البشارة لمريم بميلاد عيسى/يسوع (مريم 16-22). وإذا قرأنا الإصحاح الأول من إنجيل لوقا جيداً، فسنجده يقول إن يوحنا "نَبِيّ الْعَلِيِّ" (لوقا 76:1) ويسوع "ابْن الْعَلِيِّ" (لوقا 32:1)؛ وكما قلنا فإن حرف "ع" في "كهيعص" (مريم 1) هو اختصار لكلمة "الْعَلِيِّ". أما حرف "ص" في "كهيعص" (مريم 1) هو اختصار لكلمة "الصباؤوت" التي تعني الجنود أو الحشود (hosts) أو القوات [المسلحة] (armies) ومِن ثم تدل على قوة الله وقدرته التي أشار إليها الإصحاحُ الأول من إنجيل لوقا في عدة آيات مثل: "قُوَّةُ الْعَلِيِّ" (لوقا 35:1)، "لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ" (لوقا 37:1)، "الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ" (لوقا 49:1). فنستطيع إذن أن نقول إن "كهيعص" (مريم 1) تلخص أفكاراً موجودة كلها في الإصحاح الأول من إنجيل لوقا وهو المصدر الأساسي لقصة البشارة لزكريا بميلاد يحيى/يُحَنَّىٰ (مريم 2-15) وقصة البشارة لمريم بميلاد عيسى/يسوع (مريم 16-22)، وهو أيضاً الإصحاح الذي كان –ولا يزال– يُقرأ في الكنائس في الأسابيع التي تسبق ميلاد المسيح (Christmas) (مريم 23-33). ومِن ثم فإن "كهيعص" (مريم 1) هي بالفعل خير مقدمة لسورة مريم. اختيار موفق جداً.

ثانياً: حرف "ي" في "كهيعص" (مريم 1) اختصار لاسم "يهوه" (بالعبرية: Yah·weh) وهو اسم "الرب" الذي تكرر 8 مرات[8431] في البشارة لزكريا بميلاد يَحْيَىٰ: "رَبِّكَ [...] رَبَّهُ [...] رَبِّ [...] رَبِّ [...] رَبِّ [...] رَبِّ [...] رَبُّكَ [...] رَبِّ [...]" (مريم 2-15). وبما أن "رب الصباؤوت" (Lord of Sabaoth) تعني: "رَبَّ الْجُنُودِ" (LORD of hosts). إذن: نستطيع أن نجد سبباً آخر لماذا وضع صاحبُ رواية سورة مريم كلمةَ "كهيعص" (مريم 1) قبل روايته لقصة البشارة بميلاد يَحْيَىٰ/يُحَنَّىٰ (مريم 2-15)؟ الإجابة: لأنه أراد أن يذكِّر السامعين بقصة حَنَّة أم صموئيل أول مَن نطق اسمَ "رَبّ الْجُنُودِ" في الكتاب المقدس: "فَقَامَتْ حَنَّةُ [...]، وَعَالِي الْكَاهِنُ جَالِسٌ عَلَى الْكُرْسِيِّ عِنْدَ قَائِمَةِ هَيْكَلِ الرَّبِّ، وَهِيَ مُرَّةُ النَّفْسِ. فَصَلَّتْ إِلَى الرَّبِّ، وَبَكَتْ بُكَاءً، وَنَذَرَتْ نَذْرًا وَقَالَتْ: «يَا رَبَّ الْجُنُودِ (بالعبرية: Yah·weh ṣə·ḇā·’ō·wṯ)، إِنْ نَظَرْتَ نَظَرًا إِلَى مَذَلَّةِ أَمَتِكَ، وَذَكَرْتَنِي وَلَمْ تَنْسَ أَمَتَكَ بَلْ أَعْطَيْتَ أَمَتَكَ زَرْعَ بَشَرٍ، فَإِنِّي أُعْطِيهِ لِلرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، وَلاَ يَعْلُو رَأْسَهُ مُوسَى»" (1 صموئيل 9:1-11). وكما قلنا كثيراً فيما سبق: صموئيل ابن حَنَّة هذه هو أول نذير (Nazirite) في الكتاب المقدس[8432]. إذن: "كهيعص" (مريم 1) تذكِّر السامعين بـ"رب الصباؤوت" المذكور للمرة الأولى في الكتاب المقدس في قصة صموئيل أول نذير في العهد القديم كتمهيد أو مقدمة أو مدخل (مريم 1) لقصة يَحْيَىٰ/يُحَنَّىٰ أول نذير في العهد الجديد (مريم 2-15) وكل ذلك في سورة اسمها "مريم" التي ظنَّ أصحابُ القرآن أنها أيضاً كانت نذيرة "إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ (أي: أم مريم) رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي" (آل عمران 35).

ثالثاً: ومن الجدير بالذكر أيضاً أن عبارة "رَبّ الْجُنُودِ" (بالعبرية: Yah·weh ṣə·ḇā·’ō·wṯ) تكررت أكثر من 200 مرة في العهد القديم، مِنهم أكثر من 20 مرة في سفر ملاخي القصير جداً (أقل من 60 آية)، يعني: "رَبّ الْجُنُودِ" أكثر من مرة كل 3 آيات! من ضمنها آية تقول إن الكاهن "رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ" (ملاخي 7:2). إذن: زكريا الكاهن رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ. وسفر ملاخي هو آخر سفر من أسفار الأنبياء في العهد القديم العبري ويأتي في الكتاب المقدس المسيحي قبل العهد الجديد مباشرةً. ولقد انتهى سفرُ ملاخي بالتنبؤ بمجيء "إِيلِيَّا النَّبِيَّ" (ملاخي 5:4)، أي: التنبؤ بمجيء نبي مثل إيليا في قوته وثباته وجرأته. ولقد حقق يوحنا المعمدان بن زكريا الكاهن هذه النبوءة، بدليل أن الملاك جبرائيل قال لزكريا الكاهن في البشارة بميلاد يوحنا إنه سيؤدي مهمته "بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ" (لوقا 17:1) وأيضاً بدليل أن يسوع المسيح قد أكَّد ذلك وقال: "فَهذَا (أي: يوحنا المعمدان) هُوَ إِيلِيَّا (اسمه باليونانية: إلياس) الْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ" (متى 14:11). ومِن المؤكد أن هذه المعلومة قد وصلت إلى أصحاب القرآن، ولو بصورة مبسطة، بدليل أن الآية القرآنية الوحيدة التي ذكرت اسمَ زكريا واسمَ يَحْيَىٰ/يُحْنَّىٰ خارج قصة البشارة بميلاده ذكرت معهما اسمَ إِيلِيَّا (باليونانية والعربية: إِلْيَاس): "وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ" (الأنعام 85). فيمكن إذن أن نقول إن "كهيعص" (مريم 1) تذكِّر السامعين بـ "رب الصباؤوت" المذكور أكثر من 20 مرة في سفر ملاخي، ومِن ثم تذكر السامعين بنبوءة سفر ملاخي التي حققها يَحْيَىٰ/يُحْنَّىٰ بن زكريا؛ وهذا التذكير تمهيد أو مقدمة أو مدخل (مريم 1) لقصة يَحْيَىٰ/يُحْنَّىٰ الذي يُعتبر حلقة وصل بين العهد القديم والعهد الجديد. أو إن شئت فقل إن "كهيعص" (مريم 1) تمهيد أو مقدمة أو مدخل لقصة زكريا أول مَن تحدث إليه اللهُ بعد فترة صمت استمرت لأكثر من 300 سنة بين سفر ملاخي والإنجيل (intertestamental period): "كهيعص. ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا. [...]" (مريم 1-15).

رابعاً: "الصباؤوت" (Sabaoth) أي: "الْجُنُودِ" (hosts) قد تكون جنوداً أرضية وقد تكون أيضاً جنوداً سماوية. يقول تفسير الكتاب المقدس لجون ماك آرثر تعليقاً على "رَبّ الْجُنُودِ" التي ذُكِرَت للمرة الأولى في الكتاب المقدس في سفر صموئيل الأول كما قلنا: "إنها المرَّة الأولى في العهد القديم، التي يُذكَر فيها الكلمة "الجنود" مضافةً إلى الاسم الإلهي [رَبّ]. وقد تشير الكلمة "الجنود" إلى الجيوش البشرية (الخروج 4:7) أو إلى أجسام كونيَّة [كالنجوم والكواكب وعناصر الطبيعة الأخرى] (التثنية 19:4) أو إلى مخلوقات سماويَّة [كالملائكة مثلاً] (يشوع 14:5). وهذا اللقب (أي: رَبّ الْجُنُودِ) يؤكد أن الربَّ هو السيِّدُ الكليُّ القدرة على كلِّ القوات التي في السماء وعلى الأرض، ولا سيّما على جيوش إسرائيل"[8433]. ولذلك فإننا لم نندهش حين وجدنا الكلمةَ العبرية مُستخدمة في سفر التكوين تلخيصاً لعملية خلق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أعظم عمل يثبت أن الله هو الرب كُلي القدرة: "فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا (all their hosts)" (التكوين 1:2)[8434]. وكل هذا يثبت لنا أن "الصباؤوت" (Sabaoth) أي: "الْجُنُودِ" (hosts) قد تكون جنوداً أرضية وقد تكون أيضاً جنوداً سماوية، بل هي في الأساس جنود سماوية وأراد العهدُ القديم أن يؤكد أنها كلها مخلوقة وخاضعة للرب الإله كُلي القدرة حتى لا يعبدها بنو إسرائيل مثل الوثنيين المشركين المحيطين بهم

في الشرق الأوسط (مثلاً: عُبَّاد الشمس أو القمر أو النجوم أو الملائكة). ومِن المؤكد أن هذه المعلومة المهمة قد وصلت إلى أصحاب القرآن، ولو بصورة مبسطة، بدليل أن القرآن نفسه يقول "وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (الفتح 4) "وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا (Mighty) حَكِيمًا" (الفتح 7) "لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ [وحده لا شريك له] وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ (أي: تنصروا اللهَ) وَتُوَقِّرُوهُ (أي: تُعظِّموه؛ glorify God) **وَتُسَبِّحُوهُ** (praise God) بُكْرَةً وَأَصِيلًا (أي: دائماً، باستمرار؛ أو تحديداً: أول النهار وآخره، عند طلوع الشمس وعند غروبها، فالشمس مخلوقة ولا تستحق التسبيحَ ولا العبادة[8435])" (الفتح 9)؛ وكذلك بدليل وجود آيات قرآنية تدل على أن الله قد يرسل ملائكة "جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا" (التوبة 26، 40) (الأحزاب 9) لتؤيد المؤمنين في وقت الحرب أو في وقت الضيق والحزن والخوف بصفة عامة "إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ [الضيق] إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا [...] وَاللَّهُ عَزِيزٌ (Mighty) حَكِيمٌ" (التوبة 40)[8436].

وفي قصة البشارة بميلاد يحيى، كان زكريا حزيناً وخائفاً بسبب عدم الإنجاب "وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ [...]" (مريم 5). إذن: من المحتمل جداً أن حرف "ص" في "كهيعص" (مريم 1) يدل على "الصباؤوت" أي الجنود السماوية، أي: الملائكة الذين نجدهم بوضوح في رواية سورة آل عمران "فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ [...]" (آل عمران 39) بينما لا نجدهم بوضوح في رواية سورة مريم. إنها إذن إشارة خفية إلى الملائكة أو الملاك جبرائيل تحديداً (لوقا 1:19) والذي يدل اسمه أيضاً على قوة الله وقدرته[8437] مثل كلمة "الصباؤوت"[8438].

ويجب هنا أن نقول إن شخصية "جِبْرَائِيل" تطورت بمرور الزمن قبل ظهور الإسلام، إذ "يرد ذكره في سفر أخنوخ الأبوكريفي (9، 20، 40) باعتباره واحداً من الأربعة رؤساء الملائكة (أو الستة)، ويوصف بأنه "المتسلط على كل القوات" (أي: الموكّل على كل قدرة) وأنه يرفع مع غيره من رؤساء الملائكة صرخات نفوس الموتى طلباً للانتقام"[8439].

مع العلم بأن وجود جنود سماوية في أي قصة لا يدل بالضرورة على عنف أو انتقام إلهي أو عقاب من السماء، فقد تأتي الجنود السماوية برسالة سلام وسرور وبشارة مفرحة (إنجيل)، وهذا ما حدث في العهد الجديد عند ميلاد يسوع المسيح[8440]، وأيضاً في تسبحة من تسابيح إنجيل لوقا وهي تسبحة "الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي" (Gloria in excelsis Deo) حين "ظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ (أي: مَعَ مَلاَك الرَّبِّ) جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ (heavenly host) (أي: ملائكة نازلين من السماء) مُسَبِّحِينَ اللهَ (praising God) وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ للهِ (Glory to God) فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ (أو: وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، لِلنَّاسِ الَّذِينَ يُسَرُّ بِهِمُ اللهُ)»" (لوقا 2:13-14) ثم "مَضَتْ (أي: رجعت) [...] الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ" (لوقا 2:15) **[← قال المسيحُ كلمة الله: "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ" (مريم 33)[8441]. ونرى نفس المشهد الإنجيلي بصورة أوضح فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ (أي: جبريلُ) فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ" (القدر 4-5). وقال الباحث والكاتب (Christoph Luxenberg)**

المتخصص في الجذور السريانية للقرآن رأياً مثيراً للجدل وهو: إن ليلة القدر هي ليلة ميلاد/نزول المسيح كلمة الله (Christmas) وليست ليلة نزول/ميلاد القرآن كلام الله كما يعتقد المسلمون اليوم[8442]. أما نحن فلا نحتاج هذا الرأي في بحثنا، فسواء كان ضمير الغائب في "أَنزَلْنَاهُ" (القدر 1) يعود على القرآن كما يعتقد المسلمون؟ أم على المسيح كما يعتقد Christoph Luxenberg؟ فإن النتيجة بالنسبة لنا واحدة في كلتا الحالتين: المشهد الملائكي (جبريل + الملائكة) الذي يرسمه القرآن في سورة القدر مجرد تطور بشري طبيعي للمشهد الملائكي (ملاك الرب + الصباؤوت / الجند السماوي) الذي رسمه إنجيل لوقا عن ميلاد يسوع المسيح قبل القرآن بمئات السنين. أو كما قال العالِم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعقيباً أو اعتراضاً على رأي Christoph Luxenberg في هذه المسألة التي أثارت الجدل مؤخراً:

"it is perhaps more likely that the Qurʾān is reapplying "Christmas" imagery for its own purposes"[8443)].

والدرس المستفاد من هذه الأسباب الأربعة هو أنه لولا رجوعنا إلى التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) قبل الإسلام، لَمَا استطعنا أن نعرف معنى "كهيعص" (مريم 1) التي حيَّرت المفسرين المسلمين قديماً وحديثاً، ولَمَا استطعنا أن نفهم لماذا وُضِعَت "كهيعص" في بداية سورة مريم بالذات، أي: قبل البشارة لزكريا بميلاد يحيى/يُحَنَّىٰ (مريم 2-15) والبشارة لمريم بميلاد عيسى/يسوع (مريم 16-22). إن "كهيعص" (مريم 1) تدعو إلى ذِكْر وتكبير وتسبيح الرَّبِّ الْعَلِيِّ القدير، وهي كلها أفكار موجودة في الإصحاح الأول من إنجيل لوقا وهو المصدر الأساسي لقصة البشارة لزكريا بميلاد يحيى/يُحَنَّىٰ (مريم 2-15) وقصة البشارة لمريم بميلاد عيسى/يسوع (مريم 16-22)، وهو أيضاً الإصحاح الذي كان – ولا يزال – يُقرأ في الكنائس في الأسابيع التي تسبق ميلاد المسيح (Christmas) (مريم 23-33). بل لا يزال المسيحيون الشرقيون إلى اليوم يقيمون قُداس عيد الميلاد المجيد ليلاً في اليوم الذي يسبق الكريسماس (Christmas Eve) "عَشِيًّا" (مريم 11) "بِالْعَشِيِّ" (آل عمران 41) "لَيْلَةِ [...] لَيْلَةُ [...] لَيْلَةُ" (القدر 1-3) "أَصِيلًا" (الفتح 9)، وتستمر الصلوات الكنسية والتسابيح المسيحية والاحتفالات الشعبية حتى صباح اليوم التالي وهو يوم الكريسماس (Christmas) "بُكْرَةً" (مريم 11) "الْإِبْكَارِ" (آل عمران 41) "بُكْرَةً" (الفتح 9). أو على الأقل تستمر الصلوات والتسابيح في الكنائس الشرقية حتى مطلع الفجر (All-night vigil): "سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ" (القدر 5).

وختاماً يجب أن نقول إن الدعوة إلى ذِكر الله/الرب وتسبيحه مساءً وصباحاً قد تكررت في آيات قرآنية كثيرة أخرى، لكننا لم نذكرها حرصاً على عدم الإطالة، مثل:

- "**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**. وَمِنَ **اللَّيْلِ** فَاسْجُدْ لَهُ **وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا**[8444]" (الإنسان 25-26).

- "فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ **وَيُذْكَرَ** فِيهَا **اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ** فِيهَا **بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** (أي: في أول النهار وفي آخره)" (النور 36).
- "يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُمِ **اللَّيْلَ** (أي: قُم للصلاة في اللَّيْلِ) إِلَّا قَلِيلًا. نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا. إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا. إِنَّ نَاشِئَةَ **اللَّيْلِ** (أي: العبادة ليلاً) هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا (أي: أكثر رسوخاً في القلب) وَأَقْوَمُ قِيلًا (أي: أَبْيَن قولاً)[8445]. إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (أي: تصرفاً وتقلباً في عملك ومصالحك). **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ** وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (أي: فرّغ نفسك ليلاً لعبادة ربّك وانقطع لعبادته انقطاعاً تاماً). رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ[8446] لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا [وحده لا شريك له]" (المزمل 1-9).
- "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (أي: الْكِتَاب المقدس). هُدًى **وَذِكْرَىٰ** لِأُولِي الْأَلْبَابِ. فَاصْبِرْ [يا محمد] إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ **وَسَبِّحْ** بِحَمْدِ **رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ** (أي: في آخر النهار وفي أوله؛ مساءً وصباحاً)" (غافر 53-55).
- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا** كَثِيرًا. **وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**" (الأحزاب 41-42).
- "**فَسُبْحَانَ اللَّهِ** حِينَ **تُمْسُونَ** وَحِينَ **تُصْبِحُونَ**. **وَلَهُ الْحَمْدُ** فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَعَشِيًّا** وَحِينَ **تُظْهِرُونَ**" (الروم 17-18).
- "وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ **يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن **ذِكْرِنَا**" (الكهف 28)؛ "وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ **يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** يُرِيدُونَ وَجْهَهُ" (الأنعام 52).
- حتى الملوك الأقوياء والأنبياء وعناصر الطبيعة والملائكة (الصباؤوت) تسبّح الرَّبَّ الإله مساءً وصباحاً: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ **نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**[8447]" (البقرة 30)؛ "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ (أي: صاحب القوة) ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (أي: تائباً؛ رجّاع إلى الله). إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ **يُسَبِّحْنَ**[8448] **بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ** (أي: آخر النهار وأوله؛ أو: في كل الأوقات). وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ" (ص 17-19).

ونلاحظ أن الألفاظ المستخدمة في تلك الآيات تشبه الألفاظ المستخدمة في آيات قصة البشارة لزكريا بميلاد يحيى/يُحَنَّىٰ: "فَخَرَجَ [زكريا] عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن **سَبِّحُوا** [الرَّبَّ] **بُكْرَةً وَعَشِيًّا**" (مريم 11)؛ "**وَاذْكُر رَّبَّكَ** كَثِيرًا **وَسَبِّحْ** [الرَّبَّ] **بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**" (آل عمران 41). ولا غرابة في ذلك، فهي كلها آيات قرآنية مستوحاة (أي: تطور بشري طبيعي) من التسابيح اليهودية والمسيحية الموجودة بكثرة في التراث اليهودي/المسيحي الشرقي والمؤسسة على مزامير داود وإنجيل لوقا؛ وبعضها كان يُرنَّم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ (أي: مرتين تحديداً؛ أو أن المراد: دائماً، باستمرار): "حَسَنٌ هُوَ الْحَمْدُ لِلرَّبِّ وَالتَّرَنُّمُ لاسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ. أَنْ يُخْبَرَ بِرَحْمَتِكَ **فِي الْغَدَاةِ**، وَأَمَانَتِكَ **كُلَّ لَيْلَةٍ**، عَلَى ذَاتِ عَشَرَةِ أَوْتَارٍ وَعَلَى الرَّبَابِ، عَلَى عَزْفِ الْعُودِ" (المزامير 92:1-3). اقرأ أيضاً الصلاةَ اليهودية "اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ" (Shema Yisrael) أهم وأشهر صلاة يهودية:

"«اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَ**حِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ**، وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ" (التثنية 6:4-9). ويجب ألا ننسى طقوس وعادات وتقاليد يهودية قديمة جداً وهي "التقدمات اليومية" (Tamid) التي كانت تُقدَّم بُكْرَةً وَعَشِيًّا في الْمِحْرَابِ (الخيمة/الهيكل)، وتحديداً: "عَلَى الْمَذْبَحِ [...] كُلَّ يَوْمٍ دَائِمًا. [...] **صَبَاحًا**، وَ [...] **فِي الْعَشِيَّةِ**" (الخروج 29:38-39)؛ (العدد 28:3-4). و "كان من واجبات الكاهن المحافظة على البخور موقداً على المذبح (أي: مذبح البخور) أمام قدس الأقداس؛ إذ يزوده ببخور جديد قبل تقدمة الصباح ومرة أخرى بعد تقدمة المساء (الخروج 30:6-8)"[8449]. فهذا ما كان الكاهنُ زكريا يفعله وهو في الهيكل (المحراب) حين جاءته البشرى بميلاد يوحنا (يحيى): "فَيُوقِدُ [...] بَخُورًا عَطِرًا **كُلَّ صَبَاحٍ**، وَ [...] **فِي الْعَشِيَّةِ** يُوقِدُهُ. بَخُورًا دَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ" (الخروج 30:7-8) **[← ولذلك قال القرآنُ بنفس الترتيب: "بُكْرَةً وَعَشِيًّا" (مريم 11)؛ وفي رواية أخرى بعكس الترتيب: "بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" (آل عمران 41)]**. "وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا [خارج الهيكل]" (لوقا 1:21)، أي: "كانوا ينتظرون خروجه من القدس ونطقه ببركة هارون [العدد 6:24-26]"[8450]؛ وهي بركة مثلثة (three-part blessing)، أي تتكون من 3 آيات، وتذكر اسمَ الربِّ 3 مرات **[← ولذلك جعل القرآنُ زكريا بعد خروجه من الهيكل يدعو الشعب إلى ذِكر الربِّ "كَثِيرًا" وتسبيحه: "فَخَرَجَ [زكريا] عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا [الرَّبَّ] بُكْرَةً وَعَشِيًّا" (مريم 11)؛ "وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" (آل عمران 41)]**. وتركِّز بركةُ هارون على رحمة الرب وتنتهي بالدعاء بالسلام: "يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ. يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاَمًا" (العدد 6:24-26) **[← كما قلنا فيما سبق: رواية سورة مريم تبدأ بذكر رحمة الرب: "ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ" (مريم 2). وسورة مريم وصفت اللهَ باسمه "الرَّحْمَٰن" 16 مرة، أي: أكثر من أي سورة قرآنية أخرى[8451]؛ وهي أيضاً السورة القرآنية الوحيدة التي وصفت مريمَ بـ "أُخْتَ هَارُونَ" (مريم 28). أما آخر كلمة في بركة هارون المثلثة "سَلاَمًا" (العدد 6:26) فتحولت إلى دعاء "مثلث" بالسلام (a triple blessing of peace) في آخر آية في قصة ميلاد يحيى "وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 15) وكذلك في آخر آية في قصة ميلاد المسيح "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 33)]**.

لا يمكن أن يكون كل ما سبق مجرد صدفة. وإنما كل الأدلة التي أمامنا تؤكد أن هذه التسابيح والصلوات والطقوس والعادات والتقاليد اليهودية والمسيحية الشرقية قد تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى انتقلت إلى أصحاب القرآن عن طريق يهود ومسيحيي الشرق الأوسط وبخاصة المسيحيين السريان، فتحولّت إلى الآيات القرآنية السابقة. فلولا التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) لَمَا

استطاع العربُ أن ينتجوا هذه الآيات القرآنية. بل لولا التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) لَمَا استطاع العربُ أن ينتجوا القرآنَ.

وهذا يؤكد ما نقوله دائماً: القرآن كلام بَشر 100%. ومصادر القرآن هي التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة). فما كان العرب ليهتدوا لهذا القرآن لولا أن هداهُمْ التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة). ومِن ثم فلا يمكن فَهْم القرآن فهماً صحيحاً وكاملاً إلا بالرجوع إلى مصادره الأصلية، أي: الرجوع إلى التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة). ولذلك فإننا ننصح بتدريس التراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) في كليات تفسير القرآن وعلومه، على أن تكون دراسةً عميقة وواسعة لا تقتصر على كتب التراث اليهودي/المسيحي فقط، وإنما تشمل أيضاً العادات والتقاليد كالقراءات الكنسية (قِرْيانا) في مواسم الأعياد المسيحية (الكريسماس مثلاً) وكالترانيم والأكلات اليهودية في أعياد الحج اليهودية الكبيرة الثلاثة[8452].

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

القرآن منتج بَشري عربي من منتجات التراث البَشري اليهودي/المسيحي الشرقي، ثم صار الكتاب المؤسس (le texte fondateur) لدين العرب (الإسلام).

الْحَقُّ هو أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله.

"تَعْرِفُونَ الْحَقَّ (أي: الحقيقةَ؛ الله)، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ (أي: يُحَرِّرُكُمْ مِن الباطل؛ يُحَرِّرُكُمْ مِن الشيطان والخطية والموت؛ يُحَرِّرُكُمْ مِن الدنيا الزائلة ومِن العالم الفاني؛ يُحَرِّرُكُمْ مِن الجهل بالله الذي يؤدِّي إلى كل المعاصي وجميع الخطايا)" (يوحنا 8:32). "فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الابْنُ (أي: المسيحُ) فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا (أي: تتحولون من عبيد للشيطان إلى أبناء لله)" (يوحنا 8:36).

4.57.3 الخلاصة

القصة القرآنية مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للقصة الإنجيلية المشهورة المذكورة في الإنجيل، وبخاصة الإصحاح الأول مِن إنجيل لوقا. بل تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة).

فأين "الغيب" فيما قاله القرآن؟ كالعادة، لم يأتِ القرآن بأى شيء جديد يُذكَر. فما ذكره القرآن كان معروفاً قبل ظهور الإسلام بمئات السنين وليس غيباً على الإطلاق. ولا نعتقد أن الاختلافات البسيطة بين رواية إنجيل لوقا وروايات القرآن هى الدليل أن القرآن موحى به من الله! أى انسان لديه قدرة على الخيال يستطيع أن يأتى بمثل هذه الاختلافات، وبخاصة إذا كان لها جذور في التراث اليهودي/المسيحي كما أثبتنا.

والمثير للدهشة أن هذا كل ما قاله القرآن عن يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان)! بالفعل، لم يقل القرآن أى شيء آخر عن حياة يحيى أو عظاته التى قالها للناس أو عن مقتله أو حتى عن علاقته الروحية والدينية بالمسيح! بل لم ينطق يحيى كلمةً واحدة في القرآن كله! أليست هذه التفاصيل أهم مِن أن زكريا لم يُكَلِّمَ النَّاسَ؟! يبدو إذن أن أصحاب القرآن لم يسمعوا عن يوحنا المعمدان سوى ما جاء فى الآيات السابقة من الإنجيل فقط لا غير، ومعظمها بل كلها تقريباً فى الإصحاح الأول مِن إنجيل لوقا! أعتقد أنه أصبح الآن واضحاً لماذا لا يتحدث المسلمون كثيراً عن يحيى: لأن القرآن نفسه لم يقل عنه الكثير!

4.57.4 استطراد: هل آمن يوحنا المعمدان ويسوع المسيح بالتثليث؟! أَم بالتوحيد؟

بعد استشهاد الشاب الإسرائيلي اليهودي الأعزب يوحنا المعمدان ودفنه بعشرات السنين، بل بعد صلب الشاب الإسرائيلي اليهودي الأعزب يسوع المسيح واستشهاده ودفنه وقيامته بعشرات السنين أيضاً، كُتِبَ إنجيلٌ ونُسِبَ إلى "يوحنا الرسول (ابن زَبْدِي)" (John The Apostle) قيل فيه ما يلي ...

(يوحنا 1): {14} وَالْكَلِمَةُ (باليونانية: Logos) صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا.

ويجب هنا أن نتوقف قليلاً أمام ثلاث نقاط هامة في هذه الآية القصيرة "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا" (يوحنا 14:1) التي كانت سبباً في انقسام المسيحيين في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد وما زلنا نعاني من هذا الخلاف والشقاق إلى اليوم، مع أن الحل بسيط وهو الاعتراف بأن يسوع المسيح إنسان مخلوق وليس إلهاً:

- "وَالْكَلِمَةُ (أي: كلمةُ الله الخالِق؛ الأمر: لِيَكُنْ؛ كُن) صَارَ (باليونانية: egeneto؛ أي: became; came to exist) جَسَدًا (flesh) (أي: صار بَشراً؛ خَلَقَ إنساناً؛ هو: يسوع المسيح)" (يوحنا 14:1). فلقد استخدم العهدُ الجديد نفس الفعل اليوناني (egeneto) عند الحديث عن آدم: "هكَذَا مَكْتُوبٌ أَيْضًا: «صَارَ (egeneto) آدَمُ (Adam was made)، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً" (1 كورنثوس 45:15). والاقتباس من قصة خَلْق آدم (تكوين آدم): "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (التكوين 7:2). إذن: "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا" (يوحنا 14:1) ليست دليلاً على تجسد الله ولا دليلاً على أزلية المسيح كما يُشاع، وإنما دليلٌ على أن الله الخالِق الأزلي الأبدي = الْكَلِمَة (يوحنا 1:1) (logos is an eternal divine quality; God's self-expression and His creative activity) كَوَّن بشراً من لحم ودم وعظام مثلنا هو الإنسان يسوع المسيح المخلوق في لحظة زمنية معينة. وهذا الإنسان يسوع المسيح لم يكن له وجود قبل (يوحنا 14:1). إذن: الإنسان يسوع المسيح الذي بدأ وجوده في لحظة زمنية معينة (يوحنا 14:1) ≠ الله الموجود منذ الأزل والموجود إلى الأبد (يوحنا 1:1). [← "إِنَّمَا الْمَسِيحُ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ" (النساء 171)؛ "إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ [...] كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن (Be) فَيَكُونُ[8453]. [...] إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (آل عمران 45-59)]. إذن: (يوحنا 14:1) ليست دليلاً على لاهوت المسيح، وإنما دليلٌ على ناسوت المسيح؛ وربما ترد على الفرق الغنوسية التي قالت إن المسيح لم يكن له جسد حقيقي مثلنا، وإنما ظهر في شبه الجسد أو كان مجرد خيال (illusion) أو شبح (phantom) (1 يوحنا 2:4). بعبارة أخرى: الكلمة (Logos) هو عقل الله (God's Mind) أو الحكمة الإلهية (Divine Wisdom) أو خطة الله (God's Plan) أو غرض الله (God's Purpose) مِن خَلْق العالم. "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ" (يوحنا 16:3-18). الخطة الإلهية موجودة طبعاً منذ الأزل (يوحنا 1:1)، لكن الفادي والمخلِّص يسوع المسيح الإنسان الذي حقق هذه الخطة الإلهية خُلِق في لحظة زمنية معينة (يوحنا 14:1)[8454][8455].

- "وَحَلَّ (أي: سَكَنَ tabernacles؛ خَيَّمَ booths) بَيْنَنَا" (يوحنا 14:1). كما كان الهيكل (الخيمة) في العهد القديم "مَسْكَناً Tabernacle" لله: "فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ" (الخروج 8:25)، لكنه (أي: الهيكل/الخيمة) ليس الله وليس أقنوماً (hypostasis) وليس شخصاً إلهياً (divine person; prosopon)، فلم ولن يعبده أحدٌ. ونلاحظ أن إنجيل يوحنا نفسه يستخدم نفس الكلمات عند الحديث عن جسد يسوع المسيح. "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ (أي: سَكَنَ tabernacles؛ خَيَّمَ booths) بَيْنَنَا" (يوحنا 14:1). اقرأ أيضاً ما قيل في إنجيل يوحنا بعد ذلك: "أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هذَا الْهَيْكَلُ، أَفَأَنْتَ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟» وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ" (يوحنا 19:2-21)[8456]. فليس من المبالغة إذن أن نقول إن يسوع المسيح هو الهيكل الجديد (New Temple) الهيكل الثالث (Third Temple). والهيكل بالتأكيد ليس هو الله؛ وإنما هو مجرد بناء يعبِّر عن حضور الله في وسطنا. وسواء كان الهيكل من حجارة أو من لحم ودم، فهو بالتأكيد ليس الله ولا يستحق العبادة.
- "وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا" (يوحنا 14:1). كما امتلأت خيمة الاجتماع بمجد الله في العهد القديم: "ثُمَّ غَطَّتِ السَّحَابَةُ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ وَمَلأَ بَهَاءُ الرَّبِّ الْمَسْكَنَ. فَلَمْ يَقْدِرْ مُوسَى أَنْ يَدْخُلَ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ، لأَنَّ السَّحَابَةَ حَلَّتْ عَلَيْهَا وَبَهَاءُ الرَّبِّ مَلأَ الْمَسْكَنَ" (الخروج 34:40-35). ولم نجد يهودياً واحداً عاقلاً أو حتى نصف عاقل عبد الخيمة / الْمَسْكَنَ كإله أو كأقنوم إلهي! وقبل ذلك "حَدَثَ إِذْ كَانَ هَارُونُ يُكَلِّمُ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمُ الْتَفَتُوا نَحْوَ الْبَرِّيَّةِ، وَإِذَا مَجْدُ

الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي السَّحَابِ" (الخروج 10:16). ولم نجد يهودياً واحداً عاقلاً أو حتى نصف عاقل عبد السَّحَاب كإله أو كأقنوم إلهي!

الخلاصة: جميع آيات العهد الجديد اليوناني يجب أن تُفسَّر في ضوء آيات العهد القديم العبري. قال يسوع المسيح: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ" (متى 17:5). فإذا سرنا على هذه القاعدة، لن نجد في العهد الجديد آيةً واحدة تدل على لاهوت المسيح. والأهم من ذلك هو أننا لن نجد في العهد الجديد آيةً واحدة تدل على أن يوحنا المعمدان ويسوع المسيح آمنا بالثالوث ...

تقول الآيات التالية لـ (يوحنا 14:1) في الإنجيل المنسوب إلى يوحنا الرسول. **(يوحنا 1):** {15} يُوحَنَّا [المعمدان] شَهِدَ لَهُ (أي: شَهِدَ لكلمة الله الذي خلق المسيح؛ شَهِدَ للمسيح) **[← "يَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ (أي: شاهِداً للمسيح عيسى ابن مريم)" (آل عمران 39)]** وَنَادَى قَائِلاً: «هذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: إِنَّ [يسوع المسيح] الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي [زمنياً] صَارَ قُدَّامِي (أي: في المكانة الأولى والمنزلة الرفيعة)، لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي (أي: بالنبوءات الكثيرة عنه في العهد القديم وأولها في ناموس موسى قَبْلِي بمئات السنين[8457]؛ و/أو: كَانَ قُدَّامِي وقَبْلِي في تسبحة أبي زكريا الذي تحدث أولاً عن المسيح الفادي والمخلِّص (لوقا 1:68-75) ثم تحدث عني (لوقا 1:76-77))». {16} وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ. {17} لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا. {18} اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ (يقصد: ولا حتى موسى أعظم أنبياء العهد القديم، في إشارة إلى قصة التجلِّي في التوراة (الخروج 33:12-23)). اَلابْنُ الْوَحِيدُ (أي: الفريد؛ يسوع المسيح ابن الله) الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ [اللهِ] الآبِ (close to the Father's heart) هُوَ خَبَّرَ.

وهذه الآية الأخيرة في مقدمة إنجيل (يوحنا 18:1) مهمة جداً لسببين على الأقل.

أولاً: لأنها تذكر العملَ الثاني من أعمال كلمة الله (logos; word of God)، وهو "الوحي" أو بعبارة أكثر دقة: "الإظهار" (manifestation) أو "الإعلان" (revelation) أي الإعلان عن الله/الحق نفسه (how God reveals Himself to the world). وفي العهد القديم، قام الأنبياءُ بهذا الدور؛ اقرأ مثلاً ما قاله النبي إرميا (Jeremiah): "وَمَدَّ الرَّبُّ يَدَهُ وَلَمَسَ فَمِي، وَقَالَ الرَّبُّ لِي[8458]: «هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلاَمِي (My words) فِي فَمِكَ" (إرميا 9:1). وكذلك النبي حزقيال (Ezekiel) (حزقيال 1:3-4). ولم نسمع عن يهودي واحد عاقل أو حتى نصف عاقل عبد إرميا أو حزقيال كإله! كذلك في العهد الجديد، قام يسوع المسيح (الابن) بهذا الدور لكن بطريقة أكمل وأشمل وأوضح. قال يسوعُ المسيح: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ (to fulfil)" (متى 17:5). أو يمكن أن نقولها بعبارة أخرى: يسوع المسيح هو الحق النسبي "الشَّاهِدُ الأَمِينُ" (الرؤيا 5:1) الذي يشهد للحق المطلق (الله). "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ (أي: الحق النسبي؛ أو: الطريق الوحيد لمعرفة الحق المطلق / لمعرفة الله) وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ (أي: الله؛ الحق المطلق) إِلاَّ بِي (أي: يسوع المسيح الإنسان؛ الحق النسبي)"

(يوحنا 6:14). بدليل أنه قال في إنجيل يوحنا أيضاً: "لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ (أي: الحق المطلق)" (يوحنا 37:18).

وثانياً: لأنها تؤكد أن يوحنا نفسه لم يقصد في مقدمته أبداً أن يسوع المسيح هو الله. وإلا لكان ختمها قائلاً: "اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي رأيناه هُوَ الله". لم يختمها هكذا؛ وإنما ختمها قائلاً: "اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ [اللهِ] الآبِ هُوَ خَبَّرَ (has made God known)" (يوحنا 18:1)، أي: يسوع المسيح ابن الله الوحيد والفريد هو أفضل مَن قام وعلى أكمل وجه بمهمة الوحي / الإظهار/ الإعلان عن الحق الإلهي[8459].

نعود إلى تكملة **(يوحنا 1):** {19} وَهذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا [المعمدان]، حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» {20} فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، وَأَقَرَّ: «إِنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ [فأنا من سبط لاوي ولَسْتُ من سبط يهوذا ولا من نسل داود]». {21} فَسَأَلُوهُ: «إِذًا مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟» فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا (أي: لَسْتُ أَنَا إيليا نفسه متجسداً من جديد، ولكنني أتمم مهمة النبي ودوره في تهيئة الشعب بالتوبة لاستقبال المسيح)». [فَسَأَلُوهُ:] «أَلنَّبِيُّ أَنْتَ [الذي تنبأ عنه موسى[8460]]؟» فَأَجَابَ: «لاَ». {22} فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟» {23} قَالَ: «أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ». {24} وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ، {25} فَسَأَلُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «فَمَا بَالُكَ تُعَمِّدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ، وَلاَ إِيلِيَّا، وَلاَ النَّبِيَّ؟» {26} أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا قِائِلاً: «أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ، وَلكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ (يقصد: يسوع المسيح) الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. {27} هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ». {28} هذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَبْرَةَ (Bethabara) فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ (أي: شرق الأُرْدُنِّ) حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ. {29} وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ، فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ! {30} هذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: يَأْتِي بَعْدِي، رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي، لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي. {31} وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ. لكِنْ لِيُظْهَرَ لإِسْرَائِيلَ لِذلِكَ جِئْتُ أُعَمِّدُ بِالْمَاءِ».

وشهادة يوحنا المعمدان ليسوع المسيح "هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يوحنا 29:1) تذكر العملَ الثالث من أعمال كلمة الله (logos; word of God)، وهو "الفداء" (redemption) و "الخلاص" (salvation) أي: غفران الخطايا والحياة الأبدية. ولقد أدى يسوعُ المسيح البار (ابن الله؛ حَمَلُ اللهِ) هذا الدور على أكمل وجه بصلبه وموته وقيامته. قال يسوعُ المسيح قبيل موته على صليب الفداء والخلاص: "قَدْ أُكْمِلَ" (يوحنا 30:19). "لأَنَّ هذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهِ، الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ. لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ (هو: الله الخالق) وَوَسِيطٌ (mediator) وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ [المخلوق] يَسُوعُ الْمَسِيحُ [البار]، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (1 تيموثاوس 2:3-6). كما كان موسى وسيطاً بين الله وشعب إسرائيل في العهد القديم: "أَنَا كُنْتُ وَاقِفًا بَيْنَ الرَّبِّ وَبَيْنَكُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ لِكَيْ

أُخْبِرَكُمْ بِكَلاَمِ الرَّبِّ " (التثنية 5:5). ولم نسمع عن يهودي واحد عاقل أو حتى نصف عاقل عبد موسى كإله! كذلك فإن المسيحيين الموحِّدين (Unitarian Christians) **لا** يعبدون يسوعَ المسيح كإله.

(يوحنا 1): {32} وَشَهِدَ يُوحَنَّا [المعمدان] قَائلاً: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ (أي: على يسوع المسيح). {33} وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ، لكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ، ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ، فَهذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. {34} وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هذَا هُوَ ابْنُ اللهِ».

"إِنَّ يُوحَنَّا [المعمدان] لَمْ يَفْعَلْ آيَةً وَاحِدَةً، وَلكِنْ كُلُّ مَا قَالَهُ يُوحَنَّا [المعمدان] عَنْ هذَا (أي: عن يسوع المسيح) كَانَ حَقًّا" (يوحنا 41:10) **[← "يَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ (witness the truth of a word from God)" (آل عمران 39)].**

يوحنا المعمدان الذي "مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (لوقا 15:1) عاش يهودياً موحِّداً توحيداً مطلقاً (Jewish unitary monotheist)، ومات يهودياً موحِّداً توحيداً مطلقاً، ولم يؤمن أبداً بالثالوث النيقاوي-القسطنطيني الذي وُضِعَ بعده بمئات السنين. ولم يقل يوحنا أبداً إن يسوع المسيح هو الله. فقط شهد أن يسوع المسيح "ابن الله" (يوحنا 34:1)؛ أي: خليفة الإله الواحد الأحد على الأرض، مَلِك إسرائيل[8461]، مَلِك الملوك[8462]، فتى الله المُختار[8463]، المصطفى حبيب الله[8464]، عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ بل بلا خطية[8465]، "بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ (أي: سيد الخلق، الأول في المقام والمنزلة والكرامة[8466])" (كولوسي 15:1)، خاتم النبيين[8467] وأشرف المرسلين[8468]، باختصار: (second only to God) (little less than God). كما كان شعبُ إسرائيل في العهد القديم "ابن الله الْبِكْر" (الخروج 22:4) أي شعب الله المختار (إشعياء 20:43) "الشَّعْب الْقَرِيب إِلَيْهِ (أي: الشَّعْب المفضَّل عند الله)" (المزامير 14:148) "لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ يَعْقُوبَ لِذَاتِهِ، وَإِسْرَائِيلَ لِخَاصَّتِهِ" (المزامير 4:135)، فهو شعب يمثِّل الإله الواحد الأحد على الأرض، خير أمة أخرجت للناس. والكتاب المقدس نفسه يؤكد ذلك. إذ يقول العهد القديم عن قصة خروج بني إسرائيل من مصر إلى كنعان (أرض إسرائيل): "لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَمًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي" (هوشع 1:11)؛ ويقول العهد الجديد عن قصة هروب الطفل يسوع إلى مصر ثم خروجه منها: "وَكَانَ هُنَاكَ [في مصر] إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ [ثم عاد إلى أرض إسرائيل]. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي»" (متى 15:2). يقول الأب متى المسكين: "فالمسيَّا عند اليهود في التعبير اللاهوتي السري هو ابن الله وهو المتكلِّم والعامل بالله، واللهُ أعطاه أن يستعلن شخصه لهم. [...] وإن كان في التوراة كثيراً ما استُخدمت كلمة "ابن الله" للتعبير عن الشعب أو عن الآباء بنوع من شدة التعلَّق والقُرْبى من الله"[8469].

ومِن حُسن الحظ أن يسوع المسيح نفسه قد شرح معنى وصفه بعبارة "ابن الله" وكذلك معنى "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يوحنا 30:10) التي يُستدل بها كثيراً لاثبات لاهوت المسيح، مع أن معناها الحقيقي أبعد ما يكون عن ذلك. يقول إنجيل يوحنا: "فَتَنَاوَلَ الْيَهُودُ أَيْضًا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ

مِنْ عِنْدِ أَبِي. بِسَبَبِ أَيِّ عَمَل مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟» أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَل حَسَنٍ، بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللهِ؟ إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي. وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»" (يوحنا 10:31-38). إذن: "ابن الله" تعني: الَّذِي قَدَّسَهُ اللهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ ليعمل أَعْمَالَ الله. وفي هذا الإطار يجب أن نفهم عبارات مثل "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يوحنا 10:30) و "الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يوحنا 10:38). ويكفينا أن المسيح قال "الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يوحنا 10:38)، وقال أيضاً "وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ" (يوحنا 14:20)؛ فلو كانت الأولى تعني أن المسيح إله مثل الآب، فهل الثانية تعني أننا آلهة مثل المسيح؟! مستحيل. ويكفينا أيضاً أن المسيح قال لله الآب: "وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ (أي: أَعْطَيْتُ المؤمنين) الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ" (يوحنا 17:22-23). فلو كانت "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يوحنا 10:30) تعني أن المسيح إله مثل الآب، فهل "لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ" (يوحنا 17:22) تعني أننا آلهة مثل الآب والمسيح؟! بالطبع لا. وإنما نحن المؤمنون "وَاحِد" مع الله والمسيح، أي: تجمعنا حياة روحية واحدة محورها الحق الإلهي الذي يُخلِّص، فإيماننا بالفداء والخلاص الذي حققه يسوع المسيح ابن الله الفريد هو الذي يربطنا سوياً ويجعلنا متحدين لا ننفصل[8470]. أو كما قال بولس الرسول في رسالته الخالدة: "لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ (one) فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غلاطية 3:28). فعلى الرغم من اختلاف المؤمنين في أمور كثيرة، نحن واحد. وكذلك ما قاله يسوع المسيح: "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يوحنا 10:30). أي: على الرغم من اختلافي أنا والله الآب في أمور كثيرة، نحن واحد. يقصد: واحد روحياً (spiritually) وليس واحد بالطبيعة (physically). واحد في الهدف والفكر (in purpose and thought) وليس واحد في الجوهر (in being)[8471]. ولا توجد آية واحدة في الإنجيل كله تقول صراحةً إن المسيح إله بالطبيعة أو بالجوهر مثل الله الآب.

وحتى لو افترضنا جدلاً وجود آية في الإنجيل تقول إن المسيح "إله"، فإن هذه الآية يجب أن تُفهَم في الإطار الذي حدده المسيحُ نفسه حين قال "أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟" (يوحنا 10:34). وهو هنا يشير إلى المزامير: "أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ (بالعبرية: elohim) وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ. لكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ وَكَأَحَدِ الرُّؤَسَاءِ تَسْقُطُونَ" (المزامير 82:6-7) وهي آية تشير إلى القضاة أو القادة أو الحكام الذين كان الله يعين لهم مهامهم ليحققوا العدل على الأرض، وَهُمْ بالتأكيد ليسوا آلهة بالمعنى الحرفي بدليل قوله "مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ"، وإنما آلهة بالمعنى المجازي، كما يوصف السلطان العادل بأنه ظل الله في أرضه لأنه وسيلة أو سبب لتحقيق العدل الذي يريده اللهُ. يقول الكتاب المقدس الدراسي تعليقاً على المزمور 82: "**القضاة:** وكان يطلق عليهم آلهة، كما تقدم بلغة العهد القديم (انظر الآية 6)، وهو ما يتفق مع مفهومنا عن الشرق الأدنى القديم، حيث كان من الممكن مخاطبة الحاكم أو القاضي بلقب "إله" على سبيل التكريم وباعتباره نائباً

(deputy) عن الملك السماوي (أي: الله) [...]. أو مخاطبته بأنه "ابن الله" [...]"[8472]. كذلك المسيح "إله" بهذا المعنى المجازي: قاضي أو قائد أو مشير أو حاكم أو مَلِك حقق عدلَ الله ورحمته بالفداء والخلاص. وليس إله بالمعنى الحقيقي. الإله الحقيقي هو الله المعبود الواحد الأحد الذي لا شريك الله كما قال يسوع في صلاته لله الآب: "وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يوحنا 3:17). هذا الإله الحقيقي وحده هو يهوه الرب الإله الله الآب الذي كان يعبده الشاب اليهودي يسوع المسيح عبد الله ورسوله وابنه (أي: خليفته؛ وَلِيّه؛ مُختاره؛ سيد الخلق). نعم، يسوع المسيح هو سيد الخلق حتى الآن بل حتى اليوم الآخر، "إِذْ أَقَامَهُ [اللهُ] مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ" (أفسس 1:20-23).

دليل آخر من سفر المزامير أيضاً يثبت أن المَلِك كان أحياناً يُخاطَب بلفظ الجلالة "الله" بالمعنى المجازي طبعاً: "مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ. [...] كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ" (المزامير 45:1-7). وخير دليل على أن المعنى المقصود هو المعنى المجازي هو قوله لِلْمَلِكِ: "مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ" (المزامير 45:7) التي تكررت حرفياً في العهد الجديد عند الحديث عن يسوع المسيح ابن الله: "مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ" (العبرانيين 1:9). إذن: هذا الملك الممسوح ابن الله (وكذلك يسوع المسيح ابن الله) ليس هو الله نفسه، وإنما الله هو إلهه الذي مَسَحَه. يقول الكتاب المقدس الدراسي تعليقاً على المزمور 45: "ربما أطلق على عرش الملك لقب عرش الله لأن الله هو الذي اختاره (God’s appointed regent). ولكن ربما أيضاً جرت العادة على مخاطبة الملك كإله. هذا الملك المنحدر من نسل داود [...] بفضل علاقته الخاصة بالله فقد دُعي عند تتويجه "ابن" الله [...]. في هذا المزمور الذي يسبح الملك ويمجد بصفة خاصة جلاله وبهاءه (الآية 3) ليس من المستبعد أن كان الملك يُخاطب بلقب إله علامة على الإكرام [...]. يستكمل هذا الوصف للملك المنحدر من نسل داود معناه الكامل حينما يُطبق على المسيح كما تفعل الرسالة إلى العبرانيين (عب 1:8-9). (كان فراعنة مصر يُخاطَبون أحياناً من قِبل الملوك الخاضعين لهم في كنعان بلقب "إلهي" (my god)، كما يتضح في رسائل تل العمارنة [...])"[8473].

في ضوء ما سبق، يجب علينا أن نفهم آيات الإنجيل التي خُوطب فيها المسيح بكلمة "إله"، وهي قليلة جداً بل نادرة، وتكاد تكون آية واحدة فقط: "أَجَابَ تُومَا [الذي كان يشك في قيامة المسيح] وَقَالَ لَهُ (أي: ليسوع بعد أن آمن بقيامته): «رَبِّي وَإِلهِي!»" (يوحنا 20:28)، فهي لا تعني إله خالِق معبود بالمعنى الحرفي، وإنما تعني إله بالمعنى المجازي، أي: مَلِكي الحي الذي أخضع له. ولكي نفهم أكثر ما قصده تُومَا، يجب علينا أن نعرف السياق ونتذكر لقاءً سابقاً جَمع بين تُومَا ويسوع. فلقد أراد تُومَا أن يعرف "الطريق" إلى الله الآب

(يوحنا 5:14). فقال له يَسوعُ: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ (أي: إلى الله) إِلاَّ بِي" (يوحنا 6:14). فقَالَ تلميذٌ آخر ليسوع: "يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا" (يوحنا 8:14). فقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يوحنا 9:14)، أي: رأى أفعال الآب وسمع أقوال الآب، كما كان في العهد القديم مَن يرى ملاكَ الله (أو: ملاكَ الرب) يقول إنه رأى الله أو رأى كائناً إلهياً (القضاة 13:21-22)، أي: رأى أفعال الله وسمع أقوال الله. بل توجد في التوراة أدلة على أن عبارة "ملاك الله" أو "ملاك الرب" أو "الملاك" كانت أحياناً تُستخدَم كما لو كانت مرادفة لـ "الله" أو "الرب"، مثلاً (الخروج 13:21و 19:14). ومع ذلك، لم يعبد اليهودُ الملاكَ كإله أو كأقنوم إلهي. كذلك في الإنجيل، إذا وجدنا آية خُوطب فيها المسيح بكلمة "إله"، مثل ما قاله تُومَا ليسوع: «رَبِّي وَإِلهِي!» (يوحنا 28:20)، فيجب ألا تُفسَّر بمعناها الحرفي أن المسيح إله أو أقنوم إلهي. وإنما يجب أن تُفسَّر بمعناها المجازي وتُوضَع في سياقها الصحيح الذي يربط بين (يوحنا 14) و (يوحنا 20). فإذا فعلنا ذلك سنصل إلى نتيجة مفادها أنه حين قال تُومَا ليسوع: «رَبِّي وَإِلهِي!» (يوحنا 28:20) أراد أن يقول: الآن آمنتُ أن رَبِّي (أي: سيدي) يسوع المسيح هو الطريق إلى إلهِي الله الآب، ولم أعد محتاجاً أن أرى اللهَ الآب، فلقد رأيته في قيامة المسيح، أي: رأيته في المسيح الذي أقامه اللهُ مِن الأموات[8474].

وفي هذا الإطار أيضاً يجب علينا أن نفسِّر آيات الإنجيل التي تقول إن فلاناً سجد ليسوع المسيح. ليس سجود عبادة لله الخالق المعبود، وإنما سجود خضوع وتكريم للمَلِك. ومِن حُسن الحظ أننا نجد في نفس المزمور 45 السجودَ للمَلِك: "فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ [أيتها الْمَلِكَة]، لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ" (المزامير 11:45). فكذلك في الإنجيل: سجد المجوس ليسوع، لا لأن يسوع هو الله، وإنما لأن يسوع هو مَلِكُ الْيَهُودِ: "لَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ»" (متى 2:1-2)[8475]. بل إن يسوع المسيح نفسه كان يسجد لإلهه الله الآب، فلقد قال للمرأة السامرية: "أَنْتُمْ [السامريون] تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ [اليهود] فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ[8476]. لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ (أي: لله المعبود الواحد الأحد) بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا" (يوحنا 22:4-24).

ودعونا نقرأ صلاةَ الشاب اليهودي يسوع عبد الله ورسوله ومسيحه وابنه لإلهه الله الآب مِن أجل نفسه (يوحنا 17:1-5) ثم مِن أجل تلاميذه (يوحنا 17:6-19) ثم مِن أجل كل المؤمنين (يوحنا 17:20-26)؛ فهي تُعتبر ملخص لإنجيل يوحنا. **(يوحنا 17):** {1} تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، {2} إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. {3} وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي

أَرْسَلْتَهُ. [...] {6} «أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلاَمَكَ. {7} وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ، {8} لأَنَّ الْكَلاَمَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ[8477]، وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِينًا أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَآمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. [...] {11} وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، **لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ**. {12} حِينَ كُنْتُ مَعَهُمْ فِي الْعَالَمِ كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ فِي اسْمِكَ[8478]. [...] {13} أَمَّا الآنَ فَإِنِّي آتِي إِلَيْكَ. [...] {15} لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّير[8479]. [...] {20} «وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ [التلاميذ] فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، {21} **لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا**، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. {22} وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، **لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ**. {23} **أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ**، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي. {24} أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ. {25} أَيُّهَا الآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. {26} وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، **وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ**».

ولقد حرصنا على أن تكون معظم الآيات السابقة من إنجيل يوحنا لأنه يُستدل به كثيراً لاثبات لاهوت المسيح، مع أنه أبعد ما يكون عن ذلك. وفي إنجيل يوحنا أيضاً، قال يسوع: "أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ (يقصد: عِوَض كرمة إسرائيل التي جفَّت) وَأَبِي الْكَرَّامُ. [...] أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ" (يوحنا 15:1-5). وبما أن الْكَرْمَة لا يمكن أن تساوي الْكَرَّام في الجوهر، كذلك المسيح (الابن) لا يمكن أن يساوي الآب في الجوهر. واستخدام يسوع لكلمة "كَرْمَة" – وهي نفس الكلمة التي كانت تُستخدم في العهد القديم كرمز لشعب إسرائيل (المزامير 80:8، 14) (إشعياء 5:1-7) (إرميا 2:21) – يؤكد أن لقب "ابن الله" يجب أيضاً أن يُفهم بنفس الطريقة. في العهد القديم، "ابن الله" هو شعب إسرائيل أو أعظم إنسان في هذا الشعب، أي: مَلِك اليهود. وفي العهد الجديد أيضاً، "ابن الله" هو يسوع المسيح مَلِك إسرائيل وهو أعظم إنسان في هذا الشعب، بل أعظم إنسان في تاريخ البشرية كله (second only to God) (little less than God). وبما أن "ابن الله" في العهد القديم لا تعني أن شعب إسرائيل أو مَلِك اليهود هو الله. كذلك فإن "ابن الله" في العهد الجديد لا تعني أن يسوع المسيح هو الله.

بل إن يوحنا الرسول نفسه كتب إنجيلَه، لا ليثبت أن يسوع هو الله؛ وإنما ليثبت أن يسوع هو المسيح ابن الله. يقول يوحنا الرسول في خاتمة إنجيله: "وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ **يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ**، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ" (يوحنا 20:30-31). ومِن ثم فإن كل آيات إنجيل يوحنا، بل كل آيات العهد الجديد، يجب أن تُفسَّر في ضوء

هذه القاعدة الإنجيلية الراسخة: الشاب الإسرائيلي اليهودي الموحِّد يسوع الناصري "هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ" (يوحنا 31:20) وليس الله.

يسوع = الْمَسِيحُ العبد المخلوق ابْنُ اللهِ ≠ الله الخالق المعبود.

نعم، ابنُ اللهِ مخلوقٌ. بدليل أن يوحنا نفسه لم يبدأ إنجيله بقوله "فِي الْبَدْءِ كَانَ الابْنُ"! وإنما قال "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ (أي: كلمةُ الله الخالق الذي خلق الابنَ/المسيحَ)، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ (الترجمة الأكثر دقة: مَعَ اللهِ with God)، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ" (يوحنا 1:1). فهذه الآية الأولى من إنجيل يوحنا تُذكِّرنا بما في سفر الأمثال في العهد القديم العبري حيث تحدثت الحكمةُ مُشخَّصةً (personified wisdom) وقالت إنها مع الله منذ الأزل: "اَلرَّبُّ قَنَانِي (أي: اقْتَنَانِي possessed me؛ أو: خَلَقَني created me) أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ، مُنْذُ الْقِدَمِ. مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ (أي: عُيِّنْتُ I was appointed؛ أو: أُقِمتُ I was set up)، مُنْذُ الْبَدْءِ، [...]. [...] أُبْدِئْتُ (أي: وُلِدتُ I was given birth). [...] كُنْتُ عِنْدَهُ (الترجمة الأكثر دقة: معه with God) صَانِعًا، وَكُنْتُ كُلَّ يَوْمٍ لَذَّتَهُ، فَرِحَةً دَائِمًا قُدَّامَهُ. فَرِحَةً فِي مَسْكُونَةِ أَرْضِهِ، وَلَذَّاتِي مَعَ بَنِي آدَمَ" (الأمثال 22:8-31). ولم نجد يهودياً واحداً عاقلاً أو حتى نصف عاقل عبد الحكمةَ كإله مولود أو منبثق من الآب قبل كل الدهور، أو كأقنوم إلهي مساوي للآب في الجوهر، أو كإله حق من إله حق مولود غير مخلوق، أو كإله خالِق تجسَّد وتأنَّس في شخص! اقرأ أيضاً ما يقوله "سفر الحكمة" (Book of Wisdom) وهو أحد أسفار "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) التي تُسمَّى أيضاً "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books): "الحِكمَة التي كَوَّنَت كُلَّ شيءٍ علَّمَتْني. فروحُ الحكمة فهيمٌ قُدُّوسٌ (holy)، فريدٌ في نوعِهِ (unique; only-begotten)، [...]، نَقِيٌّ غَيرُ مُدَنِّسٍ، وديعٌ [...] يَقدِرُ على كل شيءٍ ويُراقِبُ كُلَّ شيءٍ [...]. لأن الحكمة أكثر حركة من كل حركة، فهي لطهارتها تخترق وتنفذ كُلَّ شيءٍ. فإنها نفحة من قدرة الله وانبعاث خالص من مجد القدير. فلذلك لا يتسرب إليها شيءٌ نجس لأنها انعكاس للنور الأزلي (reflection of the eternal light) ومرآة صافية لعمل الله وصورة لصلاحه (image of His goodness). تقدر على كل شيء وهي وحدها وتُجَدِّدُ كُلَّ شيءٍ وهي ثابتة في ذاتها. وعلى مر الأجيال تجتاز [الحكمةُ] إلى نفوسٍ قِدّيسة فتُنشِئُ أصدقاءَ لله وأنبياء، لأن الله لا يحب إلا مَن يُساكِنُ (أي: يُلازِمُ) الحكمةَ. فإنها أبهى من الشمس وأسمى من كل مجموعة نجوم. وإذا قِيسَت بالنور ظَهَرَ تفوقها لأن النور يعقبه الليل. أما الحكمة فلا يغلبها الشَّرُّ" (الحكمة 22:7-30)[8480]. اقرأ أيضاً ما قاله سفر أيوب في العهد القديم عن صفات الله الأخرى كالْقُدْرَة والْعِزّ مثلاً: "عِنْدَهُ (الترجمة الأكثر دقة: معه with God) الْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ. [...] عِنْدَهُ (الترجمة الأكثر دقة: معه with God) الْعِزُّ وَالْفَهْمُ" (أيوب 13:12-16). ولم نجد يهودياً واحداً عاقلاً أو حتى نصف عاقل عَبدَ الْقُدْرَةَ أو الْعِزَّ كإله أو كأقنوم إلهي مساوي لله في الجوهر! باختصار: كل صفة من صفات الله "مع الله" منذ الأزل وإلى الأبد، وليست أقنوماً أو شخصاً إلهياً أو إله مولود

أو منبثق من إله! وكذلك "الْكَلِمَةُ (Word; Logos)" (يوحنا 1:1) مجرد صفة من صفات الله الخالق أو قدرة من قدرات الله الخالق، وليست أقنوماً أو شخصاً إلهياً أو إله مولود أو منبثق من إله!

"كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ (أي: كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ بالكلمة through it؛ وليس بيسوع المسيح ابن الله by him)" (يوحنا 3:1). بعبارة أخرى: الضمير في "بِهِ" يعود على "الكلمة" وليس على المسيح الذي لم يُذْكَر أصلاً حتى الآن (يوحنا 1:1-3).

باختصار: الله الخالِق (الكلمة) غير المخلوق وغير المولود ≠ الابن (المسيح) المخلوق والمولود من امرأة. الله خَلق المسيحَ. فإذا كان أول إصحاح في التوراة يتحدث عن تكوين/خَلْق الكون بكلمةٍ/بأمرٍ من الله "لِيَكُنْ" (التكوين 3:1) [...] "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا" (التكوين 31:1)[8481]، فإن أول إصحاح في إنجيل يوحنا يتحدث عن تكوين/خَلْق المسيح بكلمةٍ/بأمرٍ من الله "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا" (يوحنا 14:1) هو "اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ (أي: الَّذِي يحبه اللهُ ويُسَرُّ به[8482])" (يوحنا 18:1). وهكذا ينضم إنجيل يوحنا إلى الأناجيل الثلاثة الأخرى متى ومرقس ولوقا التي تؤكد جميعها أن يسوع المسيح ابن الله إنسان مخلوق وليس إلهاً خالِقاً.

حتى بولس الرسول (Paul the Apostle) المتهم ظلماً بالتثليث بَرِيءٌ تماماً من هذه التهمة الملفقة، إذ يقول: "الله وَاحِدٌ" (غلاطية 20:3)؛ لم يقل "الله واحدٌ بالجوهر مثلثٌ بالأقانيم"! ولم يقل "الله واحدٌ في ثالوث"! وإنما ردد إيمانَ التوحيد اليهودي المطلق الذي تربَّى عليه وعاش فيه ومات مُخْلِصاً له وهو: "الله وَاحِدٌ" (غلاطية 20:3). ويقول بولس أيضاً: "لأَنَّ هذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهِ، الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ. لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ (هو: الله الخالق) وَوَسِيطٌ (mediator) وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: [هو] الإِنْسَانُ [المخلوق] يَسُوعُ الْمَسِيحُ [البار]، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (1 تيموثاوس 2:3-6)؛ "لَيْسَ إِلهٌ آخَرُ إِلاَّ وَاحِدًا. لأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً، سِوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ، كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كَثِيرُونَ (يقصد: آلهة مزيفة؛ أوثان) وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ (أي: أسياد كثيرون كالأباطرة الرومان مثلاً). لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ (أي: إله حقيقي واحد): الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ (أي: سيد واحد؛ مَلِك واحد): يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ (الترجمة الأكثر دقة: through whom) جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ (through him؛ أي: أُنشئنا دينياً مِن خلال المسيح، وليس المقصود: خُلِقنا جسدياً به)" (1 كورنثوس 4:8-6). إذن: بولس كان موحِّداً مؤمناً بالله الواحد الأحد "الْمُبَارَكُ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ، الذي وحدَه لهُ عَدَم المَوتِ، ساكِناً في نورٍ لا يُدنَى مِنهُ، الذي لم يَرَهُ أحَدٌ مِن الناسِ ولا يَقدِر أن يَراهُ، الذي لهُ الكَرامَة والقُدرَة الأبديَّة. آمين" (1 تيموثاوس 15:6-16).

وكذلك أيضاً بطرس الرسول (Peter the Apostle) ظل يصف نفسه بأنه "رَجُل يَهُودِيّ" (أعمال الرسل 28:10) حتى بعد موت المسيح وقيامته.

فلا نرى أمامنا دليلاً واحداً يثبت أن بطرس أو بولس أو يوحنا أو متى أو مرقس أو لوقا أو غيرهم مِن كَتَبة العهد الجديد قد آمن بالتثليث أو عَبَدَ المسيحَ كإله[8483]! صحيح كان لمعظمهم أفكار تقدمية مستنيرة مثل التنازل عن ضرورة الختان والتساهل مع بعض الأطعمة المحرمة حسب الشريعة اليهودية والتركيز على البشر (الإنسان؛ الكنيسة كجماعة مِن المؤمنين) أكثر من التركيز على الحجر (الهيكل؛ الكنيسة كمبنى) والارتفاع بمستوى عبادة الله من المستوى الجسدي إلى المستوى الروحي[8484] وغير ذلك من المسائل والقضايا، لكن آراءهم التنويرية وقراراتهم المتساهلة في تلك المسائل والقضايا لا تنفي كونهم موحِّدين توحيداً يهودياً خالصاً 100%. الله في إيمانهم هو هو نفسه الله في العهد القديم. وكلمة الله في معتقدهم هو هو نفسه كلمة الله في التوراة.

في (التكوين 1) كلمةُ الله خلق "السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَكُلَّ جُنْدِهَا (الصباؤوت)" (التكوين 2:1) كالشمس والقمر والنجوم مثلاً: "وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ (Let there be) أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، [...]». وَكَانَ كَذلِكَ. فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ (أي: الشمس) لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ (أي: القمر) لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ" (التكوين 1:14-16). كذلك في (يوحنا 1)، كلمةُ الله خلق المسيحَ/الابنَ: "وَالْكَلِمَةُ (أي: لِيَكُنْ Let there be) صَارَ جَسَدًا" (يوحنا 1:14). وكما لا نعبد الشمس والقمر والنجوم (الصباؤوت)، كذلك لا نعبد المسيحَ (الابنَ).

بل ليس من المبالغة أن نقول إن الآيات الأولى من إنجيل يوحنا هي مدراش (midrash) على الآيات الأولى من التوراة، وهذا المدراش اليهودي يستلهم بعض الأفكار من سفر الأمثال وسفر الحكمة وسفر أيوب كما رأينا – وكما هو الحال في أي مدراش يهودي بصفة عامة. كما يستلهم أيضاً بعض الأفكار الفلسفية من كتابات الفيلسوف اليهودي المصري الشهير "فيلو" السكندري (Philo of Alexandria) (20ق.م- 45م) المتأثر بالثقافة الإغريقية (Hellenistic Judaism) فهو – وليس يوحنا الرسول – أول يهودي يتحدث عن الكلمة (Logos) كوسيط بين الله/اللاهوت الخالِق السَّمَاوِيّ والإنسان/الناسوت المخلوق الأَرْضِيّ[8485]. ولا يمكن أن نؤمن بعقيدةٍ جديدة هي الثالوث إذا كانت تعتمد على أسلوب المدراش اليهودي والفلسفة الإغريقية الوثنية! ولن نندهش إذا اكتشفنا يوماً أن كاتب مقدمة إنجيل يوحنا كان تلميذاً في مدرسة فيلو اليونانية-اليهودية.

يقول العالم الكبير (Sir Anthony F. Buzzard) تعليقاً على (يوحنا 1)[8486]:

> […] [The One God’s] word or wisdom is His divine intention and mind. God’s plans and purposes are in Jewish thinking said to be “with God.” […] The mind of God is uniquely expressed in the man Jesus. Jesus is “walking wisdom.” Paul calls him “the wisdom of God” (1 Cor. 1:24).
>
> Jews like Philo could speak of Moses as “according to God’s forethought the logical and animated Law.” When the word became flesh

in Jesus, this was equivalent, as John writes, to "grace and truth" coming by Jesus (John 1:17). Jesus is the embodiment of God's gracious purpose, just as Moses was earlier the embodiment of the Law (Torah). In neither case is it necessary to suppose that these pillars of God's plan [i.e. Moses and Jesus] were alive before their birth, creating a complexity which led to centuries of unresolved dispute.

[…] There is no eternal Son who "assumes" or "puts on" flesh. Rather the word "comes into existence, flesh," a human person begotten in Mary as "the uniquely begotten Son full of grace and truth" (John 1:14), a man who perfectly expresses God's will for us all.

[…]

[…] There is no reason, therefore, to think of the word as a person, until it becomes embodied in Jesus in John 1:14.

[…] There is no indication in the Old Testament that the Messiah would be a person *before his conception*. The very opposite was taught: The Messiah would expressly *not* be Almighty God, but a unique, final prophet like Moses, coming into being from a family in Israel (see Deut. 18:15-19; Acts 3:22; 7:37).

ومع إيماننا الراسخ بهذه الحقيقة البسيطة، فليس لدينا مشكلة كبيرة في أن نقول إن يسوع المسيح هو الكلمة المتجسد (Incarnate Logos)، لكن ليس بمعنى أنه الله المعبود، ولا بمعنى أنه أقنوم أو شخص إلهي تجسَّد وتأنَّس، وإنما بمعنى أنه إنسان مِن لحم ودم مخلوق بكلمة الله: "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا" (يوحنا 14:1). أو بمعنى أدبي مجازي أنه "صاحب الكلمة" أو كما يُقال اليوم "ولي الأمر"؛ أي: ممثل الله قولاً وفعلاً على الأرض (God's earthly representative)، فهو المتحدث الرسمي والناطق الوحيد/الفريد باسم الله على الأرض وهو أيضاً مَن يحقق بأعمالِه إرادةَ الله على الأرض، كما قال يسوع المسيح نفسه في آيات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر: "يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يوحنا 4:9)، "اَلأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي" (يوحنا 25:10)، "طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ" (يوحنا 34:4)، "أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي" (يوحنا 32:10)، "لأَنَّ الأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ لأُكَمِّلَهَا، هذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي" (يوحنا 36:5)،

"الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ" (يوحنا 10:14). باختصار: المسيح (المسيًّا) هو المتكلِّم والعامل بالله، وليس الله. ويجب هنا أن نؤكِّد أن عبارة "الآبَ الْحَالَّ فِيَّ" (يوحنا 10:14) ليست دليلاً على لاهوت المسيح. فكما قلنا من قبل، لقد حلَّ (أي: سَكَنَ؛ أقام؛ خَيَّمَ) اللهُ في الهيكل (خيمة الاجتماع) في العهد القديم، ومع ذلك لم يعبد أحدٌ الهيكلَ/الخيمةَ. وإنما عبارة "الآبَ الْحَالَّ فِيَّ" (يوحنا 10:14) في هذا السياق تدل على أن الله هو مصدر قوة المسيح وقدرته على عمل الأعمال التي كلّفه اللهُ بها، ومِن ثم فإن فِكْر المسيح ومشيئته وإرادته هي فِكْر الله الآب ومشيئته وإرادته لفداء الإنسان وخلاصه ومصالحته مع الله حتى يرتفع الإنسانُ من درجة عبد لله إلى درجة ابن حبيب لله: "لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيدًا، لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي" (يوحنا 15:15). ولذلك قال يسوع المسيح عن نفسه: "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يوحنا 30:10) "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يوحنا 9:14)، أي: رأى أفعال الآب وسمع أقوال الآب، كما كان في العهد القديم مَن يرى ملاكَ الله (أو: ملاكَ الرب) يقول إنه رأى اللهَ أو رأى كائناً إلهياً (القضاة 13:21-22)، أي: رأى أفعال الله وسمع أقوال الله. كذلك في العهد الجديد، إنها أفعال الله وأقوال الله. المسيح وحده يعجز أن يفعل شيئاً ويعجز أن يقول شيئاً. المسيح نفسه اعترف بذلك: "أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا" (يوحنا 30:5) "وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي" (يوحنا 28:8) "الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي" (يوحنا 10:14) "الْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يوحنا 24:14). وفي هذا الإطار نستطيع أن نفهم أيضاً ما قصده المسيح حين قال بعدها مباشرةً: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ **أَعْظَمَ مِنْهَا**، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي. وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي (أي: ناديتم شخصي وكأنني موجود وحاضر أمامكم) فَذلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ" (يوحنا 12:14-14). وبما أنه من المستحيل أن نعمل أعمالاً "أعظم" من أعمال الله؛ إذن: من المستحيل أن يكون المسيح هو الله. وإنما المقصود: نعمل "أَعْظَمَ مِنْهَا" بقوة الله وقدرته أيضاً، كما كان المسيحُ يعمل ويتكلّم بقوة الله وقدرته ليتمم مشيئته في تبرير الإنسان والارتقاء به من العبودية إلى الحرية.

فكما كان "ملاكُ الرب" أو "ملاك الله" في العهد القديم ناطِقاً وفاعلاً باسم الله على الأرض (التكوين 10:16) (الخروج 20:23-22) (القضاة 1:2)[8487]، لكنه ليس الله وليس شخصاً أو أقنوماً إلهياً، وإنما مجرد رسول الله إلى الأرض أو سفير السماء إلى الأرض، فلم ولن يعبده أحدٌ[8488]. كذلك يسوع المسيح "ابن الله" في العهد الجديد ناطِقٌ وفاعلٌ باسم الله على الأرض، لكنه ليس الله وليس شخصاً أو أقنوماً إلهياً، وإنما مجرد رسول الله إلى الأرض أو سفير السماء إلى الأرض، فيجب ألا يعبده أحدٌ. "فالمسيح هو "كلمة" الله، والكلمة في أقوى صفاتها هي "الفعل"، لذلك أصبح المسيح هو عمل الله المنظور والمحسوس والمفهوم، وبالتالي أصبح عمل الله الذي جاء المسيح ليحقِّقه منظوراً على الأرض يعبِّر عن مشيئة الله وإرادته تماماً"[8489]. وفي هذا الإطار، أعطى اللهُ للمسيح الدينونةَ (أي: الحساب والجزاء)، "حيث تأتي أحكام الدينونة هنا صادرة من الآب (أي: الله) منطوقة بالابن (أي: المسيح) [بدليل أن المسيح قال] "كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ" (يوحنا

30:5)، وعلى أساس هذا الاتفاق العجيب بين نطق الآب الذي يسمعه الابن ونطق الابن الذي تسمعه البشرية، يأتي الحكم بالدينونة عادلاً. واضح هنا أن وظيفة الابن هي استعلان صوت الآب بنطق الابن. هنا عمل المسيح يتركَّز بصورة كاملة في كيفية استعلان الآب غير المنظور وغير المسموع. فالابن يرى ويسمع ما عند الآب وينقل لنا ما يراه ويسمعه، والابن يعرف مشيئة الآب وينفِّذها أمام الناس كما هي: "لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يوحنا 30:5). أمَّا ما هي مشيئة الآب؟ فقد كشفها لنا المسيح: "وَهذِهِ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لاَ أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ (أي: يؤمن بالمسيح الفادي والمخلِّص ابن الله الذي صُلِبَ ومات ودُفِنَ وقام) تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ»" (يوحنا 6:39-40)"[8490].

ومِن الجدير بالذكر في هذا السياق أنه توجد أدلة في العهد القديم تثبت أن المَلِك كان أحياناً يُخاطَب كـ "ملاك الله": "لأَنَّهُ سَيِّدِي الْمَلِكُ إِنَّمَا هُوَ كَمَلاَكِ اللهِ لِفَهْمِ الْخَيْرِ وَالشَّرّ" (2 صموئيل 17:14)، "وَسَيِّدِي [الْمَلِكُ] حَكِيمٌ كَحِكْمَةِ مَلاَكِ اللهِ لِيَعْلَمَ كُلَّ مَا فِي الأَرْضِ" (2 صموئيل 20:14)، "وَسَيِّدِي الْمَلِكُ كَمَلاَكِ اللهِ. فَافْعَلْ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ" (2 صموئيل 27:19)، "فَأَجَابَ أَخِيشُ وَقَالَ لِدَاوُدَ: «عَلِمْتُ أَنَّكَ صَالِحٌ فِي عَيْنَيَّ كَمَلاَكِ اللهِ" (1 صموئيل 9:29). اقرأ أيضاً: "فِي شَفَتَيِ الْمَلِكِ وَحْيٌ (divine sentence). فِي الْقَضَاءِ فَمُهُ لاَ يَخُونُ" (الأمثال 10:16)[8491]. يقول الكتاب المقدس الدراسي تعليقاً على الآية الأخيرة: "كان الملك يقوم بدور ممثل الله (God's representative) عند النطق بالحكم في القضايا التي تُعرض أمامه [...]. ولذا، فإنه كان في حاجة إلى هبة من الحكمة الإلهية للتمييز بين الصواب والخطأ ليصدر حكم الله [...]. وعندما كان يفعل ذلك، كان حكمه يعتبر من قوة الوحي الإلهي بالنسبة للشعب"[8492].

كل الأدلة السابقة من العهد القديم تؤكد أن مَلِك اليهود كان أحياناً يُخاطَب بألقاب تشريف وتكريم وتعظيم مثل "ملاك الله" و "ابن الله"، بل حتى لفظ الجلالة "الله". ومع ذلك، لم ولن يعبده أحدٌ. كذلك "يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ" في العهد الجديد (يوحنا 19:19)، ينبغي ألا يعبده أحدٌ.

كما نرفض لاهوت القرآن ونؤمن ببشريته 100%، كذلك نرفض لاهوت المسيح ونؤمن بناسوته 100%. وكما نرفض تجسُّد الله في إنسان إسرائيلي هو يسوع المسيح، كذلك نرفض تجسُّد الله في كتاب عربي هو القرآن[8493]. الله ليس إنساناً يهودياً ولا كتاباً إسلامياً. الله ليس وثناً من لحم على عظام ولا صنماً من حِبْر على ورق. اَللهُ رُوحٌ. قال يسوع المسيح في إنجيل يوحنا أيضاً: "اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا" (يوحنا 24:4). و "الله (O Theos)" هنا هو الآب فقط الإله الْحَقِيقِيّ وَحْده، وليس الثالوث؛ بدليل أن يسوع المسيح نفسه قال للآب في إنجيل يوحنا أيضاً: "أَيُّهَا الآبُ [...] هذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَ [أَنْ يَعْرِفُوا الفادي والمخلِّص] يَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يوحنا 1:17-3). اقرأ أيضاً (يوحنا 44:5).

الله = الآب (في الإنجيل) = يهوه (في التوراة). "اعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ (بالعبرية: يهوه Yahweh) هُوَ اللهُ. هُوَ صَنَعَنَا" (المزامير 3:100). "الرَّبُّ هُوَ اللهُ (أو: اللهُ هُوَ يهوه) وَقَدْ أَنَارَ لَنَا" (المزامير 27:118). نعم، كل آيات العهد القديم تشهد وتؤكد 100% "أَنَّ الرَّبَّ [يهوه] هُوَ اللهُ" (يشوع 34:22). "الرَّبُّ [يهوه] هُوَ اللهَ [...] الرَّبُّ [يهوه] هُوَ اللهُ! الرَّبُّ [يهوه] هُوَ اللهُ!" (1 ملوك 18:21-39). "لِيَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ الأَرْضِ أَنَّ الرَّبَّ [يهوه] هُوَ اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ" (1 ملوك 60:8). "فَعَلِمَ مَنَسَّى (واسمه يعني: الذي يَنسى!) أَنَّ الرَّبَّ [يهوه] هُوَ اللهُ. [...] وَأَمَرَ يَهُوذَا أَنْ يَعْبُدُوا الرَّبَّ [يهوه] إِلهَ إِسْرَائِيلَ" (2 أخبار الأيام 13:33-16). وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. "لأَنَّهُ مَنْ هُوَ إِلهٌ غَيْرُ الرَّبِّ (بالعبرية: يهوه Yahweh)؟ وَمَنْ هُوَ صَخْرَةٌ سِوَى إِلهِنَا؟" (المزامير 31:18). لا إله إلا يهوه إله إِسْرَائِيلَ. اسمه يهوه في العهد القديم، واسمه/صفته الآب في العهد الجديد. وكلاهما يشير إلى نفس الإله الحقيقي الوحيد المعبود الواحد الأحد وهو الله الذي لا شريك له. في التوراة، "صَنَعَ الرَّبُّ (بالعبرية: يهوه Yahweh) السَّمَاءَ وَالأَرْضَ" (الخروج 11:20، 17:31). وفي الإنجيل، قالها يسوعُ المسيح نفسه وبكل وضوح: "أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ" (متى 25:11) (لوقا 21:10). إذن: يهوه = الآب = الله ≠ المسيح. وفي القرآن أيضاً: "لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ (أي: لَا إِلَٰهَ حقيقي يستحق العبادة إِلَّا يهوه إله إسرائيل)" (يونس 90)، "فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ" (يونس 94)، فستجد في هذا الكتاب المقدس أن الله = يهوه = الآب. وحده لا شريك له وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ.

أما الزعم أن يسوع = يهوه أو يهوه المتجسِّد، فهو زعم خاطئ تماماً؛ ونحسب أن سببه الأصلي هو الترجمة اليونانية (السبعينية) للتوراة التي ترجمت "يهوه" إلى (Kyrios) – مع أن يهوه اسم فالمفروض أصلاً أن لا يُترجم، لأن الأسماء لا تُترجم. ثم جاء كتبةُ الإنجيل وكتبوا الإنجيلَ باللغة اليونانية واعتمدوا على الترجمة اليونانية (السبعينية) للعهد القديم واستخدموا نفس الكلمة اليونانية (Kyrios) للإشارة إلى يسوع، فظن البعضُ أن يسوع = يهوه = الله! وهذا طبعاً خطأ فادح، بل نحن نعتبره أسوأ خطأ في الترجمة السبعينية. والصواب هو أن نترك "يهوه" كما هو في العهد القديم ولا نترجمه، فهو اسم والأسماء لا تُترجم. أما (Kyrios) في الإنجيل فهي مجرد كلمة يونانية تعني "السيد" (master; Mr.; Sir) أو "الرب" (lord)، كما نقول "السيد الرئيس" أو "السيد المسيح" أو "سيدنا عيسى" أو كما نقول في لغاتنا الحية "رب الأسرة" أو "صاحب البيت" أو "مالِك الأرض" (landlord)[8494] أو "مَلِك العود"[8495]. إذن: كلمة (Kyrios) لا تعني أبداً أن يسوع هو يهوه ولا تعني إطلاقاً أن يسوع هو الله. ولم يقل يسوعُ أبداً إنه الله ولم يقل أبداً إنه يهوه.

يهوه هو رب يسوع. يهوه هو إله يسوع. يهوه هو خالِق يسوع. يهوه هو إلهنا وإله آبائنا والإله الواحد الأحد الذي كان يسوع يعبده ويتوجَّه إليه في صلواته (مثلاً: يوحنا 17؛ متى 9:6-15؛ لوقا 1:11-4). يهوه هو الآب "أَبَانَا (Our Father) الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ (أي: ذاتك وصفاتك)" (متى 9:6) (لوقا

2:11). ولقد كان اسمُه "يهوه" مقدساً جداً بالفعل عند اليهود إلى درجة أنهم كانوا يخافون أن ينطقونه بألسنتهم (sacrosanct and unpronounced)! يقول قاموس الكتاب المقدس: "منذ أواخر القرن الرابع قبل المسيح تزايد الخوف من تدنيس اسم يهوه، فمُنِعَ الشعبُ [اليهودي] من النطق به. وأصبح لا يستطيع التلفظ به إلا رئيس الكهنة عند تلاوة الصلاة وإعطاء البركة في الهيكل. واستعاضوا عن النطق به بأسماء أخرى أهمها "أدوني" أي الرب والسيد"[8496]. ولذلك ترجمته السبعينية إلى (Kyrios) أي الرب والسيد. والصواب هو كما قلنا ألا يُترجَم أصلاً لأنه اسم الإله "الإِلهُ الْحَكِيمُ الْوَحِيدُ مُخَلِّصُنَا، لَهُ الْمَجْدُ وَالْعَظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، الآنَ وَإِلَى كُلِّ الدُّهُورِ. آمِينَ" (يهوذا 25:1).

يهوه هو الله الآب الذي أقام يسوعَ من الأموات، ولقد تكررت هذه الحقيقة في آيات كثيرة جداً نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر: "إِلهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ (أي: اليهود) قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ" (أعمال الرسل 30:5)؛ "إِنَّ إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، إِلهَ آبَائِنَا، مَجَّدَ فَتَاهُ يَسُوعَ (الترجمة الأكثر دقة: عَبدَه يَسُوعَ[8497]؛ باليونانية: paida)، [...]، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذلِكَ" (أعمال الرسل 3:13-15)؛ "إِلهُ رَبِّنَا (أي: سيدنا؛ مولانا؛ معلِّمنا) يَسُوعَ الْمَسِيحِ [...] أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أفسس 1:17-20)؛ "اللهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبَّ [يَسُوعَ]، وَسَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ" (1 كورنثوس 14:6)؛ "الله الآب الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (غلاطية 1:1) وآيات أخرى كثيرة كلها تؤكد أنه من الخطأ أن يُقال إن يسوع "أقام نفسَه" من الأموات. وإنما الصواب هو أن نقول إن الله أقام يسوعَ من الأموات. يسوع مفعول به، وليس فاعلاً. يسوع "أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ" (رومية 9:6، 4:7) "أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 10:4). صُلِبَ يسوعُ المسيح ومات ودُفِنَ "وَلكِنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 30:13). "الله أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (رومية 9:10). وآيات أخرى كثيرة جداً تؤكد أن عبارة "قام من الأموات" المذكورة في البند الثاني من قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني يجب أن تُفْهَم بمعنى "أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ". أما عبارة "يسوع أقام نفسَه" فهي خاطئة تماماً ومضللة وليس لها أي وجود في الإنجيل، فنتمنى أن تختفي قريباً مِن الخطاب الديني المسيحي.

على الصليب، كان اللهُ فاعلاً والمسيحُ مفعولاً به: "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ" (يوحنا 16:3). وكذلك في القيامة، كان اللهُ فاعلاً والمسيحُ مفعولاً به: "أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 10:4). إذن: في كل ما يتعلق بالفداء والخلاص، كان اللهُ فاعلاً والمسيحُ مفعولاً به. وكذلك الدينونة (الحساب والجزاء)، فهي مجرد تفويض أو تكليف بل عطية أعطاها اللهُ (الآب) للمسيح (الابن) "لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ" (يوحنا 22:5). أعطى اللهُ كُلَّ الدَّيْنُونَةِ للمسيح لسببين على الأقل. أولاً: "لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ" (يوحنا 23:5). وثانياً: حتى يكون المسيحُ رحيماً بنا فهو بشرٌ مثلنا يحمل جنسية مَن يقضي لهم: "مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ [المسيحُ] إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ [قاضياً] رَحِيمًا، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا فِي مَا لِلهِ حَتَّى يُكَفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ. لأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّبًا يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ" (العبرانيين 2:17-18)، إنه "يَسُوعُ ابْنُ اللهِ،

فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَار. لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ [ديَّان] غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ. فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ" (العبرانيين 4:14-16). وهكذا يتجلّى عدل الله ورحمته في شخص يسوع المسيح. عدل الله يقتضي أن نُحاكَم على خطايانا، ورحمة الله جعلت يسوعَ المسيحَ البار هو القاضي الذي يحكم علينا وهو أيضاً وفي الوقت نفسه أخونا المحامي الذي يدافع عنا ويشفع فينا، بل ويحمل خطايانا ويُصْلَب بدلاً منا ويُسْفَك دمه فداءً لنا ويُسلِّمنا بِرّه الشخصي، فتُغْفَر جميعُ الخطايا وتُمْنَح الحياةُ الأبدية لكل مَن يؤمن بيسوع المسيح الفادي والمخلِّص ابن الله الذي صُلِبَ ومات ودُفِنَ وقام من الأموات. "مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ اَلْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا" (رومية 8:34). "أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا" (1 يوحنا 2:1).

باختصار: الله هو الأساس في جميع أقوال وأفعال المسيح. المسيح وحده يعجز أن يقول شيئاً ويعجز أن يفعل شيئاً. المسيح نفسه اعترف بذلك: "أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يوحنا 5:30) "وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي" (يوحنا 8:28)[8498] "الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي" (يوحنا 14:10) "الْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يوحنا 14:24). ولا غرابة في ذلك، فنحن نعلم "يَقِينًا" "أَنَّ اللهَ [هو الذي] جَعَلَ يَسُوعَ هذَا [...] رَبًّا (أي: مَلِكاً، سيداً؛ مُعلِّماً) وَمَسِيحًا" (أعمال الرسل 2:36). فلولا الله، لما كان يسوعُ مسيحاً. ولذلك قال بطرسُ ويوحنا ورفقاؤهما في صلاة جماعة لله: "لأنَّه بالحقيقةِ اجتَمَعَ على فتاكَ (الترجمة الأكثر دقة: عَبدِكَ[8499]؛ باليونانية: paida) القدوسِ يَسوعَ، الذي مَسَحتَهُ، هيرودُسُ وبيلاطُسُ البُنطيُّ مع أُمَمٍ وشُعوبِ إسرائيلَ، [...] فتاكَ (الترجمة الأكثر دقة: عَبدِكَ) القدوسِ يَسوعَ" (أعمال الرسل 4:27-30).

وصراخ المسيح قبيل موته على الصليب: "إِلهِي (my God)، إِلهِي (my God)، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (متى 27:46) (مرقس 15:34) – ترديداً للآية الأولى من المزمور الشهير: "إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي" (المزامير 22:1) – يؤكد نقطتين مهمتين: (1) المسيح عبدٌ له إله يناديه؛ (2) إذا افترضنا جدلاً أن المسيح ناسوت ولاهوت، فإن كلمة "تَرَكْتَنِي" تنفي أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة[8500].

وحتى بعد قيامته من الأموات، نسمع يسوعَ المسيح يقول: "إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ (my Father, and your Father; and to my God, and your God)" (يوحنا 20:17). وخمس مرات في سفر الرؤيا المنسوب أيضاً إلى يوحنا الرسول، قال يسوع المسيح: "كُنْ سَاهِرًا وَشَدِّدْ مَا بَقِيَ، الَّذِي هُوَ عَتِيدٌ أَنْ يَمُوتَ (أي: ما بَقِيَ لكَ مِنَ الحياةِ قَبلَ أنْ يُعاجِلَهُ الموتُ)، لأَنِّي لَمْ أَجِدْ أَعْمَالَكَ كَامِلَةً أَمَامَ اللهِ (الترجمة اليسوعية أصح: إلهي[8501]؛ my God)" (الرؤيا 3:2)؛ "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأَجْعَلُهُ عَمُودًا فِي هَيْكَلِ إِلهِي (my God)، وَلاَ يَعُودُ يَخْرُجُ إِلَى خَارِجٍ، وَأَكْتُبُ عَلَيْهِ اسْمَ إِلهِي (my God)، وَاسْمَ مَدِينَةِ إِلهِي

(my God)، أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةِ النَّازِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ إِلهِي (my God)، وَاسْمِي الْجَدِيدَ" (الرؤيا 12:3) **[← وكذلك خمس مرات في القرآن العربي! "مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (المائدة 117) "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ" (المائدة 72) "إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" (مريم 36) "إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" (آل عمران 51) "إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" (الزخرف 64)]**.

تقول التوراة: "اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ (YHWH) إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (التثنية 4:6). ويقول الإنجيل: "فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (مرقس 29:12). لم يقل يسوعُ: "إِلهُنَا وَاحِدٌ في ثالوث"! وإنما ردد الإيمانَ اليهودي الصحيح الذي تربَّى عليه وعاش فيه ومات مُخْلِصاً له وقام ليذكِّرنا به: "الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (مرقس 29:12) "إِلهِي وَإِلهِكُمْ" (يوحنا 17:20). نعم، يسوع المسيح عاش يهودياً موحِّداً توحيداً مطلقاً (unitarian and monotheist of the strict Jewish type)[8502]، وصُلِبَ وتألَّم ومات يهودياً موحِّداً توحيداً مطلقاً. بل ودُفِنَ يهودياً أيضاً، فلقد دفنه يوسُفُ الرامي ونيقوديموس، وكلاهما يهودي بل مِن رؤساء اليهود البارزين، ولذلك دَفنا يسوعَ المسيح حسب الطقوس الدينية اليهودية: "فأَخَذَا جَسَدَ يَسوعَ، ولَفَّاهُ بأكفانٍ مع الأطيابِ، كما لليَهودِ عادَةٌ أنْ يُكَفِّنوا" (يوحنا 40:19)؛ (متى 57:27-61) (مرقس 42:15-47) (لوقا 50:23-56) (يوحنا 38:19-42)[8503]. إذن: يسوع المسيح عاش ومات ودُفِنَ وقام يهودياً موحِّداً توحيداً مطلقاً. يسوع المسيح لم يؤمن لحظةً واحدة بالثالوث. إيمانه بالتوحيد اليهودي المطلق لم يفارق عقلَه ولا قلبه لحظةً واحدة ولا طرفة عين.

المسيحية هي إيمان يسوع المسيح (the faith of Jesus Christ) في الفادي والمخلِّص يسوع المسيح (in Jesus Christ) الْمُقَام مِنَ الأَمْوَاتِ، وليست العقيدة (dogma) التي نشأت عن يسوع المسيح (about Jesus Christ) بعد قيامته وتم اختيارها وإقرارها وفرضها في القرن الرابع بعد المسيح.

التثليث عقيدة ظهرت في القرون الأولى للميلاد مع تأثر اليهود والمسيحيين الأوائل بالثقافات الأخرى وخصوصاً الثقافة اليونانية (الإغريقية)؛ وساعد على ذلك الترجمة اليونانية (السبعينية) للعهد القديم وأيضاً دخول الأمم (أي: الوثنيين؛ غير اليهود) إلى المسيحية. وفي القرن الرابع الميلادي، اختار الحاضرون المجتمعون في مجمع نيقية (Council of Nicaea) (325م) عقيدةَ التثليث، ثم فرضها الحاضرون المجتمعون في مجمع القسطنطينية (Council of Constantinople) (381م)، فأنتجوا قانونَ إيمان يتجاهل تماماً يهودية يسوع وجذوره الإسرائيلية! حتى عبارة "ابْنِ دَاوُدَ" المذكورة في الآية الأولى من الإنجيل (متى 1:1) لم يضعوها في قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني! مما يؤكد أن مَن كتبوا هذا القانون قد تعمّدوا

انتزاعَ يسوع المسيح مِن جنسيته الإسرائيلية ودينه اليهودي. ويؤكد أيضاً أن يسوع المسيح بريء مِن قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني.

أما قانون إيمان الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الفريد فهو التوحيد اليهودي المطلق: "**فَأَجَابَهُ** يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ" (مرقس 12:29) [...] "فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ" (مرقس 12:32)[8504].

قانون إيماننا هو قانون إيمان الشاب اليهودي الإسرائيلي يسوع المسيح الذي عاش في القرن الأول الميلادي، **وليس** قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني اليوناني-الروماني الذي وُضِعَ في القرن الرابع الميلادي.

4.58 يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

ما زلنا في سورتي آل عمران ومريم، حيث نجد قصةَ بشارة الملائكة (أو الملاك) لمريم العذراء بميلاد المسيح عيسى ابن مريم، والتي تبدو هي الأخرى متأثرة إلى حد كبير بقصة بشارة الملاك جبرائيل لمريم بميلاد يسوع (The Annunciation) التي ذكرها إنجيلُ لوقا في الإصحاح الأول أيضاً.

وكالعادة، نبدأ أولاً بالقصة القرآنية، ولها روايتان مختلفتان:

قال صاحبُ رواية سورة مريم المكية: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا (أي: تباعدت واعتزلت عن أهلها وعن الناس) مَكَانًا شَرْقِيًّا (قيل: في المكان الشرقي من بيت المقدس[8505]؛ وقيل: نحو الشرق من دارها) {16} فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا (أي: ستراً يسترها) فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا (أي: الملاكَ جبريل) فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (أي: في صورة إنسان تام الخَلْق كامل الشكل) {17} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا [فاخرج من الحجاب الذي يسترني] {18} قَالَ [إنني لستُ بَشَرًا ولا أريد بك سوءاً] إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (أي: طاهراً من الذنوب ونقياً من العيوب)[8506] {19} قَالَتْ [مريمُ] أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (أي: عاهرة؛ زانية؛ فاجرة) {20} قَالَ [لها المَلَكُ جبريل] كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ (أي: علامةً وبرهاناً يدل على كمال قُدْرَةِ الله) وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (أي: قضاء سابقاً مقدَّراً فسيحدث لا محالة؛ مسطوراً في اللوح المحفوظ!) {21} ۞ فَحَمَلَتْهُ (أي: فشعرت مريمُ فوراً بالحمل في بطنها) فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (أي: بعيداً عن أهلها وعن أعين الناس) {22}.

أما صاحبُ رواية سورة آل عمران المدنية فحكى القصةَ بطريقة مختلفة، وبخاصة فيما يتعلق بالحوار بين مريم والملاك/الرسول جبريل الذي صار هنا "ملائكة"! وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ [مِن الكفر والمعصية والوساوس والأخلاق الرذيلة وجميع الأدناس] وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (أي: على جميع نساء العالم إلى يوم القيامة[8507]؛ وقيل: في زمانها فقط[8508]!) {42} يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ (أي: الزمي عبادته في خشوع وطاعته في خضوع) وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ {43} ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ[8509] {44} إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ (أي: بوَلَدٍ يخلقه اللهُ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ هي الأمر التكويني: كُن) اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا (أي: له الوجاهة والشرف والجاه العظيم) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ [إلى الله] {45} وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ (أي: وهو طفل رضيع قبل أوان الكلام!) وَكَهْلًا (أي: كما يُكَلِّم النَّاسَ بما أوحاه اللهُ إليه وهو رجل كبير بعد سن الثلاثين وقبل الشيخوخة) وَمِنَ الصَّالِحِينَ {46} قَالَتْ [مريمُ] رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ [لها المَلَكُ جبريل] كَذَٰلِكِ اللَّهُ [القديرُ] يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا (أي: أصدر حُكْماً؛ أراد إيجاد شيء) فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ {47} وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ (أي: الكتب المنزلة؛ الكتابةَ والخط) وَالْحِكْمَةَ (أي: فَهم الكتب المنزلة؛ العلم الصحيح والفهم السليم في قول الحق وفعل

الخير وحُسْن تدبير الأمور؛ السُّنَّة الَّتِي يُوحِيهَا اللهُ إِلَيْهِ فِي غَيْرِ كِتَابٍ مُنزل) وَالتَّوْرَاةَ [التي أنزلها اللهُ على موسى] وَالْإِنجِيلَ [الذي سوف يُنْزِله اللهُ على عيسى بعد ذلك!] {48} وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ[8510] أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ[8511] مِّن رَّبِّكُمْ [...] {49}.

ونعرف من آيتين قرآنيتين أن هذا الحمل العذراوي (virginal conception of Jesus) (parthenogenesis) قد حدث عن طريق "النفخ"! "وَالَّتِي (أي: وَمَرْيَم الَّتِي) أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا (into her) (أي: في مريم البتول) مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 91)؛ "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ (into it) مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ [المنزلة على الأنبياء] وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (أي: المواظبين على عبادة الله وطاعته)" (التحريم 12).

ويجب هنا التنويه إلى الاختلاف بين (الأنبياء 91) التي استخدمت ضمير الغائب المؤنث "فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا" و (التحريم 12) التي استخدمت ضمير الغائب المذكر "فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا". بالطبع زعم شيوخ الإسلام أن ليس هناك مشكلة في هذا الاختلاف. لكن لا يمكن الاقتناع بهذا القول خاصةً إذا كنا نتحدث عن كتاب يُفترَض أنه من عند الله. فإذا كان القرآن كلام الله حقاً، ألم يكن الله قادراً أن يضبط كلامَه بطريقة واحدة. إن مثل هذا الاختلاف يُقدِّم دليلاً آخر على أن القرآن كلام بشر اشترك فيه أكثر من شخص: واحد قال (الأنبياء 91) وآخر قال (التحريم 12). ولم يحدد القرآنُ موضعَ "النفخ"، لكن الضمير المذكر "فِيهِ" (التحريم 12) يعود على الاسم المذكر "فَرْجَهَا" (التحريم 12)؛ إذن: في فَرْج مريم، في رَحِمِها! وتقول مراجع إسلامية كثيرة: "نفخ جبريل في جَيْبِ قميصها، فوصلت النفخة إلى رَحِمِها، فوقع الحمل بسبب ذلك"[8512]!

هل هذا معقول يا أصحاب العقول؟!

نحن نشك في هذه القصة القرآنية بروايتيها: الرواية المكية فى سورة مريم والرواية المدنية فى سورة آل عمران. ومما يزيد شكوكنا فى هاتين الروايتين القرآنيتين هو وجود اختلافات بينهما، خاصةً فيما يتعلق بالحوار بين مريم وجبريل! فعلى سبيل المثال:

- ماذا قال جبريل لمريم؟ هل كما جاء فى سورة مريم "إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا" (مريم 19)؟ أم كما جاء فى سورة آل عمران "يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ" (آل عمران 45)؟
- وماذا كان رد مريم؟ هل كما جاء فى سورة مريم "قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا" (مريم 20)؟ أم كما جاء فى سورة آل عمران "قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ" (آل عمران 47)؟
- وماذا كان رد جبريل؟ هل "قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا" (مريم 21)؟ أم "قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (آل عمران 47)؟

إن وجود هذه الاختلافات الكثيرة يؤكد أن القرآن كلام بشر "مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ". القرآن نفسه يعترف بذلك: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24)[8513]. بل إن وجود هذه الاختلافات الكثيرة يؤكد أن القرآن ثمرة عمل جماعي اشترك فيه أكثر مِن شخص، إذ لا يُعْقَل أن شخصاً واحداً يحكي نفس القصة القصيرة بروايتين مختلفتين! بل إن وجود هذه الاختلافات الكثيرة يؤكد أن أصحاب القرآن اعتمدوا على عدة مصادر سواء من التراث المسيحي القانوني أو من التراث المسيحي الأبوكريفي.

4.58.1 مصادر القرآن من إنجيل لوقا القانوني وأناجيل الأبوكريفا المنحولة

تبدأ القصة القرآنية بعبارة غامضة: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا" (مريم 16-17)! لماذا؟! لماذا تبتعد مريمُ عن أهلها وتعتزل الناس وتستر نفسها وراء "حِجَاب"؟! لا يوجد أي مبرر منطقي لذلك، إذ أن الحمل بعيسى بدون أب لم يحدث بعد، بل إن البشارة بميلاد عيسى لم تأتها بعد! كالعادة، احتار المفسرون المسلمون في الإجابة على هذا السؤال. وكالعادة أيضاً، لم يتفقوا على إجابة واحدة ويؤيدونها بالأدلة، وإنما اختلفوا في سبب ابتعاد مريم عن أهلها وعن الناس. وإنه لَمِن الطريف أن بعض الأسباب التي قيلت في كتب تفسير القرآن وقصص الأنبياء تثير الضحك، مثل: مريم انتبذت واتخذت حجاباً "لقضاء حاجتها"[8514]؛ وقيل: "للاغتسال من الحيض"[8515]؛ وقيل: "لتفلي رأسها، وقيل: لتغتسل من الحيض"[8516]؛ وقيل: "لتفلي رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها"[8517]!

طبعاً أسباب غير مقنعة. ولمعرفة السبب، يجب أن نرجع - كالعادة - إلى التراث اليهودي/المسيحي.

نحن نتفق مع المستشرقة الفرنسية المعروفة (Denise Masson) التي ترجمت القرآنَ إلى اللغة الفرنسية عام 1967 وربطت كثيراً من آياته مع التراث اليهودي/المسيحي[8518]. فنحن نرى أن (مريم 16-17) تعبر باختصار شديد عن قصة دخول الطفلة مريم إلى الهيكل التي تحدثنا عنها فيما سبق عند دراستنا لـ (آل عمران 35-37) ومصدرها هو إنجيل الطفولة ليعقوب. فهذه القصة غير مذكورة في سورة مريم، مع أن مكانها الطبيعي هو سورة مريم، فَمِن المحتمل جداً أن (مريم 16-17) تشير باختصار إلى هذه القصة. وملخص القصة هو أن مريم خرجت من بيت أهلها **[⟵ "انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا" (مريم 16)]** ودخلت الهيكل الذي يقع في شرق أورشليم[8519] **[⟵ "مَكَانًا شَرْقِيًّا" (مريم 16)]** وكان مكان تواجدها هو المحراب، أي: الْقُدْس أو قُدْس الأَقْدَاس. ومِن المعلوم أنه يوجد "حِجَاب" (veil) يَفْصِلُ بَيْنَ الْقُدْسِ وَقُدْسِ الأَقْدَاسِ: "فَيَفْصِلُ لَكُمُ الْحِجَابُ بَيْنَ الْقُدْسِ وَقُدْسِ الأَقْدَاسِ" (الخروج 33:26)[8520] **[⟵ "فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا" (مريم 17)]**. وهذا يعني أن الملاك جاء لمريم وهي وراء الحجاب داخل الهيكل/المحراب فقال لها البشارةَ بميلاد المسيح (مريم 17-21). "فَحَمَلَتْهُ (أي: فشعرت مريمُ فوراً بالحمل في بطنها) فَانتَبَذَتْ بِهِ (أي: فخرجت من الهيكل) مَكَانًا قَصِيًّا (أي: وذهبت إلى مكان بعيد عن أهلها وعن أعين الناس)" (مريم 22). إذن: ترتيب

الأحداث كما يلي: دخول الطفلة مريم الهيكل وبقاؤها فيه لفترة معينة انتهت بخطوبتها (كتب كتابها) ليوسف النجار (آل عمران 44) والبشارة بميلاد المسيح (آل عمران 45-48) (مريم 17-21) فَحَمَلَتْ مريمُ فوراً وخرجت من الهيكل (مريم 22). هذا هو الرأي الذي نؤيده، وهو يؤكد ما نقوله دائماً: يجب دراسة التراث اليهودي/المسيحي الشرقي جيداً لفهم القرآن فهماً صحيحاً. فلولا دراستنا للتراث اليهودي/المسيحي الشرقي، لما فهمنا معنى "انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا" (مريم 16) ولما عرفنا المراد من "حِجَابًا" (مريم 17). وتأييدنا لهذا الرأي لا يعني أن القصة القرآنية حقيقية تاريخية، وإنما يعني فقط أنه يوضِّح لنا ما كان يدور في أذهان أصحاب القرآن وَهُمْ يكتبون هذه الأسطورة (مريم 16-17).

لكن توجد آراء أخرى. وسنذكرها لأنها تركت بصمتها على تفاسير القرآن وكتب قصص الأنبياء ...

فإذا رجعنا إلى مصادر القرآن من التراث المسيحي الأبوكريفي، فسنجد أيضاً في إنجيل الطفولة ليعقوب[8521][8522] أن اجتماعاً للكهنة عُقِدَ في هيكل الرب لاختيار عذراء بلا عيب من سبط داود لتغزل ستارةً (curtain) لهيكل الرب، فحضرت مريمُ هذا الاجتماع واختيرت بالقرعة لتغزل الستارة **[← "حِجَابًا" (مريم 17)]** ثم خرجت من الهيكل **[← "مَكَانًا شَرْقِيًّا" (مريم 16)؛ وباب الخروج من المحراب/الهيكل يقع بالفعل ناحية الشرق، وكذلك تقع ساحة النساء ناحية الشرق[8523]]** وعادت مريم إلى بيتها لتقوم بغزل الستارة المكلّفة بها. وفي يومٍ من الأيام، خرجت مريمُ من بيتها **[← "انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا" (مريم 16)]** لتملأ جرتها (pitcher) بالماء **[← اقتبست بعض المراجع الإسلامية هذا السبب - بوعي أو بدون وعي - وطوَّرته تطوراً بشرياً طبيعياً، فقيل إن مريم "انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا" (مريم 16) أي "قالت [ليوسف النجار]: ولكنني والله ما عندي ماء، فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها (أي: خرجت من الهيكل بدون يوسف) حتى دخلت المغارة [التي فيها الماء كي تملأ قلتها بالماء]"[8524]]**! وبعد ذلك مباشرةً، يقول إنجيل يعقوب المنحول إن مريم سمعت صوتاً يناديها باسمها **[← وكذلك حسب رواية سورة آل عمران، نادت الملائكةُ مريمَ باسمها: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ [...]" (آل عمران 42) "إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ [...] (آل عمران 45). أما حسب رواية سورة مريم، فبعد ذلك مباشرةً رأت مريمُ الملاكَ في صورة إنسان: "انتَبَذَتْ [مَرْيَمُ] مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا" (مريم 16-17)]**. فخافت مريمُ وارتجفت **[← "قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا" (مريم 18)]**، وعادت إلى بيتها وجلست على مقعدها لتكمل غزل الْحِجَاب المكلّفة به، وإذا بملاك الرب واقفاً أمامها قائلاً لها "لا تخافي يا مريم"، ثم دار الحوار بينها وبين ملاك الرب الذى بشرها بميلاد يسوع.

أما إذا رجعنا إلى مصادر القرآن من التراث المسيحي القانوني، فسنجد في إنجيل لوقا أن يوحنا المعمدان – وليس مريم العذراء – هو الذي انْتَبَذَ مِن أهله في مكانٍ شرقي "فِي الْبَرَارِي" (لوقا 1:80) حيث "كان ثمّة جماعات عدة من الزُهَّدِ الذين عاشوا في مناطق البريَّة شرق أورشليم. وأشهرها منطقة قُمْران

مصدر مخطوطات البحر الميت"[8525] **[⟵ طبَّق القرآنُ فكرةَ الاعتزال عن الأهل في مكانٍ شرقي على مريم العذراء! "انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا" (مريم 16-17)].**

ومِن قَبل يوحنا المعمدان، أمه أليصابات – وليس مريم أم يسوع المسيح – انْتَبَذَتْ أيضاً. يقول **(لوقا 1):** {24} [...] حَبِلَتْ أَلِيصَابَاتُ امْرَأَتُهُ (أي: امرأة زكريا)، وَأَخْفَتْ نَفْسَهَا (أي: انعزلت عن المجتمع) **[⟵ طبَّقها القرآنُ على مريم العذراء! "انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا" (مريم 16-17)]** خَمْسَةَ أَشْهُرٍ قَائِلَةً: {25} «هكَذَا قَدْ فَعَلَ بِيَ الرَّبُّ فِي الأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا نَظَرَ إِلَيَّ، لِيَنْزِعَ عَارِي بَيْنَ النَّاسِ». وسبب اعتزال أَلِيصَابَات عن المجتمع هو: الفرح والتكريس والامتنان والعرفان بالجميل نحو الرب لأنه أزال عنها عقمها الذي كان يُعتبَر عاراً[8526]؛ أي أنها أرادت أن تكرّس كُلَّ وقتها لعبادة الرب وشكره. **[⟵ اقتبست بعض المراجع الإسلامية هذا السبب - بوعي أو بدون وعي - وطوَّرته تطوراً بشرياً طبيعياً، فقيل إن مريم "اعتزلت عن أهلها مكاناً نحو الشرق من دارها أو من بيت المقدس، لتخلو للعبادة، بسبب صلاحها وتقواها. فاتخذت ستراً يسترها عن الناس، حتى لا يشغلها شاغل [عن عبادة الرب]"[8527]!]**

وبعد ذلك مباشرةً ينتقل إنجيلُ لوقا إلى قصة "البشارة بميلاد يسوع" (The Annunciation) (The Birth of Jesus Foretold). ولقد حكى إنجيلُ لوقا القصةَ في صورة حوار (dialogue) دار بين مريم والْمَلاَك جِبْرَائِيل؛ وكل طرف في هذا الحوار تكلم ثلاث مرات (a three-stage dialogue (in which each side speaks three times ...

(لوقا 1): {26} وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ [منذ أن حبلت أليصابات بيوحنا] أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ (Galilee) اسْمُهَا نَاصِرَةُ (Nazareth)، {27} إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ (أي: مرتبطة بعقد زواج يهودي ketubah؛ أو كما يقول المسلمون: مكتوب كتابها) لِرَجُل مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ **[⟵ "فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا (أي: الملاكَ جبريل) فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا" (مريم 17)].**

- {28} فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا (highly favored with grace) (أي: المميزة بأنكِ ممتلئة نعمة إلهية) **[⟵ "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ" (المائدة 110)]**! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ (أي: أكثر من جميع النساء)» **[⟵ "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (أي: على جميع نساء العالم إلى يوم القيامة)" (آل عمران 42)]**[8528].
- {29} فَلَمَّا رَأَتْهُ [مريمُ] اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ: «مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ!» **[⟵ "قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا" (مريم 18)].**
- {30} فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ **[⟵ "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ" (المائدة 110)].** {31} وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا **[⟵ "قَالَ [الْمَلاَكُ لمريم] إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا" (مريم 19)]** وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ

(باليونانية: Iesous؛ بالعبرية: Yehoshua؛ أي: الرب يُخَلِّص؛ the Lord saves)[8529] [← "اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ" (آل عمران 45)؛ ونلاحظ أن القرآن غير دقيق أو أقل دقة من الإنجيل، لأن "المسيح" لقب وليس اسماً[8530]]. {32} هذَا يَكُونُ عَظِيمًا [← وكذلك في القرآن، أول صفة من صفاته أنه يكون "وَجِيهًا (أي: صاحب جاه عظيم وشرف كبير)" (آل عمران 45)]، وَابْنَ الْعَلِيِّ (أي: ابن الله؛ مَلِك إسرائيل[8531]؛ مَلِك الملوك[8532]) يُدْعَى [← "وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ [إلى الله][8533]" (آل عمران 45)]، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ[8534]، {33} وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ [← "آلِ يَعْقُوبَ" (مريم 6) "بَنِي إِسْرَائِيلَ" (آل عمران 49)] إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ[8535] [← "وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (أي: إلى الأبد) وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ [إلى الله]" (آل عمران 45)]».

<u>ملحوظة هامشية:</u> أضاف إنجيلُ يعقوب الأبوكريفي إضافةً مهمة هنا وهي أن الملاك قال لمريم: "لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ الرب. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ حسب <u>كلمته</u> (Word) (باليونانية: Logos)"[8536] [← "إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ <u>بِكَلِمَةٍ</u> مِّنْهُ" (آل عمران 45)].

- {34} فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا [← "قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ" (مريم 20)؛ "قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ" (آل عمران 47) وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً (أي: لا أعرفُ رَجُلاً)؟».

<u>ملحوظة هامشية:</u> الفعل "أَعْرِفُ" مضارع و "مريم" فاعل و "رَجُلاً" مفعول به. لكن في بعض المصادر السريانية المبكرة مثل "الدياتسرون" (The Diatessaron)، جاء الفعل ماضياً و "رجلٌ" فاعل و "مريم" مفعول به؛ أي: "لم يعرفني رجلٌ" (no man has known me)[8537] [← "وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ" (مريم 20) "وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ" (آل عمران 47). إذن: الروايتان القرآنيتان ترددان ما قالته المصادر السريانية المبكرة، إذ جاء الفعل ماضياً و "بَشَرٌ" فاعل و "مريم" مفعول به كما في الدياتسرون السرياني[8538]!]. وأيضاً في إنجيل متى القانوني: "وَلَمْ يَعْرِفْهَا (أي: وَلَمْ يجامع يُوسُفُ مَرِيَمَ)" (متى 1:25) [← "وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ" (مريم 20) (آل عمران 47)]. إذن: إنجيلا لوقا ومتى وكتب التراث المسيحي بصفة عامة تؤكد أن مريم كانت عذراء قبل ولادة يسوع [← "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ [...]" (التحريم 12) "أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا [...]" (الأنبياء 91)].

- {35} فَأَجَابَ الْمَلاَكُ [جِبْرَائِيلُ] وَقَالَ لَهَا (أي: لمريم): «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ (Holy Spirit) (باليونانية: Pneuma Hagia) (أي: روح الله[8539]؛ ≠ الْمَلاَكُ جِبْرَائِيلُ) يَحِلُّ عَلَيْكِ [← "فَنَفَخْنَا[8540] فِيهَا مِن رُّوحِنَا (Our Spirit) (أي: روح الله)" (الأنبياء 91) "فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا" (التحريم 12)؛ لكن التراث الإسلامي يقول خطأً إن روح القدس = الْمَلاَكُ جبريل[8541]!]، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ (holy)[8542] (أي: بلا خطية[8543]) [← "زَكِيًّا (أي: طاهراً من الذنوب ونقياً من العيوب)" (مريم 19) "وَمِنَ الصَّالِحِينَ" (آل عمران 46)] الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ (Son

of God)[8544][8545]. {36} وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِرًا، {37} لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ[8546] **[← "قَالَ [الْمَلَاكُ لمريم] كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ [...] وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا" (مريم 21) "قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ[8547]" (آل عمران 47)]**».

- {38} فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ (أي: سأخضع لمشيئة الرب راضيةً وقانعة)» **[← "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (أي: الخاضعين الطائعين)" (التحريم 12)]**. فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ.

ويُفْهَم من سياق القصة في إنجيل لوقا أن مريم حَمَلَتْ فوراً بعد انتهاء حوارها مع الملاك، بدليل أنها عندما "ذَهَبَتْ بِسُرْعَةٍ" لتزور أَلِيصَابَات كانت حُبْلَى بيسوع **[← كذلك في رواية سورة مريم، الكلمة التي جاءت بعد انتهاء حوار مريم مع الملاك هي: "فَحَمَلَتْهُ (أي: فشعرت مريمُ فوراً بالحمل في بطنها)" (مريم 22) باستخدام حرف "الفاء" الذي يدل على الترتيب والتعقيب مع السرعة]**.

مريم العذراء وهِيَ حُبْلَى بيسوع المسيح تزور قريبتها أَلِيصَابَات وهِيَ حُبْلَى بيوحنا المعمدان. (لوقا 1): {39} فَقَامَتْ مَرْيَمُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَذَهَبَتْ بِسُرْعَةٍ [من الناصرة في الجليل، أي القسم الشمالي من بلاد اليهود] إِلَى الْجِبَالِ إِلَى مَدِينَةِ يَهُوذَا [نواحي أورشليم مدينة اليهود المقدسة؛ فهي مسافة طويلة جداً][8548] **[← "فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (أي: بعيداً)" (مريم 22)]**، {40} وَدَخَلَتْ بَيْتَ زَكَرِيَّا وَسَلَّمَتْ عَلَى أَلِيصَابَاتَ. {41} فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ (أي: تَحَرَّكَ يوحنا) فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، {42} وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ [لمريم]: «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ (أي: أكثر من جميع النساء) **[← "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (أي: على جميع نساء العالم إلى يوم القيامة)" (آل عمران 42)]** وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ **[← قال المسيحُ عيسى ابن مريم: "وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ (أي: حتى وأنا جنين في بطن أمي)" (مريم 31)]**! {43} فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟ {44} فَهُوَذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلاَمِكِ فِي أُذُنَيَّ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ (أي: انتفض يوحنا) بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي. {45} فَطُوبَى لِلَّتِي (تقصد: مريم العذراء التي) آمَنَتْ (أي: صَدَّقَتْ) أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ **[← "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ" (التحريم 12)]**».

تسبحة مريم العذراء (Mary's Song) (The Magnificat) في اتِّضَاع [← جعلها القرآنُ صلاةً وقنوت: "يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ" (آل عمران 43) "وَكَانَتْ [مريمُ] مِنَ الْقَانِتِينَ" (التحريم 12)]. (لوقا 1): {46} فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، {47} وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي، {48} لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ **[← "وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (أي: العابدين في خشوع والطائعين في خضوع)" (التحريم 12)]**. فَهُوَذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي **[← "يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ**

وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (أي: على جميع نساء العالم إلى يوم القيامة)" (آل عمران 42)]، {49} لأَنَّ [الرب الإله] الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ **[⟵ "وَجَعَلْنَاهَا (أي: وجعلنا مريمَ) وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 91) "وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً" (المؤمنون 50) "وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ" (مريم 21)]**، وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ **[⟵ وَاسْمُهُ "الرَّحْمَٰن" (مريم 18)]**، {50} وَرَحْمَتُهُ **[⟵ "وَرَحْمَةً مِّنَّا" (مريم 21)]** إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ (who fear Him)[8549]. {51} صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ[8550]. {52} أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ[8551]. {53} أَشْبَعَ الْجِيَاعَ [إلى البر] خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ [الأشرار] فَارِغِينَ[8552]. {54} عَضَدَ إِسْرَائِيلَ **[⟵ "إِسْرَائِيلَ" (آل عمران 49)]** فَتَاهُ (أي: ابنه؛ عبده؛ خادمه) لِيَذْكُرَ رَحْمَةً **[⟵ "وَرَحْمَةً مِّنَّا" (مريم 21)]**، {55} كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا **[⟵ "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي [...] صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ [المنزلة على الأنبياء]" (التحريم 12)]** لإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ[8553]».

(لوقا 1): {56} فَمَكَثَتْ مَرْيَمُ عِنْدَهَا (أي: عند أَلِيصَابَات) نَحْوَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ **[⟵ "فَحَمَلَتْهُ (أي: فَحَمَلَتْ مريمُ يسوعَ/عيسى في بطنها) فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (أي: بعيداً عن أهلها في الناصرة)" (مريم 22)]**، ثُمَّ (أي: بعد هذه الشهور الثلاثة) رَجَعَتْ [مريمُ] إِلَى بَيْتِهَا [في بلدة الناصرة بالجليل].

وأضاف الفصل الثاني عشر من إنجيل يعقوب الأبوكريفي إضافةً مهمة هنا وهي: "فَمَكَثَتْ [مَرْيَمُ] ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ عند أَلِيصَابَات. وكانت بطنها تكبر يوماً فيوماً، ومن خوفها انزوت مريم في منزلها واختبأت عن أنظار بني إسرائيل"[8554] **[⟵ "فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (أي: بعيداً عن أعين الناس)" (مريم 22)]**. وكان عُمْر مريم وقتئذٍ 16 سنة فقط.

وبعد ذلك أضاف الفصلان السابع عشر والثامن عشر من إنجيل يعقوب الأبوكريفي إضافةً أخرى وهي أن ميلاد المسيح نفسه حدث في مغارة أو كهف يقع على منتصف الطريق الصحراوي بين الناصرة وبيت لحم (أي: بعيداً عن الناصرة وبعيداً عن بيت لحم وأورشليم)[8555]! **[⟵ "فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (أي: بعيداً عن أهلها وعن أعين الناس)" (مريم 22)]**.

مما سبق يتضح مدى تأثر أصحاب القرآن بالتراث المسيحي، وعلى رأسه هنا الإصحاح الأول مِن إنجيل لوقا. وكما تعودنا هناك بعض الاختلافات بين القصة فى القرآن وما يناظرها فى الإنجيل. وكما قلنا مِن قبل ونؤكد مراراً أن هذه الاختلافات لا يمكن أن تكون دليلاً على أن القرآن موحى به مِن الله ولا حتى دليل على أن الرواية القرآنية فى سورة مريم (مكية) أو تلك المذكورة فى سورة آل عمران (مدنية) هى الأصح. فالاختلافات بين القرآن والإنجيل ما هى إلا تطور بَشرى طبيعى للقصة التى توارثتها الأجيال عبر القرون الستة التى تفصل بين المسيحية والإسلام. فعلى سبيل المثال: حذف أصحاب القرآن كل العبارات التى تتعارض مع العقيدة الإسلامية مثل "ابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى" (لوقا 1:32) و "الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لوقا 1:35) و "أُمُّ رَبِّي" (لوقا 1:43)، كما أضافوا بعض التفاصيل غير الموجودة فى إنجيل لوقا ...

ولعل أهم إضافة أضافها أصحاب القرآن هى الشكل أو الهيئة التى ظهر بها الملاك جبريل (جبرائيل) حين تحدَّث إلى مريم: "فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا" (مريم 17)، أى أن جبريل لم يظهر فى صورة ملاك، بل ظهر فى صورة إنسان تام الخَلْق كامل الشكل. سؤال: هل هذه الفكرة موجودة فى القرآن وحده؟ الإجابة: لا، لأننا إذا ذهبنا إلى إنجيل متى المنحول (Gospel of Pseudo-Matthew)، فسوف نجد أن الإصحاح التاسع مِن هذا الإنجيل الأبوكريفى المنحول حين وصف مشهد بشارة الملاك جبرائيل لمريم قال إن مريم وجدت أمامها "a young man of indescribable beauty" – أى "شاب يستحيل وصف بهائه" أو "شاب جماله يفوق الوصف"[(8556)] – وهذا يتفق إلى حد كبير مع ما قاله القرآن: "فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا" (مريم 17).

سؤال آخر: متى كُتِب إنجيل متى المنحول؟ الإجابة: هناك جدل بين العلماء حول هذا الأمر، ولكن بُناءً على الأبحاث التى قام بها العالم (J. Gijsel)، يمكننا القول إن هذا الإنجيل الأبوكريفى كُتِب باللغة اللاتينية فى الغرب فى الربع الأول مِن القرن السابع الميلادى[(8557)]، أى أنه كُتِب تقريباً فى نفس الفترة الزمنية التى كُتِب فيه القرآن. إن وجود نفس الفكرة فى القرآن وفى إنجيل متى المنحول – رغم كونهما كتابين مختلفين كُتِبا فى مكانين مختلفين بلغتين مختلفتين – يعطينا دليلاً قوياً على أن هذه الفكرة كانت تتناقلها الشعوب وتتوارثها الأجيال شفوياً إلى أن كُتِبت فى القرآن وفى إنجيل متى المنحول فى نفس الوقت تقريباً. [لتوضيح الصورة أكثر: الروايات المكتوبة فى إنجيل متى المنحول (وغيره من أناجيل الطفولة بصفة عامة) تشبه إلى حد ما الأحاديث النبوية (صحيح البخاري، صحيح مسلم ... الخ) فى كونها كُتِبت بعد وفاة محمد بقرون لكنها تروي أحداثاً يُفترض أنها حدثت فى حياة محمد، وظلت الأجيال تتوارثها شفوياً إلى أن تم تدوينها فى كتب السنة، أو هكذا يعتقد المسلمون. إذن: حين نقول إن إنجيل متى المنحول كُتِب فى الربع الأول مِن القرن السابع الميلادى، فهذا يعني أن القصص المذكورة فيه تم تأليفها قبل هذا التاريخ بعشرات أو ربما مئات السنين.]

والحقيقة أن إنجيل متى المنحول ليس الإنجيل الأبوكريفى الوحيد الذى وصف هذا المشهد بهذه الطريقة المهيبة. فنحن نجد أن الإصحاح التاسع مِن إنجيل ميلاد مريم[(8558)] حين وصف هذا المشهد قال إن الملاك جبرائيل لما جاء إلى مريم ملأ الحجرة التى كانت تمكث فيها بنور عظيم. كُتِب إنجيل ميلاد مريم أولاً باللاتينية حوالى سنة 800م، وإن كان مِن المحتمل أنه يرجع إلى القرن الخامس أو السادس بعد الميلاد[(8559)].

باختصار: يُعتَبر انتشار وصف هذا المشهد المهم بهذه الطريقة المهيبة فى أعمال مسيحية أبوكريفية وفى القرآن دليل قاطع على أنها كانت رواية شعبية تنتقل شفوياً مِن مكان إلى مكان إلى أن تم تدوينها فى عدة كتب مختلفة فى أماكن متباعدة ولكن فى أزمنة متقاربة.

كما أضاف أصحابُ القرآن إضافات أخرى تثير الدهشة والريبة أيضاً، وحرصاً على عدم الإطالة سنكتفي بمثالين فقط، الأول من الرواية المكية (سورة مريم) والثاني من الرواية المدنية (سورة آل عمران).

المثال الأول: عبارة "لَمْ أَكُ بَغِيًّا" (مريم 20) (مكية)! هل يُعقَل أن طفلة صغيرة في عُمْر مريم ونشأت نشأةً كريمة فى المحراب وتتحدث مع ملاك (أو إنسان سويّ) تقول هذا التعبير "لَمْ أَكُ بَغِيًّا" (أي: لَمْ أَكُ زانية أو عاهرة)؟! بصراحة لا يُعْقَل. ونحن نرى أن صاحب رواية سورة مريم قد أضاف كلمة "بَغِيًّا" (مريم 20) ليحافظ على سجع الآيات فقط. فلا يمكن إذن أن تكون قصة البشارة بميلاد عيسى ابن مريم قد حدثت كما رواها القرآن المكي (سورة مريم).

المثال الثاني: إضافة أخرى أضافها أصحاب القرآن هى "وَيُعَلِّمُهُ (أي: وَيُعَلِّمُ المسيحَ) الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ" (آل عمران 48) (مدنية) وكذلك فى (المائدة 110) (مدنية أيضاً). ما معنى "يُعَلِّمُهُ الْإِنْجِيلَ"؟! لم يكن هناك كتاب مكتوب اسمه الإنجيل طوال حياة المسيح على الأرض، فكيف "يُعَلِّمُهُ الْإِنْجِيلَ"؟!

المشكلة الأساسية هي أن القرآن يتعامل مع الإنجيل باعتباره كتاب أنزله اللهُ على المسيح: "آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ" (المائدة 46) (الحديد 27)! وهي بالفعل مشكلة كبيرة وقع فيها الإسلامُ، لأنه لا يوجد أي دليل كتابي ولا حتى تاريخي على أن الله "أنزلَ" على المسيح كتاباً اسمه "الإنجيل".

وهناك مشكلة أخرى: "الْإِنْجِيل" كلمة يونانية أصلاً تعني "بشارة سارة مفرحة" أو "خبر طيب" (good news) وملخصه أن يسوع الناصري هو المسيح (المسيا) ابن الله الذي يهب حياةً أبدية لكل مَن يؤمن بشخصه وأعماله وأهمها الفداء والخلاص، ثم كُتِب هذا الخبر السار في كتابٍ **بعد** صلب المسيح وموته الكَفَّاري وقيامته مِن الأموات. وكلها عقائد لا يؤمن الإسلامُ بها أصلاً، فكيف "يُعَلِّمُهُ الْإِنْجِيلَ"؟!

وهناك مشكلة ثالثة فى "وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ" (آل عمران 48). قال الطبرى فى تفسيره لهذه الآية: "وَهَذَا اِبْتِدَاء خَبَر مِنْ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لِمَرْيَمَ مَا هُوَ فَاعِل بِالْوَلَدِ الَّذِي بَشَّرَهَا بِهِ مِنْ الْكَرَامَة وَرِفْعَة الْمَنْزِلَة وَالْفَضِيلَة، فَقَالَ : كَذَلِكَ اللَّه يَخْلُق مِنْك وَلَدًا مِنْ غَيْر فَحْل وَلَا بَعْل، فَيُعَلِّمهُ الْكِتَاب، وَهُوَ الْخَطّ الَّذِي يَخُطّهُ بِيَدِهِ، وَالْحِكْمَة، وَهِيَ السُّنَّة الَّتِي نُوحِيهَا إِلَيْهِ فِي غَيْر كِتَاب، وَالتَّوْرَاة، وَهِيَ التَّوْرَاة الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى، كَانَتْ فِيهِمْ مِنْ عَهْد مُوسَى، وَالْإِنْجِيل، إِنْجِيل عِيسَى، وَلَمْ يَكُنْ قَبْله، وَلَكِنَّ اللَّه أَخْبَرَ مَرْيَم قَبْل خَلْق عِيسَى أَنَّهُ مُوحِيه إِلَيْهِ"[8560]. إذن: (آل عمران 48) جزء مِن بشارة الملاك إلى مريم قبل ميلاد المسيح. السؤال: كيف يذكر الملاكُ كلمةَ "الْإِنْجِيلَ" لمريم قبل ميلاد المسيح، أى قبل أن يكون هناك أصلاً كتاب اسمه "الْإِنْجِيل"؟! حاول الطبرى تبرير ذلك فأكمل كلامه قائلاً: "وَإِنَّمَا أَخْبَرَهَا بِذَلِكَ، فَسَمَّاهُ لَهَا؛ لِأَنَّهَا قَدْ كَانَتْ عَلِمَتْ فِيمَا نزَلَ مِنْ الْكُتُب أَنَّ اللَّه بَاعِث نَبِيًّا يُوحِى إِلَيْهِ كِتَابًا اِسْمه الْإِنْجِيل". تعليقنا: أين الدليل؟ اعطونا هذا الكتاب المنزَّل قبل ميلاد المسيح وذكر كِتَابًا اِسْمه "الْإِنْجِيلَ"! الحقيقة أننا بحثنا فى جميع أسفار العهد القديم العبري فلم نجد آيةً واحدة تذكر كِتَابًا اِسْمه "الْإِنْجِيل"! أي أن الطفلة اليهودية مريم تسمع اسمَ هذا الكتاب "الْإِنْجِيل" لأول مرة فى حياتها! فهل يُعقَل أن تسمع مريم اسمَ هذا الكتاب ولا تسأل عنه؟! ويجب هنا أن نؤكد

أنه بالطبع توجد نبوءات وبشارات في العهد القديم؛ ولقد أكَّد المسيحُ بعد قيامته من الأموات أنه حققها كلها: "وَقَالَ لَهُمْ [يسوعُ]: «هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِير (أي: في كل العهد القديم العبري بأقسامه الثلاثة)»" (لوقا 44:24). لكن الآية القرآنية (آل عمران 48) تذكر "الْإِنْجِيلَ" باعتباره كتاب مكتوب أثناء حياة المسيح على الأرض! ولا يوجد أي دليل كتابي ولا حتى تاريخي على أن الإنجيل "أُنزِل" على المسيح وكُتِبَ قبل موته وقيامته.

فكل هذه الملاحظات تؤكد أن عبارة "وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ" (آل عمران 48) ما هى إلا إضافة أضيفت على القصة **<u>بعد</u>** ظهور المسيحية وكتابة الإنجيل. فلا يمكن إذن أن تكون قصة البشارة بميلاد عيسى ابن مريم قد حدثت كما رواها القرآن المدني (سورة آل عمران).

السؤال: إذا كان القرآن أصح من الإنجيل كما يتوهم المسلمون، فأي مِن هاتين الروايتين القرآنيتين (المكية أم المدنية) هى الرواية الصحيحة؟! الإجابة: لا توجد رواية قرآنية صحيحة، فكما سبق وقلنا: لا يمكن أن تكون قصة البشارة بميلاد عيسى ابن مريم قد حدثت كما رواها القرآن المكى (سورة مريم) ولا كما رواها القرآن المدنى (سورة آل عمران) بطريقة مختلفة.

يبقى سؤال: ما هو السبب في هذه الاختلافات بين الرواية القرآنية المكية (مريم 16-22) والرواية القرآنية المدنية (آل عمران 42-49)؟! ونجد الإجابة بالتفصيل في بحث علمي نشره العالِمُ الكبير "سليمان مراد" (Prof. Suleiman A. Mourad)، وملخص هذا البحث العلمي هو أن الرواية المكية فى سورة مريم مشتقة من الإصحاح الأول لإنجيل لوقا (إنجيل قانونى) بينما الرواية المدنية فى سورة آل عمران مشتقة مِن الإصحاح الحادى عشر لإنجيل الطفولة ليعقوب (إنجيل يعقوب التمهيدي) (إنجيل غير قانونى)[8561]:

كلٌّ من *إنجيل لوقا* وسورة *مريم* يبدآن بالبشارة بيوحنّا لزكريّا، ويُثنّيان بالبشارة بيسوع لمريم.	سورة *آل عمران* و*إنجيل يعقوب التمهيدي* يُخبران عن البشارة بيسوع بعد قصة البشارة بمريم وارتبائها في الهيكل، وهذان الأمران (أي: البشارة بمريم وارتباؤها في الهيكل) غير مذكورين في *إنجيل لوقا* وسورة *مريم*.
Both the *Gospel of Luke* and sura *Maryam* start with the annunciation of John to Zechariah, followed by the annunciation of Jesus to Mary.	Sura *Al ‘Imran* and the *Protevangelium of James*, however, report the annunciation of Jesus following the story of the annunciation of Mary and her upbringing in the Temple, which are not mentioned in either the *Gospel of Luke* or sura *Maryam*.

علاوة على ذلك، في سورة *مريم وإنجيل لوقا*، يُخبر الملاكُ مريمَ أنَّها ستحبل بولدٍ؛	في حين تُخبَر مريم في سورة *آل عمران وإنجيل يعقوب التمهيدي* أنَّها ستحبل بـ كلمة الله.
Moreover, in sura *Maryam* and the *Gospel of Luke*, the angel tells Mary that she will conceive a *boy*;	whereas in sura *Al ʻImran* and the *Protevangelium of James*, Mary is told that she will conceive the *word* of God.

هذه الأشباه القريبة تُثبت أن القرآن هنا يستعير مواد قانونية ومُضافة على القانونية (أي: ومواد إضافية غير قانونية) كانت مستعملة في تيار المسيحيين الأساسي؛ كان إنجيل يعقوب التمهيدي مستخدماً كثيراً في المجموعات الليتورجيّة المسيحيّة الشرقيّة (أمّا في المسيحيّة الغربيّة – رغم تحريم هذا الكتاب – فقد أعيد عمله وظهر في صيغة *إنجيل متّى المنحول*). إنّه الإنجيل غير القانوني الأهم الذي يُزوّد بمعلومات عن حياة مريم، الإنجيل الذي هو الإلهام وراء كثير من اللوحات الجداريّة الجصيّة، والموزاييك وغير ذلك من الأعمال الفنيّة المُصوِّرة لحياتها.
These close similarities are proofs that here the Qur’ān is borrowing canonical and extracanonical material that was used by mainstream Christians; the *Protevangelium of James* was heavily used in eastern Christian liturgical collections (in western Christianity, although the text was banned, the *Protevangelium of James* was reworked in the form of the *Gospel of Pseudo-Matthew*). It is the most important noncanonical gospel to provide information about Mary’s life, thus inspiring the many frescos, mosaics and other artistic representations of her life

تعليقنا: على الرغم من عدم اتفاقنا معه في بعض التفاصيل الدقيقة (مثلاً: تفسير (مريم 16-17))، إلا أننا نتفق معه في النتيجة النهائية. حقاً، إن هذه الاختلافات بين سور القرآن هى دليل آخر يثبت أن مصادر القرآن متعددة. وهذا يثبت أيضاً أن تأليف القرآن كان عملاً جماعياً اشترك فيه أكثر من شخص: الشخص الذى قال الرواية المكية (مريم 16-22) كان متأثراً أكثر بإنجيل لوقا، والشخص الذى قال الرواية المدنية (آل عمران 42-49) كان متأثراً أكثر بإنجيل الطفولة ليعقوب. وكما لاحظنا فيما سبق، هذه القصة القرآنية القصيرة تأثرت أيضاً بتقاليد مسيحية أخرى موجودة في الدياتسرون السرياني وإنجيل متى المنحول وغيرهما؛ وكلها مصادر بشرية تؤكد أن القرآن نفسه كتاب بشري 100%.

4.58.2 الخلاصة

قصة البشارة بميلاد عيسى ابن مريم كما جاءت فى القرآن مستوحاة بشكل أساسي مِن قصة البشارة بميلاد يسوع كما جاءت فى الإصحاح الأول من إنجيل لوقا (إنجيل قانونى)، وأيضاً متأثرة بروايات مذكورة فى أناجيل أبوكريفية غير قانونية، مثل إنجيل الطفولة ليعقوب وإنجيل متى الأبوكريفى المنحول وغيرهما. ولا يهم كثيراً إذا كان القرآنُ هو الذى أخذ مِن إنجيل متى المنحول أم إنجيل متى المنحول هو الذى أخذ مِن القرآن. فمِن الواضح أن كلاهما قد أخذ مِن قصص وروايات شفوية أقدم منهما كانت ألسنة الناس تتناقلها بعد ظهور المسيحية وقبل ظهور الإسلام (أي فى القرون الستة الأولى للميلاد). وسوف نثبت فى القصة التالية (قصة "النخلة") أنه توجد مصادر مشتركة (إبراهيمية وغير إبراهيمية) للقرآن ولإنجيل متى المنحول.

نظرية "الوحي" انتهت تماماً.

نظرية "التطور البشري الطبيعي" (natural human development) وحدها هي التي تشرح كيف خرج القرآنُ العربي من رحم التراث اليهودي/المسيحي الشرقي، سواء التراث المقدس (مثلاً: إنجيل لوقا) أو التراث غير المقدس (مثلاً: أناجيل الأبوكريفا المنحولة). وهذا كله يؤكد أن القرآن كلام بشر 100%، إذ لا يُعْقَل أن يعتمد الله على أساطير وكتب أبوكريفية مزيفة حتى يعلن عن ذاته للبشرية! وبخاصة إذا كانت القصة القرآنية تحتوي على كلمات لا يُعْقَل أن الطفلة اليهودية مريم قد قالتها (مثلاً: "بَغِيًّا" (مريم 20))! ولا يُعْقَل أن الطفلة اليهودية مريم قد سمعتها (مثلاً: "الْإِنْجِيلَ" (آل عمران 48))!

4.59 أسطورة "النَّخْلَةِ" (مريم 23-26): هل لها علاقة بميلاد المسيح؟!

يُكمِل القرآنُ المكي قصةَ ميلاد المسيح عيسى ابن مريم، فيقول في سورة مريم[8562]: فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ (أي: طَلْقُ الحمل؛ ألمُ الولادة) إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (أي: يُنسى ولا يُعرف ولا يُذكر ولا يُتألم لفقده) {23} فَنَادَاهَا (قيل: نَادَاهَا عيسى؛ وقيل: نَادَاهَا جبريلُ وهو يتلقى المولود!) مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (أي: جَدْولَ ماء عذب؛ نهراً صغيراً؛ وقيل: هو عيسى السيد العظيم!) {24} وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (أي: غَضّاً طرياً طيباً آن أوان قطعه وجُنِيَ مِن ساعته) (fresh ripe-dates) {25} فَكُلِي [البلح الرطب] وَاشْرَبِي [الماء العذب] وَقَرِّي عَيْنًا (أي: وَطِيبِي نَفْسًا وَافْرَحِي؛ وقيل: نامي)ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا (وفي قراءة ابن مسعود: صَمْتاً؛ وفي قراءات قرآنية آخرى: صَوْمًا صَمْتاً، صَوْمًا وصَمْتاً[8563]) فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا {26}.

قال د. شوقي ضيف الرئيس الأسبق لمجمع اللغة العربية المصري: "وقد ولدت [مريمُ] عيسى في آخر ديسمبر أو أوائل يناير، وسقوط الرطب من النخيل في هذا التاريخ كرامة للسيدة مريم وابنها"[8564]!

تعليقنا على هذا الكلام: كعادة المفسرين المسلمين، أي حاجة مش عارفين أصلها يقولوا عليها "معجزة" أو "كرامة"! وكما سنرى بعد قليل إن وجود "النخلة" في هذه القصة القرآنية مجرد أسطورة مسيحية تُعرَف باسم "أسطورة النخلة" (Le Miracle du Palmier) (Legend of the Palm Tree)، والرواية القرآنية لهذه الأسطورة ربما نشأت بسبب فَهْم خاطئ للتراث اليهودي/المسيحي.

ولنبدأ أولاً بتحليل الأسطورة كما جاءت في الآيات القرآنية السابقة. نلاحظ أن بها عنصران أساسيان:

<u>العنصر الأول</u> هو "سَرِيًّا" (مريم 24) الذى يعني حسب ما جاء فى معظم المراجع الإسلامية: نهر أو جدول حصلت منه مريم على الماء العذب بدليل قوله "وَاشْرَبِي" (مريم 26). وقال الضحاك وغيره إن "سَرِيًّا" تعنى جدول صغير أو نهر صغير بالسريانية[8565]. لكن ذهب بعض المفسرين – كالعادة – إلى تفسير آخر قائلين إن "سَرِيًّا" هو ولدها عيسى! المشكلة الكبرى هي أن هناك مرجعان صادران من **<u>نفس</u>** الجهة (وهى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية) لكن يعطيان تفسيرين **<u>مختلفين</u>** لهذه الكلمة! فأحدهما يقول إن "سَرِيًّا" تعنى "نهراً صغيراً"[8566] أما الآخر فيقول إن "السَرىّ هو السيد" – يقصد السيد المسيح – "وليس جدول الماء"[8567]. فأيهما أصح؟! بكل تأكيد: المعنى الصحيح هو الذى قلناه وهو الذى قالته معظم المراجع الإسلامية: "نهر" أو "جدول" أو "مصدر للماء" بصفة عامة، بدليل أن معظم الترجمات الإنجليزية والفرنسية لمعانى القرآن تؤيد هذا المعنى[8568]. باختصار، لا بد أن يكون "سَرِيًّا" مصدراً للماء، وإلا لما قال "وَاشْرَبِي" (مريم 26). وإنه لمن المضحكات المبكيات أن تؤيد "نخبة من العلماء المسلمين" التفسير الآخر فى محاولة يائسة منهم للرد – بأى كلام وخلاص – على التشابه الواضح بين هذه القصة القرآنية وقصص أخرى كثيرة كما سوف نشرح بالتفصيل.

العنصر الثاني هو "النَّخْلَة" التي ذكرها القرآنُ مرتين (مريم 23، 25) مرتين بأداة التعريف: "جِذْعِ النَّخْلَةِ" (مريم 23، 25) وليس "جِذْعِ نَّخْلَةٍ"، مما يدل على "أنها كانت نخلة معروفة" كما قال الشيخ الشعراوي[8569]. وكما سنرى بعد قليل، إنها بالفعل كانت نخلة معروفة، بل إن الأسطورة كلها كانت معروفة، لكنها ليست مرتبطة بقصة ميلاد المسيح كما قال القرآن وزعم د. شوقي ضيف وغيره من المفسرين المسلمين، وإنما مرتبطة بقصة أخرى وهي قصة هروب العائلة اليهودية المقدسة (أي: الطفل يسوع ومريم ويوسف النَّجَّار) إلى مصر (The Escape of the Holy Family to Egypt). أو ما يُسمَّى بـ "رحلة العائلة المقدسة في مصر" (The Journey of The Holy Family in Egypt).

ويُفْهَم من القصة القرآنية أن مريم حصلت من تلك "النَّخْلَة" على الطعام (التمر) بدليل قوله "فَكُلِي" (مريم 26). سؤال: يزعم القرآنُ أن مريم حين كانت فى المحراب كان يأتيها رزقها مِن عند الله (آل عمران 37)، أما الآن وهى تعانى آلام المخاض والولادة يُطلَب منها أن تهز "جِذْعِ النَّخْلَةِ" حتى تحصل على الطعام! فهل هذا معقول؟! حاول بعض شيوخ الإسلام تبرير ذلك قائلين إن الحكمة مِن المجهود الذى بذلته مريم فى هز جِذْعِ النَّخْلَةِ هو أن يكون "توكل" على الله، وليس "تواكل". وهذا في رأينا تبرير ضعيف جداً، لأن مريم حصلت على الماء (السَرِيّ) دون أدنى مجهود، فهل كان هذا "تواكل"؟!

4.59.1 هل اعتمد القرآن على الإنجيل القانوني في قصة ميلاد المسيح عند "النَّخْلَة"؟

يتضح من هذا العرض الأولي أن هناك أشياء غريبة وعجيبة في هذه القصة القرآنية القصيرة تجعلنا نشك فيها. فهل هى قصة حقيقية؟ الإجابة على هذا السؤال تبدو صعبة خاصةً أن القرآن – كالعادة – لم يذكر مكان حدوث القصة، ولم يذكر هل كانت مريم بمفردها أم معها أحد.

أما إنجيل لوقا فذكر أن المخاض والولادة قد حدثا فى "بيت لحم" (Bethlehem) وكان "يوسف النَّجَّار" (Joseph the Carpenter) (Joseph le Charpentier) مع مريم؛ وهذا يبدو لنا منطقياً فلا نتصور أن تكون مريم بمفردها أثناء المخاض والولادة. وسبب رحلة مريم ويوسف إلى بيت لحم هو حدوث اكتتاب عام (أي: تعداد السكان؛ census) تطلّب سفرهما من محل إقامتهما في الناصرة إلى الموطن الأصلي لنسل داود في أرض اليهود وهو بيت لحم بجوار المدينة اليهودية المقدسة أورشليم (القدس) مدينة اليهود[8570]. وهي مسافة طويلة جداً **[⟵ "مَكَانًا قَصِيًّا (أي: بعيداً)" (مريم 22)]** ورحلة شاقة إذ كانت الصبية مريم (16 سنة) حُبْلَى في شهرها التاسع! ...

(لوقا 2): {1} وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ [الإمبراطور الروماني الوثني] أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ (Caesar Augustus) بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ (قيل: كل الإمبراطورية الرومانية[8571]؛ وقيل: كل أرض اليهود). {2} وَهذَا الاكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ (Quirinius) وَالِيَ سُورِيَّةَ [الكبرى التي

تشمل الشام وأرض إسرائيل المحتلة] (عهده: حوالي 6-4 ق.م؛ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ هِيرُودُس الكبير حاكم أرض اليهود المقدسة). {3} فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ [الأصلية] (أي: موطن عشيرته). {4} فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، {5} لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. {6} وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ [يسوعَ][8572]. {7} فَوَلَدَتِ [مَرْيَمُ يسوعَ] ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ (أي: لفته ببعض الأقمشة) وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ (manger) (أي: حظيرة للبهائم؛ مغارة أو كهف يُستخدم كمعلف لإطعام الماشية)، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ (أي: في اللوكاندة أو الفندق المتواضع inn الذي أرادا أن ينزلا فيه، لكن بسبب فقرهما و/أو شدة الزحام أيام الاكتتاب لم يجدا لهما موضعاً فيه).

سؤال: متى وُلِدَ يسوع المسيح؟ الإجابة: "سنة ولادة المسيح لا يمكن معرفتها بالتأكيد، ولكنها على الأرجح لم تكن قبل سنة 6 ق م، وأكيد ليس بعد سنة 4 ق م"[8573]. وتقول دائرة المعارف الكتابية: "وُلِدَ الرب يسوع قبيل موت الملك هِيرُودُس الكبير في 4 ق.م. (متى 2:1، 2:13-15)، ولا يمكن تحديد التاريخ بدقة أكبر"[8574]. ويقول قاموس الكتاب المقدس إن "ميلاد المسيح تمّ إما في أواخر سنة 5 ق.م. أو في أوائل سنة 4 ق.م. أما الاحتفال بميلاد المسيح في الخامس والعشرين من ديسمبر فقد بدأ في القرن الرابع الميلادي. ولذا فربما كان ميلاد المسيح في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام 5 ق.م."[8575]. وفي نفس السياق، يقول الأب متى المسكين: "[...] فهذا يجعل ميلاد المسيح بصورة شبه مؤكَّدة سنة 5 ق.م. [...] فيكون ميلاد المسيح تمَّ (في شتاء) سنة 5 ق.م. [...] ويؤكِّد لنا أن ميلاده تمَّ سنة 5 ق.م. ويرجّح أنه كان 25 ديسمبر"[8576].

إذن: مشهد ميلاد المسيح يسوع حسب الإنجيل يختلف تماماً عن مشهد ميلاد المسيح عيسى حسب القرآن. بل ليس من المبالغة أن نقول إن قصة ميلاد المسيح عيسى عند "النَّخْلَة" (مريم 23، 25) لم تعتمد على قصة ميلاد المسيح يسوع فِي مِذْوَد في بَيْت لَحْمٍ مَدِينَةِ دَاوُدَ اليهودية (لوقا 2:4-7).

وتكملة القصة في إنجيل لوقا تؤكد أنه مر 40 يوم على الأقل بعد ميلاد يسوع المسيح وقبل رحلة العائلة اليهودية المقدسة إلى مصر.

التزام مريم بالشريعة اليهودية فيما يتعلق بالختان والتطهير والذبيحة يؤكد أن يسوع وُلِدَ في أسرة يهودية متدينة وملتزمة وتربّى تربيةً يهودية خالصة. (لوقا 2): {21} وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ. {22} وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا (أي: بعد ميلاد يسوع المسيح بـ 40 يوماً)، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى (يقصد: اللاويين 12)، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، {23} كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا (holy) لِلرَّبِّ (أي: مقدساً ومكرساً لله). {24} وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ.

(لوقا 2): {39} وَلَمَّا أَكْمَلُوا كُلَّ شَيْءٍ [في أورشليم] حَسَبَ نَامُوسِ الرَّبِّ، [هربوا أولاً من الأرض الْيَهُودِيَّةِ المقدسة إلى مصر ثم] رَجَعُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمُ النَّاصِرَةِ. {40} وَكَانَ الصَّبِيُّ [يسوع] يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ[8577] **[← "وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ" (البقرة 87، 253)]**، مُمْتَلِئًا حِكْمَةً **[← "وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (آل عمران 48)]**، وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ **[← "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ [...] إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ (Spirit of the Holy) (بالعبرية: ruaḥ ha-kōdeš)[8578] [...] وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (المائدة 110)]**. {41} وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ (أي: يأخذانه) كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ (Passover) [لأداء فريضة الحج اليهودي إِلَى أُورُشَلِيمَ].

ملحوظة: ذهاب الطفل الإسرائيلي اليهودي يسوع مع أمه الإسرائيلية اليهودية مريم العذراء وزوجها الإسرائيلي اليهودي يوسف النجار كل سنة إِلَى أُورُشَلِيمَ لأداء فريضة الحج اليهودي فِي عِيدِ الْفِصْحِ حسب التوراة (الخروج 23:14-19) (الخروج 34:18-23) (التثنية 16:1-17) يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن يسوع وُلِدَ في أسرة إسرائيلية يهودية متدينة جداً وملتزمة جداً وتربَّى تربيةً إسرائيلية يهودية خالصة 100%. وإنجيل لوقا بالذات يركز تركيزاً واضحاً على هذه الحقيقة التي يتجاهلها كثيرٌ من المسلمين والمسيحيين العرب! يهودية يسوع المسيح (The Jewishness of Jesus Christ) حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها وحقيقة كتابية يجب عدم تجاهلها؛ فيكفيك أن تقرأ (لوقا 1-2). فهل كراهية العرب لبَنِي صِهْيَوْنَ بسبب قيام دولة إسرائيل (أو بالأحرى: إعادة قيامها) كوطن قومي لليهود هو الذي جعلهم يتجاهلون يهودية يسوع وجنسيته الإسرائيلية؟ ربما. لكن ينبغي ألا تؤثر الصراعات السياسية على الحقائق التاريخية والمعتقدات الدينية. فالوقوع في فخ إنكار يهودية يسوع وجنسيته الإسرائيلية سيؤدي حتماً إلى إنكار كونه "مَلِك اليهود" و "مَلِك إسرائيل"، وهذا الإنكار سيتعارض مع آيات إنجيلية كثيرة تؤكد أن "يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ" (يوحنا 19:19) و "الْمَسِيحُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ" (مرقس 15:32) "فَكَانَ هذَا كُلُّهُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «قُولُوا لابْنَةِ صِهْيَوْنَ: هُوَذَا [يَسُوعُ الْمَسِيحُ] مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعًا" (متى 21:4-5) وآيات أخرى كثيرة. نعم، إنكار يهودية يسوع فخ. وكذلك الزعم أن يسوع كان فلسطينياً فخ. ويجب على المسيحيين العرب أن ينتبهوا جيداً إلى أن الوقوع في فخ إنكار يهودية يسوع المسيح سيؤدي حتماً إلى إنكار كونه الفادي الذي أرسله الله من أجل خلاص العالم كله. فعندما قالت المرأة السامرية ليسوع: "أَنْتَ يَهُودِيٌّ" (يوحنا 4:9)، لم ينزعج يسوع ولم ينكر كونه يهودياً. بالعكس، أقر واعترف بأنه يهودي، بل أقر واعترف بأنه المخلِّص اليهودي، فقال للمرأة السامرية: "أَنْتُمْ [السامريون] تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ [اليهود] فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ. لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ" (يوحنا 4:22)، وانتهت القصة بإيمان كثير من السامريين بأن يسوع اليهودي "هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ" (يوحنا 4:42). إذن: كل آيات الإنجيل تؤكد يهودية يسوع المسيح؛ ويكفيك أن تقرأ (لوقا 1-2) كما قلنا.

مما سبق يتضح أن إنجيل لوقا لم يقل شيئاً عن النخلة والرطب والماء (السَرِيّ) ... الخ! فكما قلنا فيما سبق: أسطورة "النخلة" ليس لها علاقة بقصة ميلاد المسيح، وإنما لها علاقة بقصة هروب العائلة اليهودية المقدسة (أي: الطفل الرضيع يسوع ومريم ويوسف النَّجَّار) إلى مصر (La Fuite en Égypte). وقصة هروب العائلة اليهودية المقدسة إلى مصر ليس لها وجود إلا في إنجيل متى فقط. ثلاث آيات فقط ... في إنجيل متى دون غيره من الأناجيل القانونية، بل دون غيره من أسفار العهد الجديد! ...

الهروب إلى مصر. (متى 2): {13} [...] مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ [يسوع] وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ (باليونانية: Aiguptos)، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ». {14} فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. {15} وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ [ثم عَادَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ]. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي».

سؤال: كم يوم ظلت العائلة اليهودية المقدسة في مصر؟ الإجابة: "الفترة التي قضاها الطفل يسوع وأبواه في مصر فهي غير معروفة"[(8579)]. قيل إن العائلة اليهودية المقدسة "مكثت هناك حوالي سنتين حتى مات هِيرُودُس"[(8580)]! أما نحن فنرى أن هذا خطأ كبير ومبالغة جسيمة ومستبعدة جداً. لأن المسيح وُلِدَ 25 ديسمبر 5 ق.م. في بيت لحم كما قلنا. وبعد ميلاده بـ 40 يوماً (يعني: 25 ديسمبر 5 ق.م + 40 يوم = 3 فبراير 4 ق.م) "صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ" (لوقا 22:2). وبعد ذلك هربوا إلى مصر وظلوا "هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ" (متى 15:2). ويقول الأب متى المسكين إننا "نعلم أن هِيرُودُس [...] مات بالتحقيق بعد خسوف القمر الذي كان بحسب الأرصاد الدقيقة في 12 أو 13 مارس سنة 4 ق.م"[(8581)]. وبما أننا نفهم من إنجيل متى أن العائلة اليهودية المقدسة رجعت إلى أرض إسرائيل بعد موت هِيرُودُس مباشرةً: "فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ». فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ" (متى 2:19-21). إذن: يوسف النجار الرجل اليهودي المتدين الملتزم أطاع أمرَ الله فوراً وغادر مصر مع مريم والطفل يسوع؛ مما يعني أن العائلة اليهودية المقدسة ظلت في مصر من 3 فبراير 4 ق.م. إلى 13 مارس 4 ق.م، أي: حوالي 40 يوماً أو 6 أسابيع. يعني: ظل الطفل الرضيع يسوع في مصر حوالي 40 يوماً كما ظل بنو إسرائيل في مصر حوالي "400 سنة" (التكوين 13:15) (أعمال الرسل 6:7)، وخرج من مصر في الربيع كما خرج بنو إسرائيل من مصر في الربيع في عيد الفصح (Passover)، ولذلك قال إنجيل متى: "لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي [شعب إسرائيل في العهد القديم / الإنسان الإسرائيلي اليهودي يسوع في العهد الجديد]»" (متى 15:2). ولذلك فإننا نتفق مع الأب متى المسكين حين يقول: "ولم تَدُمْ إقامة المسيح في مصر كثيراً بعكس كل الظنون، لأن هيرودس مات بعد ذلك بقليل"[(8582)]. ونتفق أيضاً مع جون ماك آرثر حين يقول تعليقاً على "وَفَاةِ هِيرُودُسَ" (متى 15:2): "تضع الدراسة الحديثة هذا التاريخ في السنة الرابعة 4 ق م. فمن الممكن أن الإقامة (أي: إقامة المسيح) في مصر

كانت قصيرة جداً، ربَّما لم تَتَعَدَّ بضعة أسابيع"[8583]. ومِن الجدير بالذكر أن الجالية اليهودية التي استضافت الطفلَ يسوع في مصر كانت كبيرة وثرية[8584]. "هذه الجالية سنة 40م كانت تقدَّر بنحو مليون يهودي"[8585].

بضعة أسابيع فقط وبضعة آيات فقط في إنجيل متى فقط! ومع ذلك، خرجت من رحمها أساطير مسيحية (قبطية؟) كثيرة في القرون الأولى للميلاد، مِن بينها الأساطير الطويلة المضحكة التي انتشرت تحت مظلة ما يُسمَّى "مسار العائلة المقدسة في مصر" من سيناء إلى دلتا النيل إلى المطرية إلى أسيوط في الصعيد! ومن المحتمل جداً أن تكون هذه الأساطير المسيحية قد نشأت بحُسْن نية لتكون بديلاً لأساطير وثنية مماثلة مرتبطة بشجرة معينة قيل إنها تشفي المرضى أو عين ماء معين قيل إنه يجعل المرأة العاقر تلد. أما الآن في القرن الحادي والعشرين وفي عصر العلم والتفكير العقلاني المنضبط، فلا يليق بنا أن نردد تلك الأساطير الشرقية القديمة. فلقد أدت دورها وحققت هدفها واستطاعت أن تحل محل الأساطير الوثنية، بل استطاعت المسيحية أن تحل محل الوثنية نفسها.

ومِن بين الأساطير المسيحية التي نشأت حول قصة هروب العائلة اليهودية المقدسة إلى مصر: أسطورة "النخلة" (Legend of the Palm Tree) المذكورة في القرآن؛ لكن القرآن وضعها في قصة ميلاد المسيح (مريم 23-26)! ربما بسبب فَهْم خاطئ للتراث اليهودي/المسيحي. فلقد ارتبطت النخلة بخروج بني إسرائيل من مصر في الربيع في عيد الفصح، وفي طريق خروجهم كان "هُنَاكَ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ **[⟵ "سَرِيًّا" (مريم 24)]** وَسَبْعُونَ نَخْلَةً (palm tree) **[⟵ "النَّخْلَةِ [...] النَّخْلَةِ" (مريم 23، 25)]**. فَنَزَلُوا هُنَاكَ عِنْدَ الْمَاءِ" (الخروج 15:27). كما ارتبط النخل أكثر بدخول المَلِك المنتصر يسوع المسيح إلى أورشليم في الربيع قبل عيد الفصح بأسبوع: "سَمِعَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْعِيدِ (أي: عيد الفصح) أَنَّ يَسُوعَ آتٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ، فَأَخَذُوا سُعُوفَ النَّخْلِ (palm branches) وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، وَكَانُوا يَصْرُخُونَ: «أُوصَنَّا (Hosanna؛ أي: خَلِّصْ؛ أَنْقِذْ)! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!»" (يوحنا 12:12-13). وإلى يومنا هذا، "تعيد الكنيسة في ذلك اليوم (أي: قبل عيد القيامة المجيد بأسبوع) وتسميه أحد السعف (Palm Sunday)"[8586]. وهو دائماً يأتي في الربيع قبل عيد قيامة المسيح بأسبوع، وليس في الشتاء مع عيد ميلاد المسيح.

وسنعلم بعد قليل سبب هذا الفَهْم الخاطئ الذي وقع فيه أصحابُ القرآن حين وضعوا أسطورةَ النخلة في قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم (مريم 23-26)! وسنكتفي هنا بأن نؤكد على أن إنجيل متى القانوني (Gospel of Matthew) لم يقل شيئاً عن أسطورة النخلة والرطب والماء (السَريّ) ... الخ، لا في قصة ميلاد المسيح ولا حتى في قصة الهروب إلى مصر. فهذه الأسطورة موجودة في إنجيل متى المنحول (Gospel of Pseudo-Matthew) وليس إنجيل متى القانوني.

باختصار: لم تقل الأناجيل القانونية – ولا العهد الجديد كله – شيئاً عن أسطورة النخلة والرطب والماء (السَريّ) ... الخ! فهل هذه الأحداث حدثت بالفعل كما رواها القرآن؟ السؤال لا يزال مطروحاً والإجابة لا

تزال صعبة، فالقرآن لم يذكر اسم هذا النهر أو الجدول (السَريّ)! فما اسمه؟ وأين هو؟ وهل لا يزال موجوداً إلى اليوم؟! ولم يذكر اسم هذا المُنادي الذى "نَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا" (مريم 24)؛ ومما يزيد الأمور تعقيداً أن بسبب اختلاف علامات التشكيل، اختلفت القراءات فى هذه الآية: بكسر الميم "مِنْ"؟ أم بفتحها "فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتِهَا"[8587]؟ واختلف المفسرون أيضاً فى تفسير هذه الآية: فمنهم مَن قال إن الذى نادى مريم هو ولدها عيسى (بعد ولادته مباشرةً!)، ومنهم مَن قال إن الذى ناداها هو جبريل، ومنهم مَن ذكر الرأيين وإن أيد أحدهما. وسوف نعلم بعد قليل حين نذكر مصادر هذه القصة القرآنية أننا نجد فى أحد هذه المصادر أن الذى نادى هو يسوع **[← عيسى]**، وفى اثنين من هذه المصادر نجد أن الذى نادى هو ملاك الله أو ملاك الرب **[← جبريل]**!

إذن: تعدد المصادر البشرية للقرآن أدى في النهاية إلى تعدد آراء المفسرين المسلمين. نتيجة طبيعية وحتمية. فكل مفسر رجع – بوعي أو بدون وعي – إلى مصدر معين من مصادر القرآن.

4.59.2 مصادر القرآن من أناجيل الأبوكريفا المنحولة المزورة المزيفة

يقول العالم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) تعليقاً على القرآن (مريم 16-26)[8588]:

The Qurʾān here (cf. [آل عمران 45-47]; [المائدة 110]) describes the birth of Jesus in a way that contrasts with the canonical Gospels but is closely related to two apocryphal Gospels. The first is the *Protoevangelium of James*, which (like the Qurʾān in [مريم 22]) places the birth of Christ in a remote place:

[…]

The second is the *Gospel of Pseudo-Matthew* (a Latin text likely dating from the early seventh century, dependent on earlier traditions) which describes a miracle involving a palm tree and a spring, and Jesus' speaking as an infant (cf. [مريم 24-27]; cf. [مريم 30-33]; [آل عمران 46]; and commentary on [آل عمران 45-47]; the miracle of the palm tree [more precisely: Tree Persis, which worshipped Christ in Egypt] is already mentioned by Sozomen [d. 450]: *Ecclesiastical History* 5:21). However, the *Gospel of Pseudo-Matthew* makes these miracles part of the flight of the Holy Family to Egypt:

[...]

وبما أننا تحدثنا كثيراً فيما سبق عن تأثير إنجيل يعقوب الأبوكريفي المنحول على القرآن، فدعونا الآن نتحدث عن تأثير إنجيل متى الأبوكريفي المنحول (Gospel of Pseudo-Matthew) على القرآن ...

4.59.2.1 مصادر القرآن من إنجيل متى الأبوكريفي المنحول

أسطورة "النخلة" (Legend of the Palm Tree) (Le Miracle du Palmier): نبدأ أولاً بالإصحاح العشرين مِن إنجيل متى المنحول حيث نجد نفس المشهد القرآني بنفس العنصرين (النخلة والماء) لكنه مذكور كما قلنا أثناء هروب العائلة اليهودية المقدسة (مريم ويوسف والطفل يسوع) إلى مصر **[← جعل القرآنُ مريمَ تهرب أثناء الحمل: "فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (أي: بعيداً)" (مريم 22)]**. وتقول الأسطورة كما رواها هذا الإنجيل الأبوكريفي المزيف إن مريم كانت متعبة مِن حرارة الشمس الزائدة فى البَرّيَّةِ (wilderness)، فأرادت أن تستريح قليلاً تحت ظل نخلة (palm tree) **[← جعل القرآنُ مريمَ تلجأ إلى النخلة أثناء المخاض: "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ" (مريم 23)]**. نظرت مريم إلى النخلة فوجدتها مليئة بالثمار، فقالت ليوسف إنها تريد أن تأكل من هذه الثمار **[← "رُطَبًا جَنِيًّا" (مريم 25)]**، فأجابها يوسف أن النخلة عالية ومرتفعة وأنه يفكر أكثر فى الحاجة إلى الماء للشرب لأن جلودهم قد جفت من العطش. سمع الطفلُ يسوع هذا الحوار وأدرك حاجتهما إلى الأكل والشرب، فتكلّم يسوعُ وهو لا يزال طفلاً صغيراً جداً (رضيعاً) **[← "فِي الْمَهْدِ" (آل عمران 46) (المائدة 110) (مريم 29)]** وأمر النخلةَ **[← "فَنَادَاهَا [عيسى] مِن تَحْتِهَا" (مريم 24)]** أن تنحني حتى تُطعِم أمه مريم من ثمارها **[← "وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا" (مريم 25)]**! بالفعل، انحنت النخلة فأكلت مريم **[← "فَكُلِي" (مريم 26)]** وأكلوا كلهم من ثمار النخلة **[← "رُطَبًا جَنِيًّا" (مريم 25)]**! ثم أمر يسوعُ النخلةَ أن تستقيم وترتفع قائلاً: "انهضي، أيتها النخلة، وكوني رفيقة أشجاري التي في فردوس أبي"[8589]! كما أمر يسوعُ النخلةَ أن تُفجِّر الماءَ من جذورها حتى يطفئوا ظمأهم. بالفعل، ارتفعت النخلة وتفجَّرت من تحتها ينابيع ماء عذب **[← "قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (أي: جَدْولَ ماء عذب؛ نهراً صغيراً)" (مريم 24)]**. فشربت مريمُ **[← "وَاشْرَبِي" (مريم 26)]** وشربوا جميعاً وابتهجوا بفرح عظيم **[← "وَقَرِّي عَيْنًا (أي: وَطِيبِي نَفْساً وَافْرَحِي)" (مريم 26)]**.

النص كما جاء في الإصحاح العشرين مِن إنجيل متى الأبوكريفي المنحول[8590]:

النخلة تنحني لمريم وانبثاق نبع ماء
وحدث في اليوم الثالث من المسير [إلى مصر]، تعبت مريم في الصحراء بسبب حرارة الشمس الشديدة جداً. فقالت ليوسف، وقد رأت نخلة: "دعني أرتاح قليلاً في ظل هذه النخلة". فسارع يوسف إلى اقتيادها

إلى جوار النخلة، وأنزلها عن دابَّتها، وألقت مريم نظرها على رأس النخلة، وقد جلست وإذ رأته ممتلئاً ثمراً، قالت ليوسف: "أريد، إن كان ذلك ممكناً، في الحصول على بعض ثمار تلك النخلة". فقال لها يوسف: "استغرب كيف يمكنك الكلام هكذا، فأنت ترين كم سعف هذه النخلة عالياً. أما أنا، فقلق جداً بسبب الماء، لأن جلودنا جفت الآن وليس لدينا شيء لنشرب منه نحن وأبقارنا". عندها قال الطفل يسوع الذي كان في ذراعي العذراء مريم، أمه، للنخلة: "أيتها النخلة، إحني أغصانك، وأطعمي أمي من ثمارك". فأحنت النخلة على الفور، لصوته، رأسَها حتى قَدَمَيْ مريم، وجمعوا منها الثمار التي كانت تحملها، وأكلوا منها كلهم. وظلت النخلة منحنيةً، منتظرةً أمر الذي لصوته انخفضت، لتنهض. عندها قال لها يسوع: "انهضي، أيتها النخلة، وكوني رفيقة أشجاري التي في فردوس أبي. وليتفجر من جذورك نبع مخبأ في الأرض وليزودنا بالماء الضروري لإرواء عطشنا". وعلى الفور نهضت الشجرة، وبدأت تتفجَّر من بين جذورها ينابيع ماء صاف جداً ومنعش جداً وذي لطافة شديدة. وكلهم، إذ رأوا تلك الينابيع، امتلأوا فرحاً، وارتووا مسبِّحين الله، وأسكنت الحيوانات أيضاً عطشها.
The Miracle of the Palm Tree […] Mary was weary from too much sun in the wilderness, and seeing a palm tree she wanted to rest awhile in its shade. Joseph hastened to lead her to the palm and he had her descend from the donkey. When Mary sat down, she looked to the foliage on the palm and saw that it was full of fruit, and she said, “If only I could get some of that fruit from the palm!” Joseph said to her, “I am surprised that you’re saying this, when you can see how high the palm is. You are thinking of the fruit of the palm; but I am thinking about the water that we no longer have in our water skins; we have nowhere to replenish them to quench our thirst.” Then the young child Jesus, sitting in the lap of his mother, the virgin, cried out to the palm tree and said, “Bend down, O tree, and refresh my mother from your fruit.” Immediately when he spoke, the palm tree bent its top down to Mary’s feet. Everyone gathered the fruit in it and was refreshed. […] Then Jesus said to it, “Stand erect, O palm, and be strong, and become a companion of my trees that are in the paradise of my Father. And open up from your fruits the hidden springs, that water may flow from them to quench our thirst.” Immediately the palm stood erect, and from its

roots springs of water began to come forth, clear, cold, and very sweet. When they saw the springs of water flowing, they all rejoiced with a great joy and drank, together with their beasts and companions, giving thanks to God.

مما سبق يتضح لكل إنسان عاقل أن الأسطورة القرآنية (مريم 23-26) مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) للأسطورة الأبوكريفية المذكورة في الفصل العشرين من إنجيل متى المنحول المزيف المزور، على الأقل فيما يتعلق بالنخلة والرطب والماء (السَريّ). أي: (إنجيل متى المنحول 20) **[⟵ القرآن (مريم 23-26)]**.

حقاً، لولا التراث المسيحي لمَا استطاع العربُ أن ينتجوا القرآنَ.

وكما قلنا مِن قبل: وجود القصة فى القرآن وفى إنجيل متى المنحول – على الرغم من كونهما كتابين مختلفين كُتِبا فى مكانين مختلفين بلغتين مختلفتين – يعطي دليلاً قوياً يؤكد أنها قصة شعبية (folktale) معروفة كانت تتناقلها الشعوب وتتوارثها الأجيال شفوياً إلى أن كُتِبت فى نفس الوقت تقريباً فى القرآن وفى إنجيل متى المنحول. بعبارة أخرى: حتى إذا تراجعنا عن أن القرآن (مريم 23-26) تطور بشري طبيعي لإنجيل متى المنحول. فإننا لن نتراجع عن وجود مصدر "س" مشتركاً لهما. أي: س **[⟵ (إنجيل متى المنحول 20)]**؛ س **[⟵ القرآن (مريم 23-26)]**. وقد يكون س شفوياً و/أو مكتوباً.

وكالعادة، توجد بعض الاختلافات الطفيفة فى التفاصيل بين الأسطورة الأبوكريفية والأسطورة القرآنية. على سبيل المثال: غياب يوسف النجار من الأسطورة القرآنية. لكن هذا أمر طبيعي لأن شخصية "يوسف النَّجَّار" ليس لها أصلاً أي وجود في القرآن[8591]، فلم يكن من الممكن أن يضع أصحابُ القرآن يوسفَ في هذه القصة، مما أدى في نهاية الأمر إلى أن القرآن ذكر القصةَ بطريقة غير منطقية وغير معقولة، لأنه – كما قلنا – لا يمكن أن نتصور أن الفتاة العذراء مريم كانت بمفردها أثناء المخاض والولادة!

4.59.2.2 لماذا نقل القرآنُ "النَّخْلَة" (مريم 23، 25) من مصر إلى إسرائيل/فلسطين؟!

أما أوضح اختلاف بين الأسطورة الأبوكريفية والأسطورة القرآنية فهو: الأسطورة فى إنجيل متى المنحول حدثت فى طريق هروب العائلة اليهودية المقدسة (أى: الطفل يسوع ومريم ويوسف النجار) إلى مصر، أما أصحاب القرآن فوضعوا الأسطورةَ أثناء المخاض والولادة! ولا ندري إذا كان أصحاب القرآن قد فعلوا ذلك بقصد أم بدون قصد. لكن أغلب الظن أنهم فعلوا ذلك بدون قصد، ربما بسبب فَهْم خاطئ للتراث اليهودي/المسيحي. فَمِن المعلوم أن الكنائس المسيحية تمتلئ بأيقونات ورسومات ولوحات واحتفالات

وليتورجيا تعبر عن مشاهد من حياة يسوع المسيح كالميلاد والهروب إلى مصر والمعمودية والمعجزات والمواعظ والصلب والقيامة ... الخ. وقد تضيف هذه الإبداعات الفنية والطقوس الدينية في بعض الكنائس بعضَ التفاصيل غير الموجودة في الأناجيل القانونية، كمشهد "النخلة" مثلاً. وتوجد كنيسة بيزنطية أنشئت في القرن الخامس الميلادي في ضواحي أورشليم اسمها "كنيسة كرسي مريم" أو "كنيسة كرسي والدة الإله" (Kathisma of the Theotokos) (Seat of the God-Bearer) وتحيي ذكرى ميلاد المسيح وتحيي أيضاً ذكرى معجزة النخلة ونبع الماء التي يُقال إنها حدثت أثناء هروب العائلة اليهودية المقدسة إلى مصر؛ وكأن العائلة اليهودية المقدسة قد مَرَّت على موقع تلك الكنيسة أثناء الهروب إلى مصر[8592]. فيبدو أن صاحب القصة القرآنية (مريم 23-26) قد سمع هذا التقليد المسيحي الفلسطيني غير الكتابي مِن الحجاج المسيحيين الذين يذهبون إلى أورشليم كل سنة في فترة عيد القيامة/الفصح، فظنَّ أن هذين الحدثين (أي: ميلاد المسيح ومعجزة النخلة ونبع الماء) ينتميان إلى نفس القصة وهي قصة ميلاد المسيح، وتوهَّم أنهما حدثا في نفس اليوم وهو يوم ميلاد المسيح، ولم يفهم أن هذين المشهدين بينهما 40 يوماً على الأقل حسب شريعة مريم اليهودية كما شرحنا فيما سبق (لوقا 2:22). فنقل صاحبُ (مريم 23-26) النخلةَ ونبعَ الماء (سَرِيًّا) من قصة هروب العائلة اليهودية المقدسة في مصر إلى قصة ميلاد المسيح في بيت لحم بالقرب من أورشليم. وساعده على ذلك أن قصة هروب العائلة اليهودية المقدسة في مصر غير مذكورة أصلاً في القرآن. وربما ساعده على ذلك أيضاً التراثُ العربي/الإسلامي الذي يقول إن معجزة "بئر زمزم" حدثت في مكة التي صارت فيما بعد موقع ميلاد محمد ومركز الحج العربي/الإسلامي. فلا بد – حسب فَهْمِه الخاطئ أو خياله الواسع – أن تكون معجزة نبع الماء (سَرِيًّا) حدثت في أورشليم أو بالقرب منها حيث وُلِدَ المسيح وحيث يقع مركز الحج اليهودي/المسيحي.

باختصار: التقليد المسيحي المتعلق بميلاد المسيح ترتبط أحداثه (كالملائكة والكهف أو المزود مثلاً) ببيت لحم بالقرب من أورشليم. أما التقليد المسيحي المتعلق بهروب العائلة اليهودية المقدسة إلى مصر فترتبط أحداثه (كالنخلة ونبع الماء مثلاً) بمصر بعد ميلاد المسيح بأربعين يوماً على الأقل. في القرن السادس الميلادي، حدثت عملية دَمْج أو جَمْع (conflation) لهذين التقليدين المسيحيين المستقلين في كنيسة بيزنطية واحدة هي كنيسة كاثيسما **[← ثم في القرن السابع الميلادي، تكررت عملية الدَمْج/الجَمْع في قصة قرآنية واحدة هي (مريم 23-26)[8593]]**. وأعطى صاحبُ القصة القرآنية البطولةَ المطلقة لمريم لأن السورة القرآنية تحمل اسمها، وكذلك الكنيسة البيزنطية تحمل اسمها وتسعى إلى تعظيمها؛ وبخاصة أن الكنيسة أنشئت في القرن الخامس الميلادي أي في الفترة التي حرص فيها المسيحيون المثلِّثون على تعظيم مريم إلى درجة وصفها كثيراً بعبارة "أمّ الله" أو "والدة الإله" (Theotokos) كرد فعل قوي للنساطرة الذين رفضوا هذا الوصف غير الكتابي لأنه يعني أن المسيح إله حتى وهو جنين في بطن أمه مريم! بل قد يؤدي في النهاية إلى تأليه مريم أيضاً[8594].

يقول الأستاذ الجامعي (Assistant Professor Mun'im Sirry) تعليقاً على هذين التقليدين المسيحيين اللذين ظهرا في القرآن[8595]:

The passage under discussion [آل عمران 33-63] offers a detailed account of not only the birth narratives of the Christian gospels, including Mary's virginity and events of the Announcement, but also several miracles of Jesus, including those which are not mentioned in the canonical gospels. These Qurʾānic accounts, along with [مريم 22-27], have puzzled scholars as they are quite different from the traditional Christian accounts found in the Gospels according to Matthew and Luke. While this difference has often been explained by Western scholars such that the Qurʾān depends on non-canonical gospels, i.e., apocryphal Christian sources, though they have disagreed from which non-canonical gospels the Qurʾān most likely borrows, Muslim scholars contend that the Qurʾān preserves the authentic account of the narrative, and hence its independence from Jewish and Christian sources. One of the puzzling issues facing critical scholars is that the Qurʾān seems to combine in its account different narratives of Mary and Jesus found in distinct Christian apocryphal traditions. According to Stephen J. Schoemaker, this "mixture of two otherwise independent early Christian traditions" can be traced to the church of the "Kathisma of the Theotokos" (the Seat of the God-Bearer), recently discovered in between Jerusalem and Bethlehem. This leads Schoemaker to conclude that "the Kathisma's peculiar combination of the traditions of Christ's Nativity and Mary's encounter with the Palm have generated the Qurʾān's unique account of Jesus' birth" (2003: 38). Not only is Schoemaker content with the "Christian influence on the Qurʾān" argument but also with the hypothesis that the Qurʾān did not originate in the Ḥiğāz. Many such arguments have been subject to critical scrutiny.

تعليقنا: نحن نتفق معه في أن تأثير كنيسة كاثيسما على القرآن يحتاج مزيداً من الفحص، ونتفق معه أيضاً في أن قضية نشأة القرآن/الإسلام في الشام/فلسطين وليس في الحجاز تحتاج أيضاً مزيداً من الفحص. أما مسألة تأثير التراث اليهودي/المسيحي على القرآن، فلا تحتاج مزيداً من الفحص. إنها حقيقة مؤكدة 100%. باعتراف القرآن نفسه: "مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" (آل عمران 3) (المائدة 48) (فاطر 31) "مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ" (البقرة 91). والمسلمون أنفسهم يؤمنون بذلك، لكنهم يقولون (1) إن القرآن يصدِّق التوراة "الصحيحة" والإنجيل "الصحيح"؛ (2) ومحمد لم يكن يقرأ التوراةَ ولا الإنجيل وإنما أوحى اللهُ إليه. أما نحن فنقول لهم: لا. لا. ...

(1) أصحاب القرآن أخذوا عناصر كثيرة ومتنوعة من التراث اليهودي/المسيحي الشرقي بصفة عامة، سواء الأسفار المقدسة (مثلاً: إنجيل لوقا في قصة البشارة بميلاد يسوع المسيح) أو الأسفار غير المقدسة (مثلاً: أناجيل الأبوكريفا في قصة ميلاد يسوع المسيح).

(2) أصحاب القرآن كانوا على دراية جيدة بالتوراة والإنجيل والتراث اليهودي/المسيحي الشرقي بصفة عامة، وإنْ أخطأوا أحياناً في فَهْم بعض الأمور بقصد أو بدون قصد. أما محمد، فلا نريد أصلاً أن نتحدث عنه لأنه لا يوجد أي دليل علمي يربط بين محمد والقرآن، فلا توجد نسخة كاملة – ولا حتى شبه كاملة – من القرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد. ولن توجد.

وكما نقول دائماً: لم يكن أصحابُ القرآن محتاجين أن يقرأوا الأناجيل الأبوكريفية ولا حتى الأناجيل القانونية، فيكفيهم ما كانوا يرونه بأعينهم ويسمعونه بآذانهم من أهل الكتاب المنتشرين في الشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي، أو من المسيحيين الشوام والفلسطينيين الذين انضموا إلى دين العرب الجديد (الإسلام). فهذا يكفي – بل يكفي جداً – لإنتاج كتاب مثل القرآن يجمع بين عناصر من الكتب المقدسة وعناصر أخرى من الكتب غير المقدسة. وأحياناً يدمج القرآنُ بين مشهدين مستقلين أو قصتين مستقلتين في قصة قرآنية واحدة، ولقد رأينا فيما سبق أمثلة كثيرة على ذلك، مثلاً: فرعون وهامان! وهو نفس ما نراه الآن في أسطورة "النخلة" (مريم 23، 25) التي نقلها القرآنُ من قصة هروب العائلة اليهودية المقدسة (حسب التراث المسيحي) إلى قصة ميلاد المسيح (حسب القرآن)!

ولذلك فإننا نتفق أيضاً مع العالِم الكبير (Prof. Guillaume Dye) الذي قال تعليقاً على "وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ" (المؤمنون 50) إن المنطقة التي تقع فيها كنيسة كاثيسما (Kathisma) بها هضاب **[⟵ "رَبْوَةٍ (أي: مكانٍ مرتفع) ذَاتِ قَرَارٍ (أي: مستوٍ مستقر)" (المؤمنون 50)]** ومصادر للمياه **[⟵ "وَمَعِينٍ (أي: ماء عذب)" (المؤمنون 50)]**[8596]:

[المؤمنون 50] l'allusion s'explique bien si l'on suit quelques hypothèses récentes (Shoemaker 2003 et Dye 2012), selon lesquelles le récit

coranique de la Nativité, et les versets décrivant le retour de Marie vers son peuple, sont directement tributaires des traditions populaires et liturgiques de l'église du Kathisma (église aujourd'hui disparue, située à mi-chemin entre Jérusalem et Bethléem), qui rapprochent le récit de la Nativité du miracle du palmier. La zone dans laquelle est située l'église du Kathisma est en effet très précisément marquée par la présence d'eau (citernes, puits, et même plus anciennement, un aqueduc) et de collines.

ونتفق أيضاً مع العالم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) في النتيجة النهائية التي وصل إليها في هذه القضية:

The explanation for the contrast between the Qurʾān and the *Gospel of Pseudo-Matthew* has recently been offered by Stephen Shoemaker ("Christmas in the Qurʾān"; see also G. Dye, "Lieux saints communs"), who shows that the Kathisma church on the outskirts of Jerusalem (which may have served as a model for the Dome of the Rock; it was eventually used as a Marian shrine by Muslims and Christians alike) was a site where (in competition with the Church of the Nativity in Bethlehem) the birth of Jesus was commemorated *along with* the miracle of the palm tree and spring given to Mary during the flight [of the Holy Family] to Egypt. Thus, it seems possible that the Qurʾān's author knew of the popular Palestinian traditions surrounding the Kathisma church[8597].

وسواء حدث هذا الدمج القرآني عن عمد (fusion) أم عن جهل (confusion)، فإن النتيجة في كلتا الحالتين واحدة: القرآن كلام بشر 100%، وليس كلام الله، إذ لا يمكن أن يعتمد اللهُ على أساطير شعبية وكتب أبوكريفية منحولة مزورة مزيفة. ولا يوجد أصلاً أي دليل علمي يثبت أن مريم جلست تحت "نخلة" عند ميلاد يسوع المسيح ولا عند هروبها إلى مصر.

4.59.2.3 التشابه بين القرآن والأساطير الشرقية القديمة: الأساطير البوذية والإغريقية مثلاً!

وفي جميع الأحوال وبغض النظر عن سبب نقل أسطورة النخلة من قصة هروب العائلة اليهودية المقدسة (حسب التراث المسيحي) إلى قصة ميلاد المسيح (حسب القرآن)، فلا يمكن أن يكون هذا الاختلاف بين الأسطورة الأبوكريفية والأسطورة القرآنية دليلاً على أن القرآن كلام الله! ولا حتى دليلاً على أن الرواية القرآنية هي الرواية الصحيحة تاريخياً! وكذلك لا يمكن أن يكون هذا الاختلاف بين الأسطورة الأبوكريفية والأسطورة القرآنية دليلاً على أن الإسلام ديانة سماوية، إذ أن مثل هذه الروايات موجودة في الديانات التي يعتبرها المسلمون غير سماوية، كالديانة البوذية مثلاً.

نعم. إحدى الروايات البوذية التى كُتِبت فى القرن الأول قبل الميلاد فى كتاب (Pali Canon) تقول إن مايا (Queen Maya) والدة بوذا (Buddha) جاءها المخاض وولدت ولدها بوذا وهى ممسكة بفرع شجرة (sal tree)[8598] **[← "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ" (مريم 23)]**! يقول المستشرق المعروف سان كلير تيسدال (Rev. William St. Clair Tisdall): "فمن الواضح أن كُلاً من القرآن ومؤلف كتاب "قصة ميلاد مريم" المنتحل قد اقتبسا دون وعي من البوذية مصادر هذه الحوادث الخاصة. هذه الحقيقة بطبيعة الحال تدحض مصداقية القصة. وإذا كان ثمة دليل آخر مطلوب فإنه حتى زمن متأخر من عصر محمد، كانت الأساطير البوذية منتشرة في غرب آسيا وتمَّ تبنيها كتاريخ مسيحي"[8599]. ونحن أيضاً لا نقول إن أصحاب القرآن قد اقتبسوا مباشرةً من الديانة البوذية، فهذا أمر مستبعد إذ أنها ديانة بعيدة – جغرافياً على الأقل – عن الإسلام. فمن الواضح أن الاقتباس من البوذية كان غير مباشر عن طريق الأبوكريفا المسيحية ثم القرآن. وفي جميع الأحوال، الحقيقة المؤكدة هي أنه كما استطاع العقل البشري أن يؤلف هذه الأسطورة في البوذية، يستطيع العقل البشري أيضاً أن يؤلف أساطير مشابهة في الأبوكريفا المسيحية وفي القرآن.

ويوجد مثال آخر أكثر قرباً من القصة القرآنية: إذ تقول أسطورة إغريقية شهيرة إن "ليتو" (Leto) والدة "أبوللو" (Apollo) جاءها المخاض فهرعت خائفة إلى مكان بعيد فى جزيرة "ديلوس" (Delos) **[← "فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (أي: بعيداً)" (مريم 22)]** حيث ولدت ولدها أبوللو (Apollo) وهى ممسكة بفرع نخلة (palm tree) **[← "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ" (مريم 23)]** على ضفاف نهر "إينوبوس" (Inopos)[8600] **[← "قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (أي: نهراً صغيراً)" (مريم 24)]**. ويعود تاريخ هذه الأسطورة الإغريقية الشهيرة إلى القرن الثالث قبل الميلاد وربما قبل ذلك؛ أي: قبل الإسلام بمئات السنين.

فنعتقد أن هذين المثالين كافيان لاثبات قدرة العقل البشري على ابتكار مثل هذه الأساطير؛ والأسهل من ابتكار أسطورة جديدة هو تأليف أسطورة مستوحاة مِن أسطورة (أو أساطير) أقدم منها. وهذا ما فعله التراث المسيحي، ربما بحُسْن نية كما قلنا لتحل الأساطير المسيحية محل الأساطير الوثنية فينسى الناسُ

التراثَ الوثني ومِن ثم ينسون الوثنيةَ نفسها. وهذا أيضاً ما فعله أصحاب القرآن بعد ذلك، مما يؤكد 100% أن القرآن كلام بشر 100%.

يقول العالِمُ الكبير "سليمان مراد" (Prof. Suleiman A. Mourad) عن مراحل تطور قصة "النخلة" بدءاً من أسطورة (Leto) وولدها (Apollo) الإغريقية إلى أسطورة مريم وولدها عيسى القرآنية[8601]:

كل الاختلافات اللاتينية والهللينستية المتنوعة للأسطورة الأصلية، أسطورة ليتو تلد أبوللو عند نخلة، تعكس استعارة وتبنياً لها من قِبَل جماعات أعادت تشكيلها وفقاً لأهدافها وحاجاتها. انتحالات لأساطير قديمة كانت شائعة في العالم القديم، وما كان المسيحيون الأوائل استثناء. قصة النخلة التي وجدت طريقها إلى سورة *مريم* هي إعادة عمل لمخاض ليتو. إن القصة حول امرأة حبلى مكروبة (ليتو/مريم) تطلب مكاناً منعزلاً (ديلوس/مَكَانًا قَصِيًّا)، تجلس عند جذع نخلة مواجهة لنبع (إينوبوس/جدول)، وتلد طفلاً مقدَّساً (أبوللو/يسوع). مع ذلك، من المُستبعد أن تكون أسطورة ليتو مصدراً مباشراً لسورة *مريم*. كما ذُكِرَ سابقاً، تتكوّن الرواية المُقتضَبة في سورة *مريم* من قسمين: مخاض مريم وولادتها، والمعجزة. لذا يمكن أن يخامرنا الشك أنه كانت هناك مرحلة حين استُعيرت أسطورة ليتو وطُبِّقَتْ على مريم. هذا يعكس محاولة من مجموعة مسيحية، ربما كانت مجموعة مهتدين إلى المسيحية عبدت سابقاً ليتو وأبوللو، لتحوير القصة باستبدال مريم ويسوع من ليتو وأبوللو. بعد ذلك، ذُيِّلَتْ هذه القصة المنتحلة بمعجزة نموذجية ليسوع: النخلة الميتة تُزوِّد مريم بالماء والثمر. في الواقع، ثمّة مجموعة مسيحية يُحتمَل شيوع هذه القصة فيها هي جماعة نجران المسيحية، في غربي شبه الجزيرة العربية، التي كانت تعبد شجرة النخيل قبل اهتدائها إلى المسيحية، بحسب ابن إسحق والطبري. إن كان هذا هو الحال، فتكييف أسطورة ليتو لتلائم مريم هيَّأ لهم الاحتفاظ بجزء من معتقدهم السابق تحت قناع مسيحي.
All the various Hellenistic and Latin variants of the original myth of Leto giving birth to Apollo by a palm tree reflect the borrowing and adaptation by groups who reshaped it for their own objectives and needs. Appropriations of ancient myths were common in the ancient world, and the early Christians were no exception. The palm-tree story that found its way to sūra *Maryam* is a reworking of Leto's labor. It is about a distressed pregnant woman (Leto/Mary) who seeks an isolated place (Delos/a remote spot), sits by the *trunk* of a palm tree next to a stream (Inopos/a brook), and delivers a holy child (Apollo/Jesus).

It is nevertheless unlikely that the myth of Leto was the direct source for sūra *Maryam*. As was aforementioned, the concise version found in the latter has two parts: Mary's labor and delivery, and the miracle. We might therefore suspect that there was a stage when Leto's myth was borrowed and applied to Mary. This would reflect an attempt by a Christian group, probably converts who had previously worshipped Leto and Apollo, to modify the story by replacing them with Mary and Jesus. After that, the appropriated story was appended with a miracle typical of Jesus: the dead palm tree providing fruit and water for Mary. Indeed, a possible Christian group among whom such a story could have been circulated is the Christian community of Najran, in West Arabia, who, according to Ibn Ishaq and al-Tabari, used to worship a palm tree before converting to Christianity. If that was the case, then adapting the Leto myth to Mary would have permitted them to keep part of their belief, yet give it a Christian guise.

4.59.3 المصادر المشتركة للأسطورة الأبوكريفية والأسطورة القرآنية

تحدثنا فيما سبق عن وجود مصدر "س" مشترك للأسطورة الأبوكريفية والأسطورة القرآنية. فما هو "س"؟ نحاول الإجابة على هذا السؤال فيما يلي؛ وسيكون تركيزنا بالطبع على الأسطورة القرآنية.

4.59.3.1 موت مريم وصعودها (Mary's Dormition and Assumption)

أسطورة "النخلة" موجودة في عمل مسيحي مبكر يرجع تاريخه إلى القرن الخامس الميلادي، وربما الثالث الميلادي[8602]. يتحدث هذا العمل المسيحي عن موت مريم (Dormition of the Mother of God) وصعودها إلى السماء (Assumption of Mary). وسبب انتشار هذا العمل المسيحي هو أنه يجيب على أسئلة شغلت بالَ المسيحيين في القرون الأولى للميلاد لأنها غير مذكورة في الأناجيل القانونية وهي: ملابسات موت مريم وماذا حدث لها بعد موتها. ووجود نسخ سريانية وحبشية لهذا العمل المسيحي الشهير، بالإضافة إلى احتوائه على تفاصيل معادية لليهود (anti-Jewish)، يجعلنا نعتقد أنه هو الوسيط أو

الكوبري الذي من خلاله انتقلت أسطورةُ "النخلة" من التراث المسيحي الشرقي إلى القرآن العربي (مريم 23-26).

يقول العالم الكبير (Prof. Stephen Shoemaker)[8603]:

The improbabilities of any literary contact between the *Gospel of Ps.-Matthew* and the world of the Qurʾān might at first glance appear to offer some support for the traditional Muslim view of the Qurʾān as a "pure revelation," whose contents are not dependent on borrowings from earlier sources, but revealed directly from God. Nevertheless, scholars of early Christian apocrypha have long recognized that *Ps.-Matthew* relies on earlier sources for many of its traditions, including the story of Mary and the palm in particular. While we may never identify the exact source from which the author of *Ps.-Matthew* has borrowed this story, we may now at least be certain that this legend was known in early Christianity, and more specifically in the Christian East. Recent efforts by the present writer have shown that the story of Mary and the date palm circulated in the Christian Near East perhaps as early as the third century, and beyond any doubt by the early fifth century. The earliest extant version of this legend is found among the ancient traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption, a collection of narratives that describe the events of Mary's departure from this life. As I have demonstrated in my recent book on these traditions, the narrative that best preserves the story of Mary and the date palm was first composed by the early fifth century at the latest, although the peculiar theology reflected in this narrative very strongly suggests its formation sometime in the third century, if not even earlier. Several Syriac fragments copied in the later fifth century form the earliest witness to this narrative, and by the end of the sixth century, this version was widely dispersed throughout the cultures and languages of the Byzantine Near East. In contrast to the *Gospel of Ps.-Matthew* then, the ancient Dormition traditions present clear evidence that the story of Mary and the date palm

> circulated widely in the pre-Islamic Near East, providing favorable circumstances for its usage in the Qurʾānic account of Jesus' Nativity.
>
> Mary's desert encounter with the date palm and spring is described near the beginning of this Dormition narrative. As the narrative opens, Christ, who is also identified as a "Great Angel," appears to his mother to announce her impending death. When Mary expresses some uncertainty at her interlocutor's identity, the Christ-Angel reassures his mother by reminding her of their journey through the desert into Egypt, when he miraculously fed her from the date palm. […]

ونظراً لتشابه أسطورة "النخلة" الموجودة في "موت مريم وصعودها" مع أسطورتي "النخلة" المذكورتين في إنجيل متى المنحول والقرآن، فإننا لن نذكرها بالتفصيل. وسنكتفي فقط بالتنبيه إلى أن أسطورة "النخلة" فقط هي المذكورة في "موت مريم وصعودها" كمعجزة. أما ينبوع الماء العذب **[← "قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (أي: جَدْوَلَ ماء عذب؛ نهراً صغيراً)" (مريم 24)]**، فليس مذكوراً كمعجزة وإنما مذكور كنبع ماء عادي كان موجوداً في الصحراء ثم مرَّت عليه العائلة اليهودية المقدسة أثناء رحلة الهروب إلى مصر. وهذا في حد ذاته يُعتبر دليل آخر يؤكد أن أسطورة "النخلة" الموجودة في "موت مريم وصعودها" أقدم من أسطورتي "النخلة" الموجودتين في إنجيل متى المنحول والقرآن لأنها بالفعل أبسط منهما. (في علم الميثولوجيا، الأساطير الأبسط تكون عادةً هي الأقدم.) أو كما قال العالم الكبير (Prof. Stephen Shoemaker)[8604]:

> Thus, [the Dormition narrative's version] too connects Mary's feeding from the date palm with a desert water source, albeit with considerably less drama, in what is probably the earliest known form of this legend.

4.59.3.2 قصة طرد هاجر وابنها (التكوين 21:14-21)

هذه الأسطورة الشعبية الشهيرة – سواء في نسختها المسيحية الأبوكريفية أو في نسختها الإسلامية القرآنية – تبدو منحولة مِن قصة طرد هاجر وابنها إسماعيل المذكورة في سفر التكوين في التوراة (التكوين 21:14-21). تقريباً كل العناصر الأساسية للقصة موجودة في (التكوين 21) وتطورت تطوراً بشرياً طبيعياً مع الزمن حتى وصلت إلى قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم في القرآن كما يوضح الجدول التالي:

جدول 48 – مقارنة بين قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم في القرآن وقصص يهودية ومسيحية أخرى

	سفر التكوين في التوراة	إنجيل متى المنحول	[← القرآن]
الأم	هاجر	مريم	[← مريم]
وابنها ...	إسماعيل	يسوع	[← عيسى]
في مكان بعيد	"فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ" (التكوين 14:21)[8605]	بَرّيّةِ في طريق الهروب إلى مصر	[← "فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (أي: بعيداً)" (مريم 22)]
تحت ...	"إِحْدَى الأَشْجَارِ" (التكوين 15:21)	النخلة	[← "النَّخْلَةِ" (مريم 23، 25)]
اللهُ يساندهما ويمدهما بالماء	"وَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ [...] وَقَالَ لَهَا: «[...] لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ لِصَوْتِ الْغُلاَمِ حَيْثُ هُوَ. [...]». وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ" (التكوين 17:21-19)	يسوع يأمر النخلةَ أن تُفجّر الماء العذب من جذورها. فتنفذ النخلةُ الأمر!	[← "فَنَادَاهَا [جبريلُ] مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا" (مريم 24)]
نهاية سعيدة	"فَذَهَبَتْ [هَاجَرُ] وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ. وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ [...]" (التكوين 19:21-20)	أكلوا وشربوا وفرحوا جميعاً.	[← "فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا (أي: افرحي)" (مريم 26)]

أهمية هذا الجدول هو أنه يؤكد أنه حتى لو كان إنجيل متى المنحول كُتِبَ بعد القرآن، فإن قصة طرد هاجر وإسماعيل المذكورة في سفر التكوين في التوراة (التكوين 14:21-21) مع قدر بسيط من الخيال يكفي – بل يكفي جداً – لتأليف قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم في القرآن (مريم 23-26). الموضوع مش محتاج وحي إلهي. فقط قدر بسيط من الخيال + التراث اليهودي/المسيحي، وتطور بشري طبيعي بالحذف و/أو الإضافة. فهذا يكفي – بل يكفي جداً – لإنتاج كتاب مثل القرآن (المكي بصفة خاصة).

وكما أضاف كاتب إنجيل متى المنحول بعض التفاصيل (مثل الدور الجوهري الذى لعبه يسوع فى انحناء النخلة وتفجير ينابيع الماء العذب ... الخ)، كذلك أضاف أصحاب القرآن بعض التفاصيل، مثل تمني مريم الموت "يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا" (مريم 23). ولا أتصور أن يقول إنسان عاقل إن هذه الإضافة البسيطة هي الدليل على أن القرآن مُوحى به مِن الله! فكثير من الناس حين تواجههم مشكلة كبيرة أو أمر جلل يتمنون الموت! يعنى الفكرة بسيطة ويستطيع أي مؤلف أن يتخيلها دون وحي، خاصةً إذا عرفنا أن فكرة تمني الموت ليست جديدة، فهي موجودة أيضاً فى إنجيل متى المنحول، لكن يوسف – وليس مريم – هو الذى تمنى الموت. والسبب أن يوسف لم يكن يعرف بشارة الملاك لمريم بميلاد يسوع، فلما رأى يوسفُ مريمَ وهي حامل ارتعدت

أطرافه وتمنى الموت صارخاً: "يا رب، يا رب، تقبَّل روحي، فَمِن الأفضل لي أن أموت من أن أعيش" (Lord, Lord, receive my spirit, for it is better for me to die than to live)[8606]؛ وهي أيضاً عبارة منحولة بدليل أنها تكاد تكون نفس العبارة التي قالها النبي يونان[8607] (Jonah) حين تمنى الموت قائلاً: "فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي" (يونان 3:4). إذن: كاتب إنجيل متى المنحول اقتبس هذه العبارة من سفر يونان ووضعها على لسان يوسف النجار **[⟵ حيث أن شخصية "يوسف النَّجَّار" ليس لها وجود في الأسطورة القرآنية المكية، احتفظ أصحاب القرآن بعبارة تمني الموت مع تغيير بسيط في الكلمات ووضعوا العبارة على لسان مريم أثناء المخاض والولادة: "يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا" (مريم 23). وهذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد حذفوا شخصيةَ "يوسف النَّجَّار" عن عمد وليس عن جهل].**

4.59.3.3 قصة هروب إيليا وغلامه (1 ملوك 19:1-8)

الفكرة الأخرى التي أضافها أصحاب القرآن هي صيام مريم: "إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا" (مريم 26). فمِن أين أتى أصحاب القرآن بهذه الفكرة؟ الإجابة: مِن قصة النبي إيليا[8608] (Elijah) الذي هو أيضاً تمنَّى الموت: "طَلَبَ الْمَوْتَ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ: «قَدْ كَفَى! الآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي لأَنِّي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي!»" (1 ملوك 19:4)! قد يُقال: هذه مجرد صدفة. الرد: لو كان الأمر قد اقتصر على تمني الموت فقط، لقلنا إنها صدفة. لكن عناصر كثيرة من الأسطورة القرآنية (مريم 23-26) موجودة في قصة هروب إيليا الكتابية (1 ملوك 19:1-8) وبنفس الترتيب! ولنقرأ قصة هروب إيليا كما جاءت في سفر الملوك الأول ...

(1 ملوك 19): {1} وَأَخْبَرَ [المَلِكُ الشرير] أَخْآبُ (Ahab) [زوجتَه الشريرة] إِيزَابَلَ (Jezebel) بِكُلِّ مَا عَمِلَ إِيلِيَّا [نبي الله]، وَكَيْفَ أَنَّهُ قَتَلَ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ (أي: أنبياء البعل[8609]؛ الأنبياء الكذبة) بِالسَّيْفِ. {2} فَأَرْسَلَتْ إِيزَابَلُ رَسُولاً إِلَى إِيلِيَّا [لتهدده بالقتل] تَقُولُ: «هكَذَا تَفْعَلُ الآلِهَةُ وَهكَذَا تَزِيدُ (أي: لتعاقبني الآلِهَةُ أشد عقاب وتَزِدْ)، إِنْ لَمْ أَجْعَلْ نَفْسَكَ كَنَفْسِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ (أي: إنْ لَمْ أنتقم منكَ وأقتلك كما قَتَلْتَ أنبياء البعل) فِي نَحْوِ هذَا الْوَقْتِ غَدًا». {3} فَلَمَّا رَأَى [إيليَّا] ذلِكَ قَامَ وَمَضَى لأَجْلِ نَفْسِهِ (أي: هرب لينجو بنفسه [مع غلامه])، وَأَتَى إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ الَّتِي لِيَهُوذَا (أي: أقصى مكان في جنوب أرض اليهود) وَتَرَكَ غُلاَمَهُ هُنَاكَ **[⟵ "فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (أي: بعيداً)" (مريم 22)]**. {4} ثُمَّ سَارَ فِي الْبَرِّيَّةِ **[⟵ "مَكَانًا قَصِيًّا (أي: بعيداً)" (مريم 22)]** مَسِيرَةَ يَوْمٍ، حَتَّى أَتَى وَجَلَسَ تَحْتَ رَتَمَةٍ (أي: شجرة شيح) (broom tree) **[⟵ "فَأَجَاءَهَا" "إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ" (مريم 23)]** وَطَلَبَ الْمَوْتَ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ: «قَدْ كَفَى الآنَ يَا رَبُّ. خُذْ نَفْسِي لأَنِّي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي» **[⟵ "قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا" (مريم 23)]**. {5} وَاضْطَجَعَ وَنَامَ تَحْتَ الرَّتَمَةِ. وَإِذَا بِمَلاَكٍ قَدْ مَسَّهُ **[⟵ "فَنَادَاهَا [جبريلُ] مِنْ تَحْتِهَا" (مريم 24)]** وَقَالَ: «قُمْ وَكُلْ». {6} فَتَطَلَّعَ وَإِذَا كَعْكَةُ رَضْفٍ (أي: مخبوزة على الجَمْر؛ والمراد: ساخنة وشهية) **[⟵ "رُطَبًا جَنِيًّا" (مريم**

25)] وَكُوزُ مَاءٍ عِنْدَ رَأْسِهِ **[⟵ "قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (أي: جَدْولَ ماء عذب؛ نهراً صغيراً)" (مريم 24)]**، فَأَكَلَ وَشَرِبَ [مما أعطاه اللهُ][8610] **[⟵ "فَكُلِي وَاشْرَبِي [مما أعطاكِ اللهُ]" (مريم 26)]** ثُمَّ رَجَعَ فَاضْطَجَعَ **[⟵ "وَقَرِّي عَيْنًا (قيل معناه: نامي)" (مريم 26)]**. {7} ثُمَّ عَادَ مَلاَكُ الرَّبِّ ثَانِيَةً فَمَسَّهُ وَقَالَ: «قُمْ وَكُلْ، لأَنَّ الْمَسَافَةَ كَثِيرَةٌ عَلَيْكَ». {8} فَقَامَ وَأَكَلَ وَشَرِبَ، وَسَارَ بِقُوَّةِ تِلْكَ الأَكْلَةِ (أي: صام) **[⟵ "إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا" (مريم 26)]** أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً إِلَى جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ[8611].

لا يمكن أن تكون كل هذه التشابهات مجرد صدفة! وبنفس الترتيب!

وإذا دققنا النظرَ في الآية الأخيرة (1 ملوك 8:19)، فسنجد أن إيليا "أَكَلَ وَشَرِبَ، وَسَارَ بِقُوَّةِ تِلْكَ الأَكْلَةِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً" (1 ملوك 8:19). يمكن إذن أن نستنتج أن إيليا ظل بدون طعام ولا شراب (أى: صائماً) "أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً" وهو نفس التعبير الذى تكرر فى الكتاب المقدس بعهديه للإشارة إلى الصيام[8612]. يمكننا إذن أن نفهم مِن أين أتى أصحاب القرآن بفكرة الصوم "إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا" (مريم 26)، فكما صام إيليا "أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً" بعد تمنيه الموت ومساندة الله له وإمداده بالأكل والشرب، كذلك صامت مريم بعد تمنيها الموت ومساندة الله لها وإمدادها بالأكل والشرب. بل يمكننا أن نستنتج أن مريم ربما صامت مثل إيليا "أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً"، أي صامت كل "أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى" (لوقا 22:2) (اللاويين 12). انظر أيضاً صومَ آدم 40 يوماً وصمت حواء 37 يوماً كعمل من أعمال التوبة مذكور في أخبار آدم وحواء في الآداب المنحولة والمكتومة[8613].

إذن: كل ما فعله أصحاب القرآن هو أنهم جعلوا صومَ مريم صوماً عن الكلام: "فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا" (مريم 26)، أي "صمتاً" وليس "صَوْماً"! وحتى هذه الفكرة تشبه ما جاء في الإنجيل والقرآن أن زكريا ظل صامتاً لا يُكَلِّمَ النَّاسَ بعد ما جاءته البشارة بميلاد يحيى (يوحنا) كما شرحنا؛ ومِن ثم تساعد القارئ والسامع على أن يربط أكثر بين هاتين القصتين القرآنيتين: قصة ميلاد يحيى من امرأة عاقر (مريم 2-15) وقصة ميلاد عيسى من فتاة عذراء (مريم 16-26). فنحن عندما نقرأ هاتين القصتين القرآنيتين، نلاحظ بكل سهولة أن أصحاب القرآن قد تعمدوا الربط بينهما، بدليل أنهم استخدموا كلمات لم تُستخدم في القرآن كله إلا في هاتين القصتين القرآنيتين مثل "صَبِيًّا" (مريم 12) "صَبِيًّا" (مريم 29)، واستخدموا ألفاظاً متطابقة أحياناً "قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ" (مريم 9) "قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ" (مريم 21)، واستخدموا ألفاظاً متشابهة جداً أحياناً أخرى "وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا. وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 14-15) "وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 32-33). في ضوء هذه المتوازيات (parallels) الكثيرة بين هاتين القصتين القرآنيتين، نستطيع أن نفهم لماذا جعل أصحابُ القرآن "صومَ" مريم "صمتاً" (a fast of silence)[8614]. الصنعة الأدبية واضحة جداً، ولها جذور في التراث اليهودي/المسيحي كما شرحنا.

ولن نتوقف أمام التناقض الذي في الآية القرآنية: "فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا" (مريم 26)! كيف ستقول بدون أن تتكلم؟! قيل: بالإشارة "فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ" (مريم 29)! يعني أيضاً مثل زكريا "رَمْزًا" (آل عمران 41).

4.59.4 الخلاصة

النتيجة النهائية: ليس هناك أى دليل على أن القصة القرآنية المذكورة في (مريم 23-26) قصة حقيقية. وما هذه القصة القرآنية إلا قصة أدبية نشأت من خلال تجميع (compilation) وتغيير (adaptation) لقصص وروايات شفوية مذكورة فى: إنجيل متى الأبوكريفي المنحول، وأسطورة (Leto) وولدها (Apollo) الإغريقية، وعناصر أخرى مِن قصة موت مريم وصعودها وقصة طرد هاجر وإسماعيل المذكورة في التوراة (التكوين 21:14-21) وقصة هروب إيليا المذكورة في سفر الملوك الأول (1 ملوك 1:19-8).

باختصار: لم يكن أصحابُ القرآن بحاجة إلى أي وحي من الله لتجميع هذه العناصر وتطويرها تطوراً بشرياً طبيعياً مِن أجل صناعة قصة خيالية قصيرة (مريم 23-26) تقوم فيها الفتاة اليهودية مريم بدور البطولة المطلقة، خاصةً بعد تسمية السورة باسمها "سورة مريم" وحذف دور يوسف النَّجَّار وعدم القاء الضوء على شخصية المُنادي الذي "نَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا" (مريم 24)!

4.60 اتهام مريم بالزنا: قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا

يقول القرآنُ المكي إن بعد ميلاد عيسى ابن مريم: "فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (أي: فظيعاً منكراً، عظيماً عجيباً لم يحدث مِن قبل). يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا" (مريم 27-28). ويكرر القرآن المدني نفس الفكرة في سياق ينتقد اليهود بشدة (anti-Jewish): "بِكُفْرِهِمْ (أي: بسبب كُفْر اليهود) وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا (بالسريانية: buhtānā)[8615] (أي: كذباً واختلاقاً (calumny) عَظِيمًا" (النساء 156).

4.60.1 أيهما أفضل؟ القرآن؟ أم مصادره المسيحية؟

تُخبرنا الآيات القرآنية السابقة أن قوم مريم – أي: اليهود – قد اتهموها بالزنا[8616]. فهل حدث ذلك فعلاً؟ الإجابة: ربما. صحيح أن الإنجيل يؤكد على طهارة العذراء مريم وبتوليتها (متى 16:1) (متى 18:1-25) (لوقا 26:1-38) وأن الناس كانوا يعتقدون أن يوسف النَّجَّار هو أب يسوع: "وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ" (لوقا 23:3)؛ (يوحنا 43:1-45). لكن هناك بعض الآيات مِن الإنجيل يمكن أن نستنتج منها – على الأقل بصورة ضمنية – وجود جدل أو شائعات متعلقة بولادة يسوع غير الشرعية، مثل: قول اليهود ليسوع "إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنًا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ" (يوحنا 41:8)[8617]، وكأنهم يقولون له: "إننا نحن الذين لنا أب واحد وهو الله وليس أنت يا مَن تدعي أنك وُلدت من بتول، فأنت وُلدت من زنا. إنك تفتخر أنك وُلدت من عذراء بقولك أن لك الله وحده هو أبوك. نحن الذين نعرف الله كأب لنا لا ننكر أنه لنا أب بشري"[8618]. كذلك وَصفَ اليهود يسوع بعبارة "ابْنَ مَرْيَمَ" (مرقس 3:6)، وهذه هى المرة الوحيدة فى العهد الجديد كله التى يُوصف فيها يسوع المسيح بهذا اللفظ المهين، إذ كان الرجل يُدعى ابن أمِّه إذا كان والده غير معروف، فكانوا إذ ذاك يهينونه بهذا التعبير تعمداً، إشارةً إلى عدم كونه ابناً شرعياً[8619]. أضف إلى ذلك ما قد قلناه فيما سبق إن الفيلسوف الوثني "كلسس" (Celsus) قال فى القرن الثانى بعد الميلاد إنه سمع من يهودى أن يسوع ابن زنا وأن مريم حملت به سفاحاً من جندى رومانى اسمه بانثيرا[8620]. اكتسبت هذه الادعاءات شهرة واسعة خاصةً بعد أن قام المسيحي المصري/القبطي أوريجانوس (Origen) بالرد على كلسس فى كتابه الشهير "ضد كلسس" (Contra Celsum) كما أشرنا مِن قبل.

إذن: ما قاله القرآن إن اليهود قد اتهموا مريم بالزنا ليس مُستبعداً وليس جديداً. لكن المشكلة التى تعانى منها الآيات القرآنية السابقة هى أنها تقول إن قوم مريم اتهموها بالزنا لما رأوها تحمل وليدها عيسى – أى **بعد** ميلاد عيسى! وهذا ما يجعلنا نشك فيما قاله القرآن لأنه يبدو غير منطقى. فهل من المعقول ألا يتهم اليهود مريم بالزنا طوال أشهر الحمل؟! أعراض الحمل تبدو واضحة على أى امرأة خاصةً فى الشهور الأخيرة! فهل كان قوم مريم بحاجة إلى أن تلد حتى يبدأوا يشكوا فيها ويتهموها بالزنا؟!

قد يُقال إن مريم "حَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا" (مريم 22) أى بعيداً عن أهلها، ولذلك لم يرها أحدٌ من قومها أثناء فترة الحمل. لكن هل يُعقل أن تظل الطفلة العذراء مريم هاربة وحيدة منعزلة بعيدة عن قومها لمدة تسعة أشهر دون أن يرعاها أحد أو يُدبِّر أمورها أو حتى يزورها؟! هذا مستحيل. وقد يكون هذا ما دفع بعض المفسرين المسلمين إلى القول إن مريم حملت بعيسى فترة وجيزة جداً وصلت أحياناً إلى بضعة ساعات فقط! أو ساعة واحدة! أو كما قال ابن عباس: "مَا هُوَ إِلَّا أَنْ حَمَلَتْ فَوَضَعَتْ فِي الْحَال"[8621]! ولعلهم قالوا ذلك أيضاً لأن القرآن استخدمَ العطف بحرف "الفاء" الذي يدل على الترتيب والتعقيب مع السرعة: "فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ [...]. فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ [...]" (مريم 22-23). تعليقنا: هذا تبرير ضعيف جداً وغير معقول وأقرب إلى الخيال والأساطير منه إلى الحقيقة والواقع، ولذلك رفضه كثير من المفسرين المسلمين لكن دون أن يقدموا تبرير آخر أكثر قوةً ودون أن يبرروا استخدامَ القرآن لحرف "الفاء" مع أن المدة بين "فَحَمَلَتْهُ" و "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ" بضعة أشهر، فلا يوجد سرعة! مما يجعلنا نقول إن استخدامَ حرف "الفاء" هنا كان مجرد خطأ يقضي على أسطورة بلاغة القرآن. باختصار: كل التبريرات المذكورة فى المراجع الإسلامية كلها تبريرات ضعيفة ولم يذكرها القرآن وأحياناً تتعارض مع القرآن.

على العكس تماماً، تبدو القصة المسيحية فى الأناجيل القانونية والأبوكريفية أفضل من القرآن. والفضل يرجع لوجود تفاصيل هامة لم يعرفها أصحابُ القرآن – أو ربما عرفوها وحذفوها فأوقعوا أنفسهم فى مشكلة كبيرة. فطبقاً لما جاء فى الأناجيل القانونية (متى 1) (لوقا 1)، كَانَتْ مَرْيَمُ مَخْطُوبَةً (أي: مرتبطة بعقد زواج يهودي[8622] ketubah؛ أو كما يقول المسلمون: مكتوب كتابها) لِيُوسُفَ حين جاءتها البشارة بميلاد يسوع. وقَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا (أي: قبل ليلة الدخلة)، وُجِدَتْ مريم حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. مَكَثَتْ مَرْيَمُ عِنْدَ أليصابات نَحْوَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ – أى لم تكن بمفردها، ثُمَّ رَجَعَتْ بعد ذلك إِلَى بَيْتِهَا. أضاف إنجيل الطفولة ليعقوب[8623] أن بطن مريم أخذت تكبر يوماً بعد يوم، فانزوت مريم فى بيتها خائفةً وخبأت نفسها مِن بنى إسرائيل؛ ولمَّا اكتشف يوسف أن مريم حامل – ولم يكن قد علم ببشارة الملاك لها – تسآل كيف حملت ومَن الذى أغواها. بكت مريم بمرارة شديدة، وأكدت ليوسف أنها طاهرة وبريئة ولم تعرف رجلاً. (كل هذا **قبل** ميلاد يسوع.)

نعود إلى الإنجيل القانوني لنعرف ماذا حدث بعد أن بدأت أعراض الحمل تظهر على مريم. **(متى 1):** {19} فَيُوسُفُ رَجُلُهَا (أي: زوج مريم) إِذْ كَانَ بَارًّا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا (أي: يُطلِّقها في هدوء بدون أن يُعرضها للمحاكمة العلنية والرجم). {20} وَلكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هذِهِ الأُمُور، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. {21} فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». {22} وَهذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ [إشعياء] الْقَائِلِ: {23} «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا[8624]. {24} فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ، وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. (أي: أتي بمريم إلى بيته ليحفظها). (كل هذا أيضاً **قبل** ميلاد يسوع.)

أضاف إنجيل الطفولة ليعقوب[8625] أن "حنان الكاتب" (Annas the scribe) جاء ليزور يوسف فوجد مريم حامل. فأسرع "حنان الكاتب" إلى الكاهن وأخبره أن يوسف قد دنس العذراء وتزوجها سراً ولم يعلن ذلك لأبناء إسرائيل. فتم ضبط وإحضار مريم ويوسف ليحاكما أمام رئيس الكهنة. وحين نقرأ ما قاله رئيس الكهنة لمريم، نتذكر مباشرةً ما قاله القرآن على لسان قوم مريم الذين اتهموها بالزنا. فلقد قرَّع رئيسُ الكهنة مريمَ وذكَّرها بشرفها وتربيتها في قدس الأقداس وتلقيها الطعام من يد ملاك، قائلاً: "يا مريم، كيف تصرَّفت هكذا، ولِمَ خسرتِ نفسك" **[⟵ "يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا" (أي: عظيماً منكراً)" (مريم 27)]**، "أنتِ التي ربيت في قدس الأقداس (أي: في الهيكل مع رئيس الكهنة)، وتلقَّيت الطعامَ من يد الملائكة، وسمعتِ أسرار الرب واغتبطت في حضرته" **[⟵ كذلك في القرآن، قرَّع مريمَ قومُها وذكَّروها بشرفها وشرف أبيها وأمها: "يَا أُخْتَ هَارُونَ [رئيس الكهنة] مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا" (مريم 28)]**. لكن الفرق الجوهري أن كل هذا حدث في إنجيل الطفولة ليعقوب **قبل** ميلاد يسوع، وليس بعد الميلاد كما يزعم القرآن! أي أنه حتى في هذا الإنجيل الأبوكريفي المنحول، نجد أن القصة أكثر اقناعاً مِن القرآن!

مما سبق يتضح أن قصة اتهام اليهود لمريم بالزنا ليست قصة جديدة، فهى قصة معروفة قبل ظهور الإسلام بمئات السنين. وهى وإن تبدو قصة حقيقية أو على الأقل غير مُستبعدة، إلا ان القرآن قد رواها بطريقة لا يمكن تصديقها. على العكس، رواها إنجيل الطفولة ليعقوب بطريقة معقولة ومقنعة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه القصة قد تكررت – كالعادة – فى أعمال أبوكريفية أخرى، مثل إنجيل متى المنحول[8626] الذى وصف اتهامَ قوم مريم لها بالزنا بصورة أكثر سخونة، إذ كان حاضراً جموع كبيرة من شعب إسرائيل **[⟵ "قَوْمَهَا" (مريم 27)]** ومن بينهم أقارب مريم ووالديها (أي: أبوها وأمها) **[⟵ وجود أبي مريم وأمها في هذا المشهد يُذكِّرنا بالعبارة التى قالها القرآن على لسان قوم مريم: "مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا" (مريم 28)]**. وإنه لَمِن الطريف أن أصحاب القرآن قد عكسوا ترتيبَ الأحداث المذكورة فى إنجيل متى المنحول. فبينما يضع هذا الإنجيل الأبوكريفى المنحول اتهامَ مريم بالزنا قبل ميلاد يسوع ويضع قصة "النخلة والماء" بعد الميلاد، نجد أن القرآن يضع قصة "النخلة والماء" قبل الميلاد (أو: أثناء المخاض والولادة، وبخاصة إذا افترضنا أن المُنادِي الذي "نَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا" (مريم 24) هو عيسى) ويضع اتهام مريم بالزنا بعد الميلاد!

ألم يكن من الأفضل أن يلتزم أصحاب القرآن بترتيب أحداث القصة كما جاءت فى الأناجيل الأبوكريفية: اتهام مريم بالزنا أثناء فترة الحمل، أي قبل الميلاد وليس بعده؟

انتهت القصة فى الأناجيل الأبوكريفية بإعلان براءة مريم من تهمة الزنا. كذلك أعلن القرآنُ براءةَ مريم من نفس التهمة، لكن بطريقة مختلفة ...

4.61 فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا

أعلن القرآنُ براءةَ مريم من تهمة الزنا بأن جعل وليدها عيسى يتكلم في المهد! "فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ [عيسى] إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 29-33). كذلك ذكر القرآنُ المدني كلامَ عيسى ابن مريم في المهد: "يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ" (آل عمران 46) "تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ" (المائدة 110)[8627].

4.61.1 مصادر القرآن من التراث المسيحي

ليس لهذه القصة القرآنية أي وجود في الإنجيل القانوني ولا في العهد الجديد كله، لكنها موجودة في إنجيل من أبوكريفا العهد الجديد يُعرف باسم "إنجيل الطفولة العربي" (Arabic Infancy Gospel) (L'Évangile arabe de l'enfance)[8628][8629] الذي يُحتمَل أنه يرجع إلى أصل سرياني من القرن الخامس أو السادس بعد الميلاد – أي قبل الإسلام بفترة قصيرة نسبياً. يحتوى هذا الإنجيل الأبوكريفي على مجموعة من القصص التي كانت منتشرة بين المسيحيين العرب في شبه الجزيرة العربية، فيبدو أن أصحاب القرآن سمعوا عنها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من مسيحيي الشرق الأوسط، بدليل وجود هذه القصص أو بعض عناصرها في القرآن. مِن أهم هذه القصص وأشهرها قصة هروب العائلة اليهودية المقدسة إلى مصر وذهاب مريم وطفلها يسوع إلى شجرة جميز (sycamore) **[← "النَّخْلَةِ" (مريم 23، 25)]** تدعى "مطرية" (Matarea) حيث فجر يسوع ينبوع ماء[8630] **[← "سَرِيًّا (أي: جَدْولَ ماء عذب؛ نهراً صغيراً)" (مريم 24)]**. ولقد علمنا من بعض الأصدقاء أن حي "المطرية" في شمال مدينة القاهرة عاصمة مصر لا يزال يحمل هذا الاسم إلى اليوم!

نوضح فيما يلي أهم أوجه التشابه بين إنجيل الطفولة العربى والقرآن العربي، أولاً من حيث الشكل ثم بعد ذلك من حيث المضمون. فَمِن حيث الشكل:

- يُعتبَر إنجيلُ الطفولة العربى واحداً من الأناجيل القليلة التى وُصِف المسيح فيها بلفظ "ابْنَ مَرْيَمَ" (son of Mary). وكما قلنا من قبل، لم يوصف المسيح صراحةً بهذا اللفظ فى الأناجيل القانونية – بل وفى العهد الجديد كله – إلا مرة واحدة فقط (مرقس 3:6). أما فى إنجيل الطفولة العربى فلقد وُصِف المسيح صراحةً بهذا اللفظ أربع مرات[8631]؛ وفى القرآن ثلاث وعشرين مرة ومعظمهم فى آيات مدنية[8632]: (البقرة 87، 253) (آل عمران 45) (النساء 157، 171) (المائدة 46، 72، 75، 78، 110، 112، 114، 116) (التوبة 31) (مريم 34) (المؤمنون 50) (الأحزاب 7) (الزخرف 57) (الحديد 27) (الصف 6 و 14) ومرتان فى (المائدة 17).

- اهتم إنجيلُ الطفولة العربى اهتماماً ملحوظاً بالعذراء مريم على الرغم من أن أحداثه تبدأ بميلاد يسوع وليس بميلادها. مِن مظاهر هذا الاهتمام ما يلى:
  - اسم العذراء "مريم" تكرر أكثر من 70 مرة فى هذا الإنجيل الأبوكريفى وحده – أى أكثر من ثلاثة أضعاف عدد مرات تكراره فى العهد الجديد كله (19 مرة فقط، ومعظمهم فى إنجيل لوقا)[8633].
  - وفى الجزء الأوسط من إنجيل الطفولة العربى (الإصحاحات 11-35)، نجد أن المؤلف قد جعل مريم هى التى تقوم بالدور الرئيسى فى صنع "المعجزات"!
  - نضيف إلى ذلك أنه أحياناً يذكر مريم دون أن يذكر رجلها يوسف النَّجَّار (انظر مثلاً الإصحاح 24 الذى ذكر ذهاب مريم وطفلها يسوع إلى شجرة الجميز دون أن يذكر أن يوسف كان معهما! وانظر أيضاً الإصحاحات: 19-21 و 23-25 و 27-34).

كذلك اهتم القرآنُ بمريم اهتماماً واضحاً:

- سورة باسمها ولا يوجد سورة باسم "عيسى" أو اسم المسيح!
- ذكر اسمها 34 مرة[8634] أى أكثر من العهد الجديد كله!
- جعل القرآنُ الطفلةَ مريم شخصية هامة جداً إلى درجة أن الرجال يتسابقون ويقترعون "أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ" (آل عمران 44)!
- تجاهل القرآنُ يوسفَ النَّجَّار وتجاهل كل النساء الأخريات اللاتى يحملن اسم "مريم" (مثل مريم المجدلية وغيرها) وسلط الضوء على مريم أم عيسى فقط وأعطاها بطولة مطلقة فى قصص البشارة والحمل والمخاض والولادة.
- وأخيراً وليس آخراً، صوَّر القرآنُ الطفلةَ العذراء مريم كما لو كانت إمرأة حديدية أو (superwoman) انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا حيث جاءتها البشارة، ثم حملت فَانْتَبَذَتْ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ، ثم يُطلَب منها أن تهز جِذْعِ النَّخْلَةِ وهى تعانى آلام المخاض والولادة، ثم تلد وليدها (بمفردها على ما يبدو)، ثم تواجه قومَها وهى تحمله (أيضاً بمفردها على ما يبدو)! سؤال: هل تستطيع طفلة فى عمر مريم أن تتحمل كل هذه التجارب الصعبة؟!

أما من حيث المضمون، فلقد تأثر أصحابُ القرآن بالقصص التي دوَّنها إنجيلُ الطفولة العربي، مثل:

- قصة شجرة الجميز وينبوع الماء تذكرنا فوراً بقصة "النخلة والماء" المذكورة فى إنجيل متى المنحول والمذكورة أيضاً فى القرآن (مريم 23-26)، وإن وضعها القرآن أثناء المخاض والولادة كما شرحنا.

- قصة كلام المسيح فى المهد مذكورة فى الإصحاح الأول من إنجيل الطفولة العربي الذي يقول إن يسوع تكلم حين كان موضوعاً في مِذْوَدِه (manger) أي في المهد (cradle) **[← "فِي الْمَهْدِ" (آل عمران 46) (المائدة 110) (مريم 29)]** قائلاً لأمه مريم ما يلي[8635]:

"أنا يسوع، ابن الله، الكلمة، الذي أنجبتيه، مثلما أعلن لك الملاك جبرائيل، وأبي أرسلني لخلاص العالم".
"Verily I am Jesus, the Son of God, the Word which thou hast borne, according as the angel Gabriel gave thee the good news; and My Father hath sent Me for the salvation of the world."

ونلاحظ في إنجيل الطفولة العربي أن الطفل يسوع أكَّد أنه "ابن الله" وليس ابن الرجل فلان، وأن مريم أنجبته كما أعلن لها الملاك جبرائيل، أي أنه أكَّد على أن أمه عذراء. ولذلك استلهم أصحابُ القرآن هذه القصة ووضعوها في سياق اثبات براءة مريم من تهمة الزنا، مع أن إنجيل الطفولة العربى نفسه لم يذكر هذه التهمة!

ونلاحظ أيضاً أن أصحاب القرآن قد حَذفوا كل ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية، مثل عبارة "أنا يسوع ابن الله" ووضعوا بدلاً منها "إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ" (مريم 30) ثم أضافوا فى نفس السياق "مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ" (مريم 35)، وكأنهم يردون على عبارة "أنا يسوع ابن الله" المذكورة فى إنجيل الطفولة العربى. مما جعل بعض العلماء يعتقدون أن الآيات (مريم 34-40) قد أضيفت لاحقاً، واستدلوا على ذلك أيضاً باختلاف السجع (rhyme) في تلك الآيات عمَّا قبلها وعمَّا بعدها. يقول العالم الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) تعليقاً على القرآن (مريم 34-40)[8636]:

[مريم 34-40] This section (cf. المائدة 116-117), as pointed out by Guillaume Dye ("Lieux saints communs," 13) and before him Richard Bell (*Commentary*, 1:506), has a different rhyme from what precedes and follows and may be a later interpolation. The anti-Christian character of verses 35-36 suggests that this section might be an effort to counter the Christian interpretation of the story of Jesus' speech as a child, namely that it is a miracle which redounds to his divinity.

كذلك حذف أصحابُ القرآن عبارة "أبي أرسلني لخلاص العالم" ووضعوا بدلاً منها "آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا" (مريم 30).

ومن هذا نستنتج أن القصة القرآنية تكاد تكون مطابقة للقصة الأبوكريفية، ففى كلٍ منهما يتكلم الطفل يسوع/عيسى فى المهد معلناً – ولو بصورة ضمنية – أن أمه مريم عذراء لم تلده من زنا، ومعلناً أيضاً عن المهمة التى سوف يقوم بها فى المستقبل، لكن حسب الديانة: فى المسيحية إذا تكلم يسوع فسيقول "أبي أرسلني لخلاص العالم"، أما فى الإسلام إذا تكلم عيسى فبالطبع لن يقول "أبي أرسلني لخلاص العالم" وإنما سيقول "آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا" (مريم 30). باختصار: القصة القرآنية ليست جديدة، وإنما مجرد تطور بشري طبيعي للقصة المسيحية الأبوكريفية.

وفي الواقع، فإنه حتى عبارة "إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ" (مريم 30) التي وضعها أصحابُ القرآن على لسان المسيح ليست جديدة. وذلك لأن المسيح هو بالفعل عبد الله وعبد الرب (ʿebed Yahweh) حسب نبوات العهد القديم في "أناشيد العبد" (Servant Poems) (Songs of the Suffering Servant) في سفر إشعياء. وكذلك في التراث المسيحي في القرون الأولى للميلاد قبل مجمع نيقية[8637]. اقرأ أيضاً "تسبحة سمعان" أو "مزمور سمعان" الذي يشتهر باسمه اللاتيني (Nunc dimittis) ويقول: "«الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ (باليونانية: doulon) (your slave; your servant) يَا سَيِّدُ (أي: الآن يا رب تطلق عبدَك المسيح) حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ»" (لوقا 2:29-32). "وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ (أي: مريم) يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ (أي: مما قال سمعان عن يسوع). وَبَارَكَهُمَا سِمْعَانُ، وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ: «هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ (sign) تُقَاوَمُ" (لوقا 2:33-34) **[← "وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً (sign) لِلنَّاسِ" (مريم 21)[8638] "وَجَعَلْنَاهَا (أي: وَجَعَلْنَا مريمَ) وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 91) "وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً" (المؤمنون 50)].**

أما المفاجأة الكبرى فهي أن الفكرة الأساسية نفسها – أي: فكرة "كلام المسيح في المهد" – ليست جديدة. فمجرد وجودها في القرآن العربي وفي إنجيل الطفولة العربي الذي يسبقه بقليل يؤكد أنها كانت أسطورة شائعة قبل الإسلام ثم دوَّنها القرآنُ. وفي جميع الأحوال، إنها أسطورة منحولة وتطور بشري طبيعي لآيات كتابية يُفْهَم منها أنه حتى الأطْفَال الرُّضَّع يسبحون اللهَ ويحمدونه! في العهد القديم: "أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا، مَا أَمْجَدَ اسْمَكَ فِي كُلِّ الأَرْضِ! حَيْثُ جَعَلْتَ جَلاَلَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ. مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ أَسَّسْتَ حَمْدًا" (المزامير 8:1-2). وفي "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha): "حتى إنها (أي: الحكمة) فَتَحَت أفواهَ البُكْمِ (أي: الْخُرْسِ) وجعَلَت ألسِنَةَ الرُّضَّعِ تحمَدُ اللهَ" (الحكمة 10:21)[8639]. وفي العهد الجديد: "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «نَعَمْ! أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا؟»" (متى 21:16).

فحتى إذا كان إنجيل الطفولة العربي كُتِبَ بعد القرآن العربي كما قد يعتقد المسلمون، فإن الآيات السابقة سواء من الكتاب المقدس بعهديه أو من الأسفار القانونية الثانية / الأبوكريفية تكفي – بل تكفي جداً – لتأليف أسطورة كلام المسيح في المهد (مريم 29) (آل عمران 46) (المائدة 110).

وكما تعودنا، هناك قصص أبوكريفية أخرى تتشابه مع القصة القرآنية. منها ما قد ذكرناه من قبل في أسطورة "النخلة والماء" المذكورة في إنجيل متى المنحول (Gospel of Pseudo-Matthew). فكما قلنا من قبل، تحدث الطفل يسوع إلى النخلة وأمرها أن تنحني ثم ترتفع وتُفجّر من تحتها ينابيع ماء عذب! إذن: حسب هذا الإنجيل الأبوكريفي المنحول، يسوع تكلَّم وهو لا يزال طفلاً صغيراً جداً (رضيعاً)[8640] **[← "فَنَادَاهَا [عيسى] مِن تَحْتِهَا" (مريم 24)؛ "فِي الْمَهْدِ" (مريم 29) (آل عمران 46) (المائدة 110)].** ولذلك فإن الأعمال الفنية التي أبدعها الفنانون للتعبير عن مشهد النخلة المنحنية تُصوّر مريم وهي تحمل الطفل يسوع على ذراعها أو تضعه على حِجرها. انظر مثلاً الشكل التالي[8641]:

رسم توضيحي 17 – أسطورة النَّخْلَةِ [← "النَّخْلَةِ" (مريم 23، 25)] وأسطورة كلام المسيح ابن مريم وهو طفل صغير جداً (رضيع) [← "فِي الْمَهْدِ" (مريم 29) (آل عمران 46) (المائدة 110)]

4.61.2 التشابه بين القرآن والأساطير الشرقية القديمة: الأساطير البوذية مثلاً!

والحقيقة أن قصة كلام طفل في المهد موجودة ليس فقط في تراث الديانات الإبراهيمية (إنجيل متى المنحول وإنجيل الطفولة العربي والقرآن العربي)، ولكن أيضاً في تراث الديانات غير الإبراهيمية، كالديانة البوذية مثلاً! نعم، فإحدى الروايات التي كُتِبت في القرن الثاني بعد الميلاد في كتاب (Buddhacarita) تحكي أن بوذا تكلم بعد ولادته مباشرةً[8642] **[← "يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ" (آل عمران 46) "تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ" (المائدة 110) "فِي الْمَهْدِ" (مريم 29)]!**

فهل سيصدق المسلمون أن بوذا قد تكلم بعد ولادته مباشرةً؟! إذا كانت الإجابة لا، فلماذا يطلبون مننا أن نصدق أن عيسى ابن مريم قد تكلم في المهد؟! فكما استطاع مؤلفو كتاب (Buddhacarita) أن يؤلفوا هذه القصة، كذلك استطاع أصحاب القرآن أن يبتكروا قصةً مشابهة ثم وضعوها في القرآن.

4.61.3 هل كلام عيسى ابن مريم "في المهد" قصة حقيقية؟!

بعد أن استعرضنا الأساطير البوذية والمسيحية والقرآنية، فإن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: هل كلام عيسى ابن مريم "فِي الْمَهْدِ" (مريم 29) (آل عمران 46) (المائدة 110) قصة حقيقية؟!

الإجابة: لا. فلا يمكن أن نُصدِّق أن طفلاً في المهد يتحدث بمثل هذا الكلام الفصيح. وكما قلنا، القصة موجودة فى إنجيل الطفولة العربي وإنجيل متى المنحول؛ ومجرد وجودها فى هذه الأناجيل الأبوكريفية يجعلنا نشك فيها. وذلك لأننا حين نقرأ "أناجيل الطفولة" بصفة عامة – وإنجيلي الطفولة العربى ومتى المنحول بصفة خاصة – نلاحظ كيف انتشرت كثير من القصص الشعبية والأساطير التي تحكي "معجزات" وهمية ادعى الذين كتبوها أن الطفل يسوع قد صنعها أو أنها حدثت فى حضوره. ولا يمكن اطلاقاً أن نُصدِّق هذه المعجزات المزعومة لأنها ببساطة شديدة مجرد أساطير وخرافات لا يقبلها العقل، مثل ما يلي:

- سجود الثور والحمار للطفل يسوع بعد ثلاثة أيام من ولادته (أي وهو لا يزال في المهد)!
- سجود الأسود والتنانين (dragons) أيضاً للطفل يسوع بعد أن أتم عامه الثاني!
- الشيطان يثير طفل (يهوذا الإسخريوطى) لكي يعض الطفل يسوع (أقل من 7 سنوات)، فلما فشل يهوذا فى عض يسوع ضربه فى جنبه الأيمن، فبكى يسوع، فخرج الشيطان من يهوذا فى هيئة كلب!
- الصَّبِيّ يسوع (أقل من 12 سنة) يشرح لمُعلّمه معلومات متقدمة عن الحروف الأبجدية! وهذه الأسطورة بالذات مشهورة جداً وتكررت فى عدة أعمال أبوكريفية – مع بعض الاختلافات فى التفاصيل كالعادة. وأحياناً تتكرر أكثر من مرة في نفس العمل الأبوكريفي (مثلاً: مرتين في إنجيل متى المنحول)!
- مُعلّم رفع يده لكي يضرب الصَّبِيّ يسوع فشُلَّت يد المُعلّم ومات على الفور!
- الصَّبِيّ يسوع يشرح للفلاسفة والعلماء علوم الكواكب والطب والفيزياء؛ ... الخ هذه الأساطير غير المعقولة!

إن وجود مثل هذه الأساطير فى أناجيل الطفولة الأبوكريفية المنحولة يجعلنا نشك فى القصص الموجودة فيها، وبالتالى نشك فى القصص المناظرة لها فى القرآن، ومنها قصة كلام عيسى ابن مريم فى المهد. وهى أساساً قصص منحولة مِن بعض القصص المذكورة فى الإنجيل القانونى، مثل سجود المجوس (Magi) للطفل يسوع بعد ولادته فى بيت لحم اليهودية (متى 2:1-12)، وجلوس الصَّبِيّ يَسُوع (12 سنة) فِي الْهَيْكَلِ، فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ، يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ (لوقا 2:41-50).

الخلاصة: قصة كلام عيسى ابن مريم فى المهد ليست قصة جديدة، فهى مذكورة فى الأناجيل الأبوكريفية المنحولة، وليس هناك أى دليل على أنها قصة حقيقية حدثت فعلاً. وفى كل الأحوال، لا يمكن أن

تكون هذه القصة دليل على أن القرآن موحى به من الله. وذلك لأن يوجد ما يماثلها فى الديانة البوذية التى يعتبر ها المسلمون ديانة غير سماوية.

ونريد أن نختم قصص الميلاد والطفولة (مريم، يوحنا/يحيى، يسوع/عيسى) بأن نؤكد أن هذه القصص تكفي وحدها كدليل قاطع يثبت أن القرآن كلام بشر 100% وليس كلام الله، فما هى إلا أساطير توارثتها الأجيال عبر القرون إلى أن تم تدوينها في الأناجيل الأبوكريفية والقرآن.

وليس من المبالغة أن نقول إن أساطير الطفولة موجودة فى كل الديانات تقريباً. وهى عادةً تُنسَج حول الشخصية المحورية فى الديانة. فى المسيحية: يسوع، كما رأينا. وفى البوذية: بوذا، كما رأينا. وفى الإسلام: محمد. نعم، الإسلام به أساطير طفولة. فعلى سبيل المثال تحكي لنا إحدى الروايات الإسلامية عن شق صدر الرسول محمد – حين كان طفلاً – واستخراج قلبه لتنقيته مِن "حظ الشيطان" ثم إعادة قلبه في مكانه مرة أخرى! يقول الشيخ الشعراوي تحت عنوان "بركة اليتيم وشق صدره الشريف"(8643):

وفي يوم من الأيام بينما كان رسول الله ﷺ في البادية يلعب مع عبد الله بن الحارث، وهو ابن حليمة مرضعة رسول الله ﷺ، وأخوه في الرضاعة جاء رجلان عليهما ثياب بيض، ثم أخذاه ﷺ وشقا بطنه وصدره، واستخرجا من قلبه شيئاً أشبه بالعلقة السوداء، ثم غسلا صدره بشيء يشبه الثلج، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فرجحت كفته، فقال: زنه بمائة من أمته فرجحت كفته، ثم قال: زنه بألف من أمته فرجحت كفته، فقال: والله لو وزنته بأمته كلها لرجحت كفته.
عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقةً، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعنى ظئره – فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. فقال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط فى صدره. أخرجه مسلم [162 / 261]

هل هذا معقول يا أولي الألباب؟! بالطبع لا، فما هذا أيضاً إلا أساطير في أساطير(8644)!

4.62 أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ

يقول قرآنُ العرب إن إحدى معجزات مسيح المسلمين عيسى ابن مريم هي أنه خلق من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فصار طيراً!

- "وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (آل عمران 49)؛
- "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ" (المائدة 110)[8645].

اتفقت الآيتان السابقتان أن المعجزة تمت على مرحلتين. المرحلة الأولى: "أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ"، وهذه خطوة سهلة لأن كل إنسان يستطيع أن يُصوّر مِنَ الطِّينِ شكلاً كَهَيْئَةِ الطَّيْر. أما المرحلة الثانية: "فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا" فهي الأصعب وتستحق فعلاً أن تكون معجزة – إن كانت قصة حقيقية – لأنها تعني أن الحياة قد دبَّت في الجماد (وهو الطين) فتحول إلى كائن حي حقيقي (وهو الطير)!

على الرغم من هذا الاتفاق بين هاتين الآيتين (آل عمران 49) (المائدة 110)، نلاحظ بعض الاختلافات بينهما ونوجزها في النقاط التالية:

- أيهما أصح: الضمير الغائب المذكر في "فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا" (آل عمران 49)؟ أم الضمير الغائب المؤنث في "فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا" (المائدة 110)؟
- تقول (آل عمران 49): "أُحْيِي الْمَوْتَى"؛ بينما تقول (المائدة 110): "تُخْرِجُ الْمَوْتَى".
- وأخيراً وليس آخراً، حرص أصحاب القرآن حرصاً شديداً على التأكيد على دور "الله" فى صنع هذه المعجزة المزعومة وغيرها من معجزات عيسى ابن مريم المذكورة فى هاتين الآيتين، ولذلك كرروا عبارة "بِإِذْنِ اللَّهِ" مرتين فى (آل عمران 49)، أما عبارة "بِإِذْنِي" – أي: بِإِذْنِ اللهِ – فتكررت أربع مرات فى (المائدة 110). فقالوا عن المرحلة الثانية من هذه المعجزة المزعومة:
  - "فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ" (آل عمران 49)،
  - "فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي" (المائدة 110).

لكن هذا التكرار المُبَالَغ فيه جعل أصحاب القرآن يضعون كلمة "بِإِذْنِي" بعد المرحلة الأولى فى (المائدة 110): "تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي"! فهل المرحلة الأولى – وهى مجرد صُنع شكل مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْر – تحتاج إلى إذن الله؟! لاحظ أن المرحلة الأولى فى (آل عمران 49) لم يأت بعدها "بِإِذْنِ اللَّهِ".

كالعادة، حاول شيوخ الإسلام والمفسرين المسلمين تبرير هذه الاختلافات، ولكننا نرى تبريراتهم مختلفة وضعيفة، ومِن ثَم لا يمكننا أن نقتنع بها، خاصةً إذا كنا بصدد كتاب يُفترَض أنه أحسن كتاب فى الكون! فلعل التبرير المقنع لهذه الاختلافات هو أن القرآن عمل جماعي اشترك فيه أكثر من شخص؛ فالذي قال (آل عمران 49) ربما شخص آخر غير الذي قال (المائدة 110).

ونضيف إلى ما سبق اختلاف القراءات فى هاتين الآيتين (آل عمران 49) (المائدة 110)، فهناك مَن قرأ "الطَّيْر ... طَيْرًا"، وهناك مَن قرأ "الطَّائِر ... طَائِراً"، وهناك مَن قرأ "الطَّيْر ... طَائِراً"[8646]! فأى مِن هذه الكلمات هى المكتوبة فى اللوح المحفوظ؟!

كل هذه الأمور تجعلنا نشك فى هذه القصة القرآنية وتجعلنا نبحث عن جذورها. وبناء على الخبرة التي اكتسبناها من خلال دراستنا للأساطير القرآنية السابقة، فإننا نؤكد أن هذه الأسطورة القرآنية لها أيضاً جذور في أبوكريفا العهد الجديد ...

4.62.1 مصادر القرآن من أناجيل الأبوكريفا المنحولة المزورة المزيفة

بكل تأكيد، ليس لهذه القصة القرآنية أي وجود في أي سفر من أسفار العهد الجديد. وكالعادة، لا نعلم متى وأين حدثت، هذا إن كانت حدثت أصلاً. ذلك لأن – كالعادة أيضاً – لم يذكر القرآن زمان ولا مكان حدوثها. وبصفة خاصة، لم يذكر القرآن عُمر عيسى ابن مريم حين صنع هذه المعجزة المزعومة، ولذلك فضَّلنا أن نفصل هذه القصة عن قصص الميلاد والطفولة. على أى حال، عُمر عيسى لا يهم كثيراً؛ المهم الفكرة نفسها ومعرفة مِن أين أتت. والحمد لله، فلقد اعترف "نخبة من العلماء" المسلمين قائلين: "إن هذه المعجزة وردت فى إنجيل توما. فإنه (أي: عيسى) قد صنع من الطين هيئة اثنى عشر عصفوراً، وأمرهم أن يطيروا؛ فطاروا والناس ينظرون إليهم"[8647].

إنجيل توما المذكور هنا هو "إنجيل توما الإسرائيلي" (Gospel of Thomas the Israelite) (Évangile de Thomas l'Israélite) الذي يُعرَف أيضاً بأسماء أخرى مثل "طفولة المخلِّص" (Childhood of the Savior)، ويُرمَز له اختصاراً بالرمز (IGT) وذلك لأن أشهر أسمائه حالياً هو: "إنجيل الطفولة لتوما" (The Infancy Gospel of Thomas)[8648] واسمه باللغة الفرنسية: (Évangile de l'enfance selon Thomas).

يحتوي إنجيل الطفولة لتوما (IGT) على مجموعة من الروايات المستقلة بذاتها (self-contained narratives)، مما يُسهِّل عملية انتشارها شفوياً بطريقة مستقلة قبل كتابتها فى كتب. هذا الانتشار الشفوى الواسع لهذه الروايات فى القرون الستة الأولى للميلاد أدى إلى وجود عدة نسخ لهذا الإنجيل الأبوكريفى بلغات ونصوص مختلفة، أقدمها نصوص لاتينية وسريانية يعود تاريخها إلى القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد

– أى قبل الإسلام بفترة قصيرة نسبياً. لكن معظم العلماء يعتقدون أن إنجيل الطفولة لتوما (IGT) يرجع إلى القرن الثانى أو ربما الثالث بعد الميلاد – أى قبل الإسلام بأكثر من 300 سنة. وأضاف العالم الدكتور (Tony Burke) – الذى كتب رسالة دكتوراة متخصصة في هذا الإنجيل الأبوكريفي وحصل على شهادة الدكتوراة من جامعة تورونتو (University of Toronto) بكندا – أن قصص طفولة أخرى أدمجت فى النص السريانى الذى وصل فى صورته المُطوَّلة هذه إلى رسول الإسلام محمد قبل أن يُترجم إلى العربية(8649):

IGT spread eastward as early as the third century when it was read perhaps by the author of *Acts Thom.* (2.1.1.2). It had certainly penetrated eastern Syria by the sixth century, the time of the earliest Syriac MS. Like the Old Latin text, the Syriac IGT was soon expanded and combined with other infancy and childhood material. It is in its expanded form that the Syriac text was made available to Mohammed in the seventh century (2.1.3.4). Translated into Arabic by the eighth or ninth century, the augmented text then spread further among Arabic-speaking lands in the form of *Arab. Gos. Inf.* A second, undated Arabic translation was made directly from the unexpanded Syriac text.

ملحوظة: يشير الجزء (2.1.3.4) إلى (آل عمران 49) مُترجمة إلى اللغة الإنجليزية فى نفس رسالة الدكتوراة صفحتي 16-17. باختصار: كل الأدلة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن قصة خلق الطير من الطين كانت معروفة قبل ظهور الإسلام.

وإننا لنتعجب أن "نخبة من العلماء" المسلمين يستدلون بإنجيل الطفولة لتوما الذى يحتوى على مجموعة من الأساطير التى ادعى مؤلفوها أنها حدثت حين كان الطفل يسوع بين سن الخامسة والثانية عشرة، مثل:

- حين كان عمره خمسة أعوام، لعن الطفلُ يسوع طفلاً آخر (ابن "حنان الكاتب") فمات هذا الطفل فى الحال!
- طفل آخر ضرب يسوع فى الكتف، فقال له يسوع: "إنك لن تمضِ فى طريقك بعد ذلك"، فسقط هذا الطفل ومات!
- ولما عاتب "يوسف النجار" يسوع على ما يفعله وشدَّ أذنه بقوة، غضب يسوع وردَّ على يوسف بأسلوب غير لائق!
- الطفل يسوع (أقل من 6 سنوات) يشرح لمُعلّمه معلومات متقدمة عن الحروف الأبجدية! وكما قلنا من قبل، أسطورة يسوع ومُعلّمه أسطورة مشهورة جداً وتكررت فى عدة أعمال أبوكريفية وأحياناً

تتكرر أكثر من مرة فى نفس العمل الأبوكريفى! ولقد تكررت ثلاث مرات فى إنجيل الطفولة لتوما، مع بعض الاختلافات فى التفاصيل كالعادة.

- أهل طفل ميت (اسمه زينون) يتهمون يسوع أنه قتل ابنهم. فأقام يسوع زينون من الموت حتى يبرئ نفسه من تهمة القتل؛ ... الخ هذه الأساطير غير المعقولة!

الكتاب الذي يحتوي على مثل هذه الأساطير والخرافات، هل يمكن أن نُصدِّق ما جاء فيه من قصص أخرى، ومن بينها قصة خلق الطير من الطين المذكورة في القرآن العربي (آل عمران 49) (المائدة 110)؟!

يقول إنجيل الطفولة لتوما إن الطفل يسوع حين كان عمره خمس سنوات، فعل ما يلى:

- المرحلة الأولى: صنع يسوع من الطين هيئة اثنى عشر عصفوراً **[← "أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ" (آل عمران 49) "تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ" (المائدة 110)]**؛
- المرحلة الثانية: صفَّق يسوع بيديه وأمرهم أن يطيروا **[← جعل القرآنُ عيسى ينفخ! "فَأَنْفُخُ فِيهِ" (آل عمران 49) "فَتَنفُخُ فِيهَا" (المائدة 110)]**، فطاروا **[← "فَيَكُونُ طَيْرًا" (آل عمران 49) "فَتَكُونُ طَيْرًا" (المائدة 110)]**!

النص باللغتين العربية والإنجليزية[8650]:

وصنع يسوع من طين الصلصال، اثني عشر عصفوراً. وكان ذلك يوم سبت. فجرى صبي وأخبر يوسف قائلاً: "هوذا ابنك يلعب عند غدير المياه وصنع من طين الصلصال اثني عشر عصفوراً، الذي لا يحل [يوم السبت]". فلمَّا سمع [يوسف] ذلك ذهب وقال ليسوع: "لماذا فعلت ذلك ودنست السبت؟". لكن يسوع لم يجاوبه، بل نظر للعصافير وقال: "انطلقي، طيري، وعيشي واذكريني". وعند قوله هذا طارت وصعدت في الهواء، فلمَّا رأى يوسف ذلك تعجب.
When this child Jesus was five years old, […]. He then made some soft mud and fashioned twelve sparrows from it. It was the Sabbath when he did this. There were also a number of other children playing with him. When a certain Jew saw what Jesus was doing while playing on the Sabbath, he left right away and reported to his father, Joseph, “Look, your child […] has taken mud and formed twelve sparrows. He has profaned the Sabbath!” When Joseph came to the place and looked, he cried out to him, “Why are you doing what is forbidden on the Sabbath?” But Jesus clapped his hands and cried to the sparrows, “Be gone!” And the sparrows took flight and went off, chirping. When the Jews saw this they were

amazed; and they went away and reported to their leaders what they had seen Jesus do.

ونلاحظ هنا أن إنجيل الطفولة لتوما أكثر دقة من القرآن، فلقد ذكر تفاصيل مهمة لم يذكرها القرآن:

- حدثت القصة يوم سبت (Sabbath)، وهو اليوم المقدس لدى اليهود، مما أثار حفيظتهم وأدى إلى غضبهم. حذف أصحابُ القرآن هذه المعلومة المهمة أو ربما وصلتهم الأسطورة بدونها.
- ذكر هذا الإنجيل الأبوكريفى عُمر يسوع (5 سنوات) وذكر عدد الطير (12 عصفوراً)، بينما لم يذكر القرآنُ عُمْرَ عيسى ولا عدد الطير.

وكما تسللت أسطورة "خلق الطير من الطين" إلى القرآن العربي، تسللت أيضاً إلى أعمال أبوكريفية أخرى، مثل إنجيل الطفولة العربي الذي كررها مرتين[8651]، وإن اختلفت التفاصيل بينهما وبين ما جاء فى إنجيل الطفولة لتوما: المرة الأولى فى الإصحاح 36 (مثل القرآن: لم يذكر أن القصة حدثت يوم سبت ولم يذكر عدد الطير)، والمرة الثانية فى الإصحاح 46 (مثل إنجيل الطفولة لتوما: ذكر أن القصة حدثت يوم سبت وأنهم كانوا اثنى عشر عصفوراً). والحقيقة أن هذا الجزء الأخير من إنجيل الطفولة العربى (الإصحاحات 36-55) يتشابه كثيراً مع إنجيل الطفولة لتوما.

كذلك أشار عمل أبوكريفى آخر إلى هذه الأسطورة الشهيرة. يُعرَف هذا العمل باسم "أسئلة بَرْثُولَمَاوُس" (Questions of Bartholomew) (Questions de Barthélemy) ويُعرَف أحياناً باسم "إنجيل بَرْثُولَمَاوُس" (Gospel of Bartholomew). الرأى السائد هو أن هذا العمل الأبوكريفى كُتِب بين القرنين الثانى والسادس بعد الميلاد – أى قبل ظهور الإسلام – ويُحتمَل أن يكون كُتِب فى مصر[8652].

أراد هذا العمل الأبوكريفي أن يُشبِّه الرسل الاثنى عشر (The twelve apostles) الذين أرسلهم يسوع بعد ما جاوز الثلاثين من عمره بالعصافير الاثنى عشر الذين صنعهم يسوع حين كان طفلاً[8653]:

Mary said to them [the apostles], “In your likeness did God form the sparrows, and sent them forth into the four corners of the world.”

مما سبق يتضح أن "معجزة" خلق الطير من الطين التى وضعها القرآن ضمن معجزات مسيح المسلمين عيسى ابن مريم ما هى إلا أسطورة مسيحية شهيرة تم تأليفها فى القرون الستة الأولى للميلاد وتطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة مع الزمن فتوارثتها الأجيال عبر السنين حتى وصلت إلى أصحاب القرآن. الأمر إذن لا يحتاج إلى أي وحي من الله!

يبقى سؤال وهو: كيف تم تأليف هذه الأسطورة المسيحية←القرآنية؟ الإجابة: يبدو لنا أن هذه الأسطورة قد نُحِلَت مِن معجزة شفاء المولود أعمى المذكورة في (يوحنا 9:1-34)، والتي ذكرها القرآنُ نفسه في نفس

الآيتين مع أسطورة خلق الطير من الطين: "أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ" (آل عمران 49) و "تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ" (المائدة 110)[8654]. صحيح جعلت الأسطورةُ يسوعَ يصنع من الطين طيراً وليس عينين للأكمه كما جاء فى (يوحنا 9:1-34). لكن أخذت الأسطورة العديد من العناصر المذكورة فى (يوحنا 9:1-34)، مثل: الطين، يوم سبت، غضب اليهود بسبب ما فعله يسوع. الهدف فى النهاية واحد وهو التأكيد على أن يسوع المسيح (أو بعبارة أكثر دقة: ابن الإنسان) هو رب السبت (متى 8:12) (مرقس 28:2) (لوقا 5:6) وأن يسوع المسيح يخلق ويهب الحياة بالكلمة/الأمر "طيري"، أي يخلق كما خلق اللهُ آدم بالكلمة/الأمر "كُن"، بل هو الله حسب عقيدة لاهوت المسيح السائدة في العالم المسيحي.

وعلى الرغم من أن أصحاب القرآن قد أنكروا لاهوت المسيح، إلا أنهم قد استخدموا فعلين ("خلق" و "نفخ" (آل عمران 49) (المائدة 110)) يتعلقان أساساً بعمل الله الخالق؛ وكلمة "مِنَ الطِّينِ" (آل عمران 49) (المائدة 110) تُذكِّرنا على الفور بخَلْق آدم مِن "طين" أو "تراب" حسب التراث اليهودي/المسيحي ثم "نَفَخَ [اللهُ] فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (التكوين 7:2)[8655]. ونحن هنا نتفق تماماً مع العالم الكبير "سمير خليل سمير" (Prof. Samir Khalil Samir) الذي ذكر أن استخدام هذين الفعلين "خلق" و "نفخ" في هاتين الآيتين (آل عمران 49) (المائدة 110) يدل على الجذور المسيحية لهذه القصة القرآنية[8656].

وإن قلتم إن أصحاب القرآن أكدوا إنكارهم للاهوت المسيح بتكرار "بِإِذْنِ اللَّهِ" مرتين في (آل عمران 49) وتكرار "بِإِذْنِي (أي: بإذن الله)" أربع مرات في (المائدة 110). فسنقول: لكن "إِذْنِ اللَّهِ" متاح لجميع الأنبياء والمرسلين، فلماذا انفرد المسيحُ بالذات (وليس موسى أو محمد مثلاً) بهذه المعجزة؟ الإجابة: لأن الأسطورة أصلاً أسطورة مسيحية ومرتبطة بالمسيح كما أثبتنا.

بل إن تكرار "بِإِذْنِ اللَّهِ" مرتين في (آل عمران 49) وتكرار "بِإِذْنِي (أي: بإذن الله)" أربع مرات في (المائدة 110) هو خير دليل قرآني يثبت أن الأسطورة المسيحية المذكورة في إنجيل توما الإسرائيلي وغيره تسبق القرآن. وذلك لأن القرآن هنا يرد على هذه الأسطورة المسيحية التي تُستخدم لاثبات لاهوت المسيح، فيقول إن ما فعله المسيح كان "بِإِذْنِ اللَّهِ"؛ فلولا إذن الله لما استطاع المسيحُ أن يفعل هذه المعجزة. لكن المشكلة هي أن هذه الأسطورة المسيحية لم تحدث أصلاً، فهي مجرد خرافة واحدة من ضمن خرافات أخرى كثيرة في إنجيل توما الإسرائيلي وغيره، فمجرد تصديق القرآن لحدوثها يؤكد أنه كلام بشر 100% وليس كلام الله.

وكان من الأفضل ألا يردد القرآنُ من الأساس هذه الأسطورة المسيحية، ويكتفي بتذكير المسيحيين المثلِّثين بالآيات الإنجيلية التي تؤكد أن يسوع المسيح لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإذن الله الذي أرسله. مثلاً: قال يسوع المسيح "أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ (أي: لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يوحنا 30:5) "وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي (أي: كَمَا عَلَّمَنِي اللهُ)" (يوحنا 28:8).

4.62.2 مصادر القرآن من الأساطير المصرية القديمة

فى كل الأحوال وأياً كانت الطريقة التي تم بها تأليف هذه الأسطورة المسيحية←القرآنية، فالفكرة الأساسية فيها – وهى أن الحياة دبَّت فى جماد بفعل قوة معينة (الله أو غيره) – تبدو بسيطة ومن الممكن أن تخطر على بال أى إنسان. وكدليل على ذلك نشير إلى قصة مشابهة من خارج الديانات الإبراهيمية، وهى أسطورة مصرية قديمة تُسمَّى (Setne Khamwas and Naneferkaptah)[8657].

تقول هذه الأسطورة إن (Setne Khamwas) (Setni-Khaemouas) أراد أن يحصل على كتاب الإله توت[8658] (Book of Thoth)، ولما عرف أن هذا الكتاب موجود فى قبر (Naneferkaptah)، ذهب مباشرةً إلى القبر. هنالك عرف أن (Naneferkaptah) كان قد أراد هو أيضاً أن يحصل على هذا الكتاب من قبل. أراد (Setne Khamwas) أن يعرف كيف حصل (Naneferkaptah) على الكتاب، فقيلت له القصة، وهى بالفعل قصة طويلة ولا داعى لذكرها كلها بالتفصيل، فالجزء الذى يهمنا منها هو أن (Naneferkaptah) عرف أن كتاب الإله توت موجود فى صناديق محكمة الغلق فى وسط بحر (Sea of Coptos). فأحضر (Naneferkaptah) كمية كبيرة من الشمع (wax) (cire) **[← المادة المستخدمة في الأسطورة القرآنية هي: "الطِّينِ" (آل عمران 49) (المائدة 110)]**، وصنع من الشمع أشكالاً كهيئة زورق مزوَّد بطاقم بحَّارة **[← "أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ" (آل عمران 49) "تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ" (المائدة 110)]**، ثم قرأ تعويذةً سحرية **[← "فَأَنفُخُ فِيهِ" (آل عمران 49) "فَتَنفُخُ فِيهَا" (المائدة 110)]**، فكبرت الأشكال وتحول الزورق إلى باخرة حقيقية بطاقم بحَّارة حقيقيين بعد أن دبَّت الحياة فى الأشكال **[← "فَيَكُونُ طَيْرًا" (آل عمران 49) "فَتَكُونُ طَيْرًا" (المائدة 110)]** بفعل السحر (magic) **[← القوة الخفية التي صنعت المعجزةَ حسب الأسطورة القرآنية هي: "بِإِذْنِ اللَّهِ" (آل عمران 49) "بِإِذْنِي (أي: بإذن الله) [...] بِإِذْنِي" (المائدة 110). ثم ختم القرآنُ القصةَ بعبارة وكأنها ترد على الأسطورة المصرية القديمة: "فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ (magic) مُّبِينٌ" (المائدة 110)!]**.

جزء من أحداث الأسطورة المصرية القديمة باللغة الفرنسية[8659]:

[...], Na-nefer-ka-Ptah put enfin se consacrer à sa quête. Seule la magie pouvait l'aider dans son expédition; alors, avec une grande quantité de cire, il fabriqua une barque pourvue de son équipage; on récita ensuite une formule magique, et l'objet soudain grandit et s'anima, devenant un bateau réel avec des marins réels; jeté à l'eau, le navire était maintenant

prêt au départ. […] Pendant trois jours, Na-nefer-ka-Ptah navigua, conduit par les rameurs enchantés dans l'embarcation merveilleuse; les marins, mus par un souffle divin, connaissaient l'emplacement recherché; […]

وهذا لا يعني بالضرورة أن التراث المصري القديم قد انتقل مباشرةً إلى أصحاب القرآن. فَمِن الواضح أن التراث المصري القديم قد انتقل أولاً إلى التراث المسيحي (إنجيل توما الإسرائيلي وغيره)، ثم انتقل مِن التراث المسيحي إلى القرآن (آل عمران 49) (المائدة 110). وفي كل مرة يحدث تطور بشري طبيعي (natural human development) للأسطورة حتى تتناغم وتنسجم مع بيئتها الجديدة.

4.62.3 بقية معجزات عيسى ابن مريم المذكورة في (آل عمران 49) (المائدة 110)

أما بقية معجزات عيسى ابن مريم المذكورة فى (آل عمران 49) (المائدة 110)، فيمكن استخراجها بكل سهولة من الإنجيل[8660] الذى لخص بعض معجزات يسوع المسيح في آية واحدة هي (متى 5:11) تقول: "اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ **[⟵ "وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ" (آل عمران 49) "وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ" (المائدة 110)]**، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ **[⟵ بنفس الترتيب! "وَالْأَبْرَصَ" (آل عمران 49) (المائدة 110)]**، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ **[⟵ بنفس الترتيب! "وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ" (آل عمران 49) "تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ" (المائدة 110)]**، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ". اقرأ أيضاً (لوقا 22:7).

وإذا أردنا قدراً أكبر من التفصيل، فيمكن الرجوع إلى الآيات الإنجيلية التالية:

- أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ: (يوحنا 1:9-34) كما قلنا. أما إبراء اَلْعُمْيِ بصفة عامة فهو مذكور في مواضع كثيرة، مثل: (متى 27:9-31، 22:12، 30:15-31، 29:20-34) (مرقس 22:8-26، 46:10-52) (لوقا 35:18-43).
- أُبْرِئُ الْأَبْرَصَ: (متى 2:8-4) (مرقس 40:1-44) (لوقا 12:5-14، 11:17-19).
- أُحْيِي الْمَوْتَى: (متى 18:9-26) (مرقس 21:5-43) (لوقا 11:7-17، 40:8-56) (يوحنا 38:11-44).
- أما معرفة الغيب "وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ" المذكورة في (آل عمران 49) فقط، فيمكن استنتاجها من حديث يسوع المسيح مع امرأة سامرية لم يقابلها مِن قَبْل ومع ذلك أخبرها بعلاقاتها الجنسية الماضية والحالية في بيتها! "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «اذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكِ وَتَعَالَيْ إِلَى ههُنَا». أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ [السامرية] وَقَالتْ: «لَيْسَ لِي زَوْجٌ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «حَسَنًا قُلْتِ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ، لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لَكِ الآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ. هذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ». قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ!" (يوحنا 16:4-19). وفي نهاية هذا الحديث المهم، اعترفت المرأة

السامرية بأن يسوع المسيح يعرف الغيب، فكان ذلك سبباً في إيمان كثير من السامريين: "فَتَرَكَتِ الْمَرْأَةُ [السامرية] جَرَّتَهَا وَمَضَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَتْ لِلنَّاسِ: «هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَانًا قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟». فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَتَوْا إِلَيْهِ" (يوحنا 4:28-30) "فَآمَنَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ كَثِيرُونَ مِنَ السَّامِرِيِّينَ بِسَبَبِ كَلاَمِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ تَشْهَدُ أَنَّهُ: «قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ»" (يوحنا 39:4). اقرأ أيضاً: "لَمْ يَكُنْ [يَسُوعُ] مُحْتَاجًا أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ، لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَانِ (أي: في نفس أي إنسان؛ في داخل أي إنسان)" (يوحنا 25:2).

حتى اتهام اليهود الكفار "بَنِي إِسْرَائِيلَ" (المائدة 110) للمسيح "فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا (أي: ما يصنعه المسيحُ من معجزات) إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (أي: ليس من عند الله)" (المائدة 110)، فيمكن استنتاجه أيضاً بكل سهولة من الإنجيل. اقرأ مثلاً: "فَبُهِتَ كُلُّ الْجُمُوعِ [الذين رأوا معجزات المسيح] وَقَالُوا:«أَلَعَلَّ [يسوع] هذَا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ (أي: المسيا المنتظر)؟» أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ (أي: اليهود الذين لم يؤمنوا به) فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «هذَا لاَ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلاَّ بِبَعْلَزَبولَ (Beelzebub) رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ (أي: ليس من عند الله)»" (متى 12:23-24)؛ "وَأَمَّا الْكَتَبَةُ [اليهود] الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ فَقَالُوا: «إِنَّ [يسوع] مَعَهُ بَعْلَزَبُولَ! وَإِنَّهُ بِرَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ (أي: يفعل معجزاته بقوة الشيطان!)»" (مرقس 3:22)؛ (لوقا 15:11).

إذن كالعادة: لم يأت القرآنُ بشيء جديد يُذكَر! وإنما هو مجرد كلام بشر 100% وتطوُّر بشري طبيعي (natural human development) لأفكار قيلت من قبل سواء في الأناجيل القانونية أو في أناجيل الأبوكريفا المنحولة.

وخير ما نختم به كلامنا هو ما قاله العالم الكبير (Prof. Gabriel Said Reynolds) تعليقاً على القرآن (آل عمران 49)[8661]:

[آل عمران 49] Jesus is here made to address the Israelites directly as in [المائدة 72] and [الصف 6]. The miracle of Jesus' creating a bird (or birds) from clay, and his bringing it to life with his breath (cf. [المائدة 110]), is known from the apocryphal *Childhood of the Savior* (second century AD; commonly, and erroneously, referred to as the Infancy Gospel of Thomas). In the Christian context the point is to have Jesus create a living thing in the way that God creates Adam (Gen 2:7):

> When the boy Jesus was five years old, […].
>
> Then, taking soft clay from the mud, he formed twelve sparrows.
>
> […].

> […].
>
> […] Jesus, clapping his hands, commanded the birds with a shout in front of everyone and said, “Go, take flight, and remember me, living ones.” And the sparrows, taking flight, went away squawking. (*Childhood of the Savior* 1:1-4)

The Qurʾān has Jesus declare that he does this (and most, but not all, of the following miracles) “by God’s leave,” and therefore implies that these miracles are not signs of his divinity. Still, it might be noted that with this miracle the Jesus of the Qurʾān acts like the God of the Qurʾān, who creates Adam ([الحجر 29]; [ص 72]) and Jesus ([الأنبياء 91]) with his breath.

4.63 مائدة السيد المسيح: دعوة إلى المسلمين للاحتفال بعيد قيامة المسيح

سُمِّيَت سورةُ المائدة بهذا الاسم لأنها السورة الوحيدة في القرآن التي ذكرت قصةَ المائدة التي طلب "الْحَوَارِيُّون" من مسيح المسلمين عيسى ابن مريم أن يسأل ربه أن يُنَزّلها عليهم من السماء: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا (أي: وَنَعْلَمَ يقيناً صدقك في نبوتك) وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ. قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا (أي: يوماً يتكرر بصفة دورية ويمنح البهجةَ والسرور لكل مَن يشترك فيه) لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا (أي: عِيدًا لنا ولمَن بعدنا مِن الأجيال القادمة) وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 112-115)[8662].

كالعادة، لم يعطِ القرآنُ معلومات كافية عن الحواريين، فلم يقل بالضبط مَن هم، ولم يذكر أسماءهم، ولم يذكرهم إلا بصيغة الجمع "الحواريين" في أربع آيات فقط: (آل عمران 52) (المائدة 111-112) (الصف 14)[8663]. اختلف المفسرون المسلمون – كالعادة – في سبب تسمية الحواريين بهذا الاسم واختلفوا أيضاً في تحديد مَن هم! لكن الرأي السائد في المراجع الإسلامية هو أن الحواريين هم أتباع عيسى المخلصين والمؤمنين به وبالله. وأضاف الشيخ شلتوت أن الحواريين هُمْ الذين "جاء ذكرهم في الأناجيل باسم "التلاميذ""[8664]. بالفعل، تُترجَم كلمة "الحواريين" عادةً إلى (the disciples) (les disciples)[8665] – أي: "التلاميذ"، وتُترجَم أحياناً إلى (the apostles) (les apôtres)[8666] – أي: "الرسل". ولا غرابة في ذلك، فكلمة "الحواريين" أصلاً حبشية (إثيوبية) ومفردها "ḥawārya" وتعني: رسول (messenger) (باليونانية: apostolos)، واستخدمها العرب لتعني: تلميذ من تلاميذ المسيح (disciples of Christ)[8667]. والإنجيل نفسه استخدم كلمةَ "رسل" أحياناً لوصف التلاميذ الذين اختارهم المسيحُ ليُسلِّموا رسالته باسمه ويكرزوا بإنجيل الخلاص. مثلاً: "وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا [يسوعُ] تَلاَمِيذَهُ، وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضًا «رُسُلاً»" (لوقا 6:13).

4.63.1 هل قصة المائدة القرآنية (المائدة 112-115) قصة حقيقية؟

قبل الحديث عن جذور قصة المائدة القرآنية، نؤكد أنها قصة مشكوك فيها، وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: الآية التي تسبق القصة مباشرةً تقول: "وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي (أي: بالله) وَبِرَسُولِي (أي: بعيسى) قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ" (المائدة 111). وهي تناظر ما قيل في سورة آل عمران: "قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (آل عمران 52). ليس لدينا مشكلة مع النصف الأول من الآية "وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي (أي: بالله) وَبِرَسُولِي (أي: بعيسى)" (المائدة 111)؛ فلقد قالها يسوع المسيح في صلاته لله: "تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «أَيُّهَا

الآبُ (أي: الله)، [...] هذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يوحنا 17:1-3)، وقالها أيضاً في مواقف أخرى مثل: "أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي" (يوحنا 14:1)، "هذَا هُوَ عَمَلُ اللهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ" (يوحنا 6:29) ولنا وقفة طويلة مع (يوحنا 6) بعد قليل. أما الأمر المثير للريبة فهو النصف الثاني من الآية "قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ" (المائدة 111)، وبخاصة كلمة "مُسْلِمُونَ". كيف يمكن أن نصدِّق أنهم "قَالُوا آمَنَّا" وأنهم "مُسْلِمُونَ" بمعنى خاضعون لله أو مستسلمون لإرادته، مع أنهم في الوقت نفسه يشكون في قدرة الله "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ [...]" (المائدة 112) إلى درجة أن المسيح وبَّخهم "قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (المائدة 112)! نحن نريد دليلاً مادياً واحداً يثبت أن الحواريين – الذين عاشوا فى القرن الأول بعد الميلاد، أى قبل ظهور الإسلام بحوالى 600 سنة – قد نطقوا كلمة "مُسْلِمُونَ" بأي لغة (الآرامية أو العبرية أو اليونانية) وأياً كان معناها! فى ظل غياب هذا الدليل المادي، ليس أمامنا سوى أن نقول إن هذه الجُمل ما هي إلا إضافات إسلامية/عربية من عند أصحاب القرآن حتى يجعلوا الإسلامَ دين جميع الأنبياء والمخلصين من أتباعهم؛ ولقد رأينا أمثلة كثيرة على ذلك وبخاصة في القرآن المدني الذي تنتمي إليه سورة المائدة. ويصبح إذن من حقنا أن نشك فى (المائدة 111) وفى قصة المائدة التى جاءت بعدها مباشرةً (المائدة 112-115).

ثانياً: ليس من المعقول أن يُخاطِب الحواريون السيدَ المسيح قائلين "يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ" (المائدة 112). فكما قلنا مِن قبل لم يُوصف يسوع المسيح بعبارة "ابْنَ مَرْيَمَ" فى جميع أسفار العهد الجديد إلا مرة واحدة فقط (مرقس 6:3)، ولم نجد هذا الوصف فى الأناجيل الأبوكريفية إلا فى إنجيل الطفولة العربى (4 مرات فقط). ولا مرة مِن هذه المرات الخمس جاء لفظ "ابْنَ مَرْيَمَ" على لسان أحد تلاميذ المسيح أو رسله! فلا يمكن إذن أن نُصدِّق أن الحواريين قد تكلموا مع المسيح بهذه الطريقة غير اللائقة "يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ"، خاصةً إذا كانوا يطلبون منه طلباً أو معجزة! نضيف إلى ذلك اختلاف القراءات بين قراءة "هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ" (بالياء وبرفع كلمة "رَبُّكَ") وقراءة "هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ" (بالتاء وبنصب كلمة "رَبَّكَ")[8668]. فأيهما أصح وأيهما مكتوب فى اللوح المحفوظ؟!

ثالثاً: يقول القرآن إن عيسى ابن مريم قال للحواريين: "اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (المائدة 112). نريد دليلاً مادياً واحداً أن المسيح قد قال هذه العبارة فعلاً لتلاميذه. صحيح أن المسيح كان أحياناً يصف تلاميذه (الضعفاء أو المبتدئين في الإيمان) بعبارة "يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ" (متى 6:30، 8:26، 14:31، 16:8) (لوقا 12:28) وأحياناً يتحدث السياق عن الأكل والشرب كما هو الحال في قصة المائدة القرآنية؛ بل في مرةٍ من المرات: "قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ" (متى 17:20). لكن عبارة "اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (المائدة 112) تبدو لنا عبارة إسلامية/عربية زيادة عن اللزوم. ودليلنا على ذلك أن أصحاب القرآن قد قالوا نفس العبارة فى نفس السورة فى أحد النداءات الستة عشر للذين آمنوا: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (المائدة 57). ليس هذا فحسب، بل كرر أصحاب القرآن عبارة "إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" فى ستة عشر آية فى سياقات مختلفة ومعظمهم آيات مدنية: (البقرة 91، 93، 248، 278) (آل عمران 49، 139، 175) (المائدة 23، 57، 112) (الأعراف 85) (الأنفال 1) (التوبة 13) (هود 86) (النور 17) (الحديد 8). إذن: الأقرب إلى العقل والمنطق أن تكون عبارة "اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" عبارة عربية/إسلامية موضوعة وضعها أصحابُ القرآن ونسبوها للمسيح. أي: طوَّر أصحابُ القرآن الآيات الإنجيلية السابقة تطوراً بشرياً طبيعياً بالحذف و/أو الإضافة مع أسلمتها وتعريبها حتى وصلوا في النهاية إلى "اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ".

رابعاً: يقول القرآن: "قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 115). وليس من المبالغة أن نقول إن هذه الصيغة هي أشد وأقسى وأقصى صيغة عذاب في القرآن كله، وبخاصة أنها تأتي هنا على لسان الله نفسه[8669]. فهل المائدة مهمة جداً إلى درجة أن يُعذِّب اللهُ مَن يكفر بعد نزولها "عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ"؟! هل يُمكن أن يُفكِّر الله بهذه الطريقة إذا كانت المائدة مجرد ترابيزا (باليونانية: trapeza) عادية عليها أكل أو حتى "آية (أي: معجزة)"؟! أم أن الأمر أكبر مِن ذلك؟ ليس هذا فحسب، بل يُروى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أنه قَالَ: إِنَّ أَشَدّ النَّاسِ عَذَابًا ثَلَاثَة: الْمُنَافِقُونَ، وَمَنْ كَفَرَ مِنْ أَصْحَاب الْمَائِدَة، وَآل فِرْعَوْن. هل هذا معقول؟! هل الأمر خطير إلى هذه الدرجة؟! ونلاحظ أن أصحاب القرآن قد وضعوا هنا نفس الفكرة التى وضعوها فى قصة صالح وقومه ثمود، وهى أن الكفر بعد رؤية المعجزات يتلوه العذاب! "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ (أي: المعجزات) إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا" (الإسراء 59). يقول التفسير الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "وقد جرت سنتنا مع من يقترح الآيات (أي: المعجزات) ثم يجاب إليها ولا يؤمن بها أن نستأصله بالعذاب كما فعلنا بالأولين. ومنهم ثمود، [...]. والآيات إنما نرسل بها إلى الناس تخويفاً وإرهاباً"[8670]!

خامساً: هل هناك أى دليل على أن قصة المائدة القرآنية قد حدثت فعلاً؟ لم نجدها في أي سفر من أسفار العهد الجديد ولا في أي عمل أبوكريفي أو تاريخي! وما يُزيد من الدهشة هو أن القرآن يقول إن الحواريين قالوا: "وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ" (المائدة 113). طيب إذا كانوا فعلاً عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ، لماذا لم يُبلِّغوها إلى مَن لم يشهدها؟! لماذا لم يكتبوها هُمْ أو مَن تبعهم في أي كتاب؟! إن كانت حدثت فعلاً.

سادساً: لم تُذكر قصة المائدة فى أية سورة أخرى مِن سور القرآن. فما هى "أسباب نزول" هذه القصة؟ كل ما نعرفه عنها أن (المائدة 112-115) آيات مدنية، أى جاءت فى مرحلة متأخرة من ظهور الإسلام. ولكن متى "نزلت" بالضبط؟ وفى أى مناسبة؟ وهل فعلاً "نزلت" أثناء حياة محمد؟ أم هى إضافة مِن عند مَن تبقى مِن أصحاب القرآن على قيد الحياة أثناء كتابة القرآن فى مصحف بعد وفاة محمد؟ يجب على المسلمين أن يجيبوا على هذه الأسئلة إجابات مقنعة وبالأدلة – مش أى رد وخلاص – قبل أن يطلبوا منا أن نُصدِّق أن

هذه القصة قد حدثت بالفعل! هل توجد مخطوطة قرآنية واحدة يرجع تاريخُها إلى زمان محمد وتذكر قصة المائدة (المائدة 112-115)؟ على المسلمين أن يجيبوا على هذا السؤال بالأدلة إن كان لديهم أدلة.

سابعاً: كالعادة، لم يذكر القرآنُ الزمان ولا المكان ولا أسماء الأشخاص (الحواريين). ليس هذا فحسب، بل لم يقل القرآن صراحةً إن المائدة قد نزلت من السماء وأن الحواريين قد أكلوا منها! أى أن القرآن نفسه لم يقل صراحةً إن هذه المعجزة المزعومة قد حدثت بالفعل! ولذلك اختلف المفسرون المسلمون – كالعادة أيضاً – فى مسألة هل نزلت المائدة من السماء حقاً أم لم تنزل!

- الجمهور الذين اتفقوا أن المائدة قد نزلت استندوا إلى قول القرآن "قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ" (المائدة 115)، ولكنهم اختلفوا فى أمور كثيرة جداً، مثل: كيفية نزولها ومكانه ومدة بقائها وفترات نزولها وأسبابه وما كان عليها من طعام ... الخ.
- أما الذين يرفضون أن المائدة قد نزلت استندوا إلى قول القرآن فى نفس الآية "فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 115)، وقالوا إن الحواريين قد خافوا مِن العذاب إن لم يؤمنوا فتراجعوا عن طلب إنزال المائدة! كما اعتمد هؤلاء الرافضين على المعانى المختلفة للإنزال فى القرآن، مثل "أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ" (الحديد 25)، ليوضِحّوا أن قول القرآن "قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ" لا يعنى بالضرورة إنزالها من السماء. ومِنهم مَن قال إنها مجرد مثل (parable) ضربه الله للناس لئلا يسألوا هذه المعجزات. كذلك، فإن عدم وجود عيد مسيحي مرتبط بنزول "مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ" هو خير دليل أن المائدة لم تنزل، لأنها لو كانت نزلت لبقي هذا العيد المزعوم إلى يوم القيامة مصداقاً لقول عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ: "اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا" (المائدة 114). فهو لم يقل "عِيدًا" فقط وإنما قال "عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا" – أى لنا ولمَن يأتى بعدنا. وهذه هى المرة الوحيدة فى القرآن التى جاءت فيها كلمة "عيد"[8671] – أى أن العيد الوحيد المذكور فى القرآن بكلمة "عيد" لم يُذكَر عنه أى تفاصيل! فأين هذا العيد اليوم؟! ما اسمه؟! وكيف كان يتم الاحتفال به والاستعداد له؟! يجب على المسلمين أن يجيبوا على هذه الأسئلة إجابات مقنعة وبالأدلة – مش أى رد وخلاص[8672] – قبل أن يطلبوا منا أن نُصدِّق أن المائدة قد نزلت من السماء حقاً! ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الشعراوى **لم** يذكر قصة المائدة ضمن معجزات عيسى ابن مريم فى كتابه "شرح معجزات الأنبياء والمرسلين"[8673]. أعتقد أن الرسالة وصلت.

مما سبق يتضح أن لدينا كل الحق فى عدم تصديق هذه القصة بشكل عام والمعجزة المزعومة بشكل خاص. وعلينا أن نعترف بأن المفسرين المسلمين قد بذلوا مجهوداً كبيراً في محاولة فَهْم قصة المائدة القرآنية (المائدة 112-115)، لكنهم للأسف لم يسفروها تفسيراً صحيحاً، ولذلك احتاروا في مسألة نزولها مِن عدمه، كما احتاروا في أمر هذا العيد الأبدي "عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا" وأمور أخرى.

السؤال الآن هو: كيف استطاع أصحابُ القرآن تأليف قصة المائدة؟ هذا ما سوف نجيب عليه في الصفحات القادمة مع توضيح ما هو هذا "العيد" المستمر بالفعل إلى الآن بل إلى يوم القيامة، ومَن هو "المائدة" الذي نزل "مِن السماء"، ولماذا يكون "العذاب" الشديد هو مصير مَن يكفر بعد نزول "المائدة" ...

4.63.2 جذور قصة المائدة القرآنية في الكتاب المقدس وتراثه اليهودي/المسيحي

نؤكد مرة أخرى: قصة المائدة القرآنية (المائدة 112-115) غير موجودة في الإنجيل ولا في أي سفر من أسفار العهد الجديد. لكن العناصر الأساسية لهذه القصة القرآنية القصيرة (المائدة 112-115) موجودة – كالعادة – في الكتاب المقدس وتراثه اليهودي/المسيحي الشرقي. أي: موجودة في نفس المنظومة الدينية والثقافية التي وُلِدَ القرآنُ العربي مِن رحمها. بعبارة أخرى: الكتاب المقدس وتراثه اليهودي/المسيحي الشرقي وسَّعا الخيالَ (imagination) عند سُكان الشرق الأوسط ومِن بينهم العرب، فمَكَّنهم من تأليف قصص جديدة مثل قصة المائدة القرآنية (المائدة 112-115) مستوحاة من قصص قديمة. فما كان العرب ليهتدوا إلى هذا القرآن لولا أن هداهم الكتاب المقدس وتراثه اليهودي/المسيحي الشرقي.

4.63.2.1 معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل (معجزة الأَرْغِفَة الْخَمْسَة وَالسَّمَكَتَيْنِ)

مِن الواضح أن قصة المائدة القرآنية (المائدة 112-115) مستوحاة مِن معجزة "إشباع الخمسة آلاف رجل" (Feeding of the five thousand) (Première multiplication des pains)، وهي المعجزة الوحيدة التي صنعها المسيحُ في حياته على الأرض وذكرتها الأناجيل القانونية الأربعة (متى 14:13-21) (مرقس 6:30-44) (لوقا 9:10-17) (يوحنا 6:1-15)[8674]، مما يؤكد أهميتها القصوى في التراث المسيحي. ومن الجدير بالذكر أن قصة هذه المعجزة لا تزال تُذكَر كثيراً فى القداسات إلى يومنا هذا، وتُعرَف باسم "إنجيل البركة"، مما يدل على شهرتها الواسعة منذ فجر المسيحية إلى اليوم. كل هذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا هذه القصة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من مسيحيي الشرق الأوسط والحبشة.

تُعرَف هذه المعجزة أيضاً بأسماء أخرى، أشهرها "معجزة إشباع الجموع" و "معجزة الأَرْغِفَة الْخَمْسَة وَالسَّمَكَتَيْنِ"[8675] (Multiplication of the loaves and fish). ومن اسمها ومن تفاصيلها نستطيع أن نفهم لماذا ذكر عدد من المراجع الإسلامية وجود سمك وخبز (أرغفة) على المائدة المذكورة فى (المائدة 112-115). وسوف نعطى فيما يلى ملخصاً لهذه المعجزة المشهورة، موضِّحين العناصر المُناظِرة فى القرآن بعلامة **[⟵]** بين القوسين. وكما تعودنا بالطبع غيَّر أصحاب القرآن فى التفاصيل.

تبدأ القصة بجلوس يسوع **[⟵ "عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ" (المائدة 112، 114)]** مع تلاميذه الاثني عشر **[⟵ "الْحَوَارِيُّونَ" (المائدة 111-112)]** قبل عيد الفصح اليهودي (Passover) (la Pâque) بفترة

قصيرة "وَكَانَ الْفِصْحُ، عِيدُ الْيَهُودِ، قَرِيبًا" (يوحنا 6:4) **[⟵ "عِيدًا" (المائدة 114)]**. ثم أقبل جمعٌ كبير (حوالي 5000 رجل غير النساء والأطفال) إلى يسوع "لأَنَّهُمْ أَبْصَرُوا آيَاتِهِ (أي: معجزاته) الَّتِي كَانَ يَصْنَعُهَا فِي الْمَرْضَى" (يوحنا 6:2). فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «الْمَوْضِعُ خَلاَءٌ وَالْوَقْتُ قَدْ مَضَى. اِصْرِفِ الْجُمُوعَ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الْقُرَى وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ طَعَامًا». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لاَ حَاجَةَ لَهُمْ أَنْ يَمْضُوا. أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا». فَقَالُوا لَهُ: «لَيْسَ عِنْدَنَا ههُنَا إِلاَّ خَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَانِ»؛ وهذا بالطبع لا يكفي كل هذا الجمع الكبير **[⟵ "قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ" (المائدة 112) "قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا" (المائدة 113)]**. فأَخَذَ يسوع الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَشَكَرَ وَبَارَكَهُنَّ **[⟵ "قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ [...] وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" (المائدة 114)]**. وهنا حدثت المعجزة، وتحولت كمية الطعام القليلة إلى كمية كبيرة تكفي كل هذا الجمع الكبير، بل وتزيد **[⟵ "قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ" (المائدة 115)]**، فأَعْطَى يسوعُ لِلتَّلاَمِيذِ، وَالتَّلاَمِيذُ أعطوا لِلْجُمُوعِ. فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جَمِيعًا **[⟵ "نَأْكُلَ مِنْهَا" (المائدة 113)]**. فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!» (يوحنا 6:14) **[⟵ "وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا (أي: وَنَعْلَمَ يقيناً صدقك في نبوتك) وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ" (المائدة 113)]**.

أما فيما يتعلق ببقية عناصر قصة المائدة المذكورة فى القرآن (المائدة 112-115) ولكن ليست موجودة فى معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل المذكورة فى الإنجيل، فتبدو هذه العناصر أيضاً مستوحاة من بعض القصص المشهورة[8676] المرتبطة هى الأخرى بمعجزة إشباع الخمسة آلاف رجل، كما سنشرح فيما يلي:

4.63.2.2 معجزة إنزال الخبز من السماء لمدة أربعين عاماً

نبدأ أولاً بالتوراة (الخروج 16)[8677]، ونذكر معجزة إنزال الخبز من السماء **[⟵ "مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ" (المائدة 112، 114)]** على بني إسرائيل فى بَرِّيَّةِ سِينٍ (Desert of Sin) (فى جنوبى غرب سيناء) بَعْدَ شهر من خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ملخص القصة هو أن بني إسرائيل تذمروا فِي الْبَرِّيَّةِ بسبب نقص الأكل، وترحَّموا على أيامهم فى مصر فتكلموا مع مُوسَى وَهَارُونَ بهذه الطريقة غير اللائقة: «لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ» (الخروج 16:3) **[⟵ تكلم تلاميذ المسيح معه بهذه الطريقة غير اللائقة: "قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ" (المائدة 112) "قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا" (المائدة 113)]**. استجاب الرَّبُّ لتذمر بنى إسرائيل وقَالَ لِمُوسَى: "هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ" (الخروج 16:4) **[⟵ "قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ" (المائدة 115)]**، ثم قَالَ

الرَّبُّ لِمُوسَى أن يقول لبنى إسرائيل: "فِي الْعَشِيَّةِ تَأْكُلُونَ لَحْمًا، وَفِي الصَّبَاحِ تَشْبَعُونَ خُبْزًا، وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ" (الخروج 16:12) **[← "نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا (أي: وَنَعْلَمَ يقيناً أنك رسول الرب إلهنا)" (المائدة 113)]**.

بالفعل: فى المساء أقبلت طيور السَّلْوَى (السُّمَانَى) (quail) بكميات هائلة، وفى الصباح نزل خبز الرب من السماء على بني إسرائيل، ولكنهم لم يعرفوا ما هو فأسموه «مَنًّ» (manna) – أى "ما هذا؟". وامتحاناً لبنى إسرائيل وضع الرب لهم تعليمات مُفصَّلَة تتعلق بجمع هذا الْمَنَّ وأكله "سِتَّةَ أَيَّامٍ تَلْتَقِطُونَهُ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ، لاَ يُوجَدُ فِيهِ" (الخروج 16:26)، وذلك حتى يرى الرب هل سيطيعوه ويحفظوا تعليماته أم لا، ومَن لم يحفظ وصايا الرب كان يُعاقَب حسب ما قال الرب. وكما قلنا في قصة "أصحاب السبت"، كانت عقوبة العمل يوم السبت تصل إلى أقسى وأقصى عقوبة وهي الإعدام (الخروج 31:12-17) (الخروج 35:1-3) (العدد 15:32-36)! **[← "فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 115)]**. وكما قلنا في قصة خروج بني إسرائيل من مصر، لم تلتزم جماعةٌ من بني إسرائيل بتعليمات الله: "وَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ (أي: في يوم السبت) أَنَّ بَعْضَ الشَّعْبِ خَرَجُوا لِيَلْتَقِطُوا فَلَمْ يَجِدُوا. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «إِلَى مَتَى تَأْبَوْنَ أَنْ تَحْفَظُوا وَصَايَايَ وَشَرَائِعِي؟" (الخروج 16:27-28).

ثم قال موسى إن الرب قد أمر بحفظ جزء مِن هذا الْمَنَّ كعينة حتى تراها الأجيال القادمة: وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «خُذْ قِسْطًا (أي: إناءً) وَاحِدًا وَاجْعَلْ فِيهِ مِلْءَ الْعُمِرِ مَنًّا (حوالى لترين أو لترين ونصف)، وَضَعْهُ أَمَامَ الرَّبِّ لِلْحِفْظِ فِي أَجْيَالِكُمْ» (الخروج 16:33) **[← "وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ" (المائدة 113) "لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا (أي: لنا ولمَن بعدنا مِن الأجيال القادمة)" (المائدة 114)]**. وبالفعل "كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَضَعَهُ هَارُونُ أَمَامَ الشَّهَادَةِ لِلْحِفْظِ" (الخروج 16:34). بعد ذلك، أصبح قِسْط الْمَنَّ مهماً جداً إلى درجة أنه صار يوضع في الهيكل/المحراب في تابوت العهد (الشَّهَادَة) (Ark of the Covenant (Testimony)) مع لوحي الشَّهَادَةِ (Tablets of the Testimony) المكتوب عليهما الوصايا العشر (The Ten Commandments).

استمر الْمَنَّ ينزل من السماء على بنى إسرائيل لمدة أربعين عاماً، فكان ينزل كل يوم من أيام الأسبوع ما عدا اليوم السابع لأنه "سَبْتٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ" (الخروج 16:23) – وهذه هى المرة الأولى فى الكتاب المقدس التى يُذكَر فيها يوم "سَبْت" (Sabbath)، وهذا دليل آخر على أهمية هذه القصة. وكان مَن يلتزم بتعليمات الرب يأخذ مِن الْمَنَّ ما يكفيه على حسب حاجته. ولم يتوقف الْمَنَّ إلا بعدما احتفل بنو إسرائيل بأول عيد فصح (Passover) (la Pâque) فى كنعان؛ إذ لم يعد لنزول الْمَنّ مبرر بعد أن بدأ بنو إسرائيل يأكلون من غَلّة أرض كنعان (يشوع 5:10-12). ولا يزال اليهود في إسرائيل وفي كل مكان في العالم يحتفلون بعيد الفصح إلى اليوم، تنفيذاً للأمر الإلهي حسب التوراة: "وَيَكُونُ لَكُمْ هذَا الْيَوْمُ تَذْكَارًا فَتُعَيِّدُونَهُ عِيدًا لِلرَّبِّ. فِي أَجْيَالِكُمْ تُعَيِّدُونَهُ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً" (الخروج 12:14) **[← "تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا (أي: لنا وللأجيال**

القادمة" (المائدة 114)]. ومِن المعلوم أن عيد الفصح عند اليهود (وهو العيد الذي يحيي ذكرى خروج شعب إسرائيل ابن الله مِن مصر) يناظر عيد القيامة (Easter) عند المسيحيين (وهو العيد الذي يحيي ذكرى خروج المسيح ابن إسرائيل وابن الله مِن القبر)، ولا يزال المسيحيون يحتفلون بعيد القيامة إلى اليوم **[⟵ "تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا" (المائدة 114)]**. وكلاهما يأتي كل سنة في الربيع؛ إلا أن عيد القيامة يُحتفل به دائماً يوم الأحد لأنه اليوم الذي قام فيه يسوع المسيح من الأموات[8678]. فإنه إذن لَمِن الطريف أن "العيد" الوحيد المذكور في القرآن (المائدة 114) هو عيد الفصح/القيامة الذي لا يحتفل به المسلمون! ألا يكفي ذلك كدليل قرآني قاطع يثبت بصمة التراث اليهودي/المسيحي على القرآن؟ ألا يكفي ذلك كدليل قرآني قاطع يثبت أن القرآن خرج من رحم التراث اليهودي/المسيحي؟ القرآن هو أصلاً كتاب عربي من كتب التراث اليهودي/المسيحي الشرقي ثم صار فيما بعد النص المؤسس لدين العرب الجديد (الإسلام).

لا توجد آية قرآنية واحدة تذكر عيد الفطر! ولا توجد آية قرآنية واحدة تذكر عيد الأضحى! ولا توجد آية قرآنية واحدة تذكر عيد رأس السنة الهجرية! ولا توجد آية قرآنية واحدة تذكر عيد مولد النبي! بل لا نجد قصة ميلاد محمد في القرآن! الآية القرآنية الوحيدة التي تذكر كلمة "عِيدًا" (المائدة 114) ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأحداث من التراث اليهودي/المسيحي، بل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعيد الفصح/القيامة تحديداً. ألا يكفي ذلك كدليل قرآني قاطع يثبت صحة ما نقوله دائماً: القرآن العربي مجرد كتاب من كتب التراث اليهودي/المسيحي الشرقي قبل أن يكون النص المؤسس (le texte fondateur) لدين العرب الجديد (الإسلام).

4.63.2.2.1 المزمور 78

وتوجد في التوراة أيضاً أحداث أخرى مشابهة تذمر فيها بنو إسرائيل وطلبوا طعاماً أو ماء، ثم استجاب لهم الرب، مثل: (الخروج 15، 17) (العدد 11، 20). ولقد أشارت بقية أسفار العهد القديم إلى أحداث (الخروج 16) وغيرها من هذه الأحداث المهمة، مما يدل على أن الأجيال المتعاقبة ظلت تتوارث ذِكراها. على سبيل المثال وليس الحصر: "جَمِيعَ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ تَحْفَظُونَ لِتَعْمَلُوهَا، لِكَيْ تَحْيَوْا وَتَكْثُرُوا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ (أي: أرضَ كنعان) الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ. وَتَتَذَكَّرُ كُلَّ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْقَفْرِ، لِكَيْ يُذِلَّكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلْبِكَ: أَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لاَ؟ فَأَذَلَّكَ وَأَجَاعَكَ وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ وَلاَ عَرَفَهُ آبَاؤُكَ، لِكَيْ يُعَلِّمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الإِنْسَانُ" (التثنية 8:1-3)؛ "وَأَعْطَيْتَهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِجُوعِهِمْ، وَأَخْرَجْتَ لَهُمْ مَاءً مِنَ الصَّخْرَةِ لِعَطَشِهِمْ" (نحميا 15:9)؛ "سَأَلُوا فَأَتَاهُمْ بِالسَّلْوَى، وَخُبْزَ السَّمَاءِ أَشْبَعَهُمْ. شَقَّ الصَّخْرَةَ فَانْفَجَرَتِ الْمِيَاهُ. جَرَتْ فِي الْيَابِسَةِ نَهْرًا" (المزامير 105:40-41). وكذلك في الأسفار القانونية الثانية (Deuterocanonical books) / أبوكريفا العهد القديم (Old Testament Apocrypha)، مثلاً: "أما شعبك [...] ناولتهم طعامَ ملائكة، وقَدَّمت لهم من السماء خبزاً مُعَدًّا لم يتعبوا فيه. خبزاً يُوفِّر كُلَّ

لَذَّةٍ وبلائم كُلَّ ذوق" (الحكمة 20:16). ومنذ فجر المسيحية وإلى اليوم، انتقل هذا التراث اليهودي إلى المسيحيين، فلقد قال بولس الرسول: "فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا أَنَّ آبَاءَنَا جَمِيعَهُمْ كَانُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ، وَجَمِيعَهُمُ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمُ اعْتَمَدُوا (were baptized) لِمُوسَى فِي السَّحَابَةِ وَفِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا طَعَامًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ" (1 كورنثوس 1:10-4). "إذن، ما كانت الصخرة إلا نبوّة عن المسيح [...] وانكسارها كان انكسار الجسد وخروج الدم وفيه الحياة"[8679].

ونريد نتوقف عند المزمور الثامن والسبعين[8680]، وهو المزمور الثاني من حيث الطول، لأن له تأثير واضح على قصة المائدة القرآنية (المائدة 112-115). كُتِب هذا المزمور الطويل المهم بعد خروج بني إسرائيل من مصر بعدة قرون، وهو مزمور تعليمي للصغار يعطي دروساً يُعلِّمها الآباء للأبناء حتى لا يكرروا نفس أخطاء الأجيال التي سبقتهم وحتى يَجْعَلُوا عَلَى اللهِ اعْتِمَادَهُمْ، وَلاَ يَنْسَوْا أَعْمَالَ اللهِ، بَلْ يَحْفَظُوا وَصَايَاهُ، وَلاَ يَكُونُوا مِثْلَ آبَائِهِمْ، جِيلاً زَائِغًا وَمَارِدًا، جِيلاً لَمْ يُثَبِّتْ قَلْبَهُ وَلَمْ تَكُنْ رُوحُهُ أَمِينَةً بِهِ (المزامير 1:78-8). وهذا دليل آخر يثبت توارث الأجيال لهذه القصة بهدف أخذ العظة والعبرة.

يقول هذا المزمور عن بني إسرائيل: "وَجَرَّبُوا اللهَ (challenged God) فِي قُلُوبِهِمْ، بِسُؤَالِهِمْ طَعَامًا لِشَهْوَتِهِمْ. فَوَقَعُوا فِي اللهِ (insulted God). قَالُوا: «**هَلْ يَقْدِرُ اللهُ أَنْ يُرَتِّبَ مَائِدَةً** (باليونانية: trapeza؛ بالحبشية: mā῾edd)[8681] فِي الْبَرِّيَّةِ؟ (المزامير 18:78-19) **[⟵ بالعربية مثل الحبشية: مائدة. "هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ" (المائدة 112)]**. "هُوَذَا ضَرَبَ الصَّخْرَةَ فَجَرَتِ الْمِيَاهُ وَفَاضَتِ الأَوْدِيَةُ. **هَلْ يَقْدِرُ [⟵ "هَلْ يَسْتَطِيعُ" (المائدة 112)]** أَيْضًا أَنْ يُعْطِيَ خُبْزًا، أَوْ يُهَيِّئَ لَحْمًا لِشَعْبِهِ؟»" (المزامير 20:78).

ثم يضيف المزمور: "فَأَمَرَ [الرَّبُّ] السَّحَابَ مِنْ فَوْقُ، وَفَتَحَ مَصَارِيعَ السَّمَاوَاتِ. وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ مَنًّا لِلأَكْلِ، وَبُرَّ السَّمَاءِ أَعْطَاهُمْ. أَكَلَ الإِنْسَانُ خُبْزَ الْمَلاَئِكَةِ. أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ زَادًا لِلشِّبَعِ. [...] وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ لَحْمًا مِثْلَ التُّرَابِ، وَكَرَمْلِ الْبَحْرِ طُيُورًا ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ. وَأَسْقَطَهَا فِي وَسَطِ مَحَلَّتِهِمْ حَوَالَيْ مَسَاكِنِهِمْ" (المزامير 23:78-28) **[⟵ "قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ" (المائدة 115)]**. "فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جِدًّا" (المزامير 29:78) **[⟵ "نَأْكُلَ مِنْهَا" المائدة 113]**. [ونلاحظ أن تعبير "فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا" المذكور فى المزمور 78 قد اُستخدِمَ بعد ذلك بعدة قرون في الإنجيل (معجزتى إشباع الخمسة آلاف رجل وإشباع الأربعة آلاف رجل: "فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا" (متى 20:14، 37:15) (مرقس 42:6) "فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا" (مرقس 8:8) "فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جَمِيعًا" (لوقا 17:9) مما يدل على العلاقة القوية بين هذه القصص اليهودية/المسيحية المتشابهة التي تركت بصمتها بعد ذلك على القرآن (المائدة 112-115) **[⟵ "نَأْكُلَ مِنْهَا" المائدة 113]**.]

ثم ينتقل المزمور الثامن والسبعون إلى الحديث عن غضب الله على بنى إسرائيل بسبب استمرارهم فى الخطيئة وعدم الإيمان بمعجزات الله وعجائب قدرته: "لَمْ يَزُوغُوا عَنْ شَهْوَتِهِمْ. طَعَامُهُمْ بَعْدُ فِي أَفْوَاهِهِمْ،

فَصَعِدَ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللهِ، وَقَتَلَ مِنْ أَسْمَنِهِمْ، وَصَرَعَ مُخْتَارِي إِسْرَائِيلَ. فِي هذَا كُلِّهِ أَخْطَأُوا بَعْدُ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِعَجَائِبِهِ. فَأَفْنَى أَيَّامَهُمْ بِالْبَاطِلِ وَسِنِيهِمْ بِالرُّعْبِ" (المزامير 78:30-33) [**⟵ "فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 115)**].

كل ما سبق يؤكد أهمية قصة إنزال الخبز من السماء على بنى إسرائيل بَعْدَ شهر من خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، ويؤكد أيضاً أنها كانت ولا تزال قصة مشهورة ومعروفة ينقلها الخلف عن السلف وتتوارثها الأجيال المتعاقبة مِن اليهود والمسيحيين على حدٍ سواء. ومن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة، فلقد أشار القرآن صراحةً إلى هذه القصة في آيات كثيرة مثل: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى" (طه 80)؛ "وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (الأعراف 160)، وهما آيتان مكيتان، مما يؤكد أن أصحاب القرآن كانوا على علم بهذه القصة المشهورة منذ السنوات الأولى للإسلام، ثم استلهموا أحداثها فى الفترة المدنية مِن أجل تأليف قصة جديدة هى (المائدة 112-115). اقرأ أيضاً (البقرة 57) (مدنية) التى كررت ما قالته (الأعراف 160): "وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (البقرة 57).

ومِن الجدير بالذِكر أن بعض المراجع الإسلامية قد استخدمت كلمة "مائدة" للإشارة إلى قصة إنزال المن والسلوى على بنى إسرائيل من السماء[8682]. مما يدل على الارتباط الواضح بين قصة "المن والسلوى" وقصة (المائدة 112-115) في أذهان المفسرين المسلمين.

4.63.2.2.2 آيات من الإنجيل (وبخاصة: يوحنا 6) تشير إلى معجزة إنزال الخبز من السماء

أشار الإنجيل أو العهد الجديد بصفة عامة إلى قصة إنزال الخبز من السماء – سواء صراحةً أو بصورة ضمنية – فى عدة مواضع.

نذكر منها على سبيل المثال: الصلاة الربّانيّة (The Lord’s Prayer) التي قالها المسيح يسوع بنفسه لله (متى 6:9-13) بناء على طلب واحد من تلاميذه أن يعلمهم الصلاةَ (لوقا 11:2-4). تقول هذه الصلاة الربّانيّة التي يتلوها كل مسيحي في العالم إلى يومنا هذا: "خُبْزَنَا كَفَافَنَا (أي: الذي يكفينا حسب الحاجة من غير زيادة ولا نقصان) أَعْطِنَا الْيَوْمَ" (متى 6:11) أي "خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ" (لوقا 11:3)[8683] **[⟵ أخذ أصحابُ القرآن هذا التعبير الإنجيلي المشهور "أَعْطِنَا خُبْزَنَا كَفَافَنَا الْيَوْمَ" وعبَّروا عنه بكلمةٍ واحدة هي "ارْزُقْنَا" (المائدة 114) وأيضاً قالها المسيحُ بنفسه لله "ارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" (المائدة**

114) وأيضاً بناء على طلب التلاميذ/الحواريين!]. يقول العالِمُ الكبير "سمير خليل سمير" (Prof. Samir Khalil Samir) تعليقاً على كلمة "ارْزُقْنَا" (المائدة 114)[8684]:

"رِزْق" في العربية الكلاسيكية هو الطعام الضروري ليوم واحد. لهذا يفكِّر المرءُ بالضرورة في الصلاة الربّانيّة: "أَعْطِنَا الْيَوْمَ خُبْزَنَا اليومي" (متى 6:11؛ لوقا 11:3).
Rizq [رِزْق], in Classical Arabic, is the food necessary for one day. Thus one thinks necessarily of the Lord's Prayer: […] "Give us today our *daily* bread."

ويوجد في القرآن ما قد يؤيد هذا الرأي: "وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ (أي: "يُنَزّلُ أرزاقهم بقدر ما يشاء لكفايتهم"[8685]) ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ" (الشورى 27). كما يجب أن نلاحظ أن الصلاة الربّانيّة (أي: صلاة السيد المسيح لإلهه) تستخدم نفس الأفكار والألفاظ المستخدمة في معجزة إنزال الخبز من السماء (الخروج 16)، مثلاً: "خُبْزًا" (الخروج 16:4) "حَاجَةَ الْيَوْمِ بِيَوْمِهَا (أي: ما يكفي كل يوم حسب الحاجة)" (الخروج 16:4) **[← وكذلك يجب أن نلاحظ أن كلمة "ارْزُقْنَا" المذكورة في دعاء السيد المسيح لإلهه "ارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" (المائدة 114) هي نفس الكلمة المستخدمة في قصة المن والسلوى "رَزَقْنَاكُمْ" (الأعراف 160) (طه 81) (البقرة 57) "رِزْقِ اللَّهِ" (البقرة 60)! فلا يمكن أن تكون كل هذه التشابهات والمتوازيات مجرد صدفة!]**.

وفي نفس السياق نذكر أيضاً الأحداث التى تلت معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل، وبخاصة في (يوحنا 6). فلقد اعتبرت جماعة من اليهود ما فعله يسوع المسيح مجرد معجزة صغيرة إذا ما قورنت بمعجزة موسى: يسوع أشبع 5000 رجل فقط (أو حوالى 20000 شخص إذا أخذنا فى الاعتبار النساء والأولاد) بخبز عادي ولمرة واحدة فقط، أما موسى فأشبع شعبَ إسرائيل بأكمله بخبز من السماء ولمدة أربعين عاماً. ولقد كان الشعب اليهودي يتوقع أنه حين يأتي المسيّا المنتظر فإنه سوف يرسل الْمَنَّ مِن جديد من السماء كأيام موسى باعتباره موسى الجديد. فحاول يسوع أن يصحح أفكارهم وقال: "اِعمَلوا لا للطعامِ البائدِ، بل للطعامِ الباقي للحياةِ الأبديةِ الذي يُعطيكم ابنُ الإنسان، لأن هذا الله الآب قد خَتَمَه" (يوحنا 6:27). "والمعنى ببساطة: لا تطلبوا خبز الجسد، بل اطلبوا المسيح نفسه فهو خبز الروح، الذي نزل من عند الآب وعليه ختم الروح القدس، والذي يأكل منه لا يجوع إلى الله بعد، بل يشبع شبع الحياة الأبدية ولا يموت. [...] فما كان الماء الحي سوى المسيح نفسه، وما كان الخبز الحي الباقي إلى الأبد إلا المسيح نفسه أيضاً، وقد نزل من السماء بشبه المن، ولكن المن كان لا يبقى للغد والمسيح باقٍ بقاء الحياة الأبدية. والذي كان يأكل المن يأكله ويموت أيضاً، وأمَّا المسيح فالذي يأكله يحيا به إلى الأبد ولا يأتي إلى موت"[8686].

لكنهم لم يقتنعوا بكلام يسوع أو لم يفهموه، فتكلّموا مع يسوع بلغة كلها تحدي: **(يوحنا 6):** {28} فَقَالُوا لَهُ: «مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللهِ؟». {29} أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «هذَا هُوَ عَمَلُ اللهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ **[← "أَنْ آمِنُوا بِي (أي: بالله) وَبِرَسُولِي (أي: بعيسى)" (المائدة 111)]**». {30} فَقَالُوا لَهُ [بلغة

كلها تحدي]: فَأَيَّةَ آيَةٍ (sign) تَصْنَعُ لِنَرَى **[⟵ "آيَةً مِّنكَ" (المائدة 114)]** **[⟵ "وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ" (المائدة 113)]** وَنُؤْمِنَ بِكَ؟ **[⟵ "وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا (أي: ونُؤْمِنَ أنك حقاً المسيّا المنتظر)" (المائدة 113)]** مَاذَا تَعْمَلُ؟ {31} آبَاؤُنَا أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا **[⟵ "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ" (المائدة 112) "قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا [كما أكل آبَاؤُنَا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ]" (المائدة 113)]**. وعبارة "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ" (يوحنا 31:6) تشير إلى (المزامير 78:24-25) وغيرها من الآيات الكتابية التى ذكرناها من العهد القديم[8687].

فماذا كان رد يسوع؟ حاول يسوع مرة أخرى أن يصحح أفكارهم قائلاً لهم: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ[8688]: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي (أي: الله) يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ" – يقصد نفسه[8689] – "لأَنَّ خُبْزَ اللهِ (bread of God) هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ" (يوحنا 32:6-33)[8690]. ولكنهم لم يفهموا وألحوا فى طلب الطعام قائلين ليسوع: "أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هذَا الْخُبْزَ" (يوحنا 34:6) **[⟵ جعل القرآنُ هذا الطلب يأتي مِن الحواريين (أي: تلاميذ المسيح ورسله)! "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ" (المائدة 112)[8691] "قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا" (المائدة 113)]**، فردَّ عليهم يسوع بكل وضوح: "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ (bread of life). مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا. وَلكِنِّي قُلْتُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمُونِي، وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ" (يوحنا 35:6-36) **[⟵ "قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (المائدة 112)]**.

ثم كرر يسوعُ كلامَه مرةً أخرى بصورة أكثر وضوحاً لعلهم يفهمون: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ (bread of life). آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هذَا [الواقف أمامكم الآن] هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ" (يوحنا 47:6-51). "وهنا دخل بالضرورة عنصر الفداء بالصليب [...] الفداء والكفَّارة"[8692]. وهذا يعني أن الخبز السماوي "المائدة" هو الفادي والمخلِّص يسوع المسيح نفسه مَوْضِع الثقة وأساس الإيمان المسيحي. وحين نقول: المسيح نفسه، فإننا لا نقصد شخصه فقط، وإنما نقصد: شخصه وأعماله. وأهم عمل قام به المسيح هو بلا شك: الفداء والخلاص الذي أكمله المسيحُ ابنُ الله بسفك دمه وموته على الصليب وقيامته من بين الأموات. **[⟵ حذف أصحابُ القرآن هذه المعاني الروحية من القصة لأنها تشير بوضوح إلى ضرورة أن يؤمن كل إنسان في العالم – يهودي أو غير يهودي – بموت المسيح الكفَّاري على الصليب وقيامته من بين الأموات، وأن نعتمد على المسيح في حياتنا الروحية (كما نعتمد على الخبز في حياتنا الجسدية) مِن أجل أن يقودنا المسيح إلى الحياة الأبدية. بعبارة أخرى: أعاد أصحابُ القرآن إنتاجَ القصة لكن مع تسليط الضوء على الله أكثر بكثير من المسيح الذي تحوّل مِن ابن الله الذي يعطي الحياةَ الأبديةَ إلى**

"ابْن مَرْيَمَ" الذي يطلب "رزقاً" من الله في الحياة الدنيا! "وَإِذْ أَوْحَيْتُ (أي: أوحى الله) إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي [...]. [...] رَبُّكَ [...] اللَّهُ [...]. [...] قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا [...] آيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ [...]" (المائدة 111-115)].

ولكن لم يفقه اليهودُ قولَ يسوع، ويبدو أن عبارته الأخيرة قد أثارت حفيظتهم، فلقد قال "أَنَا أُعْطِي" (يوحنا 6:51) بعد أن كان يقول "أَبِي يُعْطِيكُمُ" (يوحنا 6:32). "فَخَاصَمَ الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ: «كَيْفَ يَقْدِرُ هذَا أَنْ يُعْطِيَنَا جَسَدَهُ لِنَأْكُلَ؟». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَق وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ، فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي. هذَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. لَيْسَ كَمَا أَكَلَ آبَاؤُكُمُ الْمَنَّ وَمَاتُوا. مَنْ يَأْكُلْ هذَا الْخُبْزَ فَإِنَّهُ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ»" (يوحنا 6:52-58).

مما سبق يتضح أن "المائدة" الحقيقية التي نزلت من السماء لكي نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ وتَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا (أي: عيد الفصح اليهودي؛ عيد القيامة المسيحي) ولكي تُثبّتنا في الله وتُثبّت الله فينا وتقيمنا من الموت إلى الحياة الأبدية هي: جسد المسيح ودمه، وليست طعاماً ينزل من السماء كمعجزة وقتية تَحدُث ثم تنتهي كما ظن اليهود المعاصرون للمسيح وكما أشار القرآنُ بدون أن يقول صراحةً هل نزلت المائدة فعلاً وأكل منها الحواريون (التلاميذ) أم لا! فاحتار المفسرون المسلمون في مسألة هل نزلت المائدة أم لا؟ أما نحن فنقول لهم: المائدة الحقيقية التي تهب الحياةَ الأبدية نزلت بالفعل، وهي الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله. نستطيع الآن أن نفهم لماذا سوف يكون عذاب مَن يكفر بعد نزول المائدة (أي: بعد مجيء المسيَّا المنتظر وهو يسوع) عذاباً شديداً جداً: "قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 115). وهي تتفق أيضاً مع: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ. وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ (أي: يعطيهم الحياةَ الأبدية في الجنة)" (آل عمران 55-57). "وَهذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ [يسوع المسيح]. مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ" (1 يوحنا 5:11-12).

4.63.2.3 العشاء الأخير والتناول من مائدة الرب (ترابيزا السيد المسيح)

أشار الجزء السابق من إنجيل يوحنا إلى شركة جسد المسيح ودمه: "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي" التي كررها يسوع المسيح مرتين: "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ" (يوحنا 6:54) "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يوحنا 6:56).

هذه الآيات تجعلنا ننتقل إلى الحديث عن "العشاء الأخير" (The Last Supper) (La Cène) (Le Dernier Repas Pascal)، ويُعرَف أيضاً بأسماء أخرى: "عشاء الرب" (Lord's Supper) و "عشاء الرب الأخير" و "العشاء الربّانيّ" و "عشاء الفصح مع التلاميذ". ذكرت الأناجيل القانونية الأربعة العشاءَ الأخير في (متى 26:17-30) (مرقس 14:12-26) (لوقا 22:7-30) (يوحنا 13:1-35)، وأشارت إليه أسفار من العهد الجديد مثل (1 كورنثوس 10:15-22) (1 كورنثوس 11:17-34)، وأعمال أبوكريفية مثل إنجيل الأبيونيين[8693]. وكل هذا يدل على أهمية العشاء الأخير عند مختلف الطوائف المسيحية.

حدث هذا العشاء الأخير في فترة عيد الفصح اليهودي (Passover) (la Pâque)، وتحديداً في مساء يوم الخميس 13 نيسان الذي سبق يوم الجمعة الذي يُذْبَح فيه حَمَلُ الفصح والذي مات فيه يسوعُ المسيح على الصليب[8694]. وهكذا أكمل المسيحُ فديته في ميعاد ذبح حَمَل الفصح تماماً، ليكون فِصْحاً جديداً لكل مَن يؤمن بالفداء والخلاص. ولذلك فإن يسوع المسيح يُوصف منذ فجر المسيحية إلى اليوم بأنه "حَمَل الفصح" (Passover lamb) "لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا" (1 كورنثوس 5:7) أو "حَمَل الله" (Lamb of God) (يوحنا 1:36) "حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يوحنا 1:29) أو باختصار: "حَمَل" (1 بطرس 1:19 وعدة مرات في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي)؛ وذلك لأنه: بدلاً مِن ذَبْح حَمَلٍ بلا عيب كل عام في عيد الفصح اليهودي[8695]، تم ذبح "حَمَل الله" (أي: يسوع المسيح) الكامل على الصليب، مرة واحدة وإلى الأبد، مِن أجل مغفرة خطايانا واتحادنا معه[8696]. "فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً (once and for all)" (العبرانيين 10:10)؛ (العبرانيين 7:27، 9:12، 9:23-28)؛ (1 بطرس 3:18)؛ (رومية 6:10). ومِن ثم نستطيع أن نفهم العلاقة الأبدية بين عيد الفصح اليهودي وعيد القيامة المسيحي (Easter) (les Pâques). عيد القيامة المسيحي هو في الواقع عيد قيامة المسيح من الأموات؛ وبما أن المسيح هو حَمَل الفصح؛ إذن: عيد القيامة هو عيد قيامة حَمَل الفصح. فلا يمكن أبداً أن نفصل بين عيد الفصح اليهودي وعيد القيامة (عيد الفصح المسيحي).

وكما قلنا، حدث العشاء الأخير في مساء يوم الخميس الذي يسبق يوم الجمعة الذي مات فيه يسوع المسيح على الصليب، أي يسبق يوم الأحد الذي قام فيه يسوعُ المسيح من الأموات. ولا يزال هذا الخميس يُعرَف باسم "خميس العهد" أو "الخميس المقدس" (Holy Thursday) (Jeudi saint)، وهو الخميس الذي يأتي بين أحد السعف (Palm Sunday) (Dimanche des Rameaux) وأحد القيامة (Easter) (les Pâques) الذي يُعتبَر أهم الأعياد المسيحية في جميع أنحاء العالم إلى يومنا هذا **[⟵ "عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا" (المائدة 114)]**. وذلك لأن القيامة بصفة عامة وقيامة المسيح (حَمَل الفصح) بصفة خاصة هي أساس الإيمان المسيحي: "فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ، وَنُوجَدُ نَحْنُ أَيْضًا شُهُودَ زُورٍ للهِ، لأَنَّنَا شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ

أَقَامَ الْمَسِيحَ وَهُوَ لَمْ يُقِمْهُ، إِنْ كَانَ الْمَوْتى لاَ يَقُومُونَ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتى لاَ يَقُومُونَ، فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ. وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ!" (1 كورنثوس 15:13-17).

وإن قلتم إن قصة المائدة القرآنية (المائدة 112-115) ليس فيها أي إشارة إلى قيامة الموتى. فسنقول: غير صحيح. إن فيها إشارة إلى قيامة الموتى، بل فيها 3 إشارات إلى قيامة الموتى:

- أولاً: إشارة خفية وهي عبارة "تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا" (المائدة 113) التي لم يضعها القرآنُ على لسان بَشر إلا الحواريين تلاميذ المسيح (المائدة 113) وإبراهيم جد المسيح حين طلب من الله أن يُريه كيفية قيامة الموتى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي [...]" (البقرة 260). بل ليس من المبالغة أن نقول إن عبارة "تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا" (المائدة 113) تعني: تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا أنك المسيّا المنتظر الذي سوف يُقيمنا من الأموات ويهب لنا الحياةَ الأبدية.
- ثانياً: عبارة "قَدْ صَدَقْتَنَا" (المائدة 113) التي تكررت في قصة الذبيح القرآنية "وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا [...]" (الصافات 104-105)[8697]. ومن المعلوم أن قصة الذبيح، على الأقل في التراث المسيحي، لها علاقة قوية بعقيدة قيامة الموتى: "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ الَّذِي قِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا، الَّذِينَ مِنْهُمْ أَخَذَهُ أَيْضًا فِي مِثَال" (العبرانيين 11:17-19).
- ثالثاً وهو الأهم: إذا قرأنا قصةَ المائدة (المائدة 112-115) وسط سياقها القرآني (المائدة 109-120)، فسنجده يبدأ بالحديث عن يوم القيامة "يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ [...]" (المائدة 109) وينتهي أيضاً بالحديث عن القيامة: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ [يوم القيامة أو في زمنٍ ما بعد رفع المسيح] يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ (ولقد قالها يسوعُ المسيح فعلاً بعد قيامته: "إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ" (يوحنا 17:20)[8698]) ۚ وَكُنتُ [أنا] عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي (أي: بعد موتي وقيامتي وصعودي[8699]) كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (المائدة 116-117). إذن: السياق القرآني (المائدة 109-120) يتحدث عن يوم قيامة الموتى بصفة عامة ويوم قيامة المسيح بصفة خاصة. فيعطي أولاً ملخصاً لحياة المسيح على الأرض (المائدة 110-111) والمعجزات التي قام بها المسيحُ حسب الأناجيل القانونية والأبوكريفية ومن بينها إقامة الموتى "وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ" (المائدة 110). ثم يذكر قصةَ المائدة (العشاء الأخير) (المائدة 112-115) التي حدثت في الأيام الأخيرة للمسيح على الأرض[8700]، وهي أيام عيد الفصح اليهودي الذي تطوَّر في المسيحية فصار يُعْرَف باسم عيد القيامة أو عيد قيامة المسيح حَمَل الفصح. ولذلك فإننا ندعو المسلمين – الذي يتمسكون بالقرآن أكثر من تمسكهم بالتقليد

الإسلامي – إلى الاحتفال مع جميع المسيحيين بعيد القيامة المجيد، فهو العيد الوحيد المذكور في القرآن: "عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا (أي: عِيدًا لنا وإلى يوم القيامة)" (المائدة 114).

مما سبق يتضح العلاقة القوية بين قصة المائدة القرآنية (المائدة 112-115) وأحداث عيد الفصح/القيامة، وبصفة خاصة العشاء الأخير الذي يُعرّفنا مِن أين أتى أصحاب القرآن بفكرة "المائدة" التى تجمع يسوع المسيح **[← "عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ" (المائدة 112، 114)]** وتلاميذه **[← "الْحَوَارِيُّونَ" (المائدة 111-112)]**[8701]. فلقد ذكر القرآن كلمة "مائدة" مرتين فقط (المائدة 112) (المائدة 114)، ولم تُذكَر هذه الكلمة في أية آية أخرى فى القرآن[8702]. كذلك فى العشاء الأخير، اتَّكأ يسوع المسيح على مائدة مَعَ تلاميذه الاثْنَيْ عَشَرَ، وقال كلمة "مائدة" مرتين: "وَلكِنْ هُوَذَا يَدُ الَّذِي يُسَلِّمُنِي هِيَ مَعِي عَلَى **الْمَائِدَةِ** (باليونانية: trapeza)" (لوقا 22:21) "وَأَنَا أَجْعَلُ لَكُمْ كَمَا جَعَلَ لِي أَبِي مَلَكُوتًا، لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى **مَائِدَتِي** فِي مَلَكُوتِي، وَتَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ»" (لوقا 22:29-30). واستخدم بولس الرسول نفس الكلمة "مائدة" حين أشار إلى عشاء الرب: "لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وَكَأْسَ شَيَاطِينَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي **مَائِدَةِ الرَّبِّ** وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ" (1 كورنثوس 10:21).

لكن يجب أن نعترف بأن "مائدة" العشاء الأخير ليست معجزة ولم تنزل من السماء. فمِن الواضح إذن أن هناك احتمالان:

- الاحتمال الأول هو أن أصحاب القرآن فهموا العشاءَ الأخير، لكن ليس فهماً صحيحاً بنسبة 100%، فتخيلوا أن المائدة نزلت من السماء كمعجزة.
- الاحتمال الثاني هو أن أصحاب القرآن أرادوا أن يكتبوا قصةً واحدة فقط تجمع (conflates) قصةَ العشاء الأخير مع معجزتي إشباع الخمسة آلاف رجل وإنزال الخبز من السماء والصلاة الربّانيّة، فأخذوا عناصر من كل هذه القصص اليهودية/المسيحية الشهيرة وصنعوا قصةً قرآنية قصيرة هي (المائدة 112-115) تعبر بصدق عن تأثير التراث اليهودي/المسيحي على القرآن. ونحن نؤيد بقوة هذا الاحتمال الثاني.

نوجز فيما يلي أهم أوجه التشابه والاختلاف بين المائدة في القرآن ومائدة العشاء الأخير في الإنجيل.

حدث العشاء الأخير فى فترة أعياد يهودية هامة جداً (عيد الفصح Passover) أصبحت فيما بعد فترة أعياد مسيحية هامة جداً (عيد القيامة Easter) **[← "تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا" (المائدة 114)]**.

<u>بداية القصة:</u> بدأت قصة العشاء الأخير فى الإنجيل بسؤال من التلاميذ إلى يسوع المسيح "قَائِلِينَ لَهُ: «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟»" (متى 26:17)؛ (مرقس 14:12) (لوقا 22:7-9)؛ وكان الاستعداد لعيد الفصح يشمل إعداد المائدة وشراء خروف الفصح وذبحه وتجهيزه وأمور أخرى[8703] **[← كذلك فى**

القرآن، بدأت قصة المائدة بسؤال من الحواريين إلى عيسى ابن مريم: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ" (المائدة 112)].

ثم "فَعَلَ التَّلاَمِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا الْفِصْحَ. وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ اتَّكَأَ [يسوع] مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. [...] وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي». وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هذَا إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي»" (متى 26:19-29)[8704]. بالطبع، حذف أصحاب القرآن هذه التفاصيل من القصة لأنها تشير بوضوح إلى موت المسيح كذبيحة بلا خطيئة على الصليب مِن أجل مغفرة الخطايا وخلاص كل البشر. وعلى الرغم من هذا الحذف، فإننا نجد أن بعض عناصر القصة استمرت وتطورت إلى أن وصلت إلى القرآن، مثل عبارة "مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ" (متى 28:26) (مرقس 24:14) التي تعني حرفياً (for many) (pro multis) لكنها تعني في الحقيقة "من أجل الكل" (for all) **[← عبَّر عنها أصحابُ القرآن بقولهم: "لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا (أي: لنا كلنا؛ آخِرُنا يأكل منها كما أكل أوَّلُنا)" (المائدة 114)، وهذه هي الآية القرآنية الوحيدة التي استخدم فيها القرآنُ هذا التعبير[8705]. اقرأ أيضاً "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (آل عمران 55). إذن: أتباع المسيح يسوع سيستمروا "إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ"].**

أثناء العشاء الأخير، أسس المسيحُ سر الافخارستيا (Eucharist) (Eucharistie) (التناول). وكلمة "الافخارستيا" تعني "الشُكر" (thanksgiving) وهي جاءت مِن الأصل اليوناني لكلمة "شَكَرَ" (gave thanks) المذكورة في العشاء الأخير[8706]: "وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ" (متى 27:26)؛ "ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ، فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ" (مرقس 23:14)؛ "ثُمَّ تَنَاوَلَ كَأْسًا وَشَكَرَ وَقَالَ: «خُذُوا هذِهِ وَاقْتَسِمُوهَا بَيْنَكُمْ" (لوقا 17:22)؛ "وَأَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «هذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ. اِصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي»" (لوقا 19:22). وقال بولس الرسول: "إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا هذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي». كَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلاً: «هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي»" (1 كورنثوس 11:23-25). إذن: تأسيس سر الافخارستيا يشمل الأكل مِن الخبز المكسور والشرب مِن كأس الخمر. ويتضح مِن الآيات السابقة ومِن التراث المسيحي بصفة عامة أن الخبز المكسور يرمز إلى جسد المسيح الذي قدَّمه ذبيحةً على الصليب والخمر يرمز إلى دم المسيح المسفوك على الصليب؛ أو أن الخبز والخمر يتحوَّلان فعلاً إلى جسد المسيح ودمه. فيمكن إذن أن نقول إن هذا العشاء الأخير قد أسس لعيد الفصح المسيحي (عيد الفصح الجديد، عيد الفصح الحقيقي) حيث حلَّ محلَّ حَمَلِ الفصح اليهودي الخبزُ والخمرُ (هُما رمزاً أو حقيقةً: لَحْم المسيح ودمه). ولذلك يُعْتقد أن "المسيح باشر في عشاء الخميس كل

طقس الفصح اليهودي ما عدا أكل الخروف، إذ استبدل به الجسد والدم"[8707]. ولقد استمر هذا السر الكنسي الهام في كل الكنائس الشرقية والغربية عبر جميع الأجيال منذ القرون الأولى للميلاد إلى اليوم "لأَنَّ جَسَدِي (أي: جَسَد المسيح) مَأْكَلٌ حَقٌّ (أي: يُؤكل بالروح، بالإيمان) وَدَمِي (أي: دم المسيح) مَشْرَبٌ حَقٌّ (أي: يُشرب بالروح، بالإيمان). مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي (أي: خبز الإفخارستيا) وَيَشْرَبْ دَمِي (أي: كأس الإفخارستيا) يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. [...] فَهُوَ يَحْيَا بِي. [...] فَإِنَّهُ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ" (يوحنا 6:55-58) **[← حذف أصحابُ القرآن الشرب من كأس الخمر، كما حذفوا كُلَّ ما يرتبط بموت المسيح الفدائي على الصليب، واكتفوا بالأكل فقط: "قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ" (المائدة 113)]**.

نهاية القصة: أنهى بولس الرسول كلامه عن عشاء الرب محذراً مِن الدينونة لمَن يتناول "بِدُونِ اسْتِحْقَاق" – أي بطريقة طقسيَّة شكليَّة، أو لامبالاة، أو استخفاف واستهانة، أو قلب غير تائب أو متمسِّك بالخطية، أو بطريقة تخلو من المحبة وتهتم بالذات، أو فى خلاف مع الآخرين، أو بأيِّ توجُّهٍ آخر ينافي التقوى أو يعيقنا في علاقتنا بالمسيح وبالمؤمنين الآخرين[8708]: "فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ (أي: بِمَوْتِ سيدنا يسوع المسيح) إِلَى أَنْ يَجِيءَ. إِذًا أَيُّ مَنْ أَكَلَ هذَا الْخُبْزَ، أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ، بِدُونِ اسْتِحْقَاق، يَكُونُ مُجْرِمًا فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ. وَلكِنْ لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وَهكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ. لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاق يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ، غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ. مِنْ أَجْلِ هذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ وَمَرْضَى، وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ. لأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا، وَلكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا، نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ" (1 كورنثوس 11:26-32) **[← كذلك انتهت القصة فى القرآن بتوعد بالعذاب لمَن يكفر: "فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" (المائدة 115)]**.

إن كل ما سبق يؤكد أهمية عشاء الرب الأخير وسر الافخارستيا في العقيدة المسيحية. وبالتالي، فَمِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن العشاء الأخير والافخارستيا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من المسيحيين الشرقيين: السريان والأحباش (الإثيوبيين) ونصارى العرب والروم. وبكل تأكيد تأثر أصحاب القرآن بما سمعوه، وهذا يتضح ليس فقط من خلال العناصر الأساسية فى (المائدة 112-115) ولكن أيضاً من خلال الكلمات التى ذكرها القرآن فى (المائدة 112-115) ولم يذكرها فى أى موضع آخر. وعلى رأسها بالطبع كلمة "عِيدًا" وعبارة "لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا" (المائدة 114). ولا يزال التناول (الإفخارستيا) مستمراً كل يوم أحد في الكنائس الشرقية والغربية إلى يومنا هذا بل إلى يوم القيامة "لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا"، وهو بالفعل "عِيدًا" أي يتكرر كل يوم أحد ويمنح بهجةَ وسرور العيد لكل مَن يشترك فيه[8709]، بل يمنحَ القيامةَ والحياةَ الأبدية لكل مَنْ آمن واعتمد واشترك فيه؛ أو كما قيل: "أكل الإنسانُ الأول (أي: آدمُ) فسقط ومات بعيداً عن الله، وأكل الإنسانُ الجديد (أي: المسيحي المؤمن) فارتفع وعاش مع الله"[8710]. وستظل كنيسة المسيح موجودة وأبوابها مفتوحة إلى يوم القيامة "وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا (أي: مملكة الموت وسلطان الشيطان لن تَقْوَى على

المؤمنين بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الْحَيّ)" (متى 18:16). وإذا كان عيد الفصح اليهودي يتكرر سنوياً كل ربيع ليُذكِّرنا بخروج المؤمنين (بني إسرائيل) مِن مصر وخلاصهم وتحريرهم إلى الأبد مِن عبودية فرعون وجنوده، فإن عيد الفصح المسيحي يتكرر أسبوعياً كل أحد ليُذكِّرنا بخروج المؤمنين (المسيحيين) مِن قبورهم وخلاصهم وتحريرهم إلى الأبد مِن عبودية الموت والخطية. "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَق وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ، فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي. هذَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. لَيْسَ كَمَا أَكَلَ آبَاؤُكُمُ الْمَنَّ وَمَاتُوا. مَنْ يَأْكُلْ هذَا الْخُبْزَ فَإِنَّهُ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ»" (يوحنا 6:53-58).

يقول العالمُ الكبير "سمير خليل سمير" (Prof. Samir Khalil Samir) تعليقاً على القرآن (المائدة 112-115)[8711]:

[...] وأغلب الباحثين متفقون أنّ هذا اللفظ [مائدة] مستعار من الأثيوبية، بل هو المصطلح التِّقني الذي يستخدمه مسيحيّو أثيوبيا للإشارة إلى العشاء الأخير. [...]

[...]

مصطلح "عيد" لا يرد في مكان آخر في القرآن. إنّه، وفقاً لرأي الباحثين، مستعار من السريانية "عيدا" بمعنى "وليمة/مأدبة" أو "احتفال ليتورجي". أما بالنسبة إلى لفظ "آية"، "علامة"، فقد رأينا أنّه قد يكون هو أيضاً مستعاراً من المسيحيين السريان.

هذه "المائدة" مُعرَّفة بمصطلحين: "عيد" و "آية" أي "وليمة/مأدبة" أو "احتفال ليتورجي" و "علامة". أليس هذا هو التعريف الأكثر ملائمة لسر القربان المسيحي، الذي هو "احتفال مأدبي" و "علامة سرّيّة مُقدَّسة"؟ [...]

عبارة [لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا] أيضاً لا وجود لها في مكان آخر في القرآن. [...]. العبارة تعني على ما يبدو "[لـ] الجميع، لا يُستَثْنى أحدٌ".

[...]

ثمّ إنّ عبارة "pro multis" [مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ] نموذجيّة في العهد الجديد: [...]. [...] لا تعني عبارة "مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ" أنّ عدداً من الناس مستثنون، بل تعني "من أجل الجميع". [...]

[...]

[...] في رأيي، [المائدة 112-115] لا يُمكن فهمُها إلا على أساس أنّها إلماع واضح إلى سرّ القربان، الذي له مصدر سرياني أو أثيوبي مسيحيّ فقط، والذي يبقى محتجباً بالنسبة إلى المسلمين. في غضون ذلك، يُذهَل المرء هنا بكثرة الألفاظ التي لا تظهر في مكان آخر في القرآن.

[...]

هذا القسم المُلغِز من القرآن بالنسبة إلى غير المطّلعين على العهد الجديد واللاهوت المسيحي يُصبح واضحاً وعميقاً في هذا الضوء. هذه "المائدة" هي احتفال وليمي/مأدبي وعلامة سرّيّة مُقدَّسة. إنّها مُقدَّمة للجميع، للأوَّل وللآخِر. إنَّها الخبز الضروري للعَيش/البقاء (رزْق) اليومي. مَن يرفض هذه العلامة أو لا يُميّزها يُعاقَب عقاباً شديداً، بحسب تحذير بولس.

[…] The majority of researchers are agreed that the term [مائدة] is borrowed from Ethiopic; even more, it is the technical term used by the Christians of Ethiopia to signify the Last Supper. […]

[…]

The term [عيد] is found nowhere else in the Qur’an. According to unanimous scholarly opinion it is a borrowing from the Syriac *‘idā*, which signifies “Feast” or “liturgical festival.” As for the word [آية], “sign,” we have seen that it is also probably a borrowing from Syriac Christians.

This [مائدة] is thus defined by two terms: [عيد] and [آية], a “Feast” or “liturgical festival” and a “sign.” Is this not the most appropriate definition of the Eucharist of Christians, which is a festive celebration and a sacramental sign? […]

The expression [لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا] is also found nowhere else in the Qur’an. […] The expression apparently means “[for] all, nobody excluded.”

[…]

Yet the expression “pro multis” is typical of the New Testament: […]. […] [pro multis] does not signify “for many,” as though a certain number are excluded, but rather “for all.” […]

[…]

> […] In my opinion, [المائدة 112-115] cannot be truly understood except as a clear allusion to the Eucharist, which could only have Syriac or Ethiopic Christians as its source, and which remains veiled to Muslims. One is struck meanwhile by the number of words here that appear nowhere else in the Qur'an.
>
> […]
>
> This section of the Qur'an, mysterious for those who are not familiar with the New Testament and Christian theology, becomes on the contrary clear and profound in this light. This [مائدة] is at a once festive celebration and sacramental sign. It is offered to all, to the first as to the last. It is the necessary bread for daily subsistence (رزق). The one who rejects this sign or does not recognize it will be punished terribly, an admonition made by Paul.

4.63.2.4 رؤيا بطرس

ننتقل الآن إلى قصة كتابية أخرى تُعرَف باسم "رؤيا بطرس" (Peter's vision) (أعمال الرسل 10:9-16)[8712]. حيث نجد فكرةَ نزول "مائدة" من السماء التي انتقلت إلى القرآن[8713]. وبطرس هنا هو القديس بطرس الرسول (Saint Peter the Apostle) أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر ورسله؛ أي: من "الحواريين" (المائدة 111-112)؛ بل يأتي اسمه دائماً أولاً في قائمة تلاميذ المسيح الاثني عشر (متى 10:2) (مرقس 3:16) (لوقا 6:14) (أعمال الرسل 1:13). وإنه لمِن الطريف أن بطرس هذا هو الذي قال له يسوعُ في (متى 14:31): "يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ **[← "إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (المائدة 112)]**، لِمَاذَا شَكَكْتَ **[← جعل القرآنُ الحواريين يشكوا: "قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ [...]" (المائدة 112)]**؟". لكن لمَّا نطق بطرس ملخص قانون الإيمان وقال ليسوع بكل ثقة ويقين: "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!" (متى 16:16)، قال له يسوع: "وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا (أي: مملكة الموت وسلطان الشيطان لن تَقْوَى على المؤمنين بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الْحَيِّ). وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ" (متى 16:18-19)، مما يدل على مكانة بطرس العالية وأهميته منذ فجر المسيحية. فَمِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن بطرس الرسول بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من المسيحيين الشرقيين: السريان والأحباش (الإثيوبيين) ونصارى العرب

والروم، وبخاصة أن بطرس لعب دوراً كبيراً ومهماً في هداية الأمم (Gentiles) (goyīm) (أي: غير اليهود) إلى الإيمان بالله، كما يتضح من قصة رؤيا بطرس نفسها.

تقول قصة رؤيا بطرس: "صَعِدَ بُطرُسُ عَلَى السَّطْحِ لِيُصَلِّيَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَجَاعَ كَثِيرًا وَاشْتَهَى أَنْ يَأْكُلَ. وَبَيْنَمَا هُمْ يُهَيِّئُونَ لَهُ، وَقَعَتْ عَلَيْهِ غَيْبَةٌ، فَرَأَى السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِنَاءً نَازِلاً عَلَيْهِ [مِن السماء] مِثْلَ مُلاَءَةٍ عَظِيمَةٍ مَرْبُوطَةٍ بِأَرْبَعَةِ أَطْرَافٍ وَمُدَّلاَةٍ عَلَى الأَرْضِ" (أعمال الرسل 10:9-11) **[← "مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ" (المائدة 112، 114)]**. "وَكَانَ فِيهَا كُلُّ دَوَابِّ الأَرْضِ وَالْوُحُوشِ وَالزَّحَّافَاتِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ. وَصَارَ إِلَيْهِ صَوْتٌ: «قُمْ يَا بُطْرُسُ، اذْبَحْ وَكُلْ». فَقَالَ بُطْرُسُ: «كَلاَّ يَارَبُّ! لأَنِّي لَمْ آكُلْ قَطُّ شَيْئًا دَنِسًا أَوْ نَجِسًا». فَصَارَ إِلَيْهِ أَيْضًا صَوْتٌ ثَانِيَةً: «مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُدَنِّسْهُ أَنْتَ!» وَكَانَ هذَا عَلَى ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، ثُمَّ ارْتَفَعَ الإِنَاءُ أَيْضًا إِلَى السَّمَاءِ" (أعمال الرسل 10:12-16).

أهمية هذه الرؤيا ترجع إلى أنها تُوضِّح أن التبشير بإنجيل الخلاص ليس فقط إلى اليهود (المرموز إليهم هنا بطعام طاهر (أي: حلال))، بل أنه يمتد أيضاً إلى الأمم (Gentiles) (goyīm) أي غير اليهود (المرموز إليهم هنا بطعام دَنِس أَوْ نَجِس (أي: حرام))[8714]. وبالفعل ذهب بطرس بعد هذه الرؤيا إلى الضابط الرومانى "كَرْنِيلِيُوس" قَائِد المِئَة (Cornelius the Centurion) الذى كان قد أرسل رجاله كى يستدعوا بطرس إلى بيته. فدَخَلَ بطرس وَوَجَدَ كَثِيرينَ من أَنْسِبَاء وَأَصْدِقَاء كَرْنِيلِيُوس. فَقَالَ بطرس لَهُمْ فى هذا الاجتماع: "أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى رَجُل يَهُودِيٍّ [مثلي] أَنْ يَلْتَصِقَ بِأَحَدٍ أَجْنَبِيٍّ (أي: أممي مثلكم) أَوْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللهُ أَنْ لاَ أَقُولَ عَنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ. فَلِذلِكَ جِئْتُ مِنْ دُونِ مُنَاقَضَةٍ إِذِ اسْتَدْعَيْتُمُونِي" (أعمال الرسل 10:28-29). ثم حدَّثهم بطرس عن يسوع المسيح وأعماله وموته على الصليب ثم قيامته من الأموات، وأَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بيسوع المسيح يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا. "فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهذِهِ الأُمُور حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ. فَانْدَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ، كُلُّ مَنْ جَاءَ مَعَ بُطْرُسَ،" – أى اندهش رفاق بطرس المسيحيين من أصل يهودي – "لأَنَّ مَوْهِبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدِ انْسَكَبَتْ عَلَى الأُمَمِ أَيْضًا. لأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ وَيُعَظِّمُونَ اللهَ. حِينَئِذٍ أَجَابَ بُطْرُسُ: «أَتُرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ حَتَّى لاَ يَعْتَمِدَ هؤُلاَءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا نَحْنُ أَيْضًا؟». وَأَمَرَ أَنْ يَعْتَمِدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ. حِينَئِذٍ سَأَلُوهُ أَنْ يَمْكُثَ أَيَّامًا" (أعمال الرسل 10:44-48). آمن كَرْنِيلِيُوس واعتمد هو وأهل بيته، فكان بذلك أول وثني يَعْتَمِد بِاسْمِ الرَّبِّ، وكان هذا الاجتماع أول اجتماع لكنيسة أممية. وأصبح دخول الأمم إلى الإيمان بمثابة نقطة تحول هامة فى تاريخ الكنيسة الأولى. "فَسَمِعَ الرُّسُلُ وَالإِخْوَةُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْيَهُودِيَّةِ أَنَّ الأُمَمَ أَيْضًا قَبِلُوا كَلِمَةَ اللهِ" (أعمال الرسل 11:1).

4.63.2.5 عناصر أخرى من التراث اليهودي/المسيحي الشرقي

قصة المائدة القرآنية (المائدة 112-115) قصة مهمة جداً. وأهميتها ترجع إلى أنها تثبت أنه حتى إذا كانت القصة القرآنية غير موجودة في الكتاب المقدس وغير موجودة في التراث اليهودي/المسيحي الشرقي، فإنه بإمكان أصحاب القرآن أن يؤلفوها انطلاقاً من قصص أخرى مذكورة في الكتاب المقدس و/أو مذكورة في التراث اليهودي/المسيحي الشرقي. بعبارة أخرى: الكتاب المقدس وتراثه اليهودي/المسيحي الشرقي وسَّعا الخيالَ (imagination) عند سُكان الشرق الأوسط ومِن بينهم العرب، فمَكَّنهم من تأليف قصص جديدة مثل قصة المائدة القرآنية (المائدة 112-115) مستوحاة من قصص قديمة. فما كان العرب ليهتدوا إلى هذا القرآن لولا أن هداهم الكتاب المقدس وتراثه اليهودي/المسيحي الشرقي.

ولقد تحدثنا بالتفصيل فيما سبق عن العناصر الكتابية (Biblical) التي ساعدت أصحاب القرآن على تأليف قصة المائدة القرآنية (المائدة 112-115)، وهي أساساً: معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل، معجزة إنزال الخبز من السماء، والعشاء الأخير، ورؤيا بطرس.

وبالطبع توجد عناصر أخرى في التراث اليهودي المتأخر (post-Biblical) (مثلاً: التلمود البابلي) وفي التراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) قبل الإسلام. لكن حرصاً على عدم الإطالة، فإننا سنكتفي بما قاله الأستاذ الجامعي المعروف (Prof. Holger Zellentin) تعليقاً على قصة المائدة (المائدة 112-115) وتعليقاً أيضاً على سياقها القرآني (المائدة 109-120)[8715]:

The Qurʾān's table [مِّنَ السَّمَاءِ], "from heaven," and the promised festival of the disciples, may echo a series of rabbinic and Syriac traditions. In the Babylonian Talmud, to begin with, a "table of fire … descended from heaven (*mn hšmym*, Menahot 29b)," serving as a model for the table Moses then makes for the tabernacle. This is the only actual table from heaven of which I am aware in late antique literature. In the Syriac *Gospel of the Twelve Apostles*, however, Jesus' disciples gather, and some object is placed in front of them that is *mlyn kl ṭwbyn*, "full of all good things" (Harris 1900:9) which Jesus himself had eaten. The manuscript is torn here, yet regardless of whether or not this object is a *ptwr'*, "a banquet table," as is Harris' conjecture, it is clear that the Qurʾān presupposes knowledge of a similar event that the disciples witnessed. It is furthermore remarkable that in the same *sūra* at hand, the cognate Arabic root [ط ي ب], "good things," is repeatedly used to describe the foods the Qurʾān permits

[المائدة 5، 87-88], in explicit reference to Jesus' partial abrogation of Jewish food laws [(آل عمران 50) "وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ"].

I would suggest, *pace* many others, that the pertinence of the symbolic breaching of food laws in Acts 10:6–16 (where it sanctions the inclusion of "impure" gentiles) should therefore not be entirely dismissed from consideration in the present context. The most relevant recorded passage against which to hear the Qurʾān here, however, as remarked by Cuypers and Reynolds, is surely Jesus' disciples' explicit demand for the "bread of God … which came down from heaven" in John 6:27–52. […]. The disciples' request here is similar to their demand in the Qurʾān to "send down to us a table from the heavens" (v. 112). Moreover, this Gospel passage shares with the Qurʾānic passage under discussion a discourse on Jesus' "signs," on "faith," "unbelief," "witness," and on the Jew's actions against Jesus. [John 6:29] commands to "*tuʾminū bi-man ārsala*," "believe in him whom [God] has sent" ([…], the Peshitta has *d-thymnwn b-mn d-hw šdr*)," that is in Jesus, is repeated and slightly amended in the Qurʾān by God's command to [(المائدة 111) "آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي"] "believe in Me and in My apostle," that is in God and Jesus. […]: In both texts, food from heaven is then actually sent, with the remarkable difference that in [John 6:27–52] the climax is that Jesus himself is the heavenly food and the object of belief, whereas in the Qurʾān, the heavenly food is a sign that leads to belief in God and in Jesus' mission. If read against texts such as Acts and John, the Qurʾān's shift becomes not an anti-Christian, but an anti-Christological statement and a clear response to the (likely oral) Christian tradition.

4.63.3 الخلاصة

أولاً: ليس هناك أى دليل على أن قصة المائدة المذكورة فى (المائدة 112-115) قصة حقيقية.

ثانياً: اختلف المفسرون المسلمون أنفسهم فى مسألة هل نزلت المائدة من السماء بالفعل أم لم تنزل!

ثالثاً: العناصر الأساسية فى القصة كانت موجودة فى قصص مشهورة ومعروفة قبل ظهور الإسلام بمئات السنين. هذه القصص هي أساساً: معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل، معجزة إنزال الخبز من السماء، والعشاء الأخير، ورؤيا بطرس، وعناصر أخرى من التراث اليهودي/المسيحي الشرقي.

رابعاً: سواء كان أصحاب القرآن هُمْ الذين اختزلوا هذه القصص في قصةٍ واحدة بعد ما أبقوا على ما فهموه ورضوه من عناصرها، أو كانت هذه العناصر هي التى تطورت تطوراً بشرياً طبيعياً بمرور الزمن حتى وصلت كقصةٍ واحدة إلى أصحاب القرآن في القرن السابع الميلادي، في كلتا الحالتين لسنا بحاجة إلى نظرية الوحي حتى نفهم مِن أين جاءت هذه القصة القرآنية القصيرة (المائدة 112-115).

وحقاً لقد صَدق مَن قال عن هذه القصة القرآنية إنها "نموذج مثير للاهتمام عن الطريقة التي تنمو فيها الأساطير" (an interesting illustration of the way in which legends grow)[8716].

نظرية "الوحي" ماتت.

نظرية "التطور البشري الطبيعي" (Natural Human Development) وحدها هي التي توضِّح كيف وُلِدَ القرآنُ العربي من رحم التراث اليهودي/المسيحي الشرقي.

"وأنا أرى أن الملأ المستبد الأساسي هُمْ رجال الدين (العلماء الأفاضل) الذين يقفون في وجه كل دعوة إصلاحية وخاصة على الصعيد الديني، لأن أي إصلاح ديني لا بدّ أن يضرب مصالحهم ويطيح بامتيازاتهم. وأرى أن الملأ الديني هُمْ أخطر ملأ موجود في العالم الإسلامي اليوم، لأنهم أكثر طبقة تسعى إلى تكريس العامية والجهل عند الناس وتحوّلهم إلى قطيع، وتتدخل باسم الإله في أدق تفاصيل حياتهم. ولا تؤمن بشيء اسمه حرية الاختيار، أو بشيء اسمه العقل النقدي"

د. محمد شحرور[(8717)]

5 العبادات والمعاملات = عبادات ومعاملات الأولين ± بعض التفاصيل

بعد أن تحدَّثنا فيما سبق عن المعتقدات والقصص، نتحدَّث في هذا الباب عن العبادات والمعاملات. فَهُمَا جزء لا يتجزأ من الإسلام.

5.1 مكارم الأخلاق؟

يعتقد المسلمون أن رسول الإسلام محمد جاء لكي "يتمم مكارم الأخلاق"! لكننا سنوضح في الصفحات التالية أن في الزمان الذي ظهر فيه الإسلامُ – أي القرن السابع الميلادي – لم تكن "مكارم الأخلاق" في حاجةٍ أصلاً لمن "يتممها" لأنها كانت معروفةً بوضوح قبل الإسلام بمئات السنين، بل قبل الإسلام بآلاف السنين. وحرصاً على عدم الإطالة، سنكتفي هنا بثلاثة أمثلة من الديانات القريبة جغرافياً من المكان الذي ظهر فيه الإسلامُ؛ وتحديداً الديانة اليهودية، الديانة المسيحية، الديانة المصرية القديمة.

5.1.1 الوصايا العشر (The Ten Commandments)

بما أننا نحتاج إلى كتابٍ مستقل حتى نسرد كُلَّ مكارم الأخلاق المذكورة في التوراة – التي شهد القرآن نفسه أن "التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ" (المائدة 44) "نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ" (الأنعام 91) "وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً" (الأنعام 154) "وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ" (الأعراف 154) "بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً" (القصص 43) "وَضِيَاءً وَذِكْرًا" (الأنبياء 48) "هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ" (غافر 54) "هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ" (الإسراء 2) (السجدة 23) "كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا (أي: قدوة، model) وَرَحْمَةً" (هود 17) (الأحقاف 12).

إذن: سنكتفي هنا بعرض الوصايا العشر (The Ten Commandments) التي لها مكانة بارزة في التوراة وفي التراث اليهودي بصفة عامة. ذكرتْ التوراةُ الوصايا العشر مرتين: (الخروج 20:1-17) (التثنية 5:6-21). ونعتقد أن مجرد عرض الوصايا العشر دون تعليق يكفي لكي يوضح ما بها من أخلاقيات سامية – خاصةً إذا أخذنا في الاعتبار عاملَ الزمن حيث أن تاريخها يعود إلى عدة قرون قبل الميلاد:

الوصية الأولى: "«أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي" (الخروج 20:2-3).

الوصية الثانية: "لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ **مِنْ مُبْغِضِيَّ** (أي: أبحث عن ذُنُوبِ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ ولو وجدتها أعاقبهم)، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ **مِنْ مُحِبِّيَّ** وَحَافِظِي وَصَايَايَ" (الخروج 20:4-6).

الوصية الثالثة: "لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً" (الخروج 7:20).

الوصية الرابعة: "اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ" (الخروج 20:8-11).

الوصية الخامسة: "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ" (الخروج 12:20).

الوصية السادسة: "لاَ تَقْتُلْ" (الخروج 13:20).

الوصية السابعة: "لاَ تَزْنِ" (الخروج 14:20).

الوصية الثامنة: "لاَ تَسْرِقْ" (الخروج 15:20).

الوصية التاسعة: "لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ" (الخروج 16:20).

الوصية العاشرة: "لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ»" (الخروج 17:20).

5.1.2 الموعظة على الجبل (Sermon on the Mount)

كما اكتفينا بمثالٍ واحد من التوراة، سنكتفي أيضاً بمثالٍ واحد من الإنجيل – الذي شهد له القرآن قائلاً: "الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ" (المائدة 46).

والمثال الذي اخترناه هو "الموعظة على الجبل" (Sermon on the Mount) التي سُميت بهذا الاسم لأن السيد يسوع المسيح قد ألقاها بنفسه على الجبل أمام الجموع. وبما أن حتى هذا المثال الواحد لا يمكن ذِكْرَه كاملاً هنا، إذ أن الموعظة تشغل ثلاثة إصحاحات كاملة (5-7) من إنجيل متى، وهي على كل حال مشروحة في المراجع المسيحية[8718]. إذن: سنذكر هنا فقط أمثلة من مواعظ المسيح التي أعجبنا بها جداً حين قرأناها لأول مرة منذ سنوات طويلة. ولا نزال نتذكر أننا قد اندهشنا أن هذا الكلام قد قيل منذ حوالي 2000 عام، إذ أننا حتى الآن لم نستطع أن نصل إلى هذا المستوى الراقي من مكارم الأخلاق:

- "طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ" (متى 5:5).
- "طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ" (متى 7:5).

- "طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ" (متى 9:5).

- "«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا (يقصد: مَنْ عبَّر عن الاستياء أو الاستهزاء أو الاحتقار ولو بمجرد كلمة)، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ (يقصد: مَنْ تمادى في التعبير عن غضبه بكلمةٍ جارحة فيها ذم وسب)، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ" (متى 5:21-22).

- "فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ" (متى 5:23-24).

- "«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (متى 5:27-28).

- "«أَيْضًا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ:لاَ تَحْنَثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللهِ، وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. وَلاَ تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ، لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلَى ذلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّير" (متى 5:33-37).

- "«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ [بِالشَّرّ لكن قَاوِمُوا الشَّرَّ بِالْخَيْر[8719]]، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا[8720]. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ" (متى 5:38-42).

- "«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ (ليس بمعنى أن أعداءنا يظلوا أعداءنا ومع ذلك نحبهم! وإنما بمعنى: حوّلوا العداوةَ التي بينكم إلى محبة؛ أو: قاوموا أَعْدَاءَكُمْ واردعوهم لخيركم ولخيرهم (win-win)[8721]، فإذا انتهت المشكلةُ بقيت المحبة). بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ (أي: مُحصِّلو الضرائب، وكانوا حِينَئِذٍ أصحاب سمعة سيئة ورمزاً لأسوأ أنواع الناس) أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (متى 5:43-48).

- "«وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ (أي: مَن يلبسون قناعَ البر والتقوى)، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ، لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ (أي: يهتمون بالتدين الظاهري). اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ:

إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً" (متى 6:5-6).

- "فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَّلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ (أي: اللهُ). وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَّلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ (أي: اللهُ) أَيْضًا زَّلاَتِكُمْ" (متى 6:14-15).

- "«وَمَتَى صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ (أي: مَن يلبسون قناعَ البر والتقوى)، فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ (أي: يهتمون بالتدين الظاهري). اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ. وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَادْهُنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ، لِكَيْ لاَ تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِمًا، بَلْ لأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً" (متى 6:16-18).

- "«لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟" (متى 6:25).

- "«لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟ يَا مُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!" (متى 7:1-5).

- **القاعدة الذهبية (The Golden Rule):** "فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ" (متى 7:12).

- "اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ (أي: غير الحقيقيين؛ false prophets) الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ! مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ (thornbushes) عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ (thistles) (نبات شائك) تِينًا؟ هكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، لاَ تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلاَ شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً. كُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. فَإِذًا مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ" (متى 7:15-20).

5.1.3 الاعتراف السلبي (Negative confession) في الديانة المصرية القديمة

وهنا نعود إلى محاكمة الموتى (Judgment of the dead) (Le jugement des morts) المذكور في كتاب الموتى (Book of the Dead) (Le Livre des morts) الذي تحدَّثنا عنه في أكثر من موضع فيما سبق.

كان المصريون القدماء يؤمنون أنه لكي ينعم المتوفي بالحياة الأبدية المباركة في حضرة الإله أوزيريس (Osiris)، يجب عليه أولاً أن يقول مقدمة عند أبواب قاعة الإلهتين "ماعت" (Hall of Two Truths) (La sale des deux Maât) للإله أوزيريس ثم بعد ذلك ينفي عن نفسه 42 خطيئة أمام 42 إله فيما يُسمَّى بالاعتراف السلبي (Negative confession) (Confession négative) – أي ينفي أنه ارتكب هذه الخطايا مثل أن يقول "لم أقتل"، "لم أسرق"، "لم أزن" ... الخ. يمكن قراءة المزيد من المعلومات عن هذا الفصل المهم من كتاب الموتى (الفصل 125)[8722][8723].

تم العثور على برديات كثيرة يوجد فيها المقدمة والاعتراف السلبي، وليس الهدف هنا دراسة بردية بعينها دراسة مستفيضة، وإنما الهدف هو عرض أمثلة من الأعمال التي كان يعتبرها المصري القديم خطايا، حتى نستطيع أن ندرك مدى السمو الأخلاقي والرقي الفكري الذي قد وصل إليه المصريون القدماء قبل الإسلام بأكثر من 2000 عام! الجدولان التاليان يوضحان بعض الأمثلة من العبارات الواردة في المقدمة والاعتراف السلبي: الترجمة الفرنسية من المرجع الفرنسي، والترجمة العربية مستوحاة من المرجع العربي مع تعديلات توضِّح المعنى.

جدول 49 – أمثلة من العبارات الواردة في المقدمة من الفصل 125 من كتاب الموتى (تراث مصر القديمة)

لم أرتكب ظلماً (أو: شراً) ضد البشر	Je n'ai pas commis l'iniquité contre les hommes
لم أعامل الناس معاملة سيئة	Je n'ai pas maltraité (les) gens.
لم أرتكب الشر	Je n'ai pas fait le mal.
لم أَسُبَّ الله	Je n'ai pas blasphémé Dieu.
لم أسلب ممتلكات الفقير (أي: لم أزد الفقير فقراً)	Je n'ai pas appauvri un pauvre dans ses biens.
لم أرتكب ما تبغضه الآلهةُ	Je n'ai pas fait ce qui est abominable aux dieux.
لم أفعل ما يُسيء إلى عبدٍ (أو: خادم) عند سيده	Je n'ai pas desservi un esclave auprès de son maître.
لم أتسبب في حزنٍ	Je n'ai pas affligé.
لم أتسبب في جوعٍ	Je n'ai pas affamé.
لم أتسبب في بكاءٍ (أي: لم أجعل إنساناً يبكي)	Je n'ai pas fait pleurer.
لم أقتل	Je n'ai pas tué.

Je n'ai pas ordonné de tuer.	لم أعطِ أمراً بالقتل
Je n'ai fait de peine à personne.	لم أتسبب في ألمٍ لأحد (أي: لم أجعل أحداً يتألم)
Je n'ai pas été pédéraste.	لم أمارس الجنس مع الغلمان (أو: الصبية)
Je n'ai pas triché sur les terrains.	لم أغش في حقول الآخرين (أي: لم أستولى عليها)
Je n'ai pas ajouté au poids de la balance.	**لم أضِف إلى وزن الميزان (أي: لم أغش الوزن)**
Je n'ai pas faussé le peson de la balance.	**لم أزور نتيجة (أو: قراءة) الميزان (أي: لم أطفف الميزان)**
Je n'ai pas ôté le lait de la bouche des petits enfants.	لم أنتزع اللبن من أفواه الأطفال الصغار
Je n'ai pas privé le petit bétail de ses herbages.	لم أحرم الماشية الصغيرة من مراعيها
Je n'ai pas retenu l'eau dans sa saison.	لم أمنع حركةَ الماء في موسمها (أي: موسم الفيضان السنوي)
Je n'ai pas opposé une digue à une eau courante.	لم أقم سداً يعترض مياه جارية

يتضح من الجدول السابق اهتمام المصري القديم بالأخلاق في كل تعاملاته: مع الله، مع الآخرين (كباراً أو صغاراً)، حتى مع الحيوانات! ونريد أن نتوقف هنا قليلاً عند العبارتين الخاصتين بعدم الغش في الميزان، واللتين تنبَّه لهما أصحابُ القرآن، لكن متأخراً جداً – بعد أكثر من 2000 عام: **[← "وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (أي: الذين يُنْقِصُون من الكيل أو الوزن شيئاً طفيفاً). الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ (أي: إذا اشتروا لأنفسهم من الناس) يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ (أي: إذا باعوا لغيرهم) يُخْسِرُونَ (أي: يُنْقِصُون)" (المطففين 1-3)؛ "أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ" (الرحمن 8-9)؛ (الأنعام 152) (الإسراء 35). كما زعم أصحابُ القرآن أن نبياً اسمه "شعيب" قال لقومه أصحاب مدين: "فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ (أي: لا تُنْقِصوهم شيئاً من حقوقهم)" (الأعراف 85) "وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ [...]. وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ (أي: بالعدل) ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ" (هود 84-85)! وقال لأصحاب لأيكة: "أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (أي: ممن يُنْقِصون الناس حقوقهم). وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (أي: الميزان العادل السويّ). وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ" (الشعراء 181-183)].**

جدول 50 – أمثلة من العبارات الواردة في الاعتراف السلبي من الفصل 125 من كتاب الموتى (تراث مصر القديمة)

Je n'ai pas été cupide.	لم أكن جشعاً
Je n'ai pas dérobé.	لم أسرق
Je n'ai pas commis de forfaiture.	لم أسيء استخدام السلطة
Je n'ai pas dit de mensonges.	لم أقل أكاذيب (أي: لم أكن كذاباً)
Je n'ai pas été de mauvaise humeur.	لم أكن مُعَكَّر المزاج
Je n'ai rien transgressé.	لم أنتهك أي شيء (أي: لم أنتهك أي قانون)
Je n'ai pas fait d'accaparement de grains.	لم أقم باحتكار الحبوب
Je n'ai pas espionné.	لم أتجسس
Je n'ai pas été bavard.	لم أكن ثرثاراً
Je ne me suis disputé que pour mes propres affaires.	لم أتشاجر إلا من أجل أغراضي الشخصية (أي: حقوقي المادية والمالية)
Je n'ai pas eu commerce avec une femme mariée.	لم يكن لي علاقة مع امرأة متزوجة
Je n'ai pas forniqué.	لم أزنِ
Je n'ai pas inspiré de crainte.	لم أتسبب في رعب
Je ne me suis pas emporté en paroles.	لم أغضب (أو: لم أعبر عن غضبي) بالكلام (يقصد: كظمتُ غيظي)
Je n'ai pas été sourd aux paroles de vérité.	لم أصم آذاني عن كلمات الحق
Je n'ai pas été insolent.	لم أكن وقحاً
Je n'ai pas insulté.	لم أشتم
Je n'ai pas été brutal.	لم أكن عنيفاً
Je n'ai pas transgressé ma condition (au point de) m'emporter contre Dieu.	لم أتعدى (إلي درجة أن) أغضب ضد الله
Je n'ai pas insulté le roi.	لم أشتم المَلِكَ
Je ne suis pas allé sur l'eau (de quelqu'un).	لم أذهب على مياه (أحد) (أي: لم ألوِّثها)

Je n'ai pas été bruyant.	لم أعمل ضَجّة (أو: ضوضاء)
Je ne me suis pas donné de l'importance.	لم أعطِ لنفسي أهمية (أي: لم اختال متكبراً)
Je n'ai pas fait d'exceptions en ma faveur.	لم أطلب استثناء من أجلي (أي: من أجل مصلحتي)
Je n'ai été riche que de mes biens.	لم أكن غنياً إلا من ممتلكاتي (أي: إلا بما حق لي)

بعد قراءة العبارات الموجودة في الجدولين السابقين، نشعر وكأن المصري القديم الذي كتب هذه الاعترافات السلبية يعيش معنا في عصرنا الحالي، وليس من حوالي 3500 سنة! فهو يعتبر إساءةَ استخدام السلطة واحتكار السلع والاستثناء من أجل المصلحة (أو كما يُقال في بعض الدول العربية: "الواسطة") والعنف والتسبب في الرعب (أي "الإرهاب") والسرقة والقتل (أي "البلطجة") من ضمن الخطايا التي يجب على الإنسان المؤمن المتحضر أن يتجنبها حتى ينعم بالحياة الأبدية المباركة. حقاً، ما أحوجنا نحن في القرن الواحد والعشرين لهذه القيم الرائعة!

والسؤال الآن: ما الذي يمكن أن يضيفه الإسلام لهذه القيم النبيلة – اليهودية والمسيحية والمصرية القديمة؟ ما هي منظومة القيم الإسلامية التي تستطيع أن تبني حضارةً عظيمة استمرت آلاف السنين مثل الحضارة المصرية القديمة أو الحضارة العراقية القديمة؟

والمشكلة ليست أن الإسلام لم يتمم مكارم الأخلاق. وإنما المشكلة هي أن معظم المسلمين يعتقدون أن "الأخلاق" التي جاء بها الإسلام هي أفضل ما يمكن أن تصل إليه الإنسانية في أي زمان ومكان! ألم يقل القرآنُ: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" (المائدة 3)؟! فهل بعد "الكمال" أي إضافة أو تعديل؟ إنَّ هذا الشعور الزائف بالكمال يؤدي حتماً إلى حالة من الجمود تُفْقِد الإنسانَ قدرته الطبيعية على التطور والارتقاء وإبداع دائماً ما هو أفضل وأسمى. وأبسط مثال على ذلك هو أن القرآن لم يُحرّم العبودية ولا تجارة العبيد. (صحيح أن القرآن دعا أحياناً إلى "تحرير رقبة"، لكن كعقوبة أو كَفَّارة، فهي ليست دعوة إلى تحرير العبيد كما تزعم ماكينة البروباجاندا الإسلامية[8724].) لم يُجرّم القرآنُ الرق ولم يُحرّم العبودية أبداً[8725]. ولم يمنع الإسلامُ الإنسانَ أن يستعبد أخاه الإنسان، بل سمح الإسلامُ لِلذَّكَر المسلم أن "ينكح" أَمَتَهُ في ظل ما يُسمَّى "ملك اليمين" الذي أباحه القرآنُ في عدة مواضع. ورسول الإسلام نفسه (المثل الأعلى لكل المسلمين) نكح أَمَتَهُ مارية القبطية وأنجب منها ابنه ابراهيم وهي لم تكن زوجته بل كانت ملك يمينه، ثم تزوجها بعد أن أنجبت! بالنسبة للمسلمين، هذه هي "مكارم الأخلاق" وهذا هو "الكمال"! فعلينا إذن أن نحمد اللهَ أن معظم دول العالم لا تتبع الإسلامَ، بل علينا أن نحمد اللهَ أن كل دول العالم الحر لا تتبع الإسلامَ، ولذلك استطاعت أن تبدع وثيقةً أفضل بكثير من الأخلاق الإسلامية. هذه الوثيقة هي "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" (THE UNIVERSAL DECLARATION OF HUMAN RIGHTS) الذي تقول مادته

الرابعة (أو بالأحرى: "آيته الرابعة"): "لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما". ونعتقد أن هذه المادة (بل هذه "الآية") الإنسانية ما هي إلا ترجمة علمانية لما جاء في الإنجيل منذ أكثر من 2000 عام، مثل قول السيد المسيح: "**لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيدًا**، لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي (أي: اللهِ)" (يوحنا 15:15).

يمكن قراءة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان كاملاً على الموقع الرسمي للأمم المتحدة:

https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان - الذي يتكوَّن من 30 "آية" فقط - استطاع في أقل من 80 عام أن يقضي على العبودية في معظم دول العالم. واستطاع أن يحترم الإنسانَ لمجرد كونه إنساناً بغض النظر عن دينه أو جنسه أو أصله أو لونه أو ثروته أو رأيه السياسي أو أي رأي آخر (اقرأ "الآية" الثانية من الإعلان). باختصار: استطاع هذا الإعلان العالمي أن يفعل ما فشل فيه القرآنُ العربي - الذي يتكوَّن من أكثر من 6000 "آية" - على مدار أكثر من 1330 سنة! وأي نظرة مُنصفة لأي دولة إسلامية تطبق الشريعةَ الإسلامية بحذافيرها سوف تؤكد هذه النتيجة النهائية.

5.2 التكافل الاجتماعي: اليتامى والأرامل والفقراء والمساكين

يؤمن المسلمون أن رسول الإسلام محمد كان يتيماً: "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى" (الضحي 6). وأوصى القرآنُ خيراً باليتامى والفقراء والمساكين في مواقع كثيرة مثل: "فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ" (الضحي 9)؛ "أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (أي: مجاعة). يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (أي: يتيمًا من ذوي القرابة فيجتمع فيه فضلُ الصدقة وصلة الرحم). أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (أي: ذا حاجة وافتقار؛ المطروح في الطريق لاصقاً بالتراب لا بيت له)" (البلد 14-16)؛ "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (التوبة 60).

فهل الإسلام هو أول ديانة توصي باليتامى والفقراء والمساكين؟ بالطبع لا. فالديانات اليهودية والمسيحية أوصوا باليتامى والأرامل والفقراء والمساكين والغرباء خيراً قبل الإسلام بمئات السنين. والكتاب المقدس به العديد من الآيات التي تؤكد ذلك، منها على سبيل المثال وليس الحصر:

- "وَلاَ تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلاَ تُضَايِقْهُ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. لاَ تُسِيءْ إِلَى أَرْمَلَةٍ مَا وَلاَ يَتِيمٍ. إِنْ أَسَأْتَ إِلَيْهِ فَإِنِّي إِنْ صَرَخَ إِلَيَّ أَسْمَعُ صُرَاخَهُ، فَيَحْمَى غَضَبِي وَأَقْتُلُكُمْ بِالسَّيْفِ، فَتَصِيرُ نِسَاؤُكُمْ أَرَامِلَ، وَأَوْلاَدُكُمْ يَتَامَى" (الخروج 22:21-24).

- "مَتَى فَرَغْتَ مِنْ تَعْشِيرِ كُلِّ عُشُورِ مَحْصُولِكَ، فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ، سَنَةِ الْعُشُورِ، وَأَعْطَيْتَ اللاَّوِيَّ وَالْغَرِيبَ وَالْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ فَأَكَلُوا فِي أَبْوَابِكَ وَشَبِعُوا، تَقُولُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ: قَدْ نَزَعْتُ الْمُقَدَّسَ مِنَ الْبَيْتِ، وَأَيْضًا أَعْطَيْتُهُ لِلاَّوِيِّ وَالْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ، حَسَبَ كُلِّ وَصِيَّتِكَ الَّتِي أَوْصَيْتَنِي بِهَا. لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصَايَاكَ وَلاَ نَسِيتُهَا" (التثنية 26:12-13).

- "هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلًا: اقْضُوا قَضَاءَ الْحَقِّ، وَاعْمَلُوا إِحْسَانًا وَرَحْمَةً، كُلُّ إِنْسَانٍ مَعَ أَخِيهِ. وَلاَ تَظْلِمُوا الأَرْمَلَةَ وَلاَ الْيَتِيمَ وَلاَ الْغَرِيبَ وَلاَ الْفَقِيرَ، وَلاَ يُفَكِّرْ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَرًّا عَلَى أَخِيهِ فِي قَلْبِكُمْ" (زكريا 7:9-10). فمجرد التخطيط للشر أو التفكير فيه يُعْتبَر خطيئة.

- "اِفْتَحْ فَمَكَ لأَجْلِ الأَخْرَسِ فِي دَعْوَى كُلِّ يَتِيمٍ. اِفْتَحْ فَمَكَ. اقْضِ بِالْعَدْلِ وَحَامِ عَنِ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ" (الأمثال 31:8-9).

- "لأَنَّهُ لاَ تُفْقَدُ الْفُقَرَاءُ مِنَ الأَرْضِ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ قَائِلاً: افْتَحْ يَدَكَ لأَخِيكَ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ فِي أَرْضِكَ" (التثنية 15:11).

- وأخيراً وليس آخراً من موعظة المسيح على الجبل (Sermon on the Mount): "مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ" (متى 5:42).

وإذا عدنا عدة قرون إلى الوراء، سوف نجد أن الديانات القديمة لحضارات بلاد ما بين النهرين أوصت هي الأخري باليتامى والفقراء والأرامل والضعفاء واللاجئين – خاصة في مراحل الإصلاح الاجتماعي الذي

قام به بعض الملوك مثل: (Urukagina) في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد، و (Ur-Nammu) في القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد، و (Lipit-Ishtar) في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، كما ذكر العالم الكبير (Samuel Noah Kramer)[8726]. ويتضح من ترانيم (hymns) السومريين القدماء أنهم كانوا يعتقدون أن الإلهة (Nanshe) كانت تعتني باليتيم والأرملة والفقير والضعيف واللاجئ[8727]، وأنها كانت تعتبر مَن يخرق العقود ويغش في الميزان مِن بين المخطئين[8728] – وهذا مثال آخر على اعتناء الديانات الشرق-أوسطية القديمة بأهمية العدل في الميزن كما ذكرنا فيما سبق.

ومن هذا كله يتضح أن الديانات السابقة للإسلام – إبراهيمية وغير إبراهيمية – اعتنت بالفئات المستضعفة في المجتمع مثل اليتامى والأرامل والفقراء والمساكين، وأن اعتناء الإسلام بهذه الفئات ليس أمراً جديداً بل يعود تاريخه إلى آلاف السنين قبل الإسلام.

5.3 معاملة الأسرى والأسيرات في الإسلام!

نريد أن نتوقف عند أعمال الْبِرّ المذكورة في القرآن مثل إكرام اليتامى وإطعام المساكين وإطلاق سراح الأسرى وتحرير العبيد ... الخ:

- "يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (prisoner) (captive). [ويقولون] إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (أي: متجهماً شديداً أو طويلاً؛ تَعْبس فيه الوجوهُ من شدة أهواله)" (الإنسان 8-10).
- "فَكُّ رَقَبَةٍ (أي: عتق عبد أو أمة). أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (أي: مجاعة). يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (أي: لا شيء له، حتى كأنه قد لصِق بالتراب من الفقر). ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ" (البلد 13-17).
- "الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ (أي: في الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ)" (آل عمران 134).
- "وَآتَى الْمَالَ (أي: أعطى الْمَالَ تطوُّعاً) عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ (أي: الغريبَ المسافر الذي لا يجد ما يبلغه مقصده فظل ملازماً للطريق) وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ (أي: تحرير الرقيق بشرائهم لعتقهم؛ تخليص الأسرى بإعانتهم على الافتداء) وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ" (البقرة 177).
- "مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (أي: آمن بالله الواحد الأحد؛ آمن بالجنة)" (الليل 5-6).
- "الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ. وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (أي: مجاناً بدون مقابل بشري). إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ" (الليل 18-20).

السؤال: هل جاء القرآنُ بشيء جديد يُذْكَر؟!

كالعادة، فإن الإجابة هي: لا!

فكما رأينا في دراستنا لفقرة "الْخِرَاف والْجِدَاء" (The Sheep and the Goats) (متى 25:31-46)، فإن الآيات القرآنية السابقة هي مجرد تطور بشري طبيعي لِمَا قاله يسوع المسيح في الآيات الإنجيلية المناظرة في (متى 25:35-40) قبل القرآن بمئات السنين. وطبعاً توجد آيات كثيرة أخرى في الإنجيل تدعو إلى أعمال الْبِرّ لوجه الله، مثل: (متى 6:1-4، 16:19-30) (مرقس 10:17-31) (لوقا 11:41، 14:12-14، 18:18-30، 19:1-10)؛ (يعقوب 1:26-27). ودعانا بولس الرسول إلى أن نعطي الصدقات بحب وفرح "لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ (أي: لَيْسَ فَرْضاً نؤديه مُجْبَرين). لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ" (2 كورنثوس 9:7). ويقول كتاب "الخلفية الحضارية للكتاب المقدس": "فيما عدا زيارة المسجونين (imprisoned)، كانت الأعمال التي ذكرها يسوع [في (متى 25:35-36)] تعتبر حسب الأخلاقيات اليهودية أعمالاً صالحة. الإحسان على الفقراء، واستضافة الغرباء، وزيارة المرضى، كانت من الأعمال

الصالحة الأساسية لأي يهودي بار"[8729]. اقرأ مثلاً في التوراة (الخروج 22:21-27) (التثنية 12:26-14)، وفي أسفار العهد القديم الأخرى (الأمثال 17:19، 9:22) (إشعياء 17:1، 1:58-12، 1:61-3) (إرميا 5:7-7) (زكريا 8:7-10)، وفي الأسفار القانونية الثانية (Deuterocanonical books) - التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) - (يشوع بن سيراخ 30:3، 8:35). ومن حُسْن الحظ أن القرآن نفسه يعترف بأن "مِيثَاق بَنِي إِسْرَائِيلَ" (أي: التوراة أو العهد القديم أو التراث اليهودي كله أو بعضه) يشمل أعمال الْبِرّ: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ" (البقرة 83).

إذن: لم يأتِ القرآنُ بشيء جديد يُذْكَر. وإنما القرآن مجرد تطور بشري طبيعي للتراث اليهودي-المسيحي، إذ يحاول القرآنُ أن يجمع بين التراث اليهودي والتراث المسيحي في سياق عربي واحد. ولنأخذ مثلاً تحرير العبيد أو الأسرى - "فَكُّ رَقَبَةٍ" (البلد 13) "وَفِي الرِّقَابِ" (البقرة 177) (التوبة 60) - التي لم تُذْكَر صراحةً في (متى 31:25-46). أخذ أصحابُ القرآن هذه الفكرة من التوراة وأسفار الأنبياء. اقرأ مثلاً: "إِذَا اشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا، فَسِتَّ سِنِينَ يَخْدِمُ، وَفِي السَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرًّا مَجَّانًا. إِنْ دَخَلَ وَحْدَهُ فَوَحْدَهُ يَخْرُجُ. إِنْ كَانَ بَعْلَ امْرَأَةٍ، تَخْرُجُ امْرَأَتُهُ مَعَهُ" (الخروج 2:21-3)؛ "«إِذَا بِيعَ لَكَ أَخُوكَ الْعِبْرَانِيُّ أَوْ أُخْتُكَ الْعِبْرَانِيَّةُ وَخَدَمَكَ سِتَّ سِنِينَ، فَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ تُطْلِقُهُ حُرًّا مِنْ عِنْدِكَ. وَحِينَ تُطْلِقُهُ حُرًّا مِنْ عِنْدِكَ لاَ تُطْلِقُهُ فَارِغًا. تُزَوِّدُهُ مِنْ غَنَمِكَ وَمِنْ بَيْدَرِكَ وَمِنْ مَعْصَرَتِكَ. كَمَا بَارَكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ تُعْطِيهِ" (التثنية 12:15-14)؛ وفي سفر إشعياء: "فَكَّ عُقَدِ النِّيرِ (untie the cords of the yoke)، وَإِطْلاَقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَارًا، وَقَطْعَ كُلِّ نِيرٍ (break every yoke) (أي: كَسْرَ كُلِّ قُيُودَ الِاسْتِعْبَادِ)" (إشعياء 6:58)؛ "رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ (أي: لأُضَمِّدَ جِرَاحَهم)، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ (release to the captives)، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ (liberation to the imprisoned)" (إشعياء 1:61) **[⟵ "فَكُّ رَقَبَةٍ" (البلد 13) "وَفِي الرِّقَابِ" (البقرة 177) (التوبة 60)].**

إذن: ما قاله القرآنُ عن أعمال البر هو مجرد إعادة إنتاج لِمَا قاله العهدُ الجديد (أو التراثُ المسيحي بصفة عامة) في ضوء ما قاله العهدُ القديم (أو التراثُ اليهودي بصفة عامة).

ولذلك نحن نتفق مع العالِم الكبير (Prof. Holger Zellentin) حين يقول تعليقاً على "فَكُّ رَقَبَةٍ" (البلد 13) وآيات أخرى في سياقها القرآني: "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (أي: وَبَيَّنَّا لِلْإِنسَانِ طريقَ الخير وطريقَ الشر، الأول ضيق وصعب لكنه يؤدي إلى الجنة بينما الآخر واسع وسهل لكنه يؤدي إلى النار). فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (أي: فلم يدخل الإنسانُ إلى الطريق الضيق الصعب الذي يؤدي إلى الجنة!). وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. [إنها] فَكُّ رَقَبَةٍ. أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ. ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ. أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (أي: أصحاب اليمين). وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ

الْمَشْأَمَةِ (أي: أصحاب الشمال). عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ" (البلد 10-20)، وأيضاً تعليقاً على علاقة سورة البلد بإنجيل متى وسفر إشعياء والتراث اليهودي-المسيحي (Judaeo-Christian) الذي بُنِيَ عليهما[8730]:

Neuwirth has illustrated that [سورة البلد] reflects a (likely oral) echo of Matt 25:31–46, in which we learn about the separation of two peoples, one on the right hand, and one on the left hand (2010:702). In Matthew, in turn in dialogue with Isaiah 58:6–7, the themes of hunger, food, and charity for a brother—a close of kin—are also discussed, as is eternal fire. While such a close cluster of correspondences is suggestive on its own, all of these themes, and especially the imagery of right and left hand groups, and the specific acts of charity, are of course very traditional (on left and right peoples see e.g., Platon's *Politeia* 10:614, and, as pointed out by Dye, *Apocalypse of Abraham* 21; they occur throughout the Qurʾān, see Rippin's commentary on this passage). Intriguingly, however, the Qurʾān introduces themes to its Matthean echo that are found only in Isaiah: whereas Matthew speaks of visiting prisoners (Matt 25:36), the Qurʾān specifies the "freeing of a slave," or literally, of a "neck," (["فَكُّ رَقَبَةٍ" (البلد 13)]), evocative of Isaiah's breaking of the yoke (58:6). It thus reads the Gospel in light of the Torah.

A closer look at what the Judaeo-Christian tradition *adds* to Matthew leads to an even more specific context in which to read the Qurʾān. Namely, the *Didascalia Apostolorum* [DA] quotes almost the *entirety* of the Matthean passage that is pertinent for the Qurʾān (namely Matt 25:34–40 and 46, see DA XIX 186.14–187.15, see also DA XI.128.22–129.1 and DA XV.168.15). A few verses before, moreover, the *Didascalia* instructs its audience to engage in the following catalogue of good deeds reminiscent of that of Isaiah, yet specifically in the context of freeing a slave: to bestow for buying off, or ransoming of the faithful (*mhymnʾ*); and to redeem slaves and captives and prisoners and those who suffer violence. The *Didascalia* hence features a combination of Matthew and Isaiah similar to that of the Qurʾān, thereby providing us with a numerically suggestive (albeit painfully modular) argument that the Qurʾān here stands in the Judaeo-Christian tradition, without any trace of direct textual influence.

Neuwirth has rightfully argued that the Qurʾān's language and conceptuality of [(البلد 10) "هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"], "we have guided [humankind] on the two paths," evokes Matthew's description of the easy road that leads to destruction, and the hard road that leads to life (Matt 7:13f)

["اُدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!" (متى 7:13-14)].

We can confidently follow tradition when translating the Qurʾānic hapax legomenon [نجْدَيْنِ] as "two paths" since this meaning of [نجْد] is well attested in Jewish and Christian Palestinian Aramaic. (No association with a high place is necessary.) As mentioned in my commentary on the cognate two paths in Q 1 [سورة الفاتحة], the motif of "two paths" is widespread throughout the Qurʾān and beyond (see e.g., Didache 1–6, Mishna *Avot* 2:9, *Genesis Rabbah* 21:5, or Is 40:3, quoted in turn in Matt 3:3). Yet the Judaeo-Christian tradition, as recorded by the *Clementine Homilies* (7.6–8), is again the most pertinent context in which and against which to understand how the Qurʾān hears the Matthean passage. For the Qurʾān again shares much with the *Clementine Homilies* that is *not* to be found in Matthew.

In all three texts [i.e. Matthew, Clementine Homilies and the Qurʾān], namely, humankind is shown two alternatives, one of which is called the "steep," or "narrow and rugged one" ([(البلد 11) "الْعَقَبَةَ"]), and in all *three* texts the easy choice leads to damnation. Yet it is the *Clementine Homilies* that, just like the Qurʾān, and unlike Matthew, emphasize God's "guidance" ["هَدَيْنَاهُ" (البلد 10) (الإنسان 3) "اهْدِنَا" (الفاتحة 6)] as well as His omniscience in this context, which in the Qurʾān ["أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ" (البلد 7)] becomes the key message directed to the squanderers amongst the townspeople. Most importantly, the *Clementine Homilies* here express the opposition of the two paths as corresponding to the juxtaposition of *apistis kai pistis*, of "unbelief and faith" in the same way that the Qurʾān [سورة البلد] juxtaposes [(البلد 19) "الَّذِينَ كَفَرُوا"] and [(البلد 17) "الَّذِينَ آمَنُوا"]. As Shlomo Pines points out, the terms "believing" and "unbelieving," while part of late antique discourse in general, are especially crucial in the Clementine literature, and in its Syriac witnesses, just like in the Qurʾān, they are denoted by the lexemes *hmn*/*āmn* [آمن] and *kpr* [كفر] (1984:136, see also Zellentin 2013a:162). While the Qurʾān,

hence, has general affinities with the many general Jewish and Christian themes, it arranges them in a way particularly close to the Judaeo-Christian tradition which maintains a dense web of intertextual references within and against which it expects to be heard.

ويجب هنا أن نؤكد أن الإسلام لم يُحرّم العبودية ولم يُجرّم تجارة الرقيق! فالدعوة إلى تحرير العبيد كعملٍ من أعمال البر لا تهدف إلى القضاء على العبودية كما تزعم ماكينة البروباجاندا الإسلامية. بدليل أنها مثل الدعوة إلى إطعام المساكين التي بكل تأكيد لا تهدف إلى القضاء على الطعام في بيوت الناس! أو مثل الدعوة إلى الصدقات التي بكل تأكيد لا تهدف إلى القضاء على المال في جيوب الناس! وأيضاً بدليل أن القرآن جعل "تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ" "كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ" (المائدة 89) أو كَفَّارَة تحريم الزوجة (المجادلة 3)، كما جعل "تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ" كَفَّارة "مَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً" "وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ" (النساء 92). وهذا اعتراف بأهمية العبد عند سيده وحرص سيده على بقائه عبداً، وإلا فما معنى أن تكون العقوبة هي تحريره؟!

أما إطلاق سراح الأسرى كعملٍ من أعمال البر، فهو مجرد خيار واحد من ضمن ثلاثة أو خمسة خيارات أباحها الإسلامُ في التعامل مع الأسرى، ومن بينها قَتْل الأسرى! نعم، الإسلام دين يبيح قَتْل الأسرى! يقول أ. د. محمد بكر إسماعيل (من كبار علماء الأزهر في مصر في القرن العشرين الميلادي!)[8731]:

حكم الإمام في الأسرى:

إذا جمعت الغنائم وجمع الأسرى وانتهت المعركة كان الإمام أو نائبه مخيَّراً في الأسرى بين أمور خمسة:

الأول: قتلهم، إن خاف من شرهم، أو من أجل النكاية بهم وبعدوهم، أو ليشفي بقتلهم أناساً من المسلمين لهم عندهم ثارات، أو ما أشبه ذلك من المصالح التي يراها مع مجلس الشورى الذي يصطفيه للتشاور في أمرهم.

الثاني: استرقاقهم، أي جعلهم عبيداً في أيدي المسلمين، فيدخلهم في قسمة الغنائم فأيهم وقع سهمه عليه ملكه، وذلك إن رأى أن في استرقاقهم مذلة لهم ولمن خلفهم.

الثالث: إطلاقهم بالفداء، إن رأى أن في أخذ الفدية مصلحة للمسلمين.

الرابع: أن يطلقهم ويعقد بينهم عقداً بترك المقاتلة ودفع الجزية.

الخامس: أن يَمُنَّ عليهم من غير فداء، وذلك إن رأى فيه مصلحة للمسلمين.

وهذا (أي: التخيير بين الأمور الخمسة السابقة) ما ذهب إليه المالكية ومن نحا نحوهم من فقهاء المذاهب الثلاثة، بل إن هذا هو مذهب أكثر أهل العلم على اختلاف مذاهبهم.

وفي السيرة النبوية ما يشير إلى ذلك فقد استشار النبي ﷺ المسلمين في أسرى بدر فمنهم مَن أشار بقتلهم، ومنهم من أشار بقبول الفداء.

وكذلك موسوعة بيان الإسلام (التي قام على إنجازها أكثر من 200 عالم وباحث مسلم في القرن الحادي والعشرين الميلادي!) تقول: "أسرى الحرب هُمْ من الغنائم، وَهُمْ على قسمين: الأول: النساء والصبيان، والثاني: الرجال البالغون المقاتلون من الكفار، إذا ظفر المسلمون بهم أحياء، وقد جعل الإسلام الحق للحاكم في أن يفعل بالرجال المقاتلين - إذا ظفر بهم ووقعوا أسرى - ما هو الأنفع والأصلح، من المنِّ أو الفِداء أو القتل. والمنُّ هو إطلاق سراحهم بلا مقابل، والفداء قد يكون بالمال، وقد يكون بأسرى المسلمين، على أنه يجوز للإمام مع ذلك أن يقتل الأسير إذا كانت المصلحة تقتضي قتله. وممن ذهب إلى هذا جمهور العلماء، فقالوا: للإمام الحق في أحد الأمور الثلاثة المتقدمة"[(8732)]! اقرأ أيضاً تفاسير الآيات القرآنية المتعلقة بهذه المسألة مثل (الأنفال 67-69) (محمد 4) (التوبة 5). مثلاً تفسير الآية الرابعة في سورة "محمد" - التي تُسمَّى أيضاً سورة "القتال"! - "فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا" (محمد 4) حسب التفسير الميسر الذي أعده نخبةٌ من العلماء المسلمين تحت إشراف وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية والمشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف يقول: "فإذا لقيتم -أيها المؤمنون- الذين كفروا في ساحات الحرب فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق، حتى إذا أضعفتموهم بكثرة القتل، وكسرتم شوكتهم، فأحكموا قيد الأسرى: فإما أن تَمُنُّوا عليهم بفك أسرهم بغير عوض، وإما أن يفادوا أنفسهم بالمال أو غيره، وإما أن يُسْتَرَقُّوا أو يُقْتَلوا، واستمِرُّوا على ذلك حتى تنتهي الحرب"[(8733)]!

وكما قلنا فيما سبق أيضاً، الإسلام دين يسمح للرجل المسلم المُحارب أن يخطف زوجةَ عدوه الكافر وحدها (أي: دون زوجها) ويطؤها (أي: ينكحها)، حتى إذا ظل زوجها حياً! "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ [...] الْمُحْصَنَاتُ (أي: المتزوجات) مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (أي: إلا مَن سَبَيْتم مِنهن فى الجهاد، فَيَحِلّ لَكُمْ وَطْؤُهُنَّ بعد استبراء أرحامهن بحيضة)" (النساء 23-24)! أي أن الإسلام دين يبيح اغتصاب الأسيرات (نكاح مِلْك اليمين)! نعم، الإسلام دين يبيح قَتْل الأسرى واغتصاب الأسيرات!

"بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ. وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ" (الشعراء 195-196).

قيل إن المقصود بـ "زُبُرِ الْأَوَّلِينَ" هو كتب الأنبياء السابقين فقط!

أما نحن فنرى أن المقصود هو التراث اليهودي/المسيحي كله،

سواء كلام أنبياء أو كلام غير أنبياء،

سواء كتب مقدسة أو أسفار غير مقدسة.

بدليل أن الآية التالية تقول: "أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الشعراء 197).

إذن: كل ما "يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الشعراء 197) من أساطير التلمود والمدراش والترجوم والأبوكريفا والسوديبِجرافا والتراث المسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة) ... الخ

هو "زُبُرِ الْأَوَّلِينَ" (الشعراء 196)

هو مصادر القرآن "العربي" (الشعراء 195).

6 الخاتمة

يعتمد الإسلامُ على شهادتين وأربع مُسلَّمات.

الشهادتان معروفتان، وَهُمَا "لا إله إلا الله" و "محمد رسول الله".

لكن محمد مات منذ أكثر مِن 1400 سنة. وحسب الإسلام، اللهُ صامت لا يتحدث إلى البشر منذ أكثر مِن 1400 سنة! فإذا أردنا أن نتعرف على الله ومحمد، ماذا نفعل؟ ...

الإجابة الإسلامية على هذا السؤال تنقلنا إلى المُسلَّمات الأربع التي يعتمد عليها الإسلامُ.

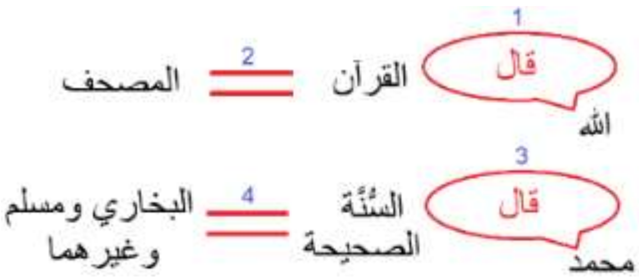

رسم توضيحي 18 – المُسلَّمات الأربع التي يعتمد عليها الإسلامُ

المُسلَّمة الأولى التي يعتمد عليها الإسلامُ هي أن القرآن كلام الله الحرفي المُنَزَّل على محمد!

لكن هل لدينا هذا القرآن؟!

الإجابة: لا. لا يوجد – ولن يوجد – نسخة أصلية كاملة للقرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد (ت 632م). ونحن نتحدى جميع المسلمين أن يعطونا نسخة أصلية كاملة للقرآن يرجع تاريخها إلى زمان محمد. لا يوجد ولن يوجد.

وإنما لدينا المصحف. أو بعبارة أكثر دقة: مصاحف. نعم، كان لدى المسلمين الأوائل مصاحف كثيرة، ولا يزال لدينا الآن عدة مصاحف، ومصحف واحد هو الأكثر شيوعاً. وهنا تأتي المُسلَّمة الثانية لتقول إن القرآن = المصحف! وهكذا اختزل الإسلامُ الله في كتابٍ عربي يتكون مِن 604 صفحة فقط!

أما المُسلَّمة الثالثة فتقول إن السُّنَّة الصحيحة هي كل ما قاله محمدٌ أو فعله أو أقره.

لكن هل لدينا تلك السُّنَّة الصحيحة؟!

الإجابة: لا. لا يوجد – ولن يوجد – نسخة أصلية كاملة للسنة الصحيحة يرجع تاريخها إلى زمان محمد. ونحن نتحدى جميع المسلمين أن يعطونا نسخة أصلية كاملة للسنة الصحيحة يرجع تاريخها إلى زمان محمد. لا يوجد ولن يوجد.

وإنما لدينا ما يُسمَّى صحيح البخاري وصحيح مسلم وأحاديث صحيحة أخرى في غيرهما. وهنا تأتي المُسلَّمة الرابعة لتقول إن السُّنَّة الصحيحة = البخاري ومسلم وغيرهما! وهكذا يعتمد المسلمون على كتب كُتِبَت بعد وفاة محمد بمئات السنين ليعرفوا ما قاله محمدٌ أو فعله أو أقره!

ولقد ركزنا في هذه المذكرات على المُسلَّمتين الأولى والثانية. فأثبتنا أن المصحف ≠ القرآن. وأننا حتى لو افترضنا جدلاً أن المصحف = القرآن، فإننا نستطيع أن نثبت أن القرآن (المصحف) ليس كلام الله. وأثبتنا فعلاً أن القرآن كلام بشر مخلوقين 100%، وليس كلام الله الخالق. القرآن عمل جماعي مِن كلام العرب، وهو مجرد تطور بشري طبيعي (natural human development) لتراث الشرق الأوسط القديم بصفة عامة، والتراث اليهودي-المسيحي (Judeo-Christian) الشرقي بصفة خاصة.

أما المُسلَّمتان الثالثة والرابعة، فسنتركهما للأجيال القادمة مِن الباحثين لدراستهما بالتفصيل. فلقد حرصنا على عدم الإطالة، فلم نعطِ إلا إشارات مختصرة وسريعة إلى الجذور البشرية الشرق-أوسطية لبعض الأحاديث في صحيحي البخاري ومسلم. راجع مثلاً ما قلناه عن أسطورة "موسى والخَضِر" القرآنية (أسطورة "جلجامش وأوتنابيشتيم" البابلية).

وفي نفس السياق، نوصي بتطبيق نفس المنهج على التراث الإسلامي كله، من أجل البحث عن جذوره البشرية الشرق-أوسطية. ولقد بدأتْ بالفعل في السنوات الأخيرة بعضُ الدراسات التي أثبتت الجذور المسيحية لكثير من القصص والروايات المذكورة في كتب السيرة النبوية مثلاً[8734].

فيمكن تلخيص النتيجة النهائية التي وصلنا إليها كما يلي: القرآن – بل الإسلام بصفة عامة – هو مجرد محاولة بشرية شرق-أوسطية لدمج التراث الشعبي القومي (العربي) مع التراث الشعبي الديني الإبراهيمي (اليهودي والمسيحي الشرقي (السرياني بصفة خاصة)) في كيانٍ واحدٍ نتج مِن خلال عملية تطور بشري طبيعي (natural human development) للثقافة العربية بالاستعانة بالثقافة اليهودية-المسيحية (Judeo-Christian).

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[⟵ القرآن كلام العرب]**.

التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[⟵ الإسلام دين العرب]**.

إذن: القرآن ليس كلام الله. وإنما القرآن كلام بشر 100%. والإسلام ديانة بشرية 100% صنعها العرب الذين كانوا يعيشون في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي وما بعده حتى يسيطروا على الشرق الأوسط كله تمهيداً لسيطرتهم على العالم كله. أو كما قال الشاعر:

ولعت هاشم بالمُلْك	**فلا مَلَكٌ جاء ولا وحيٌ نزل**

ومع ذلك لو أنت عايز تظل مسلماً، أنت حر. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان كفل لك حرية العقيدة. لكن من فضلكم لا تصدعوا رؤوسنا مرَّة أخرى بادعاءات كبيرة مثل "الإسلام دين الحق" و "يجب أن تكون مسلماً حتى تدخل الجنة" و "يجب أن نطبق الشريعة الإسلامية حتى يَرضى اللهُ عنا" ... إلى آخر تلك الجمل والعبارات والبروباجاندا التي تُردد ليلاً ونهاراً وكانت سبباً رئيسياً مِن أسباب تخلف المجتمعات العربية/الإسلامية ووقوفها "محلك سر" في الوقت الذي تتقدم فيه دول العالم المتحضر.

ما الحل؟

يؤمن المسلمون بأسطورة قديمة تقول إن كل كلمة - بل كل حرف - في القرآن من عند الله**!** وإن الإسلام دين الله، بينما كل دين آخر هو إما مُحرَّف (كاليهودية والمسيحية مثلاً) أو باطل (كالهندوسية والبوذية مثلاً)**!** يظن المسلمون أنهم بذلك يحافظون على الإسلام، لكن ما يحدث عملياً هو العكس تماماً.

إن تمسك المسلمين بهذه الأساطير – دون أن يكون لديهم أي دليل على صحتها – جعلهم أكثر شعوب الأرض جموداً وتعصباً. الأمر الذي انعكس بدوره على المجالات الأخرى في الحياة وعلى رأسها السياسة التي تعاني منذ عقود من سيادة ثقافة "الرأي الواحد" و "الفكر الواحد" و "الحزب الواحد" وإن تعددت أسماؤه وصوره. ولذلك فشلت كل محاولات التعددية والديمقراطية والحرية في المجتمعات العربية/الإسلامية، أو على الأقل لم تحقق حتى الآن ثمارها المرجوة. كما تعاني حقوق الإنسان من تدهور مُخجِل. التركيز كله على الله و "حقوق الله"؛ أما الإنسان فهو مجرد عبد مخلوق مِن طين (حتة طينة)**!** صحيح أن الإنسان (عبد الله[8735]) في الإسلام له حقوق، لكنها حقوق ضئيلة جداً إذا ما قُورنت بحقوق الإنسان (ابن الله[8736] وهيكل الله[8737]) في العالم المتحضر. بل ليس مِن المبالغة أن نقول إن الإنسان في الغرب يُعامَل كما لو كان هو الله (divinisation de l'humain). بالطبع ليس المقصود أن الإنسان هو خالق الكون، وإنما المقصود أن الإنسان هو خالق الحضارة.

يمكننا إذن أن نقول إنه حين يكون المناخ العام في المجتمع مناخاً إسلامياً، لا يمكن للتعددية أو الديمقراطية أو الحرية أو حقوق الإنسان أن تزدهر. والمصير حتماً هو التخلف، وربما الخراب كما رأينا في العراق وسوريا وليبيا واليمن ولبنان والصومال والسودان وغزة مثلاً. وفي الواقع، فإن المشكلة ليست في وجود التخلف، وإنما في حجمه وفي انحياز الدولة الإسلامية الدينية/العسكرية إليه أو حيادها تجاهه أو عدم جديتها في مواجهته خوفاً من المجتمع الإسلامي الذي ينحاز بدوره إلى هذا التخلف ويرفض التقدم نحو

التعددية والديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان. فالأخطر من ربط الإسلام بالدولة هو ربط الإسلام بمنظومة القيم (value system) في المجتمع. إذن وكما نقول دائماً: المشكلة ثقافية في المقام الأول.

تعصب المسلمين أدى في العصر القديم إلى الغزوات والإمبريالية الإسلامية – أو ما يسميه المسلمون "الفتوحات"، وأدى في العصر الحديث إلى الإرهاب. الإرهاب بكل درجاته وأنواعه وأشكاله، مِن أول الإرهاب اللفظي بتكفير الآخرين إلى الإرهاب الجسدي بتفجير الآخرين. فبينما لا يتجاوز عدد المسلمين 25% من سكان العالم، نجد أن غالبية العمليات الإرهابية التي تمت في الخمسين سنة الماضية قام بها مسلمون أو متأثرون بالثقافة الإسلامية! هل هي مجرد صدفة؟! ونحن هنا لا نتحدث فقط عن العمليات الانتحارية وتفجير القنابل والاغتيالات والقتل العشوائي ... الخ، وإنما نتحدث عن جميع أنواع الإرهاب. نعم، فهناك أنواع أخرى من الإرهاب كالإرهاب الفكري مثلاً. اضطهاد المعارضين نوعٌ من الإرهاب. تكميم الأفواه نوعٌ من الإرهاب. إصرار حماس على أن يكون لها دور فعَّال في مستقبل غزة بعد الحرب نوعٌ من الإرهاب. مجرد الدعوة - ولو باللسان فقط - إلى إزالة دولة إسرائيل من الخريطة نوعٌ من الإرهاب. منع المسلم من تغيير دينه نوعٌ من الإرهاب. منع التبشير المسيحي نوعٌ من الإرهاب. منع البهائيين من ممارسة شعائرهم الدينية نوعٌ من الإرهاب. تمييز المسلم على غير المسلم نوعٌ من الإرهاب. تمييز الرجل على المرأة نوعٌ من الإرهاب. إجبار النساء على ارتداء الحجاب نوعٌ من الإرهاب. وهناك أيضاً الإرهاب المنزلي: ضرب الزوجة إرهاب، وضرب الأطفال إذا لم يؤدوا الصلاة بعد بلوغهم سن العاشرة إرهاب. فإذا أخذنا في الاعتبار كل أنواع الإرهاب، سنجد أن معظم المسلمين الملتزمين بالإسلام بحذافيره (أي: الذين انتصر إسلامُهم على إنسانيتهم) إرهابيون أو مشروع إرهابيين: إرهابيون باليد أو إرهابيون باللسان أو إرهابيون بالقلب. أما المسلمون الذين انتصرت إنسانيتُهم على إسلامِهم فَهُمْ الذين ليسوا إرهابيين.

معظم الشيوخ المسلمين يرفضون المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق وكل الواجبات (وبخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية والمواريث)! معظم الشيوخ المسلمين يرفضون المساواة الكاملة بين المسلم والكافر (أي: غير المسلم أياً كان دينه) في جميع الحقوق وكل الواجبات (وبخاصة فيما يتعلق بحق ممارسة الدين والدعوة إليه)! معظم الشيوخ المسلمين يؤيدون التخلف، أو يؤيدون الإرهاب، أو يؤيدون الديكتاتورية وهي أسوأ وأخطر أنواع التخلف والإرهاب.

منذ عشرة أعوام أو عشرين عاماً كنا نقول إن الإرهاب الإسلامي خطر يهدد الغرب. أما اليوم فلقد أصبح الإرهاب الإسلامي خطراً يهدد المسلمين أنفسهم. نعم: معظم الإرهابيين مسلمون، لكن معظم ضحايا العمليات الإرهابية مسلمون أيضاً. أو كما قيل: إذا كان الإرهابي القاتل اسمه محمد، فإن الجندي أو الضابط المقتول اسمه أحمد. كلاهما مسلم! وإذا كان التنظيم الإرهابي الإسلامي اسمه حماس، فإن الأرض المدمَّرة اسمها غزة ومعظم مَن قُتِلوا فيها مسلمون!

باختصار، أصبح لسانُ حال المسلمين اليوم: نموت نموت ويحيا الإسلام. ولقد رأينا ذلك بكل وضوح في حرب غزة 2023-2025! فلا يهمهم أن الناس تموت أو تعيش في تخلف أو خراب، وإنما يهمهم أن الإسلام يعيش ويظل في الصدارة والمركز (front and center) ومهيمناً على الدولة! فأصبح المسلمون اليوم مثل الطبيب الفاشل الذي يقول: المريض مات لكن العملية نجحت!

لن يستمر هذا الوضع طويلاً، خاصةً بعد نفاد البترول من دول الخليج عاجلاً أو آجلاً. حينئذٍ سينخفض مستوى تأثير المسلمين بصفة عامة والعرب بصفة خاصة على العالم.

الإسلام **بصورته الحالية** ديانة بلا مستقبل وسوف ينقرض يقيناً. ونحن لا نتحدث هنا عن العقيدة وإنما نتحدث عن الشريعة. العقيدة سوف تستمر لأنها مسألة شخصية وفي القلب، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان يكفلها. أما الشريعة فهي مسألة عامة ولقد بدأت بالفعل في الانقراض.

أما إذا تتطور الإسلام فمن الممكن أن يستمر. وتطور الإسلام لا يمكن أن يحدث إلا في ظل العلمانية.

نعم، ارتباط الإسلام بالدولة هو المشكلة، والعلمانية هي الحل. إذا ظل الإسلام مرتبطاً بالدولة، فلا أمل ... لا أمل ... لا أمل. سنظل هكذا طوال حياتنا: خطوة للأمام وخطوتين للخلف. العالم كله يتقدم إلى الأمام، أما نحن فندور في نفس الحلقة المفرغة: ثورات وحروب ودساتير ... ثورات وحروب ودساتير ... ثورات وحروب ودساتير!

إذا ظل الإسلامُ مرتبطاً بالدولة، فسنظل في حروب لا نهاية لها (endless wars)!

لكن العلمانية ستنتصر حتماً ...

وانتصار العلمانية لا يعني القضاء على الإسلام نهائياً، وإنما يعني تحويل الإسلام من "حقيقة مطلقة الذي ينكرها هو عبدٌ كافر يجب إسكاته وإخضاعه وربما قتله" إلى "مجرد وجهة نظر الذي ينكرها هو مواطن حر وصاحب رأي يجب إعطائه الفرصة وحمايته وربما تكريمه".

7 ملحق

7.1 ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة

مِن المعلوم أن كثير مِن القصص القرآنية قد تكررت فى أكثر مِن سورة. على سبيل المثال، قصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" لها سبع روايات قرآنية! ترتيب هذه الروايات القرآنية حسب ترتيب المصحف الحالى هو: رواية سورة البقرة (رقم 2)، رواية سورة الأعراف (رقم 7)، رواية سورة الحجر (رقم 15)، رواية سورة الإسراء (رقم 17)، رواية سورة الكهف (رقم 18)، رواية سورة طه (رقم 20)، رواية سورة ص (رقم 38).

لكن ترتيب السور في المصحف لا يساعدنا على فهم كيف تطورت القصة القرآنية فى أذهان أصحاب القرآن بمرور الزمن (diachronic tradition)، بل إن ترتيب المصحف لا يساعدنا على فهم أى شيء، فهو ليس ترتيباً زمنياً ولا ترتيباً موضوعياً، وإنما هو مجرد ترتيب موروث أسسه التقليد الإسلامي.

فَلِكَيْ نفهم كيف تطورت القصة القرآنية فى أذهان أصحاب القرآن، وجب علينا أن نرتب رواياتها المختلفة ترتيباً زمنياً.

لكن المشكلة هى أن شيوخ الإسلام – كالعادة – لم يتفقوا على ترتيب زمنى واحد لآيات القرآن، ولا حتى لسور القرآن! والمشكلة الأكبر هى أن العلماء الأكاديميين لم يتفقوا أيضاً على ترتيب زمنى واحد لسور القرآن وآياته! يقول العالِمُ الكبير "غيرهارد بويرينغ" (Prof. Gerhard Böwering): "ولم يحصل أيُّ نظام من أنظمة الترتيب الزمني التسلسلي لفصول القرآن وآياته على قبول عالمي في أوساط البحث الأكاديمي المعاصر "[8738]!

ولذلك فنحن نرتب الروايات القرآنية المختلفة حسب الترتيب الزمني الشائع لسور القرآن، أو ما يُسمَّى "ترتيب النزول"، وهو بالطبع ليس بالضرورة الترتيب الزمني لأحداث القصة القرآنية نفسها. ولقد اعتمدنا بشكل أساسى على المراجع الآتية: |برهان|:1/193-194؛ |إتقان|:1/81-82؛ |شحاته|:1/9-10؛ |جابرى|؛ |قراءات-مصحف|:المقدمة/63-76؛ |دميرى|:222-223؛ |مجلس|:95؛ |و|:1/2/238؛ |Boubakeur|؛ |Aldeeb|:14-16. فمثلاً، ترتيب الروايات السبع لقصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس" سيكون حسب معظم هذه المراجع هو: رواية سورة ص، رواية سورة الأعراف، رواية سورة طه، رواية سورة الإسراء، رواية سورة الحجر، رواية سورة الكهف، رواية سورة البقرة.

وعلى مَن يعترض على هذا الترتيب أن يعطينا ترتيباً زمنياً آخر تؤيده أدلة أقوى مِن أدلتنا. **وفى جميع الأحوال، فإن ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة لن يؤثر على النتيجة النهائية التى توصلنا إليها، وهى أن القرآن كلام بشر مخلوقين وليس كلام الله الخالق.**

وختاماً نقول إننا قد لاحظنا أن الأبحاث التي تتعامل مع قضية "الترتيب الزمني" لسور القرآن أو لآيات القرآن تعتمد على كُتب السيرة النبوية وما يُسمَّى "أسباب النزول"، وهي كلها كُتب مشكوك في صحتها وليست محل اتفاق حتى بين المسلمين أنفسهم. ثم إن تلك الأبحاث تفترض إما صراحةً أو ضمنياً أن القرآن قد نشأ بالتوالي (in series) في خط زمني مستقيم (linear chronological) وأنتجه شخصٌ واحد هو الله في الأبحاث الإسلامية وهو محمد في الأبحاث غير الإسلامية. أما نحن فنؤمن إيماناً راسخاً وعلى يقين 100% أن القرآن (المصحف) ثمرة عمل جماعي اشترك فيه مجموعة مِن البشر. فَمِن المحتمل جداً أن القرآن قد نشأ بالتوازي (in parallel) في أماكن مختلفة وفي أزمنة مختلفة ومَرَّ بعمليات حذف وإضافة حتى جُمِعَ في النهاية في كتابٍ واحد هو المصحف. ومِن ثم فإنه مِن المحتمل جداً ألا يكون هناك أصلاً "ترتيب زمني واحد" لآيات المصحف، ولا حتى لسور المصحف. بعبارة أكثر بساطة: نحن لا نرى فرقاً بين مَن يبحث عن "الترتيب الزمني الواحد" لكل آيات المصحف ومَن يبحث عن "الترتيب الزمني الواحد" لكل القصص الشعبية أو الأمثال الشعبية عند شعبٍ من الشعوب.

ولذلك فإن اهتمامنا ينحصر فقط في الترتيب الزمني <u>النسبي</u> للروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة (a <u>relative</u> chronology for the parallel inner-Quranic accounts). مثلاً: يقول التراث الإسلامي إن رواية سورة البقرة لقصة سقوط آدم (البقرة 35-39) (مدنية) تأتي زمنياً بعد روايتي سورتي الأعراف وطه (الأعراف 19-27، 35-36) (طه 117، 120-124) (مكيتين)، ونحن نتفق تماماً مع التراث الإسلامي، ليس بالضرورة لأننا نصدِّق كل ما يُقال عن "القرآن المكي" و "القرآن المدني"، وإنما لأن كل الأدلة التي جمعناها تجبر كل إنسان عاقل على أن يعترف بأن صاحب رواية سورة البقرة قد جَمَعَ بين روايتي سورتي الأعراف وطه؛ أي: اعتمد عليهما. ولقد أثبتنا ذلك في جدول، فراجِع ما قلناه.

<u>**وحتى هذا الترتيب الزمني النسبي لا يؤثر على النتيجة النهائية التي توصلنا إليها، وهي أن القرآن كلام بشر مخلوقين وليس كلام الله الخالق.**</u> فاستكمالاً على المثال السابق: كان بإمكان صاحب رواية سورة البقرة أن يؤلف روايتَه بدون أن يعتمد على روايتي سورتي الأعراف وطه، فيكفيه ما كان يسمعه أو يقرأه أو يراه من التراث اليهودي والتراث المسيحي (السرياني) قبل الإسلام.

باختصار: نحن نفضِّل ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة حسب الترتيب الزمني الشائع لسور القرآن، أو ما يُسمَّى "ترتيب النزول"، لأنه بالتأكيد أفضل من ترتيب سور القرآن في المصحف الحالي. وسواء رتبنا الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة حسب ترتيب النزول أو حسب ترتيب المصحف، فإننا نستطيع أن نصل إلى نفس النتيجة النهائية وهي أن القرآن (المصحف) كلام بشر مخلوقين وليس كلام الله الخالق.

8 مجموعة مُختارَة مِن المصادر والمراجع

8.1 مصادر ومراجع مرتبة ترتيباً موضوعياً

8.1.1 الكتب التى كتبها المسلمون لتفسير كتابهم "القرآن" العربى

- تفسير الطبرى: طبعتان |طبرى|، |طبرى-شاكر|؛ وثلاثة مختصرات |ب|، |طبرى-صابونى|، |طبرى-معروف|.
- تفسير القرطبى: طبعتان |قرطبى|، |قرطبى-مصر|.
- تفسير ابن كثير: ثلاث طبعات |كثير|، |كثير-شيخ|، |كثير-طيبة|؛ وثلاثة مختصرات |كثير-شاكر|؛ |كثير-صابونى|؛ |كثير-شنقيطى|.
- تفسير الجلالين: ثلاث طبعات |ج|، |ج-البغا|، |ج-وطن|. وحاشية الصاوي |ج-صاوى|. وحاشية الجمل |ج-جمل|.
- تفسير "الدر المنثور" |درمنثور| وكتاب "أسباب النزول" |ج| لجلال الدين السيوطى.
- تفسير ابن عطية: طبعتان |عطية-قطر|، |عطية-مصر|.
- تفسير ابن أبى حاتم الرازى: |حاتم-رازى|.
- تفسير الماتُريدى: |ماتريدى|.
- تفسير الضَحَّاك: |ضحاك|.
- تفسير مقاتل بن سليمان: |مقاتل|.
- تفسير عبد الرزاق: |رزاق|.
- تفسير الخازن: |خازن-بغوى|.
- تفسير البغوى: |خازن-بغوى|.
- تفسير "الفَخْر الرازى" المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام الرازى |رازى|.
- تفسير البيضاوى: |بيضاوى|.
- تفسير الكشاف للزمخشرى: طبعتان |كشاف-ع|، |كشاف-ش|.
- تفسير النسفى: |نسفى|.
- تفسير "النكت والعيون" للماوردى: |ماوردى|.
- الواحدى النيسابورى: "الوسيط" |واحدى|؛ "الوجيز" |واحدى-وجيز|؛ "أسباب النزول" |ب|.
- "زاد المسير فى علم التفسير" لابن الجوزى: |زادمسير|.
- تفسير السخاوى: |سخاوى|.
- تفسير "البحر المحيط" لأبى حيان الأندلسى: |بحر|.

- تفسير الثعلبى: طبعتان |ثعلبى|، |ثعلبى-ع|.
- تفسير الثعالبى: |ثعالبى|.
- ابن تيمية: التفسير الكبير |تيمية-كبير|.
- تفسير الألوسى: |ألوسى|.
- تفسير الشوكانى: |شوكانى|.
- تفاسير معانى القرآن وإعرابه: |فراء|؛ |عبيدة|؛ |زجاج|؛ |نحاس|؛ |نحاس-إعراب|؛ |بهجة-أريب|.
- مراجع تراثية أخرى: |س-تفسير|؛ |عراقى|.
- مجموعة مِن التفاسير الحديثة والمعاصرة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد فى المملكة العربية السعودية |فهد|؛ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية |منتخب|؛ مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر |وسيط|؛ د. محمد سيد طنطاوى |طنطاوى|، |ميسر|؛ الشيخ حسنين محمد مخلوف |مخلوف|؛ د. محمود شلتوت |شلتوت|؛ الشيخ محمد الغزالى |غزالى|؛ الشيخ محمد أبو زهرة |زهرة|؛ الشيخ الشعراوى |شعراوى|؛ د. عبد الله شحاته |شحاته|؛ د. شوقي ضيف |ضيف|؛ محمد فريد وجدى |وجدى|؛ الشيخ محمد عبده |عبده|؛ الشيخ محمد رشيد رضا |منار|؛ تفسير القاسمى |قاسمى|؛ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور |عاشور|؛ د. محمد عابد الجابرى |جابرى|؛ الشيخ محمد بن صالح العثيمين |عثيمين|؛ د. وهبة الزحيلى |زحيلى|، |زحيلى-وسيط|، |زحيلى-وجيز|؛ د. محمد سليمان الأشقر |أشقر|؛ د. محمد محمود حجازى |حجازى|؛ الشيخ عبد الجليل عيسى |عيسى|؛ الشيخ عبد الرحمن السعدى |سعدى|؛ الشيخ الشنقيطى |أضواء|؛ د. حكمت بشير ياسين |بشير|؛ د. محمد على الصابونى |صفوة|؛ الأستاذ أحمد حسين |حسين|؛ الأستاذ سيد قطب |ظلال|؛ الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى |جزائرى|؛ ومراجع إسلامية أخرى: |قرنى|.

8.1.2 الكتب التى كتبها المسلمون لتدوين وشرح أحاديث نبيهم محمد

كنا نتمنى أن يقتصر حديثنا فى هذه المذكرات على القرآن فقط باعتباره كتاباً عربياً، نصاً مُؤسساً (texte fondateur) للديانة الإسلامية. وكنا نتمنى ألا ندخل متاهة الأحاديث النبوية التى ما زالت الفِرق والمذاهب الإسلامية إلى اليوم تختلف فيها وتتقاتل أحياناً بسببها! لكن للأسف اضطررنا أحياناً إلى الرجوع إلى كتب الأحاديث لتوضيح أمور هامة لم يذكرها القرآن أو اكتفى بالإشارة إليها. فاضطررنا إلى دخول مغارة كتب السُّنَّة، لأن المسلمين جعلوا السُّنَّة قاضيةً على القرآن! فلقد روى الدارمى عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ أنه قَالَ: "السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ الْقُرْآنُ بِقَاضٍ عَلَى السُّنَّةِ"[8739]!

ولقد اعتمدنا بصفة أساسية على كتب السُّنَّة التسعة، وكان منهجنا فى تخريج الأحاديث كما يلى:

- إذا كان الحديث مذكوراً فى صحيح البخارى و/أو صحيح مسلم، فسنكتفى بذلك كدليل على أنه حديث صحيح[8740].
  - صحيح البخارى (194 – 256 هـ)[8741]: |خ|؛ |بارى|؛ |بارى-طيبة|؛ |بطال|؛ |كرمانى|؛ |خ-عينى|.
  - صحيح مسلم (206 - 261 هـ): |م|؛ |م-نووى|؛ |مازرى|؛ |عياض|؛ |مفهم|؛ |ديباج|؛ |م-لاشين|؛ |م-عثيمين|.
- إذا لم يكن الحديث مذكوراً فى صحيح البخارى ولا فى صحيح مسلم، فسنذكر مَن أخرجه فى كتب السنة التسعة الأخرى. المراجع الإسلامية:
  - سنن الترمذى (209 – 279 هـ): |ت|؛ |ت-ألبانى|؛ |ت-أحوذى|؛ |ت-عارضة|؛ |ت-صحيح|.
  - سنن النسائى (215 – 303 هـ): |س|؛ |س-ألبانى|؛ |س-صحيح|. وسننه الكبرى |س-كبرى|.
  - سنن أبى داود (202 – 275 هـ): |د|؛ |د-ألبانى|؛ |آبادى|؛ |د-صحيح|.
  - سنن ابن ماجه (209 – 273 هـ): |هـ|؛ |هـ-أرنؤوط|؛ |هـ-ألبانى|؛ |هـ-سندى|؛ |هـ-صحيح|.
  - مسند أحمد (164 – 241 هـ)[8742]: |ل|؛ |ل-شاكر|؛ |ل-سندى|.
  - موطأ مالك (93 – 179 هـ)[8743]: |ط|؛ |ط-أعظمى|؛ |ط-زرقانى|؛ |ط-مسالك|.
  - سنن الدارمى (181 – 255 هـ): |دم|؛ |دم-أسد|.
- ولن نلجأ إلى الأحاديث المذكورة خارج كتب السنة التسعة إلا فيما ندر. المراجع الإسلامية:
  - صحيح ابن خُزَيمَة (223 – 311 هـ)[8744]: |خز|؛ |خز-الفحل|.
  - صحيح ابن حِبَّان (ت 354 هـ)[8745]: |حبان-أرنؤوط|؛ |حبان-ألبانى|؛ |ظمآن|؛ |ظمآن-صحيح|.
  - "المُستدْرَك على الصحيحين" للحاكم النيسابورى (321 - 405هـ)[8746]: |حاكم|.
  - مسند أبى داود الطيَالسِى (ت 204 هـ)[8747]: |طيالسى|.
  - مُصنَّف عبد الرزاق الصنعاني (126 – 211 هـ)[8748]: |صنعاني|.
  - مُصنَّف ابن أبى شَيبَة (159 – 235 هـ)[8749]: |شيبة|؛ |شيبة-رشد|؛ |شيبة-فاروق|.
  - مُسنَد البَزّار (ت 292هـ)[8750]: |بزار|.
  - مسند أبي يعلى الموصلي (210 – 307 هـ)[8751]: |يعلى|؛ |يعلى-حق|.
  - معاجم الطبرانى (260 – 360 هـ): المعجم الصغير[8752] |طبرانى-صغير|؛ المعجم الأوسط[8753] |طبرانى-أوسط|؛ المعجم الكبير[8754] |طبرانى-كبير|.

- مراجع إسلامية أخرى:
  - البغوى (436 – 516 هـ)[8755]: |بغوى|.
  - الخطيب التبريزى (ت 741 هـ)[8756]: |ش|؛ |ش-ألبانى|؛ |ش-طيبى|.
  - الهيثمي (735 – 807 هـ): |هيثمى|.
  - المتقي الهندي (ت 975هـ)[8757]: |كنز|.
  - الألبانى (ت 1420 هـ): |صحيحة|؛ |ضعيفة|.

8.1.3 الكتب التى كتبها المسلمون عن قصص أنبيائهم والقصص والأمثال القرآنية

- قصص الأنبياء لابن كثير: طبعتان |كثير-هاشمى|، |كثير-بديوى|.
- قصص الأنبياء للطبرى: |طبرى-قصص|.
- قصص الأنبياء المُسَمَّى "عرائس المجالس" للثعلبى (ت 427هـ): |عرائس|.
- مجموعة مِن المراجع الحديثة والمعاصرة: د. محمد الطيب النجار |طيب|؛ د. عبد الحليم محمود |عبدالحليم|؛ د. محمد سيد طنطاوى |طنطاوى-قصص|؛ الشيخ الشعراوى |شعراوى-ع|، |شعراوى-قصص|، |شعراوى-عجز|، |شعراوى-حيو|؛ أحمد بهجت |بهجت|؛ د. محمد بكر إسماعيل |بكر|، |بكر-أمثال|؛ د. محمد على الصابونى |صابونى|؛ د. أحمد شوقى إبراهيم |شوقى-قصص|؛ محمود شاكر |شاكر|؛ محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين |فضل|؛ الشيخ الدكتور عبد الوهاب النجار |نجار|؛ د. فضل حسن عباس |عباس|؛ أ. د. عمر سليمان عبدالله الأشقر |أشقر-قصص|؛ د. صلاح الخالدى |خالدى-أ|، |خالدى-ب|، |خالدى-ج|، |خالدى-د|؛ د. حسن الباش |باش|، |باش-موسى|؛ د. محمد شحرور |شحرور|؛ د. مصطفى بوهندي |بوهندي|؛ ومراجع إسلامية أخرى: |شرقاوى|؛ |أميرى|؛ |زين|؛ |أيوب|؛ |رمضان|؛ |بدوى|؛ |جمعة|؛ |عافية|.

8.1.4 الكتب التى كتبها المسلمون عن حياة نبيهم محمد والحروب (الغزوات) التى خاضها

- السيرة النبوية لابن إسحاق: طبعتان |إسحاق|، |إسحاق-ع|.
- السيرة النبوية لابن هشام: طبعتان |هشام|، |هشام-ت|. و "الروض الأنف" فى شرح السيرة |روض|؛ ومختصر السيرة |هشام-مختصر|؛ وتهذيب السيرة |هشام-تهذيب|.
- السيرة النبوية لابن كثير |كثير-سير|؛ وصفوة السيرة |كثير-صفوة|؛ وتهذيب السيرة |كثير-تهذيب|.
- "كتاب المغازى" للواقدى: |واقدى|.
- "الدُّرر فى اختصار المغازى والسِّيَر" لابن عبد البر: |درر|.
- "زاد المعاد فى هدى خير العباد" لابن قيم الجوزية: |زادمعاد|.

- "سُبُل الهُدى والرشاد" لمحمد بن يوسف الصالحى الشامى: |صالحى|.
- السيرة الحلبية لابن برهان الدين الحلبى: طبعتان |حلبية-م|، |حلبية-ع|.
- مراجع تراثية أخرى: |دلائل|؛ |وفا|؛ |دررسنية|.
- مجموعة مِن المراجع الحديثة والمعاصرة: د. محمد الطيب النجار |طيب-سير|؛ د. محمد أبو شهبة |شهبة-سير|؛ الشيخ محمد أبو زهرة |زهرة-سير|؛ د. محمد حسين هيكل |هيكل|؛ الشيخ محمد الغزالى |غزالى-سير|؛ د. شوقى ضيف |ضيف-سيرة|؛ د. محمد البوطى |بوطى|؛ الشيخ صفى الرحمن المباركفورى |كفورى|؛ خليل عبد الكريم |خليل-تكوين|؛ د. أكرم ضياء العمري |عمري|؛ د. على الصَّلَّابى |صلابى|؛ ومراجع إسلامية أخرى: |على-سير|؛ |نوريقين|؛ |رجائى|.

8.1.5 الكتب التى كتبها المسلمون عن المعاصرين لمحمد

ونقصد بالمعاصرين لمحمد: الزوجات، السراري، الصحابة، الصحابيات، الشعراء، الخصوم ...الخ.

- "الإصابة فى تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانى: طبعتان |إصابة|، |إصابة-ع|.
- "أسد الغابة فى معرفة الصحابة" لابن الأثير: طبعتان |أسدغابة|، |أسدغابة-ع|.
- "الاستيعاب فى معرفة الأصحاب" لابن عبد البر: طبعتان |استيعاب|، |استيعاب-م|.
- "الطبقات الكبير" لابن سعد: |طبقات|.
- "سِيَر أعلام النبلاء" للذهبى: |نبلاء|.
- "معرفة الصحابة" لأبي نعيم الأصبهاني: |أصبهانى|.
- "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" لأبي نعيم الأصبهاني: |أولياء|.
- مراجع تراثية أخرى: |أنساب|.
- مجموعة مِن المراجع الحديثة والمعاصرة: الشيخ الكاندهلوى |كاندهلوى|؛ الأستاذ خالد محمد خالد |خالد|؛ د. محمد بكر إسماعيل |بكر-رجال|، |بكر-نساء|؛ د. حمزة النشرتى وآخرين |نشرتى-صحابة|، |نشرتى-صحابيات|؛ د. عبد الرحمن رأفت الباشا |باشا-صحابة|؛ د. عائشة عبد الرحمن |بنت-شاطئ|؛ الشيخ الشعراوى |شعراوى-نساء|؛ د. موسى شاهين لاشين |لاشين|؛ الشيخ منصور الرفاعى عبيد |رفاعى|؛ محمود شاكر |شاكر-نساء|؛ د. عبد الصبور شاهين |شاهين-صحابيات|؛ ومراجع إسلامية أخرى: |نساء|؛ |شعراء|؛ |جنة|؛ |فرسان|؛ |جنة-رجال|؛ |جمعة-نار|؛ |نار|.

8.1.6 الكتب التى كتبها المسلمون/العرب عن التاريخ العربى والإسلامى

أو بعبارة أكثر دقة: الكتب التى كتبها المسلمون/العرب عن ما يعتقدون أنه تاريخهم قبل الإسلام وفى القرنين الهجريين الأول والثانى.

- تاريخ الطبرى: |طبرى-تاريخ|.
- "البداية والنهاية" لابن كثير: طبعتان |كثير-ك|، |كثير-تركى|.
- "الكامل فى التاريخ" لابن الأثير: |كامل|.
- تاريخ اليعقوبى: |يعقوبى|.
- "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودى: |مسعودى|.
- "أخبار مكة" للأزرقي: |أزرقي|.
- "تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر: |دمشق|. ومختصره لابن منظور |دمشق-مختصر|.
- "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادى: |بغداد|.
- مراجع تراثية أخرى: |الروحى|؛ |تيمى|.
- مجموعة مِن المراجع الحديثة والمعاصرة: د. جواد على |مفصل|؛ محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين |جاهلية|؛ محمود شاكر |شاكر-تاريخ|؛ الشيخ الدكتور عبد الوهاب النجار |نجار-خلفاء|؛ د. مصطفى مراد |مراد-خلفاء|؛ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية |و-تاريخ|؛ ومراجع أخرى: |كدر|.

8.1.7 الكتب التي كتبها المسلمون فى الدراسات الإسلامية والعربية

- ما يُسمَّى بـ "علوم القرآن": |برهان|؛ |إتقان|؛ |و-قرآن|؛ |زرقانى|؛ |بكر-قرآن|؛ |جابرى-قرآن|؛ |دميرى|.
- المصاحف والقراءات القرآنية المختلفة: |مصاحف|؛ |خطيب|؛ |معجم-قراءات|؛ |معصراوى|؛ |قراءات-مصحف|.
- ما يُسمَّى بـ "علم الرجال" أو "علم الجرح والتعديل": |مزى|.
- المعاجم المفهرسة: |معجم-ألفاظ|؛ |معجم-أعلام|.
- مراجع إسلامية أخرى: |و-عامة|؛ |و-عقيدة|؛ |أشقر-عقيدة|.
- معاجم وقواميس اللغة العربية (لسان العرب، تاج العروس، القاموس المحيط ... الخ).
- الثقافة العربية: |أغاني|.

8.1.8 الإسلام "الدفاعى": الكتب التي كتبها المسلمون للرد على ما يعتبرونه "شبهات"!

- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف: |مجلس|؛ |ربيع|.
- موسوعة بيان الإسلام: |و|.
- د. محمد أبو شَهبة: |شهبة|.

- د. محمد حسين الذهبى: |ذهبي|.
- د. أحمد شوقى إبراهيم: |شوقى|.
- د. سامي عامري: |عامري-أ|؛ |عامري-ب|.
- ومراجع إسلامية أخرى: |عمارة|؛ |العوشن|؛ |Njozi|.

8.1.9 ترجمات القرآن العربى إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية

قد يكون القرآن هو أكثر كتاب مقدس يشير إلى نفسه (self-referential)! ويدافع القرآن عن نفسه قائلاً إنه نزل "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" (الشعراء 195) (النحل 103). ومع ذلك يحتوى القرآن على كلمات كثيرة اختلف المفسرون العرب فى معناها! لا سيما الكلمات التى لم تُذكَر فى القرآن كله سوى مرة واحدة فقط (hapax legomenon) مثل: "رَتْقًا" (الأنبياء 30) و "سَرِيًّا" (مريم 24) و "الرَّقِيم" (الكهف 9) و "شُبِّهَ" (النساء 157) وغيرها.

لعلاج هذه المشكلة، لجأنا إلى المراجع التى تعطى ترجمة للقرآن (أو بالأحرى ترجمة لمعانى القرآن)، إذ أنك حين تترجم القرآن إلى لغة أجنبية عليك أن تختار المعنى الصحيح أو الأكثر صحة مِن بين المعانى الكثيرة التى اختلف حولها المفسرون. وهنا أيضاً حرصنا على تنوع المراجع والمصادر:

- ترجمات سعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: |فهد-ن|؛ |فهد-ف|.
- ترجمات مصرية: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف: |منتخب-ن|؛ |منتخب-ف|.
- ترجمات إنجليزية شهيرة: عبد الله يوسف علي |AYA|؛ Muhammad Pickthall |Pickthall|؛ Arberry |Arberry|؛ Rodwell |Rodwell|؛ Bell |Bell|؛ N. J. Dawood |Dawood|؛ عبد الحليم |Haleem|؛ فخرى |Fakhry|؛ Ali Unal |Unal|.
- ترجمات فرنسية شهيرة: Régis Blachère |Blachere|؛ Denise Masson |Masson|؛ Jacques Berque |Berque|؛ Jean Grosjean |Grosjean|.
- ترجمات أخرى قام بها مسلمون: |Ghali|؛ |زينب|؛ |Hamid|؛ |Boubakeur|؛ |Boureima|؛ |Muntada|؛ |Bakhtiar|.
- ترجمات أخرى قام بها غير مسلمين: |Montet|؛ |Aldeeb|.
- ترجمات و/أو تعليقات مشتركة: |Kaskas|؛ |Nasr|؛ |GR-AQ|.

واستفدنا أيضاً مِن بعض المراجع الأجنبية عن الإسلام: |Watt52|؛ |Watt56|؛ |Watt89|؛ |EQ|؛ |EI-2|؛ |EI-ar|.

8.1.10 الديانتان اليهودية والمسيحية وتراثهما قبل الإسلام

- الأسفار المقدسة قبل الإسلام (ترجمات وتفاسير وخرائط):
  - العهدين القديم والجديد: |NKJV|؛ |NIV|؛ |دراسى|؛ |NIV-chr|؛ |KJV-arch|؛ |MH|؛ |MH-ar|؛ |NOAB|؛ |NRSV|؛ |ESV|؛ |ESV-Luth|؛ |ESV-Ref|؛ |NABRE|؛ |RSV|؛ |EOSB|؛ |CLASB-NLT|؛ |JANT|؛ |IVP-OT|؛ |IVP-OT-ar|؛ |IVP-NT|؛ |IVP-NT-ar|؛ |أنطونيوس|؛ |ملطى|؛ |نطرون|؛ |مارمرقص|؛ |غريغوريوس|؛ |آرثر|؛ |تطبيقى|؛ |معاصر|؛ |توضيحية|؛ |يسوعية|؛ |مبسطة|؛ |Segond|؛ |TOB|؛ |Pleiade|؛ |قاموس-كتاب|؛ |كتابية|.
  - أطالس الكتاب المقدس: |Carta|؛ |IVP-Atlas|؛ |NG-Atlas|؛ |Holman|؛ |Rasmussen|.
  - العهد القديم العبري (TANAKH; Hebrew Bible): |JSB|؛ |Alter|؛ |عبرى|؛ |EJ|؛ |JE|.
  - الترجمة اليونانية (السبعينية LXX) للعهد القديم: |Septuagint|؛ |NETS|؛ |إسكندرية|؛ |سبعينية|. والكتب اليونانية في |يسوعية|؛ |مشتركة|؛ |رعائية|. علماً بأن "هُناكَ فَرقٌ غَيرُ قَليلٍ بَينَ الشَّريعةِ والنُّبُوَّاتِ وسائِرِ الأَسْفار (يقصد: الترجمة اليونانية (السبعينية)) وبَينَ نَصِّها [العِبْريّ] الأَصْليّ" (يشوع بن سيراخ مقدمة:24-26)[8758].
  - التوراة السامرية (Samaritan Pentateuch): |Samaritan|؛ |سامرية|.
  - كتب المسيحيين السُريان: |Peshitta|؛ |سريانية|؛ |Peshitta-NT|؛ |Tatian|.
- مخطوطات البحر الميت (Dead Sea Scrolls): |AFU|؛ |Vermes|؛ |غيزا-فيرم|؛ |WAC|.
- التراث اليهودى قبل الإسلام:
  - أبوكريفا وسوديبِجرافا العهد القديم: |RHCharles|؛ |OTP|؛ |Bauckham|؛ |Pleiade|؛ |طرزى|؛ |Barnstone|؛ |Lumpkin|؛ |هامش|[8759].
  - فيلو السكندرى (Philo of Alexandria) (الفيلسوف اليهودى المعاصر للمسيح): |Philo|؛ |Philo-ar|.
  - يوسيفوس (Flavius Josephus) (المؤرخ اليهودى المعاصر لتلاميذ المسيح) (حياته: 37-100م تقريباً): |Josephus|؛ |Feldman|.
  - الترجوم والمدراش والمشنا والتلمود البابلي: |Targums|؛ |Banon|؛ |Midrash|؛ |Mishnah|؛ |BT|؛ |تلمود|؛ |Kugel|؛ |Potiphar|.
- التراث المسيحى قبل الإسلام:

- أبوكريفا العهد الجديد: |Burke|؛ |Elliott|؛ |NTApocr|؛ |ApocrG|؛ |LostScr|؛ |Pleiade|؛ |بسيط-أبوكريفا|؛ |طرزى-أبوكريفا|؛ |IGT|؛ |Pagels|؛ |Meyer|؛ |Gnostic|.
- علم الآبائيات (باترولوجي): |ANF|؛ |NPNF-1|؛ |NPNF-2|؛ |رسوليون|؛ |هولمز|.
- تراث المسيحيين السُريان والروم (البيزنطيين): |سريان-أدب|؛ |أفراهاط|؛ |ينابيع|؛ |Luminous|؛ |Paradise|؛ |McVey|؛ |Faith|؛ |Prose|؛ |إفرام|؛ |سروجى|؛ |كهف|؛ |SC|.

- الدين والتاريخ قبل الإسلام (مِن وجهات نظر مختلفة):
  - تاريخ بني إسرائيل: |Kitchen|؛ |Kitchen-ar|؛ |مسكين|؛ |سوسة|؛ |BibleUn|؛ |BibleUn-ar|.
  - تاريخ المسيحيين الشرقيين: |MacCulloch|؛ |Jenkins|؛ |سوريال|؛ |شرقية|.
  - تاريخ المسيحيين العرب والسُريان: |Trimingham|؛ |Piccirillo|؛ |Reinink|؛ |Winkler|؛ |نسطورية|.
- المذاهب والفرق والبدع والهرطقات التي ظهرت قبل الإسلام:
  - مراجع أجنبية: |Panarion|؛ |Harnack|؛ |Heresies|؛ |LostChr|.
  - مراجع عربية: |مجامع|؛ |عصر|؛ |بسيط|؛ |حنا-خضرى|؛ |اسطفانوس|؛ |نجيب|.
- مراجع أخرى: |DDD|؛ |قانون|؛ |ثاوفيلس|؛ |تساؤلات|؛ |مسكين-أنبياء|؛ |المسيح|؛ |بسيط-بعدالمسيح|؛ |بسيط-صلب|؛ |Ehrman|؛ |Buzzard|؛ |منيس|.

8.1.11 تراث الحضارات الشرقية قبل الإسلام

- تراث الحضارة المصرية القديمة: |AEL|؛ |LAE|؛ |Lalouette|؛ |Grandet|؛ |Budge|؛ |بدج|؛ |EAE|؛ |IDAE|؛ |Romer|؛ |سليم-حسن|.
- تراث حضارات بلاد ما بين النهرين وفارس: |Kramer|؛ |Kramer-fr|؛ |كريمر|؛ |BK|؛ |Bottero|؛ |باقر|؛ |سومريون|؛ |EIr|.
- تراث حضارات الشرق الأدنى القديم: |ANET|؛ |Coogan|؛ |OTParallels|؛ |Hays|؛ |Walton|؛ |Sparks|؛ |ProcheOrient|؛ |أساطير|.
- تراث الحضارتين الإغريقية والرومانية: |March-ar|.
- مراجع عامة: |السواح|؛ |حايك|؛ |ديورانت|؛ |قاهرة|؛ |EB|.

8.1.12 التحليل التاريخى-النقدي (Historical-Critical Analysis) للقرآن

- قصص القرآن: |Witztum|؛ |Walker|؛ |Sidersky|.
- الكلمات الأجنبية في القرآن: |FV|؛ |Luxenberg|.
- تاريخ القرآن: |نولدكه|؛ |MS|.
- مؤتمرات ومنشورات علمية: |MW|؛ |BSOAS|؛ |JSAI|؛ |JAOS|؛ |JSS|؛ |MIDEO|؛ |IS|؛ |JQS|؛ |MQRNS|؛ |AOB-Subsidia|.
- مراجع تدرس موضوعات متنوعة في القرآن: |Reynolds|؛ |BQIntertext|؛ |QHC|؛ |QHC-ar|؛ |QHC-2|؛ |QSC|؛ |QiC|؛ |Neuwirth|؛ |Tottoli|؛ |Boullata|؛ |IW2002|؛ |IW2013|؛ |IW2014|؛ |Conrad|؛ |Geiger|؛ |Tisdall|؛ |Tisdall-ar|؛ |Torrey|؛ |Katsh|؛ |Badawi|.
- مراجع تدرس موضوعات معينة: |Banquet|؛ |KHO-GP|؛ |KHO|؛ |Penn|؛ |Wild|؛ |Wild-2|؛ |خليل-جذور|.

8.2 مصادر ومراجع مرتبة ترتيباً ألفبائياً حسب رموزها العربية

ملاحظات:

- تجاهل "-". يعني: ابحث عن |م-عثيمين| كما لو كان |معثيمين|.
- لا يوجد فرق بين "آ"، "أ"، "إ"، "ا".

الرمز	المرجع
|آبادى|	"عون المعبود شرح سنن أبى داود"، لشمس الحق العظيم آبادى (ت حوالى 1320هـ)، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. الناشر: محمد عبد المحسن الكتبى صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة. الطبعة الثانية، 1968-1969.
|إتقان|	"الإتقان فى علوم القرآن" لجلال الدين السيوطى، تخريج وتعليق: أ.د. مصطفى ديب البغا. دمشق: دار المصطفى. الطبعة الأولى، 2008.
|آرثر|	جون ماك آرثر، "تفسير الكتاب المقدس"، لبنان: دار منهل الحياة. الطبعة الثانية، 2012.
|أزرقي|	"أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار"، تصنيف: أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت 250هـ)، دراسة وتحقيق: أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. مكة: مكتبة الأسدي. الطبعة الأولى، 2003.
|أساطير|	رينيه لابات، أندره كاكو، موريس سنايزر، موريس فييرا، "سلسلة الأساطير السورية: ديانات الشرق الأوسط". ترجمة: مفيد عرنوق. دمشق: دار علاء الدين. الطبعة الثالثة، 2012.
|استيعاب|	"الاستيعاب فى معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (ت 463هـ)، تحقيق: على محمد البجاوى. بيروت: دار الجيل. الطبعة الأولى، 1992.
|استيعاب-م|	"الاستيعاب فى معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (ت 463هـ)، حقق أصوله ورتّبه ترتيباً ألفبائياً: د. خليل مأمون شيحا. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الثانية، 2012.
|إسحاق|	"السيرة النبوية" لإبن إسحاق (ت 151هـ). حقق أصولها ووثق نصوصها وكتب مقدمتها وعلق عليها وضبط ألفاظها ووضع فهارسها: طه عبد الرؤوف سعد (من علماء الأزهر الشريف)، بدوى

	طه بدوى (محقق فى التراث الإسلامى). القاهرة: دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة. الطبعة الأولى 1998.
إسحاق-ع	"السيرة النبوية" لابن إسحاق (ت 151هـ)، حقّقه وعلّق عليه وخَرّج أحاديثه: أحمد فريد المزيدى. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الثالثة، 2018.
أسدغابة	"أسد الغابة فى معرفة الصحابة" لابن الأثير (ت 630هـ)، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الرابعة، 2009.
أسدغابة-ع	"أسد الغابة فى معرفة الصحابة" لابن الأثير (ت 630هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عَلي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. قدّم له وقرّظه: أ. د. محمد عبد المنعم البرّى (جامعة الأزهر)، د. عبد الفتاح أبو سِنّة (جامعة الأزهر)، د. جمعة طاهر النجار (جامعة الأزهر). بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1994-1996.
اسطفانوس	"تاريخ الفكر المسيحى فى القرون الأولى"، تأليف: الدكتور القس عبد المسيح اسطفانوس (قام بالتدريس بكلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة من سنة 1965-2011)، الناشر: الدكتور القس عبد المسيح اسطفانوس. الطبعة الأولى.
إسكندرية	ترجمة عربية للسبعينية. (1) توراة موسى. (2) الأسفار التاريخية، الجزء الأول. (3) الأسفار التاريخية، الجزء الثاني. (4) الأسفار الأدبية، الجزء الأول. (5) الأسفار الأدبية، الجزء الثاني. (6) الأسفار النبوية، الجزء الأول. (7) الأسفار النبوية، الجزء الثاني. ترجمة: د. خالد جورج اليازجي. القاهرة: مدرسة الإسكندرية. الطبعة الأولى، 2018-2025.
أشقر	د. محمد سليمان عبد الله الأشقر، "زبدة التفسير" بهامش مصحف المدينة النبوية. الأردن: دار النفائس. الطبعة السادسة، 2012.
أشقر-عقيدة	أ. د. عمر سليمان عبدالله الأشقر (كلية الشريعة - الجامعة الأردنية)، سلسلة "العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة" (1) العقيدة فى الله، (2) عالم الملائكة الأبرار، (3) عالم الجن والشياطين، (4) الرسل والرسالات، (5) القيامة الصغرى، (6) القيامة الكبرى، (7) الجنة والنار، (8) القضاء والقدر. الناشر: دار النفائس - الأردن. توزيع: دار السلام - القاهرة. 2010-2012.
أشقر-قصص	أ. د. عمر سليمان عبدالله الأشقر، "قصص التوراة والإنجيل فى ضوء القرآن والسنة". دار النفائس - الأردن. الطبعة الأولى، 2011.
إصابة	"الإصابة فى تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانى (ت 852هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركى بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية. الرياض: دار عالم الكتب. 2013.
إصابة-ع	"الإصابة فى تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلانى. دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض. قدّم له وقرّظه: أ. د. محمد عبد المنعم البرّى (جامعة الأزهر)، د. عبد الفتاح أبو سِنّة (جامعة الأزهر)، د. جمعة طاهر النجار (جامعة الأزهر). بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1995.
أصبهانى	"معرفة الصحابة"، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران الأصبهاني (339 - 430هـ). تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الرياض: دار الوطن للنشر. الطبعة الأولى، 1998.
أضواء	"أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، تأليف: الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (1325-1393هـ)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، جدة: مجمع الفقه الإسلامي. وَقف مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية. الطبعة الأولى، 1426هـ.
أغاني	كتاب "الأغاني" لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت 356هـ). تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الدكتور إبراهيم السّعافين، الأستاذ بكر عباس. بيروت: دار صادر. الطبعة الثالثة، 2008.
إفرام	"القديس مار إفرام السرياني: سيرته - أقواله"، إعداد: القمص أغسطينوس البرموسى. مكتبة المحبة. الطبعة الثانية، 2006.
أفراهاط	"القديس أفراهاط (الحكيم الفارسي) مع مقدمة مبسطة في الأدب السرياني"، إعداد: القمص تادرس يعقوب ملطى. الناشر: كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس باسبورتنج. 2003.
الروحى	"بُلغَة الظرفاء في تاريخ الخلفاء" لأبي الحسن الرَّوْحِي (القرن السادس الهجرى)، تحقيق: عماد أحمد هلال، محمد حسنى عبد الرحمن، سعاد محمود عبد الستار. إشراف ومراجعة: د. أيمن فؤاد سيد. القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2014.
السواح	الأعمال الكاملة للمفكر السوري الكبير فراس السواح. **<u>دمشق: دار التكوين.</u>** (1) مغامرة العقل الأولى؛ (22) أساطير الأولين: القصص القرآني ومتوازياته التوراتية.

	دمشق: دار علاء الدين. (3) لغز عشتار؛ (4) الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم؛ (6) جلجامش؛ (12) مدخل إلى نصوص الشرق القديم.
[العوشن]	"ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية". تأليف: محمد بن عبد الله العُوشن. الرياض: دار طيبة. 1428هـ.
[المسيح]	الأب متى المسكين، "المسيح: حياته، أعماله"، مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون. الطبعة الثانية، 2008.
[ألوسى]	"رُوح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى" للألوسى البغدادى (ت 1270هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربى (بيروت - لبنان).
[أميرى]	"فقه دعوة الأنبياء فى القرآن الكريم"، تأليف: د. أحمد البَرَاء الأميرى. القاهرة: دار السلام. الطبعة الأولى، 2012.
[أنساب]	"جُمل من أنساب الأشراف". صَنَّفَهُ الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279هـ / 892م). حققه وقدَّم له: الأستاذ الدكتور سهيل زكار، الدكتور رياض زركلي؛ باشراف مكتب البحوث والدراسات فى دار الفكر. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، 1996.
[أنطونيوس]	القمص أنطونيوس فكري، "تفسير الكتاب المقدس".
[أولياء]	"حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى (ت 430هـ). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة: مكتبة الخانجى. 1996.
[أيوب]	الشيخ حسن أيوب (من علماء الأزهر الشريف)، "قصص الأنبياء: قصص الصَّفوة الممتازة، أنبياء الله ورسله". القاهرة: دار السلام. الطبعة الخامسة، 2011.
[ب]	"مختصر من تفسير الإمام الطبرى" لأبي يحى محمد بن صمادح التُّجيبي (ت 419هـ)، ومذيلاً بكتاب "أسباب النزول" للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابورى (ت 468هـ). القاهرة: دار المنار. 2010.
[بارى]	"فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، للإمام ابن حجر العسقلانى (773-852هـ)، تحقيق وترقيم ومراجعة: محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقى، قصى محب الدين الخطيب. القاهرة: دار الريان للتراث. الطبعة الأولى، 1986.
[بارى-طيبة]	"فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، للإمام ابن حجر العسقلانى (773-852هـ)، وعليه تعليقات مهمة للشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد الرحمن بن ناصر البرَّاك. اعتنى به: أبو قتيبة نظر محمد الفَاريابى. الرياض: دار طيبة. الطبعة الأولى، 2005.
[باش]	د. حسن الباش، "القرآن والتوراة: أين يتفقان وأين يفترقان؟". دمشق: دار قتيبة. الطبعة الثانية، 2013.
[باشا-صحابة]	د. عبد الرحمن رأفت الباشا، "صور من حياة الصحابة". القاهرة: دار الأدب الإسلامى. 2015.
[باش-موسى]	د. حسن الباش، "موسى عليه السلام وترتيلة التوحيد: مِن الصراع مع فرعون إلى الصراع مع بنى إسرائيل". دمشق: دار قتيبة. الطبعة الأولى، 2011.
[باقر]	طه بَاقِر، "مقدمة في أدب العراق القديم". لندن - بيروت: دار الوراق للنشر. الطبعة الأولى، 2010
[بحر]	تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ). دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض. شارك فى تحقيقه: د. زكريا النوتى (أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر)، د. أحمد الجمل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر)، قرظه: أ.د. عبد الحى الفرماوى (أستاذ التفسير وعلونم القرآن - كلية أصول الدين - جامعة الأزهر). بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1993.
[بدج]	"كتاب الموتى الفرعوني (عن بردية آني بالمتحف البريطاني)"، ترجمه عن الهيروغليفية: السير والس بدج (Sir Wallis Budge)، الترجمة العربية والتعليق: د. فيليب عطية. القاهرة: مكتبة مدبولي. الطبعة الثانية، 2000.
[بدوى]	عبد السلام بدوى، "من أنباء الرسل". القاهرة: مؤسسة دار الشعب. الطبعة الثانية، 1997.
[برهان]	"البرهان فى علوم القرآن"، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (ت 794هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. الطبعة الأولى، 1957-1958.
[بزار]	"البَحْر الزَخَّار" المعروف "بمُسنَد البَزّار". تأليف: أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البَزّار (ت 292هـ). تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله. بيروت: مؤسسة علوم القرآن؛ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. الطبعة الأولى، 1988 – 2009.
[بسيط]	القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، "تاريخ العقيدة المسيحية". مطبعة بيت مدارس الأحد. الطبعة الأولى، 2012.
[بسيط-أبوكريفا]	القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، "أبوكريفا العهد الجديد، كيف كُتبت؟ و لماذا رفضتها الكنيسة؟"، مطبعة المصريين. الطبعة الأولى. الجزء الأول:

	"الكتب المُسمَّاه بأناجيل الطفولة والآلام"، 2007. الجزء الثاني: "الكتب المُسمَّاه بأناجيل الناصريين والأبيونيين والأبيجرافيا ومركيون وإنجيل الرب وإنجيل توما"، 2014.
|بسيط-بعدالمسيح|	القس عبد المسيح بسيط أبو الخير (كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد)، "هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبى آخر يأتى بعد المسيح؟"، مطبعة بيت مدارس الأحد. الطبعة الأولى، 2004.
|بسيط-صلب|	القس عبد المسيح بسيط أبو الخير (كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد)، "هل صلب المسيح حقيقة أم شُبِّه لهم؟"، مطبعة بيت مدارس الأحد. الطبعة الأولى، 2004.
|بشير|	أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين (أستاذ التفسير فى كلية القرآن الكريم والدراسات العليا - الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة)، "التفسير الصحيح: موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور". المدينة المنورة: دار المآثر. الطبعة الأولى، 1999.
|بطال|	شرح صحيح البخارى، تأليف: ابن بطال البكرى القرطبى (ت 449هـ). ضبط نَصَّه وعلّق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. الرياض: مكتبة الرشد. الطبعة الثانية، 2003.
|بغداد|	تاريخ بغداد. "تأريخ مدينة السلام وأخبار مُحَدِّثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها". تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (392-463هـ). حققه، وضبط نَصَّه، وعلّق عليه: الدكتور بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى، 2001.
|بغوى|	"شَرح السُّنَّة"، تأليف: الإمام المُحدِّث الفقيه الحسين بن مسعود البغوى (436-516هـ). حققه وعلّق عليه وخَرَّج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش. بيروت - دمشق: المكتب الإسلامى. الطبعة الثانية، 1983.
|بكر|	أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن - جامعة الأزهر)، "قَصَص القرآن: من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل". القاهرة: دار المنار. الطبعة الثانية، 1997.
|بكر-أمثال|	أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن - جامعة الأزهر)، "الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية". القاهرة: دار المنار. الطبعة الأولى، 2000.
|بكر-رجال|	د. محمد بكر إسماعيل (الأستاذ بجامعة الأزهر)، "رجال أحبهم الرسول وبشَّرهم بالجنة". القاهرة: دار المنار. 2000.
|بكر-قرآن|	د. محمد بكر إسماعيل، "دراسات فى علوم القرآن"، القاهرة: دار المنار. الطبعة الثانية، 1999.
|بكر-نساء|	د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن - جامعة الأزهر)، "مؤمنات لهن عند الله شأن". القاهرة: دار المنار. الطبعة الأولى، 2007.
|بنت-شاطئ|	د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، "تراجم سيدات بيت النبوة". القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. طبعة مكتبة الأسرة، 2013.
|بهجة-أريب|	"بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب" لابن التركمانى (683-750هـ)، تحقيق: خالد محمد خميس، إشراف ومراجعة: د. أحمد عبد المجيد هريدى. القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2015.
|بهجت|	أحمد بهجت، "أنبياء الله". القاهرة: دار الشروق. الطبعة الخامسة والثلاثون، 2010.
|بوطى|	د. محمد سعيد رمضان البوطي، "فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة". الطبعة الشرعية الوحيدة فى جمهورية مصر العربية. دار السلام - القاهرة بالاتفاق مع دار الفكر - دمشق. الطبعة الثالثة والعشرون، 2012.
|بوهندي|	د. مصطفى بوهندي، سلسلة "الإضافة النوعية القرآنية"، بيروت - لبنان: دار الساقي: (1) "الإضافة النوعية القرآنية: مراجعة نقدية في سفر التكوين". الطبعة الأولى، 2011. (2) "موسى والتوحيد: أكثر من 200 إضافة نوعية قرآنية على سفر الخروج". الطبعة الأولى، 2019.
|بيضاوى|	"تفسير البيضاوى" المُسَمَّى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، تأليف: القاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى (ت 685هـ). بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الخامسة، 2011.
|ت|	الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. تحقيق وشرح وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقى وإبراهيم عطوة عوض. تحقيق وإعداد: دكتور مصطفى محمد حسين الذهبي. القاهرة: دار الحديث. 2010.
|ت-أحوذى|	تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذى، للإمام الحافظ المُباركفورى (1283 - 1353هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الرحمن محمد عثمان. القاهرة: مطبعة المدنى. قام بنشره محمد عبد المحسن الكتبى صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة. الطبعة الثانية، 1963-1967.
|ت-ألبانى|	سنن الترمذى، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: المحدِّث محمد ناصر الدين الألبانى. اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، 1417هـ.

|تساؤلات|	سلسلة "تساؤلات حول الإيمان المسيحى": (1) الفداء، (2) التوحيد والتثليث، (3) السماء والحياة الأبدية، (4) عقيدة التجسد الإلهى. إعداد: القس الدكتور بيشوى حلمى (كاهن كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا). مراجعة وتقديم: الأنبا بيشوى والأنبا موسى، مكتبة كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا. الطبعة الأولى، 2012-2014.
|ت-صحيح|	"صحيح سنن الترمذى"، تأليف: محمد ناصر الدين الألبانى. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، 2000.
|تطبيقى|	"التفسير التطبيقى للكتاب المقدس". أُخذ النص الكتابى من الكتاب المقدس "كتاب الحياة" الذى ترجم عن اللغات الأصلية بلغة عربية معاصرة. القاهرة: شركة ماستر ميديا. الطبعة السابعة، 2011.
|ت-عارضة|	عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى، للإمام الحافظ ابن العربى المالكى (ت 543هـ). بيروت: دار الكتب العلمية.
|تلمود|	د. أحمد ايبش (دكتوراة فى التاريخ)، "التلمود: كتاب اليهود المقدس. تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه". قَدَّم له: أ. د. سهيل زكار . دمشق - سوريا، بيروت - لبنان: دار قتيبة. الطبعة الأولى، 2006.
|توضيحية|	"الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية". القاهرة: دار الكتاب المقدس. الطبعة الأولى، الإصدار الثالث، 2022.
|تيمى|	"الخلفاء الأربعة (أبو بكر – عُمر – عُثمان – عَلى): أيامهم وسيرهم" للإمام أبى القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن على التيمى (ت 535هـ)، حققه ووضع حواشيه: د. كرم حلمى فرحات أبو صِيرى. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية. الطبعة الثانية، 2011.
|ثاوفيلس|	"شرح وتفسير قانون الإيمان"، تأليف: المتنيح القمص عبد المسيح ثاوفيلُس النخيلى (كاهن كنيسة مارمرقص بمصر الجديدة وأستاذ اللاهوت العقيدى بالكلية الإكليريكية). مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط. 2007.
|ثعالبى|	"الجواهر الحِسان فى تفسير القرآن" للثعالبى (786-875هـ)، تحقيق: الشيخ على محمد معَوّض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، شارك فى تحقيقه: أ.د عبد الفتاح أبو سنّة (خبير التحقيق بمجمع البحوث الإسلامية وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وعضو لجنة المصحف بالأزهر الشريف). بيروت: دار إحياء التراث العربى - مؤسسة التاريخ العربى. الطبعة الأولى، 1997.
|ثعلبى|	"الكَشف والبيان" المعروف "تفسير الثعلبي"، للإمام أبي إسحاق أحمد الثعلبي (ت 427هـ). دراسة وتحقيق: الإمام أبى محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى، 2002.
|ثعلبى-ع|	"الكَشف والبيان في تفسير القرآن" المعروف بـ "تفسير الثعلبي"، للإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت 427هـ). تحقيق: الشيخ سيد كسروي حسن. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 2004.
|ج|	"تفسير الجلالين" للإمامين جلال الدين المحلي (ت 864هـ) وجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، ومذيلاً بكتاب "لباب النقول في أسباب النزول" لجلال الدين السيوطي. القاهرة: مكتبة الصفا. الطبعة الأولى، 2004.
|جابرى|	"فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول"، تأليف: د. محمد عابد الجابرى. مركز دراسات الوحدة العربية. القسم الأول، ط5، 2013. القسم الثانى، ط5، 2014. القسم الثالث، ط3، 2013.
|جابرى-قرآن|	د. محمد عابد الجابرى، "مدخل إلى القرآن الكريم: فى التعريف بالقرآن". مركز دراسات الوحدة العربية. الطبعة الرابعة، 2013.
|ج-البغا|	"تفسير الجلالين" للإمامين جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) وجلال الدين المحلي (ت 864هـ). حققه وعلق عليه وخرَّج أحاديثه وذكر أسباب نزوله ووضع فوائد متممة له: أ. د. مصطفى ديب البغا (أستاذ التفسير وعلوم القرآن - كلية الشريعة - جامعة دمشق). دمشق: دار المصطفى. الطبعة الحادية عشرة، 2013.
|جاهلية|	محمد أحمد جاد المولى، على محمد البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم، "أيام العرب فى الجاهلية". القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية. 2009.
|ج-جمل|	"الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية"، تأليف: الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي (ت 1204هـ) الشهير بالجمل. ضَبَطه وصَحَّحه وخرَّج آياته: إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الرابعة، 2013.
|جزائرى|	أبو بكر جابر الجزائرى (الواعظ بالمسجد النبوي الشريف)، "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" وبهامشه "نهر الخير على أيسر التفاسير". المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. الطبعة الثالثة (طبعة مَزيدة ومُصَحَّحَة ومُنَقَّحَة)، 1997.

ج-صاوى|	حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: شرح الشيخ أحمد بن محمد الصاوى المصرى الخلوَتى المالكى (ت 1241هـ). تحقيق: سليمان القاطوني، عزت زينهم. القاهرة - المنصورة: دار الغد الجديد. الطبعة الأولى، 2017.
جمعة|	أحمد خليل جمعة، "نساء الأنبياء فى ضوء القرآن والسُنَّة". دمشق - بيروت: دار ابن كثير. الطبعة الثانية، 2002.
جمعة-نار|	"المبشَّرون بالنار"، تأليف: أحمد خليل جمعة. دمشق - بيروت: دار ابن كثير. الطبعة الثانية، 2001.
جنة|	"من فضائل العشرة المبشرين بالجنة"، للأستاذ محمود السعيد الطنطاوى. القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة السيرة والتاريخ. 2015.
جنة-رجال|	"رجال مبشَّرون بالجنة"، تأليف: أحمد خليل جمعة. قدَّم له: الدكتور محمد فوزى فيض الله والأستاذ منذر الشعار. دمشق - بيروت: دار ابن كثير. الطبعة الرابعة، 2012.
ج-وطن|	"تفسير الجلالين" للإمامين جلال الدين المحلي (ت 864هـ) وجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، ومعه حاشية هداية الموحِّدين لأبي عبد الرحمن هشام محمد سعيد برغش. راجعه وقدّم له: أ. د. أحمد عيسى المعصراوي (شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف وأستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر). الرياض: مدار الوطن للنشر. 2012.
حاتم-رازى|	"تفسير القرآن العظيم"، تأليف: ابن أبى حاتم الرازى (ت 327هـ). تحقيق: أسعد محمد الطيب. إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز. مكة المكرمة - الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز. الطبعة الأولى، 1997.
حاكم|	المُستدْرَك على الصحيحين، للإمام الحاكم النيسابورى (321-405هـ)، مع تضمينات الإمام الذهبى فى التلخيص. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الثانية، 2002.
حايك|	سلسلة "منطلقات الفكر الديني" للدكتور منذر الحايك. ريف دمشق – سوريا: دار آرام للنشر. توزيع دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق – سوريا. (1) "الفكر الديني في الملاحم الرافديَّة: جلجامش - الخلق - الطوفان - المعراج". الإصدار الأول، 2019.
حبان-أرنؤوط|	"صحيح ابن حِبَّان بترتيب ابن بلبان"، تأليف: الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسى (ت 739هـ). حَقَّقه وخَرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية، 1993.
حبان-ألبانى|	التعليقات الحسان على صحيح ابن حِبَّان: وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، تأليف: الشيخ المُحدِّث محمد ناصر الدين الألبانى، بترتيب الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسى (ت 739هـ). جدة: دار باوزير للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، 2003.
حجازى|	"التفسير الواضح". تأليف: د. محمد محمود حجازى (من علماء الأزهر الشريف – ت 1972م). تقديم: د. أحمد الطيب (شيخ الأزهر الشريف ورئيس مجلس حكماء المسلمين). القاهرة: مشيخة الأزهر الشريف. أبو ظبي: مجلس حكماء المسلمين. مُتعَهِّد الطبع: دار القدس العربي، القاهرة. الطبعة الثانية، 2018.[(8760)]
حسين|	الأستاذ أحمد حسين، "تفسير القرآن الكريم" من سورة الأحقاف إلى سورة المرسلات. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1976.
حلبية-ع|	السيرة الحلبية "إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون"، تأليف: على بن برهان الدين الحلبى الشافعى (ت 1044هـ). ضَبطه وصَحَّحه: عبد الله محمد الخليلى. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الرابعة (طبعة جديدة مصحّحة ومنقّحة)، 2013.
حلبية-م|	السيرة الحلبية "إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون"، تأليف: على بن برهان الدين الحلبى الشافعى (ت 1044هـ). تحقيق: د. أحمد طعمة حَلبى. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الأولى، 2012.
حنا-خضرى|	الدكتور القس حنا الخضرى، "تاريخ الفكر المسيحى". القاهرة: دار الثقافة. الطبعة الأولى، 1981-1994.
خ|	"صحيح البخارى"، ضبط وترقيم وشرح: د. مصطفى ديب البغا (دكتوراه فى الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر؛ مدرس فى كلية الشريعة - جامعة دمشق). دمشق - بيروت: دار ابن كثير؛ اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الخامسة، 1993.
خازن-بغوى|	تفسير الخازن "الباب التأويل فى معانى التنزيل" للإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن (ت 725هـ) ومعه تفسير البغوى "معالم التنزيل" للإمام أبى محمد

الحسين بن مسعود الفرّاء البغوى (ت 516هـ). ضبطه وصححه: عبد السلام محمد على شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1995.	
خالد محمد خالد، "رجال حول الرسول". القاهرة: دار المعارف. الطبعة الخامسة، 2007-2010.	|خالد|
"القَصص القرآنى: عرض وقائع وتحليل أحداث"، تأليف: الدكتور صلاح الخالدى. دمشق: دار القلم. الطبعة الرابعة، 2016.	|خالدى-أ|
"مع قَصص السابقين فى القرآن"، تأليف: الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدى. دمشق: دار القلم. الطبعة السادسة، 2015.	|خالدى-ب|
"مواقف الأنبياء فى القرآن"، تأليف: الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدى. دمشق: دار القلم. الطبعة الثانية، 2010.	|خالدى-ج|
د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، "سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم". دمشق: دار القلم. الطبعة الأولى، 2018.	|خالدى-د|
صحيح ابن خزيمة، لابن خزيمة النيسابورى، حَقّقه وعلّق عليه وخَرَّج أحاديثه وقدَّم له: د. محمد مصطفى الأعظمى. بيروت: المكتب الإسلامى. الطبعة الثالثة، 2003.	|خز|
صحيح ابن خزيمة، لابن خزيمة النيسابورى، حَقّق نصوصه وخَرَّج أحاديثه وعلّق عليه: د. ماهر ياسين الفحل. قدَّم له: د. أحمد معبد عبد الكريم. إشراف ومراجعة وضبط وتدقيق: الفريق العلمى لمشروع موسوعة جامع السنة. الرياض: دار الميمان. الطبعة الأولى، 2009.	|خز-الفحل|
"معجم القراءات"، تأليف: د. عبد اللطيف الخطيب. دمشق: دار سعد الدين. الطبعة الأولى، 2002.	|خطيب|
عُمدة القارى شرح صحيح البخارى، تأليف: الشيخ الإمام بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العينى (ت 855هـ). ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 2001.	|خ-عينى|
خليل عبد الكريم، "فترة التكوين فى حياة الصادق الأمين". القاهرة: دار مصر المحروسة. بغداد – بيروت: منشورات الجمل. 2009.	|خليل-تكوين|
خليل عبد الكريم، "الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية"، القاهرة: دار مصر المحروسة. الطبعة الثانية، 1997.	|خليل-جذور|
سنن أبى داود، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد. صيدا - بيروت: المكتبة العصرية.	|د|
سنن أبى داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: المحدِّث محمد ناصر الدين الألبانى. اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية، 1427هـ - 2007م.	|د-ألبانى|
"الكتاب المقدس الدراسى". مقالات وموضوعات ومداخل دراسية مع النصوص الكتابية الكاملة. النص الكتابى: كتاب الحياة. القاهرة: شركة ماستر ميديا. الطبعة الثانية، 2013.	|دراسى|
"الدُّرر في اختصار المغازي والسِّير"، تأليف: ابن عبد البر (ت 463هـ). تحقيق: د. شوقى ضيف. القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2013.	|درر|
"شرح الدرر السنية فى نظم السيرة النبوية"، تأليف: الإمام على بن محمد الأجهورى المالكي (ت 1066 هـ). تحقيق: إبراهيم ربيع محمد، منى شحاتة حسن، خالد محمد خميس، الشيخ رمضان عبد المطلب عثمان. إشراف ومراجعة: أ. د. على جمعة محمد (مفتى الديار المصرية السابق). القاهرة: وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2009 – 2015.	|دررسنية|
"الدر المنثور فى التفسير بالمأثور" لجلال الدين السيوطى (849 - 911هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، عبد السند حسن يمامة. الجيزة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية. الطبعة الأولى، 2003.	|درمنثور|
"صحيح سنن أبى داود"، تأليف: محمد ناصر الدين الألبانى. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية للطبعة الجديدة، 1421هـ - 2000م.	|د-صحيح|
"دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة"، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (384 - 458هـ)، وثَّق أصوله وخرَّج حديثه وعلَّق عليه: الدكتور عبد المعطي قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية - القاهرة: دار الريان للتراث. الطبعة الأولى، 1988.	|دلائل|
سنن الدارمى، حقق نَصَّه وخرَّج أحاديثه وفهرسه: فواز أحمد زمرلى وخالد السبع العلمى. قَديمى كتب خانه.	|دم|
سنن الدارمى، تحقيق: حسين سليم أسد الدارانى. الرياض: دار المغنى. الطبعة الأولى، 2000.	|دم-أسد|
"تاريخ مدينة دمشق: وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها"، تصنيف: أبي القاسم علي بن الحسن ابن هِبَة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر	|دمشق|

	(499-571هـ). دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي. بيروت: دار الفكر. الطبعة الأولى، 1995-2000.
دمشق-مختصر	"مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر"، للإمام محمد بن مكرّم المعروف بابن منظور (630 - 711هـ). تحقيق مجموعة من المحققين. دمشق: دار الفكر. الطبعة الأولى، 1984 - 1988.
دميرى	د. أمين يوسف الدميرى، العالِمية (الدكتوراة) فى الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين - جامعة الأزهر، "دراسة فى أسباب النزول حسب ترتيب النزول مع تعريف بالقرآن الكريم وبعض علومه"، القاهرة: مكتبة الآداب. الطبعة الثانية، 2013.
ديباج	"الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج"، للحافظ عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (849-911هـ). حَقَّقَ أصله وعلَّق عليه: أبو إسحاق الحوينى الأثرى. الخبر - المملكة العربية السعودية: دار ابن عفان. الطبعة الأولى، 1996.
ديورانت	"قصة الحضارة"، تأليف: ول وَايريل ديورَانت. ترجمة: د. زكى نجيب محمود، محمد بدران وآخرين. بيروت: دار الجيل؛ تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. 1988.(8761)
ذهبي	"الإسرائيليات فى التفسير والحديث" للأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبى (من كبار علماء الأزهر الشريف) (ت 1977م). القاهرة: الأزهر الشريف - مجمع البحوث الإسلامية. 2017.
رازى	تفسير "الفَخْر الرازى" المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام الرازى (544-604هـ). القاهرة: المطبعة البهية المصرية. طبعة عبد الرحمن محمد، الطبعة الأولى، 1938.
ربيع	د. آمال محمد عبد الرحمن ربيع، "الإسرائيليات فى تفسير الطبرى. دراسة فى اللغة والمصادر العبرية"، القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2009.
رجائى	رجائى عطية، "السيرة النبوية فى رحاب التنزيل". القاهرة: دار المعارف. طبعة ثانية منقحة، 2014.
رزاق	تفسير عبد الرزاق، تصنيف: الإمام المحدّث عبد الرزاق الصنعانى (ت 211هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده (كلية الدعوة - جامعة الأزهر). بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1999.
رسوليون	"النصوص المسيحية في العصور الأولى: الآباء الرسوليون". الترجمة عن اللغة اليونانية: دكتور جرجس بشرى حنا، القس لوقا يوسف رزق. ترجمة بعض النصوص عن اللغة الإنجليزية: دكتورة إيريني ثابت جورج. مراجعة الترجمة على اللغة اليونانية: دكتور جوزيف موريس فلتس، دكتور جرجس بشرى حنا. مراجعة الترجمة على اللغة الإنجليزية: دكتور حشمت فوزي كيرلس، دكتور عماد موريس إسكندر. المراجعة اللغوية وتدقيق النص العربي: دكتور وجدي رزق غالي. المراجعة النهائية واللاهوتية: دكتور جوزيف موريس فلتس، دكتور عماد موريس إسكندر. القاهرة: مركز باناريون للتراث الآبائي. الطبعة الأولى، يناير 2019.
رعائية	"الكتاب المقدس: قراءة رعَائيَّة"، الترجمة العربية المشتركة مع الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية، جمعية الكتاب المقدس فى لبنان. الاصدار الأول 2015، الطبعة الثالثة.
رفاعى	الشيخ منصور الرفاعى عبيد (وكيل وزارة الأوقاف الأسبق وعضو اتحاد الكتاب والحاصل علي وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من الدولة)، "أمهات المؤمنين وسيدات أخريات". مكتبة الدار العربية للكتاب. الطبعة الأولي، 2000.
رمضان	د. رمضان رمضان متولى، "عِبَر من دعاء الأنبياء والصالحين فى قصص القرآن". قدم له: الدكتور أحمد عمر هاشم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 2012.
روض	"الرَوض الأنُف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام" لعبد الرحمن السهيلى (ت 581هـ). ومعه "السيرة النبوية لابن هشام". تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمن الوكيل. يُطلَب مِن دار الكتب الحديثة. الطبعة الأولى 1967-1970.
زادمسير	"زاد المسير فى علم التفسير"، تأليف: الإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى (508–597هـ)، دمشق: المكتب الإسلامى، لصاحبه: زهير الشاويش. الطبعة الثالثة، 1984.
زادمعاد	"زاد المعاد في هدي خير العباد"، لابن قيم الجوزية (691 - 751هـ). حققه وخَرَّج أحاديثه: أنور الباز. المنصورة: دار الوفاء. بيروت: دار ابن حزم. الطبعة الأولى، 2011.
زجاج	"معانى القرآن واعرابه"، للزَّجَّاج أبى اسحق ابراهيم بن السَّري (ت 311هـ). شرح وتحقيق: دكتور عبد الجليل عبده شلبى. بيروت: عالم الكتب. الطبعة الأولى، 1988.
زحيلى	أ. د. وهبة الزحيلى (رئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبه فى جامعة دمشق)، "التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج". دمشق - سورية: دار الفكر. الطبعة العاشرة، 2009.
زحيلى-وجيز	أ. د. وهبة الزحيلى (عضو المجامع الفقهية)، "التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم (برواية ورش عن نافع) ومعه أسباب النزول". دمشق - سورية: دار الفكر. الطبعة الأولى، 2007.

[زحيلي-وسيط]	أ. د. وهبة الزحيلى (رئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبه فى جامعة دمشق)، "التفسير الوسيط". بيروت - لبنان: دار الفكر المعاصر، دمشق - سورية: دار الفكر. الطبعة الأولى، 2001.
[زرقانى]	"مناهل العِرفان فى علوم القرآن"، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى. حَقَّقه وخرَّج أحاديثه وشرح غريبه وعلَّق عليه: أ.د. أحمد عيسى المعصراوى (أستاذ الحديث وعلومه فى كلية التربية بجامعة الأزهر ورئيس لجنة مراجعة المصاحف بمجمع البحوث الإسلامية)، القاهرة: دار السلام. الطبعة الرابعة، 2015.
[زهرة]	الشيخ محمد أبو زهرة، "زهرة التفاسير". القاهرة: دار الفكر العربى.
[زهرة-سير]	الشيخ محمد أبو زهرة، "خاتم النبيين"، القاهرة: دار الفكر العربى. 2012.
[زين]	محمد بسام رشدى الزين، "مدرسة الأنبياء: عِبَرٌ وأضواء". دمشق: دار الفكر. بيروت: دار الفكر المعاصر. الإعادة الثانية، 2008.
[زينب]	"القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية"، ترجمة: د. زينب عبد العزيز (أستاذ الحضارة، جامعتا الأزهر والمنوفية)، طرابلس، ليبيا: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. الطبعة الثانية، 2002.
[س]	سنن النسائى بشرح السيوطى (ت 911هـ) وحاشية السندى (ت 1138هـ)، اعتنى به ورقَّمه وصنع فهارسه: عبد الفتاح أبو غُدّة. مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
[س-ألبانى]	سنن النسائى، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: المحدِّث محمد ناصر الدين الألبانى. اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية، 2008.
[سامرية]	"التوراة السامرية". ترجمها من العبرانية إلى العربية: الكاهن السامرى أبو الحسن إسحق الصورى. تقديم وتعليق: د. أحمد حجازى السقا. بيروت: دار الجيل. الطبعة الأولى، 2007.
[سبعينية]	"الترجمة السبعينية للكتاب المقدس (يوناني - عربي) بالمقارنة مع النص العبري والترجمة القبطية". إعداد: المتنيح نيافة الأنبا إبيفانيوس (أسقف ورئيس دير القديس أنبا مقار الكبير - وادي النطرون) وأبناء المتنيح. مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون. الناشر: دار مجلة مرقس. 2012-2024.
[س-تفسير]	"تفسير النسائي"، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (صاحب السنن) (ت 303هـ). حَقَّقه وعلَّق عليه وخَرَّج أحاديثه: صبري بن عبد الخالق الشافعي، سيد بن عباس الجليمي، مركز السُنّة للبحث العلمي. القاهرة: مكتبة السنة. الطبعة الأولى، 1990.
[سخاوى]	"تفسير القرآن العظيم" لأبى الحسن على بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوى المصرى الشافعى (ت 643هـ). تحقيق وتعليق: د. موسى على موسى مسعود (دار العلوم - جامعة القاهرة)، د. أشرف محمد عبد الله القصاص (دار العلوم - جامعة المنيا). دار النشر للجامعات. الطبعة الأولى، 2009.
[سروجى]	"القديس يعقوب السُّروجى: سيرته - أقواله"، إعداد: القمص أغسطينوس البرموسى، مكتبة المحبة. الطبعة الثانية، 2006.
[سريان-أدب]	د. مراد كامل، د. محمد حمدى البكرى، د. زاكيه محمد رشدى (أساتذة بكلية الآداب جامعة القاهرة)، "تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى العصر الحاضر". القاهرة: دار الثقافة للنشر وللتوزيع. الطبعة الأولى، 1987.
[سريانية]	سلسلة "ينابيع سريانية": (3) العهد الجديد السريانى، (7) التوراة السريانية، (8) الأسفار التاريخية: مِن يشوع إلى نحميا، (9) الأسفار النبويّة: مِن إشعيا إلى ملاخي. ترجمة: مجموعة مِن العلماء. مركز الدراسات والأبحاث المشرقية. جامعة مونستر – ألمانيا. الجامعة الأنطونيّة. الطبعة الأولى – لبنان، 2010-2016.
[س-صحيح]	"صحيح سنن النسائى"، تأليف: محمد ناصر الدين الألبانى. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، 1998.
[سعدى]	"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى. قدّم له: الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل والشيخ محمد صالح العثيمين. اعتنى به تحقيقاً ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الرياض: مكتبة الرشد. الطبعة السابعة، 2009.
[س-كبرى]	كتاب السنن الكبرى، للإمام أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى (ت 303هـ). حققه وخَرَّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبى بمساعدة مكتب تحقيق التراث فى مؤسسة الرسالة. أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط. قَدّم له: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى. بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 2001.
[سليم-حسن]	د. سليم حسن، "الأدب المصري القديم". القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 2021.

|سوريال|	"تاريخ المسيحية الشرقية"، تأليف: الدكتور عزيز سوريال عطية (مدير المعهد العالى للدراسات القبطية سابقاً وأستاذ التاريخ بجامعات أمريكا). ترجمة وتعليق: أرشيدياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر.
|سوسة|	الدكتور أحمد سُوسَة، "مفصل العرب واليهود في التاريخ". لندن – بيروت: دار الورَّاق للنشر. الطبعة الأولى، 2014. طبعة جديدة منقَّحة ومفصَّلة.
|سومريون|	الدكتور خزعل الماجدي، "أنبياء سومريون: كيف تحول عشرة ملوك سومريين إلى عشرة أنبياء توراتيين؟". الدار البيضاء – المغرب: المركز الثقافي للكتاب. الطبعة الأولى، 2018
|ش|	"مشكاة المصابيح"، تأليف: الخطيب التبريزى (ت 741هـ). تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانى. بيروت: المكتب الإسلامى. الطبعة الثانية، 1979.
|شاكر|	محمود شاكر، "مع أنبياء الله ورسله". بيروت، دمشق، عَمَّان: المكتب الإسلامى. الطبعة الأولى، 2004.
|شاكر-تاريخ|	محمود شاكر، "التاريخ الإسلامى". بيروت، دمشق، عَمّان: المكتب الإسلامى. الطبعة الثامنة، 2000.
|شاكر-نساء|	محمود شاكر، "أمهات المؤمنين". بيروت، دمشق، عَمَّان: المكتب الإسلامى. الطبعة الأولى، 2004.
|ش-ألبانى|	"هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة"، تصنيف: ابن حجر العسقلانى (ت 852هـ). تخريج: محمد ناصر الدين الألبانى؛ تحقيق: على بن حسن عبد الحميد الحلبى، الدمام: دار ابن القيم؛ الجيزة: دار ابن عفان. الطبعة الأولى، 2001.
|شاهين-صحابيات|	أ. د. عبد الصبور شاهين، أ. إصلاح عبد السلام الرفاعى، "صحابيات حول الرسول". القاهرة: دار نهضة مصر. الطبعة الأولى، 2005.
|شحاته|	أ. د. عبد الله محمود شحاته (أستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة)، "تفسير القرآن الكريم". القاهرة: دار غريب. الطبعة الثانية، 2000.
|شحرور|	د. محمد شحرور، "القَصص القرآنى: قراءة معاصرة". بيروت - لبنان: دار الساقى. 2014 – 2015.
|شرقاوى|	"المرأة فى القَصص القرآنى"، إعداد: د. أحمد محمد الشرقاوى (مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر). القاهرة: دار السلام. الطبعة الثالثة، 2011.
|شرقية|	الراهب القس أثناسيوس المقارى (راهب من الكنيسة القبطيَّة)، "الكنائس الشرقية وأوطانها"، القاهرة: دار نوبار. الطبعة الثانية، 2006-2013.
|ش-طيبى|	شرح الطيبى على مشكاة المصابيح المسمى بـ "الكاشف عن حقائق السنن"، لشرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبى (ت 743هـ). إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز. تحقيق ودراسة: د. عبد الحميد هنداوى، مكة المكرمة - الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز. الطبعة الأولى، 1997.
|شعراء|	"شعراء الرسول فى ضوء الواقع والقَرِيض"، تأليف: سعيد الأعظمى الندوى (رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامى)، أشرف عليه: الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى (رئيس ندوة العلماء العام-لكنهؤ (الهند))، أبو ظبى - الإمارات العربية المتحدة: مكتبة الصفاء. الطبعة الأولى، 2009.
|شعراوى|	الشيخ محمد متولي الشعراوى، "تفسير الشعراوى". أخبار اليوم، قطاع الثقافة.
|شعراوى-حيو|	الشيخ محمد متولى الشعراوى، "قَصص الحيوان فى القرآن"، القاهرة: دار أخبار اليوم ، قطاع الثقافة. الطبعة الأولى، 1999.
|شعراوى-ع|	الشيخ محمد متولي الشعراوي، "قصص الأنبياء". جَمعَ المادة العلمية: مِنشاوي غانم جابر. كَتب الحواشي وراجعها: مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. توزيع دار الكتب العلمية (بيروت).
|شعراوى-عجز|	الشيخ محمد متولى الشعراوى، "شرح معجزات الأنبياء والمرسلين". القاهرة: دار أخبار اليوم ، قطاع الثقافة. 1999.
|شعراوى-قصص|	الشيخ محمد متولى الشعراوى، "أنبياء الله". القاهرة: دار أخبار اليوم ، قطاع الثقافة. 1999.
|شعراوى-نساء|	الشيخ محمد متولى الشعراوى، "نساء النبى". أخبار اليوم، 2002.
|شلتوت|	الإمام الأكبر محمود شلتوت، "تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى)". القاهرة: دار الشروق. الطبعة الثالثة عشرة، 2009.
|شهبة|	د. محمد بن محمد أبو شَهبَة (أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة الأزهر وأم القرى)، "الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير"، القاهرة: مكتبة السنة. الطبعة الثانية (طبعة جديدة، منقَّحة ومزيدة)، 2006.

[شهبة-سير]	د. محمد بن محمد أبو شهبة (من علماء الأزهر الشريف والمتخصص فى القرآن وعلومه والسُّنّة وعلومها)، "السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسُّنّة"، دمشق: دار القلم. الطبعة الثانية عشرة، 2014.
[شوقى]	أ. د. أحمد شوقى إبراهيم (رئيس المجمع العلمى لبحوث القرآن والسُّنَّة بجمهورية مصر العربية ورئيس مؤسسة الدكتور أحمد شوقى إبراهيم للإعجاز العلمى فى القرآن والسُّنَّة ج.م.ع)، موسوعة "الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام". دار نهضة مصر. الطبعة الثالثة، 2014.
[شوقى-قصص]	"معجزات الأنبياء والمرسلين في ضوء القرآن والسُّنَّة (من منظور علمي بحثي)". تأليف: أ. د. أحمد شوقي إبراهيم (رئيس المجمع العلمي لبحوث القرآن والسُّنَّة بجمهورية مصر العربية، ورئيس مؤسسة الدكتور أحمد شوقي إبراهيم للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة ج.م.ع، وعضو لجنة الإعجاز العلمي بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية). دار نهضة مصر. الطبعة الثالثة، 2012.
[شوكانى]	"فتح القدير الجامع بين فَنّى الرواية والدراية من علم التفسير" للشوكانى (ت 1250هـ). حققه وخرّج أحاديثه: د. عبد الرحمن عميرة. وضع فهارسه وشارك فى تخريج أحاديثه: لجنة التحقيق والبحث العلمى بدار الوفاء. دار الوفاء، مصر. 1994.
[شيبة]	"المُصنَّف" لابن أبى شَيْبَة (159-235هـ). حَقَّقَه وقوَّم نصوصَه وخرَّج أحاديثه: محمد عوَّامة. جدة - المملكة العربية السعودية: دار القبلة للثقافة الإسلامية. دمشق - سوريا: مؤسسة علوم القرآن. قامت بطباعته وإخراجه دار قرطبة، بيروت - لبنان. الطبعة الأولى، 2006.
[شيبة-رشد]	"المُصنَّف" لابن أبى شَيْبَة (159-235هـ). تقديم: الشيخ د. سعد بن عبد الله آل حميّد. تحقيق: حَمَد بن عبد الله الجمعة، محمد بن إبراهيم اللّحيدان. الرياض - المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد ناشرون. الطبعة الأولى، 2004.
[شيبة-فاروق]	"المُصنَّف" لابن أبى شَيْبَة (159-235هـ). تحقيق: أبى محمد أسامة بن إبراهيم بن محمد. القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. الطبعة الأولى، 2008.
[صابونى]	محمد على الصابونى (الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة)، "النُّبوّة والأنبياء: دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام ودعوتهم، وأثرهم فى تغيير مفاهيم البشر، بأسلوب يجمع بين الدقة والسهولة، والجدة والتحقيق". بيروت: مؤسسة مناهل العرفان؛ دمشق: مكتبة الغزالى. الطبعة الثالثة، 1985.
[صالحى]	"سُبُل الهُدى والرشاد فى سيرة خير العباد"، للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى (ت 942هـ). تحقيق د. مصطفى عبد الواحد وآخرين. القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 1997.
[صحيحة]	محمد ناصر الدين الألبانى، "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها". الرياض: مكتبة المعارف. 1413 - 1422هـ.
[صفوة]	محمد على الصابونى (الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز)، "صفوة التفاسير" : تفسير للقرآن الكريم : جامع بين المأثور والمعقول، مستمد من أوثق كتب التفسير. بيروت: دار القرآن الكريم. الطبعة الرابعة (منقحة)، 1981.
[صلابى]	د. على محمد الصَّلّابى، "موسوعة السِّيَر". بيروت: دار المعرفة. (1) السيرة النبوية، (2) أبو بكر الصديق، (3) عمر بن الخطاب، (4) عثمان بن عفان، (5) على بن أبى طالب، (6) الحسن بن على بن أبى طالب، (7) معاوية بن أبى سفيان، (8) عمر بن عبد العزيز.
[صنعاني]	"المُصنَّف" للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (126 – 211 هـ). عنى بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه: الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمى. بيروت: المكتب الإسلامى. 1970 – 1983.
[ضحاك]	"تفسير الضَّحَّاك" (ت 105هـ). جمع ودراسة وتحقيق: د. محمد شكرى أحمد الزاويتى. أصل هذا الكتاب: رسالة قُدمت إلى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر لنيل درجة الدكتوراة فى التفسير وعلوم القرآن، ونالت درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة. الطبعة الثانية، 2009.
[ضعيفة]	محمد ناصر الدين الألبانى، "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء فى الأمة". الرياض: مكتبة المعارف. 1412-1425هـ.
[ضيف]	الدكتور شوقي ضيف، "الوجيز في تفسير القرآن الكريم". القاهرة: دار المعارف. الطبعة الثالثة، 2010.
[ضيف-سيرة]	دكتور شوقي ضيف، "محمد خاتم المرسلين". القاهرة: دار المعارف. الطبعة الثانية، 2009.
[ط]	الموطأ، للإمام مالك بن أنس. صحّحه ورقّمه وخرَّج أحاديثه وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقى، دار احياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه). 1951.

|ط-أعظمى|	موطأ الإمام مالك، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمى. مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية. 2004.
|طبرانى-أوسط|	"المعجم الأوسط"، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (260 - 360هـ). تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، أبو الفضل عبد المحسن بن ابراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين. 1415هـ - 1995م.
|طبرانى-صغير|	"الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني"، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير. بيروت: المكتب الاسلامي؛ عمان: دار عمار. الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985م.
|طبرانى-كبير|	"المعجم الكبير"، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (260 - 360هـ). حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السَّلفي. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. الطبعة الثانية، 1983.
|طبرى|	تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آى القرآن" لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (224-310هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. الرياض: دار عالم الكتب. 2013.
|طبرى-تاريخ|	تاريخ الطبرى "تاريخ الأمم والملوك" لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف. الطبعة الثانية (معدلة ومنقحة)، 1967.
|طبرى-شاكر|	تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آى القرآن" لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (224-310هـ) (من أول القرآن إلى الآية 27 من سورة إبراهيم). حققه: محمود محمد شاكر. راجعه: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف. 1954-1968.
|طبرى-صابونى|	مختصر تفسير الطبري، مع تحقيقات علمية هامة. اختصار وتحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني (أستاذ التفسير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى)، الدكتور صالح أحمد رضا (الأستاذ المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية). القاهرة: دار التراث العربي. 1402هـ.
|طبرى-قصص|	"قصص الأنبياء" لابن جرير الطبرى. تحقيق: جمال بدران. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. الطبعة الرابعة، 2010.
|طبرى-معروف|	"تفسير الطبري" من كتابه "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، هَذَّبه وحَقَّقه وضَبَطَ نَصَّه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني. بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 1994.
|طبقات|	"الطبقات الكبير" لمحمد بن سعد بن منيع الزهرى (ت 230هـ)، تحقيق: د. على محمد عمر. القاهرة: مكتبة الخانجى. الطبعة الأولى، 2001.
|طرزى|	"إبيجرافا وأبوكريفا العهد القديم"، ترجمة وإعداد: د. إبراهيم سالم الطرزي، الطبعة الأولى، 2006-2016.
|طرزى-أبوكريفا|	دكتور إبراهيم سالم الطرزي، "أبوكريفا العهد الجديد: تجميع لكتابات الأبوكريفا المسيحية"، الطبعة الأولى، 2001-2005.
|ط-زرقانى|	"شرح الزرقانى على مُوَطَّإِ الإمام مالك"، تأليف: محمد بن عبد الباقى بن يوسف الزرقانى المصرى الأزهرى المالكى (ت 1122هـ). القاهرة: دار الحديث. 2015.
|ط-مسالك|	"أوجز المسالك الى موطأ مالك"، تأليف: محمد زكريا الكاندهلوى المدنى (ت 1402هـ). اعتنى به وعلّق عليه: أ.د تقى الدين الندوى. دمشق: دار القلم. الطبعة الأولى، مُحَقَّقَة ومُنَقَّحَة، 2003.
|طنطاوى|	الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر)، "التفسير الوسيط للقرآن الكريم". دار السعادة. 1986.
|طنطاوى-قصص|	الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر)، "القصة فى القرآن الكريم". دار نهضة مصر. الطبعة الأولى، 1996-1997.
|طيالسى|	مسند أبى داود الطيَالسِى، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركى، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر. الجيزة: دار هجر. الطبعة الأولى، 1999.
|طيب|	الدكتور محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر)، "تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية". الرياض: مكتبة المعارف. الطبعة الثانية، 1983.
|طيب-سير|	د. محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق)، "القول المبين فى سيرة سيد المرسلين". الرياض: مكتبة المعارف. الطبعة الأولى، 2005.
|ظلال|	سيد قطب، "في ظلال القران". القاهرة: دار الشروق. الطبعة الشرعية الأربعون، 2013.
|ظمآن|	"موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان"، للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (735-807هـ). حَقَّقه وخَرَّج نصوصه: حسين سليم أسد الدارانى وعبده على الكوشك. دمشق - بيروت: دار الثقافة العربية. الطبعة الأولى، 1990.

ظمآن-صحيح	"صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان" مضموماً إليه "الزوائد على الموارد"، بقلم الشيخ المُحدِّث محمد ناصر الدين الألباني، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، 2002.
عاشور	تفسير "التحرير والتنوير"، تأليف: الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. تونس: الدار التونسية للنشر. 1984. (8762)
عافية	د. إبراهيم ثروت حداد علي عافية (دكتور الدراسات اليهودية والنصرانية ومقارنة الأديان)، "قصص سورة الكهف في الديانات السماوية الثلاث: دراسة تاريخية تحليلية نقدية مقارنة في ضوء التراث الديني اليهودي والنصراني والإسلامي والتاريخ والآثار". دمشق: دار النوادر. الطبعة الأولى، 2014. أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف إلى جامعة الأزهر وحاز بها درجة الماجستير.
عامري-أ	د. سامي عامري، "الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي – شبهات وردود". الكويت: رواسخ. الطبعة الثامنة، 2021.
عامري-ب	د. سامي عامري، "هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟"؛ عرض له: د. صلاح الخالدي، أ. د. فضل حسن عباس، د. إبراهيم عوض، د. حاتم جلال التميمي. الكويت: رواسخ. الطبعة السادسة، 2021.
عباس	الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، "قَصص القرآن الكريم: صِدْقُ حَدَثٍ وَسُمُوُّ هَدَفٍ، إرْهَافُ حِسٍّ وتَهْذِيْبُ نَفْسٍ". عمان - الأردن: دار النفائس. الطبعة الثالثة، 2010.
عبدالحليم	"قصص الأنبياء فى رحاب الكون مع الأنبياء والرسل" للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود. القاهرة: دار الرشاد. الطبعة الأولى: 2010.
عبده	"الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده"، تحقيق وتقديم: د. محمد عمارة. القاهرة: دار الشروق. الطبعة الثانية، 2006.
عبرى	"العهد القديم العبري": ترجمة بين السطور، عبري-عربي. الأبوان بولس الفغَالي وأنطوان عَوكر، لبنان: الجامعة الأنطونية - المكتبة البولسية. الطبعة الأولى، 2007.
عبيدة	"مجاز القرآن"، صنعة: أبى عُبيدة مَعمَر بن المُثَنَّى التَّيمى (ت 210هـ). عارضه بأصوله وعلّق عليه: الدكتور محمد فؤاد سَزْكِين، القاهرة: مكتبة الخانجي. الطبعة الأولى، 1954.
عثيمين	"تفسير القرآن الكريم" للشيخ محمد بن صالح العثيمين. طُبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية. 1435-1437هـ.
عراقى	"أسباب النزول والقصص الفرقانية"، لمحمد بن أسعد العراقى (484 - 567هـ) (1092 - 1172م). دراسة وتحقيق: د. عصام أحمد أحمد غانم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثانية، 2015.
عرائس	"قصص الأنبياء" المُسَمَّى "عرائس المجالس"، تأليف: أبى إسحاق النيسابورى المعروف بالثعلبى (ت 427هـ). ضبطه وصحَّحه وخرَّج آياته: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الثانية، 2006.
عصر	"عصر المجامع" بقلم القمص كيرلس الأنطونى. تنسيق وتعليق: دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة. الطبعة الأولى، 2002.
عطية-قطر	"المُحَرّر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز" لأبى محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى الأندلسى (ت 541هـ). تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصارى، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعى الصادق العنانى، الدوحة: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية - دولة قطر. الطبعة الثانية، 2007.
عطية-مصر	"المُحَرّر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز" لأبى محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى الأندلسى (ت 541هـ). تحقيق وتعليق: الأستاذ أحمد صادق الملاح، القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 1999.
على-سير	"صحيح السيرة النبوية"، تأليف: ابراهيم العلى، تقديم: د. عمر سليمان الأشقر، راجعه: د. همام سعيد. عَمَّان - الأردن: دار النفائس. الطبعة الأولى، 1995.
عمارة	أ.د. محمد عمارة، سلسلة "حقائق وشبهات" حول القرآن الكريم، معنى النسخ فى القرآن الكريم، السنة النبوية، الحرب الدينية والجهاد والقتال والإرهاب، السماحة الإسلامية وحقوق الإنسان، مكانة المرأة فى الإسلام، القاهرة: دار السلام. 2010-2012.
عمري	د. أكرم ضياء العمري، "السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المُحَدِّثين فى نقد روايات السيرة النبوية". المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. الطبعة السادسة، 1994.
عياض	شرح صحيح مسلم للقاضى عياض (ت 544هـ) المسمى "إكمال المعلم بفوائد مسلم"، تحقيق: د. يحيى إسماعيل. المنصورة: دار الوفاء. الطبعة الأولى، 1998.

عيسى	"تيسير التفسير للقراءة والفهم المستقيم". تأليف: الشيخ عبد الجليل عيسى (من علماء الأزهر الشريف – ت 1981م). القاهرة: مشيخة الأزهر الشريف. أبو ظبي: مجلس حكماء المسلمين. مُتعَهِّد الطبع: دار القدس العربي، القاهرة. الطبعة الأولى، 2019.
غريغوريوس	"موسوعة الأنبا غريغوريوس" للمتنيح الأنبا غريغوريوس، أسقف عام للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس. دير الأنبا رويس بالعباسية مصر.
غزالى	الشيخ محمد الغزالى، "نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم". القاهرة: دار الشروق. الطبعة الثالثة عشر، 2013.
غزالى-سير	الشيخ محمد الغزالي، "فقه السيرة". خرَّج أحاديث الكتاب: مُحدِّث الديار الشامية محمد ناصر الدين الألباني. القاهرة: دار الشروق. الطبعة التاسعة، 2017.
غيزا-فيرم	غيزا ڤيرم، "النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت". ترجمه وقدم له: أ. د. سهيل زكار، دمشق - سوريا، بيروت - لبنان: دار قتيبة. الطبعة الأولى، 2006.
فراء	"معانى القرآن"، تأليف: أبى زكرياء يحيى بن زياد الفَرَّاء (ت 207هـ). تحقيق ومراجعة: أحمد يوسف نجاتى، أ. محمد على النجار، د. عبد الفتاح اسماعيل شلبى، أ. على النجدى ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثانية، 1980-2001.
فرسان	أحمد خليل جمعة، "فرسان من عصر النبوة". دمشق - بيروت: دار اليمامة. الطبعة الثانية، 2005.
فضل	محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوى، السيد شحاتة، "قَصَص القرآن". القاهرة: دار التراث، الطبعة الرابعة عشر، 2000.
فهد	"التفسير الميسر"، إعداد نخبة من العلماء تحت إشراف الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. الطبعة الخامسة - مزيدة ومُنَقَّحَة، 2013.
فهد-ف	"القرآن الكريم وترجمة معانيه إلي اللغة الفرنسية". المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 1427هـ.
فهد-ن	"القرآن الكريم وترجمة معانيه إلي اللغة الإنكليزية". المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 1436هـ.
قاسمى	"تفسير القاسمى" المسمَّى "محاسن التأويل"، تأليف: محمد جمال الدين القاسمى (1866 - 1914م). وقف على طبعه وتصحيحه، ورقَّمه وخرَّج آياته وأحاديثه، وعلَّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقى. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه). الطبعة الأولى، 1957-1958.
قاموس-كتاب	"قاموس الكتاب المقدس" تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين. بيروت - لبنان: صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى. الطبعة الخامسة عشر، 2011.
قانون	البابا شنوده الثالث، "قانون الإيمان". الناشر: الكلية الإكليريكية بالقاهرة. الأنبا رويس الاوفست، الكاتدرائية، العباسية. الطبعة الثانية عشر، 2013.
قاهرة	مشروع جامعة القاهرة للترجمة. اشترك فيه مجموعة من أساتذة الجامعة. الناشر: مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة (CLT): (19 – 24) متن التلمود: المشنا؛ ترجمة وتعليق: د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور. (42 – 43) معجم الأديان العالمية؛ أ.د. محمد عثمان الخشت (أستاذ فلسفة الدين والفلسفة الحديثة والمعاصرة، كلية الآداب - جامعة القاهرة).
قراءات-مصحف	"المصحف وقراءاته"، تصنيف: مجموعة من الباحثين، بإشراف: عبد المجيد الشرفى. الدار البيضاء - المغرب، بيروت - لبنان: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. الطبعة الأولى، 2016
قرطبى	تفسير القرطبي"الجامع لأحكام القرآن" لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت 671هـ). تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 2006.
قرطبى-مصر	تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت 671هـ). راجعه وضبطه وعلَّق عليه: أ. د. محمد إبراهيم الحفناوي بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة. خرَّج أحاديثه: أ. م. د. محمود حامد عثمان بكلية الشريعة والقانون بطنطا، القاهرة : دار الحديث. 2010.
قرنى	د. عائض القرني، "التفسير الميسر". الرياض: مكتبة العبيكان. الطبعة الرابعة، 2010.
كامل	"الكامل فى التاريخ" لابن الأثير (ت 630هـ). تحقيق: أبى الفداء عبد الله القاضى. راجعه وصححه: د. محمد يوسف الدقاق. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1987.

[كاندهلوى]	"حياة الصحابة"، تأليف: الإمام الشيخ محمد يوسف الكاندهلوى، حققه وضبط نَصَّه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف. دمشق: الرسالة العالمية. الطبعة الثانية، 2014.
[كتابية]	"دائرة المعارف الكتابية"، مجلس التحرير: د.ق. صموئيل حبيب، د.ق. فايز فارس، د.ق. منيس عبد النور، د.ق. أندريه زكى، د.ق. أنور زكى، جوزيف صابر، المحرر المسئول: وليم وهبة بباوى، دار الثقافة. 1988-2014.
[كثير]	تفسير ابن كثير "تفسير القرآن العظيم" لعماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى (ت 774هـ). تحقيق: عبد العزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد ابراهيم البنا. القاهرة: دار الشعب. 1971.
[كثير-بديوى]	"قصص الأنبياء" للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير (ت 774هـ). حققه و علّق عليه: يوسف على بديوى. دمشق - بيروت: دار ابن كثير. الطبعة الحادية عشرة، 2013.
[كثير-تركى]	"البداية والنهاية" لابن كثير (701 - 774هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر. الجيزة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. الطبعة الأولى، 1997.
[كثير-تهذيب]	مروان كُجُك، "تهذيب سيرة ابن كثير". خرَّج الأحاديث النبويّة الشريفة: الشيخ فتحى الجندى. الرياض: دار طيبة. الطبعة الثانية، 2003.
[كثير-سير]	"السيرة النبوية" لابن كثير (ت 774هـ)، تحقيق: أ.د. مصطفى عبد الواحد (الأستاذ بجامعة أم القرى ومدير مركز إحياء التراث الإسلامى سابقاً وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر). القاهرة: دار السلام. الطبعة الأولى، 2011.
[كثير-شاكر]	مختصر تفسير ابن كثير المُسَمَّى "عمدة التفسير" عن الحافظ ابن كثير. اختصار وتحقيق: أحمد محمد شاكر. أتمه: أنور الباز. دار الوفاء. الطبعة العاشرة، 2013.
[كثير-شنقيطى]	"اليسير في اختصار تفسير ابن كثير"، اختصار وتحقيق: صلاح بن محمد عرفات، محمد بن عبد الله الشنقيطى، خالد بن فوزى عبد الحميد. إشراف: الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد (إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء). جدة: دار الهداة للنشر. الطبعة الأولى، 1426هـ.
[كثير-شيخ]	تفسير ابن كثير "تفسير القرآن العظيم" لعماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى (ت 774هـ). تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوى، على أحمد عبد الباقى، حسن عباس قطب. الجيزة: مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث. الطبعة الأولى، 2000.
[كثير-صابونى]	"مختصر تفسير ابن كثير"، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني (أستاذ التفسير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة - جامعة الملك عبد العزيز). بيروت: دار القرآن الكريم. الطبعة السابعة (منقحة)، 1981.
[كثير-صفوة]	"صفوة السيرة النبوية لابن كثير"، إعداد لجنة السيرة النبوية والتاريخ بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2011.
[كثير-طيبة]	تفسير ابن كثير "تفسير القرآن العظيم" لعماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى (700-774هـ). تحقيق: سامى بن محمد السلامة. الرياض: دار طيبة. الطبعة الثانية، 1999.
[كثير-ك]	"البداية والنهاية" لابن كثير (701 - 774هـ)، تحقيق: د. محيى الدين ديب مستو وآخرين، مراجعة: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، د. بشار عواد معروف، دمشق - بيروت: دار ابن كثير. الطبعة الثالثة، 2013.
[كثير-هاشمى]	"قصص الأنبياء" للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير (ت 774هـ)، خرّج أحاديثه وعلّق عليه: الدكتور عبد الرحمن الهاشمى (كلية أصول الدين - جامعة الأزهر). القاهرة: دار الآفاق. الطبعة الأولى، 2005.
[كدر]	جورج كدر، "معجم آلهة العرب قبل الإسلام". بيروت - لبنان: دار الساقي. الطبعة الثانية، 2017
[كرمانى]	صحيح البخارى بشرح الكرمانى، تأليف: محمد بن يوسف شمس الدين الكرمانى (ت 786هـ). بيروت: دار إحياء التراث العربي. الطبعة الثانية، 1981.
[كريمر]	"من ألواح سومر"، تأليف: صمويل كريمر، ترجمة: الأستاذ طه باقر، تقديم ومراجعة: دكتور أحمد فخري (أستاذ تاريخ مصر الفرعونية والشرق القديم بجامعة القاهرة). مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة. 1957.
[كشاف-ش]	"تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" للزمخشري (ت 538هـ)، اعتنى به وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: خليل مأمون شيحا. وعليه تعليقات كتاب "الانتصاف" فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام ناصر الدين ابن منير المالكي. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الثالثة، 2009.

إكشاف-ع|	"تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" للزمخشري (ت 538هـ). تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ على محمد معوض. شارك فى تحقيقه: أ.د. فتحى عبد الرحمن أحمد حجازى (أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية-جامعة الأزهر). الرياض: مكتبة العبيكان. الطبعة الأولى، 1998.
إكفورى|	الشيخ صفى الرحمن المباركفورى، "الرحيق المختوم". دار الوفاء - دار الحديث. الطبعة الشرعية - مُنقَّحة مع إضافات جديدة. الطبعة الرابعة والعشرون. 2014.
إكنز|	"كنز العمال في سُنن الأقوال والأفعال" لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت 975هـ). ضبطه وفسر غريبه: الشيخ بكري حيّاني؛ صححه ووضع فهارسه ومفتاحه: الشيخ صفوة السقا. بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الخامسة، 1985.
إكهف|	الأرشيدياكون الدكتور ميخائيل مكسى إسكندر، "سيرة أهل الكهف فى جميع الأديان"، معهد الدراسات القبطية. 2012.
إل|	مسند الإمام أحمد بن حنبل، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى: 1995-2001.
إلاشين|	د. موسى شاهين لاشين (نائب رئيس جامعة الأزهر - للدراسات العليا والبحوث)، "أزواج النبى". الرياض: مكتبة المعارف. الطبعة الأولى، 1987.
إل-سندى|	"حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تأليف: أبى الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادى السندى (ت 1138هـ). اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب، صاحب ومدير دار النوادر (دمشق - بيروت). إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر. الطبعة الأولى، 2008.
إل-شاكر|	المسند، للإمام أحمد بن حنبل. شرحه وصنع فهارسه: أحمد شاكر (أجزاء 1-8) وحمزة أحمد الزين (أجزاء 9-18). القاهرة: دار الحديث. الطبعة الأولى، 1995.
إم|	"صحيح مسلم"، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقى. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه). الطبعة الأولى، 1955-1956.
إماتريدى|	تأويلات أهل السُّنَّة، "تفسير الماتُريدى"، تأليف: الإمام أبى منصور الماتُريدى (ت 333هـ). تحقيق: الدكتور مجدى باسلوم. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 2005.
إمارمرقص|	الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم والعهد الجديد. إعداد وتفسير: مجموعة من كهنة وخدام كنيسة مارمرقص القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة – القاهرة. 2013-2024. [8763]
إمازرى|	كتاب "المعلم بفوائد مسلم" للإمام أبى عبد الله محمد بن على المازرى (453-536هـ). تحقيق: متولى خليل عوض الله وموسى السيد شريف. القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2011-2013.
إماوردى|	تفسير "النكت والعيون" لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى البصرى (ت 450هـ). راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية.
إمبسطة|	الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد: الترجمة العربية المُبَسَّطَة. المركز العالمى لترجمة الكتاب المقدس (WBTC)، المُنضم إلى رابطة الكتاب المقدس الدولية (BLI). 2010.
إمجامع|	الراهب القس أثناسيوس المقارى (راهب من الكنيسة القبطيَّة)، "قوانين المجامع المسكونيَّة وخلاصة قوانين المجامع المكانيَّة"، مطابع النوبار - العبور. الطبعة الأولى، 2013.
إمجلس|	"حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين"، تأليف: نخبة من العلماء. المؤلفون: أ. د. عبد الصبور مرزوق، أ. د. عبد العظيم المطعنى، أ. د. على جمعة محمد، أ. د. محمد عمارة، أ. د. محمود حمدى زقزوق. القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2012.
إمخلوف|	الشيخ حسنين محمد مخلوف (مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء)، "صفوة البيان لمعانى القرآن". دولة الإمارات العربية المتحدة: لجنة الاحتفالات بمقْدَم القرن الخامس عشر الهجرى. 1402هـ - 1982م.
إمراد-خلفاء|	د. مصطفى مراد (كلية الدعوة – جامعة الأزهر)، "الخلفاء الراشدون". القاهرة: دار الفجر للتراث. الطبعة الثانية، 2013.
إمزى|	"تهذيب الكمال فى أسماء الرجال"، للحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف المزى (654 – 742هـ). حَققه وَضَبَطَ نَصَّه وَعلَّق عليه: د. بشار عوّاد معروف (أستاذ ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب – جامعة بغداد). بيروت: مؤسسة الرسالة. 1983-1992.
إمسعودى|	"مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تأليف: أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (ت 346هـ). شرح وضبط: الدكتور عفيف نايف حَاطوم (دكتوراه من جامعة عين شمس، دكتوراه من جامعة الصوربون). بيروت: دار صادر. الطبعة الثانية، 2010.
إمسكين|	الأب متي المسكين، "تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين". مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون. الناشر: دار مجلة مرقس. الطبعة الرابعة، 2011.

مسكين-أنبياء	الأب متى المسكين، "النبوّة والأنبياء فى العهد القديم". دار مجلة مرقس. الطبعة الثالثة، 2014.
مشتركة	"الكتاب المقدس: الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية مع الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية". القسم الأول: العهد القديم. القسم الثانى: الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية. القسم الثالث: العهد الجديد. جمعية الكتاب المقدس. العهد القديم - الإصدار الثالث 2012، الطبعة الأولى. العهد الجديد - الإصدار الخامس 2012، الطبعة الأولى.
مصاحف	كتاب المصاحف، للحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 316هـ). وقد صححه ووقف على طبعه: الدكتور آرثر جفري. مصر: المطبعة الرحمانية. الطبعة الأولى، 1936م.(8764)
معاصر	"التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس". شارك فيه 48 كاتباً من 6 دول عربية (مصر، لبنان، سوريا، فلسطين، الكويت، الأردن) وطوائف مختلفة (إنجيلية، أرثوذكسية، كاثوليكية) وتوجهات فكرية ولاهوتية متنوعة. المحرر المسئول: الدكتور القس أندريه زكي إسطفانوس (رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر ورئيس الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية). القاهرة: دار الثقافة. الطبعة الأولى، 2018.
م-عثيمين	"التعليق على صحيح مسلم"، للشيخ محمد بن صالح العثيمين. الرياض: مكتبة الرشد ناشرون. طَبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية. الطبعة الثانية، 1435هـ.
معجم-أعلام	"معجم الأعلام والموضوعات فى القرآن الكريم"، تصنيف: د. عبد الصبور مرزوق، القاهرة: دار الشروق. الطبعة الأولى، 1995.
معجم-ألفاظ	محمد فؤاد عبد الباقى، "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم". المكتبة الإسلامية. محمد أوزدمير. استانبول بتركيا. 1982.
معجم-قراءات	"مُعْجَم القَراءات القرآنية" مع مقدمة فى القراءات وأشهر القُرَّاء. إعداد: د. أحمد مختار عمر (الأستاذ بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة)، د. عبد العال سالم مكرم (الأستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها – جامعة الكويت). الكويت: مطبوعات جامعة الكويت. الطبعة الثانية، 1988.
معصراوى	"الكامل المفصل فى القراءات الأربعة عشر: بهامش مصحف القراءات التعليمى بالترميز اللونى"، إعداد وتأليف: أ.د. أحمد عيسى المعصراوى (شيخ عموم المقارئ المصرية و رئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف وأستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر)، القاهرة: دار الإمام الشاطبى. الطبعة الأولى، 2009.
مفصل	د. جواد علي، "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام". بيروت: دار العلم للملايين. الطبعة الأولى، 1968-1973.
مفهم	"المفهم لما أشكَلَ مِن تلخيص كتاب مسلم"، تأليف: الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبى (578 - 656هـ). حققه وعلَّق عليه وقدَّم له: محيى الدين ديب مستو، يوسف على بديوى، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزّال. دمشق - بيروت: دار ابن كثير. دمشق - بيروت: دار الكلم الطيب. الطبعة الأولى، 1996.
مقاتل	تفسير مقاتل بن سليمان (ت 150هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الله شحاته. بيروت - لبنان: مؤسسة التاريخ العربى. الطبعة الأولى، 2002.
م-لاشين	فتح المنعم: شرح صحيح مسلم، تأليف: الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين. القاهرة: دار الشروق. الطبعة الأولى، 2002.
ملطى	القمص تادرس يعقوب ملطي، "تفسير الكتاب المقدس من تفسير وتأملات الآباء الأولين". مطبعة الأنبا رويس بالعباسية. 1983.
منار	"تفسير القرآن الحكيم" المشتهر باسم "تفسير المنار"، تاليف: محمد رشيد رضا، تلميذ الإمام الشيخ محمد عبده. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الثانية.
منتخب	"المنتخب في تفسير القرآن الكريم". القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الرابعة والعشرون، 2013.
منتخب-ف	"المنتخب فى تفسير القرآن الكريم باللغتين العربية والفرنسية"، ترجمة: أ. د. رقية محمود جبر، أ. د. عشيرة محمد كامل أحمد. مراجعة: أ. د. أحمد البساطى (عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر). القاهرة: الأزهر - وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة الأولي، 1998م - 1419هـ.
منتخب-ن	"المنتخب في تفسير القرآن الكريم باللغة الإنجليزية"، الترجمة المصرية. القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة الثالثة، طبعة منقحة، 2017.
م-نووى	"صحيح مسلم" بشرح النووى (631 - 676هـ). القاهرة: مؤسسة قرطبة. الطبعة الثانية، 1994.
منيس	"شُبهات وهميَّة حول الكتاب المقدس". إعداد: الدكتور القس منيس عبد النور. القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية. طبعة ثالثة منقَّحة ومزيدة عام 1998.

ميسر	"القرآن الكريم" بالرسم العثمانى برواية حفص عن عاصم وبهامشه "التفسير الميسر" للإمام الأكبر أ. د. محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر). طبع بمجمع مطابع الأزهر. الطبعة الخامسة، 2013.
نار	"رجال ونساء مبشَّرون بالنار أنزل اللهُ فيهم قرآناً"، بقلم: سعد يوسف محمود أبو عزيز. القاهرة: المكتبة التوفيقية.
نبلاء	"سِيَر أعلام النبلاء"، تصنيف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ). أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط. تقديم الكتاب بقلم: الدكتور بشّار عوّاد معروف (أستاذ ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة بغداد). بيروت: مؤسسة الرسالة.
نجار	عبد الوهاب النجار (أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين)، "قصص الأنبياء". القاهرة: دار الحديث. 2012.
نجار-خلفاء	"الخلفاء الراشدون"، تأليف: عبد الوهاب النجار. صَيدا - بيروت: المكتبة العصرية. 2012.
نجيب	القس جاد الله نجيب، "تاريخ الكنيسة الغائب: صفحات من تاريخ الكنيسة فى القرنين الرابع والخامس للميلاد". القاهرة: دار الثقافة. الطبعة الأولى، 2012.
نحاس	"معانى القرآن الكريم"، للإمام أبى جعفر النحاس (ت 338هـ). تحقيق: الشيخ محمد على الصابونى (الأستاذ بجامعة أم القرى). مكة المكرمة: جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى - مركز إحياء التراث الإسلامى. الطبعة الأولى، 1988.
نحاس-إعراب	"إعراب القرآن"، للإمام أبى جعفر النحاس (ت 338هـ). تحقيق: الدكتور زهير غازى زاهد. عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية. الطبعة الثانية، 1985.
نساء	محمود مهدى الإستانبولى، مصطفى أبو النصر الشلبى، "نساء حول الرسول والرد على مفتريات المستشرقين". دمشق - بيروت: دار ابن كثير. الطبعة الثالثة عشر، 2008.
نسطورية	"كتاب وثائقى عن كنيسة المشرق الأشورية النسطورية: تاريخها وحاضرها وعقائدها"، إعداد: الأنبا بيشوى (مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى ورئيس دير القديسة دميانة، وسكرتير عام المجمع المقدس)، الناشر: مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى ودير القديسة دميانة. الطبعة الأولى، 2003.
نسفى	تفسير النسفى "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى (ت 710هـ). حققه وخرَّج أحاديثه: يوسف علي بديوي. راجعه وقدَّم له: د. محيي الدين ديب مستو. دمشق - بيروت: دار ابن كثير. الطبعة السادسة، 2013.
نشرتى-صحابة	أ. د. حمزة النشرتى، الشيخ عبد الحفيظ فرغلى، "قصص الصحابة فى القرآن الكريم". القاهرة: دار النشرتى. الطبعة الأولى، 2009.
نشرتى-صحابيات	أ. د. حمزة النشرتى، الشيخ عبد الحفيظ فرغلى، أ. د. عبد الحميد مصطفى، "حياة الصحابيات". القاهرة: دار النشرتى. 1999.
نطرون	شرح أسفار الكتاب المقدس. مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادى النطرون. الناشر: دار مجلة مرقس. 2000-2014. شرح العهد القديم: أحد رهبان دير القديس أنبا مقار والراهب القس يوحنا المقارى والأب متى المسكين. شرح العهد الجديد: الأب متى المسكين.(8765)
نوريقين	"نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين"، تأليف: الشيخ محمد الخضرى بك (المفتش بوزارة المعارف ومدرس التاريخ الإسلامى بالجامعة المصرية). بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة السابعة، 2017
نولدكه	"تاريخ القرآن"، تأليف: تيودور نولدكه. تعديل: فريديريش شفالي. نقله إلى العربية: د. جورج تامر؛ بالتعاون مع عبلة معلوف تامر، د. خير الدين عبد الهادي، د. نقولا أبو مراد. الأجزاء الثلاثة في مجلد واحد. هيلدسهايم - زيوريخ - نيويورك: دار نشر جورج أولمز. بإذن دار نشر ومكتبة ديتريش، فيسبادن. 2000. بيروت: مؤسسة كونراد - أدناور. الطبعة الأولى، 2004.
هـ	سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقى. خرج أحاديثه وفهرسه: د. مصطفى محمد حسين الذهبى. القاهرة: دار الحديث. 2010.
هـ-أرنؤوط	سنن ابن ماجه، حَقَّقه وضبط نصَّه وخرَّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، 2009.
هـ-ألبانى	سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: العلّامة المحدِّث محمد ناصر الدين الألبانى. اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى الجديدة، 1417هـ.
هامش	سلسلة "على هامش الكتاب" وتضم نصوصاً تتعلق بالكتاب المقدس من قريبٍ أو بعيد، مثل: كتابات قمران والأبوكريفا والسوديبجرافا وكتابات أخرى من التراث اليهودى والمسيحى الشرقى. إعداد: الخورى بولس الفغَالى (دكتور فى الفلسفة واللاهوت، دبلوم فى الكتاب المقدس واللغات الشرقية). لبنان: الرابطة الكتابية، المكتبة البولسية، جمعيات الكتاب المقدس. الطبعة الأولى، 1997-2016.

|هـ-سندى|	سنن ابن ماجه، بشرح الإمام السندى (ت 1138هـ) وبحاشية تعليقات مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه للإمام البوصيرى (ت 840هـ). حَقَّق أصوله وخرَّج أحاديثه ورقَّمه: الشيخ خليل مأمون شيحا. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الأولى، 1996.
|هشام|	"السيرة النبوية" لابن هشام (ت 218هـ). حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها: مصطفى السقا، ابراهيم الأبيارى، عبد الحفيظ شلبى. شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابى الحلبى وأولاده في مصر. الطبعة الثانية. 1955.
|هشام-ت|	"السيرة النبوية" لابن هشام (ت 218هـ). عَلَّق عليها، وخرَّج أحاديثها، وَصَنَع فهارسها: أستاذ دكتور عمر عبد السلام تَدمُري (أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية). بيروت: دار الكتاب العربي. الطبعة الثالثة، 1990.
|هشام-تهذيب|	عبد السلام هارون، "تهذيب سيرة ابن هشام"، بيروت: مؤسسة الرسالة. الطبعة الرابعة والعشرون، 2002.
|هشام-مختصر|	"مختصر سيرة ابن هشام"، اختصرها وعلق عليها: السادة العلماء أعضاء لجنة السيرة النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مركز السيرة والسنة، لجنة السيرة النبوية. 2010.
|هـ-صحيح|	"صحيح سنن ابن ماجه"، تأليف: محمد ناصر الدين الألبانى. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، 1997.
|هولمز|	"الآباء الرسوليون: الكتابات المسيحية في المئة سنة الأولى باللغتين العربية واليونانية"، بقلم: مايكل هولمِز. ترجمة: د. جرجس كامل يوسف. ساهم في الترجمة: عماد عاطف (ماجيستير الدراسات المسيحية المبكرة). التحرير والمراجعة: مينا فؤاد توفيق (ماجيستير الدراسات المسيحية المبكرة). القاهرة: دار النشر الأسقفية. الطبعة الثانية، 2014.
|هيثمى|	"مَجمَع الزوائد ومنبع الفوائد"، تأليف: نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى المصرى (735 - 807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي. القاهرة: مكتبة القدسي. الطبعة الأولى، 1414هـ - 1994م.
|هيكل|	كتب د. محمد حسين هيكل عن صدر الإسلام. القاهرة: دار المعارف. (1) "حياة محمد"، الطبعة الخامسة والعشرون، 2009. (2) "الصديق أبو بكر"، الطبعة الثانية عشرة، 2004. (3) "الفاروق عمر"، الطبعة الثانية عشرة، 2018. (4) "عثمان بن عفان"، الطبعة التاسعة، 2018.
|و|	"موسوعة بيان الإسلام. الرد على الافتراءات والشبهات"، إعداد: نخبة من كبار العلماء المسلمين (أكثر من 200 عالم وباحث فى تخصصات مختلفة). المشرف العام ورئيس التحرير: أ.د / محمد محمد داود (أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية الآداب - جامعة قناة السويس). دار نهضة مصر. الطبعة الأولى، 2012.[8766]
|واحدى|	"الوسيط في تفسير القرآن المجيد" للواحدى النيسابورى (ت 468هـ). تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغنى الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: أ.د. عبد الحى الفرماوى (كلية أصول الدين - جامعة الأزهر). بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، 1994.
|واحدى-وجيز|	"الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تأليف: أبى الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابورى (ت 468هـ). تحقيق: صفوان عدنان داوودى. دمشق: دار القلم. بيروت: الدار الشامية. الطبعة الأولى، 1995.
|واقدى|	"كتاب المغازى" للواقدى (ت 207هـ)، تحقيق: الدكتور مارسدن جُونس. القاهرة: دار المعارف 1965. لندن: مطبعة جامعة أكسفورد 1966.
|و-تاريخ|	"موسوعة التاريخ الإسلامى". تقديم: أ. د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية). إشراف: أ. د. أحمد على عجيبة (أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية)، القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2015.
|وجدى|	محمد فريد وجدى، "المصحف المفسر". القاهرة: دار المعارف، طبع بإذن من إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بقرار اللجنة الصادر فى 17/9/1986 تحت رقم 483.
|وسيط|	"التفسير الوسيط للقرآن الكريم"، تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. الطبعة الثالثة، 1992. [8767]
|و-عامة|	"الموسوعة الإسلامية العامة". إشراف: أ. د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية). القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2015.
|و-عقيدة|	"موسوعة العقيدة الإسلامية". إشراف: أ. د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف). القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 2016.

|وفا|	"الوفا بأحوال المصطفى"، للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (510 – 597هـ). صححه ونسقه وعلق عليه: محمد زهرى النجار (من علماء الأزهر الشريف). الرياض: المؤسسة السعيدية. 1976.
|و-قرآن|	"الموسوعة القرآنية المتخصصة"، إشراف وتقديم: أ. د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية). القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة الثالثة، 2014.
|يسوعية|	"الكتاب المقدس" الترجمة اليسوعية. بيروت - لبنان: دار المشرق. الطبعة الثامنة، 2012.
|يعقوبى|	"تاريخ اليعقوبي"، تأليف: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي. بيروت: دار صادر. الطبعة الثانية، 2010.
|يعلى|	مسند أبي يعلى الموصلي، للإمام أحمد بن على بن المثنى التميمى. حَقَّقَهُ وخَرَّج أحاديثه: حسين سليم أسد. دمشق - بيروت: دار المأمون للتراث - دار الثقافة العربية. 1986 - 1994.
|يعلى-حق|	مسند أبى يعلى الموصلى، للإمام أحمد بن على بن المثنى التميمى. تحقيق وتعليق: إرشاد الحق الأثري (إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد). جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية؛ دمشق - بيروت: مؤسسة علوم القرآن. الطبعة الأولى: 1988.
|ينابيع|	سلسلة "ينابيع الإيمان": إفرام السريانى (القرن الرابع الميلادى)، نَرسَاى (القرن الخامس الميلادى)، يعقوب السُّروجى (أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الميلادى) وكتابات أخرى من التراث المسيحى السريانى. قدَّم لها ونقلها إلى العربية وكتب حواشيها: الخورأسقف بولس الفغَالى (دكتور فى الفلسفة واللاهوت، دبلوم فى الكتاب المقدس واللغات الشرقية) والأب إميل أبى حَبيب الأنطونى. لبنان: منشورات الجامعة الأنطونية. الطبعة الأولى، 2002-2015.

8.3 مصادر ومراجع مرتبة ترتيباً ألفبائياً حسب رموزها غير العربية

الرمز	المرجع
|AEL|	Miriam Lichtheim, "Ancient Egyptian Literature". University of California Press. Second edition, 2006.
|AFU|	Martin Abegg Jr., Peter Flint, and Eugene Ulrich, "The Dead Sea Scrolls Bible: The Oldest Known Bible Translated for the First Time into English". HarperOne. An Imprint of HarperCollins Publishers, 1999.
|Aldeeb|	"Le Coran: Texte arabe et traduction française par ordre chronologique selon l'Azhar, avec renvoi aux variantes, aux abrogations et aux écrits juifs et chrétiens" De Sami Awad Aldeeb Abu-Sahlieh. Vevey: Éditions de l'Aire. 2008.
|Alter|	Robert Alter, “The Hebrew Bible: A Translation with Commentary”. Three-Volume Set. New York: W. W. Norton & Company. First edition, 2019. ISBN-13: 978-0-393-29249-7.
|ANET|	"Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament", Edited by: James B. Pritchard. Princeton, NJ: Princeton University Press. Third Edition with Supplement, 1969.
|ANF|	"The Ante-Nicene Fathers: The Writings of the Fathers down to A.D. 325". Edited by: Alexander Roberts and James Donaldson. American Reprint of the Edinburgh Edition; Revised and chronologically arranged, with brief prefaces and notes, by A. Cleveland Coxe. Buffalo: The Christian Literature Company. 1886.
|AOB-Subsidia|	ACTA ORIENTALIA BELGICA – SUBSIDIA(8768) - ACTA ORIENTALIA BELGICA – SUBSIDIA III. Thème: Al-Kitâb. La sacralité du texte dans le monde de l'Islam. Actes du Symposium International tenu à Leuven et Louvain-la-Neuve du 29 mai au 1 juin 2002. Édition: 2004. D. De Smet, G. de Callataÿ et J.M.F. Van Reeth (Éds.)

|ApocrG|	Bart D. Ehrman and Zlatko Pleše, "The Apocryphal Gospels: Texts and Translations". Oxford University Press. 2011.
|Arberry|	"The Koran interpreted" A Translation by Arthur J. Arberry. London: Allen & Unwin; New York: Macmillan. 1955.
|AYA|	"The Meaning Of The Holy Qur'an" by Abdullah Yusuf Ali. Amana Publications. Eleventh edition, Reprinted 2014.
|Badawi|	Emran Iqbal El-Badawi, "The Qur'ān and the Aramaic Gospel Traditions". New York: Routledge. 2014.
|Bakhtiar|	"The Sublime Quran" by Laleh Bakhtiar. Chicago, IL: Kazi Publications. 6th Edition, 2009.
|Banon|	David Banon (Universités de Genève et de Lausanne), "Le Midrach". Paris: Presses Universitaires de France. 1995.
|Banquet|	Michel Cuypers, "The Banquet : A reading of the Fifth Sura of the Qur'an". Preface by: Muhammad Ali Amir-Moezzi, École Pratique des Hautes Études, Paris. Miami: Convivium Press. 2009. Series: Rhetorica Semitica.
|Barnstone|	“The Other Bible”. Edited with Introductions by: Willis Barnstone. HarperOne. An Imprint of HarperCollins Publishers. Revised and Updated edition. 2005. ISBN: 9780060815981
|Bauckham|	"Old Testament Pseudepigrapha: More Noncanonical Scriptures", Edited by Richard Bauckham, James R. Davila, and Alex Panayotov. Wm. B. Eerdmans Publishing Company. 2013.
|Bell|	"The Qur'ān: Translated with a critical rearrangement of the Surahs" by Richard Bell. Edinburgh: T. and T. Clark. 1960.
|Berque|	"Le Coran" Essai de traduction de l'arabe annoté et suivi d'une étude exégétique par Jacques Berque. Paris: Éditions Albin Michel. 2e édition revue et corrigée, 1995.
|BibleUn|	Israel Finkelstein and Neil Asher Silberman, "The Bible unearthed : archaeology's new vision of ancient Israel and the origin of its sacred texts". New York: Touchstone Book, 2002. الترجمة العربية: |BibleUn-ar|
|BibleUn-ar|	"التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها: رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار"، تأليف: إسرائيل فنْكِلْشْتَايْن (بروفيسور ورئيس قسم علم الآثار في جامعة تل أبيب)، نيل إشر سيْلْبرْمَان (مؤرخ وباحث أمريكي). تَرْجَمَهُ عن الإنكليزية وقدَّم له وعلَّق عليه: سعد رستم. دمشق: دار صفحات. الطبعة الخامسة، 2017.
|BK|	Jean Bottéro, Samuel Noah Kramer, "Lorsque les dieux faisaient l'homme: mythologie mésopotamienne". Paris: Gallimard. 2004.
|Blachere|	"Le Coran" Traduit de l'arabe par Régis Blachère (Professeur à la Sorbonne). Paris: G. P. Maisonneuve et Larose. 1966.
|Bottero|	Jean Bottéro, "Au commencement étaient les dieux". Paris: Hachette Littératures. 2009.
|Boubakeur|	"Le Coran" Texte, traduction française et commentaire par le "Cheikh Si Hamza Boubakeur", recteur de l'Institut musulman de la mosquée de Paris. Paris: Fayard, 1979.
|Boullata|	"Literary structures of religious meaning in the Qur'ān", Edited by Issa J. Boullata. Richmond: Curzon. 2000.
|Boureima|	"Le sens des versets du Saint Qour'ân" par Cheikh Boureïma Abdou Daouda. Riyadh: Daroussalam. Première Edition, 1999.
|BQIntertext|	"Bible and Qur'ān : Essays in Scriptural Intertextuality", Edited by: John C. Reeves. Society of Biblical Literature - Symposium Series; Number 24. Leiden; Boston: Brill. 2003. ISBN: 978-1589830646

|BSOAS|	Bulletin of the School of Oriental and African Studies(8769) - François de Blois, “Naṣrānī (Ναζωραῖος) and ḥanīf (ἐθνικός): Studies on the Religious Vocabulary of Christianity and of Islam”, BSOAS, 2002, vol. 65, no. 1, pp. 1-30. - Adam Silverstein, "The Book of Esther and the *Enūma Elish*", BSOAS, 2006, vol. 69, no. 2, pp. 209-223. - Gabriel Said Reynolds, "The Muslim Jesus: Dead or alive?". BSOAS, 2009, vol. 72, no. 2, pp. 237–258.
|BT|	"The Babylonian Talmud: A Translation and Commentary". Translated by: Jacob Neusner, Tzvee Zahavy, Alan Avery-Peck, B. Barry Levy, Peter Haas, Martin S. Jaffee. Edited by: Jacob Neusner. Peabody, Mass.: Hendrickson Publishers. 2005.
|Budge|	E. A. Wallis Budge, "Egyptian Religion: Egyptian Ideas of the Future Life". First published 1899. Published by Arkana 1987. ISBN: 978-0140190175
|Burke|	Tony Burke, "Secret Scriptures Revealed: A New Introduction to the Christian Apocrypha". Wm. B. Eerdmans Publishing Company. 2013.
|Buzzard|	Sir Anthony F. Buzzard, “Jesus Was Not a Trinitarian: A Call to Return to the Creed of Jesus”, McDonough, GA: Restoration Fellowship, 2007. ISBN: 978-09673249-7-5
|Carta|	“The Carta Bible Atlas (previously titled The Macmillan Bible Atlas)”, by Yohanan Aharoni, Michael Avi-Yonah, Anson F. Rainey, Ze'ev Safrai, R. Steven Notley. Jerusalem: Carta. Fifth Revised and Expanded Edition, 2011.
|CLASB-NLT|	“Chronological Life Application Study Bible”. Carol Stream, Illinois: Tyndale House Publishers, Inc. 2014. Scripture quotations taken from the “New Living Translation (NLT)”, October 2007.
|Conrad|	"The Formation of the Classical Islamic World" Series. General Editor: Lawrence I. Conrad. Aldershot: Ashgate/Variorum. - vol. 24: “The Qur'an, Style and Contents”, edited by Andrew Rippin. 2001. - vol. 25: “The Qur'an: Formative Interpretation”, edited by Andrew Rippin. 1999.
|Coogan|	Michael D. Coogan, “A Reader of Ancient Near Eastern Texts: Sources for the Study of the Old Testament”. New York - Oxford: Oxford University Press. 2013.
|Dawood|	"The Koran", Translated with notes by: N. J. Dawood. Penguin Classics. English translation first published in 1956. This extensively revised edition published with additional notes 2014.
|DDD|	"Dictionary of Deities and Demons in the Bible (DDD)", Edited by: Karel van der Toorn, Bob Becking and Pieter W. van der Horst. Leiden; Boston : Brill. Grand Rapids, Mich. : Eerdmans. Second extensively revised edition, 1999.
|EAE|	"The Oxford Encyclopædia of Ancient Egypt", Donald B. Redford (Editor in chief). Oxford: Oxford University Press. 2001.
|EB|	"The New Encyclopædia Britannica". Encyclopædia Britannica, Inc. 2002. Britannica Online https://www.britannica.com/
|Ehrman|	Bart D. Ehrman, “Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why". New York: HarperOne, an imprint of HarperCollins Publishers. 2005.

|EI-2|	"The Encyclopædia of Islam" New Edition. Prepared by a number of leading orientalists. Edited by an editorial committee consisting of H. A. R. Gibb et al. Leiden: E.J. Brill, 1960- [reprinted 1986-]
|EI-ar|	"موجز دائرة المعارف الإسلامية". ترجمة نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية. إعداد وتحرير نخبة مِن العلماء. تقديم: الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر الشريف). المشرف العام: د. سمير سرحان (رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب). طبعت برعاية كريمة من سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي. مركز الشارقة للإبداع الفكري. الطبعة الأولى، 1998.
|EIr|	Encyclopædia Iranica. Edited by: Ehsan Yarshater (Center for Iranian Studies, Columbia University, New York).
|EJ|	"Encyclopædia Judaica", Fred Skolnik, editor-in-chief ; Michael Berenbaum, executive editor. Detroit: Macmillan Reference USA in association with the Keter Pub. House. 2nd ed., 2007.
|Elliott|	J.K. Elliott, "The Apocryphal New Testament: A collection of apocryphal Christian literature in an English translation". Oxford University Press. 1993, Reprinted 2009.
|EOSB|	"The Orthodox Study Bible: Ancient Christianity Speaks to Today's World", Prepared under the auspices of the Academic Community of St. Athanasius Academy of Orthodox Theology, Elk Grove, California. Fr. Jack Norman Sparks, Ph.D., Dean. Thomas Nelson. 2008.
|EQ|	"The Encyclopædia of the Qur'ān". General Editor: Jane Dammen McAuliffe. Leiden: Brill. 2001-2006.
|ESV|	ESV (English Standard Version) Study Bible. Crossway. 2008. Indexed edition, 2014. ISBN 9781433544033
|ESV-Luth|	“The Lutheran Study Bible: English Standard Version (ESV)”, by Edward A. Engelbrecht (General Editor). Concordia Publishing House. 2009. Compact edition, 2015. ISBN 9780758650504
|ESV-Ref|	"The Reformation Study Bible: English Standard Version (ESV)", by R.C. Sproul (General Editor). Reformation Trust Publishing, a division of Ligonier Ministries. 2015. ISBN 9781567694413
|Faith|	"St. Ephrem the Syrian: The Hymns on Faith", The Fathers of the Church Series (Volume 130), Translated by: Jeffrey T. Wickes (Saint Louis University). Washington, D.C.: The Catholic University of America Press. 2015.
|Fakhry|	"An Interpretation of the Qur'an: English Translation of the Meanings" by Majid Fakhry. New York: NYU Press. Bilingual edition, 2004.
|Feldman|	Louis H. Feldman, "Josephus's interpretation of the Bible". Berkeley: University of California Press. 1998.
|FV|	Arthur Jeffery, "The foreign vocabulary of the Qur’ān". Baroda: Oriental institute. 1938.
|Geiger|	"Judaism and Islam: A Prize Essay", by Abraham Geiger. Translated from the German by a member of the Ladies' league in aid of the Delhi mission. Madras: Printed at the M.D.C.S.P.C.K. Press and sold at their depository, Vepery. 1898.
|Ghali|	Dr. Muhammad Mahmud Ghali (Faculty of Languages and Translation, Al-Azhar University), "Towards Understanding The Ever-Glorious Quran". Cairo: Dar An-Nashr for Universities. Fifth Edition, 2008.

|Gnostic|	"The Gnostic Bible", Revised and Expanded Edition. Edited by: Willis Barnstone and Marvin Meyer. Boston & London: Shambhala. 2009. ISBN: 978-1590306314
|Grandet|	"Contes de l'Égypte ancienne" traduit par Pierre Grandet. Paris: Hachette Littératures. 1998.
|GR-AQ|	Gabriel Said Reynolds, "The Qur'ān and the Bible: Text and Commentary". Qur'ān Translation by Ali Quli Qarai. New Haven and London: Yale University Press. 2018
|Grosjean|	"Le Coran" traduit de l'arabe par Jean Grosjean. Paris: Éditions Philippe Lebaud. 1979.
|Haleem|	"The Qur'an" English Translation with an Introduction and Notes by M.A.S. Abdel Haleem. Oxford University Press. Revised edition, 2010.
|Hamid|	Meaning of the Holy Qur'an Translated into English by Ahmad Hamid and Mohamed Hamed. Dar El Shorouk. Second Edition, 2014.
|Harnack|	"History of dogma" by Adolph Harnack. Translated from the third German edition. London: Williams & Norgate. 1896-1899.
|Hays|	Christopher B. Hays, "Hidden Riches: A Sourcebook for the Comparative Study of the Hebrew Bible and Ancient Near East". Westminster John Knox Press. First edition, 2014.
|Heresies|	"A dictionary of Christian biography and literature to the end of the sixth century A.D., with an account of the principal sects and heresies", edited by Henry Wace, and William C. Piercy. Hendrickson Publishers, 1994. Reprinted from the edition originally titled "A Dictionary of Christian Biography and Literature", published by John Murray, London, 1911.
|Holman|	Thomas V. Brisco (Professor of Old Testament and Archaeology), "Holman Bible Atlas: A Complete Guide to the Expansive Geography of Biblical History". Holman Reference. B&H Publishing Group. 1998.
|IDAE|	Ian Shaw and Paul Nicholson, "The Illustrated Dictionary of Ancient Egypt", in association with The British Museum. Cairo: The American University in Cairo Press. 2008.
|IGT|	Tony Chartrand-Burke, "The Infancy Gospel of Thomas: The Text, its Origins, and its Transmission". Ph. D. Dissertation, Graduate Department of Religion, University of Toronto. 2001. https://www.tonyburke.ca/infancy-gospel-of-thomas/
|IS|	Islamic Studies[8770] - Ayaz Afsar, "Plot Motifs in Joseph/Yūsuf Story: A Comparative Study of Biblical and Qur'ānic Narrative", IS, Summer 2006, Volume 45, No. 2, pp. 167-189.
|IVP-Atlas|	Paul Lawrence, "The IVP Concise Atlas of Bible History". Edited by: Richard Johnson. InterVarsity (IVP) Academic. 2012.
|IVP-NT|	Craig S. Keener, "The IVP Bible Background Commentary: New Testament". InterVarsity (IVP) Academic. Second Edition, 2014. الترجمة العربية لطبعة 1993: |IVP-NT-ar|
|IVP-NT-ar|	"الخلفية الحضارية للكتاب المقدس: العهد الجديد". بقلم: كريج س. كينر. القاهرة: دار الثقافة. 2006-2003.

|IVP-OT|	John H. Walton, Victor H. Matthews and Mark W. Chavalas, "The IVP Bible Background Commentary: Old Testament". InterVarsity Press (IVP) Academic. 2000. الترجمة العربية (|IVP-OT-ar|) ليست سيئة؛ لكن فيها أخطاء، فقمنا بتصويبها كلما أمكن.
|IVP-OT-ar|	"الخلفية الحضارية للكتاب المقدس: العهد القديم". بقلم: چون هـ. والتون، ڤيكتور هـ. ماثيوز، مارك و. تشافالاز. القاهرة: دار الثقافة. 2012-2020. الجزء الأول: أسفار الشريعة. الجزء الثاني: الأسفار التاريخية. الجزء الثالث: الأسفار الشعرية وأسفار الحكمة وأسفار الأنبياء.
|IW2002|	"What the Koran really says: language, text, and commentary", Edited with translations by Ibn Warraq. Amherst, N.Y.: Prometheus Books. 2002.
|IW2013|	"Koranic Allusions: The Biblical, Qumranian, and Pre-Islamic Background to the Koran", edited by Ibn Warraq. New York: Prometheus Books. 2013.
|IW2014|	"Christmas in the Koran: Luxenberg, Syriac, and the Near Eastern and Judeo-Christian Background of Islam", Edited by: Ibn Warraq. New York: Prometheus Books. 2014.
|JANT|	“The Jewish Annotated New Testament” New Revised Standard Version Bible Translation. Editors: Amy-Jill Levine and Marc Zvi Brettler. Oxford University Press. Second Edition. 2017.
|JAOS|	Journal of the American Oriental Society(8771) - Brannon M. Wheeler, “The Jewish Origins of Qur’ān 18:65-82? Reexamining Arent Jan Wensinck's Theory”, JAOS, 1998, vol. 118, issue 2, pp. 153-171. - Tommaso Tesei, "Some Cosmological Notions from Late Antiquity in Q 18:60-65: The Quran in Light of Its Cultural Context", JAOS, 2015, vol. 135, issue 1, pp. 19-32. - John C. Reeves, "Some Parascriptural Dimensions of the “Tale of Hārūt wa-Mārūt”", JAOS, 2015, vol. 135, issue 4, pp. 817-842.
|JE|	“The Jewish Encyclopedia”, Prepared by more than four hundred scholars and specialists under the direction of Cyrus Adler [et al.]. Managing editor: Isidore Singer. New York and London: Funk and Wagnalls Company. 1901-1906. Online: http://www.jewishencyclopedia.com/
|Jenkins|	Philip Jenkins, "The Lost History of Christianity". HarperOne. First edition, 2008.
|Josephus|	"Josephus: The Complete Works", by Josephus (Author), William Whiston (Translator). Thomas Nelson Publishers, 1998.
|JQS|	Journal of Qur’anic Studies(8772) - Neal Robinson, "Hands Outstretched: Towards a Re-reading of Sūrat al-Māida", JQS, 2001, Volume 3, No. 1, pp. 1-19. - Todd Lawson, "Duality, Opposition and Typology in the Qur’an: The Apocalyptic Substrate", JQS, 2008, Volume 10, No. 2, pp. 23-49.
|JSAI|	Jerusalem Studies in Arabic and Islam(8773) - Claude Gilliot, “Les “informateurs” juifs et chrétiens de Muḥammad. Reprise d'un problème traité par Aloys Sprenger et Theodor Nöldeke, JSAI, 1998, vol. 22, pp. 84-126. - Stephen J. Shoemaker, “Christmas in the Qurʾān: The Qurʾānic account of Jesus' nativity and Palestinian local tradition", JSAI, 2003, vol. 28, pp. 11-39.

	- Adam Silverstein, "Hāmān's Transition from Jāhiliyya to Islām", JSAI, 2008, vol. 34, pp. 285-308.
|JSB|	"The Jewish Study Bible", Edited by Adele Berlin and Marc Zvi Brettler. Jewish Publication Society TANAKH Translation. Oxford University Press. Second Edition, 2014.
|JSS|	Journal of Semitic Studies(8774) - Norman A. Stillman, "The Story of Cain and Abel in the Qur'an and the Muslim Commentators: Some Observations", JSS, 1974, Volume 19, Issue 2, pp. 231-239.
|Kaskas|	Safi Kaskas and David Hungerford, "The Qur'an with references to the Bible: A Contemporary Understanding". Fairfax, Virginia: Bridges of Reconciliation. January 2016. ISBN: 978-0996592444
|Katsh|	Abraham I. Katsh (Chairman of the Department of Hebrew Culture and Education in New York University), "Judaism in Islām: Biblical and Talmudic backgrounds of the Koran and its commentaries: Suras II and III". Published for New York University Press by Bloch Publishing Company. 1954.
|KHO|	"Early Islam: A Critical Reconstruction Based on Contemporary Sources", Edited by Karl-Heinz Ohlig. New York: Prometheus Books. 2013.
|KHO-GP|	"The Hidden Origins of Islam: New Research into its Early History", Edited by Karl-Heinz Ohlig and Gerd-R. Puin. New York: Prometheus Books. 2010.
|Kitchen|	Prof. Kenneth A. Kitchen, "On the Reliability of the Old Testament". William B. Eerdmans Publishing Company. Paperback Edition. 2006. ISBN-13: 978-0-8028-0396-2 الترجمة العربية: |Kitchen-ar|
|Kitchen-ar|	"مصداقية العهد القديم" للبروفيسور الدكتور كينيث أ. كيتشن (أستاذ المصريّات وآثار الكتاب المقدّس بجامعة ليفربول بإنجلترا). ترجمة: دكتور باسم الشرقاوي، مهندس أمير سامي. مراجعة: مجموعة من المراجعين. الناشر: مركز باناريون للتراث الآبائي. الطبعة الأولى، 2019.
|KJV-arch|	KJV (King James Version) Archaeological Study Bible: An Illustrated Walk Through Biblical History and Culture. Zondervan. 2010. ISBN 9780310942610
|Kramer|	Samuel Noah Kramer, "History Begins at Sumer: Thirty-Nine Firsts in Recorded History". University of Pennsylvania Press. Third revised edition, 1988.
|Kramer-fr|	Samuel Noah Kramer, "L'Histoire commence à Sumer". Préface de: Jean Bottéro. Traduction de: Josette Hesse, Marcel Moussy, Paul Stephano, Nicole Tisserand. Paris: Arthaud. 1975.
|Kugel|	James L. Kugel, "Traditions of the Bible: A Guide to the Bible As It Was at the Start of the Common Era". Cambridge, MA: Harvard University Press. 1998.
|LAE|	"The Literature of Ancient Egypt: An Anthology of Stories, Instructions, Stelae, Autobiographies, and Poetry", Edited and with an introduction by William Kelley Simpson. With translations by Robert Ritner, William Simpson, Vincent Tobin, Jr. Edward Wente. First published in Egypt in 2003 by The American University in Cairo Press. Published by arrangement with Yale University Press.
|Lalouette|	Claire Lalouette, "Contes et récits de l'Égypte ancienne". Paris: Flammarion. 1995.

|LostChr|	Bart D. Ehrman, "Lost Christianities: The Battles for Scripture and the Faiths We Never Knew". Oxford University Press. Paperback, 2005.
|LostScr|	Bart D. Ehrman, "Lost Scriptures : Books that did not make it into the New Testament". New York: Oxford University Press. 2003.
|Luminous|	Sebastian Brock, "The Luminous Eye: The Spiritual World Vision of Saint Ephrem the Syrian". Michigan: Cistercian Publications. Revised edition, 1992.
|Lumpkin|	Joseph B. Lumpkin, "The Encyclopedia of Lost and Rejected Scriptures: The Pseudepigrapha and Apocrypha". Fifth Estate Publishing. 2010. ISBN-13: 978-1936533558
|Luxenberg|	Christoph Luxenberg, "The Syro-Aramaic Reading of the Koran: A Contribution to the Decoding of the Language of the Koran". Berlin: H. Schiler. First Edition, 2007.
|MacCulloch|	Diarmaid MacCulloch, "Christianity: The First Three Thousand Years". Published in Penguin Books, 2011.
|March-ar|	"معجم الأساطير اليونانية والرومانية". تأليف: چيني مارك. ترجمة: أحمد عبد الباسط حسن. مراجعة: محمد حمدي إبراهيم. القاهرة: المركز القومي للترجمة. الطبعة الأولى، 2018.
|Masson|	"Le Coran" Préface par J. Grosjean; Introduction, traduction et notes par D. Masson. Paris: Édition Gallimard. 1967.
|McVey|	"Ephrem the Syrian: Hymns", Translated and introduced by: Kathleen E. McVey, Preface by: John Meyendorff. New York: Paulist Press. 1989.
|Meyer|	"The Nag Hammadi Scriptures: The Revised and Updated Translation of Sacred Gnostic Texts Complete in One Volume", by Marvin W. Meyer (Editor), Elaine H. Pagels (Introduction), Wolf-Peter Funk, Paul-Hubert Poirier, James M. Robinson (Advisory Board). New York: HarperOne. International ed., 1st ed., 2007.
|MH|	Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible: New Modern Edition. Complete and Unabridged in Six Volumes. Peabody, Massachusetts: Hendrickson Publishers. Twelfth Printing, January 2017. ISBN for set: 978-1-59856-436-5 الترجمة العربية: |MH-ar|
|MH-ar|	متى هنري، "التفسير الكامل للكتاب المقدس". العهد القديم (خمسة أجزاء) والعهد الجديد (جزءان). القاهرة: مطبوعات إيجلز. الطبعة الأولى، 2002-2011.[8775]
|MIDEO|	Mélanges de l'Institut dominicain d'études orientales du Caire[8776] - Michel Cuypers, "Structures Rhétoriques dans le Coran: Une analyse structurelle de la sourate "Joseph" et de quelques sourates brèves," MIDÉO, Vol. 22 (1995), pp. 107-195.
|Midrash|	Harry Freedman and Maurice Simon, "Midrash Rabbah". London: The Soncino Press. Third Impression, 1961.
|Mishnah|	"The Mishnah". Translated from the Hebrew with introduction and brief explanatory notes, by: Herbert Danby. Oxford: Oxford University Press. 1933. قامت جامعة القاهرة في مصر بترجمة أقسام المشنا الستة إلى اللغة العربية. انظر |قاهرة|
|Montet|	"Le Coran" traduction nouvelle avec notes par Édouard Montet. Paris: Payot. 1925.
|MQRNS|	Muqarnas[8777] - Patricia Crone, ""BAREFOOT AND NAKED": WHAT DID THE BEDOUIN OF THE ARAB CONQUESTS LOOK LIKE?", Muqarnas, 2008, Vol. 25, Issue 1, pp. 1-10.

|MS|	"In Search of the Original Koran: The True History of the Revealed Text" by Mondher Sfar. Translated by: Emilia Lanier. New York: Prometheus Books. 2008.
|Muntada|	"The Qur'an: English Meanings and Notes" by Saheeh International. Al-Muntada Al-Islami, Abul-Qasim Publishing House. June 2013.
|MW|	The Muslim World[8778] - Prof. Mahmoud M. Ayoub, "Towards an Islamic Christology II: The death of Jesus, reality or delusion?", MW, 1980, vol. 70, no. 2, pp. 91–121. - Dr. Marilyn Robinson Waldman, "New Approaches to “Biblical” Materials in the Qurʾān", MW, 1985, vol. 75, no. 1, pp. 1–16. - Mustansir Mir, "The Qur’anic Story of Joseph: Plot, Themes, and Characters", MW, 1986, vol. 76, no. 1, pp. 1–15. - Gary A. Rendsburg, "Literary structures in the Qur'anic and Biblical stories of Joseph," MW, 1988, vol. 78, no. 2, pp. 118–120.
|NABRE|	"The Catholic Study Bible: New American Bible Revised Edition (NABRE)", by Donald Senior, John J. Collins, Mary Ann Getty (Editors). Oxford University Press. Second edition, 2011. ISBN 9780195297768
|Nasr|	“The Study Quran: A New Translation and Commentary”, Seyyed Hossein Nasr (Editor-in-Chief); Caner K. Dagli, Maria Massi Dakake and Joseph E. B. Lumbard (General Editors); Mohammed Rustom (Assistant Editor). HarperOne. First HarperCollins Paperback Edition, 2017. ISBN 978-0061125874.
|NETS|	"A New English Translation of the Septuagint", Edited by: Albert Pietersma and Benjamin G. Wright. Oxford University Press. 2007.
|Neuwirth|	“Scripture, Poetry, and the Making of a Community: Reading the Qur’an as a Literary Text”, by: Angelika Neuwirth. Oxford: Oxford University Press, in association with the Institute of Ismaili Studies, London. 2014.
|NG-Atlas|	Jean-Pierre Isbouts, "The Biblical World: An Illustrated Atlas". Foreword by: Bruce Chilton. National Geographic Society. 2007.
|NIV|	"Zondervan New International Version (NIV) Study Bible". Zondervan. 2002. الترجمة العربية: |دراسى|
|NIV-chr|	NIV (New International Version) Chronological Study Bible. Thomas Nelson. 2014. ISBN 9781401680114
|Njozi|	Hamza Mustafa Njozi, "The Sources of the Qur'an: A Critical Review of the Authorship Theories". Riyadh, Saudi Arabia: IIPH. New Revised English Edition 2, 2005.
|NKJV|	"Holy Bible: Arabic New Van Dyck Text and New King James Version (NKJV)". The Bible Society of Egypt. Third Edition, Second print, 2012.
|NOAB|	"The New Oxford Annotated Bible with The Apocrypha: New Revised Standard Version (NRSV)", Edited by Michael D. Coogan, Marc Z. Brettler, Carol Newsom, and Pheme Perkins. Oxford University Press. Fully Revised Fourth Edition, 2010.

|NPNF-1|	"A Select Library of the Nicene and post-Nicene Fathers", Edited by: Philip Schaff. Buffalo, New York: The Christian Literature Company, 1887-1889.
|NPNF-2|	"Nicene and post-Nicene Fathers". Second series. Edited by Philip Schaff and Henry Wace. Peabody, Massachusetts: Hendrickson Publishers. Fourth printing, 2004.
|NRSV|	The HarperCollins Study Bible: Fully Revised and Updated. New Revised Standard Version (NRSV). HarperOne. 2006. ISBN 9780060786854
|NTApocr|	"New Testament Apocrypha", Revised edition edited by: Wilhelm Schneemelcher. English translation edited by R. Mcl. Wilson. Paperback edition published by Westminster John Knox Press, 2003.
|OTP|	"The Old Testament Pseudepigrapha", Edited by: James H. Charlesworth. New Translations from Authoritative Texts with Introductions and Critical Notes by an International Team of Scholars. Third Hendrickson Edition Printing. April 2013.
|OTParallels|	Victor H. Matthews and Don C. Benjamin, "Old Testament Parallels: Laws and Stories from the Ancient Near East". New York/Mahwah, New Jersey: Paulist Press. Fully Revised and Expanded Third Edition, 2006.
|Pagels|	Elaine Pagels, "The Gnostic Gospels". New York: Vintage Books Edition. 1989, ©1979.
|Panarion|	"The Panarion of Epiphanius of Salamis", translated by Frank Williams. Leiden; New York: E.J. Brill. 1987-1994.
|Paradise|	"St. Ephrem the Syrian: Hymns On Paradise", Introduction and translation from Syriac by: Sebastian Brock. New York: St Vladimir's Seminary Press. 1990.
|Penn|	Michael Philip Penn, "Envisioning Islam: Syriac Christians and the Early Muslim World". Philadelphia: University of Pennsylvania Press. 2015.
|Peshitta|	George M. Lamsa, "Holy Bible: From the Ancient Eastern Text: George M. Lamsa's Translation From the Aramaic of the Peshitta". HarperOne. An Imprint of HarperCollins Publishers, 1985.
|Peshitta-NT|	Janet M. Magiera, "Aramaic Peshitta New Testament Translation". With explanatory footnotes marking variant readings, customs and figures of speech. Light of the Word Ministry. 2006.
|Philo|	"The Works of Philo: Complete and Unabridged, New Updated Edition" by C. D. Yonge (Translator). Hendrickson Publishers. ©1993. Eleventh printing - May 2013. الترجمة العربية: |Philo-ar|
|Philo-ar|	"الفيلسوف اليهودي فيلو السكندري – الأعمال الكاملة". ترجمة: أمير سامي (أجزاء 1-3) وسارة رأفت (جزء 4). القاهرة: مدرسة الإسكندرية. الطبعة الأولى، 2021-2025.
|Piccirillo|	Michele Piccirillo, "L'Arabie chrétienne". Préface de Maurice Sartre. Traduit de l'italien par Étienne Schelstraete et Marie-Paule Duverne. Paris: Mengès. 2002. ISBN: 2-8562-0425-2
|Pickthall|	Muhammad Marmaduke Pickthall, "The Meaning of The Glorious Quran". Dar Al-Kitab Al-Masri - Cairo, Dar Al-Kitab Al-Lubnani - Beirut. 1981.
|Pleiade|	Collection « Bibliothèque de la Pléiade », Gallimard

	(n° 120) “La Bible: L'Ancien Testament, tome I”. Édition publiée sous la direction d’Édouard Dhorme. Traductions et notes par Édouard Dhorme, Frank Michaéli et Antoine Guillaumont. Éditions Gallimard, 1956. Dépôt légal: 2013. **(n° 139)** “La Bible: L'Ancien Testament, tome II”. Édition publiée sous la direction d’Édouard Dhorme. Traductions et notes par Édouard Dhorme, Jean Koenig, Frank Michaéli, Jean Hadot, Antoine Guillaumont. Éditions Gallimard, 1959. Dépôt légal: 2012. **(n° 226)** “La Bible: Le Nouveau Testament”. Introduction par Jean Grosjean. Textes traduits, présentés et annotés par Jean Grosjean et Michel Léturmy avec la collaboration de Paul Gros. Éditions Gallimard, 1971. Dépôt légal: 2014. **(n° 337)** “La Bible: Écrits Intertestamentaires”. Édition publiée sous la direction d’André Dupont-Sommer et Marc Philonenko, avec la collaboration de Daniel A. Bertrand, André Caquot, et al. Éditions Gallimard, 1987. Dépôt légal: 2013. **(n° 442)** “Écrits apocryphes chrétiens, tome I”. Édition publiée sous la direction de François Bovon et Pierre Geoltrain. Index établis par Sever J. Voicu. Éditions Gallimard, 1997. Dépôt légal: 2011. **(n° 516)** “Écrits apocryphes chrétiens, tome II”. Édition publiée sous la direction de Pierre Geoltrain et Jean-Daniel Kaestli. Index établis par Jean-Michel Roessli et Sever J. Voicu. Éditions Gallimard, 2005. Dépôt légal: 2013.
|Potiphar|	James L. Kugel, “In Potiphar's House: The Interpretive Life of Biblical Texts”. Harvard University Press. 1994. ISBN: 0674445635
|ProcheOrient|	René Labat, André Caquot, Maurice Sznycer, Maurice Vieyra, "Les religions du Proche-Orient asiatique: Textes babyloniens, ougaritiques, hittites". Paris: Fayard. 1970. الترجمة العربية: |أساطير|
|Prose|	"St. Ephrem the Syrian: Selected Prose Works", The Fathers of the Church Series (Volume 91), Translated by: Edward G. Mathews, Jr. (Univ. of Scranton) and Joseph P. Amar (Univ. of Notre Dame). Edited by: Kathleen McVey (Princeton Theological Seminary). Washington, D.C.: The Catholic University of America Press. 2015.
|QHC|	"The Quran in its Historical Context", Edited by Gabriel Said Reynolds. Routledge. 2008. الترجمة العربية: |QHC-ar| (8779)
|QHC-2|	"New Perspectives on the Qur'an: The Qur'an in its Historical Context 2", Edited by Gabriel Said Reynolds. Routledge. 2011.(8780)
|QHC-ar|	"القرآن في محيطه التاريخي"، إعداد: جبرئيل سعيد رينولدز. ترجمة: سعد الله السعدى. بيروت - بغداد: منشورات الجمل. الطبعة الأولى، 2012.
|QiC|	"The Qur'an in Context: Historical and Literary Investigations into the Qur'anic Milieu", Edited by: Angelika Neuwirth, Nicolai Sinai and Michael Marx. Leiden, Boston: Brill. 2010.
|QSC|	The Qur'an Seminar Commentary / Le Qur'an Seminar: A Collaborative Study of 50 Qur'anic Passages / Commentaire Collaboratif De 50 Passages Coraniques (English and French Edition). Edited by: Mehdi Azaiez, Gabriel Said Reynolds, Tommaso Tesei and Hamza M. Zafer. De Gruyter, Inc. 2016
|Rasmussen|	Carl G. Rasmussen, "Zondervan Atlas of the Bible". Zondervan. Revised edition. 2010.

|Reinink|	G. J. Reinink, "Syriac Christianity under Late Sasanian And Early Islamic Rule". Aldershot [England]; Burlington, VT: Ashgate/Variorum. 2005.(8781)
|Reynolds|	Gabriel Said Reynolds, "The Qur'an and its biblical subtext". Routledge. 2010.(8782)
|RHCharles|	"The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament" with introductions and critical and explanatory notes to the several books. Edited in conjunction with many scholars by R. H. Charles, D.Litt., D.D. Apocryphile Press, 2004. First published in 1913 by the Clarendon Press, Oxford, UK.
|Rodwell|	"The Koran translated from the Arabic" by the Rev. J. M. Rodwell, With an Introduction by G. Margoliouth. London: J. M. Dent & Sons; New York City: E. P. Dutton and Co., 1929.
|Romer|	"Ce que la Bible doit à l'Égypte", Préfacé par Thomas Römer. Paris: Bayard. 2008.
|RSV|	Ignatius Bible: Revised Standard Version (RSV) Second Catholic Edition. Ignatius Press. Second Catholic Edition, 2006. ISBN 9781586177706
|Samaritan|	"The Israelite Samaritan Version of the Torah: First English Translation Compared with the Masoretic Version" by Benyamim Tsedaka (editor and translator), Sharon Sullivan (coeditor), James H. Charlesworth (introduction). Wm. B. Eerdmans Publishing Co. 2013.
|SC|	Collection « Sources Chrétiennes », Cerf. **(n° 99)** Romanos le Mélode, “Hymnes I : Ancien Testament (I-VIII)”. Préface de Paul Lemerle. Introduction, texte critique, traduction et notes par José Grosdidier de Matons. Paris: Les Éditions du Cerf. 1964.
|Segond|	"La Sainte Bible (Nouvelle Version Segond Révisée)". Alliance biblique universelle. 2012.
|Septuagint|	Sir Lancelot C. Brenton, "The Septuagint with Apocrypha: Greek and English". Hendrickson Publishers. Sixteenth Printing, March 2014.
|Sidersky|	D. Sidersky, "Les origines des légendes musulmanes dans le Coran et dans les vies des prophètes". Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner. 1933.
|Sparks|	Kenton L. Sparks, “Ancient Texts for the Study of the Hebrew Bible”. Baker Academic edition published in 2017. ISBN: 9780801099595
|Targums|	“The Aramaic Bible: The Targums”. Project Director: Martin McNamara, M.S.C. Editors: Kevin Cathcart; Michael Maher, M.S.C.; Martin McNamara, M.S.C. A Michael Glazier Book. Collegeville, Minnesota: The Liturgical Press. (Vol. 1A) Targum Neofiti 1: Genesis, 1992. (Vol. 2) Targums Neofiti 1 and Pseudo-Jonathan: Exodus, 1994. (Vol. 3) Targums Neofiti 1 and Pseudo-Jonathan: Leviticus, 1994. (Vol. 4) Targums Neofiti 1 and Pseudo-Jonathan: Numbers, 1995. (Vol. 5A) Targum Neofiti 1: Deuteronomy, 1997.
|Tatian|	"The Earliest Life of Christ: The Diatessaron of Tatian". Gorgias Press. 2001.
|Tisdall|	Rev. William St. Clair Tisdall, "The original sources of the Qur'ân". London: Society for Promoting Christian Knowledge; New York: E.S. Gorham. 1911. Reprint of 1905 edition.

	الترجمة العربية: |Tisdall-ar|
|Tisdall-ar|	سان كلير تيسدال، "المصادر الأصلية للقرآن". ترجمة: عادل جاسم. بغداد – بيروت: منشورات الجمل. الطبعة الأولى، 2019.
|TOB|	"Traduction Œcuménique de la Bible (TOB)" avec introductions, notes essentielles et glossaire. Paris: Société biblique française – Cerf. Nouvelle édition, mise à jour 2004.
|Torrey|	Charles C. Torrey (Professor of Semitic Languages in Yale University), "The Jewish Foundation of Islam". New York: Jewish Institute of Religion Press. 1933.
|Tottoli|	Roberto Tottoli, "Biblical prophets in the Qur'ān and Muslim literature". Richmond : Curzon, 2002. ISBN: 0-7007-1394-8
|Trimingham|	J. Spencer Trimingham, "Christianity among the Arabs in pre-Islamic times". London; New York: Longman. 1979.
|Unal|	"The Qur'an with annotated interpretation in modern English" by Ali Unal. NJ: Tughra Books. 2012.
|Vermes|	Geza Vermes, "The Complete Dead Sea Scrolls in English". Penguin Classics. Fiftieth anniversary edition, 2011. الترجمة العربية: |غيزا-فيرم|
|WAC|	Michael O. Wise, Martin Abegg Jr., and Edward M. Cook, "The Dead Sea Scrolls: A New Translation". HarperOne. An Imprint of HarperCollins Publishers. Revised edition, 2005.
|Walker|	John Walker, "Bible Characters in the Koran," Paisley: Alexander Gardner, 1931.
|Walton|	John H. Walton, "Ancient Near Eastern Thought and the Old Testament: Introducing the Conceptual World of the Hebrew Bible". Baker Academic, 2006.
|Watt52|	William Montgomery Watt, "Muhammad at Mecca". Oxford: Clarendon Press, 1953.
|Watt56|	William Montgomery Watt, "Muhammad at Medina". Oxford: Clarendon Press, 1956.
|Watt89|	William Montgomery Watt, "Mahomet". Paris: Payot. 1989.
|Wild|	“The Qur'an as text”, Edited by Stefan Wild. New York City, Leiden, Köln: Brill. 1996.
|Wild-2|	"Self-Referentiality in the Qur'ān". Edited by Stefan Wild. Diskurse der Arabistik. Herausgegeben von Hartmut Bobzin und Angelika Neuwirth. Band 11. Wiesbaden: Harrassowitz Verlag. 2006
|Winkler|	Wilhelm Baum and Dietmar W. Winkler, "The Church of the East: A concise history". London; New York: RoutledgeCurzon. 2003.
|Witztum|	Joseph Witztum, "The Syriac Milieu of the Quran: The Recasting of Biblical Narratives". PhD Dissertation. Princeton, NJ: Princeton University. 2011.

هذا بالإضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع الأخرى التي وضحناها في الحواشي السفلية (footnotes).

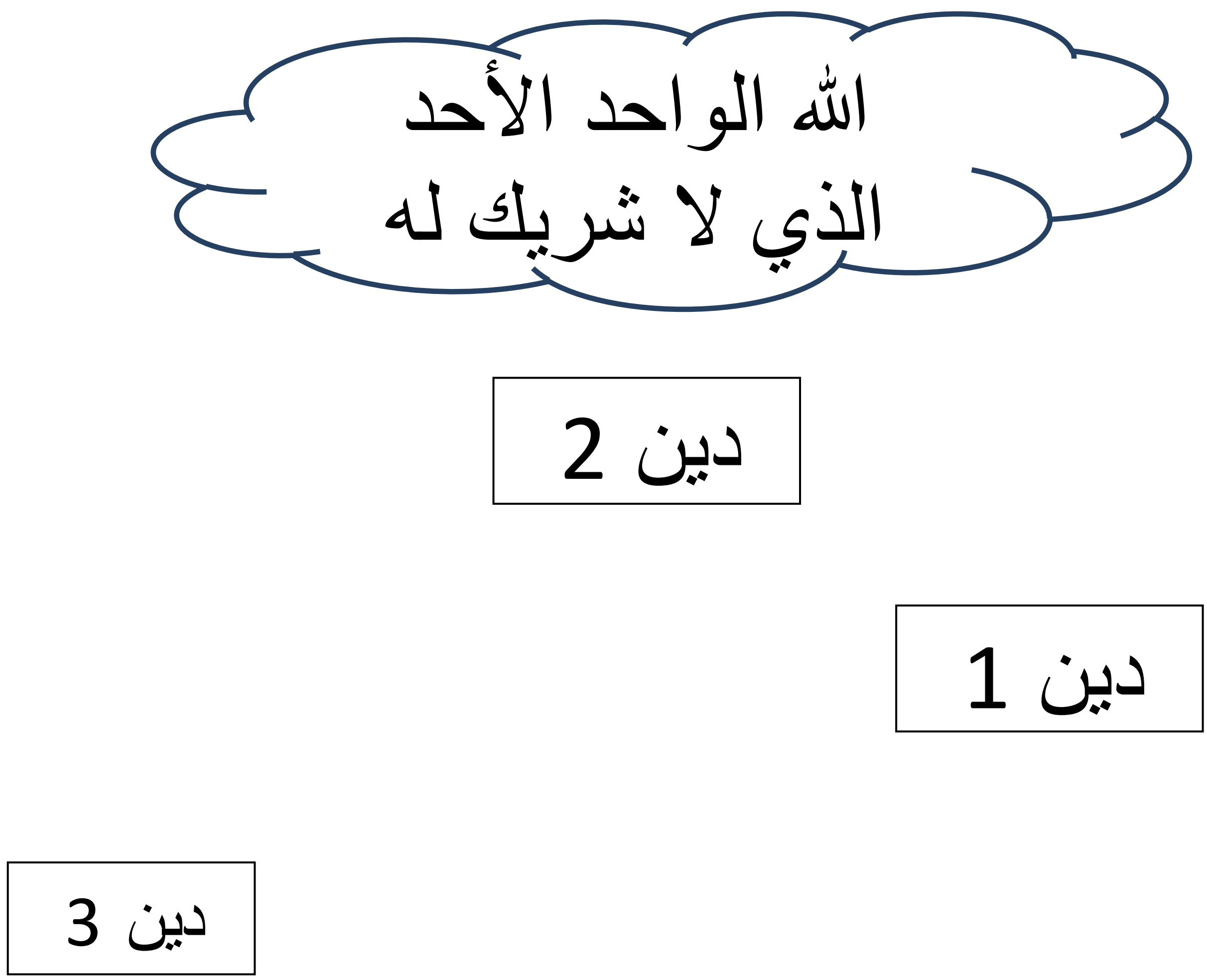

رسم توضيحي 19 – الله الواحد الأحد ... والأديان المتعددة المختلفة

كل الكُتب والأديان والمذاهب مِن صُنْع البشر. وأبسط دليل على ذلك هو تعددها واختلافها.

لكن ممكن دين (الحق النسبي) يقربك مِن الله (الحق المطلق)[8783]؛ وممكن دين آخر يبعدك عن الله.

الكُتب المقدسة (التوراة والإنجيل والقرآن) تقدم وجهات نظر بشرية نسبية. وأبسط دليل على ذلك هو تعددها واختلافها وعدم وجود نسخ أصلية كاملة يرجع تاريخها إلى زمان مؤسس الدين (موسى والمسيح ومحمد).

لو كانت هذه الكُتب منزلة مِن عند الله لكان الله حافظ على نسخ أصلية كاملة متطابقة مع النسخ الحالية.

إذن: عدم محافظة الله عليها يدل على أنه لم ينزلها. وإنما هي مِن صُنْع البشر.

ومَن يعترض على ذلك، فعليه أن يعطينا نسخة أصلية كاملة للتوراة أو الإنجيل أو القرآن.

لا توجد نسخ أصلية كاملة. والأمل في اكتشاف نسخ أصلية كاملة يكاد يكون منعدماً.

"امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ" (1 تسالونيكي 21:5)

"أُعطيَ شعبُنا كنزًا عظيمًا يتمثّلُ بالشريعةِ وكُتب الأنبياء، والكتابات المتأخرة.
وبنو إسرائيل يستحقون التهنئة لِمَا في هذه كلها من التعليم والحكمة.
على أن هذا العِلْم وهذه المعرفة يَجِبُ ألّا يَحصُرَهُما القارئ في نفسه، بل الغاية المرجوّة منهما تتحقق حين يُساعد الآخرينَ كُلُّ واحدٍ يحترم التعليمَ، يُساعدُهُم بما يقول ويكتب. [...]
فتفضّلوا واقرأوا هذا الكتابَ بكُلِّ عِنايةٍ.
لكن، أرجو المعذرةَ إذا لم أتمكّنْ، رُغمَ كُل جُهدٍ، من نَقلِ مَعنَى الكلامِ بوضوحٍ كُلّيٍّ في بعض العبارات"
(يشوع بن سيراخ مقدمة:1-20)[(8784)].

دينى نقطة انطلاقي هو دين الشاب اليهودي يسوع المسيح

المَلِك الإنسان ابن الإنسان (أي: نائب عن البشرية)[8785]

الدين الذي تطوَّر ويَتَقَدَّم بفضل نِعْمَة العقل نحو نِعَم العلمانية والديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان.

فأنا أؤمن أن الرَّبّ إلهي رَبٌّ وَاحِدٌ هو اللهُ الآبُ يَهْوَهْ إِلهُ إسرائيل الإلهُ الحق الْحَيُّ الْقَيُّومُ الأقنوم الوَاحِد الأحد وحده لا شريك له وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وأؤمن أن السيد والمعلِّم الإسرائيلي يَسُوع النَّاصِريّ ابْن دَاوُدَ ابْن إِبْرَاهِيمَ مجرد إنسان يهودي مُوحِّد مخلوق وعبد الله[8786] ورسوله ومسيحه وابنه (أي: خليفته؛ وَلِيّه؛ مُختاره؛ سيد خلقه)[8787] وخاتم أنبيائه عاش في أرض إسرائيل المحتلة في القرن الأول الميلادي وثار ضد المؤسسة الدينية الإرهابية المتخلفة الكاذبة التي تحتل العقل، ولم ينافق السلطة السياسية الديكتاتورية الظالِمة المستبدة العنيفة التي تحتل الأرض، فتَأَلَّمَ[8788] وصُلِبَ ومات شهيداً على الصليب وقُبِرَ وأُقِيمَ مِن الأموات. ففداني يسوعُ الْبَارُّ بموته الكَفَّاري على الصليب بدلاً مني ونيابةً عني أنا الخاطي التائب – كَفَّارةً محدودة لمغفرة خَطَايَاي المحدودة، وخلَّصني مِن الموت بقيامته مِن الأموات. فلقد أَقَامَهُ اللهُ. حقاً، إلهُ المسيح أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ[8789]. قيامة المسيح مع أنه مجرد إنسان دليلٌ على قيامة كل إنسان، بل دليلٌ على قيامتي أنا شخصياً، فأنا مجرد إنسان مثله وهو مجرد إنسان مثلي. وأؤمن باليوم الآخِر والحساب والجزاء وأثق في رحمة الله غير المحدودة وأنتظر نِعْمَةَ الحياة الأبدية مع الله والمسيح وكل المُبَرَّرين بِبِرِّهِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا.

"ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ" (المزامير 8:34) "الرَّبَّ مُخَلِّصُ مَسِيحِهِ" (المزامير 6:20)

"وَأَعِدُّوا قُلُوبَكُمْ لِلرَّبِّ وَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ" (1 صموئيل 3:7) فَهُوَ "أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ" (يوحنا 17:20)

"أَيُّهَا الآبُ [...] هذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يوحنا 17:1-3)[8790]

"هُوَذَا الآنَ يَوْمُ خَلاَصٍ" (2 كورنثوس 2:6).
فإن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم ولا تضيقوا صدوركم ولا تعطلوا عقولكم!

Saved

by Grace (i.e. Mercy)

through Faith (i.e. Faithfulness)

in Christ Jesus(8791)

for Good Works

with Love

toward God

1 . اعتمدنا بشكل أساسي على النص القرآني برواية حفص عن عاصم. وفي حالة الاعتماد على روايات قرآنية أخرى، سنوضح ذلك.

2 . اعتمدنا بشكل أساسي على كتب السُّنَّة التسعة (البخارى، مسلم، الترمذى، النسائى، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، مالك، الدارمى). وفي حالة الاعتماد على كتب أحاديث أخرى، سنوضح ذلك.

3 . اعتمدنا بشكل أساسي على الكتاب المقدس باللغة العربية (ترجمة ڤانדايك) وباللغتين الانجليزية والفرنسية. وفي حالة الاعتماد على ترجمات أخرى، سنوضح ذلك.

4 . نحن نستخدم كلمة "تطور" بمعناها المحايد (development, evolution) وليس بمعناها الإيجابى (improvement, emendation). كذلك حين نقول إن القرآن أدخل "تغييرات" على عقيدة أو قصة أو أى فكرة بصفة عامة، فإننا نستخدم كلمة "تغيير" بمعناها المحايد (modification)، وليس بمعناها الإيجابى (correction, update).

5 . وهذا تقليد متبع فى مراجع إسلامية كثيرة. مثلاً |جابرى|؛ |أيوب|:141-142، 149.

6 . أسماء الشهور حسب التقويم الهجري (القمري، العربي، الإسلامي): 1. المُحَرَّم؛ 2. صَفَر؛ 3. رَبيع الأول؛ 4. رَبيع الآخر (أو: رَبيع الثانى)؛ 5. جُمادى الأولى؛ 6. جُمادى الآخرة؛ 7. رَجَب؛ 8. شَعْبان؛ 9. رَمَضان؛ 10. شَوّال؛ 11. ذو القعدة؛ 12. ذو الحجة.

7 . سعيد ناشيد، "الحداثة والقرآن"، دار التنوير، الطبعة الأولى، 2015، ص 25.

8 . وكذلك حين نقول "المسيحية" أو "اليهودية"، فإننا نقصد التيار الرئيسي أو الكلاسيكي أو التقليدي.

9 . الذى نُسمِّيه أحياناً بنفس المعنى: الشرق الأوسط القديم (Ancient Middle East).

10 . "الجاهلية" هي الكلمة التي يستخدمها المسلمون للإشارة إلى ما قبل الإسلام (Pre-Islam)، وتُقدر بنحو قرن ونصف قبل الإسلام. أما ما قبل ذلك فيُسمى "الجاهلية الأولى".

11 . عبد الحميد جودة السحار، "أضواء على السيرة النبوية ومقارنة بين الأديان"، مكتبة مصر - الفجالة - دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه، الجزء الأول، ص 67.

12 . أحمد أمين، "فجر الإسلام". تقديم: د. صلاح فضل. تحقيق وتعليق: محمد فتحى أبو بكر. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. الطبعة الأولى، 2014، ص 51.

13 . |زرقانى|:232/1.

14 . ينقسم الكتاب المقدس (Holy Bible) إلى عهدين: العهد القديم (Old Testament) والعهد الجديد (New Testament). العهد أي الوصية أو الميثاق أو الوثيقة أو الاتفاق (Covenant).

يضم العهد القديم 39 سفراً – أى كتاباً – هى: أسفار التوراة الخمسة وهى التكوين (Genesis) والخروج (Exodus) واللاويين (Leviticus) والعدد (Numbers) والتثنية (Deuteronomy)؛ ثم الأسفار التالية: يشوع (Joshua)؛ القضاة (Judges)؛ راعوث (Ruth)؛ 1 صموئيل (1 Samuel)؛ 2 صموئيل (2 Samuel)؛ 1 ملوك (1 Kings)؛ 2 ملوك (2 Kings)؛ 1 أخبار الأيام (1 Chronicles)؛ 2 أخبار الأيام (2 Chronicles)؛ عزرا (Ezra)؛ نحميا (Nehemiah)؛ أستير (Esther)؛ أيوب (Job)؛ المزامير (Psalms)؛ الأمثال (Proverbs)؛ الجامعة (Ecclesiastes)؛ نشيد الأنشاد (Song of Songs)؛ إشعياء (Isaiah)؛ إرميا (Jeremiah)؛ مراثي ارميا (Lamentations)؛ حزقيال (Ezekiel)؛ دانيال (Daniel)؛ هوشع (Hosea)؛ يوئيل (Joel)؛ عاموس (Amos)؛ عوبديا (Obadiah)؛ يونان (Jonah)؛ ميخا (Micah)؛ ناحوم (Nahum)؛ حبقوق (Habakkuk)؛ صفنيا (Zephaniah)؛ حجي (Haggai)؛ زكريا (Zechariah)؛ ملاخي (Malachi).

ويضم العهد الجديد 27 سفراً هى: إنجيل متى (Matthew)؛ إنجيل مرقس (Mark)؛ إنجيل لوقا (Luke)؛ إنجيل يوحنا (John)؛ أعمال الرسل (Acts)؛ رومية (Romans)؛ 1 كورنثوس (1 Corinthians)؛ 2 كورنثوس (2 Corinthians)؛ غلاطية (Galatians)؛ أفسس (Ephesians)؛ فيلبي (Philippians)؛ كولوسي (Colossians)؛ 1 تسالونيكي (1 Thessalonians)؛ 2 تسالونيكي (2 Thessalonians)؛ 1 تيموثاوس (1 Timothy)؛ 2 تيموثاوس (2 Timothy)؛ تيطس (Titus)؛ فليمون (Philemon)؛ العبرانيين (Hebrews)؛ يعقوب (James)؛ 1 بطرس (1 Peter)؛ 2 بطرس (2 Peter)؛ 1 يوحنا (1 John)؛ 2 يوحنا (2 John)؛ 3 يوحنا (3 John)؛ يهوذا (Jude)؛ رؤيا يوحنا اللاهوتي (Revelation).

أقدم مخطوطات للعهد القديم هى مخطوطات البحر الميت التى يعود تاريخها إلى القرون الثلاثة أو الأربعة قبل الميلاد. وأقدم مخطوطات للعهد الجديد يعود تاريخها إلى القرون الأولى بعد الميلاد. كل أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم

والجديد كُتِبت جميعها **قبل** الإسلام بمئات السنين (antecedent to Islam)، وبالتالى لن نذكر تاريخ كتابة كل سفر إلا فى حالات الضرورة فقط.

15 . انظر مثلاً |و|:288-287/8/1.

16 . |دراسى|:3009؛ |NIV|:1940. ملحوظة: من الجدير بالذكر "أنّ النقَّاد أنشأوا حول كاتب [رسالة] بطرس الثانية ومكانتها في قانون الأسفار المقدَّسة جدلاً يفوق ما يتعلَّق بأيِّ سفر آخر في العهد الجديد. وقد أبطأ آباء الكنيسة الأوَّلون في إعطائها قبولهم. فلم يُشر أيُّ واحدٍ من آباء الكنيسة إلى بطرس الثانية بالاسم قبل أُوريجانوس حوالى بداية القرن الثالث. أمّا المؤرّخ الكنسيُّ القديم يوسيبيوس، فقد اكتفى بإدراج (2 بطرس) في لائحته للأسفار المُتنازَع حولها، إلى جانب يعقوب ويهوذا و (2 يوحنا) و (3 يوحنا). حتّى قادةُ الإصلاح لم يقبلوها إلا بعد تردُّد" (|آرثر|:2237)!

17 . (البخارى 5782؛ |خ|:2271/5) (مسلم 2998؛ |م|:2295/4).

18 . أقول "من وجهة نظرنا"، لأنه بصفة عامة لا يوجد كتاب دين أفضل مِن جميع الكتب الأخرى فى كل شيء. لكن بصفة شخصية، مِن حق الإنسان الفرد الحُر أن يُفضِّل كتاباً على آخر.

19 . |السواح|:10/22.

20 . ملحوظة: التواريخ التى قبل الميلاد تواريخ تقريبية.

21 . |EQ|:419/3. جاء ذلك فى سياق الحديث عن موسى، أكثر نبي مذكور في القرآن.

22 . |Reynolds|:37؛ |ربيع|:100؛ |هامش|:5/10. "التلمود البابلى اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:293/42). انظر أيضاً |ربيع|:93-102.

23. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

24 . السريانية (Syriac) هى إحدى لهجات اللغة الآرامية (Aramaic) أقرب اللغات السامية إلى اللغة العربية (|عافية|:383/1). والسريانية هى لهجة الرها (Edessa) التى أصبحت فيما بعد لغة الكنائس المسيحية فى سوريا وبلاد ما بين النهرين (|قاموس-كتاب|:44؛ |MacCulloch|:178؛ |Winkler|:8-9)، أى "الكنيسة السريانية الغربية" (اليعقوبية Jacobite) و "الكنيسة السريانية الشرقية" (النسطورية Nestorian) (|سوريال|:226). ظلت السريانية هى لغة هذه المنطقة إلى أن غزاها العرب فى القرن السابع الميلادى (|KHO-GP|:362)، بل استمر الخط (script) السريانى – لا سيما السريانى الشرقى – مستخدماً حتى بعد الغزو العربى (|EB|).

25 . |Witztum|:3.

26 . كُتِبت بعض كتب الأبوكريفا والسوديبجرافا والمدراش بعد ظهور الإسلام، ولكننا لن نتحدث عن هذه الكتب لأنها لا تهمنا. سوف يقتصر حديثنا على الكتب التى كُتِبت **قبل** ظهور الإسلام، أو على الأقل كانت معاصرة لظهور الإسلام.

27 . |Potiphar|:31.

28. Dr. Tommaso Tesei: “It seems that […] many […] Qurʾānic passage[s] [are] more closely related to late antique traditions and exegeses about the Biblical texts than to the Scripture itself” (|QSC|:165). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

29 . |KHO-GP|:386. انظر أيضاً |QHC|:160-161؛ |QHC-ar|:239-240.

30 . وإنه لمن الطريف أن يختلف المسلمون فى تحديد شخصية "ذو الكفل"! قيل إنه "نبى الله حزقيال. وكان معاصراً لسبى اليهود فى بابل" (|مجلس|:513)! وقيل إنه نبى اسمه "بِشْر" وكان مقامه فى الشام (|و|:1/9/219-220)! وقيل إنه أحد الأنبياء الذين وُجِدوا فى الفترة التى تفصل بين يوسف وموسى، وقيل إنه ابن أيوب النبى (|باش|:1/199-200)! وقيل إنه لم يكن نبياً وإنما كان رجلاً صالحاً (|أيوب|:167)! يعنى المسلمين مؤمنين بشخص مجهول مش عارفين اسمه ولا عارفين زمانه ولا عارفين مكانه!

31 . قيل إن شعيب النبى هو الكاهِن "رَعُوئِيل" (Reuel) (الخروج 2:18) – اسمه/لقبه أيضاً "يَثْرون" (Jethro) (الخروج 3:1) – والد زوجة موسى النبى. لكن لا يوجد أى دليل تاريخى أو حتى كتابى أو حتى قرآنى يؤيد هذا الادعاء.

32 . الذى نُسمِّيه أحياناً بنفس المعنى: الشرق الأدنى القديم (Ancient Near East).

33 . لمزيد من التفاصيل، اقرأ ردنا على د. إبراهيم عافية فى نهاية حديثنا عن قصة "موسى والخَضِر" (الكهف 60-82).

34 . على سبيل المثال، يؤكد العهد الجديد أن هناك أشياء لم تُكتَب على ورق وإنما قيلت فماً لفَم (أى: شفوياً) (يوحنا 20:30) و (2 يوحنا 12) و (3 يوحنا 13-14). وهو ما يُعرَف باسم "التقليد" (tradition). انظر |قانون|:113.

وكالعادة، مع الانتقال الشفوي-السمعي (oral-aural transmission) لأى قصة، يُحذَف منها ويُضاف إليها بعض العناصر إلى درجة أنها قد تتحول أحياناً إلى قصة خيالية أسطورية. صار هذا التراث الشفوى مِن القصص الصحيحة وغير الصحيحة فى القرون الستة الأولى للميلاد مصدراً خصباً لأبوكريفا العهد الجديد التى تأثر بها القرآن. وبالنسبة لنا، لا يهم هل هذه القصص الشفوية صحيحة أو غير صحيحة، مقدسة أو غير مقدسة. المهم أنها كانت معروفة **قبل** ظهور الإسلام، وبالتالى فنحن لسنا بحاجة إلى نظرية "الوحى" لكى نعلم مِن أين جاءت وكيف وُضِعت فى القرآن.

35 . كما قال القرآنُ "أصحاب الكهف"، "أصحاب القبور"، "أصحاب الجحيم"، "أصحاب النار"، "أصحاب الجنة"، "أصحاب الفيل"، "أصحاب الأخدود"، "صاحب الحوت"، "صَاحِبَيِ السِّجْنِ"، أي: المقيمين فيه أو الملازمين له أو المقترنين به.

36 . كما قال القرآنُ المكي لقريش "صَاحِبُكُم (أي: محمد)" (سبأ 46) (النجم 2) (التكوير 22) (الأعراف 184)، مع أن محمد وقريش مختلفين في الإيمان. فالمقصود إذن: الشخص الذي يشترك معكم في الزمان والمكان.

37. Claude Gilliot, "Le Coran, fruit d'un travail collectif?" (|AOB-Subsidia|:3\185-232).

38. "[…] the community from which the Quran emerged" (|Witztum|:257).

39 . |إتقان|:112-110/1.

40 . انظر الأبحاث التى كتبها العالم الكبير (Claude Gilliot). مثلاً: |JSAI|:126-84/22؛ |EQ|:518-512/2.

41 . لمزيد من التفاصيل، انظر |مسكين|.

42 . كانت الحكمة – ولا تزال – فضيلة مهمة جداً عند اليهود، ومِنها جاءت كلمة "حاخام" (ḥakham).

43 . الترجمة الصحيحة لكلمة "عِلْم" في القرآن هي (knowledge)، أى: معرفة، وليس (science) كما يدعى مَن يزعمون أن الدين عِلم مثل الفيزياء والكيمياء. ونحن نقول لهم: الدين ظاهرة اجتماعية وجزء مِن المعرفة الإنسانية مثل الآداب والفنون، وليس عِلماً مِن العلوم. انظر ترجمات (القصص 14) و |مفصل|:322-321/8.

44 . |NIV|:1457؛ |دراسى|:2236؛ |قاموس-كتاب|:768؛ |مسكين|:215. لمزيد مِن المعلومات الدينية والتاريخية باللغة العربية عن "الترجمة السبعينية"، يمكن الرجوع إلى: "العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندرية"، ترجمة وإعداد: رهبان دير القديس أنبا مقار، الطبعة الأولى 1994، دار مجلة مرقس.

45 . مثل الأسفار التى يُسمِّيها الكاثوليك والأرثوذكس "أسفار قانونية ثانية" (Deuterocanonical books) وهى: طوبيا (Tobit)؛ يهوديت (Judith)؛ الحكمة (Wisdom of Solomon)؛ يشوع بن سيراخ (Sirach)؛ باروخ (Baruch) الذى ينتهى برسالة إرميا (Letter of Jeremiah)؛ المكابيين الأول (1 Maccabees)؛ المكابيين الثاني (2 Maccabees)؛ تتِمة سفر أستير (Additions to Esther)؛ تتِمة سفر دانيال (Additions to Daniel). أما البروتستانت واليهود فيعتبرونها أبوكريفا العهد القديم، ومِن ثم كتب غير قانونية (non-canonical). ونحن لن ندخل فى جدل حول قانونية هذه الأسفار أو غيرها، فهذا ليس موضوعنا. موضوعنا هو القرآن، فالمهم بالنسبة لنا أن هذه الكتب قد كُتِبت **قبل** ظهور الإسلام. ويكفى هنا أن نقول إن لهذه الكتب أهمية دينية وتاريخية كبيرة خاصة فيما يتعلق بفترة ما بين العهدين.

46 . كلمة "لاهوت" هنا هى الكلمة اليونانية "ثيولوجيا" (Theology) والتى تعنى "الكلام عن الله" (|حنا-خضرى|:10/2؛ |نجيب|:154).

47 . |نجيب|:60.

48 . |Banon|:17.

49. Ali Mérad (Professeur émérite à l'Université de la Sorbonne Nouvelle (Paris III)), "L'exégèse coranique", Paris : P.U.F, 1998, p. 29.

50 . |مسكين|:260.

51 . |المسيح|:22.

52 . |NIV|:1687-1686؛ |دراسى|:2605؛ |آرثر|:1826؛ |قاموس-كتاب|:616؛ |Piccirillo|:57.

53 . "والأرجح أن "العرب" الذين سمعوا بطرس الرسول وهو يتكلم في يوم الخمسين في أورشليم، كانوا يهوداً جاءوا من بلاد الأنباط إلى أورشليم بمناسبة العيد (أعمال الرسل 2:11)" (|كتابية|:233/5).

54 . انظر |NIV|:1821؛ |دراسى|:2820؛ |آرثر|:2028؛ |قاموس-كتاب|:616.

55 . ملحوظة: "ربَّما كان الأنباط، سكَّان مدينة البتراء العربيَّة، من نسل نبايوت، بكر أبناء إسماعيل [بن إبراهيم] (التكوين 13:25)" (|آرثر|:1154-1155). "ولكن يرفض [بعضُ العلماء] هذا الرأي على أسس لغوية" (|كتابية|:8/23-24).

56 . انظر |NIV|:1816؛ |دراسى|:2812؛ |آرثر|:2018؛ |تطبيقى|:2486؛ |قاموس-كتاب|:281-282.

57 . |Piccirillo|:15.

58 . تُنسَب هذه العبارة إلى "ثيئودوريت" أسقف قورش (Theodoret of Cyrrhus) (القرن الخامس الميلادى)، ربما لأنه فى كتابه الشهير (Ecclesiastical History) ذَكر الهرطقات المسيحية التى نُفِيَت إلى أبعد مناطق فى العربية (the furthest regions of Arabia)، أى على الأرجح إلى الصحراء العربية (Arabia deserta) التى تضم حالياً المملكة العربية السعودية مهد الإسلام (انظر |Piccirillo|:19؛ |QHC|:160؛ |QHC-ar|:239-240).

59 . |Piccirillo|:61؛ |Harnack|:3/36-37؛ |NPNF-2|:1/277-278.

60 . |اسطفانوس|:173.

61 . |KHO-GP|:366، 369، 395.

62 . |مفصل|:6/590. انظر أيضاً |سوريال|:162-173.

63 . |شرقية|:1/198. انظر أيضاً |مفصل|:6/597-599؛ |Jenkins|:188؛ |Trimingham|:189، 200-202؛ |Winkler|:32. ونريد هنا أن نسأل سؤالاً قد يبدو صادماً: هل كان محمد يذهب إلى "الحيرة"، لكن المسلمين الأوائل حرَّفوا الاسم إلى "حراء" (غار بالقرب من مكة) حتى ينكروا أن محمد قد تلقى تعليماً على أيدى مسيحيين؟ انظر |KHO|:565.

64 . |AOB-Subsidia|:3/219، 222؛ |KHO-GP|:156؛ |Wild|:23.

65 . |كتابية|:5/234-235. لمعرفة أصل كلمة "صنم" وأصل كلمة "وثن"، انظر |FV|:199، 286-287.

66. Joseph Witztum, "The Syriac Milieu of the Quran: The Recasting of Biblical Narratives". PhD Dissertation. Princeton, NJ: Princeton University. 2011 (|Witztum|:259-261).

67 . |غزالى|:88. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (القصص 52-54) و (الحديد 28).

68 . |Jenkins|:189-190.

69 . تقع نجران حالياً فى جنوب غرب المملكة العربية السعودية على الحدود مع اليمن. ولقد أثبتت الأدلة التاريخية وجود المسيحية فى نجران منذ القرن الخامس الميلادى (|Piccirillo|:21). انظر أيضاً |شرقية|:1/203؛ |EB|.

70 . |مجلس|:342.

71. “Sans l’Égypte, il n’y aurait pas de Bible. Il suffit d’ouvrir la Bible juive ou la Bible chrétienne pour constater que les références à l’Égypte sont omniprésentes” (|Romer|:7).

72. |Jenkins|:186.

73 . |Piccirillo|:15.

74 . انظر خريطة توضح الخطوط التجارية الرئيسية بين المحيط الهندى والبحر المتوسط فى الحقبة الإغريقية-الرومانية (|Piccirillo|:10).

75 . انظر تفاسير (قريش 1-2). وأضاف د. شوقى ضيف أن قوافل أهل مكة التجارية كانت تجلب إلى مكة ثمرات كل البلاد المجاورة فى حوض المحيط الهندى والبحر المتوسط وخاصة من اليمن ومصر والشام.

76. Rachid Benzine, "Le Coran expliqué aux jeunes", Paris : Éditions du Seuil. 2013, p. 136.

77 . سيد خميس، "القصص الدينى بين التراث والتاريخ"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، ص 21.

78 . |Watt52|:3؛ |Watt89|:21.

79 . |هشام|:1/180؛ |طبرى-تاريخ|:2/277.

80 . |Jenkins|:188؛ |QHC-ar|:141؛ |QHC|:87؛ |EQ|:2/514.

81 . |QHC-ar|:141؛ |QHC|:87.

82. “Aram. Bekhīra, i.e. “the Elect”” (|EQ|:2\514). See also |JSAI|:22\85.

83 . 12 سنة. يعنى: نفس عُمر الصَّبِي يَسُوع حين قابل الْمُعَلِّمِين (the doctors) في أُورُشَلِيم (لوقا 2:42-49)!

84 . |جنة|:187-188، 190، 192.

85 . |لاشين|:54، 174؛ |بنت-شاطئ|:193.

86 . |جنة|:199، 201.

87 . (الترمذى 3749؛ |ت|:5/465-466؛ وقال الألبانى "حسن" |ت-ألبانى|:848؛ |ت-صحيح|:3/530-531) (الترمذى 3750؛ |ت|:5/466؛ وقال الألبانى "حسن الإسناد صحيح بما قبله" |ت-ألبانى|:848؛ |ت-صحيح|:3/531)؛ |جنة|:210-213.

88 . |مفصل|:4/128-136؛ |باشا-صحابة|:2/99؛ |كامل|:1/516-517؛ |شعراء|:101، 294-295.

89 . |كامل|:1/537.

90 . فى شرق سوريا والعراق وإيران على وجه التقريب. استمرت الإمبراطورية الساسانية الفارسية مِن حوالى عام 225م إلى الغزو العربى فى القرن السابع الميلادى (أى أكثر مِن 400 سنة).

91 . فى عام 286م، وبتأثير الكاهن الأعلى "كارتير" (Kartir) (Kerdir)، اعتنقت الإمبراطورية الفارسية "الزرادشتية" (Zoroastrianism) كديانة لها (|نسطورية|:11). وبذلك أصبحت الديانة الزرادشتية هى الديانة الرسمية للإمبراطورية الفارسية.

92 . |Winkler|:9-11؛ |EB|؛ |KHO|:18-19، 28.

93 . |Trimingham|:161؛ |Winkler|:15-17؛ |KHO-GP|:368-371. تقع مدينة "سلوقية-قطسيفون" (Seleucia-Ctesiphon) على نهر دجلة (Tigris) بالقرب من بغداد حالياً فى العراق (|EB|).

94 . عُرفت كنيسة المشرق أيضاً بأسماء أخرى مثل "الكنيسة السريانية الشرقية" (East Syrian Church) أو (East Syriac Church) (لأنها كانت تستخدم اللغة السريانية) و "الكنيسة الفارسية" (Persian Church) (لأنها كانت آنذاك تقع فى الإمبراطورية الفارسية).

95 . انظر |Trimingham|:190؛ |Winkler|:19-21.

96. After A.D. 489: “The Persian kings favoured a movement distasteful to the (Roman) empire; and Persia was henceforth the headquarters of Nestorianism” (|Heresies|:968). See Map of the Church of the East in the Sassanian Empire (around AD 500) in |Winkler|:31.

97 . |Banon|:13؛ |RHCharles|:2/4-7؛ |OTP|:2/43-46؛ |NIV|:1455؛ |دراسى|:2234.

98 . كما قلنا مِن قبل: لن ندخل فى جدل حول هل كتاب اليوبيلات – أو غيره – كتاب قانونى أم غير قانونى، فهذا ليس موضوعنا. المهم بالنسبة لنا أنه كُتِب **قبل** ظهور الإسلام، بغض النظر عن رأي الكنائس المسيحية والطوائف اليهودية فيه.

99 . |Pleiade|:630/337. انظر أيضاً |AFU|:196؛ |Trimingham|:289؛ |هامش|:3/15.

100 . |سوريال|:44، 129-131؛ |Trimingham|:288؛ |عصر|:59-61. انظر |سوريال|:15-75 لمعرفة مزيد من المعلومات عن تاريخ الكنيسة القبطية (المصرية) بدءاً مِن القديس مارمرقس الرسول مؤسس كنيسة الإسكندرية فى القرن الأول بعد الميلاد إلى مجيء العرب فى القرن السابع بعد الميلاد.

101 . |Jenkins|:188-189.

102 . |بنت-شاطئ|:299؛ |رفاعى|:89.

103 . |مفصل|:6/587-606. انظر أيضاً المراجع الأجنبية مثل |Witztum|:258-259.

104 . |ربيع|:49. وانظر الأدلة من القرآن والأحاديث على وجود ترجمة عربية لكتب اليهود (|ربيع|:49-53).

105 . |مجلس|:342. وكالعادة، يوجد رأى آخر يقول إن "مَن تعلم لغة قوم [...]" ليس بحديث. لكن توجد أحاديث أخرى تدعو إلى تعلم اللغات الأجنبية (|صحيحة|:1/364-366).

106 . |Burke|:26.

107 . |EI-2|:81/4.

108 . |Jenkins|:187؛ |QHC|:35، 78؛ |QHC-ar|:67، 128؛ |FV|:233-234. ولقد لاحظنا أن كلمة "قرآن" تُترجَم أحياناً إلى (Lecture). "وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا" (طه 113): (Thus We have revealed it as a Lecture in Arabic) (|Pickthall|:416).

109. محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

110. "*Qur'ān* comes from the Syriac *qeryān*, meaning a "lectionary," a book that consists of a selection of texts of holy scripture" (|KHO-GP|:172). See also |AOB-Subsidia|:3\196, 222; |Witztum|:263.

111. "Syriac, the language which so often unlocks the sense of Qur'anic vocabulary" (|Reynolds|:198). See also |QHC|:15, 24; |QHC-ar|:39-40, 53-54. For a more detailed analysis by Prof. Sidney H. Griffith, see |QHC|:109-116; |QHC-ar|:173-183.

112. "many Biblical words which occur in the *Qorân*, have evidently gone through an Aramaic channel" (|QHC|:96; |QHC-ar|:154).

113. "Generally, words of Aramaic/Syriac origin form the largest group of loanwords in the Qur'ān" (|QHC-2|:442).

114 . |QHC-ar|:74 مترجم عن البحث الأصلي باللغة الإنجليزية (|QHC|:39).

115 . |QHC-ar|:173 مترجم عن البحث الأصلي باللغة الإنجليزية (|QHC|:109).

116. |Witztum|:261-264.

117. محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

118. |Jenkins|:37-38. See also |MacCulloch|:258. For more details, see |Jenkins|:192-197.

119. |Jenkins|:187. Furthermore: "[T]he theology of the Qur'an derives from *east* Syrian, primarily south Iraqi Arabs" (|KHO-GP|:400). See also |QHC|:41; |QHC-ar|:75-77.

120 . لمزيد من المعلومات عن هؤلاء الشعراء العرب ودورهم في تطوير الثقافة العربية قبيل الإسلام وبعده، انظر: د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي" و "تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي"، ط دار المعارف.

121 . لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، انظر |مفصل|:6/582-607؛ |شرقية|:1/195-201؛ |Trimingham|:159-202؛ |EB|.

122. "The Christianization of the Arabian tribes has not yet been satisfactorily studied. However, it is becoming ever clearer that already in "pre-Islamic times" many Arabian tribes were Christianized, both in Arabia itself and even more in Mesopotamia and into the West as far as Palmyra. Despite the fact that these groups spoke Arabic in everyday life, they celebrated the Christian liturgy in Syriac" (|KHO-GP|:395). See also |MacCulloch|:247.

123. "The Arabian peninsula was no *terra deserta et incognita*; its people lived in relationship with their surroundings, most especially with the Aramaic, Jewish, and Christian cultures nearby (e.g., Syria, Ḥīra, Anbār)" (|KHO-GP|:164). See also |Wild|:20.

124 . |جابرى|:1/120. انظر أيضاً معجم البلدان ولسان العرب [ق ر ش].

125 . |مفصل|:8/643.

126 . |Luxenberg|:236-238؛ |KHO|:21.

127 . ومِن قَبل القرآن، توقع المسيحيون السريان انتصارَ الروم في حربهم ضد الفرس، وذلك تعاطفاً مع الروم لأنهم مسيحيون مثلهم. وكذلك اليهود، فعلى الرغم من كراهيتهم للروم الذين دمروا الهيكل، إلا أنهم توقعوا انتصار الروم لأنه – حسب العقيدة اليهودية – يجب أن يسيطر الشر (الروم) على العالم قبل مجيء المسيَّا ابن داود [ليقضي على هذا الشر]. لمزيد من التفاصيل، انظر التلمود البابلي (Yoma 10a) (|BT|:5/31-32) و |Witztum|:51.

128 . وبعد (الروم 2-4) بسنوات، سيطر المسلمون الأوائل على شبه الجزيرة العربية أو معظمها، فانقلبوا على الروم كما انقلبوا على الفرس! كما انقلب المجاهدون الأفغان على الأمريكان بعد تحالفهما ضد السوفييت. الإسلام هو الإسلام.

129 . |هشام|:158/1، 168-169، 179، 204 ؛ |بنت-شاطئ|:168-169؛ |Watt52|:33، 44 ؛ |Watt89|:56، 68.

130. "[…] Abdallah, which is interesting as a north Arabic name introduced as a Christian Arab baptismal name." (|Trimingham|:295). See also |KHO|:89.

131 . |طيب-سير|:64.

132 . |قرطبى|:396/17؛ |قرطبى-مصر|:632/7.

133 . |طبرى-تاريخ|:280/2؛ |رفاعى|:51؛ |بنت-شاطئ|:162؛ |هشام| 188/1؛ |لاشين|:29-45.

134. "It is not impossible that the journey or journeys of Muḥammad to Syria were invented so that this "miraculous event" could take place" (|EQ|:2\515).

135 . |رفاعى|:57؛ |هشام|:191/1؛ |هشام-مختصر|:127/1؛ |شاكر-نساء|:13.

136 . (البخارى 3؛ |خ|:5/1).

137 . (مسلم 160؛ |م|:142/1). وتُذكَر هذه الأحاديث الصحيحة عادةً فى تفسير سورة العلق. انظر مثلاً تفسير ابن كثير (|كثير|:458/8؛ |كثير-شيخ|:397/14؛ |كثير-طيبة|:436/8).

138 . "كان [ورقة بن نوفل] يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني" (|شاكر-نساء|:17).

139 . يقول د. جواد علي: "أخطأ الرواة بجعل لغة الإنجيل هي العبرانية، وَهُمْ يتوهمون كثيراً فيخلطون بين العبرانية والسريانية. والغالب أنهم كانوا يريدون بالعبرانية لغة بني إرم التي كانت لغة العلم والأدب والدين في العراق وفي بلاد الشام، بل وبين مثقفي اليهود ورجال دينهم في ذلك الوقت" (|مفصل|:503/6).

140. "the Qurʾān, whose original version was put together entirely in the Syriac script (a way of writing Arabic called "Garshuni" or "Karshuni"" (|KHO-GP|:140). See also |IW2014|:579-580.

141 . |رفاعى|:57؛ |هشام|:189/1، 238؛ |هشام-مختصر|:161/1؛ |طبرى-تاريخ|:281/2؛ |بنت-شاطئ|:164-172؛ |شاكر-نساء|:20.

142 . (أحمد 312/1؛ "إسناده ضعيف" |ل|:5/46-؛ "إسناده فيه نظر، والأقرب أنه ضعيف" |ل-شاكر|:262/3-) (المعجم الكبير 12838؛ |طبرانى-كبير|:186/12). انظر أيضاً |دلائل|:72/2-73.

143 . |هيثمى|:220/9. انظر أيضاً |على-سير|:45.

144. 408 الدليل, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6520&cat=24&scat=211&

145 . |QHC-ar|:147، 165؛ |QHC|:91، 103.

146 . |هشام|:238/1؛ |بنت-شاطئ|:170-171؛ |طبرى-تاريخ|:302/2؛ |شاكر-نساء|:17-18، 20-21؛ |Watt52|:39، 59، 163 ؛ |Watt89|:63، 85، 204.

147 . (البخارى 3؛ |خ|:4/1-5).

148 . قارن ما قاله ورقة بن نوفل مع ترنيمة "المثلث التقديس" (Trisagion) (Tersanctus) مِن أشهر الليتورجيا المسيحية قبل الإسلام. وطبعاً لها جذور فى الكتاب المقدس: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ" (إشعياء 6:3) (الرؤيا 4:8).

149 . |برهان|:193/1؛ |إتقان|:81/1،31،29.

150 . أبو موسى الحريرى، "قس ونبى: بحث فى نشأة الإسلام"، بيروت، 1979، ص 16-23. انظر أيضاً |QHC|:79-80؛ |QHC-ar|:130-131.

151 . ولا يزال اليهود يرفضون بولس الرسول إلى اليوم. وحذا المسلمون حذوهم!

152 . |مفصل|:634/6-635.

153 . |زهرة-سير|:274/1. أضفنا الكلمات بين القوسين () لتوضيح المعنى.

154 . |Watt56|:51؛ |Watt89|:76، 85؛ |Watt52|:59؛ |هشام|:330/1.

155 . (البخارى 6581؛ |خ|:2561/6-2562). ومع أن محاولة الانتحار مذكورة في صحيح البخاري أصح كتب السُّنَّة، ينفي فريقٌ مِن المسلمين ثبوتها (|العوشن|:25-26)! "ولا يعني ذلك نفي وقوع الأمر تاريخياً، بل عدم ثبوته فقط" (|العوشن|:3).

156 . وهى تقريباً نفس الجملة التى قيلت لنوح حسب ما يقول القرآن: "وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا" (هود 27).

157 . لم يُسْلم مِن أعمام محمد إلا حمزة والعباس (|استيعاب|:371/1)! وكلاهما مِن سن محمد تقريباً. حمزة أسلم مبكراً. أما العباس فأسلم متأخراً يوم بدر (2هـ) حين وقع أسيراً بأيدي المسلمين؛ وقيل إنه أسلم سراً في مكة قبل الهجرة وأخفى إسلامَه!

158 . (البخارى 2583؛ |خ|:975/2).

159 . |دمشق|:188/50؛ |فرسان|:513.

160 . |معجم-ألفاظ|:533-536.

161 . |معجم-ألفاظ|:718.

162 . |معجم-ألفاظ|:699.

163 . |قرطبى|:180/17.

164 . |لاشين|:15؛ |و|:75/1/2-76.

165 . أباح الإسلامُ لمحمد وحده – دون غيره – أن ينكح النساء "بغير عَقْد ولا ولى ولا شهود ولا مهر" (|و|:89/1/2-91)!

166 . (البخارى 4823؛ |خ|:1966/5). انظر أيضاً |و|:76/1/2-77؛ |شاكر-نساء|:233.

167 . |رفاعى|:64-65؛ |هشام|:329/1؛ |بنت-شاطئ|:183، 330؛ |لاشين|:47-51؛ |شاكر-نساء|:41-47.

168 . |لاشين|:49. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (النساء 128).

169 . (مسلم 1463؛ |م|:1085/2) (البخارى 4914؛ |خ|:1999/5).

170 . |لاشين|:53-91؛ |شاكر-نساء|:51-102؛ |و|:84/1/2.

171 . (البخارى 3683؛ |خ|:1415/3)؛ |و|:104/1/2. وقيل إن محمد تزوج عائشة قبل الهجرة بسنتين؛ وقيل: بثلاث سنين؛ وقيل غير ذلك (|استيعاب|:1881/4؛ |استيعاب-م|:901؛ |لاشين|:55؛ |شاكر-نساء|:52).

172 . (مسلم 1422؛ |م|:1038/2-1039؛ |م-نووى|:294/9-298) (البخارى 3681؛ |خ|:1414/3-1415).

173 . (البخارى 4473؛ |خ|:1774/4-1775)، (مسلم 2770؛ |م|:2130/4).

174 . لمزيد من التفاصيل عن "حادثة الإفك"، انظر تفاسير وأسباب نزول الآيات العشر (النور 11-20).

175 . |شاكر-نساء|:55، 58.

176 . |و|:81/1/2، 91، 103، 107، 138.

177 . (البخارى 3564؛ |خ|:1376/3). انظر أيضاً |و|:82/1/2.

178 . (مسلم 1464؛ |م|:1085/2-1086) (البخارى 4823؛ |خ|:1966/5).

179 . انظر نقاشاً حول التفاسير المختلفة لآيات سورة الأحزاب، وبخاصة (الأحزاب 28-29، 51-52) (|لاشين|:169-170).

180 . قيل إن المقصود هُمْ التابعون. وقيل إنهم الصحابة المتأخرون والتابعون. ونحن نميل إلى الرأي الثاني لأنه يتفق أكثر مع الآية: "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" (التوبة 100). وفي كلتا الحالتين، يوجد شرط وهو أن يتبعوا الصحابة السابقين الأولين "بِإِحْسَانٍ". وكالعادة، اختلف المفسرون في تعريف "الصحابة السابقين" و "الصحابة المتأخرين". قيل إن الصحابة السابقين هُمْ: الذين صلوا القبلتين؛ وقيل: أهل بدر؛ وقيل: الذين أسلموا قبل بيعة الرضوان وصلح الحديبية (ذو القعدة 6هـ) الذي يُعتبر اعتراف رسمي من قريش بدولة الإسلام.

181 . المكثر هو كل صحابي زاد على رواية ألف حديث. والمكثرون السبعة هُمْ: أبو هريرة؛ عبد الله بن عمر؛ أنس بن مالك؛ أم المؤمنين عائشة؛ عبد الله بن عباس؛ جابر بن عبد الله؛ أبو سعيد الخدري.

182 . إضعيفة|:664/11؛ إو|:80/12/3.

183 . إلاشين|:20-21، 78.

184 . إهشام|:328/1؛ إبنت-شاطئ|:230-232؛ إرفاعى|:75؛ إلاشين|:93-96؛ إشاكر-نساء|:105-112.

185 . (البخارى 4628؛ إخ|:1865/4-1866) (مسلم 1474؛ إم|:1100/2-1101)؛ إو|:202/2/1.

186 . (النسائى 3959؛ إس|:71/7-72؛ وقال الألبانى "صحيح الإسناد" إس-ألبانى|:612؛ إس-صحيح|:63/3؛ وقالت موسوعة بيان الإسلام "إسناده صحيح" إو|:117/6/2) (المستدرك 493/2؛ قال الحاكم "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى إحاكم|:535/2-536)؛ إج|:466.

187 . (المعجم الأوسط 2316؛ إطبرانى-أوسط|:13/3-14)؛ إب|:471-472، 560؛ إج|:560؛ إلاشين|:95-96؛ إشاكر-نساء|:223-224؛ إو|:202/2/1؛ إو|:128/1/2-136.

188 . إو|:202/2/1.

189 . (مسلم 1473؛ إم|:1100/2)؛ إو|:131/1/2-132.

190 . ويوجد رأى آخر يقول إن "صَغَتْ قُلُوبُكُمَا" ليست جواب الشرط "إِنْ تَتُوبَا"، وإنما دليله وتعليله. وعلى هذا فإن المعنى: التوبة حق واجب عليكما، لأن قلوبكما قد زاغت ومالت عن الحق. انظر إو|:133/1/2.

191 . وسنرى بعد قليل أن هذه الآية (التحريم 5) كانت باقتراح مِن عمر بن الخطاب!

192 . إبارى|:525/8؛ إبارى-طيبة|:7/11.

193 . إو|:117/6/2.

194 . إشاكر-نساء|:115-120.

195 . إكشاف-ع|:82/5؛ إكشاف-ش|:860؛ إقرطبى|:182/17. انظر أيضاً إو|:76/1/2-77 وتفاسير (الأحزاب 50).

196 . إبنت-شاطئ|:247-258؛ إهشام|:326/1؛ إرفاعى|:85-87؛ إلاشين|:99-107؛ إشاكر-نساء|:123-140.

197 . وكأن الجنة لا تُدخَل إلا بالقتال وسفك الدماء!

198 . (البخارى 2581-2582؛ إخ|:978/2). انظر أيضاً إشهبة-سير|:334/2، 337.

199 . إطبقات|:98/10-101؛ إطبرى-تاريخ|:562/2-564؛ إحاكم|:25/4-26؛ إبنت-شاطئ|:261-277؛ إجابرى|:190/3؛ إلاشين|:109-132؛ إرفاعى|:93-98؛ إشاكر-نساء|:143-164؛ إاستيعاب|:542/2؛ إاستيعاب-م|:285-288. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (الأحزاب 4-5، 36-37).

200 . (مسلم 1428؛ إم|:1048/2-1049).

201 . أباح الإسلامُ لمحمد وحده – دون غيره – أن ينكح النساء "بغير عَقْد ولا ولى ولا شهود ولا مهر" (إو|:89/1/2-91)!

202 . بدليل أن الآية الناسخة قد تأتى قبل الآية المنسوخة فى نفس السورة فى المصحف، مع أن الناسخة بعد المنسوخة زمنياً (إلاشين|:169-170).

203 . إإصابة|:81/4-86؛ إإصابة-ع|:494/2-498.

204 . عن البَهِيّ عن عائشة. (أحمد 281/6، 227/6؛ "إسناده حسن إن صحَّ سماعُ البهى من عائشة" إل|:412/43-413، إل|:74/43؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:215/18). انظر أيضاً إأسدغابة|:240.

205 . إب|:360.

206 . إج-صاوى|:358/3. انظر أيضاً تفسير الجلالين إج|:418؛ إج-البغا|:549-550؛ إج-وطن|:418.

207 . إجابرى|:186/3.

208 . (مسلم 2425؛ إم|:1884/4) (البخارى 4504؛ إخ|:1795/4).

209 . إذهبي|:149-152، 174-177، 17.

210 . إلاشين|:110-115. انظر أيضاً موسوعة بيان الإسلام إو|:146/1/2-150 إلا أن الموسوعة لم تذكر (الأحزاب 4-5).

211 . (مسلم 2442؛ إم|:1891/4-1892) (البخارى 4473؛ إخ|:1774/4-1778) (البخارى 3910؛ إخ|:1517/4-1522).

212 . (البخارى 4917؛ "باب: مَنْ طَافَ على نِسَائِهِ فِي غُسْلٍ واحِدٍ" إخ|:2000/5) (البخارى 4781؛ إخ|:1951/5) (البخارى 280؛ إخ|:109/1)؛ (البخارى 265؛ "باب: إذا جَامَعَ ثم عَادَ، ومَن دَارَ على نسائه فى غُسْلٍ واحِدٍ" إخ|:105/1). وظاهر هذه الأحاديث يدل على أنه طواف جِماع، وليس طواف مداعبة فقط المذكور فى أحاديث أخرى (إو|:92/1/2-101).

213 . (مسلم 309؛ إم|:249/1).

214 . ترتيب الأحداث عنده هو (الأحزاب 36)، وبعد سنة تقريباً (الأحزاب 4-5)، ثم (الأحزاب 37أ)، (الأحزاب 37ب). ويبدو لنا أنه أراد أن يجمع بين الروايتين مع تنقيحهما، فذَكَرَ عناصر مِن الرواية الأولى فى إيجاز شديد (5 سطور فقط!) ومِن الرواية الثانية بدون أن يقول صراحةً إن محمد أخفى الوحى الإلهى فى نفسه (إشاكر-نساء|:151-152).

215 . الطلاق فى الإسلام هو "أبغض الحلال" نظرياً و "أسهل الحلال" عملياً، فيكفى أن يقول الرجلُ لإمرأته كلمتين فقط: "أنتِ طالق"! فقط سبعة أحرف يقولها الرجلُ شفوياً فى أقل مِن 3 ثوانى، فينهار البيت ويضيع الأبناء! المجهود الذى يبذله الرجلُ المسلم لتطليق زوجته أقل مِن المجهود الذى يبذله لسلق بيضة أو عمل كوب مِن القهوة!

216 . إبنت-شاطئ|:279-283؛ إشاكر-نساء|:181-190؛ إلاشين|:133-135؛ إرفاعى|:102-106.

217 . إدرر|:200.

218 . (البخارى 2403؛ إخ|:898/2) (مسلم 1730؛ إم|:1356/3).

219 . إدرر|:201؛ إطبرى-تاريخ|:604/2؛ إكامل|:81/2. ولَمَّا رجع محمدٌ إلى المدينة "قدم عليه مِقْيَس بن صُبابة مظهراً للإسلام وطالباً لدية أخيه هشام بن صُبابة (الذى قُتِل خطأ)، فأمر له عليه السلام بالدِّية، فأخذها (مِقْيَس)، ثم عَدَا على قاتل أخيه، فقتله، وفرَّ إلى مكة كافراً، وهو (أى: مِقْيَس) أحد الذين أمر رسول الله - ﷺ - بقتلهم فى حين دخوله مكة" (إدرر|:203). قال ابن كثير: "ولهذا كان مِقْيَس هذا مِن الأربعة الذين أَهْدَر رسولُ الله ﷺ يومَ الفتح دِماءَهم، وإن وُجِدوا مُعَلَّقِين بأسْتار الكعبة" (إكثير-ك|:366/4؛ إكثير-تركى|:184/6)! وهذا يرد على البروباجاندا الإسلامية التى تزعم كذباً أن يوم فتح مكة عفا محمدٌ عن كل أعدائه (أو عن مَن تبقى مِنهم على قيد الحياة).

220 . وتقول رواية أخرى إن أباها جاء ليفتديها فخطبها محمدٌ منه وتزوجها. وقيل إن أباها جاء بعد أن أعتقها محمدٌ وتزوجها. ولا يمكن الجَمْع بين هذه الروايات المتناقضة.

221 . إبنت-شاطئ|:285-287؛ إرفاعى|:107-108؛ إلاشين|:137-143؛ إشاكر-نساء|:193-210.

222 . تفاصيل عملية اغتيال أبي رافع اليهودي (البخارى 2859-2860؛ إخ|:1100/3-1101) (البخارى 3812-3814؛ إخ|:1482/4-1485).

223 . إبنت-شاطئ|:285-286؛ إلاشين|:138؛ إشاكر-نساء|:209-210.

224 . إهشام|:336/2-337؛ إهشام-مختصر|:91/2؛ إطبرى-تاريخ|:14/3؛ إكثير-ك|:417/4؛ إكثير-تركى|:294/6-295. انظر أيضاً إشاكر-نساء|:209-210.

225 . إنبلاء|:555/2.

226 . أباح الإسلامُ لمحمد وحده – دون غيره – أن ينكح النساء "بغير عَقْد ولا ولى ولا شهود ولا مهر" (إو|:89/1/2-91)!

227 . إدمشق|:46/16-47. انظر أيضاً إدلائل|:233/4؛ إدمشق-مختصر|:338/7؛ إفرسان|:651.

228 . إبنت-شاطئ|:262، 285، 297-302؛ إهشام|:324/1؛ إرفاعى|:53، 89، 91، 106؛ إلاشين|:145-149؛ إشاكر-نساء|:167-178؛ |Watt56|:52؛ |Watt89|:279.

229 . (البخارى 417؛ إخ|:165/1) (مسلم 528؛ إم|:375/1-376).

230 . إرفاعى|:89، 92.

231 . إبنت-شاطئ|:311-317؛ إرفاعى|:110-112؛ إلاشين|:151-154؛ إشاكر-نساء|:213-218.

232 . أباح الإسلامُ لمحمد وحده – دون غيره – أن ينكح أكثر مِن أربع زوجات!

233 . إكشاف-ع|:82/5؛ إكشاف-ش|:860؛ إقرطبى|:182/17. انظر أيضاً إو|:76/1/2-77 وتفاسير (الأحزاب 50).

234 . إبنت-شاطئ|:210؛ إرفاعى|:55، 118؛ إلاشين|:17؛ إشاكر-نساء|:226-227؛ إشعراوى-نساء|:263.

235 . إبنت-شاطئ|:319-322، 326-327؛ إرفاعي|:113-115، 117؛ إلاشين|:15-17؛ إصلابي|:858/1.

236 . إشاكر-نساء|:219.

237 . اسمها في مراجع أخرى: "شيرين" (إكثير-سير|:1324/3)؛ أو: "قِنِّسْرين" (إبكر-رجال|:446).

238 . إجنة|:19-21، 40-43.

239 . (ابن ماجه 1627؛ إهـ|:70/2؛ "صحيح: دون جملة الوحي" إهـ-ألباني|:285-286؛ إهـ-صحيح|:53/2؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف" إهـ-أرنؤوط|:549/2). انظر أيضاً إشاكر-نساء|:75-76؛ (البخاري 3467؛ إخ|:1341/3).

240 . (البخاري 1185؛ إخ|:419/1). انظر أيضاً (البخاري 4187؛ إخ|:1618/4).

241 . إتقان|:111/1-112؛ |MS|:33.

242 . ويوجد فريق ثالث مِن الصحابة فَضَّلوا الاعتزال.

243 . (البخاري 6442؛ إخ|:2506/6-2507). انظر أيضاً إهشام|:660/2؛ إهشام-مختصر|:313/2؛ إجنة|:23-25.

244 . إهشام|:663/2؛ إروض|:559/7؛ إهشام-مختصر|:317/2؛ إهشام-تهذيب|:275؛ إتيمي|:78-79.

245 . إكثير-ك|:17/7-؛ إكثير-تركي|:437/9-؛ إنار|:133-.

246 . إهشام|:665/2-666؛ إهشام-ت|:317/4؛ إروض|:562/7؛ إهشام-مختصر|:319/2؛ إهشام-تهذيب|:277؛ إشعراء|:240.

247 . "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" (التوبة 103) مستوحاة من التراث المسيحي، بل تكاد تكون منقولة من الإنجيل: "أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهُوَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا (أي: طاهراً؛ clean) لَكُمْ" (لوقا 11:41).

248 . (البخاري 6855؛ إخ|:2657/6) (البخاري 6526؛ إخ|:2538/6) (البخاري 1335؛ إخ|:507/2) (مسلم 20؛ إم|:51/1-52).

249 . قال محمدٌ: "النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ (أي: في الإمارة والخلافة)" (البخاري 3305؛ إخ|:1288/3) (مسلم 1818؛ إم|:1451/3؛ إم-نووي|:275/12-)! وقال أيضاً: "لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ (أي: الإمارة والخلافة) فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْ النَّاسِ اثْنَانِ (أي: إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا)" (مسلم 1820؛ إم|:1452/3)!

250 . "والجمعُ بينَها أن ابتداءَها في سنةِ إِحْدى عشْرةَ، والفَراغَ منها في سنة ثِنْتَيْ عشْرةَ. والله أعلم" (إكثير-ك|:35/7-36؛ إكثير-تركي|:472/9)!

251 . إبكر-رجال|:498-500؛ إو-تاريخ|:734/1-737؛ إنار|:111.

252 . عباس محمود العقاد، "عبقرية خالد"، دار نهضة مصر، 2017، ص 102. إبكر-رجال|:499.

253 . إتيمي|:88. انظر أيضاً إطبري-تاريخ|:279/3.

254 . إطبري-تاريخ|:251/3. انظر أيضاً إجنة|:34؛ إنجار-خلفاء|:40. وفي إو-تاريخ|:733/1 الصادر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية، نقلوا الكتابَ مِن تاريخ الطبري، لكننا لا نجد عبارة "وأن يُحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قِتْلة، وأن يَسبِيَ النساء والذراري"! هل حُذِفت هذه العبارة عمداً؟! أم سقطت سهواً؟!

255 . إكامل|:211/2؛ إطبري-تاريخ|:264/3-265؛ إكثير-ك|:27/7-28؛ إكثير-تركي|:456/9-457؛ إمراد-خلفاء|:84-85.

256. https://www.youtube.com/watch?v=uRRIbOIPCEA

257 . عباس محمود العقاد، "عبقرية خالد"، دار نهضة مصر، 2017، ص 108.

258 . إطبقات|:36/5-37، 400/9.

259 . إستيعاب|:594/2-599؛ إستيعاب-م|:312-314؛ إأسدغابة|:299/2-301؛ إأسدغابة-ع|:441/2-443؛ إإصابة|:274/4-277؛ إإصابة-ع|:55/3-56؛ إنبلاء|:270/1-279؛ إخالد|:149/4-164؛ |AOB-Subsidia|:199/3؛ إطبقات|:566/3-570.

260 . د. طه حسين، "في الشعر الجاهلي"، طبعة 1926، ص 52.

261 . إجنة|:54-55، 58-59.

262 . (مسلم 2389؛ إم|:1858/4-1859) (البخاري 3474؛ إخ|:1345/3).

263 . |شعراوي|:1792/3؛ |شعراوي|:11221/18.

264 . |AOB-Subsidia|:199/3، 209-210.

265 . (البخاري 394؛ |خ|:157/1). انظر أيضاً (البخاري 4632؛ |خ|:1869/4)؛ |و|:203/2/1؛ |إتقان|:110/1. وتوجد أسباب أخرى لنزول آية الحجاب؛ منها ما لعُمَر، ومنها ما لغيره (|الاشين|:165-167). "قال المحققون: لا مانع من أن تكون الآية نزلت بعد هذه الأسباب جميعها" (|الاشين|:167).

266 . (البخاري 3120؛ |خ|:1199/3) (البخاري 3480؛ |خ|:1347/3-1348) (البخاري 5735؛ |خ|:2259/5) (مسلم 2396-2397؛ |م|:1863/4-1864). وتقول روايات أخرى إن أبا موسى الأشعري أهدى طَنْفِسةً (أي: بساطاً) لامرأة عمر، فأخذ عُمَرُ الطَّنْفِسَةَ وضرب بها رأس امرأته، ثم ضرب بها فوق رأس أبي موسى الأشعري، وردها إليه (|جنة|:97-98)!

267 . (مسلم 2399؛ |م|:1865/4).

268 . كان فتح مكة هو النهاية الفعلية لهذه الحرب الأهلية، وليس صلح الحديبية (6هـ) الذي كان مجرد هدنة.

269 . قيل إن اسم والدة عمر بن الخطاب: حَنْتَمَة بنت هشام بن المغيرة. وقيل: حَنْتَمَة بنت هاشم بن المغيرة.

270 . |هشام|:711/1؛ |درر|:118؛ |ب|:436.

271 . (البخاري 3070؛ |خ|:1185/3) (مسلم 2395؛ |م|:1863/4).

272 . سؤال: هل كانت زينب ابنة محمد مسلمة؟! قيل: نعم. ونحن نقول: نشك في ذلك.

273 . (مسلم 1763؛ |م|:1383/3-1385).

274 . لاحظ أن عُمَر أراد أن يقتل نسيبَه! وهذا دليل آخر على أنها كانت حرب أهلية.

275 . |فهد|:507.

276 . |و|:170/3/1.

277 . أ. د. محمد بكر إسماعيل، "الفقه الواضح"، القاهرة: دار المنار، الطبعة الثانية 1997، 79/3-80.

278 . (البخاري 4393-4395؛ |خ|:1715/4-1716) (البخاري 1210؛ |خ|:427/1) (البخاري 5460؛ |خ|:2184/5-2185) (مسلم 2400؛ |م|:1865/4) (مسلم 2774؛ |م|:2141/4). انظر أيضاً |جنة|:72.

279 . (الترمذي 3049؛ |ت|:98/5؛ وقال الألباني "صحيح" |ت-ألباني|:683؛ "صحيح" |ت-صحيح|:230/3-231) (النسائي 5540؛ |س|:286/8-287؛ وقال الألباني "صحيح" |س-ألباني|:834-835؛ |س-صحيح|:487/3) (أبو داود 3670؛ |د|:325/3؛ وقال الألباني "صحيح" |د-ألباني|:661؛ |د-صحيح|:415/2-416). انظر أيضاً |صحيحة|:460/5 وتفاسير وأسباب نزول (البقرة 219) (النساء 43) (المائدة 90-91).

280 . (المستدرك 143/4؛ قال الحاكم "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:159/4-160).

281 . |جنة|:63-65. وتوجد روايات أخرى تقول أيضاً إن عمر أقام الحد على ابنه (|الروحي|:121).

282 . وهذا يدل على أن الاعتراف (Confession) كان معمولاً به في صدر الإسلام بعد الهجرة. وفي قصة أخرى، هي "حادثة الإفك" (6هـ)، قال محمدٌ لعائشة: "إنَّ العبدَ إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب اللهُ عليه" (البخاري 4473؛ |خ|:1777/4) (مسلم 2770؛ |م|:2135/4). اقرأ أيضاً: "وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (التوبة 102)؛ "فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا" (غافر 11) "فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ" (الملك 11) "قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ. وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ" (المدثر 43-46).

283 . |جنة|:71؛ |ب|:34-35؛ |زحيلي-وجيز|:30. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (البقرة 187).

284 . (البخاري 1816؛ |خ|:676/2-677).

285 . |ب|:334. انظر أيضاً |زحيلي-وجيز|:358؛ |جنة|:70-71 وتفاسير وأسباب نزول (النور 58).

286 . |ب|:421. انظر أيضاً |زحيلي-وجيز|:535؛ |جنة|:71 وتفاسير وأسباب نزول (الواقعة 13-14، 39-40).

287 . (البخاري 3282؛ |خ|:1279/3-1280) (البخاري 3486؛ |خ|:1349/3). انظر أيضاً |جنة|:79.

288 . (الترمذي 3686؛ |ت|:437/5؛ وقال الألباني "حَسَن" |ت-ألباني|:836؛ "حَسَن" |ت-صحيح|:510/3) (أحمد 154/4؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:363/13؛ "إسناده حسن" |ل|:624/28-625).

289 . انظر أمثلة أخرى مِن اجتهادات الخليفة عمر بن الخطاب التى انفرد بها فى شئون الدين والدنيا (|جنة|:90-96).

290 . مثلاً |طبرى|:524-522/2؛ |طبرى-شاكر|:31-30/3؛ |قرطبى-مصر|:523-522/1؛ |كثير|:245-243/1؛ |كثير-شيخ|:63-60/2؛ |كثير-شاكر|:156/1؛ |كثير-صابونى|:118-117/1؛ |كثير-شنقيطى|:154؛ |ج-البغا|:24؛ |ج|:48-47؛ |عطية-مصر|:414/1؛ |خازن-بغوى|:141-140/1؛ |بيضاوى|:86/1؛ |كشاف-ع|:319-318/1؛ |كشاف-ش|:95؛ |نسفى|:128/1؛ |ماوردى|:187-186/1؛ |بحر|:552/1؛ |شعراوى|:577/1؛ |أشقر|:19؛ |بشير|:231/1؛ |جزائرى|:113/1؛ |دميرى|:146؛ |جنة|:71. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (البقرة 125).

291. Edmund Beck: "This suggests that an attempt at emendation of sura II, 125 was made. The words وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَ are unlikely to be original. If they are left out, we have the simple sentence: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا عَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" (|IW2013|:267).

292 . |جنة|:114.

293 . تفاصيل عملية تدمير بنى قريظة (مسلم 1768-1769؛ |م|:1388/3-1391) (البخارى 3895-3896؛ |خ|:1511/4-1512). انظر أيضاً |شاكر-نساء|:202-203.

294 . |الروحى|:121.

295 . تفاصيل عملية اغتيال أبي رافع اليهودي (البخارى 2859-2860؛ |خ|:1100/3-1101) (البخارى 3812-3814؛ |خ|:1482/4-1485).

296 . |كثير-ك|:358/7؛ |كثير-تركى|:348/10. انظر أيضاً |جنة|:117-119.

297 . |هشام|:323/1؛ |رفاعى|:130؛ |بنت-شاطئ|:230-232؛ |شاكر-نساء|:81-102؛ |جنة|:109-111، 118-119.

298 . (البخارى 3494؛ |خ|:1352/3). انظر أيضاً |جنة|:120-124.

299 . (البخارى 3472؛ |خ|:1344/3-1345). انظر أيضاً |جنة|:132-133.

300 . |استيعاب|:919/3؛ |استيعاب-م|:458. |أسدغابة|:610/2؛ |أسدغابة-ع|:261/3.

301 . (البخارى 3493؛ |خ|:1351/3-1352). انظر أيضاً |جنة|:114-117.

302 . |جنة|:231. سؤال: هل أراد الصحابيُّ الكبير عَمَّار بن ياسر أن ينتقم من الخليفة عثمان لأنه استبعده مِن لجنة جَمْع القرآن وإنتاج المصحف، ووضع الشاب "عبد الرحمن بن الحارث بن هشام" ابن أخ أبي جهل الذي قتل سُمَيَّة أم عَمَّار؟

303 . |استيعاب|:1369/3؛ |استيعاب-م|:653.

304 . |لاشين|:67-69.

305 . عباس محمود العقاد، "الصِدِّيقة بنت الصِدِّيق"، دار نهضة مصر، 2016، ص 93-95.

306 . وسنكتفى بالأمثلة التى ذكرناها. أما الأخطاء البشعة التى ارتكبها الخليفة عثمان بن عفان أثناء جَمْع القرآن وإنتاج المصحف، فسنتحدث عنها فى فصلٍ آخر.

307 . |نبلاء|:482/3.

308 . |طبرى-تاريخ|:383/4-384. وكالعادة، توجد روايات أخرى (|تيمى|:173).

309 . |بكر-نساء|:454.

310 . |جنة|:139، 149، 153، 163.

311 . (مسلم 2449؛ |م|:1902/4-1904)، (البخارى 3510؛ |خ|:1361/3)، (البخارى 3523؛ |خ|:1364/3). انظر أيضاً |بنت-شاطئ|:474-478.

312 . (مسلم 1464؛ |م|:1085/2-1086) (البخارى 4823؛ |خ|:1966/5).

313 . (الترمذى 3101؛ "حسن" |ت|:126/5؛ "صحيح" |ت-ألبانى|:695؛ |ت-صحيح|:250/3).

314 . |ج|:232-233. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (التوبة 113).

315 . |درر|:185؛ |جنة|:140-141، 165.

316 . |جنة|:156-157.

317 . (البخارى 6524؛ |خ|:2537/6).

318 . (الترمذى 1458؛ |ت|:474/3؛ وقال الألبانى "صحيح" |ت-ألبانى|:345؛ "صحيح" |ت-صحيح|:138/2-139).

319 . |ط-زرقانى|:36/4.

320 . (النسائى 4065؛ |س|:105/7؛ وقال الألبانى "صحيح" |س-ألبانى|:627؛ |س-صحيح|:92/3). وقيل إن الزُّطّ هُمْ جماعة انضموا إلى المرتدين أثناء حروب الردة فى عهد أبى بكر (|طبرى-تاريخ|:304/3).

321 . وكالعادة، اختلف أهل اللغة فى معنى كلمة "وَيْحَ". قيل إنها كلمة تَرَحُّم وتَوَجُّع. وقيل إنها بمعنى "وَيْل" أو أَلْيَن قليلاً. وقيل إن الفرق بينهما هو أن "وَيْل" تقال لمن وقع في هَلَكَة أو بليَّة لا يترحم عليه، بينما "وَيْح" تقال لكل مَن وقع في بليَّة يُرْحَمُ ويُدْعَى له بالتخلص منها. وقيل إن الوَيْح زجر لمن أشرف على الهَلَكَة. انظر المعجم الوسيط ولسان العرب. ويبدو لنا أن المقصود مِن "وَيْحَ أُمِّ ابْنِ عَبَّاسٍ" هو الدعاء لها بالرحمة مع الاعتراف بذنوبها، أو كما يُقال اليوم "الله يرحم أمّ فلان". وفى الحديث الصحيح، يَقُولُ [الإنسانُ]: "يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ"، فَيَقُولُ اللَّهُ: "وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ [...]"، فَيَقُولُ [الإنسانُ]: "يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ"، فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ (البخارى 773).

322. https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/

323 . |لاشين|:82. |لاشين|:84-85.

324 . |شاكر-نساء|:86-87. انظر أيضاً |جنة|:145-146.

325 . قال عليٌّ لمحمد يومئذٍ: "يا رسول الله، لَم يُضَيِّق اللهُ عليك، والنساءُ سِواها كثيرٌ" (البخارى 4473؛ |خ|:1776/4) (البخارى 3910؛ |خ|:1519/4-1520)، (مسلم 2770؛ |م|:2133/4). انظر أيضاً "الصِدِّيقة بنت الصِدِّيق" لعباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص 96-106.

326 . وتوجد أحاديث صحيحة تدل على أن عائشة كانت تذكر مَن دافع عنها فى حادثة الإفك (مثل: زينب بنت جحش) ومَن كان ضدها (مثل: حَمْنَة بنت جحش) (البخارى 4473؛ |خ|:1774/4-1778) (البخارى 3910؛ |خ|:1517/4-1522) (مسلم 2770؛ |م|:2129/4-2138). انظر أيضاً |م-لاشين|:500/9-501.

327 . ويوجد فريق ثالث مِن الصحابة ونساء محمد فَضَّلوا عدم الانحياز لأى حزب. مثل: سعد بن أبي وقاص.

328 . |و-تاريخ|:1179/2-1185؛ |الروحى|:131.

329 . قتله "معاويةُ بن حُدَيج" (مِن بنى أمية) "ودسَّه فى بطن حمارٍ مَيِّتٍ، وأحرقه" (|نبلاء|:482/3؛ |لاشين|:68)! ويبدو لنا أن الأمويين أرادوا أن يعاقبوه بنفس العقوبة التى رُوِىَ أن عَلِيًّا كان يعاقب بها: القتل ثم الحرق بالنار!

330 . الخلافة "الراشدة" استمرت أقل مِن 40 سنة فقط! يعني: أقل مِن 0.03% مِن عُمْر الإسلام!

331 . |شاكر-نساء|:90. |شاكر-نساء|:91.

332 . |بارى|:37/13؛ |بارى-طيبة|:482/16.

333 . |جنة|:221-222. مع العلم بأن سعد بن أبي وقاص قد اشترك فى حروب دموية أخرى لكن ضد غير المسلمين (معركة القادسية مثلاً). ويُعتقَد أن سعد بن أبي وقاص هو "أول مَن أسال دماً للأعداء فى الإسلام" (|جنة|:224-225)! وكان ذلك فى مكة؛ يعنى: قبل كل آيات القتال المدنية التى ربما اشترك سعدٌ فى صياغتها.

334 . |هشام|:323/1؛ |بنت-شاطئ|:242، 297-298، 312-317؛ |رفاعى|:100، 110-111، 114؛ |لاشين|:151-153، 180-181.

335 . |طيب-سير|:222-223؛ |كثير-ك|:479/4؛ |كثير-تركى|:420/6؛ |باشا-صحابة|:28/2.

336 . |إصابة|:17/4-18؛ |إصابة-ع|:457/2-458.

337 . |طبقات|:94/3-95. انظر أيضاً |جنة|:197.

338 . تفاصيل عملية تدمير بنى قريظة (مسلم 1768-1769؛ |م|:1388/3-1391) (البخارى 3895-3896؛ |خ|:1511/4-1512). انظر أيضاً |شاكر-نساء|:202-203.

339 . |جنة|:198. ونجد هذه القصة مذكورة باختصار فى (عبد الرزاق 9646-9647؛ |صنعاني|:289/5-290)؛ (عبد الرزاق 20429؛ |صنعاني|:241/11)؛ |إصابة|:20/4؛ |إصابة-ع|:459/2؛ |نبلاء|:41/1-42؛ |أولياء|:89/1؛ |استيعاب|:511/2-512؛ |استيعاب-م|:271؛ |أسدغابة|:210/2.

340. https://www.youtube.com/watch?v=qSHzZbiFi28

341 . (البخارى 2691-2692؛ إخ|:1046/3-1047) (مسلم 2415؛ إم|:1879/4).

342 . (البخارى 3776؛ إخ|:1468/4-1469).

343 . إجنة|:199-201.

344 . عبد الله بن الزبير بن العوام (حفيد أبي بكر): قتله مسلمون! الحُسين (حفيد محمد): قتله مسلمون! عثمان بن عفان (زوج ابنتيّ محمد): قتله مسلمون! عليّ بن أبي طالب (ابن عم محمد وزوج ابنته): قتله مسلمون!

345 . إصابة|:19/6-؛ إصابة-ع|:10/4-؛ إستيعاب|:868/3-؛ إستيعاب-م|:426-؛ إأسدغابة|:552/2-؛ إأسدغابة-ع|:176/3-؛ إطبقات|:45/5-؛ إأصبهانى|:1589/3.

346 . إهشام|:400/2؛ إهشام-مختصر|:135/2. (المستدرك 43/3-؛ قال الحاكم "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي إحاكم|:46/3-).

347 . يقصدون ما زعمه محمدٌ بقوله: "إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ" (سبأ 9).

348 . إج|:259-260. انظر أيضاً إب|:277-280؛ إعراقى|:542/1-543 وتفاسير وأسباب نزول (الإسراء 90-93).

349 . إجنة-رجال|:183.

350 . إصابة|:190/6-193؛ إصابة-ع|:102/4-104؛ إأسدغابة|:613/2-614؛ إل-شاكر|:117/17-118؛ إل|:196/39؛ إو|:126/3/2؛ إو|:216/4/3-218؛ |EQ|:32/3؛ إجنة-رجال|:176-198؛ إبسيط-صلب|:12.

351 . إذهبي|:61.

352 . (البخارى 3151؛ إخ|:1211/3).

353 . لمزيد من الأمثلة الأخرى عن أخطاء القرآن والسنة في علم الأجنة، شاهد (سؤال جريء 508):
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6628&cat=24&scat=40&

354 . (البخارى 3601؛ إخ|:1387/3؛ إبارى|:161/7-162؛ إبارى-طيبة|:513/8-515). وأخرجه مسلم متضمناً تبشير عبد الله بن سلام بالجنة بدون ذكر سبب نزول (الأحقاف 10) (مسلم 2483؛ إم|:1930/4).

355 . انظر تفاسير وأسباب نزول (الأحقاف 10) و إإتقان|:28/1؛ إبرهان|:202/1.

356 . إستيعاب|:923/3؛ إستيعاب-م|:460. انظر أيضاً إجنة-رجال|:178.

357 . إواقدى|:372/1. انظر أيضاً إحلبية-م|:547/2؛ إحلبية-ع|:359/2؛ إجنة-رجال|:186-187.

358 . إج|:51. انظر أيضاً إجنة-رجال|:184.

359 . الفترة بين اليهودية والمسيحية (intertestamental period) + الفترة بين المسيحية والإسلام = أكثر مِن ألف سنة.

360 . إصابة|:9/2؛ إصابة-ع|:488/1. انظر أيضاً إأصبهانى|:448/1.

361 . إمزى|:327/4. انظر أيضاً إو|:185/10/3.

362 . إم-نووى|:107/18. انظر أيضاً إشحاته|:1601/5.

363 . |JSAI|:85/22؛ |QHC-ar|:149؛ |QHC|:92.

364 . (مسلم 2942؛ إم|:2261/4-2265؛ إم-نووى|:104/18-111؛ إعياض|:502/8).

365. البوصلة - أساطير الأولين 19 مايو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=f6ZHXIjjQEI

366 . لمزيد من التفاصيل وأرقام الأحاديث وحُكمها والرد على مَن ينكرون صحة هذا الحديث، انظر إو|:180/10/3-188.

367 . إم-نووى|:104/18. ولعله يقصد: "عبد الله بن عمرو بن العاص" (إم|:2261/4)، وهو واحد مِن الصحابة المشهورين (أو: المتهمين) بنقل الإسرائيليات عن أهل الكتاب.

368 . إذهبي|:105. وكالعادة، توجد آراء أخرى في معنى "الدابة" (النمل 82). قيل إنها إنسان عادي! وقيل إِنَّهَا الْجَسَّاسَة لكن عَلَى خِلْقَة الْآدَمِيِّينَ! وقيل إنها حيوان بخلاف ما نعرفه، يختص خروجها بحين القيامة (إو|:127/7/1)! وهكذا، كل

أسطورة في القرآن تؤدي إلى أساطير أكثر وأكبر في التفاسير. وكالعادة أيضاً قيل: الله أعلم بوصفها. وقيل إن خروجها "من الغيبيات التي لا يُحْتكم فيها إلى العقل، وإنما يُحْتكم إلى النقل الذي يشمل القرآن الكريم والسنة الصحيحة" (|و|:127/7/1)!

369 . مثلاً: أسطورة "دوران الشمس حول الأرض" رُويَت آلاف المرات عبر مئات السنين.

370 . |GR-AQ|:593؛ |Kaskas|:266؛ |Aldeeb|:160. انظر أيضاً |Masson|:901.

371 . |و|:187/10/3.

372 . |مقاتل|:487/2. انظر أيضاً |QHC-ar|:145؛ |QHC|:90؛ |EQ|:513/2. اقرأ أيضاً (الأنعام 105) و (الدخان 14).

373 . |QHC-ar|:163؛ |QHC|:102. انظر أيضاً |KHO-GP|:155، 158، 169.

374 . |ثعلبى|:43/6-44. انظر أيضاً |ماوردى|:215/3؛ |QHC-ar|:146؛ |QHC|:90؛ |EQ|:513/2؛ |KHO-GP|:154-155، 157. وشاهد (الدين والتاريخ 21) http://www.islameyat.com/post_details.php?id=4006&cat=24&scat=183&

375 . |واحدى|:84/3. انظر أيضاً |KHO-GP|:155.

376. “Il ne nous semble pas que l'on puisse arriver à des résultats définitifs sur la «confession» de ces esclaves” (|JSAI|:22\114).

377 . |شعراوى-عجز|:107-108؛ |شعراوى-حيو|:224.

378 . |دلائل|:143/2-144. انظر أيضاً |KHO-GP|:157.

379 . |بارى|:591/8؛ |بارى-طيبة|:111/11.

380 . |إصابة|:118/7؛ |إصابة-ع|:386/4.

381 . |AOB-Subsidia|:188/3-190.

382 . لمزيد من التفاصيل، انظر |JSAI|:99/22-104، 116-117؛ |Wild|:19.

383 . |QHC-ar|:147؛ |QHC|:91.

384 . |QHC-ar|:147، 165؛ |QHC|:91، 103.

385 . |مقاتل|:226/3-227. انظر أيضاً |QHC-ar|:146؛ |QHC|:90؛ |EQ|:517/2؛ |AOB-Subsidia|:191/3-192؛ |Wild|:23-24.

386 . وانظر أيضاً |JSAI|:84/22-126.

387 . |كثير-ك|:381/3؛ |كثير-تركى|:338/4؛ |كثير-سير|:573/2؛ |كثير-صفوة|:77/2.

388 . |هشام|:419/1-421؛ |روض|:33/4-36؛ |هشام-مختصر|:257/1-259؛ |هشام-تهذيب|:80-81. ونقل كثير من الكُتَّاب المسلمين عن ابن هشام. مثل: |شعراوى|:6215/10-6216؛ |شعراوى-عجز|:107-108؛ |شعراوى-حيو|:224؛ |كثير-سير|:573/2-575؛ |كثير-صفوة|:76/2-78؛ |صالحى|:577/2-578؛ |شهبة-سير|:401-403؛ |بوطى|:100.

389 . |EQ|:514/2.

390 . لأمثلة أخرى، انظر |QHC-ar|:148-150؛ |QHC|:92-93؛ |AOB-Subsidia|:196/3-197؛ |KHO-GP|:156، 160. وراجع ما قلناه عن تميم الدارى وحديث الجَسَّاسة.

391 . |JSAI|:104/22-106، 114.

392 . |واقدى|:865/2-866. انظر أيضاً |EQ|:514/2؛ |JSAI|:110/22.

393 . |مقاتل|:489/2؛ |مقاتل|:492/2. انظر أيضاً |JSAI|:93/22-94 وتفاسير (النحل 106، 119).

394 . |طبرى|:405/9-406؛ |طبرى-شاكر|:534/11. انظر أيضاً |JSAI|:96/22 وتفاسير (الأنعام 93).

395 . |إصابة|:154/2؛ |إصابة-ع|:562/1.

396. “Il ne nous semble pas que l'on puisse arriver à des résultats définitifs sur la «confession» de ces esclaves” (|JSAI|:22\114).

397 . لأمثلة أخرى، انظر |QHC-ar|:148-150؛ |QHC|:92-93؛ |AOB-Subsidia|:3/196-197؛ |KHO-GP|:156، 160. وراجع ما قلناه عن تميم الدارى وحديث الجَسَّاسة.

398 . |إصابة|:11/453-454؛ |إصابة-ع|:6/541-542.

399 . |ماوردى|:3/214. انظر أيضاً |JSAI|:22/109-110.

400 . [ق ي ن] فى لسان العرب والقاموس المحيط. انظر أيضاً |JSAI|:22/119؛ |Wild|:21، 23.

401 . |طبرى|:14/367؛ |واحدى|:3/84-85. انظر أيضاً |KHO-GP|:155.

402 . انظر |JSAI|:22/109-113؛ |KHO-GP|:157-158، وتفاسير وأسباب نزول الآيات القرآنية التى ذكرناها، والمراجع المتعلقة بالصحابة والمعاصرين لمحمد.

403 . |ج|:120. انظر أيضاً |و|:3/4/217-218؛ |ب|:88؛ |جنة-رجال|:183.

404 . |استيعاب|:1/79، 96-97، 211؛ |استيعاب-م|:78، 84-85، 133؛ |أسدغابة|:1/82، 107، 276؛ |إصابة|:1/108-109، 1/167، 2/70؛ |إصابة-ع|:1/206، 1/232، 1/519.

405 . |استيعاب|:2/553؛ |استيعاب-م|:289؛ |أسدغابة|:2/245-246؛ |أسدغابة-ع|:2/360-361؛ |إصابة|:4/92-93؛ |إصابة-ع|:2/501-502.

406 . |وفا|:2/86؛ |جنة|:67. (المعجم الكبير 5147؛ |طبرانى-كبير|:5/222-223). (المستدرك 3/604-605؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو من غرر الحديث" وقال الذهبى "ما أنكره وأركه" |حاكم|:3/700-701).

407 . |إصابة|:9/342-؛ |إصابة-ع|:5/481-؛ |أسدغابة|:3/537؛ |أسدغابة-ع|:4/460-؛ |نبلاء|:3/489-؛ |أولياء|:5/364-؛ |أصبهانى|:5/2386؛ |دمشق|:50/151-.

408 . مثل: عبد الله بن سَلَام (يهودي الأصل)؛ تميم الداري (مسيحي الأصل)؛ أبو هريرة (أكثر الصحابة حديثاً!)؛ ابن عباس (حَبْر الأمة وترجمان القرآن! وواحد مِن الصحابة السبعة المكثرين!)؛ عبد الله بن عمرو بن العاص (قرأ التوراة والإنجيل وتَعلَّم اللغة السريانية؛ وقيل إنه أحضر إسرائيلياته مِن الشام!).

409 . مثل: كعب الأحبار (يهودي الأصل)؛ وهب بن مُنَبِّه (قيل: فارسي الأصل؛ وقيل: يهودي الأصل. واتفقوا على أنه مِن اليمن).

410 . مثل: محمد بن السائب الكلبي (قيل إنه مِن أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي)؛ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (مسيحي الأصل)؛ مقاتل بن سليمان (ت 150هـ) (قيل إنه صاحب أقدم تفسير كامل للقرآن وصل إلينا! وقيل إن هذا التفسير المنسوب إليه هو مِن عمل بعض المتأخرين عن عصره!)؛ محمد بن مروان السُّديّ الصغير (تلميذ محمد بن السائب الكلبي).

411 . إن احتمال وجود نسخة أصلية كاملة للقرآن يشبه احتمال وجود نسخة أصلية كاملة لأسطورة إيزيس وأوزيريس. وهذا الاحتمال يكاد يكون صفر.

412 . كما اشترك بنفسه في إدخال الإسرائيليات إلى السُّنَّة "الصحيحة" (مثلاً: قصة الجساسة، صوم عاشوراء ... الخ).

413 . |نبلاء|:3/489-490.

414 . (البخارى 6928؛ |خ|:6/2679). انظر أيضاً |شهبة|:99؛ |دمشق|:50/168-؛ |ذهبي|:116-119.

415 . |ربيع|:46. انظر أيضاً (مسلم 1666؛ |م|:3/1285)؛ |شهبة|:98-99؛ |ذهبي|:108-109.

416 . |شهبة|:94. لمزيد من المعلومات عن وهب بن مُنَبِّه، انظر |و|:2/3/126؛ |عافية|:1/280-281؛ |بسيط-صلب|:12.

417 . |إصابة|:9/344؛ |إصابة-ع|:5/482. انظر أيضاً |دمشق|:50/158-162، 164؛ |أولياء|:5/384-.

418. “This [i.e. the long verse 7:157] is an addition that testifies to the process of legitimation by means of the prophetic cycle” (|MS|:45).

419 . |عافية|:1/279-280.

420 . |حجازى|:1/15. تقديم: د. أحمد الطيب (شيخ الأزهر الشريف ورئيس مجلس حكماء المسلمين).

421 . |ذهبي|:60، 64.

422 . |ربيع|:49-50.

423 . |ربيع|:50.

424 . |ربيع|:50.

425 . (مسلم 1699؛ |م|:1326/3-1327) (البخارى 7104؛ |خ|:2742/6-2743).

426 . (البخارى 4280؛ |خ|:1660/4). انظر أيضاً |ذهبي|:54-55.

427 . |طبرى|:293/5-294؛ |طبرى-شاكر|:288/6-289؛ |درمنثور|:494/3.

428 . |جنة|:72-73. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (البقرة 97-98).

429 . (البخارى 4215؛ |خ|:1630/4-1631) (البخارى 6928؛ |خ|:2679/6). وانظر تفاسير (البقرة 136)، مثل: |كثير-شنقيطى|:167؛ |واحدى|:219/1. واقرأ أيضاً تفاسير الآيات الأخرى المشابهة، مثل: (آل عمران 84) و (العنكبوت 46).

430 . (الدارمى 435؛ "رواه أحمد وابن حبان والنسائى وسنده صحيح" |دم|:126/1؛ "إسناده ضعيف [...] ولكن الحديث حسن" |دم-أسد|:403/1-404). انظر أيضاً |ربيع|:51-52.

431 . (أحمد 387/3؛ "إسناده حسن" |ل-شاكر|:85/12-86؛ "إسناده ضعيف" |ل|:349/23-350). "حديث حسن بشواهده" (|نبلاء|:86/3 مِن كلام المحققين). "قال ابنُ حجر – بعد ما ساق طرق الحديث: "وهذه جميع طرق الحديث، وهي وإنْ لم يكن فيها ما يُحْتَج به لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً"" (|ذهبي|:58).

432 . |إصابة|:51/13-52؛ |إصابة-ع|:358/7؛ |دمشق|:343/67؛ |ذهبي|:85.

433 . |سوريال|:11. انظر "العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندرية"، ترجمة وإعداد: رهبان دير القديس أنبا مقار، الطبعة الأولى 1994، دار مجلة مرقس، ص 74. وأيضاً: القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، "مخطوطات العهد الجديد والنص الأصلى لكلمة الله الموحى بها"، مطبعة بيت مدارس الأحد، الطبعة الأولى 2013، ص 187-191.

434 . |QHC-ar|:117؛ |QHC|:70.

435 . |Witztum|:38.

436 . |المسيح|:242.

437 . |المسيح|:178.

438 . د. طه حسين، "في الشعر الجاهلي"، طبعة 1926، ص 85-86. النص الأصلي الذي صودر عند نشره أول مرة. لاحظ: اليهود ... والنصارى ... والعرب. ونحن نقول "تطور بشري طبيعي" (natural human development): التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي **[← القرآن كلام العرب]**.

439 . |بكر-رجال|:259-262؛ |إصابة|:293/5-298؛ |إصابة-ع|:364/3-366؛ |استيعاب|:726/2-733؛ |استيعاب-م|:368-371؛ |أسدغابة|:461/2-463؛ |أسدغابة-ع|:38/3-41؛ |دمشق|:209/24-245؛ |جنة-رجال|:449-464؛ |مفصل|:605/6.

440 . قال قومُ شُعَيْب له: "وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ" (هود 91).

441 . انظر تفاسير وأسباب نزول (البقرة 207)؛ |ج|:84-85؛ |ب|:43.

442 . نحن نشك في جذور صُهيب العربية ("النَّمِر بن قاسط") لأنه إنما زعم ذلك رداً على عمر الذي قال له: "أراك تنتسب عربياً ولسانك أعجمي". وفي جميع الأحوال، لم يكن صُهيب مِن شبه الجزيرة العربية، فهو إذن غريب، إنْ لم يكن أجنبياً.

443 . (مسلم 2504؛ |م|:1947/4). انظر أيضاً |جنة-رجال|:461؛ |نبلاء|:540/1.

444 . |نبلاء|:182/4-183؛ |استيعاب|:728/2؛ |استيعاب-م|:369. انظر أيضاً معجم البلدان.

445 . |إصابة|:96/1-97؛ |إصابة-ع|:199/1؛ |أنساب|:178/1.

446 . |حلبية-م|:238/3؛ |حلبية-ع|:167/3. انظر أيضاً |درر|:243؛ |واقدى|:931/3؛ "الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة السابعة، 2012، ص 363.

447 . (أبو داود 3875؛ |د|:7/4-8؛ وقال الألبانى "ضعيف" |د-ألبانى|:695-696). وكالعادة، توجد روايات أخرى لهذه القصة (|أسدغابة|:391/1-392؛ |أسدغابة-ع|:633/1-634؛ |إصابة|:388/2-389؛ |إصابة-ع|:687/1).

448 . |مفصل|:383-381/8.

449 . (مسلم 2546؛ |م|:1973-1972/4) (البخاري 4615؛ |خ|:1858/4). وتوجد رواية أخرى مشابهة، لكن الآية التي قرأها محمدٌ هي "وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ [اللهُ] قَوْمًا غَيْرَكُمْ" (محمد 38) (|نبلاء|:542-541/1).

450 . |شعراوي|:11215/18. انظر أيضاً |EQ|:32/3.

451 . |بكر-رجال|:296-291؛ |إصابة|:405-402/4؛ |إصابة-ع|:120-118/3؛ |استيعاب|:638-634/2؛ |استيعاب-م|:330-328؛ |أسدغابة|:352-347/2؛ |أسدغابة-ع|:515-510/2؛ |نبلاء|:558-505/1.

452 . تُستخدَم "المجوسية" في الكتب والمواقع العربية على أنها مرادفة لـ "الزرادشتية" (Zoroastrianism). وكالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن المجوسية تطورت مِن الزرادشتية: "فالزرادشتية في منشئها الأول كانت توحيدية، ثم تحولت بعد "زرادشت" (Zoroaster) لاحقاً إلى مجوسية ثنائية (أي: تؤمن بإلهين، إله للخير وإله للشَّرّ)" (|قاهرة|:462/42).

453 . |بكر-رجال|:291، 295. انظر أيضاً |استيعاب|:637-636/2؛ |استيعاب-م|:329؛ |أسدغابة|:350/2؛ |أسدغابة-ع|:514/2؛ |نبلاء|:541/1، 543.

454 . (أحمد 444-441/5؛ "إسناده صحيح، فيه ثلاثة من الصحابة ورواية مشاهير ثقات" |ل-شاكر|:100-95/17؛ "إسناده حسن" |ل|:148-140/39) (البزار 2500؛ |بزار|:468-462/6).

455 . (البخاري 3731؛ |خ|:1435/3). انظر أيضاً |إصابة|:402/4؛ |إصابة-ع|:119/3.

456 . تقع نصيبين (Nisibis) في شمال بلاد ما بين النهرين، وهي حالياً تابعة لتركيا وتقع على الحدود التركية السورية بالقرب مِن العراق. انظر الخريطة في |Trimingham|:174. وكانت نصيبين آنذاك تحت سيطرة الفرس.

457 . تقع عَمُّورِيَّةَ (Amorium) في تركيا حالياً. وكانت آنذاك تحت سيطرة الروم (|بزار|:465/6؛ |بكر-رجال|:292؛ |نبلاء|:509/1).

458 . لمزيد من المعلومات عن مدرسة نصيبين وتأثيرها على المسيحية الشرقية، انظر |MacCulloch|:246؛ |سوريال|:244-243؛ |Trimingham|:162، 190؛ |Winkler|:19-21، 26-28؛ |نسطورية|:12-16؛ |غريغوريوس|:197-196/1؛ |EB|؛ |KHO-GP|:370-371.

459 . سنناقش قصة أصحاب الكهف (الكهف 9-26) وجذورها المسيحية السريانية في فصل مستقل. انظر |QHC|:120-؛ |QHC-ar|:188-.

460 . الحَرَّة: أرض ذات حجارة سوداء كأنها أحرقت (|بكر-رجال|:293).

461 . (البخاري 3730؛ |خ|:1435/3). و |إصابة|:403/4؛ |إصابة-ع|:119/3؛ |نبلاء|:538/1.

462 . (البخاري 1867؛ |خ|:695-694/2). و |استيعاب|:638-637/2؛ |استيعاب-م|:330-329؛ |نبلاء|:542/1.

463 . (الترمذي 3804؛ |ت|:488/5؛ "صحيح" |ت-ألباني|:859، |ت-صحيح|:550/3). |نبلاء|:544/1؛ |و|:218/4/3.

464 . |ب|:16-17. انظر أيضاً |ج|:11-12؛ |نبلاء|:525/1.

465 . |استيعاب|:636/2؛ |استيعاب-م|:329؛ |أسدغابة|:350/2؛ |أسدغابة-ع|:514/2.

466 . (الترمذي 3718؛ "حَسَنٌ" |ت|:454-453/5؛ "حَسَنٌ غَرِيبٌ" وقال الألباني: "ضعيف" |ت-ألباني|:843) (ابن ماجه 149؛ |هـ|:91/1؛ "ضعيف" |هـ-ألباني|:41-42؛ "إسناده ضعيف" |هـ-أرنؤوط|:104/1) (أحمد 351/5؛ "إسناده ضعيف" |ل|:68-67/38؛ "إسناده حسن" |ل-شاكر|:484/16). "سندُه حسنٌ" (|إصابة|:309/10؛ |إصابة-ع|:161/6). انظر أيضاً |نبلاء|:540/1؛ |بكر-رجال|:288؛ |باشا-صحابة|:413/2.

467 . (الترمذي 3785؛ "حَسَنٌ غَرِيبٌ" |ت|:478/5؛ وقال الألباني: "ضعيف" |ت-ألباني|:855) (أحمد 148/1؛ "إسناده ضعيف" |ل|:414/2؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:125-124/2). انظر أيضاً |أسدغابة|:185/4؛ |أسدغابة-ع|:243/5.

468 . |بكر-رجال|:130. انظر أيضاً |أسدغابة|:350/2؛ |أسدغابة-ع|:513/2؛ |نبلاء|:541/1.

469 . فإذا كان محمد قد استطاع أن يُجنِّد هؤلاء الأجانب والغرباء في حربه ضد العرب في القرن السابع الميلادي، فلا نتعجب مِن قدرة تنظيم داعش على تجنيد أجانب وغرباء في حربه ضد العرب في القرن الواحد والعشرين الميلادي.

470 . قيل إنه تزوج امرأة مِن كِنْدَة، وهي قبيلة عربية. ونحن نشك فيما قيل عن ابنته بأصبهان وابنتيه بمصر!

471 . يُروَى أنه قيل لسلمان: "هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ (أي: الشام)". فقال: "إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا، وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ" (مالك |ط|:769/2). رد يستحق التأمل، وبخاصة في الصراع الديني على "الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ" حالياً.

472 . |نبلاء|:170-167/1؛ |بكر-رجال|:235-238؛ |إصابة|:193-188/4؛ |إصابة-ع|:13-11/3؛ |استيعاب|:569-567/2؛ |استيعاب-م|:297-298؛ |أسدغابة|:262-260/2؛ |أسدغابة-ع|:384-382/2.

473 . |إصابة|:227-226/13؛ |إصابة-ع|:60/8؛ |استيعاب|:1799/4؛ |استيعاب-م|:866؛ |أسدغابة|:235/5؛ |أسدغابة-ع|:46/7.

474 . هو خال معاوية بن أبي سفيان. |نبلاء|:167-164/1؛ |بكر-رجال|:241-242؛ |إصابة|:150-149/12؛ |إصابة-ع|:74/7؛ |استيعاب|:1632-1631/4؛ |استيعاب-م|:785؛ |أسدغابة|:417-416/4؛ |أسدغابة-ع|:69-68/6.

475 . |إصابة|:501-499/13؛ |إصابة-ع|:193/8؛ |استيعاب|:1866-1865/4؛ |استيعاب-م|:896-897؛ |أسدغابة|:317-316/5؛ |أسدغابة-ع|:155-154/7.

476 . (البخارى 6754؛ |خ|:2625/6).

477 . "لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ الْعُصْبَةَ مَوْضِعٌ بِقُبَاءٍ قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَؤُمُّهُمْ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ وَكَانَ أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا" (البخارى 660؛ |خ|:246/1).

478 . (البخارى 3595، 3597؛ |خ|:1385/3) (مسلم 2464؛ |م|:1914-1913/4).

479 . |بكر-رجال|:236.

480 . (ابن ماجه 1338؛ |هـ|:504/1؛ "صحيح" |هـ-ألباني|:237؛ |هـ-صحيح|:398/1؛ "حسن" |هـ-أرنؤوط|:363/2). |بكر-رجال|:236. (أحمد 165/6؛ "إسناده صحيح" وصححه الحاكم ووافقه الذهبي |ل-شاكر|:569-568/17؛ "حسن لغيره" |ل|:197-196/42). "إسناده جيد"؛ "رجاله ثقات، وإسناده صحيح" (|نبلاء|:168/1).

481 . (البخارى 4084؛ |خ|:1577/4) (البخارى 6766؛ |خ|:2628/6)؛ |خ|:2335/5؛ |بكر-رجال|:236-237.

482 . (مسلم 1453-1454؛ |م|:1078-1076/2) (البخارى 3778؛ |خ|:1469/4) (البخارى 4800؛ |خ|:1957/5) (أبو داود 2061؛ |د|:223/2؛ "صحيح" |د-ألباني|:357-358؛ |د-صحيح|:578-577/1) (مالك |ط|:606-605/2).

483 . |و|:41/12/3، 43.

484 . انظر مثلاً |و|:117-116/19/1، 121-124؛ |و|:50-41/12/3.

485 . |باري|:53/9؛ |باري-طيبة|:388/11.

486 . (الترمذى 1152؛ |ت|:299/3؛ وقال الألبانى "صحيح" |ت-ألباني|:274؛ |ت-صحيح|:590-589/1).

487 . |لاشين|:104 ؛ |بنت-شاطئ|:252.

488 . |و|:42/12/3، 46-50.

489 . (البخارى 2504؛ |خ|:936/2) (مسلم 1455؛ |م|:1079-1078/2).

490 . |باري|:52/9؛ |باري-طيبة|:387/11.

491 . (البخارى 5432؛ [كتاب: الطب، باب: هل يُستَخرَج السحر] |خ|:2176-2175/5؛ |باري|:243/10) (البخارى 5433؛ [كتاب: الطب، باب:السحر] |خ|:2176/5؛ |باري|:247-246/10) (مسلم 2189؛ |م|:1720-1719/4؛ |م-نووي|:255-250/14). انظر أيضاً |ب|:539-541؛ |ج|:547-548؛ |و|:169/3/2.

492 . |باشا-صحابة|:458-451/1؛ |إصابة|:566-563/8؛ |إصابة-ع|:291-290/5؛ |استيعاب|:1266-1264/3؛ |استيعاب-م|:603-604؛ |أسدغابة|:464-463/3؛ |أسدغابة-ع|:354-353/4.

493 . اسمه أيضاً "شِيرَوَيْه" (Shiroi) (Shiruye) (|MacCulloch|:252؛ |Winkler|:40).

494 . |باشا-صحابة|:41/1. "أطلس السيرة النبوية" للدكتور شوقي أبو خليل. دمشق: دار الفكر؛ بيروت: دار الفكر المعاصر. الطبعة الحادية عشرة، 2016. ص 151.

495 . وكما باع باذانُ اليمنَ مِن أسياده الفرس إلى العرب قبل وفاة محمد بسنوات قليلة، كذلك باع المقوقسُ مصرَ مِن أسياده الروم إلى العرب بعد وفاة محمد بسنوات قليلة!

496 . (أبو داود 3710؛ |د|:334/3؛ "حسن صحيح" |د-ألبانى|:667-668؛ |د-صحيح|:426/2).

497 . |باشا-صحابة|:453/1. انظر أيضاً |كثير-ك|:14/7-؛ |كثير-تركى|:430/9-؛ |نار|:121-.

498 . |FV|:13. انظر أيضاً |QHC|:206، 213-214؛ |QHC-ar|:306، 317-318.

499 . |بكر-نساء|:449-454؛ |شاهين-صحابيات|:126-131؛ |إصابة|:291/14-297؛ |إصابة-ع|:358/8-362؛ |استيعاب|:1793/4-1795؛ |استيعاب-م|:863-864؛ |أسدغابة|:424/5؛ |أسدغابة-ع|:290/7-291؛ |نبلاء|:223/2-227؛ |نساء|:235-237؛ |نشرتى-صحابيات|:168-172.

500 . (البخارى 2487؛ |خ|:926/2-927) (البخارى 2960؛ |خ|:1137/3) (البخارى 3806؛ |خ|:1478/4) (البخارى 3894؛ |خ|:1510/4-1511) (مسلم 1771؛ |م|:1391/3-1393).

501 . |شاهين-صحابيات|:128.

502 . (مسلم 1771؛ |م|:1392/3).

503 . |صالحى|:164/2؛ |شاهين-صحابيات|:131.

504 . |بكر-رجال|:245-250؛ |إصابة|:605/1-607؛ |إصابة-ع|:455/1-456؛ |استيعاب|:178/1-182؛ |استيعاب-م|:120-121؛ |أسدغابة|:237/1-240؛ |أسدغابة-ع|:415/1-418؛ |نبلاء|:347/1-360؛ |جمعة-نار|:46-.

505 . قال قومُ شُعَيْب له: "وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ" (هود 91).

506 . (أبو داود 499؛ |د|:135/1-136؛ "حسن صحيح" |د-ألبانى|:92، |د-صحيح|:146/1-147) (ابن ماجه 706؛ |هـ|:289/1-290؛ "حسن" |هـ-ألبانى|:135-136، |هـ-صحيح|:219/1-220؛ "إسناده حسن" |هـ-أرنؤوط|:451/1-452) (الترمذى 189؛ "حسن صحيح" |ت|:366/1-369؛ "حسن" |ت-ألبانى|:57، |ت-صحيح|:123/1-124) (الدارمى 1187؛ |دم|:286/1-287؛ "إسناده ضعيف، ولكن الحديث صحيح" |دم-أسد|:758/2-760).

507 . الفلاح "هو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد" (|دم|:286/1).

508 . (أحمد 42/4-43؛ "حديث حسن" دون هذه الزيادة التي "لم يخرجها أحد" |ل|:399/26-402؛ "إسناده منقطع" |ل-شاكر|:28/13-29).

509. خير سلف - 17 رمضان - 12 يونيو 2017, https://www.youtube.com/watch?v=v-ck2CnOvRQ

510 . أخذ الإسلامُ مبدأ الشورى من المسيحية المبكرة، قبل الانشقاقات التي مزقت جسد الكنيسة الأولى. "وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا (أي: المسيحيون الأوائل) كَانُوا مَعًا، وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا" (أعمال الرسل 2:44). انظر أيضاً |عصر|:19-21.

511 . (البخارى 1790؛ |خ|:667/2).

512 . (البخارى 3753؛ |خ|:1460/4).

513 . |هشام|:631/1-؛ |هشام-مختصر|:391/1-. وانظر |دلائل|:90/3-؛ |كفورى|:198-؛ |جمعة-نار|:63-؛ |نار|:255-.

514 . (البخارى 2179؛ |خ|:807/2-808؛ |بارى|:560/4-).

515 . (البخارى 1098؛ |خ|:386/1) (مسلم 2458؛ |م|:1910/4).

516 . (البخارى 3544؛ |خ|:1371/3).

517 . (أحمد 12/6؛ "مرسل صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين" |ل|:315/39-317؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:160/17) (أحمد 15/6؛ "مرسل صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين" |ل|:343/39؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:169/17).

518 . |بكر-رجال|:248.

519 . |إصابة|:320/11؛ |إصابة-ع|:470/6؛ |استيعاب|:1564/4-1566؛ |استيعاب-م|:749-750؛ |أسدغابة|:307/4-309؛ |أسدغابة-ع|:409/5-410؛ |باشا-صحابة|:329/1-336.

520 . |بكر-رجال|:299-306؛ |إصابة|:620/2-622؛ |إصابة-ع|:105/2-107؛ |استيعاب|:369/1-375؛ |استيعاب-م|:202-205؛ |أسدغابة|:50/2-54؛ |أسدغابة-ع|:67/2-71؛ |نبلاء|:171/1-184.

521 . فنجد بالإضافة إلى السباب والضرب وسفك الدماء أفعالاً بشعة أخرى مثل إجبار رجلٍ على ارتداء قميص نوم حريمي!

522 . |طيب-سير|:143. انظر أيضاً |كفورى|:177.

523 . (البخارى 3844؛ |خ|:1494/4-1496).

524 . |كثير-ك|:181/4؛ |كثير-تركى|:355/5؛ |استيعاب|:1922/4-1923؛ |استيعاب-م|:923.

525 . (الترمذى 3129؛ |ت|:144/5؛ وقال الألبانى "حسن صحيح الإسناد" |ت-ألبانى|:703؛ |ت-صحيح|:265/3-266) (أحمد 135/5؛ "إسناده حسن" |ل|:152/35-153؛ "إسناده حسن" |ل-شاكر|:454/15-455) (أحمد 135/5؛ "إسناده حسن" |ل|:153/35-154؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:455/15) (المستدرك 358/2-359؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:391/2).

526 . |بكر-رجال|:304-305. انظر أيضاً |كثير-ك|:214/4؛ |كثير-تركى|:424/5-425.

527 . |ب|:260-268؛ |درمنثور|:134/9-136؛ |ج|:281؛ |ج-البغا|:363؛ |ج-وطن|:281؛ |ج-صاوى|:442/2. (المستدرك 197/3؛ لكن قال الذهبي: "صالح [المري] (أحد رجال السند) واهٍ" |حاكم|:218/3).

528 . |ضعيفة|:27/2-29.

529 . |ج|:251؛ |ج-البغا|:363. وانظر تفاسير وأسباب نزول (النحل 126).

530 . |زهرة|:4307/8.

531 . |ج|:377. انظر أيضاً |هيثمى|:100/7-101.

532 . انظر ما ذكره الواحدي النيسابوري في أسباب نزول (الفرقان 68-70) (|ب|:343).

533 . (البخارى 4532؛ |خ|:1811/4-1812) (مسلم 122؛ |م|:113/1). انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (الفرقان 68-70) (الزمر 53).

534 . وكذلك نجد تحريف الوصية الإلهية في مواضع أخرى مِن القرآن: "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ" (الأنعام 151) "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ" (الإسراء 33)!

535 . |الروحى|:209.

536 . |بكر-رجال|:113-118؛ |إصابة|:183/10-185؛ |إصابة-ع|:98/6؛ |استيعاب|:1473/4-1475؛ |استيعاب-م|:703-704؛ |أسدغابة|:134/4-136؛ |أسدغابة-ع|:175/5-177؛ |نبلاء|:145/1-148؛ |باشا-صحابة|:389/2-397.

537 . |هشام|:419/1-؛ |كثير-ك|:385/3-؛ |كثير-تركى|:344/4-؛ |كثير-سير|:579/2-.

538 . |كثير-صفوة|:87/2. انظر أيضاً |كثير-ك|:393/3؛ |كثير-تركى|:359/4؛ |كثير-سير|:588/2.

539 . |كثير-ك|:400/3-؛ |كثير-تركى|:371/4-؛ |كثير-سير|:595/2-؛ |كثير-صفوة|:92/2-.

540 . |كثير-ك|:403/3؛ |كثير-تركى|:376/4؛ |كثير-سير|:598/2؛ |كثير-صفوة|:94/2.

541 . (أحمد 323/5؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن" |ل|:415/37-416؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:411/16-412). انظر أيضاً |هشام|:433/1-434.

542 . (مسلم 1709؛ |م|:1333/3-1334).

543 . (البخارى 3679-3680؛ |خ|:1413/3-1414).

544 . (البخارى 3709-3710؛ |خ|:1428/3) (البخارى 4657؛ |خ|:1886/4).

545 . |بكر-رجال|:115.

546 . (أحمد 460/3-؛ "حديث قوي وهذا إسناد حسن" |ل|:89/25-؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:320/12-).

547 . (أحمد 460/3-؛ "حديث قوي وهذا إسناد حسن" |ل|:89/25-؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:320/12-).

548 . حاول فريقٌ من المسلمين تبرير ذلك، فزعموا أن العباس أسلم سراً في مكة قبل الهجرة وأخفى إسلامَه عن أهل مكة جميعاً! حتى يكون عيناً (أي: جاسوساً) في مكة ويخبر محمداً بمخططات أهل مكة المشركين! زعموا ذلك مع أن القرآن

(النساء 97) يلوم المسلمين الذين قعدوا في مكة ولم يهاجروا إلى المدينة بعد محمد! ولو كان محمدٌ نبياً من عند الله، فهل يحتاج لجاسوسٍ في مكة؟! لماذا لا يخبره الله مباشرة بمخططات أهل مكة المشركين؟!

549 . لو فعل أحدٌ اليوم نفس الفعل، سيُقال عنه خائن وعميل، وسيُحاكَم ويُسجَن، وقد يُعدَم!

550 . |هشام|:446/1.

551 . (البخارى 6774؛ |خ|:2633/6). اقرأ أيضاً (أحمد 316/5؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن" |ل|:373/37-374؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:395/16).

552 . (البخارى 6647؛ |خ|:2588/6-2589). اقرأ أيضاً (مسلم 1834-1840؛ مسلم 1709؛ |م|:1465/3-1471؛ |م-نووى|:308/12-319).

553 . (أحمد 322/3؛ "إسناده صحيح على شرط مسلم" |ل|:347/22-؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:454/11). انظر أيضاً |هشام|:442/1؛ |كثير-صفوة|:103/2.

554 . |بكر-رجال|:520.

555 . |حلبية-م|:175/2؛ |حلبية-ع|:24/2.

556 . سنتحدث عن الصعاليك العرب بقدر أكبر من التفاصيل في وقتٍ لاحق.

557 . (أحمد 460/3-؛ "حديث قوي وهذا إسناد حسن" |ل|:89/25-؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:320/12-). |هشام|:442/1-؛ |كثير-ك|:417/3-؛ |كثير-تركى|:401/4-؛ |كثير-سير|:611/2-؛ |كثير-صفوة|:103/2.

558 . المسلمون الذين اغتالوا "كعبَ بن الأشرف" اليهودي (3هـ) كانوا مِن الأوس. والمسلمون الذين اغتالوا "أبا رافع" اليهودي (5هـ) كانوا مِن الخزرج. وكلتا العمليتان حدثتا بأمر أو إذن مِن محمد المُهاجِر.

559 . "كَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا (أي: زائداً) عَلَى سِتِّينَ، وَالأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ" (البخارى 3739؛ |خ|:1456/4). والنيف مِن واحد إلى ثلاثة. انظر أيضاً |باشا-صحابة|:104/2. وتختلف النسبة اختلافاً بسيطاً بين المراجع.

560 . (مسلم 2490؛ |م|:1935/4-1938؛ |م-نووى|:71/16-75؛ |عياض|:527/7-532).

561 . اختلفت الروايات حول ما فعله مُصعب بأخيه. قيل: قتله يوم أُحُد (|ب|:436). وقيل: قتله يوم بدر (|كثير-شيخ|:468/13). وقيل إن مصعب قال لِمَن أسر أخاه يوم بدر: "شُدَّ يَدَيْك عليه ... فإن أمه ذات ثروة، وهي حَرِيَّةٌ بأن تفتديه بمالٍ كثيرٍ" (|باشا-صحابة|:395/2)! وتوجد مراجع تتجاهل هذا الموضوع وكأنه لم يحدث. انظر تفاسير وأسباب نزول (المجادلة 22).

562 . |بكر-رجال|:464-465. (أبو داود 5224؛ "باب في قُبْلَة الجسد" |د|:356/4-357؛ وقال الألبانى "صحيح الإسناد" |د-ألبانى|:944؛ |د-صحيح|:281/3-282).

563 . |بكر-رجال|:285-288؛ |إصابة|:306/10-309؛ |إصابة-ع|:159/6-161؛ |استيعاب|:1480/4-1482؛ |استيعاب-م|:706-707؛ |أسدغابة|:184/4-186؛ |أسدغابة-ع|:242/5-244؛ |نبلاء|:385/1-389؛ |طبقات|:148/3-150؛ |أصبهانى|:2552/5-2555؛ |خالد|:190/1-198؛ |باشا-صحابة|:409/2-419؛ |فرسان|:301-315.

564 . |طيب-سير|:143. انظر أيضاً |كفورى|:177-178.

565 . (الترمذى 3718؛ "حَسَنٌ" |ت|:453/5-454؛ "حَسَنٌ غَرِيبٌ" وقال الألباني: "ضعيف" |ت-ألبانى|:843) (ابن ماجه 149؛ |هـ|:91/1؛ "ضعيف" |هـ-ألبانى|:41-42؛ "إسناده ضعيف" |هـ-أرنؤوط|:104/1) (أحمد 351/5؛ "إسناده ضعيف" |ل|:67/38-68؛ "إسناده حسن" |ل-شاكر|:484/16). "سندُه حسنٌ" (|إصابة|:309/10؛ |إصابة-ع|:161/6). انظر أيضاً |نبلاء|:540/1؛ |بكر-رجال|:288؛ |باشا-صحابة|:413/2؛ |خالد|:198/1.

566 . (الترمذى 3785؛ "حَسَنٌ غَرِيبٌ" |ت|:478/5؛ وقال الألباني: "ضعيف" |ت-ألبانى|:855) (أحمد 148/1؛ "إسناده ضعيف" |ل|:414/2؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:124/2-125). انظر أيضاً |أسدغابة|:185/4؛ |أسدغابة-ع|:243/5.

567 . (البخارى 3735؛ |خ|:1455/4) (البخارى 4156؛ |خ|:1603/4) (مسلم 2769؛ |م|:2120/4-2121)؛ |نشرتى-صحابة|:107-108.

568. 8 بكل وضوح, https://www.youtube.com/watch?v=8V-IBzwxZqk

569 . |كفورى|:179، 182-186؛ |درر|:105-106، 110-111؛ |طبقات|:9/2-13؛ |حلبية-م|:365/2-377؛ |حلبية-ع|:197/2-207؛ |طيب-سير|:145-146؛ |هشام|:606/1-615؛ |هشام-ت|:249/2-258؛ |كثير-ك|:36/4-48؛ |كثير-تركى|:55/5-74.

570 . |بارى|:336/7؛ |بارى-طيبة|:18/9-19. انظر أيضاً |كثير-ك|:47/4؛ |كثير-تركى|:73/5.

571 . |بكر-رجال|:286.

572 . |طيب-سير|:145؛ |كفورى|:185؛ |هيكل|:216/1؛ |شهبة-سير|:128/2.

573 . |كامل|:17/2. لاحِظ أن محمد هو الذي حرَّض المسلمين على الهجوم على قافلة قريش، وقال لهم: "هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهم، فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا"! وهو أيضاً الذي شَجَّع المسلمين على قتال قريش، وقال لهم: "هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها"!

574 . |أشقر|:177. لكن كالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن "الأكثرية كانت تريد لقاء النفير" (|شهبة-سير|:129/2). ويمكن الجَمْع بين الرأيين بأن يُقال إن فريق النفير كانوا أقلية في بادئ الأمر ثم صاروا أكثرية بعد ذلك.

575 . (أحمد 314/4؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:279/14؛ "حديث صحيح" |ل|:124/31) (البخارى 3736؛ |خ|:1456/4) (البخارى 4333؛ |خ|:1684/4). انظر أيضاً |طبرى|:303/8-304؛ |طبرى-شاكر|:185/10-186؛ |زادمسير|:327/2؛ |واحدى|:174/2؛ |ج-البغا|:141؛ |سعدى|:228؛ |خالدى-أ|:284/3-285؛ |عرائس|:215-216؛ |بدوى|:284/1.

576 . |نبلاء|:388/1؛ |باشا-صحابة|:418/2؛ |طبقات|:150/3؛ |فرسان|:304؛ |دمشق|:144/60-145. انظر أيضاً (المستدرك 349/3؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". حذفه الذهبي مِن التلخيص |حاكم|:392/3-393).

577 . استدل بعض المسلمين بـ (التوبة 41) على أن الجهاد فرض عين وليس فرض كفاية كما قال جمهور الفقهاء!

578 . |جنة|:251؛ |نبلاء|:8/1.

579 . |ج|:436. (المستدرك 264/3-265؛ "وسكت عنه الذهبى" |حاكم|:296/3-297). |جنة|:250-252.

580 . |ب|:435-436. |جنة|:268-269.

581 . مثل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (التوبة 23).

582 . |و-تاريخ|:1179/2-1185؛ |الروحى|:131.

583 . "أباح مسلمٌ [قائد جيش يزيد بن معاوية] المدينة ثلاثة أيام لجيشه يقتل وينهب ويغتصب [النساء]" (|و-تاريخ|:724/1). "قُتِل فيها سبعمائة مِن وجوه الناس مِن المهاجرين والأنصار" (|خ|:1475/4). انظر أيضاً |الروحى|:142؛ البخارى 3800.

584 . |إصابة|:147/3-151؛ |إصابة-ع|:202/2-204؛ |استيعاب|:420/2-424؛ |استيعاب-م|:228-230؛ |أسدغابة|:87/2-88؛ |أسدغابة-ع|:124/2-126؛ |نبلاء|:259/1-260؛ |خالد|:183/3-192؛ |باشا-صحابة|:431/1-440؛ |شاكر-نساء|:173.

585 . |خالد|:189/3.

586. |مفصل|:6\678; |QHC|:94; |QHC-ar|:151; |AOB-Subsidia|:3\187. Ali Mérad, "L'exégèse coranique", Paris: P.U.F, 1998, p. 8. Rachid Benzine, "Le Coran expliqué aux jeunes", Paris: Éditions du Seuil. 2013, p. 70.

587 . |بكر-رجال|:133-136؛ |إصابة|:109/7-111؛ |إصابة-ع|:381/4-382؛ |استيعاب|:1053/3-1056؛ |استيعاب-م|:511-513؛ |أسدغابة|:225/3-228؛ |أسدغابة-ع|:589/3-592؛ |نبلاء|:153/1-160؛ |باشا-صحابة|:309/2-319؛ |خالد|:143/2-155.

588 . |خالد|:147/2.

589 . |جنة|:225. انظر أيضاً |بكر-رجال|:134-135.

590 . ولقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن محمداً قال: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ" (البخارى 3628؛ |خ|:1395/3) (البخارى 5795؛ |خ|:2276/5-2277) (البخارى 6124؛ |خ|:2380/5) (مسلم 2256؛ |م|:1768/4-1769). وهذا يدل على أن محمداً كان يستمع إلى الشعر العربي.

591 . (البخارى 4786؛ |خ|:1952/5) (مسلم 1402؛ |م|:1020/2-1021).

592 . (الترمذى 3054؛ |ت|:100/5؛ "صحيح" |ت-ألبانى|:684؛ |ت-صحيح|:232/3-233).

593 . مثال آخر: رفض محمدٌ أن يسجد المسلمون له كما يسجد أهلُ الأديان الأخرى لقياداتهم الروحية (أبو داود 2140؛ |د|:244/2؛ "صحيح" |د-ألبانى|:371؛ |د-صحيح|:595/1). انظر أيضاً |شعراوى-ع|:1158/2-1159.

594 . كانت الكتب اليهودية والمسيحية، سواء الأسفار المقدسة أو غير المقدسة، مِن أهم ما يميز الديانتين اليهودية والمسيحية عن الديانات الوثنية (|Ehrman|:17-29).

595 . (الترمذى 989؛ |ت|:205/3؛ "صحيح" |ت-ألبانى|:235؛ |ت-صحيح|:504/1) (ابن ماجه 1456؛ |هـ|:13/2؛ "صحيح" |هـ-ألبانى|:259؛ |هـ-صحيح|:9/2؛ "إسناده ضعيف" |هـ-أرنؤوط|:444/2-445). |بكر-رجال|:135-136.

596 . |بكر-رجال|:271-274؛ |إصابة|:373/6-378؛ |إصابة-ع|:198/4-201؛ |استيعاب|:987/3-994؛ |استيعاب-م|:483-486؛ |أسدغابة|:74/3-78؛ |أسدغابة-ع|:381/3-387؛ |نبلاء|:461/1-500؛ |طبقات|:139/1-148؛ |أصبهانى|:1765/4-1776؛ |خالد|:37/2-55؛ |باشا-صحابة|:97/1-106.

597 . |درر|:118.

598 . (البخارى 3744-3745؛ |خ|:1457/4-1458) (البخارى 3795؛ |خ|:1474/4-1475) (مسلم 1800؛ |م|:1424/3-1425). انظر أيضاً |نار|:478-479.

599 . (ابن خزيمة 1303؛ |خز|:641/1؛ "صحيح" |خز-الفحل|:452/2).

600 . (البخارى 4123؛ |خ|:1593/4) (البخارى 3552؛ |خ|:1373/3) (مسلم 2460؛ |م|:1911/4). |بكر-رجال|:272.

601 . (مسلم 2461؛ |م|:1912/4؛ |م-لاشين|:435/9-437).

602 . (البخارى 3595، 3597؛ |خ|:1385/3) (مسلم 2464؛ |م|:1913/4-1914).

603 . (ابن ماجه 138؛ |هـ|:87/1؛ "صحيح" |هـ-ألبانى|:39-40؛ |هـ-صحيح|:63/1؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن" |هـ-أرنؤوط|:97/1-98). انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:208/3.

604 . (أحمد 25/1-26؛ "حديث واحد بإسنادين، جمعهما أبو معاوية، وهما إسنادان صحيحان" |ل-شاكر|:238/1-239؛ "إسناداه صحيحان؛ الأول على شرط الشيخين، والثانى رجاله ثقات" |ل|:308/1-309). وانظر |MS|:24.

605 . (البخارى 4716؛ |خ|:1912/4) (مسلم 2463؛ |م|:1913/4).

606 . (البخارى 4306؛ |خ|:1673/4) (البخارى 4768-4769؛ |خ|:1927/4) (مسلم 800؛ |م|:551/1).

607 . (البخارى 4538-4539؛ |خ|:1818/4-1819) (البخارى 7083؛ |خ|:2735/6) (مسلم 2775؛ |م|:2141/4-2142).

608 . |ج|:254-255؛ |ب|:269-270. انظر أيضاً تفاسير (الإسراء 29).

609 . (البخارى 6355؛ |خ|:2477/6). انظر أيضاً |نبلاء|:492/1-493.

610 . (مسلم 2461؛ |م|:1912/4؛ |م-لاشين|:435/9-437). انظر أيضاً |نبلاء|:490/1.

611 . (البخارى 3551؛ |خ|:1373/3). انظر أيضاً |بكر-رجال|:273-274.

612 . (الترمذى 3807؛ "حَسَنٌ صَحِيحٌ" |ت|:489/5؛ "صحيح" |ت-ألبانى|:859-860؛ |ت-صحيح|:551/3-552).

613 . (الترمذى 3799؛ "حَسَنٌ" |ت|:485/5-486؛ "صحيح" |ت-ألبانى|:858؛ |ت-صحيح|:548/3-549).

614 . أ. د. محمد بكر إسماعيل، "الفقه الواضح"، القاهرة: دار المنار، الطبعة الثانية 1997، 192/1-193.

615 . (المستدرك 388/3؛ قال الحاكم "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:438/3).

616 . |استيعاب|:993/3؛ |استيعاب-م|:486؛ |خالد|:51/2. "رجاله ثقات" (|نبلاء|:489/1 مِن كلام المحققين).

617 . د. طه حسين، "الفتنة الكبرى"، القاهرة: دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة، 2013، ج 1، ص 160-162.

618 . |AOB-Subsidia|:199/3.

619 . |ج|:325. انظر أيضاً |نبلاء|:233/1.

620 . إشعراء|:91-257؛ إدمشق|:378/12-435؛ إإصابة|:525/2-528؛ إإصابة-ع|:55/2-57؛ إاستيعاب|:341/1-351؛ إاستيعاب-م|:189-194؛ إأسدغابة|:7/2-10؛ إأسدغابة-ع|:6/2-9؛ إنبلاء|:512/2-523؛ إطبقات|:322/4-327؛ إأصبهانى|:845/2-851.

621 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي"، دار المعارف، ط 29، 2013، ص 77.

622 . الخزرج أصلاً مِن اليمن، ثم هاجروا إلى يثرب بعد انهيار سد مأرب (إمفصل|:128/4-136؛ إباشا-صحابة|:99/2؛ إكامل|:516/1-517؛ إشعراء|:101، 294-295).

623 . لمزيد مِن المعلومات عن هذه الحروب (الأيام)، انظر مثلاً إجاهلية|:62-84؛ إشعراء|:294-307.

624 . إمفصل|:140/4-141.

625 . إشعراء|:293.

626 . إشعراء|:96-97، 141-142؛ إكامل|:526/1-527. "ديوان حسان بن ثابت"، شَرحه وكتب هوامِشَه وقَدَّم له: الاستاذ عبدأ. مهَنّا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1994، ص 248.

627 . القحط: الجدب. القطر: المطر. نوآنها: أراد الأنواء.

628 . النبيت: الخسيس، ويريد به عمرو بن مالك بن الأوس. الهزاهز: الشدائد مثل الحروب والفتن. ذلّان: أذلاء.

629 . البيض: السلاح. والبَيْضَة: الخوذة وهي مِن آلات الحرب لوقاية الرأس.

630 . الهام: أعالي الرؤوس.

631 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي"، مرجع سابق، ص 78.

632 . يوجد في السيرة النبوية ما يدل على أن أبا بكر كان خبيراً بأنساب العرب؛ انظر مثلاً إكثير-سير|:584/2.

633 . إبنت-شاطئ|:321؛ إرفاعى|:115. د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي"، مرجع سابق، ص 78.

634 . (البخارى 3338؛ إخ|:1299/3) (البخارى 3914؛ إخ|:1523/4) (البخارى 5798؛ إخ|:2278/5).

635 . (مسلم 2489؛ إم|:1934/4-1935). انظر أيضاً إشعراء|:108.

636 . حسب التراث الإسلامي: الْقُدُس هو الله؛ وروح الْقُدُس (أى: روح الله) هو جبريل! وأُضِيف إلى الله إضافة تشريف وتكريم، كما يُقال: بيت الله وناقة الله وعبد الله! انظر تفاسير الآيات القرآنية الأربع التي ذكرت "رُوحِ الْقُدُسِ" (البقرة 87، 253) (المائدة 110) (النحل 102). مثلاً إكثير-شنقيطى|:114-115. وسنناقش هذا الفِكر الإسلامي في وقتٍ لاحق.

637 . (مسلم 2490؛ إم|:1935/4-1938؛ إم-نووى|:71/16-75؛ إعياض|:527/7-532).

638 . (البخارى 442؛ إخ|:173/1) (البخارى 5800؛ إخ|:2279/5).

639 . (البخارى 3041؛ إخ|:1176/3) (البخارى 5801؛ إخ|:2279/5) (مسلم 2486؛ إم|:1933/4؛ إمفهم|:421/6). هجا فلاناً: ذمه وعدد معايبه. ويقال: هاجاه مهاجاة، إذا هجا كل منهما صاحبه (إم-لاشين|:500/9).

640 . (البخارى 3897؛ إخ|:1512/4).

641 . (أبو داود 5015؛ إد|:304/4؛ "حسن" إد-ألبانى|:906-907؛ إد-صحيح|:232/3؛ إآبادى|:357/13-358).

642 . (مسلم 2485؛ إم|:1932/4-1933؛ إمفهم|:417/6-419) (البخارى 3040؛ إخ|:1176/3). وما زلنا في العصر الحديث نرى ونسمع بعضَ الشيوخ المسلمين على المنابر في المساجد وعلى المواقع الإلكترونية وعلى السوشيال ميديا، وَهُمْ يهجون غير المسلمين ويدعون عليهم!

643 . إدمشق|:406/12؛ إطبقات|:326/4.

644 . إشعراء|:186؛ إهشام|:20/2. د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي"، مرجع سابق، ص 82-83.

645 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

646 . إشعراء|:33-88؛ إنشرتى-صحابة|:104-118؛ إإصابة|:294/9-296؛ إإصابة-ع|:456/5-458؛ إاستيعاب|:1323/3-1326؛ إاستيعاب-م|:631-632؛ إأسدغابة|:537/3-538؛ إأسدغابة-ع|:461/4-462؛

|نبلاء|:523/2-530؛ |طبقات|:393/4-396؛ |أصبهانى|:2366/5-2368؛ |باشا-صحابة|:321/2-331؛ |فرسان|:511-531.

647 . |شعراء|:34.

648 . (البخارى 4156؛ |خ|:1603/4-1609) (مسلم 2769؛ |م|:2120/4-2129)؛ |شعراء|:44-48.

649 . وهذا دليل مِن صحيحي البخاري ومسلم على أن أهل الشام المسيحيين كانوا يأتون إلى المدينة، ويتواصلون مع العرب المسلمين بدون أدنى مشكلة. فلم يكن اختلاف الدين أو اللغة عائقاً أمام هذا التواصل الثقافي بين الشعوب.

650 . وهذا دليل مِن صحيحي البخاري ومسلم على أن الشعراء والأدباء العرب المسلمين في شبه الجزيرة العربية كانوا على اتصال بالغساسنة (نصارى عرب الشام).

651 . "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ" (التوبة 43).

652 . "وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ [إنْ بقوا على ما هُمْ عليه] وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ [إنْ تابوا توبة صحيحة وأصلحوا وأخلصوا إخلاصاً تاماً] وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (التوبة 106). قيل إنها نزلت في كعب بن مالِك ومُرَارَة بْن الرَّبيع وَهِلَال بْن أُمَيَّة.

653 . |ب|:227-228؛ |ج|:228-229. انظر أيضاً |نشرتى-صحابة|:114-118.

654 . مثلاً: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" (التوبة 103) مستوحاة من التراث المسيحي، بل تكاد تكون منقولة من الإنجيل: "أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً، فَهُوَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا (أي: طاهراً؛ clean) لَكُمْ" (لوقا 41:11).

655 . |بكر-رجال|:201-208؛ |شعراء|:261-324؛ |إصابة|:138/6-143؛ |إصابة-ع|:72/4-75؛ |استيعاب|:898/3-901؛ |استيعاب-م|:449-450؛ |أسدغابة|:592/2-595؛ |أسدغابة-ع|:235/3-238؛ |نبلاء|:230/1-240؛ |طبقات|:565/3-566؛ |أصبهانى|:1638/3-1641؛ |خالد|:191/2-199؛ |باشا-صحابة|:21/2-30.

656 . أو بعبارة أكثر دقة: "إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ" (التوبة 52). إما الشهادة وما يتبعها مِن جنة وحور عين ... الخ. أو النصر وما يتبعه مِن غنائم وسبي واحتلال أراضي ... الخ.

657 . انظر تفاسير وأسباب نزول (التوبة 111): |ب|:231؛ |ج|:232؛ |بكر-رجال|:204.

658 . (مسلم 2816-2818؛ |م|:2169/4-2171) (البخارى 5349؛ |خ|:2147/5) (البخارى 6098؛ |خ|:2373/5).

659 . كالعادة، اختلف المفسرون اختلافاً كبيراً في معنى "وَارِدُهَا (أي: وَارِدُ النارَ)". قيل: يدخلها، مثل (الأنبياء 98) (هود 98). وقيل: يمر على الصراط المنصوب على مَتْنِها، كل بحسب عمله! وقيل: حاضر لها أو واصل إليها، فيراها المؤمن ويمر بها بينما يدخلها الكافر! وقيل إن المؤمن يمر على النار وهي خامدة! وقيل غير ذلك. تعليقنا: لو كان القرآن كلام الله كما يتوهم المسلمون، ألم يكن مِن المفترض أن يضبط اللهُ هذه الآية المهمة بألفاظ واضحة تمنع كل هذه الحيرة؟!

660 . (المستدرك 588/4؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" |حاكم|:631/4).

661 . |طبرى|:594/15-595. "رجاله ثقات لكنه مرسل" (من حاشية |نبلاء|:236/1-237). (المستدرك 588/4؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وقال الذهبي "فيه إرسال" |حاكم|:631/4).

662 . (أحمد 456/3؛ "إسناده صحيح على شرط الشيخين" |ل|:63/25؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:310/12-). (أحمد 387/6؛ "إسناده صحيح على شرط الشيخين" |ل|:147/45-؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:456/18-).

663 . (البخارى 3880؛ |خ|:1507/4) (مسلم 1803؛ |م|:1430/3-1431). انظر أيضاً |شعراء|:280.

664 . انظر مثلاً |طبرى|:717/3-718؛ |طبرى-شاكر|:368/4-369؛ |ب|:48-49؛ |ج|:92.

665 . |استيعاب|:900/3-901؛ |استيعاب-م|:450؛ |نبلاء|:238/1-239؛ |شعراء|:317-318. انظر أيضاً المراجع الأجنبية مثل |AOB-Subsidia|:200/3.

666 . |مجلس|:341-342. انظر أيضاً |طبرانى-كبير|:8/20-9؛ |كاندهلوى|:150/1-151.

667 . |إصابة|:381/3-383؛ |إصابة-ع|:321/2-323؛ |استيعاب|:461/2-462؛ |استيعاب-م|:247؛ |أسدغابة|:137/2؛ |أسدغابة-ع|:197/2-198؛ |نبلاء|:550/2-556؛ |كاندهلوى|:153/1-161.

668 . |بارى|:621/8؛ |بارى-طيبة|:157/11.

669 . (البخارى 4695؛ |خ|:1905/4) (البخارى 3435؛ |خ|:1330/3) (مسلم 2451؛ |م|:1906/4). انظر أيضاً |صحيحة|:104/3؛ |شعراوى-قصص|:117؛ |و|:10/3-17.

670 . (المستدرك 34/3-35؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين [...] ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:37/3). وانظر روايات أخرى لعائشة وغيرها في |دلائل|:5/4-14.

671 . |كثير-ك|:314/4؛ |كثير-تركى|:75/6.

672 . (البخارى 2؛ |خ|:4/1) (مسلم 2333؛ |م|:1816/4-1817).

673 . |بارى|:622/8؛ |بارى-طيبة|:158/11. انظر أيضاً |عياض|:477/7.

674 . |مفصل|:760/6-761.

675 . (البخارى 7؛ |خ|:7/1-10) (مسلم 1773؛ |م|:1393/3-1397).

676 . |جابرى-قرآن|:69. انظر أيضاً [أ ر س] في لسان العرب.

677 . |طبرى-تاريخ|:650/2؛ |كثير-سير|:1315/3؛ |كثير-تهذيب|:448؛ |كاندهلوى|:155/1.

678 . |استيعاب|:461/2؛ |استيعاب-م|:247؛ |أسدغابة|:137/2؛ |أسدغابة-ع|:198/2.

679 . "السنن الكبرى"، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2003، ج 9، ص 299. انظر أيضاً |دلائل|:325/6.

680. 59 صندوق الإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=VYKAZPO2TN8

681 . |بكر-رجال|:401-404؛ |إصابة|:95/6-99؛ |إصابة-ع|:50/4-53؛ |استيعاب|:888/3-891؛ |استيعاب-م|:445-446؛ |أسدغابة|:577/2-578؛ |أسدغابة-ع|:213/3-214؛ |نبلاء|:11/2-16؛ |باشا-صحابة|:37/1-44.

682 . (البخارى 4308؛ |خ|:1674/4) (مسلم 1834؛ |م|:1465/3).

683 . تقع المدائن (طيسفون) أو "سلوقية-قطسيفون" (Seleucia-Ctesiphon) على نهر دجلة (Tigris) بالقرب من بغداد حالياً في العراق.

684 . |طبرى-تاريخ|:654/2-655. انظر أيضاً |كثير-سير|:1319/3؛ |زادمعاد|:698/3؛ |نار|:118-.

685 . (البخارى 4162؛ |خ|:1610/4) (البخارى 64؛ |خ|:36/1). |بكر-رجال|:401-402.

686 . "السنن الكبرى"، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2003، ج 9، ص 299. انظر أيضاً |دلائل|:325/6.

687 . ومِن قَبل القرآن، توقع المسيحيون السريان انتصارَ الروم في حربهم ضد الفرس، وذلك تعاطفاً مع الروم لأنهم مسيحيون مثلهم. وكذلك اليهود، فعلى الرغم من كراهيتهم للروم الذين دمروا الهيكل، إلا أنهم توقعوا انتصار الروم لأنه – حسب العقيدة اليهودية – يجب أن يسيطر الشر (الروم) على العالم قبل مجيء المسيَّا ابن داود [ليقضي على هذا الشر]. لمزيد من التفاصيل، انظر التلمود البابلي (Yoma 10a) (|BT|:31/5-32) و |Witztum|:51.

688 . اسمه أيضاً "شِيرَوَيْه" (Shiroi) (Shiruye) (|MacCulloch|:252؛ |Winkler|:40).

689 . |طبرى-تاريخ|:656/2؛ |كثير-سير|:1320/3.

690 . |بكر-رجال|:443-446؛ |إصابة|:431/2-434؛ |إصابة-ع|:4/2-5؛ |استيعاب|:312/1-315؛ |أسدغابة|:410/1-411؛ |أسدغابة-ع|:659/1-661؛ |نبلاء|:43/2-45.

691 . (المستدرك 300/3-301؛ "سكت عنه الذهبي في التلخيص" |حاكم|:340/3). "سند لا بأس به" (|بكر-رجال|:443). "إسناد مظلم" (|نبلاء|:44/2).

692 . (البخارى 2845؛ "باب الجاسوس" |خ|:1095/3) (مسلم 2494؛ |م|:1941/4-1942؛ |م-نووى|:80/16-83).

693 . |ب|:445.

694 . ونفهم مِن السياق أنهم كانوا متأكدين أن هذه هي المرأة التي قصدها محمدٌ. ربما لم يكن في هذه الروضة ظَعِينَةٌ أخرى.

695 . (الترمذى 3305؛ |ت|:246/5-247؛ "صحيح" |ت-ألبانى|:747؛ |ت-صحيح|:347/3-349).

696 . |ت-أحوذى|:199/9.

697 . (البخارى 3762؛ |خ|:1463/4). اقرأ أيضاً (البخارى 2915؛ "بَاب إِذَا اضْطَرَّ الرَّجُلُ إِلَى النَّظَرِ فِي شُعُورِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِذَا عَصَيْنَ اللَّهَ وَتَجْرِيدِهِنَّ" |خ|:1120/3-1121).

698 . |أسدغابة|:410/1؛ |أسدغابة-ع|:660/1.

699 . (المستدرك 301/3-302؛ "سكت عنه الذهبي في التلخيص" |حاكم|:341/3). "إسناده صالح. وأصله في "الصحيحين"" (|نبلاء|:45/2). "رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما ثقات" (|هيثمى|:304/9).

700 . |زادمعاد|:409/3.

701 . (أبو داود 2650-2651؛ "باب فِي حُكْمِ الْجَاسُوسِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا" |د|:47/3-48؛ "صحيح" |د-ألبانى|:465؛ |د-صحيح|:137/2-138).

702 . |ب|:448.

703 . (البخارى 4608؛ |خ|:1855/4-1856). انظر أيضاً (البخارى 4025؛ |خ|:1557/4)؛ |ج|:440-442؛ |ب|:445-455؛ |بكر-رجال|:444-445.

704 . |كفورى|:353.

705 . |كثير-سير|:1362/3؛ |كثير-صفوة|:247/3.

706 . |حلبية-م|:199/3، 170-171؛ |حلبية-ع|:133/3، 108-109.

707 . |جابرى-قرآن|:71. انظر أيضاً |زادمعاد|:700/3 و "الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة السابعة، 2012، ص 310.

708 . |بكر-رجال|:446.

709 . اسمها في مراجع أخرى: "شيرين" (|كثير-سير|:1324/3)؛ أو: "قِيْسْرين" (|بكر-رجال|:446).

710 . قال الذهبي عن حاطِب بن أبي بَلْتَعَة: "كان تاجراً في الطعام، له عبيد" (|نبلاء|:43/2).

711 . |إصابة|:333/7؛ |إصابة-ع|:496/4؛ |استيعاب|:1162/3-1163؛ |استيعاب-م|:562؛ |أصبهانى|:1993/4-1994؛ |أسدغابة|:351/3-352؛ |أسدغابة-ع|:181/4-182؛ |باشا-صحابة|:421/2-428.

712 . |كثير-ك|:252/4-254؛ |كثير-تركى|:517/5-523؛ |كثير-سير|:1017/3-1019؛ |طبرى-تاريخ|:542/2-545؛ |دلائل|:333/3-337؛ |هشام|:633/2-635؛ |هشام-ت|:279/4-281؛ |هشام-مختصر|:287/2-289.

713 . |باشا-صحابة|:427/2؛ |طبرى-تاريخ|:544/2.

714 . |ج|:187-188؛ |ب|:169-170. انظر أيضاً تفاسير (المائدة 82-86)؛ |Witztum|:258.

715 . |غزالى|:88. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (القصص 52-54) و (الحديد 28).

716 . |Jenkins|:189-190.

717 . |إصابة|:74/5-76؛ |إصابة-ع|:256/3؛ |استيعاب|:707/2؛ |استيعاب-م|:360؛ |أصبهانى|:1486/3-1487؛ |أسدغابة|:414/2؛ |أسدغابة-ع|:611/2.

718 . |طبقات|:118/2. انظر أيضاً |واقدى|:753/2-754؛ |حلبية-م|:350/3؛ |حلبية-ع|:267/3.

719 . |كثير-ك|:473/4-474؛ |كثير-تركى|:409/6-410؛ |كثير-سير|:1273/3. انظر (البخارى 4083؛ |خ|:1577/4) (مسلم 1749؛ |م|:1368/3-1369).

720 . |كفورى|:336-337. انظر أيضاً "الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة السابعة، 2012، ص 343.

721 . (البخارى 6770-6771؛ |خ|:2631/6). انظر أيضاً |صحيحة|:365/1.

722 . (أبو داود 3645؛ |د|:318/3؛ "حسن صحيح" |د-ألبانى|:656؛ |د-صحيح|:408/2). انظر أيضاً |صحيحة|:364/1.

723 . (المستدرك 75/1؛ صححه الحاكم ووافقه الذهبى |حاكم|:147/1). انظر أيضاً |صحيحة|:364/1.

724 . (الترمذى 2715؛ |ت|:488/4-489؛ "حسن صحيح" |ت-ألبانى|:611؛ "حسن صحيح" |ت-صحيح|:85/3؛ "إسناده حسن، وإنما صححه الترمذى لأن له طريقاً آخر" |صحيحة|:364/1).

725 . (المستدرك 422/3؛ قال الحاكم: "صحيح إن كان ثابت بن عبيد سمعه من زيد بن ثابت ولم يخرجاه" |حاكم|:477/3). وقال الألبانى: "لا أدرى الذى حمل الحاكم على التردد فى سماع ثابت إياه من زيد، وهو مولاه، ولم يتَّهم بتدليس!" ثم ختم الألبانى كلامَه بقوله "فالسند صحيح" (|صحيحة|:365/1).

726 . (أحمد 182/5؛ "إسناده صحيح إن كان ثابت بن عبيد سمع من مولاه زيد بن ثابت" |ل|:463/35؛ "إسناده صحيح، وثابت بن عبيد هو مولى زيد وهو ثقات التابعين" |ل-شاكر|:30/16-31).

727 . |صحيحة|:364/1-366؛ |طبقات|:309/2؛ |MS|:93؛ |بكر-قرآن|:108-109؛ |AOB-Subsidia|:195/3، 222؛ |KHO-GP|:159.

728 . |QHC-ar|:148-150؛ |QHC|:92-93؛ |AOB-Subsidia|:197/3-199، 222؛ |KHO-GP|:159-160.

729 . لأمثلة أخرى، انظر |QHC-ar|:148-150؛ |QHC|:92-93؛ |AOB-Subsidia|:196/3-197؛ |KHO-GP|:156، 160. وراجع ما قلناه عن تميم الدارى وحديث الجَسَّاسة.

730 . ولا يزال فريقٌ مِن المسلمين يلجأون إلى خدعة "قلب الرواية" حتى اليوم. فنسمع مَن يزعم أن الإسلام دين سلام! مع أن التاريخ الإسلامي كله شلال مِن الدماء. إما حروب بين المسلمين وغير المسلمين. وإما اقتتال بين المسلمين والمسلمين.

731 . (المستدرك 421/3؛ |حاكم|:476/3).

732 . (أحمد 405/1؛ "حديث صحيح" |ل|:398/6؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:58/4).

733 . "لاَ تُقَصِّرُوا رُؤُوسَكُمْ مُسْتَدِيرًا (أى: لا تَحلِقُوا سَوالِفَكُمْ)، وَلاَ تُفْسِدْ عَارِضَيْكَ (أى: لا تُقَلِّم جانبى لِحْيَتِكَ)" (اللاويين 19:27). ولا يزال اليهود الملتزمون إلى اليوم يُطلِقون سَوالِفهم ولِحاهم. انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:195/3-198؛ |KHO-GP|:159-160، 164.

734 . |ل|:7/11 (مِن كلام المحققين). انظر أيضاً |طبقات|:87/5.

735 . (أحمد 222/2؛ "إسناده حسن" |ل|:638/11؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:482/6). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: "رواه أحمد وفيه ابن لَهِيعَة وفيه ضعف" (|هيثمى|:184/7).

736 . |نبلاء|:86/3. |نبلاء|:81/3.

737 . |بكر-رجال|:265.

738 . |أسدغابة|:49/3؛ |أسدغابة-ع|:346/3.

739 . |بكر-رجال|:265-268؛ |إصابة|:308/6-312؛ |إصابة-ع|:165/4-167؛ |طبقات|:82/5-90؛ |استيعاب|:956/3-959؛ |استيعاب-م|:476-477؛ |أسدغابة|:49/3-51؛ |أسدغابة-ع|:345/3-348؛ |نبلاء|:79/3-94؛ |خالد|:27/5-41.

740 . (البخارى 113؛ |خ|:54/1). انظر أيضاً |بكر-رجال|:267.

741 . (البخارى 4765؛ |خ|:1926/4).

742 . (أحمد 206/2-207؛ "إسناده صحيح" |ل|:523/11؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:399/6-400) (أحمد 164/2-165؛ "إسناده حسن" |ل|:96/11-98؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:107/6-110).

743 . |خالد|:39/5.

744 . |نبلاء|:90/3.

745 . |إصابة|:238/11-239؛ |إصابة-ع|:428/6؛ |استيعاب|:1542/4؛ |استيعاب-م|:737؛ |أسدغابة|:287/4؛ |أسدغابة-ع|:380/5-381.

746 . (البخارى 4470؛ |خ|:1772/4-1773؛ |بارى|:303/8-305؛ |بارى-طيبة|:381/10-384) (البخارى 2526؛ |خ|:949/2) (البخارى 5001؛ |خ|:2032/5-2033).

747 . (أحمد 238/1-239؛ "حديث حسن" |ل|:33/4-36؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:532/2-536).

748 . (أحمد 238/1-239؛ "حديث حسن" |ل|:33/4-36؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:532/2-536). |ب|:316.

749 . (البخارى 4468-4471؛ |خ|:1771/4-1773)؛ (مسلم 1492-1500؛ |م|:1129/2-1138)؛ |ج|:286-288؛ |ب|:315-317. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (النور 6-9).

750 . إبكر-رجال|:193-198؛ إإصابة|:4/303-305؛ إإصابة-ع|:3/70-72؛ إطبقات|:3/388-402؛ إاستيعاب|:2/602-605؛ إاستيعاب-م|:315-317؛ إأسدغابة|:2/313-316؛ إأسدغابة-ع|:2/461-464؛ إنبلاء|:1/279-297؛ إأصبهانى|:3/1241-1244؛ إخالد|:4/135-148؛ إباشا-صحابة|:2/99-107.

751 . (مسلم 1768-1769؛ إم|:3/1388-1391) (البخارى 3895-3896؛ إخ|:4/1511-1512). انظر أيضاً إشاكر-نساء|:202-203؛ إبكر-رجال|:194-195.

752 . إطيب-سير|:182.

753 . إطبقات|:3/394؛ إنبلاء|:1/288-289. وانظر أيضاً [م و س] في لسان العرب.

754 . (الترمذى 1584؛ إت|:3/547؛ وقال الألباني "صحيح" إت-ألبانى|:375؛ إت-صحيح|:2/203) (النسائى 4981؛ إس|:8/92؛ وقال الألباني "صحيح" إس-ألبانى|:756؛ إس-صحيح|:3/336).

755 . (أبو داود 4404-4405؛ إد|:4/141؛ وقال الألباني "صحيح" إد-ألبانى|:790؛ إد-صحيح|:3/57).

756 . إكامل|:1/537.

757 . (مسلم 1767؛ إم|:3/1388).

758. https://www.youtube.com/watch?v=uRRIbOlPCEA

759 . إلا أنه تحدث بعد ذلك عن أهمية البحث عن "جوهر الإسلام الحقيقي" والالتزام به! ونحن نقول له: في ظل عدم وجود نسخة أصلية كاملة (أو: حتى شبه كاملة) للقرآن يرجع تاريخُها إلى زمان محمد (أي: قبل 632م)، فكيف سيمكن لك أن تبحث عن هذا "الإسلام الحقيقي"؟! وهل بعد ظهور الإسلام بأكثر من 1400 سنة، لا يعلم المسلمون جوهرَه؟!

760 . إبوطى|:229. انظر أيضاً (البخارى 3883-3884؛ إخ|:4/1508-1509).

761 . (البخارى 3592؛ إخ|:3/1384) (مسلم 2466-2467؛ إم|:4/1915-1916). انظر أيضاً إبكر-رجال|:197.

762 . توجد أكثر مِن رواية وتختلف اختلافات بسيطة. انظر مثلاً إإسحاق|:2/86-87؛ إإسحاق-ع|:2/423؛ إهشام|:2/252؛ إكثير-ك|:4/331؛ إكثير-تركى|:6/108؛ إإصابة|:4/305؛ إإصابة-ع|:3/71؛ إطبقات|:3/396-397.

763 . إإصابة|:1/526-؛ إإصابة-ع|:1/415-؛ إاستيعاب|:1/151-؛ إاستيعاب-م|:110-؛ إأسدغابة|:1/201-؛ إأسدغابة-ع|:1/364-؛ إنبلاء|:1/267-؛ إطبقات|:3/571-؛ إأصبهانى|:1/382-.

764 . (أحمد 3/460-؛ "حديث قوي وهذا إسناد حسن" إل|:25/89-؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:12/320-). إهشام|:1/439-؛ إهشام-ت|:2/86-؛ إهشام-مختصر|:1/272-؛ إكثير-سير|:2/608-؛ إكثير-ك|:3/413-؛ إكثير-تركى|:4/394-.

765 . (أحمد 1/325؛ "إسناده صحيح على شرط الشيخين" إل|:5/136؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:3/310).

766 . (البخارى 390؛ إخ|:1/155) (البخارى 40؛ إخ|:1/23). انظر أيضاً (مسلم 525-527؛ إم|:1/374-).

767 . سألت يوماً أخي المسلم: كيف تفسر عدم وجود أي دليل تاريخي يثبت قصة ذهاب إبراهيم إلى مكة؟ فقال لي إن هذا اختبار من الله ليميز بين مَن يؤمن بالقصة حتى في حالة عدم وجود أي دليل تاريخي ومَن يشك فيها ويسأل ويجادل! فقلت له: إذا أراد اللهُ أن يمتحننا فسيمتحنا في أعمالنا ومدى التزامنا بوصاياه، وليس في إيماننا بأساطير الأولين.

768 . (المستدرك 2/267-؛ قال الحاكم "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة" وقال الذهبي في التلخيص "على شرط البخاري ومسلم" إحاكم|:2/294). انظر أيضاً تفاسير (البقرة 115) و (البقرة 142-150).

769 . (مسلم 2336؛ إم|:4/1817-) (البخارى 5573؛ إخ|:5/2213؛ إبارى|:10/374؛ إبارى-طيبة|:13/429) (البخارى 3728؛ إخ|:3/1434-) (البخارى 3365؛ إخ|:3/1305).

770 . إبكر-رجال|:485-506؛ إإصابة|:3/171-179؛ إإصابة-ع|:2/215-219؛ إاستيعاب|:2/427-431؛ إاستيعاب-م|:233-235؛ إأسدغابة|:2/98-101؛ إأسدغابة-ع|:2/140-144؛ إنبلاء|:1/366-384؛ إطبقات|:5/26-45، 9/398-401؛ إأصبهانى|:2/925-933؛ إخالد|:3/9-53؛ إباشا-صحابة|:2/187-197؛ إفرسان|:82-104.

771 . يوجد خلاف حول اسم والدة عمر بن الخطاب. قيل: حَنْتَمَة بنت هاشم بن المغيرة. وقيل: حَنْتَمَة بنت هشام بن المغيرة.

772 . وهذا يدل على أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الفقر والإرهاب. الغِنى يؤدي أحياناً إلى العنف. أسامة بن لادن مثلاً.

773 . إشاكر-تاريخ|:2/297؛ إبكر-رجال|:488؛ إطبقات|:5/26.

774 . (مسلم 1753؛ إم|:3/1373-1374). انظر أيضاً إطبقات|:5/29-30.

775 . (المستدرك 42/3؛ قال الحاكم "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" وقال الذهبي في التلخيص "على شرط مسلم" |حاكم|:45/3)؛ |فرسان|:91؛ |شعراء|:289-290.

776 . (البخارى 3547؛ |خ|:1372/3) (البخارى 1189؛ |خ|:420/1).

777 . (البخارى 4084؛ |خ|:1577/4) (البخارى 6766؛ |خ|:2628/6)؛ |خ|:2335/5؛ |بكر-رجال|:236-237.

778 . مثلاً: عباس محمود العقاد، "عبقرية خالد"، دار نهضة مصر، 2017، ص 66-72. |بكر-رجال|:495-497.

779 . |شهبة-سير|:464/2. انظر أيضاً |هشام|:431/2؛ |هشام-مختصر|:157/2.

780 . (مسلم 2541؛ |م|:1967/4-1968).

781 . انظر ما سوف نقوله لاحقاً عن تأثر الصحابة بالصعاليك العرب وأفعالهم مِن قتل وسلب ونهب وقطع طريق.

782 . عباس محمود العقاد، "عبقرية خالد"، مرجع سابق، ص 115-119. |طبرى-تاريخ|:276/3-280؛ |كثير-ك|:30/7-32؛ |كثير-تركى|:461/9-465؛ |نبلاء|:376/1-377؛ |مراد-خلفاء|:90-91؛ |نجار-خلفاء|:43-.

783 . |يعقوبى|:131/2.

784 . عباس محمود العقاد، "عبقرية خالد"، مرجع سابق، ص 156-158. |كثير-ك|:68/7-69؛ |كثير-تركى|:519/9-522.

785 . |تيمى|:129.

786 . انظر نقاشاً حول هذه المسألة في |KHO|:100.

787 . قال محمد: "نُصِرْتُ بالرعبِ" و "أُحِلَّت لى الغنائمُ" و "جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي" (البخارى 427؛ |خ|:168/1) (مسلم 521؛ |م|:370/1-371) (البخارى 328؛ |خ|:128/1) (البخارى 2954؛ |خ|:1135/3) (البخارى 2757؛ |خ|:1067/3)!

788 . (البخارى 6936؛ |خ|:2683/6).

789 . |إتقان|:111/1. انظر أيضاً |MS|:33.

790 . انظر نقاشاً حول اختلاف المسلمين في هذه المسألة (|درر|:200-203؛ |مفهم|:380/7).

791 . |بارى|:355/13؛ |بارى-طيبة|:282/17. انظر أيضاً |خ|:2683/6؛ |هشام|:302/2.

792 . |دمشق|:48/16-49؛ |دمشق-مختصر|:339/7؛ |كثير-ك|:79/8؛ |كثير-تركى|:252/11؛ |فرسان|:650.

793 . |بكر-رجال|:315-318؛ |إصابة|:143/3-145؛ |إصابة-ع|:199/2-201؛ |طبقات|:449/3-450؛ |استيعاب|:424/2-426، 1606/4-1607؛ |استيعاب-م|:228، 772-773؛ |أسدغابة|:85/2-86، 381/4-382؛ |أسدغابة-ع|:121/2-123، 22/6-23؛ |نبلاء|:402/2-413؛ |أصبهانى|:933/2-938؛ |خالد|:193/3-202؛ |باشا-صحابة|:65/1-74؛ |فرسان|:640-657.

794 . (البخارى 3578-3580؛ |خ|:1380/3-1381) (مسلم 2511؛ |م|:1949/4-1951). انظر أيضاً |شعراء|:96-97.

795 . الخوارج: اسم مشتق مِن (خرج) وهي جمع (خارج) وهو المنشق، ثم تحولت إلى اصطلاح أطلق على الفئة التي خرجت على عليّ في صِفِّين، وقالوا: لا حُكْم إلا لله، فسموا بالمُحكِّمة، ثم سكنوا حَرَوْراء (قرية قرب الكوفة) فسموا بالحَروريَّة، وقاتلهم عليّ في النَهْرَوان (كورة واسعة بين بغداد وواسط مِن الجانب الشرقي) (37هـ / 657م) (|و-تاريخ|:1187/2).

796 . |و-تاريخ|:1179/2-1185؛ |الروحى|:131.

797 . (الترمذى 2972؛ |ت|:55/5-56؛ وقال الألباني "صحيح" |ت-ألبانى|:665؛ |ت-صحيح|:191/3-192) (أبو داود 2512؛ |د|:12/3-13؛ وقال الألباني "صحيح" |د-ألبانى|:441؛ |د-صحيح|:100/2). انظر أيضاً |صحيحة|:46/1-47؛ |فرسان|:652-653.

798 . (البخارى 4244؛ |خ|:1642/4).

799 . |إصابة|:175/6-179؛ |إصابة-ع|:94/4-96؛ |استيعاب|:918/3-920؛ |استيعاب-م|:458-459؛ |أسدغابة|:610/2-611؛ |أسدغابة-ع|:260/3-262؛ |نبلاء|:33/3-35؛ |طبقات|:129/6-132، 502/9؛ |أصبهانى|:1670/3-1671؛ |فرسان|:312.

800 . |طبرى|:406-405/9؛ |طبرى-شاكر|:534/11. انظر أيضاً |JSAI|:96/22.

801 . |ج|:195-196. انظر أيضاً تفاسير (الأنعام 93).

802 . |ب|:190. انظر أيضاً تفاسير (الأنعام 93) و (المؤمنون 12-14).

803 . |ضعيفة|:307/3-308.

804 . |العوشن|:190. انظر أيضاً |غزالى-سير|:294.

805 . (مسلم 1780؛ |م|:1405/3-1408).

806 . |و|:203/6/2.

807 . (أبو داود 3021-3022؛ |د|:162/3-163؛ وقال الألبانى "حسن" |د-ألبانى|:542؛ |د-صحيح|:256/2-257). انظر أيضاً (البخارى 4030؛ |خ|:1559/4-1560).

808 . (البخارى 4027؛ |خ|:1558/4).

809 . |زادمعاد|:415/3.

810 . |بارى|:605/7؛ |بارى-طيبة|:398/9.

811. 17 بكل وضوح, https://www.youtube.com/watch?v=XnDIlc1eZQg

812 . (البخارى 4036؛ |خ|:1561/4) (مسلم 1781؛ |م|:1408/3).

813 . (أبو داود 2683؛ |د|:59/3؛ وقال الألباني "صحيح" |د-ألبانى|:472؛ |د-صحيح|:148/2-149) (النسائى 4067؛ |س|:105/7-106؛ وقال الألباني "صحيح" |س-ألبانى|:627؛ |س-صحيح|:93/3-94). انظر أيضاً |شهبة-سير|:452/2؛ |زادمعاد|:396/3؛ |طبقات|:130/6-131.

814 . |حسين|:271.

815 . |و|:10/3/11، 29.

816 . |بوطى|:106.

817 . |عراقى|:542/1؛ |إصابة|:407/2-؛ |إصابة-ع|:697/1-؛ |استيعاب|:301/1-؛ |استيعاب-م|:172-؛ |أسدغابة|:398/1-؛ |أسدغابة-ع|:643/1-؛ |طبقات|:83/6-، 6/8، 407/9-؛ |أصبهانى|:762/2-.

818 . (البخارى 4283-4284؛ |خ|:1661/4) (البخارى 6914؛ |خ|:2674/6).

819 . (البخارى 3842؛ |خ|:1493/4-1494).

820 . انظر تفاسير وأسباب نزول (آل عمران 128).

821 . |هشام|:411/2؛ |طبقات|:83/6؛ |استيعاب-م|:173؛ |أسدغابة|:398/1.

822 . |إصابة|:39/8-؛ |إصابة-ع|:23/5-؛ |استيعاب|:827/2؛ |استيعاب-م|:414؛ |أسدغابة|:105/3-؛ |أسدغابة-ع|:428/3-؛ |طبقات|:6/7-.

823 . |بكر-رجال|:183-186؛ |إصابة|:181/3-183؛ |إصابة-ع|:221/2-222؛ |استيعاب|:437/2-439؛ |استيعاب-م|:235-236؛ |أسدغابة|:102/2-105؛ |أسدغابة-ع|:147/2-150؛ |نبلاء|:323/2-325؛ |أصبهانى|:906/2-911؛ |طبقات|:151/3-153، 136/8-137؛ |خالد|:115/2-128؛ |باشا-صحابة|:407/1-414.

824 . كان العرب يحتقرون المهن اليدوية، ولذلك تركوها للعبيد والخدم. وكلمة "مهنة" تُذكِّرنا بـ "المهانة".

825 . ربما تعلمًا هذا الصبر والثبات على الإيمان من الدين المسيحي (متى 10:32-33) (لوقا 12:8-9). انظر أيضاً ثبات سحرة فرعون على الإيمان رغم كل التهديدات (طه 70-76).

826 . هذا نوعٌ مِن "التَّقِيَّة" (أي: أن يُظهِر المسلمُ عكسَ ما يُبطِن) المباح في الإسلام (النحل 106) (آل عمران 28) (البخارى 5685، 5707، 5780) (مسلم 2591) في حالات الضرورة حسب الرأي السائد. لكن تعريف "حالات الضرورة" مسألة نسبية. ولذلك اختلف المسلمون سُنَّة وشيعة حول مدى تطبيق التَّقِيَّة عملياً. قيل إنها لاتِّقَاء ضرر أو شر متيقن ومعتد به. وقيل إنها وَضْع مؤقت حتى تقوى شوكة المسلمين. وكالعادة، قيل غير ذلك.

827 . (البخارى 3684؛ |خ|:1415/3) (البخارى 6083؛ |خ|:2369/5) و (البخارى 1217؛ |خ|:429/1).

828 . (البخارى 3701؛ إخ|:1425/3) (البخارى 3821؛ إخ|:1487/4) (البخارى 3854؛ إخ|:1498/4) (مسلم 940؛ إم|:649/2).

829 . إج|:192-193، 265-266؛ إب|:185-188، 283-286؛ إعراقى|:381/1-382، 552-553؛ (ابن ماجه 4127-4128؛ إهـ|:476/3-478؛ "صحيح" إهـ-ألبانى|:687، إهـ-صحيح|:351/3-353؛ إهـ-سندى|:435/4-437) (مسلم 2413؛ إم|:1878/4) (أحمد 420/1؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:108/4؛ "حسن" إل|:92/7-93).

830 . هل يوجد أي دليل علمي أو حتى كتابي يثبت أن مفهوم "يوم القيامة" كان معروفاً في زمان ومكان نوح؟!

831 . (البخارى 4455-4458؛ إخ|:1760/4-1762) (البخارى 1985؛ إخ|:736/2-737) (البخارى 2155؛ إخ|:795/2) (البخارى 2293؛ إخ|:854/2) (مسلم 2795؛ إم|:2153/4).

832 . (البخارى 1217؛ إخ|:429/1) (البخارى 3684؛ إخ|:1415/3) (البخارى 3701؛ إخ|:1425/3) (البخارى 3821؛ إخ|:1487/4) (البخارى 3854؛ إخ|:1498/4) (البخارى 6083؛ إخ|:2369/5) (مسلم 940؛ إم|:649/2).

833 . إصابة|:182/3-183؛ إصابة-ع|:222/2.

834 . (البخارى 5348؛ إخ|:2147/5) (البخارى 6066-6068؛ إخ|:2362/5-2363).

835 . على عكس صحابة آخرين ماتوا مبكراً (أي: قبل الإمبريالية العربية/الإسلامية) فماتوا فقراء. مثلاً: مصعب بن عمير وحمزة بن عبد المطلب (ت 3هـ).

836 . (مسلم 2967؛ إم|:2278/4-2279). انظر أيضاً إباشا-صحابة|:395/1-396.

837 . إبكر-رجال|:343-344؛ إصابة|:57/1-60؛ إصابة-ع|:180/1-182؛ إستيعاب|:65/1-70؛ إستيعاب-م|:72-74؛ إأسدغابة|:57/1-59؛ إأسدغابة-ع|:168/1-171؛ إنبلاء|:389/1-402؛ إطبقات|:294/2-295، 462/3-466؛ إأصبهانى|:214/1-219؛ إخالد|:129/4-134؛ إباشا-صحابة|:39/2-50.

838 . (البخارى 3595، 3597؛ إخ|:1385/3) (مسلم 2464؛ إم|:1913/4-1914).

839 . (الترمذى 3791؛ "حَسَنٌ صَحِيحٌ" إت|:480/5؛ "صحيح" إت-ألبانى|:856؛ إت-صحيح|:544/3-545؛ "صححه الترمذي وقال غيره: والصواب إرساله" إخ-عينى|:120/18) (ابن ماجه 154؛ إهـ|:93/1؛ قال الألباني "صحيح" "[و]الصواب أنه مرسل" إهـ-ألبانى|:43؛ إهـ-صحيح|:67/1-68؛ "إسناده صحيح" إهـ-أرنؤوط|:107/1). انظر أيضاً إصحيحة|:223/3-225؛ إنبلاء|:392/1.

840 . (البخارى 4211؛ إخ|:1628/4-1629).

841 . (أحمد 117/5؛ "إسناده صحيح" إل|:41/35-42؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:412/15).

842 . (المستدرك 225/2؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي إحاكم|:245/2).

843 . إكاندهلوى|:185/5.

844 . (المستدرك 225/2-226؛ قال الحاكم "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى إحاكم|:245/2-246).

845 . قال المحققون: "رجاله ثقات" (إنبلاء|:397/1). انظر أيضاً تفاسير (الفتح 26).

846 . (البخارى 4676-4677؛ إخ|:1896/4-1897) (البخارى 3598؛ إخ|:1385/3-1386) (مسلم 799؛ إم|:550/1).

847 . إنبلاء|:395/1؛ إهيثمى|:312/9؛ إحلية|:251/1؛ إطبقات|:294/2؛ إأصبهانى|:217/1؛ إبكر-رجال|:343؛ إخالد|:130/4-131.

848 . إAOB-Subsidia|:206/3.

849 . (أبو داود 907 م؛ إد|:239/1؛ وقال الألبانى "صحيح" إد-ألبانى|:158؛ إد-صحيح|:254/1)؛ إنبلاء|:395/1.

850 . (أحمد 142/5؛ إل|:203/35-205؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:474/15).

851 . (أحمد 132/5؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:446/15؛ "إسناده حسن" إل|:131/35-132) (الترمذى 3793؛ إت|:481/5؛ وقال الألبانى "صحيح" إت-ألبانى|:856؛ "صحيح" إت-صحيح|:545/3-546). (الترمذى 3898؛ إت|:522/5؛ وقال الألبانى "حسن" إت-ألبانى|:875-876؛ "حسن" إت-صحيح|:580/3). انظر أيضاً إصحيحة|:963/6-965؛ إصحيحة|:1022/6-1027؛ إدرمنثور|:724/1؛ إشحاته|:1603/5؛ إمفصل|:450/6.

852 . إب|:470-471؛ إج|:465؛ (المستدرك 492/2-493؛ قال الحاكم "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي إحاكم|:534/2-535). انظر أيضاً تفاسير (البقرة 228) (البقرة 234) (الطلاق 4).

853 . إبكر-رجال|:344؛ إطبقات|:466/3.

854 . (البخارى 3595، 3597؛ إخ|:1385/3) (مسلم 2464؛ إم|:1913/4-1914).

855 . إنبلاء|:400/1.

856 . إنبلاء|:399/1؛ إطبقات|:464/3-465؛ إدمشق-مختصر|:203/4؛ إباشا-صحابة|:49/2-50؛ (المستدرك 305/3؛ إحاكم|:344/3).

857 . (أحمد 136/5؛ "حسن" إل|:157/35-158؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:457/15). وقال الهيثمي: "رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات" (إهيثمى|:3/3).

858 . إل-سندى|:368/12.

859 . (شرح السنة للبغوى 3541؛ إبغوى|:120/13-121).

860 . (أحمد 136/5؛ "حسن" إل|:158/35-159؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:457/15-458).

861 . البظر هو فرج المرأة أو قطعة لحم بين جانبي فرج المرأة. قال أبو بكر الصديق لرجلٍ عربي غير مسلم: "امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ". وشهد محمدٌ هذا المشهد وسمع ما قاله أبو بكر ولم يعترض (البخارى 2583؛ إخ|:975/2-976)!

862 . الشيخ محمد الغزالي، "مائة سؤال عن الإسلام"، دار نهضة مصر، ط 12، 2014، ص 242، 245-247.

863 . إو|:175/14/1-181. انظر الحواشي السفلية (footnotes) في تلك الموسوعة لمعرفة مصادرها ومراجعها الإسلامية.

864 . (البخارى 4637؛ [كتاب: تفسير القرآن، باب: تفسير سورة الجن] إخ|:1873/4-1874) (البخارى 739؛ إخ|:267/1-268) (مسلم 449؛ إم|:331/1-332). سنتحدث عن "استراق السمع" و "الشهب المحرقة" بالتفصيل في فصلٍ آخر.

865 . إشهبة-سير|:404/1.

866 . زَوْبَعَةُ: اسم شيطان من الشياطين عند العرب قبل الإسلام؛ وقيل هو رئيس للجن (إمفصل|:731/6).

867 . (مسلم 450؛ إم|:332/1-333).

868 . (الترمذى 3291؛ "غريب" إت|:236/5-237؛ وقال الألباني "حسن" إت-ألبانى|:743؛ إت-صحيح|:341/3-342) (المستدرك 473/2؛ قال الحاكم "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى إحاكم|:515/2). وقال الألباني: "للحديث شاهداً يتقوى به [...] الحديث بمجموع الطريقين لا ينزل عن رتبة الحسن. والله أعلم" (إصحيحة|:183/5-184).

869 . (البخارى 3646؛ إخ|:1401/3) (مسلم 450؛ إم|:333/1).

870 . (مسلم 450؛ إم|:333/1).

871 . (المستدرك 503/2-504؛ قال الذهبي في التلخيص "هو صحيح عند جماعة" إحاكم|:546/2-547).

872 . إدلائل|:230/2.

873 . إأزرقي|:814/2-815. وانظر أيضاً الخرائط في نهاية هذا المرجع.

874 . إطبرى|:167/21.

875 . (أحمد 458/1-459؛ "إسناده ضعيف لجهالة" أحد رجال السند "وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح" إل|:390/7-392؛ "إسناده ضعيف" إل-شاكر|:237/4-238). سؤال: هل رفض شيوخ الإسلام هذا الحديث لجهالة أحد رجال السند كما يزعمون؟ أم لأنه يبيح الوضوء بالنبيذ؟

876 . انظر مثلاً إم-لاشين|:626/2-628.

877. 28 بكل وضوح, https://www.youtube.com/watch?v=BGwEPbs3ZNU

878. 507 سؤال جريء,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6625&cat=24&scat=40&

879 . سنتحدث في فصلٍ آخر عن "استراق السمع" و "الشهب المحرقة" في القرآن والسُّنَّة الصحيحة.

880 . "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ (يعنى موسى) كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (أى: خسار، هلاك)" (غافر 36-37) (مكية). اقرأ أيضاً (القصص 38-40) (مكية).

881. “It seems as though the motif of attempting to gain access to the heavens and falling to earth could move from story to story” (|Wild-2|:33).

882 . |Reynolds|:83؛ |EI-2|:166/3؛ |Wild|:13-14.

883. William G. Dever, "What did the biblical writers know, and when did they know it?", Eerdmans Publishing Company, 2001, p. 98. See also |EJ|:10\33.

884 . د. طه حسين، "في الشعر الجاهلي"، طبعة 1926، ص 26. النص الأصلي الذي صودر عند نشره أول مرة.

885 . |مفصل|:449/6-510؛ |و|:17/4/2؛ |Reynolds|:76، 82.

886 . |مفصل|:509/6-510؛ |خليل-جذور|:32.

887 . |نبلاء|:127/1؛ |هشام|:222/1-223؛ |مفصل|:469/6-470؛ |عبدالحليم|:145؛ |باشا-صحابة|:228/1.

888 . |مفصل|:455/6-457. انظر أيضاً |مفصل|:508/6.

889 . |عبدالحليم|:145؛ |جنة|:239-241؛ |نبلاء|:127/1؛ |مفصل|:469/6-476.

890 . (البخارى 3616؛ |خ|:1391/3-1392).

891 . يقول شعرُ الحنفاء: كُلُّ دِينٍ يَومَ القِيامةِ عِنْدَ الله   إلا دِينَ الحَنِيْفَةِ زُورُ (أو: بُورُ).

892 . يقول قرآنُ المسلمين: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (آل عمران 19). وكان عبد الله بن مسعود يقرؤها "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الحنيفيةُ" (|معجم-قراءات|:16/2). انظر أيضاً تفاسير (آل عمران 19).

893 . |عبدالحليم|:147؛ |بكر-رجال|:169؛ |هشام|:231/1؛ |هشام-مختصر|:152/1؛ |نبلاء|:132/1-133.

894 . |جنة|:240؛ |هشام|:226/1-227؛ |هشام-ت|:255/1-256؛ |هشام-مختصر|:151/1.

895 . |معجم-ألفاظ|:307.

896 . ولا نريد أن نشرح هذه الجذور العميقة الآن، فسنكتفي بالمصادر والمراجع: |EB|؛ |Trimingham|:293، 295؛ |EI-2|:1084/1-1085؛ |Masson|:785؛ |MS|:65؛ |OTP|:484/2. اقرأ أيضاً (الخروج 34:6-7) (التثنية 4:31) (نحميا 9:31) (يونان 4:2).

897 . (البخارى 3616؛ |خ|:1392/3). انظر أيضاً |بكر-رجال|:168.

898 . انظر تفاسير وأسباب نزول (الزمر 17) و (البقرة 22). مثلاً: |بيضاوى|:37/1؛ |ج|:375؛ |ب|:385.

899 . (البخارى 3614؛ |خ|:1391/3).

900 . (البخارى 5180؛ |بارى|:545/9؛ |بارى-طيبة|:468/12). انظر أيضاً |نبلاء|:133/1؛ |طبقات|:353/3.

901 . (أحمد 68/2-69؛ "إسناده صحيح على شرط الشيخين" |ل|:269/9-271؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:38/5) (أحمد 89/2-90؛ "إسناده صحيح على شرط الشيخين" |ل|:451/9؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:151/5). انظر أيضاً |بكر-رجال|:169-170.

902 . |مفصل|:474/6.

903 . |استيعاب|:617/2؛ |استيعاب-م|:320.

904 . قال ابنُ عبد البر إن زيد بن عمرو بن نفيل كان "لا يأكل الْمَيْتَةَ وَالدَّم" (|استيعاب|:615/2؛ |استيعاب-م|:320). انظر أيضاً |مفصل|:469/6؛ |خليل-جذور|:32.

905 . (البخارى 3616؛ |خ|:1392/3). انظر أيضاً |بكر-رجال|:168.

906 . (مسلم 86؛ |م|:90/1-91) (البخارى 4207؛ |خ|:1626/4) (البخارى 4483؛ |خ|:1784/4) (البخارى 5655؛ |خ|:2236/5) (البخارى 6426؛ |خ|:2497/6-2498) (البخارى 6468؛ |خ|:2517/6) (البخارى 7082؛ |خ|:2734/6) (البخارى 7094؛ |خ|:2739/6).

907 . |جنة|:239-245؛ |بكر-رجال|:167-174؛ |إصابة|:337/4-339؛ |إصابة-ع|:87/3-88؛ |استيعاب|:614/2-620؛ |استيعاب-م|:319-322؛ |أسدغابة|:325/2-326؛ |أسدغابة-ع|:476/2-478؛ |نبلاء|:124/1-143؛ |طبقات|:352/3-358؛ |باشا-صحابة|:227/1-232.

908 . (أبو يعلى 973؛ "إسناده حسن" |يعلى|:260/2-261؛ |يعلى-حق|:458/1). وقال الهيثمي: "رواه أبو يعلى، وإسناده حسن" (|هيثمي|:417/9). انظر أيضاً |بكر-رجال|:169؛ |كثير-ك|:535/2؛ |دلائل|:113/2.

909 . |نبلاء|:127/1؛ |بكر-رجال|:168. انظر أيضاً |مفصل|:500/6-501.

910 . |مفصل|:503/6.

911 . |دمشق|:4/63.

912 . (البخاري 3؛ |خ|:4/1-5).

913 . |مفصل|:501/6.

914 . |إصابة|:329/11؛ |إصابة-ع|:475/6.

915 . |و|:58/8/1؛ |مفصل|:39/4-40، 92/4-94، 477/6.

916 . |إصابة|:468/1-؛ |إصابة-ع|:384/1-؛ |مفصل|:478/6-500؛ |EI-ar|:1202/4-؛ وكتاب "شعراء النصرانية في الجاهلية"، جمعه ووقف على تصحيح طبعته الأولى: الأب لويس شيخو. القاهرة: مكتبة الآداب، ص 219-237.

917 . |مفصل|:479/6-480، 488. انظر أيضاً |EI-ar|:1202/4؛ |مسعودي|:46/1.

918 . (مسلم 2255؛ وهو الحديث رقم 1 في كتاب الشعر |م|:1767/4).

919 . |كثير-ك|:518/2-؛ |كثير-تركي|:284/3-؛ |إصابة|:82/14-؛ |إصابة-ع|:259/8-؛ |دمشق|:282/9-.

920 . (البخاري 3628؛ |خ|:1395/3) (البخاري 5795؛ |خ|:2276/5-2277) (مسلم 2255-2256؛ |م|:1767/4-1768). انظر أيضاً |مفصل|:485/6.

921 . |مفصل|:484/6. انظر أيضاً |مسعودي|:47/1-48.

922 . (البخاري 5965؛ |خ|:2330/5).

923 . |مفصل|:480/6-481.

924 . |قرطبي|:520/22.

925 . |ماتريدي|:627/10. انظر أيضاً |KHO-GP|:161-162؛ |AOB-Subsidia|:220/3-221.

926 . |مفصل|:485/6؛ |إصابة|:472/1؛ |إصابة-ع|:386/1؛ |هشام|:60/1؛ |هشام-مختصر|:49/1.

927 . |معجم-قراءات|:16/2. انظر أيضاً |QHC|:50؛ |QHC-ar|:90.

928 . "وهناك مَن يروي أن (النابغة الجعدي) كان يدعي أن هذا البيت وما بعده هو من نظمه" (|مفصل|:485/6).

929 . (البخاري 2199؛ |خ|:818/2-819؛ |باري|:11/5؛ |باري-طيبة|:118/6). اختلف المسلمون في معنى كلام الذئب!

930 . (مسلم 2388؛ |م|:1857/4-1858).

931 . (البخاري 3284؛ ونعرف مِن هذه الرواية أن الرجل ضرب البقرة، وأن محمد صَلَّى صلاةَ الصبح ثم أقبل على الناس ثم حكى لهم هاتين القصتين |خ|:1280/3) (البخاري 3463؛ |خ|:1339/3-1340) (البخاري 3487؛ |خ|:1349/3).

932 . |كثير-ك|:522/2-؛ |كثير-تركي|:291/3-؛ |دمشق|:272/9-؛ |دمشق|:284/9-؛ |مسعودي|:46/1.

933 . في التوراة، الحمار تَكَلَّمَ! والنبي الأمي (= الأممي) "بلعام" (Balaam) فهِم كلام الحمار فحدث بينهما حوارٌ! تقول التوراة: "فَفَتَحَ الرَّبُّ فَمَ الأَتَانِ (أي: الحمار ass)، فَقَالَتْ لِبَلْعَامَ: «مَاذَا صَنَعْتُ بِكَ حَتَّى ضَرَبْتَنِي الآنَ ثَلاَثَ دَفَعَاتٍ؟». فَقَالَ بَلْعَامُ لِلأَتَانِ: [...]. فَقَالَتِ الأَتَانُ لِبَلْعَامَ: [...]" (العدد 22:28-30)! ويُعتقَد أن القرآن أشار إلى بلعام بدون ذِكر اسمه في (الأعراف 175-176). وهي نفس الآية القرآنية التي قيل إنها تشير إلى أمية بن أبي الصلت. صدفة؟!

934 . |إصابة|:468/1؛ |إصابة-ع|:384/1.

935 . (أحمد 256/1؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:58/3-60؛ "إسناده ضعيف" إل|:158/4-160) (الدارمي 2703؛ إدم|:383/2؛ "إسناده ضعيف، [...]. وقال ابن كثير: "إنه حديث صحيح الإسناد، رجاله ثقات". [...] والله أعلم" إدم-أسد|:1772/3-1773). انظر أيضاً إصابة|:468/1-469؛ إصابة-ع|:384/1-385؛ إمفصل|:486/6.

936 . هل (الصف 6) آية قرآنية أصلية؟ أَم أنها مِن الآيات الموضوعة التي أضيفت لاحقاً بعد وفاة محمد؟

937 . إصابة|:471/1؛ إصابة-ع|:385/1.

938 . انظر كتاب "شعراء النصرانية في الجاهلية"، مرجع سابق، ص 219، 226.

939 . إمفصل|:486/6. وبغض النظر عن مدى صحة هذه الرواية، فإنها تعبر عن وجهة نظر سليمة.

940 . انظر المصادر والمراجع التي ذكرناها عند حديثنا عن الصحابي "الأزرق بن عقبة".

941 . إمفصل|:495/6.

942 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، دار المعارف، ط 35، 2014، ص 303-304. انظر أيضاً إمفصل|:506/6.

943 . إأغاني|:64/17؛ إشعراء|:328. انظر أيضاً ديوان كعب بن زهير.

944 . إشعراء|:327-378؛ إصابة|:271/9-؛ إصابة-ع|:443/5-؛ إستيعاب|:1313/3-؛ إستيعاب-م|:626-؛ إأسدغابة|:528/3-؛ إأسدغابة-ع|:449/4-.

945 . إصابة|:45/3-؛ إصابة-ع|:150/2-؛ د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي"، دار المعارف، ط 29، 2013، ص 95-.

946 . إمفصل|:458/6-460.

947 . |Wild|:16.

948 . إمفصل|:458/6. ونلاحظ أن محمد قال إنه جاء بالحنيفية دين إبراهيم، ولم يقل إنه جاء بالإسلام!

949 . لمزيد مِن التفاصيل عن العلاقة المحتملة بين أبي عامر الراهب والمانوية، انظر |Wild|:15-17، 23.

950 . إج|:204؛ إج-البغا|:260؛ إج-وطن|:204؛ إج-صاوى|:175/2-176.

951 . |JSAI|:120/22-121. انظر أيضاً |Wild|:25-26.

952 . |Wild|:16.

953 . راجع ما قلناه عن مذبحة بني قريظة (5هـ) التي قام بها المسلمون الأوائل بقيادة محمد.

954 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، دار المعارف، ط 35، 2014، ص 419.

955 . إكثير-ك|:528/2-؛ إكثير-تركي|:299/3-؛ إصابة|:215/9-؛ إصابة-ع|:412/5؛ إدلائل|:101/2-؛ إمسعودي|:44/1-45؛ إأغاني|:164/15-؛ إمفصل|:464/6-؛ |AOB-Subsidia|:188/3.

956 . إكثير-ك|:537/2؛ إكثير-تركي|:313/3.

957 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، دار المعارف، ط 35، 2014، ص 415.

958 . إأغاني|:164/15.

959 . وفي بعض الروايات: "بِحَارٌ تَغورُ"؛ أي: يختفي ماؤها ويذهب في الأرض. ولعل المقصود: يوم القيامة.

960 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، دار المعارف، ط 35، 2014، ص 425.

961 . إخليل-جذور|:30-33.

962 . تطور بشري طبيعي لِما قاله الإنجيل إن المسيحية هي الدين الأصلي لأن المسيح يسبق إبراهيم. قَالَ يَسُوعُ لمعارضيه مِن اليهود: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنا 8:58). كل طرف يحاول أن يثبت أسبقية دينه على الأديان الأخرى، ولم يستطع أي طرف حتى الآن أن يثبت بأدلة علمية أن "إبراهيم" شخص حقيقي تاريخي!

963 . إو|:57/8/1-58.

964 . أ.د. مصطفى ديب البغا: "الأساطير جمع أسطورة، وهى الحكاية التى سطرت قديماً، ويغلب إطلاقها على ما لا أصل له. وكان هذا دليلاً على أنها (أى: المطففين 13) مكية: لأنه لم يكن أحد ليجرؤ على قول ذلك فى المدينة" (|إتقان|:39/1-40).

965 . (الترمذى 3064؛ |ت|:106/5؛ "ضعيف الإسناد" |ت-ألبانى|:686) (المستدرك 315/2؛ قال الحاكم "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ولم يوافقه الذهبي |حاكم|:345/2). انظر أيضاً |ج|:192؛ |ب|:185 وتفاسير (الأنعام 33).

966. Claude Gilliot, "Le Coran, fruit d'un travail collectif?" (|AOB-Subsidia|:3\185-232).

967 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، مرجع سابق، ص 375-377.

968 . |مفصل|:616/9-618، 621-622.

969 . |مفصل|:617/9.

970 . |أغاني|:160/21-161.

971 . |أغاني|:93/14.

972 . |مفصل|:602/9.

973 . |مفصل|:611/9-612.

974 . |مفصل|:603/9-604.

975 . |مفصل|:612/9، 615.

976 . راجع ما قلناه عن سَرِيَّة كُرْز بن جابر الفهريّ إلى الْعُرَنِيّين.

977 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، مرجع سابق، ص 377-379. |مفصل|:641/9-.

978 . (البخارى 427؛ |خ|:168/1) (مسلم 521؛ |م|:370/1-371) (البخارى 328؛ |خ|:128/1) (البخارى 2954؛ |خ|:1135/3) (البخارى 2757؛ |خ|:1067/3).

979 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، مرجع سابق، ص 379-382. |مفصل|:637/9-.

980 . |شاهين-صحابيات|:177. سؤال: يزعم المسلمون أن قريش كانت تلقب محمداً بلقب "الصادق الأمين" في الجاهلية (أي: قبل الإسلام). كيف يكون محمد هو "الصادق الأمين" ويرفض عمُّه أبو طالب أن يزوّجه ابنتَه "أم هانئ"؟!

981 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، مرجع سابق، ص 382-387. |مفصل|:623/9-.

982 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، مرجع سابق، ص 387.

983 . |أغاني|:29/3. انظر أيضاً |مفصل|:624/9.

984 . |مفصل|:621/9؛ |مفصل|:650/9-.

985 . |مفصل|:606/9-607.

986 . ريمان: حصن باليمن؛ أراجيل: جمع راجل؛ أحبوش: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة ("كانوا قد تحالفوا تحت جبل يقال له الحبشي أسفل مكة، وقيل سموا بذلك لتجمعهم" (|شهبة-سير|:329/2))؛ الأغضف: الكلب المسترخي الأذن؛ الآلف: المستأنس بمن يحرسهم، مِن الإلف. انظر: د. يوسف خليف، "الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي"، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثالثة: 1978، ص 35.

987 . |مفصل|:608/9.

988 . د. يوسف خليف، "الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي"، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثالثة: 1978، ص 42.

989. سؤال جريء 150, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=2691&cat=24&scat=40&
سؤال جريء 151, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=2709&cat=24&scat=40&

990 . (البخارى 3325؛ |خ|:1294/3) (مسلم 2522؛ |م|:1955/4-1956).

991 . |بكر-رجال|:278-279.

992 . |خالد|:83/1، 87.

993 . (البخارى 3313؛ إخ:1290/3) (البخارى 3321؛ إخ:1293/3) (مسلم 2519-2520؛ إم:1954/4).

994 . قَارِنْ بين موقف محمد من الصعاليك المجرمين وعدم مطالبتهم برد ما نهبوه مِن أموال، وموقف يسوع المسيح من "زَكَّا" (Zacchaeus) الفاسد الذي قرر أن يتوب ويردّ "أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ" ما أخذه مِن الناس بالباطل (لوقا 19:1-10).

995 . إمفصل:620/9. انظر أيضاً إطبقات:241/1 ولسان العرب [ج م ع].

996 . (البخارى 3322؛ إخ:1293/3) (مسلم 2515-2518؛ إم:1952/4-1953).

997 . (أبو داود 3666؛ إد:323/3-324؛ وقال الألبانى "ضعيف إلا جملة دخول الجنة؛ فصحيحة" إد-ألبانى:659).
وإنْ قلتم إن الصعاليك هُمْ الفقراء فقط، فسنقول: فلماذا لم يقل لهم "يا معشر فقراء المهاجرين"؟! الفقر صفة من صفات الصعاليك، وليس تعريفاً لهم.

998 . (كنز العمال 10683؛ إكنز:317/4).

999 . إبكر-رجال:425-433؛ إصابة:67/7-؛ إصابة-ع:359/4-؛ إستيعاب:1612/4-؛ إستيعاب-م:775-؛ إأسدغابة:389/4-؛ إأسدغابة-ع:32/6-؛ إطبقات:180/5-؛ إأصبهانى:2132/4-؛ إباشا-صحابة:215/2-.

1000 . (البخارى 2581-2582؛ إخ:979/2). انظر أيضاً إشهبة-سير:340/2-.

1001 . إطبقات:181/5؛ إشاكر-تاريخ:297/2.

1002 . (البخارى 2581-2582؛ إخ:979/2).

1003 . إبكر-رجال:278-279؛ 427؛ 431.

1004 . إإصابة:300/10-؛ إصابة-ع:156/6-؛ إستيعاب:1445/4-؛ إستيعاب-م:689-؛ إأسدغابة:181/4-؛ إأسدغابة-ع:238/5-؛ إنبلاء:21/3-؛ إطبقات:173/5-، 143/8؛ إأصبهانى:2582/5-؛ إباشا-صحابة:369/2-.

1005 . إهشام:313/2-314؛ إهشام-مختصر:70/2؛ إبارى:402/5؛ إنبلاء:24/3-؛ إطبقات:173/5-.

1006 . (البخارى 2581-2582؛ إخ:975/2-976؛ إبارى:401/5). انظر أيضاً إشهبة-سير:330/2-.

1007 . انظر تفاسير وأسباب نزول (الفتح 18-19).

1008 . أ. د. محمد بكر إسماعيل، "الفقه الواضح"، القاهرة: دار المنار، الطبعة الثانية 1997، 205/2-206.

1009 . إبكر-رجال:277-؛ إصابة:215/12-؛ إصابة-ع:105/7-؛ إستيعاب:252/1-، 1652/4-؛ إستيعاب-م:152-، 793-؛ إأسدغابة:343/1-، 436/4-؛ إأسدغابة-ع:562/1-، 96/6-؛ إنبلاء:46/2-؛ إطبقات:305/2-، 205/4-؛ إأصبهانى:557/2-؛ إخالد:81/1-؛ إباشا-صحابة:141/1-.

1010 . إبكر-رجال:278-279.

1011 . إخالد:83/1، 87.

1012 . (كنز العمال 36901؛ إكنز:318/13). محاجِنَ جمع مِحْجَنُ: عَصاً معوجة الرأس، عَصاً مُعَقَّفة الطرف.

1013 . إنبلاء:55/2؛ إطبقات:208/4.

1014 . إج:375؛ إب:385.

1015 . (البخارى 3328؛ إخ:1294/3-) (البخارى 3648؛ إخ:1401/3-) (مسلم 2473-2474؛ إم:1919/4-؛ إم-نووى:41/16-).

1016 . أ. د. محمد بكر إسماعيل، "الفقه الواضح"، القاهرة: دار المنار، الطبعة الثانية 1997، 201/2-203.

1017 . إبكر-رجال:278.

1018 . إطبقات:208/4-209.

1019 . إطبقات:209/4. انظر أيضاً إطبقات:210/4.

1020 . قارِنْ ذلك مع تعاليم المسيحية التي تدعو إلى تغيير حياة الإنسان إلى الأفضل بعد إيمانه: "لاَ يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ" (أفسس 4:28).

1021 . (الترمذى 3718؛ "حَسَنٌ" إت:453/5-454؛ "حَسَنٌ غَرِيبٌ" وقال الألباني: "ضعيف" إت-ألبانى:843) (ابن ماجه 149؛ إهـ:91/1؛ "ضعيف" إهـ-ألبانى:41-42؛ "إسناده ضعيف" إهـ-أرنؤوط:104/1) (أحمد 351/5؛ "إسناده

ضعيف" إل|:67/38-68؛ "إسناده حسن" إل-شاكر|:484/16). "سندُه حسنٌ" (إصابة|:309/10؛ إصابة-ع|:161/6). انظر أيضاً إنبلاء|:540/1، 61/2؛ إبكر-رجال|:288؛ إباشا-صحابة|:413/2.

1022 . (أحمد 148/1؛ "إسناده ضعيف" إل|:414/2؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:124/2-125). انظر أيضاً إنبلاء|:60/2-61؛ إأسدغابة|:185/4؛ إأسدغابة-ع|:243/5. وتوجد رواية أخرى (الترمذى 3785) تضع مصعبَ بن عمير بدلاً من أبي ذر. وكما قلنا: كان دور مصعب الديني/العسكري في يثرب يشبه دور أبي ذر في غِفَار.

1023 . (الترمذى 3801؛ "حَسَنٌ" إت|:486/5؛ وقال الألباني: "صحيح" إت-ألبانى|:858، إت-صحيح|:549/3) (ابن ماجه 156؛ إهـ|:93/1-94؛ وقال الألباني: "صحيح" إهـ-ألبانى|:43، إهـ-صحيح|:68/1).

1024 . إبكر-رجال|:279-280.

1025 . إإصابة|:173/4-؛ إإصابة-ع|:4/3-؛ إأسدغابة|:259/2؛ إأسدغابة-ع|:380/2-؛ إطبقات|:153/6.

1026 . إإصابة|:256/9-258؛ إإصابة-ع|:434/5-435؛ إاستيعاب|:1310/3-1311؛ إاستيعاب-م|:625؛ إأسدغابة|:524/3-525؛ إأسدغابة-ع|:443/4-444؛ إطبقات|:97/5-98؛ إأصبهانى|:2410/5.

1027 . (مسلم 1671؛ إم|:1296/3-1298؛ إم-نووى|:219/11-225) (البخارى 231؛ إخ|:92/1) (البخارى 1430؛ إخ|:546/2) (البخارى 2855؛ إخ|:1099/3) (البخارى 3956-3957؛ إخ|:1535/4-1536) (البخارى 4334؛ إخ|:1685/4) (البخارى 5361-5362؛ إخ|:2153/5) (البخارى 5395؛ إخ|:2163/5) (البخارى 6417-6420؛ إخ|:2495/6-2496) (البخارى 6503؛ إخ|:2528/6-2530).

1028 . إزادمعاد|:267/3.

1029 . إأغاني|:130/21.

1030 . أ. د. محمد بكر إسماعيل، "الفقه الواضح"، القاهرة: دار المنار، الطبعة الثانية 1997، 254/2.

1031. https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/

1032 . (البخارى 4030؛ إخ|:1559/4-1560).

1033 . إطبرى-تاريخ|:57/3-58؛ إهشام|:407/2-408؛ إهشام-ت|:49/4-50؛ إروض|:69/7-70.

1034 . (البخارى 4315؛ إخ|:1677/4) (مسلم 3025؛ إم|:2319/4).

1035 . (الترمذى 3030؛ "حسن" إت|:85/5-86؛ وقال الألبانى "حسن صحيح" إت-ألبانى|:677؛ إت-صحيح|:220/3).

1036 . (أحمد 229/1؛ "حسن لغيره" إل|:467/3-468؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:489/2) (أحمد 272/1؛ "حسن لغيره" إل|:271/4-272؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:120/3) (أحمد 324/1؛ "حسن لغيره" إل|:128/5-129؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:308/3).

1037 . إب|:138-142؛ إج|:159-160؛ إعراقى|:333/1-335. وانظر أيضاً تفاسير (النساء 94).

1038 . إمفصل|:612/9-613. انظر أيضاً إأغاني|:240/20-.

1039 . إب|:278. انظر أيضاً إج|:259 وتفاسير وأسباب نزول (الإسراء 90-93).

1040 . إجمعة-نار|:333-349؛ إنار|:381-391.

1041 . إب|:351؛ إهشام|:300/1. انظر أيضاً إAOB-Subsidia|:193/3-194؛ إKHO-GP|:156.

1042 . انظر أسباب النزول وتفاسير القرطبي والجلالين و إمنتخب|:723؛ إضيف|:677؛ إوجدى|:539-540.

1043 . إمقاتل|:622/4-623. انظر أيضاً إJSAI|:97/22-98؛ إKHO-GP|:156.

1044 . إدرمنثور|:132/6. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (الأنعام 93).

1045 . إطبرى|:142/11-143؛ إطبرى-شاكر|:503/13-504. انظر أيضاً إAOB-Subsidia|:191/3-194.

1046 . إWild|:23-24.

1047 . انظر تفاسير وأسباب نزول (الأنفال 32) و (المعارج 1-2).

1048 . (البخارى 4371-4372؛ إخ|:1704/4-1705) (مسلم 2796؛ إم|:2154/4).

1049 . مثلاً: مصحف الأزهر (|ميسر|:243)؛ وزارة الأوقاف المصرية (|منتخب|:491)؛ مجمع الملك فهد (|فهد-ف|:435).

1050 . "كان "الجِوَارُ" - يومئذٍ - تقليداً مِن تقاليد العرب ذات القداسة والإجلال، فإذا دخل رجل مستضعف في جوار سيد قرشي، أصبح في حِمى منيع لا يُهْدَر له دم" (|خالد|:147/2). وهذا يدل على أن بعض المسلمين الأوائل دخلوا في حماية المشركين.

1051 . |و|:164/6/2؛ |عاشور|:179/7؛ |هيكل|:223-222/1؛ |كفورى|:203؛ |هشام|:710/1؛ |عمري|:2:370/2-371؛ |فرسان|:309؛ |جمعة-نار|:344-345.

1052 . |طبرى|:143/11؛ |طبرى-شاكر|:504/13؛ |أنساب|:163-162/1؛ |نوريقين|:79. انظر أيضاً |Wild|:23-24؛ |AOB-Subsidia|:194/3. ولعلهم يقصدون: أمر محمدٌ بقتله.

1053 . انظر مثلاً |العوشن|:129-130. "ولا يعني ذلك نفي وقوع الأمر تاريخياً، بل عدم ثبوته فقط" (|العوشن|:3).

1054 . كيف عرفوا الإسلام "الصحيح"؟! هل لديهم نسخ أصلية كاملة للقرآن والسُّنَّة يرجع تاريخُها إلى زمان محمد؟!

1055 . |حلبية-م|:522/1؛ |حلبية-ع|:455/1. انظر أيضاً |جمعة-نار|:341.

1056 . |ج|:470؛ |ب|:476. كما قلنا فيما سبق، يُقال إن (الأنفال 32) نزلت في أبي جهل، الذي قُتِل هو أيضاً بأيدي المسلمين يوم بدر! جُرح أبو جهل في المعركة فقطع ابنُ مسعود رأسَه! أما النضر بن الحارث فقُتِل صبراً بعد أسره!

1057 . |KHO-GP|:156.

1058 . وهو طبعاً يقصد المثقفين الذين لم ينضموا إلى تنظيم محمد (مثل النضر بن الحارث وغيره). أما المثقفون الذين انضموا إلى تنظيم محمد (مثل سلمان الفارسي وغيره)، فكان محمد يحبهم ويرحب بهم لأنهم سيساعدوه.

1059 . |جمعة-نار|:171-190؛ |نار|:502-515؛ |EQ|:3/32.

1060 . (البخارى 2375؛ |خ|:887/2-888) (البخارى 2867-2868 أو 2869؛ |خ|:1102/3-1103) (البخارى 3811؛ |خ|:1481/4-1482؛ |بارى|:390/7-؛ |بارى-طيبة|:95/9-) (مسلم 1801؛ |م|:1425/3-1426؛ |م-نووى|:223/12-). انظر أيضاً |شاكر-نساء|:197-198.

1061 . المراجع الإسلامية لا تُسميه "كذب"! وإنما – كالعادة – يخترعون كلمة حلوة، فيقولون "تعريض" أو "معاريض" وهو أن يقول المُتكلِّم كلاماً يحتمل معنيين (equivocal)، أي: يَأْتِي المُتكلِّم بِكَلَامٍ بَاطِنُهُ صَحِيحٌ وَيَفْهَمُ مِنْهُ الْمُخَاطَبُ غَيْرَ ذَلِكَ. أما نحن فنُسميه "كذب" لأنه يحدث عن عمد وبهدف خداع الْمُخَاطَب. وفي هذه الحالة تحديداً: بهدف اغتيال الْمُخَاطَب!

1062 . هذا كذب / تعريض. معناه في باطن ابن مسلمة: محمد أتعبنا بما فيه مرضاة الله كالصدقة مثلاً، فهو تعب محبوب لنا. بينما الذي فهمه كعبٌ هو التعب غير المحبوب. وابنُ مسلمة كان يعلم أن كعب سيفهم كلامَه بهذه الطريقة.

1063 . |درر|:152-153.

1064 . |جمعة-نار|:186.

1065 . |صلابى|:576/1.

1066 . رؤساء اليهود – على الرغم من كل شرورهم المذكورة في الإنجيل – صنعوا محاكمةً شكلية لمحاكمة يسوع المسيح وأعطوه فرصةً ليدافع عن نفسه أو يتراجع عن أقواله. أما محمدٌ فلم يفعل ذلك مع كعب بن الأشرف، فكيف يكون "نبي الرحمة" كما يزعم المسلمون؟!

1067 . انظر تفاسير وأسباب نزول "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ [...] وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ (أي: أنتم) أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا" (النساء 51).

1068 . تقول التوراة مرتين في الوصايا العشر: "لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا [...] لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ" (الخروج 20:4-5) "لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا [...] لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ" (التثنية 5:8-9).

1069 . |هشام|:47/2؛ |هشام-مختصر|:413/1؛ |ج|:109؛ |ب|:66-67؛ |كثير-سير|:909/3؛ |كثير-صفوة|:3/6-7؛ |حلبية-م|:462/2-؛ |حلبية-ع|:284/2-؛ |دررسنية|:225/3-؛ |بوطى|:167-. وانظر تفاسير وأسباب نزول (آل عمران 12-13). وكالعادة، المراجع الإسلامية لا تُسميه "تهديد"! وإنما يخترعون كلمة حلوة، فيقولون "نصيحة" أو "تحذير"!

1070 . تقول التوراة مرتين في الوصايا العشر: "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ [...]. لاَ تَقْتُلْ" (الخروج 20:12-13) "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ [...]. لاَ تَقْتُلْ" (التثنية 5:16-17). ووجد اليهودُ المسلمين في غزوة بدر يقاتلون أهلَهم!

1071 . قال رجلٌ عربي غير مسلم لمحمد: "هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟" (البخارى 2583؛ إخ|:975/2).

1072 . |شهبة-سير|:412-413؛ |نوريقين|:126؛ |نار|:328-332.

1073 . (البخارى 3812؛ إخ|:1482/4). انظر أيضاً |شاكر-نساء|:203-204، 209.

1074 . (البخارى 2860؛ إخ|:1101/3).

1075 . |هشام|:273/2-275؛ |كثير-ك|:339/4-341؛ |كثير-تركى|:127/6-130؛ |درر|:195؛ |نار|:328.

1076 . (البخارى 3813-3814؛ إخ|:1482/4-1485) (البخارى 2859؛ إخ|:1100/3-1101).

1077 . |صلابى|:780/1.

1078 . |و-تاريخ|:728/1-؛ |جنة|:31-؛ |كثير-ك|:14/7-؛ |كثير-تركى|:429/9-؛ |نار|:117-.

1079 . أو كما قال أحدُ الإرهابيين: المسلم الماليزي أو المسلم الإندونيسي ممكن يحكم مصر، لكن المصري المسيحي لأ!

1080 . |باشا-صحابة|:453/1. انظر أيضاً |كثير-ك|:14/7-؛ |كثير-تركى|:430/9-؛ |نار|:121-.

1081 . (البخارى 3424؛ إخ|:1326/3) (البخارى 4115؛ إخ|:1590/4) (البخارى 4118؛ إخ|:1592/4) (البخارى 6628؛ إخ|:2579/6) (مسلم 2274؛ إم|:1781/4).

1082 . (مسلم 2274؛ إم|:1781/4) (البخارى 4116؛ إخ|:1591/4) (البخارى 6630؛ إخ|:2580/6).

1083 . (أحمد 86/3؛ "إسناده حسن" إل|:335/18-؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:271/10-).

1084 . |زادمعاد|:608/3.

1085 . كما تزوج محمدٌ "صفية بنت حُيَيّ" بعد أن قتل زوجَها "كنانة بن الربيع"!

1086 . (المعجم الكبير 848؛ |طبرانى-كبير|:330/18). انظر أيضاً |استيعاب|:1265/3؛ |استيعاب-م|:603.

1087 . ولا يزال كثير من الحكام المسلمين اليوم يقتدون بسيدهم محمد: لا منافسة إلا المنافسة الشكلية. ولا معارضة إلا المعارضة الديكورية.

1088 . |و-تاريخ|:728/1-؛ |جنة|:31-؛ |جمعة-نار|:241-؛ |نار|:99-.

1089 . "جِبْرَائِيل: اسم عبري معناه "رجل الله" أو "أظهر الله ذاته جباراً"" (|قاموس-كتاب|:245).

1090 . |طبرى|:482/17.

1091 . (البخارى 3424؛ إخ|:1325/3-1326) (البخارى 4115؛ إخ|:1590/4) (البخارى 4118؛ إخ|:1591/4-1592) (البخارى 7023؛ إخ|:2714/6) (مسلم 2273؛ إم|:1780/4؛ إم-نووى|:48/15-). انظر أيضاً |شهبة-سير|:545/2-.

1092 . يقصد الرؤيا التي رآها بخصوص مسيلمة والأسود العنسي: "بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، [...]".

1093 . |نجار-خلفاء|:45.

1094 . |هشام|:600/2-؛ |طبرى-تاريخ|:146/3؛ |كامل|:167/2-؛ |كثير-ك|:24/5-؛ |كثير-تركى|:259/7-؛ |يعقوبى|:130/2؛ |جمعة-نار|:244-؛ |نار|:101-.

1095 . (أبو داود 2761-2762؛ إد|:83/3-84؛ وقال الألبانى "صحيح" إد-ألبانى|:488-489؛ إد-صحيح|:174/2) (أحمد 384/1؛ "حديث صحيح [...] وهذا الحديث يدل على أن بعض أتباع مسيلمة الكذاب كانوا في الكوفة" إل|:151/6-؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:525/3-).

1096 . (أحمد 390/1-391؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف" إل|:240/6-؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:556/3) (أحمد 396/1؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف" إل|:306/6؛ "إسناده حسن" إل-شاكر|:22/4) (أحمد 404/1؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف" إل|:386/6-؛ "إسناده حسن" إل-شاكر|:54/4-).

1097 . (أحمد 404/1؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف" إل|:386/6-؛ "إسناده حسن" إل-شاكر|:54/4-).

1098 . (الدارمى 2503؛ "إسناده صحيح" إدم|:307/2-308؛ "إسناده حسن، ولكن الحديث صحيح" إدم-أسد|:1626/3).

1099 . (المعجم الكبير 8960؛ |طبرانى-كبير|:220/9). قيل: منقطع الإسناد؛ وقيل: ليس منقطع. انظر |هيثمى|:262/6.

1100. https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/

1101 . |MS|:65-66.

1102 . |طبرى-تاريخ|:273/3-؛ |كامل|:215/2-؛ |كثير-ك|:36/7-؛ |كثير-تركى|:473/9-؛ |مفصل|:92/6؛ |جمعة-نار|:246-؛ |مراد-خلفاء|:86-87؛ |مسعودى|:161/2.

1103 . وهذا إعجاز علمي في قرآن مسيلمة! فقد أثبت العلم الحديث الفوائد الصحية الكثيرة للتمر واللبن (: فكيف عرف مسيلمة هذه الحقيقة العلمية التي لم يعرفها علماء الغرب إلا في العصر الحديث؟! لا بد أن يكون نبياً يتلقى الوحي مِن عند الله. ... أليس هذا ما يقوله المسلمون عن محمد وقرآنه؟!

1104 . |Wild|:25. انظر أيضاً |JSAI|:120/22-121؛ |Wild|:26.

1105 . |كثير-ك|:28/7-؛ |كثير-تركى|:457/9-؛ |طبرى-تاريخ|:267/3-؛ |كامل|:213/2-؛ |و-تاريخ|:728/1-؛ |جنة|:31-؛ |جمعة-نار|:250-؛ |نار|:99، 132-؛ |نجار-خلفاء|:42-.

1106 . |مفصل|:95/6.

1107 . |جنة|:31.

1108 . (البخارى 4051؛ |خ|:1564/4-1565).

1109 . |كثير-ك|:24/7-؛ |كثير-تركى|:450/9-؛ |طبرى-تاريخ|:253/3-؛ |كامل|:206/2-؛ |أسدغابة|:497/2-؛ |أسدغابة-ع|:94/3-؛ |و-تاريخ|:728/1-؛ |جنة|:31-؛ |نجار-خلفاء|:41-.

1110 . |ب|:413. انظر أيضاً |س-كبرى|:269/10 وتفاسير (الحجرات 14).

1111 . |ج|:414. انظر أيضاً |طبقات|:253/1 وتفاسير (الحجرات 17).

1112 . |كثير-ك|:26/7؛ |كثير-تركى|:453/9. انظر أيضاً |طبرى-تاريخ|:257/3.

1113 . |كامل|:210/2.

1114 . |طبرى-تاريخ|:251/3. انظر أيضاً |جنة|:34؛ |نجار-خلفاء|:40. وفي |و-تاريخ|:733/1 الصادر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية، نقلوا الكتابَ مِن تاريخ الطبري، لكننا لا نجد عبارة "وأن يُحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قِتْلة، وأن يَسبِيَ النساء والذراري"! هل حُذِفت هذه العبارة عمداً؟! أم سقطت سهواً؟!

1115 . (البخارى 7؛ |خ|:7/1-10) (مسلم 1773؛ |م|:1393/3-1397).

1116 . (البخارى 427؛ |خ|:168/1) (مسلم 521؛ |م|:370/1-371) (البخارى 328؛ |خ|:128/1) (البخارى 2954؛ |خ|:1135/3).

1117 . |نجار-خلفاء|:51-52.

1118 . (البخارى 3305؛ |خ|:1288/3) (مسلم 1818؛ كِتَاب: الْإِمَارَةِ – بَاب: النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ وَالْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ |م|:1451/3؛ |م-نووى|:275/12-).

1119 . (مسلم 1820؛ |م|:1452/3). وفي روايتي البخاري: "لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ" (البخارى 3310؛ |خ|:1290/3) (البخارى 6721؛ كِتَاب: الْأَحْكَامِ – بَاب: الْأُمَرَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ |خ|:2612/6).

1120 . |حلبية-م|:80/1-82؛ |حلبية-ع|:68/1-69.

1121 . |إصابة|:55/5-؛ |إصابة-ع|:247/3؛ |استيعاب|:677/2-؛ |استيعاب-م|:347-؛ |أسدغابة|:403/2؛ |أسدغابة-ع|:595/2-.

1122 . |مفصل|:332/9-333. |مفصل|:110/8-111، 288.

1123 . |هشام|:425/1-؛ |هشام-مختصر|:262/1-؛ |كثير-سير|:592/2-؛ |كثير-صفوة|:90/2-؛ |كثير-ك|:396/3-؛ |كثير-تركى|:364/4-؛ |دلائل|:419/2.

1124 . |مفصل|:342/8-343.

1125 . |إصابة|:517/9-؛ |إصابة-ع|:572/5-؛ |طبقات|:512/3؛ |أصبهانى|:2615/5-.

1126 . |إصابة|:357/2-؛ |إصابة-ع|:671/1-؛ |أسدغابة|:378/1؛ |أسدغابة-ع|:613/1؛ |طبقات|:312/4-؛ |أصبهانى|:777/2 وتفاسير وأسباب نزول (آل عمران 89).

1127 . |إصابة|:219/2-؛ |إصابة-ع|:599/1؛ |أسدغابة|:333/1-؛ |أسدغابة-ع|:548/1-؛ |طبقات|:314/4؛ |أصبهانى|:642/2- وتفاسير وأسباب نزول (التوبة 74).

1128 . وقيل إن صاحب هذه القصة "رجلٌ من الأنصار" بدون تحديد اسمه! وقيل إنه تشابه أسماء: شخص آخر اسمه "الحارث بن سويد" لكنه ليس "الحارث بن سويد بن الصامت"! وإنه أرسل إلى قومِه (أو: إلى رجلٍ من قومه) ليشفعوا له عند محمد. وفي جميع الأحوال، النتيجة واحدة: ربما تكون (آل عمران 89) قد بدأت باقتراح بشري ثم تحولت إلى آية قرآنية.

1129 . |مسعودى|:71/2-72. انظر أيضاً |Wild|:24.

1130. 27 بكل وضوح, https://www.youtube.com/watch?v=YMZo23qy9Q8

1131 . (مسلم 1681؛ |م|:1309/3-) (البخارى 5426-5427؛ |خ|:2172/5).

1132 . د. شوقي ضيف، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، دار المعارف، ط 35، 2014، ص 422-423.

1133 . |و|:93/5/2 نقلاً عن الأستاذ نظمى لوقا.

1134 . |و|:127/3/2 نقلاً عن الأستاذ أحمد جاد المولى.

1135 . (البخارى 1814؛ |خ|:675/2-676؛ |بارى|:151/4؛ |بارى-طيبة|:250/5) (مسلم 1080؛ |م|:761/2) (النسائى 2140-2141؛ |س|:139/4-140) (أبو داود 2319؛ |د|:296/2؛ "صحيح" |د-ألبانى|:407).

1136 . |هشام|:236/1-237؛ |هشام-مختصر|:159/1-160؛ |هشام-تهذيب|:44.

1137 . "عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم [...]" (البخارى 6581؛ |خ|:2561/6-2562) (مسلم 160؛ |م|:139/1-142).

1138 . كما قالت الصبية مريم العذراء للملاك (جبريل) جملة منفية واضحة حين بشرها بالولد (عيسى): "قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا" (مريم 20) (مكية) "قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ" (آل عمران 47) (مدنية). هل كانت مريم وهى صبية أفصح مِن محمد الرجل ذى الأربعين عاماً؟

1139 . |جابرى-قرآن|:79. انظر تاريخ الطبرى |طبرى-تاريخ|:298/2-301 وتفسير الطبرى |طبرى|:528/24-529. واقرأ بحث الدكتور محمد عابد الجابرى الذى أثبت فيه أن رسول الإسلام كان يعرف القراءة والكتابة (|جابرى-قرآن|:77-98).

1140 . |و|:144/5/2.

1141 . |سعدى|:930.

1142 . |ضيف|:1027؛ |عبده|:470/5.

1143 . |كثير|:582/6؛ |كثير-شيخ|:386/11؛ |كثير-طيبة|:596/6؛ |شعراوى-قصص|:223.

1144 . |منتخب|:797؛ |منتخب-ف|:698. انظر أيضاً ما قاله الشيخ عبد الوهاب النجار عن موسى ويونس ومحمد (|نجار|:419-420).

1145. “[I]n the ancient world “reading” a book did not mean, usually, reading it to oneself; it meant reading it aloud, to others” (|Ehrman|:41-42).

1146 . |شوقى|:32/3-33.

1147 . انظر تفاسير وترجمات هذه الآيات القرآنية.

1148 . |زادمسير|:421/8.

1149 . ونحوه: "وَلَا تَعْجَلْ (يا محمد) بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ" (طه 114). انظر أيضاً |MS|:32.

1150 . |منتخب-ف|:967.

1151 . |Arberry|:344/2؛ |Rodwell|:19؛ |Bell|:667/2؛ |Grosjean|:357؛ |Bakhtiar|:700؛ |Muntada|:642. انظر أيضاً |Montet|:259-260.

1152 . |AYA|:1672؛ |Blachere|:657؛ |FV|:233؛ |Luxenberg|:302-305. أو: Call (|Luxenberg|:320). أو: Apelle (|Aldeeb|:29).

1153 . |Rodwell|:20.

1154 . |Berque|:181.

1155 . |QHC-ar|:32؛ |QHC|:10. وقال البيضاوى عن "اقْرَأْ" (العلق 1) (العلق 3): "تكرير للمبالغة، أو الأول مطلق والثانى للتبليغ أو فى الصلاة" (|بيضاوى|:609/2).

1156 . |سبعينية|:إشعياء/274. انظر أيضاً |معاصر|:1257؛ |JSB|:843؛ |إسكندرية|:170/6.

1157 . |هولمز|:454-458، 474؛ |رسوليون|:179، 184-185؛ |LostScr|:251-254؛ |Ehrman|:47-50، 119-120.

1158 . |رسوليون|:185 من حاشية المُراجع.

1159. 18 صندوق الإسلام,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6147&cat=24&scat=230& 383 سؤال جريء,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5866&cat=24&scat=40&

1160 . |و|:13/2/3.

1161 . |خ-عينى|:409/10. انظر أيضاً |بطال|:32/4.

1162 . |كثير|:142/8؛ |كثير-شيخ|:554/13؛ |كثير-طيبة|:116/8؛ |كثير-شاكر|:454/3؛ |كثير-صابونى|:497/3؛ |كثير-شنقيطى|:1816.

1163 . |و|:7/2/3.

1164 . اقرأ أيضاً الآية المشابهة: "بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (آل عمران 164).

1165 . |قرطبى|:452/20؛ |قرطبى-مصر|:337/9.

1166 . |ب|:553.

1167 . |سعدى|:862. انظر أيضاً |أشقر|:553؛ |ظلال|:3564/6.

1168 . |و|:12/2/3.

1169 . |و|:95-96/5/2.

1170 . "عبد الحليم" (|Haleem|:554)؛ الشيخ "بوريما عبده داود" (|Boureima|:772). "فخرى" (|Fakhry|:567).

1171. "[…] "the Arabs"; the relevant term here (Ar. أُمِّيِين) means "gentiles," that is, any people who have not yet received divine revelation" (|GR-AQ|:828).

1172 . |شوقى|:38-39/3.

1173 . وقُرئت غير ذلك: "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتَكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ"؛ "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ"؛ "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً" (|خطيب|:53-54/6). يعني كل الاحتمالات الأربع موجودة في كتب القراءات! وكالعادة، كل قراءة لها طبعاً الحيلة النحوية التي تبررها! لمزيد من التفاصيل، انظر |QSC|:246.

1174 . |خ-عينى|:409/10.

1175. "Since the spread of Christianity, the word *Gentiles* designates, in theological parlance, those who are neither Jews nor Christians" http://www.newadvent.org/cathen/06422a.htm

1176. "[I]f the "Book" (*kitāb*) in "People of the Book" is seen […] as a reference to a covenant with God, then this phrase [i.e. "People of the Book"] would refer to a people with an earlier revelation and law. The term *ummī* would then mean someone thus far without a covenant, that is, a "gentile."" (|Reynolds|:85).

1177 . |بيضاوى|:153/1.

1178 . |قرطبى|:71/5؛ |قرطبى-مصر|:418/2.

1179 . |طبرى|:286/5؛ |طبرى-شاكر|:281/6.

1180 . |صفوة|:192/1.

1181 . |طنطاوى|:59/2. انظر أيضاً |نسفى|:244/1؛ |واحدى-وجيز|:203/1؛ |واحدى|:423/1؛ |أشقر|:52؛ |سعدى|:126؛ |قرنى|:67.

1182 . |فهد-ف|:73؛ |Haleem|:53؛ |Blachere|:78. انظر أيضاً |Muntada|:47؛ |Aldeeb|:520،421.

1183 . |نسفى|:266/1.

1184 . |أشقر|:59.

1185 . |ميسر|:50. انظر أيضاً |طبرى|:510/5؛ |طبرى-شاكر|:521/6-522؛ |رزاق|:398/1؛ |ثعالبى|:63/2؛ |ماوردى|:403/1؛ |واحدى-وجيز|:218/1؛ |واحدى|:452/1؛ |عبده|:43/5؛ |قرنى|:76؛ |أميرى|:361.

1186 . |Pickthall|:74؛ |Haleem|:60؛ |Fakhry|:63؛ |فهد-ف|:83؛ |Boureima|:117. انظر أيضاً |Unal|:141؛ |Blachere|:85؛ |زينب|:59؛ |Hamid|:69؛ |Muntada|:53؛ |Boubakeur|:204/1؛ |Aldeeb|:426؛ |EQ|:34/3،27.

1187 . |فهد-ف|:612.

1188 . لكن يوجد رأى آخر يقول إن (الأعراف 157) مِن الآيات التى أُضيفت لاحقاً لإعطاء شرعية لنبوة محمد (|MS|:45).

1189 . |و|:12/2/3؛ |و|:28/4/2.

1190 . |عبيدة|:90/1.

1191 . |عثيمين|:آل عمران/133/1؛ |عثيمين|:آل عمران/425/1.

1192. “[…] “Ummyun” […] a été traduit de manières différentes. Certains l’ont rendu par “analphabètes”, ce que nous estimons inexact; d’autres le traduisent par “les gentils”, c’est-à-dire les communautés non juives. Mais généralement les “Ummyun” désigne les communautés auxquelles aucune Écriture n’avait été révélée avant le Prophète Muhammed, lui-même “Ummi”. (cf. s. 7, v. 157 et 158)” (|فهد-ف|:16).

1193. “The word *ummyy* is derived from *ummah*, a nation, and means Gentile; it here [Q 7.157-158] refers to Muhammad’s ignorance, previous to the revelation of Islam, of the ancient Scriptures. It is equivalent to the Gr. *laic*, *ethnic*, and to the term *gojim*, as applied by the Jews to those unacquainted with the Scriptures. There can, however, be no doubt that Muhammad – in spite of his assertions to the contrary, with the view of proving his inspiration – was well acquainted with the Bible histories. He wished to appear ignorant in order to raise the elegance of the Koran into a miracle” (|Rodwell|:307-308).

1194 . ترجمة مجمع الملك فهد (|فهد-ف|:244-245)؛ Blachère (|Blachere|:194)؛ "عبد الحليم" (|Haleem|:171؛ |Haleem|:60). انظر أيضاً |أشقر|:170؛ |Aldeeb|:98؛ |EQ|:25/3.

1195 . |Neuwirth|:316-317.

1196 . |رازى|:223/7-224؛ |كشاف-ع|:538/1-539؛ |كشاف-ش|:165.

1197 . |ج-البغا|:15؛ |ج-وطن|:12؛ |ج|:12؛ |سعدى|:56.

1198 . |قرنى|:20.

1199 . |و|:13/2/3.

1200 . |عبده|:209/4.

1201 . |شعراوى|:418/1. انظر أيضاً |جابرى-قرآن|:81؛ |رزاق|:277/1.

1202 . (البخارى 1289؛ |خ|:454/1-455؛ |بطال|:339/3؛ |كرمانى|:128/7-130) (مسلم 2930؛ |م|:2244/4). "وكان ابن صياد متديناً باليهودية؛ لأن أهله كانوا حلفاء لليهود" (|و|:143/5/2).

1203 . (مسلم 1783؛ كتاب الجهاد والسير – باب صلح الحديبية في الحديبية |م|:1410/3-1411).

1204 . "وَكَتَبَ بِيلاَطُسُ عُنْوَانًا وَوَضَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا:«يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ». فَقَرَأَ هذَا الْعُنْوَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ يَسُوعُ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَاللاَّتِينِيَّةِ. فَقَالَ رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ لِبِيلاَطُسَ: «لاَ تَكْتُبْ: مَلِكُ الْيَهُودِ، بَلْ: إِنَّ ذَاكَ قَالَ: أَنَا مَلِكُ الْيَهُودِ!»" (يوحنا 19:19-21).

1205 . |و|:28/4/2.

1206 . (مسلم 1783؛ |م|:1409/3-1410) (البخارى 2551؛ كتاب الصلح |خ|:959/2-960).

1207 . (البخارى 2552؛ |خ|:960/2).

1208 . انظر مثلاً |و|:147/5/2-149. ولجأوا إلى نفس الحيلة فى أحاديث صحيحة أخرى تدل على أن محمد كان يكتب. قال محمد لأصحابه: "هَلُمُّوا **أَكْتُبْ** لكم كتاباً لا تضلوا بعده" (البخارى 4169؛ |خ|:1612/4). قال محمد لأصحابه: "ائْتُونى بالكَتِفِ والدَّوَاةِ (أو: اللوح والدَّوَاةِ) **أَكْتُبْ** لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً" (مسلم 1637؛ |م|:1259/3).

1209 . (البخارى 4005؛ كتاب المغازي – باب عُمْرَة القضاء |خ|:1551/4-1552).

1210 . انظر مثلاً تفسير القرطبى (العنكبوت 48): |قرطبى|:373/16-375؛ |قرطبى-مصر|:312/7-314.

1211 . (البخارى 114؛ |خ|:54/1). اقرأ أيضاً (البخارى 4169؛ |خ|:1612/4) (البخارى 5345؛ |خ|:2146/5) (البخارى 6932؛ |خ|:2680/6) (مسلم 1637؛ |م|:1259/3).

1212 . (مسلم 1637؛ |م|:1257/3-1258). اقرأ أيضاً (البخارى 2888؛ [كتاب: الجهاد] |خ|:1111/3) (البخارى 2997؛ |خ|:1155/3-1156).

1213 . (أحمد 222/1؛ "إسناده صحيح على شرط الشيخين" |ل|:408/3-؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:455/2-).

1214 . (مسلم 1637؛ |م|:1259/3). اقرأ أيضاً (أحمد 355/1؛ "إسناده صحيح على شرط الشيخين" |ل|:351/5؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:415/3-416) (المعجم الكبير 12261؛ |طبرانى-كبير|:445/11).

1215 . |بارى|:196/6-197؛ |بارى-طيبة|:301/7.

1216 . |بارى|:252/1؛ |بارى-طيبة|:365/1-366.

1217 . (البخارى 4168؛ |خ|:1612/4؛ |بارى|:738/7-؛ |بارى-طيبة|:590/9-). اقرأ أيضاً (أحمد 222/1؛ "إسناده صحيح على شرط الشيخين" |ل|:408/3-؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:455/2-).

1218. 540 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=-AnY01fMT-c

1219 . كما كان المَلَكَان هاروت وماروت يُعَلِّمَانِ النَّاسَ السِّحْرَ، على الرغم من أنه نوعٌ من الكفر، "وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ (أي: اختبار وامتحان مِن الله) فَلَا تَكْفُرْ (أي: فَلَا تمارس السِّحْرَ الذي نعلمك إياه)" (البقرة 102).

1220 . "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (أي: نِيَاط قلبه؛ aorta)" (الحاقة 44-46). ويقول حديث صحيح إن محمد كَانَ "يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: "يَا عَائِشَةُ، مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي (أي: شريان قلبي) مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ"" (البخارى 4165؛ |خ|:1611/4). الآية القرآنية والحديث الصحيح يكفيان كدليل على أن محمد ليس رسولَ الله.

1221 . |منتخب|:872.

1222 . |فهد|:492.

1223 . |و|:24/4/2.

1224 . |شعراوى|:4388/7. انظر تفسير ابن كثير (الأعراف 154) و |كثير-هاشمى|:335؛ |كثير-بديوى|:404-405؛ |كثير-ك|:79/2.

1225 . |كثير-هاشمى|:335؛ |كثير-بديوى|:404؛ |كثير-ك|:79/2. انظر تفسير ابن كثير (الأعراف 157-158).

1226. “presumably the reference to the “Evangel” – i.e., Jesus’ revelation – would make sense to the Qurʾān’s own audience but not to Moses” (|GR-AQ|:281).

1227 . "مَشْهُودًا لَهُ (أي: ليسوع المسيح) مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ (يقصد: العهد القديم كله)" (رومية 21:3). ويسوع المسيح نفسه قال في حياته: "لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي، لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي" (يوحنا 46:5) "فَتِّشُوا الْكُتُبَ (Scriptures) لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي" (يوحنا 39:5). وأيضاً بعد قيامة يسوع المسيح من الأموات، "ثُمَّ ابْتَدَأَ [يسوعُ] مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ" (لوقا 27:24). وآيات أخرى.

1228 . قال المسيح عيسى ابن مريم: "وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ" (آل عمران 50).

1229 . قال يسوعُ المسيح: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ" (متى 11:28-30). انظر أيضاً التراث المسيحي (السرياني) قبل الإسلام (|Witztum|:275-278).

1230 . "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ" (الصف 14).

1231 . "لَمْ يَكُنْ [يوحنا المعمدان؛ يحيى بن زكريا] هُوَ النُّورَ، بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّور (أي: ليسوع المسيح)" (يوحنا 1:8). واعترف القرآنُ بأن الإنجيل "فِيهِ هُدًى وَنُورٌ" (المائدة 46). وكذلك التوراة "فِيهَا هُدًى وَنُورٌ" (المائدة 44)؛ (الأنعام 91).

1232 . "ولَمّا كانَ العيدُ قد انتَصَفَ، صَعدَ يَسوعُ إلى الهَيكَلِ، وكانَ يُعَلِّمُ. فتعَجَّبَ اليَهودُ قائلينَ: "كيفَ هذا يَعرِفُ الكُتُبَ، وهو لم يتعَلَّمْ؟". أجابَهُمْ يَسوعُ وقال: "تعليمي ليس لي بل للذي أرسَلَني (يقصد: الله هو الذي عَلَّمني)" (يوحنا 7:14-16).

1233 . |معجم-ألفاظ|:158؛ |معجم-ألفاظ|:688.

1234. "This [i.e. the long verse 7:157] is an addition that testifies to the process of legitimation by means of the prophetic cycle" (|MS|:45).

1235 . اقرأ هذا الادعاء الإسلامى بالكامل فى: |مجلس|:324-327. انظر أيضاً |ماوردى|:268/2.

1236 . لمزيد من التفاصيل، انظر: |بسيط-بعدالمسيح|:45-65.

1237 . انظر |بسيط-بعدالمسيح|:52-53، وانظر أيضاً تفاسير هذين الإصحاحين (التثنية 17) و (التثنية 18).

1238 . قال محمد: "أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءَهم وأموالَهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله". وهذا حديث صحيح، بل فى أعلى درجات الصحة، إذ أخرجه الشيخان البخارى ومسلم: (البخارى 25؛ |خ|:17/1) (مسلم 22؛ |م|:53/1).

1239 . لن ندخل فى جدل حول مَن المسئول عن هذه الحرب الأهلية، فكَما هى العادة فى أى حرب أو نزاع أو حتى خناقة سيُلقِي كل طرف بالمسئولية على الطرف الآخر. المهم هو أن الإسلام هو الديانة الوحيدة فى العالم التى أدى ظهورها إلى اندلاع حرب أهلية شارك فيها مؤسس الديانة (محمد) بنفسه! وبعد وفاة محمد بقليل، اندلعت حربٌ أهلية ثانية (أو ما يُسمَّى بـ "حرب الرِّدَّة"). وبعد ذلك بقليل، اندلعت حربٌ أهلية ثالثة (أو ما يُسمَّى بـ "الفتنة الكبرى"). ثم اندلعت حربٌ أهلية رابعة بين الأمويين وأهل المدينة (وقعة الحَرَّة 63هـ شرقي المدينة). ثم اندلعت حربٌ أهلية خامسة بين عبد الله بن الزبير والأمويين. أى: خمسة حروب أهلية في المئة سنة الأولى مِن عمر الإسلام! فلماذا نتعجب إذن حين نرى الحروب الأهلية تحرق البلدان الإسلامية (مثل العراق وسوريا وليبيا واليمن والصومال والسودان) وتهدد دولاً أخرى ذات أغلبية مسلمة؟! هذا فى حد ذاته دليل على أن الإسلام ليس من عند الله، إذ لا يُعقَل أن يكون هذا هو الدين الذى ارتضاه الله للبشرية.

1240 . "وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ" (يوحنا 20:30-31). كل آيات إنجيل يوحنا يجب أن تُفسَّر في ضوء هاتين الآيتين.

1241 . اقرأ هذا الادعاء الإسلامى بالكامل فى: |مجلس|:327-329.

1242 . |JSB|:1318-1319؛ |دراسى|:1335؛ |NIV|:835.

1243 . لمزيد من التفاصيل، انظر |بسيط-بعدالمسيح|:110-113. انظر أيضاً تفاسير المزمور 45، وتفاسير الآيات الأخرى التى ذكرناها من العهد الجديد، ومعنى "الكنيسة" كما جاء فى قانون الإيمان (|قانون|:100-113؛ |ثاوفيلس|:80-84)، وما قاله قاموس الكتاب المقدس: "**أورشليم رمزياً:** يستخدم الأنبياء أورشليم وصهيون كرمز إلى ملكوت الله فمثلاً انظر (إشعياء 65:17-25) و (الرؤيا 21:2). وقد أطلق اسم أورشليم على الكنيسة الممجدة" (|قاموس-كتاب|:135).

1244 . اقرأ هذا الادعاء الإسلامى بالكامل فى: |مجلس|:329-332.

[1245]. "Zion appears in the Old Testament 152 times as a title of Jerusalem; over half of these occurrences appear in two books, the Book of Isaiah (46 times) and that of Psalms (38 times). It appears seven times in the New Testament and five times in quotations from the Old Testament. [...] Although the name of Zion is rare in the New Testament, it has been frequently used in Christian literature and hymns as a

designation for the heavenly city or for the earthly city of Christian faith and fraternity.” (|EB|).

1246 . لمزيد من التفاصيل، انظر تفاسير (إشعياء 60). انظر أيضاً خريطة توضح دور ملوك الفرس فى عودة اليهود من السبى البابلى إلى أورشليم (|NIV|:668؛ |دراسى|:1091).

1247 . اقرأ هذا الادعاء الإسلامى بالكامل فى: |مجلس|:321-324. انظر أيضاً |زهرة|:2970/6-2971؛ |شحاته|:1601/5.

1248 . |NIV|:1416،208،37؛ |دراسى|:2176،337،58؛ |آرثر|:1431،90؛ |تطبيقى|:313،301،293؛ |قاموس-كتاب|:667،163؛ |مسكين|:30؛ |بسيط-بعدالمسيح|:74-83. انظر أيضاً الخرائط الموجودة فى هذه المراجع.

1249 . البَرِّيَّات التى مر عليها بنو إسرائيل هى: بَرِّيَّة شُور/إيثَام (Shur/Etham)، بَرِّيَّة سِين (Sin)، بَرِّيَّة سيناء (Sinai)، بَرِّيَّة فاران (Paran)، بَرِّيَّة صِين (Zin). انظر (العدد 33) والخرائط الموجودة فى المراجع اليهودية والمسيحية. كل هذه البَرِّيَّات تبعد مئات الكيلومترات عن مكة.

1250 . |ملطى|:التثنية/626.

1251 . (البخارى 2018، 4558؛ |خ|:1831/4؛ |بارى|:449/8؛ |بارى-طيبة|:603/10؛ |بطال|:253/6-254؛ |كرمانى|:16/10-18؛ |خ-عينى|:345/11).

1252 . اقرأ هذا الادعاء الإسلامى بالكامل فى: |مجلس|:333-335.

1253 . "وهكذا كان المسيح يصوّر المسيحية باعتبارها الوجه الروحي لليهودية مستعلناً بالنعمة. والموضوع الأساسي هو ملكوت الله ومن ورائه شخص المسيَّا الذي جاء ليستعلنه على أصوله الأولى" (|المسيح|:224).

1254 . استخدم يسوع المسيح هذه الآية للإشارة إلى نفسه (متى 26:64) و (لوقا 21:27).

1255 . لمزيد من التفاصيل عن معنى ملكوت السماوات (ملكوت الله) كما جاء فى الكتاب المقدس، انظر |تساؤلات|:71/3-90؛ |بسيط-بعدالمسيح|:131-144. انظر أيضاً |قاموس-كتاب|:919؛ |EB|؛ وتفاسير الآيات التى ذكرناها.

1256 . اقرأ هذا الادعاء الإسلامى بالكامل فى: |مجلس|:335-338.

1257 . |المسيح|:393.

1258 . |المسيح|:397، 398.

1259 . |بسيط-بعدالمسيح|:166. انظر أيضاً |Tisdall|:190-192؛ |Tisdall-ar|:163-165.

1260 . اقرأ هذا الادعاء الإسلامى بالكامل فى: |مجلس|:338-340. انظر أيضاً |زهرة|:2971/6؛ |ماوردى|:268/2.

1261 . الأب متى المسكين، "الباراكليت. الروح القدس فى حياة الناس"، ط5، 2012، ص10.

1262 . |بسيط-بعدالمسيح|:156-160. لمزيد من التفاصيل عن معنى كلمة "البارقليط" فى الكتاب المقدس وفى الكتابات اليونانية بصفة عامة قبل وبعد الميلاد، انظر تفاسير الآيات الكتابية التى ذكرناها و |بسيط-بعدالمسيح|:145-167؛ |Tisdall|:190-192؛ |Tisdall-ar|:163-165؛ |قاموس-كتاب|:414-415؛ |EB|؛ "مفهوم البارقليط (الروح القدس) فى جميع الأديان"، دراسة بقلم: الأرشيدياكون الدكتور ميخائيل مكسى إسكندر (المدرس بمعهد الدراسات القبطية)، 2001، ص 8-22، 28-31.

1263 . |بسيط-بعدالمسيح|:146-147.

1264 . |مجامع|:102؛ |عصر|:187؛ |بسيط-بعدالمسيح|:152؛ |EB|.

1265. “The essential principle of Montanism was that the Paraclete, the Spirit of truth, whom Jesus had promised in the Gospel According to John, was manifesting himself to the world through Montanus and the prophets and prophetesses associated with him” (|EB|).

1266 . |NTApocr|:405/1، 407؛ |بسيط|:242/1، 262؛ |بسيط-بعدالمسيح|:152، 163-165؛ |EB|؛ |Tisdall|:191-192؛ |Tisdall-ar|:164-165؛ |QHC|:99؛ |QHC-ar|:159؛ |KHO-GP|:162-163.

1267. “Mani viewed himself as the final successor in a long line of prophets, beginning with Adam and including Buddha, Zoroaster, and Jesus. He viewed earlier revelations of the true religion as being limited in effectiveness because they were local, taught in one language to one people. Moreover, later adherents lost sight of the original truth.

Mani regarded himself as the carrier of a universal message destined to replace all other religions. Hoping to avoid corruption and to ensure doctrinal unity, he recorded his teachings in writing and gave those writings canonical status during his lifetime. […] Mani sought to found a truly ecumenical and universal religion that would integrate into itself all the partial truths of previous revelations, especially those of Zoroaster, Buddha, and Jesus" (|EB|).

1268. |Tisdall-ar|:164. "Manichaism had taken refuge in Arabia long before Muḥammad's time" (|Tisdall|:191).

1269 . |KHO-GP|:163، 175. اقرأ هذا البحث لـ (Claude Gilliot) كاملاً فى |KHO-GP|:153-187.

1270 . |Wild|:3. اقرأ هذا البحث لـ (Claude Gilliot) كاملاً فى |Wild|:3-26.

1271 . |Reynolds|:194-196؛ |KHO|:79، 81-82، 106.

1272 . ملحوظة: وُصِف يسوع المسيح فى الكتاب المقدس بصفات كثيرة، فلقد وُصِف بأنه "مُخْتَار اللهِ" (لوقا 35:23)، ووُصِف بأنه "مَنْصُور" (زكريا 9:9)، ووُصِف بأنه "باراقليط" (1 يوحنا 2:1-2)، ووُصِف عدة مرات بأنه "مُبَارَك" (مثل: متى 39:23)، ووُصِف فى القرآن أيضاً بأنه "مُبَارَك": "وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ" (مريم 31). مُختار / مصطفى ومُبارَك ومنصور وباراقليط ومُحمَّد كلها صفات محمودة ثناء (commendation) على يسوع المسيح وليست أسماء بشر.

1273. |KHO-GP|:127-132. 29 التاريخ المبكر للإسلام,
https://www.youtube.com/watch?v=jTjA_EG-Kis

1274 . |EI-2|:4/81.

1275 . سؤال: كيف يكون محمد هو "الصادق الأمين" ويرفض عمُّه أبو طالب أن يزوّجه ابنتَه "أم هانئ"؟!

1276. 523 سؤال جريء,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6674&cat=24&scat=40& 383 سؤال جريء,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5866&cat=24&scat=40&

1277. Prof. Gabriel Said Reynolds wonders: "[W]hat of the name Muhammad itself? It has traditionally been read as a record of the proper name of a historical figure. But could it be a thing of literature and not history? Could Muhammad be an epithet that only became a proper name in the historical narratives of later interpreters?". After presenting several arguments, he concludes: "It should not be a great surprise, then, that the Quran never provides the proper name of its own Prophet" (|Reynolds|:187-199). See also: |KHO-GP|:392.

1278 . انظر تفاسير سفر الرؤيا وبخاصة (الرؤيا 13).

1279 . |معاصر|:2487.

1280 . "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غلاطية 20:2).

1281 . |خالدى-أ|:2/315-316؛ |خالدى-ج|:226-227.

1282 . |شرقاوى|:477.

1283 . |مجلس|:317-319.

1284 . انظر المراجع الإسلامية التى تتحدث عن "عصمة الأنبياء" فى الإسلام وخطايا الأنبياء فى الكتاب المقدس. مثل |عثيمين|:الصافات/307-308؛ |طيب|:31؛ |نجار|:414؛ |شرقاوى|:474-479؛ |Njozi|:76.

1285. "Moses is (merely) a man, with human faults and failings" (|EJ|:14\533).

1286. "We believe that Jesus is a man, who was tried and tempted as we are, yet who resisted sin even until death. Three days later, the only true God, the Father raised him to eternal life, after which Christ ascended to his Father's side to await the appointed time of his return. […] To say that Jesus […] could not sin is to disparage the magnitude of his accomplishment, overcoming the power of sin"
http://www.christadelphia.org/belief.php

1287 . (مسلم 194؛ إم|:186-184/1) (البخارى 4435؛ إخ|:1747-1745/4) (البخارى 3162؛ إخ|:1215/3-1216).

1288 . ونحن لن نعلق على هذه المسألة، لأن موضوعنا ليس "غفران الخطايا"، وإنما موضوعنا هو "خطايا الأنبياء".

1289 . (البخارى 3112؛ إبارى|:389-388/6)؛ (مسلم 2366؛ إم-نووى|:175-174/15) وأحاديث أخرى صحيحة بنفس المعنى. انظر تفاسير (آل عمران 36). وانظر أيضاً إكثير-هاشمى|:488-489، 542؛ إكثير-بديوى|:591-592، 661؛ إو|:20/10/3؛ |EI-2|:82/4.

1290 . يعنى سيد المسيح عيسى ابن مريم؟!

1291 . يعنى أشرف مِن المسيح عيسى ابن مريم؟! وماذا عن الفترة التى كان محمدٌ فيها مسحوراً (البخارى 5432-5433) (مسلم 2189)؟ هل كان أيضاً "أشرف المرسلين" حتى وهو مسحور؟!

1292 . (البخارى 3261؛ إخ|:1271/3).

1293 . (مسلم 2771؛ إم|:2139/4؛ إم-نووى|:175/17؛ إمازرى|:418/2؛ إعياض|:305-304/8؛ إديباج|:133-132/6).

1294 . "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث"، تأليف: الشيخ محمد الغزالى، تقديم: نصر الدين شريف بَاعَطوة. القاهرة: دار الكتاب المصرى؛ الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية؛ بيروت: دار الكتاب اللبناني، 2012، ص 47.

1295 . (مسلم 2816-2818؛ إم|:2171-2169/4) (البخارى 5349؛ إخ|:2147/5) (البخارى 6098؛ إخ|:2373/5).

1296 . إكثير-شيخ|:461-460/9.

1297 . (البخارى 25؛ إخ|:17/1) (مسلم 22؛ إم|:53/1). ويؤمن المسلمون السُّنَّة أن هذا حديث صحيح، بل فى أعلى درجات الصحة، إذ أخرجه الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحيهما، أصح كتابين بعد القرآن مِن وجهة نظر المسلمين السُّنَّة.

1298 . كان فتح مكة هو النهاية الفعلية لهذه الحرب الأهلية، وليس صلح الحديبية (6هـ) الذى كان مجرد هدنة.

1299 . ولن ندخل فى جدل حول مَن المسئول عن هذه الحرب الأهلية، فكَما هى العادة فى أى حرب أو نزاع أو حتى خناقة في الشارع سيُلقِي كل طرف بالمسئولية على الطرف الآخر. المهم أنها حرب أهلية خاضها محمدٌ بنفسه ضد قبيلته! ولذلك فإن أحد الإرهابيين المسلمين عندما سُئِل: هل ضميرك يؤنبك على قتل ضباط الشرطة؟ أجاب هذا الإرهابي المسلم بكل ثقة وثبات: النبي قتل أعمامَه! ولعله يقصد: النبي قاتل أهلَه أو قاتل شعبَه. (كلمة "عَمّ" في العبرية تعني "شعب".)

1300 . لو فعل أحدٌ اليوم نفس الفعل، سيُقال عنه خائن وعميل، وسيُحاكَم ويُسجَن، وقد يُعدَم!

1301 . هذا بالإضافة إلى الخناقات التى كانت تحدث بين الصحابة، وأحياناً فى وجود محمد؛ مثل خناقة الأوس والخزرج "حتى هَمُّوا أن يَقْتَتِلوا، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ على المِنْبَر، فلم يزل رسولُ الله ﷺ يُخَفِّضُهُم حتى سَكَتُوا وسَكَتَ" (البخارى 4473؛ إخ|:1776/4) (مسلم 2770؛ إم|:2133/4). انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (النساء 59) (النساء 88) (آل عمران 100-103). فلماذا نتعجب إذن حين نرى الحروب الأهلية تحرق البلدان الإسلامية (مثل العراق وسوريا وليبيا واليمن والصومال والسودان) وتهدد دولاً أخرى ذات أغلبية مسلمة؟! إنها نفس الثقافة العربية-الإسلامية. وهذا فى حد ذاته دليل على أن الإسلام ليس من عند الله، إذ لا يُعقَل أن يكون هذا الإسلام هو الدين الذى ارتضاه اللهُ للإنسان.

1302 . قد يُقال إن يهوذا الإِسْخَرْيُوطِي تلميذ المسيح قد خانه. الرد باختصار: يهوذا ارتكب خطيئة كبيرة، ولا يوجد مسيحي واحد في العالم يقول عن يهوذا "رضي الله عنه". لكن كل المسلمين يقولون عن علي "رضي الله عنه"، والمسلمين السنة يقولون عن معاوية أيضاً "رضي الله عنه"! ثم إن خيانة يهوذا لم تؤدِ إلى حرب أهلية بين المسيحيين. والأهم من هذا كله: توجد أحاديث رواها عليّ ويعتبرها المسلمون جزءاً من الدين الإسلامي، لكن في المقابل لا يوجد مسيحي واحد في العالم يأخذ دينَه من يهوذا الإِسْخَرْيُوطِي! فلا يوجد وجه للمقارنة.

1303 . (البخارى 2854؛ إخ|:1098/3). وقال أ. د. محمد بكر إسماعيل (مِن كبار أساتذة الأزهر): "ولكن يجب على الحاكم قبل أن يقتل المرتد أن يستتيبه"، أى: يمهله مدة كافية (قيل: 3 أيام)، "حتى يعود إلى الإسلام فيعفى عنه، أو يمضى فى طريق الكفر فيقتل كفراً كما أمر الله"، الفقه الواضح، مرجع سابق، 271-270/2. تعليقنا: إن حد الردة يجعل الإسلامَ سجناً أبدياً يدخل الناسُ فيه ولا يخرجون منه، ويكشف كذب البروباجاندا الإسلامية التى تزعم أن الإسلام دين العقل والحرية!

1304 . (مسلم 1676؛ "عام فى كل مرتد عن الإسلام بأى ردة كانت فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام. قال العلماء: ويتناول أيضاً كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغى أو غيرهما. وكذا الخوارج" إم|:1303-1302/3؛ إم-نووى|:238-236/11).

1305 . قال أ. د. محمد بكر إسماعيل تحت عنوان "القصاص في النفس" "هل يُقتَل مسلمٌ بكافرٍ؟": "كيف يتساوى المؤمن مع الكافر، مع أن الكافر شر عند الله مِن الدابة والمؤمن طيب طاهر؟! [...] فالراجح إن شاء الله كما قلنا رأي الجمهور"، ورأي الجمهور مِن الفقهاء هو "لا يُقتَل المسلمُ بالكافر الذمي"! الفقه الواضح، مرجع سابق، 2/300-301. سؤال: هل هذا يعني أن الجاموسة أو الحمار – في نظر إله الإسلام – أفضل مِن أي طبيب قلب مسيحي وأحسن مِن أي عالِم كمبيوتر يهودي؟!

1306 . مستوحاة مِن: "اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ [يَعْرِفُ] مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ" (إشعياء 1:3)! "اِذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ. تَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَكُنْ حَكِيمًا. الَّتِي لَيْسَ لَهَا قَائِدٌ أَوْ عَرِيفٌ أَوْ مُتَسَلِّطٌ، وَتُعِدُّ فِي الصَّيْفِ طَعَامَهَا، وَتَجْمَعُ فِي الْحَصَادِ أُكلَهَا. إِلَى مَتَى تَنَامُ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ؟ مَتَى تَنْهَضُ مِنْ نَوْمِكَ؟" (الأمثال 6:6-9)!

1307 . مستوحاة من "أَمَّا هؤُلاَءِ (أي: المعلمين الْكَذَبَة الزائفين) فَكَحَيَوَانَاتٍ غَيْرِ نَاطِقَةٍ، طَبِيعِيَّةٍ (natural brute beasts)، مَوْلُودَةٍ لِلصَّيْدِ وَالْهَلاَكِ، يَفْتَرُونَ عَلَى مَا يَجْهَلُونَ، فَسَيَهْلِكُونَ فِي فَسَادِهِمْ" (2 بطرس 2:12)؛ "هؤُلاَءِ (أي: الأشرار؛ غير المؤمنين) يَفْتَرُونَ عَلَى مَا لاَ يَعْلَمُونَ. وَأَمَّا مَا يَفْهَمُونَهُ بِالطَّبِيعَةِ، كَالْحَيَوَانَاتِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ (unreasoning animals)، فَفِي ذلِكَ يَفْسُدُونَ" (يهوذا 10)! اقرأ أيضاً (إرميا 5:21) (التثنية 4:29) (إشعياء 10:29) (حزقيال 1:12-2) (إشعياء 9:6-10) (لوقا 10:8) (مرقس 11:4-12) (متى 13:13-15) (مرقس 17:8-18) (رومية 8:11) (أعمال الرسل 25:28-27)!

1308 . الآيات القرآنية السابقة تشتم غير المسلمين، وأيضاً تحدد نظرةَ المسلمين إلى غير المسلمين (الأنعام). فبما أن الأنعام أو البهائم هي الحيوانات المستأنسة المذللة آكلة العشب التي تصلح كأضاحي وتشمل الإبل والبقر والغنم (انظر تفاسير (المائدة 1) (الحج 28، 34)؛ إشحرور|:2/62-64). إذن: مصير غير المسلمين هو نفس مصير البهائم؛ إما أن يَخْضَعوا للمسلمين أو أن يُذْبَحوا! ولذلك فإن المسلم الإرهابي يقول "باسم الله" أو "الله أكبر" حين يقتل البشر، أي: يقول نفس الجملة التي يقولها حين يذبح الأضحية يوم عيد الأضحى! لماذا؟ لأن القرآن علّمه ألا يعتبر مَن يقتلهم بشراً، وإنما يعتبرهم بهائم بل أضاحي!

1309 . انظر تفاسير (الفاتحة 7) حيث يوجد شبه إجماع على هذا التفسير. "وقال ابن أبى حاتم: لا أعلم بين المفسرين فى ذلك اختلافاً" (إبارى|:9/8؛ إبارى-طيبة|:9/635). وهذا التفسير الشهير يعتمد على حديث صحيح ذكره الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة وعلَّق عليه تعليقاً طويلاً ختمه بما يلى: "والخلاصة أن الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح، وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير فى "تفسيره"، وصرح بثبوته ابن أبى العز الحنفى فى آخر شرحه للعقيدة الطحاوية، وجزم بنسبته إلى النبى ﷺ شيخُ الإسلام ابن تيمية فى "مجموع الفتاوى"" (إصحيحة|:8/785).

1310 . (مسلم 2767؛ إم|:4/2120). وكالعادة، توجد حيل إسلامية لتبرير هذا الحديث العجيب حتى لا يصطدم بالقرآن الذى قال فى أكثر مِن موضع: "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" (انظر مثلاً إم-نووى|:17/132-135).

1311 . (البخارى 425؛ إخ|:1/168)، (مسلم 529؛ إم|:1/376). ويُروَى أن "أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا (لمحمد) كنيسةً رأينها بالحبشة فيها تصاوير"، فقال محمد: "إن أولئك، إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك الصور، فأولئك شِرَارُ الخلق عند الله يوم القيامة" (البخارى 417؛ إخ|:1/165) (مسلم 528؛ إم|:1/375-376)!

1312 . (مسلم 2167؛ إم|:4/1707).

1313 . (البخارى 7؛ إخ|:1/7-10) (مسلم 1773؛ إم|:3/1393-1397). "تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ" (الفتح 16).

1314 . (البخارى 427؛ إخ|:1/168) (مسلم 521؛ إم|:1/370-371) (البخارى 328؛ إخ|:1/128) (البخارى 2954؛ إخ|:3/1135). وقال القرآن عن "الرعب": "سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ" (آل عمران 151) "سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ (أي: الرؤوس!) وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (أى: الأطراف!)" (الأنفال 12) "وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ" (الحشر 2) "وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا" (الأحزاب 26-27)؛ وطبعاً كلها آيات مدنية. أما "الغنائم" فتوجد سورة كاملة فى القرآن اسمها "الأنفال" - أى: الغنائم - وهى طبعاً سورة مدنية ووصفت الغنائم بـ "الطَّيِّبَاتِ" (الأنفال 26)!

1315 . (البخارى 2757؛ إخ|:3/1067).

1316 . "ذِئْبٌ يَفْتَرِسُ. فِي الصَّبَاحِ يَأْكُلُ غَنِيمَةً، وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يُقَسِّمُ نَهْبًا" (التكوين 27:49).

1317 . تعليقنا: الإسلام يبيح العبودية (slavery) بينما يحرّم التبني (adoption)! أيهما يجب منعه؟! وأيهما يجب إباحته؟!

1318 . (مسلم 68-70؛ إم|:1/83).

1319 . "**عِدَّة الصغيرة التي لم تحض:** وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ من الصغار فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك" (إحجازى|:3/690).

1320 . (مسلم 1422؛ إم|:2/1038-1039؛ إم-نووى|:9/294-298) (البخارى 3681؛ إخ|:3/1414-1415).

1321 . تعليقنا: الدين الذي يسمح بالكذب والغش والخداع والخيانة لا يمكن أن يكون هو دين الله الصادق الأمين.

1322 . الكذب هو الخطيئة الأولى في تاريخ البشرية: الشيطان كذب على آدم وحواء.

1323 . العنف هو الخطيئة الثانية في تاريخ البشرية: قابيل (قَايين) قَتَلَ أخاه هَابِيلَ.

1324 . تعليقنا: الدين الذي يسمح بدخول الكذب والعنف في كل بيت يجعل الكذب والعنف ينتشران في المجتمع. ولذلك ينتشر الكذبُ والعنفُ في المجتمعات العربية/الإسلامية ... فينتشر معهما الديكتاتورية والإرهاب.

1325 . قال أ. د. محمد بكر إسماعيل: "ومن هنا لم يشترط الفقهاء حضور المرأة وقت إيقاع الطلاق، بل يكتفى بإعلامها حتى تتهيأ لإحصاء عدتها وتستعد لاستقبال حياة جديدة قد تكون مع زوجها إن ارتجعها فتصلح من أمرها معه وتحسن معاملتها له، وقد تكون عند رجل آخر إن بت طلاقها، وقد تظل ثيباً حتى تموت" (الفقه الواضح، مرجع سابق، 104/2)!

1326 . |فهد|:507. انظر أيضاً |و|:170/3/1؛ وكتاب "الفقه الواضح"، مرجع سابق، 79/3-80.

1327 . ويقول حديث صحيح إن "رسول الله ﷺ يوم حُنَيْن بعث جيشاً إلى أَوْطَاس [عند الطائف]، فلقوا عدواً، فقاتلوهم، فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا. فكأن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ تَحَرَّجوا مِن غِشيانِهنَّ مِن أجل أزواجهن مِن المشركين. فأنزل الله عز وجل في ذلك "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ" (النساء 24)، أي: فَهُنَّ لكم حلالٌ إذا انقضت عِدَّتهن" (وفي رواية أخرى: بدون "إذا انقضت عِدَّتهن"!) (مسلم 1456؛ كتاب الرضاع - باب جواز وطء المَسْبِيَّةِ بعد الاستبراء وإن كان لها زوج انفسخ نكاحها بالسبي |م|:1079/2-1080)! قال أ. د. محمد بكر إسماعيل: "تُسبى المرأةُ وحدها (أي: دون زوجها) فيفسخ النكاح بلا خلاف عند الفقهاء" (الفقه الواضح، مرجع سابق، 87/3)!

1328 . المسلمون حوالى 25% مِن البشر. والإسلام يُميز المسلمَ على غير المسلم. إذن: الإسلام ينتهك حقوق **<u>75%</u>** مِن البشر. والإسلام يُميز الرجلَ المسلم على المرأة المسلمة وهى تقريباً نصف عدد المسلمين، أى **<u>12.5%</u>** مِن البشر. والإسلام ينتهك حقوق المسلمين المرتدين واللادينيين والمثليين والمتحولين جنسياً ... الخ وسنفترض أنهم جميعاً عُشر عدد المسلمين تقريباً، أى **<u>2.5%</u>** مِن البشر. إذن: الإسلام ينتهك حقوق حوالي 75% + 12.5% + 2.5% = حوالي 90% مِن البشر!

1329 . (أبو داود 495؛ |د|:133/1؛ "حسن صحيح" |د-ألباني|:91؛ |د-صحيح|:144/1-145) (أحمد 180/2؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:242/6-243؛ "إسناده حسن" |ل|:284/11-287) (أحمد 187/2؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:295/6؛ "إسناده حسن" |ل|:369/11-370). وأخرج الطبراني حديثاً عن ابن عباس أن محمد قال: "عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُ البيتِ، فإنَّه لهم أَدَبٌ" (المعجم الأوسط 4382؛ |طبراني-أوسط|:341/4-342). وحتى إذا كان هذا الحديث الأخير ضعيف، فإنه جزءٌ من الثقافة العربية، وإنْ لم يكن جزءاً من الإسلام.

1330 . هذا بالإضافة إلى التعذيب الذي يتعرض له الحيوان (مثل: الخراف والأبقار والجاموس) قبل ذبحه: ربط بالحبال وضرب ودفع (push) وسحب (pull) وغير ذلك! يعني: الحيوان يعاني ويتألم قبل ذبحه وأثناء ذبحه على الشريعة الإسلامية!

1331 . "اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ" (يوحنا 10:10).

1332. Prof. Michael Pregill: “prophetic impeccability [is] present only in an incipient form in the Qurʾān itself” (|QSC|:94). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-011

1333. |QSC|:161. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

1334 . وسنكمل تعليقنا على عقيدة "عصمة الأنبياء" عند حديثنا عن موسى (أكثر نبى مذكور فى القرآن) وعن الخضر (وهو نَبِيٌّ عِنْد الْجُمْهُور) الذى قتل طفلاً بريئاً أعزلاً لا يستطيع الدفاع عن نفسه! وسنناقشها بقدر أكبر من التفصيل عند حديثنا عن النبي يوسف والنبي يونس (يونان) وغيرهما.

1335 . |و|:218/11/1-219. انظر أيضاً |مجلس|:392.

1336 . |طبرى|:610/16-611؛ |ب|:338؛ |طبرى-صابونى|:73/2.

1337 . |ج|:338؛ |ج-البغا|:441؛ |ج-وطن|:338.

1338 . |فهد-ن|:450.

1339 . |Pickthall|:440. انظر أيضاً |MS|:29.

1340 . |ب|:302-304. انظر أيضاً "أسباب النزول" للسيوطى (|ج|:279)؛ و |طبرى|:602/16-611؛ |كشاف-ش|:699؛ |كشاف-ع|:203/4-206.

1341 . |و|:26/11/1-29؛ |و|:215/11/1-220؛ |مجلس|:391-394.

1342 . |ذهبي|:178-179.

1343 . |مجلس|:394.

1344 . انظر نقاشاً حول قصة الغرانيق يضم قائمة طويلة بأسماء العلماء المسلمين القدامى الذين ذكروها (|EQ|:4/531-536).

1345 . (البخارى 4581؛ |خ|:1842/4).

1346 . (البخارى 4582؛ |خ|:1842/4) (مسلم 576؛ |م|:405/1-406).

1347 . |ج|:256-257؛ |ب|:271-273. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (الإسراء 73-75).

1348 . |واحدى|:119/3-120؛ |واحدى-وجيز|:642/2-643.

1349 . |وجدى|:375.

1350 . (أحمد 218/4؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:544/13-؛ "رجاله ثقات رجال الصحيح غير أن في سماع الحسن من عثمان اختلاف" |ل|:438/29-) (أبو داود 3026؛ |د|:163/3-؛ "ضعيف" |د-ألبانى|:543). انظر أيضاً |رجائى|:354/5.

1351 . (أبو داود 3025؛ |د|:163/3؛ "صحيح" |د-ألبانى|:543).

1352 . |عراقى|:536/1-537. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (الإسراء 73-75).

1353 . |مقاتل|:544/2.

1354 . |عطية-قطر|:520/5.

1355 . |زهرة|:4431/8-4432. <u>ملحوظة:</u> اعتمد الشيخُ على قصة أخرى غير قصة وفد ثقيف. لكن كما قلنا: القصص متشابهة.

1356 . |جابرى|:335/2.

1357 . |طبرى|:16/15؛ |قرطبى|:135/13. انظر أيضاً |ب|:289؛ |حجازى|:378/2.

1358. “the Islamic doctrine of infallibility of prophets which developed in the second⁄eighth and third⁄ninth centuries” (|EQ|:1\496).

1359 . (البخارى 3595، 3597؛ |خ|:1385/3) (مسلم 2464؛ |م|:1913/4-1914).

1360 . (ابن ماجه 138؛ |هـ|:87/1؛ "صحيح" |هـ-ألبانى|:39-40؛ |هـ-صحيح|:63/1؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن" |هـ-أرنؤوط|:97/1-98). انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:3/208.

1361 . (أحمد 25/1-26؛ "حديث واحد بإسنادين، جمعهما أبو معاوية، وهما إسنادان صحيحان" |ل-شاكر|:238/1-239؛ "إسناداه صحيحان؛ الأول على شرط الشيخين، والثانى رجاله ثقات" |ل|:308/1-309). وانظر |MS|:24.

1362 . (أحمد 117/5؛ "إسناده صحيح" |ل|:41/35-42؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:412/15).

1363 . (المستدرك 225/2؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:245/2).

1364 . "قد يكون النسخ للحُكْم دون التلاوة (أي: القراءة)، وقد يكون للتلاوة دون الحُكْم، وقد يكون لهما معاً" (|خ|:1629/4).

1365 . (البخارى 3426؛ |خ|:1326/3-1327) (مسلم 2450؛ |م|:1904/4-1906).

1366 . لمزيد من التفاصيل عن أسطورة "الْعَرْضَة الأَخِيرَة"، انظر |MS|:11، 40، 81، 99-100.

1367. |مفصل|:6\678; |QHC|:94; |QHC-ar|:151; |AOB-Subsidia|:3\187. Ali Mérad, "L'exégèse coranique", Paris: P.U.F, 1998, p. 8. Rachid Benzine, "Le Coran expliqué aux jeunes", Paris: Éditions du Seuil. 2013, p. 70.

1368 . |جابرى-قرآن|:221.

1369 . |MS|:64.

1370. “According to Ben Shammai (“*Ṣuḥuf* in the Qurʾān”), [“*ṣuḥuf* of Moses and Abraham” in] the Qurʾān means thereby “apocalypses.”” (|GR-AQ|:886).

1371 . "وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ". نفس الجملة التي قالها إخوةُ يوسف لأبيهم يعقوب: "أَرْسِلْهُ (أي: أَرْسِلْ يوسفَ) مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (يوسف 12)؛ وطبعاً لم يحفظوا أخاهم. فهل حفظ إلهُ الإسلام قرآنَه؟!

1372 . "والجمعُ بينَها أن ابتداءَها في سنةِ إحْدى عشْرةَ، والفَراغَ منها في سنة ثِنْتَيْ عشْرةَ. والله أعلم" (|كثير-ك|:35/7-36؛ |كثير-تركى|:472/9)!

1373 . |جابرى-قرآن|:218؛ |بارى|:628/8؛ |بارى-طيبة|:167/11؛ |زرقانى|:200/1-201.

1374 . (مسلم 677؛ |م|:468/1-469)؛ |بكر-قرآن|:100. انظر أيضاً (البخارى 2659؛ |خ|:1036/3).

1375 . |جابرى-قرآن|:218.

1376 . |جابرى-قرآن|:224. وقيل إن المراد بالشاهدين: الحفظ والكتابة. لكن لا يوجد أى دليل علمى على ذلك.

1377 . تفاصيل عملية اغتيال كعب بن الأشرف في بيته ليلاً: (البخارى 2375؛ |خ|:887/2-888) (البخارى 2867-2868؛ |خ|:1102/3-1103) (البخارى 3811؛ |خ|:1481/4-1482) (مسلم 1801؛ |م|:1425/3-1426).

1378. 175 سؤال جريء,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=3257&cat=24&scat=40&

1379. 379 سؤال جريء,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5841&cat=24&scat=40&

1380 . (البخارى 4701؛ |خ|:1907/4) (البخارى 4402؛ |خ|:1720/4-1721).

1381 . انظر مثلاً |زرقانى|:203/1؛ |بكر-قرآن|:105.

1382 . |مجلس|:18.

1383 . |EQ|:255/3.

1384 . |ميسر|:537.

1385 . |مجلس|:18، 22، 36. انظر أيضاً |جابرى-قرآن|:219.

1386 . |مصاحف|:عربى/7.

1387 . (مسلم 2465؛ |م|:1914/4-1915) (البخارى 3599؛ |خ|:1386/3).

1388 . |AOB-Subsidia|:206/3، 209.

1389 . |AOB-Subsidia|:204/3-207.

1390 . |بارى|:628/8؛ |بارى-طيبة|:167/11؛ |بكر-قرآن|:102؛ |AOB-Subsidia|:207/3. انظر أيضاً |EQ|:255/3.

1391 . |زرقانى|:203/1-204؛ |زرقانى|:224/1؛ |بكر-قرآن|:104.

1392 . |AOB-Subsidia|:208/3-209.

1393 . |IW2014|:579-580.

1394 . (ابن ماجه 138؛ |هـ|:87/1؛ "صحيح" |هـ-ألبانى|:39-40؛ |هـ-صحيح|:63/1؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن" |هـ-أرنؤوط|:97/1-98). انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:208/3.

1395 . (أحمد 25/1-26؛ "حديث واحد بإسنادين، جمعهما أبو معاوية، وهما إسنادان صحيحان" |ل-شاكر|:238/1-239؛ "إسناداه صحيحان؛ الأول على شرط الشيخين، والثانى رجاله ثقات" |ل|:308/1-309). وانظر |MS|:24.

1396 . (أحمد 117/5؛ "إسناده صحيح" |ل|:41/35-42؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:412/15).

1397 . (المستدرك 225/2؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:245/2).

1398 . |بنت-شاطئ|:239؛ |رفاعى|:81.

1399. Ali Mérad (Professeur émérite à l'Université de la Sorbonne Nouvelle (Paris III)), "L'exégèse coranique", Paris : P.U.F, 1998, p. 12.

1400 . |جابرى-قرآن|:218؛ |زرقانى|:205/1؛ |MS|:73-74.

1401 . |QHC-ar|:121-122؛ |QHC|:73.

1402 . أي: كان عمر زوج أمه "فاطمة بنت الوليد بن المغيرة" (أخت خالد بن الوليد)، فنشأ عبدُ الرحمن "في حِجْر عمر". وقيل: كان عمر زوج أخته "أم حكيم بنت الحارث بن هشام"!

1403 . |بكر-رجال|:344؛ |طبقات|:466/3.

1404 . |نبلاء|:400/1.

1405 . (البخارى 4702؛ |خ|:1908/4).

1406 . |جابرى-قرآن|:218؛ |ميسر|:537. انظر أيضاً |زرقانى|:205/1؛ |بكر-قرآن|:110-111.

1407 . (البخارى 3595، 3597؛ |خ|:1385/3) (مسلم 2464؛ |م|:1913/4-1914).

1408 . كان محمدٌ متعصباً لقريش فيما يتعلق بالحُكم (أي: الإمارة والخلافة) (البخارى 3305؛ |خ|:1288/3) (مسلم 1818؛ |م|:1451/3) (مسلم 1820؛ |م|:1452/3)، لكن لم نجد ما يدل على أنه كان متعصباً لقريش فيما يتعلق بالقرآن.

1409 . |MS|:94.

1410 . |بكر-قرآن|:117.

1411 . ولا تزال هذه الآفة موجودة فى المجتمعات الإسلامية إلى اليوم، وهى سبب رئيسى من أسباب تخلف المسلمين اليوم: العقيدة (dogma) الإسلامية الموروثة أهم عند المسلمين مِن البحث العلمى (scientific research)! والنتيجة الحتمية هى: التخلف. وربما الخراب.

1412 . (ابن ماجه 138؛ |هـ|:87/1؛ "صحيح" |هـ-ألبانى|:39-40؛ |هـ-صحيح|:63/1؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن" |هـ-أرنؤوط|:97/1-98). انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:208/3.

1413 . (أحمد 25/1-26؛ "حديث واحد بإسنادين، جمعهما أبو معاوية، وهما إسنادان صحيحان" |ل-شاكر|:238/1-239؛ "إسناداه صحيحان؛ الأول على شرط الشيخين، والثانى رجاله ثقات" |ل|:308/1-309). وانظر |MS|:24.

1414 . اقرأ الأسئلة الخمسة التى أثارها العالم الكبير (Fred M. Donner) (|QHC-ar|:62-79؛ |QHC|:31-43). انظر أيضاً |QHC-ar|:122؛ |QHC|:74.

1415 . (النسائى 5063؛ |س|:134/8؛ وقال الألبانى "صحيح لغيره" |س-ألبانى|:768؛ |س-صحيح|:361/3؛ |صحيحة|:61/7-63). انظر أيضاً |QHC-ar|:149؛ |QHC|:93.

1416 . (الترمذى 3104؛ |ت|:129/5-131؛ وقال الألبانى "صحيح" |ت-ألبانى|:696-697؛ |ت-صحيح|:254/3).

1417 . (النسائى 5064؛ |س|:134/8؛ وقال الألبانى "صحيح" |س-ألبانى|:768؛ |س-صحيح|:361/3-362).

1418 . "لاَ تُقَصِّرُوا رُؤُوسَكُمْ مُسْتَدِيرًا (أى: لا تَحلِقُوا سَوالِفَكُمْ)، وَلاَ تُفْسِدْ عَارِضَيْكَ (أى: لا تُقَلِّم جانبى لِحْيَتِكَ)" (اللاويين 19:27). ولا يزال اليهود الملتزمون إلى اليوم يُطلِقون سَوالِفهم ولِحاهم. انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:195/3-198؛ |KHO-GP|:159-160، 164.

1419 . (أحمد 411/1؛ "إسناده صحيح على شرط الشيخين" |ل|:23/7؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:79/4).

1420 . (أحمد 457/1؛ "إسناده حسن" |ل|:380/7؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:232/4).

1421 . (أحمد 462/1؛ "إسناده حسن" |ل|:417/7؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:249/4). انظر أيضاً |طبقات|:140/3؛ |خالد|:42/2.

1422 . (أحمد 414/1؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:88/4؛ "إسناده حسن" |نبلاء|:486/1-487؛ "إسناده ضعيف" |ل|:43/7-45).

1423 . (المستدرك 228/2؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:247/2-248).

1424 . (مسلم 2462؛ |م|:1912/4) (البخارى 4714؛ |خ|:1912/4).

1425 . |استيعاب|:993/3؛ |استيعاب-م|:486. الحَلَق: جمع حلقة، وهي القوم المجتمعون مستديرين ليستمعوا العلم ونحوه.

1426 . وهذا الخوف مِن الاختلاف والتنوع والتعددية هو أحد أسباب تخلف المسلمين اليوم.

1427 . |استيعاب|:993/3؛ |استيعاب-م|:486؛ |خالد|:51/2. "رجاله ثقات" (|نبلاء|:489/1 مِن كلام المحققين).

1428 . (أحمد 131/5؛ "حسن" إل|:127/35-128؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:445/15) (أحمد 132/5؛ "صحيح" إل|:136/35-137؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:448/15).

1429 . قال المحققون: "رجاله ثقات" (إنبلاء|:397/1). انظر أيضاً تفاسير (الفتح 26) و (المستدرك 225/2-226؛ قال الحاكم "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى إحاكم|:245/2-246). ويُفهَم مِن السياق أن هذا الخلاف بين أُبَيّ وعمر حدث بعد وفاة محمد، فلو كان محمدٌ حياً لذهبا إليه ليحكم بينهما في اختلافهما في نَص القرآن.

1430 . إنبلاء|:75/2.

1431 . حرضت قريشُ على اغتياله بعد معركة بدر (2هـ)، ونُفذت عملية اغتياله في معركة أُحُد (3هـ).

1432 . إم-نووى|:23/16. انظر أيضاً إم|:1912/4.

1433 . هذا الاسم "مصحف الكَتَبَة" مُستوحَى مِن إMS|:81-86. انظر أيضاً إMS|:90-93، 96-97. ونحن نقترح ترجمة هذا الكتاب المهم (إMS|) إلى اللغة العربية لأنه سيساعد المسلمين على التفكير بعقلانية والتحرر من أساطير وأوهام التراث الإسلامى. أما بالنسبة لنا، فإننا على يقين 100% أن القرآن (وكذلك المصحف) عمل بشرى 100%. الله ليس له علاقة بالقرآن. الله ليس له علاقة بالمصحف. الله برىء تماماً مِن القرآن. الله برىء تماماً مِن المصحف.

1434 . كلمة (vulgate) تُترجَم أحياناً إلى "القراءة المقبولة من الجمهور"، "الرسمية". انظر مثلاً إQHC-ar|:75، 161.

1435 . إلاشين|:96.

1436 . إزرقانى|:316/1.

1437 . إلاشين|:96. انظر أيضاً إبكر-قرآن|:115.

1438 . إمصاحف|:عربى/21.

1439 . إIW2014|:579-580؛ إLuxenberg|:114.

1440 . (البخارى 4751؛ إخ|:1922/4) (مسلم 788؛ إم|:543/1).

1441 . إحاتم-رازى|:200/1. انظر أيضاً إبارى|:17/8؛ إبارى-طيبة|:647/9؛ إج|:38 وتفاسير وأسباب نزول (البقرة 106). لكن كالعادة، يرفض فريقٌ مِن المسلمين صحة تلك الرواية (إكثير-شيخ|:11/2)!

1442 . (أبو داود 907؛ إد|:238/1-239؛ وقال الألبانى "حسن" إد-ألبانى|:158؛ "حسن" إد-صحيح|:254/1).

1443 . إجابرى-قرآن|:223.

1444 . (البخارى 392؛ إخ|:156/1) (مسلم 572؛ إم|:400/1-403).

1445 . "نواسخ القرآن" لابن الجوزى. تحقيق ودراسة: د. محمد الملبارى. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية. وزارة التعليم العالى، المملكة العربية السعودية. ط 2، 2003. ج 1 ص 157-158. انظر أيضاً إAOB-Subsidia|:200/3-201.

1446 . إخازن-بغوى|:215/1. انظر أيضاً تفاسير (البقرة 106).

1447 . إجنة|:200. للزبير 38 حديثاً فقط رواها عن محمد فى البخارى ومسلم (إجنة|:203).

1448 . إمجلس|:22.

1449 . توجد آية مدنية أخرى تذكر سليمان (النساء 163)، لكنها مجرد "قائمة أنبياء" (enumeration of prophets) (list of divine messengers): "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا" (النساء 163).

1450 . وما زلنا نحن إلى اليوم نُسقِط أحياناً الألف و/أو الهمزة. فلا نقول "امرأة"، وإنما نقول "مَرة". ولا نقول "جَاءت"، وإنما نقول "جَتْ". ولا نقول "سماء"، وإنما نقول "سما".

1451 . (البخارى 4754؛ إخ|:1923/4) (مسلم 818؛ إم|:560/1-561). انظر أيضاً إزرقانى|:261/1-262.

1452 . إزرقانى|:207/1، 138-141، 128-129. انظر أيضاً إبكر-قرآن|:73-78، 112-113. وكالعادة، توجد آراء أخرى كثيرة فى المراجع الإسلامية فى معنى "نزول القرآن على سبعة أحرف". وكما هى العادة فى المراجع الإسلامية، نجد الرأىَ ونقضه، فلقد قيل إن المصاحف العثمانية كانت متطابقة (إمجلس|:36)!

1453. “Dans les plus anciens fragments du Coran, estime-t-on, les lettres ambiguës constituent plus de la moitié du texte, et ce n’est qu’occasionnellement qu’elles sont pourvues de points diacritiques” (|AOB-Subsidia|:3\212).

1454 . |طبرى|:349/21. انظر أيضاً |معجم-قراءات|:221-220/6.

1455 . |خطيب|:367/6؛ |Aldeeb|:115. انظر أيضاً تفاسير (الفرقان 54).

1456 . |Luxenberg|:246.

1457 . |معجم-قراءات|:402/2؛ |ماوردى|:261/2. "وهى قراءة حسنة يصححها قوله: "وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ" (الأعراف 137)" (|كشاف-ش|:387؛ |كشاف-ع|:509/2). انظر أيضاً |بدوى|:275/1.

1458 . |معجم-قراءات|:208/5. انظر أيضاً تفاسير (يس 38).

1459 . |معجم-قراءات|:26/2-27. انظر أيضاً تفاسير (آل عمران 39).

1460 . |AOB-Subsidia|:3/216-217.

1461 . |EQ|:524/1.

1462 . |قرطبى|:89/14؛ |قرطبى-مصر|:196/6. انظر أيضاً |معجم-قراءات|:89/4-91؛ |قراءات-مصحف|:455/2؛ |خالدى-أ|:444/2-446؛ |خالدى-ج|:248-249؛ |أميرى|:325؛ |AOB-Subsidia|:213/3.

1463 . انظر مثلاً |آرثر|:708 تعليقاً على الاختلاف بين (1 أخبار الأيام 12:21) و (2 صموئيل 13:24).

1464 . |معجم-قراءات|:411/2. انظر أيضاً تفاسير (الأعراف 158).

1465 . "إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ" (النساء 171).

1466 . |معجم-قراءات|:370/4-371. انظر أيضاً تفاسير (النمل 82).

1467 . |طبرى|:109/6-110؛ |طبرى-شاكر|:264/7.

1468 . |قرطبى|:377/17؛ |كشاف-ع|:154/5.

1469 . |معجم-قراءات|:315/3. انظر أيضاً تفاسير (الإسراء 23).

1470 . |طبرى|:537/13؛ |طبرى-شاكر|:452/16-454. انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:213/3-217؛ |QHC-ar|:150، 168؛ |QHC|:93، 105.

1471 . |طبرى-شاكر|:16/المقدمة/5-8. وتوجد أسباب أخرى لتأخر طباعة هذا الجزء السادس عشر.

1472 . |بارى|:224/8؛ |بارى-طيبة|:255/10.

1473. صندوق الإسلام 132, https://www.youtube.com/watch?v=Dvq1eI3ZcPw

1474 . |طبرى|:280/9؛ |طبرى-شاكر|:399/11.

1475 . لمزيد من التفاصيل حول تنقيط المصحف وتشكيله فى عصر التابعين، انظر |زرقانى|:317/1-319؛ |مجلس|:27، 33.

1476 . |الروحى|:146.

1477 . |نبلاء|:343/4.

1478 . |MS|:75، 95؛ |AOB-Subsidia|:213/3-214.

1479 . لمزيد من التفاصيل عن تطور المصاحف فى العصرين الأموى والعباسى، انظر |EQ|:256/3-265.

1480 . |زحيلى-وجيز|:428، 72، 2، 365، 491، 69، 176، 136، 574، 541، 596، 239. أو انظر أى مرجع آخر يروى القرآن برواية ورش عن نافع. لمزيد من الأمثلة على الاختلافات بين المصاحف الحالية، شاهد:
القرآن دراسة وتحليل 124,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6368&cat=24&scat=229&
صندوق الإسلام 29,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6194&cat=24&scat=230&

1481 . د. طه حسين، "فى الأدب الجاهلى"، القاهرة: دار المعارف، الطبعة التاسعة عشرة، 2011، ص 95.

1482 . وتوجد أمثلة أخرى كثيرة في كتاب "المصاحف" للسجستاني وفي كتاب "فروقات المصاحف" لنبيل فياض وفي غيرهما.

1483 . |جابرى-قرآن|:224. انظر أيضاً |MS|:39.

1484 . انظر تفاسير سور الفاتحة والفلق والناس، مثل: |كثير-شيخ|:517/14؛ |كثير-طيبة|:8/530-531؛ |جابرى|:89/1. انظر أيضاً |MS|:73-74.

1485 . |زرقانى|:220/1.

1486 . لمزيد من المعلومات عن سورة الفاتحة وجذورها المسيحية في الصلاة الربّانيّة (The Lord's Prayer)، وكذلك عن موقف ابن مسعود مِن سور الفاتحة والمعوذتين، شاهد (سؤال جريء 509):
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6631&cat=24&scat=40&

1487 . انظر تفاسير (الصافات 130)، مثل: |قرطبى|:91/18؛ |كثير-شاكر|:136/3.

1488 . (ابن ماجه 138؛ |هـ|:87/1؛ "صحيح" |هـ-ألبانى|:39-40؛ |هـ-صحيح|:63/1؛ "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن" |هـ-أرنؤوط|:97/1-98). انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:208/3.

1489 . (أحمد 25/1-26؛ "حديث واحد بإسنادين، جمعهما أبو معاوية، وهما إسنادان صحيحان" |ل-شاكر|:238/1-239؛ "إسناداه صحيحان؛ الأول على شرط الشيخين، والثانى رجاله ثقات" |ل|:308/1-309). وانظر |MS|:24.

1490 . |جابرى-قرآن|:225؛ |إتقان|:718/2.

1491 . |قراءات-مصحف|:278/3.

1492 . |قراءات-مصحف|:المقدمة/107.

1493 . |طبرى|:613/24؛ |قرطبى|:466/22؛ |معجم-قراءات|:229/8؛ (المستدرك 534/2؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى |حاكم|:582/2-583). انظر أيضاً |MS|:23.

1494. "verse 3 is manifestly a later addition, since it constitutes a development that differs in length very significantly from the two first verses" (|MS|:63).

1495 . |معجم-قراءات|:16/2. انظر أيضاً |QHC|:50؛ |QHC-ar|:90.

1496 . |QHC-ar|:131-132؛ |QHC|:81. لمزيد من التفاصيل، انظر مثلاً |Luxenberg|:55-57؛ |Reynolds|:71-87؛ |QHC|:238-240، 86؛ |QHC-ar|:141؛ |Wild|:6، 11.

1497 . قال إبراهيم: "إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (الأنعام 79).

1498 . لمزيد من التفاصيل والتحليل اللغوي العميق، انظر |KHO-GP|:138، 149.

1499 . (البخارى 2659؛ |خ|:1036/3) (مسلم 677؛ |م|:468/1). أو: "أَنْ بَلِّغُوا عنا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأرضانا" (|إتقان|:720/2؛ |جابرى-قرآن|:226).

1500 . |كثير|:140/2؛ |كثير-شيخ|:256/3؛ |كثير-شاكر|:388/1-389؛ |كثير-صابونى|:336/1. وانظر التفاسير الأخرى لـ (آل عمران 169)، مثل: |طبرى|:235/6؛ |خازن-بغوى|:577/1. انظر أيضاً |Reynolds|:159.

1501 . |إتقان|:717/2-718. انظر أيضاً |جابرى-قرآن|:225؛ |إتقان|:720/2.

1502 . |MS|:36-37؛ |AOB-Subsidia|:202/3.

1503 . انظر أيضاً كتاب المصاحف للسجستاني (|مصاحف|).

1504 . (مسلم 1452؛ |م|:1075/2؛ |م-نووى|:44/10-46).

1505 . (أحمد 269/6؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:188/18-189؛ "إسناده ضعيف [...] وفى متنه نكارة" |ل|:342/43-343). (ابن ماجه 1944؛ |هـ|:189/2؛ |هـ-سندى|:460/2؛ "حسن" |هـ-ألبانى|:337؛ "حسن" |هـ-صحيح|:148/2؛ "لا يصح [...] وفى متنه نكارة" |هـ-أرنؤوط|:125/3). انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:203/3.

1506 . |جابرى-قرآن|:224. انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:203/3.

1507 . (البخارى 6441؛ |خ|:2503/6).

1508 . (البخارى 6442؛ |خ|:2504/6-2505). انظر أيضاً |إتقان|:719/2-720.

1509 . (مسلم 1691؛ إم|:1317/3). اقرأ أيضاً (الترمذى 1431-1432).

1510 . |إتقان|:718/2. انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:204/3.

1511 . (المستدرك 359/4-360؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة" ووافقه الذهبى |حاكم|:400/4). انظر أيضاً |س-كبرى|:406/6-407.

1512 . |بارى|:148/12؛ |بارى-طيبة|:644/15. انظر أيضاً |إتقان|:722/2-723.

1513 . (أحمد 183/5؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:34/16؛ "رجاله ثقات رجال الشيخين غير كثير بن الصلت، فقد روى له النسائى، وهو ثقة". وقال المحققون إن عبارة "فريضة أنزلها الله" المذكورة فى رواية البخارى تعنى "فريضة أوحى بها اللهُ إلى رسوله ﷺ بضربٍ مِن ضروب الوحى غير القرآنى" |ل|:472/35-475). وهذا يدل على أن الخلاف الإسلامى-الإسلامى حول قرآنية آية الرجم (أى: حول كونها مِن القرآن أم لا) لا يزال مستمراً إلى اليوم.

1514 . |س-كبرى|:407/6. انظر أيضاً |إتقان|:722/2. ومن الجدير بالذكر أن عبد الملك بن مروان بن الحكم قَتَل عبد الله بن الزبير (عضو اللجنة التى شكّلها عثمان لجَمْع القرآن) (73هـ)! فلقد "بعث عبدُ الملك الحجاجَ بن يوسف [الثقفى] إلى ابن الزبير فقاتله فقتله وصلبه. [...] وماتت أمه [أسماء بنت أبى بكر] بعده بخمسة أيام" (|الروحى|:146)! يعنى: مروان بن الحكم أحرق صُحُف حفصة التى أعدها زيد بن ثابت (عضو لجنة جَمْع القرآن)، وابنه عبد الملك قَتَل عبد الله بن الزبير (عضو لجنة جَمْع القرآن)! هل هذا دين سلام؟!

1515 . |قرطبى|:48/17-49؛ |قرطبى-مصر|:427/7-428؛ |جابرى-قرآن|:223. انظر أيضاً |إتقان|:718/2؛ |MS|:37.

1516 . (البخارى 3595، 3597؛ إخ|:1385/3) (مسلم 2464؛ إم|:1913/4-1914).

1517 . (الترمذى 3791؛ "حَسَنٌ صَحِيحٌ" إت|:480/5؛ "صحيح" إت-ألبانى|:856؛ إت-صحيح|:544/3-545؛ "صححه الترمذي وقال غيره: والصواب إرساله" إخ-عينى|:120/18) (ابن ماجه 154؛ إهـ|:93/1؛ قال الألباني "صحيح "[و]الصواب أنه مرسل" إهـ-ألبانى|:43؛ إهـ-صحيح|:67/1-68؛ "إسناده صحيح" إهـ-أرنؤوط|:107/1). انظر أيضاً |صحيحة|:223/3-225؛ |نبلاء|:392/1.

1518 . (البخارى 4211؛ كان أُبَيّ بْن كَعْب يقول: "لم يُنْسَخ شَيْءٌ مِن القرآن" إخ|:1628/4-1629؛ |كرمانى|:10/17).

1519 . (البخارى 4719؛ إخ|:1913/4؛ |كرمانى|:19/19).

1520 . |بارى|:17/8؛ |بارى-طيبة|:647/9؛ |خ-عينى|:120/18.

1521 . |بارى|:671/8؛ |بارى-طيبة|:234/11.

1522 . |كرمانى|:10/17، |كرمانى|:19/19. انظر أيضاً |خ-عينى|:120/18، |خ-عينى|:40/20.

1523 . |نبلاء|:394/1؛ |دمشق-مختصر|:197/4-198؛ |باشا-صحابة|:43/2.

1524 . |نبلاء|:397/1؛ |دمشق-مختصر|:202/4.

1525 . |قرطبى|:94/10-95؛ |قرطبى-مصر|:415/4-416.

1526 . |عطية-قطر|:252/4. انظر أيضاً |MS|:37.

1527 . |جابرى-قرآن|:223-224. انظر أيضاً |إتقان|:720/2.

1528 . (المستدرك 330/2-331؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى |حاكم|:361/2).

1529 . انظر مثلاً |زرقانى|:250/1، 259، 263-264؛ |بكر-قرآن|:114.

1530 . انظر أيضاً نقاشاً حول أسطورة "النقل الذى لا يخطىء" (The myth of perfect transmission) |MS|:95-96.

1531 . أ. د. محمد بكر إسماعيل، "الفقه الواضح"، القاهرة: دار المنار، الطبعة الثانية 1997، 276/2.

1532. https://www.youtube.com/watch?v=wCtL8V_hcNU

1533 . (الترمذى 3026؛ إت|:83/5؛ وقال الألبانى "صحيح" إت-ألبانى|:676-؛ "صحيح" إت-صحيح|:218/3) (أبو داود 3671؛ إد|:325/3؛ وقال الألبانى "صحيح" إد-ألبانى|:661؛ إد-صحيح|:416/2). انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (البقرة 219) (النساء 43).

1534 . (مسلم 1748؛ |م|:1877/4-). انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (المائدة 90-91).

1535 . |بارى|:128/8؛ |بارى-طيبة|:96/10. انظر أيضاً تفاسير وأسباب نزول (المائدة 90-91).

1536 . (البخارى 6073؛ |خ|:2364/5) (مسلم 1048-1049؛ |م|:725/2-726).

1537 . (مسلم 1048؛ |م|:725/2).

1538 . (البخارى 6075؛ |خ|:2365/5). انظر أيضاً |AOB-Subsidia|:200/3.

1539 . وتوجد في المراجع الإسلامية أدلة على أن الصحابة كانوا أحياناً يفهمون محمداً خطأ (انظر مثلاً |بكر-رجال|:306).

1540 . |ج|:481. انظر أيضاً |س-كبرى|:321/10 وتفاسير (المدثر 30) و (القيامة 34-35).

1541 . وحتى الآن. إلى يومنا هذا. لا يوجد إجماع بين شيوخ الإسلام حول ما هو "منسوخ" الحُكْم وما هو "غير منسوخ"!

1542 . الْمُسَبِّحَات هى السور التى تبدأ بـ "سَبَّحَ لِلَّهِ" وهى الحديد والحشر والصف، أو تبدأ بـ "يُسَبِّحُ لِلَّهِ" وهى الجمعة والتغابن.

1543 . (مسلم 1050؛ |م|:726/2). أو: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا [...]" (|إتقان|:719/2؛ |جابرى-قرآن|:225).

1544 . (أحمد 132/5؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:446/15؛ "إسناده حسن" |ل|:131/35-132) (الترمذى 3793؛ |ت|:481/5؛ وقال الألبانى "صحيح" |ت-ألبانى|:856؛ "صحيح" |ت-صحيح|:545/3-546). (الترمذى 3898؛ |ت|:522/5؛ وقال الألبانى "حسن" |ت-ألبانى|:875-876؛ "حسن" |ت-صحيح|:580/3). انظر أيضاً |صحيحة|:963/6-965؛ |صحيحة|:1022/6-1027؛ |درمنثور|:724/1؛ |شحاته|:1603/5؛ |مفصل|:450/6.

1545 . |إتقان|:719/2. انظر أيضاً |جابرى-قرآن|:225.

1546 . (المستدرك 224/2؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى |حاكم|:244/2). اقرأ أيضاً (أحمد 117/5؛ "إسناده صحيح" |ل|:40/35-41؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:411/15-412).

1547 . |هيثمى|:302/5.

1548 . |هيثمى|:140/7.

1549 . (أحمد 117/5؛ "إسناده صحيح" |ل|:41/35-42؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:412/15).

1550 . (المستدرك 225/2؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:245/2).

1551 . أول خطيئة ارتكبها الإنسانُ كانت بسبب كذب الشيطان (التكوين 3:1-5) **[← (طه 120) (الأعراف 20-22) (البقرة 36)]**.

1552 . |إتقان|:720/2. انظر أيضاً |جابرى-قرآن|:225.

1553 . |قراءات-مصحف|:المقدمة/103؛ |جابرى-قرآن|:227. انظر أيضاً الترجمة الإنجليزية http://www.muhammadanism.org/Tisdall/shiah_additions/shiah_additions_koran.pdf

1554 . |نولدكه|:329-331؛ |قراءات-مصحف|:المقدمة/102-103؛ |جابرى-قرآن|:227. انظر أيضاً الترجمة الإنجليزية https://archive.org/details/SHiah_Additions_To_The_Koran

1555 . (الأحزاب 33). عند الشيعة، آل البيت هُمْ: عَلِيّ بن أبى طالب وزوجته فاطمة (ابنة محمد) وَذُرِّيَّتهما (الحسن والحسين).

1556 . الولاية هنا بمعنى الإمامة أو الخلافة. "أَوْلِيَاءَ فِي خَلْقِه" تعنى: حُكام (governors) على خَلْقِه.

1557 . يبدو أن هذه الآية تشير إلى: "وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي (أى: فى بنى إسرائيل)" (الأعراف 142).

1558 . ويبدو أن فى ذِكر موسى وأخيه هارون إشارة إلى محمد (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) وابن عمه "عَلِيّ بن أبى طالب". وتقول أحاديث صحيحة إن محمداً قال لِعَلِيّ: "أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي" (مسلم 2404؛ |م|:1870/4-1871) (البخارى 3503؛ |خ|:1359/3)؛ |جنة|:165-166.

1559 . |جابرى-قرآن|:232.

1560 . |QHC-ar|:324-325؛ |QHC|:219-220.

1561 . |QHC-ar|:326؛ |QHC|:220. انظر أيضاً |Penn|:70-72، 125-128، 214-215، 232-233.

1562 . وبدراسة مخطوطات سريانية أخرى، توصل العلماءُ إلى نفس النتيجة. شاهد (سؤال جريء 476):
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6501&cat=24&scat=40&

1563 . نقول "المزعوم" أو "المُفترَض" (presumed) لأنه لا يوجد اتفاق بين العلماء على وجوده التاريخى، فلا يزال العلماءُ يبحثون عنه إلى اليوم. اقرأ الأسئلة الخمسة التى أثارها العالم الكبير (Fred M. Donner) (|QHC-ar|:62-79؛ |QHC|:31-43). انظر أيضاً |QHC-ar|:122؛ |QHC|:74.

1564 . |QHC|:7؛ |QHC-ar|:27-28؛ |MacCulloch|:260؛ |QHC-2|:7؛ |MS|:76، 94.

1565 . |EQ|:3/258.

1566 . |MS|:68. وربما أواخر القرن الأول الهجرى. انظر أيضاً |MS|:94، 103؛ |EQ|:3/256-257.

1567 . شاهد أمثلة مِن هذه الاختلافات وما قاله العالم الألمانى (Gerd R. Puin) بنفسه باللغة العربية عن مخطوطات صنعاء:
سؤال جريء 417, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6079&cat=24&scat=40&

1568 . لمزيد من المعلومات عن مخطوطات صنعاء، شاهد ما قاله العالم المغربى "محمد المسيَّح" عنها:
صندوق الإسلام 21,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6154&cat=24&scat=230&

1569 . لمزيد من المعلومات عن (codex Parisino-petropolitanus)، شاهد ما قاله العالم المغربى "محمد المسيَّح" عنها:
صندوق الإسلام 25,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6169&cat=24&scat=230&

1570. “if this number does not have merely a symbolic character” (|KHO-GP|:125).

1571 . |الروحى|:145.

1572. “The Umayyad regime openly encouraged [the dominant role of Jerusalem in eschatology] because it gave them legitimization to move the Muslim center of worship from Medina, the city of the Prophet, to Syria, which includes Jerusalem: Muʿāwiya b. Abī Sufyān (d. 60⁄680), the first Umayyad caliph, propagated the use of the term “land of ingathering and resurrection on judgment day” ([أرض المحشر والمنشر]) with regard to Jerusalem” (|EQ|:3\142).

1573 . لمزيد من المعلومات عن مخطوطة برمنجهام، شاهد ما قاله العالم الألماني "Gerd R. Puin" (سؤال جريء 416):
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6073&cat=24&scat=40&

1574. د. عدنان إبراهيم – 19 يناير 2018, https://www.youtube.com/watch?v=oYiOJlY7x88

1575 . |MS|:64، 79-81، 95-96.

1576 . لمزيد من المعلومات عن مخطوطة سمرقند، شاهد ما قاله العالم المغربي "محمد المسيَّح" (صندوق الإسلام 26):
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6177&cat=24&scat=230&

1577 . لمزيد من المعلومات عن مخطوطات القرآن بصفة عامة، شاهد ما قاله العالم المغربي "محمد المسيَّح" عنها:
صندوق الإسلام 160, https://www.youtube.com/watch?v=yzGZ7ZPqMHQ
الحلقات الثلاثة عشر الأولى من التاريخ المبكر للإسلام,
https://www.youtube.com/watch?v=XMD8EIWiBUY

1578 . |EQ|:3/256.

1579 . |EQ|:3/255.

1580 . |قراءات-مصحف|:المقدمة/14؛ |QHC|:97؛ |QHC-ar|:154-155. لمزيد من التفاصيل، انظر: |QHC|:75-77؛ |QHC-ar|:123-126؛ |AOB-Subsidia|:3/218.

1581 . |MS|:77-85. ملحوظة: الخليفة الأموى "عبد الملك بن مروان" (عهده: 65 – 86هـ؛ 685 – 705م) وابنه الخليفة الأموى "الوليد بن عبد الملك بن مروان" (عهده: 86 – 96هـ؛ 705 – 715م).

1582 . |KHO-GP|:394. اقرأ هذا البحث كاملاً فى |KHO-GP|:361-401.

1583 . |KHO|:61. اقرأ هذا البحث كاملاً فى |KHO|:14-175.

1584 . |IW2002|:150. اقرأ هذا البحث كاملاً فى |IW2002|:131-168.

1585 . |QHC|:11؛ |QHC-ar|:33-34. لمعرفة المزيد مِن المعلومات التاريخية عن هذا التيار الجديد من العلماء، راجع |QHC|:8-19؛ |QHC-ar|:29-46.

1586 . |QHC|:73؛ |QHC-ar|:122. ولعل السبب فى ذلك هو أن عملية تنقيط وتشكيل الحروف العربية المكتوبة لم تكتمل إلا فى القرن الثالث أو الرابع الهجرى (أى: القرن التاسع أو العاشر الميلادى) (|MS|:75، 95؛ |AOB-Subsidia|:3/213-214؛ |EQ|:3/256-265). وكما قلنا فيما سبق: إن تاريخ تطور النص القرآنى يرتبط بتاريخ تطور اللغة العربية وطرق كتابتها ولهجاتها المختلفة، فلا يمكن الفصل بينهما.

1587. Prof. Frédéric Imbert: “jusqu’à la fin de l’époque omeyyade, l’unanimité n’était sans doute pas encore faite autour d’une version unifiée et standardisée du texte [coranique]: des amalgames ou des citations adaptées du Coran étaient encore courantes sur les pierres” (|QSC|:75). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-009

1588 . انظر نقاشاً حول أسطورة جَمْع النصوص القرآنية (The Myth of the Collection): |MS|:94-95.

1589. |QHC-ar|:160. Paul Casanova said that “the ‘Uthmānic recension is a fable, or that it “n’a qu’une filiation fantaisiste,”” (|QHC|:100). See also "Mohammed et la fin du monde: étude critique sur l'islam primitif" par Paul Casanova, Paris: Paul Geuthner, 1 éd., 1911–1924, p. 127.

1590. 2020 محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

1591 . |م|:1/15. انظر أيضاً |ذهبي|:25.

1592 . اقرأ الأسئلة الخمسة التى أثارها العالم الكبير (Fred M. Donner) (|QHC-ar|:62-79؛ |QHC|:31-43). انظر أيضاً |QHC-ar|:122؛ |QHC|:74.

1593 . (ابن ماجه 138) (المستدرك 225/2). و |AOB-Subsidia|:3/208؛ |MS|:24.

1594. Prof. Neal Robinson: “[I]n the early days of Islam, the Qur’an was primarily an oral-aural phenomenon” (|JQS|:3\1\2).

1595 . |EQ|:1/441.

1596. Prof. Emran El-Badawi: “In sum, the Qurʾān is most fully and honestly appreciated as a bridge between the religious traditions of Late Antiquity and that of Islam” (|QSC|:17).

1597 . |QHC-ar|:79؛ |QHC|:43.

1598 . لمزيد من التفاصيل، انظر دراستنا لقصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108).

1599 . وما قلناه على القرآن (المصحف) ينطبق أيضاً على التوراة والإنجيل (الكتاب المقدس)، مع اختلاف الظروف والأحوال.

1600. 119 صندوق الإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=tvm77Ywfpt0
كوديكولوجية مخطوطات صحيح البخاري, https://www.youtube.com/watch?v=MMV_8VykzGo
رشيد ايلال, https://www.youtube.com/watch?v=puX4IgfWISU

1601. 42 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=VRkteLfAnTk

1602 . "الغزو العربى" (Arab Conquest) أدق مِن "الغزو الإسلامى"، لأننا على يقين أن الغزاة كانوا عرباً، لكننا لسنا متأكدين أنهم كانوا مسلمين بالمعنى الحرفى: مؤمنين بالقرآن (ككلام الله) وسُنَّة محمد (كرسول الله). ربما كانوا مسلمين

بمعنى "مُوحِّدين" أو "على ملة إبراهيم (زوج هاجر أُم العرب)" أو بمعنى "حنفاء" أو "ليسوا يهوداً ولا مسيحيين"، كما قال القرآنُ عن إبراهيم: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران 67).

1603. Islam: The Untold Story – Tom Holland, https://www.youtube.com/watch?v=j9S_xbjIRgE

1604. “pour A. Sprenger, Muḥammad n’est pas le fondateur de l’islam” (|JSAI|:22\113).

1605 . انظر الجذور المسيحية السريانية لقصة "ذى القرنين" (الكهف 83-108).

1606. 50 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=XjGIJP-wsAo

1607. “The Qurʾān imagines that the sky is a [physical] barrier which blocks the access of humans and (“outcast”) demons to heaven […], yet the demons nevertheless seek to pierce this barrier in order to hear the conversation of God with his angels in the divine council” (|GR-AQ|:406).

1608 . |و|:143/12/1.

1609 . (البخارى 4537 م؛ |خ|:1815/4-1817). وسنعرف إجابة ابن عباس بعد قليل.

1610. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

1611 . |قرطبى|:385/1؛ |قرطبى-مصر|:245/1.

1612 . |كشاف-ع|:369/5-370؛ |كشاف-ش|:965.

1613 . |فهد|:477.

1614 . |مجلس|:284. انظر أيضاً |و|:134/12/1-136.

1615 . |طبرى|:389/20.

1616 . |زحيلى-وسيط|:2295/3.

1617 . |أشقر|:477.

1618 . |زحيلى-وسيط|:2295/3. انظر أيضاً |زحيلى-وسيط|:2818/3.

1619 . |أضواء|:127/7.

1620 . |كثير-شيخ|:220/12-221؛ |كثير-طيبة|:165/7-166. انظر أيضاً (البخارى 4537 م؛ |خ|:1815/4-1817).

1621 . (مسلم 2789؛ |م|:2149/4-2150).

1622 . |قرطبى|:383/1-385؛ |قرطبى-مصر|:243/1-245. انظر أيضاً |السواح|:179/22-180.

1623 . |قرطبى|:385/1؛ |قرطبى-مصر|:245/1.

1624 . |باش|:33/1-34.

1625 . انظر مثلاً المدراش اليهودي "التكوين ربَّاه" (Genesis Rabbah) (15:1 – 12:12) و |Kugel|:71-72.

1626 . |و|:145/12/1، 141، 146. انظر أيضاً |أضواء|:128/7-129. "ويستأنس لهذا القول بالقراءة الشاذة، وبها قرأ مجاهد: "وَالْأَرْضَ مَعَ ذَلِكَ دَحَاهَا"" (|أضواء|:129/7).

1627 . وآيات كتابية كثيرة أخرى تركز على أن الله هو مَن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، مثل (التكوين 19:14) (2 ملوك 15:19) (المزامير 15:115؛ 2:121) (إشعياء 18:45) (يهوديت 18:13) (أعمال الرسل 15:14؛ 24:17) (الرؤيا 6:10).

1628 . |معاصر|:30. انظر أيضاً |Kugel|:60-63.

1629. “The Arabic root *b-r-ʾ*, cognate with the Hebrew verb of creation occurring at Genesis 1:1, is to be found [...] in the neutral meanings of “creator” ([البقرة 54]; [الحشر 24]) or “creature” ([البينة 6-7])” (|EQ|:1\478).

1630. “In this verse, chaos is envisioned as a dark, undifferentiated mass of water” (|JSB|:11).

1631 . |السواح|:179/22. انظر أيضاً |Nasr|:567؛ |Aldeeb|:190.

1632 . (البخارى 6982؛ إخ|:2699/6؛ إبارى|:414/13-415) (البخارى 3018-3019؛ |خ|:1165/3-1166). انظر أيضاً |و|:205/6/1؛ |خالدى-د|:31-32.

1633 . "أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ" (إشعياء 45:6-7).

1634 . |طبرى|:145/9-147؛ |طبرى-شاكر|:250/11-252. انظر أيضاً |Nasr|:341.

1635. “Dieu créa les ténèbres en premier. Pour cela, chez les musulmans, comme pour les juifs, le jour commence au coucher du soleil” (|Aldeeb|:217).

1636 . "بعض الشعوب مثل اليهود يبدأون اليومَ بالمساء ثم الصباح" (|مارمرقص|:العهدالقديم/24/1).

1637 . وإن قلتم إن العطف بحرف الواو "و" لا يعني بالضرورة ترتيباً معيناً. فسنقول: هذا صحيح، لكن لماذا ذكرت (النازعات 29) الليلَ ثم النهار؟ الإجابة: لأن صاحبها تأثر بالتقليد اليهودي الذي يبدأ اليومَ بالمساء ثم الصباح.

1638 . |معاصر|:32. |معاصر|:31. اقرأ أيضاً قصة "استشهاد الأم وأولادها السبعة" (2 مكابيين 7:1-41).

1639. “the early fourth century Syrian monastic writer Aphraates uses a similar argument [...]: “About this resurrection of the dead […]. God in the beginning created man; He molded him from dust and He raised him up. If, then, when man did not exist, He made him from nothing, how much easier is it for Him now to raise him up like a seed sown in the earth”” (|EQ|:1\477). See also “Protology and eschatology” (|EQ|:1\479); “Resurrection as a new creation” (|GR-AQ|:986); (الأنعام 73) (|Nasr|:367).

1640 . "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ" (الإسراء 99) "أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ" (يس 81) مستوحاة من "ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا، [...]. وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: «هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!» وَقَالَ لِيَ: «اكْتُبْ: فَإِنَّ هذِهِ الأَقْوَالَ صَادِقَةٌ وَأَمِينَةٌ»" (الرؤيا 21:1-5)! انظر |GR-AQ|:773.

1641 . لمعرفة مزيد من التفاصيل عن الجذور اليهودية والمسيحية لـ (الرعد 5)، انظر |QSC|:191، 241؛ |GR-AQ|:388.

1642 . |IVP-OT-ar|:24/1؛ |IVP-OT|:28؛ |JSB|:11.

1643 . |مارمرقص|:العهدالقديم/24/1؛ |ملطى|:التكوين/46-47. وهذا الرأي يعني أن الملائكة خُلِقَت في اليوم الأول من أيام الخلق الستة. لمزيد من التفاصيل، انظر |Kugel|:50 وكتاب اليوبيلات (|هامش|:25/5-26).

1644 . وقيل غير ذلك. لمزيد من التفاصيل، انظر |Kugel|:47-48، 72-74.

1645 . ضمير جمع المؤنث في "خَلَقَهُنَّ" يرجع إلى "اللَّيْل وَالنَّهَار وَالشَّمْس وَالْقَمَر" (|منتخب|:851؛ |ج|:480). وقيل: يرجع إلى "الشَّمْس وَالْقَمَر" فقط!

1646 . ملحوظة: تحريم السجود لِلشَّمْسِ وَلِلْقَمَرِ "لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ" (فصلت 37) مستوحى من التوراة (التثنية 4:19) (التثنية 17:2-5) ومن أسفار أخرى (أيوب 31:26-28) (الحكمة 13:1-9).

1647 . |رسوليون|:66؛ |هولمز|:438؛ |LostScr|:232. انظر أيضاً |Kugel|:70-71.

1648 . |و|:102/12/1. مثل: "كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (أي: يَعْمَلُ في كُلِّ وقت)" (الرحمن 29).

1649 . |IVP-OT-ar|:24/1؛ |IVP-OT|:28.

1650. “The [Hebrew] word [*raqia*] translated *expanse* refers to a [solid] piece of metal that has been hammered flat” (|JSB|:11)! See also |قاموس-كتاب|:263; |كتابية|:2\554-555!

1651. “The Qurʾān’s declaration […] that God “raised the heavens without any pillars that you see” […] suggests that the sky is a firmament, a dome-like barrier between earth and the heavens. The Qurʾān thereby shares a cosmological vision with a number of Biblical texts” (|GR-AQ|:631). “This cosmology is common in Late Antiquity” (|GR-AQ|:405). Also |EQ|:1\445-446.

1652 . |سعدى|:906!

1653 . |منتخب|:626. "تتشقق فيه السماء، ويظهر من فتحاتها السحاب الأبيض الرقيق" (|فهد|:362). في "القطعة السومرية بعنوان "إنكي ونظام العالم" (Enki and the World Order) يفتح إلهُ الجو أبوابَ السماء. كانت هذه هي الطريقة التي تفهم بها بلادُ الرافدين من أين يأتي السحابُ" (|IVP-OT-ar|:118/3؛ |IVP-OT|:556)!

1654 . |ج-البغا|:794؛ |ج-وطن|:586. "كما يُكشط الجلدُ عن الذبيحة أو كما يُنزع الغطاءُ عن الشيء" (|ضيف|:998)!

1655 . مستوحاة من "[يَتَحَوَّلُ] الْقَمَرُ إِلَى دَمٍ (أي: يصير لونه أحمر كلون الدَّم) قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ" (يوئيل 31:2) (أعمال الرسل 20:2)؛ "وَالْقَمَرُ صَارَ كَالدَّمِ (أي: لونه أحمر)" (الرؤيا 12:6)! انظر |Masson|:945؛ |Aldeeb|:484.

1656 . مستوحاة من "وَتَلْتَفُّ السَّمَاوَاتُ كَدَرْجٍ (أي: تُطْوَى كَطَيِّ السِّفْرِ) (rolled up like a scroll)" (إشعياء 4:34) "وَالسَّمَاءُ انْفَلَقَتْ كَدَرْجٍ مُلْتَفٍّ (vanished like a scroll rolling up)" (الرؤيا 14:6)! انظر |GR-AQ|:521؛ |Masson|:888.

1657 . مستوحاة من "«أَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ (أي: الأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ) تَبِيدُ وَلكِنْ أَنْتَ تَبْقَى، وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى، وَكَرِدَاءٍ تَطْوِيهَا فَتَتَغَيَّرُ. وَلكِنْ أَنْتَ أَنْتَ، وَسِنُوكَ لَنْ تَفْنَى»" (العبرانيين 1:10-12). اقرأ أيضاً |منتخب|:827 و (المزامير 102:25-27) و |السواح|:250/22.

1658 . |يسوعية|:العهدالقديم/68. **[← حوَّل أصحابُ القرآن "نوافذ السَّمَاءِ" إلى "أَبْوَابِ السَّمَاءِ"، فقالوا عن الطوفان في أسطورة نوح القرآنية: "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (أي: بمطرٍ كثيرٍ)" (القمر 11)! وقالوا عن يَوْمِ الْفَصْلِ (يوم القيامة): "وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (أي: طرقاً ومسالك؛ قيل: لنزول الملائكة)" (النبأ 19)!]**

1659 . |كريمر|:152؛ |Kramer|:76؛ |Kramer-fr|:99-100.

1660 . (|IVP-OT-ar|:24/1؛ |IVP-OT|:28)! (|IVP-OT-ar|:41/3-42؛ |IVP-OT|:508)!

1661 . |IVP-NT-ar|:100/1؛ |IVP-NT|:109.

1662 . |قاهرة|:93/42.

1663 . |معاصر|:32-33.

1664. “the description of the night and the day as signs is related to Genesis 1:14, where the sun and the moon are described as signs (Hebrew *ōtōt*)” (|GR-AQ|:435). “the Arabic plural noun *āyāt* is ultimately derived from the Aramaic *ātwātā*” (|Badawi|:175). For more details, see |FV|:72-73; |EQ|:1\474; |Kaskas|:189; |Katsh|:118.

1665 . لكن في موضعٍ آخر، يذكر القرآنُ القمرَ قبل الشمس: "وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا" (نوح 16).

1666 . "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ الْجَاعِلُ الشَّمْسَ لِلإِضَاءَةِ نَهَارًا، وَفَرَائِضَ الْقَمَرِ وَالنُّجُومِ لِلإِضَاءَةِ لَيْلًا" (إرميا 31:35). "الصَّانِعَ أَنْوَارًا عَظِيمَةً، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. الشَّمْسَ لِحُكْمِ النَّهَارِ (أي: لِتُضِيءَ نَهاراً)، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. الْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ (أي: الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ لِتُنيرَ لَيْلاً)، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ" (المزامير 136:7-9).

1667 . "ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هذِهِ [السَّماواتِ والأجرام السماوية]؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا (يقصد: جَيْشَ نُجومِها)، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ (أي: لَا تَنقُصُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا)" (إشعياء 26:40).

1668 . |كثير-شيخ|:73/14؛ |كثير-طيبة|:177/8.

1669 . لكن في المقابل توجد آيات قرآنية أخرى تذكر الصباحَ (النهارَ) قبل المساء (الليل)، مثل: "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ (أي: ساعاتٍ من الليل)" (هود 114)؛ "فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا" (الأنعام 96)؛ (الضحى 1-2).

1670 . |مارمرقص|:العهدالقديم/27/1، 28.

1671 . |ملطى|:المزامير 101-110 / 109. انظر أيضاً |Kugel|:79؛ |Katsh|:133.

1672 . "الكلمة العبرية [tannin] التي تماثل هذه العبارة كانت تستخدم في الأساطير الكنعانية (Canaanite mythology) كاسم لوحش بحري مفزع. هذا الكائن كثيراً ما يستخدم رمزياً في الكتابات الشعرية في العهد القديم للإشارة إلى أحد أقوى خصوم الله. وهو يُصوَّر كوحش مطي في بلد ما [...] أو كوحش كوني [...]. غير أنه في كتاب التكوين لا تُصوَّر الكائنات البحرية كأعداء مخيفة وإنما كجزء من خليقة الله الحسنة التي ينبغي أن نعجب بها" (|دراسى|:9؛ |NIV|:6).

1673 . "يتضمن معنى "الصورة" سمات مثل "البر والقداسة" (أفسس 4:24) و"المعرفة" (كولوسي 3:10). وعلى المؤمنين أن يكونوا "مشابهين صورة" المسيح (رومية 8:29) وفي يومٍ ما سيكونون "شبهه" (1 يوحنا 3:2)" (|دراسى|:10؛ |NIV|:6).

1674 . (البقرة 30) تؤكد أن القرآن ردد التقليدَ اليهودي-المسيحي الذي يقول إن الملائكة خُلِقَت قبل الإنسان.

1675 . (مسلم 2789؛ إم|:2149/4-2150).

1676 . "أعطى الله النباتات لتكون طعامًا للإنسان وبعد ذلك أعطاه أن يأكل العشب مثل الحيوانات (التكوين 3:18) بعد السقوط، أما الحيوانات (أي: اللحوم) فسمح له بأكلها بعد الطوفان (التكوين 9:3)" (|مارمرقص|:العهدالقديم/32/1).

1677. “The sevenfold affirmation of the goodness of God’s creative acts (Gen. 1:4, 10, 12, 18, 21, 25, 31) is singular in the Bible and indicates the influence of Zoroastrian theology whereby the creator-god effected a good creation. The Jewish writers of Genesis 1 who lived in the post-exilic period adapted the Persian notion to the needs of Jewish monotheism” (|EJ|:7\446).

1678 . |بو هندي|:21/1.

1679. “Le II^e^ et le IV^e^ jour, d’après la Genèse (I, 6 et 14)” (|Masson|:927).

1680 . راجع الجزءَ الذي عرضناه مِن تفسير القرطبي لـ (البقرة 29) ومَن طوَّروا أفكاره وتعليقنا عليهم.

1681 . "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ" (آل عمران 191) "فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا" (النساء 103). إنها بالفعل مستوحاة من الصلاة اليهودية "إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ" (Shema Yisrael) أهم وأشهر صلاة يهودية: "وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ (lie down) وَحِينَ تَقُومُ" (التثنية 6:7) "مُتَكَلِّمِينَ بِهَا حِينَ تَجْلِسُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، وَحِينَ تَمْشُونَ فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُونَ، وَحِينَ تَقُومُونَ" (التثنية 11:19)! انظر |GR-AQ|:150؛ |Masson|:812؛ |Aldeeb|:439.

1682. “*God’s purpose in creation:* Creation had a divine purpose [...]. But that purpose is, in a sense, external to the deity who does not need a cosmos for himself” (|EQ|:1\473).

1683 . وهذه المياه العليا هي "المياه التي تعلو "الخيمة" (أي: تعلو السَّماوات!) (الآية 2؛ انظر [اليوم الثاني للخلق] التكوين 1:7)، التي يعطي اللهُ منها المطرَ وفقاً لتصوير العهد القديم" (|دراسى|:1430؛ |NIV|:904)! "حيث الاعتقاد القديم بأن الله يسكن فوق المياه في السماء، كما الأرض مثبتة على المياه السفلية" (|معاصر|:1060)!

1684. “The Qurʾān’s vision of God’s throne hanging above the waters seems to reflect Psalm 104, which speaks of the palace of God above the waters [...] (Psalm 104:1-3)” (|GR-AQ|:344).

1685 . لمزيد من المعلومات عن تأثير المزمور 104 على القرآن، انظر |GR-AQ|:78-79، 414.

1686 . |مارمرقص|:العهدالقديم/284/12. انظر أيضاً |JSB|:1421؛ |مجلس|:456.

1687 . "لأَنَّ الرَّبَّ إِلهٌ عَظِيمٌ، مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الآلِهَةِ" (المزامير 95:3).

1688 . "استخدم [الكتابُ المقدس] صورةَ يهوه الذي لديه مخازن للمطر وكُرات الثلج والبَرَد التي تُطلَق بقوة ريح أنفه (انظر أيضاً التثنية 28:12؛ المزامير 33:7؛ أيوب 38:22)" (|IVP-OT-ar|:118/3؛ |IVP-OT|:556).

1689 . لمزيد من المعلومات عن هزيمة سِيحُونَ مَلِكَ الأَمُورِيِّينَ وَعُوجَ مَلِكَ بَاشَانَ، اقرأ (العدد 21:21-35).

1690 . ترجمة أخرى: إنَّ الرَّبَّ يُنصِفُ شَعبَه (the LORD will champion His people)، ويَرأفُ بِعَبيدِه. وفي جميع الأحوال، فإن الشطر الأول يبرز عدلَ الله بينما يبرز الشطرُ الثاني رحمةَ الله.

1691 . |رازى|:177/19-178. وقيل غير ذلك. مثلاً: وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَن هلك منكم ومَن هو حيٌّ.

1692 . "السَّحَابُ سِتْرٌ لَهُ فَلاَ يُرَى، وَعَلَى دَائِرَةِ السَّمَاوَاتِ (أي: قُبَّةِ السَّمَاوَاتِ) يَتَمَشَّى" (أيوب 14:22).

1693 . "يُحْصِي عَدَدَ الْكَوَاكِبِ (أي: النجوم؛ stars). يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ" (المزامير 4:147).

1694 . "إِلهُ الآلِهَةِ الرَّبُّ تَكَلَّمَ، وَدَعَا الأَرْضَ [...] يَدْعُو السَّمَاوَاتِ مِنْ فَوْقُ، وَالأَرْضَ إِلَى مُدَايَنَةِ شَعْبِهِ" (المزامير 50:1-4).

1695 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

1696 . |Midrash|:1/13-14؛ |Kugel|:72. انظر أيضاً |Midrash|:1/89-91؛ |Katsh|:22.

1697 . |Midrash|:1/14. لمزيد من التفاصيل، انظر |Kugel|:71-72؛ |Midrash|:1/65، 97-98؛ |Katsh|:22.

1698 . |Banon|:17؛ |EJ|:16/59.

1699 . الترجمة العربية (|Philo-ar|:1/29). الترجمة الإنجليزية (|Philo|:4). انظر أيضاً |Kugel|:71.

1700. “Origen [d. c. 254] goes on to make explicit the same argument that underlies Philo’s writings, that the expression “on the day” in Gen. 2:4 proves that there was one great act of creation that was accomplished all at once” (|Kugel|:72).

1701 . راجع الجزءَ الذي عرضناه مِن تفسير القرطبي لـ (البقرة 29) ومَن طوَّروا أفكاره وتعليقنا عليهم.

1702. “This idea of a single creative act is specifically rejected by other [Jewish and Christian] interpreters, however, who insisted that “six days” meant six *days*” (|Kugel|:72).

1703 . |كتابية|:3/422. انظر أيضاً |NIV|:1365. وإلى اليوم، يُستخدم دخانُ البخور في الكنائس والمساجد.

1704 . |يسوعية|:العهدالقديم/888؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/11؛ |EOSB|:571؛ |RHCharles|:1/217-218؛ |Septuagint|:Apocrypha/28؛ |NETS|:466.

1705 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Kugel|:48-51.

1706 . |سبعينية|:التكوين/23؛ |إسكندرية|:1/5، 390.

1707 . |IVP-OT-ar|:3/426؛ |IVP-OT|:751. انظر أيضاً |IVP-OT-ar|:3/412-413؛ |IVP-OT|:743.

1708 . |مارمرقص|:العهدالقديم/446/9. انظر أيضاً |Kugel|:59، 76-77.

1709 . |هامش|:6/63؛ |Pleiade|:337/1517. انظر أيضاً |JSB|:814.

1710 . |IVP-NT-ar|:3/239؛ |IVP-NT|:747.

1711 . |هامش|:3/44؛ |Pleiade|:337/491.

1712 . |Kaskas|:284. انظر أيضاً |Kaskas|:209.

1713 . ونلاحظ الالتفات من ضمير الغائب "هُوَ اللهُ [...] هُوَ قَرَّرَهَا" إلى ضمير المتكلم "أَنَا الرَّبُّ".

1714 . "القراءة المُفضَّلة "كُرْسِيّ حُكْمِ اللهِ" [...]. إنّ كلَّ مؤمن سوف يُقدِّم حساباً عن نفسه، وسوف يحكم الربُّ على القرارات التي اتَّخذها المؤمن، بما فيها تلك المتعلِّقة بالمسائل الضميريَّة. فذلك الحكم هو وحده ما يهمّ" (|آرثر|:1936).

1715 . ونلاحظ أيضاً الالتفات من ضمير الغائب "هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ" إلى ضمير المتكلم "فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ"!

1716. |GR-AQ|:420-421; |Kaskas|:182; |QSC|:193. https://doi.org/10.1515/9783110445909-021

1717. “These [the world and its contents] God created not with hands, not with toil, not with assistants, of whom He had no need; He willed it, and so they were made in all their beauty. – Josephus, *Against Apion* 2:192” (|Kugel|:52). Also |Josephus|:965; |Midrash|:1\20; |Katsh|:99.

1718 . "إِلهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا" (إشعياء 28:40). "لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ حَافِظُ إِسْرَائِيلَ" (المزامير 4:121). "فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ (أي: يَعْمَلُ في كُلِّ وقت باستمرار دائماً وأبداً ولا يتعب قط)" (يوحنا 17:5) **[← "كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (أي: يَعْمَلُ في كُلِّ وقت)" (الرحمن 29) "لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ (أي: نعاس) وَلاَ نَوْمٌ" (البقرة 255)!]**.

1719 . "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ (بالعبرية: shabbath) وَقَدَّسَهُ" (الخروج 11:20) "فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ اسْتَرَاحَ وَتَنَفَّسَ [الصُّعَداءَ] (was refreshed)" (الخروج 17:31). أي: أكمل أعمال الخلقة ورضي وفرح بما عمله من مخلوقات.

1720. "[السجدة 4] God's "settling" (cf. [الأعراف 54]; [يونس 3]; [الرعد 2]; [طه 5]; [الفرقان 59]; [الحديد 4]) or sitting on the throne might be compared to the Biblical tradition of God's resting on the seventh day (Gen. 2:1-2; Exo. 20:11)" (|GR-AQ|:636). See also |بوهندي|:1\22.

1721 . |ب|:413-414؛ |ج|:415-416؛ |ج-البغا|:691-693. انظر أيضاً (المستدرك 543/2؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ولم يوافقه الذهبي |حاكم|:592/2-593).

1722 . |ج|:520؛ |ج-البغا|:691؛ |ج-وطن|:520.

1723 . |خازن-بغوى|:80/6.

1724 . |ملطى|:يوحنا/391/1.

1725 . |قاموس-كتاب|:453.

1726 . |Kugel|:90.

1727 . ملحوظة: في الترجمة العربية، تكرر اسمُ "الله" 34 مرة لأن "وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ" (التكوين 28:1) كانت في الأصل العبري: وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ اللهُ لَهُمْ. انظر |JSB|:10-13.

1728. "On five occasions ([الأعراف 54]; [يونس 3]; [الفرقان 59]; [السجدة 4]; [الحديد 4]) the Qurʾān has God "settle" on his throne immediately after creating the heavens and the earth in six days" (|GR-AQ|:636). See also |بوهندي|:1\22.

1729. "critical scholars attribute [Gen. 1:1-2:3] to the P (for "Priestly") source. And God does function here in ways reminiscent of a "kohen" (priest), giving blessings, for example (1.22, 28; 2.3; cf. Lev. 9.22-23; Num. 6.22-27), and consecrating the Sabbath (2.3; cf. Ezek. 44.24). The concern shown in this story for order and clear boundaries typifies the Priestly corpus" (|JSB|:11).

1730 . |EJ|:440/7-442؛ 445. انظر أيضاً |JSB|:7-10.

1731 . |يسوعية|:العهدالقديم/64؛ 66.

1732 . |السواح|:173/22-181. انظر أيضاً |باش|:36/1-37.

1733 . |EQ|:442/1.

1734 . |قرطبى|:64/21؛ |قرطبى-مصر|:404/9. (مسلم 1610-1612؛ |م|:1230/3-1232). انظر أيضاً |Nasr|:1387.

1735 . |EQ|:51/2.

1736 . |السواح|:181/22. انظر أيضاً |السواح|:242/22؛ |Barnstone|:16-19.

1737 . كتاب الكرازة الرسولية، للقديس إيرينيوس. نصوص آبائية 138. الترجمة والمقدمة والتعليقات والفهارس: د. نصحي عبد الشهيد، د. جورج عوض إبراهيم. الناشر: مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة. الطبعة الثالثة، 2017. ص 75.

1738 . لمزيد من المعلومات عن تاريخ كتابة وجمع وترجمة صعود إشعياء (معراج إشعياء)، انظر |OTP|:149/2-150.

1739. “In early Christian Art, [Noah’s] ark is represented as a small floating cask in which Noah stands alone, his arms upraised in an attitude of supplication” (|EJ|:15\289).

1740 . |GR-AQ|:843.

1741 . |هامش|:144/24. لمزيد من التفاصيل عن أسطورة صعود إشعياء (معراج إشعياء)، انظر |هامش|:137/24-144.

1742 . |Masson|:781.

1743 . |كتابية|:131/1. انظر أيضاً |هامش|:216/3. وقيل غير ذلك.

1744 . |هامش|:219/3. انظر أيضاً |هامش|:43/4؛ |هامش|:168/6؛ |EJ|:444/6؛ |EJ|:186/3؛ |EJ|:289/3؛ |Aldeeb|:378. اقرأ أيضاً ما قالته موسوعة (Encyclopædia Judaica) عن الملاك (Raziel) وكتاب الأسرار (Sefer ha-Razim) الذي ذكر نوحاً والسبع سماوات (|EJ|:130-128/17) بل نُسِبَ إلى نوح (|EJ|:290/15)!

1745 . "الرقم سبعة بالسياق الكتابي وخاصة بسفر الرؤيا يشير إلى الملء والكمال، سلباً أم إيجاباً" (|معاصر|:2475).

1746 . |معجم-ألفاظ|:340.

1747 . انظر الشكل |مسكين|:24-25.

1748 . انظر الشكل |مسكين|:332.

1749 . |RHCharles|:2/2.

1750 . |BK|:70.

1751 . |كريمر|:152؛ |Kramer|:76؛ |Kramer-fr|:99.

1752 . |قرطبى|:503/19؛ |قرطبى-مصر|:48/9.

1753 . |قرطبى|:190/12-191؛ |قرطبى-مصر|:375/5.

1754 . |قرطبى|:7/12-9؛ |قرطبى-مصر|:253/5.

1755. “the Qurʾān’s cosmology, according to which the world [i.e. the earth] is flat and the sky is a physical barrier – separating heaven from earth – stretched out like a dome above the earth. […] This cosmology is common in Late Antiquity” (|GR-AQ|:405). See also |EQ|:1\445-446.

1756 . الشيخ محمد متولى الشعراوى، "الغيب"، أخبار اليوم، قطاع الثقافة 1998، ص 60.

1757. “Alexander, or *Dhū l-Qarnayn*, goes to the westernmost [v. 86] and easternmost [v. 90] points on earth, something which reflects a flat earth” (|GR-AQ|:464).

1758 . |Kramer-fr|:99.

1759 . |عاشور|:14/30-15.

1760 . |طبرى|:78/23.

1761 . (البخارى 6982؛ |خ|:2699/6؛ |بارى|:414/13-415) (البخارى 3018-3019؛ |خ|:1165/3-1166). انظر أيضاً |و|:205/6/1؛ |خالدى-د|:31-32.

1762 . |ج|:324؛ |ج-البغا|:423؛ |ج-وطن|:324.

1763 . |دراسى|:1430؛ |NIV|:904.

1764 . |يسوعية|:العهدالقديم/68. **[← حوَّل أصحابُ القرآن "نوافذ السَّمَاءِ" إلى "أَبْوَابَ السَّمَاءِ"، فقالوا عن الطوفان في أسطورة نوح القرآنية: "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (أي: بمطرٍ كثيرٍ)" (القمر 11)! وقالوا عن يَوْمِ الْفَصْلِ (يوم القيامة): "وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (أي: طرقاً ومسالك؛ قيل: لنزول الملائكة)" (النبأ 19)!]!**

1765 . لمزيد من التفاصيل، انظر تفاسير (المزامير 93:1-2) و |Kugel|:54-56، 44-45، 58-59.

1766 . (البخارى 6982؛ |خ|:2699/6؛ |بارى|:415-414/13) (البخارى 3018-3019؛ |خ|:1165/3-1166). انظر أيضاً |و|:205/6/1؛ |خالدى-د|:31-32.

1767 . (مسلم 159؛ |م|:138/1-139؛ |م-نووى|:256/2-258؛ |عياض|:476/1-478؛ |ديباج|:180/1-181؛ |م-لاشين|:504/1-508). إذن: "مستقر" الشمس اسم مكان. وقيل إنه مستقر زمنى، عند تكويرها يوم القيامة، أى: حين ينتهى سيرها عند انقضاء الدنيا. وقيل إنه مستقر مكانى وزمنى (|عثيمين|:يس/137-138؛ |زادمسير|:17/7-19). ونحن نرى أن المستقر المكانى مقصودٌ فى الحديث، بدليل قول محمد: "تحت العرش". انظر أيضاً |أصبهانى|:575/2.

1768 . |م-عثيمين|:462/1-463. وقُرِئَت "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لاَ مُسْتَقَرَّ لَهَا"! انظر تفاسير (يس 38) و |معجم-قراءات|:208/5.

1769 . "فتاوى العقيدة" لفضيلة الشيخ العلّامة محمد بن صالح العثيمين، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الثانية، 1442هـ، 93/1-95. أيضاً "مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين"، المجلد الأول، فتاوى العقيدة، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الرياض: دار الوطن للنشر، 1413هـ، ص 72-75.

1770 . "فتاوى العقيدة" لفضيلة الشيخ العلّامة محمد بن صالح العثيمين، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الثانية، 1442هـ، 91/1. انظر أيضاً "مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين"، المجلد الأول، فتاوى العقيدة، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الرياض: دار الوطن للنشر، 1413هـ، ص 72. "فتاوى العقيدة"، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، القاهرة: مكتبة السنة، الطبعة الأولى، 1992، ص 376-378.

1771. 147 الدليل, https://www.youtube.com/watch?v=X85WNqbKm7Q

1772 . |IVP-OT-ar|:43/3؛ |IVP-OT|:509-510.

1773 . |طبرى|:516/14-517. انظر أيضاً |كثير-شيخ|:442/8.

1774 . |كثير-شيخ|:442/8-443.

1775 . |قرطبى|:37/13-38؛ |قرطبى-مصر|:566/5.

1776 . |هامش|:133/3؛ |RHCharles|:2/243؛ |OTP|:1/57. انظر أيضاً |Kugel|:78.

1777. “The idea that the proportional intensity is in the ratio of 7:1 is suggested by Isaiah 30:26. […], without, however, the further stipulation that the two bodies [i.e. the sun and the moon] are of the same size” (|Kugel|:78).

1778. “*1 Enoch* was itself undoubtedly considered by many to be sacred Scripture—it is cited, for example, in the New Testament, Jude 14—and its contents were themselves interpreted and passed on as authoritative supplementing the Genesis narrative” (|Kugel|:181).

1779 . |هامش|:133/6؛ |RHCharles|:2/538؛ |OTP|:1/672-673؛ |Kugel|:78؛ |Pleiade|:337/1159.

1780. “D’autres interprétations de l’infériorité de la lune par rapport au soleil existent. […]” (|Pleiade|:337\1159). See also |RHCharles|:2\538; |Kugel|:77-79; |Midrash|:1\42-44.

1781 . |قرطبى|:425/19-427؛ |قرطبى-مصر|:5/9-6.

1782 . |كثير-شيخ|:180/13؛ |كثير-طيبة|:394/7.

1783 . |كثير-شيخ|:360/11؛ |كثير-طيبة|:575/6-576.

1784 . |قرطبى|:442/17؛ |قرطبى-مصر|:26/8.

1785 . |طبرى|:255/16.

1786 . انظر تفاسير الطبري والقرطبي وابن كثير والجلالين.

1787 . |كثير-شيخ|:399/9؛ |كثير-طيبة|:339/5.

1788 . |شعراوي|:9525/15.

1789 . |شعراوي|:9518/15.

1790 . |EQ|:442/1.

1791. “The Greek philosopher Thales saw water as the primal element (though Peter’s wording is much more ambiguous)” (|IVP-NT|:704).

1792 . |معاصر|:2422.

1793 . |Prose|:82. انظر أيضاً |GR-AQ|:553.

1794 . |GR-AQ|:508. انظر أيضاً |GR-AQ|:553.

1795 . |منتخب|:548. انظر أيضاً: الشيخ محمد متولي الشعراوي، "الغيب"، أخبار اليوم، قطاع الثقافة 1998، ص 36.

1796 . |خالدي-د|:26. انظر أيضاً |خالدي-د|:37-38؛ |و|:1/6/203-204؛ |باش|:1/30-31.

1797 . |كريمر|:162-163؛ |Kramer|:82-83؛ |Kramer-fr|:102-103.

1798 . (البخاري 6982؛ |خ|:6/2699؛ |باري|:13/414-415) (البخاري 3018-3019؛ |خ|:3/1165-1166). انظر أيضاً |و|:1/6/205؛ |خالدي-د|:31-32.

1799 . |كريمر|:152-156؛ |Kramer|:76-78. انظر أيضاً |Kramer-fr|:103.

1800 . |كريمر|:159-160؛ |Kramer|:80-81؛ |Kramer-fr|:101.

1801 . |قرطبي|:20/235؛ |قرطبي-مصر|:9/196. ولمزيد من المعلومات عن مقدمات السور القرآنية، |MS|:54-61.

1802 . |السواح|:22/173-181. ولمزيد من المعلومات عن الأساطير المصرية القديمة، انظر |السواح|:12/309-310.

1803. “*Be!* ([كُن]) also corresponds to the Biblical *fiat lux* ([the Latin translation of] “Let there be light,” Genesis 1:3) and serves to emphasize the fact that the existence of everything comes from God and His Will” (|Nasr|:55).

1804 . |هامش|:5/89؛ |RHCharles|:2/30-31؛ |OTP|:2/80؛ |Pleiade|:337/689.

1805 . |هامش|:16/38؛ |RHCharles|:2/379؛ |OTP|:1/362؛ |Pleiade|:337/1048.

1806 . |هامش|:6/38؛ |RHCharles|:2/493؛ |OTP|:1/628؛ |Pleiade|:337/1497.

1807 . |هامش|:6/63؛ |RHCharles|:2/505؛ |OTP|:1/635-636؛ |Pleiade|:337/1518؛ |Kugel|:75.

1808 . |هامش|:6/170؛ |Pleiade|:337/1720. أو (رؤيا إبراهيم 2:22) حسب ترقيم آخر (|OTP|:1/700).

1809. “[T]he Aramaic *Targum Neofiti* […] is of Palestinian provenance […] and was written well before the rise of Islam (ca. 1st century AD). M. McNamara argues for a date of the fourth century AD” (|Reynolds|:38).

1810 . |هامش|:10/27؛ |Targums|:1A/52؛ |Kugel|:46، 67. لمزيد من التفاصيل عن العلاقة بين "الْبَدْءِ" (beginning) (التكوين 1:1)، و "الحكمة" (wisdom) أو التوراة (Torah)، و "الكلمة" (logos) (memra) أو المسيح (Christ) أو الابن (son)، انظر |Kugel|:44-47، 51-56، 63-70.

1811 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

1812 . |Midrash|:1/20. انظر أيضاً |Katsh|:99.

1813 . عيسى مختلف عن آدم، لأن عيسى مَرَّ بمراحل تكوين الجنين في بطن أمه بينما لم يمر آدمُ بهذه المراحل. لكن الربط بين آدم وعيسى في (آل عمران 59) مستوحى من لقب "آدم الثاني" (Second Adam) - أو "آدم الجديد" (New Adam) أو "آدم الأخير" (Last Adam) - الذي أعطته المسيحية ليسوع المسيح (1 كورنثوس 15:20-49) (رومية 5:12-21). آدم الأول أعطانا السقوطَ في الخطيئة والموت. أما آدم الثاني (يسوع المسيح) فأعطانا الخلاصَ من الخطيئة والموت.

1814 . |كريمر|:156-157؛ |Kramer|:78-79؛ |Kramer-fr|:104.

1815 . محمد يوسف إدريس، "مُتخيَّل أحداث قصص الأنبياء والرسل في الكتاب المقدس والقرآن الكريم". الرباط – بيروت: مؤمنون بلا حدود. الطبعة الأولى، 2017. ص 131-133.

1816 . وقيل إن المقصود بـ "سلالة" هو "خلاصة"، فيكون المعنى: من خلاصة الطين؛ أو مِن خلاصة سُلَّتْ من بين الكدر.

1817 . وتوجد تفاسير أخرى مثل: "قَالَ السُّدِّيُّ: أُمِيتُوا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أُحْيُوا فِي قُبُورِهِمْ للسؤال، ثُمَّ أُمِيتُوا فِي قُبُورِهِمْ ثُمَّ أُحْيُوا في الآخرة" (|خازن-بغوى|:332/5)! وبناء على هذا الرأي، يتخذ فريقٌ من المسلمين هَذِهِ الْآيَة (غافر 11) دليلاً على ما يُسمَّى "حياة البرزخ" و "سؤال القبر" و "عذاب القبر"! وفي جميع الأحوال، فإن الإحياء الثاني هو القيامة من الأموات.

1818 . قال محمدٌ: "يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا (أي: كالصحيفة الواحدة فلا ينثني ولا يقدر على السجود!)" (البخارى 4635؛ كتاب "التفسير" – باب "يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ" (القلم 42) |خ|:1871/4)! وهذا الحديث الصحيح يؤكد أن إله الإسلام له ساق! وهذا مستوحى من التراث اليهودي-المسيحي: "فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ، أُسُسُ الْجِبَالِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ لأَنَّهُ (أي: الله) غَضِبَ. صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ. طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ (بالعبرية: regel) (His feet)" (المزامير 18:7-9)؛ "هُوَذَا يَوْمٌ لِلرَّبِّ (A day of the LORD) يَأْتِي [...] فَيَخْرُجُ الرَّبُّ وَيُحَارِبُ تِلْكَ الأُمَمَ كَمَا فِي يَوْمِ حَرْبِهِ، يَوْمَ الْقِتَالِ. وَتَقِفُ قَدَمَاهُ (بالعبرية: regel) (His feet) فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ الَّذِي قُدَّامَ أُورُشَلِيمَ مِنَ الشَّرْقِ، [...]" (زكريا 14:1-4). انظر أيضاً قراءات وتفاسير (القلم 42)؛ و (مسلم 183؛ |م|:168/1-169).

1819 . |أشقر-عقيدة|:80/6. انظر أيضاً |و|:114/7/1.

1820 . "وَهَذَا السِّيَاقُ - وَإِنْ كَانَ سَبَبُهُ وَقْعَةَ بَدْرٍ - وَلَكِنَّهُ عَامٌّ فِي حَقِّ كُلِّ كَافِرٍ" (|كثير-شيخ|:105/7؛ |فهد|:183)!

1821 . توجد تفاسير كثيرة ومختلفة لآيات القَسَم الافتتاحية الأولى في السور المكية الخمس التي اسمها جمع تأنيث: (النازعات 1-5)، (الذاريات 1-4)، (المرسلات 1-6)، (العاديات 1-5)، (الصافات 1-3). لمزيد من التفاصيل، انظر التفاسير التراثية القديمة مثل تفسير الطبري، والأبحاث الأكاديمية الحديثة مثل |QHC-2|:265-278؛ |Badawi|:179-183.

1822 . |قرطبى|:88/15؛ |قرطبى-مصر|:455/6. انظر أيضاً |EQ|:204/1-207.

1823 . "فتاوى العقيدة" لفضيلة الشيخ العلّامة محمد بن صالح العثيمين، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الثانية، 1442هـ، 445/1-446، 468، 443، 469-470.

1824 . "فتاوى العقيدة" لفضيلة الشيخ العلّامة محمد بن صالح العثيمين، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الثانية، 1442هـ، 461/1. للمزيد عن عذاب القبر (عذاب البرزخ)، انظر نفس المرجع 440/1-471.

1825 . |أشقر-عقيدة|:15/5. لمزيد من المعلومات عن البرزخ، انظر |EQ|:204/1-207؛ |Nasr|:1827-1829.

1826 . |EI-2|:236/5. لمزيد من التفاصيل، انظر تفاسير الآيات القرآنية.

1827 . |EQ|:435/4. لمزيد من التفاصيل، انظر تفاسير الآيات القرآنية.

1828 . "مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية"، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ، 248/4! وأيضاً |أشقر-عقيدة|:48/6-49؛ |فهد|:132!

1829 . (مسلم 2582؛ |م|:1997/4). وتوجد أحاديث أخرى بنفس المعنى (|صحيحة|:115/4-117؛ |كثير-شيخ|:32/6-35).

1830. 4 الدليل, https://www.youtube.com/watch?v=m0pp9hHJ-xo

1831 . |م-نووى|:205/16-206. انظر أيضاً تفاسير (الأنعام 38).

1832 . |EQ|:136/3، 140. انظر أيضاً |EI-2|:236/5.

1833 . جاءت "دَكَّاءَ" مؤنثة مع أن "السد" أو "الردم" مذكر! بدليل الضمير المذكر فى "جَعَلَهُ". وكالعادة، اخترع المفسرون حيل لتبرير هذا الخطأ. والصواب هو "دَكًّا" كما جاء فى بعض القراءات (|معجم-قراءات|:18/4)، وكما قال عن الجبل (مذكر) فى قصة موسى: "فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا" (الأعراف 143). انظر تفاسير (الكهف 98) ولسان العرب [د ك ك].

1834 . (البخارى 4651؛ إخ|:1881/4) (البخارى 4536؛ إخ|:1813/4) (مسلم 2955؛ إم|:2270/4-2271).

1835 . |EQ|:2/46-47. انظر أيضاً |Badawi|:166.

1836 . |منتخب|:678.

1837 . |ج-وطن|:384.

1838 . |فهد|:523. "أي: تزول عن أماكنها، وتسير عن مواضعها، كسير السَّحَابِ، وتكون هباءً منبثاً" (|أشقر|:523).

1839 . |ج|:523؛ |ج-البغا|:697؛ |ج-وطن|:523. "وذلك يوم القيامة" (|ضيف|:873).

1840. “The construction [*س. مَا س. وَمَا أَدْرَاكَ مَا س: ص*] *X. mā X. wa-mā adrāka mā X: Y*, “X. What is X? And how do you know (lit. ‘what made⁄let you know’) what X is? (X is) Y” ([...]) is a standard form in the oracular stylistic repertoire of pre-Islamic soothsayers” (|EQ|:4\102).

1841 .عن عمر بن الخطاب في قوله "وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ" "قال: هُمَا الرجلان يعملان العمل يدخلان به الجنة والنار، الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح" (المستدرك 2/515-516؛ "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:560/2).

1842 . "وَيَوْمَ [القيامة] نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ (هو: رسولهم ليشهد عليهم أنه بلَّغهم الرسالة)ۖ وَجِئْنَا بِكَ [يا محمد] شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ (أي: شاهدًا على أمتك أو قومك بما عملوا؛ أو: شاهدًا على هؤلاء الرسل وأممهم)" (النحل 89). اقرأ أيضاً (النساء 41) (الزمر 69) (البقرة 143).

1843 . "يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ" (الذاريات 12)؛ "وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 48) (الأنبياء 38) (النمل 71) (سبأ 29) (يس 48) (الملك 25).

1844 . (البخارى 3437-3439؛ إخ|:1330/3-1331) (البخارى 3655-3658؛ إخ|:1404/3-1405) (البخارى 4583-4587؛ إخ|:1843/4-1844) (مسلم 2800-2803؛ إم|:2158/4-2159)!

1845 . |منتخب|:626. "تتشقق فيه السماء، ويظهر من فتحاتها السحاب الأبيض الرقيق" (|فهد|:362)!

1846 . |IVP-OT-ar|:118/3؛ |IVP-OT|:556!

1847 . "اللهَ هُوَ الْقَاضِي. هذَا يَضَعُهُ (أي: يَخْفِضهُ؛ يُذِلُّه) وَهذَا يَرْفَعُهُ" (المزامير 75:7) **[⟵ "خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ" (الواقعة 3)]**!

1848 . |طبرى|:78/24. وقيل إن "ساهِرَةِ" كلمة عِبرية أصلاً (sohar) تعني "سجن" أو "حبس" (التكوين 39:20، 40:3) (|Aldeeb|:355؛ |FV|:159).

1849 . |وجدى|:788. ومن المعلوم أن الله أعظم من الملائكة، وأن المسيح ابن الله أعظم من الملائكة لأَنَّهُ "جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي، صَائِرًا أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ. لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»؟ وَأَيْضًا: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا»؟ وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ»" (العبرانيين 1:3-6).

1850 . "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء 85).

1851 . "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ (أي: لا شك فيه)" (النساء 87) "لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ" (الأنعام 12) "يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ" (الجاثية 26) "رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ" (آل عمران 9)؛ "يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ" (الشورى 7)؛ "جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ" (آل عمران 25).

1852. [أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] “suggests that the ideas of monotheism and resurrection of the body had long been discussed in the Qurʾān’s context” (|GR-AQ|:847-848), “that there was nothing new about the preaching of the resurrection of the body in the Qurʾān’s context” (|QSC|:244).

1853 . (مسلم 2786؛ إم|:2147/4-2148) (البخارى 4533؛ إخ|:1812/4) (البخارى 6978-6979؛ إخ|:2697/6) (البخارى 7013؛ إخ|:2712/6) (البخارى 7075؛ إخ|:2729/6). انظر أيضاً |أشقر-عقيدة|:90/6-91.

1854 . |مسكين|:246؛ |NIV|:1506؛ |دراسى|:2315؛ |آرثر|:1520. انظر أيضاً |عافية|:169/1-173، 383.

1855 . |مارمرقص|:العهدالجديد/418/4.

1856 . |IVP-NT-ar|:244/1؛ |IVP-NT|:264. انظر أيضاً |IVP-NT-ar|:89/2؛ |IVP-NT|:398-399.

1857. [الأنعام 128] et [هود 107]: “deux seuls textes d’après lesquels le tourment des damnés pourrait ne pas être perpétuel, alors que vingt-sept autres posent le principe de l’« immortalité » des « hôtes de la Géhenne »” (|Masson|:832). See also |EQ|:2\52-53.

1858 . |طبرى|:582/12-583؛ |طبرى-شاكر|:483/15-484. انظر أيضاً |Nasr|:586، 1849-1850؛ |EQ|:53/2؛ |EQ|:552/2-553؛ |EI-2|:381/2-382.

1859 . |و|:228/6/1.

1860 . |مسكين|:336-337.

1861 . |GR-AQ|:388. لمزيد من التفاصيل عن الجذور اليهودية والمسيحية لـ (الرعد 5)، انظر |QSC|:191، 241.

1862 . |قاهرة|:1049/43.

1863. “Many pre-Islamic Arabs accepted that God was the Creator, but did not accept that He could resurrect the dead” (|Nasr|:1501). The Qurʾān’s response is that “God’s ability to create human beings the first time should be sufficient proof that He can do it again” (|Nasr|:781). See also |أشقر-عقيدة|:6\61-62, 66-68; |EQ|:4\435.

1864. “In *Sūrah* 22, *al-Ḥajj*, two analogies for the Resurrection [of the dead] are given. The first is embryological, and the second is agricultural”. “The embryological and ecological “proofs” […] can be found throughout the Quran” (|Nasr|:1822; 1831). See also |قاهرة|:43\1049.

1865 . (البخاري 4651؛ |خ|:1881/4) (البخارى 4536؛ |خ|:1813/4) (مسلم 2955؛ |م|:2270/4-2271). انظر أيضاً |EQ|:435/4.

1866 . |EQ|:477/1 (في سياق السؤال: هل يؤيد القرآنُ نظريةَ الخلق من العدم (creatio ex nihilo)؟)؛ |EQ|:144/3؛ |EQ|:506/1-509. انظر أيضاً |GR-AQ|:524 و |Masson|:888 تعليقاً على (الحج 5).

1867 . |FV|:244؛ |EQ|:141/3؛ |Badawi|:173.

1868 . |Badawi|:189-190. انظر أيضاً |FV|:131-133.

1869 . |هولمز|:84-85. |رسوليون|:108-109. "أقدم النصوص المسيحية: سلسلة النصوص اللاهوتية"، الجزء الأول: "إقليمندس الروماني" - "راعي هرماس"، تعريب: الأب جورج نصّور، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط، الكسليك 1975، ص 37-38. "القديس اكليمندس الروماني: كتاباته – الأعمال المنسوبة إليه"، للقمص تادرس يعقوب ملطى (الكلية الإكليريكية واللاهوتية بالإسكندرية)، طبعة ثالثة 1993، ص 26. انظر أيضاً |Masson|:836 تعليقاً على (الأعراف 57).

1870 . |دراسي|:2782؛ |NIV|:1797؛ |آرثر|:252؛ |IVP-NT|:493؛ |IVP-NT-ar|:170/2.

1871 . قال يسوعُ المسيح: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ (أي: تُدْفَن) فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ (أي: إنْ دُفِنَتْ في التربة الزراعية) تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ" (يوحنا 12:24).

1872 . "الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ" (فيلبي 3:20-21).

1873 . "الترتيب المذكور في هذه الآية يوافق ما نشاهده في سائر أعمال الله. نزرع البذرة في الأرض فتأتي الثمرة أو الشجرة [تنمو من] أسفل الأرض أولًا ثم أعلاها، الناقص يسبق الكامل، ولادتنا الجسدية تسبق ولادتنا الروحية، والحياة الأرضية تسبق السماوية" (|مارمرقص|:العهدالجديد/124/4).

1874 . |آرثر|:1984، 1985.

1875 . |IVP-NT|:494؛ |IVP-NT-ar|:172/2.

1876 . |معاصر|:2294.

1877 . |أشقر-عقيدة|:46/6. انظر أيضاً "مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية"، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425هـ، 253/17-.

1878 . (البخارى 3171؛ إخ|:1222/3؛ (البخارى 3263؛ إخ|:1271/3-1272) (البخارى 4349؛ إخ|:1691/4) (البخارى 4463؛ إخ|:1766/4-1767) (البخارى 6159-6162؛ إخ|:2391/5) (مسلم 2859-2860؛ إم|:2194/4-2195). انظر أيضاً |أشقر-عقيدة|:50/6؛ |EQ|:140/3.

1879 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/222-224؛ |RHCharles|:140/1-142؛ |Reynolds|:162.

1880 . |GR-AQ|:524.

1881. "*Sheol*, […], the abode of all the dead, not a place of damnation like the later idea of hell". "all deceased descended to Sheol; there is no concept of a separate heaven and hell". "Sheol differs from the "ʿolam haba" (the next world), the belief in which developed in Judaism in the Second Temple period, because in Sheol there is no retribution and all its inhabitants are equal, without regard to their former status or behavior in life" (|JSB|:420; 2257; 550).

1882 . |معاصر|:1255 تعليقاً على (إشعياء 38:10-11).

1883 . |قاهرة|:945/43.

1884 . "فَآمَنَ [أَبْرَامُ/إِبْرَاهِيمُ] بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا" (التكوين 15:6). "«آمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا»" (غلاطية 3:6)؛ "«فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا»" (رومية 4:3) "«فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» وَدُعِيَ خَلِيلَ اللهِ" (يعقوب 2:23). ملحوظة: "استُعمِل [حِضْنُ إِبْرَاهِيمَ] في التلمود كنايةً عن السماء [heaven]" (|آرثر|:1712).

1885 . لمزيد من التفاصيل، انظر |قاموس-كتاب|:1007-1008؛ |كتابية|:160/8-161؛ |تساؤلات|:10/3-16.

1886 . |سعدى|:559.

1887 . |خازن-بغوى|:391/4.

1888 . (البخارى 1002؛ إخ|:356/1-357) (مسلم 903؛ إم|:621/2-622). "فتاوى العقيدة" لفضيلة الشيخ العلّامة محمد بن صالح العثيمين، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الثانية، 1442هـ، 462/1.

1889. "Many utterances attributed to Muḥammad and cited in the canonical corpus ascribe to the Jews the first allusions to [عذاب القبر]", "Muslim tradition connects the punishment after death in the grave ([عذاب القبر]) to a Jewish source" (|EQ|:3\141, 143).

1890 . لمزيد من التفاصيل، انظر |GR-AQ|:853-854؛ |Kaskas|:468.

1891 . |قرطبى|:446/22؛ |قرطبى-مصر|:399/10. إذن: "الهاوية" كاسم من أسماء نار جهنم مستوحى من التراث المسيحي. راجع ما قلناه عن الهاوية (abyss؛ hades) والجحيم (hell). و |السواح|:234/22؛ |Badawi|:173. وقيل إن "هَاوِيَةٌ" (القارعة 9) بالعبرية (hōwāh) تعني "مصيبة" (إشعياء 47:11) (حزقيال 7:26) (|Aldeeb|:62). لمزيد من التفاصيل، انظر |FV|:285-286؛ |EQ|:100/4-104؛ |QHC-2|:327-329.

1892 . "يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" (الأعراف 45) مستوحاة مما قاله يسوعُ المسيح لخصومه: "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ" (متى 23:13).

1893 . "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا" (الأعراف 45) مستوحاة مما قاله بولسُ الرسول لواحدٍ من خصومه: "أَيُّهَا الْمُمْتَلِئُ كُلَّ غِشٍّ وَكُلَّ خُبْثٍ! يَا ابْنَ إِبْلِيسَ! يَا عَدُوَّ كُلِّ بِرٍّ! أَلاَ تَزَالُ تُفْسِدُ (أي: تشوّه؛ تعوّج) سُبُلَ اللهِ الْمُسْتَقِيمَةَ؟" (أعمال الرسل 13:10).

1894 . وقيل إن "الْأَعْرَاف" اسم هذا الحجاب. "بين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز عظيم يُقال له الأعراف" (|فهد|:156).

1895 . علامات مميزة مثل: "يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا" (طه 102)؛ "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (آل عمران 106-107)؛ (يونس 26-27) (الزمر 60) (القيامة 22-25) (عبس 38-42) (الغاشية 2-10) (الإنسان 10-11). ولمعرفة الجذور اليهودية-المسيحية لهذه الآيات القرآنية، انظر |Badawi|:203-204.

1896 . "الضعفاء والفقراء من أهل الجنة" (|فهد|:156). يعني: مثل لِعَازَر المذكور في مَثَل "الْغَنِيّ ولِعَازَر" في إنجيل لوقا.

1897. Luke 16:22-31 “is dogmatically re-articulated in [50 الأعراف] which, in keeping with the vision of strict monotheism espoused by Muḥammad, removes the divine-like Abraham” and lets the people of hellfire call out *directly* to the people of paradise (|Badawi|:201). For more details, read |Badawi|:200-202.

1898. “One might compare in particular [46 الأعراف] (with its mention of a “veil,” Ar. حِجَابٌ) with Luke 16:26 [هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ], [and compare] [50 الأعراف] (which has the damned ask for water [الْمَاءِ]) with Luke 16:24 [مَاءٍ]” (|GR-AQ|:261). See also |GR-AQ|:543; |Masson|:836; |Kaskas|:98.

1899 . |FV|:183-184. انظر أيضاً |EQ|:1/474.

1900 . |منتخب|:251. ويوجد رأي آخر يقول إن "أَصْحَاب الْأَعْرَافِ" رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم "لَمْ يَدْخُلُوهَا (أي: لم يدخلوا الجنةَ بعد) وَهُمْ يَطْمَعُونَ (أي: يرجون رحمة الله؛ يرجون دخول الجنة)" (الأعراف 46)، ثم رحمهم اللهُ وغفر لهم وأدخلهم الجنةَ بفضله ونعمته: "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ [يا أصحاب الأعراف] لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ" (الأعراف 49).

1901 . لمزيد من التفاصيل، انظر |GR-AQ|:543؛ |Badawi|:202.

1902. “The point about the futility of sending one of the dead to the unbelievers (cf. [الأعراف 44-50]; [المؤمنون 99-100]) is close to that in the New Testament parable of the rich man and Lazarus, which concludes with Abraham declaring, “[…]” (Luke 16:31)” (|GR-AQ|:238-239).

1903 . لأن بعض الناس يسمعون فقط: "وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً (أي: أغطية) أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا (أي: ثِقَلاً وصمماً) ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأنعام 25). اقرأ أيضاً (النمل 80-81) (الملك 10) (الفرقان 44) (الأنفال 21).

1904. “But Luke 16:31 is in strongest dialogue with [36 الأنعام], […], where the juxtaposition of [الَّذِينَ يَسْمَعُونَ] and [الْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ] has in mind the words of Abraham in Luke’s passage” (|Badawi|:202).

1905 . |هامش|:3/102-103؛ |RHCharles|:2/229؛ |OTP|:1/44؛ |Pleiade|:337/538؛ |السواح|:22/242، 252.

1906 . |هامش|:3/103؛ |RHCharles|:2/229؛ |OTP|:1/44؛ |Pleiade|:337/538-539؛ |السواح|:22/242، 252.

1907. “Exegetes emphasize here the definitive aspect of [بَرْزَخ] that is applicable to sinners who, at the moment of death or in the process of eyeing the torments awaiting them in hell, request a second chance. Death heralds the [بَرْزَخ] from which there is no return; the despair of the doomed is total” (|EQ|:1\205).

1908 . |كثير-شيخ|:13/419-420؛ |كثير-طيبة|:8/17-18.

1909 . |ينابيع|:2/120-121.

1910. |QSC|:245-246. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-027

1911 . فكرة "الْبَاب الضَّيِّق" أو "المدخل الضَّيِّق" تكررت كثيراً في التراث اليهودي-المسيحي. انظر مثلاً (4 عزرا 7:1-14).

1912 . "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. [...] فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ" (متى 5:14-16).

1913 . كما عبَّر سفرُ دانيال عن الموتى بكلمة "الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ" (دانيال 12:2). "والمسيح نفسه قال عن لِعَازَرَ إنه نَامَ (يوحنا 11:11) وقال عن ابنة يَايِرُس إنها نَائِمَةٌ (لوقا 8:52)" (|مارمرقص|:العهدالقديم/21/192). **[← وكذلك في القرآن، يُسمَّى القبرُ "مَرْقَد" أي موضع الرُّقَاد، موضع الموت: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ (أي: من القبور) إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا" (يس 51-52). كما يُسمَّى النومُ "وفاة"، قيل لأنه يشبه الموت أو يُذَكِّرنا بالموت: "وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم (أي: يُنيمكم) بِاللَّيْلِ" (الأنعام 60)! اقرأ أيضاً (الزمر 42)]!**

1914 . |مارمرقص|:العهدالجديد/1/245.

1915 . كما عبَّر سفرُ دانيال عن قيامة الأجساد بكلمة "يَسْتَيْقِظُونَ" (دانيال 12:2) "ليعلن أنهم كانوا نائمين وقاموا، فالموت ليس نهاية أو فناء، بل مجرد رقاد لفترة، مهما طالت، بعدها يستيقظون ويقومون" (|مارمرقص|:العهدالقديم/192/21). **[← وفي القرآن، يُسمَّى الاستيقاظ "بَعْث"، قيل لأنه يشبه القيامة أو يُذكّرنا بالقيامة: "وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم (أي: يُنيمكم) بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم (أي: ما اكتسبتم من الأعمال) بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ (أي: يوقظكم) فِيهِ" (الأنعام 60)]!**

1916 . وضعها أصحابُ القرآن في صيغة سؤال: "أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ" (الحديد 14). وهذا مستوى من فقرة موازية قالها السيد المسيح في إنجيل متى أيضاً: "كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟" (متى 7:22).

1917 . لمزيد من التفاصيل، انظر |GR-AQ|:808-809؛ |Masson|:948؛ |Aldeeb|:472؛ |Kaskas|:400.

1918 . انظر مثلاً |طبرى|:402/22-403؛ |ماوردى|:475/5. انظر أيضاً |EQ|:142/3 تعليقاً على (الحديد 13) (ق 41).

1919 . |كثير-شيخ|:323/12؛ |كثير-طيبة|:236/7. ملحوظة: لا يؤمن اليهودُ أن المسيَّا (المسيح) سوف يأتي مرَّتين: مرَّة أولى ضعيفاً مُهاناً من أجل الرحمة بالصليب والفداء في القرن الأول الميلادي؛ ومرَّة ثانية قوياً مجيداً من أجل الدينونة العادلة بالحساب والجزاء في آخر الزمان. فهذه عقيدة مسيحية ثم تطوَّرت تطوراً بشرياً طبيعياً حتى انتقلت إلى الإسلام، على الرغم من عدم إيمان المسلمين بالصليب والفداء وعدم وجود آيات قرآنية تشرح دورَ المسيح الفعَّال في الحساب والجزاء الأخروي!

1920 . (البخارى 2109؛ |خ|:774/2) (البخارى 2344؛ |خ|:875/2-876) (البخارى 3264؛ |خ|:1272/3) (مسلم 155-156؛ |م|:135/1-137). انظر أيضاً |Nasr|:1201.

1921 . ويقول الاصحاح الأخير في الكتاب المقدس: "وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ" (الرؤيا 22:12).

1922 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Badawi|:168-170.

1923 . اقرأ أيضاً (زكريا 14:5) (1 تسالونيكي 3:13) (يهوذا 14) (الرؤيا 19:13-14).

1924. "two ranks within the celestial army of angels [الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا], and the descent of the Son of Man – dogmatically re-articulated as "your Lord" ([رَبُّكَ], [...]) – among them" (|Badawi|:183). "where the Qurʾān saw fit it replaced "the Son of Man" with the "Lord" ([رَبّ]) as a theological corrective measure" (|QHC-2|:466).

1925 . "يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (آل عمران 45)؛ "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا" (التحريم 12) "فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا" (الأنبياء 91)؛ "الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ" (النساء 171) "وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ" (البقرة 87، 253) "قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ [...] إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ" (المائدة 110).

1926. "The place of the Son of Man, a reference to Jesus as judge, is filled in the Qurʾān by God himself. [...] God too is called the king ([الْمَلِكُ]) ([طه 114]; [المؤمنون 116])" (|QHC-2|:463).

1927. "[الحاقة 17] has Matthew 25:31 in mind" (|Badawi|:194). See also |QHC-2|:463.

1928 . اقرأ أيضاً: "أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ. بِذَاتِي أَقْسَمْتُ، خَرَجَ مِنْ فَمِي الصِّدْقُ كَلِمَةٌ لاَ تَرْجعُ: إِنَّهُ لِي تَجْثُو كُلُّ رُكْبَةٍ، يَحْلِفُ كُلُّ لِسَانٍ" (إشعياء 45:22-23). طبَّق بولسُ الرسول الآيةَ (إشعياء 45:23) على يوم الحساب: "لأَنَّنَا جَمِيعًا سَوْفَ نَقِفُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ (الترجمة الأكثر دقة: أَمَامَ عَرْشِ اللهِ)، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «أَنَا حَيٌّ، يَقُولُ الرَّبُّ، إِنَّهُ لِي سَتَجْثُو كُلُّ رُكْبَةٍ، وَكُلُّ لِسَانٍ سَيَحْمَدُ اللهَ»" (رومية 14:10-11) **[← "وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً (أي: جاثمين على رُكبهم)" (الجاثية 28)]**. لمزيد من التفاصيل، انظر |Kaskas|:363؛ |Kaskas|:216.

1929 . اقرأ أيضاً: "هكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ الْعَالَمِ: يَخْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَيُفْرِزُونَ (باليونانية: aphorizó) الأَشْرَارَ مِنْ بَيْنِ الأَبْرَارِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ" (متى 13:49-50).

1930 . اقرأ أيضاً: "نصفهم كان من جهة اللوح اليمنى والنصف الآخر من جهة الصورة اليسرى" (رؤيا إبراهيم 21:9) "والذين عن يمين اللوح، هُمْ الشعب الذي فُصِلَ (set apart) (séparé) لأجلي" (رؤيا إبراهيم 22:6). (|هامش|:170/6-171؛ |Pleiade|:1720/337-1721). أو (رؤيا إبراهيم 21:7، 22:5) حسب ترقيم آخر (|GR-

|AQ:|801؛ |OTP|:1/699-700). علماً بأن "رؤيا إبراهيم" (Apocalypse of Abraham) (Apocalypse d'Abraham) مِن سوديبيجرافا العهد القديم ويرجع تاريخه إلى 70-150م، أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من 450 سنة.

1931 . |GR-AQ|:877.

1932 . |Badawi|:193؛ |QHC-2|:463.

1933. “the gist of the statement “come (*taw*), […], inherit the kingdom (*īratū malkūtā*) […] (Matthew 25:34)” is preserved in the command, “enter paradise” (ادْخُلِ/ادْخُلُوا الْجَنَّةَ; [النحل 32]; [يس 26]; [الزخرف 70]), where the Arabic [ادْخُلِ/ادْخُلُوا], “enter” and Aramaic *taw*, “come,” are parallel imperatives uttered by God on the Day of Judgment” (|Badawi|:195). And “the Arabic G-stem perfect verb [أَوْرَثَ] [الزمر 74] and Aramaic G-stem imperative verb *īrat* [Matthew 25:34] come from the root *y-r-t*” (|Badawi|:198).

1934. [لِوَجْهِ اللَّهِ] “may reflect Psalm 17:15 [أَمَّا أَنَا فَبِالْبِرِّ أَنْظُرُ وَجْهَكَ], or more likely the Talmudic commentary on [Psalm 17:15] which connects it to almsgiving: “If a man gives but a farthing to a beggar, he is deemed worthy to receive the Divine Presence, as it is written, ‘I shall behold thy face in righteousness’ (Psa 17:15)” (b. Bava Batra 10a)” (|GR-AQ|:874-875).

1935 . "هذَا هُوَ الْجِيلُ الطَّالِبُهُ (أي: الذي يطلبُ الرَّبَّ)، الْمُلْتَمِسُونَ وَجْهَكَ يَا يَعْقُوبُ (وفي الترجمة السبعينية: الذين يَلْتَمِسونَ وَجْهَ إِلَهِ يَعْقُوبَ)" (المزامير 24:6) (|إسكندرية|:4/37؛ |سبعينية|:المزامير والتسابيح/176-177؛ |معاصر|:995). انظر أيضاً |Masson|:972؛ |Aldeeb|:43.

1936. Prof. Andrew Rippin: “This choice of vocabulary [الْمَيْمَنَة instead of الْيَمِين, and الْمَشْأَمَة instead of الشِّمَال] is clearly driven by the constraints of the rhyme (which is marked by a final ‘a’ sound)” (|QSC|:415). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-049

1937 . لمزيد من التفاصيل، انظر |GR-AQ|:444، 801، 853، 908-909.

1938 . استخدام أفعال مبنية للمجهول مثل "قِيلَ" (الزمر 72) "وَقُضِيَ" (الزمر 69، 75)، أو جعل المتكلم هو الخزنة/الملائكة مثل "قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا" (الزمر 71، 73) يرجع إلى أن أصحاب القرآن قد تعمَّدوا حذف أو استبدال الدور الفعَّال الذي يقوم به السيد المسيح حسب الإنجيل (متى 25:31-46). لمزيد من التفاصيل، انظر |Badawi|:197-198؛ |QHC-2|:462-466.

1939 . سِجل كُلِّ الأعمال مستوحى من: "إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ (أي: حتى لو بسيطة) يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ (بالسريانية: yawmā d-dīnā)" (متى 12:36)؛ "فَجَلَسَ الدِّينُ (أي: مجلس القضاءِ والحُكْمِ؛ يقصد: اللهُ الديَّان العادل)، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ" (دانيال 7:10)؛ "وَدِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ (أي: خطاياهم المكتوبة فِي الأَسْفَارِ، إذ كان مدوَّنًا كُلُّ شيء لم يتوبوا عنه). [...] وَدِينُوا كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ" (الرؤيا 20:12-13). انظر أيضاً (متى 5:22)؛ |Kaskas|:201.

1940. “In fact the entire scene from Matthew [25] is elaborated upon by Aphrahat, which in turn is echoed by [الكهف 48-49]” (|Badawi|:195).

1941. “the syntax and content of [المدثر 43-47] serve as a dogmatic re-articulation of Matthew 25:42-43 […]. The formula of divine incrimination from Matthew […] is transformed by [سورة المدثر] into a formula of self confession” (|Badawi|:199). See also |QHC-2|:464.

1942. “The dialogue between [المدثر 43-47] and Matthew 25:42-43 demonstrates […] that to neglect [the alienated, oppressed, and disenfranchised members of society] would be to offend God Himself and suffer eternal punishment” (|Badawi|:199). See also |QHC-2|:464.

1943 . "وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ" (النساء 38) مستوحاة من إنجيل متى أيضاً: "اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ (أي: الله) الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ، لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ" (متى 6:1-2)؛ "وَكُلَّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ" (متى 23:5). انظر |GR-AQ|:159؛ |QHC-2|:458-459؛ |Kaskas|:53.

1944 . "لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ (أي: إذا استسلموا للمال وحلَّ الْمَالُ عندهم محلَّ الله)، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ (أي: أصابوا أنفسَهم بمَصَائِب كَثيرة)" (1 تيموثاوس 10:6).

1945 . المالُ عطيَّةٌ من الله: "وَلِئَلاَّ تَقُولَ فِي قَلْبِكَ: قُوَّتِي وَقُدْرَةُ يَدِيَ اصْطَنَعَتْ لِي هذِهِ الثَّرْوَةَ. بَلِ اذْكُرِ الرَّبَّ إِلهَكَ، أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُعْطِيكَ قُوَّةً لاصْطِنَاعِ الثَّرْوَةِ" (التثنية 8:17-18). كالعادة، لم يأتِ القرآنُ بأي شيء جديد وصحيح.

1946. “The judgment scene that takes place in the latter part of Matthew 25, in particular, typifies the importance of universal justice which Andrae maintains was a critical doctrine of the early Syriac Church and, subsequently, the Qur’ān’s milieu” (|Badawi|:193).

1947. “This judgment scene [الزمر 67-75] retains the fundamental components – albeit re-arranged – from Matthew’s judgment scene [Mat 25:31-46]: […]. […] the principal difference between the two is the content of the dialogue between mankind and God” (|Badawi|:197-198).

1948 . لمزيد من الأمثلة عن الحوارات (dialogues) يوم القيامة في القرآن، انظر |QiC|:484-486.

1949 . أضاف أصحابُ (الواقعة 7-12) صنفاً ثالثاً يوم القيامة! "وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً" (الواقعة 7): "أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ" (الواقعة 8) إلى الجنة، "وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ" (الواقعة 9) إلى النار، "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ" (الواقعة 10-12) "أي: السَّابِقُون في الدنيا إلى الخيرات، هُمْ السَّابِقُون في الآخرة لدخول الجنات" (|سعدي|:833)؛ وقيل: السَّابِقُون هُمْ الأنبياء؛ وتوجد آراء أخرى كالعادة. المهم: الأصناف الثلاثة "صنفان في الجنة وصنف في النار" (|ضيف|:893).

1950 . |QHC-2|:465-466.

1951. “[الزمر 75] is a dogmatic re-articulation of the manger scene in Luke 2:13-14” (|Badawi|:198).

1952 . "ربما يتحدث هنا عن ظهوره في مجيئه الثاني ليدين العالم" (|ملطى|:يوحنا/178/1). انظر أيضاً |Badawi|:187.

1953. “([النبأ 19 [فُتِحَتِ السَّمَاءُ]) is virutally identical to “the heavens were opened up” (*ētptaḥū … šmayā* [Matthew 3:16]). Both phrases consist of the passive voice of the perfect *f/p-t-ḥ* and the word “heaven” ([السَّمَاءُ], *šmayā*)” (|Badawi|:187).

1954. “The description of the angel in [this verse] is more detailed than that of [2 Sam. ch 24], and may reflect more developed notions of angelology in Second Temple times” (|JSB|:1748).

1955 . |معاصر|:1256.

1956 . |دراسى|:1341؛ |NIV|:840. انظر أيضاً |IVP-OT-ar|:78/3؛ |IVP-OT|:530؛ |JSB|:1322.

1957 . |السواح|:234/22، 252.

1958 . |GR-AQ|:774؛ |Kaskas|:380؛ |Aldeeb|:70. اقرأ أيضاً (إشعياء 14:5) و |Geiger|:50.

1959 . |IVP-OT-ar|:218/3؛ |IVP-OT|:617-618. انظر أيضاً: دورةَ الموت والقيامة لآلهة الخصوبة (fertility gods) (|IVP-OT-ar|:266/2، 379/3، 425-426/3؛ |IVP-OT|:377، 722، 751).

1960 . |ملطى|:هوشع/96-97.

1961 . لمزيد من التفاصيل، انظر |معاصر|:1561-1562؛ |دراسى|:2097؛ |يسوعية|:العهدالقديم/1915.

1962 . |يسوعية|:العهدالقديم/1915.

1963 . لمزيد من التفاصيل، انظر |IVP-NT|:495-496؛ |IVP-NT-ar|:173/2؛ |آرثر|:1378؛ |سبعينية|:الأنبياءالصغار/149؛ |إسكندرية|:16/6.

1964 . |ينابيع|:116/2. "جُسّد الموتُ فبدا مثل شخص حيّ. وها هو يأكل الغنيَّ" (من حاشية المترجم).

1965 . |هامش|:100-101/3؛ |RHCharles|:228/2؛ |OTP|:43-44/1؛ |Pleiade|:337/537.

1966 . |Aldeeb|:226.

1967 . |هامش|:41/6؛ |RHCharles|:494/2؛ |OTP|:628/1؛ |Pleiade|:1499/337. انظر أيضاً |Masson|:909؛ |Aldeeb|:341 تعليقاً على "مَّلَكُ الْمَوْتِ" (السجدة 11).

1968 . |Reynolds|:37؛ |ربيع|:100؛ |هامش|:5/10. "التلمود البابلي اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:293/42).

1969. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

1970 . |GR-AQ|:638. انظر أيضاً |Aldeeb|:341 تعليقاً على "مَّلَكُ الْمَوْتِ" (السجدة 11) و |Masson|:830-831 تعليقاً على "وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ (أي: لإماتتهم؛ وقيل: لتعذيبهم!) [قائلين لهم] أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ" (الأنعام 93).

1971 . |EJ|:148/2. انظر أيضاً "Samael" (|EJ|:714-715/17).

1972 . |هامش|:127/6. انظر أيضاً |هامش|:133/6، 212/4؛ |Pleiade|:1153/337، 1159/337، 1683/337.

1973 . |قاموس-كتاب|:620-621؛ |كتابية|:249/5، 252.

1974 . |قاهرة|:632/43.

1975. ["الصُّورِ" (الأنعام 73)] “Même terme en hébreu : shofar” (|Aldeeb|:224).

1976 . |IVP-NT-ar|:100/1، 244/3؛ |IVP-NT|:109، 751. انظر أيضاً |Masson|:829-830 تعليقاً على (الأنعام 73).

1977 . |قاموس-كتاب|:195. لمزيد من التفاصيل، انظر |كتابية|:234/2؛ |كتابية|:208-209/6؛ |EJ|:506/18-508.

1978 . اقرأ أيضاً: "كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ (like a Son of Man) أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ (أي: إِلَى اللهِ)، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ (أي: فأعطاه اللهُ) سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ (أي: لتخدمه كَمَلِكٍ؛ serve him) كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ" (دانيال 7:13-14).

1979 . "الْقَهَّار" دائماً بعد "الْوَاحِد" في نهاية الآية (يوسف 39) (الرعد 16) (إبراهيم 48) (ص 65) (الزمر 4) (غافر 16).

1980. “God’s “sovereignty” ([الْمُلْكُ]; [الفرقان 26]) […] is in dialogue with the alleged Son of Man’s “dominion, glory, and a kingdom” (*šāltān wa-yqār w-malkū*; Daniel 7:14)” (|Badawi|:186).

1981 . |Badawi|:170.

1982 . "وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ!" (مرقس 13:17) (لوقا 21:23).

1983. “The mention of the apocalypse in the same [synoptic] passage as “the pregnant and those who are nursing in those days” is … re-articulated more succinctly in [الحج 1-2]” (|Badawi|:171).

1984 . أما الهالكون فليس لهم مهرب: "لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ هكَذَا يَجِيءُ. لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ: «سَلاَمٌ وَأَمَانٌ»، حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى، فَلاَ يَنْجُونَ" (1 تسالونيكي 5:2-3)؛ "ويُصوّر المخاضُ طبيعة يوم الربِّ الحتميَّة والفُجائيَّة والأليمة التي لا مفرَّ منها" (|آرثر|:2106). اقرأ أيضاً (رومية 2:1-3) (العبرانيين 2:3) **[← "يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ. كَلَّا لَا وَزَرَ (أي: لا مهرب من الله). إِلَىٰ رَبِّكَ [وحده] يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (أي: المرجع والمنتهى والمصير)" (القيامة 10-12) "مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ" (يونس 27) "مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (أي: مهرب؛ ملجأ؛ محيد؛ نجاة)" (فصلت 48) "مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ" (الشورى 47)؛ (إبراهيم 21) (الكهف 53). اقرأ أيضاً ما قاله القرآن عن الطوفان في قصة نوح: "وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ" (هود 42-43)].**

1985 . "هنا يستعين يسوع بالتعبير الوارد في دانيال 12:1، والذي يشير إلى الأيام الأخيرة (أيام الضيقات) والتي بالضرورة سوف تسبق قيامة الأموات" (|IVP-NT-ar|:99/1؛ |IVP-NT|:108). اقرأ (دانيال 12:1-2، 12:13).

1986. Prof. Guillaume Dye: “[القيامة 7-9] décrivent quelques-uns des signes de la fin des Temps (voir aussi [القيامة 22-25]). Comparer Mt 24:29 : « […] ». On n’aurait aucune

difficulté à trouver d'autres sous-textes" (|QSC|:401). https://doi.org/10.1515/9783110445909-047

1987 . "إن ما يُشار إليه هنا، بالرجوع إلى أحداث فلكية، يمثل لغة العهد القديم التي تصف زمن الدينونة، مثال: (إشعياء 10:13، 23:24، 4:34؛ حزقيال 32:7-8؛ يوئيل 14:3[15-]؛ زكريا 6:14). [...]، أو لوصف أعمال إلهية أخرى حدثت في التاريخ (مثل المزامير 18:6-19؛ إرميا 4:20-28؛ أيضاً في الرؤى السيبليَّة)" (|IVP-NT-ar|:99/1؛ |IVP-NT|:109).

1988 . "يظهر المسيح نفسه بمجد عظيم **عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ**، لأننا قد تعودنا أن السحاب يشير لحضرة الله، كما حدث أيام موسى وفي التجلي" (|مارمرقص|:العهدالجديد/238/1). اقرأ مثلاً (الخروج 13:21-22؛ 16:19-19؛ 24:15-18؛ 34:5؛ 40:34-38) (التثنية 4:11-12) (1 ملوك 8:10-11) (المزامير 18:9-15؛ 97:2؛ 104:3) (إشعياء 19:1) (دانيال 7:13) (متى 17:5) (مرقس 9:7) (لوقا 34:9-35) (الرؤيا 1:7). "أما في لفائف البحر الميت، فإن السحب ترمز إلى جموع الملائكة التي تصحب مجيء الله" (|IVP-NT-ar|:100/1؛ |IVP-NT|:109).

1989 . النصوص اليهودية تتحدث أحياناً عن المجيء الأخروي لله (God's eschatological coming) مصحوباً بملائكة (مثل ما جاء في ["وَيَأْتِي الرَّبُّ إِلهِي وَجَمِيعُ الْقِدِّيسِينَ مَعَكَ"] (زكريا 14:5)) (|IVP-NT|:164). وأيضاً (1 أخنوخ 1:9).

1990. "The verses of the Qur'ān are in dialogue with the grand, cataclysmic descent of the Son of Man discussed in the [Synoptic] Gospels and Daniel [7:13-14]. […] the "Son of Man" […] has been dogmatically re-articulated […] and replaced by "God" ([ٱللَّهُ] [البقرة 210]). In the case of [الفجر 21-22] the Son of Man has been replaced with "your Lord" ([رَبُّكَ], […])" (|Badawi|:185).

1991 . ولا يوجد تعارض بين الرأيين لأن "إجابة المسيح تشمل موضوعين، هما خراب أورشليم ومجيئه الثاني. وسنلاحظ تداخلهما، لأن الأمر المستفاد منهما واحد، وهو التوبة والاستعداد"، وأيضاً لأن "كان هناك اعتقاد شديد عند اليهود أن الهيكل لن يخرب ويُهدم إلا عند نهاية العالم وزواله، وبالتالي، ارتبط الحدثان (خراب الهيكل ونهاية العالم) كحدث واحد في ذهن التلاميذ" (|مارمرقص|:العهدالجديد/231/1، 403). "إنّ خراب أورشليم صورة رمزية مصغرة، عن نهاية الزمن وحلول الملكوت، فما على المؤمنين إلا السهر لئلا يباغتهم ذلك اليوم" (|معاصر|:1897).

1992 . "لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ هكَذَا يَجِيءُ. لأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ: «سَلاَمٌ وَأَمَانٌ»، حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلاَكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحُبْلَى، فَلاَ يَنْجُونَ" (1 تسالونيكي 5:2-3)؛ "ويُصوّر المخاضُ طبيعة يوم الربِّ الحتميَّة والفُجائيَّة والأليمة التي لا مفرَّ منها" (|آرثر|:2106).

1993 . قَالَ الزَّجَّاجُ: "ليس يريد أَنَّ السَّاعَةَ تَأْتِي فِي أقرب من لَمْحِ الْبَصَرِ، وَلكنه يصف سُرْعَةَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهَا" (|زجاج|:214/3) "أَيْ: يَقُولُ لِلشَّيْءِ "كُنْ" فَيَكُونُ" (|قرطبى|:388/12؛ |قرطبى-مصر|:499/5).

1994 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Masson|:870.

1995 . |GR-AQ|:880-881. انظر أيضاً |Badawi|:186.

1996 . |بارى|:376/11؛ |بارى-طيبة|:7/15؛ |أشقر-عقيدة|:27/6. انظر أيضاً |EQ|:89/1، 140/3.

1997 . يقول سفرُ طوبيَّا إن عدد المَلائِكَةِ "الواقِفينَ والدَّاخِلينَ في حَضرَةِ مَجْدِ الرَّبّ" سبعة (طوبيا 15:12) (|Masson|:956؛ |Aldeeb|:348). "ولسفر طوبيا صدى في الملائكة السبعة الوارد ذكرها في ["السَّبْعَةَ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ يَقِفُونَ أَمَامَ اللهِ"] (الرؤيا 2:8)" (|يسوعية|:العهدالقديم/894). فربما اختار صاحبُ (الحاقة 17) العددَ "ثَمَانِيَةٌ" حتى يستقيم سجع الآيات: وَاهِيَةٌ ... ثَمَانِيَةٌ ... خَافِيَةٌ .. كِتَابِيَهْ ... حِسَابِيَهْ ... رَّاضِيَةٍ ... عَالِيَةٍ ... دَانِيَةٌ ... الْخَالِيَةِ ... كِتَابِيَهْ ... حِسَابِيَهْ (|GR-AQ|:852)!

1998. "The Qurʾān likely chooses eight as the number of angels who bear the throne because the Arabic [ثَمَانِيَةٌ] rhymes with the verses that precede and follow it" (|GR-AQ|:852).

1999 . <u>ملحوظة:</u> شفاعة الملائكة للمؤمنين حتى تُغْفَر خطاياهم مذكورة أيضاً في أعمال أخرى قبل الإسلام مثل: "يقف ملائكة وجه الرب الذين يخدمون ويتشفّعون إلى الرب من أجل كل خطايا الجهل (التي اقترفها) الأبرار" (وصية لاوي 5:3)؛ (وصية لاوي 5:5-7) (وصية دان 6:1-2) (1 أخنوخ 39:5، 47:2) (|Masson|:924؛ |Aldeeb|:259).

2000 . الشفاعة بصفة عامة مشروطة بإذن الله ورضاه: "يَوْمَئِذٍ (أي: يوم القيامة) لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ [أن يَشْفَع] وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (أي: وَرَضِيَ عن المشفوع له، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن المخلص)" (طه 109)؛ "أَيْ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ أَحَدًا إِلَّا شَفَاعَةُ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ. "وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا" أَيْ: رَضِيَ قَوْلَهُ فِي الشَّفَاعَةِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى، أَيْ: إِنَّمَا تَنْفَعُ

الشَّفَاعَةُ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ فِي أَنْ يُشْفَعَ لَهُ، وَكَانَ لَهُ قَوْلٌ يُرْضَى. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" (|قرطبى|:140/14). "مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ" (غافر 18) "وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ" (سبأ 23) "مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ" (يونس 3) "مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" (البقرة 255) "إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" (الزخرف 86) "إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا" (مريم 87)؛ "قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا" (الزمر 44) "مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ" (السجدة 4) "لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ" (الأنعام 51). لمزيد من التفاصيل عن الشفاعة (Intercession)، انظر |و|:97-95/12/1؛ |Badawi|:190-193؛ |EQ|:551/2-555؛ |EI-2|:177/9-179.

2001. “Muḥammad became acquainted through Jewish and more particularly Christian influences with the idea of eschatological intercession” (|EI-2|:9\177).

2002 . |OTP|:280/1-281.

2003 . |GR-AQ|:852؛ |Masson|:924؛ |Aldeeb|:258؛ |Kaskas|:332، 335؛ |السواح|:251/22.

2004 . |معاصر|:1570.

2005. “the opening verse [اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ] dogmatically re-articulates the characteristic warning of the Gospels, “the kingdom of heaven has approached” (*qērbat malkūtā da-šmayā*; Matthew 3:2; 4:17; 10:7)” (|Badawi|:184).

2006 . وكما أن كلام المسيح في حديث الزيتون يمكن أن يُفْهَم بالمعنى الدنيوي (خراب أورشليم) و/أو المعنى الأخروي (القيامة والدينونة)، كذلك فإن بعض تلك الآيات القرآنية يمكن أن تُفْهَم بالمعنى الدنيوي (هزيمة الكافرين وانتصار المؤمنين) و/أو المعنى الأخروي (القيامة والحساب والجزاء). وكما قلنا فيما سبق، لا نرى تعارضاً بين المعنى الدنيوي (الآني، التاريخي) والمعنى الأخروي (الرؤيوي، الاسخاتولوجي).

2007 . (مسلم 867؛ |م|:592/2). ملحوظة: "(السَّبَّابَةُ) سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُشِيرُونَ بِهَا عِنْدَ السَّبِّ" (|م-نووى|:220/6)!

2008 . (البخارى 3168؛ |خ|:1221/3) (مسلم 2880؛ |م|:2207/4-2208). انظر أيضاً |ج-البغا|:394-395؛ |طنطاوى-قصص|:282/2؛ |خالدى-ب|:455؛ |فهد-ن|:399؛ |EI-2|:232/11.

2009. “Muḥammad was convinced that the end of the world was so close at hand that he himself would witness it” (|EQ|:3\136).

2010 . |Badawi|:166، 168.

2011 . وجدنا ثلاث آيات تذكر "الشَّمْس وَالْقَمَر وَالنُّجُوم" بهذا الترتيب الدقيق في نفس الآية هي (التثنية 19:4) (باروخ 59:6 = رسالة إرميا 59) (لوقا 25:21) **[← وكذلك في القرآن وجدنا ثلاث آيات تذكر "الشَّمْس وَالْقَمَر وَالنُّجُوم" بهذا الترتيب الدقيق في نفس الآية هي (الأعراف 54) (النحل 12) (الحج 18)! لكن ما يميز (النحل 12) أنها تذكر كلمة "آيَاتٍ" التي تناظر كلمة "عَلَامَاتٌ" (باليونانية: semeia؛ بالآرامية: ātwātā) المذكورة في (لوقا 25:21)]**.

2012. “the [Arabic] term used for the signs of the natural realm, *āyāt*, [...] recalls the equivalent usage of Greek *semeia*” (|EQ|:1\474). “the Arabic plural noun *āyāt* is ultimately derived from the Aramaic *ātwātā*” (|Badawi|:175). For more details, see |FV|:72-73; |GR-AQ|:435; |Kaskas|:189; |Katsh|:118.

2013 . اقرأ أيضاً: "هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هِيَ مَرَّةٌ، بَعْدَ قَلِيلٍ، فَأُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابِسَةَ" (حَجَّي 6:2). "والزلازل إشارة إلى حضور الرب [...]، وأحياناً حضور الرب للدينونة" (|معاصر|:1635). "ويربط ما ورد في (العبرانيين 26:12-27) هذه الآية بدينونة الأمم عند المجيء الثاني للرب يسوع المسيح" (|دراسى|:2192؛ |NIV|:1428).

2014 . |Badawi|:174-176. لمزيد من التفاصيل، انظر |Badawi|:176-184.

2015 . |GR-AQ|:738.

2016 . كما كان "رُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ" (التكوين 2:1) قبل بداية العالم، اعتقد اليهود أن الروح القدس سوف يتواجد بوفرة قبل نهاية العالم (this Spirit’s abundance in the end-time) (|IVP-NT|:162؛ |IVP-NT-ar|:152/1).

2017 . اقرأ أيضاً: "هُوَذَا يَوْمٌ لِلرَّبِّ (A day of the LORD) يَأْتِي [...] وَيَكُونُ يَوْمٌ وَاحِدٌ مَعْرُوفٌ لِلرَّبِّ (أي: مَعْلُومٌ لِلرَّبِّ؛ أو: أَمَّا متى يَحدُثُ ذلِكَ فعِلْمُهُ عِندَ الرَّبِّ؛ only the LORD knows when)" (زكريا 1:14-7) (|JSB|:1253).

2018 . "وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا" (الأنعام 59). استخدام أسلوب النفي والاستثناء للتأكيد على عِلْم الله المطلق الذي يشمل حتى التفاصيل الدنيوية الدقيقة، مستوحى من: "أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ (أي: لاَ يَسْقُطُ إلا بعِلْم الله المطلق؛ لاَ يَسْقُطُ إلا بسيادة الله المطلقة). وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ" (متى 10:29-30). اقرأ أيضاً (لوقا 12:6-7) (المزامير 139:16).

2019. “the Gospel passage [Matthew 24:36; Mark 13:32; Diatessaron 42:32-34] reveals that the angels too lack the knowledge of the hour, which is an idea reflected elsewhere in the Qur’ān [in the context of creating Adam] [البقرة 30-31]” (|Badawi|:189).

2020 . |QHC-ar|:236؛ |QHC|:157-158.

2021 . |IVP-OT-ar|:445/3؛ |IVP-OT|:761.

2022 . |آرثر|:2250. انظر أيضاً |دراسى|:2390؛ |NIV|:1553؛ |IVP-NT-ar|:99/1-100؛ |IVP-NT|:109؛ |JSB|:1157-1158.

2023 . |دراسى|:2102؛ |NIV|:1362.

2024 . |السواح|:235/22-238. انظر أيضاً "وصف إشعياء لمملكة إسرائيل المستقبليَّة" (|آرثر|:1162).

2025. “The one who will judge is the LORD [not the Messiah]. […] In its biblical context, […], this passage [Micah 4:1-5] depicts a messianic age without a personal messiah” (|JSB|:1199).

2026 . |IVP-NT-ar|:41/3؛ |IVP-NT|:591. بل توجد طوائف مسيحية تؤمن أن المسيح في مجيئه الثاني سيتبوَّأ عرش داود ويُقيم مملكته المسيحانيَّة مدَّةَ ألف سنة على الأرض تتَّسم بالوئام والسلام والعدل والبر وطول العُمر (|آرثر|:2347)!

2027 . "اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا" (يوحنا 4:24)؛ "لأَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْحَقُّ" (1 يوحنا 5:6). ويقول القرآن: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي" (الإسراء 85). إذن: الرُّوح هُوَ الله أو مَن يمثِّله، سواء كان الروح القدس أو المسيح أو ملاك أو رسول أو نبي. فنحن هنا لا نرى اختلافاً كبيراً بين القرآن والتراث اليهودي-المسيحي، وبخاصة أن القرآن يقول: "وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ (أي: المجيء الثاني للمسيح دليل على قُرْبِ يوم القيامة)" (الزخرف 61).

2028 . ترجمة ڤاندايك العربية لـ (1 كورنثوس 5:5) تقول: "يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ"! أما الترجمة الأكثر دقة فهي: "يَوْمِ الرَّبِّ" (|يسوعية|:العهدالجديد/516؛ |مشتركة|:العهدالجديد/255). علماً بأنه في العهد الجديد "يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ" (2 كورنثوس 1:14) "يَوْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (1 كورنثوس 1:8) "يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (فيلبي 1:6) "يَوْمِ الْمَسِيحِ" (فيلبي 1:10، 2:16) يعني: يوم المجيء الثاني للمسيح.

2029 . ترجمة ڤاندايك العربية لـ (2 تسالونيكي 2:2) تقول: "يَوْمَ الْمَسِيحِ"! أما الترجمة الأكثر دقة فهي: "يَوْمَ الرَّبِّ" (|يسوعية|:العهدالجديد/648؛ |مشتركة|:العهدالجديد/318).

2030 . ترجمة ڤاندايك العربية لـ (2 بطرس 3:12): "يَوْمِ الرَّبِّ". أما الترجمة الأكثر دقة فهي: "يَوْمِ اللهِ (the day of God)" (|يسوعية|:العهدالجديد/758؛ |مشتركة|:العهدالجديد/369؛ |آرثر|:2250). اقرأ أيضاً: "الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يَوْمِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ (the great day of God Almighty)" (الرؤيا 16:14).

2031 . |Kaskas|:451.

2032 . اقرأ أيضاً: "فَإِنَّهُ قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ الأُمَمِ" (عوبديا 1:15).

2033 . |طبرى|:127/24. انظر أيضاً |قرطبى|:92/22؛ |قرطبى-مصر|:187/10.

2034 . اقرأ أيضاً: "وَيَخْجَلُ الْقَمَرُ وَتُخْزَى الشَّمْسُ (أي: يظلما خجلاً)، لأَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ مَلَكَ فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَفِي أُورُشَلِيمَ، وَقُدَّامَ شُيُوخِهِ (أي: شُيُوخ شَعْبِهِ) مَجْدٌ" (إشعياء 24:23).

2035 . اقرأ أيضاً: "وَأُسُسَ الأَرْضِ تَزَلْزَلَتْ. اِنْسَحَقَتِ الأَرْضُ انْسِحَاقًا. تَشَقَّقَتِ الأَرْضُ تَشَقُّقًا. تَزَعْزَعَتِ الأَرْضُ تَزَعْزُعًا. تَرَنَّحَتِ الأَرْضُ تَرَنُّحًا كَالسَّكْرَانِ، وَتَدَلْدَلَتْ كَالْعِرْزَالِ (أي: تأرجحتْ وكادت تسقط كَكُوخ على أغصان شجرة تتمايل)، وَثَقُلَ عَلَيْهَا ذَنْبُهَا (أي: وَنَاءَتْ تَحْتَ ثِقَلِ إِثْمِهَا)، فَسَقَطَتْ وَلاَ تَعُودُ تَقُومُ" (إشعياء 24:18-20). يقول د. حسن الباش: "وإلى هذا الحد من النص نرى التوافق كبيراً بين ما قاله القرآنُ الكريم وما قاله النبي إشعيا" (|باش|:233/2)!

2036. “Both the Qur’ān and the Aramaic Gospels carry on the tradition of apocalyptic warning found throughout the Prophets of the Hebrew Bible […], which depict the

shaking of the earth and the tearing of the heavens ([…]). […], earthquakes ([…]) are a staple of the apocalyptic scene in both the Qur’ān and the Aramaic Gospel Traditions” (|Badawi|:172).

2037 . |IVP-OT-ar|:194-193/3؛ |IVP-OT|:602. انظر أيضاً |IVP-OT-ar|:448/3؛ |IVP-OT|:763.

2038 . اقرأ أيضاً: "وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ" (الرؤيا 12:22).

2039 . |مارمرقص|:العهدالجديد/112/1. لمزيد من التفاصيل، انظر |آرثر|:1124، 1484؛ |JSB|:1259؛ |معاصر|:1662؛ |ملطي|:ملاخي؛ |أنطونيوس|:ملاخي.

2040 . |GR-AQ|:500.

2041 . |مارمرقص|:العهدالقديم/370/21.

2042 . |Aldeeb|:73.

2043 . اقرأ أيضاً: "وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَشْتَهُونَ يَوْمَ الرَّبِّ! لِمَاذَا لَكُمْ يَوْمُ الرَّبِّ؟ (أي: لِمَاذَا تَطْلُبُونه؟؛ بِمَاذَا سَيَنْفَعُكُمْ؟) هُوَ ظَلاَمٌ لاَ نُورٌ. [...] أَلَيْسَ يَوْمُ الرَّبِّ ظَلاَمًا لاَ نُورًا، وَقَتَامًا وَلاَ نُورَ لَهُ؟" (عاموس 5:18-20).

2044 . اقرأ أيضاً: "لأَنَّ الْيَوْمَ قَرِيبٌ، وَيَوْمٌ لِلرَّبِّ قَرِيبٌ، يَوْمُ غَيْمٍ. يَكُونُ وَقْتًا لِلأُمَمِ" (حزقيال 30:3).

2045 . "لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ [...]. اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَظْلُمَانِ، وَالنُّجُومُ تَحْجُزُ لَمَعَانَهَا. وَالرَّبُّ مِنْ صِهْيَوْنَ يُزَمْجِرُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ يُعْطِي صَوْتَهُ، فَتَرْجُفُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ. وَلكِنَّ الرَّبَّ مَلْجَأٌ لِشَعْبِهِ، وَحِصْنٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ" (يوئيل 3:14-16).

2046 . "الْجَرَادُ، الْغَوْغَاءُ وَالطَّيَّارُ وَالْقَمَصُ (أي: بأنواعه وأطواره وأحجامه)، جَيْشِي الْعَظِيمُ الَّذِي أَرْسَلْتُهُ عَلَيْكُمْ" (يوئيل 2:25).

2047 . اقرأ أيضاً: "فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ كَالدُّخَانِ تَضْمَحِلُّ (أي: تَزُولُ؛ تَتَبَدَّد؛ melt away ؛vanish)، وَالأَرْضَ كَالثَّوْبِ تَبْلَى، وَسُكَّانَهَا كَالْبَعُوضِ يَمُوتُونَ. أَمَّا خَلاَصِي فَإِلَى الأَبَدِ يَكُونُ وَبِرِّي لاَ يُنْقَضُ" (إشعياء 51:6). وفي سفر الرؤيا: "ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الْخَامِسُ، فَرَأَيْتُ كَوْكَبًا (قيل أي: ملاكاً؛ أو: الشيطانَ إبليس) قَدْ سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَأُعْطِيَ مِفْتَاحَ بِئْرِ الْهَاوِيَةِ. فَفَتَحَ بِئْرَ الْهَاوِيَةِ، فَصَعِدَ دُخَانٌ مِنَ الْبِئْرِ كَدُخَانِ أَتُونٍ عَظِيمٍ، فَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ وَالْجَوُّ مِنْ دُخَانِ الْبِئْرِ. وَمِنَ الدُّخَانِ خَرَجَ جَرَادٌ عَلَى الأَرْضِ، فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا كَمَا لِعَقَارِبِ الأَرْضِ سُلْطَانٌ" (الرؤيا 9:1-3).

2048 . |قرطبي|:106/19؛ |قرطبي-مصر|:435/8. انظر أيضاً |Kaskas|:358.

2049 . |Masson|:945؛ |Aldeeb|:484.

2050 . اقرأ أيضاً: "أَمَّا الرَّبُّ فَفِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ. فَاسْكُتِي قُدَّامَهُ يَا كُلَّ الأَرْضِ" (حبقوق 2:20).

2051 . |كثير-شيخ|:236/14؛ |كثير-طيبة|:310/8.

2052 . اقرأ أيضاً: "إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ [...] يَضْرِبُكَ الرَّبُّ بِجُنُونٍ وَعَمًى وَحَيْرَةِ قَلْبٍ، فَتَتَلَمَّسُ فِي الظُّهْرِ كَمَا يَتَلَمَّسُ الأَعْمَى فِي الظَّلاَمِ، وَلاَ تَنْجَحُ فِي طُرُقِكَ بَلْ لاَ تَكُونُ إِلاَّ مَظْلُومًا مَغْصُوبًا كُلَّ الأَيَّامِ وَلَيْسَ مُخَلِّصٌ" (التثنية 28:15-29).

2053 . "لاَ تَسْتَطِيعُ فِضَّتُهُمْ وَذَهَبُهُمْ إِنْقَاذَهُمْ فِي يَوْمِ غَضَبِ الرَّبِّ" (حزقيال 7:19). "الَّذِينَ يَتَّكِلُونَ عَلَى ثَرْوَتِهِمْ، وَبِكَثْرَةِ غِنَاهُمْ يَفْتَخِرُونَ. الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ (أي: أَخَاهُ) فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ" (المزامير 49:6-7). "لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟" (متى 16:26)؛ (مرقس 8:36-37) (لوقا 9:25).

2054 . "لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ [يَا رَبُّ] مِثْلُ يَوْمِ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ، وَكَهَزِيعٍ (أي: جزءٍ) مِنَ اللَّيْلِ" (المزامير 90:4). "لأن اليوم في حساب الله يعني ألف سنة. وهو نفسه شاهدي عندما يقول: "انظروا فإن يوم الرب كألف سنة"" (رسالة برنابا 15:4) (|رسوليون|:66؛ |هولمز|:438؛ |LostScr|:232). انظر أيضاً |Kugel|:70-71.

2055 . اقرأ أيضاً: "هُوَذَا يَوْمٌ لِلرَّبِّ (A day of the LORD) يَأْتِي [...] فَيَخْرُجُ الرَّبُّ وَيُحَارِبُ [...] وَتَقِفُ قَدَمَاهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ الَّذِي قُدَّامَ أُورُشَلِيمَ مِنَ الشَّرْقِ، فَيَنْشَقُّ جَبَلُ الزَّيْتُونِ مِنْ وَسَطِهِ نَحْوَ الشَّرْقِ وَنَحْوَ الْغَرْبِ وَادِيًا عَظِيمًا جِدًّا (a very great valley)، وَيَنْتَقِلُ نِصْفُ الْجَبَلِ نَحْوَ الشِّمَالِ، وَنِصْفُهُ نَحْوَ الْجَنُوبِ. [...]. وَتَتَحَوَّلُ الأَرْضُ كُلُّهَا كَالْعَرَبَةِ (أي: تصير مستويةً كَسَهْلِ وادي الأردن المنخفض) [...]. وَتَرْتَفِعُ [أُورُشَلِيمُ] وَتُعْمَرُ فِي مَكَانِهَا، [...]" (زكريا 14:1-10).

2056 . |IVP-NT-ar|:184/3؛ |IVP-NT|:705.

2057 . لمزيد من التفاصيل، انظر |GR-AQ|:403، 773، 789؛ |Kaskas|:172؛ |Masson|:865؛ |Aldeeb|:324.

2058 . "النَّار الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ [الساقطين] (أي: وجنوده الشياطين)" (متى 41:25). "وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلًا إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (الرؤيا 10:20).

2059 . |GR-AQ|:745، 709، 678؛ |Kaskas|:360. ومن الجدير بالذكر أن استخدام الفعل "ذاق" مع الْمَوْت (الدخان 56) (آل عمران 185) (الأنبياء 35) (العنكبوت 57) مستوحى من الإنجيل (متى 28:16) (مرقس 1:9) (لوقا 27:9) (يوحنا 52:8) (العبرانيين 9:2). فليست صدفة أن القرآن استخدم الفعلَ "ذاق" مع العذاب الأبدي (الموت الثاني) في (آل عمران 106، 181) (النساء 56) (الأنعام 30) (الأعراف 39) (يونس 52) (الإسراء 75) (الحج 22) (السجدة 14، 20) (سبأ 42) (الدخان 48-49) (الأحقاف 34) (القمر 48) وآيات أخرى.

2060. |QSC|:341-342. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-041 . For more details on the "second death", see |EQ|:1\506 .

2061 . لمعرفة الجذور الشرق-أوسطية لـ "صورة النجوم المختفية" (imagery of disappearing stars) و "سماء تدور (أي: تَلْتَفُّ) مثل الدرْج" (sky rolled like a scroll)، انظر |IVP-OT-ar|:224/3؛ |IVP-OT|:623-624.

2062 . اقرأ أيضاً: "فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ وَرُعُودٌ وَبُرُوقٌ. وَحَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ، لَمْ يَحْدُثْ مِثْلُهَا مُنْذُ صَارَ النَّاسُ عَلَى الأَرْضِ، زَلْزَلَةٌ بِمِقْدَارِهَا عَظِيمَةٌ هَكَذَا" (الرؤيا 18:16).

2063 . |GR-AQ|:888.

2064 . |GR-AQ|:521؛ |Masson|:888؛ |السواح|:250/22.

2065 . اقرأ أيضاً: "وَكُلُّ جَزِيرَةٍ هَرَبَتْ، وَجِبَالٌ لَمْ تُوجَدْ (أي: اخْتَفَت؛ مَا عَادَت مَوجُودَةً)" (الرؤيا 20:16).

2066 . |Masson|:901؛ |Aldeeb|:161.

2067 . "وَيَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: غَطِّينَا، وَلِلتِّلاَلِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا" (هوشع 8:10)؛ "يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا! وَلِلآكَامِ: غَطِّينَا!" (لوقا 30:23)؛ "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ سَيَطْلُبُ النَّاسُ الْمَوْتَ وَلاَ يَجِدُونَهُ، وَيَرْغَبُونَ أَنْ يَمُوتُوا فَيَهْرُبُ الْمَوْتُ مِنْهُمْ" (الرؤيا 6:9).

2068 . |Masson|:964؛ |Aldeeb|:354.

2069 . كاتبُ رسالة العبرانيين المجهولُ اقتبس من كاتب المزمور 102 المجهول، إلا أنه اقتبس من الترجمة اليونانية السبعينية التي لم تذكر كلمةَ "يَا إِلهِي" وأضافت كلمةَ "يَا رَبُّ" (|سبعينية|:المزامير والتسابيح/417-418؛ |Buzzard|:418-424)! وهذا الاقتباس أدى إلى أن المسيحيين المثلِّثين توهَّموا أن الرب يسوع المسيح هو خالق الأَرْض وَالسَّمَاوَات وأن (العبرانيين 1:10-12) تؤيد لاهوت المسيح! مع أن معظم الآيات في (العبرانيين 1) تثبت أن المسيح أعظم من الملائكة وليس ملاكاً. فلو كان المسيحُ هو الله الخالق، لاكتفى كاتبُ (العبرانيين 1) بذلك كأقوى إثبات أن المسيح أعظم من الملائكة وليس ملاكاً.

2070 . |منتخب|:827.

2071 . |Kaskas|:432.

2072 . |هامش|:6/71-72؛ |RHCharles|:2/508؛ |OTP|:1/637-638؛ |Pleiade|:337/1523؛ |IVP-NT|:495.

2073 . |هامش|:3/82؛ |RHCharles|:2/218؛ |OTP|:1/36؛ |Pleiade|:337/521؛ |السواح|:22/241.

2074 . |هامش|:3/83؛ |RHCharles|:2/219؛ |OTP|:1/37؛ |Pleiade|:337/522؛ |السواح|:22/241.

2075 . |هامش|:9/87؛ |OTP|:1/535؛ |السواح|:22/240. اقرأ أيضاً: "وَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ!" (متى 19:24) (مرقس 17:13) (لوقا 23:21).

2076 . |OTP|:1/531-532؛ |السواح|:22/240. أو: "رعدةٌ كبيرة" (|هامش|:9/78). اقرأ أيضاً: "ضِيقٌ عَظِيمٌ عَلَى الأَرْضِ وَسُخْطٌ عَلَى هذَا الشَّعْبِ" (لوقا 23:21)؛ "ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ" (متى 21:24).

2077 . |هامش|:9/79؛ |OTP|:1/532؛ |السواح|:22/249.

2078 . |هامش|:9/94-95؛ |OTP|:1/538؛ |السواح|:22/240.

2079 . |هامش|:155/16؛ |OTP|:403/1؛ |RHCharles|:405/2؛ |Pleiade|:1135/337.

2080 . |هامش|:133/16؛ |OTP|:397/1؛ |RHCharles|:400/2؛ |Pleiade|:1117/337. اقرأ أيضاً: "ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الثَّانِي، فَكَأَنَّ جَبَلًا عَظِيمًا مُتَّقِدًا بِالنَّارِ أُلْقِيَ إِلَى الْبَحْرِ، فَصَارَ ثُلْثُ الْبَحْرِ دَمًا. وَمَاتَ ثُلْثُ الْخَلاَئِقِ الَّتِي فِي الْبَحْرِ الَّتِي لَهَا حَيَاةٌ، وَأُهْلِكَ ثُلْثُ السُّفُنِ" (الرؤيا 8:8-9).

2081 . |معاصر|:910. انظر أيضاً |JSB|:1506.

2082 . |دراسي|:1202؛ |NIV|:738. انظر أيضاً |السواح|:233/22-234.

2083 . |معاصر|:979. انظر أيضاً |JSB|:1274.

2084 . |إسكندرية|:168/6؛ |سبعينية|:إشعياء/268؛ |Septuagint|:OT/873؛ |NETS|:853.

2085 . |IVP-OT-ar|:78/3؛ |IVP-OT|:530. انظر أيضاً |معاصر|:2191.

2086 . "نلاحظ من قول محرر السفر: "وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ ... الخ" أن اللاهوت التوراتي الرسمي لم يحسم أمره بخصوص القيامة العامة حتى هذا الوقت المتأخر [القرن الثاني قبل الميلاد]" (|السواح|:238/22).

2087. a “diptych”, a description of the hereafter (the world to come) that is strictly divided into two counterparts that juxtapose the situation of the blessed with that of the cursed.

2088 . وَسُمِّيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمَ التَّغَابُنِ "لِأَنَّهُ غَبَنَ فِيهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ. أَيْ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ أَخَذُوا الْجَنَّةَ، وَأَخَذَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَادَلَةِ، فَوَقَعَ الْغَبْنُ لِأَجْلِ مُبَادَلَتِهِمُ الْخَيْرَ بِالشَّرِّ، وَالْجَيِّدَ بِالرَّدِيءِ، وَالنَّعِيمَ بِالْعَذَابِ. يُقَالُ: غَبَنْتَ فُلَانًا إِذَا بَايَعْتَهُ أَوْ شَارَيْتَهُ فَكَانَ النَّقْصُ عَلَيْهِ وَالْغَلَبَةُ لَكَ" (|قرطبي|:11/21-12؛ |قرطبي-مصر|:374/9)؛ ففاز أهلُ الجنة وخسر أهلُ النار. وقيل: "لأنه يوم يظهر فيه غبْنُ كل كافر بترك الإيمان، وغبْنُ كل مؤمن بتقصيره في الإحسان" (|حجازي|:682/3). وقيل إنه "يوم يَنسَى الناسُ بَعضُهم بعضاً، فهو يومُ التَّناسِي والذهول الذي يَحصُل بين الناس" (|عيسى|:585/3).

2089 . |رعائية|:العهدالقديم/1106. اقرأ أيضاً "تجلّي المسيح" (The Transfiguration of Jesus): "وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ" (متى 17:2) "وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيْضَاءَ جِدًّا كَالثَّلْجِ، لاَ يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذلِكَ" (مرقس 9:3) "صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًّا لاَمِعًا" (لوقا 9:29).

2090 . |ملطي|:دانيال/280، 285. انظر أيضاً |رعائية|:العهدالقديم/1107.

2091 . |يسوعية|:العهدالقديم/1885، 1857.

2092 . |تطبيقي|:1711. انظر أيضاً |CLASB-NLT|:1161.

2093 . |رعائية|:العهدالقديم/1106.

2094 . |JSB|:1658.

2095 . |مارمرقص|:العهدالقديم/248/17.

2096 . |Reynolds|:180. انظر أيضاً |JSB|:1100؛ |GR-AQ|:94.

2097 . انظر تفاسير (البقرة 243) في كتب التراث الإسلامي مثل تفسير الطبري (|طبري|:413/4-425؛ |طبري-شاكر|:266/5-278). انظر أيضاً |Nasr|:105؛ |GR-AQ|:94.

2098 . |دراسي|:2002؛ |NIV|:1298. انظر أيضاً |معاصر|:1478.

2099 . |Masson|:967؛ |Aldeeb|:48، 358.

2100 . |معاصر|:1478.

2101 . |JSB|:816-817. انظر أيضاً |GR-AQ|:789.

2102 . |إسكندرية|:425/1؛ |Septuagint|:OT/277. أو: "In a day of vengeance, I will repay" (|NETS|:171).

2103 . |سامرية|:307، 357-358. انظر أيضاً |Samaritan|:485؛ |باش|:235/2. وفي الترجمة اليسوعية: "لِيَومِ الاِنتِقامِ والثَّواب، حين تَعثُرُ أَرجُلُهم، لأَنَّه قدِ اقتَرَبَ يَومُ نَكبَتِهم" (|يسوعية|:العهدالقديم/409).

2104. **Deuteronomy** “**31.30-32.44: The Song of Moses.** The Song is a late insertion that reflects upon Israel’s history and almost certainly presupposes the exile” (|JSB|:418).

2105. “I will put to death, and I will give life” (Deut. 32:39) “The Samaritan sages understood this verse as proof for the process of resurrection. Marqeh taught this tradition” (|Samaritan|:485).

2106 . |ج-البغا|:703؛ |ج-وطن|:527-528؛ |ج|:528.

2107 . |GR-AQ|:789. انظر أيضاً |JSB|:816-817.

2108 . |دراسى|:1276؛ |NIV|:793.

2109. “Raising up from Sheol, a common biblical motif, does not refer to resurrection from death – a later belief as well – but to deliverance from near death (see Ps. 30.4 [30.3] n.)” (|JSB|:550).

2110 . |آرثر|:614. انظر أيضاً: دورةَ الموت والقيامة لآلهة الخصوبة (fertility gods) (|IVP-OT-ar|:266/2، 379/3، 425/3-426؛ |IVP-OT|:377، 722، 751).

2111 . |JSB|:697.

2112 . |دراسى|:835؛ |NIV|:510.

2113 . |معاصر|:686.

2114 . |IVP-OT-ar|:266/2؛ |IVP-OT|:377.

2115 . |معاصر|:698.

2116 . |معاصر|:707.

2117 . |كريمر|:261-262؛ |Kramer|:154-155؛ |Kramer-fr|:204-205.

2118 . |إسكندرية|:22/4؛ |Septuagint|:705/OT؛ |NETS|:553. انظر أيضاً |مارمرقص|:العهدالقديم/157/10.

2119 . |معاصر|:985.

2120 . |IVP-OT-ar|:63/3؛ |IVP-OT|:521.

2121 . |معاصر|:1013. انظر أيضاً |JSB|:1323.

2122 . |معاصر|:1034.

2123 . |IVP-OT-ar|:93/3؛ |IVP-OT|:540.

2124 . |يسوعية|:العهدالقديم/1214.

2125 . |JSB|:1349.

2126 . |معاصر|:973. انظر أيضاً |دراسى|:1262؛ |NIV|:781.

2127. “The **spirits and souls of the righteous** dead continue to give praise to God forever, throughout **the ages**” (|EOSB|:1246). See also |مارمرقص|:العهدالقديم\21\63.

2128 . "في (دانيال 7:13-14) يحكم ابنُ الإنسان نيابة عن الله في الملكوت المستقبلي، وهذا [الحُكْم] يتضمن النيابة عنه في تنفيذ الدينونة" (|IVP-NT-ar|:244/1؛ |IVP-NT|:264). ملحوظة: فكرة أن يعطي اللهُ المَلِكَ سلطاناً ليكون نائباً عنه أو وكيلاً في الحساب والجزاء مذكورة في القرآن: "قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا. قَالَ [ذو القرنين] أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ [في الدنيا!] ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا [في الآخرة]. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ [في الآخرة]ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا [في الدنيا]" (الكهف 86-88).

2129 . |يسوعية|:العهدالجديد/381. واستخدم الإنجيلُ نفس الكلمة اليونانية (paidos) لوصف داود "دَاوُدَ فَتَاهُ/عَبدِهِ" (لوقا 1:69) وأيضاً لوصف إسرائيل "إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ/عَبدَه" (لوقا 1:54). مما يؤكد أن يسوع إنسان مخلوق عبد الله مثلهما.

2130 . |معاصر|:2191.

2131 . |قاهرة|:1047/43.

2132 . |EQ|:144-143/3.

2133 . |قاهرة|:1044/43.

2134 . |معاصر|:2191. انظر أيضاً |IVP-NT|:491؛ |NIV|:1721؛ |دراسي|:2660.

2135 . |IVP-OT|:618.

2136 . |IVP-OT-ar|:266/2؛ |IVP-OT|:377. انظر أيضاً |IVP-OT|:617-618، 722، 751؛ |IVP-OT-ar|:218/3، 379/3، 425-426/3.

2137 . |Lalouette|:105-؛ |DDD|:456-، 649-؛ |قاهرة|:144/42، 164-، 169، 370-؛ |IDAE|:159-، 237-، 297؛ |Coogan|:32؛ |Budge|:41-؛ |السواح|:407/1-؛ |السواح|:308/12-.

2138 . وقيل إن إبراهيم لم يذبحهن ولم يُؤْمَر بالذبح! لكن الرأي السائد أنه ذبحهن وقطعهن. ثم إن الجذور التوراتية لـ (البقرة 260) تؤكد ذلك أيضاً. انظر (التكوين 15:6-11، 17)؛ |GR-AQ|:102؛ |Masson|:801؛ |Aldeeb|:407.

2139 . |Kramer|:154-167؛ |Kramer-fr|:204-216؛ |كريمر|:261-282؛ |ANET|:52-57؛ |DDD|:832-833؛ |BK|:276-290؛ |السواح|:354/1-377؛ |السواح|:186/12-195.

2140 . |شعراوى|:652/1. لاحظ كلمة "مباشرة": "ينتقل من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة مباشرة". أو كما قيل فى مراجع آخرى: "يعنى أنهم فى الحال وبعد القتل بهذه الصفة (أحياء)." (|ماوردى|:437/1). "وأكثر أهل العلم على أنهم (الشهداء) أحياء فى الوقت، ومعنى هذه الحياة بقاء أرواحهم دون أجسادهم إذ أجسادهم نشاهد فسادها وفناءها" (|بحر|:622/1). "قال ابن عطية: أخبر تعالى عن الشهداء أنهم فى الجنة يرزقون، هذا موضع الفائدة، ولا محالة أنهم ماتوا، وأن أجسادهم فى التراب وأرواحهم حية، كأرواح سائر المؤمنين، وفضلوا بالرزق فى الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم" (|بحر|:118/3).

2141 . |Reynolds|:156-167. ولقد استفدنا كثيراً من هذا المرجع أثناء كتابة هذا الفصل.

2142 . يقول الدكتور محمد سليمان عبد الله الأشقر: "فإن الهجرة فى سبيل الله تجُبُّ ما قبلها من الذنوب. والجهاد فى سبيل الله والشهادة فى سبيله تُمحَى بها جميع الذنوب، كما ورد فى السنّة، إلا الدَّيْن" (|أشقر|:76). انظر أيضاً |قرطبى-مصر|:617/2-618؛ |كثير|:166/2؛ |كثير-شاكر|:400/1؛ |جزائرى|:409/1.

2143 . عَنْ اِبْنِ عَبَّاس قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: "لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللَّه أَرْوَاحهمْ فِي أَجْوَاف طَيْر خُضْر، تَرِد أَنْهَار الْجَنَّة، وَتَأْكُل مِنْ ثِمَارهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيل مِنْ ذَهَب فِي ظِلّ الْعَرْش؛ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيب مَشْرَبهمْ وَمَأْكَلهمْ وَحُسْن مَقِيلهمْ، قَالُوا : يَا لَيْتَ إِخْوَاننَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللَّه بِنَا؛ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَاد وَلَا يَنْكُلُوا عَنْ الْحَرْب، فَقَالَ اللَّه تبارك وتعالى: أَنَا أُبَلِّغهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْآيَات."

وَفِي الْحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَام أَحْمَد، عَنْ الْإِمَام الشَّافِعِيّ، عَنْ الْإِمَام مَالِك، عَنْ الزُّهْرِيّ، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن كَعْب بْن مَالِك، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نَسَمَة الْمُؤْمِن طَائِر تَعْلَق فِي شَجَر الْجَنَّة حَتَّى يُرْجِعهُ اللَّه إِلَى جَسَده يَوْم يَبْعَثهُ". فَفِيهِ دَلَالَة لِعُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا وَإِنْ كَانَ الشُّهَدَاء قَدْ خُصِّصُوا بِالذِّكْرِ فِي الْقُرْآن تَشْرِيفًا لَهُمْ وَتَكْرِيمًا وَتَعْظِيمًا.

انظر: |طبرى|:228/6-231؛ |طبرى-شاكر|:384/7-388؛ |قرطبى-مصر|:613/2-619؛ |كثير|:284/1؛ |كثير-شيخ|:128/2؛ |كثير-شاكر|:180/1؛ |كثير-صابونى|:143/1؛ |كثير-شنقيطى|:176-177، 370-371؛ |ج-البغا|:91؛ |عطية-مصر|:456/1؛ |خازن-بغوى|:574/1-575؛ |كشاف-ع|:658/1؛ |كشاف-ش|:205؛ |ماوردى|:437/1؛ |شحاته|:223/1-2،224/716-717؛ |أشقر|:72؛ |سعدى|:75؛ |بشير|:480/1،261-482؛ |صفوة|:243/1؛ |ظلال|:144/1؛ |جزائرى|:134/1.

2144 . انظر تفاسير (البقرة 154) و (آل عمران 169) والآيات القرآنية الأخرى التى ذكرناها.

2145 . |بيضاوى|:95/1. انظر أيضاً |خازن-بغوى|:169/1؛ |كشاف-ع|:347/1؛ |نسفى|:143/1-144 و (غافر 46).

2146 . |ماوردى|:209/1. وفى "أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ" (آل عمران 169) تأويلان: "أحدهما: أنهم بحيث لا يملك لهم أحد نفعاً ولا ضراً إلا ربُّهم. والثانى: أنهم أحياء عند ربهم من حيث يعلم أنهم أحياء دون الناس." (|ماوردى|:437/1). انظر أيضاً |بحر|:621/1-622.

2147 . |ضيف|:48. أو كما قيل فى مرجع آخر: "هُم أحياء حياة خاصة بهم فى قبورهم، لا يعلم كيفيتها إلا الله – تعالى –، ولكنكم لا تُحسُّون بها. وفى هذا دليل على نعيم القبر." (|فهد|:24). "وإذا ثبت أن الشهداء أحياء إما أرواحهم وإما أجسادهم وأرواحهم، فاختلف فى مستقرها، فقيل: قبورهم يرزقون فيها، وقيل: فى قباب بيض فى الجنة يرزقون فيها قاله أبو بشار السلمى، وقيل: فى طير بيض تأكل من ثمار الجنة، ومساكنهم سدرة المنتهى قاله قتادة، وقيل: يأكلون من ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها قاله مجاهد [...] والجمهور على أنهم (الشهداء) فى الجنة، ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لأم حارثة: إنهم فى الفردوس، ومذهب أهل السنة أن الأرواح لا تفنى وأنها باقية بعد خروجها من البدن، فأرواح أهل السعادة منعمة إلى يوم الدين، وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين، والفرق بين الشهيد وغيره من المؤمنين إنما هو الرزق فضلهم الله بذلك [...] وقالوا: يجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها، ويوصل إليها النعيم وإن كانت فى حجم الذرة، ولم تتعرض الآية الكريمة لرزق أرواح الشهداء ولا لمستقرّها، وإنما جرى ذكر ذلك على سبيل الاستطراد اتباعاً للمفسرين حيث تكلموا فى ذلك فى هذه الآية" (|بحر|:622/1).

2148 . |منتخب|:118.

2149 . |ميسر|:22. انظر أيضاً |ميسر|:60.

2150 . |سعدى|:76.

2151 . |شحاته|:224/1. انظر أيضاً |شحاته|:717/2.

2152 . |شعراوى|:652/1-653.

2153 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/222-224؛ |RHCharles|:140-142؛ |Reynolds|:162.

2154. "2 Maccabees 7 — one of the most important documents for the study of the development of thinking in the Abrahamic traditions on the nature of creation" (|EQ|:1\479).

2155 . |Reynolds|:37؛ |ربيع|:100؛ |هامش|:5/10. "التلمود البابلي اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:293/42).

2156. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

2157. |Reynolds|:162. Prof. Gabriel Said Reynolds: "[T]he Babylonian Talmud, which reached its final form (for all practical purposes) in the sixth century, can safely be counted pre-Qur'ānic" (|Reynolds|:37).

2158 . |سبعينية|:التكوين/25. لمزيد من المعلومات عن الفردوس، انظر: |تساؤلات|:5/3-19.

2159 . |قانون|:82. لمزيد من المعلومات عن القيامة العامة والدينونة العامة وملكوت السماوات وأمور الحياة الآخرة (Eschatology) بصفة عامة، انظر المراجع التى تشرح البندين السادس والسابع من قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني "وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي. آمين". مثل |قانون|:120-126؛ |ثاوفيلس|:89-96؛ |تساؤلات|:4/3-176. انظر أيضاً تفاسير الآيات التى ذكرناها من الكتاب المقدس بعهديه.

2160 . دم هابيل صرخ مطالباً بالعدالة (justice) والجزاء (retribution). أما دم يسوع المسفوك على الصليب فيطالب بالغفران (forgiveness) والمصالحة (reconciliation) (|NIV|:1914؛ |دراسى|:2969).

2161. "The immediate retribution of martyrs in particular is signaled above all by the resurrection of Christ, the martyr par excellence. […] Christ's martyrdom is a victory over death (cf. Mt 27:52; 1 Corinthians 15:55-57). Those who believe in him will be saved from death by virtue of that martyrdom (Romans 3:22-28; Hebrews 1:1-3). Those who suffer martyrdom for him are joined to him in that act. […] The martyr dies, one might say, as Christ. For this reason the martyr enjoys the same consolation at death." (|Reynolds|:162-163).

2162. |Reynolds|:166.

2163. "Cf. also the parallel forms "elohim ehad" [in Hebrew] and "Allah ahad" in Surah 112, instead of the correct Arabic form: Allah wahid" (|KHO|:574). See also |KHO|:84.

2164 . |معاصر|:771.

2165. Sir Anthony Buzzard, "Jesus Was Not a Trinitarian", Restoration Fellowship, 2007.

2166 . |هشام|:223/1؛ |مفصل|:449/6-510؛ |Reynolds|:76، 82-84.

2167 . "مِلَّة" أصلها سرياني ويعني "كلمة" (word) أو "دين" (religion) (|FV|:268-269).

2168 . "عن الضحاك: أنه قرأ "اهْدِنَا صِرَاطاً مُسْتَقِيماً" دون تعريف" (|ضحاك|:141/1).

2169 . وتقول التوراة: "وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً (nation) كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ" (التكوين 18:18). ولا يزال المسلمون فى كل صلاة يقولون: "اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم"!

2170 . ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم: "ما مِن مولودٍ إلا يُولَد على الفطرة (أي: على فطرة الإسلام)، فأبواه يُهوّدانه أو يُنصّرانه أو يُمجّسانه (وفي رواية: ويُشرّكانه)، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها مِن جدعاء؟" (البخارى 1292-1293؛ |خ|:456/1-457؛ |بارى|:260/3) (مسلم 2658؛ "ومعناه أن البهيمة تلد بهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها. وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها" |م|:2047/4). انظر أيضاً |كثير-شيخ|:99/6؛ |ج-البغا|:175.

2171. Edmund Beck: “Why did the formulation "ملة إبراهيم" alone emerge? The reason for this is seen as stemming exclusively from the conflict into which Muhammad entered with Jews and Christians in Medina. But this conflict was only the final impetus. The actual cause has a deeper origin and goes back to the Meccan period” (|IW2013|:277-278).

2172 . |منتخب|:32؛ |منتخب-ف|:29. انظر أيضاً |شحاته|:176/1.

2173 . "قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ [التوحيد الخالص] أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" (الأنعام 161-163).

2174 . "وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ" (الرؤيا 4:21).

2175. “That the Jews or Christians claimed Ishmael as a coreligionist seems unlikely and most probably reflects the [Madani] Quranic outlook which stressed his importance” (|Witztum|:154).

2176 . |فهد|:21.

2177 . |فهد|:21.

2178 . "قال ابن الأنبارى: ولا يخفى على ذى تمييز أن هذا كلام من النبى ﷺ على جهة التفسير أدخله بعض من ينقل الحديث فى القراءات" (|عطية-مصر|:366/2؛ |بحر|:426/2)! انظر أيضاً |EI-2|:165/3.

2179 . |ضحاك|:242/1.

2180 . |نحاس|:371/1.

2181 . |ظلال|:377/1-378.

2182 . |ميسر|:44.

2183 . |منتخب|:88؛ |منتخب-ف|:76.

2184 . مثلاً (البقرة 213) (آل عمران 105) (المائدة 14) (يونس 93) (مريم 34، 37) (الشورى 14) (الجاثية 17) (البينة 4).

2185 . "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً (أي: على دين واحد؛ على ملة واحدة) ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (هود 118-119)!

2186 . "لأَنَّ هذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهِ، الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ" (1 تيموثاوس 3:2-4). "لأَنَّ اللهَ لَيْسَ إِلهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلهُ سَلاَمٍ" (1 كورنثوس 33:14).

2187 . مع أن القرآن يقول في موضع آخر: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" (البقرة 256)!

2188 . يقصد أن الله أباح لآدم وحواء أكل النباتات والفواكه والثمار (التكوين 1:29)، كما أباح لنوح أكل لحوم الحيوانات (التكوين 9:3). وكان ذلك "مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ" (آل عمران 93) واستمرت هذه الإباحة حتى نزول التوراة.

2189 . إذا كان إسرائيل = يعقوب (وهو الرأي السائد)، فالمقصود هو تحريم أكل "عِرْقِ النَّسَا الَّذِي عَلَى حُقِّ الْفَخِذِ (أي: عضلة وتر الورك؛ thigh sinew)" (التكوين 32:32). أما إذا كان إسرائيل = شعب إسرائيل، فيبدو أن المقصود هو تحريم بعض اللحوم التي حرَّمها اليهود لكن أباحها الإسلامُ، كلحم الجمل مثلاً (اللاويين 4:11). ولا تناقض بين الرأيين.

2190 . لمعرفة الجذور المسيحية السريانية لهذه الآية القرآنية (آل عمران 93)، انظر |Witztum|:275-278. على سبيل المثال، يقول الأسقف السرياني يعقوب السروجي (ت. 521م): "تعال إلى هنا، أيها اليهوديّ، لنجلس ونقرأ الكتب [المقدسة]" (|ينابيع|:90/7؛ |Witztum|:278). **[← "قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا" (آل عمران 93)].**

2191. “The Qurʾān here suggests that one should return to the example of Israel’s grandfather Abraham [who did not prohibit the thigh sinew or the meat of camels]” (|GR-AQ|:132). “since Abraham did not follow these [Jewish dietary restrictions], neither should the Muslims. All that is required is adherence to the *milla* of Abraham, not the Torah of the Jews” (|Witztum|:277).

2192 . وكذلك في موضع آخر، ربط أصحابُ القرآن بين "ملة إبراهيم حنيفاً" وترك تعظيم يوم السبت: "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (النحل 123-124) (قيل: مكية؛ وقيل: مدنية). نفس الفكرة: أراد أصحابُ القرآن أن ينفصلوا عن اليهودية والمسيحية ويختلفوا عن التوراة والإنجيل، فلم يجدوا أمامهم سوى أن يرجعوا إلى إبراهيم الذي لم يكن يهودياً ولا مسيحياً (آل عمران 67) ولم يكن عنده التوراة ولا الإنجيل (آل عمران 65).

2193 . "«هذَا الْيَوْمَ قَدْ أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهذِهِ الْفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ، فَاحْفَظْ وَاعْمَلْ بِهَا مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ. قَدْ وَاعَدْتَ الرَّبَّ الْيَوْمَ أَنْ يَكُونَ لَكَ إِلهًا، وَأَنْ تَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ فَرَائِضَهُ وَوَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَتَسْمَعَ لِصَوْتِهِ. وَوَاعَدَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا، كَمَا قَالَ لَكَ، وَتَحْفَظَ جَمِيعَ وَصَايَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالاسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، كَمَا قَالَ»" "[...] «احْفَظُوا جَمِيعَ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ. [...] الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ [...] «انْصِتْ وَاسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الْيَوْمَ صِرْتَ شَعْبًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ. فَاسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ وَاعْمَلْ بِوَصَايَاهُ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ». وَأَوْصَى مُوسَى الشَّعْبَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: [...]" (التثنية 26:16-19 – 27:1-26). ونستنتج من التوراة أن موسى مات بعد هذا اليوم بفترة وجيزة (التثنية 32:48 – 34:8)! صدفة؟!

2194 . لكن الأنبياء والرسل يتفاضلون بأمورٍ أخرى غير وجوب الإيمان بهم، كالمعجزات والكتب وعدد الأتباع: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ" (البقرة 253) "فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (الإسراء 55) "وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" (النساء 125).

2195 . |فهد|:102.

2196 . |جزائري|:121/1.

2197 . الشيخ محمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ط5، 1435هـ، ص 30.

2198 . "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ (أي: شَرَّ ما يدب على وجه الأرض) عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (الأنفال 55)! وراجِع أيضاً ما قاله أ. د. محمد بكر إسماعيل (مِن كبار علماء الأزهر في القرن العشرين) تحت عنوان "القصاص في النفس" "هل يُقتَل مسلمٌ بكافرٍ؟"، كتاب "الفقه الواضح"، مرجع سابق، 300/2-301.

2199 . (مسلم 153؛ [كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته] |م|:134/1؛ |م-نووي|:245/2).

2200 . |عثيمين|:آل عمران/128/1-129.

2201 . |ميسر|:432.

2202 . |و|:207/11/1؛ |و-قرآن|:180.

2203 . وتوجد أحاديث صحيحة تشير إلى العرب بعبارة "بني إسماعيل". مثل: "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا" (البخاري 2743؛ |خ|:1062/3). قال الكرماني: "بني إسماعيل" مُنادَى و "أباكم" هو إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن وهو أبو العرب (|كرماني|:164/12). وهذا الحديث مكرر في باب "نسبة اليمن إلى إسماعيل" (البخاري 3316؛ |خ|:1292/3). ملحوظة: لن نميز بين العدنانيين (العرب المستعربة، عرب الشمال) والقحطانيين (العرب العاربة، عرب الجنوب)، لأننا لم نجد هذا التمييز مذكوراً في القرآن ولا في السُّنَّة الصحيحة؛ ولعله نشأ بعد ظهور الإسلام نتيجة نزاعات سياسية وقبلية بين العرب. انظر ما قاله الدكتور جواد علي حول هذا الموضوع (|مفصل|:354/1-508).

2204 . لا يوجد أي دليل علمي يثبت وجود أية علاقة تاريخية بين الْفِلِسْطِينِيّينَ الحاليين وأي شعب من هذه الشعوب الكنعانية القديمة. ونحن نقول ذلك رداً على البروباجاندا العربية-الإسلامية التي تزعم أن الْكَنْعَانِيّين و/أو الْيَبُوسِيّين كانوا من العرب!

2205 . وفي ترجوم نيوفيتي لقصة الذبيح التوراتية (التكوين 22:6، 8): "ومضى الاثنان (أي: إبراهيم وإسحاق) معاً بِقَلْبٍ تام (with a perfect heart)" (|هامش|:83/10؛ ويبدو أن المعنى " with complete, undivided, devotion to God" |Targums|:117/1A). والمقصود بالكمال هنا هو بالطبع: الكمال النسبي؛ أي: قدر استطاعتك مقارنةً بمن حولك.

2206 . لم تُذكَر كلمةُ "سَلِيم" في القرآن كله إلا مرتين فقط، وكلتاهما في قصة إبراهيم (الشعراء 89) و (الصافات 84) التي جاءت بعدها قصة الذبيح القرآنية (الصافات 99-113)! ونلاحظ دائماً وجود فعل يدل على الحركة والسير في طريق الله: "أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي" (التكوين 17:1)؛ "فَذَهَبَا كِلاَهُمَا (أي: إبراهيم وإسحاق) مَعًا" (التكوين 22:6، 8) **[← "ومضى الاثنان معاً بِقَلْبٍ تام" (ترجوم نيوفيتي. التكوين 22:6، 8) ← "جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الصافات 84) "أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء 89)]**! كل ده صدفة؟!

2207. ""This is the religion of your father Abraham. He called you *muslimīn*," i.e., those who dedicate themselves to God. This expression goes back to Genesis 17:1 in the version of Targum Onkelos, where Abraham is admonished by God to become *shelīm*" (|EJ|:1\286).

2208 . يَهْوَهْ (YHWH) هو الاسم الشخصي لإله إسرائيل (The personal name of the God of Israel) (|EJ|:675/7).

2209 . والذبيح هو إسحاق بشهادة العهد الجديد أيضاً: "أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟ فَتَرَى أَنَّ الإِيمَانَ عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِالأَعْمَالِ أُكْمِلَ الإِيمَانُ، وَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» وَدُعِيَ خَلِيلَ (باليونانية: philos؛ أي: صديق مُخْلِص) اللهِ" (يعقوب 2:21-23) **[← "وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" (النساء 125)]**.

2210 . |هامش|:107/5. انظر أيضاً |نطرون|:غلاطية/222.

2211 . "**يهوذا**: اسم عبري معناه "يحمد"" (|كتابية|:312/8). "وَحَبِلَتْ [زوجةُ يعقوب] أَيْضًا وَوَلَدَتِ ابْنًا وَقَالَتْ: «هذِهِ الْمَرَّةَ أَحْمَدُ الرَّبَّ (I will praise the LORD)». لِذلِكَ دَعَتِ اسْمَهُ «يَهُوذَا»" (التكوين 29:35).

2212. "[2 Samuel 7:12] undoubtedly refers to Solomon, […]. This v. and the following ones, however, have been interpreted in the postbiblical period as referring to the Messiah, who will be of the house of David and whose reign will last forever" (|JSB|:617).

2213 . اقرأ أيضاً نسبَ يسوع المسيح (متى 1:1-17) (لوقا 3:23-38).

2214 . |يسوعية|:العهدالجديد/383. واستخدم الإنجيلُ نفس الكلمة اليونانية (paidos) لوصف داود "دَاوُدَ فَتَاهُ/عَبدِه" (لوقا 1:69) وأيضاً لوصف إسرائيل "إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ/عَبدَه" (لوقا 1:54). مما يؤكد أن يسوع إنسان مخلوق عبد الله مثلهما.

2215 . |نطرون|:رومية/233، 235، 242، 243، 249، 433.

2216 . |نطرون|:غلاطية/225-226. تذكر أن الوعد الإلهي لإبراهيم حدث أولاً (التكوين 12:1-3)، ثم بعد ذلك إيمان إبراهيم وتبريره بالإيمان: "فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا" (التكوين 15:6). والوعد والتبرير كلاهما بالنعمة مجاناً بدون شرط القيام بأعمال يثبت بها إبراهيمُ استحقاقَه **[← "شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ (بصيغة الجمع؛ أي: لِنِعَمِ الله المتتالية عليه)" (النحل 121)]**.

2217 . |نطرون|:غلاطية/197.

2218 . |المسيح|:372. انظر أيضاً |المسيح|:264-265.

2219 . |المسيح|:169.

2220 . |NIV|:1503؛ |دراسي|:2310.

2221 . أو كما نقول نحن اليوم: صار حسابُنا "خالص" (PAID IN FULL)؛ أي: مدفوع بالكامل.

2222 . لكنها تُفسَّر عادةً بمعنى أن إسماعيل كان يصدق في وعده، وكان لا يخلف عهده، فلم يَعِد شيئاً إلا وفَّى به!

2223 . (الترمذي 3605؛ "حَسَنٌ صَحِيحٌ" |ت|:400/5؛ "صحيح دون الاصطفاء الأول" |ت-ألباني|:820؛ "صحيح دون الاصطفاء الأول" |ت-صحيح|:483/3).

2224 . وقيل إن "الْبَشِيرُ" (يوسف 96) هو يهوذا بن إسرائيل/يعقوب.

2225 . "**يهوذا:** اسم عبري معناه "يحمد"" (إكتابية|:312/8). "وَحَبِلَتْ [زوجةُ يعقوب] أَيْضًا وَوَلَدَتِ ابْنًا وَقَالَتْ: «هذِهِ الْمَرَّةَ أَحْمَدُ الرَّبَّ (I will praise the LORD)». لِذلِكَ دَعَتِ اسْمَهُ «يَهُوذَا»" (التكوين 35:29).

2226 . "ناموس" كلمة يونانية الأصل (nomos) تعني "شريعة" أو "قانون". الناموس (The Law) هنا هو ناموس موسى، أي: التوراة، أو بعبارة أكثر دقة: الناموس هو الجزء القانوني / التشريعي من التوراة. مع أن لفظة الناموس لوحدها تعني في بعض الأحيان العهد القديم كله (يوحنا 34:12) (1 كورنثوس 21:14).

2227 . إنطرون|:رومية/239.

2228 . ذكرنا فيما سبق ترتيبَ الأحداث في التوراة. أولاً الوعد الإلهي لإبراهيم (التكوين 12:1-3). ثم بعد ذلك إيمانه وتبريره بالإيمان: "فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا" (التكوين 6:15). ثم بعد ذلك الختان "خُتِنَ إِبْرَاهِيمُ" (التكوين 26:17).

2229 . "من الناحية القوميَّة، إبراهيم هو أبو اليهود جميعاً (المختونين)؛ ومِن الناحية الروحيَّة، هو أبو اليهود المؤمنين (رومية 12:4) وأبو الأمم المؤمنين (غير المختونين؛ رومية 11:4)" (آرثر|:1908). انظر أيضاً |KHO|:28-29، 562. ومِن المهم أن نلاحظ أن بولس ذكر أولاً الأمم المؤمنين بالمسيح (رومية 11:4) وثانياً اليهود المؤمنين بالمسيح (رومية 12:4) وكأنه أراد أن يؤكد أن اليهود لم يأتوا إلى الإيمان إلا كضيوف لاحقين للأمم، و/أو "أن اليهودية ببرّها المؤسَّس على الأعمال قد انحرفت عن إيمان آباء اليهود الأوَّلين [وبخاصة إبراهيم]" (آرثر|:1908).

2230 . ليس المقصود وراثة العالم بالمعنى السياسي/الاستعماري، وإنما المقصود هو وراثة العالم بالمعنى الديني الروحي. وهذا دليل آخر يؤكد أن المسيحية رسالة عالمية (universal) منذ القرن الأول الميلادي. أضِفْ إلى ذلك أن استخدام لغة التوريث يؤكد مجانية الوعد الإلهي، إذ لا يحتاج الابنُ أن يعمل عملاً مسبقاً ليثبت استحقاقه أن يرث أباه؛ الشرط الوحيد هو أن يكون الوريث ابنَ المورِّث. "فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا" (رومية 17:8). كذلك في النعمة الإلهية، الشرط الوحيد هو الإيمان.

2231 . آمن إبراهيمُ بالعهد الإلهي مع أنه مجرد "كلمات" بلا أي دليل أو علامة، فنجح في هذا الاختبار/الابتلاء وحُسِبَ لَهُ برًّا. **[← "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" (البقرة 124)].** ثم اختبر اللهُ إبراهيمَ "اختباراً عنيفاً لم يُختبر إنسانٌ مثله على الأرض إذ طلب اللهُ منه بعد ذلك أن يقدِّم ابنَه حبيبه إسحاق الذي نال به الوعد ليقدمه ذبيحة!! فلم يتردد وانتهى إلى أن قيَّد الولد ومسك السكين لولا منعه الله. هنا اختبر اللهُ إيمانَ إبراهيم هل حقاً يؤمن بالله أنه قادر أن يقيم من الموت؟ إبراهيم نجح في أصعب اختبار للإيمان ولم يتزعزع إيمانه بأن الله يُحيي الموتى" (إنطرون|:رومية/245). فمِن المحتمل أيضاً أن تكون قصة الذبيح هي جذور (البقرة 124) أو على الأقل أحد جذورها فلقد ابتلى اللهُ إبراهيمَ عدة ابتلاءات "فَأَتَمَّهُنَّ" (أي: فأكملها؛ فأدَّاها وقام بها خير قيام)" (البقرة 124) "وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ" (النجم 37). انظر |Witztum|:157، 172-173؛ |GR-AQ|:67-68؛ |Geiger|:102 والتفاسير التراثية القديمة لـ (البقرة 124).

2232 . إملطى|:رومية/90.

2233 . إنطرون|:رومية/250. "نقول: صُلبنا معه (أي: مع المسيح) ومُتنا معه، وقُمنا معه، أو بالأصح أننا مُتنا وقُمنا فيه" (إنطرون|:غلاطية/247).

2234 . **[← "قَالَ إِبْرَاهِيمُ [...]. [...] فَمَن تَبِعَنِي [في الإيمان والطاعة] فَإِنَّهُ مِنِّي (أي: مِن أهل ديني)" (إبراهيم 35-36)].**

2235 . "استخدمت هذه الكلمة "وعد" منذ البداية (أي: منذ بداية رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية) كإشارة إلى الإنجيل [8:3، 14، 16-18]" (إملطى|:غلاطية/65). "فإبراهيم آمن بوعد الله الذي نفهمه لاهوتياً بأنه هو هو الأخبار السارة أي الإنجيل بعينه. [...] فالذي يثبت في إيمان إبراهيم أي في الإنجيل يثبت في البركة أو تحت البركة" (إنطرون|:غلاطية/201).

2236 . "مَلْعُونٌ مَنْ لاَ يُقِيمُ [جَمِيعَ] كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهَا. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ" (التثنية 26:27).

2237 . "لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ. لأَنَّ الَّذِي قَالَ: «لاَ تَزْنِ»، قَالَ أَيْضًا: «لاَ تَقْتُلْ». فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلكِنْ قَتَلْتَ، فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ" (يعقوب 2:10-11). وباعتراف رسل المسيح، لم يستطع اليهود أن يلتزموا بكل أحكام الشريعة، فكيف يطالبون الأمم (أي: غير اليهود) أن يلتزموا بها كلها؟! "فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ (يقصد: أحكام الشريعة) عَلَى عُنُقِ التَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا [اليهود] وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟" (أعمال الرسل 10:15). واقرأ (متى 28:11-30)؛ |Witztum|:275-278. **[← اليهود "حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ (أي: كُلِّفوا العمل بها) ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا (أي: لم يعملوا بها)" (الجمعة 5)؛ "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ (أي: الشريعة/الناموس؛ الأوامر والنواهي؛ افعل ولا تفعل) عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا (أي: خفن مِن عدم قدرتهن على الالتزام بكل أحكامها) وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا (أي: شديد الظلم لنفسه) جَهُولًا (أي: شديد الجهل بما يطيق حمله)" (الأحزاب**

72)! واقرأ "رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا (أي: ثقلاً) كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ" (البقرة 286)؛ (الأعراف 157)].

2238 . "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ" (الأمثال 18:16)؛ (حزقيال 28:11-19) (إشعياء 14:12-17) **[← "إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ" (ص 74) "إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ" (البقرة 34) "أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ" (ص 75) "فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا" (الأعراف 13)].**

2239 . "وَالْبَارُّ بِإِيمَانِهِ يَحْيَا" (حبقوق 2:4). "ولينتبه القارئ إلى هذه الآية: "الْبَارَّ بالإيمَانِ يَحْيَا" فهي معيار رسالة غلاطية وتاج ق. بولس الذهبي، ومجد الإنجيل، وسر الحياة بالمسيح، بل وسر ملكوت الله، والسلاح السرّي الذي به هزم ق. بولس الناموس واليهود المتمسكين بالناموس، وفتح باب الخلاص للأمم" (إنطرون:غلاطية/202). انظر أيضاً إنطرون:غلاطية/252.

2240 . "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ" (أفسس 2:8-9). "مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ" (1 كورنثوس 1:31) (2 كورنثوس 10:17). "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ، يَقُولُ الرَّبُّ" (إرميا 9:23-24). "فَأَيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدِ انْتَفَى. بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ الأَعْمَالِ؟ كَلاَّ. بَلْ بِنَامُوسِ الإِيمَانِ [بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح]. إِذًا نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ" (رومية 3:27-28). "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (غلاطية 6:14).

2241 . "فَتَحْفَظُونَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي، الَّتِي إِذَا فَعَلَهَا الإِنْسَانُ يَحْيَا بِهَا. أَنَا الرَّبُّ" (اللاويين 18:5).

2242 . "أما الناموس فعرّفنا الخطية وعقوبتها أي كان ممهداً للمسيح الذي نؤمن به فيخلصنا من عقوبتها ونحيا معه وفيه الحياة الجديدة" (إمارمرقص:العهدالجديد/251/4). "لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ (grace) وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا" (يوحنا 1:17). الناموس يُعلن ما يطلبهُ الله منا، أمَّا النعمة فتُعلن ما يفعله اللهُ لأجلنا. الناموس يلعن الخاطي ويحكم عليه بالموت، أمَّا النعمة فتحرر الخاطي من الخطية واللعنة والموت إذا تاب وآمن بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله.

2243 . قال يسوع المسيح: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ" (متى 5:17).

2244 . "أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ (أي: بجِراحِه) شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا" (إشعياء 53:4-6). "حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ" (1 بطرس 2:24). "جَعَلَ [اللهُ الْمَسِيحَ] الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (2 كورنثوس 5:21).

2245 . "وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ، فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ" (التثنية 21:22-23). ويجب أن نلاحظ أن مصدر اللعنة هو "مِنَ اللهِ".

2246 . "وبهذا يكون الله قد مهّد بالناموس سواء بالأوامر بالذبائح الصغيرة للخطايا السهو الصغيرة [كلمس ميت مثلاً] أو بالموت للإنسان للخطايا العمد الكبيرة [كالزنا مثلاً]، تمهيداً لمغفرة الخطايا كلها في العهد الجديد **صغيرها** = بذبح جسد المسيح وسفك دمه، و**كبيرها** = بقتل المسيح كفدية لجميع كبائر الخطايا كلها مهما كانت" (إنطرون:غلاطية/203-204).

2247 . "موعد الروح عوض موعد سيناء بالناموس" (إنطرون:غلاطية/215). "فإن كانت أعمال الناموس هي منبع الخلاص لمَا أخذ إبراهيمُ الوعدَ بالبركة بنسله [يسوع المسيح]، وإنما [الوعد] باستلام الناموس" (إملطي:غلاطية/49). "الناموس أُعطي لليهود فقط وليس للأمم. فلِكَيْ يمكن أن تدخل الأمم في بركة إبراهيم ["وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ" (التكوين 22:18)] تحتم أن يُلغى الناموس، [...]. [...] الله (أي: الذي أنزل الناموسَ هو نفسه الذي) استطاع أن يوقف عمل الناموس وينهي على زمن الوصايا بفديته العظمى [...] [بأن] ألغى الخطايا كلها بل وألغى طبيعة الخطية وقوتها التي هي قوة الناموس ففقد الناموس وفقدت الوصايا قوتها أي عملها نهائياً وبالتالي وجودها" (إنطرون:غلاطية/216).

2248 . آخِر وعد إلهي لإسرائيل (يعقوب) قُبَيل هجرته وهجرة بنيه إلى مصر (التكوين 46:2-4). "وَأَمَّا إِقَامَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَقَامُوهَا فِي مِصْرَ فَكَانَتْ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً. وَكَانَ عِنْدَ نِهَايَةِ أَرْبَعِ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ، أَنَّ جَمِيعَ أَجْنَادِ الرَّبِّ خَرَجَتْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ [متوجهين إلى كنعان]" (الخروج 12:40-41). وفي سيناء، أعطى اللهُ النَّامُوسَ إلى موسى.

2249 . "قال الرسول بولس في غلاطية 3:17 إن المدة من وعد الله لإبراهيم إلى إعطاء الشريعة (أي: الناموس) هو 430 سنة (التكوين 12:1-5)" (إمنيس:65). "ذكر الرسول [بولس] 430 عاماً [نقلاً] عن الترجوم الفلسطيني (التعليق على الخروج 12:40)، وهي صياغة جديدة (تفسير) للنص الكتابي الذي كان يُتلَى في الخدمات المقامة في المجمع أيام القديس بولس" (إملطي:غلاطية/49). انظر الترجوم |Targums|:2/194-195؛ إهامش|:13/39-40 وترجمات وتفاسير (التكوين 15:13) (الخروج 12:40) وما قالته دائرة المعارف الكتابية تعليقاً على هذه المسألة (إكتابية|:1/232).

2250 . "اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا" (أفسس 2:4-10). وكذلك في العهد القديم أيضاً: "لأَنَّهُ لا لأَجْلِ بِرِّنا نَطرَحُ تضَرُّعاتِنا أمامَ وجهِكَ، بل لأجلِ مَراحِمِكَ العظيمَةِ" (دانيال 18:9).

2251 . "لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ [الذي فداكَ أنت شخصياً بموته الكفَّاري على الصليب]، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ" (رومية 10:9). فكُنْ مؤمناً "بمَنْ (أي: بالله الذي) أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ. الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا (أي: صُلِبَ يَسُوعُ ومات فداءً لنا ونيابةً عنا وبدلاً مِنَّا ليكفِّر عن خطايانا) وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا (أي: أقامه اللهُ من الأموات ليخلِّصنا من الموت ويقيمنا معه إلى الحياة الأبدية)" (رومية 4:24-25). وكُنْ ثابتاً على إيمانك حتى الموت. "لأَنَّهُ إنْ كُنّا نؤمِنُ أن يَسوعَ ماتَ وقامَ، فكذلكَ الرّاقِدونَ بيَسوعَ (أي: الذين ماتوا على الإيمان بصلب المسيح وموته وقيامته)، سيُحضِرُهُم اللهُ أيضاً معهُ" (1 تسالونيكي 14:4). "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أعمال الرسل 12:4). فكما أن الله واحد لا شريك له (التثنية 4:6) (مرقس 29:12)، كذلك طريق الخلاص أيضاً واحد وليس آخر سواه (يوحنا 6:14).

2252 . "فالقانون بطبيعته لا يُنشئ الأخلاق أو المثل العليا للأخلاق، أو يخلق حساً أخلاقياً رفيعاً، ولكنه وُضِعَ ليحاصر التسيُّب والنزول بالقيم، وليس الارتقاء والنمو بها. وهذا لا يتوافق مع ناموس الله الروحي الذي يرتقي بالإنسان ليرتفع به فوق طبيعته" ([المسيح]:335). "لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا" (يوحنا 17:1).

2253 . لم ينكر بولس قدسيةَ الناموس، بدليل قوله "النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ" (رومية 12:7). وإنما أنكر فقط قدرةَ الناموس على الخلاص. أو يمكن أن نقول إن بولس أنكر التركيزَ على تطبيق أحكام شريعة موسى وعدم التركيز على وعدِ الله لإبراهيم بأن تتبارك في نسله جميع الأمم مع أن هذا الوعد الإلهي مذكور أيضاً وأولاً في توراة موسى. "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ، بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ" (رومية 3:21-22).

2254 . "وَبَيْنَمَا هُوَ مُتَّكِئٌ فِي الْبَيْتِ، إِذَا عَشَّارُونَ وَخُطَاةٌ كَثِيرُونَ قَدْ جَاءُوا وَاتَّكَأُوا مَعَ يَسُوعَ وَتَلاَمِيذِهِ. فَلَمَّا نَظَرَ الْفَرِّيسِيُّونَ قَالُوا لِتَلاَمِيذِهِ: «لِمَاذَا يَأْكُلُ مُعَلِّمُكُمْ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟» فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. فَاذْهَبُوا وَتَعَلَّمُوا مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ»" (متى 10:9-13)؛ (مرقس 2:15-17) (لوقا 5:29-32). "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ" (متى 28:11-30).

2255 . العلاقة بين الناموس والإيمان بالمسيح "علاقة شديدة العمق تضرب جذورها في مقاصد الله منذ الأزل، لأن مجد وقوة الإيمان بالمسيح يقوم على أساس الناموس، لأن الناموس أعلن بالنهاية سيادة الخطية على الجميع، لا فرق [بين يهودي وغير يهودي]. فجاءت قوة الإيمان [بالمسيح] كنعمة لتلغي الخطية بجملتها وكل أعمالها من ضمير الإنسان. فالناموس أقنع الإنسان بأنه خاطئ، والإيمان [بالمسيح] جاء ليقنع الإنسان أن المسيح رفع الخطية إلى الأبد" ([نطرون]:غلاطية/238-239).

2256 . "إِذًا قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ" (غلاطية 24:3). اقرأ أيضاً (متى 28:11-30)؛ [Witztum|:275-278. **[← يُفهَم مِن القرآن أن الناموس/الشريعة (افعل ولا تفعل) – أي التكليف بالأعمال الشاقة وتحريم الطيبات – كان عقاباً لليهود على خطاياهم: "فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ" (النساء 160)؛ "وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا [...] حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ [...] ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ" (الأنعام 146)؛ "وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (النحل 118). ثم جاء المسيحُ وخفف الحِملَ على اليهود: "وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ" (آل عمران 50). اقرأ أيضاً "وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ" (الأعراف 157) التي يزعم التراثُ الإسلامي أنها تتحدث عن محمد، مع أنها تنطبق على المسيح أكثر].**

2257 . فهل يقبل المريضُ بعد شفائه أن يعود مرة أخرى إلى سيارة الإسعاف؟! كلا. بل هل يُعقَل أن يريد الرجل البالغ أن يعود مرة أخرى إلى المربّي الذي كان يؤدِّبه ويضربه بالعصا في طفولته؟! لا يُعقَل. كذلك مِن المستحيل أن نقبل أن نعود مرة أخرى إلى تطبيق أحكام الشريعة. أو كما نقول دائماً: العلمانية ستنتصر حتماً على الشريعة، والعقل سينتصر حتماً على النقل.

2258 . "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غلاطية 20:2). "إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ (أي: آمن بالمسيح ابن الله كفادي صُلِبَ ومات ومُخلِّص قام مِن الأموات) فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا" (2 كورنثوس 17:5)؛ (أفسس 4-5). "لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ. إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ (Abba, Father)». اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ

(بالنعمة، بالتبني، مخلوقين جديداً بالميلاد الثاني). فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ" (رومية 8:14-17).

2259 . "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضًا. لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُودًا كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ (يقصد: أمميين، غير يهود)، عَبِيدًا أَمْ أَحْرَارًا، وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحًا وَاحِدًا" (1 كورنثوس 12:12-13). "لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ، لأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ، غَنِيًّا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ" (رومية 12:10). اقرأ أيضاً (أفسس 2:11-22) (كولوسي 3:11).

2260 . |نطرون|:غلاطية/258.

2261 . |نطرون|:رومية/433. انظر أيضاً |نطرون|:غلاطية/192-259.

2262 . كل الأفعال والأقوال ينبغي أن تكون بمحبة. "إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا" (1 كورنثوس 13:1-3). "أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ: الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ" (1 كورنثوس 13:13).

2263. “Paul is not denying the election of all Israel (as a nation) but stating that within Israel there is a separation, that of unbelieving Israel and believing Israel. Physical descent is no guarantee of a place in God’s spiritual family” (|NIV|:1759). Cf. (Romans 2:28-29).

2264 . "حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ وَإِحْسَانُهُ لاَ بِأَعْمَال فِي بِرّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ (أي: بِمُقْتَضَى نِعْمَتِهِ) خَلَّصَنَا بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي سَكَبَهُ [اللهُ] بِغِنًى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا. حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِهِ (by Divine Grace; by Divine Mercy)، نَصِيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (تيطس 3:4-7). "فَإِنَّكَ أَنْتَ [يَا رَبُّ] أَبُونَا وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْنَا إِبْرَاهِيمُ، وَإِنْ لَمْ يَدْرِنَا إِسْرَائِيلُ. أَنْتَ يَا رَبُّ أَبُونَا، وَلِيُّنَا مُنْذُ الأَبَدِ اسْمُكَ" (إشعياء 63:16).

2265 . "قَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟ هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي الْمِيعَادِ أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ»" (التكوين 18:13-14)؛ وبعد أن وَلَدَتْ سَارَةُ إِسْحَاقَ "فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ [إسماعيل] وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ [هَاجَر]. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. وَابْنُ الْجَارِيَةِ (أي: إسماعيل) أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ»" (التكوين 21:12-13).

2266 . "وَأَمَّا سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ (أي: سارة زوجة إبراهيم) فَلَمْ تَلِدْ لَهُ. وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ، فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: «هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَمْسَكَنِي عَنِ الْوِلاَدَةِ. ادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِي لَعَلِّي أُرْزَقُ مِنْهَا بَنِينَ». فَسَمِعَ أَبْرَامُ لِقَوْلِ سَارَايَ. فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا، مِنْ بَعْدِ عَشَرِ سِنِينَ لإِقَامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَعْطَتْهَا لأَبْرَامَ رَجُلِهَا زَوْجَةً لَهُ. فَدَخَلَ [أَبْرَامُ/إبراهيمُ] عَلَى هَاجَرَ فَحَبِلَتْ" (التكوين 16:1-4).

2267 . (التكوين 17:18-22، 18:9-14) **[← "وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ [...]. قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ. فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ [...]" (هود 71-74)؛ "قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ. قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ" (الذاريات 28-30)].**

2268 . "لأن مَنْ يعبد اللهَ عن حق فهو حرّ لأن الحق يحرر ولا يستعبد الناسَ إلا الجهلُ أو الباطل" (|نطرون|:غلاطية/304).

2269 . ويجب هنا أن نتذكر أن موسى هو أكثر نبي مذكور في القرآن العربي. صدفة؟! بالطبع ليست صدفة.

2270 . "وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا. وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ»" (الرؤيا 21:2-4).

2271 . "سارة هي السيدة الحرة وليست جارية، وأولادها هُمْ المؤمنون بالمسيح الذين حررهم [المسيحُ] من موت الخطية وعبودية الناموس الذي يحكم عليهم بالموت لأنهم خطاة، إذ أتم المسيحُ الفداءَ بموته عنهم وأعطاهم الحياة الجديدة الحرة فيه. يوضح الرسول [بولس] أن الكنيسة أم جميع المؤمنين هي حرة من قيود الناموس" (|مارمرقص|:العهدالجديد/262/4).

2272 . "تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِي بِالتَّرَنُّمِ أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَمْخَضْ، لأَنَّ بَنِي الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ الْبَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ" (إشعياء 54:1).

2273 . ويجب هنا أن نتذكر أن أول بشارة صريحة بميلاد "إسحاق" جاءت في سياق تغيير اسم امرأة إبراهيم مِن "سَارَاي" إلى "سَارَة" (التكوين 15:17). "وساراي أيضاً كان اسمها يعني (أميرتي)، والآن إذ حملت أمومة للمؤمنين دعيت "سارة" أي (أميرة). فلم تعد خاصة بإبراهيم (أميرتي) إنما يعتز بها جميع المؤمنين كأم لهم وكأميرة للكل" (|ملطى|:التكوين/181).

2274 . "أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ (born from above; born again) لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ»" (يوحنا 3:3).

2275 . "وَصَنَعَ إِبْرَاهِيمُ وَلِيمَةً عَظِيمَةً يَوْمَ فِطَامِ إِسْحَاقَ. وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ (قيل إن الغلام إسماعيل كان يصوب سهامَه على الطفل إسحاق مهدداً بقتله من باب التخويف)، فَقَالَتْ [سَارَةُ] لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ»" (التكوين 21:8-10). وما قاله بولس الرسول ينطبق أيضاً على شخصيات كتابية وغير كتابية أخرى. مثلاً: قايين/قابيل (ابن الجسد، ابن الأرض، الميت روحياً والقاتِل جسدياً) وأخوه هابيل (ابن الروح، ابن السماء، المقتول جسدياً والحيّ روحياً) (التكوين 4:1-16) **[⟵ (المائدة 27-31)]**.

2276 . |ملطى|:رومية/190. انظر أيضاً |ملطى|:غلاطية/64-67؛ |نطرون|:غلاطية/308.

2277 . |نطرون|:غلاطية/311-313. انظر أيضاً |Kugel|:318-319.

2278 . "يجب ألا ينسينا حديثنا عن إيمان إبراهيم أهمية أعماله؛ فقد قال القديس يعقوب في رسالته: "أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ (يقصد: بالإيمان الحقيقي الذي يثمر الأعمال الصالحة)، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟ فَتَرَى أَنَّ الإِيمَانَ عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِالأَعْمَالِ أُكْمِلَ الإِيمَانُ، وَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» وَدُعِيَ خَلِيلَ اللهِ" (يعقوب 2:21-23)" (|مارمرقص|:العهدالجديد/292/3). إذن: الإيمان الحقيقي الذي يثمر أعمالاً صالحةً هو الذي يخلِّص. أما الإيمان الزائف شفهياً باللسان فقط أو تصديقاً بالعقل/القلب فقط بدون أعمال صالحة فلا يخلِّص. "أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ. وَالشَّيَاطِينُ [أيضاً] يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ! وَلكِنْ هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الْبَاطِلُ أَنَّ الإِيمَانَ بِدُونِ أَعْمَال مَيِّتٌ؟ [...] تَرَوْنَ إِذًا أَنَّهُ بِالأَعْمَالِ (أي: بالإيمان العملي الذي يثمر أعمالاً صالحة) يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ، لاَ بِالإِيمَانِ [الذي] وَحْدَهُ (أي: لا بالإيمان النظري الزائف مثل إيمان الشياطين بدون أعمال صالحة). [...] لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونِ رُوحٍ مَيِّتٌ، هكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَال مَيِّتٌ" (يعقوب 2:19-26). إذن: الإيمان الحقيقي الذي يُخلِّص إيمانٌ حيٌّ يُنتِج إنساناً جديداً يثمر أعمالاً صالحة. قال المسيح: "أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا" (يوحنا 15:5). فلا تناقض بين ما قاله بولس ويعقوب، وإنما هُما وجهان لعملة واحدة. "الرسول بولس يحذر من الاتكال على حرفية أعمال الناموس، والرسول يعقوب يحذر من الاتكال على الإيمان الخالي من الأعمال أو الإيمان النظري غير الحيّ" (|ملطى|:رومية/83). أي: بولس يحذر من الأعمال بدون إيمان، ويعقوب يحذر من الإيمان بدون أعمال. انظر أيضاً |كتابية|:126/2-127؛ |المسيح|:396-397.

2279 . الترجمة العربية (|ينابيع|:129/7-131). والترجمة الإنجليزية (|Witztum|:182-183).

2280 . |فهد|:20؛ 21. انظر أيضاً |Witztum|:181.

2281. Jeffrey S. Siker, “Disinheriting the Jews: Abraham in Early Christian Controversy”, Louisville: Westminster/John Knox Press, First Edition, 1991.

2282 . لمزيد من التفاصيل والأمثلة من التراث المسيحي (السرياني)، انظر |Reynolds|:80-81؛ |Witztum|:159-160، 181-183، 275-279؛ |GR-AQ|:127-128؛ |ملطى|:غلاطية/44-.

2283. “Rashi [a medieval rabbi], following strong rabbinic precedents (e.g., *b. Yoma 28b*), thinks that Abraham observed all categories of Jewish law, even the Oral Torah” (|JSB|:50)!

2284 . **[⟵ "قَالَ إِبْرَاهِيمُ [...]. [...] فَمَن تَبِعَنِي [في الإيمان والطاعة] فَإِنَّهُ مِنِّي (أي: مِن أهل ديني)" (إبراهيم 35-36)].**

2285 . "وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ (أي: أعطى إبراهيمَ بشارةً سارة وخبراً مُفرحاً؛ أعطى إبراهيمَ إنجيلاً euangélion) أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ»" (غلاطية 3:8). "فِي الإِيمَانِ مَاتَ هؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ (أي: إبراهيمُ وإسحاق ويعقوب)، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا [بالإيمان] وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا" (العبرانيين 11:13). كما ربط التراثُ المسيحي السرياني بين (يوحنا 8:56) وقصة الذبيح إسحاق التوراتية (التكوين 22:1-19)؛ لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:184.

2286 . راجِع ما قاله يسوعُ لهم قبل ذلك: "لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ!" (يوحنا 8:39)، و "أَعْمَال إِبْرَاهِيمَ" هي أنه رأى بالإيمان يومَ المسيح وفرح بتحقيق الوعد الإلهي (يوحنا 8:56) (العبرانيين 11:13)، فلو كان اليهود أولاد إبراهيم حقاً لفرحوا بالمسيح أيضاً واتبعوه، كما قال بطرس للمؤمنين بالمسيح (1 بطرس 1:8). **[⟵ "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ [في زمانه] وَهَذَا النَّبِيُّ (أي: محمدٌ)" (آل عمران 68). وفي قراءة أخرى: "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ**

لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ (أي: اتَّبَعُوا إِبْرَاهِيمَ ومحمداً)" (|خطيب|:516/1). والقراءة الثانية تؤكد التطور البشري الطبيعي أكثر]. لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:158.

2287 . "قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" (يوحنا 58:8) ليست دليلاً على أزلية المسيح ولا على لاهوته المزعوم، وإنما دليلٌ على أزلية وعد الله لإبراهيم الذي تحقق في شخص عبد الله ورسوله يسوع المسيح المخلوق زمنياً. والترجمة الأكثر دقة هي: "قَبْلَ أَنْ يَكُونَ (أو: كَانَ) إِبْرَاهِيمُ أَنَا هو (باليونانية: ego eimi)". فهي نفس الكلمة اليونانية التي استخدمها الإنجيل للتأكيد على أن يسوع هو المسيح الموعود (المسيّا المنتظَر) ابن الله. مثلاً: لمَّا "قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ [السَّامِرِيَّةُ]: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ (ego eimi)»" (يوحنا 4:25-26). ولمَّا سُئِل يسوعُ "«أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ [اللهِ] الْمُبَارَكِ؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ (ego eimi)" (مرقس 14:61-62). اقرأ أيضاً: "الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا، وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا. هذَا هُوَ الْيَوْمُ (the day) (أي: يوم مجيء المسيح؛ يوم قيامة المسيح) الَّذِي صَنَعُهُ الرَّبُّ، نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ فِيهِ. آهِ يَا رَبُّ خَلِّصْ! آهِ يَا رَبُّ أَنْقِذْ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ. بَارَكْنَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ. الرَّبُّ هُوَ اللهُ وَقَدْ أَنَارَ لَنَا. أَوْثِقُوا الذَّبِيحَةَ بِرُبُطٍ إِلَى قُرُونِ الْمَذْبَحِ" (المزامير 118:22-27). إذن: المسيح الذبيح (إسحاق الحقيقي) ليس هو الله، وإنما هو الآتي باسم الله (متى 21:9، 23:39) (مرقس 11:9) (لوقا 13:35) (يوحنا 12:13) (المزامير 118:26) ليحقق وعدَ الله لإبراهيم عن طريق الفداء والخلاص لكل الأمم.

2288. “Though these ideas occur elsewhere in the Quran outside the context of anti-Jewish polemics, it seems likely that in this context the Quran is arguing that not even the merit of their forefathers [i.e. the merit of Abraham and the other patriarchs] will be able to save the Jews from their due punishment” (|Witztum|:180). For more details, see |Witztum|:181-183.

2289 . وحسب التراث المسيحي، فإن "الظالمين" (أو: الهالِكين) هُمْ غير المؤمنين بالفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الوحيد، سواء من ذرية إسحاق (اليهود؛ بني إسرائيل) أو من ذرية إسماعيل وغيره (الأمم). لكن سياق (متى 3:7-11) (لوقا 3:7-9) يركز على اليهود **[← وحسب التراث الإسلامي، فإن "الظالمين" هُمْ غير المؤمنين بمحمد كنبي ورسول، سواء مِن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) أو مِن غيرهم (كمشركي العرب مثلاً)، لكن سياق (البقرة 123-124) يركز على اليهود بدليل قوله قبلها "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" (البقرة 122). ولقد تكرر هذا المعنى في آيات قرآنية أخرى. اقرأ مثلاً الآية الختامية لقصة الذبيح القرآنية: "وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ (أي: على إبراهيم) وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا (أي: ومِن بني إسرائيل) مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ" (الصافات 113)].**

2290 . اقرأ أيضاً: "تِلْكَ أُمَّةٌ [مِن أسلافكم] قَدْ خَلَتْ (أي: قد مضت) ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ (أي: لهم أعمالهم ولكم أعمالكم) ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [ولا هُمْ يُسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ]" (البقرة 134، 141). "وكلٌّ سيجازى بما فعله، لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا ينفع أحداً إلا إيمانُه وتقواه" (|فهد|:20). انظر أيضاً |Witztum|:181.

2291 . بدليل قوله قبل ذلك: "وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ (أي: كُلُّ إنسانٍ سواء كان يهودياً أَم أممياً) خَلاَصَ اللهِ" (لوقا 3:6) اقتباساً مِن سفر إشعياء: "فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعًا" (إشعياء 40:5). انظر أيضاً |نطرون|:رومية/244، 434.

2292 . قال المسيح: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ. اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ. اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ" (يوحنا 3:5-8). فنلاحظ أن المسيح قال مرة واحدة "مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ"، ثم قال مرتين "مِنَ الرُّوحِ" بدون الماء، مما يؤكد ما قاله المعمدان أن معمودية المسيح بالروح القدس وليس بالماء. اقرأ أيضاً (1 كورنثوس 12:13). فنحن إذن لا نعتقد أن المعمودية بالتغطيس في الماء ضرورية من أجل الخلاص. لأنها لو كانت ضرورية، لكان هذا يعني أن المعمودية بالروح القدس لا تكفي! وأن نعمة الله غير المحدودة لا تكفي! وأن الإيمان بصليب الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الذي أقامه اللهُ من الأموات لا يكفي! وأن الخلاص بالأعمال وليس بالنعمة الإلهية بواسطة الإيمان! وحاشا أن نقول ذلك. ثم إن بعض المؤمنين لديهم ظروف خاصة تمنعهم من المعمودية بالتغطيس في الماء، فمثلهم مثل اللص التائب (لوقا 23:42-43)، يكفيهم المعمودية بالروح القدس والنعمة الإلهية غير المحدودة وإيمانهم بصليب الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الذي أقامه اللهُ من الأموات. يقول قاموس الكتاب المقدس: "أي أن المعمودية تختم وتشهد على اتحاد المؤمنين بالله بالإيمان والبنوة وغفران خطاياه بموت المسيح وقيامته. إلا أن المعمودية ليست في حد ذاتها سبباً للتجديد والولادة الثانية والخلاص. فكرنيليوس مثلاً، حل عليه الروح القدس وقَبِلَ الإيمانَ من قَبْل أن يعتمد (أعمال الرسل 10:44-48). وسيمون الساحر اعتمد ومع هذا ظل إنساناً عتيقاً وأخطأ في عيني الرب (أعمال الرسل 8:13، 8:21-23). ولم يعمد المسيحُ أحداً (يوحنا 4:2). وكانت أول معمودية مسيحية في يوم الخمسين، بعد أن قَبِلَ التلاميذُ معموديةَ الروح القدس والنار (متى 3:11) (لوقا 3:16) (أعمال الرسل 2). وقد قَبِلَ يسوعُ المعموديةَ ليظهر موافقته على عمل يوحنا المعمدان، وليكرس نفسه للخدمة المقدسة، ويعبر عن تحمله خطايا البشر" (|قاموس-كتاب|:637).

2293 . |أشقر|:450.

2294. |Witztum|:157. Cf. |Witztum|:158; Matthew 3:9; John 8:33-39.

2295. |Badawi|:65.

2296 . "أَنَحْنُ [اليهود] أَفْضَلُ [مِن غير اليهود]؟ كَلاَّ الْبَتَّةَ! لأَنَّنَا قَدْ شَكَوْنَا أَنَّ الْيَهُودَ [أهل الشريعة] وَالْيُونَانِيِّينَ (يقصد: الوثنيين، أهل الفلسفة والمعرفة) أَجْمَعِينَ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (رومية 3:9-12). "لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ [بين اليهود والأمم]. إِذِ الْجَمِيعُ [يهود وغير يهود] أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ، مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ (أي: بدَم يسوع)، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ. لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ [اللهُ] بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ" (رومية 3:22-26). اقرأ أيضاً "لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ لاَ يُخْطِئُ" (1 ملوك 8:46) (2 أخبار الأيام 6:36)؛ "لأَنَّهُ لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحًا وَلاَ يُخْطِئُ" (الجامعة 7:20)؛ (المزامير 14:1-3، 53:3).

2297. |GR-AQ|:430.

2298. |Reynolds|:80-81. See also |Badawi|:65; |IW2013|:281-282; |FV|:115.

2299 . البروفيسور ديفين ج. ستيوارت: "رأى الباحثون أنّ اللفظ [حَنِيف] يُشير إلى الإسلام وإلى توحيد إبراهيم السابق للمسيحيّة واليهوديّة. يشدد اللفظ بشكل خاص على هويّة الإيمانَين" (|QHC-ar|:350). أو: تطابق الإيمانَين.

2300. Prof. Devin J. Stewart: “Scholars have seen this term [*ḥanīf*] as referring both to Islam and to the pre-Jewish, pre-Christian monotheism of Abraham. The term in particular stresses the identity of the two faiths” (|QHC|:238; |QHC-ar|:350). See also |IW2013|:281-282, 284.

2301. Prof. Gabriel S. Reynolds: “The term *ḥanīf* would accordingly seem to be the key to understanding the manner in which the Qur’ān claims Abraham for its own” (|Reynolds|:81).

2302 . |EQ|:3/28. انظر أيضاً |Wild|:9-10.

2303 . انظر مثلاً |عاشور|:3/272؛ |و|:1/1/286.

2304 . |خازن-بغوى|:4/369-370.

2305 . |كشاف-ع|:4/214-215؛ |كشاف-ش|:702. انظر أيضاً |زحيلي-وجيز|:342. اقرأ أيضاً "وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ (أي: أزواج محمد أمهات المسلمين)" (الأحزاب 6)؛ إذن: محمد أبو المسلمين. وكذلك قول لوط النبي لقومه: "يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ" (هود 78)؛ (الحجر 71)، فقيل إن "بَنَاتِي" لا تعني بنات لوط مِن صُلْبه، وإنما تعني زوجاتكم اللاتي بمنزلة بناتي، و/أو بنات القوم غير المتزوجات فتَزَوَّجوهن، "لأن نبي الأمَّة بمنزلة الأب لهم" (|فهد|:230، 266).

2306 . "إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا" (2 كورنثوس 5:17)؛ "لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ" (غلاطية 6:15).

2307 . |المسيح|:161-162.

2308 . |Witztum|:122. انظر أيضاً |Banquet|:202.

2309 . |Mishnah|:452؛ |GR-AQ|:195. أخذنا الترجمة العربية للمشنا وللآيات الكتابية من |قاهرة|:22/283.

2310 . |معجم-ألفاظ|:220. انظر أيضاً |FV|:112-113.

2311 . |خازن-بغوى|:1/152.

2312 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Luxenberg|:55؛ |Reynolds|:84؛ |QHC|:238-240؛ |QHC-ar|:349-351.

2313 . |FV|:113-114. وقالوا إن "حنيفاً" "من الحنف وهو ميل من الضلال إلى الاستقامة. أما الجنف فهو ميل من الاستقامة إلى الضلال" (|وجدى|:78،73؛ |شحاته|:2/627؛ |زهرة|:1/421).

2314 . |عثيمين|:البقرة/2/84؛ |عثيمين|:آل عمران/1/544-545.

2315 . |جابرى|:3/142. انظر أيضاً |كشاف-ع|:1/334؛ |كشاف-ش|:99؛ |طنطاوى|:1/282؛ |شعراوى|:1/606؛ [ح ن ف] في لسان العرب والقاموس المحيط.

2316 . |مفصل|:454/6. انظر أيضاً |Wild|:8.

2317. |Reynolds|:84-85. See also |GR-AQ|:430; |EI-2|:3\166; |سريانية|:3\492-493, 314-315, 444-445, 130-131.

2318. 22 صندوق الإسلام,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6158&cat=24&scat=230&
محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

2319 . |Witztum|:154.

2320. "If we were to put this last phrase into Arabic, the first part would come out as آمن إبراهيمُ بالله, and the second part could be rendered most idiomatically as a حال clause: وهو حنيف, or in one word: حنيفاً, making the whole thing sound very much like a quranic آية such as 16:120, which declares Abraham to have been قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا. This [quranic verse], assuming for the moment that حنيف does in fact have the same meaning as *ḥanpā*, might be rendered: 'Abraham was obedient to god, as a gentile'" (|BSOAS|:65\1\23). See also |Reynolds|:86.

2321 . |خ-عينى|:409/10.

2322 . "حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ" (الحج 31). "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا" (النساء 48). "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا" (النساء 116). "إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ" (المائدة 72). وآيات أخرى.

2323 . |ينابيع|:48/7.

2324 . |ينابيع|:40/7. انظر أيضاً |ينابيع|:5/7-6.

2325. |Badawi|:63.

2326. |Bell|:1\18.

2327. |Reynolds|:83. cf. "queer" in English, "snob" in French. See also |EI-2|:3\165-166; |FV|:114-115; |Luxenberg|:55-57; |QHC|:238-240; |QHC-ar|:349-351.

2328 . |واحدى|:218/1. انظر أيضاً |EQ|:402/2-403.

2329 . الشيخ الشعراوي: "قلنا إن الحنف هو الاعوجاج .. ونقول إن الاعوجاج عن المعوج اعتدال [...] لأن مخالفة الاعوجاج اعتدال" (|شعراوى|:607/1؛ |شعراوى|:1525/3-1526).

2330 . "لأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ" (أي: وَلاَ عدم الختان)" (غلاطية 6:5)؛ (غلاطية 15:6).

2331 . ولذلك يُقال أحياناً إن اليهودية اختزلت اللهَ في أرض (إسرائيل)، والمسيحية اختزلت اللهَ في شخص (المسيح)، والإسلام اختزل اللهَ في كتاب (القرآن). والمقصود بالطبع هو الخطاب الديني السائد لهذه الأديان، وليس الدين نفسه.

2332 . قال بولس عن نفسه: "مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ. مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ (zeal) مُضْطَهِدُ الْكَنِيسَةِ (أي: كان يهودياً متطرفاً يضطهد المسيحيين الأوائل). مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ (أي: ملتزم لا يقدر أحدٌ أن يتهمه بالتقصير في الدين)" (فيلبي 5:3-6).

2333 . كما قلنا فيما سبق: (أُمي) مشتقة مِن (أمم) جمع (أمة) (nation). ومِن ثم فإن "أمي" تعنى "أممي" (gentile)، وهي الكلمة التي كان اليهود يستخدمونها للإشارة إلى غير اليهودي. ومع انتشار المسيحية، أصبحت الكلمة تعني مَن ليس يهودياً ولا مسيحياً. ثم استخدمها أصحابُ القرآن بهذا المعنى: غير يهودي وغير مسيحي، أي ليس مِن أهل الكتاب، أي ليس من أصحاب العهد القديم ولا من أصحاب العهد الجديد (someone thus far without a covenant).

2334 . لاحظ أن الجدال في (آل عمران 67) كان مع أهل الكتاب (نصارى نجران و/أو يهود المدينة)، بدليل قوله قبلها: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ (أي: لِمَ تُجَادلونَ) فِي إِبْرَاهِيمَ [...]" (آل عمران 65).

2335. "With *ḥanīf* the Qur'ān is not seeking to define a new religion or religious community. Instead it is simply insisting that Abraham does not belong to Jews or

Christians. The Qur'ān is using the term in the context of sectarian polemic, not religious history" (|Reynolds|:83). See also |EQ|:2\403; |EQ|:3\27,34; |EI-2|:3\165.

2336 . وأيضاً في (البقرة 135) فإن الخطاب مُوجَّه إلى أهل الكتاب: يهود المدينة و/أو نصارى نجران. انظر "أسباب النزول": إب|:27-28؛ إج-البغا|:26؛ إج|:52.

2337. "In Q 2 Abraham fulfills a crucial polemical function with regard to Judaism and Christianity. His religion is the true alternative" (|Witztum|:154). "The polemics in the Quran could also be regarded either as reflecting [actual] events in Medina (thus most scholars) or as the continuation of an old [Christian] literary tradition of polemical anti-Jewish works [which depict (fictional) debates between Jews and Christians concerning Abraham]" (|Witztum|:155).

2338 . تشبيه لتوضيح الفكرة: كلمة "علماني" في كثير من المجتمعات العربية-الإسلامية كانت كلمة سيئة السمعة. ولذلك كُنا نجد الشخص العلماني دائماً يدافع عن نفسه فيقول: "علماني ولستُ كافراً"، "علماني لكن لستُ ملحداً"، "علمانى ورغم ذلك لستُ معادياً للدين" ... الخ. كذلك دافع أصحابُ القرآن عن أنفسهم بنفي الشرك عن "حنيف"، لأنها كما قلنا كانت كلمة سلبية وسيئة السمعة في الفكر اليهودي والمسيحي.

2339. "The root, whence *Hanyf* is derived, means generally to *turn* from good to bad, or vice versa, and is equivalent to the verbs *convert* and *pervert*" (|Rodwell|:209). See also |شحاته|:1\176; |Reynolds|:83.

2340 . |جزائرى|:120/1.

2341 . (أحمد 132/5؛ "إسناده صحيح" إل-شاكر|:446/15؛ "إسناده حسن" إل|:35/131-132) (الترمذى 3793؛ إت|:481/5؛ وقال الألبانى "صحيح" إت-ألبانى|:856؛ "صحيح" إت-صحيح|:3/545-546). (الترمذى 3898؛ إت|:522/5؛ وقال الألبانى "حسن" إت-ألبانى|:875-876؛ "حسن" إت-صحيح|:580/3).

2342 . |صحيحة|:963/6-965.

2343 . |صحيحة|:1022/6-1027. انظر أيضاً |درمنثور|:724/1؛ |شحاته|:1603/5؛ |مفصل|:450/6.

2344 . مِن الجدير بالذكر أن Jacques Berque قد ترجم "النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ" (الأعراف 157-158) إلى (le Prophète natif)، وقصد بذلك "على الفطرة" أو "حنيف" (une spontanéité que n'a pas déformée l'altération) (|Berque|:181). وترجمها Bell إلى (the native prophet) يقصد ("belonging to the community," but also probably implying lack of scripture) (|Bell|:152/1).

2345 . لكن يوجد رأي آخر يقول إن (الأعراف 157) مِن الآيات التي أُضيفت لاحقاً لإعطاء شرعية لنبوة محمد (|MS|:45).

2346. |GR-AQ|:615; |QSC|:285.

2347. |Reynolds|:85. See also |Badawi|:65.

2348 . "جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ [...]" (المائدة 97).

2349 . د. طه حسين، "في الشعر الجاهلي"، طبعة 1926، ص 26-29. النص الأصلي الذي صودر عند نشره أول مرة.

2350 . |EJ|:286/1. انظر أيضاً |JAOS|:135/4/841-842.

2351 . |هامش|:131/5؛ |RHCharles|:47/2؛ |OTP|:99/2؛ |Witztum|:163-165.

2352 . "انْظُرُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَبِيكُمْ، وَإِلَى سَارَةَ الَّتِي وَلَدَتْكُمْ. لأَنِّي دَعَوْتُهُ وَهُوَ وَاحِدٌ وَبَارَكْتُهُ وَأَكْثَرْتُهُ" (إشعياء 51:2).

2353 . |NIV|:38؛ |دراسى|:60؛ |JSB|:42-43. أو "جَبَل الرَّبِّ" (The Mountain of the LORD) (التكوين 22:14).

2354 . |Josephus|:50. انظر أيضاً |Witztum|:166.

2355. "Understanding Isaac to have been 25, 26, or 37 certainly supported the notion that he was a willing participant [in his own sacrifice]" (|Kugel|:320).

2356. “[T]he Aramaic *Targum Neofiti* […] is of Palestinian provenance […] and was written well before the rise of Islam (ca. 1st century AD). M. McNamara argues for a date of the fourth century AD” (|Reynolds|:38).

2357 . |هامش|:84/10؛ |Targums|:1A/118-119؛ |Kugel|:321. عقادة = ربط. "وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ" (التكوين 9:22).

2358 . |المسيح|:306. انظر أيضاً |المسيح|:293.

2359 . في ترجوم نيوفيتي لقصة الذبيح التوراتية (التكوين 22:6، 8): "ومضى الاثنان (أي: إبراهيم وإسحاق) معاً بِقَلْبٍ تام (with a perfect heart)" (|هامش|:83/10؛ ويبدو أن المعنى " with complete, undivided, devotion to God" |Targums|:1A/117).

2360. |Philo-ar|:2\349; |Philo|:283. “And so, by necessity must the words “And Abraham believed in God” be added to [his] praises … And it is well said [in the same verse] that “it was reckoned to him as righteousness,” [Genesis 15:6] for nothing is more righteous than to have an unmixed and unblemished faith in God alone. – Philo, *Who is Heir* 90, 94” (|Kugel|:309).

2361. “Abraham felt that nothing could justify disobedience to God and that in all things he must submit to His will. – Josephus, *Jewish Antiquities* 1:225” (|Kugel|:309). Another translation: “Abraham thought that it was not right to disobey God in anything, but that he was obliged to serve him in every circumstance of life” (|Josephus|:49).

2362 . اقرأ مثلاً وصية يشوع الأخيرة لبني إسرائيل: "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: آبَاؤُكُمْ سَكَنُوا فِي عَبْرِ النَّهْرِ مُنْذُ الدَّهْرِ. تَارَحُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ وَأَبُو نَاحُورَ، وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى. فَأَخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاكُمْ مِنْ عَبْرِ النَّهْرِ (أي: أخرجتُ إبراهيمَ مِن أرض الوثنية) وَسِرْتُ بِهِ فِي كُلِّ أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَكْثَرْتُ نَسْلَهُ وَأَعْطَيْتُهُ إِسْحَاقَ" (يشوع 24:2-3) "فَالآنَ اخْشَوْا الرَّبَّ وَاعْبُدُوهُ بِكَمَال وَأَمَانَةٍ (with undivided loyalty) [مثل إبراهيم]، وَانْزِعُوا الآلِهَةَ [الزائفة] الَّذِينَ عَبَدَهُمْ آبَاؤُكُمْ فِي عَبْرِ النَّهْرِ (يقصد: تارح أبو إبراهيم وقد كان كافراً) وَفِي مِصْرَ، وَاعْبُدُوا الرَّبَّ [وحده لا شريك له]" (يشوع 24:14).

2363 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

2364 . |Midrash|:1/500؛ |Witztum|:171-172.

2365 . |Witztum|:166؛ |Witztum|:169.

2366 . "(نَجَدَ) الشيءُ نُجوداً: ارتَفَع. [...]. (أَنْجَدَ): ارتفع. [...]. (النَّجْدُ): ما ارتفع من الأرض وصلُب. [...]. وناقة نجود: طويلة العُنُق مرتفعتُه" (انظر [ن ج د] في المعجم الوسيط). وفي القرآن: "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (قيل: الثديين؛ وقيل: الطريقين الواضحين؛ طريقَ الخير وطريقَ الشر واضحين كالطريقين العاليين)" (البلد 10) (انظر [ن ج د] في لسان العرب).

2367 . وإنه لمِن الطريف أن بعض الترجمات القديمة لـ (التكوين 22:2) - مثلاً: الترجمة اليونانية (السبعينية) - لا تعتبر كلمة "الْمُرِيَّا" اسم علَم (proper name) وإنما تعتبرها صفة (description) ومِن ثم تترجمها إلى "العالية" (high). ويرى د. خالد اليازجي أن "هذا هو الصواب، فالكلمة (موره) كلمة ساميّة تعني العلو والارتفاع، نقرأ في لسان العرب [يقصد: غ و ر]: تقول العربُ: (ما أَدْري أَغارَ [فلانٌ] أَمْ مارَ)؛ حكاه ابنُ الأعرابي وفسَّره فقال: غارَ: أَتى الغَوْرَ، ومارَ: أَتى نَجْدًا. والنجد هو المكان المرتفِع" (|إسكندرية|:23/1). انظر أيضاً |سبعينية|:التكوين/140؛ |Kugel|:321.

2368 . لمزيد من التفاصيل والتحليل اللغوي، انظر |Witztum|:162-163، 169-170.

2369 . توجد مرة ثالثة لكن المعنى مختلف: "الْقَوَاعِدُ (أي: العجائز) مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا" (النور 60).

2370. “بنيان occurs in the old poetry so it was doubtless an early borrowing from Aramaic” (|FV|:84).

2371 . |Witztum|:168. لمزيد من الأمثلة من التراث المسيحي السرياني قبل الإسلام، انظر |Witztum|:166-170.

2372 . |بكر|:82.

2373 . |طيب|:113.

2374 . |Witztum|:167-171؛ 178؛ 187. انظر أيضاً |Witztum|:269.

2375 . |المسيح|:97.

2376. |كتابية|:2\479. “Jerusalem played no role in Israel’s history until David conquered it, made it his capital, and brought the Ark of the Covenant there (2 Samuel 5.6-6.19)” (|JSB|:372).

2377 . |المسيح|:171.

2378 . ذكرت التوراةُ اسمَ الأرض "الْمُرِيَّا" (التكوين 22:2) التي حدثت عندها قصة الذبيح إسحاق، لكنها لم تحدد اسمَ الجبل. "لم يحدد سفر التكوين موقع الْمُرِيَّا سوى أنه كان على مسيرة ثلاثة أيام من بئر سبع (التكوين 22:4). ويزعم السامريون أن الجبل المقصود هو جبل جرزيم بالقرب من شكيم" (|كتابية|:492/2). انظر أيضاً |كتابية|:74/6؛ |Kugel|:321.

2379 . |قاموس-كتاب|:129. اقرأ أيضاً "كَانَتْ فِي سَالِيمَ مِظَلَّتُهُ (أي: مظلة الله)، وَمَسْكَنُهُ فِي صِهْيَوْنَ" (المزامير 76:2).

2380 . |Kugel|:322.

2381. “[Joshua] Finkel argues that the conflict between the Jews and the Samaritans concerning the location of Mount Moriah (Jerusalem versus Mount Gerizim) emboldened the Arabs to shift the story to a third site [to Mecca in order to form a national religion]” (|Witztum|:165).

2382 . |GR-AQ|:69-70. انظر أيضاً |GR-AQ|:401، 682.

2383 . د. طه حسين، "في الشعر الجاهلي"، طبعة 1926، ص 29. النص الأصلي الذي صودر عند نشره أول مرة.

2384 . البعض يُسمِّيها "سرقات". أما نحن فنفضل أن نُسمِّيها "اقتباسات". أو كما نقول دائماً: تطور بشري طبيعي.

2385 . بدليل (أعمال الرسل 3:18-23) في سياق عظة بطرس التي أشرنا إليها فيما سبق. وأيضاً (أعمال الرسل 7:37-38) في سياق عظة اسْتِفَانُوس التي أشرنا إليها فيما سبق. والعظتان تذكران وعدَ الله لإبراهيم بأن تتبارك بنسله جميع أمم الأرض. فكما قلنا فيما سبق، يسوع المسيح ابن إسرائيل (يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم هو الذي حقق وعدَ الله لإبراهيم.

2386 . |Prose|:169.

2387 . |Witztum|:184.

2388 . وكذلك في موضع آخر، ربط أصحابُ القرآن بين "ملة إبراهيم حنيفاً" وترك تعظيم يوم السبت: "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (النحل 123-124) (قيل: مكية؛ وقيل: مدنية). نفس الفكرة: أراد أصحابُ القرآن أن ينفصلوا عن اليهودية والمسيحية ويختلفوا عن التوراة والإنجيل، فلم يجدوا أمامهم سوى أن يرجعوا إلى إبراهيم الذي لم يكن يهودياً ولا مسيحياً (آل عمران 67) ولم يكن عنده التوراة ولا الإنجيل (آل عمران 65).

2389 . وتوجد طبعاً أدلة قرآنية أخرى وسوف نعرضها بالتفصيل عند حديثنا عن قصص إسماعيل وإسحاق، وسوف نقارن بالتفصيل في جدول بين "دعاء إبراهيم" المكي (إبراهيم 35-41) و "دعاء إبراهيم" المدني (البقرة 126-129).

2390. “Historically, they are associated with the reform movements of King Hezekiah ([…]; 727/715–698/687 BCE) and, especially, of King Josiah ([…]; 640–609 BCE)” (|JSB|:372).

2391. “it should be noted that the Qur’ān employs distinctly Biblical language here. Deuteronomy 12:5 alludes to Jerusalem as the “place” or “station” (Hb. *ha-māqōm*), whereas this Qur’ānic verse speaks of the “station” (Ar. *al-maqām*) of Abraham” (|GR-AQ|:69).

2392 . "لمَّا كان "الاسم" في عالم الحضارة السامية القديمة يمثل غالباً جوهر المسمى، فإن اسم الله يرادف "حضور شخصه"" (|دراسى|:422؛ |NIV|:259).

2393 . كما قال اللهُ لإبراهيم في بداية دعوته: "اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ" (التكوين 12:1)، ولم يحدد له إلى أين يذهب بالضبط إلا لاحقاً. "بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي" (العبرانيين 11:8). **[← "وَقَالَ [إبراهيم] إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ" (الصافات 99)].**

2394 . اقرأ أيضاً ما قالته التوراةُ عن "السحابة" (cloud) التي كانت ترشد بني إسرائيل في الصحراء بعد خروجهم من مصر (مثلاً: العدد 9:15-23)! واقرأ كذلك ما قاله الإنجيلُ عن "النَّجْم" (star) الذي أرشد المجوس مِن الْمَشْرِقِ إلى مكان ميلاد يسوع المسيح! "وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ [يسوع]. فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جِدًّا. وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ [يسوع] مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ" (متى 9:2-11)!

2395 . لمزيد من التفاصيل من كتب التراث اليهودي/المسيحي والإسلامي، انظر |Witztum|:173-177 وتفاسير (الحج 26).

2396 . القاسم المشترك الأعظم لكل هذه القصص والأساطير هو أننا دائماً نجد شيئاً ما – قد يكون "ناقة" أو "نجم" أو "سحابة" أو "عمود نار" (pillar of fire) – يرشد شخصاً أو مجموعة إلى مكانٍ معين اختاره الله!

2397 . ومِن الجدير بالذكر أن موسى هو أكثر نبي مذكور في القرآن، وإبراهيم هو ثاني أكثر نبي مذكور في القرآن!

2398 . كما كانت هناك معارضة لفكرة تحويل قِبلة الصلاة إلى مكة. والقرآن نفسه يعترف بذلك: "سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا [...]. [...] وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ" (البقرة 142-143).

2399 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:177 وتفاسير الآيات القرآنية.

2400 . انظر مثلاً |ج-البغا|:78؛ |ج-وطن|:62؛ |ج|:62.

2401. الشيخ صالح الفوزان, https://www.youtube.com/watch?v=8xv-KH3xSWg

2402 . في القرن السابع الميلادي، ولسه مش عارفين حنصلي في أي اتجاه! "قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ" (البقرة 144).

2403 . "إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ (أي: والدة مريم العذراء) رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا [...]" (آل عمران 35)؛ "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ (أي: مَرْيَم والدة المسيح) الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا [...]" (التحريم 12). بغض النظر عن مدى صحة كلمة "عِمْرَانَ" في هذا السياق!

2404. |GR-AQ|:133. And: التاريخ المبكر للإسلام 72, https://www.youtube.com/watch?v=rmI6PVsjbIg

2405 . |JSB|:1363.

2406 . تاريخ تقريبي. وقيل إن فتح مكة كان في يناير 630م (|MS|:46). وقيل: في ديسمبر 630م (|منتخب|:1127).

2407 . ربما كانوا "مسلمين" بالمعنى العام: "مُوحِّدين" أو "حنفاء" أو "ليسوا يهوداً ولا مسيحيين" أو "على ملة إبراهيم (زوج هاجر أُم العرب)". لكن هل كانوا "مسلمين" بالمعنى الخاص: مؤمنين بالقرآن (ككلام الله) وسُنَّة محمد (كرسول الله)؟

2408 . السراسنة أو السراقنة (Saracens) هو لقب أطلقه الرومان الأوروبيون على بدو الشرق الأوسط الذين عاشوا وتنقلوا في الصحراء العربية (Arabia) التي تشمل أجزاء من سيناء والأردن وشبه جزيرة العرب، كالمديانيين مثلاً الذين سكنوا شمال غرب الحجاز. وبعد ظهور الإسلام، صار هذا اللقب يُطلَق على المسلمين بصفة عامة سواء من العرب أو من غير العرب. ويدل هذا اللقب على احتقار العرب/المسلمين إما لأنهم شرقيون أو سارقون أو ليسوا من نسل سارة زوجة إبراهيم الحرة.

2409. التاريخ المبكر للإسلام 71, https://www.youtube.com/watch?v=ji3rKDA-3_Q
صندوق الإسلام 102, https://www.youtube.com/watch?v=CuvBKbT7cvY
صندوق الإسلام 103, https://www.youtube.com/watch?v=B9VPv4o-dAE
محمد المسيَّح – مصادر الحج, https://www.youtube.com/watch?v=wMSOidDQdQU

2410. The Sacred City – Dan Gibson, https://www.youtube.com/watch?v=snHOrXvkLGQ
المدينة المقدسة (مدبلج – بترجمة فيها أخطاء قليلة), https://www.youtube.com/watch?v=XpIUPIIDODo

2411. التاريخ المبكر للإسلام 73, https://www.youtube.com/watch?v=fvBH1Req5r0

2412. Islam: The Untold Story – Tom Holland, https://www.youtube.com/watch?v=j9S_xbjlRgE

2413 . هل تعدد القِبلات هو ما قصده القرآنُ بقوله "قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا" (البقرة 144)؟ وهل تلك القِبلة الثالثة المتوسطة هي التي قصدها القرآنُ بقوله في نفس السياق "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" (البقرة 143)؟

2414 . وكذلك ألفاظ أخرى في القرآن وقيل إنها تشير إلى أماكن قريبة مِن البتراء، مثل: "الْحِجْر (The Rocky Tract)" (الحجر 80) و "الرَّقِيم" (الكهف 9).

2415. "if this number does not have merely a symbolic character" (|KHO-GP|:125).

2416 . وكما يجهل كل أو معظم المسيحيين اليوم أو يكتمون حقيقةَ أن يسوع المسيح مجرد إنسان عبد الله وليس الله.

2417 . "الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ (أي: القتلُ أهون مِن الفتنة!)" (البقرة 191)! "الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ" (البقرة 217)! والفتنة هي الابتلاء والاختبار. "أصل الفَتْن: إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته" (|و-قرآن|:757). ومِن معاني الفتنة: ابتلاء المسلم في دينه؛ الاضطراب وبلبلة الأفكار؛ الضلال والتضليل؛ الكفر؛ الشرك؛ اضطهاد المسلمين بالتعذيب أو التخويف؛ الحرب الأهلية بين المسلمين والمسلمين؛ الإعجاب بالمرأة؛ الإعجاب بانتصار الباطل على الحق. وكما قلنا فيما سبق: الحق والباطل مسألة نسبية، ففي الحروب الأهلية يظن كل فريق أنه على حق/هُدى وأن الفريق الآخر على باطل/ضلال.

2418 . "تقديس الآباء" يُسمَّى أحياناً (Veneration of the dead) أو (Cult of the dead) أو (Ancestor worship). وزيارة مقام إبراهيم قبل الإسلام تذكِّرنا بزيارة الأضرحة حالياً.

2419. صندوق الإسلام 101, https://www.youtube.com/watch?v=HavenxDdFVk

2420. |GR-AQ|:69-71; |GR-AQ|:402; |GR-AQ|:528.

2421. |NPNF-2|:2\261. Also available online at: https://www.newadvent.org/fathers/26022.htm

2422. أحمد سعد زايد – 9 يوليو 2017, https://www.youtube.com/watch?v=1oxwhUzBkPA
أحمد سعد زايد – 10 يوليو 2017, https://www.youtube.com/watch?v=xWo-0qKxjPM
أحمد سعد زايد – 11 يوليو 2017, https://www.youtube.com/watch?v=ZFxR_aZnfeU

2423. د. عدنان إبراهيم – الجمعة 19 يناير 2018,
https://www.youtube.com/watch?v=oYiOJIY7x88
د. عدنان إبراهيم – الجمعة 26 يناير 2018, https://www.youtube.com/watch?v=dAtUkuUZeV0

2424. http://www.iandavidmorris.com/tag/mecca/
http://www.iandavidmorris.com/tag/mecca/page/2/

2425. |KHO-GP|:141-145. Muhammad I = المسيح يسوع/عيسى عبد الله. Muhammad II = محمد بن عبد الله.

2426. "Here the Qurʾān implies (الصافات 137) that its listeners pass by the ruins of Sodom twice a day [i.e. not only when on a trade caravan journey to a distant land], which might suggest that the geographical context of this [Qurʾānic] passage was somewhere much closer to the Dead Sea (the traditional site of Sodom) than to Mecca" (|GR-AQ|:684).

2427 . لمزيد من التفاصيل عن "مَعْكَة"، انظر |كتابية|:7/184-185؛ |قاموس-كتاب|:908-909.

2428. "The [Qurʾānic] reference to Abraham raising the "foundations" of the "House" in verse 127 [يقصد: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ" (البقرة 127)] could correspond with the [Biblical] reference […] to his building an altar to God on Mount Moriah in Genesis 22:9" (|GR-AQ|:69). "the Qurʾān might be transferring such [Biblical and post-Biblical] traditions [from Jerusalem] to an Arabian site, perhaps Mecca" (|GR-AQ|:401).

2429 . |NIV|:38؛ |دراسي|:60؛ |JSB|:42-43. أو "جَبَل الرَّبِّ" (The Mountain of the LORD) (التكوين 14:22). وحتى لو كانت "الْمُرِيَّا" صفةً وليست اسم علَم في (التكوين 22:2)، فيكفينا أنها اسم علَم في (2 أخبار الأيام 1:3).

2430 . |KHO-GP|:142-143؛ |Bauckham|:1/561-562؛ |طرزى|:2/142.

2431 . و "الصَّخْرَةُ" (The Rock؛ باليونانية: petra) أحد ألقاب المسيح. "آبَاءَنَا (أي: بني إسرائيل) جَمِيعَهُمْ كَانُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ، وَجَمِيعَهُمُ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمُ اعْتَمَدُوا لِمُوسَى فِي السَّحَابَةِ وَفِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا طَعَامًا وَاحِدًا رُوحِيًّا،

وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّخْرَةُ (The Rock؛ باليونانية: petra) كَانَتِ الْمَسِيحَ" (1 كورنثوس 10:1-4) **[⟵ (الأعراف 160) (البقرة 60، 74)].**

2432 . "قبة الصخرة قائمة على الأرجح في مكان هيكل سليمان (أي: الهيكل الذي بناه سليمان)" (|قاموس-كتاب|:134).

2433. محمد المسيَّح – مصادر الحج, https://www.youtube.com/watch?v=wMSOidDQdQU

2434 . |الروحى|:145.

2435 . "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا" (إبراهيم 35) "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا" (البقرة 126) "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ" (آل عمران 96-97).

2436. The Sacred City – Dan Gibson, https://www.youtube.com/watch?v=snHOrXvkLGQ
المدينة المقدسة (مدبلج – بترجمة فيها أخطاء قليلة), https://www.youtube.com/watch?v=XpIUPIIDODo

2437 . |طبرى-تاريخ|:582/5. ملحوظة: الطبري لم يذكر البتراء. لكن كما قلنا فيما سبق، ربما كانت الكلمة الأصلية في بعض المواضع هي "بَكَّة" (= البتراء حسب نظرية دان جيبسون) ثم حُذِفت تماماً أو حُرِّفت إلى "مَكَّة".

2438 . |طبرى-تاريخ|:150/6. لمزيد من المعلومات عن الحَجر الأسود وحِجر إسماعيل، انظر "أطلس الحج والعمرة"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 2010، ص 39-41.

2439 . "سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا [...]. [...] وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ" (البقرة 142-143).

2440. صندوق الإسلام 104, https://www.youtube.com/watch?v=umPuog5RCtY

2441 . |Witztum|:184-186.

2442 . |ج-البغا|:78؛ |ج-وطن|:62؛ |ج|:62. انظر أيضاً |GR-AQ|:133.

2443. “[I]n Muhammad’s view the shrine at Mecca was older than Abraham ; the position that Ibrāhīm takes on here is similar to the role that Muhammad would later play in this respect: the reformer of an (ancient) cult” (|IW2013|:268).

2444 . |و|:283/1/1؛ |و|:116/9/1؛ |عاشور|:274/3. وانظر تفاسير الآيات التى ذكرت فريضة الحج، مثل (آل عمران 97). انظر أيضاً |مفصل|:451/6-452؛ |Reynolds|:76؛ |طبرى|:591/2-594؛ |طبرى-شاكر|:104/3-108.

2445. “Ce “testament” de Jacob ne rappelle pas la prophétie de ce Patriarche, dans Genèse, XLIX (49), mais résume, comme l’a bien montré Geiger, 141, le discours où Jacob, dans le *Midrasch Rabbah*, demande à ses fils s’il est dans leur cœur un doute sur le Seigneur” (|Blachere|:47).

2446. “[T]he Aramaic *Targum Neofiti* […] is of Palestinian provenance […] and was written well before the rise of Islam (ca. 1st century AD). M. McNamara argues for a date of the fourth century AD” (|Reynolds|:38).

2447 . |هامش|:168/10-169؛ |Targums|:216/1A-217.

2448 . مما يؤكد أن الشاب اليهودي يسوع المسيح كان مؤمناً بالتوحيد اليهودي الخالص، ولم يكن مؤمناً بالثالوث النيقاوي-القسطنطيني الذي اختطف المسيحيةَ في القرن الرابع الميلادي، أي في نفس الفترة تقريباً التي اكتمل فيها ترجوم نيوفيتي.

2449 . "إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، إِلهَ آبَائِنَا" (أعمال الرسل 3:13) في سياق عظة بطرس التي أشرنا إليها فيما سبق. "إِلهُ آبَائِكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ" (أعمال الرسل 7:32) في سياق عظة اسْتِفَانُوس التي أشرنا إليها فيما سبق. والعظتان تذكران وعدَ الله لإبراهيم بأن تتبارك بنسله جميع أمم الأرض. فكما قلنا فيما سبق، يسوع المسيح ابن إسرائيل (يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم هو الذي حقق وعدَ الله لإبراهيم وإسحاق ويعقوب (إسرائيل). ولا نجد اسمَ إسماعيل في صيغة "إِبْرَاهِيم وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب" التي تتكرر كثيراً في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

2450 . |Targums|:49/5A-50؛ |GR-AQ|:72.

2451 . مع أن القرآن يقول "إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي" (طه 14)؛ "قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ" (الأعلى 14-15). واقرأ أيضاً "الصلاة الربَّانية" (Lord's Prayer)، أي: صلاة يسوع، التي لا يُذكَر فيها إلا اسم الله وحده لا شريك له: "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. [...]" (متى 9:6-13) (لوقا 11:2-4). وكذلك في سفر المزامير: "أَمَّا أَنَا فَلَكَ صَلاَتِي يَا رَبُّ" (المزامير 69:13).

2452 . |Reynolds|:86-87.

2453. "The point of the Qurʾān […] is […] that Abraham believed in God *naturally*, independently from Jewish and Christian revelation" (|GR-AQ|:430).

2454. Islam: The Untold Story – Tom Holland, https://www.youtube.com/watch?v=j9S_xbjlRgE

2455. "Jesus was not Palestinian, we need to dispel that myth forever" https://www.jpost.com/opinion/article-779313

2456 . |قاموس-كتاب|:694.

2457. 28 بكل وضوح, https://www.youtube.com/watch?v=BGwEPbs3ZNU

2458 . وسوف نعطي أمثلة على ذلك في ثنايا دراستنا لقصص القرآن، مثل قصة "ناقة صالح" و "موسى وفرعون" وغيرهما.

2459 . لم يسمح الرومان لليهود بإصدار حكم الإعدام على أحد، فظل حكم الإعدام من حق السلطة الرومانية وحدها. والدليل على ذلك هو أنه لما قال الحاكم الروماني "بيلاطس البنطي" لليهود:«خُذُوا أَنْتُمْ يسوع وَاحْكُمُوا عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِكُمْ». ردُّوا عليه قائلين:«لاَ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا» (يوحنا 18:31). فلو كان اليهود هم الذين قتلوا المسيح، لكانوا قد قتلوه رجماً حسب الشريعة اليهودية (اللاويين 24:16) وليس صلباً. انظر: |NIV|:1666؛ |دراسي|:2572؛ |بسيط-صلب|:126-134،127.

2460 . للمزيد من هذه الأدلة الكتابية، انظر |تساؤلات|:1/159-185. لمعرفة نبوات العهد القديم ونبوات يسوع المسيح نفسه وإعلاناته عن آلامه وصلبه وموته وقيامته، انظر |بسيط-صلب|:93-117؛ |تساؤلات|:1/30-77.

2461 . |ثاوفيلس|:62.

2462 . |بسيط-صلب|:35-36.

2463 . |المسيح|:439-440.

2464 . قال الشيخ الشعراوى فى ثنايا حديثه عن معجزة إبراهيم "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ" (الأنبياء 69): "كان من الممكن أن يختفى إبراهيم فى أى مكان ولا يظهر .. وكانت هذه مسألة ممكنة تقى إبراهيم الحرق وتجعلهم (أى: تجعل قومه) لا يعثرون عليه - ولكن لو حدث هذا لقالوا: لو أننا قبضنا عليه لأحرقناه .. وكانت ستظل قوة الآلهة المزيفة التى يعبدونها مسيطرة عليهم - ولذلك لا بد ألا يهرب إبراهيم بل يقع فى أيديهم ليشهد القوم جميعاً سفاهة معتقداتهم وعجزها أمام قدرة الله" (|شعراوى-قصص|:88-89؛ |شعراوى-عجز|:77). بنفس المنطق: لا يمكن أن نقبل النظرية التى تقول إن المسيح اختفى وشخص آخر صُلِب مكانه! فهذا عجز، وليس إعجاز. الإعجاز هو أن يموت المسيح صلباً، ثم يقوم مِن الأموات.

2465 . |معجم-ألفاظ|:375.

2466 . لقراءة ملخص لأهم الأمور التى اختلف فيها المفسرون القدامى والمعاصرون فيما يتعلق بتفسير (النساء 157-158) و (آل عمران 55) و (المائدة 117)، انظر: |طيب|:281-283 (مرجع إسلامى عربى)؛ |AYA|:236 (مرجع إسلامى إنجليزى)؛ |بسيط-صلب|:5-29 (مرجع مسيحى عربى)؛ |QHC-2|:349-357 (بحث أكاديمى كتبه عالم مسلم)؛ |BSOAS|:72/2/237-258 (بحث أكاديمى كتبه عالم غير مسلم).

لمزيد من التفاصيل، انظر تفاسير (النساء 157-158) و (آل عمران 55) و (المائدة 117) فى كتب التفسير المذكورة فى المصادر والمراجع، وانظر أيضاً |كثير-هاشمى|:536-546،542،537 ؛ |كثير-بديوى|:652-655،661،666 ؛ |طبرى-قصص|:361-363 ؛ |عرائس|:352-353 ؛ |شعراوى-قصص|:420-432 ؛ |بهجت|:370-391 ؛ |بكر|:346-349 ؛ |نجار|:490-498،491 ؛ |بدوى|:1/521-527؛ |بسيط-صلب|:5-55.

2467 . |ApocrG|:34؛ |EJ|:11/250.

2468. Prof. Gabriel Said Reynolds: Sergius is a "name which is used idiomatically in both Muslim and Christian Arabic accounts for otherwise unnamed Christian figures." (|BSOAS|:72\2\242)

2469 . |كشاف-ش|:270.

2470. Prof. Gabriel Said Reynolds: “The entire phrase (*wa-lakin shubbiha la-hum*), in fact, is per se ambiguous and translators are accordingly divided.” (|BSOAS|:72\2\238). Prof. Suleiman A. Mourad: “This expression [i.e. “*shubbiha la-hum*”] means that something was made to appear to them that essentially was not true. It does not necessarily mean that someone was made to look like someone else, as it is commonly understood.” (|QHC-2|:353).

2471 . |كثير|:401/2؛ |كثير-شيخ|:337/4؛ |كثير-هاشمى|:536-537؛ |كثير-بديوى|:653-654.

2472 . |شعراوى-قصص|:420. انظر أيضاً |قرطبى-مصر|:467/2-468.

2473 . |بهجت|:386. انظر أيضاً نفس الأسطورة لكن مع اختلاف آخر حشر النسطورية واليعقوبية والملكية (الخلقيدونية) والإسلام فى قصة واحدة (|بدوى|:528/1)! ونفس الأسطورة مع اختلاف آخر فى تفسير الطبرى لـ (مريم 34) (|طبرى|:537/15-538). انظر أيضا |بشير|:133/2. ويبدو أن كثير من كتب المسلمين قديماً وحديثاً تردد هذه الأسطورة!

2474 . انظر مثلاً: |كثير-شاكر|:528/1-529.

2475 . انظر مثلاً: |طبرى|:701/7-702؛ |كثير-شنقيطى|:319-320؛ |عطية-مصر|:421/2-422؛ |بيضاوى|:159/1-160؛ |سخاوى|:140/1؛ |ميسر|:47؛ |شعراوى|:1465/3.

2476 . الأخْمَص هو "باطن القدم وما رق من أسفلها وتجافى عن الأرض." (|كثير-شاكر|:331/1).

2477 . |نسفى|:413/1.

2478 . انظر تفاسير (الأنعام 60).

2479 . ملحوظة: لاحظنا أن بعض المراجع الإسلامية تتعامل مع "روح" المسيح كما لو كان مرادفاً لـ "لاهوته" و "جسد" المسيح كما لو كان مرادفاً لـ "ناسوته"! على سبيل المثال، يقول تفسير الخازن فى سياق عرضه للتفسيرات المختلفة لكلمة "مُتَوَفِّيكَ" (آل عمران 55): "الوجه السادس: أن معنى التوفى أخذ الشىء وافياً ولما علم الله تعالى أن مِن الناس مَن يخطر بباله أن الذى رفعه الله إليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى أن المسيح رفع لاهوته يعنى روحه وبقى فى الأرض ناسوته يعنى جسده فرد الله عليهم بقوله "إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ" فأخبر الله تعالى أنه رفع بتمامه إلى السماء بروحه وجسده جميعاً" (|خازن-بغوى|:462/1). تعليقنا: هذا الكلام خاطئ، ولذلك لزم التنويه.

2480 . |شعراوى|:1502/3-1504.

2481 . |كشاف-ع|:562/1.

2482 . المجىء الثانى للمسيح (Second Coming of Christ) (Parousia) عقيدة مسيحية هامة أشار إليها الكتاب المقدس وذكرها البند الثاني من قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني الذى يعطى ترتيبَ الأحداث حسب العقيدة المسيحية: يسوع المسيح "صُلِب عنا على عهد بيلاطس البنطى، وتألَّم وقُبر وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء". انظر: |قانون|:57-82، 120-126؛ |ثاوفيلس|:59-72، 90-96؛ |تساؤلات|:20/3-42.

2483 . مثل (آل عمران 46) (المائدة 110) (النساء 159) (الزخرف 61). كالعادة، اختلفت القراءات واختلفت التفاسير فى هذه الآيات. كما ذكر المفسرون (ابن كثير وغيره) ورواة الأحاديث (البخارى ومسلم وغيرهما) أساطير حول المجىء الثانى للمسيح قائلين إنه سيكسر الصليب وسيقتل الخنزير وسيضع الجزية (أي: سيلغيها فلا يقبل إلا الإسلام أو القتل!) وسيقتل المسيح الدجال وسيحل الأمن فى الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً... الخ! بل وصلت هذه الأساطير إلى درجة قولهم إن المسيح سيصلى خلف واحد من المسلمين، وسيعتمر وسيحج البيت (ومعه أصحاب الكهف!)، وسيعمل على نشر الإسلام ولو بالقتال!، وسيحكم بشريعة محمد، ثم سيموت ويُدفَن فى المدينة المنورة! انظر تفاسير هذه الآيات وانظر أيضاً |قرطبى-مصر|:711/5؛ |كثير|:406/2-419؛ |كثير-شيخ|:346/4-367؛ |عطية-مصر|:443/2؛ |كثير-هاشمى|:546،536؛ |كثير-بديوى|:666،653؛ |عرائس|:354-355؛ |طيب|:281-283؛ |شعراوى-قصص|:430،423-432؛ |بكر|:358-361؛ |نجار|:492-493؛ |بدوى|:526/1-527؛ |EI-2|:84/4؛ |QHC|:153؛ |QHC-ar|:230-231؛ |-QHC

2|:352؛ |Tisdall|:186-189؛ |Tisdall-ar|:159-162؛ |BSOAS|:72/2/245-249. ونظراً لأن القرآن لم يذكر صراحةً هذه الأساطير العجيبة، فلن نهتم بالتعليق عليها. وهى على أى حال لا تستحق التعليق. ويكفى أن نقول إننا نتعجب مِن أن كثير من المسلمين يؤمنون بهذه الأساطير ولا يؤمنون بحقيقة صلب المسيح وموته على الصليب التى آمن بها المليارات من البشر منذ القرن الأول الميلادى إلى اليوم! والأعجب والأغرب هو أن يؤمن المسلمون بأن المسيح وُلِد من عذراء وصنع معجزات خارقة لم يصنعها غيره ولم يمت بل رفعه الله إليه حياً وأنه الآن لا يزال حياً فى السماء (حسب رأى الجمهور) وأنه سينزل إلى الأرض فى آخر الزمان حكماً عادلاً، ورغم إيمانهم بكل ذلك يقولون إن محمد "سيد الخلق" و "أشرف المرسلين"! فلماذا لم يحظى محمدٌ بكل هذا الشرف والسيادة والمجد الذي حصل عليه المسيحُ؟!

2484 . انظر تفاسير (آل عمران 55). وانظر أيضاً |طبرى|:5/447-452؛ |BSOAS|:72/2/246.

2485 . |نجار|:539. وانظر أيضاً |شعراوى|:6/3468-3470؛ |بكر|:357-358.

2486 . انظر تفاسير (المائدة 116-118). وانظر أيضاً |طبرى|:9/135.

2487 . |بيضاوى|:1/247. انظر أيضاً |شعراوى-قصص|:420-421.

2488 . يقول الشيخ الشعراوى: "ومسألة التوفى – كما نعلم – هى الأخذ كاملاً دون نقض للبنية بالقتل، ونحن – المسلمين – نعرف أن الحق رفع محمداً صلى الله عليه وسلم بالإسراء والمعراج إلى السموات وعاد إلينا مرة أخرى ليكمل رسالته؛ لذلك نصدق أمر رفع عيسى وأن الله توفاه، أى استرده كاملاً دون نقض للبنية، وأنه سيعود مرة أخرى ليصلى خلف مؤمن بالله وبمحمد رسول الله. [...] نحن إذن نصدق تماماً مسألة صعود الإنسان بشحمه ولحمه إلى السماء كأمر وارد وحاصل، أما طول المدة أو عدمها فذلك لا ينقض المبدأ." (|شعراوى|:6/3474).

تعليقنا: لاحظ محاولة الربط بين أسطورة المعراج (التى لم يذكرها القرآن بنص صريح!) والأساطير الإسلامية المرتبطة بالمجىء الثانى للمسيح (التى لم يذكرها القرآن بنص صريح!)، مع التقليل من أهمية الفرق الجوهرى بينهما وهو المدة، أى مدة "الرفع"!

2489 . |غزالى|:36-37.

2490 . |طيب|:283.

2491 . |نجار|:499. لاحظ أنه ذكر المعانى الثلاثة لـ "التوفى": وفاة الموت ووفاة النوم ووفاة الرفع، ثم ختم كلامه بقوله: "لا نقطع بشىء من هذه الأشياء بعينه"!

2492 . |ظلال|:1/403. انظر أيضاً |شحاته|:2/576؛ |رمضان|:2/338؛ |شعراوى|:3/1501-1502.

2493 . |كثير-شاكر|:1/529. ونحن نرد على هذا القول بأن القرآن يذكر فى مواضع أخرى تفاصيل كثيرة أقل أهمية. على سبيل المثال، أيهما أكثر أهمية للبشرية: مَن الذى مات على صليب المسيح الذى ذكره القرآن فى آية واحدة وحيدة (النساء 157) أم كلب أصحاب الكهف الذى ذكره القرآن فى آيتين: "وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا [...] سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا" (الكهف 18-22)؟!

2494 . |شعراوى-قصص|:426.

2495 . |شعراوى|:5/2797-2798.

2496 . |NIV|:1946؛ |دراسى|:3018؛ |آرثر|:2253.

2497 . |KHO-GP|:367. وقيل إن الصابئين هُمْ "المانويين" (Manicheans)، أى: أتباع الديانة المانوية (Manichaeism) (|QHC|:81؛ |QHC-ar|:131). ويمكن الجَمْع بين القولين لأن المانوية تُحسَب أيضاً ضمن التيارات الغنوسية أو المتأثرة بالغنوسية. كما قيل إن الصابئ هو مَن يترك دينَه ويدين بدينٍ آخر. انظر المعجم و |EQ|:4/511-513؛ |كتابية|:5/235.

2498 . |سوريال|:32. انظر أيضاً |KHO-GP|:386.

2499 . |نجار|:519-520.

2500 . |AYA|:236. ملحوظة: "إنجيل برنابا" كتاب مزور كُتِب فى القرن الخامس عشر أو السادس عشر الميلادى – أى بعد ظهور الإسلام بمئات السنين، وبالتالى فهو ليس حُجة! لمزيد مِن المعلومات عن الخرافات فى هذا الكتاب الذى يحمل اسم "إنجيل برنابا"، يمكن الرجوع إلى المراجع الثلاثة الآتية: البابا شنوده الثالث، "خرافة إنجيل برنابا"، الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية الكبرى بالعباسية، الطبعة الثالثة، أكتوبر 2012. القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، "إنجيل برنابا هل هو إنجيل صحيح؟ (دراسة تحليلية لهذا الكتاب)"، مطبعة بيت مدارس الأحد، الطبعة الثالثة، 2004. القس عبد المسيح بسيط أبو الخير،

"خمسون دليلاً على أن إنجيل برنابا خرافي ومزيف"، مطبعة بيت مدارس الأحد، الطبعة الثانية، 2004. استمع أيضاً إلى ردود الأب بولس باسيلى على الشيخ الشعراوى، والتى تضمنت التعليق على ما جاء فى "إنجيل برنابا":
http://www.answersaboutfaith.com/arabic/derasat/rodoud_3alal_sha3rawy/rodoud_3alal_sha3rawy.html

2501 . لمزيد من المعلومات عن هذه الهرطقات الغنوسية وعن الغنوسية المسيحية بصفة عامة، انظر |NIV|:1946؛ |دراسى|:3017-3018؛ |آرثر|:2253؛ |بسيط-أبوكريفا|:8/1، 11/1-21؛ |حنا-خضرى|:396/1-404؛ |نجيب|:156-157؛ |بسيط-صلب|:56-82؛ |EB|؛ |QHC|:153-155؛ |QHC-ar|:231-233؛ |Tisdall|:183-184، 193-195؛ |Tisdall-ar|:156-157، 167-168؛ |BSOAS|:72/2/252-253.

2502 . لاحظ أن الكيرنثوسية تُميّز بين المسيح ويسوع (عيسى). لاحظ أيضاً التشابه بينها وبين الأبيونية.

2503 . انظر |بسيط-أبوكريفا|:18/1.

2504 . لمزيد من التفاصيل، انظر |QHC|:99؛ |QHC-ar|:158.

2505. |ANF|:1\349. Online at http://www.newadvent.org/fathers/0103124.htm

2506 . "وهو (أى: المسيح) نفسه لم يمت، بل الذى مات هو سمعان القيراونى، الذى أجبر على حمل الصليب بدلاً منه، حتى أن هذا الأخير إذ تغير شكله بواسطته، حتى يُظن أنه يسوع، قد صُلِب عن جهل وخطأ. أما يسوع نفسه، فأخذ شكل سيمون، وإذ كان حاضراً فيهم. فحيث إنه كان قوة غير جسمية، وهو ذهن الآب غير المولود، فإنه كان يغير شكله كما يريد، وهكذا صعد إلى ذاك الذى أرسله، وكان يسخر منهم، إذ أنهم لا يمكنهم أن يمسكوا به، لأنه كان غير منظور من الجميع". ترجمة: د. نصحى عبد الشهيد، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية بالقاهرة، 2013، ص 108.

2507 . انظر |LostChr|:188.

2508 . |Burke|:105-108؛ |Elliott|:303-346؛ |NTApocr|:2/152-212؛ |LostScr|:93-108؛ |Pagels|:73-75؛ |LostChr|:41-44؛ |بسيط-صلب|:65-67؛ |EB|؛ |BSOAS|:72/2/253. انظر أيضاً |Aldeeb|:467.

2509. “[T]he body that hangs upon the wooden cross is not truly Jesus. So, he [i.e. Jesus] can both suffer and suffer not, be hanged and not hang.” (|Burke|:107).

2510 . |Burke|:76-77؛ |NTApocr|:2/700-712؛ |LostScr|:78-81؛ |Pagels|:72؛ |Meyer|:487-497؛ |LostChr|:185-187؛ |بسيط-صلب|:81.

2511. |Meyer|:495-496. We added emphasis (italics and/or underline). See also |Pagels|:72.

2512. “Only Christ’s physical likeness is put to death. The living Christ transcends death, literally transcends the cross. For there he is, above it, laughing at those who think they can hurt him, at those who think the divine spirit within him can suffer and die.” (|LostChr|:187).

2513 . تذكر أن الخلاص فى الغنوسية هو خلاص الروح بتحررها من سجن الجسد المادى. لاحظ أيضاً التشابه بين هذا العمل الغنوسي وتيارات فكرية أخرى مثل الكيرنثوسية والأبيونية.

2514 . قال يسوع المسيح: "لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا" (متى 10:28) و "لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ، وَبَعْدَ ذلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ." (لوقا 12:4).

2515. “What makes the crucifixion laughable is the ignorance of the powers who think they can execute the real, living Jesus.” (|Meyer|:475).

2516 . |Meyer|:496. الترجمة العربية فى: |بسيط-صلب|:81.

2517 . |LostScr|:82-86؛ |Pagels|:72-73؛ |Meyer|:473-486؛ |LostChr|:187-188.

2518. |Meyer|:480. We added emphasis (italics and/or underline). See also |Pagels|:72-73.

2519. |Meyer|:475. See also footnote 29 on page 480.

2520 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Burke|:76-77؛ |NTApocr|:2/703-704؛ |Pagels|:102-104؛ |Meyer|:475-489،476-490؛ |LostChr|:185-188.

2521 . لمزيد من التفاصيل عن أحداث القبض على يسوع المسيح ومحاكمته وصلبه وموته وقيامته كما جاءت فى الإنجيل وبقية أسفار العهد الجديد، انظر |بسيط-صلب|:118-164. انظر أيضاً أدلة من كتابات الآباء الرسوليين وآباء الكنيسة والقداسات الكنسية والمجامع المسكونية والتقليد المسيحى بصفة عامة منذ القرن الأول الميلادى إلى اليوم: |بسيط-صلب|:164-173.

2522 . للمزيد من الأدلة التاريخية، انظر |بسيط-صلب|:143-148، 173-175. انظر أيضاً http://www.newadvent.org/cathen/08375a.htm

2523 . |بسيط-صلب|:174؛ |EB|.

2524 . |Reynolds|:37؛ |ربيع|:100؛ |هامش|:5/10. "التلمود البابلى اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:293/42).

2525. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

2526 . |حنا-خضرى|:148/1. انظر التلمود البابلى |BT|:220/16. وانظر أيضاً |بسيط-صلب|:173؛ |BSOAS|:257/2/72.

2527. "The Roman governor Pontius Pilate ultimately had Jesus executed in the Roman way, by crucifixion." (|EJ|:11\248).

2528 . للمزيد من الأدلة المنطقية، انظر |بسيط-صلب|:30-83،45-160،92-161.

2529 . اقرأ أيضاً (البقرة 26) و (الكهف 17). يقول كثير من المسلمين أن الله يضل الكافرين ويهدى المؤمنين! تعليقنا: هذا قول عجيب، فالمفروض أن الله يهدى الكافرين فى المقام الأول، فَهُمْ أكثر الناس احتياجاً إلى الهداية. أو كما قال يسوع المسيح: "لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" (مرقس 2:17) و (متى 9:12-13) و (لوقا 5:31-32).

2530. |BSOAS|:72\2\258.

2531 . |معجم-ألفاظ|:688.

2532 . (1 ملوك 19:10-14) (نحميا 9:26) (متى 23:29-31) (لوقا 11:46-51) (أعمال الرسل 3:13-15) (أعمال الرسل 4:10) (أعمال الرسل 7:52) (رومية 11:3) (1 تسالونيكي 2:14-15) **[← "قَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ" (النساء 155) (البقرة 61، 87، 91) (آل عمران 21، 112، 181، 183) (المائدة 70)].**

2533. Prof. Gabriel Said Reynolds: "[T]he Quran, in *sūrat al-nisā'* (4) 155, accuses the Jews of "murdering the prophets". When the Quran then alludes to the crucifixion just two verses later, it means to give the cardinal example of just such a murder" (|BSOAS|:72\2\258). Prof. Suleiman A. Mourad agrees (|QHC-2|:355-356).

2534 . "قُلُوبُنَا غُلْفٌ" (النساء 155) و (البقرة 88) ليست جديدة، فهى معروفة قبل ظهور الإسلام بمئات السنين. لمعرفة جذور تعبير "قُلُوبُنَا غُلْفٌ" فى الكتاب المقدس – لا سيما (أعمال الرسل 7:51-53) – والمدراش اليهودى والميامر السريانية التى كتبها "أفراهاط" (فرحات) (Aphrahat) و "إفرام" السريانى (Ephrem the Syrian)، انظر: |Reynolds|:152-155.

2535. Prof. Gabriel Said Reynolds: "In other words, the Quran not only leaves open the possibility that Jesus died on the Cross, it uses his death on the Cross as a paradigmatic example of Jewish infidelity, the primary theme of the larger passage in which the reference to the crucifixion appears (Q 4.153–9)." (|BSOAS|:72\2\255).

2536. Prof. Gabriel Said Reynolds: "[T]he Quran's allusions to the Jews speaking against Mary (Q 4.156) and to their claiming to have killed Jesus (Q 4.157) have no clear biblical precedent. Instead they seem to reflect more developed anti-Jewish rhetoric. In particular they reflect the tradition of anti-Jewish polemic in Syriac Christian writings, as exemplified in Jacob of Serūgh's (d. 521) homilies (mēmrê) against the Jews. Jacob refers to the Jews as "a people who boast that they tied a man to the wood"." (|BSOAS|:72\2\257).

2537 . الفكرة الأساسية في (الأنفال 17) وآيات قرآنية أخرى تحمل نفس المعنى مثل "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ" (الأنفال 10) كلها مستوحاة من آيات كتابية، مثل: "لأَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفِهِمْ امْتَلَكُوا الأَرْضَ، وَلاَ ذِرَاعُهُمْ خَلَّصَتْهُمْ، لكِنْ يَمِينُكَ وَذِرَاعُكَ

وَنُورُ وَجْهِكَ [يَا اَللهُ هُوَ الذي خَلَّصَهُمْ/نَصَرَهُم]، لأَنَّكَ رَضِيتَ عَنْهُمْ" (المزامير 3:44)، "اَلْفَرَسُ مُعَدٌّ لِيَوْمِ الْحَرْبِ، أَمَّا النُّصْرَةُ فَمِنَ الرَّبِّ" (الأمثال 31:21).

2538 . |منتخب|:112؛ |منتخب-ف|:96.

2539 . |صفوة|:232/1. انظر أيضاً |جزائرى|:385-384/1.

2540 . يقول الشيخ محمد الغزالى عن سورة مريم: "والسورة من القرآن النازل بمكة المكرمة، ولعلها نزلت فى السنوات الأولى، قبل الهجرة إلى الحبشة، وقد تحدثت عن ولادة عيسى ابن مريم، وكشفت عن الإعجاز الإلهى فى تكوين هذا النبى الكريم، لكنها جعلت هذا الإعجاز بين يدى قصة زكريا وابنه يحيى" (|غزالى|:242). انظر أيضاً |KHO|:96-97.

2541 . لمزيد من التفاصيل والتحليل اللغوي العميق، انظر |KHO-GP|:131-136.

2542 . |QHC-2|:354. انظر أيضاً |بسيط-صلب|:46-55 وبحث العالم المسلم الدكتور محمود أيوب (جامعة تورنتو بكندا) الذى أكد أن نظرية الشبيه قد فشلت فى إنكار صلب المسيح، وأن القرآن لا ينكر موت المسيح (|MW|:70/2/91-121).

2543. حوار الحق 114, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=1606&cat=24&scat=42&

2544. حوار الحق 115, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=1637&cat=24&scat=42&

2545 . |IW2014|:534-535.

2546 . د. طه حسين، "في الشعر الجاهلي"، طبعة 1926، ص 85-86. النص الأصلي الذي صودر عند نشره أول مرة. لاحظ: اليهود ... والنصارى ... والعرب. ونحن نقول "تطور بشري طبيعي" (natural human development): التراث اليهودي + التراث المسيحي الشرقي + التراث العربي [⟵ القرآن كلام العرب].

2547 . أ.د. مصطفى ديب البغا: "الأساطير جمع أسطورة، وهى الحكاية التى سطرت قديماً، ويغلب إطلاقها على ما لا أصل له. وكان هذا دليلاً على أنها (أى: المطففين 13) مكية: لأنه لم يكن أحد ليجرؤ على قول ذلك فى المدينة" (|إتقان|:39/1-40).

2548 . "والقرآن المبنى على الإيجاز يطوى كثيراً مِن الجمل للعلم بها" (|عباس|:511).

2549. |QHC-ar|:182; |QHC|:115-116. Cf. Gabriel Said Reynolds, "Reading the Qur'an as homily" in |QiC|:585-592.

2550 . |شعراء|:124-127.

2551 . |آرثر|:984. اقرأ أيضاً (المزامير 106:1؛ 107:1؛ 118:1-4؛ 118:29). وكذلك المزمور 145 حسب مخطوطات قمران (البحر الميت) تأتي فيه لازمة تُكرَّر بعد كل عدد: "مبارك الرب ومبارك اسمه إلى الدهر والأبد" (Blessed be God and blessed be His Name forever and ever) (|EJ|:16/679؛ |معاصر|:961).

2552 . "وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، [...]، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ" (الرؤيا 21:4).

2553 . "الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" تكاد تكون منقولة من سفر المزامير: "الْعِزَّةَ ِللهِ، وَلَكَ يَا رَبُّ الرَّحْمَةُ" (المزامير 62:11-12)!

2554 . انظر نقاشاً حول (القصص 74) وعلاقتها بـ (القصص 62): |MS|:43.

2555 . "وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ" (فصلت 14).

2556 . انظر نقاشاً حول (الأحقاف 15) وعلاقتها بـ (النمل 19): |MS|:43-44.

2557 . انظر نقاشاً حول (آل عمران 18): |MS|:45.

2558. “The variations […] typically include additions/omissions and changes in the order of words, in the use of the definite article, number, gender, tense, verb forms etc.” (|Witztum|:270).

2559 . لمزيد من التفاصيل والأمثلة عن التكرار في الحواميم السبع (أي: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف)، انظر |QiC|:461-498.

2560 . كالعادة، لجأ علماء الإسلام إلى حيل نحوية لتبرير ذلك الاختلاف. انظر |و|:1/2/89-92.

2561 . سؤال: ما علاقة (البقرة 62) بما قبلها وبما بعدها؟ يبدو لنا أنها أُضيفت إلى القرآن لاحقاً أو وُضِعَت في غير موضعها.

2562 . انظر نقاشاً حول (المائدة 69) وعلاقتها بـ (البقرة 62): |MS|:41. وكالعادة، لجأ علماء الإسلام إلى حيل نحوية لتبرير رفع كلمة "الصَّابِئُونَ" في (المائدة 69). انظر |و|:237/7/1-238.

2563 . "فدخلوا يزحفون على أَسْتَاهِهِم (أى: أعجازهم)، فبدَّلوا، وقالوا: حِطَّةٌ، حَبَّةٌ في شعرةٍ" (البخارى 4209)! وقيل: "فبدل حطة قالوا حِنْطَة، وبدل الدخول منحنين ساجدين دخلوا يزحفون على أستاههم" (|جزائرى|:252/2؛ |أيوب|:159)! وقيل: "دخلوا الباب متعالين متكبرين، وبدلوا قولاً غير الذى قيل لهم" (|بهجت|:276). وقيل إن الله أمرهم أن "يدخلوا هذه القرية من بابها" أى "سِلماً لأن فيها سكاناً وحياةً، وأمرهم بالانحناء وهم يدخلون بابها احتراماً لنعمة الله وإشارة لأهل القرية بأن هؤلاء دخلوا قريتهم مسالمين وليسوا محاربين"، إلا أنهم بدَّلوا الأمر الإلهى "فشنوا حربهم الدموية على القرية وأهلها"، أى "بدل أن يدخلوا القرية مسالمين خاضعين دخلوها محاربين غادرين" (|باش|:264/1-266). وقيل غير ذلك. انظر |كشاف-ش|:78؛ |كشاف-ع|:272/1-273؛ |Unal|:41؛ |Reynolds|:107؛ |Masson|:784؛ |Aldeeb|:380.

2564. |QSC|:119-120 (French). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-015

2565. “[T]hey seem in both places to have been inserted at a later date” (|IW2013|:285).

2566. |Witztum|:271-273.

2567 . انظر مثلاً |برهان|:8/3-34؛ |إتقان|:848/2-855؛ |مجلس|:76-120. بل توجد كتب إسلامية كاملة تتحدث عن قضية التكرار فى القرآن! مثل: "قضايا التكرار فى القصص القرآنى"، تأليف: د. القصبي محمود زلط (أستاذ مساعد بجامعة الأزهر)، دار الانصار، ط1، 1978. "التكرار"، تأليف: د. حسين نصَّار (عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة سابقاً)، مكتبة الخانجى، ط1، 2003.

2568. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

2569. Claude Gilliot, "Le Coran, fruit d'un travail collectif?" (|AOB-Subsidia|:3\185-232).

2570 . |عباس|:609.

2571 . كما هو واضح: التواريخ تقريبية، بل تقريبية جداً. لا يعلم أحد على وجه الدقة متى عاش إبراهيم. بل لا يوجد أى دليل مادى على أن إبراهيم نفسه كان شخصية حقيقية. وسنناقش هذه المسألة بقدر أكبر من التفصيل تحت عنوان "هل إبراهيم شخصية حقيقية؟".

2572 . |Kramer-fr|:226-241.

2573. |QSC|:166-167. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

2574 . المراجع الإسلامية: |جابرى|:247/1-261؛ |معجم-أعلام|:473/1-475؛ |و|:132/7/1-140؛ |و|:5/10/3-31؛ |أشقر-عقيدة|:5/3-215. انظر أيضاً تفاسير الآيات القرآنية وشروح الأحاديث النبوية.

2575 . |معجم-ألفاظ|:179-180.

2576 . |طبرى|:145/1-147؛ |طبرى-شاكر|:144/1-146.

2577 . |طنطاوى-قصص|:370/1.

2578 . |شعراوى-عجز|:27.

2579 . |و|:11/10/3، 29.

2580 . |حسين|:271.

2581 . |بوطى|:106.

2582 . لمزيد من التفاصيل عن الإيمان بوجود الجن وعالم الأرواح عند العرب الجاهليين، انظر |مفصل|:705/6-754. وسنذكر بعض أجزاء من هذا المرجع المهم لاثبات الجذور العربية الجاهلية لعقيدة الإيمان بهذا العالم غير الطبيعي.

2583 . |وجدى|:340؛ |منتخب|:435.

2584 . (مسلم 2996؛ |م|:2294/4؛ |م-نووى|:167/18؛ |م-لاشين|:608/10). انظر: |كثير-هاشمى|:9؛ |كثير-بديوى|:22؛ |و|:136/7/1.

2585 . |و|:65/7/1، 70، 130-135 ؛ |و|:87/1/1 ؛ |و|:11/10/3، 29؛ |و-عامة|:481، 1351-؛ |و-عقيدة|:462، 1047-؛ |وجدى|:710؛ |أشقر|:532.

2586 . |قرطبى|:300/13؛ |قرطبى-مصر|:739/5-740. انظر أيضاً تفاسير (الكهف 50).

2587. 2020 نقاش في سبتمبر, https://www.youtube.com/watch?v=l9cs_CC47qI

2588 . مثل تقبيل الحجر الأسود!

2589 . |أشقر|:173.

2590 . |سعدى|:309. انظر أيضاً |صفوة|:483/1.

2591 . |بحر|:425/4.

2592 . |مفصل|:716/6.

2593 . |ب|:153؛ |واحدى-وجيز|:390/1؛ |ضيف|:261؛ |ظلال|:3271/6.

2594 . |مفصل|:711/6.

2595 . (البخارى 3127؛ |خ|:1202/3؛ |بارى|:403/6) (مسلم 2729؛ |م|:2092/4؛ |م-نووى|:72/17).

2596 . ويُعتقَد أن القرآن أشار إلى بلعام بدون ذِكر اسمه فى (الأعراف 175-176).

2597 . |و|:11/10/3، 30.

2598 . (مسلم 389؛ |م|:291/1-292).

2599 . انظر مثلاً الأحاديث الصحيحة التالية (البخارى 3647؛ |خ|:1401/3؛ |بارى|:208/7؛ |بارى-طيبة|:577/8-578) (مسلم 2019-2020؛ |م|:1598/3-1599؛ |م-نووى|:276/13-278؛ |م-لاشين|:190/8-191) (مسلم 450؛ |م|:332/1-333) (البخارى 3647؛ |خ|:1401/3).

2600 . (البخارى 142؛ |خ|:66/1؛ |بارى|:292/1) (مسلم 375؛ |م|:283/1-284؛ |م-نووى|:94/4) (ابن حبان 1407-1408؛ |حبان-أرنؤوط|:253/4-256؛ |حبان-ألبانى|:83/3-84؛ |صحيحة|:58/3). انظر أيضاً |و|:87/1/1.

2601 . |مفصل|:714/6.

2602 . "اليهودية اللاحقة وجميع المؤلِّفين المسيحيين الأولين تقريباً رأوا في "بني الله" هؤلاء ملائكة مذنبين (أي: ساقطين). لكن آباء الكنيسة، منذ القرن الرابع، فسَّروا جميعهم "بني الله" ببني شيث (Seth) و "بنات الناس" بذرية قاين (Cain)" (|يسوعية|:العهدالقديم/77). انظر أيضاً |JAOS|:835/4/135-836؛ |Kugel|:179-181، 183، 194-212.

2603 . |Wild-2|:32؛ |JAOS|:829/4/135؛ |هامش|:21/3.

2604 . انظر الآراء المختلفة حول الـ "Nephilim" (|EJ|:86/15-87؛ |JSB|:19؛ |Kugel|:181-183، 204-207). ملحوظة: "نفيليم" (Nephilim) تعني: ساقطين.

2605 . انظر مثلاً |GR-AQ|:863.

2606 . |خ|:1200/3.

2607 . |أشقر-عقيدة|:30/3.

2608 . |و|:32/10/3-34.

2609 . |و|:134/7/1.

2610 . |ألوسى|:119/27؛ |شحاته|:5575/14؛ |صفوة|:301/3.

2611 . |كشاف-ع|:18/6؛ |كشاف-ش|:1073. انظر أيضاً |نسفى|:417/3؛ |سخاوى|:419/2؛ |جزائرى|:234/5.

2612 . |طبرى|:248/22؛ |قرطبى|:156/20؛ |قرطبى-مصر|:152/9؛ |درمنثور|:145/14؛ |خازن-بغوى|:87/6؛ |و|:33/10/3.

2613 . |رازي|:130/29.

2614 . |طبري|:248/22؛ |قرطبي|:156/20؛ |قرطبي-مصر|:152/9؛ |درمنثور|:145/14؛ |بحر|:196/8؛ |باري|:137/9؛ |باري-طيبة|:517/11؛ |و|:33/10/3.

2615 . (البخاري 6025؛ |خ|:2347/5) (مسلم 1434؛ |م|:1058/2).

2616 . |ألوسي|:119/27.

2617 . |قرطبي|:156/20؛ |قرطبي-مصر|:152/9. انظر أيضاً |شعراوي|:14839/24.

2618 . |أشقر-عقيدة|:31/3.

2619 . |ضعيفة|:603/12-608.

2620 . |مفصل|:720/6. انظر أيضاً تفاسير (الجن 6).

2621 . |قرطبي|:283/21-285؛ |قرطبي-مصر|:12/10. انظر أيضاً |بحر|:342/8.

2622 . |رازي|:156/30. انظر أيضاً |طبري|:322/23-326؛ |ألوسي|:85/29-86.

2623 . |منتخب-ن|:1309؛ |منتخب-ف|:923؛ |فهد-ن|:794. وترجمها Bell إلى ("men of the jinn" |Bell|:611/2). انظر أيضاً ("quelques mâles des djinns" |زينب|:572). (" des mâles parmi les djinns" |Boubakeur|:1914/2). ("hommes parmi les djinns" |Aldeeb|:104) .

2624 . |AYA|:1545؛ |Pickthall|:769.

2625 . لقراءة ملخص لهذا الخلاف بين المفسرين وأدلة كل فريق مِنهم، انظر |منار|:105/8-107. اقرأ أيضاً (الزمر 71).

2626 . |عثيمين|:الحجرات-الحديد/167.

2627 . |و|:135/7/1.

2628 . |و|:137/7/1-138.

2629 . |ضحاك|:795/2؛ |خازن-بغوي|:25/6.

2630 . |قرطبي|:506/19؛ |قرطبي-مصر|:50/9.

2631 . |شوكاني|:122/5. انظر أيضاً |عطية-قطر|:82/8؛ |نسفي|:380/3؛ |واحدي-وجيز|:1032/2؛ |واحدي|:181/4؛ |بحر|:141/8؛ |ثعالبي|:306/5؛ |ألوسي|:22/27.

2632 . |خازن-بغوي|:290/6.

2633 . |أشقر-عقيدة|:57/3.

2634 . |و|:133/7/1-134.

2635 . |بدوي|:17/1.

2636 . |قرطبي|:290/21؛ |قرطبي-مصر|:15/10. انظر أيضاً |ضحاك|:904/2؛ |خازن-بغوي|:293/6؛ |واحدي|:366/4؛ |شوكاني|:406/5؛ |أشقر|:572.

2637 . |مفصل|:718/6-719.

2638 . (مسلم 2451؛ |م|:1906/4؛ |م-نووي|:10/16-11).

2639 . |و|:24/10/3.

2640 . (البخاري 1091؛ |خ|:383/1-384؛ |باري|:30/3؛ |باري-طيبة|:538/3) (مسلم 776؛ |م|:538/1؛ |م-نووي|:93/6-94؛ |م-لاشين|:571/3).

2641 . (مسلم 774؛ |م|:537/1؛ |م-نووي|:91/6؛ |م-لاشين|:571/3) (البخاري 1093؛ |خ|:384/1؛ |باري|:34/3؛ |باري-طيبة|:545/3).

2642 . |شوقي|:173/3.

2643 . |باري|:35/3؛ |باري-طيبة|:545/3-546.

2644 . |و|:22/10/3.

2645 . (مسلم 2814-2815؛ |م|:2167/4-2168؛ |م-نووى|:230/17-231؛ |م-لاشين|:423/10-424).

2646 . على سبيل المثال: (البخارى 3107؛ |خ|:1195/3؛ |بارى|:387/6-388؛ |بارى-طيبة|:562/7).

2647 . |عثيمين|:الصافات/33.

2648 . (البخارى 5872؛ |خ|:2298/5) (البخارى 5869؛ |خ|:2297/5) (البخارى 3115؛ |خ|:1197/3)؛ "التَّثَاؤُبُ مِنْ الشَّيْطَانِ. فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ (أي: فَلْيُمْسِكْ) مَا اسْتَطَاعَ" (مسلم 2994؛ |م|:2293/4).

2649 . (مسلم 2995؛ |م|:2293/4).

2650 . (مسلم 238؛ |م|:212/1-213؛ |م-نووى|:160/3-161) (البخارى 3121؛ |خ|:1199/3).

2651 . جريدة اليوم السابع (www.youm7.com) بتاريخ السبت 3 يونيو 2017.

2652 . (ابن ماجه 3548؛ |هـ|:254/3؛ |هـ-أرنؤوط|:568/4-569؛ |هـ-سندى|:137/4-138؛ وقال الألبانى "صحيح" |هـ-ألبانى|:592؛ |هـ-صحيح|:185/3).

2653 . |مفصل|:722/6. لقراءة أمثلة من التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام، انظر |Kugel|:205-206.

2654 . (البخارى 6948؛ |خ|:2688/6؛ |بارى|:380/13-381) (مسلم 2717؛ |م|:2086/4؛ |م-نووى|:60/17).

2655 . |قرطبى|:132/20؛ |قرطبى-مصر|:139/9.

2656 . |عثيمين|:الحجرات-الحديد/323.

2657 . |كثير|:477/7؛ |كثير-شيخ|:331/13؛ |كثير-طيبة|:502/7؛ |كثير-شاكر|:374/3؛ |كثير-صابونى|:421/3-422؛ |كثير-شنقيطى|:1746.

2658 . |شوكانى|:187/5. انظر أيضاً |عثيمين|:الحجرات-الحديد/321؛ |فهد|:533؛ |جزائرى|:234/5.

2659 . |قرطبى|:156/20؛ |قرطبى-مصر|:152/9.

2660 . |ج-البغا|:712؛ |ج-وطن|:533؛ |ج|:533.

2661 . |ضيف|:892.

2662 . |مفصل|:726/6-732. انظر أيضاً |Reynolds|:57-58؛ |FV|:189-190.

2663 . (أحمد 348/1؛ |ل-شاكر|:389/3-390؛ |ل|:304/5-305) (ابن حبان 5640؛ |حبان-أرنؤوط|:457/12-458؛ |ظمآن|:413/3). وقال الألبانى "صحيح" (|حبان-ألبانى|:179/8؛ |صحيحة|:439/4).

2664 . (مسلم 2236؛ [كتاب: السلام؛ باب: قتل الحيات وغيرها] |م|:1756/4؛ |م-نووى|:336/14-337؛ |م-لاشين|:9/9).

2665 . |و|:27/10/3.

2666 . انظر تفاسير (الأنفال 48) و (الأنفال 30) و |و|:14/10/3-17.

2667 . (البخارى 3241؛ |خ|:1260/3) (البخارى 449؛ [كتاب: المساجد، باب: الْأَسِيرِ أَوْ الْغَرِيمِ يُرْبَطُ فِي الْمَسْجِدِ] |خ|:176/1) (مسلم 541؛ |م|:384/1-385).

2668 . (مسلم 510؛ |م|:365/1؛ |م-نووى|:303/4-304؛ |م-لاشين|:81/3). انظر أيضاً |و|:28/10/3.

2669 . (مسلم 1572؛ |م|:1200/3؛ |م-نووى|:341/10؛ |م-لاشين|:294/6).

2670 . (ابن حبان 6156؛ |حبان-أرنؤوط|:26/14؛ |ظمآن|:320/6). وقال الألبانى "صحيح" (|حبان-ألبانى|:15/9؛ |ظمآن-صحيح|:271/2؛ |ش|:1206/2؛ |ش-ألبانى|:135/4). انظر أيضاً |و|:27/10/3-28؛ |و|:139/7/1؛ (المشكاة 4148؛ |ش-طيبى|:2831/9)؛ (شرح السنة للبغوى 3264؛ |بغوى|:195/12).

2671 . (المستدرك 456/2؛ "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وقال الذهبى فى التلخيص: "صحيح" |حاكم|:495/2).

2672 . |طبرى|:509/19؛ |ضحاك|:703/2.

2673 . |شعراوى|:493/1.

2674 . |كثير-شيخ|:149/14-150؛ |كثير-طيبة|:240/8.

2675 . (البخاري 739؛ |خ|:1874-267/1) (البخاري 4637؛ |خ|:1874-1873/4) (مسلم 449؛ |م|:1/331-332).

2676 . |Wild-2|:27.

2677 . انظر الحوار بين الله والملائكة في قصة "خلق الإنسان" و "سجود الملائكة لآدم" مثلاً.

2678 . |ج|:562؛ |ج-البغا|:754؛ |ج-وطن|:562.

2679 . |ضيف|:739، 948.

2680 . "وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ **[⟵ "مَصَابِيحَ" (الملك 5) (فصلت 12)]** فِي جَلَدِ السَّمَاءِ **[⟵ "السَّمَاءَ الدُّنْيَا" (الملك 5) (فصلت 12) (الصافات 6)]** لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ **[⟵ "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ" (الأنعام 97) "وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" (النحل 16)]**. وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ **[⟵ "زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ" (الصافات 6) (الملك 5) (فصلت 12) "زَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ" (الحجر 16)]** لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ»" (التكوين 1:14-15).

2681 . راجع ما قلناه عن "قصة الغَرانيق العُلَى" حيث أدخل الشيطانُ كلاماً غير قرآني على لسان محمد وهو يتلو القرآن: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ [يا محمد] مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى (أي: قَرَأَ، تلا) أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ (أي: في قراءته، في تلاوته) [...]" (الحج 52). اقرأ أيضاً (الأنعام 112).

2682 . (البخاري 2187؛ |خ|:2/812-813) (البخاري 3101؛ |خ|:1194/3) (البخاري 4723؛ |خ|:1914/4).

2683 . ملحوظة: كلمة "مجنون" مشتقة من "جن". "الجن قوم مستترون، وكلمة (جنون) من هذا الأصل، ومن معانى أصل الكلمة الاستتار" (|مفصل|:707/6). "والجِنَّة: الجنون، وذلك أنه يغطى العقل" (|جابرى|:251/1). وهذا دليل لغوى على الأصل العربى لعقيدة الإيمان بوجود الجن، على عكس كلمتي "الشيطان" (أصلها عبري) و "إبليس" (أصلها يوناني).

2684 . |و|:40/10/3. انظر أيضاً تفسير الشيخ الشعروای (|شعراوی|:12747-12746/20) و |و|:34/10/3-40.

2685 . (مسلم 2228؛ |م|:1750/4) (البخاري 5859؛ |خ|:2294/5) (البخاري 7122؛ |خ|:2748/6).

2686 . (البخاري 3038؛ |خ|:1175/3).

2687 . (البخاري 3114؛ |خ|:1197/3).

2688 . |شحاته|:6130/15.

2689 . |و|:216/3/2. انظر أيضاً تفاسير الآيات القرآنية وشروح الأحاديث الصحيحة التي وردت فى موضوع استراق السمع والشهب المُحرقة.

2690 . "حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ" (سبأ 23).

2691 . (البخاري 4424؛ |خ|:1737-1736/4) (البخاري 4522؛ |خ|:1804/4؛ |بارى|:398/8؛ |بارى-طيبة|:524/10).

2692 . (مسلم 2229؛ |م|:1751-1750/4؛ |م-نووى|:325-322/14؛ |م-لاشين|:614-613/8). انظر أيضاً |هشام|:207/1؛ |Wild-2|:28، 35-36.

2693. "Thus God has put the stars into this barrier (as though they were bright pins pushed into the ceiling of a tent) not only to produce wonder in those who see them but also to act as barriers against demons who seek to enter (or better, return to) heaven to spy on the divine council (and to get some useful information)" (|GR-AQ|:406).

2694 . |و|:41/10/3-42.

2695 . |عثيمين|:الصافات/31-32.

2696 . |شوقى|:88/3.

2697. 195 سؤال جريء, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=3630&cat=24&scat=40&

2698 . |عاشور|:227/29. انظر أيضاً |كشاف-ع|:225/6-226؛ |كشاف-ش|:1146؛ |Wild-2|:30.

2699 . |و|:36/10/3. انظر أيضاً |بارى|:540/8؛ |بارى-طيبة|:32/11.

2700 . |مفصل:|6/734-735.

2701 . انظر |Reynolds|:63-64؛ |Wild-2|:30. اقرأ أيضاً حلم يعقوب في بيت إيل (Jacob's dream at Beth-El) (التكوين 28:10-17) و |مجلس:|447-448.

2702 . |RHCharles|:2/163-281؛ |OTP|:1/5-89؛ |Pleiade|:337/465-625؛ |Vermes|:545-548؛ |هامش:|3/12-212.

2703. "*1 Enoch* was itself undoubtedly considered by many to be sacred Scripture—it is cited, for example, in the New Testament, Jude 14—and its contents were themselves interpreted and passed on as authoritative supplementing the Genesis narrative" (|Kugel|:181).

2704. "a Mazdaean (a.k.a. Mazdean) myth in which certain stars guard the gates of heaven and bar demonesses, disguised as planets, from entering therein" (|Reynolds|:63). See also |Wild-2|:31-32.

2705. 51 صندوق الإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=j_eKmPTVKyg

2706 . لاحظ تصوير ما يحدث في السماء بطريقة تشبه ما يحدث على الأرض! فكما يحدث نقاش بين الإنسان (أيوب) وأصحابه في مجلسه الأرضي، كذلك يحدث نقاش بين الله وملائكته في مجلسه السماوي **[←"الْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ" (ص 69)]**!

2707 . |EJ|:2/592-593؛ |BT|:11/299-300؛ |Wild-2|:30-31.

2708. "in the ancient world it was believed that the sky was a solid dome or disk" (|IVP-OT|:508).

2709 . مِن خرافات الشرق الأوسط القديم أن السماء قبة (dome) صلبة (firm) زرقاء تُرَى وتُلمَس! **[← "وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا (أي: لا تسقط على البشر ولا تخترقها الشياطين)" (الأنبياء 32) "السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (أي: السماء الدنيا)" (الطور 5) "رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا" (الرعد 2) "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا" (لقمان 10) "وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ (أي: حتى لا تقع!) عَلَى الْأَرْضِ" (الحج 65) "السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا (أي: رفعها فوقكم كالبناء!). رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (أي: أعلى سقفها في الهواء!)" (النازعات 27-28)]**! لمزيد من التفاصيل حول انعكاس هذه الأساطير الشرق-أوسطية على القرآن، انظر |GR-AQ|:405-406 (الحجر 14-18).

2710. "The Talmud confuses the Satans and the fallen angels" (|RHCharles|:2\211).

2711 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

2712. "D'après le Talmud (Berakot, 18 b) les anges déchus se tiennent derrière le « rideau » qui cache le trône de Dieu, pour essayer de surprendre les secrets divins; mais, d'après *Genesis Rabbah* (L, LXVIII) ils sont chassés du ciel" (|Masson|:866). cf. |AlDeeb|:212; |BT|:1\118-119; |Midrash|:1\439.

2713 . |السواح|:22/119.

2714 . |OTP|:1/983؛ |GR-AQ|:675.

2715 . |السواح|:22/119-120. واقرأ النص مترجماً إلى الإنجليزية (|OTP|:1/982-983).

2716. "These two verses (along with those that follow) illustrate the Qur'an's cosmology, according to which the world is flat and the sky is a physical barrier – separating heaven from earth – stretched out like a dome above the earth" (|GR-AQ|:405). See also |EQ|:1\445-446.

2717 . لكن بقية هذا الإصحاح تعترف بتأثير أعمال أَصْحَابِ الْجَانِّ وَالتَّوَابعِ! بدليل أن المرأة العرَّافة التي ذهب إليها المَلِكُ شاولُ نجحت فعلاً في استدعاء روح النبي صموئيل كما طلب شاولُ منها (1 صموئيل 28:11-20)! هل هذا معقول؟! قيل إن "ظهور صموئيل كان بسماح من الله وليس بقوة العرَّافة" (|مارمرقص|:العهدالقديم/5/237)، "الرب سمح بطريقة معجزية لم يكن للعرَّافة دخل فيها" (|كتابية|:4/495؛ |كتابية|:5/46)! لكن يرى آخرون أن الروح الذي ظهر ليس روح

صموئيل، وإنما "روح شرير" والعرَّافة "حبكت الحيلة" فكانت "تدّعي أنها رأت صموئيل" (|قاموس-كتاب|:503-504)! أو كان "روح شرير يشبه صموئيل تمكَّن من [خداع العرَّافة] والسيطرة عليها" (|دراسي|:687؛ |NIV|:418)!

2718. “The appearance of Samuel’s ghost is considered to be real – not trickery by the woman or imagination of Saul. The Bible believes in the possibility of sorcery, soothsaying and necromancy, but prohibits them as heathen practices (Deut. 18.9-14)” (|JSB|:599).

2719. عظة للبابا شنوده الثالث بتاريخ 6 أبريل 1994, https://www.youtube.com/watch?v=Oaw-JfV2njE

2720. سؤال جريء 52, https://www.youtube.com/watch?v=YOs0vy86u_k

2721 . انظر |قاموس-كتاب|:618،275،209.

2722 . |عيسى|:81/1.

2723 . |مفصل|:740/6-741.

2724 . |بغوى|:187/12.

2725 . |و|:100/5/2-101. انظر أيضاً |و|:45/10/3.

2726 . |ميسر|:522.

2727 . |عثيمين|:عمَّ/357.

2728 . |غزالى|:551.

2729 . |كشاف-ع|:465/6-466؛ |كشاف-ش|:1229-1230.

2730 . |و|:53/10/3.

2731 . |كثير-شيخ|:539/1؛ |كثير-طيبة|:366/1.

2732 . |خالدى-ج|:249-250. انظر أيضاً |و-عامة|:749.

2733 . |شعراوى|:492/1-493.

2734 . حسب القرآن، سليمان نبي، ولم يكفر. أما حسب الكتاب المقدس، سليمان ليس نبياً، واتبع آلهة أخرى غير الله الواحد الأحد، فعاقبه الله بتمزيق مملكته (1 ملوك 11).

2735 . |FV|:124-125.

2736 . |بطال|:442/9.

2737 . |رازى|:213/3. انظر أيضاً |خالدى-ب|:100-101.

2738 . |و-عقيدة|:636.

2739 . |أشقر|:16.

2740 . |شعراوى|:494/1-495؛ |شعراوى-قصص|:242.

2741 . |خالدى-أ|:451/2. انظر أيضاً |خالدى-ب|:96-98؛ |خالدى-ج|:250-251.

2742 . (أحمد 134/2؛ "إسناده ضعيف ومتنه باطل" |ل|:317/10-؛ "إسناده ضعيف" |ل-شاكر|:413/5-) (ابن حبان 6186؛ "إسناده ضعيف" |حبان-أرنؤوط|:63/14-؛ "باطل مرفوعاً" |حبان-ألبانى|:35/9-؛ "باطل مرفوعاً [...] والموقوف صحيح" |ضعيفة|:314/1-) (البزار 5996؛ |بزار|:248/12-249).

2743 . |كثير-شيخ|:523/1-524؛ |كثير-طيبة|:353/1-354؛ |كثير-شاكر|:133/1-134.

2744 . |هيثمى|:68/5؛ |هيثمى|:313/6-314.

2745 . |بارى|:235/10؛ |بارى-طيبة|:203/13-204.

2746 . "إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ" (البخارى 3221؛ |خ|:1248/3)!

2747 . |رزاق|:283-282/1.

2748 . |ل|:319-318/10؛ |حبان-أرنؤوط|:65/14.

2749 . |كثير|:199/1؛ |كثير-شيخ|:525-524/1؛ |كثير-طيبة|:355-354/1؛ |كثير-شاكر|:134/1.

2750 . (المستدرك 608-607/4؛ لم يوافقه الذهبي |حاكم|:650/4).

2751 . |كثير|:201-200/1؛ |كثير-شيخ|:528-527/1؛ |كثير-طيبة|:357-356/1.

2752 . |زحيلى-وجيز|:17.

2753 . "اسم الله الأعظم" له جذور في الأساطير المصرية القديمة. "وتذكر الأساطير أنها (أي: إيزيس) استطاعت معرفة اسم الإله الأعظم الذي وهبها قوة سحرية مطلقة. عندما قَتَلَ "سيت" [زوجَها] "أوزيريس"، جمعتْ "إيزيس" قطع جسمه، ونعته وندبته، وأعادته إلى الحياة" (|قاهرة|:169/42). انظر أيضاً |IDAE|:160.

2754 . (المستدرك 266-265/2؛ قال الذهبي عن الحديثين: "صحيح" |حاكم|:292-291/2). انظر أيضاً |طبرى|:343/2؛ |طبرى-شاكر|:429/2؛ |كثير|:200-199/1.

2755 . (المستدرك 443-442/2؛ ووافقه الذهبي |حاكم|:480/2).

2756 . |كثير|:202-201/1؛ |كثير-شيخ|:529-528/1؛ |كثير-طيبة|:358-357/1.

2757 . |هيثمى|:54/3.

2758 . (المعجم الأوسط 2703؛ |طبرانى-أوسط|:131-130/3).

2759 . |كثير-شيخ|:523-522/1؛ |كثير-طيبة|:353-352/1؛ |كثير-شاكر|:133/1.

2760 . |عرائس|:48.

2761 . |عرائس|:49.

2762 . |خ|:167/1.

2763 . (ابن أبي شيبة 377/2؛ |شيبة|:184/5؛ |شيبة-رشد|:369-368/3؛ |شيبة-فاروق|:332/3).

2764 . (أبو داود 490؛ |د|:132/1؛ "ضعيف" |د-ألبانى|:90).

2765 . |كثير-شيخ|:534/1؛ |كثير-طيبة|:362/1.

2766 . |كثير-شيخ|:532/1؛ |كثير-طيبة|:360/1.

2767 . |وسيط|:157-156/1. انظر أيضاً |حجازى|:132/1؛ |وجدى|:20.

2768 . |منتخب-ن|:30؛ |منتخب-ف|:23.

2769. "There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]" (|EQ|:1\477).

2770 . |وسيط|:156/1.

2771 . |وسيط|:157/1.

2772 . |خالدى-ب|:87.

2773 . |قرطبى|:282/2؛ |قرطبى-مصر|:469/1. انظر أيضاً |قاسمى|:210/2-.

2774 . |بارى|:234/10؛ |بارى-طيبة|:202/13. انظر أيضاً |خالدى-ب|:81، 94-96، 98.

2775 . |طبرى|:339-337/2؛ |طبرى-شاكر|:426-424/2.

2776. "The Talmud confuses the Satans and the fallen angels" (|RHCharles|:2\211).

2777 . (مسلم 2813؛ |م|:2167/4).

2778. سؤال جريء 479,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6518&cat=24&scat=40&
سؤال جريء 53, *https://www.youtube.com/watch?v=UN9OalJnrVw*
حوار الحق 139, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=2369&cat=24&scat=42&

2779 . [ز هـ ر] في المعجم الوسيط: الزُّهَرَة "ألمع جرم سماوي باستثناء الشمس والقمر"، "إلهة الجمال عند الإغريق [أفروديت] وعند الرومان [ڤينوس]". انظر أيضاً |Tisdall|:101؛ |Tisdall-ar|:86؛ |السواح|:170/22.

2780 . انظر الجدول رقم 1 في البحث الذي قام به العالم الكبير "John C. Reeves" (|JAOS|:135/4/822-824).

2781 . |Witztum|:122. انظر أيضاً |Banquet|:202.

2782 . |Mishnah|:397؛ |GR-AQ|:85. وأخذنا الترجمة العربية للمشنا من |قاهرة|:170/22.

2783 . |EI-2|:237/3.

2784 . |AYA|:45. انظر أيضاً |EQ|:404/2؛ |EI-2|:236/3-237.

2785 . راجع الحديث الموقوف على ابْنِ عُمَرَ حين سأل: "أَطَلَعَتِ الْحَمْرَاءُ بَعْدُ (يقصد: كوكب الزُّهَرَة Venus)؟".

2786 . |كتابية|:40/2.

2787. "[…] indeed Babylon generally has a symbolic value as a center of astrology and magic in classical, Jewish, and Christian sources. Of particular interest in this context is the tradition of Jewish magic bowls from Babylon, which date from around the time of the Qurʾān's composition (see *Aramaic Bowl Spells*)" (|GR-AQ|:62).

2788 . |NIV|:22؛ |دراسى|:34-35؛ |ملطى|:التكوين/132-135؛ |نطرون|:التكوين/185-188؛ |آرثر|:75؛ |Kugel|:228؛ |Wild-2|:33.

2789 . راجع الحديث الموقوف على ابْنِ عُمَرَ حين قال: "هُمَا (أي: هاروت وماروت) يُعَذَّبَانِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ".

2790 . |Wild-2|:31-32.

2791 . |Tisdall|:101-104؛ |Tisdall-ar|:86-88.

2792 . وقيل إن الزُّهَرَة كانت أصلاً كوكباً بالمعنى الحقيقي! وقيل إنها لم ترتكب خطايا مع هاروت وماروت، فتحولها إلى كوكبٍ ليس مسخاً وإنما "مكافأة"! انظر |JAOS|:135/4/825-826. ونحن لا نتفق مع هذه الآراء.

2793. |EQ|:2\404 ; |EI-2|:3\237; |JAOS|:135\4\818. "Ces noms en moyen perse sont devenus: *Hordat* et *Amurdat*. Les légendes postérieures parlent de leur chute par amour pour une femme" (|Masson|:787).

2794. https://www.britannica.com/topic/Harut-and-Marut

2795 . |Tisdall|:98-101؛ |Tisdall-ar|:83-85.

2796. الدين والتاريخ 2, https://www.youtube.com/watch?v=2DedfxILHiY

2797 . |Tisdall|:104؛ |Tisdall-ar|:88.

2798 . |ثعلبى|:245/1؛ |ثعلبى-ع|:164/1.

2799 . |GR-AQ|:62.

2800 . |كتابية|:131/1. انظر أيضاً |هامش|:216/3. وقيل غير ذلك.

2801 . |OTP|:157/1. ملحوظة: "أَرْيُوخ ومَريوخ" يُكتبَا أحياناً "أَرْيُوك ومَريوك" (|هامش|:233/3) أو "أُرْيُوك ومَريوك" (|Witztum|:26).

2802 . |قاموس-كتاب|:60.

2803 . |GR-AQ|:62؛ |BT|:242/2-243.

2804 . |Aldeeb|:386؛ |Masson|:787؛ (Yoma 67b) (|BT|:252/5-253).

2805 . |EJ|:592/2؛ |OTP|:966/1. انظر أيضاً |EJ|:149/2.

2806 . "طوبيت" (Tobit) هُوَ والد طوبيًّا (Tobias). ولذلك فإن السفر يُسمَّى "سفر طوبيت" (Book of Tobit) ويُسمَّى أيضاً "سفر طوبيًّا" (Book of Tobias). انظر |مشتركة|:الكتب اليونانية/5-؛ |EJ|:149/2.

2807 . |GR-AQ|:63؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/155-؛ |رعائية|:الكتب اليونانية/153-؛ |Septuagint|:Apocrypha/134-؛ |RHCharles|:647/1-.

2808 . |RHCharles|:1/2-؛ |OTP|:35/2-؛ |Pleiade|:629/337-؛ |هامش|:5/5-؛ |JAOS|:831/4/135-.

2809. “The law, [the author of Jubilees] teaches, is of everlasting validity. Though revealed in time it was superior to time. Before it had been made known in sundry portions to the fathers, it had been kept in heaven by the angels, and to its observance henceforward there was no limit in time or in eternity” (|RHCharles|:2\1).

2810. |هامش|:5\42-;
https://boulosfeghali.org/2017/frontend/web/index.php?r=site/inner&ID=40

2811 . |RHCharles|:163/2-281؛ |OTP|:5/1-89؛ |Pleiade|:465/337-625؛ |Vermes|:545-548؛ |هامش|:12/3-212؛ |Masson|:787؛ |GR-AQ|:63.

2812. “The idea that fallen angels revealed secrets to humans which led to their moral corruption is a central theme of the first part of the Book of Enoch” (|GR-AQ|:63).

2813 . لأمثلة من تلك الأبحاث والدفاع عنها، انظر |JAOS|:832/4/135-842.

2814 . الطوفان (Deluge) هو "النموذج الأول للدينونة الأخيرة" (|هامش|:31/3).

2815. |هامش|:3\31-;
https://boulosfeghali.org/2017/frontend/web/index.php?r=site/inner&ID=40

2816 . أي: كما يُعلَّق الخروف أو التيس المذبوح. لكنهما ظلا أحياء، بدليل قوله بعدها: "وَابْتُلِيَا بِالنُّطْقِ بِعِلْمِ السِّحْرِ".

2817 . |قاهرة|:207/42. مثلاً: الأسطورة الإغريقية الشهيرة "برومثيوس في الأغلال" (Prometheus Bound).

2818 . |السواح|:307/1.

2819 . |JAOS|:829/4/135-830. انظر أيضاً |Katsh|:93؛ |EJ|:450/20.

2820 . الآيات التوراتية لا تقول "صوم" صراحةً، وإنما تقول "تُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ" (اللاويين 16:29-34) (اللاويين 23:26-32) (العدد 29:7-11). تقول دائرة المعارف الكتابية: "ولا شك في أن "تذليل النفس" يتضمن "الصوم"" (|كتابية|:68/5).

2821 . |EQ|:182/2؛ |EI-2|:705/1؛ |EJ|:582/2.

2822 . والتيسان يرمزان إلى يسوع المسيح الذي حَمَلَ خطايانا (مثل تيس عزازيل) ومات على الصليب لِيُكَفِّرَ عن خطايانا (مثل تيس الخطية). اقرأ أيضاً شريعة تطهير الأبرص بعصفورين: أحدهما مذبوح والآخر حي (اللاويين 14:1-7).

2823. “Most of the rabbinic commentators and some moderns take Azazel as the name of the place to which the goat is driven. The great majority of moderns regard Azazel as the personal name of a demon thought to live in the wilderness” (|EJ|:5\573). See also |EJ|:2\763-764; |كتابية|:5\248; |قاموس-كتاب|:620.

2824 . "فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ" (ص 77) (الحجر 34).

2825 . |OTP|:700/1-701. "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" (الأعلى 18-19)؛ "أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ" (النجم 36-37).

2826. |ANF|:8\272-; |JAOS|:135\4\831-; compassionatespirit.com/Books/Homilies/Book-8.htm

2827 . |Burke|:115-116.

2828. |ANF|:4\592-593; www.newadvent.org/fathers/04166.htm

2829 . |خالدى-ب|:102.

2830 . (البخارى 5432؛ [كتاب: الطب، باب: هل يُستَخرَج السحر] |خ|:2175/5-2176؛ |بارى|:243/10) (البخارى 5433؛ [كتاب: الطب، باب:السحر] |خ|:2176/5؛ |بارى|:246/10-247) (البخارى 3004؛ |خ|:1159/3) (مسلم 2189؛ |م|:1719/4-1720؛ |م-نووى|:250/14-255). لاحظ أن صحيح البخارى – الذى يعتقد المسلمون أنه أصح كتاب بعد القرآن – قد أخرج حديث السحر في كتاب "الطب"! انظر أيضاً |دلائل|:92/7-94؛ |ب|:539-541؛ |ج|:547-548؛ |و|:169/3/2؛ |خالدى-ب|:102-107.

2831 . |و|:52/10/3-53. انظر أسباب نزول المعوذتين: |ب|:539-541؛ |ج-البغا|:827؛ |ج|:547-548؛ |درمنثور|:792/15-795؛ |خازن-بغوى|:535/6-538؛ |واحدى-وجيز|:1242/2؛ |واحدى|:572/4-573.

2832 . المُشَاطَة هي الشعر الذي يسقط من الرأس أو اللحية إذا مشَّطه صاحبه بالمشط. أو كما يقولون بالعامية في الأفلام والمسلسلات العربية: "حاجة مِن أَثَره (أي: مِن أثره)".

2833 . |بارى|:244/10؛ |بارى-طيبة|:217/13.

2834 . |مفصل|:748/6.

2835 . |م-نووى|:250/14-251.

2836 . |و|:157/3/2؛ |و|:164/3/2؛ |و|:184/5/3؛ |و|:241/12/1-247؛ |و|:164/3/2-172؛ |و|:218/9/3-229.

2837 . |عبده|:564/5-567. انظر أيضاً |ظلال|:4008/6؛ وكتاب د. أحمد شوقى الفنجرى، "أحاديث موضوعة فى كتب التراث تسىء إلى الإسلام وتؤخر المسلمين"، دار أخبار اليوم، ص 61-81.

2838 . |ضيف|:203.

2839 . |مفصل|:743/6.

2840 . انظر مثلاً |دلائل|:92/7-94.

2841 . (البخارى 5130؛ |خ|:2075/5) (مسلم 2047؛ |م|:1618/3).

2842 . (البخارى 3112؛ |بارى|:388/6-389)؛ (مسلم 2366؛ |م-نووى|:174/15-175). انظر تفاسير (آل عمران 36). وانظر أيضاً |كثير-هاشمى|:488-489، 542؛ |كثير-بديوى|:591-592، 661؛ |و|:20/10/3؛ |EI-2|:82/4.

2843 . |مفصل|:753/6.

2844 . |و|:101/10/3.

2845 . |ج-البغا|:761؛ |ج-وطن|:566؛ |ج|:566؛ |واحدى-وجيز|:1125/2.

2846 . |ميسر|:482.

2847 . |و|:170/3/2.

2848 . |قرطبى|:184/21؛ |قرطبى-مصر|:466/9.

2849 . ويبدو لنا أن هذه الفكرة القرآنية مستوحاة من الإنجيل الذي يقول إن رُؤَسَاء اليهود حسدوا يسوعَ. فلقد "عَرَفَ [بِيلاَطُسُ] أَنَّ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ [اليهود] كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوهُ (أي: أَسْلَمُوا يسوعَ) حَسَدًا (أي: بسبب شعبيَّة يسوع المتزايدة)" (مرقس 10:15).

2850 . (البخارى 5408؛ [كتاب: الطب، باب: العين حق] |خ|:2167/5؛ |بارى|:213/10) (مسلم 2187؛ [كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقى] |م|:1719/4؛ |م-نووى|:245/14). لاحظ أن صحيح البخارى – الذى يعتقد المسلمون أنه أصح كتاب بعد القرآن – قد أخرج حديث الحسد فى كتاب "الطب"! وأخرجه صحيح مسلم فى باب "الطب والمرض والرقى"! ولا ندري ما العلاقة بين الحسد والطب!

2851 . |بارى|:210/10، 213؛ |و|:97/10/3، 99.

2852 . (مسلم 2188؛ |م|:1719/4؛ |م-نووى|:245/14).

2853 . انظر مثلاً |م-نووى|:246/14-248؛ |عياض|:83/7-84؛ |م-لاشين|:544/8-545؛ |طبرى|:751/24.

2854 . |حجازى|:188/2. انظر أيضاً |طنطاوى-قصص|:257/1، 277-278؛ |شعراوى|:7016/11-7017.

2855 . |بارى|:210/10؛ |بارى-طيبة|:162/13؛ |و|:101/10/3.

2856 . |م-لاشين|:540/8.

2857 . |و|:103/10/3.

2858 . (البخارى 5406؛ [كتاب: الطب، باب: رُقية العين] |خ|:2166/5-2167) (مسلم 2195؛ [كتاب: السلام، باب: استحباب الرُقية من العين والنملة والحُمة والنظرة] |م|:1725/4). "النملة" هى قروح تخرج فى الجنب!

2859 . (مسلم 2185-2186؛ |م|:1718/4-1719).

2860 . (البخارى 5407؛ |خ|:2167/5) (مسلم 2197؛ |م|:1725/4).

2861 . (الطيالسى 1868؛ |طيالسى|:317/3).

2862 . |صحيحة|:372/2-373.

2863 . |هيثمى|:106/5.

2864 . |و|:99/10/3.

2865 . |قرطبى|:185/21-186؛ |قرطبى-مصر|:467/9.

2866 . |طبرى|:202/23.

2867 . (النسائى 5494؛ |س|:271/8؛ وقال الألباني "صحيح" |س-ألبانى|:828؛ |س-صحيح|:472/3).

2868 . (ابن ماجه 3511؛ |هـ|:241/3؛ |هـ-أرنؤوط|:544/4؛ |هـ-سندى|:120/4؛ وقال الألباني "صحيح" |هـ-ألبانى|:586؛ |هـ-صحيح|:176/3).

2869 . |مفصل|:751/6-752.

2870 . |Reynolds|:58.

2871 . |KHO-GP|:367. وقيل إن الصابئين هُمْ "المانويين" (Manicheans)، أى: أتباع الديانة المانوية (Manichaeism) (|QHC|:81؛ |QHC-ar|:131). ويمكن الجَمْع بين القولين لأن المانوية تُحسَب أيضاً ضمن التيارات الغنوسية أو المتأثرة بالغنوسية. كما قيل إن الصابئ هو مَن يترك دينَه ويدين بدينٍ آخر. انظر المعجم و |EQ|:511/4-513؛ |كتابية|:235/5.

2872. 51 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=7qrmyZRgrKs
52 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=YOs0vy86u_k
53 سؤال جريء, *https://www.youtube.com/watch?v=UN9OalJnrVw*

2873 . |مفصل|:710/6.

2874 . (مسلم 3030؛ |م|:2321/4) (البخارى 4437-4438؛ |خ|:1747/4-1748).

2875 . |طبرى|:163/21.

2876 . انظر أيضاً ما قاله أبو حيان الأندلسى فى سورة الجن (|بحر|:339/8).

2877 . وقيل إن المقصود بـ "سلالة" هو "خلاصة"، فيكون المعنى: من خلاصة الطين؛ أو مِن خلاصة سُلَّتْ من بين الكدر.

2878 . وقيل إن "علق" تعنى "طين" (argile) (clay) أو "طين لاصق / لزج" (argile collante) (sticky clay) (|Luxenberg|:305-306؛ |AOB-Subsidia|:221/3).

2879 . |قرطبى|:203/12؛ |قرطبى-مصر|:383/5.

2880 . |شعراوى|:2866/5. الشيخ محمد متولى الشعراوى، "الغيب"، أخبار اليوم، قطاع الثقافة 1998، ص 119.
انظر أيضاً |شعراوى-قصص|:18؛ |أشقر|:263؛ |بكر|:18؛ |شوقى-قصص|:164-165؛ |مجلس|:108-109؛ |و|:15/9/1-17.

2881 . قيل إن النار لم تُستخدَم في خلق الإنسان! وذلك حتى يكون الجن فقط هو المخلوق من نار كما يقول القرآن (الحجر 26-27) (الرحمن 14-15). لمزيد من التفاصيل، انظر |EQ|:24/1.

2882 . (أبو داود 4693؛ |د|:222/4؛ "صحيح" |د-ألبانى|:847؛ |د-صحيح|:143/3-144) (الترمذى 2955؛ "حَسَنٌ صَحِيحٌ" |ت|:47/5؛ "صحيح" |ت-ألبانى|:662؛ "صحيح" |ت-صحيح|:183/3). انظر أيضاً الأحاديث الواردة في خلق آدم (|كثير-هاشمى|:29-39؛ |كثير-بديوى|:47-60) و |طبرى-قصص|:17؛ |عرائس|:27.

2883 . |EJ|:375/1؛ |EI-2|:177/1؛ |BT|:189/16.

2884. الدليل 274,
https://youtu.be/AGN7TsIpQOM?list=PLgzNBVDjQEIj1550UcSMsRdbjryWDYzSc

2885 . |طيب|:49. انظر أيضاً |عبدالحليم|:50-51.

2886 . |بهجت|:39.

2887 . [← **"فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ. إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ" (هود 74-75)]**.

2888. "[غافر 64] The verb used for "forming" in this verse (cf. [آل عمران 6]; [الأعراف 11]; [الحشر 24]; [التغابن 3]) – Ar. *ṣawwara* [صَوَّرَ] – is related to the Hebrew *yāṣar* as it is used in Gen 2:7: "The Lord God shaped [*wayyīṣer*] man from the soil of the ground and blew the breath of life into his nostrils, and man became a living being"" (|GR-AQ|:716).

2889 . |NIV|:8؛ |دراسى|:11.

2890 . "كان العلم الطبي القديم يتصوّر تكوّن الجنين كتجمّد دم الأم بتأثير عنصر الزرع" (|يسوعية|:العهدالقديم/1065)!

2891 . |Witztum|:122. انظر أيضاً |Banquet|:202.

2892 . |EQ|:476/1.

2893 . |قاهرة|:280/22؛ |Mishnah|:449.

2894 . |EJ|:372/1.

2895. Claude Traunecker, Chargé de recherche au CNRS, "Les Dieux de l'Égypte", Paris : Presses Universitaires de France, 2e édition corrigée : 1993, p. 87.

2896 . |Lalouette|:46؛ |IDAE|:169؛ |Grandet|:176؛ |OTParallels|:59، 61.

2897 . |Lalouette|:52.

2898 . |السواح|:183/22.

2899 . |BK|:528؛ |Bottero|:48. يمكن قراءة قصة خلق الإنسان في ملحمة أتراحاسيس باللغة الفرنسية في |BK|:535-539 أو |ProcheOrient|:28-31. وترجمة القصة إلى اللغة العربية موجودة في |أساطير|:29-32.

2900. Georges Roux, "La Mésopotamie", Paris : Seuil, 1995, p. 137.

2901 . وما زلنا إلى اليوم نقول إلى الأم "مامي" ونقول إلى الجدة "نينا" أو "نينتو".

2902 . |Bottero|:49.

2903 . انظر: الشيخ محمد متولى الشعراوى، "الغيب"، أخبار اليوم، قطاع الثقافة 1998، ص 56.

2904. مصادر الحج – محمد المسيَّح, https://www.youtube.com/watch?v=wMSOidDQdQU

2905 . |Bottero|:47. يمكن قراءة ملحمة إينوما إيليش باللغة الفرنسية في |BK|:602 (قصة خَلْق الإنسان ص 637) أو في |ProcheOrient|:36 (قصة خَلْق الإنسان ص 59)، وباللغة العربية في |أساطير|:39 (قصة خَلْق الإنسان ص 66).

2906 . |BK|:603.

2907. |EJ|:1\371.

2908 . لتوضيح معنى السؤال: توجد أدلة تاريخية معاصرة للمسيح أو بعده بقليل تؤكد أن يسوع المسيح شخص حقيقي تاريخي. مثل الخطاب الذي أرسله (Pliny the Younger) إلى الإمبراطور الروماني تراجان (Trajan) في أوائل القرن الثاني الميلادي (|Pagels|:77). لمزيد من الأدلة التاريخية، انظر
http://www.newadvent.org/cathen/08375a.htm

السؤال: هل توجد أية أدلة تاريخية معاصرة لـ "آدم" أو بعده بقليل تؤكد أن "آدم" شخص حقيقي تاريخي؟!

2909 . |السواح|:184/22-185.

2910 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

2911. “The question of the proper interpretation of God’s “hand” or “hands” held a central place in the debates over corporealism (التجسيم) and anthropomorphism (التشبيه)” (|EQ|:1\24).

2912 . "فَكُبْكِبُوا فِيهَا (أي: في نار جهنم) هُمْ وَالْغَاوُونَ (أي: الذين أضلوهم). وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ" (الشعراء 94-95).

2913 . واللهِ لم ينكر ما قاله إبليس! فمِن عجائب الدنيا الإسلامية – بل: مِن غَرائِبِ القرآن – أن الله قد يُغْوِي (أي: يُضل) مخلوقاته! سؤال: على أي أساس سيحاسبهم اللهُ إذا كان هو الذي أضلهم؟! قيل إن "يُغْوِي" تعني: يُهْلِك! وقيل إن الإضلال يؤدي إلى الإهلاك.

2914 . وبعد وفاة محمد، تحولت كلمة "خليفة" إلى كلمة سياسية، وظل المسلمون يستخدمونها حتى انهيار الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى فى القرن العشرين، ويوجد الآن مَن يريد إعادة "الخلافة" الإسلامية مرة أخرى! قال الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى (الواعظ بالمسجد النبوي الشريف): "استدل بهذه الآية (البقرة 30) على وجوب نصب خليفة للمسلمين يحكمهم بشريعة ربهم عز وجل" (|جزائرى|:40/1)!

2915 . |EI-2|:178/1.

2916 . |مجلس|:119. انظر أيضاً |طيب|:52.

2917. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

2918 . (المستدرك 261/2؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:287/2).

2919 . |طبرى|:478/1؛ |طبرى-شاكر|:450/1. انظر أيضاً |درمنثور|:241/1-242؛ |ثعالبى|:205/1؛ |كثير-هاشمى|:9؛ |كثير-بديوى|:22؛ |Reynolds|:41-42.

2920 . |واحدى-وجيز|:98/1؛ |واحدى|:113/1. انظر أيضاً |شوكانى|:156/1.

2921 . |شعراوى-قصص|:12. |شعراوى|:241/1-242.

2922 . |رمضان|:21/2 نقلاً عن مقال للأستاذ أحمد بهجت. انظر أيضاً |رمضان|:23/2-24.

2923 . |ج-البغا|:7؛ |ج-وطن|:6؛ |ج|:6. انظر أيضاً |خازن-بغوى|:59/1-60. اقرأ (ص 26).

2924 . |قرطبى|:394/1؛ |قرطبى-مصر|:250/1؛ |عطية-مصر|:218/1؛ |عطية-قطر|:166/1؛ |كشاف-ع|:251/1؛ |كشاف-ش|:70؛ |بحر|:289/1؛ |Aldeeb|:378؛ |Reynolds|:41. مثل "لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً" (يونس 92) "وإبدال بعضهم الفاء بقاف فقرءوها "لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْقَكَ آيَةً"" (|وجدى|:المقدمة/98؛ |أيوب|:139).

2925 . |و|:66/7/1.

2926 . |بكر|:21. ورد اللفظ مجموعاً فى مواضع أخرى مثل: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ" (الأنعام 165) "هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ" (فاطر 39) "وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ" (النمل 62). انظر أيضاً |كثير-شاكر|:93/1؛ |ضيف|:15؛ |فهد|:6؛ |قرنى|:12.

2927 . |منتخب-ف|:9؛ |منتخب|:9.

2928 . |نجار|:20، 22.

2929 . |ميسر|:7؛ |طنطاوى|:92/1. أو: "مَن يخلف غيره ويقوم مقامه" (|رازى|:165/2؛ |وجدى|:7). انظر أيضاً |طبرى|:476/1-477؛ |طبرى-شاكر|:449/1-450؛ |عاشور|:398/1؛ |صفوة|:47/1.

2930 . |فهد-ن|:614؛ |Haleem|:7؛ |Ghali|:6؛ |Hamid|:6؛ |Muntada|:450؛ |Aldeeb|:79، 378. أو: (générations après générations) (generations after generations) (|فهد-ن|:7؛ |Muntada|:5) (a successive authority) (|Boureima|:20).

2931 . |منتخب-ف|:707؛ |فهد-ف|:7. أو: (viceroy |Pickthall|:6، 599). (vicegerent |منتخب-ن|:14، 990؛ |AYA|:24، 1166؛ |Rodwell|:126؛ |Bell|:6/1، 452/2؛ |Fakhry|:458؛ |Unal|:25، 935؛ |Hamid|:574؛ |EQ|:172/2). (viceregent |EQ|:22/1؛ |Bakhtiar|:5، 526). (vicaire |فهد-ف|:701؛ |Blachere|:33، 584؛ |Boubakeur|:48/1؛ |Boubakeur|:1444/2). (deputy |Fakhry|:9). (lieutenant |Masson|:8، 560؛ |Berque|:29). (substitute |EI-2|:177/1). (one in my stead |Rodwell|:340). (remplaçant |زينب|:6، 454).

2932 . المراجع الإسلامية: تفاسير الروايات القرآنية السبع لأسطورة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس"؛ وكتب قصص الأنبياء: |كثير-هاشمى|:3-10؛ |كثير-بديوى|:15-23؛ |طبرى-قصص|:15-25؛ |عرائس|:27-29؛ |طيب|:48-52؛ |عبدالحليم|:41-50؛ |شعراوى-قصص|:11-21؛ |شعراوى-عجز|:19-28؛ |بهجت|:36-42؛ |بكر|:20-26؛ |شوقى-قصص|:163-166؛ |فضل|:5-8؛ |نجار|:17-22؛ |رمضان|:2/21-24؛ |بدوى|:1/12-21؛ |جمعة|:20-24. انظر أيضاً |مجلس|:91-120؛ |و|:1/7/65-71، 129-132؛ |و|:1/9/20-23.

2933 . ترجم Muhammad Pickthall و Rodwell و Bell كلمة "يَخْتَصِمُونَ" إلى (disputed |Pickthall|:603؛ |Rodwell|:128؛ |Bell|:456/2)، وترجمها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر إلى (se querellaient |منتخب-ف|:710)، وترجمها مجمع الملك فهد إلى (were disputing and discussing |فهد-ن|:618). الترجمات الأخرى تعطى نفس المعنى: (were disputing |Fakhry|:461؛ |Muntada|:453). (dispute |Hamid|:578). (se querellait |Blachere|:487). (se disputaient |Aldeeb|:81). (discuss |AYA|:1175؛ |Haleem|:458). (discutait |Boubakeur|:1452/2؛ |Boureima|:639). (discutaient |Masson|:564). (discutent |زينب|:457). (were arguing |Unal|:942). ((took adversary stands (among themselves |Ghali|:457) (were striving against one another |Bakhtiar|:529). (des délibérations |فهد-ف|:706). (what has been discussed |منتخب-ن|:996).

2934 . |سخاوى|:64/1.

2935 . "الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ" (التثنية 6:13) و (التثنية 10:20). وتقول الوصيتان الأولى والثانية مِن الوصايا العشر (The Ten Commandments): "أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ [...]. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ" (الخروج 20:2-5) و (التثنية 5:6-9).

2936 . |السواح|:22/186-188. انظر أيضاً |EI-2|:177/1.

2937 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Reynolds|:39-54 والمراجع الأخرى التى سنذكرها فى الحواشي السفلية (footnotes).

2938. “**ADAM AND EVE, BOOK OF THE LIFE OF,** […]. General considerations point to composition in Palestine between 100 B.C.E. and 200 C.E.” (|EJ|:1\377).

2939 . |EQ|:525/1.

2940 . "دُوِّن النص الأصلي في نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث، ووُجِدَ اليوناني واللاتيني بين هذا التاريخ وسنة 400م"، "شكلت ترجمة هاتين الوثيقتين: أقدم (إن لم يكن أول) معالجة مختلفة لروايات مختلفة ذات علاقة بالفصول الأولى من سفر التكوين" (|هامش|:30/133، 138). انظر أيضاً |OTP|:2/252، 255؛ |Pleiade|:337/1767.

2941. “As for the date of the earliest version [of the *Life of Adam and Eve*], the Greek one, de Jonge and Tromp have recently written that “it would seem safe to posit its origin … in the second to fourth centuries”” (|Witztum|:80).

2942 . انظر النقاش حول هذه المسألة. مثلاً: |Witztum|:80.

2943. “Satan’s fall is a widely known legend ([…]) which may have arisen as a Midrash on Isa 14:12-15. It is reflected in […]; and the Koran, suras 2, 7, 15, 17, 18, 20, and 38. The account in the *Vita* (i.e. Latin Life of Adam and Eve) could well be among the earliest witnesses to this legend” (|OTP|:2\262). See also |هامش|:30\172, 135; |OTP|:2\252. “The Koran also reflects knowledge of a form of the fall of Satan legend which is close to that of the *Vita*” (|OTP|:2\255).

2944 . يمكن قراءة النص باللغة الإنجليزية في |RHCharles|:137/2؛ |OTP|:262/2؛ |Reynolds|:49؛ |GR-AQ|:38-39؛ |Kugel|:122. وباللغة العربية في |طرزى|:132/1، 145-146، 160-161.

2945 . |Reynolds|:37؛ |ربيع|:100؛ |هامش|:5/10. "التلمود البابلى اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:293/42).

2946. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

2947. |Reynolds|:47. See also |BT|:16\189; |Rodwell|:340; |EJ|:1\372, 374; |JAOS|:135\4\828; |QSC|:61.

2948 . |شوكانى|:156/1.

2949 . |و|:68/7/1.

2950 . |بكر|:22.

2951 . |بهجت|:37. انظر أيضاً |جمعة|:21 وما قاله الطبرى وابن كثير فى هذه المسألة.

2952 . |EQ|:22/1. جاء ذلك فى سياق الحديث عن آدم وحواء.

2953. |BT|:16\190; |EI-2|:1\178.

2954. https://www.youtube.com/watch?v=FyVp5M0olao

2955 . |Reynolds|:47. أضفنا كلمات بين قوسين [] لتوضيح المعنى. انظر التلمود البابلى |BT|:313/16. وانظر أيضاً |Sidersky|:14؛ |EJ|:372/1. ملحوظة: سفر الحكمة (Book of Wisdom) (الذي يُنْسَب إلى سليمان، فيُسمَّى "حكمة سليمان" (Wisdom of Solomon)) هو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha)، ويعود تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد أو الأول بعد الميلاد. فليس كاتبه سليمان. انظر |NOAB|:1431؛ |EOSB|:895؛ |يسوعية|:العهدالقديم/1401؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/48؛ |Septuagint|:Apocrypha/57؛ |NETS|:700؛ |RHCharles|:538/1.

2956 . كانت أساطير الرحلات إلى السماء (Merkabah literature) منتشرة فى الشرق الأدنى القديم قبل ظهور الإسلام. وما "الإسراء والمعراج" إلا مجرد أسطورة إسلامية من هذه الأساطير الشرقية الشعبية. فى أسطورة الإسراء والمعراج، صعد محمد إلى السماء راكباً البُراق وصاحبه الملاك جبريل! وسنتحدث عن أسطورة الإسراء والمعراج فى فصل آخر مستقل.

2957 . "أخنوخ" فى اليهودية/المسيحية هو "إدريس" فى الإسلام. قال عنه القرآن: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا" (مريم 56-57). وسنتحدث عن قصة أخنوخ/إدريس فى فصل آخر مستقل.

2958 . |OTP|:259-258/1. انظر أيضاً |Reynolds|:48. أضفنا كلمات بين قوسين [] لتوضيح المعنى.

2959 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:834/4/135).

2960. |Midrash|:1\58. See also |JSB|:12; |EJ|:1\372, 374; |QSC|:61; |QSC|:66.

2961. |Midrash|:1\61. See also |Reynolds|:47; |QSC|:63; |QSC|:66; |Rodwell|:340; |EJ|:1\372; |EI-2|:1\177.

2962 . مُستوحاة مِن التوراة: "فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ" (التكوين 2:21). حقاً، إن الأساطير لا تنشأ من العدم.

2963. |Midrash|:1\135-136. See also |QSC|:66-67; |السواح|:22\188.

2964. |QSC|:66-67. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-007

2965 . وانتقلت أيضاً إلى كتاب "كنزا ربا" (Ginza Rba; Codex Nazaraeus) الكتاب المقدس للمندائيين (الصابئين؟). لمزيد من التفاصيل، انظر |RHCharles|:137/2.

2966 . |قاموس-كتاب|:186-187.

2967 . ويقول العهد الجديد أيضاً: "بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ فِي يَمِينِ اللهِ، إِذْ قَدْ مَضَى إِلَى السَّمَاءِ، وَمَلاَئِكَةٌ وَسَلاَطِينُ وَقُوَّاتٌ مُخْضَعَةٌ لَهُ" (1 بطرس 3:21-22). إذن: سجد الملائكةُ للمسيح (آدم الثانى / آدم الجديد / آدم الأخير) عند دخوله إلى العالم (العبرانيين 1:6) وعند خروجه مِن العالم (1 بطرس 3:21-22).

2968 . باليونانية: arche. "تعني هذه الكلمة في أصلها اليوناني: الأول من حيث الزمن (البداية beginning) أو الأول في الرتبة (الحاكم ruler)" (|دراسى|:3054؛ |NIV|:1970). والمقصود هنا هو المعنى الثاني: الأول في الرتبة (الحاكم ruler).

2969 . لمزيد من التحليل، انظر |Tisdall|:196-197؛ |Tisdall-ar|:169؛ |Reynolds|:54. أى أن أصحاب القرآن فعلوا كما فعل أصحاب التلمود فى (Sanhedrīn 38b) حين جمعوا بين آيتين (التكوين 26:1) و (المزامير 4:8) وصنعوا قصة خيالية. كذلك جمع أصحاب القرآن بين آيتين (العبرانيين 6:1) و (كولوسى 15:1) وصنعوا قصة خيالية. حقاً، إن الأساطير لا تنشأ من العدم.

2970 . (البخارى 3148؛ |خ|:1210/3) (البخارى 5873؛ |خ|:2299/5) (مسلم 2841؛ |م|:2183/4-2184).

2971 . ملحوظة: طول آدم الضخم جداً أسطورة يهودية قديمة نشأت قبل الإسلام (|Midrash|:54/1-55؛ |Kugel|:82-84). أما طوله سِتُّونَ ذِرَاعًا تحديداً وتحية الملائكة له (في القرآن: سجودهم له) فيُذَكِّرنا بقصة تمثال الذهب الذي صَنَعَه الْمَلِكُ نَبُوخَذْنَصَّرُ "طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ سِتُّ أَذْرُعٍ" (دانيال 1:3)، وأمر نَبُوخَذْنَصَّرُ الناسَ أن يَخِرُّوا وَيَسْجُدُوا لهذا التمثال "وَمَنْ لاَ يَخِرُّ وَيَسْجُدُ، فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ يُلْقَى فِي وَسَطِ أَتُّونِ نَارٍ مُتَّقِدَةٍ" (دانيال 6:3)!

2972 . |يسوعية|:العهدالجديد/610.

2973. “This comparison between Adam and Jesus is the crux of the argument developed in this section [neither that God reduced himself, coming in the form of a Jesus, a servant] [nor that Jesus was equal with God]” http://www.christadelphia.org/wrested.php

2974 . ملحوظة: تُفهَم (فيلبّي 6:2-11) على أنها دليل على لاهوت المسيح! أما نحن فنفهمها من سياقها على أنها دليل على تواضع المسيح وطاعته لله خالقه، بدليل أن بولس الرسول قال قبلها "فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا" (فيلبّي 5:2) وقال بعدها "إِذًا يَا أَحِبَّائِي، كَمَا أَطَعْتُمْ كُلَّ حِينٍ، لَيْسَ كَمَا فِي حُضُورِي فَقَطْ، بَلِ الآنَ بِالأَوْلَى جِدًّا فِي غِيَابِي" (فيلبّي 12:2). وفي جميع الأحوال، فإن (فيلبّي 6:2-11) عبارة عن نشيد أو ترنيمة تُسمَّى (Christ hymn) "وهي تختلف، بإنشائها ومضمونها، عن الفقرة التي ترتبط بها هذه الآيات، حتى رأى المفسّرون فيها نشيداً مسيحياً قديماً جداً لربما حوّره بولس [الرسول] واستشهد به" (|يسوعية|:العهدالجديد/610). انظر أيضاً |JANT|:402. إذن: حتى لو افترضنا جدلاً أن هذه الترنيمة تدل على لاهوت المسيح، فإنها تعبر عن عقيدة مَن ألّفوها، ولا تعبر بالضرورة عن عقيدة بولس الرسول الذي اقتبس منها فقط، ولا تعبر بالتأكيد عن عقيدة يسوع المسيح الذي ربما لم يسمعها أصلاً.

2975. “For Syriac Christian authors the prostration of the angels before Adam at the beginning of human history anticipates the prostration of the angels at the end of human history referred to in Philippians 2:10” (|QSC|:63).

2976. Alexander Toepel: “The *Cave of Treasures* thus appears to be an original work of the late sixth or early seventh century, proposing a Christian view of salvation history with a strong polemical bias against Judaism” (|Bauckham|:1\536).

2977. “[…] though scholars differ concerning its (i.e. the *Cave of Treasures*) date, a recent study has concluded that “a date in the fifth or sixth centuries is very probable”” (|Witztum|:81).

2978. Gabriel Said Reynolds: “Still closer to the Qur’ān is the version of this legend in the *Cave of Treasures*, a Syriac text written some time between the fourth and sixth centuries AD. M.D. Gibson argues that the *Cave of Treasures* was written in the sixth century, but most scholars favor an earlier date” (|Reynolds|:49). See also |Reynolds|:37.

2979 . |طرزى|:94/2.

2980 . هذا حسب نظرية "المصحف العثمانى". أما حسب نظرية "المصحف العباسى"، فيكون كتاب "مغارة الكنوز" السريانى قبل كتاب "القرآن" العربى بأكثر من مئة سنة.

2981 . يمكن قراءة النص باللغة الإنجليزية في |Bauckham|:541/1-542؛ |Reynolds|:50؛ |Kugel|:123؛ وباللغة العربية في |طرزى|:106/2-؛ وباللغة الفرنسية في:

"La Caverne des Trésors: Les deux recensions syriaques", traduites par Su-Min Ri, CSCO Vol. 487, Scriptores Syri 208, Louvain: Peeters, 1987, pp. 6-11.

2982 . مثل: "وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ" (الأعراف 198)؛ والمراد الأصنام، وهي لا تعقل. أو: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ" (البقرة 124)؛ والصواب: فَأَتَمَّها؛ أي: فأدَّاها وقام بها خير قيام.

2983. Prof. Munther Younes: “This suggests that the rules of Arabic syntax as found in the Qurʾān were more flexible than they were later made to be by the Arab grammarians” (|QSC|:65-66). Read online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-007

2984. Prof. Holger Zellentin: “The Qurʾān aptly summarizes such a list (i.e. king, priest, prophet, lord, and head, and ruler) when calling Adam God’s *ḫalīfa*, “viceroy” (see *ḥlp*, “to substitute,” in Jewish and Christian Aramaic)” (|QSC|:66).

2985 . |Witztum|:80.

2986 . |Bauckham|:1/536، 538.

2987. *The Cave of Treasures, Chapter 2:* “On the sixth day, that is, Friday of the first week, […], God spoke: “*Let us make man in our image, according to our likeness,*” […]. […] God formed Adam with his holy hand in his image according to his likeness” (|Bauckham|:1\541).

The Cave of Treasures, Chapter 3: “His ascent [i.e. Adam’s ascent] to paradise took place in the third hour of Friday” (|Bauckham|:1\542).

The Cave of Treasures, Chapter 6: “In the 930th year since creation Adam’s departure from this world [i.e. Adam’s death] took place, on the fourteenth, the day of the full moon of the month Nisan, on the ninth hour of Friday. In the same hour in which the Son of man [i.e. Jesus Christ] gave his soul back to the Father upon the cross our father Adam gave his soul back to his maker and departed from this world” (|Bauckham|:1\545).

2988 . (مسلم 854؛ |م|:2/585).

2989 . (الترمذى 491؛ |ت|:2/282-283؛ وقال الألبانى "صحيح" |ت-ألبانى|:130؛ |ت-صحيح|:1/278-279) (النسائى 1373؛ |س|:3/89-90؛ وقال الألبانى "صحيح" |س-ألبانى|:225؛ |س-صحيح|:1/443).

2990 . (أبو داود 1046؛ |د|:1/274-275؛ وقال الألبانى "صحيح" |د-ألبانى|:181-182؛ |د-صحيح|:1/289-290).

2991 . (أحمد 5/450؛ |ل-شاكر|:17/117-118؛ |ل|:39/196؛ وقالت موسوعة بيان الإسلام "صحيح" |و|:3/4/220).

2992 . (مالك |ط|:1/108-110؛ |ط-أعظمى|:2/150-152؛ |ط-مسالك|:2/443-448؛ وقالت موسوعة بيان الإسلام "صحيح" |و|:3/4/219).

2993 . لمزيد مِن المعلومات عن هذا العمل الأبوكريفى "أسئلة بَرْثُولَمَاوُس" وقراءته باللغة الإنجليزية، انظر |Burke|:86-87؛ |Elliott|:652-672؛ |NTApocr|:1/539-553؛ |Reynolds|:37.

2994 . يمكن قراءة النص باللغة الإنجليزية فى |Elliott|:665؛ |NTApocr|:1/549؛ |Reynolds|:48-49.

2995 . "فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ" (1 كورنثوس 11:7).

2996 . اقرأ أيضاً (التكوين 9:1-7) (المزامير 8:4-9). وفي العهد الجديد: (العبرانيين 2:5-9) (يعقوب 3:7).

2997 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/91. انظر أيضاً |يسوعية|:العهدالقديم/1459؛ |Kugel|:81؛ |RHCharles|:1/375-376.

2998 . |كتابية|:1/131. انظر أيضاً |هامش|:3/216. وقيل غير ذلك.

2999 . |هامش|:3/247؛ |RHCharles|:2/467؛ |OTP|:1/190-191؛ |Kugel|:82؛ |Pleiade|:337/1211.

3000. “To [Syriac] Christian sources […] there is nothing sacrilegious in the prostration of the angels before Adam. To them (i.e. To Syriac Christians) Adam (who bore the perfect image of God until his sin) is a prototype of Christ, the divine (and sinless) son of God” (|QSC|:63).

3001. |Reynolds|:51. “This is also the conclusion of [Denise] Masson […]” (|Reynolds|:51). See |Masson|:781.

3002 . |معاصر|:33. انظر أيضاً |JSB|:12.

3003. 277 الدليل, https://youtu.be/8nvQxNVbe10?list=PLgzNBVDjQEIj1550UcSMsRdbjryWDYzSc

3004 . (البخاري 5873؛ |خ|:2299/5) (مسلم 2841؛ |م|:2183/4-2184).

3005 . |كرماني|:72/22؛ |خ-عيني|:358/22.

3006 . |م-نووي|:260/17. انظر الآراء المختلفة حول هذا الحديث: |باري|:5/11؛ |باري-طيبة|:129/14؛ |بطال|:6/9-8؛ |عياض|:374/8؛ |و|:17/9/1-20؛ |و|:30/8/3-34.

3007. 286 سؤال جريء, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5011&cat=24&scat=40&

3008 . "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية"، تحقيق: د. يحيى بن محمد الهنيدي، د. عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى وآخرون. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 1426هـ. ج 6 ص 373-374.

3009. “In the ancient Near East, the king was often said to be the “image” of the god and thus to act with divine authority” (|JSB|:12).

3010 . (المعجم الكبير 13580؛ |طبراني-كبير|:430/12).

3011 . |هيثمي|:106/8.

3012 . |EQ|:525/1. جاء ذلك في سياق الحديث عن إبليس (الشيطان الرجيم). انظر أيضاً مراجع أخرى في |Witztum|:80؛ |Tottoli|:51.

3013 . |معجم-ألفاظ|:134. |جابري|:253/1.

3014 . انظر المراجع الإسلامية التي ذكرناها في ثنايا حديثنا عن قصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس". وانظر أيضاً |مجلس|:274-276؛ |عمارة|:القرآن الكريم/79-80.

3015 . |معجم-ألفاظ|:382-383؛ |EI-2|:408/9.

3016 . |بكر|:26.

3017 . |و|:131/7/1. |بدوي|:270/1.

3018 . |خالدي-ب|:482.

3019 . |مفصل|:735/6. انظر أيضاً |جابري|:252/1؛ |Reynolds|:56.

3020 . |EQ|:524/1.

3021. Ali Mérad (Professeur émérite à l’Université de la Sorbonne Nouvelle (Paris III)), "L'exégèse coranique", Paris : P.U.F, 1998, p. 29. “Faute de connaissance des langues étrangères, les auteurs musulmans anciens n'ont guère élucidé l'exacte étymologie des mots coraniques d'origine étrangère” (p. 28).

3022 . |NIV|:1472؛ |دراسي|:2256؛ |Segond|:343؛ |قاموس-كتاب|:15-16؛ |سريانية|:9/3؛ |ثاوفيلس|:39؛ |تساؤلات|:161/3؛ |EB|؛ |Reynolds|:56؛ |FV|:47-48.

3023 . انظر: |مفصل|:730/6؛ |NIV|:1472؛ |دراسي|:2256؛ |آرثر|:830؛ |Segond|:343؛ |قاموس-كتاب|:533-535؛ |ثاوفيلس|:39؛ |تساؤلات|:161/3؛ |EB|؛ |FV|:187-190؛ |جابري|:251/1؛ |EQ|:524/1؛ |JSB|:1497.

3024 . |معاصر|:898. انظر أيضاً |JSB|:1497.

3025 . |Reynolds|:57؛ |FV|:190؛ |EI-2|:408/9. انظر أيضاً |Luxenberg|:100-104 الذي يُركِّز على الجذور السريانية للكلمة و |QHC|:207؛ |QHC-ar|:307-308 الذي يُركِّز على جذورها الحبشية (الأثيوبية).

3026 . |QHC-ar|:306؛ |QHC|:206.

3027 . |عثيمين|:الصافات/26. ملحوظة: الكلمة التى تعطى معنى الإبعاد أو الطرد َهى "رجيم". ويبدو أن الشيخ العثيمين قد اختلط عليه معنى "شيطان" ومعنى "رجيم". على أى حال، يكفينا أنه اعترف بأن "شيطان" مأخوذ مِن "شطن".

3028. 345 الدليل,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6268&cat=24&scat=211&
348 الدليل, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6281&cat=24&scat=211&
347 الدليل, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6276&cat=24&scat=211&

3029 . |معجم-ألفاظ|:304.

3030. “Since Qur’ānic *shayṭān* also seems to have an Ethiopic provenance, there is reason to think that this [Ethiopic] phrase [*sayṭān regūm* (“cursed Satan”)] entered into Arabic (and eventually the Qur’ān) as the unit *al-shayṭān al-rajīm*” (|Reynolds|:57). Cf. Genesis 3:14; Matthew 25:41.

3031. “[…] “outcast,” a word which conveniently has some sense of “stoned” (or at least “thrown”) and some sense of “cursed.”” (|Reynolds|:55). For the relation between "rajīm" and "diabolos", see |Reynolds|:58; |IW2002|:338.

3032 . |Reynolds|:54-64؛ |FV|:139-140؛ |EI-2|:408/9. انظر أيضاً تفاسير وترجمات (آل عمران 36)؛ (الحجر 17)؛ (الحجر 34)؛ (النحل 98)؛ (ص 77)؛ (التكوير 25).

3033 . |شحرور|:87/2.

3034 . "وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ" (الملك 5) و (الحجر 16-18).

3035 . "فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ" (ص 77-78) و (الحجر 34-35).

3036. G. van Vloten argues “that in the days of Muḥammad Arabs would pelt snakes with rocks. Hence Muḥammad connected the idea of stoning with the cursing of the serpent (and thus Satan) in the Eden story” (|Reynolds|:58).

3037 . |ثاوفيلس|:39. انظر أيضاً |آرثر|:2346؛ |تساؤلات|:158/3. ملحوظة: حسب العقيدة المسيحية، الملائكة لهم إرادة حرة (free will). بخلاف الإسلام الذي يقول إن الملائكة مجبولون على طاعة الله، وليس لهم إرادة حرة.

3038 . [← "كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (الحشر 16) "وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ [...] إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (الأنفال 48)].

3039 . |و|:129/7/1. انظر أيضاً |بكر|:25.

3040 . انظر |طنطاوى|:534/8؛ |ج-البغا|:388.

3041 . |قرطبى|:438/1؛ |قرطبى-مصر|:275/1؛ |و|:129/7/1.

3042. |طبرى|:1\486; |طبرى-شاكر|:1\458; |ب|:299; |كثير-هاشمى|:9-10; |كثير-بديوى|:22. “By naming the devil’s group of angels “Jinn,” *Tafsīr Muqātil* is able to explain why the Qur’ān includes the devil among the *jinn* (Q 18.50) even while it implies by the prostration scene that he was an angel.” (|Reynolds|:41)

3043 . |طبرى|:537/1، 289/15 ؛ |طبرى-شاكر|:503/1.

3044 . |EI-2|:669/3. ملحوظة: القرآن لم يقل إن الملائكة مخلوقين من نور. وإنما كتب السُّنَّة هي التي تقول ذلك.

3045 . انظر |بكر|:25-26؛ |بهجت|:39؛ |و|:70/7/1؛ |زهرة|:197/1؛ |شعراوى|:256/1-257؛ |شعراوى-قصص|:26-27؛ |نجار|:24.

3046 . |و|:130/7/1. انظر أيضاً (المستدرك 261/2؛ |حاكم|:287/2)؛ |كثير-هاشمى|:9؛ |كثير-بديوى|:22؛ |EI-2|:669/3؛ |EQ|:527/1؛ |Reynolds|:41-42.

3047 . |بدوى|:15/1.

3048 . |EQ|:527/1.

3049 . |EI-2|:3/669.

3050 . انظر مثلاً |EQ|:3/44؛ |GR-AQ|:862، 237.

3051. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

3052 . |EJ|:18/72. انظر أيضاً |JSB|:1492؛ |Witztum|:135.

3053. “the Satan (“Adversary”) begins to appear as an individual personality only in the Persian period (Zech. 3.1; 1 Chron. 21.1)” (|JSB|:1492). Persian period is 539-333 BCE (|JSB|:2224).

3054 . |المسيح|:136-141.

3055 . "وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ (أي: قَلْبِ الإِنْسَانِ) إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ" (التكوين 6:5). ملحوظة: لم تذكر التوراةُ أبداً كلمةَ "الشيطان" بالمعنى المتعارف عليه حالياً!

3056 . |المسيح|:318.

3057. “Isaiah 14:12-17 [is] the *locus classicus* for the [Christian] idea that Satan is in reality a fallen angel” (|Kugel|:122). But also read |Kugel|:204-205.

3058. “The Hebrew word *Zaphon* only comes to mean north because it refers to a mountain that was in the north [...] the “sacred mountain” (Ps [48:2]), the high heavens where the gods meet in assembly and, in Ugaritic literature, where Baal’s house is” (|IVP-OT|:505). Cf. Job 26:7.

3059 . أو أن (إشعياء 14:4ب-21) تتحدث عن موت مَلِك أشوري، ثم أضيفت المقدمة (إشعياء 14:1-4أ) لاحقاً من أجل التنبؤ بموت ملك بابلي (|JSB|:794)، وكلاهما من أعداء إسرائيل على أية حال. انظر أيضاً |يسوعية|:العهدالقديم/1551.

3060 . |كتابية|:4/288.

3061 . ومن نفس الأصل اللغوي، جاءت كلمة "سحور" وهي الوجبة التي يأكلها المسلمون في آخر الليل قبيل الفجر في رمضان!

3062 . وهذا لا يزال يحدث إلى اليوم. مثلاً: الإخواني "محمد مرسي" رشّح نفسه لرئاسة مصر، مع أنها مهمة كبيرة لا يستطيع القيام بها، ووصل إلى الرئاسة بالفعل لكنه سقط سريعاً مِن القصر إلى السجن حتى مات في النهاية بعد أن خسر كل شيء!

3063 . |يسوعية|:العهدالقديم/1552. انظر أيضاً |Alter|:2/668-669.

3064 . |JSB|:794-795. لمزيد من الأمثلة عن أساطير التمرد على الآلهة، انظر |IVP-OT|:603-604.

3065 . |قاهرة|:43/695. لقراءة الأسطورة الإغريقية "سقوط فايثون (البرّاق)" بالتفصيل، انظر |March-ar|:2/158-159.

3066 . "قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا. [...] هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء 61-62)؛ "فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" (ص 82-83)؛ "بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" (الحجر 39-40)؛ "فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ" (الأعراف 16-17).

3067. 452 الدليل, https://www.youtube.com/watch?v=Jq3Np1ExcLA

3068 . |يسوعية|:العهدالقديم/1568. اقرأ أيضاً الترجمة الإنجليزية لأسطورة لاوياثان (Litan) (|IVP-OT|:618).

3069 . |EJ|:12/696. انظر أيضاً |IVP-OT|:618، 540-541، 510-511؛ |السواح|:22/176-177.

3070 . |JSB|:817. انظر أيضاً |NIV|:1070، 1066؛ |IVP-OT|:618، 540-541، 510-511.

3071 . |كتابية|:62/7. انظر أيضاً |كتابية|:583/1. أخذنا الآيات الكتابية من الكتاب المقدس. انظر أيضاً تفاسير (المزامير 74:13-14). مثلاً |نطرون|:المزامير/334/3؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/197/11.

3072 . |كتابية|:588/1.

3073. |آرثر|:865, 956. “Relics of the bones or footprints of prehistoric reptiles may have been found by the ancients (such footprints have been discovered at Bet Zayit in the vicinity of Jerusalem) and these may have served as the inspiration for the myth of the destruction of these gigantic creatures” (|EJ|:12\697).

3074 . "أَهْلُ مَوَاشٍ مُنْذُ صِبَانَا إِلَى الآنَ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا" (التكوين 46:34) "رُعَاةُ غَنَمٍ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا" (التكوين 47:3). **[← "وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ (أي: من البادية؛ من الصحراء)" (يوسف 100)].**

3075 . |قاموس-كتاب|:826.

3076 . تفسير (المزامير 104:26) (|مارمرقص|:العهدالقديم/44/12). و (أيوب 41:1) (|مارمرقص|:العهدالقديم/469/9).

3077 . تفسير (المزامير 74:13-14) (|مارمرقص|:العهدالقديم/197/11).

3078 . |ملطى|:المزامير 101-110 / 122.

3079 . |ملطى|:إشعياء/253.

3080. “It may be that the fall of Satan, portrayed as a seven-headed dragon in Revelation 12:3-9, also echoes the Ugaritic image of Litan as “the tyrant with seven heads”” (|IVP-OT|:618).

3081 . |NIV|:1054؛ |دراسى|:1641؛ |آرثر|:2346،1090؛ |قاموس-كتاب|:15-16، 533-535؛ |AFU|:292؛ |ثاوفيلس|:39-42؛ |EB|.

3082 . |عبده|:133/4. انظر أيضاً |منار|:266/1.

3083 . انظر ترجمات الكتاب المقدس و |Reynolds|:60.

3084 . |شحاته|:51/1. انظر أيضاً |زهرة|:199/1؛ |زهرة|:2798/5؛ |جابرى|:254/1؛ |Reynolds|:54،40.

3085 . |Bauckham|:542/1. أضفنا كلمات بين القوسين [] للتوضيح. وباللغة الإنجليزية أيضاً فى |Reynolds|:61. وباللغة الفرنسية فى:

"La Caverne des Trésors: Les deux recensions syriaques", traduites par Su-Min Ri, CSCO Vol. 487, Scriptores Syri 208, Louvain: Peeters, 1987, pp. 10-11.

3086 . |Badawi|:195-196.

3087 . هذا الاعتراف (Confession) بالذنب يميز آدم وحواء عن إبليس. إبليس لم يعترف بذنبه ولم يطلب المغفرة والرحمة.

3088 . وقيل إن الخطاب بصيغة الجمع "اهْبِطُوا" لآدم وحواء وتتبعهما الذرية. والمقصود: العداوة بين بني آدم بعضهم لبعض (مثل: الخصام والحروب والقتل ونحو ذلك). وهذا التفسير يجعل العداوة بين البشر نوعاً من العقاب الإلهي لهم.

3089 . "اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا" (غافر 64).

3090 . الاختيار بين الحياة والموت، بين الخلاص والهلاك: "«اُنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ، بِمَا أَنِّي أَوْصَيْتُكَ الْيَوْمَ أَنْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ لِكَيْ تَحْيَا وَتَنْمُوَ، وَيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا. فَإِنِ انْصَرَفَ قَلْبُكَ وَلَمْ تَسْمَعْ، بَلْ غَوَيْتَ وَسَجَدْتَ لآلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدْتَهَا، فَإِنِّي أُنْبِئُكُمُ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ لاَ مَحَالَةَ تَهْلِكُونَ. لاَ تُطِيلُ الأَيَّامَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ عَابِرٌ الأُرْدُنَّ لِكَيْ تَدْخُلَهَا وَتَمْتَلِكَهَا. أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ، إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْمَعُ لِصَوْتِهِ وَتَلْتَصِقُ بِهِ، لأَنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ وَالَّذِي يُطِيلُ أَيَّامَكَ لِكَيْ تَسْكُنَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ إِيَّاهَا" (التثنية 30:15-20). اقرأ أيضاً (المزامير 1:6).

3091 . "وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ" (الرؤيا 21:4).

3092 . الْغَيّ ضد الرُّشْد. "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ (أي: الهدى؛ الحق) مِنَ الْغَيِّ (أي: الضلال؛ الباطل)" (البقرة 256). وفي لسان العرب [غ و ى]: "الْغَيُّ: الضَّلالُ والخَيْبَةُ [...] الْغَيُّ: الفَسادُ [...]".

3093 . وقيل إن الخطاب بصيغة المثنى "اهْبِطَا" لآدم والشيطان. والمقصود: العداوة بين بني آدم وجنود الشيطان. وسنناقش هذه المسألة بعد قليل.

3094 . الاختيار بين الحياة والموت، بين الخلاص والهلاك (التثنية 30:15-20). اقرأ أيضاً (متى 7:13-14).

3095 . في الجنة قبل السقوط، كان الإنسان نباتياً (vegeterian) أو بعبارة أخرى: كان الإنسان يأكل الثمار (frugivore) (التكوين 1:29). وفي جميع الأحوال، لا يأكل اللحم. لأن أكل اللحم يحتاج ناراً للطهو، ولا يوجد نار في الجنة!

3096 . وقُرِئت "فأزَالَهُما" (|معجم-قراءات|:1/47؛ |خطيب|:1/83). انظر أيضاً |Witztum|:69.

3097 . مثل "إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ (أي: استدرجهم إلى الزَّلَل) بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا [...]" (آل عمران 155).

3098 . مثل "وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ (أي: خديعة ومكراً وغشاً) فَتَزِلَّ قَدَمٌ (أي: زَلِقَت) بَعْدَ ثُبُوتِهَا [...]" (النحل 94).

3099 . الاختيار بين الحياة والموت، بين الخلاص والهلاك (التثنية 30:15-20). اقرأ أيضاً (يوحنا 3:18).

3100 . "وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ" (الرؤيا 21:4).

3101 . انظر تفاسير القرآن وقصص الأنبياء. مثلاً: |طبرى|:1/586؛ |طبرى-شاكر|:1/546؛ |ج-البغا|:9؛ |ج-وطن|:6؛ |ج|:7؛ |ضحاك|:1/152؛ |رزاق|:1/267-268؛ |واحدى-وجيز|:1/100-101؛ |واحدى|:3/225؛ |طنطاوى|:1/102؛ |ميسر|:7؛ |زهرة|:1/201؛ |ضيف|:16؛ |عبده|:4/142؛ |عثيمين|:البقرة/1/134؛ |أشقر|:6؛ |سعدى|:50؛ |بشير|:1/143؛ |صفوة|:1/51؛ |فهد|:6؛ |جزائرى|:1/45؛ |كثير-هاشمى|:21-22؛ |كثير-بديوى|:36-37؛ |طبرى-قصص|:47؛ |عبدالحليم|:55؛ |شعراوى-قصص|:27-28؛ |بكر|:29؛ |و|:1/9/31.

3102. 7 الدليل, https://www.youtube.com/watch?v=TCiLejV3W6g

3103 . |شهبة|:177.

3104 . |ينابيع|:23/79-81.

3105 . |معجم-ألفاظ|:702.

3106 . |معجم-ألفاظ|:691.

[3107]. “each account is formulated in a way that fits both the themes and the phraseology of its wider literary context. This demonstrates that these Suras have at least some degree of coherence” (|Witztum|:71).

3108 . |معجم-ألفاظ|:155.

3109 . |معجم-ألفاظ|:385. جاء في سور أخرى بصور أخرى ومرة أو مرتين فقط، هي على سبيل الحصر: "شَقِيٌّ" (هود 105)، "شَقُوا" (هود 106)، "شِقْوَتُنَا" (المؤمنون 106)، "الْأَشْقَى" (الأعلى 11) (الليل 15)، "أَشْقَاهَا" (الشمس 12).

3110 . أثناء كتابة هذا الجزء استفدنا كثيراً من |Witztum|:71.

3111 . المراجع الإسلامية: تفاسير الروايات القرآنية الثلاث؛ وكتب قصص الأنبياء: |كثير-هاشمى|:11-22؛ |كثير-بديوى|:24-38؛ |طبرى-قصص|:27-48؛ |عرائس|:29-40؛ |طيب|:53-62؛ |عبدالحليم|:51-60؛ |شعراوى-قصص|:22-29؛ |شعراوى-عجز|:12-18؛ |بهجت|:43-47؛ |بكر|:26-30؛ |شوقى-قصص|:169-180؛ |فضل|:8-10؛ |نجار|:22-40؛ |رمضان|:2/25-34؛ |بدوى|:1/22-29؛ |جمعة|:25-42. انظر أيضاً |و|:1/9/23-38.

3112 . انظر |مجلس|:193-195.

3113 . |قرطبى|:14/156؛ |قرطبى-مصر|:6/234. انظر أيضاً |مقاتل|:3/44؛ |شعراوى|:15/9434-9435؛ |منار|:8/351؛ |عاشور|:16/328؛ |سعدى|:515؛ |ظلال|:4/2355.

3114 . |ج-البغا|:418؛ |ج-وطن|:320؛ |ج|:320.

3115 . |منتخب|:540.

3116 . |أشقر|:320. انظر أيضاً |نسفي|:388/2؛ |شوكاني|:536-535/3؛ |ضيف|:529؛ |جابري|:304/1؛ |صفوة|:250/2.

3117 . |طبري|:190/16؛ |ب|:320. انظر أيضاً |عطية-قطر|:141/6؛ |زهرة|:4803-4802/9؛ |جزائري|:386/3.

3118 . |سخاوي|:548/1.

3119 . |كثير|:316-315/5؛ |كثير-شيخ|:376/9؛ |كثير-طيبة|:322/5؛ |كثير-شاكر|:480/2؛ |كثير-صابوني|:497/2؛ |كثير-شنقيطي|:1163. انظر أيضاً |شحاته|:3210/8.

3120 . |كثير-هاشمي|:19؛ |كثير-بديوي|:33.

3121 . |قرطبي|:486/1؛ |قرطبي-مصر|:304/1.

3122 . |شحاته|:57/1. انظر أيضاً |رازي|:26/3.

3123 . |عثيمين|:البقرة/132/1، 137.

3124 . انظر |كثير-هاشمي|:20؛ |كثير-بديوي|:34؛ |كثير-شيخ|:373/1؛ |كثير-طيبة|:241/1؛ |كثير-صابوني|:56/1؛ |كثير-شنقيطي|:79. انظر أيضاً |قرطبي|:486/1؛ |قرطبي-مصر|:304/1؛ |عطية-مصر|:246/1؛ |عطية-قطر|:190/1؛ |بيضاوي|:55/1؛ |نسفي|:83/1؛ |ألوسي|:238/1؛ |طنطاوي|:103/1؛ |عبده|:146/4؛ |منار|:1/284-285.

3125 . أثناء إعداد هذا الجدول استفدنا كثيراً من |Witztum|:69-75.

3126 . لاحظ وجود كلمة "رَغَدًا" في (البقرة 35) وعدم وجودها في الآية المناظرة (الأعراف 19)! ولقد تكرر ذلك مرة أخرى في قصة بني إسرائيل حيث نجد كلمة "رَغَدًا" في رواية سورة البقرة "وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ" (البقرة 58) بينما لا نجدها في الآية المناظرة في رواية سورة الأعراف "وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ" (الأعراف 161)!

3127 . سؤال: لماذا ترك صاحبُ رواية سورة البقرة الفعلَ "وسوس" واستخدم الفعلَ "ز ل ل"؟ الإجابة: كما قلنا فيما سبق، الرواية السابعة (البقرة 30-34) جعلت إبليس صامتاً تماماً، فَمِن الطبيعي أن تكملتها (البقرة 35-39) تجعله أيضاً صامتاً، ولذلك حذف صاحبُها "الوسوسة" وركّز على أثر اتباعها وهو خروج آدم وحواء من الجنة. احتمال آخر: ربما لم يبدأ استخدامُ الفعل "ز ل ل" للتعبير عن نتيجة اتباع وساوس الشيطان (إبليس) إلا في الفترة المدنية (البقرة 208-209) (آل عمران 155). وفي جميع الأحوال، توجد قراءة أخرى لـ (البقرة 36): "رُوِي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ"" (|خطيب|:83/1).

3128 . في رواية سورة الأعراف، جاء أمر الهبوط (الأعراف 24) مرة واحدة فقط بعد توبة آدم المزعومة (الأعراف 23؟). لكن للتوضيح فقط، اضطررنا أن نضعه قبل التوبة لأنه انتقل إلى أمر الهبوط الأول (البقرة 36) الذي جاء في رواية سورة البقرة قبل التوبة (البقرة 37)!

3129 . وُضِعَت عبارة "بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (الأعراف 24) (طه 123) في أمر الهبوط الأول (البقرة 36)!

3130 . سؤال: لماذا اختار صاحبُ (البقرة 38) عبارةَ "لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (الأعراف 35) وترك عبارةَ "فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ" (طه 123)؟! الإجابة: لأسباب أدبية. سواء لأن عبارة "لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" تتفق مع سجع نهايات الآيات في هذا الجزء من سورة البقرة. أو لأنها عبارة تميز سورة البقرة، فلقد تكررت 6 مرات في سورة البقرة وحدها: الآيات 38، 62، 112، 262، 274، 277. بينما لم تُذكَر في سور أخرى إلا مرة واحدة فقط: (آل عمران 170) (المائدة 69) (الأنعام 48) (الأعراف 35) (يونس 62) (الأحقاف 13). وهذا يؤكد لنا مرة أخرى أن العبارات والألفاظ المستخدمة في كل سورة كانت تؤثر على (و/أو: تتأثر بـ) العبارات والألفاظ المستخدمة في رواية تلك السورة.

3131 . فهذا ما حدث مثلاً في قصة يوسف. لمَّا "جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ" (يوسف 58) لم يغفر يوسفُ خطاياهم فوراً، وإنما جعلهم يمرُّون في تجربةٍ طويلة (يوسف 59-90) حتى اعترفوا بذنوبهم (يوسف 91) فغفر يوسفُ لهم (يوسف 92). وكذلك لمَّا اعترف إِخْوَةُ يُوسُفَ بذنوبهم لأبيهم يعقوب (يوسف 97)، لم يقل يعقوبُ لهم "سَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي" وإنما قال "سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي" (يوسف 98) التي تفيد التسويف والتأجيل. قيل لأنه أراد أن يتأكد أن توبتهم حقيقية لا رجعة عنها. إذن: من الأفضل دراميًا أن تأتي التوبة في نهاية القصة بعد أن يخوض الخطاة تجارب صعبة تقودهم منطقياً إلى التوبة.

3132 . يُسمَّى في مراجع علوم القرآن: "اللَّف والنَّشر على عكس الترتيب" (involution and evolution in reverse). ونجده كثيراً في التوراة والإنجيل والقرآن. مثلاً: "غَلِّظْ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ وَثَقِّلْ أُذُنَيْهِ وَاطْمُسْ عَيْنَيْهِ، لِئَلاَّ يُبْصِرَ

بِعَيْنَيْهِ وَيَسْمَعَ بِأُذُنَيْهِ وَيَفْهَمَ بِقَلْبِهِ" (إشعياء 10:6)؛ (المزامير 22:12-21). "حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ" (البقرة 214). "مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ" قَوْلُ الَّذِينَ آمَنُوا. "أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ" قَوْلُ الرَّسُولِ. مثال آخر من القرآن المكي: "قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ" (ص 84). مثال آخر: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ **اللَّيْلَ** وَ**النَّهَارَ** وَ**الشَّمْسَ** وَ**الْقَمَرَ**" (الأنبياء 33).

3133. "Cette organisation du discours, propre au monde sémitique qui a vu naître le Coran et les textes bibliques, privilégie la construction symétrique. […] – Un exemple? Prenons la structure de la sourate 2, la plus longue: […]" (Rachid Benzine, "Le Coran expliqué aux jeunes", Paris : Éditions du Seuil, 2013, pp. 94-96).

3134. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

3135. “The three accounts are different, yet similar enough for us to reject the idea that they developed independently” (|Witztum|:71).

3136 . "خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ. عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُ" (التكوين 1:5-2). وفي الإنجيل: "فَأَجَابَ [يسوعُ] وَقَالَ لَهُمْ:«أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟" (متى 19:4)؛ "مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللهُ" (مرقس 10:6).

3137 . "وَبَارَكَهُ [اللهُ] وَدَعَا اسْمَهُ آدَمَ يَوْمَ خُلِقَ" (التكوين 5:2). ونلاحظ هنا أن الله هو الذي أعطى اسماً لآدم.

3138 . هل كان آدم حينئذٍ يعلم معنى "الموت" (death)؟!

3139 . هل كان آدم (وحواء) حينئذٍ يعلمان خطورة أن يكونا "مِنَ الظَّالِمِينَ" وتبعات ذلك عليهما في الدنيا والآخرة؟!

3140 . أو كما قيل: "كان [آدم وحواء] عريانين جسديًا، ومستورين روحيًا لهذا لم يجدا ما يخجلهما، لأن ما يخجل الإنسان ليس جسده بل الفساد الذي دب فيه بسبب الخطية" (|ملطى|:التكوين/66). انظر تفاسير (التكوين 2:25).

3141 . |عبدالحليم|:53. انظر أيضاً |جمعة|:28.

3142 . "صَنَعَ [اللهُ] الْكُلَّ حَسَنًا فِي وَقْتِهِ" (الجامعة 3:11) **[⟵ "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" (السجدة 7)؛ "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 14) "أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 125-126)].**

3143 . "فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى (وفي إنجيل متى: هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى). وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ»" (مرقس 12:29-31). "بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ (أي: العهد القديم كُلُّهُ)" (متى 22:40). اقرأ أيضاً (متى 22:37-40) (لوقا 10:25-28).

3144 . |JSB|:14.

3145 . أو أن آدم هو الذي حرَّف الوصيةَ الإلهية حين بلَّغها إلى حواء، ربما حرَّفها بحُسن نية ليضمن أن حواء لن تلمس الشجرةَ المحرمة؛ لكن خطة آدم أدت إلى نتائج عكسية (backfired) (|Kugel|:102-103).

3146 . |سريانية|:7/11-12.

3147. “neither shall you draw near to it” (|Prose|:111). See also |Prose|:112, 118.

3148 . الخدعة التي تُستخدَم إلى اليوم من أجل تجنيد الشباب المسلم في صراع دنيوي على السلطة. النصر أو الشهادة. إما تعيش مَلِك – "مُلْكٍ" (طه 120)، إما تموت شهيد فتحيا إلى الأبد – "مِنَ الْخَالِدِينَ" (الأعراف 20).

3149 . |يسوعية|:العهدالقديم/73؛ |عبرى|:4؛ |JSB|:15؛ |Witztum|:83.

3150. 277 الدليل,
https://youtu.be/8nvQxNVbe10?list=PLgzNBVDjQEIj1550UcSMsRdbjryWDYzSc

3151 . "وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، [...]». فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (التكوين 1:26-27)، (التكوين 5:1-2) **[⟵ "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (أي: في أحسن صورة)" (التين 4)].**

3152 . "[الأُمَمُ] يَلْحَسُونَ التُّرَابَ كَالْحَيَّةِ، كَزَوَاحِفِ الأَرْضِ. يَخْرُجُونَ بِالرَّعْدَةِ مِنْ حُصُونِهِمْ، [...]" (ميخا 17:7).

3153 . (التكوين 15:3) تُسمَّى – حسب الفكر المسيحي – "بِكْر النبوات" أو "الإنجيل الأول"، لأنها أول نبوة كتابية عن المسيح. إنها نقطة البداية لخطة الخلاص (Salvation Plan) المسيحية التي اكتملت في شخص المسيح بعد هذه النبوة بآلاف السنين.

3154 . قبل سقوط الإنسان، أراد اللهُ أن تكون المرأةُ مساويةً للرجل، فخلقهما ذَكَرًا وَأُنْثَى على صورته (التكوين 26:1-27)، وجعل المرأةَ "نَظِير" الرجل (التكوين 18:2، 20). أما بعد السقوط (أي: بعد فساد الطبيعة الإنسانية)، صار الرجلُ يَسُودُ على المرأة (التكوين 16:3).

3155 . يُسمَّى في مراجع علوم القرآن: "اللَّف والنَّشر على عكس الترتيب" (involution and evolution in reverse). ونجده كثيراً في التوراة والإنجيل والقرآن. مثلاً: "إِنْ كَنَزَ [الشريرُ] فِضَّةً [كثيرةً] كَالتُّرَابِ، وَأَعَدَّ مَلاَبِسَ [كثيرةً] كَالطِّينِ، فَهُوَ يُعِدُّ وَالْبَارُّ يَلْبَسُهُ، وَالْبَرِيءُ يَقْسِمُ الْفِضَّةَ" (أيوب 16:27-17). "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ" (غافر 58)؛ "وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ. قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ" (الواقعة 47-50).

3156 . ونلاحظ هنا أن آدم – وليس الله – هو الذي أعطى اسماً لحواء. وأن تسمية حواء حدثت بعد الخطيئة!

3157 . قال الزمخشرى: "وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت (أى: العورات)، وخصف الورق عليها؛ إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى" (|كشاف-ع|:435/2؛ |كشاف-ش|:360).

3158 . "كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ (أي: الشيطان)، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ" (أفسس 1:2-2).

3159 . |رسوليون|:66؛ |هولمز|:438؛ |LostScr|:232. انظر أيضاً |Kugel|:70-71. **[← "وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (الحج 47)؛ "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (السجدة 5)؛ "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا" (المعارج 4-5)!].**

3160 . انظر أمثلة من كتب التراث اليهودي وكتب التراث المسيحي التي أيدت هذا الرأي (|Kugel|:95).

3161 . انظر أمثلة من كتب التراث اليهودي وكتب التراث المسيحي التي أيدت هذا الرأي (|Kugel|:96-97، 127). وتوجد مراجع مسيحية معاصرة تقول إن "العلاقة التي تربط الإنسان بالله هي علاقة عدم الفناء أو عدم الموت، فالإنسان أصلاً مخلوق حي خُلِق ليحيا إلى الأبد، ولكن جاءه الموت ودخل حياته كعقوبة للعصيان على الله للتأديب، على أن الله أرسل ابنَه ليرفع عن الإنسان عقوبةَ الموت ويُدخِل المختارين من البشر إلى الحياة الأبدية مع الله مرَّة أخرى" (|المسيح|:362).

3162 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/47-48؛ |يسوعية|:العهدالقديم/1399، 1401؛ |Kugel|:96، 121، 81؛ |NOAB|:1429-1431؛ |EOSB|:894-895؛ |Septuagint|:Apocrypha/56-57؛ |NETS|:699-700؛ |RHCharles|:536/1، 538.

3163 . |تساؤلات|:8/1-9.

3164 . |معجم-ألفاظ|:24-25.

3165 . |و|:37/9/1-38.

3166 . |شوقى-قصص|:180.

3167 . |جزائرى|:385/3.

3168 . "النصوص المسيحية في العصور الأولى: القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد". ترجمة ومراجعة من خلال هيئة علمية أكاديمية تحت إشراف: د. جوزيف موريس فلتس. القاهرة: مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة 1، مايو 2012، ص 272.

3169. |Reynolds|:59. See also |ANF|:1\251; |Witztum|:89. Read online at: http://www.newadvent.org/fathers/0128.htm

3170. |Kugel|:124-125; |ANF|:4\328. Online: https://www.newadvent.org/fathers/04123.htm

3171 . |إفرام|:118.

3172 . |Paradise|:186-187، 222؛ |Prose|:108، 110-111؛ |Witztum|:91، 93؛ |Reynolds|:59.

3173. “Had the temptation been presented by anything else but an “utterly despicable and hideous (*bse wa-mšakkar*)” creature such as the serpent, Adam and Eve’s responsibility for their transgression would not have been full” (|Witztum|:91). See also St. Ephrem’s Commentary on Genesis 2.18 and 2.26 (|Prose|:109, 116).

3174 . الترجمة العربية (|ينابيع|:67/10-69، 73). الترجمة الإنجليزية والنقحرة السريانية (|Witztum|:92).

3175. |Bauckham|:1\543. See also |Reynolds|:59; |Witztum|:91-92; |Sidersky|:15.

3176. “this theme (i.e. linking the serpent with Satan) is common to Christian writers in other languages as well (i.e. languages other than Syriac)” (|Witztum|:91).

3177 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:834/4/135).

3178. “[…] as soon as she [Eve] was created, Satan was created with her” (|Midrash|:1\137). See also |Reynolds|:59; |Witztum|:90; |Geiger|:78.

3179 . لمزيد من الأمثلة والتفاصيل والمعلومات، انظر |Witztum|:89-90؛ |Kugel|:98-100، 124-125.

3180 . "الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ" (الرؤيا 12:9)؛ "الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ" (الرؤيا 20:2).

3181. |Reynolds|:59. See also |Reynolds|:67-68; |GR-AQ|:38, 254, 502; |EJ|:1\374. Dr. Witztum: “the Quran develops the trend already apparent in the Christian sources” (|Witztum|:93).

3182 . |Bauckham|:542/1-543.

3183 . |Witztum|:81.

3184 . |رازى|:4/3.

3185 . |و|:29/9/1؛ |و|:37/9/1.

3186 . |كثير-شيخ|:369/1؛ |كثير-طيبة|:238/1.

3187. الدليل 3, https://www.youtube.com/watch?v=-c8iHyr76cw
الدليل 275, https://youtu.be/0-LzXXfM-bg?list=PLgzNBVDjQElj1550UcSMsRdbjryWDYzSc
الدليل 290, https://youtu.be/N-Z7IgLeVKI?list=PLgzNBVDjQElj1550UcSMsRdbjryWDYzSc

3188 . |قرطبى|:451/1؛ |قرطبى-مصر|:283/1؛ |كثير|:112/1؛ |كثير-شيخ|:363/1؛ |كثير-طيبة|:233/1؛ |كثير-شاكر|:97/1؛ |كثير-صابونى|:54/1؛ |كثير-شنقيطى|:76؛ |نسفى|:81/1؛ |ماوردى|:104/1؛ |بحر|:308/1؛ |طنطاوى|:99/1؛ |شحاته|:1447/4؛ |كثير-هاشمى|:12؛ |كثير-بديوى|:25؛ |نجار|:25؛ |بدوى|:22/1؛ |و|:37/9/1،29.

3189 . (مسلم 195؛ |م|:186/1-187؛ |م-نووى|:85/3-88؛ |عياض|:584/1-585؛ |م-لاشين|:11/2).

3190 . (البخارى 6186؛ |خ|:2398/5) (مسلم 2826-2828؛ |م|:2175/4-2176).

3191 . (أحمد 462/2، 455؛ "صحيح دون قوله: "شجرة الخلد"، وهذا إسناد ضعيف" |ل|:34/16-35، |ل|:537/15-538؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:358/9، 335).

3192 . انظر: |كثير-هاشمى|:14؛ |كثير-بديوى|:27.

3193 . |عطية-مصر|:240/1؛ |عطية-قطر|:185/1؛ |بحر|:313/1؛ |ثعالبى|:219/1؛ |شوكانى|:165/1.

3194 . |طبرى-تاريخ|:106/1-107.

3195 . |طبرى|:561/1-562؛ |طبرى-شاكر|:526/1.

3196 . (البخارى 3107؛ |خ|:1195/3؛ |بارى|:387/6-388؛ |بارى-طيبة|:562/7).

3197 . انظر مثلاً: |عطية-مصر|:240/1-241؛ |عطية-قطر|:185/1؛ |خازن-بغوى|:489/2-490؛ |بيضاوى|:54/1.

3198 . |جزائرى|:158/2.

3199 . |كثير-هاشمى|:15؛ |كثير-بديوى|:28.

3200 . وقُرِئَت أيضاً "اهْبِطُوا مِصْرَ (Egypt)" بغير تنوين. اقرأ أيضاً الآيات الكتابية التي استخدمت تعبير "النزول" (أي: الهبوط) إلى مصر. مثلاً: (التكوين 2:26) (التكوين 1:39). وما زال المصريون إلى اليوم يقولون بالعامية المصرية: "ننزل مصر" أي: نذهب إلى مدينة القاهرة.

3201 . |زهرة|:202/1.

3202 . |شعراوى-قصص|:22. انظر أيضاً تفسير الشعراوى |شعراوى|:258/1-260؛ |شعراوى|:4076/7-4080.

3203 . |نجار|:26.

3204 . |شوقى-قصص|:177.

3205 . |عبده|:140/4.

3206 . |ألوسى|:233/1. انظر أيضاً |شحاته|:54/1.

3207 . |طنطاوى|:99/1. انظر أيضاً |كثير-شيخ|:363/1؛ |كثير-طيبة|:233/1؛ |شحاته|:1447/4.

3208. البوصلة - أساطير الأولين 28 أبريل 2020,
https://www.youtube.com/watch?v=QItvUY6lHAE
البوصلة - أساطير الأولين 29 أبريل 2020, https://www.youtube.com/watch?v=x5sw3VqmECw

3209. "[I]f Genesis seems to have the Garden of Eden in a well-watered valley or plain somewhere in Mesopotamia, a prominent [Islamic] exegetical tradition locates the Garden of Eden on a high mountain where heaven and earth meet, the "cosmic mountain," as Gary Anderson names it. […] The idea of the cosmic mountain is prominent in midrashic traditions, some of which connect the Temple mount with Eden. Yet it is especially central to Syriac Christian tradition. The *Cave of Treasures* explains that "Paradise is in a high place. It is higher than all of the lofty mountains."" (|Reynolds|:59-60). See also |Bauckham|:1\542; |GR-AQ|:34, 39, 256.

3210. "[…] Ephrem […] envisaged Paradise as high above all mountains. […] Ephrem's picture of Paradise as a mountain is well studied" (|Witztum|:30-31). See also |Paradise|:49-57; |Kugel|:141.

3211. "The orders to descend are reminiscent of the repeated references throughout the Syriac works to Satan and Adam falling" (|Witztum|:110).

3212 . الترجمة العربية (|ينابيع|:57/10-58). الترجمة الإنجليزية (|GR-AQ|:40).

3213. "The declaration "Get down from [the garden]," reflects a cosmology [common in Late Antiquity, especially among Syriac Christians] according to which the Garden of Eden is on a cosmic mountain, the top of which reaches into heaven" (|GR-AQ|:502-503). Cf. |GR-AQ|:40.

3214 . أو يرتبط بـ "كلمة من بلاد ما بين النهرين تعني "سهل" (a plain). ولعل كاتب [سفر التكوين] يلمح إلى كلا المعنيين" (|دراسى|:11-12؛ |NIV|:8). لمزيد من المعلومات عن الجذور العبرية لاسم "عَدْن"، انظر |Kugel|:110-111.

3215 . "اخْتُطِفَ هذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ. [...] اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ" (2 كورنثوس 2:12-4).

3216 . "لأَنْ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ" (رومية 17:14).

3217 . انظر الترجمة السبعينية وتفاسير الآيات الكتابية والقرآنية. ولمزيد من المعلومات عن كيف تطوَّر بمرور الزمن معنى كلمة "فردوس" (باليونانية: paradeisos)، انظر |Kugel|:103-107. انظر أيضاً |Reynolds|:60.

3218 . |هامش|:170/6؛ |Pleiade|:1719/337-1720. أو (رؤيا إبراهيم 6:21) حسب ترقيم آخر (|OTP|:699/1؛ |Kugel|:137). لمزيد من الأمثلة عن المتع الجسدية والمعنوية في الفردوس (جنة عدن) حسب كتب التراث اليهودي، انظر |Kugel|:136-138.

3219 . |قاموس-كتاب|:674.

3220 . |هامش|:176/30. انظر أيضاً |OTP|:268/2.

3221 . |Kugel|:141. لمزيد من الأمثلة، اقرأ |Kugel|:141-142.

3222 . |يسوعية|:العهدالقديم/73؛ |عبرى|:4؛ |JSB|:15؛ |Witztum|:83.

3223. “In the details of this narrative some confusion is found between the tree of knowledge and the tree of life. […]. Muḥammad confuses the two [trees]” (|Geiger|:79).

3224 . |عطية-مصر|:239/1؛ |عطية-قطر|:184/1.

3225 . |EQ|:25/1؛ |EI-2|:177/1. انظر أيضاً ما قاله التراث اليهودي في هذه المسألة (|EJ|:373/1؛ |Kugel|:125).

3226 . |كثير-شيخ|:374/9؛ |كثير-طيبة|:320/5-321. ولقد ذكرنا هذا الحديث وحُكمه فيما سبق.

3227 . |درمنثور|:252/10-253.

3228 . |طبرى|:556/1-557؛ |طبرى-شاكر|:520/1-521. ونقل عنه مفسرون آخرون كثيرون، مثل: |شحاته|:54/1.

3229 . |Bauckham|:542/1؛ |طرزى|:110/2؛ |Witztum|:82.

3230 . لاحِظ معاداة المرأة (misogyny) في التراث المسيحي السرياني. وسنراه مرة أخرى في قصة يوسف في التراث المسيحي السرياني **[⟵ "كَيْد النسوة" الذي تكرر 5 مرات في قصة يوسف القرآنية: مرتين على لسان عزيز مصر "كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ" (يوسف 28)، ومرتين على لسان يوسف "كَيْدَهُنَّ" (يوسف 33) "إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ" (يوسف 50)، ومرة على لسان الراوي (الله حسب العقيدة الإسلامية) "كَيْدَهُنَّ" (يوسف 34)].**

3231 . |Bauckham|:543/1؛ |طرزى|:113/2؛ |Witztum|:82.

3232 . "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (الرؤيا 7:2).

3233 . "لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (1 تيموثاوس 2:5-6) "يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ [...] الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ [...] الَّذِي صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أعمال الرسل 10:4-12).

3234. “the Tree of Knowledge is never mentioned [in the East-Syrian recension of the *Cave of Treasures*], and a reader without familiarity with Genesis could well assume that the forbidden tree is the Tree of Life” (|Witztum|:82).

3235 . "صُلِبَ مَعَهُ (أي: مع يسوع المسيح) لِصَّانِ (two robbers)" (متى 38:27) (مرقس 27:15) (لوقا 32:23) (يوحنا 18:19). اقرأ أيضاً حد الحرابة: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا [...]" (المائدة 33).

3236 . "فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ" (1 كورنثوس 18:1).

3237. “Like the Quran, the “Oriental” version of *Cave of Treasures* makes no mention of the “tree of the knowledge of good and evil” but rather connects the sin of Adam and Eve with the “tree of life.” It does so to make a parallel between the one tree of life and the one cross of salvation (*Cave of Treasures* [Or.], 4:2-5; […])” (|GR-AQ|:255). See also |GR-AQ|:37-38, 502.

3238 . لمزيد من المعلومات عن تاريخ رؤيا سدراخ: انظر |هامش|:242/9، 257؛ |OTP|:606/1؛ |Witztum|:82.

3239 . |هامش|:246/9. انظر الترجمة الإنجليزية (|OTP|:610/1؛ |Kugel|:125-126؛ |Witztum|:82؛ |ANF|:177/9).

3240 . |RHCharles|:163/2-281؛ |OTP|:5/1-89؛ |Lumpkin|:56-120؛ |هامش|:12/3-212.

3241 . الترجمات الإنجليزية تقول "الحكمة" (wisdom) (|Kugel|:125؛ |RHCharles|:207/2؛ |OTP|:28/1؛ |Lumpkin|:72). أما الترجمة العربية فتقول "المعرفة" (|هامش|:56/3). ولا نرى تناقضاً بين الترجمتين.

3242 . |JSB|:1443. انظر أيضاً |Kugel|:125.

3243 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/91. انظر أيضاً |يسوعية|:العهدالقديم/1459؛ |Kugel|:112؛ |Witztum|:83؛ |RHCharles|:375-376/1.

3244. “the Quran’s position may be a response to those Biblical verses (see Prov. 3:18; Wisdom of Sirach 17:11) that seem to connect the themes of life and wisdom or knowledge” (|GR-AQ|:38).

3245 . |JSB|:14-15.

3246 . اقرأ أيضاً: "لاَ تَزِدْ عَلَى كَلِمَاتِهِ (أي: لا تضف شيئاً على كلام الله) لِئَلاَّ يُوَبِّخَكَ فَتُكَذَّبَ" (الأمثال 6:30). انظر أيضاً التلمود البابلي (Sanhedrīn 29a) والمدراش (Genesis Rabbah 19.3) (|Midrash|:149-150/1).

3247 . انظر أيضاً المشنا اليهودية ʾAvot 1.1 (|Mishnah|:446؛ "واجعلوا للتوراة سياجاً" |قاهرة|:273/22)، وما قاله التراث المسيحي في هذه المسألة التي شغلت بال اليهود والمسيحيين قبل الإسلام (|Witztum|:84-85).

3248 . لمزيد من المعلومات عن تاريخ رؤيا عزرا اليونانية، انظر |هامش|:195/9، 176؛ |OTP|:563/1.

3249 . |هامش|:180/9. انظر الترجمة الإنجليزية (|OTP|:572/1؛ |Witztum|:83؛ |ANF|:571/8).

3250 . وهذا الرأي له شاهد في التراث اليهودي/المسيحي. اقرأ مثلاً (يشوع بن سيراخ 17:1-2) (|Kugel|:127). ويقول القرآنُ إن الله "خَلَقَ الْمَوْتَ" (الملك 2).

3251 . |سريانية|:11/7-12؛ |Witztum|:84.

3252. “[…] in the Peshitta *w-lā tetqarrbun lēh* which is ambiguous. It could mean both “do not touch” and “do not approach”. Here we have a precedent for God’s command in the Quran: *lā taqrabā*” (|Witztum|:84). See also |Witztum|:85, 87.

3253. “[T]he Aramaic *Targum Neofiti* […] is of Palestinian provenance […] and was written well before the rise of Islam (ca. 1st century AD). M. McNamara argues for a date of the fourth century AD” (|Reynolds|:38).

3254 . |هامش|:33/10؛ |Targums|:60/1A. انظر أيضاً |Witztum|:84.

3255. “Gen. 3.2-3. The Syriac word *qrb*, can also mean to touch, as it is normally translated in English texts of this passage. As is clear, however, from Ephrem’s ensuing comments, he means they were not even to draw near the tree” (|Prose|:111). See also |Witztum|:86.

3256. Another translation: “but they were not even to draw near in the least to it (*d-āp lā metqarrābu netqarrbun lēh*)” (|Witztum|:86).

3257. English translation (|Prose|:111-112). Syriac transliteration (|Witztum|:86).

3258. For example, “I (i.e. Adam) neither drew near to the tree myself nor did I dare to stretch out my hand towards the fruit” (|Prose|:118).

3259 . الترجمة العربية (|ينابيع|:62/10). النقحرة السريانية (|Witztum|:87-88).

3260 . الترجمة العربية (|ينابيع|:62-63/10). النقحرة السريانية (|Witztum|:88).

3261 . |Witztum|:88.

3262 . وإنه لمِن العجيب أن الله قد ألبس آدمَ وحواء بينما يترك الآن كثيراً من البشر عرايا! عرايا ليس بسبب فتنة الشيطان، وإنما بسبب الفقر والجوع والسياسات الفاشلة للحكومات الظالمة المستبدة.

3263 . |طبرى|:132-135/10؛ |طبرى-شاكر|:373-376/12.

3264 . |Midrash|:147/1، 171؛ |Reynolds|:68؛ |Kugel|:132-133.

3265. “Though this reading of the passage [in the Midrash] is certainly possible, it is not the only one” (|Witztum|:99). For more details, please read |Witztum|:96-100.

3266 . ملحوظة: يقترن المجدُ بالنور في آيات كتابية كثيرة، مثل: "يَا رَبُّ إِلهِي، قَدْ عَظُمْتَ جِدًّا. مَجْدًا وَجَلاَلاً لَبِسْتَ. اللاَّبِسُ النُّورَ كَثَوْبٍ" (المزامير 104:1-2)؛ "قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ" (إشعياء 60:1)؛ "وَالأَرْضُ أَضَاءَتْ مِنْ مَجْدِهِ" (حزقيال 43:2). وإذا كان يسوع رب المجد، فإن مريم العذراء أم النور.

3267 . |هامش|:34/10؛ |Targums|:1A/62؛ |Reynolds|:68؛ |Kugel|:133؛ |Witztum|:96-97، 101-103.

3268. It “might be that the Targums envision Adam and Eve’s clothes as the priestly garments described in Exodus 28:2 and 40 as glorious. […] That the first couple’s garments eventually came to be used by priests is a view found in *Genesis Rabba* 20.12 and elsewhere. Alternatively, the glory might have been introduced from Psalms 8:4-5” (|Witztum|:102). See also |Kugel|:136.

3269. “in the Targums there is no hint that the “garments of glory” are to be understood as pre-fall garments. In fact, evidence to the contrary exists” (|Witztum|:96).

3270. “the “Glorious Clothing” motif preceded, in my opinion, that of “Garments of Light” and was originally quite independent of Gen. 3:21” (|Kugel|:134).

3271 . |هامش|:129/6؛ |RHCharles|:2/536؛ |OTP|:1/669؛ |Kugel|:116؛ |Witztum|:95؛ |Pleiade|:337/1154. يرجع تاريخ سفر باروخ الثالث إلى ما بين القرنين الأول والثالث بعد الميلاد على الأرجح.

3272 . |هامش|:30/150-151؛ |RHCharles|:2/146-147؛ |OTP|:2/281؛ |Kugel|:116، 119؛ |Witztum|:95؛ |Pleiade|:337/1781-1782. يرجع تاريخ رؤيا موسى إلى ما بين القرنين الثاني والرابع بعد الميلاد. ملحوظة: جملة "فأخذتُ أبكي. وقلتُ للحيّة: "لماذا فعلت هذا وغرّبتني من مجدي؟"" غير موجودة في كثير من المخطوطات.

3273 . وإنه لمِن الطريف أن أول عَريس وعَرُوس في الكتاب المقدس هُما آدم وحواء! وزواجهما تم قبل السقوط؛ أي: في الْبِرّ.

3274 . |هامش|:102/3؛ |RHCharles|:2/228-229؛ |OTP|:1/44؛ |Kugel|:135-136؛ |Pleiade|:337/537-538. يرجع تاريخ سفر أخنوخ الأول إلى ما بين القرن الثاني قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي.

3275 . أو (2 أخنوخ 5:22) حسب ترقيم النسخة القصيرة. |هامش|:229/3؛ |RHCharles|:2/443؛ |OTP|:1/138-139؛ |Kugel|:119؛ |Pleiade|:337/1187. يرجع تاريخ سفر أخنوخ الثاني إلى القرن الأول الميلادي.

3276 . |Reynolds|:68. انظر أيضاً |GR-AQ|:255. لمزيد من التحليل والنقد، انظر |Witztum|:95-.

3277 . |Peshitta|:591؛ |Reynolds|:68؛ |Kugel|:115؛ |Witztum|:95-96.

3278. “These [two] verses were understood as referring specifically to Adam” (|Witztum|:95-96). See also |Witztum|:102-103; |Kugel|:115, 82.

3279 . ملحوظة: أشرنا إلى الآية الأولى (المزامير 4:8) عند حديثنا عن المصادر اليهودية التلمودية (Sanhedrīn 38b) للقرآن: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (هو: آدم) [...]" (البقرة 30). اقرأ أيضاً المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 8.6) (|Midrash|:1/58-59؛ |Witztum|:102-103).

3280 . |Kugel|:114-115، 129.

3281 . ملحوظة: يقترن البهاءُ بالمجد في آيات كتابية، مثل: "وَاصْنَعْ ثِيَابًا مُقَدَّسَةً لِهَارُونَ أَخِيكَ [الكاهن] لِلْمَجْدِ وَالْبَهَاءِ" (الخروج 2:28)؛ "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ غُصْنُ الرَّبِّ بَهَاءً وَمَجْدًا" (إشعياء 2:4)؛ (الخروج 40:28) (المزامير 5:8).

3282 . |Vermes|:131؛ |غيزا-فيرم|:231-232؛ |هامش|:2/103؛ |Kugel|:117، 134؛ |Witztum|:95.

3283 . |Kugel|:117؛ |Witztum|:95؛ |RHCharles|:1/506-507؛ |EOSB|:978؛ |يسوعية|:العهدالقديم/1506؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/137؛ |رعائية|:الكتب اليونانية/136.

3284 . |Midrash|:81/1، 91-93، 175؛ |Reynolds|:68؛ |Kugel|:116.

3285. “[In Damascus Document 3.20 and Sirach 49:16] there is no indication that the glory is a garment that covers nakedness”. “*Genesis Rabba* does refer to Adam’s radiance and glory which were lost, but this is never related to his nakedness” (|Witztum|:95, 100).

3286. “This glorious covering may be a development of a still earlier motif that attributed glory to Adam’s appearance in Eden” (|Kugel|:115).

3287 . ومنها جاءت كلمة "جيمنازيوم" (Gymnasium) أو اختصاراً "جيم" (Gym).

3288 . |Kugel|:117-118؛ |RHCharles|:464/1-465؛ |EOSB|:966؛ |يسوعية|:العهدالقديم/1493؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/125؛ |رعائية|:الكتب اليونانية/127. واستدل Prof. James L. Kugel على الترجمة الحرفية بـ "لأَنَّ عَلَى كُلِّ مَجْدٍ غِطَاءً (for over all the glory there will be a covering)" (إشعياء 5:4).

3289 . "القاءات مُبسَّطة ومتهللة مع الأسفار الواردة في الترجمة السبعينية: سفر يشوع بن سيراخ"، إعداد: القمص تادرس يعقوب ملطي والشماس بيشوي بشرى فايز، كنيسة الشهيد مار جرجس – سبورتنج، 2015، ص 60.

3290 . قال يوحنا الْمَعْمَدَانُ: "أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي (أي: يسوع المسيح) هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ" (متى 11:3)؛ "أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ، وَلكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي (أي: يسوع المسيح)، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ" (لوقا 16:3).

3291 . |Witztum|:95-103.

3292 . |Reynolds|:68-69. انظر أيضاً |Prose|:99، 106؛ |Paradise|:184-185؛ |Kugel|:116.

3293 . |نطرون|:التكوين/131.

3294. “It was because of the glory with which they (i.e. Adam and Eve) were clothed that *they were not ashamed*. It was when this glory (i.e. glorious clothing) was stripped from them after (i.e. the very moment) they had transgressed the commandment that they were ashamed because they were naked (i.e. suddenly and utterly naked for the first time)” (|Prose|:106). See also |Paradise|:96; |Witztum|:94; |GR-AQ|:255; |Kugel|:116.

3295. “The opening of their eyes was not so that they would become like God as the serpent had said but so that they would see their nakedness as that enemy (i.e. the serpent; Satan) had expected” (|Prose|:113). See also |Witztum|:105, 113.

3296 . مثل "فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا" (القصص 8). انظر الخلاف حول هذه المسألة في المراجع الإسلامية وغير الإسلامية (مثلاً |رازى|:46/14، 53؛ |Witztum|:105؛ |GR-AQ|:255).

3297 . انظر |Luminous|:85-97؛ |Paradise|:66-72؛ |Witztum|:94.

3298 . |Paradise|:96؛ |Witztum|:94، 104.

3299 . |طبرى|:135/10-136؛ |طبرى-شاكر|:376/12.

3300 . الترجمة الإنجليزية (|Faith|:384). الترجمة الإنجليزية والنقحرة السريانية (|Witztum|:104).

3301 . |سروجى|:96.

3302 . |Reynolds|:69.

3303 . |ينابيع|:82/10-83.

3304 . |Witztum|:110، 69. الترجمة العربية (|ينابيع|:53/10، 57).

3305 . مثل "وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ (أي: خديعة ومكراً وغشاً) فَتَزِلَّ قَدَمٌ (أي: زَلِقَت) بَعْدَ ثُبُوتِهَا [...]" (النحل 94).

3306 . مثل "إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ (أي: استدرجهم إلى الزَّلَل) بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا [...]" (آل عمران 155).

3307 . الترجمة العربية (|ينابيع|:67/10). الترجمة الإنجليزية والنقحرة السريانية (|Witztum|:105). ومِن الجدير بالذكر أن فعل التعرية في اللغة السريانية في البشيطا وعند إفرام السرياني ويعقوب السروجي وغيرهما هو [ش ل خ] والذي لا يزال يُستخدَم إلى اليوم في اللغة العربية بنفس المعنى. في المعجم الوسيط: (شَلَّحَهُ) عَرَّاهُ.

3308 . الترجمة العربية (|ينابيع|:176/11-177). الترجمة الإنجليزية والنقحرة السريانية (|Witztum|:106). في المعجم الوسيط: (المِصْلاَةُ): شَرَكٌ يُنْصَبُ للصَّيْدِ. وتُستَعارُ للحيلَةِ والخِدَاع.

3309 . |Witztum|:106-107.

3310 . |Kugel|:121-124.

3311 . مستوحاة مِن "وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ (أي: الإنسانَ)" (المزامير 8:5). وفي البشيطا السريانية: وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تَكْسُوه. اقرأ أيضاً: "فَرَحًا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلهِي، لأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ (garments of salvation). كَسَانِي رِدَاءَ الْبِرِّ (robe of righteousness)، مِثْلَ عَرِيسٍ يَتَزَيَّنُ بِعِمَامَةٍ، وَمِثْلَ عَرُوسٍ تَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا" (إشعياء 61:10).

3312. “The Quran (i.e. 20 الأعراف) means, in other words, that Satan was eager to strip Adam and Eve of the “royal vestments” with which God had clothed them” (|GR-AQ|:255).

3313. |Bauckham|:1\541-543. See also |Reynolds|:69; |GR-AQ|:255; |Witztum|:94.

3314. “Of the three accounts Q 7 (يقصد: سورة الأعراف) is closest to the Biblical account and its later Jewish and Christian embellishments” (|Witztum|:71). See also |Witztum|:79, 110.

3315 . |Witztum|:94.

3316 . |بيضاوى|:335/1. انظر أيضاً |ألوسى|:103/8.

3317 . |ظلال|:1278/3. انظر تفاسير (الأعراف 26) و "أسباب نزول" (الأعراف 31-32): |ب|:194-195؛ |ج|:198.

3318 . |زهرة|:2804/5. ونحن لا نرى تعارضاً بين كون (الأعراف 26) استطراداً لما قبلها كما قال الزمخشرى وتمهيداً لما بعدها كما قال الشيخ محمد أبو زهرة. فنستطيع أن نقول إنها استطراد لما قبلها وفى الوقت نفسه تمهيد لما بعدها.

3319 . "ذَاكَ (أي: إبْلِيسُ) كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ" (يوحنا 8:44).

3320 . |Witztum|:71. انظر أيضاً |Witztum|:104-105.

3321 . |طبرى|:107/10-108؛ |طبرى-شاكر|:348/12-349؛ |قرطبى|:176/9-177؛ |قرطبى-مصر|:156/4؛ |كثير|:393/3؛ |كثير-شيخ|:272/6؛ |كثير-طيبة|:397/3؛ |كثير-شاكر|:11/2؛ |ج-البغا|:194؛ |ج-وطن|:152؛ |ج|:152؛ |درمنثور|:345/6؛ |عطية-قطر|:533/3؛ |ضحاك|:363/1؛ |كشاف-ع|:116/4؛ |كشاف-ش|:668؛ |نسفى|:560/1؛ |ظلال|:1269/3.

3322 . |سبعينية|:التكوين/30؛ |إسكندرية|:7/1؛ |Septuagint|:OT/4؛ |NETS|:7.

3323. “the word “elohim,” […] means “God” as well as “gods” or “divine beings.” The notion that other divine beings exist is found elsewhere in the Bible, although they are never equal to God. […] In later biblical thought these beings serve as God’s ministering angels (cf. Ps. 89.5-8)” (|JSB|:1361). See also the different translations of Ps. 8.5 and |Alter|:3\39.

3324 . |Reynolds|:38.

3325 . |هامش|:33/10؛ |Targums|:1A/60؛ |Witztum|:78.

3326.“This type of mistake would indicate that whoever composed or redacted Q 20 (يقصد: سورة طه) was working with Q 7 (يقصد: سورة الأعراف) (in written form!)” (|Witztum|:79).

3327 . (مسلم 2372؛ كتاب الفضائل – باب مِن فضائل موسى ﷺ |م|:1842/4-1843) (البخارى 1274؛ |خ|:449/1) (البخارى 3226؛ |خ|:1250/3-1251).

3328. البوصلة - أساطير الأولين 30 أبريل 2020, https://www.youtube.com/watch?v=NvwAISjMQOQ

البوصلة - أساطير الأولين 1 مايو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=4oNZvRRdZPQ
البوصلة - أساطير الأولين 2 مايو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=1bWBx5aFiZY

3329 . |Witztum|:78. انظر أيضاً |QSC|:60.

3330 . |خازن-بغوى|:494/2؛ |رازى|:51/14.

3331 . |جزائرى|:162/2. انظر أيضاً |قرطبى|:184/9؛ |قرطبى-مصر|:161/4؛ |عاشور|:73/2/8.

3332 . |فهد|:153.

3333 . |زحيلى-وجيز|:154.

3334 . لمزيد من التفاصيل عن الأفكار التي اقترحها التراث اليهودي والتراث المسيحي، انظر |Reynolds|:69-71؛ |Midrash|:147/1، 171؛ |EJ|:371/1؛ |BQIntertext|:56-57؛ |Bauckham|:543/1.

3335. “Jewish and Christian sources include a wide range of ideas […]. It could be that the Quran is contributing one further idea: feathers” (|GR-AQ|:257).

3336 . (المستدرك 545/2؛ "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وقال الذهبى فى التلخيص: "صحيح" |حاكم|:594/2). انظر أيضاً |طبرى|:580/1-582؛ |طبرى-شاكر|:542/1-544؛ |درمنثور|:314/1؛ |نسفى|:82/1؛ |واحدى|:125/1؛ |بشير|:307/2؛ |كثير-هاشمى|:22؛ |كثير-بديوى|:37.

3337 . "يَبْلَعُ الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ، وَيَمْسَحُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الدُّمُوعَ عَنْ كُلِّ الْوُجُوهِ، وَيَنْزِعُ عَارَ شَعْبِهِ عَنْ كُلِّ الأَرْضِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ. وَيُقَالُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: «هُوَذَا هذَا إِلهُنَا. انْتَظَرْنَاهُ فَخَلَّصَنَا. هذَا هُوَ الرَّبُّ انْتَظَرْنَاهُ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِخَلاَصِهِ»" (إشعياء 25:8-9).

3338 . "«مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ أَفْدِيهِمْ. مِنَ الْمَوْتِ أُخَلِّصُهُمْ. أَيْنَ أَوْبَاؤُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ شَوْكَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟ تَخْتَفِي النَّدَامَةُ عَنْ عَيْنَيَّ»" (هوشع 13:14).

3339 . |كتابية|:31/6.

3340 . الوصية الإلهية الأولى: "وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»" (التكوين 2:16-17). "لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ" (رومية 6:23) "وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ" (رومية 5:12).

3341 . "جَعَلَ [اللهُ الْمَسِيحَ] الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (2 كورنثوس 5:21).

3342 . |نطرون|:غلاطية/216-217. ملحوظة: حذفنا العبارات الخاصة بلاهوت المسيح وتجسده لأننا لا نؤمن بها ولا نحتاجها.

3343 . "هكذا كان ق. بولس صادقاً غاية الصدق في وضع الناموس (أي: التوراة؛ شريعة موسى) في موضعه الإلهي الصحيح حسب خطة الله في خلاص الإنسان" (|نطرون|:غلاطية/228).

3344 . |تساؤلات|:126/1. لمزيد من التفاصيل، انظر المراجع المسيحية التي تشرح قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني.

3345 . |كتابية|:123/2.

3346. “In Jewish sources the transgression of the primal couple [i.e. Adam and Eve] never acquires the reputation it would come to enjoy in post-Augustinian Christian interpretations of a fatal “original sin”” (|JAOS|:135\4\834).

3347 . هذا أحد أسباب إلغاء عقوبة الإعدام، لأنها تغلق مبكراً بابَ التوبة الذي أراد الله أن يظل مفتوحاً دائماً أمام المذنب. لكن في المقابل، يعتمد المؤيدون لعقوبة الإعدام على آيات كتابية أخرى تُفسَّر على أنها تُوجِب القصاص (التكوين 9:6) (الخروج 21:12) (العدد 35:33)؛ واقرأ أيضاً (رومية 13:3-4) (1 بطرس 2:13-14).

3348 . وكذلك قال السفر الأخير في العهد القديم حسب الترتيب المسيحي: "ارْجِعُوا إِلَيَّ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (ملاخي 3:7).

3349 . مثلاً: "هَلْ مَسَرَّةً أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ؟ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. أَلاَ بِرُجُوعِهِ عَنْ طُرُقِهِ فَيَحْيَا؟ [...] لأَنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا" (حزقيال 18:23-32)؛ "«ارْجِعُوا أَيُّهَا الْبَنُونَ الْعُصَاةُ فَأَشْفِيَ عِصْيَانَكُمْ». «هَا قَدْ أَتَيْنَا إِلَيْكَ، لأَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ إِلهُنَا" (إرميا 3:22).

3350. “After their sin, Adam and Eve [...] never expressed any remorse [...] and never sought divine forgiveness. Since repentance was a central concept in ancient Judaism, interpreters naturally sought to amend this apparent oversight in the text” (|Kugel|:142).

3351 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:834/4/135).

3352 . |Banon|:50-51.

3353 . |Midrash|:1/175-176. انظر أيضاً |EJ|:1/373، 377.

3354 . |Midrash|:1/192. انظر أيضاً |Witztum|:76؛ |JSB|:1372.

3355 . برحمة الله: "فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «لِذلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِينَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ». وَجَعَلَ الرَّبُّ لِقَايِينَ عَلاَمَةً لِكَيْ لاَ يَقْتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ" (التكوين 4:15). ملحوظة: سندرس قصة "ابْنَيْ آدَمَ" بالتفصيل لاحقاً.

3356 . |Reynolds|:37؛ |ربيع|:100؛ |هامش|:5/10. "التلمود البابلي اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:293/42).

3357. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

3358 . |BT|:17/29-30. انظر أيضاً |Witztum|:76.

3359 . |كتابية|:5/67-68. انظر أيضاً |قاموس-كتاب|:562-563.

3360 . |Kugel|:142-143.

3361 . |سبعينية|:التكوين/33؛ |إسكندرية|:1/8؛ |NETS|:8.

3362 . |سريانية|:7/14-15؛ |Kugel|:142.

3363 . |Reynolds|:38.

3364 . |هامش|:10/34؛ |Targums|:1A/61-62؛ |Kugel|:143.

3365 . |Kugel|:143.

3366 . "دُوّن النص الأصلي في نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث، ووُجِدَ اليوناني واللاتيني بين هذا التاريخ وسنة 400م"، "شكلت ترجمة هاتين الوثيقتين: أقدم (إن لم يكن أول) معالجة مختلفة لروايات مختلفة ذات علاقة بالفصول الأولى من سفر التكوين" (|هامش|:30/133، 138). انظر أيضاً |OTP|:2/252، 255؛ |Pleiade|:337/1767.

3367 . |هامش|:30/169-؛ |طرزى|:1/130-؛ |OTP|:2/258-؛ |RHCharles|:2/134-. انظر أيضاً |EJ|:1/377؛ |Witztum|:76.

3368 . **[← "فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا" (مريم 26)]**. ولا غرابة في تأثر قصة مريم القرآنية بقصص حواء في التراث اليهودي/المسيحي. فكما قلنا فيما سبق، المسيح (آدم الثاني) هو نسل المرأة (مريم / حواء الثانية) الذي سيسحق رأس الحيّة (الشيطان / الخطيّة / الموت). انظر أيضاً |هامش|:30/174 عن (مريم 17).

3369 . "وَلاَ عَجَبَ. لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ!" (2 كورنثوس 11:14).

3370. “As for the date of the earliest version [of the *Life of Adam and Eve*], the Greek one, de Jonge and Tromp have recently written that “it would seem safe to posit its origin ... in the second to fourth centuries”” (|Witztum|:80).

3371 . |Witztum|:76-77.

3372 . |هامش|:30/152-؛ |طرزى|:1/123-؛ |OTP|:2/283-؛ |RHCharles|:2/147-؛ |Pleiade|:337/1783-. انظر أيضاً |Witztum|:76-77، 108-109؛ |GR-AQ|:256؛ |EJ|:1/377؛ |Kugel|:105، 134-135.

3373 . اعتراف صريح من آدم بالخطيئة واستعداده أن يتحمل المسئولية كاملةً. لأن الوصية الإلهية كانت أساساً مُوجَّهة له فقط. "وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»" (التكوين 2:16-17) قبل خلق حواء (التكوين 2:21-23). وقيل إن جملة آدم "أنا وحدي خطئت" جملة دخيلة أضيفت لاحقاً من أجل الدفاع عن حواء (pro-Eve apologetic) (|Kugel|:128-129). **[← حقق القرآنُ نفس الهدف وهو الدفاع عن حواء (pro-Eve apologetic)، لكن بطريقة أخرى. الوصية الإلهية**

مُوجَّهة لآدم: (طه 115) (الأعراف 19) (البقرة 35). الوسوسة الشيطانية: "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ [...]" (طه 120). "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ [...]" (الأعراف 20). ولم يقل القرآنُ أبداً إن الشيطان وَسْوَسَ إلى حواء فقط ولا حتى وَسْوَسَ إليها أولاً].

3374 . **[← "عن أبي موسى رفعه قال: لمَّا أخرج اللهُ آدمَ من الجنةِ زوَّدَهُ مِن ثمار الجنَّة [...]. رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات" (|هيثمي|:8/197-198)].**

3375 . "الغفران الذي ناله آدم، وعودته إلى الفردوس، وعناية الله به، كل هذا يعبّر عن تيّار فكريّ يخفف من خطيئة الإنسان الأول، ويبرز عظمته" (|هامش|:160/30). انظر أيضاً |Pleiade|:1791/337.

3376 . وفي سورة طه، لكن في قصة موسى: "مِنْهَا (أي: مِن الأرض) خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ [لتُدفنوا بعد الموت] وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ [أحياء] تَارَةً أُخْرَىٰ [للحساب والجزاء]" (طه 55).

3377. “Of the three accounts Q 7 (يقصد: سورة الأعراف) is closest to the Biblical account and its later Jewish and Christian embellishments” (|Witztum|:71). See also |Witztum|:79, 110.

3378. “[Edmund] Beck [suggests] that the story in Q 20 (يقصد: سورة طه) is of an inconsistent and derivative nature” (|Witztum|:76). Dr. Joseph Witztum: “In Q 20 the story is reworked in a way that drifts away from its Biblical origin” (|Witztum|:76).

3379 . "واللافت أننا لا نجد أي إشارة إلى ذبيحة تكفيريّة لا في [حياة آدم وحواء] اليوناني ولا في اللاتيني. ولكن نجد في اليوناني شعيرة عبادة [تقليدية] (2:4؛ 3:29)" (|هامش|:136/30). انظر أيضاً |OTP|:2/254.

3380 . قال يسوعُ المسيح: "«لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَارَبُّ، يَارَبُّ! أَلَيْسَ باسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَباسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَباسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ! «فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أُشَبِّهُهُ بِرَجُل عَاقِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبَّهُ بِرَجُل جَاهِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَصَدَمَتْ ذلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيمًا!»" (متى 7:21-27). اقرأ أيضاً "مَثَل الخِراف والجِداء" (The Sheep and the Goats) (متى 25:31-46).

3381 . باليونانية: arche. "تعني هذه الكلمة في أصلها اليوناني: الأول من حيث الزمن (البداية beginning) أو الأول في الرتبة (الحاكم ruler)" (|دراسي|:3054؛ |NIV|:1970). والمقصود هنا هو المعنى الثاني: الأول في الرتبة (الحاكم ruler).

3382. |ANF|:1\457. https://www.newadvent.org/fathers/0103323.htm . See also |Witztum|:77.

3383 . "فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ وَصَلَّوْا وَطَلَبُوا وَجْهِي، وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمِ الرَّدِيةِ فَإِنَّنِي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيَّتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ" (2 أخبار الأيام 7:14).

3384. “Somewhat parallel to Q 20 (يقصد: سورة طه), though most probably accidentally, is Irenaeus, *Adversus Haereses* 3.23.5-6, where Adam’s hiding from God suggests his recognition of his sin; the wearing of fig-leaves demonstrates repentance; God’s granting of skin garments reflects mercy; and the expulsion is out of pity rather than envy” (|Witztum|:77).

3385. “Genesis does not mention God’s forgiveness of Adam (although God’s mercy may be suggested by his sewing of garments for Adam and Eve in Gen 3:21)” (|GR-AQ|:39).

3386 . بدليل أن آدم ظل يعتبر نفسه عُرْيَاناً (التكوين 3:10) حتى بعد أن ارتدى مَآزِرَ مِن أوراق التين (التكوين 3:7).

3387 . أو كما قال بولس الرسول في الآية الأخيرة من (رومية 6): "لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (رومية 6:23)؛ أي: من خلال الإيمان بيسوع المسيح كفادي صُلِب ومات وكمخلِّص قام من الأموات.

3388. Aphrahat, “Demonstration VII: On Penitents”, Translated by: Frank Hallock, Journal of the Society of Oriental Research, vol. 16, 1932, pp. 45-46. See also |Witztum|:76; https://doi.org/doi:10.7282/T32805SV ; https://rucore.libraries.rutgers.edu/rutgers-lib/42933/

3389 . |Prose|:115-116. انظر أيضاً |Witztum|:76.

3390 . وكذلك في إنجيل لوقا: "كَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ عَلَى يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ، فَجَاءَ إِلَى جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنِّ يَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ أَقْوَالِ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً. كُلُّ وَادٍ يَمْتَلِئُ، وَكُلُّ جَبَل وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَتَصِيرُ الْمُعْوَجَّاتُ مُسْتَقِيمَةً، وَالشِّعَابُ طُرُقًا سَهْلَةً، وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلاَصَ اللهِ»" (لوقا 3:2-6).

3391 . وقيل إنها نار التطهير التي تحرق الشَّرَّ داخل الإنسان. ولا نرى تناقضاً بين الرأيين. "نار الله هي فعل الروح القدس في الطبيعة البشرية للتطهير والتقديس، فإذا لم تتطهَّر الطبيعة البشرية فإنها تتعرَّض للإحراق والإبادة" (|نطرون|:متى/179).

3392 . المِذْرَى أو المِذْرَاة: "خشبةٌ ذات أطراف كالأصابع يُذْرَى بها الحبُّ وينقى" (المعجم الوجيز). "تُرفع بها الحبوب المختلطة بالتبن، فتسقط الحبوب سريعاً، أما القش أو التبن، فيطير ويسقط بعيداً" (|مارمرقص|:العهدالجديد/32/1).

3393 . وكذلك ترتيب إنجيل لوقا: "أَجَابَ يُوحَنَّا الْجَمِيعَ قِائِلاً: «أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ، وَلكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي (أي: يسوع المسيح)، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ الْقَمْحَ إِلَى مَخْزَنِهِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ»" (لوقا 3:16-17). اقرأ أيضاً: "فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ" (يوحنا 5:28-29).

3394 . |Prose|:116.

3395 . |Prose|:116.

3396 . "إلهًا (god)" بالمعنى المجازي طبعاً. كما دُعِيَ موسى إلهًا في التوراة بالمعنى المجازي أيضاً. قَالَ الرَّبُّ لموسى: "وَهُوَ (أي: هارون) يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلهًا" (الخروج 4:16).

3397 . |Prose|:118.

3398. St. Ephrem’s Commentary on Genesis 2.30 (|Prose|:119).

3399. St. Ephrem’s Commentary on Genesis 2.31 (|Prose|:120).

3400 . |ظلال|:61/1. ونقل عنه آخرون، مثل: |شحاته|:56/1؛ |و|:241/6/1.

3401 . |جابرى|:304/1.

3402 . |شعراوى|:269/1.

3403 . |شلتوت|:365.

3404 . اقرأ أيضاً: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ [يا بني إسرائيل] وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ" (البقرة 63-64).

3405 . |فهد|:227. وهذا ينسف أسطورة "عصمة الأنبياء" التي ليس لها أي وجود في القرآن.

3406. الدليل 291,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6044&cat=24&scat=211&

3407. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

3408. الدليل 9,
https://youtu.be/31pSVW9UJUg?list=PLgzNBVDjQEIjIhPKMmMUByqJm20QC9fpX

3409 . (مسلم 195؛ |م|:186/1-187؛ |م-نووى|:85/3-88؛ |عياض|:584/1-585؛ |م-لاشين|:11/2).

3410 . (مسلم 194؛ |م|:184/1-186) (البخارى 4435؛ |خ|:1745/4-1747) (البخارى 3162؛ |خ|:1215/3-1216). للمزيد عن الشفاعة (Intercession)، انظر |EI-2|:177/9-179؛ |EQ|:551/2-555؛ |Badawi|:190-193.

3411 . وكذلك قال محمدٌ لأصحابه: "مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ (أي: عمله وحده لا يجعله مستحقاً للجنة وموجباً لها)". فقالوا لمحمد: "وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ". فَقَالَ محمدٌ: "وَلَا أَنَا. إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ (أي: يغمرني ويسترني) اللَّهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ". أو قال: "وَلَا أَنَا. إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ" (مسلم 2816-2818؛ |م|:2169/4-2171) (البخارى 5349؛ |خ|:2147/5) (البخارى 6098؛ |خ|:2373/5). اقرأ أيضاً: "وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (التوبة 102).

3412. "**Original sin:** The fact that every person born comes into the world facing mortality: we die. With Redemption in Christ, however, comes new life in Him. Original sin does not carry guilt, for a person is guilty only of his or her own sins, not those of Adam. Therefore, the [Eastern] Orthodox Church does not believe that a baby who dies unbaptized is condemned to hell. (See Genesis 3:1-24; Romans 5:12-16.)" (|EOSB|:1784). See also |EOSB|:1778.

3413 . ملحوظة: حتى المسيحيون الذين يؤمنون بوراثة خطيئة آدم نفسها، ويسمونها أيضاً "الخطية الأصلية"، فإنهم يُقدِّمون المعمودية (Baptism) – أو عمل الفداء والخلاص بصفة عامة – كوسيلة لغفران هذه الخطية الأصلية. "يقول قداسة البابا شنوده الثالث رداً على سؤال هل ورث الإنسان الخطية (الأصلية) أم الطبيعة الفاسدة؟ [أستطيع أن أقول إنه ورث كليهما. [...] ولعلك تقول: وما ذنبنا نحن؟ فأجيبك بأمرين: (1) لقد كنا فى صلب آدم حين أخطأ. فنحن لسنا غرباء عنه، وإنما جزء منه. [...] (2) عملية الفداء تحل مشكلة عبارة "فما ذنبنا نحن؟" [...] أمهاتنا ولدتنا والخطية الأصلية فينا ... وإلا فإننا نسأل سؤالاً عقيدياً هاماً هو: لماذا إذن نعمد الأطفال؟ لأنهم ورثوا الخطية الأصلية الجدية، وعاقبتها الموت ... والإنسان الكبير السن حينما ينال سر المعمودية ينال غفران الخطية الجدية التى ورثها عن جديه آدم وحواء، وأيضاً الخطايا الفعلية (أى: خطاياه الشخصية) التى ارتكبها قبل المعمودية بسبب فساد طبيعته البشرية.]" (|تساؤلات|:113/1-114). انظر أيضاً كتاب البابا شنوده الثالث، "الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى"، ج1، ط19، 2014، ص 34، 71، 73.

3414 . (الترمذى 2499؛ |ت|:374/4؛ قال الألبانى "حسن" |ت-ألبانى|:563؛ وقالت موسوعة بيان الإسلام "حسن" |و|:34/9/1). ونحن نعترف بأهمية التوبة وأولويتها كما قلنا. لكن اعترافنا بأهمية التوبة لا يعني اعترافنا بأن آدم قد تاب.

3415 . (الترمذى 3076؛ |ت|:112/5؛ |ت-أحوذى|:457/8-459؛ وقال الألبانى "صحيح" |ت-ألبانى|:689؛ |ت-صحيح|:239/3-240؛ وقالت موسوعة بيان الإسلام "صحيح" |و|:33/9/1). (المستدرك 325/2؛ قال الحاكم "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى |حاكم|:355/2).

3416 . |ت-عارضة|:199/11.

3417 . |و|:34/9/1.

3418 . "قَالَ [موسى] رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ" (الأعراف 155).

3419. "Moses' question, the Lord's answer, and the longevity of Korah's sons refute […] the evil doctrine [which] teaches that Adam's offspring (all mankind) are guilty before God because of their father's transgression. This teaching is false, because each man is guilty before God for his own transgressions" (The [Eastern] Orthodox Study Bible |EOSB|:183).

3420 . حسب الكتاب المقدس، كل نبي مجرد إنسان (merely human) ليس معصوماً. الاستثناء الوحيد هو يسوع المسيح وحده، فهو الوحيد المعصوم مِن الخطيئة. ليس بمعنى أنه كان من المستحيل أن يخطئ؛ وإنما بمعنى أنه الإنسان الوحيد الفريد الذي قاوم الخطيئةَ في كل تجربة وانتصر عليها دائماً فلم يخطئ أبداً. "مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ" (العبرانيين 4:15). إذن: ليس لأنه إله كما يعتقد معظم المسيحيين؛ وإنما لأسباب أخرى شرحناها فيما سبق.

3421. "The issue of free will continued to occupy generations of interpreters, and was, […], a crucial one in the development of Christian doctrine" (|Kugel|:132).

3422 . |نطرون|:التكوين/125-126. انظر أيضاً |نطرون|:التكوين/145-146. وانظر أمثلة من كتب التراث اليهودي وكتب التراث المسيحي التي سلّطت الضوءَ على مسألة الإرادة الحرة (|Kugel|:130-132).

3423 . |يسوعية|:العهدالقديم/1457-1458؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/89؛ |Septuagint|:Apocrypha/86-87؛ |NETS|:731؛ |Kugel|:131.

3424. The [Eastern] Orthodox Study Bible (|EOSB|:7). See also |Kugel|:97-98.

3425 . قال يسوعُ المسيح: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ. وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ، أَمَّا الابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ. فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ (أي: المسيحُ) فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا (أي: تتحولون من عبيد للشيطان إلى أبناء لله)" (يوحنا 8:34-36).

3426 . "لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا" (يوحنا 1:17).

3427 . قال يَسُوعُ المسيحُ "بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ. [...] بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ" (لوقا 13:3-5).

3428 . قال القديس أثناسيوس الرسولي: "لم يكن فى مقدور أحد آخر أن يعيد خلق البشر ليكونوا على صورة الله إلا الذى هو صورة الآب، ولم يكن ممكناً أن يُلبِس المائت عدم الموت (render the mortal immortal) إلا ربنا يسوع المسيح الذى هو الحياة" (|تساؤلات|:28/1؛ |NPNF-2|:47/4). انظر أيضاً |تساؤلات|:154/1-156؛ |NPNF-2|:60/4-61.

Can be read online in English at: http://www.newadvent.org/fathers/2802.htm

3429 . "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «كَلِّمْ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: تَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ الرَّبُّ إِلهُكُمْ" (اللاويين 19:1-2). "إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ، لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ. [...] فَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ" (اللاويين 11:44-45).

3430 . |IVP-NT|:495. انظر أيضاً |IVP-NT|:493؛ |IVP-NT-ar|:172/2، 170.

3431 . |المسيح|:308، 310.

3432. 9 الدليل,
https://youtu.be/31pSVW9UJUg?list=PLgzNBVDjQEIjlhPKMmMUByqJm20QC9fpX

3433 . "حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ وَإِحْسَانُهُ لاَ بِأَعْمَال فِي بِرّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ (أي: بِمُقْتَضَى نِعْمَتِهِ) خَلَّصَنَا بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي سَكَبَهُ [اللهُ] بِغِنًى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا. حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِهِ (by Divine Grace; by Divine Mercy)، نَصِيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (تيطس 3:4-7). وكذلك في العهد القديم أيضاً: "لأَنَّهُ لا لأجلِ برِّنا نَطرَحُ تضَرُّعاتِنا أمامَ وجهِكَ، بل لأجلِ مَراحِمِكَ العظيمَةِ" (دانيال 9:18).

3434 . |يسوعية|:العهدالجديد/381. واستخدم الإنجيلُ نفس الكلمة اليونانية (paidos) لوصف داود "دَاوُدَ فَتَاهُ/عَبدِه" (لوقا 1:69) وأيضاً لوصف إسرائيل "إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ/عَبدَه" (لوقا 1:54). مما يؤكد أن يسوع إنسان مخلوق عبد الله مثلهما.

3435 . |نطرون|:غلاطية/217.

3436 . ولها معنى آخر وهو "يستحق الإيمان" (one in whom faith can be placed) أو "جدير بالثقة" (trustworthy). مثلاً: "أَمِينٌ (pistos) هُوَ اللهُ" (1 كورنثوس 1:9)؛ أي: أمين دائماً إلى الأبد. |Kugel|:308-309.

3437 . |آرثر|:1430.

3438 . |المسيح|:309-310.

3439 . اقرأ الآيات التالية: (حزقيال 33:14-16)؛ (إرميا 18:7-8)؛ (يونان 3:10)؛ (ملاخى 3:7)؛ (يعقوب 4:8).

3440 . |المسيح|:320، 338.

3441 . وقال يسوع المسيح: "الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ" (متى 24:13) (متى 10:22) (مرقس 13:13)؛ "مَنْ يَغْلِبُ (أى: مَن ينتصر) فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللهِ" (الرؤيا 2:7).

3442 . اقرأ أيضاً "الموت عن الخطية والحياة فى المسيح" (Dead to Sin, Alive in Christ) (رومية 6)؛ "الحياة حسب الروح" (Life through The Spirit) (رومية 8)؛ (العبرانيين 9)؛ (كولوسى 2-3).

3443 . "فَقَالَ عِيسُو لأَبِيهِ [إِسْحَاق]: «أَلَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَا أَبِي؟ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضًا يَا أَبِي». وَرَفَعَ عِيسُو صَوْتَهُ وَبَكَى" (التكوين 27:38). كانت دموع عِيسُو ندماً على خسارته، ولم تكن دموع توبةٍ عن خطيئته.

3444 . دخل يسوعُ المسيح إلى الدنيا بطريقة فريدة (ميلاد عذراوي) وعاش بطريقة فريدة (بلا خطيئة) وترك العالمَ الأرضي بطريقة فريدة (انتصر على الموت فقام قيامةً لا موت بعدها). فمع أننا جميعاً أبناء الله، إلا أن يسوع المسيح هو بالفعل "ابن الله الوحيد"، أي: الوحيد من نوعه، أو: الفريد. نحن نحتاج الخلاص، أما يسوع المسيح فهو الذي وهبنا هذا الخلاص.

3445. 8 الدليل,
https://youtu.be/kVtuPa9QcXA?list=PLgzNBVDjQEIjlhPKMmMUByqJm20QC9fpX

3446 . "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ (أي: إبراهيم): «[...]. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (التكوين 12:1-3). "وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ" (التكوين 18:18). "وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ" (التكوين 18:22).

3447 . |ملطى|:التكوين/77.

3448 . بدليل "فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا" (التكوين 23:3)، ولا نتصور أن الله أبعد آدمَ آلاف الأميال! وفي الترجمة السبعينية لـ (التكوين 24:3): "فَطَرَدَ [الرَّبُّ الإلهُ] آدَمَ، وأَسْكَنَهُ أَمَامَ فِرْدَوس النعيم (أو: قُبَالَة فِرْدَوس النعيم)"؛ أي: خارج الفردوس لكن بالقرب منها. وأيضاً بدليل أنه قيل في كتب التراث اليهودي/المسيحي إن آدم دُفِنَ في الموضع الذي خُلِقَ فيه (مثلاً: اليوبيلات 29:4)؛ وقيل إن هذا الموضع في "مناطق الفردوس" (in the regions of Paradise) (رؤيا موسى 6:40)، أي: خارج الفردوس لكن بالقرب منها.

3449 . "اخْتُطِفَ هذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ. [...] اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ" (2 كورنثوس 12:2-4).

3450. “When you are resurrected in a spiritual body, you will hold heavenly citizenship, having arrived in the land of the meek, for *Blessed are the meek, because they will inherit the earth (Matthew 5:5)*, even though man has exchanged that earth (i.e. Paradise, heaven) for this arid one (i.e. our common ground, the earth we live on) because of his failure” (|Witztum|:108).

3451 . |Bauckham|:1/543-544. الترجمة العربية (|طرزى|:2/114). علاقة كتاب "مغارة الكنوز" السرياني بكتاب "القرآن" العربي (|Witztum|:109؛ |GR-AQ|:39).

3452 . |Kugel|:135.

3453 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

3454 . |Midrash|:1/169؛ |Witztum|:107-108.

3455. “[T]he Aramaic *Targum Neofiti* […] is of Palestinian provenance […] and was written well before the rise of Islam (ca. 1st century AD). M. McNamara argues for a date of the fourth century AD” (|Reynolds|:38).

3456 . |هامش|:10/34؛ |Targums|:1A/62؛ |Witztum|:108.

3457. “According to [Hanneke] Reuling, this insertion goes back to the theological debate concerning the resurrection and to the moral perspective which the Targums introduce into the Eden story generally” (|Witztum|:108).

3458. “The Quran here (i.e. البقرة 38) also has God comfort Adam with a mention of divine guidance (cf. 7:25 (i.e. الأعراف 25), where God informs Adam of the resurrection” (|GR-AQ|:40). God “comforts Adam and Eve with a promise that they will rise from the dead” (|GR-AQ|:256).

3459 . تقول أسطورة إسلامية منسوبة إلى ابن عباس إن "آدم كان لغته فى الجنة العربية، فلمَّا عصى سلبه اللهُ العربيةَ فتكلَّم بالسُّريانية، فلما تاب ردَّ اللهُ عليه العربيةَ" (|درمنثور|:1/309). إنها بكل تأكيد مجرد واحدة من الأساطير الإسلامية التى نُسِجت حول هذه القصة، لكنها على الأقل توضح الارتباط الوثيق بين اللغتين العربية والسُّريانية فى ذهنية المسلمين الأوائل.

3460. |Reynolds|:67-68.

3461. |QSC|:62-63. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-007

3462. Prof. Samuel Noah Kramer: “To be sure, the Sumerians could not have influenced the Hebrews directly, for they had ceased to exist long before the Hebrew people came into existence. But there is little doubt that the Sumerians had deeply influenced the Canaanites, who preceded the Hebrews in the land that later came to be known as Palestine, and their neighbors, such as the Assyrians, Babylonians, Hittites, Hurrians, and Arameans. A good illustration of Sumerian-Hebrew parallels is provided by the myth “Enki and Ninhursag.”” (|Kramer|:142). Cf. |Kramer-fr|:169.

3463 . |BK|:151؛ |ANET|:38. لقراءة هذه الأسطورة السومرية الهامة ومعرفة المزيد من المعلومات عنها يمكن الرجوع إلى |Kramer|:141-147؛ |ANET|:37-41 باللغة الإنجليزية، وإلى |BK|:151-164؛ |Kramer-fr|:168-174 باللغة الفرنسية.

3464 . ملحوظة: كانت الأساطير السومرية القديمة لا تهتم كثيراً بذِكر الإنسان. ولذلك فإن أبطال الأسطورة يكونون عادةً كلهم أو معظمهم مِن الآلهة.

3465 . انظر مثلاً |Kramer|:142؛ |Kramer-fr|:170؛ |سوسة|:419.

3466 . |BK|:564-567.

3467. Prof. Samuel Noah Kramer: “There is good indication that the Biblical paradise, which is described as a garden planted *eastward* in Eden, from whose waters flow the four world rivers including the Tigris and Euphrates, may have been originally identical with Dilmun, the Sumerian paradise-land” (|Kramer|:143). Cf. |Kramer-fr|:173.

3468 . |Kramer|:144؛ |Kramer-fr|:173-174. انظر أيضاً |EJ|:6/572-573.

3469. “Le nom d’*Ève* (hébr. *Havva*) vient d’une racine très voisine de *haya*, *vivre*" (|Segond|:4).

3470 . باستثناء "مريم" العذراء؛ ربما لأنها لم تتزوج!

3471 . (البخارى 3152؛ إخ|:3/1212) (مسلم 1470؛ إم|:2/1092؛ إم-نووى|:10/86-87).

3472 . إبارى|:6/424؛ إبارى-طيبة|:7/612.

3473 . إم-نووى|:10/86.

3474 . لأقوال أخرى معادية للمرأة في كتب التراث اليهودي/المسيحي، انظر |Kugel|:100-102.

3475 . إنطرون|:غلاطية/255. لكن في المقابل، توجد آيات كتابية أخرى تتحدث عن المرأة بطريقة أفضل؛ مثلاً: "لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غلاطية 3:28)، إلا أن تفسيرها هو: المساواة بين الرجل والمرأة "في الحقوق والواجبات الدينية العامة من جهة الإيمان والصلاة والعبادة والسجود وحسب" (إنطرون|:غلاطية/255). اقرأ أيضاً (الأمثال 4:12) (1 كورنثوس 11:11) (1 بطرس 3:7) (أفسس 5:25-33).

3476 . مِن كتاب "الفقه الواضح"، 2/321-322، ط 2 دار المنار 1997!

3477 . مثل إطبرى|:1/548؛ إطبرى-شاكر|:1/513؛ إقرطبى|:1/449؛ إقرطبى-مصر|:1/281؛ إكثير|:1/112؛ إكثير-شيخ|:1/363-364؛ إكثير-طيبة|:1/234؛ إكثير-صابونى|:1/54؛ إكثير-شنقيطى|:77؛ إدرمنثور|:1/281؛ إعطية-مصر|:1/236؛ إعطية-قطر|:1/182؛ إرازى|:3/3-4؛ إماوردى|:1/104؛ إعبدالحليم|:51-52؛ إشوقى-قصص|:172؛ إجمعة|:25.

3478 . إم-نووى|:10/86. انظر أيضاً إزهرة|:1/198؛ إشوكانى|:1/167؛ |EI-2|:3/295.

3479. البوصلة - أساطير الأولين 25 أبريل 2020,
https://www.youtube.com/watch?v=TlgvhTRnrhQ
البوصلة - أساطير الأولين 26 أبريل 2020, https://www.youtube.com/watch?v=4RhP4YI0sTU

3480 . إهامش|:5/34. انظر أيضاً |Kugel|:113.

3481. Ephrem’s Commentary on Genesis 2.11: “even though Adam had helpers among the beasts and animals he still required one like him of his own kind” (|Prose|:104). Cf. |Kugel|:113.

3482 . (البخارى 3153؛ إخ|:3/1212؛ إبارى|:6/418)؛ (البخارى 4890؛ إخ|:5/1987). وانظر أيضاً (مسلم 1468؛ إم|:2/1090-1091؛ إم-نووى|:10/83-84).

3483 . (مسلم 1468؛ إم|:2/1090-1091؛ إم-نووى|:10/83-84). وانظر أيضاً (البخارى 4889؛ إخ|:5/1987).

3484 . إرازى|:9/161. انظر أيضاً إكثير|:2/179؛ إكثير-شيخ|:3/333؛ إكثير-طيبة|:2/206؛ إكثير-شاكر|:1/404؛ إكثير-صابونى|:1/354؛ إكثير-شنقيطى|:385؛ إج-البغا|:8؛ إج-وطن|:6؛ إج|:6؛ إخازن-بغوى|:1/64-65؛ إماوردى|:1/104؛ إبحر|:1/307؛ إبشير|:1/141؛ إجزائرى|:2/158.

3485 . |عثيمين|:النساء/13/1. انظر أيضاً |عثيمين|:البقرة/130/1.

3486 . مثل: |طبرى|:341/6-342؛ |طبرى-شاكر|:515/7-516؛ |ب|:77؛ |قرطبى|:6/6؛ |قرطبى-مصر|:6/3؛ |درمنثور|:209/4؛ |ضحاك|:271/1؛ |عطية-قطر|:460/2؛ |مقاتل|:355/1؛ |خازن-بغوى|:3/2؛ |بيضاوى|:199/1؛ |كشاف-ع|:5/2؛ |كشاف-ش|:215؛ |واحدى-وجيز|:251/1؛ |واحدى|:4/2؛ |طنطاوى|:19/3-20؛ |شحاته|:763/2؛ |جزائرى|:432/1؛ |طبرى-قصص|:25؛ |نجار|:24-25؛ |بدوى|:22/1.

3487 . |كثير-شيخ|:333/3؛ |كثير-طيبة|:206/2؛ |كثير-صابونى|:354/1؛ |كثير-شنقيطى|:385. وقيل إن "إسناد ابن أبي حاتم إسناد صحيح" (|كثير-شاكر|:404/1).

3488 . |سوسة|:319.

3489 . |سوسة|:418-419. انظر شكل النقش السومري في نفس المرجع ص 418.

3490 . لقراءة نص هذه الأسطورة ومعرفة المزيد من المعلومات عنها: انظر |ANET|:101-103؛ |ProcheOrient|:290-294.

3491. |EB|. https://www.britannica.com/topic/Adapa

3492 . (أحمد 11/5؛ "إسناده ضعيف" |ل|:305/33-؛ "إسناده حسن" |ل-شاكر|:130/15؛ "ضعيف" |ضعيفة|:516/1-).

3493 . |و|:47/9/1-49.

3494 . |حجازى|:835/1.

3495 . (الترمذى 3077؛ |ت|:113/5؛ وقال الألباني "ضعيف" |ت-ألبانى|:689).

3496 . (المستدرك 545/2؛ صححه الحاكم ووافقه الذهبي |حاكم|:594/2).

3497 . |ب|:198.

3498 . |طبرى|:624/10؛ |طبرى-شاكر|:310/13.

3499 . |درمنثور|:701/6. وفي المقابل، قال محمدٌ: "لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ" (البخارى 5782؛ |خ|:2271/5) (مسلم 2998؛ |م|:2295/4).

3500 . |قرنى|:213.

3501. 5 الدليل, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=3740&cat=24&scat=211&

3502. 6 الدليل, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=3760&cat=24&scat=211&

3503 . |ج|:175؛ |ج-البغا|:224؛ |ج-وطن|:175.

3504 . |عطية-قطر|:110/4.

3505 . |و|:43/9/1.

3506 . |طبرى|:629/10؛ |طبرى-شاكر|:315/13.

3507 . |جزائرى|:274/2.

3508 . راجع الآيات القرآنية التي ذكرناها في قصة "سجود الملائكة لآدم إلا إبليس".

3509 . قال المفسرون ذلك ليؤكدوا على أنه ما زنت امرأةُ نبي قط. لأنها لو كانت زانية، لتعارض ذلك مع آيات قرآنية أخرى تقول إن الزانية لا يتزوجها إلى زانٍ أو مشرك: "الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" (النور 3)؛ "الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ" (النور 26).

3510 . (البخارى 3152؛ |خ|:1212/3) (مسلم 1470؛ |م|:1092/2).

3511 . |RHCharles|:684/2؛ |OTP|:563/2؛ |Kugel|:147، 99.

3512. “Having been made pregnant by the seed of the devil … she (i.e. Eve) brought forth a son (i.e. Cain)” (|Kugel|:147). See another, but less clear, translation in |ANF|:3\710. Online at http://www.newadvent.org/fathers/0325.htm

3513 . |Meyer|:168؛ |Gnostic|:290؛ |Kugel|:147.

3514 . فكرة مشهورة. تذكر "شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157) المستوحاة مِن الغنوسية المسيحية، "الدوسطية" (Docetism) مثلاً!

3515 . |Meyer|:188، 193؛ |Gnostic|:187-188، 191-192.

3516 . |Meyer|:126-128؛ |Gnostic|:177-180.

3517 . |Meyer|:214-215؛ |Gnostic|:187-188، 449-451.

3518. "no single unified view of him (i.e. Cain) emerges from surviving gnostic texts" (|Kugel|:169).

3519 . |Reynolds|:37؛ إربيع|:100؛ إهامش|:5/10. "التلمود البابلي اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:293/42).

3520. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

3521 . "الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ" (الرؤيا 12:9)؛ "الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ" (الرؤيا 20:2).

3522 . |BT|:41/11. انظر أيضاً |RHCharles|:684/2؛ |Kugel|:122.

3523 . |Midrash|:147/1؛ |Witztum|:98-99، 106.

3524 . |BT|:552/8؛ |BT|:86/17. انظر أيضاً |RHCharles|:684/2.

3525 . (البخارى 3152؛ إخ|:1212/3) (مسلم 1470؛ إم|:1092/2).

3526 . لمزيد مِن التفاصيل، انظر |Kugel|:147-148، 157-158، 169، 123.

3527 . |GR-AQ|:290. انظر |BT|:296/16-299.

3528 . |عبدالحليم|:58-59.

3529 . |نجار|:27. ملحوظة: كُتِب هذا الكتاب فى النصف الأول مِن القرن العشرين الميلادي.

3530 . (ابن حبان 6190؛ إحبان-أرنؤوط|:69/14) (المشكاة 5737؛ إش-ألبانى|:254/5) (المستدرك 262/2؛ قال الحاكم "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى إحاكم|:288/2)، وقال الألبانى "صحيح" (|حبان-ألبانى|:38/9؛ |صحيحة|:358/6).

3531 . أو أن أبا ذر سأل رسولَ الإسلام عن آدم: أنبياً كان؟ قال: "نعم، نبياً رسولاً". انظر |كثير|:112/1؛ |كثير-شيخ|:362/1؛ |كثير-طيبة|:233/1؛ |كثير-شاكر|:96/1؛ |قرطبى|:395/1؛ |قرطبى-مصر|:250/1؛ |عبدالحليم|:58؛ |بهجت|:46،36؛ |شوقى-قصص|:166؛ |جمعة|:39-40؛ |خالدى-ب|:201. انظر أيضاً |هيثمى|:198/8.

3532 . |عثيمين|:الكهف/89-90.

3533 . (مسلم 194؛ إم|:184/1-186) (البخارى 4435؛ إخ|:1745/4-1747) (البخارى 3162؛ إخ|:1215/3-1216).

3534 . |أشقر-قصص|:39.

3535 . |طيب|:15.

3536 . |شعراوى|:4096/7. انظر أيضاً |شعراوى-قصص|:31-32.

3537 . القسم الأول، الجزء التاسع: |و|:41/9/1 (|نجار|:27) ؛ |و|:25/9/1 ؛ |و|:27/9/1-28 ؛ |و|:241/9/1.

3538. 274 الدليل, https://youtu.be/AGN7TsIpQOM?list=PLgzNBVDjQEIj1550UcSMsRdbjryWDYzSc

3539 . |Sidersky|:13؛ |Midrash|:202/1. انظر أيضاً |Tottoli|:51.

3540 . |Midrash|:130/1. انظر أيضاً |Kugel|:110.

3541 . |هامش|:70/5؛ |OTP|:73/2. انظر أيضاً |Kugel|:110.

3542 . |هامش|:32/10؛ |Targums|:58/1A؛ |Kugel|:121.

3543 . |BT|:29/17-؛ |EI-2|:178-177/1. انظر أيضاً |Tottoli|:51.

3544 . |السواح|:188/22.

3545. “building on Biblical foundations, [Ephrem] describes Adam as a priest and Paradise as a temple” (|Witztum|:86). See also |Paradise|:90-96; |Kugel|:108-110, 120-121.

3546. “Note that the idea of Adam as a priest was reinforced by the mention of some of the precious stones of the priestly breastplate in Ezek. 28:13 (and still more in the Septuagint text of this verse); this same verse speaks of “Eden, the garden of God” and was consequently associated with the Genesis narrative of Adam’s sin and expulsion” (|Kugel|:118-119). See also |Kugel|:136.

3547 . |Bauckham|:541/1. انظر أيضاً |Kugel|:110.

3548 . "مَلْعُونٌ مَنْ لاَ يُقِيمُ [جَمِيعَ] كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهَا. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِينَ" (التثنية 26:27).

3549 . "مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ" (2 تيموثاوس 10:1). انظر تفاسير (التكوين 2-3)؛ |EOSB|:1477؛ |تساؤلات|:62/1، 89.

3550. “In searching out the identity of the garden [of Eden] and the tree of life, some interpreters concluded that the entire idea was metaphorical. After all, the righteous are elsewhere in the Bible compared to trees” (|Kugel|:138).

3551 . وفي الفكر اليهودي، قيل إن شجرة الحياة ترمز إلى التوراة أو إلى الحق. انظر |EJ|:374-373/1.

3552 . حاول التراث المسيحي قبل الإسلام أن يقدم تبريرات لعقاب الحية. انظر مثلاً ما قاله إفرام السرياني ويعقوب السروجي (|Witztum|:92). لكننا لم نقتنع بتلك التبريرات. مثلاً: قيل إن الله لعن الحيةَ بسبب الشيطان (التكوين 14:3) كما لعن الأرضَ بسبب آدم (التكوين 17:3)! فهذا التبرير لا يجيب على السؤال، وإنما يطرح سؤالاً آخر: ما الذنب الذي اقترفته الأرضُ لكي تُلعَن؟! ثم إن لعن الأرض عبارة مجازية تعني فقط أن الله يرفض الخطيئةَ التي ارتكبها آدم على الأرض، وأن هذا الرفض سيُصاحَب بعقوبةٍ لآدم: "بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ" (التكوين 17:3). أي: سيشقى آدمُ في زراعتها.

3553 . |Budge|:62-63، 67؛ |بدج|:47، 49-50. انظر أيضاً |IDAE|:38-39.

3554. 506 الدليل, https://www.youtube.com/watch?v=tUJP6nTGiHw

3555. يتفكرون, https://www.youtube.com/watch?v=9O2mSQXqN2Y

3556. يتفكرون, https://www.youtube.com/watch?v=9O2mSQXqN2Y

3557. 168 صندوق الإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=yFr9K273OHw

3558 . |عبده|:143/4-145. انظر أيضاً |منار|:280/1-282؛ |شحاته|:52/1-53.

3559 . |JSB|:9.

3560 . هذا قول "أكثر العلماء" و "عامة المفسرين" (|شوكانى|:45/2).

3561 . قال يسوع المسيح: "مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟" (متى 26:16) (مرقس 36:8-37) (لوقا 25:9).

3562 . بل قبل قصة إدريس (أخنوخ) ورفعه. ملحوظة: هذا الترتيب الزمني لأنبياء القرآن يعتمد أساساً على الكتاب المقدس اللي بيقولوا عليه "مُحرَّف"!

3563 . |خالدى-أ|:146/1.

3564 . (البخارى 3157؛ |خ|:1213/3) (البخارى 6473؛ |خ|:2518/6) (البخارى 6890؛ |خ|:2669/6) (مسلم 1677؛ |م|:1303/3-1304). انظر أيضاً |عيسى|:367/1؛ |خالدى-أ|:148/1؛ |خالدى-ب|:207.

3565 . |Kugel|:149-151، 158-159؛ |EJ|:245/1؛ |EJ|:340/4-؛ |كتابية|:162/6.

3566 . وذلك على الرغم من أن الرب الإله كان فلاحاً، بل أول فلاح في التاريخ! "وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، [...]. وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" (التكوين 2:8-9).

3567 . لاحِظ معاداة المرأة والإساءة إليها بتجسيد وتشخيص الخطيئة (Personification of Sin) كامرأة رَابِضَة عند الباب تشتاق إلى الرجل قايين! والعبارة المذكورة هنا عن الخطيئة "وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا" (التكوين 4:7) هي نفس العبارة التي استخدمتها التوراةُ عن حواء "وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ" (التكوين 3:16)!

3568 . |سبعينية|:التكوين/37؛ |Samaritan|:11؛ |سريانية|:17/7؛ |Targums|:66/1A؛ |هامش|:36/10؛ |Witztum|:126-؛ |Kugel|:160-.

3569. “apparently because Eden (and their nearby home) was thought to be on a mountaintop” (|Kugel|:162).

3570 . |قاموس-كتاب|:710.

3571 . انظر الآراء المختلفة حول نهاية قايين المخزية (|Kugel|:154-155، 166-167).

3572 . وتوجد أمثلة أخرى (|Witztum|:113؛ |Kugel|:154).

3573 . |وجدى|:142. انظر أيضاً تفاسير (المائدة 27-31) و |Witztum|:114.

3574 . |خالدى-ب|:206.

3575 . |خالدى-أ|:147/1. انظر أيضاً |خالدى-ب|:226.

3576 . |بكر|:34.

3577 . **[← "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (آل عمران 169) "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ" (البقرة 154)].**

3578 . قال يسوع المسيح: "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ [الأرضي]. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ [الأرضي]، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا" (يوحنا 18:36).

3579 . حسب العقيدة المسيحية: "أورشليم الجديدة" أو "أورشليم السمائية" هي مسكن المسيح (الله) مع المؤمنين الأبرار الذين يرثون ملكوت السماوات بعد أن يأتي المسيحُ فى مجيئه الثاني (الرؤيا 21). يناظرها "جنة الخلد" فى الإسلام.

3580. “If Cain represents the Jews who were hostile to Muhammad in the Qur’an, […] Muhammad takes on characteristics of Jesus, himself pre-figured by Abel (Matt 23:35). In 5:29, Abel-Muhammad repeats, in another form, Jesus’ curses against the Jews who were trying to put him to death” (|Banquet|:199). For more details, see |Banquet|:215-219.

3581 . "قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ [...]. يَا قَوْمِ **ادْخُلُوا** الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ [...]. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ **نَدْخُلَهَا** حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا **دَاخِلُونَ**. قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا **ادْخُلُوا** عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا **دَخَلْتُمُوهُ** فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ [...]. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ **نَدْخُلَهَا** أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا" (المائدة 20-24).

3582 . |EQ|:23/3. انظر أيضاً |Banquet|:217.

3583 . انظر أيضاً |Kugel|:159 لأمثلة من كتب التراث اليهودي والمسيحي. وشاهد الحلقة رقم 299 من برنامج الدليل: http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6071&cat=24&scat=211&

3584 . |شعراوى|:3076/5. انظر أيضاً |شعراوى-حيو|:175.

3585 . |نجار|:41.

3586 . حسب العقيدة المسيحية. لكن حسب التفسير السائد للقرآن، الله أنقذ المسيح من اليهود (المائدة 110) (النساء 157-158)!

3587. “Abel’s inaction and passivity (cf. Q 5:28) is evidently a Christian element since, according to Christian tradition, the murder of Abel is considered a prefiguration of the crucifixion of Jesus” (|EQ|:1\271).

3588 . |FV|:255-256؛ |JSS|:19/2/238.

3589 . انظر مثلاً |عبرى|:5؛ |Kugel|:146. وقالت حاشية الترجمة السبعينية للكتاب المقدس (يوناني - عربي) بالمقارنة مع النص العبري والترجمة القبطية: "تأتي في اليونانية [...] بواسطة أو عن طريق الله، وفي العبرية [...] مع الله، وفي القبطية [...] من عند الله" (|سبعينية|:التكوين/35).

3590 . "ابن الشيطان" و "ابن الله"، و "أولاد إبليس" و "أولاد الله" بالمعنى المجازي طبعاً، وليس بالمعنى الحرفي. لكن كما قلنا فيما سبق، بعضُ الكتب اليهودية والمسيحية (الغنوسية) القديمة زعمت أن قايين كان ابن الشيطان بالمعنى الحرفي: الشيطان أو ملاك ساقط نكح حواء (|Kugel|:147-148، 157-158، 169)!

3591 . |Bauckham|:1/544؛ |طرزى|:2/115؛ كما دخل الشيطانُ في الحية التي أدت إلى سقوط آدم في الخطيئة. وكما "دَخَلَ الشَّيْطَانُ فِي يَهُوذَا الَّذِي يُدْعَى الإِسْخَرْيُوطِيَّ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ [تلاميذ المسيح] الاثْنَيْ عَشَرَ. فَمَضَى وَتَكَلَّمَ مَعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ الْجُنْدِ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ (أي: يُسلِّم المسيحَ) إِلَيْهِمْ" (لوقا 22:3-4)؛ (يوحنا 13:27).

3592 . |Witztum|:114، 149.

3593 . (Genesis Rabbah 22:12) (|Midrash|:1/191). انظر أيضاً |EJ|:4/340.

3594 . منذ 586 ق.م، لم تقم دولة إسرائيل مرة أخرى إلا عام 1948م، أي بعد أكثر مِن 2500 سنة!

3595 . (ابن ماجه 3961؛ |هـ|:3/401؛ "صحيح" |هـ-ألبانى|:654؛ |هـ-صحيح|:3/298-299؛ "إسناده حسن" |هـ-أرنؤوط|:5/108-109) (أبو داود 4259؛ |د|:4/100؛ "صحيح" |د-ألبانى|:760-761؛ |د-صحيح|:3/11).

3596 . (مسلم 2888؛ |م|:4/2213-). واقرأ أيضاً (البخارى 31؛ |خ|:1/20-) (البخارى 6481؛ |خ|:6/2520) (البخارى 6672؛ |خ|:6/2594-)؛ |خالدى-ب|:216. "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً (أي: غير متعمد؛ حادث سيارة مثلاً) [...]. وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا" (النساء 92-93).

3597 . لكن طلحة والزبير وعليّ بن أبي طالب قاتلوا بعضُهم بعضاً، فكيف يكونون جميعاً من العشرة المبشرين بالجنة؟! عجبي!

3598 . قال هابيلُ لقابيل: "لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (المائدة 28)؛ أي: "وليس المانعُ عندي خوفي منك، أو عجزي عن قتلك، إنما المانعُ خوفي من الله رب العالمين" (|خالدى-أ|:1/146).

3599. “Although the language is formulaic, these are the only two instances in which the three words occur in the rhyme of three consecutive verses, as Robinson notes. To him this suggests that “[t]he believers were surely meant to infer that the Jews of Arabia … were false brothers and potential fratricides”” (|Witztum|:147). See also |JQS|:3\1\13.

3600 . |زحيلى-وجيز|:110. انظر تفاسير وأسباب نزول (المائدة 11).

3601. “In the Islamic tradition, Cain is the prototypical murderer and the two brothers [i.e. Abel and Cain] are seen as exemplars of good and evil [respectively]” (|EQ|:1\26).

3602 . |قرطبى|:7/408؛ |قرطبى-مصر|:3/497.

3603 . |صفوة|:1/337. انظر أيضاً |بكر|:39؛ |خالدى-ب|:225.

3604 . |طنطاوى-قصص|:1/41-42.

3605 . |Witztum|:151-153؛ 268-269. ملحوظة: سنتحدث عن الجذور المسيحية السريانية بعد قليل.

3606 . |Banquet|:197. لمزيد من التفاصيل، انظر |Banquet|:209-210، 215-219.

3607 . سياق هذه الآيات من سورة الحشر يتحدث عن غزوة بني النضير (4هـ) التي شنها المسلمون ضد يهود المدينة.

3608. Joseph Witztum, "The Syriac Milieu of the Quran: The Recasting of Biblical Narratives". PhD Dissertation. Princeton, NJ: Princeton University. 2011 (|Witztum|:111-153).

3609. “[T]he Aramaic *Targum Neofiti* […] is of Palestinian provenance […] and was written well before the rise of Islam (ca. 1st century AD). M. McNamara argues for a date of the fourth century AD” (|Reynolds|:38).

3610 . |هامش|:10/36-37؛ |Targums|:1A/66-67؛ |Kugel|:150-151، 161-162؛ |Witztum|:127-129. انظر أيضاً |GR-AQ|:198؛ |Sidersky|:18.

3611. "قُرْبَانًا" (Syriac: *qurbānā*) "has already been noted as a loanword from Jewish Aramaic or Syriac" (|Witztum|:143-144). See also |FV|:234-235; |Witztum|:128.

3612. محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

3613 . |تلمود|:65-66.

3614 . |سومريون|:216-218.

3615. "All these texts have been dated by the scholars studying them to the fifth or sixth centuries" (|Witztum|:125). See also |GR-AQ|:198.

3616. "According to Brock […], this is likely to be the original refrain" (|Witztum|:151).

3617 . وفي عِظة (homily) سريانية لـ "إسحاق الأنطاكي" (Isaac of Antioch)، يعلن قايينُ عن نيته الشريرة لكن بضمير الغائب: "سأقتله" (بالسريانية: qāṭelnā leh) (|Witztum|:129-130).

3618 . "مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ" (الأمثال 1:7)؛ "بَدْءُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ" (الأمثال 9:10).

3619 . اقرأ أيضاً "هَلْ آكُلُ [أَنَا اَللهُ إِلهُكَ] لَحْمَ الثِّيرَانِ [أي: الذبائح)، أَوْ أَشْرَبُ دَمَ التُّيُوسِ؟" (المزامير 50:13) **[← نُقِلَت في القرآن العربي: "لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا" (الحج 37)!]**. اقرأ أيضاً (المزامير 40:6-10).

3620. "One of the most common devices in midrashic and haggadic writings is to put quotations from the Psalms in the mouths of the Antediluvians and the Patriarchs […]. Perhaps one day a source will be found in which these words from the Psalms are spoken by Abel" (|JSS|:19\2\235). For examples, see |EJ|:4\340; |Potiphar|:52, 106; |JANT|:690-691.

3621 . **[← "يَوْمَئِذٍ (أي: يوم القيامة؛ يوم الحساب والجزاء) يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" (الزلزلة 6-8). وتُعرَف هذه الآية في التراث الإسلامي باسم "الفاذَّة الْجَامِعَة" كما جاء في الحديث الصحيح (مسلم 987؛ |م|:2/682)!]**.

3622 . "لا ينفي صموئيل أهمية الذبائح ولكنه يقصد أنها لا تُقبَل إلا حين تُقدَّم بقلبٍ ممتلئ بالطاعة والتكريس للرب" (|دراسي|:652؛ |NIV|:398).

3623 . |GR-AQ|:780؛ |Kaskas|:384.

3624 . وقُرئت غير ذلك: "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتَكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ"؛ "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ"؛ "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً" (|خطيب|:6/53-54). يعني كل الاحتمالات الأربع موجودة في كتب القراءات! وكالعادة، كل قراءة لها طبعاً الحيلة النحوية التي تبررها! لمزيد من التفاصيل، انظر |QSC|:246.

3625 . لكن للأسف، جعل المسلمون العبادات هدفاً في حد ذاتها! فصارت هذه العبادات المظهرية نوعاً من النفاق الديني والاجتماعي. وصِرنا نجد مَن يصلي ويصوم ويحج ويرتكب أبشع الجرائم بالأيدي وباللسان وبالقلب!

3626 . "إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ" (يوسف 53).

3627 . وكما قلنا فيما سبق: يقول كتاب "مغارة الكنوز" السرياني إن الشيطان دَخَلَ في قايين (|Bauckham|:1/544؛ |طرزى|:2/115)؛ كما دخل الشيطانُ في الحية التي أدت إلى سقوط آدم في الخطيئة، وكما دخل في يهوذا الذي خان المسيح.

3628 . والمقصود "الشيطان" الذي أفسد رابطة الأخوة بين يوسف وإخوته (يوسف 5، 100).

3629 . |طبرى|:8/338؛ |طبرى-شاكر|:10/222.

3630 . |بهجت|:48.

3631 . في حديث "سَيِّد الاِسْتِغْفَار": "اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ [...] أَبُوءُ (أي: أَعْتَرِفُ وأقر) لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ (أي: أَعْتَرِفُ وأقر) لَكَ بِذَنْبِي [...]" (البخارى 5947؛ |خ|:5/2323-2324). ونحن نرى أن هذا هو المعنى الأصح والأفضل لكلمة "تَبُوءَ" في قصة "ابني آدم" القرآنية: تقر وتعترف. وهو أيضاً يتفق مع ما جاء في العظة السريانية قبل القرآن: "إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ (أي: تقر وتعترف) بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ [وإذا لم تعدلْ] فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ" (المائدة 29).

3632 . |السواح|:312/1.

3633 . |خالدى-د|:87.

3634 . |مجلس|:151-152.

3635 . |Banquet|:200؛ |JSS|:236/2/19؛ |Sidersky|:18؛ |Masson|:822؛ |EJ|:341/4؛ |Tottoli|:52.

3636. 255 الدليل,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5902&cat=24&scat=211&

3637 . |Witztum|:117. انظر المصادر المحتملة الأخرى لقصة "الغراب" وتعليقه عليها (|Witztum|:115-122).

3638 . |Witztum|:167.

3639 . |Potiphar|:29.

3640 . |Potiphar|:34.

3641 . سنتحدث عن (المائدة 32-33) في وقتٍ لاحق بعد قليل.

3642 . قال الشيخ الشعراوي: "إنْ كنت ستنظر للوسيلة القريبة فيكون الغراب، وإنْ كنت ستنظر لوسيلة الباعث يكون هو الله" (|شعراوى-حيو|:181-).

3643. Questions and Answers on Genesis 2:38 (|Philo|:826).

3644 . |Witztum|:150.

3645 . اقرأ أيضاً (1 صموئيل 44:17) (1 صموئيل 46:17) (إرميا 4:16) (حزقيال 5:29).

3646 . |رازى|:209/11. انظر أيضاً |عيسى|:367/1.

3647 . |قرطبى|:421/7؛ |قرطبى-مصر|:504/3.

3648 . |BT|:7/. انظر أيضاً |OTP|:293/2.

3649. The Antiquities of the Jews 1.2.1: “he (i.e Cain) slew his brother, and hid his dead body, thinking to escape discovery” (|Josephus|:35).

3650 . "دُوّن النص الأصلي في نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث، ووُجِدَ اليوناني واللاتيني بين هذا التاريخ وسنة 400م"، "شكلت ترجمة هاتين الوثيقتين: أقدم (إن لم يكن أول) معالجة مختلفة لروايات مختلفة ذات علاقة بالفصول الأولى من سفر التكوين" (|هامش|:133/30، 138). انظر أيضاً |OTP|:252/2، 255؛ |Pleiade|:1767/337.

3651. “As for the date of the earliest version [of the *Life of Adam and Eve*], the Greek one, de Jonge and Tromp have recently written that “it would seem safe to posit its origin … in the second to fourth centuries”” (|Witztum|:80).

3652 . |RHCharles|:151-152/2؛ |OTP|:291/2، 293؛ |Pleiade|:1793-1794/337؛ |طرزى|:128/1؛ |هامش|:162-163/30.

3653 . |Midrash|:192/1. انظر أيضاً |EJ|:340/4.

3654 . |كشاف-ع|:227/2؛ |كشاف-ش|:287.

3655 . |خالدى-أ|:147/1. انظر أيضاً |خالدى-ب|:222-223، 228.

3656 . انظر الدراسة التي أعدها (Dr. Joseph Witztum) حول مسألة "توبة قايين (قابيل)" في التراث اليهودي والتراث المسيحي (السرياني) والقرآن وتفاسيره، وكذلك الفرق بين "الندم" و "التوبة" في القرآن (|Witztum|:136-143).

3657. F. Graffin, “Patrologia Orientalis”, Tome 34, “Homélies de Narsaï sur la création”, Édition critique du texte syriaque, Introduction et traduction française par Philippe Gignoux, p. 635.

3658 . |ينابيع|:126/1.

3659 . |Witztum|:141-142.

3660 . |Witztum|:143.

3661 . أشهر مثال على ذلك: قصة "العجل الذهبي" (Golden Calf) التي حذفها المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" (Josephus) (حياته: 37 – 100م تقريباً) لأن الإغريق والرومان عابوا على اليهود أنهم عبدوا صنماً على شكل حيوان.

3662 . انظر مثلاً |Witztum|:122-124؛ |Banquet|:200-؛ |EI-2|:13/3؛ |Bell|:99/1؛ |QSC|:107-؛ |JQS|:4/1/3.

3663. 134 حوار الحق, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=2200&cat=24&scat=42& 339 الدليل, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6241&cat=24&scat=211&

3664 . وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن كله التي بها كلمة "أَجْلِ" وعبارة "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ"!

3665 . |Witztum|:122. انظر أيضاً |Banquet|:202.

3666 . انظر مثلاً |عبرى|:6؛ |يسوعية|:العهدالقديم/75. انظر أيضاً |JSS|:19/2/237-238.

3667 . |Midrash|:1/189؛ |Kugel|:160. انظر أيضاً |Witztum|:122؛ |QSC|:108. اقرأ أيضاً (2 ملوك 9:26).

3668 . توجد آيات قرآنية أخرى تستخدم نفس أسلوب "توازي المتضادات". مثلاً: "إِن كَانَ قَمِيصُهُ A قُدَّ مِن قُبُلٍ B فَصَدَقَتْ C وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ 'A قُدَّ مِن دُبُرٍ 'B فَكَذَبَتْ 'C وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 26-27).

3669. “Overall, it seems almost undeniable that some direct knowledge of the rabbinic precursor informs the Qur’ān here” (|QSC|:109).

3670 . |GR-AQ|:199.

3671. “what is to prevent the Quran from adding an explanatory remark when citing a Jewish source?” (|Witztum|:123).

3672. “Abel is cited as the model and type of pious believers”. Cain “appears as the type of unbelievers”. “behind Cain’s crime against Abel we see that of the children of Israel towards God’s messengers” (|Banquet|:211).

3673 . ومما لا شك فيه أن عبارة "فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ" عبارة مطاطة جداً استخدمها المسلمون الأوائل – ولا يزال مسلمون اليوم يستخدمونها – لتبرير قتل كل مَن يعتبرونه "مفسداً". ليس الفساد المالي ولا السياسي ولا حتى الأخلاقي، وإنما "العقلي"! المرتد أو المثقف مثلاً! وكنا نتمنى توضيح المقصود بـ "الفساد" أو حذف هذه العبارة الغامضة كما فعلت المشنا اليهودية.

3674. “That those waging war against God are indeed the Jews is suggested by their fate at the end of v. 33: […]. The very same language is used in v. 41 to describe the Jews: […]. […]. Others interpret the verse as referring to apostates; […]. The common legal interpretation of the verse as concerning brigandry has no basis in the text” (|Witztum|:146). See also |Banquet|:209-211.

3675 . |طبرى|:8/360-؛ |طبرى-شاكر|:10/243-. وكالعادة توجد آراء أخرى. "وَقَالَ آخَرُونَ: نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. [...]. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ عُرَيْنَةَ وَعُكْلٍ، ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَحَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. [...]".

3676 . راجع الأحاديث الصحيحة (البخاري ومسلم) التي ذكرناها عند حديثنا عن الصحابي "كُرْز بن جَابِر" القرشيّ.

3677 . "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ **فِي الْأَرْضِ** خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ **يُفْسِدُ فِيهَا** وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (البقرة 30).

3678 . "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى [يحتجزهم، أو يأخذ منهم فِدَاءً، أو يمن عليهم بعفوٍ] حَتَّى يُثْخِنَ **فِي الْأَرْضِ** (أى: يُبَالِغ فى قتلهم، يكثر القتل والقهر فيهم!)" (الأنفال 67).

3679 . "قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" (التوبة 14)! سؤال: هل صدور المسلمين ترتاح بقتل وتعذيب وإذلال الآخرين؟!

3680 . "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ (أي: لا يُعبَد غير الله؛ لا يُحكَم إلا بشرع الإسلام!)" (الأنفال 39).

3681. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

3682 . |قاهرة|:154/22. ملحوظة: نسي المترجم أن يقول إن عبارة "من إسرائيل" ليست في كل نسخ المشنا. انظر |QSC|:110؛ |Banquet|:203.

3683 . انظر الترجمة الإنجليزية المشهورة لـ Danby (|Mishnah|:388) والترجمة الفرنسية (|QSC|:107).

3684. |Tisdall-ar|:59. The 32nd “verse of Sûrah Al Mâidah is an almost literal translation of part of this extract” from Mishnâh Sanhedrîn (|Tisdall|:65).

3685 . |يسوعية|:العهدالقديم/74. ملحوظة: التقليد اليهوي أقدم مصدر من مصادر التوراة (القرن العاشر أو التاسع ق.م) ويتميز بأنه يُصوّر الربَّ (YHVH) أدبياً بطريقة إنسانية (Anthropomorphism) (|JSB|:2167). ولذلك جعل الربَّ يتحاور مع قايين (التكوين 4:9-15). حذف القرآنُ هذا الحوار الإلهي-البشري، وجعل هابيل يتحاور مع قابيل، بل: يعطيه عِظة دينية.

3686 . "فمحبة القريب عند المسيح هي ومحبة الله على التساوي أو التوازي في اعتبار الله. لذلك في موضوع هذه الْوَصِيَّة الأُولَى وَالْعُظْمَى قال: "والثَّانِيَةُ مِثْلُها" (متى 22:39)، والاثنان وصية واحدة. والله هو الذي يدعونا للمحبة والمعونة في الآخرين. بهذا المعنى فقط تكون محبة الآخرين هي محبة الله" (|المسيح|:374).

3687 . "أمَّا كون هذا الكاتب قريباً من الملكوت وليس بعيداً، فلأنه تخلَّص من خبث الفرّيسيين وتمسُّكهم بأعمالهم وبرّهم الذاتي. وأمَّا كونه لا يزال بينه وبين الملكوت خطوة، فهو لأن وعيه لم يستيقظ بعد عن حاجته إلى الفداء والمسيَّا لأن "بدوني (أي: بدون يسوع المسيح) لا تقدِرونَ أنْ تفعَلوا شَيئاً" (يوحنا 15:5)" (|المسيح|:363).

3688 . "حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ وَإِحْسَانُهُ لاَ بِأَعْمَال فِي برّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ (أي: بِمُقْتَضَى نِعْمَتِهِ) خَلَّصَنَا بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي سَكَبَهُ [اللهُ] بِغِنًى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا. حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِهِ (by Divine Grace; by Divine Mercy)، نَصِيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (تيطس 3:4-7).

3689 . |قاهرة|:713/43.

3690 . |كتابية|:127/8.

3691 . |قاموس-كتاب|:993.

3692 . |كتابية|:160/6؛ |كتابية|:162/6.

3693. “[…], but what it actually means is “smith” (so in Arabic and Aramaic)” (|EJ|:4\340).

3694 . |قاموس-كتاب|:710.

3695 . |بارى|:425/6؛ |بارى-طيبة|:614/7.

3696 . **[← كما ذكر القرآنُ خصومةً بين فلاح (صاحب حرث) وراعي (صاحب غنم)! "وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ (أي: انتشرتْ الغَنم ليلاً في الزرع فأفسدته) وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ" (الأنبياء 78)! وهذا يؤكد أن أساطير الصراع بين الراعي والفلاح قد وصلتْ إلى أصحاب القرآن].**

3697. “Muhammad mentions a righteous judgment pronounced by David and Solomon in the matter of a field in which strangers pastured their flocks (Sura 21:78). The maximum brevity with which this judgment is mentioned shows that the story itself was very well known. The Midrash (Ex. R. 2:3) cites the test experienced by David who led his sheep through the wilderness, only in order to keep them from robbing [private fields]” (|EJ|:5\455).

3698 . |BK|:481.

3699 . |Kramer|:133-136؛ |Kramer-fr|:154-156؛ |كريمر|:226-230؛ |السواح|:305/1-306؛ |سوسة|:422؛ |سومريون|:200-203.

3700 . |BK|:511.

3701 . |Kramer|:108-110؛ |Kramer-fr|:127-129؛ |كريمر|:201-204؛ |السواح|:1/306-307؛ |سوسة|:423؛ |سومريون|:200-203.

3702 . |كريمر|:204.

3703 . "أَهْلُ مَوَاشٍ مُنْذُ صِبَانَا إِلَى الآنَ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا" (التكوين 46:34) "رُعَاةُ غَنَمٍ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا" (التكوين 47:3). **[← "وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ (أي: من البادية؛ من الصحراء)" (يوسف 100)]**. وأدلة أخرى في |شحرور|:2/226-.

3704 . قال إبراهيم: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ (أي: ليس فيه زرع) عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ (أي: مكة)" (إبراهيم 37). ويقول حديث صحيح أخرجه البخاري إن محمداً قَالَ: "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ"، فَقَالَ أَصْحَابُهُ [له]: "وَأَنْتَ؟" فَقَالَ [محمدٌ]: "نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ" (البخارى 2143؛ |خ|:2/789).

3705 . |ANET|:41-42؛ |Kramer|:136-140؛ |Kramer-fr|:156-159؛ |كريمر|:230-237؛ |السواح|:1/307-309؛ |سومريون|:200-203.

3706 . |OTParallels|:321-331؛ |KJV-arch|:928.

3707 . |بارى|:6/425؛ |بارى-طيبة|:7/614.

3708 . |حجازى|:1/558. أعاد الأزهر ومجلس حكماء المسلمين طباعة هذا التفسير سنة 2018!

3709 . هذا الصراع بين قابيل وهابيل يشبه الانتخابات الرئاسية (بين العسكر والإسلاميين مثلاً). يفوز فردٌ واحد بالسلطة كلها حتى لو حصل على 50% + 1 فقط مِن الأصوات! بينما يخسر الطرفُ الآخر كُلَّ شيء حتى لو حصل على 50% - 1!

3710 . |Midrash|:1/187. انظر أيضاً |Kugel|:148-149؛ |JSS|:19/2/234؛ |EJ|:4/340-341.

3711 . |Bauckham|:1/544؛ |طرزى|:2/115. انظر أيضاً |EI-2|:3/14.

3712 . |DDD|:832. **[← "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ (أي: فروجهن موضع زرع لكم!) فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ" (البقرة 223)]**.

3713 . |السواح|:1/309-312.

3714 . |Lalouette|:105-؛ |DDD|:456-، 649-؛ |قاهرة|:42/144، 164-، 169، 370-؛ |IDAE|:159-، 237-، 297؛ |Coogan|:32؛ |Budge|:41-؛ |السواح|:1/407-؛ |السواح|:12/308-.

3715 . |Grandet|:117؛ |IDAE|:108.

3716 . |Lalouette|:109-111.

3717. Rachel Storm, “Mythology of Egypt and the Middle East”, Anness Publishing, 2010, p. 57.

3718 . **[← قدرة الله على إحياء الجسد الميت حتى بعد قتله وتقطيعه وتمزيقه (sparagmos) وبعثرة أشلائه: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ (أي: فاضممهن) إِلَيْكَ [واذبحهن وقطعهن] ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا" (البقرة 260)]**.

3719 . **[← قال يسوع المسيح: "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ [الأرضي]" (يوحنا 18:36)]**.

3720 . "ويجب ملاحظة قرب هذا اللفظ من اللفظ العربي "الآخرة"" (|بدج|:193). انظر أيضاً |السواح|:12/315؛ |Budge|:67.

3721 . **[← يسوع المسيح ينبئ بموته وقيامته: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا (أي: تظل بذرة وحيدة). وَلكِنْ إِنْ [وَقَعَتْ في الأرض وَ] مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ. مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا (أي: مَن يتمسك بحياته الدنيوية يخسرها)، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (يوحنا 12:24-25)]**.

3722 . |السواح|:1/408. انظر أيضاً |Budge|:60-61.

3723 . ولا يزال الأقباط (المسيحيون المصريون) إلى اليوم يحتفلون بعيد ميلاد المسيح في يوم 29 كيهك (حسب التقويم القبطي) الذي يناظر حالياً يوم 7 يناير (حسب التقويم الجريجوري/الميلادي). مع أنه لا يوجد أي دليل علمي ولا حتى كتابي يثبت أن المسيح قد وُلِدَ يوم 29 كيهك تحديداً! يعني: عيد في أواخر شهر كيهك، مثل عيد الإله المصري أوزيريس! صدفة؟!

3724 . [← "وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ». «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟»" (1 كورنثوس 15:54-55)].

3725 . [← "وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ، [...]. [...] وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. [...]. فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ (أي: كفَّنَهُ) بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ" (متى 27:57-60)؛ (مرقس 15:42-46) (لوقا 23:50-53)].

3726 . "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رَأَيْتُ رَبِّي جَعْدًا أَمْرَدَ (وفي روايات أخرى: شاباً أمرد) عَلَيْهِ حُلَّةٌ خَضْرَاءُ". أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات"، ط المكتبة الأزهرية للتراث، ص 411-. واختلف المسلمون (سنة وشيعة) اختلافاً شديداً حول مدى صحة حديث "الشاب الأمرد" وأحاديث أخرى مشابهة سنداً و/أو متناً. ونحن لا يهمنا هذا الخلاف، بقدر ما يهمنا لون هذه "الحلة" الإلهية المزعومة: خضراء. مثل لون جسد الإله الخَضِر أوزيريس! صدفة؟!

3727. Rachel Storm, “Mythology of Egypt and the Middle East”, Anness Publishing, 2010, p. 56.

3728 . [← مريم العذراء ← "وَالَّتِي (مريم؟ أم إيزيس؟) أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا (المسيح؟ أم حورس؟) آيَةً لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 91) (مكية). لكن في القرآن المدني، صارت الآية أكثر تحديداً: "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا" (التحريم 12) (مدنية)].

3729 . [← هربت مريم العذراء بطفلها "الإله" يسوع المسيح إلى مصر بعيداً عن عدوه هيرودُس (Herod the Great) الذي أراد أن يقتل يسوع (متى 2:13-15)].

3730 . [← "يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ" (الروم 19)].

3731. “Through fusion of myths Seth is both the brother of Horus and his uncle” (|LAE|:95).

3732 . [← بِكر النبوات عن المُخلِّص (**حورس خليفة أوزيريس**←المسيح ابن الله): نَسْلُ المرأة (**ابن إيزيس**←ابن مريم) يَسْحَقُ رَأْسَ الْحَيَّةِ (**ست الشرير**←الشيطان) (التكوين 3:15)]. وهكذا اندمجت عناصر من شخصيتي أوزيريس وحورس في شخصٍ واحد هو شخص المسيح: انتصر على الموت (مثل أوزيريس) وانتصر على الخطيئة والشيطان (مثل حورس). بعبارة أخرى: الإله أوزيريس وابنه الإله حورس [← المسيح: الله وابن الله (حسب قانون الإيمان النِّيقاوي-القسطنطيني)].

3733 . [← "الصِّدِّيقُونَ (أي: الصالحون؛ الأبرار) يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ" (المزامير 37:29)؛ (الأمثال 2:20-22) ← "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (الأنبياء 105)].

3734 . [← "وصعد [الإلهُ يسوع المسيح] إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه (أي: الإله الآب)" (قانون الإيمان النِّيقاوي-القسطنطيني)].

3735 . [← رسَّخ المجمع المسيحي الثالث "مجمع أفسس" (Council of Ephesus) (431م) أن مريم العذراء هي "والدة الإله" (Theotokos)؛ أي: والدة "الإله" يسوع المسيح].

3736. e.g. “Osiris, King of the South and North, Men-kau-Rā, living for ever” (|Budge|:56).

3737 . قال محمدٌ في حديث صحيح أخرجه مسلم: "يَقْطَعُ الصَّلَاةَ، الْمَرْأَةُ، وَالْحِمَارُ، وَالْكَلْبُ" (مسلم 511؛ |م|:1/365-366)!

3738 . [← "نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ (أي: لنقوم على شبه الجسد المُمجَّد الذي قام به المسيحُ)" (فيلبّي 3:20-21)؛ (1 كورنثوس 15:42-54) (1 يوحنا 3:2)].

3739 . [← "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غلاطية 2:20)؛ وقال يسوع المسيح عن التناول (Eucharist): "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يوحنا 6:54-56)].

3740 . |السواح|:12/313-314. انظر أيضاً |Budge|:59-60.

3741 . [← "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ" (عبس 34-37)؛ "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى" (فاطر 18)؛ "أَلَّا تَزِرُ

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى. وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى" (النجم 38-42)؛ وآيات قرآنية أخرى].

3742. Book of the Dead of Hunefer (Hw-nfr); https://www.britishmuseum.org/

3743 . [← "وَالرَّبُّ وَازِنُ الْقُلُوبِ" (الأمثال 21:2)؛ (الأمثال 12:24). "قَبَّانُ الْحَقِّ وَمَوَازِينُهُ لِلرَّبِّ" (الأمثال 11:16)].

3744 . [← "وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ" (الأنبياء 47)؛ "وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ" (الأعراف 8-9)؛ "فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ" (القارعة 6-11)؛ "فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ" (المؤمنون 102-103)؛ وآيات قرآنية أخرى].

3745 . [← "اُنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ، [...]. أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ" (التثنية 30:15-19) ← وكذلك في المسيحية ثم الإسلام: إما الجنة (مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ) والنعيم الأبدي، وإما نار جهنم والعذاب الأبدي!].

3746 . [← "لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا" (1 يوحنا 2:1-2) "لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (1 تيموثاوس 2:5-6)].

3747 . |بدج|:17. انظر أيضاً |Budge|:72-73.

3748 . |السواح|:12/316-317. انظر أيضاً |Budge|:75-77.

3749 . |نطرون|:التكوين/512.

3750. د. وسيم السيسي, https://www.youtube.com/watch?v=xa9r7_Cjy44

3751. الدليل 506, https://www.youtube.com/watch?v=tUJP6nTGiHw

3752 . |Budge|:79-80.

3753 . |قاهرة|:42/164-165، 169. انظر أيضاً |DDD|:650.

3754 . |DDD|:457؛ |IDAE|:160؛ |السواح|:12/311.

3755 . "وَأَمَرَ يُوسُفُ عَبِيدَهُ الأَطِبَّاءَ أَنْ يُحَنِّطُوا أَبَاهُ. فَحَنَّطَ الأَطِبَّاءُ إِسْرَائِيلَ" (التكوين 50:2). "ثُمَّ مَاتَ يُوسُفُ وَهُوَ ابْنُ مِئَةٍ وَعَشْرِ سِنِينَ، فَحَنَّطُوهُ وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ فِي مِصْرَ" (التكوين 50:26).

3756 . |Kramer|:154-167؛ |Kramer-fr|:204-216؛ |كريمر|:261-282؛ |ANET|:52-57؛ |DDD|:832-833؛ |BK|:276-290؛ |السواح|:1/354-377؛ |السواح|:12/186-195.

3757 . [← وفي القرآن، ارتبط الهبوط (السقوط؛ الخروج من الجنة) بالعري: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا (أي: لآدم وحواء) الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا (أي: عوراتهما)" (الأعراف 20) "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (الأعراف 22) "فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا" (طه 121) "يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا" (الأعراف 27)].

3758 . [← "الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ" (فيلبي 2:5-7)].

3759 . [← "وَإِذْ وُجِدَ [المسيحُ يسوعُ] فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فيلبي 2:8). "وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ" (متى 27:35) (مرقس 15:24) فعُلِّق شبه عاري تماماً على الصليب].

3760 . [← "وقُبِر [يسوعُ المسيح] وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب" (قانون الإيمان النِّيقاوي-القسطنطيني)].

3761 . صلاة دوموزي من أجل تغيير شكله وفراره من القتل، ولو مؤقتاً، يذكرنا بأساطير القرآن [← "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا" (النساء 157)].

3762 . |كريمر|:267. اقرأ النص باللغة الإنجليزية في |Kramer|:158.

3763. Diane Wolkstein and Samuel Noah Kramer, “Inanna, Queen of Heaven and Earth: Her Stories and Hymns from Sumer”, New York: Harper & Row Publishers, 1983, pp. 74-84. Read online at: http://etcsl.orinst.ox.ac.uk/section1/tr143.htm

3764 . [← يقول الإنجيل إن "يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيِّ" أحد تلاميذ المسيح خانه ودلَّ اليهود على مكانه!].

3765 . [← "وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ». «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟»" (1 كورنثوس 15:54-55)].

3766 . |السواح|:12/194-195. انظر أيضاً |السواح|:1/368-377، 387.

3767 . [← "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ (يقصد: تلاميذ المسيح) أَنْ يَنُوحُوا مَا دَامَ الْعَرِيسُ (يقصد: المسيح) مَعَهُمْ؟ وَلكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ (أي: يموت المسيح)، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ" (متى 9:15) (مرقس 2:19-20) (لوقا 5:34-35)]. ملحوظة: في الثقافة اليهودية/المسيحية، يرتبط الصومُ أساساً بالحزن وكثرة الصلاة.

3768 . |السواح|:1/375-377. قَالَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يوحنا 11:25). انظر أيضاً |السواح|:1/416-417.

3769 . أو بعبارة أكثر دقة: الإلهة "عشتار" تطور بشري طبيعي للإلهة "إنانا"، و/أو كلتاهما تطور بشري طبيعي لإلهة أخرى أقدم منهما. لمزيد من المعلومات عن الإلهة عشتار/إنانا: |قاموس-كتاب|:628، 919؛ |كتابية|:5/265-266؛ |EJ|:2/581-582؛ |آرثر|:1178؛ |IVP-OT|:676؛ |JSB|:1005؛ |DDD|:452-456 وتفاسير (إرميا 7:18، 44:17-19).

3770 . أو بعبارة أكثر دقة: الإله "تموز" تطور بشري طبيعي للإله "دوموزي"، و/أو كلاهما تطور بشري طبيعي لإله آخر أقدم منهما. لمزيد من المعلومات عن الإله تموز/دوموزي: |قاموس-كتاب|:222؛ |كتابية|:2/401؛ |كتابية|:1/145؛ |EJ|:19/496-497؛ |آرثر|:1266؛ |IVP-OT|:696؛ |JSB|:1048؛ |DDD|:828-834 وتفاسير (حزقيال 8:14).

3771. “Ereshkigal orders the release of Tammuz. […] Ishtar returns to the earth immediately, but Tammuz is permitted to return only when it rains at the end of the dry season, and when mourners weep at the graves of the dead” (|OTParallels|:333-334).

3772 . [← عيد الفصح (الخروج Exodus من مصر) أهم الأعياد اليهودية يأتي سنوياً في الربيع ← عيد القيامة (الخروج exodus من القبر) أهم الأعياد المسيحية يأتي سنوياً في الربيع ← وتقول كتب السيرة النبوية إن محمداً رسول الإسلام وُلِدَ (أي: خرج من بطن أمه) في شهر ربيع الأول، ومات (أي: خرج من الدنيا) في شهر ربيع الأول!].

3773 . |باقر|:138. يقصد: في المسيحية النيقاوية-القسطنطينية. وإلى اليوم، يأتي عيد القيامة المجيد (Easter) دائماً في الربيع! بل قيل إن كلمة "Easter" نفسها مستوحاة مِن اسم الإلهة عشتار (Ishtar)؛ وقيل: بل اسم إلهة وثنية أوروبية هي (Eostre) أو (Eostrae) إلهة الربيع والخصوبة (|EB|). ولذلك يفضل المسيحيون الشرقيون الآن عدم تداول التهنئة في عيد القيامة بعبارة "Happy Easter" لتجنب إحياء ذكرى الأصل الوثني لهذه الكلمة الدخيلة على المسيحية. وإنما التهنئة المفضلة بعيد القيامة في الشرق المسيحي هي "المسيحُ قام"، والرد عليها يكون بعبارة "حقاً قام" أو "بالحقيقة قام".

3774 . |ANET|:106-109؛ |OTParallels|:329-334؛ |BK|:318-330؛ |ProcheOrient|:258-265؛ |أساطير|:305-312؛ |السواح|:1/378-387؛ |السواح|:12/196-208.

3775 . [← "وَبَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ (أي: قُبيل قيامة يسوع المسيح)، اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةُ، حَنُوطًا (أي: طيوباً عِطريَّة) لِيَأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ (to anoint Jesus’ body)" (مرقس 16:1)].

3776. Diane Wolkstein and Samuel Noah Kramer, “Inanna, Queen of Heaven and Earth: Her Stories and Hymns from Sumer”, New York: Harper & Row Publishers, 1983, pp. 85-89.

3777 . |كتابية|:2/401.

3778 . |NIV|:103؛ |دراسي|:162.

3779. See for example |KJV-arch|:1122; |RSV|:699; |السواح|:3\273; |DDD|:831-833. “Numerous pagan religions feature a dying-and-rising god (such as Tammuz, Baal or Osiris), whose restoration comes about partly through the aid of his consort (partner) goddess (Ishtar, Anat or Isis, respectively, for the previous examples). The myths of the

dying gods are not all the same; each is distinctive, and the various versions of these myths are sometimes contradictory and difficult to unravel" (|KJV-arch|:1121).

3780 . [← يستخدم القرآنُ كثيراً المطرَ وإخراج النبات (الحي) مِن الأرض (الميتة) كوسيلة توضيحية لتقديم عقيدة قيامة الموتى (أي: الخروج **exodus** مِن القبور أحياء). اقرأ مثلاً: "[قَالَ موسى لفرعون: رَبِّي] الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (أي: مطراً) فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى. مِنْهَا (أي: مِنَ طين الْأَرْضِ) خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ [مقبورين بعد الموت] وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ [أحياء] تَارَةً أُخْرَى (أي: مرة أخرى بالبعث يوم القيامة)" (طه 53-55)؛ "وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (أي: مطراً) فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (أي: بعد قحطها ويُبسها) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ [إلى البعث يوم القيامة] إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ [أحياء مِن قبوركم]" (الروم 24-25)؛ وآيات قرآنية أخرى].

3781 . |السواح|:273/3.

3782 . اندمجت عناصر من شخصيتي عشتار/إنانا وتموز/دوموزي في شخصٍ واحد هو شخص المسيح، لكن جعلته المسيحية والإسلام له دورة واحدة فقط: حياة ثم موت ثم قيامة (أي: حياة أبدية لا موت بعدها) [← قال المسيحُ عيسى ابن مريم: "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 33) (لاحظ الأفعال المبنية للمجهول)]. وإنْ اختلف توقيت قيامة المسيح في الديانتين. في المسيحية، مات المسيحُ وقام في القرن الأول الميلادي. بينما في الإسلام، المسيح لم يمت! وإنما رُفِعَ ولا يزال حياً حتى الآن في السماء! وسينزل في آخر الزمان وسيموت ثم سيُبعَث حياً يوم القيامة! وحسب كلتا الديانتين، سينعم كل مؤمن بار بهذه الحياة الأبدية التي ينعم بها المسيح.

3783 . راجع ما قلناه عن بكاء إيزيس (وأختها نفتيس) على الإله أوزيريس الميت مِن أجل إعادته إلى الحياة (أي: مِن أجل قيامته). إنها نفس الفكرة تنتقل بكل سهولة ويسر مِن أسطورة إلى أخرى، بل تنتقل مِن ديانة إلى أخرى.

3784 . [← النساء الباكيات (يوحنا 20:11) يكتشفن قيامة يسوع المسيح من بين الأموات (متى 28:1-10) (مرقس 16:1-8) (لوقا 24:1-12)].

3785 . ولا تزال النساء الشرقيات إلى اليوم تتميزن بحزنهن الشديد على أي شاب يموت (أو يستشهد) قبل أن يتزوج أو قبل أن ينجب أطفالاً، وبخاصة مِن شباب الجيش والشرطة والأطباء المعرضين للمخاطر باستمرار.

3786 . |كتابية|:401/2.

3787. "Tammuz' summer departure was also mourned by the Phoenicians, who called him Adon, i.e., "Lord." They passed the ritual on to the Greeks who Grecized the name into Adonis" (|EJ|:19\497).

3788 . |قاموس-كتاب|:1097.

3789 . "في قوائم بلاد ما بين النهرين عن حكماء ما قبل الطوفان، يُقال عن السابع في القائمة "أوتيوبزو" (Utuabzu) إنه صعد إلى السماء. وفي نصوص الهرم المصري، يتم إرشاد "شو" (Shu) إله الهواء بأن يأخذ المَلِك إلى السماء بحيث لا يموت على الأرض. يُمثِّل هذا ببساطة الانتقال من الفناء إلى الخلود" (|IVP-OT-ar|:37/1). انظر أيضاً |IVP-OT|:36.

3790 . "هكذا تأتي هذه الجملة بنصها الحرفي في الرسالة إلى العبرانيين (11:5)، فكاتب الرسالة كان يعتمد على الترجمة السبعينية وليس على النص العبري" (|سبعينية|:التكوين/45). انظر أيضاً |Kugel|:173-174.

3791. "Eusebius (265 – 340) listed the letter among the questioned books, though he recognized that many considered it as from Jude. According to Jerome [d. 420] and Didymus [d. 398], some did not accept the letter as canonical because of the manner in which it uses noncanonical literature (see notes on vv. 9, 14)" (|NIV|:1958). See also |دراسى|:3037.

3792 . |دراسى|:3041، 3040. انظر أيضاً |NIV|:1961، 1960. واقرأ (1 أخنوخ 9:1) (|هامش|:27/3).

3793 . |كتابية|:130/1.

3794. "Voir le *Livre d'Hénoch*, I, 9, livre qui n'a pas été retenu dans la Bible par les Juifs ni finalement par les chrétiens, sauf en Éthiopie, mais qui fut influent dans les premiers siècles" (|Pleiade|:226\856).

3795 . |هامش|:25/3. انظر أيضاً |RHCharles|:188/2؛ |OTP|:13/1؛ |Pleiade|:337/471.

3796. “once in heaven, Enoch had communed with the angels and amassed a store of heavenly knowledge” (|Kugel|:191).

3797 . يمكن استنتاج ذلك من التوراة نفسها، لأنها قالت مرة واحدة فقط "وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ" (التكوين 9:6) بينما قالت مرتين "وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ" (التكوين 22:5، 24) (|Kugel|:173).

3798 . |هامش|:43/5. وأيضاً |RHCharles|:19/2؛ |OTP|:2/62-63؛ |Pleiade|:337/655-656؛ |Kugel|:175-176.

3799 . |قرطبي|:266/14؛ |قرطبي-مصر|:295/6.

3800 . |هامش|:78/5. وأيضاً |RHCharles|:28/2؛ |OTP|:76/2؛ |Pleiade|:683/337؛ |Kugel|:174.

3801 . ولا نزال نحن إلى اليوم نقول "الله ياخدك" بمعنى "الله يُميتَك".

3802 . |Midrash|:205/1. انظر أيضاً |Pleiade|:484/337؛ |Kugel|:174.

3803 . |Kugel|:178-179، 193-194.

3804 . الترجمة السبعينية (|مشتركة|:الكتب اليونانية/130؛ |Kugel|:178). النسخة العبرية (|Kugel|:177؛ |EQ|:485/2).

3805 . |طبري|:368/16.

3806 . |قرطبي|:263/14؛ |قرطبي-مصر|:294/6.

3807 . مثلاً: تفسير الجلالين (|ج-البغا|:401؛ |ج-وطن|:309؛ |ج|:309).

3808 . |كثير-شيخ|:261/9؛ |كثير-صابوني|:456/2.

3809 . |بكر|:40.

3810 . (مسلم 162؛ |م|:146/1).

3811 . |EJ|:6/441-442. انظر أيضاً |Pleiade|:337/484، 568.

3812 . |Kugel|:191-192.

3813 . الترجمة العربية (|أساطير|:252)؛ الترجمة الفرنسية (|ProcheOrient|:218).

3814. “Like the Jews, the Muslims occasionally identify [Idrīs] with Elijah, as well as with al-Khaḍir” (|EJ|:6\442). “this is the result of the confusion surrounding Enoch and Elijah in the period prior to Islam because of narratives asserting that they had both ascended to heaven” (|EQ|:2\484). “they became invisible, and no one knows of their death” (|Kugel|:174).

3815 . "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية عشرة (الطبعة الذهبية)، 2014، ص 72، 94.

3816 . |شعراوي-قصص|:34.

3817 . (ابن حبان 361؛ |حبان-أرنؤوط|:77/2؛ |حبان-ألباني|:385/1).

3818. برنامج مصر بلد الأنبياء – الحلقة الثانية, https://www.youtube.com/watch?v=c-zBIdNUx58

3819 . |هامش|:42/5. انظر أيضاً |RHCharles|:18/2؛ |OTP|:62/2؛ |Pleiade|:337/655؛ |Kugel|:175.

3820 . |هامش|:137/3. انظر أيضاً |RHCharles|:245/2؛ |OTP|:59/1؛ |Pleiade|:337/568؛ |Kugel|:175.

3821 . د. هدى درويش (رئيس قسم الأديان المقارنة بمعهد الدراسات الآسيوية – جامعة الزقازيق المصرية)، "نبي الله إدريس عليه السلام بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام"، القاهرة: دار السلام، الطبعة الأولى، 2009، ص 186.

3822 . |عاشور|:131/16.

3823 . |قاهرة|:43/952-953.

3824 . |EQ|:2/485-486.

3825 . |هامش|:5/42-43. انظر أيضاً |RHCharles|:2/18؛ |OTP|:2/62؛ |Pleiade|:337/655؛ |Kugel|:175، 177.

3826 . |هامش|:3/135. انظر أيضاً |RHCharles|:2/244؛ |OTP|:1/58؛ |Pleiade|:337/567؛ |Kugel|:177.

3827 . |Kugel|:192. انظر تفسير إفرام السرياني لسفر التكوين (|Prose|:92، 141-142).

3828 . المراجع الإسلامية: تفاسير وترجمات الآيات القرآنية وكتب قصص الأنبياء مثل |كثير-هاشمى|:53-80؛ |كثير-بديوى|:77-112؛ |طبرى-قصص|:80-95؛ |شعراوى-قصص|:35-57؛ |بهجت|:50-63؛ |نجار|:49-71؛ |بكر|:42-48؛ |فضل|:16-22؛ |بدوى|:1/45-63؛ |شحرور|:2/15-59؛ |عامري-أ|:441-467.

3829 . |معجم-ألفاظ|:722-723.

3830 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

3831 . نفهم ذلك من رواية قرآنية أخرى: "قَالُوا [له] لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (أي: من المقتولين رمياً بالحجارة؛ وقيل: من المطرودين)" (الشعراء 116). اقرأ أيضاً: "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ (أي: ليقتلوه؛ وقيل: ليأسروه)" (غافر 5).

3832 . انظر حيرة المفسرين في التفاسير التراثية القديمة مثل |طبرى|؛ |كثير|؛ |قرطبى|؛ |ج|. وكالعادة، سبب حيرة المفسرين هو غموض القرآن. ونحن بصراحة نندهش حين يطلب شيوخُ الإسلام منا أن نرجع إلى تفاسير القرآن حتى نفهمه. فنحن نرجع فعلاً إلى تفاسير القرآن، لكننا كثيراً لا نصل إلى معلومة مفيدة ومؤكدة!

3833 . "وقد نقل البخاري رحمه الله عن قتادة تعليقاً من غير إسناد أن قتادة قال: "أبقى اللهُ سفينةَ نوح حتى أدركها أوائلُ هذه الأمة"" (|أشقر-قصص|:51؛ |خ|:4/1844)! انظر أيضاً |Nasr|:1301-1302.

3834 . هل يوجد أي دليل علمي يثبت أن "نوح" شخص حقيقي تاريخي ودعا فعلاً إلى التوحيد كما يزعم القرآنُ؟!

3835. "a modified version of the Islamic testament of faith [...] indicates the fundamental unity of the messages brought by the [previous] prophets and furthers the Islamic understanding of Muhammad as a restorer of the one original and true religion brought by all the [previous] prophets, rather than as the founder of an entirely "new" one; see ["قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ" (الأحقاف 9)]" (|Nasr|:430).

3836 . تكررت في رواية أخرى لقصة نوح: "وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا" (هود 27). وهي نفس الجملة التي قالها كفار مكة لمحمد! راجِع ما قلناه عن خَبَّاب بنُ الأَرَتِّ وغيره من الفقراء والمستضعفين الذين آمنوا بمحمد في مكة. صدفة؟! كلا. ليست صدفة. وإنما هذا يدل على أن أصحاب القرآن قد أعادوا إنتاج (reproduced) قصة نوح فأخذوا عناصر مِن حياة محمد ووضعوها بالقوة في قصة نوح القرآنية. وذلك حتى تبدو قصة نوح مشابهة لقصة محمد. وكأن نوح رمز لمحمد أو يمهد الطريق لرسالة محمد وهي الإسلام. ألم يزعم القرآن أن نوح قال "وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (يونس 72) (مكية)؟!

3837. Prof. Gerald Hawting: "The traditional notion of the prophet as the champion of the weak and oppressed elements in society is evident in such passages, and is sometimes reflected in *sīra* material regarding the attitude of the Qurayš to Muḥammad and his supporters" (|QSC|:265). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-031

3838 . الرجم (أي: الإعدام رمياً بالحجارة) فرضته التوراةُ بدءاً من (الخروج 13:19) (اللاويين 2:20) وآيات أخرى بعدها، وغير مذكور نهائياً في سفر التكوين! فهل يوجد أي دليل علمي يثبت أن الرجم كان معروفاً كوسيلة إعدام في زمان ومكان نوح؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإنها إذن مفارقة تاريخية (anachronism) تؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

3839 . قيل إن "لفظ الرجم، الذي وردت مشتقاته في أربعة عشر موضعاً من التنزيل الحكيم ليس من بينها موضع واحد يدلّ على الرمي بالحجارة، ولا يخرج منها موضع واحد عن معنى الطرد القسري والإخراج عُنوة" (|شحرور|:2/87).

3840 . هل يوجد أي دليل علمي - أو حتى دليل كتابي - يثبت أن مفهوم "يوم القيامة" كان معروفاً في زمان ومكان نوح؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإنها إذن مفارقة تاريخية (anachronism) تؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

3841 . "اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ" (هود 34)! فكرة إسلامية تتكرر كثيراً في القرآن (النساء 88، 143) (الأنعام 39) (إبراهيم 27) (الإسراء 97) (الكهف 17) (المدثر 31) (الشورى 44). وهي - كالعادة - مستوحاة من التراث اليهودي-المسيحي (1 ملوك 22:19-23) (إرميا 4:10) (2 تسالونيكي 2:10-12) (|Kaskas|:350). لكن "الله [في الكتاب المقدس] ليس المضلِّل، [...]. إنَّ هدف الله هو خلاص كل البشريَّة، لكنَّ الذين يرفضون هذا الخلاص فمصيرهم الدينونة وتثبيتهم في تصديق الكذب" (|معاصر|:2300). كما قال بولس الرسول: "لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا. وَلأَجْلِ هذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ، لِكَيْ يُدَانَ (أي: يَهْلِكَ) جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالإِثْمِ" (2 تسالونيكي 2:10-12). "فالله يمنح الناس حرية أن يتحولوا عنه وأن يصدقوا أكاذيب الشيطان، ولكن عندما يرفضون الحق فسيتحملون عواقب خطيتهم" (|تطبيقى|:2589).

3842 . ونلاحظ هنا أن أصحاب القرآن قد جعلوا شخصيةَ "نوح" القرآنية تتماهى بشدة مع شخصية محمد، وكأنهما شخصية واحدة، فاحتار المفسرون المسلمون مَن المقصود: نوح وقومه الكافرين المكذبين؟ أم محمد وقومه الكافرين المكذبين؟ وهذا كله حتى يسهل على السامعين أن يصدقوا أن محمداً هو الوريث الشرعي لدين نوح وهو الإسلام حسب القرآن. قال نوح حسب القرآن (بل قال محمد): "وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (يونس 72) (مكية)!

3843 . وضع أصحابُ القرآن نفس الجملة تقريباً على لسان يوسف: "فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (يوسف 69). إنها إذن جملة إسلامية/عربية (stock phrase) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموها في موضعٍ آخر مِن القرآن ليس له أية علاقة بقصة نوح التوراتية الأصلية!

3844 . مستوحاة من: "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الضَّاحِكُونَ الآنَ، لأَنَّكُمْ سَتَحْزَنُونَ وَتَبْكُونَ" (لوقا 6:25)!

3845 . انظر التفاسير التراثية القديمة مثل |طبرى|؛ |كثير|؛ |قرطبى|؛ |ج|. ونؤكد مرة أخرى أن سبب حيرة المفسرين هو - كالعادة - غموض القرآن. كان ينبغي أن يقول القرآن معلومة مهمة زي دي إذا كان فعلاً أحد أبناء نوح قد هلك في الطوفان!

3846 . اتفق المفسرون المسلمون على أن ابن نوح كان كافراً، لكنهم اختلفوا في هل كان نوحٌ يعلم كُفرَه؟! فقيل إن ابن نوح كان منافقاً يبطن الكفرَ ويظهر الإيمانَ وأن نوحاً كان يعتقد إيمانَه ولم يكن يعلم أنه كافر. وحسب هذا الرأي، فإن "مَّعَ الْكَافِرِينَ" (هود 42) تعني "في صحبة الْكَافِرِينَ" أو "في غمار الْكَافِرِينَ".

3847 . لغة "الإبعاد" مستوحاة من الإنجيل: "اذْهَبُوا عَنِّي (أي: ابعدوا عَنِّي) يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!" (متى 7:23)؛ "اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ (أي: جنوده؛ شياطينه)" (متى 25:41).

3848 . |فهد|:227. وهذا ينسف أسطورة "عصمة الأنبياء" التي ليس لها أي وجود في القرآن.

3849 . "لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ عَلَى الأَبْرَارِ، وَأُذْنَيْهِ إِلَى طَلِبَتِهِمْ" (1 بطرس 3:12).

3850 . "واضح أن المقصود هنا من حكاية كفاح نوح ضد قومه عبدة الأصنام هو إعطاء مثال يطابق حال النبي محمد (ﷺ) مع قومه، واعتماداً على هذا يمكن إقامة مماثلة بينهما على مستوى السورة ككل" (|جابرى|:2/190).

3851 . منقولة من الصلاة الربَّانيَّة (The Lord’s Prayer): "اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا" (متى 6:12)؛ "اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا" (لوقا 11:4).

3852 . مستوحاة من "لِلرَّبِّ إِلهِنَا الْمَرَاحِمُ وَالْمَغْفِرَةُ، لأَنَّنَا تَمَرَّدْنَا عَلَيْهِ" (دانيال 9:9).

3853 . مستوحاة من "هَلْ يُوجَدُ فِي أَبَاطِيلِ الأُمَمِ (أي: الأوثان) مَنْ يُمْطِرُ، أَوْ هَلْ تُعْطِي السَّمَاوَاتُ وَابِلاً؟ أَمَا أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ إِلهُنَا؟ فَنَرْجُوكَ، لأَنَّكَ أَنْتَ صَنَعْتَ كُلَّ هذِهِ" (إرميا 14:22).

3854 . مستوحاة من "أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ (أي: لُطْفِ اللهِ) وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟ وَلكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ، تَذْخَرُ (أي: تدخر؛ تخزن) لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ (أي: يوم الدينونة الأخيرة) وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ، الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ" (رومية 2:4-6).

3855 . "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (غافر 67).

3856 . مستوحاة من "فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ (أي: الشمس) لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ (أي: القمر) لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ. وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ، وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ" (التكوين 1:16-18).

3857 . وضع أصحابُ القرآن نفس الجملتين تقريباً على لسان موسى وهو يتحدث إلى فرعون: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا" (طه 53). إنها إذن جملة إسلامية/عربية (stock phrase) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموها في موضعٍ آخر مِن القرآن ليس له أية علاقة بقصة نوح التوراتية الأصلية!

3858 . "استند بعض فرق الخوارج إلى هذه الآية في حكمهم بقتل أطفال مخالفيهم" (|جابرى|:2/192)!

3859 . "وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا" (نوح 26). ألا يُعتبَر ذلك اليوم دعوة إلى الإبادة الجماعية؟!

3860 . "لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ عَلَى الأَبْرَارِ، وَأُذْنَيْهِ إِلَى طَلِبَتِهِمْ" (1 بطرس 12:3).

3861 . "فيه تثبيت للنبي ﷺ، كأنه قيل: له: إن نوحاً لبث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه ولم يؤمن منهم إلا قليل، فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك، وكثرة عدد أمتك" (|أشقر|:398).

3862 . احتار المفسرون المسلمون واختلفوا في قراءة (الإسراء 16) وتفسيرها. وسبب الحيرة والاختلاف هو - كالعادة - غموض القرآن. "قيل: معنى أمرنا مترفيها: أكثرنا فساقها" (|أشقر|:283)! وقيل: "سلَّطنا المترفين فيها فأفسدوا فيها" (|منتخب|:475)! وقال الزمخشري: "أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر مجاز؛ [...]، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صباً، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك" (|كشاف-ع|:500/3؛ |كشاف-ش|:592).

3863 . "وفي هذا تعريضٌ بأمهات المؤمنين، وتخويفٌ لهن بأنه لن ينفعهن قُربُهن من النبي [محمد] إذا أتَيْنَ بذَنْبٍ" (|حجازى|:702/3). اقرأ سورة التحريم من أولها: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ [...]".

3864 . |قاموس-كتاب|:982؛ |كتابية|:99/8؛ |Kugel|:217.

3865 . قبل الإسلام، احتار المفسرون اليهود في كلمة "يُعَزِّينَا" المذكورة في النص العبري، إذ لا توجد علاقة بين التعزية واسم نوح الذي يعني "راحة"! فوضعت السبعينيةُ كلمةَ "يُرِيحُنا" كَحلٍ للمشكلة. لمزيد من التفاصيل، انظر |Kugel|:216-218.

3866 . توجد في الكتب اليهودية والمسيحية تفاسير مختلفة لـ "أبناء الله" و "بنات الناس"، وما يهمنا هنا هو المعنى المقصود. لمزيد من التفاصيل، انظر |Kugel|:179-181، 183، 194-212.

3867 . "يعود المؤلِّف إلى أسطورة شعبية عن جبابرة (في العبرية "نفيليم") يُقال إنهم وُلِدوا من زواج بين كائنات بشرية وكائنات سماوية. وهو لا يبدي رأيه في قيمة هذا الاعتقاد ويُخفي وجهه الأسطوري، فيقتصر على التذكير بهذا الجنس الوقح من الجبابرة، كمثل للفساد المتزايد الذي سوف يسبب الطوفان. اليهودية اللاحقة وجميع المؤلِّفين المسيحيين الأولين تقريباً رأوا في "بني الله" هؤلاء ملائكة مذنبين (أي: ساقطين). لكنَّ آباء الكنيسة، منذ القرن الرابع، فسَّروا جميعهم "بني الله" ببني شيث (Seth) و "بنات الناس" بذرية قاين (Cain)" (|يسوعية|:العهدالقديم/77). ملحوظة: "نفيليم" (Nephilim) تعني: ساقطين.

3868 . وأضاف التراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام صفات سلبية كثيرة أخرى لهؤلاء الجبابرة (نفيليم) (|Kugel|:181-183، 204-207). فيقول سفر الحكمة مثلاً إنهم "مُتَكَبِّرون" (arrogant) (الحكمة 6:14) [← **"اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا" (نوح 7)**].

3869 . "لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ عَلَى الأَبْرَارِ، وَأُذْنَيْهِ إِلَى طَلِبَتِهِمْ" (1 بطرس 12:3)؛ "اَلرَّبُّ فِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ. الرَّبُّ فِي السَّمَاءِ كُرْسِيُّهُ. عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ. أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي آدَمَ" (المزامير 4:11).

3870 . أي: "كان كاملاً قدر ما استطاع مقارنةً بمن حوله" (|مارمرقص|:العهدالقديم/65/1). أي: كاملاً كمالاً نسبياً وليس مطلقاً. بدليل قوله بعدها: "فِي أَجْيَالِهِ" (التكوين 9:6) "فِي هذَا الْجِيلِ" (التكوين 1:7). "إن وصفاً كهذا لا يلمح بأن نوح كان بلا خطيئة" (|دراسي|:21). اقرأ أيضاً (التكوين 20:9-27)؛ |EJ|:288/15؛ |Kugel|:187، 219-220؛ |كتابية|:100/8.

3871 . وهكذا فسَّرها المدراش وكتب يهودية أخرى قبل الإسلام (|Midrash|:241/1؛ |Kugel|:203). اقرأ أيضاً "سَاجِدُونَ لِلشَّمْسِ نَحْوَ الشَّرْقِ [...] قَدْ مَلأُوا الأَرْضَ ظُلْمًا (ḥāmās؛ المقصود: وثنيةً، شركاً، عبادة الشمس)" (حزقيال 16:8-17).

3872 . لمعرفة الجذور غير العربية لكلمة "فُلْك" التي تعني "سفينة"، انظر |FV|:229-230؛ |QSC|:163.

3873 . قيل إن المقصود بـ "وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ" (يس 42) هو: الإبل! وقيل: الإبل والدواب وكل ما يُركَب! لكننا نؤيد رأيَ مَن قال إن المقصود هو: السفن. قال القرطبي: "والقولُ الثالث: أنه للسفن؛ النحاس: وهو أصحُّها؛ لأنه متصل الإسناد عن ابن عباس؛ [...] وقال الضحاك وغيره: هي السفن المتَّخذة بعد سفينةِ نوحٍ" (|قرطبي|:454/17). وأيضاً بدليل قوله بعدها: "وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ (أي: في البحر) [...]" (يس 43). قال القرطبي: "وهذا يدلُّ على صحَّة قولِ ابن عباس ومَن قال: إنَّ المرادَ "مِّن مِّثْلِهِ" السفنُ لا الإبل" (|قرطبي|:455/17).

3874. |Ghali|:529. “Ces "fibres de palmiers" (دُسُر) servaient au calfatage [القِلافة]” (|Masson|:943).

3875 . وفي المعجم الوسيط: (الدِّسار): حَبْلٌ من لِيفٍ تُشَدُّ به ألواحُ السفينة. (قَلَفَ) السفينةَ: أَعدَّها وسدَّ خلالها بالليف والقار.

3876 . وهذا يعني أن حجم الفلك كان من 38610 متر مكعب تقريباً إلى 45080 متر مكعب تقريباً! هل هذا معقول؟! كم تكلَّف هذا المشروع الضخم؟! ومَن موَّله؟! وكم استغرق بناؤه؟! ... أسئلة كثيرة نطرحها أمام كل إنسان عاقل.

3877. “Noah needed neither rudder nor sail nor any other navigational aid. The building of an ark, rather than a ship, is intended to attribute Noah’s deliverance solely to the will of God, and not to any human skill” (|EJ|:7\83).

3878 . والتراث اليهودي-المسيحي قبل الإسلام يؤكد ذلك: "ولَمَّا غَمَرَ الطُّوفانُ الأرضَ [...] عادَتِ الحِكمَةُ (أي: الحكمة الإلهية؛ والمراد: الله) فخَلَّصَتها، إذ هَدَت البارَّ (أي: نوحاً) بِخَشَبٍ حَقير" (الحكمة 10:4) **[← "وَحَمَلْنَاهُ (أي: حَمَلْنَا نُوحًا) عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ. تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا" (القمر 13-14)]**. ونلاحظ أن سفر الحكمة وسورة القمر يركزان على بساطة الفلك "بِخَشَبٍ حَقير" (الحكمة 10:4) **[← "عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ" (القمر 13)]** للتأكيد على أنه لولا الله لما استطاع الفلك أن يتحرك. اقرأ أيضاً: "لأَنَّ الْمَرْكَبَ اخْتَرَعَهُ حُبُّ الْكَسْبِ، وَصَنَعَتْهُ الْحِكْمَةُ الْمُهَنْدِسَةُ (أي: عقلُ الإنسان)، لكِنَّ عِنَايَتَكَ أَيُّهَا الآبُ هِيَ الَّتِي تُدَبِّرُهُ (أي: تَقودُه؛ تُسَيِّرُهُ)، لأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ فِي الْبَحْرِ طَرِيقًا، وَفِي الأَمْوَاجِ مَسْلَكًا آمِنًا، وَبَيَّنْتَ أَنَّكَ قَادِرٌ أَنْ تُخَلِّصَ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ، وَلَوْ رَكِبَ الْبَحْرَ مَنْ يَجْهَلُ صِنَاعَتَهُ [مثل نوح]" (الحكمة 14:2-4).

3879 . وفي سورة الإسراء أيضاً، قال المؤلِّف العربي: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ [...]" (الإسراء 70). فنلاحظ أنه ذكر "الْبَرِّ وَالْبَحْرِ" ولم يذكر الجو! لأنه كبشر لم يعلم أن العلم سيخترع الطائرات.

3880. الدليل 515, *https://www.youtube.com/watch?v=gbjWve8R5CI*

3881 . |بوهندي|:66/1.

3882 . |بوهندي|:66/1.

3883 . والعهد الجديد يؤكد ذلك: "حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلْكُ يُبْنَى، الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ، أَيْ ثَمَانِي أَنْفُسٍ" (1 بطرس 3:20) **[← "وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" (هود 40) "وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ" (الشعراء 121)]**.

3884 . |بوهندي|:67/1. انظر أيضاً |السواح|:226/22؛ |باش|:101/1-102.

3885 . |يسوعية|:العهدالقديم/77. ملحوظة: التقليد اليهوي أقدم مصدر من مصادر التوراة (القرن العاشر أو التاسع ق.م) ويتميز بأنه يُصوِّر الربَّ (YHVH) أدبياً بطريقة إنسانية (Anthropomorphism) (|JSB|:2167)، مثل "فَحَزِنَ الرَّبُّ (LORD) [...]، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ" (التكوين 6:6). بل جعل للربِّ عينين! "وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ (LORD)" (التكوين 6:8) **[← "أَعْيُنِنَا" (القمر 14) (هود 37) (المؤمنون 27)]**.

3886 . |JSB|:20. انظر أيضاً |EJ|:7/441-442.

3887. “It was believed in the ancient Near East that raindrops came from a heavenly stream or ocean, a great body of water that enveloped the earth, and from subterranean waters. Thus there were waters above and below the earth” (|IVP-OT|:508).

3888. عبر الكتاب 189, *https://www.youtube.com/watch?v=Iz377INIKbQ*

3889 . والعهد الجديد أيضاً يؤكد عالمية الطوفان: "بِالإِيمَانِ نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ خَافَ، فَبَنَى فُلْكًا لِخَلاَصِ بَيْتِهِ، فَبِهِ دَانَ الْعَالَمَ (he condemned the world) [...]" (العبرانيين 11:7).

3890. “The [Biblical] flood story, although going back to third millennium tales, cannot have reached its present form [in Genesis] before the early first millennium when Ararat (Gen. 8:4) replaced the former name for what would later be called Armenia” (|EJ|:7\440).

3891. “that Qardu [or Gardu] and not Ararat was the resting place of the ark is a very old Mesopotamian tradition and doubtless goes back to some ancient Babylonian story. The Jewish tradition passed on to the Christians, and from them to the Mandaeans and Arabs” (|FV|:107).

3892. “[جودي] est une probable altération de Jordi, provenant du terme grec *Gordyaei* [Gordyene] désignant les monts situés entre l'Arménie et la Mésopotamie” (|Aldeeb|:194).

3893 . وقيل إن "الْجُودِيّ" "هو الاسم العربي لجبل آخر أصغر في الشمال الأقصى لما بين النهرين يُدعى "أرارد" (Ararad)" (|QHC-ar|:295؛ |QHC|:198).

3894 . "إن الرمز الحديث للسلام المتمثل في حمامة تحمل غصن زيتون في منقارها يستمد أصله من هذه القصة [التوراتية]" (|دراسى|:25؛ |NIV|:16). والمقصود بالسلام هنا هو المصالحة بين الله والإنسان.

3895 . |آرثر|:70.

3896 . لم يبنِ مدرسةً ولا جامعة ولا مستشفى ولا مكتبة، وإنما بنى "مَذْبَحًا لِلرَّبِّ" (أو كما يُقال اليوم: مسجداً أو كنيسةً)!

3897 . استدل فريقٌ من المفسرين المسلمين بهذه الآية (الصافات 77) على أن المؤمنين الآخرين الذين ركبوا مع نوح في السفينة ماتوا وانقرض نسلهم فلم يتبق إلا ذرية نوح فقط (أي: ذرية أبنائه).

3898 . وهذا يعني أن الإنسان ظل نباتياً (vegeterian) أو يأكل الثمار (frugivore) منذ خلق آدم إلى طوفان نوح!

3899 . وفي مجمع الكنيسة في أورشليم (عام 50م)، طلب رسل المسيح من الأمم (أي: غير اليهود) الداخلين حديثاً في المسيحية "أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَاتِ الأَصْنَامِ (idols)، وَالزِّنَا، وَالْمَخْنُوقِ (strangled) (أي: أكل الحيوان الميت غير المذبوح)، وَالدَّمِ (أي: أكل اللحم بالدم السائل)" (أعمال الرسل 20:15) "أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ، وَعَنِ الدَّمِ، وَالْمَخْنُوقِ، وَالزِّنَا" (أعمال الرسل 29:15). "أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ، وَمِنَ الدَّمِ، وَالْمَخْنُوقِ، وَالزِّنَا" (أعمال الرسل 25:21).

3900 . |قرطبى|:249/21؛ |قرطبى-مصر|:501/9. و |Nasr|:1422، 1425. لكن كالعادة يوجد رأي آخر يقول "إن الطوفان كان محلياً وليس عالمياً" (|شحرور|:55/2)، "كان محدودًا جغرافيًّا؛ ولم يكن عالميًّا؛ إذ إنّ الطوفان ما كان إلا عقوبة لقوم كافرين؛ جزاء ردّ خبر الوحي وأمره. وقد كان نوح -عليه السلام- مرسلًا إلى قومه لا إلى كلّ البشر. ولم يُرْسَل إلى البشر كافة نبيّ إلا محمد ﷺ" (|عامري-أ|:459)، فنزل الطوفانُ كعقابٍ "على جماعات محددة جداً" "نزل بشكل خاص على شعب نوح، وهذا يشكل الفرق الأساسي الأول بين الروايتين [القرآنية والتوراتية]" (|باش|:103/1). وكالعادة أيضاً، يوجد رأي ثالث حاول التوفيق بين الرأيين السابقين، فقال - بدون أي دليل علمي - إنه "لم يكن في الأرض كلها في زمن نوح عليه السلام إلا قومه، وأنهم هلكوا كلهم بالطوفان، ولم يبقَ فيها بعده غير ذُرِيَّته، وهذا يقتضي أن يكون الطوفان في البقعة التي كانوا فيها من الأرض سهلها وجبالها لا في الأرض كلها، فالطوفان كان خاصًّا؛ لأن النوع الإنساني لم يكن في جميع الكُرة الأرضيَّة، بل كان منحصراً في بلاد الرافدين حيث نوح عليه السلام وقومه" (|و|:64/9/1).

3901 . (مسلم 194؛ |م|:184/1-186) (البخارى 4435؛ |خ|:1745/4-1747) (البخارى 3162؛ |خ|:1215/3-1216).

3902 . ويمكن الاستدلال بـ "آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" (العنكبوت 15) على أن رسالة نوح كانت عالمية إلى جميع أهل الأرض. وإلا فلماذا جعل اللهُ سفينتَه / قصتَه آيةً "للعالمين"؟! ملحوظة: لم تُذْكَر "آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" في آية قرآنية أخرى إلا في شأن المسيح عيسى/يسوع وأمه مريم العذراء "الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 91).

3903 . هذا هو ترتيب أبناء نوح الثلاثة حسب التقليد المشهور: سَام ثم حَام ثم يَافث. لكن توجد تقاليد أخرى ترتب أبناء نوح بطرق أخرى (|Kugel|:220-221). يوسيفوس مثلاً رتبهم: سَام ثم يَافث ثم حَام (|Josephus|:40)!

3904 . "وَمِنْ هؤُلاَءِ تَفَرَّقَتِ الأُمَمُ فِي الأَرْضِ بَعْدَ الطُّوفَانِ" (التكوين 32:10). لمزيد من التفاصيل، اقرأ (التكوين 10) كله.

3905 . لم يكن الخمر حراماً آنذاك. ولا يوجد أي دليل على أن نوحاً كان يعلم تداعيات شرب الخمر وأثره السلبي على العقل.

3906 . وجدنا هذا التقليد في سفر كهف الكنوز (|طرزى|:131/2؛ |Bauckham|:555/1؛ |Kugel|:222). ولقد لاحظنا أن التراث اليهودي-المسيحي حرص على تضخيم خطيئة حام (التكوين 22:9) ليبرر لعن ابنه كنعان (التكوين 25:9).

3907 . وجدنا هذا التقليد عند إفرام السرياني (القرن الرابع الميلادي) (|Prose|:144) وفي مصادر أخرى (|Kugel|:222).

3908 . وجدنا هذا التقليد في ترجوم نيوفيتي (|هامش|:47/10؛ |Targums|:80/1A؛ |Kugel|:222).

3909 . وتوجد تقاليد أخرى حرصت على تفظيع خطيئة حام (التكوين 22:9) لتبرر لعن ابنه كنعان (التكوين 25:9). فقيل إن حاماً لاط نوحاً! وقيل: خَصَاه! واستدلوا على ذلك بـ "فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ (أي: رأى بعينيه أثرَ) مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ" (التكوين 24:9)! وقيل إن حاماً نكح امرأةَ نوح! واستدلوا على ذلك بـ "فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ" (التكوين 22:9) التي فهموها في ضوء: "عَوْرَةَ امْرَأَةِ أَبِيكَ لاَ تَكْشِفْ. إِنَّهَا عَوْرَةُ أَبِيكَ" (اللاويين 8:18)!

3910 . (التكوين 9:18، 10:6). لكن ماذا فعل كنعانُ بنوح حتى يُلْعَن في الآية التالية (التكوين 9:25)؟! "قد يكون كنعان هو أول مَن رأى جده [نوح] متعرياً وأخبر أباه حام فجاء وراءه واشترك في الاستهزاء والتشهير به، ولذا جاءت اللعنة بعد ذلك لكنعان" (|مارمرقص|:العهدالقديم/86/1). وتوجد آراء أخرى تبرر لعن كنعان وليس حام (|Kugel|:223). فقيل مثلاً إن نوحاً لم يلعن حاماً لأن الله سبق أن باركه عندما بارك أبناء نوح الذين كانوا في الفلك: "وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ [...]" (التكوين 9:1).

3911 . هذا التقليد الآخر يقول إن كنعان هو المذنب. "ولا شك أنه (أي: كنعان) هو المذنب. كان اسمه وارداً وحده في الرواية القديمة التي استقاها المؤلِّف اليهوي وكان أصغر أولاد نوح الثلاثة (الآية 24)، فكان ترتيبهم إذاً، بحسب ذلك التقليد، هكذا: سام ويافث وكنعان" (|يسوعية|:العهدالقديم/82). وقيل إن كنعان هو الابن الرابع لنوح (|هامش|:48/10)!

3912 . وفي جميع الأحوال، "لا يوجد ما يدل على أن لعن كنعان كان بسبب خطية أبيه حام. ثم أن نوحاً كنبي استطاع بروح النبوَّة أن يرى الاتجاهات الروحية لأولاده وأحفاده، فقال ما قاله من بركة ولعنة وهو يرى بالروح ما سيفعلونه. فلم يتحمل كنعان وزر خطية أبيه حام" (|منيس|:61). أي أن هذا الموقف كان مناسبةً لإعلان لعن كنعان وليس سبباً في لعن كنعان.

3913 . جميع الأنبياء من بعد نوح من ذريته: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ" (الحديد 26).

3914 . "فَمِنْهُم (أي: مِن ذُرّية نوح وإبراهيم) مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ" (الحديد 26). اقرأ أيضاً (مريم 58-60).

3915 . وقيل إن نوحاً كان له 4 أبناء، أصغرهم كنعان! وسنتجاهل رأي مَن قال إن ابن نوح الذي هلك اسمه "يَام" (أو أن يَام اسم آخر لكنعان). أولاً: لأن التوراة لم تقل إن نوحاً كان له ابن اسمه "يَام"! ثانياً: لأنه من الواضح أنه نتج عن خلط أو سوء فهم، لأن كلمة "يَام" كلمة عبرية تعني "بحر" وهي مذكورة في التوراة "بَحْرِ سُوفٍ" (الخروج 13:18) ومذكورة أيضاً في القرآن في قصة موسى "فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ (أي: نهر النيل)" (القصص 7). ولأن قصة طوفان نوح بها مياه كثيرة كمياه البحر أو فيضان النهر، فربما اختلط الأمر على المفسرين المسلمين فظنوا أن ابن نوح الذي هلك اسمه "يَام".

3916 . مِن المعلوم أن كلمة "ابن" قد تعني أحياناً: حفيد أو نسل. ولذلك تقول الآية الأولى في الإنجيل: "كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ (أي: مِن نسل) دَاوُدَ ابْنِ (أي: مِن نسل) إِبْرَاهِيمَ" (متى 1:1).

3917 . "أَهْلُ مَوَاشٍ مُنْذُ صِبَانَا إِلَى الآنَ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا" (التكوين 46:34) "رُعَاةُ غَنَمٍ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا" (التكوين 47:3). **[← "وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ (أي: من البادية؛ من الصحراء)" (يوسف 100)].**

3918. “The biblical statement that Noah was the first to plant a vineyard (9:20–21) seems to reflect an ancient attitude that grape culture and the making of wine were essential to civilization” (|EJ|:15\288).

3919. 188 عبر الكتاب, *https://www.youtube.com/watch?v=HmeX5qFjnzU*

3920. “Throughout the Quran, it is mentioned that it is often the privileged members of a community—its leaders and those who enjoy high social status—who are most resistant to the warnings of the prophets and most likely to be disbelievers” (|Nasr|:699).

3921 . |آرثر|:67. انظر أيضاً |Kugel|:210.

3922 . |IVP-OT-ar|:37/1.

3923. “As punishment for the corruption and injustice rife on earth, God decided to bring a universal inundation to wipe out civilization” (|EJ|:7\80).

3924 . هذا الفكر اليهودي المعادي للحضارات الزراعية تسلل إلى القرآن. والأدلة على ذلك كثيرة. على سبيل المثال، اقرأ "مَثَل الْجَنَّتَيْنِ" (Parable of the Two Gardens): "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا (هو: الكافر) جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا" (الكهف 32). فعقابه الله بدمار الجنتين: "فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا" (الكهف 42). اقرأ أيضاً قصة سَبَإٍ (سَيْلَ الْعَرِمِ) (سبأ 15-19).

3925 . |طبرى-تاريخ|:210/1.

3926 . |بكر|:48.

3927 . "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية عشرة (الطبعة الذهبية)، 2014، ص 113.

3928 . وتوجد آيات قرآنية تستخدم اللونَ الأسود لتعبر عن الشيء السيء أو السلبي، مثل: "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (آل عمران 106-107)؛ "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ" (النحل 58)؛ (الزخرف 17)! وكذلك توجد أحاديث صحيحة تستخدم اللونَ الأسود لتعبر عن الشيء السيء أو السلبي، مثل: "تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ (أي: نقط فيه نقطة) سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا (أي: مختلط سواده بكُدْرَة) كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا (أي: مائلاً عن الاستقامة والاعتدال؛ منكوساً) لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ" (مسلم 144؛ |م|:128/1-130؛ |و|:168/12/1)!

3929 . |بوهندي|:59/1؛ 60.

3930 . |باش|:99/1؛ 100.

3931 . |بوهندي|:56/1-57.

3932 . حسب هذا الرأي الأخير، تنقسم حياة نوح إلى 3 مراحل: 500 سنة في البتوليّة قبل أن يكون له أولاد (التكوين 32:5) + 100 سنة ينذر قومَه ويدعوهم إلى التوبة وتشمل أيضاً أحداث الطوفان + 350 سنة عاشها بعد الطوفان (التكوين 28:9).

3933 . |مارمرقص|:العهدالقديم/64/1-65. انظر أيضاً |كتابية|:99/8 وتفاسير (العبرانيين 7:11) مثل |آرثر|:2194.

3934. “[T]he Aramaic *Targum Neofiti* […] is of Palestinian provenance […] and was written well before the rise of Islam (ca. 1st century AD). M. McNamara argues for a date of the fourth century AD” (|Reynolds|:38).

3935 . |هامش|:41/10؛ |Targums|:72/1A. وفي أعمال يهودية ومسيحية أخرى قبل الإسلام (|Kugel|:183-185، 214).

3936 . **[← "وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (الحج 47)؛ "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (السجدة 5)؛ "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا" (المعارج 4-5)!].**

3937. “for it was out of love for those sinners who were to perish” [...] “if they did not perish, future generations would have been corrupted because of them” (|Prose|:138).

3938. “These are Noah's harshest words in any of the Quranic accounts. [...] [نوح 26] is the only verse in the many verses pertaining to the story of Noah to imply that the flood was a universal event, similar to Genesis 6:17 [...]. [...] The lack of any mention of the Ark in [سورة نوح] may be seen to underline the severity of this particular account, since it does not emphasize the salvation provided by God in the way that other accounts do” (|Nasr|:1425).

3939 . |و|:55/9/1-59.

3940. “How will all the beasts and birds that are scattered throughout every corner of the earth come from all those regions?” (|Prose|:139).

3941 . وفي المدراش اليهودي (Genesis Rabbah) قبل الإسلام، قال قومُ نوح له: "إذا جاء طوفانٌ فعلاً، فسيأتي فقط على بيت أبيك!" (If a Flood does come, it will come only upon your father's house!) (|Midrash|:235/1).

3942. |QSC|:165. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

3943. |GR-AQ|:348. Read St. Ephrem's *Commentary on Genesis* (|Prose|:138-139).

3944. |GR-AQ|:858-859. See also |GR-AQ|:336; |EJ|:15\288; |Kugel|:185-186.

3945 . |تلمود|:73-74.

3946 . |تلمود|:75.

3947 . |ينابيع|:43/7.

3948 . |EJ|:288/15. لقراءة الاقتباس من المدراش اليهودي (Genesis Rabbah)، انظر |Midrash|:235/1. ولقراءة الاقتباس من يوسيفوس اليهودي، انظر |Josephus|:37. ولأمثلة أخرى من التراث اليهودي-المسيحي تقول إن نوحاً أنذر معاصريه (Noah Warned of the Flood)، انظر |Kugel|:185-186.

3949 . |هامش|:62/5؛ |RHCharles|:24/2؛ |OTP|:69-70/2؛ |Pleiade|:670/337؛ |Kugel|:225.

3950 . |JSB|:23. لمزيد من المعلومات والتفاصيل، انظر |Kugel|:224-226.

3951. “It may be that this same tradition [i.e. the Noahide Laws] had a role in the laws to be required of the first non-Jews who wished to join the Jewish sect that was later to become Christianity” (|Kugel|:226).

3952 . |EQ|:540/3. انظر أيضاً |EJ|:288/15؛ |QSC|:164؛ |Nasr|:430-431، 1301.

3953. |EI-2|:8\109. The original text says: "and into the mouths of his opponents what he himself has heard from Nūḥ's opponents", which seems to be a mistake so we had to amend it.

3954. |GR-AQ|:263. See also |QSC|:160, 163; available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

3955. |QSC|:266. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-031

3956. |QSC|:267. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-031

3957 . أبو كَبْشَة هو زوج حليمة السعدية أُمّ محمد مِن الرضاعة (|باشا-صحابة|:432/1). "وكان مشركو قريش يطلقون على رسول الله ﷺ هذا الاسم سخرية" (|كاندهلوى|:159/1 مِن كلام المحقق).

3958 . |استيعاب|:424/2؛ |استيعاب-م|:230؛ |إصابة|:148/3؛ |إصابة-ع|:202/2؛ |أسدغابة|:88/2؛ |أسدغابة-ع|:125/2.

3959 . |GR-AQ|:860.

3960. الدين والتاريخ 55, *https://www.youtube.com/watch?v=cF1Z2o2lqrs*
الدين والتاريخ 56, *https://www.youtube.com/watch?v=bs6OKLDZ8E8*
الدين والتاريخ 57, *https://www.youtube.com/watch?v=JkDMZmrcSvw*
الدين والتاريخ 58, *https://www.youtube.com/watch?v=IKLJvV1H54o*

3961 . (البخارى 4636؛ |خ|:1873/4)؛ |أشقر-قصص|:40. وقال التفسير الذي أصدره مجمع الملك فهد لطباعة المصحف: "وهذا من حِكَم تحريم التماثيل، وتحريم بناء القباب على القبور؛ لأنها تصير مع تطاول الزمن معبودة للجهال" (|فهد|:571)!

3962 . |LostScr|:251-254؛ |Ehrman|:47-50، 119-120.

3963 . الترجمة الإنجليزية |GR-AQ|:660. الترجمة العربية: "أقدم النصوص المسيحية: سلسلة النصوص اللاهوتية"، الجزء الأول: "إقليمندس الروماني" - "راعي هرماس"، تعريب: الأب جورج نصّور، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط، الكسليك 1975، صفحة 149. انظر أيضاً |هولمز|:554؛ |رسوليون|:230-231.

3964 . انظر مثلاً تفاسير الطبري والقرطبي و |ب|:441؛ |ج|:441؛ |منتخب|:773؛ |ضيف|:730؛ |وجدى|:580.

3965 . وكذلك حاول اليهودُ أن يرجموا المسيحَ (يوحنا 8:59، 10:31، 11:8) ورجموا استفانوس حتى مات (أعمال الرسل 7:58-59) ورجموا بولسَ حتى ظنوا أنه مات (أعمال الرسل 14:19). اقرأ أيضاً (متى 23:37) (لوقا 13:34) (أعمال الرسل 5:26).

3966 . |Witztum|:122. انظر أيضاً |Banquet|:202.

3967 . |Mishnah|:446؛ |GR-AQ|:660. وأخذنا الترجمة العربية للمشنا من |قاهرة|:273/22.

3968 . |دراسى|:633؛ |NIV|:387.

3969 . |هامش|:234/3. الترجمة الإنجليزية |OTP|:158-159/1. ملحوظة: "إن مدراش ربا تكوين 31:6 يذكر أيضاً ثلاثة أسباب للطوفان: عبادة الأصنام، النجاسة، العنف" (|هامش|:62/5؛ |Pleiade|:670/337). انظر |Midrash|:241/1.

3970 . "لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ عَلَى الأَبْرَارِ، وَأُذُنَيْهِ إِلَى طَلِبَتِهِمْ" (1 بطرس 12:3)؛ "اَلرَّبُّ فِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ. الرَّبُّ فِي السَّمَاءِ كُرْسِيُّهُ. عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ. أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي آدَمَ" (المزامير 4:11).

3971 . قيل إن أصلها فارسي (Persian) وقيل ساميّ (Semitic). لمزيد من التفاصيل، |FV|:92-95؛ |شحرور|:42/2-45.

3972. Prof. Andrew Rippin: “Is this an apocalyptic image of volcanos within the story of Noah and the Ark?” (|QSC|:164). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

3973 . |شحرور|:43/2-45.

3974 . انظر تفاسير وترجمات "فَارَ التَّنُّورُ" (هود 40) (المؤمنون 27).

3975 . |خالدی-د|:102.

3976 . الترجمة العربية (|هامش|:153/3). الترجمة الإنجليزية (|RHCharles|:251/2؛ |OTP|:64/1). الترجمة الفرنسية (|Pleiade|:579/337).

3977. “Similar is a tradition in the Talmud: "With hot passion they sinned, and by hot water they were punished." (b. Sanhedrin 108b)” (|GR-AQ|:538). See also |Geiger|:86.

3978. حوار الحق 136, https://islam-christianity.net/islamchristianity/video/hewaralhaq/video/download/7ewar_al_7aq_136.wmv

3979 . |EQ|:540/3-541.

3980. |EI-2|:8\109.

3981 . إلا أن (إبراهيم 16-17) جاءت في سياق قرآني يتحدث عن هلاك كفار الأمم السابقة مثل قوم نوح وغيرهم: "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ" (ابراهيم 9). وكذلك (محمد 15).

3982 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

3983 . |Midrash|:229/1. انظر أيضاً |Sidersky|:27؛ |Masson|:854. والآيات المقتبسة تقول: "إِذَا جَرَتِ انْقَطَعَتْ (When they are scorched, they vanish). إِذَا حَمِيَتْ جَفَّتْ (أي: بسبب الحرّ تختفي) مِنْ مَكَانِهَا" (أيوب 17:6). "وَمَحَبَّتُهُمْ وَبُغْضَتُهُمْ وَحَسَدُهُمْ هَلَكَتْ مُنْذُ زَمَانٍ، وَلاَ نَصِيبَ لَهُمْ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ، فِي كُلِّ مَا عُمِلَ تَحْتَ الشَّمْسِ" (الجامعة 6:9).

3984 . |ملطی|:أيوب/800/2.

3985. |QSC|:168. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

3986 . لمزيد من التفاصيل، ارجع إلى |Bauckham|:536/1؛ |Witztum|:81؛ |Reynolds|:37، 49؛ |طرزی|:94/2.

3987 . الترجمة العربية (|طرزی|:129/2). وبالإنجليزية (|GR-AQ|:350؛ |Bauckham|:554/1). وبالفرنسية:

"La Caverne des Trésors: Les deux recensions syriaques", traduites par Su-Min Ri, CSCO Vol. 487, Scriptores Syri 208, Louvain: Peeters, 1987, pp. 54-55.

3988 . |شعراوی|:6481/11-6484.

3989 . طبعاً ليس المقصود أن يكره الإنسانُ نَفْسَهُ وأهلَ بيته! وإنما المقصود هو إنكار الذات "بمعنى إنكاره لذاته ولأهله ولأقاربه ولكل ما للإنسان، [...]. ومن علامات إنكار الذات الناجحة جداً محبة الآخرين بدون عائد، بل بروح العطاء وبذل الذات مجاناً. فكل الأعمال العظيمة مهما كانت قوية وناجحة إذا خلت من المحبة الباذلة صارت [...] بلا قيمة. فإنكار الذات الملهم بقوة المحبة [الباذلة] هو الأساس لكل عمل عظيم مقبول في ملكوت السموات" (|المسيح|:319).

3990. Edmund Beck: “[B]y means of the introductory إلا, *Ibrāhīm*’s intercession for his father is described as being an error rather than an example to be followed” (|IW2013|:272).

3991 . "وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ" (المائدة 72). "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا" (النساء 48). "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا" (النساء 116). وآيات أخرى.

3992 . نستطيع الآن أن نفهم لماذا يرفض فريقٌ من المسلمين الترحم على غير المسلمين بعد موتهم على "الكفر" / "الشرك".

3993. |QSC|:164. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

3994. |QSC|:163-164. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

3995. “The apocalypse will not only bring about the destruction of [the heavens and earth], but the nuclear family as well” (|Badawi|:170).

3996 . **[← "قَالَ إِبْرَاهِيمُ [...]. [...] فَمَن تَبِعَنِي [في الإيمان والطاعة] فَإِنَّهُ مِنِّي (أي: مِن أهل ديني)" (إبراهيم 35-36)].**

3997 . الترجمة العربية (|ينابيع|:131/7)؛ الترجمة الإنجليزية (|GR-AQ|:350).

3998 . "هَا كُلُّ النُّفُوسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الأَبِ كَنَفْسِ الابْنِ، كِلاَهُمَا لِي. اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ" (حزقيال 4:18).

3999 . "إِنَّهُمْ (أي: الأبرار) لاَ يُخَلِّصُونَ بَنِينَ وَلاَ بَنَاتٍ. هُمْ وَحْدَهُمْ يَخْلُصُونَ وَالأَرْضُ تَصِيرُ خَرِبَةً" (حزقيال 16:14).

4000 . حسب التوراة، امرأة لوط هلكت (التكوين 26:19) لكن امرأة نوح خلصت مع نوح في الفُلْك (التكوين 13:7، 18:8).

4001 . |ابو هندي|:60/1-61.

4002. “The Qurʾān seems to make the hypothetical son of Noah in Ezekiel into a real son [...]. It may have known of this passage from Ezekiel through its use by Syriac fathers such as Jacob of Serugh in their arguments against the Jewish notion of "merits of the fathers" (Hb. *zekhut avot*)” (|GR-AQ|:350).

4003. “Behind such passages might be Biblical accounts of angels' delivering divine messages (see, e.g., Gen 21:17-18; Jdg 6:11-20; Mat 28:2-6; Luk 2:9-10; Acts 8:26; Rev 1:1)” (|GR-AQ|:227). See also |QSC|:163. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4004 . راجِع تفاسير (الأنعام 52) (آل عمران 26) وما قلناه عن الفقراء والمستضعفين الذين آمنوا بمحمد في مكة مثل خَبَّاب وبلال وعمَّار وصُهَيب وابن مسعود! وهذا يؤكد أن أصحاب القرآن قد أعادوا إنتاج (reproduced) قصة نوح حتى تبدو مشابهة لقصة محمد، فأخذوا عناصر مِن حياة محمد ووضعوها بالقوة في قصة نوح القرآنية. انظر أيضاً |EI-2|:8/109.

4005 . "فَإِذًا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطِي عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا ِللهِ" (رومية 12:14).

4006 . "اللهَ يَعْرِفُ قُلُوبَكُمْ. إِنَّ الْمُسْتَعْلِيَ (أي: رَفِيعَ القَدْر) عِنْدَ النَّاسِ هُوَ رِجْسٌ قُدَّامَ اللهِ" (لوقا 15:16). والعكس صحيح أيضاً: إنَّ الفقير المستضعف أو الحقير عِنْدَ النَّاسِ هُوَ رفيع القَدْر قُدَّامَ اللهِ. واقرأ مَثَل "الغني ولعازر" (The Rich Man and Lazarus) (لوقا 19:16-31) لتعرف الخلفية المسيحية لفكرة أفضلية المؤمن الفقير على الغني غير المؤمن.

4007. 515 الدليل, *https://www.youtube.com/watch?v=gbjWve8R5CI*

4008 . حسب التراث المسيحي، الرجاء (Hope) هو أن تؤمن بالشيء وتتوقع حدوثه بثقةٍ عاجلاً أو آجلاً مع أنك لا تراه. "لأَنَّنَا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا. وَلكِنَّ الرَّجَاءَ الْمَنْظُورَ لَيْسَ رَجَاءً، لأَنَّ مَا يَنْظُرُهُ أَحَدٌ كَيْفَ يَرْجُوهُ أَيْضًا؟ وَلكِنْ إِنْ كُنَّا نَرْجُو مَا لَسْنَا نَنْظُرُهُ فَإِنَّنَا نَتَوَقَّعُهُ بِالصَّبْرِ" (رومية 8:24-25)؛ "لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالْبَاقِينَ (أي: الوثنيين) الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ" (1 تسالونيكي 13:4).

4009 . ما يسبق (هود 35) يخص نوح وما يتلوها يخص نوح أيضاً! فهل (هود 35) تخص نوح أم محمد؟ هنا احتار المفسرون المسلمون: فمنهم مَن قال إن (هود 35) تتحدث عن نوح وقومه (|فهد|:225)، ومنهم مَن قال إنها كَلَام مُعْتَرِض فِي وَسَط قصة نوح عن محمد وكفار مكة (الطبري؛ ابن كثير؛ |كثير-شاكر|:227/2؛ |ج|:225؛ |منتخب|:364؛ |ميسر|:184؛ |وجدى|:289؛ |Nasr|:573)، ومنهم مَن ذكر الرأيين وإن أيد أحدهما (القرطبي؛ |ضيف|:372؛ |شعراوى|:6455/11)!

4010 . بكل تأكيد (هود 35) خاصة بمحمد وليس بنوح (|QSC|:164)، فنوح لم يأتِ بكتابٍ حتى يقول قومُه إنه افتراه – أي اختلقه. كما أن عبارة "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ" تكررت في أربع آيات قرآنية مكية: (يونس 38) (هود 13) (الأحقاف 8) (السجدة 3)، وهناك شبه إجماع بين المفسرين المسلمين على أن المرات الأربع تتعلق بما قاله أهل مكة إن محمد اختلق القرآن.

4011 . |GR-AQ|:841. لمزيد من التفاصيل عن امرأة نوح في التراث اليهودي-المسيحي، انظر |JAOS|:135/4/834-839. انظر أيضاً ما قلناه عن هلاك امرأة لوط في ثنايا دراستنا لقصة لوط القرآنية.

4012. “so when Noah asked God to have mercy on [his son] Canaan, God refused, saying that, as the offspring of his wife’s deception, he was not his kindred (cf. [هود 46])” (|EQ|:3\541).

4013 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

4014 . |Midrash|:1/194؛ |JAOS|:135/4/834-835.

4015 . ويوجد تقليد آخر يقول إن اسم إمرأة نوح هو "هايكل" (Haykal) و "كانت قريبة إلى أبناء قايين" (|طرزى|:2/125).

4016 . |مارمرقص|:العهدالقديم/1/63.

4017 . "آباء الكنيسة، منذ القرن الرابع، فسَّروا جميعهم [...] "بنات الناس" بذرية قاين (Cain)" (|يسوعية|:العهدالقديم/77).

4018. St. Ephrem's *Commentary on Genesis* 6.3 and other works (|Prose|:134-135; |Kugel|:210).

4019 . |قاموس-كتاب|:42.

4020 . |كتابية|:1/148.

4021 . |السواح|:22/223.

4022 . |Bottero|:47.

4023 . |Kramer-fr|:226.

4024 . |السواح|:22/226.

4025. https://www.youtube.com/watch?v=KZmtUI8M7aA Or try the older URL: http://www.college-de-france.fr/site/thomas-romer/course-2013-02-07-14h00.htm

4026 . |Vermes|:549-550. انظر أيضاً |Kugel|:195. "الْجَبَابِرَة" (Nephilim) (التكوين 6:4)، أي مذكورون في بداية قصة نوح التوراتية.

4027 . |أساطير|:169.

4028 . مثل |Kramer-fr|:227.

4029. https://www.bmimages.com/preview.asp?image=00396940001

4030 . |السواح|:22/229.

4031. Prof. Abraham Winitzer: “With respect to Mt. Ǧūdī, one wonders whether the reason that the Qurʾān takes a stand on this place name owes something to the plethora of alternative traditions that circulated in antiquity” (|QSC|:167). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4032 . مثلاً باللغة الفرنسية في |BK|:568-575؛ |ProcheOrient|:212-218 وترجمتها إلى اللغة العربية في |أساطير|:244-252. ولقراءة ملخصها وأحداثها المتعلقة بالطوفان (الرقيم الحادي عشر) باللغة العربية، انظر |السواح|:22/224-225؛ |باش|:1/108-109؛ |عامري-أ|:446-457؛ |شحرور|:2/21-29.

4033 . |ProcheOrient|:213؛ |أساطير|:245.

4034 . |كتابية|:172/1.

4035 . مثلاً باللغة الفرنسية في |ProcheOrient|:31-36 وترجمتها إلى اللغة العربية في |أساطير|:33-38. ولقراءة ملخصها وأحداثها المتعلقة بالطوفان باللغة العربية، انظر |شحرور|:30/2-35.

4036 . |ProcheOrient|:31؛ |أساطير|:33.

4037 . مثل |BK|:526-601.

4038 . |Kramer|:148-153؛ |Kramer-fr|:175-180؛ |كريمر|:251-259. ولقراءة ملخصها وأحداثها المتعلقة بالطوفان باللغة العربية، انظر |السواح|:223/22-224؛ |باش|:107/1-108؛ |عامري-أ|:445-446؛ |شحرور|:19/2-21.

4039 . |شحرور|:19/2.

4040. “différences inévitables dans une histoire relatée de mémoire” (|Sidersky|:26).

4041 . |قاموس-كتاب|:982-983. ملحوظة: توجد بالفعل روايات أخرى لقصة الطوفان في الأساطير الإغريقية (اليونانية القديمة) (Ancient Greek flood myths) مثل (the flood of Ogyges) و (the flood of Deucalion) و (the flood of Dardanus). لكننا لم نذكرها حرصاً على عدم الإطالة ولأننا لا نعتقد أن لها أثراً كبيراً على التوراة و/أو القرآن.

4042. |EB|. Available online at https://www.britannica.com/topic/Noah

4043 . |EJ|:81/7-83.

4044 . |EJ|:287/15.

4045 . |يسوعية|:العهدالقديم/77-78.

4046 . |شحرور|:18/2-19؛ 35؛ 39-42؛ 53.

4047 . |عامري-أ|:467؛ 443-444؛ 462. انظر المرجع الأجنبي الذي اعتمد عليه د. سامي عامري (|ANET|:265-266).

4048 . |ANET|:265. انظر أيضاً |عامري-أ|:465-466؛ |شحرور|:49/2-51.

4049 . |عامري-أ|:458-459.

4050. يتفكرون, https://www.youtube.com/watch?v=9O2mSQXqN2Y

4051 . مثل هلاك ابن نوح النبي حسب رواية سورة هود القرآنية. الدرس المستفاد: لم ينفعه أنه ابن نبي.

4052 . |عامري-أ|:443؛ 467. انظر أيضاً |عامري-أ|:462.

4053 . المراجع الإسلامية: تفاسير الآيات القرآنية و |كثير-هاشمي|:111-129؛ |كثير-بديوى|:146-169؛ |طبرى-قصص|:112-123؛ |عرائس|:67-73؛ |طيب|:95-106؛ |عبدالحليم|:95-110؛ |شعراوى-قصص|:78-92؛ |شعراوى-عجز|:77-78؛ |بهجت|:78-93؛ |بكر|:57-66؛ |شوقى-قصص|:215-219؛ |فضل|:36-50؛ |نجار|:106-110؛ |رمضان|:90/2-101؛ |بدوى|:96/1-110.

4054 . قيل إن "لفظ الرجم، الذي وردت مشتقاته في أربعة عشر موضعاً من التنزيل الحكيم ليس من بينها موضع واحد يدلّ على الرمي بالحجارة، ولا يخرج منها موضع واحد عن معنى الطرد القسري والإخراج عُنوة" (|شحرور|:87/2).

4055 . "فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً" (التكوين 12:2)؛ "وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ [كثيراً جداً] كَتُرَابِ الأَرْضِ" (التكوين 13:16).

4056 . اقرأ أيضاً (أيوب 31:26-28) (الحكمة 13:1-9).

4057. “employing yet another late antique tradition, Abraham’s heavenly journey (the *Testament of Abraham*, 10 […])” (|QSC|:123). “Genèse, XV, 12-17 est au point de départ des ces diverses traditions sur les révélations faites à Abraham” (|Pleiade|:337\1669).

4058 . انظر تفاسير وترجمات (التكوين 15، 24) مثل |JSB|:32؛ |آرثر|:81؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/122/1.

4059. “Despite his admirable qualities, Eliezer still remained a member of the cursed Canaanite nation” (|EJ|:6\322).

4060 . |NPNF-2|:1/88. انظر أيضاً |Reynolds|:79-80.

4061 . مثل: |طبرى|:19/577-578؛ |ب|:449؛ |قرطبى-مصر|:8/87؛ |ج-البغا|:592؛ |ج-وطن|:449؛ |ج|:449؛ |خازن-بغوى|:5/242؛ |سخاوى|:2/201-203؛ |بحر|:7/357؛ |شحاته|:12/4598-4599؛ |ضيف|:745؛ |سعدى|:706؛ |صفوة|:3/39؛ |جزائرى|:4/419؛ |طبرى-قصص|:144-145؛ |عرائس|:85،72؛ |طيب|:105؛ |بهجت|:93؛ |فضل|:47؛ |رمضان|:2/101؛ |بدوى|:1/110. (سؤال: ما الذي كان سيخسره أصحابُ القرآن لو كانوا قالوا صراحةً اسمَ المكان الذي هاجر إليه إبراهيمُ؟!)

4062 . لكن بعد ذلك، انفصل لوط عن إبراهيم (التكوين 13:10-13). قال الشيخ عبد الجليل عيسى: "أقام [إبراهيمُ] بفلسطين، ولُوطٌ بشرقِ الأردن (أي: شرق نهر الأردن)" (|عيسى|:2/598). انظر أيضاً |عيسى|:2/76.

4063 . |NOAB|:1544؛ |ملطى|:تتِمة سفر دانيال؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/152؛ |RHCharles|:1/633؛ |TOB|:1387. يقول الأستاذ أحمد بهجت: "قال العلماء: الخُلَّة هى شدة المحبة. وبذلك تعنى الآية "وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" (النساء 125) واتخذ الله إبراهيم حبيباً" (|بهجت|:79).

4064 . |Banon|:13؛ |RHCharles|:2/4-7؛ |OTP|:2/43-46؛ |NIV|:1455؛ |دراسى|:2234. لقراءة كتاب اليوبيلات ومعرفة مزيد من المعلومات عنه يمكن الرجوع إلى مراجع سوديبجرافا العهد القديم (مثل: |RHCharles|:2/1-82؛ |OTP|:2/35-142؛ |Pleiade|:337/629-810) ومراجع مخطوطات البحر الميت (مثل: |AFU|:196-198؛ |Vermes|:539-542).

4065 . |Pleiade|:337/630.

4066. “le *Livre des Jubilés* est l’un des plus anciens témoins. Comme souvent, le Coran propose une variation sur un sujet bien connu dans les milieux juifs et chrétiens du Proche-Orient tardo-antique” (|QSC|:120). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-015

4067 . |RHCharles|:2/30-31؛ |OTP|:2/79-80؛ |Pleiade|:337/689-692؛ |هامش|:5/89-90. انظر أيضاً |Reynolds|:77؛ |Sidersky|:39.

4068. “One of the most common devices in midrashic and haggadic writings is to put quotations from the Psalms in the mouths of the Antediluvians and the Patriarchs” (|JSS|:19\2\235). For more examples, see |EJ|:4\340; |Potiphar|:52, 106; |JANT|:690-691.

4069 . الترجمات: العربية (|هامش|:5/89)؛ الإنجليزية (|OTP|:2/79-80)؛ الفرنسية (|Pleiade|:337/689).

4070 . الترجمات: العربية (|هامش|:5/90)؛ الإنجليزية (|OTP|:2/80)؛ الفرنسية (|Pleiade|:337/690).

4071 . كما قدَّم القرآنُ هارونَ في قصة العجل الذهبي. قال لموسى: "إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي" (الأعراف 150).

4072 . تقول التوراة: "وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ، وَلُوطًا بْنَ هَارَانَ، ابْنَ ابْنِهِ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا [أولاً] إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ. وَكَانَتْ أَيَّامُ تَارَحَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسَ سِنِينَ. وَمَاتَ تَارَحُ فِي حَارَانَ" (التكوين 11:31-32).

4073 . |RHCharles|:2/31؛ |OTP|:2/81؛ |Pleiade|:337/691؛ |هامش|:5/91. انظر أيضاً |Reynolds|:77.

4074 . ولا يزال المسلمون إلى اليوم يبدأون كل صلاة بقراءة الفاتحة التي تذكر "الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" (الفاتحة 6) ويختمونها بقراءة التشهد الذي يذكر اسمَ "إبراهيم"!

4075 . الترجمات: العربية (|هامش|:5/91)؛ الإنجليزية (|OTP|:2/81)؛ الفرنسية (|Pleiade|:337/691). انظر أيضاً ما قاله العالِمُ الكبير (Prof. Gabriel Reynolds) عن تأثير كتاب اليوبيلات على القرآن (الأنعام 74-83) (|GR-AQ|:232).

4076. |EQ|:2\402.

4077. |Reynolds|:71.

4078. Prof. Holger Zellentin: “The planets Abraham considers are the same in both texts [i.e. in the *Book of Jubilees* and the Qurʾān], yet in the *Book of Jubilees* Abraham

has already internalized their status as subservient to God—the very lesson he is about to learn in the Qurʾān” (|QSC|:122). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-015

4079 . انظر مثلاً الفصل 12:44 مِن المدراش (Genesis Rabbah) (|Midrash|:1/367-369)، وكُتب "فيلو السكندري" (Philo of Alexandria) (|Philo|:417-418؛ |Philo-ar|:3/280-282) وكُتب "يوسيفوس" (Flavius Josephus) (|Josephus|:43) وغيرها مِن الكتب اليهودية القديمة التي تحدثت عن قصة نظر إبراهيم إلى السماء (|RHCharles|:2/31؛ |Pleiade|:337/691، 1702-1703؛ |Reynolds|:73، 77-79؛ |Sidersky|:36).

4080. |QSC|:120-121. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-015

4081. Prof. Gabriel Said Reynolds: “All of these traditions, it seems, are shaped by two verses. The first is Deuteronomy 4.19 […]. The second is Genesis 15.5 […]” (|Reynolds|:79).

4082 . |AFU|:197-198؛ |RHCharles|:2/13؛ |OTP|:2/54-55.

4083 . |AFU|:196.

4084 . |OTP|:1/689-691؛ |هامش|:6/148-152.

4085. Prof. Holger Zellentin: “Most importantly for the Qurʾān, the *Apocalypse [of Abraham]* contends that Abraham then explains that the sun *could* be taken to be divine” (|QSC|:123).

4086 . الترجمات: العربية (|هامش|:6/153)؛ الإنجليزية (|OTP|:1/692)؛ الفرنسية (|Pleiade|:337/1703). انظر أيضاً ما قاله (Prof. Gabriel Reynolds) عن تأثر القرآن بكتاب رؤيا إبراهيم (|Reynolds|:78؛ |GR-AQ|:232).

4087 . الترجمات: العربية (|هامش|:6/154)؛ الإنجليزية (|OTP|:1/693)؛ الفرنسية (|Pleiade|:337/1704). انظر أيضاً |Reynolds|:78؛ |GR-AQ|:314.

4088. Edmund Beck: “[B]y means of the introductory إلا, *Ibrāhīm*’s intercession for his father is described as being an error rather than an example to be followed. In sura XIV (*Ibrāhīm*) there is not the slightest trace of such a judgment of the prayer for an unbeliever” (|IW2013|:272).

4089 . "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا" (النساء 48). "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا" (النساء 116). "إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ" (المائدة 72). وآيات أخرى.

4090 . نستطيع الآن أن نفهم لماذا يرفض فريقٌ من المسلمين الترحم على غير المسلمين بعد موتهم على "الكفر" / "الشرك".

4091 . |ب|:231-235؛ |ج|:232-233. انظر أيضاً |GR-AQ|:322-323.

4092 . وفي الواقع، فإن أصحاب القرآن قد تعمَّدوا إعادةَ تقديم أنبياء آخرين (مثلاً: يوسف وموسى) بحيث يكونوا نسخةً من محمد؛ أو على الأقل: قريبين منه. لكننا هنا نركز على إبراهيم، وسنتحدث عن هؤلاء الأنبياء الآخرين لاحقاً.

4093. |QSC|:119-120 (French). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-015

4094 . ومِن المعلوم أن معمودية المؤمنين بالتغطيس في الماء ترمز إلى الاتحاد مع المسيح والتشبُّه به في موته ودفنه وقيامته، لكن المعمودية الحقيقية بالروح القدس والإيمان بالفداء والخلاص الذي حققه يسوعُ المسيح ابنُ الله بدمه وموته على الصليب وقيامته من الأموات. فنحن إذن لا نعتقد أن المعمودية بالتغطيس في الماء ضرورية من أجل الخلاص. لأنها لو كانت ضرورية، لكان هذا يعني أن المعمودية بالروح القدس لا تكفي! وأن نعمة الله غير المحدودة لا تكفي! وأن الإيمان بصليب الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الذي أقامه اللهُ من الأموات لا يكفي! وأن الخلاص بالأعمال وليس بالنعمة الإلهية بواسطة الإيمان! وحاشا أن نقول ذلك. هذا بالإضافة إلى أن بعض المؤمنين لديهم ظروف خاصة تمنعهم من المعمودية بالتغطيس في الماء، فمثلهم مثل اللص التائب (لوقا 23:42-43)، يكفيهم المعمودية بالروح القدس والنعمة الإلهية غير المحدودة وإيمانهم بصليب الفادي والمخلِّص يسوع المسيح ابن الله الذي أقامه اللهُ من الأموات. يقول قاموس الكتاب

المقدس: "أي أن المعمودية تختم وتشهد على اتحاد المؤمنين بالله بالإيمان والبنوة وغفران خطاياه بموت المسيح وقيامته. إلا أن المعمودية ليست في حد ذاتها سبباً للتجديد والولادة الثانية والخلاص. فكرنيليوس مثلاً، حل عليه الروح القدس وقَبِلَ الإيمانَ من قَبْل أن يعتمد (أعمال الرسل 10:44-48). وسيمون الساحر اعتمد ومع هذا ظل إنساناً عتيقاً وأخطأ في عيني الرب (أعمال الرسل 8:13، 8:21-23). ولم يعمد المسيحُ أحداً (يوحنا 4:2). وكانت أول معمودية مسيحية في يوم الخمسين، بعد أن قَبِلَ التلاميذُ معموديةَ الروح القدس والنار (متى 3:11) (لوقا 3:16) (أعمال الرسل 2). وقد قَبِلَ يسوعُ المعموديةَ ليظهر موافقته على عمل يوحنا المعمدان، وليكرس نفسه للخدمة المقدسة، ويعبر عن تحمله خطايا البشر" (|قاموس-كتاب|:637).

4095 . طبعاً ليس المقصود أن يكره الإنسانُ نَفْسَهُ وأهلَ بيته! وإنما المقصود هو إنكار الذات "بمعنى إنكاره لذاته ولأهله ولأقاربه ولكل ما للإنسان، [...]. ومن علامات إنكار الذات الناجحة جداً محبة الآخرين بدون عائد، بل بروح العطاء وبذل الذات مجاناً. فكل الأعمال العظيمة مهما كانت قوية وناجحة إذا خلت من المحبة الباذلة صارت [...] بلا قيمة. فإنكار الذات الملهم بقوة المحبة [الباذلة] هو الأساس لكل عمل عظيم مقبول في ملكوت السموات" (|المسيح|:319).

4096 . |المسيح|:322-324. انظر أيضاً |المسيح|:338، 370-371.

4097 . إذا كان المعاصرون لمحمد يعلمون جيداً تلك الأساطير، بدليل أنهم قالوا لمحمد في نفس سورة الأنعام: "إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (الأنعام 25)، فهل يُعقَل أن يسوع لم يكن يعلمها؟ بالتأكيد كان يسوع يعلم – أو على الأقل: سمع عن – تلك الأساطير، لكنه لم يرددها. أما أصحاب القرآن فرددوا تلك الأساطير (الإسرائيليات)، وزعموا أنها وحي من الله!

4098 . |GR-AQ|:231-232. انظر أيضاً |GR-AQ|:735؛ |QSC|:121-122.

4099 . |GR-AQ|:573-574. انظر أيضاً |Geiger|:99.

4100 . |GR-AQ|:322-323.

4101 . المراجع الإسلامية: تفاسير الآيات القرآنية، والمراجع المذكورة فى الفصل السابق.

4102 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

4103 . يبدو لنا أن هذه الفكرة مستوحاة مِن التلمود البابلي (Sotah 36b) الذي يقول في قصة يوسف إن امرأة فوطيفار (امرأة العزيز) تظاهرت بالمرض في يوم عيد ليخرج أهل البيت كلهم إلى الاحتفال بالعيد خارج البيت بينما تظل هي وحدها في البيت مع يوسف فتستطيع أن تراوده عن نفسه بدون أن يشعر أحد (|Kugel|:455-456؛ |Potiphar|:94-95؛ |Sidersky|:59). وسوف نناقش هذه المسألة بالتفصيل لاحقاً عند دراستنا لأسطورة يوسف.

4104 . "فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. [...]. فَأَخَذَ أَبْرَامُ (أي: إبراهيمُ) سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ" (التكوين 12:4-5). السياق التوراتي (التكوين 11:31-32، 12:1-5). انظر أيضاً |GR-AQ|:680.

4105 . ويُفهَم من السياق أن قوم إبراهيم الكافرين قد تحيَّروا وانقطعت حجتهم ولم يجدوا ما يردوا به على إبراهيم.

4106 . هل كان إبراهيم يعلم القيامة (البعث) والحساب والجزاء؟! هل يوجد أي دليل علمي أو حتى دليل كتابي يثبت ذلك؟!

4107. “the Qurʾānic account of Abraham’s confrontation with his people seems to be interrupted (vv. 18-23) by a general reflection on prophethood and divine punishment” (|GR-AQ|:615).

4108 . نفس المعنى أو تقريباً نفس الجملة التي وضعها أصحابُ القرآن على لسان إبراهيم: "إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (العنكبوت 17)! وهذا يؤكد ما نقوله دائماً إن أصحاب القرآن تعمَّدوا إعادةَ تقديم إبراهيم بحيث يكون نسخةً من محمد، أو على الأقل: قريباً منه.

4109. Prof. Gerald Hawting: “vv. 19–23 then could be read as an interpolation with reference to the contemporary opponents, vv. 19–20 rebutting their rejection of bodily resurrection. At v. 24 the story of Abraham is picked up again, with v. 25 repeating the accusation of idolatry [against his people (vv. 16, 17, and 18?)]” (|QSC|:285).

4110. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

4111 . مثل: |طبرى|:567/4-577؛ |طبرى-شاكر|:429/5-438؛ |ب|:58؛ |قرطبى-مصر|:242/2-247؛ |كثير|:462/1-464؛ |كثير-شيخ|:450/2-452؛ |كثير-شاكر|:282/1-283؛ |كثير-صابونى|:233/1-234؛ |ج-البغا|:54؛ |ج-وطن|:43؛ |ج|:43؛ |عطية-مصر|:201/2-206؛ |خازن-بغوى|:353/1-355؛ |بيضاوى|:136/1؛ |كشاف-ش|:146-147؛ |نسفى|:212/1-213؛ |شحاته|:454/2-456؛ |وجدى|:54؛ |صفوة|:165/1؛ |كثير-هاشمى|:122-124؛ |كثير-بديوى|:160-162؛ |طبرى-قصص|:159، 162، 119-120؛ |عرائس|:67-69؛ |طيب|:100؛ |عبدالحليم|:95، 108-110؛ |بكر|:63-64؛ |شوقى-قصص|:216-219؛ |فضل|:46-47؛ |رمضان|:98/2-99؛ |بدوى|:96/1، 106-107؛ |و|:120/1/1-122.

4112 . |ملطى|:التكوين/128. انظر أيضاً |كتابية|:84/8.

4113 . |ملطى|:التكوين/134؛ |نطرون|:التكوين/183.

4114. “[T]he Aramaic *Targum Neofiti* […] is of Palestinian provenance […] and was written well before the rise of Islam (ca. 1st century AD). M. McNamara argues for a date of the fourth century AD” (|Reynolds|:38).

4115 . الترجمة العربية (|هامش|:49/10-50). الترجمة الإنجليزية (|Targums|:82/1A). انظر أيضاً |GR-AQ|:512.

4116 . |NIV|:22؛ |دراسى|:34-35؛ |ملطى|:التكوين/132-135؛ |نطرون|:التكوين/185-188؛ |آرثر|:75؛ |Kugel|:228.

4117 . |Tisdall-ar|:68؛ |Tisdall|:78.

4118 . |باش|:120/1.

4119 . |مجلس|:293؛ |و|:101/9/1.

4120 . |و|:100/9/1.

4121. “Nimrod is an enigma. Claims that he is to be equated with Gilgamesh or Hercules or other figures, or that he built the tower of Babel (Genesis 11:1-9), are without historical foundation. Some have suggested that Nimrod was a Mesopotamian god (such as Marduk) or king (such as Sargon), but this is pure speculation” (|KJV-arch|:18).

4122 . وكالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن كلمة "النجوم" لا تعني "أنه نظر في النجوم وهي طالعة ليلاً، بل المراد أنه نظر للسماء التي هي قرار النجوم" (|عاشور|:141/23)! لكننا نعرف من سورة الأنعام أن إبراهيم كان ينظر للسماء ليلاً "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا (أي: نجماً)" (الأنعام 76). فلا نرى ما يمنع أنه "نَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ" (الصافات 88) ليلاً أيضاً.

4123 . تكررت هذه الرواية فى مراجع إسلامية كثيرة. انظر مثلاً |و|:277/9/1.

4124 . |NOAB|:1545؛ |ملطى|:تتِمة سفر دانيال؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/153؛ |RHCharles|:634/1؛ |TOB|:1387.

4125 . |ضحاك|:575/2؛ |كثير-هاشمى|:120؛ |كثير-بديوى|:158؛ |طبرى-قصص|:121-122؛ |عرائس|:72؛ |عبدالحليم|:105،107؛ |شعراوى-قصص|:87-88؛ |شعراوى-عجز|:78؛ |بهجت|:89.

4126 . |EJ|:419/5.

4127. 442 الدليل,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6633&cat=24&scat=211&

4128. 137 حوار الحق,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=2305&cat=24&scat=42&

4129 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:834/4/135).

4130 . انظر |Tisdall-ar|:65-66 باللغة العربية و |Midrash|:310/1-311؛ |Tisdall|:74-75؛ |QSC|:122-123 باللغة الإنجليزية و |Banon|:14-15؛ |Sidersky|:33-38 باللغة الفرنسية.

4131 . |Midrash|:311-310/1. أضفنا [←] لتوضيح التطور البشري الطبيعي من المدراش إلى القرآن.

4132 . |Tisdall-ar|:66-65؛ |Tisdall|:75-74. أضفنا [←] لتوضيح التطور البشري الطبيعي من المدراش إلى القرآن.

4133 . |Tisdall-ar|:67-66. النص الأصلي باللغة الإنجليزية (|Tisdall|:76-75).

4134. محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

4135 . |تلمود|:76.

4136. الدين والتاريخ 9, https://www.youtube.com/watch?v=3cdLQeeOVQQ

4137 . |GR-AQ|:101-100.

4138 . |GR-AQ|:513-512.

4139 . |Banon|:14-13. انظر أيضاً |Reynolds|:77.

4140 . الترجمات: العربية (|هامش|:90/5)؛ الإنجليزية (|OTP|:80/2)؛ الفرنسية (|Pleiade|:690/337).

4141 . الترجمات: العربية (|هامش|:84/5)؛ الإنجليزية (|RHCharles|:30/2؛ |OTP|:79/2)؛ الفرنسية (|Pleiade|:688/337).

4142 . |NIV|:1455؛ |دراسي|:2234؛ |آرثر|:1488؛ |KHO-GP|:363.

4143 . |RHCharles|:1/2، 8.

4144 . |OTP|:377-297/2.

4145 . |OTP|:299/2؛ |EJ|:533/14.

4146 . كما قلنا فيما سبق: في التراث اليهودي/المسيحي، يرتبط بناء برج بابل بأفكار سيئة كلها ضد الله، مثل: تكبر الإنسان وغروره وتمرده على الله، تأليه الذات، تخليد الذات ... الخ (|NIV|:22؛ |دراسي|:34-35؛ |ملطي|:التكوين/132-135؛ |نطرون|:التكوين/185-188؛ |آرثر|:75؛ |Kugel|:228). ومِن المؤكد أن هذا المعنى قد وصل إلى أصحاب القرآن، بدليل أنهم استخدموه في قصص أخرى مشابهة، مثل "صَرْح" فرعون وهامان (غافر 36-37) (القصص 38) و "مَصَانِع" عاد قوم هود (الشعراء 128-129). إذن: رَفْض إبراهيم المشاركة في بناء برج بابل يشبه إلى حد كبير رَفْضه عبادة الأصنام.

4147 . |OTP|:312-309/2.

4148 . انظر مثلاً |Tisdall|:80-79؛ |Tisdall-ar|:70-69.

4149 . |Kramer|:198-194؛ |Kramer-fr|:241-238.

4150 . يقول القرآن في مواضع أخرى: "اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ" (الحج 75)؛ "الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا" (فاطر 1)؛ "فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا (أي: الملاك جبريل) فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا" (مريم 17).

4151 . ذكر القرآنُ إسحاقَ 17 مرة، أكثر من ثلثيهم في القرآن المكي (|معجم-ألفاظ|:347).

4152 . ذكر القرآنُ يعقوب 16 مرة، أكثر مِن نصفهم في القرآن المكي (|معجم-ألفاظ|:773).

4153 . ذكر القرآنُ لوط 27 مرة: 25 مرة في القرآن المكي ومرتين فقط في القرآن المدني (|معجم-ألفاظ|:654).

4154 . المراجع الإسلامية: تفاسير الروايات القرآنية الأربع؛ وكتب "قصص الأنبياء" |كثير-هاشمي|:141-143؛ |كثير-بديوي|:184-186؛ |طبري-قصص|:126-128؛ |عرائس|:74-75؛ |عبدالحليم|:135؛ |شعراوي-قصص|:113-119؛ |بهجت|:99-103؛ |بكر|:74-77؛ |شوقي-قصص|:222-223؛ |نجار|:126؛ |رمضان|:102/2؛ |بدوي|:118/1-119؛ |جمعة|:217-223.

4155 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

4156 . "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا (أي: ريحاً شديدة أو عاصفة تحمل التراب والحصى وصغار الحجارة) (مثل: قوم لوط) وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ (مثل: قوم صالح وقوم شعيب) وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ (مثل: قارون) وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا (مثل: فرعون وجنوده وقوم نوح) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (العنكبوت 40).

4157. Prof. Gerald Hawting: “The structure of the material about Abraham [في سورة العنكبوت] is fragmentary: it is not always obvious who is speaking and the stories of Lot and of Abraham become intermingled. [...] the stories of Abraham and Lot become intermingled in a discontinuous way” (|QSC|:285). Online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-033

4158. Prof. Gabriel Said Reynolds: “Thus the Qurʾān includes Isaac’s son Jacob (Ar. يَعْقُوب) in the annunciation, so that it preserves the rhyme” (|GR-AQ|:354). See also |QiC|:589.

4159 . |طبرى|:473/12؛ |طبرى-شاكر|:390/15؛ |كثير|:265/4؛ |كثير-شيخ|:451/7؛ |كثير-طيبة|:333/4؛ |درمنثور|:98/8-99؛ |طبرى-قصص|:128؛ |Reynolds|:87؛ |QiC|:587.

4160 . |قرطبى|:163/11؛ |قرطبى-مصر|:62/5؛ |فراء|:22/2؛ |كشاف-ع|:216/3؛ |كشاف-ش|:490؛ |بحر|:243/5؛ |Reynolds|:87.

4161 . |طبرى|:473/12؛ |طبرى-شاكر|:389/15.

4162 . |طبرى|:476/12؛ |طبرى-شاكر|:392/15. انظر أيضاً |كثير|:265/4؛ |كثير-شيخ|:452/7؛ |كثير-طيبة|:334/4؛ |ماوردى|:484/2؛ |أشقر|:229. وقيل إن العرب تقول: "ضحكت الأرنب إذا حاضت" (|عرائس|:75؛ |بدوى|:118/1)!

4163 . |قرطبى|:163/11-164؛ |قرطبى-مصر|:62/5. انظر أيضاً |فراء|:22/2؛ |خازن-بغوى|:317/3.

4164 . |طبرى|:473/12؛ |طبرى-شاكر|:389/15. انظر أيضاً |كثير|:265/4؛ |كثير-شيخ|:452/7؛ |كثير-طيبة|:333/4؛ |ماوردى|:485/2؛ |بكر|:76.

4165 . |طبرى|:474/12؛ |طبرى-شاكر|:390/15. انظر أيضاً |كثير|:265/4؛ |كثير-شيخ|:452/7؛ |كثير-طيبة|:333/4-334؛ |ج-البغا|:295؛ |ج-وطن|:229؛ |ج|:229؛ |ماوردى|:485/2؛ |بشير|:60/3؛ |صفوة|:24/2؛ |جزائرى|:562/2؛ |جمعة|:222.

4166 . |ب|:229. انظر أيضاً |Reynolds|:92-93.

4167 . |طبرى|:474/12-475؛ |طبرى-شاكر|:390/15-391. وقيل إن سارة ضحكت لتخفف مِن روع إبراهيم (|جمعة|:219). انظر أيضاً |ماوردى|:485/2؛ |بدوى|:118/1.

4168 . |كثير|:265/4؛ |كثير-شيخ|:452/7؛ |كثير-طيبة|:334/4.

4169 . |طبرى|:475/12-476؛ |طبرى-شاكر|:391/15. انظر أيضاً |قرطبى|:164/11؛ |قرطبى-مصر|:63/5؛ |درمنثور|:95/8؛ |واحدى|:581/2؛ |عاشور|:119/12؛ |قرنى|:272؛ |نجار|:126.

4170 . |كثير|:265/4؛ |كثير-شيخ|:452/7؛ |كثير-طيبة|:334/4؛ |Reynolds|:93.

4171 . |طبرى|:477/12؛ |طبرى-شاكر|:392/15.

4172 . |قرطبى|:165/11؛ |قرطبى-مصر|:63/5. انظر أيضاً |واحدى-وجيز|:527/1؛ |ضيف|:378.

4173 . |ميسر|:188.

4174 . |شوقى-قصص|:223.

4175 . |شعراوى|:6559/11-6560؛ |شعراوى-قصص|:117. انظر أيضاً |قرطبى|:165/11؛ |قرطبى-مصر|:63/5؛ |كشاف-ع|:216/3؛ |كشاف-ش|:490؛ |خازن-بغوى|:317/3.

4176 . |قرطبى|:164/11؛ |قرطبى-مصر|:63/5. انظر أيضاً |كثير|:265/4؛ |كثير-شيخ|:452/7؛ |كثير-طيبة|:333/4؛ |ماوردى|:485/2؛ |بحر|:243/5.

4177 . |قرطبى|:165/11؛ |قرطبى-مصر|:63/5.

4178 . |منتخب|:372.

4179 . |عاشور|:119/12.

4180. |Pickthall|:294. Prof. Gabriel Said Reynolds: “Most of the translators, however, follow the order of the Arabic text: […]. Only Pickthall, with the use of “when,” portrays

the laughter of Abraham's wife as a result of the messengers' announcement" (|Reynolds|:89).

4181. |Boubakeur|:1\714.

4182 . |زجاج|:60/3.

4183 . |زجاج|:63/3.

4184. |QSC|:167-168. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4185. "There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]" (|EQ|:1\477).

4186 . انظر المراجع اليهودية والمسيحية: وبخاصة |JSB|؛ |مارمرقص|؛ |ملطى|؛ |نطرون|؛ |يسوعية|.

4187 . وصفت التوراةُ الزوار الثلاثة بكلمة "رجال" (التكوين 18:2)، لكن واضح مِن النص أنهم "الرَّبُّ" (التكوين 18:1) و "مَلاَكَان" (التكوين 19:1). انظر |نطرون|:التكوين/254-255؛ |يسوعية|:العهدالقديم/92. ولقد أشار العهد الجديد إلى هذه القصة ومثيلاتها بقوله: "لاَ تَنْسَوْا إِضَافَةَ الْغُرَبَاءِ، لأَنْ بِهَا أَضَافَ أُنَاسٌ مَلاَئِكَةً وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ" (العبرانيين 13:2).

4188 . "لاَ تَنْسَوْا إِضَافَةَ الْغُرَبَاءِ، لأَنْ بِهَا أَضَافَ أُنَاسٌ مَلاَئِكَةً وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ (without knowing)" (العبرانيين 13:2).

4189 . "بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ (Hebron؛ حالياً: الخليل في الضفة الغربية جنوبيّ غربيّ أورشليم)" (التكوين 18:13).

4190 . وصفهم القرآن مرتين بأنهم "رسل الله" (هود 69) (العنكبوت 31)، أي: ملائكة. وقالت كثير من المراجع الإسلامية إنهم كانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل. طبعاً في هيئة رجال غرباء "قَوْمٌ مُّنكَرُونَ" (الذاريات 25).

4191 . وصفت التوراة السريانية (البشيطا) هذا العجل بأنه "سميناً" (fat) (|Peshitta|:22؛ |Witztum|:247). وفي "مَثل الابن الضال" (Parable of the Lost Son) (لوقا 15:11-32)، ذبح الأبُ "الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ" (fattened calf) لابنه الضال لمَّا عاد إليه. "كان يُحتفَظ بهذا العجل لأكثر المناسبات خصوصيَّةً، إمّا للذبيحة وإمّا لوليمة عظيمة" (|آرثر|:1710).

4192. St. Ephrem's Commentary on Genesis: "a fatted calf" (|Prose|:158).

4193 . أما في رواية سورة الحجر فإن هذا العجل اختفى تماماً، مع أن صاحب الرواية سمَّاها عن عمد أو عن جهل: "ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ" (الحجر 51)! ونحن نقول له: غياب العجل يؤكد أن روايتك (الحجر 51-56) تطور بشري طبيعي للبشارة الأولى التي حدثت في غياب سارة (التكوين 15:17-22) وليس هذه البشارة الثانية التي حدثت في وجودها (التكوين 18:1-15).

4194 . مع أن القرآن لم يذكر صراحةً أن الله كان موجوداً بينهم، إلا أنه توجد في رواية سورة هود إشارة قوية على وجود الله بطريقةٍ ما، وهي استخدام ضمير المتكلم الجمع "فَبَشَّرْنَاهَا" (هود 71) وبعد ذلك "يُجَادِلُنَا" (هود 74) وليس ضمير الغائب الجمع "فبشروها" و "يجادلهم" (انظر: |Reynolds|:88، 94). وهذا يتفق مع التوراة، إذ أن البشرى جاءت مِن الرب (التكوين 18:10)، والمجادلة كانت أيضاً مع الرب (التكوين 18:22-33). "قال ابن عطية: أضاف فعل الملائكة إلى ضمير اسم الله تعالى، إذ كان ذلك بأمره ووحيه" (|بحر|:243/5).

4195 . ونلاحظ هنا أن صاحب رواية سورة هود هو الوحيد الذي قال إن سارة ضحكت (هود 71)، وهذا دليل آخر يدل على أنه كان أكثر تأثراً بقصة الزوار الثلاثة التوراتية (التكوين 18:1-15). وإنْ قلتم إنه لم يسمِّ روايته "ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ"، فسنقول: والقصة التوراتية الأصلية أيضاً ليس لها اسم في التوراة، وإنما الفكر اليهودي/المسيحي هو الذي سمَّاها "الزوار الثلاثة".

4196 . وكالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن كلمة "المُكرَمين" هنا تعني أن "الله أكرمهم برفع الدرجة لأن الملائكة مقربون عند الله" (|عاشور|:358/26). ونحن لا نرى تناقضاً بين هذين الرأيين، فيمكن الجمع بينهما هكذا: "هل أتاك – أيها الرسول – حديث ضيف إبراهيم الذين أكرمهم – وكانوا من الملائكة الكرام" (|فهد|:521).

4197 . راجع ما قلناه عن قصة سقوط الإنسان (قصة الشَّجَرَة الْمُحَرَّمَة) وكيف استطاع صاحبُ رواية سورة البقرة المدنية أن يجمع بين روايتي سورتي الأعراف وطه المكيتين.

4198 . |عيسى|:429/3.

4199 . حسب العقيدة الإسلامية، لوط نبي ورسول!

4200 . "فَرَفَعَ لُوطٌ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَائِرَةِ الأُرْدُنِّ (أي: دائرة وادي نهر الأردن الخصيب) أَنَّ جَمِيعَهَا سَقْيٌ (well watered)، [...]، كَجَنَّةِ الرَّبِّ، كَأَرْضِ مِصْرَ. [...]. فَاخْتَارَ لُوطٌ لِنَفْسِهِ كُلَّ دَائِرَةِ الأُرْدُنِّ، وَارْتَحَلَ لُوطٌ شَرْقًا. فَاعْتَزَلَ الْوَاحِدُ عَنِ الآخَرِ. أَبْرَامُ سَكَنَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَلُوطٌ سَكَنَ فِي مُدُنِ الدَّائِرَةِ، وَنَقَلَ خِيَامَهُ إِلَى سَدُومَ. وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا" (التكوين 13:10-13). ولذلك فإن عبارة "قوم لوط" التي يستخدمها القرآنُ والتراث الإسلامي بصفة عامة عبارة خاطئة أو على الأقل غير دقيقة، لأنهم لم يكونوا قومه. فلقد "كان [لُوطٌ] غريباً عنهم جاء مُهاجِراً من العراق" (|عيسى|:76/2).

4201 . |KJV-arch|:31. انظر أيضاً |Rasmussen|:299؛ |EJ|:738/18.

4202 . |عيسى|:520/1؛ |عيسى|:77/2. انظر أيضاً |حجازى|:775/1-776.

4203 . |قاموس-كتاب|:461. انظر أيضاً |قاموس-كتاب|:641-642؛ |كتابية|:362/4-364؛ |كتابية|:339/5.

4204. “Tradition holds that the remains of the cities of Sodom and Gomorrah are submerged beneath the southern end of the Dead Sea. No evidence of them has been found thus far” (|NG-Atlas|:74).

4205. “No clear archaeological evidence has yet been produced in favor of either theory” (|EJ|:18\738).

4206 . |كتابية|:339/5.

4207 . |نطرون|:التكوين/250، 255.

4208 . مثال لتوضيح الفكرة: يقول الكتابُ المقدس "صَوْتُ الرَّبِّ مُكَسِّرُ الأَرْزِ، وَيُكَسِّرُ الرَّبُّ أَرْزَ لُبْنَانَ" (المزامير 5:29)، فهل نستنتج من هذه الآية أن الله يكره لبنانَ اليوم؟! الإجابة: بالطبع لا، لأن لبنان اليوم مختلف تماماً عن لبنان أيام كاتب هذا المزمور. كذلك، المثلية الجنسية اليوم مختلفة تماماً عن المثلية الجنسية أيام لوط (بفرض أنه شخصية حقيقية تاريخية).

4209 . وتوجد حلقات أخرى لهذا المسلسل، مثل "الضربات العشر" **[⟵ الآيات التسع]** على مصر في قصة موسى وفرعون!

4210 . "ويقول التقليد إنه (أي: إبراهيم ابن المئة سنة) سار معهم عبر الجبال [...] حوالي 5 أميال" (|نطرون|:التكوين/250)!

4211 . "السَّيِّدَ الرَّبَّ لاَ يَصْنَعُ أَمْرًا إِلاَّ وَهُوَ يُعْلِنُ سِرَّهُ لِعَبِيدِهِ الأَنْبِيَاءِ" (عاموس 7:3). "سِرُّ الرَّبِّ لِخَائِفِيهِ" (المزامير 14:25).

4212 . "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24).

4213 . وقيل إن إبراهيم أدرك هوية الرب حين ذكر الزوار اسمَ سارة (التكوين 9:18)، وذكر أحدُهم البشارةَ الإلهية بميلاد ابن لها (التكوين 10:18) (|نطرون|:التكوين/248-250).

4214 . |يسوعية|:العهدالقديم/92. أما (التكوين 17) الذي فيه البشارة الأولى بميلاد إسحاق فينتمي إلى التقليد الكهنوتي (Priestly) بدليل احتوائه على فريضة الختان وأدلة أخرى (|يسوعية|:العهدالقديم/91).

4215. |JSB|:2167. “The relationship of the LORD to the [two] men is unclear. Perhaps, as in some Canaanite literature, we are to imagine a deity accompanied by his two attendants […]” “Source analysis identifies this [i.e. Genesis 18:9-18] as the J [i.e. Jahwist] parallel to the annunciation of Isaac’s birth in ch 17 (P) [i.e. Priestly]” (|JSB|:36).

4216 . |يسوعية|:العهدالقديم/94.

4217 . "يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ (advocate) عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ (propitiation) لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا" (1 يوحنا 1:2-2).

4218 . "لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ (mediator) وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (1 تيموثاوس 2:5-6).

4219 . كان لإبراهيم تجربة سابقة جيدة مع أهل سدوم. فعلى الرغم من أن "كَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا" (التكوين 13:13)، إلا أن إبراهيم قام بـ "إنقاذهم من أيدي أعدائهم كَدَرْلَعَوْمَر وحلفائه الذين أخذوهم في الأسر بعد أن سلبوهم من كل ما يمتلكون (التكوين 14:14-21)" (|نطرون|:التكوين/255).

4220 . "إنها صورة حية للحب الناضج الذي فيه ينشغل الإنسان بخلاص إخوته، ويطلب عنهم أكثر مما لنفسه!، حتى وإن كان هذا الغير شريراً ومستحقاً الموت". "وفي شفاعته، التزم [إبراهيمُ] بالجانب الموضوعي، فلم يشفع عن أقربائه "لوط وعائلته" [فقط] بل عن الدائرة (أي: المنطقة) كلها" (|ملطي|:التكوين/192؛ 199).

4221 . كما قلنا فيما سبق، استخدام ضمير المتكلم الجمع "يُجَادِلُنَا" (هود 74) وليس ضمير الغائب الجمع "يجادلهم" يؤكد أن أصحاب القرآن أدركوا أن الله كان موجوداً بين الرسل/الملائكة. وهذا طبعاً تأثراً بالتوراة. انظر |Reynolds|:88، 94.

4222. لوط في التراث اليهودي المتأخر: "**[LOT] In the *Aggadah*** The [Jewish] rabbis often represent Lot in an unfavorable light although in some sources he is praised for his virtues, the word *ẓaddik* of Genesis 18:23 being applied to him" (|EJ|:13\216).

4223 . وكذلك في التراث المسيحي، وُصِفَ لوطٌ صراحةً بكلمة "الْبَارَّ": "وَأَنْقَذَ [اللهُ] لُوطًا الْبَارَّ [...] الْبَارُّ [...] نَفْسَهُ الْبَارَّةَ [...]. يَعْلَمُ الرَّبُّ أَنْ يُنْقِذَ الأَتْقِيَاءَ مِنَ التَّجْرِبَةِ" (2 بطرس 2:7-9). مع أنه حسب القصة التوراتية، لم يكن لوطٌ باراً 100% (التكوين 19:8، 33-35)!

4224 . "وَإِذْ قَالُوا (أي: قال أهلُ مكة المشركين) اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا [القرآن] هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ (أي: أهلَ مكة المشركين) وَأَنتَ فِيهِمْ (أي: قبل خروجك يا محمد مِن مكة)" (الأنفال 32-33). قيل: مدنية؛ وقيل: مكية؛ وفي جميع الأحوال نلاحظ استخدام نفس اللغة ونفس الأفكار عند الحديث عن قوم لوط وقوم محمد. وهذا دليل آخر يؤكد أن مشكلة قوم لوط الأساسية هي الكفر / الوثنية (مثل قوم محمد) وليس المثلية الجنسية.

4225. St. Ephrem's Commentary on Genesis: "nowhere in Sodom was there found a single just man for whose sake it might be saved" (|Prose|:159-160).

4226 . وهذا اختلاف آخر بين المثلية الجنسية أيام لوط (بفرض أنه شخصية حقيقية تاريخية) والمثلية الجنسية اليوم.

4227 . "اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا" (أفسس 2:4-10). وكذلك في العهد القديم: "لأَنَّهُ لا لأجلِ بِرِّنا نَطرَحُ تضرُّعاتِنا أمامَ وجهِكَ، بل لأجلِ مَراحِمِكَ العظيمَةِ" (دانيال 9:18).

4228 . "انْقِلاَبِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدْمَةَ (Admah) وَصَبُوييمَ (Zeboiim)، الَّتِي قَلَبَهَا الرَّبُّ بِغَضَبِهِ وَسَخَطِهِ" (التثنية 29:23).

4229 . |دراسى|:55. انظر أيضاً |JSB|:38؛ |EJ|:13/215-216؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/151/1؛ |آرثر|:87؛ |معاصر|:84.

4230 . |ملطي|:التكوين/199-200. اقرأ أيضاً: "اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ، لِكَيْ تُشْفَوْا. طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا (has great power)" (يعقوب 5:16).

4231. "There is only an allusion here ("Lot is in it"; [العنكبوت 32]) to Abraham's intercession for Sodom in Genesis 18 (cf. [هود 74-76])" (|GR-AQ|:616).

4232. |Reynolds|:93.

4233. |QiC|:585. Cf. Gabriel Said Reynolds, "Reading the Qur'an as homily: The case of Sarah's laughter" in |QiC|:585-592.

4234. |Philo-ar|:3\289; |Philo|:421. See also |Reynolds|:94-95.

4235. |Josephus|:47. Cf. Hebrews 13:2. Prof. Gabriel Said Reynolds: "Philo, Josephus, and Justin Martyr all argue that the angels who visited Abraham did not actually eat" (|Reynolds|:94-95).

4236. |هامش|:10\71; |Targums|:1A\104. “[T]he Aramaic *Targum Neofiti* […] is of Palestinian provenance […] and was written well before the rise of Islam (ca. 1st century AD). M. McNamara argues for a date of the fourth century AD” (|Reynolds|:38).

4237. Prof. Gabriel Said Reynolds: “*Targum Neofiti* on Genesis 18:8 relates: “They seemd to [Abraham] as if they were eating and as if they were drinking.” A tradition in *Genesis Rabba* (48.14) relates that Abraham’s visitors only pretended to eat in order to conform with human customs” (|Reynolds|:95). See also |GR-AQ|:354, 778; |Midrash|:1\414-415.

4238 . "طوبيت" (Tobit) هُوَ والد طوبيًّا (Tobias). ولذلك فإن السفر يُسمَّى "سفر طوبيت" (Book of Tobit) أو "سفر طوبيًّا" (Book of Tobias). "سفر طوبيًّا هو جوهرة من جواهر الأدب الكتابى. إنه عبارة عن رواية شعبية قد اقتُبست من التقليد الحِكَمى الشائع فى العالم الوثنى المحيط باليهودية، وهو مؤلَّف أخلاقى يستمد أفكاره من الأسفار الكتابية، وفى روعته ما يشهد على ما كان لليهودية فى القرون التى تبعت الجلاء من حيوية إنسانية ودينية" (|يسوعية|:العهدالقديم/875).

4239 . كما سبق وقلنا، قالت كثير من المراجع الإسلامية إن الملائكة (الذين بشّروا إبراهيمَ وامرأته سارة العاقر أنها ستلد ابناً) كانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل. ومِن الطريف أن مراجع إسلامية أخرى ذكرت رأي مَن قال إنهم كانوا أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل ورافائيل! (|كثير|:265/4؛ |كثير-شيخ|:452/7؛ |كثير-طيبة|:333/4؛ |درمنثور|:89/8؛ |ماوردى|:369/5؛ |Reynolds|:90). ملحوظة: اسم الملاك رافائيل لم يُذكَر إطلاقاً في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ولا في القرآن. إذن: نستنتج من وجود اسمه في التفاسير الإسلامية التراثية أن المفسرين القدامى قد سمعوا عنه مِن القصص المذكورة في الأبوكريفا و/أو التراث الشعبي اليهودي/المسيحي بصفة عامة. انظر مثلاً |GR-AQ|:777.

4240 . الرواية الأولى فى |يسوعية|:العهدالقديم/895. الرواية الثانية فى |مشتركة|:الكتب اليونانية/16. انظر أيضاً |NOAB|:1385؛ |EOSB|:575؛ |TOB|:1212؛ |Septuagint|:Apocrypha/33؛ |NETS|:473-474؛ |RHCharles|:234/1؛ |Bauckham|:670/1؛ |Reynolds|:94.

4241 . تفسير "فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً" (الذاريات 28) للأستاذ أحمد حسين (|حسين|:179).

4242 . انظر تفاسير الآيات التى ذكرناها من الإصحاحات 17 و 18 و 21 من سفر التكوين، مثل: |NIV|:32؛ |دراسى|:49؛ |أنطونيوس|:التكوين؛ |ملطى|:التكوين/190؛ |Segond|:19؛ |مشتركة|:العهدالقديم/18؛ |سبعينية|:التكوين/133-134. انظر أيضاً |EJ|:33/10؛ |Reynolds|:95.

4243 . |ماوردى|:486/2.

4244 . في القرآن وفي التراث الإسلامي بصفة عامة، يُعرَف يوحنا المعمدان باسم "يحيى بن زكريا"، وتُعرَف أمه أليصابات باسم "امرأة زكريا": "يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا. قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا" (مريم 7-8).

4245 . سؤال مستوحى من البشارة بميلاد إسحاق حسب التوراة: "هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟" (التكوين 14:18). اقرأ أيضاً "هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنْ يَكُنْ ذلِكَ عَجِيبًا فِي أَعْيُنِ بَقِيَّةِ هذَا الشَّعْبِ فِي هذِهِ الأَيَّامِ، أَفَيَكُونُ أَيْضًا عَجِيبًا فِي عَيْنَيَّ؟ يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ" (زكريا 6:8).

4246 . جملة خبرية مستوحاة من البشارة بميلاد يسوع حسب الإنجيل: "لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ" (لوقا 37:1). اقرأ أيضاً "أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، هَا إِنَّكَ قَدْ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقُوَّتِكَ الْعَظِيمَةِ، وَبِذِرَاعِكَ الْمَمْدُودَةِ. لاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ شَيْءٌ" (إرميا 17:32).

4247. |Reynolds|:96-97. See also: |QiC|:589-591; |FV|:60.

4248. For more details, see |Reynolds|:96; |QiC|:590. See also “Isaac, as a type of Christ” (|NPNF-2|:13\239,249,268), and “Isaac in Christian Tradition” (|EJ|:10\34).

4249 . |نطرون|:التكوين/243.

4250. St. Ephrem’s Commentary on Genesis: “a fatted calf” (|Prose|:158).

4251 . |أنطونيوس|:التكوين. انظر مقارنة بين إسحاق (ابن إبراهيم) ويسوع المسيح (ابن الله) في |أنطونيوس|:التكوين. وانظر مقارنة بين سارة ومريم في |Reynolds|:96؛ |QiC|:590. انظر أيضاً |EJ|:34/10.

4252 . سنتحدث لاحقاً عن قصة البشارة بميلاد المسيح يسوع (عيسى) بالتفصيل في فصل مستقل. وسنتحدث عن قصة الذبيح إسحاق بالتفصيل في فصل آخر مستقل، وسنثبت بأدلة من التوراة والإنجيل والقرآن أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل.

4253 . "وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللهَ بِالإِيمَانِ يُبَرِّرُ الأُمَمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ «فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الأُمَمِ». [...] لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، [...]. [...] وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ:«وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ:«وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ" (غلاطية 3:8-16). اقرأ أيضاً (رومية 4، 9) (غلاطية 3-6).

4254 . |شوقي-قصص|:223.

4255 . |درمنثور|:100/8؛ |ضحاك|:451/1.

4256 . |FV|:81. انظر أيضاً |ماوردى|:486/2.

4257 . |قاموس-كتاب|:181؛ |كتابية|:175/2-176؛ |EJ|:9/3؛ |JSB|:2240.

4258 . وهذا يؤكد عدم عصمة الأنبياء، بدليل أن إبراهيم كذب وعرَّض سارةَ امرأته إلى مضاجعة رجل غريب وثني/أممي!

4259 . انظر تفاسير (إشعياء 54:1) و (غلاطية 4:26-28)، مثل: |NIV|:1113، 1826؛ |دراسى|:1721، 2827. انظر أيضاً |معاصر|:78.

4260. “The principal player in the major mythological text from Ugarit is Baal (possibly El’s grandson), the mighty storm god and fertility deity” (|KJV-arch|:312). Cf. |KJV-arch|:1212.

4261 . |قاموس-كتاب|:181-182.

4262 . المراجع الإسلامية: تفاسير الآيات القرآنية؛ وكتب "قصص الأنبياء" |كثير-هاشمى|:164-175؛ |كثير-بديوى|:213-225؛ |طبرى-قصص|:164-176؛ |شعراوى-قصص|:105-112؛ |بهجت|:104-110؛ |نجار|:145-149؛ |بكر|:84-87؛ |فضل|:66-71؛ |بدوى|:120/1-123.

4263 . بالإضافة إلى: "إِخْوَانُ لُوطٍ" (ق 13)! "كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ [...]" (الشعراء 160-161)!

4264 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

4265 . الفعل "أتى" يُستخدَم في القرآن أحياناً بمعنى "جامع" أو "نكح". مثلاً: "فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ (أي: ولا تجامعوهن) حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ (أي: فأنكحوهن في فروجهن)" (البقرة 222).

4266 . وجود زوجات لهم قد يعني أنهم كانوا مزدوجي الميل الجنسي (bisexuals) وليسوا مثليين (gays).

4267 . "قَطْع الدابر (أي: الآخِر)" كناية عن الاستئصال والهلاك الشامل، لم يُذكَر في القرآن إلا في 3 مواضع أخرى، وكلها تتحدث عن الكافرين المكذبين. "وَيَقْطَعَ [اللَّهُ] دَابِرَ الْكَافِرِينَ" (الأنفال 7)؛ "وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (أي: كانوا كافرين)" (الأعراف 72)؛ "فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا (أي: كَفَروا بالله وكذَّبوا رسله)" (الأنعام 45).

4268 . |ضيف|:657.

4269 . "وفي هذا تعريضٌ بأمهات المؤمنين، وتخويفٌ لهن بأنه لن ينفعهن قُربُهن من النبي [محمد] إذا أَتَيْنَ بذَنْبٍ" (|حجازى|:702/3). اقرأ سورة التحريم من أولها: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ [...]".

4270 . |فراء|:24/2.

4271. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

4272 . |ظلال|:2147/4. أضفنا الكلمات بين القوسين [] لتوضيح المعنى المقصود.

4273 . "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد 24) "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء 82). ونحن وجدنا "اخْتِلَافًا كَثِيرًا" فى القرآن. إذن: القرآن "مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ".

4274 . اقرأ أيضاً: "وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا" (الفرقان 40)؛ "وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ. فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ" (النجم 53-54).

4275 . |ضيف|:438.

4276 . انظر تفاسير (هود 81) (|حجازى|:134/2)؛ (الحجر 73) (|حجازى|:282/2).

4277 . مثلاً: زعم أصحابُ القرآن أن لوط كان رسولاً إلى أهل سدوم! "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" (الشعراء 162)!

4278 . "الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" تكاد تكون منقولة من سفر المزامير: "الْعِزَّةَ لِلهِ، وَلَكَ يَا رَبُّ الرَّحْمَةُ" (المزامير 62:11-12)!

4279 . انظر المراجع اليهودية والمسيحية: وبخاصة |JSB|؛ |آرثر|؛ |معاصر|؛ |مارمرقص|؛ |ملطى|؛ |نطرون|؛ |يسوعية|.

4280 . "لاَ تُدَنِّسِ ابْنَتَكَ بِتَعْرِيضِهَا لِلزِّنَى لِئَلاَّ تَزْنِيَ الأَرْضُ وَتَمْتَلِئَ الأَرْضُ رَذِيلَةً" (اللاويين 19:29). "وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ (أي: إماءكم؛ جواريكم) عَلَى الْبِغَاءِ (أي: الزنى) إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ [على الزنى] فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ [لهن] رَّحِيمٌ [بهن]" (النور 33).

4281 . |دراسى|:53. انظر أيضاً |JSB|:38. اقرأ أيضاً قصة مشابهة في (القضاة 19:23-24).

4282 . |معاصر|:83.

4283 . |مارمرقص|:العهدالقديم/146/1. انظر أيضاً |ملطى|:التكوين/195-196.

4284 . |فهد|:230، 266. انظر أيضاً |ميسر|:189، 219.

4285 . |Prose|:161؛ |GR-AQ|:411.

4286 . "والعمه للبصيرة كالعمى للبصر" (|وجدى|:343).

4287 . إما كان للوط بنات متزوجات غير الابنتين العذراوين، أو أن هاتين العذراوين كانتا في مرحلة الخطبة (erusin).

4288 . كان اسمها الأول "بَالَع" (Bela) وكان عليها مَلِكٌ (أو: شيخ قبيلة): "مَلِكِ بَالَعَ الَّتِي هِيَ صُوغَرُ" (التكوين 14:2، 8)، وتقع في الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت، "وفي زمن المكابيين كانت تقع في حدود مملكة عربية عاصمتها البتراء. [...] وأما المدينة الأصلية فلا شك أنها اليوم تحت مياه البحر" (|قاموس-كتاب|:562)!

4289 . "انْقِلاَبِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدْمَةَ (Adma) وَصَبُويِيمَ (Tseboïm)، الَّتِي قَلَبَهَا الرَّبُّ بِغَضَبِهِ وَسَخَطِهِ" (التثنية 29:23).

4290. "[الْمُؤْتَفِكَاتِ] This Arabic term is likely related to the use of the root *h-p-k* in both the Hebrew and Aramaic versions of Genesis 19:25 ("He overthrew [Hb. *wayyahapōk*; Am. *wahpak*] those cities […]") to indicate how God "overthrew" Sodom and Gomorrah – indeed [هود 82] relates that God "overturned" Lot's city" (|GR-AQ|:314). See also [الحجر 74] (|GR-AQ|:411); |FV|:274.

4291. "The present form of the Lot narrative leaves an unmistakable impression of Israelite ascendancy over Ammon and Moab: Haran, Lot's father and the grandfather of Ammon and Moab, was the youngest of Terah's sons, while Abraham was the oldest; Lot was continually in need of Abraham's protection and help; the incestuous union between Lot and his daughters disgraces their offspring, the Ammonites and Moabites" (|EJ|:13\215).

4292 . لكن في المقابل، تشير التوراةُ إلى الْمُوآبِيّين والعمُّونيين بعبارة "بَنِي لُوطٍ" (التثنية 2:9، 19) لتذكِّر العبرانيين (بني إسرائيل) بوجود صلة قرابة بينهم وبين الْمُوآبِيّين والعمُّونيين. وتقول الصفحة الأولى من الإنجيل إن "راعوث" (Ruth) الموآبية كانت جدة الملك داود وواحدة من أسلاف الفادي والمخلِّص يسوع المسيح (متى 1:5-6).

4293 . |EJ|:216/13؛ |Midrash|:337/1. جُمِع المدراش (Genesis Rabbah) قبل الإسلام.

4294 . أما إبراهيم، فلم يقل "لا" لله حين أمره أن يخرج من بلاد ما بين النهرين (العراق). "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. [...]». فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ" (التكوين 12:1-4).

4295 . انظر المقارنات الكثيرة بين إبراهيم ولوط. مثلاً |JSB|:30-31، 37-39؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/149/1-150.

4296. Contrast “the two kinsmen, with Lot serving as a foil for his uncle [Abraham]” (|JSB|:30-31).

4297 . |آرثر|:87.

4298 . "واضح أن الابنتين خرجتا مع أبيهما من سدوم، لكن سدوم وشرورها لم تخرج منهما" (|كتابية|:58/7).

4299 . |معاصر|:32.

4300 . |معاصر|:77-78، 84. أضفنا أرقام الآيات التوراتية وبعض الكلمات التوضيحية بين قوسين [] أو ().

4301 . "وَكَانَ هَابِيلُ [الشهيد الطيب] رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، وَكَانَ قَايِينُ [القاتِل الشرير] عَامِلاً فِي الأَرْضِ (أي: فلاحاً)" (التكوين 2:4)!

4302 . راجِع قصةَ بناء برج بابل التي قدّمت أيضاً أهل المدينة بطريقة سيئة ومعادية لله: "فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. [...] فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ" (التكوين 11:5-8)!

4303 . وطبعاً هذا يرجع إلى المجتمع الذي كان يعيش فيه وكان بصفة عامة مجتمعاً ذكورياً يعتبر المرأةَ مخلوقاً أقل من الرجل، إلى درجة أنه كان من الممكن أن يبيع الأب ابْنَتَهُ أَمَةً! تقول التوراة: "وَإِذَا بَاعَ رَجُلٌ ابْنَتَهُ أَمَةً، [...]" (الخروج 7:21)!

4304 . راجِع موقف التراث اليهودي/المسيحي من "حواء" التي كانت سبباً في خطيئة "آدم" حسب التوراة!

4305 . "قرية" (بالعبرية: qir·yāh) قد تعني: مدينة (city) أو بلدة (town). وكذلك في القرآن العربي، قد تأتي كلمةُ "قرية" بمعنى مدينة أو مدينة زراعية. مثلاً: في قصة يوسف التي دارت أحداثُها في مصر الزراعية المتحضرة: "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا" (يوسف 82). وكذلك "قَالَتْ [ملكةُ سبأ] إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً" (النمل 34).

4306 . |قاموس-كتاب|:461. انظر أيضاً |قاموس-كتاب|:641-642؛ |كتابية|:362/4-364؛ |كتابية|:339/5.

4307 . |ملطي|:التكوين/191.

4308 . |قاموس-كتاب|:641.

4309 . لمزيد من الأمثلة، انظر المراجع اليهودية والمسيحية. مثلاً |EJ|:738/18؛ |آرثر|:88؛ |كتابية|:364/4.

4310 . ولذلك فإننا نندهش حين نسمع الخطاب الديني المعاصر وهو يتحدث عن قصة تدمير سدوم وعمورة **[← قصة هلاك قوم لوط]** يركز على المثلية الجنسية! بل أحياناً يتحدث عن المثلية الجنسية فقط!

4311 . ولذلك فإننا نندهش حين نرى رجال دين يرفضون المثلية الجنسية، بينما يقبلون الديكتاتورية التي تؤدي إلى أنواع كثيرة من الظلم بما فيها الظلم الاجتماعي والعنف (القتل) والكذب (البروباجاندا)، وقد تؤدي إلى خراب الدول كما رأينا في بعض الدول العربية في الفترة بين 2001 – 2025. الظلم يضر المجتمع أكثر بكثير من الممارسات الجنسية.

4312 . اقرأ أيضاً ما قاله المسيحُ لتلاميذه: "مَجَّانًا أَخَذْتُمْ (أي: تعلمتم مني)، مَجَّانًا أَعْطُوا [للآخرين]" (متى 8:10). **[← قال لوط القرآني لمعاصريه: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء 164). وهي في الواقع جملة كان محمدٌ يقولها لمعاصريه في الفترة المكية: "قُلْ [يا محمد] مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" (الفرقان 57) (ص 86). وهي مستوحاة من تعاليم المسيح لتلاميذه الرسل كما رأينا. أما في الفترة المدنية، أي: في الفترة التي انفصل فيها الإسلامُ عن المسيحية وصار ديناً عربياً خالصاً، فلجأ محمدٌ وأصحابه إلى العنف فقتلوا وأخذوا الغنائم (الأموال وغيرها)]!**.

4313 . فلماذا إذن صارت كلمة "لواط" (sodomy) مرادفة لنكاح الأدبار (anal sex) بين الرجال؟! "اللواط" الحقيقي هو نكاح العقول بالأساطير والبروباجاندا والكذب.

4314 . "كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ" (التكوين 9:6). "إِنَّمَا حَفِظَ [اللهُ] نُوحًا ثَامِنًا كَارِزًا (أي: داعياً؛ واعظاً) لِلْبِرِّ، إِذْ جَلَبَ [اللهُ] طُوفَانًا عَلَى عَالَمِ الْفُجَّارِ" (2 بطرس 5:2).

4315 . |فهد|:530. اقرأ أيضاً ما قاله القرآنُ في قصة موسى وفرعون: "وَحَاقَ (أي: أحاط) بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا (أي: صباحاً ومساء) [وَهُمْ في قبورهم؛ في عالم البرزخ بانتظار يوم البعث!] وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ" (غافر 45-46). ويُستدل بـ (غافر 46) على "عذاب القبر"! قال ابن كثير: "أرواحهم تُعرَض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يومُ القيامة اجتمعت أرواحُهم وأجسادهم في النار؛ [...]. وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور" (|كثير-شيخ|:193/12؛ |كثير-طيبة|:146/7)!

4316 . "أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ (أي: داخل حصون مرتفعة)" (النساء 78)!

4317 . هذه الآية (الحج 46) دليل قرآني (internal evidence) يثبت أن قصة هلاك سدوم وعمورة وغيرها كانت تُحكى بالألسنة وتُسمَع بالآذان وتُرى بالأعين. فكما نقول دائماً: لم يكن العرب محتاجين أن يقرأوا أي كتاب، فيكفيهم ما كانوا يرونه بأعينهم ويسمعونه بآذانهم من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط. فهذا يكفي – بل يكفي جداً – لإنتاج كتاب مثل القرآن.

4318 . "وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (الحج 47). تزعم ماكينة البروباجاندا الإسلامية أن هذا إعجاز علمي في القرآن! فيقول تفسير المنتخب الصادر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية: "يسبق القرآن بهذه الآية الكريمة رَكْب العلم بتقرير أن الزمن نسبي، وأن فكرة الزمن العالمي المُطلق الذي كان يسلم به الأقدمون قبل ظهور النسبية هي فكرة خاطئة" (|منتخب|:573). والحقيقة هي أن أصحاب القرآن قد أخذوا هذه الآية، بل نقلوها، من رسالة بطرس الثانية أيضاً: "أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ" (2 بطرس 3:8-9). صدفة؟!

4319 . كما يجاهد المتسابق (athlete) بكل قوة وهو يتحدى منافسيه حتى يهزمهم ويثبت عجزهم فيفوز وحده بالجائزة.

4320 . "وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا (strive against Our revelations) مُعَاجِزِينَ ((challenging (Us)) أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ" (سبأ 5). الترجمة الإنجليزية من |Pickthall|:562. انظر أيضاً ترجمة (الحج 51 (|Pickthall|:439).

4321 . |EJ|:13/216.

4322 . |GR-AQ|:266، 616.

4323 . |IVP-NT-ar|:1/209؛ |IVP-NT|:226.

4324. |EJ|:13\215.

4325. “In the Qurʾān the account of Lot becomes one element of a cycle of “punishment stories.”” (|GR-AQ|:793).

4326. “Among the qurʾānic stories of divine punishment [...], that of Lot (Lūṭ) and Sodom is second in terms of quantity to that of Noah and the flood” (|EQ|:3\231).

4327. “In each case the Qurʾān means to teach a lesson about divine punishment, not to describe the history of salvation. In this regard the Qurʾān is closer in spirit to 2 Peter 2, which alludes to the stories of Noah and Lot for the sake of moral exhortation, than it is to Old Testament narratives” (|GR-AQ|:263).

4328. Prof. Guillaume Dye: “L’ordre de présentation des prophètes relève des intentions homilétiques du (ou des) rédacteur(s) de la sourate, et non de considérations chronologiques. Ce phénomène n’a rien d’exceptionnel dans la littérature homilétique” (|QSC|:284).

4329. |QSC|:163. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4330 . قال بولس عن نفسه: "مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ. مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ (zeal) مُضْطَهِدُ الْكَنِيسَةِ (أي: كان يهودياً متطرفاً يضطهد المسيحيين الأوائل). مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ (أي: ملتزم لا يقدر أحدٌ أن يتهمه بالتقصير في الدين)" (فيلبي 3:5-6).

4331 . حاصر بولسُ المرأةَ في دور الزوجة والأم فقط (1 تيموثاوس 2:11-15)! وزعم في موضع آخر أن كلامه مِن "وَصَايَا الرَّبِّ" (1 كورنثوس 14:34-37)! فيرى بولس أن النساء يجب "أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحْبِبْنَ أَوْلاَدَهُنَّ، مُتَعَقِّلاَتٍ، عَفِيفَاتٍ، مُلاَزِمَاتٍ بُيُوتَهُنَّ، صَالِحَاتٍ، خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ، لِكَيْ لاَ يُجَدَّفَ عَلَى كَلِمَةِ اللهِ" (تيطس 2:4-5)!

4332 . عبارات مثل "تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ" (رومية 1:27) **[← "تَذَرُونَ (أي: تتركون) مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم" (الشعراء 166)]** قد تعني أنهم كانوا مزدوجي الميل الجنسي (bisexuals) وليسوا مثليين (gays).

4333 . |كثير-شيخ|:10/511؛ |كثير-طيبة|:6/278. انظر أيضاً |سعدى|:631.

4334 . سوف ندرس هذه الآية القرآنية المهمة (العنكبوت 40) بقدر أكبر من التفصيل في دراستنا لقصة موسى وفرعون.

4335 . راجِع ما قلناه عن علاقة المثلية الجنسية بالوثنية حسب التوراة (اللاويين 18:22-28) (اللاويين 20:13-23).

4336. “In our surviving records Jesus says nothing about same-sex acts or sexual orientation. Nothing. Nada.” *The Bart Ehrman Blog*, https://ehrmanblog.org/jesus-and-homosexuality/

4337 . |EQ|:232/3.

4338 . |يسوعية|:العهدالقديم/1414؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/56؛ |NETS|:705؛ |EOSB|:904.

4339 . |ملطى|:التكوين/198.

4340 . انظر التفاسير المسيحية، وبخاصة |نطرون|:التكوين/260؛ |آرثر|:1715؛ |مارمرقص|:العهدالجديد/2/201-202.

4341 . |GR-AQ|:841. لمزيد من التفاصيل عن امرأة نوح في التراث اليهودي-المسيحي، انظر |JAOS|:135/4/834-839. انظر أيضاً ما قلناه عن امرأة نوح في ثنايا دراستنا لقصة نوح القرآنية.

4342 . |Reynolds|:37؛ |ربيع|:100؛ |هامش|:5/10. "التلمود البابلى اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:293/42).

4343. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

4344 . |BT|:16/586-589؛ |EJ|:18/738.

4345 . فكرة مستوحاة من آيات كتابية أخرى ليس لها علاقة بسدوم! "أَرْضٌ يَخْرُجُ مِنْهَا الْخُبْزُ، [...]. حِجَارَتُهَا هِيَ مَوْضِعُ الْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ، وَفِيهَا تُرَابُ الذَّهَبِ" (أيوب 28:5-6).

4346 . فكرة مستوحاة من آيات كتابية أخرى ليس لها علاقة بسدوم! "إِلَى مَتَى تَهْجِمُونَ عَلَى الإِنْسَانِ؟ تَهْدِمُونَهُ كُلُّكُمْ كَحَائِطٍ مُنْقَضٍّ، كَجِدَارٍ وَاقِعٍ!" (المزامير 62:3).

4347 . الترجمة العربية (|نطرون|:التكوين/257-258). والترجمة الفرنسية من موقع https://livres-mystiques.com https://livres-mystiques.com/partieTEXTES/Chrisostome/genese/genes043.htm

4348 . |يسوعية|:العهدالقديم/92-93، 96.

4349. “What does Jesus say about people who engage in same-sex relations? Or about people who identify with as something other than heterosexual, who identify as gay, lesbian, bisexual, transsexual, queer, pansexual or any other “orientation”? Nothing. Absolutely nothing.” *The Bart Ehrman Blog*, https://ehrmanblog.org/jesus-and-homosexuality/

4350 . "على المسيحيين أن يدركوا أن للمثلية الجنسية أسباباً سيكولوجية، أو تربوية، أو اجتماعية أو وراثية" (|معاصر|:82).

4351. https://www.ohchr.org/Documents/Issues/Discrimination/Joint_LGBTI_Statement_ARA.PDF
https://www.ohchr.org/Documents/Issues/Discrimination/Joint_LGBTI_Statement_ENG.PDF

4352 . المراجع الإسلامية. كتب قصص الأنبياء: |كثير-هاشمى|:130-135؛ |كثير-بديوى|:170-177؛ |طبرى-قصص|:129-139؛ |عرائس|:73-83؛ |طيب|:106-109، 113-114؛ |عبدالحليم|:118-124، 132-133؛ |شعراوى-قصص|:92-98؛ |بهجت|:93-97، 111-118؛ |بكر|:70-74، 82-83، 88-90؛ |فضل|:53-57، 61-65؛ |نجار|:135-142؛ |رمضان|:2/104-117، 150-157؛ |بدوى|:1/110-114، 124-130. انظر أيضاً |مجلس|:489؛ |معجم-ألفاظ|:33-34 وتفاسير الآيات القرآنية فى كتب التفسير.

4353 . تُفسَّر عادةً بمعنى أن إسماعيل كان يصدق في وعده، وكان لا يخلف عهده، فلم يَعِد شيئاً إلا وفَّى به!

4354 . |قرطبى-مصر|:6/105-106؛ |ماوردى|:3/377.

4355 . |NKJV|:20 – أي إنساناً برياً أو فظاً أو خشناً أو غليظاً (|سبعينية|:التكوين/105). وفي ترجمات أخرى، تُترجَم "إِنْسَانًا وَحْشِيًّا" أحياناً إلى "a wild donkey of a man" (|NIV|:30)؛ "comme un âne sauvage" (|Segond|:14)؛ "Véritable âne sauvage, cet homme" (|TOB|:35)!

4356 . |قاموس-كتاب|:73-75. انظر أيضاً |NIV|:1826؛ |دراسي|:2827-2828؛ |أنطونيوس|:غلاطية؛ |ملطي|:غلاطية؛ |آرثر|:2037-2038؛ |تطبيقي|:2506-2507؛ |EJ|:81/10؛ |كتابية|:277/1.

4357 . وبذلك تكون هاجر – حسب هذه الأسطورة – هى أول مَن سعى بين الصفا والمروة. وهذا هو أساس السعي بين الصفا والمروة الذى يقوم به المسلمون فى الحج والعمرة كما كان العرب فى الجاهلية يقومون به: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ" (البقرة 158).

4358 . |كثير-هاشمي|:131؛ |كثير-بديوي|:172؛ |طبري-قصص|:131؛ |عرائس|:75.

4359. La légende du voyage d’Abraham à La Mecque “est plutôt une extension du récit biblique ; c’est un midrash musulman de Gn 21, 10-21” (|Wild|:17-18).

4360 . |NIV|:38؛ |دراسي|:59؛ |قاموس-كتاب|:150-151؛ |آرثر|:90-91؛ |تطبيقي|:58. انظر أيضاً الخرائط الموجودة فى هذه المراجع.

4361 . |طبري|:689/13-690؛ |قرطبي-مصر|:334/5-335؛ |خازن-بغوي|:484/3؛ |بحر|:420/5؛ |شعراوي|:579/1، 7576/12؛ |شحاته|:2517/7-2518؛ |سعدي|:427؛ |فهد|:260؛ |كثير-هاشمي|:132؛ |كثير-بديوي|:173؛ |طبري-قصص|:132-133؛ |عرائس|:75؛ |طيب|:107؛ |عبدالحليم|:120؛ |شعراوي-قصص|:93؛ |بهجت|:95-96؛ |بكر|:71؛ |فضل|:55؛ |بدوي|:126/1.

4362 . |قرطبي-مصر|:340/5؛ |كثير|:431/4؛ |كثير-شيخ|:226/8؛ |كثير-شاكر|:308/2؛ |كثير-صابوني|:301/2؛ |ج-البغا|:335؛ |ج-وطن|:260؛ |ج|:260؛ |خازن-بغوي|:486/3؛ |بيضاوي|:521/1؛ |كشاف-ع|:387/3؛ |كشاف-ش|:554؛ |نسفي|:176/2؛ |بحر|:422/5؛ |شحاته|:2520/7؛ |أشقر|:260؛ |صفوة|:100/2؛ |جزائري|:61/3.

4363 . مثل: |كثير|:431/4-432؛ |كثير-شيخ|:226/8-227؛ |كثير-شاكر|:308/2-309؛ |كثير-صابوني|:301/2-302؛ |كثير-شنقيطي|:979؛ |منتخب|:427؛ |نجار|:135؛ |رمضان|:150/2.

4364 . |طبري|:694/13؛ |خازن-بغوي|:487/3؛ |بحر|:422/5.

4365 . كما قلنا، وُلِد إسحاق وعُمْر إسماعيل 14 سنة. طَرْد هاجر وإسماعيل حدث بعد فِطَامِ إسحاق (التكوين 21:8). فإذا افترضنا أن إسحاق كان عُمْره حوالي عامين يوم فِطَامِه، يكون عُمْر إسماعيل حوالي 16 سنة.

4366 . |هامش|:68/10. انظر أيضاً |Targums|:99/1A.

4367 . |Kugel|:319.

4368 . راجِع ما قلناه عن النظريات التي تقول إن الإسلام نشأ في شرق نهر الأردن وليس في مكة. مثلاً: نظرية دان جيبسون.

4369 . لمزيد من التفاصيل عن نسل إسماعيل، انظر تفاسير (التكوين 25:12-18). مثلاً |مارمرقص|:العهدالقديم/189/1.

4370 . "جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ [...]" (المائدة 97).

4371 . |و|:114/9/1.

4372 . |خليل-جذور|:27-28. انظر أيضاً ما قاله الدكتور "جواد على" عن الكعبة (|مفصل|:429/6-448) وعن الحج والعمرة فى تاريخ العرب الجاهليين قبل الإسلام (|مفصل|:347/6-397). سوف نتحدث بالتفصيل فى فصل آخر عن الجذور الجاهلية للحج والعمرة.

4373 . |طبري|:522/2-524؛ |طبري-شاكر|:30/3-31؛ |قرطبي-مصر|:522/1-523؛ |كثير|:243/1-245؛ |كثير-شيخ|:60/2-63؛ |كثير-شاكر|:156/1؛ |كثير-صابوني|:117/1-118؛ |كثير-شنقيطي|:154؛ |ج-البغا|:24؛ |ج|:47-48؛ |عطية-مصر|:414/1؛ |خازن-بغوي|:140/1-141؛ |بيضاوي|:86/1؛ |كشاف-ع|:318/1-319؛ |كشاف-ش|:95؛ |نسفي|:128/1؛ |ماوردي|:186/1-187؛ |بحر|:552/1؛ |شعراوي|:577/1؛ |أشقر|:19؛ |بشير|:231/1؛ |جزائري|:113/1؛ |دميري|:146.

4374. Edmund Beck: “This suggests that an attempt at emendation of sura II, 125 was made. The words وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَ are unlikely to be original. If they are left out, we have the simple sentence: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا عَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ” (|IW2013|:267).

4375 . |معجم-ألفاظ|:324، 345؛ |IW2013|:268.

4376 . انظر تفاسير (البقرة 127). مثلاً |طبرى|:556/2-؛ |طبرى-شاكر|:64/3-.

4377 . |معجم-قراءات|:114/1؛ |خطيب|:193/1.

4378 . كما قال إبراهيمُ "رَّبَّنَا" في دعائه حسب القرآن المكي (إبراهيم 37، 38، 40، 41) وكان وحده هو المتكلم.

4379. Edmund Beck: “In that case the prayer in sura II would be secondary to that in sura XIV. In particular, the second introduction in sura II, 127 would be suspected of being a later insertion that perhaps does not go back to Muhammad himself at all” (|IW2013|:270). See also |IW2013|:275. For another opinion, see |Witztum|:161.

4380 . أثناء إعداد هذا الجدول، استفدنا كثيراً مِن |Witztum|:181.

4381 . وكذلك في مواضع أخرى من القرآن المكي، قَالَ إبراهيمُ لربّه: "اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ" (الشعراء 86)، وقَالَ إبراهيمُ لأبيه عابد الأصنام: "سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا" (مريم 47).

4382. Edmund Beck: “[B]y means of the introductory إلا, *Ibrāhīm*’s intercession for his father is described as being an error rather than an example to be followed. In sura XIV (*Ibrāhīm*) there is not the slightest trace of such a judgment of the prayer for an unbeliever” (|IW2013|:272).

4383 . اقرأ أيضاً: "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ [محمد] وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ (أي: إلا تحقيقاً لوعد من إبراهيم لأبيه رجاء إيمانه) فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ" (التوبة 113-114) (مدنية أيضاً)!

4384 . كما كان يوسفُ لطيفاً ورقيقاً مع إخوته الكبار الذين باعوه، فألقى اللومَ على الشيطان وليس عليهم: "نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي" (يوسف 100) (مكية أيضاً).

4385. “In [Nicolai] Sinai’s view Q 2:126 is aimed at the unbelieving Meccans [i.e. non-Muslim Meccan Arabs], whereas Q 2:124 targets the Jews” (|Witztum|:181).

4386 . (الأنعام 84) (يوسف 6، 38) (إبراهيم 39) (مريم 49) (الأنبياء 72) (العنكبوت 27) (الصافات 112، 113) (ص 45) ومرتان فى (هود 71).

4387 . (البقرة 133، 136، 140) (آل عمران 84) (النساء 163). انظر |معجم-ألفاظ|:347.

4388 . (الأنعام 86) (إبراهيم 39) (مريم 54) (الأنبياء 85) (ص 48). لا توجد إلا آية واحدة وحيدة فقط في القرآن المكي كله تخبرنا أن إسماعيل ابن إبراهيم: (إبراهيم 39)! ملحوظة: حسب الترتيب الزمني لسور القرآن – أو ما يسمى "ترتيب النزول" (انظر الملحق) – فإن سورة إبراهيم تأتي بعد سور ص ومريم والأنعام؛ بل تأتي بعدهم بكثير. هذا يجعلنا نتساءل: هل كان أصحاب القرآن يعرفون منذ بداية الإسلام أن إسماعيل ابن إبراهيم؟

4389 . (البقرة 125، 127، 133، 136، 140) (آل عمران 84) (النساء 163). انظر |معجم-ألفاظ|:33-34.

4390 . (الأنعام 84) (مريم 49) (الأنبياء 72) (العنكبوت 27). سؤال لكل مسلم: أليس غريباً أن تذكر هذه الآيات المكية أن الله وهب لإبراهيم إسحاق ويعقوب، ولا تذكر إسماعيل؟! هذا يجعلنا نكرر سؤالنا: هل كان أصحاب القرآن المكي يعرفون منذ بداية الإسلام أن إسماعيل ابن إبراهيم؟ بل هل كانوا يظنون أن يعقوب أخو إسحاق الأصغر؟ راجع ما قلناه عن (هود 71) (مكية أيضاً): "وَامْرَأَتُهُ (أي: سارة امرأةُ إبراهيم) قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ"!

4391 . "إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ" (يوسف 6)؛ "إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" (يوسف 38) (ص 45). بدون ذِكر إسماعيل! وفي نهاية قصة الذبيح (الصافات 113) (مكية أيضاً): "وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ (أي: على إبراهيم) وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ". بدون ذِكر إسماعيل!

4392 . (البقرة 133، 136، 140) (آل عمران 84) (النساء 163).

4393 . "إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ" (البقرة 125)؛ "إِبْرَاهِيمُ [...] وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127).

4394. “Several scholars have argued that originally Muhammad [in Mecca] was unaware that Ishmael was Abraham’s son; only in Medina did he learn this and adapt his references accordingly” (|Witztum|:79).

4395. also called: list of divine messengers.

4396 . لمزيد من التفاصيل، انظر |IW2013|:272-274، 277.

4397 . لمزيد من التفاصيل عن كيف تطورت شخصيةُ إبراهيم مِن القرآن المكي إلى القرآن المدني، انظر |نجار|:100-103. Rachid Benzine, "Le Coran expliqué aux jeunes", Paris : Éditions du Seuil. 2013, p. 162.

4398 . |برهان|:22/3؛ |MacCulloch|:258.

4399 . |منتخب|:34.

4400 . |NIV|:37، 208، 1416؛ |دراسى|:58، 337، 2176؛ |آرثر|:90، 1431؛ |تطبيقى|:293، 301، 313؛ |قاموس-كتاب|:667؛ |مسكين|:30؛ |بسيط-بعدالمسيح|:74-83. انظر أيضاً الخرائط الموجودة فى هذه المراجع.

4401 . |مجلس|:321-324.

4402 . |ملطى|:التثنية/626.

4403 . |مارمرقص|:العهدالقديم/189/1. انظر أيضاً |KHO|:48.

4404 . |قاموس-كتاب|:75.

4405 . |مارمرقص|:العهدالقديم/189/1.

4406 . سوف نناقش بالتفصيل كيف نشأت هذه الآيات التوراتية عند دراستنا لقصة يوسف.

4407 . |قاموس-كتاب|:615-616. انظر أيضاً |NIV|:1821؛ |دراسى|:2820؛ |أنطونيوس|:غلاطية؛ |ملطى|:غلاطية؛ |آرثر|:2028.

4408. “Gradually Ishmael became identified not only as the ancestor of the Ishmaelites but also of the Arabs, who were often named Ishmael in the Middle Ages” (|EJ|:10\82).

4409 . |قاموس-كتاب|:75.

4410 . المراجع الإسلامية. كتب قصص الأنبياء: |كثير-هاشمى|:136-140؛ |كثير-بديوى|:178-183؛ |طبرى-قصص|:139-150؛ |عرائس|:83-87؛ |طيب|:109-111؛ |عبدالحليم|:125-130؛ |شعراوى-قصص|:98-104؛ |بهجت|:97-98؛ |بكر|:77-82؛ |فضل|:58-60؛ |نجار|:133-135؛ |رمضان|:148/2-150؛ |بدوى|:115/1-117. انظر أيضاً تفاسير (الصافات 99-113) في كتب تفسير القرآن. والرأي السائد في هذه المراجع هو أن رؤيا الأنبياء وحي وحق!

4411 . |Witztum|:269.

4412 . |Witztum|:157، 172-173؛ |GR-AQ|:67-68؛ |Geiger|:102 والتفاسير التراثية القديمة لـ (البقرة 124).

4413 . |هامش|:150/4؛ |OTP|:819/1.

4414. |Kugel|:308; |Kugel|:325.

4415 . انظر التفاسير التراثية القديمة لـ (البقرة 124) مثل الطبري والقرطبي والجلالين. انظر أيضاً |GR-AQ|:67-68.

4416 . اقرأ أيضاً "أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (أي: تمم وأكمل ما أُمِرَ به)" (النجم 36-37).

4417 . المراجع المسيحية واليهودية: |NIV|:38-40؛ |دراسى|:59-61؛ |أنطونيوس|:التكوين؛ |ملطى|:التكوين/214-224؛ |نطرون|:التكوين/280-288؛ |آرثر|:91-92؛ |تطبيقى|:58-59؛ |JSB|:42-43؛ |Witztum|:154-187.

4418. “some [Jewish] interpreters concluded that the unspecified “these things” [Gen. 22:1] referred to all Abraham’s previous trials [i.e. tests] and tribulations” (|Kugel|:297).

4419 . تكرر الأمرُ الإلهي لإبراهيم "اذْهَبْ إِلَى" مرتين. المرة الأولى في الوعد الإلهي ببركة إبراهيم لجميع أمم الأرض (العهد الإبراهيمي) (التكوين 12:1-3) والمرة الثانية هنا في قصة الذبيح التوراتية، مما يدل على العلاقة القوية بين الموضعين. وفي كلا الموضعين، لم يحدد اللهُ لإبراهيم إلى أين يذهب بالضبط إلا لاحقاً.

4420. “in some [Syriac] manuscripts it becomes “Now *you* [Abraham] have shown.”” (|Kugel|:323).

4421 . لكن في آيات قرآنية أخرى تتعلق أيضاً بابتلاءات الله، نجد أن فاعل الفعل "عَلِمَ" هو الله. مثلاً: "أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (أي: يُبْتَلون). وَلَقَدْ فَتَنَّا (أي: امتحنا؛ اختبرنا) الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا

وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ" (العنكبوت 2-3)؛ "أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ" (آل عمران 142)؛ "أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ [...]" (التوبة 16).

4422 . "لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (التكوين 12:21)؛ "بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (رومية 7:9) (العبرانيين 18:11).

4423 . "لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ [الذي جاء من نسل إسحاق بن إبراهيم]" (غلاطية 14:3)؛ "وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ (أي: الوعد الإلهي بالبركة لجميع أمم الأرض) فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ: «وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ [الذي جاء من نسل إسحاق بن إبراهيم]" (غلاطية 16:3).

4424. “Abraham is ordered to sacrifice Isaac to prove his obedience to God (Sanh. 89b)” (|EJ|:18\72).

4425 . |RHCharles|:2/39-40؛ |OTP|:2/90-91. كُتِب كتابُ اليوبيلات في القرن الثاني قبل الميلاد. إذن: قبل الإسلام.

4426 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/131؛ |RHCharles|:1/483. "يشوع بن سيراخ" هو أحد "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha). كُتِب هذا الكتاب في القرن الثاني قبل الميلاد. إذن: قبل الإسلام.

4427 . |RHCharles|:2/682؛ |OTP|:2/561. كُتِب سفر المكابيين الرابع في فترة ما بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد؛ وقيل: القرن الثاني الميلادي. إذن: قبل الإسلام.

4428 . |OTP|:2/325، 345-346، 353. كُتِب كتاب فيلو المنحول في القرن الأول بعد الميلاد. إذن: قبل الإسلام.

4429 . |Midrash|:1/482-503. جُمِع كتاب (Genesis Rabbah) في القرن الخامس بعد الميلاد. إذن: قبل الإسلام.

4430 . |EJ|:1/287؛ |Kugel|:325.

4431 . كذلك كان يسوعُ المسيح ابن إبراهيم (إسحاق الحقيقي) مستسلماً تماماً لموته على الصليب "فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إشعياء 7:53)؛ "مِثْلَ شَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ، وَمِثْلَ خَرُوفٍ صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجُزُّهُ هكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (أعمال الرسل 32:8)؛ "وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فيلبي 8:2).

4432 . |OTP|:2/552-553، 558، 561؛ |RHCharles|:2/674، 679، 682؛ |Kugel|:304، 322.

4433 . وفي موضع آخر، اعتبر القرآنُ الجهادَ في سبيل الله امتحاناً، واستخدم نفس كلمة "الصَّابِرِينَ" التي وضعها على لسان الذبيح! "أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ" (آل عمران 142).

4434 . لمزيد من التفاصيل حول علاقة الآباء بالأبناء في القرآن، انظر |QSC|:166.

4435. “Understanding Isaac to have been 25, 26, or 37 certainly supported the notion that he was a willing participant [in his own sacrifice]; indeed, his heroism was held up as a model for Jewish martyrs during the Roman occupation of Palestine” (|Kugel|:320).

4436 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

4437 . |Midrash|:1/493-494؛ |GR-AQ|:682.

4438 . |OTP|:2/299؛ |EJ|:14/533.

4439 . |OTP|:2/325.

4440 . |Kugel|:304؛ |OTP|:2/345.

4441 . |Kugel|:305؛ |OTP|:2/345. لمزيد من التحليل اللغوي الذي ربما أدى إلى نشأة هذه الفكرة، انظر |Kugel|:323.

4442 . |OTP|:2/353.

4443 . |Josephus|:50. انظر أيضاً |Kugel|:305؛ |Witztum|:166.

4444 . **[← وفي القرآن المدني، صار إسماعيلُ (أبو العرب) هو الذي يساعد أباه إبراهيمَ في بناء الكعبة في مكة! "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" (البقرة 127)]**. نفس مشهد البناء (construction scene) لكنه تطور تطوراً بشرياً طبيعياً: إبراهيم أبو اليهود والمسيحيين (إشعياء 2:51) (رومية 12:4) **[← إبراهيم أبو المسلمين (الحج**

78)]؛ ابنه إسحاق (أبو إسرائيل) **[← ابنه إسماعيل (أبو العرب)]**؛ المذبح (وصار فيما بعد: الهيكل المقدس بيت الرب) **[← الكعبة بيت الله الحرام]**؛ أورشليم في كنعان **[← مكة في الحجاز]**؛ جبل الْمُرِيَّا **[← جبل المروة]**. إذن: نَقْل للتاريخ، ونَقْل للجغرافيا!

4445. "[T]he Aramaic *Targum Neofiti* […] is of Palestinian provenance […] and was written well before the rise of Islam (ca. 1st century AD). M. McNamara argues for a date of the fourth century AD" (|Reynolds|:38).

4446 . |هامش|:84-82/10؛ |Targums|:A1/116-118؛ |Kugel|:322. انظر أيضاً |Kugel|:298-299.

4447 . أما كتاب اليوبيلات فيرى أن قصة الذبيح كانت المحنة التاسعة. ثم موت سارة زوجة إبراهيم ودفنها هو المحنة العاشرة: "وكانت تلك المحنةَ العاشرة التي بها امتُحن إبراهيم فوُجد أميناً (faithful) وثابت الروح (patient in spirit) **[← "مِنَ الصَّابِرِينَ (أي: الثابتين)" (الصافات 102)]**" (اليوبيلات 8:19) (انظر |هامش|:117/5، 112؛ |Kugel|:308، 325).

4448. See also Genesis Rabbah 56.4: "At all events, GOD WILL PROVIDE HIMSELF THE LAMB, O my son; and if not, THOU ART FOR A BURNT-OFFERING, MY SON" (|Midrash|:1\494).

4449 . نشأت هذه الفكرة من خلال تحريف للآية التوراتية "اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي" (التكوين 8:22). فإذا قسمناها إلى جملتين منفصلتين ستصبح "اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ." "لِلْمُحْرَقَةِ [أنتَ] يَا ابْنِي". لمزيد من التفاصيل، انظر |Kugel|:324.

4450 . راجع ما قلناه عن الأسطورة اليهودية القديمة التي تقول إن إبراهيم هو مَن وضع أساس الهيكل المقدس (Holy Temple) في أورشليم (اليوبيلات 22:23-24) وعلاقة هذه الأسطورة بقصة الذبيح التوراتية (التكوين 22).

4451 . "لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (التكوين 12:21)؛ "بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (رومية 7:9) (العبرانيين 18:11).

4452. "whereas Genesis [22] has God promise to favor all of Abraham's descendants, the Qurʾān insists (end of [البقرة 124]) that this favor is only for the just" (|GR-AQ|:68). See also |Witztum|:180-181.

4453 . |هامش|:40/13-41؛ |Targums|:51/2-53. "ارتبطت العقادة بالفصح في التقليد القديم" (|هامش|:82/10).

4454. "The Israelite Samaritan tradition considers each sheep offered at Passover as a reminder of the ram that replaced Yesaahq. When they put the sheep down into the oven they say, "The sacrifice is to the son who sacrificed" […] This refers to "Yesaahq."" (|Samaritan|:47-48).

4455. "*ḥagog*, to celebrate, or possibly [...] *ḥug*, to go round. It is related to the Arabic *ḥajja* which means to go on a pilgrimage from which comes *ḥajj*, the pilgrimage to Mecca" (|EJ|:6\765).

4456 . انظر تفسير الطبرى الذى يؤيد أن الذبيح هو إسحاق (|طبرى|:576/19-608؛ |طبرى|:16/13)، وفى المقابل تفسير ابن كثير الذى يؤيد أن الذبيح هو إسماعيل (|كثير|:22/7-31؛ |كثير-شيخ|:36/12-52)! انظر أيضاً |درمنثور|:99/8؛ |سخاوى|:388/1. ملحوظة: عاش ابن كثير تلميذ ابن تيمية فى القرن الرابع عشر الميلادى، أى بعد فترة حروب الفرنجة (التى تُسمَّى: الحروب الصليبية) التى بالتأكيد أثَّرت عليه وجعلته منحازاً للمسلمين العرب (أولاد إسماعيل) ومتعصباً ضد المسيحيين الفرنجة (أولاد إسحاق).

4457 . |ج-البغا|:593؛ |ج-وطن|:450؛ |ج|:450. انظر أيضاً |GR-AQ|:681.

4458 . |مشتركة|:العهدالقديم/24؛ |مبسطة|:21؛ |عبرى|:31. والآية (التكوين 34:21) فيها مفارقة تاريخية (anachronism)، لأن الفِلِسْطِيِّينَ غزوا أرضَ كنعان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أي: بعد إبراهيم بمئات السنين! وفي جميع الأحوال، لا يوجد أي دليل علمي يثبت وجود أية علاقة تاريخية بين الفِلِسْطِيِّينَ القدماء والْفِلِسْطِينِيِّينَ الحاليين. ونحن نقول ذلك رداً على البروباجاندا العربية-الإسلامية التي تستدل بهذه الآية التوراتية لتأييد مطالب الْفِلِسْطِينِيِّينَ الحاليين بأرض كنعان (إسرائيل)!

4459. "**Philistines** a group from the **Sea Peoples**, who invaded and settled on the coastal region of Canaan. They had been repulsed from an invasion of Egypt (ca. 1190 BCE). The five major Philistine cities (the **Pentapolis**) were Ashdod, Ashkelon, Ekron, Gath, and Gaza" (|JSB|:2254). "**Sea Peoples** remnants of the Mycenean or Aegean

civilizations, which collapsed towards the end of the second millennium BCE. Some of these people sailed eastward on the Mediterranean and attacked those living along the **littoral** [i.e. the region lying along the shore of the sea]; they were repulsed from Egypt (ca. 1190 [BCE]) and settled along the coast of Canaan at about the same time the Israelites were entering the land from the other direction” (|JSB|:2256).

4460 . |أشقر|:449-450.

4461 . |ج-البغا|:593؛ |ج-وطن|:450؛ |ج|:450. انظر أيضاً |GR-AQ|:681.

4462 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

4463 . "كَانَ أَبْرَامُ (أي: إبراهيم) ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ" (التكوين 16:16).

4464 . |طبرى|:577/19-578؛ |ب|:449؛ |قرطبى-مصر|:87/8؛ |ج-البغا|:592؛ |ج-وطن|:449؛ |ج|:449؛ |خازن-بغوى|:242/5؛ |سخاوى|:201/2-203؛ |بحر|:357/7؛ |شحاته|:4598/12-4599؛ |ضيف|:745؛ |سعدى|:706؛ |صفوة|:39/3؛ |جزائرى|:419/4؛ |طبرى-قصص|:144-145؛ |عرائس|:85؛ |طيب|:105؛ |بهجت|:93؛ |فضل|:47.

4465. “in both Genesis 15 and in the Qurʾān (cf. البقرة 258) Abraham has already demonstrated his faith and seeks merely a confirmation of that which God has told to him” (|GR-AQ|:102).

4466 . نذكرها هنا بإيجاز. لمزيد مِن التفاصيل، يمكن الرجوع إلى تفاسير سفر التكوين و |بسيط-بعدالمسيح|:17-28.

4467 . |يسوعية|:العهدالجديد/381. واستخدم الإنجيلُ نفس الكلمة اليونانية (paidos) لوصف داود "دَاوُدَ فَتَاهُ/عَبدِه" (لوقا 69:1) وأيضاً لوصف إسرائيل "إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ/عَبدَه" (لوقا 54:1). مما يؤكد أن يسوع إنسان مخلوق عبد الله مثلهما.

4468 . تُسمَّى هذه الأيام الثلاثة في التراث الإسلامي: يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر (أي: يوم الذبح)، وَهُمْ الثامن والتاسع والعاشر مِن شهر ذي الحجة (|قرطبى-مصر|:88/8-89؛ |خازن-بغوى|:245/5؛ |بيضاوى|:298/2؛ |نسفى|:131/3؛ |سخاوى|:202/2؛ |شحاته|:4600/12؛ |جزائرى|:419/4).

4469 . |Kugel|:325.

4470 . الترجمة العربية (|ملطى|:التكوين/220). الترجمة الإنجليزية (|Kugel|:306-307).

4471 . |المسيح|:423.

4472 . |ملطى|:التكوين/222. انظر أيضاً المراجع المسيحية التى ذكرناها و |NIV|:1911؛ |دراسى|:2964؛ |أنطونيوس|:العبرانيين؛ |ملطى|:العبرانيين؛ |نطرون|:العبرانيين/653-659؛ |آرثر|:2195؛ |تطبيقى|:2664؛ |EJ|:34/10؛ |تساؤلات|:60/1. وانظر مقارنة بين إسحاق (ابن إبراهيم) ويسوع المسيح (ابن الله) في |أنطونيوس|:التكوين.

4473. |NPNF-2|:13\239; |NPNF-2|:13\268; |Kugel|:325 (|Prose|:169).

4474 . دخل يسوعُ المسيح إلى الدنيا بطريقة فريدة (ميلاد عذراوي) وعاش بطريقة فريدة (بلا خطيئة) وترك العالمَ الأرضي بطريقة فريدة (انتصر على الموت فقام قيامةً لا موت بعدها). فمع أننا جميعاً أبناء الله، إلا أن يسوع المسيح هو بالفعل "ابن الله الوحيد"، أي: الوحيد من نوعه، أو: الفريد. نحن نحتاج الخلاص، أما يسوع المسيح فهو الذي وهبنا هذا الخلاص.

4475. Abraham’s offering up of Isaac foreshadowed crucifixion: “Here the phrase “did not spare” seems to be a deliberate evocation of the same phrase in Gen. 22:12 and 16” (|Kugel|:306).

4476 . |يسوعية|:العهدالجديد/381. واستخدم الإنجيلُ نفس الكلمة اليونانية (paidos) لوصف داود "دَاوُدَ فَتَاهُ/عَبدِه" (لوقا 69:1) وأيضاً لوصف إسرائيل "إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ/عَبدَه" (لوقا 54:1). مما يؤكد أن يسوع إنسان مخلوق عبد الله مثلهما.

4477 . "إذا مات" يسوع المسيح "، لا يموت عن خطية له، إذ هو بلا خطية. بل يموت عن خطايا الغير" (|قانون|:55).

4478 . انظر مثلاً: |بهجت|:383؛ |بدوى|:530/1.

4479 . لمزيد مِن المعلومات عن الخرافات فى هذا الكتاب الذى يحمل اسم "إنجيل برنابا"، يمكن الرجوع إلى المراجع الثلاثة الآتية: (1) البابا شنوده الثالث، "خرافة إنجيل برنابا"، الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية الكبرى بالعباسية، الطبعة الثالثة،

أكتوبر 2012. (2) القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، "إنجيل برنابا هل هو إنجيل صحيح؟ (دراسة تحليلية لهذا الكتاب)"، مطبعة بيت مدارس الأحد، الطبعة الثالثة، 2004. (3) القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، "خمسون دليلاً على أن إنجيل برنابا خرافي ومزيف"، مطبعة بيت مدارس الأحد، الطبعة الثانية، 2004. واستمع أيضاً إلى ردود الأب بولس باسيلي على الشيخ الشعرواى، والتي تضمنت التعليق على ما جاء في "إنجيل برنابا":
http://www.answersaboutfaith.com/arabic/derasat/rodoud_3alal_sha3rawy/rodoud_3alal_sha3rawy.html

4480 . "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (يوسف 4).

4481 . |كتابية|:419/4.

4482 . |قاموس-كتاب|:481.

4483 . |معاصر|:1086.

4484 . |ملطى|:التكوين/371.

4485 . |JSB|:576.

4486 . "فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ (أي: الشَّمْسَ لِتُضِيءَ نَهَاراً)، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ (أي: وَالْقَمَرَ لِيُنِيرَ لَيْلاً)" (التكوين 1:16).

4487 . |ملطى|:المزامير 101-110 / 109. انظر أيضاً |Kugel|:79؛ |Katsh|:133.

4488. “The sacrifice of Jephthah’s daughter as fulfillment of a vow seems to be an eastern Mediterranean cultural topos. Note Agamemnon’s sacrifice of Iphigenia so that the Achaean ships could set sail against Troy” (|Carta|:69).

4489. “One might also note the warning against killing children in the early Christian text known as the *Didache*” (|GR-AQ|:243).

4490 . **[← وقال القرآنُ أيضاً إن قَتْل الأبناء (infanticide) كان عادة وثنية: "وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ" (الأنعام 137) "قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ" (الأنعام 140). كما نهى القرآنُ بشدة عن فِعْل هذه العادة الوثنية مهما كانت الأسباب أو الدوافع: "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ (أي: بسبب الفقر) ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ" (الأنعام 151) "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ (أي: خوفاً من الفقر) ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا" (الإسراء 31) "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم (أي: واحدٌ من الكفار) بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" (النحل 58-59) "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ" (التكوير 8-9)].**

4491 . أما الأفضل مِن الذبائح والمُحْرَقَات فإنه فِعْل العدل والحق والرحمة والمحبة **[← التقوى]**. "فِعْلُ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ الرَّبِّ مِنَ الذَّبِيحَةِ" (الأمثال 21:3). "بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلهِ الْعَلِيِّ؟ هَلْ أَتَقَدَّمُ بِمُحْرَقَاتٍ، بِعُجُول أَبْنَاءِ سَنَةٍ؟ هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ الْكِبَاشِ، بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ؟ هَلْ أُعْطِي بِكْرِي عَنْ مَعْصِيَتِي، ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي؟ قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ" (ميخا 6:6-8) **[← "لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا (أي: لحومُ الذبائح) وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ" (الحج 37). وفي تأسيس عيد المائدة، "قَالَ [المسيحُ] عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لتلاميذه] اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (المائدة 112)].**

4492 . |IVP-OT|:52؛ |IVP-OT-ar|:66/1. اقرأ أيضاً (التكوين 25:5-6).

4493 . |قرطبى-مصر|:98/8.

4494 . |طبرى|:587/19-600.

4495 . (البقرة 124، 125 مرتان، 126-127، 130، 132-133، 135-136، 140، 258 ثلاث مرات، 260) (آل عمران 33، 65، 67-68، 84، 95، 97) (النساء 54، 125 مرتان، 163) (الأنعام 74-75، 83، 161) (التوبة 70، 114 مرتان) (هود 69، 74، 75، 76) (يوسف 6، 38) (إبراهيم 35) (الحجر 51) (النحل 120، 123) (مريم 41، 46، 58) (الأنبياء 51، 60، 62، 69) (الحج 26، 43، 78) (الشعراء 69) (العنكبوت 16، 31) (الأحزاب 7) (الصافات 83، 104، 109) (ص 45) (الشورى 13) (الزخرف 26) (الذاريات 24) (النجم 37) (الحديد 26) (الممتحنة 4 مرتان) (الأعلى 19).

4496 . |مسكين|:19؛ |NIV|؛ |دراسى|.

4497 . |رمضان|:93/2، 101.

4498 . |Segond|:294.

4499 . |شعراوى|:11118/18. انظر أيضاً التفاسير التراثية القديمة مثل الطبري والقرطبي.

4500. William G. Dever, "What did the biblical writers know, and when did they know it? : what archaeology can tell us about the reality of ancient Israel", Eerdmans Publishing Company, 2001, p. 98. See also |EJ|:10\33.

4501 . الفصل الأول |BibleUn|:27-47 والملحق الأول |BibleUn|:319-325.

4502 . "التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها"، ترجمة وتعليق: سعد رستم. دمشق: دار صفحات. الطبعة الخامسة، 2017.

4503 . د. طه حسين، "فى الشعر الجاهلي"، طبعة 1926، ص 26-29. النص الأصلي الذي صودر عند نشره أول مرة.

4504 . نحن نرتب السور في هذا الجدول حسب ترتيب المصحف الحالي. أما لترتيب آيات قصص العقاب الإلهي (Punishment Stories) ترتيباً زمنياً وتقسيمها إلى ثلاث مراحل: مكية مبكرة (Early Meccan)؛ مكية متوسطة ومتأخرة (Middle and Late Meccan)؛ مدنية (Medinan)، فانظر |EQ|:318/4-322.

4505 . |كثير-هاشمى|:53-80؛ |كثير-بديوى|:77-112؛ |طبرى-قصص|:80-95؛ |شعراوى-قصص|:35-57؛ |بهجت|:50-63؛ |نجار|:49-71؛ |بكر|:42-48؛ |فضل|:16-22؛ |بدوى|:45/1-63.

4506 . |كثير-هاشمى|:81-96؛ |كثير-بديوى|:113-129؛ |طبرى-قصص|:97-106؛ |شعراوى-قصص|:58-69؛ |بهجت|:64-70؛ |نجار|:72-81؛ |بكر|:49-51؛ |فضل|:23-27؛ |بدوى|:67/1-79.

4507 . |كثير-هاشمى|:97-110؛ |كثير-بديوى|:130-145؛ |طبرى-قصص|:106-111؛ |شعراوى-قصص|:70-77؛ |بهجت|:71-77؛ |نجار|:82-95؛ |بكر|:52-56؛ |فضل|:28-33؛ |بدوى|:81/1-94.

4508 . |كثير-هاشمى|:164-175؛ |كثير-بديوى|:213-225؛ |طبرى-قصص|:164-176؛ |شعراوى-قصص|:105-112؛ |بهجت|:104-110؛ |نجار|:145-149؛ |بكر|:84-87؛ |فضل|:66-71؛ |بدوى|:120/1-123.

4509 . |كثير-هاشمى|:176-187؛ |كثير-بديوى|:226-238؛ |طبرى-قصص|:192-194؛ |شعراوى-قصص|:120-131؛ |بهجت|:161-168؛ |نجار|:183-187؛ |بكر|:148-156؛ |فضل|:117-120؛ |بدوى|:201/1-210.

4510 . مثل قصة موسى وفرعون (قصة خروج بني إسرائيل من مصر)، لكن ليس كل القصة وإنما فقط حتى وقوع العقاب الإلهي وهو غرق فرعون وكل جنوده أجمعين! ولن ندرسها الآن؛ وإنما سوف ندرسها في وقتٍ لاحق بالتفصيل لأنها أطول - وربما أهم - قصة في القرآن.

[4511] . |شعراوى-قصص|:65-67. See also |Neuwirth|:279. Rachid Benzine, "Le Coran expliqué aux jeunes", Paris : Éditions du Seuil. 2013, p. 143.

4512 . |ج|:344؛ |منتخب|:588؛ |ميسر|:286؛ |ضيف|:566؛ |فهد|:344.

4513 . انظر تفسير الطبري (|طبرى|).

4514 . اقرأ ما قاله ابنُ كثير |كثير|؛ |كثير-شاكر|:546/2؛ |كثير-هاشمى|:85؛ |كثير-بديوى|:117.

4515 . |قرطبى|:38/15؛ |قرطبى-مصر|:429/6.

4516 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

4517 . |معجم-ألفاظ|:739.

4518 . |معجم-ألفاظ|:493.

4519 . |ماوردى|:282/5. انظر أيضاً |عامري-أ|:495.

4520 . وحسب هذا التفسير غير السائد، فإن ترجمة "أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ" (الأحقاف 21) هي "he warned his people about the winding Sand-tracts" (|AYA|:1309).

4521 . |منتخب|:898.

4522 . |عامري-أ|:499-501. انظر أيضاً |طبرى|:150/21-153.

4523 . |منتخب|:255.

4524 . |منتخب|:898، 255؛ |مفصل|:304/1-306.

4525. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

4526 . أو أن "قوم هود يفعلون ما فعله ابن نوح، ويحاولون الهرب إلى الجبال من أمر الله وعذابه، وهذا هو العبث الذي لا فائدة منه". ولذلك "جاء إهلاك قوم هود بظاهرة طبيعية هي الريح التي يكون تأثيرها في المناطق المرتفعة أكثر بكثير منه في المناطق المنخفضة، بعكس الطوفان الذي يكون تأثيره على المناطق المنخفضة أكبر" (|شحرور|:65/2-66).

4527 . مستوحاة من "هَلْ يُوجَدُ فِي أَبَاطِيلِ الأُمَمِ (أي: الأوثان) مَنْ يُمْطِرُ، أَوْ هَلْ تُعْطِي السَّمَاوَاتُ وَابِلاً؟ أَمَا أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ إِلهُنَا؟ فَنَرْجُوكَ، لأَنَّكَ أَنْتَ صَنَعْتَ كُلَّ هذِهِ" (إرميا 14:22).

4528 . وكما زعم أصحابُ القرآن أن هود قال لقومه: "إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ [...] ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (هود 56)، زعموا أيضاً أن المسيح عيسى ابن مريم قال لقومه: "إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" (آل عمران 51)، "وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" (مريم 36)، "إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" (الزخرف 64)!

4529 . استدل فريقٌ من المفسرين المسلمين بهذه الآية وأمثالها على جواز لعنة الذين ماتوا على الكفر! "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (البقرة 161) "كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ [...]. أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" (آل عمران 86-87)!

4530 . هل يوجد دليل علمي - أو حتى دليل كتابي - يثبت أن مفهوم "البعث" (المؤمنون 35، 37) أو "لِقَاءِ الْآخِرَةِ" (المؤمنون 33) كان معروفاً في زمان ومكان هود؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإنها إذن مفارقة تاريخية (anachronism) لأنها مفاهيم لا تنتمي إلى زمان هود، وإنما تنتمي إلى زمان محمد الذي أراد أن ينشر في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي الإيمانَ بالبعث والحساب والجزاء في الآخرة. مفارقة تاريخية تؤكد 100% أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

4531 . هل يوجد دليل علمي - أو حتى دليل كتابي - يثبت أن مفهوم "القيامة" (الحاقة 4) كان معروفاً في زمان ومكان هود؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإنها إذن مفارقة تاريخية (anachronism) لأنه مفهوم لا ينتمي إلى زمان هود، وإنما ينتمي إلى زمان أصحاب القرآن الذين أرادوا أن ينشروا في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي الإيمانَ بالقيامة. مفارقة تاريخية تؤكد 100% أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

4532 . |معجم-ألفاظ|:410.

4533 . |معجم-ألفاظ|:160.

4534 . (البخارى 3197-3201؛ |خ|:1236/3-1237) (مسلم 2980-2981؛ |م|:2285/4-2286).

4535 . |منتخب|:441. انظر أيضاً |منتخب|:257؛ |نجار|:82؛ |بدوى|:82/1؛ |مفصل|:324/1.

4536 . |شعراوى-قصص|:71-72.

4537 . "أطلس القرآن" للدكتور شوقي أبو خليل. دمشق: دار الفكر؛ بيروت: دار الفكر المعاصر. الطبعة السابعة عشرة، 2015. ص 26. وانظر الخريطة ص 24 التي توضح موقع مدائن صالح (الحِجْر) شمال شرقي "العُلا".

4538 . "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل"، تأليف وتصميم: سامي المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية عشرة (الطبعة الذهبية)، 2014، ص 124. وانظر الخريطة ص 127 التي توضح موقع الحِجْر (مدائن صالح) شمال شرقي "العُلا".

4539 . |شحرور|:73/2. انظر أيضاً |شحرور|:77/2.

4540 . "قال أبو زيد: الصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد" (|و-قرآن|:753). وقال د. محمد شحرور: "والصاعقة صاعقتان: صاعقة مُحرقة يولّدها البرق، وصاعقة رعدية" (|شحرور|:80/2). ويقول القرآن في موضع آخر: "هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا (أي: فتخافون أن تنزل عليكم منه الصواعق المحرقة) وَطَمَعًا (أي: وتطمعون أن ينزل معه المطر) وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ" (الرعد 12-13). وكل هذه الأفكار الإسلامية مستوحاة من التراث اليهودي-المسيحي ومن تراث الشرق الأوسط القديم بصفة عامة: "أَرْعَدَ الرَّبُّ مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَالْعَلِيُّ أَعْطَى صَوْتَهُ، بَرَدًا وَجَمْرَ نَارٍ. أَرْسَلَ سِهَامَهُ فَشَتَّتَهُمْ، وَبُرُوقًا كَثِيرَةً فَأَزْعَجَهُمْ" (المزامير 18:13-14). ولمَّا أعطى اللهُ "الوصايا العشر" (The Ten Commandments) إلى شعبِ إسرائيل: "تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ

هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلًا: «[...]». وَكَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ يَرَوْنَ الرُّعُودَ وَالْبُرُوقَ وَصَوْتَ الْبُوقِ، وَالْجَبَلَ يُدَخِّنُ" (الخروج 20:1-18).

4541. |شحرور|:2\80. “These are not necessarily contradictory, but instead are different aspects of *the overwhelming* ([الطَّاغِيَةِ]) that is said to befall them in [الحاقة 5]” (|Nasr|:1278).

4542. “The presence of two rival motifs in a single source, […], is not a rarity in ancient [Jewish] literature. It usually comes about because the ancient author in question was aware of two different traditions both of which were deemed authoritative [to account for the same phenomenon]. Rather than choosing between them, the ancient author simply incorporates both in his retelling” (|Kugel|:423).

4543. “It is interesting to note that these [different] forms of destruction correlate with the *saj*ʿ rhyme of the different passages in which the story is placed” (|EQ|:5\253).

4544. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

4545 . إذا كان شخصاً واحداً "صَاحِبَهُمْ" (القمر 29) أو مجموعة قليلة من "أَشْقَاهَا (أي: أكثرُ القبيلة شقاوةً)" (الشمس 12) هُمْ الذين ذبحوا "نـاقةَ الله"، فلماذا يعاقب اللهُ القبيلةَ كلها؟! عقاب جماعي (collective punishment)؟! وإذا قلتم إن الله عاقبهم بسبب كفرهم، فسنقول: أليس الله هو الذي أعطاهم حريةَ الإرادة في اختيار الإيمان أو الكفر؟! فيكفيهم عقاب الآخرة. فلماذا عقاب الدنيا بكل هذه القسوة؟!

4546. “it should be noted that the version in [النمل 45-53] differs almost completely from that given in the other passages, excluding details such as the she-camel, or a description of the type of event that caused the destruction of their houses” (|EQ|:4\522).

4547. Prof. Guillaume Dye: “Deux partis s’opposent autour de Ṣāliḥ et du dieu qu’il proclame. Le conflit autour de la chamelle (animal nomade par excellence) et de son droit à paître suggère fortement que l’origine de cette légende doit être cherchée dans une rivalité entre nomades et sédentaires” (|QSC|:159). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4548 . "وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (آل عمران 54)! "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (الأنفال 30)! "وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ" (إبراهيم 46)! "إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ" (يونس 21)! "فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا" (الرعد 42)! "أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ" (الأعراف 99)! "إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا. وَأَكِيدُ كَيْدًا. فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا" (الطارق 15-17)!

4549 . إذا كان 9 رجال فقط (النمل 48) هُمْ الذين تآمروا على اغتيال صالح وأهله (النمل 49)، فلماذا يعاقب اللهُ "قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ" (النمل 51)؟! عقاب جماعي (collective punishment)؟! وإذا قلتم إن الله عاقبهم بسبب كفرهم، فسنقول: أليس الله هو الذي أعطاهم حريةَ الإرادة في اختيار الإيمان أو الكفر؟! فيكفيهم عقاب الآخرة. فلماذا عقاب الدنيا بكل هذه القسوة؟!

4550 . |معجم-ألفاظ|:383.

4551 . |معجم-ألفاظ|:109.

4552 . |منتخب|:374؛ |كثير-هاشمي|:177؛ |كثير-بديوى|:227؛ |بدوى|:202/1.

4553. “Depending upon the contrasting and unclear qurʾānic passages stating that [Shuʿayb] was sent to Madyan and to al-Ayka, some [Islamic] exegetical reports maintain that Shuʿayb was sent to two different peoples” (|EQ|:4\606).

4554. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however,

to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]" (|EQ|:1\477).

4555 . أو كما يُقال اليوم: لا تنتهكوا حقوق الإنسان.

4556 . فإذا كانت "لْأَيْكَة" (الشعراء 176) = "الْأَيْكَة" كما تزعمون، فمن حقنا أن نسأل السؤال التالي: أولم يكن الشجر الكثير الملتف في "الْأَيْكَةِ" كافياً ليحميهم من حرارة الشمس في ذلك اليوم؟!

4557 . قيل إن "لفظ الرجم، الذي وردت مشتقاته في أربعة عشر موضعاً من التنزيل الحكيم ليس من بينها موضع واحد يدلّ على الرمي بالحجارة، ولا يخرج منها موضع واحد عن معنى الطرد القسري والإخراج عُنوة" (|شحرور|:87/2).

4558 . هل يوجد أي دليل علمي - أو حتى دليل كتابي - يثبت أن مفهوم "الْيَوْم الْآخِر" (العنكبوت 36) كان معروفاً في زمان ومكان شعيب القريب من زمان ومكان لوط (هود 89)؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإنها إذن مفارقة تاريخية (anachronism) لأنها لا تنتمي إلى زمان شعيب، وإنما تنتمي إلى زمان أصحاب القرآن الذين أرادوا أن ينشروا في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي الإيمانَ بالْيَوْم الْآخِر. مفارقة تاريخية تؤكد 100% أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

4559 . انظر |Conrad|:39/24.

4560 . استغلتْ المراجع الإسلامية أن التوراة لم تذكر أسماء أبناء "عَوْص" (Uz)، فألصقتْ عاداً به وزعمت أن عاد بن عَوْص!

4561. "When Muslim scholars came to link up traditional Arab genealogies with those of the Bible, they identified Iram with Aram the son of Shem (Genesis, x, 22 f.; I Chronicles, i, 17), and made various ancient peoples of Arabia descendants of Iram" (|EI-2|:3\1270).

4562 . لمزيد من المعلومات عن إرَم، انظر التفاسير التراثية مثل تفسير الطبري وتفسير القرطبي (|قرطبى|:63/20؛ |قرطبى-مصر|:102/9). انظر أيضاً |EI-2|:1270/3؛ |EQ|:22/1، 559/2؛ |Nasr|:576، 1297، 1510؛ |AYA|:362.

4563 . |إتقان|:439/1. وفي المعجم الوسيط: (القِطُّ): النصيبُ والصَّكُّ وكتابُ المحاسبة والكتابُ مطلقاً.

4564. "Jeffery (p. 241) estime que ce terme dérive de l'hébreu et signifie la décision rendue par un jugement" (|AlDeeb|:78). cf. "A judge's sentence" (|FV|:241).

4565 . "أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ (أي: داخل حصون مرتفعة)" (النساء 78).

4566 . هذه الآية (الحج 46) دليل قرآني (internal evidence) يثبت أن قصة هلاك عاد وغيرها من قصص العقاب الإلهي كانت تُحكَى بالألسنة وتُسمَع بالآذان وتُرى بالأعين. فكما نقول دائماً: لم يكن العرب محتاجين أن يقرأوا أي كتاب، فيكفيهم ما كانوا يرونه بأعينهم ويسمعونه بآذانهم. فهذا يكفي – بل يكفي جداً – لإنتاج كتاب مثل القرآن.

4567 . كما يجاهد المتسابق (athlete) بكل قوة وهو يتحدى منافسيه حتى يهزمهم ويثبت عجزهم فيفوز وحده بالجائزة.

4568 . وقيل إن هذا خطاب مِن موسى لقومه بدليل أن الآية التي تسبقها تقول "وَقَالَ مُوسَىٰ [لقومه] إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ" (إبراهيم 8). وعلى هذا يكون الخطاب إلى قوم محمد بطريقة غير مباشرة. اقرأ أيضاً الكلامَ الذي وضعه أصحابُ القرآن على لسان الرجل المؤمن من آل فرعون (غافر 30-31).

4569. "In this verse the Qurʾān alludes to God's destruction of those peoples who rejected his messengers, and thereby gives its audience a good reason not to reject the latest messenger" (|GR-AQ|:314).

4570 . تفسير الطبري |طبرى|؛ |ب|:363، 518؛ تفسير القرطبي |قرطبى-مصر|؛ تفسير الجلالين |ج|:363، 518؛ تفسير ابن كثير |كثير|؛ |كثير-شاكر|:612/2؛ |منتخب|:628؛ |ميسر|:303، 438؛ |ضيف|:598؛ |وجدى|:474، 689؛ |فهد|:363، 518؛ |كثير-هاشمى|:242-244؛ |كثير-بديوى|:298-302؛ |بكر|:406.

4571 . |بكر|:391. انظر أيضاً |EI-2|:575-576/10؛ |EQ|:389-390/5.

4572 . الطبري |طبرى|؛ |ب|:497، 518؛ القرطبي |قرطبى-مصر|؛ |ج|:497، 518؛ |ميسر|:418، 438؛ |ضيف|:863؛ |وجدى|:658، 689؛ |فهد|:497، 518؛ |بكر|:404-405.

4573 . سلسلة الأحاديث الصحيحة: حديث رقم 2217 (|صحيحة|:5/251-253)؛ حديث رقم 2423 (|صحيحة|:5/548-549).

4574. 37 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=VRTFRg6zrig
38 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=wYAYcQxwvxo
39 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=GiwLnV6Ijz8
40 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=MXcNKCHHJLQ
41 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=4B0c72MQWNM
42 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=aFubz8Ecs34

4575 . تفسير ابن كثير |كثير|؛ |كثير-شاكر|:3/254. انظر أيضاً |Nasr|:1211.

4576 . |بكر|:390-395؛ |فضل|:257-259.

4577 . انظر مثلاً |منتخب-ف|:660؛ |MacCulloch|:245؛ |Trimingham|:290.

4578 . |مفصل|:3/387-388.

4579 . |مفصل|:3/483-484. انظر أيضاً |Nasr|:1047.

4580. |EQ|:4\586.

4581. |EI-2|:6\564.

4582 . |ج|:430؛ |منتخب|:752-753؛ |ميسر|:360؛ |ضيف|:710-711؛ |وجدى|:565؛ |فضل|:259.

4583 . تفسير الطبري |طبرى|؛ |ب|:430؛ تفسير القرطبي |قرطبى-مصر|؛ تفسير ابن كثير |كثير|؛ |كثير-شاكر|:3/77.

4584 . |كثير-هاشمى|:245-248؛ |كثير-بديوى|:303-306؛ |طبرى-قصص|:373-376؛ |بهجت|:174-175؛ |بكر|:401-403؛ |بكر-أمثال|:200-207.

4585 . قيل إن "لفظ الرجم، الذي وردت مشتقاته في أربعة عشر موضعاً من التنزيل الحكيم ليس من بينها موضع واحد يدلّ على الرمي بالحجارة، ولا يخرج منها موضع واحد عن معنى الطرد القسري والإخراج عُنوة" (|شحرور|:2/87).

4586 . تفسير الطبري |طبرى|؛ |ب|:441؛ تفسير القرطبي |قرطبى-مصر|؛ |بيضاوى|:2/280؛ تفسير ابن كثير |كثير|؛ |كثير-شاكر|:3/108؛ |ج|:441؛ |وجدى|:581؛ |صفوة|:3/11؛ |فهد|:441؛ |كثير-هاشمى|:247؛ |كثير-بديوى|:305؛ |طبرى-قصص|:375؛ |بهجت|:175؛ |بكر|:402؛ |بكر-أمثال|:201.

4587 . وكالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن المقصود هُمْ ملائكة الوحي. أي: لم نرسل رسولاً آخر بعد ذلك إلى أصحاب القرية. مما يعني أن تلك كانت فرصتهم الأخيرة. وبعدها الهلاك.

4588 . تفسير الطبري |طبرى|؛ |ج|:442.

4589 . تفسير الطبري |طبرى|؛ |ب|:441؛ القرطبي |قرطبى-مصر|؛ |ج|:441؛ |منتخب|:773؛ |ضيف|:730؛ |وجدى|:580.

4590 . |زحيلى-وسيط|:3/2146.

4591. “ABRAM THE HEBREW (HA-ʿIBRI) [Genesis 14:13]. [...] R. Nehemiah said: [It denotes] that he [i.e. Abraham] was descended from Eber” (|Midrash|:1\350). See also |Aldeeb|:89.

4592 . لمزيد من الشرح والتفاصيل، انظر |Geiger|:88-93؛ |GR-AQ|:264.

4593 . |كتابية|:8/150-151؛ |قاموس-كتاب|:1004.

4594 . |عامري-أ|:491.

4595 . |مفصل|:1/323.

4596 . |GR-AQ|:265. اقرأ مثلاً: "حبلت النسوة وولدن الجبابرة (أو: العمالقة) بقامة ترتفع ثلاثة آلاف ذراع" (1 أخنوخ 7:2).

4597. 2 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=2DedfxILHiY

4598. “Les Géants d'*Ad* sont probablement ceux mentionnés dans le *Livre de la Genèse* (VI, 4)” (|Sidersky|:30).

4599 . **[← وفي قصة موسى وفرعون: "كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ" (غافر 35)].**

4600. “Quant à "*Irem*" *orné de Colonnes*, [...], il rappelle *Babel* (*Genèse* (XI, 4)” (|Sidersky|:30).

4601 . **[← وفي قصة سبأ: "وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ (أي: فَرَّقناهم كُلَّ تفريق)" (سبأ 19)].**

4602 . **[← وفي قصة موسى وفرعون: "وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ [الدُّنْيَا] لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ (أي: ولعنةً أخرى في الآخرة)" (هود 99)؛ "وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ (أي: ولعنةً أخرى في الآخرة)" (القصص 42)].**

4603. “The name [of Thamūd] and other features of the qurʾānic story may be found in poetry attributed to Umayya b. Abī l-Ṣalt, a contemporary of Muḥammad” (|EQ|:5\254).

4604 . "شرح ديوان أمية بن أبي الصلت". قَدَّم له وعلّق حواشيه: سيف الدين الكاتب (مجاز من جامعة الأزهر)، أحمد عصام الكاتب (ليسانسيه في الآداب). بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ص 43-44.

4605. 114 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=ygpO25TmT9c
8 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=T1Pbxf5TfDI

4606 . |وسيط|:1171/1. انظر أيضاً |زحيلي-وسيط|:1/508-509.

4607 . |Nasr|:434.

4608 . |مفصل|:4/625-626. ملحوظة: وُلِد كليب سنة 440م وقُتِل على يد جسّاس سنة 494م (|جاهلية|:142) – أي أن حرب البسوس انتهت سنة 534م. ومرجع آخر يقول إن حرب البسوس انتهت حوالي سنة 545م (|Trimingham|:173). انظر أيضاً |EI-2|:1089/1. في جميع الأحوال، نحن لا يهمنا التاريخ الدقيق. ما يهمنا هو أن حرب البسوس استمرت فترة طويلة وانتهت قبل ظهور الإسلام بفترة وجيزة. مما يعني أنه من المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن هذه الحرب.

4609. 114 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=ygpO25TmT9c
8 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=T1Pbxf5TfDI

4610. 545 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=ckUmOo2IAHM

4611 . |Geiger|:137-142؛ |GR-AQ|:267.

4612 . ملحوظة: (التكوين 25:1) تقول "وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ فَأَخَذَ زَوْجَةً اسْمُهَا قَطُورَةُ" بينما تقول (1 أخبار الأيام 1:32) إن "قَطُورَةَ سُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ"! فهل قطورة زوجة أم سُرِّيَّة؟! الرأي السائد أنها سُرِّيَّة.

4613 . |معجم-ألفاظ|:663.

4614 . |كثير-شيخ|:10/451؛ |كثير-طيبة|:6/228. لكن يبدو لنا أن ابن كثير نفسه لا يؤيد هذا الرأي المشهور.

4615 . انظر الهامش فى |ظلال|:5/2628. وردت قصة شعيب النبي مع قومه أصحاب مدين في (الأعراف 85-93) (هود 84-95) (العنكبوت 36-37). اقرأ أيضاً (الحج 44). أما سيد قطب نفسه فيبدو لنا أنه قال إن هذا الشيخ الكبير هو شعيب النبي ثم تراجع عن هذا القول (|ظلال|:5/2687)!

4616 . |عامري-أ|:526.

4617 . وهذا يعني "أن كلمة "أبيهن" في الأصحاح الثاني من سفر الخروج (2:18) تعني "جدهن" وهو أمر كثير الورود في الكتاب المقدس مما يرجح هذا الحل" (|كتابية|:4/117).

4618 . "من المحتمل أن كلمة "حمي" (وهي في العبرية: "خوتن") كانت تُستخدم بالمعنى الواسع للدلالة على أحد أقرباء الزوجة" (|كتابية|:8/248). أي "يمكن ترجمتها نسيبه أو صهره" (|منيس|:80).

4619 . لمزيد من التفاصيل حول مشكلة العلاقة بين رعوئيل ويثرون وحُوبَاب، انظر |EJ|:11/251-252.

4620. “it is probably wisest to assume a conflation of different traditions” (|EJ|:11\252).

4621 . |كتابية|:3/186. "فَقَالَ [مُوسَى لِحُوبَابَ]: «لاَ تَتْرُكْنَا، لأَنَّهُ بِمَا أَنَّكَ تَعْرِفُ مَنَازِلَنَا فِي الْبَرِّيَّةِ تَكُونُ لَنَا كَعُيُونٍ. وَإِنْ ذَهَبْتَ مَعَنَا فَبِنَفْسِ الإِحْسَانِ الَّذِي يُحْسِنُ الرَّبُّ إِلَيْنَا نُحْسِنُ نَحْنُ إِلَيْكَ»" (العدد 10:31-32).

4622. “Muḥammad may have confused the name Hobab — often used for Jethro and probably pronounced Chobab — with Shuʿaib” (|Geiger|:140). See also |Aldeeb|:91.

4623. “the Rabbis assert that the staff used later by Moses and called the divine staff grew in Jethro's garden” (|Geiger|:140).

4624 . انظر [ش ع ب] في المعجم الوجيز والمعجم الوسيط.

4625 . هذا إذا افترضنا أن "لْأَيْكَة" (الشعراء 176) = الْأَيْكَة، كما تقول المراجع الإسلامية.

4626 . |قاموس-كتاب|:1054.

4627 . الرجم (أي: الإعدام رمياً بالحجارة) فرضته التوراةُ بدءاً من (الخروج 13:19) (اللاويين 2:20) وآيات أخرى بعدها. فهل يوجد أي دليل علمي يثبت أن الرجم كان معروفاً كوسيلة إعدام في مدين أيام شعيب (بفرض أنه شخصية حقيقية تاريخية)؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإنها إذن مفارقة تاريخية (anachronism) تؤكد أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله.

4628 . لمزيد من التفاصيل حول مَن هُمْ "أَصْحَاب الرَّسّ"، انظر |EQ|:352-353/4؛ |EI-2|:692/1.

4629. “The Qurʾān echoes the biblical portrayal of Midianite trading in its criticism of their dishonesty in commercial transactions” (|EQ|:3\390).

4630 . |كتابية|:112/7. انظر أيضاً |EJ|:181/14.

4631 . |آرثر|:310.

4632 . |منيس|:110.

4633. 24 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=DIfbVXMCzlI
25 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=PTLIW6Iw7wA
26 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=AVbKIPWe4iM
5 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=iIP8UIUyJHk

4634 . |كتابية|:234/2. انظر أيضاً |قاموس-كتاب|:195.

4635. Prof. Devin Stewart: “Both the [الصَّيْحَة] “shout” and the trumpet blast, as they occur in apocalyptic passages, come from battle imagery. The [الصَّيْحَة] is the battlecry, like the slogans of the Scottish clans, the rebel yell of the American Civil War, and so on” (|QSC|:165). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4636 . |FV|:100؛ |آرثر|:1354؛ |قاموس-كتاب|:245؛ |كتابية|:474/2؛ |دراسى|:2413؛ |NIV|:1568.

4637 . |كتابية|:474/2.

4638 . |KJV-arch|:354؛ |Carta|:67-68؛ |NIV|؛ |دراسى|.

4639. “After this war, the Midianites ceased to be a political or military factor” (|EJ|:14\181).

4640 . |EJ|:181/14.

4641 . وإنه لمِن الطريف أنه توجد أفكار أخرى تسللت من سفر يهوديت إلى القرآن مثل: "جميعُ الذبائحِ لا تطيبُ لكَ [يا ربُّ] ولا شَحمُها يُرضيكَ أكثرَ مِنَ الذين يَخافونَكَ" (يهوديت 16:16) **[← "لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا (أي: لن يُرفَع ولن يصل إلى اللهِ ولن يبلغ رِضَاه لُحُومُ الذبائح) وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ (أي: خوفُكم مِن الله)" (الحج 37)]**. وأفكار تسللت من سفر يهوديت إلى الإسلام بصفة عامة، مثل عدم الصوم في أيام الأعياد: "وكانت [يهوديت] تَصومُ جميعَ أيام تَرَمُّلِها، ما خلا السُّبوت وعَشِيَّتَها ورُؤوس الشُّهورِ وعَشِيَّتَها وأَعيادَ بَيتِ إسْرائيلَ وأفراحهم" (يهوديت 6:8).

4642 . |EQ|:390/3.

4643 . انظر مثلاً تفاسير الطبري والقرطبي و |ب|:441؛ |ج|:441؛ |منتخب|:773؛ |ضيف|:730؛ |وجدى|:580.

4644 . راجع ما قلناه عن أوجه الشبه والاختلاف بين بولس الإسرائيلي اليهودي (رسول إلى الأمم) ومحمد العربي الحنيف (رسول من الأمم وإلى الأمم).

4645 . ابن كثير |كثير|؛ |كثير-شاكر|:108-109/1؛ |كثير-هاشمى|:248؛ |كثير-بديوى|:306.

4646 . |كثير-شيخ|:351/11.

4647. 23 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=WzuCR_v7-Mk

4648 . |GR-AQ|:670.

4649 . حسب القرآن، وُلِدَ المسيحُ عيسى ابن مريم في مكانٍ بعيد عن الناس: "فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا. فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ [...]" (مريم 22-23).

4650 . |كثير-شيخ|:355/11. انظر أيضاً |Nasr|:1075.

4651 . وكذلك قال الشهيد استفانوس قبل موته رجماً: "يَارَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ (أي: لمَن رجموه) هذِهِ الْخَطِيَّةَ" (أعمال الرسل 7:60).

4652 . اقرأ الاستهزاء بالمسيح يسوع قبل صلبه (متى 26:67-68، 27:27-31) (مرقس 14:65، 15:16-20) (لوقا 22:63-65) (يوحنا 18:22-23، 19:1-3) وأثناء صلبه (متى 27:39-44) (مرقس 15:29-32) (لوقا 23:35-39).

4653. “This Qurʾānic passage is a good example of the way the Qurʾān shapes a Biblical text to advance its own religious teaching (in this case the worship of God alone; see [يس 22-24])” (GR-AQ|:670).

4654 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Reynolds|:156-167.

4655 . لمزيد من التفاصيل، انظر |GR-AQ|:288، 32؛ |Kaskas|؛ |Masson|.

4656 . |Josephus|:81. انظر أيضاً |GR-AQ|:656.

4657. “One of the most common devices in midrashic and haggadic writings is to put quotations from the Psalms in the mouths of the Antediluvians and the Patriarchs” (|JSS|:19\2\235).

4658 . لمزيد من الأمثلة، انظر |Kaskas|؛ |Masson|؛ |Aldeeb|.

4659 . وفي موعظته الخالدة على الجبل، قال السيد يسوعُ المسيح: "وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لاَ تُكَرِّرُوا الْكَلاَمَ بَاطِلًا كَالأُمَمِ، فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلاَمِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. فَلاَ تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ. لأَنَّ أَبَاكُمْ (أي: الله) يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ" (متى 6:7-8).

4660 . سفر الحكمة من "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books) التي تُسمَّى أيضاً "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha)، ويرجع تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد أو الأول بعد الميلاد، أي: قبل الإسلام بأكثر من 500 سنة. ولقد أخذنا الترجمة العربية من |مشتركة|:الكتب اليونانية/57.

4661. “La Révélation contenue dans le Nouveau Testament est, pour ainsi dire, centrée sur l'amour de Dieu envers tous les hommes (cf. I *Jn.* IV, 8, 16; *Jn.* III, 16-17; *Rom.* V, 8, etc.)” (|Masson|:857).

4662 . |رسوليون|:66؛ |هولمز|:438؛ |LostScr|:232. انظر أيضاً |Kugel|:70-71.

4663 . انظر مثلاً |يسوعية|:العهدالجديد/54؛ |دراسي|:2267. "إنَّ العبارة اليونانية تتحمَّل أيضاً معنى إضافة الإنسان أَمَداً إلى عمره" (|آرثر|:1529).

4664. “La destruction du peuple d'Ad par un vent violent rappelle le récit du *Livre de Job* (I, 19)” (|Sidersky|:30).

4665 . |IVP-OT-ar|:118/3؛ |IVP-OT|:556.

4666 . |FV|:182. انظر أيضاً |Aldeeb|:44.

4667 . |إتقان|:786/1. انظر أيضاً |Aldeeb|:44.

4668 . الطبري |طبرى|؛ |ب|:451؛ القرطبي |قرطبى-مصر|؛ ابن كثير |كثير|؛ |كثير-شاكر|:136/3؛ |ج|:451؛ |منتخب|:797؛ |ميسر|:378؛ |ضيف|:747؛ |وجدى|:595؛ |فهد|:451.

4669 . |مفصل|:323/1.

4670 . سيد خميس، "القصص الديني بين التراث والتاريخ"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، ص23. و -EI|
|984/8:2.

4671. According to the Ḳurʾān “The prophet sent to [ʿĀd], their "brother" Hūd, was treated by them just as Muḥammad was later treated by the Meccans” (|EI-2|:1\169). “like Muḥammad later in Mecca, [Hūd] found only incredulity and insolence among the people and his followers were few” (|EI-2|:3\537).

4672 . الطبري |طبرى|؛ |ب|:192، 246، 271؛ القرطبي |قرطبى-مصر|؛ ابن كثير |كثير|؛ |كثير-شاكر|:388/2؛ |ج|:197، 239، 255؛ |منتخب|:481؛ |ضيف|:477.

4673 . |ج|:478؛ |منتخب|:847؛ |ضيف|:794؛ القرطبي |قرطبى|؛ الطبري |طبرى|؛ ابن كثير |كثير|؛ |كثير-شاكر|:208/3.

4674. |GR-AQ|:263. See also |QSC|:160, 163; available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4675. |QSC|:159. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4676 . |EQ|:4/320-322.

4677 . |منتخب|:375؛ |فهد|:232؛ |بكر|:154؛ |خالدى-أ|:325/2؛ |خالدى-ج|:235؛ |كثير-هاشمى|:182؛ |كثير-بديوى|:232-233؛ |باش-موسى|:31، 36؛ |عامري-أ|:525.

4678 . |نجار|:104. "وقد كان هلاك قوم لوط في زمن إبراهيم عليه السلام" (|باش|:212/1).

4679 . |طبرى-قصص|:113؛ |نجار|:72. انظر أيضاً "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية عشرة (الطبعة الذهبية)، 2014، ص 72-75.

4680 . وكذلك زعم القرآنُ أن يوسف قال للكافرين/المشركين في السجن: "مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ (أي: مِن دون الله) إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ" (يوسف 40)!

4681 . كما قلنا كثيراً فيما سبق: وضع أصحابُ القرآن هذا الكلام الإسلامي/العربي على لسان الأنبياء والرسل السابقين مثل هود وإبراهيم ويوسف حتى يصدِّق المستمع (أو القارئ) أن محمداً واحدٌ مِن هؤلاء الأنبياء والرسل.

4682 . "ولذا كانوا يقولون في جاهليتهم إذا حجُّوا: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك" (|و|:111/1/1).

4683. Prof. Marcin Grodzki: “Patricia Crone [...] suggests that the *mušrikūn* were not really polytheists, but “monotheists of the inclusive type (monists), that is to say they believed in one God and saw the lesser gods, also called angels, as manifestations of Him rather than as false deities who had to be renounced in His favour. They may still have been pagans in the sense of not being Jews or Christians, but there were too many gradations between Bible-based monotheism and gentile paganism in Late Antiquity for this to tell us very much.”” (|QSC|:242). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-027

4684 . مستوحاة من: "لاَ يَعْلَمُ (أي: فَإِنَّ الجُهَّالَ وَحْدَهُمْ هُمُ) الْحَامِلُونَ خَشَبَ صَنَمِهِمْ، وَالْمُصَلُّونَ إِلَى إِلهٍ لاَ يُخَلِّصُ" (إشعياء 45:20)!

4685 . وكذلك زعم القرآنُ أن يعقوب قال لأبنائه: "قَالَ يَا بَنِيَّ [...]ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" (يوسف 67)!

4686 . كما قلنا كثيراً فيما سبق: وضع أصحابُ القرآن هذا الكلام على لسان خصوم الأنبياء والرسل السابقين حتى يصدِّق المستمع (أو القارئ) أن حياة محمد والتحديات التي واجهها ضد خصومه كانت مشابهة لحياة هؤلاء الأنبياء والرسل، ومن ثم تثبيت فؤاد محمد وتشجيعه على الصبر حتى النصر كما صبر الأنبياء والرسل السابقون حتى نصرهم الله. "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ [يا محمد] فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ" (الأنعام 34).

4687 . مستوحاة من: "فَقَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ: «أَنْتُمْ شُهُودٌ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ قَدِ اخْتَرْتُمْ لأَنْفُسِكُمُ الرَّبَّ (the LORD) [وحده] لِتَعْبُدُوهُ». فَقَالُوا: «نَحْنُ شُهُودٌ». [فَقَالَ يَشُوعُ لهم] «فَالآنَ انْزِعُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي فِي وَسَطِكُمْ وَأَمِيلُوا قُلُوبَكُمْ إِلَى الرَّبِّ إِلهِ

إِسْرَائِيلَ». فَقَالَ الشَّعْبُ لِيَشُوعَ: «الرَّبَّ إِلهَنَا نَعْبُدُ وَلِصَوْتِهِ نَسْمَعُ». وَقَطَعَ يَشُوعُ عَهْدًا لِلشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ" (يشوع 24:22-25).

4688 . "افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ" (الأنعام 93) مستوحاة من النبوءة ضد الأنبياء الكذبة الذين "هُمْ أَنْبِيَاءُ مِنْ تِلْقَاءِ ذَوَاتِهِمِ [...] رَأَوْا بَاطِلًا وَعِرَافَةً كَاذِبَةً. الْقَائِلُونَ: وَحْيُ الرَّبِّ، وَالرَّبُّ لَمْ يُرْسِلْهُمْ، وَانْتَظَرُوا إِثْبَاتَ الْكَلِمَةِ. أَلَمْ تَرَوْا رُؤْيَا بَاطِلَةً، وَتَكَلَّمْتُمْ بِعِرَافَةٍ كَاذِبَةٍ، قَائِلِينَ: وَحْيُ الرَّبِّ، وَأَنَا لَمْ أَتَكَلَّمْ؟" (حزقيال 13:2-7) (|Aldeeb|:226)!

4689 . "يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" (الأعراف 45) مستوحاة مما قاله يسوعُ المسيح لخصومه: "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ" (متى 23:13)!

4690 . "وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا" (الأعراف 45) مستوحاة مما قاله بولسُ الرسول لواحدٍ من خصومه: "أَيُّهَا الْمُمْتَلِئُ كُلَّ غِشٍّ وَكُلَّ خُبْثٍ! يَا ابْنَ إِبْلِيسَ! يَا عَدُوَّ كُلِّ بِرٍّ! أَلاَ تَزَالُ تُفْسِدُ (أي: تشوّه؛ تعوّج) سُبُلَ اللهِ الْمُسْتَقِيمَةَ؟" (أعمال الرسل 13:10)! وهذا كله يؤكد أن أصحاب القرآن كانوا يقتبسون أفكاراً وكلاماً من الكتاب المقدس، ويطوّرونه تطوراً بشرياً طبيعياً ويُقدِّمونه لمعاصريهم على أنه كلام الله (قرآن)، وفي الوقت نفسه يضعونه في قصص الأنبياء والرسل السابقين (شعيب مثلاً) حتى تبدو حياة الأنبياء والرسل السابقين مع أتباعهم وخصومهم مشابهة لحياة محمد مع أتباعه وخصومه!

4691 . وكل هذه الآيات القرآنية والآيات الأخرى التي تقول إن الله خلق الإنسانَ من "تراب" (آل عمران 59) (فاطر 11) أو من "طين" (الأنعام 2) (الأعراف 12) (المؤمنون 12) (السجدة 7) (الصافات 11) (ص 71، 76) (الحجر 26، 28، 33) (الرحمن 14) مستوحاة من التوراة ومن التراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة: "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ" (التكوين 2:7).

4692 . وكما قلنا فيما سبق، كل هذه الآيات القرآنية مستوحاة من التوراة ومن التراث اليهودي-المسيحي بصفة عامة (اللاويين 19:35-37) (التثنية 25:13-16) (الأمثال 11:1). بعبارة أخرى: كان أصحاب القرآن يقتبسون أفكاراً وكلاماً من التراث اليهودي-المسيحي سواء المقدس أو غير المقدس، ويطوّرونه تطوراً بشرياً طبيعياً ويُقدِّمونه لمعاصريهم على أنه كلام الله (قرآن)، وفي الوقت نفسه يضعونه في قصص الأنبياء والرسل السابقين حتى تبدو حياة الأنبياء والرسل السابقين مع أتباعهم وخصومهم مشابهة لحياة محمد مع أتباعه وخصومه، ومن ثم يسهل على السامعين أن يصدِّقوا أن محمداً نبي ورسول مثل الأنبياء والرسل السابقين. ولذلك نصح أصحابُ القرآن محمداً "قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ (أي: لست أول رسول من الرسل ولا تختلف رسالتي عن رسالتهم)" (الأحقاف 9) "هَٰذَا (أي: محمد؛ القرآن) نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ (أي: من جنس الأنبياء السابقين، فليس ببدع من الرسل)" (النجم 56).

4693 . وكذلك في قصص قرآنية أخرى غير قصص العقاب الإلهي، زعم القرآنُ أن إخوة يوسف "قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ" (يوسف 73)! وزعم "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" (البقرة 30)! وزعم أن القوم الذين "لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا. قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ" (الكهف 93-94)!

4694 . مستوحاة من رحلة الرسول بولس (Paul) التبشيرية الأولى، حيث قال الرَّسُولاَنِ بَرْنَابَا وَبُولُسُ إلى الْجُمُوعِ: "نَحْنُ أَيْضًا بَشَرٌ تَحْتَ آلاَمٍ مِثْلُكُمْ، نُبَشِّرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا مِنْ هذِهِ الأَبَاطِيلِ (أي: الأوثان) إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا" (أعمال الرسل 14:14-15)!

4695. “Behind such passages might be Biblical accounts of angels' delivering divine messages (see, e.g., Gen 21:17-18; Jdg 6:11-20; Mat 28:2-6; Luk 2:9-10; Acts 8:26; Rev 1:1)” (|GR-AQ|:227). See also |QSC|:163. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4696 . كل هذه الآيات القرآنية مستوحاة من الفكر اليهودي التثنوي. مثلاً: "وَرَاءَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ تَسِيرُونَ، وَإِيَّاهُ تَتَّقُونَ، وَوَصَايَاهُ تَحْفَظُونَ، وَصَوْتَهُ تَسْمَعُونَ، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" (التثنية 13:4)؛ "اتَّقُوا الرَّبَّ وَاعْبُدُوهُ" (1 صموئيل 12:24) "a clichéd combination of Deuteronomistic language" (|JSB|:569)؛ "وهي دعوة نابعة من فكر تثنوي وعظي" (|معاصر|:560).

4697 . العكس هو الصحيح. إنه كلام كفار مكة، ثم وضعه أصحابُ القرآن على لسان "الْأَوَّلِين"، تحديداً على لسان كفار عاد (المؤمنون 35)!

4698. Prof. Michael Pregill: “The *kuffār* supposedly recognize the existence of God, but they are cultically deficient, associating intercessor entities with Him instead; they refuse to be held morally accountable, denying both the resurrection and the final reckoning. [...] In this connection, it seems relevant that the Qurʾān’s warnings are

dismissed as “fables of the ancients” ([المؤمنون 81-83]). This implies that this people formerly believed in the resurrection, but has now come to reject it” (|QSC|:244). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-027

4699 . (المستدرك 429/2؛ قال الحاكم "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ" ووافقه الذهبي |حاكم|:466/2؛ |و|:106/1/1).

4700. Prof. Mehdi Azaiez: “Ce contre-discours [المؤمنون 82] est une réfutation questionnante qui du point de vue argumentatif peut être considéré comme une objection. Elle est employée dans un traité du Talmud, le Sanhédrin: « Un hérétique (min) disait au rabbi Gamaliel : Vous prétendez que les morts revivront, mais ils sont réduits en poussière ; la poussière peut-elle prendre vie ? » (cf. QS 16)” (|QSC|:241). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-027 (See also |QSC|:191).

4701. Prof. Mehdi Azaiez: “ Ce contre-discours est à mettre en lien avec le verset qui lui succède [المؤمنون 83] d’autant plus qu’il s’apparente à un autre contre-discours présent dans le Nouveau Testament (2 P 3, 4). On y lit: « (Ils [les faux docteurs] dirent : Où est la promesse de son avènement ? Depuis que les Pères sont morts, tout demeure comme au début de la création)” (|QSC|:241). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-027

4702. “at the moment of the Qurʾān’s origins the Syriac father Babai the Great (d. 628) was arguing against the Christians of his day who followed the doctrine of Ḥenana of Adiabene (d. 610). Babai accuses these Christians of denying the resurrection of the body [..]: […]” (|GR-AQ|:388).

4703 . "وقد ورد في سبب نزول هذه الآية من سورة الدخان أن أبا جهل قال: يا محمد إن كنت صادقاً في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا أحدهما قصي بن كلاب؛ فإنه كان رجلاً صادقاً لنسأله عما يكون بعد الموت" (|و|:268/1/1).

4704. Prof. Michael Pregill: “Unusually, the intertextual resonances between the [prophetical] stories are underscored by Šuʿayb’s explicit invocation of the examples of his predecessors Noah, Hūd, Ṣāliḥ, and Lot” (|QSC|:163). Dr. Tommaso Tesei: “internal connections between prophetical stories are connected to the Qurʾān’s concept and presentation of sacred history, which appears as a circular and repetitive succession of events” (|QSC|:166). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4705 . سياق (الحجر 7) يتحدث عن إهلاك الأمم السابقة: "وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (أي: موعد محدد). مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ. وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ (المقصود: بالعذاب الدنيوي) وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ (أي: مُمهلين) [بل ينزل بهم العذاب فوراً]" (الحجر 4-8). اقرأ أيضاً: "وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ (أي: على محمد) مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ [بإهلاكهم] ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (أي: لا يُمْهَلون لتوبة)" (الأنعام 8).

4706 . المستهزئون المكذِّبون الذين جادلوا ضد المجيء الثاني للمسيح "قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ (the promise of his coming)؟" (2 بطرس 3:4) [← المكذِّبون "يَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ (promise) [بالعذاب الدنيوي و/أو الأخروي] إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (يونس 48) (الأنبياء 38) (النمل 71) (سبأ 29) (يس 48) (الملك 25)]. انظر |Kaskas|:135، 266، 304.

4707 . وأيضاً بدليل أن محمد قال لمكة: "والله إنك لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرِجْتُ منك ما خرجت"، وفي رواية أخرى أنه قال لمكة: "ما أطيبك من بلدٍ، وأحَبَّكِ إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك" (الترمذي 3925-3926؛ |ت|:532/5-533؛ وقال الألباني "صحيح" |ت-ألباني|:880؛ "صحيح" |ت-صحيح|:589/3-590) (أحمد 305/4؛ "إسناده صحيح، رجاله ثقات أئمة مشاهير" |ل-شاكر|:250/14؛ "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين" |ل|:10/31-13). وفي حديث صحيح أخرجه البخاري أن بلال بن رباح قَالَ بعد هجرته من مكة إلى المدينة: "اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا (أي: مكة) إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ (يقصد: المدينة)" (البخاري 1790؛ |خ|:667/2).

4708 . وكذلك في قصص قرآنية أخرى غير قصص العقاب الإلهي، زعم القرآنُ أن كبير إخوة يوسف قال "فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ" (يوسف 80)!

4709 . لمعرفة الجذور المسيحية لهذه الآيات القرآنية المكية، انظر |Badawi|:166-168.

4710 . حين كان الإسلام ضعيفاً في الفترة المكية كان أصحاب القرآن يزعمون أن عذاب الكفار سوف يكون من عند الله. لكن في الفترة المدنية حين لجأ المسلمون الأوائل إلى العنف واستقووا بالخارج (الأوس والخزرج) ضد أهلهم في مكة، زعم المسلمون أن الله أعطاهم الحق في تعذيب الآخرين (الكفار و/أو المنافقين) بأيديهم: "يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ **أَوْ بِأَيْدِينَا**" (التوبة 52)! "قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ **بِأَيْدِيكُمْ** وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" (التوبة 14)! "الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ [...] يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ **وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**" (الحشر 2)! تعليقنا: الله بريء من كل ذلك الإرهاب، سواء الإرهاب باللسان (المرحلة المكية قبل الهجرة إلى المدينة) أو الإرهاب باليد (المرحلة المدنية بعد الهجرة إلى المدينة).

4711 . ويبدو أن أصحاب القرآن قد تأثروا بآيات كتابية تقول إن الرعد صوت الله! "أَرْعَدَ الرَّبُّ مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَالْعَلِيُّ أَعْطَى صَوْتَهُ" (المزامير 13:18)؛ "صَوْتُ الرَّبِّ عَلَى الْمِيَاهِ. إِلهُ الْمَجْدِ أَرْعَدَ" (المزامير 3:29)؛ "اسْمَعُوا سَمَاعًا رَعْدَ صَوْتِهِ وَالزَّمْزَمَةَ الْخَارِجَةَ مِنْ فِيهِ. تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ يُطْلِقُهَا، كَذَا نُورُهُ (أي: البرق!) إِلَى أَكْنَافِ الأَرْضِ. بَعْدُ يُزَمْجِرُ صَوْتٌ، يُرْعِدُ بِصَوْتِ جَلاَلِهِ، وَلاَ يُؤَخِّرُهَا (أي: ولا يُمسِكُ صواعِقَه) إِذْ سُمِعَ صَوْتُهُ. اَللهُ يُرْعِدُ بِصَوْتِهِ عَجَبًا" (أيوب 37:2-5). اقرأ أيضاً (إرميا 30:25)؛ (عاموس 2:1)؛ والآية التي تربط بين الملائكة والرياح/العواصف والنار/الصواعق: "الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا، وَخُدَّامَهُ نَارًا مُلْتَهِبَةً" (المزامير 4:104)؛ (العبرانيين 7:1)؛ (اليوبيلات 2:2)؛ " Windy and Fiery Angels" |Kugel|:75-76.

4712. “in the ancient Near East [God’s thunder] was identified as the voice of the storm god (e.g., Ps. 18.[13])” (|JSB|:1546). “In Ugaritic myths the storm god Baal-Hadad struck terror in his enemies and caused them to flee by the power of his voice (also see Ps 29). The Akkadian equivalent, Adad, also thundered with his voice. Storm gods typically were pictured with lightning bolts clutched in the hand. […] Hail, snow, wind, thunder and lightning are often seen as the weapons that [Yahweh] uses to defeat his enemies. […] In the ancient world the people believed that the weather was under total control of deity and was used to reward or punish. They did not view the world as operating by natural laws” (|IVP-OT|:508).

4713 . راجع دراستنا عن القيامة من الأموات والنفخ في الصور في باب المعتقدات، حيث تحدَّثنا أيضاً عن الملاك "إسرافيل" (Seraphiel).

4714 . الصيحة / النفخة الأولى هي نفخة الإماتة (نفخة الصعق) لإعدامهم عقاباً لهم في الدنيا. أما الصيحة / النفخة الثانية فهي نفخة القيامة (نفخة البعث) لإقامتهم من قبورهم لينالوا عقابَ الآخرة.

4715 . |و-قرآن|:755.

4716 . مستوحاة من التراث اليهودي-المسيحي. راجع دراستنا لاستخدام البوق (القرن) (trumpet) في الحروب، مثل حرب جدعون على المديانيين. وانظر |كتابية|:234/2؛ |قاموس-كتاب|:195.

4717. Prof. Devin Stewart: “Both the [الصَّيْحَة] “shout” and the trumpet blast, as they occur in apocalyptic passages, come from battle imagery. The [الصَّيْحَة] is the battlecry, like the slogans of the Scottish clans, the rebel yell of the American Civil War, and so on. The [الصَّيْحَة] here is evidently borrowed from that realm of apocalyptic imagery, but its concrete equivalent is unclear. Is it a lightning bolt, thunder, earthquake, explosion, or blast?” (|QSC|:165). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4718 . أو كما قال القرآن في مَثَل آخر له نفس المعنى: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ. وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ. فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" (النحل 112-114).

4719 . لمزيد من المعلومات عن "مَثَل الْجَنَّتَيْنِ" (Parable of the Two Gardens) (الكهف 32-44)، انظر المراجع الإسلامية و |GR-AQ|:656، 460.

4720 . |مفصل|:312/1.

4721 . |شحرور|:81/2.

4722 . |كثير-هاشمي|:99؛ |كثير-بديوي|:132-133؛ |نجار|:82-83؛ |بدوي|:83/1. انظر أيضاً "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية عشرة (الطبعة الذهبية)، 2014، ص 73-75.

4723 . "أي: أنزلنا التوراة على موسى، من بعد إهلاكنا للقرون الأولى من الأقوام المكذبين، كقوم نوح وهود وصالح وغيرهم" (|طنطاوى-قصص|:346/1). "كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب "مدين"" (|فهد|:390).

4724 . |فهد|:217.

4725 . كالعادة، اختلف المفسرون المسلمون فى مَن المُخاطَب بقوله "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ" (إبراهيم 9). قيل: هو خطاب لقوم موسى. وقيل: هو خطاب لأمة محمد. ونحن نرى أن الرأي الأول يتفق أكثر مع سياق النص القرآني بينما الرأي الثاني يتفق أكثر مع ما وراء النص القرآني (metatext).

4726 . |صحيحة|:327/5-328. انظر أيضاً تفاسير (القصص 43) و |شعراوى-قصص|:254؛ |بدوى|:334/1.

4727 . |منتخب|:257؛ |منتخب-ف|:224.

4728 . الطبري |طبرى|؛ |ب|:229؛ |ج|:229؛ |منتخب|:371؛ |ميسر|:188؛ |ضيف|:378؛ |وجدى|:294؛ |فهد|:229؛ |كثير-هاشمى|:105-106؛ |كثير-بديوى|:139-140؛ |بدوى|:93/1.

4729 . (البخارى 3197-3201؛ |خ|:1236/3-1237) (مسلم 2980-2981؛ |م|:2285/4-2286). ابن كثير |كثير|؛ |كثير-شاكر|:32/2-33؛ |كثير-هاشمى|:108-109؛ |كثير-بديوى|:143-144؛ |بكر|:87؛ |بدوى|:93/1-94؛ |مفصل|:324/1.

4730 . |عامري-أ|:508.

4731 . |عامري-أ|:513.

4732 . |طنطاوى-قصص|:86/1.

4733 . (أحمد 296/3؛ "حديث قوي" |ل|:66/22-67؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:370/11-371). وقال الهيثمي: "رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط أتمّ منه وتقدم في سورة هود، ورجال أحمد رجال الصحيح" (|هيثمى|:50/7). وقال ابن كثير: "وهذا الحديث على شرط مسلم، وليس هو في شيء من الكتب الستة، والله أعلم" (|كثير-هاشمى|:106؛ |كثير-بديوى|:140).

4734 . |كثير-شيخ|:300/13. انظر أيضاً |عامري-أ|:517-518.

4735 . |صابونى|:246.

4736 . |خالدى-أ|:295/1.

4737 . |مفصل|:326/1. انظر أيضاً |شحرور|:74/2-75.

4738. Charles M. Doughty, "Travels in Arabia deserta" with an introduction by T.E. Lawrence, London : Jonathan Cape, 1936, vol. 1, p. 229.

4739. |ANET|:284-286.

4740 . |عامري-أ|:506. انظر أيضاً |عامري-أ|:508.

4741 . |شحرور|:74/2.

4742. |EI-2|:10\436.

4743. |EI-2|:8\984.

4744. |EI-2|:3\365-366.

4745. |EQ|:2\427.

4746 . |Geiger|:94. "الثَّمْدُ" و "الثَّمَدُ" هو المكان يجتمع فيه الماء (المعجم الوسيط والمعجم الوجيز). "فـ "ثمد" تعني مجرى الماء الذي يجف في الصيف" (|شحرور|:74/2). "اسم ثمود جاء من الثَّمَدِ والثَّمْدِ والثَّمَاد، وهو الماء القليل لا مدد له يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف" (|شحرور|:76/2).

4747. |EI-2|:8\984. See also |Reynolds|:197.

4748 . |عامري-أ|:509.

4749. |QSC|:159. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4750 . |شحرور|:73/2. انظر أيضاً |عامري-أ|:506-508، 518.

4751. 6 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=rDQcbFNJzMU
7 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=3pVSvrnOVao
8 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=T1Pbxf5TfDI
114 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=ygpO25TmT9c

4752. 9 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=3cdLQeeOVQQ

4753. https://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=9896&article=362999

4754. https://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=9896&article=381797

4755 . |عامري-أ|:514؛ 516؛ 517؛ 520؛ 521.

4756 . |عامري-أ|:505.

4757. Prof. Devin Stewart: “Both the [الصَّيْحَة] “shout” and the trumpet blast, as they occur in apocalyptic passages, come from battle imagery. The [الصَّيْحَة] is the battlecry, like the slogans of the Scottish clans, the rebel yell of the American Civil War, and so on” (|QSC|:165). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4758 . يعني تخيل مثلاً لو ادعى أحدٌ اليوم أنه نبي لكنه نسب التحنيطَ (عملَ المومياوات المصرية القديمة) إلى العرب الذين غزوا مصرَ واحتلوها في القرن السابع الميلادي، فهل سيصدق أحدٌ نبوتَه المزعومة؟! طبعاً مستحيل.

4759 . |عامري-أ|:518-519.

4760 . |عامري-أ|:519. واقرأ ما قاله د. جواد علي في المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام (|مفصل|:326/1).

4761 . |عامري-أ|:521.

4762 . |عامري-أ|:519. كلامه منقول من موقع ويكيبيديا العربي تحت عنوان: الخريبة (العلا)!

4763 . |EI-2|:436/10.

4764 . |شحرور|:89/2.

4765. |EQ|:3\390-391. Also: 11 الدين والتاريخ,
https://www.youtube.com/watch?v=7OrBGkwFNaA
37 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=VRTFRg6zrig

4766 . "ويفهم من كلام ابن كثير أنه يؤيد ويميل إلى القول بأن زمن شعيب أقرب إلى زمن لوط وإبراهيم من زمن موسى عليهم السلام" (|باش|:217/1). "عاش شعيب -عليه السلام- بعد زمن غير بعيد من عصر لوط -عليه السلام-" (|عامري-أ|:525).

4767 . |EQ|:390/3-391. انظر أيضاً |EQ|:53/4-54؛ |EI-2|:1156/5.

4768. “During the Hellenistic period the Nabateans mined much gold in the land of Midian and exported it via the port of Macna (Strabo, *Geographica*, 17:784)” (|EJ|:14\181).

4769 . |EI-2|:1156/5.

4770 . |GR-AQ|:412.

4771 . |عامري-أ|:528. انظر أيضاً |عامري-أ|:527.

4772. 9 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=3cdLQeeOVQQ
10 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=-afpmB9slpI
11 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=7OrBGkwFNaA
12 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=-QWAZgH6Hok

4773. 10 الدين والتاريخ, https://www.youtube.com/watch?v=-afpmB9slpI

4774 . |شحرور|:72/2.

4775 . |مفصل|:305/1.

4776 . |مفصل|:308/1.

4777. "E.J. Brill's first encyclopædia of Islam", edited by M.Th. Houtsma et al. Leiden; New York: E.J. Brill, 1913-1936, vol. 3, p. 327.

4778. |EQ|:1\21.

4779. |EI-2|:1\169.

4780. |Sidersky|:29.

4781. |QSC|:159. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-019

4782. |EI-2|:3\537-538.

4783. |EQ|:2\462.

4784 . |شعراوى-قصص|:67.

4785. |عامري-أ|:496-499. Also: سؤال جريء 114,
https://www.youtube.com/watch?v=ygpO25TmT9c
الدين والتاريخ 4, https://www.youtube.com/watch?v=J4adwY5PM5o

4786 . |شحرور|:68/2-72. انظر أيضاً "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل"، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية عشرة (الطبعة الذهبية)، 2014، ص 120-122. و "أطلس الأماكن في القرآن الكريم"، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 2015، ص 14-15، 26-27. والأطلسان من تأليف وتصميم الكاتب السعودي المعروف "سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث".

4787 . |شحرور|:72/2.

4788 . |شحرور|:69/2-70. ونلاحظ أن تقرير الباحثين "يدعو رجال الأعمال والحكومات العربية إلى التبرُّع بسخاء للكشف عن تلك الآثار" (|شحرور|:69/2)! يعني الحكاية فيها فلوس ودولارات من الدول العربية البترولية الغنية!

4789 . |شحرور|:71/2.

4790 . |عامري-أ|:501.

4791 . |عامري-أ|:496.

4792 . |عامري-أ|:500-501.

4793 . "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل"، تأليف وتصميم الكاتب السعودي المعروف "سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث"، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية عشرة (الطبعة الذهبية)، 2014، ص 122.

4794 . |شحرور|:72/2.

4795 . |مفصل|:311/1.

4796. الدين والتاريخ 1, https://www.youtube.com/watch?v=JTxRXW3Gxg8
الدين والتاريخ 2, https://www.youtube.com/watch?v=2DedfxILHiY
الدين والتاريخ 3, https://www.youtube.com/watch?v=nIluKCC-VyA
الدين والتاريخ 4, https://www.youtube.com/watch?v=J4adwY5PM5o
الدين والتاريخ 5, https://www.youtube.com/watch?v=iIP8UIUyJHk

4797. الدين والتاريخ 9, https://www.youtube.com/watch?v=3cdLQeeOVQQ

4798 . |مفصل|:74/1-75.

4799. Les “récits relatifs au sort subi par ces anciens peuples arabes [*Ad* et *Thémoud*], mentionnés brièvement dans le Coran [...] dérivent probablement d'un mélange confus de plusieurs légendes juives concernant les générations du déluge et de la dispersion, ainsi que la destruction de Sodome et Gomorrhe. [...]. Peut-être *Ad* et *Thémoud* sont les villes *Adma* et *Tseboïm* (*Genèse*, X, 19)” (|Sidersky|:30).

4800. الدين والتاريخ 12, https://www.youtube.com/watch?v=-QWAZgH6Hok

4801 . هنا يجب المقارنة بين أيوب ومحمد. أيوب خسر أولاده ثم أحياهم اللهُ أو عوَّضه بأولاد آخرين. أما محمد فخسر ابنَه "إبراهيم" ولم يحييه اللهُ ولا عوَّضه بابنٍ آخر! فكيف يكون محمدٌ أشرف عند الله من أيوب؟!

4802. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

4803 . |قاموس-كتاب|:148. انظر أيضاً |كتابية|:1/576-577، 585.

4804 . |معاصر|:895.

4805 . مثل |JSB|؛ |ملطى|؛ |أنطونيوس|؛ |مارمرقص|؛ |NIV|؛ |دراسى|؛ |تطبيقى|؛ |معاصر|؛ |آرثر|؛ |EJ|:11/341-357؛ |كتابية|:1/576-589؛ |قاموس-كتاب|:146-148.

4806. تفسير سفر أيوب بالكامل آية آية وكلمة كلمة – للأب داود لمعي (42 إصحاح – 27 حلقة!)، https://www.youtube.com/playlist?list=PLvMAQ886ucesTU26czYR4O8PHUeEEsnuf

4807. “Most rabbinic opinion presents Job as a righteous gentile and sages praise his positive qualities” (|EJ|:11\356).

4808 . كما قلنا في قصة نوح، كلمة "كَامِل" (بالعبرية: tam) (whole) لا تعني الكمال المطلق (بلا خطيئة)، وإنما تعني الكمال النسبي، أي: كان كاملاً قدر ما استطاع مقارنةً بمن حوله في جِيلِه، أو: كان حريصاً حرصاً شديداً على ألا يخطئ، أو: كان حريصاً على فِعْل الخير. فكلمة "كَامِل" هنا عكس (opposite) فَاعِل الشر؛ بدليل ما جاء في سفر أيوب بعد ذلك: "هُوَذَا اللهُ لاَ يَرْفُضُ الْكَامِلَ (بالعبرية: tam)، وَلاَ يَأْخُذُ بِيَدِ فَاعِلِي الشَّرِّ" (أيوب 8:20).

4809 . نستنتج من هذه الآية أن أبناء أيوب كانوا شباباً بل رجالاً يعيش "كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ" "فِي بَيْتِ" مستقل عن أيوب. مما يعني أن أيوب كان رجلاً كبيراً عمره 50 سنة وربما 60 سنة.

4810 . أو أنه قدَّم المحرقات "بشكل استباقي احترازي" (as a precautionary measure) (|معاصر|:898؛ |JSB|:1496).

4811 . "صار أيوب رمزاً للسيد المسيح" (|ملطى|:أيوب/1/99)، فكلاهما بار ومع ذلك تألم ثم صبر حتى انتصر على الشيطان بقوة الله. اقرأ أيضاً "Christian portrayals of Job as a patient sufferer" (|EJ|:11/357).

4812 . |NETS|:696؛ |Septuagint|:OT/698. اقرأ أيضاً مقدمة سفر "وصية أيوب" (Testament of Job) الذي يرجع تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول الميلادي (|OTP|:1/839؛ |Pleiade|:337/1609-1610).

4813. “[…] Job’s inclusion in Christian constructions of a pre-existent community of gentile priests outside the nation of Israel. Evidence of disputes over Job’s identity appears in one of the letters of the Church Father Jerome [342–420], where he identifies Job as descended from Esau and not Levi, “although the Hebrews declare the contrary”” (|EJ|:11\357).

4814. “The Hebrew cannot be rendered as a personal name, Satan, since in Hebrew personal names cannot be preceded by the definite article (“the”)” (|JSB|:1497).

4815 . |كتابية|:1/577-578. انظر أيضاً |NIV|:727-728؛ |دراسى|:1187-1188.

4816 . |معاصر|:899. انظر أيضاً |JSB|:1497.

4817 . |دراسى|:1187-1188؛ |NIV|:728.

4818 . |معاصر|:899.

4819 . "جَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً. [...] وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. [...] وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ" (التكوين 2:7-25).

4820 . **[← "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" (البقرة 155-156)].**

4821 . على الرغم من أن أيوب "خَرَّ عَلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ" (أيوب 20:1)، إلا أنه لم يتحدث إلى الله بصيغة المخاطَب، وإنما تحدث عن الله بصيغة الغائب: "الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا" (أيوب 21:1)! فهل كان أيوبُ يشعر بأن الله غائب عنه؟! سوف نعود إلى هذا السؤال لاحقاً لأنه يساعد في فَهْم الأجزاء المتبقية من سفر أيوب (أيوب 1:3 – 6:42).

4822 . |معاصر|:900.

4823. “Dans le Livre de Job, Satan ne paraît que dans ses dialogues avec Dieu. Dieu l’envoie finalement pour « éprouver … son serviteur Job » (chap. I-II); celui-ci accepte ses épreuves comme étant envoyées par Dieu lui-même” (|Masson|:921).

4824. “Job’s suffering seems to others like divine punishment, implying that he had sinned. This stigma has social repercussions that are detailed in chapters 19 and 29” (|JSB|:1510).

4825 . توجد صفات مشتركة بين نوحٍ وأيوب. "كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ" (التكوين 9:6). وكذلك كان أيوب "كَامِلًا وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ" (أيوب 1:1، 8:1، 3:2). لكن بينما "سَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ" (التكوين 9:6) لم يُوْصَف أيوب بأنه سار مع الله! وهذا الاختلاف المهم سوف يساعدنا لاحقاً في فَهْم الأجزاء المتبقية من سفر أيوب (أيوب 1:3 – 6:42).

4826 . حسب الترجمة اللاتينية التي ترجمتها إلى اللغة العربية كنيسةُ مارمرقص القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة في القاهرة (|مارمرقص|)، اسم الأب "طُوبيًّا" واسم ابنه أيضاً "طوبيًّا"! أما حسب الترجمتين اليونانيتين الطويلة (|يسوعية|) والقصيرة (|مشتركة|)، فإن اسم الأب "طوبيت" واسم ابنه "طوبيًّا"! لكن المصاب بالعمى في جميع الترجمات هو الأب.

4827. |مارمرقص|:العهدالقديم\8\268. “le motif de la patience de Job est absent du texte hébreu du livre de *Job*. En revanche, […] il est repris dans *Tobit*, II, 12 (Vulgate)” (|Pleiade|:337\1609).

4828 . |مارمرقص|:العهدالقديم/8/270.

4829 . عقوبة التجديف على الله هي الموت: "فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: «أَخْرِجِ الَّذِي سَبَّ [إِلَهَهُ] إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ، فَيَضَعَ جَمِيعُ السَّامِعِينَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَرْجُمَهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ. وَكَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: كُلُّ مَنْ سَبَّ إِلَهَهُ يَحْمِلُ خَطِيَّتَهُ، وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاسْمِ يُقْتَلُ" (اللاويين 13:24-16).

4830 . |معاصر|:901.

4831 . "مَنْ ذَا الَّذِي يَقُولُ [كُنْ] فَيَكُونَ وَالرَّبُّ لَمْ يَأْمُرْ؟ مِنْ فَمِ الْعَلِيِّ أَلاَ تَخْرُجُ الشُّرُورُ وَالْخَيْرُ؟ (أي: أليس الربُّ هو ضابط كل شيء سواء خير أو شر؟؛ أليس الربُّ هو مَن يسمح بالخير والشر ويوجّه كُلَّ شيء لمصلحة أولاده؟)" (مراثي إرميا 37:3-38). "مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ، صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هذِهِ" (إشعياء 7:45). "هَلْ تَحْدُثُ بَلِيَّةٌ فِي مَدِينَةٍ وَالرَّبُّ لَمْ يَصْنَعْهَا (أي: لم يسمح بحدوثها)؟" (عاموس 6:3). وقال بولس الرسول: "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رومية 28:8). **[← "مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (الحديد 22-23)].**

4832 . بعد الابتلاء الأول "لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ وَلَمْ يَنْسِبْ للهِ جِهَالَةً" (أيوب 22:1)، لكن بعد الابتلاء الثاني نجد رد فعل مختلف: "لَمْ يُخْطِئْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ (أي: بلسانِه فقط)" (أيوب 10:2)! فهل أخطأ أيوبُ بقلبه وفِكره؟! هل بدأ أيوبُ يَنْسِبُ للهِ جِهَالَةً ويشك في حكمة الله؟! سوف نعود إلى هذا السؤال لاحقاً لأنه يساعد في فَهْم الأجزاء المتبقية من سفر أيوب (أيوب 1:3 – 6:42).

4833 . |ملطي|:أيوب/1/103-104. انظر أيضاً |NETS|:671؛ |Septuagint|:OT/666-667.

4834 . |ملطي|:أيوب/1/103. انظر أيضاً |JSB|:1499؛ |Midrash|:1/505؛ |OTP|:1/839؛ |Kugel|:413. ويوجد رأي آخر يقول إن دِينَة هي زوجته الثانية التي أنجبت له 7 بَنِينَ وَ 3 بَنَاتٍ في نهاية القصة (أيوب 13:42) (|معاصر|:953)!

4835. “the word *nĕbālâ* does not just mean “folly.” […], it is most often found in connection with grave sexual offenses […] and should be translated in such cases as “disgrace,” “outrage,” or the like” (|Kugel|:424).

4836. “The Hebrew word rendered *foolish* [in Job 2:10] denotes moral deficiency” (|NIV|:733).

4837 . "**[المزامير 1:14] الجاهل**. هذه التسمية، في الكتاب المقدَّس، تحمل معنًى خُلقيًّا، لا فكريًّا" (|آرثر|:881).

4838. “The use of the plural in this verse [Genesis 34:27] suggested to [Jewish] interpreters that the city as a whole was in some sense guilty of the crime; all its men had played a role [in the rape of Dinah]” (|Kugel|:410)!

4839 . |يسوعية|:العهدالقديم/916؛ |Kugel|:415-416؛ |رعائية|:الكتب اليونانية/31؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/29. انظر أيضاً |مارمرقص|:العهدالقديم/8/412-413.

4840 . |ملطى|:أيوب/1/108-109.

4841 . |ملطى|:أيوب/1/103-104. انظر أيضاً |EOSB|:781.

4842 . |ينابيع|:23/77-79.

4843 . |ينابيع|:23/79-80.

4844 . |ينابيع|:23/81-83.

4845 . |ينابيع|:23/83-84.

4846 . |ينابيع|:23/84.

4847 . |OTP|:1/845-848؛ |Pleiade|:337/1618-1621.

4848 . |GR-AQ|:694.

4849 . |قرطبى|:18/217-218؛ |قرطبى-مصر|:8/180-181. انظر أيضاً |و|:1/9/216-217.

4850 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/7. اقرأ أيضاً الترجمة اليونانية الطويلة (|يسوعية|:العهدالقديم/882).

4851. “According to Kohler the Islamic tradition preserves features of the saga of Job distinctive to the testament [of Job]” (|OTP|:1\836).

4852 . |EJ|:11/360. لقراءة القصة بالتفصيل، انظر |OTP|:1/848-851؛ |Pleiade|:337/1622-1625.

4853 . |EI-2|:1/796.

4854 . |طبرى|:20/111-113.

4855 . |و|:1/9/218.

4856 . |حجازى|:3/246. أعاد الأزهرُ ومجلس حكماء المسلمين طباعة هذا التفسير عام 2018!

4857 . |نجار|:406. انظر أيضاً |ألوسى|:23/108.

4858 . |عيسى|:3/190. أعاد الأزهرُ ومجلس حكماء المسلمين طباعة هذا التفسير عام 2019!

4859 . |بكر|:316. انظر أيضاً |و|:1/9/216-219.

4860 . |خالدى-ج|:346.

4861. “What is told of Job [in the Qurʾān] comes from the framework story [of the Biblical Book of Job]”, Richard Bell, *Introduction to the Qurʾān*, Edinburgh: The University Press, 1953, p. 163.

4862 . هنا أيوب يردد ما قاله النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "مَلْعُونٌ الْيَوْمُ الَّذِي وُلِدْتُ فِيهِ! الْيَوْمُ الَّذِي وَلَدَتْنِي فِيهِ أُمِّي لاَ يَكُنْ مُبَارَكًا! مَلْعُونٌ الإِنْسَانُ الَّذِي بَشَّرَ أَبِي قَائِلًا: «قَدْ وُلِدَ لَكَ ابْنٌ» مُفَرِّحًا إِيَّاهُ فَرَحًا. وَلْيَكُنْ ذلِكَ الإِنْسَانُ كَالْمُدُنِ الَّتِي قَلَبَهَا الرَّبُّ وَلَمْ يَنْدَمْ، فَيَسْمَعَ صِيَاحًا فِي الصَّبَاحِ وَجَلَبَةً فِي وَقْتِ الظَّهِيرَةِ. لأَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْنِي مِنَ الرَّحِمِ، فَكَانَتْ لِي أُمِّي قَبْرِي وَرَحِمُهَا حُبْلَى إِلَى الأَبَدِ. لِمَاذَا خَرَجْتُ مِنَ الرَّحِمِ، لأَرَى تَعَبًا وَحُزْنًا فَتَفْنَى بِالْخِزْيِ أَيَّامِي؟" (إرميا 20:14-18).

4863 . |معاصر|:912.

4864 . (أيوب 1:18-19) لم تقل صراحةً إن أولاد أيوب العشرة ماتوا، لكن هذا هو التفسير السائد لهاتين الآيتين. واستدلوا على ذلك بأن الكلمة العبرية (han·nə·'ā·rîm) يمكن أن تعني "الشُّبّان" (the youths) (the young people).

4865. “In the text as it stands it lacks the final speech of Zophar, but there is strong reason to suspect that the text fell into some disarray [esp. between chapters 25 and 28] and that the curtailing of the third speech was not intentional” (|JSB|:1490). Read also |JSB|:1491. But read a rebuttal in |معاصر|:927.

4866 . "أَنَا الْحِكْمَةُ [...] اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ، مُنْذُ الْقِدَمِ. [...] قَبْلَ التِّلاَلِ أُبْدِئْتُ" (الأمثال 8:12-25).

4867 . "إِنَّ السَّيِّدَ الرَّبَّ لاَ يَصْنَعُ أَمْرًا إِلاَّ وَهُوَ يُعْلِنُ سِرَّهُ لِعَبِيدِهِ الأَنْبِيَاءِ" (عاموس 3:7). راجع أيضاً مقدمة قصة هلاك سدوم وعمورة: "فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ، [...]». وَقَالَ الرَّبُّ [لإبراهيم]: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا. [...]»" (التكوين 18:17-20).

4868 . القلب "يعد وفقاً للغة الكتاب المقدس مركز الروح البشرية الذي ينبع منه الشعور والأفكار والدوافع والشجاعة والأعمال. "منه تنبثق الحياة" (the wellspring of life) (الأمثال 4:23)" (|دراسى|:1273؛ |NIV|:791). اقرأ أيضاً "قَلْبُ الإِنْسَانِ يُفَكِّرُ فِي طَرِيقِهِ" (الأمثال 16:9).

4869 . قال البابا غريغوريوس (الكبير): "الشَّرُّ حلو في فم المرائي، حيث يستعذب الشَّرَّ في فكره. لأن فم القلب هو الفكر، حيث كُتِبَ: "الشفاه الغاشة تنطق شرًا في قلب مخادع" (مز 12:2). الآن، الشر الحلو في فم المرائي مخفي تحت اللسان، حيث أن عنف التصرفات الشريرة يكمن مخفيًا في الذهن، مختفيًا تحت ثوب الذهن الناعم ..."، "[...] إذ يحتجزه (أي: يحتجز الْمُرَائِي الشَّرَّ) في الفكر، فلن ينطق به قط في حديثه" (|ملطى|:أيوب/2/788-789). وتوجد تفاسير أخرى لهاتين الآيتين.

4870 . |كتابية|:580/1.

4871 . "نَصِيبِي هُوَ الرَّبُّ، قَالَتْ نَفْسِي، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَرْجُوهُ" (مراثي إرميا 3:24).

4872 . بعد سقوط آدم في الخطيئة بسبب الشيطان (الْحَيَّة)، قَالَ الرَّبُّ لآدَمَ: "مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا" (التكوين 3:17-19). ثم طرده من الْجَنَّةِ.

4873 . "العسل واللبن (ع. 17) هي رموز تقليدية للفيض والوفرة، وكثيراً ما يقوم العهد القديم بربطها بأرض كنعان (الخروج 3:8، 17)" (|معاصر|:926). اقرأ أيضاً (الخروج 13:5، 33:3) (اللاويين 20:24) (العدد 13:27، 14:8، 16:13-14) (التثنية 6:3، 11:9، 26:9، 26:15، 27:3، 31:20) (يشوع 5:6) (إرميا 11:5، 32:22) (حزقيال 20:6، 20:15).

4874 . استعار أيوب هذه الصورة مما قاله النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "لِمَاذَا كَانَ وَجَعِي دَائِمًا وَجُرْحِي عَدِيمَ الشِّفَاءِ، يَأْبَى أَنْ يُشْفَى؟ أَتَكُونُ لِي [يَا رَبُّ] مِثْلَ كَاذِبٍ (أي: كسَرابٍ خادعٍ)، مِثْلَ مِيَاهٍ غَيْرِ دَائِمَةٍ (أي: مِثْلَ نهرٍ أو جَدْوَلٍ قد جَفَّ فخيَّب رجاءَ الظمآن)؟" (إرميا 15:18).

4875 . "لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الإِنْسَانُ" (التثنية 8:3). و (متى 4:4) (لوقا 4:4).

4876. “This verse is used in many holocaust memorials” (|JSB|:1520).

4877 . توجد مراجع مسيحية تقرأ سفرَ أيوب في ضوء الإنجيل! فتقول إن هذه الآية (أيوب 9:33) نبوءة عن المسيح "الوسيط" الذي تصالحنا مع الله من خلال موته على الصليب وقيامته (2 كورنثوس 5:18-20) (رومية 5:10) (1 تيموثاوس 2:5-6). أما نحن فنرى أن الترجمة الأكثر دقة هي "حَكَمٌ" (arbiter) بدليل قوله "يَضَعُ يَدَهُ عَلَى كِلَيْنَا". "حيث يرجو أيوب أن يستطيع ذلك الكائن أن يلعب دوراً في محاكمته ضد الله، كالحكم بالعدل بين ادعاءاته وادعاءات الله (أيوب 9:33)" (|معاصر|:922).

4878 . |يسوعية|:العهدالقديم/1064.

4879 . |عبرى|:1070.

4880 . |آرثر|:838.

4881. “Job’s purpose all along was to extract from God the accusations he assumes are being made against him (see 13.23)” (|JSB|:1534).

4882 . "قانون حامورابي البابلي [...] يؤكد على وضع علامات على العبيد. يشعر أيوب بأن الله يضيق عليه؛ وكأنه قد سباه ويقوم بتعذيبه" (|دراسي|:1212؛ |NIV|:745).

4883 . "كُلُّ مُبْغِضِيَّ (أي: كُلُّ مَنْ يُبْغِضون الرَّبَّ؛ كُلُّ مَنْ يكرهون الله) يُحِبُّونَ الْمَوْتَ" (الأمثال 8:36).

4884 . "كتابات ما بين النهرين القديمة (أي: كتابات العراق القديم) (Ancient Mesopotamian documents) تشير إلى العالم السفلي (netherworld) أحياناً على أنه "بيت الظلمة"" (|دراسي|:1207-1208؛ |NIV|:742).

4885 . "حَرَقَ عَلَيَّ أَسْنَانَهُ" (أيوب 16:9) صفة من صفات الأشرار حين يهاجمون الأبرار. بدليل: "الشِّرِّيرُ يَتَفَكَّرُ ضِدَّ الصِّدِّيقِ وَيُحَرِّقُ عَلَيْهِ أَسْنَانَهُ" (المزامير 37:12). "الشِّرِّيرُ يَرَى فَيَغْضَبُ. يُحَرِّقُ أَسْنَانَهُ وَيَذُوبُ. شَهْوَةُ الشِّرِّيرِ تَبِيدُ" (المزامير 112:10). اقرأ أيضاً (المزامير 35:16) (مراثي إرميا 2:16).

4886. **Job 16.9** “*Persecutes:* The verb (“satam”) is related to the root of “Satan,” and in later Jewish literature, another name for Satan is “Mastema.”” (|JSB|:1519). “MASTEMA […], the name of the devil in the Book of Jubilees. He is there identical with Satan” (|EJ|:13\668).

4887 . في إشارته لله بكلمة "عدو" (أيوب 16:9) واستخدامه لعبارات مثل "سِهَامَ الْقَدِيرِ" (أيوب 6:4) و "أَحَاطَتْ بِي رُمَاتُهُ (أي: رُمَاةُ سِهامِهِ). شَقَّ كُلْيَتَيَّ وَلَمْ يُشْفِقْ" (أيوب 16:13)، يردد أيوبُ ما قاله النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "مَدَّ [الربُّ] قَوْسَهُ كَعَدُوٍّ. نَصَبَ يَمِينَهُ كَمُبْغِضٍ وَقَتَلَ كُلَّ مُشْتَهَيَاتِ الْعَيْنِ فِي خِبَاءِ بِنْتِ صِهْيَوْنَ. سَكَبَ كَنَارٍ غَيْظَهُ. صَارَ السَّيِّدُ كَعَدُوٍّ. ابْتَلَعَ إِسْرَائِيلَ. ابْتَلَعَ كُلَّ قُصُورِهِ. أَهْلَكَ حُصُونَهُ، وَأَكْثَرَ فِي بِنْتِ يَهُوذَا النَّوْحَ وَالْحُزْنَ" (مراثي إرميا 2:4-5) "هُوَ (أي: الربُّ) لِي دُبٌّ كَامِنٌ، أَسَدٌ فِي مَخَابِئَ. مَيَّلَ طُرُقِي وَمَزَّقَنِي. جَعَلَنِي خَرَابًا. مَدَّ قَوْسَهُ وَنَصَبَنِي كَغَرَضٍ لِلسَّهْمِ. أَدْخَلَ فِي كُلْيَتَيَّ نِبَالَ جُعْبَتِهِ. صِرْتُ ضُحْكَةً لِكُلِّ شَعْبِي، وَأُغْنِيَةً لَهُمُ الْيَوْمَ كُلَّهُ. أَشْبَعَنِي مَرَائِرَ" (مراثي إرميا 3:10-15) "وَلَمْ يَشْفِقْ" (مراثي إرميا 2:2) "وَلَمْ يَشْفِقْ" (مراثي إرميا 2:17) "وَلَمْ تَشْفِقْ [يَا رَبُّ]" (مراثي إرميا 2:21) "وَلَمْ تَشْفِقْ [يَا الله]" (مراثي إرميا 3:43).

4888 . "مِنْ أَجْلِ هذَا حَزِنَ قَلْبُنَا. مِنْ أَجْلِ هذِهِ أَظْلَمَتْ عُيُونُنَا" (مراثي إرميا 5:17).

4889 . استعار أيوب هذا الكلام مما قاله النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "أَبَرُّ أَنْتَ يَا رَبُّ مِنْ أَنْ أُخَاصِمَكَ (أي: أَتَّهِمَكَ). لكِنْ أُكَلِّمُكَ مِنْ جِهَةِ أَحْكَامِكَ: لِمَاذَا تَنْجَحُ طَرِيقُ الأَشْرَارِ؟ اطْمَأَنَّ كُلُّ الْغَادِرِينَ غَدْرًا! [أَنْتَ] غَرَسْتَهُمْ فَأَصَّلُوا (أي: فتأَصّلوا؛ فَصَارَتْ لَهُمْ جُذُورٌ). نَمَوْا وَأَثْمَرُوا ثَمَرًا. أَنْتَ قَرِيبٌ فِي فَمِهِمْ (أي: اسْمُكَ يَتَرَدَّدُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) وَبَعِيدٌ مِنْ كُلاَهُمْ (أي: وَلَكِنَّهُ بَعِيدٌ عَنْ قُلُوبِهِمْ)" (إرميا 12:1-2).

4890. “Job not only maintains that he is innocent and that God is corrupt, but that the well-known fact that the wicked may prosper is incontrovertible evidence of his claim” (|JSB|:1494).

4891 . إذا كان مصير البار لا يختلف كثيراً عن مصير الأثيم، بل هو نفس المصير وهو الألم والموت، فهذا يعني فوراً أن الله غير عادل في أحكامه. راجع مقدمة قصة هلاك سدوم وعمورة: "فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ [لِلرَّبِّ]: «أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ. أَفَتُهْلِكُ الْمَكَانَ وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟»" (التكوين 18:23-25).

4892 . استعار أيوب هذا الكلام مما قاله النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "لأَنِّي كُلَّمَا تَكَلَّمْتُ صَرَخْتُ. نَادَيْتُ: «ظُلْمٌ وَاغْتِصَابٌ!» لأَنَّ كَلِمَةَ الرَّبِّ صَارَتْ لِي لِلْعَارِ وَلِلسُّخْرَةِ (أي: للسخرية) كُلَّ النَّهَارِ" (إرميا 20:8).

4893 . استعار أيوب هذا الكلام مما قاله النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "لأَنَّ إِخْوَتَكَ أَنْفُسَهُمْ وَبَيْتَ أَبِيكَ قَدْ غَادَرُوكَ هُمْ أَيْضًا. هُمْ أَيْضًا نَادَوْا وَرَاءَكَ بِصَوْتٍ عَالٍ. لاَ تَأْتَمِنْهُمْ إِذَا (أي: وَإِنْ) كَلَّمُوكَ بِالْخَيْرِ" (إرميا 12:6).

4894 . استعار أيوب هذا الكلام مما قاله النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "خَطِيَّةُ يَهُوذَا مَكْتُوبَةٌ بِقَلَمٍ مِنْ حَدِيدٍ، بِرَأْسٍ مِنَ الْمَاسِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى لَوْحِ قَلْبِهِمْ وَعَلَى قُرُونِ مَذَابِحِكُمْ" (إرميا 17:1).

4895 . |معاصر|:925. انظر أيضاً |معاصر|:922؛ |JSB|:1523. وقيل إن الفادي في (أيوب 19:25) "يبدو أنه ليس إلا الله نفسه (none other than God himself)" (|دراسي|:1220؛ |NIV|:751).

4896. “Job explains how difficult it is to summon a God who is both severe and unfair. Even if he were to get a hearing, he would be falsely incriminated (9.20, 30-31)” (|JSB|:1508).

4897 . |معاصر|:929.

4898 . (أيوب 9:12) هي الآية الوحيدة في (أيوب 1:3 – 24:37) التي تذكر اسمَ "يهوه" (Yahweh) إله إسرائيل!

4899 . |معاصر|:918.

4900 . |دراسي|:1210؛ |NIV|:743.

4901 . يبدو أن أيوب يشير إلى: "وَتَكُونُ دَهَشًا وَمَثَلًا وَهُزْأَةً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ يَسُوقُكَ الرَّبُّ إِلَيْهِمْ" (التثنية 37:28).

4902. “The *Deep* is where the Mesopotamian god of wisdom Ea, and El, the wise head of the Canaanite pantheon, reside” (|JSB|:1534).

4903 . "في بلاد الرافدين [...] كان الإله إنكي (Enki) (أو إيا Ea) أول إله يرتبط اسمه بالحكمة الذي يسبغ ممارسات وطقوس فنِّية (cultic and ritual arts) على البَشر. ولذا فمصدر الحكمة كان إنكي نفسه رغم إنه هو مجرد مستودع الحكمة (the most informed repository) وليس المُنشِئ لها. مثل يهوه [أو أدوناي] في الأعداد 23-27 يُصوَّر كمن يعرف أين توجد الحكمة وليس خالق الحكمة [ولا منشؤها]. فإن اعتُبِرت الحكمة قدرةً على إدراك النظام الترتيب المتأصِّل في خلق العالم، فإنها يمكن الحصول عليها فقط ممن أسَّس النظام. وبالمِثل فإن العَظَمة المنسوبة لمردوخ (Marduk) عند البابليين أعطته الفرصة لأن يخاطبوه بسيد الحكمة (the Lord of Wisdom)" (|IVP-OT-ar|:38/3؛ |IVP-OT|:506).

4904 . |NIV|:729، 759.

4905 . |JSB|:1533.

4906 . |معاصر|:933-934. ملحوظة: المفهوم التقليدي للحكمة هو "مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ" (الأمثال 7:1)، "لاَ تَكُنْ حَكِيمًا فِي عَيْنَيْ نَفْسِكَ. اتَّقِ الرَّبَّ وَابْعُدْ عَنِ الشَّرِّ" (الأمثال 7:3)، "مَخَافَةُ الرَّبِّ بُغْضُ الشَّرِّ. الْكِبْرِيَاءَ وَالتَّعَظُّمَ وَطَرِيقَ الشَّرِّ وَفَمَ الأَكَاذِيبِ أَبْغَضْتُ" (الأمثال 13:8)، "بَدْءُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ، وَمَعْرِفَةُ الْقُدُّوسِ فَهْمٌ" (الأمثال 10:9)، "مَخَافَةُ الرَّبِّ أَدَبُ حِكْمَةٍ، وَقَبْلَ الْكَرَامَةِ التَّوَاضُعُ" (الأمثال 33:15)، "وَفِي مَخَافَةِ الرَّبِّ الْحَيَدَانُ عَنِ الشَّرِّ" (الأمثال 6:16)، "رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ (أي: التواضع الواثق humble trust في الرب وطاعته)" (المزامير 10:111)، وآيات أخرى بنفس المعنى.

4907 . "إِنِّي بِاسْمِ الرَّبِّ (Yahweh) أُنَادِي. أَعْطُوا عَظَمَةً لإِلهِنَا (Elohim). هُوَ الصَّخْرُ الْكَامِلُ صَنِيعُهُ" (التثنية 3:32-4). اقرأ أيضاً "الرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي" (المزامير 2:18) "لأَنَّهُ مَنْ هُوَ إِلهٌ غَيْرُ الرَّبِّ؟ وَمَنْ هُوَ صَخْرَةٌ سِوَى إِلهِنَا؟" (المزامير 31:18) " حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، وَمُبَارَكٌ صَخْرَتِي" (المزامير 46:18) "أَقُولُ للهِ صَخْرَتِي: «لِمَاذَا نَسِيتَنِي؟ لِمَاذَا أَذْهَبُ حَزِينًا مِنْ مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ؟»" (المزامير 9:42) "هَلُمَّ نُرَنِّمُ لِلرَّبِّ، نَهْتِفُ لِصَخْرَةِ خَلاَصِنَا" (المزامير 1:95).

4908. “By stigmatizing Job, God has not only done Job an injustice – He has prevented Job from executing justice” (|JSB|:1535).

4909 . قوله "كُنْتُ أَسْتَنْكِفُ مِنْ أَنْ أَجْعَلَ آبَاءَهُمْ مَعَ كِلاَبِ غَنَمِي" (أيوب 1:30) يؤكد 100% أن أيوب كان متكبِّراً جداً!

4910 . يردد أيوبُ ما قاله النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "صِرْتُ ضُحْكَةً لِكُلِّ شَعْبِي، وَأُغْنِيَةً لَهُمُ الْيَوْمَ كُلَّهُ" (مراثي إرميا 14:3). اقرأ أيضاً: "أَوْقَفَنِي مَثَلًا لِلشُّعُوبِ، وَصِرْتُ لِلْبَصْقِ فِي الْوَجْهِ" (أيوب 6:17).

4911 . نفس الفعل الذي استخدمه أيوب في (أيوب 9:16). فراجع ما قلناه عنه فيما سبق.

4912. “*House assigned for all the living* becomes a Jewish term for a cemetery” (|JSB|:1537).

4913 . "حيث تخدم هذه الصيغة في سياق المقطع الذي تنتمي إليه في إظهار التناقض بين الكرم الذي أظهره أيوب تجاه الآخرين [في الماضي قبل التجربة]، والقسوة التي يعاني منها هو الآن من الله والآخرين على السواء" (|معاصر|:936).

4914. “In accordance with the legal process, Job takes what modern scholars call an oath of innocence, in which he swears that he has committed no trespass that could

possibly warrant the punishment he believes he is receiving from God (ch 31)" (|JSB|:1493).

4915 . "القبلة على اليد (أيوب 31:27ب) ترتبط بعبادة الآلهة والأوثان في الشرق الأدنى القديم (هوشع 13:2) (1 ملوك 19:18)، حيث كان رمي قبلة باليد يعتبر أحد أهم حركات العبادة في الديانة السومرية والآشورية والبابلية" (|معاصر|:937).

4916 . |معاصر|:937.

4917 . |و|:217/9/1.

4918 . |IVP-OT|:507. الترجمة العربية (|IVP-OT-ar|:39/3-40) وقُمْنا بتصحيح الترجمة: "كان" بدلاً من "لم يكن".

4919 . |معاصر|:936-937.

4920. **Job 31.21:** "Job had never taken advantage of his judicial position, as does God, in Job's charges (see v. 31.23 and cf. 9.16-20; 13.20-21)" (|JSB|:1538).

4921 . |دراسى|:1237، 1235؛ |NIV|:763، 762.

4922 . |مبسطة|:548.

4923 . |معاصر|:938.

4924. **Job 14.4:** Job "protests: humans should not be persecuted for being impure – that fact cannot be changed" (|JSB|:1515).

4925 . |معاصر|:922.

4926 . |آرثر|:852.

4927 . |معاصر|:931.

4928 . راجِع ما قلناه نقلاً عن |معاصر|:918؛ |دراسى|:1210؛ |NIV|:743.

4929. **Job 24.1-16:** "The wrongs people do to each other are lamented in many works of ancient Near Eastern wisdom, such as "The Tale of the Eloquent Peasant," and "The Admonitions of Ipu-Wer," from Egypt, and "The Babylonian Theodicy"" (|JSB|:1529).

4930 . |JSB|:1530.

4931 . |معاصر|:930. انظر أيضاً |دراسى|:1228؛ |NIV|:756-757.

4932 . "في أدب ما بين النهرين كان كل من يدخل العالم السفلي يمر عبر سبعة أبواب" (|دراسى|:1217؛ |NIV|:749).

4933 . |معاصر|:899.

4934 . محمد يوسف إدريس، "مُتخيَّل أحداث قصص الأنبياء والرسل في الكتاب المقدس والقرآن الكريم". الرباط – بيروت: مؤمنون بلا حدود. الطبعة الأولى، 2017. ص 505.

4935 . |عامري-أ|:334.

4936 . مثلاً |EJ|:11/342-351؛ |NIV|:1924. انظر أيضاً |معاصر|:894-896، 899.

4937. |JSB|:1495. Read also |OTP|:1\836.

4938 . |معاصر|:894.

4939. |JANT|:498.

4940. |NIV|:1924.

4941. |NIV|:739.

4942 . "يستخدم أيوب عدة صور جميلة في وصفه لخلق الله له (الفخاري (أيوب 10:9)، [...])" (|معاصر|:914).

4943 . "كان العلم الطبي القديم يتصوّر تكوّن الجنين كتجمّد دم الأم بتأثير عنصر الزرع" (|يسوعية|:العهدالقديم/1065)!

4944. “To eat a person’s flesh is a Semitic expression for defamation; e.g., Psalm 27.2; Daniel 3.8” (|JSB|:1523). Read also Daniel 6:24.

4945 . |ملطى|:أيوب/1134/4.

4946 . |معاصر|:937-938. انظر أيضاً |يسوعية|:العهدالقديم/1091.

4947. “It is now widely thought that the Elihu speeches were added to the preexisting book of Job” (|JSB|:1490). See also |JSB|:1539.

4948 . سفر أيوب وصف أليهو بالصبر، ولم يصف أيوبَ به. فعلينا بعد ذلك أن نقول "صبر أليهو" وليس "صبر أيوب"!

4949 . وقيل إن المقصود هو أليهو نفسه، أو بصفة عامة: خادم الله الأمين الذي يعزّي المتألمين ويرافقهم في محنتهم. وكالعادة، فإن المراجع المسيحية - التي تقرأ سفرَ أيوب في ضوء الإنجيل - تقول إن هذه الآية نبوة عن شخص السيد المسيح!

4950 . كما حدث مع نعمان السرياني الذي كان "أَبْرَصَ" (2 ملوك 5:1)، "فَنَزَلَ وَغَطَسَ فِي [نهر] الأُرْدُنِّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، حَسَبَ قَوْلِ رَجُلِ اللهِ (أي: النَّبِيِّ أَلِيشَع)، فَرَجَعَ لَحْمُهُ كَلَحْمِ صَبِيٍّ صَغِيرٍ (أي: شُفِيَ من الْبَرَصِ) وَطَهُرَ" (2 ملوك 5:14).

4951 . وهذا أيضاً ما حدث مع نعمان السرياني الذي آمن بالرب الإله الواحد بعد شفائه من الْبَرَصِ: "فَرَجَعَ إِلَى رَجُلِ اللهِ (أي: فَرَجَعَ نُعْمَانُ إلى النَّبِيِّ أَلِيشَع) [...] وَقَالَ: «هُوَذَا قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلهٌ فِي كُلِّ الأَرْضِ إِلاَّ فِي إِسْرَائِيلَ" (2 ملوك 5:15).

4952 . |دراسى|:1240؛ |NIV|:766.

4953 . |معاصر|:939.

4954 . وإذا أصرَّ الإنسانُ المؤمنُ المتألمُ على الحديث عن بره الذاتي، فليكن ذلك في أضيق الحدود وباختصار شديد في صلاته سراً فقط وليس أمام الناس وليس على سبيل الافتخار والمكابرة واحتقار الآخرين. كما فعل المَلِكُ "حَزَقِيَّا بْنُ آحَازَ" (Hezekiah the son of Ahaz) أثناء مرضه في أواخر االقرن الثامن قبل الميلاد. "فِي تِلْكَ الأَيَّامِ مَرِضَ حَزَقِيَّا لِلْمَوْتِ، فَجَاءَ إِلَيْهِ إِشَعْيَاءُ بْنُ آمُوصَ النَّبِيُّ وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَوْصِ بَيْتَكَ لأَنَّكَ تَمُوتُ وَلاَ تَعِيشُ». فَوَجَّهَ حَزَقِيَّا وَجْهَهُ إِلَى الْحَائِطِ وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «آهِ يَا رَبُّ، اذْكُرْ كَيْفَ سِرْتُ أَمَامَكَ بِالأَمَانَةِ وَبِقَلْبٍ سَلِيمٍ (بالعبرية: shalem) (wholeheartedly) وَفَعَلْتُ الْحَسَنَ فِي عَيْنَيْكَ». وَبَكَى حَزَقِيَّا بُكَاءً عَظِيمًا. فَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى إِشَعْيَاءَ قَائِلًا: «اذْهَبْ وَقُلْ لِحَزَقِيَّا: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ دَاوُدَ أَبِيكَ: قَدْ سَمِعْتُ صَلاَتَكَ. قَدْ رَأَيْتُ دُمُوعَكَ. هأَنَذَا أُضِيفُ إِلَى أَيَّامِكَ خَمْسَ عَشَرَةَ سَنَةً. وَمِنْ يَدِ مَلِكِ أَشُّورَ أُنْقِذُكَ وَهذِهِ الْمَدِينَةَ (أي: أُورُشَلِيمَ). وَأُحَامِي عَنْ هذِهِ الْمَدِينَةِ" (إشعياء 38:1-6). اقرأ أيضاً (2 ملوك 20:1-6).

4955 . |تطبيقى|:1114.

4956 . "**(أيوب 34:13-15)** هنا نرى غيرة أليهو على مجد الله القادر المتسلط الذي يعلن نعمته (grace) في كل لحظة باستمراره في بث نسمات الحياة إلى البشر" (|دراسى|:1242؛ |NIV|:767).

4957 . |يسوعية|:العهدالقديم/1094.

4958. “The sudden switch from third-person reference to God to the first person (“not I”) is a little disorienting but an allowable procedure in biblical usage” (|Alter|:3\555).

4959 . وفي الإنجيل، قال الشاب اليهودي يسوع المسيح: "أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ (أي: حتى لو بسيطة) يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ" (متى 12:36-37).

4960 . يوجد اختلاف كبير بين الترجمات العربية والأجنبية لهذه الآيات. وقالت حاشية الترجمة اليسوعية: "نص مشوّه وترجمة غير ثابتة" (|يسوعية|:العهدالقديم/1096). وقال مرجع (JSB): "Meaning of Hebrew uncertain" (|JSB|:1546).

4961 . |ملطى|:أيوب/1271/4.

4962 . بدليل ما قاله عن حياته قبل التجربة: "كُنْتُ أَخْتَارُ طَرِيقَهُمْ وَأَجْلِسُ رَأْسًا، وَأَسْكُنُ كَمَلِكٍ فِي جَيْشٍ، كَمَنْ يُعَزِّي النَّائِحِينَ" (أيوب 29:25)، "كُنْتُ أَسْتَنْكِفُ مِنْ أَنْ أَجْعَلَ آبَاءَهُمْ مَعَ كِلاَبِ غَنَمِي" (أيوب 30:1)!

4963 . |تطبيقى|:1126. أو كما قال السيد يسوع المسيح في موعظته على الجبل (The Sermon on the Mount): "«لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟ يَا مُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!" (متى 7:1-5).

4964 . أو كما قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ" (الخروج 19:33). ولقد استدل بولس الرسول بهذه الآية: "فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ عِنْدَ اللهِ ظُلْمًا؟ حَاشَا! لأَنَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى:«إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ، وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ». فَإِذًا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى، بَلْ ِللهِ الَّذِي يَرْحَمُ. لأَنَّهُ يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ: «إِنِّي لِهذَا بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُظْهِرَ فِيكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُنَادَى بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ». فَإِذًا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ" (رومية 9:14-18).

4965 . |JSB|:1532.

4966 . |معاصر|:955.

4967 . |معاصر|:897، 938، 942-943.

4968. “It is important to remember that the Elihu material was written later than the divine speeches, to anticipate them” (|JSB|:1547).

4969 . |قاموس-كتاب|:148.

4970 . |معاصر|:944.

4971 . "آلهة العاصفة (Storm gods) في الشرق الأدنى القديم (بَعْل-هداد Baal-Hadad في أوغاريت، أداد Adad في بلاد الرافدين) أظهروا أنفسهم أيضاً بهذه الطريقة" (|IVP-OT-ar|:42/3؛ |IVP-OT|:508-509). انظر أيضاً |JSB|:1548.

4972 . |دراسي|:1247؛ |NIV|:771.

4973 . "تنوّه الآيتان 26-27 بمجانية أعمال الله، أو باهتمام الله بكائنات غير البشر" (|يسوعية|:العهدالقديم/1099).

4974 . "وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، [...]». فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (التكوين 1:26-27)، "خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ. عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُ" (التكوين 5:1-2) [← **"لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (أي: في أحسن صورة)" (التين 4)، فهل توجد صورة أحسن من صورة الله؟**].

4975 . أو كما قال الرَّبُّ للنبي يونان (يونس): "أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا، الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ. أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ رِبْوَةً (أي: أكثر من 120 ألف) مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ، وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ؟" (يونان 4:10-11).

4976 . |معاصر|:944.

4977 . الإجابة: "لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" (إشعياء 55:8-9). أو كما قال بولس الرسول في العهد الجديد: "يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ! «لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأ؟» لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ" (رومية 11:33-36).

4978 . "إن الفقرة المختصة بالنعامة (الآيات 13-18) ناقصة في الترجمة اليونانية، ولذلك فهي تُعدّ إضافة" (|يسوعية|:العهدالقديم/1101). لكن بغض النظر عن أصالتها وكذلك بغض النظر عن مدى صحتها العلمية، فإن ذِكْر تخلِّي النعامة عن أولادها يُذكّرنا بما قاله النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "بَنَاتُ آوَى أَيْضًا أَخْرَجَتْ أَطْبَاءَهَا (أي: ثدييها)، أَرْضَعَتْ أَجْرَاءَهَا. أَمَّا بِنْتُ شَعْبِي (يقصد: شَعْبِي؛ أورشليم) فَجَافِيَةٌ كَالنَّعَامِ فِي الْبَرِّيَّةِ" (مراثي إرميا 4:3). "أي يمثل أورشليم بأم صارت قاسية على أولادها تركتهم يموتون جوعًا أو قتلًا بسيف بابل" (|مارمرقص|:العهدالقديم/458/19).

4979 . "هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلاَ تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هؤُلاَءِ يَنْسَيْنَ، وَأَنَا [الربُّ] لاَ أَنْسَاكِ. هُوَذَا عَلَى كَفَّيَّ نَقَشْتُكِ. أَسْوَارُكِ أَمَامِي دَائِمًا" (إشعياء 49:15-16).

4980 . وكذلك ذِكْر الفرس مع الجراد في نفس السياق يُذكّرنا بما قاله النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "اِرْفَعُوا الرَّايَةَ فِي الأَرْضِ. اضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي الشُّعُوبِ. [...] أَصْعِدُوا الْخَيْلَ كَغَوْغَاءَ مُقْشَعِرَّةٍ (أي: كَجَحَافِلِ الْجَرَادِ الشَّرِسَةِ)" (إرميا 51:27). اقرأ أيضاً (إرميا 8:16).

4981 . |معاصر|:944-945. انظر أيضاً |JSB|:1548.

4982 . صفة من صفات الله: "بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ. يَا رَبُّ إِلهِي، قَدْ عَظُمْتَ جِدًّا. مَجْدًا وَجَلاَلًا لَبِسْتَ" (المزامير 104:1).

4983 . عمل من أعمال الله: "وَأُعَاقِبُ الْمَسْكُونَةَ عَلَى شَرِّهَا، وَالْمُنَافِقِينَ عَلَى إِثْمِهِمْ، وَأُبَطِّلُ تَعَظُّمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَضَعُ تَجَبُّرَ الْعُتَاةِ" (إشعياء 13:11)؛ "صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ. أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ. أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ" (لوقا 1:51-53).

4984 . |دراسي|:1251؛ |NIV|:774. انظر أيضاً |JSB|:1552.

4985 . وصف الْمُرَنِّمُ الله بنفس الكلمات تقريباً! "صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ" (المزامير 18:8)!

4986 . |آرثر|:865.

4987 . من المحتمل أن بولس الرسول اقتبس الجزءَ الأول من هذه الآية (أيوب 41:11)، ربما لأنها تساعده على إثبات أن الخلاص بالنعمة (الرحمة) الإلهية المجانية وليس بالأعمال الصالحة (أي ليس بالبر الذاتي المزعوم): "يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ! «لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأَ؟» لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ" (رومية 11:33-36).

4988 . وهذا ما فعله أصحابُ القرآن حين أعادوا كتابةَ قصةِ سقوط الإنسان (آدم): حذفوا "الْحَيَّة" وذكروا "الشيطان" صراحةً.

4989 . |معاصر|:948-951.

4990 . أو كما قال السيد يَسُوعُ المسيح لبطرس: "لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ" (يوحنا 13:7).

4991. Rabbi Yitzchak Breitowitz, “The Book of Job”, https://www.youtube.com/watch?v=e9LB47o4Q9M

4992. “The Book of Job Explained”, https://www.youtube.com/watch?v=kZKuixGmiMw

4993 . "وَيْلٌ لِلْحُكَمَاءِ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ، وَالْفُهَمَاءِ عِنْدَ ذَوَاتِهِمْ" (إشعياء 5:21) "لاَ تَكُنْ حَكِيمًا فِي عَيْنَيْ نَفْسِكَ" (الأمثال 3:7).

4994 . |آرثر|:827.

4995 . "فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ. لأَنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدَّيْنُونَةِ (أي: الحساب والجزاء)، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ، إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا" (الجامعة 12:13-14) **[← "يَوْمَئِذٍ (أي: يوم القيامة؛ يوم الحساب والجزاء) يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" (الزلزلة 6-8). وتُعرَف هذه الآية في التراث الإسلامي باسم "الفاذَّة الْجَامِعَة" (مسلم 987؛ |م|:682/2)!].**

4996 . |قاموس-كتاب|:147-148. انظر أيضاً |كتابية|:584/1.

4997 . |IVP-OT|:497. الترجمة العربية (|IVP-OT-ar|:23/3-24).

4998 . |تطبيقي|:1124؛ |CLASB-NLT|:130.

4999 . "هُوَذَا الرَّجَاءُ بِهِ كَاذِبٌ. [...] لَيْسَ مِنْ شُجَاعٍ يُوقِظُهُ، فَمَنْ يَقِفُ إِذًا بِوَجْهِي [أنا الله خالق لوياثان وبالتالي أقوى منه]؟" (أيوب 41:9-10). وقال يسوع المسيح: "حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ (أي: الشيطانُ) دَارَهُ (أي: هذا العالم الأرضي الدنيوي) مُتَسَلِّحًا، تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ (أي: تظل نفوس الخطاة تتبع الشيطانَ وتخضع له). وَلكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ (أي: المسيحُ) فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ، وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ (أي: الخطيةَ أقوى أسلحة الشيطان؛ و/أو: الموتَ أجرة الخطية) الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ، وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ (أي: يسترد الأشخاص الذين استولى عليهم الشيطان فوقعوا تحت تأثيره وسلطانه، لكن الإيمان بالفادي والمخلص يسوع المسيح ابن الله حوَّلهم من عبيد للشيطان إلى أحرار وأحباء للمسيح وأبناء لله)" (لوقا 11:21-22)؛ (متى 12:29).

5000 . أو كما قال النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: مَلْعُونٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الإِنْسَانِ، وَيَجْعَلُ الْبَشَرَ ذِرَاعَهُ، وَعَنِ الرَّبِّ يَحِيدُ قَلْبُهُ. [...] مُبَارَكٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الرَّبِّ، وَكَانَ الرَّبُّ مُتَّكَلَهُ" (إرميا 17:5-7).

5001 . أو كما قال النبي إرميا (Jeremiah) الذي تنبأ بخراب أورشليم وعاصر السبي البابلي وتنبأ أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي إلى مدينتهم المقدسة أورشليم: "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ، يَقُولُ الرَّبُّ" (إرميا 9:23-24). أو كما قال بولس الرسول: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ (the gift of God). لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ [الْبِرّ] كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ" (أفسس 2:8-9)؛ "وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ (أي: ليس البر من العمل بأوامر الشريعة واجتناب نواهيها)، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ.

لأَعْرِفهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ، لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ" (فيلبي 3:9-11)؛ "إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا" (غلاطية 16:2). اقرأ أيضاً مَثَل "الغني الغبي" (The Parable of the Rich Fool) الذي اتكل على ثرواته: "وَضَرَبَ [يسوع] لَهُمْ مَثَلًا قَائِلًا: «إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ، فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: مَاذَا أَعْمَلُ، لأَنْ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي؟ وَقَالَ: أَعْمَلُ هذَا: أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلاَّتِي وَخَيْرَاتِي، وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اِسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي! فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَا غَبِيُّ! هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ، فَهذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟ هكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا للهِ»" (لوقا 12:16-21).

5002 . السيد يسوع المسيح نفسه لم يتكل على ذاته، وإنما اتكل على الله في جميع أفعاله وأقواله: "أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ (أي: اللهِ) الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يوحنا 30:5) "وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي (أي: الله)" (يوحنا 28:8) "اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي" (يوحنا 10:14) "اَلْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ [مِنِّي] لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ (أي: لله) الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يوحنا 24:14).

5003 . قال السيد يسوع المسيح: "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ" (يوحنا 3:16-18).

5004 . |دراسى|:1189، 1243؛ |NIV|:729، 768.

5005 . |معاصر|:950.

5006 . |معاصر|:916.

5007 . |كتابية|:582/1.

5008 . إبراهيم قام بتربية إسحاق ابن زوجته الحرة سارة بينما طرد إسماعيلَ ابن سُرِّيَّتِهِ هاجر (التكوين 9:21-21).

5009 . **[← "وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (البقرة 216)؛ "لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ" (النور 11)].**

5010 . |آرثر|:1709.

5011. “The Book of Job Explained”, https://www.youtube.com/watch?v=kZKuixGmiMw

5012. عظة للبابا شنوده الثالث بتاريخ 3 يوليو 1996, https://www.youtube.com/watch?v=fHShrYV3mOU

5013 . |بكر|:316.

5014. |QSC|:330. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-039

5015 . |GR-AQ|:905. انظر أيضاً |GR-AQ|:78-79.

5016 . |شعراوى-قصص|:336.

5017 . |ملطى|:أيوب/1380/4.

5018 . |ملطى|:أيوب/1382/4. انظر أيضاً |معاصر|:949.

5019 . |دراسى|:1254. انظر أيضاً |NIV|:776.

5020 . |يسوعية|:العهدالقديم/1104.

5021 . |ملطى|:أيوب/1382/4-1383.

5022. |JSB|:1555.

5023 . |معاصر|:949-950.

5024 . |آرثر|:866.

5025 . |تطبيقى|:1126.

5026 . |MH-ar|:العهدالقديم/122/2. انظر أيضاً |MH|:187/3.

5027 . ""عَبْدِي دَاوُد"، وهو لقب يدعو به الربُّ أنبياءه المصطفين المخلصين له" (|مارمرقص|:العهدالقديم/323/5).

5028 . |معاصر|:951-952.

5029 . |دراسي|:1254. انظر أيضاً |NIV|:776؛ |كتابية|:584/1. ملحوظة: في (أيوب 1-2)، كان أيوب يتحدث عن الله بصيغة الغائب. لكنه بعد ذلك بدأ يتحدث إلى الله بصيغة المخاطَب، وهذا ما يريده الله (اقرأ مثلاً الصلاة الربانية).

5030 . كما قال السيد يسوع المسيح في موعظته على الجبل (The Sermon on the Mount): "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (متى 5:44). وكما قال وهو يتألم على الصليب قبل موته: "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ (أي: لمَن صلبوه)، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا 23:34). وكما قال الشهيد استفانوس (Saint Stephen) قبل موته رجماً: "يَارَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ (أي: لمَن رجموه) هذِهِ الْخَطِيَّةَ" (أعمال الرسل 7:60). وكما تقول الصلاة الربَّانيَّة (The Lord's Prayer): "وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا" (متى 6:12)؛ "وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا" (لوقا 11:4).

5031 . |معاصر|:953.

5032 . كما استخدم اللهُ تجربةَ يوسف الصديق من أجل مصلحة إخوته أيضاً، وليس من أجل مصلحة يوسف فقط. بدليل أن يوسف نفسه قال لهم في نهاية القصة: "أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا [للجميع]، لِكَيْ يَفْعَلَ [اللهُ] كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ [اللهُ] شَعْبًا كَثِيرًا" (التكوين 50:20).

5033 . |يسوعية|:العهدالقديم/1105.

5034. |JSB|:1494; |JSB|:1555. For a discussion on why Job 4.12-21 "were originally a part of Job's speech rather then Eliphaz's", read |JSB|:1491.

5035 . "كُلِّ الشَّرِّ (trouble; misfortune) الَّذِي جَلَبَهُ الرَّبُّ (the LORD) (Yahweh) عَلَيْهِ" (أيوب 42:11). حتى نهاية سفر أيوب، لم يعلم أحدٌ أي شيء عن الصراع الذي دار بين الرب والشيطان في (أيوب 1-2) والذي كان عِلَّةَ معاناة أيوب!

5036 . (البخاري 3211؛ |خ|:1240/3) (البخاري 7055؛ |خ|:2723/6) (البخاري 275؛ |خ|:1/107-108). انظر أيضاً |خالدي-ج|:344-345؛ |عامري-أ|:333.

5037 . في بداية قصة أيوب حسب سفر أيوب: "كَانَتْ مَوَاشِيهِ سَبْعَةَ آلاَفٍ مِنَ الْغَنَمِ، وَثَلاَثَةَ آلاَفِ جَمَلٍ، وَخَمْسَ مِئَةِ فَدَّانِ بَقَرٍ (أي: 500 زَوْجٍ من البقر)، وَخَمْسَ مِئَةِ أَتَانٍ" (أيوب 1:3).

5038 . قيل إن الْعَشَرَةَ الذين ماتوا ما زالت أرواحهم حية أمام الله! "لَيْسَ اللهُ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاءٍ" (متى 22:32) "لأَنَّ الْجَمِيعَ عِنْدَهُ أَحْيَاءٌ" (لوقا 20:38)، (مرقس 12:27). ثم أعطاه اللهُ عَشَرَةً جدد وبهذا صار له ضِعف البنين والبنات! وكالعادة، يوجد رأي آخر يقول إن العشرة الجدد هُمْ الْعَشَرَةَ الذين ماتوا لكن الله أحياهم؛ مما يعني أن عدد البنين والبنات لم يتضاعف! ويوجد رأي ثالث يقول إن (أيوب 1:18-19) لم تقل صراحةً إن أولاد أيوب العشرة ماتوا؛ مما يعني أن أولاد أيوب كانوا أحياء طوال تجربته لكنهم ابتعدوا عنه فقط، بدليل قوله: "نَكْهَتِي مَكْرُوهَةٌ عِنْدَ امْرَأَتِي، وَخَمَمْتُ عِنْدَ أَبْنَاءِ أَحْشَائِي" (أيوب 19:17)!

5039. "literally "in the midst of," a usage that indicates an equal share" (|JSB|:1556).

5040 . |IVP-OT|:511. الترجمة العربية (|IVP-OT-ar|:45/3).

5041 . كما تقول الصلاة الربَّانيَّة (The Lord's Prayer): "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ [...] لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ" (متى 6:9-10) (لوقا 11:2). أو كما قال السيد يسوع المسيح البار قُبيل صلبه: "خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ (يقصد: الآلام؛ الصلب والموت)، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ»" (متى 26:39) "فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ»" (متى 26:42)؛ "وَخَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ. وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ»" (مرقس 14:35-36)؛ "وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ»" (لوقا 22:41-42).

5042 . |معاصر|:953-956.

5043 . |ينابيع|:23/121-122.

5044 . (أيوب 10:12): "مَنَحْتَنِي [يا رب] حَيَاةً وَرَحْمَةً، وَحَفِظَتْ عِنَايَتُكَ رُوحِي" **[← "وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" (الأنبياء 83)].**

5045 . |EI-2|:1/795-796. انظر أيضاً |Bell|:454/2.

5046 . انظر أيضاً |Sidersky|:72.

5047 . |خالدي-ج|:344.

5048 . |GR-AQ|:694.

5049 . قيل إن 140 سنة هي على الأقل 10 أضعاف مدة تجربة أيوب، مما يعني أن مدة تجربة أيوب كانت أقل من 14 سنة. ويعني روحياً أن مدة آلامنا على الأرض أقل بكثير من مدة راحتنا الأبدية بعد انتهاء كل الآلام.

5050 . وقيل: بما أن الله أعطى أيوبَ ضِعْفَ كل شيء. إذن: عُمْره بعد انتهاء التجربة = ½ * 140 = 70 سنة. أي: عاش 70 + 140 = 210 سنة! أي عاش أكثر من إبراهيم (175 سنة) (التكوين 25:7) وأكثر من إسحاق (180 سنة) (التكوين 35:28) وأكثر من يعقوب/إسرائيل (147 سنة) (التكوين 47:28) وأكثر بكثير من موسى (120 سنة) (التثنية 34:7)!

5051 . العمر الطويل ورؤية الأحفاد كانتا دليلاً على بركة الرَّبِّ على عباده الأتقياء. "طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ، وَيَسْلُكُ فِي طُرُقِهِ. [...] هكَذَا يُبَارَكُ الرَّجُلُ الْمُتَّقِي الرَّبَّ. يُبَارِكُكَ الرَّبُّ مِنْ صِهْيَوْنَ، وَتُبْصِرُ خَيْرَ أُورُشَلِيمَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ، وَتَرَى بَنِي بَنِيكَ. سَلاَمٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ" (المزامير 128:1-6). اقرأ أيضاً (المزامير 1:3، 90:10) (2 ملوك 10:30) (طوبيا 9:11، 14:15 حسب الترجمة اللاتينية).

5052 . |معاصر|:898. انظر أيضاً |IVP-OT|:495؛ |IVP-OT-ar|:3/20.

5053. “Le Livre de Job (XXVI, 11) assimile les montagnes, censées supporter la voûte céleste, aux « colonnes des cieux »” (|Masson|:862)! Cf. |Aldeeb|:478.

5054 . |مارمرقص|:العهدالقديم/9/345.

5055 . |دراسي|:1205، 1669؛ |NIV|:740، 1075. انظر أيضاً |كتابية|:4/140.

5056 . |آرثر|:839. انظر أيضاً |كتابية|:4/140.

5057 . |دراسي|:1205.

5058 . |دراسي|:1662؛ |NIV|:1070. للمزيد عن "لَوِيَاثَان" (Leviathan)، راجع ما قلناه عن سقوط إبليس (الشيطان).

5059 . |معاصر|:931؛ 948. انظر أيضاً |IVP-OT|:505-506؛ |IVP-OT-ar|:3/37؛ |JSB|:1531-1532؛ |السواح|:22/175-177. ملحوظة: يُعتقد أن نهر الليطاني (Litani River) في جنوب لبنان اشتق اسمه من اسم هذا الكائن الأسطوري "لوتان" (Litan) الذي يُسمَّى "لوياثان" (Leviathan) في سفر أيوب ومواضع أخرى في العهد القديم.

5060 . |كتابية|:1/586.

5061 . |يسوعية|:العهدالقديم/1102-1103.

5062 . |يسوعية|:العهدالقديم/1056.

5063 . |يسوعية|:العهدالقديم/1061.

5064 . د. كارم محمود عزيز، "أساطير التوراة وتراث الشرق الأدنى القديم"، الجيزة: مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، 2006، ص 111، 106.

5065 . |ملطي|:أيوب/4/1343. "اللوياثان [...] يرمز للشيطان" (|مارمرقص|:العهدالقديم/9/469، العهدالقديم/12/44).

5066 . وهذا ما فعله أصحابُ القرآن حين أعادوا كتابةَ قصةِ سقوط الإنسان (آدم): حذفوا "الْحَيَّة" وذكروا "الشيطان" صراحةً.

5067 . |يسوعية|:العهدالقديم/1102.

5068 . |ملطي|:أيوب/4/1332. "بهيموث يرمز للشهوات الشريرة التي يثيرها الشيطان على الإنسان، فيصبح الإنسان كالبهائم، ويتعلق بالأرض، ويأكل عشبها، ويجلس في البحر، الذي يرمز للعالم بحجمه الضخم" (|مارمرقص|:العهدالقديم/9/468).

5069 . وهذا ما فعله أصحابُ القرآن حين أعادوا كتابةَ قصةِ سقوط الإنسان (آدم): حذفوا "الْحَيَّة" وذكروا "الشيطان" صراحةً.

5070. |JSB|:1552-1553.

5071 . |IVP-OT|:510-511. الترجمة العربية (|IVP-OT-ar|:3/44-45) وهي تختلف عن النص الإنجليزي الأصلي في أكثر من موضع، فقُمْنا بتصحيحها. مثلاً: "فرس النهر" بدلاً من "وحيد القرن"؛ "17:40" بدلاً من "7:40"؛ "الأرشو" بدلاً من "الأشرو"؛ وعبارات وجمل أخرى للتوضيح بين قوسين []!

5072 . "أُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ. فَقَاوِمُوهُ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ، عَالِمِينَ أَنَّ نَفْسَ هذِهِ الآلاَمِ تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ. وَإِلهُ كُلِّ نِعْمَةٍ الَّذِي دَعَانَا إِلَى مَجْدِهِ الأَبَدِيِّ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، بَعْدَمَا تَأَلَّمْتُمْ يَسِيرًا، هُوَ يُكَمِّلُكُمْ، وَيُثَبِّتُكُمْ، وَيُقَوِّيكُمْ، وَيُمَكِّنُكُمْ. لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ" (1 بطرس 5:8-11).

5073 . اقرأ التعليقات في المراجع الأكاديمية واليهودية والمسيحية الغربية مثل |IVP-OT|:508-511؛ |IVP-OT-ar|:3/42-45؛ |JSB|:1548-1554.

5074 . لمزيد من التفاصيل، انظر |كتابية|:1/586-589. انظر أيضاً |معاصر|:943.

5075 . |IVP-OT-ar|:2/242؛ |IVP-OT|:360-361. انظر أيضاً |سليم-حسن|:1/176-187؛ |سليم-حسن|:1/231-280.

5076 . |السواح|:22/123. انظر أيضاً |كتابية|:1/585-586.

5077 . |Kramer-fr|:130-134؛ |Kramer|:111-115؛ |ANET|:589-591؛ |السواح|:22/123-126. انظر أيضاً |Sparks|:61-62.

5078 . |السواح|:22/125؛ |ANET|:590؛ |Kramer-fr|:133. انظر أيضاً |Sparks|:61.

5079 . |ProcheOrient|:328-341؛ |أساطير|:385-399؛ |ANET|:596-600؛ |السواح|:22/126-128. انظر أيضاً |Hays|:321-337؛ |Coogan|:198-203؛ |Sparks|:62-63.

5080 . |ANET|:598-599؛ |ProcheOrient|:337؛ |أساطير|:395.

5081 . |ProcheOrient|:320-327؛ |أساطير|:377-384؛ |ANET|:601-604. انظر أيضاً |Coogan|:196-198؛ |Sparks|:63.

5082. "The *Oxford English Dictionary* defines theodicy as "a vindication of the divine attributes, esp. justice and holiness [and omnipotence], in respect to the existence of evil." Theodicy intends as Milton said of his *Paradise Lost*, to "justify the ways of God to men."" (|Hays|:335).

5083. عظة للبابا شنوده الثالث بتاريخ 3 يوليو 1996,
https://www.youtube.com/watch?v=fHShrYV3mOU

5084 . |مارمرقص|:العهدالقديم/9/494.

5085. "D'après le *Talmud* (*Baba Bathra* 15b), Job vécut au temps des patriarches" (|Sidersky|:71).

5086 . |طنطاوي-قصص|:2/103. انظر أيضاً |باش|:1/199 و "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية عشرة (الطبعة الذهبية)، 2014، ص 74-75.

5087. "That Job was a descendant of Abraham through Isaac is generally agreed [by later Muslim writers], though there is great confusion in the names which appear in his genealogy. […] Since he was a prophet (*nabī*ʾ) we are told that he came after Joseph in the prophetic series (though Ibn al-Kalbī placed him after Jonah)" (|EI-2|:1\796).

5088 . |عامري-أ|:337. انظر أيضاً |عامري-أ|:16-19.

5089. |JANT|:498.

5090. |EJ|:11\356.

5091. |JSB|:1496.

5092. "The Chaldeans […] ascended to power in Babylonia in the late 7th c. BCE" (|JSB|:1498). "the term "Chaldean" became a synonym for Babylonian" (|JSB|:852).

5093 . لمزيد من التفاصيل، انظر المراجع اليهودية والمراجع المسيحية الغربية مثل |JSB|؛ |NIV|.

5094 . ويوجد رأي آخر يقول إن بلدد هنا يتحدث فقط عن الذين لا يتكلون على الله. وفي جميع الأحوال، ما يهمنا هنا هو استعانة بلدد بمشهدٍ من الطبيعة يشبّه الله بمصدر المياه الحية.

5095 . |دراسى|:1201. انظر أيضاً |NIV|:737.

5096 . |دراسى|:1837. انظر أيضاً |NIV|:1193.

5097 . |دراسى|:1223.

5098 . محمد يوسف إدريس، "مُتخيَّل أحداث قصص الأنبياء والرسل في الكتاب المقدس والقرآن الكريم". الرباط – بيروت: مؤمنون بلا حدود. الطبعة الأولى، 2017. ص 344-345؛ 361؛ 397.

5099 . |دراسى|:1220؛ |NIV|:751.

5100 . |قاموس-كتاب|:295، 694.

5101. “during Iron Age I, iron was a precious metal that did not come into mass production until the tenth century [B.C.E.], with bronze surviving as the main utilitarian metal” (|EJ|:16\52).

5102 . |قاموس-كتاب|:208.

5103. **Job 19.24:** “*On a rock*, possibly an allusion to the huge and highly visible Behistun inscription of Darius of Persia (late 6th c. BCE), inscribed on a cliff overlooking a road. Cf. Jeremiah 17.1” (|JSB|:1523).

5104 . |ملطى|:أيوب/1392/4.

5105 . |معاصر|:900؛ 950.

5106 . |معاصر|:938.

5107. |Hays|:336. See also |JSB|:1492, 2224.

5108 . |معجم-ألفاظ|:773.

5109 . |كثير-هاشمى|:197-231؛ |كثير-بديوى|:250-286؛ |نجار|:154-182؛ |بكر|:95-147؛ |فضل|:78-116؛ |بدوى|:141/1-188؛ وتفاسير سورة يوسف.

5110 . |MIDEO|:135/22. انظر أيضاً |MIDEO|:195/22 نقلاً عن (L. Gasmi).

5111 . مِن نبوءات العهد القديم عن القبض على المسيح (عَبْدِ الرَّبِّ) وصلبه وموته: "ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إشعياء 53:7). اقرأ أيضاً "مِثْلَ شَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ، وَمِثْلَ خَرُوفٍ صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجُزُّهُ هكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (أعمال الرسل 8:32).

5112 . كما زعم الشيطانُ أنه "ينصح" آدمَ وحواء: "وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" (الأعراف 21).

5113 . كما زعم إلهُ الإسلام أنه "يحفظ" القرآنَ: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر 9).

5114 . |ضيف|:391.

5115 . كما كان الوحي إلى أُم موسى (طه 38) (القصص 7) إلهاماً وإرشاداً وإعلاماً بخفاء وليس وحي نبوة.

5116 . يشير الفصل الأول هنا إلى ما سيحدث في الفصل الثالث (flash-forward): "وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (أي: لم يعرفوه)" (يوسف 58). ثم بعد ذلك ذكَّرهم بما فعلوه به (يوسف 88-90).

5117 . "يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ" (يوسف 41).

5118. Translations and interpretations are sheer guesses: a costly garment that is spotted or multicolored; an upper garment in which figures are woven; an ornamented tunic; a loose-fitting tunic reaching the ankles; a long robe with long sleeves; a garment worn by a son or daughter of a king. See |Kugel|:452; |IS|:45\2\179-180; |Witztum|:217; 2 Samuel 13:18-19.

5119 . |JSB|:70؛ |يسوعية|:العهدالقديم/126.

5120 . "حَبْرُون" حالياً هي الخليل في جنوب الضفة الغربية؛ و "شَكِيم" حالياً هي نابلس في شمال الضفة الغربية؛ أما "دُوثَان" فتقع بالقرب مِن جنين في أقصى شمال الضفة الغربية. المسافة طويلة جداً!

5121 . اقرأ أيضاً "مَثَل الْكَرَّامِينَ" (Parable of the Wicked Husbandmen): "فَلَمَّا رَأَوْا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ!" (متى 38:21) "قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ فَيَكُونَ لَنَا الْمِيرَاثُ!" (مرقس 7:12) "تَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ لِكَيْ يَصِيرَ لَنَا الْمِيرَاثُ!" (لوقا 14:20).

5122 . ويقول الإنجيل عن يسوع المسيح: "فَعَرَّوْهُ" (متى 28:27) "وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ" (متى 35:27) (مرقس 24:15) (لوقا 33:23-34). لاحِظ التشابه بين أحداث قصة يوسف التوراتية وأحداث قصة يسوع الإنجيلية، وتأثير ذلك على القرآن. أو بعبارة أكثر دقة: تأثير ذلك على التراث المسيحي السرياني الذي أثَّر على القرآن كما سنرى بعد قليل.

5123 . |مارمرقص|:العهدالقديم/270/1.

5124 . |ضيف|:391.

5125 . |عيسى|:95/2. انظر أيضاً |قرطبى|:263/11؛ |قرطبى-مصر|:122/5.

5126 . |معجم-قراءات|:153/3؛ |خطيب|:193/4. انظر أيضاً |Witztum|:198؛ |شحرور|:226/2-230.

5127 . |خطيب|:207/4. انظر أيضاً |Witztum|:207.

5128 . ملحوظة: (يوسف 84) تنتمي إلى الفصل الثالث حين فقد يعقوبُ ابنَه بنيامين أيضاً، حسب القصة القرآنية.

5129 . ولذلك أعطاه القرآنُ لقبَ "الْعَزِيز" (يوسف 30، 51) كما سنرى في الفصل الثاني. وخير دليل على أن "الْعَزِيز" لقب وليس اسماً هو أن القرآن أطلقه على يوسف نفسه في الفصل الثالث (يوسف 78، 88).

5130 . |منيس|:75. ملحوظة: مِدْيَان (Midian) بن إبراهيم هو أخ غير شقيق لإسماعيل بن إبراهيم (التكوين 25:1-2).

5131 . |مارمرقص|:العهدالقديم/270/1. انظر أيضاً (القضاة 24:8) و |كتابية|:111/7؛ |EJ|:181/14.

5132 . |JSB|:71. ملحوظة: التقليد اليهوي أقدم مصدر من مصادر التوراة (القرن العاشر أو التاسع ق.م) يليه التقليد الإلوهيمي (الإيلوهي) (القرن الثامن ق.م) (|JSB|:2167-2168).

5133 . |يسوعية|:العهدالقديم/126.

5134 . |EJ|:441/7-442؛ |EJ|:406/11.

5135 . "روبيل" هو اسم "رَأُوبَيْن" في التوراة السريانية (البشيطا)، ومِن ثم انتقل إلى التراث العربي/الإسلامي.

5136 . |منتخب|:387. انظر أيضاً |ضيف|:392؛ |طنطاوى-قصص|:215/1-216؛ |شعراوى|:6896/11؛ |حجازى|:161/2؛ |وجدى|:305؛ |طيب|:130؛ |خالدى-أ|:106/2-107؛ |خالدى-ج|:175-176؛ |خالدى-د|:279-280؛ |بوهندي|:203/1-204.

5137 . |فهد|:237. انظر أيضاً |طبرى|:52/13-؛ |طبرى-شاكر|:10/16-؛ |كثير-شيخ|:23/8-؛ |قرطبى|:294/11-؛ |ج|:237؛ |ج-وطن|:237؛ |ج-البغا|:305؛ |قرنى|:281.

5138 . البابا شنوده الثالث، "تأملات في حياة القديسين يعقوب ويوسف"، القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، الطبعة السابعة، يوليو 2012، ص 74.

5139 . لمزيد مِن التفاصيل حول نظرية الوثائق/المصادر وغيرها مِن النظريات العلمية الأخرى واعتراضات التقليديين عليها، انظر |NIV|:2؛ |دراسى|:2-3؛ |ملطى|:التكوين/12-25؛ |JSB|:1-6، 2167-.

5140 . كل ما باللون الأخضر في العمودين هو مِن المصدر الكهنوتي (مصدر حواشي الكهنة).

5141 . "دُوثَان" كلمة عِبرية تعني "بئران" أو ربما تعني "آبار" (|مارمرقص|:العهدالقديم/268/1؛ |قاموس-كتاب|:379).

5142 . "هذا التصحيح من اقتراح لوسيان جوتيه، اعتماداً على أن المذكور في السياق (الفقرة 26) هو يهوذا لا رَأُوبَيْن، إذ أن رَأُوبَيْن إنما يظهر في القصة بروايتها عن المصدر الإلوهيمي بدلاً من يهوذا الذي لا يُذكَر هناك". المرجع: "قصص التوراة في ضوء النقد الأدبي" للأستاذ سعيد عطيه مطاوع، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2007، ص 213. انظر أيضاً |خالدى-د|:278.

5143 . محمد يوسف إدريس، "مُتخيَّل أحداث قصص الأنبياء والرسل في الكتاب المقدس والقرآن الكريم". الرباط – بيروت: مؤمنون بلا حدود. الطبعة الأولى، 2017. ص 324-325. ملحوظة: سنتحدث عن تفسير رؤيا مَلِك مصر في الفصل الثاني، وسنتحدث عن (التكوين 47) في الفصل الثالث.

5144 . أما قول يوسف "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" (يوسف 38)، فهي جملة عامة يستطيع أن يقولها أي إنسان يهودي أو مسيحي أو حتى مسلم. فلقد قال اليهودُ للمسيح: "أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ؟" (يوحنا 53:8). ويقول العهد الجديد أيضاً: "أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ" (أعمال الرسل 2:7) (رومية 12:4)؛ أي: أبينَا حسب الإيمان.

5145 . أما أصحاب القرآن، فوضعوا خلق السماوات والأرض في نهاية قصة يوسف، فلقد دعا يوسفُ ربَّه قائلاً: "فَاطِرَ (أي: خالق) السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" (يوسف 101).

5146 . |خالدي-د|:268-269.

5147. “the Qurʾān is making different use of available materials, no matter what their sources” (|MW|:75\1\9).

5148. حوار الحق 114,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=1606&cat=24&scat=42&

5149. حوار الحق 115,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=1637&cat=24&scat=42&

5150 . |IW2014|:534-535.

5151. “The main Syriac works devoted to Joseph date from the fourth and fifth century” (|Witztum|:188). See also |GR-AQ|:362-; |QHC-2|:427-.

5152 . انظر جداول المقارنة بين يوسف ويسوع، وكذلك دراسات "يوسف يُمثِّل المسيح" أو "يوسف رمز للمسيح" أو "المسيح هو يوسف الحقيقي" الموجودة في المراجع. مثلاً |مارمرقص|:العهدالقديم/1/355-356؛ |نطرون|:التكوين/456-؛ |آرثر|:141؛ |Witztum|:254-255؛ |Kugel|:478-479.

5153. See also the table of comparisons between Joseph and Jesus in: Kristian S. Heal, "Joseph as a Type of Christ in Syriac Literature," Brigham Young University Studies, 2002, vol. 41, no. 1.

5154. Joseph Witztum, "The Syriac Milieu of the Quran: The Recasting of Biblical Narratives". PhD Dissertation. Princeton, NJ: Princeton University. 2011 (|Witztum|:188-256). |QHC-2|:425-448.

5155. “the Syriac and Quranic accounts […] frequently depart from the Biblical text in similar ways” (|Witztum|:191). See also |QHC-2|:428.

5156 . |Potiphar|:80-82.

5157 . |Potiphar|:78-79؛ |Kugel|:320. ملحوظة: توجد تشابهات كثيرة بين قصتي يوسف وموسى، سواء على مستوى الأفكار أو العبارات أو حتى الكلمات، وسواء في التوراة والتراث اليهودي/المسيحي أو في القرآن والتراث الإسلامي.

5158 . أو بعبارة أكثر دقة: ولدته راحيلُ فِي طَرِيقِ بَيْت لَحْمٍ وَهُمْ راجعون مِن فَدَّانِ أَرَامَ إلى أرض كنعان (التكوين 18:35).

5159 . |بوهندي|:200/1.

5160 . كريمة كطيبي، "قصة يوسف بين التوراة والقرآن الكريم: الخصائص الفنية". دمشق: دار صفحات. الإصدار الأول، 2016. ص 67.

5161 . |خالدي-أ|:89/2، 91. وانظر |خالدي-ج|:173-174. ملحوظة: حسب الفقه الإسلامي، يُطالَب الأب بالعدل بين أبنائه في الأمور المادية (مثل الهدايا)، لكنه لا يُطالَب بالعدل بينهم في الأمور العاطفية (مثل المحبة لصغيرٍ والشفقة على مريضٍ).

5162 . |Witztum|:192. انظر أيضاً |QHC-2|:429.

5163 . |إسكندرية|:75/1؛ |سبعينية|:التكوين/258.

5164 . |Witztum|:192-194. انظر أيضاً |QHC-2|:429-430.

5165 . بخلاف التوراة التي تذكر الأبوين أولاً قبل الإخوة: "الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا سَاجِدَةٌ لِي" (التكوين 9:37).

5166 . |معجم-ألفاظ|:773؛ |ميسر|:193.

5167 . هذا الرأي يفترض أن الغلام يوسف كان يعلم تفسير رؤياه!

5168 . مثل: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ (أي: أسماءَ الأشياء) كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ" (البقرة 31)؛ والصواب: عَرَضَهَا، لأن الأشياء لا تعقل. مثال آخر: "وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ" (الأعراف 198)؛ والمراد الأصنام، وهي لا تعقل. أو كما قال "جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ" (الكهف 77) مع أن الجدار جماد ليس له إرادة.

5169. "While obviously motivated by the rhyme, this might also reflect the Syriac or Aramaic form" (|Witztum|:246). See also |QHC-2|:441-442.

5170 . |سريانية|:185/7.

5171 . |Witztum|:195-196؛ |QHC-2|:430؛ |بوهندي|:198/1-200.

5172 . كلمة "ثوب" أفضل وأدق مِن "قميص" التي استخدمها القرآن. لأن المقصود: عباءة أو رداء يُلبَس فوق الثياب.

5173 . |Kugel|:439؛ |Potiphar|:67-71.

5174 . |بكر|:98-99. انظر أيضاً |بهجت|:125.

5175 . |نجار|:154.

5176 . |طيب|:125-126.

5177 . |ب|:236؛ |كثير-شاكر|:249/2؛ |ج|:236؛ |منتخب|:384؛ |ميسر|:193؛ |ضيف|:389؛ |وجدى|:303؛ |فهد|:236؛ |كثير-هاشمى|:199؛ |كثير-بديوى|:253؛ |فضل|:78؛ |بدوى|:144/1.

5178 . |Witztum|:193. انظر أيضاً |GR-AQ|:362؛ |QHC-2|:430.

5179 . |Witztum|:193-194. انظر أيضاً |GR-AQ|:362؛ |QHC-2|:430.

5180. "Compare with Syriac *gbā*; PsN" (|Witztum|:247).

5181 . "وقيل على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار وعلى إسحاق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم" (|بيضاوى|:476/1).

5182 . |عيسى|:93/2-94.

5183 . |طنطاوى-قصص|:206/1.

5184 . لكن لأن كلمة "حُلْم" (dream) (وجمعها: أحلام) هي الأكثر استخداماً في التراث اليهودي/المسيحي وفي الأبحاث الغربية أيضاً، فإننا قد نستخدمها بدلاً من كلمة "رؤيا" (vision) (وجمعها: رؤى) في حديثنا عن قصة يوسف القرآنية.

5185 . |Bauckham|:95/1؛ |GR-AQ|:362.

5186 . "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" (يوسف 21) "إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (يوسف 100).

5187 . "عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ [...]" (البخارى 6581؛ |خ|:2561/6-2562) (مسلم 160؛ |م|:139/1-142).

5188 . (The Antiquities of the Jews 2.2.3) |Josephus|:62. انظر أيضاً |Witztum|:196؛ |QHC-2|:430.

5189 . |بوهندي|:200/1-201.

5190. "the Peshitta, PsB […] and Balai […] all have *šyārtā* ("caravan")" (|Witztum|:246; |QHC-2|:442).

5191 . |بهجت|:124-125.

5192 . |Witztum|:199. انظر أيضاً |GR-AQ|:363.

5193 . |Bauckham|:95/1. انظر أيضاً |Witztum|:199.

5194 . "حِينَئِذٍ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ الَّذِي يُدْعَى قَيَافَا، وَتَشَاوَرُوا (أي: تَآمَرُوا) لِكَيْ يُمْسِكُوا يَسُوعَ بِمَكْرٍ (in some sly way) وَيَقْتُلُوهُ" (متى 26:3-4). اقرأ أيضاً "كُلُّ مُبْغِضِيَّ يَتَنَاجَوْنَ مَعًا عَلَيَّ. عَلَيَّ تَفَكَّرُوا بِأَذِيَّتِي" (المزامير 41:7).

5195. “Thus, for example, the story of Joseph is said to be “full of symbols and types of the Son of God”; PsN” (|Witztum|:254; |QHC-2|:446).

5196 . لمزيد من التفاصيل وقائمة بالمراجع التي درست هذه المسألة، انظر |Witztum|:254-255؛ |QHC-2|:446-447.

5197 . |طنطاوي-قصص|:201/1. انظر أيضاً |شعراوي|:6859/11؛ |شعراوي-قصص|:144؛ |شعراوي-ع|:886/2-887؛ |شوقي-قصص|:268.

5198 . |ضيف|:388.

5199 . |طبري|:50/13؛ |طبري-شاكر|:7/16. انظر أيضاً |طبري|:69/13؛ |طبري-شاكر|:24/16 |طبري|:401/13-402؛ |طبري-شاكر|:312/16-313 وتفسير ابن كثير لـ (يوسف 19).

5200 . |Boullata|:184.

5201 . |EQ|:55/3، 57. انظر أيضاً |EI-2|:352/11؛ |Witztum|:254؛ |QHC-2|:446؛ |IS|:184/2/45؛ |QSC|:185؛ |Tottoli|:57.

5202 . الدليل القرآني على أن يوسف رسول موجود في قصة موسى وفرعون (خروج بني إسرائيل من مصر)! "وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ (أي: مات) قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا" (غافر 34). وقوله "فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ" يدل على أن المصريين لم يتجاوبوا مع دعوة يوسف ولم يستجيبوا لها. اقرأ أيضاً قائمة الأنبياء (الأنعام 84) حيث جاء اسمُ يوسف قبل اسم موسى مباشرة: "[...] وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ [...]" (الأنعام 84).

5203 . "فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ (أي: بيوسف) وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا" (يوسف 15). وفي ذلك طمأنة لقلب يوسف لأنه يدل على أنه سينجو وسيخرج حياً مِن البئر وسيرى إخوته ويُخبِرُهم بما صنعوه معه.

5204 . "إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا [مِن بلده مكة] ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ (أي: غار ثور) إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا (أي: بملائكة!)" (التوبة 40).

5205 . (البخاري 4496؛ إخ|:1791/4-1792) (البخاري 962؛ إخ|:341/1-342) (البخاري 4544-4545؛ إخ|:1823/4-1824) (مسلم 2798؛ إم|:2155/4-2157). <u>سؤال:</u> فلماذا نتعجب حين نسمع الإرهابيين يدعون علينا؟!

5206 . انظر مثلاً |قرطبي|:445/11؛ |قرطبي-مصر|:232/5؛ |طيب|:163؛ |Nasr|:611.

5207 . "قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (يوسف 2).

5208 . |بكر|:95-96. انظر أيضاً: أ. د. محمد بكر إسماعيل (أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأزهر)، "من لطائف البيان في سورة يوسف عليه السلام"، القاهرة: دار المنار، 2009، ص 6-8. و |Witztum|:251-255.

5209 . وإنه لمِن المدهش أن المسلمين الشيعة أعادوا تقديم قصة يوسف بحيث تتماهى مع حياة الحسين (|EI-2|:353/11، 361)! وهكذا كل طائفة دينية تستخدم القصص الموروثة وتعيد إنتاجها بحيث تصبح ذات معنى لها. فما أروع العقل البشري!

5210 . (The Antiquities of the Jews 2.2.4) |Josephus|:62. انظر أيضاً |Witztum|:199.

5211. It has been “suggested that Josephus placed the brothers’ plot at an earlier stage under the influence of his own experience of innocently falling into the hands of conspiring adversaries, but it could simply be a natural [human] development of the story” (|Witztum|:199).

5212 . |صابوني|:264. "فوافقَ أبوه على ذلك مُكْرَهاً" (|خالدي-د|:274؛ |خالدي-أ|:97/2-98).

5213 . |أشقر-قصص|:138. "وافق الأب تحت ضغط أبنائه" (|بهجت|:126).

5214 . |منتخب|:386. انظر أيضاً |نجار|:155؛ |بكر|:101؛ |Nasr|:593.

5215 . |قرطبي|:272/11؛ |قرطبي-مصر|:127/5. انظر أيضاً |أشقر|:236.

5216 . |شعراوي|:6875/11. انظر أيضاً |شعراوي-قصص|:145؛ |شعراوي-ع|:907/2.

5217 . |Banon|:17؛ |EJ|:59/16.

5218 . |Philo-ar|:324/3؛ |Philo|:435-436. انظر أيضاً |Banon|:19.

5219. “De Iosepho”, traduit par Jean Laporte, Les œuvres de Philon d'Alexandrie; 21, Paris: Éditions du Cerf, 1964, pp. 44-47.

5220. “The earliest manuscript (dated to the sixth century) attributes the work to Balai, whereas later manuscripts attribute it to Ephrem” (|Witztum|:189).

5221 . |Witztum|:199-200. انظر أيضاً |ينابيع|:24/21.

5222 . |أشقر|:236.

5223 . |بهجت|:126.

5224 . |قرطبي|:275/11؛ |قرطبي-مصر|:129/5.

5225 . حسب العهد القديم، أول حرب أهلية حدثت في بني إسرائيل كانت بسبب بني بنيامين (القضاة 19-21)! وكدليل على مهارتهم في القتال، تقول القصة إن مِنهم رجال "يَرْمُونَ الْحَجَرَ بِالْمِقْلاَعِ عَلَى الشَّعْرَةِ وَلاَ يُخْطِئُونَ" (القضاة 16:20)!

5226 . |هامش|:129/4؛ |Pleiade|:908/337؛ |OTP|:814/1؛ |Potiphar|:80-81.

5227. “*1 Enoch* was itself undoubtedly considered by many to be sacred Scripture—it is cited, for example, in the New Testament, Jude 14—and its contents were themselves interpreted and passed on as authoritative supplementing the Genesis narrative” (|Kugel|:181).

5228. |هامش|:3\155; https://boulosfeghali.org/2017/frontend/web/index.php?r=site/inner&ID=40

5229 . |RHCharles|:252/2؛ |OTP|:65/1؛ |Pleiade|:580/337؛ |Witztum|:201-202.

5230 . "إِنْسَانًا وَحْشِيًّا" تعني: إنساناً برياً أو فظاً أو خشناً أو غليظاً (|سبعينية|:التكوين/105)، وتُترجَم إلى "a wild man" (|NKJV|:20) وأحياناً تُترجَم إلى "a wild donkey of a man" (|NIV|:30)؛ "comme un âne sauvage" (|Segond|:14)؛ "Véritable âne sauvage, cet homme" (|TOB|:35).

5231 . |Witztum|:202. انظر أيضاً |GR-AQ|:363-364؛ |Witztum|:247؛ |QHC-2|:434.

5232. “Va chercher tes moutons, mon agneau, pars avant que les loups ne te dévorent” (|SC|:99\209). Cf. |Witztum|:202.

5233. “plus féroces que des fauves” (|SC|:99\211). “more ferocious than lions” (|Witztum|:202).

5234 . لاحظ استخدام الرقم 7 للدلالة على التمام والكمال كما قلنا فيما سبق.

5235. “The idea of the lamb as a victorious military leader seems to come from the apocalyptic tradition (1 Enoch 90:9; Testament of Joseph 19:8)” (|NIV|:1972). See also |هامش|:3\166; |OTP|:1\69-70; |هامش|:4\159; |OTP|:1\824.

5236 . وتوجد "ثلاثيات" (triologies) أخرى في قصة يوسف القرآنية، وسنتحدث عنها في وقتها المناسب.

5237 . |أشقر-قصص|:138. انظر أيضاً |نجار|:155.

5238 . |طنطاوي-قصص|:212/1. انظر أيضاً |صابوني|:262-263.

5239 . |شعراوي|:6876/11. انظر أيضاً |شعراوي-قصص|:146؛ |شعراوي-ع|:907/2، 917.

5240 . |خالدي-د|:263.

5241 . |عطية-قطر|:57/5. لاحظ استخدام الرقم 7 للدلالة على التمام والكمال كما قلنا فيما سبق.

5242 . |MQRNS|:2/1/25. انظر أيضاً |MQRNS|:5/1/25-6.

5243 . قال يوسف: "لأَنِّي قَدْ سُرِقْتُ مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ [إلى مصر]" (التكوين 15:40). وأكثر سورة قرآنية ذكرت السرقة هي سورة يوسف: "لَسَارِقُونَ" (يوسف 70)؛ "سَارِقِينَ" (يوسف 73)؛ "يَسْرِقْ [...] سَرَقَ" (يوسف 77)؛ "سَرَقَ" (يوسف 81). أكثر مِن بقية سور القرآن كله: "السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ" (المائدة 38) و "يَسْرِقْنَ" (الممتحنة 12) فقط. صدفة؟!

5244. “Joseph’s young age in the Quran has a precedent in a pre-Islamic representation of the sale of Joseph in carving” (|Witztum|:292). See also |Witztum|:201; |QHC-2|:433; |EJ|:11\413.

5245. For example: O. M. Dalton, “East Christian Art: A Survey of the Monuments” and “Byzantine Art and Archaeology”.

5246 . |MIDEO|:22/141.

5247 . انظر مماثلة لطيفة بين قصة يوسف القرآنية وقصة الإفك (|بهجت|:160).

5248 . |قاموس-كتاب|:286.

5249 . |سريانية|:7/258.

5250 . |Witztum|:250-251؛ |QHC-2|:444-445.

5251. |Prose|:207. See also |Witztum|:251; |QHC-2|:444. “Preserved in a single manuscript, dated to 523, the commentary is usually accepted as a genuine work of Ephrem. It retells the Biblical story in its own words and contains quite a few narrative expansions” (|QHC-2|:428-).

5252 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:250؛ |QHC-2|:444-445. انظر مثلاً |ينابيع|:22/21، 25.

5253 . |FV|:98-99.

5254 . |Witztum|:248؛ |QHC-2|:443.

5255 . |Witztum|:203-204، 250؛ |QHC-2|:444-445.

5256 . **[← وفي قصة محمد، زعم أصحابُ القرآن أن اللهَ وملائكته كانوا مع محمد في غار ثور! "إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا [مِن بلده مكة] ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ (أي: في غار ثور) إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا (أي: بملائكة!)" (التوبة 40)]**. وقيل إن محمداً مكث في غار ثور ثلاث ليالٍ.

5257 . |Witztum|:204-205. انظر أيضاً تأثير ذلك على قصة موسى القرآنية (|Witztum|:285-286).

5258 . |JSB|:76؛ |عبرى|:68-69. انظر أيضاً |Witztum|:204.

5259 . |سريانية|:7/206. انظر أيضاً |Witztum|:204.

5260 . استدل المسيحيون على نبوة دانيال بما قاله يسوع المسيح: "دَانِيآلُ النَّبِيُّ" (متى 15:24) (مرقس 14:13). ولذلك فإن سفر دانيال يوضع مع الأنبياء الكبار (إشعياء وإرميا وحزقيال) في الكتاب المقدس المسيحي. أما في الكتاب المقدس اليهودي (العهد القديم العبري)، فيوضع سفر دانيال مع الكتابات المتنوعة (Kethuvim) وليس مع الأنبياء.

5261. “That PsN […] had Lamentations 3:57 in mind is suggested by their sharing God’s message: “Do not fear.”” (|QHC-2|:445).

5262 . دعا يوسفُ ربَّه فقال: "أَنتَ وَلِيِّي (أي: ناصري؛ مُتَوَلِّي جميع شأني؛ مالِك كل أمري) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (يوسف 101).

5263. “Both [i.e. Joseph and Daniel] are taken captive, become courtiers of foreign kings, interpret dreams and rise to prominence. The two narratives share many phrases and expressions as well” (|Witztum|:204; |QHC-2|:445). See also |Witztum|:250; |JSB|:75; |آرثر|:124.

5264 . **[← وفي قصة محمد، زعم أصحابُ القرآن أن اللهَ وملائكته كانوا مع محمد في غار ثور! "إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا [مِن بلده مكة] ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ (أي: في غار ثور) إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا (أي: بملائكة!)" (التوبة 40)]**. وقيل إن محمداً مكث في غار ثور ثلاث ليالٍ.

5265 . |يسوعية:العهدالجديد|/381. واستخدم الإنجيلُ نفس الكلمة اليونانية (paidos) لوصف داود "دَاوُدَ فَتَاهُ/عَبدِه" (لوقا 1:69) وأيضاً لوصف إسرائيل "إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ/عَبدَه" (لوقا 1:54). مما يؤكد أن يسوع إنسان مخلوق عبد الله مثلهما.

5266 . انظر مثلاً |قرطبي|:11/275؛ |قرطبي-مصر|:5/129؛ |بحر|:5/287؛ |ج-صاوى|:2/286؛ |Nasr|:596.

5267 . "وقضى [يوسفُ] ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ في الجبِّ، وهكذا بيعَ ميتاً مِن الجوع" (وصية زبولون 4:4) (|هامش|:99/4؛ |Kugel|:478).

5268 . "لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ (أي: يسوعُ المسيح) فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ" (متى 40:12).

5269 . "فَكَانَ يُونَانُ فِي جَوْفِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ" (يونان 17:1). "فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلهِهِ مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ، وَقَالَ: «دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّبَّ، فَاسْتَجَابَنِي. صَرَخْتُ مِنْ جَوْفِ الْهَاوِيَةِ، فَسَمِعْتَ صَوْتِي" (يونان 2:1-2). وفي القرآن: "وَذَا النُّونِ (أي: يونس) إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ (أي: خلّصناه) مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي (أي: نُخلِّص) الْمُؤْمِنِينَ" (الأنبياء 87-88).

5270 . |Prose|:182. انظر أيضاً |Witztum|:206.

5271 . تقول التوراة إن يعقوب هو الذي بكى "وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّامًا كَثِيرَةً. فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ، فَأَبَى [يَعْقُوبُ] أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحًا إِلَى الْهَاوِيَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ" (التكوين 37:34-35).

5272. “it is often a hint given in one of his (i.e. Ephrem’s) writings that provides the starting point for later writers to expand upon in an imaginative way” (Sebastian Brock, “Dinah in a Syriac Poem on Joseph,” in: Semitic studies in honour of Edward Ullendorff, Edited by Geoffrey Khan, Leiden - Boston: Brill, 2005, p. 233).

5273 . |Witztum|:206. انظر أيضاً |ينابيع|:53/21-55.

5274 . "فَاصْبِرْ [يا محمد] صَبْرًا جَمِيلًا [على أذى قومك الكفار المشركين]" (المعارج 5).

5275 . |كثير-شيخ|:20/8؛ |كثير-طيبة|:375/4؛ |كثير-شاكر|:252/2؛ |كثير-صابوني|:243/2؛ |كثير-شنقيطي|:920.

5276 . |طبري|:34/13؛ |طبري-شاكر|:578/15.

5277 . ويوجد رأي آخر يقول إن قولهم "وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ" (يوسف 17) إشارة مبكرة (proleptic) إلى تكذيب يعقوب لهم حتى وَهُمْ يقولون الصدق فيما يتعلق بغياب بنيامين: "وَإِنَّا لَصَادِقُونَ" (يوسف 82) (|Boullata|:180-181)؛ ولعل هذا يفسر لماذا فُهِمَتْ عبارة "وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ" بطريقة مختلفة: (even when we speak the truth)!

5278 . |كثير-هاشمي|:202؛ |كثير-بديوي|:256؛ |فضل|:82؛ |أشقر|:237.

5279 . (الترمذي 2516؛ "حسن صحيح" |ت|:381/4؛ "صحيح" |ت-ألباني|:566-567، |ت-صحيح|:609/2-610).

5280 . وفي الفصل الثالث: "قَالَ [يعقوبُ لإخوة يوسف وبنيامين: ما شكوتُ إليكم] إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي (أي: غَمِّي وهَمِّي الذي لا يمكن كتمانه) وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ [وحده] وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (يوسف 86). ومن دعاء محمد: "اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ [...]".

5281 . انظر مثلاً تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (|بحر|:289/5).

5282 . |ج|:237؛ |ج-البغا|:305؛ |ج-وطن|:237؛ |ج-صاوي|:287/2؛ |ج-جمل|:17/4.

5283 . |قرطبي|:288/11؛ |قرطبي-مصر|:137/5. انظر أيضاً |طنطاوي-قصص|:213/1.

5284 . |حجازي|:160/2-161. انظر أيضاً |شعراوي|:6888/11-؛ |شعراوي-قصص|:148؛ |شعراوي-ع|:918/2-؛ |بكر|:104-105؛ |بهجت|:127؛ |نجار|:156؛ |طيب|:130.

5285 . |Witztum|:208-209. انظر أيضاً |ينابيع|:59/21-61؛ |GR-AQ|:365.

5286 . |ينابيع|:59/21-61.

5287 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:209؛ |GR-AQ|:365.

5288 . |Witztum|:239.

5289 . وربما أيضاً بسبب عادة وضع البرقع (أو ما نسميه اليوم: النقاب) على وجه العروس. اقرأ مثلاً (التكوين 65:24).

5290 . قيل إن موسى هو كاتب سفر أيوب. بل قيل إن سفر أيوب كُتِبَ قبل موسى! لكن لا يوجد أي دليل علمي يؤيد ذلك.

5291 . وكذلك قال يوسفُ في نهاية القصة: "نَّزَغَ الشَّيْطَانُ (أي: أفسد الشَّيْطَانُ رابطة الأُخوَّة) بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي" (يوسف 100).

5292 . |هامش|:30/4؛ |OTP|:785/1؛ |Pleiade|:827/337؛ |بوهندي|:201/1-202.

5293 . |هامش|:107/4؛ |OTP|:808/1؛ |Pleiade|:893/337؛ |بوهندي|:201/1.

5294 . |EJ|:289/3. انظر أيضاً |قاموس-كتاب|:189؛ |آرثر|:343.

5295 . |كتابية|:195/2-196.

5296 . |سريانية|:592/3-593؛ |Peshitta|:1156؛ |Peshitta-NT|:431.

5297 . |Witztum|:193.

5298. “Satan les poussait à la haine, et, semant la jalousie dans ce chœur uni comme celui des apôtres, le divisa” (|SC|:99\207).

5299. “In its Byzantine form, the kontakion is a poetic homily, or sermon, consisting of 18 to 30 stanzas. They are chanted, and all follow the structural pattern set by the first model stanza. A refrain links all stanzas together” (|EB|).

5300. “It now seems evident that Romanos was indebted to Syriac poetry” (|QHC-2|:428).

5301. Ali Mérad (Professeur émérite à l’Université de la Sorbonne Nouvelle (Paris III)), "L'exégèse coranique", Paris : P.U.F, 1998, p. 29.

5302. محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

5303. الدليل 141,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5371&cat=24&scat=211&

5304 . |شعراوى|:6896/11. انظر أيضاً |شعراوى-ع|:933/2.

5305 . (المستدرك 572/2؛ قال الحاكم "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:625/2). وقال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، إلا أن أبا عبيدة (يعني: ابن عبد الله بن مسعود) لم يسمع من أبيه" (|هيثمى|:39/7). انظر أيضاً |طبرى|:56/13؛ |طبرى-شاكر|:13/16؛ |درمنثور|:214/8.

5306 . انظر مثلاً |منتخب-ف|:341؛ |AYA|:551؛ |Bell|:219/1؛ |Ghali|:237؛ |زينب|:237؛ |GR-AQ|:366؛ |Arberry|:255؛ |Fakhry|:233.

5307 . انظر مثلاً |منتخب-ن|:482؛ |Pickthall|:304. أو: "pieces of silver" (|Haleem|:238؛ |Dawood|:156).

5308 . انظر مثلاً |فهد-ن|:305.

5309 . انظر أيضاً حواشي |AYA|:551.

5310 . في الشرق الأدنى القديم، كان الشاقِل (shekel) أصلاً وحدة وزن (unit of weight) وليس عملة، لأن سك العملة لم يُخترَع حتى القرن السابع قبل الميلاد (|NIV|:36). أما في القرآن، الدراهم عملة بدليل قوله "مَعْدُودَةٍ" (يوسف 20).

5311 . |عيسى|:97/2.

5312 . وإنه لمِن الطريف أن كلمة "كَظِيمٌ" لم تُذكَر في القرآن كله إلا ثلاث مرات فقط: في هاتين الآيتين (النحل 58) (الزخرف 17) تعبيراً عن حزن الأب حين يُبشَّر بابنة؛ وفي سورة يوسف تعبيراً عن حزن الأب حين يفقد ابناً: "وَتَوَلَّىٰ [يعقوبُ] عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ" (يوسف 84). صدفة؟!

5313. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

5314. الدليل 141,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5371&cat=24&scat=211&

5315 . ملحوظة: اختلفت المصاحف الحديثة اختلافاً شديداً في علامات الوصل والوقف في هذه الآية (الأنعام 84).

5316 . (البخارى 4412؛ إخ|:1729/4) (البخارى 3175؛ إخ|:1224/3) (مسلم 2378؛ إم|:1846/4-).

5317 . إج|:21؛ إج-البغا|:26؛ إج-وطن|:21.

5318 . إزحيلى-وجيز|:22. انظر أيضاً إباش|:182/1، 184.

5319 . هذا حسب العقيدة الإسلامية. أما نحن فنؤمن أن القرآن ثمرة عمل جماعي اشترك فيه فريقٌ مِن المسلمين الأوائل. ولذلك فإن صيغة الجمع "عَلَيْنَا" (آل عمران 84) و "إِلَيْنَا" (البقرة 136) صحيحة 100%. راجِع ما قلناه عن أصحاب القرآن.

5320 . إكثير-ك|:287/1-288؛ إكثير-تركى|:459/1. انظر أيضاً إكثير-شيخ|:16/8؛ إصابونى|:262.

5321 . (البقرة 136) (إضيف|:43)؛ (آل عمران 84) (إضيف|:112).

5322 . (البقرة 136) (إوجدى|:26).

5323 . (البقرة 136) (إحجازى|:145/1).

5324 . إعيسى|:341/1.

5325 . إخالدى-ج|:213. انظر أيضاً إخالدى-أ|:250/2.

5326 . إمنتخب|:32؛ إمنتخب-ف|:30.

5327 . إمنتخب|:167؛ إمنتخب-ف|:145.

5328 . إمنتخب|:33؛ إمنتخب-ف|:30.

5329 . كان لإبراهيم أبناء غير إسماعيل وإسحاق: "وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ فَأَخَذَ زَوْجَةً (الصواب: سُرِّيَّةً) اسْمُهَا قَطُورَةُ (Keturah)، فَوَلَدَتْ لَهُ: زِمْرَانَ (Zimran) وَيَقْشَانَ (Jokshan) وَمَدَانَ (Medan) وَمِدْيَانَ (Midian) وَيِشْبَاقَ (Ishbak) وَشُوحًا (Shuah)" (التكوين 25:1-2).

5330 . كان وَعْدُ اللهِ أصلاً لإبراهيم بالأرض والنسل والبركة (التكوين 12:1-3)، فلقد قال الله له: "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ (أي: كنعان)" (التكوين 12:7). ثم انتقل الوعدُ الإلهي إلى ابنه إسحاق (التكوين 26:1-4) لأن الله كان قد قال لإبراهيم: "بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (التكوين 21:12)؛ (رومية 9:7) (العبرانيين 11:18). ثم انتقل الوعدُ الإلهي إلى يعقوب/إسرائيل (التكوين 28:12-17) (التكوين 35:9-12). ثم إلى أبناء إسرائيل (أحفاد إسحاق) الاثْنَيْ عَشَر (التكوين 49).

5331 . إو-قرآن|:726. انظر أيضاً تفسير القرطبي لـ (البقرة 136) (إقرطبى|:417/2؛ إقرطبى-مصر|:548/1).

5332 . "الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون". تأليف: جلال الدين السيوطي. ضبطه وصححه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1، 2000. ج1 ص300.

5333 . إزجاج|:92/3. انظر أيضاً حواشي إشعراوى-ع|:866/2.

5334 . إخازن-بغوى|:347/3-348.

5335 . إبهجت|:125.

5336 . إشعراوى-ع|:872/2-873، 882. انظر أيضاً إشعراوى|:6851/11.

5337 . إكثير-شيخ|:16/8؛ إكثير-طيبة|:372/4؛ إكثير-شاكر|:250/2؛ إكثير-صابونى|:241/2؛ إكثير-شنقيطى|:918.

5338 . إقرطبى|:262/11؛ إقرطبى-مصر|:121/5. تعليقنا: هذا كلام خطير!

5339 . أو كما قال العهد الجديد قبل القرآن بمئات السنين: "يَا إِخْوَتِي تَقَوَّوْا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ" (أفسس 6:10-12).

5340 . إقرطبى|:259/11، 265؛ إقرطبى-مصر|:119/5، 123.

5341 . إقاموس-كتاب|:455؛ إكتابية|:337/4؛ إKugel|:492. مثل كلمة "لواء" لها ثلاثة معاني. أصلاً تعني راية أو علم، لكن يمكن أن تُطلَق على وحدة عسكرية، ويمكن أيضاً أن تُطلَق على شخص الضابط قائد هذه الوحدة العسكرية.

5342. “while the Hebrew word šēbeṭ does usually mean “staff” or “tribe,” there are a few verses where this word must mean something like “leader.”” (|Kugel|:492).

5343. “The word *asbāṭ*, however, seems to be a loan word from the Hebrew *shevaṭim* (sing. *shevet̤*), “tribes.”” (|EQ|:5\364).

5344 . حق الابن الأكبر (Rule of Primogeniture): "يُعْطِيَهُ [الأَبُ] نَصِيبَ اثْنَيْنِ (a double portion) مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ، لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لَهُ حَقُّ الْبَكُورِيَّةِ" (التثنية 17:21).

5345 . "رَأُوبَيْنُ [بِكْرُ يَعْقُوبَ] ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ" (التكوين 22:35)؛ (التكوين 3:49-4). "وَلأَجْلِ تَدْنِيسِهِ فِرَاشَ أَبِيهِ، أُعْطِيَتْ بَكُورِيَّتُهُ لِبَنِي يُوسُفَ بْنِ إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يُنْسَبْ بِكْرًا. لأَنَّ يَهُوذَا اعْتَزَّ عَلَى إِخْوَتِهِ وَمِنْهُ الرَّئِيسُ، وَأَمَّا الْبَكُورِيَّةُ فَلِيُوسُفَ" (1 أخبار الأيام 1:5-2).

5346 . |حجازى|:167/2.

5347 . |عيسى|:98/2. "ربما كان مجرد وزير حين اشتراه ثم ترقى [فصار رئيس وزراء]" (|بهجت|:134).

5348 . كما قلنا: "العزيز" لقب وليس اسماً. ولذلك فإنه يُترجَم إلى "the prince"؛ "the ruler"؛ "the mighty man"؛ "the great man"؛ أو كما يُقال اليوم: "His Excellency" أو "His Highness". وأخطأ مَن تركه بدون ترجمة!

5349 . |طبرى|:61/13؛ |طبرى-شاكر|:17/16.

5350. “Ce nom de *Zuleikha* se rencontre également dans la littérature midraschique, comme étant celui de la femme de Potiphar” (|Sidersky|:58). “It is apparently of Persian origin and was popularized by post-Qur’anic Muslim writers” (|Potiphar|:58).

5351 . الترجمة الصحيحة لكلمة "عِلْم" في القرآن هي (knowledge)، أي: معرفة، وليس (science) كما يدعى مَن يزعمون أن الدين عِلم مثل الفيزياء والكيمياء. ونحن نقول لهم: الدين ظاهرة اجتماعية وجزء مِن المعرفة الإنسانية مثل الآداب والفنون، وليس عِلماً مِن العلوم. انظر ترجمات (يوسف 22).

5352 . "قَالَ [الشيطانُ لله] فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" (ص 82-83).

5353 . نلاحظ أن القرآن استخدم كلمة "سيد" (lord) بمعنى "زوج" (husband). وهذا تأثراً بالتراث الشرقي، وبخاصة التراث اليهودي/المسيحي: "كَمَا كَانَتْ سَارَةُ تُطِيعُ إِبْرَاهِيمَ دَاعِيَةً إِيَّاهُ «سَيِّدَهَا»" (1 بطرس 6:3). اقرأ (التكوين 12:18).

5354 . سبحان الله! العزيز المصري قال ليوسف العِبراني نفس الجملة التي قالها الله (أو: قالتها الملائكة) لجده إبراهيم العِبراني: "يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا" (هود 76) في قصة "ضيف إبراهيم" (هود 69-76)! هل هذا معقول؟! أم أنها جملة وضعها أصحابُ القرآن على لسان العزيز كما وضعوها مِن قبل على لسان الملائكة؟

5355 . |خالدى-د|:304. انظر أيضاً |خالدى-أ|:127/2-129.

5356 . |عيسى|:104/2. انظر أيضاً |طنطاوى-قصص|:278/1-279.

5357 . أما المرأة العربية (الْمِدْيَانِيّة) فجعلها القرآنُ العربي إنسانةً محترمة ومؤدبة ومهذبة "تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ" (القصص 25) ولا تخالط الرجال "قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ" (القصص 23)!

5358 . يعني النساء المصريات لمَّا رأوا امرأةَ العزيز تحب يوسفَ حباً شديداً قُلْنَ نفس الجملة التي قالها إخوةُ يوسف العبرانيون لمَّا رأوا يعقوبَ يحب يوسفَ حباً شديداً: "إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (يوسف 8)! هل هذا معقول؟! أم أنها جملة وضعها أصحابُ القرآن على لسان النسوة المترَفات كما وضعوها مِن قبل على لسان إخوة يوسف رعاة الأغنام؟

5359 . لكن هل يُعقَل أن خطأ عفوي وغير مقصود يصدر مِنهن جميعاً وفي نفس الوقت ولنفس السبب؟! مستحيل.

5360 . وهل يُعقَل أن نساء مصر "قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" (يوسف 31)؟ هل كُن مؤمنات بالله الواحد الأحد والملائكة؟! وهل رأوا ملاكاً قبل ذلك حتى يعلموا أنه حسن الصورة كما يُشاع؟! هل هذا معقول يا أصحاب العقول؟!

5361 . كانت أساطير ظهور الملائكة في صورة بشر تسيطر على عقول العرب أيام محمد. اقرأ مثلاً: "فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا (أي: أرسلنا الملاكَ جبريل إلى مريم العذراء) فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (أي: في صورة إنسان تام الخَلْق)" (مريم 17)؛ واقرأ أيضاً قصة "ضيف إبراهيم" (هود 69-76).

5362 . بدليل قول الملِك لهن فيما بعد بصيغة الجمع: "قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ" (يوسف 51).

5363 . هو مش الله كان صرف عَنْهُ "السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ" "إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" (يوسف 24)؟! فلماذا يستغيث بالله مرة أخرى ليصرف عنه كيدهن وإلا سيقع في الخطيئة ويكون "مِّنَ الْجَاهِلِينَ" (يوسف 33)؟! هل فشل اللهُ في "الصرف" الأول؟!

5364 . "يَسْجُنُوهُ كِتْمَانًا لِلْقِصَّةِ أَلَّا تَشِيعَ فِي الْعَامَّةِ، وَلِلْحَيْلُولَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا" (|قرطبى|:341/11؛ |قرطبى-مصر|:169/5).

5365 . "إيهَامًا أَنَّه (أي: يوسف) رَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، وَأَنَّهُمْ سَجَنُوهُ عَلَى ذَلِكَ. وَلِهَذَا لَمَّا طَلَبَهُ الْمَلِكُ الْكَبِيرُ فِي آخِرِ الْمُدَّةِ، امْتَنَعَ مِنَ الْخُرُوجِ حَتَّى تَتَبَيَّنَ بَرَاءَتُهُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْخِيَانَةِ" (|كثير-شيخ|:39/8؛ |كثير-طيبة|:387/4).

5366 . |شعراوى|:6916/11. انظر أيضاً |طنطاوى-قصص|:225/1.

5367 . |طنطاوى-قصص|:234/1.

5368 . كقول المسيح عيسى ابن مريم: "وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ" (آل عمران 49). صدفة؟! نفس الأفكار يأخذونها مِن قصة ويضعونها في قصة أخرى كما يشاءون. أو لا يضعونها في قصةٍ ثالثة، حسب هواهم أيضاً.

5369 . وقيل إن المقصود: سأفسر لكلٍّ منكما رؤياه قبل أن يأتيكما الطعامُ في الوجبة التالية.

5370 . "ويُتْرَك مصلوباً حتى يموت" (|بكر|:117). وهذه مفارقة تاريخية كبيرة كما سنرى لاحقاً.

5371 . قيل: مَا رأى صاحبا يوسف شَيْئًا وَإِنَّمَا تَحَالَمَا لِيُجَرِّبَاه! أو أنها كانت مجرد لعبة أو مزاح منهما! وقيل إن أحدهما وهو المصلوب كان كاذباً لم يَرَ شيئاً والآخر صادقاً!

5372 . |ماوردى|:40/3؛ |شعراوى-قصص|:164. قال القديس يوحنا ذهبي الفم (ت. حوالي 407م): "إذ كان يوسف متعجلاً في الهروب من السجن تُرِكَ هناك زمانا ... حتى يتعلم ألا يضع رجاءه أو ثقته في البشر وإنما في الله وحده" (|ملطى|:التكوين/324؛ |NPNF-1|:543/13؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/289/1). وانظر ما قاله المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 89:2) في هذه المسألة (|EJ|:410/11؛ |Sidersky|:64-65) التي يبدو أنها شغلت بال اليهود والمسيحيين كثيراً قبل الإسلام (|Witztum|:191-192؛ |QHC-2|:429). انظر أيضاً |ينابيع|:106/21-108.

5373 . |حجازى|:172/2. "والمشهور أن كُلَّ مدة مُكثِه كانت سبعاً" (|عيسى|:105/2).

5374 . كما قال القرآنُ في موضع آخر: "وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ" (هود 8).

5375 . وقُرِئت "وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ (أي: تَذَكَّر بعد نسيان)" (|معجم-قراءات|:173/3؛ |خطيب|:272/4-273). وفي جميع الأحوال، إذا كان الشيطان هو الذي أنساه (يوسف 42)، فإن الله هو الذي جعله يتذكر (يوسف 45).

5376 . "وذكر السجستاني في كتاب المصاحف أنه مما غيَّره الحجاج [بن يوسف في المصحف] فقد كانت في المصحف: "أَنَا آتِيكُمْ بِتَأْوِيلِهِ" فغيَّرها إلى "أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ" (|خطيب|:275/4)! انظر أيضاً |مصاحف|:عربى/49-50!

5377 . ويُفهَم مِن السياق أن المَلِك لم يكن يعلم التفاصيل الدقيقة لقضية يوسف ولا الأسباب الحقيقية التي أدت إلى سجنه ظلماً.

5378 . "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ [لوقع في الزنا] ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ" (يوسف 24). وقيل إن المقصود بـ "إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي": إلا وقت رحمة ربي؛ أو: إلا ما رحمه اللهُ من نفوس القلائل من الصالحين.

5379 . |كشاف-ع|:296/3-299؛ |كشاف-ش|:519-520. انظر أيضاً |ج|:241؛ |ج-البغا|:311؛ |ج-وطن|:241-242؛ |زحيلى-وجيز|:242-243؛ |أشقر|:241-242؛ |أشقر-قصص|:154-155؛ |وجدى|:311.

5380 . |بحر|:316/5-317. انظر أيضاً |شعراوى|:6990/11-6992؛ |منتخب|:393؛ |فهد|:241-242؛ |بكر|:123-124؛ |طنطاوى-قصص|:248/1؛ |حجازى|:181/2؛ |عيسى|:109/2؛ |خالدى-أ|:171/2-175؛ |خالدى-د|:322؛ |نجار|:166؛ |بهجت|:145-146؛ |قرنى|:286.

5381 . ويبدو أن العزيز قد طَلَّقها. ولعله مات أو عُزِلَ وسُجِنَ، بدليل أن الملك لم يستدعيه للمثول أمام المحكمة. وكما سنرى لاحقاً، تقول بعض الروايات الإسلامية إن يوسف تزوج امرأة العزيز بعد وفاة زوجها، فوجدها عذراء! وولدت له ولدين.

5382 . |ضيف|:398.

5383 . |شعراوى|:6992/11. انظر أيضاً |شعراوى-ع|:1071/2-1072؛ |شعراوى-قصص|:168-169.

5384 . |قرطبى|:376/11-377؛ |قرطبى-مصر|:190/5. انظر أيضاً |زادمسير|:240/4-241.

5385. “*Midrasch Rabbah* (*Genèse*, LXXXIX, 3). […] « Avec la grandeur de Joseph commença la ruine de Potiphar. »” (|Sidersky|:66).

5386 . هذا الاهتمام بالعظة والعبرة والدرس الأخلاقي المستفاد ليس صفة مميزة ينفرد بها القرآن وحده دون غيره. فنحن نجده في أعمال بشرية يهودية قبل القرآن بمئات السنين (|Potiphar|:18-21).

5387 . وبالغ التراثُ اليهودي مبالغة كبيرة في إبراز جمال يوسف ووسامته الفريدة مِن نوعها، لدرجة أنه قيل إن البنات والنسوة المصريات كُنَّ يطرحن مجوهراتهن الذهبية الثمينة على الأرض أمام يوسف لجذب انتباهه إليهن (|Kugel|:443-446)!

5388 . (مسلم 162؛ |م|:146/1). انظر أيضاً |خالدى-أ|:134/2؛ |خالدى-ج|:185.

5389 . "تُستخدَم هذه العبارة بنفس المعنى باللغة الأكادية في القسم 25 من شريعة حامورابي (The Code of Hammurabi)" (|دراسى|:104؛ |NIV|:67). انظر أيضاً |ANET|:167 حيث يدل السياق على مَن ينظر إلى شيء ليس مِن حقه.

5390 . قال يسوعُ المسيح: "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (متى 5:27-28).

5391 . "مِن راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء" (|وجدى|:305). "ويدلُّ فعلُ "رَاوَدَتْهُ" على استمرار مراودتها مراتٍ عديدة، لعلها استمرَّتْ سنوات" (|خالدى-د|:296). وجاء الفعل في (يوسف 30) "بصيغة المضارع الدالة على دوام التكرار" (|شحرور|:232/2). انظر أيضاً |ج-البغا|:305؛ |بكر|:107-109؛ |طنطاوى-قصص|:219/1. فالمراودة (solicitation) تدل على بذل الجهد أو الإلحاح بالرفق واللين أو الإغراء أو المخادعة لجعل الطرف الآخر يريد ويفعل ما تريد.

5392 . |سبعينية|:التكوين/273.

5393 . ثم أضاف القرآنُ محاولة أخرى أكثر جرأة قامت بها امرأة العزيز علانية وهي تهديد يوسف بالسجن. قالت امرأة العزيز أمام النسوة: "وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ" (يوسف 32).

5394 . كان عمر يوسف وقتئذٍ حوالي 28 سنة (التكوين 41:1، 41:46). العظة والعبرة والدرس المستفاد: "أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ" (2 تيموثاوس 2:22).

5395 . يُفهَم مِن السياق أن أهل البيت مثل الخدم والعبيد كانوا يقومون بأعمال أخرى خارج البيت وحوله، أو كانوا خارج البيت ثم عادوا. أما داخل البيت فلم يكن غير يوسف وامرأة سيده. "لَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ فِي الْبَيْتِ" (التكوين 39:11).

5396 . |سبعينية|:التكوين/275.

5397 . وكما تحدثنا عن الجذور المسيحية السريانية لـ (يوسف 17-18)، سنتحدث بعد قليل عن الجذور المسيحية السريانية لـ (يوسف 25-29).

5398 . |Potiphar|:45، 53. سنناقش هذه المسألة بقدر أكبر من التفصيل لاحقاً.

5399 . |شعراوى|:6926/11. انظر أيضاً |شعراوى-قصص|:158؛ |بكر|:112؛ |بهجت|:134؛ |خالدى-أ|:129/2.

5400. “the temptation by Mrs. Potiphar has no particular significance within the overall biblical story. It could be eliminated entirely – Joseph could be sold as a slave, then jailed for some entirely different reason, then meet up with Pharaoh’s butler and baker in prison, etc., etc. – without any damage being done to the overall action” (|Potiphar|:126).

5401 . لكن المزمور 105 يقول إن يوسف تعرض لمعاملة سيئة في السجن! "بِيعَ يُوسُفُ عَبْدًا. آذَوْا بِالْقَيْدِ رِجْلَيْهِ. فِي الْحَدِيدِ دَخَلَتْ نَفْسُهُ (an iron collar was put on his neck)، إِلَى وَقْتِ مَجِيءِ كَلِمَتِهِ" (المزامير 105:17-19). قيل إن هذا كان في البداية فقط ثم تحسنت المعاملة بعد ذلك (|مارمرقص|:العهدالقديم/285/1). وقيل إن المزمور 105 ينتمي إلى فترة ما بعد السبي، فأراد مؤلفه أن يعطي صورةً ليوسف تشبه صور اليهود المسبيين، حتى يعطيهم الأملَ أن الله سينصرهم كما نصر يوسفَ (|JSB|:1385-1386). ونحن نميل إلى الرأي الثاني، وبخاصة "أنه بدأ شيوع استخدام الحديد في وقت لاحق، كانت القيود تصنع قبل ذلك من البرونز" (|دراسى|:1433). وتغيير القصة الأصلية من أجل إعطاء الأمل يتفق مع ما فعله أصحابُ القرآن حين جعلوا يوسفَ يشبه محمداً حتى يعطوا محمداً الأملَ أن الله سينصره كما نصر يوسفَ.

5402 . وتوجد أمثلة أخرى على استخدام كلمات متطابقة (أو متشابهة) في موضعين (أو أكثر) متقابلين في قصة يوسف التوراتية. مثلاً: "فَأَبَى [...] وَقَالَ" (التكوين 37:35) في الفصل الأول؛ "فَأَبَى وَقَالَ" (التكوين 39:8) في الفصل الثاني؛ "فَأَبَى [...] وَقَالَ" (التكوين 48:19) في الفصل الثالث. لمزيد من التفاصيل حول البناء الأدبي لقصتي يوسف التوراتية والقرآنية، انظر |MW|:78/2/118-120.

5403 . "أَنَا أَنَا الرَّبُّ، وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ. [...] وَأَنَا اللهُ. أَيْضًا مِنَ الْيَوْمِ (أي: منذ الأزل) أَنَا هُوَ، وَلاَ مُنْقِذَ مِنْ يَدِي. أَفْعَلُ، وَمَنْ يَرُدُّ؟" (إشعياء 43:11-13). وقال سفر المكابيين الأول (Maccabees 1) الذي كتبه اليهودُ المؤمنون الموحدون أثناء فترة النضال والمقاومة ضد الاحتلال اليوناني (الإغريقي) الوثني، قبل الإسلام بأكثر من 600 سنة: "وهكذا تَرَونَ أنَّ الغَلَبَةَ في جميع الأجيال كانت للذين تَوكّلوا على الله" (1 مكابيين 61:2).

5404 . |ملطى|:التكوين/320-321.

5405 . هذا "الإيجاز" ليس صفة مميزة ينفرد بها القرآن. فنحن نجده في أعمال يهودية قبل القرآن (|Potiphar|:18-21).

5406. “for it was better for him to keep company with human creatures in miserable plight, than with a maddened mistress” (|NPNF-1|:11\295). See also |ملطى|:التكوين\321. Read online at: http://www.newadvent.org/fathers/210149.htm

5407 . كذلك قال دَانِيآلُ: "يُوجَدُ إِلهٌ فِي السَّمَاوَاتِ كَاشِفُ الأَسْرَارِ" (دانيال 28:2).

5408. “the Jewish Targums, the Samaritan Targum, the Peshitta and later Syriac works (PsB […]; PsN […]; Balai […]) all have ʿ*eṣrēt*” (|Witztum|:246; |QHC-2|:442).

5409. “*ṭayrā* in PsN” (|Witztum|:247).

5410 . توجد مفارقة تاريخية كبيرة في كلمة "فَيُصْلَبُ" (يوسف 41) التي أضافها أصحابُ القرآن بالخطأ. لكننا نفضِّل مناقشتها مع كلمة "لَأُصَلِّبَنَّكُمْ" التي أضافها أصحابُ القرآن بالخطأ 3 مرات في قصة موسى (الشعراء 49) (الأعراف 124) (طه 71)!

5411 . يتميز النص التوراتي العبري بإبداع في التورية (pun) بين "يَرْفَعُ رَأْسَكَ (will lift up your head)" (التكوين 13:40) و "يَرْفَعُ رَأْسَكَ عَنْكَ (will lift off your head)" (التكوين 19:40). ولذلك استخدم هنا نفس الفعل "رَفَعَ رَأْسَ" (lifted the head of) لكليهما لكن بمعنيين مختلفين تماماً. وطبعاً، ضاعت هذه التورية العبرية في القرآن العربي.

5412 . اقرأ آيات قرآنية أخرى تزعم أن الشيطان يجعل الإنسانَ ينسى (الأنعام 68) (الكهف 63) (المجادلة 19).

5413. “The Quranic *simān* is reminiscent of the form *šamminān/šamminātâ* found in the Peshitta (Genesis 41:2, 4, 18, 20) and later Syriac works (PsB […]; PsN […]; Balai […]; Narsai […]), but also in some manuscripts of the Samaritan Targum” (|Witztum|:247; |QHC-2|:442).

5414 . قيل عن هذه الريح الشرقية "إنها المسيح الدجال، يهب من الشرق كريح ساخنة تحرق الزرع المقدس. هكذا يهاجم المسيحُ الكذاب بأتباعه كنيسةَ المسيح ليفسدها في أواخر الدهور" (|ملطى|:التكوين/326).

5415 . |سبعينية|:التكوين/283؛ |إسكندرية|:83/1؛ |NETS|:34؛ |Septuagint|:OT/54.

5416 . هذا الغلام العبراني العبد سيتحول بعد لحظات إلى الرجل الثاني في مصر القديمة (التكوين 40:41) **[← (يوسف 54)]**!

5417 . مع أنه كان قبل ذلك متلهفاً إلى الخروج من السجن، بدليل قوله لساقي الخمر: "اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ" (يوسف 42).

5418 . (البخارى 3192؛ |خ|:1233/3-1234) (مسلم 151؛ |م|:133/1-134). انظر أيضاً |طنطاوى-قصص|:247/1؛ |خالدى-أ|:167/2-169؛ |خالدى-ج|:191.

5419 . كثير من العمليات الإرهابية التي قام بها مسلمون "موحِّدون" في السنوات الأخيرة كانت هجوماً على رموز الحضارة: مطارات، محطات قطار، مترو أنفاق، برج التجارة العالمية، مسارح، سينما، ... الخ. صدفة؟!

5420 . هل كان فرعونُ (مَلِك مصر الوثني) يعرف "الله" (التكوين 39:41) ويؤمن بوجود "روح الله" (التكوين 38:41)؟!

5421 . |سبعينية|:التكوين/290. انظر أيضاً |JSB|:77؛ |عبرى|:71؛ |مشتركة|:العهدالقديم/52.

5422 . |مارمرقص|:العهدالقديم/297/1.

5423 . إذا كان يوسفُ رمزاً للمسيح، وإخوة يوسف رمزاً لليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح، فإن أَسْنَاتَ (أو: مصر بصفة عامة) رمز لكنيسة الأمم (gentiles) التي آمنت بالمسيح واتحدت معه. انظر مثلاً |ملطى|:التكوين/331-333.

5424 . "وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ [النَّجَّارِ]" (لوقا 23:3).

5425 . |JSB|:77؛ |NIV|:70؛ |دراسى|:109؛ |آرثر|:127؛ |يسوعية|:العهدالقديم/133؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/297/1؛ |سبعينية|:التكوين/291؛ |إسكندرية|:85/1؛ |مبسطة|:45؛ |ملطى|:التكوين/331؛ |EJ|:408/11.

5426 . |يسوعية|:العهدالقديم/133.

5427 . |ملطى|:التكوين/330-332. انظر أيضاً |آرثر|:141؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/355/1-356.

5428. Joseph Witztum, "The Syriac Milieu of the Quran: The Recasting of Biblical Narratives". PhD Dissertation. Princeton, NJ: Princeton University. 2011 (|Witztum|:188-256). |QHC-2|:425-448.

5429. “the Syriac and Quranic accounts […] frequently depart from the Biblical text in similar ways” (|Witztum|:191). See also |QHC-2|:428.

5430 . لمزيد من التفاصيل عن المعاني المختلفة للكلمة العبرية (saris)، انظر |Potiphar|:75-76، 90-91.

5431 . |شحرور|:233/2.

5432 . قصة يوسف: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ [في مصر] آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (يوسف 22).

5433 . قصة موسى: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى [في مصر] آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (القصص 14).

5434 . |Witztum|:285، 291-292؛ |GR-AQ|:366-367.

5435 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

5436. “Un passage du *Midrasch Rabbah* (*Genèse*, LXXXVI, 3) fait allusion à l’impuissance de Potiphar” (|Sidersky|:58). See Genesis Rabba 87:19 (|Potiphar|:76, 91).

5437. “the Talmud records that the Egyptian Potiphar purchased Joseph “for himself ” (Sot. 13b), that is, for homosexual purposes (Rashi)” (|EJ|:9\516).

5438 . |هامش|:150/4-151؛ |Pleiade|:337/922؛ |OTP|:820/1؛ |Masson|:859. انظر أيضاً |Potiphar|:61.

5439 . |هامش|:150/4؛ |Pleiade|:337/922؛ |OTP|:819/1-820؛ |Kugel|:448. انظر أيضاً |Potiphar|:53، 61، 99، 109.

5440 . |هامش|:153/4؛ |Pleiade|:337/925؛ |OTP|:821/1؛ |بوهندي|:206/1. وفي مراودة سابقة، يقول كتاب وصية يوسف إن يوسف مزّق ثيابه (وصية يوسف 2:5).

5441 . |هامش|:153/4؛ |Pleiade|:337/925-926؛ |OTP|:821/1. انظر أيضاً |Potiphar|:23-24.

5442 . |هامش|:153/4؛ |Pleiade|:337/926؛ |OTP|:821/1.

5443. |Witztum|:211, 292. Read online at https://www.johnsanidopoulos.com/2018/04/sermon-on-joseph-most-virtuous-st.html

5444 . "المشاكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً" (|إتقان|:930/2-931) مثل: "وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (آل عمران 54)؛ "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (الأنفال 30)؛ "نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ" (التوبة 67)؛ "فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا" (الأعراف 51)؛ "وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا" (الجاثية 34)؛ "صِبْغَةَ اللَّهِ" (البقرة 138). وللمشاكلة جذور في التراث اليهودي-المسيحي. مثلاً: "لِتَنْظُرْ عَيْنَاهُ (أي: عَيْنَا الإِنْسَانِ الشِّرِّيرِ) هَلاَكَهُ، وَمِنْ حُمَةِ (أي: سُمّ؛ venom) الْقَدِيرِ يَشْرَبْ" (أيوب 21:20). وطبعاً الله ليس له سم؛ وإنما المقصود: غضب الله. فهي مشاكلة استخدم فيها أيوبُ نفس الكلمة التي استخدمها صاحبه صُوفَرُ قبله: "فَخُبْزُهُ (أي: فَخُبْزُ الإِنْسَانِ الشِّرِّيرِ) فِي أَمْعَائِهِ يَتَحَوَّلُ، مَرَارَةُ أَصْلاَل (أي: يَتَحَوَّلُ إلى سُمِّ الثعابين) فِي بَطْنِهِ. قَدْ بَلَعَ ثَرْوَةً فَيَتَقَيَّأُهَا. اللهُ يَطْرُدُهَا مِنْ بَطْنِهِ. سَمَّ الأَصْلاَلِ يَرْضَعُ (يقصد: بدأ محبةَ الشر منذ أن كان طفلًا). يَقْتُلُهُ لِسَانُ الأَفْعَى" (أيوب 20:14-16). مثال آخر: "الرَّبُّ أَبْطَلَ مُؤَامَرَةَ الأُمَمِ. لاَشَى أَفْكَارَ الشُّعُوبِ. أَمَّا مُؤَامَرَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الأَبَدِ تَثْبُتُ. أَفْكَارُ قَلْبِهِ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ" (المزامير 33:10-11) **[← "وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (آل عمران 54)؛ "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (الأنفال 30)]**.

5445 . |ظلال|:1981/4.

5446 . |قرطبى-مصر|:151/5 مِن حواشي المحققين.

5447 . |عيسى|:99/2-100.

5448 . |شعراوى|:6911/11. انظر أيضاً |شعراوى-ع|:962/2؛ |شعراوى-قصص|:154؛ |نجار|:159؛ |خالدى-أ|:119/2-120.

5449 . |كثير-شيخ|:30/8؛ |كثير-طيبة|:381/4؛ |كثير-شنقيطى|:922.

5450 . انظر تفاسير (القصص 10). مثلاً |فهد|:386؛ |منتخب|:683؛ |ميسر|:324.

5451 . انظر تفاسير وأسباب نزول (النساء 105-113).

5452 . (مسلم 541؛ |م|:384/1-385) (البخارى 449؛ |خ|:176/1) (البخارى 1152؛ |خ|:405/1) (البخارى 3110؛ |خ|:1196/3) (البخارى 3241؛ |خ|:1260/3) (البخارى 4530؛ كتاب "تفسير القرآن" |خ|:1809/4). انظر أيضاً |شعراوى-قصص|:340؛ |شعراوى-ع|:2207/4؛ |صابونى|:300؛ |أشقر-قصص|:301.

5453 . |طنطاوى-قصص|:231/1.

5454 . |شعراوى|:6944/11. انظر أيضاً |شعراوى-ع|:1019/2-1020؛ |شعراوى-قصص|:161.

5455. 421 لحظات قرآنية, https://www.youtube.com/watch?v=3JqrhUAj_CQ

5456 . |طبرى|:80/13-100؛ |طبرى-شاكر|:33/16-49. وانظر لسان العرب والمعجم الوسيط لمعرفة معاني الكلمات.

5457 . |زجاج|:101/3.

5458 . |ج|:238؛ |ج-البغا|:306؛ |ج-وطن|:238؛ |ج-صاوى|:291/2-292؛ |ج-جمل|:23/4-24.

5459 . (المستدرك 255/4؛ قال الحاكم "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ" ووافقه الذهبي |حاكم|:284/4).

5460 . (المستدرك 346/2؛ قال الحاكم "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ" ووافقه الذهبي |حاكم|:377/2).

5461 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

5462. "He saw the image of his father and his desire departed" (|Kugel|:448). He saw the "countenance" or "portrait" or "bust" of his father (|Potiphar|:110-111).

5463 . والقرآن نفسه يذكر أن بعض اليهود كانوا أحياناً يتلاعبون بالحروف لتغيير معاني الكلمات: "مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ (أي: يُميلون الكلام عن معناه) وَيَقُولُونَ [لمحمد] [...] رَاعِنَا (أي: انظرنا؛ انتظرنا؛ راقِبنا) لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ [فيظهرون لمحمد أنهم يطلبون منه أن ينظر إليهم ويراعيهم لكنهم في الحقيقة يبطنون سَبّه ووصفه بالرعونة] [...] وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا [...] انْظُرْنَا [بدل "رَاعِنَا"] لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا" (النساء 46).

5464 . |Kugel|:448؛ |Potiphar|:111-112، 119. انظر أيضاً |GR-AQ|:369.

5465 . |Sidersky|:60.

5466 . |Reynolds|:37؛ |ربيع|:100؛ |هامش|:5/10. "التلمود البابلي اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:293/42).

5467. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

5468 . |GR-AQ|:368-369؛ |Masson|:859؛ |Kugel|:448، 455-456؛ |Potiphar|:94-96؛ |Sidersky|:60-61؛ |EJ|:410/11؛ |Torrey|:110.

5469. 133 حوار الحق,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=2199&cat=24&scat=42&
219 الدليل, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5736&cat=24&scat=211&

5470 . وتوجد أمثلة أخرى من أساطير اليهود تزعم أن صورة يعقوب (إسرائيل) موجودة في السماء! على العرش الإلهي! (|Potiphar|:112-120)! ولعل ذلك يفسر لماذا قالت بعضُ كتب تفسير القرآن إن يوسف "رَأَى يَعْقُوبَ فِي سَقْفِ الْبَيْتِ".

5471 . "مَنْ يُحِبُّ الْحِكْمَةَ يُفَرِّحُ أَبَاهُ، وَرَفِيقُ الزَّوَانِي يُبَدِّدُ مَالاً (أي: يخسر ثراءَه)" (الأمثال 29:3). هذه الآية ليس لها علاقة بيوسف ويعقوب تحديداً. لكن أصحاب التلمود أرادوا أن يجعلوا لها علاقةً بهما، فاخترعوا هذه الخرافة التلمودية.

5472 . وما زالت هذه الأفكار والعبارات اليهودية تتسلل – بوعي أو بدون وعي – إلى كتب تفسير القرآن وقصص الأنبياء. مثلاً، قال شيخ الأزهر الأسبق: "لم تلن له (أي: ليوسف) قناة أمام ترغيبهن أو ترهيبهن" (|طنطاوى-قصص|:231/1).

5473 . ونجد أيضاً في نفس الموضع من التلمود البابلي (Sotah 36b) فكرة مجيء جبريل إلى يوسف، لكن ليس ليزجره عن خطيئة الزنا، وإنما ليُعلِّمه 70 لغة بُعيد صعوده إلى السلطة في مصر (|Kugel|:457-458؛ |Sidersky|:65-66؛ |EJ|:410/11)! ولذلك قيل في تفسير كلمة "عَلِيمٌ" (يوسف 55) إنها تعني: عَلِيمٌ بالألسن.

5474 . لم يكن هناك أفود مقدس ولا سفر أمثال أيام يعقوب ويوسف!

5475 . |Potiphar|:106-108، 122-123.

5476 . |Potiphar|:97.

5477 . |Reynolds|:38.

5478 . |Targums|:180/1A؛ |Potiphar|:97-98. "فأمسكته بلباسه [...] فترك لباسه [...]" (|هامش|:142/10).

5479 . |هامش|:203/5-204؛ |Pleiade|:337/782؛ |RHCharles|:70/2؛ |OTP|:128/2-129؛ |Kugel|:447-448؛ |Potiphar|:22-23، 99، 109.

5480 . أشار القرآنُ إلى انتقال وصايا الله من إبراهيم إلى بَنِيهِ ومِن يعقوب إلى بَنِيهِ: "وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" (البقرة 132).

5481 . وتوجد أمثلة أخرى من أساطير اليهود تزعم أن يعقوب كان يُعلِّم يوسف الشريعةَ (التوراة) (|Potiphar|:102-105)! وكما نقول دائماً: كانت الأفكار تنتقل بسهولة وسلاسة بين قصتي يوسف وموسى.

5482 . واستدلوا بـ (التكوين 5:26) على وجود "أَوَامِرِ" إلهية "وَفَرَائِضِ" "وَشَرَائِعِ (بالعبرية: torot؛ جمع توراة)" في أيَّامِ إبْرَاهِيمَ **[⟵ "إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ" (الأعلى 18-19) "أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ" (النجم 36-37)]**.

5483 . "**رَبِّي – رَبُّونِي:** وهي أصلاً كلمة أرامية بمعنى "سيد أو معلم"، كان يستخدمها العبيد في مخاطبة سادتهم، واستخدمها اليهود في مخاطبة عظمائهم ومعلميهم احتراماً لهم وتعظيماً لشأنهم" (|كتابية|:56/4). انظر أيضاً |قاموس-كتاب|:398.

5484. حوار الحق 134,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=2200&cat=24&scat=42&

5485 . محمد يوسف إدريس، "مُتخيَّل أحداث قصص الأنبياء والرسل في الكتاب المقدس والقرآن الكريم". الرباط – بيروت: مؤمنون بلا حدود. الطبعة الأولى، 2017. ص 359، 364، 398، 505.

5486 . "وَبِاسْمِ الرَّبِّ دَعَوْتُ: «آهِ يَا رَبُّ، نَجِّ نَفْسِي!». الرَّبُّ حَنَّانٌ وَصِدِّيقٌ، وَإِلهُنَا رَحِيمٌ" (المزامير 116:4-5)؛ "اَلرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ (أي: بَطِيءُ الغَضَبِ) وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكُلِّ، وَمَرَاحِمُهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِ (أي: عَلَى كُلِّ مخلوقاته)" (المزامير 145:8-9). "فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ (أي: الله) أَيْضًا رَحِيمٌ" (لوقا 6:36). وآيات كتابية أخرى تؤكد الرحمة الإلهية للمتقين، مثل: "كُلُّ سُبُلِ الرَّبِّ رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِحَافِظِي عَهْدِهِ وَشَهَادَاتِهِ" (المزامير 25:10)، "لأَنَّكَ أنتَ يا رَبُّ صالحٌ وغَفورٌ، وكثيرُ الرَّحمَةِ لكُلِّ الدّاعينَ إلَيكَ" (المزامير 86:5)؛ "أيُّها الربُّ الإلَهُ العظيمُ المَهوبُ، حافِظَ العَهدِ والرَّحمَةِ لمُحِبّيهِ وحافِظي وصاياهُ" (دانيال 9:4)، "وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ" (لوقا 1:50) **[⟵ نقلها أصحابُ القرآن فصارت: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ" (الأعراف 156)]**.

5487 . |كثير-شيخ|:26/8؛ |كثير-طيبة|:378/4؛ |كثير-شاكر|:253/2؛ |كثير-صابونى|:245/2؛ |كثير-شنقيطى|:921.

5488 . |شحرور|:238/2-239.

5489 . |طنطاوى-قصص|:217/1. انظر أيضاً |شعراوى|:6900/11-6902؛ |بكر|:106.

5490 . الإحسان هو "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ (أو: تَخْشَى الله) كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" (البخارى 50؛ |خ|:27/1-28) (مسلم 9-10؛ |م|:39/1-40). انظر أيضاً |شعراوى-قصص|:162.

5491 . |قرطبى|:312/11-313؛ |قرطبى-مصر|:151/5-152.

5492 . |Witztum|:215. انظر أيضاً |GR-AQ|:368، 370.

5493 . |رازى|:132/18-133. انظر أيضاً |طنطاوى-قصص|:234/1.

5494 . |Bauckham|:106/1. انظر أيضاً |Witztum|:216.

5495. |Witztum|:215-216. See also |GR-AQ|:368, 370; and Kristian S. Heal, "Joseph as a Type of Christ in Syriac Literature," Brigham Young University Studies, 2002, vol. 41, no. 1, p. 36.

5496. “His mistress confined Joseph the just in prison, And Zion confined our savior in the tomb” (Kristian S. Heal, "Joseph as a Type of Christ in Syriac Literature," Brigham Young University Studies, 2002, vol. 41, no. 1, p. 36-37). See also |Witztum|:216.

5497. “Women are acquiring an evil custom against men. / if they do not act out their licentiousness they give false testimony” (|Witztum|:213).

5498. “a monastic community steeped in a misogynistic tradition” (Kristian S. Heal, "Joseph as a Type of Christ in Syriac Literature," BYU Studies, 2002, vol. 41, no. 1, p. 37).

5499. “There seems to be an implicit warning here against marriage in which the wife rules over the husband and is also likely to be unfaithful” (Kristian S. Heal, "Joseph as a Type of Christ in Syriac Literature," BYU Studies, 2002, vol. 41, no. 1, p. 48).

5500 . اقرأ أيضاً (1 تيموثاوس 2:11-15) (1 كورنثوس 14:34-37). وانظر |Kugel|:100-102 لأقوال أخرى معادية للمرأة في كتب التراث اليهودي/المسيحي. لكن في المقابل، توجد آيات كتابية أخرى تتحدث عن المرأة بطريقة أفضل؛ مثلاً: "اَلْمَرْأَةُ الْفَاضِلَةُ تَاجٌ لِبَعْلِهَا" (الأمثال 12:4)، (غلاطية 3:28) (1 كورنثوس 11:11) (1 بطرس 3:7) (أفسس 5:25-33).

5501 . |EJ|:63/16-64.

5502 . |Philo-ar|:333/3-334؛ |Philo|:439-440. انظر أيضاً |Witztum|:214؛ |Kugel|:456؛ |Potiphar|:63.

5503 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

5504. “I know that you are innocent”, he assured him, “but [I must do this] lest a stigma fall upon my children” (|Witztum|:214). “to save the honor of his wife and children” (|Kugel|:456). “pour sauver la réputation de ma maison” (|Sidersky|:62).

5505 . |هامش|:21/4-22؛ |Pleiade|:337/822-824؛ |OTP|:783/1-784؛ |Kugel|:211.

5506 . (أحمد 309/1-310؛ "إسناده حسن" |ل|:30/5-32؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:253/3-254).

5507 . (أحمد 310/1؛ "إسناده حسن" |ل|:32/5؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:254/3).

5508 . (المستدرك 496/2-497؛ قال الحاكم "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ" ووافقه الذهبى |حاكم|:538/2-539).

5509 . |ضعيفة|:271/2-273.

5510 . |طبرى|:111/13؛ |طبرى-شاكر|:59/16.

5511 . |فهد|:238.

5512 . |صابونى|:266.

5513 . |Potiphar|:56-58.

5514. http://www.bildarchivaustria.at/Pages/ImageDetail.aspx?p_iBildID=5072747

5515. |Potiphar|:69, 90. “Rabbinic tradition identifies her father (i.e. Asenath's father), Potiphera, with the Potiphar of ch 39 (*b. Sot.* 13b), but this is unlikely” (|JSB|:77).

5516 . |سبعينية|:التكوين/291؛ |Septuagint|:OT/52، 56. انظر أيضاً |Witztum|:219؛ |Potiphar|:64.

5517 . |Sidersky|:58؛ |Potiphar|:90؛ |EJ|:410/11.

5518 . ويوجد رأي آخر يقول إن هذه المنجّمة كانت تتنبأ بميلاد أسنات! ونحن لم نقتنع بهذا الرأي.

5519 . انظر مثلاً |طبرى|:220/13-221؛ |طبرى-شاكر|:151/16؛ |قرطبى|:381/11-383؛ |قرطبى-مصر|:193/5-194؛ |كثير-شيخ|:52/8-53؛ |كثير-طيبة|:396/4-397؛ |ج|:242؛ |ج-البغا|:311؛ |ج-وطن|:242؛ |ج-صاوى|:306/2؛ |ج-جمل|:50/4-52.

5520 . |Witztum|:212. وقيل إن أوريجانوس لم يذكر أَسْنَات صراحةً بالاسم (|Potiphar|:65؛ |Kugel|:456). لكن أوريجانوس قال كلامه تعليقاً على زواج أَسْنَات ويوسف (التكوين 41:45)، فَمَن يقصد غيرها؟!

5521. For example “Age of Spirituality: Late Antique and Early Christian Art, Third to Seventh Century”. Available online (PDF) at the website of The Metropolitan Museum of Art:
https://www.metmuseum.org/art/metpublications/Age_of_Spirituality_Late_Antique_and_Early_Christian_Art_Third_to_Seventh_Century

5522. “The Quran itself might have adapted a tradition similar to the one attested by Origen and shifted it to an earlier stage in the story” (|Witztum|:212).

5523 . |Potiphar|:57، 64-65. انظر أيضاً |Kugel|:456؛ |Sidersky|:61.

5524 . "وَشَاخَ إِبْرَاهِيمُ وَتَقَدَّمَ فِي الأَيَّامِ. وَبَارَكَ الرَّبُّ إِبْرَاهِيمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِعَبْدِهِ كَبِيرِ بَيْتِهِ الْمُسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ: «ضَعْ يَدَكَ تَحْتَ فَخْذِي، فَأَسْتَحْلِفَكَ بِالرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ وَإِلهِ الأَرْضِ أَنْ لاَ تَأْخُذَ زَوْجَةً لابْنِي مِنْ بَنَاتِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، بَلْ إِلَى أَرْضِي وَإِلَى عَشِيرَتِي تَذْهَبُ وَتَأْخُذُ زَوْجَةً لابْنِي إِسْحَاقَ»" (التكوين 24:1-4).

5525 . أما المكافأة الأخروية فهي "لِّلَّذِينَ آمَنُوا": "وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" (يوسف 57).

5526 . |مجلس|:145، 147.

5527 . |خالدى-د|:306.

5528 . (البخارى 633؛ |خ|:236/1) (مسلم 418؛ |م|:311/1-315).

5529 . (البخارى 5111؛ |خ|:2070/5) (مسلم 797؛ |م|:549/1).

5530 . |Potiphar|:29. انظر أيضاً |Potiphar|:40-41. وفي ترجمة أخرى: أعطتهن برتقال (|Sidersky|:62-63).

5531 . انظر النقاش حول تاريخ هذه الرواية في مدراش تنحوما (|Potiphar|:33-35). وفي مدراش يهودي متأخر آخر: قدَّمت امرأةُ فوطيفار للنسوة لحماً وخبزاً. وفي مدراش يهودي ثالث: قدَّمت لهن تفاحاً (|Potiphar|:30-31)!

5532 . |JSB|:253؛ |Alter|:447/1.

5533. صندوق الإسلام 104, https://www.youtube.com/watch?v=umPuog5RCtY
محمد المسيَّح – مصادر الحج, https://www.youtube.com/watch?v=wMSOidDQdQU

5534 . |آرثر|:1771.

5535 . "وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ الْبَاقِي مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ الَّذِينَ جَاءُوا عَلَى أُورُشَلِيمَ، يَصْعَدُونَ مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ لِيَسْجُدُوا لِلْمَلِكِ رَبِّ الْجُنُودِ وَلِيُعَيِّدُوا عِيدَ الْمَظَالِّ (أي: عيد الخيام). وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ لاَ يَصْعَدُ مِنْ قَبَائِلِ الأَرْضِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْجُدَ لِلْمَلِكِ رَبِّ الْجُنُودِ، لاَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ مَطَرٌ" (زكريا 14:16-17).

5536. التاريخ المبكر للإسلام 56, https://www.youtube.com/watch?v=9VKLp6Fia7c

5537 . "وَإِنْ لاَ تَصْعَدْ وَلاَ تَأْتِ قَبِيلَةُ مِصْرَ وَلاَ مَطَرٌ عَلَيْهَا، تَكُنْ عَلَيْهَا الضَّرْبَةُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الرَّبُّ الأُمَمَ الَّذِينَ لاَ يَصْعَدُونَ لِيُعَيِّدُوا عِيدَ الْمَظَالِّ (أي: عيد الخيام). هذَا يَكُونُ قِصَاصُ مِصْرَ وَقِصَاصُ كُلِّ الأُمَمِ الَّذِينَ لاَ يَصْعَدُونَ لِيُعَيِّدُوا عِيدَ الْمَظَالِّ" (زكريا 14:18-19)؛ أي: لأن الزراعة في مصر تعتمد على نهر النيل وليس على المطر، فإن عقاب مصر سيكون مختلفاً (|JSB|:1254). وسنعود إلى هذه الآيات حين ندرس "ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ [بالمطر]" (يوسف 49)!

5538. |AYA|:556. Another translation: “arranged a repast” (GR-AQ|:369). See also |منتخب-ن|:484; |فهد-ن|:306; |Haleem|:240; |Arberry|:257; |Potiphar|:36.

5539. |Potiphar|:31. Another translation: “prepared for them a cushioned couch (to lie on at the feast)” (|Pickthall|:306).

5540 . "والعادة في عشاء الفصح الرسمي أن يُقدَّم أربع كؤوس خمر" (|المسيح|:383).

5541. “The four cups of wine should be drunk in a reclined position, as in Roman times reclining was a sign of freedom” (|EJ|:2\362).

5542 . "فَأَعَدَّا الْفِصْحَ. وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ جَاءَ [يَسُوعُ] مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ. وَفِيمَا هُمْ مُتَّكِئُونَ يَأْكُلُونَ، قَالَ يَسُوعُ: [...]" (مرقس 14:16-18)؛ "فَأَعَدَّا الْفِصْحَ. وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ اتَّكَأَ [يَسُوعُ] وَالاثْنَا عَشَرَ رَسُولاً مَعَهُ، [...]. ثُمَّ تَنَاوَلَ كَأْسًا وَشَكَرَ وَقَالَ: [...]" (لوقا 22:13-17)؛ "فَفَعَلَ التَّلاَمِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا الْفِصْحَ. وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ اتَّكَأَ [يَسُوعُ] مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ" (متى 26:19-20). وبعد ذلك تنتقل الأناجيلُ إلى تفاصيل القبض على يسوع المسيح وصلبه وموته ودفنه وقيامته.

5543 . (البخارى 5083-5084؛ |خ|:2062/5).

5544 . (The Antiquities of the Jews 2.4.3) |Josephus|:64. انظر أيضاً |Potiphar|:43؛ |Kugel|:455.

5545 . |Reynolds|:37؛ |ربيع|:100؛ |هامش|:5/10. "التلمود البابلى اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:293/42).

5546. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

5547 . |Kugel|:455-456؛ |Potiphar|:94-95؛ |Sidersky|:59.

5548 . ""وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا" ليقطعن به ما يأكلنه من لحم وفاكهة" (|طنطاوى-قصص|:230/1).

5549 . قال المدراش اليهودي (Genesis Rabbah 87:6) إن يوسف "لَمْ يَسْمَعْ لَهَا (أي: لإمراة فوطيفار) أَنْ يَضْطَجِعَ بِجَانِبِهَا لِيَكُونَ مَعَهَا [في هذا العالم]" (التكوين 39:10) حتى لا "يَكُونَ مَعَهَا" في الجحيم في العالم الآخر (|Potiphar|:44، 63). اقرا أيضاً (ترجوم نيوفيتي. التكوين 39:10). بل قال يسوع المسيح: "يُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (متى 19:12).

5550 . |Potiphar|:30، 61، 42-43. انظر أيضاً |Sidersky|:63.

5551 . |نجار|:161.

5552 . ويُفهَم مِن سياق مدراش هاجَدُل أن هذا "السجن" كان زنزانة صغيرة تحت الأرض في بيت فوطيفار. ويوجد مدراش يهودي آخر يقول إن امرأة فوطيفار هددت يوسفَ بالسجن [إذا لم يلين ويستجيب] (|Potiphar|:52).

5553 . "يبدو أنهم كانوا قد اتهموه بشيء يدور حول النساء اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ .. لعلهم قالوا مثلاً إنه حاول الاعتداء عليهن فدافعن عن أنفسهن ومزقن أيديهن بالسكاكين" (|بهجت|:144).

5554. “In none of the parallel Jewish sources (i.e. the midrashic sources that Prof. James L. Kugel studied) is Joseph previously declared to be innocent” (|Witztum|:213).

5555 . |Philo-ar|:333/3؛ |Philo|:439. انظر أيضاً |Potiphar|:46، 63؛ |Kugel|:449.

5556 . |Prose|:185. انظر أيضاً |Kugel|:449. اقرأ أيضاً تسلل هذه الفكرة إلى المدراش اليهودي وجذورها المحتملة في التوراة (|Potiphar|:46-48).

5557 . أو حوله يقمن ببعض الأعمال الخارجية في الحديقة مثلاً. أو في المدينة يحتفلن بالعيد ثم عُدن. وعلى هذا فإن كلمة "نَادَتْ" (التكوين 39:14) تعنى: نادتهن لكي يدخلن؛ قامت باستدعائهن مِن الخارج **[← "أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ" (يوسف 31)]**.

5558 . |Potiphar|:48-50، 55-56، 58-60.

5559 . |Potiphar|:50-51، 63-64، 58.

5560 . إلا أن مدراش قرآن جعل اجتماع النسوة بحضور يوسف في بيت امرأة العزيز (يوسف 30-32) **بعد** أن عرف العزيزُ بأمر المراودة (يوسف 28-29). وهذا غير معقول درامياً كما قلنا كثيراً فيما سبق.

5561 . لم يقل القرآنُ صراحةً إن النسوة صديقات امرأة العزيز وإنهن أردن رؤيةَ يوسف وإنهن رَأَيْنَهُ للمرة الأولى في هذا الاجتماع. فذلك ما يُفهَم مِن القصة القرآنية. لكن في ضوء التراث اليهودي، اكتشفنا احتمالاً آخر: النسوة خادمات امرأة العزيز، ولقد رأينَ يوسفَ مِن قبل فهو رئيس الخدم، لكن امرأة العزيز حرصت في هذا الاجتماع أن يكون يوسفُ في أجمل صورة ممكنة، "فَلَمَّا رَأَيْنَهُ [في أبهى طلعة] أَكْبَرْنَهُ (أي: أعظمنه وأجللنه فهو رئيسهم) وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [...]" (يوسف 31).

5562 . راجع أيضاً ما قلناه عن استخدام ضمائر جمع المؤنث 5 مرات في قصة يوسف القرآنية "كَيْدِكُنَّ [...] كَيْدَكُنَّ" (يوسف 28) "كَيْدَهُنَّ [...] كَيْدَهُنَّ" (يوسف 33-34) "كَيْدِهِنَّ" (يوسف 50).

5563 . قال يسوع المسيح: "مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟" (متى 26:16) (مرقس 8:36-37) (لوقا 9:25).

5564 . لمزيد من التفاصيل، انظر الأبحاث المهمة التي قام بها العالم الكبير (Prof. James L. Kugel). مثلاً: |Potiphar|.

5565 . |GR-AQ|:369-370. وانظر |Potiphar|:40؛ |Kugel|:449، 456؛ |Witztum|:213؛ |Sidersky|:62-63.

5566 . اقرأ أيضاً: "تُغَطِّيكِ كَثْرَةُ الْجِمَالِ، بُكْرَانُ مِدْيَانَ وَعِيفَةَ كُلُّهَا تَأْتِي مِنْ شَبَا. تَحْمِلُ ذَهَبًا وَلُبَانًا، وَتُبَشِّرُ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ. كُلُّ غَنَمِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ. كِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدِمُكِ" (إشعياء 60:6-7). وحسب الموروث الديني/الشعبي، قِيدَار ونَبَايُوت مِن أبناء إسماعيل أجداد العرب. "وَهذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ: نَبَايُوتُ بِكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وَقِيدَارُ، [...]" (التكوين 25:13). وكذلك مِدْيَان (في القرآن: مَدْيَن) وَعِيفَة وشَبَا (في القرآن: سبأ) قبائل عربية من أماكن مختلفة في بلاد العرب.

5567. 56 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=9VKLp6Fia7c
محمد المسيَّح – مصادر الحج, https://www.youtube.com/watch?v=wMSOidDQdQU

5568 . كما قلنا فيما سبق، ديكور مشهد اجتماع النسوة (يوسف 31) يُذَكِّرنا بالآيات القرآنية التي تتحدث عن نعيم أهل الجنة. اقرأ أيضاً آيات "الغلمان" الذين يطوفون بكئوس الخمر في الجنة! "يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ" (الواقعة 17-18) "وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ" (الطور 24) "وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا" (الإنسان 19) "يُطَافُ عَلَيْهِم (أي: على أهل الجنة) بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ" (الصافات 45).

5569 . |Potiphar|:32.

5570 . |Potiphar|:58-59.

5571 . |Potiphar|:37.

5572 . |Potiphar|:37-38.

5573 . (حزقيال 23) يتحدث بصورة غير لائقة عن المصريين القدماء. حتى إذا تحدث الإصحاحُ بصورة مجازية عن الزنا الروحي، أي: يرمز إلى عبادة اليهود لأوثان المصريين. فإن عبارات مثل "لَحْمُهُمْ كَلَحْمِ الْحَمِيرِ وَمَنِيُّهُمْ كَمَنِيِّ الْخَيْلِ" (حزقيال 23:20) و "رَذِيلَةَ صِبَاكِ بِزَغْزَغَةِ الْمِصْرِيِّينَ تَرَائِبَكِ" (حزقيال 23:21) لم تكن موفقة لأنها قد تُفهَم بالمعنى الحرفي.

5574 . كما قلنا فيما سبق: التشابهات بين قصتي موسى ويوسف تجعل الأفكار تنتقل بسهولة ويسر من قصةٍ إلى أخرى. وإنه لمن الطريف أن المواجهة بين موسى وفرعون كانت – حسب القرآن – "يَوْمُ الزِّينَةِ" (طه 59) أي: يوم العيد أيضاً! صدفة؟

5575 . |شعراوى|:6940/11-6941.

5576 . |قرطبى|:329/11؛ |قرطبى-مصر|:162/5.

5577 . |Potiphar|:55، 59.

5578. "[T]he Aramaic *Targum Neofiti* […] is of Palestinian provenance […] and was written well before the rise of Islam (ca. 1st century AD). M. McNamara argues for a date of the fourth century AD" (|Reynolds|:38).

5579 . |هامش|:172/10؛ |Targums|:1A/223-224؛ |Kugel|:445-446. لمعرفة الجذور التوراتية لـ (ترجوم نيوفيتي. التكوين 22:49)، انظر |Potiphar|:84-88 والترجمات المختلفة والمضطربة لـ (التكوين 22:49).

5580. "'And they cried out before him *ʾAbrekh*': a father in wisdom [though but] tender in years" (Genesis Rabba 90:3) (|Potiphar|:90).

5581 . |طبرى|:135/13؛ |طبرى-شاكر|:79/16.

5582 . |MW|:76/1/1-2. انظر أيضاً |Boullata|:186.

5583 . كما زعم الملأُ أنهم عجزوا عن تفسير رؤيا المَلِك لأنها "أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ" (يوسف 44)، وليس لأنهم فاشلين.

5584. http://www.shehzadsaleem.com/yusuf-and-ladies-of-egypt/

5585. “Far from you, Joseph, my son! You did not raise your eyes nor look at one of them” (|Targums|:1A\224). ملحوظة: لم نجد هذه الجملة في الترجمة العربية.

5586. See also: Tomasz Niedźwiedzki, "Joseph's Two Garments: The Reception of Joseph in Targum Neofiti", *Aramaic Studies*, 2016, Volume 14, Issue 2, p. 153-.

5587. “The same phrase occurs also in Q 12:31 [only]. [...], this must be related to the Aramaic and Syriac *ḥās l*-(“God forbid, far be it from”)” (|Witztum|:218).

5588 . |Potiphar|:88.

5589 . |OTP|:2/210-211. انظر أيضاً |Pleiade|:337/1574؛ |Kugel|:446، 448؛ |Potiphar|:99، 109، 112.

5590 . "بِالإِيمَانِ نُقِلَ أَخْنُوخُ [حياً إلى السماء] لِكَيْ لاَ يَرَى الْمَوْتَ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ نَقَلَهُ" (العبرانيين 11:5).

5591 . "بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي. بِالإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ" (العبرانيين 11:8-9).

5592 . "بِالإِيمَانِ يُوسُفُ عِنْدَ مَوْتِهِ ذَكَرَ خُرُوجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [مِن مصر] وَأَوْصَى مِنْ جِهَةِ عِظَامِهِ" (العبرانيين 11:22).

5593 . "فَقَالَتْ مَرْيَمُ [العذراءُ للملاك الذي بشَّرها بميلاد يسوع المسيح]: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ" (لوقا 1:38) "فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ" (لوقا 1:45).

5594 . |FV|:194-195.

5595 . |آرثر|:1516. انظر أيضاً |JANT|:15.

5596 . |Banon|:13. انظر أيضاً |Kugel|:442.

5597 . |GR-AQ|:373. انظر أيضاً |Tottoli|:56.

5598 . |Potiphar|:24-25. انظر أيضاً |Potiphar|:21؛ |RHCharles|:2/669؛ |OTP|:2/546.

5599 . |Reynolds|:37؛ |ربيع|:100؛ |هامش|:10/5. "التلمود البابلي اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:42/293).

5600. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

5601 . |Sidersky|:59-60.

5602 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/56؛ |Kugel|:443؛ |NOAB|:1440؛ |EOSB|:904؛ |يسوعية|:العهدالقديم/1414؛ |Septuagint|:Apocrypha/64؛ |NETS|:706؛ |RHCharles|:1/551؛ |Potiphar|:25.

5603 . انظر التعليق على هذه المسألة في |Potiphar|:25.

5604 . |Kugel|:449؛ |Potiphar|:48، 58.

5605 . |هامش|:10/172؛ |Targums|:1A/224.

5606 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

5607 . |Kugel|:443. انظر أيضاً |EJ|:11/410.

5608 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/166؛ |يسوعية|:العهدالقديم/959؛ |NOAB|:1562؛ |EOSB|:613-614؛ |Septuagint|:Apocrypha/144؛ |NETS|:482؛ |Potiphar|:20-21، 24.

5609 . |هامش|:5/207؛ |Pleiade|:337/784؛ |RHCharles|:2/71؛ |OTP|:2/130؛ |Kugel|:450.

5610. “Part of this popularity, especially in Hellenistic Jewish writings, has to do with the Greek association of physical beauty and inner value” (|Potiphar|:66).

5611 . ومِنها ما قال إن يوسف هَمَّ بالزنا، كما رأينا في التلمود البابلي (Sotah 36b). في ظل الحرية الفكرية التي سادت في الشرق الأوسط قبل الميلاد وفي القرون الأولى للميلاد، كان مِن الطبيعي أن تتنوع الآراء وتختلف. ثم إن "هَمّ" يوسف بالزنا له وظيفة تفسيرية (exegetical function) تبرر أن الله لم يظلم يوسفَ حين سمح بسجنه سنتين (في القرآن: بضع سنين). ولا يتعارض مع كونه "صِدِّيقًا"، بل لعل محنة السجن هي التي ساهمت في بناء شخصيته، فخرج منها صِدِّيقًا، بدليل أنه لم يُدعَ "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ" (يوسف 46) إلا في أواخر أيام سجنه.

5612. "صِدِّيق, literally "very truthful," but really a compact word for a man who is virtuous in every sense" (|MW|:76\1\12).

5613. |Prose|:187-188. Also |Witztum|:218, 27; |GR-AQ|:374. "Preserved in a single manuscript, dated to 523, the commentary is usually accepted as a genuine work of Ephrem. It retells the Biblical story in its own words and contains quite a few narrative expansions" (|QHC-2|:428-).

5614 . |Bauckham|:1/106-107. انظر أيضاً |Witztum|:218؛ |QHC-2|:431.

5615 . [← قال العزيزُ "لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن [...] نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (أي: نَتَبَنَّاه)" (يوسف 21)].

5616. |Witztum|:218-219. See also |QHC-2|:431. "By inserting this account, the author creates a neat chiastic pattern of events," (Kristian S. Heal, "Joseph as a Type of Christ in Syriac Literature," Brigham Young University Studies, 2002, vol. 41, no. 1, p. 37-38).

5617 . يُسمَّى في مراجع علوم القرآن: "اللَّف والنَّشر على عكس الترتيب" (involution and evolution in reverse). ونجده كثيراً في التوراة والإنجيل والقرآن. مثلاً: "اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذلِكَ [استوفى] لِعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ " (لوقا 16:25)؛ "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ [...]. وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ [...]" (آل عمران 106-107). مثال آخر: "وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ" (فصلت 37).

5618 . |MIDEO|:22/178-179. وانظر أيضاً المراجع المذكورة في |Witztum|:219؛ |QHC-2|:432، 437.

5619. "a palistrophe [is] a rhetorical device that builds an entire story based on chiastic structure" (|MW|:78\2\119). "la « palistrophe » [est] « une figure de rhétorique selon laquelle un récit tout entier est construit sur la base d'une structure en chiasme »" (|MIDEO|:22\109).

5620. "According to Speyer, this was due to the influence of a Syrian legend, so that Joseph would not desire vengeance against her and her husband, who had imprisoned him" (|EJ|:11\411).

5621 . |دراسى|:1167؛ |NIV|:716. انظر أيضاً |Witztum|:219-222؛ |QHC-2|:432؛ |JSAI|:34/295-296. تعليقنا: الاعتراف بالحق فضيلة.

5622 . "لا يعرف التاريخ وَشْتِي، ولا يعرف أستير" (|يسوعية|:العهدالقديم/930). تعليقنا: الاعتراف بالحق فضيلة.

5623 . لكن تأثراً بقصة أستير الكتابية، يقول التراث المسيحي السرياني هنا: "royal garments" (PsB)؛ "garments of kings" (PsN)؛ "garments of the king's clothing" (Narsai) (|Witztum|:220؛ |QHC-2|:432). إذن: كما تأثرتْ قصة أستير الكتابية بقصة يوسف التوراتية، كذلك تأثرتْ قصص يوسف المسيحية السريانية بقصة أستير الكتابية.

5624 . لكن تأثراً بقصة يوسف التوراتية، تقول هنا الترجمة السبعينية (اليونانية) لسفر أستير: "the robe of fine linen" (|Septuagint|:OT/659). انظر أيضاً |NETS|:434؛ |Witztum|:220؛ |QHC-2|:432.

5625 . هل أخذ أصحابُ القرآن كلمة "يُصْلَب" من سفر أستير ووضعوها في قصة يوسف "فَيُصْلَبُ" (يوسف 41)؟ نفضِّل تأجيل الإجابة على هذا السؤال إلى حين نناقش المفارقات والأخطاء التاريخية في قصة موسى القرآنية حيث يظهر هامانُ (!) وتتكرر كلمة "لَأُصَلِّبَنَّكُمْ" ثلاث مرات (الشعراء 49) (الأعراف 124) (طه 71)!

5626. "While Haman and his wife realize that they are lost, Potiphar and his wife repent and are forgiven by Joseph, forgiveness being a central theme of the Joseph narrative" (|Witztum|:220). See also |QHC-2|:432.

5627 . أو لعل أسطورة "اذهبوا فأنتم الطلقاء" هي المستوحاة من أسطورة عفو يوسف عن مَن ظلموه: إخوته وامرأة العزيز.

5628 . |Witztum|:222-223.

5629 . **[← بالعربية: اجتبى. "يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ" (يوسف 6)].**

5630 . **[← "الصِّدِّيق" (يوسف 46)].**

5631 . "وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ" (الضحى 4)؛ "وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" (النحل 41-42).

5632 . |شعراوي|:6967/11-6968. انظر أيضاً |شعراوي-ع|:1048/2-1050؛ |شعراوي-قصص|:89-90؛ |منتخب|:384؛ |طنطاوي-قصص|:241/1؛ |ضيف|:388، 391؛ |خالدي-د|:310؛ |باش|:189/1، 192-193.

5633 . |ظلال|:1961/4-1962. لا نعلم مَن الذي اخترع هذه الأسطورة. سيد قطب؟ أم الشعراوي؟ أم شخص آخر؟

5634 . |شحرور|:242/2-243.

5635 . |صابوني|:264.

5636 . أحمد عثمان، "الأصول المصرية في اليهودية والمسيحية"، مكتبة الشروق، الطبعة الأولى 1999، ص 55.

5637. مسلسل يوسف الصديق - الحلقة 25, https://www.youtube.com/watch?v=-2d_meuOHIE

5638 . |ج|:240؛ |ج-البغا|:309؛ |ج-وطن|:240؛ |ج-صاوي|:300/2؛ |ج-جمل|:39/4.

5639 . |كامل|:112/1. وفي بعض المراجع الإسلامية يسمون ملك مصر "الوليد بن الريان" (مثلاً |زادمسير|:227/4)!

5640 . |خالدي-أ|:152/2-153.

5641 . |بكر|:118، 120، 124. انظر أيضاً |نجار|:156-157.

5642 . |نطرون|:التكوين/483.

5643 . يعني: أكثر من الفرق الزمني بين قناة السويس (1869م) وقناة السويس الجديدة (2015م)!

5644 . |مسكين|:21.

5645 . "في وقت نزول يعقوب إلى مصر، كان يوسف في حوالي الأربعين من عمره" (|كتابية|:224/2). أيضاً |EJ|:408/11.

5646 . |آرثر|:127، 124.

5647 . كما قلنا فيما سبق، توجد "ثلاثيات" (triologies) كثيرة في قصة يوسف القرآنية. هذه إحداها.

5648 . إنها إذن ثلاثية (triology) أخرى مِن ثلاثيات قصة يوسف القرآنية.

5649 . |EJ|:407/11.

5650. |IDAE|:99. Read online at the website of The British Museum: https://research.britishmuseum.org/research/collection_online/collection_object_details.aspx?objectId=111808&partId=1

5651 . |IDAE|:99.

5652 . "بَلْ قَالُوا (أي: قال ملأ قريش إن القرآن) أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ" (الأنبياء 5).

5653 . "أَهْلُ مَوَاشٍ مُنْذُ صِبَانَا إِلَى الآنَ، نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا" (التكوين 46:34) "رُعَاةُ غَنَمٍ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا" (التكوين 3:47). **[← "وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ (أي: من البادية؛ من الصحراء)" (يوسف 100)].**

5654 . |Kugel|:456-457. انظر أيضاً |OTP|:207/2؛ |Sidersky|:65.

5655 . |IDAE|:112.

5656 . |EJ|:407/11.

5657 . |ANET|:31. انظر أيضاً |Sparks|:297؛ |AEL|:94/3-103.

5658 . |شعراوى|:7002/11-7003.

5659 . سيد قطب، "التصوير الفني في القرآن"، القاهرة: دار الشروق، ط 17، 2004، ص 208.

5660 . |شعراوى-قصص|:167.

5661 . |طبرى|:193/13-194؛ |طبرى-شاكر|:128/16-129.

5662 . |قرطبى|:369/11؛ |قرطبى-مصر|:186/5.

5663 . |كثير-شيخ|:48/8؛ |كثير-طيبة|:393/4؛ |كثير-شاكر|:260/2؛ |كثير-صابونى|:252/2.

5664 . |ج|:241؛ |ج-البغا|:310؛ |ج-وطن|:241؛ |ج-صاوى|:301/2؛ |ج-جمل|:43/4-44.

5665 . |طنطاوى-قصص|:244/1.

5666 . |معجم-قراءات|:175/3؛ |خطيب|:281/4. انظر أيضاً |رازى|:151/18.

5667 . |زحيلى-وجيز|:242. انظر أيضاً |خالدى-أ|:159/2.

5668 . |مجلس|:453-454.

5669 . يُسمَّى في مراجع علوم القرآن: "اللَّف والنَّشر على عكس الترتيب" (involution and evolution in reverse). ونجده كثيراً في التوراة والإنجيل والقرآن. مثلاً: "مِنْ أَجْلِ هذَا أُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَال، لأَنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لاَ يَسْمَعُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ. فَقَدْ تَمَّتْ فِيهِمْ نُبُوَّةُ إِشَعْيَاءَ الْقَائِلَةُ: تَسْمَعُونَ سَمْعًا وَلاَ تَفْهَمُونَ، وَمُبْصِرِينَ تُبْصِرُونَ وَلاَ تَنْظُرُونَ" (متى 13:13-14)؛ "**تِجَارَةً** أَوْ **لَهْوًا** [...] مِّنَ **اللَّهْوِ** وَمِنَ **التِّجَارَةِ**" (الجمعة 11). أمثلة أخرى: "وَسَخَّرَ لَكُمُ **اللَّيْلَ** **وَالنَّهَارَ** **وَالشَّمْسَ** **وَالْقَمَرَ**" (النحل 12)؛ "لَا **الشَّمْسُ** يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ **الْقَمَرَ** وَلَا **اللَّيْلُ** سَابِقُ **النَّهَارِ**" (يس 40).

5670 . وهي أصلاً ثلاثية في قصة يوسف التوراتية: حلمين ليوسف (التكوين 5:37-11)؛ حلمين للسجينين (التكوين 5:40-19)؛ حلمين للملك (التكوين 1:41-7).

5671. “[Unlike Canaan] Egypt did not depend on rainfall but received its water from the Nile” (|BibleUn|:53).

5672. “Though the Nile provided sufficient water, the Nile valley had to be irrigated through human effort, since rainfall was minimal; Canaan’s crops are irrigated by seasonal rainfall. The difference is mentioned to stress Israel’s dependence upon God, who gives and withholds rain (Amos 4.7-8), as well as the fundamental sanctity of the land of Israel” (|JSB|:370).

5673. الدليل 144, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5384&cat=24&scat=211&

5674. “Egypt's agriculture was not dependent on rain, but on the Nile” (|JSB|:1254).

5675 . **[← "إِنَّ اللَّهَ [وحده لا غيره] عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ (أي: يُنَزِّلُ المطر من السماء)" (لقمان 34) "وَهُوَ [وحده لا غيره] الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ" (الشورى 28)].**

5676 . وهذا أيضاً يتفق مع اتكال يوسف على الله وحده في مواقف أخرى. مثلاً: "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ" (يوسف 33-34).

5677 . كما قلنا فيما سبق، توجد تشابهات كثيرة بين قصتي موسى ويوسف. مما يجعل الأفكار والعبارات والكلمات تنتقل بسهولة وسلاسة مِن قصةٍ إلى أخرى. في هذا المثال: مِن قصة موسى التوراتية إلى قصة يوسف القرآنية.

5678 . |المسيح|:156-157.

5679 . تعاني القصة التوراتية أيضاً مِن استطراد (التكوين 38)، لكن موضوعه مختلف ولم تذكره القصة القرآنية، ولذلك فإننا لم نتطرق إليه.

5680 . |MIDEO|:181/22-182، 184.

5681 . |قرطبى|:350/11؛ |قرطبى-مصر|:175/5.

5682 . راجع ما قلناه عن الإله الخَضِر "أوزيريس" مِن آلهة البعث والحساب والجزاء والحياة الآخرة عند المصريين القدماء.

5683 . |MIDEO|:22/182-185.

5684. (الحج 78) “presents a variant formulation which emphasizes even more the continuity between Abraham and the Quranic community: “the religion of your father Abraham (مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) …”. For the Syriac etymology of *milla*, see *FV*, 268-269” (|Witztum|:154).

5685 . تتميز هذه الآية بتغير واضح في السجع: "كَافِرُونَ" (يوسف 37)؛ "يَشْكُرُونَ" (يوسف 38)؛ "الْقَهَّارُ" (يوسف 39)؛ "يَعْلَمُونَ" (يوسف 40). مع أنه كان من الممكن أن يقول بكل سهولة: "اَللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ خَيْرٌ أَمِ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ". وفي جميع الأحوال، فإن هذا السجع ليس له أي معنى بالنسبة ليوسف، لأن يوسف العبراني لم يكن يتحدث اللغة العربية أصلاً.

5686 . "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ (أي: له عدة أسياد ليسوا متفقين، بل هذا يأمره بشيء وهذا يأمره بضده) وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ (أي: له سيد واحد فقط) هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (الزمر 29).

5687 . ولم يُذكَر اسم "الْقَهَّارُ" في القرآن كله إلا في نهاية الآية ومسبوق باسم "الْوَاحِدُ"! ولعل هذا هو السبب الذي جعل أصحاب القرآن يخالفون السجع في (يوسف 39). حتى تتفق مع (ص 65) (الزمر 4) (الرعد 16) (غافر 16) (إبراهيم 48).

5688 . وكذلك يزعم القرآنُ أن هود قال لقومه: "أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ" (الأعراف 71)! ويزعم القرآنُ أيضاً أن إبراهيم قال لقومه: "وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا" (الأنعام 81)!

5689 . كما قلنا فيما سبق: وكذلك وضع أصحابُ القرآن هذا الكلام الإسلامي/العربي على لسان الأنبياء والرسل السابقين مثل يوسف وإبراهيم وهود، حتى يصدِّق المستمع (أو القارئ) أن محمداً واحدٌ مِن هؤلاء الأنبياء والرسل.

5690 . ويزعم القرآنُ أن يعقوب أيضاً قال "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" (يوسف 67)! قيل إن الْحُكْمُ في جملة يوسف هو الْحُكْمُ "التشريعي"؛ أي: الحلال والحرام، فالله يشرّع وما على العبد المؤمن إلا تنفيذ شرع الله! أما الْحُكْمُ في جملة يعقوب فهو الْحُكْمُ "القدري"؛ أي: قضاء الله وقدره، فكل شيء خير أو شر بإرادة الله وما على العبد المؤمن إلا أن يرضى! انظر |خالدى-أ|:2/196-197.

5691 . "وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" تكررت ثلاث مرات في سورة يوسف (يوسف 21) (يوسف 40) (يوسف 68).

5692 . |Witztum|:251-252؛ |QHC-2|:445.

5693 . |دراسى|:1276، 1316 ؛ |NIV|:793، 821.

5694. Adapted from: Jaakko Hämeen-Anttila, “'We Will Tell You the Best of Stories': A Study on Surah XII,” Studia Orientalia Electronica, Vol 67 (1991), p. 27. See also the Appendix p. 31.

5695 . يُسمَّى في مراجع علوم القرآن: "اللَّف والنَّشر على عكس الترتيب" (involution and evolution in reverse). ونجده كثيراً في التوراة والإنجيل والقرآن. مثلاً: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (النحل 112). مثال آخر: "وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" (إبراهيم 33).

5696. “according to some scholars, [this theological speech] is the thematic and structural central point of the Sura” (|Witztum|:253; |QHC-2|:445-446). Cf. |MIDEO|:22\134-135, 182-185, 195.

5697 . كريمة كطيبي، "قصة يوسف بين التوراة والقرآن الكريم: الخصائص الفنية". دمشق: دار صفحات. الإصدار الأول، 2016. ص 48.

5698 . كما ثارت الديانات الإبراهيمية على بعضها. فتعمّد المسيحيون الأوائل تشويه صورة اليهود. وتعمّد المسلمون الأوائل تشويه صورة المسيحيين (النصارى) واليهود. كل ديانة تأخذ من الديانات التي تسبقها، لكن في نفس الوقت تتعمد أحياناً أن تشوّه صورةَ المؤمنين بها حتى لا يرتد الناس إليها.

5699 . |Lalouette|:41-52؛ |Grandet|:97-110؛ |سوسة|:426؛ |OTParallels|:65-69؛ |Coogan|:58-63؛ |ANET|:23-25؛ |AEL|:2/203-211؛ |Sparks|:258.

5700 . "يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا (أي: سيعيش) ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ (أي: سيموت)" (يوسف 41).

5701.https://research.britishmuseum.org/research/collection_online/collection_object_details.aspx?objectId=113983&partId=1

5702 . |Lalouette|:52.

5703 . مثلاً: يَشوعُ بْنُ نُونَ – فتى موسى وخليفته – كان من نسل أَفْرَايِم. لمزيد من التفاصيل عن العلاقة الأدبية الرمزية بين الثور ويوسف في التراث اليهودي، انظر |Potiphar|:15-16، 26-27.

5704 . راجع ما قلناه عن الإله الخَضِر "أوزيريس" مِن آلهة البعث والحساب والجزاء والحياة الآخرة عند المصريين القدماء.

5705 . (مسلم 162؛ |م|:146/1).

5706 . اقرأ أيضاً ما يقوله المرنِّم للمَلِك؛ وقيل: للمسيح!: "أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. [...] أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِدُهْنِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ" (المزامير 45:2-7).

5707 . لماذا قال المسيحي المصري/القبطي أوريجانوس إن أَسْنَات أثبتت براءة يوسف؟ هل لأن أوريجانوس المصري تأثر بأسطورة الأخوين المصرية التي تقول إن بقرةً أنقذت باتا (الذي يحمل اسمَ الإله الثور bull god)؟ أي: فكما أنقذت البقرةُ "زوجَها" الثور (باتا) مِن القتل، كذلك أثبتت أَسْنَات براءة "زوجها" يوسف. احتمال.

5708 . **[⟵ وهو نفس الفكر الخيالي الأسطوري الذي جعل رجلاً مجهولاً يأتي من أقصى المدينة ليخبر موسى أن فرعون وملأه يريدون أن يقتلوه، فيجب عليه أن يهرب: "وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ" (القصص 20). يعني تقريباً نفس الجملة التي قالتها البقرة لباتا!].** كما قلنا فيما سبق: التشابهات بين أسطورتي يوسف (باتا) وموسى تجعل الأفكار تنتقل بسهولة ويسر من أسطورةٍ إلى أخرى.

5709 . **[⟵ دعاء المظلوم أو المتهم البريء الذي يلجأ إلى ربّه الإله العادل ليظهر براءته: "يَا رَبُّ إِلهِي، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. خَلِّصْنِي مِنْ كُلِّ الَّذِينَ يَطْرُدُونَنِي وَنَجِّنِي، لِئَلاَّ يَفْتَرِسَ [الخصمُ الظالمُ] كَأَسَدٍ نَفْسِي هَاشِمًا إِيَّاهَا وَلاَ مُنْقِذَ. يَا رَبُّ إِلهِي، إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ هذَا [الإثم]. إِنْ وُجِدَ ظُلْمٌ فِي يَدَيَّ. إِنْ كَافَأْتُ مُسَالِمِي شَرًّا (أي: إنْ كنتُ قد أسأتُ لِمَن أحسَن إليَّ)، وَسَلَبْتُ مُضَايِقِي بِلاَ سَبَبٍ، فَلْيُطَارِدْ عَدُوٌّ نَفْسِي وَلْيُدْرِكْهَا، وَلْيَدُسْ إِلَى الأَرْضِ حَيَاتِي، وَلْيَحُطَّ إِلَى التُّرَابِ مَجْدِي. سِلاَهْ. قُمْ يَا رَبُّ بِغَضَبِكَ. ارْتَفِعْ عَلَى سَخَطِ مُضَايِقِيَّ وَانْتَبِهْ لِي. بِالْحَقِّ أَوْصَيْتَ. [...]. الرَّبُّ يَدِينُ الشُّعُوبَ. اقْضِ لِي يَا رَبُّ كَحَقِّي وَمِثْلَ كَمَالِي الَّذِي فِيَّ. لِيَنْتَهِ شَرُّ الأَشْرَارِ وَثَبِّتِ الصِّدِّيقَ (أي: أَثْبِتْ براءةَ الأبرار). فَإِنَّ فَاحِصَ الْقُلُوبِ وَالْكُلَى اللهُ الْبَارُّ. تُرْسِي (أي: درعي؛ والمقصود: دفاعي) عِنْدَ اللهِ مُخَلِّصِ مُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ. اَللهُ قَاضٍ عَادِلٌ" (المزامير 7:1-11)].**

5710 . **[⟵ وكذلك استعان موسى بالله وطلب منه أن يفصل بينه وبين قومه: "قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ (أي: احكم، اقضِ، افصل) بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (المائدة 25). وكذلك قال محمدٌ (موسى العرب، موسى الثاني، موسى الجديد) في نهاية سورة الأنبياء: "قَالَ رَبِّ احْكُم (أي: افصل) بِالْحَقِّ [بيننا وبين قومنا المكذبين]" (الأنبياء 112). اقرأ أيضاً: "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ (وفي قراءة أفضل: يَقْضِي الْحَقَّ) ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ [بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ بقضائه وحكمه]" (الأنعام 57)].**

5711 . **[⟵ فنلاحظ أن فكرة "الفصل الإلهي" أو "الحكم الإلهي" بين فريقين متخاصمين أو مختلفين موجودة في الأساطير الشرقية القديمة وموجودة في القرآن أيضاً. اقرأ مثلاً ما قاله شعيبُ: "فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. [...]. [...] رَبَّنَا افْتَحْ (أي: افصل) بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا [المكذبين] بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (أي: الحاكمين)" (الأعراف 87-89). ولذلك سُمّي يوم الحساب "يوم الفصل": "هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ. هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ" (الصافات 20-21)؛ "إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا" (النبأ 17)؛ (الدخان 40) (المرسلات 13-14، 38)؛ "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (السجدة 25)؛ (الحج 17) (الممتحنة 3)].**

5712 . لاحِظ أن شروق الشمس يرتبط بالحقيقة. أما غروب الشمس فيرتبط بالكذب: "وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً (أي: ليلاً؛ بعد الغروب) يَبْكُونَ. قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ [...]" (يوسف 16-17).

5713 . |OTParallels|:69؛ |ANET|:25؛ |Grandet|:176.

5714 . |ج|:236؛ |منتخب|:385؛ |ميسر|:194؛ |ضيف|:390؛ |وجدى|:303؛ |فهد|:236.

5715 . |كثير-هاشمى|:201؛ |كثير-بديوى|:254-255؛ |بدوى|:145/1.

5716 . **[⟵ وفي الفصل الثالث، قال يعقوبُ لأبنائه أن يبحثوا عن يوسف بلا يأس: "يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" (يوسف 87)].**

5717 . **[⟵ راجع مقتل "إِيزَابَل" (Jezebel) رمياً مِن الشباك! بعد أن تزينت عند قدوم "يَاهُو" (Jehu). "فَقَالَ [يَاهُو]: «اطْرَحُوهَا [أرضاً]». فَطَرَحُوهَا (أي: رموها من الشباك!)، فَسَالَ مِنْ دَمِهَا عَلَى الْحَائِطِ وَعَلَى الْخَيْلِ فَدَاسَهَا" (2 ملوك 9:33) والكلاب أكلت لحمها (2 ملوك 9:36)! كما قال الله على لسان إيليا النبي (1 ملوك 21:23)!].** معقول؟!

5718 . هُمُ الآلهة التسعة الرئيسية في مصر القديمة (|IDAE|:108؛ |Grandet|:176) **[← "أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ" (يوسف 39) لكن لم يذكر القرآنُ أسماءهم ولا عددهم! يعني: مؤلف الأسطورة المصرية مثقف أكثر من مؤلف الأسطورة القرآنية]**.

5719 . **[← أسطورة خلق حواء زوجةً لآدم. "وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ». [...]. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ [...] امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ" (التكوين 2:18-22)]**.

5720 . حتحور (Hathor) إلهة مصرية قديمة، تُرسَم كثيراً على شكل بقرة (cow). انظر مثلاً الجزء العلوي في لوحة نارمر الشهيرة. ولا يزال أحد شهور السنة القبطية "هاتور" يحمل اسم الإلهة حتحور إلى اليوم!

5721 . بدليل: "وَاسْتَيْقَظَ فِرْعَوْنُ، وَإِذَا هُوَ حُلْمٌ. وَكَانَ فِي الصَّبَاحِ أَنَّ نَفْسَهُ انْزَعَجَتْ" (التكوين 41:7-8).

5722 . **[← وهو نفس الفكر الخيالي الأسطوري الذي جعل الْيَمّ (أي: نهر النيل) ينقل الطفلَ موسى حتى وصل إلى قصر فرعون! (طه 37-40) (القصص 7-13). "فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ" (طه 39) "فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ" (القصص 8)]**. كما قلنا فيما سبق، التشابهات بين أسطورتي يوسف (باتا) وموسى تجعل الأفكار تنتقل بسهولة ويسر من أسطورةٍ إلى أخرى.

5723 . كما قلنا فيما سبق، توجد تشابهات كثيرة بين أسطورتي يوسف (باتا) وأستير.

5724 . لاحِظ حرية الإبداع التي كان يتمتع بها الأدب المصري القديم. كان من الممكن أن تكتب رواية تنتقد فرعون (مَلِك مصر) أو على الأقل تقدمّه كبشر من لحم ودم وليس ملاكاً مثالياً.

5725 . **[← قصص القيامة من الأموات في العهد القديم والعهد الجديد والقرآن، وبخاصة فيما يتعلق بالمسيح: "أُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ" (آل عمران 49) "تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي" (المائدة 110)]**.

5726 . تذكر أن باتا يحمل اسمَ الإله الثور (bull god) (dieu taureau).

5727 . في القرآن، لم يذهب يوسفُ إلى الملك بعد الاستدعاء الأول (يوسف 50)، وإنما ذهب بعد الاستدعاء الثاني (يوسف 54).

5728 . **[← "وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا (أي: نَتَبَنَّاه)" (القصص 9)]**. كما قلنا فيما سبق: التشابهات بين أسطورتي يوسف (باتا) وموسى تجعل الأفكار تنتقل بسهولة ويسر من أسطورةٍ إلى أخرى.

5729 . لاحِظ الثلاثية (triology) والسرد الدائري (circular, cyclical narrative). أولاً: يتحول إلى حيوان (ثور). ثانياً: يتحول إلى نبات (شجرتين). ثالثاً: يرجع إنساناً مرة أخرى.

5730 . ولا يوجد تحول (Metamorphosis) مِن إنسان إلى حيوان/نبات في أسطورة يوسف القرآنية، لكنه موجود في أساطير قرآنية أخرى. مثلاً: أسطورة أصحاب السبت الذين تحولوا إلى قِرَدَة عقاباً لهم!

5731 . **[← "اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي" (طه 29-32)]**. كما قلنا فيما سبق، التشابهات بين أسطورتي يوسف (باتا) وموسى تجعل الأفكار تنتقل بسهولة ويسر من أسطورةٍ إلى أخرى.

5732 . |EI-2|:352/11.

5733 . |Bottero|:47؛ |باقر|:129.

5734 . |Kramer|:182؛ |Kramer-fr|:226-227؛ |كريمر|:304.

5735 . |باقر|:128-129.

5736 . سهيل قاشا، "أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية"، بيروت – لبنان: بيسان، الطبعة الأولى، 1998، ص 202.

5737 . |ProcheOrient|:181-185؛ |أساطير|:210-214؛ |ANET|:83-85؛ |باقر|:137-139؛ |حايك|:92/1-97؛ |السواح|:144/6-149؛ |Coogan|:42.

5738 . |باقر|:137.

5739 . |ProcheOrient|:184-185؛ |أساطير|:214.

5740 . أوروك (Uruk) مدينة سومرية قديمة. ذكرتها التوراةُ باسم "أَرَكَ" (Erech) بعد اسم بابل: "وَكَانَ ابْتِدَاءُ مَمْلَكَتِهِ (أي: مملكة نِمْرُود) بَابِلَ وَأَرَكَ [...]" (التكوين 10:10). حالياً: مدينة الوركاء (Warka) في جنوبي العراق.

5741 . |عيسى|:107/2.

5742 . ألم يستغرب إخوةُ يوسف أنه يعرف أن لهم أخاً آخر؟! قيل إنه استدرجهم في الكلام حتى رووا له قصتهم. وقيل إنهم سألوه حِمْلَ بَعِيرٍ لأخيهم.

5743 . أما في سورة المؤمنون، فإن الله هو خَيْرُ الْمُنزِلِينَ! "وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ" (المؤمنون 29).

5744 . |زحيلي-وجيز|:243. قال النحاس دفاعاً عن هذه القراءة: "هَذِهِ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَبِي عَمْرٍو وَعَاصِمٍ. وَقَرَأَ سَائِرُ الْكُوفِيِّينَ: "وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ" وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدٍ؛ لِأَنَّهُ رَوَى عَنْ هِشَامٍ عَنْ مُغِيرَةَ قَالَ: فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ: "وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ". قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهَذَا (أي: القراءة الموجودة حالياً في مصحف حفص: وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ) مُخَالِفٌ لِلسَّوَادِ الْأَعْظَمِ؛ لِأَنَّهُ فِي السَّوَادِ لَا أَلِفَ فِيهِ وَلَا نُونَ، فَلَا يُتْرَكُ السَّوَادُ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ لِهَذَا الْإِسْنَادِ الْمُنْقَطِعِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ "فِتْيَةً" هَهُنَا أَشْبَهُ مِنْ "فِتْيَانٍ"؛ لِأَنَّ "فِتْيَةً" عِنْدَ الْعَرَبِ لِأَقَلِّ الْعَدَدِ، وَالْقَلِيلُ بِأَنْ يَجْعَلُوا الْبِضَاعَةَ فِي الرِّحَالِ أَشْبَهُ" (|نحاس-إعراب|:334/2).

5745 . استخدم إخوةُ يوسف نفس الكلمات التي استخدموها مِن قَبْلُ حين أرادوا أن يأخذوا يوسفَ مِن يعقوب! "**قَالُوا يَا أَبَانَا** مَا لَكَ لَا **تَأْمَنَّا عَلَىٰ** يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. **أَرْسِلْهُ مَعَنَا** غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ **وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**" (يوسف 11-12)! إلا أنهم كانوا في الفصل الأول كاذبين على يعقوب ومتآمرين على يوسف، أما في هذا الفصل فإنهم صادقون وغير متآمرين على بنيامين.

5746 . لاحظ تأثير الثقافة العربية/الإسلامية: "لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ" (مسلم 2998؛ |م|:2295/4) (البخارى 5782؛ "وَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَا حَكِيمَ إِلَّا ذو تَجْرِبَةٍ" |خ|:2271/5).

5747 . وقيل إن "ما" نافية؛ والمقصود: لا نريد منك أموالاً ولا بضاعة، بل تكفينا بِضَاعَتُنَا هَٰذِهِ التي رُدَّتْ إِلَيْنَا.

5748 . "اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" (يوسف 66) نفس الجملة التي قالها موسى (القصص 28)! كما قلنا فيما سبق، توجد تشابهات كثيرة بين قصتي موسى ويوسف. مما يجعل الأفكار والعبارات والكلمات تنتقل بسهولة وسلاسة مِن قصةٍ إلى أخرى.

5749 . قال ابنُ كثير: "لِأَنَّ الْإِيوَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَنْزِلِ، كَقَوْلِهِ: "آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ"" (|كثير-شيخ|:73/8؛ |كثير-طيبة|:411/4).

5750 . في جميع الأحوال، ظل بنيامينُ صامتاً طوال القصة القرآنية ولم ينطق بكلمةٍ واحدة! لكن وجوده في الرواية مهم وضروري مِن أجل تطور الأحداث. إنه بطل صامت؛ مجرد ظل لشقيقه يوسف الذي يُحرِّك الأحداث مِن خلاله.

5751 . ويُفهَم مِن السياق أن المؤذن وأعوانه كانوا يقولون ويفعلون ما كلّفهم يوسفُ وأمرهم به. لكن كالعادة يوجد رأي آخر يقول إن يوسف دَسَّ السِّقَايَةَ بنفسه فِي رَحْلِ بنيامين "دونَ علمِ أحد، لا إخوتِه ولا فتيانِه العاملين عنده!" (|خالدى-ج|:200)؛ بل قيل إن المؤذن وأعوانه هُمْ الذين استنتجوا بذكائهم أن الإخوة الأحد عشر هُمْ الذين سرقوا السِّقَايَةَ (|خالدى-أ|:201/2)!

5752 . حتى يتفق مع كلمة "السِّقَايَةَ" (يوسف 70). وكما سنرى بعد قليل، هذا ما تقوله التوراة: إناء للشرب وليس مكيال للكيل. والمراد: إناء مهم؛ بدليل حجم المكافأة الهائلة واحتياجها لمَن يضمنها: "وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ" (يوسف 72)!

5753 . "لأَنِّي قَدْ سُرِقْتُ مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ" (التكوين 15:40).

5754 . "أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ. أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ" (النجم 36-38).

5755 . لم تُذكَر كلمة "نَجِيًّا" في القرآن كله إلا مرتين: مرة في قصة يوسف (يوسف 80)؛ ومرة في قصة موسى (مريم 52). وكما قلنا فيما سبق، توجد تشابهات كثيرة بين قصتي موسى ويوسف. مما يجعل الأفكار والعبارات والكلمات تنتقل بسهولة وسلاسة مِن قصةٍ إلى أخرى.

5756 . قال الجلالان: ""قَالَ كَبِيرُهُمْ" سِنًّا رُوبِيلُ (يقصد: رأوبين) أَوْ رَأْيًا يَهُوذَا" (|ج|:245؛ |ج-البغا|:315؛ |ج-وطن|:245). وكما سنرى بعد قليل، القصة التوراتية تظهر بالفعل الفرق بين تصرفات رأوبين الفاشلة وتصرفات يهوذا الناجحة.

5757 . في الفصل الأول، كان تشاورهم سراً مِن أجل التخلص مِن يوسف (يوسف 8-10). أما الآن، فإن تشاورهم سراً مِن أجل إنقاذ بنيامين. كما بدأوا يعترفون بذنبهم "فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ" (يوسف 80). إنهم يتجهون نحو الأفضل. نحو التوبة.

5758 . فقدان بنيامين وكبيرهم يؤكد أن دخولهم "مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" "مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ" (يوسف 67-68).

5759. “Cette insistance sur la connaissance prophétique de Jacob serait donc caractéristique de la rédaction définitive du texte” (|MIDEO|:22\159). Cf. |MIDEO|:22\168.

5760 . كيف سمح حرسُ الحدود المصري وحراس البوابات لأبناء يعقوب بدخول مصر مرة أخرى، مع أنهم - في نظر رجال الأمن المصري - إخوة اللص بنيامين وتحوم حولهم الشبهات؟!

5761 . هل جاء أبناءُ يعقوب إلى مصر مِن أجل الكَيْل (الطعام) أَم من أجل استرداد أخيهم بنيامين كما أمرهم أبوهم "يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ" (يوسف 87)؟!

5762 . باعوا أخاهم يوسفَ "بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ" (يوسف 20) لأنهم لم يطمعوا في ثمنٍ أعلى من ذلك، بدليل "وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ" (يوسف 20). أما الآن فيريدون أن يستردوا أخاهم بنيامينَ "بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ" (يوسف 88) لأنهم لا يمتلكون بضاعةً أفضل من ذلك، بدليل "مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ" (يوسف 88).

5763 . أبناءُ "النبي" يعقوب يتسولون ويطلبون الصَّدَقَةَ ليعطوها إلى "النبي" يعقوب وأهله في كنعان! أما "النبي" محمد وأهله، فلا يطلبون الصَّدَقَةَ! "إنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ، إنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ"، "إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ" (مسلم 1072؛ |م|:752/2-754)! ويُروى "أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْفَارِسِيَّةِ: "كِخْ كِخْ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ"" (البخارى 2907؛ |خ|:1118/3) (مسلم 1069؛ |م|:751/2)! انظر أيضاً |شعراوى|:7060/11؛ |شعراوى-ع|:1138/2؛ |شعراوى-قصص|:180.

5764 . "وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ (أي: يختارك الله) وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (يوسف 6).

5765 . كيف عرف يوسفُ أن أباه يعقوب لا يزال حياً وأن نظره ضعف أو فقد بصره؟! قيل إن يوسف سأل إخوته عن أبيه! لكن كيف عرف يوسفُ أن قميصه فيه قوة الشفاء؟! كالعادة، اختبأ المفسرون وراء الله فزعموا أن الله أوحى إلى يوسف!

5766 . لاحظ أن يوسف صار هو الذي يأمر، وما على إخوته إلا تنفيذ أوامره! وصار أيضاً يتحكم في مصر كما لو كانت "عزبته"! يعني: أهل كنعان وأهل مصر خضعوا لأوامر يوسف، ومع ذلك لا يوجد أي دليل علمي يثبت وجوده التاريخي!

5767 . ليسوا أبناءَ يعقوب، لأنهم ما زالوا في الطريق مِن مصر إلى كنعان. "وقد يكونون أحفاده" (|خالدى-أ|:234/2).

5768 . "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (يوسف 4).

5769 . أول آية في التوراة: "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ" (التكوين 1:1). وآيات كتابية أخرى كثيرة؛ مثلاً: "خَالِقُ السَّمَاوَاتِ هُوَ اللهُ. مُصَوِّرُ الأَرْضِ وَصَانِعُهَا. هُوَ قَرَّرَهَا. لَمْ يَخْلُقْهَا بَاطِلاً. لِلسَّكَنِ صَوَّرَهَا. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ" (إشعياء 18:45)؛ "خَافُوا اللهَ وَأَعْطُوهُ مَجْدًا، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ سَاعَةُ دَيْنُونَتِهِ، وَاسْجُدُوا لِصَانِعِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ" (الرؤيا 7:14).

5770 . أمنية إسلامية ليس لها علاقة بيوسف التوراتي. إنما كانت تلح على أذهان أصحاب القرآن، بدليل تكرارها في آيات قرآنية أخرى: "فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" (البقرة 132) "وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" (آل عمران 102).

5771 . لاحظ أن يوسف لم يشكر اللهَ على نعمة النبوة المزعومة! بل شكر اللهَ على إخراجه مِن السجن "وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ" (يوسف 100)، مع أن السجن هو المكان الوحيد الذي مارس فيه الدعوةَ إلى الله (يوسف 37-40)!

5772 . قال د. محمد الطيب النجار (رئيس جامعة الأزهر الأسبق) إن إخوة يوسف "عاشوا حياتهم في البادية يسيمون أنعامهم ويرعون أغنامهم، ولم يروا من مظاهر المدنية والحضارة شيئاً" (|طيب|:145). إذن: يعقوب ويوسف وإخوته "مِّنَ الْبَدْوِ" (يوسف 100). لكن القرآن يقول في نفس السورة: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ [يا محمد] إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ (أي: مِن أهل الحاضرة)" (يوسف 109)! فهل يعقوب ويوسف "مِّنَ الْبَدْوِ" (يوسف 100) أم "مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ" (يوسف 109)؟! كالعادة، لجأ شيوخ الإسلام إلى حيل لحل التناقض بين هاتين الآيتين؛ مثلاً: قيل إن يعقوب تحول إلى البادية بعد النبوة! وقيل إن يوسف صار نبياً ورسولاً في مصر بلد الحضارة!

5773 . يُسمَّى في مراجع علوم القرآن: "اللَّف والنَّشر على عكس الترتيب" (involution and evolution in reverse). ونجده كثيراً في التوراة والإنجيل والقرآن. مثلاً: "مَن **كَفَرَ** فَعَلَيْهِ **كُفْرُهُ**ۖ وَمَنْ **عَمِلَ صَالِحاً** فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ. لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ **وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ** مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ **الْكَافِرِينَ**" (الروم 44-45).

5774 . "وَبِاسْمِ الرَّبِّ دَعَوْتُ: «آهِ يَا رَبُّ، نَجِّ نَفْسِي!». الرَّبُّ حَنَّانٌ وَصِدِّيقٌ، وَإِلهُنَا رَحِيمٌ" (المزامير 116:4-5)؛ "اَلرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ (أي: بَطِيءُ الْغَضَبِ؛ slow to anger) وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكُلِّ، وَمَرَاحِمُهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِ (أي: عَلَى كُلِّ مخلوقاته)" (المزامير 145:8-9). "فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ (أي: الله) أَيْضًا رَحِيمٌ" (لوقا 36:6). وآيات كتابية أخرى تؤكد الرحمة الإلهية.

5775 . "**فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**" (يوسف 90) جملة إسلامية/عربية (stock phrase) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموها في مواضع أخرى مِن القرآن ليس لها أية علاقة بقصة يوسف التوراتية الأصلية: "وَاصْبِرْ [يا

محمد] **فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**" (هود 115)؛ "**إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**" (التوبة 120)! اقرأ أيضاً: "وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ" (الطلاق 2-3).

5776 . "**ادْخُلُوا** مِصْرَ **إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**" (يوسف 99) جملة إسلامية/عربية (stock phrase) مِن تأليف أصحاب القرآن بدليل أنهم استخدموها فى موضعٍ آخر مِن القرآن ليس له أية علاقة بقصة يوسف التوراتية الأصلية: "**لَتَدْخُلُنَّ** الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ **إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**" (الفتح 27)!

5777 . مثال آخر: "[قال أخو يوسف] [...] فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ **حَتَّىٰ** يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ **يَحْكُمَ اللَّهُ** لِي ۖ **وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**" (يوسف 80)؛ "[قال شعيبُ] [...] فَاصْبِرُوا **حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ** بَيْنَنَا ۚ **وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**. [...]. [...] **رَبَّنَا افْتَحْ** (أي: احكم) بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ **وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**" (الأعراف 87-89)؛ "وَاتَّبِعْ [يا محمد] مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ **حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ** ۚ **وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**" (يونس 109)؛ "وَنَادَىٰ نُوحٌ **رَّبَّهُ** فَقَالَ **رَبِّ** إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ **وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**" (هود 45).

5778 . وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي يأخذ فيها أصحابُ القرآن فكرةً مِن بولس الرسول، بقصد أو بدون قصد، عن طريق مباشر أو غير مباشر. اقرأ مثلاً الآية القرآنية الشهيرة "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" (البقرة 286)، فهي مستوحاة – بل تكاد تكون منقولة – من "اللهَ أمينٌ، الذي لا يَدَعُكُمْ تُجَرَّبونَ فوقَ ما تستطيعونَ" (1 كورنثوس 13:10)!

5779 . راجع أيضاً ما قلناه عن المحاضرة الدينية التي ألقاها يوسف/محمد في السجون المصرية (يوسف 37-40)!

5780 . |MW|:76/1/7-8.

5781 . "وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" (البقرة 155-156).

5782. “The story of Joseph is presented as a dramatic vindication of the thesis that God is dominant [غَالِبٌ] and His purposes are inevitably fulfilled” (|MW|:76\1\5).

5783 . |قرطبى|:303/11-304؛ |قرطبى-مصر|:147/5. انظر أيضاً |زادمسير|:199/4؛ |Boullata|:175-176.

5784 . "ها قد تحققت أحلام يوسف النبويَّة! وكما قال غريغوريوس الكبير (تنيح سنة 604م): [لقد بيع يوسفُ بواسطة إخوته لكي لا يسجدوا له. وهوذا هم يسجدون له لأنهم قد باعوه!]" (|نطرون|:التكوين/451).

5785. “An especially remarkable similarity between the Qur’anic and Biblical stories is the use by both authors of Joseph’s dream(s) and its (their) fulfillment” (|MW|:78\2\119).

5786 . "لَوْ عَرَفُوا [رَبَّ الْمَجْدِ (أي: يسوعَ المسيح، يوسفَ الحقيقي)] لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ" (1 كورنثوس 8:2).

5787 . "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (يوسف 4).

5788 . مِن المحتمل أن أصحاب القرآن قد استوحوا مِن هذه الآيات التوراتية فكرة "لَا تَدْخُلُوا [مِصرَ في رحلتكم الثانية] مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" (يوسف 67). فيكون المقصود: حتى لا تَحُومَ حولكم الشبهات كالمَرَّةِ الأولى. لكن الاحتمال الأقوى هو أن (يوسف 67) مستوحاة من المدراش اليهودي كما سنرى لاحقاً.

5789 . وفي جميع الأحوال، كيف يحبس يوسفُ إِخْوَتَهُ العشرة الكبار في مصر ثلاثة أيام وهو يعلم جيداً أن أباه يعقوب وشقيقه بنيامين وحدهما في كنعان ويحتاجان إلى الطعام في أسرع وقت ممكن وإلا قد يموتا من الجوع؟!

5790 . هل توجد آثار تاريخية تثبت استخدام اللغة العبرانية أيام يوسف؟! أي: أكثر من 1600 سنة قبل المسيح؟!

5791 . أخذ شِمْعُونَ ربما لأنه ابن لَيْئَةَ الثاني ولذلك أُخِذَ رهينة حتى يأتي بنيامينُ ابن راحيل الثاني. و/أو لأن اسمه بالعبرية يدل على السمع. حين وَلَدَته لَيْئَةُ "قَالَتْ: «إِنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ أَنِّي مَكْرُوهَةٌ فَأَعْطَانِي هذَا أَيْضًا». فَدَعَتِ اسْمَهُ «شِمْعُونَ»" (التكوين 33:29). فهذا طباق يبرز المعنى بالتضاد بين "شِمْعُونَ" و "لَمْ نَسْمَعْ [...] لَمْ تَسْمَعُوا" (التكوين 21:42-22). وكأن يوسف أراد أن يقول لهم: كان يجب عليكم أن تسمعوني حين استرحمتكم وأن تسمعوا رأوبينَ حين حاول إنقاذي (التكوين 21:37).

5792 . "أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ. أَنَا أُعْطِي الْعَطْشَانَ مِنْ يَنْبُوعِ مَاءِ الْحَيَاةِ مَجَّانًا" (الرؤيا 6:21)؛ "وَمَنْ يَعْطَشْ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا" (الرؤيا 17:22). "مَجَّانًا أَخَذْتُمْ، مَجَّانًا أَعْطُوا" (متى 8:10). "لأَنِّي بَشَّرْتُكُمْ مَجَّانًا بِإِنْجِيلِ اللهِ" (2 كورنثوس 7:11) **[← "وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ (أي: مَجَّانًا) ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" (يوسف 104). وآيات قرآنية أخرى تحمل نفس المعنى؛ مثلاً "قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ" (الأنعام 90)].**

5793. “A midrash paraphrases Jacob’s decline of Reuben’s offer this way: “This is a foolish first-born son! Are your sons not my sons?” (*Gen. Rab.* 91.9)” (|JSB|:79).

5794 . لاحظ أن يهوذا [⟵ "كَبِيرُهُمْ [رأياً]" (يوسف 80)] نجح بذكاء وعقل فيما فشل فيه الْبِكْرُ رأوبين [⟵ "كَبِيرُهُمْ [سناً]" (يوسف 80)] بحماقة وتسرع.

5795. "The repetition through synonymity signals a performative speech-act, a legally binding vow" (|Alter|:1\168).

5796 . مجاعة شديدة (التكوين 43:1). ومع ذلك يوجد أحسن ما تنتجه الأرض (التكوين 43:11)!

5797 . بَلَسَان وَكَثِيرَاء وَلاَذَن. إذن: نزل بنيامينُ إلى مصر في صحبة نفس المواد التي كان يحملها الإسماعيليون/المديانيون الذين نزلوا بيوسف إلى مصر (التكوين 37:25)! هل مِن هنا جاءت فكرة استرقاق (احتجاز) بنيامين في مصر حسب القرآن؟!

5798 . |معجم-قراءات|:189/3؛ |خطيب|:329/4؛ |AlDeeb|:209.

5799 . |Luxenberg|:93-96. انظر أيضاً |AlDeeb|:209.

5800 . سؤال حيَّر المفسرين المسلمين: بأي حق أعاد يوسفُ ثمنَ الطعام إلى إخوته (يوسف 62)؟! أليست هذه الأموال مِن حق الدولة المصرية التي استأمن المَلِكُ يوسفَ عليها (يوسف 54) وزعم يوسفُ أنه "حَفِيظٌ" على خزائنها (يوسف 55)؟! ألن يشجع ذلك التصرف الموظفين الذين يعملون مع يوسف على أن يفعلوا نفس الشيء مع أقربائهم وأصدقائهم؟! ... كالعادة، لجأ شيوخ الإسلام إلى حيلة ذكية لحل هذه المشكلة، فزعموا أن يوسف سدد هذه الأموال مِن ماله الخاص! (|خالدي-أ|:190/2). ويبدو لنا أن هذه الإجابة مستوحاة مِن الجملة التي قالها خادمُ يوسف لإخوته: "فِضَّتُكُمْ وَصَلَتْ إِلَيَّ" (التكوين 43:23).

5801 . |Kugel|:479-480، 461-462.

5802 . الجملة المُضافَة مهمة، لأنه حسب النص العبري لا توجد أية إشارة إلى شيء فضي مسروق في الرسالة التي أمر يوسفُ الخادمَ أن يقولها (التكوين 44:4-5)! فكيف عرف إخوةُ يوسف أنهم متهمون بسرقةِ شيءٍ مصنوع من الفضة (التكوين 44:8)؟! [⟵ ولعل هذا النقص في النص العبري هو الذي جعل أصحاب القرآن يضيفون نفس المعلومة، وإنْ أضافوها في صورة حوار يتكون من سؤال وجواب: "قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ. قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ ..." (يوسف 71-72)].

5803 . نفس الحُكم الذي قاله أبوهم يعقوبُ حين اتهمه لابانُ بسرقة أصنامه: "اَلَّذِي تَجِدُ آلِهَتَكَ مَعَهُ لاَ يَعِيشُ" (التكوين 31:32).

5804 . نرى هنا إخوة يوسف يحكمون على أنفسهم بالقتل (للسارق) والعبودية (للآخرين). أي: يحكمون على أنفسهم بنفس ما أرادوا أن يفعلوه بأخيهم الغلام يوسف: "هَلُمَّ نَقْتُلْهُ" (التكوين 37:20) "تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ [كعبدٍ]" (التكوين 37:27)!

5805 . ويبدو أن الخادم خَفَّفَ الحكمَ من إعدام السارق إلى استرقاقه تنفيذاً لخطة يوسف ورغبته في اختبار إخوته العشرة الكبار.

5806 . |نطرون|:التكوين/463، 457. واقرأ (أعمال الرسل 9:15). ويوجد رأي آخر يقول إن بنيامين رمز لكل إنسان - مهما كان صغيراً - ينبغي أن يذهب إلى السيد المسيح (يوسف الحقيقي) (|ملطي|:التكوين/336-). ولا نرى تعارضاً بين الرأيين.

5807 . وكما سنرى بعد قليل، وَصفَ القرآنُ بنيامينَ بكلمة "الْبَشِيرُ" (يوسف 96)، وهو وصف ينطبق على بولس الرسول أيضاً.

5808 . مرة أخرى: يهوذا [⟵ "كَبِيرُهُمْ [رأياً]" (يوسف 80)] هو الذي يتقدم ليحل المشكلة وليس الْبِكْرُ الفاشل رأوبين [⟵ "كَبِيرُهُمْ [سناً]" (يوسف 80)].

5809 . مرة أخرى: يهوذا [⟵ "كَبِيرُهُمْ [فِي الرِّيَاسَةِ عَلَيْهِمْ وَالسُّؤْدُدِ]" (يوسف 80)] هو الذي يتقدم ليحل المشكلة وليس الْبِكْرُ الفاشل رأوبين [⟵ "كَبِيرُهُمْ [فِي السِّنِّ]" (يوسف 80)].

5810 . |مارمرقص|:العهدالقديم/314/1-315. انظر أيضاً |نطرون|:التكوين/465.

5811 . "كان اللقاء الأول في حضرة الكثيرين، والثاني أيضاً، أما الثالث فلم يعلن يوسف ذاته إلا بعد أن أخرج الغرباء. هكذا تحقق اللقاء الأول مع السيد المسيح عند الصليب أمام الجميع وشهد لكل أحداث الصلب، وأيضاً في الدفن إذ كان الجند حول القبر، أما في القيامة فلم يعلن [المسيحُ] ذاته إلا لأحبائه، الذين يشتاقون إلى الحياة المقامة. بمعنى آخر تحقق الصلب وأيضاً الدفن علانية معلناً الله خلاصه لجميع البشر، أما سر القيامة فلا ينعم به إلا الذين يرغبون في التعرف على أسراره والتمتع بحياته المقامة" (|ملطي|:التكوين/349).

5812 . حسب التوراة، كشف يوسفُ عن شخصيته لإخوته في رحلتهم الثانية إلى مصر. أما حسب القرآن، فبسبب احتجاز بنيامين في مصر، زاد عدد رحلات إخوة يوسف، ولذلك كشف يوسفُ عن شخصيته لإخوته في رحلتهم الثالثة إلى مصر.

5813 . "لاَ تُبْغِضْ أَخَاكَ فِي قَلْبِكَ. [...]. لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (اللاويين 19:17-18). وفي (لوقا 23:34)، دعا المسيحُ اللهَ أن يغفر لِمَن صلبوه وقتلوه: "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" **[← "جَاهِلُونَ" (يوسف 89)]**. اقرأ أيضاً: "انْظُرُوا أَنْ لاَ يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ، بَلْ كُلَّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ" (1 تسالونيكي 5:15). "لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. [...]. لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ (أي: غضب الله وليس غضبكم)، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ». «فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ (أي: تجعل عَدُوَّكَ يشعر بالخجل والخزي، فيندم على ما فعله بك)». لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ" (رومية 12:17-21). "غَيْرَ مُجَازِينَ عَنْ شَرّ بِشَرّ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ، بَلْ بِالْعَكْسِ مُبَارِكِينَ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ لِكَيْ تَرِثُوا بَرَكَةً" (1 بطرس 3:9).

5814 . وحسب مصادر أخرى، مثلاً (اليوبيلات 22:43)، أرسل يوسفُ ثياباً لأبيه (|GR-AQ|:383).

5815 . ثم شرح المدراش اليهودي كيف كانت هذه الْعَجَلاَتِ (wagons) – أو الْعِجْلاَتِ (heifers)! – دليلاً وأمارة على أن يوسف حي بالفعل (|Potiphar|:102-105).

5816 . |سبعينية|:التكوين/324؛ |إسكندرية|:95/1.

5817 . |ملطي|:التكوين/355.

5818 . حسب التراث اليهودي، نور الْعَيْنَيْنِ يعبر أحياناً عن عودة الروح (الحياة، القوة، السعادة، الابن الغائب ... الخ). مثلاً: "انْظُرْ وَاسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ إِلهِي. أَنِرْ عَيْنَيَّ لِئَلاَّ أَنَامَ نَوْمَ الْمَوْتِ" (المزامير 13:3)؛ "قَلْبِي خَافِقٌ. قُوَّتِي فَارَقَتْنِي، وَنُورُ عَيْنِي أَيْضًا لَيْسَ مَعِي" (المزامير 38:10)؛ "نُورُ الْعَيْنَيْنِ يُفَرِّحُ الْقَلْبَ. اَلْخَبَرُ الطَّيِّبُ يُسَمِّنُ الْعِظَامَ" (الأمثال 15:30)؛ "أواهِ يا ابني، يا نور عيني، لماذا تركتُكَ ترحل!" (طوبيّا 10:5). وسنناقش تأثير سفر طوبيّا على القرآن بعد قليل.

5819 . وستُرَدِّدُ القديسة مريم العذراء هذا التعبير نفسه في "لأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ" (لوقا 1:49) (|إسكندرية|:95/1).

5820 . وعد الله ليعقوب (إسرائيل): "وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ (أي: إلى كنعان)، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ" (التكوين 28:15).

5821 . وقف يَعْقُوبُ "أَمَامَ فِرْعَوْنَ. وَبَارَكَ يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ. [...] وَبَارَكَ يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ" (التكوين 47:7-10)!

5822 . يعترض فريقٌ من المفسرين المسيحيين على هذا الرأي لأن "لَيْسَ اللهُ إِلهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلهُ أَحْيَاءٍ" (متى 22:32).

5823 . وهذه هي المرة الأخيرة التي فيها ظهر اللهُ ليعقوب، بل المرة الأخيرة التي فيها ظهر اللهُ في سفر التكوين، إذ لم يظهر اللهُ بعد ذلك لأحدٍ طوال مئات السنين حتى ظهر أخيراً لموسى في الْعُلَّيْقَةِ المشتعلة (الخروج 3)! أي: ظهر اللهُ لإسرائيل (يعقوب) قبيل هجرته إلى مصر. ثم بعد ذلك بمئات السنين، ظهر اللهُ لموسى مِن أجل خروج بني إسرائيل من مصر!

5824 . توجد اختلافات بين القوائم المذكورة هنا والقوائم الموازية المسجلة في مواضع أخرى (1 أخبار الأيام 4–8) (العدد 26). قيل إن بعض الأشخاص يكون لهم أكثر مِن اسم. وقيل إن "بني فلان" (مثلاً: بني بنيامين) لا تعني الأبناء فقط وإنما تعني الأبناء والأحفاد. وقيل: قد ينتقل نسبُ الشخص مِن "بني فلان" إلى "بني علان" بسبب الزواج. وربما قيل غير ذلك.

5825 . "فَارِص" (Pharez) جد المسيح (متى 1:3) (لوقا 3:33) هو ابن يهوذا مِن الزنا مع "ثَامَار" (Tamar) أرملة عِير وَأُونَان ابني يهوذا! فلقد أخذها "يَهُوذَا زَوْجَةً لِعِيرٍ بِكْرِهِ" (التكوين 38:6). ومات عِيرٌ "فَقَالَ يَهُوذَا لأُونَانَ: «ادْخُلْ عَلَى [ثَامَار] امْرَأَةِ أَخِيكَ وَتَزَوَّجْ بِهَا، وَأَقِمْ نَسْلاً لأَخِيكَ»" (التكوين 38:8). ولمَّا مات أُونَان، خاف يهوذا أن يُزوّج ثَامَار لابنه الثالث شِيلَة – حسب العادة – لئلا يموت شِيلَة مثل أَخَوَيْهِ، فتحجج يهوذا بأن شِيلَة ما زال صغيراً، لكنه وعد ثَامَار أن يعطيها لشِيلَة حين يَكْبُر. وَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ وكبر شِيلَة ولم يلتزم يهوذا بوعده، تظاهرت ثَامَارُ بأنها زانية لتغوي حماها يهوذا! "تَغَطَّتْ [ثَامَارُ] بِبُرْقُعٍ وَتَلَفَّفَتْ، [...]. فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. [...] وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ" (التكوين 38:14-18). وَلَمَّا "أُخْبِرَ يَهُوذَا وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ زَنَتْ ثَامَارُ كَنَّتُكَ، وَهَا هِيَ حُبْلَى أَيْضًا مِنَ الزِّنَا». فَقَالَ يَهُوذَا: «أَخْرِجُوهَا فَتُحْرَقَ»" (التكوين 38:24)! لكن لَمَّا أيقن يهوذا أنه هو الذي زنا بها، تراجع عن فكرة إعدامها حرقاً "وَقَالَ: «هِيَ أَبَرُّ مِنِّي، لأَنِّي لَمْ أُعْطِهَا لِشِيلَةَ ابْنِي»" (التكوين 38:26). "وَفِي وَقْتِ وِلاَدَتِهَا إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ" (التكوين 38:27)، أحدهما فارص.

5826 . لكن 33 + 16 + 14 + 7 = 70! فيبدو أنه طرح يُوسُفَ وَمَنَسَّى وَأَفْرَايِم لأنهم في مصر بالفعل، كما طرح يعقوبَ أيضاً لأنه يحسب فقط النُّفُوس "الْخَارِجَةِ مِنْ صُلْبِهِ".

5827 . المجموع 70 لأنه يحسب "جَمِيعُ نُفُوسِ بَيْتِ يَعْقُوبَ"، وهذا يشمل يعقوب نفسه ومَن هُمْ في مصر بالفعل (أي: يُوسُفَ وَمَنَسَّى وَأَفْرَايِم). ويوجد رأي آخر يقول إن "يُوكَابَدُ (Jochebed) بِنْتُ لاَوِي الَّتِي وُلِدَتْ لِلاَوِي فِي مِصْرَ" (العدد 59:26) وُلِدَتْ على الحدود وَهُمْ يدخلون مصر، فيمكن إضافتها بدلاً مِن يعقوب ليصبح المجموع 70! ويوجد رأي ثالث يقول إن "الله" كان معهم، فيمكن إضافته بدلاً مِن يعقوب ليصبح المجموع 70! وكالعادة، توجد آراء واجتهادات أخرى (|Kugel|:482-483؛ إنطرون|:التكوين/475-476).

5828 . أما في الترجمة السبعينية (اليونانية) فإن المجموع 75 لأنها أضافت 5 أسماء هُمْ أبناء مَنَسَّى وَأَفْرَايِم وأحفادهما (إسبعينية|:التكوين/326-330)، مع أنهم لم يكونوا قد وُلِدوا حين جاء يعقوبُ إلى مصر. وقيل إن 75 = 66 (التكوين 26:46) + 9 (نساء بني يعقوب اللاتي على قيد الحياة) (إمنيس|:76)! وقيل غير ذلك (|Kugel|:483-484). وفي جميع الأحوال، فإن وجود المجموع 75 في العهد الجديد (اليوناني): "فَأَرْسَلَ يُوسُفُ وَاسْتَدْعَى أَبَاهُ يَعْقُوبَ وَجَمِيعَ عَشِيرَتِهِ، خَمْسَةً وَسَبْعِينَ نَفْسًا" (أعمال الرسل 14:7) يؤكد أنه كان يقتبس مِن التوراة اليونانية وليس مِن التوراة العبرية الأصلية.

5829 . لاحظ أن إسرائيل (يعقوب) اختار في المقدمة ابنَه يهوذا **[⟵ "كَبِيرُهُمْ [فِي الرِّيَاسَةِ عَلَيْهِمْ وَالسُّؤْدُدِ]" (يوسف 80)]** وليس ابنه الْبِكْر رأوبين **[⟵ "كَبِيرُهُمْ [فِي السِّنِّ]" (يوسف 80)]**.

5830 . فرعون كمان كان راعي غنم؟! قيل إن هذه الآية دليل على أن مَلِك مصر لم يكن مصري الأصل بل كان ساميًّا!

5831 . إملطى|:التكوين/362.

5832 . "فِي الإِيمَانِ مَاتَ هؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ (أي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب)، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ. فَإِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هذَا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ وَطَنًا. [...] [...] يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيًّا" (العبرانيين 11:13-16)!

5833 . كيف تكون الأرض اسمها "رَعَمْسِيس" بينما أول مَلِك اسمه "رَعَمْسِيس (رَمسيس)" حَكم مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي: بعد يوسف بمئات السنين؟! كالعادة، توجد حيل لتبرير هذه المفارقة التاريخية الكبيرة!

5834 . المصريون خسروا أراضيهم لفرعون بينما صار الإسرائيليون مِن أصحاب الممتلكات في مصر! هل هذا معقول؟!

5835 . عاش يعقوب مع يوسف 17 سنة في آسيا (التكوين 2:37) وعاش مع يوسف 17 سنة في أفريقيا (التكوين 28:47)!

5836 . إبراهيم عاش 175 سنة = 7 * 5^2 (التكوين 7:25). وابنه إسحاق عاش 180 سنة = 5 * 6^2 (التكوين 28:35). يبقى حفيده يعقوب لازم يعيش 3 * 7^2 = 147 سنة (التكوين 28:47). تلفيق الأعمار يؤكد أننا أمام أسطورة وليس تاريخاً.

5837 . "والاختلاف هنا في تشكيل الحروف فقط، لأن الحروف العبرية لم يكن عليها تشكيل في زمن الترجمة السبعينية" (إسبعينية|:التكوين/340). وكذلك في العهد الجديد: "بِالإِيمَانِ يَعْقُوبُ عِنْدَ مَوْتِهِ بَارَكَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنِ ابْنَيْ يُوسُفَ، وَسَجَدَ عَلَى رَأْسِ عَصَاهُ" (العبرانيين 21:11)، مما يؤكد أنه كان يقتبس مِن التوراة اليونانية وليس مِن التوراة العبرية الأصلية.

5838 . كما فعلت الْمَلِكَةُ أَسْتِيرُ حين "مَدَّ الْمَلِكُ [أَحَشْوِيرُوشُ] لأَسْتِيرَ قَضِيبَ الذَّهَبِ الَّذِي بِيَدِهِ، فَدَنَتْ أَسْتِيرُ وَلَمَسَتْ رَأْسَ الْقَضِيبِ" (أستير 2:5). "وكانت هذه التحية معروفة في مصر وفي معظم بلاد الشرق" (إملطى|:التكوين/367).

5839 . "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (يوسف 4).

5840 . قال الطبري: "وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ مَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ (أي: أَبَاهُ وَأُمَّهُ)؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَغْلَبُ فِي اسْتِعْمَالِ النَّاسِ وَالْمُتَعَارَفُ بَيْنَهُمْ فِي "أَبَوَيْنِ"، إِلَّا أَنْ يَصِحَّ مَا يُقَالُ مِنْ أَنَّ أُمَّ يُوسُفَ كَانَتْ قَدْ مَاتَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا، فَيُسَلَّمُ حِينَئِذٍ لَهَا" (إطبرى|:352/13؛ إطبرى-شاكر|:267/16)!

5841 . "وَدَعَا [يَعْقُوبُ] اسْمَ ذلِكَ الْمَكَانِ «بَيْتَ إِيلَ»، وَلكِن اسْمُ الْمَدِينَةِ أَوَّلاً كَانَ لُوزَ" (التكوين 19:28).

5842 . نفس ما حدث لأبيه: "وَحَدَثَ لَمَّا شَاخَ إِسْحَاقُ وَكَلَّتْ عَيْنَاهُ عَنِ النَّظَرِ، أَنَّهُ دَعَا عِيسُوَ ابْنَهُ الأَكْبَرَ [...]" (التكوين 1:27).

5843 . "في وضع يعقوب يديه (أي: يده اليمنى على رأس أَفْرَايِم مع أنه على يساره وَيده اليسرى على رأس مَنَسَّى مع أنه على يمينه) كان يضع صليباً على رأسيهما، وكأن سر البركة الحقيقية هو "ذبيحة الصليب"" (إملطى|:التكوين/371).

5844 . "يرجح أنها إشارة إلى الحادثة المذكورة في (التكوين 25:34-29)" (إدراسى|:126). وهي العملية الإرهابية (عملية إبادة بَنِي حَمُورَ في مدينة شَكِيمَ) التي قام بها أولادُ يعقوب بقيادة شِمْعُون وَلاَوِي اللذين "أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ (أي: لم يقاومهما أحدٌ) وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ [أختهما] مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ (أي: باقي أولاد يعقوب) عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ (أي: انتقاماً لأختهم دِينَة التي اغتصبها شَكِيم). غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ

أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ"! ولم يعاقب يعقوبُ أولادَه على الظلم الفظيع الذي ارتكبوه، فاكتفى بتوجيه اللوم اللفظي لِشَمْعُونَ وَلاَوِي (التكوين 30:34)! ويبدو أن يعقوب تذكر هذه العملية الإرهابية قبيل وفاته، فأعلن مقاطعة شِمْعُون وَلاَوِي (التكوين 6:49) ومعاقبة نسلهما "أُقَسِّمُهُمَا فِي يَعْقُوبَ، وَأُفَرِّقُهُمَا فِي إِسْرَائِيلَ" (التكوين 7:49)! تعليقنا: المقاطعة ليس لها معنى لأن يعقوب مات بعدها مباشرةً. أما معاقبة نسل شِمْعُون وَلاَوِي، فما ذنبهم على جريمةٍ ارتكبها شِمْعُونُ وَلاَوِي؟!

5845 . القصة كلها أو معظمها معمولة من أجل هاتين الجملتين (التكوين 5:48) (التكوين 22:48).

5846 . حق الابن الأكبر (Rule of Primogeniture): "يُعْطِيَهُ [الأبُ] نَصِيبَ اثْنَيْنِ (a double portion) مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ، لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لَهُ حَقُّ الْبَكُورِيَّةِ" (التثنية 17:21).

5847 . "رَأُوبَيْنُ [بِكْرُ يَعْقُوبَ] ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ، وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ" (التكوين 22:35)؛ (التكوين 3:49-4). "وَلأَجْلِ تَدْنِيسِهِ فِرَاشَ أَبِيهِ، أُعْطِيَتْ بَكُورِيَّتُهُ لِبَنِي يُوسُفَ بْنِ إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يُنْسَبْ بِكْرًا. لأَنَّ يَهُوذَا اعْتَزَّ عَلَى إِخْوَتِهِ وَمِنْهُ الرَّئِيسُ، وَأَمَّا الْبَكُورِيَّةُ فَلِيُوسُفَ" (1 أخبار الأيام 5:1-2).

5848 . أراد يعقوبُ أن يتزوج رَاحِيلَ فقط، لكن أباها لابان خدعه وجعله يتزوج أختها الكبرى لَيْئَةَ أولاً (التكوين 15:29-30). فلو كان يعقوب تزوج رَاحِيلَ فقط، لكان يوسف هو بِكْره وليس رأوبين.

5849 . |هامش|:169/10؛ |Targums|:217/1A؛ |Kugel|:465، 488. يهوذا: جاء المسيحُ من نسله. أما لاوي: فجاء موسى وهارون من نسله. والثلاثة أنبياء في الإسلام؛ وكذلك يوسف.

5850 . |JSB|:80، 84.

5851 . "أما أفرايم فكان قوياً حتى أنه كثيراً ما دعيت المملكة الشمالية (إسرائيل) باسم "أفرايم"" (|ملطي|:التكوين/370).

5852 . آيات كثيرة مِن أنبياء العهد القديم مثل: (إشعياء 9:6-7، 11:1) (إرميا 5:23، 9:30، 15:33-17) (حزقيال 23:34-24، 24:37-28) (هوشع 5:3) (عاموس 11:9) (ميخا 2:5) (زكريا 8:3، 11:6-12). ولذلك فإن أول آية في الإنجيل تقول: "كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ" (متى 1:1).

5853 . ارتكب داودُ خطيَّة الزنا مع امرأةٍ متزوجة هي "بَثْشَبَع" (Bathsheba) ودبَّر مكيدةً لمقتل زوجها (2 صموئيل 11)! أيهما أبشع: خطيَّة داود ابن يهوذا؟ أم خطيَّة عَمّه رأوبين؟!

5854 . "وَلَدَتِ [مَرْيَمُ] ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ" (متى 25:1)؛ (لوقا 7:2). "لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ" (رومية 29:8). "الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ (أي: مخلوق على صورة الله، مثل آدم قبل سقوطه)، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ (أي: أسمى المخلوقات؛ كبيرهم في المقام؛ سيد الخلق)" (كولوسي 15:1) بدليل "مَتَى أَدْخَلَ [اللهُ] الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ»" (العبرانيين 6:1). وهو أيضاً "بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ (أي: أول مَن أقامه اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ ليحيا حياةً أبدية لا موت بعدها)، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ" (كولوسي 18:1). كل تلك الآيات تشير إلى "يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ. الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً للهِ أَبِيهِ" (الرؤيا 5:1-6).

5855. “In fact, *all* translations of this passage are partly guesswork, for scholars today are still puzzled by how the words are to be fitted together” (|Kugel|:464).

5856 . توجد ترجمات تعطي معنى الفحش؛ الفجور؛ الغرور؛ عدم السيطرة على النفس (|Kugel|:466-467، 488-491). اقرأ أيضاً: "كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ" (المزامير 14:22). أو كما نقول نحن اليوم: اندلقَ؛ وقعَ؛ انحرفَ؛ تشتَّتَ؛ فسقَ؛ طغى.

5857. “Once again, the words are cryptic, the translation far from certain” (|Kugel|:468).

5858 . أما القرآن فلم يعطِ "السجود" و "المُلْك" ليهوذا (كبيرهم رأياً). وإنما أعطاهما ليوسف. "خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا" (يوسف 100)؛ وقال يوسفُ "رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ" (يوسف 101)؛ ولو أن المُلْك في (يوسف 101) يعني: مُلْك مصر وليس مُلْك كنعان.

5859 . قيل إن المقصود: لن يزول الحُكْمُ مِن نسل يهوذا إلى الأبد. أي: قد يزول لفترة قصيرة أو طويلة، لكنه سيرجع مرة أخرى (|Kugel|:469-470). وهو ما تحقق بقيام دولة إسرائيل (مُلْك داود ابن يهوذا) عام 1948م بعد أكثر مِن 2500 سنة مِن سقوطها. وكالعادة، توجد آراء وتفاسير أخرى (|Kugel|:492-493؛ |نطرون|:التكوين/497-500).

5860 . تركز التوراة العبرية على سلطة الحاكم (king’s power) التي ينبغي أن تحقق العدل (justice). أما التوراة اليونانية (السبعينية) – التي اعتمدها المسيحيون الأوائل – فتركز على شخص الحاكم نفسه (|Kugel|:470-472، 491-495).

5861. “V. 10 has traditionally been viewed as a messianic prophecy in both the Jewish and Christian traditions, though this is not its likely original meaning” (|JSB|:90).

5862 . وتوجد ترجمة أخرى: حَتَّى يَأْتِيَ [يهوذا] إِلَى شِيلُوهَ (until he comes to Shiloh). و "شِيلُوه" هنا كلمة عبرية معناها "موضع الراحة" واسم مدينة قديمة مِن مدن أَفْرَايم - بين أورشليم جنوباً وشكيم شمالاً - وكانت مركزاً للعبادة لبني إسرائيل لمدة قرون طويلة قبل أورشليم.

5863 . بمرور الزمن، تحولت هذه الجملة البسيطة العادية "رَابِطًا بِالْكَرْمَةِ جَحْشَهُ، وَبِالْجَفْنَةِ ابْنَ أَتَانِهِ" إلى نبوءة عن المسيَّا المُنْتَظَر (|Kugel|:495-496)! "هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ" (زكريا 9:9). فرددتها الأناجيل تأييداً لفكرة أن يسوع الناصري هو هذا المسيَّا (المسيح): إلا أن إنجيل متّى هو الوحيد الذي ذكر حيوانين "الأَتَان وَالْجَحْش" (متى 21:7) بينما ذكرت الأناجيل الأخرى "الْجَحْش" فقط (مرقس 11:7؛ لوقا 19:35؛ يوحنا 12:14)!

5864 . بمرور الزمن، تحولت العبارة المجازية الجميلة "دَمِ الْعِنَبِ (أي: النبيذ)" إلى "دَم" فقط؛ أي: الدماء التي سيسفكها المسيحُ (المسيَّا) الْمُخَلِّص وهو يقاتل في سبيل الله! يقول ترجوم نيوفيتي لهذه الفقرة: "ما أجمل المَلِك المسيح الذي سيقوم مِن بيت يهوذا! يشدّ حَقَوَيْهِ، ويخرج إلى قتال أعدائه، ويقتل الملوك مع الأمراء. تحمرُّ الجبال من دم قتلاه، وتبيضّ التلال من شحم مقاتليه. تغمّست ثيابه بالدمِّ فشابه دائس العنب" (|هامش|:170/10؛ |Kugel|:474، 496)! اقرأ أيضاً (إشعياء 63:1-6)! لكن يسوع الناصري لم يقاتل. فانتقل تحقق هذه النبوءة إلى المجيء الثاني للمسيح كَمَلِكٍ مُحارب دَيَّان (الرؤيا 19:11-21)!

5865 . كالعادة وبسبب المبالغة في التفسير الرمزي، تحولت هذه الجملة البسيطة العادية "بَرَكَاتُ الثَّدْيَيْنِ وَالرَّحِمِ" إلى نبوءة عن المسيح! فقيل إنه "يقصد بالثَّدْيَيْنِ وَالرَّحِمِ بَرَكَات العذراء" (|نطرون|:التكوين/507)!

5866 . أشار القرآنُ إلى وصية يعقوب إلى بنيه قُبَيْلَ وفاته. لكنه أخرجها مِن إطارها القومي وأعطاها بُعداً دينياً: "وَوَصَّىٰ بِهَا (أي: بالثبات على الإسلام!) إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ. أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (البقرة 132-133). ونلاحظ أن هذه الآية القرآنية المدنية قد أقحمت اسمَ إسماعيل في القصة! بخلاف سورة يوسف القرآنية المكية وقصة يوسف التوراتية (التكوين 37-50) اللتين لم تذكرا اسمَ إسماعيل بن إبراهيم أبداً!

5867 . الشعب المصري بكى على إسرائيل (يعقوب)! لماذا؟! وعلى الرغم من أن المصريين القدماء بكوا 70 يوماً على يعقوب، لا يوجد أي دليل علمي يثبت وجوده التاريخي!

5868 . فصار إسرائيلُ (يعقوب) هو أول مَن خرج مِن مصر عائداً إلى كنعان، وإنْ خرج جثة هامدة!

5869 . "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (يوسف 4).

5870 . "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ" (رومية 8:28) **[← "وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (البقرة 216)؛ "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ" (النور 11)]**. انظر مماثلة لطيفة بين قصة يوسف القرآنية وقصة الإفك (|بهجت|:160).

5871. “The essential irony of [surat] *Joseph* may be summed up in the statement that evil intended by human beings is turned into good by God” (|Boullata|:176). See also |Boullata|:182.

5872 . "لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ" (اللاويين 19:18).

5873 . "أي جلس على عرش مصر ورئاستها 80 عاماً لأنه تقلد رئاستها في سن الثلاثين" (|مارمرقص|:العهدالقديم/353/1). ومع ذلك، لا يوجد أي دليل علمي يثبت وجود يوسف في التاريخ المصري القديم!

5874 . "بِالإِيمَانِ يُوسُفُ عِنْدَ مَوْتِهِ ذَكَرَ خُرُوجَ (exodus) بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَوْصَى مِنْ جِهَةِ عِظَامِهِ" (العبرانيين 11:22).

5875 . وكذلك قال جده إبراهيم حسب القرآن: "رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" (الشعراء 83)!

5876 . هل بكى المصريون على يوسف؟

5877 . (المستدرك 404/2-405؛ قال الحاكم "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:439/2). وقال الألباني: "إنما هو على شرط مسلم وحده" (|صحيحة|:622/1-624). انظر أيضاً |شعراوى-ع|:1174/2-1175.

5878 . "ولكن، لماذا أعطى موسى عظام يوسف ليشوع؟ من الواضح أن السبب في ذلك هو لكونه من سبط أفرايم بن يوسف" (|نطرون|:التكوين/517). اقرأ (العدد 13:8) (العدد 13:16).

5879 . هل عاد بنيامينُ مع إخوته إلى كنعان؟ نعتقد أن الإجابة: نعم. وكما سنرى لاحقاً: بنيامين هو "الْبَشِيرُ" (يوسف 96).

5880. Joseph Witztum, "The Syriac Milieu of the Quran: The Recasting of Biblical Narratives". PhD Dissertation. Princeton, NJ: Princeton University. 2011 (|Witztum|:188-256). |QHC-2|:425-448.

5881. “the Syriac and Quranic accounts […] frequently depart from the Biblical text in similar ways” (|Witztum|:191). See also |QHC-2|:428.

5882. “The root *m-w-r* denotes the supplying of food and provisions in Syriac and Samaritan Aramaic […], but not in Hebrew and Jewish Aramaic” (|Witztum|:247; |QHC-2|:442).

5883 . |وجدى|:312.

5884 . |GR-AQ|:376. لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:225.

5885 . |شعراوى|:7015/11-7016. انظر أيضاً |شعراوى-ع|:1094/2-1100.

5886 . |قرطبى|:400/11؛ |قرطبى-مصر|:204/5-205.

5887 . |كثير-شيخ|:57/8؛ |كثير-طيبة|:400/4؛ |كثير-شاكر|:264/2؛ |كثير-صابونى|:256/2؛ |كثير-شنقيطى|:933.

5888 . "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ [...] وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ" (الفلق 1-5).

5889 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

5890 . |GR-AQ|:377. انظر أيضاً |Geiger|:115؛ |EJ|:411/11؛ |Witztum|:256، 191؛ |Masson|:861؛ |AlDeeb|:207؛ |Sidersky|:66-67؛ |Walker|:74؛ |MIDEO|:148/22؛ |Tottoli|:56-57؛ |Torrey|:112.

5891. ““For fear of envious looks,” which the ancients regarded as very disastrous in their consequences” (|Geiger|:115).

5892 . |Pickthall|:312. مِن الحاشية.

5893 . "وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا" (الطلاق 3).

5894 . لاحِظ طريقة تركيب الآية: "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا [...]" (يوسف 5) و "قَالَ يَا بَنِيَّ لَا [...]" (يوسف 67).

5895 . |ضعيفة|:594/14-.

5896 . قراءة أخرى وتعليق الطبري عليها: ""إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ" عَلَى الْخَبَرِ، لَا عَلَى الِاسْتِفْهَامِ. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهُ بِالِاسْتِفْهَامِ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقَرَأَةِ عَلَيْهِ" (|طبرى|:328/13؛ |طبرى-شاكر|:245/16).

5897 . |كثير-شيخ|:68/8؛ |كثير-طيبة|:408/4؛ |كثير-شاكر|:268/2؛ |كثير-صابونى|:260/2؛ |كثير-شنقيطى|:938.

5898 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

5899 . |Witztum|:226-227. انظر أيضاً |Kugel|:481-482. اقرأ أيضاً: "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ" (الضحى 6).

5900 . |Witztum|:228. انظر أيضاً |GR-AQ|:377-378.

5901 . |طبرى|:242/13-243؛ |طبرى-شاكر|:170/16. انظر أيضاً تفسير الزمخشري لـ (يوسف 69).

5902 . كما "قال [يَسوعُ المسيح وهو مصلوب على الصليب] لأُمِّهِ [مريم العذراء]: "يا امرأةُ، هوذا [يوحنا التلميذ الحبيب] ابنُكِ (أي: مَكانَ ابنك يسوع الذي سيموت بعد قليل)". ثُمَّ قالَ [يَسوعُ] للتلميذِ [يوحنا]: "هوذا [مريم العذراء] أُمُّكَ (أي: في مقام أُمِّكَ)". ومِنْ تِلكَ الساعةِ أخذها التلميذُ [يوحنا] إلى خاصتِّهِ" (يوحنا 19:26-27).

5903 . |سبعينية|:التكوين/312؛ |Septuagint|:OT/60؛ |إسكندرية|:91/1.

5904 . مثلاً: The Orthodox Study Bible (|EOSB|:56)؛ الترجمة العربية المشتركة (|مشتركة|:العهدالقديم/56).

5905 . مثلاً: The Jewish Study Bible (|JSB|:82).

5906 . |هامش|:214/5؛ |Pleiade|:790/337؛ |OTP|:133/2؛ |RHCharles|:73/2.

5907 . لمزيد من التفاصيل الدقيقة، انظر |Witztum|:242؛ |QHC-2|:439-440.

5908. "For Joseph as 'king', see especially *Joseph and Aseneth* 4:8(7), where the Syriac translates the Greek *archon* as 'king' […]. […]. Joseph is also described as a king in the *mēmrē* on Joseph attributed to Ephrem/Balai" (Sebastian Brock, "Joseph and Potiphar's Wife (Genesis 39): Two Anonymous Dispute Poems," in: van Bekkum et al. (eds), Syriac Polemics, Peeters 2007, p. 56). See also: Kristian S. Heal, "Joseph as a Type of Christ in Syriac Literature," Brigham Young University Studies, 2002, vol. 41, no. 1, pp. 33, 35, 43.

5909 . "الجلوس (أي: جلوس إخوة يوسف معه) على المائدة إنما يشير إلى التمتع بذبيحة الأفخارستيا" (|ملطى|:التكوين/344).

5910 . ومِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا قصةَ العشاء الأخير (مائدة المسيح) بدليل أنهم ذكروها في سورة المائدة: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ [...]" (المائدة 112). "قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا (أي: عيداً لنا ولِمَن سيأتي بعدنا؛ والمقصود طبعاً هو عيد الفصح اليهودي Passover الذي تطور فصار يُعرَف في المسيحية بِاسْمِ عيد القيامة Easter) [...]" (المائدة 114).

5911 . تأسيس المسيح لسر "الافخارستيا" (Eucharist) (التناول): "أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً:«اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ" (متى 26:27)؛ "أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ" (مرقس 14:23)؛ "تَنَاوَلَ كَأْسًا وَشَكَرَ وَقَالَ:«خُذُوا هذِهِ وَاقْتَسِمُوهَا بَيْنَكُمْ" (لوقا 22:17)؛ "أَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «هذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ. اِصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي». وَكَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلاً:«هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ"(لوقا 22:19-20)؛ (1 كورنثوس 11:23-25).

5912 . حسب القصيدة الثامنة في العظات المسيحية السريانية (Balai)، قال يوسف لإخوته: "تجاسرتم وسرقتم مِنِّي الكأس الذي به يتفاءل فرعون" (|ينابيع|:40/22)! والصواب أن يقول "كأسي" كما قال هو نفسه قبل ذلك (|ينابيع|:20/22).

5913 . "أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [...]" (التوبة 19).

5914. "There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis […]" (|EQ|:1\477).

5915 . |شعراوى-قصص|:175. انظر أيضاً |شعراوى|:7021/11.

5916 . |خالدى-أ|:201/2. "وصواعُ الملك هو (السقاية) المذكورةُ في الآية السابقة" (|خالدى-ج|:201-202).

5917 . |هامش|:214/5؛ |Pleiade|:790/337؛ |OTP|:133/2؛ |RHCharles|:73/2.

5918 . |هامش|:215/5؛ |Pleiade|:791/337؛ |OTP|:133/2؛ |RHCharles|:74/2؛ |Kugel|:481.

5919 . |Kugel|:481. انظر أيضاً |Philo|:452-453؛ |Philo-ar|:360-361/3؛ |Josephus|:71.

5920 . |شعراوى-ع|:1092/2. انظر أيضاً |نجار|:168؛ |بهجت|:150.

5921 . |شعراوى|:7023/11. انظر أيضاً |شعراوى-ع|:1106/2؛ |شعراوى-قصص|:175-176.

5922 . |شعراوى|:7083/12. "بيوتهم على ظهور جمالهم" (|شعراوى-ع|:1163/2). انظر أيضاً |خالدى-أ|:189/2-191؛ |خالدى-ج|:207؛ |خالدى-د|:333، 341، 347.

5923 . |طيب|:156.

5924 . |شوقى-قصص|:273.

5925 . |قرطبى|:407/11؛ |قرطبى-مصر|:209/5. انظر أيضاً |قرطبى|:411/11؛ |قرطبى-مصر|:211/5.

5926 . |كتابية|:328/4.

5927 . |BibleUn|:37. الترجمة العربية (|BibleUn-ar|:66-67).

5928 . |IDAE|:66.

5929 . |قرطبي|:407/11؛ |قرطبي-مصر|:209/5. انظر أيضاً |قرطبي|:411/11؛ |قرطبي-مصر|:211/5.

5930 . |MQRNS|:3-2/1/25.

5931 . |طبري|:234/13؛ |طبري-شاكر|:162/16. انظر أيضاً |طبري|:253-252/13؛ |طبري-شاكر|:177/16-178؛ |كثير-شيخ|:56/8؛ |Witztum|:248.

5932 . |طبري|:244/13؛ |طبري-شاكر|:171/16.

5933 . |طبري|:248/13؛ |طبري-شاكر|:175-174/16.

5934 . |ميسر|:203.

5935 . انظر اختلاف المترجمين في |سبعينية|:التكوين/322؛ |إسكندرية|:94/1؛ |NETS|:38؛ |Septuagint|:OT/62.

5936 . |سريانية|:225-224/7، 236-237. انظر أيضاً |FV|:82.

5937. "In the Peshitta the word *bʿirē* replaces the donkeys in Genesis 43:24 and (according to one manuscript) 44:3, in addition to its use in Genesis 45:17" (|Witztum|:248; |QHC-2|:443).

5938 . |Prose|:191. انظر أيضاً |Witztum|:248؛ |QHC-2|:443.

5939. "Joseph tells his steward: "Fill their loads according to the strength of their beasts of burden"" (|Witztum|:248; |QHC-2|:443).

5940 . |FV|:252.

5941 . كلمة "صُوَاع" أيضاً مِن الكلمات الأجنبية في القرآن. لكن يُعتقد أنها أصلاً حبشية (أثيوبية) (|FV|:200).

5942 . |سريانية|:604/7-605، 1026-1027. [← **"وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ" (الإسراء 35)؛ "أَوْفُوا الْكَيْلَ [...]. وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ" (الشعراء 181-182)؛ "وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ" (الأنعام 152)؛ "فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ" (الأعراف 85)؛ "وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ [...] أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ" (هود 84-85)؛ "وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ" (المطففين 1-3)**]. ملحوظة: توجد آيات كتابية أخرى تدعو إلى الأمانة وعدم الغش في الميزان، مثل: "مَوَازِينُ غِشٍّ مَكْرَهَةُ الرَّبِّ، وَالْوَزْنُ الصَّحِيحُ رِضَاهُ" (الأمثال 1:11)، (الأمثال 10:20).

5943 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:248-249؛ |QHC-2|:443-444.

5944 . |قرطبي|:407/11؛ |قرطبي-مصر|:209/5. انظر أيضاً |قرطبي|:411/11؛ |قرطبي-مصر|:211/5.

5945. "Muḥammad's informant, hearing the word [بَعِير] in the [Joseph] story as he got it from a Jewish or Christian source, passed the word on as though it had its specialized Arabic meaning of *camel*" (|FV|:82). See also |AlDeeb|:207.

5946 . وهذه ليست المرة الأولى التي يقوم فيها أصحابُ القرآن بتخصيص كلمة عامة في قصة يوسف التوراتية. فلقد فعلوها مِن قبل في الفصل الأول حين زعموا أن "وَحْشٌ رَدِيءٌ" (التكوين 20:37، 33) هو تحديداً "الذِّئْبُ" (يوسف 13-14، 17). وكما قلنا عندئذٍ، حدث ذلك التخصيص أيضاً لأن أصحاب القرآن قد وقعوا تحت تأثير التراث المسيحي السرياني.

5947 . راجع ما قلناه عن الفصل الثاني. "يوسف رمز للمسيح" تحولت إلى: يوسف يقول كلامَ محمد (يوسف 37-40)!

5948 . |JSB|:82.

5949 . |هامش|:214/5؛ |Pleiade|:790/337؛ |OTP|:133/2؛ |RHCharles|:74/2.

5950 . "الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ [الكأس الفضية المسروقة] يَكُونُ لِي عَبْدًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ" (التكوين 10:44).

5951 . "إِنَّهُ (أي: السارقُ) يُعَوِّضُ. إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ (أي: إنْ كان فقيراً مُعدماً) يُبَعْ بِسَرِقَتِهِ. إِنْ وُجِدَتِ السَّرِقَةُ فِي يَدِهِ حَيَّةً، ثَوْرًا كَانَتْ أَمْ حِمَارًا أَمْ شَاةً، يُعَوِّضُ بِاثْنَيْنِ (أي: بِمِثْلَيْنِ)" (الخروج 3:22-4).

5952 . (The Antiquities of the Jews 2.6.7) |Josephus|:71. انظر أيضاً |Witztum|:230.

5953 . |Witztum|:230؛ |QHC-2|:440. انظر أيضاً |ينابيع|:26/22.

5954 . |Witztum|:230، 242-243؛ |QHC-2|:439-440. انظر أيضاً |GR-AQ|:378.

5955. "A partial parallel is found in [a poem by Simeon Bar Megas] […]. In this sixth/seventh-century poem from Byzantine Palestine, Joseph accuses the brothers of stealing the silver cup and they respond by saying that whoever stole it will become a slave" (|Witztum|:230-231; |QHC-2|:440).

5956 . "الَّذِي يُوجَدُ مَعَهُ [الكأس الفضية المسروقة] يَكُونُ لِي عَبْدًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَكُونُونَ أَبْرِيَاءَ" (التكوين 44:10).

5957 . |Witztum|:240-243؛ |QHC-2|:438-440.

5958 . أخذوها مِن يعقوب حين اتهمه لابانُ بسرقة أصنامه، فقال يعقوبُ له: "اَلَّذِي تَجِدُ آلِهَتَكَ مَعَهُ لاَ يَعِيشُ" (التكوين 31:32).

5959 . |Philo-ar|:363/3؛ |Philo|:454.

5960 . "إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا. وَأَكِيدُ كَيْدًا" (الطارق 15-16).

5961 . بل لم نجد دليلاً في القرآن أو السُّنَّة الصحيحة يثبت أن بنيامين نفسه كان يعلم أمر هذه الحيلة التي صنعها يوسفُ!

5962 . |طبرى|:271/13؛ |طبرى-شاكر|:194/16.

5963 . |QSC|:188.

5964 . |شعراوى|:7026/11. انظر أيضاً |شعراوى|:7032/11. وقيل: "مِنْطَقَة لإبراهيم" (|نجار|:171)!

5965 . |طنطاوى-قصص|:265/1.

5966 . |ج|:244؛ |ج-البغا|:314؛ |ج-وطن|:244.

5967 . |خالدى-ج|:203. انظر أيضاً |خالدى-أ|:208/2-211.

5968 . "إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ [بنيامين] أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (يوسف 8).

5969 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:231.

5970 . |شعراوى|:7031/11. انظر أيضاً |شعراوى-ع|:1110/2؛ |شعراوى-قصص|:176.

5971 . |بكر|:131.

5972 . |عيسى|:115/2. انظر أيضاً |شعراوى|:7029/11.

5973 . |قرطبى|:418/11؛ |قرطبى-مصر|:215/5.

5974 . |طبرى|:273/13؛ |طبرى-شاكر|:195/16-196.

5975. "Joseph is called a "thief son of a thief" in a Byzantine Aramaic Piyyuṭ, though there it is Potiphar's wife who refers to him thus, not his brothers; […]. Interestingly, this is the same poem which includes a scene parallel to the Quranic description of the Egyptian ladies cutting their hands out of amazement at Joseph's beauty" (|Witztum|:232).

5976 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:135/4/834).

5977 . |Witztum|:231-232. انظر أيضاً |Geiger|:115-116؛ |Masson|:861؛ |AlDeeb|:208؛ |Sidersky|:67؛ |Torrey|:112.

5978 . أكاذيبهم: "فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَذَبَحُوا تَيْسًا مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ" (التكوين 37:31).

5979 . جرائمهم: "فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ، وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ" (التكوين 37:28).

5980 . "لأَنِّي قَدْ سُرِقْتُ مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ" (التكوين 40:15).

5981 . "وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ [يعقوبُ لهم] بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ" (يوسف 18). ولم يُذكَر الفعل "تَصِفُونَ" في سورة يوسف إلا في هاتين الآيتين (يوسف 18) و (يوسف 77).

5982 . |Witztum|:232-233. انظر أيضاً |ينابيع|:31/22، 37.

5983 . |ينابيع|:31/22.

5984 . |ينابيع|:32/22.

5985 . |ينابيع|:32/22-34.

5986 . |ينابيع|:35/22-37.

5987 . |ينابيع|:37/22. انظر أيضاً |Witztum|:233.

5988 . |Bauckham|:113/1-114. انظر أيضاً |GR-AQ|:379؛ |Witztum|:233.

5989 . |Witztum|:233.

5990 . ويُفهَم مِن السياق أن يوسف تظاهر بمعرفة هذه المعلومات عنهم بفضل قدرته على الْعِرَافَة ومعرفة الغيب.

5991. وسيم السيسي .د, https://www.youtube.com/watch?v=xa9r7_Cjy44

5992 . |ج|:245؛ |ج-البغا|:316؛ |ج-وطن|:245.

5993 . |شوقي-قصص|:274. لاحظ أنه – بوعي أو بدون وعي – ربط بين قصتي يوسف وموسى القرآنيتين. وكما نقول دائماً: توجد تشابهات كثيرة بين قصتي موسى ويوسف القرآنيتين، مما يجعل الأفكار تنتقل بسهولة وسلاسة مِن قصةٍ إلى أخرى.

5994 . |ج|:246؛ |ج-البغا|:317؛ |ج-وطن|:246؛ |ج-صاوى|:320/2؛ |ج-جمل|:78/4.

5995 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/5-؛ |Septuagint|:Apocrypha/23-؛ |NETS|:456-؛ |يسوعية|:العهدالقديم/880-؛ |NOAB|:1369-؛ |EOSB|:566-؛ |Witztum|:224-.

5996 . ولذلك فإن هذا السفر يُسمَّى "سفر طوبيَّا" (Book of Tobias) ويُسمَّى أيضاً "سفر طوبيت" (Book of Tobit).

5997 . كما قلنا سابقاً: عِيد العَنْصَرَة أحد أعياد الحج اليهودية الكبيرة الثلاثة، وكانت تُتلَى فيه القصيدةُ الآرامية التي تحكي قصة "اجتماع النسوة" في حضور يوسف **[← النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بالسكاكين أمام يوسف (يوسف 30-32)]**. صدفة؟!

5998 . "وَأُحَوِّلُ أَعْيَادَكُمْ نَوْحًا، وَجَمِيعَ أَغَانِيكُمْ مَرَاثِيَ" (عاموس 8:10).

5999 . وأيضاً بدليل قوله بصيغة الجمع: "عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا (أي: يوسف وبنيامين وكبير إخوتهما)" (يوسف 83). "وإنما قال هكذا؛ لأنه قد كان عنده أن يوسف لم يمت، وأنه باق على الحياة، وإنْ غاب عنه خبره" (|شوكانى|:66/3).

6000 . |OTParallels|:303؛ |Witztum|:224-225.

6001 . |Bauckham|:98/1؛ |Witztum|:224. انظر أيضاً |GR-AQ|:382-383.

6002 . |Witztum|:224؛ |QHC-2|:435-436؛ |Bauckham|:99/1؛ |GR-AQ|:382-383.

6003 . |Bauckham|:99/1.

6004 . أو نفهمها بالمعنى المجازي، فيكون المقصود مثلاً: فقد أعز ما لديه.

6005 . لكن حَاول أن تقرأ (يوسف 84) بعد (يوسف 18)، فستجد أن وضعها بعد (يوسف 18) ممكن أيضاً، لأنه يُوفِّق بين حزن الأب يعقوب على فقدان ابنه يوسف، وفي نفس الوقت صبره "صَبْرٌ جَمِيلٌ" (يوسف 18، 83) لا شكوى فيه إلا لله وحده. ثم إن وضع (يوسف 84) بعد (يوسف 18) يتماشى مع التوراة (التكوين 37:34-35): "وَنَاحَ [يعقوبُ] عَلَى ابْنِهِ [يوسف] أَيَّامًا كَثِيرَةً. فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ، فَأَبَى [يَعْقُوبُ] أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ **[← "تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ" (يوسف 84)]**: «إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي [يوسف] نَائِحًا إِلَى الْهَاوِيَةِ **[← "يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ" (يوسف 84)]**». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ **[← "وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ" (يوسف 84)]**".

6006 . |Witztum|:224؛ |QHC-2|:436؛ |Bauckham|:118/1. انظر أيضاً |GR-AQ|:382-383.

6007 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:224-225؛ |QHC-2|:436.

6008 . |ينابيع|:79/22؛ |Witztum|:224.

6009 . |Witztum|:224؛ |QHC-2|:436.

6010. |طيب|:159.

6011. “Interestingly, Jerome claims to have based his [Latin Vulgate] translation of Tobit on an Aramaic source” (|Witztum|:224-225; |QHC-2|:436). See also |مارمرقص|العهدالقديم:8\255.

6012. |Boullata|:180.

6013. **[← "وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ (أي: المولود أعمى)" (آل عمران 49)؛ "وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ" (المائدة 110)].**

6014. |المسيح|:186.

6015. أو قبل الأخيرة، إذ تقول السُّنَّة "الصحيحة" عن أسطورة الإسراء والمعراج إن محمد قابل يوسف في السماء "الثالثة"! (البخارى 3035؛ |خ|:1173/3-) (مسلم 162؛ |م|:145/1-) (مسلم 164؛ |م|:149/1-). انظر أيضاً |خالدى-أ|:255/2-.

6016. يُسمَّى في مراجع علوم القرآن: "اللَّف والنَّشر على عكس الترتيب" (involution and evolution in reverse). ونجده كثيراً في التوراة والإنجيل والقرآن. مثلاً: "لأَنَّ قَلْبَ هذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلُظَ، وَآذَانَهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعُهَا. وَغَمَّضُوا عُيُونَهُمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ" (متى 15:13)؛ "وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ [...]. وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ [...]" (آل عمران 157-158)؛ "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا" (المائدة 64). قَالَتِ الْيَهُودُ ... يَدُ ... مَغْلُولَةٌ - غُلَّتْ ... أَيْدِيهِمْ ... قَالُوا.

6017. فقد يعقوبُ قوةَ بصره بسبب الحزن: "ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ" (يوسف 84). ثم "قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (يوسف 86). إذن: عودة بصره قوياً كما كان يدل على نهاية حزنه. وبعد ذلك، ذكَّرهم بما قاله في (يوسف 86): "قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (يوسف 96).

6018. |FV|:243. ويرى (Dr. Joseph Witztum) أن كلمة "قميص" مستعارة من الحبشية (الأثيوبية) (|Witztum|:247).

6019. |سريانية|:7\237-239. “[…] to Benjamin he gave three hundred pieces of silver and five sets of garments. And to his father he sent such things (*hākanā*) as well as ten donkeys (*w-ʿesrā ḥmārin*) […]” (|Witztum|:235-236). See also |QHC-2|:436.

6020. |سبعينية|:التكوين/323. انظر أيضاً |إسكندرية|:94/1؛ |Septuagint|:OT/62؛ |Witztum|:235؛ |QHC-2|:436.

6021. |هامش|:216/5. انظر أيضاً |GR-AQ|:383؛ |Witztum|:235؛ |QHC-2|:436.

6022. "فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «[...]. فَأَنْتَ قَدْ أُمِرْتَ، افْعَلُوا هذَا: خُذُوا لَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ عَجَلاَتٍ [...]». فَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هكَذَا. وَأَعْطَاهُمْ يُوسُفُ عَجَلاَتٍ بِحَسَبِ أَمْرِ فِرْعَوْنَ" (التكوين 45:17-21).

6023. “The garments play no part in announcing the [good] news to Jacob. This is reserved for the wagons” (|Witztum|:234; |QHC-2|:435).

6024. لمزيد من التفاصيل الدقيقة، انظر |Potiphar|:102-105.

6025. "فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَذَبَحُوا تَيْسًا مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ. وَأَرْسَلُوا الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ وَأَحْضَرُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ" (التكوين 37:31-32) **[← "وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ" (يوسف 18)].**

6026. |Bauckham|:116-117/1؛ |Witztum|:236؛ |QHC-2|:436-437.

6027. "وَأَرْكَبَهُ [فِرْعَوْنُ] فِي مَرْكَبَتِهِ الثَّانِيَةِ، وَنَادَوْا أَمَامَهُ «ارْكَعُوا». وَجَعَلَهُ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" (التكوين 41:43).

6028. إشارة إلى أحداث الفصل الأول من الرواية: حُلم يوسف (التكوين 37:5-10) **[← "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (يوسف 4)].**

6029. إشارة إلى أحداث الفصل الأول من الرواية: "فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَذَبَحُوا تَيْسًا مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ. وَأَرْسَلُوا الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ وَأَحْضَرُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ" (التكوين 37:31-32) **[← "وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ" (يوسف 18)].**

6030. |ينابيع|:22\69. English Translation: “A tunic sprinkled with blood / you brought to him from the pasture land. / Magnificent garments from Egypt / you will present to him instead of the tunic” (|Witztum|:236, 245).

6031 . |ينابيع|:82/22. قارن مع "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157)!

6032. “What fully persuades him, however, is seeing the garments [fit for kings] which Benjamin shows him” (|Witztum|:236; |QHC-2|:437). See also |ينابيع|:22\81.

6033 . |ينابيع|:83/22؛ |Witztum|:237.

6034. |ينابيع|:22\83. English Translation: “The old man rose as a mighty one / the ancient one as a youth” (|Witztum|:237; |QHC-2|:437).

6035. “Joseph sends Benjamin with his clothes to Jacob so that Jacob may smell the scent of the one who died and came back to life” (|Witztum|:235). See also |Witztum|:236.

6036 . |Walker|:74-75. انظر أيضاً |Tottoli|:57.

6037 . انظر مثلاً |قرطبي|:446/11، 450-451؛ |قرطبي-مصر|:233/5، 236؛ |ماوردي|:76/3؛ |شعراوي|:7066/11، 7071؛ |شعراوي-قصص|:182؛ |شعراوي-ع|:1145/2-1146.

6038 . |بكر|:143 (نقلاً عن تفسير المراغي). وهذا هو الرأي الوحيد الذي ذكره ابنُ كثير في تفسيره لـ (يوسف 96).

6039 . |ج|:247؛ |ج-البغا|:317؛ |ج-وطن|:247.

6040 . "**يهوذا:** اسم عبري معناه "يحمد"" (|كتابية|:312/8).

6041 . |MIDEO|:167/22.

6042. “La rhétorique ouvre ainsi la voie à l’herméneutique” (|MIDEO|:22\193).

6043 . |ينابيع|:78/22-79.

6044 . |ينابيع|:84/22.

6045 . |Witztum|:234-237؛ 268. انظر أيضاً |QHC-2|:437.

6046 . حسب التوراة، اعتراف إخوة يوسف بذنوبهم وخطاياهم تأجل إلى مشهد متأخر (التكوين 50:15-21).

6047 . |Witztum|:244-245. انظر أيضاً |ينابيع|:63/22-66.

6048 . لاحظ التشابه بين السريانية "ḥṭaynan" والعربية "خَاطِئِينَ".

6049 . لاحظ التشابه بين السريانية "lā tetrahbun" والعربية "لاَ تَرْهَبُوا" أي: لاَ تَخَافُوا مِن التوبيخ. فلقد قالوا له: لا توبّخنا.

6050 . فكرة مسيحية تتكرر كثيراً في التراث المسيحي، وتتلخص في أن الفداء (Redemption) الذي أتمه المسيح حقق العدل الإلهي وفي الوقت نفسه حقق الرحمة الإلهية. ومِن ثم يلتقي عدل الله وقداسته برحمته ومحبته، فيكون اللهُ عادلاً في رحمته ورحيماً في عدله، أي: كاملاً في عدله المطلق ورحمته المطلقة. لمزيد من التفاصيل، انظر المراجع المسيحية التي تشرح قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني.

6051. |Witztum|:245. “Justice is personified here as one of God’s aspects, equivalent to the Jewish *middat ha-din*” (|Witztum|:245).

6052 . "وَعَاشَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ مِصْرَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً" (التكوين 28:47).

6053 . |خالدي-د|:348. ويُسمّيهم بعد ذلك "الأحبار الكفار" (|خالدي-د|:350، 352، 354)!

6054. |Prose|:197. See also |Witztum|:238; |QHC-2|:440. “Preserved in a single manuscript, dated to 523, the commentary is usually accepted as a genuine work of Ephrem. It retells the Biblical story in its own words and contains quite a few narrative expansions” (|QHC-2|:428-).

6055. “it is often a hint given in one of his (i.e. Ephrem’s) writings that provides the starting point for later writers to expand upon in an imaginative way” (Sebastian Brock, “Dinah in a Syriac Poem on Joseph,” in: Semitic studies in honour of Edward Ullendorff, Edited by Geoffrey Khan, Leiden - Boston: Brill, 2005, p. 233).

6056 . |Witztum|:238-239؛ |QHC-2|:440-441. انظر أيضاً |ينابيع|:85/22-87؛ |GR-AQ|:383.

6057 . "اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ [فنستحق الموت الأبدي حسب عدل الله وقداسته] مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا (أي: نيابةً عنا وبدلاً منا وفداءً لنا حتى ننعم بالحياة الأبدية حسب رحمة الله ومحبته)" (رومية 5:8).

6058. “dialogue [is] a characteristic feature of fourth to sixth-century poetry and prose homilies in Syriac and Greek” (|Witztum|:240; |QHC-2|:438).

6059. “Ce style dialogique est sans doute à rapprocher des soghyata (sing. soghita) ou poèmes religieux syriaques” (|QSC|:59). “One could call this *sūra* (i.e. سورة يوسف) a *soghīthā* (Syriac dialogue poem). The *soghīthā* is the model, both for the subject (Biblical themes) and the literary form. But it is an adapted model, and a quite successful one: Adapted to the spirit of the Arabic language and the taste of an Arabic public” (|QSC|:183).

6060 . تماشياً مع ثلاثيات سورة يوسف!

6061 . |Witztum|:256. انظر أيضاً |QHC-2|:447-448.

6062. Donald B. Redford, “Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times”, Princeton University Press, published in Egypt by the American University in Cairo Press, 1992 (2nd printing 1995), p. 429.

6063. https://www.britannica.com/biography/Joseph-biblical-figure

6064 . |NIV|:90؛ |دراسي|:140؛ |بكر|:161؛ |EJ|:526/14،523؛ |EAE|:438/2-439.

6065 . |مسكين-أنبياء|:87. انظر أيضاً |EJ|:526/14، 532. رع-مسيس تعني "ابن [الإله] رع" أو "المولود مِن [الإله] رع".

6066 . |معجم-ألفاظ|:680-682؛ |معجم-أعلام|:131/1-136.

6067 . |معجم-ألفاظ|:515-516؛ |معجم-أعلام|:173/1-179.

6068 . |Witztum|:36؛ |FV|:225.

6069. 2020 محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

6070. “Indeed the Qurʾān seems to think of “Pharaoh” (فِرْعَوْن) not as a title but as a proper name” (|GR-AQ|:568).

6071 . ترجمة "آل فِرْعَوْن" (الأعراف 130): "the people of Pharaoh" (|AYA|:380)؛ "the people of Fir’aun (Pharaoh)" (|فهد-ن|:217)؛ "le peuple de Pharaon" (|فهد-ف|:238)؛ "Pharaon et son peuple" (|منتخب-ف|:233)؛ "Pharaoh's people" (|Haleem|:166)؛ "Pharaoh’s folk" (|Pickthall|:211).

6072 . ونقول "بصفة عامة" لأنه حسب ما زعمه القرآنُ يوجد مصريون قليلون آمنوا بالله، مثل: امرأة فرعون (التى لا نعرف اسمها) ومؤمن آل فرعون (الذى لا نعرف اسمه) وسحرة فرعون (الذين لا نعرف أسماءهم). كلهم شخصيات مجهولة!

6073 . انظر |Conrad|:40/24.

6074 . "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (مباشراً بدون واسطة الملَكِ جبريل أو غيره)" (النساء 164)؛ (الأعراف 143) (البقرة 253).

6075 . وكلمة "مَلَأ" هى نفس الكلمة التى استخدمها القرآن للإشارة إلى المَلَأ مِن قريش: "وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ (أى: استمروا على الشرك وتعدد الآلهة)" (ص 6).

6076 . قيل إن "لفظ الرجم، الذي وردت مشتقاته في أربعة عشر موضعاً من التنزيل الحكيم ليس من بينها موضع واحد يدلّ على الرمي بالحجارة، ولا يخرج منها موضع واحد عن معنى الطرد القسري والإخراج عُنوة" (|شحرور|:87/2).

6077 . |معجم-قراءات|:140/6؛ |كشاف-ش|:1001؛ |كشاف-ع|:472/5-473.

6078 . |عباس|:550.

6079 . وقيل إن "الآخرة" هى قول فرعون "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" (النازعات 24) و "الأولى" هى تكذيبه لموسى (النازعات 21). وقيل غير ذلك.

6080 . |باش|:226/1. انظر أيضاً |باش-موسى|:43؛ |عباس|:554، 615.

6081 . |خالدى-أ|:374/2-376. انظر أيضاً |خالدى-أ|:398/2-401. إلا أنه اعترف فى مرجع آخر بأن "رسالة موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه ثانويةٌ وليست أساسية، وهى تمهيدٌ لرسالتِه الأساسية إلى بنى إسرائيل" (|خالدى-ج|:241).

6082 . |و|:237/9/1-238؛ |و|:247/9/1. انظر أيضاً |و|:256/9/1؛ |رمضان|:227/2؛ |عباس|:499-500.

6083 . |كثير|:276/5؛ |كثير-شيخ|:324/9؛ |كثير-طيبة|:282/5.

6084 . |طبرى-تاريخ|:386/1؛ |طبرى-قصص|:238.

6085 . كل نبى قبل محمد كان "يُبعَث إلى قومه خَاصَّةً" (البخارى 328؛ |خ|:128/1) (مسلم 521؛ |م|:370/1-371).

6086 . |Neuwirth|:301. أو كما قال ورقة بن نوفل لمحمد: "هذا الناموس الذى (جاءك يا محمد) أُنْزِلَ على موسى (مِن قبلك) [...]. يا ليتنى أكون حياً حين يُخْرِجَك قومُك".

6087 . |Conrad|:48/24.

6088 . "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ (هى: مكة) الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (يتولى أمورنا) وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (ينصرنا على الظالمين)" (النساء 75). فلعب محمدٌ دور هذا الولى والنصير الذى أراده المسلمون المُضطهَدون لكى يساعدهم على الهجرة مِن مكة إلى المدينة.

6089 . |EQ|:419/3.

6090 . |EI-2|:638/7.

6091 . لم يُذكَر هذا "الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" (بأداة التعريف ال) فى أى موضع آخر مِن القرآن إلا فى سورة الفاتحة: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" (الفاتحة 6-7).

6092 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

6093 . سؤال: لماذا يُعلِن صاحب رواية سورة القصص مِن البداية أنه سيتلو علينا قصة موسى وفرعون "بِالْحَقِّ"؟ هل الروايات الأخرى لم تعجبه؟ أم لأن روايته تذكر تفاصيل لم تذكرها الروايات الأخرى؟ أم لأنه انفرد باستخدام كلمات لم تُذكَر فى القرآن كله سوى مرة واحدة فقط (hapax legomenon) مثل "جَذْوَةٍ" (القصص 29) و "رِدْءًا" (القصص 34)؟

6094 . |طبرى-تاريخ|:385/1؛ |طبرى-قصص|:238؛ |ألوسى|:45/20؛ |طيب|:177؛ |شاكر|:143؛ |فضل|:121؛ |أيوب|:119؛ |بدوى|:213/1.

6095 . |كثير-هاشمى|:314؛ |بكر|:161.

6096 . (البخارى 3230؛ |خ|:1252/3)؛ (مسلم 2431؛ |م|:1886/4-1887)؛ (أحمد 293/1؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:194/3؛ "إسناده صحيح" |ل|:409/4). وقيل إن اسمها "آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريّان بن الوليد" (|شاكر|:144؛ |طبرى-تاريخ|:386/1؛ |طبرى-قصص|:238؛ |كامل|:130/1؛ |عرائس|:150؛ |أيوب|:119؛ |بدوى|:213/1)!

6097 . |بكر-نساء|:75.

6098 . |خالدى-أ|:295/2.

6099 . لم تستخدم التوراةُ الكلمةَ العبرية المُستخدَمة هنا إلا فى موضع واحد آخر (التكوين 14:6) للإشارة إلى فُلْك نوح (Noah's ark). ولم يستخدم القرآنُ الكلمةَ العربية المُستخدَمة هنا إلا فى موضع واحد آخر (البقرة 248) للإشارة إلى تابوت العهد (الشهادة) ((Ark of the Covenant (Testimony) (الخروج 10:25). وكلتا الكلمتان العبرية والعربية لهما أصل مصرى. انظر |NIV|:90؛ |دراسى|:139-140؛ |EOSB|:84؛ |FV|:88-89؛ |Aldeeb|:131؛ |Reynolds|:100؛ |باش|:320/2.

6100 . انظر تفاسير (طه 38) (القصص 7) و |خالدى-أ|:285/2؛ |خالدى-ب|:551؛ |بدوى|:239/1،215؛ |رفاعى|:15.

6101 . |قرطبى|:232/16.

6102. “the influence of Potiphar’s wife in Q 12 is a much simpler explanation” (|Witztum|:291).

6103 . وكما أثبتنا فيما سبق، فكرة أن الإيمان يعلو فوق العلاقات الأسرية (faith over family) فكرة مسيحية بامتياز، وإنْ كان لها بعض الجذور في التقليد النبوي اليهودي (ميخا 7:5-6). للمزيد، انظر |GR-AQ|:568، 573؛ |QSC|:163-164.

6104 . (The Antiquities of the Jews 2.9.7) |Josephus|:80. انظر أيضاً |EJ|:533/14.

6105 . تقول أسطورة تلمودية شهيرة (Sotah 12a-12b) إنَّ العرافين والمنجمين (astrologers) كانوا قد أنذروا فرعونَ بأنه سيُولَد قريباً ولدٌ إسرائيلي سيطيح بحُكْم فرعون ويكون دمار مصر على يديه (|Katsh|:43؛ |تلمود|:159؛ |BT|:56/11-60)! تسللت هذه الأسطورة اليهودية إلى كثير مِن كتب تفسير القرآن وقصص الأنبياء.

6106 . |BT|:60/11-61؛ |Masson|:902؛ |EJ|:534/14؛ |EI-2|:639/7.

6107 . (The Antiquities of the Jews 2.9.5) |Josephus|:79. انظر أيضاً |EJ|:533/14؛ |EJ|:538/14.

6108 . |BT|:58/11.

6109 . في اللغة العبرية، كلمتا "بنت" و "بيت" قريبتان جداً في النطق والكتابة "ب ت". فيبدو أن هذا هو السبب الذي جعل أصحاب القرآن يظنون أن أخت موسى تحدثت مع آل فرعون (أي: بيت فرعون)؛ والأصل: تحدثت مع بنت فرعون.

6110 . (The Antiquities of the Jews 2.9.5) |Josephus|:79. انظر أيضاً |EJ|:532/14.

6111 . |هامش|:227/5.

6112 . قال أ. د. محمد بكر إسماعيل (مِن كبار علماء الأزهر المعروفين): "ولا بد فيمن يتولى القضاء أن تتوفر فيه الشروط التالية: **الشرط الأول:** أن يكون رجلاً، فلا يصح أن تتولى القضاء إمراة، [...]. ولم يحدث فى تاريخ الإسلام على طوله - فيما أعلم - أن المرأة وليت أمر القضاء فى بلد من البلدان الإسلامية على اتساعها، فدل ذلك على أن المسلمين مجتمعون على عدم صلاحيتها لهذا المنصب الخطير" (مِن كتاب "الفقه الواضح"، 321/2-322، ط 2 دار المنار 1997)!

6113 . وقال واحدٌ مِن علماء الأزهر إن مِن "شروط وضوابط عمل المرأة" فى الإسلام أن "لا تعمل بالأعمال التى لا يجوز لها أن تتولاها كالقضاء والولاية العامة وغير ذلك من الأعمال التى لا تتناسب مع طبيعة المرأة ولا تتوافق مع قدراتها وإمكانياتها" (|شرقاوى|:436-437)!

6114 . قيل إن ياسر أبو عَمَّار مات قبلها بقليل. لكنه مات مِن التعذيب فقط. أما سُمَيَّة فماتت مِن التعذيب ثم القتل. قتلها "أبو جهل" الذي قيل عنه إنه "فرعون قريش" (|جابرى|:109/2) أو "فرعون هذه الأمة" (|جمعة-نار|:15).

6115 . قال د. عبد الصبور شاهين إن أم أيمن كانت "أقرب الناس" إلى محمد (|شاهين-صحابيات|:128).

6116 . |طيب|:175-178. انظر أيضاً |كامل|:132/1؛ |عرائس|:151.

6117 . |غزالى|:298. انظر أيضاً |شرقاوى|:392-393، 399-400.

6118 . |خالدى-أ|:287/2-294. انظر أيضاً |خالدى-ب|:553-555، 560-562؛ |خالدى-ج|:220.

6119 . |طبرى|:57/16. انظر أيضاً |طبرى-تاريخ|:389/1؛ |طبرى-قصص|:241؛ |عبدالحليم|:180؛ |فضل|:122؛ |أيوب|:119؛ |زين|:185؛ |بدوى|:215/1؛ |رمضان|:212/2 وتفاسير (القصص 7-8) و (طه 39-40).

6120 . لمزيد من التفاصيل عن أسطورة سارجون وعلاقتها بقصة ميلاد موسى، انظر |IVP-OT|:78؛ |ANET|:119؛ |OTParallels|:89-90.

6121. Georges Roux, "La Mésopotamie", Paris : Seuil, 1995, p. 176.

6122 . |ProcheOrient|:307-308؛ |أساطير|:361-362.

6123 . |يسوعية|:العهدالقديم/155.

6124 . يمكن قراءة نَص المحاضرة على موقع Collège de France: http://books.openedition.org/cdf/163 ويمكن أيضاً مشاهدة هذه المحاضرة الافتتاحية (Leçon inaugurale) على موقع Collège de France: http://www.college-de-france.fr/site/thomas-romer أو على موقع YouTube: https://www.youtube.com/watch?v=8_z9hTiQg0g

6125 . |EJ|:613/6؛ |EJ|:526/14؛ |IVP-OT|:78؛ |IVP-OT-ar|:112/1-113.

6126. E.A. Wallis Budge, “Egyptian Religion”, Arkana, 1987, p. 56-57. See also |Lalouette|:111; |EJ|:2\469; |EJ|:6\613.

6127. “the Quran adapted and reshaped its materials [i.e. its sources]. Many factors influenced this process. The omission of Christological materials, the use of formulaic language, the impact of inner-Quranic parallels, and the tendency to further develop post-Biblical exegetical readings – to name but a few factors” (|Witztum|:265-266).

6128 . |طيب|:191-193. انظر أيضاً |طنطاوى-قصص|:371/1؛ |أشقر-قصص|:224؛ |فهد|:387.

6129 . |صابونى|:182. انظر أيضاً |طيب|:178؛ |طنطاوى-قصص|:328/1؛ |شاكر|:146؛ |باش|:222/1.

6130 . |بهجت|:198. انظر أيضاً |طيب|:40. وروى مسلم حديثاً يقول إن موسى قتل المصرىَ "خَطَأً" (مسلم 2905).

6131 . |شعراوى-قصص|:235،213. انظر أيضاً |عبدالحليم|:184؛ |أيوب|:121؛ |رمضان|:225/2،215.

6132 . |واحدى-وجيز|:814/2. انظر أيضاً |نسفى|:633/2؛ |زادمسير|:208/6-209.

6133 . |بكر|:163. انظر أيضاً |بكر|:229.

6134 . |باش-موسى|:29؛ |باش|:254/1. انظر أيضاً |باش-موسى|:157؛ |خالدى-أ|:314/2؛ |خالدى-ج|:225؛ |عباس|:491.

6135 . |خالدى-أ|:315/2-317. انظر أيضاً |خالدى-ج|:226-227؛ |شرقاوى|:405-406.

6136 . |شرقاوى|:405.

6137 . |عرائس|:155؛ |كامل|:134/1؛ |بدوى|:219/1.

6138 . نفس العبارة التى استخدمها القرآنُ لوصف الْخَمْر وَالْمَيْسِر وَالأَنْصَاب وَالأَزْلَام (المائدة 90).

6139 . |معجم-قراءات|:308/4. انظر أيضاً |وجدى|:481؛ |خالدى-أ|:407/2؛ |خالدى-ج|:247.

6140 . |فهد|:377؛ |بدوى|:236/1؛ |فهد-ن|:506.

6141 . |خالدى-ج|:240.

6142 . |أشقر|:377؛ |بيضاوى|:172/2. انظر أيضاً |ج-البغا|:495؛ |قرنى|:442؛ |سعدى|:601؛ |نسفى|:593/2؛ |أميرى|:309؛ |AYA|:940.

6143 . |طنطاوى|:534/8. انظر أيضاً |MS|:44.

6144 . |خازن-بغوى|:11/5-12؛ |بدوى|:219/1.

6145 . (مسلم 194؛ |م|:184/1-186) (البخارى 4435؛ |خ|:1745/4-1747) (البخارى 3162؛ |خ|:1215/3-1216). للمزيد عن الشفاعة (Intercession)، انظر |EI-2|:177/9-179؛ |Badawi|:190-193؛ |EQ|:551/2-555.

6146 . الترجمة الصحيحة لكلمة "عِلْم" في القرآن هي (knowledge)، أى: معرفة، وليس (science) كما يدعى مَن يزعمون أن الدين عِلم مثل الفيزياء والكيمياء. ونحن نقول لهم: الدين ظاهرة اجتماعية وجزء مِن المعرفة الإنسانية مثل الآداب والفنون، وليس عِلماً مِن العلوم. انظر ترجمات (القصص 14) و |مفصل|:321/8-322.

6147 . |طنطاوى-قصص|:327/1؛ |شعراوى-قصص|:212؛ |ألوسى|:52/20؛ |بيضاوى|:188/2؛ |نسفى|:632/2؛ |نجار|:194؛ |أشقر|:387؛ |أيوب|:120؛ |ماوردى|:241/4؛ |طبرى-تاريخ|:404/1؛ |طبرى-قصص|:257؛ |ميسر|:324؛ |وجدى|:508؛ |فهد-ن|:518.

6148 . وفى القرآن المدنى: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ" (الصف 4)!

6149 . وسنكمل تعليقنا على أسطورة "عصمة الأنبياء" عند حديثنا عن الخضر (وهو نَبِيٌّ عِنْد الْجُمْهُور) الذى قتل طفلاً بريئاً أعزلاً لا يستطيع الدفاع عن نفسه! وسنناقشها بقدر أكبر من التفصيل عند حديثنا عن النبى يونس (يونان) فى وقت لاحق.

6150 . مثلاً |خالدى-أ|:315/2-319؛ |زين|:187-188، 202؛ |بدوى|:218/1-219؛ |شرقاوى|:404-405؛ |عباس|:491.

6151 . |و|:233/9/1-234. انظر أيضاً |خازن-بغوى|:11/5.

6152 . |EJ|:532/14.

6153 . |EJ|:535/14.

6154 . |ظلال|:2591/5.

6155 . **[← "آتَيْنَاهُ حُكْمًا" (القصص 14)؛ إذا كان المقصود بالحُكْم هو الفصل في القضايا والأمور المُختَلَف عليها].**

6156 . انظر تفاسير (القصص 23) و |كامل|:135/1؛ |بكر|:166؛ |صابوني|:184-185؛ |طنطاوى-قصص|:334/1؛ |خالدى-أ|:337/2-339؛ |باش|:207/1-217؛ |فضل|:125؛ |سعدى|:615؛ |أيوب|:123؛ |بدوى|:229/1-230؛ |رمضان|:219/2.

6157 . |كثير-شيخ|:451/10؛ |كثير-طيبة|:228/6. لكن يبدو لنا أن ابن كثير نفسه لا يؤيد هذا الرأى المشهور.

6158 . انظر الهامش فى |ظلال|:2628/5. وردت قصة شعيب النبي مع قومه أصحاب مدين في (الأعراف 85-93) (هود 84-95) (العنكبوت 36-37). اقرأ أيضاً (الحج 44). أما سيد قطب نفسه فيبدو لنا أنه قال إن هذا الشيخ الكبير هو شعيب النبى ثم تراجع عن هذا القول (|ظلال|:2687/5)!

6159 . |عامري-أ|:526.

6160 . |طنطاوى-قصص|:331/1. كان موسى يوقن "أن الله سينجيه منهم، ويخلِّصه من مكرهم" (|خالدى-أ|:323/2).

6161 . ونعرف مِن العادات والتقاليد العربية أن التقدم فى ورود الماء لسقى الماشية إنما يكون لأصحاب القوة والعزة. أو كما قال الشاعر الجاهلى "عمرو بن كلثوم" التغلبى: ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطيناً (|نجار|:200؛ |زين|:190؛ |بدوى|:223/1).

6162 . تكرر ذِكر القوة والأمانة فى أسطورة قرآنية أخرى هى قصة سليمان حين "قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ (لسليمان) أَنَا آتِيكَ بِهِ (أى: بعرش ملكة سبأ) قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ" (النمل 39).

6163 . |EJ|:538/14.

6164 . "قصَّ موسى على الرجل الصالح قصَّتَه، وأخبره بقتْلِه للفرعونى، وهربه من مصر" (|خالدى-ج|:234). "أخبره بأمره مِن حين وُلِد والسبب الذى أخرجه من أرضه" (|زادمسير|:215/6).

6165 . |نجار|:208. انظر أيضاً |فهد|:389؛ |خالدى-أ|:345/2-346.

6166 . (البخارى 2538؛ |خ|:953/2؛ |بارى|:342/5؛ |بارى-طيبة|:559/6).

6167 . |EJ|:538/14؛ |EI-2|:639/7.

6168 . |Witztum|:290-291.

6169 . (المعجم الصغير 815؛ |طبرانى-صغير|:79/2) (المعجم الأوسط 5430؛ |طبرانى-أوسط|:321/5-322).

6170 . "قال الهيثمى: إسناده حسن" (|هيثمى|:88/7؛ |خالدى-أ|:335/2). وقيل: "إسناده ضعيف" (|بغداد|:495/2-496). وانظر أحاديث أخرى مذكورة فى تفاسير "فَسَقَى لَهُمَا" (القصص 24)، مثل |كثير-شيخ|:449/10-450؛ |زادمسير|:213/6.

6171 . |ج|:388؛ |ج-البغا|:509؛ |ج-وطن|:388. انظر أيضاً |درمنثور|:447/11؛ |عرائس|:156؛ |بدوى|:224/1.

6172 . |بيضاوى|:190/2. انظر أيضاً |واحدى|:395/3؛ |واحدى-وجيز|:816/2.

6173 . |شرقاوى|:410-411 نقلاً عن مرجعين تراثيين. ثم قال: "والله أعلم بحقيقة اسمهما"، وقال إنها كانت بئر واحدة مكشوفة.

6174 . |رازى|:240/24. ثم ذكر أسماء أخرى، وقال: "وليس فى القرآن دلالة على شىء من هذه التفاصيل".

6175 . |نجار|:240-241.

6176 . |أشقر-قصص|:224،219،211. انظر أيضاً |شاكر|:158؛ |شرقاوى|:481.

6177 . |خالدى-أ|:390/2.

6178 . "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ (by grace) مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ (through faith)، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ" (أفسس 2:8). "حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ وَإِحْسَانُهُ لاَ بِأَعْمَال فِي بِرّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ (أي: بِمُقْتَضَى نِعْمَتِهِ)

خَلَّصَنَا بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي سَكَبَهُ [اللهُ] بِغِنًى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا. حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِهِ (by Divine Grace; by Divine Mercy)، نَصِيرُ وَرَثَةً حَسَبَ رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (تيطس 3:4-7).

6179 . |فهد-ن|:637؛ |AYA|:1217؛ |Haleem|:473. أو: (deliverance |Pickthall|:622). ترجمتان صحيحتان.

6180 . "النجاة: الخلاص من الهلكة، كالخلاص من الغرق. والخلاص من العذاب" (|جزائرى|:53/1). انظر أيضاً |خالدى-أ|:269/2.

6181 . |ج|:314؛ |ج-البغا|:409؛ |ج-وطن|:314. "خَلَّصْنَاك مِنْ شرهم" (|منتخب|:528). "خَلَّصْنَاك مِنْ محنة إلى محنة" (|بدوى|:239/1).

6182 . "أَعِنِّي يَا رَبُّ إِلهِي. خَلِّصْنِي حَسَبَ رَحْمَتِكَ" (المزامير 109:26).

6183 . |قاهرة|:375/42-376.

6184 . |واحدى|:454/2؛ |واحدى-وجيز|:437/1؛ |ج|:180؛ |ج-البغا|:231؛ |ج-وطن|:180. أو: "مخرجاً فى الدنيا والآخرة" (|بشير|:396/2). أو: "ما تفرقون به بين الحق والباطل، ويتبين لكم به المخرج من الشبهات، والنجاة من كل ما تخافونه" (|أشقر|:180). "أو نصراً [...]، أو مخرجاً [...]، أو نجاة عما تحذرون فى الدارين" (|بيضاوى|:381/1). انظر أيضاً |فهد-ن|:234.

6185 . اقرأ أيضاً: "سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (الحديد 21).

6186 . |زادمسير|:346/3. انظر أيضاً |ماوردى|:311/2.

6187. محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

6188. سؤال جريء 272, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=4813&cat=24&scat=40&
سؤال جريء 278, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=4933&cat=24&scat=40&

6189 . |FV|:227-229. انظر أيضاً |Witztum|:35.

6190 . |EQ|:183/2-184. انظر أيضاً |EQ|:423/3-425؛ |Katsh|:51-52.

6191 . |ماوردى|:121/1-122. انظر أيضاً |نسفى|:89/1؛ |زادمسير|:81/1؛ |واحدى|:138/1-139؛ |كشاف-ش|:77؛ |كشاف-ع|:269/1؛ |بيضاوى|:62/1.

6192 . |آرثر|:887.

6193 . انظر |Conrad|:46/24.

6194 . "(قال نوح لربه) نَجِّنِي [...] فَأَنْجَيْنَاهُ" (الشعراء 118-119)، "فَأَنْجَيْنَاهُ" (الأعراف 64)، "فَأَنْجَيْنَاهُ" (العنكبوت 15)، "فَنَجَّيْنَاهُ" (يونس 73)، "فَنَجَّيْنَاهُ" (الأنبياء 76)، "وَنَجَّيْنَاهُ" (الصافات 76)، "فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا" (المؤمنون 28).

6195 . "وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ (أى: بنِعْمَةٍ) مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ" (هود 58)، "فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ (أى: بنِعْمَةٍ) مِنَّا" (الأعراف 72)، "وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا" (فصلت 18).

6196 . "فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ (أى: بنِعْمَةٍ) مِنَّا" (هود 66)، "وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا" (فصلت 18)، "وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ" (النمل 53).

6197 . "فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ" (العنكبوت 24)، "وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 71).

6198 . "(قَالَ لوطٌ) رَبِّ نَجِّنِي [...] فَنَجَّيْنَاهُ" (الشعراء 169-170)، "لَنُنَجِّيَنَّهُ [...]. وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا [...] وَقَالُوا (له) [...] إِنَّا مُنَجُّوكَ" (العنكبوت 32-33)، "فَأَنْجَيْنَاهُ" (الأعراف 83)، "فَأَنْجَيْنَاهُ" (النمل 57)، "نَجَّيْنَاهُ" (الصافات 134)، "وَنَجَّيْنَاهُ [...] وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا (أى: نِعْمَتنا)" (الأنبياء 74-75)، "نَجَّيْنَاهُمْ [...] نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا" (القمر 34-35).

6199 . "وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ" (الصافات 107).

6200 . "وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ (أى: بنِعْمَةٍ) مِنَّا" (هود 94)، "نَجَّانَا اللَّهُ" (الأعراف 89).

6201 . "وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ" (الأنبياء 88).

6202 . يرى العالمُ الكبير (Richard Bell) أن معركة بدر (2هـ) هى نقطة التحول التي جعلت القرآنَ نصاً مقدساً (|QHC|:72؛ |QHC-ar|:120).

6203 . أول خطيئة ارتكبها الإنسانُ كانت بسبب كذب الشيطان (التكوين 3:1-5) **[⟵ (طه 120) (الأعراف 20-22) (البقرة 36)]**.

6204 . |ANET|:18. لمزيد من التفاصيل عن قصة سنوحى وعلاقتها بقصة موسى، انظر |IVP-OT|:79؛ |Lalouette|:139-152؛ |ANET|:18-22؛ |OTParallels|:137-141؛ |EJ|:14/526؛ |EB|.

6205 . [م و س] فى لسان العرب. وقالت مراجع إسلامية أخرى إن موسى "فى العبرية موشى ... لأنه وجد بين الماء والشجر و "مو" بلغة القبط أى الماء و "شى" أى الشجر" (|بدوى|:1/215)، "فعرّب فقيل: موسى" (|عرائس|:151). انظر أيضاً |كامل|:1/133؛ |EJ|:14/526، 532.

6206 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

6207 . (طه 13-15) تُلخِّص أهم عناصر الديانتين اليهودية والمسيحية. فنحن نلاحظ عملية الدمج بين التراث اليهودي (موسى الكليم؛ التوحيد المطلق (التوحيد الخالص)؛ التوجّه بالعبادة) والتراث المسيحي (البعث؛ القيامة؛ الحساب والجزاء) وتقديمهما سوياً بلسان عربى ("قُرْآنًا عَرَبِيًّا" (طه 113)) لأهل مكة العرب المشركين الذين كانوا ينكرون البعث (النازعات 10-14) (طه 102).

6208 . |Neuwirth|:288-291. ملحوظة: هذا المرجع يتبع الترتيب الزمنى الذى وضعه العالم الألمانى الكبير "نولدكه" (Nöldeke). حسب هذا الترتيب، (النازعات 15-26) تسبق (طه 9-24) زمنياً. انظر |قراءات-مصحف|:المقدمة/65-67.

6209 . "هذَا الشَّعْبُ (أى: شعب بنى إسرائيل) جَبَلْتُهُ لِنَفْسِي" (إشعياء 43:21).

6210 . "السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى" (طه 47) جملة عربية يُقال إن محمد كتبها فى خطابه المزعوم إلى هرقل وخطابه إلى "مُسَيْلمة الكذاب" (|كثير|:5/290؛ |كثير-شيخ|:9/342؛ |كثير-طيبة|:5/297). سؤال: هل يوجد أى دليل على أن موسى قد نطق هذه الجملة؟ فى حالة عدم وجود دليل، فليس أمامنا سوى أن نقول إنها جملة عربية أدخلها أصحاب القرآن على قصة "الخروج" التوراتية الأصلية.

6211 . انظر تفاسير (الشعراء 16) و (طه 47) و |عباس|:527-528. وكذلك فى موضع آخر يقول القرآن "يَوْمِ الْأَحْزَابِ" (غافر 30)، ولم يقل: أيام الأحزاب. فمع أن لكل حزبٍ يوماً، إلا أنها جُمِعَت كلها فى يوم واحد. لماذا؟ لأنه اليوم الذى ينتصر فيه اللهُ على أعدائه، فهو يومٌ واحد <u>فى طبيعته</u> رغم تمايز الأحزاب. انظر تفاسير (غافر 30) وبخاصة |ظلال|:5/3080.

6212 . |KJV-arch|:122؛ |NIV|:514؛ |دراسى|:841؛ |قاموس-كتاب|:498؛ |آرثر|:617 والخرائط التوضيحية فى |آرثر|:148؛ |تطبيقى|:755.

6213 . |KJV-arch|:122،112.

6214. محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

6215 . |خازن-بغوى|:1/89؛ |ماوردى|:1/134؛ |باش-موسى|:45؛ |وجدى|:401،13.

6216. “Here Muḥammad [i.e. the Qur’ān] uses the term *Ṭūr* for mountain because it is called *Ṭūrā* in the Targumim” (|Katsh|:66). See also |Witztum|:21-22.

6217 . هذا حسب رأي المفسرين المسلمين. لكن مِن المحتمل أن أصحاب القرآن قصدوا "أورشليم" التي يعني اسمُها "مدينة السلام" والتي وُصِفَت بعبارة "الْقَرْيَة الأَمِينَة" (The Faithful City) (إشعياء 1:21، 1:26)، أي: الْبَلَد الْأَمِين. ويمكن الجمع بين الرأيين بأن نقول إن "الْبَلَد الْأَمِين" (التين 3) لقب لمكة مُستوحَى مِن لقب أورشليم "الْقَرْيَة الأَمِينَة".

6218 . اقرأ هذا الرأي والتعليق عليه في |AYA|:1669.

6219 . "فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ (image of God) (imago Dei) خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (التكوين 1:27)، (التكوين 5:1-2) **[⟵ "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (أي: في أحسن صورة)" (التين 4)]**.

6220 . قُرِئت "وَمَنْ حَوْلَهَا مِن الملائكة" فى قراءة أُبيّ وابن عباس ومجاهد وعكرمة (|معجم-قراءات|:4/337). "وتحمل هذه القراءة على التفسير، لأنها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه" (|بحر|:7/54؛ |ألوسى|:19/160). انظر أيضاً |زادمسير|:6/155؛ |طنطاوى-قصص|:1/348.

6221 . "ظَهَرَ لَهُ (أي: لموسى) مَلاَكُ الرَّبِّ فِي بَرِّيَّةِ جَبَلِ سِينَاءَ فِي لَهِيبِ نَارِ عُلَّيْقَةٍ" (أعمال الرسل 30:7). ملحوظة: "في القديم كانت بعض الأشجار مقدّسة وتُعتبر بمثابة منزل لبعض الآلهة أو مقرًّا لها" (|معاصر|:557).

6222 . "فَلَمَّا رَأَى مُوسَى ذلِكَ تَعَجَّبَ مِنَ الْمَنْظَرِ" (أعمال الرسل 31:7).

6223 . تُترجَم كلمة "يَهْوَهْ" أيضاً إلى "الرب" أو "السيد" (The LORD) (Kyrios) (Le SEIGNEUR). و "يَهْوَهْ" هو الاسم الشخصى لله (الإله) (إلوهيم) (Elohim) (God) (Theos) (Dieu). بعبارة أخرى: الله (إلوهيم) اسم عام، أما الرب (يَهْوَهْ) فهو اسم شخصى لله باعتباره إله الفداء والخلاص لشعب إسرائيل فى العهد القديم.

6224 . يقول التقليد الإسلامى إنه الوادى المقدس طُوى (طه 12) (النازعات 16) عند الطور (القصص 29) (القصص 46) (مريم 52).

6225 . أثناء حياة المسيح في القرن الأول الميلادي، كان "على الداخل للهيكل [اليهودي المقدس في أورشليم] أن يخلع نعليه خارجاً" (|المسيح|:359). ولا يزال كل مسلم إلى اليوم يخلع نعليه قبل دخوله إلى المسجد!

6226 . |مجلس|:457-458.

6227 . |Neuwirth|:304.

6228 . |عرائس|:160.

6229 . |بيضاوى|:44/2؛ |وجدى|:407.

6230 . |زادمسير|:274/5-275.

6231 . "فَارْتَعَدَ مُوسَى وَلَمْ يَجْسُرْ أَنْ يَتَطَلَّعَ" (أعمال الرسل 32:7).

6232 . لا يوجد أي دليل علمي يثبت وجود أية علاقة تاريخية بين الْفِلِسْطِينِيّينَ الحاليين وأي شعب من هذه الشعوب الكنعانية القديمة. ونحن نقول ذلك رداً على البروباجاندا العربية-الإسلامية التي تزعم أن الْكَنْعَانِيّين و/أو الْيَبُوسِيّين كانوا من العرب!

6233 . "فَقَالَ لَهُ (أي: لموسى) الرَّبُّ: [...]. إنّي لَقَدْ رَأَيْتُ مَشَقَّةَ شَعْبِي الَّذِينَ فِي مِصْرَ، وَسَمِعْتُ أَنِينَهُمْ وَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ. فَهَلُمَّ الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَى مِصْرَ" (أعمال الرسل 33:7-34).

6234 . تحقق ذلك فى (الخروج 19) **[← "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ" (طه 80)]**.

6235 .الكلمة العبرية "أَهْيَهِ" تدل على أن الله كائن موجود ودائم الوجود، أى: أزلى أبدى. حين يتحدث الله عن نفسه يقول "أَهْيَهِ" (الخروج 14:3)، أما حين نتحدث نحن عنه فنقول "يَهْوَهْ" (YHWH) (Yahweh) (الخروج 15:3) الذى يعنى "إنه الكائن" الأزلى الأبدى. (|NKJV|:80،7؛ |NIV|:92،11؛ |دراسى|:143؛ |أنطونيوس|:الخروج؛ |Segond|:58؛ |JSB|:103؛ |غريغوريوس|:81/1؛ |ثاوفيلس|:23؛ |سبعينية|:التكوين/24، الخروج/27؛ |قاموس-كتاب|:128، 1096-1097).

6236. “Like many other Hebrew names in the Bible, the name Yahweh is no doubt a shortened form of what was originally a longer name […] like *Yahweh-Asher-Yihweh*, “He brings into existence whatever exists”; or *Yahweh Ẓevaʾot* (1 Sam. 1:3, 11), which really means “He brings the hosts [of heaven – or of Israel?] into existence.”” (|EJ|:7\675).

6237 . سنتحدث عن هذه الضربات العشر **[← الآيات التسع]** فى فصل آخر مستقل.

6238 . |نجار|:255.

6239 . "والجيب هو مكان دخول الرأس من الثوب" (|شعراوى-عجز|:141). "فالجيب ليس هو جيبك الذى تضع فيه المنديل أو النقود، ولكن الجيب معناه فتحة الصدر" (|شعراوى-قصص|:232).

6240 . "والمراد بالجناح: اليد، لأن يدى الإنسان بمنزلة جناحى الطائر، وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه" (|عباس|:507).

6241 . |طيب|:197،195،190. انظر أيضاً |طبرى-تاريخ|:403/1؛ |طبرى-قصص|:255؛ |شعراوى-عجز|:139-142؛ |طنطاوى-قصص|:341/1؛ |أشقر-قصص|:225؛ |نجار|:210؛ |بهجت|:214؛ |شاكر|:159-160؛ |شوقى-قصص|:243؛ |أيوب|:127؛ |بدوى|:236/1؛ |رمضان|:223/2؛ |خالدى-أ|:421/2-422؛ |خالدى-ج|:253؛ |Masson|:903.

6242 . (البخارى 3067؛ |خ|:1182/3-1183) (مسلم 165؛ |م|:151/1-152). انظر أيضاً |خالدى-أ|:368/2-369؛ |خالدى-أ|:342/3-345.

6243. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

6244 . سنتحدث عن هذه الضربات العشر **[← الآيات التسع]** فى فصل آخر مستقل.

6245 . ووَصَفَ موسى نفسَه بأنه "أَغْلَف الشَّفَتَيْنِ" (الخروج 12:6) (الخروج 30:6)، ليس لأنه كان مصاباً بعيب فى النطق (أعمال الرسل 22:7)، وإنما لأنه لم يكن فصيحاً.

6246 . لمزيد من التفاصيل عن قصة الفلاح الفصيح، انظر |AEL|:169/1-184؛ |Grandet|:43-63.

6247 . |شعراوى-قصص|:206-207. انظر أيضاً |طبرى-تاريخ|:395/1،390؛ |طبرى-قصص|:242-243، 247-248؛ |كامل|:133/1؛ |عرائس|:154؛ |شاكر|:157؛ |أيوب|:126؛ |زين|:187؛ |و|:238/9/1؛ |طنطاوى-قصص|:417/1 نقلاً عن تفسير ابن كثير لـ "لَا يَكَادُ يُبِينُ" (الزخرف 52). واقرأ أسطورة يهودية مشابهة (|Sidersky|:76-77؛ |EJ|:535/14؛ |EI-2|:639/7).

6248 . |نجار|:211؛ |خالدى-أ|:377/2-384؛ |خالدى-ب|:564-567؛ |خالدى-ج|:242-246؛ |بدوى|:217/1، 237-238.

6249 . |نجار|:216.

6250 . |باش|:222/1.

6251 . (The Antiquities of the Jews 2.13.3) |Josephus|:84. انظر أيضاً |Witztum|:30.

6252 . |Prose|:233. انظر أيضاً |Witztum|:29.

6253 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

6254 . "يَا فِرْعَوْنُ"؟! ألم يكن صاحب (الأعراف 104) يعلم أن "فرعون" ليس اسماً؟ وهل كان ممكناً فى ذلك الزمان أن يقول أحدٌ لمَلِك مصر "يَا فِرْعَوْنُ" (الأعراف 104)؟! هل يجرؤ أحدٌ الآن أن يقول لمَلِك السعودية "يا مَلِك"؟! بل هل يجرؤ قاتِلٌ أن يقول للواء شرطة "يا لواء"؟! ويبدو أن أصحاب القرآن قد تخيلوا مَلِكَ مصر كما لو كان شيخ قبيلة عربية يمكن مناداته بهذه الطريقة "يا فرعون" كما كان المسلمون الأوائل يقولون "يا محمد" و "يَا أَبَا بَكْرٍ" و "يا عُمَر".

6255 . يعني موسى دخل على فرعون بالعصايا اللى اتقلبت ثعبان وبالإيد اللى ابيضت، وكأنه فى سيرك. ولمَّا فرعون سأله سؤالاً تاريخياً واضحاً ومحدداً عن الأمم السابقة (طه 51)، لم يستطع موسى أن يرد وقال "عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي" (طه 52) يعنى قال "الله أعلم"! هل هذا هو دليل النبوة؟! هل هذا هو الإعجاز العلمى المزعوم؟! إنه عجز وليس إعجاز.

6256 . قيل إنه عيد الربيع (أى: يوم شم النسيم)، وقيل إنه يوم وفاء النيل، وقيل إنه يوم النيروز، وقيل إنه يوم عاشوراء! (|طيب|:197؛ |نجار|:225؛ |بهجت|:217؛ |بدوى|:252/1؛ |عرائس|:166). المهم أنه يوم عيد لا عمل فيه حتى يستطيع أكبر عدد ممكن مِن الناس أن يحضروا ويشاهدوا جميع أحداث المباراة بين موسى وسحرة فرعون.

6257 . |كثير-شيخ|:346/9.

6258 . |خالدى-أ|:438/2.

6259 . قُرئت بقراءات مختلفة: "إِنَّ هَذَان لَسَاحِرَان" و "إِنَّ هَذَيْن لَسَاحِرَان" و "إِنْ هَذَان إلا سَاحِرَان" وقُرئت غير ذلك (|معجم-قراءات|:89/4-91؛ |قراءات-مصحف|:455/2؛ |خالدى-أ|:444/2-446؛ |خالدى-ج|:248-249؛ |أميرى|:325). سؤالنا: ما هى القراءة الصحيحة الموجودة فى اللوح المحفوظ؟!

6260 . لاحظ أن أحد الأسباب التى جعلت فرعون يرفض مطالب بنى إسرائيل هو أنه كان يظن أن طريقة حياته هى "الطريقة المُثْلَى". وهذا هو أيضاً أحد الأسباب التى تجعل المسلمين اليوم يرفضون مطالب المختلفين عنهم دينياً أو مذهبياً أو فكرياً.

6261 . فرعون – الذي يقولون عنه طاغية (النازعات 17) (طه 24، 43، 45) ومتكبر (غافر 27) – لم يسجن موسى، رغم أنه كان يستطيع ذلك عقاباً لموسى على جريمة القتل التى ارتكبها قبل أن يهرب إلى مدين. أما كثير من المجتمعات

المنكوبة بالثقافة العربية-الإسلامية فما زالت إلى اليوم تسجن أو تقتل المفكرين والمثقفين والمعارضين لمجرد أنهم يعبرون عن آرائهم!

6262 . فرعون – الذي يقولون عنه طاغية (النازعات 17) (طه 24، 43، 45) ومتكبر (غافر 27) ويقولون إنه ادعى الألوهية والربوبية (القصص 38) (الشعراء 29) (النازعات 24) – نراه يطبق مبدأ الشورى ويطلب رأيَ كبار رجال الدولة ويسألهم قائلاً: "مَاذَا تَأْمُرُونَ" (الشعراء 35) ثم ينفذ اقتراحهم (الشعراء 38).

6263. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

6264 . |فهد|:218؛ |منتخب|:351؛ |زحيلى-وجيز|:219؛ |ميسر|:178؛ |قرنى|:259؛ |بيضاوى|:444/1؛ |زادمسير|:53/4؛ |خالدى-أ|:10/3؛ |AYA|:501.

6265 . |ضيف|:359؛ |فهد-ن|:281؛ |Pickthall|:278؛ |Haleem|:219. انظر أيضاً |أشقر|:218؛ |ج-البغا|:280؛ |نسفى|:36/2؛ |عباس|:539.

6266 . يؤكد الكتاب المقدس بعهديه (الخروج 12:3) (أعمال الرسل 7:7) أن بنى إسرائيل خرجوا من مصر ليعبدوا الله. ولذلك وصفهم القرآنُ فى قصة الخروج القرآنية بـ "عِبَادِي" (الشعراء 52) (طه 77) (الدخان 23)، أى "عِبَادَ اللَّهِ" (الدخان 18).

6267 . "كما قال إبراهيم للذى حاجه فى ربه: "فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ"" (|طنطاوى-قصص|:373/1). انظر أيضاً تفسير ابن كثير (الشعراء 28)؛ |ج-البغا|:481؛ |زين|:204؛ |بدوى|:245/1؛ |أميرى|:319. ملحوظة: سنناقش فى الفصل القادم أوجه التشابه بين قصة موسى والملك (فرعون) وقصة إبراهيم والملك (نمرود).

6268 . فى التوراة، شعب إسرائيل هو ابن الله (أي: مُختاره؛ خليفته على الأرض). كذلك في الإنجيل، الشاب الإسرائيلي اليهودي يسوع المسيح هو ابن الله (أي: مُختاره؛ خليفته على الأرض).

6269 . سنتحدث عن الضربات العشر **[← الآيات التسع]** فى فصل آخر مستقل.

6270 . |منتخب|:264. انظر أيضاً |أميرى|:40. قارن بين تصديق المسلمين أن العصا صارت (أى: تحولت) ثعباناً حقيقياً وعدم تصديقهم أن الله صار (أى: اتخذ) جسداً حقيقياً.

6271 . سنتحدث عن هذه الضربات العشر **[← الآيات التسع]** فى فصل آخر مستقل.

6272 . |Prose|:238.

6273 . |باش|:230/1.

6274 . |ماوردى|:445/2؛ |زادمسير|:53/4.

6275 . |كثير|:136/5؛ |كثير-شيخ|:109/9؛ |كثير-شاكر|:411/2؛ |كثير-صابونى|:410/2؛ |كثير-شنقيطى|:1076. انظر أيضاً |طنطاوى-قصص|:244/2؛ |شحاته|:2955/8؛ |بدوى|:261/1.

6276 . |قرطبى|:107/14.

6277 . |كثير-شيخ|:353/9؛ |كثير-طيبة|:305/5. انظر أيضاً |ظلال|:2343/4؛ |خالدى-أ|:476/2؛ |و|:114/7/1-115.

6278 . كما تتحوَّل بعض الممثلات والمطربات والراقصات "التائبات" فجأة إلى دعاة بمجرد اعتزالهن!

6279 . وفى موضع آخر: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا" (فاطر 36).

6280 . |Vermes|:133؛ |WAC|:56؛ |NRSV|:2026.

6281 . |آرثر|:2146. انظر أيضاً |EJ|:700/7؛ |OTP|:430/2؛ |Sidersky|:86-87.

6282 . |Sidersky|:76-77، 79-80؛ |EJ|:535/14؛ |تلمود|:160-161؛ |JSB|:135. وسنعود مرة أخرى إلى زيارة يثرون لموسى عند حديثنا عن قصة "موسى والخضر" (الكهف 60-82).

6283 . سنتحدث عن أوجه التشابه والارتباط بين قصتى موسى وإيليا (اسمه فى القرآن: "إلياس") عند حديثنا عن قصة "موسى والخضر" (الكهف 60-82).

6284 . |و|:250/9/1. انظر أيضاً |كثير-هاشمى|:286؛ |كثير-بديوى|:347؛ |رمضان|:232/2.

6285 . |عرائس|:168. انظر أيضاً |قرطبى|:105-104/21؛ |شرقاوى|:398.

6286 . (أبو يعلى 6431؛ صحيح موقوف على أبى هريرة |يعلى|:316/11؛ |يعلى-حق|:35/6)؛ (|صحيحة|:37-35/6 رقم 2508). وقال الهيثمى: "رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح" (|هيثمى|:218/9). وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى (المستدرك 496/2؛ |حاكم|:538/2). انظر أيضاً |نبلاء|:552-551/1.

6287. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

6288 . |و|:250/9/1. انظر أيضاً |طبرى-تاريخ|:413/1؛ |طبرى-قصص|:266؛ |ج-البغا|:412؛ |خالدى-أ|:479/2؛ |بدوى|:255/1؛ |عرائس|:170،167؛ |أميرى|:330؛ |EI-2|:639/7.

6289. 425 لحظات قرآنية, https://www.youtube.com/watch?v=Y3uXWCekTNg

6290 . |GR-AQ|:371. اقرأ أيضاً تعليقه على (الأعراف 124) (|GR-AQ|:272).

6291 . |IVP-OT-ar|:101-100/1؛ |IVP-OT|:72.

6292 . |طنطاوى-قصص|:238/1. انظر أيضاً |خالدى-أ|:148/2.

6293 . |بكر|:117.

6294 . كريمة كطيبي، "قصة يوسف بين التوراة والقرآن الكريم: الخصائص الفنية". دمشق: دار صفحات. الإصدار الأول، 2016. ص 145.

6295 . راجع ما قلناه عن سَرِيَّة كُرْز بن جابر الفهريّ إلى الْعُرَنِيّين.

6296 . |كتابية|:30-29/5.

6297 . |آرثر|:817. انظر أيضاً |NIV|:717؛ |دراسى|:1170؛ |KJV-arch|:1523. وسنتحدث عن الجذور الفارسية لقصة موسى وفرعون القرآنية فى الفصل القادم عند حديثنا عن "هامان" وعن آيات "توريث الأرض".

6298 . |نسفى|:374/2.

6299 . |واحدى|:214/3. انظر أيضاً |زادمسير|:307/5.

6300 . |بدوى|:254/1.

6301 . |هشام|:228-227/1؛ |كثير|:289-288/5؛ |كثير-شيخ|:340-339/9؛ |كثير-طيبة|:295/5؛ |خالدى-أ|:395/2. انظر أيضاً |EJ|:538/14 وكتاب "شعراء النصرانية في الجاهلية"، مرجع سابق، ص 226.

6302 . أما الكتاب المقدس فيحدثنا عن "أَعْمِدَةُ السَّمَاوَاتِ (أي: الجبال)" (أيوب 11:26)! و "أَعْمِدَةَ الأَرْضِ" (1 صموئيل 8:2) (المزامير 3:75) (أيوب 6:9)! قيل إنها تعبيرات مجازية تصوّر ثبات السَّمَاوَاتِ والأرض!

6303 . ملحوظة: سنناقش فى الفصل القادم أوجه التشابه بين قصة موسى والمَلِك (فرعون) وقصة إبراهيم والمَلِك (نمرود).

6304 . راجع ما قلناه مثلاً عن الجذور المسيحية السريانية للحوار بين ابْنَيْ آدَمَ قُبيل مقتل هابيل (المائدة 27-29) وكذلك الجذور المسيحية السريانية للحوارات الموجودة بكثرة في قصة يوسف؛ مثلاً: (يوسف 70-75).

6305 . "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ (by grace) مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ (through faith)، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ" (أفسس 8:2). وكذلك في العهد القديم أيضاً: "لأَنَّهُ لا لأجلِ برّنا نَطرَحُ تضرُّعاتِنا أمامَ وجهِكَ، بل لأجلِ مَراحِمِكَ العظيمَةِ" (دانيال 18:9).

6306 . اكتفى القرآن بعبارة غامضة تدل على أن عقوبة هامان كانت بما يناسبه: "وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ [...] اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ [...]. فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ" (العنكبوت 39-40). لكن كيف هلك هامان؟ وكيف أخذه اللهُ بذنبه وعاقبه بما يناسبه؟ الإجابات ليست فى القرآن، وإنما فى العهد القديم (سفر أستير).

6307 . |كثير-هاشمى|:368-367؛ |كثير-بديوى|:442؛ |كثير-ك|:108/2.

6308 . قبل الخروج (|خالدى-أ|:71-70/3)! بعد الخروج (|خالدى-ب|:577)!

6309 . الذين يؤيدون الديكتاتور داخل دولتهم، لكن حين يمرضون يسافرون إلى الدول الغربية الديمقراطية من أجل العلاج!

6310 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

6311 . قائل هذه الجملة هُمْ قوم قارون، أى قوم موسى. سؤال: هل يوجد أى دليل علمى وتاريخى أو حتى دليل كتابى على أن قوم موسى المعاصرين له كانوا يعرفون "الدَّارَ الْآخِرَةَ"؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإن هذه الجملة هى إذن مجرد إضافة مِن خيال أصحاب القرآن.

6312 . فرعون – الذي يقولون عنه طاغية (النازعات 17) (طه 24، 43، 45) ومتكبر (غافر 27) – لم يقتل موسى، رغم أنه كان يستطيع ذلك قصاصاً مِن موسى وعقاباً له على جريمة القتل التى ارتكبها قبل أن يهرب إلى مدين. أما فى كثير من المجتمعات المنكوبة بالثقافة العربية-الإسلامية إلى اليوم، فإن المفكرين والمثقفين والمعارضين مهددون بالسجن أو القتل، وأحياناً يُقتَلون، لمجرد أنهم يعبرون عن آرائهم!

6313 . نفس الذرائع التي يقولها اليوم أي ديكتاتور لقمع أي فكر عقلاني ينادي بالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان. ذريعة الحفاظ على الدين: "إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ"، وذريعة الحفاظ على الأمن القومي: "أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ"!

6314 . سؤال: هل يوجد أى دليل علمى وتاريخى أو حتى دليل كتابى على أن موسى نادى بالإيمان "بِيَوْمِ الْحِسَابِ"؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإن هذه الجملة هى إذن مجرد إضافة مِن خيال أصحاب القرآن.

6315 . قائل هذه الجملة هو "مؤمن آل فرعون"، أى أنه مصرى. سؤال: هل يوجد أى دليل علمى وتاريخى أو حتى دليل كتابى على أن المصريين القدماء أيام موسى كانوا يعرفون قصص "قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ"؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإن هذه الجملة هى إذن مجرد إضافة مِن خيال أصحاب القرآن.

6316 . سؤال: هل يوجد أى دليل علمى وتاريخى أو حتى دليل كتابى على أن المصريين القدماء قالوا "لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ يوسف رَسُولًا"؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإن هذه الجملة هى إذن مجرد إضافة مِن خيال أصحاب القرآن.

6317 . قائل هذه الجمل (غافر 38-44) هو مؤمن آل فرعون، أى أنه مصرى. سؤال: هل يوجد أى دليل علمى وتاريخى أو حتى دليل كتابى على أن المصريين القدماء أيام موسى كانوا يعرفون "الجنة" (غافر 40) و "النار" (غافر 41، 43)؟! إذا كانت الإجابة "لا"، فإن هذه الجمل هى إذن مجرد إضافات مِن خيال أصحاب القرآن.

6318 . يستدل كثير من المسلمين بهذه الآية (غافر 46) على ما يُسمَّى بـ "عذاب القبر" (عذاب البرزخ)! قال ابن كثير: "أرواحهم تُعرَض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يومُ القيامة اجتمعت أرواحُهم وأجسادهم فى النار؛ [...]. وهذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور" (|كثير-شيخ|:193/12؛ |كثير-طيبة|:146/7)!

6319 . عقيدة "عذاب القبر" في الإسلام قد تكون مستوحاة من فَهْمٍ خاطئ لآية في سفر أيوب: "اَلأَخْيِلَةُ تَرْتَعِدُ مِنْ تَحْتِ الْمِيَاهِ وَسُكَّانِهَا (أو: أرواحُ الأمواتِ تَرتَعِدُ تحتَ الأرضِ)" (أيوب 5:26). وراجع ما قلناه عن الهاوية (Hades) والجحيم (Hell).

6320 . |كثير-شيخ|:511/10؛ |كثير-طيبة|:278/6. انظر أيضاً |سعدى|:631.

6321. "*The Cry* [الصَّيْحَةُ] is also interpreted to indicate lightning and its accompanying thunder. Thus in this verse human beings are destroyed by the four traditional elements: (1) fire, through lightning or *the Cry*; (2) water, through drowning; (3) earth, which engulfed them; and (4) air, by whose wind God *sent a torrent of stones* [حَاصِبًا]" (|Nasr|:976).

6322 . ومصيرهم فى الآخرة هو نار جهنم: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ. كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ. قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ" (آل عمران 10-12). "كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ. [...]. كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ" (الأنفال 52-54). اقرأ أيضاً (القصص 39-42) (هود 98-99).

6323 . |كشاف-ش|:957؛ |كشاف-ع|:348/5؛ |نسفى|:212/3. اقرأ أيضاً (ص 10) (البقرة 166) و |QHC|:199-200؛ |QHC-ar|:297-298. واستخدم القرآنُ كلمة "سبب" فى موضع آخر بمعنى "حبل" يؤدى إلى الانتحار شنقاً، حسب أقوال المفسرين! "مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ (أى: مَنْ كَانَ يعتقد أَنْ اللَّه لَنْ يَنْصُرَ محمداً) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ (أى: بحبلٍ) إِلَى السَّمَاءِ (أى: إلى سقف بيته!) ثُمَّ لِيَقْطَعْ (ليخنق به نفسه!) فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ" (الحج 15)! أو كما نسمع مسلماً اليوم يقول لمَن يخالفوه أو يُعارضوه: موتوا بغيظكم!

6324 . |مقاتل|:345/3؛ |Reynolds|:99؛ |واحدى|:399/3، 13/4؛ |واحدى-وجيز|:819/2؛ |أشقر|:390؛ |وجدى|:512.

6325 . |خالدى-أ|:499/2؛ |خالدى-ب|:729.

6326 . |Holman|:60-61؛ |NG-Atlas|:126.

6327 . لمعرفة العلاقة بين "برج بابل" و "صَرْح فرعون"، انظر |Reynolds|:101-103؛ |QHC-2|:468-470.

6328 . |كشاف-ش|:803؛ |كشاف-ع|:507/4. انظر أيضاً |بدوى|:250/1.

6329 . |NIV|:22-49،23؛ |دراسى|:34-76،35-77؛ |قاموس-كتاب|:156؛ |KJV-arch|:20؛ |IVP-OT|:41-60،42.

6330 . |RHCharles|:28/2؛ |OTP|:76/2؛ |Kugel|:228؛ |Reynolds|:101. كما سبق وقلنا: كتاب اليوبيلات هو أحد كتب سوديبِجرافا العهد القديم وكُتِب فى النصف الأول مِن القرن الثانى قبل الميلاد (تقريباً 161-140 ق.م)، أى قبل ظهور الإسلام بأكثر من 700 سنة. ولهذا الكتاب المهم نسخٌ أثيوبية يعود تاريخها إلى ما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد، أى أن المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة (أثيوبيا) فى بدايات القرن السابع الميلادى قد وجدوه هناك.

6331 . |هامش|:47/16؛ |RHCharles|:380/2؛ |OTP|:364/1؛ |Kugel|:229؛ |Reynolds|:101. يعود تاريخ الكتاب الثالث من الأقوال السيبليَّة إلى القرن الثاني الميلادي وربما قبل ذلك، أي: قبل ظهور الإسلام بأكثر من 400 سنة.

6332 . |Kugel|:229؛ |Reynolds|:101-102؛ |OTP|:664-665/1؛ |RHCharles|:534-535/2؛ |BT|:586/16؛ |NPNF-2|:204/13.

6333 . |NIV|:22؛ |دراسى|:34-35؛ |ملطى|:التكوين/132-135؛ |نطرون|:التكوين/185-188؛ |آرثر|:75؛ |Kugel|:228؛ |Wild-2|:33.

6334 . |بارى|:631/1؛ |بارى-طيبة|:169/2.

6335 . |منتخب|:805. انظر أيضاً |ضيف|:753؛ |أشقر|:453.

6336 . |نطرون|:التكوين/185-188؛ |NPNF-1|:312-313/2؛ |Kugel|:229-232؛ |Wild-2|:33؛ |Reynolds|:101-102؛ |QHC-2|:470.

6337 . |Reynolds|:103؛ |QHC-2|:470.

6338 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:834/4/135).

6339 . |Midrash|:307/1؛ |QHC-2|:471.

6340 . |QHC-2|:472.

6341 . |طنطاوى-قصص|:508/1. انظر أيضاً |جزائرى|:534/4؛ |بشير|:259/4.

6342 . وما زال المسلمون يعتبرون الجامِع (المسجد) "بَيْت اللهِ" (beth-el).

6343 . |و|:285/8/1. انظر أيضاً |AYA|:962.

6344 . |مجلس|:461،463. انظر أيضاً |EQ|:399/2.

6345 . |نجار|:223. انظر أيضاً |بدوى|:249/1؛ |رمضان|:235/2.

6346 . |جزائرى|:74/4. انظر أيضاً |شوقى-قصص|:242؛ |منتخب|:682؛ |غزالى|:299؛ |سعدى|:612.

6347 . |بهجت|:215-216.

6348 . لمعرفة العلاقة بين "هامان" الكتابى و "هامان" القرآنى، انظر |Reynolds|:103-105.

6349. |NABRE|:RG\223. See also |BSOAS|:69\2\209-223.

6350 . لمزيد من التفاصيل عن سفر أستير وقانونيته، انظر |NIV|:713-714؛ |دراسى|:1162-1163؛ |KJV-arch|:737؛ |يسوعية|:العهدالقديم/927-928؛ |AFU|:630-631؛ |JSB|:2148؛ |EB|.

6351 . مُرْدَخَاى/موسى/إبراهيم. الأسماء مختلفة، لكن الشخصية (character) واحدة، وهى شخصية البطل المؤمن الذى يعمل فى سبيل الله. صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما كل قصة هى تطور بشرى طبيعى للقصص التى تسبقها.

6352 . هامان/فرعون/نمرود. الأسماء أو الألقاب مختلفة، لكن الشخصية (character) واحدة، وهى شخصية الحاكم الجبار غير المؤمن الذى يعمل فى سبيل الشيطان ضد الله. صدفة؟! قطعاً ليست صدفة، وإنما كل قصة هى تطور بشرى طبيعى للقصص التى تسبقها.

6353 . اسمه "طالوت" فى القرآن (البقرة 246-249).

6354 . |دراسى|:1162؛ |NIV|:713.

6355 . "لا يعرف التاريخ وَشْتِي، ولا يعرف أستير" (|يسوعية|:العهدالقديم/930). تعليقنا: الاعتراف بالحق فضيلة.

6356 . |دراسى|:1167؛ |NIV|:716. انظر أيضاً |JSAI|:34/295-296؛ |Witztum|:219-222. تعليقنا: الاعتراف بالحق فضيلة.

6357 . توجد آية واحدة أخرى ذكرت اسم "يوسف" خارج سورة يوسف، وهى (الأنعام 84)، لكنها مجرد "قائمة أنبياء" (list of divine messengers) (enumeration of prophets).

6358 . قال العالم الكبير (Craig S. Keener) تعليقاً على (أعمال الرسل 7:8-16)، وهو جزء من الخطبة الطويلة التى ألقاها القديس استفانوس (Saint Stephen) أمام مجمع اليهود "السنهدريم" (Sanhedrin): "كان السامريون يرون يوسف وموسى على أنهما أعظم القادة فى الماضى. وكذلك وقّرهم الأدب اليهودى كثيراً" (|IVP-NT-ar|:46؛ |IVP-NT|:336).

6359. “Heb. "talah" may mean "to hang" or "to impale a dead body." Impalement was not the method of execution but a way of disgracing a person through the public display of his corpse. (Cf. Gen. 40:19; Deut. 21:22; Josh. 8:29, 10:26; 1 Sam. 31:10)” (|JSB|:1625).

6360 . "كلمة "يصلب" ومشتقاتها في سفر أستير 14:5 ، 7:9-10 معناها "يشنق" أو "يُعلق"" (|كتابية|:29/5).

6361. |JSAI|:34\291. See also |BT|:7\102.

6362 . |ظلال|:2677/5.

6363 . |صابونى|:192. انظر أيضاً |بدوى|:262/1؛ |يعقوبى|:36/1؛ |عرائس|:175.

6364 . قال د. محمد عابد الجابرى: "فرعون هنا رمز لأبى جهل، وكان قد طالب باغتيال النبى (ﷺ) قبل الحصار (أى: حصار قريش لمحمد)" (|جابرى|:104/2)، وقال إن أبا جهل هو "فرعون قريش" (|جابرى|:109/2). انظر أيضاً |و|:165/3/2.

6365 . |Kugel|:423-424.

6366. |هامش|:5\45;
https://boulosfeghali.org/2017/frontend/web/index.php?r=site/inner&ID=40

6367. “all of whom set their eyes on what they did not have coming to them. What they wanted was not given to them, and what they had in hand was taken away from them” (|BT|:11\41).

6368. “Though killed by the stone, Goliath is finished off with his own sword” (|JSB|:581).

6369 . |Mishnah|:294؛ "بمعنى أنه يقدِّر للإنسان بالقدر الذي ينتهجه، فالجزاء من جنس العمل" (|قاهرة|:201/21). وانظر كيف طَبَّق التراث اليهودي هذه القاعدة على قصة يوسف (|JSB|:94؛ |Potiphar|:81-84، 92).

6370 . انظر أمثلة أخرى في |Kugel|:166-167.

6371 . قال الشيخ الشعراوى: "أئمة فى الدين، وفى سياسة الأمور والملك" (|شعراوى-قصص|:199). وقال الشيخ عبد الرحمن السعدى: "أئمة فى الدين، وذلك لا يحصل مع الاستضعاف، بل لا بد من تمكين فى الأرض، وقدرة تامة" (|سعدى|:612).

6372 . ويمكن أيضاً أن نسميها آيات "الاستخلاف فى الأرض" أو "التمكين فى الأرض" أو "النصر والتمكين بعد الاستضعاف".

6373 . ويُقال إن سعد بن أبي وقاص (قائد المسلمين فى معركة القادسية ضد الفرس) قرأ آيات توريث الأرض "كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ" (الدخان 25-28) بعد أن انتصر المسلمون على الفرس ودخلوا قصر كسرى ملك الفرس (|جنة|:230). وهذا يدل على أن سعداً قد ربط بين هذه الآيات وأرض فارس. وفى كلتا الحالتين، نجد انتصار الإيمان (اليهود أو المسلمين) على الكفر (هامان أو كسرى).

6374. |JSAI|:34\300.

6375 . |و|:274-273/9/1.

6376 . |طبرى|:310/18؛ |طبرى-تاريخ|:443/1؛ |طبرى-قصص|:294.

6377 . أو ربما تَعلَّق الأمر بثورتين: إحداهما بقيادة قُورَح (قارون) والأخرى بقيادة دَاثَان وَأَبِيرَام، ثم تم دمجمهما لاحقاً فى قصة واحدة. انظر تفاسير (العدد 16)؛ |EJ|:331/15.

6378 . يقول حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما إن محمداً قَسَّم الغنائم يوم حُنَيْن، لكنه آثَرَ أُنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ (أي: أعطاهم أكثر أو أفضل مِن غيرهم). فاعترض رَجُلٌ وقَالَ: "وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ". فغضب محمدٌ غضباً شديداً وقال: "فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ" (البخارى 2981 وروايات أخرى) (مسلم 1062). تعليقنا: إن هذه الجملة التي قالها محمدٌ تدل على معرفته بقصة قارون أو القصص الأخرى المشابهة لها في التراث اليهودي.

6379 . وفى موضع آخر، قالت التوراة إن مجموعة مِن بنى إسرائيل قد "رَأَوْا اللهَ" (الخروج 24:11). وفى الإنجيل، قَالَ فِيلُبُّسُ (Philip) ليسوع: "يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا". فقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يوحنا 14:8-9).

6380 . تقول أسطورة إسلامية فى البخارى ومسلم (أصح كتابين بعد القرآن!) إن جماعة مِن قوم موسى اتهموه بعيبٍ فى جسمه، إما بَرَص وإما أُدْرَة (أى: انتفاخ الخصيتين!)، فأراد الله أن يُبرئ موسى مِن هذه التهمة. فلما ذهب موسى يوماً ليغتسل وخلع ثوبه ووضعه على حَجَر، فَرَّ الحجرُ بثوبه! فَجَرى موسى - وهو عريانٌ! - وراء الحجر حتى شاهده بنو إسرائيل عُرْياناً لا يستر جسمَه شيء، فعلموا أنه ليس به بَرَصٌ ولا أُدْرَة! وتنتهى الأسطورة بأن موسى ضرب الحجرَ! (البخارى 3223) (مسلم 339). وتقول أسطورة إسلامية أخرى إن قارون حرّض امرأة على قذف موسى بنفسها (أى: تتهم موسى بأنه زنى بها)، إلا أن الله هداها إلى أن تعترف ببراءة موسى مِن هذه التهمة. وتوجد أساطير أخرى. انظر تفاسير (الأحزاب 69) (الصف 5)، و |بيضاوى|:253/2؛ |وجدى|:561؛ |خالدى-أ|:345/3-348؛ |خالدى-ج|:284-285؛ |زادمسير|:425/6-426. ونحن نرى أن الجذور التوراتية لـ (الأحزاب 69) (الصف 5) تكفى لتفسيرهما، ولا داعى لأساطير البخارى ومسلم وغيرهما.

6381 . فكرة العقاب الإلهى بـ "الصاعقة" أو بـ "نار من عند الرب" موجودة فى مواضع أخرى من الكتاب المقدس، مثل: (العدد 11:1-3) و (اللاويين 10:1-2) و (الرؤيا 9:20).

6382 . قصة بلعام مذكورة فى التوراة (العدد 22-24)، ويُعتقَد أن القرآن أشار إليه بدون ذِكر اسمه فى (الأعراف 175-176).

6383 . |باش|:260/1.

6384 . "وَأَمَّا بَنُو قُورَحَ فَلَمْ يَمُوتُوا" (العدد 26:11). "بنو قُورَح" (Sons of Korah) أو "القُورَحيّون" (Korahites) هُمْ "نسل قُورَح بْنُ يِصْهَارَ بْنِ قَهَاتَ بْنِ لاَوِى، وقد اشتهر بعضهم بالغناء [...]. واسمهم فى عنوان أحد عشر مزموراً من المزامير وهى: 42 و 44-49 و 84-85 و 87-88" (|قاموس-كتاب|:747). انظر أيضاً |كتابية|:260/6-262.

6385 . |Reynolds|:37؛ |ربيع|:100؛ |هامش|:5/10. "التلمود البابلى اكتمل زهاء عام ستمائة" (|قاهرة|:293/42).

6386. 45 التاريخ المبكر للإسلام, https://www.youtube.com/watch?v=rrMagxhx8HE

6387 . |BT|:552/4؛ |BT|:592/16؛ |Reynolds|:105؛ |Masson|:904؛ |Aldeeb|:168؛ |Sidersky|:96-97؛ |EJ|:538/14؛ |EI-2|:639/7.

6388 . |طبرى|:313/18؛ |طبرى-تاريخ|:444/1؛ |طبرى-قصص|:295. انظر أيضاً |عرائس|:190؛ |بدوى|:289/1.

6389 . |قاسمى|:4726/13.

6390. |BT|:16\593. See also |JSAI|:34\299-300; |EJ|:12\299.

6391 . أما الفرح المباح فى الإسلام فهو: "بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ (أى: بنعمته) فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [مِن متاع الدنيا وزينتها]" (يونس 58)؛ والفرح بـ "إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ (أي: النصر أو الشهادة)" (التوبة 52): "يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ [الأحياء]. بِنَصْرِ اللَّهِ" (الروم 4-5)؛ والشهداء "أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ

لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ" (آل عمران 169-171).

6392 . ويقول التراث الإسلامي إن (الأنعام 33) نزلت في أبي جهل "فرعون قريش" "فرعون هذه الأمة". صدفة؟!

6393 . لم تقل التوراة ولا الإنجيل شيئاً عن ثراء قُورَح وكنوزه. ولم يُذكَر قُورَح فى الإنجيل إطلاقاً، ولم يُذكَر فى العهد الجديد كله إلا فى آية واحدة فقط هى (يهوذا 1:11).

6394 . |و|:273/9/1؛ |بكر|:239.

6395 . |عاشور|:174/20. ملحوظة: الوليد بن المغيرة هو والد خالد بن الوليد. وقد مات كافراً.

6396 . "هكَذَا سُبُلُ كُلِّ النَّاسِينَ اللهَ، وَرَجَاءُ الْفَاجِرِ يَخِيبُ، فَيَنْقَطِعُ اعْتِمَادُهُ (أي: ما يَعْتَمِدُ عليه؛ ما يَتكِلُ عليه)، وَمُتَّكَلُهُ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ! يَسْتَنِدُ إِلَى بَيْتِهِ فَلاَ يَثْبُتُ. يَتَمَسَّكُ بِهِ فَلاَ يَقُومُ" (أيوب 8:13-15) **[← "مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ" (العنكبوت 41)]!**

6397. |QSC|:286. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-033

6398 . (مسلم 2088؛ |م|:1653/3-1654). انظر أيضاً |خالدى-أ|:62/3-64.

6399 . (البخارى 5453/5454؛ |خ|:2182/5-2183). انظر أيضاً |خالدى-أ|:62/3-64.

6400 . |IVP-OT|:530،153؛ |دراسى|:1341؛ |NIV|:840.

6401 . (مسلم 2849؛ |م|:2188/4؛ |م-نووى|:269/17-270) (البخارى 4453؛ |خ|:1760/4).

6402 . الخلاف الإسلامى-الإسلامى حول اسم مؤمن آل فرعون (|صابونى|:183؛ |كشاف-ش|:955؛ |كشاف-ع|:342/5؛ |ماوردى|:152/5؛ |طبرى-تاريخ|:407/1؛ |طبرى-قصص|:260؛ |خالدى-ب|:709-710؛ |عرائس|:151؛ |جزائرى|:528/4؛ |أيوب|:133؛ |شاكر|:167؛ |بدوى|:221/1). انظر أيضاً |Sidersky|:81-82.

6403 . صاحب هذا الرأى العجيب كاتب سعودى. اقرأ تعليق د. إبراهيم عافية عليه ونقده (|عافية|:797/2-812).

6404 . هذه هى الجملة الوحيدة التى قالها (المتهم) موسى: "إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ" (غافر 27). وهى تقريباً نفس الجملة التى قالها (المحامى) مؤمن آل فرعون فى نهاية دفاعه: "أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ" (غافر 44). كلاهما لجأ إلى الله (القاضى الأعلى).

6405 . |غزالى|:365.

6406 . انظر |Aldeeb|:261؛ |GR-AQ|:713.

6407 . ومِن الجدير بالذكر أن يسوع المسيح قد اتبع نفس الأسلوب حين لطمه وَاحِدٌ مِنَ الْخُدَّامِ، فقال له يسوع: "إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيًّا فَاشْهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ، وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟" (يوحنا 18:23).

6408 . ومِن الجدير بالذكر أن أصحاب القرآن قد اتبعوا نفس الأسلوب في قصة يوسف: "إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (يوسف 26-27). وهذه ليست المرة الأولى ولا الأخيرة التي نجد فيها تشابهاً بين قصتي موسى ويوسف القرآنيتين.

6409 . |رازى|:59/27.

6410 . (البخارى 4537؛ |خ|:1814/4-1815). انظر أيضاً |جنة|:19 وتفاسير (غافر 28).

6411 . |خالدى-أ|:481/2.

6412 . |جابرى|:109/2.

6413. “This warning is akin to similar warnings issued to the disbelievers throughout the Quran, though it differs in that a prophet does not issue it” (|Nasr|:1145).

6414 . |زادمسير|:221/7.

6415 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Neuwirth|:295-296.

6416. |JSAI|:34\285-308. See also |QHC-2|:467-477; |Neuwirth|:295.

6417. “Like Joseph (Gen 37:2–50:26), Daniel (Dan 1:1–28), Mordecai (Esth 1–11), and Tobit (Tob 1:1–14:15) – where Ahiqar appears as Tobit’s nephew (Tob 1:21–22;

4QTobarama) – Ahiqar is a wise man whose fortunes rise and fall, but, in the end, he prevails” (|OTParallels|:303).

6418. |JSAI|:34\301.

6419 . |OTP|:479/2-507؛ |ANET|:427-430؛ |Coogan|:207-209؛ |OTParallels|:303-309؛ |Hays|:97-112؛ |Reynolds|:104-105.

6420 . أنيس فريحة، "أحيقار: حكيم من الشرق الأدنى القديم"، بيروت: جامعة بيروت الأميركية، منشورات كلية العلوم والآداب، سلسلة العلوم الشرقية، الحلقة الأربعون، 1962، ص 26.

6421 . كما بدأت المشكلات فى حياة سنوحى (موسى) مع قيام ملك جديد على مصر. راجع ما قلناه عن سنوحى (موسى).

6422 . وبذلك قد تكون قصة أحيقار هى أقدم أسطورة تقول: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 157)!

6423. |QHC-2|:474; |JSAI|:34\301-303; |Reynolds|:104-105. See also |Hays|:105.

6424 . أنيس فريحة، "أحيقار: حكيم من الشرق الأدنى القديم"، مرجع سابق، ص 70.

6425 . |بيضاوى|:228/2. انظر أيضاً |كثير-شيخ|:53/11؛ |كثير-طيبة|:336/6؛ وقال المحققون: "انظر التعريف والإعلام للسهيلى : 100-101، والمعارف لابن قتيبة : 55" (|كثير|:338/6). وتحقيق سيرة ابن هشام |هشام|:427/1.

6426 . ولذلك فإنه يُسمَّى "سفر طوبيًّا" ويُسمَّى أيضاً "سفر طوبيت". انظر |يسوعية|:العهدالقديم/875؛ |NABRE|:578.

6427 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/9؛ |رعائية|:الكتب اليونانية/12. انظر أيضاً |يسوعية|:العهدالقديم/884-885؛ |EOSB|:569؛ |Septuagint|:Apocrypha/26؛ |NETS|:463؛ |RSV|:367؛ |NABRE|:584.

6428 . عن العلاقة بين قصة أحيقار الأشورية وسفر طوبيًّا اليهودى وقصة لقمان القرآنية العربية، انظر |QHC-2|:474-475.

6429 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/18؛ |رعائية|:الكتب اليونانية/20. انظر أيضاً |Reynolds|:104؛ |يسوعية|:العهدالقديم/898؛ |EOSB|:576-577؛ |Septuagint|:Apocrypha/34-35؛ |NETS|:476-477؛ |RSV|:373؛ |NABRE|:595.

6430. |JSAI|:34\302. See also |QHC-2|:474.

6431 . انظر |Reynolds|:104-105.

6432 . انظر |QHC-2|:476؛ |OTP|:479/2.

6433 . |BT|:52/11؛ |BT|:567/16؛ |Kugel|:507؛ |Reynolds|:105؛ |EI-2|:639/7؛ |تلمود|:159-161؛ |EJ|:356/11-357.

6434 . |Sidersky|:76-77، 79-80؛ |EJ|:535/14؛ |EJ|:357/11؛ |تلمود|:160-161؛ |JSB|:135.

6435 . |BT|:105/7؛ |QHC-2|:473.

6436 . |FV|:284؛ |Neuwirth|:305.

6437 . |EJ|:535/14.

6438 . مثلاً: قال شاعرٌ مصرى فى العصر الحديث: "محفوظ بيغنى يا ليل ... على دقة قلب زويل". فهذا أيضاً غير ممكن واقعياً، لكنه ممكن أدبياً وفنياً. وإنما أراد هذا الشاعر أن يجمع (conflate) بين مصريين حاصلين على جائزة نوبل فى بيت شعر واحد.

6439 . |RHCharles|:534/2-535؛ |OTP|:664/1-665. كانت أساطير الرحلات إلى السماء (Merkabah literature) منتشرة فى الشرق الأدنى القديم قبل ظهور الإسلام. وما "الإسراء والمعراج" إلا مجرد أسطورة من هذه الأساطير الشعبية. فى أسطورة الإسراء والمعراج، ركب محمد البراق وصعد إلى السماء فى صحبة الملاك جبريل ثم عاد إلى الأرض! وسنتحدث عن أسطورة الإسراء والمعراج فى فصل آخر مستقل.

6440. |JSAI|:34\294-295. See also: Stephen J. Shoemaker, "Ancient Traditions of the Virgin Mary's Dormition and Assumption", Oxford University Press, 2002, p. 304-306.

6441 . |EJ|:53/6.

6442 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

6443 . "يَا فِرْعَوْنُ"؟! ألم يكن صاحب (الإسراء 102) يعلم أن "فرعون" ليس اسماً؟ سؤال آخر: هل كان ممكناً فى ذلك الزمان أن يقول أحدٌ لفرعونَ "إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا" (الإسراء 102)؟!

6444 . |كثير-هاشمى|:304؛ |كثير-بديوى|:368؛ |كثير-ك|:50/2؛ |طنطاوى-قصص|:420/1؛ |شاكر|:170؛ |ضيف|:360؛ |خالدى-أ|:18/3؛ |بدوى|:261/1.

6445 . |جزائرى|:503/2.

6446 . |طنطاوى-قصص|:422/1.

6447. "One of the most common devices in midrashic and haggadic writings is to put quotations from the Psalms in the mouths of the Antediluvians and the Patriarchs" (|JSS|:19\2\235).

6448 . |شعراوى-حيو|:252؛ |شعراوى-عجز|:132؛ |صابونى|:190-191؛ |فهد|:377؛ |فهد|:292؛ |ميسر|:242؛ |بكر|:189؛ |أشقر-قصص|:226؛ |بشير|:291/3؛ |و|:252/9/1؛ |خالدى-أ|:24/3-25؛ |خالدى-ج|:253-254؛ |قرنى|:343؛ |عباس|:534؛ |AYA|:380.

6449 . |كثير|:122/5؛ |كثير-شيخ|:87/9؛ |كثير-طيبة|:124/5؛ |كثير-صابونى|:403/2؛ |كثير-شنقيطى|:1070.

6450 . |رازى|:64/21.

6451 . |واحدى|:130/3؛ |واحدى-وجيز|:649/2.

6452 . |كشاف-ش|:610؛ |كشاف-ع|:556/3. انظر أيضاً |بيضاوى|:583؛ |نسفى|:280/2.

6453 . |منتخب|:666.

6454 . |منتخب|:488.

6455 . الإسراء 101 (|جزائرى|:230/3). النمل 12 (|جزائرى|:10/4). انظر أيضاً |طبرى-تاريخ|:418/1؛ |طبرى-قصص|:272؛ |عرائس|:174،170.

6456 . |زحيلى|:194/8. وقال فى تفسير (النمل 12) إن الآيات التسع "هى فلق البحر، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، والطمسة، وجدب واديهم، ونقصان مزارعهم. ومَن عد العصا واليد من التسع جعل الأخيرين واحداً، ولم يعد الفلق منها؛ لأنه لم يبعث به إلى فرعون وقومه" (|زحيلى|:288/10).

6457 . |زحيلى-وجيز|:293. وقال فى تفسير (النمل 12) إن الآيات التسع "هى الطمس على الأموال، والطبع على القلوب، والجدب، والجراد، والقُمَّل (حشرة تصيب الزرع)، والدم (تحول الماء دماً)، والضفادع، والطوفان (الأمطار الكثيرة) ونقص الثمرات" (|زحيلى-وجيز|:378).

6458 . |طنطاوى-قصص|:350/1.

6459 . |رازى|:64/21.

6460 . |بيضاوى|:172/2.

6461 . |كشاف-ش|:777؛ |كشاف-ع|:434/4.

6462 . |نجار|:235-236؛ |بيضاوى|:584/1. انظر أيضاً |زادمسير|:92/5-93؛ |رازى|:64/21؛ |أشقر|:292.

6463 . التى تُسمَّى أيضاً "الْكَلِمَات الْعَشَر" (The Decalogue) (الخروج 34:28) (التثنية 4:10).

6464 . |ج-وطن|:217 مِن الحاشية. انظر أيضاً |ج-وطن|:292.

6465 . |باش|:230/1.

6466 . |بدوى|:248/1.

6467 . |IVP-OT|:82؛ |KJV-arch|:95.

6468 . |نطرون|:الخروج/190.

6469 . |بهجت|:233-234.

6470 . |IVP-OT|:82؛ |ESV-Luth|:107؛ |NIV|:97؛ |دراسى|:152؛ |KJV-arch|:95؛ |طنطاوى-قصص|:412/1.

6471. “National Geographic Exodus Revealed” https://www.youtube.com/watch?v=sawWSvHjqEE

6472. http://www.rmo.nl/collectie/zoeken?object=AMS+27+vel+1

6473 . |ANET|:441؛ |ESV-Luth|:107؛ |IVP-OT|:82؛ |AEL|:1/149-150.

6474 . ثم تكررت هذه الفكرة التوراتية فى آيات قرآنية كثيرة أخرى: "وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (يونس 12)؛ "وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ. ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ" (النحل 53-54)؛ "وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ (أى: غاب عنكم) مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا" (الإسراء 67). اقرأ أيضاً (الزمر 8)، (الزمر 49)، (يونس 22-23)، (لقمان 32)، (العنكبوت 65)، (الأنعام 63-64).

6475 . |IVP-OT|:83؛ |NIV|:98؛ |دراسى|:153؛ |KJV-arch|:95.

6476 . |بدوى|:257/1.

6477 . |ضيف|:279.

6478 . |IVP-OT|:83؛ |NIV|:98؛ |دراسى|:154.

6479. “National Geographic Exodus Revealed” https://www.youtube.com/watch?v=sawWSvHjqEE

6480 . وضع القرآنُ إيمانَ سحرة فرعون بعد معجزتى العصا واليد. راجع ما قلناه عن "يَنِّيس" (Jannes) و "يَمْبِريس" (Jambres) وعن الإضافات والمفارقات التاريخية التى أدخلها أصحابُ القرآن على هذا الجزء من القصة.

6481 . |IVP-OT|:83؛ |NIV|:98؛ |دراسى|:154؛ |KJV-arch|:98.

6482 . |IVP-OT|:83؛ |NIV|:99؛ |دراسى|:155؛ |KJV-arch|:99.

6483 . |منيس|:84.

6484 . |IVP-OT|:83؛ |NIV|:99؛ |دراسى|:156؛ |KJV-arch|:99.

6485 . "اَلرَّبُّ صَنَعَ الْكُلَّ لِغَرَضِهِ، وَالشِّرِّيرَ أَيْضًا لِيَوْمِ الشَّرِّ" (الأمثال 16:4).

6486 . |NIV|:100؛ |دراسى|:156؛ |IVP-OT|:83؛ |KJV-arch|:100.

6487 . |Septuagint|:OT/82؛ |NETS|:58؛ |سبعينية|:الخروج/77؛ |EOSB|:76.

6488 . |KJV-arch|:101؛ |IVP-OT|:83-84؛ |NIV|:100؛ |دراسى|:158؛ |شوقى-قصص|:246-249.

6489 . "بحر سوف" (Yam Suph) يُترجَم أحياناً إلى "البحر الأحمر" (La mer Rouge) (Red Sea). ونحن لا نفضل هذه الترجمة، وسنشرح السبب لاحقاً.

6490 . |IVP-OT|:84؛ |NIV|:101؛ |دراسى|:159.

6491. “National Geographic Exodus Revealed” https://www.youtube.com/watch?v=sawWSvHjqEE

6492 . "لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَمًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي" (هوشع 11:1).

6493 . |ملطى|:مرقس/260-261؛ |تطبيقى|:1958 و 2037 و 2149 و 2447. انظر أيضاً |تساؤلات|:1/71-73؛ |بسيط-صلب|:108-109.

6494 . "إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ (النجار) فِي حُلْمٍ قَائِلاً:«قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ (يسوع) وَأُمَّهُ (مريم) وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ». فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ (هوشع) الْقَائِلِ:«مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي»" (متى 2:13-15).

6495 . وفي التراث المصري القديم، "الخروج إلى النهار" هو الاسم الصحيح لِمَا يُسمَّى "كتاب الموتى".

6496 . |يسوعية|:العهدالقديم/163.

6497 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

6498 . "وَأَجْعَلُ أَرْضَ مِصْرَ مُقْفِرَةً فِي وَسْطِ الأَرَاضِي الْمُقْفِرَةِ، وَمُدُنَهَا فِي وَسْطِ الْمُدُنِ الْخَرِبَةِ" (حزقيال 12:29).

6499 . لكن في رواية أخرى (إبراهيم 5-8)، نجد أن موسى هو الذى قال هذه الجملة (إبراهيم 6)! "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا (التسع) أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ (أي: بأفعاله العظيمة؛ بنعمه ونقمه) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ (patient) شَكُورٍ. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ. وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ (أي: أعلمكم) لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ. وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ" (إبراهيم 5-8).

6500 . اقرأ أيضاً: (التكوين 14:15) (الخروج 3:20-22) (الخروج 2:11-3).

6501 . يؤكد الكتاب المقدس بعهديه (الخروج 12:3) (أعمال الرسل 7:7) أن الله أراد أن يُخرج بنى إسرائيل من مصر حتى يُخلصهم من العبودية والاضطهاد وحتى يعبدوه. ولذلك وصفهم أصحابُ القرآن فى قصة الخروج القرآنية بـ "عِبَادِي" (الشعراء 52) (طه 77) (الدخان 23)، أى "عِبَادَ اللَّهِ" (الدخان 18).

6502 . |مشتركة|:العهدالقديم/84؛ |مبسطة|:71؛ |عبرى|:111.

6503 . |ج|:370؛ |ج-البغا|:484؛ |ج-وطن|:370؛ |طبرى|:581/17؛ |بيضاوى|:156/2؛ |نسفى|:565/2؛ |واحدى|:354/3؛ |واحدى-وجيز|:790/2؛ |زادمسير|:126/5؛ |منتخب|:645؛ |شعراوى-قصص|:250،229؛ |أشقر|:370؛ |قرنى|:428. "سيهدينى لما فيه نجاتي ونجاتكم" (|فهد|:370؛ |سعدى|:592). قال موسى "إنَّ اللهَ معه، وإنه سيهديه إلى التصرف المناسب، وسيخلِّصُه من أعدائه [...] وأنا أوقن أنه سيهدينى ويخلِّصُنا منهم [...] فسوف يهدينى ويُنقذني" (|خالدى-أ|:85/3-86). بنو إسرائيل "ضجوا إلى نبى الله (موسى) لأنه المنقذ الذى أرسله الله لتخليصهم، فقال لهم: "كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ"" (|أيوب|:137). انظر أيضاً |وجدى|:484؛ |ظلال|:2599/5.

6504 . "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" (الحج 38).

6505 . تأمل في ضمير المتكلم "جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ". أي: "أنهم تجاوزوه بعنايته سبحانه وتأييده إياهم بفلق البحر، وتيسير الأمر، حتى كأنه كان معهم بذاته فجاوزه مصاحباً لهم. أو المعنى أننا أيدناهم ببعض ملائكتنا، فجاوز بهم البحر بأمرنا، [...]. ويجوز الجمع بين المعنيين" (|منار|:107/9). والمعنيان مذكوران في التوراة. المعنى الأول: "وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ [...]" (الخروج 21:13). المعنى الثاني: "مَلاَكُ اللهِ السَّائِرُ أَمَامَ عَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ [...]" (الخروج 19:14).

6506. 2020 محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

6507 . |كتابية|:117/4. ونفس الملاحظة لكن في سياق آخر: "الراء تشبه الدال في الخط العبري" (|معاصر|:1631).

6508 . "أَنْتُمْ [يا بنى إسرائيل] شَاهَدْتُمْ مَا فَعَلَ الرَّبُّ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ فِي أَرْضِ مِصْرَ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ عَبِيدِهِ وَبِكُلِّ أَرْضِهِ، التَّجَارِبُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي أَبْصَرَتْهَا عَيْنَاكَ، وَتِلْكَ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبَ الْعَظِيمَةُ" (التثنية 2:29-3) **[← "وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" (البقرة 50)].**

6509 . |Conrad|:39/24.

6510. “the Quran adapted and reshaped its materials [i.e. its sources]. Many factors influenced this process. The omission of Christological materials, the use of formulaic language, the impact of inner-Quranic parallels, and the tendency to further develop post-Biblical exegetical readings – to name but a few factors” (|Witztum|:265-266).

6511 . |NOAB|:99؛ |ESV-Luth|:120.

6512 . |يسوعية|:العهدالقديم/154؛ |مشتركة|:العهدالقديم/68.

6513 . |Septuagint|:OT/71؛ |NETS|:52؛ |سبعينية|:الخروج/17.

6514 . |دراسى|:804؛ |آرثر|:171؛ |ESV|:166.

6515 . فى ذلك الوقت، لم تكن قناة السويس قد حُفِرَت بعد.

6516 . الخريطة: |آرثر|:148.

6517 . أما حسب التوراة: مرتين ذهاباً وإياباً. راجع ما قلناه عن قصة يوسف في التوراة والقرآن.

6518 . |باش-موسى|:67-68.

6519 . |يسوعية|:العهدالقديم/175. الخريطة: |كتابية|:78/2.

6520 . |دراسى|:167-169؛ |NIV|:106-108. الخريطة: |دراسى|:168؛ |NIV|:107. |قاموس-كتاب|:164؛ |KJV-arch|:109؛ |ESV-Luth|:120؛ |NABRE|:97؛ |BibleUn|:53 والخرائط فى نهاية |ESV|؛ |NABRE|؛ |ESV-Ref|.

6521 . |IVP-OT|:89؛ |KJV-arch|:109؛ |ESV-Ref|:115. الخريطة: |IVP-OT|:87؛ |EJ|:6/620.

6522. “The Exodus Decoded” https://www.youtube.com/watch?v=XPJoWqeQ-sE

6523 . |كتابية|:2/77. الخريطة: |كتابية|:2/78.

6524 . |قاموس-كتاب|:341. |ESV-Ref|:115.

6525 . |نجار|:242. انظر أيضاً |خالدى-أ|:3/87-88.

6526. “National Geographic Exodus Revealed” https://www.youtube.com/watch?v=sawWSvHjqEE

6527 . |KJV-arch|:110-112. انظر الخريطة رقم 3 فى نهاية هذا المرجع.

6528 . |KJV-arch|:108؛ |NRSV|:107،100. الخريطة: |آرثر|:168؛ |NRSV|:106.

6529. “National Geographic Exodus Revealed” https://www.youtube.com/watch?v=sawWSvHjqEE . See also |IVP-OT|:549-550; |IVP-OT-ar|:107.

6530 . |NIV|:491؛ |دراسى|:804؛ |NABRE|:RG/121؛ |IVP-OT|:89-90؛ |ESV|:166.

6531 . "التوراة - ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام"، تحقيق وتقديم: أ.د. سهيل زكار، دمشق - بيروت: دار قتيبة، الطبعة الأولى، 2007، ص 28. وفى ص 56-58، قال: "الخليج العربى هو البحر الأحمر قديماً"، "وأحياناً أطلق اسم البحر الأحمر على بحر قزوين"، "وقد يكون بنو إسرائيل مِن العرب البائدة"، "ولاَ بُدَّ أن [داود] كان ملكاً آشورياً"، "والدولة العظمى التى حكمها سليمان (ابن داود) لا تتطابق ملامحها إلا مع الدولة الآشورية"، "وعلى هذا استعار كتابُ العهد القديم مِن تاريخ آشور". إذن: يبدو لنا أن د. سهيل زكار يشير إلى مكانٍ ما فى العراق أو فارس، وليس فى مصر (Egypt).

6532 . |فهد|:9. انظر أيضاً |منتخب|:15؛ |ميسر|:10؛ |ضيف|:22؛ |خالدى-أ|:3/240-241.

6533 . "وفى مصحف عبد الله، وقرأ به الأعمش: "اهْبِطُوا مِصْرَ" بغير تنوين، كقوله: "ادْخُلُوا مِصْرَ" (يوسف 99)" (|كشاف-ش|:79؛ |كشاف-ع|:1/276). انظر أيضاً |بيضاوى|:1/65.

6534 . |قاموس-كتاب|:494.

6535 . |NIV|:109؛ |NOAB|:102؛ |يسوعية|:العهدالقديم/177؛ |Septuagint|:OT/89؛ |NETS|:61؛ |مشتركة|:العهدالقديم/85؛ |سبعينية|:الخروج/109؛ |Samaritan|:159؛ |Peshitta|:82.

6536 . |NOAB|:101.

6537 . (البخارى 4403؛ |خ|:4/1722) (مسلم 1130-1131؛ |م|:2/795-796). انظر أيضاً |طنطاوى-قصص|:1/436؛ |أشقر-قصص|:239؛ |شاكر|:173؛ |خالدى-أ|:3/117-119؛ |قرنى|:428؛ |أيوب|:140.

6538 . (الترمذى 3107؛ |ت|:5/132؛ وقال الألبانى "صحيح بما بعده" |ت-ألبانى|:698؛ |ت-صحيح|:3/256) (أحمد 1/240؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:2/541-542؛ "صحيح موقوفاً على ابن عباس" |ل|:4/45-47). اقرأ أيضاً (الترمذى 3108) (أحمد 1/245) (أحمد 1/309) (أحمد 1/340). وذُكِر الحديث فى مراجع إسلامية كثيرة. انظر تفاسير (يونس 90).

6539 . |BT|:16/492؛ |Sidersky|:85.

6540 . دانيال/حزقيال/موسى/مُرْدَخَاى/إبراهيم. الأسماء مختلفة، لكن الشخصية (character) واحدة، وهى شخصية البطل المؤمن الذى يعمل فى سبيل الله.

6541 . نَبُوخَذْنَصَّر/فرعون/هامان/نمرود. الأسماء أو الألقاب مختلفة، لكن الشخصية (character) واحدة، وهى شخصية الحاكم الجبار غير المؤمن الذى يعمل فى سبيل الشيطان ضد الله.

6542 . انظر تفاسير (الأعراف 142-143) مثل |ج|:167؛ |ج-البغا|:214؛ |ج-وطن|:167؛ |بيضاوى|:1/358-359؛ |نسفى|:1/601. انظر أيضاً كتب قصص الأنبياء مثل |عرائس|:179؛ |أميرى|:310.

6543 . |AEL|:1/215-217؛ |Grandet|:68-72.

6544. “He placed one side of the lake’s water upon the other” (|AEL|:1\217). “Il plaça une moitié des eaux du lac sur l’autre” (|Grandet|:71).

6545 . |عبدالحليم|:183، 178.

6546 . |بدوى|:217/1.

6547. 506 الدليل, https://www.youtube.com/watch?v=tUJP6nTGiHw

6548 . |قاموس-كتاب|:341.

6549 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

6550 . "لعلهم مِن العرب" (|عباس|:556).

6551 . وفى رواية أخرى (إبراهيم 5-8)، يقول القرآن إن موسى هو الذى قال هذه الجملة (إبراهيم 6)!

6552 . وهذا يعنى أن التوراة فيها ما هو حَسَن وفيها ما هو أحسن. وكالعادة، يوجد رأى آخر يقول إن التوراة كلها كاملة الحُسْن، أى: كلها موصوفة بالحُسْن التام الكامل، وليس فيها حَسَنٌ وأحسن (|خالدى-أ|:149/3-150؛ |خالدى-ج|:262).

6553 . |Neuwirth|:313-318.

6554 . فى (طه 80-82) ينتقل الخطاب فجأة إلى بنى إسرائيل. يقول التقليد الإسلامى إن (طه 80-82) مكية. لكن هذه الآيات تشبه آيات مدنية أخرى (البقرة 47-64) موجهة إلى يهود المدينة. يبدو إذن أن (طه 80-82) قد أضيفت لاحقاً. لمزيد من التفاصيل، انظر |Neuwirth|:289، 311-312.

6555 . |طنطاوى-قصص|:453/1.

6556 . (1 ملوك 19:10-14) (نحميا 9:26) (متى 23:29-31) (لوقا 11:46-51) (أعمال الرسل 3:13-15) (أعمال الرسل 4:10) (أعمال الرسل 7:52) (رومية 11:3) (1 تسالونيكي 2:14-15) **[← "قَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ" (النساء 155) (البقرة 61، 87، 91) (آل عمران 21، 112، 181، 183) (المائدة 70)]**.

6557 . "أَطْعَمَكَ (الربُّ) فِي الْبَرِّيَّةِ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْهُ آبَاؤُكَ، لِكَيْ يُذِلَّكَ وَيُجَرِّبَكَ" (التثنية 8:16).

6558 . "السَّلْوَى" كلمة عِبرية أصلاً، وانتقلت مِن العِبرية إلى العربية، ربما عن طريق الآرامية (السريانية). لمزيد من التفاصيل، انظر |FV|:177-178؛ |Katsh|:58.

6559 . أخذ "المَنُّ" اسمَه مِن النطق العبرى "مَنْ هُوَ؟" (أى: ما هذا؟).

6560 . يأتي "الْمَنّ" دائماً فى القرآن مع "السَّلْوَى" (الأعراف 160) (طه 80) (البقرة 57). إذن: مِن الواضح أن الكلمتين قد انتقلتا سوياً مِن التراث اليهودى إلى القرآن، ربما عن طريق التراث المسيحى (السريانى). لمزيد من التفاصيل، انظر |FV|:271-272.

6561 . |شعراوى-عجز|:151. انظر أيضاً |JSB|:131-132.

6562 . "شَقَّ صُخُورًا فِي الْبَرِّيَّةِ، وَسَقَاهُمْ كَأَنَّهُ مِنْ لُجَجٍ عَظِيمَةٍ. أَخْرَجَ مَجَارِيَ مِنْ صَخْرَةٍ، وَأَجْرَى مِيَاهًا كَالأَنْهَارِ" (المزامير 78:15-16).

6563 . تُعرَف أيضاً باسم "بَرِّيَّةِ إِيثَامَ" (Desert of Etham) (العدد 33:8).

6564 . ويُعتقَد أن هذه العيون تقع بالقرب مِن مدينة السويس، وتُسمَّى "عيون موسى" (|طيب|:211؛ |نجار|:250-251)!

6565 . |Katsh|:62.

6566 . |Katsh|:51. انظر أيضاً |Katsh|:57.

6567. “Eusèbe ([…]) cite Esechielus, poète juif alexandrin du IIe siècle avant l’ère chrétienne, qui bloque le miracle du rocher avec les douze sources trouvées à Élim” (|Masson|:784). cf. |Witztum|:34.

6568. “Ephrem rests here on Jewish traditions that the rock struck by Moses produced twelve streams for the twelve tribes” (|McVey|:78). cf. |Witztum|:33.

6569 . |Witztum|:33. انظر أيضاً |ينابيع|:63/7.

6570 . |Witztum|:34.

6571 . "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ. الَّذِينَ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْحُومِينَ، وَأَمَّا الآنَ فَمَرْحُومُونَ" (1 بطرس 2:9-10).

6572 . الآية التوراتية (الخروج 6:19) تتحدث عن المستقبل. أما الآية القرآنية (المائدة 20) فتتحدث عن الماضى. إنها إذن مفارقة تاريخية أن يجعل القرآنُ موسى يقول لقومه "اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا". وذلك لأن مرحلة الملوك (Kings) فى تاريخ بنى إسرائيل لم تبدأ إلا بعد خروجهم مِن مصر ودخولهم أرض كنعان واستقرارهم فيها، أى بعد وفاة موسى بمئات السنين.

6573 . اقرأ أيضاً: "فَتَقَدَّمْتُمْ وَوَقَفْتُمْ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَالْجَبَلُ يَضْطَرِمُ بِالنَّارِ إِلَى كَبِدِ السَّمَاءِ، بِظَلاَمٍ وَسَحَابٍ وَضَبَابٍ" (التثنية 4:11)، "هذِهِ الْكَلِمَاتُ كَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ كُلَّ جَمَاعَتِكُمْ فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَالسَّحَابِ وَالضَّبَابِ" (التثنية 5:22).

6574 . |BT|:4/17؛ |BT|:383/2؛ |EJ|:538/14؛ |EI-2|:639/7؛ |Katsh|:65؛ |Witztum|:22.

6575 . ولم تَرِد الظُّلَّة فى القرآن إلا مرتين: مرة فى العذاب (الشعراء 189)، ومرة فى التهديد بالعذاب (الأعراف 171). "كان إظلالاً تهديدياً وتخويفياً [...] فامتلأ القومُ خوفاً وهلعاً ورعباً" (|خالدى-أ|:209/3)!

6576 . اقرأ أيضاً: "وَيَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: غَطِّينَا، وَلِلتِّلاَلِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا" (هوشع 8:10). "يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا! وَلِلآكَامِ: غَطِّينَا!" (لوقا 30:23). "يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ" (الرؤيا 16:6).

6577 . وقيل إن المقصود بالقوة هنا هو قوة الفهم النظرى وجدية التنفيذ العملى لِما جاء فى التوراة.

6578 . اقرأ أيضاً (الخروج 11:33) (العدد 12:1-8) (التثنية 10:34).

6579 . |عاشور|:98/1/9. انظر أيضاً |زين|:231-233؛ |و|:257/9/1-258؛ |عرائس|:181-182.

6580 . اقرأ أيضاً: "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اجْمَعْ إِلَيَّ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ شُيُوخُ الشَّعْبِ وَعُرَفَاؤُهُ، وَأَقْبِلْ بِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ فَيَقِفُوا هُنَاكَ مَعَكَ. فَأَنْزِلَ أَنَا وَأَتَكَلَّمَ مَعَكَ هُنَاكَ، وَآخُذَ مِنَ الرُّوحِ الَّذِي عَلَيْكَ وَأَضَعَ عَلَيْهِمْ، فَيَحْمِلُونَ مَعَكَ ثِقْلَ الشَّعْبِ، فَلاَ تَحْمِلُ أَنْتَ وَحْدَكَ" (العدد 11:16-17).

6581 . انظر نقاشاً حول اختلاف المخطوطات القديمة في هذا العدد: 70؟ أم 75؟ (|Kugel|:482-484).

6582 . انظر تفاسير (الأعراف 155)، مثل: |منتخب|:273؛ |فهد|:169؛ |أشقر|:169 و |ماوردى|:123/1؛ |نسفى|:608/1؛ |طبرى-تاريخ|:427/1-428؛ |طبرى-قصص|:279-280؛ |خالدى-أ|:199/3-201؛ |خالدى-ج|:276؛ |عرائس|:189؛ |زين|:230-231.

6583 . |فضل|:143-145؛ |بدوى|:271/1؛ |باش-موسى|:71-75.

6584 . |زادمسير|:268/3.

6585 . |فراء|:395/1.

6586 . |خالدى-أ|:202/3؛ |خالدى-أ|:211/3.

6587 . |ج-البغا|:217. انظر أيضاً |ج|:169؛ |ج-وطن|:169؛ |سعدى|:304؛ |بيضاوى|:362/1،63.

6588 . |خالدى-ج|:276.

6589 . بالمعنى الحرفى: أحييناكم مِن بعد موتكم بالصاعقة (|فهد|:8؛ |أشقر|:8؛ |و|:108/1/1). بالمعنى المجازى: أيقظناكم مِن غشيتكم وهمودكم (|منتخب|:14)؛ أو: مِن نومكم، وهو الموت الأصغر (|باش-موسى|:89)؛ أو: أن طلب الرؤية كفر، والكفر موت، والإيمان حياة (|بدوى|:272/1). انظر أيضاً تفاسير (البقرة 56) و (الأنعام 122) و |طيب|:225-226؛ |نجار|:341؛ |طنطاوى-قصص|:462/1؛ |خالدى-أ|:213/3-218؛ |عرائس|:189؛ |زين|:230-231.

6590 . (Shabbat 88b) (|BT|:386/2)؛ (Shabbat 88a) (|BT|:383/2). انظر أيضاً |Katsh|:53-56.

6591 . |واحدى|:141/1. انظر أيضاً |زجاج|:138/1.

6592 . "فَنَسْمَعَ وَنَعْمَلَ (أى: نطيع)" (التثنية 27:5). "كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ" (الخروج 8:19). "كُلُّ الأَقْوَالِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ نَفْعَلُ" (الخروج 3:24).

6593. “Le mot hébreu pour “nous avons fait” est *‘asayn*, proche du terme arabe *‘asyna*: nous avons désobéi. Y a-t-il confusion?” (|Aldeeb|:385). See also |Witztum|:22-23; |Katsh|:82-83.

6594 . وفى موضع آخر، قالت التوراة: "فَتَرَاءَى مَجْدُ الرَّبِّ لِكُلِّ الْجَمَاعَةِ" (العدد 19:16).

6595 . قَالَ فِيلُبُّسُ (Philip) ليسوع: "يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا". فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يوحنا 14:8-9).

6596 . ومع ذلك، ذكر القرآنُ قصةَ المائدة (المائدة 112-115) وهى صورة "إسلامية" مِن عشاء الرب. وسنتحدث فى فصل آخر عن قصة المائدة (المذكورة فى القرآن) وعلاقتها بقصتى "المَنّ والسلوى" (المذكورة فى التوراة) و "عشاء الرب" (المذكور فى الإنجيل).

6597 . يُعرَف هذان اللوحان أيضاً بـ "لوحى العهد" (Tablets of the Covenant) (التثنية 9:9)؛ "لوحى الشهادة" (Tablets of the Testimony) (الخروج 18:31) (الخروج 15:32).

6598 . هو "يشوع بن نون" الذى يُعرَف فى التراث الإسلامى باسم "يُوشَع بن نون" أو "فتى موسى" (الكهف 60، 62) أو "غلام موسى". اقرأ أيضاً الحرب بين إسرائيل وعماليق التى انتصر فيها يشوع (الخروج 17:8-16).

6599 . انظر نقاشاً حول هذه المسألة فى |Katsh|:49-50.

6600 . "حِينَ صَعِدْتُ إِلَى الْجَبَلِ لِكَيْ آخُذَ لَوْحَيِ الْحَجَرِ، لَوْحَيِ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ، أَقَمْتُ فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً لاَ آكُلُ خُبْزًا وَلاَ أَشْرَبُ مَاءً (أى: كنت صائماً). وَأَعْطَانِيَ الرَّبُّ لَوْحَيِ الْحَجَرِ الْمَكْتُوبَيْنِ بِأَصْبَعِ اللهِ، وَعَلَيْهِمَا مِثْلُ جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَلَّمَكُمْ بِهَا الرَّبُّ فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ النَّارِ فِي يَوْمِ الاجْتِمَاعِ" (التثنية 9:9-10).

6601 . (مسلم 2652؛ |م|:2042/4-2043). (ابن ماجه 80؛ |هـ-سندى|:62/1؛ "إسناده صحيح" |هـ-أرنؤوط|:58/1-59؛ وقال الألبانى "صحيح" |هـ-ألبانى|:30؛ |هـ-صحيح|:45/1). وقال د. محمد الطيب النجار: "كُتِبَت هذه الألواح بيد القدرة الإلهية وفيها موعظة وتفصيل لكل شىء" (|طيب|:212). انظر أيضاً |عاشور|:96/1/9؛ |و|:243/9/1؛ |خالدى-أ|:147/3-148؛ |أيوب|:147؛ |عرائس|:181.

6602 . |قرطبى|:317/9-318؛ |قرطبى-مصر|:237/4-238. انظر أيضاً (الترمذى 2180؛ |ت|:221/4-222؛ وقال الألبانى "صحيح" |ت-ألبانى|:493؛ "صحيح" |ت-صحيح|:465/2)؛ |خالدى-أ|:121/3-123؛ |بدوى|:269/1.

6603 . |ماوردى|:419/3؛ |طبرى-تاريخ|:425/1؛ |طبرى-قصص|:276؛ |ج-البغا|:414؛ |نسفى|:379/2؛ |زادمسير|:315/5؛ |ضيف|:524؛ |كشاف-ش|:664؛ |كشاف-ع|:104/4؛ |منتخب|:535. وقال الشيخ الجزائرى إن "إطلاق النسيان على الضلال والغفلة والترك شائع وسائغ فى اللغة" (|جزائرى|:371/3).

6604 . |EJ|:615/6. مثلاً في قصة الذبيح التوراتية: "أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ (بالعبرية: nis·sāh) إِبْرَاهِيمَ" (التكوين 22:1). وفي قصة الذبيح القرآنية: "إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ (أي: الاختبار) الْمُبِينُ" (الصافات 106). اقرأ أيضاً (البقرة 124) (|Witztum|:172) و (المزامير 95:8-9) (|JSB|:1375).

6605 . |سريانية|:441/7؛ |Peshitta|:103؛ |Prose|:263؛ |OTP|:299/2، 320؛ |Kugel|:718-719.

6606 . أى: أبيدهم جميعاً وأبدأ معك يا موسى مِن جديد، كما بدأت مع إبراهيم (أبرام). "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً" (التكوين 12:1-2).

6607 . ويوجد رأى آخر يقول إن "الأَعْدَاءَ" هُمْ الذين عبدوا العجل.

6608 . "أَمَّا هُوَ فَرَؤُوفٌ، يَغْفِرُ الإِثْمَ وَلاَ يُهْلِكُ. وَكَثِيرًا مَا رَدَّ غَضَبَهُ، وَلَمْ يُشْعِلْ كُلَّ سَخَطِهِ. ذَكَرَ أَنَّهُمْ بَشَرٌ. رِيحٌ تَذْهَبُ وَلاَ تَعُودُ" (المزامير 78:38-39).

6609 . "كُلُّ سُبُلِ الرَّبِّ رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِحَافِظِي عَهْدِهِ وَشَهَادَاتِهِ" (المزامير 25:10)؛ "لأَنَّكَ أنتَ يا رَبُّ صالحٌ وغَفورٌ، وكثيرُ الرَّحمَةِ لكُلِّ الدّاعينَ إلَيكَ" (المزامير 86:5)؛ "أيُّها الرَبُّ الإلَهُ العظيمُ المَهوبُ، حافِظَ العَهدِ والرَّحمَةِ لمُحِبّيهِ وحافِظي وصاياهُ" (دانيال 9:4)؛ "وَرَحْمَتُهُ (أي: رحمةُ الله المخلِّص القدوس) إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ" (لوقا 1:50) **[← نقلها أصحابُ القرآن فصارت: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ" (الأعراف 156)].**

6610 . (أحمد 271/1؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:114/3؛ "حديث صحيح" |ل|:260/4-261؛ "صححه الألبانى" |ج-وطن|:169). انظر أيضاً |واحدى|:412/2؛ |ج|:169؛ |ج-البغا|:216؛ |يعقوبى|:38/1؛ |عرائس|:187؛ |خالدى-أ|:162/3-163؛ |عباس|:560-561.

6611 . "وَأَمَّا خَطِيَّتُكُمُ، الْعِجْلُ الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ، فَأَخَذْتُهُ وَأَحْرَقْتُهُ بِالنَّارِ، وَرَضَضْتُهُ وَطَحَنْتُهُ جَيِّدًا حَتَّى نَعِمَ كَالْغُبَارِ. ثُمَّ طَرَحْتُ غُبَارَهُ فِي النَّهْرِ الْمُنْحَدِرِ مِنَ الْجَبَلِ" (التثنية 9:21).

6612 . قال الحاكم "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى (المستدرك 379/2-380؛ |حاكم|:411/2-412). انظر أيضاً |خالدى-أ|:190/3-191؛ |Katsh|:83.

6613 . |باش-موسى|:75.

6614 . "ثم بدأ (هارون) يتعلل بشرّ الشعب وغلاظة رقبته التى يعرفها موسى جيداً. ولعله رأى فى قيام الشعب كله عليه تهديداً له بالقتل إذا لم ينفِّذ مطلبهم. إذ أن هناك تقليداً يهودياً يقول إن حور [Hur] عارضهم فى طلبهم، فهاجوا عليه وقتلوه. وحتى إذا حدث هذا حقاً، فليس مبرراً له فى انصياعه لشرّهم" (|نطرون|:الخروج/714). انظر أيضاً |Kugel|:718-719.

6615 . |EJ|:701/7؛ |EJ|:623/9؛ |EJ|:210/1؛ |Kugel|:718-719؛ |Katsh|:64.

6616 . تذكر: لمَّا ترك موسى قومَه، استخلف عليهم هَارون وحُور (الخروج 13:24-14). حذف القرآنُ شخصية "حُور" وجعل موسى يستخلف هارونَ فقط (الأعراف 142). ومع ذلك، جعل موسى يقول لهم: "بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي" (الأعراف 150) بصيغة الجمع، وليس بصيغة المفرد!

6617 . |BT|:24/16؛ |EJ|:701/7؛ |EJ|:623/9؛ |Katsh|:64.

6618 . |Prose|:262-263؛ |Kugel|:719.

6619 . "فأقام هارون مع البقية الثابتين على وفائهم، المتمسكين بإيمانهم، وخشى أن يحارب الضالين الخارجين، حذراً من التحزب، وخوفاً من الفتنة والثورة" (|فضل|:145). انظر أيضاً |و|:254/9/1-255؛ |عرائس|:187-188.

6620 . |بيضاوى|:56/2.

6621 . |ظلال|:2348/4.

6622 . وإنه لمِن الطريف أن التراث الإسلامى الذى رسم شخصيتى عمر بن الخطاب وأبى بكر الصديق، رسمهما متشابهتين مع شخصيتى موسى وهارون: عمر يتصف بالصلابة والشدة والقوة بينما يتصف أبو بكر بالهدوء والحلم واللين.

6623 . |EJ|:211/1.

6624 . |IVP-NT-ar|:47؛ |IVP-NT|:339.

6625 . |Feldman|:412؛ |EJ|:701/7.

6626 . |بكر|:203؛ |شعراوى-قصص|:263؛ |طيب|:220؛ |نجار|:266؛ |طنطاوى-قصص|:455/1؛ |فهد|:318؛ |جزائرى|:375/3؛ |زين|:229؛ |بدوى|:279/1؛ |عرائس|:185.

6627 . |كشاف-ش|:665؛ |كشاف-ع|:106/4؛ |معجم-قراءات|:108/4؛ |بدوى|:280/1.

6628 . |عباس|:570. انظر أيضاً تفاسير (طه 96) و |عباس|:572.

6629 . |ج|:318؛ |ج-البغا|:414-415. وكالعادة "قيل غير ذلك. والله أعلم"، لكن ما يهمنا هو أن "ما ذكره المفسر هنا يذكره عامة المفسرين" (|ج-وطن|:318). انظر أيضاً |ج|:168؛ |ج-البغا|:215؛ |ج-وطن|:168؛ |سعدى|:511.

6630 . |بيضاوى|:56/2. انظر أيضاً |أميرى|:356.

6631 . |واحدى-وجيز|:704/2؛ |واحدى|:220/3؛ |نسفى|:381/2.

6632 . |كشاف-ش|:388؛ |كشاف-ع|:510/2. انظر أيضاً |نسفى|:605/1.

6633 . |زادمسير|:81/1؛ |زادمسير|:320/5.

6634 . |عرائس|:186.

6635 . |سعدى|:511؛ |وجدى|:415.

6636 . |زادمسير|:261/3-262. انظر أيضاً |عاشور|:110/1/9؛ |خالدى-أ|:175/3-176.

6637 . |كثير-ك|:75/2؛ |كثير-تركى|:147/2. انظر أيضاً |أيوب|:148؛ |ماوردى|:418/3-419؛ |خالدى-أ|:176/3.

6638 . |واحدى|:411/2؛ |واحدى|:220/3-221 مِن كلام المحققين.

6639 . |طيب|:220؛ |نجار|:261. انظر أيضاً |عباس|:577.

6640 . |طنطاوى-قصص|:451/1. انظر أيضاً |نسفى|:379/2.

6641 . |EJ|:701/7. انظر أيضاً |Neuwirth|:289-290؛ |Sidersky|:89.

6642 . |EJ|:701/7؛ |OTP|:430/2. وقال كاتب مسلم معاصر: "إن مجريات الأمور تقول لنا إن موسى عليه السلام عندما خرج من مصر إلى سيناء أخذ معه بنى إسرائيل ومن آمن معه. وكان السحرة ممن هرب مع موسى" (|باش|:230/1). أى أن هذه الأساطير اليهودية ما زالت تعيش بيننا إلى الآن!

6643 . |BT|:389/2؛ |EJ|:535/14؛ |EJ|:73/18؛ |Sidersky|:89؛ |Katsh|:49.

6644 . أى: المُقاوِم لله وخطته. انظر: |مفصل|:730/6؛ |NIV|:1472؛ |دراسى|:2256؛ |آرثر|:830؛ |Segond|:343؛ |قاموس-كتاب|:533-535؛ |ثاوفيلس|:39؛ |تساؤلات|:161/3؛ |EB|؛ |FV|:187-190؛ |جابرى|:251/1.

6645 . أو أن محمداً أخذ هذه "القَبْضَة" وألقاها مِن تلقاء نفسه. انظر تفاسير (الأنفال 48).

6646 . |نطرون|:الخروج/713-714؛ |NPNF-2|:307/13.

6647 . |نطرون|:الخروج/715. أو أن "مُقَاوِمِيهِ" هُمْ عماليق الذين شاهدوهم فى هذا الرقص العارى فهزأوا بهم (|أنطونيوس|).

6648 . |BT|:249/5؛ |Katsh|:52.

6649 . |نسفى|:89/1. انظر أيضاً |كشاف-ش|:77؛ |كشاف-ع|:269/1.

6650 . |جزائرى|:56/1-58. انظر أيضاً |قرنى|:16.

6651 . |خالدى-أ|:196/3.

6652 . |بشير|:162/1؛ |طبرى-تاريخ|:424/1؛ |طبرى-قصص|:276؛ |زادمسير|:83/1.

6653 . |أشقر|:8. وقيل إن الله قال لموسى: "أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة" (|عرائس|:188)! وقيل إن "هذا تشريع خاص بقوم موسى" (|زين|:230). انظر أيضاً |ماوردى|:122/1-123؛ |نجار|:260؛ |شاكر|:181-182؛ |أيوب|:149.

6654 . |منتخب|:13.

6655 . |فضل|:146. انظر أيضاً |وجدى|:11؛ |بيضاوى|:62/1.

6656 . |فهد|:227. وهذا ينسف أسطورة "عصمة الأنبياء" التي ليس لها أي وجود في القرآن.

6657 . |مارمرقص|:العهدالقديم/283/2.

6658 . تُعرَف أيضاً باسم "صلاة موسى الثانية" (Moses’ second prayer) (|Neuwirth|:317؛ |Conrad|:50/24-51) على اعتبار أن صلاته الأولى هى تلك المذكورة فى بداية قصة العِجل الذهبى (الخروج 32:11-13).

6659 . "ولكن هل يفدى الإنسان أخاه مهما كان برُّه؟! يجيبنا على ذلك المرتل فى المزمور قائلاً: "الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ" (المزامير 49:7)" (|نطرون|:الخروج/717).

6660 . |ملطى|:الخروج/213-214.

6661 . |EOSB|:106.

6662 . انظر تعقيباً على شخصية موسى مِن وجهة نظر إسلامية (|عباس|:617-626).

6663 . |JSB|:177؛ |Neuwirth|:317-319.

6664 . "أَذْلَلْتُ بِالصَّوْمِ نَفْسِي (I humbled my soul with fasting)" (المزامير 35:13).

6665 . |EQ|:182/2؛ |EI-2|:705/1؛ |EJ|:582/2.

6666 . |Neuwirth|:318. لمزيد من المعلومات عن يوم الكفَّارة، انظر تفاسير (اللاويين 16)؛ |كتابية|:356/6-357؛ |قاموس-كتاب|:782؛ |EJ|:488/5-493.

6667 . لاحظ أن محمد هو الذي يسأل اليهود! لو محمد نبي مِن عند الله، المفروض أنه يعرف سببَ صوم اليهود. وإذا لم يكن يعرف، فلا يسأل اليهود. وإنما يسأل الله، على الأقل حتى يضمن أنه سيسمع الإجابة الصحيحة.

6668 . (مسلم 1130-1131؛ |م|:795/2-796) (البخارى 4403؛ |خ|:1722/4).

6669 . لمزيد من المعلومات عن الأصوام اليهودية، انظر |قاموس-كتاب|:563؛ |كتابية|:5/67-70؛ |JSB|:2034؛ |EJ|:6/719-723.

6670 . وتوجد أمثلة أخرى على تصديق محمد لليهود بسرعة وبدون نقاش. انظر مثلاً (البخارى 4533؛ |خ|:4/1812) (مسلم 2786؛ |م|:4/2147-2148)؛ |ذهبي|:53-54.

6671 . (مسلم 1162؛ |م|:2/818-819). انظر أيضاً |و|:3/11/261-267.

6672 . (البخارى 1897-1898؛ |خ|:2/704) (مسلم 1125-1129؛ |م|:2/792-795). انظر أيضاً |و|:3/11/267-275؛ |EI-2|:1/705.

6673 . وهنا نرى عدل الله وقداسته، ونرى أيضاً محبة الله ورحمته: "الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً" (الخروج 34:6-7).

6674 . "فَإِنِّي لاَ أَصْعَدُ (أى: لن أسكن) فِي وَسَطِكَ لأَنَّكَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ" (الخروج 33:3).

6675 . وسنعلم بعد قليل أن الله حرمهم أربعين سنة مِن دخول أرض كنعان (العدد 14) **[⟵ "قَالَ (الله) فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ" (المائدة 26)]**. لكن الله أنعم على اثنين فقط "لأَنَّهُمَا اتَّبَعَا الرَّبَّ تَمَامًا" (العدد 32:12) **[⟵ "رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا" (المائدة 23)]**، فدخلا أرض كنعان. وهما "يشوع بن نُون" (Joshua son of Nun) و "كَالِب بْن يَفُنَّةَ" (Caleb son of Jephunneh). وهكذا نرى دائماً عدل الله وقداسته، ونرى أيضاً محبته ورحمته.

6676 . |مارمرقص|:العهدالقديم/2/284. حسب العقيدة المسيحية: الفداء والخلاص الذى حققه المسيح بموته على الصليب هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق عدل الله وقداسته وأيضاً محبة الله ورحمته.

6677 . "أورشليم الجديدة" أو "أورشليم السمائية" (Heavenly Jerusalem) هى مسكن المسيح (الله) مع المؤمنين الأبرار الذين يرثون ملكوت السماوات بعد أن يأتى المسيح (الراعى الصالح) فى مجيئه الثانى. ويناظرها "جنة الخلد" فى الإسلام.

6678. ""There is not a misfortune that Israel has suffered which is not partly a retribution for the sin of the calf" (Sanh. 102a)" (|EJ|:7\701). See also: |BT|:16\544-547; |Neuwirth|:311.

6679 . |Neuwirth|:320-321.

6680 . |Katsh|:51.

6681. "The first refrain emphasizes the wrath that comes upon those who reject God and His signs, while the second emphasizes the mercy by which God makes access to revelation, and hence truth, easy" (|Nasr|:1302).

6682 . يقول التقليد الإسلامى إن هذه الآيات مكية، بينما يرى |Neuwirth|:310-319 أن بها بعض العبارات التى أضيفت لاحقاً فى الفترة المدنية. تعليقنا: المشكلة ليست فى المفسرين المسلمين ولا فى العلماء الباحثين، وإنما فى عملية جَمْع القرآن التى تمت بطريقة سمحت بوجود آيات مدنية فى سور مكية وآيات مكية فى سور مدنية. وكنا نتمنى أن يُجمَع القرآن بترتيب زمنى أو حتى ترتيب موضوعى، وليس بهذا الترتيب الموجود حالياً فى مصحف عثمان.

6683 . "وَبِاسْمِ الرَّبِّ دَعَوْتُ: «آهِ يَا رَبُّ، نَجِّ نَفْسِي!». الرَّبُّ حَنَّانٌ وَصِدِّيقٌ، وَإِلهُنَا رَحِيمٌ" (المزامير 116:4-5)؛ "اَلرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ (أي: بَطِيءُ الغَضَبِ؛ slow to anger) وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكُلِّ، وَمَرَاحِمُهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِ (أي: عَلَى كُلِّ مخلوقاته)" (المزامير 145:8-9). "فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ (أي: الله) أَيْضًا رَحِيمٌ" (لوقا 6:36). وآيات كتابية أخرى تؤكد الرحمة الإلهية.

6684 . "كُلُّ سُبُلِ الرَّبِّ رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِحَافِظِي عَهْدِهِ وَشَهَادَاتِهِ" (المزامير 25:10)؛ "لأَنَّكَ أنتَ يا رَبُّ صالحٌ وغفورٌ، وكثيرُ الرَّحمَةِ لِكُلِّ الدّاعينَ إلَيكَ" (المزامير 86:5)؛ "أيُّها الربُّ الإلَهُ العظيمُ المَهوبُ، حافِظَ العَهدِ والرَّحمَةِ لمُحِبّيهِ وحافِظي وصاياهُ" (دانيال 9:4)؛ "وَرَحْمَتُهُ (أي: رحمةُ الله المخلِّص القدوس) إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ" (لوقا 1:50) **[⟵ نقلها أصحابُ القرآن فصارت: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ" (الأعراف 156)]**.

6685 . يُعرَف هذا المبدأ باسم "المسئولية الجماعية" أو "المسئولية المجتمعية" (Collective Responsibility) أو "العقوبة من جيلٍ إلى آخر" (Intergenerational Punishment). اقرأ أيضاً "لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ (أي: الأوثان؛ الأصنام)، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ **مِنْ مُبْغِضِيَّ** (أي: لو استمرت خطايا الآباء في الأبناء)" (الخروج 20:5). وفي المقابل، انظر مبدأ "المسئولية الشخصية" (Personal

Responsibility) أو "المحاسبة الشخصية" (Personal Accountability) فى (حزقيال 18). ونحن نتفق مع مَن قال إنه يمكن التوفيق بين هذين المبدأين (|EJ|:645-644/6).

6686 . |Neuwirth|:321-322؛ |EJ|:719/6.

6687 . "أَذْلَلْتُ بِالصَّوْمِ نَفْسِي (I humbled my soul with fasting)" (المزامير 13:35).

6688 . "وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ" أى: "فيما نسخ مِن الألواح المتكسرة، ونقل إلى الألواح الجديدة" (|أشقر|:169).

6689 . |EJ|:491/5؛ |EQ|:182/2.

6690 . |قاموس-كتاب|:563.

6691 . اقرأ أيضاً (الخروج 19:19-20) (العدد 12:1-8) (التثنية 10:34).

6692 . كان الرَّبُّ قد قَالَ لِمُوسَى بعد سقوط الشعب في خطيئة عبادة العجل الذهبي: "اذْهَبِ اصْعَدْ مِنْ هُنَا أَنْتَ وَالشَّعْبُ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَى الأَرْضِ (أي: أرض كنعان) الَّتِي حَلَفْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. وَأَنَا أُرْسِلُ أَمَامَكَ مَلاَكًا [فقط]، [...]. [أَمَّا أنا] فَإِنِّي لاَ أَصْعَدُ [بنفسي] فِي وَسَطِكَ لأَنَّكَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ" (الخروج 33:1-3).

6693 . استدل بولس الرسول بها: "فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ عِنْدَ اللهِ ظُلْمًا؟ حَاشَا! لأَنَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى:«إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ، وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ». فَإِذًا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى، بَلْ للهِ الَّذِي يَرْحَمُ. لأَنَّهُ يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ:«إِنِّي لِهذَا بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُظْهِرَ فِيكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُنَادَى بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ». فَإِذًا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ" (رومية 9:14-18).

6694 . |JSB|:179.

6695 . انظر تفاسير (الأعراف 143) و |كشاف-ش|:77، 384-386؛ |كشاف-ع|:270/1-271، 501/2-507؛ |بيضاوى|:358/1-359؛ |نجار|:257؛ |طنطاوى-قصص|:491/1؛ |شهبة|:195؛ |أشقر|:102؛ |جزائرى|:236/2؛ |خالدى-أ|:138/3-141؛ |سعدى|:302؛ |زين|:242-245؛ |بدوى|:272/1؛ |EQ|:53/2.

6696 . "الخروج، أي الموت المزمع أن يكمِّله خارج أورشليم" (|المسيح|:293) "فهو خروج خارج أورشليم التي توازي خارج المحلة، حيث تُحرق ذبيحة الكفارة" (|المسيح|:422). "ويبدو أن استخدام [القديس لوقا] لكلمة "الخروج" كان عن قصد، ليربط بين خروج بنى إسرائيل من مصر - أرض العبودية - الذى أكمله الله لهم بيد قوية وذراع رفيعة، وبين صلب المسيح وموته خارج أورشليم" (|نطرون|:الخروج/40-41).

6697 . تَذكَّر الظهور الإلهى عند معمودية يسوع المسيح (Baptism): "فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً:«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»" (متى 3:16-17) و (لوقا 3:21-22).

6698 . اقرأ أيضاً وَصْف يوحنا لِمَا حدث له حين رأى المسيح (الله): "فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ" (الرؤيا 1:17). وَوَصْف دانيال النبى لِمَا حدث له حين رأى وسمع الملاك جبرائيل: "فَجَاءَ إِلَى حَيْثُ وَقَفْتُ، وَلَمَّا جَاءَ خِفْتُ وَخَرَرْتُ عَلَى وَجْهِي" (دانيال 8:17). إذن: إنها أفكار مشهورة جداً ومعروفة قبل الإسلام بمئات السنين.

6699 . "فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَيَّ قَائِلاً لِي:«لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ" (الرؤيا 1:17-18). "فَلَمَسَنِي وَأَوْقَفَنِي عَلَى مَقَامِي" (دانيال 8:18). اقرأ أيضاً: (دانيال 10:7-11). إذن: إنها أفكار مشهورة جداً ومعروفة قبل الإسلام بمئات السنين.

6700 . |JSB|:2213.

6701 . انظر أيضاً التلمود البابلى (Yoma 75a) (|BT|:288/5-291؛ |Katsh|:63).

6702 . |منار|:330/1؛ |خالدى-أ|:236/3.

6703 . |عاشور|:522/1؛ |خالدى-أ|:238/3.

6704 . "الأَرْضُ الَّتِي أَعْطَانَا الرَّبُّ إِلهُنَا" (التثنية 1:25) "الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ (الربُّ) لآبَائِكَ أَنَّهُ يُعْطِيكَ إِيَّاهَا" (التثنية 7:13) "الأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ" (التثنية 8:1) "الأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ (أى: حَلَفَ الربُّ) لآبَائِهِمْ أَنْ أُعْطِيَهُمْ" (التثنية 10:11).

6705 . "فَحَسُنَ الْكَلاَمُ لَدَيَّ، فَأَخَذْتُ مِنْكُمُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً. رَجُلاً وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ" (التثنية 1:23).

6706 . "أمر (اللهُ) نبيه موسى أن يرسل منهم (أى: مِن بنى إسرائيل) اثنى عشر نقيباً لمعرفة أحوال الجبارين الذين يسكنون الأرض المقدسة" (|طنطاوى|:80/4). انظر أيضاً |أميرى|:337.

6707 . "شَعْبٌ أَعْظَمُ وَأَطْوَلُ مِنَّا. مُدُنٌ عَظِيمَةٌ مُحَصَّنَةٌ إِلَى السَمَاءِ" (التثنية 1:28). لاحظ المبالغة (hyperbole).

6708 . كان الارتداد إلى "مصر" (أى: إلى العبودية) يرمز إلى لعنة الله على مَن لا يسمع كلامَه. "يَرُدُّكَ الرَّبُّ إِلَى مِصْرَ فِي سُفُنٍ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي قُلْتُ لَكَ لاَ تَعُدْ تَرَاهَا، فَتُبَاعُونَ هُنَاكَ لأَعْدَائِكَ عَبِيدًا وَإِمَاءً، وَلَيْسَ مَنْ يَشْتَرِي" (التثنية 68:28).

6709 . وفى موضع آخر، وصفت التوراةُ يشوع وكالب بأنهما "اتَّبَعَا الرَّبَّ تَمَامًا" (العدد 12:32).

6710 . |طنطاوى-قصص|:447/1. "فلم يذكر إلا النبى المعصوم (هارون)" (|نسفى|:440/1). انظر أيضاً |عباس|:599-600.

6711 . |بيضاوى|:262/1. انظر أيضاً |كشاف-ش|:285.

6712 . |خالدى-أ|:268/3-269. انظر أيضاً |خالدى-أ|:291/3.

6713 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:145-146.

6714 . ما سألوه هو الموت فى مصر أو فى الصحراء: "لَيْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مُتْنَا فِي هذَا الْقَفْرِ!" (العدد 2:14).

6715 . اقرأ أيضاً (العدد 13:32) (التثنية 7:2) (التثنية 2:8) (التثنية 5:29) (يشوع 6:5).

6716 . "أَرْبَعِينَ سَنَةً مَقَتُّ ذلِكَ الْجِيلَ، وَقُلْتُ: «هُمْ شَعْبٌ ضَالٌّ قَلْبُهُمْ، وَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سُبُلِي (أي: تاهوا)». فَأَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي: «لاَ يَدْخُلُونَ رَاحَتِي»" (المزامير 10:95-11) **[← "فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ" (المائدة 26)].**

6717 . في قصة موسى: "[...] الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. [...] فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (المائدة 25-26). في قصة محمد: "[...] الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. [...] فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (المائدة 67-68). نفس النمط. صدفة؟!

6718 . اقرأ أيضاً: "وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي [الكافر] مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ" (هود 45)؛ "وَاتَّبِعْ [يا محمد] مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ" (يونس 109).

6719 . (البخارى 2956؛ |خ|:1136/3) (مسلم 1747؛ |م|:1366/3) (أحمد 318/2؛ "إسناده صحيح على شرط الشيخين" |ل|:538/13-539؛ "حديث صحيح" |ل-شاكر|:247/8-248).

6720 . (أحمد 325/2؛ "إسناده صحيح على شرط البخارى" |ل|:65/14).

6721 . |صحيحة|:393/1-394.

6722 . |أشقر-قصص|:262. وتوجد تفاسير يهودية مشابهة (|Sidersky|:106-107).

6723 . |آرثر|:394؛ |KJV-arch|:327؛ |IVP-OT|:225-226؛ |Bauckham|:674/1-675.

6724 . |قاموس-كتاب|:1069-1070.

6725 . |JSB|:461.

6726 . |EJ|:442/11؛ |EJ|:445/11-449؛ |JSB|:439-441؛ |BibleUn|:72-96، 329-339.

6727 . |طبرى-تاريخ|:439/1-441؛ |كامل|:153/1-155.

6728 . |باش-موسى|:135.

6729 . |طنطاوى-قصص|:444/1. انظر أيضاً |ميسر|:91؛ |فهد|:111؛ |سعدى|:227.

6730 . |طبرى-تاريخ|:429/1؛ |طبرى-قصص|:281.

6731 . |جزائرى|:615/1. |بشير|:170/2؛ |ماوردى|:25/2.

6732 . (مسلم 2979؛ |م|:2285/4). انظر أيضاً |واحدى|:172/2؛ |أشقر|:111.

6733 . |ماوردى|:24/2. انظر أيضاً |زادمسير|:321/2-322.

6734 . "بِأَنْ يَنْفَصِلَ شِهَابٌ عَنِ اَلْكَوْكَبِ كَالْقَبَسِ يُؤْخَذُ مِنَ اَلنَّارِ فَيَقْتُلَ اَلْجِنِّيَّ أَوْ يَخْبِلُهُ، لَا أَنَّ اَلْكَوْكَبَ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ" (|ج|:562). إذن: الترجمة (dont nous avons fait) أكثر دقة مِن (que nous avons faites).

6735 . وقد يذكر القرآنُ حرفَ جر، لكنه يقصد حرفَ جر آخر. مثل: "لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ (أي: على جُذُوعِ النَّخْلِ)" (طه 71)؛ "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ (أي: في فترة مُلك سليمان وحُكمه)" (البقرة 102).

6736 . |خالدى-أ|:200/3.

6737 . انظر [أ ت ى] في معاجم اللغة العربية مثل المعجم الوجيز والمعجم الوسيط.

6738 . |بيضاوى|:261/1.

6739 . |فهد-ن|:145؛ |AYA|:253؛ |Pickthall|:139؛ |Fakhry|:111؛ |Ghali|:111؛ |Dawood|:71.

6740 . |Haleem|:112.

6741 . |بدوى|:283/1. انظر أيضاً |نسفى|:438/1.

6742 . |ضيف|:191.

6743 . |خالدى-أ|:272/3. أو: جعلكم "عندكم الأهلية لتكونوا ملوكاً، لو توفرت لكم الظروف المناسبة" (|خالدى-ب|:181).

6744 . |مشتركة|:العهدالقديم/341؛ |مبسطة|:288؛ |عبرى|:448.

6745 . وبذلك انهارت دولة إسرائيل (مُلْك داود ابن يهوذا) ولم تقم مرة أخرى إلا عام 1948م، أي بعد أكثر مِن 2500 سنة!

6746 . |NIV|:62. لكن في الترجمة العربية المصرية لهذا التعليق، لم يترجموا هذه العبارة (|دراسى|:97)! انظر أيضاً مشكلة مشابهة في (التكوين 14:14) (|NIV|:28) والترجمة غير الأمينة للتعليق في الترجمة العربية المصرية (|دراسى|:42)!

6747. “L’allusion à la royauté en Israël était un argument de Spinoza pour contester l’authenticité mosaïque du Pentateuque” (|Pleiade|:120\122).

6748 . |منيس|:74-75. انظر أيضاً |منيس|:64.

6749. De Vita Contemplativa 25 (|Philo|:700; |EJ|:16\664).

6750 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/69-70. انظر أيضاً |يسوعية|:العهدالقديم/1439؛ |NOAB|:1459.

6751 . |زادمسير|:317/5-318.

6752 . |مجلس|:464،462.

6753 . |معجم-قراءات|:102/4؛ |كشاف-ش|:663؛ |كشاف-ع|:102/4.

6754 . |بكر|:200. انظر أيضاً |طيب|:216-220؛ |نجار|:260.

6755 . |و|:117/1/1.

6756 . |كشاف-ش|:663؛ |كشاف-ع|:102/4. وقيل: "من أهل باجربَى" (|واحدى|:217/3)! انظر أيضاً |نسفى|:378/2؛ |عرائس|:186.

6757 . |جزائرى|:369/3. انظر أيضاً |جزائرى|:239/2؛ |ماوردى|:422/3؛ |طبرى-تاريخ|:425/1؛ |طبرى-قصص|:276؛ |أشقر|:317؛ |وجدى|:413.

6758 . "التوراة - ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام"، تحقيق وتقديم: أ.د. سهيل زكار، دمشق - بيروت: دار قتيبة، الطبعة الأولى، 2007، ص 16.

6759 . (طه 85) (|منتخب-ف|:472)؛ (طه 87) (|منتخب-ف|:473)؛ (طه 95) (|منتخب-ف|:474).

6760 . |كثير-ك|:74/2؛ |شعراوى-عجز|:175؛ |شاكر|:179؛ |أيوب|:148؛ |باش-موسى|:77.

6761 . |طبرى-تاريخ|:422/1؛ |طبرى-قصص|:273-274. انظر أيضاً |عرائس|:186-187.

6762 . "حديث الفتون" مذكور فى |س-كبرى|:172/10-183. ويُذكَر عادةً فى تفسير "وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا (جمع فتنة؛ وهى الابتلاء أو المحنة)" (طه 40). انظر أيضاً |س-تفسير|:41/2-62؛ |بارى|:286/8؛ |بارى-طيبة|:354/10؛ |بهجت|:247.

6763 . |كثير-هاشمى|:360؛ |كثير-بديوى|:434؛ |كثير-ك|:102/2. انظر أيضاً تفسير ابن كثير.

6764 . |نجار|:266. انظر أيضاً |عباس|:577-578؛ |AYA|:782. وقيل إن السامرى الذى صنع العِجل اسمه "موسى بن ظفر بن سامر" (|بدوى|:278/1-279)!

6765 . |قاموس-كتاب|:448. انظر أيضاً |كتابية|:312/4؛ |قاموس-كتاب|:518-519.

6766 . |كتابية|:176/5؛ |JSB|:2146.

6767 . |EJ|:615/6؛ |JSB|:127.

6768. |AYA|:781. See also: E.A. Wallis Budge, "An Egyptian Hieroglyphic Dictionary". London: John Murray, Albemarle Street. 1920. Vol. 2, p. 741.

6769 . |NIV-chr|:110.

6770 . لمزيد مِن النقاش حول هذه المسألة، انظر |EJ|:622/6؛ |EJ|:700/7؛ |EJ|:525/14.

6771 . توجد مواضع قليلة في العهد القديم يُفهَم منها أن موسى "نبي" (التثنية 18:15-18) (التثنية 34:10)، أو ربما: أعلى مِن "نبي" (العدد 12:1-8) (الخروج 4:16) (الخروج 7:1). أما المواضع الأخرى فتصف موسى عادةً بكلمة "عبد"؛ أى: عبد الله، أو: عبد الرب. وفى مواضع أخرى، وُصِف موسى بأنه "رجل الله" (التثنية 33:1) (يشوع 14:6) (1 أخبار الأيام 23:14) (2 أخبار الأيام 30:16) (عزرا 3:2)، وهو تعبير أُستخدِم فيما بعد للإشارة إلى الأنبياء. |EJ|:530/14.

6772 . أى: الأنبياء الذين أسفارهم صغيرة الحجم أو قصيرة. سفر هوشع مثلاً أقل مِن 200 آية.

6773. "The calf worship of the Samaritans may have had something to do with the Qur'ānic story. But as Fraenkel [...] suggests, it is probably due to some Jewish Midrash in which later enmity towards the Samaritans led pious Jews to find all their calamities and lapses of faith due to Samaritan influence" (|FV|:158-159).

6774 . "قَالَتْ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ (ليسوع المسيح):«كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟» لأَنَّ الْيَهُودَ لاَ يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ" (يوحنا 9:4). اقرأ أيضاً: (متى 5:10) (لوقا 10:25-37). ملحوظة: هذا كان أيام المسيح. الخطأ الذى ارتكبه صاحب (طه 80-98) هو أنه وضع "السامرى" أيام موسى، أى قبل المسيح بأكثر مِن 1200 سنة!

6775 . |ظلال|:2349/4. انظر أيضاً |و|:120/1/1؛ |خالدى-أ|:188/3؛ |عرائس|:189.

6776 . كما انتزعوا برجَ بابل (نمرود) من سفر التكوين وانتزعوا هامانَ مِن سفر أستير وانتزعوا قُورَح (قارون) من سفر العدد وانتزعوا غمالائيل (المؤمن الذى يكتم إيمانه) من سفر أعمال الرسل ووضعوهم كلهم مع موسى وفرعون فى قصة خروج بنى إسرائيل من مصر. انظر ما قلناه عن قصة فرعون وهامان وقارون ومؤمن آل فرعون.

6777 . وقُرئت غير ذلك: "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتَكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ"؛ "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ"؛ "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً" (|خطيب|:53/6-54). يعني كل الاحتمالات الأربع موجودة في كتب القراءات! وكالعادة، كل قراءة لها طبعاً الحيلة النحوية التي تبررها! لمزيد من التفاصيل، انظر |QSC|:246.

6778 . |IVP-OT|:77؛ |BibleUn|:60.

6779 . |IVP-OT|:91؛ |BibleUn|:61-64؛ |EJ|:528/14.

6780 . |EJ|:523/14، 526؛ |EAE|:438/2؛ |EAE|:181/1.

6781 . |EJ|:622/6.

6782 . |NIV|:85؛ |دراسى|:132-133؛ |قاموس-كتاب|:339-340؛ |KJV-arch|:96-97، 105؛ |IVP-OT|:86؛ |NIV-chr|:90،87؛ |BibleUn|:56-57.

6783. "The Exodus Decoded" https://www.youtube.com/watch?v=XPJoWqeQ-sE

6784 . |AYA|:406.

6785 . |نطرون|:الخروج/62. وإنه لمِن الطريف أن مراجع إسلامية كثيرة تقول تقريباً نفس الكلام عن يوسف والهكسوس، ومع ذلك يضعون موسى والخروج فى فترة زمنية أخرى، كما سنرى بعد قليل!

6786 . وقيل إن المصريين اعتبروا الإسرائيليين أعواناً وعملاء للمستعمرين الهكسوس، ولذلك اضطهدوهم بعد طرد الهكسوس. انظر نقاشاً حول العلاقة المحتملة بين الهكسوس والإسرائيليين، وموقف المصريين منهما (|خالدى-أ|:259/2-266).

6787 . |كتابية|:232/1.

6788 . |معاصر|:670. انظر أيضاً |IVP-OT-ar|:244/2؛ |IVP-OT|:362.

6789 . |إسكندرية|:229/2؛ |Septuagint|:450/OT؛ |NETS|:302؛ |NIV|:481. ملحوظة: يُعْرَف سفر الملوك الأول في الترجمة السبعينية باسم "الملكوت الثالث" أو "المَلَكِيَّات الثالث" أو "المَمَالِك الثالث" (Third Kingdoms).

6790 . الاسم الأصلى لأخناتون هو "أمنحوتب (أمينوفيس) الرابع" (Amenhotep IV) (Aménophis IV).

6791. William G. Dever, "What did the biblical writers know, and when did they know it? : what archaeology can tell us about the reality of ancient Israel", Eerdmans Publishing Company, 2001, p. 98. See also |EJ|:10\33.

6792 . |EJ|:538/14. اقرأ "موسى عليه الصلاة والسلام وافتراءات فرويد" (|عباس|:475-479).

6793 . اقرأ "شخصية النبى موسى أسطورة أم حقيقة" (|باش-موسى|:148-150)؛ |باش-موسى|:156.

6794 . صاحب هذا الرأى العجيب كاتب سعودى. اقرأ تعليق د. إبراهيم عافية عليه ونقده (|عافية|:799/2-812).

6795. Ahmed Osman, "Moses and Akhenaten: The Secret History of Egypt at the Time of the Exodus", Bear & Company, 2nd edition, 2002, ISBN: 978-1591430049.

6796 . |منتخب|:353. انظر أيضاً |عاشور|:67/20؛ |بكر|:158؛ |طيب|:173؛ |طنطاوى-قصص|:406/1،317؛ |شوقى-قصص|:260،238؛ |بدوى|:266/1،263،240.

6797 . |نجار|:241؛ |بدوى|:263/1؛ |ANET|:378؛ |OTParallels|:98؛ |BibleUn|:57؛ |EAE|:194/2. ويُفهَم مِن النص أن "إسرائيل" شعب أو قوم أو أمة، وليس دولة. ولقد لاحظنا أن الترجمات العربية بصفة عامة تستخدم صيغة الماضي، بينما تستخدم الترجمات الأجنبية بصفة عامة صيغة المضارع (وهو الأصوب).

6798 . |قاموس-كتاب|:340. انظر أيضاً |KJV-arch|:105.

6799 . [ف ر ع ن] فى لسان العرب. انظر أيضاً |شعراوى-قصص|:190؛ |صابونى|:177؛ |ماوردى|:118/1.

6800 . |جزائرى|:510/5.

6801 . |طبرى-تاريخ|:386/1؛ |طبرى-قصص|:238-239. انظر أيضاً |كامل|:130/1.

6802 . |KJV-arch|:122،112.

6803 . |باش-موسى|:13-16.

6804. العلم والإيمان - اللغة التي تكلم بها آدم, https://www.youtube.com/watch?v=5xK9kUWsJEI

6805. “Unfortunately, no single theory completely harmonizes archaeological evidence with Biblical claims” (|KJV-arch|:105).

6806 . |كتابية|:232/1. انظر أيضاً |سبعينية|:الخروج/94؛ |سامرية|:115؛ |Samaritan|:155؛ |آرثر|:2033.

6807 . |منيس|:65. انظر أيضاً |Targums|:194/2-195؛ |هامش|:39/13-40.

6808 . (المستدرك 572/2؛ قال الحاكم "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي |حاكم|:625/2). وقال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، إلا أن أبا عبيدة (يعني: ابن عبد الله بن مسعود) لم يسمع من أبيه" (|هيثمى|:39/7).

6809 . |ماوردى|:171/4. انظر أيضاً |طبرى-تاريخ|:414/1؛ |طبرى-قصص|:267-268.

6810 . |عيسى|:119/2.

6811 . |صابونى|:192. انظر أيضاً |بدوى|:262/1؛ |يعقوبى|:36/1؛ |عرائس|:175.

6812 . |كثير-هاشمى|:312؛ |كثير-بديوى|:377؛ |كثير-ك|:57/2؛ |أيوب|:140. "قيل كان فى خيوله (أى: فى خيول فرعون) مائة ألف فرس، وكانت عدة جنوده تزيد على مليون وستمائة ألف جندى [...] لم ينج منهم إنسان [...] غرق الجيش جميعاً" (|صابونى|:192-193). "أهلكناه هو وجنده بالغرق، دون أن نستثنى منهم أحداً" (|طنطاوى-قصص|:384/1).

6813 . |و|:252/9/1. |بدوى|:265/1.

6814. موقع التجلي الأعظم مع د. سيد القمني ج2, https://www.youtube.com/watch?v=JIyzOxhG7Cw

6815. الدليل 512, https://www.youtube.com/watch?v=djdJrVIdnJY

6816 . لم يكن هدفُ فرعون أن يقتل بني إسرائيل، وإلا لكان قتلهم وَهُمْ تحت يديه في مصر، أو تركهم يخرجون من مصر ليموتوا في الصحراء من الجوع والعطش والمرض. وإنما كان هدفه أن يُعيد بني إسرائيل إلى مصر مرة أخرى ليخدموا المصريين، بدليل أنه قال قبيل خروجه ورائهم: "مَاذَا فَعَلْنَا حَتَّى أَطْلَقْنَا إِسْرَائِيلَ مِنْ خِدْمَتِنَا؟" (الخروج 14:5).

6817 . "الذي" (that; qui) اسم موصول للوصف (qualificatif) وليس للتبعيض (partitif).

6818 . |ملطى|:الخروج/89.

6819 . |مارمرقص|:العهدالقديم/107/2. "جيش كبير جبار من المصريين" (|مارمرقص|:العهدالقديم/110/2).

6820 . البابا شنوده الثالث، "موسى وفرعون"، القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، الطبعة الثامنة، سبتمبر 2012، ص 118-119.

6821 . |خالدى-أ|:405/2.

6822 . لمزيد من التفاصيل والنظريات الأخرى لنشأة قصة الخروج، انظر |KJV-arch|:117؛ |EJ|:621/6؛ |يسوعية|:العهدالقديم/175،169،163.

6823 . |BibleUn|:55،52؛ |EAE|:181/1؛ |IDAE|:44؛ "مقابر بنى حسن" (Tomb at Beni Hasan).

6824 . |ANET|:227-249، 553-555؛ |IDAE|:307؛ نقوش "سرابيط الخادم" (Serabit el-Khadim inscriptions).

6825 . لا يوجد أي دليل علمي يثبت وجود أية علاقة تاريخية بين الْفِلِسْطِينِيّينَ الحاليين وأي شعب من هذه الشعوب الكنعانية القديمة. ونحن نقول ذلك رداً على البروباجاندا العربية-الإسلامية التي تزعم أن الْكَنْعَانِيِّين و/أو الْيَبُوسِيّين كانوا من العرب!

6826 . |قاموس-كتاب|:790. انظر أيضاً خارطة "أرض كنعان قبل بني إسرائيل" (|قاموس-كتاب|:789).

6827. الدليل 527, https://www.youtube.com/watch?v=dVBow7_rM8U

6828. موقع التجلي الأعظم مع د. سيد القمني ج1, https://www.youtube.com/watch?v=wotYCyaEhTE

6829. “The possibility of the rise of a foreigner to high station in the Egyptian court and administration is well substantiated” (|EJ|:11\408).

6830 . كان الختان (Circumcision) معروفاً في مصر القديمة، لكن العبرانيين (بني إسرائيل) كانوا يفتخرون بختانهم لأنه علامة العهد بينهم وبين الله: "فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. اِبْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ" (التكوين 17:11-12).

6831 . "مقبرة عبريا: كشف في سقارة". تأليف: آلان زيفي، ترجمة: عماد عدلي، تقديم الدكتور زاهي حواس. القاهرة - باريس: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، 1996. ص 16-17.

6832. الدليل 513, https://www.youtube.com/watch?v=fgI_h-op2w4

6833 . |Holman|:51؛ |IVP-Atlas|:28-29؛ |NG-Atlas|:60-61.

6834. الدليل 531, https://www.youtube.com/watch?v=WHvHIuOTnNA

6835. الدليل 531, https://www.youtube.com/watch?v=WHvHIuOTnNA

6836 . |EJ|:180/8-181.

6837. “Some scholars associate the Habiru with Hebrews, which then requires a fifteenth-century date for the Exodus” (|Holman|:63).

6838. “Jephthah had his own private militia of rootless warriors (much like the ʿ*apîru* of the Bronze Age)” (|Carta|:69).

6839 . وحتى إذا كانت هذه القصص الكتابية غير صحيحة تاريخياً، فإنها على الأقل جزءٌ من التراث الشعبي اليهودي/المسيحي الذي ربما أثر على المسلمين الأوائل. قارن بين تعاون العابيرو أو أشباههم مع العبرانيين/الإسرائيليين، وتعاون الصعاليك أو أشباههم مع محمد. وتقول أحاديث صحيحة إن عدد المسلمين في غزوة بدر (2هـ) كان "**بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ**" (البخارى 3739-3742). صدفة؟!

6840 . |كتابية|:175/5.

6841. 532 الدليل, https://www.youtube.com/watch?v=GzRXoEV86eA

6842. “Sans l’Égypte, il n’y aurait pas de Bible. Il suffit d’ouvrir la Bible juive ou la Bible chrétienne pour constater que les références à l’Égypte sont omniprésentes” (|Romer|:7).

6843 . |IVP-OT|:80؛ |IVP-OT-ar|:116/1. انظر أيضاً |IVP-OT|:207؛ |IVP-OT-ar|:347/1.

6844 . |قاموس-كتاب|:466-467؛ |كتابية|:380/4؛ |Holman|:73؛ |Rasmussen|:298.

6845 . |ANET|:262، 259؛ |EJ|:6/151-؛ |EJ|:18/255.

6846. “It is possible to establish, according to the Egyptian and Akkadian sources, that the name Seir is chronologically first” (|EJ|:6\151).

6847 . عيسو (Esau) هو الأخ الأكبر ليعقوب (إسرائيل). ولا يوجد دليل علمي يثبت أنه شخص حقيقي تاريخي. ولذلك فإننا لا نفضل أن نقول "بنو عيسو"، فهي كلمة دينية/سياسية. أما "الأدوميون" فهي كلمة تاريخية علمية.

6848 . |كتابية|:392/1.

6849 . |EJ|:156/6. اقرأ (التثنية 2:33) (القضاة 4:5) (حبقوق 3:3).

6850 . |MH|:1/681-682. انظر أيضاً |Targums|:5A/161-163. ويقول القرآن: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ (أي: الأوامر والنواهي؛ افعل ولا تفعل؛ الشريعة/الناموس) عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَالْجِبَالِ** فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا (أي: خفن مِن عدم قدرتهن على امتثال الأوامر واجتناب النواهي) وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" (الأحزاب 72).

6851 . "أى: يريد هذا الساحر أن يسلب منكم ملككم، وأن يصبح هو ملكاً على مصر، فماذا تأمرون لاتقاء هذا الخطر الداهم؟ وبماذا تشيرون فى أمره؟" (|طنطاوى-قصص|:379/1).

6852 . "ونلحظ هنا أن الذى كان يهيمن على فرعون، ويخيفه ويزعجه، ويقلقه ويرعبه هو ذهاب ملكه" (|عباس|:519).

6853 . "أى: السيادة والرياسة والزعامة الدينية والدنيوية فى الأرض بصفة عامة، وفى أرض مصر بصفة خاصة" (|طنطاوى-قصص|:381/1). انظر أيضاً |خالدى-أ|:427/2.

6854 . |OTParallels|:58.

6855. |OTParallels|:58. Another translation: Kamose said: “I shall succeed. What is left over is in my hand”. The Hyksos ruler Apophis had said: “I am a lord without peer” (|ANET|:554-555).

6856 . |ج|:584؛ |ج-البغا|:790؛ |ج-وطن|:584. انظر أيضاً |واحدى|:2/396-397؛ |واحدى-وجيز|:408/1.

6857 . |نسفى|:598/3.

6858 . |زادمسير|:21/9.

6859 . |بيضاوى|:566/2،153.

6860 . |ظلال|:1353/3-1354.

6861 . "فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ، التِّمْسَاحُ الْكَبِيرُ الرَّابِضُ فِي وَسْطِ أَنْهَارِهِ، الَّذِي قَالَ: نَهْرِي لِي، وَأَنَا عَمِلْتُهُ لِنَفْسِي" (حزقيال 3:29).

6862 . |طنطاوى-قصص|:416/1. انظر أيضاً |أشقر|:493.

6863 . |منتخب|:873.

6864 . انظر تفاسير (التثنية 31) ونقاشاً علمياً حول تطور سفر التثنية وتاريخ كتابته وأسلوبه وعلاقته بأسفار التوراة الأربعة الأولى (Tetrateuch) (|EJ|:5/613-619).

6865 . |EJ|:612/6. انظر أيضاً |EJ|:621/6.

6866 . لمزيد مِن التفاصيل حول نظرية الوثائق/المصادر وغيرها مِن النظريات العلمية الأخرى واعتراضات التقليديين عليها، انظر |NIV|:2؛ |دراسى|:2-3؛ |ملطى|:التكوين/12-25؛ |JSB|:1-6، 2167-.

6867 . لمزيد مِن التفاصيل، انظر |BibleUn|:65-71.

6868 . وإنه لمِن الطريف أن يقول التقليد الإسلامى إن محمد هاجر من مكة إلى يثرب (المدينة) حوالى عام 622 بعد الميلاد!

6869 . وكذلك زعم محمدٌ أن برنامجه الدينى هو إحياء لدين قديم (هو: الإسلام؛ دين كل الأنبياء السابقين!) وليس بدعة جديدة.

6870 . وكذلك أراد محمدٌ أن يستغل انهيار الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية (الرومانية الشرقية) فى القرن السابع الميلادى لكى يُوحِّد كل العرب تحت حُكمه فى دولة مستقلة متحدة، انطلقت بعد ذلك لتحتل فارس والعراق والشام ومصر.

6871 . "إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (الأعراف 128) جملة عربية يُقال إن محمد كتبها فى خطابه إلى "مُسَيْلِمة الكذاب" (|هشام|:2/600-601؛ |كثير|:5/290؛ |كثير-شيخ|:9/342؛ |كثير-طيبة|:5/297). سؤال: هل يوجد أى دليل على أن موسى قد نطق هذه الجملة؟ فى حالة عدم وجود دليل، فليس أمامنا سوى أن نقول إنها جملة عربية أدخلها أصحاب القرآن على قصة "الخروج" الأصلية.

6872 . |معجم-قراءات|:2/402؛ |ماوردى|:2/261. "وهى قراءة حسنة يصححها قوله: "وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ" (الأعراف 137)" (|كشاف-ش|:387؛ |كشاف-ع|:2/509). انظر أيضاً |بدوى|:1/275.

6873 . قال د. مصطفى البغا: "نتفضل عليهم بإنجائهم وتخليصهم من سيطرة فرعون وظلمه" (|ج-البغا|:506).

6874 . |شعراوى-قصص|:199. انظر أيضاً |طنطاوى-قصص|:1/425-426؛ |سعدى|:592،302؛ |واحدى|:3/354؛ |نسفى|:1/596، 2/281؛ |زادمسير|:6/201؛ |أيوب|:118؛ |ماوردى|:4/234-235، 5/252.

6875 . |مجلس|:501.

6876 . |طنطاوى-قصص|:1/444.

6877 . |خالدى-أ|:3/275.

6878 . |منار|:9/98. انظر أيضاً |بكر|:191؛ |مجلس|:502.

6879 . لقراءة الحدوتة التى نقلها يوسيفوس عن مانيثون، انظر |Josephus|:943-945؛ |EJ|:14/531.

6880. “Manetho was only one of the many mouthpieces for the anti-Jewish propaganda” (|EJ|:8\60).

6881 . |بكر|:192. كما قلنا فيما سبق: لاحظنا أن المراجع الإسلامية بصفة عامة تتجنب تسمية الأرض المقدسة بـ "كنعان" أو "إسرائيل" أو "أورشليم"، ويستخدمون أسماء أخرى مقبولة لدى القارئ المسلم العربى مثل "الشام" و "فلسطين" و "بيت المقدس". انظر مثلاً |نجار|:269؛ |بشير|:2/344؛ |طنطاوى-قصص|:1/413؛ |منتخب|:489؛ |جزائرى|:3/229-231؛ |جزائرى|:4/53؛ |أشقر|:385،166؛ |شاكر|:174؛ |زين|:235؛ |و|:1/9/257؛ |ضيف|:280-281، 610، 635؛ |وجدى|:140؛ |خالدى-أ|:3/274،267؛ |خالدى-ب|:177، 182؛ |يعقوبى|:1/40؛ |عرائس|:214،210؛ |بدوى|:1/307،283،241.

6882 . وجدنا هذا الرأى التوافقى مذكوراً فى مراجع إسلامية كثيرة، مثل: |عطية-قطر|:6/570؛ |شعراوى-قصص|:198؛ |جزائرى|:2/229-230؛ |فضل|:121؛ |ماوردى|:2/254؛ |كشاف-ش|:382؛ |كشاف-ع|:2/498؛ |نسفى|:1/599، 2/628؛ |زادمسير|:3/253؛ |وجدى|:506؛ |بدوى|:1/267؛ |عرائس|:171.

6883 . |فهد|:165-166؛ |فهد|:219؛ |فهد|:369.

6884 . |ج|: (الأعراف 137) "الشام"؛ (القصص 6) "مصر والشام"؛ (الدخان 28) "أموالهم"، أى: ورثوا أموال قوم فرعون!

6885 . |بيضاوى|: (الأعراف 137) "الشام"؛ (القصص 6) "مصر والشام"؛ (الإسراء 103) "أرض مصر أو الأرض مطلقاً"! |قرنى|: (الأعراف 137) "مصر والشام"؛ (الإسراء 104) "الشام"؛ (الشعراء 57-59) "مصر"!

6886 . |مجلس|:501.

6887 . |بيضاوى|:1/584. انظر أيضاً |نسفى|:2/281.

6888 . |طنطاوى-قصص|:1/425. انظر أيضاً |جزائرى|:3/651.

6889 . |واحدى|:3/131. انظر أيضاً |زادمسير|:5/95.

6890 . |كثير|:5/124؛ |كثير-شيخ|:9/89-90؛ |كثير-طيبة|:5/126-127؛ |كثير-شاكر|:2/405؛ |كثير-صابونى|:2/404؛ |كثير-شنقيطى|:1071.

6891 . |طنطاوى-قصص|:385/1.

6892 . |غزالى|:297. انظر أيضاً |ظلال|:2673/5-2674؛ |شرقاوى|:390/1.

6893 . |خالدى-أ|:12/3.

6894 . |ظلال|:1361/3.

6895 . |عباس|:481.

6896 . |شرقاوى|:390/1.

6897. "The term *zabūr* is perhaps derived from Syriac *mazmūrā* or Hebrew *mizmōr* "Psalm" ([...]), or from epigraphic South Arabian ([...])" (|GR-AQ|:441). See also |FV|:148-149; |EI-2|:11\372.

6898 . نحن نرى أن المفرد "الزَّبُور" يشير إلى كتاب سماوي (الأنبياء 105) ولم يُقْصَد به إلا كتاب داود (النساء 163) (الإسراء 55). أما جَمْعُه "(الـ)زبُر" (آل عمران 184) (النحل 44) (الشعراء 196) (فاطر 25) (القمر 43، 52) فهو الذي يعني "كُتُب" (books) أو "كُتُب سماوية" (Scriptures) التي تشمل الزَّبُور وكتب أخرى. انظر |EI-2|:372/11.

6899 . |ضيف|:546. انظر أيضاً |أشقر|:331؛ |سعدى|:532.

6900 . اقرأ أيضاً (1 أخنوخ 5:7-8). ويقول الأب متى المسكين تعليقاً على "طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ" (متى 5:5) و "أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ" (المزامير 37:11): "باعتبار أن الأرض بمفهوم الملكوت هي أرض الميعاد الحقيقية بمفهومها [المسيحي] الأُخروي: "الأرض الجديدة" التي يسكن فيها البر، والتي هرب منها الحزن والكآبة" (|المسيح|:232).

6901 . انظر تفاسير (الأعراف 131)، وانظر أيضاً [ط ي ر] فى لسان العرب والقاموس المحيط؛ |شعراوى-عجز|:121-122.

6902 . أخرج البخاري حديثاً عن أبي هريرة: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ". قال: خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ، تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ (البخارى 4281؛ |خ|:1660/4). ثم بعد ذلك نتساءل: مِن أين يأتي الإرهاب الإسلامي؟! الإجابة: يأتي الإرهابُ الإسلامي مِن الثقافة الإسلامية-العربية التي تضم كتباً مثل صحيح البخاري، أصح كتاب بعد القرآن مِن وجهة نظر المسلمين السُّنَّة!

6903 . التوراة + السيف؛ عصا هارون الكاهن + سيف يشوع المُقاتِل.

6904 . القرآن + السيف؛ المصحف + المسدس؛ الشيخ + اللواء؛ العِمَّة + الكاب؛ البروباجاندا + العنف (الإرهاب بكل درجاته وأنواعه وأشكاله).

6905 . إذا كانت وسيلة الخلاص في المسيحية هي الصليب، فإن وسيلة الخلاص في الإسلام هي السيف. قال المسيح: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي" (لوقا 9:23) (متى 16:24) (مرقس 8:34). وقال محمدٌ: "أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءَهم وأموالَهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله" (البخارى 25؛ |خ|:17/1) (مسلم 22؛ |م|:53/1).

6906 . يقول ول ديورانت إن يشوع "أقام حكمه على قانون الطبيعة الثانى، وهو أن أكثر الناس قتلاً هو الذى يبقى حياً. وبهذه الطريقة الواقعية التى لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة" (|ديورانت|:327/2/1).

6907 . |Conrad|:53/24. ملحوظة: طبعاً نحن لا نعتبر الغزو والقتل "نجاحاً"، لكن الكثيرين يعتبرونه نجاحاً عسكرياً.

6908 . يقول القرآن والسُّنَّة إنَّ محمداً أُخْرِجَ مِن مكة. بدليل "إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا" (التوبة 40)، "أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ [مِن مكة]" (التوبة 13)، "وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ (أى: مكة) الَّتِي أَخْرَجَتْكَ" (محمد 13). وبدليل أنه قال لمكة: "والله إنك لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرِجْتُ منك ما خرجت"، وفى رواية أخرى أنه قال لمكة: "ما أطيبك من بلدٍ، وأَحَبَّكِ إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك" (الترمذى 3925-3926؛ |ت|:532/5-533؛ وقال الألبانى "صحيح" |ت-ألبانى|:880؛ "صحيح" |ت-صحيح|:589/3-590) (أحمد 305/4؛ "إسناده صحيح، رجاله ثقات أئمة مشاهير" |ل-شاكر|:250/14؛ "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين" |ل|:10/31-13). وفي حديث صحيح أخرجه البخاري أن بلال بن رباح قَالَ بعد هجرته مِن مكة إلى المدينة: "اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا (أي: مكة) إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ (يقصد: المدينة)" (البخارى 1790؛ |خ|:667/2).

6909 . "ودلت هذه الآية، أن الله قد مَكَّن مَن قبلنا، واستخلفهم فى الأرض، كما قال موسى لقومه "وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"" (|سعدى|:573).

6910 . |Neuwirth|:291.

6911 . هذه الفكرة القرآنية – وإنْ كانت غير موجودة في القصة التوراتية – فإنَّ لها جذور في تراث الشرق الأوسط القديم الذي نظر إلى الأرض كـ "رحم وقبر" (womb and tomb) في نفس الوقت. فمِن الأرض (أي: مِن طين الأرض) خُلِقَ الإنسانُ؛ وفيها يُدفَن الإنسانُ بعد موته؛ ومِنها يقوم الإنسانُ عند بعثه. وكذلك بالنسبة لدورة حياة النباتات المرتبطة صعوداً وهبوطاً (حياة وموت) بموسمي المطر والقحط. راجِع أساطير الإلهة إنانا **[← عشتار]** والإله دوموزي **[← تموز]**.

6912 . وقيل: فتح فارس والروم! والأصوب هو فتح مكة بدليل قول القرآن "فَتْحٌ قَرِيبٌ" أى: عاجل.

6913 . |نسفى|:37/2. انظر أيضاً |كشاف-ش|:471؛ |كشاف-ع|:166/3.

6914 . |ظلال|:1816/3.

6915 . |Neuwirth|:300-302.

6916 . لكن فى المقابل، تقول المراجع الإسلامية إن "أبا سفيان" زعيم مكة الذى كان قائداً للمشركين وعدواً لدوداً للإسلام والمسلمين لم يسلم إلا يوم فتح مكة (8هـ) – أى: أنه "أسلم في اللحظة الأخيرة خوفاً من الانهزام" (|رفاعى|:89). ومع ذلك، قَبِل اللهُ إيمانه وتوبته! لماذا؟ هل لأنه كان والد زوجة محمد؟ أم بسبب سلطته ونفوذه؟

6917 . قيل إن "عَبْدِهِ" (الإسراء 1) هو محمد! مع أن الآية التالية (الإسراء 2) تذكر موسى وبنى إسرائيل صراحةً بالاسم، وسورة الإسراء تُسمَّى أيضاً سورة "بنى إسرائيل". أما أسطورة "الإسراء والمعراج" فسنتحدث عنها فى فصل آخر مستقل، وسنثبت بالأدلة أنها مجرد أسطورة إسلامية/عربية مستوحاة مِن أساطير يهودية/إسرائيلية قديمة. كما صعد موسى للقاء الله على الجبل، كان لا بد أن يجعل المسلمون محمداً (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) يصعد إلى السماء.

6918 . |بارى|:257/7؛ |بارى-طيبة|:650/8؛ |خالدى-أ|:137/3، 146؛ |خالدى-ج|:259.

6919 . (البخارى 3035؛ |خ|:1173/3-1174) (مسلم 164؛ |م|:149/1-151)؛ |خالدى-أ|:355/3-357.

6920 . راجع ما قلناه عن الارتباط الوثيق بين (النازعات 15-26) و (طه 9-24). ولمزيد من التفاصيل حول هاتين الروايتين وعلاقتهما بقصة المعراج وسورة النجم، انظر |Neuwirth|:288-291.

6921. “The qur’ānic version of this narrative [i.e. Moses’ and Aaron’s encounter with Pharaoh] is, however, remodeled in accordance with its typological interpretation of the story of Moses. Moses’ signs and proofs correspond to Muḥammad’s signs and proofs. Pharaoh’s council of nobles corresponds to the leading clan representatives *(mala’)* of Mecca, Muḥammad’s opposition” (|EQ|:3\422).

6922 . |معجم-ألفاظ|:285؛ |خالدى-أ|:84/3.

6923 . |معجم-ألفاظ|:176.

6924 . أو بعبارة أكثر جرأة: هل قصة "هجرة المسلمين الأوائل مِن مكة إلى المدينة ثم رجوعهم إلى مكة فاتحين" قصة حقيقية؟ أم هى مجرد قصة خيالية مستوحاة مِن قصة "خروج بنى إسرائيل مِن مصر" (سفر الخروج) وقصة هامان (سفر أستير)؟

6925 . |Conrad|:24/38-39، 54.

6926 . |ج-البغا|:789. انظر أيضاً |بيضاوى|:338/2.

6927 . يقول حديث صحيح إن محمد علَّم أصحابه "كل شيء حتى الخِرَاءَة (أى: الأوامر والنواهى المتعلقة بقضاء الحاجة!)" (مسلم 262؛ |م|:223/1-224؛ |م-نووى|:194/3-195)!

6928 . (أحمد 403/1؛ "إسناده ضعيف" |ل|:374/6-376؛ "إسناده ضعيف" |ل-شاكر|:49/4-50) (أحمد 444/1؛ "إسناده ضعيف" |ل|:278/7-280؛ "إسناده ضعيف" |ل-شاكر|:188/4-189). انظر أيضاً |هيثمى|:79/6؛ |نبلاء|:482/1-483؛ |زادمعاد|:169/3؛ |جمعة-نار|:15.

6929 . "وَأَمَّا خَطِيَّتُكُمْ، الْعِجْلُ الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ، فَأَخَذْتُهُ وَأَحْرَقْتُهُ بِالنَّارِ، وَرَضَضْتُهُ وَطَحَنْتُهُ جَيِّدًا حَتَّى نَعِمَ كَالْغُبَارِ. ثُمَّ طَرَحْتُ غُبَارَهُ فِي النَّهْرِ الْمُنْحَدِرِ مِنَ الْجَبَلِ" (التثنية 9:21).

6930 . مثل "الْجُبِّ" في قصة يوسف. أراد إخوةُ يوسف أن يتخلصوا منه، لكن الله خَلَّصه، بل جعله سبباً في خلاصهم مِن الجوع والهلاك. "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (يوسف 21). لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:281.

6931 . |KHO|:34-35.

6932 . |خالدى-ب|:187-188. وقال د. صلاح الخالدى فى موضع آخر: "وهذا هو هدىُ رسولِنا محمد ﷺ فى حربه للأعداء، فكان هو الذى "يدخل عليهم الباب"، ويبدأ بالهجوم، ويفاجئهم بغزو بلادهم. هذا ما فعله ﷺ عندما غزا يهود بنى قَيْنُقَاع وبني النضير وبنى قريظة، وعندما فاجأ يهود خيبر، وفاجأ المشركين يوم فتح مكة. وهذا ما وعاهُ الصحابةُ رضوان الله عليهم، حيث كانوا فى جهادهم الكافرين يبدءون بالضربة الأولى، ويدخلون عليهم الباب، فكان الكفار يُفاجَئون وينهزمون" (|خالدى-أ|:3/281-282). انظر أيضاً |أميرى|:340.

6933. 8 بكل وضوح, https://www.youtube.com/watch?v=8V-IBzwxZqk

6934. Joseph Witztum, "The Syriac Milieu of the Quran: The Recasting of Biblical Narratives". PhD Dissertation. Princeton, NJ: Princeton University. 2011 (|Witztum|:281-292).

6935 . ولم تُذكَر ثلاثة حروف مقطعة تتلوها جملة "تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ" في القرآن كله إلا في مقدمة قصتي يوسف وموسى. وقيل إن (يوسف 1) مدنية. إذن: اتجاه انتقال الفكرة كان على الأرجح مِن قصة موسى إلى قصة يوسف.

6936 . وقال بطلُ الرواية: "نَّزَغَ الشَّيْطَانُ (أي: أفسد الشَّيْطَانُ رابطة الأُخوَّة) بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي" (يوسف 100).

6937 . فكرة توراتية أصلاً: "فَسَمِعَ رَأُوبَيْنُ وَأَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَقَالَ: «لاَ نَقْتُلُهُ». وَقَالَ لَهُمْ رَأُوبَيْنُ: «لاَ تَسْفِكُوا دَمًا. اِطْرَحُوهُ فِي هذِهِ الْبِئْرِ الَّتِي فِي الْبَرِّيَّةِ وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَدًا»" (التكوين 37:21-22). "فَقَالَ يَهُوذَا لإِخْوَتِهِ: «مَا الْفَائِدَةُ أَنْ نَقْتُلَ أَخَانَا وَنُخْفِيَ دَمَهُ؟ تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ، وَلاَ تَكُنْ أَيْدِينَا عَلَيْهِ لأَنَّهُ أَخُونَا وَلَحْمُنَا»" (التكوين 37:26-27).

6938. From Joseph to Moses: “the parallel with Joseph may explain why in Q 28 […] Pharaoh’s [wife] urges her [husband] not to kill Moses” (|Witztum|:291).

6939 . بخلاف التوراة التي تقول: "وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ. وَأَمَّا الْبِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ" (التكوين 37:24).

6940. From Joseph to Moses: “The omission of the box in which Moses was placed serves to strengthen his likeness to Joseph as does the use of the verb *alqā*. […] Therefore it seems evident that Q 28 is influenced by Q 12 in this instance” (|Witztum|:283). See |Witztum|:291.

6941 . ولم يُذكَر الفعل "ل ق ط" في القرآن كله إلا في هذين الموضعين مِن قصتي يوسف وموسى القرآنيتين. بخلاف التوراة التي تستخدم فعلين مختلفين في قصتي يوسف وموسى (|Witztum|:284). في قصة يوسف التوراتية: "فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ" (التكوين 37:28). وفي قصة موسى التوراتية: "فَأَرْسَلَتْ [ابْنَةُ فِرْعَوْنَ] أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ" (الخروج 2:5) "وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ»" (الخروج 2:10).

6942. “The similarity in language emphasizes the contrast in intent. Whereas Moses’ family truly cared for him, the brothers were planning to get rid of Joseph” (|Witztum|:284).

6943 . كما قلنا عند دراسة قصة يوسف، هذه الفكرة القرآنية لها جذور في التراث المسيحي السرياني.

6944 . (طه 38-39) تقول أيضاً "أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ" موسى؛ لكن لا تقول إن الله وعدها أن موسى سيرجع إليها.

6945. From Joseph to Moses: “the parallel with Joseph may explain why in Q 28 Moses’ mother receives a consoling revelation” (|Witztum|:291). See also |Witztum|:284-285.

6946 . وتقول التوراة إن يوسف تزوج في مصر "أَسْنَاتَ بِنْتَ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ" (التكوين 41:45).

6947 . ولم تُذكَر عبارة "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" في القرآن كله إلا في هذين الموضعين مِن قصتي يوسف وموسى. أما الكتاب المقدس فيقول عن موسى فقط إن *ابْنَةَ* فِرْعَوْنَ اتخذته ابناً (الخروج 2:10) (أعمال الرسل 7:21-22). إذن: اتجاه انتقال فكرة "التبني" كان على الأرجح مِن قصة موسى إلى قصة يوسف كما قلنا. أما جعلها "امرأة فرعون" – وليست "ابنة فرعون" – فربما كان تأثراً بـ "امرأة" العزيز (فوطيفار) كما قلنا؛ أي: انتقل مِن قصة يوسف إلى قصة موسى.

6948 . كلها مكية: (الأعراف 128-137) (الأعراف 144-145) (الشعراء 54-59) (الدخان 25-28) (القصص 5-6).

6949 . ولم تُذكَر جملةُ "آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" في القرآن كله إلا في هذين الموضعين مِن قصتي يوسف وموسى. فهل هي مجرد صدفة؟! مستحيل أن يكون كل ذلك مجرد صدفة.

6950 . "وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (القصص 37). وأُمِرَ محمدٌ (موسى الثاني، موسى الجديد، موسى العرب) أن يقول أيضاً لعدوه (كفار قريش): "مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ"! "قُلْ [يا محمد] يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ (أي: على طريقتكم؛ على حالتكم التي أنتم عليها) إِنِّي عَامِلٌ [على طريقتي]ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (الأنعام 135). اقرأ أيضاً (الأنعام 21).

6951 . صحيح أن يوسف "هَمَّ بِهَا" (يوسف 24). لكن ليس هو مَن بدأ المراودة الجنسية. وإنما امرأةُ العزيز. أو كما قلنا فيما سبق: يوسف بريء مِن الزنا ومِن البدء بالمراودة الجنسية، لكنه ليس بريئاً مِن "الهمّ" بارتكاب الفاحشة.

6952 . ومِن قبله، يوسف التوراتي. ظهر له رجلٌ فجأة ليساعده وهو يبحث عن إخوته، ثم اختفى فجأة (التكوين 37:12-17)!

6953 . فهل هي مجرد صدفة أن المرة الوحيدة التي يُنطَق فيها اسمُ "يوسف" خارج سورة يوسف جاءت في قصة موسى؟!
ملحوظة: توجد آية أخرى (الأنعام 84) ذُكِرَ فيها اسمُ يوسف خارج سورة يوسف، لكنها مجرد قائمة أنبياء وليست قصة.
وحتى في تلك الآية، يأتي اسمُ يوسف قبل اسم موسى مباشرةً: "[...] وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ [...]" (الأنعام 84)!
إذن: كل الأدلة التي أمامنا تؤكد وجود ارتباط وثيق بين قصتي يوسف وموسى القرآنيتين.

6954 . وقيل إن الهاء في "أَنسَاهُ" تعود على يوسف. وكما قلنا فيما سبق، نحن لا نرى تعارضاً بين الرأيين فيمكن الجمع بينهما.

6955 . "مِنْ سِبْطِ أَفْرَايِمَ هُوشَعُ بْنُ نُونَ" (العدد 13:8). "وَدَعَا مُوسَى هُوشَعَ بْنَ نُونَ «يَشُوعَ»" (العدد 13:16).

6956 . تكلَّم هارونُ في مشاهد أخرى مِن الرواية؛ مثلاً: مشهد العجل الذهبي (عِجل السامري) (طه 90، 94) (الأعراف 150).

6957 . ولم تُذكَر جملةُ "اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" في القرآن كله إلا في هذين الموضعين مِن قصتي يوسف وموسى.

6958 . ولم يُذكَر الوصف "شَيْخٌ كَبِير" في القرآن كله إلا في هذين الموضعين مِن قصتي يوسف وموسى. أما التوراة فتقول عن يعقوب فقط إنه "شَيْخ" (التكوين 43:27) "أَبٌ شَيْخٌ" (التكوين 44:20). إذن: اتجاه انتقال الفكرة كان على الأرجح مِن قصة يوسف إلى قصة موسى. انظر |Witztum|:291، 288.

6959 . ""نَجِيًّا" مَصْدَرٌ يَصْلُحُ لِلْوَاحِدِ وَغَيْرِهِ؛ أَيْ: يُنَاجِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا" (|ج|:245؛ |ج-البغا|:315؛ |ج-وطن|:245).
ولم تُذكَر كلمة "نَجِيًّا" في القرآن كله إلا مرتين: مرة في قصة يوسف (يوسف 80)؛ ومرة في قصة موسى (مريم 52)!

6960 . كما قلنا فيما سبق، بدأت معاناةُ يعقوب بسبب الحزن والخوف منذ اللحظة التي فارقه يوسفُ، بدليل أنه قال لإخوته: "إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ (أي: بيوسف) وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ" (يوسف 13).

6961 . فقد يعقوبُ قوةَ بصره بسبب الحزن: "ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ" (يوسف 84). ثم "قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (يوسف 86). إذن: عودة بصره قوياً كما كان يدل على نهاية حزنه.

6962 . وكذلك قالت امرأةُ فرعون حين أرادت أن تتبنى موسى: "وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" (القصص 9).

6963 . بخلاف الروايات القرآنية الأخرى لقصة موسى (طه 21) (النمل 10) التي ذكرت قصة العُلّيقة المشتعلة (The Burning Bush) وتحول عصا موسى إلى حَيَّة (الخروج 3-4) ولم تقل "إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ"!

6964 . كما قلنا فيما سبق: قصة يوسف أطول قصة في سفر التكوين. وقصة موسى أطول قصة في التوراة.

6965. “themes and phrases migrated in both directions” (i.e. from Joseph to Moses, and from Moses to Joseph) (|Witztum|:281). “both accounts influence each other and grow more and more alike” (|Witztum|:291).

6966 . هل كان بنو إسرائيل يعرفون عبارة "إِنْ شَاءَ اللَّهُ" فى ذلك الوقت؟ إذا كانت الإجابة "نعم"، فما الدليل؟

6967 . كما قال جمهور المفسرين (|طنطاوى-قصص|:465/1؛ |عباس|:582). انظر تفاسير (البقرة 73)؛ |و|:108/1/1.

6968 . هذا ما وجدناه فى كثير من كتب التفسير وكتب قصص القرآن. قارن بين تصديق المسلمين أن هذا القتيل الذى لا نعرف حتى اسمه قد مات وقام مِن الأموات، وعدم تصديقهم أن المسيح – أشهر شخصية فى التاريخ – قد مات وقام من الأموات!

6969 . |BT|:223/11-234.

6970 . |Mishnah|:205، 303-304، 697.

6971 . |Potiphar|:102-105. وكما نقول دائماً: كانت الأفكار تنتقل بسهولة وسلاسة بين قصتي يوسف وموسى.

6972 . |شعراوى-عجز|:178. انظر أيضاً |ضيف|:24؛ |شاكر|:183؛ |باش-موسى|:89؛ |خالدى-أ|:259/3-260؛ |خالدى-ب|:71.

6973 . |زادمسير|:102/1.

6974 . |طنطاوى-قصص|:465/1-468. انظر أيضاً |ج|:11؛ |ج-البغا|:14؛ |ج-وطن|:11؛ |فهد|:11؛ |أشقر|:11؛ |وجدى|:13؛ |سعدى|:55؛ |خالدى-أ|:258/3؛ |قرنى|:19؛ |عرائس|:208؛ |بدوى|:286/1-287.

6975 . |بيضاوى|:67/1.

6976 . |و|:108/1/1.

6977 . |خالدى-أ|:259/3.

6978 . |بكر|:207. انظر أيضاً |شعراوى-حيو|:197،187-199.

6979 . |منار|:351/1.

6980 . |شلتوت|:38-39.

6981 . سنتحدث عن إنجيل الطفولة لتوما بقدر أكبر من التفصيل عند حديثنا عن إحدى معجزات عيسى ابن مريم وهى أنه خلق من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فصار طيراً (آل عمران 49) (المائدة 110)! يُمكن معرفة المزيد مِن المعلومات عن هذا الإنجيل الأبوكريفى وقراءة نصوص له باللغة الإنجليزية فى |ApocrG|:3-29؛ |Elliott|:68-83؛ |IGT| أو زيارة موقع الدكتور (Tony Chartrand-Burke): https://www.tonyburke.ca/infancy-gospel-of-thomas/ . وباللغة العربية فى |بسيط-أبوكريفا|:93/1-101؛ |طرزى-أبوكريفا|:64/1-83. انظر أيضاً |Sidersky|:99.

6982. “Nb 19:2 parle de vache rousse (*adama*, en hébreu)” (|Aldeeb|:382). Cf. |Masson|:785; |Sidersky|:97. “Generations have puzzled over the color of this cow. The best explanation is that it is a brown, or reddish-brown cow with no spots of other color on it” (|JSB|:306).

6983 . |نطرون|:العدد/195.

6984 . |آرثر|:2186. انظر أيضاً |نطرون|:العدد/198.

6985 . ربما يقصد: خَيْمَة الاجْتِمَاع (The Tent of Meeting)؛ و/أو: المَسكَن (The Mishkan; The Divine Presence; The Tabernacle).

6986 . |يعقوبى|:40/1.

6987. “It seems likely that the frequent talmudic comparisons between the red cow [in Num. 19] and the heifer [in Deut. 21:1-9] caused Muḥammad this confusion” (|Katsh|:71).

6988 . |قاهرة|:223/24. انظر الترجمة الإنجليزية (Parah 1:1) |Mishnah|:697؛ |GR-AQ|:52.

6989 . لقراءة كلام الشيخ عبد الوهاب النجار كاملاً ورده على اللجنة التى اعترضت عليه، انظر |نجار|:280-324. انظر أيضاً |منتخب|:18.

6990 . |كشاف-ش|:83؛ |كشاف-ع|:286/1. انظر أيضاً |نسفى|:101/1.

6991 . مِن الهامش فى |Pickthall|:13 منسوباً لـ (Maulvi Muhammad Ali).

6992 . |KJV-arch|:230.

6993 . وفى قصة "البقرة وجريمة القتل"، قال موسى لقومه: "أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (البقرة 67).

6994 . وفى قصة "البقرة وجريمة القتل"، قال قومُ موسى له: "أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا" (البقرة 67).

6995 . (مسلم 1337؛ |م|:975/2)؛ |خالدى-ب|:79-80.

6996 . (مسلم 2358؛ |م|:1831/4)؛ |خالدى-ب|:80.

6997 . (البخارى 6862-6863؛ |خ|:2659/6؛ |بارى|:285/13؛ |بارى-طيبة|:163/17).

6998 . وما زالت كل الدول الإرهابية والمنظمات الإرهابية، ومنها جماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس الإرهابيتان، تعتمد على مبدأ "السمع والطاعة".

6999 . هذه الآيات القرآنية من أهم أسباب جمود وتأخر المجتمعات العربية-الإسلامية.

7000 . |طبرى|:226/2-231، 646/7؛ |طبرى-شاكر|:324/2-328، 363/9.

7001 . |زادمسير|:113/1.

7002 . |كشاف-ش|:85-86؛ |كشاف-ع|:294/1-296؛ |نسفى|:108/1.

7003 . |كثير|:177/1. انظر أيضاً |كثير-شيخ|:485/1؛ |كثير-طيبة|:324/1.

7004 . |Arberry|:123/1،39؛ |Blachere|:127،40. انظر أيضاً |Reynolds|:150؛ |EQ|:408/2.

7005 . لمزيد مِن التفاصيل، انظر |Reynolds|:147-155. ولقد استفدنا كثيراً من هذا المرجع.

7006 . |NIV|:31؛ |دراسى|:48. انظر أيضاً |KJV-arch|:1607.

7007 . |آرثر|:339.

7008 . |EJ|:731/4.

7009 . وهذا تعليم خطير يتعارض مع العقيدة المسيحية، لأنه يعنى أن موت المسيح على الصليب لا يكفى لإتمام الخلاص!

7010 . |قاموس-كتاب|:338.

7011 . |قاموس-كتاب|:637.

7012 . اقرأ أيضاً (1 ملوك 10:19-14) (نحميا 26:9) (متى 23:29-31) (لوقا 11:46-51) (أعمال الرسل 13:3-15) (أعمال الرسل 10:4) (رومية 3:11) (1 تسالونيكي 2:14-15).

7013 . "حِينَئِذٍ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ الَّذِي يُدْعَى قَيَافَا، وَتَشَاوَرُوا (أي: تَآمَرُوا) لِكَيْ يُمْسِكُوا يَسُوعَ بِمَكْرٍ (in some sly way) وَيَقْتُلُوهُ" (متى 26:3-4).

7014 . |Philo-ar|:64/4؛ |Philo|:534. انظر أيضاً |EJ|:732/4.

7015 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:834/4/135).

7016 . |Midrash|:392/1؛ |Reynolds|:153.

7017 . ويوجد نوعٌ رابع مِن الغُرْلَة بالمعنى المجازى، وهو غُرْلَة الثمار (fruits) أو غُرْلَة الأشجار (trees) (اللاويين 23:19). ولم نجده فى القرآن، ربما لأنه يتعلق بالنبات، وليس بالإنسان.

7018 . |أفراهاط|:37.

7019. “So it is known that whoever does not circumcise the foreskin of his heart, then also the circumcision of his flesh is of no value to him” (|Reynolds|:155).

7020 . |أفراهاط|:85؛ |Reynolds|:155.

7021. “Jonah [...] saw the uncircumcised cut to the heart, while the circumcised had hardened it” (|Reynolds|:129-130). “*The Repentance of Nineveh: A Metrical Homily on the Mission of Jonah*”, by Ephraem Syrus, translated by Rev. Henry Burgess, London: Blackader, 1853, p. 58.

7022. “Then you [i.e. Our Lord] conferred your sign, circumcision of the heart, by which the circumcised were recognized as not being yours” (|Reynolds|:155). See also |NPNF-2|:13\308.

7023 . |Reynolds|:153.

7024. https://www.youtube.com/watch?v=uDnz4NvtG8c

7025 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

7026 . |ماوردى|:135/1. انظر أيضاً |بيضاوى|:365/1،67؛ |Haleem|:11.

7027 . |منتخب|:16، 276.

7028 . |بكر|:365. انظر أيضاً |خالدى-ب|:230.

7029 . |زادمسير|:95/1.

7030 . |واحدى|:152/1. انظر أيضاً |نسفى|:96/1.

7031 . |بشير|:358/2.

7032 . |نسفى|:614/1. انظر أيضاً |بدوى|:334/1.

7033 . (البقرة 65) (|ضيف|:23). (النساء 47) (|ضيف|:154).

7034 . |خالدى-ب|:249.

7035 . |ظلال|:1385/3.

7036 . |BT|:586/16. انظر أيضاً |Masson|:785؛ |Reynolds|:113-114؛ |GR-AQ|:284؛ |EI-2|:639/7؛ |Katsh|:67.

7037 . |Kugel|:237-238. انظر أيضاً |OTP|:313/2؛ |Reynolds|:114.

7038 . |Banon|:63، 127؛ |Reynolds|:37؛ |Witztum|:5. وقيل: في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد (|JAOS|:834/4/135).

7039 . |Midrash|:196/1-197؛ |Reynolds|:114.

7040 . |Reynolds|:114؛ |GR-AQ|:205.

7041 . وفى العهد الجديد، كان تعظيم يوم السبت سبباً فى مواجهات بين اليهود والمسيح، فقال لهم المسيحُ: "السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ، لاَ الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ. إِذًا ابْنُ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا" (مرقس 2:27-28) (متى 12:8) (لوقا 6:5). فكان ذلك أحد الأسباب التى جعلت اليهود يريدون أن يقتلوا المسيح (يوحنا 5:16-18).

7042 . |BT|:539/2؛ |Reynolds|:115.

7043 . |BT|:543/2؛ |Reynolds|:115.

7044 . |BT|:350/12؛ |Reynolds|:115؛ |GR-AQ|:284.

7045 . |قاموس-كتاب|:454.

7046 . مثلاً |بشير|:357/2؛ |فضل|:177؛ |ماوردى|:271/2-272؛ |كشاف-ش|:392؛ |كشاف-ع|:523/2؛ |بيضاوى|:67/1؛ |نسفى|:613/1؛ |زادمسير|:276/3؛ |منتخب|:276؛ |ج|:10؛ |ج-البغا|:13؛ |ج-وطن|:10؛ |ضيف|:287،23؛ |أشقر|:171،10؛ |قرنى|:209،18؛ |بدوى|:333/1.

7047 . |Josephus|:906؛ |Reynolds|:116.

7048 . |Reynolds|:116؛ |Josephus|:906.

7049 . |Midrash|:84/1؛ |Reynolds|:116.

7050 . |BT|:344/16؛ |Reynolds|:116-117.

7051 . لمزيد من التفاصيل، انظر |Reynolds|:106-117.

7052 . انظر الآراء المختلفة حول جذور "يوم السبت (يوم الراحة)" اليهودي في الديانات القديمة لسكان وادي الرافدين (|السواح|:204/12؛ |كتابية|:330/4-331؛ |قاموس-كتاب|:453-454).

7053 . |فهد|:281. انظر أيضاً |جزائرى|:167/3-169؛ |باش|:317/2؛ |فضل|:177؛ |قرنى|:331.

7054 . |كثير|:151/1؛ |كثير-شيخ|:438/1؛ |كثير-طيبة|:290/1. انظر أيضاً |واحدى-وجيز|:623/1-624؛ |ج|:281؛ |ج-البغا|:363؛ |ج-وطن|:281؛ |ماوردى|:220/3؛ |بيضاوى|:561/1.

7055 . (مسلم 856؛ |م|:586/2). انظر أيضاً |خالدى-ب|:234-235؛ |بشير|:211/3. <u>تعليقنا:</u> الله هو الذي أضلهم؟!

7056 . (البخارى 836؛ |خ|:299/1).

7057 . |بطال|:476/2. انظر أيضاً |عياض|:250/3.

7058 . |نسفى|:241/2. انظر أيضاً |كشاف-ش|:588؛ |كشاف-ع|:485/3؛ |وجدى|:363.

7059 . |منتخب|:470. انظر أيضاً |أشقر|:281. وتوجد شواهد أخرى فى المراجع الإسلامية تدل على أن اليهود كانوا يعيبون على المسلمين الأوائل فى أمور أخرى، وكان المسلمون الأوائل يردون عليهم. انظر مثلاً |عباس|:556. واقرأ أيضاً تفاسير (آل عمران 93).

7060 . راجع ما قلناه عن الحنيفية (ملة إبراهيم)، وبخاصة فيما يتعلق بمسألة تحويل القبلة من أورشليم/الشام إلى مكة.

7061 . |جابرى|:222/2.

7062 . "السبت" هنا تعني الشريعة كلها، مِن باب إطلاق الجزء على الكل. كما نقول "التوراة" أو "الناموس" ونقصد: العهد القديم كله (يوحنا 34:12) (1 كورنثوس 21:14).

7063 . |مارمرقص|:العهدالقديم/90/12.

7064. "In Matthew [12:8], Jesus is the authoritative interpreter of Sabbath laws" (|JANT|:33).

7065. "Since *Son of Man* could simply mean a person (see "Son of Man," p. 74), it is possible that this saying originally meant that everyone is *lord even of the sabbath* in the sense of enjoying the day rather than feeling burdened by Sabbath laws" (|JANT|:76).

7066 . ونحن نعتقد أن هذا هو التفسير الصحيح، لأن "الإنسان" (أي: أي إنسان) مذكور مرتين في الآية التي تسبقها، وأيضاً لأن التوراة تقول إن السبت أُعطِي للإنسان: "فَتَحْفَظُونَ السَّبْتَ لأَنَّهُ مُقَدَّسٌ لَكُمْ (to you)" (الخروج 14:31) (|JANT|:124-125). وفي كلتا الحالتين، "ابْنُ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا" (مرقس 28:2) (متى 8:12) (لوقا 5:6) ليست دليلاً على لاهوت المسيح. ولو كان المسيحُ هو الله، لقال لليهود: "أنا الرب إلهكم الذي فرض عليكم السبت"، لكن هذا لم يحدث أبداً.

7067. 79 بكل وضوح, https://www.youtube.com/watch?v=-vBadS7qfbQ

7068 . |كتابية|:333/4-335. انظر أيضاً |قاموس-كتاب|:453-455.

7069 . راجع ما قلناه عن تأثر أصحاب القرآن بأفكار بولس الرسول والمسيحيين الأوائل فيما يتعلق بـ "إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ" (رومية 12:4) "إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا" (رومية 16:4) **[⟵ "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (الحج 78)]**.

7070 . "النصوص المسيحية في العصور الأولى: القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد". ترجمة ومراجعة: هيئة علمية أكاديمية تحت إشراف: د. جوزيف موريس فلتس. القاهرة: مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة 1، مايو 2012، ص 157، 159.

7071. "The law was given by Moses [to the Israelites] on account of the hardness of their hearts" (|ANF|:1\203; |Witztum|:278). Read online at https://www.newadvent.org/fathers/0128.htm

7072. "the [Quranic] idea that the Mosaic Law is in part a punishment given to the Jews is connected to an idea found in the Syriac Christian *Didascalia*, by which God first established an easy law at Mt. Sinai. When the Israelites impiously worshipped the golden calf, God then established a second, difficult law as a punishment" (|GR-AQ|:182-183).

7073 . تعليقنا: الله هو الذي أضل النبي الكذاب؟! لعل المقصود: سمح الله له بالضلال والإضلال عقاباً له ولمَن يخضعون له.

7074 . |Witztum|:278-279.

7075 . "وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ" (الأنعام 146). ونلاحظ هنا أيضاً أن عبارة "ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ" تؤكد أن شريعة تحريم هذه الأطعمة كانت عقاباً لليهود. وفي الواقع إنها ليست فكرة جديدة، وإنما هي أيضاً مأخوذة من التراث المسيحي (السرياني) قبل الإسلام الذي قال إن تحريم بعض الأطعمة على بني إسرائيل كان عقاباً لهم على خطاياهم

وبخاصة خطيئة عبادة العجل (لمزيد من التفاصيل، انظر |Witztum|:275-278؛ |GR-AQ|:245، 182-183). ولا يتسع المجال هنا لشرح مسألة تحريم تلك الأطعمة، فسنكتفي هنا بالحديث عن قضية السبت فقط.

7076 . الترجمة العربية (|ينابيع|:7/67-69). انظر أيضاً |Witztum|:278؛ |GR-AQ|:431.

7077 . اقرأ أيضاً "قَلْبَهُمْ ذَهَبَ وَرَاءَ أَصْنَامِهِمْ" (حزقيال 20:16)؛ "أَصْعَدُوا أَصْنَامَهُمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ" (حزقيال 14:3). **[⟵ "أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ" (البقرة 93)؛ بالمعنى المجازي: امتزجت قلوبُهم بحب عبادة العجل].**

7078 . "فَآمَنَ [أَبْرَامُ/إبراهيمُ] بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا (بالعبرية: tzedakah)" (التكوين 15:6). **[⟵ "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا" (مريم 41)].**

7079 . "إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ" (رومية 4:12) "إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا" (رومية 4:16) **[⟵ "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" (الحج 78)].**

7080 . (مسلم 854؛ |م|:2/585). انظر أيضاً (الترمذى 491؛ |ت|:2/282-283؛ "صحيح" |ت-ألبانى|:130؛ |ت-صحيح|:1/278-279) (النسائى 1373؛ |س|:3/89-90؛ "صحيح" |س-ألبانى|:225؛ |س-صحيح|:1/443) (أبو داود 1046؛ |د|:1/274-275؛ "صحيح" |د-ألبانى|:181-182؛ |د-صحيح|:1/289-290) (مالك |ط|:1/108-110؛ |ط-أعظمى|:2/150-152؛ |ط-مسالك|:2/443-448؛ "صحيح" |و|:3/4/219).

7081 . |مقاتل|:1/113. انظر أيضاً تفاسير (البقرة 66) و |Reynolds|:108.

7082 . فكرة هذا الجدول مستوحاة من |خالدى-ب|:236-238.

7083 . قال ابن الجوزى: "وفى قوله: "وَأَنْتُمْ حُرُمٌ" ثلاثة أقوال. أحدها: وأنتم مُحْرِمُون بحج أو عمرة، قاله الأكثرون. والثانى: وأنتم فى الحرم، يقال: أحرم: إذا دخل فى الحرم، [...]. والثالث: الجمع بين القولين" (|زادمسير|:2/422).

7084 . |خ|:4/1673.

7085 . |منتخب|:140. انظر أيضاً |ج|:86؛ |ج-البغا|:108؛ |ج-وطن|:86؛ |فهد|:86؛ |فهد-ن|:115؛ |أشقر|:86.

7086 . |واحدى-وجيز|:1/267؛ |واحدى|:2/62؛ |سعدى|:181؛ |وجدى|:108.

7087 . |بيضاوى|:1/218؛ |نسفى|:1/363؛ |زادمسير|:2/101-102؛ |رازى|:10/121-122.

7088 . |زادمسير|:3/279.

7089 . |ماوردى|:2/273. انظر أيضاً |ج|:172؛ |ج-البغا|:220؛ |ج-وطن|:172.

7090 . |كشاف-ش|:394؛ |كشاف-ع|:2/526. انظر أيضاً |بيضاوى|:1/365؛ |نسفى|:1/614؛ |أشقر|:172.

7091 . |واحدى|:2/421-422؛ |واحدى-وجيز|:1/419.

7092 . |صفوة|:1/479.

7093 . (البخارى 25؛ |خ|:1/17) (مسلم 22؛ |م|:1/53). ويؤمن المسلمون السُّنَّة أن هذا حديث صحيح، بل فى أعلى درجات الصحة، إذ أخرجه الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحيهما، أصح كتابين بعد القرآن مِن وجهة نظر المسلمين السُّنَّة.

7094 . المراجع الإسلامية: تفاسير (الكهف 9-26) و |عافية|:1/153-411؛ |طبرى-قصص|:364-367؛ |عرائس|:361-376؛ |بكر|:366-377؛ |فضل|:246-251؛ |بدوى|:1/538-556؛ |مفصل|:3/72-75.

7095. *"Three Coptic legends : Hilaria. Archellites. The Seven sleepers"*, edited with translation and commentary by James Drescher, Caire : Impr. de l'Institut français d'archéologie orientale, 1947, pp. 100-119. *"L'exégèse coranique"*, Ali Mérad (Professeur émérite à l'Université de la Sorbonne Nouvelle (Paris III)), Paris : P.U.F, 1998, p. 40. See also |Reynolds|:185; |QHC|:129; |QHC-ar|:199-200.

7096 . هذا التقسيم إلى ثلاث مراحل مُستوحَى مِن |QHC|:118-120، 125-130؛ |QHC-ar|:186-187، 194-200؛ |Reynolds|:168-170؛ |Blachere|:318-319 ومِن بعض التفاسير الإسلامية. انظر أيضاً |عافية|:1/287-288؛ |و|:1/11/194-195؛ |خالدى-ب|:288-289.

7097 . قيل إن "لفظ الرجم، الذي وردت مشتقاته في أربعة عشر موضعاً من التنزيل الحكيم ليس من بينها موضع واحد يدلّ على الرمي بالحجارة، ولا يخرج منها موضع واحد عن معنى الطرد القسري والإخراج عُنوة" (|شحرور|:2/87).

7098 . هذا يتضح بسهولة مِن كلمة "رب" التى استُخدِمت فى المرحلتين الأولى والثانية مع ضمائر الجمع فقط: "ربنا" (الكهف 10، 14) و "ربكم" (الكهف 16، 19) و "ربهم" (الكهف 13، 21). أما فى المرحلة الثالثة، استُخدِمت كلمة "رب"

مع ضمائر المفرد فقط: "ربى" (الكهف 22، 24) و "ربك" (الكهف 24، 27). بعبارة أخرى: تُركز المرحلتان الأولى والثانية على "الفتية" (الكهف 10، 13) أصحاب الكهف، بينما تُركز المرحلة الثالثة على محمد (وبالتالى على كل مسلم).

7099 . |خالدى-ب|:277. انظر أيضاً |خالدى-ب|:283-284.

7100 . الخلاف الإسلامى-الإسلامى حول "الرَّقِيم" (|عافية|:353/1-396). انظر أيضاً تفاسير (الكهف 9).

7101 . |طبرى|:160/15؛ |كثير|:135/5؛ |كثير-شيخ|:106/9؛ |عافية|:357/1.

7102. Ali Mérad (Professeur émérite à l'Université de la Sorbonne Nouvelle (Paris III)), "L'exégèse coranique", Paris : P.U.F, 1998, p. 29.

7103 . |فهد-ن|:386؛ |AYA|:709؛ |Pickthall|:380؛ |Unal|:600؛ |Bakhtiar|:337.

7104 . |منتخب-ف|:435. أو (tableau gravé) (|Aldeeb|:297).

7105 . |فهد-ف|:436؛ |Arberry|:316/1؛ |Bell|:275/1؛ |Haleem|:295؛ |Fakhry|:290؛ |Ghali|:294؛ |زينب|:294؛ |Boubakeur|:919/1-920. لمزيد من التفاصيل عن اختلاف المفسرين والمترجمين حول كلمة "الرقيم"، انظر تفاسير وترجمات (الكهف 9) و |Reynolds|:171-173.

7106 . |كثير|:136/5؛ |كثير-شيخ|:109/9؛ |كثير-شاكر|:411/2؛ |كثير-صابونى|:410/2؛ |كثير-شنقيطى|:1076. انظر أيضاً |طنطاوى-قصص|:244/2؛ |شحاته|:2955/8؛ |خالدى-ب|:292-293؛ |بدوى|:261/1.

7107 . |قرطبى|:216/13-217؛ |قرطبى-مصر|:685/5.

7108 . |عافية|:318/1.

7109 . لمعرفة جذور قصة أصحاب الكهف قبل ظهور الإسلام، انظر |QHC|:109-137؛ |QHC-ar|:173-211؛ |Reynolds|:167-185؛ |Tisdall|:143-149؛ |Tisdall-ar|:122-127.

7110 . لمزيد من المعلومات عن هذه القصص الثلاث، انظر |Tisdall|:147؛ |Tisdall-ar|:124-125؛ |Reynolds|:167، 181-182؛ |QHC|:120-122؛ |QHC-ar|:188-190؛ |كهف|:14-15، 29.

7111 . |AYA|:709.

7112 . |Boubakeur|:915/1.

7113 . لمزيد مِن التفاصيل عن انتشار قصة أصحاب الكهف بلغات كثيرة قبل ظهور الإسلام، انظر |عافية|:186/1-198.

7114 . |بكر|:368.

7115 . |عافية|:489/2.

7116 . اقرأ قصة "أصحاب الكهف" السريانية مُترجَمة إلى اللغة الإنجليزية في |Reynolds|:182-185؛ |QHC|:122-124؛ |Tisdall|:147-148، ومُترجَمة إلى اللغة العربية في |QHC-ar|:190-193؛ |Tisdall-ar|:124-126؛ |كهف|:19-27؛ |عافية|:218/1-234.

7117 . |طنطاوى-قصص|:240/2.

7118 . |Reynolds|:181، 185؛ |QHC|:120، 123، 129؛ |QHC-ar|:188، 191-192، 199-200؛ |كهف|:26؛ |عافية|:218/1، 220، 242، 258-263؛ |عافية|:840/2.

7119 . استخدم الكتاب المقدس كلمة "ساهر" أو "رقيب" (watcher) بمعنى "ملاك" (angel): "كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى رَأْسِي عَلَى فِرَاشِي وَإِذَا بِسَاهِرٍ وَقُدُّوسٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ" (دانيال 13:4). "يُدعى الملاك ساهرًا، لأنه روح بلا جسد، لا ينام ولا يحتاج إلى راحة، فهو دائم اليقظة ليل نهار" (|ملطى|:دانيال).

7120 . راجع الجذور المسيحية السريانية لكلمة "الذئب" (يوسف 13-17) في قصة يوسف. وانظر أيضاً |Witztum|:202.

7121 . |قرطبى-مصر|:694/5،689؛ |نسفى|:293/2.

7122 . |طبرى|:191/15-192. "وقيل بل كان راعياً" (|ماوردى|:292/3). وأخبرنا القرطبى والبيضاوى والزمخشرى عن قراءة مَن قرأ "وكَالِبُهم" يعنى: وصاحب الكلب (|قرطبى-مصر|:696/5؛ |بيضاوى|:6/2؛ |كشاف-ع|:571/3؛ |كشاف-ش|:614).

7123 . |خازن-بغوى|:162/4. لمزيد من التفاصيل عن اختلاف المفسرين فى أمر هذا "الكلب"، انظر تفاسير (الكهف 18) و |Reynolds|:176-177.

7124 . |معجم-قراءات|:354/3؛ |بحر|:105/6.

7125 . |عافية|:309/1-310. انظر أيضاً |عافية|:843/2.

7126 . |واحدى|:139/3.

7127. صندوق الإسلام 30,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6206&cat=24&scat=230&

7128 . |عصر|:173؛ |بسيط|:289/1؛ |KHO-GP|:368.

7129 . ولا تزال كلمة "صلاة" تُكتَب فى المصاحف إلى اليوم كما كانت تُنطَق بالسريانية "صلوة". إذن: البصمة المسيحية السريانية على القرآن واضحة فى محتواه، وواضحة أيضاً فى رسمه.

7130 . |كهف|:18، 40؛ |Reynolds|:184؛ |QHC|:129؛ |QHC-ar|:199.

7131 . |و|:195/11/1.

7132 . |عافية|:371/1-381، 387.

7133 . توجد على الأقل سبعة كهوف فى أماكن مختلفة فى قارتى آسيا وأوروبا تُنسَب إليها قصة أصحاب الكهف (|عافية|:343/1-344، 374، 387)!

7134. شاهد ثلاث حلقات للدكتور"رأفت عماري" (رحمه الله) عن خرافة أصحاب الكهف
الدين والتاريخ 20, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=4005&cat=24&scat=183&
الدين والتاريخ 21, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=4006&cat=24&scat=183&
الدين والتاريخ 22, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=4025&cat=24&scat=183&

7135. صندوق الإسلام 30,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6206&cat=24&scat=230&
صندوق الإسلام 22,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6158&cat=24&scat=230&

7136. “the Quran adapted and reshaped its materials [i.e. its sources]. Many factors influenced this process. The omission of Christological materials, the use of formulaic language, the impact of inner-Quranic parallels, and the tendency to further develop post-Biblical exegetical readings – to name but a few factors” (|Witztum|:265-266).

7137 . كما قال أصحابُ القرآن فى مواضع أخرى: "أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ" (الأنعام 101)؛ "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ" (المائدة 116). وهذا يدل على أن أصحاب القرآن قد تخيَّلوا أن "ولادة" الابن (=المسيح؛ الأقنوم الثاني في الثالوث النيقاوي-القسطنطيني) مِن الآب (الأقنوم الأول) هى ولادة بشرية تناسلية تتكون مِن أب (هو الله) وأم (هى مريم) وابن (هو المسيح)! وهذا طبعاً فَهم خاطئ لمفهوم الولادة، بل إنه فَهم خاطئ للثالوث. وكنا نتمنى أن يدرس أصحابُ القرآن الفكرَ المسيحي مِن مصادره أولاً حتى يفهموه قبل أن ينتقدوه. ولا يتسع المجال هنا لشرح الثالوث النيقاوي-القسطنطيني، فسنكتفي بالإشارة إلى المراجع التي تشرحه، مثل: |قانون|؛ |ثاوفيلس|.

7138 . وإنه لمِن الطريف أن الآية القرآنية الوحيدة التى تقول صراحةً إن إبْلِيس "كَانَ مِنَ الْجِنِّ" موجودة فى سورة الكهف (الكهف 50)!

7139 . |QHC|:127؛ |QHC-ar|:197.

7140 . |IVP-NT|:496.

7141 . طبعاً مسلمون كثيرون يرفضون هذه القراءة ويقولون عليها "قراءة شاذة لا يحتج بها"، على الرغم من أنها مذكورة فى مراجع إسلامية كثيرة: |معجم-قراءات|:359/3؛ |قرطبى-مصر|:708/5؛ |كشاف-ع|:579/3؛ |كشاف-ش|:618؛ |بحر|:112/6؛ وتفاسير (الكهف 25-26). انظر أيضاً |Reynolds|:170؛ |QHC|:120؛ |QHC-ar|:187.

7142 . انظر هذه الروايات المختلفة فى |كهف|:29، 31، 33؛ |عافية|:247/1-258، 266-269. انظر أيضاً |Reynolds|:185؛ |QHC|:124، 129، 135؛ |QHC-ar|:193، 200، 208.

7143 . انظر نقاشاً حول هذا الأمر (|خالدى-ب|:337-342؛ |مجلس|:281). تنبيه: "في عصور مبكِّرة في الألفية الأولى [ق.م.] كان القدماء منتبهين جيداً إلى الاختلاف بين النظام الشمسي (365+ أيام) والدورة القمرية (354+ أيام)" (|IVP-OT|:549؛ |IVP-OT-ar|:107/3). فبحساب تقريبي: 300 سنة شمسية = (300 * 365) / 354 سنة قمرية = 309.32 سنة قمرية.

7144 . انظر المراجع الإسلامية و |Reynolds|:171-179؛ |QHC|:130-131؛ |QHC-ar|:200-202.

7145 . أي: "المؤمن" مِن وجهة نظر الطبرى. كما قال القرآن على الحواريين إنهم "مسلمون" (المائدة 111)!

7146 . قال ابن كثير: "وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُمْ (أى: الفتية) كَانُوا عَلَى دِينِ عِيسَى اِبْن مَرْيَم، وَاَللَّه أَعْلَم. وَالظَّاهِر أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْل مِلَّة النَّصْرَانِيَّة بِالْكُلِّيَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا عَلَى دِين النَّصْرَانِيَّة، لَمَا اِعْتَنَى أَحْبَار الْيَهُود بِحِفْظِ خَبَرهمْ وَأَمْرهمْ، لِمُبَايَنَتِهِمْ لَهُمْ. وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّ قُرَيْشًا بَعَثُوا إِلَى أَحْبَار الْيَهُود بِالْمَدِينَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ أَشْيَاء يَمْتَحِنُونَ بِهَا رَسُول اللَّه ﷺ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ خَبَر هَؤُلَاءِ، وَعَنْ خَبَر ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَعَنْ الرُّوح، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَذَا أَمْر مَحْفُوظ فِي كُتُب أَهْل الْكِتَاب، وَأَنَّهُ مُتَقَدِّم عَلَى دِين النَّصْرَانِيَّة، وَاَللَّه أَعْلَم" (|كثير|:137/5؛ |كثير-شيخ|:109/9؛ |كثير-شنقيطى|:1076-1077). لاحظ أن ابن كثير ذكر الرأيين وختمهما كلاهما بعبارة "الله أعلم"، مما يدل على أنه لا يعلم أيهما أصح.

7147 . |شهبة|:234. انظر أيضاً |عافية|:282/1-283.

7148 . |منتخب|:494؛ |منتخب-ف|:436.

7149 . |منتخب-ف|:434؛ |منتخب-ن|:614. انظر أيضاً |عافية|:166/1-167.

7150 . لمزيد من التفاصيل عن هاتين الثورتين، انظر |مسكين|:221-227؛ |مسكين|:339-341.

7151 . |عافية|:367/1. انظر أيضاً |عافية|:381/1-394. لمزيد من التفاصيل، انظر "أهل الكهف فى التوراة والإنجيل والقرآن"، تأليف: د. أحمد على المجدوب. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. الطبعة الأولى، 1990.

7152 . |EJ|:510/6.

7153 . |BT|:120/7-123؛ |Reynolds|:180-181؛ |Sidersky|:153؛ |EJ|:518/9-519. والقصة موجودة أيضاً في التلمود الفلسطيني/الأورشليمي (|Witztum|:61).

7154 . |OTP|:418/2-423؛ |GR-AQ|:101-102؛ |Witztum|:61.

7155. “Baruch interprets the experience of Abimelech as a proof of the resurrection of the flesh” (|OTP|:2\421).

7156 . ومِن حُسن الحظ أن (البقرة 259) موضوعة في القرآن بعد (البقرة 258) التي تذكر أسطورة المَلِك الكافر (نمرود) الذي جادل إبراهيم. وهي – كما وضحنا – أسطورة قرآنية مستوحاة مما قاله سفرُ دانيال عن المَلِك الكافر نَبُوخَذْنَصَّر.

7157 . أو قيامة شعب. شعب إسرائيل "الميت" في السبي البابلي "سيقوم" أي: سيعود إلى أورشليم (حزقيال 37:1-14).

7158 . |قاموس-كتاب|:621.

7159. 243 القرآن دراسة وتحليل, https://www.youtube.com/watch?v=foSp05uYOFE

7160 . طه باقر، "ملحمة كلكامش". لندن: دار الوراق. الطبعة الثالثة، 2014. ص 189-190.

7161 . |ضيف|:574. اقرأ أيضاً "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ" (الروم 55)؛ "يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا. يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (أي: فترة قصيرة جداً)" (طه 102-103).

7162 . |هامش|:178/9؛ |OTP|:571/1. ملحوظة: يرجع تاريخُ "رؤيا عزرا اليونانية" (Greek Apocalypse of Ezra) إلى ما بين القرن الثاني والقرن التاسع بعد الميلاد؛ وقيل: النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي. لمزيد من المعلومات عن تاريخ رؤيا عزرا اليونانية، انظر |هامش|:195/9، 176؛ |OTP|:563/1.

7163 . مثلاً اليسوعية: "وانطلق صوتٌ مِن الغَمام يقول:«هذا هُوَ ابْني الذي اختَرتُه فلَهُ اسْمَعُوا»" (|يسوعية|:العهدالجديد/224). بينما تقول ترجمة ڤاندايك: "وَصَارَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً:«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا»"!

7164 . (The Antiquities of the Jews 14.2.1) |Josephus|:440-441. انظر أيضاً |EJ|:519/9.

7165 . راجع ما قلناه مثلاً عن الصحابي "عبد الله بن سلام" اليهودي الأصل.

7166 . قيل إن "عُزَيْر" (التوبة 30) اسم ملاك! ربما "عزازيل" (Azaz'el) (|GR-AQ|:307)! ونحن لا نتفق مع هذا الرأي.

7167. "Lives, teachings, and sayings of famous philosophers". English & Greek. "Lives of eminent philosophers" by Diogenes Laertius; with an English translation by R.D. Hicks. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1991, v. 1, p. 115. See also |EJ|:9\519; |EB|.

7168 . انظر تفاسير (تيطس 12:1) و (أعمال الرسل 28:17) مثل: |NIV|:1721، 1890؛ |دراسى|:2660، 2929؛ |آرثر|:1864، 2156.

7169 . |Tisdall|:149؛ |Tisdall-ar|:126-127.

7170 . |QHC|:120؛ |QHC-ar|:188؛ |Reynolds|:181.

7171. Plato, "The allegory of the cave" (translated by Benjamin Jowett; edited by Brian Burns), P & L Publications. 2010, pp. 1-52.

7172. Aristotle, "Physics", English & Greek ; with an English translation by Philip H. Wicksteed and Francis M. Cornford, Cambridge, Mass. : Harvard University Press, 1929, p. 383.

7173 . |شعراوى|:8851/14 و 8862. وقال القرطبى: "قَالَ اِبْن عَطِيَّة : وَالصَّحِيح فِي أَمْرهمْ أَنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ حَفِظَ لَهُمْ الْحَالَة الَّتِي نَامُوا عَلَيْهَا لِتَكُونَ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ فِيهِمْ آيَة، فَلَمْ يُبْلَ لَهُمْ ثَوْب وَلَمْ تُغَيَّرْ صِفَة، وَلَمْ يُنْكِر النَّاهِض إِلَى الْمَدِينَة إِلَّا مَعَالِم الْأَرْض وَالْبِنَاء، وَلَوْ كَانَتْ فِي نَفْسه حَالَة يُنْكِرهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِ أَهَمّ" (|قرطبى-مصر|:697/5). انظر أيضاً |عافية|:291/1؛ |طنطاوى-قصص|:242/2-243؛ |خالدى-ب|:312-313.

7174 . |و|:205/3/2. انظر أيضاً |و|:193/11/1.

7175 . لمزيد من التفاصيل، انظر |MS|:90، 121.

7176 . (البخارى 3221؛ |خ|:1248/3). انظر أيضاً |و-عامة|:599؛ |عافية|:855/2؛ |خالدى-أ|:305/3؛ |خالدى-ب|:397.

7177 . القرآن نفسه استخدم "الاهتزاز" كدليل على الحياة: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً (أي: يابسة) فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ (أي: دبَّت فيها الحياة وتحركت بالنبات) وَرَبَتْ (أي: انتفخت وعلت) إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (فصلت 39).

7178 . (البخارى 3219-3220؛ |خ|:1246/3-1248) (البخارى 4448-4450؛ |خ|:1752/4-1758) (البخارى 2147؛ |خ|:791/2) (مسلم 2380؛ |م|:1847/4-1853) (الترمذى 3149؛ |ت|:154/5-157؛ وقال الألبانى "صحيح" |ت-ألبانى|:707-708؛ "صحيح" |ت-صحيح|:273/3-276).

7179 . |بارى|:267/8؛ |بارى-طيبة|:324/10. "حوت مشوى" (|شعراوى-قصص|:269؛ |خالدى-أ|:302/3-303؛ |خالدى-ب|:413؛ |بيضاوى|:17/2).

7180 . |فهد|:300-301؛ |ميسر|:249؛ |طبرى-صابونى|:16/2؛ |طبرى-تاريخ|:376/1،373؛ |طبرى-قصص|:233-236،234؛ |طنطاوى-قصص|:473/1-474؛ |بكر|:214-215؛ |شعراوى-قصص|:270؛ |عافية|:302/1؛ |فضل|:152؛ |باش-موسى|:96،92؛ |أشقر|:300؛ |خالدى-أ|:330/3،309؛ |قرنى|:352؛ |زين|:256؛ |بدوى|:297/1؛ |Reynolds|:113؛ |EI-2|:903/4؛ |EQ|:82/3.

7181 . الترجمة الصحيحة لكلمة "عِلْم" في القرآن هي (knowledge)، أى: معرفة، وليس (science) كما يدعى مَن يزعمون أن الدين عِلم مثل الفيزياء والكيمياء. ونحن نقول لهم: الدين ظاهرة اجتماعية وجزء مِن المعرفة الإنسانية مثل الآداب والفنون، وليس عِلماً مِن العلوم. انظر ترجمات (الكهف 65).

7182 . وقرأ ابن عباس: "أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا" (البخارى 3220؛ |خ|:1248/3). وفى قراءة أبيِّ بن كعب: "كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ" (|طبرى|:329/15). سؤال: هل اللوح المحفوظ تُوجَد فيه "أَمَامَهُمْ" و "صَالِحَةٍ" أم لا؟! وإن قلتم – كعادتكم – إنها قراءة شاذة، فسنقول: كيف تكون شاذة وهى مذكورة فى صحيح البخارى؟!

7183 . |شاكر|:147-150.

7184 . |خالدى-أ|:295/3.

7185 . |نسفى|:309/2.

7186 . |عافية|:546/2-549، 857؛ |طنطاوى-قصص|:472/1؛ |ميسر|:249؛ |وسيط|:897/2؛ |شعراوى-قصص|:271؛ |بكر|:214؛ |بهجت|:264؛ |بيضاوى|:16/2؛ |باش-موسى|:96؛ |خالدى-ج|:280-281؛ |بدوى|:296/1-297؛ |عرائس|:194. انظر أيضاً |EI-2|:903/4-904.

7187 . (البخارى 3220؛ |خ|:1248/3) (مسلم 2380؛ |م|:1850/4).

7188 . (مسلم 2380؛ |م|:1852/4). انظر أيضاً |واحدى|:161/3. وقيل إن الله أعلم الخَضِرَ بأن الغلام "طُبع كافراً" (|طنطاوى-قصص|:483/1)! ونلاحظ دائماً أنهم لمَّا بيتزنقوا، بيلزقوا التهمة فى الله!

7189 . |عباس|:612.

7190 . |زين|:260. وهكذا ألصقوا التهمة بالله، مع أن القرآن نفسه لم يقل إن الله أخبر الخَضِرَ بمستقبل الغلام. يعنى: بيفتروا على الله وبيفتروا على القرآن!

7191 . |خالدى-أ|:325/3. انظر أيضاً |خالدى-ب|:436.

7192 . |و|:269/9/1.

7193 . |طنطاوى-قصص|:488/1. انظر أيضاً |سعدى|:485،483؛ |عرائس|:203.

7194 . |كثير-هاشمى|:392؛ |كثير-بديوى|:474؛ |كثير-ك|:134/2؛ |كثير-تركى|:249/2.

7195 . |شعراوى-قصص|:279. انظر أيضاً |بكر|:226-227؛ |بهجت|:271؛ |بدوى|:301/1.

7196 . |بيضاوى|:19/2.

7197 . |قرطبى|:330/13.

7198 . وهذا درس مهم لكل مَن يتحاور مع المسلمين. لا بد أولاً من تعريف المصطلحات حتى لا نعطي فرصة للمسلمين أن يتلاعبوا بالألفاظ. مثلاً: عندما يقول مسلم: "الإسلام يحرم قتلَ الأبرياء". لا بد أن نسأله ما هو تعريفك للأبرياء؟ ربما يقصد: المسلمين. "الأبرياء" عكس "المجرمين"، والقرآن وصف الكفار والمشركين بأنهم مجرمون: "أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ" (القلم 35)؛ "وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا (أي: أشركوا) وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ" (يونس 13)؛ "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ. كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ" (المرسلات 45-46)؛ "إِنَّ الْمُجْرِمِينَ (أي: الكافرين) فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ" (الزخرف 74)؛ "وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (أي: الكفار، المشركون)" (يس 59)؛ "إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا (أي: كافراً به) فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا" (طه 74).

7199 . |نجار|:343. انظر أيضاً |عافية|:484/2-485. أو أن اسم الخَضِر هو "بليان بن ملكان" (|و|:213/11/1).

7200 . |قرطبى|:325/13؛ |قرطبى-مصر|:18/6. انظر أيضاً |زادمسير|:168/5؛ |وجدى|:390؛ |خالدى-ب|:399-400.

7201 . |رازى|:148/21-149. ثم ذكر ستة أدلة على نبوة الخضر، إلا أنه ضعَّفها.

7202 . |بيضاوى|:17/2. انظر أيضاً |واحدى-وجيز|:667/2؛ |واحدى|:157/3-158؛ |فهد|:301؛ |عباس|:609.

7203 . |قرنى|:352.

7204 . |عافية|:573/2-584. وقالت موسوعة بيان الإسلام إن أفعال الخضر "كلها صادرة عن وحي إلهي" (|و|:263/9/1-267)! انظر أيضاً |ميسر|:251؛ |باش-موسى|:92-95؛ |خالدى-أ|:327/3؛ |زين|:255؛ |عباس|:612-613.

7205 . |عافية|:523/2-524، 860.

7206 . |و-عامة|:599.

7207 . |سعدى|:482؛ |سعدى|:484.

7208 . |خالدى-أ|:306/3. انظر أيضاً |خالدى-ب|:400-401.

7209 . |ج|:301؛ |ج-البغا|:390؛ |ج-وطن|:301.

7210 . انظر الأدلة على نبوة الخضر التى ذكرها ابن كثير (|كثير-هاشمى|:392؛ |كثير-بديوى|:474؛ |كثير-ك|:134/2؛ |كثير-تركى|:249/2).

7211 . |غزالى|:236. ويرى الشيخ الغزالى أن الخضر "نبى" "من عباد الله الصالحين" (|غزالى|:235)!

7212 . |رازى|:162/21.

7213 . |ماوردى|:325/3. القول بأن الخَضِر مِن الملائكة والتعليق على ذلك (|عافية|:589/2-593).

7214 . |بدوى|:304/1-306. انظر أيضاً |EI-2|:905/4.

7215 . |بكر|:220. انظر أيضاً |نجار|:254؛ |و|:264/9/1-268؛ |طنطاوى-قصص|:476/1؛ |عافية|:520/2؛ |أشقر|:301؛ |خالدى-أ|:314/3-315؛ |خالدى-ب|:387.

7216 . |خالدى-ب|:415.

7217. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

7218 . |م-نووى|:211/15؛ |م|:1852/4. انظر أيضاً |خالدى-أ|:329/3؛ |خالدى-ب|:390.

7219 . (البخارى 3221؛ |خ|:1248/3). انظر أيضاً |و-عامة|:599؛ |عافية|:855/2؛ |خالدى-أ|:305/3؛ |خالدى-ب|:397.

7220 . حسب العقيدة المسيحية: "أورشليم الجديدة" أو "أورشليم السمائية" هى مسكن المسيح (الله) مع المؤمنين الأبرار الذين يرثون ملكوت السماوات بعد أن يأتى المسيحُ فى مجيئه الثانى.

7221 . قال يسوع المسيح: "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ [الأرضي]. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ [الأرضي]، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا" (يوحنا 36:18).

7222 . |قاموس-كتاب|:144؛ |عافية|:428/1.

7223 . |Masson|:876؛ |Boubakeur|:937/1؛ |Sidersky|:92.

7224 . |تلمود|:346-348.

7225 . مثلاً |EI-2|:902/4-905؛ |Reynolds|:204-205، 246؛ |Sidersky|:92-95؛ |EJ|:539/14.

7226 . |BT|:525/16؛ |EJ|:333/6-334؛ |Midrash|:282/1-283.

7227 . |عافية|:460/1؛ |عافية|:490/2.

7228 . |عاشور|:364/15.

7229 . |عافية|:434/1.

7230 . |عافية|:437/1-440.

7231 . |EJ|:539/14. ملحمة جلجامش طويلة وعميقة. وحتى الجزء الذى يهمنا منها طويل جداً. فمِن الضرورى أن نختصر. لمزيد من التفاصيل، انظر |ANET|:87-97؛ |ProcheOrient|:212-218؛ |أساطير|:225-256؛ |OTParallels|:24-32؛ |Hays|:75-82؛ |Coogan|:42-44؛ |عافية|:440/1-441؛ |Walton|:51-52؛ |قاهرة|:143/42-144.

7232 . |Bottero|:47؛ |Kramer|:181-198؛ |Kramer-fr|:226-241.

7233 . |أساطير|:169. انظر أيضاً |Kramer-fr|:227.

7234.http://www.britishmuseum.org/research/collection_online/collection_object_details.aspx?objectId=278466&partId=1

7235. https://www.youtube.com/watch?v=KZmtUI8M7aA Or try the older URL: http://www.college-de-france.fr/site/thomas-romer/course-2013-02-07-14h00.htm

7236 . |Vermes|:549-550. "الْجَبَابِرَةَ" (Nephilim) (التكوين 4:6) (العدد 33:13) **[← "قَوْمًا جَبَّارِينَ" (المائدة 22)]**.

7237. Prof. Ed Greenstein, Bar-Ilan Univ., https://www.youtube.com/watch?v=8aWkR3QowdI

7238 . "في بعض النسخ أصبح "إنكيدو" خادماً لجيلجامش" (|قاهرة|:143/42).

7239 . اقرأ سفر يشوع. إن يشوع (يُوشَع) "أقام حكمه على قانون الطبيعة الثانى، وهو أن أكثر الناس قتلاً هو الذى يبقى حياً. وبهذه الطريقة الواقعية التى لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة" (|ديورانت|:327/2/1).

7240 . ركز الفصل الأول (الكهف 60-64) تركيزاً شديداً على نسيان يوشع للحوت، بدليل أنه كرره 3 مرات: "نَسِيَا حُوتَهُمَا [...] قَالَ (يُوشَع لموسى) [...] فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ" (الكهف 61-63). الفاعل فى المرة الأولى هما موسى ويُوشَع؛ والفاعل فى المرة الثانية هو يُوشَع؛ والفاعل فى المرة الثالثة هو الشيطان الذى جعل يُوشَع ينسى. وهذه هى المرة الوحيدة فى سورة الكهف التى وردت فيها كلمة "الشَّيْطَان". وقيل: "وكأن الإحساس بالنَصَب والتعب (الكهف 62) شبه عقوبة على النسيان" (|خالدى-ب|:418). وفى الفصل الثانى (الكهف 65-77)، نجد أن موسى نَسِيَ الاتفاقَ ولم يصبر 3 مرات (الكهف 71، 74، 77) رغم أنه وعد الخَضِرَ فى بداية الرحلة بالصبر والطاعة وعدم السؤال (الكهف 69-70).

7241 . "وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا" أى: "وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ عندنا عِلْمًا خاصاً لم نعلِّمهُ لغيره" (|ميسر|:250). انظر أيضاً |أشقر|:301؛ |خالدى-ب|:424؛ |عباس|:609.

7242 . راجع أيضاً ما قلناه عن الإله الخَضِر "أوزيريس" (Osiris) الذي مات (قُتِل) ثم قام مِن بين الأموات وحصل على الحياة الأبدية، أي: حياة بعد الموت، فصار إله الحياة الآخرة (العالم السفلي؛ عالم الموتى) عند المصريين القدماء.

7243 . وفى التوراة: "وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ (أى: أربعة أنهار)" (التكوين 2:10).

7244 . |طبرى-تاريخ|:367/1-368؛ |طبرى-قصص|:229.

7245. 460 سؤال جريء, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6417&cat=24&scat=40&

7246 . |أضواء|:208/4. ثم ضعَّف الأحاديث التى تدل على أن الخضر ما زال حياً.

7247 . الخلاف الإسلامى-الإسلامى حول كون الخضر ما زال حياً أم مات (|عافية|:593/2-610؛ |أضواء|:208/4-226؛ |خالدى-ب|:401-405). وقال د. عافية نقلاً عن آخرين إن المتصوفة (أى: الصوفيون) أشاعوا بين الناس "عقيدة استمرار حياة الخضر، وتنقله من مكان إلى مكان [...] وحضوره فى مختلف بقاع الأرض" و "زعموا أن الخَضِر وإلياس حيَّان أبد الدهر" (|عافية|:487/2).

7248 . |و-عامة|:599.

7249 . |شعراوى-قصص|:272.

7250 . |كثير-هاشمى|:390،349؛ |كثير-بديوى|:471،421؛ |كثير-ك|:131/2؛ |كثير-تركى|:245/2. انظر أيضاً |طبرى-تاريخ|:376/1،366؛ |طبرى-قصص|:228، 236-237؛ |بيضاوى|:16/2.

7251 . |نسفى|:310/2.

7252 . |بكر|:230-231.

7253 . مثلاً |كثير-ك|:130/2-131؛ |كثير-تركى|:243/2-244؛ |إصابة|:236/3؛ |إصابة-ع|:250/2.

7254 . |كثير-ك|:130/2-147؛ |كثير-تركى|:243/2-271. انظر أيضاً |عرائس|:199-200؛ |EQ|:83/3؛ [خ ض ر] فى تاج العروس.

7255 . |إصابة|:220/1؛ |إصابة-ع|:261/1. انظر أيضاً |EI-2|:904/4.

7256 . |بارى|:499/6؛ |بارى-طيبة|:713/7؛ |نجار|:343؛ |بيضاوى|:17/2؛ |بدوى|:304/1.

7257 . |بارى|:500/6؛ |بارى-طيبة|:714/7.

7258 . هذه الأساطير الإسلامية والتعليق عليها (|إصابة|:236/3-304؛ |إصابة-ع|:250/2-282؛ |بارى|:499/6-502؛ |بارى-طيبة|:713/7-717؛ |عافية|:610/2-636). انظر أيضاً [خ ض ر] فى تاج العروس؛ |بهجت|:265-266؛ |EI-2|:905/4.

7259 . الخلاف الإسلامى-الإسلامى حول الخَضِر واسمه (|عافية|:484/2-485، 561-572؛ |و|:213/11/1-214).

7260 . (مسلم 2938؛ إم|:2256/4؛ إم-نووى|:94/18-96).

7261 . قيل ذلك تفسيراً لـ "وَأَمَّا مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلاَئِكَةِ، فَلَمَّا خَاصَمَ إِبْلِيسَ مُحَاجًّا عَنْ جَسَدِ مُوسَى (أي: جُثْمَانِ مُوسَى)، لَمْ يَجْسُرْ [مِيخَائِيلُ] أَنْ يُورِدَ حُكْمَ افْتِرَاءٍ [على إبْلِيس] (أي: لم يحكم عليه بالإدانة؛ لم يلعنه؛ لم يشتمه بكلامٍ مهين مثلاً)، بَلْ قَالَ [له فقط مستنجداً بالله وحده]: «لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ!» (أي: لِيَزْجُرْكَ اللهُ؛ ليُسكتك الله)" (يهوذا 9). انظر إنطرون|:غلاطية/231.

7262 . وإنه لمِن الطريف أن يقول البخارى ومسلم إن قبر موسى يقع "إلى جانب الطريق" "تحت الكَثِيبِ (أى: الرمل المتجمع المستطيل) الأحمر" (البخارى 1274؛ إخ|:449/1) (مسلم 2372؛ إم|:1842/4-1843)؛ إخالدى-أ|:334/3-341! بدون أن يحددا لنا أين يقع هذا الطريق بالضبط؟! وأضاف مسلم أن محمداً رأى موسى "قائماً يصلى فى قبره" ليلة الإسراء والمعراج (مسلم 2375؛ إم|:1845/4)؛ إخالدى-ج|:288! وقيل إن موسى يحيا "حياة برزخية"! ولا تسألهم عن طبيعة هذه "الحياة البرزخية" لأنهم – كالعادة – سيقولون لك "الله أعلم".

7263 . |EJ|:534/14.

7264 . |EJ|:334/6؛ |EJ|:536/14.

7265 . |EJ|:531/14.

7266 . |EI-2|:902/4-905. انظر أيضاً |Sidersky|:95؛ |EJ|:539/14.

7267. 74 سؤال جريء,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=859&cat=24&scat=40&
35 صندوق الإسلام,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6240&cat=24&scat=230&

7268 . إسريان-أدب|:225. أو أنها كُتِبَت حوالى 300م (|EJ|:627/1)، أى قبل الإسلام بأكثر مِن 300 سنة.

7269 . انظر نقاشاً حول روايات قصة الإسكندر ومشتقاتها من الأدب اليوناني إلى الأدب السرياني (|Witztum|:14-15).

7270 . |EI-2|:127/4. انظر أيضاً |EI-2|:902/4-905؛ إسريان-أدب|:225؛ |Boubakeur|:937/1.

7271 . إسريان-أدب|:223.

[7272]. Dr. Tommaso Tesei: “The episode of the fish’s escape is related to the theme of the paradisiacal rivers through the Alexander legend of the water of life, that is evoked in [الكهف 60-65]” (|QSC|:116). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-014

7273 . |GR-AQ|:463-464. ملحوظة: "نشيد الإسكندر" (Song of Alexander) يُسمَّى أيضاً في بعض المراجع "قصيدة الإسكندر" (Alexander Poem) أو "عِظة الإسكندر" (Alexander Homily).

7274 . |GR-AQ|:482. انظر أيضاً |FV|:52.

7275. “Like the Jews, the Muslims occasionally identify [Idrīs] with Elijah, as well as with al-Khaḍir” (|EJ|:6\442). “this is the result of the confusion surrounding Enoch and Elijah in the period prior to Islam because of narratives asserting that they had both ascended to heaven” (|EQ|:2\484). “they became invisible, and no one knows of their death” (|Kugel|:174).

7276 . انظر التفاسير التراثية القديمة لـ (الصافات 130)، مثل: إقرطبى|:91/18؛ إكثير-شاكر|:136/3.

7277 . |Witztum|:14-15.

7278 . |BT|:24/22.

7279 . (البخارى 4450؛ إخ|:1757/4). انظر أيضاً إكثير-هاشمى|:345-346؛ إكثير-بديوى|:417؛ إبهجت|:266-267.

7280 . مثلاً (الترمذى 3149)؛ [خ ض ر] فى تاج العروس؛ إطبرى|:327/15؛ إنسفى|:309/2، 317؛ إعرائس|:194-195، 323؛ إكامل|:121/1-122؛ إبيضاوى|:17/2؛ إطنطاوى-قصص|:473/1؛ إخالدى-ب|:413، 417؛ إباش-موسى|:96. أمثلة أخرى والتعليق عليها (إعافية|:600/2-605، 789).

7281 . ولعل هذا يفسر لنا لماذا ارتبطت شخصية "ذى القرنين" بشخصية "الخضر" فى التراث الإسلامى، أو كما قال ابن كثير إن الخَضِر كان وزيراً لذى القرنين (|كثير-ك|:310/2؛ |كثير-تركى|:542/2؛ "عن عكرمة، عن ابن عباس" (|و|:275/9/1))! وقال الزمخشرى إن الخضر "كان على مقدمة ذى القرنين الأكبر، وبقى إلى أيام موسى" (|كشاف-ع|:596/3؛ |كشاف-ش|:624)! انظر أيضاً |EI-2|:904/4؛ |EQ|:81/3. والحقيقة هى أن شخصية "الخضر" شخصية أسطورية، وشخصية "ذى القرنين" أيضاً شخصية أسطورية كما سنرى فى الفصل القادم.

7282 . (البخارى 3221؛ |خ|:1248/3). انظر أيضاً |و-عامة|:599؛ |عافية|:855/2؛ |خالدى-أ|:305/3؛ |خالدى-ب|:397.

7283 . |Reynolds|:204-205.

7284 . |EJ|:626/1-627.

7285 . |BT|:170/19؛ |Reynolds|:205.

7286 . راجع الأحاديث الصحيحة التي ذكرناها في بداية حديثنا عن قصة "موسى والخَضِر" (الكهف 60-82).

7287 . |عافية|:642/2.

7288. Claude Gilliot, "Le Coran, fruit d'un travail collectif?" (|AOB-Subsidia|:3\185-232).

7289. 28 بكل وضوح, https://www.youtube.com/watch?v=BGwEPbs3ZNU

7290 . جاءت "دَكَّاءَ" مؤنثة مع أن "السد" أو "الردم" مذكر! بدليل الضمير المذكر فى "جَعَلَهُ". وكالعادة، اخترع المفسرون حيل لتبرير هذا الخطأ. والصواب هو "دَكًّا" كما جاء فى بعض القراءات (|معجم-قراءات|:18/4)، وكما قال عن الجبل (مذكر) فى قصة موسى: "فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا" (الأعراف 143). انظر تفاسير (الكهف 98) ولسان العرب [د ك ك].

7291 . "يَوْمَئِذٍ": "أى يوم إتمام بناء السد أو الردم، ولعله يوم القيامة، وفيه تموج الخلائق وتضطرب" (|ضيف|:503). وقال النسفى: "ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج، وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد" (|نسفى|:321/2). وقال تفسير الجلالين: "يَوْم خُرُوجهمْ" (|ج|:304؛ |ج-البغا|:394؛ |ج-وطن|:304). انظر أيضاً |زادمسير|:195/5.

7292 . |عافية|:757/2-761، 868-870.

7293 . |خالدى-ب|:480-485، 494، 545. انظر أيضاً |ظلال|:2293/4-2294.

7294. البوصلة - أساطير الأولين 15 مايو 2020, https://www.youtube.com/watch?v=TYmm9EuU3Zs

7295 . "قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا" (الكهف 94). "مُفْسِدُونَ" جمع مذكر، والضمير "هُمْ" في "وَبَيْنَهُمْ" جمع مذكر. إذن: "يَأْجُوج وَمَأْجُوج" يعني: قوم يَأْجُوج وَمَأْجُوج.

7296 . |عافية|:868/2.

7297. 379 سؤال جريء, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5841&cat=24&scat=40&

7298 . |مجلس|:297. انظر أيضاً |ج-البغا|:392-393؛ |بدوى|:409/1؛ |بيضاوى|:21/2؛ |خالدى-ب|:523.

7299 . |بكر|:307. انظر أيضاً |بدوى|:409/1.

7300 . |رازى|:163/21؛ |منتخب|:508؛ |عافية|:782/2-783؛ |طنطاوى-قصص|:281/2؛ |ج-البغا|:393؛ |أشقر|:303؛ |بيضاوى|:22/2؛ |خالدى-ب|:532؛ |وجدى|:393؛ |بدوى|:416/1؛ |AYA|:739-740.

7301 . |طنطاوى-قصص|:278/2.

7302 . |بكر|:308.

7303 . |كثير-ك|:310/2؛ |كثير-تركى|:542/2. انظر أيضاً |و|:275/9/1-276؛ |عرائس|:318.

7304 . |ضيف|:501.

7305 . |بيضاوى|:22/2. انظر أيضاً |واحدى|:165/3؛ |زادمسير|:186/5.

7306 . |خالدى-ب|:524.

7307 . |روض|:181/3. قال المحقق: "نستطيع الجزم بأن الخبر المنسوب إلى عمر خبر غير صحيح".

7308 . |و|:276-275/9/1.

7309 . |عرائس|:199. انظر أيضاً |كامل|:121/1.

7310 . انظر نقاشاً حول هذه المسألة فى كتاب د. صلاح الخالدى الذى يرفض اجتهادَ البخارى (|خالدى-ب|:453-455).

7311 . |رازى|:163/21-165. انظر أيضاً |عافية|:721/2،718؛ |طبرى-تاريخ|:245/10؛ |كامل|:214/1؛ |نسفى|:316/2؛ |وجدى|:392.

7312 . |كثير-ك|:310/2؛ |كثير-تركى|:542/2. انظر أيضاً |و|:278/9/1.

7313 . |خالدى-ب|:479-480.

7314 . |بدوى|:419/1-423.

7315 . الخلاف الإسلامي-الإسلامي حول اسم "ذى القرنين" (|و|:213/11/1-214؛ |و|:276/9/1-281؛ |عافية|:717/2-727، 773-782، 787-812؛ |خالدى-ب|:463-479، 484؛ |كثير-ك|:308/2-310؛ |كثير-تركى|:539/2-542؛ |عاشور|:18/16-23؛ |بكر|:303-305؛ |ضيف|:500-501).

7316 . |بارى|:443/6؛ |بارى-طيبة|:637/7؛ |و|:279/9/1.

7317 . |خالدى-ب|:466.

7318 . |Trimingham|:192. انظر أيضاً |و|:276/9/1.

7319 . |عافية|:812/2.

7320 . |خالدى-ب|:461.

7321 . |كثير|:186/5؛ |كثير-شيخ|:183/9؛ |كثير-طيبة|:189/5.

7322 . |دراسى|:1220؛ |NIV|:751.

7323 . |قاموس-كتاب|:295، 694.

7324. “during Iron Age I, iron was a precious metal that did not come into mass production until the tenth century [B.C.E.], with bronze surviving as the main utilitarian metal” (|EJ|:16\52).

7325 . سندرس بعد قليل تأثير سفر إرميا على قصة ذي القرنين القرآنية.

7326 . |غزالى|:237.

7327 . |QHC|:197-198؛ |QHC-ar|:293-295؛ |QSC|:167.

7328. الدين والتاريخ 69, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=4882&cat=24&scat=183&
الدين والتاريخ 70, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=4883&cat=24&scat=183&
الدين والتاريخ 71, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=4886&cat=24&scat=183&
الدين والتاريخ 72, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=4887&cat=24&scat=183&

7329 . |قاموس-كتاب|:727-728؛ |سبعينية|:الخروج/255؛ |JSB|:182؛ |KHO|:31؛ |Septuagint|:OT/118؛ |NETS|:76. انظر أيضاً |EJ|:541/14.

7330 . تاريخ تقريبي. وقيل إن فتح مكة كان في يناير 630م (|MS|:46). وقيل: في ديسمبر 630م (|منتخب|:1127).

7331 . |NIV|:1330؛ |دراسى|:2057. ملحوظة: توجد تفاسير أخرى لـ (دانيال 2-8). ولعل السبب فى ذلك هو غموض هذا السفر، لا سيما فى نصفه الثانى، الملىء بالرموز التى تشير إلى أحداث مستقبلية أو يُعتقَد أنها مستقبلية. انظر تفاسير سفر دانيال ونقاشاً علمياً حول هذا السفر وتاريخ كتابته ولغته (|EJ|:419/5-425).

7332 . يُقال إن "محمد" – بفرض أنه شخصاً حقيقياً – قد بدأ دعوته إلى الإسلام عام 610م؛ أى: فى نفس السنة التى اعتلى فيها "هرقل" (Heraclius) عرش الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية). هل هى مجرد صدفة؟!

7333 . |عافية|:674-673/2.

7334. “Alexander is represented on certain coins (for example those minted by King Lysimachus of Thrace around 300 BC) with the horns of the God Ammon” (|GR-AQ|:468).

7335 . "يَقِفُ وَيَرْعَى بِقُدْرَةِ الرَّبِّ، بِعَظَمَةِ اسْمِ الرَّبِّ إِلهِهِ [...] لأَنَّهُ الآنَ يَتَعَظَّمُ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ" (ميخا 4:5). إحدى نبوءات العهد القديم عن المسيح (الراعى الصالح).

7336 . "ولا شك أن هذه الأوصاف تشترك مع أوصاف ذى القرنين الوارد فى القرآن الكريم" (|عافية|:660/2).

7337 . |صفوة|:206/2. وهذا أمر طبيعى، إذ ليس مِن المتوقع أن تكون لغة ذى القرنين هى نفس لغة البلاد التى غزاها. ومِن المعلوم أن مناطق القوقاز وآسيا الوسطى هى واحدة مِن أكثر مناطق العالم تنوعاً مِن حيث اللغات. ومِن المؤكد أن الجبال المرتفعة التى فصلت بين شعوب هذه المناطق لقرون طويلة قد ساعدت على هذا التنوع اللغوى والثقافى.

7338 . "Cyrus the Great"، "Xenophon" (|EB|). انظر أيضاً |خالدى-ب|:469، 478؛ |بدوى|:412/1-414، 423.

7339 . |KJV-arch|:678،686؛ |EJ|:351-350/5؛ |ANET|:316-315.

7340. 63 .الدين والتاريخ,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=4768&cat=24&scat=183&

7341 . انظر الترجمة العربية لأسطوانة كورش وتعليقات مجموعة مِن الأساتذة التونسيين (|عافية|:676-674/2).

7342 . "فلا عجب أن يتخذ اليونان مِنه (أى: مِن كورش) موضوعاً لعدة روايات، وأن يصفوه بأنه أكبر أبطال العالم قبل الإسكندر" (|عافية|:676/2؛ |ديورانت|:403/2/1).

7343 . |معجم-قراءات|:13/4؛ |عافية|:786-785/2؛ |م-نووى|:4/18؛ |ج-البغا|:393؛ |EI-2|:231/11. انظر أيضاً تفاسير (الكهف 94) و (الأنبياء 96).

7344 . |QHC|:181، 199؛ |QHC-ar|:272، 296.

7345 . ويقول حديث مرفوع إن يأجوج ومأجوج من ذُرِّيَّة نوح (|بارى|:13/114-115؛ |بارى-طيبة|:600/16).

7346 . (The Antiquities of the Jews 1.6.1) |Josephus|:41. انظر أيضاً |دراسى|:31؛ |NIV|:20؛ |قاموس-كتاب|:829.

7347 . |QHC|:181، 187؛ |QHC-ar|:271، 279؛ "Gog and Magog" (|EB|).

7348 . |قاموس-كتاب|:276-277؛ |EJ|:683/5، 640. ملحوظة: الحديث هنا عن اسم جوج وليس شخصيته.

7349 . |عافية|:698/2-699 نقلاً عن مصادر يهودية وعِبرية.

7350 . اقرأ أيضاً: "اَلرَّبُّ صَنَعَ الْكُلَّ لِغَرَضِهِ، وَالشِّرِّيرَ أَيْضًا لِيَوْمِ الشَّرِّ" (الأمثال 4:16).

7351 . |دراسى|:1924؛ |NIV|:1249.

7352 . تكررت هذه الفكرة فى مواضع أخرى مِن الكتاب المقدس: "وَقَامَ بَنُو عَمُّونَ وَمُوآبُ عَلَى سُكَّانِ جَبَلِ سِعِيرَ لِيُحَرِّمُوهُمْ وَيُهْلِكُوهُمْ. وَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ سُكَّانِ سِعِيرَ سَاعَدَ بَعْضُهُمْ عَلَى إِهْلاَكِ بَعْضٍ" (2 أخبار الأيام 23:20) و (القضاة 22:7). ومِن علامات نهاية الزمان: "تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ" (متى 7:24) (مرقس 8:13) (لوقا 10:21) "وَعَلَى الأَرْضِ كَرْبُ أُمَمٍ بِحَيْرَةٍ. اَلْبَحْرُ وَالأَمْوَاجُ تَضِجُّ" (لوقا 25:21)، أى: ضيقة أمم مُتحيّرة مِن زئير البحر والأمواج (|QHC|:192-194؛ |QHC-ar|:286-289).

7353 . "أَمَّا الأَشْرَارُ فَكَالْبَحْرِ الْمُضْطَرِبِ لأَنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْدَأَ، وَتَقْذِفُ مِيَاهُهُ حَمْأَةً وَطِينًا" (إشعياء 20:57).

7354 . اقرأ أيضاً (المزامير 2).

7355 . "إن النفخ فى الصور كناية عن الإيذان بحلول يوم القيامة تشبيهاً لنداء الجنود بالبوق، واللغة العربية ملأى بأمثال هذه الكنايات" (|وجدى|:415).

7356 . ونلاحظ أن الشيطان - وليس الله - هو الذى سيجمع جوج وماجوج للقتال (الرؤيا 20:7-9). أما القرآن فيقول "فَجَمَعْنَاهُمْ (أى: جمعهم الله) جَمْعًا" (الكهف 99)! وسنعلم بعد قليل أن السبب المحتمل لهذا الاختلاف بين القرآن وسفر الرؤيا هو أن أصحاب القرآن لم يأخذوا هذه الفكرة مباشرة مِن الكتاب المقدس، وإنما أخذوها مِن المسيحيين السريان.

7357 . فى الإسلام، قيل إن خروج يأجوج ومأجوج "يقع بعد نزول عيسى ابن مريم" وقتله للدجال (|أشقر-عقيدة|:283/5؛ |خالدى-ب|:457)، واستدلوا على ذلك بجزء مِن حديث طويل جداً (مسلم 2937؛ |م|:2250/4-2255). ويوجد رأى آخر يقول تعليقاً على هذا الحديث إن "إخباره بخروجهم بعد قتل عيسى للدجال [...] لا يدل على أنهم لم يخرجوا قبل ذلك؛ بل هذا خروج مِن محلٍ إلى محل [...] ليس المراد به الإخراج الابتدائى" (|عافية|:827/2 نقلاً عن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى). انظر أيضاً |EQ|:331/2. تعليقنا: سواء كان خروج يأجوج ومأجوج قبل المجىء الثانى للمسيح أو بعده، فإن النتيجة واحدة فى الحالتين: هذه العقيدة الإسلامية هى مجرد تطور بشرى طبيعى للعقيدة المسيحية التى تسبقها بمئات السنين.

7358 . |ESV-Luth|:2199. ملحوظة: توجد تفاسير أخرى لـ (الرؤيا 20). ولعل السبب فى ذلك هو غموض هذا السفر الملىء بالرموز التى تشير إلى أحداث مستقبلية.

7359 . "أورشليم الجديدة" أو "أورشليم السمائية" (Heavenly Jerusalem) هى مسكن المسيح (الله) مع المؤمنين الأبرار الذين يرثون ملكوت السماوات بعد أن يأتى المسيح (الراعى الصالح) فى مجيئه الثانى. ويناظرها "جنة الخلد" فى الإسلام.

7360 . |JE|:696/12-697.

7361 . أشار القرآن إلى خراب أورشليم (بيت المقدس) مرتين: "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ" (الإسراء 4)."فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا (أى: المرة الأولى) بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ (يا بنى إسرائيل) عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ (هُمْ البابليين) فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا" (الإسراء 5).

7362 . أشار القرآنُ إلى ذلك بقوله: "ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ (يا بنى إسرائيل) الْكَرَّةَ (أى: الغَلبة) عَلَيْهِمْ (أى: على أعدائكم البابليين) وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا" (الإسراء 6).

7363 . أشار القرآنُ إلى خراب أورشليم (بيت المقدس) الثانى بقوله: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ (أى: المرة الثانية) (سلَّطنا عليكم أعداءكم الرومان) لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ (أى: يخرّبوا الهيكلَ) كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا (أى: لِيُدَمِّرُوا وَيُهْلِكُوا) مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا" (الإسراء 7). كل ذلك مذكور فى الآيات الأولى من سورة الإسراء، التى تُسمَّى أيضاً "سورة بنى إسرائيل". انظر تفاسير (الإسراء 4-7)، وبخاصة |ضيف|:467-468؛ |وجدى|:364؛ |غزالى|:218.

7364 . |EJ|:683/7-684.

7365 . "لم ترد إشارة واحدة تفيد ارتباط ذى القرنين بجوج وماجوج إلا فى بعض مصادر [المسيحيين] السريان" (|عافية|:704/2). انظر أيضاً |EQ|:332/2.

7366 . |RHCharles|:163/2-281؛ |OTP|:5/1-89؛ |Pleiade|:465/337-625؛ |Vermes|:545-548؛ |QHC|:200؛ |QHC-ar|:297-298؛ |هامش|:12/3-212.

7367. “*1 Enoch* was itself undoubtedly considered by many to be sacred Scripture—it is cited, for example, in the New Testament, Jude 14—and its contents were themselves interpreted and passed on as authoritative supplementing the Genesis narrative” (|Kugel|:181).

7368 . |معجم-قراءات|:9/4-10؛ |فهد-ن|:398. انظر أيضاً تفاسير وترجمات (الكهف 86).

7369 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/160-161؛ |يسوعية|:العهدالقديم/948-953؛ |NOAB|:1555-1557؛ |EOSB|:609-610؛ |Septuagint|:Apocrypha/139؛ |NETS|:478-480؛ |RHCharles|:1/59-67.

7370 . (The Wars of the Jews 7.7.4). |Josephus|:913؛ |QHC|:181، 186؛ |QHC-ar|:271، 278.

7371. 307 سؤال جريء,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5270&cat=24&scat=40&

7372 . "Scythian (ancient people)" (|EB|).

7373 . (The Antiquities of the Jews 11.8.5). |Josephus|:368؛ |EJ|:1/625.

7374 . |EJ|:626/1-627؛ |BT|:260/5-262؛ |BT|:20/22-23.

7375. 141 حوار الحق,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=2417&cat=24&scat=42&

7376. "The Romance of Alexander the Great by Pseudo-Callisthenes", translated from the Armenian version with an introduction by Albert Mugrdich Wolohojian. New York and London : Columbia University Press, 1969.

7377 . |سريان-أدب|:225.

7378 . "CALLISTHENES"، "Pseudo-Callisthenes" (|EIr|:4/719-720).

7379 . |KHO|:29، 34؛ |QHC|:176، 188؛ |QHC-ar|:265، 281؛ |Reinink|:VI/165؛ |Witztum|:14-15.

7380 . أو أن القصيدة (poem) قد اعتمدت على القصة (legend) ومصادر أخرى. وربما اعتمدت القصة والقصيدة على مصدر مشترك (common source) أقدم مِنهما (|Reinink|:VI/152-155).

7381 . |QHC|:195؛ |QHC-ar|:290.

7382. “Après l’adaptation arménienne du Ve siècle, le *Roman* [d’Alexandre] est connu par une version syriaque du VIIe siècle, mais qui dérive d’une adaptation en pehlvi (moyen iranien) du texte grec. Cette adaptation perdue est à l’origine de multiples traditions relatives à Alexandre dans la littérature orientale, et spécialement du personnage de Zul-Qarnain, le héros « bicornu » des littératures persane, syrienne, arabe, éthiopienne et turque. La surate 18 du *Coran* envoie même le Bicornu aux extrémités de la terre, et lui fait rencontrer les peuples de Gog et Magog qu’il enfermera derrière un mur de métal”. Source: "Pseudo-Callisthène" traduit et commenté par Gilles Bounoure et Blandine Serret, Paris: Belles Lettres, 1992, xxxiv-xxxv.

7383 . راجع ما قاله يوسيفوس عن أن الإسكندر الأكبر (المقدونى) قد بنى بوابات مِن حديد ليصد بها الغزاة والمفسدين.

7384 . |Reinink|:VI/160. ويبدو لنا أن هذا التفسير المسيحى-السريانى قد اعتمد على آيات مِن سفر دانيال (7:15-28) وسفر الرؤيا (19-22). اقرأ أيضاً ما قاله الإنجيل عن علامات نهاية الزمان (متى 24) (مرقس 13) (لوقا 21)؛ وهذه هى الآيات الوحيدة فى الإنجيل التى أشارت صراحةً إلى دانيال: (متى 15:24) (مرقس 14:13).

7385 . (البخارى 3168؛ |خ|:3/1221) (مسلم 2880؛ |م|:4/2207-2208). انظر أيضاً |ج-البغا|:394-395؛ |طنطاوى-قصص|:2/282؛ |خالدى-ب|:455؛ |فهد-ن|:399؛ |EI-2|:11/232.

7386 . (مسلم 867؛ |م|:2/592). ملحوظة: "(السَّبَّابَةُ) سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُشِيرُونَ بِهَا عِنْدَ السَّبِّ" (|م-نووى|:6/220)!

7387. “Muḥammad was convinced that the end of the world was so close at hand that he himself would witness it” (|EQ|:3\136).

7388 . كما قلنا: "جنة الخلد" فى الإسلام هى مجرد تطور بشرى طبيعى لـ "أورشليم الجديدة (السمائية)" فى المسيحية.

7389 . وتوجد آيات قرآنية كثيرة تثبت وجود الانكفاء (Chiasmus) الذي يُسمَّى أيضاً "اللَّف والنَّشر على عكس الترتيب" (involution and evolution in reverse). اقرأ مثلاً: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (أي: مَن اختار طريق التقوى). وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (أي: مَن اختار طريق الفجور)" (الشمس 7-10). مثال آخر: "وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ (أي: نفاقاً وسمعةً) وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا. وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ [لِوَجْهِ اللَّهِ] ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا" (النساء 38-39).

7390 . الآيات الخمس الأخرى هى: "رَبُّكَ [...] رَبِّكَ [...] رَبِّكَ" (الأنعام 158)؛ "رَبُّنَا [...] رَبَّنَا [...] رَبَّنَا" (الأعراف 89)؛ "رَبَّنَا [...] رَبَّنَا [...] رَبَّنَا" (يونس 88)؛ "رَبَّنَا [...] رَبَّنَا [...] رَبَّنَا" (البقرة 286)؛ "رَبِّ [...] رَبِّ [...] رَبِّ" (الجاثية 36). اقرأ أيضاً دعاءَ إبراهيم (و/أو إسماعيل)، لكنه ثلاث آيات: "رَبَّنَا [...]. رَبَّنَا [...]. رَبَّنَا [...]" (البقرة 127-129).

7391 . |دراسى|:1292؛ |NIV|:804. "the promise of the Lord proves true" (|Kaskas|:203).

7392 . |QHC|:185؛ |QHC-ar|:277.

7393 . |بارى|:6/441؛ |بارى-طيبة|:7/635؛ |و|:1/9/276.

7394 . |بيضاوى|:2/22.

7395 . ومِن قَبل القرآن، توقع المسيحيون السريان انتصارَ الروم في حربهم ضد الفرس، وذلك تعاطفاً مع الروم لأنهم مسيحيون مثلهم. وكذلك اليهود، فعلى الرغم من كراهيتهم للروم الذين دمروا الهيكل، إلا أنهم توقعوا انتصار الروم لأنه – حسب العقيدة اليهودية – يجب أن يسيطر الشر (الروم) على العالم قبل مجيء المسيًّا ابن داود [ليقضي على هذا الشر]. لمزيد من التفاصيل، انظر التلمود البابلي (Yoma 10a) (|BT|:31/5-32) و |Witztum|:51.

7396 . مثلاً: مصحف الأزهر (|ميسر|:243)؛ وزارة الأوقاف المصرية (|منتخب|:491)؛ مجمع الملك فهد (|فهد-ف|:435). انظر أيضاً ما قاله الباحثون الأكاديميون في هذه المسألة (|Witztum|:60).

7397 . تاريخ تقريبي. وقيل إن فتح مكة كان في يناير 630م (|MS|:46). وقيل: في ديسمبر 630م (|منتخب|:1127).

7398 . |QHC|:176، 189-190، 194؛ |QHC-ar|:264، 282-284، 289. وانظر " Alexander Romance" (|EB|).

7399 . |عافية|:705/2. انظر أيضاً |سريان-أدب|:226.

7400 . |KHO|:27-32؛ |QHC|:184-188؛ |QHC-ar|:275-282.

7401. 31 صندوق الإسلام,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=6207&cat=24&scat=230&

7402 . تاريخ تقريبي. وقيل إن فتح مكة كان في يناير 630م (|MS|:46). وقيل: في ديسمبر 630م (|منتخب|:1127).

7403 . |ألوسى|:26/16.

7404 . (ابن أبي شيبة 298/5؛ |شيبة|:256/10-257؛ |شيبة-رشد|:15/7؛ |شيبة-فاروق|:608/6). |KHO|:34؛ |ضعيفة|:465/8.

7405 . |QHC-ar|:263-302؛ |عافية|:705/2-713.

7406. E.A. Wallis Budge, “The History of Alexander the Great, being the Syriac Version of the Pseudo-Callisthenes”. Cambridge: Cambridge University Press, 1889, pp. 144-158. Available online at:
https://archive.org/details/Budge1889TheHistoryOfAlexanderTheGreat...

7407 . "THE ALEXANDER LEGEND IN THE QUR’ĀN 18:83–102" (|QHC|:175-203)؛ "خُرافة الإسكندر في القرآن، سورة الكهف 18:83-102" (|QHC-ar|:263-302)؛ |GR-AQ|:467-؛ |Witztum|:59-؛ |KHO|:32-34؛ |Reinink|:VI/150-178.

7408 . |مجلس|:296؛ |واحدى|:164/3؛ |Pickthall|:391.

7409 . |عافية|:751/2. ملحوظة: وضع أصحابُ القرآن هذه الآية الغامضة (الكهف 91) فى رحلة ذى القرنين إلى الشرق!

7410 . |منتخب|:507. انظر أيضاً |فهد|:303؛ |بيضاوى|:21/2-22؛ |خالدى-ب|:526.

7411 . |واحدى|:165/3؛ |واحدى-وجيز|:671/2. "وقال الحسن: كان يطبخهم فى القدور" (|زادمسير|:186/5)!

7412 . |صفوة|:205/2.

7413 . |نسفى|:318/2. انظر أيضاً |صفوة|:205/2.

7414 . |كثير|:190/5؛ |كثير-شيخ|:188/9-189؛ |كثير-طيبة|:193/5.

7415 . |شهبة|:100.

7416 . |كثير-شيخ|:72/3؛ |كثير-شنقيطى|:324.

7417 . |خالدى-ب|:527.

7418 . |ظلال|:2293/4.

7419 . مِن المعروف تاريخياً أن مملكة الإسكندر الأكبر (المقدونى) - وكذلك مملكة هرقل (الإسكندر الجديد) - كانت تمتد مِن الغرب (أوروبا وأفريقيا) إلى الشرق (آسيا). وبما أن الرحلة الثانية كانت إلى الشرق حيث "البحر اللامع"، فنستطيع إذن أن نستنتج أن الرحلة الأولى إلى "البحر المُنتِن" كانت إلى الغرب. انظر أيضاً |عافية|:707/2.

7420 . "نافذة السماء" أو "نوافذ السماء" (التكوين 11:7) هى عبارة يهودية/مسيحية مشهورة، ويناظرها فى القرآن "أَبْوَاب السَّمَاءِ" (الأعراف 40) و (القمر 11) و (النبأ 19). أو "أَسْبَاب السَّمَاوَاتِ" (غافر 36-37).

7421 . |عرائس|:320. "لا يحول بينهم وبينها (أى: الشمس) إلا البحر" (|أشقر|:303). "إذا طلعت الشمس دخلوا فى اسراب واغلة فى الأرض أو غاصوا فى الماء" (|رازى|:168/21).

7422. "van Bladel argues that the story of Dhū l-Qarnayn (Q 18:83-102) is a retelling of the *Syriac Alexander Legend*, itself dated in recent scholarship to 629 or 630 CE. […] van Bladel rightly notes the parallel between the repeated phrase أَتْبَعَ سَبَبًا in Q 18, understanding it as "he followed a heavenly course", and the description in the *Syriac Alexander Legend* of the window of heaven through which the sun enters when it sets" (|Witztum|:59-60).

7423 . راجع الشكل الذي يوضح تصوّر الكون عند السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين (|BK|:70) والذي درسناه بالتفصيل أثناء دراستنا لأسطورة "السماوات السبع" المذكورة في القرآن. انظر أيضاً |Kramer-fr|:100.

7424 . |كثير|:187/5؛ |كثير-شيخ|:185/9؛ |كثير-طيبة|:191/5؛ |أشقر|:303؛ |مجلس|:297.

7425 . |QHC-ar|:271؛ |QHC|:181. وحسب هذا المرجع، فإن الهون هُمْ الذين "لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا" (الكهف 93). ونحن لا يهمنا تحديد شخصيتهم، وإنما يهمنا فقط أن نثبت أن القصة القرآنية هى مجرد تطور بشرى طبيعى للقصة السريانية.

7426 . |QHC|:181، 199؛ |QHC-ar|:272، 296.

7427 . انظر أيضاً (اليوبيلات 9:5؛ 22:7) (1 أخنوخ 9:10) التي تتحدث عن إفناء الجبابرة (Nephilim) بعضهم بعضاً.

7428 . |Haleem|:305. أو: "surge like waves <u>on one another</u>" (|فهد-ن|:400؛ |AYA|:735).

7429 . اقرأ أيضاً (إرميا 6:4).

7430 . ربما فعلوا ذلك عن عمد كرد فعل للبروباجاندا (pro-Byzantine propaganda) الموجودة فى القصة السريانية.

7431. E.A. Wallis Budge, "The History of Alexander the Great", *op. cit.*, p. 44. |عافية|:2\714-715.

7432 . |معجم-ألفاظ|:230؛ |Witztum|:61.

7433. E.A. Wallis Budge, "The History of Alexander the Great", *op. cit.*, p. 169. |عافية|:2\707-709.

7434. E.A. Wallis Budge, "The History of Alexander the Great", *op. cit.*, p. 186. |عافية|:2\709-711.

7435. E.A. Wallis Budge, "The History of Alexander the Great", *op. cit.*, p. 191. |عافية|:2\711-713.

7436 . إنه أسلوب أدبي قديم ومعروف ومُستخدَم بكثرة في الحوارات في التوراة والإنجيل وفي التراث اليهودي/المسيحي بصفة عامة. مثلاً: حوار مريم والْمَلاَك جِبْرَائِيل في قصة البشارة بميلاد يسوع (لوقا 1:28-38)؛ حوار يسوع المسيح ونِيقُودِيمُوس مُعَلِّم إِسْرَائِيلَ (يوحنا 1:3-21)؛ حوار يسوع المسيح والشيطان إبليس في قصة التجربة (متى 1:4-10) (لوقا 1:4-12)؛ حوار موسى والرَّبِّ في قصة التجلّي (الخروج 12:33-23).

7437 . |آرثر|:418.

7438 . انظر مثلاً |أشقر|:40؛ |بكر|:250؛ |طيب|:229؛ |فهد-ن|:54؛ |EQ|:536/4.

7439 . انظر مثلاً |بيضاوى|:130/1؛ |شعراوى-قصص|:315-316. <u>ملحوظة:</u> الاسم الأصلي ليشوع هو "هُوشَع" (Hosea): "وَدَعَا مُوسَى هُوشَعَ بْنَ نُونَ «يَشُوعَ»" (العدد 16:13)، ولذلك فإنه يُسمَّى في التراث الإسلامى "يُوشَع" أو فتى موسى.

7440 . (البخارى 3740-3742؛ |خ|:1457/4) (|بارى|:339/7-). وقيل: 313؛ وقيل: 314؛ وقيل: 317؛ وقيل: 318 (|باشا-صحابة|:104/2؛ |IW2013|:239).

7441 . |قاموس-كتاب|:392. انظر أيضاً |كتابية|:4/13-15؛ |EJ|:17/77؛ |آرثر|:465.

7442 . "فَوَقَفَ [شَاوُلُ] بَيْنَ الشَّعْبِ، فَكَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقُ" (1 صموئيل 10:23).

7443 . |بيضاوى|:1/130.

7444. “The philologers derive his name (i.e. طالوت) from طال to be tall, evidently influenced by the Biblical story, [...]. Geiger, 182, suggested that طالوت was a rhyming formation from طال to parallel جالوت” (|FV|:204). See also |GR-AQ|:95.

7445 . |Reynolds|:198.

7446 . |EI-2|:10/168.

7447 . |EJ|:18/81.

7448 . على الرغم من انتماء شاول إلى أسرة غنية، إلا أنه عندما قابل صموئيل لم يكن معه إلا مبلغ زهيد للغاية.

7449 . |دراسى|:634؛ |NIV|:388.

7450 . |JSB|:568.

7451. “The cycle of stories about the enthroning of Saul is made up of various divergent traditions. […] At all events, all the stories are agreed that Saul was chosen as king by God, and anointed by Samuel with the people’s approval” (|EJ|:18\78). See also |EJ|:17\755, 761-763.

7452 . |معاصر|:554. انظر أيضاً |كتابية|:4/492؛ |JSB|:547؛ |EJ|:17/755، 761-763؛ |EJ|:5/445.

7453 . سفر صموئيل (أي: سفرا 1 و 2 صموئيل اللذان كانا في الأصل سفراً واحداً) يحتوي على 7 قصائد شعرية (poems): (1 صموئيل 2:1-10؛ 15:22-23) (2 صموئيل 1:17-27؛ 3:33-34؛ 20:1؛ 22:1-51؛ 23:1-7) (|EJ|:17/760).

7454. “There is a marked tendency by the rabbis to show the first king of Israel [i.e. King Saul] in a favorable light even when the Scriptures deprecate his actions” (|EJ|:18\80).

7455 . "سَابِقًا فِي إِسْرَائِيلَ هكَذَا كَانَ يَقُولُ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَهَابِهِ لِيَسْأَلَ اللهَ: «هَلُمَّ نَذْهَبْ إِلَى الرَّائِي». لأَنَّ النَّبِيَّ الْيَوْمَ كَانَ يُدْعَى سَابِقًا الرَّائِيَ" (1 صموئيل 9:9).

7456 . سؤال شاول لصموئيل "أَيْنَ بَيْتُ الرَّائِي (أي: النبي)؟" (1 صموئيل 9:18) يدل على أنه لم يكن يعرف النبيَّ والقاضي صموئيل على الرغم من شهرته الواسعة، مما يدل على أن شاول كان شاباً بعيداً عن رجال الله وغير متديّن.

7457 . كاد سبط بنيامين أن ينقرض تمامًا بعد هزيمته المنكرة في الحرب الأهلية ضد باقي الأسباط (القضاة 20).

7458 . "مسح شاول لا يجب أن يُفْهَم بالمعنى الضيق كرئيس أو قائد عسكري بل رئيساً على مملكة (1 صموئيل 10:16ب)" (|معاصر|:558).

7459. “The *Hill of God* (Gibeah of God) is also called Gibeah of Saul, Gibeah of Benjamin, or just Gibeah” (|JSB|:565). See also |كتابية|:2\475, 4\492; |NIV|:389; |دراسى|:636. But see another opinion in |معاصر|:557.

7460 . "كان صموئيل ممثل يهوه" (|قاموس-كتاب|:553)، أي: ممثل اللهِ على الأرض (God's earthly representative). فكان أمراً عادياً أن يُشار إليه بأسلوب مجازي بكلمة "الرَّبِّ" (بالعبرية: Yahweh). ولأن بني إسرائيل عقلاء، فهموا قصدَه جيداً ولم يعبده أحدٌ منهم، فهو مجرد إنسان مخلوق مثلهم. وكذلك في الإنجيل، حين يُشار إلى السيد المسيح بكلمة "الرَّبّ (Kyrios)" فهذا لا يعني أنه إله يستحق العبادة، وإنما يعني أنه مجرد إنسان مخلوق يُمثِّل الله يهوه على الأرض.

7461 . والتوراة تنص على هذا الاختيار الإلهي: "مَتَى أَتَيْتَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، وَامْتَلَكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا، فَإِنْ قُلْتَ: أَجْعَلُ عَلَيَّ مَلِكًا كَجَمِيعِ الأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلِي. فَإِنَّكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ" (التثنية 17:14-15).

7462 . "الرَّبُّ يُمِيتُ وَيُحْيِي. يُهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ وَيُصْعِدُ. الرَّبُّ يُفْقِرُ وَيُغْنِي. يَضَعُ وَيَرْفَعُ. يُقِيمُ الْمِسْكِينَ مِنَ التُّرَابِ. يَرْفَعُ الْفَقِيرَ مِنَ الْمَزْبَلَةِ لِلْجُلُوسِ مَعَ الشُّرَفَاءِ وَيُمَلِّكُهُمْ كُرْسِيَّ الْمَجْدِ. لأَنَّ لِلرَّبِّ أَعْمِدَةَ الأَرْضِ، وَقَدْ وَضَعَ عَلَيْهَا الْمَسْكُونَةَ" (1

صموئيل 2:6-8) [← "وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ" (البقرة 247) "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (آل عمران 26)].

7463 . ونلاحظ أن هذه الآيات الكتابية تنتمي إلى التقليد اليهودي الرافض للحكم الملكي (أو الرافض لشاول anti-Saul) فقدَّم شاولَ كشخصٍ جبان يختبئ بين الأمتعة! ولم تنتقل هذه الفكرة إلى القرآن، لأن القرآن – كما قلنا فيما سبق – قد تأثر أكثر بالتقليد اليهودي المؤيد للحكم الملكي (أو المؤيد لشاول pro-Saul).

7464 . |دراسى|:637؛ |NIV|:390. انظر أيضاً |JSB|:566. وعلى الرغم من أن سفر صموئيل الأول قد استخدم كلمةَ "الرَّبّ" (بالعبرية: Yahweh) للإشارة إلى المَقْدِسِ / الخيمةِ / الهيكلِ، إلا أن أحداً من بني إسرائيل لم يعبد المَقْدِسَ / الخيمةَ / الهيكلَ، فهي كلها مجرد كائنات مخلوقة. وكذلك في الإنجيل، حين يُشار إلى السيد المسيح بكلمة "الرَّبّ" (Kyrios) فهذا لا يعني أنه إله يستحق العبادة، وإنما يعني أنه مجرد كائن مخلوق يُمثِّل الله يهوه على الأرض.

7465 . صموئيل - وليس شاول - هو الذي أمر الشعب بالانصراف. سُلطة صموئيل الدينية مستمرة حتى بعد تعيين شاول مَلِكاً.

7466 . |ملطى|:صموئيل الأول/81. راجع (1 صموئيل 21:9).

7467. |فهد|:40. Ṭālūt was rejected "because he was a descendant of Benjamin and was from the house of neither prophethood nor kingship" (|EQ|:4\536), "was from neither a kingly nor a priestly line" (|Nasr|:107).

7468 . |فهد|:40. ويُفْهَم من القرآن وكتب التراث الإسلامي بصفة عامة أن محمداً وأصحابه أيضاً رُفِضوا بسبب فقرهم ومكانتهم الاجتماعية المتدنية. راجع تفاسير (الأنعام 52) (آل عمران 26) وما قلناه عن الفقراء والمستضعفين الذين آمنوا بمحمد في مكة مثل خَبَّاب وبلال وعمَّار وصُهَيب وابن مسعود. اقرأ أيضاً: "وَقَالُوا (أي: المعترضون على نبوة محمد) لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ (أي: مكة والطائف) عَظِيمٍ" (الزخرف 31)؛ "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ (أي: محمداً وأتباعه) عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا" (النساء 54). ولعل هذا هو سبب إعجاب المسلمين الأوائل بشاول، فلقد رأوا أنفسهم فيه (they identified themselves with Saul). انظر أيضاً |Nasr|:107.

7469 . |مارمرقص|:العهدالقديم/88/5. انظر |إسكندرية|:124/2؛ |Septuagint|:OT/368؛ |NETS|:255. ويُعْرَف سفر صموئيل الأول في الترجمة السبعينية باسم "الملكوت الأول" أو "المَلَكِيَّات الأول" أو "المَمَالِك الأول" (First Kingdoms).

7470 . انظر الخرائط التي توضح حدود مملكة شاول بين العمونيين والموآبيين والأدوميين والمديانيين شرق نهر الأردن وبين الفلسطينيين غرباً على ساحل البحر المتوسط. مثلاً: |JSB|:563؛ |Carta|:76؛ |EJ|:79/18. انظر أيضاً قائمة بالشعوب المحيطة بأرض الموعد (|آرثر|:385).

7471. "The Qurʾān [...] laments that [the Israelites] are then unwilling to fight (perhaps a reference to 1 Samuel 11, where the Israelites in Jabesh beg a foreign invader for a peace treaty)" (|GR-AQ|:95).

7472 . ونلاحظ أن الغرور قد بدأ يتسلل إلى نفس المَلِك الجديد شاول، بدليل أنه ذكر اسمَه أولاً قبل اسم النبي صموئيل!

7473 . "بَنُو إِسْرَائِيلَ ... وَرِجَالُ يَهُوذَا. إنّ هذا التمييز القائم بين إسرائيل ويهوذا قبل انقسام المملكة، يشير إلى أنّ السِّفر كُتِبَ بعد 931 ق م بعدما انقسمت المملكة" (|آرثر|:480). انظر أيضاً |EJ|:100/10.

7474. "Israel and Judah are thought of as different entities. This may be an anachronism, or possibly, David united them, but after Solomon they divided into two separate states" (|JSB|:567).

7475 . "كَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا (أي: زائداً) عَلَى سِتِّينَ، وَالأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ" (البخارى 3739؛ |خ|:1456/4). والنيف مِن واحد إلى ثلاثة. انظر أيضاً |باشا-صحابة|:104/2. وتختلف النسبة اختلافاً بسيطاً بين المراجع.

7476 . |مارمرقص|:العهدالقديم/90/5. تكرر هذا الموقف المتذمِّر من سبط يهوذا في معركةٍ ضد عماليق: "فَاسْتَحْضَرَ شَاوُلُ الشَّعْبَ وَعَدَّهُ فِي طَلاَيِمَ، مِئَتَيْ أَلْفِ رَاجِل، وَعَشَرَةَ آلاَفِ رَجُل مِنْ يَهُوذَا" (1 صموئيل 4:15).

7477 . انظر الخرائط التي توضح خط سير شاول وجيشه من غرب نهر الأردن إلى شرقه. مثلاً: |Carta|:74.

7478 . [← زعم التراث الإسلامي أن محمد المنتصر قال لكفار قريش المهزومين يوم فتح مكة (8هـ): اذْهَبُوا فأنتم الطلقاء!].

7479 . كما كان اللهُ هو القاضي الأعلى في عهد القضاة: "لِيَقْضِ الرَّبُّ الْقَاضِي الْيَوْمَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَنِي عَمُّونَ" (القضاة 11:27).

7480 . |دراسي|:640؛ |NIV|:392.

7481 . يقصد: سِيسَرَا (Sisera) رَئِيس جَيْشِ يَابِين (Jabin) مَلِك كَنْعَانَ الَّذِي مَلَكَ فِي حَاصُورَ (Hazor) (القضاة 4-5).

7482 . قيل هو: شمشون؛ أو: قاضٍ آخر لم يُذكَر في سفر القضاة! وفي الترجمة السبعينية: "بَارَاقَ" وهو أحد القضاة.

7483. “According to the [Hebrew] Bible, kings in Israel were not allowed to do whatever they fancied. They were subject to a higher power and to the rule of law and morality (see esp. Deut. 17.14-20), upheld by the prophets ” (|JSB|:546). “Samuel, whose authority is reconfirmed by the miracle, will continue in his prophetic role, to represent the people before God by means of prayer and to represent God before the people by means of instruction” (|JSB|:569). See also |NIV|:393; |دراسي|:642.

7484 . "اتَّقُوا الرَّبَّ وَاعْبُدُوهُ" (1 صموئيل 12:24) " a clichéd combination of Deuteronomistic language" (|JSB|:569)؛ "وهي دعوة نابعة من فكر تثنوي وعظي" (|معاصر|:560). اقرأ أيضاً: "وَرَاءَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ تَسِيرُونَ، وَإِيَّاهُ تَتَّقُونَ [...] وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" (التثنية 13:4). **[← حوّلها أصحابُ القرآن إلى دعوة جميع الأنبياء من نوح إلى محمد! "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ" (المؤمنون 23) "أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ" (نوح 3)؛ "وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ" (الأعراف 65)؛ "فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ" (المؤمنون 32)؛ "وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ" (العنكبوت 16)؛ "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة 21)!].**

7485 . |قاموس-كتاب|:694.

7486. “The Greeks, familiar at first with the coastal area, gradually applied the name Palestine to the whole of the country” (|EJ|:16\52).

7487. “After the Bar Kokhba War (132–135 [C.E.]), the Romans changed its name to Palaestina so as to emphasize that the rebellious Jewish nation had lost its right in its homeland. […] The [Roman] emperor Hadrian, who applied [the name “Palestine”] to the whole country in order to eradicate the name Judea, revived it and from Byzantine times [the name “Palestine”] became the accepted name of Ereẓ Israel in non-Jewish languages” (|EJ|:10\101).

7488 . |قاموس-كتاب|:685. "بِالإِيمَانِ تَغَرَّبَ [إِبْرَاهِيمُ] فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ (أي: إسرائيل) الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ" (العبرانيين 11:9).

7489. “After the Israelite conquest, the name Canaan became merely an historical concept but many generations passed before the term Ereẓ Israel [(the Land of Israel)] became standard usage” (|EJ|:10\100).

7490. “Israel, Judah, and Palestine” by Dror Eydar, former Israeli Ambassador to Italy. https://www.israelhayom.com/2024/08/22/israel-judah-and-palestine/

7491 . انظر مثلاً |عامري-أ|:261. و "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية عشرة (الطبعة الذهبية)، 2014، ص 221-222، 225.

7492 . |قاموس-كتاب|:693-694. أضفنا بعض التوضيحات والكلمات الإنجليزية لأنها مهمة.

7493 . |مسكين|:67-68.

7494 . |JSB|:2256؛ 2254؛ 555. انظر أيضاً |JSB|:578.

7495 . انظر الخرائط التي توضح هجوم الفلسطيين وغيرهم من شعوب البحر على منطقة الشرق الأوسط. مثلاً |Carta|:61.

7496 . |كتابية|:419/4.

7497 . |دراسى|:623؛ |NIV|:382.

7498 . |آرثر|:468.

7499 . |كتابية|:99/6. انظر خريطة لفلسطيا ومدنها الخمس الرئيسية (The Philistine Pentapolis) (|EJ|:52/16؛ |كتابية|:100/6).

7500 . |معاصر|:551.

7501. “ANACHRONISMS [in Genesis]. [...] The mention of Philistines (Gen. 21:32, 34; 26:1, 8, 14, 15, 18; cf. 10:14) presents a similar problem since that particular ethnic group did not settle on the Canaanite coast before the end of the 12th century B.C.E.” (|EJ|:7\441). “The references to Philistia and the Philistines in Genesis 21:32, 34 and Exodus 13:17; 15:14; 23:31 are anachronistic” (|EJ|:16\52).

7502 . |آرثر|:91. انظر أيضاً |كتابية|:101/6.

7503 . |Carta|:72-73؛ |NIV|:381؛ |دراسى|:622؛ |EJ|:255/2؛ |كتابية|:44/5.

7504. “It was not unusual to bring the Ark of the Covenant to the battlefield, as a physical sign of the Presence of the LORD (see 2 Samuel 11:11)” (|JSB|:555).

7505 . "ويُظهِرهم الكتابُ المقدَّسُ باعتبارهم حاملي عرش الله (1 صموئيل 4:4) (إشعياء 16:37)" (|آرثر|:192). اقرأ أيضاً (المزامير 1:80؛ 1:99) (2 ملوك 15:19) (حزقيال 22:11)؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/313/5.

7506. “The Ark (of the Covenant) served as a throne for the *LORD of Hosts* (= armies)” (|JSB|:555).

7507 . |معاصر|:550.

7508 . |دراسى|:623؛ |NIV|:381-382.

7509 . |كتابية|:44/5.

7510. ““gods” in the plural […] suggests that the Philistines believe that the Hebrews, like themselves, worship many gods. They are also confused as to the location of the plagues of Egypt. This depiction creates humor and irony — the Philistines don’t understand theology or history, but nevertheless will defeat the Israelites” (|JSB|:556).

7511 . |آرثر|:470. انظر أيضاً |JSB|:556.

7512 . |دراسى|:624؛ |NIV|:383.

7513 . |مارمرقص|:العهدالقديم/38/5. وتقول تفاسير مسيحية إن انتقال تَابُوت عَهْدِ الرَّبِّ من الإسرائيليين إلى الفلسطيين بإرادة الله في العهد القديم يرمز إلى انتقال الإيمان بالرَّبِّ من اليهود إلى الأمم في العهد الجديد.

7514 . |كتابية|:44/5.

7515 . |FV|:174.

7516 . |GR-AQ|:96.

7517 . |Dawood|:26؛ |Sidersky|:110. انظر أيضاً "la présence de votre Seigneur" (|Aldeeb|:405).

7518 . |Arberry|:63؛ |Katsh|:164.

7519 . |Masson|:49.

7520 . |Masson|:798-799.

7521 . |EJ|:81/18.

7522 . ملحوظة توضيحية: "تُسمَّى الوصايا العشر (Ten Commandments) "كلمات العهد" (words of the covenant) [...]. كما سُمِّي اللوحان الحجريان اللذان حُفِرَت عليهما الوصايا "لوحي حجر العهد" (tablets of the covenant) [...]. ولذا فالتابوت الذي حُفِظَ فيه اللوحان [...] كان يُسمَّى أحياناً "تابوت عهد الرب" (ark of the

(covenant of the LORD) [...] أو "تابوت الرب" (ark of the LORD) [...] أو "تابوت الشهادة" (ark of the Testimony) [...] أو "تابوت الله" (ark of God) [...]" (|دراسى|:788؛ |NIV|:482).

7523 . |GR-AQ|:96.

7524 . |كتابية|:46/5.

7525 . انظر الخرائط التي توضح تنقلات التابوت حتى استقر في قَرْيَةِ يَعَارِيمَ (|JSB|:554؛ |Carta|:72؛ |آرثر|:468).

7526 . انظر تفاسير (البقرة 248). تفسير البغوي مثلاً قال: "وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وَهُمْ ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت. وقال الحسن: كان التابوت مع الملائكة في السماء، فلمَّا وَلِيَ طالوتُ المُلْكَ حملته الملائكة ووضعته بينهم. وقال قتادة: بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك، فحملته الملائكة حتى وضعته في دار طالوت فأقرّوا بمُلْكِه" (|خازن-بغوى|:334/1).

7527 . |قاموس-كتاب|:24. انظر أيضاً |كتابية|:402/3؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/56/5؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/313/5.

7528 . هذه الآية ومثيلاتها تؤكد أن بني إسرائيل كانوا يقولون "الرَّبّ (Yahweh)" بأسلوب مجازي للإشارة إلى كائن مخلوق يُمثِّل اللهَ على الأرض، كالتابوت أو الملاك. وكذلك في الإنجيل، حين يُشار إلى السيد المسيح بكلمة "الرَّبّ (Kyrios)" فهذا لا يعني أنه إله يستحق العبادة، وإنما يعني أنه كائن مخلوق يُمثِّل اللهَ على الأرض (God's earthly representative). اقرأ أيضاً: "فَدَخَلَ الْمَلِكُ دَاوُدُ وَجَلَسَ أَمَامَ الرَّبِّ (بالعبرية: Yahweh) (أي: أمام التابوت؛ فِي حَضْرَةِ يهوه)" (2 صموئيل 7:18) **[← "التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ (أي: يسكن فيه ربُّ إسرائيل)" (البقرة 248). وكذلك: "إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا (بالعبرية: عِمَّانُوئِيل؛ immanuel) فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا (أي: بملائكة)" (التوبة 40)].**

7529 . |GR-AQ|:95. انظر أيضاً |Masson|:799.

7530 . لمزيد من التفاصيل، انظر تفاسير (البقرة 248) و |Nasr|:107.

7531 . |كتابية|:49/5، 48. لمزيد من التفاصيل، انظر |EJ|:760/17-763.

7532 . |معاصر|:551.

7533 . انظر الخرائط التي توضح مواقع جبعة بنيامين ومخماس وقَرْيَةِ يَعَارِيمَ (|Carta|:66، 75؛ |كتابية|:107/7).

7534 . |مارمرقص|:العهدالقديم/114/5. انظر أيضاً |كتابية|:83/6-84. لكن اقرأ |مارمرقص|:العهدالقديم/313/5!

7535 . |معاصر|:605.

7536 . |إسكندرية|:130/2؛ |Septuagint|:OT/373؛ |NETS|:258. ملحوظة: يُعْرَف سفر صموئيل الأول في الترجمة السبعينية باسم "الملكوت الأول" أو "المَلَكِيَّات الأول" أو "المَمَالِك الأول" (First Kingdoms).

7537 . |مشتركة|:العهدالقديم/347. انظر أيضاً |رعائية|:العهدالقديم/324.

7538 . |JSB|:572. انظر أيضاً |آرثر|:485؛ |دراسى|:646؛ |NIV|:395.

7539 . |كتابية|:48/5. ملحوظة: هذا الرأي ينطبق على 1 و 2 صموئيل، ولا ينطبق بالضرورة على أسفار العهد القديم الأخرى.

7540 . |EJ|:758/17-759.

7541 . |JSB|:546.

7542. "**1 Samuel 14:18** […] Here the Septuagint (the pre-Christian Greek translation of the [Old Testament]) may preserve the original [Hebrew] text (see NIV text note)" (|NIV|:395).

7543 . انظر الخرائط التي توضح حدود مملكة شاول الواسعة التي ضمَّت أراضي غرب نهر الأردن وشرق نهر الأردن أيضاً حسب التراث اليهودي-المسيحي! مثلاً: |JSB|:563؛ |Carta|:76.

7544 . قال النبي صموئيل للمَلِك شاول: "أَرْسَلَكَ الرَّبُّ فِي طَرِيقٍ وَقَالَ: اذْهَبْ وَحَرِّمِ الْخُطَاةَ عَمَالِيقَ وَحَارِبْهُمْ حَتَّى يَفْنَوْا" (1 صموئيل 15:18).

7545. "*ḥērem* […] in Israelite tradition was an act of devotion in which conquered enemies were slaughtered as a kind of offering to the deity (see Deut 7:26; Josh 6:17)" (|Sparks|:466).

7546 . [← وعندما كتب المسلمون الأوائل قصةَ غزوة بدر (2هـ) في قرآنهم زعموا أن الله عاتب محمداً لأنه أيَّد رأي أبي بكر بأخذ الأسرى الكفار أحياء وعدم قتلهم: "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى [يحتجزهم، أو يأخذ منهم فِدَاءً، أو يمن عليهم بعفوٍ] حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ (أي: يُبَالِغ في قتلهم، يكثر القتل والقهر فيهم!) تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا [بأخذكم الفِدَاء منهم] وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ [بكثرة القتل والقهر؟!] وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (الأنفال 67)!].

7547 . أما محمد الذي قَتَلَ أسيرَ حرب هو "النضر بن الحارث" أو أمر بقتله على الرغم من كونه عربياً مثله ومن أهل مكة مثله ومن قبيلة قريش مثله حسب ما جاء في كتب السيرة النبوية، فيعتبره المسلمون قدوةً إلى اليوم!

7548. "There is a marked tendency by the rabbis to show the first king of Israel [i.e. King Saul] in a favorable light even when the Scriptures deprecate his actions. Even his sin during the Amalekite conflict is explained by Saul's refusal to consider the women, children, and cattle as sinners and worthy of death (Yoma 22b). [...] Saul had no selfish interest in retaining the Amalekite booty since he was so wealthy" (|EJ|:18\80).

7549 . باعتراف رسل المسيح، لم يستطع اليهود أن يلتزموا بكل أحكام الشريعة، فكيف يطالبون الأمم (أي: غير اليهود) أن يلتزموا بها كلها؟! "فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ (يقصد: أحكام الشريعة) عَلَى عُنُقِ التَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا [اليهود] وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟" (أعمال الرسل 10:15). واقرأ (متى 11:28-30)؛ |Witztum|:275-278.

7550 . راجع خطابَ صموئيل الوداعي (1 صموئيل 12). توبيخ صموئيل لشعب إسرائيل: "عَظِيمٌ شَرُّكُمُ الَّذِي عَمِلْتُمُوهُ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ بِطَلَبِكُمْ لأَنْفُسِكُمْ مَلِكًا" (1 صموئيل 17:12)، واعتراف بني إسرائيل بخطئهم: "وَقَالَ جَمِيعُ الشَّعْبِ لِصَمُوئِيلَ: «صَلِّ عَنْ عَبِيدِكَ إِلَى الرَّبِّ إِلهِكَ حَتَّى لاَ نَمُوتَ، لأَنَّنَا قَدْ أَضَفْنَا إِلَى جَمِيعِ خَطَايَانَا شَرًّا بِطَلَبِنَا لأَنْفُسِنَا مَلِكًا»" (1 صموئيل 19:12).

7551 . |Kugel|:622.

7552 . |هامش|:4/33-34؛ |Kugel|:622؛ |OTP|:1/787؛ |Pleiade|:337/831-832.

7553 . |رسوليون|:62؛ |هولمز|:432؛ |Kugel|:622؛ |LostScr|:230.

7554 . بَيْت لَحْمٍ تُسمَّى أيضاً "أَفْرَاتَة" (Ephrath) (التكوين 16:35، 19) (التكوين 7:48) (1 صموئيل 12:17) (راعوث 11:4) (ميخا 2:5) و "مَدِينَة دَاوُدَ" (Town of David) (لوقا 4:2، 11) (يوحنا 42:7) لأنها مسقط رأس داود. وهي أيضاً مسقط رأس يسوع المسيح (متى 1:2-6) (لوقا 4:2-7). علماً بأن أورشليم كانت تُسمَّى "مَدِينَة دَاوُدَ" (City of David) أيضاً (2 صموئيل 7:5، 9) (2 صموئيل 10:6، 12، 16) لأنها مركز مُلْكِ داود.

7555. "The anointing of David by Samuel (1 Samuel 16:13) appears in the [third-century C.E.] murals of [the synagogue at] Dura-Europos" (|EJ|:17\756).

7556 . وقيل: صاحب القوة في طاعة الله. مثل: "وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ" (ص 45).

7557 . |قاموس-كتاب|:361-362.

7558 . انظر الخرائط (|كتابية|:4/470؛ |Carta|:76-77). انظر أيضاً |NIV|:401؛ |دراسي|:657؛ |آرثر|:492؛ |مارمرقص:العهدالقديم|:5/142؛ |قاموس-كتاب|:362.

7559 . "من الواضح أن اليونانيين القدماء، الذين كان الفلسطينيون من المرجح على صلة قرابة بهم، يتخذون في بعض الأحيان قرارات حربية من خلال أبطال مختارين يتقابلون في مبارزات بين الجيوش. ومن خلال هذه المبارزات كانوا يعتقدون أن الآلهة تحكم بينهم (المحاكمة بالمعركة). ربما عرف بنو إسرائيل أيضاً هذه الممارسة (انظر 2 صموئيل 14:2-16)" (|دراسي|:657؛ |NIV|:401). انظر أيضاً |JSB|:578؛ |EJ|:7/738. وكذلك المعركة في غزوة بدر (2هـ) بدأت بمبارزة!

7560 . |قاموس-كتاب|:265.

7561 . |كتابية|:2/560.

7562. |EI-2|:2\406. See also |EQ|:2\334; |FV|:97-98.

7563 . |آرثر|:397.

7564 . |EJ|:738/7. "أحد أبناء "رَافا" (حرفياً، من أبناء "الجبابرة") وهو على الأرجح اسم لعشيرة رفايم [رَفَائِيِّين] [Rephaim] [Rephaites] التي كانت تسكن كنعان [...] وانتقلت إلى مناطق الفلسطيين. أو هو اسم للإله "رَافا" في جَتَّ" (|معاصر|:641).

7565 . |قرطبى|:246/4؛ |قرطبى-مصر|:217/2.

7566 . |فهد|:41.

7567 . |قاموس-كتاب|:362.

7568. "The revelation shows that the "accidental" occurrences were guided by God" (|JSB|:564). "what human beings call "fate" or "luck" being, in reality, only another manifestation of God's providential care" (|EJ|:16\741).

7569. "David turns the battle into one of warring deities" (|JSB|:580). See also |معاصر|:571.

7570 . "الرَّبُّ رَجُلُ الْحَرْبِ (Yahweh, the Warrior). الرَّبُّ اسْمُهُ" (الخروج 3:15).

7571 . |معاصر|:571.

7572. "Not surprisingly, the Muslim tradition views the miraculous victory of the young David's outnumbered forces over the formidable Goliath's mighty host as a foreshadowing of the battle of Badr" (|EQ|:2\335) "a prefiguration of the Battle of Badr" |EI-2|:2\406.

7573. "an obvious anachronism given that Jerusalem was still a non-Israelite city" (|EJ|:7\738).

7574 . |معاصر|:569-570. انظر أيضاً |JSB|:579؛ |EJ|:7/738.

7575 . |معاصر|:570. انظر أيضاً |JSB|:578؛ |إسكندرية|:2/137-139؛ |Septuagint|:OT/379-381؛ |NETS|:261.

7576 . |GR-AQ|:807-808. انظر أيضاً |Katsh|:160؛ |Kaskas|:400، 420، 440.

7577 . |EQ|:2/334-335.

7578 . |EI-2|:2/406.

7579 . |كثير-شيخ|:424/2؛ |كثير-طيبة|:668/1؛ |كثير-شاكر|:273/1؛ |كثير-صابونى|:225/1؛ |كثير-شنقيطى|:267.

7580 . |قرطبى|:239/4؛ |قرطبى-مصر|:213/2.

7581 . |ج|:41؛ |ج-البغا|:51؛ |ج-وطن|:41.

7582 . |باش|:280/1.

7583 . |EQ|:4/536.

7584 . |ماوردى|:317/1.

7585 . |طبرى|:484/4-485؛ |طبرى-شاكر|:340/5-341.

7586 . |نسفى|:205/1.

7587 . |واحدى|:359/1.

7588 . |واحدى-وجيز|:180/1.

7589 . "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية عشرة (الطبعة الذهبية)، 2014، ص 218، 220.

7590 . |كشاف-ع|:474/1؛ |كشاف-ش|:142.

7591 . |كتابية|:512/2.

7592 . |قاموس-كتاب|:252.

7593 . "ليس ثمة ما يدعو إلى الشك في صحة الرأي الشائع من أن "عَيْن حَرُودَ" هي بعينها "عين جَلود" [ʿAyn Jālūt] على حافة وادي يِزْرَعِيلَ [Jezreel] [...] تحت المنحدرات الشمالية لجِلْبُوع [Mount Gilboa] حيث يخرج من كهف صخري نبع دافق من مياه صافية باردة تتجمع في بحيرة كبيرة تنصرف مياهها إلى نهر جلود أسفل الوادي عبر بيسان ثم إلى نهر الأردن" (|كتابية|:69/3). انظر الخرائط |Carta|:67-68؛ |NIV|:342؛ |دراسى|:555؛ |EJ|:739/7.

7594 . مَنِ افْتَخَرَ فَلا يَفْتَخِرْ بصفاته وأعماله وإنما يَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ. تتكرر هذه الفكرة في الكتاب المقدس. مثلاً: "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ، يَقُولُ الرَّبُّ" (إرميا 9:23-24)؛ "أَنَا [بُولُسُ] غَرَسْتُ وَأَبُلُّوسُ سَقَى، لكِنَّ اللهَ كَانَ يُنْمِي. إِذًا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَ السَّاقِي، بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي" (1 كورنثوس 3:6-7)؛ "فَانْظُرُوا دَعْوَتَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ، لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ، بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ، لِكَيْ لاَ يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ. وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً. حَتَّى كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ»" (1 كورنثوس 1:26-31)؛ (2 كورنثوس 3:5، 4:7، 12:7-10).

7595 . "وهو غير جَبَل جِلْعَادَ الواقع شرق نهر الأردن" (|مارمرقص|:العهدالقديم/241/4).

7596 . الشريعة اليهودية تسمح للخائفين بعدم الاشتراك في الحرب لأنهم سيكونون عديمي النفع وسيؤثرون سلبياً على زملائهم: "مَنْ هُوَ الرَّجُلُ الْخَائِفُ وَالضَّعِيفُ الْقَلْبِ؟ لِيَذْهَبْ وَيَرْجعْ إِلَى بَيْتِهِ لِئَلاَّ تَذُوبَ قُلُوبُ إِخْوَتِهِ مِثْلَ قَلْبِهِ" (التثنية 20:8).

7597. In the Ḳurʾān, “God divides Ṭālūt’s army on the basis of how they drink from a river, a motif reminiscent of the episode of Gideon in Judges, vii, 4-7” (|EI-2|:10\168). “The story of Gideon here mixes in” (|Bell|:1\36). See also |Masson|:799; |Aldeeb|:405; |GR-AQ|:96-97; |Katsh|:167; |EJ|:18\81.

7598 . ملحوظة: قد يستخدم الله شخصاً ليقول نبوءة أو بشارة مع أنه ليس نبياً حقيقياً بل حتى لو كان غير مؤمن. اقرأ مثلاً: نبوءة قيافا (يوحنا 11:49-52)؛ بركات بلعام (العدد 22-24).

7599 . "إِذَا سَلَكْتُمْ فِي فَرَائِضِي وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمْ بِهَا، [...] تَطْرُدُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَيَسْقُطُونَ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ. يَطْرُدُ خَمْسَةٌ مِنْكُمْ مِئَةً، وَمِئَةٌ مِنْكُمْ يَطْرُدُونَ رَبْوَةً (أي: عشرة آلاف)، وَيَسْقُطُ أَعْدَاؤُكُمْ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ" (اللاويين 26:3-8) **[← "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ. الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" (الأنفال 65-66)]**.

7600 . |قاموس-كتاب|:253. لمزيد من التفاصيل والخرائط التوضيحية، انظر |كتابية|:512/2-513؛ |EJ|:586/7-588.

7601 . |منتخب|:109.

7602 . |كتابية|:513/2.

7603 . |KJV-arch|:354؛ |Carta|:67-68؛ |NIV|؛ |دراسى|.

7604 . |EJ|:587/7.

7605 . |معاصر|:498. انظر أيضاً |JSB|:515.

7606 . "من تنبّأ حلّ روح الله عليه، والحلول غالباً ما يتجلّى بعمل هام أو بطولي كما كان في أيام القضاة. لكن لاحقاً تقدّم هذا المفهوم ليصبح حلولاً بواسطة قوة الكلمة أو الرسالة التي ينقلها النبيُّ" (|معاصر|:557).

7607 . |كتابية|:512/2. راجع ما قلناه عن جدعون في دراستنا لقصة إبراهيم وتحطيم الأصنام التي كان يعبدها أبوه الكافر.

7608. “That Muḥammad mixes together Gideon’s campaign against the Midian (Judges 7:2-8), Saul’s campaign against Goliath (1 Sam. 17:1 and following) and perhaps also the episode in 1 Sam. 14:24 and following is perhaps less surprising than it might first appear, given that Gideon and Saul legends do in fact display many parallels” (|IW2013|:248).

7609. “L’épreuve de l’eau relatée [البقرة 249] est tirée de l’histoire de Gédéon (Juges 7:5-7), que Mahomet avait sans doute confondue avec l’ordonnance de Saül défendant à ses guerriers de manger avant la nuit (1 Samuel 14:24-45)” (|Sidersky|:110).

7610. |Kaskas|:25. “Partant de Juges 7:16, Bonnet-Eymard (vol. 1, p. 237) traduit [فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ (البقرة 249)]: divisa les troupes” (|Aldeeb|:405).

7611. Muḥammad “had to gain legitimacy by “repeating” acts of the old prophets. The *Ṭālūt-Badr ḥadīths* run through the whole hierarchy of such [religious] creations by analogy” (|IW2013|:243). See also |IW2013|:249. For more details, read: Hans von Mzik, “The Gideon-Saul Legend and the Tradition of the Battle of Badr” (|IW2013|:239-250).

7612 . |كتابية|:496/4.

7613 . اقرأ أيضاً "فَقَالَ صَمُوئِيلُ [للمَلِك شاول]: «أَلَيْسَ إِذْ كُنْتَ صَغِيرًا فِي عَيْنَيْكَ صِرْتَ رَأْسَ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ وَمَسَحَكَ الرَّبُّ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ" (1 صموئيل 17:15).

7614 . |كتابية|:69/3. انظر أيضاً |قاموس-كتاب|:300 وخرائط المعركتين (|Carta|:67-68، 80).

7615 . |كتابية|:69/3. انظر أيضاً |كتابية|:81/6؛ |كتابية|:479/2-480؛ |قاموس-كتاب|:300؛ |EJ|:7/739.

7616. |GR-AQ|:96-97. “The Koranic story of Saul is confused with the biblical story about Gideon” (|Katsh|:167). “The story of Gideon here mixes in” (|Bell|:1\36). “cf. the tale in Judg. 7:4–6” (|EJ|:18\81). See also |EI-2|:10\168; |Masson|:799; |Aldeeb|:405.

7617 . (البخارى 3740-3742؛ |خ|:1457/4) (|بارى|:339/7-).

7618 . "كَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا (أي: زائداً) عَلَى سِتِّينَ، وَالْأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ" (البخارى 3739؛ |خ|:1456/4). والنيف مِن واحد إلى ثلاثة. انظر أيضاً |باشا-صحابة|:104/2. وتختلف النسبة اختلافاً بسيطاً بين المراجع.

7619 . "فَإِنَّ شَاوُلَ قَالَ: «لاَ تَكُنْ يَدِي عَلَيْهِ، بَلْ لِتَكُنْ عَلَيْهِ يَدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ»" (1 صموئيل 17:18).

7620 . |كتابية|:456/3. انظر أيضاً |قاموس-كتاب|:379.

7621 . |كتابية|:399/3.

7622 . |كتابية|:399/3.

7623 . |معاصر|:584.

7624 . "قبل فداء المسيح للبشرية كان مكان انتظار الأرواح المنتقلة مكانًا واحدًا للأبرار، مثل صموئيل النبي، والأشرار أيضًا مثل شاول، ولكن كان الأبرار في حالة أفضل إذ كانوا ينتظرون رجاء فداء المسيح لهم. أما الأشرار فكانوا في حالة سيئة جدًا إذ علموا ما هو مصيرهم النهائي. وبعد فداء المسيح للبشر على خشبة الصليب المقدسة فُتِحَ فردوس النعيم وصار الأبرار في مكان منفصل عن مكان الأشرار وهو الفردوس السمائي، أما الأشرار فبقوا في الجحيم" (|مارمرقص|:العهدالقديم/239/5).

7625 . |مارمرقص|:العهدالقديم/237/5.

7626 . |كتابية|:495/4؛ |كتابية|:46/5. انظر أيضاً |آرثر|:512.

7627 . |قاموس-كتاب|:503-504.

7628 . |دراسى|:687؛ |NIV|:418.

7629. عظة للبابا شنوده الثالث بتاريخ 6 أبريل 1994, https://www.youtube.com/watch?v=Oaw-JfV2njE

7630. “The appearance of Samuel’s ghost is considered to be real – not trickery by the woman or imagination of Saul. The Bible believes in the possibility of sorcery, soothsaying and necromancy, but prohibits them as heathen practices (Deut. 18.9-14)” (|JSB|:599)!

7631 . |كريمر|:262-263؛ |Kramer|:155؛ |Kramer-fr|:205.

7632 . |دراسى|:692؛ |NIV|:421؛ |Carta|:80؛ |قاموس-كتاب|:262؛ |كتابية|:2/479-480. اقرأ أيضاً (1 صموئيل 28:4، 29:1) (2 صموئيل 21:1).

7633 . ويُفْهَم أن سُكَّان يَابِيشَ جِلْعَادَ تصرَّفوا بحُسْنِ نية حين أَحْرَقُوا جَسَدَ سيدهم شَاوُلَ وَأَجْسَادَ بَنِيهِ. "وربما كان سبب حرقهم لهذه الأجساد هو عدم رجوع الفلسطينيين لأخذها والتشهير بها مرة أخرى، أو للقضاء على العار الذي لحق بجسد شاول بعد تشويهه بقطع رأسه" (|مارمرقص|:العهدالقديم/255/5). ولذلك باركهم داودُ على هذا المعروف (2 صموئيل 4:2-7).

7634. عظة للبابا شنوده الثالث بتاريخ 6 أبريل 1994, https://www.youtube.com/watch?v=Oaw-JfV2njE

7635 . هل العلاقةُ بين الذكرين داود ويوناثان كانت مجرد محبة قوية بين رجلين؟! أم كانت شيئاً آخر أكبر من ذلك؟!

7636 . |كتابية|:402/3.

7637 . |قاموس-كتاب|:364.

7638 . |كتابية|:402/3.

7639 . |GR-AQ|:97.

7640 . |كتابية|:402/3.

7641 . |كتابية|:102/6-103.

7642 . |قاموس-كتاب|:364-365. انظر الخرائط التي توضح الامتداد الواسع لمملكة داود حسب التقليد اليهودي-المسيحي (|آرثر|:537؛ |كتابية|:239/1؛ |كتابية|:403/3؛ |كتابية|:88/6؛ |JSB|:613، 1731؛ |Carta|:85؛ |EJ|:103/10).

7643 . |كتابية|:240/1.

7644 . |كتابية|:404/3.

7645. “In [ص 26] David is described as a “vicegerent” (Ar. [خَلِيفَةً]; cf. [البقرة 30]), something which may reflect the later Jewish and Christian conception of David as the ideal ruler and prototype of the messiah (see, e.g., Luke 1:32 [وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ])” (|GR-AQ|:691).

7646 . خريطة "اتساع مملكة نبي الله داود عليه السلام" في "أطلس تاريخ الأنبياء والرسل"، تأليف وتصميم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية عشرة (الطبعة الذهبية)، 2014، ص 221.

7647 . "أكثر من ثلاثين مرَّة يدعو الكتابُ في العهد القديم داودَ "عَبْدَ الرَّبِّ"" (|آرثر|:525).

7648 . قبل وفاته، جعل الْمَلِكُ دَاوُدُ ابنَه سليمان وريثَ مُلْكِه (1 ملوك 1). وفي سلسلة نسب يسوع المسيح: "وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا" (متى 6:1).

7649 . هذه النبوءة الثانية في نفس الآية حققها "يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ" (متى 1:1) بشكلٍ كامل (لوقا 30:1-33).

7650 . "توضح هذه الألفاظ العائلية العلاقة الخاصة التي يعد الله بأن يحفظها بينه وبين نسل داود الذي سيثبته على عرش داود. إنها تميزه بصفته الشخص الذي اختاره الله وتوّجه (whom God has chosen and enthroned) ليحكم باسمه كممثل رسمي لحُكْم الله على شعبه ([...]). وفي يسوع المسيح يتحقق هذا الوعد بشكلٍ كامل ([...])" (|دراسى|:713؛ |NIV|:435).

7651 . ويظل شعبُ إسرائيل ابنَ الله البكر (الخروج 22:4-23) (التثنية 5:8)، أي: الشعب الذي اختاره اللهُ ليكون أولَ شعب يؤمن بالتوحيد المطلق (absolute monotheism)، فهو ممثل رسمي لله على الأرض أمام الشعوب الوثنية والمشركة.

7652 . المسيحية هي التي جعلت داود نبياً بالمعنى الحرفي للكلمة. ثم سار الإسلام في نفس درب المسيحية.

7653. “Jesus was not Palestinian, we need to dispel that myth forever” https://www.jpost.com/opinion/article-779313

7654 . |دراسى|:1262-1264؛ |NIV|:782-783. انظر أيضاً |آرثر|:868؛ |JSB|:1264.

7655. “David became the template for the future identification of Judah’s king as the messiah, YHWH’s “anointed”: he was the adopted son of YHWH, a notion that derives from the temple royal ideology during the centuries leading up to the Babylonian exile. As a dynastic founder, David personified YHWH’s reign over Judah, and, by extension, Israel” (|EJ|:5\451).

7656 . |دراسى|:1409؛ |NIV|:889. انظر أيضاً |JSB|:1368-1369؛ |EJ|:5/450.

7657 . |آرثر|:944. انظر أيضاً |JSB|:1369؛ |EJ|:5/453.

7658 . |آرثر|:982.

7659. |آرثر|:709. See also: الدليل 441, https://www.youtube.com/watch?v=St-kWecsZNw

7660 . |مارمرقص|:العهدالقديم/5/367. ملحوظة: النص العبري في (2 صموئيل 12:31) (1 أخبار الأيام 20:3) غير واضح. فتوجد ترجمات وتفاسير أخرى تقول إن داود لم يبدهم بهذه الطريقة الوحشية، وإنما استعبدهم فقط في أعمالِ الزراعة وصِناعةِ الطُّوبِ اللِّبْنِ، وإن العمل المفروض قسراً على أسرى الحرب كان أمراً عادياً آنذاك في الشرق الأدنى القديم.

7661 . |كتابية|:3/48.

7662 . |آرثر|:709.

7663 . |عامري-أ|:261. انظر أيضاً |أشقر-قصص|:276.

7664 . |قرطبى|:17/262-263؛ |قرطبى-مصر|:7/552-553. "فكان كالعجين يتصرف فيه كيف يشاء" (|فهد|:429)!

7665 . |منتخب|:752.

7666 . |فهد|:429.

7667 . |كتابية|:3/433. انظر أشكال الدروع في |قاموس-كتاب|:477.

7668. “**coats of mail** refers to flexible armor consisting of a mesh of interlinked metal rings used defensively in battle” (|EOSB|:621).

7669. |EI-2|:2\182. Also |EJ|:5\454; |Tottoli|:60. “but those [allegedly “pre-Islamic”] descriptions likely reflect the influence of the Qurʾān”, i.e. are likely post-Islamic (|GR-AQ|:653).

7670 . |كتابية|:5/48-49. انظر أيضاً |كتابية|:5/46؛ |قاموس-كتاب|:554.

7671 . |كتابية|:4/426.

7672 . |آرثر|:458. انظر أيضاً |آرثر|:35.

7673 . |EJ|:17/758-759. لمزيد من التفاصيل، انظر |EJ|:17/760-763؛ |EJ|:7/738؛ |JSB|:547.

7674 . |كتابية|:3/406-407.

7675 . |GR-AQ|:148، 441؛ |FV|:148-149. انظر أيضاً |EJ|:16/663؛ |EI-2|:11/372.

7676. |EI-2|:11\372. “The term *zabūr* is perhaps derived from Syriac *mazmūrā* or Hebrew *mizmōr* "Psalm" ([...]), or from epigraphic South Arabian ([...])” (|GR-AQ|:441). See also |FV|:148-149.

7677 . |دراسى|:1256؛ |NIV|:777. انظر أيضاً |JSB|:1265.

7678 . |آرثر|:868، 870.

7679 . |كتابية|:8/146-147.

7680. ““Ḥesed,” a common biblical term, describes a relationship of mutuality between individuals or groups, and between God and human beings, especially Israel. It expresses both an attitude and actions devolving from that attitude; English “loyalty” best approximates its sense, which reflects kindness or favor. When used of God

toward Israel, it may be related to the covenant, and it expresses God's faithfulness, goodness, and graciousness" (|JSB|:1273).

7681 . المزمور 117 (آيتان فقط) هو المزمور الأقصر، بل أقصر أصحاح في الكتاب المقدَّس كله بعهديه.

7682 . **[← وكذلك في القرآن نجد آيات تحمد الله وتشكره على الخلاص (النجاة)، مثل: "فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا (أي: خلَّصنا) مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (المؤمنون 28)].**

7683 . |إسكندرية|:261/4؛ |EJ|:663-662/16.

7684 . لمزيد من المعلومات عن مخطوطات وترجمات سفر المزامير، انظر |معاصر|:963-961.

7685. "Seventy-three of 150 psalms are designated *le-David*, but the precise connotation of this term is uncertain" (|EJ|:16\669).

7686 . |معاصر|:967. انظر أيضاً |NIV|:778.

7687. "The Hebrew and Greek (LXX) texts show significant variation in these superscriptions, indicating that they are a late, secondary element" (|JSB|:1271). For example, "Psalm 33 has a "Davidic" superscription in the Greek which may have gotten lost in the Hebrew, although it is more likely that the psalm was inserted into Book I [Ps. 1–41] at a later date" (|EJ|:16\666).

7688. "the preposition *le* [...] in Psalm 72 [...] must mean "about" or "dedicated to"" (|EJ|:16\671).

7689 . |معاصر|:963.

7690 . |دراسى|:1256؛ |NIV|:777. انظر أيضاً |آرثر|:868؛ |JSB|:1264.

7691 . |Witztum|:122. انظر أيضاً |Banquet|:202.

7692 . |Mishnah|:461؛ |GR-AQ|:185، 441. أخذنا الترجمة العربية للمشنا وللآيات الكتابية من |قاهرة|:299/22.

7693. "Ezra and Nehemiah, like Chronicles, remember David as a cult founder (for example, Ezra 3:10; 8:20; Neh. 12:24–46)" (|EJ|:5\446).

7694. "nowhere in the Hebrew Bible is there any indication of [the Book of Psalms'] Davidic authorship" (|EJ|:16\668-669).

7695. "**2 Samuel 23.2:** David presents himself as a prophet; this is not expressed in the rest of the book, where he needed to consult prophets and oracles. Perhaps the sense of prophet here is an inspired singer, as Miriam was (see Exodus 15.20-21 n.)" (|JSB|:648).

7696 . |آرثر|:713.

7697 . |EJ|:669/16؛ |EJ|:452/5، 456. انظر أيضاً |EJ|:672-671/16، 675؛ |JSB|:1266-1265.

7698. "Here, God is speaking to the king, called *my lord*; perhaps these are the words spoken by a prophet" (|JSB|:1394).

7699 . |مبسطة|:1034، 1062، 1103، 1143.

7700 . كما قلنا فيما سبق: المسيحية هي التي جعلت داود نبياً بالمعنى الحرفي للكلمة. ثم سار الإسلام في نفس درب المسيحية.

7701 . |دراسى|:1270؛ |NIV|:788. انظر أيضاً |JSB|:1266.

7702 . |كتابية|:395/3.

7703 . |JSB|:1267-1266.

7704 . |EQ|:315-314/4.

7705. “Speyer […] notes that the Arabic vocabulary in this list of divine praises […] is close to the Hebrew turns of phrase in the *Shmoneh Esreh* (Amidah) prayer” (|GR-AQ|:821).

7706. “the indication that bowing or prostration was associated with the proclamation of God’s praise evoke Jewish and Christian liturgical practices” (|EQ|:4\214).

7707 . كما اعتاد المسلمون إنهاء جميع أعمالهم بقولهم "تم بحمد الله (God’s praise) (thanksgiving to God)"!

7708. “One of the most common devices in midrashic and haggadic writings is to put quotations from the Psalms in the mouths of the Antediluvians and the Patriarchs” (|JSS|:19\2\235).

7709 . نحن نرى أن المفرد "الزَّبُور" يشير إلى كتاب سماوي (الأنبياء 105) ولم يُقْصَد به إلا كتاب داود (النساء 163) (الإسراء 55). أما جَمْعُه "(الـ)زبُر" (آل عمران 184) (النحل 44) (الشعراء 196) (فاطر 25) (القمر 43، 52) فهو الذي يعني "كُتُب" (books) أو "كُتُب سماوية" (Scriptures) التي تشمل الزَّبُور وكتب أخرى. انظر |EI-2|:11/372.

7710 . |إسكندرية|:104/4؛ |NETS|:598؛ |Septuagint|:OT/760؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/33/12.

7711 . |مارمرقص|:العهدالقديم/33/12.

7712 . |GR-AQ|:414.

7713 . لمزيد من الأمثلة والتفاصيل الدقيقة، انظر |Nasr|:656-660، 1082-1083؛ |QiC|:740-745.

7714 . "اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ (His handiwork)" (المزامير 19:1).

7715 . في اليوم الأول للخلق: "وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ" (التكوين 1:2). "حيث الاعتقاد القديم بأن الله يسكن فوق المياه في السماء" (|معاصر|:1060)! وهذه المياه العليا هي "المياه التي تعلو "الخيمة" (أي: تعلو السَّماوات!) (الآية 2؛ انظر [اليوم الثاني للخلق] التكوين 1:7)، التي يعطي اللهُ منها المطرَ وفقاً لتصوير العهد القديم" (|دراسي|:1430؛ |NIV|:904)! **[← "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (أي: مطراً) لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (أي: تَرْعَوْن دوابَّكم)" (النحل 10)]!**

7716. “The Qurʾān’s vision of God’s throne hanging above the waters seems to reflect Psalm 104, which speaks of the palace of God above the waters […] (Psalm 104:1-3)” (|GR-AQ|:344).

7717 . راجع ما قلناه عن قصص العقاب الإلهي (Divine Punishment Stories) المكررة المتشابهة المسلسلة.

7718 . **[← وتوجد آيات قرآنية أخرى تعطي نفس المعنى، مثل: "وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ" (لقمان 10)؛ "وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ" (الأنبياء 31)؛ "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (أي: ممهدة لكم كالفراش!). وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (أي: تُثَبِّت الْأَرْضَ كما تُثَبِّت الأوتادُ الخيمةَ!)" (النبأ 6-7)].**

7719 . "لأَنَّهُ (أي: الرَّبّ) قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ" (المزامير 33:9).

7720 . "وَقَالَ اللهُ [في اليوم الثالث للخلق]: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذلِكَ. وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ" (التكوين 1:9-10).

7721 . اقرأ أيضاً "الْكَاسِي السَّمَاوَاتِ سَحَابًا، الْمُهَيِّئِ لِلأَرْضِ مَطَرًا، الْمُنْبِتِ الْجِبَالَ عُشْبًا، الْمُعْطِي لِلْبَهَائِمِ طَعَامَهَا" (المزامير 147:8-9).

7722. “In later Hebrew, the word “leḥem,” “food,” has the more restrictive meaning of “bread.”” (|JSB|:1383). See also |مشتركة:العهدالقديم\751.

7723 . **[← "وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (النحل 67)]!**

7724 . **[← وتوجد آيات قرآنية أخرى تُذكِّر بإنزال المطر من السماء لأنه مفيد للكائنات الحية ولأنه يحيي الأرضَ بعد موتها، ومن ثم استخدمه أصحابُ القرآن كدليل على البعث (إحياء الموتى). اقرأ مثلاً: (الأنعام 99) (إبراهيم 32) (الحجر 22) (طه 53-55) (الحج 5، 63) (المؤمنون 18-19) (النمل 60) (العنكبوت 63) (الروم 24) (لقمان 10) (فاطر 27) (الزمر 21) (فصلت 39) (النبأ 14-16) (عبس 25-32)].**

7725 . "فَعَمِلَ اللهُ [في اليوم الرابع للخلق] النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ (أي: الشَّمْسَ) لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ (أي: الْقَمَرَ) لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ" (التكوين 16:1) **[← "وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ" (النحل 12) "يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا (أي: بتعاقب سريع ومستمر) وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ" (الأعراف 54). "وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ (أي: لا يفتُران عن حركتهما)ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" (إبراهيم 33) "وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ" (الرعد 2) (العنكبوت 61) (لقمان 29) (فاطر 13) (الزمر 5)].**

7726 . النهار للعمل والليل للراحة **[← آيات قرآنية كثيرة تكرر هذه القاعدة العامة، مثل: "جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ" (القصص 73)؛ (النبأ 9-11) (الفرقان 47) (يونس 67) (النحل 86) (غافر 61) (الأنعام 96)].**

7727 . **[← "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ" (الدخان 38-39)].**

7728 . صحيح أن الإنسان هو الذي اخترع السُّفُنَ، لكنها كائنات جامدة لا روح فيها، فالله هو الذي يُحرّكها على وجهِ ماء البحر بالأمواج والرياح: "لأَنَّ الْمَرْكَبَ اخْتَرَعَهُ حُبُّ الْكَسْبِ، وَصَنَعَتْهُ الْحِكْمَةُ الْمُهَنْدِسَةُ (أي: عقلُ الإنسان)، لكِنَّ عِنَايَتَكَ أَيُّهَا الآبُ هِيَ الَّتِي تُدَبِّرُهُ (أي: تقودُه؛ تُسَيِّرُهُ)، لأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ فِي الْبَحْرِ طَرِيقًا، وَفِي الأَمْوَاجِ مَسْلَكًا آمِنًا، وَبَيَّنْتَ أَنَّكَ قَادِرٌ أَنْ تُخَلِّصَ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ، وَلَوْ رَكِبَ الْبَحْرَ مَنْ يَجْهَلُ صِنَاعَتَهُ [مثل نوح]" (الحكمة 14:2-4) **[← "وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ (أي: السفن التي تجري) فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (أي: رافعة سواريها وأشرعتها كالجبال). إِن يَشَأْ [اللهُ] يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ. أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا (أي: يُهْلِك السُّفُن بالغرق بسبب ذنوب ركابها!) وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ [من الذنوب فلا يعاقب عليها]" (الشورى 32-34). (وهذا طبعاً قبل اختراع الموتور!)].**

7729 . **[← وتوجد آيات قرآنية أخرى تؤكد أن أصحاب القرآن قد تأثروا بالتراث اليهودي-المسيحي الذي كان منبهراً بحركة السفن في البحر على الرغم من كونها كائنات جامدة لا روح فيها! وبعضها يذكر السُّفُنَ مع السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ! مثل: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ" (إبراهيم 32)؛ "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ (أي: حتى لا تقع!) عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ" (الحج 65)؛ (البقرة 164) (الجاثية 12-13)].**

7730 . للمزيد من المعلومات عن "لَوِيَاثَان" (Leviathan)، راجع ما قلناه عن سقوط إبليس (الشيطان) وأساطير سفر أيوب (أيوب 3:8، 41:1). اقرأ أيضاً اليوم الخامس للخلق (التكوين 1:20-23).

7731 . في اليوم السادس للخلق (التكوين 1:24-31) – أي: قبل اللعنة (التكوين 3:14-19) – كانت بركة الله على كل الأرض.

7732. "The creation is a theophany" (|JSB|:1384). See also |NIV|:905; |دراسى|:1432.

7733 . الموضوع "الرئيسي هو الخليقة المنظورة التي يرى [الشاعر] أنها بمثابة الثوب المتألّق المبهر الذي ارتداه الخالق غير المنظور ليظهر به مجده" (|دراسى|:1429؛ |NIV|:904).

7734 . لمزيد من المعلومات عن تأثير المزمور 104 على القرآن، انظر |GR-AQ|:78-79.

7735 . |معاصر|:1060. انظر أيضاً |JSB|:1383.

7736 . |IVP-OT-ar|:3/105-106؛ |IVP-OT|:548.

7737. "Akhenaten's *Hymn to the Aten* has been shown to have strong similarities with Psalm 104, but this is probably only an indication that the two compositions belong to a common literary heritage or perhaps even derive from a common Near Eastern original" (|IDAE|:61).

7738 . |سليم-حسن|:2/112-115. انظر أيضاً |ANET|:369-371؛ |OTParallels|:276-279.

7739. بِالْحَقِّ "*in truth*, that is, with purpose and goodness and not in vain" (|Nasr|:656).

7740 . |IVP-OT-ar|:3/107؛ |IVP-OT|:549.

7741. Rachel Storm, "Mythology of Egypt and the Middle East", Anness Publishing, 2010, p. 21.

7742. "Sans l'Égypte, il n'y aurait pas de Bible. Il suffit d'ouvrir la Bible juive ou la Bible chrétienne pour constater que les références à l'Égypte sont omniprésentes" (|Romer|:7).

7743 . |آرثر|:977. وتوجد آراء أخرى أهمها: الصعود روحياً إلى الله أو العودة من السبي (|JSB|:1411؛ |EJ|:673/16).

7744. “the Qurʾān follows Psalm 121:4, using two Arabic terms (*sina*, *nawm*) cognate to two Hebrew terms in this verse: “You see – he neither [slumbers] (*lō yānūm*) nor [sleeps] (*lō yīshān*), the guardian of Israel”” (|GR-AQ|:99).

7745 . |فهد|:42.

7746 . |آرثر|:869. أضفنا كلمات بالفرنسية من |QSC|:72 وبالعربية من ماكدونالد/العهدالقديم/3/12-13 وأخرى بين [].

7747 . |يسوعية|:العهدالقديم/1324، فلقد التزمت الترجمة اليسوعية بترتيب الكلمات في النص العبري. أما ترجمة ڤاندايك "لَعْنَةُ الرَّبِّ فِي بَيْتِ الشِّرِّيرِ، لكِنَّهُ يُبَارِكُ مَسْكَنَ الصِّدِّيقِينَ" (الأمثال 3:33) فهي أيضاً صحيحة لكنها أضاعت الانكفاء العكسي.

7748. |QSC|:73. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-009

7749 . تكررت صفة "الْقَيُّوم" ثلاث مرات في القرآن ودائماً تأتي بعد صفة "الْحَيّ" (البقرة 255) (آل عمران 2) (طه 111)، مما يؤكد تأثر القرآن بسفر دانيال: "الْحَيُّ الْقَيُّومُ" (دانيال 6:26)!

7750 . كما قلنا فيما سبق، الشفاعة يوم القيامة مشروطة بإذن الله للشفيع ورضا الله عن المشفوع له (النجم 26) (الأنبياء 28) (طه 109) (سبأ 23) (يونس 3) (البقرة 255) (مريم 87) (الزخرف 86) (الزمر 44). وعلى الرغم من أن شفاعة محمد للمسلمين **غير** مذكورة في القرآن، إلا أن المفسرين المسلمين لجأوا إلى آيات قرآنية مثل "وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ" (الضحى 5) و "عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا" (الإسراء 79) حتى يزعموا أن "شفاعة الرسول [محمد] لأمته يوم القيامة فهي المقام المحمود الذي وعده اللهُ به في ذلك اليوم" (|ضيف|:80)!

7751. Prof. Holger Zellentin: “think about the Jewish anti-gnostic tendencies [...] in *Genesis Rabbah* [...] which prohibits to discuss “what is above (the heavens) and what is below (the earth), what is before (creation) and what is after (its end, *Genesis Rabbah* 1:10).”” (|QSC|:78). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-009 . “this may refer either to space or to time, or to both space and time” (|Midrash|:1\9).

7752 . اقرأ أيضاً: "يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ (before) وَمَا خَلْفَهُمْ (behind) وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" (طه 110) (|GR-AQ|:500-501).

7753. |QSC|:74. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-009

7754 . |هامش|:109/9؛ |OTP|:542/1؛ |QSC|:77.

7755 . |نولدكه|:165. انظر أيضاً |GR-AQ|:99.

7756. |QSC|:74. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-009

7757 . |مارمرقص|:العهدالقديم/291/12. انظر أيضاً |JSB|:1421-1422.

7758 . |GR-AQ|:796.

7759 . |إسكندرية|:258/4؛ |NETS|:619؛ |Septuagint|:OT/786؛ |ملطي|:المزامير 135-151 / 314.

7760 . |مارمرقص|:العهدالقديم/366/12.

7761 . |معاصر|:1098. انظر أيضاً |EJ|:676/16؛ |كتابية|:147/8.

7762 . وفي الإنجيل: "وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ ِللهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ»" (لوقا 2:13-14). اقرأ أيضاً (الرؤيا 5:11-13)؛ |GR-AQ|:291.

7763 . اقرأ أيضاً: "اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ (the glory of God)، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ" (المزامير 19:1).

7764. “A reference to the mythological destruction of the sea monster (cf. Ps. 74.13-14; Isa. 51.9-10), suppressed and neutralized, as it is in Gen. 1.21, to which this is an allusion” (|JSB|:1433).

7765 . اقرأ أيضاً: "تَابُورُ (Mount Tabor) وَحَرْمُونُ (Mount Hermon) بِاسْمِكَ يَهْتِفَانِ" (المزامير 12:89)؛ "الْجِبَالُ لِتُرَنِّمْ مَعًا أَمَامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ جَاءَ لِيَدِينَ الأَرْضَ. يَدِينُ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ وَالشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ" (المزامير 98:8-9). وكذلك "نشيد الفتيان الثلاثة" (The Canticle of the Three Children) الذي يقول: "بَارِكِي الرَّبَّ أَيَّتُهَا الْجِبَالُ وَالتِّلاَلُ، سَبِّحِيه (praise Him) وَارْفَعِيهِ (highly exalt Him) (أي: مَجِّدِيه؛ glorify Him) إِلَى الدُّهُورِ" (تتمة سفر دانيال 75:3) (|يسوعية|:العهدالقديم/1866؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/154؛ |QSC|:328، 330).

7766 . اقرأ أيضاً "نشيد الفتيان الثلاثة" (The Canticle of the Three Children) الذي يقول: "بَارِكِي الرَّبَّ يَا جَمِيعَ طُيُورِ السَّمَاءِ، سَبِّحِيه (praise Him) وَارْفَعِيهِ (highly exalt Him) (أي: مَجِّدِيه؛ glorify Him) إِلَى الدُّهُورِ" (تتمة سفر دانيال 80:3) (|يسوعية|:العهدالقديم/1866؛ |مشتركة|:الكتب اليونانية/154؛ |QSC|:328، 330). وتقول ترنيمة أتون إله أخناتون: "والطيور [...] ترفرف وأجنحتها منتشرة (stretched out) إليك تعبداً" (|سليم-حسن|:113/2؛ |ANET|:370)!

7767 . لمزيد من التفاصيل، انظر |GR-AQ|:514-515، 653، 553.

7768 . وكان سيدُ الخلق يسوعُ المسيح يسبّح الله مع تلاميذه: "سَبَّحُوا" (متى 30:26) (مرقس 26:14).

7769 . اقرأ أيضاً: "اِهْتِفِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. اهْتِفُوا وَرَنِّمُوا وَغَنُّوا. رَنِّمُوا لِلرَّبِّ بِعُودٍ. بِعُودٍ وَصَوْتِ نَشِيدٍ. بِالأَبْوَاقِ وَصَوْتِ الصُّورِ اهْتِفُوا قُدَّامَ الْمَلِكِ الرَّبِّ! لِيَعِجَّ الْبَحْرُ وَمِلْؤُهُ، الْمَسْكُونَةُ وَالسَّاكِنُونَ فِيهَا. الأَنْهَارُ لِتُصَفِّقْ بِالأَيَادِي" (المزامير 4:98-8).

7770 . "تُسَبِّحُهُ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، الْبِحَارُ وَكُلُّ مَا يَدِبُّ فِيهَا" (المزامير 34:69)؛ "لِتَفْرَحِ السَّمَاوَاتُ وَلْتَبْتَهِجِ الأَرْضُ، لِيَعِجَّ الْبَحْرُ وَمِلْؤُهُ. لِيَجْذَلِ (أي: لِيَفْرَح؛ لِيَتَهَلَّلِ) الْحَقْلُ وَكُلُّ مَا فِيهِ، لِتَتَرَنَّمْ حِينَئِذٍ كُلُّ أَشْجَارِ الْوَعْرِ (أي: أَشْجَارِ الْغَابَةِ) أَمَامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ جَاءَ. جَاءَ لِيَدِينَ الأَرْضَ. يَدِينُ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ وَالشُّعُوبَ بِأَمَانَتِهِ" (المزامير 11:96-13) **[← "وَالنَّجْمُ [في السماء] وَالشَّجَرُ [على الأرض] يَسْجُدَانِ" (الرحمن 6)!]**.

7771. Psalms 148.13-14 “are included in the liturgy for returning the Torah to the Ark since the Torah may be seen as representing God (see Ps. 119)” (|JSB|:1434).

7772 . |نحاس-إعراب|:460/3-461.

7773 . |منتخب|:806. انظر أيضاً |نجار|:361-362.

7774 . |رازى|:193/26. انظر أيضاً |Nasr|:1107.

7775 . |و|:22/10/1-23.

7776 . |بكر|:261.

7777 . |طبرى|:58/20، 64/20-75.

7778 . |ج|:454؛ |ج-وطن|:454. لكن أنكر المحققون المحدثون هذه القصة لأنها تتعارض مع أسطورة "عصمة الأنبياء" التي يؤمنون بها. أو حرَّفوا القصةَ حتى تبدو هينة وبسيطة؛ فقيل مثلاً إن "ذاك الرجل [أوريا] كان قد خطب تلك المرأة، ثم خطبها داود عليه السلام على خطبته، وطلب منه أن يتنازل له عنها فاستحيا منه، أو أن أهلها آثروه بها عليه، وكان ذلك جائزاً في شرعهم، ولم يكن فيه ذنب، وهذا هو الذي يتناسب مع مقام النبوة" (|ج-البغا|:599)!

7779 . |أشقر|:454. وقال في نفس الصفحة: "وبعض العلماء ينكر هذه القصة في حق امرأة أوريا، ويقول: لم يكونا مَلَكين، بل كانا بشرين اختصما في النعاج حقيقة (أي: وليس في النساء) [وهذه هي القصة الحقيقية]" (|أشقر|:454).

7780. “the Islamic doctrine of infallibility of prophets which developed in the second⁄eighth and third⁄ninth centuries” (|EQ|:1\496).

7781 . |كتابية|:404/3.

7782 . "قَالَ دَاوُدُ [حين غزا أُورُشَلِيمَ (يَبُوسَ)]: «إِنَّ الَّذِي يَضْرِبُ الْيَبُوسِيِّينَ [سُكَّان أُورُشَلِيمَ] أَوَّلاً يَكُونُ رَأْسًا وَقَائِدًا». فَصَعِدَ أَوَّلاً يُوآبُ ابْنُ صَرُويَةَ (Joab son of Zeruiah, one of David’s sisters)، فَصَارَ رَأْسًا" (1 أخبار الأيام 6:11).

7783 . "هذِهِ أَسْمَاءُ الأَبْطَالِ (أي: القادة؛ أشجع المحاربين) الَّذِينَ لِدَاوُدَ: [...] أُورِيَّا الْحِثِّيُّ. [...]" (2 صموئيل 8:23-39)؛ "وَهؤُلاَءِ رُؤَسَاءُ الأَبْطَالِ الَّذِينَ لِدَاوُدَ، الَّذِينَ تَشَدَّدُوا مَعَهُ فِي مُلْكِهِ مَعَ كُلِّ إِسْرَائِيلَ لِتَمْلِيكِهِ (أي: الَّذِينَ ساعدوا داودَ بقوةٍ لكي يصبح مَلِكاً) حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ مِنْ جِهَةِ إِسْرَائِيلَ. [...] أُورِيَّا الْحِثِّيُّ، [...]" (1 أخبار الأيام 10:11-41).

7784 . "رَجُلاَنِ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاحِدٌ مِنْهُمَا غَنِيٌّ (يقصد: داود) وَالآخَرُ فَقِيرٌ (يقصد: أُوريَّا)" (2 صموئيل 12:1) **[← استخدم القرآنُ كلمةَ "أَخِي (أي: في السكن؛ في العمل؛ في الدين)" (ص 23) ليعبِّر عن قوة العلاقة بين داود وأُوريَّا]**.

7785 . |آرثر|:538.

7786. “Some modern scholars suggest that [Bathsheba] knew that this was David’s habit, and that she was trying to entice him” (|JSB|:622).

7787 . |كتابية|:406/3. انظر أيضاً |كتابية|:404/3.

7788. Prof. Daniel Madigan: “It is interesting that in the 2 Samuel passage we have a prophet (Nathan) chastising a king, whereas in the Qurʾān’s account the prophet disappears altogether (his parable becomes a litigation) and David straddles the categories of king and prophet” (|QSC|:330). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-039

7789 . نفس الكلمة التي استخدمتها نفس السورة حين تحدثت عن الكفار: "الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ (أي: متكبرون)" (ص 2)!

7790 . هذا حُكْم الشريعة: "إِذَا سَرَقَ إِنْسَانٌ ثَوْرًا أَوْ شَاةً فَذَبَحَهُ أَوْ بَاعَهُ، يُعَوِّضُ عَنِ الثَّوْرِ بِخَمْسَةِ ثِيرَانٍ، وَعَنِ الشَّاةِ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ" (الخروج 22:1). "وقد تم ذلك فعلًا مع داود، فكما مات أوريا الحثي، مات لداود أربعة من أبنائه هم ابن بثشبع (ابن الخطية) وأمنون وأبشالوم وأدونيا. وكما زنا داود مع بثشبع، زنا أمنون مع ثامار أخته، وأبشالوم مع سراري أبيه" (|مارمرقص|:العهدالقديم/359/5).

7791 . وقيل إن "أَخِينُوعَم" (Ahinoam) الْيَزْرَعِيلِيَّة التي تزوجها داودُ بعد أن أُخِذَت منه ميكال (1 صموئيل 25:43؛ 3:27) هي "أَخِينُوعَم" امرأة شاول (1 صموئيل 14:50) (|معاصر|:618)! ويوجد رأي ثالث يقول إن ناثان ذكر القاعدة العامة السائدة آنذاك وهي أن جناح الحريم لدى الملوك الشرقيين كان ينتقل تلقائياً إلى خليفتهم، فالمقصود هو أن الرب أخذ المُلْكَ والسلالة الحاكمة من شاول وذريته وأعطاهما لداود وذريته (|آرثر|:540؛ |دراسي|:723؛ |NIV|:441).

7792 . "لأَنَّ لِلَحْظَةٍ غَضَبَهُ" (المزامير 30:5)؛ "لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لاقْتِنَاءِ الْخَلاَصِ" (1 تسالونيكي 5:9). "سامح اللهُ داودَ ولم يقتله لأنه قدّم توبة من عمق قلبه ولم يخجل أن يعترف أمام ناثان النبي" (|مارمرقص|:العهدالقديم/359/5).

7793 . (البخارى 1079؛ |خ|:380/1) (مسلم 1159؛ |م|:812/2-818)؛ |أشقر-قصص|:275؛ |عامري-أ|:259.

7794 . وفي موقفٍ آخر، صام داودُ "إِلَى الْمَسَاءِ" (2 صموئيل 1:12). وفي موقفٍ ثالث، صام داودُ صوماً انقطاعياً إلى غروب الشمس! "وَجَاءَ جَمِيعُ الشَّعْبِ لِيُطْعِمُوا دَاوُدَ خُبْزًا، وَكَانَ بَعْدُ نَهَارٌ. فَحَلَفَ دَاوُدُ قَائِلًا: «هكَذَا يَفْعَلُ لِيَ اللهُ وَهكَذَا يَزِيدُ، إِنْ كُنْتُ أَذُوقُ خُبْزًا أَوْ شَيْئًا آخَرَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ»" (2 صموئيل 3:35). **[← من ثم اقتبس الإسلامُ فكرةَ الصوم الانقطاعي إلى غروب الشمس وجعلها صوم رمضان!]**.

7795. Prof. Guillaume Dye: “[الْمِحْرَاب] désigne très clairement le Temple de Jérusalem dans trois autres passages du Coran. Au singulier, le terme concerne soit Marie ([آل عمران 37]), soit Zacharie ([آل عمران 39]; [مريم 11]). […] Ce n’est peut-être pas un hasard si David est rapproché ici de Marie et Zacharie (intéressant rapprochement David/Jésus : [المائدة 78])” (|QSC|:328). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-039

7796 . كما قال صموئيلُ لشاول في ظهوره القصير بعد الموت: "وَغَدًا أَنْتَ وَبَنُوكَ تَكُونُونَ مَعِي (أي: في عالم الأموات السفلي Sheol, the underworld؛ يقصد: تموتون حتماً)" (1 صموئيل 28:19).

7797 . "هُوَذَا يُولَدُ لَكَ ابْنٌ يَكُونُ صَاحِبَ رَاحَةٍ، وَأُرِيحُهُ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ حَوَالَيْهِ، لأَنَّ اسْمَهُ يَكُونُ سُلَيْمَانَ (بالعبرية: Shelomoh). فَأَجْعَلُ سَلاَمًا (بالعبرية: shalom) وَسَكِينَةً (أي: هُدوء) فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِهِ" (1 أخبار الأيام 22:9).

7798 . |معاصر|:619.

7799 . |آرثر|:541.

7800 . كما قلنا فيما سبق: لم نرث خطيئةَ آدم (sin)، وإنما ورثنا الطبيعةَ الخاطئة (sinful nature; sinfulness).

7801. Prof. Guillaume Dye: “l’insistance, dans ce contexte, sur les notions de péché et de repentance est à rapprocher, bien sûr, de « l’épisode inaugural » – à savoir la faute puis le repentir d’Adam, qui sont le « modèle » des fautes et repentirs postérieurs (on a

là un autre exemple du monoprophétisme du Coran)” (|QSC|:328). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-039

7802 . |معاصر|:1015.

7803 . "وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ [الْمُعَزِّي] (يقصد: الروح القدس) يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ [...] مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ" (يوحنا 16:8-13).

7804. “Israel’s king is both the anointed of God and a man of bloodguilt” (|EJ|:17\763).

7805 . **[← "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ (أي: بينما نَحْنُ) نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ" (البقرة 30)!].**

7806 . |معاصر|:968، 971. انظر أيضاً |EJ|:16/673.

7807 . اقتبس بولس الرسول هاتين الآيتين (المزامير 32:1-2) تأكيدًا لأهمية عمل نعمة الله - وليس أعمال الناموس - في غفران خطايا الإنسان: "وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا. كَمَا يَقُولُ دَاوُدُ أَيْضًا فِي تَطْوِيبِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَحْسِبُ لَهُ اللهُ بِرًّا بِدُونِ أَعْمَال: «طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ. طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً»" (رومية 4:5-8).

7808 . |معاصر|:968. انظر أيضاً |EJ|:16/674-675؛ |NIV|:778؛ |EQ|:4/214.

7809 . **[← كما توجد آيات قرآنية تربط بين التسبيح والسجود أو الصلاة، مثل: "فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ" (الحجر 98). وهذا التفاعل الجسدي له أشكال أخرى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ [...] الطَّيْرُ صَافَّاتٍ (أي: باسطات أجنحتها في الهواء) ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ" (النور 41)].**

7810 . **[← الحروف المقطَّعة في أوائل السور القرآنية مثل سورة ص (ص 1) التي ذكرت قصة داوود (ص 17-26)؟].**

7811 . "اُطْلُبُوا الرَّبَّ مَا دَامَ يُوجَدُ. ادْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ. لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ، وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَإِلَى إِلهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ" (إشعياء 55:6-7).

7812 . "تشبيه قوي للقوى أو الظروف المهددة. أُقتبست هذه الصور البلاغية والصور ذات الصلة من التصورات التي سادت الشرق الأدنى القديم عن الخلق. كان الكثير من هذه التصورات يرى أن كتلة بدائية من المياه الهائجة (كانت كثيراً ما تُصور قوتها التهديدية والتدميرية في شكل وحش الأعماق متعدد الرؤوس؛ [...]) أُخضعت للإله الخالق قبل أن يصمم العالَمَ ويحكم كملكٍ سماوي على الأرض. رغم أن المياه الهائجة في هذه الأساطير أُخضعت حينما خُلِقَ العالمُ الحاضر، فقد ظلت تهديداً مستمراً لأمان وسلامة النظام الحاضر في الأرض (عالم اليابسة هو المسكن العادي للبشر والحيوانات). ولهذا، [...] [صارت لها] علاقة بكل ما يقع في نطاق الخبرة الإنسانية من خطر واضطراب يتهدد ذلك النظام. كذلك ارتبطت بالبحر الذي بدا أن أمواجه الغاضبة تصر على محاصرة اليابسة. ولمَّا كانت الأساطير الكنعانية تصور البحر والموت باعتبارهما أعظم عدوين للبعل (Baal) ("رب" الأرض)، فقد استخدم شعراء العهد القديم الصور الشعرية لكلا العالمين جنباً إلى جنب لتصوير الأخطار والكروب" (|دراسي|:1313؛ |NIV|:819).

7813 . وفاءًا بوعده لله أن يعلِّم التوبةَ للناس: "فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ، وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ" (المزامير 51:13).

7814 . |GR-AQ|:690.

7815 . توبة بَثْشَبَع امرأة أُوريَّا تذكِّرنا بتوبة امرأة العزيز (يوسف 51-53) حسب رأي فريق من المفسرين المسلمين.

7816 . |شعراوي-ع|:4/2236-2237. انظر أيضاً |شعراوي-حيو|:162-163؛ (مسلم 2816-2818؛ |م|:4/2169-2171) (البخاري 5349؛ |خ|:5/2147) (البخاري 6098؛ |خ|:5/2373).

7817. |QSC|:331-332. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-039

7818. “unlike the Hebrew Bible, the Qurʾān does not explicitly mention anything about Uriah, Bathsheba or the other wives of David” (|EQ|:1\496).

7819. “The Qurʾān insists upon repentance in terms which bear similarity to those in Christian literature” (|Tottoli|:60). “There is no mention of the wrong David did to Uriah, but the subsequent verses show that the king feels himself to be guilty. His prayer for forgiveness is heard [ص 24]” (|EI-2|:2\182).

7820. |QSC|:330. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-039

7821 . |كتابية|:1/27-28. انظر أيضاً |كتابية|:405/3؛ |JSB|:630؛ |NIV|:447.

7822 . |كتابية|:132/1. انظر أيضاً |EJ|:1/ 545؛ 212/3. ملحوظة: كان لداود ابن آخر أكبر من أبشالوم اسمه "كِيلآب (Kileab)" (2 صموئيل 3:3) أو "دَانِيئِيل (Daniel)" (1 أخبار الأيام 1:3) لكنه ربما مات أو كان غير مؤهل إلى الحكم لأسباب عقلية أو صحية. فبعد مقتل أمنون بِكْر داود، صار أبشالومُ عملياً الابنَ الأكبر للملك داود والمرشح لوراثة العرش.

7823 . |قاموس-كتاب|:13.

7824 . |قاموس-كتاب|:13-14.

7825. “So unforgivable was [Absalom’s] conduct that he is enumerated among those who have no share in the world to come (Sanh. 103b)” (|EJ|:1\331).

7826 . **[← وكذلك في القرآن نجد آيات تتمنى الشرَّ للخصوم، مثل: "رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ (أي: امحقها؛ أهلكها!) وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ" (يونس 88)؛ "رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ [دون إهلاك واستئصال] يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا" (نوح 26-27)!].**

7827 . |معاصر|:972.

7828 . |آرثر|:963.

7829 . |EJ|:670/16؛ |دراسى|:1258؛ |NIV|:779؛ |EQ|:314/4.

7830 . |معاصر|:970.

7831. “A widespread ancient Near Eastern tradition sees the king as the adopted son of a god who ordained that he should rule (2 Samuel 7.14; Psalms 2.7). This king, however, is also the *first-born*, specially privileged” (|JSB|:1369).

7832 . |دراسى|:1264؛ |NIV|:783. انظر أيضاً |آرثر|:868؛ |JSB|:1264.

7833 . |مارمرقص|:العهدالقديم/85/12.

7834 . |ملطى|:المزامير 101-110 / 234.

7835 . |ملطى|:المزامير 101-110 / 237؛ 238؛ 263.

7836 . |ملطى|:المزامير 101-110 / 244؛ 251.

7837 . |ملطى|:المزامير 101-110 / 252.

7838 . |أنطونيوس|:المزامير.

7839. “The mention of David together with Jesus seems to indicate that Muhammad received this tradition from Christians” (|EJ|:5\455).

7840 . "لأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ. فِي الْهَاوِيَةِ (Sheol) مَنْ يَحْمَدُكَ؟" (المزامير 6:5).

7841 . وتقول تفاسير مسيحية إن المقصود هو الشيطان إبليس تحديداً! أما نحن فنرى أن كلمة "شَيْطَانٌ" هنا (المزامير 6:109) مجرد كلمة عِبرية (common noun) فينبغي ترجمتها إلى "مُتَّهِمٌ" (accuser) (|يسوعية|:العهدالقديم/1267؛ |JSB|:1393؛ |NIV|:914) أو "خَصْمٌ" (adversary) (|دراسى|:1443؛ |مشتركة|:العهدالقديم/759).

7842 . أو لأنه مؤمن لكنه يكذب في صلاته. "إذا صلَّى يقول: "اغفر لي كما غفرت لمن أساء إليّ" (متى 6:12)، وهو لم يغفر له" (|ملطى|:المزامير 101-110 / 243 نقلاً عن القديس مار إفرام السرياني).

7843 . |مارمرقص|:العهدالقديم/88/12.

7844 . "يرى القديس جيروم أن "بَنُوهُ" (المزامير 10:109) هُمْ اليهود الذين فقدوا الغِنَى الروحي، ولم يعد لهم أنبياء ولا كهنة ولا ذبيحة، صاروا ساقطين بمعنى الكلمة" (|ملطى|:المزامير 101-110 / 248).

7845 . قال القديس أغسطينوس: "من الأفضل فَهْم "لَمْ يَذْكُرْ" (المزامير 16:109) أنها بخصوص الشعب (اليهودي)، فإنهم إن كانوا قد قتلوا المسيحَ [إِنْسَانًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا وَالْمُنْسَحِقَ الْقَلْبِ] كان يليق بهم أن يذكروا هذا في توبةٍ، ويتعاملون مع أعضائه بالرحمة، هؤلاء الذين أصروا على اضطهادهم" (|ملطى|:المزامير 101-110 / 250).

7846 . اللعنة تلحق باللاعن: "الشَّرُّ يُمِيتُ الشِّرِّيرَ، وَمُبْغِضُو الصِّدِّيقِ يُعَاقَبُونَ" (المزامير 34:21).

7847. “As for the reference to David in [المائدة 78], one […] might note Psalm 109 (traditionally attributed to David) in which the Psalmist curses his enemies: “He had a taste for cursing; let it recoil on him! No taste for blessing; let it never come his way!” (v. 17)” (|GR-AQ|:209-210).

7848 . (البخارى 1079؛ |خ|:380/1) (مسلم 1159؛ |م|:812/2-818)؛ |أشقر-قصص|:275؛ |عامري-أ|:259.

7849 . وفي موقفٍ آخر، صام داودُ "إِلَى الْمَسَاءِ" (2 صموئيل 12:1). وفي موقفٍ ثالث، صام داودُ صوماً انقطاعياً إلى غروب الشمس! "وَجَاءَ جَمِيعُ الشَّعْبِ لِيُطْعِمُوا دَاوُدَ خُبْزًا، وَكَانَ بَعْدُ نَهَارٌ. فَحَلَفَ دَاوُدُ قَائِلًا: «هكَذَا يَفْعَلُ لِيَ اللهُ وَهكَذَا يَزِيدُ، إِنْ كُنْتُ أَذُوقُ خُبْزًا أَوْ شَيْئًا آخَرَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ»" (2 صموئيل 35:3). **[← من ثم اقتبس الإسلامُ فكرةَ الصوم الانقطاعي إلى غروب الشمس وجعلها صوم رمضان!]**.

7850 . كما "قَالَ دَاوُدُ لِلْفِلِسْطِينِيِّ: «أَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِسَيْفٍ وَبِرُمْحٍ وَبِتُرْسٍ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِ صُفُوفِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ عَيَّرْتَهُمْ. هذَا الْيَوْمَ يَحْبِسُكَ الرَّبُّ فِي يَدِي، فَأَقْتُلُكَ وَأَقْطَعُ رَأْسَكَ. وَأُعْطِي جُثَثَ جَيْشِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ هذَا الْيَوْمَ لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَحَيَوَانَاتِ الأَرْضِ، فَتَعْلَمُ كُلُّ الأَرْضِ أَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ لإِسْرَائِيلَ. وَتَعْلَمُ هذِهِ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفٍ وَلاَ بِرُمْحٍ يُخَلِّصُ الرَّبُّ، لأَنَّ الْحَرْبَ لِلرَّبِّ (the battle is the LORD’s) (أي: حرب مقدّسة) وَهُوَ يَدْفَعُكُمْ لِيَدِنَا»" (1 صموئيل 45:17-47).

7851 . "لَمْ يَشَإِ الرَّبُّ إِلهُكَ أَنْ يَسْمَعَ لِبَلْعَامَ، فَحَوَّلَ لأَجْلِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ اللَّعْنَةَ إِلَى بَرَكَةٍ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ أَحَبَّكَ" (التثنية 5:23).

7852 . "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ" (يوحنا 16:13).

7853 . "كان لليهود امتياز عظيم بوجود ابن الله بينهم، هذا علاوة على تلقيهم إعلان الله الخاص في العهد القديم. لهذا، فإن أولئك الذين يرفضون الرب يسوع المسيح يُدانون دينونة تامة وَهُمْ بلا عذر" (|دراسى|:2563؛ |NIV|:1661).

7854 . |مارمرقص|:العهدالجديد/437/2.

7855 . |يسوعية|:العهدالجديد/499.

7856 . "من خواص التين الغريبة ظهور ثمره قبل أوراقه، فإذا ظهرت الأوراق ولم يظهر الثمر لا يؤمل اثمارها في تلك السنة (متى 19:21)" (|قاموس-كتاب|:230). انظر أيضاً |كتابية|:422/2.

7857 . |مارمرقص|:العهدالجديد/206/1.

7858 . |آرثر|:1564.

7859 . |ملطى|:المزامير 111-118 / 138-139.

7860 . |ملطى|:المزامير 111-118 / 146.

7861 . "النطق "بالويل" شبيه باللعنة (ارجع مثلاً إلى إشعياء 8:5-23، متى 13:23-33)" (|كتابية|:47/7).

7862 . |IVP-OT-ar|:137/2؛ |IVP-OT|:293.

7863 . |كتابية|:406/3.

7864 . |EJ|:453/5.

7865 . |عامري-أ|:263-269، 281. لمزيد من المعلومات، انظر |Kitchen|:36-37، 92، 615؛ |Kitchen-ar|:78-81، 169-171، ملحق 13؛ |Sparks|:467-468؛ |OTParallels|:170-171؛ |BibleUn|:129؛ |BibleUn-ar|:173-174؛ |EJ|:445/5، 459؛ |KJV-arch|:554.

7866. |EJ|:5\459.

7867 . |ANET|:320-321. انظر أيضاً |Sparks|:466-467.

7868 . |Kitchen|:92-93، 615؛ |Kitchen-ar|:170-171، ملحق 13؛ |BibleUn|:129؛ |BibleUn-ar|:174؛ |عامري-أ|:269.

7869 . |EJ|:445/5-446.

7870 . |EJ|:75/14-76.

7871 . |قاموس-كتاب|:929.

7872 . |IVP-OT|:387؛ |IVP-OT-ar|:283/2.

7873 . |كتابية|:7/238-240.

7874 . |السواح|:4/254-255، 257-258.

7875 . |KJV-arch|:544.

7876 . |آرثر|:608؛ |كتابية|:1/244؛ |JSB|:691؛ |BibleUn|:18؛ |BibleUn-ar|:44؛ |عامري-أ|:278.

7877 . |كتابية|:4/585-586.

7878 . |Kitchen|:93، 615؛ |Kitchen-ar|:171-172، ملحق 13. انظر أيضاً |عامري-أ|:270-271، 277-280.

7879 . |EJ|:18/490؛ |قاموس-كتاب|:533؛ |كتابية|:4/583-586؛ |NIV|:635؛ |دراسى|:1033؛ |JSB|:691، 1785-1787؛ |ANET|:242-243، 263-264؛ |BibleUn|:161-162، 231-232؛ |BibleUn-ar|:207-208، 284؛ |Sparks|:390؛ |IDAE|:301-302.

7880 . |KJV-arch|:642.

7881 . |السواح|:4/175.

7882 . |BibleUn|:158-159، 190، 142-145. الترجمة العربية (|BibleUn-ar|:204-206، 238، 189-192).

7883 . |NIV|:1008؛ |دراسى|:1575. انظر أيضاً |IVP-OT-ar|:3/143؛ |IVP-OT|:570.

7884 . |EJ|:5/460.

7885 . |دراسى|:780، 776؛ |NIV|:477، 474.

7886 . |EJ|:18/759.

7887 . |ج|:381؛ |ج-البغا|:499؛ |ج-وطن|:380.

7888 . |قاموس-كتاب|:481.

7889 . خريطة رقم 5 في الكتاب المقدس الدراسي (|دراسى|؛ |NIV|). وانظر |كتابية|:1/240؛ |JSB|:665؛ |EJ|:18/756؛ |Rasmussen|:145-146؛ |Carta|:86، 90 وخرائط سوريا القديمة (|Carta|:39؛ |Rasmussen|:72، 84).

7890 . |IVP-OT-ar|:2/241؛ |IVP-OT|:360.

7891 . |JSB|:666. انظر أيضاً |عامري-أ|:316.

7892 . |معاصر|:675.

7893 . |EJ|:18/755.

7894 . |السواح|:22/113.

7895 . |قاموس-كتاب|:482. انظر أيضاً |Kugel|:320-322، 300، 312، 315-316.

7896. |آرثر|:709. See also: الدليل 441, https://www.youtube.com/watch?v=St-kWecsZNw

7897 . (النسائى 693؛ |س|:2/34؛ |س-ألبانى|:116؛ |س-صحيح|:1/228-229). وانظر (أحمد 2/176؛ |ل|:11/219-224؛ |ل-شاكر|:6/198-202) (ابن ماجه 1408؛ |هـ|:1/532؛ |هـ-ألبانى|:251؛ |هـ-صحيح|:1/421؛ |هـ-أرنؤوط|:2/414-415)؛ |كثير-بديوى|:537؛ |كثير-هاشمى|:443-444؛ |أشقر-قصص|:301؛ |عامري-أ|:309؛ |صابونى|:296.

7898 . (البخارى 3243؛ |خ|:3/1260).

7899 . |نجار|:381.

7900 . |عامري-أ|:310.

7901 . انظر الرسومة التوضيحية لهيكل سليمان (|دراسى|:789؛ |NIV|:482؛ |JSB|:669؛ |آرثر|:585).

7902 . ملحوظة: هذان الكَروبان هُمَا غير الكَروبَيْن الاثْنَيْنِ الموجودَيْن فوق غطاء التابوت.

7903 . |AYA|:1087.

7904 . ونحن نقول ذلك لنرد على البروباجاندا العربية-الإسلامية التي تزعم أن أرض القدس (أورشليم) من حق المسلمين لأن "ليلة الإسراء والمعراج" حدثت عليها، فالإسراء كان إليها والمعراج كان منها. فنقول لهم: حتى لو افترضنا جدلاً أن قصة الإسراء والمعراج قصة حقيقية، فلا يمكن لليلة واحدة أن تلغي مئات السنين التي تثبت حق بني إسرائيل في أرض أورشليم!

7905. “Hebrew [neḥosheth] makes no distinction between pure copper and copper alloys such as bronze. Pure copper is too soft, however, to make an effective “pillar.”” (|JSB|:671).

7906 . الصُّفْرُ أي النُّحَاسُ الأَصْفَرُ (brass) سبيكة من سبائك النحاس مثل البرونز (bronze)، وإن اختلف تركيبهما الكيميائي.

7907 . |كتابية|:425/4. انظر أيضاً |EJ|:757/18.

7908 . في هيكل حزقيال (حزقيال 47:1-12)، حلَّ نهرُ مياه تهب الحياة (a wondrous life-giving source of water) محل البحر؛ ويوجد تقليد حاول أن يجمع بين النهر والبحر فقال إن نهراً نابعاً من الهيكل يمد البحر بالمياه (|دراسى|:1017؛ |NIV|:626؛ |JSB|:1771).

7909. [عَيْنَ الْقِطْرِ (سبأ 12)] “The receptacle or “sea” or Font was made of molten brass: presumably it contained flowing water for washing with” (|AYA|:1086).

7910 . انظر الرسومة التوضيحية لأثاثات هيكل سليمان (|دراسى|:792؛ |NIV|:484).

7911 . حددت شريعةُ موسى حقَّ الكهنة في بعض أجزاء الحيوانات المُقرَّبة ذبائح (اللاويين 7:28-36؛ 10:14-15) (التثنية 18:1-5). لكن الكهنة الأشرار الفاسدين أمثال بني عالي لم يلتزموا بالشريعة (1 صموئيل 2:12-17).

7912 . |طيب|:245.

7913 . |قرطبى|:268/17-269؛ |قرطبى-مصر|:556/7.

7914 . |حجازى|:135/3. أعاد الأزهرُ ومجلس حكماء المسلمين طباعة هذا التفسير عام 2018! انظر أيضاً |نجار|:381-382.

7915 . |صابونى|:300.

7916 . |AYA|:1086.

7917 . |IVP-OT-ar|:340/2؛ |IVP-OT|:425. انظر أيضاً |EJ|:757/18.

7918 . |معاصر|:771. انظر أيضاً |IVP-OT-ar|:342/2؛ |IVP-OT|:426.

7919 . |معاصر|:675-676.

7920 . |قاموس-كتاب|:482. انظر أيضاً |EJ|:759/18.

7921 . |آرثر|:725.

7922 . |كتابية|:425/4؛ |كتابية|:426/4.

7923 . |كتابية|:427/4.

7924 . |معاصر|:669. انظر أيضاً |EJ|:759/18.

7925 . |كتابية|:131/3.

7926 . |يسوعية|:العهدالقديم/1393.

7927 . |طيب|:239.

7928 . |فهد|:429؛ |منتخب|:752؛ |GR-AQ|:654؛ |Pickthall|:563؛ |منتخب-ن|:927؛ |منتخب-ف|:659؛ |Masson|:527؛ |Blachere|:459.

7929 . ونحن نقول ذلك لننبه المسيحيين العرب والمسلمين إلى أن التشكيك في تاريخية هيكل سليمان (المسجد الأقصى) بذريعة محاربة الصهيونية يعني التشكيك في كتب التراثين المسيحي والإسلامي بل يعني التشكيك في الإنجيل (يوحنا 23:10) (أعمال الرسل 11:3، 12:5، 7:47-48) والتشكيك في القرآن (سبأ 12-13) (الإسراء 1، 7) (البقرة 145).

7930 . |خازن-بغوى|:171/5.

7931 . |ثعلبى|:74/8؛ |ثعلبى-ع|:143/5.

7932 . |شعراوى|:12277/20. انظر أيضاً |شعراوى-قصص|:342؛ |شعراوى-ع|:2215/4-2220.

7933 . |طيب|:245.

7934 . |السواح|:115/22.

7935 . |GR-AQ|:654-655. انظر أيضاً |GR-AQ|:62؛ |EJ|:592/2، 456/6، 522/9، 760/18؛ |JSB|:668؛ |Sidersky|:118-119.

7936. “**[Solomon (Sulaymān)] In Islam:** From various allusions, which are found in the works of Arab poets, it is evident that tales concerning King Solomon (Sulaymān) were circulated in the Arabian Peninsula even before the appearance of Muhammad” (|EJ|:18\760).

7937 . |نجار|:383.

7938 . |مفصل|:722/6. انظر أيضاً |مفصل|:723/6.

7939 . (مسلم 7؛ |م|:12/1).

7940 . |طنطاوى-قصص|:41/2.

7941 . |بكر|:288.

7942 . |شعراوى-قصص|:345. انظر أيضاً |شعراوى-حيو|:149.

7943 . |ج|:429؛ |ج-البغا|:564؛ |ج-وطن|:429.

7944 . |صابونى|:307.

7945 . |أشقر-قصص|:302.

7946 . |طنطاوى-قصص|:41/2.

7947 . |طنطاوى-قصص|:41/2.

7948 . |حجازى|:135/3. أعاد الأزهرُ ومجلس حكماء المسلمين طباعة هذا التفسير عام 2018!

7949 . |شعراوى-حيو|:150.

7950 . حاول الشيخ عبد الوهاب النجار تفسير (سبأ 14) بطريقة لا تصطدم بالعقل، فاخترع قصصاً لا أساس لها (|نجار|:391-393)! اقرأ نقد اللجنة ورد المؤلف (|نجار|:393-402). وكذلك زعم د. محمد الطيب النجار "أن دابة الأرض هي الفأر، وأن ذلك قد تم في وقت قصير لا يتجاوز بضع ساعات، أكل فيها الفأر عصاه" (|طيب|:249)! ونحن نرى أنهما فشلا لأن القرآن (سبأ 14) يصطدم بالعقل فعلاً، إذ لا يمكن أن نصدق أن مَلِك إسرائيل مات ومَا دَلَّ الجِنَّ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا حشرة أو فأر! وفي جميع الأحوال، لا يوجد أي دليل علمي يثبت وجود الجن أصلاً. فمن المستحيل تفسير القرآن (سبأ 14) بطريقة عقلانية.

7951 . |EJ|:522/9. اقرأ (1 ملوك 7:6) في ضوء (الخروج 25:20) (التثنية 5:27) (يشوع 31:8).

7952. “the Qurʾān’s allusion to Solomon’s staff may be related to a tradition (connected to Ecclesiastes 2:10, a book attributed to Solomon) that at the end of his reign Solomon ruled over nothing but his staff (b. Sanhedrin 20b)” (|GR-AQ|:655). Also |EJ|:18\760; |Masson|:921.

7953. 105 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=q0hMu1Dw98w
51 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=7qrmyZRgrKs

52 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=YOs0vy86u_k
53 سؤال جريء, *https://www.youtube.com/watch?v=UN9OalJnrVw*

7954 . (مسلم 7؛ |م|:12/1).

7955 . |معاصر|:1237. انظر أيضاً |NIV|:1067.

7956 . |قرطبى|:210/18؛ |قرطبى-مصر|:176/8.

7957 . |مارمرقص|:العهدالقديم/234-233/17.

7958 . |هامش|:47/5؛ |Pleiade|:659-658/337؛ |OTP|:64/2؛ |RHCharles|:20/2؛ |Kugel|:206.

7959 . |هامش|:36-35/3؛ |RHCharles|:194-193/2؛ |OTP|:18-17/1؛ |Pleiade|:482-481/337؛ |Kugel|:206-205.

7960 . |دراسى|:3041؛ |NIV|:1961.

7961 . |آرثر|:2282.

7962 . توجد على الأقل ثلاثة تفاسير مختلفة لموضوع الألف سنة (mille ans) أو مُلْك المسيح الألفي (Millennialism)، لكننا لن نتطرق إليها لأنها خارج نطاق دراساتنا لقصة سليمان القرآنية. لمزيد من التفاصيل، انظر تفاسير (الرؤيا 20).

7963 . (2 أخبار الأيام 3:1). اقرأ أيضاً (1 أخبار الأيام 39:16).

7964 . **[← "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (أي: أصغى السمع وَهُوَ حاضرٌ بقلبه)" (ق 37)].**

7965 . (أحمد 176/2 |ل|:224-219/11؛ |ل-شاكر|:202-198/6) (النسائى 693؛ |س|:34/2؛ |س-ألبانى|:116؛ |س-صحيح|:229-228/1) (ابن ماجه 1408؛ |هـ|:532/1؛ |هـ-ألبانى|:251؛ |هـ-صحيح|:421/1؛ |هـ-أرنؤوط|:415-414/2). وانظر |كثير-بديوى|:537؛ |كثير-هاشمى|:444-443؛ |أشقر-قصص|:301؛ |عامري-أ|:309؛ |صابونى|:296.

7966 . هذا الحديث الصحيح المرفوع مهم جداً لأنه يؤكد أن سليمان بنى بيتَ المقدس (المسجدَ) أي: المسجدَ الأقصى. إذن: التشكيك في تاريخية هيكل سليمان بذريعة محاربة الصهيونية يعني التشكيك في السُّنَّة الصحيحة بل يعني التشكيك في القرآن نفسه (سبأ 12-13) (الإسراء 1، 7) (البقرة 145).

7967 . "فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلهِ: «[...] فَأَعْطِنِي الآنَ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً [...]». فَقَالَ اللهُ لِسُلَيْمَانَ: «[...] إِنَّمَا سَأَلْتَ لِنَفْسِكَ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً [...] قَدْ أَعْطَيْتُكَ حِكْمَةً وَمَعْرِفَةً [...]" (2 أخبار الأيام 1:8-12).

7968. "[النمل 15] Whereas the Bible [...] makes wisdom (in Hebrew: *ḥokmā*) a particular quality of Solomon, the Qurʾān here (cf. [البقرة 251]; [الأنبياء 78-79]; [ص 20], [ص 22-26]) has both David and Solomon granted "knowledge" (in Arabic: [عِلْم])" (|GR-AQ|:583).

7969 . "لأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِي حِكْمَةً. مِنْ فَمِهِ الْمَعْرِفَةُ وَالْفَهْمُ" (الأمثال 6:2).

7970 . |IVP-OT-ar|:334/2؛ |IVP-OT|:421. انظر أيضاً |EJ|:758/18.

7971 . |آرثر|:580. انظر أيضاً |EJ|:759-758/18.

7972 . (البخارى 3244؛ |خ|:1261-1260/3) (البخارى 6387؛ |خ|:2485/6) (مسلم 1720؛ |م|:1344/3-1345). انظر أيضاً |صابونى|:296؛ |عامري-أ|:310-309؛ |أشقر-قصص|:293-291.

7973 . |IVP-OT-ar|:239/2؛ |IVP-OT|:359.

7974. "*Solomon in the Qurʾān:* As a ruler Solomon was noted for his possession of knowledge [عِلْم] and wisdom [حِكْمَة], characteristics that he inherited from his father, David, but in which he was believed to have surpassed him ([الأنبياء 78-79]; [...])" (|EQ|:5\77).

7975 . |فهد|:328. انظر أيضاً |منتخب|:558-557؛ |أشقر-قصص|:294-293؛ |شعراوى-ع|:2291/4.

7976 . |طيب|:237. انظر أيضاً |و|:16/10/1.

7977 . |بكر|:262.

7978 . |و|:17/10/1.

7979 . |ج|:381؛ |ج-البغا|:499؛ |ج-وطن|:380.

7980 . |شعراوى-قصص|:362. انظر أيضاً |صابونى|:295، 298؛ |EI-2|:9/822.

7981. “Le fait que le jeune Salomon aurait été appelé à rendre son jugement en présence de son père, le roi David, étranger à l’esprit juif, doit être le produit de l’imagination arabe” (|Sidersky|:113).

7982 . (البخارى 1428؛ |خ|:545/2-546) (البخارى 2228؛ |خ|:830/2) (البخارى 6514-6515؛ |خ|:2533/6) (مسلم 1710؛ |م|:1334/3-1335). انظر أيضاً |Aldeeb|:330.

7983. In the Ḳurʾān, Solomon is “acquainted with the speech of birds and animals [النمل 16، 20-28], a tradition based on 1 Kings iv. 33” (|EI-2|:9\822).

7984 . |IVP-OT-ar|:243/2؛ |IVP-OT|:361.

7985 . (الأمثال 30) يُنْسَب إلى شخص مجهول "أَجُورَ ابْنِ مُتَّقِيَةِ مَسَّا" (الأمثال 30:1). قيل إنه من قبيلة إسماعيلية تعيش في شمال شبه الجزيرة العربية. وقيل إنه كان طالبَ حكمة في أيَّام سليمان. وقيل إنه سليمان نفسه!

7986 . |GR-AQ|:584-585؛ |Geiger|:150.

7987 . قيل إن الله ألهم النملةَ! بل زعم القرآنُ أن الله قد يلهم أيَّ مخلوق! "وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ [...]" (النحل 68)! "وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ" (الأنعام 38)! "قَالَ [موسى] رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ" (طه 50)! "وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا (أي: خَلَق ورتَّب ما أراده فيها)" (فصلت 12)! "بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (أي: أَمَرَ الْأَرْضَ)" (الزلزلة 5)! انظر أيضاً |بكر|:266.

7988 . كالعادة، حاول بعض المسلمين تفسير (النمل 18) بطريقة لا تتعارض مع العقل. فمثلاً قيل إن "النَّمْل" ليست الحشرات المعروفة، وإنما قبيلة اسمها "النَّمْل" (|Aldeeb|:155)! وقال أحدهم إن "المراد بوادي النمل الوادي الكثير الناس كأنهم النمل في الكثرة، وليس ما قاله بشيء لأنه ينافيه قولها "وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" إذ كيف لا يشعر جند سليمان بالناس وبخاصة إذا كانوا كثيرين كالنمل؟" (|نجار|:387)! إذن: كل هذه المحاولات فشلت، لأن القرآن (النمل 18) يتعارض مع العقل فعلاً. ونحن ننصح المسلمين بأن يفهموا "قَالَتْ نَمْلَةٌ [...]" (النمل 18) بالمعنى المجازي، تماماً كما جاء الفعل "قَالَ" في آيات قرآنية أخرى لا يمكن أن تُفْهَم إلا بالمعنى المجازي، مثل: "قَالَتَا (أي: قَالَتْ السَّمَاءُ والأَرْضُ) أَتَيْنَا طَائِعِينَ" (فصلت 11).

7989 . إلا إذا افترضنا أن (النمل 18-19) مجرد مَثَل يعلِّم المَلِكَ أن يحافظ على حياة جنوده كما حافظت النملةُ على حياة زميلاتها، ومن ثم يُعلِّمه التواضع لأنه تعلّم من النملة أصغر مخلوقات الله، ولذلك شكر سليمانُ اللهَ لأنه تعلَّم هذا الدرس من أضأل مخلوقاته وأقلها شأناً: "قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ" (النمل 19).

7990 . انظر نقاشاً حول (الأحقاف 15) و (النمل 19): |MS|:43-44. وراجع ما قلناه عن الجذور المسيحية لـ (النمل 19).

7991 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/53. انظر أيضاً |EOSB|:900؛ |Septuagint|:Apocrypha/61؛ |Masson|:899.

7992 . |كثير-شيخ|:425/9؛ |كثير-طيبة|:358/5. انظر أيضاً |صابونى|:298-299.

7993 . |بكر|:282.

7994 . |شعراوى-قصص|:341. انظر أيضاً |شعراوى-قصص|:348-349؛ |شعراوى-ع|:2213/4.

7995 . |شعراوى-ع|:2214/4.

7996 . |أشقر-قصص|:298-299.

7997. *https://alshirazi.com/compilations/history/alqasasalhaq/8.htm*
الدليل 691, https://www.youtube.com/watch?v=y17TaHA0cH0

7998 . |يسوعية|:العهدالقديم/1409. انظر أيضاً |GR-AQ|:515-516؛ |NOAB|:1437؛ |NETS|:704.

7999 . |إسكندرية|:258/4. انظر أيضاً |هامش|:25/5؛ |Kugel|:74-75؛ |NIV|:1298؛ |مارمرقص|:العهدالقديم/427/20.

8000 . "كلمة "روح" تعني الروح (esprit) والريح (vent). كانوا ينسبون إلى "الأرواح" أو الملائكة (anges) دوراً في ترتيب الكواكب (météores) تحت إمرة الله" (|هامش|:44/3؛ |Pleiade|:491/337). اقرأ مثلاً "الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا (أو: الجَاعِلُ مِنَ الرِّياحِ رُسُلَه)" (المزامير 4:104) (العبرانيين 7:1)؛ "وملائكة الريح" (اليوبيلات 2:2) **[← راجع ما قلناه عن قصص العقاب الإلهي المكررة المتشابهة المسلسلة في القرآن، حيث كان العقاب الإلهي يحدث أحياناً بالرياح والعواصف أو بصيحة الملاك جبريل].**

8001 . (The Antiquities of the Jews 8.2.5) |Josephus|:255-256. انظر أيضاً |RHCharles|:546/1.

8002 . |Katsh|:95.

8003 . |OTP|:716/1؛ |Barnstone|:84؛ |Gnostic|:206.

8004. 105 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=q0hMu1Dw98w

8005 . |طنطاوي-قصص|:64/2.

8006 . |بكر|:266.

8007 . |السواح|:118/22-119. انظر أيضاً |Sidersky|:116.

8008. “Solomon’s seal [خاتم سليمان] is a common charm, in the form of a six-pointed star, often inscribed on drinking cups” (|EI-2|:9\823).

8009 . الشَّيَاطِين (الْجِنّ) مخلوقات من نار، فكيف تغوص في مياه البحار (الأنبياء 82) (ص 37)؟! لا تسألهم هذا السؤال الصعب لأنهم بالتأكيد سيقولوا لكَ "الله أعلم"! أما نحن فنقول لهم: الأساطير اليهودية هي السبب.

8010. ““Binding” demons is a common theme in apocryphal and pseudepigraphic literature” (|OTP|:1\963).

8011 . (مسلم 7؛ |م|:12/1).

8012 . |OTP|:960/1-986.

8013 . "I [Solomon] smiled and replied" **[← "فَتَبَسَّمَ [سُلَيْمَانُ] ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ" (النمل 19)].**

8014. “the details on [Solomon’s] powers [in the Qurʾān] have evident parallels in the *Testament of Solomon*, an apocryphal Christian work” (|Tottoli|:60).

8015 . قال الشيخ الشعراوي: "أي يُمْنَع مَن يذهب منهم للقاء سليمان حتى يأتي الباقون، ويحضر المتخلفون فلا يفوز أحد بلقائه دون غيره حتى يحدث توازن بين الرعية. [...] فيمتنع السابق أن يسبق حتى يأتي اللاحق؛ ليكونوا سواسية في الدخول على سليمان عليه السلام" (|شعراوي-ع|:2227/4، 2229).

8016 . "كان لسليمان سلطة بلا حدود على حياة رعاياه. [...] كما لم تكن هناك رقابة مستقلة على مصروفات الحكومة، ولا مراجعة للسياسة الضريبية، ولا للسياسة التجارية، ولا للسياسة الخارجية" (|إكتابية|:427/4)!

8017 . قال الشيخ الشعراوي: "لأن الذي جاء ليأخذ المُلْكَ يريد أن يأخذ المالِكين، وينهب كل ما عندهم؛ لأنه ساعة يصل إلى مكان القوم لا يضمن أن ينتصر عليهم، فيخرب ما يستطيع تخريبه من ممتلكاتهم، ولا يحافظ على شيء إلا بعد أن يضمن استقرار الأمور له" (|شعراوي-قصص|:356)! انظر أيضاً |شعراوي-ع|:2257/4.

8018 . والعجيب أن سليمان "قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي" (النمل 40) على الرغم من أن ما فعله يُعتبَر سرقة أو سطو؛ فلقد استولى على عرشِ ملكة سبأ بدون رضاها وبدون مقابل! فكيف تكون السرقة من فضل الله؟! هذا سؤال للعقلاء فقط.

8019 . قال الشيخ الشعراوي: "فالشكر معناه: أنه ذكر المنعم ولم يلهه جمال النعمة عن جلال الواهب، وأما كفر النعمة: أن يقول الإنسان هذا من ذكائي وجهدي مثل قارون الذي قَالَ: "إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي" (القصص 78)" (|شعراوي-ع|:2265/4).

8020 . قيل إن ملكة سبأ هي التي قالت: "وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا (أي: قبل هذه الحادثة)" (النمل 42)! "فهي قد عرفت بفطنتها أن العرش عرشها، وأن الله هو الذي أقدر سليمان على الإتيان به معجزة له على نبوته ورسالته" (|بكر|:280)! "وعلمت أنه نبي [لا يطمع في شيء من متاع الدنيا] خاصة بعد أن رد الهدية الثمينة" (|شعراوي-ع|:2271/4).

8021 . وقيل إن ما قاله سليمان لملكة سبأ "وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ" (النمل 42) هو بمثابة دعوة لها إلى الدخول في دينه (الإسلام). لكن منعها نشأتُها بين قَوْمٍ كَافِرِينَ (النمل 43). فلجأ سليمانُ إلى وسيلة أخرى (النمل 44).

8022. “The mention of the crystal pavement [صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ] may be due to a confused recollection of the “molten sea” [البحر المسبوك] in the Temple at Jerusalem (1 Kings 7:23)” (|Tisdall|:90; |Tisdall-ar|:77).

8023 . |Nasr|:936.

8024 . |أشقر-قصص|:298.

8025 . |طنطاوى-قصص|:71/2.

8026 . |قاموس-كتاب|:482.

8027. 104 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=JtWQMx4xnh4

8028 . "لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي سُرَّ بِكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّهِ (His Throne) مَلِكًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لأَنَّ إِلهَكَ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ لِيُثَبِّتَهُ إِلَى الأَبَدِ، قَدْ جَعَلَكَ عَلَيْهِمْ مَلِكًا، لِتُجْرِيَ حُكْمًا وَعَدْلًا" (2 أخبار الأيام 8:9). إذن: عرش مملكة إسرائيل الذي يجلس عليه المَلِكُ سليمان هو عرش الرب الإله **[⟵ "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" (النمل 26)]**.

8029 . (هود 29، 51) (يونس 72) (الشعراء 109، 127، 145، 164، 180) (يس 21) (الأنعام 90) (يوسف 104) (ص 86) (سبأ 47) (الفرقان 57) (الشورى 23) (الطور 40) (القلم 46). راجع دراستنا للجذور اليهودية-المسيحية لهذه الفكرة.

8030 . ونلاحظ أن أصحاب القرآن جعلوا هذا الهدهد المؤمن بوحدانية الله توحيداً مطلقاً (النمل 26) يكرر اسمَ الله ثلاث مرات: "اللَّهِ [...] لِلَّهِ [...] اللَّهُ" (النمل 24-26) وكأنه يردد البنود الثلاثة الأولى من قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني: الله الآب ... الله الابن ... الله الروح القدس. ولعل ذلك يشير إلى المصادر اليهودية-المسيحية لهذه القصة القرآنية (النمل 20-44).

8031 . |كتابية|:426/4.

8032 . |دراسى|:805؛ |NIV|:492.

8033 . |آرثر|:583 تعليقاً على (1 ملوك 7:5).

8034 . |JSB|:1781.

8035 . |ملطى|:متى/290؛ |ملطى|:لوقا/332.

8036. “In Christian iconography Solomon was the type of Jesus and Sheba represented the gentile Church; hence Sheba’s meeting with Solomon bearing rich gifts foreshadowed the adoration of the Magi [Matthew 2:1-12]” (|EJ|:18\762).

8037 . والعجيب أن سليمان شكر رَبَّه و "قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي" (النمل 40) على الرغم من أن ما فعله يُعتبَر سرقة أو سطو؛ فلقد خطف عرشَ ملكة سبأ بدون رضاها وبدون مقابل! فكيف تكون السرقة من فضل الله؟! هذا سؤال للعقلاء فقط.

8038 . |ميسر|:432.

8039 . |صابونى|:302.

8040 . |EI-2|:822/9.

8041 . |كتابية|:328/4.

8042. 533 سؤال جريء, https://www.youtube.com/watch?v=FLD-fRIf574

8043 . |ج|:381؛ |ج-البغا|:499؛ |ج-وطن|:380. انظر أيضاً |GR-AQ|:589.

8044 . |نجار|:385.

8045 . |طبرى-تاريخ|:489/1؛ |طبرى-قصص|:331.

8046 . |كدر|:226. انظر أيضاً |كدر|:225.

8047 . |كتابية|:328/4. انظر أيضاً |كتابية|:496/4-497.

8048 . |آرثر|:929.

8049 . |دراسى|:1377؛ |NIV|:866. انظر أيضاً |EJ|:631/17.

8050 . |ملطى|:الملوك الأول.

8051 . |معاصر|:676.

8052 . |كتابية|:328/4. انظر أيضاً |Josephus|:267-268؛ |Masson|:900؛ |EI-2|:9/824.

8053 . |قاموس-كتاب|:452-453.

8054 . |نجار|:385.

8055 . ملحوظة: "هذا العدد ليس موجوداً في أقدم المخطوطات، وأكثرها موثوقيَّةً" (|آرثر|:1844). انظر أيضاً |NIV|:1699.

8056 . |EJ|:513/19-515. انظر أيضاً |عامري-ب|:266-268.

8057 . |EJ|:514/19.

8058 . |OTP|:984/1-985.

8059 . |ج|:381؛ |ج-البغا|:499؛ |ج-وطن|:380. اقرأ أيضاً (التوبة 129) (المؤمنون 86، 116) (الأعراف 54) (يونس 3) (الرعد 2) (الإسراء 42-43) (الأنبياء 22) (السجدة 4) (الزخرف 82) (الحديد 4) (البقرة 255) (هود 7) (طه 4-6).

8060 . |EJ|:765/16.

8061. “L’histoire merveilleuse de Salomon se trouve dans le *Targum Shéni* (IIe paraphrase araméenne du livre d’Esther, I, 2, 3; *Midrash Bamidbar Rabbah*, XIV, 3; XIX, 3; *Tanhuma* (édition Buber) IV, 110, etc.” (|Masson|:887).

8062 . |GR-AQ|:584. انظر أيضاً |GR-AQ|:654، 62؛ |Masson|:899؛ |Aldeeb|:155؛ |Sidersky|:115-116، 122، 124؛ |السواح|:119/22.

8063 . (أحمد 419/2؛ "إسناده ضعيف لانقطاعه" |ل|:254/15-255؛ "إسناده حسن" |ل-شاكر|:206/9-207). وقال ابنُ كثير: "انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ" (|كثير-هاشمى|:431؛ |كثير-بديوى|:523). وقال الهيثمي: "رواه أحمد، وفيه المطلب بن عبد الله بن حنطب، وثقه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح" (|هيثمى|:207/8). انظر أيضاً |أشقر-قصص|:282-284.

8064 . |طيب|:241.

8065 . |صابونى|:298؛ 301-302.

8066 . (البخارى 2199؛ |خ|:818/2-819؛ |بارى|:11/5؛ |بارى-طيبة|:118/6) (مسلم 2388؛ |م|:1857/4-1858) (البخارى 3284؛ |خ|:1280/3) (البخارى 3463؛ |خ|:1339/3-1340) (البخارى 3487؛ |خ|:1349/3)!

8067 . |كثير-ك|:522/2-؛ |كثير-تركى|:291/3-؛ |دمشق|:272/9-؛ |دمشق|:284/9-؛ |مسعودى|:46/1.

8068. سؤال جريء 105, https://www.youtube.com/watch?v=q0hMu1Dw98w

8069 . (مسلم 2814-2815؛ |م|:2167/4-2168؛ |م-نووى|:230/17-231؛ |م-لاشين|:423/10-424).

8070 . |GR-AQ|:585-586؛ 588. انظر أيضاً |Masson|:900.

8071 . |QHC-2|:475.

8072. |QSC|:271. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-032

8073. |QSC|:272. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-032

8074 . |Sidersky|:124.

8075 . |Tisdall-ar|:71؛ |Tisdall|:80-81.

8076. سؤال جريء 104, https://www.youtube.com/watch?v=JtWQMx4xnh4
سؤال جريء 105, https://www.youtube.com/watch?v=q0hMu1Dw98w

8077. سؤال جريء 51, https://www.youtube.com/watch?v=7qrmyZRgrKs
الدين والتاريخ 18, https://www.youtube.com/watch?v=Y5ukN6Ot_hA

8078. الدين والتاريخ 19, https://www.youtube.com/watch?v=Pyh2Z2PHptk

8079 . |قرطبى|:130/16؛ |قرطبى-مصر|:161/7.

8080 . |GR-AQ|:586. انظر أيضاً |Sidersky|:124-125؛ |Tisdall|:84-85؛ |Tisdall-ar|:73-74.

8081 . |GR-AQ|:586. انظر أيضاً |EJ|:765/16؛ |Sidersky|:125؛ |Tisdall|:85؛ |Tisdall-ar|:74.

8082 . |GR-AQ|:586. انظر أيضاً |EJ|:765/16؛ |Sidersky|:125؛ |Tisdall|:85-86؛ |Tisdall-ar|:74-75.

8083 . |شعراوى-ع|:2211/4.

8084 . |أشقر-قصص|:294-295.

8085 . |GR-AQ|:588. انظر أيضاً |EJ|:765/16؛ |Sidersky|:125؛ |Tisdall|:86-87؛ |Tisdall-ar|:75.

8086 . |ميسر|:432.

8087 . |شعراوى-ع|:2255/4.

8088 . |باش|:316/1.

8089 . |و|:35/10/1.

8090. "the whole story is a typical example of the battle against the pagans that came to be reflected in the same activity of Muḥammad at Medina with the Meccans" (|Tottoli|:61).

8091. سؤال جريء 104, https://www.youtube.com/watch?v=JtWQMx4xnh4

8092. سؤال جريء 533, https://www.youtube.com/watch?v=FLD-fRIf574

8093 . |GR-AQ|:588-589. انظر أيضاً |EJ|:765/16؛ |Sidersky|:125-126؛ |Tisdall|:87؛ |Tisdall-ar|:75.

8094. "all the ships of the sea loaded with precious gifts and 6,000 youths of equal size, all born at the same hour and clothed in purple garments" (|EJ|:16\765). Also |Tisdall|:87; |Tisdall-ar|:75.

8095. سؤال جريء 104, https://www.youtube.com/watch?v=JtWQMx4xnh4

8096. |QSC|:272. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-032

8097 . |GR-AQ|:589. انظر أيضاً |EJ|:765/16؛|Sidersky|:126؛ |Tisdall|:88-89؛ |Tisdall-ar|:76.

8098 . |شعراوى-ع|:2273/4. انظر أيضاً |صابونى|:305، 308.

8099 . |GR-AQ|:589. انظر أيضاً |Tisdall|:89؛ |Tisdall-ar|:76.

8100 . |ج|:381؛ |ج-البغا|:499؛ |ج-وطن|:380. انظر أيضاً |GR-AQ|:589.

8101. |QSC|:274. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-032

8102 . |السواح|:113/22.

8103 . |BibleUn|:133-134. الترجمة العربية (|BibleUn-ar|:178-179).

8104 . |كتابية|:422/4. انظر أيضاً |EJ|:758/18؛ |BibleUn-ar|:15.

8105. "the [biblical] story [of the Queen of Sheba, who came to Jerusalem] is not to be dismissed as utter anachronistic fantasy" (|EJ|:18\757).

8106 . |كتابية|:328/4.

8107 . |عامري-أ|:321. انظر أيضاً |EJ|:631/17؛ |KJV-arch|:511.

8108. سؤال جريء 104, https://www.youtube.com/watch?v=JtWQMx4xnh4
سؤال جريء 105, https://www.youtube.com/watch?v=q0hMu1Dw98w

8109 . |السواح|:114/22.

8110 . |خطيب|:100/8.

8111 . |زحيلى-وسيط|:2205/3. انظر أيضاً |نجار|:369-371؛ |بكر|:283-285؛ |طيب|:39-40؛ |و|:37/10/1-41.

8112 . |طنطاوى-قصص|:55/2. راجع حاشية الجمل على الجلالين وغيرها من كتب التفسير.

8113 . |زادمسير|:131/7.

8114 . |و|:38/10/1.

8115 . |فهد|:455. انظر أيضاً |EI-2|:823/9.

8116 . |زحيلى-وسيط|:2205/3-2206. انظر أيضاً |نجار|:373؛ |طيب|:243-244؛ |صابونى|:307؛ |و|:41/10/1-47.

8117 . |السواح|:122/22.

8118 . |زادمسير|:132/7.

8119. “the Islamic doctrine of infallibility of prophets which developed in the second⁄eighth and third⁄ninth centuries” (|EQ|:1\496).

8120 . |EJ|:18/759-760.

8121 . **[← "بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (أي: خالي تماماً من الشرك)" (الشعراء 89) "بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الصافات 84). ولم تُذْكَر كلمة "سَلِيمٍ" في القرآن كله إلا في هاتين الآيتين، مع كلمة "قَلْبٍ". صدفة؟!]!**

8122 . |معاصر|:677. اقرأ (1 ملوك 12) (2 أخبار الأيام 10).

8123 . |دراسى|:1029؛ |NIV|:632.

8124 . |معاصر|:779.

8125. “In the most positive description of the character of Solomon [in Islam], one recognizes Christian influence” (|EJ|:18\760).

8126 . |GR-AQ|:692.

8127 . |آرثر|:582.

8128 . |كتابية|:368/3. انظر أيضاً |كتابية|:367/3.

8129 . |كتابية|:428/4. انظر أيضاً |كتابية|:426/4.

8130 . أو كما قال يسوع المسيح ابن داود: "مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ أَوْ خَسِرَهَا (أي: خَسِرَ حياتَه الأبدية)؟" (لوقا 9:25)؛ (متى 16:26) (مرقس 8:36).

8131 . اقرأ أيضاً: "حَوِّلْ عَيْنَيَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْبَاطِلِ. فِي طَرِيقِكَ أَحْيِنِي"، "شَرِيعَةُ فَمِكَ خَيْرٌ لِي مِنْ أُلُوفِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ"، "لأَجْلِ ذلِكَ أَحْبَبْتُ وَصَايَاكَ أَكْثَرَ مِنَ الذَّهَبِ وَالإِبْرِيزِ" (المزامير 119:37، 72، 127).

8132 . |مارمرقص|:العهدالقديم/17/14. انظر |NIV|:1008. و "تَحْتَ السَّمَاوَاتِ" 3 مرات (الجامعة 1:13، 2:3، 3:1) و "عَلَى الأَرْضِ" 6 مرات (الجامعة 5:2، 8:14، 8:16، 10:7، 11:2، 11:3).

8133 . اقرأ أيضاً: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ (أي: الحسان؛ المعلَّمة بعلامة الجودة والعراقة وجميل الصفات؛ الراعية في المروج) وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (أي: حُسْنُ المرجع والثواب وهو الجنَّة والنعيم الأبدي في الآخرة)" (آل عمران 14). وبدأ الشَّهَوَات بـ "النِّسَاءِ" "لِأَنَّهُنَّ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ وَفِتْنَةُ الرِّجَالِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَشَدَّ (أو: أَضَرَّ) عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ" أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ" (|قرطبى|:43/5-44؛ |قرطبى-مصر|:403/2)؛ (البخارى 4808؛ |خ|:1959/5) (مسلم 2740-2741؛ |م|:2097/4-2098)! فلاحِظ معاداة المرأة (misogyny) في القرآن والسنة الصحيحة!

8134 . |قاموس-كتاب|:676.

8135 . |توضيحية|:609.

8136 . |IVP-OT-ar|:314/2؛ |IVP-OT|:409.

8137 . |آرثر|:676.

8138 . |ملطى|:الملوك الثاني / 523.

8139 . "وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. [...] وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا" (متى 1:7-10).

8140 . |دراسى|:930؛ |NIV|:568. انظر أيضاً |KJV-arch|:581.

8141 . |طنطاوى-قصص|:54/2.

8142 . |قرطبى|:191/18-192؛ |طبرى|:82/20-83.

8143 . (أبو داود 4932؛ |د|:283/4-284؛ وقال الألبانى "صحيح" |د-ألبانى|:892؛ |د-صحيح|:209/3-210).

8144 . |قاهرة|:233/42.

8145 . (البخارى 2664؛ |خ|:1038/3؛) (البخارى 3242؛ |خ|:1260/3؛) (البخارى 4944؛ |خ|:2007/5-2008) (البخارى 6263؛ |خ|:2447/6-2448) (البخارى 6341؛ |خ|:2470/6-2471) (البخارى 7031؛ |خ|:2717/6) (مسلم 1654؛ |م|:1275/3-1276). انظر أيضاً |أشقر-قصص|:300-301.

8146 . |نجار|:373-374. ونحن نتفق معه في هذه المسألة على الرغم من اختلافنا معه في النتيجة النهائية التي وصل إليها. اقرأ أيضاً نقد اللجنة ورد المؤلف (|نجار|:374-381).

8147 . |بكر|:286. انظر أيضاً |و|:46/10/1.

8148 . |طنطاوى-قصص|:58/2.

8149 . زعمت البروباجاندا الإسلامية أن قوله "لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ علَى تِسْعِينَ امْرَأَةً" يعني: طوافه عليهن ابتداء من تلك الليلة، ولا مانع من أن يستغرق طوافه بهن عدة ليال! لكن هل يُعْقَل أن النبي سليمان ظل عدة ليال ناسياً أن يقول "إن شاء الله"؟!

8150 . |خ|:1259/3.

8151 . |بارى|:529/6؛ |بارى-طيبة|:34/8-35.

8152 . |بارى|:532/6؛ |بارى-طيبة|:39/8.

8153 . (البخارى 449؛ |خ|:176/1) (البخارى 1152؛ |خ|:405/1) (البخارى 3110؛ |خ|:1196/3) (البخارى 3241؛ |خ|:1260/3) (البخارى 4530؛ كتاب "تفسير القرآن" |خ|:1809/4) (مسلم 541؛ |م|:384/1-385). انظر أيضاً |شعراوى-قصص|:340؛ |شعراوى-ع|:2207/4؛ |صابونى|:300؛ |أشقر-قصص|:301.

8154 . |زادمسير|:132/7.

8155 . |طبرى|:87/20-89.

8156 . |سعدى|:713.

8157 . |ج|:455؛ |ج-البغا|:601؛ |ج-وطن|:455.

8158 . |ألوسى|:199/23.

8159 . |كثير-شيخ|:90/12-93؛ |كثير-طيبة|:66/7-69.

8160. 217 الدليل, https://www.youtube.com/watch?v=Le6miv1cynA

8161 . |السواح|:120/22-121.

8162. “For three long years, he journeyed about as a mendicant from city to city and from country to country, atoning for his sins. While a beggar, during his old age, he wrote Ecclesiastes, saying wherever he went, “I Koheleth was king over Israel in Jerusalem” (Eccles. 1:12)” (|EJ|:18\760).

8163 . |GR-AQ|:692-693. انظر أيضاً |EJ|:762/18؛ |Masson|:921؛ |Aldeeb|:79؛ |Sidersky|:120-121.

8164. “The author of the Book of Kings, in keeping with his religious conceptions, ascribes the revolt [of Jeroboam] and the division [of the kingdom] to the idolatry of the king [i.e. Solomon], in which he was influenced by his foreign wives” (|EJ|:18\758).

8165 . "تشديد الكاتب على "أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتُهَا لِنَفْسِي لأَضَعَ اسْمِي فِيهَا" يجعلنا نعتقد بأن الكلام متأثر باللاهوت الاشتراعي الذي ظهر في القرن السابع ق.م. مع يوشيا مَلِك يهوذا" [...] "ويبدو أن التحرير النهائي تم في وقتٍ متأخر" (|معاصر|:678).

8166 . واستدلوا على ذلك بقول القرآن في موضع آخر: "فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ (أي: فَمَن يَهْدِيهِ سوى الله)" (الجاثية 23). علماً بأنه توجد تفاسير أخرى تفسرها بمعنى: فَمَن يَهْدِيهِ بَعْدَ أن أَضَلَّهُ اللَّهُ.

8167. “*After me* renders [مِّن بَعْدِي], which in this context some interpret to mean “besides me” or “other than me” ([…]). Viewed in the context of Solomon’s trial [ص 34], in which his rule was threatened or even taken away, his supplication is understood to mean that he desired a kingdom that no one would be able to steal from him as the jinn had done” (|Nasr|:1109).

8168 . |زادمسير|:139/7.

8169 . |EI-2|:823/9.

8170 . المراجع الإسلامية: تفاسير الآيات القرآنية و |كثير-هاشمي|:249-257؛ |كثير-بديوى|:307-316؛ |طبرى-قصص|:368-372؛ |عرائس|:357-361؛ |طيب|:257-260؛ |عبدالحليم|:171-176؛ |شعراوى-قصص|:187-189؛ |شعراوى-عجز|:105-110؛ |شعراوى-حيو|:224-231؛ |بهجت|:182-189؛ |بكر|:321-325؛ |صابونى|:314-317؛ |شوقى-قصص|:281-284؛ |فضل|:213-216؛ |نجار|:408-420؛ |رمضان|:298/2-302؛ |بدوى|:430/1-440؛ |كثير-ك|:330/1-338؛ |كامل|:278/1-281؛ |و|:221/9/1-230.

8171 . انظر الملحق: ترتيب الروايات القرآنية المختلفة للقصة القرآنية الواحدة.

8172 . اختلف المسلمون فى كون سورة القلم مكية أو مدنية! قيل: مكية (|ج|؛ |ضيف|؛ |منتخب-ف|)؛ وقيل: مكية إلا 17-33، 48-50 (|ميسر|؛ |إتقان|:51/1؛ |فهد-ف|). وهذا الرأى الثانى غير معقول لأنه يعنى أن (القلم 1-16) مكى، و (القلم 17-33) مدنى، و (القلم 34-47) مكى، و (القلم 48-50) مدنى، والقلم (51-52) مكى! يقول د. محمد عابد الجابرى: "هذا التجزىء لآيات السورة بين المكى والمدنى لا يستقيم مع وحدة السياق فيها [...] أما نحن فنرى أن هناك مبررات معقولة للقول إن السورة كلها نزلت بمكة" (|جابرى|:176/1). ونحن أيضاً نؤيد الرأى الأول الذى يقول إن سورة القلم كلها مكية.

8173 . اختلف المسلمون فى قراءة (يونس 98): "فى قراءة أُبَىّ (فَهَلَّا) ومعناها: أنهم لم يؤمنوا، ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله" (|فراء|:479/1؛ |نحاس|:319/3). "وَكَانَ ابْن مَسْعُود يَقْرَؤُهَا "فَهَلَّا كَانَتْ قَرْيَة آمَنَتْ"" (|كثير-شيخ|:404/7؛ |رزاق|:180/2-181؛ |درمنثور|:707/7؛ |ثعالبى|:268/3؛ |شوكانى|:662/2). السؤال: أيهما مكتوب فى اللوح المحفوظ؟ "فَلَوْلَا" أم "فَهَلَّا"؟!

8174 . لمزيد من التفاصيل عن المشكلات التى واجهها المفسرون فى قصة يونس القرآنية، لا سيما فيما يتعلق بترتيب الأحداث (sequence of events)، انظر المراجع الإسلامية و |Reynolds|:120-126؛ |EQ|:53/3.

8175 . |منتخب|:797؛ |منتخب-ف|:698. يوجد شبه إجماع بين المراجع الإسلامية على أن كلمة "مُلِيمٌ" (الصافات 142) تعنى مستحق اللوم؛ فَعَلَ ما يُلام عليه؛ أتى بما يُلام عليه. قال الشيخ الشعراوى: "المُليم: هو مَن أتى ذنباً يُلام عليه" (|شعراوى|:6218/10). "ألامَ فهو مُلِيمٌ: أَذْنَبَ وأتى بما يجب أن يُلام عليه" (|بهجة-أريب|:67/2).

8176 . حسب الكتاب المقدس، كل نبي مجرد إنسان (merely human) ليس معصوماً. الاستثناء الوحيد هو يسوع المسيح وحده، فهو الوحيد المعصوم مِن الخطيئة. ليس بمعنى أنه كان من المستحيل أن يخطئ؛ وإنما بمعنى أنه الإنسان الوحيد الفريد الذي قاوم الخطيئةَ في كل تجربة وانتصر عليها دائماً فلم يخطئ أبداً. "مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ" (العبرانيين 4:15). إذن: ليس لأنه إله كما يعتقد معظم المسيحيين؛ وإنما لأسباب أخرى شرحناها فيما سبق.

8177 . |و|:221/9/1-226. ملحوظة: هذا الكلام يفترض أن يونس نفَّذ أمر الله له بأن يذهب إلى أهل نينوى، وبلَّغهم الرسالة فعلاً، لكنه هرب بعد ذلك. وهو افتراض وهمى ليس له أى دليل.

8178 . |نجار|:416،413،410-419. ملحوظة: هذا الكلام يفترض أن يونس هرب مِن تنفيذ أمر الله، أى أنه ترك تبليغ رسالة ربه قبل الشروع فى تنفيذها. وهو افتراض له دليل كتابى (سفر يونان)، لكن معظم المراجع الإسلامية ترفضه. أما موضوع "أمر الإرشاد" فإنه مجرد حيلة لتبرئة يونس مِن خطيئة الهروب.

8179 . |طبرى|:385-384/16؛ |طبرى-معروف|:277-276/5. انظر أيضاً |طبرى-قصص|:370. وقال ابن صمادح: ""وَهُوَ مُلِيمٌ": مكتسب اللوم مذنب" (|ب|:451).

8180 . |واحدى|:249/3. |زادمسير|:383/5.

8181 . |قرطبى|:269/14؛ |قرطبى-مصر|:297/6.

8182 . |ماوردى|:467-465/3؛ |قرطبى|:274/14؛ |قرطبى-مصر|:299/6.

8183 . |ضحاك|:576/2.

8184 . |مقاتل|:620/3؛ |قرطبى|:99/18؛ |قرطبى-مصر|:108/8.

8185 . |أشقر|:329.

8186 . |سعدى|:707. وقال فى نفس الصفحة: "مُلِيمٌ" "أى: فاعل ما يلام عليه، وهو مغاضبته لربه".

8187 . |فضل|:216. وقالت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) إن يونس اعترف بخطيئته وهو فى بطن الحوت (confessed his sin in the belly of the fish) (|EQ|:53/3)؛ (Jonah repented in the belly of the fish, confessing that he was a sinner) (|EQ|:53/3).

8188 . (مسلم 483؛ |م|:350/1).

8189 . كان محمد يدعو بهذا الدعاء: "اللهم اغفر لى خطيئتى وجَهلى (أى: ما وقع منى جهلاً)، وإسرافى فى أمرى، وما أنت أعلم به مِنِّى. اللهم اغفر لى هَزلى وجِدِّى وخطاياى وعمدى (أى: ما وقع منى عن قصد)، وكل ذلك عندى (أى: أنا متصف بهذه الأشياء). اللهم اغفر لى ما قدَّمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت" (البخارى 6036-6035؛ |خ|:2350/5) (مسلم 2719؛ |م|:2087/4).

8190 . |عثيمين|:الصافات/307-308.

8191 . (البخارى 3215؛ |خ|:1244/3). وفى رواية مسلم أن الله هو الذى قال ذلك! "قال – يعني الله تبارك وتعالى – لا ينبغي لعبدٍ لي (وقال ابن المثنى: لعبدي) أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متى عليه السلام" (مسلم 2376؛ |م|:1846/4).

8192 . (البخارى 4328؛ |خ|:1681/4). وفى رواية مسلم: "ولا أقولُ: إن أحداً أفضل مِن يونس بن متى عليه السلام" (مسلم 2373؛ |م|:1844/4). انظر أيضاً |كثير-هاشمى|:257-256؛ |كثير-بديوى|:316-315؛ |كثير-ك|:336/1-338.

8193 . (أحمد 348/1؛ "إسناده صحيح" |ل-شاكر|:389/3؛ "إسناده صحيح على شرط الشيخين" |ل|:303/5). سؤال: أليست هذه الأحاديث الصحيحة تتعارض مع الأسطورة الإسلامية التى تقول إن محمد "سيد الخلق" و "أشرف المرسلين"؟! كالعادة، لجأ المسلمون إلى حيل لإنكار هذا التعارض (انظر مثلاً: |عطية-قطر|:194-193/6؛ |رزاق|:104-103/3؛ |كثير-هاشمى|:327).

8194 . قال الإمام الأكبر محمود شلتوت إن آدم "التجأ إلى ربه معترفاً بذنبه وخطيئته" (|شلتوت|:365).

8195 . |فهد|:227. وهذا ينسف أسطورة "عصمة الأنبياء" التي ليس لها أي وجود في القرآن.

8196 . |فهد|:455.

8197 . |رازى|:214-213/22. انظر أيضاً |قاسمى|:4301-4300/11.

8198 . |شعراوى-قصص|:187؛ |شعراوى-حيو|:224؛ |شعراوى|:6214/10؛ |شعراوى|:9623-9622/15؛ |شعراوى|:12840/21.

8199 . |زادمسير|:381/5. انظر أيضاً |رازى|:214/22؛ |بيضاوى|:77/2؛ |كشاف-ع|:161/4؛ |كشاف-ش|:685؛ |قاسمى|:4300/11.

8200 . |خازن-بغوى|:320/4.

8201 . قال د. محمد سيد طنطاوى نقلاً عن الشيخ القاسمى: "وفى الآية (يقصد: يونس 98) إشارة إلى أنه لم توجد قرية آمنت بأجمعها بنبيها المرسل إليها من سائر القرى، سوى قوم يونس. والبقية دأبهم التكذيب، كلهم أو أكثرهم" (|طنطاوى|:135/7). انظر أيضاً |قاسمى|:3399/9؛ |جزائرى|:428/4.

8202 . |طبرى|:381-377/16،378؛ |طبرى|:200/23؛ |طبرى|:296-295/12؛ |ب|:329؛ |طبرى-معروف|:7/5،355/275؛ |طبرى-قصص|:370-369؛ |Reynolds|:120. القرطبي: "وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ (أى: المغاضبة) بَعْدَ دُعَائِهِ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ إِلَى مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِدُعَائِهِمْ إِلَيْهِ، وَتَبْلِيغه إِيَّاهُمْ رِسَالَةَ رَبّه، وَلَكِنَّهُ وَعَدَهُمْ نُزُول مَا كَانَ

حَذَّرَهُمْ مِنْ بَأْس اللَّهِ فِي وَقْت وَقَّتَهُ لَهُمْ، فَفَارَقَهُمْ إِذْ لَمْ يَتُوبُوا وَلَمْ يُرَاجِعُوا طَاعَة اللَّه، فَلَمَّا أَظَلَّ الْقَوْمَ الْعَذَابُ وَغَشِيَهُمْ - كَمَا قَالَ اللَّه تَعَالَى فِي تَنْزِيله (يقصد: يونس 98) - تَابُوا إِلَى اللَّه، فَرَفَعَ اللَّهُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ، وَبَلَغَ يُونُسَ سَلَامَتُهُمْ وَارْتِفَاع الْعَذَاب الَّذِي كَانَ وَعَدَهُمُوهُ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ: وَعَدْتهمْ وَعْدًا فَكُذِّبَ وَعْدِي. فَذَهَبَ مُغَاضِبًا رَبَّه وَكَرِهَ الرُّجُوع إِلَيْهِمْ، وَقَدْ جَرَّبُوا عَلَيْهِ الْكَذِبَ؛ رَوَاهُ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس. وَقَدْ مَضَى هَذَا فِي [الْأَنْبِيَاء 87] وَهُوَ الصَّحِيح عَلَى مَا يَأْتِي عِنْد قَوْله تَعَالَى: "وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَة أَلْف أَوْ يَزِيدُونَ" [الصَّافَّات 147]" (|قرطبي|:93/18؛ |قرطبي-مصر|:104/8-105). ابن الأثير: |كامل|:279/1. انظر أيضاً |سعدي|:881،707؛ |جزائري|:436/3-437.

8203 . |قرطبي|:266/14-267؛ |قرطبي-مصر|:295/6-296؛ |كشاف-ع|:161/4؛ |كشاف-ش|:685؛ |و|:222/9/1.

8204 . [غ ض ب] في لسان العرب.

8205 . |نجار|:417،409.

8206 . |مقاتل|:90/3. وفي [ر غ م] في لسان العرب: "راغَمَ قومه: نَبَذهُم وخرج عنهم وعاداهم".

8207 . |قرطبي|:268/14؛ |قرطبي-مصر|:296/6؛ |خازن-بغوي|:320/4-321؛ |عرائس|:358؛ |نجار|:412-413. انظر أيضاً |جزائري|:427/4؛ |EQ|:53/3-54. وتقول رواية أخرى لهذه الأسطورة الإسلامية إن النبي هو "شعيب" (|رازي|:212/22؛ |جابري|:253/2-254)! وقال د. عبد الله شحاته إن "حزقيا" هو اسم ملك نينوى (|شحاته|:3313/9)! هل يوجد حيرة وتيه وتخبط أكثر من ذلك؟!

8208 . |شعراوي-حيو|:226.

8209 . |و|:223/9/1.

8210 . |و|:224/9/1؛ |كشاف-ع|:161/4؛ |كشاف-ش|:685.

8211. “tout, ou presque, et son contraire lui ont été attribués” (|JSAI|:22\117).

8212 . |زادمسير|:383/5.

8213 . |طبري|:380/16؛ |طبري-معروف|:275/5؛ |ضحاك|:577/2. وقال الزمخشري والبيضاوي عن "نَقْدِر": "يصح أن يفسر بالقُدْرَة، على معنى: أن لن نعمل فيه قُدْرَتنا (We will not *use* Our power over him)، وأن يكون من باب التمثيل، بمعنى: فكانت حاله ممثلة بحال مَن ظَنَّ أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه، مِن غير انتظار لأمر الله، ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان، ثم يردعه ويرده بالبرهان، كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت؛ ومنه قوله تعالى: "وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ" (الأحزاب 10)، والخطاب للمؤمنين" (|كشاف-ع|:161/4؛ |كشاف-ش|:685؛ |Reynolds|:121؛ |بيضاوي|:77/2). وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "أو ظن (يونس) أنه سيفوت الله تعالى، ولا مانع مِن عروض هذا الظن للكمل مِن الخلق على وجه لا يستقر ولا يستمر عليه" (|سعدي|:529).

8214 . |AYA|:814؛ |Pickthall|:428. ترجمات أخرى بنفس النص: |Rodwell|:157. ترجمات أخرى بنفس المعنى: (We will have no power over him) (|Fakhry|:328)؛ (We would have no power over him) (|Arberry|:24/2)؛ (We would not have power over him) (|Bell|:311/1)؛ (We would never have power over him) (|Bakhtiar|:380)؛ (Nous ne pouvions rien contre lui) (|Blachere|:354؛ |Grosjean|:193؛ |Boubakeur|:1032/1)؛ (Nous n’aurions pas le pouvoir sur lui) (|Aldeeb|:330).

8215 . |زادمسير|:89/7. انظر أيضاً |نحاس|:62/6-63؛ |ثعالبي|:49/5.

8216 . |كثير|:35/7؛ |كثير-شيخ|:59/12-60؛ |كثير-طيبة|:40/7؛ |كثير-شاكر|:137/3؛ |كثير-صابوني|:191/3؛ |كثير-شنقيطي|:1531؛ |Reynolds|:124-125. انظر أيضاً |شحاته|:3313/9؛ |ضيف|:748؛ |أشقر|:451؛ |ظلال|:2999/5؛ |جزائري|:418/5؛ |شعراوي-قصص|:189؛ |صابوني|:317؛ |رمضان|:302/2.

8217 . |خازن-بغوي|:258/5.

8218 . |طبري|:638/19-639؛ |قرطبي|:92/18-93؛ |قرطبي-مصر|:104/8؛ |طبري-قصص|:368؛ |عرائس|:358.

8219 . |قرطبي|:95/18؛ |قرطبي-مصر|:106/8؛ |عطية-قطر|:310/7؛ |ضحاك|:711/2؛ |خازن-بغوي|:321/4-322؛ |بيضاوي|:302/2،77؛ |ماوردي|:68/5؛ |زادمسير|:88/7؛ |سخاوي|:564/1؛ |سخاوي|:206/2؛ |وجدي|:595،430.

8220 . |بهجت|:186.

8221 . |ظلال|:3670/6.

8222 . |غزالى|:475؛ |برهان|:193/1؛ |إتقان|:81/1،31،29. ملاحظات: سورة القلم تُسمَّى أيضاً سورة "ن". النون هو الحوت. ذا النون = صاحب الحوت.

8223 . |هشام|:228/1؛ |روض|:351/2؛ |كثير|:33/7؛ |كثير-شيخ|:56/12؛ |كثير-طيبة|:39/7؛ |كثير-هاشمى|:251؛ |كثير-بديوى|:309. "أضعاف حُوتٍ: جوفه" (|كثير-ك|:332/1).

8224 . الأنبياء الصغار، أى أسفارهم صغيرة الحجم أو قصيرة، هُمْ: هوشع (Hosea)، يوئيل (Joel)، عاموس (Amos)، عوبديا (Obadiah)، يونان (Jonah)، ميخا (Micah)، ناحوم (Nahum)، حبقوق (Habakkuk)، صفنيا (Zephaniah)، حجي (Haggai)، زكريا (Zechariah)، ملاخي (Malachi).

8225 . الأنبياء الكبار، أى أسفارهم كبيرة الحجم أو طويلة، هُمْ: إشعياء (Isaiah)، إرميا (Jeremiah)، حزقيال (Ezekiel)، دانيال (Daniel).

8226. "It is very noticeable that the Koran knows nothing of Isaiah, Jeremiah, and Ezekiel, nor has knowledge of any of the Minor Prophets with the exception of Jonah. This certainly does not mean that the books of these prophets were wanting at Mekka, but simply, that they were utterly beyond Mohammed's comprehension and outside his interests. His instructors knew better than to try to introduce him to these abstruse writings. Jonah, the little story-book, was in a class by itself. We might indeed have expected to find some mention of Daniel; but he also, it seems, did not enter Mohammed's horizon" (|Torrey|:67).

8227 . الآية المدنية الوحيدة التى ذكرت "يونس" هى (النساء 163)، وهى مجرد "قائمة أنبياء" (enumeration of prophets) (list of divine messengers): "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا".

8228 . استخدم القرآن تعبير "الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ" لوصف سفينة نوح (الشعراء 119) وسفينة يونس (الصافات 140)، مع أنه لا يوجد وجه للمقارنة بين حجم السفينتين. وأغلب الظن أن أصحاب القرآن قد أضافوا كلمة "المشحون" (الصافات 140) للمحافظة على الحرف قبل الأخير (penultimate) (ياء أو واو) فى فواصل آيات سورة الصافات.

8229 . "كان (يونس) بذهابه إلى الفلك كالفار مِن مولاه (الله) فوُصِف بالإباق" (|واحدى|:532/3). "وهو (أى: الإباق) إنما يوصف به العبد غالباً إذا فر مِن وجه سيده" (|بكر|:323). وقال الشيخ عبد الرحمن السعدى إن يونس "أبق عن ربه" (|سعدى|:529). وقالت موسوعة القرآن (Encyclopædia of the Qur'ān) إن يونس تمرد على المهمة التى كلّفه الله بها (rebelled against God's mission) (|EQ|:53/3). فى ضوء ما سبق، نقول: يونس هرب مِن الله.

8230. "The midrashic text *Mekīltā de-Rabbī Shimᶜōn* (ca. 3rd- 4th century AD) has Jonah imagine that Yahweh has power only on land: "But Jonah thought: I will go outside of the land, where the Shekinah [i.e. God, Divine Presence, Dwelling of God] does not reveal itself."" (|Reynolds|:126). See also: |EJ|:11\390.

8231. "Jonah tries to escape God's will but he learns that this cannot be accomplished. Even the sea and the great fish, which according to myth are great independent powers in the universe (cf. Isa. 51:9-10; Ps. 74:13-15; 89:10-11; Job 26:12), have to obey the orders of God" (|EJ|:11\389).

8232 . الكلمة العِبرية المُستخدَمة هنا تعنى حرفياً "بطْن" (belly) (|NIV|:840)، ولذلك قال القرآن: "بَطْنِه" (الصافات 144).

8233 . لاحظنا أن معظم المراجع الإسلامية تقول إن الحوت لَفَظَ يونس بالعراء، ومِن ثم يضعون "فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ" (الصافات 145) عند هذا الجزء من القصة. ونحن لا نوافقهم على ذلك، لأن "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ" (الأنبياء 88) تعبير إيجابى، أما "فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ" (الصافات 145) تعبير سلبى، فلا يتفقان سوياً. ورُوِىَ أن "العراء" (الصافات 145) هو شط نهر دجلة (|درمنثور|:473/12). وطبعاً لا يمكن أن يكون الحوت قد دخل نهر دجلة. إذن: (الصافات 145) لا علاقة لها بالحوت. وسنعرف بعد قليل أن "العراء" هو مكان خارج مدينة نينوى التى تقع بالفعل على شط نهر دجلة.

8234 . قال البابا شنوده الثالث إن يونان "أطاع (الله) خوفاً من التأديب، وليس عن إيمان وتواضع. كان ينفذ أمر الله، بالخوف، مع تذمر فى القلب من الداخل سيظهر فى حينه. كان يسير بالعصا وليس بالنعمة. وقد قَبِل منه اللهُ هذا الوضع كمجرد تدرج، ريثما يوصله إلى الطاعة الصادرة عن اقتناع، المؤمنة بحكمة الله وحسن تدبيره" ("تأملات فى سفر يونان النبى"، مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالكاتدرائية - العباسية - القاهرة، الطبعة العشرون، 2013، ص 26-27).

8235 . قال البابا شنوده الثالث: "ومما يزيد هذه التوبة قوة وجمالاً، أنها كانت توبة عامة ... الكل تابوا. الكل رجعوا إلى الله. الكل آمنوا به" ("تأملات فى سفر يونان النبى"، مرجع سابق، ص 30).

8236 . |منتخب|:1020؛ |منتخب-ف|:910؛ |و|:221/9/1؛ |خازن-بغوى|:261/6؛ |بيضاوى|:518/2؛ |نسفى|:526/3؛ |شحاته|:6037/15؛ |وجدى|:760؛ |صفوة|:431/3؛ |جزائرى|:417/5-418؛ |عطية-قطر|:381/8؛ |عبيدة|:266/2؛ |زجاج|:211/5؛ |ثعالبى|:471/5.

8237 . قال الشيخ الشعراوى إن كلمة "سَقِيم" "تحتمل السقم المادى والمعنوى" (|شعراوى|:12845/21). وفى اللغة: "سَقِيم الصَّدْر على أخيه" تعنى "حاقد" (انظر [س ق م] فى تاج العروس والمعجم الوجيز والمعجم الوسيط). ومِن الواضح أن يونان (يونس) كان حاقداً على أهل نينوى لأنهم نالوا الخلاص.

8238 . |شحاته|:6040/15.

8239 . قال البابا شنوده الثالث: "واليقطينة التى أعدها الله ليونان، كانت تحمل هدفين: الأول هو إظهار الشفقة نحو يونان إذ تظلل عليه، والهدف الثانى أن يتعلم من قصتها درساً روحياً نافعاً لحياته. بنمو اليقطينة يعمل الله عمل رحمة نحو يونان، وبهلاك اليقطينة فى يبسها، يعمل الله عمل تعليم وإرشاد ليونان، لكى ما يستفيد مادياً ونفسياً وروحياً" ("تأملات فى سفر يونان النبى"، مرجع سابق، ص 35).

8240 . انظر تفاسير وترجمات (يونان 4:6) و (الصافات 146).

8241 . ويُروَى أن محمد "كان يحب القَرْع، ويقول: إنها شجرة أخى يونس" (|شعراوى|:12846/21؛ |بارى|:436/9؛ |بارى-طيبة|:294/12).

8242. “The word was apparently heard during an oral recitation of the [Jonah] story, and then reproduced from memory in this garbled form [yaqṭīn]” (|FV|:292). See also: |Torrey|:52.

8243 . أو: "لولا اللهُ أصبحَ ضاوياً (أى: هزيلاً)". انظر: |طبرى|:635/19؛ |عطية-قطر|:312/7؛ |زادمسير|:88/7؛ |كثير|:34/7؛ |كثير-شيخ|:58/12؛ |كثير-طيبة|:40/7؛ |كثير-هاشمى|:253؛ |كثير-بديوى|:312؛ |كثير-ك|:334/1.

8244 . قال البابا شنوده الثالث: "إن سفر يونان يعطينا فكرة عميقة عن كراهية الله للخطية، ولكنه (أى: الله) فى نفس الوقت يشفق على الخطاة ويسعى لخلاصهم" ("تأملات فى سفر يونان النبى"، مرجع سابق، ص 27) .

8245 . قال البابا شنوده الثالث: "وكان هرب يونان من وجه الرب يحمل فى ثناياه خطية أخرى هى الجهل وعدم الإيمان ... هذا الذى يهرب من الرب، إلى أين يهرب، والرب موجود فى كل مكان؟! أيها النبى العظيم ألا تؤمن أن الله موجود فى كل مكان تهرب إليه؟! إن الله موجود فى السفينة التى ستركبها، وفى البحر الذى يحمل السفينة، وفى ترشيش التى تود أن تهرب إليها. فأين تريد أن تختفى من وجه الرب؟!" ("تأملات فى سفر يونان النبى"، مرجع سابق، ص 9) .

8246 . قال البابا شنوده الثالث: "إن الله فى سفر يونان النبى، يريد أن يعرفنا حقيقة هامة هى أن الأنبياء ليسوا من طبيعة أخرى غير طبيعتنا، بل هم أشخاص "تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلَنَا" (يعقوب 5:17)، لهم ضعفاتهم، ولهم نقائصهم وعيوبهم، ومن الممكن أن يسقطوا كما نسقط. كل ما فى الأمر أن نعمة الله عملت فيهم، وأعطتهم قوة ليست هى قوتهم وإنما هى قوة الروح القدس العامل فى ضعفهم، لكى يكون فضل القوة لله وليس لنا كما يقول الرسول (2 كورنثوس 4:7). وقد كان يونان النبى من "ضعفاء العالم" الذين اختارهم الرب ليخزى بهم الأقوياء (1 كورنثوس 1:27). كانت له عيوبه، وكانت له فضائله، وقد اختاره الرب على الرغم من عيوبه، وعمل به، وعمل فيه، وعمل معه وأقامه نبياً قديساً عظيماً لا نستحق التراب الذى يدوسه بقدميه. لكى يرينا بهذا أيضاً أنه يمكن أن يعمل معنا ويستخدم ضعفنا، كما عمل مع يونان من قبل" ("تأملات فى سفر يونان النبى"، مرجع سابق، ص 7).

8247 . على سبيل المثال: لم يقل القرآنُ صراحةً إن يونس أُلقِى فى البحر! وبالتالى لم يحدد اسم هذا البحر الذى كان حوت يونس يعيش فيه! فكانت النتيجة – كالعادة – هى اختلاف المفسرين. قيل إنه البحر الأبيض المتوسط (|منتخب|:798؛ |منتخب-ف|:699). وقيل إنه نهر دجلة (|ج-البغا|:595)! وقيل إنه "البحر الأخضر" (|كثير-شيخ|:434/9؛ |كثير-طيبة|:366/5؛ |درمنثور|:362/10) أو "البحر المحيط" (|Reynolds|:124) الذى يحيط بالعالم المسكون (|El-2|:934/1)! هل يوجد حيرة وتيه وتخبط أكثر من ذلك؟!

8248 . بل قالت جماعة من المفسرين إن يونس كان يدعو قومه إلى "الإسلام"! "وَرُوِيَ فِي قِصَّةِ قَوْمِ يُونُس عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ: أَنَّ قَوْم يُونُس كَانُوا بِنِينَوَى مِنْ أَرْض الْمَوْصِل وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَام، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَام

يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَام وَتَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ فَأَبَوْا، فقِيلَ: إِنَّهُ أَقَامَ يَدْعُوهُمْ تِسْع سِنِينَ فَيَئِسَ مِنْ إِيمَانهمْ؛ فقِيلَ لَهُ: أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْعَذَاب مُصَبِّحهمْ إِلَى ثَلَاثٍ ففَعَلَ (أي: وَعَدَهُمْ الْعَذَاب خلال ثَلَاثَة أَيَّام)، وَقَالُوا: هُوَ رَجُلٌ لَا يَكْذِب، فَارْقُبُوهُ، فَإِنْ أَقَامَ مَعَكُمْ وَبَيْن أَظْهُرِكُمْ فَلَا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ اِرْتَحَلَ عَنْكُمْ فَهُوَ نُزُول الْعَذَاب لَا شَكّ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْل تَزَوَّدَ يُونُس وَخَرَجَ عَنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَتَابُوا وَدَعَوْا اللَّه، [...]، فَلَمَّا صَحَّتْ تَوْبَتهمْ رَفَعَ اللَّه عَنْهُمْ الْعَذَاب. [...] قَالَ علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: وَذَلِكَ يَوْم عَاشُورَاء" (|قرطبى|:56-54/11؛ |قرطبى-مصر|:680-679/4؛ |طنطاوى|:134/7؛ |جابرى|:179/1، 349)! وَرُوِىَ: "فرحمهم (الله) وكشف عنهم (العذاب) وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة" (|بيضاوى|:447/1؛ |نسفى|:42/2؛ |زادمسير|:66/4)! وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى إن أهل نينوى آمنوا "بالله رباً وبالإسلام ديناً وبيونس نبياً ورسولاً" (|جزائرى|:428/4)! وقال الخازن إنهم "أظهروا الإسلام" (|خازن-بغوى|:275/3)! وقال الثعلبى إن يونس "لحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه" (|عرائس|:357-358)؛ وطبعاً هذه الأسطورة مستوحاة مِن قصة غار "حراء"! وقال الشيخ محمد أبو زهرة إن قوم يونس كانوا "يعلمونه صادقاً أميناً فيهم" (|زهرة|:3636/7)! إلى آخر هذه العبارات الإسلامية التى استخدمها المفسرون المسلمون لشرح قصة يونس.

8249. |EJ|:11\389; |EB|.

8250. “Jonah, like Adapa, prays as he sinks (Jonah 2:1-10)” (|OTParallels|:43). “Suddenly, the south wind attacked the boat of Adapa; Waves swamped the boat with water. As he sank into the water with the fish, Adapa prayed: “Give me the strength to break the deadly wing of this wind.” Suddenly, the wing of the south wind was broken. For seven days, no south wind blew across the land of Eridu.” (|OTParallels|:44). See also: |ANET|:101; |ProcheOrient|:291.

8251 . "نَادَى (نوح) [...] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ" (الأنبياء 76)؛ "نَادَى (أيوب) [...] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ" (الأنبياء 83-84)؛ "فَنَادَى (يونس) [...] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ" (الأنبياء 87-88)؛ "نَادَى (زكريا) [...] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ" (الأنبياء 89-90).

8252 . |شعراوى-قصص|:188-189. انظر أيضاً |شعراوى-عجز|:108-109.

8253 . |بكر|:321. |طبرى|:295/12-19،639/296؛ |طبرى-شاكر|:209/15-210؛ |ماوردى|:66/5؛ |ظلال|:2393/4؛ |كثير-هاشمى|:250-251؛ |كثير-بديوى|:309؛ |طيب|:258؛ |بهجت|:182؛ |شوقى-قصص|:281؛ |فضل|:214-215.

8254 . |منتخب|:798؛ |منتخب-ف|:699. انظر أيضاً |ضيف|:747.

8255 . |ج-البغا|:595.

8256 . |قرطبى|:266/14؛ |قرطبى-مصر|:295/6. نُسِب يونس إلى النون (الحوت) لأنه ابتلعه (|ماوردى|:465/3).

8257 . تفسير (الأنبياء 87): |قرطبى|:269/14؛ |قرطبى-مصر|:297/6.

8258 . |نجار|:416-417.

8259 . |جابرى|:179/1. ثم نَقَلَ الآيات الكتابية مِن (يونان 4).

8260 . |قاسمى|:4299/11-4300. وفى تفسيره لـ "وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ" (الصافات 147) قال الشيخ القاسمى: ""وَأَرْسَلْنَاهُ" أى بعد ذلك، بأن أمرناه ثانية بالذهاب "إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ" وَهُمْ قومه المرسل إليهم، الذين أبق عن الذهاب إليهم أولاً" (|قاسمى|:5063/14).

8261 . |Reynolds|:129؛ |QiC|:622؛ |IW2002|:177؛ |FV|:295-296؛ |EI-2|:347/11؛ |Torrey|:115-116؛ |Bell|:447/2. قال ابن عطية إن فى اسم (يونس) "للعرب ثلاث لغات: ضم النون (يونُس) وفتحها (يونَس) وكسرها (يونِس)" (|عطية-قطر|:530/4). وقال الزمخشرى إن اسم "يونس" يمكن أن يُقرَأ بضم النون "يُونُس" وكسرها "يُونِس" (|كشاف-ع|:251/3، 229/5؛ |كشاف-ش|:503، 913).

8262. 2020 محمد المسيَّح – بث مباشر 14 يوليو, https://www.youtube.com/watch?v=jW-ZndMJrrk

8263 . |Reynolds|:129؛ |IW2002|:177؛ |FV|:282.

8264 . |هشام|:419/1-421؛ |روض|:33/4-36؛ |هشام-مختصر|:257/1-259؛ |هشام-تهذيب|:80-81. ونقل كثير من الكُتَّاب المسلمين عن ابن هشام. مثل: |شعراوى|:6215/10-6216؛ |شعراوى-عجز|:107-108؛ |شعراوى-حيو|:224؛ |كثير-سير|:573/2-575؛ |كثير-صفوة|:76/2-78؛ |صالحى|:577/2-578؛ |شهبة-سير|:401-403؛ |بوطى|:100.

8265 . قال د. عبد الله شحاتة: "رُوِى أنه ﷺ أراد أن يدعو على ثقيف، لمَّا آذوه حين عرض نفسه على القبائل بمكة، فنزل قوله تعالى "وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ"" (|شحاته|:6040/15).

8266 . |EQ|:2/514.

8267 . لأمثلة أخرى، انظر |QHC-ar|:148-150؛ |QHC|:92-93؛ |AOB-Subsidia|:3/196-197؛ |KHO-GP|:156، 160. وراجع ما قلناه عن تميم الدارى وحديث الجَسَّاسة.

8268 . |JSAI|:22/104-106، 114.

8269 . قال الدكتور شوقى ضيف فى تفسيره لـ (يونس 98): ""فَلَوْلَا" أى فهلّا "كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ" هى قرية مكة "فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا": فلم يقع عليها العذاب، وهو حثٌّ لأهل مكة على الإيمان بالرسول، وضرب الله لهم مثلاً قوم يونس عليه السلام فإنهم لما آمنوا كشف الله عنهم "عَذَابَ الْخِزْيِ" والهوان فى حياتهم الدنيا ومتعهم فى دنياهم إلى حين آجالهم" (|ضيف|:362). وقال الشيخ محمد الغزالى: "ولعل فى ذلك تلويحاً بأن أهل مكة قد يظفرون بالنجاة التى ظفرت بها قرية يونس" (|غزالى|:166). انظر أيضاً |شحاته|:6/2121-2122؛ |جابرى|:1/352؛ |جزائرى|:2/510.

8270. “In *yūnus* (10) 98 the Qur’ān refers to the Jonah story in precisely the same way [as the Gospels of Matthew and Luke]: to contrast the repentance of Jonah’s people with the stubbornness of its audience” (|Reynolds|:129).

8271 . قال البابا شنوده الثالث: "لقد عصى يونان أمر الرب، وهرب راكباً السفينة، ولكن الله [...] استطاع [...] أن يستفيد من عصيان يونان ... إن كان بسبب طاعة يونان سيخلص أهل نينوى، فإنه بعصيان يونان يمكن أن يخلص أهل السفينة [...] هُمْ أمميون كأهل نينوى [...] وكأن الله يقول له: [...] وهكذا تكون بركة فى ذهابك، وبركة فى هروبك، تكون بركة وأنت مهاب كنبى أمام أهل نينوى، وبركة وأنت ملقى فى البحر كمذنب أمام أهل السفينة ... بك سأنفذ مشيئتى فى أية صورة كنت. حتى وأنت فى بطن الحوت، لا مع أهل نينوى ولا مع ركاب السفينة ... وأنت وحدك فى بطن الحوت سأجعلك رمزاً لموتى وقيامتى، فيذكر الناس قصتك ويتعلمون" ("تأملات فى سفر يونان النبى"، مرجع سابق، ص 10).

8272 . |سروجى|:182.

8273 . |McVey|:438-460.

8274. |Reynolds|:129-130. “*The Repentance of Nineveh: A Metrical Homily on the Mission of Jonah*”, by Ephraem Syrus, translated by Rev. Henry Burgess, London: Blackader, 1853, p. 58.

8275. “Thus the Qur’ān’s references to the story of Jonah reflect the content of the Old Testament Book, but the homiletic interpretation of the New Testament. […] It is then important to note the Christian homiletic tradition in which Jonah is an allegory for the stubbornness of the Jews and mercifulness of God to the nations. […] For a detailed review of Syriac commentaries on the Jonah story see J.M. Heisler, *Gnat or Apostolic Bee: A Translation and Commentary on Theodoret's Commentary on Jonah*, Ph.D. dissertation, Florida State University, 2006” (|Reynolds|:129). This Ph.D. dissertation is available online at: http://diginole.lib.fsu.edu/etd/4147/

8276. “Special attention should be given to the changes in the use of God’s names. YHWH (“the Lord”) is His name as the God of the “Hebrew” (Jonah 1:9). In connection with the non-Israelite people of Nineveh He is *Elohim*, “God.”” (|EJ|:11\388).

8277. Prof. Stephen Shoemaker: “the second-century *Protevanglium of James*, a Christian apocryphon whose traditions have strongly influenced the Qurʾān” (|JSAI|:28\38).

8278 . انظر مثلاً |Njozi|:80.

8279 . "كانت أمك [يا موسى] تأتي وترضعك في الليل، وأختك مريم تحميك في النهار" (اليوبيلات 47:4) (|هامش|:5/227).

8280. |Tisdall|:150-152; |Tisdall-ar|:128-130. Prof. Gabriel Reynolds: “It is likely that the Qur’ān’s author has confused and conflated the two Biblical figures named “Mary.”” (|GR-AQ|:479).

8281. “the vowelling of the Arabic مَرْيَم would point to its having come from a Christian source rather than directly from the Hebrew” (|FV|:262).

8282 . لم تقل التوراة إن مريم النبية تزوجت. لكن يوسيفوس زعم أنها تزوجت "حُور" (Hur) مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا (|كتابية|:123/7؛ |قاموس-كتاب|:325).

8283 . في اللغة العبرية، كلمتا "بنت" و "بيت" قريبتان جداً في النطق والكتابة "ب ت". فيبدو أن هذا هو السبب الذي جعل أصحاب القرآن يظنون أن أخت موسى تحدثت مع آل فرعون (أي: بيت فرعون)؛ والأصل: تحدثت مع بنت فرعون.

8284. "Like Moses and Aaron, [Miriam the prophetess] too died by the kiss of God since the angel of death had no power over her (BB 17a)" (|EJ|:14\312). See also |Geiger|:136; |QSC|:92.

8285 . |قاموس-كتاب|:145.

8286. |Geiger|:136-137.

8287 . |مجلس|:467. أضفنا الكلمات بين القوسين [] لتوضيح المعنى المقصود. انظر أيضاً |Njozi|:80-82.

8288 . |شلتوت|:76-77. أضفنا الكلمات بين القوسين [] لتوضيح المعنى المقصود.

8289 . |شعراوى|:1429/3-1431؛ |شعراوى-قصص|:374-375.

8290 . |ضيف|:509. وقال الشيخ الشعراوى: "فنسبوها إلى هارون الذى سُمِّى على اسم النبى" (|شعراوى|:9073/15-9074). وكالعادة، لم يُعطِ الدكتور شوقى ضيف ولا الشيخ الشعراوى أى دليل علمى يؤيد هذا الرأى!

8291 . |كثير-هاشمى|:314.

8292 . |منتخب|:514-515. انظر الآراء الأخرى المذكورة فى تفاسير (مريم 28) و (التحريم 12). انظر أيضاً |Reynolds|:132-134؛ |QHC|:163-166؛ |QHC-ar|:246-249.

8293. "One could speculate that [عمران الله] is equivalent to *Yehoyaqim*" (|Nasr|:141).

8294 . |QHC-ar|:217؛ |QHC|:143. انظر أيضاً |Witztum|:46، 51.

8295. |Reynolds|:145-146. We added some words between brackets [] to clarify the meaning.

8296 . |قاموس-كتاب|:113. انظر أيضاً |كتابية|:408/1، 403.

8297 . لمزيد من المعلومات عن نسب مريم العذراء وإنجيل لوقا، انظر المراجع المسيحية مثل |كتابية|:125/7؛ |آرثر|:1667، 1676؛ |منيس|:329.

8298. "In Jewish prayer, the entire poem [Exodus 15.1-21] is recited every morning in the preliminary prayers, and vv. 11 and 18 are recited following the Shema prayer morning and evening, as part of the daily acceptance of God's kingship, the Jewish declaration of allegiance to God" (|JSB|:127).

8299. |GR-AQ|:114.

8300 . |أفراهاط|:101.

8301 . |نطرون|:الخروج/328. أضفنا الكلمات بين القوسين {} لتوضيح المعنى المقصود.

8302. |QSC|:91. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-011

8303 . كما نقول لشخص ذكي جداً: يا أينشتاين.

8304. "The conflation [of the two Biblical Marys] is likely a confusion" (|GR-AQ|:114).

8305 . الترجمة العربية (|ينابيع|:28/7-29). والترجمة الإنجليزية (|GR-AQ|:842).

8306 . "الذُّكُورُ لِلرَّبِّ (the males shall be the LORD's)" (الخروج 12:13).

8307 . انظر مثلاً |فراء|:207/1 لاختلاف القراءات و |شعراوى|:1435/3-1437؛ |Reynolds|:134-135 لاختلاف التفاسير. انظر أيضاً المراجع التى ذكرت أنه لم يكن يُقبَل فى النذر للخدمة إلا الذكور: |طبرى|:337/5-338؛ |طبرى-شاكر|:334/6-336؛ |قرطبى-مصر|:437/2؛ |ج-البغا|:68؛ |ج-وطن|:54؛ |ج|:54؛ |عطية-مصر|:393/2؛ |خازن-بغوى|:441/1؛ |ماوردى|:387/1؛ |بحر|:457/2؛ |غزالى|:34؛ |شحاته|:559/2؛ |وجدى|:68؛ |أشقر|:54؛ |صفوة|:198/1؛ |ظلال|:392/1؛ |جزائرى|:311/1؛ |عرائس|:327؛ |بكر|:336؛ |فضل|:223؛ |بدوى|:447/1.

8308 . |طبرى|:330/5؛ |طبرى-شاكر|:328/6؛ |قرطبى-مصر|:435/2؛ |كثير|:26/2؛ |كثير-شيخ|:48/3؛ |كثير-صابونى|:278/1؛ |ج-البغا|:68؛ |ج-وطن|:54؛ |ج|:54؛ |عطية-مصر|:391/2؛ |خازن-بغوى|:439/1؛ |بيضاوى|:156/1؛ |كشاف-ش|:169؛ |نسفى|:250/1؛ |سخاوى|:137/1؛ |بحر|:455/2؛ |شحاته|:558/2؛ |ضيف|:101؛ |أشقر|:54؛ |صفوة|:198/1؛ |جزائرى|:310/1؛ |عرائس|:326؛ |عبدالحليم|:287؛ |بكر|:335؛ |بدوى|:445/1.

8309 . |مجلس|:467. أضفنا الكلمات بين القوسين [] لتوضيح المعنى المقصود. لاحظ أن هذا الرأى يتعارض مع رأى الشيخ الشعراوى وغيره الذين قالوا – بدون أى دليل علمى – إن اسم والد مريم العذراء هو "عمران" (|شعراوى|:1429/3-1431؛ |شعراوى-قصص|:374-375).

8310 . يُمكن قراءة إنجيل الطفولة ليعقوب ومعرفة مزيد مِن المعلومات عنه وعن أناجيل الطفولة (Infancy Gosepls) بصفة عامة باللغة الإنجليزية: (|ApocrG|:31-71؛ |Elliott|:46-67؛ |EJ|:380/11) وباللغة العربية: (|بسيط-أبوكريفا|:66/1-92؛ |طرزى-أبوكريفا|:49/1-63). ولقراءة تحليل حول هذا الإنجيل الأبوكريفي كمصدر من مصادر القرآن، يمكن الرجوع إلى |Reynolds|:140-147؛ |Tisdall|:149-162؛ |Tisdall-ar|:128-137؛ |Sidersky|:135-138. انظر أيضاً |Nasr|:142.

8311 . |ApocrG|:73-87؛ |بسيط-أبوكريفا|:102/1-107؛ |طرزى-أبوكريفا|:84/1-91.

8312 . |بسيط-أبوكريفا|:154/1-158؛ |طرزى-أبوكريفا|:139/1-143.

8313 . |Tisdall|:159؛ |Tisdall-ar|:134-135.

8314 . الترجمة العربية (|بسيط-أبوكريفا|:82/1). الترجمة الإنجليزية (|ApocrG|:43).

8315 . الترجمة العربية (|بسيط-أبوكريفا|:83/1). الترجمة الإنجليزية (|ApocrG|:45-47).

8316 . الترجمة العربية (|بسيط-أبوكريفا|:83/1). الترجمة الإنجليزية (|ApocrG|:47).

8317. “To illustrate the prominence of this doctrine [i.e. the sinlessness of Mary and her offspring (Jesus)] in the Eastern Church, Henninger quotes a prayer of Ephraem: “You [i.e. Christ] and your mother are the *only people* who are blessed in every respect. You, O Lord, have no imperfection, and your mother has no blemish.”” (|Reynolds|:147). Cf. |Masson|:887; The “Immaculate Conception” and honoring Saint Anne (i.e., Mary’s mother) (|QSC|:92).

8318 . |GR-AQ|:115.

8319. “In the sense of *vow* it is a borrowing from the Judæo-Christian circle; [...], *to dedicate*, *consecrate* [...]. It must have been an early borrowing” (|FV|:278).

8320. “Such a person is called a Nazirite (Heb. *nazir*) from the root *nzr*, meaning to separate or dedicate oneself [to God]” (|EJ|:15\45).

8321 . |كتابية|:50/8.

8322 . |رازى|:30/8.

8323 . |طبرى|:344/5؛ |طبرى-شاكر|:344/6.

8324 . |Mishnah|:284؛ |قاهرة|:178/21؛ |EJ|:46/15.

8325 . الترجمة الإنجليزية (|Pickthall|:68؛ |EQ|:575/5). الترجمة الفرنسية (|منتخب-ف|:80؛ |Blachere|:80).

8326 . الترجمة العربية (|بسيط-أبوكريفا|:84/1). الترجمة الإنجليزية (|ApocrG|:49).

8327 . الترجمة العربية (|بسيط-أبوكريفا|:84/1). الترجمة الإنجليزية (|ApocrG|:49).

8328 . انظر الرسومات التوضيحية لـ "هيكل سليمان" (Temple of Solomon) الخَلف الشرعي لـ "خيمة الاجتماع" (Tabernacle / Tent of Meeting). في المراجع اليهودية والمسيحية، مثلاً: |JSB|:669؛ |آرثر|:585.

[8329]. Prof. Gabriel Reynolds: “In [آل عمران 39] and [مريم 11], [مِحْرَاب] also has the meaning of “temple”” (|GR-AQ|:116). Prof. Michael Pregill: “her [مِحْرَاب] [آل عمران 37] is surely in the Temple” (|QSC|:94). See also |Masson|:805.

8330 . |كتابية|:175/8.

8331 . |كتابية|:181/8. انظر رسماً تخطيطياً للهيكل الثاني بعد تجديده "هيكل هِيرُودُس" (Herod's Temple) الذي كان قائماً في أورشليم أيام مريم والمسيح (|كتابية|:182/8). وبعد صلب المسيح وموته وقيامته، دمَّره القائد الروماني الوثني "تيطس" (Titus) عام 70م لقمع ثورة يهودية كبيرة ضد الاحتلال الروماني لأرض اليهود المقدسة الأبدية (إسرائيل الحرة حالياً).

8332 . |طبرى|:358/5؛ |طبرى-شاكر|:357/6.

8333 . |ميسر|:46.

8334. "Zechariah visited her in the inner sanctuary, he found she had food" (|Kaskas|:35).

8335. |Reynolds|:142-143. We wrote two footnotes between braces {}.

8336 . حل المفسرون المسلمون هذه المشكلة بحيل ذكية: "فَكَانَتْ [مريمُ] إِذَا حَاضَتْ أَخْرَجَهَا [زكريا] إِلَى مَنْزِلِهِ، فَتَكُونُ عِنْدَ خَالَتِهَا - وَكَانَتْ خَالَتُهَا امْرَأَةَ زَكَرِيَّا [...]. [وقيل] كَانَتْ أُخْتُهَا امْرَأَةَ زَكَرِيَّا. وَكَانَتْ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ حَيْضَتِهَا وَاغْتَسَلَتْ رَدَّهَا إِلَى الْمِحْرَابِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ لَا تَحِيضُ وَكَانَتْ مُطَهَّرَةً مِنَ الْحَيْضِ" (|قرطبى|:108/5؛ |قرطبى-مصر|:441/2)!

8337 . "تدلنا عبارة "هَيْكَلِ الرَّبِّ" (ع. 9) على أنّ معبد تابوت العهد الذي مضى على إقامته عدة قرون في شِيلُوه لم يعد خيمة كما كان في البرية بل بناء له هيكلية ثابتة وإنْ لم يكن كهيكل سليمان في فخامته" (|معاصر|:545).

8338. "The presentation of Samuel to Eli by his mother Hannah, who dedicated him to God (1 Samuel 1:24–28) is a subject found in the third-century C.E. murals of the synagogue at Dura-Europos" (|EJ|:17\756).

8339. Prof. Gabriel Said Reynolds: "The account of Anne's conception of a child in the *Protoevangelium* is largely modeled on the account of Hannah's (i.e. Anna/Anne) conception of a child in 1 Samuel 1" (|Reynolds|:141). See also |بسيط-أبوكريفا|:1\80.

8340. Prof. Guillaume Dye: "Le *Protévangile de Jacques* se situe clairement à l'arrière-plan, mais le texte [du Coran] [آل عمران 33-44] va plus loin, et approfondit des développements présents dans [مريم 1-33]" (|QSC|:91). https://doi.org/10.1515/9783110445909-011

8341 . |صابونى|:199.

8342. سؤال جريء 344, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5575&cat=24&scat=40&

8343 . |بسيط-أبوكريفا|:80/1.

8344 . |ApocrG|:34؛ |EJ|:250/11؛ |JANT|:745.

8345 . أما الآية التي تقول "وَلَمْ يَعْرِفْهَا (أي: وَلَمْ يَعْرِفْ يوسفُ مريمَ جنسياً) حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ" (متى 25:1)، فتُفسَّر بمعنى أن يوسف ظل لا يقترب من مريم جنسياً حتى بعد ميلاد يسوع، بل رعاها كأب. وكذلك "ابْنَهَا الْبِكْرَ" تُفسَّر بمعنى: الْبِكْر والوحيد، لأن "أول مولود يُنعت بالبكر حتى لو لم يولد أحدٌ بعده" (|مارمرقص|:العهدالجديد/20/1). واستدلوا بآيات كتابية أخرى على أن يسوع المسيح هو الابن الوحيد لمريم العذراء، مثل: "فلَمَّا رأى يَسوعُ أُمَّهُ، والتلميذَ [يوحنا] الذي كانَ يُحِبُّه واقِفاً [عند الصليب]، قالَ [يَسوعُ] لأُمِّهِ: "يا امرأةُ، هوذا [يوحنا] ابنُكِ". ثُمَّ قالَ [يَسوعُ] للتلميذِ: "هوذا أُمُّكَ". ومِنْ تِلكَ الساعةِ أخذها التلميذُ [يوحنا] إلى خاصَّتِهِ" (يوحنا 19:26-27) (انظر |المسيح|:427). أما نحن فنرى أن هذه الآية تنفي فقط أن مريم العذراء كان لها أبناء ذكور آخرين مؤمنين بيسوع المسيح.

8346 . |برهان|:314/3-337؛ |مجلس|:242-245.

8347 . الترجمة العربية (|طرزى-أبوكريفا|:59/1-60). الترجمة الإنجليزية (|ApocrG|:61). انظر |ApocrG|:33؛ |بسيط-أبوكريفا|:79/1-80 لمعرفة آراء العلماء الغربيين فى هذا الجزء مِن إنجيل الطفولة ليعقوب.

8348. "In mid-verse Job switches from speaking of God in the third person to addressing Him in the second person; this is a common switch in psalms and other biblical and general literature (enallage)" (|JSB|:1519).

8349 . لمعرفة جذور الالتفات في أعمال شرقية قديمة أخرى، انظر |EJ|:619/5؛ |NIV|:853؛ |دراسى|:1358.

8350. Dr. Munther Younes: “The change from first person singular [فَأُعَذِّبُهُمْ] (v. 56) to third person singular [فَيُوَفِّيهِمْ] (v. 57) to first person plural [نَتْلُوهُ] (v. 58) suggests the combining of two different texts with no attempt at correcting an obvious anomaly” (|QSC|:96). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-011

8351. |QSC|:94. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-011

8352 . |طبرى|:406-403/5؛ |طبرى-شاكر|:410-407/6؛ |ب|:55؛ |قرطبى-مصر|:455-454/2؛ |كثير|:33/2-34؛ |كثير-شيخ|:63-62/3؛ |كثير-شاكر|:331/1؛ |كثير-صابونى|:282/1؛ |ج-البغا|:70؛ |ج-وطن|:55؛ |ج|:55؛ |عطية-مصر|:419/2؛ |ضحاك|:247/1؛ |خازن-بغوى|:451-450/1؛ |بيضاوى|:159/1؛ |كشاف-ش|:172؛ |نسفى|:255/1؛ |ماوردى|:393/1؛ |بحر|:479/2؛ |منتخب|:94؛ |ميسر|:47؛ |شعراوى|:1463/3؛ |شحاته|:565/2؛ |ضيف|:103؛ |وجدى|:70؛ |أشقر|:55؛ |سعدى|:130؛ |صفوة|:202/1؛ |ظلال|:396/1؛ |فهد|:55؛ |جزائرى|:316/1؛ |شعراوى-قصص|:365-364؛ |بهجت|:321-320؛ |بكر|:337؛ |فضل|:224؛ |نجار|:425؛ |رمضان|:325/2؛ |بدوى|:448/1. انظر أيضاً |Reynolds|:137-139.

8353 . انظر كتاب الشيخ محمد متولى الشعراوى، "الغيب"، أخبار اليوم، قطاع الثقافة 1998، ص 32.

8354 . وعُرِفَ بعد ذلك باسم: القديس يوسف (Saint Joseph). وتوجد كنائس ومدارس كثيرة تحمل اسمَه.

8355 . |FV|:242-243؛ |Reynolds|:143؛ |GR-AQ|:119.

8356 . ترجمها "عبدُ الله يوسف علي" إلى (arrows)، وأضافت الحاشية (Literally, *reeds*: *aqlām*) (|AYA|:138).

8357 . الترجمة العربية (|طرزى-أبوكريفا|:55/1-56؛ |بسيط-أبوكريفا|:84/1-85). الترجمة الإنجليزية (|ApocrG|:49-51؛ |GR-AQ|:119).

8358. “In the Temple Mary is under the charge of (the high priest) Zechariah (*Protoevangelium* 8.2-3; cf. Q 3.37a). There she receives miraculous sustenance from heaven, receiving food “from the hand of an angel” (*Protoevangelium* 8.1; cf. Q 3.37)” (|Reynolds|:143).

8359 . راجع ما قلناه عن قُورَح **[← قارون]** في قصة موسى وفرعون (قصة خروج بني إسرائيل من مصر).

8360 . "لا يحدد الموقع: قُدس الأقداس حيث تابوت العهد، أو القدس أمام الحجاب الذي يستر تابوت العهد" (|معاصر|:335).

8361 . |NIV|:215؛ |دراسى|:349. "وُضِعَت عصا هارون في تابوت العهد مع الوصايا العشر" (|معاصر|:335).

8362 . |كتابية|:276/5.

8363 . ولذلك تقول الترنيمة المسيحية الشهيرة: "طوباك يا مريم يا عصا هارون [...]".

8364 . "وظلت رئاسة الكهنوت عند العبرانيين في بيت هارون إلى دمار أورشليم والهيكل في سنة 70م" (|قاموس-كتاب|:995).

8365. [آل عمران 44] “[أَقْلَامَ]. Voir : *Protévangile de Jacques*, VIII-IX ; […] – Ceci fait penser au « rameau » d’Aaron qui seul « fleurit » à l’exception de ceux de ses onze compagnons, marquant ainsi le choix divin (*Nb.* XVII, 16-24)” (|Masson|:806).

8366 . |Reynolds|:143-144. انظر أيضاً |QSC|:95؛ |GR-AQ|:119.

8367 . |QHC-2|:11.

8368 . |قاموس-كتاب|:782؛ |NIV|:1907؛ |دراسى|:2956-2957؛ |آرثر|:2185.

8369 . |ApocrG|:165-167؛ |Tisdall|:159-160؛ |Tisdall-ar|:135؛ |طرزى-أبوكريفا|:149/1-150.

8370 . |ApocrG|:89-93؛ |بسيط-أبوكريفا|:108/1-109؛ |طرزى-أبوكريفا|:92/1-93.

8371 . |بسيط-أبوكريفا|:158/1-159؛ |طرزى-أبوكريفا|:143/1-144.

8372 . |ApocrG|:158. مع العلم بأن هذا التعبير المستحدث "العائلة المقدسة" (Holy Family) ليس له أي وجود في الإنجيل! فهو دخيل على المسيحية، ولذلك فإننا لا نفضل استخدامه. لكن من الممكن أن نقول: العائلة اليهودية المقدسة.

8373 . |NIV|:982؛ |دراسى|:1539-1540؛ |آرثر|:1018؛ |قاموس-كتاب|:726.

8374 . |قاموس-كتاب|:726-727.

8375 . المراجع الإسلامية: |كثير-هاشمى|:473-483؛ |كثير-بديوى|:573-584؛ |عرائس|:329-333؛ |عبدالحليم|:277-286؛ |شعراوى-قصص|:366-373؛ |شعراوى-عجز|:219-223؛ |بهجت|:324-326؛ |بكر|:326-334؛ |فضل|:217-219؛ |نجار|:425-428؛ |رمضان|:2/303-318؛ |بدوى|:1/450-458.

8376 . إنه أسلوب أدبي قديم ومعروف ومُستخدم بكثرة في الحوارات في التوراة والإنجيل وفي التراث اليهودي/المسيحي بصفة عامة. مثلاً: حوار مريم والْمَلاَك جِبْرَائِيل في قصة البشارة بميلاد يسوع (لوقا 1:28-38)؛ حوار يسوع المسيح ونِيقُودِيمُوس مُعَلِّم إِسْرَائِيلَ (يوحنا 3:1-21)؛ حوار يسوع المسيح والشيطان إبليس في قصة التجربة (متى 4:1-10) (لوقا 4:1-12)؛ حوار موسى والرَّبِّ في قصة التجلّي (الخروج 33:12-23).

8377 . "وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ، لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً" (متى 6:5-6) **[⟵ "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً" (الأعراف 55)].**

8378 . راجع ما قاله إبراهيمُ حين خاف أن يرثه مَن ليس ابناً له مِن صُلْبه: "أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، مَاذَا تُعْطِينِي وَأَنَا مَاضٍ عَقِيمًا، وَمَالِكُ بَيْتِي هُوَ أَلِيعَازَرُ الدِّمَشْقِيُّ؟ [...] إِنَّكَ لَمْ تُعْطِنِي نَسْلاً، وَهُوَذَا ابْنُ بَيْتِي وَارِثٌ لِي" (التكوين 15:2-3). وقيل إن زكريا خاف أن لا يحسن أقاربُه خلافته على أمته فيما يتعلق بأمور الدين و/أو شئون الدنيا، فأراد ابناً صالحاً يخلفه.

8379 . "وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ" (القصص 58)؛ "إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ" (مريم 40).

8380 . "إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (آل عمران 45)؛ "إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ" (النساء 171).

8381 . "لأَنَّ شَفَتَيِ الْكَاهِنِ تَحْفَظَانِ مَعْرِفَةً، وَمِنْ فَمِهِ يَطْلُبُونَ الشَّرِيعَةَ، لأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ (أي: رسولُ الله)" (ملاخي 2:7).

8382 . |قاموس-كتاب|:113، 111؛ |كتابية|:1/408، 403.

8383 . "وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ. وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ [إِسْحَاقَ]، أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، [...]، وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، [...]»" (التكوين 22:15-18).

8384 . |قاموس-كتاب|:1106؛ |تطبيقى|:2058؛ |دراسى|:2413؛ |EJ|:11/380.

8385 . |معجم-ألفاظ|:220. انظر أيضاً |GR-AQ|:475.

8386. “The spelling of the name Yaḥyā for Yoḥanan is known from pre-Islamic times and is probably derived from Christian Arabic usage” (|EQ|:3\51).

8387 . |معجم-ألفاظ|:307.

8388. Prof. Gabriel Reynolds: “The Qurʾān [مريم 7-11] is developing Luke 1, although it has God speak directly to Zechariah (unlike Luke, where it is the angel Gabriel, and unlike [آل عمران 39], where it is instead “angels”)” (|GR-AQ|:474).

8389 . |FV|:100؛ |آرثر|:1354؛ |قاموس-كتاب|:245؛ |كتابية|:2/474؛ |دراسى|:2413؛ |NIV|:1568.

8390 . **[⟵ وأيضاً على عكس المسيح عيسى/يسوع الذي قال: "وَلَمْ يَجْعَلْنِي [اللهُ] جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (مريم 32-33)].**

8391 . |QSC|:92.

8392 . مما يدل على أن زَكَرِيَّا كان قد صلَّى ودَعَا رَبَّهُ قبل هذا الموقف. اقرأ أيضاً (لوقا 1:7، 25). **[⟵ "هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ" (آل عمران 38)؛ "وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا" (الأنبياء 89)؛ "فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (أي: ابناً صالحاً)" (مريم 5)؛ (مريم 2-6)].**

8393 . "فَعَنِ الْخَمْرِ وَالْمُسْكِرِ يَفْتَرِزُ (أي: ينفصل)" (العدد 6:3). وعلى هذا، فإن يوحنا المعمدان هو أول نذير في العهد الجديد، مع أنه يُعتبر من رجال العهد القديم. أو إن شئت فقل إن يوحنا المعمدان حلقة وصل بين العهد القديم والعهد الجديد.

8394 . "وَكَلَّمَ الرَّبُّ هَارُونَ قَائِلاً: «خَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ تَشْرَبْ أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ عِنْدَ دُخُولِكُمْ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِكَيْ لاَ تَمُوتُوا. فَرْضًا دَهْرِيًّا فِي أَجْيَالِكُمْ" (اللاويين 10:8-9).

8395 . وبعد ذلك بستة أشهر، قال الملاك جبرائيل لمريم العذراء: "وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِرًا، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ" (لوقا 1:36-37).

8396 . |IW2014|:546. "وكان يُشير لهم بالإشارة" (|سريانية|:175/3)؛ "وهو إشارةً مشيراً كان لهم" (|سريانية|:176/3).

8397 . وكما توقعنا، هذه هي الآية القرآنية الوحيدة التي ذكرت كلمة "رَمْزًا" (آل عمران 41) (|معجم-ألفاظ|:325).

8398 . منذ أكثر من 2000 سنة، كانت المرأة اليهودية مستقلة وتتمتع بحرية السفر وحدها ولو لمسافات طويلة جداً!

8399. John the Baptist's "relation to Jesus is emphasized even before they were born: when Elizabeth heard Mary's greeting, her baby leaped in her womb (Luke 1:41)" (|EJ|:11\380).

8400 . "وقد عينت الكنيسة يوم ميلاده في 24 حزيران (يونيو)، أي عندما يأخذ النهار في النقصان، و [بعده بستة أشهُر] عيد ميلاد المسيح في 25 كانون الأول (أي: 25 ديسمبر؛ Christmas)، أي عندما يأخذ النهار في الزيادة استناداً على قوله: "يَنْبَغِي أَنَّ ذلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ" (يوحنا 3:30)" (|قاموس-كتاب|:1106).

8401 . "وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. اِبْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ" (التكوين 17:9-12). اقرأ أيضاً (اللاويين 12:3).

8402 . قَبْل يوحنا المعمدان، كان هناك رجال أسماؤهم "يوحنا" (|قاموس-كتاب|:1106؛ |كتابية|:336/8). إذن: الإنجيل أكثر دقة من القرآن لأنه يقول "لَيْسَ أَحَدٌ فِي عَشِيرَتِكِ (of your kindred) تَسَمَّى بِهذَا الاسْمِ" (لوقا 1:61).

8403 . "وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَيَّ مَسَاءً [...]، وَفَتَحَتْ فَمِي [...] صَبَاحًا، فَانْفَتَحَ فَمِي وَلَمْ أَكُنْ بَعْدُ أَبْكَمَ" (حزقيال 33:22)؛ "لِكَيْ يَنْظُرُوا وَيَعْرِفُوا وَيَتَنَبَّهُوا وَيَتَأَمَّلُوا مَعًا أَنَّ يَدَ الرَّبِّ فَعَلَتْ هذَا وَقُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ أَبْدَعَهُ" (إشعياء 41:20)؛ "فَتَرَوْنَ وَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ، وَتَزْهُو عِظَامُكُمْ كَالْعُشْبِ، وَتُعْرَفُ يَدُ الرَّبِّ عِنْدَ عَبِيدِهِ، وَيَحْنَقُ عَلَى أَعْدَائِهِ" (إشعياء 66:14).

8404 . "وَظَهَرَ لَهُ (أي: لإسْحَاق) الرَّبُّ وَقَالَ: «[...]. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ (أي: كنعان). تَغَرَّبْ فِي هذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ (أي: في المسيح) جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، [...]»" (التكوين 26:2-4).

8405 . "كان اليهود يظنون أن المسيح يخلّصهم من عبودية الرومان [national salvation]، فأتى يوحنا ليعرفهم الخلاص الحقيقي، وهو الخلاص من الخطية بالتوبة لينالوا غفران خطاياهم [moral and spiritual salvation].
فيوحنا يعرفهم الخلاص ويدعوهم للتوبة، أما المسيح فهو الذي يتمم هذا الخلاص على الصليب"
(|مارمرقص|:العهدالجديد/27/2). "بمعنى أنه مسيَّا الروح لخلاص الروح، وليس مسيَّا المُلك والحرب والسلطان الأرضي" (|المسيح|:282). ومِن ثم فإن الخلاص الحقيقي هو الخلاص من تداعيات الخطية، أي: الخلاص من الموت، أي: نوال نعمة الحياة الأبدية.

8406 . "اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ" (إشعياء 9:2). ولقد طبَّق الإنجيلُ هذه الآية على بداية خدمة يسوع المسيح التي تكمِّل خدمةَ يوحنا المعمدان (متى 4:12-17).

8407 . اقرأ أيضاً (لوقا 2:52): "وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ **[⟵ "وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ (أي: الحكمةَ)" (مريم 12)]** وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ، عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ **[⟵ "وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (أي: مرضياً منك ومن عبادك)" (مريم 6)]**".

8408 . "وظن بعضهم أنه كان للاسينيين (Essenes) في قمران بالبرية تأثير على يوحنا المعمدان" (|قاموس-كتاب|:1108).

8409 . كان اللاوي لا يتولى مسئولية الخدمة إلا من سن الثلاثين فصاعِدًا: "مِنِ ابْنِ ثَلاَثِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا إِلَى ابْنِ خَمْسِينَ سَنَةً تَعُدُّهُمْ، كُلَّ الدَّاخِلِينَ لِيَتَجَنَّدُوا أَجْنَادًا (بالعبرية: liṣ·ḇō ṣā·ḇā)، لِيَخْدِمُوا خِدْمَةً فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ" (العدد 4:23).

8410 . "لعلها المنطقة نفسها التي عاش فيها يوحنا ([...]). كما عاش شعب قمران (الذين ارتبط اسمهم بمخطوطات البحر الميت) في تلك المنطقة ([...])" (|دراسى|:2253). انظر أيضاً |دراسى|:2235، 2315؛ |NIV|:1470، 1458، 1506.

8411. “John’s baptism did not wash away sins; rather, it served as public testimony of repentance” (|JANT|:116). “Although [water was used by Jews for ritual purification], no Jewish sources unambiguously point to immersion as “cleansing” from sin” (|JANT|:176).

8412 . ومِن المعلوم أن يسوع المسيح نفسه لم يعمِّد أحداً بالماء. "يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يُعَمِّدُ بَلْ تَلاَمِيذُهُ" (يوحنا 2:4).

8413 . "عَزُّوا، عَزُّوا شَعْبِي، يَقُولُ إِلهُكُمْ. طَيِّبُوا قَلْبَ أُورُشَلِيمَ وَنَادُوهَا بِأَنَّ جِهَادَهَا قَدْ كَمُلَ، أَنَّ إِثْمَهَا قَدْ عُفِيَ عَنْهُ، أَنَّهَا قَدْ قَبِلَتْ مِنْ يَدِ الرَّبِّ ضِعْفَيْنِ عَنْ كُلِّ خَطَايَاهَا. صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: «أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لإِلهِنَا. كُلُّ وَطَاءٍ (أي: وادي) يَرْتَفِعُ، وَكُلُّ جَبَل وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَيَصِيرُ الْمُعْوَجُّ مُسْتَقِيمًا، وَالْعَرَاقِيبُ (أي: الطرق الضيقة في الجبال) سَهْلاً. فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعًا، لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ»" (إشعياء 40:1-5).

8414 . "وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ" (إشعياء 11:2). "رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي (anointed me)" (إشعياء 61:1).

8415 . فكما تجسَّم الروح القدس في هَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ (in a bodily shape) مِثْلِ حَمَامَةٍ ولم نسمع عن أحد عبد الحمامة كإله، كذلك إذا تجسَّد الكلمة حسب التفسير السائد لـ "الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا (هو: يسوع)" (يوحنا 1:14)، فينبغي ألا نعبد يسوعَ.

8416 . |QSC|:116.

8417 . |دراسى|:2253؛ |NIV|:1470.

8418 . "وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ، وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ، وَيَأْكُلُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا" (مرقس 1:6)؛ (متى 3:4). أي كان يُوحَنَّا مثل النبي إيليا/إلياس في ملابسه المتواضعة: "رَجُلٌ أَشْعَرُ مُتَنَطِّقٌ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ" (2 ملوك 1:8).

8419 . "«هأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي (أي: رسولي) فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ (LORD of hosts) (بالعبرية: Yah·weh ṣə·ḇā·’ō·wṯ)»" (ملاخي 3:1).

8420 . "فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ (أي: تواضع) مِثْلَ هذَا الْوَلَدِ (أي: مثل الأطفال) فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (متى 18:4).

8421 . "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ [بقيامتي من الأموات]! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا»" (يوحنا 20:29).

8422 . يقصد الآيات الأخيرة من سفر الأنبياء في العهد القديم: "«فَهُوَذَا يَأْتِي الْيَوْمُ الْمُتَّقِدُ كَالتَّنُّورِ، وَكُلُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشًّا، وَيُحْرِقُهُمُ الْيَوْمُ الآتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ (LORD of hosts) (بالعبرية: Yah·weh ṣə·ḇā·’ō·wṯ)، فَلاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعًا. «وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا، فَتَخْرُجُونَ وَتَنْشَأُونَ كَعُجُولِ الصِّيرَةِ. وَتَدُوسُونَ الأَشْرَارَ لأَنَّهُمْ يَكُونُونَ رَمَادًا تَحْتَ بُطُونِ أَقْدَامِكُمْ يَوْمَ أَفْعَلُ هذَا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ (LORD of hosts) (بالعبرية: Yah·weh ṣə·ḇā·’ō·wṯ). «اُذْكُرُوا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي الَّتِي أَمَرْتُهُ بِهَا فِي حُورِيبَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ. الْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ. «هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ، وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلاَّ آتِيَ وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ»" (ملاخي 4:1-6).

8423 . التضاد بين شخصية يوحنا "البدوي" الذي تربّى في البرية وشخصية الْمَلِك هِيرُودُس "المدني" الذي يعيش في القصر، يذكِّرنا على الفور بالتضاد بين شخصية إبراهيم "البدوي" وشخصية لوط "المدني" (التكوين 18-19).

8424. Prof. Gabriel Reynolds: “Whereas in Luke, Zechariah becomes mute as a punishment for disbelieving the angel’s message, in the Qurʾān ([مريم 9-10]; cf. [آل عمران 41]) muteness is the answer to Zechariah’s request for a sign” (|GR-AQ|:474). See also |GR-AQ|:118.

8425 . |آرثر|:1544؛ |NIV|:1488؛ |دراسى|:2284.

8426 . "صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ **يُذْكَرُ** فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا" (الحج 40). "إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ **لِذِكْرِي**" (طه 14).

8427 . |مارمرقص|:العهدالجديد/2/14.

8428 . |IW2014|:535-536. انظر أيضاً |IW2014|:546.

8429 . وكذلك في رواية سورة آل عمران: "**وَاذْكُر** رَّبَّكَ كَثِيرًا **وَسَبِّحْ** [الرَّبَّ] بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" (آل عمران 41).

8430 . إنطرون|:لوقا/47.

8431 . فِرْقَة أَبِيَّا (Abijah) التي ينتمي إليها الكاهنُ زكريا (لوقا 5:1) هي الفرقة الثامنة (8th) من الفرق الأربع والعشرين التي قسم إليها داود الملك بني هارون الكهنة (1 أخبار الأيام 10:24).

8432 . وأيضاً سفر صموئيل الأول هو أول سفر في الكتاب المقدس يذكر تعبيرَ "ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَثَلاَثِ لَيَال" (1 صموئيل 12:30) **[← "ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ" (آل عمران 41) و "ثَلَاثَ لَيَالٍ" (مريم 10)].**

8433 . إآرثر|:462. انظر أيضاً إقاموس-كتاب|:274-275؛ إكتابية|:3/5، 380/1؛ EJ|:7/675؛ إمعاصر|:1098.

8434 . اقرأ أيضاً: "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا" (المزامير 6:33).

8435 . أو لأن طلوع الشمس يرمز إلى الانتقال من الموت إلى الحياة وغروبها يرمز إلى الانتقال من الحياة إلى الموت (Nasr|:767). "تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ" (آل عمران 27)؛ "فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ. وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ. يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (أي: تُبْعَثون)" (الروم 17-19).

8436 . وكذلك في آيات قرآنية أخرى، مثل: "فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (أي: فليستعن الكافرُ بأهله وعشيرته). سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (أي: الملائكة الغلاظ الشداد)" (العلق 17-18). وهذه الفكرة القرآنية مستوحاة – كالعادة – من أفكار شرقية تسبقها. مثلاً: "وَظَهَرَ لَهُ (أي: ليسوع) مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ" (لوقا 43:22)؛ "جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ" (متى 53:26)؛ "الْمَلاَئِكَةُ تَخْدِمُهُ" (مرقس 13:1).

8437 . "**جِبْرَائِيلُ:** اسم عبري معناه "رجل الله" أو "أظهر اللهُ ذاته جباراً"" (إقاموس-كتاب|:245). "جبرائيل أي "جبروت الله"، وهو أحد رؤساء الملائكة السبع الواقفين أمام الله" (إمارمرقص|:العهدالجديد/17/2). انظر أيضاً إكتابية|:474/2.

8438 . اقرأ مثلاً: "يَقُولُ السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ (Yahweh Ẓevaʾot) عَزِيزُ إِسْرَائِيلَ (The Mighty One of Israel): «آهِ! إِنِّي أَسْتَرِيحُ مِنْ خُصَمَائِي وَأَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِي" (إشعياء 24:1).

8439 . إكتابية|:474/2. اقرأ سفر أخنوخ الأبوكريفي (إهامش|:34/3، 46، 69).

8440 . كما حدث في العهد القديم عند خلق الكون: "عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي الله (أي: نجوم السماء؛ ملائكة السماء؛ الأرواح الخادمة لله)" (أيوب 7:38). بل كما حدث في التوراة عند خلق الإنسان (آدم) عندما ابتهج اللهُ نفسه بخليقته وخصوصاً بالإنسان (آدم) ذروة الخليقة وتاجها: "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا" (التكوين 31:1).

8441 . راجع أيضاً دراستنا لأسطورة نجاة إبراهيم من النار "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ" (الأنبياء 69) حيث قالت بعض كتب تفسير القرآن وقصص الأنبياء إن الملاك جبريل أتى إبراهيمَ وهو في النار وسأله إن كان يريد منه شيئاً.

8442 . IW2014|:446-455.

8443 . GR-AQ|:919.

8444 . ليلة الكريسماس (Christmas Eve) (= 24 ديسمبر) هي بالفعل من أطول ليالي الشتاء الطويلة جداً.

8445 . قيام الليل كله أو نصفه أو آخره من العبادات اليهودية/المسيحية: "خَرَجَ [يسوعُ] إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ للهِ (all night in prayer to God)" (لوقا 12:6)؛ "وَنَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ (أي: منتصف الليل؛ at midnight) كَانَ بُولُسُ وَسِيلاً يُصَلِّيَانِ وَيُسَبِّحَانِ اللهَ، وَالْمَسْجُونُونَ يَسْمَعُونَهُمَا" (أعمال الرسل 25:16)؛ "فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَقُومُ لأَحْمَدَكَ عَلَى أَحْكَامِ بِرِّكَ" (المزامير 62:119)؛ "أَنَا أَسْتَيْقِظُ سَحَرًا. أَحْمَدُكَ بَيْنَ الشُّعُوبِ يَا رَبُّ، وَأُرَنِّمُ لَكَ بَيْنَ الأُمَمِ" (المزامير 108:2-3). وقال يسوع المسيح لتلاميذه ليلاً قُبيل القبض عليه ومحاكمته وصلبه وموته: "اِسهَروا وصَلّوا لئلا تدخُلوا في تجربَةٍ" (متى 41:26) (مرقس 38:14) "لماذا أنتُم نيامٌ؟ قوموا وصَلّوا لئلا تدخُلوا في تجربَةٍ" (لوقا 46:22). اقرأ أيضاً ما قاله المسيحُ لتلاميذه عن الاستعداد الدائم ليوم القيامة الذي سوف يأتي فجأة: "اِسْهَرُوا وَصَلُّوا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ. [...] اِسْهَرُوا إِذًا، لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ (أي: المسيحُ في مجيئه الثاني)، أَمَسَاءً (أي: حوالي 9 مساءً)، أَمْ نِصْفَ اللَّيْلِ، أَمْ صِيَاحَ الدِّيكِ (أي: حوالي 3 فجراً)، أَمْ صَبَاحًا (أي: حوالي 6 صباحاً). لِئَلاَّ يَأْتِيَ بَغْتَةً فَيَجِدَكُمْ نِيَامًا! وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: اسْهَرُوا" (مرقس 33:13-37) "اِسْهَرُوا إِذًا وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ" (لوقا 36:21). وتوجد آيات أخرى. كما يوجد "تقليد يهودي يقضي بأن ينتظر المؤمنون اليهودُ المسيحَ الموعود عند منتصف الليل" (إمعاصر|:1864)!

8446 . "هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ (Yahweh Ẓevaʾot) (LORD of hosts): هأَنَذَا أُخَلِّصُ شَعْبِي مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ وَمِنْ أَرْضِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ. وَآتِي بِهِمْ فَيَسْكُنُونَ فِي وَسَطِ أُورُشَلِيمَ، وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا، وَأَنَا [وحدي لا إِلَهَ إلاَّ أَنَا] أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ. «هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ (Yahweh Ẓevaʾot) (LORD of hosts): [...]" (زكريا 7:8-9).

8447 . "وَهذَا [الملاكُ] نَادَى ذَاكَ [الملاك] وَقَالَ: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ (LORD of hosts). مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ»" (إشعياء 3:6). وهذه الآية الكتابية الشهيرة هي أساس ترنيمة "المثلث التقديس" (Trisagion) (Tersanctus) مِن أشهر الليتورجيا المسيحية قبل الإسلام. فَمِن المؤكد أنها وصلت إلى العرب. وتقول كتب السيرة النبوية إن ورقة بن نوفل قال "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ" للسيدة خديجة لمَّا أخبرته بما أخبرها به محمدٌ عن زيارة الملاك جبريل له في غار حراء!

8448 . إشارة إلى المزامير الممتلئة بالتسابيح والمنسوبة بصفة عامة إلى داود كاتبها الرئيسي وليس الوحيد. اقرأ مثلاً المزمور 148 الذي يدعو الملائكة وعناصر الطبيعة، بل يدعو الخليقةَ كلها، إلى تسبيح الرب: "هَلِّلُويَا. سَبِّحُوا الرَّبَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ. سَبِّحُوهُ فِي الأَعَالِي. سَبِّحُوهُ يَا جَمِيعَ مَلاَئِكَتِهِ. سَبِّحُوهُ يَا كُلَّ جُنُودِهِ (Ẕevaʾot) (hosts). سَبِّحِيهِ يَا أَيَّتُهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. سَبِّحِيهِ يَا جَمِيعَ كَوَاكِبِ النُّورِ. سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ. لِتُسَبِّحِ اسْمَ الرَّبِّ لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ، وَثَبَّتَهَا إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ، وَضَعَ لَهَا حَدًّا فَلَنْ تَتَعَدَّاهُ. [...]، الْجِبَالُ [...] وَالطُّيُورُ ذَوَاتُ الأَجْنِحَةِ، مُلُوكُ الأَرْضِ وَكُلُّ الشُّعُوبِ، الرُّؤَسَاءُ وَكُلُّ قُضَاةِ الأَرْضِ، [...]، لِيُسَبِّحُوا اسْمَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ قَدْ تَعَالَى اسْمُهُ وَحْدَهُ. مَجْدُهُ فَوْقَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ. وَيَنْصِبُ قَرْنًا لِشَعْبِهِ، فَخْرًا لِجَمِيعِ أَتْقِيَائِهِ، لِبَنِي إِسْرَائِيلَ الشَّعْبِ الْقَرِيبِ إِلَيْهِ. هَلِّلُويَا" (المزامير 148:1-14).

8449 . من تفسير (لوقا 9:1) في |دراسي|:2412؛ |NIV|:1567. انظر أيضاً |JANT|:109.

8450 . من تفسير (لوقا 21:1) في |دراسي|:2413؛ |NIV|:1568.

8451 . |معجم-ألفاظ|:307.

8452 . راجع دراستنا لمشهد النِّسْوَةِ الَّلاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ في أسطورة يوسف القرآنية (يوسف 30-32).

8453 . "وسمي عيسى بالكلمة؛ لأنه وجد بكلمة "كُن" فيكون من عند الله، [...]، ولقب بالمسيح لمسحه بالبركة أو بالدهن الذي يُمسح به الأنبياء" (|زحيلي-وجيز|:56).

8454. “Jesus only came into existence when God’s Plan “became flesh”, was bodily fulfilled, in the manger in Bethlehem about 2000 years ago” http://www.christadelphia.org/misquoted.php

8455 . وبهذا المعنى نفهم أيضاً آيات إنجيلية أخرى مثل: "قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ»" (يوحنا 58:8)؛ أي: أنا هو المسيح الموعود The Promised Messiah المُنتظَر حسب خطة الفداء والخلاص الإلهية الأزلية-الأبدية بأن تَتَبَارَك فِي إبراهيم جَمِيعُ الأُمَمِ.

8456 . قوله "وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ" (يوحنا 19:2) لا يعني أن المسيح أقام نفسه من الأموات. فكما قلنا فيما سبق، المسيح اتكل على الله في جميع أفعاله وأقواله: "أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا" (يوحنا 30:5) "وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي" (يوحنا 28:8)؛ (يوحنا 10:14) (يوحنا 24:14). وتوجد آيات كثيرة تؤكد أن الله هو الذي أقام المسيحَ من الأموات، مثل: "أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أعمال الرسل 15:3) (أعمال الرسل 10:4)؛ (أعمال الرسل 24:2، 31:2-32، 13:3-15، 30:5، 40:10، 30:13، 34:13، 31:17) (رومية 9:10) (كولوسي 12:2) (1 تسالونيكي 10:1) (1 كورنثوس 15:15) وغيرها.

8457 . راجع تسبحة زكريا: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ، وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ (هو: المسيح/المسيَّا الفادي المخلِّص) فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ (أي: منذ بدء الخليقة)" (لوقا 68:1-70).

8458 . "قَالَ الرَّبُّ لِي" أو "قَالَ لِيَ الرَّبُّ" تتكرر كثيراً في التوراة وأسفار الأنبياء. بالسريانية/الآرامية: emar lī Rabbā؛ emar lī Māryā [← "الم" (آل عمران 1)] (|IW2014|:534-535، 545-546).

8459. “It makes no sense to wrap up a discussion of how God came down to earth in the flesh by saying that no man has seen God. This section must therefore be about how God is manifested in the world, not about how God came to the world. We believe that Jesus manifested (revealed) perfectly the essential attributes of the Father, and that in that sense he is the Word made flesh” http://www.christadelphia.org/wrested.php

8460 . "يُقِيمُ لَكَ [يا شعب إسرائيل] الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ" (التثنية 15:18). "قَالَ لِيَ الرَّبُّ (بالسريانية/الآرامية: emar lī Rabbā؛ emar lī Māryā): قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ" (التثنية 17:18-18).

8461 . "أَنْتَ ابْنُ اللهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!" (يوحنا 49:1). "مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!" (يوحنا 13:12). "وَهَا أَنْتِ [يا مريم] سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ (أي: ابن الله) يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ" (لوقا 31:1-33).

8462 . "يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ" (الرؤيا 1:5). "هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي. أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ" (المزامير 89:26-27). "**أقيمه بكراً**. الابن الملكي الذي يحوز على أعلى الامتيازات والمكانة الأسمى في مملكة الله ([...])، ومن ثم فإنه الأكثر رفعة بين ملوك الأرض (انظر الرؤيا 1:5). لهذا، فلعل الكلمات تتحدث عن مُلْك شامل، وهو ما تحقق أخيراً في المسيح" (|دراسى|:1409؛ |NIV|:889).

8463 . (لوقا 23:35)؛ (لوقا 9:35) حسب ترجمات كثيرة (اليسوعية مثلاً)؛ (1 بطرس 2:4)؛ (إشعياء 42:1)؛ (إشعياء 49:7)؛ (متى 12:18)؛ (أعمال الرسل 3:13، 3:26، 4:27، 4:30).

8464 . "فتكون كابنٍ للعَلِيِّ (أي: كابنٍ لله) وهو يُحِبُّكَ أكثر مما تُحِبُّكَ أُمُّكَ" (يشوع بن سيراخ 4:10). "هذا (أي: يسوع المسيح) هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (متى 3:17)؛ "أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (مرقس 1:11)؛ "أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ" (لوقا 3:22)؛ "لأَنَّهُ (أي: يسوع المسيح) أَخَذَ مِنَ اللهِ الآبِ كَرَامَةً وَمَجْدًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهذَا مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى (أي: جَلَّ جَلاله؛ مَجْدِ السماءِ الجليلِ): «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ»" (2 بطرس 1:17).

8465 . "اَلرُّوحُ الْقُدُسُ (Holy Spirit؛ أي: روح الله) يَحِلُّ عَلَيْكِ [يا مريم]، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ (أي: قوة الله) تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ (holy) (أي: بلا خطية) الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لوقا 1:35). وآيات أخرى كثيرة.

8466 . كما جاءت كلمةُ "أَوَّل" في العهد القديم بمعنى: أَوَّل في قيمة معينة أو صفة أخرى غير الترتيب الزمني. مثلاً "بَهِيمُوثُ" (behemoth) وهو حيوان بري ضخم قيل إنه فرس النهر hippopotamus أو الفيل أو وحش برمائي منقرض يشبه فرس النهر لكنه أكبر منه؛ وقيل إنه "رمز القوّة الوحشيّة التي يتحكّم فيها اللهُ والتي لا يستطيع الإنسانُ أن يُخضعها" (|يسوعية|:العهدالقديم/1102). فلقد وُصِفَ بَهِيمُوثُ بأنه "أَوَّلُ أَعْمَالِ اللهِ" (أيوب 40:19). وعلى الرغم من وجود رأي يفسِّر كلمةَ "أَوَّل" بمعناها الزمني ويقول إن بَهِيمُوث ولوياثان "خُلِقَا حتى قبل النور. خُلِقَا في اليوم الأول [(التكوين 1:2)]" (|هامش|:93/3)، إلا أن الرأي السائد يفهم كلمةَ "أَوَّل" بمعناها غير الزمني: "ولعل المقصود من ذلك هو أنه أفضل ما تظهر فيه قوة الله" (|كتابية|:588/1)، أو "أَعْجَبُ كُلِّ الْخَلائِقِ" (|دراسى|:1252)، "أو الرئيسي بينها" (|آرثر|:865). اقرأ أيضاً: "يَأْكُلُ أَعْضَاءَهُ (أي: أَعْضَاءَ جَسَدِ الشخص الشرير) بِكْرُ الْمَوْتِ (Death's first-born) (أي: أقوى قدرات الموت؛ أقوى الأمراض المميتة؛ وقيل: الموتُ المُبكِّرُ؛ أو: المرض الفعَّال القتَّال الذي يُنتِج موتاً)" (أيوب 18:13).

8467 . قال يسوع المسيح في موعظته على الجبل: "مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ" (متى 5:17)، وقال على الصليب: "«قَدْ أُكْمِلَ»" (يوحنا 19:30) "وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ (أي: مات)" (يوحنا 19:30). وبعد الكمال لا داعي لأي إضافات.

8468 . "اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ [يسوع المسيح] (أي: بأعظم وأشرف طريقة)" (العبرانيين 1:1-2).

8469 . |المسيح|:332-333.

8470. “We can share the same mindframe, the same passion, the same love for each other and for Jesus Christ as he had for his Heavenly Father” http://www.christadelphia.org/misquoted.php

8471. http://www.christadelphia.org/wrested.php

8472 . |دراسى|:1397؛ |NIV|:880.

8473 . |دراسى|:1335؛ |NIV|:835. انظر أيضاً |JSB|:1318-1319. اقرأ أيضاً ترجمات وتفاسير (المزامير 58:1).

8474. “So after the resurrection, in [John] 20:28, Thomas looks at Jesus and finally acknowledges that there was no need to see God, that God can be seen in Christ” http://www.christadelphia.org/wrested.php

8475 . وكما رَكَّع الجنود الرومان ليسوع استهزاءً به، لا لأنه الله، وإنما لأنه مَلِك الْيَهُودِ: "وكانوا يَجثون قُدَّامَهُ ويَستَهزئونَ بِهِ قائلينَ: «السَّلامُ يا مَلِكَ اليَهودِ!»" (متى 27:29).

8476 . **[← "لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ" (النساء 172)].**

8477 . **[← "مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ [الإلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَه وَلَيْسَ آخَر سِوَاه] رَبِّي وَرَبَّكُمْ" (المائدة 117)].**

8478 . **[← "وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ" (المائدة 117)].**

8479 . **[← "فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (المائدة 117)].**

8480 . الترجمة العربية تجمع بين |مشتركة|:الكتب اليونانية/53 و |يسوعية|:العهدالقديم/1409-1410. الترجمة الإنجليزية (|NETS|:704؛ |EOSB|:900-901؛ |Buzzard|:396).

8481 . "صَنَعَ [اللهُ] الْكُلَّ حَسَنًا فِي وَقْتِهِ" (الجامعة 3:11) **[← "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" (السجدة 7)؛ "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (المؤمنون 14) "أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 125-126)].**

8482 . "هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (متى 3:17)؛ (مرقس 1:11) (لوقا 3:22). ولم يقل أبداً "هذا هو الكلمة"!

8483. Sir Anthony F. Buzzard: "the simple fact [is] that Jesus and the New Testament authors were unitarian and monotheists of the strict Jewish type" (|Buzzard|:111-112).

8484 . "جاء [المسيحُ] ليرتفع بالإنسان يهودياً أو سامرياً أو أممياً من مستوى الجسد إلى مستوى الروح، ليسجد الجميع لله بالروح والحق كطلب الله، ويرتفع الإنسان عامة بالعبادة من هياكل الأرض المنصوبة بالأيادي والحجارة إلى هيكل الله الحي في السماء الذي نصبه الله لا إنسان" (|المسيح|:174).

8485 . لمزيد من التفاصيل والخلفية التاريخية، انظر |JANT|:688-691؛ |Buzzard|:401-403.

8486. |Buzzard|:273-274; 365.

8487 . وحتى في القرآن نفسه، فلقد قال الملاكُ لمريم: "قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا" (مريم 19). استخدم الملاكُ ضميرَ المتكلم "لِأَهَبَ" مع أن الواهب هو الله الذي أرسل الملاكَ، وليس الملاك نفسه.

8488. "If you read the Old Testament with care, especially the first seven books, you'll notice there are lots of incidents where 'God' and an Angel are used interchangeably. The teaching here again is that a person or being perfectly representing God, or standing in the place of God (Exodus 4:16, 7:1 – Moses) can be called by the names and titles of God" http://www.christadelphia.org/wrested.php

8489 . |المسيح|:216.

8490 . |المسيح|:220.

8491 . وكذلك في القرآن، فلقد منح اللهُ المَلِكَ ذي القرنين سلطةَ النطق بالحكم في القضية التي عُرِضَت أمامه: "قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا" (الكهف 86). أي: "فَافْعَلْ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ" (2 صموئيل 19:27)!

8492 . |دراسى|:1538؛ |NIV|:981.

8493. Christoph Luxenberg: "[…] in the sense of Islamic theology. It is not *in Christ* that the Word of God is incarnated, but *in the Qurʾān*. In other words, to the [Trinitarian] Christian theological concept of the *Incarnation of Logos (al-Kalima) in Christ*, Islamic theology opposes the word of God incarnated in the Qurʾān" (|IW2014|:455).

8494 . "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ (Lord) الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ (Master; Owner) يَوْمِ الدِّينِ" (الفاتحة 2-4). أو كما قال نوح لقومه الكافرين المكذبين: "وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ (أي: مالككم) وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" (هود 34). "رَبُّكُمْ" أي: مَالِكِكم؛ وليس إلهكم أو معبودكم لأنهم لم يكونوا مؤمنين به أصلاً.

8495 . "وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ (your lord) (أي: سيدك الْمَلِك)" (يوسف 50).

8496 . |قاموس-كتاب|:1097.

8497 . |يسوعية|:العهدالجديد/381. واستخدم إنجيلُ لوقا نفس الكلمة اليونانية (paidos) لوصف داود "دَاوُدَ فَتَاهُ/عَبدِه" (لوقا 1:69) وأيضاً لوصف إسرائيل "إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ/عَبدَه" (لوقا 1:54). مما يؤكد أن يسوع إنسان مخلوق عبد الله مثلهما.

8498 . هل يوجد إله يستحق العبادة يقول: "أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا" (يوحنا 5:30) "وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي" (يوحنا 8:28)؟!

8499 . |يسوعية|:العهدالجديد/385. واستخدم الإنجيلُ نفس الكلمة اليونانية (paidos) لوصف داود "دَاوُدَ فَتَاهُ/عَبدِه" (لوقا 1:69) وأيضاً لوصف إسرائيل "إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ/عَبدَه" (لوقا 1:54). مما يؤكد أن يسوع إنسان مخلوق عبد الله مثلهما.

8500 . لمعرفة تفسير هذه الآية من وجهة نظر المسيحيين المثلِّثين، انظر المراجع المتعلقة بترجمات وتفاسير الكتاب المقدس. انظر أيضاً المعالجة التي قدَّمها د. حنا الخضري في كتابه "تاريخ الفكر المسيحي" (|حنا-خضرى|) الجزءين الثاني والثالث.

8501 . |يسوعية|:العهدالجديد/805. انظر أيضاً |NIV|:1969؛ |Buzzard|:406.

8502. “the simple fact [is] that Jesus and the New Testament authors were unitarian and monotheists of the strict Jewish type” (|Buzzard|:111-112).

8503 . انظر أيضاً |المسيح|:430.

8504. “Is Jesus God? A Debate on the Deity of the Messiah,” https://www.youtube.com/watch?v=0UiU4hzBfc4

8505 . |ميسر|:255؛ |أشقر|:306.

8506 . كالعادة، توجد اختلافات فى القراءات للرواية القرآنية الواحدة، مثل: "لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا" (مريم 19) التى قرأها آخرون "لِيَهَب لَك غُلَامًا زَكِيًّا" (|معجم-قراءات|:36/4؛ |فراء|:163/2؛ |معصراوى|:306)!

8507 . كما يقول القرآنُ "رَبّ الْعَالَمِينَ" بمعنى كل زمان (all ages) وكل مكان (all worlds). "قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ [موسى] رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا" (الشعراء 23-24).

8508 . يقولون ذلك حتى لا تكون مريم العذراء أعظم من زوجات محمد (أمهات المؤمنين) وبناته.

8509 . حسب التفسير الإسلامي السائد، (آل عمران 44) تتحدث عن كفالة زكريا لمريم (أي: حضانتها وتربيتها)! أما نحن فكما قلنا فيما سبق إننا نرى أن هذه الآية تتحدث عن خطوبة/زواج مريم ويوسف النجار. راجع ما قلناه فيما سبق.

8510 . تزعم ماكينة البروباجاندا الإسلامية أن المسيح رسول إلى بني إسرائيل فقط! والصواب: المسيح رسول إلى بني إسرائيل أولاً (مرقس 7:24-30) (أعمال الرسل 3:25-26) (رومية 1:16-17) وآيات كتابية أخرى؛ وكلها تؤكد أن رسالة المسيح عالمية (universal)، لكنها لبني إسرائيل أولاً قبل الأمم الأخرى؛ أو بعبارة أكثر دقة: لشعب إسرائيل أولاً، ثم مِن خلال شعب إسرائيل إلى كل الأمم (to Israel first, and then, via Israel, to the nations).

8511 . كالعادة، توجد اختلافات فى القراءات للرواية القرآنية الواحدة، مثل: "بِآيَةٍ" (آل عمران 49) تُقرأ بصيغة المفرد، لكن فى مصحف ابن مسعود "بِآيَات" (|معجم-قراءات|:33/2؛ |عطية-مصر|:428/2)!

8512 . |فهد|:306. انظر أيضاً على سبيل المثال: |أشقر|:306؛ |قرنى|:358، 385، 661؛ |Nasr|:769.

8513. “There is no obligation, of course, to assume that the Qurʾān is a monolithic, totally consistent text, on this or any other matter. There is no *a priori* reason, however, to take the opposite position, i.e. to assume that the Qurʾān is inconsistent and self-contradictory. The situation must be evaluated on a case by case basis [...]” (|EQ|:1\477).

8514 . |بكر|:338.

8515 . |بيضاوى|:28/2.

8516 . |سخاوى|:508/1.

8517 . |ج-البغا|:397.

8518 . |Masson|:878.

8519 . انظر الخرائط التي توضح موقع الهيكل في شرق أورشليم (|NIV|:1531؛ |دراسى|:2352). |GR-AQ|:476.

8520 . هذا الحجاب كان موجوداً قبل ميلاد المسيح. "الحجاب الذي يفصل قدس الأقداس حيث يدخل رئيس الكهنة مرَّة واحدة في السنة ليقدِّم دم ذبيحة الكفَّارة [...] كان يرمز إلى الخطية كفاصل بين الله والناس، و[لكن بعد موت المسيح كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا] الخطية رُفِعَت بالعقوبة على الصليب والموت" (|المسيح|:429). فـ "انشَقَّ حِجابُ الهَيكَلِ" (لوقا 23:45)؛ (متى 27:51).

8521 . |ApocrG|:51-53؛ |بسيط-أبوكريفا|:85/1-86؛ |طرزى-أبوكريفا|:56/1-57.

8522. سؤال جريء 344, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5575&cat=24&scat=40&

8523 . انظر رسوماً توضيحية لهيكل سليمان وهيكل هيرودس (|NIV|:482، 1473؛ |دراسى|:789، 2257؛ |آرثر|:1602).

8524 . |عرائس|:335.

8525 . |آرثر|:1669. وكذلك يقول التراث الإسلامي إن غار حراء يقع في شرق مكة حيث كان محمدٌ يختلي ويتعبَّد!

8526 . |NIV|:1568؛ |دراسى|:2414؛ |آرثر|:1666.

8527 . |زحيلى-وجيز|:307.

8528 . تفضيل امرأة معينة على جميع النساء. في العهد القديم: "تُبَارَكُ عَلَى النِّسَاءِ [...]. عَلَى النِّسَاءِ فِي الْخِيَامِ تُبَارَكُ" (القضاة 24:5). ثم في أسفار "أبوكريفا العهد القديم" (Old Testament Apocrypha) التي تُسمَّى أيضاً "الأسفار القانونية الثانية" (Deuterocanonical books): "باركَكِ، يا بُنَيَّة، الإلهُ العَليّ فوقَ جَميعِ النِّساءِ اللواتي على الأرض" (يهوديت 18:13). ثم الإنجيل (لوقا 28:1، 42) **[← ثم القرآن: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" (آل عمران 42)].**

8529 . "وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ" (متى 21:1). "مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ" (لوقا 11:2).

8530. Prof. Gabriel Reynolds: “The Qurʾān’s use of “Messiah” to refer to Jesus has none of the sense of the Hebrew word *māshīaḥ* (“anointed one” and, idiomatically, “the awaited savior”). Instead, the Qurʾān seems to make this word a proper name of Jesus” (|GR-AQ|:120). See also |Masson|:806.

8531 . "أَنْتَ ابْنُ اللهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!" (يوحنا 49:1). "مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!" (يوحنا 13:12).

8532 . "يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ" (الرؤيا 5:1). "هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي. أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا (أي: ابناً بِكْرًا)، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ" (المزامير 89:26-27).

8533 . كما وصف المزمور شعبَ إسرائيل (ابنَ الله في العهد القديم) بأنه "الشَّعْب الْقَرِيب إِلَيْهِ" (المزامير 148:14). وكما وصف القرآنُ أهلَ السماء كالملائكة وأعلى الخلق منزلةً في الجنة (النساء 172) (الواقعة 11، 88) (المطففين 21، 28).

8534 . "أَقْسَمَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ بِالْحَقِّ لاَ يَرْجِعُ عَنْهُ: «مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ" (المزامير 132:11). اقرأ أيضاً (إشعياء 9:6-7) (2 صموئيل 7:12-16) (المزامير 2:6-7) (المزامير 89:25-27) وآيات أخرى كثيرة.

8535 . المسيح حي. ولا يزال مَلِكاً حياً إلى الآن بل إلى الأبد. فلقد قام من الأموات و "ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللهِ (بالمعنى المجازي طبعاً)" (مرقس 16:19) "جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ" (العبرانيين 10:12) "جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعَظَمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ" (العبرانيين 8:1) "جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي، صَائِرًا أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ. لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»؟ وَأَيْضًا: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا»؟" (العبرانيين 1:3-5) وآيات كتابية أخرى؛ وكلها تدل على قُرْب المسيح إلى الله وأنه أعظم من الملائكة وكل أهل السماء، فهذا هو معنى "ابن الله" (little less than God) (second only to God) **[← "مِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (آل عمران 45)].** وفي الوقت نفسه تدل هذه الآيات الكتابية على خضوع المسيح لله، فلقد جلس عن يمينه وليس على عرشه. باختصار: يسوع الناصري = المسيح ابن الله ≠ الله.

8536 . |بسيط-أبوكريفا|:1/85-86. انظر أيضاً |طرزى-أبوكريفا|:1/57؛ |ApocrG|:52-53.

8537 . |Tatian|:3؛ |Witztum|:47-49. وفي البشيطا السريانية: "no man has known me" (|Peshitta|:1013؛ |Peshitta-NT|:148) "رجلٌ لا معروف لي" (|سريانية|:3/176).

8538. “This suggests to [Hans] Quecke that the Quran is an echo of a tradition similar to that of the *Diatessaron*” (|Witztum|:48).

8539 . "الرُّوحُ الْقُدُسُ" (لوقا 22:3) = "رُوحِ اللهِ" (متى 16:3) = "الرُّوحِ" (مرقس 10:1) ≠ الْمَلاَكُ جِبْرَائِيلُ.

8540. “**SPIRIT** (Gr. *pneuma*) Literally, “breath”; that which is living but immaterial” (|EOSB|:1788).

8541 . ربما بسبب خلط بين الملاك جبرائيل الذي كان مجرد ساعي بريد اقتصر دوره على توصيل البشارة لمريم بميلاد يسوع (Annunciation) فقط وبين الروح القدس الذي لعب دوراً في حَمْل مريم بيسوع (Conception). و/أو تأثراً بآيات كتابية وصفت ملاكَ الله بالروح: "الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا" (Who makes His angels spirits)" (المزامير 104:4) (العبرانيين 7:1). "والملائكة يُسمّون "أرواحاً" كما في كتابات قمران" (|هامش|:5/25؛ |Pleiade|:337/641).

8542 . "الْقُدُّوس" لا تدل على لاهوت المسيح. فلقد قدَّس اللهُ يومَ السبت مثلاً. "وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ" (التكوين 3:2).

8543 . يسوع المسيح "مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ" (العبرانيين 15:4)، فهو الوحيد الذى "لَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ" (1 يوحنا 5:3) و "لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً" (2 كورنثوس 21:5) و "لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ" (1 بطرس 22:2) "قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" (العبرانيين 26:7). في كل مكان كان يسوع المسيح يجول يصنع خيراً (أعمال الرسل 38:10) وفي كل زمان كان يفعل ما يُرضي الله (يوحنا 29:8).

8544 . "يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً (أي: علامةً؛ a sign) **[← "وَجَعَلْنَاهَا (أي: وَجَعَلْنَا مريمَ) وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء 91) "وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً" (المؤمنون 50) "وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ" (مريم 21)]**: هَا الْعَذْرَاءُ (الترجمة اليسوعية أقرب إلى الأصل العبري: هَا الصَّبِيَّةُ؛ the young woman) تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»" (إشعياء 14:7) "عِمَّانُوئِيلَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا" (متى 23:1).

8545. "No Jewish texts regard Isaiah 7.14 as predicting the Messiah's birth or take *Son of God* as indicating anything other than divine adoption [of a king; of a human being]" (|JANT|:111).

8546 . تكررت هذه الفكرة في مواضع أخرى كثيرة من التراث اليهودي/المسيحي وفي مناسبات مختلفة. مثلاً: "هذا عِندَ النَّاسِ غَيرُ مُستَطاعٍ، ولكِنْ عِندَ اللهِ كُلُّ شَيءٍ مُستَطاعٌ" (متى 26:19)؛ (مرقس 27:10) (لوقا 27:18).

8547 . مستوحاة من (التكوين 1) الذي يتحدث عن خلق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ والكون كله بكلمة الله (أي: بأمر الله). "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. [...]. وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. [...] وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ [...]. وَلْيَكُنْ [...]». [...] وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ [...]" (التكوين 1:1-14). اقرأ أيضاً: "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ (by the breath of his mouth) كُلُّ جُنُودِهَا (أي: النجوم والكواكب؛ و/أو: الملائكة). [...] لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ" (المزامير 33:6-9). وخير دليل قرآني على ذلك هو أن العبارة التي استخدمها القرآن في قصة ميلاد المسيح من عذراء: "إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (آل عمران 47) (مريم 35) هي نفس العبارة التي استخدمها في سياق خلق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ: "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (البقرة 117). اقرأ أيضاً (الأنعام 73) (يس 81-82).

8548 . منذ أكثر من 2000 سنة، كانت المرأة اليهودية مستقلة وتتمتع بحرية السفر وحدها ولو لمسافات طويلة جداً!

8549 . وفي العهد القديم: "كُلُّ سُبُلِ الرَّبِّ رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِحَافِظِي عَهْدِهِ وَشَهَادَاتِهِ" (المزامير 10:25)؛ "لأنَّكَ أنتَ يا رَبُّ صالحٌ وغَفورٌ، وكثيرُ الرَّحمَةِ لكُلِّ الدّاعينَ إلَيكَ" (المزامير 5:86)؛ "أيُّها الرَّبُّ الإلهُ العظيمُ المَهوبُ، حافِظَ العَهدِ والرَّحمَةِ لمُحِبّيهِ وحافِظي وصاياهُ" (دانيال 4:9). **[← فتطورت الفكرة تطوراً بشرياً طبيعياً حتى صارت: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ (who fear God)" (الأعراف 156)].**

8550 . **[← "مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ [من الرجال والأموال] وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ" (الأعراف 48)؛ "فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ [...]. فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (العنكبوت 39-40) وآيات قرآنية أخرى].**

8551 . اقرأ أيضاً صلاةَ حَنَّةَ أم صموئيل: "الرَّبُّ يُمِيتُ وَيُحْيِي. يُهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ وَيُصْعِدُ. الرَّبُّ يُفْقِرُ وَيُغْنِي. يَضَعُ وَيَرْفَعُ. يُقِيمُ الْمِسْكِينَ مِنَ التُّرَابِ. يَرْفَعُ الْفَقِيرَ مِنَ الْمَزْبَلَةِ لِلْجُلُوسِ مَعَ الشُّرَفَاءِ وَيُمَلِّكُهُمْ كُرْسِيَّ الْمَجْدِ" (1 صموئيل 2:6-8). **[← "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. [...] وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (آل عمران 26-27)].**

8552 . **[← "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ" (آل عمران 91)؛ "الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ. نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ" (الهمزة 2-6) وآيات قرآنية أخرى].**

8553 . "فَقَالَ اللهُ [لإبراهيم]: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ" (التكوين 19:17)؛ "وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ" (التكوين 18:22). وكما شرحنا بالتفصيل فيما سبق: حقق يسوع المسيح "ابْنِ إِبْرَاهِيمَ" (متى 1:1) هذا الوعد الإلهي لإبراهيم. **[← كما وضّحنا سابقاً في جدول: الأفكار والعبارات والكلمات التي استخدمها أصحابُ القرآن في قصة بشارة الملائكة (أو الملاك) لمريم العذراء بميلاد المسيح (روايتين: واحدة في سورة آل عمران والأخرى في سورة مريم) تشبه إلى حد كبير الأفكار والعبارات والكلمات التي استخدموها في قصة بشارة الملائكة لسارة العاقر بميلاد إسحاق (روايتين: واحدة في سورة هود والأخرى في سورة الذاريات)، مما يؤكد أن أصحاب القرآن قد فهموا العلاقة الرمزية بين إسحاق بن إبراهيم ويسوع المسيح (إسحاق الحقيقي) ابن إبراهيم].**

8554 . إبسيط-أبوكريفا|:86/1. انظر أيضاً إطرزى-أبوكريفا|:57/1؛ |ApocrG|:55.

8555 . إبسيط-أبوكريفا|:88/1-89؛ إطرزى-أبوكريفا|:59/1؛ |ApocrG|:61؛ |GR-AQ|:476-477.

8556 . |ApocrG|:93؛ |بسيط-أبوكريفا|:110/1؛ |طرزى-أبوكريفا|:94/1. ملحوظة: "إنجيل متى المنحول" يُعرَف أيضاً باسم "سيرة ميلاد مريم وطفولة المُخلِّص" (History of the Nativity of Mary and the Infancy of the Saviour).

8557 . لمزيد مِن النقاش حول زمان ومكان واللغة التى كُتِب بها إنجيل متى المنحول، انظر |ApocrG|:75؛ |بسيط-أبوكريفا|:102/1؛ |طرزى-أبوكريفا|:84/1.

8558 . |بسيط-أبوكريفا|:159/1؛ |طرزى-أبوكريفا|:144/1.

8559 . لمزيد مِن المعلومات حول تاريخ إنجيل ميلاد مريم وانتشار رواياته بين المسيحيين العرب فى شبه الجزيرة العربية، انظر |بسيط-أبوكريفا|:154/1؛ |طرزى-أبوكريفا|:139/1.

8560 . |طبرى|:416/5؛ |طبرى-شاكر|:422/6. انظر أيضاً |كثير|:35/2؛ |كثير-شيخ|:65/3؛ |كثير-شنقيطى|:320؛ |خازن-بغوى|:453/1؛ |بحر|:484/2؛ |شحاته|:569/2؛ |ظلال|:399/1.

8561 . |QHC-ar|:250؛ |QHC|:166-167.

8562 . المراجع الإسلامية: |كثير-هاشمى|:500-502؛ |كثير-بديوى|:606-609؛ |طبرى-قصص|:359-360؛ |عرائس|:337-339؛ |طيب|:267-271؛ |شعراوى-قصص|:390-393؛ |بهجت|:336-338؛ |بكر|:340-341؛ |فضل|:229-230؛ |نجار|:437-438؛ |رمضان|:327/2-328؛ |بدوى|:480/1-485.

8563 . |معجم-قراءات|:42/4؛ |خطيب|:359/5-360.

8564 . |ضيف|:508. انظر أيضاً |Nasr|:770.

8565 . |ضحاك|:557/2.

8566 . |منتخب|:514.

8567 . |مجلس|:510.

8568 . "a brook" (|منتخب-ف|:454)؛ "une petite rivière" (|منتخب-ن|:640؛ |Bakhtiar|:353)؛ "a stream" (|Fakhry|:303)؛ "a water stream" (|فهد-ن|:404)؛ "a streamlet" (|Bell|:286/1)؛ "une source d'eau" (|فهد-ف|:457)؛ "a rivulet" (|AYA|:749؛ |Pickthall|:397؛ |Arberry|:332/1؛ |Unal|:628؛ |Ghali|:306)؛ "une source" (|Boubakeur|:960/1)؛ "une rigole" (|زينب|:306)؛ "un ruisseau" (|Aldeeb|:123).

8569 . |شعراوى-قصص|:391. لم يذكر القرآن أبداً كلمة "نخلة"؛ ولكن ذكر كلمة "النخلة" مرتين فقط، وهما هاتان المرتان المذكورتان فى هذه القصة (مريم 23، 25) (|معجم-ألفاظ|:690).

8570 . احتل الرومان أرضَ إسرائيل/اليهود المقدسة في القرن الأول قبل الميلاد، ثم احتلها العرب (المسلمون؟) في القرن السابع الميلادي. وبعد موت الخلافة الإسلامية في القرن العشرين الميلادي، حرر اليهود/الإسرائيليون أرضَهم المقدسة. أما البروباجاندا العربية/الإسلامية فتزعم في جراءةٍ أن اليهود/الإسرائيليين "احتلوا فلسطين"! وتزعم أن "القدس عربية/إسلامية"! مما أدى إلى مقتل عشرات الآلاف في حروب طويلة بسبب هذه البروباجاندا الظالِمة!

8571. "this census is not externally attested. Rome, which registered residents primarily to determine taxes, did not undertake a single empire-wide census" (|JANT|:113).

8572 . "«أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ (أي: بيت لحم في يهوذا)، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ»" (ميخا 2:5). وهي ليست دليلاً على أزلية المسيح ولا على لاهوته، بدليل قوله بعدها "وَيَقِفُ وَيَرْعَى بِقُدْرَةِ الرَّبِّ، بِعَظَمَةِ اسْمِ الرَّبِّ إِلهِهِ (Yahweh his God)" (ميخا 4:5).

8573 . |آرثر|:1670.

8574 . |كتابية|:131/7.

8575 . |قاموس-كتاب|:864.

8576 . |المسيح|:38.

8577 . "وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ، رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ، رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ" (إشعياء 2:11). "رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي (anointed me)" (إشعياء 1:61).

8578 . |QSC|:116.

8579 . |دراسى|:2252؛ |NIV|:1470.

8580 . |مارمرقص|:العهدالجديد/25/1، 27. انظر أيضاً |مارمرقص|:العهدالجديد/37/2.

8581 . |المسيح|:43.

8582 . |المسيح|:48.

8583 . |آرثر|:1518. انظر أيضاً |Carta|:173.

8584. “The [holy] family arrived unharmed in the land of the Nile, where they found shelter and sustenance among the many Jews then living in Egypt” (|Carta|:173). See also |Carta|:185.

8585 . |المسيح|:47.

8586 . |قاموس-كتاب|:964.

8587 . |معصراوى|:306. انظر أيضاً المراجع الإسلامية.

8588. |GR-AQ|:476-477. Read also “Ecclesiastical History” by Sozomen (Book 5; Chapter 21) (|NPNF-2|:2\342-343) available online at: https://www.newadvent.org/fathers/26025.htm

8589 . **[← ويقول القرآنُ أيضاً إن الجنة (الفردوس) سيكون فيها نخل: "فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ" (الرحمن 68)]**.

8590 . الترجمة العربية (|بسيط-أبوكريفا|:1/117-118). الترجمة الإنجليزية (|ApocrG|:107-109). انظر أيضاً |طرزى-أبوكريفا|:1/101؛ |Elliott|:95-96. ولقراءة تحليل حول إنجيل متى الأبوكريفي المنحول كمصدر من مصادر القرآن، انظر |QHC|:167-169؛ |QHC-ar|:250-254؛ |Tisdall|:162-164؛ |Tisdall-ar|:137-138؛ |GR-AQ|:477؛ |Sidersky|:141-143.

8591 . باستثناء آية واحدة فقط: "ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ" (آل عمران 44). وحتى هذه الآية الوحيدة، يقول التراثُ الإسلامي إنها تتحدث عن كفالة زكريا لمريم (أي: حضانتها وتربيتها)! أما نحن فكما قلنا فيما سبق إننا نرى أن هذه الآية تتحدث عن خطوبة/زواج مريم ويوسف النجار.

8592. Prof. Stephen Shoemaker: “the Kathisma church originated as a Nativity shrine, [...] however, later in its history [i.e. by the later 6th century], this shrine was also identified with the traditions of the flight into Egypt, an oddity which appears to hold an important key to deciphering the Qurʾānic Nativity traditions” (|JSAI|:28\24). See also |JSAI|:28\28-31.

8593 . لمزيد من التفاصيل عن كنيسة كاثيسما وتأثيرها على القرآن (مريم 23-26) بل تأثيرها على الإسلام المبكر فيما يتعلق ببناء "قبة الصخرة" (Dome of the Rock) في أواخر القرن السابع الميلادي، انظر |JSAI|:28/11-39.

8594 . **[← وهذا الفكر النسطوري نراه أيضاً في القرآن، لكن في القرآن المدني: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ" (المائدة 116)]**. انظر أيضاً |QSC|:114.

8595. |QSC|:95. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-011

8596. |QSC|:242. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-027

8597 . |GR-AQ|:478. ونلاحظ أنه لا يقول "محمد"؛ وإنما يقول "مؤلف القرآن" (the Qurʾān’s author) وهذا هو الصحيح علمياً. والأصح والأكثر دقة أن نقول "مؤلفو القرآن" (the Qurʾān’s authors) أو كما نقول نحن "أصحاب القرآن" لتشمل المؤلفين (authors) والمحررين (editors) ومَن قاموا بعملية تجميع القرآن (compilers) ... الخ.

8598 . لمعرفة المزيد من المعلومات عن هذه الأسطورة البوذية، انظر |Tisdall|:164-168؛ |Tisdall-ar|:139-142.

8599 . |Tisdall-ar|:142. النص الأصلي باللغة الإنجليزية (|Tisdall|:168).

8600 . لمعرفة المزيد من المعلومات عن هذه الأسطورة الإغريقية، يمكن الرجوع إلى |QHC|:168-169؛ |QHC-ar|:252-254؛ |EB|.

8601 . |QHC-ar|:253-254؛ |QHC|:169.

8602 . |Burke|:120-122.

8603. |JSAI|:28\19-20.

8604. |JSAI|:28\21.

8605 . كما قلنا مِن قبل: تقع بِئْر سَبْعٍ (Beersheba) في صحراء النقب (Negev) (جنوب إسرائيل حالياً) (|NIV|:38؛ |دراسي|:59؛ |قاموس-كتاب|:150-151؛ |آرثر|:90-91؛ |تطبيقي|:58؛ انظر الخرائط الموجودة في هذه المراجع). لكن يعتقد المسلمون – بدون أي دليل – أن قصة هاجر وإسماعيل حدثت عند بئر زمزم في مكة في الحجاز!

8606 . |بسيط-أبوكريفا|:110/1؛ |ApocrG|:93. انظر أيضاً |طرزي-أبوكريفا|:94/1.

8607 . يُعرَف يونان في القرآن باسم "يونس" (الصافات 139) أو "صَاحِبِ الْحُوتِ" (القلم 48) أو "ذَا النُّونِ" (الأنبياء 87) الذى ذَكرَ القرآنُ بعده مباشرةً زكريا (الأنبياء 89) ويحيى وأمه (الأنبياء 90) ومريم وابنها عيسى (الأنبياء 91) – وهي نفس الشخصيات التي تظهر في قصص الميلاد والطفولة التي نتحدث عنها في هذا الجزء!

8608 . إيليا نبي من أنبياء بني إسرائيل وله مكانة هامة في المسيحية. يُعرَف إيليا في القرآن باسمه اليوناني "إلياس" (الصافات 123) أو "إل ياسين" (الصافات 130). المرة الأخرى التي ذكر فيها القرآن إلياس هي (الأنعام 85) حيث نجد إلياس مذكوراً مع "زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى" – وهي نفس الشخصيات التي تظهر في قصص الميلاد والطفولة التي نتحدث عنها في هذا الجزء! كل هذه الأدلة تؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عن إيليا وعن علاقته بـ "زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى".

8609 . **[← "وَإِنَّ إِلْيَاسَ (أي: إيليا) لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ. أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ (أي: تتركون) أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ" (الصافات 123-126)].**

8610 . تكررت الفكرة في موضع سابق: "وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ لَهُ (أي: لإيليا) قَائِلاً: «انْطَلِقْ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ الْمَشْرِقِ **[← "مَكَانًا شَرْقِيًّا" (مريم 16)]**، [...]. وَقَدْ أَمَرْتُ الْغِرْبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَاكَ». فَانْطَلَقَ [إيليا] وَعَمِلَ حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ، [...]. وَكَانَتِ الْغِرْبَانُ [بأمرٍ من الله] تَأْتِي إِلَيْهِ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ صَبَاحًا، وَبِخُبْزٍ وَلَحْمٍ مَسَاءً، وَكَانَ يَشْرَبُ مِنَ النَّهْرِ" (1 ملوك 17:2-6).

8611 . "جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ" هو المكان الذى تجلّى فيه الله لموسى – حسب قصة "العليقة المشتعلة" (The Burning Bush) (الخروج 3) – وهو على الأرجح اسم آخر لجبل سيناء (Mount Sinai) في جنوب سيناء حيث أعطى الله الشعبَ الوصايا العشر (The Ten Commandments) (الخروج 19-20). انظر |NIV|:514؛ |دراسي|:841؛ |قاموس-كتاب|:498؛ |آرثر|:617 والخريطة التوضيحية في |تطبيقي|:755. كل هذه الأحداث مشهورة جداً، فَمِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عنها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة.

8612 . إيليا كان صائماً بدليل أن ترتليان (Tertullian) قال: "صام موسى وإيليا أربعين يوماً وعاشا على الله وحده" (|ملطي|:الخروج/165). فموسى صام "أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً" حين كان عند الرب على جبل سيناء لكي يأخذ لوحي الحجر (The Tablets of Stone) (الخروج 24:18؛ 34:28) (التثنية 9:9). كذلك، ذكر العهد الجديد أن يسوع "صامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً" (متى 4:2) ثُمَّ واجه التجربة (The Temptation of Jesus). وقد أخذت بعض الكنائس من حياة المسيح ورفيقيه في التجلي (The Transfiguration of Jesus) – أي موسى وإيليا – هذه الفترة الأربعينية وجعلت الصوم الأربعيني السابق لعيد الفصح قانوناً (|قاموس-كتاب|:562-563). كل هذه الأحداث أيضاً مشهورة جداً، فَمِن المؤكد أن أصحاب القرآن قد سمعوا عنها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من يهود ومسيحيي الشرق الأوسط والحبشة.

8613 . |هامش|:169/30-170، 173-174.

8614. Zachariah’s “temporary inability to speak draws parallels with the instruction given to Mary that she observe a fast of silence after the birth of Jesus (v. 26), further indicating the symbolic relationship between the two accounts. That both Zachariah and Mary were commanded to observe silence […] suggests the spiritual significance of silence” (|Nasr|:767).

8615 . |GR-AQ|:180.

8616 . المراجع الإسلامية: |كثير-هاشمى|:502-504؛ |كثير-بديوى|:609-611؛ |طبرى-قصص|:360؛ |عرائس|:339؛ |طيب|:271-272؛ |عبدالحليم|:295؛ |شعراوى-قصص|:393-394؛ |بهجت|:336؛ |بكر|:341-342؛ |فضل|:230؛ |نجار|:443؛ |رمضان|:328/2-329؛ |بدوى|:486/1-487.

8617 . |NIV|:1646؛ إدراسى|:2539؛ |آرثر|:1779.

8618 . التفسير منسوب إلى المسيحي المصري/القبطي أوريجانوس (Origen) (|ملطى|:يوحنا).

8619 . |آرثر|:1613. هناك رأي آخر ذكره نفس المرجع يقول إن ربما وصف اليهود يسوع بعبارة "ابْنَ مَرْيَمَ" – وليس "ابْنَ يُوسُفَ" كما جرت العادة أن يُعرّفوا الابن تبعاً لاسم والده – لأن يوسف كان ميتاً فى ذلك الوقت. ونحن نعتقد أن هذا الرأي ضعيف، لأن يوسف مات على الأرجح قبل أن يبدأ يسوع خدمته العلنية (public ministry) (|قاموس-كتاب|:1118)، ومع ذلك وُصِف يسوع أكثر من مرة بعبارة "ابْنَ يُوسُفَ" بعد بدء خدمته العلنية – أى بعد وفاة يوسف. على سبيل المثال: "فَكَانَ الْيَهُودُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ قَالَ: «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ». وَقَالُوا: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ يَسُوعَ بْنَ يُوسُفَ، الَّذِي نَحْنُ عَارِفُونَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ؟ فَكَيْفَ يَقُولُ هذَا: إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ؟»" (يوحنا 6:41-42)؛ (لوقا 4:22) (متى 13:53-56).

8620 . |ApocrG|:34؛ |EJ|:11/250.

8621 . لمزيد من المعلومات حول اختلاف المفسرين المسلمين فى مدة الحمل، يمكن الرجوع إلى المراجع الإسلامية، مثل: إقرطبى-مصر|:6/85؛ إكثير|:5/216؛ |كثير-شيخ|:9/229؛ |كثير-شاكر|:2/443؛ |كثير-صابونى|:2/447؛ |كثير-شنقيطى|:1111؛ |ج-البغا|:398؛ |ج-وطن|:306؛ |ج|:306؛ |خازن-بغوى|:4/213-214؛ |بيضاوى|:2/29؛ |كشاف-ش|:634؛ |نسفى|:2/331؛ |ماوردى|:3/362؛ |سخاوى|:1/510؛ |ظلال|:4/2306؛ |كثير-هاشمى|:500؛ |كثير-بديوى|:606؛ |عرائس|:337؛ |طيب|:268-269؛ |بكر|:339؛ |نجار|:437؛ |بدوى|:1/486.

8622 . فى زمن العذراء مريم، كانت الخطوبة اليهودية (Jewish betrothal) أكثر إلزاماً بكثير من الخطوبة (engagement) فى العصر الحديث. فلا يمكن فسخ الخطوبة اليهودية إلا بالطلاق، إذ أن الرجل والفتاة المخطوبين كانا يعتبران كزوج وزوجة من الناحية الشرعية، ولكن لم يكن مسموحاً بأى علاقة جنسية بينهما إلا بعد إتمام الزواج. باختصار: تعطى الخطوبة اليهودية نفس الحقوق والإلتزامات الخاصة بالزواج فيما عدا العلاقة الجسدية (|NIV|:1467؛ |دراسى|:2248؛ |ملطى|:متى/46-47؛ |آرثر|:1516؛ |تطبيقى|:1865).

8623 . الإصحاحان 12-13. بالإنجليزية فى: |ApocrG|:55؛ |Elliott|:62. بالعربية فى: |بسيط-أبوكريفا|:1/86-87؛ |طرزى-أبوكريفا|:1/57-58.

8624 . لا يمكن الاستدلال على لاهوت المسيح بـ (متى 1:23)، لأن متى نقل مِن الترجمة اليونانية (السبعينية) الخاطئة لـ (إشعياء 7:14). أما الأصل العبري فلا يقول "الْعَذْرَاء"؛ وإنما: "الصَّبِيَّة" (the young woman)؛ ولعل المراد زوجة مَلِك من ملوك اليهودية. كما حذف متى نصف الآية الأول الذي يؤكد أن هذه عطية من الله (السَّيِّد). "يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً (أي: علامة؛ a sign) **[⟵ "وَجَعَلْنَاهَا (أي: وَجَعَلْنَا مريم) وَابْنَهَا آيَةً" (الأنبياء 91) "وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً" (المؤمنون 50) "وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً" (مريم 21)]**: هَا الْعَذْرَاءُ (الأصح: الصَّبِيَّة) تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»" (إشعياء 7:14).

8625 . الإصحاح 15. بالإنجليزية فى: |ApocrG|:57-59؛ |Elliott|:62-63. بالعربية فى: |بسيط-أبوكريفا|:1/87-88؛ |طرزى-أبوكريفا|:1/58.

8626 . |ApocrG|:93-99؛ |Elliott|:89؛ |بسيط-أبوكريفا|:1/110-112؛ |طرزى-أبوكريفا|:1/94-96.

8627 . المراجع الإسلامية: |كثير-هاشمى|:504-505؛ |كثير-بديوى|:611-612؛ |طبرى-قصص|:360؛ |عرائس|:339؛ |طيب|:272-273؛ |شعراوى-قصص|:394-397؛ |شعراوى-عجز|:231-232؛ |بهجت|:337؛ |بكر|:342-343؛ |فضل|:230-232؛ |نجار|:443-444؛ |رمضان|:2/329-330؛ |بدوى|:1/487-489.

8628 . يُمكن قراءة إنجيل الطفولة العربى ومعرفة مزيد مِن المعلومات عنه باللغة الإنجليزية: |Elliott|:100-107 وباللغة العربية: |بسيط-أبوكريفا|:1/130-153؛ |طرزى-أبوكريفا|:1/114-138.

8629. 344 سؤال جريء,
http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5575&cat=24&scat=40&

8630 . النص بالإنجليزية: |Elliott|:105. الترجمة العربية: |بسيط-أبوكريفا|:1/140-141؛ |طرزى-أبوكريفا|:1/125.

8631 . |Elliott|:106 ؛ |بسيط-أبوكريفا|:1/137، 145، 146، 148 ؛ |طرزى-أبوكريفا|:1/122، 130، 131، 133. انظر أيضاً |EI-2|:4/81.

8632 . |معجم-ألفاظ|:665.

8633 . التسعة عشر موقع التى تذكر مريم العذراء أم يسوع صراحةً باسمها "مريم" هى: (متى 1:16، 18، 20 ؛ 2:11 ؛ 13:55) (مرقس 6:3) (لوقا 1:27، 30، 34، 38، 39، 41، 46، 56 ؛ 2:5، 16، 19، 34) (أعمال الرسل 1:14). (ملحوظة: هناك آيات أخرى تذكر نساء أخريات لهن اسم "مريم"، مثل مريم المجدلية (Mary Magdalene).)

8634 . |معجم-ألفاظ|:665.

8635 . الترجمة العربية (|طرزى-أبوكريفا|:115/1). الترجمة الإنجليزية (|Tisdall|:169-170). وانظر |Tisdall-ar|:143؛ |بسيط-أبوكريفا|:131/1؛ |Elliott|:102؛ |Sidersky|:143.

8636 . |GR-AQ|:480.

8637 . |KHO-GP|:131-132.

8638. Prof. Gabriel Reynolds: “The description of Jesus as a “sign” [مريم 21] might be connected to Luke 2:34, which makes Jesus a “sign” (that will be “opposed”)” (|GR-AQ|:478).

8639 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/56. انظر أيضاً |يسوعية|:العهدالقديم/1415؛ |Masson|:806.

8640. Prof. Gabriel Reynolds: “The miracle of Jesus’ speaking “in the cradle,” though not in the New Testament, is found in early Christian texts such as the *Gospel of Pseudo-Matthew* (on this see commentary on [مريم 16-26], with further references)” (|GR-AQ|:215-216).

8641. https://www.metmuseum.org/art/collection/search/467648

8642 . لمزيد من المعلومات عن هذه القصة البوذية وقصص مشابهة، انظر |Tisdall|:172-173؛ |Tisdall-ar|:145-147.

8643 . |شعراوى-عجز|:259-260.

8644 . لمزيد من الأساطير التي تذكر أطفالاً حديثي الولادة يقومون بأعمال خارقة للطبيعة، انظر |OTP|:206/1-207.

8645 . المراجع الإسلامية المتعلقة بهاتين الآيتين: |كثير-هاشمى|:523-525؛ |كثير-بديوى|:636-638؛ |عرائس|:344-347؛ |طيب|:284-285؛ |عبدالحليم|:293؛ |شعراوى-قصص|:399-400؛ |شعراوى-عجز|:232-243؛ |بهجت|:347-351؛ |بكر|:345؛ |فضل|:235؛ |نجار|:472-476؛ |رمضان|:331/2-333؛ |بدوى|:509/1-510.

8646 . |معصراوى|:56 و 126. انظر أيضاً كتب التفسير، مثل: |طبرى|:419/5؛ |طبرى-شاكر|:425/6؛ |ج-البغا|:71؛ |ج-وطن|:56؛ |عطية-مصر|:429/2-430؛ |خازن-بغوى|:453/1-454؛ |بيضاوى|:160/1 و 288؛ |نسفى|:1/:257؛ |بحر|:487/2-488.

8647 . |مجلس|:523. انظر أيضاً |EI-2|:82/4.

8648 . يُمكن معرفة المزيد مِن المعلومات عن إنجيل الطفولة لتوما (IGT) وقراءة نصوص منه باللغة الإنجليزية فى |ApocrG|:3-29؛ |Elliott|:68-83؛ |IGT| وباللغة العربية فى |بسيط-أبوكريفا|:93/1-101؛ |طرزى-أبوكريفا|:64/1-83. أو زيارة موقع الدكتور (Tony Chartrand-Burke): https://www.tonyburke.ca/infancy-gospel-of-thomas/

8649 . |IGT|:278.

8650 . الترجمة العربية (|بسيط-أبوكريفا|:96/1). الترجمة الإنجليزية لمخطوطة أخرى (|ApocrG|:11). انظر أيضاً |Elliott|:75-76؛ |IGT|:225؛ |طرزى-أبوكريفا|:65/1؛ |Masson|:807. ولقراءة تحليل حول إنجيل الطفولة لتوما كمصدر من مصادر القرآن، يمكن الرجوع إلى |Tisdall|:174-176؛ |Tisdall-ar|:147-149.

8651 . باللغة الإنجليزية: |Elliott|:103-104. باللغة العربية: |بسيط-أبوكريفا|:146/1، 150؛ |طرزى-أبوكريفا|:131/1، 135. انظر أيضاً |QHC|:161؛ |QHC-ar|:241.

8652 . لمزيد مِن المعلومات عن هذا العمل الأبوكريفى "أسئلة بَرْثُولَمَاوُس" وقراءته باللغة الإنجليزية، انظر |Burke|:86-87؛ |Elliott|:652-672؛ |NTApocr|:539/1-553؛ |Reynolds|:37.

8653 . |Elliott|:659. انظر أيضاً |IGT|:12.

8654 . كالعادة، اختلف المفسرون فى معنى كلمة "الأكمه"، لكن القول السائد في المراجع الإسلامية هو أنه المولود أعمى. (سؤال: لماذا يختلف المفسرون فى معنى كلمة عربية، ألم تكن هذه الكلمة معروفة ومتداولة في عهد محمد؟!)

8655 . وكذلك حسب القرآن. اقرأ مثلاً: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا (هو: آدم) مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ (أي: صوَّرته بالصورة البشرية) وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي (أي: وهبته الحياة) [...]" (ص 71-72)؛ (الحجر 28-29) (السجدة 7-9).

8656 . |QHC|:146؛ |QHC-ar|:221. انظر أيضاً |Reynolds|:147.

8657. |Lalouette|:67-76. See also: Francis Llewelyn Griffith, "Stories of the high priests of Memphis", Oxford, The Clarendon Press, 1900, pp. 13-40.

8658 . يُعتبَر الإله توت أو تحوت (Thoth) واحداً من أهم الإلهة المصرية القديمة، ويظهر أثناء محاكمة الموتى (Judgment of the dead) التى تحدثنا عنها فى فصل سابق. كان يُعتقَد أن الإله توت هو الذى كتب بنفسه الكتاب المذكور فى هذه الأسطورة. ولا يزال الإله توت حاضراً فى حياة المصريين (الأقباط) إلى اليوم: فلا يزال أول شهر من شهور السنة القبطية يحمل اسم "توت"، كما علمنا من بعض الأصدقاء أن جامعة القاهرة في مصر تتخذ من الإله توت شعاراً لها!

8659. |Lalouette|:70. See also |IGT|:45. Francis Llewelyn Griffith, "Stories of the high priests of Memphis", Oxford, The Clarendon Press, 1900, pp. 23-24.

8660 . |NIV|:1630؛ |دراسى|:2513؛ |آرثر|:1597؛ |تطبيقى|:2256.

8661 . |GR-AQ|:121-122.

8662 . المراجع الإسلامية: تفاسير (المائدة 112-115) و |كثير-هاشمى|:528-529؛ |كثير-بديوى|:641-643؛ |عرائس|:349-351؛ |طيب|:285-287؛ |شعراوى-قصص|:413-419؛ |بهجت|:363-367؛ |بكر|:350-355؛ |فضل|:236-239؛ |نجار|:475-486؛ |رمضان|:333/2-335؛ |بدوى|:517/1-520؛ |مجلس|:511-512.

8663 . |معجم-ألفاظ|:220.

8664 . |شلتوت|:208.

8665 . |منتخب-ن|:112، 249، 1247 ؛ |منتخب-ف|:174 ؛ |فهد-ن|:75،166،762 ؛ |AYA|:1463،284،140 ؛ |Pickthall|:70،159،739 ؛ |Fakhry|:567،125،61 ؛ |Unal|:1134،263،135؛ |Ghali|:552،126،56 ؛ |زينب|:552؛ |Boubakeur|:1822/2. انظر أيضاً |مفصل|:584/6.

8666 . |منتخب-ف|:880 ؛ |فهد-ف|:874،178،79 ؛ |Arberry|:115/1،81 ؛ |Arberry|:275/2 ؛ |Bell|:111/1،50؛ |زينب|:126،56 ؛ |Boubakeur|:196/1-197، 394-395 ؛ |Aldeeb|:539،520،424.

8667 . |FV|:115-116. انظر أيضاً |GR-AQ|:216؛ |QSC|:114.

8668 . |معصراوى|:126. انظر أيضاً المراجع الإسلامية.

8669. “Il convient de remarquer que cette formule particulièrement solennelle ne parait que cette seule fois dans le Coran; c’est Dieu lui-même qui la prononce (cf. une forme atténuée en III, 56 ["فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ" (آل عمران (56)])” (|Masson|:826).

8670 . |منتخب|:481.

8671 . |معجم-ألفاظ|:493.

8672 . ذكر عدد من كتب التفسير رأي مَن قال إن عيد نزول هذه المائدة هو يوم الأحد! وسنعلم بعد قليل مِن أين جاء هذا الرأي! وقيل أيضاً إن كلمة "عِيدًا" هنا تعنى "عظةً"! إلى آخر هذه التبريرات الموجودة في المراجع الإسلامية.

8673 . |شعراوى-عجز|.

8674 . لمعرفة مزيد من المعلومات عن معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل، انظر: |NIV|:1638-1642؛ |دراسى|:2527-2532؛ |أنطونيوس|:يوحنا؛ |ملطى|:يوحنا؛ |آرثر|:1765-1771؛ |تطبيقى|:2190-2195. ذكر (متى 15:32-39) و (مرقس 8:1-10) قصة أخرى مشابهة وهى معجزة إشباع الأربعة آلاف رجل (Feeding of the four thousand) (Seconde multiplication des pains). انظر أيضاً (2 ملوك 4:42-44) فى العهد القديم.

8675 . قد تكون هذه المعجزة سبباً فى جعل السمكة (إخثوس) (ichthus) رمزاً للمسيحيين الأوائل فى القرون الأولى للميلاد. أو ربما يكون السبب هو أنه في أول لقاء يجمع بين السيد المسيح وتلاميذه بعد قيامته من الأموات، "قَالَ لَهُمْ [يسوعُ]: «أَعِنْدَكُمْ ههُنَا طَعَامٌ؟» فَنَاوَلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدِ عَسَل. فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ" (لوقا 24:41-43). ولا يزال المصريون جميعاً – مسيحيون ومسلمون – يأكلون السمك احتفالاً بعيد شم النسيم فى اليوم التالى لعيد القيامة (Easter). كل هذا يدل على تأثر منطقة الشرق الأوسط منذ فجر المسيحية إلى اليوم بالقصص المذكورة فى الإنجيل.

8676 . انظر |EI-2|:82/4.

8677 . |NIV|:111-112؛ |دراسي|:174-177؛ |أنطونيوس|:الخروج؛ |ملطي|:الخروج/102-107؛ |قاموس-كتاب|:925-926؛ |آرثر|:175-177؛ |تطبيقي|:163-166.

8678 . نستطيع الآن أن نفهم لماذا ذكر عدد من كتب تفاسير القرآن رأي مَن قال إن عيد نزول هذه المائدة هو يوم الأحد.

8679 . |المسيح|:305.

8680 . |NIV|:872-876؛ |دراسي|:1386-1391؛ |أنطونيوس|:المزامير؛ |ملطي|:المزامير؛ |آرثر|:933-935؛ |تطبيقي|:1214-1216.

8681 . |GR-AQ|:217؛ |QSC|:114-115؛ |FV|:255.

8682 . انظر مثلاً |شوقي-قصص|:261؛ |زين|:246،234.

8683 . "لاَ تُعْطِنِي فَقْرًا وَلاَ غِنًى. أَطْعِمْنِي خُبْزَ فَرِيضَتِي (أي: ما يكفيني فقط)، لِئَلاَّ أَشْبَعَ وَأَكْفُرَ وَأَقُولَ: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ؟» أَوْ لِئَلاَّ أَفْتَقِرَ وَأَسْرِقَ وَأَتَّخِذَ اسْمَ إِلهِي بَاطِلاً" (الأمثال 30:8-9).

8684 . |QHC-ar|:227؛ |QHC|:150.

8685 . |فهد|:486.

8686 . |المسيح|:275.

8687 . لمزيد من التفاصيل عن تأثير التراث اليهودي/المسيحي (الخروج 16) (المزامير 78) (يوحنا 6) على القرآن (المائدة 112-115)، انظر مثلاً |GR-AQ|:216-217؛ |QSC|:113-117.

8688 . قال المسيح لليهود: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ" (يوحنا 6:32) **[← "قَالَ [اللهُ للشيطان] فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ" (ص 84)].**

8689 . إذن: قِسْطُ الْمَنِّ الذى وَضَعَهُ هَارُونُ أَمَامَ الشَّهَادَةِ لِلْحِفْظِ كان رمزاً إلى العذراء مريم لأنها حملت يسوع المسيح (الْمَنَّ الْحَقِيقِيَّ) فى بطنها.

8690 . إذن: "صخرة موسى التى ضربها بالعصا وجرى منها ماء فشرب الشعب ونجا من الموت، كانت رمزاً إلى السيد المسيح الذى طُعِن بالحربة فى جنبه على الصليب، فخرج منه دم وماء" (|تساؤلات|:62/1). قال بولس الرسول عن بنى إسرائيل حين كانوا فى الْبَرِّيَّةِ: "وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا طَعَامًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ" (1 كورنثوس 10:3-4).

8691. Prof. Gabriel Reynolds: “[المائدة 112-115], which makes the disciples similar to the crowds of John 6, suggests that [the disciples] are less than faithful” (|GR-AQ|:217).

8692 . |المسيح|:277.

8693 . |Panarion|:137-138؛ |Elliott|:15-16؛ |ApocrG|:215؛ |بسيط-أبوكريفا|:57/2.

8694 . انظر الشكل التوضيحي لأسبوع الآلام (Passion Week): |NIV|:1556-1557؛ |دراسي|:2396-2397؛ |تطبيقي|:2035. انظر أيضاً |المسيح|:377.

8695 . وبدلاً من ذَبْح كَبْشٍ بلا عيب كل عام في عيد الأضحى الإسلامي.

8696 . |ملطي|:مرقس/260-261؛ |تطبيقي|:1958، 2037، 2149، 2447. انظر أيضاً |تساؤلات|:71/1-73؛ |بسيط-صلب|:108-109.

8697 . وقصة الذبيح القرآنية هي أساس احتفال المسلمين بعيد الأضحى، التطور البشري الطبيعي لعيد الفصح اليهودي والبديل الإسلامي لعيد القيامة المسيحي. نقول "البديل الإسلامي" وليس "البديل القرآني" لأن عيد الأضحى غير مذكور في القرآن. فلا يوجد بديل قرآني لعيد الفصح/القيامة العيد الوحيد المذكور في القرآن: "عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا" (المائدة 114).

8698 . وكذلك قَالَ يَسُوعُ في الأناجيل الثلاثة الأخرى: "إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ" (لوقا 4:8)؛ (متى 4:10)؛ ولمَّا سأل واحدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ اليهود يسوعَ: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟». فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. [...]». فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. [...]». فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْل، قَالَ لَهُ: «لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ» (مرقس 12:28-34).

8699 . هذا هو التفسير المسيحي/القرآني الصحيح لـ "فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي" (المائدة 117): بعد موتي وقيامتي وصعودي. ويتفق أيضاً مع "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ

يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (آل عمران 55). أما التفسير الإسلامي التقليدي الذي يرفض قيامةَ المسيح، بل يرفض موتَ المسيح، فهو: فلمَّا انتهى أجلُ إقامتي على الأرض ورفعتني حياً إلى السماء! راجِع ما قلناه عن صلب المسيح.

8700. Dr. Michel Cuypers: "[120-109 المائدة] contiennent trois passages, disposés de manière concentrique (ABA'), évoquant trois temps ou moments de la vie de Jésus : [1] l'enfance et la vie publique (vv. 109–111); [2] la promesse de la nourriture céleste, allusion à la Cène (vv. 112–115); [3] le Jugement de Jésus par Dieu (vv. 116–120)" (|QSC|:113). Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-014

8701 . |Tisdall|:179-176؛ |Tisdall-ar|:152-150.

8702 . |معجم-ألفاظ|:684؛ |QHC|:148؛ |QHC-ar|:225.

8703 . الاستعداد لعيد الفصح كان يشمل إعداد المائدة وشراء خروف الفصح وذبحه وتجهيزه مع خبز غير مختمر (unleavened bread) ونبيذ (عصير العنب) (wine) وأعشاب مرة (bitter herbs) مع بعض التجهيزات الأخرى اللازمة لهذه المناسبة الدينية المهمة (|NIV|:1555؛ |دراسي|:2393؛ |تطبيقي|:2036).

8704 . نلاحظ هنا أن الكلمات المستخدمة، مثل "أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ" و "أَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ" هى تقريباً نفس الكلمات المستخدمة فى وصف معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل.

8705 . |معجم-ألفاظ|:21، 98؛ |QHC|:149؛ |QHC-ar|:226.

8706 . |NIV|:1555 و 1790؛ |دراسي|:2394.

8707 . |المسيح|:378. انظر أيضاً |المسيح|:382-385.

8708 . |NIV|:1790؛ |دراسي|:2771؛ |ملطى|:1 كورنثوس؛ |آرثر|:1970؛ |تطبيقي|:2448. انظر أيضاً |QHC|:151؛ |QHC-ar|:228-229.

8709. "Some [Muslim commentators] say that this perpetually observed feast day is Sunday (Z), which would support the suggestion that this Quranic account is a reference to the Eucharist" (|Nasr|:335).

8710 . |المسيح|:377.

8711 . |QHC-ar|:225-229؛ |QHC|:149-151.

8712 . |NIV|:1704؛ |دراسي|:2634؛ |أنطونيوس|:أعمال الرسل؛ |ملطى|:أعمال الرسل؛ |قاموس-كتاب|:778-779؛ |آرثر|:1847-1850؛ |تطبيقي|:2304-2307.

8713 . |Tisdall|:178؛ |Tisdall-ar|:151.

8714 . **[← ولا نعتقد أنها مجرد صدفة أن سورة المائدة تبدأ بالحديث عن الطعام الحلال والطعام الحرام (المائدة 1-5)!].**

8715. |QSC|:116-117. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-014

8716 . |Tisdall-ar|:152؛ |Tisdall|:179.

8717 . |شحرور|:2/54-55.

8718 . انظر مثلاً |ملطى|:متى/91-187.

8719 . "انْظُرُوا أَنْ لاَ يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ، بَلْ كُلَّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ" (1 تسالونيكي 5:15). "لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. [...]. لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ (أي: غضبِ الله وليس غضبكم)، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ». «فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ (أي: تجعل عَدُوَّكَ يشعر بالخجل، فيندم على ما فعله بك)». لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ" (رومية 12:17-21) "فَإِنَّنَا نَعْرِفُ الَّذِي قَالَ: «لِيَ الانْتِقَامُ، أَنَا أُجَازِي، يَقُولُ الرَّبُّ»" (العبرانيين 10:30). "غَيْرَ مُجَازِينَ عَنْ شَرّ بِشَرّ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ، بَلْ بِالْعَكْسِ مُبَارِكِينَ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ لِكَيْ تَرِثُوا بَرَكَةً" (1 بطرس 3:9).

8720 . "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا" يجب أن تُفْهَم في سياقها. إنها مثل علاج كيماوي لِمَن عنده سرطان الانتقام وداء الأخذ بالثأر ومَن يأخذ حقه بذراعه، بدليل أنه يقول قبلها: "عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ". أما نحن فليس عندنا هذا السرطان، فيجب ألا نتعاطى هذا العلاج الكيماوي. وإنما نأخذ حقنا بالقانون، وإنْ لم ينصفنا القانون نترك الانتقام بيد الله

"إله النَّقَمَاتِ" (المزامير 94:1) الذي قال "لِيَ النَّقْمَةُ وَالْجَزَاءُ" (التثنية 32:35). لمزيد من التفاصيل، انظر |المسيح|:244-246.

8721 . "فإذا تحتَّمت المقاومة والردع لخير الناس أو ربما لخير المتعدّي نفسه فليكن ذلك بروح المحبة. فإذا انتهت المشكلة بقيت المحبة. [...] وكم مِن شهداء باحتمالهم عن حبٍّ قسوة المضطهدين جرُّوهم إلى المسيحية" (|المسيح|:245).

8722. "Le Livre des morts des anciens Égyptiens", sous la resp. de Paul Barguet, Paris: Cerf, 1979, pp. 157-164.

8723 . |بدچ|:114-132. والحواشي (|بدچ|:221-225) والحاشية الختامية (|بدچ|:239).

8724 . كما يُقال اليوم مثلاً: إذا فعلتَ كذا، ستدفع غرامة 100 دولار. إنها عقوبة، وليست دعوةً إلى التخلص من أموالك!

8725 . في الوقت الذي حرَّم فيه القرآنُ لحمَ الخنزير أربع مرات (المائدة 3) (البقرة 173) (النحل 115) (الأنعام 145)!

8726 . |Kramer-fr|:72-76، 122-125.

8727 . |Kramer-fr|:123.

8728 . |Kramer-fr|:124.

8729 . |IVP-NT-ar|:103/1؛ |IVP-NT|:113. انظر أيضاً |GR-AQ|:909، 931.

8730. |QSC|:417-418. Available online at https://doi.org/10.1515/9783110445909-049 . For the Clementine Homilies (Homily 7), |ANF|:8\269 or https://newadvent.org/fathers/080807.htm

8731 . أ. د. محمد بكر إسماعيل، "الفقه الواضح"، القاهرة: دار المنار، الطبعة الثانية 1997، 79/3-80.

8732 . |و|:170/3/1.

8733 . |فهد|:507.

8734. سؤال جريء 383, http://www.islameyat.com/post_details.php?id=5866&cat=24&scat=40&

8735 . "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (الذاريات 56).

8736 . "إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثٌ لِلهِ بِالْمَسِيحِ" (غلاطية 4:7).

8737 . "أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟ [...]، لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ" (1 كورنثوس 3:16-17) "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟" (1 كورنثوس 6:15) "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ" (1 كورنثوس 6:19) "فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ" (2 كورنثوس 6:16).

8738. |QHC-ar|:120. “None of the systems of chronological sequencing of Qur'ānic chapters and verses has achieved universal acceptance in contemporary scholarship” (|QHC|:73). See also |Witztum|:273-274.

8739 . (الدارمى 587؛ |دم|:153/1؛ "إسناده جيد" |دم-أسد|:474/1). انظر أيضاً |زرقانى|:236/1.

8740 . على الرغم مِن أن صحيح البخارى وصحيح مسلم قد كُتِبا بعد وفاة محمد بأكثر مِن 200 سنة، إلا أن المسلمين يعتبروهما أصح كتابين بعد القرآن! وطبعاً نحن حين نصف حديثاً بأنه "صحيح"، فنحن نقصد بالطبع أنه صحيح مِن وجهة النظر الإسلامية (السُّنِّية تحديداً). أما نحن فلا نؤمن بهذه الأحاديث، بل لا نؤمن بالقرآن ولا نؤمن بمحمد.

8741 . نظراً لاختلاف ترقيم الأحاديث بين النسخ المطبوعة، فلقد اخترنا أن نذكر اسم صاحب الكتاب (البخارى، مسلم، الترمذى، النسائى، أبو داود، ابن ماجه، الدارمى) متبوعاً برقم الحديث حسب (|خ|، |م|، |ت|، |س|، |د|، |هـ|، |دم|) على الترتيب ثم متبوعاً برقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة التي اعتمدنا عليها.

8742 . الترقيم: (أحمد متبوعاً برقم الجزء والصفحة من الطبعة الميمنيَّة المشهورة ثم رقم الجزء والصفحة من الطبعات الأخرى.

8743 . (مالك متبوعاً برقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8744 . (ابن خزيمة متبوعاً برقم الحديث حسب |خز| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8745 . (ابن حبان متبوعاً برقم الحديث حسب |حبان-أرنؤوط| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8746 . (المُستدْرَك متبوعاً برقم الجزء والصفحة من الطبعة القديمة (طبعة دائرة المعارف النظامية فى الهند) ثم رقم الجزء والصفحة من الطبعات الأخرى.

8747 . (الطيالسى متبوعاً برقم الحديث حسب |طيالسى| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8748 . (عبد الرزاق متبوعاً برقم الحديث حسب |صنعاني| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8749 . (ابن أبي شيبة متبوعاً برقم الجزء والصفحة من الطبعة القديمة (طبعة الدار السلفية بالهند) ثم رقم الجزء والصفحة من الطبعات الأخرى.

8750 . (البزار متبوعاً برقم الحديث حسب |بزار| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8751 . (أبو يعلى متبوعاً برقم الحديث حسب |يعلى| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8752 . (المعجم الصغير متبوعاً برقم الحديث حسب |طبرانى-صغير| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8753 . (المعجم الأوسط متبوعاً برقم الحديث حسب |طبرانى-أوسط| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8754 . (المعجم الكبير متبوعاً برقم الحديث حسب |طبرانى-كبير| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة. ملحوظة: اعتباراً مِن أول الجزء السابع عشر، يوجد ترقيم خاص لكل جزء مِن الكتاب!

8755 . (شرح السنة للبغوى متبوعاً برقم الحديث حسب |بغوى| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8756 . (المشكاة متبوعاً برقم الحديث حسب |ش| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8757 . (كنز العمال متبوعاً برقم الحديث حسب |كنز| ثم رقم الجزء والصفحة من النسخ المطبوعة.

8758 . |يسوعية|:العهدالقديم/1439. انظر أيضاً |مشتركة|:الكتب اليونانية/70؛ |NOAB|:1459.

8759 . بعض هذه المراجع (مثلاً: |Barnstone|؛ |Lumpkin|؛ |هامش|) تضم بعضاً مِن أبوكريفا العهد الجديد أيضاً.

8760 . سنعتمد على ترقيم صفحات المجلدات الثلاثة، وليس الأجزاء. مثلاً |حجازى|:285/1 يعنى المجلد الأول ص 285.

8761 . مثلاً |ديورانت|:327/2/1 يعنى المجلد الأول، الجزء الثانى، ص 327.

8762 . مثلاً |عاشور|:328/16 يعنى الجزء 16، ص 328. |عاشور|:73/2/8 يعنى الجزء الثامن، القسم الثانى، ص 73.

8763 . مثلاً |مارمرقص|:العهدالقديم/20/3 يعنى تفسير العهد القديم، الجزء 3، صفحة رقم 20.

8764 . مثلاً |مصاحف|:مقدمة/7 يعنى المقدمة العربية، صفحة رقم 7. |مصاحف|:عربى/103 يعنى النص العربى، صفحة رقم 103. |مصاحف|:جفرى/308 يعنى الكتاب الإنجليزى، صفحة رقم 308.

8765 . مثلاً |نطرون|:الخروج/190 يعني شرح سفر الخروج، صفحة 190. |نطرون|:يوحنا/190/2 يعني شرح إنجيل يوحنا، الجزء 2، صفحة رقم 190.

8766 . مثلاً |و|:34/10/3 يعنى القسم الثالث، الجزء 10، صفحة رقم 34. ولا نذكر رقم المجلد لأنه غير مهم.

8767 . ينقسم إلى ثلاثة أقسام. كل قسم به ثلاثة مجلدات أو أربعة، لكن ترقيم صفحات كل قسم ترقيم متسلسل، ولذلك لا نذكر رقم المجلد ونكتفي برقم القسم ورقم الصفحة. مثلاً |وسيط|:543/2 يعني القسم الثاني، صفحة رقم 543.

8768. Exemple: |AOB-Subsidia|:3\189-191 = ACTA ORIENTALIA BELGICA – Subsidia III, pp. 189-191.

8769. Example: |BSOAS|:72\2\242 means vol. 72, no. 2, p. 242.

8770. Example: |IS|:45\2\173-174 means vol. 45, no. 2, pp. 173-174.

8771. Example: |JAOS|:135\4\819 means vol. 135, issue 4, p. 819.

8772. Example: |JQS|:3\1\9-10 means vol. 3, no. 1, pp. 9-10.

8773. Example: |JSAI|:34\300-302 means vol. 34, pp. 300-302.

8774. Example: |JSS|:19\2\235 means vol. 19, issue 2, p. 235.

8775 . مثلاً |MH-ar|:العهدالقديم/348/2 يعني تفسير العهد القديم – الجزء الثاني – ص 348. لكن توجد أجزاء أخرى تنقسم إلى كتابين، فمثلاً |MH-ar|:العهدالقديم/245/1/3 يعني تفسير العهد القديم – الجزء الثالث – الكتاب الأول – ص 245.

8776. Example: |MIDEO|:22\3 means vol. 22, p. 3.

8777. Example: |MQRNS|:25\1\5 means Vol. 25, Issue 1, p. 5.

8778. Example: |MW|:70\2\101 means vol. 70, no. 2, p. 101.

8779 . هذه الترجمة العربية جيدة، لكنها أحياناً تكون حرفية جداً لا توضح المعنى، وأحياناً بها أخطاء! مثلاً: يقول الكتاب الأصلى " [Luxenberg's] book makes no attempt to place its findings in any plausible context" (|QHC|:97)، لكن نجد الترجمة الخاطئة تقول: "كتاب [لوكسينبرغ] يُجرى محاولة واحدة ليضع استنتاجاته فى سياق مقبول" (|QHC-ar|:156)! والصواب هو: "كتاب [لوكسينبرغ] لا يُجرى أية محاولة ليضع استنتاجاته فى أى سياق مقبول". ويبدو أيضاً أن المترجم لا يعلم أن (Neuwirth) امرأة! بدليل أنه يقول فى نفس الصفحة "أ. نوريث لام لوكسينبرغ [...]"! والصواب أن يقول: "أ. نوريث لامت لوكسينبرغ [...]". وفى نفس الصفحة أيضاً، لم يترجم المترجمُ عبارة مكتوبة باللغة اللاتينية، ربما لأنه لا يعرف كيف يترجمها. وكثير مِن الحواشى لم تُترجَم. ولذلك فإننا ننصح بإعادة ترجمة هذا الكتاب المهم |QHC| إلى اللغة العربية مِن أجل المساهمة في القضاء على الإرهاب.

8780 . ننصح بترجمة هذا الكتاب المهم |QHC-2| إلى اللغة العربية مِن أجل المساهمة في القضاء على الإرهاب.

8781. Example: |Reinink|:VI\157 means Chapter VI, p. 157.

8782 . ننصح بترجمة هذا الكتاب المهم جداً |Reynolds| إلى اللغة العربية مِن أجل المساهمة في القضاء على الإرهاب. فهو مكتوب بلغة سهلة، وننصح به كنقطة بداية لكل إنسان عاقل يريد أن يعرف جذور القرآن في التراث اليهودي-المسيحي.

8783 . قَالَ يَسُوعُ المسيح: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ (أي: الله؛ الحق المطلق) إِلاَّ بِي (أي: يسوع المسيح الإنسان؛ الحق النسبي)" (يوحنا 6:14).

8784 . |مشتركة|:الكتب اليونانية/69-70. انظر أيضاً |يسوعية|:العهدالقديم/1439.

8785 . في الأمور غير العلمية، الدين نقطة انطلاق (point de départ) فقط وليس مرجعية (point de référence). أما في الأمور العلمية مثل التاريخ والطب والبيولوجي، فإن العلم وحده - وليس الدين - هو المرجعية وهو أيضاً نقطة الانطلاق.

8786 . "«الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ (باليونانية: doulon) (your slave; your servant) يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ»" (لوقا 2:29-32).

8787 . ليس "ابن الله" بالمعنى الحرفي الجنسي (مِن نسل الله!) ولا بالمعنى اللاهوتي النيقاوي-القسطنطيني (مِن طبيعة الله!). وإنما "ابن الله" بالمعنى المجازي؛ أي: خليفة الله (God's commissioned agent; God's earthly representative) أو مُختار الله (لوقا 23:35؛ لوقا 9:35 حسب ترجمات كثيرة؛ 1 بطرس 2:4؛ إشعياء 42:1؛ إشعياء 49:7). كما كان شعبُ إسرائيل في العهد القديم "ابن الله" أي شعب الله المختار، فإن الإنسان يسوع المسيح في العهد الجديد "ابن الله" الفريد أي فتى الله المختار (God's Chosen Servant) (متى 12:18؛ أعمال الرسل 3:13، 3:26، 4:27، 4:30). اللهُ يختار ابنَه (شعب أو إنسان من هذا الشعب) بدون أن يسعى هذا الابن أن يُختَار. ولا تعارض بين اختيار الابن وآلامه (Suffering Servant).

8788 . "آلام المسيح (يسوع اليهودي)" لقطة قصيرة مِن تاريخ طويل لـ "آلام اليهود" دفاعاً عن التوحيد الخالص. فلقد كان اليهود - أو على الأقل أتقياؤهم - مُسحاء (anointed) يمثِّلون اللهَ الواحد على الأرض. "خَرَجْتَ لِخَلاَصِ شَعْبِكَ، لِخَلاَصِ مَسِيحِكَ" (حبقوق 3:13)؛ "لاَ تَمَسُّوا مُسَحَائِي، وَلاَ تُسِيئُوا إِلَى أَنْبِيَائِي" (المزامير 105:15)؛ (المزامير 28:8-9).

8789 . "إِلهُ رَبِّنَا (أي: سَيِّدِنَا؛ مُعَلِّمِنا) يَسُوعَ الْمَسِيحِ [...] أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أفسس 1:17-20). اقرأ أيضاً (يوحنا 20:17).

8790 . قال يسوع المسيح: "مَنْ قَبِلَنِي فَلَيْسَ يَقْبَلُنِي أَنَا بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (مرقس 9:37). (متى 10:40) (لوقا 9:48) (يوحنا 12:44) (يوحنا 13:20).

8791 . "لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (رومية 6:23)؛ أي: من خلال الإيمان بالسيد والمعلِّم يسوع المسيح كفادي صُلِب ومات كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا وكمخلِّص قام من الأموات لنحيا معه حياةً أبدية.